الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
المحرم [illegible] هـ • ديسمبر [illegible] م الجزء [illegible] السنة [illegible]

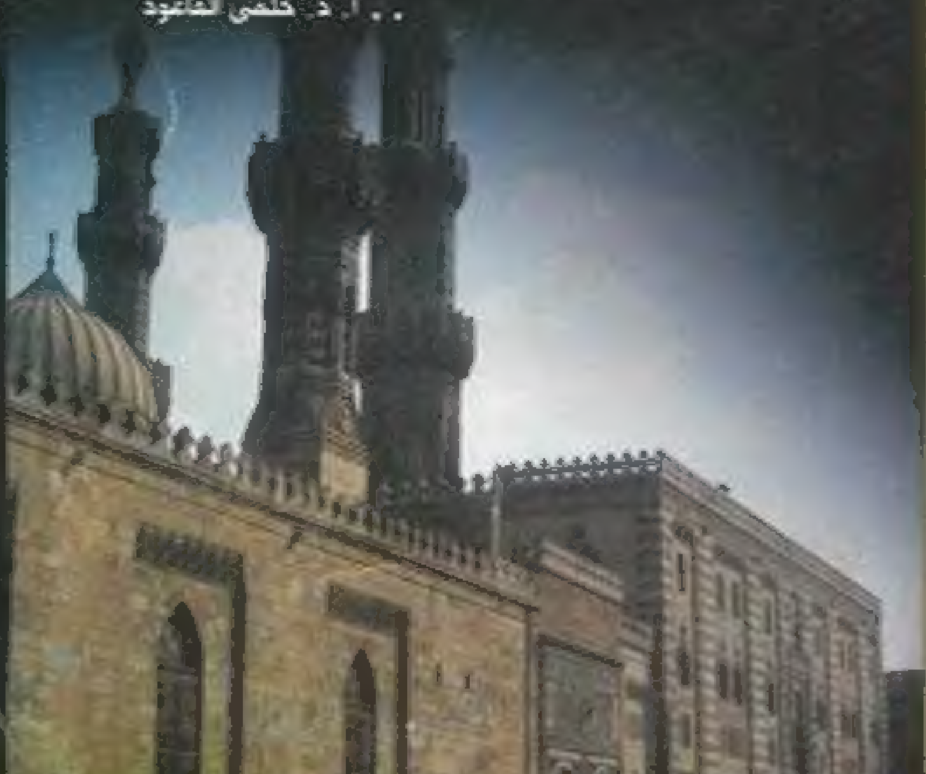


ثقافة الشهادة والاستشهاد
.. أ. د. محمد عمارة

فى فقه التغيير
.. أ. منير شفيق

هدية العدد طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد
للعلامة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة

صاحب المنار والبعث الإسلامى
.. أ. د. حلمى القاعود



اقرأ لهؤلاء



الشيخ محمد عبده



د. مصطفى الزرقا



[illegible]له دراز

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٥٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الفنان/ أحمد القطب

• الافتتاحية •

ثقافة الشهادة والاستشهاد

لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عمارة



«الشهيد».. اسم من أسماء الله الحسنى؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ عالم الغيب والشهادة.. والغيب: هو ما بطن وخفى.. أما الشهادة: فهى ما ظهر.. فهو ـ سبحانه ـ الشاهد المشاهد.. والذى يشهد على خلقه يوم القيامة بما علم وشاهد منهم[1].

ولقد سمى المؤمن، الذى يقدم روحه فداء لله ودينه.. وأمة رسوله ﷺ.. ودار الإسلام، شهيداً؛ لأنه يشهد ويشاهد مكانته فى الجنة فى ذات اللحظة التى تنبثق من جسده أول قطرة من الدماء!.. وفى الحديث النبوى الشريف، قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلّى حلّة الإيمان، ويُزوّج من الحور العين، ويُشفّع فى سبعين إنساناً من أقاربه» رواه ابن ماجة.

ولهذه الحقيقة، قرر القرآن الكريم أن الشهداء ليسوا أمواتاً، وإنما هم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحون بهذه الحياة الخالدة التى صاروا إليها ـ بعد الحياة الفانية ـ؛ لأن شهودهم وشهادتهم ومشاهدتهم لمكانتهم فى الجنة، لحظة انبثاق أول قطرة دم من أجسادهم، معناه أن حياتهم الخالدة قد بدأت فى ذات اللحظة التى بدأوا فيها المغادرة لحياتهم الفانية والتحول عنها.. فحياتهم موصولة، ليس فيها أى انقطاع:

---

(١) أبو حامد الغزالى (المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى) ص ٨١. طبعة مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - بدون تاريخ

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٤)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١)

لقد تفردوا بمشاهدة مكانتهم فى الجنة ـ دار الخلد ـ قبل مغادرتهم دار الفناء.. ومن ثم تفردوا بتجاوز الموت، عندما أفضت حياتهم الدنيا ـ الفانية ـ إلى حياتهم الأخرى ـ الباقية ـ فى جنات النعيم.

• ولأن الإسلام يريد الإنسان ربانياً، يتسامى على الجانب الطينى فى خلقه وخلقته، ليصعد وينطلق من الجانب الروحى الذى نفخه الله فيه من روحه ـ سبحانه وتعالى ـ فلقد دعا الإسلام هذا الإنسان إلى الارتفاع والارتقاء بحياته وخلقه وسلوكه من درك الحيوانية إلى آفاق التخلق ـ النسبى والممكن ـ بأخلاق الله وصفاته ـ المطلقة ـ ومنها صفة الشهيد..

فالتخلق بأخلاق الله، بمعنى السعي على درب اكتساب الممكن من صفاته ـ سبحانه ـ هو سبيل التسامي بالإنسان.

وفي هذا المعنى يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م): «إن كمال العبد وسعادته «هي» في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه.. ومن لم يكن له حظ من معاني أسماء الله تعالى إلا بأن يسمع لفظه، ويفهم في اللغة تفسيره ووضعه، ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى، فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي يدرك بها الأصوات، وهذه رتبة يشارك البهيمة فيها، وأما فهم وضعه في اللغة؛ فلا يستدعي إلا معرفته العربية، وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوي، بل الغبي البدوي، وأما اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف، فلا يستدعي إلا فهم معاني هذه الألفاظ والتصديق بها، وهذه رتبة يشارك فيها العامي بل الصبي، فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنها واعتقدها بقلبه وصمم عليها.. ومن حظوظ المقربين من معاني أسماء الله الحسنى.. استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شبها من الملائكة المقربين عند الله تعالى. ولن يتصور أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشراقها إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال، وحرص على التحلي بذلك الوصف إن كان ذلك ممكنا للمستعظم بكماله، فإن لم يكن بكماله فيبعث الشوق إلى القدر الممكن منه لا محالة.. فبالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها يصير العبد ربانيا، أي قريبا من الرب تعالى»[٢].

تلك هي ثقافة المسلم، وتلك هي آفاق المثل الإسلامية، حيال التخلق بمعاني صفات الله وأسمائه الحسنى.. ومنها صفة الشهيد.. فحتى يكون المسلم شاهدا على الناس.. ومشاهدا لمقعده من الجنة، لابد أن يسعى لبذل جهده ووسعه ـ بما في ذلك الروح والدم ـ ليكون من الشهداء الأحياء الفرحين عند ربهم في جنات الخلود.

● ولأن الإسلام: دين ودنيا.. ودنيا وآخرة.. وفرد وجماعة وأمة.. ودين ودولة ونظام واجتماع.. ولأن مقاصد الشريعة الإسلامية لم تقف فقط عند حفظ الدين.. وإنما أضافت إليه حفظ النفس.. والعقل.. والعرض.. والمال.. فلقد فتح الإسلام أمام المسلم أبوابا كثيرة وواسعة للشهادة والاستشهاد.. فكل ميادين الحفاظ على الدين.. والنفس.. والعقل..

---

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠، ٢١.

والعرض.. والمال.. هي ميادين للشهادة.. والمقبلون على بذل النفوس والأرواح فيها هم الشهداء الأحياء عند الله، الفرحون بما أعد لهم مولاهم في دار الخلود وجنات النعيم..

ولقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد» رواه الترمذي.. وأول الناس دخولاً في الجنة هم: «الفقراء المهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره» رواه الإمام أحمد.

فالتضحية بالنفس في جميع ميادين الحفاظ على مقاصد الشريعة ـ الدينية والدنيوية ـ هي أبواب للشهادة والاستشهاد، تفضي إلى الحياة الحقة الخالدة للشهداء في جنات النعيم.

بل إن هذه الميادين ـ ميادين الشهادة والاستشهاد ـ التي يحافظ بها المسلم على مقاصد الشريعة الإسلامية، إنما تتسع وترحب بتعدد وتنوع لوازمها وضروراتها.

فالحفاظ على الدين لا يقف عند التمكن من الاعتقاد.. والعبادات.. وإنما يمتد ليكون النظام الحاكم والمحقق لسعادة الدنيا والآخرة.

والحفاظ على النفس لا يقف عند صيانة حياة الأفراد، وإنما يمتد ليشمل كل ما يحقق فاعلية الأنفس والأمم والشعوب وعزتها وكرامتها وحرياتها.

والحفاظ على العقل لا يقف عند صيانته من السكر والجنون، وإنما يمتد ليشمل كل الميادين والعلوم والفنون والآداب التي تصون العقل والقلب عن التدني والانحطاط.

والحفاظ على العرض لا يقف عند الحريم الفردي، وإنما يمتد إلى صيانة جميع الأعراض من كل ما ينتهك حرماتها.. بل وحياءها.. مسلمة كانت تلك الأعراض أم على غير الإسلام من المعتقدات..

والحفاظ على المال لا يقف عند صيانة ما في الحوزة من الأموال والثروات، وإنما يمتد إلى سائر الميادين التي يتحقق بها العدل الاجتماعي بين الناس.. كل الناس.. وفي ذلك يقول العلامة ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ـ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م): «.. وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد، أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا فَيءَ أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة.. ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل «زيادة» عن صاحبه لمسلم أو ذمي.. وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قُتل فعلى قاتله القود ـ الدية ـ وإن قُتل المانع فإلى لعنة الله؛ لأنه مانع حقا، وهو طائفة باغية. قال تعالى:

﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾

(الحجرات: ٩)

ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق. وبهذا قاتل أبوبكر الصديق، رضى الله عنه، مانع الزكاة[٣].

فالاستشهاد في ميادين تحقيق العدل الاجتماعي داخل في ميدان صيانة النفس، كمقصد من مقاصد شريعة الإسلام.

بل إن تكامل هذه الميادين ـ على اتساعها ـ ليبلغ الحد الذى جعل فيه الإسلام صيانة النفس بتحقيق ضروريات حياتها ـ الشرط لإقامة الدين ـ وهو المقصد الأول لشريعة الإسلام!.. وفي ذلك يقول حجة الإسلام أبوحامد الغزالي: «إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا.. فنظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا:

ـ بصحة البدن.

ـ وبقاء الحياة.

ـ وسلامة قدر الحاجات، من:

أ ـ الكسوة

ب ـ والمسكن

جـ ـ والأقوات

د ـ والأمن.

ولعمرى! إن من أصبح آمنا فى سربه، معافى فى بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، ولا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا، فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة؟!.. فإذن، بان أن نظام الدنيا، أعنى مقادير الحاجة، شرط لنظام الدين..»[٤].

فكل ميادين الصلاح الدنيوى هى ميادين لصلاح الدين، وجميعها مقاصد للشريعة الإسلامية، والجهاد فيها أبوابه مشروعة للشهادة والاستشهاد.

---

(٣) ابن حزم الأندلسي (كتاب المحلى) ج ٦، ص ١٤٩، طبع القاهرة - المنيرية

(٤) الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ١٣٥، طبعة القاهرة، مكتبة صبيح، بدون تاريخ

● ولهذه الحقيقة، ربط القرآن الكريم القتال المشروع، الذى هو ميدان للشهادة والاستشهاد، بالحفاظ على حرية الدين والتدين، كي لا يفتن المؤمن في دينه:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾

(الأنفال: ٣٩)

وبالحفاظ على حرية الوطن، الذى هو الوعاء الضرورى لإقامة الدين، والشرط اللازم لكماله واكتماله.. والذى بدون حريته لا يتم الحفاظ على مقاصد الشريعة الأخرى، النفس، والعقل، والعرض، والمال.. ولذلك، بدأ «الإذن» في القتال - زمن البعثة النبوية - للحفاظ على حرية الدين.. وحرية الوطن، منعاً للفتنة فى الدين.. وللإخراج من الديار:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج: ٣٩، ٤٠)

وكان «الأمر» بالقتال خاصاً بذلك أيضاً:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

(البقرة: ١٩٠، ١٩٢)

وكذلك كان «فرض القتال وإيجابه» مقصوراً على هذه الأغراض، حماية الدين من الفتنة، وحماية الوطن من العدوان:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

(البقرة: ٢١٦، ٢١٧)

فالإخراج من الديار، والفتنة فى الدين هما سبب الأمر بالقتال والإيجاب لهذا القتال، وكذلك كانت معايير الموالاة والمعاداة مع الآخرين – كل الآخرين –:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨، ٩)

هكذا وقفت مقاصد القتال عند حماية حرية الدين والتدين، وحرية الوطن الذى هو الوعاء الضرورى لإقامة كامل الدين.. واتسعت ميادين الشهادة والاستشهاد لتشمل كل ميادين الجهاد، الذى هو بذل الوسع واستفراغ الجهد فى كل ميادين الصلاح والإصلاح.

● ولهذه الحقيقة –حقيقة أن حرية الوطن هى الشرط لحرية الدين والتدين– كانت صيانة الحرية لدار الإسلام باباً عظيماً وواسعاً من أبواب الشهادة والاستشهاد.

إن كثيرين – من الجاهلين أو الغافلين – يقفون اليوم عاجزين عن استيعاب مكانة ثقافة الشهادة والاستشهاد فى النسق الفكرى الإسلامى، تلك التى جعلت وتجعل ﴿ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ يذيقون الفرعونية الجديدة كؤوس المنية فى ساحات الجهاد الإسلامى على امتداد ديار الإسلام، التى عدت عليها عاديات آلات الحرب الصليبية الصهيونية.. إنهم عاجزون عن فهم قول الشهيد – سبحانه وتعالى –:

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾

(المزمل: ٦)

وعاجزون عن فهم مكانة الوطن فى ثقافة الشهادة والاستشهاد الإسلامية، فالوطن عندهم «تراب»، بينما هو فى الإسلام الوعاء الضرورى لإقامة الدين وكل مقاصد شريعة الإسلام.

– لقد جعل الإسلام حرية الوطن مرادفه ومساوية للحياة:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾

(النساء: ٦٦)

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٣٠)

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة: ٨٥)

فالإخراج من الديار، كالإخراج من الحياة.. إعدام!.. تقابله الحياة المتمثلة فى حرية المواطن، التى لا تتحقق إلا فى وطن حر!.

وإذا كان الإخراج القسرى من الديار إعدام.. فإن التفريط فى حرية الوطن هو موت لهؤلاء المفرطين، حتى ولو ظل الجانب الحيوانى منهم «حياً»، يأكلون به ويشربون!.. ذلك

أن ذهاب منعتهم، وذوبان ذاتيتهم وهويتهم فى الغزاة هو موت حكمى، لا يعوضه بقاء الجانب الحيوانى لهؤلاء الذين فرطوا فى حرية الأوطان.

ولقد أبدع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ، ١٨٤٩ - ١٩٠٥م)، فى تقرير هذه الحقيقة - التى رفعت حرية الوطن إلى مرتبة الحياة.. وجعلت الخروج منه، بالتفريط فى حريته موتاً ومواتاً - فقال - فى تفسيره قول الله - سبحانه وتعالى - فى سورة البقرة:

﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ۝ وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾

(البقرة: ٢٤٣، ٢٤٤)

فقال الأستاذ الإمام: «تلك سُنة الله - تعالى - فى الأمم التى تجبن فلا تدفع العادين عليها، وحياة الأمم وموتها، فى عرف الناس جميعهم معروف، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم، حتى صارت لا تُعد أمة، بأن تفرق شملها وذهبت جامعتها، فكل من بقوا من أفرادها خاضعون للغالبين، ضائعون فيهم، مدغمين فى غمارهم، لا وجود لهم فى أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم: هو عودة الاستقلال إليهم.

إن الجبن عند مدافعة الأعداء، وتسليم الديار، بالهزيمة والفرار، هو الموت المحفوف بالخزى والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هى الحياة المِلّية المحفوظة من عدوان المعتدين.

والقتال فى سبيل الله، أعم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل أيضاً الدفاع عن الحوزة إذا همّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغى إذلالنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لأجل فتننا فى ديننا.. فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق، كله جهاد فى سبيل الله.. ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين..»(*)

فالحفاظ على حرية الوطن هو حفاظ على الوعاء الذى بدونه لا يمكن أن نقيم كامل دين الإسلام.. فانتهاك حوزة الوطن هو المعادل للفتنة فى الدين، كلاهما يوجب الجهاد القتالى لتحرير الضمير وتحرير الديار.

ولأن الإسلام هو الإحياء للقلوب.. وللأوطان:

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾

(الأنفال: ٢٤)

كانت ثقافة المقاومة.. والشهادة والاستشهاد هى السبيل إلى حياة الفرد والأمة والحضارة.. وبهذه الحقيقة التى تجسدت منذ صدر الإسلام ديناً وأمة ووطناً، حقق المسلمون - وسيظلون - العزة الإسلامية، التى شاء الله - سبحانه وتعالى - أن تكون من عزته.. ومن عزة رسول ﷺ :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾

(المنافقون: ٨)

وإذا كانت آلة الحرب الباغية والمدمرة الفرعونية الصليبية تحاول وأد اليقظة الإسلامية المعاصرة واغتيال حرية دار الإسلام، فإن ثقافة الشهادة والاستشهاد، ثقافة:

﴿ ناشئة الليل ﴾

(المزمل: ٦)

هى التى تحقق الآن واحدة من أعظم معجزات الإسلام، على امتداد أرض المواجهة بين أمة الإسلام وبين فراعنة القرن الواحد والعشرين:

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾

(الحج: ٤٠)

❖❖❖

(*) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج٤، ص٦٩٨، ٦٩٧. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة بيروت ١٩٧٢م

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾

(البقرة: ٦-٧)

كان الذى تقدم بياناً من الله تعالى لصنفين من الناس لهم فى القرآن هداية ولنفوسهم إلى الاهتداء به انبعاث:

الأول - من الصنفين أولئك الذين يبلغهم لأول مرة، وهم ممن يخشى الله ويهاب سلطانه، وفى أصول اعتقادهم الإيمان بما وراء الحس، على ما تقدم.

والثانى - أولئك الذين آمنوا بما أنزل إلى النبى ﷺ وما أنزل من قبله.

وهذا الصنف قد يجتمع مع الذى قبله فيمن كانوا متقين مؤمنين بالغيب، ثم آمنوا بالنبى وبما جاء به، وقد يفترق الصنفان فيمن بقى إلى اليوم لم تبلغه الدعوة وهو على تلك الأوصاف، ومن ولد من آباء مؤمنين ثم صدق إيمانه بعد أن بلغ رشده وملك عقله.

أما هاتان الآيتان فقد بينتا حال طائفة ثالثة من الناس وهم الكافرون، ثم بين قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾

إلخ.. حال طائفة أخرى أخص منها وهم المنافقون، الذين يظهر من أقوالهم وفى بعض أفعالهم أنهم مؤمنون، ولكنهم فى حقيقة أمرهم كافرون، بل شر من الكافرين.. فهذه أقسام أربعة ينقسم إليها الناس إذا بلغهم القرآن ونظروا فيه، ودعوا إلى الإيمان به والأخذ بهديه.

بيّن الله تعالى لنبيه أنه إذا كان يوجد فى الناس من لا يؤمن بالقرآن فليس هذا عيبا وتقصيراً فى هداية الكتاب، وإنما العيب فيهم لا فى الكتاب، لأنه هداية كسائر الهدايات الطبيعية التى أعرض الناس وعموا عنها، كهداية العقل والسمع والبصر ونحوها مما أكرم الله به هذا النوع البشرى، وقد يحكم الرجل بأن فى العمل مضرة تلحق به، ومع ذلك يعدل عن حكمه انتهازاً للذة زينها له حسه أو وهمه، ويأتى ذلك العمل على ما يعلم من سوء مغبته، فاحتقار الرجل لعقل نفسه لا يعد عيباً فى تلك الموهبة الإلهية ولا يحط من شأن النعمة فيها. انظر إلى رجل يغمض عينيه ويمشى فى طريق لا يعرفها فيسقط فى حفرة وتتحطم عظامه، هل ينقص ذلك من قدر بصره، ويبخس من حق الله فى الإحسان به، على هذا الذى لم يرد أن يستعمله فيما خلق له؟! فغى الكلام تسلية لأهل الحق وسيدهم هو النبى ﷺ، فهو تسلية له أولاً وبالأولى.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾

الكفر هنا عبارة عن جحود ما صرح الكتاب المنزل أنه من عند الله، أو جحود الكتاب نفسه، أو النبى الذى جاء به، وبالجملة ما علم من الدين بالضرورة بعدما بلغت الجاحد رسالة النبى ﷺ بلاغاً صحيحاً، وعرضت عليه الأدلة على صحتها لينظر فيها فأعرض عن شىء من ذلك وجحده عناداً أو تساهلاً أو استهزاء. نعنى بذلك أنه لم يستمر فى النظر حتى يؤمن. ولم نسمع أن أحداً من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، كفر أحداً بما وراء هذا. فما عداه من الأفاعيل والأقاويل المخالفة لبعض ما أسند إلى الدين، ولم يصل العلم بأنه منه إلى حد الضرورة - أى لم يكن سنده قطعياً كسند الكتاب - فلا يعد منكره كافراً إلا إذا قصد بالإنكار تكذيب النبى ﷺ، فمتى كان للمنكر سند من الدين يستند إليه فلا يكفر، وإن ضعفت شبهته فى الاستناد إليه، مادام صادق النية فيما يعتقد، ولم يستهن بشىء مما ثبت بالقطع وروده عن المعصوم ﷺ.

وقد تجرأ بعض المتأخرين على تكفير من يتأول بعض الظنيات، أو يخالف شيئاً مما سبق الاجتهاد فيه، أو ينكر بعض المسائل الخلافية، فجرءوا الناس على هذا الأمر العظيم، حتى صاروا يكفرون من يخالفهم فى بعض العادات، وإن كانت من البدع المحظورات، ثم هم على عقائد الكافرين، وأخلاق المنافقين، ويعملون أعمال المشركين ويصفون أنفسهم بالمؤمنين الصادقين.

الكافرون أقسام:

(منهم) من يعرف الحق وينكره عناداً، وهؤلاء هم الأقلون ولا ثبات لهم ولا قوام، وكان منهم في زمن النبي ﷺ جماعة من المشركين واليهود، ولم يلبثوا أن انقرضوا.

كنت قلت في هذا المعنى كلمة جديرة بأن تحفظ وهي: «إن جحود الحق مع العلم به كاليقين في العلم كلاهما قليل من الناس».

(ومنهم) من لا يعرف الحق، ولا يريد ولا يحب أن يعرفه، وهم الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

«الأنفال: ٢٢ - ٢٣»

هؤلاء كلما صاح بهم صائح الحق فزعوا ونفروا، وأعرضوا واستكبروا، ففي أنفسهم شعور بالحق، ولكنهم يجدون فيها زلزلة، كلما لاح لهم شعاعه يحجبونه عن أعينهم بأيديهم، وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا أنظارهم في فهم الحق، ويخافوا لو استعملوها أن ينقصهم شيء مما يظنونه خيراً ويتوهمونه معقوداً بعقائدهم التي وجدوا عليها آباءهم وساداتهم.

(ومنهم) من مرضت نفسه واعتل وجدانه، فلا يذوق للحق لذة، ولا تجد نفسه فيه رغبة، بل انصرف عنه إلى هموم أخر، ملكت قلبه وأسرت فؤاده، كالهموم التي غلبت أغلب الناس اليوم على دينهم وعقولهم، وهي ما استغرقت كل ما توافر لديهم من عقل وإدراك، واستنفدت كل ما يملكون من حول وقوة في سبيل كسب مال، أو توفير لذة جسمانية، أو قضاء شهوة وهمية، فعمي عليهم كل سبيل سوى سبل ما استهلكوا فيه. فإذا عرض عليهم حق، أو ناداهم إليه منادٍ، رأيتهم لا يفهمون ما يقول الداعي، ولا يميزون بين ما يدعو إليه، وبين ما هم عليه. فيكون حظ الحق منهم الاستهزاء والاستهانة بأمره. فإذا وعدهم أو أوعدهم النذير، قالوا: لا تصدق ولا تكذب، حتى تنتهي إلى ذلك المصير. وهذا القسم، كالذي قبله، كثير العدد في الناس في كل زمان ومكان، خصوصاً في الأمم التي يفشو فيها الجهل، وتنطمس من أفرادها أعين الفطرة، وتنضب من أنفسهم ينابيع الفضائل، فيصبحون كالبهائم السائمة لا هم لهم إلا فيما يملأ بطونهم أو يداعب أوهامهم. ويصح جمع هذين القسمين تحت قسم واحد وهو قسم المعرضين الجاحدين الجاهلين، والقسم الأول هو قسم المعاندين المكابرين.

فكل من هذه الفرق:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾

الإنذار: الإخبار والإعلام بالشيء، المقترن بالتخويف مما يترتب عليه من فعل يتضمن ذمه وطلب تركه أو ترك لأمر يتضمن مدحه وطلب فعله، نصاً أو اقتضاءً. والسواء اسم مصدر بمعنى الاستواء.. والمعنى أن الذين كفروا ولم يدخلوا في قسم المستعدين للإيمان لرسوخهم في الكفر، يستوي الإنذار وعدمه بالنسبة إليهم في الواقع. فالذي يعرض عن النور مع العلم به، ويغمض عينيه كيلا يراه بغضاً له لذاته، أو تأذياً به، أو عناداً وعداوة لمن دعاه إليه - ماذا يفيده النور؟ وماذا يعيب النور من إعراضه؟ والذي لا يعرف النور، ولا يحب أن يعرفه، لأن فساد طبيعته وخبث تربيته أناه عنه وأبعده، وجعله يألف الظلمة كالخفاش، أو أفسد الجهل وجدانه فأصبح لا يميز بين نور وظلمة، ولا بين نافع وضار، ولا بين لذيذ ومؤلم - ماذا عساه يفيده النور مهما سطع، أو يؤثر فيه الضوء مهما ارتفع؟!

ثم وصف سبحانه فقدهم لهذا الاستعداد، ورسوخهم في الكفر الذي لم يبق معه محل لغيره بهذا التعبير البليغ:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾

يقولون إن الختم والطبع والرين ألفاظ تجري على شيء واحد وهو: تغطية الشيء والحيلولة بينه وبين ما من شأنه أن يدخله ويمسه. والقلوب مراد بها العقول، والمراد بالسمع الأسماع، وأفرده لأن أصله مصدر، ومن شأن المصادر أن لا تجمع، وقد لوحظ هنا الأصل. والأبصار العيون التي تدرك المبصرات من الأشكال والألوان.

وأنا أرى في مسألة هذا الجمع والإفراد رأياً آخر، إذ لو صح ما قيل، فإن البصر أيضاً مصدر فلماذا جمعه؟.. والذي أراه أن العقل له وجوه كثيرة في إدراك المعقولات، فليس الناس فيه سواء، فجمع لاختلاف الناس فيه، وأنواع تصرفهم في وجوهه، بخلاف السمع فإن أسماع الناس تتساوى في إدراك المسموعات، فلا تتشعب تشعب العقول في إدراك المعقولات. وأما الأبصار، فهي مثل العقول في التشعب، وأعظم معين للعقول في إدراكها، لأن أنواع المبصرات كثيرة فتعطي للعقل مواد كثيرة. والسمع لا يدرك إلا الصوت، وليس في الكلام عند النقل طريق من طرق العلم اليقيني إلا التواتر، بخلاف ما نقطع فيه بالضرورة من طريق العقل والبصر فهو كثير، فالأوليات: كالحكم بأن الجزء أصغر من الكل وأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، والقضايا التي قياساتها معها، من المعقولات المحضة. والتجريبيات والحدسيات يشترك فيها العقل والبصر، والقسم الأعظم من المشاهدات سبيل الإدراك فيه البصر. فالعقول والأبصار بمنزلة ينابيع كثيرة تنبجس من كل منها عيون للعلم مختلفة، بخلاف السمع فإنه ينبوع واحد لا اختلاف فيما يصدر عنه. فالحاصل، أن العقول والأبصار تتصرف في مدركات كثيرة، فكأنها صارت بذلك كثيرة، فجمعت. وأما السمع، فلا يدرك إلا شيئاً واحداً، فأفرد.

وهنا يسأل سائل: كيف هذا، وقد قالوا: إن السمع أفضل من البصر[1]؟ والجواب: أنا لا أتكلم في التفضيل، ذلك إلى الله ورسوله، وإنما أشرح موجودا وأبين مناسبة اللفظ له، وأن المشاهدة قاضية بأن العقل لا منتهى لتصرفه، وبأن أقل ما قيل في البصر أنه يدرك الألوان، والأشكال، والمقادير، والسمع لا يدرك إلا الأصوات فقط، كما أن الذوق لا يحس إلا بالمذوقات وحدها. وإن كان ما يصل من طريق السمع قد يتضمن حكاية عن معقول أو مبصر، ولكن وروده على الحكاية لا يغير من حقيقته، فهو معقول أو مبصر. فمن ذكر لك برهانا على حقيقة علمية، فإنما تسمع منه الأصوات والحروف. وأما فهمك المقدمات ووصولك منها إلى النتائج، فهو من طريق عقلك لا من طريق سمعك، فإن كان حديث الأفضلية يستند إلى أن جميع المدركات قد يمكن أن يعبر عنها بالكلام ـ وهو مسموع ـ فقد بينا لك ما فيه، ويعارضه أن جميع ضروب الكلام يصح أن تكتب، وطريق فهمها من الرقم إنما هو البصر، والحق أن المعول عليه في تعدد الطريق ليس ما يكون من قبيل الحكاية، بل ما يكون من طبيعة القوة.

وأما انطباق الكلام على تلك الأقسام السابقة، وبيان حرمانهم وكونهم كما وصفوا ـ فهو بالنسبة إلى الطائفة التي عاندت الحق وهي تعرفه ـ ظاهر، لأنهم لما عاندوا الحق، لأنه لم يأت على أيديهم، فقد طبع على قلوبهم بطابع ذلك العناد نفسه. فإنه قد حيل بين عقولهم وإدراك ما يصيرون إليه بالإصرار على الباطل من ضعف أمر وفساد حال في الدنيا، وشقاء وخلود في نكال الآخرة.. ثم هم قد حجبوا به عن إدراك ما يتبع ذلك الحق من المعارف والحقائق الأخرى، فقد ختم على قلوبهم بالنسبة إلى ما حجبوا عنه.

وأما الختم على سمعهم، فلأنهم صموا عن سماع الحق واستماع القول لفهمه. فمن أعرض عن فهم الحق فهو لم يسمع إلا صوتا لم ينفذ شيء من معناه إلى موضع الإدراك الحقيقي منه، فقد ختم على سمعه فلا ينفذ إليه شيء ينتفع به.

وأما الأبصار، فإنما كانت عليها غشاوات عند هؤلاء الجاحدين، لأن فائدة البصر، هي التوقي من الخطر، والعبرة بما يبصر، فمن لم ينظر في الآيات الكونية التي تقع تحت بصره كل يوم، كأنه لم يبصر شيئا منها، فقد ضرب على بصره بغشاوة. وأما بالنسبة إلى القسمين الآخرين اللذين جمعا تحت قسم واحد، وهم قسم المعرضين الجاحدين الجاهلين كما سبق، فالختم على القول والسمع والأبصار ظاهر، لأنهم لم ينتفعوا بشيء من هذه القوى حتى في فهم ما يعرض عليهم، ورؤية ما يقع تحت حواسهم. والكلام كله ضرب من التمثيل، يعرفه اللسان وتعهده اللغة. ولما كان حديث الختم تمثيلا لفقد حقيقة الفهم والحرمان من فوائد تلك المواهب الإلهية: مواهب العقل والسمع والأبصار، كان إسناده إلى الله تأكيدا لمعنى الحرمان، وتقريرا لمعصية الخسران، لأن ما ختم بيد الله لا تفضه يد سواه.

وأما النكتة في استعمال الختم مع القلب والسمع، والغشاوة مع البصر، فهي أن الختم من شأنه أن يكون على المكنون المستور. وهكذا موضع حس السمع، ومع الإدراك من العقل.. والأسماع في ظاهرة الخلقة، وأما البصر فالحاسة منه ظاهرة منكشفة، ومثل هذه الدقائق هي المرادة بقول صاحب التلخيص: «ولكل كلمة مع صاحبتها مقام».. والمعنى هو ما بيناه.. والله أعلم.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

التنكير فيه للتعظيم والتهويل، ووصفه مع ذلك بعظيم يدل على أنه بالغ حد العظمة كما وكيفا، فهو شديد الإيلام، وطويل الزمان. وهل هذا العذاب في الدنيا أم في الآخرة؟ قال في آية أخرى:

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

«المائدة: ٤١»

فيؤخذ من هذه الآية ومن آيات أخرى أن الإعراض عن هدى الإسلام، وما أرشد إليه من إصلاح المعاش والمعاد، جزاؤه الضنك والضيق وفقد العزة والسلطة في الدنيا، والعذاب العظيم في العقبى.

وهنا يسأل سائل: هل الآية نص في التكليف بالمحال[2]؟ والجواب: لا. وأنا لا أحب أن أحشر المسائل الخلافية في تفسير القرآن، بل أحب أن أبين المعنى الذي كان يفهمه الصحابة رضي الله عنهم، وما كان يخطر على بال أحد منهم التكليف بالمحال. على أن الاتفاق واقع بين الأئمة بل بين الأمة على أن التكليف بالمحال غير واقع، وأنه:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

«البقرة: ٢٨٦»

كما صرح به الكتاب وتضافرت عليه الأحاديث النبوية، فما بقي من مواضع الخلاف لا يمس نصوص الكتاب العزيز الذي:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

«فصلت: ٤٢»

❖❖❖

(١) سأل هذا السؤال أحد الحاضرين لدرس الأستاذ الإمام في التفسير بالجامع الأزهر.

«٢» وقع هذا السؤال من أحد حضور الدرس.

أقسام السنة النبوية عند الإمام محمد الخضر حسين



٢

(١٢٩٣-١٣٧٧هـ/١٨٧٦-١٩٥٨م)

تقريـــره ﷺ

من مقتضى ما تقرر من عصمته ﷺ وأمانته في التبليغ أن لا يقر أحداً على أمر غير مأذون فيه شرعاً. فيكون إقراره للأمر دليلاً على أنه لا حرج في فعله، سواء شاهده بنفسه فسكت أو بلغه فلم ينكره. وما لا حرج فيه يشمل الواجب والمندوب والمباح، فيحمل على أقل مراتبه وهو الجواز حتى يقوم الدليل على الندب أو الوجوب، ولا يدل الإقرار على جواز الفعل في حق من أقره النبي ﷺ وحده، بل يكون الجواز حكماً شاملاً جميع المكلفين، أخذاً بالأصل الذي هو استواء الناس في أحكام الشريعة. فليس لأحد أن يعد اللعب في المسجد بالسلاح تمريناً على الحرب أمراً مخالفاً للسنة، بعد أن ثبت أن النبي ﷺ أقر الحبشة على اللعب في مسجده بالحراب، وليس لأحد أن ينكر على المعتدة عدة وفاة إذا خرجت للاستفتاء، بعد أن ثبت أن فريعة بنت مالك[1] خرجت بعد وفاة زوجها تستأذن رسول الله ﷺ في موضع العدة، فقال لها: «امكثي حتى تنقضي عدتك»[2] ولم يتعرض لخروجها بإنكار.

ويتصل ببحث السنة مسألتان جرى فيهما اختلاف علماء الشريعة:

إحداهما: ما يقوم الدليل على أنه سنة، ثم يتهاون فيه الناس، ولا يحتفظ به إلا فريق عرفوا باسم المبتدعة من ناحية اعتقاد أو عمل. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى ترك هذه السنة احترازاً من التشبه بالمبتدعة، وضرب مثلاً لهذا بتسطيح القبور والتختم باليمين، والحق أن محافظة بعض المبتدعة على سنة حتى تصير شعاراً لهم لا يخرجها عن حقيقة السنة، ولا يزال خطاب الاقتداء بالنبي ﷺ فيها موجهاً إلى أولئك الذين تركوا السنة حتى يعودوا إليها.

(١) فريعة بنت مالك بن سنان، أخت أبي سعيد الخدري، شهدت بيعة الرضوان، وهي من رواة الحديث.

(٢) رواه أبو داود والإمام أحمد.

ثانيتهما: ما يخشى من فعله اعتقاد العامة وجوبه، فقد راعى بعض الأئمة مفسدة اعتقاد العامة لوجوب ما هو مندوب إليه. كما ذهب الإمام مالك إلى كراهة صوم ستة أيام من شوال مع صحة الحديث الوارد في فضله، خشية أن يعتقد العامة وجوبها، قال أبو إسحاق الشاطبي: والذي خشي منه مالك وقع في العجم، فصاروا يتركون المسحرين على عادتهم والبواقين.[3]

وكذلك قال أبو إسحاق المروزي[4] من أصحاب الإمام الشافعي[5]: لا أحب أن يداوم الإمام على مثل أن يقرأ كل يوم جمعة بسورة السجدة ونحوها، لئلا يعتقد العامة وجوبه، والجمهور لا يقيمون للمحذور من اعتقاد العامة وزناً. والتبعة في مثل هذا على أهل العلم إذ هم المطالبون بتعليم الناس آداب دينهم وهدايتهم إلى سبيل ربهم، وانظروا إلى ما صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قبل الحجر الأسود وقال: «إني أعلم أنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[6] فقد جمع بين الأخذ بالسنة ودفع ما عساه يخطر في أذهان العامة من اعتقاد فاسد.

البدعة

البدعة في اللغة: الأمر المحدث على غير مثال، محموداً كان الأمر أم مذموماً، ووردت البدعة في لسان الشرع، فذهب الفقهاء في تحديدها على مذهبين:

• أحدهما: مذهب من يتوسع في معناها فيحملها على ما أحدث بعد عهد النبوة سواء أكان راجعاً إلى العبادات أم المعاملات، وسواء أكان حسناً أم قبيحاً. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه المحدثات من الأمور ضربان:

أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: ما أحدث من خير، وهذه محدثة غير مذمومة. وعلى هذه الطريقة جرى عز الدين ابن عبدالسلام[7] إذ قسم البدعة إلى واجبة، كوضع علم العربية وتعليمه، ومندوبة؛ كإقامة المدارس، ومكروهة؛ كتزويق المساجد، ومحرمة، كتلحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي، ومباحة؛ كوضع الأطعمة على الموائد ألواناً.

• ثانيهما: مذهب من يفسر البدعة بالطريقة المخترعة على أنها من الدين وليست من الدين في شيء، فهي مذمومة في كل حال. ولا تدخل في حقيقتها واجب أو مندوب أو مباح. وعلى هذا المعنى ورد قوله ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»، وهذا ما يريده الإمام مالك رضي الله عنه في قوله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول:

(٣) الذين يسحرون في الأسواق ليوقظوا النيام.

(٤) أبو إسحاق المروزي إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي الشافعي (... - ٣٤٠هـ/٩٥١م) فقيه، من أصحاب الشافعي، توفي بمصر.

(٥) الشافعي محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤هـ/٧٦٧ - ٨٢٠م) صاحب المذهب الفقهي المشهور، وواضع علم أصول الفقه.

(٦) صحيح الإمام البخاري.

(٧) عز الدين بن عبدالسلام (٥٧٧ - ٦٦٠هـ/١١٨١ - ١٢٦٢م) سلطان العلماء، وشيخ الشافعية في عصره، ومن أشهر علماء الفقه والأصول.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾

(المائدة: ٣)

وأصحاب هذه الطريقة يحملون قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح «نعمت البدعة هذه» على معنى البدعة في اللغة، كما أن أصحاب الطريقة الأولى يذهبون في قوله ﷺ «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»[٨] إلى أن المراد من المحدثة والبدعة نوع خاص من المحدثات والبدع وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة.

والابتداع إما إحداث أمر في الدين غير مشروع من أصله، كصلاة الرغائب في رجب، وصلاة ليلة عاشوراء. وإما زيادة على أمر مشروع، كالذكر يقرن بالرقص في حركات متطابقة، وإما نقص من المشروع، كالذكر باسم مفرد في رأي من يعده بدعة، نظراً إلى أن الوارد إنما هو ذكر الله بلفظ مركب مفيد، وإما تحويل المشروع عن موضعه، كتقديم خطبة العيد على صلاته.

ويدخل في البدعة كل عمل استند صاحبه في ابتداعه إلى حديث موضوع، كالرقص في حال الذكر الذي يروى فيه فاعلوه حديثا موضوعا هو أن النبي ﷺ تواجد واهتز حتى سقط الرداء عن منكبه، أما الحديث الضعيف يدل على فضل عمل خاص فينفي عن العمل اسم البدعة بشرط أن لا يكون ضعيفا جداً، وأن يشهد لما رغب فيه من العمل أصل عام من أصول الشريعة.

ويدخل في البدعة ترك المأذون فيه على وجه التدين، وتسمى البدعة التَّرْكِيَّة. وقد سدت الشريعة الطريق دون هذه البدعة إذ نهى قوما أن يقعوا في خطيئتها. فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا [illegible] طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ [illegible] ﴾

(المائدة: ٨٧)

ولم تعدم هذه البدعة بعد نزول الآية أناسا يعلقون بها ويحسبون أنهم يتقربون إلى الله بالتزامها. وإنما انحدروا إليها من ناحية الزهد. وللزهد مواطن لا يدخل ترك الطيبات في حدودها. دعي الحسن البصري[٩] إلى طعام ومعه أصحابه وفرقد السبخي[١٠] فقعدوا على المائدة وعليها ألوان من الدجاج المسمن والفالوذج وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية، فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا. ولكنه يكره هذه الألوان. فأقبل الحسن عليه وقال: يا فرقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن، يعيبه مسلم!

ومن البدع التي يلبسها بعض المتصوفة بدعوى الزهد أثواب ينشئونها من قطع مختلفة، وتسمى المرقعات. قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب العارضة: إن الثوب إذا خلق منه جزء كان طرح جميعه من الكبر والمباهاة والتكاثر في الدنيا. وإذا رقعه كان بعكس ذلك كله، ورقع الخلفاء ثيابهم. والحديث مشهور عن عمر، وذلك شعار الصالحين وسنة المتقين. حتى اتخذه الصوفية شعاراً فجعلته في الجديد وإنشاء مرقعة من أصلها. وهذا ليس سنة، بل هو بدعة عظيمة، داخل في باب الرياء. وإنما المقصود بالترقيع استدامة الانتفاع بالثوب على هيئة البلى.

ومن أقبح البدع ما يوضع موضع سنة كالاستخارة بنحو المصحف والسبحة بدل الاستخارة الواردة في السنة التي هي صلاة ركعتين بالفاتحة وسورتي الكافرون والإخلاص، ثم الدعاء «اللهم إني أستخيرك بعلمك.....إلخ»[١١]، ولو قال إنسان لآخر عند الملاقاة: (صباح الخير) أو: أسعد الله صباحكم مثلا في موضع السلام عليكم، نعد صنيعه هذا من قبيل وضع المحدث مكان السنة. غير أن الفرق بين هذا المثال وما تقدمه أن الاستخارة بنحو المصحف والسبحة ممنوعة في نفسها، قال القاضي أبوبكر بن العربي في كتاب الأحكام بعد أن تكلم عن التعرض للغيب: فإن قيل: فهل يجوز طلب ذلك في المصحف؟ قلنا: لا يجوز؛ فإنه لم يثبت المصحف ليعلم به الغيب، إنما بينت آياته، ووضعت كلماته ليمنع عن الغيب، فلا تشتغلوا به ولا يتعرض أحدكم له. وأما نحو (أسعد الله صباحكم) فإنما ينكر حيث يوضع موضع تحية الإسلام. فمن أضيف إلى التحية الإسلامية لم يكن في إضافته إليها من بأس.

ومما يفعله بعض الناس بدل حكاية الأذان والدعاء «اللهم رب هذه الدعوة التامة ... إلخ» الثابتين في الصحيح أن يقول الشخص: (مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمد بن الله ﷺ) ثم يقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه، ولا نعلم لهما الذي يفعلونه من سند يوثق به حتى يصح أن يقام مقام سنة ثابتة.

ولا يدخل في البدعة ما يفتي به البالغ درجة الاجتهاد وإن خالف الجمهور، وإنما هو رأي مرجوح وآخر راجح - إلا أن تكون الفتوى مخالفة للنص الجلي من القرآن أو السنة. أو القواعد القاطعة أو الإجماع. فإن الفتوى تكون حينئذ زلة لا يصح البقاء عليها أو المتابعة فيها.

والشاهد على ما نقول من أن الأعمال التي تستند إلى آراء اجتهادية ولو كانت مرجوحة لا تسمى بدعة، أن الأئمة المجتهدين يرون أقوال مخالفيهم بالنسبة إلى أقوالهم مرجوحة، ولا ينسبونهم إلى ضلال، ولا ينكرون على من يقتدي بهم في المذهب، وإجماعهم على أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، شاهد على أن المجتهد لا يرى أن العمل بقول مخالفه بدعة، ولو كان في نظره بدعة، لما أفتى بقراره وهو يعلم أن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. فلا تسمى الصلاة لغير الخسوف والكسوف كالزلزلة والريح الشديدة بدعة وضلالة، وصاحبها مبتدعا ضالاً؛ لأنها مشروعة عند بعض الأئمة وإن كانت أدلتهم فيما نرى لو

---

(٨) أخرجه مسلم

(٩) الحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ/ ٦٤٢ - ٧٢٨م) إمام أهل العقل والتوحيد. الذي تتشارك لعلمه وفضله وزهده وورعه - مختلف الفرق [illegible] ومذاهب وفروع الفكر الإسلامي تنسبه إليها وتجعله من [illegible]

(١٠) السبخة: موضع بالبصرة ينسب إليه فرقد لأنه كان يأوي إليه

(١١) رواه البخاري والترمذي وابن ماجة والإمام أحمد

[illegible] الأخذ بما يتفق على مذهبه. واحدة مرجوحة

يقول هذا تحذيرا من قوم لم يدرسوا أصول الدين، ولم يتعرفوا مقاصد الشريعة، وبمجرد ما يسمعون [illegible] حديث ويبدر [illegible] وهو شائع [illegible] العامة - أن ما يقوله الإمام فلان أو الأئمة الأربعة مخالف لآية أو حديث، يعمدون إلى الإنكار، ولا يبالون أن يسموا العمل على [illegible] غير نهيهم عن [illegible] مخالف لشيء يكتب أو سنة بدعة وصاحبها مبتدعا.

وقد كان في أشباه العامة من يقرأ الحديث في صحيح الإمام البخاري أو الإمام مسلم - مثلا - ولا يحسن أن يتفقه فيه على مقتضى أصول الشريعة، فيخف إلى الطعن في مذاهب الأئمة حتى يسمها بلقب البدعة، فإن في المتصعمين من أهل العلم من يعمد إلى أعمال يبتدعها العامة مخالفة للنصوص الجلية أو القواعد القطعية، فيتطلب لها مخرجا يبتغي به [illegible]

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾

(التوبة ٦٢)

ومن أشر البدع ما يكون إتلافا للمال، وإنفاقا له في غير جدوى كإيقاد الشموع على قبور الأولياء بقصد القربة. ومن أجلها الاستخارة ما يعوق عن فعل خير كالاستخارات غير الشرعية، فقد يتفق لفاتح المصحف أن يقع نظره على آية فيها معنى النهي - مثلا - فيترك الأمر، ويكون في فعله لو استشار أو اعتمد على الاستخارة الشرعية خير كثير

ومن شرها ما يفعل بدعوى القربة ويكون في الواقع مثيرا للأهواء، مبعدا للنفوس عن التقوى، كإنشاد الأشعار التي توصف فيها الخمور والغواني والغلمان، ولا يتحاشى فيها عن ذكر العشق والهجر والوصال والعيون والثغور والرضاب، ويتغنى بها في الجامع بزعم أنها كنايات أو إشارات لها تعلق بالحضرة الإلهية أو النبوية

ومن أسوأ البدع ما يتشاغل به بعض طرق المخالفين كهذا الذي يدعو إليه بعض الزائغين أو المفتنين من إقامة خليفة (روحي) لا جند له ولا سلاح، ولا يملك من تنفيذ الأحكام الشرعية قليلا ولا كثيرا، يدعو إليه الزائغون لأنهم يريدون اتخاذه رمزا لفصل الدين عن السياسة، ويدعو إليه بعض المغفلين لأنهم لم ينتبهوا لسريرة الزائغين أو لما قصد الشارع في إقامة الخليفة من مصلحة اتحاد كلمة المسلمين وتنفيذ أحكام شريعته الغراء، وإنما يتحد المسلمون تحت راية من يحترمونه لعدله وجهاده في الحق جهادا يطمس على أثر الباطل، وإنما يقيم أحكام الشريعة على وجهها من يكون في لسانه حجة وفي يده قوة

ومن البدع التي جاء الإسلام ليقتلعها من منبتها أعمال يبنيها أصحابها على زعم أنها تقي من الجن، وليس بينها وبين هذه الوقاية من صلة، كذبح حيوان، أو صنع طعام، باعتقاد أنه يجلب رضاهم، ويكون سببا لدفع ضرر يتوهم أنه يجيء من ناحيتهم. ذكر لابن شهاب[12] أن إبراهيم بن هشام المخزومي[13] أجرى عينا فقال له بعض المهندسين عند ظهور الماء: لو أهرقت عليها دما كان أحرى أن لا تغيض ولا تهور فتقتل من يعمل فيها. فنحر جزائر[14] حتى جرى الماء مختلطا بالدم، وأمر فصنع له ولأصحابه منه طعام. فقال ابن شهاب: أما بلغه أن النبي ﷺ نهى أن يذبح للجن[15]

وقد عرفت أن ترك السنة لا يستدعي فعل بدعة، إلا أن ترك السنة على اعتقاد أن خير الدين في تركها، فيكون من قبيل البدعة التركية، كمن يترك الصلاة في جماعة بدعوى أن صلاته في حال انفراد أجمع للقلب وأدعى للخشوع. أما من ترك السنة لعرض دنيوي، فلا يسمى بمجرد تركه السنة مبتدعا، كما اعتاد الناس ترك تشميت[16] الرؤساء مهابة لهم ولو حمدوا الله تعالى بعد العطاس. عطس المأمون[17] مرة في محضر جماعة فلم يشمته أحد فقال لهم: لماذا لم تشمتوني؟ قالوا هبناك، فقال: لا خير في مهابة تحرمني من رحمة الله. وإنما أمات هذه السنة في مجالس الرؤساء استنكاف بعضهم من الرد على من يشمتهم، وما كان لهم أن يستنكفوا.

وإذا كانت البدع تشوه وجه الدين الحنيف في نظر من يجهلون حقائقه فضلا عما تجره من المفاسد العظيمة والمآثم، فمن الواجب على أهل العلم أن يحاربوها بما استطاعوا، وعلى القوة الحاكمة أن تشد أزرهم في تغييرها. وكثير من البدع لا تقتلع عروقها ويطمس على آثارها إلا أن تتعاضد القوتان العلمية والتنفيذية على إماتتها، قال عزالدين بن عبدالسلام في رسالة[18] أنكر فيها بدعة صلاة الرغائب: «ولما صح عند الملك الكامل[19] - رحمه الله - أنها من البدع المفتراة على رسول الله ﷺ، أبطلها من الديار المصرية، فطوبى لمن تولى شيئا من أمور المسلمين، فأعان على إماتة بدعة أو إحياء سنة»[20]

(12) ابن شهاب: عبدالله بن محمد بن علي [illegible] المعروف بابن شهاب (١١١٦ - ١١٨٦هـ/ ١٧٠٤ - ١٧٧٢م) ولد بحلب وأقام وتوفي [illegible]

(13) إبراهيم بن هشام المخزومي: لعله أبو محمد بن الخطاب المخزومي - إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن عمر (٦٩٨ - ٧٤٠هـ/ ١٢٩٩ - ١٣٣٢م) فقيه مالكي في الحكم بالقاهرة وولي قضاء حلب والمدينة المنورة ومات ودفن بمصر

(14) جمع جزور، وهي الناقة المجزورة أي المنحورة

(15) لعنه من ذبح لغير الله، ولقد لعن رسول الله ﷺ من يذبح لغير الله. انظر صحيح مسلم وسنن النسائي، ومسند الإمام أحمد.

(16) تشميت: الدعاء للعاطس [illegible]

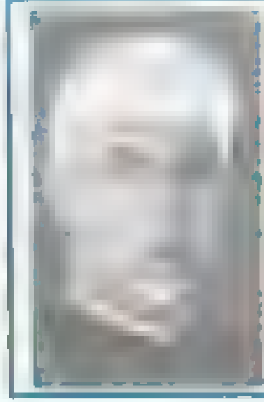
(17) المأمون: عبدالله بن هارون الرشيد (١٧٠ - ٢١٨هـ/ ٧٨٦ - ٨٣٣م) سابع خلفاء بني العباس، وأحد عظماء الخلفاء سيرة وعلما

(18) [illegible]

(19) الملك الكامل محمد بن محمد بن أيوب أبو المعالي (٥٧٦ - ٦٣٥هـ/ ١١٨٠ - ١٢٣٨م) من سلاطين الدولة الأيوبية

(20) لمزيد من التفصيل انظر د. محمد عمارة (حقائق وشبهات حول السنة النبوية) طبعة دار السلام - القاهرة سنة ١٤٣١هـ سنة ٢٠١٠م

الدين ٥



للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز

الوضع التاريخي للمسألة

خطأ هذا الوضع في وسيلته وفي غايته:

ونحن نرى أن وضع المسألة على هذا الوجه، ومحاولة حلها من هذا الطريق، ينطوي على خطأ مزدوج: خطأ في الغاية، وخطأ في الوسيلة.

أما من حيث الغاية التي يهدف إليها البحث، وهي تحديد الأصل الأصيل للعقيدة، والمظهر الذي ظهرت به في أول الأزمنة بإطلاق، فلأن هذه المنطقة البدائية المحضة، قد اعتبرها العلم شقة حراما حظرها على نفسه، وأعلن في صراحة كاملة خروجها عن حدود عمله فاقتحامها الآن باسم العلم تعامل بصك مزيف، وتستر بثوب مستعار. وكل حكم يصدر تحت هذا الاسم يكون صادرا عن قاض معزول، فقدا للركن الأول من سلطته الشرعية. ومؤرخو الديانات على الخصوص معترفون بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله لا تزال مجهولة لنا جهلا تاما، فلا سبيل للخوض فيها إلا ضرب من التكهن والرجم بالغيب.

وأما من حيث المنهج وهو الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانة الأمم المعزولة المتخلفة عن ركب المدنية، فلأنه مبني على افتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التي وصل إليها بحثنا، وأنها لم تمر بها أدوار متنقلة وهو افتراض لم يقم عليه دليل. بل لدى أثبته التاريخ واتفق عليه المفكرون عن آثار القرون الماضية، هو أن فترات الركود والتقهقر التي سبقت مدنياتنا الحاضرة كانت مسبوقة بمدنيات مزدهرة، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة، قريبة أو بعيدة، في أدوار تتعاقب على البشرية، كما تتعاقب الفصول السنوية على الطبيعة بحيث يصبح من العسير أن نحكم بصفة قاطعة بأيهما بدأت دورة الزمان، وليس تعيين أحد الأمرين للابتداء الحقيقي بأثبت تاريخيا من مقابله. فكذلك نقول في شأن العقائد الدينية. إنه من الممكن أن تكون الخرافات الديانة بداية ديانات. كما يمكن أن تكون نتيجة علل وتحريف لديانة صحيحة سابقة مرقت أهلها الحروب، أو أفسدتهم الآفات الاجتماعية. فقلت عصبيتهم بصون دينهم، وتلقوا بالتسليم وتقبلوا كل ما سمعوه من أفواه الأدعياء والدجالين. وتشعبت بينهم هذه الموروثات وتوارثوها حتى أصبحت سنا مقدسة ولقد أنصف العلامة هوفدنغ Hoffding حين قال: «إنه بعد كل الجهد الذي يبذله تاريخ الأديان في حل مشكلة بروز الدين في النوع الإنساني... فإن التاريخ لا يصور لنا هذه البداية الأولى في موضع ما. وكل ما نجده إنما هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلا أو كثيرا... حتى إن أحط القبائل الهمجية التي نعرفها قد مرت بأدوار شتى، وتطورت تطورا بعيدا»[1].

فقد بان لك مبلغ ثبات الفرض الذي بنيت عليه البحوث الحديثة كلها. وأنها أسست على جرف هار لا تطمئن عليه الأقدام.

نقد للمذهب التطوري بشكل خاص:

ويمتاز المذهب التطوري بأنه مبني على افتراض آخر لم يقم عليه دليل كذلك. وهو قياس الملكات والأحاسيس الروحية، على القوى البدنية والمكتسبات العقلية والتجريبية: فكما أن الإنسان ينتقل في نموه البدني من الضعف إلى القوة وفي نموه العقلي من الجهالة إلى المعرفة. قد يلوح أيضا أنه بدأ حياته بالسخف والخرافة، ولم يصل إلى العقيدة السليمة إلا بعد جهد وعناء.

ونحن نسأل قبل كل شيء عن الأصل الذي بني عليه هذا القياس.

هل صحيح أن قوى النفس المختلفة تسير في نموها على قدم المساواة، وأن حياة الناس الروحية تمشي في كل أدوارها جنبا إلى جنب مع حياتهم المادية؟ أو لسنا نرى هاتين الظاهرتين تسيران أمامنا في طريقين متعارضين؟ فإذا صح ما يقال من أن الإنسان كان في بدايته قانعا بكهف يؤويه، وجلد حيوان يستر به بشرته، وشيء من الأعشاب يدفع مخمصته، ألا تكون قلة مشاغله ومطامحه المادية قد تركت في نفسه فراغا عميقا للتأملات التي ترهف حاسته الدينية. وتنمي مشاعره الروحية العليا؟ كما أن اشتغال الناس في عصور المدنيات بترف الحياة الاجتماعية، يؤدي إلى عكس هذه النتيجة ذلك أن الغرائز المتقابلة تضعف وتتقلص، بقدر ما تنمو وتقوى أضدادها، ككفتي الميزان: لا ترتفع إحداهما إلا انخفضت الأخرى.

على أن قليلا من التأمل يهدينا إلى أن قياس الأديان على الفنون والصناعات إنما هو محاولة للجمع بين نوعين لا تؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة. بل تتباين طبائعهما ووسائلهما فبينما حقائق العلوم ثروة واسعة ترحل النفس في طلبها واكتسابها، وتتطلب اقتناصها وتنميتها علاجا ومثابرة، واستعانة بأدوات منفصلة في غالب الأمر. وحقيقة الدين توجد عناصرها قارة بين الجوانح. وتعرض دلائلها لائحة أمام الحس، حتى إن التفاتة يسيرة لتكفي للظفر بها في لمح سريع. كالبرق الخاطف وليس إدراك هذه الحقيقة الكبرى محصول إدراكات حقائق الكون ودقائقه الجزئية، ولا هو أشق منها كما ظن[2]، بل إنه يتقدمها ويمهد لها، في نظرية كلية تلم بها جملة، قبل أن تفحص أجزاءها وتفصيلاتها ولذلك يستوي العالم والجاهل في أصل

(1) Harald Hoffding. Philosophie de la Religion, trad fr. pp. 126 - 127

هذا الإحساس، كل على فهمه يجد في الكون ما يبهره ويستولي على مشاعره.

ولقد كان مقتضى الوضع السليم، في تعرف ما كانت عليه بداية الأديان فيما قبل التاريخ، أن نسترشد في مقارنتها - لا بسير الفنون والمصنوعات بل بسير الديانات المعروفة منذ طفولة التاريخ إلى اليوم. ألا وإنا نعرف بالاستقراء أن كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية، ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على مر العهود، فالأشبه أن تكون هذه سنة التطور في الديانات كلها: أن بدايتها دائما خير من نهايتها.

وإذا أبينا إلا أن نقيس تطور الدين على تطور الفن، كان من حق علينا ألا نأخذ في هذه المقارنة بالمقاييس السطحية والتشابه اللفظي الأجوف، بل ننظر إلى جوهر الأشياء وأعماقها، وحينئذ ينقلب هذا القياس نفسه حجة في يد أنصار «الفطرية»؛ ذلك أن معنى «التطور» في الفنون - كما في كل كائن حي - هو أنها تبدأ في صورة ساذجة، متحدة، متجانسة، ثم تنتقل تدريجيا إلى نوع من التكثر والتركيب، تزداد به تعقيدا. فكلما ابتعدت عن العقيدة الإلهية يستوجب بها سيرها ابتعادا من الوحدة إلى الكثرة، ومن البساطة والسهولة واليسر، إلى التعقيد والأساطير الأسطورية، والنزوات الخيالية، التي لا ضابط لها من العقل السليم.

التطور في الأديان السماوية:

أما «التطور» بمعناه الأدبي، وهو الترقي من النقص إلى الكمال، فليس قانونا علميا، ولا سنة طبيعية مطردة. ولا يمكن تطبيقه بصفة ثابتة على التاريخ البشري، وإنما هو إحدى القيم العليا التي تطمح إليها النفوس، وتشرئب إليها الأعناق، فتبلغها حينا، وتحسر عنها أحيانا. نعم إن كل مصلح لابد أن يكون مؤمنا بإمكان تحقيق هذه الغايات السامية، ولولا الأمل في قابلية الأخلاق والعقائد للتحول والترقي، لبطل كل تشريع، ولأصبح من العبث بذل أدنى مجهود للتقدم، ولكن شتان ما بين قابلية الترقي وبين تحققه بالفعل، فهذا مطمح لا يناله إلا من أدى مهره من العزيمة الصادقة، والمجاهدة المتواصلة. وتاريخ الإنسانية لا يسير في هذا الاتجاه على خط رأسي مستقيم (٣).

هكذا نرى أن التحليل النفسي وشواهد التاريخ، والتصور الصحيح، لا يقف شيء منها في وصف الدفاع عن النظريات الموسومة بالتطورية، والتي تجعل الخرافة والأسطورة هي بداية الأديان؛ بل إنها بالعكس تميل إلى تأييد النظرية المقابلة. على أن تأييدها لهذه النظرية الأخيرة لا يرفعها إلى صف الحقائق التاريخية المفروغ منها؛ لأن هذه الدلائل كلها لا تقدم لنا ضمانا من المنطق ولا من الواقع تثبت به أن الحوادث كانت تسير بالفعل دائما على وفق ما ألفناه من الأوضاع، لا على الوجه الذي كان ينبغي أن يكون.

بل هي هنا نظرية ثالثة يمكن الأخذ بها في المسألة. وتقريرها أن الرشد والضلال في الفكرة الدينية ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط، صعودا أو صدورا على مدى العصور، بل هما ظاهرتان متعاصرتان، موزعتان في كل أمة وجيل، تبعا لاختلاف الأفراد في درجات استقامة الحس العقلي، وتأثير الحس الباطني. فلا نطمع في نفوس صافية تدرك الحقيقة نقية من شوائب الخرافة، وأخرى دون ذلك. ولعل هذا الوصف هو أقرب الأوصاف تصويرا للواقع المعروف، فقد اتفق الموثوق بهم من مؤرخي الأديان كما أسلفنا على أن أشد الشعوب همجية ووثنية لم تنفك عن الاعتقاد بإله خالق هو رب الأرباب. لكن بين القدر الذي عرفناه من تاريخ البشرية وبين عصر نشأتها، لا تزال الفترة واسعة لم تسد ولن تسد؛ إذ لم يبق أحد من الوقائع المفقودة الوثائق يمكن إثباتها على وجه قاطع بمثل هذا الضرب من التخمين، اعتمادا على مجرد حسن المقابلة وجمال التناسق بينها وبين الوقائع المعروفة، دون تثبت من تشابه الظروف والملابسات في طرفي القياس.

هكذا عجزت وسائل العلوم أن تقدم لنا بيانا شافيا يطمئن إليه القلب عن ديانة الإنسان الأول. أما من أحب أن يسترشد بنصوص الكتب السماوية، فإنه سوف يجد فيها ما شد أزر القائلين بأولية العقيدة الإلهية الصحيحة، لا في الغريزة فحسب:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(الروم ٣٠)

بل في التطور الزمني كذلك. فهذه النصوص تؤذن بأن الناس بدءوا حياتهم مستقيمين على الحق مؤتلفين عليه، وأن الانحراف والاختلاف إنما جاء عرضا طارئا بعد ذلك.

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾

(يونس ١٩)

وأن استمرار هذا الخلاف واتساع شقته إنما كان بتأثير الوراثة وتلقين كل جيل عقيدته للناشئين فيه: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» (٤). وإلى ذلك كله فإن الكتب السماوية متفقة على أن الجماعة الإنسانية الأولى لم تترك وشأنها تستلهم عقولها وحدها بغير مرشد ومذكر، بل تعهدتها السماء بنور الوحي من أول يوم، فكان أبو البشر هو أول الأنبياء الملهمين، وأول المؤمنين الموحدين، وأول المتضرعين الأوابين.

لكن الالتجاء إلى هذه النصوص اعتراف ضمني بأن وسائل العلم البشري وحدها عاجزة عن أن تصل بنا من طريق يقيني إلى نقطة البدء الحقيقي للدين. والواقع أن الحل النهائي لهذه المسألة إنما يكون عن طريق الوحي، لأنها داخلة في منطقة الغيب التي هي موضوع الإيمان، وليس من شأن العلوم الاستقرائية، ولا العلوم الاستنتاجية.

وجملة القول إن كل النظريات التي حاولت تحديد ديانة الإنسان الأول بالتطبيق على ديانات القرون الماضية، أو الأمم الهمجية، فصورتها لنا تارة سليمة، وتارة سقيمة، وتارة ملفقة. إنما هي افتراضات مبنية على افتراضات فهي لا تصف الحق الثابت Le vrai، الذي هو مطلب العلم الصحيح، وإنما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلا أو كثيرا (vraisemblables).

فإذا نحن عرضنا الآن شيئا من هذه النظريات، فليكن معلوما أننا لن نتابعها في تلك الدعوى العريضة، وهي أنها ترسم الصورة الأولى المطلقة للحياة الدينية، بل سنقنع منها بالجانب التحليلي، أو الجانب التاريخي النسبي، لا أكثر من ذلك.

---

(٣) [illegible]
[illegible] تدرج تصاعدي في مراحل الوعاء والشمول والكمال ولعلنا نوفق إلى فرصة نعرض فيها هذه الفكرة مقتبسة من النصوص [illegible]

(٤) البخاري عن أبي هريرة، كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين رقم الحديث [illegible]

تقنين الشريعة بين المجتمع والدولة

معنى التقنين

يرجع «التقنين» – فى التاريخ العام للقانون – إلى عصور موغلة فى القدم، وقد عرفته مختلف الحضارات بصور متباينة، وبدرجات مختلفة من السذاجة والنضج. فقانون حمورابى والألواح الاثنا عشر كانا نوعًا ساذجًا من أنواع التقنين، والقانون الرومانى القديم مر بمراحل عدة قبل أن ينتهى إلى تقنينات جوستنيان الضخمة ذائعة الصيت. وهكذا، تدرجت الأمم والشعوب فى وضع ما يناسبها من تقنينات فى كل مرحلة من مراحل تطورها، إلى أن وصلت إلى العصر الحديث الذى شهد نقلة نوعية هائلة فى تاريخ التقنين عندما صدرت «تقنينات نابليون»، التى بقيت إلى اليوم، بعد أن زالت الانتصارات العسكرية التى ظفر بها نابليون نفسه ومحتها معركة واترلو. ولم يتوقف أثر هذه التقنينات النابليونية على فرنسا فقط، وإنما امتدت فسادت أغلب دول أوروبا وأمريكا اللاتينية طوال القرن التاسع عشر، وامتدت – أيضًا – فشملت بلادًا عربية مثل مصر وتونس ومراكش ولبنان. ولم تتخلص هذه البلدان إلى اليوم من آثار تلك التقنينات منذ دخلتها، أو جُلبت إليها خلال القرن التاسع عشر.

وقد قضت وقائع التطور والمدنية بوجوب صوغ تقنينات عامة تنظم شئون الحياة الاجتماعية، وتتمتع بدرجة عالية من التجريد والمرونة. وفى نطاق الفقه الإسلامى، أضحى التقنين – حسب رأى الدكتور توفيق الشاوى رحمه الله – وسيلة «لعرض الأحكام القانونية بأسلوب أكثر دقة وإيجازًا من الأسلوب الذى تسير عليه كتب الفقه الإسلامى. وقد شاع استعماله فى العصر الحاضر استجابة للضرورات العملية التى تفرض على القائمين بتنفيذ القوانين وتطبيقها العلم بها بدون حاجة إلى البحث فى مصادرها أو أدلتها الشرعية أو غاياتها وأهدافها؛ لأن هذا كله تقوم به الهيئة العلمية أو اللجنة الفنية أو العالم أو الفقيه الذى يقوم بإعداد التقنين وتتم مناقشته قبل إصداره»(١).

(١) توفيق الشاوى: فقه الشورى والاستشارة [illegible]

(٢)

للأستاذ الدكتور إبراهيم البيومى غانم

وقد رجعنا إلى الجذر اللغوى لكلمة التقنين – فى لغة العرب – فسنجد أنها مشتقة من «قنن» وقنّ: هو تتبع الأخبار واقتر، بمعنى اتخذ والقنة: أى القوة. وقنة كل شىء طريقه، ومقياسه. ومنه التقنين(٢) ويتكون جذر الكلمة من حرفى القاف والنون المشددة. يقول ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة: إن القاف والنون أصلان، يدل الأول على الملازمة، والآخر على العلو والارتفاع(٢). وفى المعجم الوسيط: قنّن: أى وضع القوانين.

والقانون كلمة رومية، أو فارسية (فى قول آخر)، وهى تعنى فى اللغة «مقياس كل شىء وطريقه». وجاء فى قاموس المنجد: القانون (والجمع قوانين) هو: مجموعة الشرائع والنظم التى تنظم علاقات المجتمع، سواء كان من جهة الأشخاص أو من جهة الأموال. وفى «التعريفات» للجرجانى، أن «القانون» يشير إلى ما هو: «كلى منطبق على جميع جزئياته التى يتعرف أحكامها منه».

تقودنا هذه الخلفية اللغوية إلى المعنى الاصطلاحى للتقنين؛ حيث يشير فى معناه المجمل إلى العلو والارتفاع عن التفاصيل، ولزوم التجريد والعموم، وهما من أهم صفات «التقنين» بالمعنى الاصطلاحى. فالتقنين هو عملية تقوم بمقتضاها جهة أو هيئة علمية متخصصة بجمع أحكام المسائل فى موضوع ما على هيئة مواد مرقمة. ويقتصر التقنين فى المسألة الواحدة على حكم أو اجتهاد واحد مختار من الآراء المختلفة التى قالها الفقهاء؛ وذلك ليسهل الأمر على القضاة فى معرفة الحكم المختار وتطبيقه وحده على أطراف القضية التى تدخل تحت حكمه؛ دون بقية الآراء المخالفة للرأى المختار(٤). ويظهر التقنين فى صورة «قانون». وفى ظل الدولة الحديثة يصدر القانون عن السلطة التشريعية (البرلمان أو مجلس الشعب، أو مجلس النواب... إلخ).

(٢) [illegible]

(٣) انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة تحقيق محمد عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩، ٥/٢٨.

(٤) [illegible]

إذا أتينا إلى المقصود بتقنين الشريعة فهو «صوغ الأحكام في نصوص مرتبة، ووضع هذه النصوص في مجموعة مبوبة»، أو مرقمة على غرار القوانين الحديثة من مدنية وجنائية وإدارية؛ كي تكون مرجعا سهلا محددا، يمكن بيسر أن يتقيد به القضاة، ويرجع إليه المحامون، ويتعامل على أساسه المواطنون». وينطبق هذا المعنى على أي عملية تقنين؛ شرعية كانت أو وضعية. فالإجراءات «الشكلية» التي تحدد مسار صدور القانون واجب التطبيق تكاد تكون واحدة، ويظل الاختلاف الجوهري موجودا في المضمون الذي تسفر عنه عملية التقنين.

وفي سياق تجربة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، يمكن القول إن حصاد عملية «التقنين» – وهو القانون – هو ما توصل إليه علماء وفقهاء الشريعة والقانون من آراء وأحكام فقهية ووضعوها في نصوص مرقمة ومبوبة؛ كي يرجع إليها القضاة، وتطبقها المحاكم. وتصل عملية التقنين إلى أعلى مراحلها عندما تصدر عنها «قوانين» بمعرفة المجالس التشريعية كما أسلفنا، شريطة أن تكون هذه المجالس منتخبة بإرادة شعبية حرة. وتتسم مواد القانون في هذه الحالة بما تتسم به مواد أي قانون آخر من حيث العموم والتجريد والإلزام والجزاء الذي يوقع على من يخالف هذه المادة أو تلك من مواد القانون؛ فردا كان هذا المخالف، أو مجموعة أفراد، أو هيئة أو مؤسسة، أو السلطة نفسها.

وإذا كان «التقنين» الشرعي هو صوغ الأحكام الفقهية على شكل مواد مرقمة ومسلسلة ومختصرة، ومستمدة من نصوص الشريعة الإسلامية. فمن البديهي أن تصاغ بأسلوب يخلو من ذكر الأدلة والنصوص النقلية، طلباً للاختصار، وبحثا عن سرعة الوصول إلى النص الفقهي المطلوب، واقتصاراً على قول واحد يعتبر هو الراجح من حيث الدليل والمصلحة؛ وبهذا المعنى يختلف التقنين – حسب رأي البعض – عن التدوين؛ الذي هو كتابة الأحكام الفقهية بصياغة يراها المدون مناسبة من حيث الوضوح، ومن حيث اشتمال المدونة على الأدلة والنصوص، وقد لا يقتصر على قول واحد من أقوال الفقهاء، دون أن تكون على شكل مواد مرقمة ومسلسلة. وبوضوح هذا الفرق يصبح من الخطأ استخدام مصطلحي التدوين والتقنين كمترادفين.

وفي سياق الجدل الدائر منذ سبعينيات القرن العشرين الماضي حول تقنين أحكام الشريعة الإسلامية؛ ذهب العلامة توفيق الشاوي إلى أن المقصود بـ«التقنين»، «هو القانون المستمد من الشريعة، أو القانون الإسلامي». ودعا الشاوي إلى استعمال هذه التسمية؛ أي «القانون الإسلامي»، وحجته في ذلك هو أن هذه التسمية ملائمة لمرحلة انتقالية يجري فيها الانتقال من القوانين الوضعية إلى القوانين الشرعية، وذلك إلى أن يتم تطهير مجتمعاتنا من القوانين الوضعية نهائيا، ويصبح القانون كله إسلاميا أي مستمدا من المنابع والأصول التي جاءت بها الشريعة السمحاء (٥).

(٥) توفيق الشاوي، الموسوعة العصرية في الفقه الجنائي الإسلامي، كتاب عبدالقادر عودة مع تعليقات آية الله السيد إسماعيل الصدر وآراء الدكتور توفيق الشاوي والمشاركين ج/١ مجلد١ (القاهرة دار الشروق ٢٠٠١) ص٣٢

ويرى الشاوي أن التقنين يكتسب صفة شرعية إذا توافر فيها شرطان هما: «أن يستمد من مصادر الشريعة ويلتزم أصولها. وأن يكون ملتزما بحدودها وأحكامها القطعية ومقاصدها العامة» (٦).

وكثيراً ما أكد الشاوي في كتاباته على أن «التقنين، والمدرسة الفقهية والقانونية المقارنة كلها عمليات تساعد على إخراج القانون والشريعة الإسلامية من مرحلة الازدواجية التي تفصل بين الفقه والقوانين الوضعية المستوردة. كما تسهم في توحيد الثقافة الحقوقية التي تمكن من مساهمة في التقدم العالمي في العلوم القانونية والنظم التشريعية، باعتبار أصحاب شريعة أصيلة وتراث قانوني عريق. ومتميز في المستقبل. بدلا من أن نكون عالة على غيرنا. وذيلا للثقافة الوضعية المستوردة من الخارج» (٧).

وثمة فرق كبير بين القانون الوضعي، والقانون المستمد من الشريعة.

«القانون الوضعي ينشأ في الجماعة التي ينظمها ويحكمها، ثم يتطور بتطورها فتزداد قواعده، وتتسامى نظرياته، كلما ازدادت حاجات الجماعة وتنوعت. وكلما تقدمت الجماعة في تفكيرها وعلومها وآدابها. فالجماعة إذن هي التي تخلق القانون الوضعي وتصنعه على الوجه الذي يسد حاجاتها وينظم حياتها، وهو تابع لها، وتقدمه مرتبط بتقدمها» (٨).

أما الشريعة الإسلامية فهي ذات مصدر سماوي. هذا المصدر يسمو عن واقع الجماعة وفكرها. نصوصها المؤسسة من عند الله، ومصدرها الأول هو الوحي. ولم تكن الشريعة قواعد قليلة ثم كثرت. ولا مبادئ متفرقة ثم تجمعت، ولا نظريات أولية ثم تهذبت. وإنما نزلت كاملة من عند الله، شاملة جامعة تحكم كل حالة، مانعة لا تخرج عن حكمها حالة، شاملة لأمور الأفراد والجماعات والدول، لا ترى فيها عوجا، ولا تشهد فيها نقصاً. ولم تأت لجماعة دون جماعة، أو لقوم دون قوم، أو لدولة دون دولة، وإنما جاءت للناس كافة.

ثلاثة فروق بين الشريعة والقانون، يوضحها عبد القادر عودة، وهو يقدم محاولته الرائدة في المقارنة بين التشريع الجنائي الإسلامي والقانون الوضعي. هذه الفروق هي:

١- أن القانون من صنع البشر، أما الشريعة فمن عند الله. وكل من الشريعة والقانون يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه. فالقانون يتمثل فيه نقص البشر، وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم. ومن ثم كان القانون عرضه للتغيير والتبديل. أو ما نسميه التطور، كلما تطورت الجماعة.

أما الشريعة فصانعها هو الله، وتتمثل فيها قدرة الخالق وكماله وعظمته وإحاطته بما كان، وما هو كائن، ومن ثم صاغها العليم الخبير بحيث تحيط بكل شيء في الحال والاستقبال؛

(٦) المرجع السابق، ج/١ مجلد ١ ص٣٠
(٧) المرجع السابق، ج/١ مجلد ١ ص٤
(٨) المرجع السابق، ص١٦ فقرة ١٤

حيث أحاط علمه بكل شيء، والأمر حين ذاك لا تغيير ولا تبديل

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾

يونس ٦٤

٢ - إن القانون عبارة عن قواعد مؤقتة تضعها الجماعة لتنظيم شئونها وسد حاجاتها، فهي قواعد متأخرة عن الجماعة، أو هي في مستوى الجماعة اليوم، ومتخلفة عن الجماعة غداً؛ لأن القوانين لا تتغير بسرعة تطور الجماعة.

أما الشريعة فقواعد وضعها الله على سبيل الدوام لتنظيم شئون الجماعة. فالشريعة تتفق مع القانون في أن كليهما وضع لتنظيم الجماعة. ولكن الشريعة تختلف عن القانون في أن قواعدها دائمة، ولا تقبل التغيير، أما ما يستمد منها فهو القابل للتغيير بحسب اجتهادات البشر، وبحسب تقديرهم لمصالحهم في ضوء تلك المبادئ العامة للشريعة

٣ - إن الجماعة هي التي تصنع القانون وتلونه بعاداتها وتقاليدها وتاريخها. والأصل في القانون أنه يوضع لتنظيم شئون الجماعة، ولا يوضع لتوجيه الجماعة، ومن ثم كان متأخراً عنها، وتابعاً لتطورها. ولم تكن الجماعة من صنع القانون. وهذا الأصل تعدل في القرن العشرين، وعلى وجه التحديد بعد الحرب العظمى الأولى، حيث بدأت الدول التي تدعو لدعوات جديدة تستخدم القانون لتوجيه الشعوب وجهات معينة، كما تستخدمه لتحقيق أغراض معينة. وكان أسبق الدول على الأخذ بهذه الطريقة روسيا الشيوعية، وتركيا الكمالية، ثم تلتهما إيطاليا الفاشية، وألمانيا النازية، ثم قلدت بقية الدول هذه الطريقة، فأصبح الغرض من القانون هو تنظيم الجماعة وتوجيهها التوجيهات التي يرى أولياء الأمور أنها في صالح الجماعة. أما الشريعة فقد علمت أنها ليست من صنع الجماعة، وأنها لم تكن نتيجة لتطور الجماعة وتفاعلها كما هو الحال في القانون الوضعي، وإنما هي من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه.

وإذا لم تكن الشريعة من صنع الجماعة، فإن الجماعة نفسها هي من صنع الشريعة، إذ الأصل في الشريعة أنها لم توضع لتنظيم شئون الجماعة فقط، وإنما المقصود من الشريعة قبل كل شيء خلق الأفراد الصالحين والجماعة الصالحة وإيجاد الدولة التي تتطلع للمثل العليا. ومن أجل هذا جاءت نصوصها أرفع من مستوى العالم كله وقت نزولها، ولا تزال كذلك إلى اليوم، وجاء فيها من النظريات والمبادئ ما لم يتهيأ للعالم غير الإسلامي معرفته والوصول إليه إلا بعد قرون طويلة. وما لم يتهيأ هذا العالم غير الإسلامي لمعرفته والوصول إليه حتى الآن. ومن أجل هذا تولى الله وضع الشريعة، وأنزلها على رسوله في نموذج من الكمال ليوجه الناس إلى الطاعات والفضائل، ويحملهم على التسامي والتكامل حتى يصلوا أو يقتربوا من مستوى الشريعة الكاملة. وقد حققت الشريعة ما أراده لها الخبير العليم، فأدت رسالتها أحسن الأداء، وجعلت رعاة الإبل سادة العالم، ومن جهال البادية معلمين وهداة للإنسانية[١].

(١) مرجع سابق ص ...

وثمة فرق آخر بين الشريعة، والقانون، يتجلى في الحكمة، كل منهما. أو في فلسفته، فبينما تخاطب الشريعة سمو الروح في النفس الإنسانية، وهي غريزة الرجاء والطمع، نجد أن القانون الوضعي يخاطب في هذه النفس غريزة الخوف من العقاب، وهي أسوأ غرائز النفس الإنسانية

الشريعة أرحم وأرأف بالإنسان من أي قانون وضعي، وهي - كما يقول الشاوي - أوسع من أي قانون، وجوهر الأهم فيها هو المبادئ العامة والأحكام الكلية التي لا مكان لها في القوانين الوضعية[١]

إن الشريعة نزلت من عند الله تعالى كاملة في أصولها ونصوصها المقدسة. ووفرت للفقهاء المجتهدين في إطارها على نحو يتسم بالمرونة والنمو والتطور لمواجهة ما يستجد من احتياجات الأفراد والجماعات. ولا يطمس هذه الحقيقة إلا تعطيل العمل بأحكام الشريعة، واستبدال القوانين الوضعية بها.

ضرورات التقنين

التقنين بمعنى السابق، أضحى من ضرورات الحياة في المجتمع المعاصر، هذا المجتمع الذي يتسم بكثافة العلاقات وتشابكها بين أفراده وجماعاته، وبين أفراده من جهة، ومؤسساته الحكومية وغير الحكومية، المحلية والخارجية، من جهة أخرى. ويشهد المجتمع المعاصر أيضاً كثافة عالية في المعاملات وتنوعها وسرعة تغيرها. وفي إطار مبدأ التخصص وتقسيم العمل، ووجوب توجيه المراكز القانونية لجميع مواطني الدولة - على اختلافهم - في القضايا المتشابهة، في ضوء كل ذلك، باتت عملية التقنين أمراً لازماً، بل تفرضها المصلحة العامة والمصلحة الخاصة في آن واحد

ظهرت الحاجة إلى تقنين الشريعة الإسلامية، بالمعنى الاصطلاحي لكلمة تقنين، منذ ما يزيد على قرنين من الزمان - أي في بدايات القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. واشتدت الحاجة إلى التقنين، وأضحى لا مناص منها لسببين رئيسيين:

- السبب الأول: هو وقوع أغلبية البلدان العربية والإسلامية - تباعاً - تحت سيطرة الاحتلال الأجنبي الأوروبي، منذ بدايات القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي. وقيام سلطات الاحتلال بتعطيل العمل بأحكام الشريعة في البلدان التي احتلتها وشمل هذا التعطيل مختلف مجالات الحياة. مع سلب كثير من اختصاصات القضاء الشرعي الأصيلة في النظر في المنازعات والأقضية المختلفة، ونقلها إلى المحاكم القنصلية والتجارية، ثم المحاكم المختلطة والأهلية، باستثناء مسائل الأحوال الشخصية والأوقاف

- والسبب الثاني: هو قيام كثير من حكومات البلدان العربية والإسلامية بإصدار مجموعات من القوانين الوضعية المستمدة في عمومها من القوانين الأجنبية، وفي مقدمتها

(١) ... ص ...

القوانين الفرنسية. وقد جرى إصدار هذه المجموعات القانونية بشئ من التدرج في ظل سلطة الاحتلال الأجنبي قبل رحيله في بعض الحالات، أو بعد رحيله - في حالات أخرى - في ظل سلطة الدولة الوطنية التي نشأت بعد التحرر من المستعمر الأجنبي.

وكان من الحجج الرئيسية التي استندت إليها السلطات الأجنبية لاستيراد القوانين الأجنبية وتطبيقها، وتعطيل العمل بأحكام الشريعة الإسلامية: تعدد الآراء الفقهية، وكثرة الاختلافات في المسألة الواحدة، ليس فقط بين فقهاء المذاهب المختلفة، وإنما أيضا بين فقهاء المذهب الواحد، الأمر الذى جعل من العسير على القضاة عند الاحتكام إلى الحكم الواجب التطبيق في الحالات المتماثلة، وهو ما يعنى بدوره إهدارا لمبدأ المساواة أمام القانون «وفق منطق الدولة القومية الحديثة»، ومن ثم تضييع العدالة بين المتقاضين. وتلك كانت حجتهم في المناداة بتعطيل العمل بالشريعة، واستيراد القوانين الأجنبية والعمل بها، متعللين بأن القوانين الأجنبية حسنة التنظيم، وسهلة المأخذ والتطبيق؛ دون تمييز أو تفريق بين القضايا المتماثلة، متجاهلين أن تلك القوانين مختلفة المنشأ والمضمون، وغريبة في مجملها عن روح مجتمعنا وهويته.

ولكن تلك الحجة - نفسها - هي التي استند عليها المنادون بضرورة «تقنين» الفقه الإسلامي، ولمّ شتاته في مجموعة منظمة من المواد التي يسهل على القضاة والمفتين الرجوع إليها، وقد أشارت إلى ذلك اللجنة التي وضعت مجلة الأحكام العدلية في تقريرها بقولها: «ولا يخفى أن علم الفقه بحر لا ساحل له، واستنباط درر المسائل اللازمة منه لحل المشكلات يتوقف على مهارة علمية وملكة كلية، وعلى الخصوص مذهب الحنفية؛ لأنه قام فيه مجتهدون كثيرون متفاوتون في الطبقة، ووقع فيه اختلافات كثيرة، ومع ذلك فلم يحصل فيه تنقيح كما حصل في فقه الشافعية، بل لم تزل مسائله شتاتا متشعبة فتمييز القول الصحيح من بين تلك المسائل والأقوال المختلفة، وتطبيق الحوادث عليها عسير جدا. وما عدا ذلك فإنه بتبدل الأعصار تتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العادة والعرف»[11].

تقرير لجنة المجلة ذهب أيضاً إلى أن «الإحاطة بالمسائل الفقهية وبلوغ النهاية في معرفتها أمر صعب جدا، ولذا انتدب جمع من فقهاء العصر وفضلائه بتأليف كتب مطولة مثل كتاب الفتاوى التاتارخانية والعالمكيرية المشهورة باسم الفتاوى الهندية، ومع ذلك فلم يقدروا على حصر جميع الفروع الفقهية والاختلافات المذهبية؛ .... وبناء على ذلك لم يزل الأمل معلقاً بتأليف كتاب في المعاملات الفقهية، يكون مضبوطاً سهل المأخذ، عارياً من الاختلافات، حاويا للأقوال المختارة، سهل المطالعة على كل أحد، وبموجب الإرادة العلية، اجتمعنا في دائرة ديوان الأحكام، وبادرنا إلى ترتيب مجلة مؤلفة من المسائل والأمور الكثيرة الوقوع، اللازمة جداً من قسم المعاملات الفقهية، مجموعة من أقوال السادة الحنفية الموثوق بها، وقسمت إلى أبواب متعددة، وسميت بالأحكام العدلية....»[12].

وهكذا ظهرت «مجلة الأحكام العدلية» باعتبارها أول محاولة منظمة وذات صفة رسمية «حكومية / عثمانية» لتقنين الفقه الإسلامي - وإن اقتصرت على المذهب الحنفي - في التاريخ الحديث للمجتمعات الإسلامية.

وجاءت «المجلة» شاملة لموضوعات متعددة، يدخل بعضها ضمن ما يتناوله القانون المدنى، وبعضها ضمن أصول التقاضي والمحاكمات والدعاوى، إلى جانب الكثير من مسائل القانون التجارى.

وكانت لجنة إعداد «المجلة» قد تشكلت بأمر سلطاني «همايوني» عام ١٨٦٩، وتألفت من سبعة علماء برئاسة أحمد جودت، ناظر ديوان الأحكام العدلية. وقد استمر عمل اللجنة من عام ١٨٦٩ إلى عام ١٨٧٦، وبعد فراغها من عملها صدر الأمر العالي بتطبيق «المجلة» على تركيا والبلدان التابعة لها في سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م، واستثنيت مصر نظراً لوضعها الخاص الذى كانت قد استقرت عليه في علاقتها بالدولة العثمانية منذ عهد محمد علي.

كانت «المجلة» فتحا جديدا في تاريخ الفقه الإسلامي وطرائق العمل به. وظلت مطبقة رسميا في جميع البلاد العربية الخاضعة للسيادة العثمانية - ما عدا مصر كما أسلفنا - بل إن العمل بها ظل جاريا في بعض هذه البلدان إلى قرب نهايات القرن الرابع عشر الهجرى السبعينيات من القرن العشرين الميلادى.



صوفي أبو طالب

إن انفراد الشريعة بتنظيم مختلف جوانب الحياة في مجتمعاتنا الإسلامية (في السابق)، هو حقيقة تاريخية ليست محل جدال أو إنكار. يقول الدكتور صوفي أبو طالب - رئيس مجلس الشعب المصرى في أواخر عهد الرئيس السادات - لقد «كنا نطبق الشريعة الإسلامية دون منازع أو منافس حتى أواخر القرن التاسع عشر، حتى جاءت القوانين الأوروبية التي ترتب عليها تغيير هوية الشعب العربي وتمزيقه، وما أحدثه الجانب الثقافي والحضاري الوافد علينا من ازدواجية في كل شيء في حياتنا اليومية؛ حتى في الملبس»[13].

إن تنحية مرجعية الشريعة الإسلامية عن القانون والقضاء بصفة خاصة، وعن بقية جوانب الحياة وتنظيماتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بصفة عامة، كانت علامة على تعرض السيادة الوطنية لعدوان صارخ. وفي رأي

---

(11) من نص تقرير لجنة الأحكام العدلية، انظر: سليم رستم باز اللبناني، شرح مجلة [illegible]

(12) المرجع السابق، ص١٢

(13) صوفي أبو طالب [illegible] ٢٩/٦/١٩٨٢ وهي كلمة ذكر مثلها في الكتاب الصادر عن مجلس الشعب بشأن تقنين الشريعة وقد سبقت الإشارة إليه

المستشار طارق البشرى أن إزاحة هذه المرجعية الشرعية كانت دليلاً على فقدان ركن أساسى من أركان «الاستقلال الحضارى»، وتشويه الهوية، وأنه لا يمكن الحديث عن «استقلال» تام قبل إنجاز الاستقلال التشريعى والقانونى.

ولكى يكون التقنين شرعيا، يرى الشاوى أن ثمة عدداً من الشروط يجب الالتزام بها فى كل تقنين، وهى:

١ ـ أن يكون إقراره بالشورى العلمية التى يشترك فيها ممثلو الأمة أو الجماعة، ويختارهم جمهورها ممن يتوفر فيهم أكبر قدر من المعرفة العلمية والفقهية. وأن يكون بتولى كل دولة أو قطر إصدار التقنين الخاص بها؛ «ولا يجوز أن يوصف بأنه تقنين ملزم للأمة جميعها فى جميع أنحاء العالم، وفى دار الإسلام كلها. حتى لا يحتكر الإجماع، ولا يسد على الناس باب الاجتهاد، أو باب حرية الاختيار بين المذاهب والآراء».

٢ ـ أن يكون إعداده بمعرفة من له أهلية الاجتهاد الفردى أو بمعرفة جماعة من العلماء الذين يختارون بمعرفة الأمة، أو من تختارهم اختياراً حراً، لا من تختارهم الدولة أو الحكومة للمشاركة فى الاجتهاد الجماعى فى الحدود التى يجوز فيها هذا الاجتهاد. فلا يجوز إذن أن يصدر مجلس سياسى ليس مؤهلاً للاجتهاد الجماعى، أو منتخباً لهذا الغرض، ولا يجوز أن يقوم به من يختارهم هذا المجلس؛ لأن الناخبين لم يفوضوه فى ذلك. إن ما توجبه مبادىء الشريعة هو ألا يتخذ التقنين باباً يفتح أمام الدول والحكومات طريق فرض قوانين وضعية تحت اسم «التقنين الفقهى».

٣ ـ أن يستمد من المصادر الشرعية عامة، أو من مذهب معين يعترف به الجماعة ويقره به جمهورها.

٤ ـ إن هذه التقنينات تبقى فى نظر القضاة والقانونيين والأفراد عملاً علمياً محضاً، لا يسد أمام أحد باب الاجتهاد أو الإفتاء أو باب المطالبة بتفضيل رأى أو مذهب على مذهب؛ وإنما تلتزم بها الهيئات التى تقوم على توحيد القضاء واستقرار أحكامه؛ وهى محكمة النقض، وكذلك مجلس الاجتهاد؛ على أن يكون له الحق فى تعديلها كلما وجد داعياً إلى ذلك(٤٢).

والقضية فى رأى الشاوى ليست اختياراً بين التقنين أو عدم التقنين، وإنما هى قضية الالتزام بحرية الاجتهاد واستمرار الشورى العلمية، لكى تكون إرادة الأمة واختيارات ممثليها الذين يمثلونها لهذا الغرض هى التى تقرر وتختار القواعد والأحكام التى يلتزم بها القضاة ـ وليست الدول الكبرى أو أتباع القوى الأجنبية فى بلادنا.

وعلى أية حال فإن التقنين الذى تتوفر فيه الشروط السابقة يكون شرعياً، ويجب الالتزام به متى أقرته الجماعة، أو جمهورها بالشورى الحرة بناء على ما يتمتع به عامتها وعلماؤها من حرية التقليد أو حق الاجتهاد الجماعى أو الفردى فى تعرف الأحكام المطابقة لهذه المبادىء».

(٤١) [illegible]

(٤٢) المرجع السابق، ص ١٩٧

أهمية التقنين

اكتسبت الدعوة لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية أهمية سياسية وحضارية ـ كما أوضحنا آنفاً ـ فى سياق التحولات التى مرت بها مجتمعاتنا وهى تواجه الهيمنة الأجنبية وموجات الاستعمار على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين. وإلى جانب ذلك أضحت عملية التقنين أيضاً دافعاً قوياً ليس فقط لدراسة الشريعة الإسلامية فى ضوء القانون المقارن، وإنما أيضاً لتجديد الفقه الإسلامى، وتمكينه من مواكبة مستحدثات الواقع الاجتماعى وتحولاته فى مختلف المجالات. وقد أثبتت تجارب التقنين التى استندت إلى المرجعية الإسلامية منذ نهايات القرن التاسع عشر، قدرة الفقه الإسلامى على التجدد ومعالجة مشكلات العصر.. ولولا اقتلاع مجال المعاملات من أصوله الشرعية منذ وفود القانون المدنى الفرنسى وبدء سريانه فى مصر سنة ١٨٨٣، لأفضت عملية التقنين إلى إيجابيات كثيرة، منها: المساعدة فى إنجاز مهمة الاستقلال التشريعى؛ ومن ثم الاستقلال الوطنى بمعناه الحضارى الشامل الذى تحدث عنه طارق البشرى؛ باعتبار أن هذا الاستقلال الحضارى هو الإطار الأوسع، الذى يجمع بداخله الاستقلال الوطنى، والاستقلال التشريعى.



توفيق الشاوى

وإلى جانب تلك الأهمية السياسية والحضارية الكبرى لتقنين أحكام الشريعة فى عصرنا الراهن، فإن لعملية التقنين دواعى أخرى بعضها اقتصادى، وبعضها الآخر اجتماعى، وكلها دواع ذات طابع إجرائى تستهدف تيسير طرق التقاضى، وفض المنازعات بين المتخاصمين، واستيعاب الأنماط المستحدثة فى مجال المعاملات، وإزالة ما قد يكون هنالك من تناقضات بين مبادىء الشريعة ومقاصدها من جهة، ومستحدثات العصر وابتكاراته التى لا تتوقف من جهة أخرى.

إن الأهمية السياسية والحضارية لعملية التقنين تنبع ـ أيضاً ـ من كون الشريعة الإسلامية هى أغزر مصادر التراث الإسلامى، وهى سر قوته، والركن الأساسى فى تميزه عن غيره من تراث الأمم الأخرى؛ من حيث شموله لشئون الدين والدنيا، فى مجالات العقيدة والأخلاق والتنظيم السياسى القانونى والاقتصادى. وتعتبر وحدة الشريعة قاعدة متينة لاتحاد جميع البلدان الإسلامية، وعودتها إلى ذاتها.

(٤٣) طارق البشرى: فى المسألة الإسلامية المعاصرة: الوضع القانونى بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦م) ص ٣٩ ـ ٤٩.

الوضع القانونى بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى «٦»

رحلة التجديد فى التشريع الإسلامى



للمستشار: طارق البشرى

ترتفع الأصوات مطالبة بأن تكون الشريعة الإسلامية مصدرا رئيسا للتشريع، أو أن تكون هى المصدر الرئيس له. ويختلف المختلفون فيما إذا كان يتعين اعتبارها مصدرا من مصادر التشريع، أو أن تكون هى المصدر الغالب. على أنه لا يبدو أن ثمة خلافا بالنسبة لمسألتين:

● أولاهما: أن تكون الشريعة «مصدرا» للتشريع وليست التشريع ذاته، أى أن تكون هى الأصول الكلية المأخوذ عنها والمستقى منها، مع ترك تفاصيل الأحكام تستنبط لمواجهة الواقع المعيش.

● وثانيهما: أن ثمة مغايرة بين الشريعة والتشريع؛ بمعنى أن حكما لا يكون ملزما للقضاء إلا عندما يصدر به قانون وفقا للإجراءات الدستورية. وعندما يصدر القانون مأخوذا من الشريعة، إنما يستجيب بالضرورة لحاجات البيئة والعصر. ويتوخى جلب المصالح ودفع المفاسد. وبما ينسجم مع الهيكل التشريعى القائم؛ بالتزام الأصول العامة للشريعة وأدلتها الشرعية. وبمراعاة العرف وعادات التعامل الجارى من جهة أخرى.

والشريعة الإسلامية، هى مجموع الأحكام المأخوذة عن القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما استقر فى كتب الفقه الإسلامى منذ تأسست المذاهب الفقهية المختلفة، وما تفرع على أحكام القرآن والسنة من اجتهادات الفقهاء والمذاهب.

فثمة مذاهب السنة ـ الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ـ ومذاهب الشيعة الإسماعيلية والإمامية وغيرهما، والمعتزلة.

وثمة آراء فى كل مذهب واجتهادات لأعلام أفراد.

وكل هذا الحشد الضخم من الأحكام تضمه الشريعة الإسلامية فى وعائها الرحب الفسيح. والخلافات بين المذاهب والفقهاء، مصدرها إما اختلاف حجة وبرهان، بمراعاة مناهج التفسير، وإما اختلاف زمان ومكان، بمراعاة فهم النصوص فى ضوء ظروف البيئة وعادات التعامل. والغاية لديهم جميعا تحقيق مصالح الناس، وكفالة العدل بينهم.

وعلى الرغم من كثرة ما يعرف من الدراسات المعاصرة عن حركة التجديد فى الفكر والنظم فى مصر والوطن العربى، منذ القرن التاسع عشر، فإننا لا نكاد نرى إلا القليل منها عن حركة التجديد فى الفكر القانونى، وإلا أقل القليل عن التجديد فى التشريع الإسلامى، برغم الأهمية الكبيرة لهذا الجانب وجهد المجتهدين فيه. وليس المقصود هنا التجديد فى الشريعة، فهى ذات أصول مستمدة من أحكام القرآن والسنة التى تمت تمامها مع ختام الرسالة النبوية، إنما المقصود هو التجديد فى التشريع المأخوذ عن الشريعة، أى الشريعة الإسلامية مطبقة من خلال القوانين.

القضاء قديما:

لم يعرف النظام الإسلامى، قديما، الفصل بين سلطات الدولة، أو وظائفها الرئيسة المختلفة، تشريعية وقضائية وتنفيذية. كانت الوظيفة التشريعية مستوعبة فى الشريعة الإسلامية. وكان الوالى هو من يفصل فى المنازعات بين الناس، أى يتولى الوظيفة القضائية. ثم أناب عنه القاضى. فقام النظام القضائى على فكرة الإنابة من الوالى. يعين الخليفة قاضى القضاة، الذى يعين بدوره القضاة. وكان القاضى يجتهد فى الأحكام بنفسه؛ يأخذ من كتاب الله ثم من سنة رسوله ثم يجتهد رأيه. حسبما يقول معاذ بن جبل. ثم استقرت المذاهب الفقهية، وضعف الاجتهاد، وعم التقليد. فكان القاضى يلتزم فى قضائه بواحد من المذاهب المختلفة.

وفى مصر مثلا، غلب مذهب الشافعى على قضاتها أيام الطولونيين والإخشيديين. ثم التزموا بمذهب الشيعة الإسماعيلية على عهد الفاطميين. وفى أواخر ذلك العهد، شارك هذا المذهب فى القضاء مذاهب الشيعة الإمامية والسنة الشافعية والمالكية. ثم انحصر القضاء فى عهد الأيوبيين فى مذهبى الشافعية والمالكية.

وعلى عهد المماليك، جرى العمل بمذاهب السنة الأربعة، على رأس كل منها قاض للقضاة، ويولى كل منهم نوابا عنه فى الأقاليم. ومع الحكم العثمانى، صارت الهيمنة الحنفية بواسطة قاضى قضاة يعينه السلطان كل عام، ويعين هو نوابا له من المذاهب السنية الأربعة. ثم انحصر القضاء، على عهد العثمانيين أيضا، فى الرأى الراجح لمذهب أبى حنيفة.

والملاحظ عامة، أنه لم تكن تصدر بأحكام الشريعة قوانين يطبقها القاضى.

إنما كان يستقى أحكامه مباشرة من كتب الفقه الخاصة بمذهبه. وكان ما يصدر عن الحاكم من

قرارات وأوامر، يقوم عمال الدولة والشرطة بتطبيقها مباشرة.

ويبقى ذلك بعيدا عن وظيفة القضاء. وكان تنظيم القضاء «واحديا» في الأساس.

تتكون المحكمة من قاض مفرد، لا من قضاة متعددين، كما يحدث الآن عادة (ثلاثة أو خمسة مثلا). وينظر القاضي في جميع أنواع المنازعات، دون توزيع للاختصاص حسب نوع القضية، كما يحدث الآن عادة (مدني، جنائي، إداري... الخ) وإن كان بعض التخصص قد عرف استثناء كقاضي الجند مثلا. كما عرف مبدأ تخصيص القضاء بالزمان والمكان، وبالقضية (نوعها) وبالرأي (أي المذهب) ولم توجد بهذا النظام درجات للتقاضي. كما يحدث الآن عادة (ابتدائي، استئناف....) إلا في أحوال استثنائية. كان يخالف القاضي نصا قطعي الدلالة أو إجماعا.

كما يلاحظ أنه لم يعرف ـ عبر عصور تطبيق الشريعة ـ التزام بمذهب واحد، ولا عرف التزام بمذهب وحيد في أي مرحلة خاصة، إلا في القليل من الفترات. ومن ثم، لم تعرف الشريعة تلازما لا ينفك مع مذهب وحيد في أي من البلدان. ولم تكن الظاهرة التي أدركها القرن التاسع عشر من التزام صارم مضيق بالرأي الراجح في مذهب وحيد. لم تكن ظاهرة لصيقة بحكومة الشرع الإسلامي ذي الوعاء الفسيح المتعدد الجوانب.

قوانين الوالي:

وعلى عهد محمد علي في مصر، ظهر في النظامين التشريعي والقضائي ما ظهر في غيرهما من المؤسسات الفكرية والتنظيمية، وهي ظاهرة الازدواج، أي بقاء القديم على حاله تقريبا، وإنشاء جديد من مصدر مغاير



محمد علي

إلى جانبه. وحدث ذلك في التعليم وبقية الدولة (الخ) ثم يعرف الاهتمام إلى تجديد القديم وتحريكه، إنما يصرف إلى تشكيل مجال آخر ينبني فيه الجديد الوافد.

بقي قاضي القضاة المعين من السلطان ونوابه، يلتزمون بالمذهب الحنفي كشريعة عامة، ولكن نمت إلى جوار ذلك ظواهر جديدة في مجال شبه منفصل: استحدثت دواوين ومجالس ذات اختصاصات قضائية، والتزام تلك المجالس بما يصدره الوالي من قوانين لا بالشريعة الإسلامية وما لبث الناس أن اعتادوا رفع منازعاتهم إلى هذه المجالس الجديدة، التي اتسع نطاق نشاطها بالتدريج اطرادا مع زيادة ما يصدره الوالي من قوانين وتشريعات، كما درج استقلال مصر القضائي عن تركيا في طريق النمو. فاستخلص الوالي محمد سعيد في الخمسينيات من القرن التاسع عشر سلطة تعيين قضاة الأقاليم ثم كان للخديو إسماعيل في الستينيات من نفس القرن دور في تعيين قاضي القضاة نفسه (قاضي مصر).

منذ القرن التاسع عشر، ونحن نواجه هجمة أوروبية ضارية، لم ينحصر خطرها في عنفوانها الاقتصادي والعسكري. ولكنه مثل ـ أخطر ما تمثل ـ تفوقا في العلوم والفنون وأساليب التنظيم الاقتصادي والسياسي والعسكري. وفد الغزو الأجنبي بعلومه، فلزمت مقاومته مع التعلم منه. لزم رفضه مع الأخذ عنه. ولزم التعلم لمواجهة العدوان، والتجديد للمحافظة على الأصالة والاستقلال. لم يزل تتدفق لكاسح فرصة للاستيعاب الهادئ الرشيد، فعظم المعضل والإشكال تمثل الإشكال في تساؤل: هل يمكن أن نستوعب علومهم، دون أن نستوعب نحن فيهم؟ لقد فعلها المسلمون والعرب قديما. وهم منتصرون. فهل يمكن أن نفعلها ونحن مهزومون؟

لزم فيما يلزم تجديد النظم القانونية والقضائية، تنظيما للإجراءات، وملاءمة للعلاقات المتغيرة، ورفعا لمستوى الوظيفة الاجتماعية.

جرت محاولة لتنظيم المحاكم الشرعية. فأصدر محمد سعيد لائحة القضاء الأولى في عام ١٨٥٦، فنظمت إلى حد ما بعض الإجراءات والسجلات، مع ما يشبه تصحيح للقضاة بالمراقبة والمساواة بين المتخاصمين. ووضعت التفرقة بين التعزير والتكبير والمعنى والتقصير، والتحرز من شهادة الزور. ولكنها أبقت الالتزام «بالأقوال الصحيحة من مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة»، والالتزام بوسائل الإثبات الشرعية، وهي: الإقرار، واليمين، وشهادة الشهود. ومع ما تضمنته من عناصر التجديد، فقد أوجب الحذر على الوالي أن يوقع معه على اللائحة ٣٣ من كبار شيوخ الأزهر.

وجاءت المحاولة الثانية في عام ١٨٨٠ بلائحة جديدة، التزمت أيضا بالرأي الراجح لمذهب أبي حنيفة، «لا يعدل عنه إلى غيره». ولكنها أدخلت نظام تعدد القضاة في بعض المحاكم. مع توزيع الاختصاص في نطاق محدود. وتركت للقاضي الأخذ من المذاهب الأربعة في مسائل تعتمد وحدها، وذلك حسب المنشورات التي تصدر بذلك. كما منعت القضاة من سماع الدعاوى التي يكون قد مضى عليها خمسة عشر عاما. وكان هذا القليل أهم ما أتت به من تجديد.



رشيد رضا

التشريعات الغربية:

في السنوات اللاحقة لعام ١٨٧٥، تلقى تطبيق الشريعة الإسلامية أعنف ضربة وجهت له. أنشئت محاكم مختلطة لنظر قضايا الأجانب. ووضعت لها تقنيات أخذت عن القانون الفرنسي باختصار مخل. وبدأ تفكير الدولة في إنشاء قضاء وطني على هذا الغرار، فشكل محمد قدري باشا لجنة لوضع هذه الأنظمة في عام ١٨٨٠

وصدرت لائحة المحاكم الأهلية الجديدة في عام ١٨٨١. وجرى وضع التقنينات الرئيسة الستة التي تطبقها هذه المحاكم: المدني والمرافعات والتجاري والبحري والعقوبات وتحقيق الجنايات. والغريب، أنها وضعت كلها باللغة الفرنسية، وعلى غرار مثيلاتها المختلطة. ثم ترجمت إلى العربية. وقد أوقفت الثورة العرابية هذه الحركة.

ثم عاودت السير في عام ١٨٨٣ بعد الاحتلال الإنجليزي، وافتتحت المحاكم الجديدة في أول يناير عام ١٨٨٤ بالوجه البحري، ثم في عام ١٨٨٩ بالوجه القبلي. وعرف ذلك بحركة الإصلاح القضائي التي سجلت «مرحلة تقدم واسعة.. وقضت على كثير من مساوىء الماضي». كما يقول الدكتور عبد الرزاق السنهوري.

يشير السيد رشيد رضا إلى سبب هذه الانعطافة الحادة، من الشريعة الإسلامية إلى القوانين الأوروبية، فيقول: «قعد أهل الأزهر عن إجابة طلب إسماعيل

ناظر الخديو تأليف كتاب في الحقوق والعقوبات موافق لحال العصر، سهل العبارة، مرتب المسائل على نحو ترتيب كتب القوانين الأوروبية. وكان رفضهم هذا الطلب هو السبب في إنشاء المحاكم الأهلية، واعتماد الحكومة فيها على قوانين فرنسا. واحتجوا في رفضهم بأنهم يحافظون على الشرع، برغم أن تصنيف الأحكام ليس ضد الشرع بداهة. وكان الخديو إسماعيل قد حاول توسيط رفاعة الطهطاوي في إقناعهم، فاعتذر خشية أن يتهم منهم بالكفر». وهو يصف المحاكم الشرعية بأن «إصلاحها أعيا النظام والجالسين على أرائك الأحكام.. وحومت الحكومة حول الإصلاح غير مرة ولكن لم تقع فيه، ورمت إليه عدة سهام فأخطأت كلها الغرض».

انحصرت المحاكم الشرعية في مجال جد محدود، كالأحوال الشخصية (الزواج والطلاق ... إلخ)، ولا أعظم خطرا من هذا الانكماش، لأن المحاكم الجديدة كانت أكثر كفاية.. كان شيوخ الأزهر أنفسهم يقصدون رفع الدعاوى إليها، حتى عندما يكون الاختصاص مشتركا بينها وبين المحاكم الشرعية. ويذكر رشيد رضا قوله: «ظهر للناس بالاختبار أن المحاكم التي يحكم فيها بقانون فرنسا أضمن للحقوق وأقرب للإنصاف..» ويبقى الحذر من القول بأن الاحتلال البريطاني كان هو سبب نشأة النظام الجديد، فقد أعد مشروع النظام الجديد قبل الاحتلال. وهو مأخوذ من النظام القانوني اللاتيني الفرنسي، لا النظام الإنجليزي الأنجلوسكسوني. وكان ما اعترى تطبيق الشريعة الإسلامية في ذلك الزمان من ضعف وجمود، بما لم يستطع به هذا التطبيق أن يستجيب لظروف الواقع، ولا أن يتصدى للهجمة الوافدة. وتلك هي العبرة التي يتعين علينا إدراكها.

واجه الفقه الإسلامي تلك الضربة، بانبعاث روح التجديد فيه. لأنه فقه ينطوي على مادة عظيمة الخصوبة، ودقة في الصياغة الفنية مدهشة، وقابلية للتجاوب مع ظروف الزمان والمكان، والدارسون له لا يبالون في انبهارهم بما يكمن فيه من حيوية.

ولكن يلاحظ بطء التجديد فيه عن حركة المجتمع كما سبق. ولعل مرجع ذلك أولا، إلى كثافة الجمود في عصور الركود، منذ أغلق باب الاجتهاد. ولعل مرجع ذلك أولا، إلى كثافة الجمود في عصور الركود، منذ أغلق باب الاجتهاد. ولعل مرجعه ثانيا، رد الفعل المحافظ والطائفي لمقاومة الهجمة العنيفة الوافدة الغازية، وهو رد فعل يفرض على المدافع أن يتشبث بموقعه خشية أن يقتلع منه، وذلك قبل أن يشرع في الحركة والتقدم. ومرجع الجمود وبطء التجديد ثالثا، يعود لأسباب سياسية لها أمثلة واضحة الدلالة، فمثلا أعد الشيخ محمد عبده تقريرا عن إصلاح المحاكم الشرعية في عام ١٨٩٦، لم يستفد منه كثير في اللائحة التي صدرت في عام ١٨٩٧ إذ أبقت على الالتزام بالمذهب الحنفي وحيدا في التفسير، ولكنها أدخلت نظام تعدد درجات التقاضي، واشترطت الدليل الكتابي لنظر بعض الدعاوى - (أي أن الدليل الكتابي لا يطلب لإثبات الحق فقط، ولكنه مطلوب لكي تنظر المحكمة الدعوى ابتداء). ولم يجد هذا الإصلاح البطيء، وعمت الشكوى، فطلب إلى الأستاذ الإمام في عام ١٨٩٩ - بعد أن تولى منصب الإفتاء - أن يعد تقريرا شاملا عن الإصلاح.

وجاب الإمام المحاكم مفتشا، وأعد تقريرا نلحظ فيه الغيرة الشديدة على النظم الشرعية، وطالب فيه بأن تسترد المحاكم الشرعية ولو بعضا من حجمها المسلوب، وذلك في إطار خطة لتطوير التشريع الإسلامي، وإعداد تقرير للمعلومات الشرعية تؤخذ أحكامه «من جميع المذاهب الإسلامية، ليكون خلافهم رحمة للأمة..».

ولكن تقرير الإمام ووجه بمعارضة شديدة، قادها «قاضي مصر» التركي، بدعوى أن الالتزام بالمذهب الحنفي مصدره الاعتماد للخلافة العثمانية، فلا يصح حكم القاضي بغير هذا المذهب. ومن هنا تعثر الإصلاح لدافع سياسي في الجوهر.

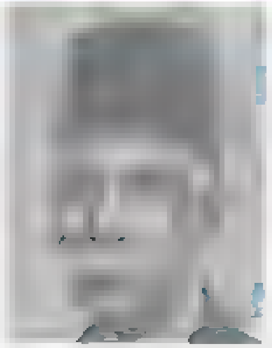
مدرسة القضاء الشرعي:

إن دعوة الشيخ محمد عبده أنتجت - فيما أنتجت خارج الأزهر - مدرسة القضاء الشرعي. أنشأها بعد وفاة الإمام بعامين، تلميذه سعد زغلول وهو ناظر للمعارف في عام ١٩٠٧. وصارت بحق مدرسة مجتهدين في الفقه والقضاء الشرعيين. كان من أساتذتها أمثال الشيوخ: زيد الإبيازي، وأحمد إبراهيم، ومحمد الخضري. ومن خريجيها أمثال المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف، والمرحوم الشيخ علي الخفيف.

وأمدت القضاء وكليات الحقوق بصفوة من الأعلام. وسار هؤلاء على درب الإمام، تفتيحا لباب الاجتهاد، وبعثا للفقه الإسلامي. وبحثوا وكتبوا وحاضروا وحرروا الفتاوى والأحكام الشرعية، وتربت على أيديهم أجيال من الأزهريين والمدنيين، وكشفوا عن الجذور الرواسخ للفقه الإسلامي، وبنوا عليه من مادة الشريعة نفسها.

ومنهاجهم يظهر من أقوالهم:

«يذكر الشيخ أحمد إبراهيم أن الأحكام الشرعية نوعان:


سعد زغلول

العبادات، وهي حق الله سبحانه يلتزم الوقوف فيه عند النصوص.

والمعاملات، المتعلقة بشئون الدنيا، أساسها المصالح المرسلة.

وإذا خالفت المصلحة النص أو الإجماع وجب تقديم رعايتها عليهما، بطريق التخصيص والبيان لهما، لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما. ومن أجل ذلك، خصص الفقهاء النص بالتعامل، وقرروا بناء الأحكام على العرف». وإذا كانت الأحكام الشرعية عامة أبدية، وتبنى على العدل واليسر والرحمة، فيلزم أن يراعى فيها مصالح الناس في كل زمان ومكان.

ويذكر الشيخ خلاف أن الرسول عليه السلام كثيرا ما «علل الأحكام مقرونة بعللها والمصالح التي تقتضيها. وفي هذا إيذان بارتباط الأحكام بالمصالح...، وأورد أمثلة مما جرى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء، مما يبث في نفوس المسلمين أن غاية الشرع إنما هي المصلحة، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله...».

وجدت هذه الروح سبيلها إلى التشريع الإسلامي والنظام القانوني، من خلال العديد من التعديلات الجزئية التي صدرت على فترات متراخية، على مدار خمسين عاما أو يزيد، وذلك تعديلا للائحة المحاكم الشرعية، فضلا عن العديد من المنشورات والتعليمات التفسيرية.

ثم جرت ما تسمى بحركة التقنينات الواسعة

ـسـا فى الأربعينيات، بإصدار قانون المواريث فى عام ١٩٤٣م، وقانون الوصية فى عام ١٩٤٦، وقانون الوقف فى السنة ذاتها. وبعد ثورة يوليه عام ١٩٥٢م، ألغى الوقف الأهلى (القانون ١٨ لسنة ١٩٥٢م)، وتبعه عدد من القوانين المعدلة لنظام الوقف الخيرى. أهمها قانون استبدال مستندات على الحكورة بأراضى تلك الأوقاف (١٥٢ لسنة ١٩٥٧م) كما ألغيت المحاكم الشرعية جملة، ونقل اختصاصها إلى المحاكم الوطنية، مع بقاء القوانين الشرعية نافذة.

ونلاحظ عامة، أن تجديد التشريع الإسلامى قد جرى فى المجال الذى ترك للشريعة الإسلامية منذ عام ١٨٨٣، وهو أساسا مجال الأحوال الشخصية والوقف والوصية والميراث. ولا أن نتصور ما كان يمكن أن تمضى إليه حركة التجديد فى مجال المعاملات، لو لم يقتطع من أرض الشريعة الإسلامية فى عام ١٨٨٣، واتجه إليها جهد رجال النهضة منذ ذلك الوقت المبكر، كما يلاحظ أن التجديد جرى بتدرج بطىء بسبب حجم المقاومة التى كان يلقاها، ولكنه جرى بطريقة تنبىء عن انتصار روح التجديد، والتمشى مع العصر من خلال الفقه الإسلامى نفسه.

ثلاثة مسارات:

وقد جرى التجديد على مناهج ومسارات، كان أهمها ما يلى:

أولا: تجاوز الالتزام بالرأى الراجح عن الحنفية، إلى الآراء الأخرى فى الفقه الحنفى، ثم إلى المذاهب السنية الأخرى: مالكية، شافعية، حنبلية. ثم إلى غير مذاهب السنة من بعض آراء أئمة من المعتزلة، أو الشيعة.

وبهذا، اتسع تدريجيا مجال اختيار الحكم الأكثر ملاءمة لظروف الزمان والمكان، حسب المصالح العامة. وتم ذلك على مدى خمسين عاما أو أكثر.

ثانيا: تجاوز أدلة الإثبات التى اعتبر بها الفقه الإسلامى لإثبات الحقوق.

كانت هذه الأدلة تنحصر فى الإقرار (أى اعتراف الشخص على نفسه بشىء)، واليمين (أى يحلف أمام القاضى أو ينكث)، وشهادة الشهود. وقد أوجب هذا التحديد ما لوحظ من كثرة الدعاوى الكيدية، والأيمان الكاذبة، وشهادات الزور.

وبحث المجتهدون عن أنواع أخرى من الأدلة لتكون بديلة وواجبة فى بعض الحالات، أو شريكة ومساعدة فى غيرها. وتدرج الأخذ بهذه الوسائل الحديثة، كالسجلات الرسمية والمعاينة والقرائن والخبرة.

وبذل المجتهدون الإسلاميون المحدثون جهدهم فى إرجاع هذه الوسائل الحديثة إلى المفهومات التقليدية توسيعا لتلك المفهومات. فالخبرة والمعاينة نوعان خاصان من الشهادة، بمعنى ما من معانى الشهادة، وكذلك القيد فى السجلات.. وهكذا.

ثالثا: إجراء التفرقة بين مسألة التحليل والتحريم، التى تعتبر حقا لله سبحانه، وبين شروط سماع الدعوى فى المحاكم. ذلك أن ولى الأمر أو المجتهد لا يستطيع أن يحلل حراما أو يحرم حلالا. فلا يستطيع أن يضيف شروطا للتحليل أو ينتقص منها.

ولكن لولى الأمر تنظيم ولاية القضاء، ومن هنا نراهم يحددون الشكل الذى تمليه المصلحة من الشروط الإدارية، مثلا بتحديد سن زواج الفتاة بستة عشر عاما على الأقل، لم يستطع المجتهد أن يقرر بطلان زواج البالغة أو تحريمه لهذا السبب (غير الشرعى)، فهو يبقى الزواج صحيحا دينيا (حلالا)، ويلجأ إلى مبدأ شرعى آخر هو تنظيم القضاء (تخصيصه بالمكان والزمان والقضية والمتولى). وبه تمنع المحاكم من نظر أى قضية عن زواج تم لفتاة تقل عن السن المقررة. ومن ذلك، إذا حصل نزاع على الزوجية أو أحد آثارها (كميراث أو نسب)، فإن الزواج برغم كونه حلالا، تنحسر عنه حماية الدولة والمجتمع. وتم ذلك بالتدريج على مدى ثلاثين عاما.

الاستقلال التشريعى:

أن تطور التشريع الإسلامى، فقد له مسار آخر، وأحكام الشريعة الإسلامية لم تكن استبعدت تماما عن المعاملات فى عام ١٨٨٣، إذ تضمن القانون المدنى (الفرنسى المأخوذ) قلة من أحكامها، كالشفعة ومرض الموت وأحكام الأهلية... إلخ.

فحوت فى تضييق متعمد لها. ومن جهة أخرى، عكف المجتهدون المحدثون على دراسة مباحث الفقه الإسلامى، كما قرى الفكر القانونى عامة.

وصارت الشريعة من أهم ما يدرس فى كليات الحقوق المدنية، واهتمامات رجال القانون (المدنيين)، ووجدت فى الشريعة زادا للبحوث والرسائل، مثل دراسات الدكتور السنهورى، والدكتور شفيق شحاتة (فقيه جليل فى القانون المدنى)، لا يخفى على متخصص مدى استيعابه للفقه الإسلامى) وعلى ذلك، لم تكن المؤسسات الجديدة، بمحاكمها وكلياتها، بعيدة عن هذا الفقه ودراساته، بل كانت مجالا ازداد مع الوقت والتشريع اهتمامها به وتوجيهها إليه، بمنهج عصرى يستكشف عناصره وكنوزه.

وإذا كانت دعوة محمد عبده لتجاوز المذهب الحنفى، تعد فى أحد جوانبها دعوة للاستقلال التشريعى عن الدولة العثمانية، فقد قامت فى المؤسسات القانونية (الحديثة)، (مجال الفكر الوافد)، دعوة مماثلة لتجاوز الفقه الفرنسى، تحقيقا للاستقلال عنه.

وهى ما نسميه دعوة السنهورى فى عام ١٩٣٤ (تمصير الفقه المصرى، والتخلص من (الاحتلال الفرنسى له). وبنيت هذه الدعوة على أساسين:

أولهما: أن يستقى التشريع أحكامه من سائر التشريعات فى العالم، دون أن ينحصر فى القانون الفرنسى، وأن تقتصر الاستفادة من تلك التشريعات على الصياغة الفنية للنصوص، شريطة أن نحيى نحن بعد ذلك حياة قومية خالصة، فلا يخضع لتفسيرات أجنبية، وإنما يخضع فقط لتفسيرات المحاكم والفقهاء المحليين من خلال تفاعله مع البيئة القومية.

وثانيهما: أن يؤخذ من الفقه الإسلامى فى نطاق ما تصل إليه النهضة العلمية لدراسة هذا الفقه، ومع عدم التقيد بمذهب معين فيه، ومع مراعاة الانسجام مع الهيكل التشريعى العام.

كان هذا هو رأى الجماعة التى أعدت القانون المدنى الجديد، والذى بدئ التفكير فى إعداده مع إلغاء الامتيازات الأجنبية فى عام ١٩٣٧، وصدر مع إلغاء المحاكم المختلطة فى عام ١٩٤٩م، وأخذ من الفقه الإسلامى نزعته الموضوعية بدلا من النزعة الذاتية للفقه الفرنسى. كما استمد من الفقه الإسلامى نزعته الموضوعية بدلا من النزعة الذاتية للفقه الفرنسى. كما استمد من الفقه الإسلامى فكرة أن الحقوق غير مطلقة، إنما تتقيد فى حدود المصالح العامة المشروعة، وبما لا يسبب ضررا للغير. وكذلك، أخذ فكرة الضرورة والعذر فى تعديل الالتزامات، وذلك تقييدا للسلطان الإرادة المرتبة بقيود المصالح. وغير ذلك من الأحكام التى أتت نتيجة الدراسة العلمية المتأنية. كما جىء فى

هذا التقنين بأحكام أخرى لم تؤخذ من الشريعة، وإن أتت متفقة مع أحكامها؛ لأنها استمدت في الأساس مما استقرت عليه أحكام المحاكم الوطنية ومعاملات الناس. فكانت بمثابة العرف بالمعنى الذي قصده فقهاء الإسلام المجتهدون.

ولا يدعي أحد أن هذا القانون، أو غيره، قد أوفى على الغاية في هذا الشأن، أو أنه حقق الرجاء في استقلال الفكر القانوني، ولكن القصد من البيان السابق كله الكشف عن مسارات التطور في الفكر القانوني، وهو مسارات رئيسات تفتح أبواب الاجتهاد في التشريع الإسلامي، ليتفاعل مع واقع الحياة المعيشة وأعراف الناس وعاداتهم، شريطة أن يأتي التجديد بمادة شرعية خالصة، ويستمد من أصولها الكلية. والأخذ من هذا الفقه في نطاق ما تصل إليه النهضة العلمية بالدراسة الجادة للشريعة وللواقع.

الأصالة المتجددة:

وإذا كنا قد واجهنا، في القرن الماضي، أشكال الأخذ عن الغرب دون أن نستوعب فيه، فإن السياق التاريخي ليظهر أننا قادرون على حل الإشكال لصالحنا، حتى برغم هزيمتنا المؤقتة أمام الغرب في القرن الماضي. إن مجتمعنا عانى من الازدواجية في الأفكار والقيم والمؤسسات، وكاد هذا يهدده بالتمزق. والفكر التقليدي يتجدد، والحديث يتأصل، والحركة بطيئة، لكن يشفع لبطئها أنها بدت في لحظة تاريخية ما شبه مستحيلة، أو -بأقل التقديرات- شديدة الصعوبة.

المهم أن يثق كل طرف في الآخر، وأن يدرك أنه مرتبط به بمصير واحد، وألا يتعجل النتائج وصولا إلى حلول سريعة جياشة بالحماسة، وقد لا تكون قادرة على تمثل الواقع أو تمثل التراث. والمهم، إدراك أننا لسنا في بداية الطريق ولا في نهايته. نحن في منتصف طريق بالنسبة لكل من مشكلات حياتنا. فلا نستطيع العودة إلى الوراء، ولا القفز قدما في الهواء. وإنما نسعى للدعوب هو قدرنا.

ولن يستطيع طرف أن ينفي صاحبه ابتسارا. وإنما الهدف هو ذوبان الطرفين في واحدية متجددة أصيلة. والمهم، إدراك أن المسألة مسألة حضارية في الأساس، نظلم ماضينا ومستقبلنا لو تركناه تمتص في عراك سياسي وقتي. نظلم ماضينا إذا تصورنا أن الأصالة مستوعبة في التخلف، ونظلم مستقبلنا إذا تصورنا أن الحداثة مستوعبة في الإلحاد. وهذه المسألة بذلك ليست صراعا بين الكفر والإيمان، ولا بين الرجعية والتقدم. ولكنها حوار بين الأصالة والتجدد. وصولا لتحديث يحمي الأصالة ويقوم عليها. وليس للواحد فيه عصمة. فمازلنا على الطريق نجدد ونكتشف أصالتنا أي نكتشف الماضي والمستقبل معا.

ورحم الله الشيخ عبدالوهاب خلاف. إذ يقول: «وكثيرا ما كان اجتهاد أحدهم يخالف اجتهاد صاحبه، بل قد يخالف ما يفهمه من ظاهر النص، ولم ينبههم مجتهد منهم بأنه على غير حق أو تنكب طريقه. فمادامت الغاية المصلحة وعدل الله، والوسيلة اجتهاد الرأي وإمعان النظر».

ـــــــــ

الفقه الإسلامي ومدارسه



للأستاذ الدكتور مصطفى أحمد الزرقا

خامساً: الاتجاه العصري نحو التجديد في الفقه الإسلامي

إن الاستعمار الذي كان من أهدافه قطع الشعوب التي رزحت تحته عن أصالتها وماضيها، وإماتة الإحساس بشخصيتها. قد أيقظ رغمه بعد حرب العالمية الثانية الشعور بالذات لدى الشعوب الإسلامية بوجه عام، والعربية بوجه خاص.. فقامت حركات في مصر وفي سورية والعراق. وفي باكستان. وكذا في الشمال الأفريقي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب. تطلب الرجوع إلى الأصالة الإسلامية وسيادة الفقه الإسلامي.

وفي الوقت نفسه قام في وجه هذه الحركات تيارات معاكسة (ولاسيما من غير المسلمين) تطلب بقاء الوضع الذي خلفه الاستعمار تشريعا وإدارة.

وكان من حجج هذه الفئة الثانية عدم وجود قانون مدني حديث كامل جاهز مستمد من الفقه الإسلامي. ليسهل على القضاة ودارسي القانون الوضعي الرجوع إليه.

وكانت الفئة الأولى تؤيدها الجماهير الشعبية، والفئة الثانية تمالئها الحكام والمتنفذون.. وخلال ذلك صيغت دساتير جديدة لبعض البلاد العربية المستقلة حديثاً، وضعت فيها -رعاية لصوت الجماهير- نصوص على أن دين الدولة الإسلام، وفي بعض آخر نصوص على أن الفقه الإسلامي هو مصدر التشريع. وفي بعض آخر نصوص على أن الفقه الإسلامي هو مصدر رئيسي. أو هو المصدر الرئيسي للتشريع.

وفي إثر ذلك بدأت المطالبات بوضع قانون مدني حديث مستمد من الفقه الإسلامي. وبدأت اهتمامات، على صعيد الأفراد من فقهاء الشريعة والقانون بوضع نماذج تمهيدية لذلك، وتلاها بعض الاهتمامات على الصعيد الرسمي: فمثلاً، أوفدت وزارة العدل السورية سنة ١٩٤٩م أحد كبار القضاة إلى مصر، وزودته بكتاب إلى الدكتور عبد الرزاق السنهوري القانوني الشهير (واضع القانون المدني المصري الجديد ولدى اتجاه إلى دراسة وتدريس الفقه الإسلامي) ليعاون في وضع قانون مدني مستمد من الفقه الإسلامي.

ثم صادف أن وقع في العام نفسه أول انقلاب عسكري في سورية أطاح بالحكم الدستوري.

واحتلت فيه الموازين، وألغى مشروع القانون المدنى المستمد من الفقه الإسلامى، وأخذ بدلاً منه القانون المصرى الأجنبى الأصول.. لكن تيار المطالبة بالرجوع إلى الأصالة والسعى الدؤوب لتحقيق ذلك المشروع ظل قوياً فى سوريا ومصر وعدد من البلاد العربية والإسلامية.. وقد تمخض هذا الاتجاه العصرى - نحو تجديد الفقه والاستمداد منه - عن نتائج ونشاطات عظيمة الأهمية سنوجزها فيما تبقى من هذا القسم الخامس من البحث.

الدعوة إلى الاجتهاد الجماعى وثمراتها:

كانت فكرة قانون مدنى إسلامى حديث يستجيب لحاجات العصر الجديد تتطلب أمرين لابد منهما

- الاستمداد من الفقه الإسلامى بعمومه العام، أى بجميع مذاهبه ومدارسه المعتبرة، دون الاقتصار على مذهب واحد كما صيغت المجلة فى أواخر العهد العثمانى من مذهب الحنفى فقط

- التخريج الجديد على أصول الفقه ومقاصد الشريعة، واللجوء إلى استخدام القياس والاستحسان والاستصلاح فيما سكتت عنه المذاهب الفقهية فى نصوصها القديمة، من قضايا الساعة والأمور المستجدة، كعقد التأمين وعقد التوريد وشركات المساهمة، والأسهم، وغيرهما

وهذا يستلزم ممارسة الاجتهاد، كما فعل فقهاء السلف فيما واجهوه من المستجدات.. فلابد أن ينفخ الروح فى الاجتهاد من جديد بعد أن أقفل بابه منذ القرن الخامس الهجرى.

وإذا كانت المخاوف السابقة إذ ذاك من الاجتهاد الذى كان يمارسه الأفراد قد أوجبت ذلك التدبير الوقائى بإقفال بابه، كما سبق بيانه، فإن العلاج فى نقله من عهدة الأفراد إلى عاتق الجماعة. فيصبح الاجتهاد جماعياً يمارسه فقهاء العصر الثقات بطريق الشورى فيما بينهم بعد أن كان



السنهوري

فردياً يمارسه كل فقيه بمفرده.. فبذلك تتحقق ثمرات الاجتهاد، إذ لا يمكن أن يلبى الفقه حاجات العصور دونه، وتنتفى محاذير الاجتهاد الفردى التى دعت إلى إقفال بابه.

ومن هنا نبتت فكرة إنشاء مجمع فقهى يضم نخبة من فقهاء العصر فى مختلف البلاد الإسلامية، يكون له مكتب دائم، ودورات اجتماع سنوية تقدم فيها البحوث، وتناقش قضايا الساعة وتقرر فيها الحلول المناسبة فى ضوء أصول الشريعة ومقاصدها العامة، وآراء الفقهاء السابقين وحاجة العصر.

وقد كان من ثمرة هذه الدعوة والاتجاه انعقاد مؤتمرات للفقه الإسلامى نذكر منها:

أ- أسبوع الفقه الإسلامى بدمشق فى شوال ١٣٨٠هـ (= نيسان ١٩٦١م)

ب- مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، فى القاهرة، ١٩٦١م.

ج- مؤتمر مدينة البيضاء فى ليبيا الذى دعت إليه جامعة ليبية

د- مؤتمر الفقه الإسلامى فى الرياض عام ١٣٩٦هـ (= ١٩٧٦م) بدعوة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أما فى موضوع المجمع فقد أنشئ أولاً (مجمع البحوث الإسلامية) فى الأزهر عام ١٩٦١م.. ثم أنشأت رابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة (المجمع الفقهى الإسلامى) وعقدت دورته الأولى فى شعبان ١٣٩٨هـ (= أغسطس ١٩٧٨م).. ثم أنشأت منظمة مؤتمر الإسلامى (مجمع الفقه الإسلامى) الذى عقد دورته الأولى فى مكة المكرمة فى شهر صفر/ ١٤٠٥هـ (= ١١/ ١٩٨٤م) ويضم هذا المجمع عضواً عاملاً من كل دولة من دول منظمة مؤتمر الإسلامى.

ولكل من هذه المجامع الفقهية الثلاثة مكتب دائم، وتعقد لها دورات سنوية تعالج قضايا مهمة لتحديد موقف الفقه الإسلامى منها وحكمه فيها جوازاً أو منعاً.. ومن أمثلة الموضوعات التى عنيت بها تلك المجامع وصدرت فيها قرارات

- زراعة الأعضاء الإنسانية.

- التلقيح الصناعى - وأطفال الأنابيب

- تحديد أوقات الصلاة فى البلدان القريبة من القطب الشمالى، وبدايات الشهور القمرية

- حقوق الملكية الأدبية والفكرية

- الاستملاك للأغراض العامة

- الزكاة عن الصيغ الحديثة من الثروة كالعقارات المأجورة وغيرها

والكثير جداً من القرارات المتصلة بالأمور الاقتصادية والمصارف الإسلامية والأسواق المالية

وتصدر هذه المجامع مجلات علمية تتضمن البحوث المقدمة لدورات المجمع والمناقشات، والقرارات الصادرة

وهكذا بعث الاجتهاد من مرقده فى صورة اجتهاد جماعى[1]

ويلاحظ أن المجامع السابقة هى دولية بمعنى أنها تضم أعضاء من دول متعددة.. وهناك مجامع وطنية أبرزها مجلس الفكر الإسلامى فى باكستان الذى نص على إنشائه فى الدستور منذ أوائل الخمسينيات. ونشط منذ أوائل السبعينيات. وهو يضم علماء من مدارس الفقه المتعددة. ويقدم توصياته الشرعية فى شأن جميع التشريعات التى تعرض على البرلمان والمجلس الوطنى.. وكان من أعظم منجزات هذا المجلس خطة التفصيلية التى أعدها خلال أكثر من سنتين ثم قدمها للحكومة فى حزيران ١٩٨٠م عن كيفية إلغاء الفائدة الربوية من الاقتصاد الباكستانى وإحلال معاملات شرعية بديلة محلها.. واستعان المجلس فى إعداد هذه الخطة بمجموعة من الخبراء الاقتصاديين والمصرفيين.. كما أن المجلس ساعد فى صياغة القانون المهم الخاص بتطبيق الزكاة فى باكستان والذى صدر فى حزيران ١٩٨٠م.

هذا، وجدير بالذكر والتنبيه أن المجامع الفقهية المذكورة، فى جميع القضايا التى يتوقف الحكم الفقهى فيها على معلومات من علوم أخرى كالطب، والفلك، وعلم الحياة (البيولوجيا)، تدعو الاختصاصيين بتلك العلوم لسماع معلوماتهم وخبرتهم وآرائهم ومناقشتها، ثم يبنى أعضاء المجمع قرارهم بالإجماع أو بالأكثرية عن الحكم الشرعى فى القضية موضوع البحث بناء على الحقائق العلمية التى شرحها الاختصاصيون.

---

(١) أول من كتب فى موضوع الاجتهاد الجماعى والحاجة إليه فى هذا العصر فيما نعلم هو الكاتب الإسلامى الكبير المؤرخ رفيق العظم قبل أكثر من نصف قرن فى رسالة صغيرة نشرها فى مصر بعنوان «قضاء الفرد وقضاء الجماعة».

الفتح الإسلامي لمصر



٦ للأستاذ الدكتور / محمد سليم العوا

كانت وستظل..

كانت مصر من أقدم عصور التاريخ، بل من قبل التاريخ، عربية. وهي ستظل كذلك، أحبَّ من أحب، وكره من كره، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يذكر المقريزي في كتابه: (البيان والإعراب عمن نزل مصر من الأعراب) أسماء أكثر من ثلاثين قبيلة عربية، من القبائل الكبيرة التي لها ذكر في تواريخ العرب، نزلت منها بطون وأفخاذ أرض مصر. ولا يسع هذا النص الموجز، الذي يحاول التأريخ للفتح الإسلامي لمصر، إيراد ما قاله المقريزي ولا تلخيصه. ولكننا نشير إلى قليل مما فيه، مع ضرورة التنبه إلى ما سوف يأتي من أن بعض هذه القبائل كان لها وجود في مصر، ثابت موثق، منذ ما قبل الإسلام بقرون عديدة.

فمما ذكره المقريزي أنه لما تملك مصر عز الدين أيبك التركماني، أول ملوك الترك بديار مصر، أنفت عربان مصر من حكمه البلاد لأنه مملوك من جملة المماليك البحرية قد مسه الرق فلا يجوز أن يولى الحكم عليهم وهم أحرار عرب لم يمسهم [illegible] الرق، ولا يقبلون أن يحكمهم من كان رقيقًا ولو بعد تحرره أو عتقه. فجمعوا رجالهم، وجعلوا عليهم رجلا من الأشراف ـ ذوي النسب المتصل إلى رسول الله ﷺ ـ وحاربوا الأتراك، فقاتلهم الأتراك وهزموهم، وتفرقت القبائل التي حاربت الترك ـ بعد تلك الواقعة ـ في نواحي العربية (أي محافظة العربية) وهم من الجعافرة ومن طيّ[1]، بعد أن كانوا يقيمون في موضع واحد

(١) المقريزي، البيان والإعراب عمن نزل مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦١، ص٩ و١٠.

[illegible] في مناطق كثيرة، وبذلك أصبح العرب [illegible] وجود في البلاد [illegible] عقب [illegible] هزيمتهم من الترك، وكان في هذا [illegible] من خير للعرب [illegible] في تجمعهم [illegible] في مكان لا يشركهم فيه [illegible].

وكان بمصر فرقة من بني عدي، رهط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، نزلوا بالبرلس وكانوا هم والكتانيون (عرب كنانة) من ذوي الآثار المذكورة (المعروفة) في وقعة دمياط.

والمقصود بوقعة دمياط المعركة التي خاضها المسلمون لفتحها، وفيها انحاز بعض العرب المتنصرة من أهل البرلس إلى الرومان في دمياط، ولكنهم هزموا جميعا، وفتحت دمياط بنصر حاسم للمسلمين على الرومان ومن والاهم، كما سيأتي.

ومن بطون جُذام العايذ، وهم منتشرون من القاهرة إلى عقبة أيلة [illegible]، ومن أيلة قدم على النبي ﷺ يوحنة بن رؤبة، والنبي ﷺ في تبوك، وكان يوحنة حاكم أيلة، وأتى النبي ﷺ مندوبا عن أهلها من النصارى يطلب موادعة النبي ﷺ والمسلمين. فصالحه النبي ﷺ على الجزية دينار على كل حالم من الرجال، فكان ذلك ثلاثمئة دينار في السنة فكان عمر بن عبدالعزيز لا يزيد عليهم فوق الثلاثمئة دينار شيئا (!)[4] واستمر هذا مقدار جزيتهم طول العهد الأموي.

وممن كان بمصر من جذام بنو رداد بن بعجة ابن زيد بن مية[5] ومن هؤلاء أهل برهمتوش[6]، ومنهم بطون كثيرة عدّها المقريزي فليرجع إليها[7].

وبالإسكندرية من جذام ولخم جماعة ذوو عدد وشجاعة وإقدام ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة ووقائع مشهورة[8]. وهذا مديح لهذه القبائل يتضمن أنها كانت ذات مكانة في المجتمع ظاهرة، ولم يكن أبناؤها مجرد آحاد لا يؤبه لهم.

وببلاد الصعيد عدة قبائل من العرب، ففي بلاد أسوان وما تحتها بنو هلال، وفي بلاد أخميم وما تحتها بليّ (من قضاعة)، وفي بلاد منفلوط وأسيوط جهينة، وفي بلاد

(٣) المرجع [illegible]

(٣) العقبة الجبل الطويل يعرض الطريق فيصعبه، ياقوت، معجم البلدان، السابق، ج١ ص٢٩١ رقم ٨١٩٥، وأيلة مدينة بين الفسطاط ومكة [illegible]

(٤) ياقوت، السابق، ج١ ص٤٢٠ رقم ١١٩٦. [illegible] المقريزي، المرجع [illegible]

(٦) برهمتوش [illegible] ٢٢٥٧٦ نسمة سنة ٢٠٠٦، وفي تحقيق عبدالمجيد عابدين أن برهمتوش قريبة من [illegible] في الشرقية ص٢٩، ويذكر محمد رمزي أن برهمتوش [illegible] الشرقية [illegible] القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، ج٢ ص١٢٧.

(٧) [illegible] الدكتور حسني البرهمتوشي أستاذ علم الحاسبات بجامعة الأزهر بالقاهرة [illegible] عبدالعزيز [illegible] أكثر من عشرين سنة [illegible]

(٨) المقريزي [illegible]

الأشمونين [illegible] قريش.

وفي معظم بلاد البهنسا لواتة ومنهم طوائف بالجيزة والمنوفية والبحيرة. وهذا التوزيع للقبائل العربية يؤكد فكرة الانتشار في البلدان التي ذكرتها آنفا، وبهذا الانتشار كان من نزل منهم ببلد وجد له فيها أقارب يأوي إليهم ويتقوى بهم. وهي مسألة [illegible] الأهمية عند العرب.

وكانت بلي وجهينة حيران [illegible] كما هما [illegible] الحجاز [illegible] وكان في أسيوط طائفة من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يعرفون بأولاد الشريف قاسم، وكان بالصعيد من قريش بنو طلحة وبنو الزبير وبنو شيبة[11] وبنو مخزوم وبنو أمية وبنو زهرة وبنو سهم[12].

وقد [illegible] الدولة الفاطمية [illegible] [illegible] لم [illegible] [illegible]، ولم [illegible] [illegible] [14] وبالصعيد أيضا طائفة من الأنصار[15]، وجماعة من فزارة[16]، وفي الصعيد بطون كثيرة من لخم[17] وهكذا نتبين أنه لم تكن في مصر منطقة خالية من البطون والقبائل العربية، من أعلى الصعيد إلى أدنى الدلتا، فإن لم يكن هذا دليلا على عروبة مصر فماذا يكون [illegible]

وفي الفصل الذي كتبه الدكتور عبد المجيد عابدين بعنوان [illegible] القبائل العربية في قلب مصر في العصر الجاهلي)[18] ملحقا بكتاب للقريزي: أنه لا شك أن طريق سيناء كان قنطرة ثابتة ومفتوحة للهجرات العربية منذ القدم. وهذه القنطرة تصل بين بلاد العرب ووادي النيل الخصيب وأن التباين في الثروة والغنى... منذ فجر التاريخ، كان عاملا مهما لاجتذاب البدو إلى مصر[19].

ولم يستطع حكام مصر على مر التاريخ إغلاق هذه القنطرة [illegible] لا يمكنهم إغلاقها حتى [illegible] [illegible] الأمر الاتفاق بين غزة ومصر، ومحاولات القضاء عليها، عهد أحد بعيد.

وكانت الهجرات الأولى سلمية يؤخذ فيها رأي حاكم مصر، ولا تتم إلا بموافقته، وقد كانت هذه الهجرات تحدث باستمرار [illegible] وفي مقابر بني حسن صورة تمثل عددا من [illegible] يتقدمون لفرعون مصر القرابين ليسمح لهم بالسكنى في وادي النيل[20]. وهذه الصور والنقوش على [illegible] [illegible] واضحة [illegible] إلى [illegible].

وسكن مصر أيضا قديما من الأنباط. وهم عرب [illegible] من [illegible] جزيرة العربية. وكان منهم من يشترك قريش في عبادة [illegible] [illegible] [illegible]. هؤلاء قاموا دولة مهمة من بلاد الشام إلى بلاد العرب ومن الفرات إلى البحر الأحمر. وكانت التجارة عملهم الأساسي، تليه الصناعة، ولم يكونوا يمارسون الزراعة أصلا لأنهم يرون أنها تفسد القدرة على القتال.

ومنطقة إرغاليهم تبدأ من شمال الحجاز وتمتد شمالا وغربا إلى برزخ السويس. وقد كانوا سادة طريق التجارة بين [illegible] وسيناء. وطرق التجارة بين [illegible] ودمشق، وبين [illegible] ودمشق. وامتد نفوذهم إلى معظم مناطق سيناء وأثبتت الكشوف الأثرية ذلك، وعينت أماكن كثيرة في منطقة سيناء وفي الصحراء الشرقية كانت مراكز لهؤلاء الأنباط. ومن هذه الكشوف الأثرية نقوش وخربشات يبلغ عددها (٨٣) [illegible] من [illegible] سيناء شمالا وتتجه إلى [illegible] في الصحراء الشرقية حتى تبلغ صعيد مصر الأعلى. وبعض هذه النقوش دال دلالة واضحة على أن أصحابها كانوا صناعا استقروا في بعض مناطق الصحراء الشرقية [illegible] من عرب الأنباط منازل مستقرة (مستعمرات) [illegible] [illegible] من بلادهم للتجارة في مصر. وكان لهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نفوذهم إلى معظم مناطق سيناء وحكموا مدخل مصر منها وسيطروا على طرق الخروج من سيناء إلى بادية الشام. وكان القضاء على مملكة الأنباط سنة ١٠٦م على يد الرومان سببا في توسيع نشاطهم في إفريقية بوجه عام وفي مصر بوجه خاص[21]. بدلا من أن يكون سببا في القضاء عليهم. وهذا يذكرنا بانتشار العرب في أرض مصر بعد هزيمتهم من الترك (!)

وقد سكن بعض الأنباط على ضفاف النيل، وفي الصحراء العربية، وفي شمالي إفريقية.

ووجود النقوش النبطية على الآثار المصرية يدل دلالة واضحة على أنهم لم يكونوا قوما قليلي الشأن في البلاد، فلو كانوا كذلك ما سمح لهم الفراعنة أن يضعوا رسومهم وكتاباتهم على جدران تلك الآثار بجانب الرسوم الفرعونية [illegible] وقد كان من أسباب مكانة الأنباط في مصر أنهم كانوا هم الذين يجلبون مواد التحنيط عبر المراكز التجارية اليمنية العربية مع الهند إلى مصر، وكان هذا عملا مهما جدا بالنسبة إلى المصريين القدماء المغرمين بالتحنيط، الذي كانوا يعتبرونه من وسائل تحقيق عقيدتهم في البعث بعد الموت.

والموطن الذي وفدت منه الهجرات العربية منذ أقدم العصور إلى مصر هو (بادية الشام) التي تقع شمالي صحراء النفود. وقد وفد من هذه [illegible] إلى مصر [illegible] من قضاعة وهم أصلا من أعقاب سبأ، من أهل اليمن. ثم انتقلوا إلى الحجاز، ثم إلى بادية الشام في حوالي القرون الأولى للميلاد. [illegible] [illegible] [illegible] قضاعة

[illegible] الأشمونين [illegible] مدينة الأشمونين تابعة لها أي عاصمة ثم تغير التقسيم الإداري وظهرت أسيوط محافظة مستقلة واستمع مركز ملوي [illegible]

(14) السابق، ص٣٦

(15) السابق، ص٣٩

(16) السابق، ص٣٠

(17) السابق، ص٣٦

(18) هو الباب الثاني من [illegible] [illegible] [illegible] السابق.

(19) عبد المجيد عابدين، ملحق البيان والإعراب، السابق، ص٣٦

(20) المرجع السابق، ص٧٧ ـ ٧٨. [illegible] موجودة حتى [illegible] [illegible]

(21) عبد المجيد عابدين، المرجع السابق، ص٨١ ـ ٨٢

ينتهي نسبها إلى حمير بن سبأ [٣٢]. وهؤلاء القحطانيون سكنوا مصر قبل الفتح الإسلامي بنحو ستة قرون، واختلطوا بأهلها الأصليين حتى ذابوا فيهم، و [illegible] بهم، [illegible] عن سائر أهل مصر أو يميز هؤلاء عنهم.

و [illegible] (٦٦ ق. م) وبليبوس (٧٠م) يذكران [illegible] العرب [illegible] في أيامهما على الناحية الغربية من البحر الأحمر حتى [illegible] في [illegible] الصعيد، وأصبح نصف سكان قفط منهم [٣٣].

ومن أعقاب سبأ القبائل الكهلانية الذين منهم الأزد، والقبائل التي عرفت بالعسامنة [٣٤].

وقد نزل بعض بطون خزاعة ولخم [٣٥] وجذام في الجاهلية إلى مصر، وأقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية تنيس (صان الحجر) [٣٦]. وكانوا [illegible] عامر [illegible] من العرب المتنصرة، وقد حاربوا في فتح دمياط ضد المسلمين مع الرومان وأسر أبو ثور هذا وانهزم أصحابه [٣٧]. ومن الجماعات العربية التي استقرت في شرق الدلتا قبل الإسلام قوم يقال لهم (البشموريين) كانت لهم مواقع استطلاع وعيون في أماكن عدة على تخوم الصحراء بين البحيرات الشمالية وأودية جنوب مصر، وقد عاون هؤلاء الجيش الإسلامي في أثناء فتح مصر [٣٨]، كانوا عيونا لعمرو بن العاص مع أنهم لم يكونوا مسلمين. [illegible] العروبة جعلتهم ينحازون إلى العرب / المسلمين الفاتحين ضد الرومان المحتلين.

والوجود العربي في مصر يسبق دخول الإسكندر الأكبر (٣٣٢ق. م) إليها، فقد سكنها [illegible] عربية كبيرة من [illegible] وحمير و [illegible] ومدين [illegible] في [illegible] على [illegible] تشير إلى وجود جالية معينية كبيرة في مصر، وبعض هذه النصوص مؤرخ بسنة ٢٦١ ق. م، الأمر الذي يثبت وجود العرب الجنوبيين (عرب [illegible]) في مصر قبل ذلك التاريخ. والبحث الأثري يثبت أيضا وجود السبأيين في مصر (كما سلف ذكره [٤٠]). بل كانت هناك

---

(٣٢) عبدالمجيد عابدين، المرجع السابق، ص٨٥ ـ ٨٦

[illegible] في معظم المصادر الأصلية عن تاريخ مصر في تلك الحقبة

(٣٤) المرجع السابق، الموضع نفسه

(٣٥) يقول الإمام أبو محمد بن حزم، في جمهرة أنساب العرب تحقيق عبدالسلام هارون، ط دار المعارف بمصر ١٩٩٩ ص٤٢٥ [illegible]

[illegible]

(٣٧) المرجع السابق، الموضع نفسه ومصطفى الشريف، عروبة مصر من قبائلها، المطبعة العثمانية، القاهرة، ١٩٦٥، ص٣٣

(٣٨) مصطفى الشريف، المرجع السابق، الموضع نفسه

(٣٩) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، عروبة مصر قبل الإسلام، شركة دار الإشعاع للطباعة، القاهرة ١٩٩٣، ص١٠٣

[illegible]

قوات من الجنود السبأيين تقوم بحراسة طرق [illegible] إلى مصر [illegible] من المصادر التي رجعنا إليها حول الطريق الذي سلكته تلك القبائل: أهو الصحراء العربية ومنها إلى سيناء، أم هو الطريق البحري من موانئ اليمن على البحر الأحمر إلى موانئ مصر؟ وإلى هذا يميل بعض الباحثين استنادا إلى أن الحضارة المصرية [illegible] في الصعيد [illegible].

وفي عام ٤٧ ق. م التمس يوليوس قيصر من [illegible] النبطي [illegible] الإسكندرية، [illegible] الإسكندرية، [illegible] عليه من قبل. عقدت روما معاهدة مع دولة الأنباط [illegible] العدوان على مملكة الأنباط، وتعهد الأنباط بالعمل لصد الهجوم العنيف من قبائل الصحراء (العربية) على الحدود المصرية [٣٢].

و [illegible] نبطية تؤكد وجود السلالات العربية الأصيلة داخل المجتمع المصري القديم منذ ستة قرون قبل الميلاد [illegible] بالإضافة إلى النقوش التي ترجع إلى سنة ٢٦١ ق. م هناك نقوش ترجع إلى عام ٢٦٦م الأمر الذي يقطع بوجود حياة عربية مستمرة في مصر على مدى نحو خمسة قرون ونصف قبل الميلاد وبعده. وقبل الفتح الإسلامي لمصر بنحو أربعة قرون [illegible].

وقد ذابت كثير من البطون النبطية (أو العربية) في المجتمعات التي عاشت فيها، كما حدث في مصر، ولا مراء في تأثير هذا الذوبان على أهل تلك المجتمعات ثقافيا ولغويا [٣٦] في العصر الفرعوني الذي دام ٢٩ قرنا، فلم تنقطع الصلات العربية المصرية عبر شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية [٣٧] وقد اختلط الساميون العرب بالمصريين، وتزاوجوا وتصاهروا [٣٨]. وتعبير علماء التاريخ والاجتماع بـ(الذوبان) يشير إلى أن كلا من طرفيه يعطي الآخر بعض خصائصه فينشأ خلق جديد من اختلاط أولئك بهؤلاء. وهذا الخلق الجديد هم سكان مصر في وقت الفتح الإسلامي لها: لا هم جنس غير عربي خالص ولا هم عرب خُلّص وإنما مصريون تجري في عروقهم دماء مختلطة.

وفي سنة ٢٤ ق. م حاول الرومان غزو بلاد العرب، فجردوا حملة قوامها عشرة آلاف جندي منهم ألف من النبط، وكان دليل هذه الحملة قائدا من الأنباط وصل بها إلى نجران فاحتلها ثم أخذ الدليل النبطي يضلل الحملة حتى قُضي عليها

---

(٣١) الغنيمي، السابق، ص١٠٥

(٣٢) نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث، دار الكتب بتحقيق دكتور صبري أحمد العدل ٢٠٠٥، مصورة عن ط ١٩١٦، ص٦٨٢

(٣٣) الغنيمي، السابق ص١٠٩ ـ ١١٠ ومن الجدير بالذكر أن روما لم تحتفظ للأنباط بعهد على سنة ١٠٦م شنت روما الحرب على مملكة الأنباط وقضت عليها واحتلت أراضيها، أو معظمها، ولعل [illegible] ما [illegible] بالبارحة!)

(٣٤) الغنيمي، السابق، ص١١٢ ـ ١١٣ [illegible]

[illegible]

(٣٦) الغنيمي، السابق، ص١٢٦ [illegible]

جوعاً وعطشاً في الصحراء دون أن تحقق مبتغاها من الدخول إلى بلاد الحجاز [39]. وكانت هذه [illegible] هي [illegible] والأخيرة التي تحاول فيها الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) أن تغزو جزيرة العرب (!) وغزا جيش تدمر العربية مصر سنة ٢٦٨م وحكمتها ملكتها [illegible] من سنة ٢٦٨م إلى سنة ٢٧١م [illegible].

ويقرر نعوم بك شقير في تاريخ سيناء [illegible] من [illegible] سكان سيناء في [illegible] المصرية [illegible] أبراشية فيران (في سيناء) كانت قبل بناء الدير (دير سانت كاترين) تابعة لأبراشية البتراء[41]. وهو ينقل عن العلامة أحمد بك كمال [illegible] أن اللغة المصرية القديمة واللغة العربية هما من أصل واحد، وأن كثيراً من ألفاظهما ومبانيهما واحدة [42].

والعرب البائدة هم سكان مصر وأثيوبيا الأولين سكنوا وادي النيل، قبل التاريخ، مهاجرين من جزيرة العرب عن طريق سيناء أو بوغاز باب المندب أو كليهما [44]. وهؤلاء العرب البائدة هم أنفسهم الذين تسميهم الدراسات الحديثة الساميين[45].

يقول نعوم شقير: إن سكان مصر الأولين، أجداد القبط الحاليين، هم من أصل عربي قديم، وهذا هو الفتح العربي الأول لمصر، وسبب الخلاف في مكان دخولهم أن التمدن المصري القديم بدأ من الصعيد، وقيل من سيناء بسبب النقوش التي وجدت بها للنبط [46].

ثم كان مجيء الهكسوس هو الفتح العربي الثاني لمصر، وقد حكموها نحو ١٥٠ سنة. والظاهر أنهم كانوا من جنس عرب سوريا لأنه في أيامهم عم السلام بين مصر وسوريا ونزح كثير من السوريين إلى مصر [47].

ثم كان الفتح الثالث على يد زنوبيا ملكة تدمر التي ذكرناها سنة ٢٦٨ - ٢٧١م [illegible].

ثم كان الفتح الرابع - الإسلامي - على يد عمرو ابن العاص [49].

أما شبه جزيرة سيناء فسكانها الأصليون [illegible] كسكان سوريا، وعرفوا في التوراة [illegible]، وفي وثائق دير سانت كاترين [illegible] سكان سيناء في أوائل القرن السادس الميلادي كانوا هم العرب الإسماعيليون [illegible].

وبعد عندما نقرأ أن جيش عمرو بن العاص [illegible] البدو من صحراء سيناء، والصحراء الشرقية، والغساسنة، والأنباط، الذين كانوا في طريقه إلى حصن بابليون [51]، وعندما نقرأ عن حنا [illegible] هليوبوليس أن: «عيون البدو القاطنين بصحراء المنطقة أسرعت فحملت إلى عمرو ما عزم عليه الروم، فاستطاع أن يوجه جنوده إلى مواضعهم ويعبئهم للقتال» [52]، وعندما نقرأ أن جيش المسلمين ضم طائفة من أكبر فرسان العرب، وهذا غير الأعداد الوفيرة من البدو الذين انضموا للجيش العربي بعد دخوله مصر [illegible].

عندما نقرأ هذا وأمثاله، في كتب التاريخ التي كتبها غير مسلمين، أو في كتب التاريخ التي كتبها أشخاص [illegible] كأسماء الأفراد للمسلمين ولكن روح كتابتهم فيه شيء من روح كتابة غير المسلمين... فنحن عندئذ لا نقرأ عن [illegible] أعراب أو عرب [illegible] من الربح [illegible] نقرأ عن عرب وبدو وأعراب من القبائل الكثيرة التي أشرنا إلى بعضها ولم نذكرها كلها... عاشوا في مصر، واستوطنوها، وأصبحوا من أهلها عبر القرون، لا بمجرد مر السنين، واختاروا البادية حول مدنها؛ لأنهم [illegible] [illegible]. [illegible] باخواهر والأراضي المزروعة.. وهذه هي بداوتهم، اختيارية لا فطرية ولا جبلية. ومنهم وضعوا [illegible] لا من كونهم من (الأعراب) المذكورين في القرآن الكريم. على أن الأعراب أنفسهم إنما كان منهم من يصدق فيه قول الله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة ٩٨)

فإن منهم من يطلق قول ربنا في الآية التي بعدها مباشرة

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة ٩٩)

ومنهم من يدخل في قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة ١٠٢-١٠٣)

يتبع

([illegible]) [illegible] كل منهما تقلتها حلوى

(٤٠) العميري، السابق، ١٣٥ - ١٣٦ [illegible]

(٤١) [illegible]

(٤٢) أحمد كمال باشا (أحمد بك) بن حسن بن أحمد ١٢٦٧ - ١٣٤١ هـ = ١٨٥١ - ١٩٢٣م، أثري من مواليد مصر ولد ونشأ وتوفي [illegible] والهيروغليفية ويعرف قبلها من القبطية والحبشية [illegible] الأعلام للزركلي (خير الدين) ج١ ص١٩٩ تحت اسم أحمد كمال باشا ومنها استقينا ما تقدم، ولأخ الدكتور محمد بهجت قبيسي دراسة موجزة عنه قدمها إلى مكتبة الإسكندرية مرقومة على الحاسوب وأعدادها [illegible] وله ترجمة حسنة أيضاً في علي حشيم: لهجة مصر العربية، مجمع اللغة العربية [illegible]، ومركز الحضارة العربية، القاهرة، ط الرابعة ٢٠١٠، ص٢٦ وما يليها، ومن هذا الكتاب (الجزء الثاني) دراسة موسعة عن الصلة بين اللغتين العربية والمصرية القديمة راجع ص١٤٩ - ١٩٣

([illegible]) [illegible]

([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible]

([illegible]) [illegible] (٤٧) المرجع السابق، ص٦٨

(٤٨) السابق ص٧٢ ([illegible]) [illegible]

([illegible]) [illegible]

([illegible]) [illegible] تحقيق تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع ج١ ص[illegible]

([illegible]) [illegible] ([illegible]) المرجع نفسه ص[illegible]

صاحب المنار والبعث الإسلامي



رشيد رضا

للأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

٢

- ٥ -

يقول محمد رشيد رضا عن إنشاء المنار:

«إنني لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أتأملها ولا رتبة من أمير أو سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي بها الأقران، بل لفرض من الفروض، يرجى النفع من إقامته، وتأثم الأمة كلها بتركه. فلم أكن أبالي بشيء إلا قول الحق والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكنت إذا أصبت هذا بحسن عملي واجتهادي؛ فسيّان رضي الناس أم سخطوا، قبلوا المنار أم رفضوا» (السابق أيضا :ص٣٣).

وكان رشيد رضا قد قال عن نفسه من قبل موضحا طبيعة المنار وعمله فيها:

«منشئ المنار نشأ وشب وشاب على الزهد في الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب إلى التقصير في الكسب، لكن قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «كل ميسر لما خلق له» متفق عليه. وروى مرفوعا «اعملوا» في أوله، وبهذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قوته إلى الإصلاح والتجديد الإسلامي علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا وإقناعا، حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين عبر حقبة طويلة في العالم الإسلامي كله في إصلاحهم كما قال الشيخ المراغي». «إن المسلمين لا يرجى لهم صلاح إلا بالقرآن على الوجه الذي يفسره به المنار» (نفسه ص ٢٥ وما بعدها).

لقد تحمل رشيد رضا بإصراره وزهده متاعب كثيرة في سبيل أن تستمر المنار في الصدور حوالي سبعة وثلاثين عاما، دون مساندة من دولة أو مؤسسة أو جماعة، وقد تعرض في أخريات حياته وحياة المنار إلى أعباء ثقيلة من الديون التي تراكمت للمطابع وجهات أخرى، وكان يضطر إلى التضحية ببيع بعض ممتلكاته البسيطة للوفاء بجزء من هذه الديون، ولكن الموت وضع حدا لهذه الأزمة التي تراكمت فتوقفت المنار بعد عمر طويل في ميدان الصحافة الإسلامية، وخرج من الدنيا خالي الوفاض من المال، ولكنه كان يحمل حب المسلمين وذكرا خالدا لما قام به من جهاد في سبيل الدعوة والمعرفة والبعث الإسلامي.

ويلاحظ أن رشيد رضا كان يحرر معظم مادة المنار على مدى عمرها المديد، معتمدا على معرفة غزيرة ممتدة، وزاد واسع من العلم، فهو عالم كبير موسوعي له إلمام عريض بالتراث الإسلامي والأدب العربي، محيط بعلوم القرآن، على دراية واسعة بالفقه الإسلامي والسنة النبوية، عارف بأحوال المجتمع والأدوار التي مر بها التاريخ الإسلامي، شديد الإحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه، خبير بأحوال المسلمين في الأقطار الإسلامية.

وقد أدخلت المنار أسلوب معالجة الصحفية والفكرية الحديثة وقضايا المسلمين إلى الصحافة الإسلامية. كما اعتمدت أسلوب أهل السنة والجماعة؛ وهو الطور الطبيعي للأسلوب الذي بدأه الأفغاني ومحمد عبده، وكان يسمي المعتزلة الجدد، وصولا إلى منهج أهل السنة ومفهوم القرآن الأصيل على النحو الذي سار عليه محمد رشيد رضا، حيث اتسع وتعمق في كتابات حسن البنا (أنور الجندي. مرجع سابق. ص٩).

لم تمض خمس سنوات على صدور المجلة حتى أقبل عليها الناس، وانتشرت انتشارا واسعا في العالم الإسلامي، وانتشر اسم صاحبها حتى عرف باسم رشيد رضا صاحب المنار، وعرف الناس قدره وعلمه، وصار ملجأهم فيما يعرض لهم من مشكلات، كما جاء العلماء يستزيدون من علمه، وأصبحت مجلته هي المجلة الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي، وموئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والعصر.



المراغي

يقول المستشرق هاميلتون جب في كتابه وجهة الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده عن المنار وتأثيرها:

«ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وخارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية وعلى الإندونيسي المتعزل الذي ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الإسلامي بعد عودته إلى بلاده النائية على حدود دار الإسلام: هؤلاء جميعا رأوا الإسلام على نور جديد لم يروا فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان، وحامل المثل الأعلى لكل زمان مضى، المثل الجديدة لكل زمان آت، وهو شاب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم، شديد في التسامح، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات

صفرى بعد أن عادوا إليها» (أنور الجندى، نفسه، ص٢٢).

لقد امتد التأثير إلى الحركة السلفية فى تونس والجزائر، فضلا عن الجزيرة العربية، كما نشأت مجلات وصحف على هدى من العروة الوثقى والمنار فى شتى أرجاء العالم الإسلامى بدءا من الشمال الإفريقى والجزيرة العربية إلى الهند والملايو وإندونيسيا.

وقد وصف الشيخ قاسم بن مهزع أبرز زعماء الفكر الإسلامى فى البحرين مجلة المنار بقوله: «إنها تعبر عن الأقوال الفاصلة بحق».

- ٦ -

لقد أثارت المنار كثيرا من القضايا لبعث النهضة الإسلامية وصلاحه وبيانه. كما أثيرت بعض القضايا حول صاحب المنار وكتاباته تتحكم ارتباطه بجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، ومخالفة بعض الناس لاجتهاداته أو آرائه. ومن القضايا التى ركزت عليها المنار فى معظم أعدادها «إصلاح الأمة والتربية والتعليم، والعلاقة بين العلماء والحكام وغيرها».

كان أكثر ما يؤرق رشيد رضا، وقادة الإصلاح فى زمنه، هو الفرقة التى تحكم علاقة المسلمين ببعضهم. فهى سبب الضعف والهوان الذى يعيشونه، وهى الذريعة أو الفرصة التى يتخذها خصوم الإسلام وأعداؤه للنيل من المسلمين، وحربهم واغتصاب ثرواتهم، وحرمانهم من الحرية والاستقلال.



محمد عبده

وقد ألح فى كثير من أعداد المنار على هذه الناحية مبينا ما آلت إليه أحوال المسلمين فى زمانه على يد أفرادهم وحكامهم وأعدائهم، ودعا إلى همة يقوم بها نفر من علمائهم وأصحاب العقول فيهم من أجل الوحدة والاتفاق والاعتصام بحبل الله، ويعد المنار عنصرا من عناصر الدعوة للعمل للأمة وإصلاحها. يقول فى افتتاحية السنة التاسعة من المنار:

«إن المسلمين أمسوا كالريش فى مهب الحوادث، وكالغثاء فى مجرى سيول الكوارث. لا رأى لخواصهم فيما يراد منهم، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم، وللأجانب يد فى تصرف حكامنا فى سياستنا، ويد فى تصريف أموالنا فى مصلحتهم دون مصلحتنا، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا، وتوقع فى العقول عقائد وأفكارا تنفوض بناء وحدتنا».

«إنه لم تستيقظ أمة من نومها، ولم تبعث دولة من موتها إلا بصيحة نفر من أولى الألباب. وتستعمل العقول والأسباب لتغيير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يلقيه من الحكمة فى دلالة ألسنتهم. ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة، ويعملون بالتعاون فيكونون أمة

﴿ [illegible] فى عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾

(غافر ٨٥)

«والمنار لا صحيفة أنشئت لتأييد دعوة هؤلاء للأمة والعمل لها. سواء منهم من دعا إلى الإصلاح معهم. ومن يدعو إليه معهم. ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة»..

لقد رأى رشيد رضا أن القضاء على الفرقة وأسبابها أمر ممكن من خلال تأليف كتاب يحوى ما اتفقت عليه كلمة المسلمين بكل فرقهم، فى المسائل التى تتعلق بصحة الاعتقاد وتهذيب الأخلاق وإحسان العمل، والابتعاد عن مسائل الخلاف بين الطوائف الإسلامية الكبرى كالشيعة، وترسل نسخ بعد ذلك من هذا الكتاب إلى جميع البلاد الإسلامية، وحث الناس على دراستها والاعتماد عليها. كما طالب بتأليف كتب تهدف إلى توحيد الأحكام، فيقوم العلماء بوضع هذه الكتب على الأسس المتفق عليها فى جميع المذاهب الإسلامية وتتفق مع مطالب العصر، ثم تعرض على سائر علماء المسلمين للاتفاق عليها والتعاون فى نشرها وتطبيق أحكامها.

وفى مجال التربية والتعليم كان الشيخ رشيد رضا من أتباع أستاذه محمد عبده، حيث كان يرى أن بناء الأمة يقوم أو يرتكز بالدرجة الأولى على التربية والتعليم لأن سعادة الأمم بأعمالها، وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها.

وفى هذا السياق طرح «رشيد رضا» ما ينبغى على الأمة أن تتبناه من علوم لإصلاح شئون الناس، ودفعهم إلى مسايرة ركب العلم والعرفان، مثل: علوم أصول الدين، وفقه الحلال والحرام والعبادات، والتاريخ، والجغرافيا، والاجتماع، والاقتصاد، والتدبير المنزلى، وحفظ الصحة، ولغة البلاد، والخط.

وقد طبق محمد رشيد رضا فكرته النظرية عن التعليم بإنشاء مدرسة تربوية تعليمية يتحقق من خلالها ما دعا إليه وطالب به، ولقد أنشأ مدرسة دار الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة المدربين لنشر الدين الإسلامى، وجاء فى مشروع تأسيس المدرسة أنها تختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من الأقطار الإسلامية. ويفضل من كان فى حاجة شديدة إلى العلم كأهل جاوة (إندونيسيا) والصين (يقصد مسلمى الصين فى تركستان)، وأن المدرسة متكفلة لطلابها جميع ما يحتاجون إليه من مسكن وغذاء (على طريقة الأزهر). وأنها معتنية بتدريس طلابها على التمسك بآداب الإسلام وأخلاقه وعباداته، كما تعنى بتعليم التفسير والفقه والحديث، فلا خير فى علم لا يصحبه خلق وسلوك رفيع، وأن المدرسة لا تشتغل بالسياسة. وسيرسل الدعاة المتخرجون إلى أشد البلاد حاجة إلى الدعوة الإسلامية. وقد افتتحت المدرسة فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى سنة (١٣٣٠هـ-١٩١٢م) فى مقرها بجزيرة الروضة بالقاهرة، وبدأت الدراسة فى اليوم التالى

للاحتفال، وكانت المدرسة تقبل في عداد طلبتها شبانا مسلمين ممن تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والخامسة والعشرين، على أن يكونوا قد حصلوا قدرا من التعليم يمكنهم من مواصلة الدراسة.

غير أن المدرسة كانت في حاجة إلى إمدادات كبيرة ودعم قوي. وحاول رشيد رضا أن يستعين بالدولة العثمانية في إقامة مشروعه واستمراره لكنه لم يفلح، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتقضي على هذا المشروع، فتعطلت الدراسة في المدرسة، ولم تفتح أبوابها مرة أخرى.

أما علاقة الحكام بالعلماء فقد كان يراها محمد رشيد رضا أساس الإصلاح العام، فقد كتب مئات المقالات والدراسات لإعداد الوسائل كي تنهض الأمة وتقوى. وحض العلماء والحكام على توحيدها، لأنهم بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الإنسان، وأن في صلاح حالهم صلاح حال الأمة. يقول: «إذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد وأشباهها من الرذائل فاشية في أمة، فاحكم على أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والعكس بالعكس».

وكان رشيد رضا يحدد طبيعة العالم الحقيقي الذي يعلق عليه أملا في الإصلاح وأداء الواجب الإسلامي في بناء الأمة. فيقول:

«لا أعني بالعلماء من قرأ حواشي الصبان على الأشموني، ومطولات الفقه بحيث يقدر على التنكيت في قوله... وإنما أعني بالعلماء من كل من له وقوف على سر الدين وحكم التشريع وانطباق أحكام الإسلام على مصالح البشر وتأثيرها في سعادتهم في الدارين، وحكمه في وضع الأشياء في مواضعها ومخاطبة الناس على قدر عقولهم وإعطائهم ما تمس إليه حاجتهم، وإنما تجتمع هذه الصفات لمن يجمع بين العلم بأخلاق الدين وعقائده وآدابه والعلم بأحوال الناس وشئونهم ومرامي أفكارهم وكيفية معاملاتهم».

كما أتبع رشيد رضا هذا التحليل بإلقاء تبعة إيقاظ الإيمان في قلوب الناس على العلماء، عظمت أو مسئوليتهم خفيفة. ورسم لهم منهجا عمليا محدد الأهداف كي يقوموا بالإصلاح في ميدان البدع والمفاسد، ورأى أن الطريقة المثلى لإبطال المنكرات والبدع إنما هي الوعظ والتعليم، وذلك على ضروب ثلاثة: هي الخطابة، وقراءة علم الأخلاق والآداب، وسلوك طريق التربية عملا وتحقيقا، ويرى أن هذه الأمور الثلاثة لو أعطيت حقها من العناية لنهضت الأمة نهضة الأسود. (انظر: إبراهيم أحمد العدوي، مرجع سابق ١٧٠ - ١٧١).

- ٧ -

ومن القضايا التي أثيرت حول محمد رشيد رضا علاقته بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده لارتباطهما بحركة الماسونية التي دخلت مصر مع الاستعمار الغربي الحديث. وهذه القضية سببت التباسا لدى كثير من الناس، لأنهم ينظرون إليها بمنظار معاصر عرف طبيعة هذه الحركة بعد اكتشاف مقاصدها وأهدافها وارتباطها بالصهيونية ومراميها.

ومن المؤكد أن الارتباط بالصهيونية أو الاستعمار بصفة عامة كان هدفا غائبا عمن انتسبوا إليها في القرن التاسع عشر، لأنها قدمت نفسها بوصفها حركة اجتماعية تدعو إلى الحرية والإخاء والمساواة، وهي أهداف عامة لا يرفضها أحد، فضلا عن كونها شعار الثورة الفرنسية، وكان انضمام جمال الدين الأفغاني إليها بسبب هذا الشعار الذي يدعو إلى الحرية، لأنه كان حريصا على تحرير مصر والبلاد الإسلامية جميعا من قبضة الاستعمار والاستبداد.

في ٢٠ مارس ١٩٠٣ روى المستشرق الإنجليزي ويلفريد بلنت أن الشيخ محمد عبده قال له:

«حدثت محاولة لإدخال الماسونية مصر في أواخر أيام إسماعيل باشا. وكانت جميع محافلها مرتبطة بالمحافل الأوربية، وقد انضم الشيخ جمال الدين إلى إحداها. ولكن سرعان ما اكتشف عدم جدواها فانسحب منها. وكان إسماعيل يشجعها حين بدأت نشاطها كي تحدد أهدافها. ولكن الماسونية لم تكن لها قوة في مصر على الإطلاق».

ويبدو أن بلنت لم يحاول تقصي تاريخ الماسونية في مصر. ولا كان محمد عبده يهمه أن يؤرخ لها. فقد دخلت الماسونية مصر في عهد إسماعيل، وحاولت المحافل الأجنبية ذات الأغلبية الأوروبية- أن تشتغل بالسياسة وتكيد، وانقسمت في أواخر عهد إسماعيل بحيث كان قسم منها يؤيده أو يؤيد خلافة ابنه توفيق له، وقسم آخر يؤيد ولاية الأمير حليم باشا. ولكن



الأفغاني

الماسونية لم تكن لها في مصر - حتى ذلك الوقت - قوة ولا نفوذ فأمر نسبي في الحقيقة يمكن أن ينطبق على الأقلية المصرية في المحافل، ولكنه لا ينطبق على الأغلبية الأوروبية فيها. فقد كانت هذه الأغلبية تعمل - بطبيعة تركيبها وانتماءاتها - لحساب المصالح الأوروبية وقناصل أوروبا، على الرغم من شعار عدم التدخل في الدين أو السياسة لدى ترفعه الماسونية دائما. (علي شلش، الماسونية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٥٥).

لقد أشار الأفغاني بعد سنوات عديدة إلى سر خلافه مع الماسونية في خلال تلك المرحلة بوجه عام، حين صرح لتلميذه محمد المخزومي في الآستانة بأنه «اكتشف أن الجبن يمكن أن يدخل بين اسطوانتي المحافل الماسونية». وأن شعارات الماسونية استدرجته وجعلته ينضوي تحتها، فإذا به يجدها مفعمة بالأنانية وحب الرياسة والأعمال التي تقودها الأهواء، وحذر في الوقت نفسه من أن الماسونية ستختنق في المهد، إن لم تصلح حالها وتعود إلى أصولها الصحيحة التي شوقته للعمل تحت لوائها، مثل الحرية

والإخاء والمساواة والسعي وراء ذلك صروح الظلم وتشييد معالم العدل المطلق على حد تعبيره» (على شلش، مرجع سابق، ص ٥١)

وهذا يعنى أن الماسونية فى تصوره وتصور معاصريه لم تكن إلا جماعة تهدف إلى الخدمة العامة، ولكن الأفغانى اكتشف سلبياتها ورصد عيوبها، وكان يأمل أن يصلح حالها ليستفيد منها الناس، واتضح أنه انخدع فيها مثلما انخدع فيها معظم رجالات النخبة العليا فى المجتمع آنذاك، فقد ضمت كثيرا من مشاهير أبرزهم.

الخديو توفيق- شاهين مكاريوس صاحب جريدة اللطائف- حسين فخرى باشا وزير الحقانية (العدل)- حفنى ناصف- إدريس راغب بك- الأمير محمد على توفيق- الشاعر ولى الدين يكن- إبراهيم اليازجى- الشاعر خليل مطران- الشاعر إسماعيل صبرى- أحمد فتحى زغلول المحامى وشقيقه الزعيم سعد زغلول- عدلى يكن السياسى- عبد الخالق ثروت السياسى- الشاعر محمود رمزى نظيم- الشاعر أحمد زكى أبو شادى- ومن الأمراء والنبلاء: عمر سعيد حليم، وسعيد محمد على حليم وسعيد داود، ومن السياسيين: على شعراوى ومحمد حافظ رمضان وفؤاد أباظة، ومن علماء الأزهر الشيخ حسن مأمون. ومن العسكريين اللواءان على شوقى ومحمد فهمى المتينى وغيرهم (انظر: على شلش، مرجع سابق، ص ٥٧- ٦٠)

ولا أظن أن ذلك يدفعنا إلى اتخاذ موقف حاد من هؤلاء الذين تصوروا أنهم يحسنون صنعا بانضمامهم إلى الماسونية ذات الشعارات البراقة فى عصرهم. وقد رأينا جمال الدين ومحمد عبده يتجاوزان مرحلتها، ويبتعدان عنها. مثلما ابتعد عنها محمد رشيد من البداية ولم ينضم إليها.

هناك بعض الانتقادات توجه إلى تفسير المنار ومواقف محمد رشيد رضا من بعض الأحاديث. ولا أحسب أن هذه الانتقادات تسوغ أن نرفض هذا التفسير أو عمل الرجل فى مجال الحديث، ونهدر جهده العلمى الذى استغرق منه عمرا بأكمله ومشقة عظيمة صبر على بذلها وأدائها مضحيا بالوقت والمال. إن الحق سبحانه يحاسب على مثقال الذرة خيرا أو شرا. فكيف لا يرى بعضهم غير السلبيات- إن صحت ويبنى عليها رفضا كاملا لتراث ضخم، وحكما قاسيا بالرفض للرجل وعلمه.

إن أصحاب بعض الآفاق المحدودة يرفضون ويحكمون من خلال نظرات جزئية ضيقة لا تستقيم مع الأحكام العلمية، ولا المنهج الذى يقول بأن كل المسلمين يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام. ويجب أن نتجاوز ذلك إلى الرؤية الناضجة التى ترى الموضوع من كل جوانبه، وتوازن بين الإيجابيات والسلبيات. وتضع كلا فى مكانه وموقعه الملائم.

- ٨ -

تميز رشيد رضا بأخلاق رفيعة. فهو لا يعرف الحقد، ولا يعرف الحقد طريقا إلى قلبه، وقد خاض معارك عديدة وضارية مع خصومه والمتحاملين عليه. ولكنه لم يحمل ضغينة لأحدهم، وكان لا يمضى وقت قصير حتى ينسى ما وجه إليه ويذكر حسنات من هاجموه.

وقد شبه شكيب أرسلان أخلاق رشيد رضا بأخلاق صلاح الدين الأيوبى الذى أوصاه أبوه بمجموعة من الوصايا منها: «ولا تحقد على أحد فإن الموت لا يبقى على أحد».

كما أجمع المعاصرون لرشيد رضا أنه كان أصدق الناس لهجة وأبعدهم عن التكلف والتدليس. وقد تأصل هذا الخلق فيه بسبب دراسته للحديث الشريف. وما يتطلبه ذلك من حيطة فى رواية الحديث وضبط الكلمة بل الحرف.

لذا اشتهر رشيد بكراهية الغيبة والنميمة، واحترامه لحقوق الصداقة والإخوان.

وذكر شكيب أرسلان بقدرة رشيد رضا على نسيان العداوة، وحرصه على إعادة المودة مع كبار معاصريه من المناوئين له، كما جرى مع الشيخ عبد العزيز جاويش.

وكان مع وداعته وقورا، وفى تواضعه كبيرا، وكانت رقته فى مواطن الحنان تدل على بلوغ الإنسانية فيه مثلها الأعلى، وأنه قلما اجتمع العلم والخلق اجتماعهما فى الشيخ، وقلما جرى العقل والقلب فى شوط واحد كما جريا فى هذه الفطرة الشريفة.



شكيب أرسلان

وبذلك نال رشيد رضا إجلال معاصريه واحترامهم. كبيرهم وصغيرهم. عالمهم وطالبهم، فكان أخص أصدقائه، حتى المقاربين معه فى السن يبادرون إلى تقبيل يده لعلمه وفضله، واعترافا منهم بمكانته. وكان بعض من يقبل يده يجيب عن سبب ذلك كما يروى شكيب أرسلان، بأنه يقبل يد العلم قبل اليد التى طالما صالت عن الإسلام. وتركت قسما من نوادر الأقلام التى كشفت الكرب عن وجوه المسلمين. (إبراهيم أحمد العدوى، مرجع سابق، ص ٢٧١- ٢٧٤).

واخيــــرا

كانت الخاتمة الطبيعية لكل كائن حى، حيث جاءت لحظة الرحيل، فذهب الشيخ إلى السويس لتوديع أحد الأمراء السعوديين من أصدقائه، وعاد فى السيارة نفسها. وكان واضحا أنه أجهد نفسه وسهر كثيرا، فلم يتحمل جسده الضعيف مشقة الطريق، وكان طول الطريق يتلو القرآن كعادته. ثم فاضت روحه من ارتجاج السيارة، وطلب من رفقته أن يستريح داخل السيارة. ولكن روحه الطاهرة فارقته. ووافق ذلك يوم الخميس الموافق (الثالث والعشرين من جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ الثانى والعشرين من أغسطس ١٩٣٥م) وذهب إلى ربه راضيا مرضيا، رحمه الله تعالى



مصطفى كامل باشا (*)

لأمير الشعراء / أحمد شوقي

المشرقان عليك ينتحبان ... قاصيهما في مأتم والداني

يا خادم الإسلام أجر مجاهد ... في الله من خلد ومن رضوان

لما نعيت إلى الحجاز مشى الأسى ... في الزائرين وروّع الحرمان (١)

السكة الكبرى حيال رباهما ... منكوسة الأعلام والقضبان (٢)

لم تألها عند الشدائد خدمة ... في الله والمختار والسلطان

يا ليت مكة والمدينة فازتا ... في المحفلين بصوتك الرنان

ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا ... ما غاب من قس ومن سحبان (٣)

جار التراب وأنت أكرم راحل ... ماذا لقيت من الوجود الفاني

أبكي صباك ولا أعاتب من جنى ... هذا عليه كرامة للجاني

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني، وقد توفي سنة ١٩٠٨م

١- [illegible]

٢- السكة الكبرى: يريد سكة حديد الحجاز، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المتحمسين في سبيل إنشائها

٣- قس وسحبان: خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة

يتساءلون أبالسلال قضيت أم ... بالقلب أم هل مت بالسرطان

الله يشهد أن موتك بالحجا ... والجد والإقدام والعرفان

إن كان للأخلاق ركن قائم ... في هذه الدنيا فأنت الباني

بالله فتش عن فؤادك في الثرى ... هل فيه آمال وفيه أماني؟

وجدانك الحي المقيم على المدى ... ولرب حي ميت الوجدان

الناس جار في الحياة لغاية ... ومضلل يجري بغير عنان

والخلد في الدنيا وليس بهين ... عليا المراتب لم تتح لجبان

فلو أن رسل الله قد جبنوا لما ... ماتوا على دين من الأديان

المجد والشرف الرفيع صحيفة ... جعلت لها الأخلاق كالعنوان

وأحب من طول الحياة بذلة ... قصر يريك تقاصر الأقران

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني

للمرء في الدنيا وجم شئونها ... ما شاء من ربح ومن خسران

فهي الفضاء لراغب متطلع ... وهي المضيق لمؤثر السلوان

الناس غاد في الشقاء ورائح ... يشقى له الرحماء وهو الهاني

ومنعم لم يلق إلا لذة ... في طيها شجن من الأشجان

فاصبر على نعمى الحياة وبؤسها ... نعمى الحياة وبؤسها سيان (١)

يا طاهر الغدوات والروحات والـ ... خطرات والإسرار والإعلان

هل قام قبلك في المدائن فاتح ... غاز بغير مهند وسنان

١- سيان: مثلان، الواحد سي

يدعو إلى العلم الشريف وعنده ... أن العلوم دعائم العمران[*]

لفؤاد في علم البلاد مكنا ... جزع الهلال على فتى الفتيان

ما احمر من خجل ولا من ريبة ... لكنما يبكي بدمع قاني[*]

يرجون بعثت في السماء وفي الثرى ... فكأنما في نعشك القمران

وكأنه نعش الحسين بكربلا ... يختال بين بكا وبين حنان

في ذمة الله الكريم وبره ... ما ضم من عرف ومن إحسان

ومشى جلال الموت وهو حقيقة ... وجلالك المصدوق يلتقيان

شقت لمنظرك الجيوب عقائل ... وبكتك بالدمع الهتون غواني[6]

والخلق حولك خاشعون كعهدهم ... إذ ينصتون لخطبة وبيان

يتساءلون بأي قلب ترتقي ... بعد المنابر أم بأي لسان؟

لو أن أوطانا تصور هيكلا ... دفنوك بين جوانح الأوطان

أو كان يحمل في الجوارح ميت ... حملوك في الأسماع والأجفان

أو صيغ من غر الفضائل والعلا ... كفن لبست أحاسن الأكفان

ولقد نظرتك والردى بك محدق ... والداء ملء معالم الجثمان

يبغي ويطغى والطبيب مضلل ... قنط وساعات الرحيل دواني

ونواظر العواد عنك أمالها ... دمع تعالج كتمه وتعاني

تملي وتكتب والمشاغل جمة ... ويداك في القرطاس ترتجفان

فهششت لي حتى كأنك عائدي ... وأنا الذي هد السقام كياني

ورأيت كيف تموت آساد الشرى ... وعرفت كيف مصارع الشجعان[7]

ووجدت في ذاك الخيال عزائما ... ما للمنون بدكهن يدان

وجعلت تسألني الرثاء فهاكه ... من أدمعي وسرائري وجناني

لولا مغالبة الشجون لخاطري ... لنظمت فيك يتيمة الأزمان

وأنا الذي أرثي الشموس إذا هوت ... فتعود سيرتها إلى الدوران

قد كنت تهتف في الورى بقصائدي ... وتجل فوق النيرات مكاني

ماذا دهاني يوم بنت فعقني ... فيك القريض وخانني إمكاني؟

هون عليك فلا شمات بميت ... إن المنية غاية الإنسان

من للحسود بميتة بلغتها ... عزت على كسرى أنوشروان؟

عوفيت من حرب الحياة وحربها ... فهل استرحت أم استراح الشاني؟[8]

يا صب مصر ويا شهيد غرامها ... هذا ثرى مصر فنم بأمان

اخلع على مصر شبابك عاليا ... والبس شباب الحور والولدان

فلعل مصرا من شبابك ترتدي ... مجدا تتيه به على البلدان

فلو أن بالهرمين من عزماته ... بعض المضاء تحرك الهرمان

علمت شبان المدائن والقرى ... كيف الحياة تكون في الشبان

مصر الأسيفة ريفها وصعيدها ... قبر أبر على عظامك حاني

أقسمت أنك في التراب طهارة ... ملك يهاب سؤاله الملكان

❖❖❖

[illegible]: القصر

[illegible] جمع عقيلة [illegible] جمع غانية [illegible]

7- آساد: جمع أسد، والشرى: طريق في جبل سلمى كثيرة الأسد

8- حربة (كطلبة): سلبه ماله، والشاني: المبغض

حول ميزان القوى

للمفكر الإسلامي والباحث الاستراتيجي
الأستاذ/ منير شفيق

يبدو أن ثمة عنصراً أساسياً يفرض نفسه في تحديد أسلوب العمل التغييري عند انسداد الأبواب وتفاقم الظلم والقهر وكبت الأنفاس هو ضرورة إدراك مدى تفوق ميزان القوى وظروف الصراع محلياً وإقليمياً ودولياً، فإذا كان صاحب الأمر يحتقر كل نصح أو معارضة ويضيق بالمشورة، ولا يريد إشراك الجماعة بالأمر فهذا لا يعني أن ينحصر الخيار في كل الحالات في مواجهة ذلك بأسلوب العنف أو الثورة تحت حجة أنه فرض ذلك فرضاً، لأن طبيعة ميزان القوى السائد، والظروف القائمة قد يؤديان إلى فشل ذريع لأسلوب العنف، ومن ثم يكون الحاكم محرضاً أو مستفزاً لخصومه ومستدرجاً لهم إلى اتباع أسلوب العنف حتى يتخذ من ذلك ذريعة لتصفيتهم، ولهذا لا يجوز أن يكون رد الفعل عنيفاً لمجرد أن الحاكم فرض ذلك، لأن قرار اللجوء إلى العنف يحتاج إلى توفر شروط حتى تتحقق شرعيته وتتضمن نجاحه. فشرط الشرعية ضروري مثلاً. لكن شرط النجاح أشد ضرورة. لأن اللجوء إلى العنف فالفشل يعود بالكوارث ويزيد من تدهور الأوضاع. ولهذا حرص علماء الأمة. وبعد تجارب تاريخية مريرة، على التعامل وهذا الموضوع تعاملاً حذراً جداً. وغلب عليهم تجنب التسرع في الخروج، وتطرفوا وصولاً إلى حد إباحته. وكانت الإباحة إما في ظروف حتمت ضرورة مواجهة غزو خارجي، ومنع التفريط والإهمال في ذلك، وإما في حالات انسداد كل الممكنات الأخرى مع توفر شروط النجاح. وقد راحت الحركة الشعبية العفوية تملأ الشوارع تلح باتخاذ موقف.

ومن هنا يمكن القول إن طبيعة الهدف المحدد تؤثر في نوع أسلوب العمل التغييري، أو أشكال الجهاد ولكن، ذلك لا يعني أن يقود حتماً إلى أسلوب بعينه أو إلى لون معين من أشكال المواجهة دون غيره. ولهذا إذا صح القول إن طبيعة سياسات السلطات الحاكمة تؤثر في الأسلوب المقابل إلا أنها يجب ألا تكون المؤثر الحاسم فيه، فإذا كانت ذات تأثير، لا محالة، إلا أن ذلك التأثير يجب أن يخضع لحسابات ميزان القوى ودراسة حال السلطة وحال الناس، والظروف الخاصة والعامة، واتجاهات تطورها. وهذه الأخيرة مجتمعة يجب أن تكون أكثر حسماً في تحديد أساليب التغيير للوصول إلى الهدف.

على أن لكل أسلوب مراحله وإجراءاته المحددة في تجسده على الأرض، وبهذا تتحدد سمات كل مرحلة كما يتحدد نوع الشعارات وأشكال التعبئة والتحريض والمواجهات الجزئية. ونوع التنظيم والعلاقات بالناس فيرشد العمل بوعي مسبق. دون إغفال لتعميق هذا الوعي مع امتلاك التجربة واستقاء العبر، كما لا يسمح بأن يخلط بين أسلوب وآخر، خلطاً متعسفاً. فيصبح العمل التغييري مختبراً يجرب فيه على البشر. فإن لم ينفع يجرب أسلوب آخر. وكأن شيئاً لم يكن فهذا أمر يحتاج إلى أعلى درجات الأمانة والحرص لأنه «تجربة» بأرواح الناس مما يتطلب العقل الراشد والحس المرهف للأوضاع، والجهد المضني في اكتشاف نظرية العمل لاختيار الأسلوب الأنسب. وإلا فإن الارتجال والعجالة والبساطية تقود إلى كوارث في عملية التغيير، وذلك نتيجة جهلنا للسنن، أو قلة حرصنا على حياة الناس، أو عدم إدراكنا خطورة العمل في مجال التغيير، ولا سيما حين يتعلق الأمر بالأساليب العنيفة وذلك أنها حين لا تكون في مكانها تهدر الدماء وتزهق الأرواح سدى، وتضيع الفرص السانحة وتنتكس الأوضاع أكثر، أما الأمر فيما يتعلق بالأساليب غير العنيفة فلا يقل خطورة من حيث الجوهر، وإن لم يتسبب بهدر الدماء وإزهاق أرواح إنسانية. ذلك أنه يتسبب بإضاعة فرص ثمينة للتغيير. مما يعني استمرار ذل الأمة لعشرات السنين القادمة وهذا فيه من الكوارث الكثير الكثير كذلك. فتلك كارثة بالقتل الفردي السريع وهنا كارثة بالقتل الجماعي البطيء.

لعل من آفات اختيار أسلوب التغيير بهذا الشكل أو ذاك تتركز في الفهم الجزئي البسيطي لآية من الآيات أو تجربة من التجارب. أو تدخل الهوى إن خوفاً، وحماية مصالح معينة. وإن حقداً للتغيير واندفاعاً وراء نزوات مغامرة مثالية. فعملية التغيير تحتاج إلى الكثير الكثير من المعرفة والدراية في القرآن والسنة وفي سنن الله وتجارب التغيير كما تحتاج إلى امتلاك حس حاذق لاكتشاف ما يجب عمله وكيف يعمل ومتى يعمل!.

شرعية الأشكال التغييرية واختيارها

وهذا ما يوصل إلى مقولة حاسمة في هذا الصدد وهي أن ثمة خيارات عدة من بين وسائل العمل التغييري لتحقيق هدف معين سواء أكان شاملاً أم محدداً. أما المقولة الحاسمة الثانية فهي أن تلك الخيارات في أساليب العمل التغييري تكاد تكون متساوية من حيث شرعيتها وجواز استخدامها ما عدا حالات استثنائية تخالف الشرع ولا يقبل بها الإسلام، فأساليب العمل التغييري يمكن أن تكون عنيفة وغير عنيفة ويمكن أن تكون باللسان والقلم والنصح ويمكن أن تكون بتحريض الناس لممارسة الضغوط أو تكون بالتظاهر والإضراب والعصيان السلمي وغير السلمي، فليس هنالك أسلوب يمكن أن يقال عنه مرفوض من حيث المبدأ أصلاً، ويمكن إدانته بحد ذاته من حيث أتى.

فالحاكم، على سبيل المثال، إن كان ممن يشاور ويقبل بالإصلاح يمكنه أن يسن القوانين الزاجرة عن فعل منكر، أو من أجل فرض نفع عام أو القيام بإصلاح. ويمكنه أن يحصر ذلك بالإقناع ويترك الأمر لقناعة الناس، وهذا ما يشجع أهل الرأي

والمشورة على أن يعارضوا بالنصح والإرشاد والإقناع دون اللجوء إلى تحريك الناس أو ممارسة الضغوط الأشد. أما إذا لم يترك مجالا إلا بإيصال الوضع حتى الانفجار بسبب إرهاق الناس بالظلم والتضييق على الأرزاق وانتشار الفساد والفضائح، أو بسبب تفريطه في حرمة أرض الوطن وسيادته وحقوقه أو موالاته لأعدائه فيمكن التسامح على جنبات العنف والاستنفار والعصيان وغير ذلك. وهو ما أجازه الشرع في كثير من الحالات ومارسه العلماء.

وبكل ذلك كانت مختلف خيارات أساليب التغيير مشروعة ومبررة من حيث المبدأ إلا ما تعارض مع النص أو أنكره الشرع بإجماع، فإن اختيار هذا الأسلوب أو ذاك يجب أن يخضع لحساب عسير لأن القول بجواز استخدام أسلوب من الأساليب لا يعني جواز استخدامه في كل مكان وزمان وظرف.

أما من جهة أخرى فلا يجوز حصر الخيار بالنصح والإقناع وعدم اللجوء إلى العنف في كل الظروف والأمكنة والأوضاع فقد تنشأ هنا حالات تعذر والانحراف. وتقع البلاد في الفتنة والفوضى حتى يتولى أمر التغيير غير أهله. وهو ما يفرض على المؤهلين له أن يتولوه ويحسنوا قيادته، في وقت كان من الممكن أن يكون الأصلح في ظل ميزان قوى وظروف خاصة وعامة مناسبين وهنا يجب أن يحضر مثال العز بن عبدالسلام بقوة.

وبهذا نصل إلى المقولة الثالثة والخامسة وهي أن العمل التغييري لا يستطيع أن يحصر نفسه بأسلوب للعمل بعينه ويجعله صالحا لكل زمان ومكان وظرف لأنه قد يخفق في حين يفشل في تحقيق الهدف. وربما أسهم في زيادة سوء الأوضاع بسبب ما يمكن أن يترتب من تداعيات على صراع لم يحسن بالأسلوب الناجح. ولم يقد قيادة دقيقة صحيحة:

الإمساك بالجوهر لا الأشكال

إن مسرح التغيير الإسلامي في شبه الجزيرة العربية اختلف جوهريا عن مسرح التغيير في تجارب من سبق من الأنبياء عليهم السلام. وهذا ما جعل خاتم الرسل والنبيين عليهم الصلاة والسلام من جهة أساليب التغيير بل من جهة كل الجوانب التي تمس إشكاليات التغيير، يقدم تجربة ذات غنى غير محدود وقد احتوت داخلها على أهم القوانين التي لها علاقة بهذه الإشكاليات، ولعل من أهمها وفي مقدمتها أنها تعلمنا كيف نتعاطى وما يحيطنا من ظروف ومعادلات وموازين قوى تعاطيا سليما ومبدعا فنكتشف الأسلوب الأنسب والأكثر ملاءمة ونحن نمسك الكتاب بقوة.

على أن الإمساك بهذا المنهج والجوهر يحمل معه نماذج حية وتفصيلية لتطبيقات عملية شديدة الغنى وهذا ما يجعل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة في كل مجال لا من ناحية بناء المسلم النموذج فحسب ولا من ناحية العبادة والمسلك والأخلاق والمبادئ فحسب ولا فيما حملته من أوامر ونواه فحسب وإنما أيضا من حيث تعليمنا كيف نتعاطى تنوع الحياة والظروف والمتغيرات تعاطيا مبدعا يراعي سنن الله في كل مجال من المجالات في الصحة والزراعة والصناعة أو في العلوم والتكنولوجيا أو في الحرب والسياسة والاجتماع، أو في أساليب التغيير. ونحن نمسك بثوابت الدين ونجعل عملنا خالصا في سبيل الله. والأهم أنها تعلمنا كيف نأخذ بالأسباب ونراعي سنن التغيير بينما نتوكل على الله ونرجو نصرته بالغيب والكرامات.

في مواجهة الدول الكبرى

يمكن أن نلاحظ أن قرار الرسول صلى الله عليه وسلم حين أرسل إلى امبراطور الروم أو شاه فارس أو غيرهما من الملوك يعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو السيف، ما فعل ذلك إلا مع توفر ظروف وإمكانات ومعطيات متوفرة، أو آلية بعد حين، تسمح بأن يوضع كل أولئك تحت هذه الخيارات لا محالة. بل إن تجييش حملة مؤتة كان استطلاعا حيا من جهة، لكن كان من جهة أخرى، بداية لأسلوب عالمي في التغيير وبداية استراتيجية بيد أن هذه الاستراتيجية كانت أيضا تقوم على معطيات، فمن جهة أصبحت الجزيرة العربية كلها أو هي في طريقها كلها، لتصبح تحت قيادة الدولة الإسلامية. ومن ثم أصبح من الممكن تعبئتها في تجييش الحملات والغزوات على مستوى تحدي جيوش الدول الكبرى. وكانت الدولتان الكبريان، وهذا ما أثبتته الوقائع فيما بعد، ينخرهما السوس، وتصلبت شرايينهما من الشيخوخة، وانحطت قواهما الداخلية، وأخذتا تسرعان الخطى في طريق الانهيار. فمن هنا، كان التحدي يقوم على أساس من معطيات ملموسة. أي كان الأسلوب نابعا من شروط محددة اتسم بها الخصم كما اتسم بها حال الذات وهذا ما جعل استراتيجية الفتح على الأجندة فور فتح مكة. ولا غرو ولهذا رأينا جنود الروم في معركة اليرموك يربطون بالسلاسل خوفا من الهرب إذا تمت المعركة. ورأينا جند الفرس يحتمون وراء الأفيال وما أن رأوها تضطرب حتى راحوا يولون الأدبار. ويكفي أن نلاحظ أن هذا وضع مختلف تماما عن وضع تلك الجيوش عندما انطلقت لتفتح الأمصار وتبني الامبراطورية، ففي ذلك الوقت، على سبيل المثال في مرحلة يوليوس قيصر كان الجيش الروماني مندفعا إلى القتال مقتحما لا يخشى الموت، وكان يحارب حيث تفوقه عدة وعددا.

ولهذا جاء أسلوب مواجهة وحرب هاتين الدولتين العظميين في ذلك الوقت محسوبا جيدا، وهذا ما أثبتته الوقائع والانتصارات، ومن ثم إن تكرار هذا المسار في عصرنا الراهن وضمن معطياته وموازين قواه ليس متاحا على تلك الصورة. فالأسلوب لابد من أن يختلف اليوم بسبب اختلاف تلك المعطيات. اما الجوهر فهو الذي يحتفظ به. أي حسن مطابقة ما يختار من أسلوب في التغيير والظروف والمعطيات وموازين القوى والزمان والمكان.

مرة أخرى، إن التشديد هنا على التغيير في التغيير يحميه من الانحراف. أو بصدده التشديد على الثابت في التغيير، وإذا ما تكامل هذان الحدان تمت عملية التغيير على أحسن وجه، بلا انحراف عن الهدف الكلي أو الأهداف الوسيطة أو العقيدة والمبادئ والثوابت. وبلا جمود في التطبيق العملي حين لا يراعى التغيير لاسيما في أسلوب التغيير، لأن هذا يقود إلى النكوص والتصدع والفشل ثم يؤدي إلى الكوارث.

الإيمان بالغيب والسنن الموضوعية

ثمة ملاحظة أخرى في هذا الصدد لها علاقة بما اعتاد عليه المسلمون وهم يتناولون غزوات الفتح مثل معركة اليرموك أو أجنادين، فترى أغلب المحللين لا يقفون للحظة عند الحديث عما كان عليه جيوش الروم والفرس من حالة الخور والضعف والتآكل، وإذا ذكروا بعض مظاهر ذلك كرواية ربط جنود الروم بالسلاسل أو الفرار الجماعي من

المعارك لا يربطون ذلك بقرار المعركة من جانب المسلمين، أي لا يتناولون الموضوع بتحليل دقيق للظروف والمعطيات وموازين القوى بل إنهم يحاولون دائما أن يبرزوا أن موازين القوى كانت دائما في غير مصلحة المسلمين معتمدين بذلك على العدد والعدة، فقط وهذا من أجل أن يبرزوا عنصر الإيمان وعنصر [illegible] تثبيت المسلمين على الإيمان وتعزيزه بالنفوس.

على أن هذه [illegible] من زاوية الإقناع بأهمية الإيمان وضرورة الاعتماد على الله ونصره إلا أنها تركت آثارا سلبية حين تجاهلت المعطيات الأخرى التي جعلت النصر ممكنا في تلك المعارك. فالإيمان والغيب لا يجوز أن يوضعا ضد السنن التي وضعها الله في الحياة والمجتمع والطبيعة وصراع البشر. لأن ذلك يضرب الإيمان بالله والإيمان بالغيب كما يضر بالتعاطي الصحيح وسنن الله في الخلق والمجتمعات.

إن من مزايا الإسلام أنه يقيم التوازن بين العوامل الإيمانية والغيبية في حياة الإنسان وفي مجريات الصراع والعوامل الموضوعية بما في ذلك موازين القوى، ومن ثم [illegible] على سنن التغيير الموضوعية والذاتية العامة لا يتناقض والتشديد على دور الإيمان في تعزيز جيش المسلمين ولا يتناقض ونصر الله متى شاء جيش المسلمين بعد أن أعد العدة وحسب المعطيات من حوله حسابا جيدا واختيار الأسلوب المناسب للمعركة أو التغيير، وإلا فإننا سنعجز عن التفسير لحالات الفشل الذي مني المسلمين به وحتى المراحل الأولى، في بعض المعارك والواقع كما سنعجز عن التفسير لماذا نزلت الرسالة في ذلك الزمن وذلك المكان ومرت بكل ما حملته عملية الصراع من تعرجات، كما سنعجز عن فهم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

أو بكلمات أخرى لقد وضع رب العالمين في كونه سننا (قوانين) تضبط حركة [illegible]، وتنظم حركة الإنسان والمجتمعات والتاريخ وأقامت معادلة في موازين القوى بين العوامل الموضوعية والمادية والمعنوية، والروحية، وجاءت دعوات الأنبياء والرسل لا لتعطل تلك السنن حتى عندما اعتمد بعضها على الخوارق والمعجزات فهذه كانت لتؤكد على وجود الله وقدرته لا لتعطيل سنته ولا لتحول هي إلى سنن لا تستقيم [illegible] إلا به.

فقد نزل الوحي ليعزز الإيمان بالله ويحدد الهدف، وليسدد الطريق ويقوم الأخلاق والمسلك والقيم، ولإقامة العدل ومحاربة الشرك والطغيان، ولكن ذلك [illegible] من خلال الأنبياء والرسل عليهم السلام، بمعادلة دقيقة مع سنن الكون والحياة، وهو يعبر بعد الرسل من خلال معادلة دقيقة مع سنن الكون والحياة والمجتمعات.

بكلمة، ما جاء الوحي ليعطل السنن الموضوعية و[illegible] التي تحكم التغيير و[illegible]، ليرسدد كيف نتعامل وتلك السنن ونحن مؤمنين ممسكين الكتاب بقوة وراجين من الله أن ينصرنا ويمدنا بجند من عنده، فيكون الاختلاف عن غيرنا لا في التعامل والسنن واتخاذ الأسباب، بل علينا أن نبزهم في فهم السنن ومراعاتها واتخاذ الأسباب، وإنما في الإيمان والتزام القرآن والسنة والدعاء إلى الله ورجاء النصر من عنده. يقول الله تبارك وتعالى:

(... ١٠٤)

بنو إسرائيل في الكتاب والسنة



٥ للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

(د) تاريخهم بعد وفاة سليمان - عليه السلام - إلى خراب أورشليم الأول سنة ٥٨٦ ق. م

كانت وفاة سليمان - عليه السلام - حوالي سنة ٩٧٥ق. م [1]. وبعدها يبدأ الدور الثاني للملوك الذين حكموا بني إسرائيل إذ يبدأ الدور الأول لملوك بني إسرائيل بطالوت وانتهى بوفاة سليمان - عليه السلام - وقد أعلن «رحبعام» ابن سليمان - عليه السلام - نفسه ملكا على بني إسرائيل بعد وفاة أبيه. وبايعه على الملك سبطا يهوذا وبنيامين اللذين كانا يقيمان في المنطقة الجنوبية وحول أورشليم. ثم توجه «رحبعام» بعد ذلك إلى مدينة «شكيم» [2] ليأخذ البيعة من بقية الأسباط، فاجتمع حوله شيوخهم وطلبوا منه ترك الشدة والقسوة. ولكنه رد عليهم بغلظة، وهددهم بقوله: «إني سأؤدبكم بالعقارب» [3].

وهنا أعلن الأسباط العشرة امتناعهم عن مبايعة «رحبعام» ملكا عليهم واختاروا «يربعام» ليكون ملكا عليهم.

وهكذا انقسمت مملكة بني إسرائيل بعد وفاة سليمان إلى مملكتين.

(١) مملكة يهوذا بالجنوب وعاصمتها أورشليم وأول ملوكها هو «رحبعام» وقد تعاقب عليها من بعده عشرون ملكا، واستمرت حتى سنة ٥٨٦ ق. م حيث سقطت في هذه السنة في يد بختنصر البابلي. فتكون قد عمرت زهاء أربعة قرون، وهاك ملوكها بالترتيب. مع بيان مدة حكم كل واحد منهم

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
١٩ ـ يهوياكين بن يهوياقيم	[illegible]
٢٠ ـ صدقيا بن يوشيا	[illegible]

(١) [illegible] كانت وفاته سنة [illegible]

(٢) [illegible] هي [illegible]

(٣) الإصحاح الثاني عشر من سفر الملوك

وكان صدقيا آخر ملك من ملوك دولة يهوذا، إذ في عهده تم القضاء عليها على يد بختنصر البابلي.

(٢) مملكة إسرائيل في الشمال. وكانت عاصمتها في معظم أيامها «شكيم»، وأول ملوكها هو «يربعام»، وقد تعاقب عليها من بعده حوالي تسعة عشر ملكا. وعمرت نحو مائتين وخمسين سنة، وكانت نهايتها على يد سرجون ملك آشور سنة ٧٢١ ق. م.

وهاك ملوكها بالترتيب ومدة حكم كل واحد منهم:

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]

وكان هوشع بن أيله هو آخر ملوكها، إذ في عهده قضى عليها سرجون الثاني ملك آشور[4].

هذا، وأسفار الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الثاني سجلت كثيرا من أخبار دولتي يهوذا وإسرائيل، فقد تكلمت عن أحوالهما الداخلية والخارجية، وما ارتكبتا فيه من فتن وحروب أهلية، وانحرافات دينية وخلقية، وما تعرضتا له من ضربات خارجية.

ونحن سنجمل حديثنا عن هاتين المملكتين في أمرين:

أولهما: بيان علاقة كل واحدة منهما بالأخرى، وأحوالهما الداخلية.

ثانيهما: بيان علاقتها بغيرهما من الدول المجاورة.

أما عن الأمر الأول فنقول: ساءت العلاقات بين الدولتين منذ انقسامهما ويذكر سفر الملوك الأول، أنه كانت الحروب مستمرة بين رحبعام ويربعام وقد وصلت القطيعة بين الدولتين، أن يربعام ملك دولة إسرائيل صنع عجلين من ذهب وقال لشعبه: هذه آلهتكم التي أصعدتكم من مصر فاذبحوها، وأقيموا أعيادكم عندها، ولا تصعدوا إلى أورشليم فاستجاب له الشعب. وقد فعل هذا تماديا من عزوف صعود شعبه إلى أورشليم، وتأثير دعاية رحبعام فيهم[5].

وقد استمرت الحروب والمنازعات بين المملكتين معظم أيام قيامهما، ووصل الحال بهما إلى أن كل واحدة منهما كانت تستعين بدولة أو بدول أخرى لتقضي على أختها. فقد استنجد ملك يهوذا «آسا بن رحبعام» بملك دمشق، لكي يعاونه على قتال «بعشا بن أخيا» ملك إسرائيل. ومثل هذه التصرفات حدثت من ملوك حريين لكلتا الدولتين.

ويصف صاحب تاريخ الإسرائيليين ما كان بين الدولتين من نزاع وحروب فيقول: «وحدث بين المملكتين حروب ومنازعات كثيرة، أثارها ما بين ملوكها من التنافس، وعدم اتحاد السلطة في كيانهم على اطراد، لكن أولئك الملوك كانوا في بعض الأحايين يتعاهدون ويسيرون معا بجيوشهم إلى الحرب، على أن روح المنافسة لم يزل دائما بينهم، لأن ملوك إسرائيل كانوا يخشون أن ترتد رعاياهم عنهم إلى ملوك يهوذا، بذهابهم للعبادة في هيكل أورشليم، فانتحلوا بعضهم جميع الوسائل لحملهم على أطراح تلك العبادة. فكانوا تارة ينصبون لهم الأوثان ليعبدوها، وطورا يمنعونهم عن تأدية فريضة العبادة جبرا، وهكذا تناثرت عرى الاتحاد والوئام بين الأسباط، وازداد الشقاق، فكانت النتيجة ضعف المملكتين، وتغلب الأعداء والغزاة عليهما الواحدة بعد الأخرى[6]».

وقد انتشرت المفاسد في الدولتين انتشارا كبيرا، وعمتهما الفتن الداخلية، في كثير من العهود، إلا أن دولة يهوذا كانت ـ في الجملة ـ أحسن حالا من دولة إسرائيل، وفي ذلك يقول الأستاذ محمد عزة دروزة:

«كانت دولة إسرائيل تمثل أكثرية الأسباط، وكانت أوسع مساحة من دولة يهوذا، إلا أن أكثر ملوك وشعب انحرفوا عن الطريق المستقيم منذ بداية دولتهم، وظلوا منحرفين إلى نهايتهم. وقد تعددت الانقلابات في دولة إسرائيل، وأدى ذلك إلى سفك الدماء، وإبادة أسر مالكة برمتها في سبيل الحكم والسلطان، كما أن عاصمتها قد تغيرت أكثر من مرة بسبب الفتن. فقد كانت شكيم ـ نابلس ـ هي العاصمة أولا، ثم صارت العاصمة «ترصه» ثم «شامر» القريبة من شكيم، والتي يقوم مكانها اليوم قرية اسمها «سبسطية» وقد جددت في عهد الرومان، وأحدث اسمها منهم. أما دولة يهوذا فكانت أحسن ـ في الجملة ـ من دولة إسرائيل، سواء من ناحية الاستقرار، أو من ناحية الصلاح، فقد سجلت الأسفار لبعض ملوكها نشاطا غير يسير في مختلف المجالات، وتوحي بما كان لهم من مجد وغنى وقوة، غير أنها سجلت كذلك على كثير من ملوكها انحرافا وظلما وتضعضعا شديدا، وكانت فترات الانحراف أطول من فترات الاستقامة.. وقد استمرت سلسلة ملوك دولة يهوذا في ذرية سليمان ـ عليه السلام ـ بخلاف دولة إسرائيل فقد تعاقب عليها ملوك من أسباط مختلفة[7]».

ننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن الأمر الثاني فنقول:

كانت علاقة الدولتين بغيرهما من الدول ـ في مجموعها ـ علاقة عداء وحرب.

[illegible]

(٥) سفر الملوك الأول الإصحاح الثالث عشر نقلا عن تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص١٢٦

(٦) تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس ص[illegible]

(٧) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ـ بتصرف وتلخيص ـ ص١٢٨ وص١٦٤ و١٧٧

١- ففي عهد «رحبعام بن سليمان» غزا «شيشنق» فرعون مصر، فلسطين، وصعد على أورشليم ونهبها، وبسط سيطرته على دولة يهوذا، ثم على دولة إسرائيل، ومد سلطانه إلى منطقة الجليل.

وفي سنة ٧٤٠ق. م غزا ملك آشور «تغلث فلاسر» دولة إسرائيل، فدفع له ملكها «منحيم بن جادي» ألف وزنة من الفضة، ليترك له الملك في يده، فقبل «تغلث» ذلك منه.

٣- وفي سنة ٧٢٧ق. م تولى عرش آشور «شلمناصر الثالث» فتمردت عليه إسرائيل، فزحف عليها فقدم إليه «هوشع بن أيله» آخر ملوكها هدايا كثيرة قبلها ملك آشور، وتوجه عائدا إلى بلاده، ولكنه لم يكد يصل إلى «نينوى» حتى عاد الإسرائيليون إلى عصيانهم فزحف عليهم مرة ثانية، وضرب حصارا شديدا حول السامرة عاصمتهم: ولكنه مات قبل أن يفتحها.

٤- وفي سنة ٧٢١ق. م. قام خليفته «سرجون الثاني» بغزو دولة إسرائيل فحاصرها حصارا شديدا، ثم دارت بينه وبينهم معركة انتهت بزوال دولة إسرائيل زوالا تاما، إذ سبى «سرجون» الأسباط، وأجلاهم عن أوطانهم إلى ما وراء الفرات، وأقام على البلاد واليا آشوريا من قبله.

وهكذا قضي على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ق. م، قضاء تاما لم تقم لها بعده قائمة.

٥- وقد استطاع «أسر حدون» بن سرجون الثاني، أن يوطد سيطرته بعد أبيه على بلاد الشام، ومن جملتها دولة يهوذا، التي ظلت في نطاق حدودها بعد زوال دولة إسرائيل، مع بقاء بلاد هذه الدولة الزائلة تحت إدارة الآشوريين. ومن بين الذين قدموا له الهدايا من ملوك يهوذا كترضية له «منسي بن حزقيا» إلا أن «منسي» هذا حاول التمرد على الآشوريين بعد ذلك، فانقض عليه «أسر حدون» وأخضع مملكة يهوذا لآشور، وسيق «منسي» مكبلا بالأغلال إلى بابل، وهناك تعهد مرة أخرى بالولاء والخضوع فأعيد إلى عرشه، وكان ذلك حوالي سنة ٦٧٧ق. م.

٦- وفي سنة ٦١٠ق. م انتهز «نخو» فرعون مصر فرصة انحطاط مملكة آشور، فأعد جيشا لغزوها فتصدى له «يوشيا بن آمون» ملك يهوذا، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بقتل «يوشيا» ثم واصل «نخو» زحفه نحو الشام، فاستولى على كثير من مدنها، وتابع سيره حتى وصل إلى الفرات، ثم بلغه أن اليهود عادوا إلى العصيان، فعاد إليهم وأدبهم، وعزل ملكهم وعين آخر بدله.

٧- وكانت نهاية دولة يهوذا على يد «بختنصر البابلي»، وذلك أن بختنصر ملك بابل أغار على أورشليم سنة ٦٠٦ق. م، فنهبها، وأجلى كثيرا من أهلها وقبض على «يهوياكين بن يواقيم» ملكها في ذلك الوقت، وساقه مع جماعة كبيرة من نسائه وأسرته، وأقام بدله «صدقيا بن يوقيم»، ولكن «صدقيا» ثار عليه بعد ذلك. فأعاد بختنصر الكرة مرة ثانية على أورشليم سنة ٥٩٩ق. م، وأجلى من اليهود في هذه المرة عشرة آلاف من أغنيائهم وأشرافهم إلى بابل. وحمل كنوز الهيكل والبلاط الملكي.. ثم إن «صدقيا» أعلن العصيان للمرة الثالثة سنة ٥٩٣ق. م. فزحف بختنصر على أورشليم للمرة الثالثة سنة ٥٨٦ق. م، وفي هذه المرة قتل ملكها «صدقيا» شر قتلة، وقتل معه أبناءه وأسرته، ودمر مدينة أورشليم وأسوارها وهيكلها، وأحرقها بالنار، ونهب خزائنها، واستاق معه يهود أسيرا إلى بابل، وهناك مكثوا في الأسر حوالي خمسين سنة، ظلت خلالها أورشليم خرابا.

وهكذا قضي على مملكة يهوذا حوالي سنة ٥٨٦ق. م، كما قضي قبل ذلك على أختها مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ق. م.

ويصف الأستاذ محمد عزة دروزة علاقة الدولتين بغيرهما من الدول فيقول: «ويبدو أن صلات مملكة يهوذا وإسرائيل بغيرهما من الدول، كانت على حسب الظروف، عدائية أو عدوانية. أو مدسدسة أو عادية، أو في صورة خضوع وذلة. وأن الشعوب الأخرى عاملتهم بالمثل. وكانت لهم بمثل كيلهم، فكانوا في معظم مدة وجودهم في عداء، وحروب مع الغير، وعرضة للغزوات والغارات والسيطرة والإذلال، ثم انتهى الأمر إلى نسف دولتيهم وإجلائهم عن بلادهم، لأن الآشوريين والكلدانيين رأوا أن ذلك هو العلاج الحاسم، لما كان منهم من غدر ومراوغات وتذبذب وتناقضات[1].

ويصف أحد الكتاب الغربيين نهاية الدولتين فيقول:

«لم يتمتع الشعب العبراني بمحض العيش إلا أمدا وجيزا فمات حيرام، وانقطع عون «صور» الذي كانت تقوى به أورشليم، ثم قويت شوكة مصر ثانية، ويصبح تاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا، تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحى، تحركهما على التوالي سورية ثم بابل من الشمال، ومصر من جنوب وهي قصة نكبات. وقصة تحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاضية، هي قصة ملوك همج، يحكمون شعبا من الهمج. حتى إذا وافت سنة ٧٢١ق. م، محت يد الأسر الآشوري مملكة إسرائيل من الوجود، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ق. م».

ويصور «ولز» حالة المملكتين الإسرائيليتين فيقول:

«كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار.. ومن المبدأ إلى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسورية وآشور وفينيقيا، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم».

وإلى هنا نكون قد ألممنا بأحوال دولتي يهوذا وإسرائيل منذ ولادتهما إلى نهايتهما. والآن فلننظر ماذا جرى لبني إسرائيل بعد ذلك؟!

(٨) تاريخ مصر من أقدم العصور (برستيد) ص٣٥٧

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

من فتاوى الحاخامات (*)



عنوان الفتوى: «شولحان عاروخ» يحرم المساعدة في توليد واحد من الأغيار

مصدر الفتوى: www.daatemet.org. ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٥

فتوى من هيئة تحرير الموقع

● سؤال: هل صحيح أنه ورد في كتاب «شولحان عاروخ» أن المرأة اليهودية لا يجب أن تساعد غير اليهودية أثناء الولادة؟

●● جواب: ورد في «شولحان عاروخ» ما يلي: لا يجب على اليهودية إرضاع ابن أحد عبدة النجوم، حتى ولو بأجر. ولا يجب عليها أيضا توليد عابدة النجوم، إلا إذا كان معروفا عنها أنها قابلة، حينئذ يباح لها القيام بذلك مقابل أجر، ولكن في غير أيام السبت «شولحان عاروخ»، فصل «يوريه ديعا» (كاشف المرقة) ١٥٤ / ٢.

ويرجع أصل هذه الفتوى إلى فترة المشنا (القرون الأولى بعد الميلاد). حيث ورد في المشنا: «لا يجب على اليهودية أن تولد عابدة النجوم، لأنها تتسبب في مولد ابن لواحدة من

عبدة الأوثان يمكنها أن تولد اليهودية

عبدة النجوم. لكن عابدة النجوم يمكنها أن ترضع ابن اليهودية بكل تأكيد» (مشنا، باب عبادة الأوثان، ٢ / ١).

«ولا يجب على اليهودية أن ترضع ابن عابدة النجوم. لكن عابدة النجوم يمكنها أن ترضع ابن اليهودية بكل تأكيد» (مشنا، باب عبادة الأوثان، ٢ / ١).

ويضيف التلمود أنه لا يجب السماح لعابدة النجوم بتوليد اليهودية لأن هناك خطرا لأن تقتلها، إلا إذا كانت هناك نساء يهوديات أخريات تقمن بالإشراف على الولادة» (باب عبادة الأوثان، الفصل ٢٦ / ٧١).

ومسموح بهذه الأمور في الأيام العادية، لكن يحظر بأي حال من الأحوال مساعدة واحدة من الأغيار أثناء الولادة في يوم السبت، حتى لو مقابل أجر، بسبب تدنيس يوم السبت، وهذا نص ما ورد في كتاب «شولحان عاروخ»: «لا يجب توليد واحدة من الأغيار في يوم السبت، حتى لو لم يتسبب هذا في تدنيس يوم السبت» (فصل «أورح حاييم» ٣٣٠ / ٢).

وقد وضع الحاخام يسرائيل مئير هكوهين (١٨٣٩ - ١٩٣٣) المعروف بـ «حفيتس حاييم» هذا التشريع في كتابه التشريعي «مشنا بروراه» وهو الكتاب المعتمد لدى معظم اليهود المتدينين. وقد تم العمل بهذا التشريع في القرن العشرين. وتوسع الحاخام يسرائيل في رأيه وذكر أن تحريم توليد واحدة من الأغيار في يوم السبت يشمل تقديم المساعدات الطبية باختلاف أنواعها لأحد الأغيار وعند أي مرض حتى لو تسبب هذا في وفاته. وفيما يلي نص ما ذكره:

«لكن في معلومك أن الأطباء في عصرنا الحالي غير حريصين في هذا الشأن بوجه عام، رغم أن معظمهم مؤهلين (من الناحية الدينية)، فهم يعملون في أيام السبت ويسافرون لمسافات بعيدة لعلاج عبدة النجوم ويكتبون ويطحنون العقاقير (يطحنون النباتات للعلاج) بأنفسهم. وليس لديهم ما يمكن الاستناد إليه، حتى لو قيل: إنه يمكن انتهاك قدسية يوم السبت ومخالفة الحظر لدى ترضية رجال الدين حتى لا يكون هناك أي عداء بين الأغيار واليهود، وعلى أي حال فإن التوراة تحرم تدنيس يوم السبت. كما أنه من المؤكد أن هذا التحريم تتفق عليه كل الآراء بينما منتهكي قدسية يوم السبت يفعلون هذا عن سوء نية حفظا للرب منهم» (كتاب «مشنا بروراه» ٣٣٠ / ٨).

ورغم أن الحاخامات أفتوا في عصرنا الحالي بالسماح للأطباء بتقديم المساعدة في توليد أحد الأغيار، فهم لم يسمحوا بهذا إلا من منطلق إدراكهم العميق بأن هذا في نهاية الأمر سيساعد اليهود أنفسهم، وليس من منطلق ضرورة تقديم المساعدة لأي إنسان أيما كان، وهذا هو ما كتبه الحاخام عوفاديا يوسف (الحاخام الأكبر لإسرائيل سابقا) في كتابه أسئلة وأجوبة: «كان هناك طبيب شهير من الأغيار يحب اليهود، وأنقذ حياة الكثيرين منهم، كما اعتاد علاج المرضى اليهود الفقراء مجانا دون أي مقابل، وقد أصيب بمرض خطير في يوم السبت فأرسل في طلب طبيب يهودي ليحضر إليه ويخرج الدم الفاسد من جسده، وإذا امتنع عن الذهاب إليه فسيكون هناك عداء كبير وسيخبر قلبه وسيشعر هو الآخر بأنه من أعدائه وسيضمر له الشر وسيمتنع عن علاج المرضى اليهود إلخ (فسمح للطبيب اليهودي بانتهاك قدسية يوم السبت لعلاج هذا الطبيب لوجود ما يبرر ذلك) لأنه طالما أن الطبيب اليهودي لا يقصد من وراء هذا إلا إنقاذ نفسه وإنقاذ مرضى شعبه اليهود من الخطر وما شابه ذلك، فلا يسري هنا تحريم التوراة، وبالتالي يجب السماح له بالقيام بذلك» (٨ «أورح حاييم» ٣٨).

صالح عليه السلام

للعلامة الشيخ عبد الوهاب النجار

ذكر اسم صالح في القرآن تسع مرات. في سورة الأعراف في الآيات ٧٣، ٧٥، ٧٧، وفي سورة هود في الآيات ٦١، ٦٢، ٦٦، ٨٩ وفي سورة الشعراء في الآية ١٤٢. وقوم صالح هم ثمود.

نسب صالح وثمود

اختلف في نسبه فقال الحافظ البغوي إنه صالح بن عبيد بن أسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود.. وعن وهب أنه ابن عبيد بن جابر بن ثمود.

وأما ثمود فهي القبيلة التي منها صالح، سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن أرم بن سام.. وقيل ثمود بن عاد بن عوص بن أرم.. قال الألوسي: هو المنقول عن الثعلبي.

مسكن ثمود

كانت مساكنهم بالحجر - بكسر الحاء - وموقعه بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ومدائن صالح ظاهرة إلى اليوم. وقد زارها بعض أصحابي ودخل بيت الملك وهو بيت ذو حجرات به ردهة كبيرة وهو منقور في الصخر. والمكان الذي فيه ديارهم يعرف إلى اليوم بـ «فج الناقة» - ويقول المسعودي: ورممهم باقية وآثارهم بادية في طريق من ورد من الشام. وحجر ثمود في الجنوب الشرقي من أرض مدين وهي مصاقبة[1] خليج العقبة. وقد كان يقال لعاد: عاد

(١) مصاقبة: تصاقبت البيوت دنا بعضها من بعض. (انظر المعجم الوسيط ج ...) [illegible]

[illegible] ثمود إرم

وقد اختلف الباحثون من المستشرقين في أوروبا في أصل ثمود وزمن وجودهم، فقال فريق: إنهم قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية ولم يدخلوا فلسطين، وهذا القول لا يعدو أن يكون ظنا لا أثر فيه للتحقيق، إذ القرآن دعا [illegible] فقد انقضى أمرهم وعرفت ديارهم من كل دبر قبل خروج موسى من مصر ببني إسرائيل؛ وهذا مؤمن آل فرعون قام حين كذبوا موسى يخوف قومه بأس الله وأنه يخاف عليهم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم.

وقال آخرون من المستشرقين إنهم بقية من العماليق انتقلوا إلى ذلك المكان من غرب الفرات.. ويظن آخرون أنهم من العماليق الذين طردهم أحمس ملك مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة. وقد حذقوا صنعة النحت أيام إقامتهم بمصر؛ ولذلك نحتوا لهم بيوتا بعضها نقر في الصخر وبعضها كان بناء كسائر الأبنية التي تتخذ من الصخر.. وقال بعض المؤرخين: إنهم بقية من عاد، وهذا أقرب إلى المعقول، ويدعي أهل حضرموت أن ديار ثمود كانت من مستعمرات عاد، وهذا القول لا يخالف ما قبله، وقد يؤيده قول صالح الآتي لقومه:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾

(الأعراف: ٧٤)

أما زمن وجود ثمود فلم يعلم بالضبط، غير أني أقول إنهم كانوا وبادوا قبل زمن موسى، وأما وجود الكتابة الآرامية على بعض القبور بتلك الأنحاء وكون تلك الكتابة مؤرخة بتاريخ قريب من زمن الميلاد فلا يدل إلا على أن ناسا أخذوا الخط الآرامي يخلدون به آثارهم قد نزلوا في تلك الناحية وكتبوا على مقابرهم ونحوها.



جورجي زيدان

قال جورجي زيدان بك في كتابه «العرب قبل الإسلام»:

أما الثابت من قراءة الآثار: أن مدائن صالح «الحجر» دخلت قبل تاريخ الميلاد في حوزة النبطيين سكان بطرة الآتي ذكرهم. والأطلال المشار إليها زارها غير واحد من المستشرقين، ودرسوا نقوشها. وهي منحوتة في الصخر أهمها أنقاض تعرف بقصر البنت وقبر الباشا، والقلعة، والبرج.

وعثروا فيها على عدة نقوش نبطية. فإن أكثرها أو كلها تبركات منقوشة على القبور.. هذا مثال منها وجدوه في الحجر بالحرف النبطي:

«هذا القبر الذي بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكلية ابنتها لأنفسهن وذريتهن في أشهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النبطيين محب شعبه فعسى ذو الشرى وعرشه(؟) واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضوا أو يدفن فيه أحدا غير كمكم وابنتها

وقريتها. ومن يخالف ما كتب عليه فيلعنه ذو الشرى وهبل ومنوت خمس لعنات ويغرم الساحر (*) غرامة مقدارها ألف درهم حرثي إلا من كان بيده تصريح من يد كمكم أو كبيشة ابنتها بشأن هذا القبر، والتصريح المذكور يجب أن يكون صحيحا صنع ذلك وهب اللات بن عبد عبادة».

ولعل المراد بالساحر: الكاتب.

دين أهل ثمود

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأصنام يشركونها مع الله في العبادة، فأرسل الله إليهم صالحا واعظا لهم ومذكرا لهم نعم الله وآياته الدالة على توحيده وأنه لا شريك له، وأقام لهم الأدلة القاطعة والبينة الواضحة على ضلالهم في عبادتهم وعلى أن الله هو الذي يجب إفراده بالعبادة دون سواه.

وقد جاء في تفسير المنار (٢٠٥ ج٨) ما نصه:

«قد علم من سنة القرآن وأساليبه في قصص الأنبياء مع أقوامهم أن المراد بها العبرة والموعظة ببيان سنن الله تعالى في البشر وهداية الرسل عليهم الصلاة والسلام وحوادث الأمم وضوابط التاريخ مرتبة بحسب الزمان أو أنواع الأعمال.. وقد حكى لنا عن صالح عليه السلام أنه ذكر الآية التي أيده الله تعالى بها عقب تبليغ الدعوة وفي قصته من سورة هود أنه ذكر لهم الآية بعد ردهم لدعوته وتصريحهم بالشك في صدقه. وزاد في سورة الشعراء طلبهم الآية منه.. وكل ذلك صحيح ومراد وهو المسنون المعتاد» اهـ.

ولكن ما هي هذه الآية التي جاء بها؟ لم يبين الله له آية سوى الناقة ولا مانع من أن يكون جعلها آية صدقه بأنهم سيبقون سالمين على حال حسنة ما دامت الناقة مسلمة لم يحرموها بسوء ولم يمسوها بأذى؛ فإذا خالفوا غير الله ما بهم وأحل بهم نقمته ويحتمل أنه جاءهم بآية سوى الناقة أو كانت في الناقة آية أخرى أو عدة من الآيات ليست في غيرها.

والذي يظهر من قصة صالح أنها تلخص في أن القوم كانوا عاكفين على عبادتهم الباطلة.. وكانوا أهل خصب ورفعة حال - لما كان لهم من الماشية الكثيرة والجنات الوافرة الجنى والعيون التي يستقون منها هم وماشيتهم وزروعهم، بدليل قوله لقومه:

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾

(الشعراء: ١٤٦ - ١٤٨)

جاء إليهم صالح ومحضهم نصيحته وذكرهم أنواع التذكير وخوفهم بأس الله. فآمن له المستضعفون من قومه، وكفر الملأ منهم ولم يؤمنوا له، وقد أبان لهم أنه لا يسألهم أجرا على الهداية التي يسديها إليهم وإنما يطلب أجره من الله، ومن كان شأنه كذلك يكون أبعد من تهمة جر النفع إلى نفسه بريئا من اتخاذ الدعوة طريقا للمكسب أو الرياسة، وألح على جمهورهم أن يطيعوه ولا يتبعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، لأن الإصلاح يفوت عليهم المنافع التي يجرونها لأنفسهم؛ فقال المستكبرون من قومه:

﴿ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ﴾ (ص: ٨)

مستبعدا أن يسبق الخير أحد سواهم ومستكبرين عن متابعة رجل منهم لا يمتاز عليهم بغنى أو ثراء. وقالوا لمن استضعف منهم

﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(الأعراف: ٧٥)

فأجاب الذين استكبروا

﴿ إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾

(الأعراف: ٧٦)

وطلبوا آية على صدقه فأتاهم بناقة كما قدمنا وقال لهم

﴿ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(الأعراف: ١٥٥)

وأمرهم ألا يمسوها بسوء وعليهم أن يذروها تأكل في أرض الله، فإن سلامتهم بسلامتها من إيذائهم.

ولم يثبت ثبوتا قطعيا أنه أتى لهم بالناقة حسب اقتراحهم من الصخرة وأن الصخرة تمخضت عنها فخرجت منها سوداء الحدق حمراء الوبر حاملها فصيلها، وأنها كانت إذا شربت أتت على الماء في يومها ثم تتفحج(٢) لهم ويأخذون من لبنها ما يشاءون؛ لأن ذلك زائد عما في الكتاب الكريم.

ظلوا على ذلك مدة غير طويلة لم تحدد في الكتاب الكريم إلى أن خاسوا بعهدهم وعقروا الناقة.

ورد في القرآن الكريم نسبة الناقة التي أتى بها صالح إلى الله في قول صالح لهم:

﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾

(الأعراف: ٧٣)

وهذه الإضافة ذكرت تعظيما لشأنها.. وقيل لأنه خلقها على خلاف سنته في خلق الإبل وصفاتها لم يخلق في الإبل سواها ناقة تختص بالشرب يوما وأهل ذلك الماء يوما آخر وتعرف يومها الخاص بها ولا تقرب الماء في يوم أهلها، كما قال تعالى:

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾

(القمر: ٢٨)

وقال تعالى:

﴿ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾

(الشعراء: ١٥٥)

ومجموع آيات القرآن الواردة في شأن الناقة تدل على أن آية الله تعالى في الناقة ألا يتعرض أحد من ثمود بسوء لها في نفسها ولا في أكلها ولا في شربها في الماء الخاص الذي كان قسمة بينهم وبين الناقة، وأن الوعيد بالعذاب يحل بهم متى اعتدوا عليها في أحد هذه الأشياء.. ولا مانع من أن تكون فيها آية أو آيات من وجه آخر.

وأتى على قدم الاستعداد للإقرار بالوجه الذي

---

(٢) تفحج الحالب: أبعد الإناء عن الضرع عند الحلب حتى تعلوه الرغوة (انظر المعجم الوسيط ج٢ الطبعة الثالثة مادة: فحج) والمراد أن الناقة كان لبنها يتفجر من ضرعها بدون حلب (المجلة).

يكون فيه [illegible] عرض الحائط.

بذل صالح الجهد في تذكير القوم بنعم الله تعالى عليهم ونهاهم عن أن يعثوا في الأرض مفسدين بعبادة غير الله تعالى والتكبر في الأرض.

[illegible] المستكبرون من قومه [illegible] ذوي عاد وليهم الزعامة في الأمة فقد رأوا كبيرا عليهم أن يطيعوا رجلا منهم ويصيروا سوقة مرءوسين؛ لأن صالحا سيصير بحكم هدايته إياهم إلى الله تعالى رئيسا يفزعون إليه في كل شأن، ويكون واسطة بينهم وبين ربهم ودالا لهم على ما يقربهم إليه وناهيا لهم عما يبعدهم عنه؛ فذهب أولئك السادة إلى المستضعفين من قوم صالح وسألوهم متهكمين:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٧٥)

فكان جواب المستضعفين بالإيجاب قائلين:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٧٥)

فقال المستكبرون

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٧٦)

[illegible]

يقول الألوسي في روح المعاني: وأراد أشرافهم أن يؤمنوا به فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر [illegible] ولم [illegible] في سعة ورغد، وكانت الناقة تصيف إذا جاء الحر بظهر الوادي [illegible] الوادي في حره وجدبه، وتشتو في بطن الوادي [illegible] فأضر ذلك بمواشيهم للأمر الذي يريده الله تعالى بهم والبلاء من الاختبار، فكبر ذلك عليهم [illegible] على عقرها. وأن امرأتين ذواتي مال وإبل يقال لإحداهما صدوق عرضت نفسها على رجل يقال له مصدع إن قتل الناقة؛ فأجاب. واسم الأخرى عنيزة لها بنات حسان عرضت إحدى بناتها على قدار بن سالف فأجاب. واستغويا [illegible] مصدع فرمى الناقة بالسهم، وأما قدار فأنحى إليها بسيفه فكشط عن عرقوبيها ثم نحرها، وذهب السقب [illegible] ثلاث [illegible] التسعة فرماه أحدهم بسهم فأصاب قلبه ثم جر برجله فأنزله ووضعوا لحمه على لحم أمه واقتسم أهل البلد لحم الناقة وسقبها، فأنذرهم صالح بأن العذاب يحل بهم بعد ثلاث لما انتهكوا من حرمة الله، فكانوا يهزءون منه ويستنجزونه ما أوعدهم به من العذاب.. وأنذرهم بأنهم يصبحون وجوههم مصفرة، وفي اليوم الثاني تكون وجوههم محمرة، وفي اليوم الثالث تكون وجوههم مسودة [illegible] هلاكهم، ثم [illegible] الألوسي [illegible]

أما أولئك الذين اقترفوا عقر الناقة وأعانوا عليه فقد تقاسموا بالله ليبيتن صالحا ويقتلونه وأهله ثم يقولون لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنهم [illegible] فيما يزعمون.

[illegible] صالح يرصدون الفرصة للإيقاع به وأهله فأهلكهم الله.

قيل: إن الملائكة دمغتهم بالحجارة فأهلكتهم وأراد قومهم قتل صالح لأنهم اتهموه بقتلهم فمنعه قومه.

وقال البيضاوي: روى أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه [illegible] أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث. فذهبوا إلى الشعب فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا، وهلك [illegible] في أماكنهم بالصيحة. كما أشار إليه قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(النمل: ٥١)

وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة، وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة وتارة بالطاغية وتارة بالصيحة.. وكل صحيح لأن الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزال، وقد تكون في مكان ويطغى تأثيرها حتى يصل إلى مكان آخر.

والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائي يحصل بين كهربائيتين متخالفتين بالإيجاب والسلب.. فإذا دنا جسم مكهرب كهربائية موجبة من جسم مكهرب كهربائية سالبة اتحدت الكهربائيتان لما بينهما من التعاشق؛ فيحصل عن ذلك البرق الشديد ثم الرعد بسبب اضطراب الهواء وتدافع أجزائه في كل مكان الاستفراغ وذلك هو الصيحة.. وإذا كان الاستفراغ حصل من دنو سحابة مكهربة كهربائية موجبة من الأرض فحين دنوها تحصل الكهربائية بالتأثر وتتصل الكهربائية السالبة التي في الأرض بالكهربائية الموجبة التي في السحابة، ويكون الاستفراغ أو الاتحاد في جسم مما على الأرض؛ فيصهر إذا كان معدنيا، ويحترق [illegible] وينفتت إن كان صخرا أو بناء.. ومبلغ ما تدمره منوط بمقدار كمية الاستفراغ ومبلغ قوة الكهربائيتين، عن ذلك تكون الرجفة وهولها.

وإذا حصل الاستفراغ بين سحابتين مكهربتين بكهربائيتين متخالفتين بالإيجاب والسلب حصل البرق أولا ثم الرعد ثم المطر.

وسبب اختلاف الكهربائيتين في السحاب أن الجو مكهرب كهربائية موجبة وهو مشحون بها. والأرض مكهربة كهربائية سالبة.. فإذا تكونت السحابة في مكان مرتفع في أعالي الجو كانت كهربائيتها موجبة.. وإذا تكونت في مكان سافل قرب الأرض كانت كهربائيتها سالبة.. فإذا دنت كل من السحابتين إلى الأخرى فبمقتضى الناموس المودع في الكهربائية من ميل كل من الكهربائيتين للاتحاد بالأخرى يكون التفاعل الذي هو الاتحاد.. [illegible] كهربائيتهما موجبة أو سالبة فإن الكهربائية فيهما تميل إلى الابتعاد عن الأخرى

فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المشحونة [illegible]

أما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق

بقومهم من العذاب الذى أدركهم بعد ثلاثة أيام من حرتيتهم

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٧٩)

ويشبه قوله هذا فى خطابه لقومه بعد هلاكهم ما يكون من الواحد منا إذا هلك له إنسان متصل به وقد حذره ذلك السبب الذى هلك به بأن يقول له: ألم أحذرك مما وقعت فيه؟ وكذلك ما قال رسول الله ﷺ لأهل بدر أصحاب القليب إذ قال لهم: «يا فلان بن فلان وفلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا». وقد قالوا إن الله أحياهم حتى أسمعهم.. فإن تعلمه، ومتى عهد [illegible] خص الله به أنبياءه.

وقد قال بعض المفسرين: إن صالحا والذين آمنوا معه ذهبوا بعد هلاك قومهم إلى ناحية الرملة من فلسطين.. ويقول أهل حضرموت: إنهم ذهبوا إلى حضرموت وأقاموا بها لأن أصلهم من تلك الناحية.. أو هي قصيلة من أهل الأحقاف وهناك قبر يزعمون أنه لصالح.

وقال آخرون: إنهم أقاموا فى ديارهم بعد هلاك قومهم وقال آخرون: إنهم ذهبوا إلى مكة وأقاموا بها إلى أن ماتوا وقبورهم غربى الكعبة.

وأقرب الأقوال عندى إلى التصديق أنهم ذهبوا إلى الرملة ونواحى فلسطين لأنها أقرب بلاد الخصب إليهم.. والعربى إنما يطلب الكلأ لرعى ماشيته والأرض ذات الماء.. وفى الألوسى: أن الذين نجوا مع صالح كانوا مائة وعشرين.. [illegible] خمسة آلاف بيت.

كلمة أخيرة

الذى أقوله: إن صالحا نصح لقومه وذكرهم بآيات الله وأقام لهم من الأدلة على صدقه فى دعوته ما على مثله آمن الناس، ولكن قومه أبدوا عنه الجحود والعناد [illegible]

﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(الأعراف: ٧٠)

وكما قال الله تعالى:

﴿ [illegible] فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾

(فصلت: ١٧)

ولا يكون قد هدى الله [illegible] قدم لهم الأعلام البينة على صدق صالح. فلما جحدوا [illegible] وعصوا الرسول [illegible] سائقة [illegible] ولكنها لم تكن آية صدق صالح فى دعوته [illegible] ولكنها آية فتنة وابتلاء كما قال تعالى:

﴿ [illegible] فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾

(القمر: ٢٧)

وإن كانت آية فتنة وابتلاء صح أن تكون [illegible] مقترحة، لأن الله تعالى قد فرغ من أدلة صدق رسوله صالح.. على أننى لا أمنع أن يكون فيها آية [illegible] من وجوه أخرى والله أعلم

فى العلاقة بين النص والعقل..

أصول الفقه نموذجاً!

للأستاذ: يحيى رضا جاد
باحث مصرى

لقد عُنى علم أصول الفقه أول ما عُنى بإيضاح مصادر التشريع الإسلامى، وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية.

والركيزة الأساسية للتصديق بهذين المصدرين المقدسين هى (ركيزة يقينية) وعلم أصول الفقه [illegible] (الإيمانى) بـ (منهج عقلى) يتعلق (بالثبوت)

والثبوت مسألة معرفية [illegible] فالقرآن الكريم ثابت بطريق "التواتر". والتواتر هو ما ينقله جماعة يستحيل تواطؤهم على كذب.. وهذا منهج عقلى أشد صرامة من "المعرفة الاجتماعية" [illegible] التى يقول الناس بها [illegible] التى تصل للفرد منا ويصدق بها من غير أن يحشر نفسه أدلة صوابها أو ثبوتها. مكتفيا بأنها تنقل إليه من مصادر [illegible] ثم أخرجت عموم المنهج - أصول الفقه وعلوم الحديث - معايير (التحقيق العقلى) على أحاديث السنة النبوية المطهرة التى لا تتوفر فيها درجة التواتر؛ من حيث (الضبط) و(التحقيق) [illegible] منهج أكثر صرامة فى [illegible] العقلى من أساليب تحقيق الوقائع التاريخية، بل من كافة أساليب التحقيق التى عرفها البشر على امتداد تاريخ الإنسانية [illegible] نلحظ أن النصوص الأساسية هذه، وهى [illegible] فى التصديق بها، قد عبرت عقلية فى ثبوتها (أى قد تحكمها العقل [illegible] معرفى)، ثم [illegible] هذا [illegible] يعرض سلطانه [illegible] على ما يلو هذين المصدرين من مصادر أخرى.. فمن المعروف أن النصوص [illegible] الأركان [illegible] ظواهرها محدودة، سواء نصوص القرآن الكريم أو نصوص السنة النبوية المطهرة، فتفتقت أذهان العلماء عن مصادر أخرى فرعية [illegible] استنبطوها من مقررات الكتاب والسنة - تعمل كآليات معينة على استخراج الأحكام من نصوص الوحى.. وفى غالب هذه

المصادر- الآليات - بل في جميعها- نلمس دورا ناميا وفعالاً للعقل في تفاعله مع الواقع المعيش.[1]

فـ"القياس" مثلاً، وهو منهج عقلي معرفي - مستمد من أصول التشريع الإسلامي - يتعلق بإدراك وجه الشبه الفعال بين الظواهر التي وردت فيها أحكام في القرآن أو السنة، والظواهر التي لم ترد فيها أحكام فيهما .. والمهم هنا هو المنهج المعرفي الذي [illegible] لإدراك الشبه الفعال، وهو منهج [illegible] الاستقراء لإدراك خواص الظواهر التي تعتبر "علة" للحكم، أي سببا له، وهو ما يسمى بـ "المناط". وهنا نلحظ وجوه تجريب واستقراء وملاحظة [illegible] [illegible]

ب - و"الاستصحاب"، وهو منهج عقلي معرفي - مستمد من أصول التشريع الإسلامي - ومؤداه هو بقاء الحال على ما كان حتى يقوم دليل يغيره، فهو يتعلق "بالإدراك" [illegible] ومؤداه أنه عندما نتبين من وجود أمر ما، فنحن نتصرف على أساس أنه موجود بعد ذلك حتى يتبين لنا أن ثمة تغييرا أو تعديلا حدث [illegible] يزول إلا بيقين مغاير.

ت - و"الاستصلاح" أو المصالح المرسلة، وهو منهج عقلي معرفي - مستمد من أصول التشريع الإسلامي - وحاصله هو التصدي المباشر للواقع الحادث والعمل بما فيه مصلحة الناس، وذلك فيما ليس فيه أمر أو نهي ديني ورد بالقرآن أو السنة. والنظر في هذا الشأن يكون بملاحظة أن كل الأوامر والنواهي الدينية إنما قُررت من الله سبحانه لنفع الناس ولإصلاح شئونهم.

والفقه الإسلامي - كما هو معلوم- يقوم على نوعين من المبادئ:

أ - مبادئ مستقاة من الوحي: قرآنا وسنة (باعتبارها - أي هذه المبادئ- مجسدة للشريعة مقاصداً وضوابطاً)

ب - ومبادئ مستمدة من الخبرة التجريبية (بـ[illegible] في تعيين [illegible] تحقيق المقاصد وإعمال الضوابط)

وكلا الأمرين [illegible] (يعطي [illegible] للعقل في تلك الأمور عملا يؤديه) بشكل كبير [illegible] الوحي قرآنا وسنة. [illegible] مبادئ مستمدة من الخبرة التجريبية (العلمية والعملية، النظرية والتطبيقية، الأكاديمية والحرفية) لتحقيق المقاصد وإعمال الضوابط.

وإنما قصدت سوق الأمثلة للأساليب والمناهج التي يتعامل بها الفكر الديني (بنصوصه الثابتة)، مع مناهج إعمال العقل من ناحية، ومع أساليب التعرف على الواقع ومناهجه من ناحية أخرى .. وذلك كله ينفي قطعاً توهم وجود إشكالية في العلاقة بين (النص) و (العقل)، بل يؤكد أن للعقل أهمية كبرى في التعميق التأسيسي والتأصيلي والتجريبي للفقه الإسلامي.

[illegible] مسألة التعقل والتعقل والتفكر والتدبر في دين الله [illegible] لعظيمة

وأما من يضع (العقل) نداً (لله) تعالى، فهو (مؤله عقله) لا (مطيع لربه) [illegible] [illegible]

نعم. (العقل) ملكة من أعظم ملكات الإنسان، ونعمة من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه، لكنه على عظمته وضرورته - ككل ملكات الإنسان - (نسبي) الإدراك، ولذلك، فإن الاعتماد على العقل وحده - دون (الوحي)، الذي هو علم الله المطلق والكلي والمحيط - يقف بالإنسان عند (النسبي) و(الظني)، اللذين هما غاية الاجتهاد الإنساني، ويحرم الإنسان من (اليقين) الذي سبيله العلم الإلهي ونبأ السماء العظيم.

وأزيد على ذلك فأقول: إن من نعم الله علينا أن جعل العقل هو الذي يدرك بنفسه عجزه وقصوره عن إدراك بعض [illegible] أو كثير مما حوله (ذواتاً أو ماهيات)، وبذلك عرفنا عجز العقل بالعقل نفسه. فكان هذا [illegible] إقناعاً وألزم حجة .. نعم، إن العقل هو الذي يكشف الحقيقة، ولكنها - في كثير من الأحيان- حقيقة نسبية مقيدة بظروف الزمان والمكان.

العقل، على عظمته وضرورته، إنما قصاراه - في كثير من الأحيان، بل في أغلب الأحيان - [illegible] يدرك الأعراض والظواهر والخصائص والآثار، أما إدراك الكنه واليقين فسبيله الإيمان والعلم الإلهي الكلي والمطلق والمحيط[3] ولذلك اختص المنهاج الإسلامي في المعرفة بتزامل وتكامل آيات الله في كتابيه: كتاب الوحي المسطور وكتاب الكون المنظور [illegible] واختل هذا التوازن في معارف الحضارات التي أخذت بشق منهما دون الآخر؛ فغرق البعض في (المادية) وحدها، واستغرق البعض في (الباطنية) دون سواها.

نعم، العقل مناط التكليف، وغير العاقل لا ينال شرف التكليف من الله تعالى؛ إذ

---

[1] ملامح الهوية الأساسية للتفكير الإسلامي استكمالا وتصحيحا الجليل للمستشار / طارق البشرى، موقع إسلام أون لاين ٥/ ٨/ [illegible]

[2] [illegible]

[2]- نفس المرجع السابق

[3] [illegible] عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل العقول على الإطلاق، وقد أخبر سبحانه أنه قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان كما لم يكن يدري الكتاب، فقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [الشورى ٥٢] وقال تعالى: ﴿ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى﴾ [الضحى ٦، ٧] فإذا كان أعقل خلق الله على [illegible]

[illegible]

التكليف لا يكون إلا لمن أمكنه علم الحق والعمل به، ومعرفة الباطل واجتنابه، وهذا لا يكون إلا من أهل العقول.

نعم، العقل هو إحدى الضروريات، أو الكليات، التي لا قوام للحياة ولا استقرار لها بدون حفظها.

نعم، لقد أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه لإبلاغ الناس دينه الحق، مبيناً لهم بالحجج والبراهين أن ذلك الدين حق، وأن ما خالفه باطل، ملجئاً عقول البشر جميعاً – بتلك الحجج والبراهين – إلى التسليم الاختيارى بأن دين الله حق، وأنه الهدى والرشاد، وأنه جالب لمصالحهم في الدارين، واقٍ لهم من المفاسد فيهما .. فأقام الله قضية الإيمان – وهى رأس القضايا – على الحجة والبينة التى يدركها العقل – دون سواه – بالتأمل والتفكر والتدبر !

نعم، كل ذلك لا نتنازع فيه، بل ونجهر به، فمقام العقل في الإسلام مقام لا يحطه البصر ولا تحطه البصيرة؛ وكيف لا نجهر به، بله أن ننازع فيه، والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتى الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتى في كل موضع من مواضعها مؤكَّدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه؛ قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٩١)

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ٦٥)

إذن الغاية من وجود العقل أن يدل الإنسان ويعرفه على الطريق السليم، ويفرق به بين الحق والباطل، ويقيم به الأمور، وهو حجة على الإنسان يوم القيامة .. وإلا فكيف سيحاسبنا الله إن كان العقل ليس بحجة ؟!.. فالإسلام قد جعل العقل مناط التكليف، أي جوهر إنسانية الإنسان .. والقرآن وهو المعجز لم يأت ليدهش العقل، فيشله عن التفكير كحال المعجزات المادية، وإنما جاء القرآن معجزة عقلية، تحتكم إلى العقل في فهمه وتدبره، وفي استنباط الأحكام من نصوصه، والتمييز بين المحكم والمتشابه في آياته.. بل لقد جعل القرآن الكريم من البراهين العقلية السبيل للبرهنة على وجود الخالق، وعلى الخلق في هذا الوجود؛ فالمنهاج القرآني يقدم الإيمان بوجود الخالق الواحد على الإيمان بالنقل وبالرسالة التى حملت إلى الناس هذا النقل، وذلك لأن الإيمان بصدق النقل متوقف على الإيمان بصدق الرسول، والإيمان بصدق الرسول متوقف على الإيمان بوجود من أرسل هذا الرسول، فلا بد من الإيمان أولا بوجود الخالق، الذى بعث الرسول، وأنزل عليه الكتاب .. وطريق ذلك هو العقل، الذى ينظر في المصنوعات فيؤمن بالصانع القدير لهذه المصنوعات .. وربما عرفوه بالعقل كما يقول الناس جميعا !!

كيف لا نجهر بذلك، وآيات القرآن الكريم التي تحض على العقل والتعقل تبلغ ٤٩ آية .. والآيات التي تتحدث عن «اللُّب» بمعنى العقل وجوهر الإنسان فهى ١٦ آية .. كما يتحدث القرآن عن «النُّهى» بمعنى العقل في آيتين، وعن الفكر والتفكر في ١٨ آية .. ويذكر الفقه والتفقه بمعنى العقل والتعقل في ٢٠ موضعاً .. ويأتي العقل بمعنى التدبر في أربع آيات، وبمعنى الاعتبار في سبع آيات .. والآيات التي تحض على الحكمة فهى ١٩ آية .. ويذكر القلب كأداة للتفقه والعقل في ١٣٢ موضعا .. ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغ في القرآن أكثر من ٨٠٠ آية .. وبهذا يتضح – بمجرد دليل الإحصاء لا غير – لكل مَنْ له عقل أن النقل الإسلامي – وهو الشرع الإلهى – هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقه والتعلم، وأن العقل الإنساني هو أداة فقه الشرع، وشرط ومناط التدين بهذا الشرع الإلهى.

كل ذلك أجهر به وزيادة؛ فلا أثر للشرع من دون العقل، ولكنى أجهر كذلك بأنه لا غنى للعقل عن الشرع – وخاصة فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين؛ لأن العقل مهما بلغ من العظمة والتألق في الحكمة والإبداع هو ملكة من ملكات الإنسان.. وكل ملكات الإنسان – بحكم "الخبرة التاريخية" و"المعاصرة" أعنى بحكم "الاستقراء" و"الواقع" – هى نسبية الإدراك والقدرات؛ تجهل اليوم ما تعلمه غدا، وما يقصر عنه عقل الواحد يلمه عقل الآخر[٥].

ونُذكِّر في الختام بالقول البليغ لعلمائنا – والذى ركبته من أقوال الغزالي وابن تيمية وابن خلدون والشاطبي، على الترتيب – مثال العقل: البصرُ السليمُ عن الآفات والأذاء، ومثال الشرع: الشمسُ المنتشرة الضياء؛ فالعقل مع الشرع نور على نور .. العقل شرطٌ في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، والأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل – أعنى قَطْعِيَّهُ – باطلة .. العقل ميزان صحيح، وأحكامه القطعية يقينيةٌ لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به كل ما وراء طوره أو أن تعلم به ما يفوق حدود معرفته؛ فللعقول في إدراكها حدود تنتهي إليها لا تتعداها؛ إذ ليس للعقل سبيلٌ إلى إدراك كل مطلوب[٦].

وبهذا البيان نؤسس لـ (عقلانيتنا المؤمنة)، وندفن إلى الأبد (صيحات عبيد التنوير الغربي) التى تقول: لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده دون سواه!

والله تعالى أعلى وأعلم

٥- [illegible] ١٦٧، ط١، ٢٠١٠م، دار السلام/القاهرة.

٦- إحياء علوم الدين للغزالي، ومجموع الفتاوى لابن تيمية، والمقدمة لابن خلدون، والموافقات للشاطبي.

المقاصد التربوية للعبادات

٢

للأستاذ الدكتور/ صلاح سلطان

المقصد التربوي للحج في الجانب الروحي للفرد المسلم

الحج رحلة إلى الله تعالى يتجرد فيها المسلم من كل علائق النسب التي لازمته منذ ولادته حتى الملابس، بعد عاداته التي تعودها من التطيب والاكتحال وإزالة الشعر وقلم الأظافر وستر الرأس والصيد، وغيرها، يترك الحاج أهله وماله ويخرج متجردا لله تعالى من كل شيء إلا الرغبة الصادقة في التوبة والإنابة والذكر والدعاء والقنوت، وهذه كلها ذات أثر متعدد في إصلاح الجانب الروحي وذلك يتضح من الجوانب التالية:

أولا: لا شك أن العامل يملئ قلبه رضا إذا أحس أن عمله القليل عليه أجر كبير وكذلك الحاج عندما يقرأ وعد الله تعالى لمن قصد بيته حاجا أو معتمرا فإن ذلك يشرح صدره وهذا ما يجعل كل مسلم على وجه الأرض تتعلق خطا قلبه بأن يمن الله عليه بحج بيته وزيارة نبيه ﷺ، فتجد رغبة عارمة ستأخذ عليها الشعور، ويعتصر لها الفكر، ويحتو بينها الشيوخ ويتمنون ألا يموتوا قبل أن يمتعوا عيونهم وقلوبهم بيت الله الحرام ومكة ومنى وعرفة والمزدلفة وطيبة المدينة المنورة وذلك راجع إلى هذه النصوص الكثيرة في فضل الحج والعمرة منها:

١- ما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[1].

٢- ما رواه الترمذي والنسائي وأحمد بسندهم عن عبدالله ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[2].

هذه النصوص وغيرها تجعل من حرم الحج والزيارة في لهفة إليها، ومن ذهب مرة أو مرات يزداد تعلقا ورغبة في معاودة الحج والعمرة والزيارة ولن تجد مسلما عنده قدرة يحج إلا وقلبه معلق بهذه الرحلة الإيمانية، حتى العجائز والعشاق من المسلمين يحملهم أمام هذه الشعيرة دوي رغبة صادقة أن يمن الله عليهم بذلك.

ثانيا: الحج والعمرة فرصة ذهبية لإعادة القلب إلى الصفاء والنقاء، والاطمئنان بذكر الله تعالى ففي رحلة ذكر تشبع هذا القلب بالمداومة عليه، فإذا كان الجسد قد تشبعه القيمات، فإن القلب لا يشبعه شيء مثل ذكر الله تعالى، والحاج أو المعتمر عندما يخرج من شواغله الدنيوية ويصل إلى الأرض المقدسة، ويضع قدميه في بيت الله الحرام يجد قلبه كأنما شده شيء إلى عنان السماء، إلى العرش العظيم، فلا يكون هناك شيء سوى شاغل القلب والعقل بذكر الله تعالى.

وفي النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ما يوضح أن هذه رحلة للذكر لإحياء القلب منها:

أ- قوله تعالى:

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾

(الحج: ٣٦)

ب- قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾

(البقرة: ١٩٨)

جـ- قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

(البقرة: ٢٠٠)

د- قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾

(البقرة: ٢٠٣)

هـ- ما رواه الدارمي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنما جعل الطواف بالبيت ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله»[3].

من هذه النصوص تتجلى أهمية الذكر بالقلب حتى يكون الحاج مخبت القلب لا يغدو إلى شعيرة من الشعائر إلا مصحوبا بالذكر الدائم، ولعل السيدة عائشة قد أصابت جوهر المناسك عندما جعلتها جميعا لإقامة ذكر الله تعالى وفيه حياة القلوب، وشفاء الصدور.

ثالثا: يتعلق بذلك أيضا التلبية وهي من شعائر الحج والعمرة خاصة، وفي فضلها روى ابن ماجة بسنده عن سهل ابن سعد أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا»[4].

والتلبية تعني الاستجابة لنداء الله تعالى عن حب ورغبة، وليس فقط عن خوف ورهبة، فالزوجة التي يناديها زوجها لا يمكن أن تقول له لبيك إلا إذا كانت شديدة الحب له، موفورة الرضا عنه، ولله المثل الأعلى والعبد في إعلان التلبية يدل على أنه جاء يحمل قلبه المحب لله تعالى يرجو رحمته ويخشى

(١) صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة رقم (١٧٧٣) وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة (١/٩٨٣)، [illegible]

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة (٨٠١)، وسنن النسائي، كتاب المناسك، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (١١٥/٥) واللفظ للترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

عذابه، لكن هذه التلبية لا تقتصر على هذا الملبى لنداء الله تعالى بل يهيج كوامن الحب لله تعالى فى مخلوقات الله حوله من حجر أو شجر وتراب وجبال وأرض وسماء، كل ذلك يلهث بالتلبية ويشارك هذا الحاج أو المعتمر هذه الكلمات الطيبة وهى أعظم صور التفاعل الإيمانى بين الإنسان والكون. تفاعل يقوم على الوحدانية، والتسليم لله بالربوبية، وتفرده بالعبودية، وهذا شعور يملأ قلب المتمسك قوة، لأنه مع هذا الكون كله، يسجد لله تعالى، لذلك فى مضامين آيات الحج قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ١٨)

هذه الآية تمثل قمة التفاعل بين الكون والإنسان المسلم، ولعل هذا يفسر هذه المشاعر الإيمانية لهذه الأماكن المقدسة، لأنها تسمع طول العام تذكر والدعاء والتلبية وتشارك الحجيج تلبيتهم، فصارت لها نفحات روحية، ورحمات ربانية لا تجدها فى غيرها، وهى تختلف قطعا عن أرض تنادى بألوان الفجور، وصور الفسوق التى تمارس عليها، إذا مر عليها المؤمن انقبض قلبه، على حين ينفسح قلبه وينشرح صدره إذا دخل إلى هذه الأرض الطاهرة.

رابعا: الدعاء وهو مخ العبادة من شعائر الحج والعمرة، حيث يجأر الحجاج والمعتمرون إلى الله تعالى بخالص الدعاء عند إحرامهم ودخولهم مكة أو المسجد الحرام، عند طوافهم أو شربهم ماء زمزم، عند سعيهم أو وقوفهم بعرفة، عند ذبحهم ومبيتهم بمنى فى كل هذه المواضع يسن الدعاء سواء بالمأثور أو بما يشرح الله صدر كل مسلم إليه، وقد كان النبى ﷺ يدعو الله تعالى فى الطواف بين الركنين فيقول:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(البقرة: ٢٠١)

وكان يدعو على جبل الصفا فيقول:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[٦].

أما أشد مواقف الدعاء وأكثرها مظنة فى الإجابة فهى كما يلى:

أ- عند استقبال الحجر الأسود لما رواه الحاكم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: «استقبل رسول الله ﷺ الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه يبكى طويلا، فالتفت فإذا عمر يبكى، فقال: يا عمر، ها هنا تسكب العبرات»[٦].

ب- عند شرب ماء زمزم وذلك لما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له»[٧].

ج- الدعاء يوم عرفة وهو من أكثر الأيام والأوقات التى يستجاب فيها الدعاء، وقد روى الإمام مالك بسنده عن طلحة أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»[٨].

وروى مالك بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله»[٩].

هذه النصوص تشير إلى أن المسلم تكون أمامه فرصة كبيرة بهذا الدعاء والإكثار من التوبة والرجوع إلى الله تعالى، وحسن التضرع فيعود الحاج والمعتمر بعد هذا الدعاء وقد ذاب قلبه تذللا لله تعالى، وامتلأ قلبه أملا فى رحمته سبحانه. ولعل هذا من دقائق وعرفان من أوسع أبواب السعادة القلبية التى يمنحها الله تعالى لمن وفد عليه وتضرع إليه.

خامسا: فى الحج تحيا فى القلب أسمى معانى الامتثال لأمر الله تعالى دون تردد بغض النظر عما يراه هو أنه لا يحقق سعادة الدارين. وأن الله تعالى لا يريد بعباده سوءا.

وتذكر هذه الأرض الطيبة فى كل موقعها بقصة الامتثال الكبرى من سيدنا إبراهيم عندما أودع زوجته وولده هذه الأرض اليابسة بلا زرع ولا ضرع ولا غذاء ولا سقاء، فنبع الماء من تحت أقدامه عذبا زلالا غذاء للجوعان وسقاء للظمآن ودواء لكل ذى داء، وعندما نبع معه السعى أمر أن يذبح بيده ولده وفلذة كبده فما تردد فى إجابة الأمر وما كان موقف الابن إلا الرضا والتسليم.

وصارت هذه الأماكن معلما لهذا الامتثال، وصارت الأضاحى سنة إلى يوم القيامة لتذكر كل ذى عقل أن العقل يحتاج إلى الوحى، وأن الوحى لا يستغنى عن العقل، وأن المسلم الذى يمتثل لأمر الله سبحانه دون تردد ينال الحسنى فى الدنيا والآخرة.

سادسا: مناسك الحج تذكر بالدار الآخرة، وفى هذا يقول الشيخ الجيطالى: السفر للحج والعمرة تذكرة لسفر الآخرة وأهوال المعاد وكان ركوبه للراحلة مثلا لركوبه نعش الجنازة، ودخوله البادية وقطعه عقباتها إلى الميقات تذكرة للخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة ومشاهدة تلك الأهوال والمطالبات. وكان انفراده عن الأهل فى البر ومكابدته من قطاع الطريق وسبعه مثلا لحلوله فى القبر من ديدانه وأفاعيه، وكانت الصافة لثوبه وإحرامه محالفا لهيئة لباسه تذكرة لثياب الكفن إذ كلاهما غير مخيط ملفوفا فيهما العبد، وكانت تلبيته الله تعالى عند الميقات تذكرة لإجابة الداعى من الأجداث يوم ينفخ فى الصور، وكان دخوله الحرم التماسا للأمن مثلا لقيامه من القبر شاخصة أبصاره مع الناس، ذاهل العقل، عارى البدن من اللباس، وكان انصبابه إلى مكة مع جملة الزائرين مثلا لانصباب الناس فى القيامة من جهة الجنة أملا دخولها، وكان دخوله إلى البيت وتعلقه بأستاره ميلا لحضرة الملك جل جلاله»[١٠].

---

(٦) رواه الحاكم فى «المستدرك» «الصحيحين» وقال هذا حديث صحيح الإسناد، والجامع مع رقم (١٦٧٠)، (١/٤٥٢)

(٧) سنن ابن ماجة، من حديث جابر بن عبدالله - كتاب المناسك باب الشرب من ماء زمزم رقم (٣٠٦٢) ورواه الحاكم من حديث ابن عباس كتاب المناسك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ص (١/٦٤٦)، رقم (١٧٣٩)

(٨) «موطأ الإمام مالك» كتاب الحج، ص (١/٤٢٢)

(٩) «الموطأ» ص (١/٤٢٢)

(١٠) «قواعد الإسلام» للجيطالى تصحيح وتعليق بكلى عبدالرحمن بن عمر (٢/١٣٦، ١٣٧)

من عيون التراث

أريج البستان

للشيرازي (٥٨٠-٦٩٠هـ)

ترجمة:

د. أمين بدوي

القاهرة:

دار الشروق (٢٠٠٦م)

التعريف بالمؤلف:

ولد شرف الدين عبدالله السعدى ونشأ فى شيراز فى أسرة رجالها من أهل العلم والدين والعرفان. وفى تاريخ مولده خلاف. فيه فى رواية عام (٥٩٥هـ) الموافق سنة (١١٩٩م). أو عام (٦٠٦هـ) الموافق سنة (١٢٠٩م). أو عام (٥٠٨هـ) الموافق سنة (١١٨٤م). وبهذا التاريخ الأخير أخذت دائرة المعارف البريطانية.

أما الاختلاف فى تاريخ رحيله عن الدار الفانية فهو أيسر من هذا. يذكر البعض أنه فى عام (٦٩٠هـ) أو عام (٦٩١هـ) الموافق (١٢٩١م) أو عام (٦٩٤هـ) الموافق (١٢٩٤م) ولكنهم متفقون على أن الشيخ كان من المعمرين وأنه جاوز المائة.

لما اشتد عوده سافر إلى بغداد ليستكمل علومه فى المدرسة النظامية والتقى السعدى هناك بعلماء كان لبعضهم أثر فى حياته شيخه شهاب الدين السهروردى الصوفى المعروف. وشمس الدين أبوالفرج الجوزى.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب فى (٢٨٨) صفحة من القطع الكبير، مشتملة على الفهارس، والإهداء المعنون لها الدكتورة إسعاد عبدالهادى قنديل من مترجمه فى شكل أبيات شعر، ومقدمة المؤلف فى تمجيد الخالق ومدح النبى ﷺ ثم تاريخ تأليف الكتاب، وتقديم الكتاب، والتماس الإغضاء عن العيوب، ومدح لأبى بكر بن سعد بن زنكر، ومدح لسعد بن أبى بن سعد وحكاية العارف والنمر والأفعى.

ويتكون الكتاب من عشرة أبواب عبارة عن مجموعة من القصص المعنونة بعناوين متفرقة. يشير الباب الأول إلى العدل والتدبير والرأى، ويبدأ بوصية أنوشروان لولده هرمز يوصيه فيها بالعفو والصفح والتزام الرضا، أتبعها بنصيحة خسرو لولده شرويه، ويبين كيف تتم معاملة التجار والغرباء وإكرامهم، وأن الاحتراز من الغريب حسن، ومعاملة الخدم والأتباع واختيار العمال ومعاملة العمال المعزولين والجمع بين الشدة واللين، والنهى عن إهمال ذكر العظماء، والاعتبار بسيرة الملوك السابقين، والنهى عن الاستماع إلى قالة السوء، وعدم التسرع فى معاقبة الخطاة. وفى حكاية تنصائح حول الاتفاق بين كيفية اتخاذ القرار Decision - Making (ص٤١) من خلال ذكره. لأن من يعمل عملاً بلا تجربة يحمل على قلبه أعباء من جور الهم. وحين يسجل القاضى حكمه بتفكر وروية لا يخجل من ذوى العمائم، ويعفو فوق نسبه فى بهتت. لا حين تكون قد أطلقته من يدك.

ثم ذكر حكاية إبليس فى المنام وأشار فى أصول الحكم وسياسة الرعية والجند إلى تأثير الغضب Anger (ص٤٧). فذكر أنه لا يقول: إذا حاربت فاثبت بل: إذا غضبت فاضبط بالعقل. كل من له عقل يتحمل لا العقل الذى يحكمه الغضب، وحكاية عن ملك عادل كان يرتدى قباء زهيدا، وحكاية دارا والراعى، وحكاية عمر بن عبدالعزيز، وحكاية عن تكلة بن زنكى وأحد العرفاء، وحكاية عن سلطان الروم، وحكاية العابد والحاكم الظالم، وحكاية عام القحط فى دمشق، وحكاية عن حريق بغداد وفى الاعتبار بملوك العجم الظالمين، وحكاية الملكين الأخوين العادل والظالم.

وفى التحذير من عاقبة فعل الشر والجور على الضعفاء وملك القناعة وحديث الجمجمة مع العابد والحسن والمسىء، وحكاية العسس الخير الذى وقع فى الشر، وحكاية الرجل الصالح والحجاج، وعظات وحكم متفرقة. وحكاية الملك مريض بداء الخيط، وفى التحذير من الغرور بالدنيا. وحكاية قصير مصر الأجل لدى رؤية الأجل. وحكاية عن ملك ظالم من ملوك الغور، وحكاية الملك الكبير والرجل الطيب الفقير، وحكاية الشارع النائى. وحكاية الحاكم الظالم والشيخ الحكيم وفى التدبير ومداراة العدو والحيطة والحذر فى خوض الحرب والعناية بالجند وتشجيع الأبطال، وفى تدبير الحرب والملك، وفى الفرار من القتال، وفى تربية الرجال فى الحذر من العدو وفى السلم فى التنبيه لكيد العدو والتعبئة فى الحرب، ومعاملة الأسرى فى الحذر من صداقة أقرباء العدو والحذر من استخدام الجندى العاصى أميرا، وفى سياسة البلاد المفتوحة وفى حرب العدو وكتمان السر.

أما الباب الثانى فى الإحسان ويبدأها فى الاهتمام بالمعانى لا الصور، وعرض فيه للمعانى الذى يميل إلى المعانى؛ لأن المعنى هو الذى يبقى من الصورة لا الصورة وهى إشارة إلى الإدراك Perception والذى يعنى احتفاء المعنى على الصورة (ص٨٨) ثم العطف على اليتيم. وفى الرحمة والترحيب، وحكاية إبراهيم الخليل عليه السلام وصيته لموسى فى الإحسان وبيع الآخرة بالدنيا، وحكاية الجنب الخالى والشيخ الصوفى، وحكاية المعى المتمسك ووارثه الممسك. وحكاية المرأة. ثم قدم عظة، وعرض بعدها لحكاية الشيخ المغرور بصلاته وعبادته وأشار فيه إلى الوسواس المشتت الخاطر والذى يعنى Obsessions (ص٩٥)، وحكاية عن رجل كريم رقيق الحال، وحكاية الرجل الرحيم وتكلف الطلق، وفى العطف على المساكين وعدم الاغترار بالجاه والسلطان، وحكاية الغنى الذى نهر السائل فأصبح سائلا، وحكاية السملة الخاثرة، وحكاية الشاب والخروف الأليف، وحكاية الدرويش والثعلب الأبتر اليدين والرجلين، وحكاية الرجل الخامل البخيل، واختبار سلطان الروم لكرم حاتم الطائى، وحكاية ملك اليمن الحاقد على حاتم الطائى، وحكاية ابن حاتم مع النبى ﷺ، وحكاية حاتم والشيخ طالب السكر، وفى مقارنة أبى بكر بن سعد بحاتم الطائى، وحكاية الرجل الذى وقع حماره فى الوحل والسلطان، وحكاية الشخص الأعمى الذى أبصر ببركة إكرامه السائل، وطريق الوصول إلى الخير. ورجل يبحث عن ولده فى الليل ويلقونه بين الحصى وباب المعرفة، وحكاية الرجل الحريص وابنه المتلاف، وحكاية عن شاب تصدق بدانق

على شيخ فقير، وحكاية صحراء الحشر، وفي معاملة الأشرار، وحكاية المرأة الحمقاء وعش الزنابير والحزم في الأمور والعمل في الوقت المناسب.

أما الباب الثالث فهو في العشق والوله وعرض فيه لما جاء في عشق الذات الإلهية والعشق الإلهي والعشق الدنيوي.

وجاء الباب الرابع في التواضع وجاء فيه على ذكر الحض على التواضع وقطرة المطر المتواضعة، وحكاية الشاب الصوفي وكبر العابدين، وحكاية بايزيد والرماد المهال على رأسه والرفعة في التواضع والهوان في الكبر، وحكاية العابد بعبادته والفاسق النادم على معصيته، وحكاية الفقيه الرث الثياب في مجلس القاضي، وحكاية أمير كنجة [illegible] الطاعة. وحكاية السيد الفاضل وغلامه النميم، وحكاية معروف الكرخي وحيلة المريض وجاءت هنا إشارة إلى اضطرابات النوم Sleep Disorders ألا وهي الكوابيس Nightmares (ص١٥٥). كما جاء على ذكر الاضطراب Disorder والقلق Anxiety (ص١٥٦) ثم عرض حكاية [illegible] والشيخ الصوفي، وحكاية الملك الصالح والفقيرين النائمين بالمسجد، وحكاية النجم الناشئ المغرور، وحكاية العبد الآبق والملك الغاضب وبين كيف يمكن التعامل مع حاد الطبع، وأن القول الهين حق لله على نار الرجل الحمي الغاضب، وفيه إشارة إلى أحد أساليب تنمية السلوك (التوكيد) ألا وهو تطويع الغضب Anger Disarming (ص١٦٠).

وحكاية الإمام ومحاكمه في الرأي، وحكاية الخليفة والشحاذ، وحكاية رؤية الرجل الصالح في الرؤيا، وحكاية ذي النون المصري [illegible]

أما الباب الخامس فكان في الرضا، فبدأ في تحدي السعدي خصومه ثم في الإيمان بالقدر والرضا بالقضاء ثم حكاية البطل الأصفهاني، وحكاية البطل الأردبيلي والخارب لأسى الملك، وحكاية الكردي العليل والطبيب الصحيح، وحكاية القروي الذي نفق حماره، وحكاية الفقير الذي وقع منه دينار، وحكاية الشيخ الهرم وضربه لابنه بلا ذنب، وحكاية الفقيه في حي الشحاذين، وحكاية النسر والحدأة، وحكاية تلميذ النساج، وحكاية ولد الناقة مع أمه، وحكاية العبادة بإخلاص وحكاية الفاسق الهالك.

والباب السادس في القناعة وبدأها بتربية النفس وحكاية الحاجب والشط، وحكاية الطماع وملك خوارزم، وحكاية [illegible]، وحكاية الخبيث عن البصرة، وحكاية الصوفي في المطلوب على تمره وبائع قصب السكر، وحكاية الأمير وطاق الحرير، وحكاية الفقير القانع، وحكاية الإبرة في بيت العجوز، وحكاية الأب الفقير وطفله وفي تحويل الخبز إلى فضة، وحكاية [illegible]، وحكاية الشيخ [illegible] وأشار إلى أهمية أن تكون [illegible] مرضية وجميلة وهي إشارة إلى سمات الفرد Traits (ص١٩٥)، وانتهى بحكاية الشيخ المعمر.

والباب السابع في التربية وبدأها بكبح جماح النفس، وحكاية صون اللسان عن الهذيان، وحكاية المجهول الصامت وحكاية رجل جمع لسانه، وحكاية عضد الدولة وابنه المريض وفي مشهد معركة، وفي النهي عن الغيبة والنميمة، وحكاية السعدي في المدرسة النظامية، وهنا أشار إلى أحد أساليب التعليم ألا وهي التسميع الذاتي Rehearsal (ص٢٠٧)، وحكاية [illegible] وحكاية [illegible] وتعليمه [illegible] الوضوء، وفي ذكر [illegible]، وحكاية الرفيق [illegible] والمجنون، وحكاية من يجوز اغتيابهم، وحكاية اللص القادم من الصحراء، وحكاية النمام والصوفي، وحكاية فريدون والواشي والوزير، وفي المرأة الطيبة والمرأة الخبيثة، وحكاية الشاب المشتكي من زوجه، وفي تربية وتعليم الصبي.

وتناول الباب الثامن الشكر على العافية وفيه ذكر في عجز الخلق عن شكر الحق، وحكاية [illegible]، وفي تدبير صنع الخالق [illegible] والرأي والفكر Thinking, Opinion and Vision والتمييز Discrimination بينهم في الرأس، أي [illegible] (ص٢٢٨)، وحكاية الأمير ناكر الجميل، وفي تأديب الصبي وفي تذكير الإنسان بأنعم الله وفي معرفة المحروم قدر النعمة، وحكاية [illegible]، وحكاية [illegible] واللص، وحكاية العابر والعابد الزاهد، وحكاية العاجز والباكي، وحكاية العقيب والسكران، وفي حكمة صنع [illegible] معنى الأطعمة تؤثر على المزاج Mood (ص٢٣٥) وأن المزاج [illegible] طباع الإنسان مركبة من هذه الأربع، وبين أن هناك اختلافا في الأمزجة Moods Differences وذلك إذا تغلبت واحدة من السابقة على الأخرى (ص٢٣٥)

[illegible] التاسع في التوبة وطريق الصواب [illegible] في الإعداد للآخرة، وحكاية الشبان والشيخ، وحكاية الشيخ المعمر والطبيب، وفي حض الشبان على الطاعة، وحكاية الميت والحي، وحكاية العابد والأجرة الذهبية، وحكاية [illegible]، وحكاية المسافر في القافلة، وحكاية الصبي وخاتمه الذهبي، وحكاية الشخص الذي أغضب الملك، وحكاية آكل مال الناس والذاهب إلى المسجد ملطخ [illegible]، وحكاية الصبي [illegible]، وحكاية [illegible] وحرق البيدر، وحكاية [illegible] معكر، وعرض في كل ذلك إلى أحد مظاهر الخجل Shyness وهو التعرق Sweating (ص٢٦٢)، وحكاية زليخا وعشقها ليوسف، وفي ستر البررة [illegible] بالتراب، وحكاية الغريب في مسجد الحبش، وحكاية رئيس دامغان وضربه شخصا بالصولجان، وحكاية موت طفل السعدي في صنعاء.

أما الباب العاشر فهو [illegible] وختم الكتاب وعرض إلى التضرع إلى الله، وعتاب الشخص الأسود اللون والدرويش ناقض التوبة، وحكاية المجوس وخدمة الصنم، وختم ما جاء في الكتاب بعبارة (لم أجيء [illegible] إلا الأمل، فلا تحرمني يا إلهي [illegible]) [illegible] وختمه بشرحه.

الخلاصة:

وردت في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- اتخاذ القرار Decision - Making
- الغضب Anger
- الإدراك Perception
- الوسواس Obsessions
- تشتت الإدراك Perception Distraction
- اضطرابات النوم Sleep Disorders
- الاضطراب Disorder
- القلق Anxiety
- تطويع الغضب Anger disarming
- السمات Traits
- التسميع الذاتي Rehearsal
- البصر Vision
- الرأي Opinion
- الفكر Thinking
- التمييز Discrimination
- المزاج Mood
- اختلاف في الأمزجة Moods Differences
- الخجل Shyness
- التعرق Sweating

القلق والعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

من سنن التنوع في إطار الوحدة

٣

بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا

www.afbasha.com



٤ - تنوع الطبائع والغرائز:

لقد أودع الله سبحانه وتعالى في مخلوقات طبائع متنوعة، تتمثل في شعور فطري وسلوك غريزي لا إرادي. ومن هذه الطبائع والغرائز ما هو طيب كالأمومة والمودة والشجاعة، ومنها ما هو غير طيب كالخوف والغدر. لكنها في جميع الأحوال ضرورية وحيوية لوظيفة الكائن التي هيأه الله تعالى له وأعده لها.

ولعل غريزة الأمومة التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الأنثى من الإنسان والحيوان تأتي في مقدمة الغرائز السامية الضرورية لاستمرار الحياة وبقائها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فقد ملأ الخالق القلب قلب كل أم حبا وحنانا على صغارها وهداها إلى وظيفتها في الحرص على أولادها مهما كانت المتاعب والتضحيات. كما علمها الله سبحانه وتعالى كيف تكتسب الخبرة اللازمة عن طبيعة فطرتها وغريزتها التي لا إرادة لها فيها، منذ سنة التزاوج والتناسل، وما يلزمها من سلوكيات تنم على وجود خالق واحد مسير حركة الكون والحياة.

وإذا كان التزاوج بين أفراد الجنس البشري لم يختلف منذ بدء الخليقة من حيث الطرق والأساليب المعروفة في البداية والنهاية وبقيت الأنثى من الذكر والأنثى فإن معظم الحيوانات لا يختلف عن الإنسان في تبني أساليب خاصة في البحث عن الأليف واختيار شريكه. وربما تكون مظاهر الإيذاء في تناسل الحيوانات القوى أوضح في الدلالة منها في الإنسان على سبيل المثال. لوحظ أن ذكر الطير له أسلوبه الخاص في الغزل واختيار الأنثى. فإن أراد التودد إلى أنثى، اختار حصاة وانتقى منها زهرة وحملها ووضعها تحت قدميها. فإن التقطتها كان ذلك دليلا على أنها قبلته زوجا لها. فيتزوجان. أما إذا تركتها ولم تمسها كان ذلك دليلا على عزوفها عنه وإعراضها عن الزواج منه. وعندئذ يعود فيلتقط حصاة ويتصرف بها إلى أنثى أخرى أملا في بلوغ مرادها.

وقد لوحظ أن الطيور المهاجرة تعود إلى مواطنها في مواعيد تكاد تكون محددة، مهما كانت المسافات بعيدة، ليتم التزاوج والتناسل. ويحدث الشيء نفسه في تناسل بعض أنواع السمك، لكن قصة ثعابين السمك تعتبر من أعجب أدلة الإيمان. فهو يعيش في الأنهار، وعندما يكتمل نموه ويبلغ العاشرة من عمره يهاجر في مختلف أنحاء العالم، فثعابين السمك التي تعيش في أنهار أوروبا تسبح حتى المحيط الأطلسي، وتلك التي تعيش في النيل وأنهار أفريقيا تسبح إلى البحر المتوسط، ثم تخترق مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي.

ثم تستأنف جميعا رحلة تقطع فيها آلاف الأميال قاصدة إلى الأعماق السحيقة في جزر الهند الغربية، جنوبي برمودا، حيث تتزاوج وتضع البيض، وتنهي عندئذ حياتها وتموت، وبعد مدة تخرج الصغار من البيض على هيئة خيوط صلبة شفافة صغيرة لها عيون مدورة، وتتأهب للعودة إلى موطن الأب في رحلة تستغرق أكثر من ثلاث سنوات في بعض الجهات، لتصل إلى مصاب الأنهار في أوروبا، أو إلى البرك في أواسط أفريقيا، أو إلى البحيرات في سيناء. ولم يحدث قط أن صيد ثعبان سمك أمريكي في المياه الأوروبية، أو ثعبان أوروبي في المياه الأمريكية.

وعالم السمك، شأنه شأن عالم الإنسان وعالم الحيوان، يزخر بالعديد من الأمثلة الدالة على تنوع طرق التلقيح والتزاوج بين أعضاء التذكير والتأنيث. فسبحان الخالق العظيم الذي ألهم كل مخلوق كيف يحافظ على نوعه وحياته. وصدق العليم الخبير القائل في محكم التنزيل:

﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾

(سورة يوسف: ١٠٥)

وهناك من الغرائز والطبائع ما يدفع النوع الواحد من الحيوانات إلى أن يتخذ من ضروب الحذر والحيطة ما يساعد على حماية أفراده. فكل الحيوانات والطيور التي تسير في جماعات وأسراب، تتخذ من بعض أفرادها حراسا تنبهها وتحميها من أي خطر قادم، وطلائع ترشدها وتكتشف لها الطريق، ولا يكون هذا من قبيل مصادفة مرة أو مرات، بل يكون عن قصد وإلهام غريزي ينطقان بوجود قوة واعية لكافة الكائنات على اختلاف أنواعها.

وتظهر فاعلية الاستكشاف واضحة في أسراب الجراد، حيث تسير في المقدمة بعض أفراد لاكتشاف الطريق، وتكون هذه المجموعة إنذارا بسرب هائل قد يغطي مساحة ٢٠٠٠ ميل مربع. ومن العجيب أن نعلم أن طلائع أسراب الجراد إذا شعرت بين الحين والآخر بابتعاد الأفراد المؤخرة عن المقدمة بحيث يصبح السرب عرضة لتمزيق الشمل وتشتيت الأجزاء، فإن طلائع الاستكشاف في المقدمة تبطئ من حركتها حتى يتمكن أفراد المؤخرة من اللحاق بها والالتحام بالسرب، بحيث يظل محتفظا دائما بشكله وانتظامه. ولا يمكن لأي جرادة أن تنعزل عن السرب أو تخرج بعيدا عن إطاره العام، وإذا ما حدث ذلك أسرعت بالدخول ثانية في الجماعة الكبيرة. ذلك لأن حياة الجراد بصورة عامة تعتمد على قدرته التجمعية، وتكوينه للأسراب المهاجرة. ومن ثم فإن مقاومة كوارث الجراد والوقاية من غزواته المدمرة قبل حدوثها تعتمد على إيقاف تجمعه، وتعطيل طبيعته الغريزية في الحياة الجماعية، وتكوين أسراب تطير لمسافات بعيدة.

وتتنوع صور الحراسة وأساليبها بتنوع الحيوانات وبيئاتها، فجماعة الفيلة التي تعيش في الغابات يتقدمها عادة دليلها إلى الماء أو الغذاء، وأسراب الطيور يحرسها في سيرها أكبر ذكورها، ويسير ضعافها في مؤخرتها، بينما يسير حراس الظباء في الخلف لأن الذئب، وهو أخطر أعدائها، لا يهاجم القطيع إلا من خلفه. والجاموس الوحشي الإفريقي من عادته أن يضع حارسه على أعلى بقعة في الغابة ليستطلع مشارف الطرق ومسالكها، أما حيوان القندس القارض الذي

يسوطن أوروبا وأمريكا الشمالية. وإنه يعيش أيضاً في الغابات. وعندما تحدث تغيرات في تغيرات حول محيطه تنعدم خيوط الأرض، لا تحدث صحة كبرى في أي مكان تحل به عندما تقوم بقطع أغصان الأشجار وأوراقها. فهي لا تكتفي بحرس واحد كما يفعل الجاموس الوحشي الإفريقي.

كيف عرفت هذه الحيوانات كل تلك الأساليب والتصرفات التي تحذرها من الخطر وتنقذها من الهلاك. إنها تفعل ذلك بالغريزة الفطرية التي أودعها الله فيها. فسبحان من ألهم الحيوان ما لم يعلمه، وعلم الإنسان ما لم يعلم.

وإن شئنا أمثلة أخرى، وجدنا القنفذ وقد حصنه الله بأشواك حادة تغطي جسمه. فإذا ما حاول عدو على مهاجمته انتصبت هذه الأشواك لتكون درعاً واقياً. وتقلب على شكل كرة لحماية نفسه، والسلحفاة وضعها الله جعل قوقعة داخل حصن حصين، فإذا ما شعرت بخطر يهددها أدخلت رأسها وأرجلها في هذا الدرع الصلب الذي يصعب على أي حيوان كسره ليصل إلى لحمها. وهناك بعض الكائنات التي حماها الله بقناع من الألوان ليحميها من عدو يفتك بها، مثل حرباء عجيبة تغير لونها تبعاً لما يحيط بها لتختفي عن الأنظار.

ومن دلائل القدرة الإلهية في خلق الكائنات منحها من الصفات والخصائص ما ييسر لها الظروف الملائمة للحياة في البيئة التي تعيش فيها. ومن يتأمل عالم الأحياء عموماً يجد أنها تعيش في مستويات مختلفة من طبقات الغلاف الأرضي. من أعماق البحار والمحيطات إلى أعالي الجبال والطبقات العليا القريبة من الغلاف الجوي. وكثيراً ما نجد في بعض الأماكن أحياء تختلف في نوعها وشكلها عن أحياء الأماكن الأخرى، ويعود هذا الاختلاف إلى ظروف البيئة الطبيعية. فالبيئة البحرية غير بيئة اليابسة، وفي المدى البحري نفسه نجد، كالبحر مثلاً، نجد بيئة الشواطئ تختلف عن بيئة المنحدر القاري عند الأعماق. وفي البر تختلف بيئة الغابة عن البيئة الصحراوية والبيئة الجبلية. والأحياء في كل بيئة متكيفة مع عناصر البيئة.. وهذا التكيف حاصل خلال ملايين السنين. فإذا حدث تغير في عناصر البيئة، فإن هذا يؤثر على الأحياء فيها، ويدفعها إلى أن تهاجر إلى أماكن أخرى، وتتكيف مع ظروف جديدة، أو تتطور بظهور صفات عضوية وتركيبة جديدة بقدرة الخالق أو تحدث صفات وراثية تستمر في حياتها.

ومعظم الحيوانات تكيفت في بيئاتها من خلال التطور الطبيعي خلال ملايين السنين. وتجلت سنة الله في خلقه، فاتخذت أشكالاً وألواناً تعطيها حرية الحركة في بيئاتها فهناك بعض الحشرات تشبه أوراق النباتات، وتظهر الحشرة كورقة التي تشبه ورقة نباتية تماماً. لونها أخضر وعلى ظهرها عروق ذات لون بني فاتح تحاكي عروق الورقة النباتية. وإذا وقفت الحشرة على نبتة التي تشبه أوراقها فإنه يستحيل تمييزها.

وتوجد فراشات تشبه الأوراق النباتية الميتة. فإذا وقفت فراشة من هذا النوع على غصن شجرة وضمت جناحيها، تظهر كورقة صفراء يابسة ميتة. وسلك لا يميزها أحد وهي على أوراق الشجرة.

وأحياناً يظهر التكيف بشكل زهور، فهناك نوع من حشرات فرس النبي له شكل يماثل الأزهار، حيث تعطي الأقسام المنبسطة من الجسم والأرجل ما يشبه بتلات الزهرة، ولونها يماثل ألوان الأزهار الوردية الفاتحة.

ولا يقتصر التكيف في عالم الأحياء على الحشرات الكاملة، فيرقات بعض الأنواع تشبه الأزهار أو فروع النباتات التي تعيش عليها الحشرات، ولذلك توفر لها الحماية وفرص البقاء، ولا يقتصر التكيف على الشكل، بل يشمل الألوان التي تتوافق مع ألوان البيئة. وقد تلعب تغيرات فصول السنة في هذا التكيف.

وفي بعض الأنواع يتم التكيف في البيض والصغار أيضاً، فبيض طائر "الزقزاق المطوق" تشبه الحصى التي يضع عليها بيضها أو بيتها. وعندما يفقس البيض تخرج أفراخ تشبه الأرض المحيطة بالبيئة. ولا تتحرك الأفراخ إذا شعرت بوجود حركة غريبة قربها، فلا يمكن ملاحظتها بسهولة.

وكل هذه الصور من صور التكيف حصلت خلال ملايين السنين، حسب تقدير العلماء بطرق وإثباتات علمية، وهي خصائص للتمويه بغرض الدفاع عن النفس بالحماية والتخفي، أو بغرض الاستخفاء القنص من أجل الحصول على الغذاء، وكلا الهدفين ضروريان لاستمرار حياة الكائن الحي والحفاظ على نوعه، وهما يدلان على عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي قدر شيئاً، وأحسن كل شيء خلقه، وأعطى كل شيء خلقه.. فتبارك الله أحسن الخالقين.

٤- تنوع لون الكائنات

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة فاطر: ٢٧-٢٨)

في هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الإسلام الخالد الذي أنزله الله على النبي العربي الأمي الخاتم، دعوة إلى تأمل كتاب الكون الجميل الصفحات، العجيب التكوين والتلوين، بكل ما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، لكي يتدبره العلماء الذين يخشون الله سبحانه وتعالى حق عبادته، ويدركون قدرته المبدعة عن طريق العلم المنهجي الصحيح.

فإذا تأملنا خلق الجبال، وجدنا أن السبب في اختلاف ألوانها يعود إلى اختلاف المواد المكونة لصخورها. فالجبال البيضاء تتكون أساساً من الطباشير والحجر الجيري، والجبال السوداء يكثر فيها الحديد والفحم، والجبال الحمراء غنية بالحديد. وغير ذلك من الجبال النارية تتكون من الجرانيت والبازلت، وتحتوي على عروق الحديد والنحاس والذهب ومعادن أخرى، تؤدي إلى تعدد أنواع الجبال وألوانها. ومن دلائل القدرة الإلهية هنا أن التباين في ألوان الجبال وألوانها وأنواعها، رغم أنها ترجع أصلاً إلى أرض واحدة كانت تكون مع الشمس والسموات رتقاً واحداً متصلاً، يشير إلى وحدانية الخالق المبدع.

وإذا تأملنا عالم البشر وجدنا أن اللون من الخصائص الجسمية الظاهرة التي يدل اختلافها وتنوعها على قدرة البارئ المصور. فالناس ينقسمون من حيث لون البشرة إلى فئات ثلاث تشمل بيض البشرة وصفر البشرة وسود البشرة فضلاً عن ذوي البشرة السمراء، الذين تتراوح ألوانهم بين الأصفر الفاتح والأسمر المشرب بحمرة والأسمر الغامق، فإنهم - حسب التصنيف «الأنثروبولوجي» - يعتبرون شعبة من البيض.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن لون الجلد يتوقف على مقدار المادة الملونة فيه والتي تعرف باسم

الميلانين، ويعتمد على نشاط الخلايا الصانعة له. هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تؤثر على تشكيل لون الجلد النهائي، مثل عامل انكسار الضوء على سطح الجلد، وعامل امتصاص البشرة للضوء، وسمك طبقات الجلد المختلفة. ووجود مواد ملونة أخرى مثل الكاروتين (الأصفر) والهيموجلوبين (الأزرق) والأوكسي هيموجلوبين (الأحمر). ولكن يظل الميلانين (البني) هو أهم ما يؤثر في اللون النهائي لجلد الإنسان، وعدد الخلايا الصانعة له لا يختلف من جنس إلى آخر، وهي موجودة في جميع أنسجة الجسم تقريبًا، ولكن كثافتها تكون عالية جدًا في البشرة والغشاء المخاطي والشعر وأغشية المخ والعين.

وإذا تأملنا عالم الدواب والأنعام نجد أن هناك تنوعًا وتغييرات تحدث في لون فروة الحيوان، خاصة في حيوانات الغابات التي يحدث فيها تساقط أوراق الشجر. إن ضوء الشمس المتناثر بين الأوراق يعطي للحيوانات المنقطة (مثل بعض أنواع النمور) ميزة التخفي. ولكن في المناطق الباردة تسقط الأوراق في الخريف، وبهذا يكون لها ميزة التنقيط في الحيوان كوقاية خلال شهور الشتاء. وهناك بعض الحيوانات، مثل الدب القطبي، يستمر أبيض الفروة طوال العام. وبعضها، مثل الأرنب البري، يتغير لون فروتها إلى الأبيض في الشتاء.

والألوان من الناحية العلمية ظاهرة ضوئية يدركها الإنسان والحيوان عن طريق حاسة البصر، وقد ظل تفسيرها غامضًا لآلاف السنين، إلى أن جاء عصر الحضارة الإسلامية بعلمائها النابهين، أمثال ابن الهيثم والبيروني وابن سينا وغيرهم.

وشهد علم الضوء على أيديهم فترة نوعية غير مسبوقة مهدت لاكتشافات جديدة في عصر النهضة الأوروبية الحديثة، حيث تمكن العالم الإنجليزي إسحق نيوتن من إجراء تجربة عملية بسيطة استخدم فيها منشور زجاجي ثلاثيًا، وسمح بسقوط أشعة الشمس على أحد جانبيه، واستقبالها من الجانب الآخر على حاجز أبيض، فوجد أن ضوء الشمس الأبيض قد تحلل إلى عدة ألوان تميز العين منها سبعة ألوان هي: الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي. وهي شبيهة بحزمة قوس الألوان، وتشكل ما يسمى علميًا «طيف الضوء المرئي» الذي يتكون في حقيقته من عدد لا نهائي من الألوان المتدرجة في التغير.

وبعد أن استقرت نظرية الضوء في العصر الحديث، وأمكن إثبات خاصيته الموجية، أصبح من المألوف التفرقة بين الأضواء الملونة المختلفة بدلالة الطول الموجي لكل منها. فالضوء الأحمر هو أطول موجات الطيف المرئي، ويليه بالتدريج بقية الألوان حتى اللون البنفسجي، وهو أقصرها. ورغم أن تحليل الضوء الأبيض خلال مروره في منشور زجاجي يعطينا سبعة ألوان، إلا أن الألوان الأساسية فيه ثلاثة فقط هي الأحمر والأخضر والأزرق. فإذا ما تم مزج اثنين أو أكثر من هذه الألوان الأساسية الثلاثة حصلنا على بقية الألوان بدرجات متفاوتة، أي أن مزج اللونين الأحمر والأخضر يعطي اللون الأصفر، ومزج اللونين الأحمر والأزرق يعطي اللون الأحمر القرمزي (الماجنتا)، ومزج اللونين الأزرق والأخضر يعطي اللون الأزرق «السيانيدي»، وهذه هي طريقة مزج الألوان في التليفزيون الملون، وطريقة خلط ألوان الطلاء بدرجاتها المختلفة.

وكل ذلك أدعى إلى شكر نعم الله تعالى في خلق العين وقدرتها لوظيفتها في إبصارها للأشياء بألوانها المتنوعة كما هي في الواقع.

حرية الإعلام بين الالتزام والانفلات رؤيــة إسلاميــة



٢

للأستاذ الدكتور محمد شحات الجندي
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الصورة المعكوسة للإسلام

قد يحار الباحث المنصف في تبرير قتامة صورة الإسلام لدى الغرب ووسائله الإعلامية، إذ أمعن في بحث العلاقات القائمة بين الغرب والعرب ودول النفط العربي بوجه خاص، لما يجنيه الغرب من مكاسب وتحصده أمريكا بالإضافة إلى كم المصالح التي يحصل عليها لكي تبدو الصورة معكوسة وظالمة إذا تحمل الإسلام هذه الأوزار التي يوصف بها السلوك العربي، وهو منها براء، وكان الأولى والأصح، أن يحكم على الإسلام من خلال مبادئه وتعاليمه التي وردت في أصح وثيقتين وهما القرآن والسنة، وفي التطبيق الكامل المستنير للإسلام من جانب العرب في صدر الإسلام.

وأغلب الظن أن العرب في توجهاتهم وفي سلوكياتهم والنظم القائمة لديهم وفلسفتهم الحياتية المعاصرة ليسوا هم النموذج الصحيح للإسلام لا في شئون الحكم والإدارة ولا في النظم الاقتصادية والاجتماعية. وإنما وقفوا بالإسلام عند الشكل والقشور، وطرحوا الجوهر والمضمون. وأقاموا نظمهم وخططهم على أخلاط من التوجهات والفلسفات التي ليس بينها تناغم أو تحاكم إلى صحيح الإسلام وروحه الوثابة، وفكره المستنير، الذي يساير الأوضاع، ويقدم الحلول، ويملك زمام المبادرة، ويحقق النهضة والتنمية للفرد والجماعة في كل المجالات، وليس في ذلك النموذج الذي يعتمد التقليد والانكفاء على الذات، واختزال الإسلام في العبادات والشعارات وتغييبه في أمور الاجتماع والاقتصاد والسياسة، أو في تغييبه عن الساحة، واستيراد الفلسفات والنظم وهو بمعزل عن الهيمنة عليها وتوجيهها، مع النص على الاحتكام إليه واعتباره المرجعية والأصل.

ومن هذا الطرح للإسلام في الأنظمة الحياتية العصرية وفي ضوء الممارسة العصرية للبلدان

العربية والمسلمة، يستبين الجزء المعيب في الصورة، ويبرز للمعضلة الراهنة الكاملة لدى الأنظمة والفلسفات العربية العصرية، وهو أنها ليست حجة على صحيح الإسلام، ويصح القول بأن العرب عبء عليه، ودعاية سلبية له في الحاضر.

ومن اللازم الضروري أن تعكف النخبة العربية على تشخيص الحالة، وأن تحدد مقدار العطب في المسيرة، وأن تنطلق في رسم السياسات والفلسفات، النابعة من الإسلام، وأن تعيد تقييم مؤسساتها، وأن يقوم الاعوجاج في السلوك العربي، بما يعبر عن الالتزام بالإسلام في العلاقات والتعامل ونمط الحياة في الداخل والخارج.

وهنا يبدو لازما التواجد الإعلامي الإسلامي، كصوت فعال ومؤثر في التعبير عن الهوية والذاتية الإسلامية، وبيان الحقائق الإسلامية في شئون الدين والحياة، والنفاذ إلى عقول وقلوب الجماهير بالحكمة المطلوبة، وأن تقدم الوسائل الإعلامية المجتمعات الإسلامية كمجتمعات لها خصوصية ثقافية وثوابت دينية واجتماعية وحضارية، تساهم في التقدم الإنساني، وترقى بالحياة في شتى المجالات العصرية.

لقد بات ملحاً على الإعلام الإسلامي أن يتصدى للتحديات والمخاطر التي تواجه الأمة، وتبغي اقتلاعها من جذورها، وأن تواجه صناعة الإعلام العربية في وصم الإسلام بالتخلف وعدم الصلاحية. وأن يتبنى هذا الإعلام كشف تزييف الأطروحات الإعلامية العربية، بشأن القضايا التي تعكف على ترديدها بإلحاح، لضرب صورة الإسلام والعرب والمسلمين في الخارج، مثل الثيوقراطية والاستبداد، وخرق حقوق الإنسان، ومشهيات المرأة، والتصاق الإرهاب به والتعصب واضطهاد الأقليات، وعلى الإعلام الإسلامي أن يكون صوت الإسلام، والشرح الصادق والأمين لمبادئه وثوابته وممارساته الحياتية إبان العصر الذي قدم نموذج الإسلام الصحيح فكراً وتطبيقا وهو ما يقتضي عرضا لمبادئه وهويته وأطروحاته الحياتية، بحسبان هذا الإعلام، هو فن إيصال الحق للجماهير بقصد الإقناع به وعرض الأدلة عليه، وفي كشف الباطل ودحضه. فقصد طرحه والاحتفاء به فيه أداء مهمة الدعوة وتحصين.

وينبغي الاعتراف بأن رسالة الإعلام الإسلامي رسالة عالمية، تعرض بموضوعية وجاذبية في آن واحد شمول الإسلام كدين وحياة، وعقيدة وسلوك اجتماعي، مثال ومادة، تنمي الإنسان وتعمر الكون وترتقي به، تعبر عن خصوصية الإسلام، وقبوله للناس جميعا.

لقد آن الأوان، أن يضطلع الإعلام الإسلامي، بتقديم الفكر الإسلامي في القضايا التي تطرح في الإعلام العربي من منطلق الغزو الفكري والتي تشكل رأس حربة تطعن الوجود الإسلامي. ومن المعلوم جلي مسخ الإعلام الغربي لصورة الإسلام، وتقديمه كنظام حكم ثيوقراطي (نظرية حكم الإلهي) وهذا محض هراء، لأن الحاكم في الإسلام هو حاكم مدني من كل الوجوه وليس حاكما دينيا. ونظام الحكم في الإسلام هو عقد اجتماعي بين الحاكم والأمة هي التي توليه السلطة باختيارها، وهي التي تقومه إذا انحرف وتقوم على نصحه. وتعزله إذا خرج على الشريعة الإسلامية

ولعل في مقولة: أبي بكر الصديق ما يؤكد هذه الحقيقة: «إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني».

والحكم في الإسلام يستند على الاستبداد، ويعني الحق والعدل، ونصوص القرآن صريحة في هذا المعنى

[illegible]

(ص - ٢٦)

[illegible]

(النساء - ٥٨)

والشورى ركيزة الحكم الإسلامي

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(آل عمران - ١٥٩)

وهو خطاب الله لرسوله النبي والحاكم السياسي.. كذلك قوله تعالى

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

(الشورى - ٣٨)

بهذا المعنى يتجه الخطاب الإعلامي، بالتصدي لكل اتجاه يثار ضد الإسلام، وهو ما يعني التصدي له بسلاح الفكر والواقع الإسلامي الأول، الذي نبع من معين الإسلام ونفذ تعاليمه الصحيحة غير المشوشة ولا المزورة

وما يدعيه الإعلام الغربي عن خرق حقوق الإنسان في الإسلام[1]، هو تعبير عن الانتهازية الإعلامية، التي تأخذ من الواقع المتردي الحالي سندا لها، لكي تبلغ مرادها في تشويه الإسلام، ومصادرة مبادئ الحرية والمساواة والحرية بشعبيها المتعددة، حرية الرأي، وحرية التعليم، والحرية الشخصية وحرية التنقل، وحرية الملكية، المكفولة في الإسلام، ولا أدل على كفالتها من تقريرها بحسم وصراحة، في قضية العقيدة، وهي ألصق الحريات مساسا بالإسلام، ومجابهة له، ومعلوم أن تقرير الحرية الأعلى، يتضمن تقرير الحريات الأدنى بالضرورة، وبطريق الأولى

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس - ٩٩)

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية - ٢١، ٢٢)

[illegible]

(مريم - ٩٣)

وليس أقوى من إثبات الحرية للإنسان، من خضوعه لعبودية الله وحده دون سواه، وحقه في اختيار الدين الذي يرغبه، واقتصار العبودية لله، يستوجب تحريره تجاه الناس، وحقه في حرية الرأي والتعبير، وسائر الحريات الأخرى.

وعلى نفس المنوال، ينبغي تناول حقوق الأقليات، والإسلام يفارق النظم الأخرى في أنه لا يعامل غير المسلمين داخل دولته على أنهم أقلية، بل إنهم يتمتعون بالرعوية - جنسية الدولة - شأن المسلمين وهم مكرمون بتكريم الله لهم، ووجوب المحافظة على حقوقهم الإنسانية..

---

(١) انظر للباحث حقوق الإنسان في الإسلام ١٩٩٩

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

(الإسراء ـ ٧٠)

وامتثالا والتزاما بذلك، نهض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما مرت عليه جنازة ليهودي، فلما أخبره بعض صحابته عن أنها ليهودي، قال: «أليست نفسا».[٢]

وثمة قاعدتان ذهبيتان في معاملة غير المسلمين هما: «أمرنا بتركهم وما يدينون»، وقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وبمقتضاهما فهم أحرار في العقيدة، وممارسة الشعائر الخاصة بهم، ناهيك عن مساواتهم للمسلمين في الحقوق والواجبات، والمشاركة في مؤسسات المجتمع المدني.

وتأتي حقوق المرأة في هذا المضمار، بوجوب التصدي لما يروجه الإعلام الغربي من أفكار مغشوشة، عن وضعها في المجتمع وفات هذا الإعلام أن المرأة مخلوق مكرم، وهي مع بنات جنسها شقائق الرجال، ونصوص الإسلام وممارساته تترى في هذا الموضوع:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ـ ١٩٥)

وفي الحديث: «النساء شقائق الرجال»[٣]

وهي صاحبة حق كالرجل في اكتساب الحقوق والتحمل بالواجبات:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ـ ٣٢)

وهي بموجب ذلك تتمتع بالاستقلال في الشخصية، والذمة المالية عن الرجل، ولها الحق في المشاركة السياسية، فقد بايعت الرسول في تأسيس الدولة، في بيعة العقبة الثانية، فضلا عن الدفاع عن حقوقها الخاصة، والاجتماعية. فقد عارضت امرأة عمر في تحديد المهر وسلم لها عمر بذلك قائلا: «أصابت امرأة وأخطأ عمر» ولا ينفك الإعلام الغربي عن وصم الإسلام بالنقائص، ولا يفتأ أن يواصل حملته ضده بتهمة إثر أخرى، ومن جملة هذه الاتهامات تصوير الإسلام بأنه دين التعصب، ورفض الآخر، ويصم أتباعه بالجمود وضيق الأفق، وهذا من الإفك الذي لا يسوغه الدين والعقل المنصف ويدحض هذا المنظومة القرآنية في جوانبها العقيدية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية، فإنها تعتمد الحوار، وتبرهن على حقائق الإسلام لإقناع المخالف، وهو ما جعل الإسلام بحق دعوة للحوار والمناظرة وكلها تشهد بالسماحة والتسامح الإسلامي. وهاك طرفا من هذه النصوص

﴿ [illegible] ﴾

(سبأ ـ ٢٤)

﴿ [illegible] ﴾

(فصلت ـ ٣٤)

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت ـ ٤٦)

ويقول الرسول ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وليس المقام مقام إسهاب وتجلية لموقف الإسلام من هذه القضايا المشتعلة، والتي يقصد الإعلام الغربي من وراء إثارتها إلى حرق الإسلام، وتقويض بنيانه من الأساس، واقتلاع هويته، وإنما هي إشارة وتوجيه لما يجب على الإعلام الإسلامي عمله في الاتجاه الصحيح حماية لقيم الإسلام ومعتقداته وجوهر ثقافته وبناة حضارته ورموزه وستظل هذه الرسالة، هي تلخيص لطبيعة المهمة التي على الإعلام الإسلامي أن يضطلع بها، ويعبئ إمكانياته، ويحشد طاقاته من أجل إعلاء الآخرين بها، لأن الوجود الإسلامي في الإعلام الإلكتروني لايزال قاصرا، وحبيس أفكار تقليدية، وأسلوب قاصر عن مواجهة تكنولوجيا الاتصال، وتقنيته الجبارة، وهو ما يكرس البون الشاسع بين التفوق الغربي والانكسار الإسلامي في مجالات شتى، ولعل ما يبرهن على عمق التفاوت بين نطاق الإعلام الغربي والإعلام العربي والإسلامي، يظهر في هلع بعض الأنظمة العربية الإسلامية من إشاعة الأفكار التحررية والديمقراطية وما قد تحدثه من ثورة على النظم السلطوية الاستبدادية، وسحب البساط من تحت أقدامها، وتقويض عروشها.

ويبرز في هذا المقام الدور البناء الذي ينبغي أن يلعبه الإعلام الإسلامي في تبني أوجاع العالم الإسلامي، من احتلال أراضيه، وتدنيس مقدساته والاعتداء على حقوقه كما هي في فلسطين والقدس والعراق، وحماية الأقليات المسلمة ضد الإبادة في الفلبين والهند وبورما وكشمير وكوسوفا، والشيشان والبوسنة حيث تتعرض هذه الأقليات للعسف والمهانة، لا لشيء إلا بسبب دينها، وإصرارها على إسلامها.

وعلى الإعلام الإسلامي أن يطور نفسه، وأن يرسم خططه ويحدد أهدافه، ويعي خطورة مهمته، بما يمثله من خط الدفاع الأول، وصوت الأمة في تحصين عقائدها، ونعت شخصيتها، وإبراز هويتها، والمنافحة عن قضاياها، والدعوة إلى الإسلام والتوعية به، وأن يتصدى للرد على حملات التشكيك والتشويه في الإعلام الغربي، حيث تزخر العديد من وسائل الإعلام بالسموم والأباطيل، والتشكيك في الإسلام، وطمس معالمه بأساليب مكشوفة، وألاعيب مفضوحة، وهو ما سنعرض لنموذج منه مدحا وقدحا، وهو ما ينبئ عن الأسلوب الغربي في طرح القضايا الإسلامية

إن الإعلام العربي الإسلامي مطالب بأن يساهم بالحلول الإسلامية والتصورات الإسلامية بشأن المشترك من القضايا التي باتت عالمية في طبيعتها ومحتواها مثل البيئة والإرهاب والمخدرات والإيدز، وانهيار الأسر والأخلاق وما على شاكلتها من المشكلات الضاغطة التي تؤرق العالم، والتي تحتاج إلى تضافر الجهود، وإيقاظ الضمير العالمي. وبالقطع فإن للإسلام موقفا ناصعا ليت إعلامنا ينجح في تقديمه للعالم، ويقينا فإنه سيساهم في إيجاد العلاج لها، والحد من الآثار الضارة لها، وترشيد السلوك الإنساني إزاءها.

(يتبع)

---

[٢] [illegible]

[٣] [illegible]

وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا

سادسا: مراكز الإشعاع الإسلامي:

الأزهر منار الثقافة الإسلامية

كان لمصر دائما دور كبير كمركز للإشعاع الحضاري والثقافي في إفريقيا فمصر اتجهت سياسيا منذ العصور القديمة في الاتجاه نحو منابع النيل الذي ظل يربطها على أنه شريان الحياة في ضوء حقيقة أن مصر هبة النيل، وقد كانت الصلة وثيقة بين مصر وجنوبها في كوش ومروى وعن طريقها انتقلت حضارة مصر الفرعونية القديمة جنوبا، وقد [illegible] الكثير من الباحثين العرب وغيرهم تحليل آثار حضارة مصرية على الخرطوم ودنقلا في [illegible] المسيحية والإسلام في مصر آلاف السنين.

وفيما يتعلق بالنواحي الدينية والروحية فمن الواضح أن معتقدات مصر الفرعونية كانت مركز إشعاع حضاري وثقافي [illegible] على ما يعتقد الكثيرون. [illegible] وانتشرت فكرة التوحيد التي نادت بها. وكانت مصر هي نقطة الارتكاز والانطلاق لكل من المسيحية والإسلام.

وقد كان للموقع الاستراتيجي لمصر في طريق سفر وانتقال الحجيج من شمال وغرب إفريقيا إلى المناطق المقدسة بالأراضي الحجازية لأداء شعائر الحج دوره في ربط مصر بالمناطق الإسلامية، فهي تتحكم في الباب الشمالي لشرقي إفريقيا.

ويعد الأزهر أهم ما تركه الفاطميون من آثار خالدة في مصر على مر العصور بالإضافة إلى القاهرة [1]. فبعد إنشاء القاهرة لتصبح العاصمة أمر المعز لدين الله الفاطمي قائده جوهر الصقلي بإنشاء الجامع الأزهر حيث أرسى قواعده في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) واستكمل بناؤه وصليت فيه أول جمعة في ٧ من رمضان عام ٣٦١هـ وكان الغرض من إنشائه أن يكون مسجدا رسميا جامعا للقاهرة العاصمة الجديدة أسوة بجامع عمرو بالفسطاط. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى [illegible] أن يصبح مركزا لنشر الدعوة الفاطمية ومنافسة الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الأموية في قرطبة بهدف نشر وتدعيم المذهب الإسلامي [illegible]. فقد كان يهدف أن يتلقى فيه طلاب العلوم المذهب الشيعي [illegible] على يد أساتذة شيعيين على [illegible] [2]

ومن الجدير بالذكر أن الأزهر [illegible] كنف السلطة الحاكمة [illegible] عليها وقد نشط الأزهر [illegible] حركة علمية [illegible] حيث كانت [illegible] حلقات لدراسة الدين واللغة والأدب والقراءات والنحو والمنطق والفلك. ولكن قد تأثر نشاطه في ظل الدولة الأيوبية نتيجة سياسة [illegible] على القضاء على المذاهب الشيعية [illegible] وتحليل [illegible]. فعطلت صلاة الجمعة بالأزهر نحو مائة عام وركدت الحياة العلمية التي ازدهرت من قبل.

ولكن استعاد الأزهر نشاطه من جديد في ظل العهد المملوكي خاصة في ظل الحاكم الظاهر بيبرس الذي أمر بإعادة خطبة الجمعة وحلقات الدراسة ووصل عدد الدارسين إلى ٧٥٠ طالبا ليس فقط من القاهرة بل من ريف مصر ومن الريف وشمال إفريقيا وتم تخصيص رواق لكل جنسية أو مجموعة من هؤلاء يقيمون به.. وعليه فإن الأزهر لم يعد في العهد المملوكي مسجدا للعبادة فقط. ولكنه أصبح أيضا جامعة عليا

---

[1] [illegible] الأزهر [illegible] بالمذهب الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء والتي تنتسب إليها [illegible] حيث كان يرجع إطلاق اسم الزهراء بدلا من القاهرة على العاصمة [illegible]

[2] مرجع السابق، ص ١٥

وللمزيد من المعلومات انظر [illegible] إعداد محمد رجب بيومي ود. عبد الودود شلبي. القاهرة: الثقافة العامة [illegible]

١٩٩٦، إشراف د. حورية توفيق مجاهد

للدراسات الإسلامية والعربية ومركزاً لأعمال الدولة الرسمية كما كان يؤمه الفقراء والحجاج والمسافرون والمتصوفة وغيرهم.

أما في العصر العثماني فقد ركد نشاط الأزهر العلمي وتأثر بالركود الذي عم كل مظاهر الحياة في البلاد. فانصرف عن دراسة العلوم الرياضية والعقلية وبدت فيه بتحريمها وحصر تفكير علمائه علوم المنطق. ولكنه ظل يركز كمركز جذب وإشعاع حيث ظل يجذب طلاب العلم وعمل على الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية من الاندثار. وقد درست به المذاهب الفقهية الأربعة وكان لكل مذهب شيخه وإن كانت مشيخة الأزهر للشافعية في معظم الأحوال. وقد أنشئت وظيفة شيخ الأزهر في نهاية القرن السابع عشر الميلادي وأصبح هذا المنصب وقفاً على كبار العلماء.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن الإسلام لا يعرف مفهوم رجل الدين المعروف في المسيحية ولا يعرف السلطة الكهنوتية ولا التراتبية الكنسية وليس لديه أسرار. ولا يتمتع أي شخص بقداسة [illegible] بما يعرف عن الإسلام العريق وليس رجل الدين [illegible] في جامع الأزهر هو موظف في الدولة ولكن من هيئة كبار العلماء ... الإسلامي. وهم جميعهم أصحاب الشيخ العلمية الأحوال الشرعية ولكنهم ليسوا أصحاب قداسة.

وقد تطور الأزهر فأصبح جامعة علمية إسلامية في القرن ... وقدم جامعة علمية إسلامية عريقة ... أقدم جامعة إسلامية في العالم. ويرجع الفضل في تطوير الأزهر ليصبح جامعة علمية إلى ... التطوير الفاطمي يعقوب بن كلس حين استأذن العزيز بالله ... أن يعين ... في تعيين جماعة من الفقهاء للتدريس فيه تحت رياسة من يعقوب القاضي. وكان نظام الدراسة في الأزهر يتم على أساس الحلقة الدراسية تحت أحد الأساتذة حتى يكتسب علماً يسمح له بالتخلي عن أستاذه ويتولى بدوره عرض علمه على الطلاب فإذا لقي استجابة ونجاحاً أصبح من العلماء وإلا فإنه يعود لاستكمال العلم عند أستاذه في حلقته. وبإنشاء منصب شيخ الأزهر أصبح هو المرجع في منح الإجازة التي تسمح لصاحبها بالتدريس والإفتاء والقضاء.

وقبل أن تنتقل الدراسة للمباني الحديثة كانت تتم في المسجد وعلى نظام الحلقات حيث يحيط الطلبة بالأستاذ. وقد أنشأ الأزهر معاهد دينية ملحقة به منتشرة في أنحاء مصر. وتطورت الدراسة وأصبحت تقوم على مراحل دراسية وتبلورت المواد التي تدرس بكل مرحلة كما خضعت المناهج للتطوير. وقد خطى التطوير في الدراسة بالأزهر خطوات ... من دون ... العلوم الحديثة.

وقد بدأت جامعة الأزهر عهدها العلمي بثلاث كليات هي كلية أصول الدين (١٩٣٠م) وكلية اللغة العربية (١٩٣١م) وكلية الشريعة (١٩٣٣م). وبلغ عدد كليات الجامعة عام ١٩٩٤ - ١٩٩٥ خمسين كلية بين نظرية وعملية.

وبلغ عدد الطلاب الوافدين من إفريقيا عام ٩٧ - ٩٨ نحو ١٤٢٩ طالباً يدرسون في كليات الجامعة المختلفة، ويكون تركيزهم الأساسي على دراسة اللغة العربية والشريعة والقانون وأصول الدين والتربية. بالإضافة إلى عدد من الطالبات يبلغ ٧٧ طالبة يدرسن بكليات البنات بجامعة الأزهر مع تركيزهن على الدراسات الإسلامية والعربية والدراسات الإنسانية والتجارة والعلوم.

شهادات العرباء ومعهد البحوث الإسلامية

وضع نظام لدراسة الغرباء أي الوافدين في عام ١٩١٦م وقسم هذا النظام التعليم والشهادات الممنوحة إلى ثلاثة أنواع:

- إجازة الغرباء: وهي شهادة تعطى لمن أتم الدراسة في أي من ثمان مواد ونجح فيها.
- الشهادة الأهلية للغرباء: وتعطى من أتم دراسة في ثمان مواد ونجح فيها.
- الشهادة العالمية للغرباء: وتعطى هذه الشهادة من أتم دراسة ١٢ مادة ونجح فيها.

وكان ينص في كل شهادة من الشهادات مذكورة على المواد التي امتحن فيها الطالب.

أما معهد البحوث الإسلامية فقد عرف في بداية الأمر باسم القسم العام وكان طلابه لم تؤهلهم سنهم للالتحاق بالمعاهد النظامية وكانوا خليطاً من المصريين والوافدين يتلقون العلم في حلقات بالجامع الأزهر. وقد أنشئ معهد البحوث الإسلامية خصيصاً للطلبة الوافدين وفي نفس الوقت يسمح فيه لكثير منهم بالالتحاق بمعهدي القاهرة والإسكندرية. وقد قسم التعليم بالمعهد في بداية الأمر إلى ثلاث مراحل تعادل المراحل القديمة في نظام الأزهر:

- المرحلة الأولى: ومدتها أربع سنوات. يمنح الناجح بعدها «الشهادة الابتدائية للبحوث».
- المرحلة الثانية: ومدتها خمس سنوات. يمنح الناجح بعدها «الشهادة الثانوية للبحوث».
- المرحلة الثالثة: ومدتها أربع سنوات. يمنح

[illegible footnotes]

تمنح بعدها الشهادة العالية للبحوث.

أو النظام الحديث الذي أصبح متبعا بعد التطوير فيشمل مرحلتين:

المرحلة الأولى: ومدتها أربع سنوات. ويحصل في نهايتها الطالب على شهادة الإعدادية ويدرس خمس مناهج التي تدرس في المعاهد الأزهرية الإعدادية.

المرحلة الثانية: ومدتها خمس سنوات. ويحصل بعدها الطالب على الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة ويمكن التقدم بعدها للالتحاق بالكليات المختلفة شأنه شأن خريجي المعاهد الثانوية الأزهرية العامة للالتحاق إلى كليات جامعة الأزهر.

وقد مر تطوير معهد البحوث الإسلامية بما طرأ على الأزهر من تطوير أدخلت بموجبه دراسة المقررات العلوم المختلفة بالإضافة إلى العلوم الشرعية.

ولقد كان للشيخ محمد عبده في إطار آرائه في تجديد الفكر الإسلامي [١٤] قد وجه هجوما شديدا للأزهر وهو أحد خريجيه وعلمائه في محاولة تطوير الأزهر والاهتمام بالعلوم المدنية حتى يمكنه تخريج دارسين بالعلوم الدينية والعلوم المدنية الموكبين للعصر.

هذا ويوكل إلى بعض الأساتذة مهمة تعليم اللغة العربية لمن لا يجيدونها من الوافدين غير العرب وإعدادهم للالتحاق بمراحل التعليم المختلفة. ويسكن هؤلاء الوافدون في "الأروقة" [١٥] الخاصة بهم. ولما كثر عددهم عن أن يستوعبهم أعدت لهم مشيخة الأزهر المساكن الحديثة (مدينة سكنية ضخمة) في مدينة البعوث الإسلامية [١٦] تحت إشراف مراقبة البعوث الإسلامية.

وعليه كان لإنشاء الأزهر في مصر دوره الكبير كمصدر ومركز للإشعاع الثقافي الإسلامي.

وقد أوضح أحد المستشرقين وهو جاك بولان أهمية دور مصر عامة والأزهر خاصة في هذا المجال بقوله: "تعد مكة المكان المقدس عند المسلمين. وتعد القاهرة مركز الثقافة الإسلامية. ومكانة الأزهر في العالم الإسلامي لا تعادلها مكانة. ومنذ قرون عديدة والأزهر مفتوح للمسلمين يحضرون فيه العلم ويتلقون النور. بل يحضرون فيه المأوى والزاد. وكان الإفريقيون يتدفقون إليه ليتعلموا علوم القرآن والحديث وغيرها. ولكن مصر كانت تستغل الأزهر لتعرس في نفوس الوافدين إليه الثورة من المعارف والثورات والاتجاهات القومية. ثم حينما تواجه هذه الحركة سيحصر بها أن يشرح. فكل مسلمي سيحجب بعدو الأزهر مركز القيادة للعالم الإسلامي كله". [١٧]

وعامة ينظر للأزهر وخريجيه في شمال إفريقيا - القبيلة الوثنية - من حب مشربين بالمسيحيين على حب. ومعه نجد دعاة إسلاميين مزودين بعمق عاطفي يكون لتأثيره بين مواطنيهم من الوثنيين والمسيحيين بعد عودتهم من البعث.

وفي هذا المجال نجد الأسرة التي شأنها نشأت في إفريقيا حتى أصبحت مركز ثقافية في جاو وحتى تومبكتو وتمبكتو في شمال مالي وعرفت فترة ازدهار كبيرة.

ونكن التركيز على الأزهر بالذات يرجع لامتداد نشاطه أكثر من ألف عام منذ إنشائه ولرسالته الدعوية كمركز إشعاع ثقافي. ولا نتصور لبعض مدى حب الإفريقيين وتقديرهم لكل من يلبس الملابس الأزهرية حيث يحرصون على أن يحتشدوا معه على البركة بل أن السفير المصري نفسه في كثير من المناطق الإفريقية يحرص الإفريقيون المسلمون على أن يتباركوا به بعد صلاة الجمعة، لأنه من بلد الأزهر.

وقد لعب الأزهر دورا تقريبا رئيسيا كان له أثره في نشر الإسلام وإن كان دوره غير مباشر في هذا المجال خاصة عن طريق المنح المعطاة لعدد من أبناء الدول الإفريقية للدراسة بالأزهر فيعود لكل من الدارسين خريجي الأزهر داعية للإسلام من إفريقيا ذاتها ليقوم بنشر الدعوة في مجال شعبه عملا بقوله تعالى:

﴿ ... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة ١٢٢)

وينجذب إليهم الأفراد نتيجة لتقدمهم الثقافي وقدرتهم على التعبير باللغات المحلية وكذلك لتأسيهم المميز

(يتبع)

[illegible]

(١٤) ولمزيد من التفاصيل عن الشيخ محمد عبده ودوره في مجال التجديد وتطوير التعليم بالأزهر والتعليم عامة انظر: [illegible]

(١٥) الأروقة [illegible]

[illegible] رواق الشوام (الطلاب أهل [illegible] رواق السليمانية (الأفغان) (الطلاب الأفغان وما وراء النهر) [illegible]

[illegible] الأزهر في الخارج من الماضي والحاضر، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية [illegible] ١٩٨٢، ص ١٣٠٢، ١٣٠٤.

(١٦) [illegible]

(١٧) [illegible] The Arab Role in Africa. p. 59.

نماذج تاريخية للتعارف خلال الحرب والدبلوماسية

أ.د. نادية محمود مصطفى

أستاذ العلاقات الدولية

[illegible]

الأبعاد المنهجية والنظرية

ان خبرة عقد من الحوارات (٢٠٠١-٢٠١١) والتي انشغل بها العالم، على مستويات عدة: وطنية وإقليمية وعالمية. وعبر دوائر متنوعة: اكاديمية، فكرية، اعلامية، سياسية.. وفي مجالات ثلاثة متداخلة: الاديان والثقافات والحضارات. ان هذه الخبرة المعقدة والمركبة والمتشابكة وإن دلت على شيء فهو ان الامم والشعوب والجماعات لا يمكن ان توجد بمعزل عن بعضها، ولكن الاهم هو كيف يحدث التفاعل والتبادل، صراعا ام تعاونا، سلما ام حربا. وهل هناك حاجة لمدخل اخر، هو «التعارف»؟ وهو ما يتصدى له المؤتمر بحثا في خريطة تأصيل «التعارف»: كمفهوم، او خطاب، او عملية او مشروع. وتطرح هذه الخريطة اشكاليات متعددة امام بناء «نظرية التعارف»، كما تنبه هذه الخريطة الى ضرورة التمييز بين عدة امور: التعارف، رؤية للعالم ام غاية ام سبيل لغاية؟ ونحو اية غاية؟ ومجالات التعارف هل هي معرفية ام سياسية ام...؟

ولما كانت بحوث عدة تساهم في هذا البناء من مداخل متعددة فإن دراستي تتعلق من مستوى سياسي-عسكري، وعلى مستوى النماذج التاريخية، ولاختبار إطار نظري، وأخيراً والأهم لاستكشاف الدلالات الراهنة لهذه النماذج في ظل مرحلة ثورات الشعوب العربية[1].

ومن ثم فإن الدراسة تنبني على أربعة أبعاد منهاجية ونظرية وهي كالآتي:

أولا: منظومة أو شبكة مفهوم التعارف، سياق التعارف، دوافع التعارف الحضارية محل الاهتمام، صعوبات للمدخل السياسي-العسكري التاريخي للتعارف، ثانيا: الإطار النظري، ثالثا: المنهج، رابعا: الدلالة الراهنة.

(١) المفهوم، السياق، الدوافع، الصعوبات:

التعدد، التنوع، التعارف، الحوار، رباعية تقع في صميم منظور حضاري للعلاقات بين الأمم والشعوب والدول،

(١) د. نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في الإسلام نحو تأصيل من منظور الفقه الحضاري، مجلة المسلم المعاصر، العدد (١٣٦) [illegible]

وتنتظم هذه الرباعية في إطار منظومة أكثر كلية وشمولا من أسس حضارية التعارف الحضاري، التدافع الحضاري، التداول الحضاري[2].

إذن، التعارف ليس إلا منطلقا لدورة من العمليات والتفاعلات الحضارية يعقبه منطلقات أخرى ويسبقه منطلقات أخرى أيضا.

هذا، والتعارف لا يتم في فراغ ولكن في بيئة أو (نسق) قد تختلف طبيعتها من مرحلة إلى أخرى، صراعا أو تعاونا، سلما أو حربا. فإذا كان الحوار هو إدارة سلمية للصراع بالكلمة، فليس من الحتمي أن يكون التعارف دائما في بيئة سلمية، أو لا صراعية. ومن ثم، فإن التعارف قد يكون في إطار صراعي (أو تعاوني) سلمي حواري، وقد يتحقق في إطار صراعي من خلال الحروب والدبلوماسية. فكيف إذن تصبح الحروب والدبلوماسية سياقا للتعارف أو تمثل نسقا للتعارف؟ وما الفارق بين التعارف في ظل بيئات مختلفة؟

وكيف كانت الحروب والدبلوماسية مدخلا للتعارف؟

سنحاول الإجابة عن هذا السؤال، من استقراء دائرة الحضارة العربية الإسلامية في تفاعلها التاريخي مع دائرة الحضارة الغربية المسيحية، بحثا عن نماذج تاريخية تشرح حالات التعارف، وخاصة في وقت الحروب والدبلوماسية.

وقراءتي للتاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي من منظور حضاري إسلامي لدراسة العلاقات الدولية، وهذه القراءة استمرت، واستهدفت «الاقتراب النظمي» من تاريخ العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين، وهو الاقتراب الساعي لاستكشاف مراحل وأنماط تطور هذه العلاقات سلما وحربا وتدبر أسباب صعود الدولة الإسلامية ووحدتها ثم انحدارها وانقسامها، وهي قراءة ركزت ابتداء، على الأطر العسكرية والسياسية والدبلوماسية لهذه العلاقات[3]، إلا أن هذه الأطر ما كانت تكفي بمفردها لفهم حقيقة الصورة الأعقد تركيبا من العلاقات الدولية للمسلمين، فهي لم تكن علاقات الحروب والمعاهدات فقط ولكن كان للعملة وجه آخر يتصل بالناس، وليس بالملوك والحكام وأمراء الجيوش والقادة والدبلوماسيين فقط، أي يتصل بالقيم والأفكار والعادات والتقاليد والثقافة وفي قلب ذلك الدين.

ولذا، فإن الحلقة الثانية من القراءة ركزت على النماذج الفكرية التاريخية أيضا، أي ركزت على الفكر السياسي في العلاقات الدولية[4].

وهذا التقاطع بين العسكري-السياسي، وبين الفكري الثقافي في تاريخ المسلمين، ليس من السهل اكتشافه، حيث تتم دراسة كل جانب على حدة: فالتواريخ الشاملة (أو الجزئية) السياسية والعسكرية في جانب وتواريخ الأفكار والحياة الاجتماعية والاقتصادية

(٢) انظر بناء المفهوم في: د. نادية محمود مصطفى، د. سيف الدين عبد الفتاح وآخرين، منظومة مفاهيم علم الحكم والعلاقات الدولية في الإسلام، (في) د. أحمد فؤاد باشا وآخرين (محررين) موسوعة الحضارة الإسلامية في سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة (٤)، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ج م ع، ٢٠٠٥، ص ٢٩٧-٦٩١.

(٣) انظر: د. نادية محمود مصطفى، مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ومكانة العالم الإسلامي من منظور [illegible] إضافة إلى أربعة أجزاء تطبيقية من إطار المشروع ذاته.

(٤) د. نادية مصطفى، دراسة العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي بين الإشكالات المنهجية وخريطة النماذج والمفاهيم الفكرية، بحث لعقد كإطار نظري لاستكمال الجزء الثالث من مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، يوليو ٢٠٠٨ (تحت الطبع).

في جانب آخر. ولكن من هذه التواريخ تصدر كم تصدر الدعوات للاعتصام بمعطى التواريخ وليس أحدهما على حساب الآخر[٦].

وهنا تتجلى أهم صعوبات دراسة نماذج تاريخية للتعارف خلال الحروب والدبلوماسية حيث لأنماط الحروب والدبلوماسية ونماذجها عبر التاريخ الإسلامي مصادره متصلة عن نمط التعارف الحضاري عبر هذا التاريخ.

ومن ثم، فإن أهم متطلبات هذه الدراسة، وصولاً إلى تحديد «النماذج التاريخية» على اختلافها وتنوعها، هو استحضار خريطة النسق الدولي وموازين القوى بين الدول الإسلامية وغيرها عبر تطورها وتحولاتها من مرحلة إلى أخرى عبر أرجاء العالم الإسلامي، وهو الأمر الذي تحققه دراسات التاريخ الإسلامي من مدخل نظمي، وليس دراسات التاريخ الإسلامي "التقليدية"، فالأولى استهدفت اكتشاف الأنماط التاريخية المتكررة في نظام العلاقات الدولية الإسلامية -غير الإسلامية في حين أن الثانية لم تستهدف إلا التاريخ ثم فلسفة التاريخ أي (تفسيره).

ونظراً، لأن الدراسة الحالية تهتم بنماذج تاريخية للتعارف خلال الحرب والدبلوماسية وليس تاريخ التعارف خلال الحرب والدبلوماسية، فإن هذه الدراسة تستعين بنتائج من دراسات نظمية للتاريخ وستركز تحديداً على خريطة من النماذج، التي ترتبط بسياقات زمنية ومكانية متنوعة وعلى نحو يشرح كيف تؤثر توازنات القوى على اتجاه التعارف (من أين إلى أين)، وعلى نمط التعارف، وكذلك على محتوى التعارف وآلياته وأدواته. والنموذج التاريخي كما درسنا إياه وشرح لنا عنه أستاذانا المغفور لهما، أ.د. حامد ربيع وأ.د. منى أبو الفضل - يشير إلى خبرة محددة زماناً ومكاناً بشأن قضية تتحلى حولها أنماط من تفاعلات وعمليات تكتسب صفتها من واقع الظروف التاريخية التي تقع في إطارها. ومن ثم، فالحديث عن «نماذج تاريخية» إنما يعني الحديث عن سياقات محددة زماناً ومكاناً وليس حديثاً في تأصيل «التعارف» قيمياً أو فكرياً أو معرفياً. وهذه السياقات المختلفة لا تجعل «التعارف» أمراً واحداً مطلقاً.

(٢) ثانياً: الإطار النظري:

إن القراءة الأولية بحثاً عن «نماذج تاريخية» قادتني إلى تصميم إطار نظري (وفي تعرض النماذج على ضوئه) وهو يقوم على التمييز بين عدة أمور على جانبين التالين:

الجانب الأول: التمييز بين التاريخ الإسلامي ومفاصل تطور التاريخ الإسلامي، والنماذج التاريخية. فالأول عام تحدد تنوع مناهج دراسته تأريخاً أو تفسيراً، والثاني ينظر للتاريخ الإسلامي كنظام يتغير ويتحول، ومن ثم هناك مفاصل تحدد متى التغير وحتى التحول.

فعلى سبيل المثال: تاريخ الفتوح الإسلامية، تاريخ الاسترداد المسيحي، تاريخ الوحدة ثم التعدد ثم التجزئة الإسلامية. شهدت كل منها منعطفات مهمة تميز بين مرحلة وأخرى من مراحل هذه العمليات (فتح الأندلس، فتح القسطنطينية، الفشل العثماني على أسوار فيينا، سقوط غرناطة، احتلال الروس للقوقاز... سقوط ممالك الخليج، الكشوف الجغرافية، الحملات الصليبية... إلخ.

أما النماذج التاريخية، فهي قد تتكرر في أزمنة وأمكنة مختلفة التفاصيل ولكن تظل تحمل نفس الدلالات الحضارية. فعلى سبيل المثال: نموذج الفتح، نموذج الاسترداد، نموذج التجزئة، نموذج الرباط، نموذج الهزيمة، نموذج الموالاة والتبعية، نموذج النصرة أو الخذلان... إلخ.

وجميع هذه المفاصل والنماذج تحمل وجهي عملة التعارف بالقتال والتعارف سلماً، أو التعارف خلال القتال والتعارف خلال السلم والناجم عن تلاحم الناس؛ وليس مجرد احتكاك الجيوش والقادة والمفاوضين، وذلك خلال فترات الحروب. وهو تلاحم لابد وأن يختلف عن أوقات السلم (مثلاً في ظل التجارة، الدعوة، الرحالة...)، والتي تتعرض لها دراسات أخرى في المؤتمر.

ومن ثم، فإن الدراسة تحاول الإجابة على السؤال الآتي: أليس التعارف يجد سبيله أيضاً في أوقات القتال والدبلوماسية؟ وهو سؤال ينبع من تأصيل مفهوم التعارف ذاته باعتباره عملية وليس غاية أو حالة مستقرة في حد ذاتها، كما ينبع السؤال أيضاً من طبيعة الرؤية الإسلامية للحرب والسلم، باعتبارهما حالات للعلاقات تتناوب وتتوالى. وبالتالي، فهو لا ينطلق من سؤال هل أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم الحرب أم السلم، ولكن ينطلق من السؤال: متى تكون الحرب ومتى يكون السلم؟ كما أن هذا السؤال الذي تحاول الدراسة الإجابة عنه ينطلق أيضاً من مفهوم حضاري لدور الحرب ووظيفتها في الرؤية الإسلامية فهي ليست استئصالية للآخر، وليست غاية في حد ذاتها، ولكنها أداة من أدوات الجهاد وليست الأصل في الرؤية عن العلاقة مع غير المسلم[٧].

وبناء على ما سبق، ننتقل إلى الجانب الثاني من الإطار النظري

الجانب الثاني:

إن التعارف ليس مصمتاً أو مطلقاً ولكن يجدر التمييز بين الآتي:

١- اتجاه (التعارف): من أية حضارة نحو أية حضارة؟ زاهرة أم متدهورة؟ مادية أم قيمية؟ صاعدة أم هابطة... أم تعارف متكافئ بين حضارات أنداد؟

٢- هدف التعارف: البحث في المشترك أم الفروقات؟ (تجاوز الصور النمطية، منع اندلاع الحروب، الأمن).

٣- مناط التعارف وموضوعاته: القيم، السلوك، المعارف، الأفكار، المؤسسات والنظم، ... إلخ.

٤- نمط التعارف: رشيد / ضال، إرادي / قسري، إلحاقي / استباقي، استعلائي / تفاعلي.

هـ- آليات التعارف وقنواته وأدواته: من الذي يتعارف على من؟ وكيف؟ ومن الذي رصد هذا التعارف في حينه أو بعده وكيف أدركه؟

التعارف ليس سكونياً ولكنه عملية ممتدة معقدة ومركبة ومتغيرة وخاصة حين ننظر لها من الاقتراب العسكري السياسي.

---

(٦) [illegible]

[illegible] ١٩٩٦)، في: مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق، الجزء الثاني عشر.

(٧) د. نادية محمود مصطفى، إشكاليات البحث والتدريس في علم العلاقات الدولية من منظور حضاري مقارن، مؤتمر "حوار الحضارات والمسارات المتنوعة للمعرفة (المؤتمر الثاني للتحيز)"، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة [illegible]

ومن هنا، فإن النماذج التاريخية التي تقدمها الدراسة حاولت أن تعكس خريطة ممتدة زمنيا ومتنوعة جغرافيا وموضوعيا، بحيث تبين الأبعاد المشار إليها عاليًا للتعارف من ناحية، ومن ثم، تبين من ناحية أخرى إشكالية العلاقة بين العسكرى السياسى وبين الثقافى والحضارى.

فكلاهما ليس منفصلا عن الآخر، ولا يمكن أن تكون دراسة كل منهما على حدة كافية لفهم حقيقة العلاقات المعقدة بين الحضارات والثقافات والأديان. وحتى لو كانت مداخل التعارف بين الحضارات تحاول أن تجد مخرجًا من تناقض القول بأن هذه العلاقات صراعية (كما يقول الواقعيون) أو تعاونية (كما يقول المثاليون)، إلا أن التعارف ذاته بين الطرفين وخاصة الذى يتم خلال الحروب والذى ينبع من رؤية حضارية إسلامية، لا يتم فى فراغ كما سبق القول، ولابد وأن يستدعى بدوره إشكالية العلاقة بين الحضارى وبين السياسى. وهو فى ذلك مثل كل ما درسناه عن الحوار كآلية لإدارة العلاقات بين الثقافات والحضارات والأديان [8]. فهو بدوره يتأثر بالسياقات المحيطة ومن ثم فلابد أن تتأثر نماذجه التاريخية بحالة حرب أو دبلوماسية محيطة.

ويبقى أخيرا على خلفية هذا الإطار النظرى استدعاء قضية فكرية معرفية مهمة تقع فى صميم تاريخ التعارف بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية، وكانت موضع نقاش بين اتجاهات عدة ومحورها أن المسلمين فى عصر القوة والفتوح والازدهار لم يهتموا بالتعارف على غيرهم على عكس ما حدث منذ أن بدأ ميزان القوة فى التحول لغير صالحهم، كما أن فشل الحملات الصليبية كان منطلق اهتمام الغرب بالتعارف علينا ومن ثم نشأة الاستشراق [9]. ولقد تعرض الاستشراق بدوره لتقييم متعدد الدرجات ما بين متهم له على إطلاقه بخدمة الاستعمار [10] وما بين مركز على النماذج الاستشراقية التى خدمت بصورة إيجابية التعرف على الإسلام بوجوهه المتنوعة (العقيدة، الشريعة، الحضارة والثقافة، التاريخ، الفنون ...) [11]، وما بين داع للتمييز بين الاستشراق القديم والاستشراق الحديث [12]، وما بين مهتم بمعرفة كيف يرد المستشرقون على الاتهامات الموجهة لهم من تيارات فكرية إسلامية [13]، وما بين مهتم بدراسة مواقف رموز الاستشراق التقليدى والحديث من قضايا مهمة فى تاريخ العلاقات بين المسلمين والعالم وعلى رأسها

(٨) انظر إصدارات مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

(٩) انظر أبعاد هذا النقاش حول الأسباب والنتائج والتحولات فى: د. نادية مصطفى، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية (٦٤٨ - ٩٢٣هـ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م) - مرجع سابق، ص٣٨-٤٢، د. نادية مصطفى، العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامي، مرجع سابق، [illegible]

[illegible]

(١٠) جمال عبد الهادى وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ: الدولة العثمانية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، [illegible]

(١١) [illegible] الإسلامية، تحقيق وترجمة: عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، الكويت، ٢٠٠٨.

(١٢) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ١٩٩٩.

(١٣) مجموعة باحثين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٠.

جهود، والدعوة، والفتوح، والأقليات ... وأخيرا ما بين متهم للشرق لأن بعده القدرة على دراسة الغرب وفهمه ...

وتمثل هذه القضية الإطار الكلى الذى يحيط بالدراسة: متى وكيف ظهر وتطور الاهتمام بدراسة التعارف بين الحضارتين؟

وما الفرق بين الاستشراق وبين الاستغراب؟ وما موضع قضية التعارف بين الحضارات منهما، وخاصة ما نحن بصدده فى هذه الدراسة أى خلال الحروب والدبلوماسية؟

وبغض النظر عن تفاصيل الاتجاهات المختلفة حول الإجابة عن هذا السؤال، فإنه يجدر الإشارة إلى ما يلى:

التعارف السياسى ليس المحورى أو الوحيد فى التاريخ الإسلامى، والتاريخ الإسلامى ينصب على العلاقات الدبلوماسية والسلاطين بين الحكام، ومن ثم، فإن التعارف السياسى من عدمه تابع للتواصل الحضارى بين الشعوب فى التاريخ الإسلامى، فالأخير ممتد ومستمر مهما كانت حالة العداء أو التعاون بين الحاكم، لأنه أصل لا يتراجع صعودا وهبوطا فى الرؤية الإسلامية الكونية الإنسانية

(٢) المنهج:

ويقوم منهج الإجابة عن الأسئلة التى تطرحها الدراسة، وانطلاقا من الاستدعاءات المتصلة بالمنظور الحضارى والمتصلة بلب قضية التعارف، على الخطوات التالية:

تحديد الفواصل التاريخية فى تطور العلاقات الدولية الإسلامية من جهة، ثم اختيار النماذج التاريخية ذات الدلالة بالنسبة للتعارف بأبعاده المختلفة المشار إليه عاليًا، ثم من جهة ثالثة القراءة فى أدبيات التاريخ الفكرى والاجتماعى والاقتصادى لهذه العلاقات بحثًا عن النماذج التى استدعت الأبعاد الحضارية خلال هذه الفواصل والتعرف كيف تم إدراك حالة التعارف وبواسطة من؟

وأخيرا، محاولة تقسيم الفواصل التاريخية فى محاور كبرى وتقديم بضعة نماذج عن كل محور، دون إدعاء بالطبع بشمول هذه النماذج؛ فهى ليست إلا مجرد حالات انتقائية وذلك على ضوء معارف الباحث، وقد تعكس اهتماما ذاتيا فى حدود الاطلاع على التواريخ الاجتماعية والاقتصادية فى نطاق اهتمام الباحث كمتخصص فى العلاقات الدولية، وليس الأنثروبولوجى أو دراسات المناطق أو الدراسات الثقافية أو التاريخ، ولذا تظل هذه النماذج مجرد نماذج وليس النماذج الشارحة للصورة الكلية للتعارف بكافة جوانبه المشار إليها عاليا.

ومن ثم، لابد أن يدعم هذه النماذج ويراكم عليها حالات أخرى، تتطلب دراسة منظمة كلية فى التواريخ المتنوعة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لرسم خريطة أكثر شمولا من ناحية، ولمناقشة دلالة الإطار النظرى المقترح فى هذه الدراسة من ناحية أخرى. بل وللنظر فى مدى «مصداقية» ما يقدمه فى هذه الدراسة من مقولات وذلك على ضوء النماذج المقدمة. فإن هذه الدراسة وإن انطلقت من منظور حضارى إسلامى لدراسة العلاقات الدولية الإسلامية، فما موضع اختلافها مع ما قد يتم من دراسات أخرى مناظرة ولكن من منظورات أخرى حول نفس القضية «التعارف من خلال الحروب والدبلوماسية»؟

(١٤) انظر تحليل مقارن لكل من برنارد لويس، محمد عمورى، مارسيل بوازار، توماس أرنولد فى: د. نادية مصطفى، العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامي، مرجع سابق.

(١٥) مجموعة باحثين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، مرجع سابق.

فتاوى لها تاريخ



للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

ولاية الأم

(السؤال): سأل محمود جمعة، في: بنات قاصرات مشمولات بوصاية أمهن، فهل لها ولاية عقد زواج إحداهن متى [illegible]

(الجواب): صرحوا بأن الولي في النكاح هو البالغ العاقل الوارث، ولو فاسقاً، على المذهب، ما لم يكن متهتكاً أو سيء الاختيار، فسقاً أو مجانة، قال في «الفتح»: وما في «البزازية» من أن الأب أو الجد إذا كان فاسقا فللقاضي أن يزوج من الكفؤ. غير معروف في المذهب وفي «القهستاني» نقلا عن الكرماني: لو عرف سوء اختيار الأب فسقاً أو مجانة لم يجز عند الإمام، وهو الصحيح، وحملوا كلام البزازي على كلام الكرماني بأن يراد بالفاسق سيء الاختيار، وحملوا المذهب على ما إذا كان الفاسق غير سيء الاختيار ولا متهتكا. فأما سيء الاختيار فتزويجه من غير كفؤ أو بنقص مهر باطل إجماعا. وأما الفاسق المتهتك. غير سيء الاختيار، إذا زوج من غير كفؤ أو بنقص مهر، فلا ينفذ تزويجه كذا قال علماؤنا.

ومنه يعلم أنه متى كان سوء سمعة الأخ العاصب المذكور في السؤال، بتهتكه أو سوء اختياره، فسقاً أو مجانة، لا يجوز له أن يزوج واحدة من أخواته البنات المذكورات. وحيث إن الولي في النكاح العصبة، على ترتيب الإرث، فإن لم يوجد عصبة فالولاية للأم، وليس لهذا الأخ العاصب التزويج، كما ذكر، ولم يوجد غيره من العصبة المقدمة على الأم فيكون للأم ولاية تزويج بنتها القاصرة من كفؤ بمهر المثل والله أعلم [1].

(١) تاريخ هذه الفتوى ١١ من شوال سنة ١٣١٨ هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٢٦٨ وتقع في ص ١١٤

سقوط ولاية الأب الماجن

(السؤال): سأل [illegible] محمد [illegible] زوج [illegible] في [illegible] صغيرة [illegible] سوء الاختيار [illegible] لصغير يبلغ من السن سبع سنين، قبل النكاح له أبوه. والبنت قد بلغت. [illegible] بلوغها أعلنت بفساد العقد. والولد [illegible] لا يقدر على المهر والنفقة. فهل هذا [illegible] صحيح أو غير صحيح [illegible] صحيح يحتاج في الفرقة بينهما إلى مرافعة شرعية؟ أم كيف؟؟

(الجواب): سوء اختيار الأب ومجانته يجعلانه بمنزلة غير الأب. فإن سوء الاختيار والمجانة مما يضعف الرأي. وقد صرحوا في تزويج الأم بأنه صحيح. ويجوز للزوج أو الزوجة أن يختار الفسخ عند البلوغ. وعللوا ذلك بأن الشفقة وإن توفرت فالرأي غير كامل. لضعف الرأي فيها سوغ جواز الفسخ للصغيرة إذا بلغت والوالد الماجن السيء الاختيار قد يفقد الشفقة مع الرأي، خصوصا من أهل زماننا الذين فشا فيهم فساد الرأي وغلب على وجدانهم، حتى إن الرجل لأدنى شهوة له لا يبالي بما يكون من شأن بنته في مستقبل قريب فضلا عن بعيد. وليس من الحق أن يسوى بين كامل الرأي حسن الاختيار وبين الماجن سيء الاختيار في لزوم العقد.

على أن الذي يظهر من كلام عم الزوج في هذه الحادثة أن أباه مات ولا مال له، فالولد فقير لا يملك نفقة ولا مهراً، ولو بقيت البنت في عصمته أصابها من الضرر ما هو معلوم؛ فالزوج في هذه الحالة غير كفؤ، لشدة فقره، وفقر البنت لا مدخل له في الكفاءة عند العجز لنفقة. فالفقير غير كفؤ. وإن كانت الزوجة فقيرة بنت فقير، كما صرحوا به؛ لأن لزوم النكاح يقضي بالنفقة، فالعاجز عنها عاجز عن توفية حق الزوجة، فهو غير كفؤ لها على كل حال، فللبنت بعد أن اختارت فسخ النكاح أن ترفع الأمر إلى القاضي ليقضي به متى صح عنده جميع ما ذكر في السؤال والله أعلم [2].

شق بطن الميتة حاملا

(السؤال): سئل [3] بإفادة من نظارة حقانية [illegible] في ٤ من ذي الحجة سنة ١٣٢٠ هـ نمرة ٢ [illegible]

[illegible] نمرة ١٢ الوارد للحقانية بشأن الأجنة الحية التي توجد في بطون بعض النساء الحوامل اللاتي يتوفين، ومرغوب بها الإفادة عما إذا يمكن [illegible] كان برضا الأهل أو بغير رضاهم؟؟

وعليه نرجو الإفادة وطيه ورقتان.

(الجواب): صرحوا بجواز شق بطن الميتة

(٢) تاريخ هذه الفتوى ٤ من رمضان سنة ١٣٢١ هـ ورقمها في السجل الثالث من سجلات دار الإفتاء ٢٠٦ وتقع في النهر الأيمن من ص ٣٤

(٣) أي الأستاذ الإمام

لإخراج الولد إذا كانت ترجى حياته كما في «الأشباه» وعليه: يجوز شق بطون من يموت من النسوة لإخراج الجنين منها متى كانت ترجى حياته. ولا يتوقف ذلك على رضا الأهل [illegible] وقته.

أهل الكتاب يستفتون الإمام

(السؤال): سئل[5] بإفادة من نظارة الحقانية مؤرخة في ٢٣ من المحرم سنة ١٣٢١هـ [illegible] تتضمن [illegible] نمرة ٣٨ [illegible] بتسليم أولاد عبدالله إبراهيم، صراف ناحية أبي كبير، الذي ضمهم إليه بعد إسلامه، [illegible] يجب شرعا في ذلك؛ ومضمون ذلك أن عبدالله إبراهيم، المسيحي، زوج مريم بنت [illegible] بنت عمرها خمس سنوات تقريبا، والثاني ولد عمره سنتان، والثالث طفلة رضيعة عمرها ستة شهور. وقد أسلم هذا الزوج، ومنع هؤلاء الأولاد عن أمهم. وهي [illegible] وضمهم إليها ومرغوب معرفة الحكم الشرعي في ذلك، حيث إنها لم تتزوج.

(الجواب): من المقرر شرعاً أن حضانة الولد الصغير تثبت للأم، ولو كتابية، أو بعد الفرقة؛ لأن الشفقة لا تختلف باختلاف الدين، ويستمر عندها إلى أن يخشى عليه أن يألف دين غير الإسلام، وذلك باعتبار السن إلى سبع سنين في الذكر والأنثى. فإذا بلغ واحد من أولئك الأولاد السابعة من سنه وجب نزعه من والدته وضمه إلى أبيه. فإذا خشي عليه أن يشرب غير دين الإسلام بوسائل أخرى قبل بلوغه ذلك السن وجب أخذه من والدته وضمه إلى أبيه كذلك. وكل ذلك ما لم تتزوج الأم [illegible] مطلقا. وعلى ذلك فحق حضانة هؤلاء الأولاد هو لأمهم الآن، إذ توفرت فيها شروط الحضانة. ولم يخش على الأولاد شيء مما ذكر. والله أعلم[6].

مواريث

(السؤال): سأل الخواجة، كيورك ابكاوش، في: مسيحي توفي بمصر عن زوجة وأولاد ثلاثة ذكور [illegible] وعقارات ونقدية، فما هي حصة كل منهم؟؟

(الجواب): يخص الزوجة المذكورة في جميع تركة زوجها المذكور الثمن فرضاً، ثلاثة قراريط. ويخص كل ابن من الأبناء الثلاثة المذكورين ستة قراريط؛ ويخص البنت المذكورة ثلاثة قراريط وهذا حيث لا وارث للمتوفى المذكور سوى هؤلاء الورثة. والله أعلم[7].

(4) تاريخ هذه الفتوى ٦ من ذي الحجة سنة ١٣٢٠هـ ورقمها في السجل الثالث من سجلات دار الإفتاء ١١١ ويقع في الجزء الأيسر من ص١٩

(5) أي الأستاذ الإمام

(6) تاريخ هذه الفتوى ٢٥ من المحرم سنة ١٣٢١هـ ورقمها في السجل الثالث من سجلات دار الإفتاء ١٢٩ ويقع في الجزء الأيسر من ص٣٣

(7) تاريخ هذه الفتوى ٢٤ من رجب سنة ١٣١٨هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٢٢١ ويقع في ص٩٩

(السؤال): سأل ميخائيل قسطندي [illegible] حوالها، إخوة أمها لأبيها، وهم ديمتري ميخائيل وكريمة، وعن أولاد خالها وخالتها أخوي أمها من الأب والأم، وهم اسكندر [illegible] ويوسف وحبيب ونقولا وهيلانة. لا وارث لها سواهم، وتركت ما يورث عنها، [illegible]

(الجواب): تركة هذه المرأة المتوفاة تكون موروثة عنها لأخوالها، إخوة أمها لأبيها، الذين هم ديمتري وميخائيل وكريمة، لاتحادهم في حيز القرابة، فتقسم التركة على [illegible] الأصول حينئذ، ويعطى للذكر ضعف الأنثى؛ فيعطى لديمتري من هذه التركة تسعة قراريط وثلاثة أخماس قيراط، ويعطى منها كذلك لميخائيل تسعة قراريط وثلاثة أخماس قيراط، وباقيها، وهو أربعة قراريط وأربعة أخماس قيراط، يعطى لكريمة.

أما أولاد خالها وخالتها، أخوي أمها من الأب والأم، المذكورون فلا حظ لهم من هذه التركة، لبعدهم في الدرجة عن الخالين والخالة المذكورين والله أعلم[8].

(السؤال): سأل [illegible]

والدتهما وزوجته وبناته الثلاث القصر، [illegible] المذكورات، وعن أبويها فقط، وأن البنتين: الأولى والثانية انتهت مدة حضانتهما، والثالثة مولودة سنة ١٨٩٧ أفرنجية، ووالدة الأب موجودة، وغير متزوجة، ولم يكن لها أولاد صغار، ولا صناعة لها، وقادرة على [illegible] مشغولة بهم، ويخشى على البنات الضياع عندها، لاشتغالها عنهن بأولادها، وبالخروج [illegible] أهلها في البلاد المقيمين بها وتركها لهن، [illegible] لأن أمهن وخالهن وعم أمهن ماتوا جميعا به في المنزل القاطنات به مع أم أمهن، واستعلم عن الأحق بهن: هو، لكونه مأمونا عليهن؟ أو والدته القادرة على حضانتهن؟ أو جدتهن أم أمهن؟؟ ورغب الجواب.

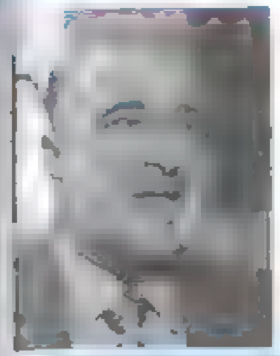
(الجواب): لا حق لأم الأم في ضم البنتين اللتين انتهت مدة حضانتهما ببلوغ سنهما تسع سنين. وإنما حق لعمهما العاصب المذكور في ضمهما لنفسه. أما البنت الثالثة التي لم تبلغ تسع سنين فمتى كان يخشى عليها الشرر والضياع عند جدتها أم أمها يكون الحق في حضانتها لجدتها أم أبيها المذكورة والله أعلم[9].

[illegible]

(9) تاريخ هذه الفتوى ١٦ من المحرم سنة ١٣٢١هـ ورقمها في السجل الثالث من سجلات دار الإفتاء ١٢٤ ويقع في الجزء الأيمن من ص٣١

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

قالوا عن القرآن



٤

للدكتور / عماد الدين خليل

فيشر (١)

[١] «إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن. واعتمادا على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه. ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع» (٢).

[٢] «إن القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاما عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق. وتتجلى هداية الكتاب في نواهيه كما تتجلى في أوامره» (٣).

جب (٤)

[١] «إذا رأى أحد أن خاتم القرآن على فعل

---

(١) الدكتور سدني فيشر Sydney fisher

أستاذ التاريخ في جامعة ... الأمريكية، وصاحب المؤلفات العديدة في شؤون ... العربية ... دكتور ... مؤلف كتاب «الشرق الأوسط في العصر الإسلامي» والذي يناقش فيه العوامل الفعالة التي يرجع إليها تغير الشعوب والحوادث في هذه البلاد وأولها الإسلام.

(٢) الشرق الأوسط في العصر الإسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام ص ٤.

(٣) نفسه ص ٤.

(٤) السير هاملتون ألكسندر روسكين جب ١٨٩٥ - ١٩٦٧ Prof. Sir Hamilton A.R. Gibb يعد إمام المستشرقين الإنكليز المعاصرين. أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠، والأستاذ في جامعة أكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري ... ومن آثاره ودراسات في الأدب العصرية ١٩٢٦م «الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين» «رحلات ابن بطوطة» «اتجاهات الإسلام المعاصرة» وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية.

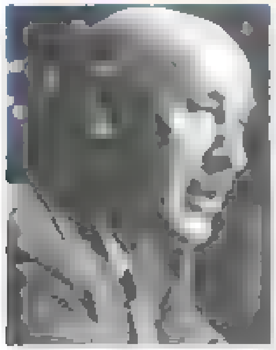
خير غير كثير أثبتنا له بالحجة القاطعة خطأه وسبق إليه ذلك تعريف الناس للبر في تلك الآية العظيمة

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

(البقرة ١٧٧)

فالبر إذن تاج الإيمان الحق، حين يدرك المؤمن أخيرا أن الله شاهد أبدا» (٥).

[٢] «هذه، إذن، هي الرسالة التي بلغها القرآن إلى الجيل الأول من المسلمين وظل يبلغها إلى جميع الأجيال منذ عهدئذ فالقرآن سجل لتجربة حية مباشرة في ميدان الألوهية، تجربة ذات طرفين: واحد مطلق وآخر متصل بشئون الحياة العامة، ودعوة للمخلوق كي ينظم حياته ليتمكن من الأخذ بنصيب في تلك التجربة وحين يتبع المسلم أوامر القرآن ويسعى ليستكنه روح تعاليمه، لا بفكره فحسب بل بقلبه وروحه أيضا، فإنه يحاول أن يستملك شيئا من الرؤى الخدمية ومن التجربة التي كانت للرسول الحبيب ويعظم في عينيه معزى كل آية فيه، لإيمانه بأنه كلام الله



هاملتون جب

ولو لم يكن هذا الإيمان شعبة من عقيدته لتناقصت قيمته لديه من حيث هو منبع حي للإلهام والاستبصار الديني» (٦).

[٣] «مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً وهي: أن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناء دينيا جديدا متميزا» (٧).

[٤] «.. على الرغم مما قام به العلماء المتأخرون من تطوير لعلم كلام إسلامي منهجي، يبقى صحيحا ما ذكرناه سابقا وهو أن جمهور الجماعة الإسلامية كان يتألف من شعوب أحدثت لديها ممارسة حفظ القرآن وتلاوته ممارسة حدسية أثرا أقوى وأسرع من كل أثر خلفه أي قدر من الجدل العقلي أو من حذقه وبراعته» (٨).

[٥] «إننا نخطىء خطأ فاحشاً إذا اقتصرنا على النظر إلى هذه العقيدة نظرتنا لمذهب لاهوتي انتقل بشكل وراثي من جيل إلى جيل منذ ألف وثلاثمائة سنة إنها على العكس من

---

(٥) سير ... من حضارة الإسلام ص ...

(٦) نفسه ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٧) نفسه ص ...

(٨) نفسه ص ...

ذلك يغذي وإيمان حي يتجدد ويتأكد باستمرار في قلوب المسلمين وأرواحهم وأفكارهم. ولدى العربي بشكل خاص. حين يدرس النص المقدس لقد عارض المذهب السني المتمسك بشكل عام ترجمة القرآن إلى اللغات الإسلامية الأخرى على الرغم من أن النص العربي يظهر في بعض الأحيان مقترنا بترجمة تركية أو فارسية أو أوردية وغيرها من اللغات إن هذا الموقف يستند على محاكمة شرعية متماسكة تصوغ حججها إلى حد ما بشكل عقلاني مستندة في ذلك على اعتبارات بعيدة عن هذا الشكل العقلاني والواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسي كما هي الحال بالنسبة للشعر الرفيع إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن باللغة العادية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله لأن كل عطف أو مجاز أو براعة لغوية يجب أن تدرس طويلاً قبل أن ينبثق المعنى للقارئ والقرآن كذلك له حلاوة وطلاوة ونظم بديع مرتب لا يمكن تحديده لأنها تعد بسحرها أفكار الشخص الذي يصغي إلى القرآن لتلقي تعاليمه ولا شك أن تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلا أن يشوهها ويحول الذهب النقي إلى فخار...»(٩).

كوبولد(١٠)

[١] «... وذكرت أيضاً ما جاء في القرآن عن خلق العالم وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، وكيف أن العلم الحديث قد ذهب يؤيد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدت أجيالاً عديدة»(١١).

[٢] «إن أثر القرآن في كل هذا التقدم الحضاري الإسلامي لا ينكر. فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من انشاء امبراطورية فاقت امبراطورية الاسكندر الكبير، والامبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمراناً وحضارة»(١٢).

[٣] «الواقع أن جمال القرآن، وبديع أسلوبه أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته وما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها في غيره من الكتب ولعل ما كتبه المستشرق جوهونسن بهذا الشأن يعبر كل التعبير عن رأي مثقفي الفرنجة وكبار مفكريهم قال: «إذا لم يكن شعراً، وهو أمر مشكوك به، ومن الصعب أن يقول المرء بأنه من الشعر أو غيره، فإنه في الواقع أعظم من الشعر. وهو إلى ذلك ليس تاريخاً ولا وصفاً، ثم هو ليس موعظة كموعظة الجبل ولا هو يشابه كتاب البوذيين في شيء قليل أو كثير ولا خطبا فلسفية كمحاورات أفلاطون، ولكنه صوت النبوة يخرج من القلوب السامية، وإن كان عالميا في جملته، بعيد المعنى في مختلف سوره وآياته، حتى أنه يردد في كل الاصقاع، ويرتل في كل بلد تشرق عليه الشمس»(١٣).

[٤] «أشار الدكتور ماردريل المستشرق الفرنسي الذي كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة بعض سور القرآن، إلى ما للقرآن الكريم من مزايا ليست توجد في كتاب غيره وسواه فقال: «أما أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق عز وجل وعلا، ذلك أن الأسلوب الذي ينطوي عليه كنه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهياً. والحق والواقع أن أكثر الكتاب ارتيابا وشكاً قد خضعوا لتأثير سلطانه وسحره، وأن سلطانه على ملايين المسلمين المنتشرين على سطح المعمور لبالغ الحد الذي جعل أجانب المبشرين يعترفون بالاجماع بعدم إمكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن ذلك أن هذا الأسلوب.. الذي يفيض جزالة في اتساق منسق متجانس كان لفعله الأثر العميق في نفس كل سامع يفقه اللغة العربية. لذلك كان من الجهد الضائع الذي لا يثمر أن يحاول المرء [نقل] تأثير هذا النثر البديع الذي لم يسمع بمثله بلغة أخرى...»(١٤).

[٥] «الواقع أن للقرآن أسلوباً عجيباً يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فحسن تأليفه، والتئام كلماته، ووجوه إيجازه، وجودة مقاطعه، وحسن تدليله، وانسجام قصصه، وبديع أمثاله، كل هذا وغيره جعله في أعلى درجات البلاغة. وجعل لأسلوبه من القوة ما يملأ القلب روعة، لا يمل قارئه ولا يخلق بترديده.. قد امتاز بسهولة ألفاظه حتى قل أن تجد فيها غريبا. وهي مع سهولتها جزلة عذبة، وألفاظه بعضها مع بعض متشاكلة منسجمة لا تحس فيها لفظا نابيا عن أخيه، فإذا أضفت إلى ذلك سمو معانيه أدركت بلاغته وإعجازه»(١٥).

❖❖❖

---

(٩) التطلعات الحديثة في الإسلام: ص ٣٠-٣١.

(١٠) اللادي ايفلين كوبولد Lady E. cobold نبيلة انكليزية، اعتنقت الإسلام وزارت المطار، وحجت إلى بيت الله وكتبت مذكراتها عن رحلتها تلك في كتاب لها بعنوان «الحج إلى مكة» طبع ١٩٣٤، والذي ترجم إلى العربية بعنوان «البحث عن الله».

(١١) البحث عن الله ص ٤٥.

(١٢) نفسه ص [illegible].

(١٣) نفسه ص [illegible].

(١٤) نفسه ص ١١٢-١١٣.

(١٥) نفسه ص ١١٣.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

سلس البول

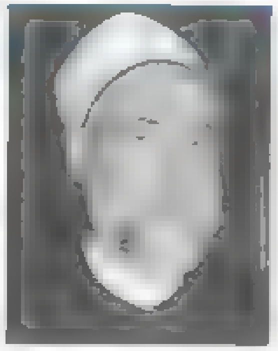
● السؤال من: ح. أ. خ: أعاني من سلس بول عقب التبول يستمر من نصف ساعة إلى ساعة كما أعاني من نزول مذي أو ودي بعد ساعة أو ساعتين من تمام الوضوء والصلاة.

●● الجواب: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فللسائل أن يتوضأ ويصلي قبل أن يتبول حتى لا يقطع بوله سلس البول فإن كان لا يستطيع ذلك فله أن يتبول وينتظر حتى تمضي الفترة الزمنية التي ينزل فيها سلس البول ثم يتوضأ ويصلي ولا حرج عليه في فوات صلاة الجماعة أما إذا استمر سلس البول حتى موعد الوقت الذي يليه فله أن يتوضأ ويصلي حتى ولو نزل منه البول أثناء الصلاة أما نزول المذي أو الودي بعد الانتهاء من الصلاة فعلى السائل أن يغسل محل نزوله ثم يتوضأ إن أراد الصلاة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● السؤال من: ش. ع. ح: أجريت لي عملية جراحية في البروستاتا ونتيجة لذلك بعد شفائي من الجراحة في خروج قطرات بول من بعده ذلك بعد التحكم فيه بعد الاستنجاء، مما يضع النفس في حيرة وشك في الوضوء والصلاة نرجو الإفادة. وكيف يصح الوضوء والصلاة؟

●● الجواب: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فما يشكو منه السائل يدخل تحت ما يعرف فقهيا وطبيا بسلس البول، وعلى من به سلس البول أن يضع ما يستقبل به قطرات البول ويسرعه قبل الوضوء ويتطهر ويضع شيئا جديدا طاهرا. ثم يتوضأ لكل صلاة مكتوبة بعد دخول وقتها. ويصلي على الفور بعد انتهاء الوضوء بلا تأخر إلا لاحتياجات الصلاة كستر العورة وإقامة الصلاة، وله أن يصلي بعد ذلك ما يشاء من النوافل حتى يدخل وقت الصلاة التي تليها فيتوضأ لها مرة أخرى..



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

وهكذا. ولا يعتد بما ينزل بعد الوضوء عملا بالقواعد الفقهية المقررة «المشقة تجلب التيسير»، و«إذا ضاق الأمر اتسع»، و«الضرورات تبيح المحظورات»، و«ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها».

والله سبحانه وتعالى أعلم

سهو الإمام

● والسؤال من: أ. م. ن: أنه كان يصلي بالناس إماما وبعد قراءة الفاتحة وأثناء قراءته للسورة فسقطت منه كلمة سهوا فهل يجب على المأموم الفتح على الإمام أم لا وإن كان يجب فمتى يكون الفتح وما كيفيته؟

●● الجواب: معنى فتح المأموم على الإمام تنبيهه إلى ما يقرؤه من السور أو الآيات بعد قراءة الفاتحة، وهذا التنبيه قد يكون تصحيحاً خطأً في القراءة، وقد يكون تذكيرا له بما يريد أن يقرأه. وهو مشروع والأصل في ذلك حديث رواه أبو داود عن مسور ابن يزيد المالكي قال: صلى رسول الله ﷺ فترك آية، فقال له رجل: يا رسول الله آية كذا وكذا، قال: «فهلاً ذكرتنيها» وفي رواية له عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه، فلما انصرف قال لأبي: «صليت معنا؟» قال: نعم «فما منعك؟» وإسناده جيد كما قال الخطابي والمعنى أن النبي ﷺ ترك آية فظن مسور أنها نسخت. فذكر له النبي ﷺ أنها لم تنسخ وكان يود أن يذكّره إياها ومعنى «لبس» بفتح اللام والباء، التبس واختلط جاء في نيل الأوطار للشوكاني «ج٢ ص٣٣٩» أن الحديثين يدلان على مشروعية الفتح على الإمام، على خلاف في ندبه أو وجوبه عند الشيعة. وقال أبو حنيفة في رواية عنه: إنه مكروه ودليله ما أخرجه أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تفتح على الإمام في الصلاة»، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه، وهو مطعون فيه، ولا يعارض ما ورد في مشروعية الفتح. وجاء في المغني لابن قدامة «ج١ ص٧١١» أن الفتح على الإمام إذا ارتج عليه أو غلط فرد عليه لا بأس به في الفرض والنفل، روى ذلك عن عثمان وعلي وابن عمر، وكذلك بعض التابعين كالحسن وابن سيرين، وكرهه ابن مسعود من الصحابة، وشريح والشعبي، وقال أبو حنيفة: تبطل الصلاة به. وذكر الأحاديث السابقة ثم ذكر ابن قدامة أن الإمام إذا أرتج عليه في الفاتحة لزم من وراءه الفتح

عليه، كما لو نسي سجدة لزمهم تنبيهه بالتسبيح، فإن عجز عن إتمام الفاتحة فله أن يستخلف من يصلي بهم لأنه عذر كما لو غلبه الحدث.

وعلى ما تقدم وفي واقعة السؤال: فإنه إذا نسي الإمام آية أو كلمة أثناء قراءته فإذا فتح عليه المأموم فلا بأس بذلك من غير ضوضاء في المسجد هذا إذا كان النسيان في غير الفاتحة، أما إذا ارتج عليه في الفاتحة لزم من وراءه من المأمومين الفتح عليه لأنها ركن الصلاة فيكون كمن نسي ركوعاً أو سجوداً فليتنبه بالتسبيح لقول الرسول ﷺ: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء» كذلك إذا أخطأ الإمام في القراءة الخطأ الواضح الذي يحيل المعنى بأن أدخل أهل الجنة النار أو العكس فيجب على المأموم حينئذ الفتح عليه وعلى المأمومين أن يلتزموا الآداب الإسلامية وأن لا يدعوا للشيطان باباً يفسد به علينا حياتنا وصلاتنا وجاء في فقه المذاهب الأربعة ما خلاصته

١ - أن الحنفية قالوا: إذا نسي الإمام الآية كأن توقف في القراءة أو تردد فيها فإنه يجوز للمأموم الذي يصلي خلفه أن يفتح عليه. ولكنه ينوي إرشاد إمامه لا التلاوة؛ لأن القراءة خلف الإمام مكروهة تحريماً.. ويكره للمأموم المبادرة بالفتح على الإمام، كما يكره للإمام أن يلجئ المأموم على إرشاده، بل ينبغي له أن ينتقل إلى آية أخرى أو سورة أخرى، أو يركع إذا قرأ القدر المفروض والواجب.

٢- والمالكية قالوا: يفتح المأموم على إمامه إذا وقف عن القراءة وطلب الفتح بأن تردد في القراءة، أما إذا وقف ولم يتردد فإنه يكره الفتح عليه، ويجب الفتح عليه في الحالة الأولى إن ترتب عليه تحصيل الواجب كقراءة الفاتحة، ويسن إن أدى إلى إصلاح الآية لو ندة عن الفاتحة. ويندب إن أدى إلى إكمال السورة الذي هو مندوب.

٣- والشافعية قالوا: يجوز للمأموم أن يفتح على إمامه بشرط أن يسكت عن القراءة، أما إذا تردد في القراءة فإنه لا يفتح عليه ما دام متردداً، ولابد لمن يفتح على إمامه أن يقصد القراءة وحدها، أو يقصد القراءة مع الفتح، أما إن قصد الفتح وحده، أو لم يقصد شيئاً أصلاً فإن صلاته تبطل على المعتمد.

٤- الحنابلة قالوا: يجوز للمصلي أن يفتح على إمامه إذا ارتج عليه «أي منع من القراءة» أو غلط فيها، ويكون الفتح واجباً إذا منع الإمام من القراءة أو غلط في الفاتحة، لتوقف صحة الصلاة على ذلك.

هذا، ولعل ما نقلته من فقه المذاهب الأربعة يوضح ما نقلته عن نيل الأوطار للشوكاني وعن المغني لابن قدامة. واختلاف الآراء رحمة، لأنه يتيح الفرصة للأخذ بأحدها دون تعصب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حول صلاة النساء في المسجد

● السؤال من د. ى. أ: يوجد مسجد يصلي فيه الرجال ويفصل بينه وبين مصلى النساء شارع مطروق بعرض ٦ أمتار ومصلى النساء في مكان يجعله متقدماً على موقف الإمام فهل يجوز للنساء الصلاة في هذا المصلى بإمام المسجد عن طريق توصيل سماعات؟ وماذا يحدث لو انقطعت الكهرباء أثناء الصلاة؟ هل تصلي بهن إحداهن إماماً، أم يصلين فرادى؟

●● الجواب: المقرر شرعاً لصحة اقتداء المأموم بإمامه في صلاة الجماعة أن يكون هناك إمكانية لمتابعة المأموم لإمامه؛ بأن يكون على علم بانتقالاته بسماع أو رؤية مع اتصال الصفوف لما روى أن النبي ﷺ كان يصلي في حجرة عائشة رضي الله عنها والناس في المسجد يصلون بصلاته، وتصح الصلاة مع وجود حائل يمنع اتصال صفوف المصلين عند الضرورة والحاجة يقول ابن قدامة: «وإذا كان بينهما - أي بين الإمام والمأموم - طريق أو نهر تجري فيه السفن أو كان في سفينتين مفترقتين ففيه وجهان.. أحدهما: لا يصح أن يأتم به وهو اختيار أصحابنا ومذهب أبي حنيفة؛ لأن الطريق ليست محلاً للصلاة فأشبه ما يمنع الاتصال، والثاني: يصح وهو الصحيح عندي ومذهب مالك والشافعي؛ لأنه لا نص يمنع ذلك ولا إجماع ولا هو في معنى ذلك لأنه لا يمنع الاقتداء فإن المؤثر في ذلك ما يمنع الرؤية أو سماع الصوت» المغني جـ ٢ طبعة دار الحديث ص ٤٧٤.

وفي واقعة السؤال وبناء على ما سبق فلا مانع شرعاً من اقتداء النساء في المصلى المذكور بإمام المسجد إذا توافر شرط صحة الاقتداء من إمكانية متابعة الإمام في حركاته وانتقالاته ولو عن طريق مكبر الصوت. وأغلق الطريق أثناء الصلاة مع مراعاة أن يكن موقف النساء بمحاذاة الإمام أو خلفه. وإذا ما حدث انقطاع للتيار الكهربائي أثناء الصلاة ولم يتمكن النساء من متابعة الإمام بحال فيتممن الصلاة فرادى للضرورة ولأنه لا يصح أن يحل شخص محل الإمام إلا بالاستخلاف وتكون الصلاة صحيحة بإذن الله تعالى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

إنما الأعمال بالنيات

● السؤال من ط. ح. ف: [illegible] عن الخوف من الصلاة في المسجد خشية الرياء والسمعة وعما يجب أن أفعله؟

●● الجواب: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات» فعلى السائل أن يجعل نيته خالصة لله في ذهابه إلى المسجد ولا يلتفت إلى وساوس الشيطان الذي يتربص به حتى يثنيه عن عبادة الله بدعوى أنه يذهب للمسجد رياء وسمعة فما هي إلا مكائد الشيطان حتى تبتعد عن المسجد فعليك بذكر الله والاستعاذة به سبحانه من الشيطان الرجيم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الصلاة جلوساً

● السؤال من أ. د. ى: ما حكم الصلاة على كرسي أو مقعد لأسباب مرضية حيث إنه من الممكن حدوث بعض النسيان؟

●● الجواب: المقصود من أداء الصلاة القيام بها على وجه يدرك الإنسان معه ما يفعله فيها، فإذا كان المكلف يصلي قائماً ولكنه لا يدرك ما يفعله في صلاته إلا إذا صلى قاعداً فإنه يعتبر في حكم من لا يستطيع القيام، ويدخل بذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فإنه يجوز للإنسان أن يصلي على مقعد إذا كان قيامه في الصلاة ينسيه ما يفعله فيها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي عضو مجمع البحوث ونائب رئيس جامعة الأزهر

بقلم تلميذه الدكتور
محمد إبراهيم العشماوي
مدرس الحديث الشريف بكلية أصول الدين

في زمن كثر فيه المتلونون؛ بحثا عن منفعة، أو فرارا من مضرة رحل عن عالم الضجيج - في صمت - الطود الراسخ، والجبل الأشم الشامخ، قدوة الثابتين على المبدأ، العلامة الجهبذ المحقق الناقد علم المفسرين وشيخ الصوفية المحب الوله العارف الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي، حيث فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها مساء الخميس ٢٢ / ١١ / ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٠/١٠/٢٠١١ م، عن عمر يناهز سبعة وستين عاما، وذلك إثر أزمة قلبية متكررة، نقل على إثرها إلى المستشفى الجامعي بطنطا حيث وافته المنية وصلى عليه بالمسجد الأحمدي، وشيعت جنازته في موكب مهيب عقب صلاة الجمعة، ووسد جثمانه الثرى في جوار والده الشيخ محمد أبي اليزيد، بضريحه في مقابر طنطا.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ رحمه الله في ٧ / ٤ / ١٩٤٤ م في قرية العزيزية التابعة لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، لأبوين شريفين يتصل نسبهما بالنسب النبوي المبارك، وكان وحيد أبويه، فتوجهت عنايتهما إليه، وتوفرت همتهما عليه، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة طنطا، حيث التحق بالمعهد الأحمدي (الجامع)، شقيق الجامع الأزهر، كما يسميه المؤرخ الدكتور مجاهد الجندي.

وقد نشأ الشيخ نشأة صوفية خالصة في بيت ولاية وعلم، فأبوه هو الشيخ محمد أبو اليزيد، كان رجلا صالحا معتقدا من العامة، وله كرامات ظاهرة، كان يجاور بالمقام الأحمدي، وأخبرني شيخنا - رحمه الله - أن الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود كان يقصده للزيارة والتبرك في بيته في طنطا، وهو يومئذ شيخ للأزهر! وجده لأمه الشيخ جودة إبراهيم - الذي سمي باسمه تيمنا - أحد الأولياء المذكورين في مدينة منيا القمح، وله مقام يزار، ويحتفل به في كل عام، وقد ترجم له شيخنا في كتابه «النفحات الجودية في مناقب وأوراد الطريقة النقشبندية»، ورفع قدره، وشهر أمره، وذكر له كرامات باهرة وخوارق عجيبة، وقد كان الشيخ مقيما به، حريصا على زيارته، حتى إنه ظل يسافر من طنطا إلى منيا القمح زمنا طويلا؛ لأداء خطبة الجمعة وإلقاء الدروس بمسجد جده هذا.

نشأ الشيخ في تلك البيئة الصوفية العريقة، فلا جرم أشرب في قلبه حب الصوفية، فعلى أيديهم تربى، ومن قوتهم تغذى، ومن معارفهم شرب وارتوى، فلم ير غيرهم، ولم يسمع سواهم، ولم يعلق قلبه بأحد دونهم، وكان مولعا بالتشبه بهم في كل شيء إلى حد التسمي بأسمائهم، فقد سمى بعض ولده باسم السيد أحمد البدوي، وسمى آخر باسم السيد أبي اليزيد البسطامي، وهذا فضلا عن محمد والحسين وفاطمة وزينب ونفيسة، وهو نفسه سمي جده الشيخ جودة، ووالده سمي الشيخ أبي يزيد، اشتهر الشيخ - رحمه الله - بتعلقه الشديد بالسيد البدوي، وبالدفاع عنه، ورد الشبه المثارة حوله، حتى إنه كتب كتابا علميا حافلا سماه «حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي»، وهو خير من يتكلم عنه، حتى لقد سمعت شيخنا الدكتور أحمد عمر هاشم - في محاضرة له عندنا في كلية أصول الدين في طنطا إبان توليه رئاسة جامعة الأزهر - يعتذر عن الكلام عن السيد البدوي في حضور الشيخ، ويقول: هو خير من يتكلم عنه! وكان الشيخ مواظبا على حضور مجلس دلائل الخيرات وغيره من مجالس الذكر في مقام السيد، وكنت لا تخطئه هناك إلا لعذر قاهر.

وكان من آثار تعلقه الشديد به - كما أخبرني بنفسه - أن والده كان يأمره في ذهابه وإيابه من المعهد الأحمدي - وهو طالب - أن يمر بمقام السيد، ويسلم عليه، ويقبله، ويقرأ له الفاتحة، ويدعو، وشب الشيخ على هذا، وشاب، ولم يتركه حتى توفاه الله عز وجل! وقد تعرض للانتقاد الشديد والهجوم عليه، بل واتهمه في عقيدته بسبب هذا التصرف، وامتحن بسببه، وأوذي، وهو ثابت لا يتزلزل، ولم يزل خصومه في شد وجذب معه حتى سعوا به إلى الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق، فاستدعاه إلى مكتبه بمشيخة الأزهر ليسمع منه، ولقد دخلت على شيخنا مكتبه يوما - وهو عميد لكلية القرآن، وكان يسر إلي ببعض أسراره - فرأيته يراجع بعض الكتب، وينقل منها نصوصا، ويوثق، ويحقق - كعادته دائما - في مسألة تقبيل الأعتاب، والطواف حول الضريح، فسألته عن السبب، فأخبرني أن الإمام الأكبر قد استدعاه، ولا يدري لماذا، غير أن أكبر ظنه أنه بسبب ما يفعله في مقام السيد، وقد صدق - والله - ظنه، وحين تمت المقابلة أخبرني بما جرى فيها، وأنه ساق للإمام الأكبر الأدلة العلمية على جواز هذا الفعل شرعا، وأنه لا يمكنه أن يخالف الشريعة في شيء، وهو من المعظمين لها، المتمسكين بحبلها، وأن الإمام الأكبر قد اقتنع بكلامه، لكنه نصحه ألا يفعل؛ لئلا يساء به الظن ممن لا يفهم، ولأنه في موضع القدوة من الخواص فضلا عن العوام! وامتنع الشيخ فترة لموضع النصيحة، ثم عاد مرة أخرى، فقد غلبت عليه قناعاته الشخصية والعلمية، وتمت مشاعره الفياضة تجاه الأولياء كل

اعتبار، ولسان حاله يقول:

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا

ومن بالغ حبه للصوفية وتعظيمه صحبتهم أنه كان يشغل جل مجالسه بذكرهم، ونقل كلامهم، وحكاية أحوالهم، وسرد أخبارهم، ويقدمهم على كل شيء سواهم، ويحول الحديث إليهم لأدنى مناسبة. ويحب من جليسه أن يكون كذلك

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد

ومن عجيب أمره في ذلك أن عنده لكل مناسبة حديثا عنهم، مهما استبعد وجود ذلك منهم، فقد يكون الكلام في شيء من الأمور العصرية، التي يستبعد وجود مثلها عند الصوفية، فضلا عن غيرهم، لكنه يأتيك بخبر أو حكاية أو عبارة من عندهم تناسب المقام، وتصيب المرام، فقد كان يستخرج النكتة من كلامهم بالمناقش!

وقد كان الشيخ حريصا على مجاورة آل البيت، والقرب من أولياء الله الصالحين في حياتهم وبعد وفاتهم. فبيته في طنطا يقع خلف المسجد الأحمدي، وقد ترك الإقامة في هذا البيت في السنوات الأخيرة، وانتقل إلى بيت آخر قريب منه على بعد بضعة أمتار في نفس الاتجاه، لكنه أكثر قربا من مقام السيد حيث يقع قبالة المقام، وللشيخ استراحتان في القاهرة إحداهما مجاورة للمسجد الحسيني، والأخرى قريبة من مسجد السيدة زينب!

ولقد اشتهر الشيخ بين أهل عصره بأنه لسان الصوفية، وحامل راية التصوف. وهذا حق. فإنه هو الأشهر في هذا الميدان كتابة وتأليفا، ومحاضرة ومناظرة، ومنهجا وسلوكا، ودعوة وجهادا. بعد وفاة أمثال المشايخ الكرام: عبدالحليم محمود، ومحمد زكي إبراهيم، ومحمد خليل الخطيب، وغيرهم من طبقة شيوخه الذين اشتهروا بالتصوف علما وعملا وحالا، وقد خلفهم الشيخ في هذا الطريق، وحمل الراية من بعدهم. ولقد انعقد المؤتمر الصوفي العالمي مؤخرا في القاهرة، وغاب الشيخ عن المشهد لظروف مرضه، فكان من تعليق بعض الأكابر: لقد غاب فارس الميدان! ورغم هذه الصوفية العريضة للشيخ وشهرته بها، إلا أنه لم يتبوأ منصبا رسميا في الطرق الصوفية، ولا حتى مشيخة الطريقة النقشبندية التي ينتسب إليها، ولم يكن يطمح إلى شيء من ذلك. فقد كان يرى أن جهاده العلمي والدعوي، وقيامه بالتربية الروحية للمريدين أجلّ من تلك المناصب الرسمية، وأوسع وأنفع للمسلمين منها، فالشيخ من شيخة العلم لا من شيخة الوظائف.

وللشيخ من المؤلفات العلمية في التصوف: النفحات الجودية، حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي -وقد مرت الإشارة إليهما-، شوامخ من أعلام الصوفية، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات كتبها وهو معيد بكلية أصول الدين في فترة السبعينيات، ونشرها في مجلة منبر الإسلام، وأخبرني أن الشيخ عبدالحليم محمود كان معجبا بكتابته، وأنه نشره بتشجيع عظيم. وقد جمع تلك المقالات، وزاد عليها بعض التراجم، وعمل مقدمة للكتاب، وكنت أعاونه في الإعداد لهذا الكتاب ومراجعته، وكنت قد أشرت على فضيلته -إذ استشارني- بأن يرتب الكتاب على الطبقات، وقد فعل. وللشيخ مؤلفات أخرى في التصوف بعضها في الأوراد والأذكار العامة والخاصة، وبعضها في التأصيل للمفاهيم والمناهج الصوفية، وبعضها في الرد على شبه الخصوم، وبعضها مقدمات علمية رصينة لكتب صوفية محققة.

لقد كانت فكرة التصوف هي القضية الكبرى التي يؤمن بها شيخنا، ويؤصل لها، ويدعو إليها، ويناظر عليها، ويدافع عنها. وكان كثيرا ما يتمثل بقول إبراهيم بن أدهم: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف»! ولقد كانت قضية التصوف شغله الشاغل الذي ملك عليه أقطار نفسه، واستغرق الكثير من وقته وجهده، وهيمن على فكره وقلمه، حتى في بحوثه العلمية التخصصية، فقد كتب بحوثا قيمة عن الاتجاه الصوفي عند بعض المفسرين، ممن لم ينتسب قط إلى تصوف، كالإمام القرطبي وغيره، بل طلب مني أن أكتب بحوثا مماثلة عن الاتجاه الصوفي عند المحدثين، إيمانا منه بأن «التصوف الحق هو ربانية الإسلام»، وهو طريق الصلاح والإصلاح لهذه الأمة. وهو المنهج الذي كان عليه السلف الكرام. والذي تتضاءل أمامه كل المناهج. بغض النظر عن قضية المصطلح، والممارسات الخاطئة التي شوهت معالم الحق فيه.

ولقد أوعز إليه البعض يوما أن يتخلى عن هذا المنهج، أو بالأحرى يخفف من غلوائه، وانتقاد خصومه، أو على الأقل يقف على الحياد من جميع التيارات والمناهج، كي تنفتح أمامه كل أبواب الشهرة والرزق في الداخل والخارج، لكنه رفض بشدة، وأصر على موقفه، وأبى إلا الثبات على مبدئه. وقد أعرض عن السفر للعمل في الخارج رغم كثرة العروض التي أتته، وترك الظهور الإعلامي في بعض القنوات، والكتابة في بعض المجلات. فقد كان يرفض التلون من أجل المادة، ويضحي من أجل الفكرة، وكان يقول لمن يلومه على ذلك: «نحن في بحبوحة من العيش، والحمد لله الذي أغنانا من فضله»!

مكانته العلمية والأدبية:

تخرج الشيخ في كلية أصول الدين عام ١٩٦٨م، وكان ترتيبه الأول على أقرانه، كما أخبرني زميل دراسته شيخنا الدكتور سعد جاويش، وعين معيدا بالكلية في ٩/٤/١٩٦٩م، ثم رقي إلى درجة مدرس مساعد عام ١٩٧٠م، ثم حصل على الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن عن رسالته «الواحدي ومنهجه في التفسير»، وقد طبعها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ولما افتتحت كلية أصول الدين بطنطا -وكان اسمها القديم كلية الدعوة- انتقل إليها عام ١٩٧٧م، وعين مدرسا في نفس العام، وكان يدرّس فيها مع كبار مشايخه! ثم رقي إلى درجة أستاذ مساعد في ١٨/٨/١٩٨١م، ثم إلى درجة أستاذ في ١/٧/١٩٨٥م، ثم عين وكيلا لكلية أصول الدين في طنطا ١٩٨٦م، ثم عميدا لها عام ١٩٩١م، ثم لما أنشئت كلية القرآن الكريم في طنطا عام ١٩٩٢م أسند إليه الإشراف عليها مع عمادته لكلية أصول الدين، ثم عين عميدا لها عام ٢٠٠٢م، وهو أول من تولى عمادتها. ثم شغل منصب نائب رئيس جامعة الأزهر للوجه البحري عام ٢٠٠٦م، وظل يشغله حتى أحيل إلى التقاعد عام ٢٠٠٩م.

واختير الشيخ عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية -وكان مقررا للجنة القرآن والسنة-

كما اختير عضوا بالمركز الدولي للسيرة والسنة، وعضوا بمجمع البحوث الإسلامية، وكان أحد الأعضاء باللجنة العلمية الدائمة (!) لترقية الأساتذة بقسم التفسير، واللجنة العلمية بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية، ونقابة الأشراف. وأشرف على عشرات الرسائل العلمية، وناقش العديد منها، ودرَّس وحاضر في العديد من الجامعات والمعاهد والمساجد، وجاب البلاد شرقا وغربا للدعوة إلى الله تعالى ونشر المنهج الصوفي الأصيل، في داخل مصر وخارجها.

وقد تتلمذ الشيخ في المعهد الأحمدي على كبار المشايخ من أمثال: محمد خليل الخطيب، إبراهيم الدسوقي خميس، توفيق محمد سبع، محمود سالم الخطيب، وكان يقول عن الأخير: درس لي طالبا، وزاملته مدرسا، وأشرفت عليه أو ناقشته باحثا ـ الشك مني ـ ! وكان الشيخ محمود يكبر شيخنا بكثير، وحصل على الدكتوراه في سن متأخرة مع متانته العلمية، فقد كان من الجيل القديم.

كما تتلمذ الشيخ في كلية أصول الدين على أعلام عصره من أمثال: عبدالحليم محمود، محمد الغزالي، محمد السماحي، محمد بن فتح الله بدران، محمود النواوي، أحمد الكومي، سيد أحمد المسير، أحمدي. وأخبرني شيخنا الدكتور سعد جاويش بأن الشيخ عبدالحليم محمود كان يحبه كثيرا، ويقدمه على زملائه، وكان معيدا لدرس الشيخ في غيابه، فقد كان أستاذا في زي طالب! وقد تأثر الشيخ ببعض شيوخه تأثرا عظيما لا سيما الصوفية منهم، كالشيخ الخطيب والشيخ عبدالحليم محمود.

وأما تلاميذه فلا يحصون كثرة، ومن أبرزهم من الطبقة الأولى الدكاترة المشايخ: أحمد عجيبة، فتحي الزغبي، مجدي الصافوري. ومن الطبقة الثانية: أحمد القرشي، أحمد أبو الفضل، مخلوف جلاجل. ومن الطبقة الثالثة: عبدالله موسى، ياسر سليمان، وكاتب هذه السطور.

كان شيخنا ـ رحمه الله ـ ممن يحرص الطلاب على حضور محاضرته، وتكتظ بهم القاعة، بالرغم من أن محاضرته كانت تقع في وقت متأخر من اليوم الدراسي، وذلك بعد أن ينهي الشيخ أعماله الإدارية كعميد للكلية. فكان الطلاب ينتظرون محاضرته انتظار الظمآن إلى الماء، فإذا جلس أمامهم فكأنه بحر يتفجر، أو سيل ينحدر! فلم تكن محاضرته محاضرة عادية، بل كانت دائرة معارف علمية! وقد شاركه في هذه الخصوصية الكبار من أبناء جيله من مشايخنا الذين درسونا في طنطا، من أمثال: القصبي زلط، إبراهيم سلامة، عبدالله الشاذلي، فتحي أبو عيسى.

وكان في محاضرته يلتزم الفصحى لا يحيد عنها. فإذا تكلم أسكت الجميع بفصاحته وجزالته وعمقه وتحقيقه، وكان في شرحه يمتاز بالموسوعية، لا سيما في التفسير التحليلي، فمن جوانب عقدية، إلى أخرى فقهية، إلى ثالثة لغوية! وكان يقول: «من لم يتعلم اللغة من كتب اللغة فسأعلمه إياها في التفسير»!

وكان ينتهز الفرص للإشارة إلى بعض المفاهيم الصوفية في تفسيره، إذ كان يميل بحكم تربيته ونشأته إلى التفسير الصوفي الإشاري، وينقل فيه عن أعلام المفسرين من الصوفية كالقشيري والرازي والألوسي، وكان بعض الطلاب ممن لا يؤمنون بفكرة التصوف يتبرمون هم الآخرون، فلك تعرض لمناقشته في تلك المفاهيم، فيتسع صدره لهم، ولا يجد في نفسه حرجا من ذلك. وكان يكشف ما عندهم من شبه، ويزيل ما عندهم من لبس، ويفحمهم بالأدلة، فيروي الغلة، ويشفي العلة، بحكمة الأستاذ ورحمة الوالد، فيخضعون له الخضوع التام، ويسلمون له في احترام!

وقد شهد له الموافق والمخالف بقوته العلمية، وبقدرته الفائقة على إقامة الحجج والبراهين على ما يعتقد أنه الحق والصواب، لا يختلف أحد منهم في ذلك، وإن خالفوه في المنهج!

ومن مؤلفاته التخصصية التي تدل على عالميته «تدبر أسرار التنزيل (تفسير سورة الفاتحة)، قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل، الإيمان والتقوى في القرآن الكريم، فنون الأفنان من علوم القرآن»، وله كتاب في السيرة النبوية بعنوان «هدى النيرين في سيرة سيد الكونين»، هذا عدا مؤلفاته في التصوف والتي سبقت الإشارة إليها.

وقد كان للشيخ ميول أدبية في صدر الشباب، وأخبرني أنه حاول قرض الشعر فلم يفلح، ولعل شيخه صرفه عنه. وكان يقرأ شعر نزار قباني وصلاح عبد الصبور، كما كان يقرأ لنجيب محفوظ وغيره من أعلام الكتاب، ثم حببت إليه العلوم الشرعية، فانصرف إليها عن الأدب والشعر. ونعمّا ما فعل! فلئن كنا خسرناه أديبا أو شاعرا، فلقد كسبناه عالما لا يشق له غبار!

ولقد كان لقراءاته الأدبية السابقة أثر كبير في ترقيق مشاعره، وترهيف إحساسه، فضلا عن أثرها في سلامة لغته، ورصانة أساليبه، ومتانة تراكيبه! كما كان لتربيته الصوفية أعظم الأثر في روحانيته وشفافيته العالية، التي امتاز بها عن أقرانه من الأساتذة.

ديانته وأخلاقه:

كان الشيخ – رحمه الله – عبداً ربانياً، صواماً، قواماً، أواهاً، تلاءً للقرآن، كثير التدبر له، وكان يختمه في صلاته، كما كان له ورد يومي يحرص عليه لا يفوته. ولقد صحبته يوما في سفره إلى القاهرة، وهو يقرأ ورده في المصحف، حتى أقبل الليل بظلامه، فمازال يدقق النظر في المصحف على البصيص المتبقي من ضوء النهار، حتى أنهى ورده! وكان الشيخ كثير التصدق في السر والعلن، يكثر من مساعدة الطلاب الفقراء، وكان زاهداً في المال غير حريص على جمعه، لا يبالي ما أتاه منه ولا ما فقده.

وكان عظيم الأدب، شديد الحياء، بعيداً عن العبارة الجارحة مع من يخاطبه، حريصاً على مراعاة مشاعر الناس، لا يشعر جليسه قط بأنه غير راغب في مجالسته، حتى ولو كان كذلك، وكان هادئاً، حليماً، وقوراً، لا يستفزه الغضب. وفيه مرح ودعابة ذكية ـ فقد كان أمعيا متوقد الذهن ـ غير منقبض ولا متجهم، راضٍ عن الله، محب لعباده، منبسط معهم، سمح الخليقة، سليم الصدر، نقي القلب، رقيق المشاعر، رهيف الإحساس، يسعى في حوائج الناس، لا يرد سائلا سأله، ولا داعيا

دعاة، ولا طالب علم [illegible] قصده.

وكان شديد الغيرة على الحرمات، قويًا في دينه، سليمًا في اعتقاده، مكثرًا من النوافل، مدمنًا للذكر والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، مكثرًا من زيارته، مترضيًا عن الآل والأصحاب والأولياء، مكثرًا من زيارتهم، معظمًا للجناب النبوي الأطهر.. غيورًا عليه من كل ما يخدش كماله، أو يسقط هيبته وجلاله، حتى إنه لم يكن راضيًا عن المذهب الأصولي القائل بجواز الخطأ في اجتهاده ﷺ، ويراه من سوء الأدب، وغير لائق بجلال منصب النبوة!

وكان يعتمر في رمضان من كل عام، ثم اعتمر في آخر عمره في رجب وشعبان، وإنما كان يكثر من الاعتمار، التماسًا للأنوار، والتماسًا للأسرار، وقصدًا للقرب من النبي المختار، وآل بيته الأطهار، وصحبه الأخيار، وكان يتوخى زيارة الإمام الحسين في كل يوم ثلاثاء. ويحكي في ذلك عن أهل الأذواق ما لا يمكن تسطيره في الأوراق!

وكان كريمًا مضيافًا، لا سيما في المناسبات الدينية التي كان يفتح فيها بيته للناس، كالمولد الأحمدي، وكانت تأتيه الوفود لأخذ العهود، والتعرض للكرم والجود. وقد أخذ عليه العهد بعض الأكابر، وتتلمذوا له في الطريق، وقبلوا يده - وبعضهم أسن منه - اعتقادًا فيه، وتبركًا به، ومن هؤلاء شيخنا العلامة الدكتور محمد حسن جبل، وشيخنا العلامة الدكتور فتحي أبو عيسى، العميدان الأسبقان لكلية اللغة العربية، وشيخنا الدكتور صفوت زيد أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية، والدكتور محمد عزت عبد الصمد العميد الأسبق لكلية العلوم بجامعة طنطا، وكان ينظر إلى الموالد على أن فيها الخير والشر، فالخير ينبغي الإبقاء عليه، والشر تجب مقاومته، وكان ينكر على الصوفية وقوعهم في البدع والمنكرات، وتهاونهم في أداء العبادات!

وكان متواضعًا مع عزة، ويوقع كتبه بالفقير إلى الله تعالى، وكان يقول: لقب الشيخ أحب إلي من لقب الدكتور!

وكان غيورًا على الأزهر، معتزًا به وبعلمائه، حزينًا على ما وصل إليه حاله من الضعف، وكان كثيرًا ما يتمثل بالعبارة المشهورة: «لا علم إلا أزهري، ولا قرآن إلا أحمدي»، وقد حزن حزنًا شديدًا حينما تعثرت خطوات إنشاء كلية القرآن الكريم فترة من الزمن، وكنت كثيرًا ما أراه مهمومًا حزينًا على غير عادته في ذلك الوقت! وكان الشيخ - رحمه الله - بهي الطلعة، جميل المنظر، مشرق الوجه، منفرج الأسارير، تبدو عليه آثار نعمة الله عز وجل حسًا ومعنى.

وقد شرفت بصحبته عشرين سنة، وكنت أرافقه في سفرات كثيرة، وقد أرافقني شقته في حي سيدنا الحسين بالقاهرة، حينما كنت طالبًا في الدراسات العليا تفضلًا منه وكرمًا، ودعا لي غير مرة، وبشرني بما يسرني، وأوقفني على كتبه، وأثنى علي بما أخجلني منه، ولا زال يحنو علي ويتحفني حتى دعاه الداعي، وبعثه الساعي، فلحق بالرفيق الأعلى، وتبوأ المكان الأسمى، رحم الله شيخنا الدكتور جودة، وأنزله المقعد المقرب عنده

[illegible]

(سورة [illegible] ٦٩)

كيف نفكر في الصلة بين العلم والدين؟

الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن (*)
الأستاذ بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط

لقد فكر غيرنا طويلا في الصلة بين العلم والدين، حتى أضحى هذا التفكير سبيلهم إلى صنع تاريخ لهم جديد، تاريخ أضفوا عليه من جميل الأوصاف ما أضفوا، فهل فكرنا نحن من جانبنا في هذه الصلة كما فكروا، وطولنا في هذا التفكير كما طولوا وخرجنا منه بما خرجوا؟!

كان يصح الجواب بـ «نعم» لو أننا أبدعنا في تفكيرنا كما أبدعوا، إذ لا تفكير بحق إلا مع وجود الإبداع، والواقع أن تفكيرنا في هذه الصلة الخفية خلا من أسباب الإبداع، إذ اكتفينا بترديد ما قاله غيرنا في وجود هذه الصلة.

وقد انقسم هؤلاء بشأنها إلى فرق ثلاث:

١. أن بين العلم والدين تناقضا صريحا

فقد ادعت فرقة أولى منهم أن بين العلم والدين تناقضاً صريحاً،(١) وبالغت في التمسك بهذا التناقض، ولم تر مخرجاً منه لا بترجيح ولا بتوفيق، بل جعلت العلم حربا على الدين وجعلت الدين حربا على العلم، ورأت أنه لا مخرج من هذه الحرب إلا بانتصار العلم وانهزام الدين، فانتصر العلم لديها وانهزم الدين(٢).

ووجدت منا نحن كذلك طائفة تدعي ما ادعاه

(*) طه عبد الرحمن: فيلسوف عربي إسلامي معاصر [illegible] جامعة محمد الخامس بالمغرب، وعضو الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية وممثلها في المغرب، وعضو المركز الأوروبي للحجاج، ورئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين [illegible] (ثلاثة أجزاء)، اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري.

(١) ومقابله الفرنسي «contradiction».

(٢) لا يخفى أن هذه الفرقة تتكون من الأنواريين ومن تبعهم من الوضعانيين والعلمويين.

هؤلاء، لا حجة لهم إلا أن سبيل التقدم، ونحن نحرص على أن نحذو حذوهم حتى نتقدم. وما درت هذه الطائفة أن أسباب النزاع بين العلم والدين عند غيرنا لا وجود لها البتة عندنا مهما تكلفت من أسباب المشابهة بيننا وبينهم، ومهما لفقت من تهم لتاريخنا حتى يكون بسوء تاريخ غيرنا، طامعة في أن يقبل موقفها كما قبل موقف غيرها، وهيهات أن يقبل! فالفجوة بيننا وبين سوانا في هذا الأمر لا هي حفرة تردم ولا هي هوة تعبر.

٢.أن بين العلم والدين تمايزا لا تناقضا

وادعت فرقة ثانية من غيرنا أن بين العلم والدين تمايزا [3] لا تناقضا، فليس أحدهما يثبت حيث ينفي الثاني، فيكون بينهما تناقض كما عند الفرقة الأولى، وإنما يختص بما لا يختص به هذا الثاني [4]، فما يشتغل به العلم لا يشتغل به الدين، وما يشتغل به الدين لا يشتغل به العلم. فالعلم عند أفراد هذه الفرقة الثانية موضوعه المعرفة والحقيقة، بينما الدين موضوعه الشعور والحدس، وضوابط المعرفة والحقيقة لا تنطبق على مجال الشعور والحدس، وقواعد الشعور والحدس لا تنطبق على مجال المعرفة والحقيقة وعلى هذا، فلا النقد العلمي بمقدوره أن ينال من الدين، ولا السلطة الدينية بمقدورها أن تنال من العلم.

ووجدت منا نحن أيضا طائفة أخرى ادعت ما ادعاه هؤلاء، محتجة في ذلك أن العلم مبني على التدليل العقلي والدين مبني على التسليم القلبي، ولا مطمع في أن نتقدم ولا نتحضر مثلما تقدم وتحضر سوانا إلا باعتماد طريق العقل على شرطهم، ولكم كان فخرها كبيرا أن تجد بين أسلافنا من أشبه قوله قول غيرنا، فراحت تشدد على أتباعه، وما ذاك إلا ابن رشد الذي قرر وجوب الفصل بين العلم والدين بدعوى أن العلم طريقة البرهان التي تناسب العلماء وأن الدين طريقه الإيمان الذي يناسب العوام. وما درت هذه الطائفة الثانية منا أن البرهان لا يستقل بنفسه ولا يغني عن الإيمان كما أن الإيمان لا يستقل بنفسه ولا يغني عن البرهان!

٣.أن بين العلم والدين تباينا لا تناقضا

وادعت فرقة ثالثة من غيرنا أن بين العلم والدين تباينا [5] لا تناقضا ولا تمايزا، فليس أحدهما يثبت حيث ينفي الثاني، فيكون بينهما تناقض كما عند الفرقة الأولى، ولا أنه يختص بما لا يختص به، فيكون بينهما تمايز كما عند الفرقة الثانية، وإنما الواحد منهما يتناول ما يتناوله الآخر، لكن بغير الوجه الذي يتناوله به. فمتعلقهما واحد ووجه تعلقهما مختلف [6] فالاعتقاد في العلم غير الاعتقاد في الدين والمعرفة في هذا غير المعرفة في ذاك والفعل هنا غير الفعل هناك. فيكون العلم والدين بمنزلة شكلين متباينين من أشكال الحياة، بل بمنزلة عالمين اثنين لا مجال للمقارنة بينهما ولا لمقايسة أحدهما بالآخر، ومادام العلم والدين بهذا التباين البالغ، فلا يعقل أن نصرف الدين بحجة أنه معرفة لا تقوى على النهوض بموجبات العلم، كما لا يعقل أن نسعى إلى تقويمه بأن نخلع عليه حلية العلم.

ووجدت منا نحن كذلك طائفة ثالثة ادعت ما ادعاه هؤلاء، مسترجعة بهذا الصدد ما قاله بعض أسلافنا من كون الدين يعبر عن الأشياء بلغة المجاز والإشارة، في حين أن العلم يعبر عن هذه الأشياء بلغة الحقيقة والعبارة، لذا لا يجوز أن نحكم على الإشارة بما يجب في حق العبارة، وإلا صارت قولا كاذبا، ولا نحكم على العبارة بما يجب في حق الإشارة، وإلا صارت قولا لا يقبل التحقيق ولا التدليل. فيتباين الدين والعلم عند أفراد هذه الطائفة منا كما تتباين لغة الشعر ولغة المنطق، وما درى هؤلاء أن الإشارة ليست درجة واحدة، وإنما درجات كثيرة، وأن العبارة ـ هي الأخرى ـ ليست درجة واحدة، وإنما درجات مختلطة! وحينئذ لا مفر من أن يتعذر عليهم الفصل في الأقوال التي تنزل الدرجات الوسطى، هل وردت على وجه الإشارة أم على وجه العبارة.

فهذه مواقف ثلاثة من الصلة بين العلم والدين وقفها غيرنا، فقلدناهم فيها على غير بصيرة من أسبابها الحقيقية في مجالها الأصلي:

- أولها: التناقض وهو يفضي إلى صرف الدين.
- والثاني: التمايز، وهو يفضي إلى تقديم العلم على الدين.
- والثالث: التباين، وهو يفضي إلى جعل العلم في رتبة الدين.

ما السبيل للخروج من هذا التقليد؟

فإذن هل من سبيل إلى الخروج من هذا التقليد الذي لا يوضح ما استشكل علينا من أمر العلاقة بين العلم والدين ولا يرفع ما استغلق علينا بصددها، بل ينقل إلينا ما يزيد هذا الأمر استشكالا واستغلاقا، حتى صرنا لا نتعرف على هذه العلاقة في صورتها الأولى عندنا كما كنا قبل التعاطي لهذا التقليد؟

ولكي ينفتح لنا باب التجديد في النظر إلى الصلة بين العلم والدين، فلا بد من صرف الاستغلاق الزائد الذي دخل علينا بسبب التقليد.

ويأتي هذا الاستغلاق من تصورين منقولين عن غيرنا كلاهما مردود:

- أحدهما: «اختزال العلم في علوم الطبيعة».
- والثاني: «اختزال الدين في أحوال الإيمان».

لا يمكن اختزال العلم في علوم الطبيعة

فلا يمكن أن نختزل العلم في علوم الطبيعة لوجود مبدأين يمنعان هذا الاختزال:

- أولهما «مبدأ مراتب العقل»، وبيانه أن السؤال الذي يجيب عنه العلم هو بالذات «ماذا أعقل؟»، فيكون الأصل في العلم هو العقل الصحيح [7] غير

---

(٣) بمعنى «الفصل» ومقابله الفرنسي «separation».

(٤) [illegible]

F. Schleiermacher: On Religion .Speeches To its Cultured Despisers. Trans. R. Crouter .Cambrige University Pres 1998

(٥) مقابله الفرنسي «incompatibilite».

(٦) [illegible]

wittgenstein: lecons et conversations sur l'esthetique la psychologie et la croyance religieuse. trad jacques FAUVE. Gallimard. Paris pp. 132-135

(7) عبر الآية الكريمة «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» (العنكبوت: ٤٣)

لا العقل - بتصحيح سابق - كما شاع رتبة واحدة، وإنما هو - على الحقيقة - رتب متعددة، وحيثما وجدت رتبة من هذه الرتب العقلية فثمة علم على قدرها، وعلى هذا يكون العلم فوق العلم الطبيعي متى كانت رتبة العقل الذي يتعلق به تعلو على رتبة العقل الذي يتعلق بالعلم الطبيعي، كما يكون العلم دون العلم الطبيعي متى كان العقل المتعلق به نازلا عن رتبة العقل المتعلق بالعلم الطبيعي. وهكذا، فالعلم أوسع من أن يستوعبه العلم الطبيعي وحده.

● والمبدأ الثاني هو «مبدأ استكمال العلوم»، وتوضيحه أن الأصل في كل علم من العلوم أن يطلب كماله، ولا يحصل هذا الكمال إلا بالاتجاه إلى العلم الذي يعلوه، ذلك أن كل علم تكون به آفات وله حدود، ولا يمكن أن يزيل هذه الآفات ويرفع هذه الحدود إلا علم أرقى منه، فلا بد إذن لكل علم من أن يظل موصولا بالعلم الذي فوقه، حتى تزول عنه آفاته وترتفع عنه حدوده، وهكذا فالعلم الطبيعي لا تذهب عنه نقائصه ويكتمل حقا إلا بعلم غير طبيعي يسمو عليه.

لا يمكن اختزال الدين في أحوال الإيمان

كما أنه لا يمكن أن نختزل الدين في أحوال الإيمان لوجود مبدأين يمنعان هذا الاختزال:

● أولهما مبدأ تعدد شعب الحياة، وبيانه أن السؤال الذي يجيب عنه الدين هو بالذات: «كيف أحيا؟»، فيكون الأصل في الدين هو الحياة الطيبة[8] غير أن الحياة الطيبة ليست شعبة واحدة، وإنما شعب متعددة، وقد تنحصر هذه الشعب في ثلاث كبرى وهي «شعبة الإيمان»، وتدخل فيها كل الاعتقادات، ثم «شعبة العلم»، وتدخل فيها كل المعارف، ثم «شعبة العمل»، وتدخل فيها كل الأفعال، ولا حياة طيبة إلا بتكامل هذه الشعب الثلاث فيما بينها، فالفرد لا يحيا بشعبة واحدة منها، أي إيمانا وحده أو علما وحده أو عملا وحده، ولا بشعبتين منها، أي إيمانا وعلما معا، أو إيمانا وعملا معا، أو علما وعملا معا، وإنما يحيا بها جميعا على قدر نصيبه من كل شعبة منها، وهكذا فالدين أوسع من أن تستوعبه حال الإيمان وحدها.

● والمبدأ الثاني هو «مبدأ استكمال الشعبة»، وتوضيحه أن الأصل في كل شعبة من شعب الحياة الطيبة أن تطلب كمالها، ولا يحصل هذا الكمال إلا بالتداخل مع الشعبتين الأخريين، ذلك أن كل شعبة تكون بها حاجات ولها تعلقات، ولا يمكن أن تلبى هذه الحاجات وترعى هذه التعلقات إلا هذه أو تلك من الشعبتين الأخريين أو هما معا، فلا بد إذن لكل شعبة من أن تظل موصولة بغيرها من شعب الحياة، وهكذا فالشعبة الواحدة لا تستغني عن غيرها ولا تكتمل حقا إلا بباقي الشعب.

معالم الصلة بين العلم والدين عندنا

بناء على هذا الذي ذكرناه في سياق إبطالنا للاختزالين المتقابلين، تتضح معالم الصلة بين العلم والدين التي قد نكون بها مجددين غير مقلدين، ومبدعين غير مستهلكين، وهذه المعالم نجمعها في:

أ - أن مفهوم «العلم» يتسع - بمقتضى «مبدأ مراتب العقل» - أوسع من المفهوم المتداول «للعلم»، كما أن كل علم يصبح - بمقتضى «مبدأ استكمال العلوم» - محتاجا إلى ما فوقه من العلوم، محتاجة إلى ما يناظرها من الشعب، وفي هذا تجديد يخالف ما تقرر عند غيرنا.

ب - أن مفهوم «الدين» يغدو - بمقتضى مبدأ تعدد شعب الحياة - أوسع من المفهوم المتداول للدين، كما أن كل شعبة تغدو تقتضي مبدأ استكمال الشعبة محتاجة إلى ما يناظرها من الشعب، وفي هذا تجديد يخالف ما تقرر عند غيرنا.

تترتب على هذا الاتساع في مفهوم «العلم» ومفهوم «الدين» نتائج أساسية

● أولاها: أن العلم لا يقابل الدين مقابلة تناقض، ولا مقابلة تمايز، ولا مقابلة تباين، وإنما مقابلة تداخل[9] إذ يكون العلم جزءا واحدا من أجزاء الدين كما يكون الإيمان جزءا ثانيا والعمل جزءا ثالثا من هذه الأجزاء.

● والثانية: أن العلم - خلافا للقائلين بالتناقض - لا يمتنع أن يرد في ترتيب واحد مع الدين، وأنه - خلافا للقائلين بالتمايز - لا يبلغ رتبة أعلى من الدين، وأخيرا أنه - خلافا للقائلين بالتباين - لا يبلغ نفس الرتبة التي يبلغها الدين، وإنما يبلغ رتبة أدنى منه كما يكون الجزء أدنى من الكل، إذ إن العلم يدخل في الدين دخول الإيمان والعمل فيه.

● والثالثة: أن العلوم التي تكون جزءا من الدين لا تقتصر على ما اختص باسم «علوم الدين»، وإنما تشمل أيضا ما اختص باسم «علوم الدنيا»، سواء كانت علوم رياضة أو علوم طبيعة أو علوم حياة أو علوم إنسان، فكل علم منضبط بالمبدأين المذكورين: «مبدأ مراتب العقل» و«مبدأ استكمال العلوم» يصح أن يتعبد ويتقرب به، أي يتدين به. وقد ذكرنا أن المبدأ الأول يقضي بأن تتنوع العلوم بتنوع رتب العقل، أعلاها ما تعلق بما فوق الطبيعة، وأن المبدأ الثاني يقضي بأن يكون كل علم موصولا بما فوقه، حتى يتمكن من صرف النقص الذي يلحقه.

● والرابعة: أن تطور العلوم - على خلاف ما يظن غيرنا - لا يضيق من رقعة الدين، بل يزيدها توسعا، ولا ينقص من تأثيره، بل يزيده قوة، ذلك أن العلوم، لما كانت جزءا داخلا في بنية الدين نفسها، كانت الأطوار التي تتقلب فيها والتي يكمل لاحقها سابقها، تفتح في الدين آفاقا معرفية غير مسبوقة وترقى بفهمنا له درجات على قدر هذه الأطوار، بل ربما تتعدى ذلك إلى كونها تجدد قدرتنا على التدين وتنوع سبل تحققه لدينا.

والقول الجامع أن صلة العلم بالدين، من منظور الإسلام، هي صلة تداخل يكون فيها العلم جزءا من الدين، فيلزم بحسب هذا المنظور أن تقدم الدين على العلم، لا تقديم الفاضل على المفضول، وإنما تقديم الكل على الجزء كما يلزم بحسبه أن يدخل في الدين كل العلوم، لا دخول التابع في المتبوع، وإنما دخول العنصر في المجموع، ألا ترى كيف أن مكتشفات العلوم وحقائقها - وهي تشهد بصدق أخبار الدين وصحة أحكامه - تزداد بها افتكارا واعتبارا حتى إنها تقوي صلتنا بخالقنا كما يقويها دائم صلواتنا!

(٨) نظير الآية الكريمة «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة» (النحل ٩٧)

(٩) نستعمل كلمة «تداخل» هنا بالمعنى المنطقي القديم، أي دخول شيء في آخر من غير أن يصح العكس، ومرادفه في لغة نظرية المجموعات هو [illegible] implication [illegible] inclusion stricte

قالــوا وقلنــا

للأستاذ/ عبدالمجيد حامد صبح

قالوا: لا تسلموا على غير المسلمين. لا تبداوهم بتحية. ولاتهنوهم فى اعيادهم.. الى اخر مقالاتهم من هذا النوع الذى يؤدى إلى القطيعة الكاملة وعدم اى نوع من انواع المجاملة. ويعلنون هذا، ويكتبونه فى كتيبات. ويصدرونها فى جميع بلاد الدنيا.

ونقول احقاقا للحق. وبيانا للشريعة الاسلامية قولا وعملا، بما يبين أنها شريعة انسانية عامة. كما تعنى بالاخاء الايمانى الذى يربط المسلم باخيه المسلم، تعنى كذلك بالإخاء الانسانى الذى يربط بين البشرية. كما تعنى بالإخاء الوطنى الذى يربط بين أبناء الوطن الواحد مع اختلاف عقائدهم ومن هذا يتبين ان الاسلام بشريعته. دين انسانى. عام. صالح لان يخاطب البشر اجمعين. على اختلاف عقائدهم واديانهم.

مبدأ قرآنى عام

قرر الله تعالى فى كتابه مبدأ عاما. وجعله سنة من سنن الله فى البشر. قال الله تعالى فى سورة هود

﴿ [illegible] ﴾

(هود ١١٨ ـ ١١٩)

فالله تعالى يقرر فى هذا القول المحكم أن اختلاف الناس سنة من سننه فى الخلق ويبين أن ذلك هى مشيئته، ولو شاء أن يجعلهم على دين واحد لفعل. كما قال فى سورة يونس

﴿ [illegible] ﴾

(يونس ٩٩)

وزاد فى هذه الآية الاستفهام الإنكارى، أن يكون من وظيفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إكراه الناس على الإسلام، كما قال فى سورة البقرة

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢٥٦)

فليس علينا وظيفة فى الدين. مع غيرنا. إلا البيان، كما روى الرسول ـ ﷺ أنه قال ـ «إن عليك إلا البلاغ». وقال

﴿ [illegible] ﴾

ووصف القرآن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسراج منير». قال فى سورة الأحزاب

﴿ [illegible] ﴾

(الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦)

فبين أنه سراج منير، ينير للناس طريق الحق، ولا يكون ذلك إلا بحسن الخلق الذى به نشر المسلمون الإسلام فى بقاع الأرض.

فى معاملة غير المسلم

وقد حدد القرآن الكريم بما لالبس فيه أسلوب التعامل مع أهل الأديان الأخرى فقال فى سورة الممتحنة

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة ٨)

فالذين لم يقاتلوا المسلمين. ولم يعتدوا على ديارهم بالاحتلال أو الإخراج، بين الله أن معاملتهم تكون بالبر والعدل (ولفظ البر) من أجمع ألفاظ اللغة العربية لأنواع الخير، ويقابله لفظ (اللؤم) الذى هو أجمع ألفاظ اللغة لصفات الدناءة.

وهذا منهج إسلامى فريد فى معاملة المخالفين فى الدين، أمرنا به المولى سبحانه وتعالى

أما الذين يناصبون المسلمين العداء فعنهم يقول المولى عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة ٩)

فالنهى هنا فى فعل واحدة من هذه الثلاث: القتال فى الدين. الإخراج من الديار. أو من تظاهر على واحد منهما.

وعلى ذلك يكون الأصل الإسلامى فى طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم. هو السلم. حتى يأتى داعى الحرب من قبل الآخرين. وهذا نص قال به جمهور العلماء ومنهم ابن تيمية

التطبيق القرآنى

وتطبيقاً عملياً لهذه المبادئ. أحل الله طعام أهل الكتاب فقال

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٥)

وفى حديث عائشة أنها قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن قوما قالوا يا رسول الله إن قوما يأتونا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا. فقال رسول الله ﷺ: سموا الله عليه وكلوا».

ومعنى أنهم يأتون بالذبائح. أن المسلمين تعاملوا معهم بالبيع والشراء. فهو يتم التعامل والمسلمون عندهم

(١) صحيح البخارى

وجوه أو صبتم عليهم الطرق

والآية قررت حل التزوج من محصنات أهل الكتاب، فهل يتزوج المسلم منهن، وهو عابس الوجه، أو يضمر لهن الكراهية، ثم يكون له من الكتابية أولاد، أخوالهم من غير المسلمين، وتكون بينهم الرحم، التي حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «الرحم شجنة من الرحمن»[3] (شجنة: أي صلة ورابطة) فيكون من أولاد المسلم وأخواله وجديه (أبو الزوجة وأبيها) وشيجة رحم، أمر الله برعايتها. فقال:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنفال: ٧٥)

وهذه الرحم تقتضي نوعا من الود والاتصال والزيارة ونحوها.

والرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، زار غلاما يهوديا مريضا ودعاه إلى الإسلام، فنظر الغلام إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فنطق بالشهادتين وفاضت روحه، فخرج الرسول وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه بي من النار»، فهل ترون زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم خارجة عن شرع الله. أو تروها تمت وهو عابس الوجه. أتروه دخل بيت اليهودي كارها أو متبرما أي صفة مما تزعمون في كلامكم

إن رسول الله ﷺ كان له جار يهودي، وكان يؤذيه بوضع القمامة أمام بيته فلم يزد الرسول ﷺ على قوله: أي جوار هذا.

وعامل اليهود بالشراء منهم، وكان أحدهم يرفض البيع له إذا كان الثمن آجلاً. ومن المشهور في السيرة أنه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول: يرحمكم الله. فيقول: «يهديكم الله»[4].

فهل ترون هذا التزاور من الرسول لليهودي، ومن اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم، أتروه بتم بعبوس الوجوه، أم بالود وحسن الخلق الذي هو داعية إلى الحق

وروى القلقشندي في موسوعته «صبح الأعشى» ج ٦: بجواز الدعاء لغير المسلم، واصطلح على ذلك علماء المسلمين، إذ روي: استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقاه يهودي، فقال له الرسول «جملك الله»، فما رؤي الشيب في وجهه حتى مات

ودعا الشافعي لنصراني بقوله «أعزك الله» ... فلاحظ هنا أن الإمام الشافعي دعا له بالعزة، فهل ترون هذا

وفي أسباب النزول أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هم أن يمنع الصدقة المطلقة على غير المسلمين، فنزل قوله تعالى في سورة البقرة

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٧٢)

ومن أحكام الفقه الإسلامي جواز صدقة الفطر على نصراني أو يهودي، ذكر ذلك الشعراني في كتابه «الميزان»

عمر مع غير المسلمين

وقد أجرى عمر عطاء دائما ليهودي رآه يتكفف الناس من بيت مال المسلمين.

وكانت قبيلة تغلب قبيلة نصرانية، وأراد عمر أن يفرض عليهم الجزية فأنفوا من ذلك، وطلبوا منه أن يسميها صدقة، فسماها لهم كذلك

وفي كتاب «الأعلام» للزركلي، وكذلك موسوعة فقه عمر، أن عمر استعمل النعمان بن زرعة، وكان نصرانيا، لجمع صدقات قومه، وأخواله قبيلة تغلب النصرانية.

ولما زار عمر الشام عرض عليه راعي الكنيسة أن يصلي صلاته فيها فقال عمر: أخشى أن يقول الناس: هنا صلى عمر، فيغتصبوها منكم عليها. ولكن المقرر في الفقه الإسلامي أنه يجوز للمسلم الصلاة في كنيسة النصارى، وقد صلى عمر بن عبد العزيز، وأبو موسى الأشعري في الكنيسة ... ومحرر هذا الكلام كانت تحضره الصلاة وهو في إحدى مدن أوروبا، فلا يجد مكانا للصلاة إلا الكنيسة فيصلي فيها، متحريا مكانا لا يقابله صورة أو تمثال. وبالمقابل يباح للنصراني واليهودي دخول المسجد، وقد استقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) نصارى نجران في مسجده. ولما حضرتهم الصلاة، أذن لهم بالصلاة في مسجده، وكتب لهم كتابا يؤمنهم على دينهم وكنائسهم

أين هذا مما تدعون إليه؟!

وذكر الشافعي أنه يجوز للمشرك أن يبيت في كل مسجد، إلا المسجد الحرام، وقد حبس الرسول ثمامة بن أثال في سارية مسجده، ويدخل المسجد فيقول له: «ما عندك خير يا ثمامة؟» فيقول: نعم يا محمد، إن تعف تعف عن شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن سألت الفدية فلك ما تريد. ففعل ذلك معه ثلاثة أيام، ثم أطلقه، فدفع هذا الخلق الكريم، ثمامة أن يسلم، فذهب إلى بئر واغتسل وعاد إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) معلنا إسلامه، ثم عاد إلى بلده وقطع الطريق على قريش إلى العراق، فكتب أبو سفيان إلى الرسول - وهو على حرب معه - يناشده الله والرحم، فكتب الرسول إلى ثمامة أن يترك لهم الطريق ففعل .. أين ما تقولون من هذا الخلق النبوي الكريم.

دخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشة، وعندها يهودية ترقي عائشة فقال الصديق لليهودية: ارقيها بكتاب الله.

ولما سئل الشافعي: أيرقي غير المسلم المسلم؟ قال: نعم، واستشهد بهذه الواقعة فهل هناك أدل من هذه الواقعة، والاستنباط الفقهي منها، على قوة الارتباط بين المسلم والكتابي، وهل يتم مثل هذه الواقعة إلا وهناك قدر كبير من الألفة.

صحب ابن مسعود نصرانيا، فلما هم النصراني بالانصراف، قال له ابن مسعود السلام عليكم وهنا نلاحظ أنه ألقى عليه السلام، وهو مكانه، والآخر هو المنصرف.

معاملات من غير النبي والصحابة

كان الأخطل شاعرا عربيا نصرانيا، وكان يقول

ولست بصائم رمضان طوعا

ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بزاجر عنسا بكورا

إلى بطحاء مكة للنجاح

---

(3) [illegible]

(4) مسند البزار

وليست سماؤنا أبدًا بليل
كمثل الغير تحيي على الفلاح
وليس سماؤنا أبدًا شمولا
واسجد قبل منبلج الصباح

هذا الذى قال ذلك، كان يستقبله خليفة المسلمين، عبد الملك بن مروان، ويكرمه ويستنشده أحيانًا.

وهكذا كان خلفاء المسلمين من بعده، يكرمون العلماء، ولو من غير المسلمين، وكانوا فى مجالس الخلفاء جلوسًا، والوزراء المسلمين قيامًا.

.. وكان المعتصم يسير مرة فى حديقة قصره، واضعًا يده على كتف عالم غير مسلم، وفجأة رفع يده، ففزع العالم، فقال له الخليفة المسلم: لا ترع إنى ذكرت أن العلماء يعلون ولا يعلى عليهم.

وكان طبيب أبو جعفر المنصور صابئًا، وعاده المنصور فى مرض موته، ودعاه إلى الإسلام فقال: رضيت أن أكون مع أهلى فى جنة أو نار فضحك المنصور وودعه وخرج.

وكان مدير دار الحكمة فى أيام المأمون العالم المسيحى يوحنا، وكانت دار الحكمة بمثابة «دار كتب موسوعية» تمتلئ بكل صنوف العلم، إسلامية، وفلسفية، وغيرهما واستأمن خليفة المسلمين هذا النصرانى عليه.

أدب المجادلة

ولما انتشرت الزندقة فى أيام الخلافة العباسية، كون المهدى جماعة من العلماء يناظرون الزنادقة، ويؤلفون رسائل فى الرد على شبهاتهم على الإسلام.

والزندقة لفظ فارسى معناه عندهم القول بقدم العالم، واستعملها المسلمون فى قول المانوية بالنور والظلام، ثم توسعوا فيها وصارت بمعنى الملحد والدهرى وللإمام أحمد بن حنبل رسالة بعنوان «الرد على الزنادقة».

فإذا كان الخلق الإسلامى «ناظر» الملحدين بأدب المجادلة، والتى قال الله فيها:

﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

إذا كان ذلك مع من يقول بنفى الألوهية، وليس له كتاب منزل، ألا يكون التعامل مع من له كتاب منزل، بالتى هى أحسن؟!

من المجاملات وحسن المعاملة

كان للحسن البصرى، وهو من هو -علمًا وفقهًا وتقوى- جار نصرانى، وكان للنصرانى كنيف على السطح، وكان البول يتسرب من الكنيف على بيت الحسن ثم إن الحسن مرض، فجاء جاره النصرانى يعوده، فرأى ما هو من كنيفه، والحسن قد وضع إناء يتلقى البول المتسرب، وكان يذهب به ليلا ليتخلص منه، فلما دخل النصرانى ورأى ذلك، قال له: منذ متى يا أبا سعيد؟ فقال: منذ عشرين عامًا، فقال له: منذ عشرين عامًا تتحمل أذى؟! أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. فنطق بالشهادتين، وأسلم لإدراكه حسن الخلق الإسلامى.

فبحسن الخلق هذا، اعتنقت الإسلام طوائف من كل الأديان، على عكس الذين ينادون اليوم، بنبذ الأقباط، أو غيرهم، من غير المسلمين.

.. ذكرت الدكتورة ملك أبيض، فى كتابها «التربية والثقافة الإسلامية» أن المسلمين لما فتحوا الشام، أدخلوا صبيانهم كتاتيب يديرها نصارى، قالت الدكتورة: ولا يمكن لوالى الشام أن يوافق على هذا السلوك إلا وعنده إذن من خليفة المسلمين.

.. وكان من قضاة المسلمين، من له جار غير مسلم بل كان مجوسيًا، وكان إذا جاء رجل يخطب إحدى بناته يستشير جاره المجوسى، فى هذا الخاطب.

جاء فى كتاب «المستطرف فى كل فن مستظرف»، أن القاضى نوح بن أبى مريم، قاضى مرو، أراد أن يزوج ابنته، فاستشاره، فقال له: سبحان الله، الناس يستفتونك، وأنت تستفتينى، فقال له القاضى: لابد أن تشير على، فقال له المجوسى: كسرى كان يختار المال، وقيصر كان يختار الجمال، والعرب كانوا يختارون الحسب، ورئيسك محمد كان يختار الدين، فانظر لنفسك بمن تقتدى.

.. فى عهد معاوية، كان الذى يقومون بترجمة الفلسفة اليونانية وعلومها من النصارى.

ولا مجاملة أكثر من فعل الرسول ﷺ حيث قام لجنازة يهودى، فلما قالوا له: إنه يهودى أجاب بقوله: «أليست نفسًا؟»[*]

تأملوا «أليست نفسًا؟»، إنها نفس إنسانية تحترم حتى فى موتها.

احترام الإنسان من حيث هو إنسان

فى كلمة الرسول ﷺ السابقة «أليست نفسًا» تقرير للإخاء الإنسانى، الذى قرره الله فى مواضع من كتابه، حيث قال: فى أول سورة النساء:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

(النساء: ١)

وقال فى سورة الحجرات:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

.. قرر أولا: الإخاء الإنسانى، بجعله الناس أجمعين، وخلقهم من أب واحد، وأم واحدة، ثم بين اختلافهم، شعوبا وقبائل، ثم بين حكمة التعدد بأنه، من أجل التعارف وتبادل المنافع، حيث يكمل بعضهم بعضا، وليس للتناحر، ولا للتقاتل، ولا لازدراء بعضهم لبعض.

وقد أوصى أمير المؤمنين على، حين ولى مالك بن الحارث الأشتر فى عهده ولاية مصر، لجباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أرضها، وعمارة بلادها، ومما أوصاه به: «فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، ولا تكن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق، يفرط منهم الزلل، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه».

وهذا الذى قاله أمير المؤمنين -كرم الله وجهه، إنما هو تنفيذ لوصية الرسول ﷺ: «إذا دخلتم مصر فاستوصوا بقبط مصر خيرا، فإن لنا فيهم ذمة ورحما»[1]. النسب: هى هاجر أم إسماعيل، وكانت أميرة من أمراء الصعيد، والصهر: مارية القبطية، التى ولدت إبراهيم للرسول ﷺ.

وكان المقوقس أوصاها أن تخبره بحال هذا الذى

(*) معرفة السنن والآثار للبيهقى، بلفظ مقارب

(1) مشكل الآثار، باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعي الثروة. فكيف إذا وجدت بين المسلمين خير من الدعة في معناها والدعة المصاحبة.

فشتان بين ما قال القرآن، وقرره الرسول ﷺ قولاً وعملاً، وطبقه الراشدون، وعمله ملوك المسلمين، وبين ما يقوله أدعياء اليوم ويشيعونه ويحرصون عليه.

الرد على التضييق عليهم

ففي مسألة النهي عن البدء بتحيتهم، وإلجائهم إلى أضيق الطرق. وقد ورد ذلك في أحاديث صحيحة.. ولكن الحكم الفقهي، لا ينتهي عند معرفة النص، ولابد من الفقه فيه، ومعرفة مناسبة قوله. وحسبنا على سبيل الإجمال، ما نقله ابن القيم والشوكاني، عن إمام أهل الشام عبدالرحمن الأوزاعي من قوله: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون، وهؤلاء الصالحون هم السلف الذين ندعي الانتساب إليهم.

وفي فقه الإمام يرجع النخعي قوله: أن الصحابة لم يحرموا الأكل مع اليهود والنصارى، والاجتماع على الطعام نوع قوي من الألفة.

ولعل هذا مقتضى إباحة القرآن لطعامهم.

وكلمة الإمام الأوزاعي تلخص الاتجاهات الفقهية في مسألة بدء أهل الكتاب بالسلام أو عدمه.

إنما هي مسألة «نظر».

ومن هنا نقول: إن حديث النهي عن بدئهم بالسلام وحتهم إلى أضيق الطرق. قاله الرسول ﷺ للمسلمين عندما أمرهم بالتوجه إلى بني قريظة ـ الذين تآمروا مع الأحزاب من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين ـ ومن ثم رأى بعض العلماء أن الحديث مقصور على هذه الحالة وأمثالها، وليس تشريعاً عاماً.

والاختلافات الفقهية كلها دائرة على ما لخصته كلمة الإمام الأوزاعي، ونزيد في التطور الزماني، أننا لو حددنا التضييق على غير المسلمين. يكاد يكون من الصعب تنفيذه والأسف في مدن مزدحمة وتصور كيف يكون مشي المسلم في هذه المدن. ومحاولة أن يطبق ذلك. ألا يكون داعيا للسخرية منه؟!

ألا يكون داعيا إلى فتن تهلك الحرث والنسل، وتكون عبر رها نقمة على المسلمين.

هذا قول الخليفة الراشد، وهذا أمر رسول الله ﷺ، حين أوصى الصحابة خيرا بقبط مصر. وهذا نهج القرآن بحفظ دور العبادة للمسلمين ولسائر الأديان. وتلك تطبيقات الراشدين وملوك الإسلام من بعدهم.

خاتمة

ثم إليكم نكتب: في هذا الختام:

قال رسول الله ﷺ فيها:

«من عض على شبدعه، أمن الآثام»[2].

الشبدع يريد «اللسان»، وأصل الكلمة اسم العقرب، سمي اللسان بهذا الاسم، تشبيهاً للسعته بلسعة العقرب. ولسعة العقرب يمكن تداركه، والشفاء منه. وليس كذلك لسعة اللسان. وكم من سوءات جرت وحدثت فرقت وفرقت بلسعة من لسان.

وفي حديث الصحابة، غريب الحديث، وجدته للشاعر قال:

عض على شبدعه الأريب
فظل لا يلحى ولا يحوب

فحفظ لسانه يسلم من وقوع الناس، وإساءته لمن يعثر عنها، فهل يكون في ذلك مزدجر

والله يهدي إلى سواء السبيل

(2) مجمع الأمثال للميداني

الفتاوى الباغية في مسألة الطعام

للدكتور: سيد دسوقي حسن

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النساء

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾

(النساء ١٦٠-١٦١)

يقرر القرآن في هذه الآيات المحكمات وفي غيرها أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرموه على أنفسهم ونحن هنا لا نتحدث عن تحريم فردي يتعلق بمزاج فرد من الأفراد يحب أن يأكل هذا الطعام ولا يحب أن يأكل طعاما آخر. وإنما نتحدث عن تحريم جماعي لشعب كامل وبالطبع لم يتقرر هذا التحريم الجماعي إلا نتيجة لعقائد عامة أو سياسات عامة تبنتها الجماعة كلها. ويقرر القرآن أن السياسة الإسرائيلية تجاه الطعام لم تكن وحياً من السماء ولكنها كانت نتيجة لبغيهم الذي تمثل في صدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وقد نهوا عنه و أكلهم أموال الناس بالباطل. ونحن نعرف أن الرعي والزراعة هما مصدر الطعام الذي يأكله الإنسان. فإذا كانت سياسات الجماعة تقوم على البغي متمثلاً في الربا وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله فإن ذلك سوف ينصرف لا محالة الرعاة والمزارعين الفقراء عن الرعي والزراعة وإنتاج الطعام.

وللأسف الشديد فإننا نجد هذه الأيام أموراً متشابهات مع أحوال تلك الجماعة من بني إسرائيل.

في الخمسين سنة الأخيرة أهملنا الري و الزراعة بتوجيه القادرين عليها إلى تعليم فاسد لا يؤهلهم لحرف ولا مهن، وانشغلنا بنظم لا نملكها ووجهنا أموالنا وأولادنا في طرق أدت بنا إلى الفقر الزراعي والصناعي والرعوي.

إن النمط الشمولي الذي نعيش فيه في الخمسين سنة الأخيرة هو الذي حرمنا الطعام الذي كنا نطعمه. هل يعقل أن تصبح مصر أكبر مستورد للقمح في العالم، والقرآن العظيم يحذر أن السياسات التي تقوم على البغي السياسي والاقتصادي والبيئي والأخلاقي هي التي ستحرمنا الطعام لا محالة. وحينئذ سيقال عنا ما

قبل عن ذلك الملأ من بنى إسرائيل: كل الطعام كان حلا للمصريين إلا ما حرم المصريون على أنفسهم بعد أن هجروا كتاب ربهم و لم يأتسوا بمقاصده التموية فى الحياة.

وكما حكى القرآن عن هذا الملأ من بنى إسرائيل حكى لنا أيضاً عن الموقف السائد فى بلاد العرب قبل الإسلام عند ذلك فيما حكى لمولى عز وجل فى قوله تعالى فى سورة الأنعام:

﴿ [illegible]
... ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ ﴾

(الأنعام: ١٣٦ ـ ١٤٦)

والقرآن هنا يتحدث عن العقائد والسياسات التى يتعامل بها أهل الجاهلية مع البيئة الزراعية والنباتية والبيئة الحيوانية. فهناك سياسات تحسن التعامل مع البيئة وتحكم فيها شرع الله. ومن ثم تؤدى هذه السياسات الراشدة إلى نتائج طيبة تنفع العباد والبلاد. وهناك عقائد فاسدة وسياسات فاشلة تؤدى إلى خراب البيئة المحيطة بنا ونتائجها مدمرة للبلاد والعباد، واحدة تصل إلى الله عملاً صالحاً وأخرى تصل إلى الفساد والخراب عملاً سيئاً.

إن الإفساد البيئى اليوم على قدم وساق تقوده جحافل الصناعيين الذين لا يرقبون فى البشرية إلاً ولا ذمة، همهم الأكبر وشريكهم الأعظم هو الأرباح الضخمة. أما البيئة الحيوانية والزراعية فلتذهب إلى الجحيم. والغريب أنهم يعلمون أن إصلاح ما أفسدوه يكاد يكون مستحيلاً وأنهم بذلك يقتلون أولادهم ولا يتركون لهم أرضاً تزرع ولا بيئة يحيا الناس فيها آمنين.

إن عقائد المشركين فى أيام الجاهلية الأولى كانت بسيطة وهينة مقارنة بعقائد المشركين اليوم والتى تكاد تهلك البشرية هلاكاً لا تقوم بعده. فساد المشركين الأول كان يتعلق بتوزيع غير عادل لخيرات البيئة المحيطة. أما اليوم فبجانب التوزيع غير العادل هناك أيضاً التدمير الكامل لهذه البيئة ولن أنسى كلمات جيمى رفكن فى كتابه الرائع (Entropy) عندما قال فى نهاية الكتاب: ليس هناك أمل لإصلاح ما نحن فيه إلا بالعودة إلى ما قبل الثورة الصناعية الأولى.

والدرس المستفاد من هذه الآيات البينات التى حواها قرآننا هو أننا ينبغى أن نعى الفرق بين أصول الدين وبين أجواء التمدين الذى يحيط بالقوم عندما جاءهم النبى أو الرسول بالدين الجديد.

فعندما جاء الدين كان الناس يلبسون لباساً متعدداً وكانوا يأكلون أطعمة متعددة وكانوا يمارسون أنماطاً من السلوكيات الطبيعية فى سكنهم ولباسهم وشرابهم وملبسهم. والدين عندما جاء إنما جاء ليهذب سلوكياتهم فلا يعتدون على بعضهم البعض ولا يعتدون على البيئة النباتية أو الحيوانية ولا يعتدون على أنفسهم بانتهاج سلوكيات مدمرة لصحتهم وبيئتهم. ولذلك فالقرآن فى قضية الطعام لم يحرم على المسلم إلا الأطعمة والأشربة الضارة بصحتهم من الخمر والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به. وأنا أظن أن: ما أهل لغير الله به يشتمل على كل أنواع الأطعمة والمشروبات الضارة بصحة الإنسان والملوثة للبيئة، وبالطبع الذى يقرر هذا هم أساتذة الطعام وأساتذة الطب، وليس غيرهم من الذين يطلقون الفتاوى الباغية التى تحرم وتحلل ويمضى وراءهم ملايين الأتباع محللين ومحرمين. فما أهل لغير الله به ليست كلمة تقال عند الأكل أو الذبح فقط وإنما مرد الأمر أن نقصد وجه الله ونلتزم بأوامره فى كل نواحى الحياة وفى طعامنا وشرابنا وسلوكنا كله، وأن نثقف نياتنا فلا نرى إلا خيرا.

❖❖❖

علاقة الإسلام بالديانات السماوية السابقة

لفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

جاءت الديانات السماوية من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وراء بعضها عبر تاريخ البشرية، ووفق علم الله وحكمته، ووفق إرادته ومشيئته، ووفق الأزمنة والأمكنة التى أتت فيها لتؤدى رسالتها شيئا فشيئا فى تصحيح الانحرافات العقائدية والاجتماعية والأخلاقية التى وقعت من بنى البشر.. ولتعالج فساد المعاملات التى تفشت بين الناس فى مجالات حياتهم.. والتى كانت تختلف من مكان إلى مكان، ومن بيئة إلى بيئة.. ولذلك وجدنا فى بعض الأحيان أن الزمن الواحد قد جمع بين أكثر من نبى أوحى الله إليه برسالة سماوية تتلاءم مع من أرسل إليهم فى علاج الخلل الذى شاع وانتشر فيما بينهم، ولتعيدهم إلى عبادة الله وتوحيده وطاعته، ولتهديهم إلى الصراط المستقيم.

غير أن أصول الديانات السماوية كلها واحدة لا يختلف فيها دين عن دين، كإثبات وجود الله، والدعوة إلى الإيمان به وتوحيده وعبادته، وإلى الإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر.

أما ما يتعلق بفروع الشرائع: كإباحة بعض الطيبات وحلها لقوم على سبيل التيسير لهم، وتحريمها على قوم على سبيل العقوبة عليهم، فهذا لا يدخل فى الأصول الثابتة فى جميع الأديان، وإنما يختلف باختلاف الظروف والأحوال. يقول الله ـ تعالى ـ

﴿ [illegible] ﴾
(المائدة: ٤٨)

أى: قد أنزل الله التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وأنزلنا إليك يا محمد الكتاب «القرآن الكريم» الجامع لكل ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة من هدايا وأحكام.. وقد أنزلناه ملتبسا بالحق الذى لا يجوز حوله باطل، وجعلناه مصدقا ومؤيدا لما فى بين يديه من الكتب السماوية التى تقدمته من دعوة إلى عبادة الله وحده، وإلى التمسك بمكارم الأخلاق، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد جمع فيه محاسن ما حوته الكتب السابقة عليه، وزاد فيه ما ليس فى غيره من التكملات.. فلهذا جعله الله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها.. وتكفل الله بحفظه من الضياع والتبديل والتحريف، فقال ـ سبحانه

﴿ [illegible] ﴾
(الحجر: ٩)

وإذا كان شأن القرآن كما ذكرت لك يا محمد فاحكم بين أصحاب الديانات السابقة وبين غيرهم من الناس بما أنزله الله عليك من أحكام فى القرآن، فإن ما نزل فيه هو الحق الذى لا باطل معه، ولا تتبع يا محمد فى حكمك أهواء أصحاب الديانات الأخرى، لأن اتباعك لأهوائهم يجعلك منحرفا ومائلا عما جاءك من الحق ـ فى القرآن الكريم ـ الذى لا مرية فيه ولا ريب.

ويذكر الله ـ تعالى ـ أنه وضع لكل أمة من الأمم الحاضرة والماضية شرعة ومنهاجا خاصين بها، فالأمة التى كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى ـ عليهما السلام ـ كانت شرعتها ما فى التوراة من أحكام، والأمة التى كانت من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ـ عليهما السلام ـ كانت شرعتها ما فى الإنجيل من أحكام.. وأما هذه الأمة الإسلامية فشريعتها ما فى القرآن الكريم من أحكام، لأنه مشتمل على ما جاء فى الكتب السابقة عليه من أصول الدين وكلياته التى لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.. كالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده، كما قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ [illegible] ﴾
(الأنبياء: ٢٥)

وزاد عليها ما يناسب العصر الذى نزل فيه والعصور التى تليه إلى يوم القيامة.

ويخطئ من يعتقد أو يفكر أو يظن أن الدين الإسلامى جاء لينكر الديانات السماوية السابقة، ولا يعترف بها.. أو أنه جاء ليقطع الصلة بينه وبين هذه الديانات.. أو أنه جاء ليحارب أتباعها ويقضى عليهم ويستأصل شأفتهم.. إن كل من يعتقد أو يفكر أو يظن ذلك فقد وقع فى خطأ كبير.. فمن أسس عقيدة الدين الإسلامى أنه أمر المسلم بالإيمان بالرسل السابقين وما نزل عليهم من كتب سماوية، وذلك لاعترافه بالديانات السماوية السابقة عليه. وبجميع الأنبياء والرسل السابقين الذين أرسلهم الله برسالات سماوية.. والذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم على سبيل التحديد والحصر.. وإن كان القرآن الكريم قد أشار إلى رسل آخرين على وجه الإجمال ولم يذكر أسماءهم. كما قال ـ تعالى

﴿ [illegible] ﴾
(غافر: ٧٨)

وهذا يعنى أن الوحى الإلهى وحدة جامعة،

وأن أى مسلم لا يؤمن بأى رسول منهم - عليهم جميعا الصلاة والسلام - أو لا يؤمن بأى كتاب سماوى نزل من الله على أى واحد منهم لا يكون مسلما.

يقول الله - جل شأنه -:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ١٣٦)

لقد أرشد الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين فى هذه الآية الكريمة إلى نبذ التعصب الدينى، ودعاهم إلى اتباع الوحى الإلهى الذى أرسل الله به الرسل - السابقين - مبشرين ومنذرين بدون تفرقة بين أحد منهم، وطلب من المسلمين - بصيغة الأمر - أن يقولوا لأتباع الديانات السابقة: إننا نؤمن ونصدق بالله وبالقرآن الكريم الذى نزل على الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - وبالتوراة التى أنزلها على موسى - عليه السلام -، وبالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى - عليه السلام -، وبكل ما آتاه الله لأنبيائه ورسله جميعا تصديقا لهم فى نبوتهم ورسالتهم، ونحن فى تصديقنا وإيماننا بالأنبياء والرسل السابقين لا نفرق بين أحد منهم، فلا نقول نؤمن ببعضهم ونكفر بالبعض الآخر.. ونحن لربنا مسلمون خاضعون له بالطاعة، مذعنون له بالعبودية.

ويقول - سبحانه وتعالى -:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢٨٥)

لقد مدح الله - سبحانه وتعالى - فى هذه الآية الكريمة رسوله محمدا ﷺ ومدح المؤمنين الذين آمنوا به بأن كلا منهما «الرسول والمؤمنين» صدق بما أنزله الله فى القرآن: من عقيدة وشريعة، وعبادات ومعاملات، وأخلاق وفضائل، وقيم وآداب تصديق إقرار وخضوع واطمئنان، وأن كلا منهما آمن إيمانا تاما بوجود الله - تعالى - ووحدانيته، وكمال صفاته، ووجوب الخضوع والعبادة له، وبوجود الملائكة، وأنهم عباد مكرمون.

﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

(التحريم ٦)

كما آمنوا بكتب الله التى أنزلها، وبرسله الذين أرسلهم لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن من صفاتهم «الرسول والمؤمنين» أنهم لا يفرقون بين رسل الله فى الإيمان بهم، وبالتصديق برسالة كل رسول أرسله الله، ولا يقولون كما قال غيرهم:

﴿ نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾

(النساء ١٥٠)

وفى مدح الله هذا تشريف وتكريم للرسول وللمؤمنين، وإعلاء من أقدارهم ومنازلهم.

ويقول الله - عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى ١٣)

أى: شرع الله لكم يا أمة محمد ﷺ من أصول الديانات السماوية التى لا يختلف فيها دين عن دين.. أو شريعة عن شريعة كإخلاص العبادة لله - تعالى -، والإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والتحلى بمكارم الأخلاق كالصدق والعفاف والحب والتعاون واحترام حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم.. ما شرعه لنوح - عليه السلام -، وما أوحى به إلى نبيه محمد ﷺ، وما أوصى به أنبياءه: إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم جميعا الصلاة والسلام - من وصايا تتعلق بوجوب طاعة الله - تعالى - وإخلاص العبادة له، والبعد عن كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم..

وقد أمر الله - جل وعلا - المؤمنين بإقامة الدين، وذلك بالالتزام بتوحيد الله وطاعته، وبالإيمان برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، وبالالتزام بتشريعاته وأوامره ونواهيه فى الأصول والأحكام والآداب التى أجمعت عليها الشرائع الإلهية، والتى لا تقبل الاختلاف أو التفرق.. وقد شق وعظم على المشركين دعوتك إياهم إلى توحيد الله - تعالى -، وإلى ترك ما ألفوه من شرك ومن تقاليد باطلة ورثوها عن آبائهم..

ثم بين الله كمال قدرته وسعة مشيئته. فهو - سبحانه - يصطفى ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ويهدى إلى الحق من ينيب ويرجع إليه، ويقبل على عبادته وطاعته.

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلا يوضح ويبين فيه أن الدين الإسلامى أتى مكملا ومتمما للديانات السماوية السابقة، ويؤكد - عليه الصلاة والسلام - فيه تأكيدا تاما على ما جاء به القرآن الكريم من سلامة أصول الديانات السماوية، واتفاق مصدرها، وتعدد أهدافها وغاياتها، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[1].

إن من يقرأ هذا الحديث النبوى الشريف قراءة متأنية يرى بكل تأكيد أن الديانات السماوية تنسجم فيما بينها انسجاما تاما صحيحا، كما تنسجم اللبنات الناهضة فى البناء الواحد، وأن كل دين سماوى يجىء إنما يأتى ليكمل ما سبقه من الديانات السماوية الأخرى دون تعارض أو تصادم، حتى إذا ما تهيأت البشرية واشتدت حاجتها إلى استقبال الدين المكمل والمتمم للديانات السماوية السابقة جاءت الديانة الإسلامية خاتمة لهذه الديانات السماوية، غير محددة بزمان أو مكان، وغير خاصة بقوم معينين.. بل هى رسالة عامة للناس جميعا فى كل زمان ومكان.

(١) البخارى والترمذى

تأملات في السيرة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

تروى كتب السنة عن أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: «لم يكن أحد من والدي وعمي أبو ياسر بن حيي أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه - تعني أنها أحب أولادهما لهما - فلما قدم رسول الله ﷺ قباء غدا إليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر مغلسين. فوالله ما جاءا إلا مع مغيب الشمس - يعني لما وصل النبي ﷺ إلى قباء بادر إليه أبي حيي وأبو ياسر ابنا أخطب في الصباح الباكر ليتبينا أمره، ومكثا عنده حتى قرب مغيب الشمس - فجاءا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى - يعني منهدان مجهدان يمشيان متثاقلين من طول المكث وكثرة الجدال مع رسول الله ﷺ كي يستبينا أمره - تقول رضي الله عنها: فهششت لهما فرحا وسرورا كما كنت أصنع كلما لقيتهما، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما - يعني أبديت لهما فرحا وسرورا كما كنت أفعل كلما لقيتهما فلم يلتفت إليّ واحد منهما ولم يعيراني اهتماما كأنهما لم يرياني، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي - يسأله ويستفسر منه ليتأكد ويزيل بقايا شك أو وهم قد يتردد في ذهنه - أهو هو؟ فيجيبه أبي حيي نعم هو هو. فيعود أبو ياسر يسأله أتعرفونه بنعته وصفته. فيجيبه حيي: نعم والله هو هو، فيعود أبو ياسر يسأل: فما قولك فيما رأيت وما في نفسك منه؟ فيقول حيي: عداوته والله ما بقيت».

أتدري أيها القارىء الكريم من التي تحكي هذه الحادثة وتروي ذلك الحديث؟ إنها أم المؤمنين صفية بنت حيي وقد حازت كل مؤهلات التصديق لسلامة فطرتها وعلو مكانتها، فهي بعيدة عن الشك والريبة فهي ابنة زعيم اليهود وحبرها في المدينة حيي بن أخطب، وهي بذلك في منأى عن الريبة وحرية بالصدق كله. فهي بذلك بموجودة في قمة اليهود مكانة ومنزلة، وهي تحكي أيام الطفولة التي لا يشوبها شك أو ريب ولا تزييف أو تحريف فهي في مرحلة البراءة التامة والنقاء الطبيعي، كما أنها حازت كل مناقب الفضل والرفعة بوضعها الجديد حيث إنها أصبحت زوج النبي ﷺ، فهي أم المؤمنين فأي مكانة ومنزلة تعلو أو تقترب من مكانة أمهات المؤمنين زوج نبي محمد مسلمين، وهي بجانب هذا وفوقه ليست بحاجة إلى تلفيق في رواية تحمد بها عند المسلمين ولا اختلاق مزايدة في قلوب أتباع النبي ﷺ فهي بمكانتها فوق كل منزلة فهي بإيمانها وبنسبها فوق كل شبهة أو ريب وهذه الرواية لا يكذبها منصف مسلم ولا تكذيب منصف، ولكن قد يرفضها يهودي لا يحب محمدا وأصحاب محمد، وهذا هو الذي حدث ويحدث حتى الآن. هكذا كان الرفض والتكذيب والتزييف والحقد والتصدي للدعوة الإسلامية منذ دخوله ﷺ المدينة حتى (حوله منابر) (وشيعهم)، لكن كيف قابل النبي ﷺ هذا السلوك من اليهود، وكيف كانت معاملته لهم؟ نقول على الإجمال لم تكن معاملة النبي ﷺ لليهود رد فعل لأعمالهم، لكنها كانت تنطلق من معاني الدين الحنيف السمح الرشيد، كانت معاملة تهدف إلى إرساء مبادىء الحنيفية السمحة وإرساء قواعد معاملة رشيدة مستقيمة ولن نستبق الأحداث في الحكم على أفعال اليهود في مواجهة الدعوة الإسلامية، لكني أود أن أعرض هنا بين يدي القارئ الكريم واقعة أخرى ترى فيها كيد اليهود واضحا وبهتهم صريحا وهم يعلمون خبر النبي ﷺ نبوته وصفته حسبه واضحة في كتبهم. يروى البخاري عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال: لما سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوكف له فإني مستسر بذلك، صامتا عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه. وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت فقالت عمتي حين سمعت تكبيري (لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت) فقلت لها: أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بعث بما بعث به فقالت لي: يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث قرب الساعة؟ قلت لها: نعم. قالت: فذاك إذا. قال: فخرجت إلى رسول الله ﷺ فلما تبينت وجهه عرفت بأنه ليس بوجه كذاب. فكان أول ما سمعته يقول: أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام. فسأل النبي ﷺ أسئلة يختبره بها، فأجابه النبي ﷺ عنها فكانت إجابته كما في كتبهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم رجع إلى أهل بيته وأمرهم فأسلموا وكتم إسلامه ثم خرج إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن اليهود كما قد علمت أني سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم وأنهم قوم بهت وأنهم لو علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني يبهتوني وقالوا فيّ ما ليس فيّ. فأحب أن تدخلني بعض بيوتك. فأدخله رسول الله ﷺ بعض بيوته. وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه فقال: يا معشر اليهود يا ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله قد جئتكم بالحق فأسلموا فقالوا: ما نعلمه - أي لسنا

نعلم ذلك. فقال ﷺ: أى رجل فيكم الحصين بن سلام. وهذا اسمه قبل أن يغيره رسول الله ﷺ. فقالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. فقال: أرأيتم إن أسلم قالوا: أعاذه الله من ذلك. فقال: يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله حقاً تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته إني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقه وأعرفه. قالوا: كذبت. أنت شرنا وابن شرنا وانتقصوه. قال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت وأهل غدر وكذب وفجور؟! قال: وأظهرت إسلامي وأسلم أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن إسلامها.

وبعد أيها القارىء الكريم فإن رسول الله ﷺ لم يكن قائداً حربياً منتهى أمله وغاية مراده أن ينتصر في المعركة أو يكسب الحرب إنما هو رسول غايته وهدفه ومنتهى أمله أن يهدى الله به الخلق إلى مراد الله وأن يحقق العدل والمساواة بين الناس وأن يضع للناس أسساً ومبادىء تحكم سيرهم في الحياة ومنتهى أمله كما قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فلو أنه كان قائداً عسكرياً يبغي الفوز في المعركة أو النصر في الحرب لكان في إمكانه أن يقضي على اليهود في المدينة أو أن يستأصل شأفتهم ولكنه كان هادياً ورحمة للعالمين فأراد أن يرسي أحكاماً ويضع أسساً تسير عليها الجماعات وإن اختلفت في الفكر والعقيدة إلا إنها تشترك في الإنسانية فكيف تعيش رغم اختلاف العقيدة وتباين الفكر واختلاف المشارب فرغم ما أبداه اليهود مما ذكرنا بعضه في الواقعتين السابقتين إلا أن الرسول ﷺ لم يشأ أن يقابل هذه الأحقاد وهذه الضغائن بسيف يقطع أطماع المرجفين ويقطع رءوس الفتن، فهو ﷺ ليس ذلك القائد الحربي الباحث من زهو النصر ولا ذلك الرئيس الموتور، ولكنه ﷺ الرسول الهادى الداعي إلى الخير والحق والسلام يضع أساساً لتعامله ﷺ وهو المنتصر يحكم تعامله مع اليهود القاطنين في المدينة ويرغم أنهم موتورون حاقدون كارهون للدعوة وصاحبها إلا أنه ﷺ كتب معهم كتباً تحدد وتوضح أطر التعامل في الحرب والسلم، في المنشط والمكره. في حروب بينهم أو جيوش تهجم على المدينة كيف يقابلها هؤلاء المختلفون في نزاعات تنشأ بين المتجاورين؟ كيف يكون الحكم فيها؟! هذه الأسس تقول بصدق ووعي إن عالم اليوم رغم ما يزعم من تقدم وحضارة في التشريع والقانون والعمل والسلوك لم يصل إلى عشر معشارها في التقنين له التطبيق والعمل.

وإذا كنا لم نورد نص الكتب والمعاهدات التى كتبها الرسول ﷺ والتي تحدد طبيعة العلاقة المستقبلية بين كل قاطني المدينة.. ومنهم اليهود، إلا أننا نود أن نذكر واقعات أخرى تدل على تمادى اليهود في بغيهم وحقدهم وإثارة الفتن بين سكان المدينة وبين المسلمين أنفسهم فمن ذلك سؤالهم عن الروح. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث المدينة وهو متكىء على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. وقال بعضهم: لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون. فقال بعضهم: لنسألنه فقام به رجل فقال: يا محمد أخبرنا عن الروح كيف تعذب الروح التى في الجسد؟ فلما نزل الوحي قال:

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

(الإسراء: ٨٥)

قالوا: هكذا نجده في كتبنا وقد قال بعضهم لبعض قلنا لكم لا تسألوه.

لعلك أيها القارىء الكريم تفهم من هذه القصة أن اليهود أرادوا أن يختبروا علم الرسول عن الروح لكني أقول لك إني أفهم أن هذه القصة فيها دلالة واضحة على أن نبوة رسول الله ﷺ ثابتة في كتبهم وأنهم يعرفون ذلك بدليل أنهم قالوا: هكذا نجده في كتبنا أى يجدون الجواب في كتبهم ورغم هذا فإنهم لا يؤمنون بل لا يكفون عن العناد والبلبلة وأيضاً فإنهم لما سمعوا الحروف المقطعة في أول السور فبدأوا يحرفون في معانيها بأقوال ليس عليها دليل أو علم. ولا توصل إلى نتائج معقولة أو صادقة وأيضاً إذا أضفنا إلى ذلك ما حاولوا بثه من فتنة وخلاف بين الأوس والخزرج وما حاوله شاس بن قيس من إيقاع الفتنة بين الأوس والخزرج لما وجدهم مجتمعين ورآهم متآلفين يجلسون يتحدثون في فرح وسرور فأوعز إلى أحد الفتيان كان معه أن يجلس معهم ويذكر لهم واقعة بُعاث. وهو يوم كانت فيه حرب ضروس بين الأوس والخزرج أهلكتهم. ويذكر لهم ما تفاخر به القوم بعضهم على البعض فقام رجال من الأوس يفاخرون بأبيات قيلت في هذه المعركة فرد عليهم آخرون من الخزرج وتفاخروا حتى قام كلٌ إلى سلاحه وتواعدوا فبلغ النبي ﷺ فخرج إليهم غاضباً يذكرهم ويعظهم فأنزل الله تعالى:

﴿ [illegible] ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾

(آل عمران: ٩٨ - ١٠١)

وغير ذلك كثير والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم. وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

❖❖❖

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبد الرحمن

وثائق التحريض على الفتنة الطائفية

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة المنشور بجريدة «الأهرام» الصادرة في ٢٠١١/١١/١م يقول:

بالتوازي والتزامن مع إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م، بدأ المخطط الاستعماري لتفتيت أقطار الشرق الإسلامي تفتيتاً جديداً بعد تفتيت سايكس بيكو سنة ١٩١٦م، وذلك بإنشاء اثنين وثلاثين كياناً سياسياً جديداً، على أسس دينية ومذهبية وعرقية ولغوية، لتحويل الشرق الإسلامي إلى «فسيفساء ورقية»، مشغولة بتناقضاتها وصراعاتها الداخلية.. أما الهدف من ذلك كله فهو تحقيق الأمن والتفوق لإسرائيل!.. ولقد كتبت ونشرت وعقدت لرسم هذا المخطط وتنفيذه، ومن دراسات وندوات خرجت به عن «نظرية المؤامرة» التي هي تدبير سري، إلى دائرة النشر والإعلان.

● فمع إقامة إسرائيل نشر المستشرق الصهيوني برنارد لويس في مجلة INTELLIGENCE RESCURCH PROJECT EXECUTIVE التي تصدر عن البنتاجون -وزارة الدفاع الأمريكية- دراسته الشهيرة التي تقترح العمل على إعادة تفتيت الشرق الإسلامي من باكستان إلى المغرب، بإضافة اثنين وثلاثين كياناً سياسياً مستقلاً، على أسس دينية ومذهبية وعرقية ولغوية، لتحقيق الأمن الاستراتيجي لإسرائيل!

● وفي النصف الأول من خمسينيات القرن العشرين، بدأت إسرائيل إمساك خيوط التنفيذ لهذا المخطط، وذلك ببث الفتنة الطائفية بين الموارنة والمسلمين في لبنان.. وكتب «بن جوريون» (١٨٨٦ - ١٩٧٣م)، رئيس الدولة الصهيونية، بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٤م رسالة إلى رئيس وزرائه شاريت (١٨٩٤ - ١٩٦٥م)، يقول فيها: يجب علينا أن نجند كل من يتكلم العربية [illegible]، وأن نوفر الأموال اللازمة لإنجاح هذه السياسة، ولا بأس لو اضطررنا أحياناً إلى إنفاق الكثير دون الوصول إلى نتائج سريعة ذلك أن تحريك الأقليات المسيحية يهز الاستقرار في المجتمعات العربية - وعندما تنتشر الفوضى والاضطرابات يتصرف الضعفاء المفتقرون إلى الشجاعة من أبناء هذه الأقليات على نحو مختلف، إذ يتصرفون كأبطال في مثل هذه الأوقات».

● وفي فصل آخر من فصول هذا المخطط لتدمير الاستقرار في المجتمعات العربية وضرب وحدتها الوطنية بالفتنة الطائفية، نشرت مجلة «الاتجاهات KIVUNIM» الناطقة بلسان المنظمة الصهيونية العالمية في ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م - أي بعد معاهدة كامب ديفيد - والتي سبق أن نشرت دراسة ركزت فيها على تفتيت مصر، وتحويلها من دولة مركزية إلى دولتين، قبطية ومسلمة، على الأقل!! معتبرة تفتيت مصر بالفتنة الطائفية مفتاح التطور التاريخي لتفتيت سائر أقطار الوطن العربي.. وفي هذا المخطط الصهيوني - الذي نشر تحت عنوان «استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات» جاء بالنص:

«إن مصر المفككة والمقسمة إلى عناصر سلطوية كثيرة، وليس على غرار ما هو الحال اليوم، لا تشكل أي تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل، وهذا الهدف هو اليوم في متناولنا. إن دولاً مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منها لن تبقى على صورتها الحالية، بل ستقتفي أثر مصر في انهيارها وتفتتها. فمتى تفتتت مصر تفتتت الباقون!!.. إن رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة إقليمية مصرية، لا سلطة مركزية، كما هو الوضع الآن، هو مفتاح هذا التطور التاريخي، وإن استعادة سيناء بمواردها هدف ذو أولوية، تحول دون الوصول إليه الآن اتفاقيات كامب ديفيد، ويجب علينا العمل على استعادة الوضع الذي كان في سيناء قبل زيارة السادات القدس».



برنارد لويس

لقد ماتت الأسطورة القائلة إن مصر هي زعيمة العالم العربي، فقد فقدت في مواجهتها لإسرائيل ٥٠٪ من قوتها، وهي جسد مركزي قد صار جثة، ولا سيما بتزايد المواجهة بين المسلمين والأقباط، فإنشاء دولة قبطية في صعيد مصر وإنشاء دويلات أخرى إقليمية ضعيفة هو مفتاح التطور التاريخي، فإذا ما تصدعت مصر فإن بلاداً عربية أخرى ستواجه لب المصير نفسه».

● وبعد عشر سنوات من نشر هذه الاستراتيجية الصهيونية، عقدت بإسرائيل في ٢ مايو ١٩٩٢م ندوة دعا إليها مركز بارايلان للأبحاث الاستراتيجية التابع لجامعة بارايلان الإسرائيلية، وشاركت فيها وزارة الخارجية الإسرائيلية، بواسطة مركز الأبحاث السياسية وأسهم فيها باحثون من مركز ديان التابع لجامعة تل أبيب وذلك تحت عنوان «الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في منطقة الشرق الأوسط، وطموحاتها وتطلعاتها الاستقلالية في ضوء ما حققه أكراد العراق بعد الحظر الأمريكي على شمالي العراق وجنوبه، عقب حرب عاصفة الصحراء».

ولقد ناقشت هذه الندوة التي حضرها مختصون للأقليات في العالم العربي أحد عشر بحثاً، من عناوينها:

١- «تأييد إسرائيل للنزاعات الانفصالية للجماعات العرقية والإثنية والاعتبارات الكامنة وراءه».

٢- «دعم إسرائيل للحركة الكردية».

٣- «الثورة الشيعية في جنوب العراق أثناء حرب الخليج».

٤- «سوريا هل ستبقى موحدة في ظل انتعاش الاتجاهات الانفصالية في منطقة».

٥- «إسرائيل ونضال جنوب السودان من أجل الاستقلال والحرية».

٦- «السيطرة على الخليج».

٧- «إسرائيل وبعث البربر في شمال أفريقيا».

٨- أما مصر فكان عنوان البحث الخاص بها هو «الاستقطاب بين المسلمين والأقباط في مصر».

ولقد حلمت هذه الدورة الصهيونية في تأكيد الموقف الثابت للحكومات الصهيونية المتعاقبة.. وهو: دعم الأقليات الطائفية في الشرق الأوسط، وتأييد طموحاتها ورغباتها في تقرير المصير أو إقامة كيانات مستقلة، وذلك انطلاقاً من الحلف الطبيعي القائم بين إسرائيل وهذه الأقليات.. ذلك أن هذه الأقليات هي شريكة لإسرائيل في المصير، ولابد أن تلتقي مع إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية.

هكذا تم التخطيط لتفتيت أقطار الشرق الإسلامي دون استثناء، بواسطة الفتن الطائفية التي تحول هذا الشرق إلى فسيفساء ورقية ليتحقق الأمن والتفوق لإسرائيل.. ولقد تم التركيز في هذا المخطط على مصر بالإعلان عن أنه إذا تفتت مصر تفتت الشرق.

فهل تعي قوى الوطنية في مصر هذا المخطط المعلن؟.. وهل تنجح في رؤية العلاقة بين الأصابع الكثيرة التي تلعب في هذه الفتنة وبين استراتيجية هذا المخطط؟.. وهل تتحد المواقف الحرة وتحسم من الأصابع التي تعبث بمستقبلنا ووجودنا في كنانة الله وفي المحيط الذي نعيش فيه!!.

من أدوات بناء الحضارة: توليد العلوم

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ الدكتور/ على جمعة المنشور بجريدة «المصرى اليوم» الصادرة في: ٣/١١/٢٠١١م يقول:

قامت حضارة المسلمين على العلم، ووضع المسلمون الأوائل علوماً خادمة لمحور حضارتهم وهو النص الشريف، والتزموا بهذا المحور وحدوده وانطلقوا منه وجعلوه معياراً للقبول والرد والتقويم، ولهذا أصبح توليد العلوم من أهم أدوات بناء هذه الحضارة، فأخذ المسلمون يخترعون العلوم اختراعاً، ويستفيدون منها عن الأمم السابقة مما يمكنهم من فهم الحقيقة، وإدراك الواقع، ويصنفونها ويطورونها لمن بعدهم، ولمن يجاورهم. ورأينا عصر الترجمة في عهد المأمون، ورأينا البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة ممدوحة في العقل أو مرذولة)، ورأينا الخوارزمي في كتابه (مفتاح العلوم) وهو الذي يرسم لنا المنهجية العلمية في التاريخ الإسلامي ويرصد ذلك التنوع من ناحية، والتفاعل من ناحية أخرى، وهما الصفتان اللتان يجمع عليهما لكل من اطلع على التراث الإسلامي ونتاجه الفكري.

ولابد علينا أن ندرك أن توليد العلوم نوع من أنواع مظاهر حياة الفكر، وأنه لم يمت، وهو أيضا مظهر من مظاهر التفاعل مع العصر الذي نعيشه، وهو ثالثا الجسر الذي يصل بين الشرع والواقع المحيط.

ويسأل كثير من المتخصصين عن كيفية توليد العلوم، وهي تحتاج إلى قدرة التصور المبدع، وهي التي قد لا توجد عند كثير ممن اشتغل بنقل العلم والحفاظ عليه، والتصور المبدع، هذا أمر لابد منه لعملية التوليد. ولنضرب مثالاً يجيب على أولئك الذين يريدون نموذجاً لتوليد العلوم حتى يسيروا على منواله، وحتى يهدئ بال من يشك في هذه العملية وما قد تخفيه في ظنهم من الاعتداء على ثوابت الدين، أو القدح في هوية الإسلام. فنحاول أن نلقي الضوء على بذور توليد العلوم وآليات ذلك في التراث الإسلامي عسى أن ندرك المنهجية التي ساروا عليها في خدمة حضارتهم..

فقد وضع التراث الإسلامي ما يسمى بالمبادئ العشرة من أجل أن يطلع عليها طالب العلم، ليتشوف المتعلم الذي سوف يدرسه، أو ليعرف ما لابد له من معرفته، وهي بذاتها العناصر التي يجب الالتفات إليها عند توليد العلوم، ووضعها بعضهم في صورة نظم يحفظه صغار الطلاب حتى يحدث لهم هذا التشوف الذي انحسر بعد ذلك عند المسلمين في التلقي دون إنشاء العلوم واستمرار الفكر فقال:

من رام علماً فليقدم أولا
علماً بحده وموضوع تلا
وواضع ونسبة وما استمد
منه وفضله وحكم يعتمد
واسم وما أفاد والمسائل
فتلك عشر للمنى وسائل
وبعضهم فيها على البعض اقتصر
ومن يكن يدرى جميعها انتصر

فالمبدأ الأول: هو تعريف العلم، وهو المعيار الأول لتحديد إطاره.

والمبدأ الثاني: هو موضوعه، والعلوم تتمايز بموضوعاتها، وموضوع العلم هو ما يبحث فيه عن وصفه بما فيه حتى تكون مسائل في هذا العلم من الموضوع والوصف المناسب له. والمسائل هي الجمل المفيدة التي عرفناها في اللغة العربية في علم النحو وغيره، والتي تتكون إما من مبتدأ وخبر، وإما من فعل وفاعل، وكلاهما راجع في دلالته على الجملة المفيدة التي يستفيد منها سامعها مراد المتكلم من كلامه، فموضوع علم الطب جسم الإنسان من حيث الصحة والمرض. وعلى ذلك يكون جسم الإنسان مبتدأ وما يعرض عليه من أحوال الصحة والمرض وكيفية العلاج وأسباب ذلك كله هو الخبر الذي يكون الجمل المفيدة في علم الطب، فجسم الإنسان مسند إليه (مبتدأ أو فاعل) فهو موضوع، وما يخبر عنه هذا المسند (خبر أو فعل) وهو محمول أي محمول على ذلك الموضوع، فقولنا جسم الإنسان يمرض بالميكروب ويصح بالدواء جمل مفيدة تكون العلم.

والمبدأ الثالث: هو تحديد واضع هذا العلم، حيث إنه سينسب إلى أول من ألف فيه. ولو ألفت جماعة مرة واحدة فسيحدث نزاع أيهم ألف أولاً، وترجع إلى حلاوة النقاش العلمي والخلاف الثري الذي كان يحرك العقول ويربي النفوس على قبول الرأي الآخر، ويدرب الطلاب والعلماء على البحث وترتيب الأدلة واستجلاب البراهين وبيان جهة دلالتها، ويخرج العقل المسلم من حالة الجمود والأزمة الفكرية التي يمر بها إلى نوع آخر من التعمق في فهمه والوعي بما يحتوي عليه والقدرة على تهيئة الأجواء لعودة المجتهدين العظام مرة أخرى، قادرين على عرض ما عندهم بالمنطق والبرهان الذي يوافق عليه الجميع حتى

لو لم يتخذوه سبيلاً لهم، ولكنهم يحترمون المنهج ويؤكدون على صحته بغض النظر عن النتائج ومشارب البشر.

أما المبادىء السبعة الباقية فهي نسبته إلى العلوم الأخرى، ومن أى العلوم يستمد، وأحكامه ومسائله، وما فضله وما حكمه وما اسمه، وما الثمرة والفائدة المترتبة عليه؟.

فهذه العشرة تعد مدخلاً للعلم تدفع طالب العلم إلى التشوق لدراسته وتحصيله، وهى بنفسها التى يمكن للمفكر إذا أراد أن يبنى علما أن يحددها كبداية لاستقلال العلوم أو إبداعها، والحقيقة أن العلم لا يولد كاملا حتى علم العروض الذى ضبط به الخليل بن أحمد الفراهيدى الشعر العربى لم يولد كاملا بالرغم من أنه كان شبه كامل، إلا أننا رأينا الأخفش يضيف إليه بحر المتدارك، ورأينا علماء هذا الفن يستشرفون أوزانا أخرى، صحيح أنه لم يتكلم بها العرب، ولم ينقل من شعرهم شيء على أوزانها إلا أنها زادت في العلم، ووسعت من مفهوم الشعر كما أورده الدمنهورى في كتابه: «الكافى فى العروض والقوافى»، حتى ابتدع محمود سامى البارودى بعض الأوزان التى لم تكن من قبل فقال:

املأ القــــدح واعص من نصح
وارو غـلـتـى بـابـنـة الـفـرح

إن توليد العلوم منهج مناسب للخروج العملى من الأزمة الطاحنة التى تمر بها الأمة، وهو من الأدوات اللازمة لبناء الحضارة الإسلامية وضمان استمرارها لعصور مديدة فى المستقبل، والله ولى التوفيق.

منظمة اليونسكو والابتزاز الأمريكى

تحت هذا العنوان كتب محرر (رأى القدس) بجريدة القدس العربى الصادرة بتاريخ ٣١ - ١٠ - ٢٠١١م يقول:

صوتت ١٠٧ دول فى جانب مشروع قرار يمنح فلسطين العضوية الكاملة فى منظمة اليونسكو، ومن المؤسف أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا كانت من الدول التى صوتت ضد هذا القرار، ورضخت للإملاءات الإسرائيلية فى هذا الصدد.

الإدارة الأمريكية بذلت جهودا كبيرة داخل هذه المنظمة الدولية المتخصصة وخارجها من أجل حرمان فلسطين من هذا الحق الشرعى لدرجة التهديد بوقف مساعداتها المالية التى تقدر بحوالى ٨٨ مليون دولار سنويا، ولكن هذه الجهود باءت بالفشل الذريع، لأن العالم لم يعد يريد أن يظل ويأتمر بإمرة أمريكا وإسرائيل مثلما كان عليه الحال لسنوات عديدة. الذرائع الأمريكية فى معارضة هذه العضوية الفلسطينية فى منظمة مختصة بالثقافة والإبداع غير مقنعة، مثل القول بأنها تعطى نتائج عكسية على عملية السلام، وأن قيام الدولة الفلسطينية لا يتم إلا من خلال التفاوض. فأين هى عملية السلام التى تتحدث عنها الولايات المتحدة، ثم من عرقل المفاوضات وقتلها فى مهدها غير إسرائيل حليفة الولايات المتحدة والتى لا تستطيع البقاء يوما واحدا دون الدعم الأمريكى؟.

الفلسطينيون اختاروا طريق المفاوضات للوصول إلى الدولة الفلسطينية المستقلة قبل ١٨ عاما وتلبية لنصائح أمريكية وأوروبية، وظلوا يتنقلون بين العواصم العالمية للمشاركة فى جولات مفاوضات لم تعطهم غير الإحباط واليأس والمزيد من المستوطنات

غير الشرعية فوق أراضيهم المحتلة، ولهذا لم يبق أمامهم من خيارات غير الذهاب بقضيتهم مرة أخرى إلى الأمم المتحدة بحثا عن انتصارات سياسية ودبلوماسية بعد أن قررت السلطة الفلسطينية فى رام الله استبعاد الحلول العسكرية نهائيا من مخططاتها.

الانتصار الفلسطيني في اليونسكو هو واحد من أكبر الإحراجات السياسية والدبلوماسية لإدارة الرئيس باراك أوباما التى تهدد باستخدام الفيتو ضد طلب فلسطينى مماثل مطروح حاليا على مجلس الأمن الدولى؛ لأن هذه الإدارة باتت تسير عكس رغبة المجتمع الدولى بأسره، وتتخذ قرارات ومواقف تتناقض كليا مع كل إدعاءاتها حول حقوق الإنسان والديمقراطية ونصرة الضعفاء والمظلومين.

ماذا يضير الولايات المتحدة لو حصلت فلسطين على عضوية منظمة مثل اليونسكو يحتل العمل من أجل السلام والتعايش بين الثقافات قمة أهدافها؟ فهل الولايات المتحدة ضد التعايش وحوار الثقافات والعمل من أجل عالم أفضل تسوده المحبة والتعاون والحفاظ على المخزون الثقافى العالمى؟.

نطالب الدول العربية، والخليجية منها بالذات، بتعويض قيمة المساعدات المالية الأمريكية لليونسكو المقدرة بحوالى ٨٨ مليون دولار فى حال قطعها انتقاما من حصول فلسطين على عضوية المنظمة. وإذا كانت هذه الدول تخشى الغضبة الأمريكية، فإننا نتمنى على الدول العربية الأخرى مثل الجزائر والسودان أن تتولى تدبير هذا المبلغ، سواء من ميزانياتها أو بمساعدة الدول الأفريقية والأمريكية اللاتينية التى صوتت إلى جانب هذه الخطوة بكل شجاعة ورفضت كل الضغوط الأمريكية - الإسرائيلية غير الأخلاقية والمخجلة فى آن.

نتنياهو الكذاب

تحت هذا العنوان جاء كلمة (عربى أصيل) المنشورة بجريدة المساء الصادرة بتاريخ ١١ - ١١ - ٢٠١١م يقول:

الحديث الذى دار بين الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى ونظيره الأمريكى باراك أوباما حول رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو يكشف عن حلقة جديدة من النفاق الأمريكى - الأوروبى بشأن القضية الفلسطينية. فقد قال ساركوزى فى حديث خاص مع أوباما والذى سمعه الصحفيون دون قصد فى قمة مجموعة العشرين التى عقدت فى كان: «لا يمكننى تحمل نتنياهو - إنه كذاب»، ورد عليه أوباما قائلا - طبقا لما قاله مترجم فرنسى -: «أنت سئمت منه لكننى مضطر للتعامل معه ربما أكثر منك».. لقد كشف ساركوزى وأوباما عن رأيهما بصراحة فى نتانياهو دون علم بأن الميكروفونات مفتوحة. لكن لن يجرؤا على الإدلاء بهذه التصريحات فى العلن حرصا على مصلحة الشقيقة الصغرى إسرائيل. الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون يعلمون علم اليقين أن جميع قادة إسرائيل يمارسون الكذب منذ أن وطئت أقدامهم أرض الفلسطينيين فى ما يربو على ستين عاما وأنهم يرتكبون كافة الانتهاكات الوحشية ضد أصحاب الأرض للتضييق عليهم وتهجيرهم. ولم تفعل الولايات المتحدة أكثر من عبارات رقيقة مهذبة للغاية يقول فيها مسئولوها: إن الممارسات الإسرائيلية لن تخدم الجهود الرامية إلى إحلال السلام بين الشعبين الفلسطينى والإسرائيلى. وبعد ذلك لا شيء.. دعم كامل لإسرائيل على كل الأصعدة. مهما فعلت. والضغوط على الفلسطينيين فقط

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد ربه

كعب بن لؤي كما وصفته امه

قال لؤي بن غالب (جد النبي صلى الله عليه وسلم) لامرأته : أي بنيك أحب إليك ؟ قالت : الذي اجتمعت فيه ثمان خلال : لا يخامر عقله جهل ، ولا يحبط حلمه سفه ولا ينزوي لسانه عي ، ولا يفسد نفسه غي ، ولا يعيره عقوق ، ولا ينقص منه بخل ولا يكدر صفحه من ، ولا يرد إقدامه جبن .

قال : ومن هو ؟ قالت : ولدك كعب .

ثقل الامانة

بعد أن بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، خلا في مصلاه يبكي ، فأقبل عليه المسلمون يقولون : يا بن عبد العزيز ما يبكيك ؟ قال : إنني حملت أمانة هذه الأمة ، وأنا أبكي لما حملت ، لأمة فيهم ... أبكي للفقير الجائع ، وابن السبيل الضائع ، والمظلوم المقهور ، وذي العيال الكثير ، علمت أني مسئول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأشفقت على نفسي وبكيت لثقل الأمانة

حقا

قال شاعر :

صوت الشعوب من الزئير مجمعا
فإذا تفرق كان بعض نباح

ماء الوجه

قال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياءك فاحفظه عليك فإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

● والحياء مشتق من الحياة ، فهو من قوة الحس ولطفه وعلى حسب حياة القلب ولطف الحس يكون الحياء قوة وضعفا .

من اقوال الفاروق عمر بن الخطاب

● «ويل لديان من في الأرض من ديان من في السماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل ، وقضى بالحق ، ولم يقض على هوى ولا قرابة ولا رغب ولا رهب وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه» .

● «إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة فهو والله لغيرها من حق الله أشد تضييعا» .

● وسأل رضي الله عنه جماعة من الناس : أي الناس أفضل ؟ قالوا : المصلون . قال : إن المصلي يكون برا وفاجرا . قالوا : الصائمون . قال : إن الصائم يكون برا وفاجرا . قالوا : المجاهدون في سبيل الله . قال : إن المجاهد يكون برا وفاجرا ، لكن الورع في دين الله يستكمل طاعة الله عز وجل .

سجن المؤمن وجنة الكافر

● قال أبو حازم : «إن الرجل ليعمل السيئة ، إن عمل حسنة قط أنفع له منها ، وإن الرجل ليعمل الحسنة ما عمل سيئة قط أضر عليه منها» .

قال ابن الأعرابي : معناه أن يعمل الذنب فلا يزال منه مشفقا وجلا أن يعاوده فيسقمه ذلك ، ويعمل الحسنة فيحتسب بها على ربه ويعجب بها وينسى فضل الله عليه فيها فتهلكه .

● وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فإذا مات المؤمن يخلى له سربه يسرح حيث يشاء» .

مروءة ابن المقفع

كان عبدالله بن المقفع صديقا حميما لعبدالحميد الكاتب وكان الأخير من أصفياء الأمويين ، وحين عصفت رياح الزمن بالدولة الأموية هب العباسيون يتعقبون رجالها في كل مكان . فنفر عبدالحميد إلى صديقه ابن المقفع واختبأ في بيته مدة وشاء حظه العاثر أن يشي به الواشون ، ووصل الخبر إلى الخليفة العباسي (السفاح) الذي بعث بأحد جنوده منزل ابن المقفع ، ليجدوهما معا ، فسألوهما أيكما عبدالحميد ؟ فقال كل واحد منهما : «أنا» وأوشك الجند أن يقتلوا ابن المقفع الذي آثر أن يبذل نفسه تضحية رخيصة في سبيل صديقه لولا أن صاح بهم عبدالحميد قائلا : ترفقوا بنا فلكل منا علامات يعرف بها أتم التعريف ، فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر إلى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ، ففعلوا كما أشار واتضح لهم عبدالحميد فقتلوه .

مدفن الحضارة الحجازية

في واحدة من سفراته المتعددة ... مر شاعر الإسلام الدكتور محمد اقبال بجزيرة صقلية في طريق عودته إلى بلاده .. الهند ، فلما وطئت قدماه أرض جزيرة توقفت الدموع في عينيه وقال :

«ابك أيها الرجل دما لا دمعا
فهنا مدفن الحضارة الحجازية» .

نزاهة كاتب مجاهد

أتى على جريدة الأخبار القديمة ، زمن ما كانت أولى الجرائد المصرية انتشاراً ورواجاً بين القراء ، فقد تسنم صاحبها الغيور (أمين الرافعي) مكان القيادة بين رجال الصحافة الأفذاذ ، بما اشتهر عنه من وطنية رائعة ونزاهة عالية ، ثم جد من المفاجآت المذهلة ما جعلها بين يوم وليلة تتضاءل توزيعاً فقط ، وإن كانت تحتفظ بقوة الرأي ، وصراحة المنطق ، ووضوح الحجة ، حتى مكث صاحبها أزمة تشير لا يجد ما يعطيه من المرتبات الشهرية للمحررين والعمال ، واتضحت نذر إفلاسها لأعين الغيب ، مهددة بعض الأمر نكدحة تتصبح

وفي سواد هذه المحنة الحالكة رأت بعض الشركات الأجنبية التجارية - خاصة في نفس يعقوب - أن تصطنع الرجل المأزوم في ضيقه الكارب ، فأرسلت إليه شيكا يحمل كثيرا من جنيهات لتكون ثمنا لإعلان مبتكر عن بعض المشروبات المسكرة ، وفرح محررو الصحيفة ، حين علموا بالثروة الهابطة فجأة على أمين ، فهم لا محالة سيأخذون رواتبهم المتجمدة ، ومتسير الجريدة قدما إلى أمد قد يطول حتى تعتدل الأمور ، ولكن صاحب الأخبار يرد الشيك في لحظة إلى أصحابه ، معلنا أن جريدته المسلمة لا يمكن أن تنشر إعلانا يغضب الله ، وبهت المحررون ، وأعلنوا للأستاذ أن إفلاسه القريب أمر محتوم ، فرد الرجل في هدوء : أرحب بالإفلاس دون أن نغضب الله !

دعاء

يا عوني عند كربي ، ويا صاحبي في وحدتي ، ويا غياثي عند شدتي ، ومفزعي عند فاقتي ورجائي إذا انقطعت حيلتي

يا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب اجعل لي فرجا ومخرجا واقض حاجتي .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

بالإيمان والإيثار.. ينطلق الضمير الثوري

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم [illegible]

ليس هناك أعظم من الإيمان فهو في القلب نور يبدد ظلام الحقد والضغينة ليتحول إلى حب وإيثار وعطاء وصفاء وتعاون على البر والتقوى.

وقوي الإيمان إنسان مثالي يؤثر على نفسه من أجل الآخرين بعكس ضعاف الإيمان الذين سيطرت الأنانية على تفكيرهم من ذوي النوايا وأصحاب [illegible] [illegible] بشكل يضعف قيمة [illegible].

إن هذا الذي نشهده على الساحة اليوم من ظواهر البلطجة لا يعني فقط أن هناك انفلاتا أمنيا وإنما هو دلالة على ضعف الإيمان لدى البعض الذين يظنون أن بإمكانهم أن يتمسخروا على العدالة والقانون ليمارسوا البلطجة باغتصاب حقوق الغير وتعطيل تنفيذ أحكام العدالة الصادرة ضد العاصين وإرباك دور الشرطة والتحريض على تنظيم المظاهرات والوقفات الاحتجاجية التي تعطل عجلة الإنتاج [illegible] الإيمان بدينهم وقيمه السامية.. وتعلموا ما تركه لنا رسولنا القدوة ﷺ من عطاء الحب والإيثار في تنظيم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في مجتمع المدينة المنورة [illegible]

﴿ [illegible] وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر ٩)

إننا الآن بحاجة إلى تدبر معاني هذه المواقف وأخذ العبرة من أحد الأنصار وهو الصحابي الجليل «سعد بن الربيع» لنرى كيف كان أثر الإيمان في سمو نفسه وطيبه.

[illegible] النبي ﷺ بينه وبين «عبدالرحمن بن عوف» عرض سعد بن الربيع وبإصرار على عبدالرحمن بن عوف أن ينزل له عن نصف داره ونصف ماله الذي شمل خصوصية [illegible] ولكن كانت عفة «عبدالرحمن بن عوف» أسمى في مقابل إيثار سعد فقال له: «بارك الله لك في أهلك ومالك.. دلوني على السوق» فكان رجل أجهد البيع والشراء، حقا ما أجمل صنيع الإيمان في النفوس الطيبة!!

كذلك كان سعد بن الربيع في مقدمة المدافعين عن النبي ﷺ في غزوة أحد [illegible] ويلاحظ الرسول الكريم إصابات سعد فيسأل عنه بعد انتهاء المعركة [illegible] على السلام.. وقول لكم إنه: «لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم [illegible]» ومات رضي الله عنه شهيدا [illegible]

فلنسلك طريق التغيير باتباع دروس الإيمان والإيثار التي نستخلصها من سيرة النبي وأصحابه الكرام لتكون قاعدة انطلاق لتغيير النفس وفقا لتعاليم ديننا الحنيف [illegible] الإيمان والإيثار تصلح الطباع والنفوس ويعلو نداء الضمير الثوري الذي به يتم التغيير الذي أمرنا به سبحانه بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

ونداء الضمير الثوري طريقه تحقيق التغيير لينطلق قطار [illegible] والتغيير [illegible] الله في خلقه وسبحانه الذي [illegible] ذلك في كتابه الكريم.

[illegible]

(يونس ٦٢)

نسأل الله أن يحمي ثورتنا ويبارك شبابها ويوفقنا إلى خير [illegible]

مهمة الإنسان ورسالته في الكون

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ خالد توفيق عبده - داعية إسلامي - ش السلام - المنزلة - دقهلية:

إن لكل شيء في الوجود مهمة ورسالة ينبغي أن يؤديها، [illegible] رسالة وللجماد رسالة، وللحيوان رسالة، وللإنسان رسالة.

فما هي الرسالة التي لابد للإنسان أن يؤديها؟

[illegible]

١ - عبادة الله تعالى - فواجب على الإنسان أن يعرف ربه حق المعرفة، وإذا عرف هذا الإنسان ربه كان لزاما عليه أن يعبده، فكانت الغاية والحكمة من خلق الإنسان (عبادة الله) وفي هذا يقول سبحانه

[illegible]

(الذاريات ٥٦-٥٨)

ومعنى العبادة في هذه الآية: العبادة بمعناها الشامل هي كل ما يحبه الله ويرضاه (فالصلاة عبادة، إقامة الشعائر كلها عبادة، بر الوالدين، مساعدة المحتاج، أداء الواجبات، الجهاد في سبيل الله [illegible])

٢- عمارة الأرض: إن مهمة الإنسان الثانية في هذا الكون [illegible]

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
(البقرة: ٣٠)

فإذا أصلح الإنسان في الكون وعمر فلح ونجا، وإذا أفسد [illegible]

[illegible] عمره القصير، وليست القيمة في طول وقصر عمر الإنسان، وإذا كان آخر العمر موتًا.. فسواء قصيره والطويل، فإذا [illegible]

﴿ [illegible] ﴾
(ص: ٧٢)

وإذا لم يقم الإنسان بالمهمة والرسالة التي كلف بها كان [illegible]

﴿ [illegible] ﴾
(الفرقان: ٤٣-٤٤)

إن الإنسان يمكنه أن يرتقي بنفسه فيكون مثل الملائكة أو [illegible] الملائكة ليس عندهم غرائز ولا شهوات [illegible]

قال رسول الله ﷺ: «[illegible] بالمعروف ولتنهون عن المنكر [illegible] فلا يستجاب لكم» (رواه مسلم).

الإسلام دين الرحمة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: محمد علي أحمد الشريف - محاسب بكلية التربية بدمياط الجديدة - جامعة المنصورة:

[illegible]

[illegible] الملكوت، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾
(غافر: ٧)

وفي الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي» (رواه مسلم).

[illegible] وغضبهم، وبذلك كان [illegible] الراحمين، قال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾
(المؤمنون: ١١٨)

ولقد أراد الرحمن الرحيم أن يمن على البشرية [illegible] بالرحمة المهداة محمد ﷺ، يخفف الأحزان ويمسح [illegible] الرحيم ويمين على [illegible] ويكون المثل الأعلى والأسوة الحسنة والقدوة العظمى.

لقد كان ﷺ خلقه الرحمة والحلم والبر، فهو بحق أعظم عباد الله رحمة. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾
(الأنبياء: ١٠٧)

[illegible] العصيان ومن الشرود عن الطريق المستقيم. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾
(الحديد: ١٦)

[illegible]

قال ﷺ: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء» (الطبراني)

«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» (مسلم)

والدالة على المؤمنين تعني السكينة والطمأنينة معهم، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾
(المائدة: ٥٤)

وقال ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (البخاري) وقال ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (أبو داود)

ولقد حض الإسلام ذوي الأرحام بجانب كبير من واجب الرحمة، قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، [illegible] ومن قطعها قطعه الله» (الترمذي)

[illegible] القوية الدائمة والتي لا تنقطع. كما أمرنا ديننا الحنيف بالرحمة والبر بالوالدين، قال تعالى:

﴿ [illegible] رَّحْمَةِ [illegible] كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾
(الإسراء: ٢٤)

كما أمرنا ديننا الحنيف بالرحمة بالأبناء والزوجة، فعن أبي هريرة [illegible] الأقرع بن حابس التميمي [illegible] لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا قط! فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «من لا يرحم لا يرحم» (البخاري)

كما أمر الإسلام بالرحمة باليتامى والإحسان إليهم ورعايتهم الرعاية الكاملة وكفالتهم الكفالة الصحيحة؛ فعن أبي هريرة أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين» (أحمد)

وفي رواية: أن رجلاً جاءه يشكو قسوة قلبه، فقال له: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك» (الطبراني).

كما أمرنا الإسلام بالرحمة بالمرضى والضعفاء وذوي الحاجات وذوي العاهات [illegible] من الله حقيق برحمته جدير برحمة البشر وتقديم العون والراحة له بكافة الوسائل والتعابير وألا تقسوا عليه أبدًا.

وتمتد الرحمة في الإسلام إلى الخدم، حيث أوجب الإسلام علينا معاملة الخدم بالحسنى واللين والرأفة والرحمة والرفق، فعن أبي مسعود البدري: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي:

... فلما فهمت ... من الغضب ... فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فقلت يا رسول الله.. هو حر لوجه الله تعالى فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار» (مسلم).

كما تمتد الرحمة فى الإسلام إلى الرحمة والرفق بالحيوان.. قال رجل: يا رسول الله.. إنى لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: «إن رحمتها رحمك الله» (الحاكم).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (البخارى).

وفى رواية ... يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها، فغفر لها به» (مسلم).

تعقيب على: هل الذكر بعد الصلوات سرا.. أم جهرا..؟

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ أحمد على أحمد الأحمر - وكيل وزارة بالمعاش - قرسوط - قنا:

قال تعالى:

﴿ ... ﴾

(الأحزاب: ٤١ - ٤٢)

وأشار القرآن الكريم إلى أن من صفات المنافقين أنهم:

﴿ ... ﴾

(النساء: ١٤٢)

وقال ﷺ: «سبق المفردون. قالوا وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» (رواه مسلم وأحمد).

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة إلى أن قال: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» (أخرجه البخارى فى صحيحه والحاكم فى المستدرك).

وعن ثوبان رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: «إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» (رواه مسلم).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون فقال: «ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم.. قالوا بلى يا رسول الله قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين» ولم يشر الحديث إلى صفة ذلك الذكر جهرا أم سرا.. فإذا انتهت الصلاة فأى الناس يشغل بالذكر جهرا؟ لا أحد طبعا ثم أليس فى الذكر إذا كان جهرا تعليم للجاهل وإرشاد للغافل ومزيد خير للمصلى، الكثير من الناس ينصرف مباشرة بعد الصلاة إذا لم يكن هناك ذكر جهرى، ثم ومتى يذكر وهو يجرى وراء الدنيا جرى الوحوش؟

روى سيدنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه «يعقد التسبيح على أصابع يده اليمنى».

وإذا كان المفسرون الفضلاء قبلنا قالوا فى قول الله تعالى:

﴿ ... ﴾

(الإسراء: ١١٠)

المراد بالصلاة الدعاء فلماذا نخافت فقط ولا نجهر بالذكر والدعاء لتعليم الجاهل.

ثم والحديث النبوى الذى رواه كعب بن عجرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثا وثلاثين تسبيحة وثلاثا وثلاثين تحميدة وأربعا وثلاثين تكبيرة» (رواه مسلم).

فلماذا التشنج فى أمر له أصل من الكتاب والسنة؟ وليس كل شىء فعل بعد رسول الله يطلق عليه «بدعة» مادام له أصل من الكتاب والسنة بل على الأقل «بدعة حسنة» والرسول ﷺ يقول: «مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكره مثل الحى والميت» (البخارى).

فهل نريد موتا لقلوبنا وعاداتنا؟ ألا تكفينا الغفلة ... [illegible]

وأخيــــرا

وآخر ما نحتويه بريد القراء لهذا العدد هى رسالة الأستاذ الفاضل «عبد القادر الإدريسى» مدير الإعلام فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) - الرباط - المغرب معلقا على العدد السابق من مجلة الأزهر (عدد شهر ذى الحجة ١٤٣٢هـ):

الأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد عمارة،

رئيس تحرير مجلة (الأزهر) القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فقد اطلعت على العدد الجديد من مجلتكم الزاهرة (الأزهر)، فوجدته دسما، حافلاً، مشرقاً، متميزاً عن الأعداد السابقة، يعطى صورة واضحة عن التطور ... [illegible] ... الفكر الإسلامى الحديث والمعاصر ... [illegible] ... العدد، فهو اختيار موفق ومناسب موضوعا وزمنا. وأشكر للمجلة نشرها مجموعة من أخبار الإيسيسكو.

زادكم الله توفيقا، وزاد مجلتكم الراقية تألقا، وحفظكم لى أخا عزيزا، وأستاذا قدوة، ومفكراً أستنير بفكره المستنير، وأستفيد من ... [illegible]

وتفضلوا بقبول فائق التقدير وبالغ الاحترام وخالص المودة.

فضيلة الشيخ محمد عبد العزيز واصل فى ذمة الله

توفى إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ/ محمد عبد العزيز واصل وكيل الأزهر الشريف يوم الأربعاء ٢٠ من ذى الحجة ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٠١١/١١/١٦م وأسرة تحرير مجلة الأزهر تنعى فضيلة الشيخ ببالغ الحزن والأسى. تغمد الله الشيخ فى رحمته وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله الصبر والسلوان.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذ/ محمد عبد المجيد حسن
مدير عام العلاقات العامة بمكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر



[illegible] الأزهر [illegible] في مصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه يوم الخميس الموافق ١٣ / ١٠ / ٢٠١١ معالي الدكتور عصام شرف رئيس مجلس الوزراء، حيث تم خلال اللقاء استعراض وقراءة الأوضاع في مصر في هذه المرحلة الدقيقة. حيث دعا فضيلة الإمام الأكبر المجتمع المصري كله إلى التماسك والتوحد حول الوطن وتفويت الفرصة على كل من يريد به سوءًا، مذكرًا بتعدد هذا الوطن الذي يتجلى في المواقف الصعبة وأهمية ذلك في هذه المرحلة الدقيقة من حياتنا.

ومن جانبه أكد رئيس الوزراء على ثقته في نشاط بيت العائلة المصرية وما نتج عن اجتماعه الطارئ من بيان أصدره مجلس بيت العائلة.. وأبدى اقتناعه بوثيقة الأزهر وردود فعلها في مصر والكثير من بلدان العالم.



في لقائه بخطيب المسجد الأقصى
الإمام الأكبر يؤكد على أهمية الوحدة الوطنية الفلسطينية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب شيخ الأزهر يوم الخميس الموافق ٢٠١١ / ١٠ / ١٣ خطيب المسجد الأقصى الشيخ الدكتور / يوسف جمعة سلامة، وقد شرح سعادته لفضيلة الإمام الأكبر الوضع في القدس بصفة عامة ووضعية المسجد الأقصى بصفة خاصة.

وقد ركز فضيلة الإمام الأكبر على موضوع المصالحة الفلسطينية، فقال: إن الباب الوحيد الذي يدخل منه الكيان الصهيوني للمسجد الأقصى هو باب الفرقة، فينبغي ويجب سد هذا الباب بالأقفال المحكمة والاعتصام والوحدة الصادقة والجادة بين السلطة الفلسطينية وحماس وبقية الفصائل الفلسطينية، والمبادرة إلى إتمام هذه الوحدة الوطنية دون إبطاء وتردد، وكفى ما ضاع من وقت على هذه القضية المحورية والمصيرية.

كما هنأ فضيلة الإمام الأكبر حماس وسائر الأخوة الفلسطينيين بما تحقق من تحرير بعض أسرانا ونسائنا المجاهدات من إسر العدو الغاشم، ودعا الجميع إلى عدم نسيان رجالنا الباقين في سجون الاحتلال البغيض، ليعودوا إلى خدمة مجتمعهم وبناء دولتهم المستقلة بإذن الله تعالى وعاصمتها القدس الشريف.

وبمناسبة الكلام عن صندوق النقد الدولي والمساعدات العربية ذكر فضيلة الإمام أنه يتحفظ على المساعدات المالية المشروطة بالشروط التي تمس الثوابت للشخصية المصرية، وأن الأزهر الشريف يرفض كل الإملاءات من أي طرف كان، ونحن نرضى أحيانا بأخذ الأدنى من الرفاهية ولكن مع الاحتفاظ بشخصيتنا وهويتنا.

وبمناسبة الكلام عن الحراك الحزبي في مصر قال فضيلته: إن التعددية الحزبية ظاهرة صحية، وأنا لا يزعجني كثرة الأحزاب لأنني على يقين بأن الأحزاب التي لا جذور لها في الواقع ستسقط وتبقى الأحزاب الفاعلة التي تعبر فعلا عن مال الجماهير وهي التي ستستمر وتساهم في تشكيل الحياة السياسية المستقبلية

ويستقبل رئيس لبنان الأسبق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر – بمكتبه يوم الأحد الموافق ٢٠١١/١٠/١٦م رئيس لبنان الأسبق أمين الجميل، حيث تناول اللقاء دور الأزهر في معالجة كثير من القضايا المصرية والعربية، وتم التباحث في موضوع الثورات العربية وكيفية ترشيدها، حيث أبدى فضيلة الإمام تقديره للدور الذي يلعبه السياسيون المخلصون في لبنان من أجل تهدئة الأوضاع في المنطقة، وأكد أنه على يقين من أن الشرق العربي سيتخطى هذه المرحلة بنجاح وسيخرج منتصرا بإذن الله نحو آفاق الحرية والديمقراطية.

وأبدى فضيلة الإمام استعداد الأزهر لاستضافة مؤتمر عام للكنائس الشرقية (المسيحية العربية) لتأكيد سلامة العيش المشترك والمتجذر في المجتمعات الإسلامية منذ ١٤ قرنا.

وطلب أمين الجميل من الإمام الأكبر التدخل لمعالجة مشكلات العراق وسوريا ولبنان أيضا، حيث إن هذه البلدان في حاجة ملحة لحكمة الإمام الأكبر الرصينة في معالجة الأمور بعقلانية وأثبتت جدواها في الأحداث المصرية.





الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس وزراء إنجلترا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب – شيخ الأزهر – في ١٠/ ١١/ ٢٠١١م سعادة نائب رئيس وزراء إنجلترا السيد / نيك كليج.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته وعبر عن أن الأزهر الشريف منفتح على العالم لأنه يؤمن بأن من مهمات الأزهر الحرص على التعارف بين الشعوب والأمم وتشجيع العيش المشترك الآمن بين بني البشر. كما أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر يتفهم قلق الشباب العربي بصفة عامة والشباب المصري بصفة خاصة، لأن حماسة الشباب قد تؤدي أحيانا إلى المبالغة في الثورة، ثم سرعان ما يتوقف ولكن يؤمن بأن مصر مع بعض الهدوء ستمضي في الطريق السليم للوصول إلى بر الأمان. وذكر الإمام الأكبر أن الأزهر يستعد لعهد سياسي جديد وعلى الدول المتقدمة وعلى رأسها بريطانيا أن تساهم في النهوض الاقتصادي للدول النامية. وأن الشعب المصري يقول كلمته بحرية بدون قيود لأنه حقق بثورته السلمية مكاسب كبرى، ونحن نرى أنه يوجد سيولة حزبية في الساحة بمصر، ونأمل قدر الاستطاعة في توجيه الجماهير للمشاركة الفعالة. وأنه على يقين بأن الجماهير الكبرى في مصر قادرة على تحقيق الديمقراطية، ونحن نثق في قدرة الشعب المصري على تحقيق كل آماله في الحرية والديمقراطية والعيش الكريم.

وتحدث سعادة نائب رئيس الوزراء عن أهمية المرحلة الانتقالية في مصر وأهميتها في الانتقال الديمقراطي السليم وذكر أن بريطانيا والاتحاد الأوروبي يحرصون على تقديم الدعم الكامل لمصر في هذه المرحلة الحرجة وفقا لخطط مدروسة.



[illegible]

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شهدت قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الاحتفال بتخريج الدفعة الثانية من طلاب الكليات الشرعية الدارسين في المركز البريطاني بجامعة الأزهر والذى تم إنشاؤه منذ ٦ سنوات وذلك يوم الاثنين الموافق ١٧ / ١٠ / ٢٠١١ .

وحصل الخريجون على شهادة مزدوجة لحصولهم على درجة الليسانس في مادة التخصص، وكذلك إتقانهم اللغة الإنجليزية من خلال تدريبهم بمركز الأزهر للتدريب وتعليم اللغة الإنجليزية

يذكر أن المركز تم إنشاؤه بمبادرة من جامعة الأزهر بهدف التواصل والانفتاح على العالم الخارجي، وقد تم العمل في المركز على مدى ثلاث سنوات على محورين أساسيين الأول: تدريب الطلاب على مهارات اللغة الإنجليزية تمهيدا لإتقانها لتمكينهم من نشر المنهج الوسطية والفهم الصحيح للإسلام الذى تميز به الأزهر على مر التاريخ، أما الثاني: تدريب خريجي كلية اللغات والترجمة من قسم اللغة الإنجليزية وكلية الدراسات الإسلامية للبنات الذين يرغبون في إعداد أنفسهم كمدرسين للغة الإنجليزية حتى يتمكن الأزهر من بناء موارده البشرية الخاصة به تمهيداً لإدارة المركز بدءاً من العام القادم.

إضافة إلى رفع مستوى خريجي كليات العلوم الإسلامية وتمكينهم من المساهمة في ترسيخ الصورة الصحيحة عن الإسلام بمنهجه الوسطي دون غلو أو تفريط وتوسيع فرص الخريجين في الحصول على منح دراسية و ستكمال دراستهم العليا بالجامعات الكبرى بالخارج مما يساعدهم على عبور الفجوات بين الثقافات من أجل عالم يسوده العدل والسلام والتعاون.

اتفاق تعاون بين الأزهر وفرنسا

شهدت مشيخة الأزهر الشريف في ١٢ / ١٠ / ٢٠١١ م توقيع اتفاقية تعاون بين الأزهر الشريف ويمثله فضيلة الإمام الأكبر وبين جمهورية فرنسا ممثلة في سفيرها السيد / جون فيليكس باجانون، والمعهد الفرنسي بمصر ويمثله السيد / جون بيير دوبلر -مستشار التعاون والنشاط الثقافي الفرنسي.

حيث سيتم بمقتضى هذه الاتفاقية إنشاء مركز فرنسي لتعليم اللغة الفرنسية بجامعة الأزهر ابتداء من شهر نوفمبر ٢٠١١ وخصوصا للطلاب المتميزين في كليات الأزهر الدينية الإسلامية لتأهيلهم للبحث العلمي في جامعات الغرب في التخصصات التي يحتاج إليها الأزهر ومصر، في إطار عالمية الأزهر ووسطيته ونشر الدعوة الإسلامية وتمكين خريجي الأزهر من التفاهم والحوار مع الغرب بلغته.

وأكد الإمام الأكبر على أن هذا التعاون العلمي بين الأزهر وجامعات فرنسا ليست جديدا وليس وليد اليوم، وإنما هي عودة إلى تقليد اتخذه الأزهر الشريف منذ زمن طويل، وكان الكثير من رموز الأزهر، بل ومن شيوخه الكبار يجمعون بين منهج العلوم الإسلامية الأزهرية وبين منهج الجامعات الكبرى في فرنسا وأشار السفير إلى أن فرنسا تنتظر من المبعوثين الأزهريين إلى فرنسا أن يساهموا في تعليم اللغة العربية في الجامعات الفرنسية.

وقد أكد سفير فرنسا سعادته واستعداد فرنسا الكامل لإرسال طلابها المتخصصين في علوم الإسلام للدراسة في قسم خاص بذلك في جامعة الأزهر لتأهيلهم خصوصا في اللغة العربية ليستطيعوا استيعاب العلوم الأصلية، كما اتفق الطرفان على ضرورة توسيع دائرة التعاون العلمي والبحثي بما يلبي حاجات الجانبين.

وفي النهاية أبدى السفير ومعه الوفد الفرنسي إعجابه بوثيقة الأزهر التي يرى أنها تمثل اليوم أساسا لتحديد توجهات مصر نحو الحرية والديمقراطية والعدالة مع الحفاظ على القيم الدينية العليا.





الإمام الأكبر يستقبل الدكتور بطرس غالي

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف يوم الاثنين الموافق ١٧ / ١٠ / ٢٠١١م الدكتور بطرس بطرس غالي رئيس منظمة حقوق الإنسان بجمهورية مصر العربية وتطرق الحديث عن وضعية حقوق الإنسان في مصر بصفة خاصة، وعن ضرورة حماية حقوق المواطن العربي بصفة عامة.

حيث قال الإمام الأكبر: ينبغي أن نشجع كل المحاولات التي تُقَوِّم العولمة، وأمريكا تعاني الآن في كل مكان. وهذا أمر واضح كل الوضوح ولا بد أن نحمي حضارتنا. لأننا أصحاب أخلاق وقيم ودين. إن حضارتنا تقدم مصادر دينية وقيمية تعكس حضارة غربية في نقودها المصلحة والحرية الشخصية. ونحن نحتاج إلى بعث جديد في الشرق. حياة بكل معنى الكلمة. جديدة في الثقافة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك. وهذا لا يكون إلا بالعمل الجاد والمستمر والمستقل.

ثم شرح الإمام الأكبر لضيفه الدكتور بطرس غالي قانون المساجد لسنة ٢٠٠١م وأوضح رأي بيت العائلة في هذا الموضوع.

وبمناسبة الكلام عن حقوق الإنسان قال الإمام الأكبر إن حقوق الإنسان ينبغي ألا تكون مصادمة لمقدساتنا وكثير ممن يتشدقون بالدفاع عن حقوق الإنسان يجعلونها ورقة ضغط في ظل العولمة. ولو فتح باب حقوق الإنسان بمفهومه الغربي لعاش حريات الغير وهذا متفق عليه

مثل بنى قضيته وهمه مصر. فليس كل ما هو حق للإنسان الغربي هو حق للإنسان العربي أو المسلم. والعكس صحيح.

ويرى الإمام أن ثقافة التركيز في نيويورك لا ينبغي أن نقودها في الشرق، فلدينا من الثقافة والقيم والتاريخ ما يعصمنا من الانقياد والذوبان.

وبمناسبة الكلام عن الوضع السياسي في العالم العربي قال الإمام إن السياسة في العالم العربي من أسف هي سياسة ردود أفعال. ليس لدى ساستنا رؤية مستقبلية واضحة، وهذا ما حاولنا استدراكه في وثيقة الأزهر.

اجتماع مجلس بيت العائلة

• عقد مجلس بيت العائلة المصرية يوم الأحد الموافق ١٦ أكتوبر سنة ٢٠١١ بمشيخة الأزهر الشريف وممثلي كل الكنائس المصرية من أعضاء بيت العائلة.

ورحب الجميع بقرار السيد رئيس الوزراء باعتماد اللائحة الأساسية لبيت العائلة المصرية هيئة قومية عليا مشتركة.

وتمت مناقشة قانون بناء دور العبادة بعد أن قرئت مواده على الحاضرين، وبعد دراسته بالتفصيل. اتفق كل الحاضرين على أن من الأفضل اعتماد شروط تنظيم بناء المساجد الموجودة فعلا من سنة ٢٠٠١م واعتماد الأمر وتنظيمه بشأن الكنائس وتوفيق أوضاع الكنائس المبنية وأما الكنائس المغلقة التي صدرت لها تراخيص فقد أوصى المجلس بضرورة إعادة فتحها والكنائس القائمة التي لم تصدر لها تراخيص يتم الترخيص لها بعد توفيق أوضاعها.





الإمام الأكبر: السودان يمثل العمق الاستراتيجي لمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الدكتور علي عثمان طه النائب الأول للرئيس السوداني والوفد المرافق له، حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن السودان هو العمق الاستراتيجي لمصر، حيث نشرب من معين واحد وهو نهر النيل وعلاقة الأزهر بالسودان من أقدم العلاقات الدبلوماسية العادية بين الدولتين، مبديًا استعداد الأزهر للتعاون مع السودان من أجل نهضة إسلامية حقيقية تقوم على الوسطية والاتزان لتحقيق المقاصد العليا للأمة.. كما أكد فضيلته أن الأزهر هو مجمع الفكر الإسلامي المستنير والمكان الذي يدرس فيه المذاهب الأربعة السنية على قدم المساواة، وأشار إلى أن الأزهر يحافظ على التعددية المذهبية، حيث يرعى الجميع دون تحيز أو إقصاء، كما أبدى استعداده لإمداد السودان بالكوادر اللغوية والشرعية وزيادة المنح الدراسية في التخصصات الشرعية والعلمية.. وقال إن مصر في مرحلة الخروج من عنق الزجاجة وقد حققت الثورة الكثير من المكاسب، وحث الإمام الأكبر السودانيين على المحافظة على روح التسامح الديني الموجود بين الجماهير ودعاهم لليقظة والحذر من مخططات الغربية التي تعمل في بلادنا من أجل إثارة النعرات الأثنية والطائفية. وتطرق اللقاء لقضايا التعليم في العالم العربي والإسلامي وأبدى شيخ الأزهر استياءه للحالة المتدهورة للتعليم بكل أشكاله في العالمين العربي والإسلامي، مؤكدًا ضرورة النهوض بالبحث العلمي، وتطوير مناهج التعليم. وطالب فضيلته بضرورة توفير مصادر القوة التي تتوحد في العالم الإسلامي من فكر ونشر ومناهج وطبيعة. وموقع استراتيجية. إلا أن غياب الإرادة وحسن التخطيط والإخلاص والنزاهة آفات لم نستطع حتى الآن التخلص منها.

ومن جانبه أكد نائب الرئيس السوداني على ضرورة تشجيع العلاقات بين الشعبين المصري والسوداني إضافة للعلاقات السياسية وجميع العلاقات وأبدى حرص السودان على استعادة مصر للاستقرار ومكانتها الطبيعية في الأمة العربية والإسلامية. وأكد أن الأزهر هو المرجعية الدينية العليا في العالم الإسلامي وإنه يؤيد الدور الذي يؤديه الأزهر في هذه المرحلة كما أداه من قبل عبر التاريخ الطويل. وأكد على ضرورة أن يقود الأزهر برسم السياسة الكبرى لمصر والعالم العربي والإسلامي بكل ما تحتويه من منظومات تربوية وثقافية واجتماعية ودينية مبديًا استعداد السودان للوقوف بجانب الأزهر في اجتهاداته لتجديده لفكر الأمة ووجه دعوة رسمية لشيخ الأزهر لزيارة السودان.

وفي الختام ثمن الوفد دور الأزهر الطليعي وطلبوا من الأزهر أن يتولى رسم الخريطة المستقبلية لإصلاح المناهج التعليمية حتى نقطع الطريق أمام الذين يريدون التدخل في الشأن الداخلي في العالم العربي والإسلامي، ونقف دون الإملاءات المفروضة الخارجية التي تريد بنا التبعية المطلقة.

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج طلاب تايلاند

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الاحتفال الذي نظمته سفارة تايلاند بتخريج دفعة جديدة من طلابها الدارسين في جامعة الأزهر وعددهم ٦٥ طالبًا وطالبة.

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة للطلاب الخريجين هنأهم فيها بالنجاح والتفوق وقدم لهم عدة نصائح أولها أن التخرج لا يعني أنهم أصبحوا علماء، لأن طلب العلم طريقه طويل ومن يعتقد أن طلب العلم له نهاية فهو واهم. فطلب العلم من المهد إلى اللحد والشهادة ما هي إلا مفتاح للتعمق والتبحر في العلوم الإسلامية.

وقال فضيلته: إن الرحلة إلى طلب العلم هي التي أثرت الحضارة الإسلامية في القديم وفي المأثور «اطلبوا العلم ولو في الصين» والمقصود هو السعي في طلب العلم ولو كان في أقصى الأرض.

والنصيحة الثانية: هي أنه ينبغي على جميع الخريجين أن يكونوا خير قدوة ومثال لنموذج المسلم الصادق ودعاة خير لوطنكم ولكل الإنسانية بمنهج وسطي معتدل لأن حضارة الإسلامية حضارة متصالحة مع الغير أي أننا نرجو الإصلاح للكل ولا نتصادم مع الآخر.

وأنهى فضيلة الإمام نصائحه للطلاب بأن يبتعدوا عن كل المذاهب المتشددة التي تقصي الآخر وتتعصب للرأي الواحد والمذهب الواحد وأن تكون تقوى الله هي منهجهم في العودة وأن يبتعدوا عن كل ما حرم الله ورسوله وأن يلتزموا بآداب الإسلام.

حضر الاحتفال شاليت مانيتياكول سفير تايلاند بالقاهرة.



الإمام الأكبر يستقبل سفير إيطاليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف يوم الأربعاء الموافق ٢٦ / ١٠ / ٢٠١١ السيد / باشيكو سفير إيطاليا بالقاهرة والذى أبلغ فضيلة الإمام الأكبر برسالة شفوية من رئيس جمهورية إيطاليا والسيد رئيس وزراء إيطاليا بدعمهم الكامل للدور الذى يقوم به الإمام الأكبر فى نشر صحيح الإسلام ووسطيته. وأضاف السفير أن إيطاليا ترى أن الدور المهم الذى يقوم به الأزهر يؤدى إلى تحقيق السلام ليس فى مصر فحسب، بل فى العالم الإسلامى، والعالم كله، وقدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر دعوة لزيارة إيطاليا للالتقاء بالسادة المسئولين فى إيطاليا وبالمسلمين فيها والذين يبلغ عددهم مليون مسلم تقريبا ووعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذه الدعوة.

وتم الاتفاق مع السيد / باشيكو سفير إيطاليا على أن تقوم إيطاليا بدعم المدارس اللغوية التابعة للأزهر الشريف دعما فنيا وتقنيا وبعدد من الأساتذة من إيطاليا للتدريس فى هذه المدارس والاستمرار فى دعم كليات طب الأسنان والتمريض. كما تم الاتفاق على تشكيل لجنة من الأزهر والسفارة الإيطالية لبحث تنمية التعاون العلمي والتقني بين الأزهر وإيطاليا.

كما رحب فضيلة الإمام الأكبر برغبة سفير إيطاليا فى إيفاد بعض الأئمة المسلمين فى إيطاليا للدراسة فى برامج قصيرة بالأزهر الشريف بالقاهرة، كما أكد سفير إيطاليا دعم رئيس إيطاليا ورئيس الوزراء وتأييدهم الكامل لوثيقة الأزهر الشريف والتى سيتم ترجمتها إلى اللغة الإيطالية

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / عبد الموجود أمين



اجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية

ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية مقترح المرسوم بشأن تنظيم قواعد وشروط بناء دور العبادة بجلسته التى عقدت يوم الإثنين الموافق ٤ من ذى الحجة ١٤٣٢هـ الموافق ٣١ أكتوبر ٢٠١١م وبعد دراسة الموضوع ومناقشته مستفيضة من جميع جوانبه وافق مجمع البحوث الإسلامية على ما يلي

أولا: فيما يتعلق بقواعد وشروط بناء المساجد يرى المجلس الاكتفاء بقرار مجلس الوزراء الصادر فى ١٧ / ١٠ / ٢٠١١م

ثانيا: فيما يتعلق ببناء دور العبادة لأتباع الديانتين المسيحية واليهودية.

يعدل عنوان المشروع ليكون مرسوم بقانون رقم ( ) لسنة ٢٠١١م بتنظيم قواعد وشروط بناء دور العبادة للديانتين المسيحية واليهودية

ويرى المجلس صلاحية مشروع القانون المقترح بعد إجراء بعض التعديلات عليه.

مركز السنة والسيرة

كما تمت الموافقة على تفعيل مركز السنة والسيرة النبوية، لدى أنشأ بقرار جمهورى.. وصرح الشيخ على عبد الباقى الأمين العام للمجمع أن المجمع رأى بأن السنة قتلت بحثا من ناحية الرواية ولم تستخدم مطلقاً من ناحية الدراية، بالمدلولات وفقه الحديث والمعنى والنسب فى الرواية إلى رسول الله وأسباب ورود الحديث.

وأكد الشيخ على عبد الباقى أنه سيتم تفعيل هذا المركز من خلال لجنة تشكل لبحث السنة النبوية لتحدد الأهداف والغاية لإنشاء هذا المركز مرة أخرى بالإضافة إلى قيام المركز ببحث القضايا والمشاكل المعاصرة الخاصة بالسنة النبوية وكذلك القضايا المذهبية

مسابقة البعوث الاسلامية

- تم الإعلان عن المسابقة العامة للابتعاث للعام ٢٠١٢/ ٢٠١٣م من السادة:

(١) العاملين فى مجال التدريس والوعظ بالأزهر من حملة المؤهلات العليا.

(٢) خريجى كليات جامعة الأزهر الذين يجيدون إحدى اللغات الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) من مدرسى العلوم الدينية والعربية العاملين بالأزهر الشريف.

- كذلك تم الإعلان عن مسابقة ابتعاث شهر رمضان للعام الهجرى ١٤٣٣هـ

على أن يكون المتقدم من المقيدين على درجة مالية بموازنة الأزهر الشريف ومستوفيا الشروط ويكون قد أمضى فترة لا تقل عن عشرين عاما فى العمل وألا يكون قد سبق له الابتعاث فى شهر رمضان ومستوف الشروط التى حددتها الإدارة العامة للبعوث الإسلامية.

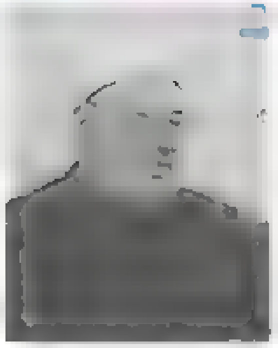
كما علمنى عمر

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «كما علمنى عمر» للأستاذ محمد عبدالرحمن عبداللطيف ويقع الكتاب فى ٢٨٦ صفحة من القطع الصغير، قدم فيه الكاتب الدراسة الجادة الخصبة وبأسلوب سهل فى المنهج والتحليل وقد تناول فيه شخصية الخليفة الثانى للرسول ﷺ الذى أثبت فيه أنه - رضى الله عنه - مثل إسلامى فريد فى الإسلام وفريد فى التاريخ، وأنه استطاع أن يوائم بين التجارب التى حاول ويحاول فيها البشر أن يقيموا دولا وممالك تنظم شعوبهم وتضع القواعد والنظم التى تكفل العدالة الاجتماعية لبنى البشر وبين الحرية التى تمثل حافز الإبداع فى حياة الأفراد. لقد وائم هذا الصحابى الجليل العادل بين هذين المتضادين وأقام عدلا اجتماعيا مثاليا يفوق ما وصلت إليه التجارب الاجتماعية الحديثة والقديمة. وفى نفس الوقت كان حريصا - رضى الله عنه - على الحرية الشخصية بين أفراد رعيته

الكتاب جدير بالقراءة ويجعل القارئ يستمتع ويستمتع فى آن واحد بما سطره التاريخ فى تلك العلاقة بين العدالة الاجتماعية والحرية الشخصية وكيف تواءم بينهما فى نظام هذا الصحابى الجليل عمر بن الخطاب سياسيا واجتماعيا.

أنباء العالم الإسلامى

الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين يؤيد وثيقة الأزهر



يوسف القرضاوى

أشاد الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين بالبيان الذى أعلنه الأزهر الشريف والذى يتضمن تأييد الشعوب العربية فى المطالبة بحقوقها المشروعة فى تحقيق الحرية واحترام حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع والتى ورد فيها أن أى مواجهة لاحتجاج سلمى بالقوة والعنف هو نقض لميثاق الحكم بين الأمة وحكامها إلى آخر ما ذكر للناس فى هذه الوثيقة المباركة.

ووجه الشيخ يوسف القرضاوى رئيس الاتحاد رسالة للإمام الأكبر قائلا: هذا هو الموقف المنتظر من الأزهر الشريف المعهد العتيق الذى حمل راية الإسلام لأكثر من ألف عام وهذا هو الموقف المنتظر من إمامه الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الذى نرجو أن يستعيد الأزهر مكانته القديمة تحت لوائه والذى تثبت مواقفكم الكريمة يوما بعد يوم أنكم - إن شاء الله - فاعلون شكر الله لكم وجزاكم عن دينه وأمته خيرا.

٦٢ نفقا بمكة تنجح فى انسيابية المرور بالمشاعر المقدسة خلال الحج

أسهمت شبكة الأنفاق التى نفذتها حكومة خادم الحرمين الشريفين والتى تخترق جبال مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والبالغ عددها أكثر من ٦٢ نفقا فى نجاح منظومة الحج لهذا العام

ومهولة الحركة المرورية من وإلى المشاعر المقدسة ومكة المكرمة وبالعكس، حيث أسهمت في انسيابية الحركة المرورية وإعطائها المرونة اللازمة في التنقل إضافة إلى اختصار المسافات والوقت.

وهيأت أمانة العاصمة المقدسة هذه الشبكة من الأنفاق لخدمة حجاج بيت الله الحرام وخصصت عشرة أنفاق للمشاة والباقي للسيارات وتبلغ أطوالها الإجمالية أكثر من ٣٠ كيلو مترا وهي تحتوي في مجملها على أكثر من ٤٨ ألف وحدة إنارة و٤٥١ مروحة نفاثة و٣٦ مولدا احتياطيا وتحتوي كذلك عددا من مصحات المياه وشبكات إطفاء الحريق والحساسات وأنظمة الحاسب الآلي وغيرها إضافة إلى نفق السوق الصغير.

وشكلت الأمانة عددا من الفرق الفنية لمتابعة سلامة الأنفاق وتقوم الفرق الفنية بمتابعة صيانة الشبكات الكهربائية والمصابيح وأجهزة الإنذار والحريق وتتفقد عناصر الشبكة وجميع مكوناتها من إضاءة وأنظمة تهوية وإطفاء ووسائل وغيرها.

الهيئة العالمية للتعريف بالرسول تدين بشدة سخرية مجلة فرنسية من النبي

أدانت الهيئة العالمية للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم بشدة ما نشرته إحدى المجلات الفرنسية من سخرية بالنبي ووصفتها بأنها قمة في الإساءة والاستخفاف برسول الله.

وقالت الهيئة «إحدى المؤسسات المنبثقة عن رابطة العالم الإسلامي» في بيان لها: إن المواثيق الصحفية العالمية تمنع من الطرح الساخر القائم على أساس عنصري أو على أساس الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الأصل الاجتماعي، وأضاف البيان إنه لن المستغرب أن تتبنى المجلة المشار إليها هذه الإساءة البغيضة في وقت تحشد فيه الجهود والطاقات من قبل عقلاء قادة العالم من مسلمين وغيرهم من أجل عالم يسوده التواصل الإنساني والاحترام المتبادل بين أتباع الديانات والثقافات في العالم أجمع.

ودعت - الهيئة وانطلاقا من مسئولياتها- القائمين على المجلة المشار إليها وعموم العاملين في المجال الإعلامي إلى الكف عن الأساليب المسيئة وأن تعمل على احترام معتقدات الشعوب وبخاصة ما يتعلق بجانب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وطالبت الهيئة في بيانها المسلمين الالتزام بالنهج النبوي الكريم في الاستنكار وفق الضوابط الشرعية مع مراعاة الحكمة.

يذكر أن مجلة فرنسية أسبوعية مغمورة خصصت عددا يتضمن سخرية واستخفافا برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام.

المسلمون يغيرون أسماءهم إلى غربية .. هربا من الملاحقات الأمنية

كشف تقرير سري أعدته الشرطة الفيدرالية الأمريكية أن المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة مضطرون لتغيير أسمائهم الإسلامية والعربية إلى أسماء غربية هربا من الملاحقات الأمنية المستمرة.

أشارت صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية التي سربت التقرير إلى أن الشرطة الأمريكية في نيويورك تعمل على تعقب المسلمين الذين يعيشون في نيويورك حتى لو غيروا أسماءهم التقليدية، حيث تعاملهم أجهزة الأمن الأمريكية على أنهم إرهابيون حتى تثبت براءتهم.

وفي محاولة لرصد كل المسلمين الذين يغيرون أسماءهم، قامت وزارة العدل الأمريكية بتكوين وحدة قضائية خاصة على مستوى كل الولايات الأمريكية لرصد حالات تغيير الأسماء وإبلاغ البوليس الفيدرالي الأمريكي لاتخاذ الإجراءات المناسبة حيال كل مسلم يغير اسمه.

الطريف أن الأمن الأمريكي اعتقل يهودية تبلغ من العمر ٧٥ عاما ظنا منهم أنها من جذور عربية بسبب أن اسمها سارة وظلت السيدة اليهودية قيد الاحتجاز وعوملت بقسوة شديدة حتى تدخلت القنصلية الإسرائيلية في نيويورك وكشفت عن هويتها الحقيقية وهي أنها يهودية أمريكية تحمل أيضا الجنسية الإسرائيلية.

أوضاع مسلمي أوروبا في لقاء بمكة



عبدالله تركي

التقى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله التركي بعدد من الشخصيات الإسلامية العالمية الذين أدوا مناسك الحج، حيث التقى مع رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في ألمانيا الدكتور نديم إلياس وبحث معه أنشطة الحوار التي ينفذها المجلس هناك، كما تم استعراض خطط عمل لتشجيع الحوار بين أتباع الحضارات المختلفة في أوروبا وذلك بالتعاون مع الرابطة.

كما بحث الدكتور التركي مع المفتي العام للمسلمين في فنلندا الشيخ وليد حمود تنسيق الجهود بين دار الافتاء في فنلندا والمراكز والجمعيات الإسلامية لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين.

واطلع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي على الأوضاع في القدس المحتلة والمخاطر التي يتعرض لها المسجد الأقصى ومؤامرات التهويد التي تقوم بها إسرائيل وذلك خلال لقائه مع الدكتور إسماعيل نواهضة الأستاذ في جامعة القدس وخطيب في المسجد الأقصى.

وأجرى التركي حوارا مع وفد دعاة لبنان برئاسة الشيخ محمود الأسمر حول القضايا

المتعلقة بتوجيه الشباب المسلم نحو وسطية الإسلام، وذلك في ضوء مقاصد نهج الدعوة. وأكد الجانبان ضرورة إبراز محاسن الإسلام من خلال الدعوة إلى الوسطية الإسلامية ونشرها في مختلف أرجاء العالم.

القس الذي أحرق نسخة من القرآن يترشح لرئاسة أمريكا!!

أعلن القس الأمريكي «تيري جونز» الذي أحرق في مارس ٢٠١١م نسخة من القرآن الكريم في كنيسته بفلوريدا أنه ينوي الترشح للانتخابات الرئاسية الأمريكية المقررة عام ٢٠١٢.

يرفع القس جونز في برنامجه الرئاسي وعنوانه «انهضي أمريكا» شعار تحقيق التوازن في الميزانية العامة للحكومة الفيدرالية وتقليص الضرائب الفيدرالية بشكل كبير وتقليص ميزانية الدفاع والتصدي للبيروقراطية وإعادة الجنود الأمريكيين الذين يقومون بمهمات في الخارج وطرد جميع المهاجرين غير الشرعيين فورا.. وقد أثار حرقه لنسخة من القرآن الكريم موجة من التظاهرات الاحتجاجية في العالم وخصوصاً في أفغانستان ومن بين تلك التظاهرات العنيفة واحدة جرت في الأول من إبريل في مزار شريف «شمال أفغانستان» هاجم خلالها المتظاهرون مقر الأمم المتحدة وقتلوا فيه سبعة موظفين أجانب يعملون لحساب الأمم المتحدة.. ويترأس القس جونز جماعة إنجيلية صغيرة متشددة تدعى «دوف وورلد أوتريتش سنتر» مقرها ولاية فلوريدا «جنوب شرق الولايات المتحدة».

مراسم رسمية أمريكية لانسحاب آخر جندي في العراق

ذكر تقرير إعلامي بتاريخ ١٣ / ١١ / ٢٠١١م أن القوات الأمريكية ستقيم مراسم رسمية لتوديع الجيش الأمريكي في مطار بغداد الدولي بنهاية العام الحالي، وهو الموعد النهائي لانسحاب آخر جندي أمريكي من العراق. ونقلت صحيفة الصباح العراقية الحكومية عن مصادر أمريكية مطلعة قولها إن آخر جندي أمريكي سيغادر العراق في مراسم رسمية ستجرى في قاعدة مطار بغداد الدولي يوم ٣٠ أو ٣١ ديسمبر.

وقالت المصادر: إن جميع القوات الأمريكية ستغادر قبل منتصف ديسمبر، فيما ستبقى قوة عسكرية صغيرة لا تتعدى ٢٠٠ جندي لحضور احتفال رسمي سيعقد في مطار بغداد الدولي، حيث سيتم إنزال العلم الأمريكي من قاعدة مطار ويرفع العلم العراقي، ويعزف النشيدان الوطنيان للبلدين، قبيل مغادرة آخر جندي في طائرة عسكرية، وأضافت المصادر: إن هذه المراسم ليست لها علاقة بمفاوضات أو تطورات إبقاء مدربين أو عدمه، وأن مسئولين أمريكيين رفيعي المستوى سيحضرون هذه المراسم.

مساعدات إسلامية للشعب الصومالي

وقعت منظمة التعاون الإسلامي اتفاقية تعاون مع الحملة القومية السعودية لإغاثة الشعب الصومالي، وذلك لتنفيذ برنامج توزيع التبرعات العينية السعودية المكونة من مواد غذائية وإغاثية وطبية على متضرري كارثة المجاعة والجفاف في الصومال، وبموجب الاتفاقية يتولى مكتب المنظمة في مقديشيو مهام استقبال وتفريغ وتحميل ونقل وتخزين حمولة باخرة الإغاثة التي تسيرها الحملة الوطنية السعودية إلى ميناء مقديشيو. ووقع الاتفاقية كل من رئيس الحملة الوطنية السعودية لإغاثة الشعب الصومالي الدكتور ساعد العرابي الحارثي مستشار سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية والدكتور عبدالرحمن السويلم مستشار الأمين العام للشئون الإنسانية في منظمة التعاون الإسلامي. وتحمل الباخرة السعودية على متنها أكثر من أربعة آلاف طن من مختلف المواد الغذائية الإغاثية التي تبرع بها المواطنون السعوديون. على أن يتولى مكتب المنظمة في مقديشيو نقل وتوزيع المساعدات على اللاجئين الصوماليين في مراكز ومخيمات الإيواء التي يتواجدون بها بالتنسيق مع مكتب الحملة الوطنية السعودية في الصومال.

وفي هذا الإطار ثمن الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أغلو الدور المتميز الذي تضطلع به المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين في خدمة جميع القضايا الإنسانية في العالم الإسلامي، ولا سيما الصومال.

د. عبدالحليم عمر: ٩٠٪ من سكان العالم الإسلامي.. فقراء

كشفت دراسة اقتصادية أعدها الدكتور محمد عبدالحليم عمر، أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر ومدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي سابقا، عن وجود ١١٤٨ مليون فقير في العالم الإسلامي، بمعدل ٨٩.٧٪ من عدد السكان. وأكدت الدراسة التي تحمل عنوان «الوحدة الاقتصادية بين الدول الإسلامية»، أن ٤٦ دولة من دول العالم الإسلامي تصنف ضمن الدول الفقيرة، موضحة أن ٧١٢ من سكان العالم في سن العمل (ما بين ١٥ – ٦٤ سنة)، لكن يعمل منهم ٥١٥ مليون نسمة ويصل عدد غير العاملين إلى ١٩٧ مليون نسمة بنسبة تقدر بـ ٢٧.٧٪ ممن هم في سن العمل.

الإيسيسكو تستنكر الحملة ضد صحافيين فرنسيين أنصفوا القضية الفلسطينية

أعربت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» عن استنكارها للحملة العدائية التي تشنها أطراف يهودية في فرنسا ممثلة في «المجلس التمثيلي للديانة اليهودية» ضد صحافيين فرنسيين اشتركوا في إعداد حلقة تليفزيونية عن القضية الفلسطينية ضمن البرنامج التليفزيوني

«عين على الكوكب» الذى تبثه القناة الثانية الفرنسية

ونددت الإيسيسكو بشدة بالهجوم المنافي لحرية التعبير والموضوعية المهنية الذى يتعرض له الفريق الإعلامي الذى أنتج حلقة تليفزيونية عن فلسطين تحت عنوان «هل الدولة الفلسطينية ممكنة»، والذى يوصف فى وسائل الإعلام الفرنسية وبتحريض من الأطراف اليهودية بـ «الـ[illegible] [illegible]» ويتعرض [illegible] لتهديدات بالتصفية.. وقالت الإيسيسكو في [illegible] [illegible] الحملة العدائية التي يتعرض لها الفريق الإعلامي الفرنسي الذى تصف القضية الفلسطينية بشجاعة.. وقدم إنتاجا إعلاميا عالي الجودة بثته القناة الثانية الفرنسية ينحاز فيه إلى منطق الحق والعدالة وحقائق التاريخ، تتعارض مع مقتضيات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وتتنافى مع مبادئ الديمقراطية ووثيقة حقوق الإنسان والمواطن التي تستند إليها الجمهورية الفرنسية وأكدت الإيسيسكو تضامنها مع الصحافيين الفرنسيين منتجي هذا البرنامج التليفزيوني الموضوعي المنصف وطالبت المجتمع الدولي، وخصوصا اليونسكو، التدخل في نطاق اختصاصاتها لإدانة ووقف الحملة العدائية ضد هؤلاء الصحافيين.

المؤبد لجندى أمريكى قتل ٣ مدنيين أفغان لـ «التسلية»

قضت محكمة عسكرية في واشنطن بالولايات المتحدة بالسجن المؤبد على قائد مجموعة من الجنود الأمريكيين اتهموا سابقا بقتل ثلاثة مدنيين أفغان عام ٢٠١٠ بهدف التسلية. وخلصت هيئة المحلفين المؤلفة من خمسة عسكريين أنه فى ختام مداولات استمرت خمس ساعات إلى أن الرقيب كالفين جيبس مذنب فى ١٥ تهمة وجهها الادعاء إليه من بينها ثلاث تهم بالقتل العمد.

وجاء فى لائحة الاتهام أن الرقيب جيبس تزعم مجموعة من خمسة جنود كانوا يخدمون فى ولاية قندهار بجنوب أفغانستان ووضعوا «سيناريوهات» قتلوا بموجبها ثلاثة مدنيين أفغان بهدف التسلية عام ٢٠١٠ كما قاموا أيضا بالتمثيل بالجثث وتصويرها. كان جيبس قد أقر فى شهادته بأنه انتزع أصابع من جثث ولكنه أكد أن عملية القتل حدثت ردا على هجوم معاد.

◆◆◆

a- In Al-Batiniyyah, Al-Ghonusiyyah, and Al-`Irfaniyyah doctrines, reason and writing are neglected along with the other means of knowledge. Conscience, intuition, inner Gnosticism, flow, inspiration, and donation may possess alone all forms of knowledge. Civilization cannot be built on Gnosticism, or by individuals, but the civilization should be build collectively, while Gnosticism is a very isolated and special experience.

b- In the materialistic and positivist doctrines, there is enhancement of the stance of reason to the extent of "rational arrogance". Resorting to it proofs along with the outcomes of the physical experiences are the recognizable means of knowledge, and that which is not realized by reason is not promote to the rank of facts of knowledge and scionece.

c- As for the Islamic view, which colored with its philosophy the Islamic civilization, rationalism differs greatly.

The Islamic Rationalism

The Western rationalism is defined in its Greek phase at the time when there was no revelation. It came free of conveyance and the revelation, and is unique of collecting knowledge and the facts of things. The Islamic rationalism is defined in the Qur'anic revelation and amidst the momentum of defending religion. It came a believing rationalism of the believing human being, who realizes that his attributes, among which is his mind are proportional if they are compared to the comprehensive and surrounding divine science.

In this way, the Islamic rationalism came: it recites the conveyance by the reading and judges the reason by the conveyance. It made the conveyance along with reason, senses, and conscience as the means of knowledge, which are integrated in guiding the human being. It made the sources of knowledge: the recited book, the seen universe. Not only the book of the seen universe, like the case of the Western positivism, knowledge has two sources and four means of guidance. This protected the Islamic rationalism from the struggle burning the Western civilization between rationalism and theology.

This struggle made the modern western rationalism contradicting to religion after being free from religion in the Greek phase. While the Islamic rationalism remained along history the small sister of the religious Shari`a, as it is one of the means of guidance, not a substitute or contradicting to the guidance of religion.

This Islamic rationalism is marked with the Islamic Shari`ah, in spite of the participation of all of the civilizations in of the creative reason of these civilizations.

guides him. This is the contract of succession as a holder of the trust. He is not neglected and compelled, and also does not escape the Divine managing. He is the successor of the Creator of this universe.

This Islamic conception of the human being as the successor of Allah, taking into consideration that the Divine Self is the One who manages the affairs of the universe gives the human being a stance has the two sides of the same coin. This is the characteristic that distinguishes the Islamic civilization from the other civilizations. When the characteristics ramify, many things prove the distinction of the Islamic identity and its philosophy when comparing it to other civilizations.

The idea of succession has many extensions in the field of civilization distinction of the Islamic civilization found in the relation of the human being with the wealth and money. The human being is the owner of the benefit and his freedom in disposition and possession is limited according to the terms of the contract of the succession of the real Owner (Glory be to Him): {And spend of that whereof He has made you trustees} [Al-Hadid (Iron): 7]

He is a ruler, but he is charged with ruling according to the terms of this contract: {And so judge (O Muhammad peace be upon him) among them by what Allah has revealed and follow not their vain desires, but beware of them lest they turn you (O Muhammad peace be upon him) far away from some of that which Allâh has sent down to you.} [Al-Ma'idah (Table): 49]

{O Dâwûd (David)! Verily, We have placed you as a successor on the earth; so judge you between men in truth (and justice) and follow not your desire for it will mislead you from the Path of Allâh }[Sad: 26]

He has rights, which are linked to the Rights of Allah (Glory be to Him). He has interests, but they should be abide by Shari`ah, and he has freedom and choice within the frame of the contract of succession. The state he establishes with the others is the state of succession on behalf of the nation, which is governed by Allah within the Divine Shari`ah.

This position – the position of the successor – is the position, which Allah wills for the human being in the construction of the earth; and it expresses the specialty of the Islamic view. His commitment to build the Islamic civilization makes the human being a real human being and a follower of the path of Allah. This fulfils the meaning which was not realized by the angels when Allah created the human being:

{And (remember) when your Lord said to the angels: "Verily, I am going to place (mankind) generations after generations on earth." They said: "Will You place therein those who will make mischief therein and shed blood, while we glorify You with praises and thanks and sanctify You." He (Allah) said: "I know that which you do not know.} [Al-Baqarah (The Cow): 30]

The fulfilment of the philosophy and regulations of succession makes the human being like a successor, a human being and a follower for Allah at the same time. This also makes his establishment of the civilization a human and Islamic civilization. In this way, this makes the civilization an Islamic succession civilization. Thus, the Islamic

succession civilization is distinguished from the civilizations which neglect him or regards him as a god.

3- Sharing the "religion" and specialty in its "source" and "scopes"

All of the human civilizations have something in common, which is embracing religions. Rather, the category of the people which becomes atheist and substituted "Allah by "material" made the materialistic philosophy a creed and religion.

The civilizations differ in their view of the source of religion. There are civilizations of positivist and non-heavenly religions – such as the religions of the far East – along with which the "the Western positivism" with its various doctrines. They claim that religion, like all of the types of the thought, is a human creation and an outcome of the human mind. They say that it is the representative of the human mind in the phase of childhood, which is promoted to the phase of metaphysics and belief in it. When it grew up, it became positivist. It does not see a real science or knowledge unless it is one of the truths of the physical experiences and absolute reason stemming from the facts of the materialistic universe.

These civilizations knew the religions, and made it "human positivistic" and not "divine positivist and heavenly revelation."

Even the religious civilizations and conceptions, which participate in the believing in the divine positivism of religion, differ in determining the prospects of the work of this religion. Those who made religion as a special creed between the individual and His Creator, and the rituals of worship are restricted to the cells, isolating it from the guiding in all of the fields of construction, whether intellectual or practical, their civilization view of the scope of the work of religion and of the scope of religiousness differed from the Islamic view of this religiousness.

Religion is the Soul of Life

In the Islamic view, religion – in addition to being a divine positivism and heavenly revelation – is the soul flowing in all the fields of the human work and life. It controls the relation between the human being and his Lord, family, people, nation and humanity. Also, it governs the relation between the real life and the Hereafter construction with the values, methods with control and aims, politics, society, economy, research methods, and knowledge theories with philosophies and morals.

Thus, the Islamic civilization – in the real sense of the word - is distinguished from the other civilizations participating with it in religiousness in this special view of the source of religion and of the scope of religiousness.

4- Participation in "reason" and specialty in "the essence of mentality": Without reason, there is no sound fulfillment and all of the human civilizations are the outcomes of creation and reasonable person.

However, in spite of participation in rationality among the human civilizations, there is difference and specialty between civilizations with respect to reason, and its stance with regard to the other ways of knowledge and the entity of rationality. Civilizations participate in resorting to reason and differ in degrees of resorting to it.

Allah guided him to say this supplication to release his agony quickly. Allah (Glory be to Him) permitted him to immigrate from Mecca to Medina, where Al-Ansar and the beloved people lived. Thus, it was a place of residence for him and its people advocated and supported him.

The Messenger of Allah had a command from Allah and not only a permission, concerning which he can do whatever he wants. Ibn Kathir said that the good entry was Madina and the good exit was Macca. Abu Bakr asked the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) to give him permission for Hijrah, but the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) told him: "Do not be in a hurry, because Allah may grant you a Companion." Then, Allah commanded his Messenger to immigrate from Macca. The greatness of the Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) and the sublimity of his morals are revealed in the following:

1- The Prophet's patience for disbelievers of Macca, as he might supplicate Allah against them, so that they become destroyed.

2- The sacrifice of Imam Ali by his sleeping in the place of the Messenger of Allah to return the entrusted properties. This should be the morals of the Muslim youth. Imam Ali was not the only person, who sacrificed, but there were other companions such as Abu Bakr and his daughter Asma'a.

3- The first deed performed by the Messenger of Allah in the new society was building a mosque, establishing brotherhood between the Muhajirs and Al-Ansar, and concluding a treaty between the Muslims and the Jews, which they broke, and the events written in the books of the prophetic autobiography and the Islamic history, as well.

If we get benefit from the Hijrah and its memories, we would not waste the efforts in experiments and would not spoil matters with hesitation. We have a rich human history, which has various great events and experiments. Also, our Noble Qur'an is regarded as a comprehensive constitution, which has a solution for every problem. If we seek our evidence in the Revelation, derive these significances from the righteous predecessors, and followed the path of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him), we will reach our goal: power, unity, and gain a great victory.

*The relations of participation and distinction among the relations...!

By: Dr. Muhammad Imarah

Editor-in-chief of Al-Azhar Magazine

All of the historical and contemporary civilizations are human, meaning that they are created by the human being, human invention and civilian accomplishments. It is human made and human invention. As the human being improves also the civilization and stability. However the philosophical conception of the stance of the human being in the universe differs from one civilization to another to the extent that distraction in this conception becomes one of the specialties distinguishing the civilizations although all of them share one thing: that they are created by the human being.

a- In the philosophy of the Indian civilization – Nirvana – along with some of the Madhabs (School of mysticism-Sufism-) of philosophic Sufism – Ghonositiyah, Al-Batiniyyah, and Al-'Irfaniyyah – there is negligence of the human being regarding him as mean and compelled, and there is no way out for him except by extinction either in the absolute or in the Self of Allah.

b- In the materialistic intellect – which affected the Western civilization since its period of Greek ignorance to the modern European civilization – they regard the human being as the master of the universe. He can permit by his own will and choice that which is religiously prohibited and disallow that which is religiously permitted. It regards that as one of his rights which do not abide by any of the Shari'ahs sent by Allah in constructing this civilization.

c- In the Islamic view of the stance of the human being in this universe, he is the successor of Allah on earth. He should construct the world. He is free and capable, but within the limits of succession set by the Islamic Shari'ah. The human being is a master in the universe, but he is not the master of the universe. Quoting the words of Imam Muhammad 'Abdo (1265-1323 H, 1849-1905) "The human being is the Slave of Allah only, and the master of any other thing."

This Islamic view of the stance of the human being in the universe, which represents cultural characteristic of the Islamic civilization distinguishing it from the other human civilizations. It makes the place of the successor between "regarding him as the successor of Allah, the creator and manager of the universe".

It is the fruit of the Islamic conception of the scope of work and contemplating at the Divine Self. While Allah is the One Who manages the affairs of the human beings not only the Creator of the universe, His managing of the affairs of the human being

* An article by editor-in-chief of Al-Azhar Magazine published in Arabic at Al-Azhar Magazine.

The Companions started to immigrate as individuals and groups, and nothing hinders any of them except a very difficult obstacle that exceeds his will.

Na`im ibn `Abdullah from `Udai ibn Ka`b was one of the earlier Muslims, who embraced Islam after ten persons. He hides his embracement of Islam. When the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) immigrated, he wanted to follow him, but his family prevented him, as he was spending on widows and orphans from Bani `Udai. His family told him: stay with us whatever your religion is, and no one will hurt you, because if you go, we will be ruined without you.

He followed the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) after six years, in the year of Al-Hudaybiyyah reconciliation and witnessed the events thereafter. When he came to Medina, he presented forty persons of his family followed him asking him to come back with them and requested the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) to allow his family. He told him: "Your people are better for you than my people."

Na`im said: No, your people are better, Messenger of Allah. The Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "My people sent me out, but your people wanted you to stay with them."

Na`im said: Messenger of Allah, your people let you immigrate, but my people refused to immigrate me.

Na`im who was honored and welcomed by the Messenger of Allah in this way, but he regarded himself deprived of honor gained by other Muslims, which is the honor of immigrating. He regarded Hijrah as an honor and a rank, from which he delayed, although he can make many good deeds, which cannot be done by any other person when he resides in Mecca.

Na`im was called Al-Nahham (who always coughs), as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I entered Paradise, as heard the cough of Na`im therein."

In the new society of Medina, the Muhajirs and Al-Ansar lived loving each other and cooperating with each other. There are many lessons that can be learnt from Hijrah:

1- The Muslim does not accept humiliation, as he is characterized with pride, sense of honor, dignity, and sovereignty. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) is the best teacher of the humanity, who taught it not to accept humiliation.

2- Whoever thinks that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) exploited the chance to immigrate secretly, fearing that disbelieves living in Mecca may hurt him is mistaken. Whoever thinks that

our love for the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) is that which incites us to deny his fear (May the blessings and peace of Allah be upon him) in his Hijra, which occurred secretly is deluded. His Hijrah was not decided by him, but it required taking a permission from his Lord (Glory be to Him), without which this Hijrah would not have occurred whatever his suffering, dangers, and plots had been. There was no exploitation of chances or fear. The Messenger of Allah waited until he took permission from His Lord.

a- All of the believers were able to immigrate safely, and resided in Medina. Also, they could practice their acts of worship in public and in tranquility. No one stayed in Mecca after the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) except the weak or the coerced. Their number does not exceed the fingers. Allah protected them.

b- No one in Mecca would believe except those, who actually believed. It was full of disbelievers only. Allah (Glory be to Him) emphasized that to His honorable Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) twice. Allah (Glory be to Him) said: {So turn away O Muhammad (peace be upon him) from them for a while} [Al-Safat (Those who set the ranks): 174]

{So turn O Muhammad (peace be upon him) away from them for a while.} [Al-Safat (Those who set the ranks): 178]

This means that the Messenger of Allah cannot be blamed for leaving the people of Mecca, as he performed his duties, and Allah witnesses this. So, he had to leave them for some time. With the descending of these two verses, this reveals that the residence of the Messenger of Allah in Mecca was useless. Islam is not special to the people of Mecca, and their refusal to the message does not mean the end of the message, as the message is for the whole world. This aspect, which is emphasized by the two verses, is the strongest evidence that Hijrah would occur soon. This is to cause the Messenger to live in peace and not to feel sorry for the disbelievers. The cause of Hijrah is to continue the Islamic call (Da`wah).

c- The Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) waited for permission for Hijrah, and was full of joy with the descending of the holy verses:

{And say (O Muhammad peace be upon him): My Lord! Let my entry (to the city of Al-Madinah) be good, and (likewise) my exit (from the city of Makkah) be good. And grant me from You an authority to help me (or a firm sign or a proof).} [Al-Isra' (The Night Journey): 80]

Hijrah changed the path of life in Medina first, in the Arabian Peninsula, and the East and the West. The most remarkable features of this change are represented in many fields:

1- In the economic field, the Muslims managed to liberate the lands of Medina from the Jews of Bani Qainuqa'a and Bani Quraizhah, and the lands were restored to the Muslims and those, who contributed in liberating it at the basis of their real needs. Islam nullified all the kinds of exploitation, which existed in the society of the Medina.

2- In the political field, we see implantation of the principle of consultancy and continuous intellectual coherence between leadership and the ruled. In this regard, we recite the Saying of Allah (Glorified be He): {And by the Mercy of Allah, you dealt with them gently. And had you Muhammad (peace be upon him) been severe and harsh hearted, they would have broken away from about you; so pass over (their faults), and ask (Allâh's) Forgiveness for them, and consult them in the affairs. Then when you have taken a decision, put your trust in Allah, certainly, Allah loves those who put their trust (in Him).} [Al-Imran (The Household of Imran): 159]

3- In the military field, this change is crystal clear in the increase of the number of the Islamic troops from approximately three hundred persons in Badr Battle in the second year of Hijrah to thirty thousand in Tabuk Battle in the ninth year of Hijrah.

The great power of horsemen was revealed at that time, as it was two horsemen in Badr Battle and ten thousands in Tabuk Battle.

Many of the Companions of the Prophet, who embraced Islam at an early phase preceded the Prophet in Hijrah to this new nation, and regarded it as new homeland, as they loved it even more than their first homeland. When they went to Mecca, they used to hurry after finishing the rituals of their 'Umrah or Hajj. They regarded themselves in a journey not residence while they were in Mecca.

Hijrah was a condition of faith, and the evidence on this is the Saying of Allah (Glory be to Him): {They wish that you reject Faith, as they have rejected Faith, and thus that you all become equal (like one another). So take not Awliyâ'a (protectors or friends) from them, till they emigrate in the Way of Allah (to Muhammad peace be upon him). But if they turn back (from Islâm), take (hold of) them and kill them wherever you find them, and take neither Awliyâ'a (protectors or friends) nor helpers from them.} [Al-Nisa' (Women): 89]

Imam Al-Bukhary related that Al-Humaydy, Al-A'mash, and Sufian said that they heard Abu Wa'il saying: We immigrated with the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) seeking Allah's Great Pleasure and reward from Him. Some of us lost their life there, and one of them

was Mus'ab ibn 'Umayr, who was killed on the Day of Uhud and left a stripped woolen garment. If we covered his head, his legs appeared, and if we covered his legs, his head appeared. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) commanded us to cover his head and to put some of Al-Ezkhar (a good-smell plant) on his legs. Mus'ab teaches us a great lesson in life and sacrifice. Mus'ab gives lesson that the spirit is eternal, while the material perishes. The bounties and graces of life will vanish.

Al-Tirmidhy narrated that "Mus'ab ibn 'Umayr" came wearing only a ragged garment with a patch of fur although he was rich. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) wept when he saw his previous state of rich and wealth and his poverty at that day. The Messenger said when Mus'ab was carried to him after his martyrdom in Uhud Battle: "I saw you in Mecca, while you were the best dressed person, but now you are disheveled wearing a ragged garment.

The Messenger of Allah commanded the Companions to bury him, and they did not find except a stripped woolen garment to shroud him. When the Companions covered his head, his legs become uncovered, and when they cover his legs, his head becomes uncovered. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) commanded them to cover his head by this garment and to put on his legs (Al Ezkhar) a good-smelled plant. In this way, Mus'ab was fighting in Badr and carrying the banner in Uhud. He was steadfast in the battle, and was fighting and died as the greatest fighter in the sake of Allah, herald, and Muhajir. Then, Allah honored him of his martyrdom and he gained from life only a shroud covering his body, and spent all of his money for the sake of Allah.

He was calling for Islam, while he was in Medina, the place to which the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) immigrated. He died and shrouded with a ragged garment and his legs were covered with grass.

However, his memory is eternal, as he was a good pattern in life and death. If he has not immigrated or fight in the battles, his life would not have been worth his eternal memory and great reward. If he kept his money, was shrouded in silk, and verses and legends were carved on his grave, he would not have died in this way, and his memory would not have been eternal.

The believers who loved and preferred religion to family, relatives, and the homeland and even to the whole life. They sought martyrdom and believed in Allah's Saying: {Verily, Allâh has purchased from the believers their lives and their properties for (the price) that theirs shall be Paradise. They fight in Allâh's Cause} [Al-Tawbah (Repentance): 111]

The Holy Prophetic Emigration (Hijirah) from Mecca to Medina...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The message, with which our Messenger Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him), is distinguished by its generality and comprehension of all of the human beings and the human life, although the previous Messages were limited to certain environments. Also Islam contains an advantage over the other religions, embraced by other Muslims: their religion is confined to creed and worship, which are sufficient to them, and they often knew nothing about it except at the time of Prayer.

However, Islam is a religion of creed and worship and at the same time includes morals concerning families and societies, cooperation between the individuals and groups, tackles contracts and commitments, and it includes the systems of ruling and managing the affairs of the countries.

Waraqah ibn Nawfal (the cousin of Lady Khadijah, the Prophet's wife, and the mother of the faithful) informed the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) when he was accompanied by the Mother of the Faithfuls Khadijah (may Allah be pleased with her) that his people will send him out. Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) realized since the first day in which the Revelation was sent down to him that he will be sent out of his place of birth, and it was destined to immigrate as long as there is struggle between right and wrong. Thus the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Hijrah will not stop until repentance stops, and repentance will stop only when the sun rises from the West." (Related by Ahmed in his Musnad and ranked as Sahih).

Allah (Glory be to Him) gratified the rank and the reward of the Muhajir for His sake due to the hardships, and risks he endures. Thus, Allah (Glory be to Him) says:

{Those who emigrated in the Cause of Allâh and after that were killed or died, surely, Allâh will provide a good provision for them. And verily, it is Allâh Who indeed is the Best of those who make provision. Truly, He will make them enter an entrance with which they shall be well-pleased, and verily, Allah indeed is All-Knowing, Most Forbearing.}

[Al-Hajj (Pilgrimage): 58-59]

Allah (Glory be to Him) enjoined Hijirah on every believer at the time of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to increase the number of the Muslims, to advocate Islam, and to defend it by the soul and every precious thing, as the growing Islamic nation in Medina was in need for the believing Muhajirs.

The wisdom behind the Hijrah is that the Message of Islam came to organize the affairs of the people in the different fields of life, as it is a comprehensive constitution and system, which should have a nation and a land setting the rulings of the Shari'ah to be applied. When the Muslims could not apply the rulings of their religion and set its social and economic system and morals in their countries, they were obliged to move to another country, where they can apply the rulings of their religion and to spread its principles and values.

Thus, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) resorted to Ta'if when he despaired of the possibility of his people in Mecca embracing Islam. His coming out of Mecca was not due to fear or a way of fleeing. When the people of Ta'if did not respond to him, he introduced his religion to the Arab tribes at the season of Hajj.

In this Hijrah, the honorable Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) came out of Mecca to Medina, and Hijrah was really a new birth of the call to Islam. The Muslims, started, after suffering from tyranny and stubbornness, their truthful call (Daawah) in public and in every part of the earth. They were directed to all the people addressed by the Noble Qur'an, and being encompassed in all of their righteous deeds by Allah's Mercy, Guidance, and Support. This is according to the Saying of Allah (Glory be Him): {And as for those who emigrated for the Cause of Allah, after they had been wronged, We will certainly give them goodly residence in this world, but indeed the reward of the Hereafter will be greater, if they but knew!} [Al-Nahl (the Bee): 41]

The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) definod the goal of Hijrah in the Second 'Aqabah Bay'ah, when he addressed Al-Ansar saying: "I ask you for the sake of Allah to worship Him without accompanying with Him any other thing, and for my sake and that of my Companions to shelter, advocate, and defend us from that which you defend yourselves."

The Messenger of Allah revealed the rank of Hijrah when Al-Ansar asked him saying: "We will cut the links with the Jews. If we do so and Allah granted you victory, will you come back to your people and leave us?" The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "There is blood between us, and we are one family, and I will make peace with those with whom you make peace, and fight those whom you fight." He meant the person who sought your blood, he sought my blood too, and the person who shed your blood, he shed my blood too because of intimacy between us. This is the meaning of the Hadith: "Living will be with you, and death will be with you."

AL-AZHAR MAGAZINE
Al-Muharram, 1433 A. H.

ENGLISH SECTION
December, 2011

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف : ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس السنوى لعام ١٤٣٢هـ

محـــــرم

صفـــــر

ربيع الأول

ربيع الآخر

AL-AZHAR MAGAZINE
Al-Muharram, 1433 A. H.

ENGLISH SECTION
December, 2011

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

> *"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."*
>
> (Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس السنوى لعام ١٤٣٢هـ

محرم

صفر

ربيـــــع الأول

ربيـــــع الآخـــــر

جمـــادى الأولــى

جمـــادى الآخـــرة

رجب

شعبان

رمضان

شوال

ذو القعـــــدة

ذو الحجـــــة

جمـــادى الأولـــى

جمـــادى الآخـــرة

ملاحق مجلة الأزهر لعام ١٤٣٢هـ

الشهر	العنوان	الكاتب
المحــــــرم	ما يقال عن الإسلام ، الجزء الأول ،	أ. عباس محمود العقاد
صــــفــــر	ما يقال عن الاسلام ، الجزء الثانى ،	أ. عباس محمود العقاد
ربيــــع الاول	ما يقال عن الاسلام ، الجزء الثالث ،	أ. عباس محمود العقاد
ربيع الاخــر	بحث فى ترجمة معانى القران الكريم	فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى
جمادى الأولى	مكانة السنة	فضيلة الشيخ / على الخفيف
جمادى الآخرة	التأويل العبثى للوحى والنبوة والدين	أ.د. محمد عمارة
رجــــب	القران فى التربية الإسلامية	فضيلة الشيخ نديم الجسر
شــعــبــان	الدين والدولة فى الإسلام	أ.د. محمد عمارة
رمــضــان	الصوم تربية وجهاد	أ.د. محمد عبد الله دراز
شـــوال	الوثائق الدستورية فى دولة النبوة والخلافة الراشدة	أ.د. محمد عمارة
ذو الــقــعــدة	السياسة الشرعية	فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف
ذو الحــجــة	طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد (الجزء الأول)	العلامة الشيخ عبد الرحمن الكواكبى دراسة وتحقيق أ.د. محمد عمارة

ترقب في العدد القادم

AL-AZHAR
MAGAZINE

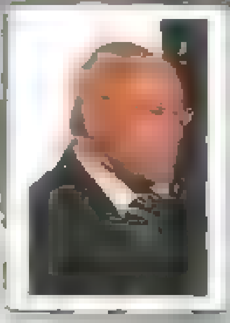
هدية العدد القادم

- الوضع القانوني بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي
  المستشار طارق البشري

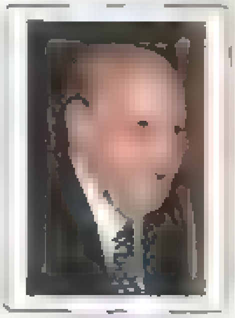


السعر ١٥٠ قرشاً

الأزهر



د. محمد سليم العوا



المستشار طارق البشري



عماد حليل

سنة التدرج فى الإصلاح

.. أ. د. محمد عمارة

الآثار التربوية للعبادات

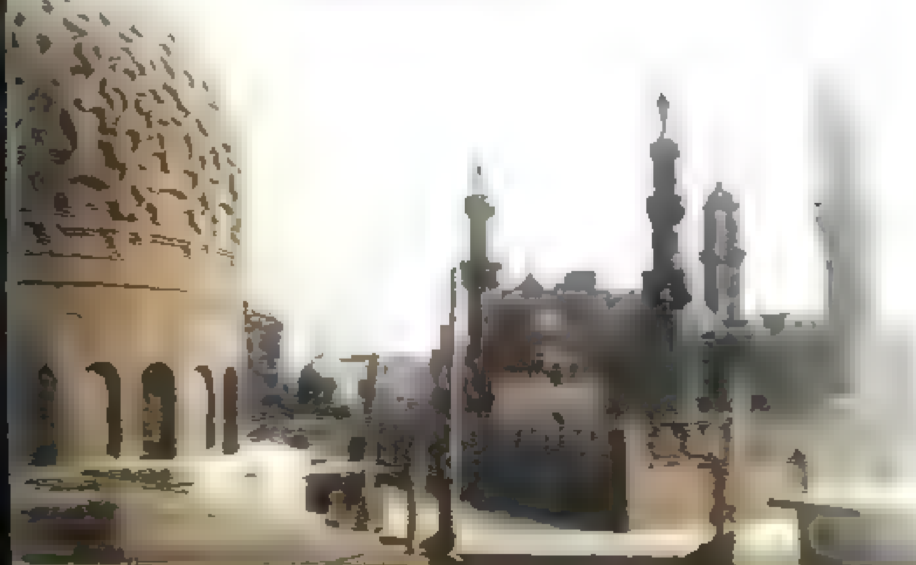
.. أ.د صلاح سلطان

حول فتوى الأزهر
بجواز عزل الأنظمة الظالمة

.. أ.د وصفي عاشور

حوار الإسلام والعلمانية

قدم له أ. د محمد عمارة



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي

صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠م

وحمل اسم «نور الإسلام»

برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير

أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

المراسلات باسم مدير التحرير

مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر - القاهرة

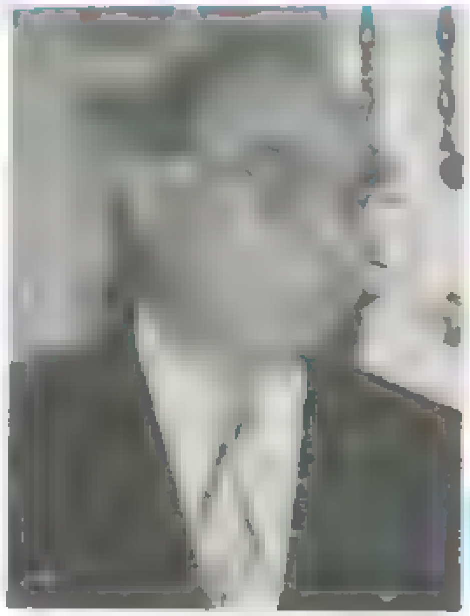
ت: ٢٣٦٢٨٥٩٩

editor@alazharmag.com

readers@alazharmag.com

داخل العدد

الغلاف من تصميم الأستاذ [illegible]



سنة التدرج في الإصلاح

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عمارة

التدرج سنة من سنن الله، سبحانه وتعالى، وقانون من القوانين الكونية التي لا تبديل لها ولا تحويل.

● هو سنة من سنن الخلق الإلهي للكون وللعالم بسماواته وأراضيه.. فلقد خلق الله، سبحانه وتعالى، السماوات والأراضين وما فيهما في ستة أيام من أيام الله

﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾

(الأعراف ٥٤، يونس ٣)

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين *
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾

(فصلت ٩، ١٠)

(أي في تتمة أربعة أيام خلق الأرض وما فيها)

﴿ [illegible] ﴾

(فصلت ١١، ١٢)

فتدرج خلق الله لهما في ستة أيام من أيامه سبحانه، وهو القادر على أن يقول لهما في جزء من اللحظة كن فتكون.

● والتدرج سنة من سنن الله في خلقه للإنسان الأول، آدم، عليه السلام.. فلقد مرت مراحل خلق الله له بسبعة أطوار، بدأت بمرحلة (التراب) الذي أضيف إليه (الماء) فصار (طينا) ثم تحول هذا الطين إلى (حمأ) - أي أسود منتن - لأنه تغير، والمتغير هو (المسنون) - فلما يبس هذا الطين من غير أن تمسه نار صار (صلصالا) - لأنه يصلصل أي يصوت، من يبسه -..

وبعد هذه المراحل الخمسة - التراب.. فالماء.. فالطين.. فالحمأ المسنون.. فالصلصال - كانت مرحلة النفخ الإلهي في المادة، هذا الخلق من (روح الله).. فكان أن استوى هذا المخلوق (إنسانا)، هو آدم، عليه السلام

﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾

(آل عمران ٥٩)

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾

(السجدة ٧)

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون *
فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾

(الحجر ٢٨، ٢٩)

● وسنة التدرج، عبر الأطوار والمراحل، كانت في خلق الله وتكوينه لكل مخلوق من ذرية آدم، عليه السلام

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾

(المؤمنون: ١٢-١٤)

فكان التدرج سنة كونية مطردة في خلق الله للعالم.. وللإنسان الأول.. ولكل إنسان.

● كذلك شاء الله، سبحانه وتعالى، أن يكون التدرج والتطور سنة مطردة في مسيرة الشرائع السماوية، التي جعلها، سبحانه، الطافا لهداية الإنسان.. فمع وحدة الدين عبر حقب وأمم النبوات والرسالات، كان تدرج وتطور الشرائع مع واقع هذه الأمم، ومع نمو المستوى العقلي لأمم هذه الرسالات.

● وفي عصر النبوة:

● وحتى في الشريعة الإسلامية، شريعة الرسول الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ كان التدرج سنة مطردة ومرعية.. فهذه الشريعة، الخاتمة والخالدة، قد بدأت- في المرحلة المكية، التي استغرقت ثلاثة عشر عاما- بإعادة صياغة الإنسان والجماعة المؤمنة والجيل الفريد وفق معالمها ومنظومة قيمها.. أي بدأت بالدرجة الأولى في سلم التغيير الكبير والجذري والشامل والعميق.. تغيير النفس الإنسانية كي تصبح قادرة على تغيير الواقع وفق المنظومة القيمية الإيمانية:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾

(الرعد: ١١)

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾

(الأنفال: ٥٣)

وكذلك كان الحال- التدرج- في المرحلة المدنية- التي استغرقت عشر سنوات- فامتلاك الجماعة المؤمنة- الأمة- للدولة وأركانها، لم يجعل «الطفرة» تحل محل «التدرج»، ولا «الثورة» تحل محل «الإصلاح» في استكمال التشريع واكتمال التطبيق لشريعة الإسلام.. فمع تدرج الوحي- المنجم- واكب التشريع والتطبيق للتشريع تطور التغيير المتدرج للإنسان، الذي سيقيم كامل الشريعة، وللواقع، الذي لابد من تهيئته لتقبل كامل الشريعة

- فنظام المواريث طبق في السنة الثالثة للهجرة.. أي بعد ستة عشرة عاما من بدء الوحي..

- والنظام الإسلامي للأسرة- من الزواج والطلاق والنفقة وسائر أحكامها- اكتمل تشريعه وتطبيقه في السنة السابعة للهجرة.. أي عبر عشرين عاما من بدء الوحي.

- والقوانين الجنائية، تدرج تشريعها وتطبيقها مادة مادة، حتى اكتملت في السنة الثامنة للهجرة.. أي عبر واحد وعشرين عاما من عمر الوحي الخاتم..

وتدرجت أحكام الخمر من الذم لها والتحذير منها إلى التحريم القاطع والنهائي لها في السنة الثامنة للهجرة.. أي في العام الواحد والعشرين من بدء الوحي.

- وكان تحريم الربا في السنة التاسعة للهجرة، وذلك بعد أن تحقق في الواقع الإسلامي للدولة الجديدة والأمة الوليدة اقتصاد إسلامي بديل حل محل الاقتصاد الجاهلي القديم.. وعند ذلك أصبح تطبيق الفلسفة الجديدة للنظام اللاربوي ومعاملاته أمرا ممكنا[1].

بل إن هذا التدرج قد كان سنة مرعية ومطردة حتى في الشعائر والعبادات.. نجد فيه الكثير من أركان الإسلام- وليس فقط في أحكام الواقع والمعاملات- فالصلاة بصورتها التامة والحالية اكتملت فريضتها ليلة الإسراء والمعراج في السنة الثانية قبل الهجرة- الحادية عشرة من البعثة- والصوم فرض بالمدينة وكذلك الزكاة.. والحج إلى بيت الله الحرام.. فكان التدرج سنة إلهية وقانونا كونيا في كل عوالم الخلق.. خلق الله العالم.. وللإنسان الأول.. ولذرية هذا الإنسان.. وللطف، الله بهداية الإنسان عبر النبوات والرسالات والشرائع، التي واكبت سنة التغيير في النفس الإنسانية، والتطور في الواقع الذي يعيش فيه هذا الإنسان.

● سنة حكم العدل والجور

وإذا كان الله، سبحانه وتعالى، قد خلق كل شيء بقدر وقدره تقديرا

﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾

(الفرقان: ٢)

وجعل السنن والقوانين حاكمة لكل عوالم الخلق والوجود والاجتماع الديني والإنساني

﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾

(الفتح: ٢٣)

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾

(الأحزاب: ٦٢)

---

(١) أبو الأعلى المودودي (القانون الإسلامي وطرق تنفيذه في باكستان) ص٥٠، ٥٢. ترجمة محمد عاصم الحداد. طبعة بيروت سنة ١٣٩٢هـ سنة ١٩٧٢م

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾

(الإسراء: ٧٧)

فلقد شاء، سبحانه، أن تكون سنة التدرج حاكمة في كل ميادين التغيير، تقدما وإصلاحا كان هذا التغيير، أو تخلفا وتراجعا وانحدارا نحو الفساد.. فالحديث عن «الطفرات» و«الثورات» و«الانقلابات الفجائية» لا يعدو أن يكون حديثا عن «هبات» مفارقة لسنن التدرج، تقف عند حدود الغضب والهياج، أو الأماني والأحلام.. فحتى الجراحات لا تتم إلا بعد تدرج المرض وتطوره، ولا تؤتي ثمارها -في الشفاء- إلا بعد تدرج في العلاج.

وإذا كنا قد أشرنا إلى سنن التدرج في الإصلاح الديني.. لدى حكم التشريع الإسلامي.. والتطبيق لهذا التشريع، على عهد رسول الله ﷺ.. فإن لرسول الله حديثا أوتي من جوامع الكلم التي عبرت عن فلسفة السنة الحاكمة لكل ألوان التغيير الذي يصيب الاجتماع الإنساني عبر التاريخ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.. في كل ألوان التغيير.. تراجعا كان هذا التغيير عن معايير الصلاح الإسلامي، أو تقدما نحو معايير هذا الصلاح.. فالتغيير الذي يصيب الاجتماع الإنساني هو «دورات متواليات» -وليس خطا مستقيما، صاعدا نحو الصلاح، أو هابطا نحو الفساد- هو «دورات» يتعاقب فيها العدل والجور والصلاح والفساد، مع التدرج والتطور في هذا التغيير نحو الصلاح أو الفساد..

وفي هذا الحديث النبوي الشريف -الذي جاء نبوءة حاكمة لكل ألوان التغير وعوالمه في الاجتماع الإنساني- يقول رسول الله ﷺ:

«لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله، تبارك وتعالى، بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره» -رواه الإمام أحمد..

فدورات العدل والجور، وحقب الصلاح والفساد هي السنة التي تحكم سير الاجتماع الإنساني.. والتغيير في هذه الدورات محكوم بسنة التدرج.. فنفس الجور والفساد الذي يظهر وينمو يكون قبر العدل والصلاح الذي يتوارى.. وكذلك الحال في الدورات العكسية.. حتى لكأننا أمام التدرج في ظاهرتي الشروق والغروب للشمس مثلا، دونما «طفرة» أو «انقلاب فجائي».. بل إن ما يحسبه البعض «طفرة» أو «فجاءة» إنما هي خطة في سلك التدرج وتوالي التطور والتغيير.

في تاريخنا القديم

والذين يفقهون حقيقة التغيرات التي أصابت الاجتماع الإسلامي بعد عصر النبوة، سواء منها التغيرات السلبية والإيجابية.. والفساد الذي طرأ عليه أو الإصلاح الذي غالب الفساد وتدافع معه سيجدون مصداق والتصديق لهذه السنة -سنة التدرج في التغيير- التي تحدث عنها هذا الحديث الشريف لرسول الله ﷺ.

فالتغيرات التي أصابت نموذج العصر النبوي والعصر الراشدي -والتي جاءت من وافد مواريث البلاد المفتوحة وثقافات الشعوب التي دخلت في إطار الرعية والأمة دون أن تتم عملية تغيير مواريثها فيه الإسلام.. والتي جاءت -أيضا- من النفوس التي تغيرت عندما ابتعدت عن وهج النور الرسالي للعهد النبوي.. هذه التغيرات التي أصابت قيم ونظم الشورى والعدل الاجتماعي كثير من سواها وقبل سواها.. لم تحدث فجأة ولا طفرة، وإنما حكمتها سنة التدرج في الاتجاه نحو الجور والظلم والفساد.

وكذلك الحال مع التغيرات التي جسدتها حقبة الراشد الخامس والمجدد الأول عمر بن عبدالعزيز (٦١-١٠١هـ ٦٨١-٧٢٠م) رضي الله عنه وأرضاه، والتي أحلت العدل محل الجور، والصلاح محل الفساد.. وردت المظالم إلى أصحابها.. والتي مثلت ملحمة من ملاحم التجديد والتغيير العدل في الاجتماع الإسلامي.. هذه التغيرات العادلة والصالحة لم تتم فجأة ولا طفرة.. وإنما تدرجت عندما بدأت بالخليفة نفسه.. فزوجه.. فأمراء بني أمية.. وصولا إلى كل الذين اغتصبوا ما ليس لهم من مال الأمة وبيت مال المسلمين.. حتى لقد استغرقت هذه التغييرات كل عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز!.

ولقد عبر عمر بن عبدالعزيز عن تلك التغييرات التي تدرجت بالاجتماع الإسلامي نحو الجور والمظالم.. والتي ورثها الخليفة عن الذين سبقوه من خلفاء بني أمية.. عبر عنها الخليفة العادل عندما وصف الواقع الاجتماعي في ميدان الثروات والأموال.. والتغييرات المتدرجة التي نقلته من العدل إلى الجور، فقال:

«إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا ﷺ رحمة، لم يبعثه عذابا، إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده، فقبضه إليه، وترك للناس نهرا شربهم فيه سواء. ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله. ثم ولي عمر، فعمل على عمل صاحبه. فلما ولي عثمان اشتق من النهر نهرا، ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار. ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد، ومروان، وعبدالملك، والوليد، وسليمان، حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم. ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم كما كان عليه..»[2]!.

وكما تمت التغييرات السلبية، من العدل إلى الجور، بالتدرج، بدأ عمر بن عبدالعزيز ملحمة التغيير من الجور والظلم إلى العدل والصلاح، بالتدريج أيضا.. فبدأ بنفسه، عندما جعلها القدوة الصالحة والعادلة.. وعندما رد جميع المظالم التي ورثها عن أسلافه إلى بيت مال المسلمين، وقال -وهو يرد «إقطاع فدك»-: «إن أهلي أقطعوني ما لم يكن لي أن آخذه، ولا لهم أن يعطونيه»[3]!.

لقد جعل عمر بن عبدالعزيز من عامي خلافته سلسلة متدرجة ومتصلة من رد المظالم، انتقلت بالاجتماع الإسلامي من الجور إلى العدل ومن الفساد إلى الصلاح حتى لقد قالوا: «إنه مازال يرد المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات»[4]!.

---

(٢) الأصفهاني (كتاب الأغاني) جـ٩ ص٣٢٧٥، ٣٢٧٦ تحقيق إبراهيم الإبياري طبعة دار الشعب- القاهرة

(٣) البلاذري (فتوح البلدان) ص٣٩ طبعة القاهرة سنة ١٣١٩هـ وابن الأثير (الكامل في التاريخ) جـ٥ ص٢٩- طبعة القاهرة سنة ١٣٠٣هـ

(٤) ابن سعد (كتاب الطبقات) جـ٥ ص٢٥٩- طبعة دار التحرير- القاهرة

كما عبر عن وعيه بضرورة التدرج في هذا التغيير الإصلاحي، رغم شوقه للعدل وحماسه الشديد للإصلاح، واستعداده لأن يبذل روحه في سبيل هذا الإصلاح، فجمع قوله: «لو كان كل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي، حتى يأتي آخر ذلك على نفسي، كان في الله يسيرا»[1]!.

إلا إن حماسه للإصلاح، واستعداده للفداء والاستشهاد في سبيله لم يدفعه إلى محاولة إتمامه فجأة وطفرة، وإنما سلك إليه سبيل التدرج. ودافع عن هذا المنهاج في التغيير، في حواره مع ابنه عبدالملك، الذي كان يتعجل التغيير والإصلاح، فقال لأبيه:

«يا أبت، مالك لا تنفذ في الأمور؟! فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور»!

فرد عليه عمر بن عبدالعزيز، بحكمة رجل الدولة، وخبير الإصلاح، والفقيه في سنة التغيير التدريجي، قائلا:

- «لا تعجل يا بني! فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه، وتكون فتنة»[2]!.

فلقد كان هذا الراشد العادل واعيا بسنة الله في التدرج بالإصلاح والتغيير العادل.. وعارفا بضرورات التعايش - مؤقتا - مع مقادير من الجور والظلم والفساد حتى يحين الحين فيحل التغيير التدريجي محلها العدل والصلاح.. بل لقد تحدث صراحة عن هذه الحقيقة من حقائق سنة التغيير، فقال:

«إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل، فأخاف ألا تحتمله قلوبهم، فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا»[3]!.

فهو هنا يتجاوز مستوى «التعايش» مع مقادير من الجور وألوان من الفساد، حتى يحين حين التغيير التدريجي لها، وإحلال مقادير من العدل والصلاح محلها.. يتجاوز هذا المستوى، إلى الحديث عن مستوى آخر، وهو «تغليف» العدل بشيء من «طمع الدنيا»، كي تتقبله النفوس التي «تغلغلت» بقيم الاجتماع الفاسد والجائر الذي طرأ على حياة الناس!.

وتلك - لعمري! - عبقرية في فقه التدرج بالتغيير - جسدتها تجربة الراشد الخامس والمجدد الأول عمر بن عبدالعزيز.. وعبرت عنها كلماته الراشدة الحكيمة في فلسفة هذا المنهاج.. وجسدتها تجربته العملية التي لازالت مضيئة في تاريخ الإصلاح الإسلامي، تستحث خطا المصلحين على هذا الطريق..

---

(1) د. محمد عمارة (عمر بن عبدالعزيز: ضمير الأمة وخامس الراشدين) ص٢٣٦ طبعة دار الوحدة - بيروت سنة ١٩٨٥م.

(2) [illegible]

(3) [illegible]

وفي العصر الحديث

وإذا انتقلنا من الفلسفة الإسلامية في التغيير.. والتطبيقات النبوية والراشدة لفلسفة هذا المنهاج التغييري، إلى الواقع الإسلامي في العصر الحديث.. فإننا سنجد سنة التدرج عاملة وحاكمة في ميدان الإفساد الذي جاء في ركاب الاستعمار الغربي الحديث، والذي استفاد غزوه الثقافي والقيمي والإعلامي للعقل المسلم والواقع الشرقي من الفراغ الذي صنعه الجمود والتقليد، ومن التخلف الحضاري الموروث.. سنجد سنة التدرج حاكمة لهذا الغزو الفكري والثقافي والإعلامي والقيمي الذي اخترق عقلنا المسلم وواقعنا الشرقي..

كما سنجد سنة التدرج، أيضا، واضحة في نوايا ومقاصد ومخططات حركات الإصلاح الإسلامي التي تصدت لتغيير هذا الفساد الذي أحدثه الاستعمار الغربي في ثقافة المسلمين.

فالتسلل القانوني - للقانون الوضعي العلماني - قد دخل بالتدريج إلى عقلنا الفقهي ومؤسساتنا القانونية والقضائية والتشريعية والتغيرات التي أحدثها الاستعمار بواقعنا الاقتصادي والاجتماعي، والتي فتحت الأبواب التي فيها خصوصية والثقافة، قد تمت هي الأخرى بالتدريج.. بل وبالتدريج [illegible] في [illegible] الأجنبي.. والاختراق التغريبي لمناهج التعليم في بلادنا الإسلامية قد بدأ بالضرورات الرئيسة في علوم الطبيعة المدنية وتطبيقاته ثم تطرق الاختراق - بالتدريج أيضا - إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية.. ثم تصاعد حتى صار طرف من علوم العقيدة والشريعة - التي ندرسها [illegible] من أبنائنا على أيدي مستشرقين، وتلامذتهم!.. كما تسرب هذا الاختراق واستولى على الكثير من ميادين الفنون والآداب، مستفيدا - أيضا - من الفراغ الذي أحدثه الجمود والتقليد عندما عجز سدنته عن إبداع البدائل الإسلامية التي تغذي العقل والوجدان في هذه الميادين..

***

ولقد كانت دعوات الإصلاح الإسلامي، والحركات التي انتظمت حول هذه الدعوات، واعية بسنة التدرج هذه في حلول الفساد التغريبي موقف القانوني الذي عبر عن التغيرات الثقافية والقيمية الجديدة.. وكانت هذه الدعوات الإصلاحية واعية أيضا بسنة التدرج في مسيرة الإصلاح الإسلامي لهذا الفساد التغريبي..

وإذا شئت نماذج محددة وشاهدة - كي لا يطول بنا الحديث - على وعي حركات الإصلاح الإسلامي الحديثة والمعاصرة بهذه السنة - سنة التدرج في الغزو الثقافي الغربي لنفوس المسلمين وعقولهم - وأيضا الوعي بضرورة التدرج في إصلاح هذا الفساد، وتنقية الحياة الثقافية من آثاره.. فإن في رؤية كل من الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا (١٣٢٤-١٣٦٨هـ ١٩٠٦-١٩٤٩م) والعلامة الأستاذ أبي الأعلى المودودي (١٣٢١-١٣٩٩هـ ١٩٠٣-١٩٧٩م) نماذج للرؤية الإصلاحية في هذا الميدان.



حسن البنا

فالإمام البنا يتحدث عن تسلل القيم الغربية إلى نفوس المسلمين، بتدرج وسلاسة، أحلت هذه القيم محل القيم الإسلامية، حتى لقد غدت محبوبة ومعشوقة من نفوس المسلمين!.. فيقول:

«إن الحضارة الغربية، بمبادئها المادية، قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية، بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معا، في أرض الإسلام نفسه، وفي حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري.. لقد عمل الأوروبيون على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التي امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة.. ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم بمدارسه العلمية والثقافية في عقر دار الإسلام، والتي صنعت أبناء الطبقة العليا، فعلمتهم كيف يستصغرون نفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم، ويقدسون كل ما هو غربي، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوروبيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة.. نجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم أعظم النجاح. فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب طويل العمر، قوي الأثر، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف»(8).

فهذا الغزو قد تم في ميادين الثقافة والإعلام والاجتماع -أي في عالم النفوس والوجدان- في الوقت الذي حرم فيه الاستعمار بلادنا من العلوم النافعة والضرورية لعمران وترقية الواقع المادي في بلادنا.

وإذا كان الغزو العسكري قد تم في معركة، ووقت وجيز، فإن هزيمته يمكن أن تتم بنفس الوتيرة.. أما هذا الغزو الثقافي والإعلامي والقيمي والاجتماعي، فإن تمامه ببطء وتدريج، يجعله «طويل العمر» -كما يقول الشيخ حسن البنا..

وهذا الذي أشار إليه الأستاذ البنا قد فصل فيه الأستاذ المودودي.. عندما تحدث عن التدرج في الغزو الغربي لثقافة المسلمين.. وعن التدرج الذي يجب أن تسلكه الجهود الإصلاحية لإحلال البدائل الإسلامية محل الإفساد الفكري والثقافي والإعلامي والقيمي الغربي.. يتحدث المودودي عن تدرج الإفساد فيقول:

«إن الإنجليز قد صرفوا مدة قرن كامل تقريبا في تبديل نظام البلاد القانوني.. بدلوا نظام حياتنا أولا شيئا فشيئا.. وأعدوا رجالا لا يتفكرون ولا يعملون إلا حسب نظرياتهم وأفكارهم.. وعملوا عملا متواصلا على تغيير أذهان الناس وأخلاقهم ونظامهم الاقتصادي بنشر الأفكار وبتأثير السلطة والاستيلاء، أي ظلوا يلغون القوانين القديمة ويضعون مكانها قوانينهم الجديدة.. على قدر ما قلت

(8) [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] رسالة (بين الأمس واليوم) ص ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠ طبعة دار الشهاب- القاهرة- بدون تاريخ.



المودودي

تأثيراتهم المختلفة تغير من نظام البلاد الاجتماعي».

فهو «تدرج جدلي» في تغيير الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي والقيمي.. ينتج عنه غربة المجتمع عن الشريعة الموروثة.. فيأتي إحلال القانون الغربي ليحكم حركة الواقع المتغرب.. هكذا استمر الاستعمار يمارس هذا «التغيير- الجدلي- المتدرج» نحو قرن من الزمان في شبه القارة الهندية.

ثم يتحدث المودودي -باستفاضة- عن ضرورة سلوك حركة الإصلاح الإسلامي سبيل التطور.. والتزامها الوعي بسنة التدرج في التغيير لهذا الواقع الاجتماعي والثقافي والقيمي الذي كرسه الاستعمار الغربي.. فيقول:

«إننا إن كنا نريد حقا أن يحالفنا التوفيق في إنفاذ فكرة إقامة الدولة الإسلامية حالة العمل والتنفيذ، فلابد أن ننتبه للقاعدة الفطرية التي لا تقبل التغيير، وهي أنه لا يحدث الانقلاب في الحياة الاجتماعية إلا بالتدريج، ولابد أن يكون كل انقلاب حدث غير محكم على قدر ما يكون فوريا متطرفا، ولابد لكل نظام راكز الدعائم والأصول أن يجري في كل جهة من جهات الحياة وناحية من نواحيها بالتدريج، حتى تساند كل ناحية نواحيه الأخرى.. أما الذين يظنون أن جميع القوانين الماضية ستلغى دفعة واحدة، ويحل مكانها القانون الإسلامي فجأة بمجرد إعلان تغيير نظام الحكومة، فإنهم لا بصر لهم في المسائل العملية، وما إحداث الانقلاب عندهم في النظام الاجتماعي إلا كلعبة الأطفال!.. أو هم يتمنون أن يحصدوا زروعهم بعد غرسه على الفور!».

ثم يضرب المودودي المثل على سنة التدرج الحاكمة، وعلى التلازم بين التغيير التدريجي للواقع وبين التغيير التدريجي للقانون والفكر والثقافة -التي تسهم هي الأخرى في دفع التغيرات الواقعية إلى الأمام- يضرب مثلا على ذلك بالمنهاج في التغيير بالنموذج النبوي في دولة الإسلام الأولى، بالمدينة المنورة. فيقول:

«وأحسن أسوة لنا في هذا الصدد ذلك الانقلاب الذي تم على يد رسول الله ﷺ.. إنه لم ينفذ القانون الإسلامي بجميع شعبه ونواحيه دفعة واحدة، بل كان -قبل هذا الانقلاب- قد مهد الأرض وأعد المجتمع لقبوله، ونزل شيئا فشيئا مع هذا الإعداد، يبدل طرق الجاهلية ويستعيض بها طرق الإسلام وقواعده الجديدة.. حتى إذا مرت على ذلك تسع سنوات، تم في البلاد في جانب ناحية الإسلامية، وفي الخطبة الأخير نفاذ القانون الإسلامي بأسره.. فمن المحتوم إذن ألا يتم الإصلاح والتغيير المنشود إلا على مبدأ التدرج»(9).

ثم فصل المودودي تفصيلا في كيفية هذا التدرج، وفي ضرورة تزامل وتزامن «الجدل» بين تغيير الواقع

(9) المودودي [illegible] ترجمة محمد عاصم الحداد [illegible] (الإسلام وهديه في السياسة والقانون) سنة ١٣٨٩هـ سنة ١٩٦٩م. ود. محمد عمارة (أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية) ص٣٦٢، ٣٦٨، ٤١٤، ٤١٦، ٤٦٩ [illegible]

الاجتماعي والإبداع الفكري.. وبين سياسات تغيير الواقع وتجديد الفكر.. ودور التجديد الفكري وإبداع البدائل الإسلامية في دفع الواقع باتجاه إسلامية النموذج الثقافي ومنظومة القيم الإسلامية..

●●●

تلك هي سنة التدرج، كما تجلت في:

● السنن الإلهية الكونية في خلق العالم.. وخلق الإنسان..

● والسنن الإلهية التاريخية في الوحي بالشرائع السماوية الهادية للإنسان..

● والتطبيقات النبوية- لسنة التدرج هذه- في الاجتماع الإسلامي، بالدولة الإسلامية الأولى..

● والإصلاح الإسلامي الراشد، كما تمثل في تجربة الراشد الخامس والمجدد الأول عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنه وأرضاه.

● وكما تجلت - أيضا - في فكر أبرز الدعوات والحركات الإصلاحية الإسلامية الحديثة والمعاصرة.. وخاصة في منهاج كل من الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا.. والعلامة الأستاذ أبي الأعلى المودودي.. الأمر الذي يقول لنا:

إن إعمال هذه السنة الإلهية الكونية في ميادين الإصلاح والتغيير للواقع الإسلامي الراهن، لدى فساد التغريب الكثير من نواحي فكره وثقافته وإعلامه ومنظومة قيمه.. لابد وأن يعني سلوك طريق التدرج في هذا التغيير المنشود.

فبقدر ما تتكون الكتيبة التي تبدع البدائل الإسلامية المحكومة بالقيم الإسلامية في الثقافة والإعلام.. وبقدر ما تطل هذه البدائل الإسلامية على الواقع المعيش.. بقدر ما تكون بدايات التغيير للواقع الاجتماعي للثقافة والإعلام وتوجه هذا الواقع نحو الانضباط بمنظومة القيم الإسلامية.. وبقدر التغيرات الجزئية والتدريجية التي يحققها الإبداع الثقافي والإعلامي الإسلامي في الواقع الاجتماعي بقدر ما تتزايد المساحات المحكومة بالقيم الإسلامية في الإبداع الفكري والثقافي والمادة الإعلامية.

وعلينا أن ندرك - في صراحة ووضوح - أن سنة التدرج هذه إنما تعني مصاحبة الإصلاح الإسلامي الجديد- حينا من الدهر- لكثير أو قليل من الفساد التغريبي- الوافد والموروث-.. وأن نتذكر، حينا وداثما، منهاج الراشد الخامس والمجدد الأول عمر بن عبدالعزيز في التدرج الإصلاحي.. والإصلاح المتدرج، الذي لم يقف، فقط، عند التعايش- مؤقتا- مع مقادير من الجور الموروث، وإنما سلك سبيل «تغليف» العدل ببعض طمع الشهوات في زينة الحياة الدنيا، وصولا إلى إحلال العدل الخالص محل الجور والطمع والشهوات.. فقال، رضوان الله عليه، كلمته الحكيمة الجامعة:

«إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل، فأخاف ألا تحتمله قلوبهم، فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا..»!

تلك هي سنة التدرج، وهذا هو قانونها الحاكم في كل عوالم الخلق.. والإصلاح والتغيير.. وذلك هو منهاجها في الخروج بأمتنا من واقعها الفكري والثقافي والإعلامي الراهن إلى حيث الإصلاح الإسلامي المنشود.

مع ضرورة:

● صدق النية في الإصلاح الكامل- قدر الطاقات والإمكانات-.. وليس مجرد «الترقيع».. والاكتفاء بسياسة محاورة الصلاح للفساد.. والتعايش بينهما بدعوى وضع النماذج المخلفة عن الأذواق المختلفة.. فالإصلاح الإسلامي الشامل للمظاهر المتغربة هو هدف من الأهداف الرئيسية للإصلاح.

وعلينا أن نميز بين صدق النوايا في التدرج الإصلاحي وبين النوايا الكاذبة التي تتحدث عن «التدرج» بينما يضع أصحابها النموذج الإسلامي في «الأدراج»!!.

فمثالية الصالحة.. والعزم الصادق.. والتخطيط الراشد.. والتعبئة الواعية- وفق سنة التدرج- تتحقق آمال المصلحين في الإصلاح.

● وعدم الاكتفاء بالنوايا الصادقة في الإصلاح الكامل.. وإنما العمل المتواصل على تقديم النماذج الثقافية والإعلامية الصالحة.. تقديم البديل الإسلامي.. وتوسيع مساحة هذا البديل باستمرار.. ليتوازى- مع نموه- النموذج الفاسد والسلبي في الثقافة والإعلام..

● وتقدير الضرورات بقدرها، وذلك حتى لا تنفلت معايير الضرورات في التعايش مع نماذج من الثقافة السلبية.. والحرص على أن تكون هناك موازنات بين السيىء والأسوأ والأقل سوءا في المادة التي يتم التعايش معها مؤقتا.

● وكما يجب إعمال قاعدة سنة التدرج إلى الأسوأ.. فيجب بالإمكان إعمال قاعدة التدرج إلى الأقل سوءا.. حتى يفضي التعايش المؤقت معه إلى الإصلاح الأكثر والأعم.

● مع الحرص على أن تكون هناك منابر ثقافية وإعلامية خالصة الإسلامية، تمثل مراكز للتوجيه والتعريف بالنموذج الإسلامي.. ودائمة الإشعاع على سائر الساحة الثقافية والفضاء الإعلامي.. فضرب الأمثال.. وانعطاف قطاعات واسعة من الجماهير نحو هذه النماذج، هو من أفعل الوسائل في تنمية الإصلاح بميادين الثقافة والإعلام..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.. وصلى الله وسلم على الرسول الخاتم، إمام المصلحين إلى يوم الدين.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾
(البقرة ٨ - ١٠)

سمى يوم القيام باليوم الآخر لأنه آخر الأيام، فإن اليوم الذى كانت به الحياة الأولى هو ابتداء طور جديد من الحياة ينتهى بالموت. ويوم القيامة ابتداء طور آخر لا موت بعده.

قدمت أن الكلام من أول السورة فى القرآن وأقسام الناس بإزائه، وذكرنا منهم ثلاث فرق: فرقتان لهما فيه هدى (إحداهما) متقون، ومن حالهم بقوله

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾
(البقرة ٣)

ومنهم الذين كانوا يدعون الحنيفيين: والمنصفون من أهل الكتاب الذين كانوا ينتظرون إشراق نور الحق ليهتدوا به، كما تقدم. (والثانية) هى المذكورة فى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾
(البقرة: ٤)

وهم كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب وغيرهم على التحقيق.

وبينا أنه يوجد بإزاء هاتين الطائفتين طائفتان أخريان، لا ترجى هدايتهما بالقرآن: الأولى منهما، هى المشروح حالها فى قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
(البقرة: ٦)

إلخ.. وهى - كما قدمنا - تنقسم إلى قسمين: جاحدين لا يسمعون، ومعاندين يعرفون الحق ولا يذعنون

وهذه الآيات التى نحن بصدد تفسيرها الآن، هى المبينة لحال الفرقة الرابعة، وهى فرقة من الناس توجد فى كل آن وفى كل عصر. وليست الآيات كما قيل فى أولئك النفر من المنافقين الذين كانوا فى عصر التنزيل - ولذلك، قال تعالى فى بيان حالهم:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

ولم يقل عنهم إنهم يقولون مع ذلك «آمنا بك يا محمد». وما كان القرآن ليعتنى بأولئك النفر الذين لم يلبثوا أن انقرضوا كل هذه العناية. ويطيل فى بيان حالهم أكثر مما أطال فى الأصناف الثلاثة الذين هم سائر الناس

نعم، إن الآيات - على عمومها - تتناول من كان منهم فى عصر التنزيل تناولا أوليا، وتصف حالهم وصفا مطابقا. وهى مع ذلك عبرة عامة شاملة لمن مضى ولمن يجئ من هذا الصنف إلى يوم القيامة. وقد كان ويكون من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس، ومن كل طائفة تدعى أنها على دين، ولم يخلُ عنهم دعوى الإيمان بالأشياء والأعمال الصالحة - مع أن منهم الذين يدعون ذلك - لأن الإيمان باليوم الآخر يتضمن ذلك، فهو إنما يعرف من قبل الأنبياء، وهذا ضرب من ضروب إيجاز القرآن التى بلغت حد الإعجاز.

قد يقال: كان فى أولئك القوم من كانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، كمنافقى اليهود، فلم كذبهم ونفى عنهم الإيمان نفيا مطلقا مؤكدا بدخول الباء فى خبر ما، فقال:

﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾

أى بداخلين فى جماعة المؤمنين الصادقين البتة وهو أبلغ من نفى نفس الإيمان المطابق للعظيم والمقيد بالإيمان بالله وباليوم الآخر.

والجواب: إن اعتقادهم التقليدى الضعيف، لم يكن له أثر فى أخلاقهم وأعمالهم. فلو حصل ما فى صدورهم، ومحص ما فى قلوبهم، وعرفت مناشئ الأعمال من نفوسهم، لوجد أن ما كان لهم من عمل صالح - كصلاة وصدقة - فإنما مبعثه رياء الناس، وحب السمعة، وهم من وراء ذلك منغمسون فى الشرور، كالإفساد والكذب والغش والخيانة والطمع وغير ذلك من الرذائل التى حكاها عنهم الكتاب، ونقلها رواة السنة. وهذه الأعمال تدل على أنهم لا

يؤمنون بالله كما يحب ويرضى أن يؤمن به، وهو أن يشعر المؤمن بعظيم سلطانه، ويعلم أنه سبحانه مطلع على سره وإعلانه، لأنه مهيمن على السرائر، وعالم بما في الضمائر، فيرضيه بظاهره وباطنه. بل كانوا يكتفون ببعض ظواهر العبادات، يظنون أنهم يرضون الله تعالى بذلك. والعمل الظاهر الذي لا يصدقه الباطن، إذا قصد به إرضاء آخر يسمى في اللغة مداجاة ومداراة ومخادعة. فإن كان يقصد به المخادعة فظاهر، وإلا فيكفي لصحة الإطلاق أن العمل عمل المخادع، لا عمل الطائع الخاشع. وهذا مراد القرآن من مخادعة هؤلاء الذين هم أهل الكتاب المؤمنين بالله إيمانًا ناقصًا، لم يقدروا الله فيه حق قدره. ويستحيل أن يقصد المؤمن بالله تعالى مخادعته، ولكنهم لجهلهم بالله ظنوا به ما سوغ وصفهم بما ذكر عنهم فهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾

وأما قوله:

﴿ وما يخادعون إلا أنفسهم ﴾

فهو بيانه للواقع. فإن هذه الأعمال لا قيمة لها عند الله، خلافًا لما يتوهمونه عن غير هدى ولا بينة

إذا رجع الإنسان إلى نفسه، وأصغى لمناجاة سره، يجد عندما يهم بعمل شيء أن في قلبه طريقين، وفي نفسه مختصمين، أحدهما يأمره بالعمل وسلوك الطريق الأعوج، وآخر ينهاه عن العوج، ويأمره بالاستقامة على النهج. ولا يترجح عنده داعي الشر، ولا يجيب داعي السوء، إلا إذا خدع نفسه بعدم المشاورة والمذاكرة المطلوبة فيها، وصرفها عن الحق، وزين لها الباطل. وهذه الشئون النفسية في غاية الخفاء، تكون سريعة التخادع، ثم الترجيح، ويمر ذلك كله كلمح البصر، وربما لا يلتفت إليه الإنسان بفكره. ولذلك قال:

﴿ وما يشعرون ﴾

فإن الشعور هو إدراك ما خفي

فمعنى نفي الشعور عن المنافقين في مخادعتهم لله تعالى، أنهم يجرون في كذبهم وتلبيسهم وريائهم على ما ألفوا وتعودوا، فلا يحاسبون أنفسهم عليه، ولا يراقبون الله فيه، وما كلهم يؤمنون بوجود الله وإحاطة علمه. ومن يؤمن بوجوده، ولم يتدبر على حقيقته ومراقبته، ولا يفكر فيما يرضيه وفيما يغضبه، فهو يعمل عمل المخادع له وما يشعر بذلك. وأما مخادعتهم للمؤمنين فظاهرة، لأنهم يخدعونهم عمدًا، وهم عاجزون عن إظهار عداوتهم، فأعمالهم التي يقصدون بها إرضاء المؤمنين كلها خداع ورياء.

هؤلاء المغرورون، إذا عرض زاجر الدين بينهم وبين شهواتهم، فقد يلهمهم من أنفسهم ما يسهل لهم أمره من أمل في المغفرة، أو تأويل إلى غير المراد، أو تحريف إلى ما يخالف القصد من الخطاب. وذلك لما في نفوسهم من ملكات السوء الحاكمة بتصوير من العقائد الملتوية، قد يتجلى للأعين فيما يسمونه إيمانًا، وما هم في حقيقة بمؤمنين، ولكنهم خادعون مخدوعون.

ولكنه يخفى عليهم من أنفسهم لا يشعرون، لأن ذلك يمر في أنفسهم وهم عنه غافلون

وفرق ظاهر بين ما يستحضره الشخص من المعلومات ويستعرضه عندما تسأل عنه، وما هو راسخ فيها من تلك المعلومات بصيرورته ملكة في النفس مشرفة على الإرادة باعثة لها على العمل. فمن العلوم، ما هو ثابت في النفس ممتزج بها، على النحو الذي ذكرنا، [illegible] حتى تصدر عنها الأعمال، وهي ما يعبر عنه بالأخلاق والصفات كالكرم والشجاعة ونحوهما، فإنها إنما تنطبع في النفس تبعًا للعلم الذي يلائمها، وهو العلم الحقيقي الذي تصدر عنه الأعمال، وربما يغفل الإنسان عنه ولا يلاحظه عندما يعمل. وفرق بين ملاحظة العلم واستحضاره، وبين وجوده وتحققه في نفسه.

ومن العلوم، ما يلاحظ الإنسان به [illegible]. فهو صورة عند النفس تستحضره عند المناسبة ويغيب عنها عند عدمها، لأنه لم يشربه القلب ولم يمتزج بالنفس فيصير صفة من صفاتها الراسخة التي لا تزايلها. وهذا النوع من العلم يتعلق بما تعلق به النوع الأول، كعلم الخلاف والجدل الذي يحصله طلبة الفقه الإسلامي مثلا، [illegible] يحوزه طلاب علوم الآداب والأخلاق والنظار في كتب [illegible] وتوسيع مجال القول وتوفير القدرة على حسن النطق وتحرير [illegible] عن العامل، يبقى في خزانة الخيال، تستحضره النفس عندما تدفعها الشهوة إلى تزيين ظاهر المقال، لا إلى تحسين باطن الحال. ولن يكون لهذا الضرب من العلم أثر في عمل من أعمال صاحبه، وتسميته علمًا لأنه يدخل في تعريفه العام: صورة من الشيء حاصرة عند النفس، وعند التدقيق لا ترتفع به منزلته إلى أن يندرج في معنى العلم الحقيقي.

فيستحضر هذا العلم [illegible] ثم يغفل عنه [illegible] عند الاشتغال بشيء آخر

فهؤلاء الذين يخادعون أنفسهم ويخادعون الله تعالى، عندهم علم حقيقي تنبعث عنه أعمالهم، وإن كان باطلا في نفسه، وهو تصديقهم بما في شهواتهم، من المصلحة لذواتهم. وهو الذي رجح عندهم اختيار ما فيه قضاؤها والانصياع إلى ما تدعو إليه، وهو ما أنساهم ما كانوا خزنوا في أنفسهم من صور الاعتقادات الدينية. فأبعدهم ذلك عن الاعتقاد الحقيقي الذي يعتد به وجعله رسمًا محفوظًا في الخيال، لا أثر له في الأعمال، يدعونه بألسنتهم، ويكذبهم في دعواهم أعمالهم وأحوالهم، [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٣)

فإنه هناك ذكر إيمانهم وقفى عليه بذكر العمل يشهد له، ومن هنا يعلم ما الإيمان الذي يعتد به القرآن، [illegible]

ليحاسب به نفسه، ويزن إيمانه وأعماله بما حكم به على إيمان من قبله وأعمالهم، لا لمن يقرؤه على أنه قصة تاريخية مات من يحكى عنهم، واستثنى القارئ نفسه ممن حكم عليهم فيها

فإن كان مات من كانوا سبب النزول، فالقرآن حي لا يموت، ينطق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان. فكل مؤمن بالله واليوم الآخر، ومع ذلك يصدر في عمله عن شهواته، ولا يمنعه إيمانه عن ركوب خطيئته، فعقيدته [illegible] هو خيال، لا يعدو عن لفظ في مقال، ودعوى عند جدال. فإذا ركن إلى هذا المعتقد فهو خادع لنفسه، مخادع لربه، يظن أن علام الغيوب لا ينظر إلى ما في القلوب.

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾

عهد عند العرب التعبير عن العقول بالقلوب. والمرض هو ما يطرأ على العقول فيضعف تألقها وإدراكها. والشك والوهم من أعراض هذا المرض. فهو ظلمة تعرض للعقل، فتقف شعاعه [illegible] والأحكام من الأسرار والحكم. وهذا النفوذ هو الفقه في الدين الذي يسوق النفس إلى الأخذ به ظاهرا وباطنا، وقد عبر القرآن عن فقد أمثال هؤلاء [illegible] بقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ١٧٩)

وربما كان التعبير عن العقول بالقلوب في مثل هذا المقام، لأن القلب يظهر فيه أثر الوجدان الذي هو السائق إلى الأعمال.

يظهر لك ذلك بما تجده من اضطراب قلبك عند اشتداد الخوف أو اشتداد الفرح، فإنك تحس بزيادة ضربه وشدة خفقانه. فالصورة الاعتقادية إذا تناولها العقل من طريق التقليد والتسليم، فحصلت في زاوية من زوايا الدماغ، لم يكن لها سلطان على القلب ولا تأثير في الوجدان. واعتقاد لا يصحبه هذا السلطان ولا يصدر عنه هذا التأثير، لا يعتد الله تعالى به، ولا يستفيد الإنسان منه كما تقدم آنفا. فمن لم يطرق الإيمان قلبه بقوة البرهان، ولم يحل مذاقه منه في الوجدان، بحيث يكون هو المصرف له في أعماله، لا ينتفع بإيمانه، إلا إذا مرن على الأعمال الصالحة عن فهم وإخلاص، حتى يحدث لقلبه الوجدان الصالح. فأهل اليقين يبعثهم يقينهم على العمل الصالح، وأهل التقليد تحققهم أعمالهم الصالحة بأهل اليقين في الانتفاع بإيمانهم. وهذا الفريق الذي تحكى عنه الآيات، وتصفه بالكذب والخداع، قد فقد الأمرين معا، ولا صحة للقلب إلا بهما، فمن فقدهما مرض ولا يلبث مرضه أن يقتله.

ولضعف العقل أسباب، منها ما هو فطرى، كما هو حال أهل البله والعته، وهو الذي لا يكلف صاحبه ولا يلام، ومنها ما يكون من فساد التربية العقلية، كما هو حال المقلدين الذين لا يستعملون عقولهم، وإنما يكتفون بما عليه قومهم من الأوهام والخيالات، ويرين على قلوبهم ما يكسبونه من السيئات، وما يكونون عليه من التقاليد والعادات، ولا يعتنون بما أمر الله به من تمزيق هذه الحجب، وإزالة هذه السحب، للوقوف على ما وراءه من مخدرات العرفان، ونجوم الفرقان، وشموس الإيمان. بل

يكتفون بما حكى الله عنهم في قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(الزخرف: ٢٣)

حتى يجيء اليوم الذي يقولون فيه

﴿ [illegible] ﴾

(الأحزاب: ٦٧)

كان في قلوبهم المرض قبل مجيء النذير وبيان الرشد من الغي، عندما كانوا في فترة، حظهم من الكتب قراءة ألفاظها ومن الأعمال إقامة صورها

﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾

بعدما جاءهم البرهان المنير بمجيء البشير النذير، ووجدوا منه زعزعة في أنفسهم، ولكن أخذتهم العزة بالإثم فأبوا الإيمان، ونبوا عن القرآن، وزاد تمسكهم بما كانوا عليه واشتد حرصهم عليه، فكان شعاع النور الذي جاء به الرسول عمى في أعينهم ومرضا على مرضهم

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

أي عذاب مؤلم فوق همه [illegible] صيغة فعيل من ألم يألم فهو أليم وصف به العذاب [illegible]

﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

في دعواهم الإيمان بالله واليوم الآخر، فإنهم لم يصدقوا بأعمالهم ما يزعمونه من حالهم.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي يكذبون بالتخفيف أي بسبب تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه في القراءتين، وإنما جمعهم للرذيلتين، أي الكذب في دعوى الإيمان، وتكذيب النبي عليه الصلاة والسلام وما جاء به من الوحي، وهم إنما كانوا يكتمونه في أنفسهم، وفيما بينهم إذا خلوا إلى شياطينهم. والعذاب عقوبة عليهما معا، أي على التكذيب وهو الكفر، وعلى الكذب في دعوى الإيمان وهو النفاق. وهؤلاء في بعضهم شر من الذين كفروا عنادا من رؤساء قريش، فإنهم لم يكونوا يكذبونه صلى الله عليه وسلم، وإنما كانوا يجحدون جحود استكبار. قال تعالى:

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٣)

والقراءة الأولى هي المشهورة والعذاب فيها مترتب على الكذب لا بالتكذيب. وقد يقال لم جعل العذاب جزاء الكذب دون الكفر؟ والجواب أن الكفر داخل في هذا الكذب، وإنما اختير لفظ الكذب في التعبير للتحذير عنه، وبيان فظاعته وعظم جرمه، ولبيان أن الكفر من مشتملاته، وينتهي إليه في غاياته، ولذلك حذر القرآن منه أشد التحذير، وتوعد عليه أسوأ الوعيد. وما فشا الكذب في قوم إلا فشت فيهم كل جريمة وكبيرة، لأنه ينشأ من دناءة النفس وضعف الحياة والمروءة، ومن كان كذلك لا يترك قبيحا إلا بالعجز عنه. نعوذ بالله تعالى من عمله ومنه.

أقسام السنة النبوية عند الإمام محمود شلتوت



١

(١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ / ١٨٩٢ - ١٩٦٣م)

التعريف به:

- ولد بمنية بني منصور، مركز إيتاي البارود، محافظة البحيرة بدلتا النيل بمصر.
- تخرج في الجامع الأزهر الشريف، وحصل على العالمية سنة (١٣٣٦ هـ - ١٩١٨م).
- وعُيّن مدرسًا بمعهد الإسكندرية الديني، التابع للجامع الأزهر، سنة (١٣٣٧ هـ - ١٩١٩م)
- وشارك في ثورة مصر الكبرى ضد الاحتلال الإنجليزي سنة (١٣٣٧ هـ - ١٩١٩م)
- وانخرط مع تلاميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م). وفي مقدمتهم الشيوخ: محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٥ م)، ومصطفى عبد الرازق (١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ / ١٨٨٥ - ١٩٤٦ م)، وعبد المجيد سليم (١٢٩٩ - ١٣٧٤ هـ / ١٨٨٢ - ١٩٥٤م).. في العمل على تطوير الأزهر وتجديد مناهج التعليم والتدريس فيه.. وبسبب ذلك، فصل الشيخ شلتوت من الأزهر سنة (١٣٥٠ هـ / ١٩٣١م).. فعمل بالمحاماة الشرعية.. ثم أعيد للأزهر مع انتصار التيار الإصلاحي، وعودة المراغي إلى المشيخة ثانية سنة (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥م).
- مثّل الأزهر في مؤتمر لاهاي للقانون الدولي المقارن بلاهاي، سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م).. وقدم إليه بحثه عن (المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية).
- نال عضوية (هيئة كبار العلماء) سنة (١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م).. وكان أصغر أعضائها سنا.. وتقدم إليها ببرنامج لتنقية كتب التراث الإسلامي من الإسرائيليات. وآخر لدفع شبهات عن الإسلام.
- عُيّن عضوا بلجنة الفتوى في الأزهر الشريف.
- نال عضوية «مجمع اللغة العربية» سنة (١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م)، ضمن عشرة من كبار العلماء والمثقفين والفلاسفة واللغويين.
- انتدبته جامعة فؤاد الأول بالقاهرة لتدريس مادة «فقه القرآن والسنة» لطلاب دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق.
- عمل مستشارًا «للمؤتمر الإسلامي» [illegible] سنة (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م)
- تولى وكالة مشيخة جامع الأزهر، ثم أصبح شيخا له سنة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م) وصدر في عهده قانون تطوير الأزهر سنة (١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م)
- شارك مشاركة فعالة في دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وفي تحرير مجلتها «رسالة الإسلام».
- استقال من مشيخة الأزهر احتجاجا على تقليص سلطانه، سنة (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م)
- وبعد استقالته بأشهر قليلة - خمسة شهور - صعدت روحه إلى بارئها في (٢٧ رجب ١٣٨٣ هـ)، (١٣ ديسمبر ١٩٦٣م)

ومن تراثه الفكري:

١- الإسلام عقيدة وشريعة.
٢- من توجيهات الإسلام.
٣- الفتاوى.
٤- فقه القرآن والسنة.
٥- مقارنة المذاهب.
٦- منهج القرآن في بناء المجتمع.
٧- المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية.
٨- القرآن والقتال.
٩- القرآن والمرأة.
١٠- تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام.
١١- الإسلام والوجود الدولي للمسلمين.
١٢- تنظيم النسل.
١٣- رسالة الأزهر.
١٤- إلى القرآن الكريم.
١٥- يسألونك.

- ومن تقسيمه للسنة النبوية - التشريعية وغير التشريعية - فلقد عرض له في كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة».

تنبيه

في حديث الشيخ شلتوت عن السنة النبوية [illegible]

عدد من المصادر في علم أصول الدين يحسن تعريف القارئ بها، ومنها:

١- (مسلم الثبوت)، في أصول الفقه، للبهارى، محب الله بن عبدالشكور البهارى (١١١٩ هـ).

٢- (شرح مسلم الثبوت)، وهى (فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت)، في أصول الفقه، لبحر العلوم، أبوالعباس عبدالعلى محمد بن نظام الدين محمد اللكنوى الأنصارى.

٣- (التحرير)، في أصول الفقه، لابن الهمام الحنفى، كمال الدين محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد بن مسعود (٧٩٠ - ٨٦١ هـ).

٤- (فتح القدير للعاجز الفقير)، لابن الهمام.

٥- (مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث) لابن الصلاح، تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن موسى بن أبى نصر النصرى الشهرزورى الدمشقى، الشافعى (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ).

٦- (نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) لابن حجر العسقلانى، شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد الكنانى العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ).

٧- (شرح المقاصد - شرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين)، لسعد الدين التفتازانى، مسعود بن عمر بن عبدالله الهروى الشافعى (٧٢٢ - ٧٩٣ هـ).

٨- (كنز الوصول إلى معرفة الأصول) المعروف (بأصول البزدوى) لفخر الإسلام البزدوى، على بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم بن موسى (٤٨٢ هـ).

٩- (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم الأندلسى، أبومحمد على بن أحمد ابن سعيد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ)

١٠- (إعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن قيم الجوزية، محمد بن أبى بكر ابن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى الدمشقى (٦٩١ - ٧٥١ هـ)

١١- (إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان) لابن القيم.

١٢- (زاد المعاد في هدى خير العباد) لابن القيم.

١٣- (سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع الأدلة والأحكام)، للصنعانى، محمد بن إسماعيل الأمير بن صلاح الكحلانى ثم الصنعانى (١٠٥٩ - ١١٤٢ هـ)

١٤- (شرح الزيلعى)، وهو كتاب (تبيين الحقائق على كنز الدقائق)، وهو شرح الزيلعى، فخر الدين أبومحمد فخر الدين عثمان بن على بن محجن البارعى الزيلعى الحنفى (٧٤٣ هـ)، شرحه على (كنز الدقائق) للنسفى، في الفقه الحنفى.

١٥- (الفروق)، وهو كتاب (أنوار البروق في أنواء الفروق)، للقرافى، المالكى (٦٨٤ هـ).

السنة(٢)

السنة في الوضع اللغوي:

● السنة كلمة قديمة معرفة في اللغة العربية بمعنى الطريقة المعتادة، حسنة كانت أم سيئة، ومنه قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»(٣). وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة، بمعنى العادة المستمرة، والطريقة المتبعة؛ فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾ (آل عمران ١٣٧)

وقال عز وجل:

﴿[illegible]﴾ (الإسراء ٧٧)

وقال سبحانه:

﴿[illegible]﴾ (الأحزاب ٣٨)

وقوله عز وجل:

﴿[illegible]﴾ (الأحزاب ٦٢)

في صدر الإسلام ولسان الشرع:

● وقد قننها علماء الإسلام من القرآن والفقه، واستعملوها في معنى أخص من المعنى اللغوى، وهى بحسب استعمالهم: الطريقة المعتادة في العمل بالدين، أو بعبارة أخرى في الصورة العملية التى بها طبق النبى وأصحابه أوامر القرآن، على حسب ما تبين لهم من دلالة القرآن ومقاصده.

ويقرب منها في المعنى كلمات (السبيل، الصراط، الطريقة، الطريق المستقيم).

قال تعالى:

﴿[illegible]﴾ (النساء ١١٥)

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾ (يونس ٢٥)

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾ (الأحزاب ٢١)

وقال عز وجل:

﴿[illegible]﴾ (الجن ١٦)

---

(٢) (الإسلام عقيدة وشريعة) (ص ٤٧ – ٦٥، ٤٩٠ – ٤٩٩، ٥٠٠ – ٥٠٥) طبعة دار الشروق – القاهرة سنة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م)

(٣) رواه – مع تفاوت في بعض الألفاظ – عن مسلم والنسائى وابن ماجة والإمام أحمد

وقال سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] ٣٠)

وقال سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] ١٥٣)

وبهذا المعنى عرفت كلمة (سنة) في صدر الإسلام، ووردت مقترنة بالكتاب في وصايا الرسول في قوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله»[4].

والسنة المقرونة بالكتاب، والتي يكون التمسك بها كالتمسك بالكتاب في الوقاية من الضلال، ليست إلا الطريقة العملية المطردة التي نقلت عن الرسول نقلاً متواتراً [illegible] معروفاً عند الكافة. ومن الوصايا بها على هذا المعنى ما ورد من أحاديث رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»[5]، وقوله ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني» [illegible] في الوصية السابقة، ومنه أيضاً قوله ﷺ في المجوس: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[6]. أي اسلكوا في معاملتهم الطريقة التي اتبعت مع أهل الكتاب، وهذا في الجزية خاصة.

ويقابل (سنة) على هذا الاصطلاح كلمة (بدعة) التي فسرها النبي ﷺ بقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[7]. ويقرب منها في هذا المعنى كلمة (سبيل) الواردة في [illegible] المؤمنين [illegible] في قوله تعالى:

﴿ [illegible] سبيل المجرمين ﴾

(الأنعام ٥٥)

وقوله عز وجل:

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(الأعراف ١٤٢)

والخلاصة: أن كلمة (سنة) عربية الأصل، وجاءت في القرآن، واقتبسها المسلمون للطريقة التي كان عليها الرسول وأصحابه، وشاع ذلك في الصدر الأول، كما شاعت كلمة (بدعة) في [illegible] طريق آخر غير طريقهم.

في اصطلاح علماء الأصول

● ثم حدث لكلمة [illegible] الأصول معنى آخر، وهو ما روي عن النبي ﷺ من أقوال، أو أفعال، أو تقريرات.

وكانت بهذا المعنى المصدر الثاني من المصادر التشريعية، يستنبطون منها كما يستنبطون من المصدر الأول وهو القرآن، ويرجعون إليها في فهم المراد منه، ومن ذلك قول العلماء: (أصول الشرع: الكتاب والسنة).

ونظراً إلى ما لها من هذه المكانة، أفردها العلماء ببحوث خاصة ومسائل متنوعة، تتعلق بحجيتها وأقسامها، من جهة القبول والرد، والصحة والضعف، ومن جهة ما يثبت بها من الأحكام وما لا يثبت، ومن جهة مركزها من الكتاب، وتأثيرها فيه وعدم تأثيرها، إلى آخر بحوثهم.

زعم بعض الناس أن كلمة سنة أجنبية عن اللغة العربية

● هذا وقد زعم بعض الباحثين أن كلمة (سنة) مأخوذة من كلمة (مشناه) العبرية التي كان يطلقها اليهود على مجموعة الروايات الإسرائيلية، ويعتبرونها شرحاً للتوراة، ومرجعاً لهم في تعرف أحكامها، وأن المسلمين عربوها بكلمة (سنة)، وأطلقوها هم أيضاً على مجموعة الروايات المحمدية، واعتمدوها مصدراً لأحكام دينهم، كما فعل اليهود. ولعلك تعلم مما تقدم فساد هذا الزعم، فإن المسلمين الأوائل لم يستعملوا الكلمة في مجموعة هذه الروايات، وإنما استعملوها كما استعملها القرآن، وكما استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى الذي بيناه، وهو: الطريقة العملية التي كان يطبق بها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [illegible] القرآن [illegible] الكاملة [illegible] التشريعية. وأن إطلاقها على مجموعة الأقوال المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا بعد تمام المائة الأولى من تاريخ الإسلام، حيث قصدت الأحاديث والروايات بالجمع والتدوين.

على أن ما أطلقت عليه روايات عن الرسول نفسه صاحب الشرع، لا عن العلماء الذين [illegible] على نحو ما حصل في التسمي بكلمة (مشناه) بالنسبة للتوراة. ومع هذا الفارق الكبير فالسنة [illegible] القرآن المحفوظ بنصه المتواتر في نقله، بل كانت في المرتبة الثانية، لا يفزع إليها إلا حيث لم يوجد في الكتاب نص واضح في الحكم المطلوب، وعندئذ كانوا يتلمسون الأحاديث [illegible] فلم تكن عندهم بمثابة الروايات الإسرائيلية التي حلت على اليهود محل التوراة، وصارت مرجعاً لهم في تعرف أحكامها.

على أن هناك ما يقطع في المسألة من جهة [illegible] الأصول عن كلمة (مشناه) العبرية، وإنما أخذوها من صميم لغتهم وصريح كتابهم.

نعم رأوا أن مجموعة ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال، وأفعال، وتقرير، هو [illegible] درج عليها الرسول وأصحابه. فأطلقوا كلمة (سنة) على [illegible] في المرتبة الثانية من المصادر التشريعية، فكيف يصح أنهم اقتبسوها من العبرية؟ وكيف يصح أن يقال إن صنيعهم كصنيعهم؟

[illegible]

[illegible]

(٦) رواه مالك في الموطأ

[illegible]

الدين

٦



للأستاذ الدكتور / محمد عبد الله دراز

... وخلاف المذاهب فيه

المذاهب الكونية أو الطبيعية.

(أ) الطبيعة العادية

يرى فريق من العلماء أن العامل الأول في إثارة الفكرة الدينية كان هو النظر في مشاهد الطبيعة، ولاسيما الأفلاك والعناصر.

ذلك أن التأمل في هذا المجال غير المتناهي يجعل الإنسان يشعر بأنه محوط من كل جانب بقوة ساحقة هائلة، قوة مستقلة عن إرادة البشر، يخضع الجميع لتأثيرها، ولا قدرة لهم على تحويل سيرها أو تعديل نظامها، فيجتمع له من ذلك شعور مؤلف من دهشة وإعجاب، يرى به الكون أشبه شيء بالمعجزة، «وفي الحق لهو أكبر المعجزات، فإنه لا شيء أقل طبيعية من الطبيعة نفسها».

أشهر مفكري هذه النظرية هو العالم الألماني ماكس ميلر Max Muller في كتابه عن الأساطير المقارنة Comparative Mythology وهو لا يبنيها على هذا الاعتبار النفسي وحده، بل يستند فيها إلى وثائق لغوية، استمدها من دراسته المقارنة للأساطير والتماثيل القديمة، وعلى الأخص من دراسة الفيدا les vedas «كتب الديانة البراهمية»، حيث وجد أن أسماء الآلهة فيها هي في الغالب أسماء لتلك القوى الطبيعية العظيمة، كالسماء والنار ونحوها، وأن هذه الأسماء بعينها تتشابه حروفها في سائر اللغات المسماة بالهندية الأوروبية، فخلص من ذلك إلى أنه، قبل تشعب الشعوب الإنسانية وخروجها من موطنها الأول، كانت هناك لغة واحدة، تعبر عن هذا التقديس العام لقوى الطبيعة الكبرى، فتكون إذا هي الفكرة الأولى قبل ظهور الحضارات.

غير أنه لما كانت الديانة بمعناها الحقيقي لا توجد إلا حيث يوجد اعتقاد بكائنات حية عاقلة، فعالة، يتوجه إليها بالعبادة، لزم السؤال عن سبب هذا التطور الفكري من النظر في مشاهد الطبيعة، إلى التفكير في تلك الكائنات الروحية.

يجيب ماكس ميلر بأن هذه من أثر اللغات نفسها، لأنها في العادة تنسب لكل ظاهرة فعلا ينسبه فعل الإنسان، فنحن نقول إن النهر «يجري»، والشمس «تطلع» والهواء «يئن أو يزمجر»، والنار «تشهق أو تزفر» إلى غير ذلك: فهذه التعبيرات التي كانت في أصلها تعبيرات مجازية تشبيهية، طال بها الأمد حتى أحدث على حقيقتها؛ فصارت هذه العناصر نفسها تأخذ في الأذهان صورة الكائنات الحية المفكرة، ومن هنا نشأت عادة تمثيل الأفلاك والعناصر في رموز مجسمة على صورة حيوان أو إنسان. ولعب أحيانا في ذلك دور هام، فكان يرمز إلى الأشياء المتعددة التي يجمعها اسم مشترك باعتبارها حقيقة واحدة تتحول من نوع إلى نوع. وهكذا!

هل نحن بحاجة إلى تذكير القارئ بأن هذه المحاولة التي قد تنجح في تعليل الأساطير ونحوها، لا تصلح تفسيرا للأديان؟



ماكس ميلر

لقد اعترف ميلر بأن العقلية التي تتصور العناصر بصورة حيوان مفكر عقلية مريضة، ولعب الوهم والخيال في حينئذ حتى وصل بها إلى درجة خبل وهذيان.

ونريد نحن أنه في الوقت نفسه ليست عقلية دينية، كما يعلم مما أسلفناه في تحديد معنى الدين، وأنه اعتقاد في روح مستقلة تسيطر على الطبيعة لا في «نفس» محصورة في الطبيعة، سائرة فيها.

فالمعروف في تفسير هذه النقلة الفكرية، من المادة إلى الروح، أنه انتقال من الكائن إلى المكون، وهو انتقال معنوي طبيعي من غير حاجة إلى توسط اللغات فكما أن الناظر في جمال أثر فني لا يقدر أن يمنع نفسه من التفكير في ذوق الفنان، وأن الناظر في دقة الآلة المركبة يسبق فكره توا إلى مهارة المهندس، كذلك التأمل في عظمة الصنع وتكوينه يسوق بطبيعته إلى التفكير في عظمة القوة العاقلة التي تدبرها

وإذا كانت تلك النظرة الأسطورية (التي تستنطق الجماد وتعتقد أن في جوفه روحا عاقلة) ليست عقلية ولا دينية، فهذه النظرة الاستنتاجية، على عكس ذلك، دينية منطقية معا. ذلك أن العقل الإنساني لا يكاد يتصور أن جمادات لا روح فيها ولا شعور يمكن أن تتحرك بنفسها وتتنقل في

أوضاع منظمة، بين أجرام أخرى متحركة بحركات منتظمة مباينة لها على أبعاد [illegible] معقولة، من غير أن تكون مدفوعة مباشرة [illegible] وشعور، يحركها ويقلبها في تلك الأوضاع، على حساب ثابت دقيق.

[illegible] في دهشك بيتا منسق البنيان، فاخر الأثاث والرياش، قائما على جبل مرتفع، تكتنفه غابة كثيفة.. وقدر أن رجلا جاء إلى هذا البيت، فلم يجد فيه ولا حوله [illegible] عسى أن تكون صخور الجبل قد تناثر بعضها، ثم تجمع ما تناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع، بما فيه من مخادع [illegible] أشجار الغابة قد تشققت بنفسها ألواحا، [illegible] ثم أخذ كل منها مكانه فيه. وأن تكون [illegible] قد تحولت بنفسها أنسجة موشاة، ثم [illegible] في حجراته واستقرت على أرائكه، وأن المصابيح جعلت تهوي إليه بنفسها من كل مكان فنشبت في سقفه ثريات ووحدانا.. ألست تحكم بأن هذه حلم نائم، أو حديث [illegible] وزينته، والشمس والقمر والنجوم [illegible]

أيكون في حكم العقل أهون شأنا من [illegible] حتى بلغت الفطر إلى بارئه مصور، حي قيوم، خلق فسوى، وقدر فهدى؟

وإذا كان الإعجاب بالأثر الفني البارع، يحمل الإنسان بفطرته على التساؤل عن [illegible] عرف شخصه أو لم يعرفه، ليعبر له عن هذا الشعور والتقدير، أليس الإعجاب ببدائع الملكوت أحق بأن يتحول إلى مناجاة مبدعه، والإفضاء إليه بعبارات التبجيل العميق، والتقديس البليغ؟ وهل العبادة في جوهرها ولبها إلا ذلك؟

ألا وإنك لو أخذت تحلل هذه المناجاة [illegible] على عنصرين جوهريين: فهي تفترض [illegible] لأن يستقبل حديث من يناجيه، وتفترض ثانيا، أنه أسمى مقاما وأكمل صفة من الإنسان، لأنه يستطيع ما لا يستطيع [illegible] ولا تسمع نجواك، وإلا لكان المعبود [illegible] التي يتمتع بها عابده، وهو قول متناقض يهدم نفسه.

[illegible]

الطبيعة، والثاني حاسة وجدانية، وهي [illegible] جمال وجلال.

[illegible] في كل الأمم وفي كل العصور.

[illegible]

[illegible] من غير [illegible]

الاعتراضات على هذا النظرية

استبعد بعض الناقدين أن يكون النظر في صحيفة الكون سببا في إيقاظ هذا الشعور الديني العميق، فقال: إن استمرار [illegible] المفكرين، فليس لها هذا الأثر في تلك العقول الساذجة (١) التي تزعم أنها قادرة على تغيير قوانين الطبيعة، وأنها تستطيع - بوسائل خاصة - أن تستثير الرياح، وتستنزل الأمطار، الخ ويضيف هذا الناقد أن العقيدة الدينية نفسها تقرر هذا المعنى في عقول أهلها، حيث تعلمهم أن قوة الإيمان تزحزح الجبال، وهكذا تكون العقيدة مستمدة من [illegible]

---

(١) [illegible] PASCAL وكذلك KANT [illegible]

affaire [illegible]

Deux choses remplissent le coeur d une admiration et dune veneration toujours nouvelles ett ou - jours croissantes,a mesure que la reflection sy attache et sy applique le ciel etoile au - dessus de moi, et la loimorale en moi

[illegible]

شرها. لكانت الديانات كلها ضربا من الخرافة، لأنه ليس بالدعاء والصيام وتقديم القرابين ونحو ذلك يكون استدرار الأمطار، وإجراء الأنهار، واتقاء الحر والبرد، والجوع والعرى، والفقر والمرض وقد أثبتت التجربة فشل هذه الوسائل في غالب الأمر. ومن جهة أخرى لو كان مبعث العقيدة هو المشاهد الكونية، وهدف العبادة هو استرحام الطبيعة [illegible] الإنسان على تحقيق [illegible] فكيف [illegible] الديانات لم تنقطع يوما ما، ولن تنقطع عن الجماعة الإنسانية. فلابد أن يكون لها منشأ وهدفا آخرين. على أننا إذا استطعنا تفسير عبادة القوى الطبيعية العليا بشعور الانبهار [illegible] فكيف نفسر عبادة الأحجار والأشجار والحشرات، وتافه الأشياء التي لا توحي مثل هذا الشعور؟ وأخيراً كيف نفسر مذلك ما في الأديان من الفصل التام بين الأمور المقدسة والأمور العادية؟

هذه هي خلاصة النقد الذي وجهه دوركايم إلى نظرية التدرج من الشعور [illegible] إلى الشعور [illegible]

الإجابة عنه:

إنه لا ينكر أحد [illegible] [illegible] يعلا [illegible] من حدة الشعور [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] التفكير في مصدرها. ذلك مما لا شك فيه ولكن الظواهر الكونية مهما تتشابه أدوارها متقدمة لا تفتأ كل حركة منها تعرض على حواسنا صورا متجددة. وأنوار [illegible] طريقة التغيير وجوه القمر، واختلاف مواقع النجوم، ومطالع الشمس، ومناظر الفجر والشفق، واختلاف الليل والنهار، وتقلب الرياح والفصول والخصب والجدب. كل [illegible] يحمل [illegible] جديد من [illegible] سمعه وبصره، على أنه ليس المدعى أن كل أحد لابد له أن يسأل نفسه عن منشأ هذه الظواهر ومعزاها؟ ولكن المدعى أن كل من ألقى هذا السؤال عن نفسه [illegible] هذه الآثار رأى فيها آية عجيبة، وأحس أمامها بروعة وخشوع.



دوركايم

والقول بأن «البدائيين» قاصرون عن هذا الإدراك لأنهم يزعمون لأنفسهم القدرة على تسخير عناصر الطبيعة لأهوائهم قول [illegible] على عمومه في كل الأفراد والأحوال. فجمهور العامة أضعف من أن يظنوا ذلك بأنفسهم. والأفذاذ الذين يزاولون بعض وسائل السحر أو الكيمياء [illegible] ظفروا بتسخير شيء من القوى الدنيا لم يمنع ذلك خضوعهم واستسلامهم للقوانين العليا التي لا تمتد إليها يد مخلوق فالله يأتي بالشمس من المشرق فمن يأت بها من المغرب؟ وكل نفس ذائقة الموت، فهل

Durkheim ouvr 112 - 121.[١٠]

يستطيع بشر أن يكتب لنفسه الخلود؟ وهل يتهيأ لأحد أن يفارق ظله، أو أن يسترجع [illegible]؟ أو أن يصنع ولده كما يشاء خلقا وخلقا؟ [illegible] [illegible] يخلق حشرة [illegible]

ولقد أسلفنا [illegible] فكرة السحر [illegible] تماما لفكرة الدين في طبيعتها وفي موضوعها فالشعور بالسلطان والقوة على تسخير الطبائع يمكن أن يكون شعورا كيميائياً أو ساحراً، ولا يمكن أن يكون شعورا عبادياً [illegible] لأن الإنسان لا يعبد شيئا [illegible] له حتى يسحره، ولا يسحر شيئا يزعم أنه يعبده حين يعبده.

والقول المأثور: «إن قوة الإيمان تزحزح [illegible] لا يمكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القوة، [illegible] [illegible] بين أن يكون الإيمان باعثا للقوة، وبين أن تكون القوة هي التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واضح للأوضاع، إذ يصور الآثار بصورة أسبابها، ويضع النتائج موضع مقدماتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا ينقصها التحري والدقة في التعبير.. ثم ما هذه القوة التي يمنحنا الإيمان [illegible] هي قوة الثقة والطمأنينة التي تجيء تعويضا وعلاجاً لما نشعر به بادئ ذي بدء من الضعف والحيرة الأصيلين في طبيعة الإنسان، واللذين هما منبعث الإيمان؟ ثم من أين تستمد تلك القوة الجديدة المكتسبة من الإيمان؟ [illegible] [illegible] الاعتماد على القوة الروحية العليا التي يلجأ إليها المؤمن؟ فهي إذن ليست قوته الذاتية البشرية. وأخيراً ليس لنا أن نخلط بين قوة الفهم والتأمل في الكون، وبين القدرة على تصريف الكون، فإن أقوى الناس فهما، وأوسعهم علماً بحقائق الكون هو أشدهم إحساساً بضعف الإنسان وضآلته في جنب هذا الصرح العالمي، وبخضوعه وتبعيته للقوانين العليا التي لابد له في تغييرها [illegible] [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] التأليه والعبادة.

[illegible] [illegible] عن مجرى هذه السلسلة المتلاحقة من الحركات النفسية التي تنتقل من النظر والتأمل.. إلى الاستعظام والإكبار.. إلى التوجه والمناجاة هل يجب أن يكون لها هدف وراء ذلك؟ ألست إذا وقفت أمام أثر فني بارع، فملأ صدرك، واستبد بإعجابك، تجد في نفسك باعثة قوية للتعبير لصاحب هذا الأثر عن شعور الإكبار لصنعته، والاعتراف بعظمته. [illegible] في عمقت تؤديه [illegible] [illegible] [illegible] ولا تقضي به وطرا، غير الترجمة عن صدق شعورك وتقديرك [illegible] [illegible] فما ظنك بأعظم الآثار وأبهرها؟ ألا يستحثك على التوجه لصانعه بهذا التعظيم البليغ، [illegible] [illegible] وتقديس جلاله، بغير عرض ولا عوض؟ فإذا شعرت بأنك أنت نفسك جزء من هذا الأثر العظيم، وأنك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصانع، الذي خلقك وصورك، وشق سمعك وبصرك، ومنحك العقل والبيان، ومكنك من الانتفاع بما في السماء والأرض، ألست تقبل عليه بقلبك وجوارحك مقيدا بقيود إحسانه إليك، معترفا بعبوديتك له؟ فهذه

[illegible]
نعتقل فيها يوما من الأيام. ومن ذا الذى قال إن الخشوع أمام روعة الكون، والاتجاه بالتعظيم لصانعه، وهو تلك الانبعاثة الكريمة التى تعطى ولا تطلب، يمكن أن يعبر بذلك الشعور الفارغ، شعور الالتجاء [illegible]

لقد خلط الناقد هنا خلطا واضحا بين نظريتين منفصلتين: نظرية الإعجاب التى [illegible] منعرضيها فى الشعبة الثانية من المذاهب [illegible] المترتبة على الأخرى.

على أنه فى الحالة التى يكون فيها الباعث على العبادة هو الشعور بتلك الحاجة، والتى يتحول فيها معنى العبادة من التسبيح والتقديس إلى التماس الحماية - نقول إنه حتى فى هذه الحالة - لا يجعل العابد من عبادته وسيلة يقينية للحصول على مآربه، كأنها عملية حسابية، أو قياس منطقى، أو تجربة [illegible] المتوجه إليها لا تصدر فى تصرفاتها إلا عن مشيئتها المستقلة ولذلك نلاحظ فى [illegible] الاستسلام والرضى بما يقع، ومن الأمل والرجاء فيما يتوقع. وإذا كان اللاعب المغامر لا يعد نفسه فاشلا لمجرد تكرر [illegible] بالربح فى فرصة قريبة أو بعيدة. فالمؤمن أحق بتنحية عوامل اليأس من حسابه، وإرجاء حبل الأمل لنفسه إلى آماد بعيدة فى حياته أو بعد مماته، بل المؤمن الصادق حين يلتجئ إلى ربه، ويناجيه برغائبه ومخاوفه، يجد فى هذه التوسلات والدعوات نفسها شفاء وراحة هو عليهما أشد حرصا منه على موضوع شكواه. وحسبه أنه فى هذه الانبعاثة يعبر تعبيرا واعيا صادقا، بأقواله وأفعاله وأحواله، [illegible] عليه بعد ذلك أن تصادف دعوته قبولاً أو ردا فقد أصاب من قبل حاجته الكبرى بهذا الخضوع الذى هضم به كبرياء [illegible] وبهذه العبودية التى [illegible] واستضاح فطرته، وتلك هى قرة عين [illegible]

[illegible] هو النظر إلى جمال الطبيعة وجلالها لكان يجب أن يوجه التقديس أول كل شىء إلى القوى الكونية العظمى: إلى الشمس، والقمر، والبحر، والجبال، والرياح، وأشباه ذلك؛ لا إلى محقرات الأمور من أنواع النبات والحيوان والمعروض أن عبادة هذه أقدم من تلك فيما يزعم المعترض.

لقد أشرنا من قبل إلى أن البحوث [illegible] [illegible] إلى نتائج متعارضة. لا يمكن أن تكون [illegible] مرحلة [illegible] كثير من [illegible] أسبق من كلتيهما [illegible] دينية مختلفة [illegible] على [illegible] على حرف هار، عرضة للتغيير والتبديل دائم. [illegible] حديثه [illegible] أن حجج القائلين بأسبقية العقائد السليمة وأقدمية عبادة الخالق الأكبر؛ وإن كانت لا تصل إلى درجة اليقين العلمى الاستقرائى إلا إنها من الوجهة النظرية أقوى من مقابلتها.

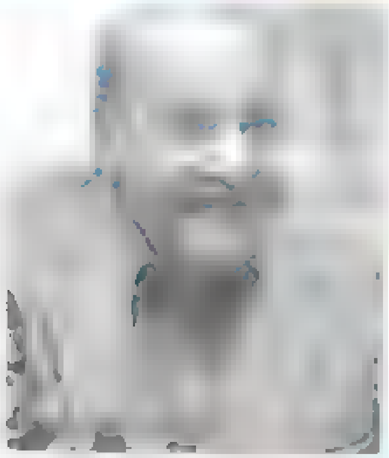
[illegible] على ذكر ما سبق فى تحديد معنى الدين، فسوف تأخذ على صيغة الاعتراض شيئاً آخر وهو إسنادها العبادة إلى الطبيعيات نفسها إسناداً فيه كثير من التجوز؛ فقد قرر مؤرخو الأديان أن المادية والحسيات، علوية كانت أو سفلية [illegible] حقيقية. [illegible] لأنها [illegible] رموزا لقوى خفية علوية، وإما لأنها تعتبر رمزا لتلك القوى، أو تصويراً مجسما [illegible] النقد نفسه قرر هذا المعنى فى غير موضع من كتابه فوقوف العابد أمام هذه المواد هو أشبه شىء بوقوف العشاق على ديار الأحبة أو على أطلالها ورسومها، لا شغفاً بالمكان، ولكن شوقاً إلى السكان. وفى وسعنا أن نقول إن الالتفات إلى أنواع من المخلوقات الصغيرة، باعتبارها مظهرا أو رمزا لهذه القوة العلوية، يتضمن الشعور بأثر تلك القوة فى الجلائل بالأحرى. بل المعقول أن الاعتبار بالدقائق لا يظهر إلا فى طور عقلى متأخر عن طور الالتفات إلى العظائم الكونية التى يحس بها كل ذى عينين وهو على كل حال دليل على عمق فى التأمل، ودقة فى الفهم لما فى أجزاء الكون المختلفة من شأن عجيب وآيات باهرة وفى كل شىء له آية.

أما التفرقة بين «المقدس» و«غير المقدس» فإنها، فى هذه النظرية، ترجع إلى التفرقة بين «الإلهى» و«الإنسانى»، أو بين العظيم [illegible] العادى [illegible] المطروح، ذلك أنه ليس كل ما تقع عليه [illegible] فى استدعاء [illegible] واستيقاف النظر، وإيحاء العبرة، واختلاب الألباب وليس كل الذى تراه أنت بارعا [illegible] فقد [illegible] حشرة [illegible] ما يستوقف نظرك، ويأسر قلبك، [illegible] لا يأبه لها، ولا يستوحى منها أدنى عظة روحية. وهكذا تنقسم الكائنات فى نظر الناس خاصتهم وعامتهم إلى ما هو عادى لا يؤبه له، وما هو جليل يذكر بالمعانى الإلهية، ويوحى بفكرة «التقديس»، أعنى أنه يبعث فى النفس أبلغ معانى الخضوع وأعمق آيات التعظيم لا لهذه الكائنات أنفسها، ولكن [illegible]

الوضع القانوني بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي (٧)

حول حركة التجديد في التشريع الإسـلامي في مصـر

للمستشار: طارق البشري



(١)

على مدى القرن التاسع عشر، تفاعلت عناصر ثلاثة، كان من شأن تفاعلها حدوث الاضطراب الشديد في البناء التشريعي وهياكله وأنساقه، في أقطار الدولة العثمانية عامة، وفي مصر على وجه الخصوص لم يكن واحد من هذه العناصر وحده هو مصدر الاضطراب، ولكن تضاربها معا هو ما شاعت به الفوضى الشاملة.

أول هذه العناصر، هو الوضع التشريعي الآخذ من الشريعة الإسلامية، وهو الوضع الذى انحدر إلينا من قرون الركود السابقة، حسبما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية والسياسية، في القرنين السابع عشر والثامن عشر على وجه الخصوص. وليس المقصود بالجمود هنا الشريعة الإسلامية، بحسبها الأصول المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة. وهي أصول استمد منها الفقه الإسلامي أسسا لبناء تشريعي وطيد الأركان، في مراحل النهوض والصحوة في مجتمعات الإسلامية. وقامت بها على أيدى المجتهدين العظام أنماط تشريعية بلغت شأوا بعيدا من الدقة في الصياغات الفنية واتباع المناهج العلمية والعقلية الرصينة. سواء في تحقيق المادة التشريعية كالأحاديث الشريفة، أو في استنباط الأحكام وتميزت بقدر كبير من المرونة في جلب المصالح ودفع المضار، وفي مراعاة ظروف المكان والزمان ولكن المقصود هو ما آل إليه هذا الجهد الاجتهادي من جمود، في فترات الركود التالية.

وثاني هذه العناصر، هو ما أوجبته أوضاع الصحوة الاجتماعية والسياسية، التي ظهرت مع أوائل القرن التاسع عشر، من ظهور الحاجة الماسة لإصلاح الأوضاع والنظم وتجديدها. الأمر الذى يستوجب إصلاحا وتجديدا مناسبين في الهياكل والنظم التشريعية وليس الإصلاح في ذاته مدعاة للاضطراب. إنما كان أسلوب الإصلاح هو ما أفضى إلى ذلك، إذ اتخذت برامج النهوض، سواء على أيدى محمد على وخلفائه في مصر، أو على أيدى محمود الثاني وخلفائه في الدولة العثمانية. تحدث طابعا ازدواجيا، يأتي من إبقاء القديم على ركوده، وإنشاء الحديث بجانبه، وعلى غير اتساق منه. ولا تفاعل معه. نلحظ ذلك في المؤسسات التعليمية والقضائية، ونظم الإدارة والقانون والاقتصاد وكان هذا مما انصدعت به البنية الاجتماعية والفكرية إلى شطرين متميزين، لاتزال آثار تصدعها العميقة تعمل بينا إلى الآن.

ومن ناحية النظام التشريعي والقضائي. بقي قاضي القضاة، أو قاضي مصر، أو قاضي الشرع في عرف العامة، يعينه الباب العالي، ويستمد شرعية ولايته من تفويض الخليفة له، ويأذن هو لنوابه بالأقاليم بأداء الوظيفة القضائية.

وبقي التشريع مرتبطا بالمذهب الحنفي السائد في الدولة العثمانية. ملتزما بأرجح الآراء في المذهب. ويستقي القاضي أحكامه من كتب الفقه مباشرة، وما بها من مسائل وشروح وهوامش، دون أن تنظمها لائحة أو تقنين بالمعنى المصطلح عليه حديثا بقي كل ذلك على حاله، وانضاف إليه دواوين مستحدثة ومجالس ذات اختصاص قضائي ينشئها الوالي، مثل: قومسيون مصر ومجالس الأحكام ومجالس الأقاليم. تنشأ وتلغى وتعود وتتعدد اختصاصاتها على أيام: محمد علي، ثم سعيد وإسماعيل. وبعضها - كالقومسيون - يشكل تشكيلا مختلطا من مصريين وبعض الأوروبيين والأروام والأرمن وهذه المجالس تطبق لوائح يصدرها الوالي، كقانون السياسة نامة (عام ١٨٣٩)، وقانون منتخبات أو الفلاحة (عام ١٨٣٠) وغيرهما.

وبعض هذه اللوائح نفذ في مصر بموجب صدوره في أستانبول، كالقانون السلطاني (عام ١٨١٩)، وقانون التجارة (عام ١٨٤٠) وبقيت الملكية العقارية تحكمها الشريعة الإسلامية، وبعض هذه القوانين يحيل أيضا إلى الشريعة الإسلامية فيما لم

يرد فيه نص، وبعضها يحيل في هذا الشأن إلى القانون الفرنسي كقانون التجارة وبعضها يحيل إلى العرف الموجود.

ولهذا، صار القضاء القضائي موزعا ومتداخلا بين قضاة الشرع وبين المجالس المستحدثة. وصار النظام القانوني مصريا عثمانيا شرعيا فرنسيا وكل ذلك يعمل.

وثالث هذه العناصر، هو الغزو الأوروبي: السياسي، والاقتصادي، ثم العسكري. ما من أمر ولا من معضل في تاريخنا الحديث، إلا ويبدو هذا العنصر ذا تأثير كبير فيه، ولو عن طريق رد الفعل وهنا نلحظ الاقتحام أول ما نلحظ، سواء بالإملاء والقسر، أو بفعل ضغوط السياسة والاقتصاد ثم نلحظ بعد ذلك ما فرضته مقاومة الغزو، وما أوجبه تفوق الغزاة في العلوم والفنون وأساليب التنظيم، ما أملاه ذلك كله من ضرورة التعلم من الغزاة. وما ولد ذلك من مشكل يتعلق بضرورة الأخذ عنهم وضرورة مقاومتهم في الوقت نفسه.

وأوضح مثال لهذا العنصر في موضوعنا الماثل، هو نظام الامتيازات الأجنبية، أي خضوع الأجانب القاطنين في الديار المصرية لقنصلياتهم، متقصلين دون المحاكم والمجالس المصرية، وخضوعهم في مصر لتشريعات بلادهم دون القوانين المصرية.

وقد آل الوضع بهذه الامتيازات في مصر قبل سنة ١٨٧٥، إلى أن أقل من ثمانين ألف أجنبي تابعين لسبع عشرة دولة، كانوا يتبعون سبع عشرة محكمة (قنصلية)، ويخضعون لسبع عشر نظاما قانونيا. والمصريون يتبعون ويخضعون لكل هذه المحاكم والقوانين عند تعاملهم مع الأجانب. وكان إذا أراد فلاح مصري مثلا أن يستأنف حكما صدر من القنصل الفرنسي ضده، جاز له ذلك أمام محكمة «السين» الابتدائية (في فرنسا)!


نوبار

تلك كانت العدالة الأوروبية التي رفضت في ترفع، وبازدراء، أن يحتكم مواطنوها «في مصر» إلى فقه أبي حنيفة والشافعي ولما كان الويل للمغلوب، فقد سعى المصريون طوال أحد عشر عاما لتحقيق أي نوع من النظام بأي ثمن ومن هنا، قبلوا ما فكر به نوبار وسعى إليه لاستبدال المحكمة المختلطة بالمحاكم والقنصليات المتعددة. وقبلوا ما أرادته الدولة الأوروبية - صاحبة الامتيازات - من أن تتشكل المحاكم المختلطة للأجانب، بحيث تكون الغلبة فيها لقضاتها، ولهم الرياسة في المحاكم والدوائر، ولهم النيابة العامة ورياسة النيابات، ويختارون بواسطة دولهم، ولا يعزلون إلا بموافقتها، واللغتان المستعملتان فعلا هما الفرنسية والإيطالية.

وقبل المصريون الشرط الذي فرضته عليهم الدول الأوروبية، وهو أن تطبق هذه المحاكم القوانين «المتمدينة»، فوضعت ستة تقنينات أخذت عن القوانين الفرنسية

تقنينات المدني والتجاري والتجارة البحرية والمرافعات والعقوبات وتحقيق الجنايات. وضع هذه القوانين محام فرنسي اسمه «مانوري»، كان سكرتيرا لنوبار ووكيلا لعدد كبير من الشركات الأجنبية في مصر، صاغها جميعا في ستة أشهر، وتضمنت ما يعرفه رجال القانون عنها من حشو وشطط. ثم ترجمتها إلى العربية لجان شكلت لذلك. واشترط ألا يعدل قانون إلا بموافقة الدول صاحبة الامتيازات.

وتم ذلك كله في سنة ١٨٧٥. وعرفت هذه المحاكم قضاة فرنسيين وإيطاليين وإنجليز وبعض الألمان والنمساويين وغيرهم.

تلك كانت العناصر الثلاثة التي أدى تضاربها إلى ما شاع عن القرن التاسع عشر من اضطراب وفوضى قضائية وتشريعية. وإن إدراك التفاصيل الكثيرة والتشابكات المعقدة بين هذه الأوضاع والأخلاط، من شأنه أن يجعلنا أعذر للمخطئ، وأرفق بالمتسرع، عندما ننظر الآن في عمل أسلافنا من رجال الشريعة الإسلامية في القرن التاسع عشر، فنرى من عزف منهم عن الاجتهاد، ومن قاوم منهم التجديد، ومن ضلت به سبل الإصلاح وفي وسط هذا المركب الآخذ بعضه بنواصي بعض، من سلطة القضاء والمحاكم والمجالس والقوميسيونات، ومن اللوائح والأعراف والقوانين الأجنبية وفقه الشريعة، في وسط كل ذلك قد يكون الاجتهاد معضلا، حذر أن تنقطع دونه الأصول الآخذ عنها، وقد يكون التجديد مشكلا، خوف أن تتهاوى منه الأسس، ويكون الإصلاح مما تلتوي به السبل.


رشيد رضا

(٢)

كان قيام المحاكم المختلطة مقدمة ورأس جسر، أقامته التشريعات الأوروبية (والفرنسية خاصة)، ووجهت منه - من بعد - أعنف الضربات للتشريع الإسلامي، وفقه الشريعة. ولم تمض خمس سنوات، حتى ظهر التفكير في إنشاء القضاء الأهلي في سنة ١٨٨٠ وأوقفت الثورة العرابية سير هذه الحركة وقتا ما، ثم عاودت المسير بعد هذا وشاهد عام ١٨٨٣ صدور لائحة المحاكم الأهلية في ٤ من يونية، ثم صدور القانون المدني في أكتوبر، والقانون التجاري وقانون التجارة البحري وقانون المرافعات وقانون تحقيق الجنايات في نوفمبر من السنة نفسها، أخذت جميعها من القوانين المختلطة مع بعض التعديل لتلائم أوضاع البيئة المصرية. وساهم في وضعها محام إيطالي عمل قاضيا بالمحاكم المختلطة، اسمه موريوندو، واشترك معه بعض المصريين مثل محمد قدري وبطرس غالي. ووضعت بالفرنسية، ثم ترجمت إلى العربية وافتتحت المحاكم الأهلية لتعمل بها في أول إبريل سنة ١٨٨٤ بالوجه البحري، وفي سنة ١٨٨٩ بالوجه القبلي. وأسميت هذه

حركة حركة الإصلاح القضائي. وقد عرضت هذه القوانين على مفتي الديار المصرية، فرفض المصادقة عليها.

ترتب على ذلك، أنه على الرغم من أن لائحة ترتيب المحاكم الشرعية، التي صدرت في ١٧ من يونية سنة ١٨٨٠، حرصت في المادة ٥٣ منها على تبيان أن هذه المحاكم هي صاحبة الولاية العامة، وتختص بالنظر والحكم في جميع المواد الشرعية، على الرغم من ذلك فإن المحاكم الأهلية الجديدة قد زحمت المحاكم الشرعية في هذه الولاية بالنسبة لغالب المعاملات المدنية والتجارية ولم يبق مجال تختص به المحاكم الشرعية دون غيرها، إلا الأحوال الشخصية (الزواج، النفقة، إلخ)، ومسائل الأوقاف. وقد زالت الولاية العامة عن المحاكم الشرعية، واقتصرت على هذه المسائل فقط بعد سنين قليلة.

يطرد الحديث عن سبب إنشاء المحاكم الأهلية بأن جمود الفقه الإسلامي، ومجافاة الفقهاء لدعوة التجديد، مع ما كانت أوضاع القضاء الشرعي تتضمنه من مساوئ، كل ذلك يشكل سبب العدول بالنظام القانوني القضائي، عن الشريعة إلى القوانين الوضعية المأخوذة عن أوروبا وإن إطلاق لفظ «الإصلاح القضائي» على هذه الانعطافة الكبيرة الحادة، هو أوضح دليل على شيوع هذا التفسير.

ويحكي السيد رشيد رضا عن علي رفاعة، عن أبيه رفاعة رافع، أن علماء


حسونة النواوي


محمد قدري باشا

الأزهر عارضوا وضع تقنين لأحكام الشريعة الإسلامية، يكون جامعا للأحكام، مرتب المسائل، يسهل الرجوع إليه، وأن معارضتهم هذه كانت سبب الاستعاضة عنها بقوانين نابليون على أن مثل هذا السبب لا يقوم به وحده هذا الانعطاف الكبير الحادث.

والحاصل، أن مصر في تلك الآونة، كانت لاتزال على علاقة تشريعية وقضائية وثيقة بالدولة العثمانية. وإن الدولة العثمانية في سنة ١٨٧٦ كانت قد أتمت وضع «مجلة الأحكام العدلية»، تقنينا لأحكام الشريعة على مذهب حنفي في المعاملات، وطبقت «المجلة» في سائر أقطار الدولة. وإذا لم تكن المجلة قد نفذت في مصر، فقد كانت فكرة التقنين لأحكام الشريعة فكرة معترفا بها، أو بالأقل يستبعد من الوجهة الشرعية أن يقف صدف علماء الأزهر هذه الوقفة العنيدة بدعوى محافظتهم على الشرع.

ومن جهة ثانية، فإن محمد قدري باشا، الذي شارك في ترجمة القوانين المختلطة والقوانين الأهلية، وكان وزيرا للحقانية من

سبتمبر عام ١٨٨١ إلى فبراير عام ١٨٨٢، ووزيرا للمعارف من مايو عام ١٨٨٣ إلى يناير عام ١٨٨٤ - كان قد شرع فعلا في وضع ثلاثة تقنينات أخذ من الشريعة الإسلامية، وهي «مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان» عن المعاملات المدنية، و«قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف»، و«الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية»، وتوفي في ٢٠ من نوفمبر عام ١٨٨٦، وطبعت بعد وفاته، وبعد مراجعتها وإسناد ما لم يكن يسند إلى مراجعه بواسطة الشيخ حسونة النواوي، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد العباسي المهدي. وذلك في عام ١٨٩١ ولهذا لم يكن الجهد التقنيني مستبعدا، ولا كان التفكير مغلقا من دونه في فترة إعداد التقنينات الأهلية.

ومن جهة ثالثة، يمكننا أن نلمح سببا رئيسا للأخذ عن التشريعات الغربية في القوانين الأهلية، دون الشريعة الإسلامية، من مطالعة مذكرة حسين فخري باشا ناظر الحقانية، ومحضري جلستي مجلس النظار في ٢ من نوفمبر و٢١ من ديسمبر عام ١٨٨٢، حيث نوقشت القوانين الأهلية وأجيزت فقد ذكر فخري باشا في جلسة ٢ من نوفمبر قوله: «لي أمل بأنه مع اعتدال محاكمنا الأهلية التي تنشأ في النظام الجديد، وقيامها بحق واجباتها، بموجب ذات القوانين المتبعة في المحاكم المختلطة، يتيسر للحكومة الاستغناء عن هذه المحاكم


عمر لطفي


علي مبارك

ببرهان عدم الحاجة إليها»، وأورد في مذكرته المؤرخة ٧ من ديسمبر، ما يفيد أنه كان قد تراءى وضع قانون مدني من الشريعة الإسلامية، وأحيل عمله إلى قدري باشا، ولكنه لم يتم ثم وصل إلى السبب الذي يقصده، فقال: «هل يمكن تطبيق ذلك القانون على الأهالي بالنسبة لعاداتهم ومعاملاتهم الآن، سواء كان فيما بينهم أو مع الأوروبيين؟..» وفي صدد حديثه في نهاية مذكرته عن استحسانه تعيين قضاة أجانب في المحاكم الأهلية، عاد إلى ذكر هذا السبب الأخير، قائلا: «لإدخال الأجانب في المحاكم الأهلية مزية أخرى، وهي أن المحاكم المختلطة هي محاكم استثنائية، وإيجادها ما كان إلا لعدم وجود محاكم أهلية يمكن طمأنة الأوروبيين بها، والاستحصال على ثقتهم بكفاءتها وحقانيتها فإن ترتيب المحاكم الأهلية بالصورة المقدم ذكرها طبعا ترتاح لها نفس الأوروبيين....».

وعلى وفق هذا التصور، فإن علي مبارك وعمر لطفي وافقا في جلسة ٢١ من ديسمبر على ما ورد بمذكرة ناظر الحقانية.

وعلى تعيين قضاة أجانب بالمحاكم الأهلية، والأخذ بالقوانين المختلطة، ولكنهما عارضا بوضوح تقييد اختصاص المحاكم الشرعية.

من هذا نرى أنه لم يكن رفض علماء الشريعة تقنين أحكامها، هو وحده سبب أخذ التشريعات الغربية. وكان قدري باشا يقوم فعلا بهذه المهمة، وأتمها وحده بعد سنوات قليلة، وصدرت به تلك الكتب، جدية أصحاب القرار بدت في سرعة تقنينه. لأمكن إنجازها بمعونة آخرين في وقت قصير. إن هناك سببا آخر يتعلق بترجيح نفس الأوروبيين، مع الأمل في أن يكون إنشاء المحاكم الأهلية على الصورة الحديثة، ذريعة للإسراع بتوحيد المحاكم المختلطة مستقبلا. وهو أمل لم يتحقق بطبيعة الحال، فإن نفس الأوروبيين كانت تترجح للامتيازات من حيث كونها كذلك، وليس فقط للمصدر التشريعي للقانون.

لم تمض سنوات قليلة على تلك الضربة التي وجهت لتطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، حتى بدأت عناصر المقاومة تتجمع، ودعاوى النهوض والصحوة تعلو وتتصاعد، وفي هذا الحيز المحدود تمتنع متابعة هذه المسألة بالتفصيل.. لكن يمكن إجمال الأمر بالوقوف عند التقرير الشهير الذي وضعه الشيخ محمد عبده في سنة ١٨٨٩، لبيان الملامح العامة لما شاع من مساوئ القضاء الشرعي، والملامح العامة لما دعا إليه نهوضا بهذا القضاء وبالتشريع الإسلامي عامة.

عين محمد عبده مفتيا للديار المصرية في



سليم البشري



محمد عبده

يونية عام ١٨٩٩، وعهدت إليه الحكومة بالتفتيش على المحاكم الشرعية، ودراسة أحوالها، واقتراح ما يراه لازما لها من وجوه الإصلاح. واستثمر فرصة إجازة الصيف، فطاف بمحاكم الوجه البحري، وزار المحكمة الشرعية الكبرى، وقدم تقريره إلى ناظر الحقانية في ٥ من نوفمبر.

وطبع التقرير طبعة مستقلة، كما نشرته مجلة المنار في أعدادها المتتابعة منذ ٢٥ من نوفمبر عام ١٨٩٩ وجاء التقرير عملا متفحصا أعده أستاذ، ليس عالما في الشريعة فقط، ولكنه شغل وظائف القضاء الأهلي، قاضيا ومستشارا، أحد عشر عاما سابقة على تعيينه مفتيا. ومكنه ذلك من المقارنة وتقليب النظر.

وكان ما اقترحه التقرير من سبل التجديد في التشريع الإسلامي، هو ما سار التجديد التشريعي على دربه من بعد.

ومطالعة تقرير الأستاذ الإمام، تكشف عن أن الناس كانوا لا يزالون في ذلك الوقت أشد وثوقا في المحاكم الشرعية منهم في غيرها. برغم مرور نحو خمس وعشرين سنة على المحاكم المختلطة، ونحو خمس عشرة سنة على المحاكم الأهلية.

وإن شكوى الناس من المحاكم الشرعية «تنحصر في صعوبة المعاملة مع الكتاب، وطول الزمن على القضايا، خصوصا إذا كانت مهمة، وخفاء طرق المرافعات حتى على العارفين بأحكام الشريعة، فضلا عن سائر العامة، وهوى القاضي أو ضعف يقظته».

أما شكوى القضاة، فهي «تنحصر في رداءة مقامهم (مقار المحاكم)، والتقتير عليهم في المرتبات وسائر النفقات التي [illegible]».

وعند حديثه عن القضاة، قال: «ليست المحاكم الشرعية وحدها هي التي ابتليت بهم الضعف، وغير الكفء في حوزتها. فكثير من القضاة في المحاكم الأهلية لا يزيدون في معارفهم عمن كثر الكلام فيهم من قضاة المحاكم الشرعية، وما يتحدث به من الأحكام المخالفة للشريعة صادرا عن هذه المحاكم، يتحدث به مخالفا للقانون والعقل صادرا عن محكمة أهلية أو مختلطة، وقد رأينا ذلك وشاهدناه...»، ثم تحدث عن ضعف معارفهم، وما يقترحه علاجا لذلك.

والذي يمكن ملاحظته، من النظرة الأولى من مطالعة التقرير، أن ما كان يؤخذ من مساوئ على سير العمل في المحاكم الشرعية في ذلك الوقت البعيد، يؤخذ كثيره على سير العمل بمحاكمنا اليوم، من حيث رداءة المقار، وضعف كفاية الأجهزة المعاونة، وتطاول الزمن على قضايا، وخفاء طرق سير الدعاوى، وتضارب [illegible] عن الإجراءات، كالإعلانات والإخطارات وغيرها، مما يثير التساؤل عن مدى مسئولية التشريع الإسلامي، من حيث هو كذلك، في هذه المساوئ. لم يغير الشك في صواب التدبير الذي تم في ذلك الوقت البعيد، على أساس أن إصلاح القضاء يكون بالخروج عن التشريع الإسلامي. وأن المقارنة بين ظروف العمل في تلك المحاكم، وظروفه في محاكم جديدة [illegible] يكشف عن عدم التناسب بين السعة التي أقيمت للمحاكم الحديثة، في المقار والمرتبات وكفاية العاملين وحداثة أساليب تنظيم العمل، مع [illegible] في الدعاوى [illegible] من هدوء الدراسة، وسرعة الإنجاز في ذات الوقت.

وإذا أمكن استبعاد مثل هذه المساوئ التي هي أدخل في الجوانب المالية والتنظيمية منها في التجديد الفكري، فإن تقرير الشيخ الإمام يضع أيدينا على هذا الجانب الأخير. وهو يتبدى في عدد من النقاط، التي عاقت تقدم الاجتهاد في المحاكم الشرعية، وعاقت من ثم تقدم حلول لأكثر [illegible] مشكلات [illegible] المعين. وأول هذه النقاط وأولاها، وجوب التزام القاضي بالراجح في مذهب أبي حنيفة، إذ انحصرت الأحكام الشرعية بذلك في إطار ضيق وبه ضاق اختيار

القضاة الأكفاء بحصر نطاق اختيارهم ضمن دائرة مذهب واحد بعينه.

وثانيتها عدم انضباط ما يعرف في المصطلح القانوني «بأدلة الإثبات» والشهود.

وثالثتها صعوبة استخراج الأحكام الشرعية من بطون الشروح وكتب الفقه.

وبعد مشروع قانون الإصلاح من إحدى عشرة مادة من واقع التقرير، وأعلن الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر في عام ١٩٠١ تأييده له ولكن تراخى الأخذ بمحتوى هذه الإصلاحات، ولم تجئ إلا بعد ذلك في عامي ١٩٢٠ و١٩٢٩ ويبدو من سياق هذه التاريخية بهذه الفترة أن أهم سبب قامت به معارضة التجديد، أو تراخى به السعي للعمل بالتجديد، هو سبب لا يعزى إلى ما اعتيد سماعه عن الجمود والتحجر وضيق النظر، وهو لا يعود إلى مجال الخلافات الفكرية من حيث كونها كذلك، إنما يرجع إلى مجال المواقف السياسية وإلى النظر الشرعي السياسي.

كانت المشكلة هنا حديثة بالتشريع الإسلامي، في خواتيم القرن الماضي وبدايات هذا القرن، تتعلق بالتزام القضاء الشرعي بمذهب واحد، وبأرجح الأقوال فيه، وهو مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وعلى هذا، جرى الالتزام بفرمانات أصدره الباب العالي وعلى هذا، أصبحت اللوائح التي صدرت في القرن التاسع عشر، كلائحة في ٢٦ من ديسمبر عام ١٨٥٦م، ولائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادرة في عام ١٨٩٧م، وذلك اتباعا للمذهب السائد في دار الخلافة.

وهنا ترد ملاحظتان: الأولى، أن المذهب الحنفي لا يتصف في ذاته بالجمود، بل لعله في منهاجه أكثر مذاهب السنة مرونة حسب بدايته التاريخية، وأبو حنيفة يسمى إمام أهل الرأي، ومذهبه هو مدرسة الرأي. ولعله أكثر تميزا بهذا النوع من المذاهب السنية الأخرى، مالكية وشافعية وحنبلية. إنما كان المشكل ركود الاجتهاد في القرون السابقة مما حصر أحكام المذهب في إطار مجموعة الاجتهادات التي قامت في القرون الأولى، على أيدي أئمة الحنفية، كأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر وغيرهم. فكان السعي للخروج عن هذا المذهب لا يعني الابتعاد عن مذهب جامد في ذاته، وإنما كان يعني الإفساح للاختيار من المذاهب المختلفة، ما يلائم ظروف الواقع المعيش وتنويع الحلول بما يمكن من اختيار الحكم الأنسب ومع السعة يكون اليسر.

وثانية الملاحظتين، المذهب الحنفي لم يكن هو الأكثر شيوعا بين المصريين، لا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ولا قبلهما كان المذهب الشافعي هو الأكثر شيوعا، ويليه المالكي، وغالب التدريس في الأزهر على هذين المذهبين، وبخاصة الشافعي وعلى مدى القرن التاسع عشر والربع

الأول من القرن العشرين، أي منذ الشيخ الشرقاوي حتى الشيخ الجيزاوي، تولى مشيخة الأزهر سبعة عشر شيخا، منهم نحو أحد عشر شيخا من الشافعية «من عام ١٧٩٣ إلى عام ١٨٧٠، ثم من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٨٩٦، ثم بضع سنوات في القرن العشرين»، والثلاثة من المالكية في الربع الأول من القرن العشرين (وإن كان المالكية أكثر توليهم المشيخة في القرن الثامن عشر)، وأربعة من الحنفية، فكان الشيخ محمد العباسي المهدي أول حنفي تولى المشيخة مطلقا من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٨٨٢، ثم الشيخ حسونة النواوي بضعة أعوام حتى عام ١٩٠٠، ثم الشيخ عبدالرحمن قطب، شهر واحد في عام ١٩٠٠، ثم الشيخ على الببلاوى ثلاث سنين والدلالة المعنية في هذه الملاحظة أن الخروج عن مذهب أبي حنيفة إلى غيره من المذاهب السنية لم يكن من شأنه أن يجرح أدنى شعور مذهبي، سواء لدى جمهور المصريين أو لدى الأزهريين، بله أن يجرح ذلك أدنى شعور ديني لأي من هؤلاء جميعا، إذ لا شبهة في أن خلاف المذاهب لا يمس أصلا من الدين ولا معتقدا.

تتراءى نقطة أخيرة حول هذه المسألة، وهي أدخل في باب الملاءمات الشرعية منها في باب المسموح والمحظور، هي أن للإمام شرعا أن يخصص القضاء بالرأي، بمعنى أن له أن يلزم القاضي باتباع مذهب معين لا يحيد عنه في نظره للقضايا.

وقد ألزم القاضي أن يحكم وفقا لمذهب في كل ما يعرض له من قضايا، وذلك حتى لا يكون ترخصه في الاختيار المطلق بين آراء المذاهب في كل قضية أو واقعة، لا يكون ذلك مدعاة للانحراف والحكم بالهوى، والبحث في عموم أقوال المذاهب عما يحقق مصلحة معينة في كل قضية خاصة فكان القاضي الشافعي ملزما بمذهبه، وهكذا.

ثم رئي في فترات لاحقة إلزام القضاة جميعا بمذهب واحد، حتى لا تتضارب الأحكام باختلاف مذاهب القضاة، مما يعم به الاضطراب في المعاملات وهذه النقطة مع رجاحتها من حيث ضبط التعاملات في المجتمع كله، فإن أحدا من دعاة الخروج على المذهب الحنفي، لم يقل بإطلاق الاختيار للقاضي، يختار حسبما يستريح أو يهوى، ولا حبذ أحد من هؤلاء الافتئات على فكرة تخصيص القضاء بالرأي إنما طالبوا أن يكون الخروج عن المذهب الواحد عن طريق الإمام أو الوالي بقانون أو لائحة تصدر، تكون ملزمة للمحاكم جميعا، بما أوردت من أحكام وجد اختيارها مناسبا لأوضاع المجتمع.

فما سبب معارضة الخروج عن المذهب الحنفي إذن؟ وما وجه تراخي هذا الأمر؟

لا يظهر لذلك سبب من داخل إطار الفكر الشرعي، حتى يمكن عزوه إلى الجمود أو ضيق النظر. وعلينا تلمس الأسباب خارج هذا الإطار، في الوعاء الفسيح للحقيقة التاريخية.

تقنين الشريعة بين المجتمع والدولة

٢

خلفية تاريخية عن فكرة تقنين أحكام الشريعة

ظهرت الحاجة إلى تقنين أحكام الشريعة في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي يرجع إلى عهد الدولة الأموية.. وتحكي كتب التاريخ أن الخليفة الوليد بن عبدالملك أراد أن يحمل القضاة على قول واحد. ولكن محاولته لم تفلح لأسباب عدة، كان من أهمها اتساع أرجاء الدولة والتنوع الهائل في الشعوب والأمم التي انضوت تحت راية الإسلام، مع احتفاظ كل منها بخصوصياته الثقافية والاجتماعية، وما صاحب ذلك من تعددية مفتوحة في اجتهادات أصحاب المذاهب الفقهية المختلفة، بل وفي اجتهادات المنتسبين إلى مذهب واحد. ثم كانت مبادرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز. وفي حديث أبي زرعة الذي يفهم منه أن الخليفة أراد تدوين أحكام الشريعة، وتيسير المعرفة بها، وخاصة على القضاة، ولكن هذه الفكرة لم تنجح للأسباب نفسها التي حالت دون نجاحها في عهد الوليد بن عبدالملك، فضلاً عن أن خلافة عمر بن عبدالعزيز لم تستمر سوى عامين تقريباً.

وفي عهد أبي جعفر المنصور، كتب ابن المقفع سنة ١٤٤هـ رسالة مشهورة باسم «رسالة الصحابة»، وضمنها نصائح عدة، كان منها أن يقوم الخليفة بجمع الأحكام الفقهية ووضعها في كتاب تذكر فيه مسائل متشابهة مع حجة كل فريق من مذاهب الفقهاء، ثم يختار أرجحها ويعممه ليقضي القضاة بما فيه، ويأمر الخليفة القضاة بالالتزام بالرأي المختار، وألا يقضوا بخلافه.. ومما جاء في تلك الرسالة: «فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسير المختلفة، فترفع إليه في كتاب، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس، ثم نظر في ذلك أمير المؤمنين وأمضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله، ويعزم عليه عزماً، وينهى عن القضاء بخلافه. وكتب بذلك كتاباً جامعاً، لرجونا أن يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكماً واحداً صواباً».

وفي موسم حج ١٦٣هـ ـ ٧٧٩م طلب الخليفة أبو جعفر المنصور من الإمام مالك بن أنس أن يضع كتاباً جامعاً للأحكام مع مراعاة اليسر والسهولة، وأوصاه أن يراعي التوسط والاعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط. وتذكر المصادر التاريخية أن أبا جعفر قال للإمام: «يا أبا عبدالله، ضع هذا العلم ودونه، ودون منه كتاباً، وتجنب شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبدالله بن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد إلى أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك، ونبثها في الأمصار، ونعهد إليهم ألا يخالفوها، ولا يقضوا بسواها»، فاستجاب الإمام مالك وكتب موطأه، ولكنه لم يشأ أن يجعل لرأيه دون آراء الفقهاء الآخرين قوة ملزمة، وقال رحمه الله: «إن لكل قوم سلفاً وأئمة، فإن رأى أمير المؤمنين ـ أعز الله نصره ـ قرارهم على حالهم فليفعل».. وظل الحال على ما كان، وبقي الناس يرجعون إلى كتب الفقهاء كل [illegible]، ويتعصب في [illegible]، ويعتبر من تلك الواقعة دليل آخر على أن ثمة عقبات موضوعية وعلمية تحول دون نجاح عملية التقنين في ظل الأوضاع التي كانت سائدة في ذلك العصر.. وكرر المنصور طلبه من الإمام مالك مرة ثانية سنة ١٤٨هـ ومرة ثالثة سنة ١٦٣هـ، ويقال إن ذلك حدث من هارون الرشيد أيضاً. ولكن الإمام لم يستجب.

وفي القرن التاسع الهجري قام الفقيه الحنفي إبراهيم بن محمد الحلبي بوضع كتابه «ملتقى الأبحر» ليكون مرجعاً للقضاة والمفتين، وكان ذلك تلبية لطلب السلطان سليمان القانوني؛ وسن السلطان سليمان القانوني أيضاً (القانون نامه) الذي ضم أحكاماً في العقوبات التعزيرية وفي حقوق الأراضي وتحديد الأراضي الأميرية والخراج، وكذلك في المسائل العسكرية والإدارية. كما جرى تأسيس السجلات الشرعية التي

[illegible]

صمت قرارات المحاكم الصادرة من المحاكم الشرعية[1].

ولكن قبل تلك المحاولات كانت البذور المعرفية لفكرة التقنين قد ترسخت في الذهنية الفقهية من خلال اهتمامهم بتأصيل القواعد الفقهية، وعنايتهم بالدقة في صوغها، حيث كانت هذه القواعد «بمثابة منارات للمقننين، وهي في مجموعها تشكل مبادئ أساسية للقوانين المستمدة من الشريعة»[3]. وأبرز الأمثلة على ذلك هي مجلة الأحكام العدلية ذاتها، التي اختار واضعوها البدء بذكر القاعدة الفقهية أولاً ثم ترتيب المسائل والمواد متفرعة عنها في كل باب من أبواب المجلة.

وفي القرن الحادى عشر الهجرى، أراد الملك محمد أورنكزيب حاكم ولاية «عالمكير» الهندية أن يضع مرجعاً رسمياً للأحكام الفقهية يلتزم القضاة بتطبيقها، وكلف لجنة لهذا الغرض، انتهت إلى وضع كتاب «الفتاوى العالمكيرية»، ويعرف أيضاً باسم «الفتاوى الهندية»[4].

محاولات التقنين في العصر العثماني

تبنت الدولة العثمانية المذهب الحنفي رسمياً منذ عهد السلطان سليم الأول، فأصبح شيخ الإسلام والمفتون والقضاة يحكمون ويفتون وفق المذهب الحنفي.


محمد الفاتح

ويعتبر «قانون نامه» السلطان الفاتح، الذى أصدره السلطان محمد الفاتح (٨٥٤هـ ١٤٥١م ـ ٨٨٥هـ ١٤٨١م) أول نشأة القوانين العثمانية. وقد سماه «قانون نامه آل عثمان»، وكتب آخر أيام سلطنته، وتضمن ما كان يمليه السلاطين المجاهدون على الكاتب «التوقيعي»، ونامة أى العريضة المكتوبة[5].. وكان ذلك خطوة أخرى في طريق نضج عملية تقنين الفقه الإسلامي. وأكد ذلك العلماء بقولهم إن أمر الحاكم فيما ليس فيه معصية يعد ملزماً، وهو ما نصت عليه مجلة الأحكام العدلية فيما بعد في مادتها رقم «١٨٠١» من أنه «لو صدر الأمر السلطاني بالعمل برأى مجتهد في مسألة؛ لأن رأيه بالناس أرفق، ولمصلحة العصر أوفق، فليس للحاكم أن يعمل برأى مجتهد آخر مناف لرأى ذلك المجتهد، وإذا عمل فلا ينفذ حكمه»[6]، وكذلك نصت م/ ١٦ من المجلة أيضاً على أن «الاجتهاد لا ينقض بمثله».

ولكن الدولة العثمانية لم تلتزم المذهب الحنفي وحده، وإنما خرجت تدريجياً إلى المذاهب الأخرى، كما في قانون حق العائلة.. ثم خرجت إلى القوانين غير المستقاة من الفقه الإسلامي منذ عام ١٨٤٠؛ إذ أخذت قانون العقوبات الفرنسي في تلك السنة، والقانون التجارى الفرنسي أيضاً سنة ١٨٥٠[7].

وظهرت في تاريخ التحولات التشريعية أعمال تأصيلية جليلة، جاهد أصحابها من أجل تثبيت الأمة على أحكام الشريعة، ودعوا إلى الاجتهاد والتجديد لمعالجة قضايا الواقع ضمن كليات الشريعة وأصولها، ولم ينقطع هذا الجهد في فترة من الفترات، فنلاحظ في فجر النهضة الحديثة إصرار رفاعة الطهطاوى «ولد سنة ١٢١٦هـ ـ ١٨٠١م وتوفى سنة ١٢٩٠هـ ـ ١٨٧٣م» على أن تكون الشريعة هي مرجعية التحديث، وحذر كثيراً من خطر التحول نحو أخلاق أوروبا وأحكامها، وظل الإمام ثابتاً على يقينه بأن السيادة العليا في مجال التشريع والقانون يجب أن تظل للشريعة الإسلامية، ومن بعد الطهطاوى جاء الإمام محمد عبده «١٢٦٦هـ ـ ١٨٤٩م ـ ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م» ليواصل الدعوة إلى الإصلاح والتجديد على أصول الشريعة، واجتهد قدر وسعه جهده في إزاحة عوامل الجمود عن الفقه الإسلامي، وطرح رؤية أصيلة تصب في اتجاه استعادة سيادة الشريعة ومرجعيتها العليا في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ورسم طريقاً تربوياً تعليمياً للوصول إلى هذه السيادة التشريعية، وتابعه عدد كبير من تلامذته، وبخاصة في مجال المدرسات الفقهية والقضائية وفي مجال الإفتاء، وإصلاح المؤسسات الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف، والأوقاف الإسلامية[8].


الطهطاوى

الازدواجية في البناء التشريعي القانوني الحديث والمعاصر

صدرت مجلة الأحكام العدلية عام ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م، كما أسلفت القول، وأصبحت قانوناً عاماً يطبق في أغلب الولايات العثمانية في مجال المعاملات المدنية مثل: البيوع، والإجارة، والكفالة، والحوالة، والرهن، والوقف، والشركات، والوكالة إلخ.. ولكن عملية التقنين لم تكتمل في المجالات الأخرى التي لم تشملها المجلة،

(٢) هانى محمود، الطبيعة التاريخية لمفهوم الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي ومخاطر عدم التقنين، بحث منشور على شبكة [illegible]

(٣) [illegible] رؤية عقدية نحو التقنين الفقهي، بحث قدم في ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان/ مسقط: التقنين والتجديد في الفقه الإسلامي المعاصر ٥ ـ ٨ أبريل ٢٠٠٨م، ص٣٣

(٤) المرجع السابق، ص٤٠، وانظر أيضاً محمد حسن البنا، مرجع سابق، ص٧، وطارق البشرى، في المسألة الإسلامية المعاصرة الوضع القانوني المعاصر بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٨٢

(٥) [illegible]

(٦) انظر سليم رستم باز، شرح المجلة، مرجع سابق، ص١١٦٩

(٧) انظر البنا، مرجع سابق، ص١١، ١٢

(٨) انظر لمزيد من التفاصيل حول جهود الأستاذ الإمام: إبراهيم البيومي غانم وصلاح الدين الجوهري (محرران)، الإمام محمد عبده ـ مائة عام على رحيله ١٩٠٥ ـ ٢٠٠٥، القاهرة وبيروت: مكتبة الإسكندرية ودار الكتاب المصري/ اللبناني، ١٤٣٠ ـ ٢٠٠٦م

وكانت الولايات العثمانية قد أخذت في السقوط تباعاً تحت سيطرة الاحتلال الأوروبي، الأمر الذي حث الدولة على المضي قدماً في عملية تقنين أحكام الشريعة ووضعها موضع التنفيذ وفق الصياغات القانونية الجديدة تعبيراً عن تلك المرحلة.

وثمة عوامل عدة دفعت إلى وضع «المجلة»، منها: ضعف نظام المعاملات التجارية، وزيادة التداخل بين [illegible] الموروثة في مختلف ولايات الدولة العثمانية، وحاجة كثير من القضاة إلى التعرف بيسر إلى الاجتهادات [illegible] على [illegible] الأحكام [illegible].

كان صدور المجلة في أول عهد السلطان عبدالحميد (تولى الخلافة في ١١ من شعبان ١٢٩٣هـ/ ٣١ من أغسطس ١٨٧٦م ـ وتوفي في ٢٨ من ربيع الثاني ١٣٣٦هـ/ ١٠ من فبراير ١٩١٨م). ويذهب بعض المؤرخين ـ بحق ـ إلى أن المجلة كانت جزءاً من مشروع كبير لإصلاح نظام العدالة والقضاء ونظام التعليم والنظام الإداري في الدولة برمتها. وقد نجحت خطة السلطان الإصلاحية في مجال التعليم إلى حد كبير، ولكن القوى الاستعمارية وقفت منه موقفاً متعنتاً، وبذلت كل ما في وسعها كي تعرقل برنامجه لإصلاح القضاء، إذ أدركت أن نجاحه في إصلاح القضاء سيفضي بالضرورة إلى التخلص من نظام الامتيازات الأجنبية Les capitulations، ومن ثم إلغاء الإعفاءات القانونية والقضائية والمالية التي كان يتمتع بها رعايا الدول الأجنبية في الدولة العثمانية. وكان نجاح السلطان في الإصلاح القضائي سيفضي أيضاً إلى نجاحه في إجراء إصلاحات تشريعية ومالية واجتماعية أخرى[1]، تمكن الدولة العثمانية من تجديد عناصر قوتها الذاتية، والحد من تغلغل النفوذ الأجنبي فيها، وصون استقلالها. وهو الأمر الذي عارضته الدول الاستعمارية كي تصل إلى هدفها النهائي وهو تفكيك الدولة وإسقاط نظام الخلافة.

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية كان النظام القضائي يعاني مشكلات كثيرة. وكان في وضعه الذي آل إليه غير محقق لمقصد «العدالة» على النحو الذي تريده الشريعة الإسلامية ذاتها. واتخذت القوى الأجنبية ذلك الضعف ذريعة لإجبار الدولة العثمانية على الإبقاء على نظام الامتيازات الأجنبية الذي يرجع نشأته إلى القرن السادس عشر في عهد السلطان سليمان القانوني الذي وقع سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٥م معاهدة

(١) انظر: عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، [illegible]

[illegible] الامتيازات الأجنبية التي عاقت كثيراً من سبل الإصلاح المالي والاقتصادي والاجتماعي في الدولة العثمانية بصفة عامة. كما [illegible] مجلة القانون والاقتصاد، كلية الحقوق جامعة القاهرة، الجزء الأول، ١٩٩٢، ص٢٠٣ ـ ٢٥٨.

صداقة مع فرانسوا الأول ملك فرنسا، وأقر فيها امتيازات للمقيمين الأجانب على أراضي الدولة العثمانية؛ تعبيراً عن التزام الدولة بقواعد العدالة الإسلامية التي تشمل المسلم وغير المسلم.

ويكشف الرجوع إلى تلك المعاهدة ـ وغيرها من المعاهدات الشبيهة ـ عن جذور نشأة الازدواجية في النظام القانوني والقضائي في الدولة العثمانية، وكيف أنها انقلبت من شاهد على تسامح الدولة العثمانية إبان قوتها تجاه الأجانب نزولاً على أحكام الشريعة الإسلامية، إلى شاهد على سيطرة القوى الأجنبية الاستعمارية إبان ضعف الدولة العثمانية ودخولها مرحلة التدهور تحت وطأة الهجمات الاستعمارية منذ نهايات القرن الثامن عشر، وحتى إلغائها في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

نعود فنقول إن معاهدة سليمان القانوني مع فرانسوا الأول سنة ١٥٣٥م تألفت من ١٧ مادة، تتعلق بمسائل الإقامة، والتجارة، وممارسة الشعائر الدينية والمعتقدات المسيحية. وقد بادرت الدول الأجنبية الأخرى إلى عقد معاهدات مماثلة أو شبيهة بتلك المعاهدة مع الباب العالي على التوالي: إنجلترا عام ١٥٨٣، هولندا عام ١٦١٣، النمسا عام ١٧١٨، السويد عام ١٧٣٧، مملكة الصقليتين عام ١٧٤٠، توسكانيا عام ١٧٤٧، الدانمارك عام ١٧٥٦، بروسيا عام ١٧٦١، إسبانيا عام ١٧٨٢، روسيا عام ١٧٨٣، الولايات المتحدة عام ١٨٣٠، وبلجيكا عام ١٨٣٨، وأخيراً اليونان عام ١٨٥٥. وتذكر المصادر التاريخية أن جمهورية البندقية سبقت فرنسا في عقد معاهدتها مع الباب العالي عام ١٤٥٥م ولكنها كانت معاهدة نموذجية في سلسلة تلك الامتيازات التي نصت على منح الأجانب حريات مختلفة[1].


سليمان القانوني

وكان من أهم الحريات التي كفلتها معاهدات الامتيازات الأجنبية في ولايات الدولة العثمانية ما يلي:

١ ـ حرية الإقامة في جميع أرجاء السلطنة، وذلك شريطة التسجيل في قنصلية الدولة التي ينتمي إليها الأجنبي من جهة، وألا يكون في هذه الإقامة ما يعكر الأمن العام، أو ما يسبب خطراً على النظام العام من جهة أخرى.

٢ ـ حرية المسكن فلا يجوز انتهاك حرمة المسكن إلا بحضور قنصلية الدولة التي ينتمي إليها هذا الأجنبي. وفي هذه الحالة يجب حضور القنصل أو من يقوم مقامه عندما تدعو الحاجة إلى دخول تلك المساكن.

[illegible]

٣ ـ حرية التنقل في جميع أرجاء السلطنة، وذلك بموجب وثيقة مرور أو تنقل تمنحها سلطات الأمن استناداً إلى جواز سفر الأجنبي.

٤ ـ حرية التجارة وهي متصلة اتصالاً وثيقاً بحرية الإقامة والتنقل لممارسة الأعمال التجارية وما قد يتفرع عنها من دفع الرسوم المالية والجمركية والعقارية.. وقد نصت أغلب المعاهدات المعقودة مع الدول الأجنبية على إعفاء رعاياها من تلك الرسوم.

٥ ـ حرية المعتقدات الدينية وما يتبع ذلك من ممارسة الشعائر الدينية.

٦ ـ الحصانة القضائية والتشريعية، فلا تجوز مقاضاة الأجنبي أمام المحاكم الوطنية. بل أمام قنصلية بلاده ووفقاً لقانون بلاده أيضاً

وهنا فرقت الامتيازات بين حالات ثلاث:

الأولى: إذا كان المتداعون ينتمون إلى جنسية بلد أجنبي واحد. وفي هذه الحالة كانت المحكمة القنصلية تتألف من ثلاثة أعضاء هم: القنصل أو من يقوم مقامه، واثنان آخران من وجهاء جالية الأجنبية المقيمين في السلطنة العثمانية.

والثانية: إذا كانوا ينتمون إلى جنسيات بلدان متعددة كانت المحكمة تتألف على النمط السالف ذكره في الحالة الأولى. وكانت الأحكام تصدر في أغلب الحالات طبقاً للرأي الذي ينحاز له القنصل أو من ينوب عنه

والثالثة: إذا كان بين متداعين لأجانب مقيمين في السلطنة أحد الرعايا العثمانيين وفي هذه الحالة درج العمل على أن تتولى المحاكم الوطنية الفصل في القضايا من هذا النمط، وفي هذه الحالة كانت الهيئة القضائية تتألف من خمسة أعضاء: ثلاثة منهم عثمانيون، والاثنان الآخران من جنسية الأجنبي أو الأجانب الأطراف في الدعوى. كما جرى العمل أيضاً على التفريق بين الدعاوى المدنية والتجارية التي تتفاوت فيها صلاحيات تلك المحاكم تبعاً للمبالغ المحددة فيها. أما في الدعاوى الجزائية فكان يجري الاستناد فيها إلى القوانين والأنظمة السائدة في أجهزة الأمن السلطانية. وتحكم فيها المحاكم السلطانية أيضاً[12].

وفي جميع تلك التصنيفات الثلاثة من الدعاوى كان الأمر يستدعي حضور مترجم (ترجمان Drogman) يقوم بمهمة ترجمة أقوال المواطنين العثمانيين ودفاعهم وأسانيدهم في الدعوى. وهنا لابد من الإشارة السريعة إلى خاصيتين للأجانب عند ممارسة الأعمال التجارية في إطار حرية التجارة بموجب تلك الامتيازات الأجنبية، وهما:

١ ـ إن مفهوم الرعايا الأجانب شمل حسب رأي بعض الفقهاء والمشرعين الأشخاص الطبيعيين Les personnes phy-siques بقدر ما شمل الأشخاص الاعتباريين Les personnes morales، كالشركات

---

(١٢) المرجع السابق

التجارية والمؤسسات المالية والصناعية والزراعية والسياحية والفندقية التي أقامها الأجانب في السلطنة العثمانية. ومع ما تعرض له هذا الاجتهاد من الانتقاد الذي وصل عند بعض المجتهدين إلى درجة الرفض الكامل، فقد جرى القضاء القنصلي على تطبيق مبدأ الشمول.

٢ ـ إن شرط الدولة الأكثر رعاية في معاملة الشركات والمؤسسات الأجنبية عند عقد المعاهدات والاتفاقات الدولية، كان في متناول أي دولة أجنبية لمصلحة رعاياها العاملين في السلطنة. ومع معارضة القضاء السلطاني مبدأ المطالبة بهذا الشرط حفاظاً على المصلحة العامة، فإن وزارة الخارجية السلطانية أفتت على العكس بقبول تطبيق هذا الشرط مستجيبة لشتى الضغوط السياسية الأجنبية في تلك الأيام[13].

والحاصل أن تلك «الامتيازات الأجنبية» قد اتسعت بمرور الزمن، وأضحت ركيزة لتثبيت التدخل الأجنبي في شئون السلطنة والولايات التي كانت تابعة لها. وأدركت القوى الاستعمارية أن نفوذها سيبقى ما بقيت هذه الامتيازات، حتى لو اضطرت إلى إنهاء احتلالها العسكري للبلدان الإسلامية. وعلى الجانب الآخر، أدركت حركات التحرر والجهاد ضد السيطرة الأجنبية أن الاستقلال التشريعي، ومن ثم الاستقلال القضائي هما من صميم أهدافها من أجل تحقيق الاستقلال بمعناه الشامل، وليس فقط بمعناه السياسي أو الاقتصادي.

بعد الحرب العالمية الأولى، بدأت المطالبات بإلغاء الامتيازات الأجنبية في العديد من البلدان التي انفصلت عن الدولة العثمانية. ومنها بلدان عربية مثل: سوريا ولبنان ومصر والأردن وفلسطين والعراق. وبلدان إسلامية مثل إيران وتركيا نفسها، وخاصة بعد انتصارها على اليونان في معركة سقاريا. ولم يحل منتصف القرن العشرين الماضي إلا وكانت الامتيازات الأجنبية قد ألغيت من سوريا، ولبنان، مصر وتركيا وإيران وغيرها.

ولكن زوال الامتيازات ومعها المحاكم المختلطة، لم يقض نهائياً على ازدواجية النظام التشريعي والقضائي في بلادنا. بل ظلت آثار هذه الازدواجية قائمة، وتفاقمت في بعض الأحيان، وخاصة بعد قرارات تصفية المحاكم الشرعية وشطبها من المؤسسة القضائية نهائياً.

ويشرح المستشار طارق البشري الأسباب التي أدت إلى اضطراب البناء التشريعي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ما كان منها تابعاً للدولة العثمانية، وما كان قد انفصل عنها خلال القرن التاسع عشر. وهو يرى أن هذا الاضطراب نجم عن تفاعل ثلاثة عناصر خلاصتها هي الآتي:

١ ـ جمود الوضع التشريعي المأخوذ عن الشريعة الإسلامية. ويوضح المستشار

---

(١٣) المرجع السابق

البشرى أن المقصود بالجمود هنا ليس الشريعة الإسلامية بحسبانها الأصول المستمدة من القرآن والسنة الشريفة، ولكن المقصود هو ما آل إليه الجهد الاجتهادى فى تلك الأحكام من جمود».

٢ ـ ما أوجبته أوضاع الصحوة الاجتماعية والسياسية، من ظروف الحاجة الماسة لإصلاح الأوضاع والنظم وتجديدهما، الأمر الذى يستوجب إصلاحاً وتجديداً مناسبين فى الهياكل والنظم التشريعية.

٣ ـ الغزو الأوروبى السياسى والاقتصادى، ثم العسكرى. ويؤكد المستشار البشرى أن هذا الغزو قد أثر بقوة فى معظم جوانب الحياة فى مجتمعاتنا، سواء بالإملاء والقسر، أو بفعل ضغوط السياسة والاقتصاد. إضافة إلى ما فرضته مقاومة الغزو، وما أوجبه تفوق الغزاة من ضرورة التعلم عن الغزاة، والأخذ عنهم ومقاومتهم فى الوقت نفسه[14].

أتاحت تلك الملابسات للقوانين الغربية أن تتغلغل فى الدولة العثمانية بشكل مطرد خلال أربعين عاماً تقريباً (١٨٤٠ ـ ١٨٧٩)، وطردت فى المقابل ـ أحكام الشريعة الإسلامية، كما يقول المستشار البشرى أيضاً ـ عن نظم القضاء، وعن تنظيم التجارة، وتنظيم الأراضى، والتنظيم الجنائى... ولم يفلت من هذا الزحف التشريعى الأوروبى إلا نظام المعاملات المدنية غير التجارية، الذى دون له تقنين عرف باسم مجلة الأحكام العدلية.

وفى مواجهة ذلك الزحف، ظهرت عدة محاولات لتقنين أحكام الشريعة من مدونات الفقه الموروث، بعض تلك المحاولات كانت فردية مثل محاولة محمد قدرى، وبعضها كانت مؤسسية/جماعية، وأهمها فى سبعينات القرن الثالث عشر الهجرى هى «مجلة الأحكام العدلية»، التى سبقت الإشارة إليها.

وكان مما ترتب على الزحف القانونى الأوروبى، ورد الفعل الذى تمثل فى محاولات التقنين من داخل الفقه الإسلامى، أن حدث ازدواج فى النظام القانونى بشكل عام. وكانت ـ ولاتزال ـ لهذا الازدواج آثار سلبية، طالت مختلف مناحى الحياة، وأثرت على نقاء الهوية الحضارية الذاتية لمجتمعاتنا الإسلامية. وكانت هذه الازدواجية ـ ولاتزال أيضاً ـ علامة على انتقاص «الاستقلال التشريعى» فى بلادنا على مستوى كل دولة، كما لاتزال علامة على استمرار الكبوة الحضارية على مستوى جميع دول العالم الإسلامى، باستثناء عدد قليل منها.

وفى سياق تلك الظروف، لم تلق فكرة التقنين قبولاً لدى بعض الفقهاء فى بعض

(١٣) طارق البشرى، فى مسألة الإسلامية المعاصرة، وضع النظام القانونى...

(١٤) المرجع السابق، ص١٤ ـ ١٥

البلدان لحجة رئيسة هى أن الأصل فى الفقه هو أن القاضى يجب أن يكون مجتهداً، والتقنين فى جوهره يحرمه هذا الحق. وإذا لم يكن القاضى مجتهداً فهو يتمتع بحرية التقليد، أى الاختيار من الآراء المتعددة فى المذاهب المختلفة، ولكن التقنين سيحرمه هذه الحرية كذلك.

ودار الجدل ردحاً من الزمان بين القائلين بجواز التقنين، والقائلين بمنعه. ولما كان التقنين يعنى فى محصلة الأمر «إلزام القاضى بالقضاء بأحكام معينة لا يتجاوزها مهما خالفها اجتهاده لو كان مجتهداً»، فقد استعاد الفريقان المتجادلان مسألة كانت محل جدل بين قدماء الفقهاء وهى: حكم إلزام القاضى بمذهب معين لا يقضى إلا به. وكان للفقهاء القدماء رأيان:

الرأى الأول: لا يرى أنصاره جواز إلزام القاضى بالحكم بمذهب معين، وأن اشتراط ذلك على القاضى باطل غير ملزم. وهو قول عند المالكية، وهو الراجح عند الشافعية، وبه قال الحنابلة، وقال ابن قدامة «لا أعلم فيه خلافاً». ومما استدلوا به قولهم إن الحق لا يتعين فى مذهب. وقد يظهر للقاضى الحق فى مذهب آخر وهنا يجب عليه العمل بموجبه، نزولاً على قول الله سبحانه وتعالى (فاحكم بين الناس بالحق) «ص: ٢٦». هذا إلى جانب الإجماع على عدم إلزام الناس بقول واحد وحملهم عليه، حيث صرح باعتقاد الإجماع على ذلك غير واحد من السلف ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية فى مواضع كما فى مجموع الفتاوى[16].

الرأى الثانى، ويرى أنصاره جواز الإلزام بالحكم بمذهب معين، وأن من حق ولى الأمر أن يشترط على القاضى أن يقضى به. وإلى هذا القول ذهب الحنفية، وهو قول عند المالكية، وبه قال السبكى وغيره من الشافعية. ومما استدلوا به: أن إلزام القاضى بمذهب معين لا يقضى بغيره فيه مصلحة، فإذا رأى ولى الأمر وجود هذه المصلحة جاز له الإلزام. وإذا كان القاضى مفوضاً من ولى الأمر فى القضاء على مذهب معين فليس له أن يتجاوزه إلى غيره حتى إن خالفه اجتهاده؛ لأن التولية لم تشمله؛ فكأن القاضى هنا بمثابة الوكيل، أو النائب عن ولى الأمر.

وقد دار الجدل حديثاً وفى العصر بشأن جواز أو عدم جواز التقنين، على تلك الخلفية الفقهية الخاصة بجواز أو عدم جواز إلزام القاضى بمذهب معين لا يتخطاه. وظهر للفقهاء المحدثين والمعاصرين رأيان أحدهما يقول بالجواز، وحجج هذا الرأى هى الأقوى، وأنصاره هم الكثرة، والآخر يقول بعدم الجواز

(١٦) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٢٣٩، والمجلد ٢٧/٢٩٦ ـ ٢٩٨، ومواضع أخرى.

وصحح هذا الرأى أقل قوة، وأنصاره أقل عدد(١٧).

وبالرجوع إلى المعنى الاصطلاحي لمفهوم «التقنين»، نجد أن جوهر هذا المعنى يتمثل من الناحية العملية في عنصر «الإلزام» الذي هو من سلطة الدولة. والإلزام في الفقه الإسلامي إما فردى وإما جماعي. والأصل أن كل مجتهد ملزم بما انتهى إليه اجتهاده. وأما المجتمع في مجمله فيلزمه ولى الأمر برأى أو اجتهاد مستوف لشرائطه العلمية والعملية، تطبيقا للقاعدة التي تقول إن حكم الحاكم «وهو هنا القاضي» يرفع الخلاف. ويلزم القاضي والمتقاضي، الحاكم «وهو هنا الحاكم السياسي» والمحكوم.

وقد اثبتت التجربة العملية أن المصالح في التقنين أكثر من المفاسد، وعلى هذا جرى العمل في حالات كثيرة؛ بدأت من أواخر القرن الثالث عشر الهجرى «التاسع عشر الميلادى»، ثم توالى ظهور محاولات لتقنين أحكام الشريعة على مدى القرن الرابع عشر الهجرى / العشرين الميلادى.

كانت أول محاولة ـ بعد المجلة وبعد مرشد الحيران وقانون العدل والإنصاف لقدرى باشا ـ محاولة المستشرق الإيطالي سانتيلانا -san tilana الذى وضع فيما بين عامي ١٨٩٦ و١٩٠٦م «مجلة الالتزامات والعقود التونسية»... وسنأتي على هذه المحاولة بعد ذلك بشيء من التفصيل.

وفي أوائل عام ١٩١٥ تشكلت في مصر لجنة من كبار العلماء من المذاهب الأربعة لتقنين قانون للأسرة، على أن تستمد مواده من المذاهب الأربعة دون أن تقتصر على ظاهر الأقوال في المذهب الحنفي. وأثمرت تلك المحاولة في لائحة ترتيب المحاكم الشرعية والإجراءات المتعلقة بها الصادر بهما الأمران العاليان المؤرخان ١٠ ديسمبر ١٩٢٠، وذلك فيما يخص أحكام النفقات وبعض مسائل الأحوال الشخصية، وجاء الكثير من مواد هذا القانون وفق المذهب المالكى متأثراً بقانون الأسرة العثماني.

ففي ١٣٣٩هـ الموافق ١٩١٧م كانت الدولة العثمانية في النزع الأخير عندما أصدرت «قانون العائلة العثماني»، وكانت آنذاك خاضعة لحكم جمعية الاتحاد والترقي ذات النزعة القومية/ التغريبية. وفي عام ١٩٢٣ صدر في العراق قانون للمحاكم الشرعية، وتأسست بموجبه محاكم خاصة للجعفريين في الأحوال الشخصية. وفي تلك السنة نفسها ١٩٢٣، صدر في مصر القانون رقم ٥٦ والذى تحدد بموجبه سن الزواج حسب المادتين اللتين تكون القانون منهما، ومضمونهما أنه لا تسمع دعوى الزوجية إذا كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة، وإذا كانت سن الزوج تقل عن ثماني عشرة سنة، وبه لا يجوز مباشرة عقد زواج، ولا المصادقة على زواج أسند إلى زمن ماضٍ ما لم تكن سن الزوجين في هذا السن المحدد(١٨).

وبعد إلغاء نظام الخلافة في مارس ١٩٢٤، وبالرغم من الفراغ الهائل الذى أحدثه قرار إلغائها داخل تركيا وخارجها، إلا أن محاولات التقنين لم تتوقف، بل تصاعدت وتيرتها في مختلف البلدان العربية والإسلامية، وإن بشكل جزئي.

في عام ١٩٢٦، تألفت في مصر لجنة من مختصين بالمسائل الفقهية، كان أغلبهم من تلامذة الشيخ محمد عبده، وكانت مهمة تلك اللجنة هي أن تقوم بوضع مقترحات لتقنين أحكام الأسرة، على أن تكون مستمدة من المذاهب الفقهية الأربعة، ومن آراء المجتهدين من الفقهاء عامة، مما هو نافع للأسرة. وارتقى عمل اللجنة إلى الاستنباط من القرآن والسنة حتى ولو ناقض ذلك ما قاله السابقون من الفقهاء المجتهدين. ونتيجة لذلك الجهد صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ واقتصر على ما جاء بالمذاهب الأربعة. وترك ما لم يكن في هذا النطاق، لا في الطلاق بلفظ الثلاث والإلزام بكل شرط تشترطه الزوجة.

وأدى ذلك المشروع ـ فيما أدى ـ إلى تقييد رغبة الرجل في تعدد الزوجات، واشترط لتزوج الرجل من أخرى ألا يعقد الزواج أو يسجله إلا بإذن القاضي الشرعي، ومنع القاضي من الإذن لغير القادر على القيام بحسن العشرة، والإنفاق على أكثر ممن في عصمته، ومن تجب نفقتهم عليه من أصوله وفروعه. كما أخذت اللائحة المقترحة بمبدأ الالتزام بالشروط التي تفرضها الزوجة على الزوج عند إبرام العقد، كالاشتراط بألا يتزوج عليها. وأعطت اللائحة الحق للزوجة في طلب التفريق بسبب إضرار الزوج بها؛ بما لا يستطاع معه دوام العشرة. وكذلك طلب الزوجة الطلاق لو غاب زوجها سنة فأكثر، ولو ترك مالا تستطيع الإنفاق منه. وعلى الرغم من عدم قبول اللائحة في ذلك العام، فقد صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ واقتصر القانون على ما جاء بالمذاهب الأربعة، كما أسلفنا.

وفي ٧ محرم ١٣٤٧هـ، ٢٦ يونيو ١٩٢٨م، أصدرت الهيئة القضائية في نجد

---

(١٧) الجدل بين الفريقين لحد في التجسلو. وللاطلاع على نموذج منه انظر: عبدالمحسن العسكر: تقنين أحكام الفقه بحث منشور في جريدة الرياض الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٩ ابريل ٢٠٠٥م، العدد ١٣٤٤٨

(١٨) هادى مصود، مرجع سابق http://www.ahewar.org/debat/show

والحجاز قراراً أوجب العمل في القضاء بالتقنين المفتى به من المذهب الحنفي. وتلا ذلك ظهور «مجلة الأحكام الشرعية» التي وضعها الشيخ أحمد القاري المكي الذي توفي عام ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م وقد قام الشيخ المكي بتصنيف قواعد الفقه الحنبلي في صورة مواد، واقتفى الطريق الذي رسمته كل من مجلة الأحكام العدلية العثمانية، ومرشد الحيران لقدري باشا. ولم تظهر هذه المجلة للدارسين حتى تحدث عنها الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان في جريدة عكاظ بتاريخ ٥ ربيع الأول عام ١٣٩٣ هجري[19]. ولازالت هذه المجلة مرجعاً غير رسمي للمحامين عند إعداد دفوعهم والاستناد إلى موادها في مذكراتهم[20].

وفي اليمن، أمر الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠ بتشكيل لجنة «تقنين أحكام الشريعة الإسلامية». وقامت اللجنة بإعداد أعمالها في كتاب بعنوان: «تيسير المرام في مسائل الأحكام للباحثين والحكام»، وقد استعان به قضاة اليمن فترة من الزمن[21].

وفي سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٥م أوصى المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية في مصر السلطات المختصة بالعمل على تنقية التشريعات والنظم من كل ما يخالف حكم الإسلام، وأن ترد التشريعات إلى الكتاب والسنة مستعينة بكل مستحدث صالح من فكر أو حكم لا يعارض أصلاً من أصول الدين. وأوصى المؤتمر الرابع للمجمع في سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٧م، بتأليف لجنة من رجال الفقه والقانون لتضع الدراسات ومشروعات القوانين التي تيسر على المسئولين في الدول الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية في قوانينها.

ووافق مجمع البحوث الإسلامية - في مصر - في سنة ١٩٧٠م على الخطة المرحلية لأعمال لجان المجمع ومنها لجنة تقنين الشريعة. وأصدر المجمع الطبعة التمهيدية لمشروع تقنين مذهب الإمام مالك في سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م وفي

---

[19] [illegible]

(٢٠) أحمد صيف، مجلة الأحكام أول محاولة لتقنين الشريعة في تاريخ المملكة، جريدة عكاظ، العدد ١٨١٧، ٨ يونيو ٢٠٠٦م

http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20060608/com2006060823750.htm

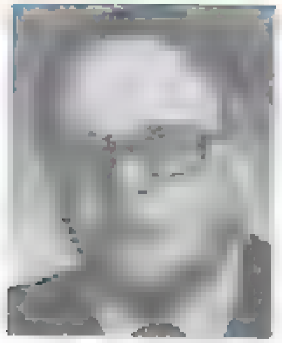
[21] [illegible] http

www.althaiafaaljadeda.com

نفس العام أيضاً أصدر الطبعة التمهيدية لمشروع تقنين مذهب الإمام أحمد.

وقد طرحت فكرة التقنين مرة أخرى في مناقشات هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م - كانت المرة الأولى سنة ١٣٤٦هـ في عهد الملك عبدالعزيز - وانقسمت جماعة العلماء هذه المرة إلى فريقين: أحدهما ذهب إلى جواز التقنين ولم ير فيه بأساً مادام سيصدر من ولي الأمر، والثاني ذهب إلى عدم جواز ذلك؛ لأن ما فيه من أضرار أكثر مما فيه من منافع. وانتهت اللجنة إلى أن المصلحة تقتضي صرف النظر عن التقنين، خاصة أن فيه مظنة مشابهة القوانين الوضعية بأحكام الشريعة[22].

وفي عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م قرر مجلس الشعب المصري البدء في تنفيذ مشروع طموح لتقنين الشريعة، واستعان في ذلك بكبار أساتذة كليات الحقوق وبعض الخبراء من المسلمين والمسيحيين، لإنجاز مشروع التقنين، وتم تقسيم العمل إلى لجان يرأس كل لجنة أحد أعضاء مجلس الشعب إلى جانب هؤلاء الخبراء. وركزت الخطة المقترحة على عدم التقيد بالراجح في مذهب معين، بل الأخذ بالرأي المناسب من أي مذهب من المذاهب الفقهية[23]. وفي ٢ يوليو ١٩٨٢م، أعلن د. صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب انتهاء المجلس من تقنين: القانون المدني، وقانون العقوبات والقانون التجاري، والقانون البحري، وقانون الإثبات.



صوفي أبو طالب

التقنين - إذن - ليس وليد العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، وإنما هو رغبة قديمة في أن تكون الشريعة مصدراً للقانون. وبهذا تكون البلاد قد استكملت حلقة من حلقات جهادها الطويل من أجل استرداد سيادتها المسلوبة، وإحياء معالم هويتها الأصيلة.

[illegible] http [illegible]

بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠٠٥

(٢٢) عاطف مظهر، حوار مع الدكتور صوفي أبو طالب (مشروع تقنين عام ١٩٧٨)، منشور على موقع إسلام أون لاين

www.islamonline.net

نحو تقنين فريضة الزكاة

المستشار/ عثمان حسين عبد الله
عضو مجلس الدولة ونائب أول رئيس محكمة النقض سابقاً

إن الأصل العام في شريعة الإسلام أن الحكومة المسلمة تتولى أمر الزكاة، فتجبيها ممن تجب عليهم، وتصرفها على من تستحق لهم، على أن تنشئ لذلك مؤسسة عامة، أو بيت مال، يختص بشئون الزكاة، بحيث تستقل بأموال الزكاة تحصيلاً وتوزيعاً، بحيث لا تختلط الزكاة بإيرادات الدولة ومصروفاتها.

ولقد أوجب القرآن الكريم على دولة الإسلام أن تقوم على شئون الزكاة

(الحج: ٤١)

والحق تبارك وتعالى كلف نبيه محمداً ﷺ بوصفه رئيس دولة المسلمين أن يجمع الزكاة

(التوبة ١٠٣ - ١٠٤)

فلم يقف الأمر عند حد إيجاب الزكاة وفرضيتها، (وهي الصدقة الواجبة)، وإنما جاوز ذلك إذ أمر الدولة أن تتولى أخذ هذه الزكاة من أصحاب الأموال، كما أن ربنا سبحانه ناط بالدولة، (سلطة الحكم أو الإدارة). المسئولية عن توزيع حصيلة الزكاة، أي إنفاقها في المصارف المحددة التي عينها دون غيرها

(التوبة ٦٠)

ويلاحظ أن هذه الآية نصت على أن من مصارف الزكاة (العاملين عليها)، أي الإنفاق على مكافآت أو مرتبات موظفي العاملين على شئون الزكاة جمعاً وصرفاً.

وسيدنا رسول الله ﷺ بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن وأمره أن يقول لمن يسلم من أهلها «إن الله افترض عليهم صدقة (هي الزكاة) تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم». حديث متفق عليه

وقال ﷺ عن الزكاة «من أعطاها مؤتجراً فله أجرها. ومن منعها فإنا آخذوها، وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

وهكذا بعث رسول الله ﷺ عماله إلى القبائل يجمعون الزكاة وزودهم بتعليماته.. وأبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه كانا يسيران على النهج ذاته، وكانت بعض القبائل قد امتنعت -رغم إسلامها- عن أداء الزكاة إلى سيدنا أبي بكر، وحجتها أنها تتولى إنفاقها على الفقراء من أهل القبيلة، (ومن هؤلاء بنو يربوع)، فجند أبو بكر (رئيس الدولة) الكتائب ووجهها إلى هذه القبائل حتى تلتزم بأداء فريضة الزكاة إلى ولي أمر المسلمين، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً، (أو قال عقالاً)، كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها». قال الفاروق عمر: «فما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال حتى عرفت أنه الحق».

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»، إلى هذا المدى وصل اهتمام شرعة الإسلام بفريضة الزكاة ووجوب قيام الدولة عليها، والذين قاتلوا من أجل حقوق الفقراء والانتصاف للمساكين، كان على رأسهم بعض سراة الصحابة وأهل الحل والعقد من سادة المسلمين.



أبو زهرة

ومن الجهود العلمية الداعية إلى تحمل الدولة مسئولية جمع الزكاة، وإنفاق حصيلتها في مصارفها الشرعية، البحث الذي أعده ثلاثة من كبار أساتذة الشريعة، هم الأساتذة الشيوخ عبدالرحمن حسن وكيل الأزهر، وعبدالوهاب خلاف أستاذ الفقه والأصول بجامعة القاهرة، ومحمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بكلية الحقوق.. وانتهوا من بحثهم إلى أنه يتعين على ولي الأمر الآن أن يقوم بجمع الزكاة وصرفها في مصارفها. وقرئت هذا البحث حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة بدمشق في سنة ١٩٥٢م بمشاركة هيئة الأمم المتحدة، وأوصت بجعل الزكاة أساساً للتكافل الاجتماعي.

كما أن الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ركز

على هذا الموضوع فى أبحاثه المدونة بكتابه (فقه الزكاة)، وكتابه (مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام).. وانتهى إلى أن الزكاة - وهى العبادة المالية الاجتماعية فى الإسلام - لا يمكن أن تؤدى كما شرع الله ورسوله إلا فى ظل الدولة.. وأن الواجب على كل حكومة إسلامية أن تتولى أمر الزكاة تحصيلا وتوزيعا.. وهذا هو الأصل فى تلك الفريضة.

والواقع الحالى، فى بلادنا، يقول: إن الفقراء [illegible] والمرضى والعجزة وذوى [illegible] [illegible] عددا، ويزداد [illegible] حاجة والفقر ومرضا وعجزا، فى حين [illegible] الأغنياء يزدادون غنى [illegible] [illegible] وكثير من القادرين لا يؤدون زكاة أموالهم، أو هم لا يؤدونها كاملة، أو لا يؤدونها بصفة دائمة ومنتظمة، وبعض الدعاة قال: إنها لطول إغفالها أصبحت فريضة غائبة فى الوعى العام وفى الوعى الخاص، وبعض الأغنياء قد يظنها صدقة تطوعية [illegible] [illegible] دعوا إلى أداء الزكاة احتجوا بالضرائب وادعوا أنها تعفيهم من الزكاة؟!.. وكل هذه تعلات ومعاذير يلقى بها فى الأغلب جهل سائد أو إيمان محدود! ذلك إلى جانب تهاون المسئولين فى الدولة.

كل يوم [illegible] البحث العلمى [illegible] الإعلام تطالعنا - نحن المصريين - بالحرمان من الحاجات الأساسية والضرورية حرمانا يشمل نسبة كبيرة [illegible] [illegible] بسبب سوء أحوالهم الاقتصادية يعيشون تحت خط الفقر! ومن ذلك أن إحدى الجامعات المصرية العريقة، وهى جامعة [illegible] دراسة انتهت [illegible] أكثر من عشرة ملايين مواطن مصرى لا يجدون الطعام [illegible] بصورة يومية وهم يعتمدون على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأن ٤٢٪ من المصريين



القرضاوي

يعيشون بدخل يومى لا يتجاوز دولارين وهو ما لا يتناسب مع المعايير الآدمية، وأن أكثر من ٢٣٪ من الأطفال [illegible] عن [illegible] مرحلة التعليم الأساسى بسبب الظروف المادية القاسية التى تحول دون استكمال تعليمهم فى مراحل التعليم الأولى [illegible] من هذه مشكلات فى المجتمع المصرى ارتفاع الأسعار فى السنوات الأخيرة، على نحو يؤدى [illegible] إلى [illegible] القوة الشرائية وتدنى مستويات المعيشة إلى جانب ازدياد أعداد العاطلين [illegible] [illegible] وهذه كلها أجواء [illegible] [illegible] [illegible] الاجتماعى (جريدة الأهرام ١٥ - ١١ - ٢٠١١)

وإذ كان الحق تبارك وتعالى قد فرض الزكاة، فى كل دين سماوى، وأوجب على أولى الأمر فى بلاد الإسلام أن يقوموا على شئونها، لكى تسد حاجات الفقراء والمساكين، ولكى تسد [illegible] [illegible] الاجتماعية، ولكى لا يكون المال دولة بين الأغنياء من الناس، ولكى تسود مبادئ التكافل الدينى والعقائدى، ومبادئ الإخوة الإسلامية والتراحم والتضامن الاجتماعى، ولكى تسلم البنية الاجتماعية، إذ يستشعر الأغنياء مسئولياتهم نحو المواطنين ذوى الحاجة [illegible] [illegible] [illegible] والضعفاء.. ولكى تقوى الأواصر بين [illegible]، كما تقوى روح الانتماء للأمة وللوطن.

من أجل ذلك [illegible] [illegible] وعنوانه (الزكاة [illegible] الاجتماعى الإسلامى)، وقد [illegible] [illegible] [illegible] وصدرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٨٩م.. ولست [illegible] [illegible] [illegible] الإعلان، [illegible] [illegible] [illegible] المذكرة الإيضاحية وهو مشروع قانون بشأن الزكاة وهو فى نحو مائة مادة وهو عمل تشريعى رائد وهو [illegible] [illegible] ويشتمل على ما يلى:

١- [illegible] الأموال الواجبة فيها الزكاة [illegible] وجوبها فيها وهو يحسم الخلاف بشأن الضرائب، إذ أن أداء الضرائب للدولة لا يعفى من وجوب أداء الزكاة.

٢- وفى الباب الثانى تفصيل لمصارف الزكاة الثمانية وأسلوب توزيعها ومراعاة الأولويات بشأنها وتنظيم الرقابة الشعبية والرقابة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

٣- وفى الباب [illegible] [illegible] [illegible] بالمؤسسة العامة للزكاة أو بيت مال الزكاة.. ومن أهم ما اشتمل عليه هذا الباب النص على التعاون والتنسيق بين مؤسسات الزكاة فى الدول العربية والإسلامية.

٤- ويشتمل الباب الرابع على إجراءات تحديد الزكاة وجبايتها.

٥- وفى الباب الخامس أحكام عامة منها الجزاءات على عدم إيتاء الزكاة (ومن يتعقبها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ومنا)، هكذا قال سيدنا رسول الله ﷺ.

٦- ومما يحرص عليه مشروع القانون المقترح (التدرج فى التطبيق)، فثمة مرحلة للإعداد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التكميلية والتنفيذية، ومرحلة أو مراحل لتنفيذ القانون والأنظمة واللوائح، فيما يتعلق بكل نوع من أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة مع العناية بحسن اختيار العاملين فى بيت مال الزكاة (المؤسسة العامة) وتدريبهم والإشراف على سلوكهم وعلى تصرفاتهم.

٧- ولم يغفل مشروع القانون حقوق المواطنين غير المسلمين فهؤلاء يخيرون بين سريان أحكام قانون الزكاة عليهم (فلهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وإما أن ينشأ لهم بقانون صندوق خاص للضمان الاجتماعى يتحمل أغنياؤهم تكاليفه ويستفيدون بمنافعه وخدماته، وذلك عملا على [illegible] بينهم وبين المواطنين المسلمين، وفى جميع الأحوال، وأيا كانت الاختيارات، فإن أوضاع [illegible] المواطنين غير المسلمين لا يمكن بحال من الأحوال أن تقف عائقا بين الدولة وبين إصدار قانون الزكاة المنشود.

٨- ولسنا نتأمل أن يكون إعداد مشروع قانون الزكاة بصياغته التشريعية المعاصرة، محاولة لتقنين فريضة لازمة وركن من أركان العبادة، نواجه بها اللغط السخيف المغرض الذى يثيره بعض الكتاب [illegible] [illegible] [illegible] الدعوة إلى تطبيق الشريعة هى مجرد دعوة عاطفية، أو أن الحل الإسلامى مسألة [illegible] [illegible] [illegible] العصر، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدستور المصرى هو مجرد شعار جاوزه [illegible] [illegible]

مستقبل مصر بين الشريعة والأهواء

للدكتور / حمدى شوح والى

لا أحد يستطيع أن ينكر شوق الشعوب العربية والإسلامية الجارف إلى الحرية، وسعيها الدائب إلى اكتشاف ذاتها، وإدارة حياتها وفق منهج ينسجم مع عقيدتها، ويمتزج بفطرتها ويتلاءم مع تاريخها وحضارتها، وهي في سبيل ذلك لا تتردد أن تقدم أغلى ما لديها ثمنا لهذا المطلب العزيز، وها نحن نرى نشرات الأخبار وهي تنقل أمام أعيننا صور المجازر البشرية التي فاقت بشاعتها كل حدود الاحتمال. فالمقابر الجماعية والأجساد المشوهة والأشلاء المحرقة والأعضاء المتناثرة والدماء المتدفقة كل ذلك نراه في كل يوم ورغم ذلك كله تزداد موجات البشر وتتسع صيحات الغضب وترتفع صرخات الأحرار تعلو على هدير المدافع وطلقات الرصاص لتؤكد للدنيا كلها أن إرادة الشعوب من إرادة الله وأنها أشد استمساكا بحقها من استمساك الحاكم المستبد بشهوة التأله ولذة الاستبداد، وتؤكد مرة أخرى بأن الحرية أغلى لدى الشعوب من الحياة، لأن الحياة بلا حرية

عبء ثقيل وسجن عويل

وإذا كانت بعض الشعوب قد بلغت مرادها، وحققت أحلامها، وانتقلت من مرحلة الصراع من أجل الحرية إلى مرحلة الاستمتاع بالحرية. فإن العقبة الكؤود والاختبار الرهيب هو كيفية التعامل مع الحرية وكيفية إدارة الحياة، وكم من أمم نجحت في معالجة الصراع من أجل استخلاص حقوقها لكنها أخفقت إخفاقا شديدا في استثمار تلك الحقوق والتحرك بها في الأرض وفق منهج رشيد ونظام سديد.

ومن هنا كان من الضروري أن يبادر عقلاء الأمة وحكماؤها إلى اختيار المنهج الأمثل والنظام الأكمل الذي يترفع عن الأهواء ويستعلي عن النقائص ويتبرأ من الشبهات ويتنزه عن الشهوات ولن نجد هذا النموذج إلا في كتاب الله، هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد.

إن المنهج المطلوب لقيادة البشرية وسياستها كان لابد أن يكون ربانيا. لأن خالق النفس - سبحانه وتعالى - هو الأعلم بأسرارها والأقدر على طبها وعلاجها. فهو الخبير بمنحنياتها ودروبها والبصير بطبيعتها وحقيقتها العليم بضروراتها وأشواقها

[illegible]

(الملك ١٤)

واليوم تعود مصر إلى أبنائها بعد أن سقطت الموانع، وتهيأت الأسباب لتختار الأمة طريقها وتستعيد مجدها، وتحدد هويتها، وتحقق أهدافها وبعد أن عانت طويلا من كابوس أسود على مدى القرن العشرين من احتلال بغيض وحربية مقيتة واستبدادية رخيصة وزعامات جوفاء ومغامرات مراهقة لا تتحسب للنتائج، ولا تستشعر فداحة الأمانة، حتى أوصلتنا إلى تلك الحال.

لكننا اليوم نعود وقد زالت حججنا وانكشفت أعذارنا ولم يبق أمامنا إلا أن نرى الله منا ما يرضى به عنا مستشعرين حقيقة قوله تعالى:

[illegible]

(الأعراف ١٢٩)

وحتى نكون في مأمن من التجارب الخرقاء والمغامرات الفاشلة كان لابد أن نعود إلى الخالق الحكيم نسترشده ونستهديه ونستعينه فهو وحده الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأول خطاب يتوجه به الخالق الحكيم ليرفعنا إلى مقام الأمانة ويهيئنا إلى قيادة البشرية ويشرفنا بالشهادة على الناس هو خطاب إلى الضمائر والسرائر ليعالج به النوايا والخفايا مما لا يطلع عليه أحد ولا تقوى على رصده قوة في الأرض، وإنما الذي يعلم دقائقه وحقائقه هو الخالق وحده فيقول سبحانه

[illegible]

(النساء ١٣٥)

به نداء للذين آمنوا بصفتهم الجديدة. تلك الصفة التي ولدت فيهم فولدت معها مبادئهم وأهدافهم وولدت معها المهمة الجديدة التي تناط بهم والأمانة العظيمة التي وكلت إليهم، أمانة القوامة على البشرية والحكم بين الناس بالعدل، وهي لمسة من لمسات المنهج التربوي الحكيم تسبق التكليف الشاق الثقيل:

[illegible] شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ [illegible]

(النساء ١٣٥)

أنها أمانة القيام بالقسط على إطلاقه فى كل حال وفى كل مجال، القسط الذى يمنع البغى والظلم فى الأرض، والذى يكفل الإنصاف والعدل بين الناس، والذى يعطى كل ذى حق حقه من المسلمين ومن غير المسلمين، وفى هذا الحق يتساوى عند الله المؤمنون وغير المؤمنين ويتساوى الأقربون والأبعدون ويتساوى الأصدقاء والأعداء ويتساوى الفقراء والأغنياء دون النظر إلى أحوالهم أو طبيعة معايشهم، فالعدل المطلق هو مراد الله من خلقه دون أية اعتبارات أخرى. فلا مجاملة للقوى خشية قوته، ولا للغنى طمعاً فى غناه أو الجبار خشية بطشه أو الضعيف شفقة عليه.

إنه لابد من ضوابط للحياة، حياة المرء مع نفسه التى بين جنبيه، وحياته مع غيره من الناس من الأقربين أو الأبعدين من الأهل والعشيرة من الجماعة والأمة ومن الأصدقاء والأعداء ثم حياته مع ربه ومولاه وعلاقته به وهى أساس الحياة وهذه الضوابط لم تترك لاجتهادات البشر وإنما تكفل الحق سبحانه ببيانها وربطها كلها به سبحانه وخاطب نبيه بقوله:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ [illegible] لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الجاثية: ١٨)

وهذه الضوابط هى التى سماها ربنا بالعقود وأمرنا بالوفاء بها بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١)

وعندما تنتصب الشريعة حاكمة بعد أن تكون قد امتزجت محبتها فى المشاعر والضمائر فلن تترك الأمر للأهواء العالية أو الشهوات المتقلبة، أو المصالح العارضة التى يراها فرد أو حزب أو تراها مجموعة أو أمة أو يراها جيل من الناس فيحطمون فى سبيل تلك الأهواء ما شرعه الله من هذه الضوابط لتقتيهم بأن أهواءهم هى المصلحة وينسون أن هذه الضوابط التى حققها الله هى المصلحة، ما دام أن الله هو الذى أقامها للناس، ولو رأى فرد أو حزب أو جيل أو مجموعة من الناس أن المصلحة غيرها فقد أساء الأدب مع الله، فالله يعلم والناس لا يعلمون.

وأمام جدية الإيمان بالله وصدق اليقين به لا يبقى لأهواء النفس مجال باسم الليبرالية أو العلمانية لكى يتشدق بها كل متبجح جهول، وكل انفلات من ضوابط الخالق وكل ميل لسواها هو خضوع للأهواء وانقياد لها مرده إلى ضعف الإيمان بالله وتغليب سلطان النفس والهوى على سلطانه سبحانه وتلك هى عبادة الهوى التى حذرنا الله منها بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] ٢٣)

وفى مقابل هذه الأهواء التى تتعدد بتعدد أصحابها تبرز الضوابط الإلهية، وتشريعات الربانية حكيمة بحكمة الله، كاملة بكماله عادلة بعدله. وهذا ما يجعل الإنسان فى أمان كامل، واطمئنان عميق عندما يستمع إلى قول الخالق سبحانه وتعالى يخاطب نبيه مبينا له منهج التشريع فى الأرض:

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى: ١٥)

نسى لأحد من تقدم به إلى أهلى وحوتى و [illegible] فى هذه الظروف الضبابية الخادعة التى أغرت كل صاحب هوى أن يفصح عن باطله وأن يتبجح بهواه إلا أن أضع أمام عينيه ملامح [illegible]

●●●

﴿ [illegible] الرُّسُلِ ﴾

(النساء: ١٦٥)

وحتى لا يبقى لمحتج حجة ولا لمعتذر عذر.

إن مصر التى عانت من محاولات الاستعمار ومكائده على مدى قرين من الزمان لن تسلم رقاب لتلامذته وصبيانه ممن برزوا اليوم منتهزين مناخ الحرية ليطمسوا معالمها ويغيبوا دينها ويضللوا أبناءها وليعودوا بها مرة أخرى فريسة للأهواء والأوهام والشبهات والشهوات متجاوزين بها عن عمد وقصد منهج الحق [illegible] وهدى للناس [illegible] وكتب على من خالفه ضنك العيش وضلال [illegible] فى قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(طه: ١٢٣ - ١٢٤)

هذه صيحة حق أعلنها لله قاصدا بها الأعذار [illegible] يأتى يوم لا ينفع فيه درهم ولا دينار

﴿ [illegible] ﴾

(الشعراء: ٨٨)

خلافة الإسلام

لأمير الشعراء أحمد شوقي

عادت أغاني العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح[1]

كفنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح[2]

شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... في كل ناحية وسكرة صاح[3]

ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح

الهند والهة ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سحاح[4]

والشام تسأل والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح؟

وأتت لك الجمع الجلائل مأتما ... فقعدن فيه مقاعد الأنواح[5]

يا للرجال لحرة موءودة ... قتلت بغير جريرة وجناح[6]

إن الذين أست جراحك حربهم ... قتلتك سلمهم بغير جراح[7]

هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم ... موشية بمواهب الفتاح[8]

نزعوا عن الأعناق خير قلادة ... ونضوا عن الأعطاف خير وشاح[9]

حسب أتى طول الليالي دونه ... قد طاح بين عشية وصباح[10]

وعلاقة فصمت عرى أسبابها ... كانت أبر علائق الأرواح

جمعت على البر الحضور وربما ... جمعت عليه سرائر النزاح[11]

نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... في كل غدوة جمعة ورواح

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث ... بالشرع عربيد القضاء وقاح[12]

أفتى خزعبلة وقال ضلالة ... وأتى بكفر في البلاد بواح[13]

إن الذين جرى عليهم فقهه ... خلقوا لفقه كتيبة وسلاح

إن حدثوا نطقوا بخرس كتائب ... أو خوطبوا سمعوا بصم رماح

---

* ما كاد العالم الإسلامي يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم في ميدان الحرب والسياسة ذلك النصر العظيم الذي كان حديث الدنيا والذي تم على يد مصطفى كمال في سنة ١٩٢٢ حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة، ونفي الخليفة من بلاد الأتراك فنظم الشاعر هذه القصيدة يرثي فيها الخلافة ويصف [illegible] الإسلام في [illegible]

١- [illegible] والمعالم جمع معلم وهو موضع الشيء الذي يستدل به عليه وجوده

٢- [illegible]

٣- الهلع الجزع الشديد والعبرة الدمعة [illegible] وقيل هي [illegible]

٤- الوالهة الحزينة، أو التي ذهب عقلها حزنا وسحاح كثير السح وهو الصب [illegible]

٥- [illegible] والأنواح النائحات

٦- الموءودة التي تدفن حية في التراب والجناح الإثم

٧- [illegible]

٨- يقال هتك الستر ونحوه خرقه أو جذبه فقطعه من موضعه أو شق منه جزءا فبدا ما وراءه وموشية منقوشة منمنمة والفتاح من أسماء الله تعالى

٩- نضوا خلعوا والأعطاف جمع عطف وهو الجانب من كل شيء والوشاح شبه قلادة ينسج من جلد عريض ويرصع بالجوهر

[illegible]

١٠- طاح ذهب

١١- [illegible]

١٢- العربيد الشرير، والكثير العربدة وهي سوء الخلق من السكر والوقاح ذو الوقاحة وهي قلة الحياء

١٣- الخزعبلة الفكاهة والمزاح، أما الباطل فهو الخزعبل والخزعبيل ويقال جاء بالكفر بواحا أي بينا، وقيل جهارا

أستغفر الأخلاق. لست بجاحد ... [illegible]

[illegible] ... قلدته المأثور من أمداحي؟

هو ركن مملكة. وحائط دولة ... وقريع شهباء، وكبش نطاح[16]

أأقول من أحيا الجماعة ملحد ... وأقول من رد [illegible]

الحق أولى من وليك حرمة ... وأحق منك بنصرة وكفاح

فامدح على الحق الرجال ولمهم ... أو خل عنك مواقف النصاح

ومن الرجال إذا صريت لهدمهم ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... إن الجواد يثوب بعد جماح[18]

[illegible] ... كيف احتيالك في صريع الراح؟

نقل الشرائع، والعقائد، والقرى ... والناس نقل كتائب في الساح[19]

تركته كالشبح المؤله أمة ... [illegible]

هم أطلقوا يده كقيصر فيهم ... حتى تناول كل غير مباح

غرته طاعات الجموع، ودولة ... وجد السواد لها هوى المرتاح

[illegible] ... لم تعط غير سرابه اللماح[20]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١٧- الأجلاد والمجاليد جمع الأجلد [illegible]

١٨- الغرى مصطفى كمال، وهو [illegible]

١٩- الساح جمع ساحة والمراد ساحة الحرب

٢٠- اللماح: [illegible]

من قائل للمسلمين مقالة ... [illegible]

عهد الخلافة في أول ذائد ... عن حوضها بيراعة نضاح[21]

حب لذات الله كان، ولو يزل ... [illegible]

[illegible] ... حتى [illegible]

غزوات (أدهم) كللت بذوابل ... [illegible]

ولت سيوفهما، وباد قناهما ... وشبا يراعي غير ذات براح[24]

لا تبذلوا [illegible] ... عزل، يدافع دونه بالراح[25]

[illegible] ... [illegible]

فلتسمعن بكل أرض داعيا ... [illegible]

ولتشهدن بكل أرض فتنة ... [illegible]

يفتي على ذهب المعز وسيفه ... [illegible]

[illegible]

٢٢- المراد [illegible] ... على السراج حتى يحترق

٢٣- الذوابل صفة الرماح، والصفاح جمع صفيحة وهو عرض السيف [illegible] والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام

٢٤- القنا جمع قناة والشبا جمع شباة وهي حد كل شيء [illegible]

[illegible]

٢٦- والأمر أوهى ... [illegible] على الموصوف بهذا العمل [illegible] على [illegible] في الحرب الكبرى

٢٧- يريد أن تدعي [illegible] الخلافة [illegible] والمراد ... مسيلمة الكذاب وسجاح امرأة كانت تدعي النبوة

٢٨- المراد [illegible]

الفتح الإسلامى لمصر



٧ للأستاذ الدكتور: محمد عمارة

قصة الفتح .. [illegible] (١)

عندما استعصت عقيدة المسيحيين المصريين على محاولات الاباطرة الرومان الذين حاولوا ـ واحدا بعد اخر ـ فرض العقيدة القائلة بالطبيعتين للسيد المسيح، على المسيحيين المصريين، عين هرقل سنة ٦٣١م اسقفا على الإسكندرية وحاكما على مصر يدعى قيرس اوسيروس.

كان يعتقد [illegible] أن ترسل الدولة الرومانية الشرقية حاكما سياسيا أو عسكريا يحكم مصر، ويرسل أسقفا للملكانيين الذين يتبعون مذهبها في العقيدة المسيحية لتكون له الرئاسة الدينية عليهم. لكن هرقل جمع السلطتين الدينية والسياسية لرجل واحد هو قيرس أوسيروس، [illegible] ذكره [illegible].

ويبدو من قراءة أحداث مرحلة توليه حكم مصر أن هذا الرجل كان ضيق العقل، فلما وجد أن استمالة الأقباط إلى المذهب الديني الذي تؤيده الإمبراطورية الرومانية الشرقية غير ممكنة، أخذ يضطهدهم اضطهادا رهيبا، ففر منه المسيحيون المصريون الذين أرسل لاستدعائهم. وبقي الاضطهاد الذي مارسه على المصريين هؤلاء من أولاء الدولة الرومانية[1].

«لقد أزال سيروس بتصرفاته كل ولاء للقسطنطينية. لقد أخذ يتعقب ويطارد أساقفة الأقباط، والقوميين من الأقباط كان عليهم أن يقتلوا [illegible] ويفقدوا حياتهم[2].

(١) [illegible] من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة د. [illegible] دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣م، ص١٩٤

[illegible]

«ولمعظم البلاء والضيق والعذاب الذى أنزله المقوقس بالأرثوذكسيين لكي يدخلوا في الأمانة (المذهب) الخلقيدونية، ضل جماعة منهم لا يحصى عددها. قوم بالعذاب، وقوم بالهدايا والتشريف، وقوم بالسؤال والخداع. حتى أن كيروس أسقف نيقوس، وبقطر أسقف الفيوم، وكثيرين [illegible] الأمانة الأرثوذكسية؛ لأنهم لم يسمعوا وصية الأب المغبوط بنيامين ولم يختفوا كغيرهم، فعادهم بمنارة ضلالته فضلوا بالمجمع الخلقيدوني»[3].

وقد سبق هذا الاضطهاد، الذى مارسه المقوقس، ولم يستنقذ المصريين منه إلا الفتح الإسلامي سنة ٦٤١م / ٢٤هـ، اضطهاد آخر عانى المصريون منه أشد المعاناة؛ ذلك هو الذى بدأه الإمبراطور الروماني الوثني (دقلديانوس) [illegible] كانت مصر ولاية رومانية منذ سنة ٣٠ق.م، وجعل الرومان لليونان واليهود المقيمين في مصر محاكم خاصة بهم تقضي بينهم بقوانين تسري عليهم وحدهم، ولا تطبق قوانين الدولة الرومانية. فكان لليونان ولليهود في مصر تحت الاحتلال الروماني وضع ذوى الامتيازات الأجنبية في مصر تحت الاحتلال [illegible] المصريون، أهل البلد المحتل، فقد طبقت عليهم القوانين الرومانية التي لا يعرفونها ولا [illegible] وكانت [illegible] الرومانية تسري على المصريين دون سواهم. وكانت [illegible] الرومانية التي لا تضم أى عنصر مصرى في تشكيلها. فأثار هذا التمييز، غير المسوّغ، [illegible] ويهود [illegible] المصريين [illegible] أن الحاكم الروماني كان مطلق اليد في شأنهم[1]. وكان هذا النوع من التمييز المجحف بالمصريين مستمرا منذ بدء الاحتلال الروماني سنة ٣٠ق.م اقترن به في فترات مختلفة اضطهاد مادى تمثل في الحبس والتعذيب [illegible] الاحتلال [illegible].

لكن الاضطهاد الأكبر للمسيحيين المصريين كان في عهد دقلديانوس الذى حكم الإمبراطورية الرومانية منذ سنة ٢٨٤م إلى سنة ٣٠٥م [illegible] المسيحيون المصريون على الواقعة التي أدت إلى هذا الاضطهاد.. فعند يوحنا النقيوسي أن الإسكندرية ومصر رفضتا الاعتراف بدقلديانوس امبراطورا والخضوع [illegible] الحاكم الروماني لمصر (أخيلاوس) أراد الاستقلال [illegible]

(٣) ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة ج١ ص٢٧٣

[illegible]

[illegible]

(١) يوحنا النقيوسي: [illegible] ص٦٣

نظرا لسوء معاملة الرومان لهم واضطهادهم لهم. [illegible] ساويرس بن المقفع إن دقلديانوس في السنة التاسعة عشرة من حكمه (٣٠٣م) وضعت كنائس في الإسكندرية ومصر (بعد الإصلاح) [illegible].

فلما أبى القبط أن يتحولوا عن دينهم [illegible] في عبادة الأوثان كان ذلك سبب بدء الاضطهاد الذي أمر به دقلديانوس.

ويبدو أن [illegible] التي جرت [illegible] دقلديانوس ضد المسيحيين المصريين [illegible] جعل مؤرخي مسيحية مصرية يتفقون على أنه أنزل بالمصريين أشد صنوف العذاب وأبشع صوره، حتى إن الكنيسة المصرية جعلت بداية تاريخها هو سنة ٢٨٤م (السنة الأولى لولاية دقلديانوس)، وأسمت تاريخها تاريخ الشهداء، في إشارة إلى الذين ضحوا بحياتهم من أجل إيمانهم في أول المسيحية.

نقرأ في تاريخ ساويرس بن المقفع، المسمى تاريخ البطاركة: إن دقلديانوس أنزل البلايا على النصارى، وأخرب كنائس الله، وقتل خلقا كثيرا بالسيف، وهرب المؤمنون بالمسيح للبراري والكهوف والمغاير [illegible] فحينئذ [illegible] دقلديانوس حراسا وجعلهم في كل مكان من كورة مصر والصعيد الأعلى، وأمرهم بقتل كل من [illegible](٨).

واعتقل بطرك الإسكندرية الأنبا بطرس وسجن مقيدا، وأمر دقلديانوس بقتله، وكان ذلك في قصة طويلة مؤثرة تدل على صبر الأنبا بطرس وشجاعته وإيمانه بدينه(٩).

ويكتب يعقوب نخلة روفيلة أن دقلديانوس حاصر الإسكندرية. وبعد ثمانية أشهر فتحها عنوة واستولى عليها، وحرق المدينة وفتك بأهلها فتكا ذريعا، واقتفى أثر أخيلاوس العاصي الذي هرب إلى داخل البلاد فكان دقلديانوس أينما حل يوقع بالنصارى ويقتلهم ويهدم كنائسهم ويخرب معابدهم ويعذب رؤساءهم ويسبي نساءهم وأولادهم(١٠).

ولما هاجم دقلديانوس مدينة الإسكندرية وحاصرها فاستعصت عليه بنى قصرا شرقي المدينة ومكث به زمنا طويلا لأنه لم يستطع الاستيلاء على المدينة.. وبعد مرور هذا الزمن خرج بعض أهل المدينة - عندما طال حصارها - وأروه مدخلا ليدخل منه إليها، وبتعب كثير ومشقة فتح المدينة، وكان معه جيوش كثيرة لا تحصى.. فألقى النار في المدينة وأحرق كل شيء. [illegible] عليه: وكان عابد وثن، ومقرب القرابين للأرواح النجسة، واضطهد المسيحيين وكان كالحيوانات المفترسة، وكره كل شيء حسن، وعارض الرب.. وقتل القسس والكهنة والرهبان رجالا ونساء وأطفالا صغارا، وأراق الدم بكثرة لا تحصى دون شفقة ورحمة. وكان اضطهاد [illegible] المسيحيين على مدى تسعة عشر عاما منذ تغلب وحاز النصر على أرض مصر(١١).

وتذكر بعض المصادر أن عدد الذين قتلوا في أثناء اضطهاد دقلديانوس للأقباط بلغ ٨٠٠٠٠٠ نسمة(١٢).

وبسبب ما رآه الأقباط من آيات الظلم وبشاعة الاضطهادات التي كان يتفنن فيها المضطهدون أرخوا بأول ملك هذا الإمبراطور الذي سيكون تذكارا لأولادهم يعرفون منه أنهم لم ينالوا حريتهم الدينية إلا بعد [illegible] ثمن.

وهكذا تصنع الأمة [illegible] التي لا تريد أن تنسى تاريخها. إن كثيرا من العرب والمسلمين لا يعرفون التاريخ العربي أو الإسلامي، ولا يذكرون أسماء الشخصيات البارزة لمن صنعوه(!) نعم قد تسمى الشوارع بأسمائهم دون أن يعرف الساكنون في الشارع من هو صاحب هذا الاسم(١٣) ومن واجبنا أن نستعيد ذاكرة تاريخنا ونستحضرها، وأن تعلم الأبناء والبنات أهم المواقف فيه، فهذا جزء مهم من العمل في سبيل النهضة العربية الإسلامية المرتقبة.

***

لم يتوقف اضطهاد مسيحيي المصريين بعد دقلديانوس. ولا بعد دخول الإمبراطورية الرومانية في المسيحية، ذلك أنه بدأ اضطهاد آخر للمصريين بسبب جديد، هو عقيدتهم المخالفة لعقيدة مسيحيي القسطنطينية في شأن طبيعة المسيح. وبلغ هذا الاضطهاد حدا وصفه معه المؤرخ القبطي يعقوب نخلة روفيلة بأنه أدى بالأقباط إلى الدمار والاضمحلال، ونقل روايات وصفها بالشائعة والمتداولة تقول إن قتلى الأقباط بلغوا في يوم واحد بالإسكندرية «مائتي ألف نفس»(١٤).

ولا نبالغ قط إذا قلنا إن الاضطهاد الروماني للمصريين المسيحيين استمر منذ تلك الفترة المبكرة في التاريخ الميلادي حتى القرن السابع الميلادي عندما قدمت طلائع

---

(٧) يعقوب نخلة روفيلة، السابق، ص٢٩.

(٨) ساويرس بن المقفع، السابق، ص٣٦١.

(١٠) يقصد الذين [illegible] في المحنة.

(١١) صبحي [illegible] المسيحية [illegible] في مصر، مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩، ص٣٩، وهو ينقل عن إبراهيم صبري معوض، تاريخ [illegible] التلميذ، ص١٩ [illegible]

للفتح الإسلامي لمصر بقيادة عمرو بن العاص. ولم يكن الاضطهاد كله على ضرب واحد من التعذيب والقتل وما إليهما، بل إنه تنوع في ضروب عدة تكشف تفنن المضطهد على كل حال[19].

***

وإذ كان هذا هو حال المصريين تحت حكم الرومان، عدة قرون قبل الفتح الإسلامي لمصر، فإنه ليس غريباً، ولا يجوز أن يزعم زاعم أنه أمر مستنكر ـ كما يزعم بتلر ـ أن يكون القبط عونا للمسلمين على فتح مصر، منذ بداية مسيرة ذلك الفتح، عملا بكتاب بنيامين إلى قبط مصر الذي أخبرهم فيه بانقطاع ملك الروم، وأمرهم بتلقي عمرو بن العاص [illegible]. حتى لقد نقل لنا التاريخ عبارات مثل: «فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا»[20]. «وخرج عمرو بن العاص.. وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم»[21]. ولما تحصن الروم بالاسكندرية وحاصرهم جيش المسلمين كان «معهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة»[22].

وفي أثناء الفتح «أخذ الناس يساعدون المسلمين»[23]. «وكان هناك انشقاق كبير يسود الوجه البحري وكانوا منقسمين إلى فريقين: أحدهما مع تيودور (قائد الرومان) والآخر يريد الانضمام إلى المسلمين وفي الحال نهض قسم على آخر، ونهبوا أموالهم وأحرقوا بلادهم بالنار، وكان المسلمون يحترسونهم»[24].

ويؤكد هذه الحقيقة ما حدث من مساعدة القبط للمسلمين عند الفتح الثاني للإسكندرية (سنة ٢٥هـ) بعد أن نقض الروم عهدهم وأعادوا احتلال المدينة بقيادة منويل (الذى تسميه المصادر العربية بالخصي) إذ لا شك أن البطريرك بنيامين، الذى أعاده عمرو بن العاص إلى الإسكندرية، بعد أن ظل هاربا عشر سنين من الاضطهاد الروماني، «وقف مع قومه من القبط يشدون أزر العرب ويساعدونهم ويظهرون لهم الود، حافظين بذلك عهدهم الذى تعاهدوا عليه في صلح الإسكندرية»[25]. «وكان العرب وهم يتتبعون فلول الروم بعد هزيمة جيش منويل يمرون بعدة من قرى القبط حيث ساروا، فكانوا يأتون إليهم بمن يقيم لهم الجسور، ويقدمون لهم ما كان في استطاعتهم تقديمه»[26]، «وكان القبط يمالئون العرب راغبين وهم على عهد معهم (أي صلح بابليون أو صلح الإسكندرية)»[28]. «وإذن ما كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه، فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف تطاول بهم، وعوت فيه [illegible] أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام والاطمئنان كانوا من قبل تحت نيرين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين، فأصبحوا (أي بالفتح الإسلامي) وقد فك قيدهم في أمور الدنيا، وأرخي من عنانهم. وأما دينهم فقد صاروا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق. وقد يقال إن حكامها (أي حكام مصر) الجديدين قد أدخلوا إلى الأرض دينا غريبا غير دين المسيح، وهذا حق، غير أنهم لم يروا في ذلك إلا عدلا من الله. إذ أجمع الناس على قول واحد، فقالوا: ما خرج الروم من الأرض وانتصر عليهم المسلمون إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر، وما أنزله بالقبط وملتهم على يد قيرس.. إن التاريخ لن يحكم إلا بأن العسف وسوء الحكم هما اللذان هويا بدولة الروم بمصر تلك إلى الضياع وزوال السلطان»[29]. وفيما يرويه ساويرس بن المقفع عن البطريرك بنيامين أنه كان يشكر الله أن رده إلى مدينته الإسكندرية ونجاه من محاربين مخالفين واضطهادهم له[30]، وينقل ساويرس عن أسقف نيقيوس باسيليوس ثناءه على عطاء الله المتمثل في نجاة بنيامين من التنين العظيم الطاغي الذى كان يطارده[31]، وينقل بتلر هذه النصوص ويعلق عليها بقوله: «إن هذا القول لا ينم عن قوم يشعرون بأنهم في قيد

(19) [illegible] جميع [illegible] قطائن لهذا يمطون معاقم الأوراق بأيديهم ليخشعوا الرعية لها.

(20) [illegible]

(21) المرجع السابق، ص ٦٦. والرواية هنا عن مسير عمرو لفتح الاسكندرية

(22) المرجع السابق، ص ٩٧. والعلوفة علف الخيل والإبل ونحوها

(23) عبد العزيز جمال الدين، السابق، ص ٣٩٩. وهو يحيل إلى ديوان حنا النقيوسي، وينقل العبارة نفسها عن المصدر نفسه أحمد [illegible] كمال، ص ١٤٨ [illegible] يوحنا النقيوسي لا يشير إلى (الشعب) بهذا العموم، ولكنه يشير إلى [illegible] وفي ص ٢٩٠ يقول إن باقي الشرطة كلها رفضت محاربة المسلمين. وفي طبعة عمر صابر عبد الجليل يذكر أن جميع [illegible] محاربة المسلمين، ص ١٩٧

(24) يوحنا النقيوسي، ط بيشوى عبد المسيح، ص ٢١٨، وط عمر صابر عبد الجليل ص ٢٠٧

(25) [illegible] ص ٢٢٢، وط عمر صابر، ص ٢٢٠

(26) عبد العزيز جمال الدين، السابق، ص ٦٥٤، وهو ينقل عن بتلر، ص ٤١٠، دون إشارة إليه

(27) المصدر نفسه، ص ٦٥٥ [illegible]

(29) العرب بتلر، المرجع السابق، ص ٣٨٧ [illegible]

(30) ساويرس بن المقفع، السابق، ص ٢٠٦ [illegible]

العدل، بل يسر عمن يبتهج بالنجاة والخلاص»[32].

وعلى الرغم من [illegible] يوحنا النقيوسي، الظاهر في كتابه كله، فإنه [illegible] يصير أكثر قوة يوما بعد يوم. وأمر عمرو برفع الضرائب التي كانت معروضة على الكنائس. كما لم يرتكب أي عمل من (أعمال) السلب أو النهب، بل كان يحميها (أي الكنائس) خلال حكمه»[33]. وهذا النقل الذي ينقله يوحنا النقيوسي عن صنيع عمرو في مصر ينقض كل ما أورده، مما يخالف ذلك، في كتابه[34] فعلى الرغم من أن يوحنا النقيوسي يذكر في كتابه- كما أشرنا إلى ذلك آنفا- أن «الحكام مدءوا [illegible] كلها رفضت محاربة المسلمين، وأنه يذكر أن: «الجنرال تيودور والقائد دومنتيانوس لم يقدروا على إساءة معاملة سكان المدينة (ربما كان المقصود مدينة [illegible]) [illegible] فيها»[35]. وعلى الرغم مما نقلناه عنه من عدل عمرو بن العاص، وحمايته

[illegible] لا يتورع عن أن يقول «فليوقع الله هذا العقاب (أي الموت غرقا كفرعون وجنوده) على الإسماعيليين (أي المسلمين)، وأن يعمل بهم كما فعل مع [illegible] الله لهم أن يعاملونا هكذا. ولكنه مطول أناته سينظر إلينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ويفدنا. وأكثر من هذا فنحن [illegible] كما هو مكتوب في الكتاب الحق»[36].

ولذلك، وأمثاله، وهو غير قليل في كتاب يوحنا النقيوسي، يقول أحمد عادل كمال. [illegible] المسلمون المعاصرون من تحامل بعض القبط فقد نجد تفسير ذلك فيما كتب يوحنا النقيوسي ومن نقل عنه. فليس كل من يقرأ يبحث ويحقق ويصبر على ذلك»[37]. معنى كلام أحمد عادل كمال أن سر الحملات الطائفية المتعصبة التي يقع فيها نفر من الأقباط هو أنهم نشئوا على كتابات يوحنا النقيوسي وأمثاله، وهي كتابات يتشبع قارئها، إذ لم يبحث

(32) [illegible] فتح العرب لمصر ص [illegible]

(33) يوحنا النقيوسي. ط [illegible] ص 223 وط عمر صابر عبدالجليل ص 220

(34) يجب مراجعة تقويم أحمد عادل كمال ليوحنا النقيوسي وكتابه في الفتح الإسلامي لمصر، ص 138 - 150

(35) [illegible]

(36) يوحنا النقيوسي ط [illegible] ص 226 وط عمر صابر عبدالجليل ص 229

(37) أحمد عادل كمال. الفتح الإسلامي لمصر ص 142

عن الحقيقة خارجها، بروح طائفية بغيضة [illegible] لطائفته.

ويبطل كلام يوحنا النقيوسي- فضلا عن [illegible] كلام مؤرخين مسيحيين آخرين: «لما شرع عمرو في بناء مدينة الفسطاط كان القبط من أهم العاملين على عمارتها ولاسيما رجال الحكومة الذين كان معظمهم، إن لم [illegible] القصور العالية، والدور الرحبة (يعني [illegible]) والديارات الواسعة والمتنزهات والبساتين النضرة، وكان العرب يشجعونهم على ذلك لما فيه من العمران........ وفي هذا دليل على إحكام الوفاق وتمكين العلاقات بين القبط والعرب في ذلك الزمن حتى [illegible] في وسط الفسطاط التي هي مقر جيش [illegible] يصلون ويخطبون في الخلاء، أو أنه لم يكن لهم غير جامع واحد الذي بناه عمرو بن العاص»[38].

[illegible] كان يعلم أن صاحب الدار أدرى بما فيها، استعان بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي [illegible] برأس كلا منهما حاكم قبطي له [illegible] مخصوصين من الأقباط ومنحهم حق [illegible] والأهلية. فكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني هي ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية.. وضرب الخراج على البلاد (= الضرائب على الأرض الزراعية) [illegible] ذويه يقبضه على أقساط في آجال معينة حتى لا يتضايق أهل البلاد- ورتب الدواوين فاختص الأقباط بمسك الدفاتر [illegible]

ولنقف هنا عند الفرق بين صنيع عمرو [illegible] وتمكينه الأقباط من توليهما، وعند صنيعه في شأن المال العام، الذي يقتضي دقة وأمانة ومحاسبة للعامل عليه دائمة، فقد ولاه رجلا من المسلمين يستطيع متى [illegible] دون أن يتهم بظلم أو تعصب. وهذا من [illegible]

(38) يعقوب نخلة روفيلة [illegible] ص [illegible]

[illegible]

العاص، وحسن تصوره لحال المصريين بعد قرون الاضطهاد الروماني

وفي مقابلة هذا يقرأ عند نعوم شقير، عن عهد الرومان، أنه: «لم يكن يسكن الإسكندرية مصرى إلا ويشعر أنه من شعب مغلوب على أمره؛ لأنه لم يكن يتمتع بالحقوق المدنية التي كان يتمتع بها اليونان واليهود من سكان تلك المدينة، مع أنه لم يكن يدخل تلك المدينة يهودى أو يونانى إلا كانت تعطى له تلك الحقوق بمجرد دخوله. وبقيت هذه الحال.. إلى أن استولى العرب على الإسكندرية في أيام عمرو بن العاص»[40].

وعلى الرغم مما كان في نفوس القبط من مرارة ضد المسيحيين الملكانيين بسبب الاضطهاد الذى أصاب القبط على يد الروم ومن والاهم من أتباع مذهبهم، فإنهم لم يتمكنوا تحت حكم المسلمين من الاقتصاص منهم، ذلك «أن عمرا كان في حكمه يسير على نهج الاعتدال والتسامح، ولم يكن له هوى مع أحد المذهبين الدينيين، ولدينا كثير من الأدلة على صدق هذا الرأى... وعلى هذا لابد لنا أن نقول إن المذهبين كليهما قد بقيا جنبا إلى جنب في مصر يظلهما الفاتحون بعدلهم، ويحمونهما جميعا بحمايتهم»[41]. «والظاهر أن العرب كانوا أخف وطأة من غيرهم في جباية الأموال»[42]. «وكان العرب الفاتحون هم أول من تسمى بالمصريين، ولم يأنفوا من مساواة أبناء البلاد بالانتساب إليها. كما أنف اليونان والرومان من قبلهم»[43].

«وبالجملة فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها منذ أزمان»[44]، لذلك لم يكن عجيبا ولا مستغربا أن يدخل القبط في الإسلام منذ وصلت طلائع المسلمين أرض مصر، وأن يستمر اعتناق المصريين للإسلام، على مدى نحو قرنين من الزمان، أصبحت مصر في خلالهما تلك الدولة الإسلامية التي نعرفها.

---

(٤٠) نعوم شقير، تاريخ سيناء من القديم والحديث، ص ٢٠٢ [illegible]

(٤١) ألفريد بتلر، السابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ (٤٢) المصدر السابق، ص ٣٦٢

(٤٣) مصطفى كمال الشريف، عروبة مصر من قبائلها، ص ٢٤، وهو ينقل عن محمود كامل عروسة، ص

(٤٤) [illegible]

من عيون التراث

بحر الدموع

تأليف:
ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج
(٥١٠هـ _ ٥٩٧هـ)
القاهرة:
مكتبة مصر

تعريف بالمؤلف

هو الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي البكري البغدادي الحنبلي، الشهير الحافظ أبو الفرج بالجوزي. ولد سنة (٥١٠هـ)، ومن شيوخه أبو القاسم بن الحصين، وأبو سعد أحمد بن محمد البغدادي الحافظ وغيرهم، ومن تلاميذه ابن البخاري وابن أبي الخير. من مؤلفاته زاد المسير، وفنون الأفنان، وتلبيس إبليس وغيرها. توفى سنة (٥٧٩هـ).

عرض الكتاب

يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط مشتملة على الفهارس. ينقسم الكتاب إلى اثنين وثلاثين فصلا.

تناول الفصل الأول: المجتهدين بالليل أصحاب القرآن، وأن من تقرب إلى الله تقرب الله إليه، ومن عمل لله تقبله الله.

أما الفصل الثاني: فكان في المماطلة في العمل والطمع في تحقيق أمل ما، مع عدم الأخذ في الاعتبار قدوم الأجل وقربه.

وعرض الفصل الثالث: للمقيمين على الخطايا والعصيان ومدى إصرار العاصي على عصيانه.

ويعتبر الفصل الرابع: تنبيها للغافلين والقائمين على الذنوب أن ينتهوا ويتعظوا.

وأشار الخامس إلى تشبيه النفوس بزمام ماء، ومن قهر النفس من المهام التي يجب أن يطلع عليها الفرد، وأن الدنيا دار تكليف وامتحان.

أما الفصل السادس فيمثل تنبيه لتهيئة الفرد لنفسه للآخرة وأن يعمل لها ويستعد.

وعرض السابع للذنب وعيوبه وخطاياها الكثيرة التي يمكن أن يقع الفرد فيها.

اهتم الفصل الثامن: بما على الناس أن يقوموا به. وأن عليهم التوجه إلى الله. وأن يتوبوا إليه، وأن عليهم أن يصلحوا ما فسد من أعمالهم

وتناول الفصل التاسع: ماهية الدنيا وأنها زائلة، فكيف لنا أن نطلب البقاء فيها، فهي مجرد معبر وطريق نأخذه حتى نصل إلى الآخرة.

أما العاشر: فأشار إلى أن ظاهر الفرد قد لا يتفق مع باطنه.

وأشار الحادى عشر: إلى اختلاف أداء الفرد، فعند طلبه للدنيا يسرع، وعندما يطلب الآخرة يمشي رويداً، وأن العمر أمانة يجب أن نعرف كيف نحافظ عليها

يصف الفصل الثاني عشر سمات وصفات التائب إلى الله، نهاره صوم، وليله سهر.

وبين الفصل الثالث عشر: أن من أصر على المعاصي فهو في غفلة من حياته.

وتناول الفصل الرابع عشر: كيف يكون قلب الفرد معمور بذكر الحبيب، وليس فيه بعبرة حقد ولا تعب

ووجه الخامس عشر إلى التائبين والتائهين، مع توصية ابن آدم بألا يعلق قلبه بالدنيا.

وعرض الفصل السادس عشر لقرب الأجل وقرب الموت، وما يمكن أن يقوم به الفرد حتى لا يندم عندما يأتيه الممات.

وتناول الفصل السابع عشر من دلت عليه التوبة والعلاج فكيف يستطيع المذنب أن يعيش في ذنبه.

واهتم الثامن عشر: بأن على الفرد الاستعداد حتى لا تفاجئه الأيام فيجدها قد انتهت به إلى الممات.

ويوجه الفصل التاسع عشر: الفرد إلى كيف يمكنه أن يشترى آخرته بدنياه، وما يصنعه في هذه الدنيا ليفوز بالآخرة.

وأشار الفصل العشرون إلى تغير الفرد من الأحسن إلى الأسوأ بطول بقائه وأمده.

وبين الفصل الحادى والعشرون أن من أحبه الله حماه من نفسه والآخرين.

وأظهر الفصل الثاني والعشرون: أهمية البكاء والدموع في غسل الفرد لذنوبه

وتناول الفصل الثالث والعشرون تأجيل التوبة، وأن من كان غافلاً في شبابه عليه أن يفيق من هذه الغفلة.

وعرض الرابع والعشرون: لكيف للفرد أن يرحل دون زاد ويسافر دون عتاد، فكيف له أن لا يخاف مما هو مقبل عليه.

ووضح الفصل الخامس والعشرون: جزاء من اتبع هواه وشهواته. ولم يجعل قرة عينه الصلاة والزكاة والزهد.

وجاء الفصل السادس والعشرون: في التائبين، وكيف أنهم عمروا قلوبهم بذكر الله والتقوى ووصفهم في ذلك بالخوف Fear وأذبلهم الأرق Insomnia وهم من القلق Anxiety كل يوم في شأن (ص٩٤).. كما أشار لمن وسوست له نفسه أمراً وكيف تسيطر هذه الوساوس عليه وفي ذلك إشارة إلى الأفكار الوسواسية Obsession Thoughts (ص٩٦)

اهتم الفصل السابع والعشرون: بكبائر الذنوب. وأن الربا من أكبر الكبائر التي نهى الله عنها، وأشار إلى أن ممن لا يدخلون الجنة العشرون.

وعرض الفصل الثامن والعشرون إلى أن العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس

وأشار الفصل التاسع والعشرون: إلى أبغض عباد الله إلى الله وهم كل طعان ولعان. وأن الغيبة والنميمة يفسد الدين.

وأتى الفصل الثلاثون: على ذكر الغيبة وما تفعله بالناس وعلاقاتهم ومجتمعهم. وبين أن الغيبة لا تقتصر على اللسان، ولكنها تشمل كل ما يبلغ الفرد أو سمعه باليد، أو بالرجل، أو بالإشارة، أو بالحركة، أو بالتعريض، أو بالمحاكاة Imitation والتي قصد بها التقليد (ص١١١).

وانتهى الكتاب بالفصلين الحادى والثاني والثلاثين والذي ذكر فيهما أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأن الربا من المهلكات وأن طعام مرابي يوم القيامة من شجر الزقوم. كما أشار إلى جزاء من يأكل مال اليتيم، ومن يخون في الميزان والمكيال، كذلك شارب الخمر، وتارك الصلاة، وأشار إلى أن هناك عشرة من أمتي يأمر الله - تعالى - بهم يوم القيامة إلى النار منهم مدمن الخمر Alcoholism (ص١٢٥).

الخلاصة.

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية

- الخوف Fear.
- الأرق Insomnia.
- القلق Anxiety.
- الأفكار الوسواسية Obsession Thoughts.
- المحاكاة Imitation.
- مدمن الخمر Alcoholic.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

مخطوطات تربوية:

اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم

[illegible]
أستاذ أصول التربية بجامعة عين شمس

ما من حضارة اشتد ساعدها ورسخت. ففاضت بصنوف العلوم والفنون وصور التحضر المختلفة على العالمين. الا ولابد لها من الاستناد إلى عملية شاملة واسعة متعمقة لبناء الإنسان. الذى هو زناد التحضر وغايته، ولعل تأملا بسيطا فى الحضارات الكبرى السابقة. ما يؤكد هذا.

ولم تكن الحضارة الاسلامية بعيدة عن هذه القاعدة. خاصة وانها تستند الى عقيدة هى بطبيعتها تسعى إلى تشكيل الشخصية الانسانية تشكيلا يجعل منها صورة مشخصة لأعلى ما يمكن أن يصل إليه الجهد البشرى من استنباط توجيهات المولى عز وجل.

وكما شهدت الحضارة الإسلامية كما يصعب حصره من الكتابات التى استغرقت مجالات المعرفة الإنسانية، سواء ما كان معروفا من قبل أو ما استحدثته، فضلا عما طورته، كان النسق المعرفى التربوى من أبرز الأنساق المعرفية التى أبدع فيها العقل الإسلامى.

ولما كان نهر الحضارة متصل الجريان، حرص بعض الباحثين المعاصرين على أن يتيحوا للأجيال الحديثة فرصة الاطلاع على الجهود التى بذلها علماء السلف على طريق المعرفة التربوية، لا لمجرد التغني بما كان، والفخر به، وإنما الإفادة به ومنه. فى مواجهة حاضر التعليم واستشراف مستقبله.

ولما كان ما تركه الأسلاف قد كُتب بخط اليد، وتأثر بمرور القرون العديدة عليه، وما تحمله من عوامل سببت تلفا لبعض أجزاء المخطوط، فضلا عن احتمالات الخطأ فى النسخ، وأحيانا التزوير، أو التحريف، سعى بعض من شغلوا بأمر تحقيق المخطوطات، إلى إحياء هذه الكنوز، والتى منها هذا الكتاب الذى بين يدينا «اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم»، لشيخ الإسلام أبى يحيى الأنصارى

(٨٢٥-٩٢٥هـ) وحققه الدكتور [illegible] [illegible] حمد، ونشرته دار [illegible] الإسلامية ببيروت، ١٩٩٨م، بعنوان (جزء [illegible] فى تصنيف العلوم الإسلامية ومقاصدها) [illegible] هذا العنوان [illegible] لرسالة أبى يحيى

والمخطوط الذى اعتمد عليه [illegible] [illegible] صغيرة، وجدها الباحث مصورة (ميكرو فيلم) بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، تحت (رقم الخاص ٥/٧/٢٤) تستهدف منها أبو زكريا تصنيف العلوم بصورة مختصرة. وقد المجال المعرفى عُنى به كثيرون، من العلماء والمفكرين والفلاسفة المسلمين، ولعل من أمثلة ذلك

- كتاب (الفهرست) لابن النديم (٣٨٥هـ).
- و (مفاتيح العلوم) للخوارزمى (٣٨٧هـ).
- و (كشف الظنون) لحاجى خليفة
- و (إحصاء العلوم) للفارابى (٣٣٩هـ).
- و (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم) لابن الأكفانى (٧٤٩هـ).

وغير هؤلاء، كثيرون.

وحرص الأنصارى على أن يرشد المتعلم، قبل أن يلج أبواب العلوم والفنون المختلفة، إلى مجموعة من القواعد والمبادئ، التى تجعل عملية التعلم عملية علمية [illegible] دقيقة [illegible] عملا عشوائيا. ونتلمس هذه القواعد والمبادئ فيما يلى

١- [illegible] لكل علم مقاصد تنتهى به [illegible] من الضرورى للمتعلم أن يكون عارفا لها، حتى يلتزم بها، فلا يستهدف من تعلم هذا العلم أو ذاك غير ما وضع له، ومن ثم لا يستهدف أغراضا أخرى مثل كسب مال، أو جاه، أو مغالبة خصم، أو مكاثرة.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عرف [illegible] [illegible] التعلم [illegible] [illegible] العصر الحديث إلى ما عرف به المتعلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذى يصل إلى حقيقة ما، من الطبيعى أن يعقب ذلك سعى منه، [illegible] غيره [illegible] [illegible] وبناء حياته وحياة غيره وفقا لها.. كذلك فإن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يتم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٢- أن يقصد المتعلم العلم الذى يتسق وما هُيئ له من خصائص واستعدادات وقدرات، إذ يختلف [illegible] فى مدى [illegible] تعلم هذا أو ذاك من صنوف المعرفة، وإذا صلح المتعلم لتحصيل الفرع (أ) فلا يعنى هذا أنه يستطيع أن يحصل مختلف العلوم، بل كل ميسر لما خلق له.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى مختلف دول العالم [illegible] [illegible] على هذه الحقيقة التى أكدتها الدراسات النفسية والتربوية، وما عرفناه من أواسط خمسينيات القرن الماضى كما عرف بـ «مكتب التنسيق للقبول للجامعات»، إلا صورة لهذا، حيث يعتبر مجموع درجات الطالب فى الثانوية العامة مؤشرا لمدى قابلية استعداده لدراسة هذا الفرع أو ذاك، وهو الأمر الذى أحيانا ما يتعدى عنه بعض [illegible] الأمور [illegible]

أساتذتهم على تخصص بعينه يرون أنه هو الأنسب لأبنائهم، مما قد يكون طريقا مؤديا لفشلهم، إذا لم يبن الاختيار على القدرات والاستعدادات الحقيقية للمتعلم.

٣- ويستوقفنا الشرط الثالث الذى نرى أنه يكرر بصورة أخرى ما قال به الشرط الأول، فهو هنا يقول بضرورة «أن يعلم المتعلم - غاية ذلك العلم، ليكون على ثقة من أمره»، حيث لا ندرى حقا: ما الفرق بين اشتراط «أن يقصد به ما وضع ذلك العلم له»، وبين هذا الذى يقول به هنا؟

نقول هذا، ربما مخالفة لما جرت عليه العادة في الكتابة عن علماء السلف، حيث نلاحظ لدى الكثرة الباحثة والكاتبة عن هؤلاء، قدرا من «التقديس» الذى يعطل الوقوف موقفا نقديا مما يقولون، ويغلب على كتابتنا عنهم مجرد الشرح، والتبرير، والتقدير.

٤- أن يستوعب المتعلم العلم الذى يسعى إلى تعلمه «من أوله إلى آخره»، وهو الأمر الذى قد نجد تحقيقه صعبا في أيامنا الحالية، بالنسبة لكثير من العلوم، خاصة تلك التى قطعت شوطا طويلا من التطور والتقدم [illegible]. فقد كان «الكم المعرفى» مما يمكن استيعابه كله لمحدوديته، أما وقد مر على هذا الكلام ما يزيد على الخمسمائة عام، في ظل ما أصبح يعرف بـ «ثورة المعلومات»، و«الانفجار المعرفى»، يصبح من المستحيل استيعاب بعض العلوم استيعابا كاملا.

٥- أن يتجه المتعلم في تحصيله إلى «الكتب الجيدة المستوعبة لجملة الفن»، وهذا لعمرى ما يستفز بعض باحثى اليوم الذين نحضرهم في قراءاتنا لرسائلهم للماجستير والدكتوراه، حيث يستسهلون الرجوع إلى كتاب ومؤلفين مما يمكن وضعهم «من الدرجة الثانية»، دون بذل مشقة الرجوع إلى «الأصول» و«المصادر». فإذا كانت هناك مناسبة للاستشهاد - مثلا - برأى للإمام الغزالى، ربما رجع الباحث إلى أحد أساتذة الفلسفة الإسلامية المحدثين، الذى قد يكون أستاذا فاضلا، وعالما بارزا، لكن المفروض أن يرجع الباحث إلى ما كتبه الغزالى نفسه، ولا بأس بعد ذلك من الرجوع إلى من كتبوا عنه من المحدثين لمزيد من الإيضاح والفهم والتحليل.

٦- أن يقرأ على شيخ مرشد أمين ناصح، ولا يستبد بنفسه وذكائه. وتلك قضية نراها شائعة لدى كثير من علماء السلف، من حيث أهمية الأخذ من «العلماء» مباشرة، وعدم الاعتماد فقط على القراءة من الكتب، مهما علا قدر مؤلفيها، حتى لقد قيل بحق أن من أبرز النواقص «تشبيح الصحيفة»، أى الاعتماد على تحصيل المعرفة من الكتب فقط، بحيث يصبح الكتاب هو المعلم، وهو الأستاذ، ففى التلقى المباشر من أستاذ وعالم، فرصة للاحتكاك والتفاعل والمراجعة والحوار والاستيضاح والتقييم.

وهذا أمر ربما يحتاج إلى بعض المراجعة فى زماننا الحالى، حيث تختلف الظروف، وتتبدل الأحوال إلى الدرجة التى برز فيها ما يسمى بنظام التعليم المفتوح؛ واعتماده على «التعليم من بعد»، لمواجهة احتياجات تعليم وتعلم شرائح اجتماعية واسعة، لا تتيح لها ظروفها الانتظام فى تعليم نظامى، فى مدارس أو معاهد وجامعات تتطلب الانتظام بالحضور لتلقى العلم داخل قاعات المحاضرات والدروس.

[illegible]، وقد يقول قائل [illegible] لهما محيط واسع بغير حدود «الانترنت»، حيث بدأ كثيرون من الأجيال الحديثة لا يذهبون إلى المكتبات للاطلاع وقراءة الكتب، بل يجلسون في منازلهم [illegible] يطلعون على مئات، بل قد يكن آلاف من الكتب؟!

٧- أن يذاكر به الأقران والأنظار، للتحقيق لا للمغالبة، بل للمعاونة على الإفادة والاستفادة، وهو الأمر الذى يتيح الفرصة لتبادل المعلومات، وإجراء الحوارات، والتأكد من صحة الفهم والتحليل، والانتفاع [illegible] الأمر هنا يمكن تسميته بـ «التلاقح المعرفى»، الذى لابد أن ينتج ما هو أفضل، إذا قصد به وجه العلم لا المفاخرة والمباهاة.

٨- والمعرفة المحصلة يمكن أن تتعرض لعوامل النسيان، مما يفرض على المتعلم أن يعاود مراجعتها، من حين لآخر، ومن هنا سميت عملية المراجعة المستمرة لطلاب العلم لما عرفوه ودرسوه بـ «المذاكرة»، نسبة إلى التذكير.

ومما حرص على التأكيد عليه عدد غير قليل من علماء التربية المسلمين، ومنهم الأنصارى، هذه القاعدة التعليمية: التشديد على ألا يحبس المتعلم ما تعلمه داخل ذاته، بل يتعداها إلى غيره ليسمع بها هذا الغير، فتشيع المعرفة، وتتسع دائرة المعلومات.. وشيخنا هنا يستند إلى حديث [illegible]

[illegible]

لكن إيصال ما نعرف إلى الغير لابد له من قيد مهم، ألا وهو أن يكون المقصود من التعليم أهل له، والأهلية هنا أهلية قدرة واستعداد وصلاح وهمة. ومن هنا فمما يكمل القاعدة ألا يبذل المتعلم ما تعلمه إلى غير مستحقيه، وفقا لما جاء في كلام النبوة: «لا تعلقوا الدر في رقاب الخنازير»، أى تسلموا العلم لغير أهله، وهو ما أورده الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين». وهذه المقولة النبوية، فهمها بعض المغايرين فهما غير مستقيم، حيث صوروا، من خلالها، الإسلام وكأنه يريد أن حصر المعرفة فى نطاق «أرستقراطى» - النخبة - بحيث يبعدها عن عموم الناس.

كذلك يرتبط بهذه القاعدة، أن المتعلم إذا استطاع أن يستنبط بجهده العقلى الخاص، بعض أفكار ودلالات تثرى ما تعلم وقرأ، فعليه أن ينقل هذا إلى غيره، مثلما فعل ذلك سابقوه، بالنسبة لما قرءوا، وانتقل إليه، فازداد معرفة.

٩- أن لا يعتقد فى علم أنه حصل منه مقدارا لا يمكن الزيادة عليه، فذلك نقص وحرمان، وفى هذا استجابة لقول الله تعالى فى كتابه الكريم، سورة طه:

[illegible]

[illegible]

يكون بلا حدود (في علوم التربية خاصة) هناك، ومنذ سنوات غير قليلة ما عرف باسم (التربية المستمرة) التي تقتضي بألا يتصور المتعلم أنه، إذ ينتهي من الحصول على الدرجة الجامعية [illegible]

١٠- أن يعلم أن لكل علم حدا، فلا يتجاوزه، ولا ينقص عنه، وهو ما يمكن أن نفسره بما هو معروف عن «أساسيات العلم»، بمعنى أن لكل نسق معرفي أساسيات [illegible] لا يجوز أن يدعي معتقدها أنه يعلمه، ولا يجوز له أن يتجاوز هذه الأساسيات [illegible] والمبتكرين، فعلى يد هؤلاء يحدث التطور العلمي [illegible]

١١- [illegible] في علم آخر، لا في تعلم، ولا في مناظرة، لأن ذلك يشوش الفكر، وهو ما يشير إلى التداخل غير المحمود بين حقائق ومعارف علوم مختلفة، [illegible] تداخل «غير محمود»، لأننا بدأنا نعرف منذ سنوات غير قليلة [illegible] حيث يحدث تمازج وتفاعل بين حقائق علمين أو أكثر، مثلما رأينا فيما أصبح معروفا اليوم بـ «الهندسة الحيوية»، وهي المعرفة [illegible] بين علماء الحياة، وعلماء الهندسة.. بل إن التربية نفسها، لا تحيا إلا على تفاعل وتبادل بين علوم عدة، ونخص بالذكر هنا «أصول التربية»، التي هي خلاصة تعاون وتفاعل بين علوم مثل الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والسياسة، وبين التربية

١٢- أن يراعي كل من المتعلم والمعلم الآخر، [illegible] هو أعظم إلى حد كبير، لأن أباه أخرجه إلى دار «الفناء» - الدنيا - بينما معلمه دله على «دار البقاء» - الآخرة.

[illegible] التعليمية، فلا متعلم بغير معلم، ولا معلم بغير متعلم، [illegible] عملية واحدة، تحتم أن يحرص كل منهما على إنجاح الآخر في مهمته، [illegible] تعرضها المهنة عليهما.

كذلك رأى شيخنا الأنصاري أن هناك بعض السلبيات التي يمكن أن تقف عائقا بين المتعلم وبين طلب العلم، والتمهر فيه، نذكر منها:

أ- الركون إلى أن ظروف المستقبل ربما تكون أفضل لتحصيل العلم، بحيث يهمل الانكباب على تحصيله في حاضره.

ب- أن يثق المتعلم أكثر من اللازم في الاعتقاد بتوافر مواهب عقلية خاصة لديه، يمكن أن تغنيه عن تحصيل العلم، وتعوضه.

ت- التنقل من علم، قبل إتقانه، إلى علم آخر، أو من معلم إلى آخر قبل إتقان ما تعلمه عليه، ذلك أن مثل هذا التنقل غالبا ما يهدم ما سبق تحصيله، حيث إنه لم يكن قد ترسخ لديه.

ث- الانغماس في المشاغل الدنيوية، والانكباب على ملذاتها، والتقرب إلى المنغمسين فيها، [illegible]

ج- شغل موقع في سلم العمل التنفيذي، إذ غالبا ما تشغل الوقت كله، فلا تترك لصاحبها وقتا للاطلاع وهو الأمر الذي نلمسه دائما، وخاصة في عصرنا الحاضر، حيث أصبح بعض [illegible] الوقت كله. [illegible] يتقطع شاغل المواقع التنفيذية عن متابعة الاطلاع والقراءة.

وجريا على عادة بعض الفلاسفة والعلماء والمفكرين [illegible] العلوم، عني الشيخ الأنصاري بهذه القضية، وإن اكتفى فيها بمجرد ذكر اسم الفرع العلمي، وهنا نجد أن محقق المخطوطة قد أفاض كثيرا في تفصيل الكثير مما يتصل بكل فرع، وفقا لما جاء في مصادر عدة، مما جعله يعنون الكتاب بـ «خزانة العلوم في تصنيف الفنون الإسلامية ومصادرها».

وأشار تصنيف الأنصاري إلى توزع العلوم والفنون المعروفة في وقته إلى أربع فئات، كل منها يضم عددا من الفروع، وهي كما يلي:

القسم الأول: العلوم الشرعية، وهي: الفقه، والتفسير، والحديث.

القسم الثاني: العلوم الأدبية، وعددها [illegible] عشر، هي: علم اللغة - علم الاشتقاق - علم التصريف - علم النحو - علم المعاني - علم البيان - علم البديع - علم العروض - علم القوافي - علم قرض الشعر - علم إنشاء النثر - علم الكتابة - علم القراءات - علم المحاضرات، [illegible]

[illegible] «علم المحاضرات»، والذي منه التواريخ.

القسم الثالث: العلوم الرياضية [illegible] عشرة علوم، هي: علم [illegible] - علم الهندسة - علم الهيئة - العلم التعليمي - علم الحساب - علم الجبر - علم الموسيقى - علم السياسة - علم الأخلاق - علم تدبير المنزل.

[illegible] بعض العلوم في هذا القسم، مثل علوم السياسة والأخلاق [illegible]

القسم الرابع: العلوم العقلية، حيث لم يحص شيخنا عددها، حيث وصفها بأنها «ما عدا ذلك»، وذلك هو ما سبق في الفئات السالفة، ويضرب المثال بعلوم مثل: المنطق - الجدل - أصول الفقه - أصول الدين - العلم الإلهي - العلم الطبيعي - الطب - علم الميقات - علم النواميس - الفلسفة - الكيمياء.

ولا يعني [illegible] هذه القائمة [illegible] من علوم وفنون في زمن الأنصاري، أنها جميعا تشكل ما نسميه الآن «مناهج التعليم»، فبعضها يمكن بالفعل الإشارة إليه باعتباره من موضوعات التعلم والتعليم في مؤسسات التعليم [illegible] والملموسة، وبعضها الآخر، كان ساحة واسعة تحيي المعرفة والاطلاع والاجتهاد، خارج النظم [illegible]

[illegible] نعرض على قرائنا مزيدا من المخطوطات التربوية التي تركها لنا علماء ومفكرون، سعيا منهم نحو تأسيس بناء الشخصية الإسلامية على [illegible] الشخصية [illegible]

إبراهيم عليه السلام

للعلامة الشيخ عبد الوهاب النجار

هو إبراهيم خليل الله بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح ابن أرفكشاذ بن سام بن نوح عليه السلام.

هذا هو نسبه الموجود في التوراة والتواريخ

وقد جاء في الكتاب الكريم قوله تعالى:

[illegible]

اختلف المفسرون في اسم أبي إبراهيم - فقال بعضهم أن لفظ ﴿ آزَرَ ﴾ في الآية بدل من لفظ «أب» في «أبيه» ويكون مقول القول

[illegible]

الخ وقال آخرون اسمه «تارح» وأن لفظ ﴿ آزَرَ ﴾ كلمة ذم في لغته ومعناه «أعرج» قاله السهيلي في تكملته

[illegible] في الكلمة [illegible] شيخ، أو هي كلمة زجر عن الباطل «راجع ص ١٢ ج ٣ تاج العروس».

أقول: بعيد في نظري أن يكون إبراهيم عليه السلام قد واجه أباه بكلمات فيها تحقير أو عيب أو زجر كأعرج وخرف ومخطئ، لأن [illegible] عليه السلام ما حدده بقوله

[illegible]

لم يكن له جواب على هذه [illegible] وهذا التهديد العنيف إلا أن قال لأبيه:

[illegible]

[illegible] تارح [illegible] علم، وأن [illegible]

[illegible] إبراهيم كان له [illegible]

علمي واسم وصفي. يكون معناه [illegible] أو الناصر أو المعين؛ لأن لفظ آزر من الأزر أي القوة والنصر [illegible] ومنه الوزير أي المعين «تاج العروس ص ١١ ج ٣»، وهي كذلك في اللغات السامية التي منها لغة إبراهيم؛ ومن ذلك عازر وعزير وعازر في العبرية فإن هذه المادة تفيد التقوية والنصرة والإعانة في تلك اللغة كما هي في اللغة العربية قال تعالى:

﴿ وَيَكُونَ ... وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾

ومعلوم أن العين والهمزة يتعاوران على موضع واحد.

وفي أسماء ملوك الأشوريين [illegible]، ولفظا «أسر» و«آزر» في غاية القرب والبهم أيضا «توخلات ابال آزار» وعلى ذلك فلا يبعد عن علماء الفيلولوجيا وعلماء اللغات السامية على الخصوص أن يثبتوا النسب بين هذه الألفاظ في اللغات السامية.

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية ما نصه: «آزر» اسم أبي إبراهيم في القرآن - سورة الأنعام الآية ٧٤ - ويظهر أن في هذا بعض الخلط لأن اسم آزر لم يرد مطلقا على أنه أبو إبراهيم في غير هذا الموضع كما أن تارح أو تارخ قد ورد في روايات بعض المؤرخين والمفسرين من المسلمين على أنه أبو إبراهيم أيضا [illegible] التحايل للتوفيق بين هذين [illegible] التحايل لا قيمة له

ويقول مراتشي prodram maraaci ج ٤ - ص ٩٠ إن صيغة آزر نشأت عن قراءة خاطئة

Azar التي وردت في تاريخ الكنيسة ليوز [illegible]؛ إلا أنه لم يعين لا هو ولا من نقلوا عنه

الفقرة التي ورد فيها هذا الاسم. أضف إلى ذلك أن هذا المؤرخ قد ذكر في مواضع متعددة ومهما يكن من شيء فإن ما ذهب إليه مراتشي بعيد الاحتمال.

ولمعرفة حياة آزر وابنه إبراهيم نحيل القارئ إلى مقال «إبراهيم» ج ١ ص ٢٥، لدى ذكرنا فيه المصادر الخاصة بهذا الموضوع أيضا [illegible].

وقد علق على هذه النبذة صديقنا الأستاذ الفاضل الشيخ أمين الخولي «مساعد أستاذ بالجامعة المصرية» في دائرة المعارف الإسلامية بما يأتي

(١) إطلاق القول بأن آزر اسم أبي إبراهيم في هذه الآية غير صحيح. لأن الآية قرئت قراءات مختلفة اختلفت بها معاني كلمة «آزر» باختلاف إعرابها وفي بعض هذه القراءات يتعين ألا تكون آزر اسما لأبي إبراهيم، وفي بعضها يتحمل ذلك وإليك طرفا من بيان هذه القراءات والأعاريب:

كتبت الكلمة في المصحف هكذا «آزر» أتتخذ أصناما ... وقرئت «آزرا» بالنصب مع التنوين و«آزر» بالنصب بلا تنوين و«آزر» بالضم. ففي القراءة الأولى تفسر الكلمة على أنها عربية بمعنى القوة، والهمزة الأولى للاستفهام الإنكاري. والمعنى ألأجل القوة تتخذ أصناما؟ كقوله تعالى:

[illegible]

(النساء ١٣٩)

وإن فسرت ﴿ آزَرَ ﴾ في هذه القراءة باسم علم لم يقل أنه اسم إبراهيم وعلى قراءة النصب

بلا تنوين. قد تعرب نعت فلا تكون [illegible] علما بل صفة، فليست كذلك اسم أبي إبراهيم. وقد تعرب بدلا أو عطف بيان فيحتمل أن تكون اسما له. وعلى قراءة الضم للنداء تحتمل كذلك أنها اسمه فهذه أربعة أوجه نقلت في تخريج قراءات الآيات - على نظر في بعضها - يتعين في اثنين منها ألا يكون «آزر» اسم أبي إبراهيم ويحتمل في اثنين؛ فليس من الصنيع العلمي أن يطلق ناقل عن القرآن القول بأن «آزر» اسم أبي إبراهيم.

(٢) مع التسليم بأن أكثر الأوجه التي ذكرها من تصدوا للتوفيق بين آية الأنعام ورواية المؤرخين في اسم أبي إبراهيم لا تقع عندي موقعا فإني ألاحظ على كاتب المادة ملاحظتين:

أ- إطلاق القول بأنهم لجئوا إلى التحايل للتوفيق مع أن منهم من جهر برد رواية النسابين وضعف إجماعهم؛ لأنه إجماع ينتهي إلى خبر واحد أو اثنين منهم فلم يتكلف التوفيق لا في تحايل ولا في غير تحايل. وقد نقل هذا الرأي في كثير من كتب التفسير المتداولة فالإطلاق غير صحيح وكان الحق أن يقول منهم من وفق أو تصدى للتوفيق ومنهم من رد الرواية بتجريحه

ب- استعمال لفظ حيلة والتحايل في وصف عمل المفسرين، فإن هذه الكلمات النازلة والتي يتصدى فيها للحكم الخاطئ على النوايا الخفية ليست من عبارات العلماء الذين يتنزهون عن مثل هذه العبارات غيرهم

٣- من الإنصاف الصادق للعلم أن يعرف القارئ أن مراتشي قسيس إيطالي عاش في القرن السابع عشر وأن ترجمته للقرآن لم يسمح بنشرها إلا بعد إلحاق معارضات القرآن بها، وقد قدم لها ببحث في القرآن والإسلام انتهى فيه إلى الحكم للمسيحية على الإسلام ثم نشرت هذه الترجمة بعنوان «عقيدة الرسول الكاذب محمد بن عبدالله...» جازاهم الله بما يستحقون عن الحق والعلم.

وبعد: فإني ألاحظ - دون مجاوزة حدود النقد العلمي النزيه - أن المادة لم يكتب فيها شيء النقول الإسلامية غير محررة، وفرض مراتشي مردود. فالواجب الحق في درس الآية أن نستوفي القول في كلمة «آزر» هذه واستعمالها العربي وأصلها اللغوي والتاريخي على نحو علمي عميق نرجو أن تتضافر عليه قوى نزيهة تستجيب على الأقل لقول قدمائنا «إن علم التفسير لم ينضج» ونحن نعد الواجب الأول في ذلك اهـ كلام الأستاذ أمين الخولي

أقول: ذهب فريق من المفسرين إلى أن آزر اسم صنم كان يعبده تارح والد إبراهيم وكان سادنا له.

قال السيد المرتضى الزبيدي في «ص١٢ ج٣ تاج العروس» وروي عن مجاهد في قوله تعالى:

﴿ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ﴾

قال لم يكن بأبيه ولكن آزر اسم صنم فموضعه نصب على إضمار الفعل والتلاوة كما قال

﴿ [illegible] ﴾

وقال الصفاني: التقدير أتتخذ آزر إلها، ولم ينتصب «أتتخذ» الذي بعده لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله ولأنه قد استوفى مفعوليه: ا هـ.

وقد نقل شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا عبارة تاج العروس السابقة في أول كتابه «تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبي».

وهذا القول الذي قاله مجاهد أولى الأقوال عندي بالقبول. وعلى ذلك يكون والد إبراهيم لم يذكر باسمه العلمي في القرآن الكريم، وقد يستأنس له بأن «آزر» اسم له شبه في الآلهة القديمة عند المصريين الإله «أزوريس» ومعناه الإله القوي المعين وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضا في أسماء الآلهة.

وهذا جدول مواليد نوح إلى إبراهيم على عمود النسب

حام ولد من أبيه نوح وهو ابن ٥٠٠ سنة

أرفكشاد ولد من أبيه سام وهو ابن ١٠٠ سنة

شالح ولد من أبيه أرفكشاد وهو ابن ١٣٥ سنة

عابر ولد من أبيه شالح وهو ابن ٣٠ سنة

فالج ولد من أبيه عابر وهو ابن ٣٤ سنة

رعو ولد من أبيه فالج وهو ابن ٣٠ سنة

سروج ولد من أبيه رعو وهو ابن ٣٢ سنة

ناحور ولد من أبيه سروج وهو ابن ٣٠ سنة

تارح ولد من أبيه ناحور وهو ابن ٢٩ سنة

إبرام ولد من أبيه تارح وهو ابن ٧٠ سنة

مجموع ٨٩٠ سنة

وقد رأيتم الجدول الذي بين عمر كل واحد من نوح وأبنائه على عمود نسب إبراهيم - حين ولد ولده الذكور بعده كما ذكر في التوراة - ومن جميعها ترون أن بين ولادة إبراهيم وولادة نوح ٨٩٠ سنة فإذا قلنا ما تقوله التوراة من أن عمر نوح كله قبل الطوفان وبعده ٩٥٠ سنة كان إبراهيم قد عاصر نوحا ستين سنة.

وفي اعتقادي أن اليهود في العصور الأولى دونوا ما كانوا يسمعونه من الحكايات بدون ضبط ولا مراعاة للأزمان.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية «ص٢٧ من المجلد الأول» ما يأتي نقلا عن فنسنك -

كان شبرنجر «ج٢ ص٢٧٦ وما بعدها» أول من لاحظ أن شخصية إبراهيم - كما في القرآن - مرت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسة للكعبة

وجاء سنوك هجرونيه «ص٢٠ وما بعدها» بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال: إن إبراهيم في أقدم ما نزل من الوحي «الذاريات آية ٢٤ وما بعدها. الحجر آية ٥٠ وما بعدها. الصافات آية ٨٢ وما بعدها. الأنعام آية ٧٤ وما بعدها. هود آية ٧٢ وما بعدها. مريم آية ٤٢ وما بعدها. الأنبياء آية ٥٢ وما بعدها. العنكبوت آية ١٥ وما بعدها» هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل. ولم تذكر لإسماعيل صلة به وإلى جانب هذا يشار إلى أن الله لم يرسل من قبل إلى العرب نذيرا «السجدة آية ٢. سبأ آية ٤٣. يس آية ٦» ولم يذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت ولا أنه أول المسلمين

أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك فإبراهيم يدعى حنيفا مسلما [illegible] إبراهيم ورفع مع إسماعيل قواعد بيتها الحرم - الكعبة - «البقرة آية ١١٨ وما بعدها. آل عمران آية ٦٠، ٨٤ [illegible] لاختلاف [illegible] محمدا كان قد اعتمد على اليهود في مكة. فلما [illegible] من [illegible] يلتمس غيرهم [illegible] إلى [illegible] العربي [illegible] إبراهيم [illegible] ليصل حبله بيهودية إبراهيم تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام ولما أحدثت مكة تشغل حيز تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضا المشيد لبيت [illegible]

(١) [illegible] كبيرهما من أكثر المستشرقين الذين نصبوا أنفسهم لحرب الإسلام وإلصاق النقص به والعيب على القرآن الكريم وستر محاسنه ليظهروا بمظهر لا يمتاز عن كتب النصارى المقدسة، فهم كما قال [illegible] تعالى

[illegible]

فالذي يعرف [illegible] وعي على [illegible] مكة عبر [illegible] عليه [illegible]

فإن إبراهيم في مكة أو في القرآن [illegible] تكن له صلة بالعرب [illegible] بباني البيت، ولا صلة له بإسماعيل ولا بالعرب.

(٢) أن النبي لما جاء إلى المدينة كان يحمل أكبر الآمال في أن يؤمن به اليهود ويظاهروه على أمره فلما أخلفوه ما أمله وكذبوه أراد أن يتصل بهم عن طريق إبراهيم، وعبر عن ذلك بيهودية إبراهيم، وهم في ذلك كله على ضلال مبين.

أما عن الأول، فقد أخطأ خطأ ظاهرا. فإني ألاحظ أن المستشرق نفسك يقول: لم [illegible] في السور المكية صلة لإسماعيل بإبراهيم وذلك ترويجا لفكرته التي يريد أن يصل إليها وهي: أن محمدا ظل بعيدا عن صلة العرب بإبراهيم وإسماعيل إلى أن هاجر إلى المدينة. فبدت له فكرة هي أن يصل حبل العرب الذين هو منهم باليهود عن طريق إسماعيل وإبراهيم. مع أنه لا صلة [illegible] إبراهيم وإسماعيل وهذه الفكرة تهدم التوراة قبل أن تهدم القرآن لأنها ذكرت صلة إبراهيم بإسماعيل وأنه جد عدة قبائل في بلاد العرب. وحين عد السور المكية عمد إلى التي يذكر فيها إبراهيم مجردا عن الصلة بإسماعيل والعرب، لذلك تخطى سورة إبراهيم وهي مكية وقد شهدت بعكس ما يقول، وآياتها [illegible] إبراهيم وإسماعيل [illegible] البيت، [illegible] الله تعالى [illegible] بالهداية [illegible] عبادة الأصنام. وإبراهيم يذكر [illegible] غير ذي زرع [illegible] يدعو الله أن يرزقهم من [illegible] قوله تعالى في سورة [illegible]

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ﴾

بقي أمر ثالث يعروه هؤلاء المستشرقون: وهو أنهم ينكرون أن يكون إبراهيم أو إسماعيل رسولاً إلى العرب مستندين إلى قوله تعالى:

[illegible]

وأشباهها إذ لو كان إبراهيم قد دعا العرب إلى دينه أو إسماعيل قد دعا العرب إلى دين إبراهيم [illegible]

والجواب على هذا: أن المفسرين يقولون إن معنى ذلك أن الموجودين من هؤلاء القوم لم يباشرهم رسول يبلغهم دين الله ويهديهم إلى الدين الحق - فلا تناقض - لأن تبليغ إسماعيل أو إبراهيم إنما كان لآبائهم.

أما أنا فأجيب بأن العرب كان دين كثير منهم عبادة الأوثان وكان لهم قرابين يقدمونها إليها، وقد سيبوا السوائب وبحروا البحائر [illegible] وسنوا لهم قواعد [illegible] الله بها من سلطان.. فجاء محمد لينذر هؤلاء القوم الذين يدعون أنهم على دين وأن الله قد أمرهم بما هم عليه مع أن الله ما أرسل إليهم نذيرا شرع لهم هذه الشرائع الباطلة، لأنهم [illegible] قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها.. وقد ناقشهم الله في ذلك ورد عليهم في غير موضع من القرآن كقوله

[illegible]

ولا يمكن أن يمر بخاطري أنه لم يعرف هذه الآيات ولم يلتفت إليها [illegible] اعتقادي أنه تخطاها عمدا [illegible] الأمانة في سبيل تأييد نظريته.

وأما عن الأمر الثاني فإن النبي ما أمل أن يظفر باليهود، ولكن [illegible] ويجانبون الأصنام ويعادون أهلها، والنبي له ذكر عندهم في كتبهم لم تزل آثاره [illegible] ناطقة تنادي عليهم بأنهم يكتمون ما أنزل الله - كان يتوقع أن يؤمنوا فلما جحدوا كانوا عنده بمثابة غيرهم فقط.. ومعلوم أن القرآن يرفض أن يكون إبراهيم يهوديا لأن اليهود هم أبناء إسرائيل.. وإسرائيل إنما هو ولد إسحق بن إبراهيم. [illegible] المتقدم [illegible] ولم يعاصره

[illegible]

في سورة الصافات بعد أن ذكر دعاوى الوثنيين بقوله:

[illegible]

ففي هذه الآيات من الأنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم والتعجب لعقولهم واتهامهم مع استهزاء بهم... وفي قوله

﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ ﴾

أي الناطق بصحة دعواكم والأمر فيه للتعجيز وإضافة الكتاب إليهم للتهكم

وفي قوله:

﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾

إضراب انتقالي من توبيخهم بما ذكر بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أي بل ألكم حجة واضحة نزلت من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن حكماً بمثل ذلك لابد له من سند حسي أو عقلي وحيث انتفى كلاهما فلابد من سند نقلي وهو لا يوجد عندهم.

فالمعنى في هذه الآيات مثله في قوله تعالى في سورة الأحقاف:

[illegible]

تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي، فهو من جملة القول أي ائتوني بكتاب إلهي كائن ﴿ مِّن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ الكتاب أي القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أي بقية من علم بقيت عندكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم العبادة، وهكذا كل آية وردت في المعنى

وتدل العبارة التي نقلها «قسك» عن «هجرونيه» بفحواها على أن إبراهيم لم يذكر بأنه حنيف إلا في السور المدنية. وهو خطأ أيضا. لأنه ذكر بأنه كان حنيفا في سورة الأنعام مرتين وفي سورة النحل كذلك وهما مكيتان:

سورة الأنعام مكية:

[illegible]

وقوله تعالى

[illegible]

سورة النحل مكية

[illegible]

[illegible]

﴿ ... مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

من ذلك كله يتبين القارئ المنصف فساد ما عوله المستشرقون غير المنصفين.

واعلموا أن قصة إبراهيم ترتبط بها قصص أخرى كقصة لوط، لأن إبراهيم ولوط كانا متعاصرين، ولوطا ابن أخ لإبراهيم. قد آمن لوط بعمه إبراهيم كما قال تعالى

﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾

وإسماعيل كذلك رزق به إبراهيم وهو ابن ست وثمانين سنة

وقد عاش إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة.

فيكون إسماعيل قد عاصر إبراهيم تسعا وثمانين سنة. وإسحق ولد لإبراهيم وهو ابن مائة سنة؛ فيكون قد عاصر أباه خمسا وسبعين سنة.

أما لوط فقد ذكر في القرآن الكريم سبعا وعشرين مرة

إسحق ذكر ست عشرة مرة في القرآن الكريم.

وذكرت قصة إبراهيم في عدة مواضع من القرآن.. تارة باختصار، وتارة بالتطويل، وتارة يذكر شأن من شئونه في سورة، ثم شأن آخر من شئونه في سورة أخرى. ومثل ذلك في شأن لوط وإسماعيل.

قصة إبراهيم

تتلخص في أنه كان فتى من أهل «فدان آرام» بالعراق وكان قومه أهل أوثان. وكان أبوه نجارا ينحت الأصنام ويبيعها لمن يعبدها ـ كما نص على ذلك في إنجيل برنابا ـ وأن إبراهيم كان قد أنار الله بصيرته وهداه إلى الرشد؛ فعلم أن الأصنام لا تسمع ولا تبصر، ولا تسمع نداء ولا تجيب دعاء، ولا تضر ولا تنفع. وأنها لا تباين بنات صنعها من سائر الخشب. وأن أباه هو الذي يصنعها.

فرعو قوله تعالى في سورة الأنبياء

[illegible]

تبييت إبراهيم لكسر الأصنام

وأن إبراهيم نوى الشر في نفسه لهذه الآلهة التي جمدوا على عبادتها ولم تفدهم موعظة ولا برهان عن الغواية بها، فأقسم في نفسه أن يلحق بها الأذى.. وهذه طريقة أراد بها أن يفهم القوم مركز آلهتهم.. ويقيم لهم الحجة عملا على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى إذا تركوا عبادتها، أو تكسبهم خيرا إذا عبدوها؛ لأن البرهان العملي أوقع في النفس وأحرى أن يحرز القبول. فقال في نفسه

[illegible]

سورة الأنبياء

بنو إسرائيل في الكتاب والسنة



(٦)

للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

فلسطين منذ خراب أورشليم الأول سنة ٥٨٦ ق.م حتى خرابها الثاني سنة ٧٠م

توالت دول متعددة على حكم فلسطين منذ خراب أورشليم الأول على يد «بختنصر» إلى خرابها الثاني على يد «الرومان».

وكان حكم هذه الدول لفلسطين في تلك الفترة على الترتيب التالي:

١ - البابليون من سنة ٥٨٦ - سنة ٥٣٨ ق.م.

٢ - الفرس من سنة ٥٣٨ - سنة ٣٣٠ ق.م.

٣ - اليونان من سنة ٣٣٠ - سنة ٣٢٣ ق.م.

٤ - البطالسة من سنة ٣٢٣ - سنة ٢٠٠ ق.م.

٥ - السلوقيون من سنة ٢٠٠ - سنة ١٦٧ ق.م.

٦ - السلوقيون والمكابيون من سنة ١٦٧ - ٦٣ ق.م.

٧ - الرومان من سنة ٦٣ ق.م - ٦١٤م.

وهاك الكلام بشيء من الإيجاز عن كل فترة من هذه الفترات:

١ - خلت فلسطين تقريباً من اليهود بعد سقوط أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م. في يد (بختنصر). وقد عاشوا أسارى في بابل زهاء خمسين سنة، فقلدوا فيها عادات البابليين، وأخذوا عنهم الكثير من شعائرهم وآدابهم، واشتركوا في وظائف وأعمال الدولة تحت رقابة البابليين.

وخلال هذه الفترة - كما تقول الأسفار - ظهر في بني إسرائيل بعض الأنبياء وكثير من الوعاظ والمرشدين، وفي أسفار أرميا، وعزرا، ونحميا واستير، وحزقيال ودانيال كثير من المواعظ والزواجر التي كان يوجهها المرشدون لبني إسرائيل في هذه الفترة.

٢ - وفي سنة ٥٣٨ ق.م استولى (قورش) ملك الفرس، على بلاد بابل، فعامل اليهود معاملة حسنة، لأنه تربى في حجر (استير) اليهودية، التي كانت في حوزة أبيه، وقد أصدر (قورش) نداء سمح فيه لليهود أن يعودوا إلى أورشليم، وأن يعيدوا بناء هيكلهم، وساعدهم على ذلك بالأموال والرجال.

ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة في بابل، وامتدت بها أعراقهم، وذاقوا بها خصب العيش، والتجارة الرابحة، ومن ثم فقد ترددوا كثيراً في العودة إلى أورشليم، ومعظم الذين عادوا منهم إلى أورشليم كانوا من سبطي يهوذا وبنيامين.

(وكانت عودة اليهودة من المنفى عودة لأمة، وليست عودة لدولة، فبنو إسرائيل عادوا، ولكن دولتهم لم تعد، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم من الفرس) [1].

وقد تعاقب على حكم الفرس في الحقبة التي كانت لهم السيطرة على فلسطين عدد من ملوك من بينهم (قمبيز) و(خوماتا) و(دارياش الأول) و(دارياش الثاني) و(دارياش الثالث) وكانت منطقة فلسطين خلال حكم الفرس لها تدار من قبل ولاة يرسلهم الملك إليها من الفرس، وأحياناً كان الملك الفارسي يختار والياً من اليهود ليقوم بالحكم تحت رقابة الفرس، فقد عين الملك (لوعيامانس) الفارسي (عزرا) اليهودي والياً على أورشليم سنة ٤٤٥ ق.م تقريباً.

٣ - وفي سنة ٣٣٠ ق.م، قامت حروب بين الإسكندر المقدوني، وبين الفرس بقيادة ملكهم (دارا الثالث) انتهت بانتصار الإسكندر، وهزيمة الفرس، وطردهم من بلاد الشام جميعاً، وأصبحت بلاد الشام ومن بينها فلسطين خاضعة لحكم الإسكندر المقدوني.

وتحكي الأسفار وبعض كتب التاريخ: أن الإسكندر خلال حكمه عامل اليهود معاملة حسنة، وأنه زار أورشليم والهيكل.

٤ - وبعد وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ ق.م، اقتسم ملكه الكبير قواده، فكانت فلسطين من نصيب القائد (بطليموس) الأول ملك مصر، وقد استمر حكم البطالسة على فلسطين حتى سنة ٢٠٠ ق.م. تقريباً.

وقد حكم بطليموس الأول من سنة ٣٢٣ - إلى سنة ٢٨٥ ق.م. وخلال حكمه دارت بينه وبين البلاد المجاورة له حروب ومنازعات، استطاع في النهاية أن يتغلب على أعدائه جميعاً، واستطاع

---

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص٦٦

كذلك أن يسيطر على أورشليم بعد أن أعلن اليهود عصيانهم له، وساق منهم إلى مصر أكثر من مائة ألف أسير.

وتولى الملك بعده بطليموس الثانى من سنة ٢٨٥ ـ سنة ٢٤٧ ق. م، فبقيت فلسطين تحت سلطانه. وقد عامل اليهود معاملة حسنة؛ إذ سمح لمائة وعشرين ألفا من اليهود الذين كانوا يقيمون فى مصر بالعودة إلى اليهودية.

ويقول عنه صاحب تاريخ الإسرائيليين: «بطليموس الثانى هذا هو مؤسس مكتبة الإسكندرية الشهيرة، التى كان المؤرخون يتهمون العرب بحرقها بعد فتح مصر»[2].

ويقول عنه الأستاذ محمد عزة دروزة: (أن بطليموس الثانى) طلب من (اليعازار) رئيس كهنة اليهود أن يرسل إليه اثنين وسبعين عالما من علماء التوراة ـ ستة من كل سبط ـ لترجمة أسفار موسى الخمسة إلى اليونانية فنفذ الطلب، وكان (اليعازار) على رأس [illegible]. [illegible] مهمة فى [illegible] وسبعين يوما، فكانت الترجمة المعروفة بالترجمة السبعينية فى اللغة اليونانية للأسفار الخمسة[3].

وعقب بطليموس [illegible] تحكم مصر وفلسطين من ٢٤٧ ـ سنة ٢٢٢ ق. م.

وقد ذكر المطران الدبس (أن ـ أونيا ـ رئيس أحبار اليهود بأورشليم، تقاعس عن دفع جزية [illegible] فى زمن بطليموس الثالث، وكان قدر الجزية [illegible] عشرين وزنة. فأرسل بطليموس الثالث عاملا إلى أورشليم لإرغام اليهود على دفع الجزية، وهددهم بالطرد إذا لم يدفعوا، فعظم القلق فى أورشليم، ثم وفد [illegible] اليهود رجلا ذكيا [illegible] إلى بطليموس استطاع أن يقنعه بإعفاء اليهود من معظم الديون المتراكمة عليهم»[4]. هـ.

وخلال حكم بطليموس الرابع الذى امتد من سنة ٢٢٢ إلى سنة ٢٠٢ ق. م تقريبا، جرت حروب فى فلسطين بينه وبين (أنطوخيوس الثالث) السلوقى ملك سورية، وكان النصر فيها لأنطوخيوس، الذى جاء إلى أورشليم [illegible] اليهود. وبعد مدة قليلة استطاع بطليموس الرابع أن يأخذ بثأره من أنطوخيوس، وأن يطرده من فلسطين ويبعد [illegible] حكمه. إلا أن السلوقيين [illegible] بعد فلسطين [illegible] حوالى سنة ٢٠٠ ق. م. [illegible] ينتصروا على بطليموس الخامس.

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) تاريخ سورية للمطران الدبس جـ ٢ ص ١٣٣.

٥ ـ وحتى سنة ٢٠٠ إلى سنة ١٦٧ ق. م، استطاع السلوقيون أن يجعلوا فلسطين خاضعة لسلطانهم، وقد عاملوا اليهود [illegible] والقسوة. وجعلوا [illegible] جهودهم فى تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية اليهودية إلى التقاليد اليونانية، وقد نصب الوالى السلوقى (أنتيوس) تمثالا لمعبودهم اليونانى فى هيكل أورشليم، وقرب له القرابين. وأخذ يدعو اليهود إلى المشاركة فى الطقوس اليونانية، وينزل أشد العقوبات بمن يمتنع عن الاستجابة لتعاليمه، وقد استجاب له عدد كبير من اليهود، وأخذوا يتركون دياناتهم وتقاليدهم؛ ليندمجوا فى تقاليد وطقوس اليونانيين.

وخلاصة [illegible] السلوقيين خلال مدة حكمهم لفلسطين أذلوا اليهود، وانتقموا منهم شر انتقام.

٦ ـ وقد أدت معاملة السلوقيين القاسية لليهود، إلى انفجار الثورة ضدهم من جماعة، من كهنة اليهود عرفوا فى التاريخ باسم المكابيين[5] وكانت ثورتهم هذه حوالى سنة ١٦٦ ق. م.

وكان على رأس تلك الثورة (متاثيا) الكاهن اليهودى مع أولاده الخمسة، وهم: (يوحنا)، و(سمعان)، و(يهوذا)، و(العازار)، و(يوناثان).

وتحكى لنا أسفار المكابيين أن (متاثيا) هاجر بأولاده إلى مدينة تدعى (مودين)[6] وكان حزينا لما أصاب أورشليم، وجاءت رسل الملك السلوقى [illegible] على [illegible] أحكام التوراة.. وطلبوا من (متاثيا) الطاعة فأبى.. ثم وثب (متاثيا) على واحد من رسل الملك فقتله.. ثم خرج إلى الجبال قائلا: «ليلحقنى كل من يغار على الشريعة» فتبعه كثيرون فكان ذلك إعلان الثورة[7].

وبعد وفاة (متاثيا) تولى ابنه يهوذا قيادة الثائرين، والتقى مع (أبلونيوس) قائد السلوقيين فى معركة عنيفة انتهت [illegible] يهوذا [illegible].

ثم توالت المعارك بعد ذلك بين يهوذا والسلوقيين. فكانت سجالا بينهم. إلا أن يهوذا استطاع فى سنة ١٦٥ ق. م أن يستولى على أورشليم.

وفى سنة ١٦١ استطاع السلوقيون أن يهزموا يهوذا ومن معه. وأن يعيدوا أورشليم إلى سلطانهم؛ غير أن المكابيين واصلوا ثورتهم ضد السلوقيين.

(٥) قيل سموا بذلك نسبة إلى كلمة (مكبا) العبرية التى معناها [illegible]

(٦) تسمى الآن [illegible] وهى قرية من [illegible]

(٧) أسفار المكابيين الإصحاح الثانى

وفى سنة ١٠٤ ق. م استطاع القائد المكابى (ارستبولس) أن يأخذ لقب الملك إلا أن ملكه لم يدم طويلا، إذ حصل بينه وبين أخيه (شمعون) منازعات أدت إلى هلاك الأخير، واستطاع المكابيون بعد ذلك أن يسيطروا لفترة من الزمان على أورشليم، وأن يتمتعوا بشىء من الكيان المستقل إلا أن استقلالهم فى أكثر عهودهم كان تحت سيادة السلوقيين، وكان يضيق ويتسع على حسب الظروف.

ومما ساعد على نجاح المكابيين فى بعض الفترات نشوب النزاع بين السلوقيين والبطالسة أحيانا، وبين زعماء السلوقيين فيما بينهم أحيانا أخرى.

هذا، وثورات المكابيين تجلت فيها مواقف تدل على الشجاعة والإقدام إلا أنه يؤخذ عليها أن اليهود جميعا لم يندمجوا فيها بل كان كثير منهم يكيدون لها ويتربصون بها فى مختلف المناسبات، وبشتى الوسائل. كما يؤخذ على ثورة المكابيين ذاتها أن رجالها لم يدم التعاون بينهم طويلا، بل أحيانا كانوا ينقسمون على أنفسهم ويحارب بعضهم بعضا.

ففى سنة ٦٣ ق. م نشب نزاع على الحكم بين (هركانس المكابى) وبين أخيه (ارستبولس) فانتهزت الدولة الرومانية فرصة هذا النزاع لبسط سلطتها على فلسطين، وحضر لهذا الغرض القائد (بمبيوس) الرومانى، فأقام بجيشه فى دمشق يترقب ما ينجلى عنه الموقف بين الأخوين، ثم وفد عليه بعد ذلك (أرستبولس وهركانس) وقدما له الهدايا النفيسة وطلب كل واحد منهما أن يكون الملك له، إلا أن (بمبيوس) أمرهما أن يخضعا له. ولكن أرستبولس لم يخضع للأمر وتحصن بأورشليم، فحاصره (بمبيوس) حتى أجبره على الخضوع والاستسلام له.

وقد أصر الكهنة على مقاومة (بمبيوس) ولاذوا بالهيكل، وامتنعوا عن التسليم، فحاصرهم الرومان زهاء ثلاثة أشهر، ثم تمكنوا فى النهاية من دخول الهيكل، وأعملوا السيف فى اليهود بلا شفقة أو رحمة.

ومن ذلك التاريخ خضعت فلسطين للحكم الرومانى الذى استمر إلى سنة ٦١٤ م.

وهاك كلمة عن اليهود وتاريخهم منذ سيطرة الرومان على فلسطين من سنة ٦٣ ق. م إلى خراب أورشليم الثانى على يد تيطس الرومانى سنة ٧٠ م.

٧ ــ كان الرومان خلال هذه الفترة (٦٣ ق. م إلى ٧٠ م) فى حكمهم لفلسطين، يستعملون عليها أحيانا ولاة يختارونهم من اليهود، وكان هؤلاء الولاة يخضعون فى تصرفاتهم للدولة الرومانية. إلا أن اليهود كانوا كثيرا ما يشقون عصا الطاعة على الرومان، فيقوم الرومان بتأديبهم بطريقة تتناسب مع الظروف الملابسة.

(أ) ففى سنة ٥٧ ق. م قام (إسكندر بن أرستبولس اليهودى) بثورة ضد الرومان، وحارب عمه (هركانس) الوالى على البلاد من قبل الرومان وانتصر عليه، ودخل أورشليم.. إلا أن انتصار (إسكندر) هذا لم يدم طويلا، فقد أرسل الرومان لتأديبه قائدا من قوادهم يدعى (غابينوس) فزحف على أورشليم وتمكن من التغلب على (إسكندر) ولما رأى إسكندر أنه لا مفر من التسليم، طلب من القائد الرومانى الأمان فأجابه إلى طلبه. ثم أعاد (هركانس) إلى ولاية أورشليم.

(ب) وفى نفس السنة تمكن والد إسكندر (ارستبولس) من الفرار من روما ومعه أحد أولاده. فلما وصل إلى أورشليم انضم إليه عدد كبير من اليهود. وأعلنوا الثورة على الرومان إلا أن القائد الرومانى (غابينوس) استطاع أن يمزق صفوفهم، وأن يقتل معظم من انضم إليه من اليهود، وأن يقبض على (أرستبولس) ويرسله للمرة الثانية أسيرا إلى روما.

(حـ) وفى سنة ٤٩ ق. م عاود (إسكندر بن أرستبولس) الثورة على الرومان. فقبض عليه والى سورية من قبل الرومان ثم قتله شر قتلة فى أنطاكية.

(د) وفى سنة ٣٧ ق. م كان (أنتغنس بن أرستبولس) قد تمكن من حكم أورشليم بمساعدة بعض الثائرين، فجهز الرومان جيشا لتأديبه وحاصروا أورشليم مدة ستة أشهر، ثم تمكنوا من اقتحامها، وبعد دخولها قتلوا كثيرا من سكانها، ونهبوا ما فيها من أموال، وقبضوا على (انتغنس) وساقوه أسيرا إلى القيصر الرومانى، فقتله.

وبموت (انتغنس) زالت دولة المكابيين، لأن انتغنس كان آخر زعيم من زعمائهم.

ولكن هل كف اليهود بعد ذلك عن ثوراتهم ضد الرومان؟

يقول صاحب (تاريخ الإسرائيليين) (على أن اليهود لم يخلدوا إلى السكينة بعد دخولهم تحت حكم الرومان، وشق على نفوسهم أن يحتل الرومان عاصمة ملكهم، وبيت مقدسهم، فكانوا تارة يتهددون الولاة، وطورا يطردون الجنود الرومانيين من أورشليم، وآونة يظهرون الرضا بحكم الرومان عليهم.. وقد تعاقب عليهم ولاة رومانيون ساموهم سوء العذاب، فرفعوا أمرهم إلى رومية، ولما لم يأتهم منها الفرج تظاهروا بالعصيان. وأحدثوا شغبا عظيما، فأرسلت رومية قائدها المحنك (فاسباسيان) فحاصر أورشليم، وحارب اليهود. وظل على قتالهم إلى أن اتجه الرومان إلى ... تحقيقه ...

(تيطس) على الحصار، وقتال اليهود وكان (تيطس) هذا قائدا مدربا.. وبطلا مجربا، ذاق منه اليهود الأمرين.. وثابر على منازلتهم بالجنود الرومانية [illegible] الداخلي، والفتن والمنازعات بينهم، حتى ضعف أمرهم، وتقلص ظلهم وتقوى (تيطس) عليهم فمزق شملهم، ودخل أورشليم فدكها دكا، ودمرها تدميرا، ومات من اليهود في ذلك الحصار نحو [illegible]

ثم يقول: وإلى هنا ينتهي تاريخ [illegible] أورشليم الثاني على يد تيطس الروماني: تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها، أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومان حظروا عليهم دخول أورشليم [8].

[illegible] وهو (يوسيفوس) [9] اليهودي ما حل بأورشليم على يد تيطس الروماني فيقول [illegible]

«ولقد طال حصار (تيطس) لأورشليم، حتى فني ما فيها من قوت، واضطر سكانها إلى أكل الجيف ودبيب الأرض. وهلك خلق كثير من الجوع واشتغل الأحياء بأنفسهم وتركوا الموتى [illegible] أن يمنعهم أحد، وكانوا يبتلعون ما عندهم من ذهب [illegible] من البراز بعد وصولهم إلى الروم. وانتشر خبرهم بين الروم فكانوا يقتلونهم طمعا فيما في أجوافهم من ذهب وفضة، وقد تمكن الروم في النهاية من خرق أسوار أورشليم، فدخلوا [illegible] يقتلون اليهود. ويدمرون ما تقع عليه أيديهم.. وهكذا دمرت [illegible] وجوعا بأيدي بعضهم، وأيدي الرومان معا» [10].

هذا، وقد كان تدمير تيطس لأورشليم سنة ٧٠ م، وبعد هذا التدمير فر من بقي [illegible] كمصر وقبرص، وليبيا وجزيرة العرب.

---

(8) تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس ص ٧١ وص ٧٢ طبعة المقتطف سنة ١٩٠٤.

(9) يوسيفوس مؤرخ يهودي ولد سنة ٣٦ م وتوفي سنة ١٠٣ م تقريبا وكان من المعاصرين لتدمير أورشليم وقد كتب في ذلك مجلدا ضخما.

(10) تاريخ يوسيفوس نقلا عن تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٣٥٩.

من فتاوى الحاخامات (*)

عنوان الفتوى: وضع الأغيار

مصدر الفتوى: WWW.daatemet.org.il، ٣ - ١ - ٢٠٠٤

فتوى من: هيئة تحرير الموقع

[illegible] الأغيار [illegible] وما هو وضع شخص حكيم من الأغيار يدرس التوراة؟

جواب: إذا كنت تقصد بكلمة «التوراة» - الشريعة الشفوية، أي الاستدلالات كما وردت في الشريعة (التي تلزم الجمهور الأرثوذكسي)، فإن وضع الأغيار يعد الأكثر تدنيا حسبما ذكر الحاخام دافيد بن حاييم في مقاله «الأغيار في الشريعة اليهودية».

وحتى التوراة المكتوبة التي لا تسمح بحرية الدين والعقيدة [illegible]

[illegible] الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي» (خروج ٢٠ : ٤ - ٥)، وحتى الأغيار الذين لا يعبدون الأوثان لابد من التمييز ضدهم [illegible]

وإذا كان أحد الأغيار يدرس التوراة، فقد ورد في الشريعة اليهودية: من يدرس التوراة من الأغيار يجب أن يقتل.. وكذلك من يحافظ على السبت من الأغيار، يجب أن يقتل [illegible] (تشريعات الملوك) ١٠ / ٩)، وقد ذكرنا هذا التشريع في [illegible] الشعب اليهودي هو الشعب المختار»

(*) د. منصور عبدالوهاب، فتاوى الحاخامات، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠.

التجديد في تدريس الفقه والتأليف فيه

الأستاذ الشيخ
مصطفى أحمد الزرقا

منذ إنشاء كليات للشريعة الإسلامية في الجامعات بعد زوال الاستعمار، وقيام جامعات إسلامية كاملة، أخذ تدريس الفقه والتأليف فيه طوراً جديداً. ذلك أن الكتب المذهبية القديمة التي كانت مؤلفة للتعليم بأسلوبه القديم، أو كمرجع للعلماء ليست ملائمة لحاجة التدريس الجامعي في هذا العصر. فانبرى أساتذة الفقه في كليات الشريعة إلى وضع مؤلفات حديثة في الفقه ملائمة حاجة الطلاب في مراحل الدراسة العالية والعليا. فلمرحلة البكالوريوس أسلوب تعليمي، ولمرحلة الدكتوراة أسلوب تعمقي في موضوعات خاصة. وبذلك وجدت رسائل ماجستير ودكتوراه في موضوعات فقهية كثيرة تستوعب كل موضوع وتناقشه بتعمق من مختلف جوانبه، وتغني الباحثين والمراجعين. وأصبحت تعد بالعشرات. وبعضها في الفقه الدستوري كنظام الحكم والشورى، وفي الفقه الاقتصادي، وحقوق السلم والحرب في الإسلام (القانون الدولي الإسلامي) وفي حقوق الإنسان وغيرها

الانفتاح على المذاهب والاجتهاد بالفقه المقارن

إن التجديد في تدريس الفقه والتأليف فيه في الجامعات قد صاحبه الانفتاح على المذاهب الفقهية جميعاً: الأربعة الممثلة لفقه أهل السنة، والأربعة الأخرى التي سبقت الإشارة إليها في موضعها، بل وعلى آراء الصحابة والتابعين وسائر فقهاء السلف الذين لم تدون مذاهبهم تدويناً كاملاً، وإنما نقلت لهم آراء في موضوعات شتى في كتب اختلاف الفقهاء كالأوزاعي والليث بن سعد وابن شبرمة وابن أبي ليلى والحسن البصري وسفيان الثوري وغيرهم، للاستفادة من آرائهم فيما نقل عنهم.

وهذا الانفتاح قد خفف العصبية المذهبية التي كانت بين أتباع المذاهب في الماضي مما سبقت الإشارة إليه، وأصبحت الدراسة الفقهية في الجامعات تظهر للطالب مزايا المذاهب المختلفة وما فيها من ثروة فقهية، وتنمية فكرية، وتوسعة للمدارك بمناقشة الأدلة، وتيسير على المكلف في التطبيق، وتسهيل على أولياء الأمور العملية للتقنين من الفقه الإسلامي أن يختاروا في كل موضوع من كل مذهب ما هو أنسب وأوفى بالحاجة الزمنية والمكانية.

الانفتاح على القانون والموسوعات الفقهية الحديثة

ومن أهم ما أسفر عنه الاتجاه العصري في تجديد الفقه جانب جديد عظيم الأثر في خدمة الفقه وإبراز جوهره الأصيل ومكنوناته النفيسة التي كانت محجوبة في كتبه المذهبية القديمة بأسلوبها المعقد الذي لم يعد يفهمه إلا من نشأ وعاش في أحضانه، وتغذى بلبانها، وتلقى لغتها واصطلاحاتها الخاصة كما يتلقى الطفل في أسرته لغة الأم، وبخاصة كتب المتأخرين من فقهاء المذاهب.

ذلك الجانب الجديد هو فتح نافذة على القانون الوضعي، والإطلال منها على آراء علماء القانون في كل موضوع من فقه المعاملات، مما يفيد في تدريس الفقه الإسلامي بالجامعات، وتأليف كتبه الحديثة لطلابها.

ذلك أن الانفتاح على المذاهب الفقهية، والاطلاع على ما فيها من آراء ونظريات ومبادئ فيها للتقنين الكثير المفيد، قد جر إلى فتح هذه النافذة على علم القانون الوضعي، ورؤية ما فيه من نظريات ومبادئ، وطريقة عرض مبسطة ميسرة، لا تعقيد فيها ولا وعورة.

وقد كان هذا الاتصال بين الفقه والقانون الوضعي ذا ثمار طيبة، وساعد على عرض الفقه مقارناً بالقانون في المؤلفات والبحوث ورسائل الدكتوراه، بالأسلوب الذي يفهمه رجال القانون وباللغة والعناوين المألوفة لديهم، ولم يكونوا يعرفون مقابلها في الفقه الإسلامي، وزالت الوحشة الشديدة التي كانت بين فقهاء الشريعة الإسلامية وعلماء القانون في النصف الأول من هذا القرن.

وفي الخمسينيات من هذا القرن أدخل تدريس مبادئ علم القانون وموجز النظرية العامة للالتزامات من القانون المدني في بعض كليات الشريعة.

ويلفت النظر أكثر من ذلك أنه قد صدر في سوريا قانون يشترط في تعيين القضاة الشرعيين أن يكونوا حاصلين على شهادة الإجازة في الحقوق (بكالوريوس في القانون)، ومن ثم أصبح كل من يرغب في القضاء الشرعي مضطراً أن يدخل كلية الحقوق ويتخرج فيها، وأصبح القاضي الشرعي يضاهي قاضي المحاكم النظامية في كل شيء، بل قد يفضله؛ لأنه درس دراسته ويزيد عليه بثقافته الشرعية. وهذا التدبير لم يحصل مثله في البلاد العربية الأخرى.

التقنين من الفقه الإسلامي:

منذ أن وضع في دساتير البلاد العربية بعد استقلالها نص على أن الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ بدأت مطالبات بتوفيق القوانين القائمة مع أحكام الفقه الإسلامي وتغيير ما يخالف. وركزت المطالبات في مصر وفي سوريا والعراق والأردن على وضع قانون مدني حديث مستمد من الفقه الإسلامي بمعناه الواسع، كما سبق بيانه.

وقد تحققت الفكرة في بعض البلاد العربية، حيث وضع أول قانون مدني حديث في أسلوبه وترتيبه وتبويبه مستمداً من الفقه الإسلامي بمختلف مذاهبه. وذلك في المملكة الأردنية على يد لجنة من رجال الفقه والقانون، مع مذكرة إيضاحية تواكب مواده مادة فمادة وتصليها بمصادرها من فقه المذاهب، أو تدعمها بقياس اجتهادي، أو بالتخريج على قاعدة الاستصلاح والمصالح المرسلة. وصدر ذلك القانون رسمياً في عام ١٩٧٦ م وحل محل مجلة الأحكام العدلية التي كانت معمولاً بها في الأردن حتى ذلك التاريخ.

وصدور هذا القانون كسر حاجز الصعوبات التي كانت تعترض تحقيق هذه الفكرة من منتصف هذا القرن، وكشف في اختلاف المذاهب الفقهية ومرونة نصوص الشريعة أكبر عون على اختيار الأحكام المناسبة الملائمة لحاجة العصر.

وقد بادرت دولة الإمارات العربية المتحدة إلى أخذه كاملاً وإصداره قانوناً مدنياً لها، كما أخذت به كاملاً جمهورية السودان عام ١٩٨٣ م.

وقد حقق القانون المدني الأردني حجة دامغة للمنادين بضرورة تحقيق هذه الفكرة، وذلك بالمذكرة الإيضاحية الضافية التي ربطت مواده بمستنداتها من قواعد الفقه وأصوله من مختلف المذاهب.

والواقع أن هذا القانون قد اقتبس كثيراً من القانون المدني المصري جاعلاً الأخير الأصول ترتيباً وصياغةً، ومن الناحية الموضوعية كل ما وجده من المبادئ والأحكام قابلاً للتخريج على قواعد الفقه الإسلامي ومقاصد الشريعة والمصالح المرسلة. ومن الممكن في جولة أخرى تنقيحية عليه وعلى مذكرته الإيضاحية أن يصبح أكمل وأحكم صياغة، وأن يربط بالفقه وأصوله ربطاً أوثق.

وهذه الخطوة الرسمية الجريئة في الأردن مهدت السبيل إلى الخطوة التالية: وهي (مشروع القانون المدني العربي الموحد) المستمد من الفقه الإسلامي.

فقد كانت جامعة الدول العربية في منتصف السبعينيات كلفت دائرتها القانونية وضع مشروع لقانون مدني موحد تأخذه من تشاء من الدول العربية، توحيداً للتشريع المدني فيها. وألفت لذلك لجنة خبراء من رجال القانون بدأت وضع المشروع في السبعينيات مستمداً من التقنينات الأجنبية. ثم تبين لها أن البلاد العربية لا يمكن أن تقبل شعوبها قانوناً بعيداً عن أصالتها الفقهية أجنبي المصادر، ولا سيما بعد صدور القانون المدني الأردني، فغيرت الاتجاه، وألفت لجنة خبراء من فقهاء الشريعة والقانون لوضع المشروع مستمداً من الفقه الإسلامي وأصوله دون تقيد بمذهب معين، ومؤصلاً بمذكرة إيضاحية تربط كل مادة فيه بمأخذها ومرجعها من مصادر الفقه ونصوص الفقهاء. (وكان كاتب هذا البحث أحد أعضاء لجنة الخبراء هذه)

بدأت اللجنة أعمالها باجتماعات دورية في أول الثمانينيات، وأنجزت حتى عام ١٩٨٤ م وضع الباب التمهيدي للقانون، ونصوص النظرية العامة للالتزامات (وهي التي تمثل العمود الفقري من القانون وأصعب مرحلة فيه) كاملة بكل أبوابها وفصولها من مصادر الالتزامات حتى انقضاء الالتزام. مؤصلة تأصيلاً فقهياً كاملاً بمذكرة إيضاحية تواكب نصوص مواده.

فقه الأعمال المصرفية

وطرق الاستثمار الإسلامية

ظهر في العالم الإسلامي وخارجه منذ منتصف السبعينيات وحتى اليوم عشرات من المصارف والمؤسسات المالية والاستثمارية التي ترغب في الالتزام بالشريعة الإسلامية في أعمالها، وبخاصة فيما يتصل بتحريم الفوائد المصرفية أخذاً وإعطاءً. كما برز توجه قوي في عدد من الدول في العالم الإسلامي للتخلص من الفوائد في نظامها المصرفي كله.

وشكل هذا التطور تحدياً كبيراً للفقه الإسلامي وللفقهاء أن يمارسوا الاجتهاد ويطوروا صيغ عملية للتمويل والاستثمار مقبولة شرعاً وناجحة اقتصادياً.

ويلاحظ أن استجابة الفقهاء لهذا التحدي المعاصر كانت جيدة جدا وتعبر تعبيرا عمليا عن المنهج العصري نحو التجديد في الفقه:

أ ـ فقد أنشئت في كثير من المصارف الإسلامية هيئات شرعية تمارس الاجتهاد الجماعي بصورة مصغرة. كما برز هذا النوع من الاجتهاد من خلال عشرات المؤتمرات وحلقات العمل المتخصصة التي عقدتها تلك المصارف الإسلامية. وندوات مجمع الفقه الإسلامي التي أصدرت كثيرا من التوصيات والفتاوى الفقهية المحددة.

ب ـ ويبرز في النشاط الفقهي في هذا المجال الانفتاح الكامل بين المذاهب، إذ لا تتقيد أي من الهيئات الشرعية في المصارف الإسلامية بمذهب معين، بل جميعها تستهدي في اجتهاداتها وفتاواها بجميع المذاهب.

أسبوع الفقه الإسلامي بباريس

والدعوة لموسوعة فقهية

في اليوم الثاني من شهر يوليه (تموز) ١٩٥١ م) عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً في كلية الحقوق من جامعة باريس للبحث في الفقه الإسلامي تحت اسم «أسبوع الفقه الإسلامي» برئاسة المستشرق الفرنسي ميو MILLOT (أستاذ التشريع الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس، وقبلها في الجزائر) دعت إليه عدداً كبيراً من أساتذة كليات الحقوق العربية وغير العربية وكليات الأزهر، ومن المحامين الفرنسيين والعرب وغيرهم ومن المستشرقين. وقد اشترك فيه من مصر أربعة أعضاء من الجامعات ومن الأزهر، كما اشترك من الجامعة السورية (جامعة دمشق ـ كلية الحقوق) عضوان كنت أنا أحدهما. وقد حاضر الأعضاء في خمسة موضوعات فقهية عينها مكتب المجمع الدولي للحقوق المقارنة من زمر الحقوق العامة والخاصة (المدنية، والجنائية، والإدارية، والاقتصادية) ومن تاريخ التشريع، وهي:

(١) إثبات الملكية.

(٢) الاستملاك للمصلحة العامة.

(٣) المسئولية الجنائية.

(٤) تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها ببعض.

(٥) نظرية الربا في الإسلام.

وكانت محاضرات كتبت باللغة الفرنسية، وخصص لكل موضوع يوم، وعقب كل محاضرة كانت تفتح مناقشات مهمة مع المحاضر وبين المؤتمرين. وتسجل خلاصتها.

وفي خلال بعض المناقشات وقف أحد الأعضاء وهو نقيب محاماة سابق في باريس، فقال:

«أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلوحه أساساً تشريعياً يفي بحاجات المجتمع العصري المتطور، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها مما يثبت خلاف ذلك تماماً ببراهين النصوص والمبادئ».

وفي ختام المؤتمر وضع المؤتمرون بالإجماع هذا التقرير الذي نترجمه فيما يلي:

«إن المؤتمرين بناء على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء «أسبوع الفقه الإسلامي»، وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح:

أ ـ أن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة (حقوقية تشريعية) لا يمارى فيها.

ب ـ وأن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات، ومن الأصول الحقوقية، هي مناط الإعجاب، وبها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة، والتوفيق بين حاجاتها.

يعلنون رغبتهم في أن يظل أسبوع الفقه الإسلامي يتابع أعماله سنة فسنة، ويكلفون [illegible]

[illegible] الفهارس للمناقشات ضرورة جمعية [illegible] للبحث في الدورة القادمة.

ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامي يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة»[1].

مشروع الموسوعة الفقهية

بعد أن أنشئت كلية الشريعة الإسلامية بالجامعة السورية (جامعة دمشق حالياً) في عام/ ١٩٥٤ م كان من باكورة نشاطها تنفيذ توصية أسبوع الفقه الإسلامي بباريس بشأن تأليف موسوعة فقهية. فألفت الكلية لجنة لهذا المشروع عام ١٩٥٦ م وبدأت اللجنة أعمالها باستخراج الأنماط التعريفية لموضوعات الفقه ومسائله وأحكامه من مختلف كتب المذاهب الأربعة لتكوين الهيكل اللفظي للموسوعة التي ستعرض فيها جميع أحكام الفقه في المذاهب الأربعة مرتبة بترتيب حروف الهجاء لكلماتها العنوانية، فيستطيع من يشاء مراجعتها ومعرفة ما في المذاهب عن كل موضوع فقهي بمجرد الرجوع إلى كلمته العنوانية بترتيبها الهجائي، تيسيراً على غير المختصين الذين لا يعرفون مواضع المسائل في كتب كل مذهب.

وفي عهد الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ م ألفت لجنة مشتركة بين القطرين للتعاون على هذا المشروع العظيم، ثم بانفصال الوحدة عام ١٩٦١ م توقف العمل ثم توبع المشروع ببطء في مصر. ثم في عام ١٩٦٦ م قررت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت أن تتبنى المشروع، وألفت له جهازاً، ومشت فيه خمس سنوات بخطى سريعة. وقد أثار ذلك حماس وزارة الأوقاف في مصر لمتابعة المشروع لديها. فمضت في تنفيذه، وهكذا قام مشروعان للموسوعة الفقهية: أحدهما في مصر والثاني في الكويت. وقد صدر من كل منهما حتى الآن أكثر من عشرين مجلداً، ولم يبلغ كل منهما في موضوعاته منتصف الحروف الهجائية.

وإذا كتب لهذا المشروع التمام، وأصبحت الموسوعة الفقهية في المكتبات العالمية، وترجمت إلى لغات البلاد المعنية بالقانون، فستكون هذه الموسوعة مدداً من الفقه الإسلامي غزير المادة وميسراً للمشترعين، يحسب له حساب كبير بين مصادر التشريع في عالم المستقبل، وليس في البلاد العربية والإسلامية فحسب.

---

[1] وقد قامت الجمعية الدولية للحقوق المقارنة بتلخيص وقائع أسبوع الفقه الإسلامي هذا وما دار فيه من بحوث ومناقشات مع التعليق عليها بما يظهر أهميته الكبرى في عالم القانون، ونشرت هذه الخلاصة في ثلاثين صفحة من مجلتها (المجلة الدولية للحقوق المقارنة) في العدد الرابع من السنة الثالثة (تموز ـ تشرين الأول ١٩٥١ م) كما نشر معهد الحقوق المقارنة بجامعة باريس نصوص المحاضرات التي [illegible] Sirey [illegible]

جلب المصالح ودرء المفاسد.. الأصل والفرع

د. أحمد الريسوني *

موضوع هذا المقال موضوع تخصصي، ولكنه أيضا موضوع فلسفي. رأيت أن أدرسه وأعالجه؛ لأنه يسعى إلى تصحيح النظر في قضية كبيرة من قضايا الشريعة ومقاصدها وأولوياتها. وهي قضية تنجم عنها - بوضعها الشائع غير السليم - إشكالات كثيرة في الفقه الإسلامي، والفكر الإسلامي، والسلوك الإسلامي.

والقضية هي: جلب المصالح من جهة، ودرء المفاسد من جهة أخرى؛ أيهما السابق وأيهما اللاحق؟ أيهما يقدم وأيهما يؤخر؟ أيهما الأصل المتبوع وأيهما الفرع التابع؟.

وسبب آخر لتناول هذه القضية، وهو أنها ذات صلة وثيقة بما قلته في حلقات سابقة عن حاجة الحركات والأحزاب الإسلامية إلى الاجتهاد والتجديد، وما ذكرته عن مشكلات الاجتهاد الفقهي المعاصر.

من قبل ألقيت محاضرة بمقر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بجدة، حول التعريف بمقاصد الشريعة، وذكرت فيها كلمة عابرة حول موضوع هذا المقال. وفي ختام المحاضرة خص المسير بعض ما جاء فيها، ثم قال: ولكن المحاضر قلب علينا الطاولة. لقد كنا نعتقد أن "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"، ولكنه أتانا بعكس ذلك! فقلت في نفسي: أما هذا فقد فهم المقصود فعلا. لقد فهم الإشارة وأحسن العبارة.

نعم هناك قاعدة شهيرة ومسلمة - أو شبه مسلمة - في الفقه الإسلامي، بل هي سيارة على ألسنة الدعاة والوعاظ وكثير من الناس. وهي قاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، وهي تعني أن المكلف إذا كان بصدد جلب مصلحة، لكن تلازمها أو تعترضها مفسدة، فليترك تلك المصلحة، حتى لا يقع في المفسدة الملازمة لها. وهكذا كلما اختلطت علينا المصالح والمفاسد، فالدرء للمفاسد مقدم على جلب المصالح، أي أن الأولوية المطلقة هي لمقاومة المفاسد والمحظورات، وليس للتحصيل والمصالح والمشروعات. ويعبّر عن هذه القاعدة بعبارات أخرى مثل قولهم «الاجتناب مقدم على الاجتلاب»، أي اجتناب المفاسد مقدم على اجتلاب المصالح.

ومما يستدل به على هذه القاعدة، الحديث النبوي المتفق عليه: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم)! فالحديث جازم في ضرورة اجتناب كافة المنهيات، بينما المأمورات جاءت مقيدة بالاستطاعة.

والحقيقة أن الاجتناب إنما كان لازما في جميع المنهيات، لكون الاجتناب دائما في الإمكان وفي المستطاع، لأنه عبارة عن الإمساك وعدم الفعل. وعدمُ الفعل يستطيعه الجميع، فلا يحتاج إلى قدرة أو جهد، أو سعي، أو وسائل... بخلاف المأمورات، فهي تحتاج إلى جهد وسعي وبذل، ووسائل وإمكانات... وكل هذا قد يكون بالإمكان وقد لا يكون، ولذلك علقت الأوامر بالاستطاعة.

فليس في الحديث دلالة صريحة ولا صحيحة، على أفضلية درء المفاسد على جلب المصالح، وليس فيه دلالة على أولوية الاجتناب على الاجتلاب.

وقد تناول ابن تيمية هذه القضية، في بحث فلسفي عميق ومفصل. قال في مطلعه (قاعدة) في أن جنس فعل المأمور به أعظم من جنس ترك المنهي عنه، وأن جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهي عنه. وأن مثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات، وأن عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات» (مجموع الفتاوى ٢٠ / ٨٥).

وقد استدل رحمه الله على هذه القاعدة من وجوه عديدة، أوصلها إلى اثنين وعشرين وجها، وفي كل وجه عدد من الأدلة: «مما يبين أن اتباع الأمر أصل عام، وأن اجتناب المنهي عنه فرع خاص»، ويؤكد «أن فعل المأمور به أصل وهو المقصود، وأن ترك المنهي عنه فرع وهو التابع» (مجموع الفتاوى ٢٠ / ١١٦)

ومما يستدل به القائلون بأفضلية اجتناب المنهيات وتقديمه، كون التقوى - وهي عماد الدين وجماعه - عبارة عن التوقي والاجتناب للمعاصي والمنكرات والمفاسد، وعلى هذا فالخير كله في الاجتناب.

وقد رد عليهم ابن تيمية ردا مطولا ومبدعا. قال في مقدمته: ومن الناس من يقول: إن التقوى مجرد ترك السيئات، بل التقوى كما فسرها الأولون والآخرون: فعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه. كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة: اتقوها بالتقوى. قالوا وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عذاب الله.

(*) د/ أحمد الريسوني: أصولي ومقاصدي معاصر، ولد عام ١٩٥٣م بالمغرب، أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة بجامعة محمد الخامس بالمغرب، وعضو مؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والرئيس السابق لحركة التوحيد والإصلاح المغربية (١٩٩٦ - ٢٠٠٣م) ومستشار للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وخبير أول بمجمع الفقه الإسلامي بجدة، والمشرف على إصدار معلمة القواعد الفقهية بالمجمع، وصدر له عدد من المؤلفات أشهرها: نظرية المقاصد عند الشاطبي، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية.

وقد قال تعالى في أول سورة في القرآن:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١-٣)

فوصف المتقين بفعل المأمور به من الإيمان والعمل الصالح من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وقال:

﴿ [illegible] ... لعلكم تتقون ﴾

(البقرة: ٢١)

وقال:

﴿ [illegible] ... صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾

(البقرة: ١٧٧)

وهذه الآية عظيمة جليلة القدر من أعظم آي القرآن وأجمعه لأمر الدين. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن خصال الإيمان فنزلت... وقد دلت على أمور:

أحدها: أنه أخبر أن الفاعلين لهذه الأمور هم المتقون، وعامة هذه الأمور فعل مأمور به.

الثاني: أنه أخبر أن هذه الأمور هي البر وأهلها هم الصادقون، يعني في قوله:

﴿ [illegible] ﴾

وعامتها أمور وجودية هي أفعال مأمور بها. فعلم أن المأمور به أدخل في البر والتقوى والإيمان من عدم المنهي عنه، وبهذه الأسماء الثلاثة استحقت الجنة كما قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الانفطار: ١٣، ١٤)

وقال:

﴿ [illegible] ﴾

(ص: ٢٨)

﴿ [illegible] ﴾

(القمر: ٥٤)

وقال:

﴿ [illegible] ﴾

(السجدة: ١٨)

أ.هـ (مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٣).

وقبل ابن تيمية نجد الفخر الرازي - المفسر الأصولي المتكلم؟ يسجل تنبيها عميقا عند تفسيره آية الحديد (من سورة الحديد)، حيث قال رحمه الله: «مدار التكليف على أمرين: أحدهما: فعل ما ينبغي فعله. والثاني: ترك ما ينبغي تركه، والأول هو المقصود بالذات، لأن المقصود بالذات لو كان هو الترك لوجب أن لا يخلق أحد، لأن الترك كان حاصلا في الأزل».

يعني: لو كان القصد الأساسي من الخلق ومن التكاليف هو ترك المنهيات واجتناب المفاسد، لكان أفضل تحقيق لذلك هو عدم خلق البشر. ومعنى هذا أن الناس خلقوا أساسا ليفعلوا لا ليجتنبوا.... وإنما يجب اجتناب المنهيات ومفاسدها، بسبب ضررها بالمأمورات ومصالحها. وهذا ما عبر عنه ابن تيمية بقوله: «فعل المأمور به أصل، وهو المقصود. وأن ترك المنهي عنه فرع، وهو التابع».

ومن لطائف التشبيهات للمسألة، ما قاله الرازي عند تفسير قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة النساء: ١٦٥)

حيث قال: «وإنما قدم البشارة على الإنذار؛ لأن البشارة تجري مجرى حفظ الصحة، والإنذار يجري مجرى إزالة المرض. ولا شك أن المقصود بالذات هو الأول دون الثاني، فلا جرم وجب تقديمه في الذكر». وهي الفكرة التي فصلها ابن تيمية وابن القيم، حين اعتبرا أن الأوامر والمصالح بمثابة الغذاء، وأن اجتناب النواهي والمفاسد بمثابة الحمية والدواء. ولا شك في أولوية الغذاء، وأنه هو الأصل في صحة الإنسان وقيام حياته، وأن الحمية والدواء فرع واستثناء.

التخلية قبل التحلية

هذه المقولة شائعة في الثقافة الإسلامية، وهي حجة ومحجة عند عامة المسلمين، بسبب كثرة ترديدها والتسليم بها، خاصة عند الدعاة والوعاظ وأهل التربية والتزكية.

ومقصودهم بها، أن تخليص الإنسان من المفاسد والأدران والآفات، سابق ومقدم على تحليته وتزكيته بالفضائل والمحاسن. وهذا يستدعي بدء الدعوة والإصلاح والتربية بالتخلية عن المفاسد والمنكرات والانحرافات.... أي مواجهة المفاسد أولا، وإزالة المفاسد أولا. ثم بعد ذلك تأتي المصالح والخصال الحميدة، فتغرس في أرض طيبة نقية.

ومن أقوالهم في ذلك: «أزل الموانع أولا، ثم أنت. فأولا فرغ قلبك من كل خشية لغير الله. ثم مكن خشية الله من قلبك؛ فأنت أزل الشوائب حتى يكون المحل قابلا. فإذا كان المحل قابلا، فحينئذ يكون الوارد عليه واردا على شيء لا ممانعة فيه».

وقالوا: «رهبوت خير من رحموت؛ أي لأن ترهب خير من أن ترحم». وذلك لأن التخلية قبل التحلية».

وقال بعضهم في توجيهاته لطلاب العلم: «التخلية قبل التحلية: ينبغي لطالب العلم أن يتهيأ لطلب العلم بتطهير قلبه التخلية قبل التحلية: ينبغي لطالب العلم أن يتهيأ لطلب العلم بتطهير قلبه من الغش، والغل، والحسد، وفساد المعتقد، وسوء الخلق، ليصبح أهلا لطلب العلم وقبوله، فإن القلوب تطيب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة».

وأنا أتساءل: إذا كان الإنسان قبل أن يتهيأ لتلقي العلم الشريف، عليه أولا أن يكون قد تطهر من الغش، والغل، والحسد، وفساد المعتقد، وسوء الخلق، فماذا بقي أن يستفيده من تلقي هذا العلم؟! وإذا لم يكن العلم هو الذي يطهره من كل هذا، فما جدوى هذا العلم؟

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾

(هود: ١١٤)

وقد دلت أدلة الشرع الصحيحة على أن التحلية هي التي تحقق التخلية أو تساعد عليها، وأن استثبات المصالح والفضائل، هو الذي يمكن من دفع المفاسد والرذائل، وأن إظهار الحق وإثباته هو الذي يطرد الباطل، وأن الحسنات هي التي تزيل السيئات.

قال الله عز وجل:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الإسراء: ٨١)

وقال سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(هود: ١١٤)

فالحسنات لا تنتظر التخلية وإفراغ المكان لها، بل هي التي تحدث التخلية بوجودها، وهي التي تزيل السيئات وتحل محلها.

وكذلك الصلاة، لا تنتظر أن يتطهر الإنسان من الفواحش والمعاصي، قبل أن يقدم عليها، بل هي التي تطهره بعد ممارستها والتلبس بها.

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وكذلك الصيام، لا ينتظر حتى تتحقق له التخلية، بل هو صاحبها، فالتحلي بالصيام هو سبيل التخلية ووسيلتها.

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٣)

والزكاة أيضا تتحقق وتسعد أولا، ثم هي التي تطهر وتنقي وتزكي، أي تحدث التخلية والتحلية معا؛ لأن هذا بعض من مقاصدها وحكمة مشروعيتها. قال تعالى:

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾

(التوبة: ١٠٣)

فالتطهير يحصل بها ومعها لا قبلها.

الإنجاز البناء مقدم على مقاومة الرذائل

من المعلوم - كما يقول ابن تيمية وغيره من العلماء - أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وهذا هو المقصود بالعبارة الأخرى، الأكثر اختصارا واشتهارا، وهي: «جلب المصالح ودرء المفاسد».

وقد بينت في أول كلامي أن تحصيل المصالح وتكميلها، هو الغرض الأعلى الأسمى، وأن «تعطيل المفاسد وتقليلها»، إنما هو فرع متمم ومرمم لإقامة المصالح وتمامها ودوامها. وبينت أن ما هو سائد من القول بأولوية درء المفاسد على جلب المصالح، وأن الاجتناب أولى من الاجتلاب، وأن التخلية سابقة على التحلية ... هي مقولات غير صحيحة وغير مسلمة.

وهذه القضية تناولها بعض العلماء من زاوية أخرى وتحت اسم آخر، كما في قول الشاطبي عن طريقة الشرع في رعاية المصالح وحفظها: «والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»؛ أهـ (الموافقات ٢/ ٨)

فإذا، الشطر الأول والأساس حفظ المصالح هو ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، فهو صاحب الأسبقية والأولوية، ثم بعد ذلك في الأهمية والأولوية، يأتي «ما يدرأ الاختلال الواقع أو المتوقع فيها».

والذي نراه اليوم أن كثيرا من الدعاة والجماعات والأحزاب الإسلامية، ما زالوا أسرى لنظرية «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، و«التخلية تسبق التحلية»، ويظهر ذلك في شدة الانشغال والاشتغال بالمواجهة مع المنكرات، والانحرافات، والطواغيت، والبدع، والمعاصي، والمفاسد.... ومع الجاهلية والعلمانية والصهيونية والإباحية والدكتاتورية..

وأنا لا أنكر ولا أعارض - من حيث المبدأ - الانشغال والاشتغال بأي شيء مما ذكر، ولكني أقول: إن ذلك كله فرع من القضية الأصلية، وليس هو القضية الأصلية، ولا هو شطرها الأكبر، ولا هو صاحب الأسبقية والأولوية.

القضية الأصلية، ذات الأسبقية والأولوية، هي بناء المصالح وتكميلها، هي تحقيق الأعمال الإيجابية، أو الوجودية بتعبير ابن تيمية، أوهي الحفظ الوجودي بتعبير الشاطبي. فلو أن هذه القضية الفرعية - قضية درء المفاسد ومحاربتها - أخذت ربع عنايتنا وجهودنا وانشغالاتنا، لكان هذا كثيرا، ولو أخذت أقل من ذلك لكان أفضل.

لنتأمل هذه الآيات الكريمة، ولننظر في المعاني والتكاليف الجامعة، التي توجهنا إليها وتحثنا عليها:

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ٩)

﴿ [illegible] ﴾

(المؤمنون: ٥١، ٥٢)

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٧٣)

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٧٧، ٧٨)

(سورة العصر)

وحتى سورة الفاتحة، وهي أم الكتاب، ونظل نقرؤها ونصلي بها. لو تدبرناها. لوجدنا أنها خصصت ست آيات ونصف الآية للأعمال الإيجابية (المصالح). وخصصت نصف آيتها الأخيرة للتنفير من التوجه السلبي العملي (أي المفاسد)، وهو قوله تعالى:

(الفاتحة: ٧)

وأما في مجال العمل الدعوي والإصلاحي خاصة، فإن من أبرز عناوينه ومداخله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وهما متلازمان غالبا في الخطاب الشرعي، ولكن من المعلوم قطعا أن الأمر بالمعروف دائما متقدم على النهي عن المنكر. والآية الجامعة في هذا الباب، وهي قوله عز وجل:

(آل عمران: ١٠٤)

دالة دلالة واضحة على كل ما تقدم فالرسالة المحمدية، والرسالة الإصلاحية، تتضمن ثلاثة عناصر هي

١- الدعوة إلى الخير
٢- الأمر بالمعروف.
٣- النهي عن المنكر

وهذه العناصر عادة ما تتراص وتتداخل. ولكن الترتيب المطرد في النصوص الشرعية الكثيرة، يدل على الأسبقية والأولوية بصفة عامة.

وهذا واضح كذلك في الآية الجامعة التي تتحدث عن المضامين والخصائص الكبرى للبعثة المحمدية، وذلك قوله تعالى:

(الأعراف: ١٥٦، ١٥٧)

وأبعد فإن النظر والتأمل في الخطوات الأولى للبعثة النبوية. فيه إشارات ودلالات هادية. فمعلوم أن أول ما نزل من الهدى والنور:

● قوله تعالى

(العلق: ١-٥)

● وقوله سبحانه

(المزمل: ١-٤)

● وبعد ذلك بدأت المزاوجة بين الأمر والنهي، كما في قوله عز وجل

(المدثر: ١-٧)

● وقبل هذا كله، نجد ما ذكرته السيدة خديجة رضي الله عنها، بعد الرجة والرجفة التي أصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند أول وحي نزل عليه، فقالت له: (والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).

ومعنى هذا أن الرسول الكريم عليه السلام، كان صاحب إنجازات تأسيسية وتمهيدية بين يدي بعثته، وكلها كانت من جنس جلب المصالح. لا من جنس درء المفاسد

وهنا يذكرنا بقوله عليه السلام: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1]. ودلالته واضحة في الموضوع...

فهذا هو دأب الأنبياء جميعا. جاءوا أساسا وأصالة بالتأسيس والبناء والتشييد. أي بالمصالح وعمل الصالحات، كما تقدم في الآيات، وكما يشير إليه الحديث النبوي الشريف: (مَثلي ومَثل الأنبياء من قبلي، كمَثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين)[2].

فليس هاهنا ذكر للمفاسد أصلا، لا مقدَّمة ولا مؤخَّرة. وإنما ذُكر البناء والتحسين والتجميل والتتميم. وكل ذلك مرجَع ومَحلى بمكارم الأخلاق.

وهذا لا يعني، ولا أعني به إغفال مسألة المفاسد وإخراجها من الحساب، ولكنه يعني وأعني به. أنها مسألة ضمنية وفرعية وتابعة.

وقد يأتي في بعض الخطابات الشرعية إبراز قضية بعض المفاسد والتركيز عليها وتقديمها في الذكر أو في الاعتبار، ولكن هذا منظور فيه إلى الحالات والأولويات الخاصة بسياقها وظرفها وغرضها، مثلما قد يأتي على الإنسان المريض حين من الدهر يصبح الشغل الشاغل له ولطبيبه: هو الدواء والحمية والاجتناب والحذر والاحتياط. كما هو واقع في هذه الأيام!

كما أن هذا كله لا يخفى أن كثيرا من المفاسد والشرور قد تصل في ضررها وخطورتها حدا يستدعي إعطاءها الأولوية في الدفع والاجتناب، ولو بتفويت بعض

[illegible]

المصالح التي تحتمل التفويت. فهذا معلوم ومسلَّم، ولكن الغرض الآن هو تقرير الأصل والوضع الأصلي. وهو الأصل الذي يوضحه ويؤكده إمام الشاطبي في هذا النص النفيس. قال رحمه الله: "الأمور الضرورية أو غيرها من الحاجية أو التكميلية، إذا اكتنفتها من خارج أمورٌ لا ترضى شرعا، فإن الإقدام على جلب المصالح صحيح على شرط التحفظ بحسب الاستطاعة من غير حرج؛ كالنكاح الذي يلزمه طلب قوت العيال مع ضيق طرق الحلال واتساع أوجه الحرام والشبهات، وكثيرا ما يلجئ إلى الدخول في الاكتساب لهم بما لا يجوز، ولكنه غير مانع لما يؤول إليه التحرز من المفسدة المربية على توقع مفسدة التعرض. ولو اعتبر مثل هذا في النكاح في مثل زماننا، لأدى إلى إبطال أصله، وذلك غير صحيح. وكذلك طلب العلم، إذا كان في طريقه مناكر يسمعها ويراها، وشهود الجنائز، وإقامة وظائف شرعية إذا لم يقدر على إقامتها إلا بمشاهدة ما لا يرتضى، فلا يُخرج هذا العارضُ تلك الأمور عن أصولها؛ لأنها أصول الدين وقواعد المصالح. وهو المفهوم من مقاصد الشارع. فيجب فهمها حق الفهم. فإنه مثار اختلاف وتنازع". (الموافقات ٤: ٢١٠ - ٢١١)

وختاما.. وباستصحاب ما قلناه قديما وحديثا - في أكثر من مكان وفي أكثر من مقال - حول الحاجة إلى الاجتهاد والتجديد، وخاصة لدى الحركات الساعية إلى البناء والإصلاح على أسس ومنطلقات إسلامية، فإن إعادة ترتيب الأولويات بصفة عامة، وقضية التقديم والتأخير بين الاشتغال بتحصيل المصالح، والاشتغال بمحاربة المفاسد، تبدو قضية ملحة وعاجلة، حتى لا يستمر تقديم العربة على الحصان، ولو في بعض الأحيان.

ومقتضى هذا أن تعطى العناية والأولوية للأعمال والمبادرات والمشاريع الإيجابية البناءة والمفيدة، ولو "اكتنفتها من خارج أمورٌ لا ترضى شرعا، على شرط التحفظ بحسب الاستطاعة من غير حرج"، على حد تعبير الشاطبي.

كما أن هذا النهج سيقتضي حتما تقليصاً في مقدار الاشتغال بمحاربة المفاسد والرذائل، لفائدة إنجاز المصالح والفضائل.

إن القيمة الحقيقية، أو القيمة المضافة، لأعمالنا وجهودنا، هي أن نوقد شمعة لا أن نلعن الظلام. فلعن الظلام يحسنه كل أحد، ويمارسه كل أحد.

للأسف، فإن كثيرا من الحركات والأحزاب الإسلامية، قد حُشرت، أو حشرت نفسها، في مربع المعارضة، وفي منطق المعارضة، بمعناه الديمقراطي الحزبي التقليدي. ومنطق المعارضة هنا، يلزمك أن تقف دائما بالمرصاد لكي تنتقد وتستنكر وتدين وتستهجن وتقاوم وتعارض وتفضح وتسب وتلعن...

الاشتغال بالمعارضة والمناهضة ينبغي أن يكون مهمة عرضية، لا مهنة دائمة. أما الأصل الدائم، فهو الاشتغال بالبناء والإنجاز وتحقيق المصالح والمدافع.

والله تعالى الموفق

شواخص النهضة في فكر رشيد رضا
الدين الخالص والعلم الصحيح



د. محمد منصور عبد الرؤوف الدفراوى
كلية التربية - جامعة عمر المختار - ليبيا

في ثقافتنا المعاصرة «نماذج نهضوية» تتعاظم أمامها حسرتنا ويتضاءل حجم نتاجنا الفكري والإصلاحي أمام عمق ما قدموا، أصالة رأيهم؛ وأفكارهم؛ فحازوا قصب السبق، وتبوأوا بين القمم مكانا عليا؛ في حين رسخ في وجدان أمتنا آفة من أشد الآفات فتكا؛ وهي بخس الرواد حقهم من الإنصاف والاعتراف؛ فكممت الأفواه وصودرت الآراء وتكسرت الأقلام بمحاكمتهم فكريا.. مستندين إلى ادعاء امتلاك الحقيقة أو التعصب الأعمى؛ وانتشار بدع وضلالات وجهل بالمقاصد والغايات وجمود أفكار ورؤى.. وليس من باب «الارتكاس النهضوي» أو «الانتكاس العقلي» فهذا لا سائغ ولا جائز؛ إنما استجرار لسيرة رجل لم نجد له نظيرا في كمال البصيرة ونفاذ الرؤية وغزارة العلم وقوة الحجة وفصاحة الكلمة؛ وبحث منهج مصلح وأجلاء لفكرة انضوت تحت لوائها أفكار وانسلت من عباءتها آراء غيّرت وجه الحياة.. فيعرف الفضل لأهله أهله كما يقولون.

فقد عني الشيخ بالرصد العميق والتحليل الدقيق والاستنباط الجليل والغوص الماهر في أعماق الدين الصحيح والواقع المعيش. فشخص الداء العضال ووصف الدواء الناجع؛ فكان مبشرا مصلحاً كالأنبياء؛ أبتغى الصلاح والإصلاح وإزاحة ركام وتشتيت ركاز ونفض غبار العقلة عن الأمة. فمثل بعطائه العقلي والفكري العزيز واسطة عقد وحبة من حبات اللؤلؤ المتد كشفه بما قدمه عن «جوهر الإسلام الأصيل»

وعرف بفكره خيوط اليقظة وروح النهضة المأمولة؛ وفتل حبلا متينا تمسك به هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي؛ من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض

بالحق؛ ليكون خليفة لله في تقرير المحبة والعدل.. (عن كتاب المنار والأزهر ٧).

والإسلام دين ودنيا - علم وعمل، جسد وروح؛ بلا انفصام؛ وبلا افتئات ولا استحداث بدعة ولا إماتة سنة.. فكان ذكاء رشيد رضا مرونة في فهم وتطور في فكر وشمولية في وعي وتحول في طريقة. فقد كان همه محصورا في تصحيح عقائد المسلمين ونهيهم عن المحرمات وحثهم على الطاعات وتزهيدهم في الدنيا. فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم مباراة الأمم العزيزة في العلوم والصناعات وجميع مقومات الحياة.. (المنار والأزهر..ص٨).

فرأى بمنطقه وبفهمه الثاقب عقلنة الأمور وحاجة المجتمعات الضرورية إلى الدين والعلم؛ وتصحيح المفاهيم الدينية والحياتية المغلوطة. فلا فصل بين الدين والدنيا، ولا بين الدين والعلم والمدنية الحديثة؛ وأكد بالبرهان أن علاج التخلف الجسيم العنيد يتطلب مهارات وملكات توفر ربط الدين الخالص بالعلم الصحيح؛ بطريقة تناسب نهوض الأمة من كبوتها وعثرتها الحضارية

فجهلها بحتمية الربط يصيرها عاجزة عن تلافي الشرور وتدارك المخاطر وتجنب العثرات. فمن العجيب أن البشر يرجعون القهقرى في الآداب والفضائل على نسبة عكسية مطردة لارتقائهم في العلوم المادية واستمتاعهم بثمراتها؛ فهم يزدادون إسرافا في الرذائل وجرأة على اقتراف الجرائم واقتحام في الشهوات البهيمية، بنقض ميثاق الزوجية وقطيعة وشائج الأرحام؛ وعقوق الوالدين ونبذ هداية الأديان، حتى كادوا يفضلون الإباحة المطلقة على كل ما يقيد الشهوات من دين وأدب وعرف وعقل. بل رجع بعضهم إلى عيشة العري في أرقى ممالك أوروبية وأمريكية علما وحضارة كما يعيش بقايا الهمج السذج في غابات إفريقية؛ (الوحي المحمدي. ص٨).

فرأى بسالف فكره وصائب رأيه ونور العلم أن الدين السليم هو علاج لأدواء الحضارة المادية وترياق سمومها وكبح جماحها؛ فالدين الخالص هو الحي الجديد، وباعث إصلاح وهاد بشر ومصلح نفوس ومحيي سنن ومميت بدع وضلالات وحسن منقلب في الدارين.. وكذلك العلم الخالص مانع لانتكاسة المريض ومساعدته على اجتثاث المرض من جذوره

فالدين عند رشيد رضا سبب جلي وحجة بالغة لصلاح الحياة وصحة الحضارة؛ فما نهضت أمة من الأمم الغابرة إلا بتأثير الدين في سلوكيات أتباعه وفي أخلاقهم وبنهوض علومهم واتساع معارفهم.. وفي التاريخ شواهد كالحضارة الفرعونية واليونانية. لصيق نشأة ورقي مدنية وعمران.. والعرب في عصور ازدهارهم بتأثير دين الإسلام في وحدة الكلمة ولم الشمل وجمع الصفوف ودفع عجلة الحياة إلى الأمام.. فالدين كان سبب الصلاح والإصلاح لايمكن أن يكون سبب الفساد والاختلال. لأن العلة الواحدة لايصدر عنها معلولات متناقضة؛ فإذا كان لدين المسلمين تأثير في سوء حال خلفهم فلابد أن يكون من جهة غير الجهة التي صلحت به حال سلفهم. (مقدمة الاعتصام للشاطبي.. ص ٨).

فضعف الدين يتبعه ضعف العلم وضعف العلم يعني بالضرورة خللا في الدين فهما متلازمان. فالتربة خصبة في الحالتين لنماء الشرور وانتشار المفاسد ومستنقعات الجهل والفقر.. وظهور أحدهما دون الآخر ليس دليل صحة.. وتناول العقاقير لايقصد به الامتثال للشفاء ولا اكتمال العلاج.. فعندئذ المرض شاخص والخلل موجود.

فالدين السليم حل أمثل وطريق أدق - في منهج رشيد رضا - «فلا يمكن أن تعود الحياة - بكل صورها وأشكالها - لمسلمين إلا بمثل ما بدأت به سلفهم من روح القرآن وهدى الرسول ﷺ».. (الوحي المحمدي.. ص١٠) والنسق القرآني جمع بين الدين والعلم وقرنهما بالعمل في كثير من آيه الكريم؛ تجديد حياة وإحياء مجد ودفع غائلة لايكون سوى بالدين الخالص والعلم لتصحيح والدعوة للوحدة وتنقية القلوب وتوجيهها للهداية وللحضارة وللعلوم وللفنون مجتمعة.. كما يقول الإمام مالك «لايصلح خلف هذه الأمة إلا بما صلح به سلفهم».

ففي الدين السمح دستور يشترك فيه الجميع فلا فرق بين غني وفقير وعربي وأعجمي ومذهب ومذهب ووطن ووطن. فالجميع عليه يقتات ومن نبعه يرتشف على اختلاف الطبائع وتباين الأوطان وعلاج التخلف والانتكاس الحضاري المقيت...

هذه شواخص النهضة في فكر الإمام محمد رشيد رضا..

❊❊❊

رسائل لها تاريخ



محمد عبدالله دراز



ابن باديس

بين ابن باديس ومحمد عبدالله دراز

بقلم الشيخ: أحمد مصطفى فضلية

تكشف رسائل العلماء المجاهدين من أعلام التحرر الإسلامي للإمام المجاهد محمد عبدالله دراز عن حقائق تاريخية في دعمه لنضال شعوب الإسلام ضد الاستعمار الغربي الحقود.. كما تكشف رسائله هو لهؤلاء الأعلام من العلماء المجاهدين بالعلم والفكر والقلم واللسان.. عن دعم كامل وعمل دائب من أجل الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية لتلك الشعوب ضد موجات التغريب الملاحقة للمجتمعات الإسلامية الرازحة تحت نير المستخربين الغربيين.. كما أوردنا منه جانب في كتابنا عن العلامة الكبير محمد عبدالله دراز سيرة وفكر.

وتلبية لرغبة أستاذنا المفكر الكبير الدكتور محمد عمارة في أن يشارك علماء شباب الأزهر في دعم وتطوير وتحرير مجلة الأزهر الغراء.. اخترت أن تكون مساهمتي أن أطلع قراء المجلة الحبيبة على جانب مهم من جوانب حياة علماء الأزهر الأعلام بنشر رسائلهم فهي تقدم لهم دروس دعوية وتربوية وحقائق تاريخية وتكسبهم في الإنشاء والأسلوب الأدبي الرفيع. وتنصفق ديباجتهم لما يعتمل في حسهم ومشاعرهم في أدب المراسلة كوسيلة فاعلة من وسائل الدعوة والتربية والإصلاح.. كان ولايزال ذا أثر بعيد في تصحيح المفاهيم، واستقامة الفكر على خط الإسلامي المعتدل الموزون.

ولنا في تقديم رسائل مختارة من ديوان رسائل هؤلاء العلماء للدكتور محمد عبدالله دراز ورسائله إليهم فنقول:

كان للإمام محمد عبدالله دراز عناية فائقة بالمسلمين في فرنسا إبان بعثته العلمية للسوربون. كما كانت له عناية فائقة بقضايا المسلمين.. فقد كان إبان دراسته في باريس يهتم بالوفود والجاليات العربية والإسلامية، وتحت يدي من المراسلات والخطابات ما يوضح مدى عنايته

الحمية لشباب الإسلام والعروبة من فلسطين إلى الجزائر ومراكش غرباً والهند وإندونيسيا شرقاً وكأني به يردد على مسامعه

بـ ... حي في ... زلي ...

...

لا تسل عن عـ ... عن ...

بـ ... الإسـ ... لام ... و...

والرسالتان اللتان نقدمهما للقراء بين الإمام بن باديس والإمام دراز تكشف النقاب عن مساندة دراز جمعية علماء الجزائر طوال فترة وجوده في فرنسا وهي أحد عشر عاماً.

كان مسانداً لها في جهودها المخلصة للحفاظ على إسلام وعروبة الشعب الجزائري فكان يحاضر بنوادي التهذيب العربية في باريس، وفي هذه النوادي تعمقت علاقات الأخوة الإسلامية الحميمة بين الدكتور دراز وعلماء جمعية علماء الجزائر وعلى رأسها إمامها الشيخ المجاهد عبدالحميد بن باديس، وتحت يدي أيضاً ١٨ (ثمانية عشر) رسالة حقية بين علماء جمعية علماء الجزائر أمثال الفضيل الورتلاني وسعيد صالحي وبين الدكتور محمد عبدالله دراز وكلها تبرز دور الأخوة الإيمانية في دعم قضية التحرر الجزائري وحسبنا منها ما كتبه "الأستاذ المجاهد - الفضيل الورتلاني للعلامة دراز بقوله

(فلا بدع فيما لكم علينا من حقوق. تارة تستتبعها الأخوة الإسلامية وأخرى يتسبب عنها إحسانكم الكبير وعطفكم العظيم وعنايتكم الصادقة واهتمامكم الخالص بحالة إخوانكم الجزائريين والأفريقيين.

ومع هذه الحقوق لا يمكن أن تكون من باب التكسب للمنقص ومساعدة للضعف ولا تناسب واستغنائكم مع حاجتنا وإنما هي اعتراف بالحب وشهادة بفرق وشكر مستحق. لقد كنا في جولة بالقطر ـ لم نتمالك على ذكركم بكل خير وأنتم له أهل.. بارك الله لنا في حياتكم وأكثر من أمثالكم. ونرجو ألا تحرموا إخوتكم الإفريقيين من تلك النصائح العالية التي ألفوها منكم. وإن حضوركم في النوادي الجزائرية في باريس له معنى كبير للفرق الطبيعي بين ممثلي الدين ورجال الكليات الأخرى (١) أما رسالة الإمام عبدالحميد بن باديس فهي رسالة شكر وتقدير وعرفان للدكتور محمد عبدالله دراز على اهتمامه بنوادي التهذيب العربية في باريس وجهوده في فتح الطريق لبعثة أزهرية لأبناء الجزائر ليدرسوا علوم الإسلام في الأزهر الشريف برئاسة الشيخ الفضيل الورتلاني عليه رحمة الله وهذا نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

قسنطينة في ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧هـ

(١) يونيه سنة ١٩٣٨م

الأخ الكريم صاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبدالله دراز رئيس البعثة الأزهرية في باريس حفظه الله وحفظها للعلم والدين وأقر به وبها أعين إخواننا المصريين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فهذا كتاب نحمد به تذكرى ليوم اجتماعنا بأعضاء الجامع بباريس في حضرة الزعيم الاقتصادي الكبير لمصر والشرق العربي: صاحب السعادة طلعت حرب باشا مع بعض رجال البعثة

الأزهرية الكريمة.

على أنه قد كان سرورنا يوم علمنا أن الأزهر قرر إرسال البعثات إلى أوروبا معرفة لغاتها وعلومها وأساليبها العلمية والفنية، لأننا نعلم أن الإسلام لا ينهض بأهله إلا من جمع بين ما عندنا وما عند الغربيين، ومن لهذا مثل أبناء الأزهر الشريف؟

فكيف يكون سرورنا يوم اجتماعنا بالبعثة نفسها؟

لقد كان من نعمة الله علينا وجزائه بفضله لنا على ذلك السرور الخالص لوجهه الكريم، أن جنت أمتنا الجزائرية قبل غيرها ثمار تلك البعثة واستضاءت بنورها.. وقد كان ذلك بما قمتم به أنتم وإخوانكم يا صاحب الفضيلة في نوادي التهذيب من المحاضرات القيمة والإرشادات المفيدة وما قمتم به من روابط الأخوة والمحبة والتعاون على الخير مع ابننا الشيخ الفضيل الورتيلاني وإخوانه العاملين، ثم كنتم السبب في فتح الطريق إلى المناهل الأزهرية العذبة الصافية لأبناء الجزائر المتعطشين إلى ذلك الرحيق السلسبيل، فسعيتم لدى مشيخة الأزهر الجليلة في قبول بعثة علمية جزائرية على نفقة الأزهر الشريف وفزتم بموافقة مولانا الأستاذ الأكبر الأستاذ محمد مصطفى المراغي أبقاه الله ذخراً للمسلمين.

فبلسان الأمة الجزائرية عامة وبلسان جمعية العلماء خاصة أرفع لفضيلتكم وللبعثة الكريمة ممثلة فيكم شكر الروح وثناء القلب ودعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب.

سيدي الأخ.. إذا تفضلتم على بالتفصيل رأيتم حسابه في سبيل العمل للأجر، وفقتم لكل خير وجميل وتفضلوا سيدي بقبول احترام وإخلاص وسلام.

عبدالحميد بن باديس
رئيس الجمعية

● نص رسالة الإمام محمد عبدالله دراز للإمام عبدالحميد بن باديس:

بسم الله الرحمن الرحيم

باريس في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧هـ

من محمد عبدالله دراز عضو البعثة الأزهرية بباريس إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبدالحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد تلقيت كتابكم الكريم المحرر بقسنطينة في ٢ من ربيع الثاني الجاري وتلوته على مسامع زملائي أعضاء البعثة الأزهرية بباريس فكان له من حسن الوقع في نفوسنا مثل ما كان لمشاهدة طلعتكم المحبوبة التي حسبتم الآن تجددون سرورنا بذكراها.

وإني أنا وزملائي كلما ذكرناكم وذكرنا جمعية العلماء الجزائريين التي تتشرف برئاستكم ذكرنا تلك النهضة الجزائرية التي تتولون قيادتها بحكمة وروية والتي تتقدم بخطوات ثابتة رغم ما يواجهها من الصعاب والعراقيل. وتعلقنا بالمستقبل العظيم الذي ينتظر الأمة الجزائرية من وراء هذه النهضة، بل رجونا مثل ذلك لسائر الأقطار العربية والإسلامية.. فهذه اليقظة التي بدأت تسري في أطراف العالم الإسلامي تبشر المؤمنين بأنهم مقبلون على عهد جديد يستردون فيه قوتهم ومجدهم وسؤددهم بتوفيق الله تعالى ثم بجهود المخلصين أمثالكم.. أما ما أشرتم إليه من معاونتنا للأساتذة الفضلاء في أندية التهذيب فالواقع أنها محض معاونة أدبية وإعلان للمشاركة الروحية بزيارتنا للأندية من وقت لآخر.. وهذا لا يعد شيئاً مذكوراً بجانب الواجب الديني الذي في أعناق عامة المسلمين والذي نأسف لتقصيرنا فيه من جراء مزاحمة الواجبات الأخرى الدراسية وغيرها.. لذلك نرى أنفسنا أحق باللوم والعتاب منا بعبارات الشكر الرقيقة التي قضت مكارمكم بتوجيهها إلينا.

وأما مسألة البعثة الجزائرية الأزهرية فإن الخطاب الذي ورد إلينا بشأنها من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ينص على قبول ستة من الطلاب الجزائريين ويعد بأن يعطى لكل طالب منهم ١٥٠ قرشاً (جنيه ونصف) شهرياً من مالية الأزهر ماداموا منتسبين إليه.. هذا هو كل ما عندنا من التفاصيل في شأن البعثة.

وتفضلوا سيدي الأستاذ أنتم وحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الجمعية الموقرة بقبول أزكى التحية والسلام.

محمد عبدالله دراز

● **تعقيب:**

بعد مطالعتنا لهاتين الرسالتين المتبادلتين بين الإمامين الجليلين يمكننا استلهام قيم ومعان ودروس تربوية لشبيبتنا المؤمنة تتأصل في نفوسهم ليعيشوا بها أعزة أحراراً:

١ ـ قوة الترابط العقدي والروحي وضرورته بين حركات التحرر الإسلامي في العالم الإسلامي لقيامها على الأخوة الإسلامية الجامعة.

٢ ـ قوة دور الأزهر الشريف في العناية بقضايا الشعوب الإسلامية. ودعم علمائه أينما كانوا لقضايا هذه الشعوب الحرة في كفاحها ضد المستعمرين وأذنابهم من الظالمين والمستبدين.

٣ ـ إبراز الجانب الوطني المضيء للعالم الأزهري الغيور محمد عبدالله دراز وهو جانب ظل مجهولاً حتى أذن الله لنا أن نكشف عنه ونقدمه لشباب العلماء ليقتدوا به في نسج قضايا مجتمعهم وأوطانهم بفقه ووعي وحكمة.

٤ ـ تلاشي العصبية القومية وإعلاء الرابطة الإسلامية. وتربية شعوب الإسلام على أخوة الإيمان.. وهذا ما دعاني لأقدم هاتين الرسالتين للأمة الجزائرية والأمة المصرية لنسيان آثار التعصب الأعمى في التشجيع الرياضي وما أحدث من شروخ في العلاقة بينهما.

٥ ـ ضرورة إحياء البعد الرسالي والحضاري العالمي بين علماء الأمة المسلمة واجتماعهم وتلاقيهم من أجل العمل الدائب المخلص لتحرير الأوطان من الأنظمة المستبدة التي تجثم على صدر شعوبها.. ولازالت على ولائها للعلمانية الغربية التي تفصل الدين عن الدولة.. وتعادي الأصالة الإسلامية.. وهذا ما اجتمع عليه الإمامان دراز وابن باديس لتحرير مصر والجزائر.. وما أشبه الليلة بالبارحة فها هي شعوب الإسلام تنتفض يقودها العلماء ويساندها الأزهر وشيخه الجليل.

وغداً إن شاء الله تشرق شمس الحرية الزاهية في أوطان الإسلام، ويشرق فجر جديد.. ولمثل هذا فليعمل العاملون.. وليتنافس له المتنافسون.

مصطفى صادق الرافعى إمام البيان العربى الحديث



للأستاذ الدكتور حلمى محمد القاعود

-١-

حين درست مصطفى صادق الرافعى قبل خمسة وثلاثين عاما؛ كنت أركز على صفته التى اشتهر بها فى مطالع القرن العشرين وهى حيازته لقب إمام البيان العربى، بحكم ما تميز به من قدرة بلاغية على الصياغة والتعبير، وفقا لأسلوب متميز يجعله فى ذروة الأساليب الحديثة التى تقوم بهندسة الصياغة وتقطير العبارة، واستخدام اللفظ لتشبع بروح القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربى العظيم، فى إطار تصوير حى ومتفرد يجعل من يطالعه - دون أن يذكر اسمه - يتأكد أن هذا أسلوب الرافعى..

إلى جانب هذا التميز البيانى فإن الرافعى كان مدفعية ثقيلة دكت حصون خصوم الإسلام وأعدائه، بتقديم قيم الإسلام الحصينة والدفاع عنها ضد الهجمة التغريبية التى شاءت أن تواجه الإسلام من خلال بعض أبنائه الذين انبهروا بالغرب، وذابوا فى هواه، وتماهوا مع تصوراته ورؤاه.

كان الرافعى واحدا من أعلام النصف الأول من القرن العشرين الذين أضافوا إلى التراث العربى والإسلامى إضافة ثرية فى الفكر والأدب واللغة والثقافة والشعر. وكانت معاركه الأدبية مع طه حسين والعقاد وأحمد لطفى السيد وسلامة موسى وزكى مبارك وعبد الله عفيفى وغيرهم - مجالا حيويا لإضاءة كثير من مناطق الأدب العربى والفكر الإسلامى. وتحريك الحياة الثقافية نحو البحث والدرس فى دائرة واسعة زاخرة بالقيم والأفكار والمثل..

ولم تكن حدة المعارك الأدبية التى دخلها الرافعى حائلا دون أن يعيد القراء والجمهور جديدا فى الصياغة والأسلوب. فضلا عن الأفكار والقيم والحقائق الموثقة والتحليلات العلمية المنطقية.

ولعل هذا كان من وراء دراسات عديدة تناولت الرافعى، فى جوانب مختلفة من حياته وأدبه وفكره، فضلا عن تقدير الإمام محمد عبده الذى كتب إليه قائلا "أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل، وأن يقيمك فى الأواخر مقام حسان فى الأوائل"، ثم مدح الزعيم سعد زغلول لأدبه وفكره حينما صدر كتابه تاريخ آداب اللغة العربية- الجزء الخاص بإعجاز القرآن قائلا

"بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم".

لقد تناوله عدد من الدارسين من أبرزهم مصطفى الشكعة فى كتابه: "مصطفى صادق الرافعى. كاتبا عربياً ومفكراً إسلامياً"؛ وحسين حسن مخلوف (مصطفى صادق الرافعى، حياته وأدبه)، ومصطفى نعمان البدرى فى رسالته "الإمام مصطفى صادق الرافعى". وكمال نشأت فى كتابه (مصطفى صادق الرافعى)، ومحمد رجب البيومى، فى كتابيه (مصطفى صادق الرافعى فارس القلم تحت راية القرآن) و (النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ج١)، وإبراهيم عوض فى كتابه (معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين). ومحمد سعيد العريان فى دراسته (حياة الرافعى) وعبد الستار على السطوحى فى كتابه "الجانب الإسلامى فى أدب مصطفى صادق الرافعى". كما أصدرت عنه مجلة "الأدب الإسلامى" عددا خاصا مزدوجا (العدد ٤٣، ٤٤) - ووائل حافظ خلف فى كتابه (هدم الدساكر على من بغى على الرافعى وشاكر)) و (مجمع البحرين فى المحاكمة بين الرافعى وطه حسين). وإبراهيم الكوفحى (مصطفى صادق الرافعى، الناقد والموقف)، وإبراهيم عوضين (مصطفى صادق الرافعى أديبا إسلاميا))، وأحمد محمد عيش (سيرة الرافعى) ،على عبد الحليم محمود (مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه)، و نعمات أحمد فؤاد (دراسة فى أدب مصطفى صادق الرافعى) ،و حامد محمد أمين شعبان، (بلاغة القرآن فى أدب الرافعى).و عمر الدسوقى (مع الرافعى الكاتب) ،و محمد الأخضر بن مسعود (نثر الرافعى)، و مصطفى الجوزو (مصطفى صادق الرافعى رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية)؛ و: محمد بن على الهرفى (شعر مصطفى



مصطفى الشكعة

صادق الرافعي بين التقليد والتجديد)، وعبد القادر القط (مصطفى صادق الرافعي في رسائل الأحزان والسحاب الأحمر وأوراق الورد)، و عباس بيومي عجلان (من أدب الرافعي ومعاركه)، و محمد عبد القادر العمادي (الرافعي وطه حسين)، و مها عبد الستار السطوحي (المرأة في أدب الرافعي - رسالة ماجستير)، و عبد السلام هاشم حافظ (الرافعي ومي)، و حسن عبد القادر عبد ربه (الرافعي ناقدا، أثر القرآن في أدب الرافعي - رسالة ماجستير)، و محمود محمد لبده (مدرسة الرافعي في الأدب الحديث - رسالة دكتوراه)، و محمد عزت أحمد (معارك مصطفى صادق الرافعي التعليمية وأثرها في الأدب والشعر - رسالة دكتوراه)، ومحمد إسماعيل عبد الحميد إسماعيل (مصطفى صادق الرافعي شاعرا - رسالة ماجستير)، وسعاد صالح عبد المطلب (الجانب الديني في نثر الرافعي - رسالة ماجستير)، وأحمد عبد القادر الطويل (القيم الإسلامية في أدب الرافعي - رسالة ماجستير)....

وهناك عشرات المقالات والدراسات كتبها أعلام عصره ومن جاء بعدهم حتى يومنا هذا تناولت جوانب عديدة في حياته ومواقفه وأدبه وشعره، فضلا عن بعض المقدمات التي وضعت بين يدي تحقيق ديوانه وكتبه على السعود. وقد عقدت جامعة طنطا - كلية التربية عام ١٩٨٧م، مؤتمرا دوليا حول الرافعي وحياته وأدبه.



د. محمد رجب البيومي

وبصفة عامة فشخصية مثل هذه دارت حولها مثل هذه المؤتمرات والكتابات والاهتمامات جديرة بالنظر إليها من حين لآخر، لترى الأجيال الجديدة ملامح مما قدمته للأمة خدمة للغة والأدب والإسلام، خاصة أنه من جيل رواد الطريق. وواجه عملية الصراع الثقافي كأعتى ما يكون بين ثقافتين، إحداهما وطنية ترتبط بالمعتقد والوجود، وأخرى غالبة ترتبط بالقوة والهيمنة ومبدأ المنفعة التي لا تحتفي بالقيمة أو الأخلاق

وقد لقي الرافعي بعد رحيله إهمالا ملحوظا في الحياة الثقافية داخل مصر، وإن كان العرب خارجها قد احتفوا به حفاوة كبيرة، ولعل إهماله في مصر يعود إلى تحديه لمن يهيمنون على الصحافة والثقافة في ذلك الحين ومواجهتهم بسلبياتهم في وضوح وجرأة لا يعرفهما غير الرافعي، وقد عبر عن هذه الحالة محب له ودارس ومترجم، هو محمد رجب البيومي - رحمه الله - حيث أوضح أن الرافعي قد ظُلم لدى مؤرخي الأدب في العصر الحديث، وتعرض لحملات ظالمة من أعدائه الذين جمعتهم العداوة للإسلام والتبعية للاستعمار، والدعوة للإباحية، فقد تواطأوا على النيل منه والحط من أدبه، لأنه كان حربا عليهم جميعا، ويقف أمامهم مدافعا عن دين الله والعروبة ومجد الشرق، وانتصر عليهم في مواطن كثيرة ((انظر: محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥م، ١/ ٤٣٥).

لقد ترسب في أذهان بعض الأدباء والنقاد أن الذي بقي من الرافعي هو ما كتبه عن علاقته بالأديبة مي، وعمد بعض المتعجلين إلى الاتكاء على كتاب وحيد للرافعي هو على السفود وجعلوه خلاصة أدبه في صباه وشبابه وكهولته! ومع أن هذا الكتاب لم يظهر باسم الرافعي الصريح - كما يقول البيومي - مقدرا ما يحمله من قسوة النقد على العقاد لأسباب كثيرة، واعترافه بأنه سلاح كريه اضطر لاستعماله في ساحة الكفاح، فإن المغرضين جعلوه الطريق الأوحد في مجال النقد الأدبي" (نفسه، ص ٤٣٧/ ١)

ومع أن الرافعي صنع عالما كبيرا تصعب الإحاطة بمعظم ما قدمه فيه للإسلام واللغة العربية والأدب العربي، فإنه لم ينل ما يستحق من الحياة الأدبية والثقافية في مصر. "لقد أدى الرافعي دوره الضخم في بعث اليقظة الإسلامية وتقديم حمية عربية، وعلى من يتصدى للحكم عليه ألا يقف عند الكلف بالجمال في رحلة الفكر ليجعله وحده مجال القول، تاركا أثر هذا الكاتب المشرق في هداية المجتمع وتعبيد الطريق، وجمال الليل، وسلام الحياة" (نفسه، الصفحة نفسها)

-٢-

والرافعي هو: مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (١٢٩٨ هـ - ١٣٥٦ هـ مـ/ أول يناير ١٨٨٠ - ١٤ مايو ١٩٣٧ م)، وقد ولد في بيت جده لأمه في قرية "بهتيم" بمحافظة القليوبية، وعاش حياته في طنطا. ووالدة الرافعي سورية الأصل كأبيه، وكان أبوها الشيخ الطوخي تاجرا تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام، وأصله من حلب، وكانت إقامته في بهتيم مسقط رأس الرافعي وكان له فيها ضيعة. وقيل إن أسرة الرافعي يتصل نسبها بعمر بن الخطاب -رضي الله عنه (انظر: محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م، ص ٢٣-٢٧)

ونشأ الرافعي على الثقافة السائدة لأسرة من أهل العلم هي أسرة الرافعي فاستمع من أبيه أول ما استمع إلى تعاليم الدين، وجمع القرآن حفظا وهو دون العاشرة، فلم يدخل المدرسة إلا بعدما جاوز العاشرة بسنة أو اثنتين، ثم دخل الرافعي المدرسة الابتدائية في

[illegible] سنة ١٣١٥ هـ
[illegible]
عشرة. ثم أصيب بمرض يقال إنه التيفود أقعده عدة شهور في سريره وخرج من
[illegible]
يزيد عليه عاما بعد عام حتى وصل إلى الثلاثين من عمره وقد فقد سمعه بصورة نهائية. كما أثر على تعليمه النظامي؛ فلم
[illegible]
الشهادة الابتدائية. فكان مثل العقاد في التعليم النظامي، حيث لم يحصل كل
[illegible]
البصر عند طه حسين وفقدان السمع عند الرافعي، ومع ذلك كان الرافعي مثل زميليه العقاد وطه حسين من أصحاب الإرادة الخارقة القوية فلم يعبأ بالعقبات.
[illegible]
والاجتهاد. وعندما اضطره المرض إلى ترك التعليم الرسمي، استعاض عنه
[illegible]
حتى استوعبها وأحاط بما فيها. وكانت علته سببا باعد بينه وبين مخالطة الناس، فكانت مكتبته هي دنياه التي يعيشها
[illegible]
ذاته في القراءة والاطلاع إلى آخر يوم في عمره. يقرأ كل يوم ٨ ساعات لا يكل ولا يمل كأنه في التعليم شاد لا يرى أنه وصل إلى غاية..

في الرابعة والعشرين من عمره تزوج الرافعي من أخت صديقه الأديب الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان وصاحب شرح ديوان المتنبي
[illegible]
وأنجب من زواجه عشرة أبناء.

عمل الرافعي في عام ١٨٩٩ كاتب محكمة في محكمة [illegible]
[illegible]
نحو سنتين، ثم انتقل منها إلى المحكمة
[illegible]
وأكثر أجرا، وبقي فيها حتى لقي وجه ربه الكريم (حياة الرافعي، ٣٤).

وكانت الوظيفة بالنسبة للرافعي مجرد مصدر للرزق يعينه على العيش،
[illegible]
المطالعة والدرس، حيث لم يقطع عنهما يوما واحدا. وما أكثر ما كان ينقطع عن وظيفته..

لقد كان حريصا على أداء عمله، ولكنه لم يكن يعبأ بمواعيد الحضور والانصراف في المحكمة، وهو ما جعل أحد رؤساء المحكمة يستدعيه ذات مرة، فلم يذهب إليه، فكتب مذكرة إلى الوزارة في القاهرة مطالبا بعزله من وظيفته وإقالته من الخدمة. وجاء مفتش من القاهرة ليحقق مع الرافعي في مذكرة رئيسه ضده. وكان المحقق هو الشاعر اللق حفني ناصف بك، الذي استمع من الرافعي إلى رأيه الذي يتلخص في أنه لا يقصر في عمله. أما الحضور والانصراف فلا
[illegible]
كتب تقريرا ينصف الرافعي، ويقول: إن له حقا على الأمة أن يعيش في أمن ودعة وحرية، وإن الوظيفة ليست موضعه، وطلب من المسئولين أن يتركوه يعيش كما يشتهي أن يعيش، ويعمل ويفتن ويبدع لهذه الأمة في آدابها ما يشاء أن يبدع وإلا فاكفلوا له العيش الرخي في غير هذا
[illegible]

ومن يومها لم يعد أحد في المحكمة
[illegible]
محققي ناصف فيما بعد، وخاصة بعد أن
[illegible]

وكان الرافعي نبيلا كريم الخلق في وظيفته، لدرجة أنه كان يحمل عن زملائه أخطاءهم في العمل، حتى لا يتعرضوا إلى شر هو أقدر على الخلاص
[illegible]
العريان الذي يعد أول من ترجم له
[illegible]
١٩٣٤ [illegible]
[illegible]
عن خطأ في تقدير الرسوم لأكثر من
[illegible]
في الرسوم المتحصلة عنها بصحة وتسعى جنيها، والرافعي يرد المفتش ويدافعه، ويرى له الرأي، ويصف له العلاج،
[illegible]
ويستقصي، وما ضاقت به أخلاق الرافعي
[illegible]
القضايا، بل كانت أخطاء زملائه
[illegible] ٣٧

وبصفة عامة، فقد كان الرافعي محبوبا من كل العاملين بالمحكمة، حتى من المحامين الذين كانوا يلقبونه أو يسمونه "عمدة المحكمة" (نفسه، ص ٣٩).

وكان الرافعي في أخلاقه العامة منزها
[illegible]
يهاب مواطن الهلاك. وكان منذ بداياته
[illegible]
والصواب (السابق، ٥٨).

-٣-

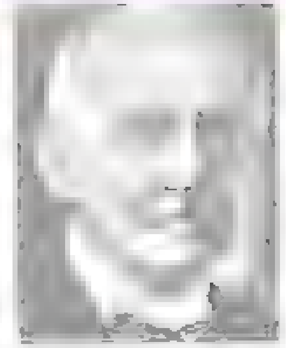
[illegible]
يكون شاعرا وأميرا للشعراء، وشاءت إرادة الله أن ينصرف عن الشعر إلى الدفاع عن الدين والذود عن العربية والجهاد في سبيل الله، وقد تعرف على
[illegible]
الكاظمي. وكانت علاقته به وطيدة. كما تعرف على أعلام الشعر آنئذ مثل حافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري. ونشر الرافعي الجزء الأول من
[illegible]
الرافعي) عام ١٩٠٣، ونشر الثاني عام ١٩٠٤، ونشر الثالث عام ١٩٠٦، كما نشر في عام ١٩٠٨ ديوانه النظرات، وفي عام ١٩١١ تغير مسار الرافعي،

وتوجه وجهة جديدة في الأدب، وينصرف عن الشعر في مكتبته النثرية.

ومع ما أخره في ميدان الشعر من شعر تلفت إليه الأنظار لا أنه في الواقع لم يكن يستطيع أن يتجاوز المكانة التي وصل إليها الشعراء الكبار في عصره وخاصة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم فقد أعطى هذان الشاعران ملكة التعبير عن مشاعر الناس وهمومهم في هذا الحين.

تميز شعر حافظ إبراهيم وأحمد شوقي بالسهولة والعزارة مما أتاح لهما القدرة على الانتشار بين القراء، حتى لو كان هؤلاء القراء متوسطين في ثقافتهم فأين يذهب الرافعي في هذه المعركة الكبيرة وشعره لم يكن شعرا سهلا بل كان شعرا صعبا يحتاج إلى ثقافة أدبية ولغوية عالية لكي يفهمه من يقرأه ولكي يتذوقه بعد ذلك ويستمتع به ؟

ولعل الرافعي هو من أطلق أول صرخة اعتراض على الشعر العربي التقليدي في أدبنا وفق ما يقوله محمد سعيد العريان: "إن في الشعر العربي قيودا لا تتيح له أن ينظم بالشعر كل ما يريد أن يعبر به عن نفسه الشاعرة، أو تؤيد ما أدعيه أنا، من أنه كان يشعر بالعجز عن الإبانة عن كل خواطره الشعرية في قصيده من منظومه. ولا بعجزه بسبب في منثور نظمه. كان شعر الرافعي أقوى من دائه وكانت قوالبه الشعرية تضيق عن شعوره.." (حياة الرافعي، ص ٧٣).


أحمد شوقي


حافظ إبراهيم

ولعل وقفة الرافعي ضد قيود الشعر التقليدية أخطر وأول وقفة عرفها الأدب العربي في تاريخه الطويل، وإذا عرفنا أنها كانت مع بداية تحوله إلى النثر وتوجهه نحو ميادين الدفاع عن الإسلام واللغة العربية وتاريخ المسلمين، فإنه سبق بسبق معظم الدعوات الأدبية الأخرى التي دعت إلى تحرير الشعر العربي جزئيا أو كليا من الوزن والقافية. ومع ذلك فهناك مقولات للرافعي بعدئذ يؤكد أن الشعر لا يكون شعرا إلا من خلال التقاليد الفنية، وخاصة الوزن والقافيه.

لقد كتب الرافعي مقالته عن (الشعر العربي في خمسين سنة) ويقصد بها الفترة التي سبقت إنشاء مجلة (المقتطف) التي كان يكتب بها، وتضم الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى والربع الأول من القرن العشرين تقريبا.. وقد تحدث فيها عن أسباب تخلف الشعر العربي قبل النهضة، ثم تكلم عن آثار النهضة في إثراء الشعر وتقدمه. وقد ذكر الرافعي بعض ورائد

عمق هذه الآثار التي تتلخص في إدخال الثقافة في الشعر، وصناعة بعض الشعر على أصل التفكير في الإنجليزية والفرنسية، والانصراف عن إفساد الشعر بصناعة المديح والرثاء، والإكثار من الوصف والإمعان في بعض صاحبه، وإهمال الصناعات البديعية التي كان يبنى عليها الشعر، والنظم في الشئون الوصفية والحوادث الاجتماعية، واستخراج بعض أوزان جديدة من الفارسية والتركية.

وواضح أن للرافعي (رؤية ثورية) في نقد الشعر تتضح في تجديده ورفض الجمود مع ما يشرح عنه بأنه [illegible] التقدم في خلال ما سبق سداد صائبة النظرة التي ينظر بها (الرافعي) إلى القضايا الأدبية، إنه مع التجديد الذي يثرى الأدب العربي، وليس مع ذلك التجديد الذي يطيح بالأصول والفروع جميعاً.

كان للرافعي فيما بعد شعر آخر أقوى من شعره المنظوم وهو ما نثره في كتبه الوجدانية التي عبرت عن عواطفه ومشاعره في تصوير حي، وتعبير خلاق، أعني ما كتبه في كتبه العاطفية: السحاب الأحمر، حديث القمر، رسائل الأحزان، وبعض فصول وحي القلم.

وهو في هذه الكتب وما يشبه نصوصها في كتبه الأخرى قد بلغ الغاية في التصوير والتعبير الذي يتواضع أمامه شعره المنظوم كله.

ويرى "كمال نشأت" أن شاعرية الرافعي قد تحققت في كمالها ونضجها في كتابته النثرية، وخاصة في "أوراق الورد"، فالرافعي شاعر كبير في نثره، وشاعر وسط في قصيده، ولعل قصيدته النثرية "نشيد اليمامة" التي قالها على لسان مارية في قصة "اليمامتان" المنشورة في "وحي القلم" ذات مستوى لم يصل إليه شعره المنظوم (كمال نشأت، مصطفى صادق الرافعي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٣١).

ومهما يكن من أمر، فإن الرافعي حقق سبقا ملحوظا في ميدان مهم للغاية، وهو ميدان الأناشيد، فقد نظم مجموعة من الأناشيد حملته بحق شاعر الأناشيد الوطنية والحماسية التي تتردد على ألسنة المصريين والعرب وتلاميذ المدارس، ومن أشهر هذه الأناشيد التي رددتها الأجيال: اسلمي يا مصر، إلى العلا.. إلى العلا بني الوطن، حماة الحمى

(يتبع)

نماذج تاريخية للتعارف خلال الحرب والدبلوماسية

أ.د. نادية محمود مصطفى
أستاذ العلاقات الدولية
[illegible]

٤) الدلالات الراهنة للذاكرة التاريخية

وأخيراً، وقبل الانتقال لعرض النماذج التاريخية المعنية، يجدر التوقف عند الأمر التالي:

أن الإجابة عن الأسئلة الكبرى التي تنطلق منها الدراسة تمثل الذاكرة الحضارية الواجب الوعي بها وتدبرها خلال المرحلة الراهنة من «التعارف بين الحضارتين» في ظل العولمة وفي ظل اختلال ميزان القوة المادية بين الحضارتين وفي ظل مراجعة شعوب كل منهما لذاتيته وهويته. ومن ثم، فإن النماذج التاريخية المعني بها في الدراسة ستمتد إلى بعض نماذج التاريخ الجاري Current History.

إن الحاجة لدراسة هذه النماذج التاريخية ليست ترفاً علمياً أو غاية في حد ذاتها أو كسبيل من سبل مناقشة مصداقية مقولات افتراضية أو إمبريقية عن «التعارف بين الحضارات»، باعتبار أن التاريخ هو معمل حي للعلوم الاجتماعية، ولكن تنبع أيضاً هذه [illegible]

[illegible] في ظل [illegible] بعد الحرب الباردة. وما بعد الحادي عشر من سبتمبر، مرحلة من تطور النظام العالمي تمارس تأثيرها على هذه الشعوب بأكثر من وسيلة، وعلى نحو تنامي فيه اختراق الخارجي للداخلي، وهو الأمر الذي لابد وأن يؤثر على نمط تعارف هذه الشعوب على شعوب أخرى والعكس صحيح. وتكتسب أهمية الحاجة الراهنة لفهم النماذج التاريخية عن التعارف، أبعاداً إضافية في ظل «اندلاع الثورات العربية» ابتداء بتونس مروراً بمصر، واليمن والبحرين وليبيا وسوريا (حتى الآن). فإذا كانت «الثورات» قد أعلنت عن ورود دور الشعوب. فكيف ينعكس هذا على أنماط [illegible]

ومن ثم، فإن منهاجية الدراسة تمتد من [illegible]

وسيتم عرض مجموعة من النماذج [illegible]

المحور الأول: الفتوح- الاسترداد- الأقليات [illegible] عصور [illegible] في [illegible] وآسيا الوسطى، الأندلس، الزيلع، البلقان. [illegible] الإسلامي

[illegible] وكيف جاءت نماذج الاسترداد في هذه المناطق [illegible] بالنسبة لماهية وطبيعة الحضارة المعنية بالقوة [illegible] المناطق المستردة؟ وما مآل المسيحيين الآن في الدول الإسلامية؟ ما نمط التعارف الذي اقترن بالفتح الإسلامي للقوقاز وآسيا الوسطى، [illegible] والبلقان. وشرق أفريقيا وغربها؟ وما نتائجه على أديان وقوميات وثقافات شعوب هذه المناطق وعلى العمران الحضاري في مرحلة الفتوح الراشدة ثم الدول الأموية والعباسية [illegible]

وعلى ضوء المقارنة مع أنماط الاسترداد شبه المتزامنة منذ أواخر القرن الخامس عشر في [illegible] القرن السادس عشر في الأندلس واستمرت في الشرق وفي البلقان حتى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين)، فما نمط التعارف: ألم يكن ضالاً استعلائياً استئصالياً؟

[illegible] الاسترداد، بالنسبة لوضع الأقليات (الشيشان، البوسنة، مسلمو أوروبا) في هذه المناطق؟[2].

[illegible] التالية

١) نموذج من كتاب «الفتوح العربية الكبرى»[3]

[illegible] وفق منهج علمي جديد (كما حدده المؤلف نفسه وكما علق عليه المترجم)، ويسعى إلى

[illegible] القاهرة [illegible]

- [illegible] الدولة العباسية [illegible]

(٢) وحول [illegible] التاريخية والسياسية العسكرية [illegible]

- [illegible] مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة

(٣) هيو كنيدي، الفتوح العربية الكبرى: كيف أثر انتشار الإسلام على تغير العالم، ترجمة وتقديم وتعليق: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٧

الإجابة عن سؤال مزدوج: لماذا كان نجاح المسلمين سريعا وواسع النطاق في الفتح؟ وكيف تمكنوا من تحويل الفتح إلى تغيير دائم في مصائر المناطق والشعوب؟ وذلك من خلال فهم لتاريخ الفتوح يخالف التيار السائد في البحث التاريخي الأوروبي والأمريكي عن هذه الفتوح. ويكشف الكتاب، وفق مقدمته وتقديم المترجم، عن كيف أن معظم الفتوح كانت سلمية، وكيف رأى أهل البلاد المفتوحة في [illegible]

معبارة أخرى، ووفق مقدمة المؤلف أيضا، فهو يسعى لتقديم إجابة أكثر تركيبا من التي [illegible]

[illegible] الدلالة المهمة عن فتح مصر والشام وشمال أفريقيا، يمكن القول إن المؤلف قد أبرز الإجابة عن السؤال التالي، الذي طرحه أحد رهبان القرن السابع الميلادي تعليقا على الفتوح [illegible]

"كيف يمكن لرجال عراة، يركبون دوابا دون درع أو ترس أن يتمكنوا من الانتصار [illegible] الفارسية"[6].

[illegible]

[illegible] عنده

ومن بين القصص ذات المغزى في الكتاب، تلك المنقولة[7] عن أحد كتب تاريخ فتح مصر (ابن عبد الحكم) خلال فتح الإسكندرية عن مواجهة بين فارس عربي وبين فارس [illegible] ميشت، وفق المؤلف: الفارق بين أثر الترف [illegible] والتقشف والحرمان لدى الفارس العربي وقدراته القتالية العالية إلى جانب إيمانه [illegible] بالفضيلة وعدم مبالاته بالأغراض المادية [illegible]

[illegible] الكتاب، حين وصف فتح الشام بين المؤلف، من خلال المصادر عن أحداث كثيرة، كيف تجلت قوة إيمان وصبر وجلد المسلمين في [illegible] على أكثر من نحو، في مقابل تحسرات البيزنطيين على أنفسهم واليأس الذي دب في [illegible] الرب[8].

[illegible]

---

(6) المرجع السابق، ص٢٢٤-٢٢٥

(8) المرجع السابق، ص١٣٦

عنيفة إلى مقاسمة كنيسة يوحنا (في حمص) [illegible] في هذا: "بعد الهزيمة السياسية للقوات المسيحية، تعايشت الجماعات الدينية ([illegible]) معا، على [illegible] التسامح المتبادل، إذ لم يكن في حال من الانسجام والتوافق".

[illegible] أكثر من مصدر تاريخي عربي وغير مسلم، فهو يقدم أيضا رؤى قاسية عن فتح العرب قدمتها مصادر قبطية تصف عنف ودموية هذا الفتح واستعباد أهل مصر لدرجة التشبيه بفترة حكم فرعون[9].

إن كتاب الفتوح الكبرى، وفق هذه [illegible] منهجية متعددة المصادر والروايات عن الحدث الواحد، إنما يقدم لقطات حية عن نمط من أنماط التعارف، "حين الفتح العربي" وكيف [illegible] المسيحية والإسلامية حول تكييفه وكيف أسهم هذا الكتاب، من خلال المقاربات في تقديم مساهمة علمية [illegible]

[illegible] لهذا الكتاب، وما يقدمه من نماذج، ذات أهمية كبرى في إطار السياق الراهن في الشرق العربي والخاص بوضع المسيحيين مما يهدد بتفريغ المنطقة من مسيحييها، وهو سياق يساهم في صنعه العديد من العوامل السياسية الداخلية والخارجية، فهو ظرفي، وليس هيكلي نابع من طبيعة ثقافة ودين أغلبية أهل المنطقة كما يدعي البعض[10].

[illegible] للكتاب لابد وأن تتأكد من قراءة في كتابات [illegible] عبر عصور الحضارة العربية الإسلامية، وليس لنقطة الفتوح فقط، كما سيرد لاحقا في هذا المحور ومحاور أخرى.

٢- نموذج من كتاب "الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سراييفو":

يُقدم الكتاب جانبا من تاريخ الفتوح العثمانية في البلقان، ومن مدخل تعارفي آخر يتصل بالناس خلال توالي الحروب العسكرية [illegible] منذ فتح كوسوفا الذي أكد الهيمنة العثمانية على المنطقة وحتى الحروب البلقانية التي صفت الحكم العثماني في البلقان (١٩١٢-١٩١٣). والمدخل التعارفي الذي يقدمه المؤلف هو مدخل فريد ألا وهو تاريخ المدن [illegible] تتغير بتغير القوة المسيطرة، عثمانية كانت أو

---

(9) المرجع السابق، ص[illegible]

(10) انظر أعمال مؤتمر مسيحيو الوطن العربي: التاريخ، الدور، المستقبل (١٦-١٨ سبتمبر ٢٠١٠)، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة (تحت الطبع)

[illegible] بلغراد إلى سراييفو، دار [illegible]، عمان، ١٩٩٢

محرقة تحررية [illegible] وهو التعبير الذي يعكس الفارق بين نموذجين حضاريين متقابلين انعكسا ليس على نمط الحروب فقط ولكن على نمط إدارة العمران أو تخريبه في ظل تسامح أو تعصب، وذلك خلال فترة ما بعد حروب [illegible].

ويلاحظ المؤلف في مقدمته [illegible] يفصله الكتاب من دورات ازدهار ودورات ارتداد للمدينتين في إطار التعاقب من الحكم العثماني إلى [illegible].

ويقول المؤلف في هذا عن بلجراد[13]: "خلال الحكم العثماني الطويل (١٥٢١-١٨٦٧)، وخاصة في الفترة الأولى (١٥٢١-١٦٨٩)، توفر الاستقرار لهذا الموقع وتحولت بلجراد من قلعة [illegible] إلى واحدة من أكبر المدن في أوروبا الشرقية [illegible] [illegible] جديدة ازدهرت كنموذج للمدينة الإسلامية وشكلت نموذجًا حضاريًا متقدمًا [illegible] المتوسط الأوروبي. ومع هذا الازدهار، الذي صاحبه نمو المدن الأخرى في البلقان في ظل الحكم العثماني، امتدت حدود الشرق غربًا حتى أصبحت مدينة بلغراد "بوابة الشرق" بالنسبة للأوروبيين الغربيين الذين كانوا يشعرون عند وصولهم إلى بلغراد بعبورهم إلى الشرق. وبعد هذا الازدهار، الذي أصبحت فيه بلغراد تشبه بدمشق، جاءت حرب الاسترداد لتقضي على بلغراد تدريجيًا كرمز للنموذج الحضاري الشرقي الإسلامي في أوروبا. وهكذا، باستثناء الجامع الوحيد الذي بقي في المدينة بعد أن كان عدد الجوامع يتجاوز المئتين، تبدو بلغراد الآن مدينة أوروبية حديثة لا تمت بصلة إلى تراثها الحضاري السابق".

وتحت عنوان "سراييفو: دار الجهاد [illegible]" [illegible] الثاني من كتابه، ويبين التشابه بين بلجراد وسراييفو باعتبار كل منهما نموذجًا للتطور العمراني الفريد الذي حصل في البلقان خلال العصر العثماني[14]:

"وكان هذا التطور العمراني الفريد تعبيرًا عن حضارة جديدة (الحضارة الإسلامية)، ولذلك فإن كلًا من بلغراد وسراييفو تحولت إلى مركز من مراكز هذه الحضارة المتميزة بالملامح العمرانية والتعايش والتسامح والإبداع الجديد في مجال التأليف بلغات جديدة لم تكن معروفة كالعربية والتركية والفارسية.

ومع هذا التشابه، كما قلنا، بين بلغراد وسراييفو لدينا هناك نوع من الترابط أيضًا في المصير. فبعد أن أصبحت عاصمة صربيا، عايشت بلغراد أولًا ما يسمى الآن "التطهير" [illegible] [illegible] [illegible].

وعندما أصبحت بلغراد عاصمة يوغوسلافيا (١٩١٨) وجد المسلمون في [illegible] في وضع [illegible] تعرضوا لمجازر دموية وحوصروا بالشعارات والمقالات الصحفية التي تطالبهم بالهجرة [illegible] إلى "الدين القديم" (المسيحية). مع أن البوسنيين المسلمين، كما نرى في الفصول [illegible] العقلية التي لا تفهم إلا في "التهجير" و"التطهير" بقيت كامنة وتنتظر الفرصة [illegible].

إن نموذجي كل من بلجراد وسراييفو التاريخيين يعكسان نمطًا من التعارف الحضاري في مقابل نمط من التعارف الاستعلائي الاستئصالي. وهو نمط يمتد عبر التاريخ وتجسد في شكله المعاصر بعد نهاية الحرب الباردة في مأساة حروب الإبادة والتطهير ضد البوسنيين [illegible].

[illegible] القوقاز ضد شعب الشيشان بعد تفكك [illegible].

ولقد سبق وتعرض هذا الشعب بدوره [illegible] الروسية والسوفيتية وبعد أن أحكم القياصرة الروس هيمنتهم على القوقاز في منتصف القرن التاسع عشر، بعد صراع على الصمود مع [illegible].

كل هذه الحلقات من الاسترداد الروسي، ومن الاسترداد الصربي والجوري، لا تقارن بالاسترداد الأكبر في الأندلس.

٣- الاسترداد في الأندلس

وقد تم عبر حلقات متتالية تدعمت خلالها قوة قشتالة وأرجون ووحدتهما في مقابل [illegible] وتزايد موالاتهم وتحالفهم مع أسبانيا ضد بعضهم بعضًا [illegible] إطالة أمد عدم السقوط، الذي أضحى حتميًا، وخاصة مع انتفاء النصرة وفشل ما قدم منها.

ولقد شهد الاسترداد عدة مراحل: ابتداء من الحروب الصليبية في الأندلس (٦٢٥هـ-٨٩٨هـ) [illegible] وصولًا إلى إجبار المسلمين على التنصر ثم إجبارهم على ترك لغتهم العربية وكل مظاهر الحياة والسلوكيات العربية والإسلامية وإخضاعهم لمحاكم التفتيش[15].

[illegible] الحضاري الذي ازدهر في خبرة الأندلس مؤسسًا حضارة قد تحول إلى نمط آخر [illegible].

يتبع

(١٢) المرجع السابق، ص١١-١٣
(١٣) المرجع السابق، ص١٢
(١٤) المرجع السابق، ص١٤٢

[illegible]

من ركائز الوحدة الوطنية:

التعايش الاجتماعي للمسلمين مع غير المسلمين

للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

[illegible] المسلمون مع غير المسلمين فوق أرض [illegible]

وكانت هذه الأصول متمثلة في البر [illegible]

[illegible]

جعل الإسلام التعايش الاجتماعي بين [illegible]

[illegible] لابد أن يكون الجدال بالتي هي أحسن حتى تظل جسور التواصل والتعاون قائمة فقال الله تعالى:

[illegible]

(العنكبوت ٤٦)

[illegible] بالمسلم، فعلى المسلم أن يجيره وأن يبلغه [illegible]

[illegible]

(التوبة ٦)

ومن أوجه التعايش الاجتماعي إباحة زواج [illegible]

[illegible]

ومن أوجه التعايش الاجتماعي ما فعله رسول الله ﷺ حيث عامل أهل خيبر وهم يهود [illegible] في الزرع والغرس والثمر، وقد ابتاع رسول الله ﷺ [illegible] درعه فهذه تجارة مع اليهود ومعاملتهم جائزة»[1].

وها هو ذا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: «أهديتم لجارنا اليهودي، سمعت النبي ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

ومن نماذج التعايش أيضا تقدير الرسول ﷺ [illegible] ولجنائزهم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: «كان سهيل بن حنيف وقيس بن سعد [illegible] فقاما، فقيل لهما إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا»[3].

بل بلغت سماحة التعايش الاجتماعي للمسلمين مع غير المسلمين مبلغاً سمح لوفد نجران بدخول المسجد النبوي وأداء شعائرهم فيه، لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم».

ولم يقتصر هذا التسامح على حال دون أخرى بل رأينا توجيهات الإسلام تنهى حتى في الحروب عن الغدر والتمثيل، عن بريدة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من

(1) [illegible]
(2) رواه البخاري ومسلم
(3) رواه البخاري ومسلم

[illegible] في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا [illegible][1].

وقد شهدت [illegible] المسلمين وغيرهم وشهدت دفاع المسلمين [illegible] تيمية - رحمه الله - حين تغلب التتار على الشام، وأسروا جماعة من المسلمين وأهل الذمة، ذهب إلى حاكمهم، وكلمه في إطلاق سراح الأسرى فأطلق أسرى المسلمين ومنع أسرى أهل الذمة فأبى [illegible]

كما حمى الإسلام أموال غير المسلمين، [illegible] نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير».

[illegible] تلك الحادثة التي أخذ فيها الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك كنيسة يوحنا وأدخلها في المسجد الأموي فلما استخلف [illegible] أساس أن يعوضوا بما يرضيهم[2].

ويؤكد ولاة أمر المسلمين على الوصية بأهل الذمة مهما حدث، فها هو ذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - برغم ما [illegible] أبو لؤلؤة المجوسي الذي أصيب بسبب ضربته، فمع هذا كان عمر - رضي الله عنه - وهو في لحظات حياته الأخيرة يقول: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا أن يوفي بعهدهم وأن يقاتل [illegible]

وبهذا التوجيه الإسلامي العظيم، وعلى [illegible] الاجتماعي للمسلمين مع غير المسلمين [illegible]

وهذا التعايش المتسم بالتسامح يستوجب على غير [illegible] للمسلمين، وخاصة للأقليات الإسلامية بمثل هذا الأسلوب المتميز المتسامح العادل، حتى يعيش العالم في سلام عالمي وتعايش سلمي، فآدم عليه السلام هو والد الجميع وحواء هي الأم

﴿ [illegible] شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

[illegible] ١٣

---

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي

(٢) فتوح البلدان (١٠١)

احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية

واحترم الإسلام جميع الأديان السماوية، وأرسل الله تعالى سيدنا محمدا ﷺ [illegible] الرسل الذين كانوا قبله، وأنزل الله تعالى على رسوله القرآن الكريم تبيانا لكل شيء، ومصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وحارسا أمينا لها.

[illegible] الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] ٢٨٥

[illegible] إن إيمان المؤمن لا يكون صحيحا إلا إذا [illegible] أنزله الله تعالى عليهم من الكتب السماوية الصحيحة، قال الله تعالى:

﴿ [illegible] نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

البقرة: ١٣٦

[illegible] الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، فلا يكون لديه تعصب، ولا [illegible] كراهية ولا حقد على أحد من أتباع الأديان الأخرى.

ووضح القرآن الكريم لأتباعه ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل، من اختلاف الناس في عقائدهم وأجناسهم وألوانهم [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

هود: ١١٨، ١١٩

وقال جل شأنه:

﴿ [illegible] ﴾

يونس: ٩٩

ولا [illegible] على أحد، ولا [illegible] أحدا على الدخول في عقيدته، قال الله تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ [illegible] ﴾

البقرة: ٢٥٦

موقف الإسلام من غير المسلمين

من المعروف أن الإسلام هو دين السلام، لا يأمر بالحرب إلا في حالة الضرورة القصوى التي تستدعي الدفاع والجهاد في سبيل الله، ومع مشروعية الجهاد في سبيل الله، دفاعا عن الدين والعقيدة والأرض والعرض، فإن الحرب في الإسلام لها حدود وضوابط. وللمسلمين أخلاقهم التي يتخلقون بها حتى في حروبهم مع من يحاربهم من غير المسلمين، فأمر الإسلام بالحفاظ على أموال الغير، وبترك الرهبان في صوامعهم دون التعرض لهم، ونهى الإسلام عن الخيانة والغدر والغلول. كما نهى عن التمثيل بالقتلى وعن قتل الأطفال والنساء والشيوخ وعن حرق النخيل والزروع وقطع الأشجار المثمرة.

وأوصى أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - أسامة بن زيد عندما وجهه إلى الشام بالوفاء بالعهد وعدم الغدر والتمثيل. وعاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرا ولا يمنعهم من أن يضربوا نواقيسهم ولا يخرجوا صلبانهم في يوم عيدهم.

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رحيما بغير المسلمين من أهل الكتاب، وكان ينصح سعد بن أبي وقاص عندما أرسله في حرب الفرس بأن يكون في حربه بعيدا عن أهل الذمة، وأوصاه ألا يأخذ منهم شيئا لأن لهم ذمة وعهدا، كما أعطى عمر - رضي الله عنه - أهل إيلياء أمانا على أموالهم وكنائسهم وصلبانهم وحذر من هدم كنائسهم. وأمر الإسلام بحسن معاملة الأسرى وإطعامهم، قال الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

(الإنسان: ٨)

ولقد كانت معاملة الإسلام كلها خير في أسرى غزوة بدر الكبرى عاملهم النبي ﷺ خير معاملة فوزعهم على الصحابة وأوصاهم أن يحسنوا إليهم فكانوا يؤثرونهم على أنفسهم في الطعام وفي الغذاء، ولما استشار أصحابه في شأن أسرى بدر، وأشار البعض بقتلهم وأشار الآخرون بالفداء، وافق على الفداء وجعل فداء الذين يكتبون منهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان هذا أول إجراء لمحو الأمية.

ولم يقبل الرسول أن يمثل بأحد من أعدائه في الحروب مهما كان أمره، ولما أشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو لأنه كان يحرض على حرب المسلمين وعلى قتالهم، فأشير عليه أن ينزع ثنيتيه السفليتين حتى لا يستطيع الخطابة بعد ذلك. لم يوافق النبي ﷺ على ذلك، بل رفض قائلا: لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا. وعندما حقق الله تعالى لرسوله ﷺ أمنيته بفتح مكة المكرمة ودخلها فاتحا منتصرا ظافرا قال لقريش: ما تظنون أني فاعل بكم؟، قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي ولكم.. ومن توجيهات الإسلام للمسلمين في الحرب:

١- أن يكون القتال في سبيل الله.

٢- وأن يكون القتال لمن يقاتلون المسلمين.

٣- وعدم الاعتداء.

قال الله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

(البقرة: ١٩٠)

فالذين يعتدون على المسلمين ويقاتلونهم أمر المسلمون أن يقاتلوهم. ولكنه قتال عادل بمعنى ألا يمثلوا بأحد وبلا تعذيب، حيث قال الله تعالى:

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

(البقرة: ١٩٤)

وهذا فيمن يقاتلون المسلمين.

أما الذين لا يقاتلون من غير المسلمين، فكان النبي ﷺ ينهى عن قتالهم، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة»[8]. وفي حديث آخر: «سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا وتقتلوا وليدا»[9].

كما كان ينهى ﷺ عن التعرض للرهبان وأصحاب الصوامع وعن التمثيل والغلول، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تعتدوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»[10].

---

(٨) رواه أبو داود.

(٩) رواه ابن ماجه

(١٠) رواه ابن ماجه

وسائل انتشار الإسـلام في إفريقيا (٥)

للأستاذة الدكتورة حورية توفيق مجاهد
أستاذ العلوم السياسية، جامعة القاهرة

منظمة المؤتمر الإسلامي (*):

وهدفها دعم التضامن الإسلامي وزيادة التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعلمية والسياسية. ومقرها حاليا في قطر. وقد نشأت المنظمة بموجب قرار قمة رؤساء الدول الإسلامية في الرباط (المغرب) من ٢٢ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م.

ويلاحظ أن الدول الإفريقية عامة تمثل نصف عدد دول المؤتمر الإسلامي فهناك دول ليست إسلامية ولا يمثل الإسلام غالبية سكانها ولكنها منتمية للمؤتمر الإسلامي.

كما نتضح أن عدد الدول الإفريقية في منظمة المؤتمر الإسلامي وصل في سبتمبر ٢٠٠١ إلى ٢٧ دولة من مجموع أعضاء المنظمة الذي يصل إلى ٥٧ عضوا[١]، أي أنها تمثل ما يقرب من نصف الأعضاء بالإضافة إلى مراقب واحد (جمهورية إفريقيا الوسطى) من مجموع ثلاثة مراقبين.

وكان عدد الدول الإفريقية المؤسسة في المنظمة ١٣ دولة من مجموع ٢٥ دولة مؤسسة وهي: الجزائر، والسنغال، والسودان، والصومال، والمغرب، والنيجر، وتشاد، وتونس، وغينيا، وليبيا، ومالي، ومصر، وموريتانيا.

ثم توالى انضمام الأعضاء كالتالي[٢]:

سيراليون (١٩٧٢)، أوغندا وجابون وجامبيا وغينيا بيساو (١٩٧٤)، بوركينا فاسو والكاميرون (١٩٧٥)، وجزر القمر (١٩٧٦)، وجيبوتي (١٩٧٨)، وبنين (١٩٨٢)، ونيجيريا (١٩٨٦)، وموزمبيق (١٩٩٤)، وتوجو (١٩٩٧)، وأخيرا كوت ديفوار (٢٠٠١).

وبنظرة على لغة الأرقام نلاحظ أن نحو من ٥٠٪ من الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي في دول إفريقية (بما فيها دول الشمال الأفريقي)، من بينها دول لا يمثل المسلمون بها أكثرية بل أقلية ومع ذلك عضو بالمنظمة الإسلامية من ذلك بوركينا فاسو (٤٠٪)، سيراليون (٣٩٪)، وغينيا بيساو (٣٠٪)، الكاميرون (٣٠٪)، أوغندا (٢٩٪) والجابون التي يصل عدد المسلمين بها إلى نحو (١٪) فقط وإن كان رئيسها عمر بونجو قد دخل الإسلام.

وهناك دول أدخلت صفة الإسلام ضمن اسم الدولة وهي «جمهورية جزر القمر الفيدرالية الإسلامية»، و«الجمهورية الإسلامية الموريتانية».

كما أن هناك العديد من الدول التي تعتبر الإسلام الدين الرسمي للدولة، فبالإضافة للدول العربية الإفريقية (تونس، جيبوتي، السودان، والصومال، وليبيا، ومصر، والمغرب، وموريتانيا، وجزر القمر) هناك (تشاد، والسنغال، وغينيا، ومالي، والنيجر). وهناك دولة طبقت الشريعة الإسلامية وجعلتها المصدر الوحيد للتشريع وهي السودان، وأخرى طبقتها ضمن ولاياتها الشمالية وهي نيجيريا. وإن كانت تلك التجارب مازالت حديثة حتى يمكن الحكم عليها.

رابطة العالم الإسلامي:

وهي منظمة إسلامية عالمية غير حكومية. تأسست بموجب قرار المؤتمر الإسلامي في دورته الأولى بمكة المكرمة في ١٤ إلى ١٦ ذي القعدة ١٣٨١ هـ موافق من ١٨ إلى ٢٠ مايو عام ١٩٦٢ أثناء موسم الحج ذلك العام، والذي نص على تكوين هيئة إسلامية مقرها مكة المكرمة

(*) الإحصاءات أو البيانات الواردة قد لا تكون معبرة عن الوضع الحالي.

(١) لمزيد من المعلومات عن ميثاق المنظمة، وأعضائها ومؤسساتها وأجهزتها انظر

organization of the Islamic Conference. Jeddah: Marawa Advertising. N. D

http: [illegible]

(٢) لمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم (٢)

خدمة الإسلام والمسلمين. وقد صدر القرار بأهداف الرابطة ووسائل تخفيفها وأجهزتها العاملة وميزانيتها وشبكة اتصالاتها ومكاتبها في العالم.

وأقر نظام الرابطة رسمياً في المؤتمر الإسلامي في ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٧ أبريل عام ١٩٦٥.

وتتضمن الرابطة مؤسسات على رأسها المؤتمر الإسلامي العام الذي يمثل أعلى هيئة تشريعية باعتباره أعلى سلطة في الرابطة ثم المجلس التأسيسي ويتكون من ٦٢ عضواً لا يتقاضون رواتب ويتولى رسم سياسة الرابطة بما يكفل تحقيق الأهداف. أما الأمانة فتمثل الجهاز التنفيذي وقد بلغ عدد موظفيها نحو ٤١٠ في المملكة العربية السعودية، وخارجها ٢٣١، بالإضافة إلى ألف مبعوث.

هذا وتنتشر مكاتب الرابطة في الأنحاء المختلفة للعالم وقد وصل عددها إلى ٣٣ مكتباً نصفها في إفريقيا وحدها حيث توجد مكاتب للرابطة في كل من: إثيوبيا، أوغندا، الجابون، السنغال، الصومال، الكونغو، بوركينا فاسو، بوروندي، تنزانيا، جزر القمر، جنوب إفريقيا، سيراليون، كينيا، موريشيوس، نيجيريا، موريتانيا، زائير[6]

أهداف الرابطة:

وقد تحددت الأهداف في تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ودحض الشبهات عنه والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد بها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتفريق وحدتهم، والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق صالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم».

وسائلها: أما الوسائل التي وضعت لتحقيق الأهداف فتتمثل في التالي[7]:

(١) «العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد الناطقة بالشهادتين.

(٢) الأخذ بمبدأ الشورى وتنسيق الجهود من أجل انتشار الدعوة الإسلامية وذلك عن طريق مؤتمرات لكبار علماء العالم الإسلامي.

(٣) التوعية الإسلامية أثناء موسم الحج عن طريق المحاضرات والندوات الإسلامية التي تنظمها الرابطة يومياً.

(٤) إقامة ندوة إسلامية عالمية في موسم كل حج بمقرها العام.

(٥) تنظيم التعارف بين وفود الحجيج بكل وسيلة ممكنة.

(٦) تشجيع ودعم الدعاة الإسلاميين في كافة أنحاء العالم للعمل على نشر الإسلام.

(٧) توزيع المصاحف بقراءتي حفص وورش وتراجم معاني القرآن باللغات العالمية الحية وتلك السائدة في المناطق الإسلامية.

(٨) توزيع الكتب والمجلات الإسلامية بعدد كبير من تعميم الثقافة الإسلامية ونشر الدعوة.

(٩) تشجيع المؤسسات الإعلامية الإسلامية التي تخدم الدعوة الإسلامية وتشجيع النشر.

(١٠) ابتعاث وفود لجميع أنحاء العالم لدراسة مشكلات الأقليات الإسلامية بها ومساعدتهم.

(١١) تنسيق الجهود مع المؤسسات والمنظمات التي لها صلة بالرابطة ودعمها لخدمة الدعوة الإسلامية.

(١٢) تشجيع التأليف الإسلامي وشراء الكتب الإسلامية التي تشرح حقائق الإسلام.

(١٣) نشر التعليم الإسلامي بالإسهام في إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في الوطن الإسلامي ودعمها.

(١٤) العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة لتكون لغة التفاهم بين الجميع.

(١٥) العمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي من أية دعوات غريبة عن روح الإسلام.

(١٦) العمل على إغاثة المسلمين المتضررين من الكوارث والنكبات والحروب ورفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات الإسلامية.

(١٧) تدريب أبناء المسلمين وتعليمهم بمدهم بالمنح الدراسية والمعونات المالية والدورات التدريبية.

وقد قامت الرابطة بإنشاء العديد من المراكز الثقافية والدينية في إفريقيا منها مدارس أولية، ومراكز ثقافية إسلامية، ومراكز طبية، وأكاديميات إسلامية للعلوم والتكنولوجيا. ومستوصفات ومعاهد ومجمعات للشباب المسلمين وكليات إسلامية ومعاهد للدراسات القرآنية[8].

يتبع.

(٥) قرارات المؤتمر التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته السادسة عشرة، مجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد الثاني، السنة [illegible]

(٦) لمزيد من المعلومات انظر رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ عاماً ذو الحجة ١٣٨٢ ـ ١٤٠٧ هـ / مايو ١٩٦٢ ـ ١٩٨٧ م إنجازات ونشاطات، جدة، دار عكاظ للطباعة والنشر، د.ت

[illegible] ... تشاد، ... الصين، ماليزيا، كندا، إسبانيا، أستراليا، المملكة العربية السعودية، الولايات المتحدة الأمريكية، أمريكا الجنوبية والمكسيك. انظر دليل المنظمات والمؤسسات الإسلامية في العالم، السعودية، رابطة العالم الإسلامي، مركز المعلومات، ١٤١٣ هـ ص ٣٥١ ـ ٤٥٤. انظر أيضاً
http://www.arab.net/mwl/offices.htm 24/11/2002

(٧) المرجع السابق، ص ١٦ ـ ١٧

[illegible]

(٨) دليل المنظمات والمؤسسات، مرجع سابق ص ٣٥٣ ـ ٣٥٨



للأستاذ / عادل خفاجة

يتساءل المؤلف في هذا الفصل من الكتاب: هل حقق الاشتراكيون الثوريون العرب مجتمع الكفاية والعدل، الذى نصبوا أنفسهم لإقامته؟

وثمرات الخيبة يقول: لن نستدعى أحدا غير ثوري وغير اشتراكي، وغير تقدمي، فقد التزامنا أن يكون الشهود على الاشتراكية من أهلها.

وتسود الصفحات من ٢٣٠ حتى ٢٤٢ بالكثير من الفضائح التي يخلص المؤلف من خلالها إلى أن العدالة والفرص المتكافئة لجميع المواطنين لم تكن إلا وهما.

ثم يقارن بين حال العمال قبل التأميم وبعده، وينتهي إلى أن النقابات الممثلة للعمال تصل إلى أوج قوتها في نظام المشاريع الخاصة، وتفقد قوتها وتأثيرها في نظام التأميم، لتصبح آلة في يد النظام السياسي.

ثم يشير إلى أن وضع العمال في المشاريع الحكومية في أى بلد من بلاد العالم لم يكن ممتازا ولا حتى مساويا لوضعهم في المشاريع الخاصة.

الاشتراكية الثورية.. وتحرير فلسطين

ويؤكد المؤلف في هذا الفصل أن العرب في ظل الحكم العسكرى قد بعدوا عن حقهم أضعاف ما كانوا بعيدين عنه في عهود الحكم المدنى.

وأن الثغرات الأساسية والمباشرة، التي نفذت منها الهزيمة، كانت في نقائص النظم العربية التي تصدت للمواجهة ومساوئها، وفي تخاذل القيادات العسكرية البيروقراطية وترفها وترهلها وفسادها وفي إبعاد الجماهير عن المشاركة الجدية وعزلها عن تقرير مصايرها وعن فرص إرادتها على النظم، كل ذلك جاء ليقرر الهزيمة ويوقع النكسة.

وهكذا تتحمل الأنظمة الثورية الاشتراكية مسئولية الهزيمة الكبرى التي قصمت ظهر العرب، وحنت رؤوسهم، وأذلت أعناقهم منذ ١٩٦٧ حتى اليوم.

هكذا يلقى باللائمة على الأنظمة الثورية ويحملها مسئولية هزيمة ٦٧ ثم يقول:

ورغم مضى أكثر من أربع سنوات على الهزيمة، فإن الموقف يزداد سوءا.

إسرائيل تتصرف في كل الأراضي التي احتلتها تصرف المقيم فيها أبدا، تبنى مستوطنات في الجولان، وتقوم بحفريات وتغييرات متواصلة تغير بها معالم القدس العربية الإسلامية، وتحول عشرات الألوف من سكان غزة من مساكنهم إلى سيناء، وتبنى مستعمرات ومساكن في الأراضي العربية المحتلة.

ونحن مازلنا نحلم بحل سلمى يأتى عفوا صفوا، يرد إلينا بجرة قلم، ما احتله العدو بحد السيف، وكل أملنا وعملنا وتفكيرنا - معشر الثوريين العرب - هو طرد إسرائيل من المناطق الجديدة التي احتلتها، أى إزالة آثار عدوان ١٩٦٧، وعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه في ٤/٦/٦٧:

معنى هذا أن حوالى ٢٠ سنة من عمر الأمة العربية قد ضاعت كلها هباء، فقد قضيناها في التأهب والاستعداد بعد هزيمة ١٩٤٨، ثم نحن هذا كله في ستة أيام أو ست ساعات في ١٩٦٧!



القرضاوى

لماذا فشل الثوريون الاشتراكيون؟

ثم يواصل المؤلف رصد مجالات الفشل التي منى بها الثوريون فيطرح السؤال الأكبر: لماذا فشلت الاشتراكية الثورية العربية؟ ثم يتناول بالتفصيل العديد من مجالات الفشل بعد أن تساءل: لماذا فشلت في تحقيق كل من الوحدة، والحرية والعدالة الاجتماعية والنصر والتقدم، ولماذا فشلت في حرب ٦٧، ولماذا فشلت في إشاعة القيم والفضائل الخلقية؟

أما عن الوحدة، فيرى المؤلف أن وحدة الهدف وحدها لا تكفى ما لم تصحبها وتمهدها وحدة أخرى هي وحدة المنهج ووحدة الطريق. يقول المؤلف:

قد يتفق فريق من الناس على غاية واحدة، ولكن يتحدون للوصول إليها مناهج عدة، وسبل شتى.

ولهذا نجد الاشتراكيين مختلفين في مناهجهم وطرائقهم، ما بين متخذ طريق الروس، وبين متبع سبيل الصين، وبين مقتف أثر يوغوسلافيا، ومن ناهج نهج كاسترو-

وكذلك يختلفون في سياستهم الخارجية ما بين موال لبكين أو دائر في فلك موسكو، وآخر لا يفرط في حبال الغرب. وكل حزب بما لديهم فرحون.

أما من اتخذوا الطريق الإسلامي، والمنهج المحمدي، فهم أولى الناس أن يلتقوا في بدايته وفي وسطه وفي نهايته. وصدق الله العظيم إذ يقول:

«[illegible]»

(الأنعام ١٥٣)

ويشير المؤلف إلى أن الآفة الكبرى في هذه الأفكار الدخيلة وهذه الحلول المستوردة، إذ يأسى على هذه الحال التي يعيشها العرب وهذه الفرقة التي تشتتهم في حين يتقارب العالم ويتعايش المتعارضون. حيث يتم التقارب بين المسيحية واليهودية برغم تاريخ النزاع الطويل بينهما، ويتم التقارب على الصعيد السياسي بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي. أما العرب فيزدادون اختلافا.

يقول المؤلف: كل هذا التقارب والتفاهم والتعاون يحدث في العالم كله من شرقه إلى غربه، في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد. والعرب وحدهم، يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، بل يقاتل بعضهم بعضا، ببركات «الإيديولوجيات» المستوردة، والأفكار الدخيلة، التي جعلت الشعب العربي الواحد، فريقين متعارضين حتما - وفقا للفكر الطبقي الذي تتبناه،

وحمل بعضهم فكرة ضرورة قيام حرب عنيفة بين العربين: عرب اليمين وعرب اليسار، أو على الأصح: بينهم - معشر الثوريين، وبين سائر العرب، وهي حرب «لا تدانى قسوتها قسوة الحروب الخارجية مع الأعداء الألداء» بل اعتبر كل عربي ليس ثوري عدوا سافرا.

ويرى المؤلف أن فشل الإيديولوجية الثورية كامن في طبيعتها وليس في ظروف طارئة عليها كما يحاول سدنة الحكم الثوري تفسير ذلك الفشل.

ويتساءل: هل آمن الثوريون العرب بأن الكرامة والحرية والمساواة حقوق طبيعية لكل إنسان؟ ولكل فرد، ولكل مجموعة من أبناء الوطن؟ وهل آمنوا بأن الفئة الثورية ليست فوق الأمة؟ وأن الحق يجب أن يكون فوق القوة؟

يقول المؤلف: وما أعظم الإيديولوجية الإسلامية التي تعلم الناس كافة أن «الدين النصيحة»، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الدين. وأن «التواصي بالحق» من أسباب النجاة من الخسران، وأن على المسلم أن يقول الحق وإن كان مرا. لا يخاف في الله لومة لائم. وأن عليه أن يغير المنكر بيده فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

وتتحقق الحرية في ظل إيديولوجية تؤمن بالأخوة والمساواة بين البشرية فلا طبقية ولا امتياز. ولا تسلط من أحد على أحد.

لا توجد طبقة أعلى من طبقة، ولا امتياز لفئة على فئة، ولا لأسرة على أسرة. ولا لقلة على كثرة. ولا لحاكم على محكوم. الجميع عبيد لرب واحد. وأبناء لأب واحد فلا معنى لأن يستعلي أو يتسلط بعضهم على بعض، ويتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله.

ولهذا يرتبط معنى الحرية بمعنى الإخاء والمساواة فمن لا يؤمن بهما، وإنما يؤمن بصراع طبقي حتمي، أو يؤمن بامتياز فئة صغيرة من الناس على مجموع الأمة. أو يؤمن بأن مجموعة من أبناء الأمة يجب أن تحرم من الحرية أو يؤمن بأن الحاكم فوق النقد. وأن «الطليعة» أو «النخبة» المؤيدة له فوق الشعب، فقد هدم الحرية من أساسها.

لماذا فشلوا في تحقيق الكفاية والعدل؟

وفي معرض حديثه عن الكفاية والعدل، يرى المؤلف أن هناك ستة شروطا لتحقيق النمو والتقدم نلخصها فيما يلي

١- أن ترتبط الأمة برسالة أو هدف كبير تؤمن به وتعمل على تحقيقه وتضاعف جهدها في سبيله

٢- أن النمو والتقدم والإنتاج لا يتحقق بالفعل إلا في ظل مجموعة حتمية من الأخلاق والفضائل مثل: الأمانة والصدق والإخلاص والاتقان. والصبر والجد والاستقامة والعفة وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وتقديم الكفء ولو كان خصما ومعارضا على غير الكفء ولو كان وليا ونصيرا وهذه الفضائل وغيرها من ثمرات الإيمان الصحيح.

٣- أما الشرط الثالث فهو العدالة، فلابد أن تسود العدالة مع الأخلاق.

٤- ورابع هذه الشروط الأمن والحرية لأن الخائف لا ينتج وإذا أنتج فلا يحسن، وكذلك المكره.

٥- وخامس هذه الشروط الاستقرار، أي استقرار النظام، واستقرار الاتجاه، واستقرار القوانين الأساسية. حتى يستطيع كل إنسان تكييف آماله ومشروعاته وتصرفاته وفقا لها.

٦- أما الشرط السادس والأخير: أن تكون السيادة للعقل لا للعواطف والأهواء، وأن تكون كلمة العلم فوق كلمة «السياسة».

لماذا فشلوا في حرب ١٩٦٧

يحشد المؤلف العديد من أقوال الثوريين والاشتراكيين وتبريرهم للشقاق القائم بين الدول العربية في ظل هذه الأيديولوجية الثورية

وعن أسباب هزيمة ٦٧ ينقل المؤلف ما قاله الأستاذ هيكل في الأهرام في شهر أكتوبر ١٩٦٧، ونحن بدورنا نقدمها للقارئ إذ يقول:

الحقيقة الأولى: أننا كنا نواجه عدوا تلقى مساعدات غير عادية.

الحقيقة الثانية: أن عدونا تصرف فيما حصل عليه من الإمكانيات ببراعة غير عادية.

الحقيقة الثالثة: أننا تصرفنا أمامه بقصور غير عادى.

إن الضربة التى فاجأتنا كانت متوقعة بالطريقة التى جاءت بها تقريبًا وفى الوقت الذى جاءت فيه تقريبًا أيضًا

ولكن الفشل من توقيها كان منعلاً!

لماذا فشلوا فى مجال الأخلاق؟

ويعيب المؤلف كبد الحقيقة حين يقرر أن القيم والفضائل لا تسود مجتمع، ولا تنبع فى حياة الناس ولا تحط محراها فى سلوكهم العام والخاص، بالأوامر العسكرية، ولا بالقرارات الثورية. ولكنها تحتاج إلى تربة صالحة تنمو فيها بذورها، وترسخ جذورها، وتمتد فروعها وتزهر غصونها وأوراقها

وأن أول ما يحقق هذه التربة هو «العقيدة الصالحة» التى ترجع إليها أخلاق الأمة وينبثق عنها سلوكها.

وإنه يجب على كل مجتمع حريص على الأخلاق أن يعمل على إزالة المظالم، وإقامة الموازين القسط بين الناس؛ لأن التمييز بين الناس يورث التحاسد بينهم.

وفى الفصل الأخير من هذا الكتاب يخلص المؤلف إلى القول إن الخطأ الأكبر للاشتراكيين الثوريين هو نفسه الخطأ الأكبر الذى سقطت فيه الليبرالية العربية وهو أنهم كانوا يقودون أمة لا يعرفون حقيقتها، ولم ينفذوا إلى روحها وحقيقة أفكارها ومشاعرها.

لقد نسى أو تناسى أولئك الثوريون اليساريون، كما نسى قبلهم الليبراليون اليمينيون أنهم يبغون علاجًا وحلولا لأمة مسلمة أرفع قيمة عندها هى «الإيمان»، وأسمى غاية عندها هى «رضا الله»، وأجل كتاب تهتدى به هو «القرآن الكريم»، وأعظم إنسان تقتدى به هو «محمد» ﷺ.



محمد حسنين هيكل

فكيف يستقيم الأمر لأمة عربية ذات رسالة ماركسية؟ وينتهى المؤلف إلى أن أمتنا ليست بحاجة إلى الاستيراد وأن الإصلاح الحقيقى والجذرى، والتغيير الثورى حقا هو رد الأمة إلى أصولها وإلى منابعها وإخراجها من ذلك التيه الطويل

وبعد..

فقد قدم المؤلف القدير كتابًا مقنعًا، لا يعوزه البرهان على ما يقول، ولا ينقصه الدليل على ما قدم.. وأفضل ما فيه أنه أعطى الثوريين الاشتراكيين والليبراليين مساحة كبيرة من الكتاب نقل فيها أقوالهم وعرض اختلافاتهم، كما نقل ما باحت به أفواههم من خزايا، وما تدفقته ألسنتهم من فضائح

غير أن القارئ يقف أمام إصرار المؤلف على ترديد كلمة «الفشل» فى كل أنحاء الكتاب، وإصراره على أن يجعلها عاملا مشتركا فى عشرة عناوين من جملة عناوين فصول الكتاب البالغة خمسة عشر عنوانًا.

إن القارئ ليضيق بهذا الكم من الفشل الذى يتكلم عنه مؤلف رأى حتى له لأدلة الدامغة على حدوثه فعلا

وكم كنا نأمل أن يعمد المؤلف إلى بعض مجالات النجاح ولو كانت نجاحات قليلة أو هزيلة؛ حتى يخفف عن القارئ كم الضيق الذى أصابه.

وللحق.. فإن المؤلف - القدير - قد أدرك ذلك فتجده يلتمس لنفسه العذر - فيقول فى خاتمة الكتاب:

«وكل ما أرجوه من أنصار الحل الليبرالى، أو الحل الاشتراكى، أن يقرأوا كتابى بعين المنصف لا بروح المتهم، وأن يفتحوا صدورهم، لما فيه من نقد قد يشتد ويقسو فى بعض الأحيان، ولكن عذرى أن الأمر يتعلق بدين ورسالة وبمصير أمة ومستقبل حضارة. كما أن تجبر الجاهلية، وصلف الحنق على دعاة الإسلام، ورفضها لكل لغة للتفاهم إلا للسياط تلهب، وللسيران تكوى، وللمشانق تقتل، وافتراءها على البراء المعيب كل هذا جعلنا نتحدث ونكتب بحرارة المظلوم، ومرارة المكلوم، ومن حق الملدوغ أن يتأوه، ومن حق الثكلى أن تبكى. وقديمًا قالوا: ليست النائحة كالثكلى!

إن مرارة المكلوم وحرارة المظلوم لم تفارق المؤلف حين يأسى ويأسف على وصل إليه حال الأمة، فيقول: لقد دخلنا جحر العرب مرة فلدغتنا عقرب الليبرالية.

ثم دخلناه مرة أخرى فلدغتنا أفعى الاشتراكية

ولو كنا مؤمنين حقًا ما لدغنا من الجحر الواحد مرتين.. لكن ضعف إيماننا، فتكرر لدغنا.

والمؤمن حقًا لا يلدغ مرتين ولا نعتبر.. وكأنما نريد أن نبقى الدهر فى جحر العقارب والأفاعى!

ولكن مع كل هذا الأسى والأسف فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، لذلك نراه يختتم هذا الكتاب بكثير من التفاؤل حيث قال:

بيد أنى أحس أن عهدًا جديدًا، يوشك أن يبزغ فجره على شعوبنا، بعد أن تكشف لها عوار الاتجاهات المستوردة يمينها ويسارها، غربيها وشرقيها..

وبعد أن تبينت هذه الاتجاهات على شخصيتها وعجزها عن حل مشكلاتها، وفلاسها فى تحقيق آمالها، وإثبات ذاتها

أجل أحس أن الفكر المستورد قد أخذ يفقد بريقه، وأن موجة الغلو «الثورى» قد بدأت تنحسر، وأن بلدًا كمصر العربية المسلمة بشعبها وبتاريخها، قد طفق يراجع نفسه، ويقترب من الوسط، ويتخلص من كثير من «العقد» التى كبلته طيلة سنوات مضت، لقد صدقت الأنباء، وصحت الاستنتاجات.

ونقول: لقد صحت استنتاجاتك.. أيها الشيخ الجليل.. وإن الدور القادم ليس لليمين ولا لليسار، ليس للحل الليبرالى ولا للحل الاشتراكى.. فكلاهما جرب حظه واستنفد وقته، وآن الأوان لحاملى «الحل الإسلامى» أن يؤدوا دورهم ونسأل الله أن يكونوا على قدر الأمانة.

التوثيق فى البحث العلمى أدبياته ومناهجه وقيمته ووظائفه

للأستاذ الدكتور/ خالد فهمى
كلية الآداب جامعة المنوفية

التثبت والتوثيق فريضة !

كان مما ظهر للناس من راى ان التثبت والتوثيق فريضة وضرورة بكل ما تعنيه هاتين الكلمتين.

وكان هذا الذى ظهر من راى حول التثبت والتوثيق ناتج تامل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا
أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(سورة الحجرات ٦)

وقد فهم أصحاب التفاسير الفقهية من هذه الاية ان الله يامر بالتثبت فى النقل. وهو ما يقرر القرطبى فى تفسيره الجامع لاحكام القران (الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة سنة ١٩٨٧م ج ١٦ ص ٣١٢): "انما امر فيها (اى فى الأية الكريمة) بالتثبت عند نقل خبر الفاسق . وهو ما يمكن توسيعه فى مجالات الحياة عموما والعلوم خصوصا. ليكون مطلب التثبت عند النقل خلقا ثابتا من اخلاقيات العلم. وضروراته.

وهذا الذى نقرره ثابت فى تراث احكام القران الكريم. بما هى تفاسير فقهية للذكر الحكيم. على ما يظهر من اقوال ابن عربى فى كتابه احكام القران (٤/١٧١٥) والجصاص فى كتابه احكام القران (٥/٢٧٨) ومحمد صديق حسن خان فى كتابه نيل المرام فى تفسير آيات الأحكام(٢/٣٦٩).

وتوسيع القول بضرورة التثبت والتوثيق له ما يؤكده ويدعمه ويعتمده من توفر فى اجواء المنهجية البحثية فى الحضارة الإسلامية من اقتران المعرفة بطلب الدليل. وهو الأمر الذى يلمح إليه الدكتور / محمد السيد الجليند فى مقالته (توثيق النص المخطوط ص ١٤٧) عندما قال إن النظر إلى التوثيق ومصطلحاته بما هما أمران دينيان بالمعنى الشائع يعد خطأ ظاهرا، ذلك أنه ينبغى أن نتعامل معها على أنها مصطلحات بالإضافة إلى كونها دينية فهى علمية منهجية أيضا.

والتوثيق فى البحث العلمى فى ضوء ما مر أصل وأساس لا يصح التهاون فى النظر إليه.

والتوثيق مصطلح قام فى بنية كثير من العلوم على امتداد التاريخ غير أنه صار أصلا فى علم المناهج وعلم المكتبات وعلم الوثائق والأرشيف حتى استقل عدد من المصنفات بسببه وبيان مناهجه وطرقه.

والتوثيق فى البحث العلمى مصطلح يتعلق بالتعامل مع المعلومات المعتمدة فى عمليات البحث العلمى والتأليف إثباتا، وتناولا فى ثنايا البحث أو فى نهايته فيما يظهر فى قوائم المراجع.

وهو بهذا المعنى ترجمة للفظ الإنجليزى citation، وقد ظهرت لهذا اللفظ مكافئات ترجمية متعددة، فترجم بالإسناد فى العربى إحالة عند الدكتور محمد أمين البنهاوى فى معجم المصطلحات المكتبية (ص ٨). وشاعت ترجمته بالمكافئ العربى "استشهاد مرجعى" عند الدكتور : ياسر يوسف عبد المعطى والدكتورة نريمان [illegible] فى معجمهما : معجم علوم المكتبات والمعلومات (ص٦٩).

واستعمال هذه الألفاظ أكثر دورانا من مصطلح التوثيق بما هو مكافئ للمصطلح الإنجليزى Documentation الذى يشيع استعماله فى مجال جمع المعلومات واختزانها وتنظيمها واسترجاعها وإتاحتها وبثها.

ويقرر علماء المكتبات والمعلومات استعماله أيضا فى مجال استعمال مصطلح الاستشهاد المرجعى، بما يجعله مرادفا له.

التوثيق تاريخ عريق وتنوع مزدهر

عرف تاريخ التصنيف فى الثقافة العربية بعد الإسلام التوثيق، وقدر قيمته، فيما ظهر من التنوع فى استعماله وتوظيفه

وقد نبه مؤرخو المناهج إلى هذا التاريخ العريق، فقد وقف مثلا فرانتز روزنتال فى كتابه (مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى) أمام عدد من عناصر التوثيق التى عرفها المسلمون فى تآليفهم فى العلوم المختلفة حيث أفرد الفقرات من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة من القسم الثانى للمسائل التوثيقية التالية

١- الإشارة إلى المراجع المقتبس عنها.

٢- علامة [illegible] الاقتباس

٣- مشكلة الهوامش (الحواشى).

٤- المحتويات والفهارس.

والحق يقتضى أن نقرر أن عددا من مؤلفات العربية ولا سيما فى مجال علم الحديث والجرح والتعديل والرجال [illegible]

هذه المسائل وبيان طرق إثبات المعلومات والإحالة على مصادر.

وقد كان هذا التاريخ العريق الممتد أثرا من آثار حرص الإسلام على طلب الدليل والحجة شرطا للعلم والتأليف، حتى استقر ذكر المصادر والإشارة إلى المراجع أصولا ثابتة في آداب التأليف عند العرب.

وقد تنوع تعامل القدماء مع المادة العلمية المثبتة في مؤلفاتهم داخليا، فظهرت طريقة الإحالة على المصدر بذكر مختصر له في نهاية المادة العلمية. وكان الغرض من هذا النوع من الإحالات أو الاستشهادات المرجعية تحقيق أمرين هما

أ- إثبات مصدر المنقول من المعلومات، توثيقا لها.

ب- الحكم على المادة المنقولة، وبيان درجتها صحة وضعفا

ومن أمثلة ذلك ما صنعه جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ في كتابه الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، حيث افتتحه بسرد قائمة لمصادر مادة كتابه وهي

خ = للبخاري في صحيحه. حم = لأحمد في مسنده

م = لمسلم في صحيحه. عم = لابنه عبد الله في زوائده

ق = للمتفق عليه منهما. ك = للحاكم في المستدرك.

د = لأبي داود. ك مقيدة = للحاكم في غير المستدرك.

ت = للترمذي. خد = للبخاري في الأدب المفرد

ن = للنسائي. تخ = للبخاري في تاريخه.

هـ = لابن ماجة. حب = لابن حبان في صحيحه.

٤ = للأربعة هؤلاء. طب = للطبراني في الكبير

٣ = لهم إلا ابن ماجة. طس = للطبراني في الأوسط.

طص = للطبراني في الصغير.

ص = لسعيد بن منصور في سننه. فر = للديلمي في فردوسه.

ش = لابن أبي شيبة في مصنفه. حل = لأبي نعيم في حليته.

ع = لأبي يعلى في مسنده. هق = للبيهقي في السنن

قط = للدارقطني في سننه. عد = لابن عدي في كامله.

قط مقيدة = للدارقطني في غير سننه. عق = للعقيلي في ضعفائه.

خط = للخطيب في تاريخه. خط مقيدة = للخطيب في غير تاريخه.

وقد اقترن بهذه الرموز المختصرة الدالة على المصادر التي نقل عنها أحاديث كتابه رموز أخرى للحكم على الحديث بدرجة صحة أو حسنا أو ضعفا إلخ

ومن الأمثلة التطبيقية الدالة على منهجية التوثيق والاستشهاد المرجعي الداخلي عند السيوطي ما يلي مما يظهر في التعليق على الأحاديث التالية:

أ- "إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضع في الأرض، فأفشوا السلام بينكم" (خد عن أنس (ح)). ومعنى هذا أن الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأنه حسن والحديث كما قال في الأدب المفرد باب: السلام (اسم من أسماء الله عز وجل، باب ٤٥١ حديث ٩٨٩ ص ٤٥٢).

ب- "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها" (م ت ن) عن عائشة (صح) ومعنى هذا أن الحديث أخرجه الترمذي والنسائي، وهو صحيح. والحديث كما قال في سنن الترمذي باب ٣٠٧ حديث ٤١٦ (٢/٢٧٢)

ج- "كان إذا رأى الهلال، قال: هلال خير ورشد، آمنت بالذي خلقك، ثم يقول: الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا، وجاء بشهر كذا" (د) عن قتادة بلاغا عن أبي سعيد (ح)؛ ومعنى هذا: أن الحديث أخرجه أبو داود، وهو صحيح. والحديث كما قال في سنن أبي داود باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال حديث رقم ٥٠٩٢ (٤/٣٢٧) وفيه حدثنا قتادة: "أنه بلغه" وهي العبارة التي ترجمها السيوطي بقوله: عن قتادة بلاغا، وهي دقة بالغة في بيان الاستشهاد المرجعي، وتوثيق النقل، وبيان حدوده.

وقد ظهر نوع آخر للتوثيق والإحالة والاستشهاد المرجعي في صدر المادة قبل إيرادها.

ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك ما صنعه ملك المحدثين، محمد طاهر الصديقي الهندي ت ٩٨٦هـ في كتابه (مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار)؛ وهو واحد من أهم المصادر اللغوية المعنية بشرح غريب القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، مما يعرف باسم معاجم الغريبين، التي ظهرت بسبب أصولي خادم للأصلين الأعليين عند المسلمين.

وقد ذكر المصنف مختصرات لمصادره في مقدمة معجمه كما يلي

نه = النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.

مع / در = للدر مختصر النهاية، للسيوطي.

قس / ق = لشرح البخاري للقسطلاني.

ك = لشرح البخاري للكرماني.

ن = لشرح صحيح مسلم، للنووي.

ط = شرح المشكاة، للطيبي.

وغير ذلك من مختصرات مذكورة في مقدمة مجمع بحار الأنوار (٤/١)، ومن أمثلة توثيقاته:

أ- (أل) نه، فيه: "عجب ربكم من إلكم وقنوطكم": الإل: شدة القنوط. ويجوز أن يكون من رفع الصوت بالبكاء والكلام في النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (أل) ١/٦١ بنص ما هنا تماما.

وقد سبق العلماء المسلمون ما وظفوه من هذه الطرق التوثيقية العلماء المعاصرون. فدرجة أن طريقة التوثيق التي اتبعها السيوطي وأشرنا إليها هنا طبقها التصنيف المعجمي المعاصر في الغرب، وهو ما يظهر جليا في الطريقة التي اتبعها (آدم جيسك) في معجمه لمصطلحات المخطوط العربي

ومن هنا نستطيع أن نقول إن تآليف عند العرب بعد الإسلاء على عناية تامة بالتوثيق، وتنوع في طرق توظيفه علميا للاقتباس والاستنباط العلمي. وقد سار التوثيق في اتجاهين: داخلي بالإحالة على المادة العلمية في متن الكتب، وخارجي بذكر مصادر المادة العلمية فيما يشبه قوائم المصادر في أول الكتب أو في آخرها في فصول أشبه بالملاحق.

التوثيق في البحث العلمي

في العصر الحديث

أدبياته ومنهجياته

وبعد رحلة طويلة في التراث المعرفي عند المسلمين، وبسبب مما أضاف إليه من الاطلاع على المنهجية البحثية في الغرب، تطور مبحث التوثيق أو الاستشهاد المرجعي في الحياة العلمية العربية المعاصرة، واستقل هذا المبحث بالتأليف والعناية إلى حد ما.

وفيما يلي عرض لأشهر الأدبيات المعاصرة التي توقفت أمام هذا المبحث، واعتنت به، وهو ما تجلى في صورتين أساسيتين هما:

أولا– العناية بالتوثيق والاستشهاد المرجعي في مؤلفات مناهج البحث:

أ– الفصل الخامس من كتاب (مناهج البحث العلمي: أسس وأساليب) للدكتور عمار بوحوش والدكتور محمد محمود الذنيبات، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، وهو بعنوان (أساليب توثيق المعلومات ص ١٤٠- ١٧٢.

ب– الفصل السادس من كتاب (مناهج وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية) للدكتور إبراهيم البيومي غانم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م بعنوان: أصول الاقتباس وقواعد التوثيق، ص ١٩١- ٢٣٠.

ت– جاء في كتاب (أسس البحث العلمي في ضوء التعديلات الواردة في APA6 للدكتور عادل عبد الله محمد، دار الدراسة) مبحث مطولا للتوثيق داخل المتن، ثم خصص الفصل الخامس كاملا لمعالجة التوثيق في قائمة المراجع.

ثانيا– العناية بالتوثيق والاستشهاد المرجعي في مؤلفات مستقلة.

أ– الدليل الإرشادي لصياغة الاستشهادات المرجعية في بيئة البحث العلمي التقليدية والرقمية، للدكتور محمد محمد النجار، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

ب–

The Bibliotheca Alexandrina Manual of style PartII: (Bibliographies & Reference lists

(إرشادات كتابة المصادر والمراجع والفهرسة العربية) وهو من تحرير وإشراف سهير وسطاوي وإعداد منار بدر ونيفين نور الدين ومشاركة أمنية فتح الله ومروة عثماني وهالة ربيع وهدير شادي، طبعة مكتبة الإسكندرية سنة ٢٠١٠م.

وفحص هذين العملين المستقلين يعكسان عددا من العلامات المهمة التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا– تنامي العناية بالتوثيق والاستشهادات المرجعية، لدرجة ظهور مدارس أو اتجاهات دولية متنوعة تعطي خريطة أنواع الاستشهادات المختلفة في سياق البحوث وفي خواتيمها.

ثانيا– اعتماد المحاولات المعاصرة في ميدان الثقافة العربية أكاديميا على المنجز العربي وحده وسط غياب كامل للمنجز العربي التراثي في مجال التوثيق الذي وصل إلينا من بيئة المحدثين، وعلماء أدب الكتابة والتأليف، وما طوره عدد كبير من المعاصرين في ميدان أصول تحقيق النصوص ونشر الكتب من العرب المعاصرين ممن صنف في هذا الميدان من أمثال: عبد السلام هارون ورمضان عبد التواب وبشار معروف وعبد المجيد دياب ومحمود الطناحي وغيرهم.

وعدم الاعتماد على المنجز العربي ترتب عليه على المنجز العربي التراثي والمعاصر معا حقق نوعا من الاغتراب في بعض تفصيلات الاستشهادات المرجعية.

ثالثا– ظهر تقدم رتبة العلم / أو المؤلف أيا ما كان مدخل ترتيبه ابتداء باسم العائلة، أو باسمه هو نفسه على حساب تأخر عنوان الكتاب مع أن المرجع أو المصدر هو المعول عليه في صناعة التوثيق تأسيسا.

وفيما يلي محاولة لعرض الأصول العامة التي عرض لها أصحاب هذين العملين المستقلين.

عرض محمد النجار لطرق توثيق المعلومات ومصادرها وفقا لأسلوب الجمعية الأمريكية لتعات حديثة، وروفقا لجمعية علم النفس الأمريكية، ووفقا لدليل جامعة شيكاغو، اقترح منهجية لتوثيق المصادر المتاحة على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

على حين عرضت محاولة مكتبة الإسكندرية لطرق توثيق المراجع والمصادر كما يلي:

أ– توثيق الكتب لمؤلف واحد، أو لمؤلفين أو لثلاثة مؤلفين، أو لأكثر من ثلاثة مؤلفين، أو لمؤلف هو مؤسسة أو هيئة، أو عند غياب مؤلف.

وتوثيق الكتب التي تحتوي على محرر ومؤلف، أو محرر ولا وجود لمؤلف، أو محرر ومترجم، أو محرران أو ثلاثة محررين، أو أكثر من ثلاثة محررين.

وتوثيق مصدر مترجم ومؤلف معا، أو مترجم فقط.

ب– توثيق المؤتمرات

ج– توثيق فصول من كتاب.

د– توثيق الكتب الإليكترونية.

هـ– توثيق الميكروفيلم والميكروفيش.

و– توثيق الكتب السمعية.

ز– توثيق البحوث والمقالات

ح– توثيق مصادر على الشبكات (المواقع والصفحات / والعناوين / والصور وغيرها من المواد المتاحة على الإنترنت).

وهذا التوسع في التفصيلات راجع إلى كثافة العناية بهذا الفرع من علوم المعلومات في العالم المتقدم، ويرجع كذلك إلى تنوع أشكال مصادر المعلومات ورقيا وصوتيا

وهو الأمر الذي يعكس تنامي الشعور بقيمة التوثيق لتقدم الحياة العلمية في المعاهد والجامعات ومراكز البحث.

وظائف التوثيق

تتنوع وظائف التوثيق في الأعمال العلمية المختلفة، لتغطي مساحات متعددة من مشاغل العاملين في البحث العلمي، لتتوزع على الغايات المعرفية والتعليمية، والأخلاقية، وفيما يلي محاولة لرصد وعرض الوظائف والغايات التي

تنهض بها عمليات التوثيق والاستشهادات المرجعية

أولا - الوظيفة المعرفية والعلمية

وتمثل هذه الوظيفة حجما بارزا في قائمة درجات الوزن النسبي للوظائف والغايات التي تقدم بها عمليات التوثيق.

ذلك أن التوثيق يقوم في هذا السياق بنقاط محددة يجملها محمد النجار (ص ٢٢) في:

أ- بيان المصدر أو المرجع، والإشارة إليه مدخل للمعرفة والعلم.

ب- الإيضاح وما يرتبط بالحواشي أو الهوامش من معلومات.

ج- الإسهام في ترجيح بعض الآراء والأقوال بما تحتله بعض المراجع من قيمة علمية راقية، إن بسبب من الموضوع الذي تعالجه وإن بسبب من قيمة المؤلف، وإن بسبب منهما معا.

ويتوسع محمد النجار في سرد تفاصيل فرعية كثيرة متعلقة بوظيفة الهوامش المعرفية والعلمية مما يرقى برتبة النظر إليها: بما هي مظنة لمعلومات كثيرة يمكن أن تقدمها لجمهور القارئين أو المستعملين تغطي مساحات من المعلومات المتعلقة بالكتب، أو الأشخاص، أو الأماكن أو الآراء أو المذاهب إلخ

وهو ما يمكن تلخيصه في عبارة جامعة تقرر أن الهوامش بما هي علامة على التوثيق والاستشهادات المرجعية وعاء معلوماتي يقوم بدور معرفي لا مجال لإنكاره

هذا فضلا عما يمكن أن تقوم بها عمليات التوثيق من قياس تطور العلم في مسألة بعينها، وهو الأمر الذي لم يتنبه إليه أحد حتى اليوم.

ثانيا - الوظيفة التعليمية

ومن الحق أن نعترف أن هذه الوظيفة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوظيفة السابقة، لكنني أفردتها بفقرة مستقلة، لأقرر أن الباحثين في بداية طريقهم محتاجون إلى إعادة تقييم التوثيق والاستشهادات المرجعية من هذا الباب بما هو مفتاح معين على بناء مكتباتهم، وبما يتيحه لهم من تعليم يوسع دائرة ما يصلح لهم في عمليات تعلميهم وبحثهم.

ثالثا - الوظيفة الأخلاقية

لقد استقر في برامج أخلاقيات العلم الذي شاع أمر العناية بها في العقود المتأخرة - أن التوثيق والاستشهادات المرجعية معيار لازم في صناعة التأليف والبحث العلمي، وقانون أخلاقي حاكم في هذا المضمار له آثار في الحكم على المنزلة العلمية للكاتب والمكتوب معا، أو للباحث والبحث معا

وإذا اتفقنا على أن العلم والمعرفة مسألة تراكمية يتأسس صرحها من توالي المنجز الذي يتركه علماء كل جيل لخلفائهم من علماء الأجيال التي تليهم، فإن الحق والأخلاق، مما هي مشترك في كل الثقافات - يقضي بضرورة تقدير مساهمة منجز هؤلاء العلماء السابقين، وهو ما يدعم وجوب الاعتراف بفضل حركة العلم السابقة

وهذا الملمح الأخلاقي باعث على الارتقاء بالمسئوليات العلمية، وهو شرط تأسيس لتنامي حركة العلم اليوم.

رابعا - وظيفة الموثوقية، أو الحكم على المنقول المستشهد.

وأقصد بهذه الوظيفة أن الاستشهادات المرجعية والتوثيق يقوم بالحكم على المسألة أو الرأي المستشهد عليه صحة وضعفا وتقديما لرتبته، أو تأخيرا

ذلك أن التوثيق بعادة ما يتوجه إلى واحد من الوظائف التي يمكن حصرها في:

أ- الاستدراك، أي قبول جزئي لبعض الرأي، وتعديل بعض آخر في السياق نفسه

ب- الدعم الكامل لرأي الباحث الذي يستشهد بما ينقله الآخرين.

ج- الرفض الكامل للرأي، يورد الناقل ما ينقله لرده ونقضه، وبيان تهافته.

والدوران حول هذه الوظائف أو الغايات الفرعية تسهم في النهاية في تحقيق الوظيفة الكبرى المتمثلة في الخروج بحكم ما بناء على توجهات استعمال المنقول من المصادر المختلفة في القضية موضع البحث والمناقشة.

خامسا - الوظيفة الدينية

وإنما أحب ألا نخلط بين نوعي الوظيفتين الأخلاقية والدينية لذلك فإني أحب لهذه الوظيفة الأخيرة أن تستقل، لنقرر من وراء هذا الاستقلال أن ثمة حكما شرعيا يحيط بالتوثيق بما هو عملية بحثية أو إجراء علمي.

ومن هنا يمكن التأسيس للحكم الشرعي التكليفي، ليرقى إلى رتبة الواجب أو الفرض، ذلك أن الاعتراف بالمنقول ونسبته إلى صاحبه، يحمي الناقل من أمور يمكن تكييفها شرعيا من مثل

أ- أمر عدم الشكر، فإنه من حق الشكر من قدم معروفا يستوجب شكره، ومكافأته بنسبة كلامه إليه.

ب- إمكان حمل إنكار التوثيق على بعض حراثم السرقة، أدبيا وماديا.

ج- الظهور بمظهر المزور عند عدم التوثيق، ذلك أن الثقافة الإسلامية ترى فيمن يدعي ما ليس فيه كاللابس ثوبي زور

د- ومن الممكن أن يحمل فعل من يتهاون في التوثيق والاستشهادات المرجعية على فعل من يكتم علما، والوعيد ثابت في حق كاتم العلم

***

من مجموع ما مر لنا يتضح أن التوثيق أساس كبير من أسس البحث العلمي على امتداد التاريخ العلمي للأمة الإسلامية، ولغيرها من الأمم.

وهو الأمر الذي يفرض ضرورة ارتفاع سقف العناية به بسبب تقدم مسوغات هذه العناية في الأخلاق والتشريع الإسلاميين معا

ويفرض من جهة أخرى ضرورة التفكير في تطوير نظرية عربية للتوثيق والاستشهادات المرجعية، تتحد من المبادئ الإسلامية التيسيرية، والتوثيقية معايير هادية على طريق هذا التطوير، بحيث يكون: عنوان المصدر أو المرجع هو المدخل الرئيسي للتوثيق والفهرسة، مع العناية بكل المعلومات الببليوجرافية الأخرى.

وهو ما يتطلب إعادة بعث الإسهام الإسلامي القديم في هذا المجال، وتقييمه، وتطويره، والبناء عليه بوازع مما يأمرنا به الله تعالى، فالتوثيق طريق للمعرفة الإنسانية، وطريق لتحصيل الأجر من الله سبحانه.

حول فتوى الأزهر بجواز عزل الأنظمة الظالمة

قراءة تحليلية في المضمون والدلالات

الأستاذ الدكتور / [illegible]

أصدر كبار علماء الأزهر الشريف يوم الرابع من ذي الحجة ١٤٣٢هـ مستنيرين برؤى وآراء مثقفين وقانونيين، بيانًا أو فتوى أجازوا فيها عزل الحاكم المستبد الظالم، إذا تحققت القدرة على ذلك، وانتفى احتمال الضرر والإضرار بسلامة الأمة ومجتمعاتها.

وتكونت الفتوى أو البيان من ديباجة وستة أصول أو بنود وخاتمة.

محتويات البيان

أما المقدمة فقد جاء فيها أسباب إصدار الأزهر ومجموعة المثقفين هذه الفتوى وأهمها إدراك الأزهر لدوره وطبيعة موقفه، والحرص على مصالح الأمة العليا، وإرساء معالم العدالة والحقوق لجميع الشعوب على أساس من أصول الشريعة ومبادئها، وسد الطريق أمام السُلطة الجائرة التي تحرم المجتمع العربي والإسلامي من دخول عصر التألق الحضاري، والتقدم المعرفي، والإسهام في [illegible]

وأما ستة الأصول فقد تحدث الأصل الأول عن أن العلاقة بين الحاكم والمحكومين تستمد شرعيتها من رضا الشعوب، وحين يصدر حكمهم عن الاقتراع الحر المباشر الذي يترتب عليه المراقبة والمساءلة والمحاسبة. وإذا كان بعض الفقهاء أجاز الصبر على الحاكم المتغلب حرصًا على سلامة الأمة من الفوضى والهرج والمرج – فقد أجاز في الوقت نفسه عزل المستبد الظالم إذا تحققت القدرة على ذلك وانتفى احتمال الضرر والإضرار بسلامة الأمة ومجتمعاتها.

والأصل الثاني: أن المتظاهرين السلميين الذين يطالبون بالحقوق العادلة مثل الحرية والكرامة وحقوق الإنسان لا يعتبرون بغاة، إنما البغاة هم أصحاب الشوكة الذين يخرجون بأسلحتهم على الإمام الحق بغير حق.

والأصل الثالث: مواجهة الاحتجاجات السلمية بالعنف والقتل من قبل الأنظمة والاستهانة بإراقة الدماء يسقط شرعية تلك الأنظمة، فإذا تمادت في عنفها ضد الشعوب المسالمة أصبح من حق الشعوب عزلها ومحاسبتها، وعلى الجيوش أن تقوم بواجبها في حماية الشعب.

والأصل الرابع: على القوى الثورية أن تحرص على سلمية التحركات وألا تستقوى بالخارج على الداخل، وإلا أصبحت من البغاة الذين يجب على السلطة ردهم إلى الصف الوطني، كما يجب على هذه القوى أن تتحد فيما بينها، وتنسى النزعات الطائفية والعرقية تحقيقًا لحلمها في العدالة والحرية.

والأصل الخامس: مناصرة حق الشعوب في السعي نحو الحرية والعدالة، ورفع الظلم الواقع عليها من أنظمتها الظالمة، وإدانة آلات القمع والطرق الوحشية التي تواجه بها الأنظمة شعوبها، ودعوة العالم الإسلامي للمبادرة إلى نصرة هذه الشعوب تخفيفًا لارتكاب المزيد من المجازر، وتعزيز حق الشعوب في اختيار حكامها وتغيير ولاة الأمر.

والأصل السادس: دعوة الأنظمة الحاكمة إلى سرعة الإصلاح السياسي الشامل وإلا فصحوة الشعوب قادمة لا محالة، وعلى هذه الأنظمة الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتكنولوجي، واستثمار الطاقات البشرية لدى شعوبها.

وحذر البيان في الخاتمة رعاة الظلم والاستبداد أنهم ليسوا بمنجاة من غضب الشعوب ولعنة التاريخ، وكذلك تشويها لمعاني الدين ودعوة تأييد الظلم والاستبداد لأن هذا عبث لا طائل من ورائه.

أهمية البيان أو الفتوى

تمثل هذه الفتوى قيمة كبيرة في تاريخ الأزهر، وتعبر بشكل قاطع إلى أن الأزهر استعاد إدراكه بدوره وواجبه نحو قضايا أمته، وأنه أصبح - أو يريد أن يصبح - رائد الأمة وحاديها على درب قضاياها ومشكلاتها الكبرى، وأنه صار يصدع بالحق، ويقول الحق لا يخشى فيه أحدًا.

وما من شك أن مناخ الربيع العربي الذي ساد المنطقة، ولم تتخلف عنه مصر، هو الذي هيأ الأجواء، ومهد السبيل، ووطأ الأرض لاستقبال وتفسير مثل هذا البيان أو تلك الفتوى، فلولا أجواء الحرية التي تمتعت بها مصر لما استطاع الأزهر أن يصدر مثل هذا البيان.

ومن الأهمية البالغة لهذا البيان تحدث عنه الكتاب والمفكرون والعلماء، وثمنوه، وقدروه حق قدره، ونكتفي هنا بشهادة اثنين من كبار علماء الأمة، وهما: سماحة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، وأستاذنا العلامة

الدكتور أحمد الريسوني.

أما العلامة القرضاوي فقد أصدر بيانا خصيصا يحيى فيه شيخ الأزهر على البيان، ويباركه، ويثمن ما جاء فيه، وكان مما قال: "فضيلة الإمام الأكبر: هذا هو الموقف المنتظر من الأزهر الشريف، المعهد العتيق الذي حمل راية الإسلام لأكثر من ألف سنة. وهذا هو الموقف المنتظر من إمامه الأكبر أخيه الدكتور أحمد الطيب، الذي نرجو أن يستعيد الأزهر مكانته القديمة تحت لوائه، والذي تثبت مواقفكم الكريمة يوما بعد يوم أنكم إن شاء الله فاعلون".

أما العلامة د. الريسوني فقد تحدث عنه في حلقة برنامج "الشريعة والحياة" بتاريخ ١٣-١١-٢٠١١م على قناة الجزيرة الفضائية، تحت عنوان "فقه الثورة"، ومما قاله عن البيان الفتوى: "إذا سقطت الأمانات، إذا سقط العدل، إذا حل محل ذلك الظلم والبطش والقتل فلا طاعة ولا انضباط ولا خضوع بل الواجب. كما في فتوى الأزهر -التي أرجو أن يهتم بها الإعلام وهذا البرنامج بالتحديد؛ لأنها في صميم الشريعة وفي صميم الشريعة والحياة"، وقال معلقا على الفتوى أنها فتوى العصر: "هذه فتوى الأزهر وفيها ٦ أصول، وأنا أدعو جميع الإعلاميين والعلماء، وطلاب العلم وجميع المسلمين أن يقفوا على هذه الفتوى، هذه فتوى العصر". وقال مبينا سياق إصدار هذا البيان الفتوى: "الآن العلماء تحرروا في الدول التي سقط فيها الطغيان والاستبداد، ولذلك أصدر الأزهر الشريف هذا البيان التاريخي هذه الفتوى التاريخية فتوى العصر لماذا أصدرها؛ لأنه تحرر قبل ١٠ أشهر. قبل سنة لم يكن باستطاعة الأزهر أن يصدر هذا.. الآن أستطيع أن أقول: إن الأزهر تحرر واستقل".

معالم شرعية وحقائق علمية للبيان أو الفتوى

من خلال التأمل في هذا البيان التاريخي يمكن أن نضع أيدينا على معالم شرعية وحقائق علمية حوتها في مضمون البيان، ومن ذلك أنه:

أولا: أدرك السنن الجارية:

من أهم ما جاء في البيان الفتوى أنه حوى إدراكا واضحا للسنن الجارية التي أقام الله عليها الكون والحياة، والتي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول ولا تحابي أحدا، وفي هذا حمل للحكام والأنظمة الظالمة على الاستجابة؛ لأن سنن الله مطردة ومستمرة، ومن ذلك أنه طالب الشعوب أن تسرع في الإصلاح الشامل معللا ذلك بقوله: "فصحوة الشعوب المضطهدة قادمة لا محالة، وليس بوسع حاكم الآن أن يحجب عن شعبه شمس الحرية"...

وقال: "ولا يحسبن أحد من رعاة الاستبداد والطغيان أنه بمنجاة من مصير الظالمين، أو أن بوسعه تضليل الشعوب، فعصر الاتصالات المفتوحة والانفجار المعرفي، وسيادة المبادئ الدينية والحضارية النيرة، ونماذج التضحية والنضال المشهودة عيانا في دنيا العرب".

ومنه: "ولن يكف الجاهلون بالدين، والمتوهمون نصاعته للإسلام، والداعون لتأييد الطغيان والظلم والاستبداد عن هذا العبث الذي لا طائل وراءه.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف ٢١)

هذا الإدراك السنني يعزز من قيمة البيان، ويعلي من قدره، لأنه لاحتكامه إلى سنن الله تعالى، في الأقوال والأفعال والفتاوى والبيانات يعطيها صفة الخلود والقوة ويقترب بها من حدود العصمة.

ثانيا: أدرك الواقع الأليم:

ومن الحقائق العلمية في هذا البيان التاريخي أنه مدرك لواقع الأمة الأليم من تخلف حضاري، وتحلل أخلاقي، وفساد اجتماعي، واستبداد سياسي، قال: "ومن العار أن تظل المنطقة العربية وبعض الدول الإسلامية قابعة دون سائر بلاد العالم في دائرة التخلف والقهر والطغيان، وأن ينسب ذلك ظلما وزورا إلى الإسلام وثقافته البريئة من هذا البهتان".

ومنه إدراك الصحوة الإعلامية والمعلوماتية والاتصالاتية التي أصبح العالم يتمتع بها مما يجعل كذب الأنظمة معروفا، وما يخفونه ويسترونه مكشوفا مفضوحا. قال في خاتمته: "هذا، ولا يحسبن أحد من رعاة الاستبداد والطغيان أنه بمنجاة من مصير الظالمين، أو أن بوسعه تضليل الشعوب، فعصر الاتصالات المفتوحة والانفجار المعرفي، وسيادة المبادئ الدينية والحضارية النيرة، ونماذج التضحية والنضال المشهودة عيانا في دنيا العرب، كل ذلك جعل من صحوة الناس شعلة متوهجة، ومن الحرية راية مرفوعة، ومن أمل الشعوب المقهورة باعثا يحدوها للنضال مستميتة حتى النصر".

ثالثا: بيان لأحكام شرعية ومواقف عملية:

احتوى البيان على بيان عدد من الأحكام الشرعية، أهمها: اعتماد شرعية الأنظمة على رضا الشعوب من خلال اقتراع علني شفاف، "فشرعية أية سلطة مرهونة بإرادة الشعب، وحق المعارضة الوطنية السلمية غير المسلحة مكفول في التشريع الإسلامي في وجوب رفع الضرر، فضلا عن كونه من صميم حقوق الإنسان في المواثيق الدولية جميعا".. كما قرر أن استخدام الأنظمة لأساليب العنف والقتل يسقط شرعية السلطة: "تعد مواجهة أي احتجاج وطني سلمي بالقوة والعنف المسلح، وإراقة دماء المواطنين المسالمين، نقضا لميثاق الحكم بين الأمة وحكامها، ويسقط شرعية السلطة، ويهدر حقها في الاستمرار بالتراضي، فإذا تمادت السلطة في طغيانها، وركبت مركب الظلم والبغي والعدوان واستهانت بإراقة

دماء المواطنين الأبرياء، حفاظا على بقائها غير المشروع - وعلى الرغم من إرادة شعوبها - أصبحت السلطة مدانة بجرائم [illegible] المقهورة أن تعمل على عزل الحكام المتسلطين وعلى محاسبتهم، بل تغيير النظام بأكمله، مهما كانت المعاذير من حرص على الاستقرار [illegible].

كما أعلن مناصرته لإرادة الشعوب: "علماء الأزهر [illegible] العربية في التجديد والإصلاح ومجتمع الحرية والعدالة الاجتماعية والتي انتصرت في تونس ومصر وليبيا، ولا تزال محتدمة في سوريا واليمن، ويدينون آلات القمع الوحشية التي تحاول [illegible]

رابعا: احتوى على ضوابط وشروط لحركات الثورة:

ولكي يكون العمل منضبطا وفاعلا وراشدا لابد من رعاية شروطه وضوابطه الشرعية، وقد جاء في البيان عدد من الشروط والضوابط منها: "يتعين على قوى الثورة والتجديد والإصلاح أن تبتعد كليا عن كل ما يؤدي إلى إراقة الدماء، وعن الاستقواء بالقوى الخارجية أيا كان مصدرها، ومهما كانت الذرائع والتعلات التي تتدخل بها في شئون دولهم وأوطانهم وإلا كانوا بغاة خارجين على أمتهم وعلى شرعية دولهم. ووجب على السلطة حينئذ أن [illegible] في وحدة [illegible] الوطني [illegible]

ومنها: "التوافق والانسجام الوطني، ويهدف لبناء المستقبل على أساس من المساواة والعدل، وبحيث لا تتحول الثورة [illegible]

وغير ذلك مما يرشد حركة الشعوب، ويضفي على ثوراتها الشرعية والدستورية، وهذا يصب مباشرة في إقامة مطالبها وتحقيق [illegible]

خامسا: رد على شبهات:

كما احتوت الفتوى على إيراد عدد من الشبهات والرد عليها، ومن ذلك وجوب طاعة [illegible] وحرمة الخروج عليهم [illegible] القرآنية

[illegible]

([illegible]: ٥٩)

[illegible] كثير من [illegible] على [illegible] مبتورة للآية القرآنية الكريمة... متجاهلين سياقها الواضح الصريح في قوله تعالى قبل ذلك في الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة:

[illegible]

([illegible]: ٥٨)

مما يجعل الإخلال بشروط أمانة الحكم وعدم إقامة العدل فيه مسوغا شرعيا لمطالبة الشعوب حكامهم بإقامة العدل، [illegible] الحكام حرصا على سلامة الأمة من [illegible] فقد أجاز في الوقت نفسه عزل المستبد الظالم إذا تحققت القدرة على ذلك وانتفى احتمال الضرر والإضرار بسلامة الأمة ومجتمعاتها".

ومن ذلك نفي أن تكون حركات الثورة والمعارضة من البغاة، قالت الفتوى [illegible] وإنما البغاة هم الذين تحددت أوصافهم فقهيا بامتلاك الشوكة والانعزال عن الأمة، ورفع الأسلحة في مواجهة مخالفيهم، والإفساد في الأرض بالقوة، أما الحركات الوطنية السلمية المعارضة فهي من صميم حقوق الإنسان في الإسلام [illegible] الدولية، بل هي واجب المواطنين لإصلاح مجتمعهم [illegible] لها واجب على الحكام وأهل السلطة، [illegible]

وبهذا تكون الفتوى أو البيان جمعت بين تبليغ الدعوة وإقامة الحجة ودفع الشبهة، وهو البلاغ الإسلامي الدعوي المتكامل.

سادساً: احتوى على بيان مطالب وواجبات الطرف المتهم:

ومن المعالم [illegible] التي احتوت عليها الفتوى مطالب من جهات عدة وبيان واجبات على جهات كثيرة، من شأنها أن تضع النقاط على الحروف؛ لاستيعاب المشهد، وبيان ما يجب على كل جهة من الجهات.

ومن هذا ما بينه البيان من واجبات على الجيوش تجاه شعوبها، قال: "وعلى الجيوش [illegible] الأحوال أن تلتزم بواجباتها الدستورية في حماية الأوطان من الخارج، ولا تتحول إلى أدوات للقمع [illegible] دمائهم؛ فإنه

[illegible]

(المائدة: ٣٢)

ومنه ما بينه من واجبات على قوى الثورة، قال: "وعلى قوى الثورة والتجديد [illegible] في سبيل تحقيق حلمها في العدل والحرية، وأن تتفادى [illegible] الطائفية أو العرقية أو المذهبية أو الدينية، حفاظا على نسيجها الوطني، واحتراما لحقوق المواطنة، [illegible] من أجل تحول ديمقراطي يتم لصالح الجميع".

وقال في هذا أيضا: "يتعين على الثوار

والمجددين والمصلحين الحفاظ على مؤسسات دولهم، وعدم هدم مرافقها، أو التفريط لصالح المتربصين، وتفادى الوقوع فى شرك الخلافات [illegible].

ومنه بيانه لواجبات المجتمع العربى والإسلامى والدولى [illegible] ويهيبون [illegible] كاتبو البيان الفتوى - بالمجتمع العربى والإسلامى أن يتخذ مبادرات حاسمة وفعالة لتأمين نجاحها بأقل قدر من الخسائر، تأكيداً حق الشعوب المطلق فى اختيار حكامها، وواجبها فى تقويمهم منعاً للطغيان والفساد والاستغلال.

ومن ذلك مطالبته الأنظمة الحاكمة بالقيام بواجباتها، فقال: "يناشد علماء الأزهر والمثقفون المشاركون لهم النظم العربية والإسلامية الحاكمة يناشدونهم الحرص على المبادرة إلى تحقيق الإصلاح السياسى والاجتماعى والدستورى طوعاً، والبدء فى خطوات التحول الديمقراطى... يتعين على هذه الدول - يعنى التى فيها ثورات وأنظمتها - أن تشرع على الفور فى الأخذ بأسباب النهضة العلمية والتقدم التكنولوجى والإنتاج المعرفى، واستثمار طاقاتها البشرية وثرواتها الطبيعية خدمة لمواطنيها، وتحقيقاً لسعادة البشرية كلها".

كما وجه نداء للمرجفين وأصحاب الطابور الخامس أن يكفوا عما يقومون به، فقال: "وليكف الجاهلون بالدين، والمشوهون لتعاليم الإسلام، والداعون لتأييد الطغيان والظلم والاستبداد عن هذا العبث الذى لا طائل وراءه".

وبهذا يكون البيان قد استوعب جهات المشهد، وجوانبه المختلفة، وبين ما يجب على كل جهة من واجبات، وما لها من حقوق. وهذا يقترب بالبيان أو الفتوى من حدود الحكمة، ويبين الأحكام الشرعية الواجبة على كل جهة.

***

إن المتأمل فى هذا البيان، وسبر أغواره، واستكناه حقائقه ومضمونه ليوحى بدلالات كبيرة وعظيمة ومهمة فى السياق الذى تعيشه أمتنا العربية والإسلامية والعالم كله، ويبشر باستعادة الأزهر لدوره، وريادته لقيادة الأمة، وبيانه لأحكام قضاياها الكبرى.

ولا يقل ذلك أهمية وقوة عن البيان الذى أصدره الأزهر الشريف قبل أسابيع عن الأقصى وفلسطين تعامة سية لكيان الصهيونى هدم باب المغاربة، فحذر الأزهر إسرائيل من القيام بشىء من ذلك، وقرر أن الطريق الوحيد لتحرير فلسطين والأقصى والأسرى هو سبيل الجهاد والمقاومة...

تحية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وإن الأمة لتشرف أن يكون للأزهر دوره الرائد، وتوجيهه الحكيم؛ انتصاراً لقيم الحق والعدل والحرية والكرامة، ورفضاً للظلم والقهر والاستبداد الذى تمارسه الأنظمة المستبدة، بما يقوم به الآن من دور تنويرى وريادى على طريق نصرة الأمة ورفع الظلم عن المظلومين!.

فتاوى لها تاريخ

للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

● (السؤال): سأل الخواجا حبيب عاذر فى رجل يطالب تركة آخر بدين فيه ربا، قبل حلول أجله المضروب بسند الدين، فهل يعتبر هذا الدين شرعاً ويلزم التركة أداؤه قبل حلول أجله؟ وإذا حكم بأدائه وربائه قبل حلول أجله هل يكون حكمه نافذاً أو [illegible]؟ أفيدوا الجواب.

●● (الجواب): بموت المدين حل الأجل، وللدائن طلب الدين فى تركته، وهو شرعى فيما عدا الربا، فعلى التركة دفع أصل الدين دون رباه. وإذا حكم بذلك الدين ورباه لا ينفذ الحكم إلا فى أصل الدين فقط. والله أعلم[1].

● (السؤال): سأل الخواجا حبيب جاماتى، بمصر، فى: رجل مات عن أبيه يوسف وزوجته مرتا وأولاده منها ديب وماريا وفيكتوريا، ثم مات ديب عن جده يوسف [illegible] وأمه مرتا وشقيقتيه ماريا وفيكتوريا، ثم مات يوسف، الجد، عن زوجته وردة وأولاده منها إبراهيم وأمين ومريم وفيلومينا وليلى [illegible] وردة [illegible] مريم عن أمها وردة وأشقائها إبراهيم وأمين وفيلومينا وليلى، وأختها لأبيها وردة، لا وارث لكل منهم سوى من ذكر، وخلف المتوفى الأول تركة، فمن يرث؟ ومن لا يرث؟ [illegible] نصيب وردة بنت يوسف وفريدة بنت صامات الغائبتين اللتين لا يدرى مكانهما؟ هل يبقى تحت يد الناظر كأمانة كما كان من قبل؟؟ أفيدوا الجواب.

●● (الجواب): بموت هذا الرجل عن أبيه يوسف وزوجته مرتا وأولاده منها ديب وماريا وفيكتوريا، يكون لزوجته من تركته الثمن؛ فرضاً، ثلاثة قراريط، ولأبيه السدس، فرضاً، أربعة قراريط، ولأولاده المذكورين الباقى، تعصيباً، للذكر مثل حظ الأنثيين.

(1) [illegible]

ويموت ديب، الابن، عن جده يوسف، أب أبيه المذكور، وأمه مرتا وشقيقتيه ماريا وفيكتوريا، يقسم نصيبه من تركة أبيه المذكور، وهو ثمانية قراريط ونصف قيراط، بين جده يوسف وأمه مرتا، لأمه سدسه، قيراط واحد وسدسان اثنان من قيراط ونصف سدس قيراط، والباقي لجده، وهو سبعة قراريط ونصف سدس قيراط، فيكون ميراث يوسف المذكور، ولا شيء لشقيقتيه ماريا وفيكتوريا، لحجبهما بالجد المذكور، على ما عليه الفتوى.

ويموت يوسف، الجد المذكور، عن زوجته وردة وأولاده منها إبراهيم وأمين ومريم وفيلومينا وليلى، وبنتيه من غيرها، وردة وصابات، يقسم نصيبه المذكور بينهم، لزوجته وردة ثمنه، قيراط واحد وسدسان اثنان من قيراط وربع سدس قيراط وثمنان اثنان من ربع سدس قيراط، ولأولاده المذكورين باقيه، بالفريضة الشرعية بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، فيكون لكل واحد من ابنيه إبراهيم وأمين قيراطان اثنان وثلاثة أرباع سدس قيراط وخمسة أثمان ربع سدس قيراط وسبعة أتساع ثمن ربع سدس قيراط، ولكل واحدة من بناته مريم وفيلومينا وليلى ووردة وصابات قيراط واحد وربع سدس قيراط وستة أثمان ربع سدس قيراط وثمانية أتساع ثمن ربع سدس قيراط.

ويموت صابات، المذكورة، عن بنتها فريدة وشقيقتها وردة يكون نصف نصيبها المذكور لبنتها، فرضا، ونصف الثاني لشقيقتها، تعصيبا مع البنت، ولا شيء لإخوتها لأبيها المذكورين، لحجبهم بالشقيقة.

ويموت مريم المذكورة عن أمها وردة وأشقائها إبراهيم وأمين وفيلومينا وليلى يقسم نصيبها المذكور بينهم، لأمها وردة سدسه، فرضا، سدس قيراط وثمنان اثنان من ربع سدس قيراط وأربعة أتساع ثمن ربع سدس قيراط وسدسان اثنان من تسع ثمن ربع سدس قيراط، ولأشقائها المذكورين باقيه وهو خمسة أسداس قيراط وربع سدس قيراط وأربعة أثمان ربع سدس قيراط وثلاثة أتساع ثمن ربع سدس قيراط وأربعة أسداس تسع ثمن ربع سدس قيراط، بالفريضة الشرعية بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، ولا شيء لأختيها لأبيها وردة وصابات لحجبهما بالأشقاء.

ومن هذا يتبين أن هذه التركة قد انحصرت في: زوجة الميت الأول مرتا، وبنتيه منها ماريا وفيكتوريا، وفريدة بنت صابات، وشقيقتها وردة، ووردة زوجة يوسف، وأولادها إبراهيم وأمين وفيلومينا وليلى.

وما هو لزوجة الميت الأول مرتا ميراثا من زوجها المذكور وابنها ديب أربعة قراريط وسدسان اثنان من قيراط ونصف سدس قيراط.

وما هو لماريا وفيكتوريا، بنتي الميت الأول المذكور، ثمانية قراريط ونصف قيراط، مناصفة بينهما. وما هو لفريدة، ميراثا من أمها صابات، نصف قيراط وسبعة أثمان ربع سدس قيراط وأربعة أتساع ثمن ربع سدس قيراط.

وما هو لوردة، ميراثا من شقيقتها صابات ومن أبيها يوسف، قيراط واحد ونصف قيراط ونصف سدس قيراط وسبعة أثمان ربع سدس قيراط وثلاثة أتساع ثمن ربع سدس قيراط.

وما هو لوردة زوجة يوسف، ميراثا من زوجها المذكور ومن بنتها مريم، قيراط واحد ونصف قيراط وربع سدس قيراط وأربعة أثمان ربع سدس قيراط وأربعة أتساع ثمن ربع سدس قيراط وسدسان اثنان من تسع ثمن ربع سدس قيراط.

وما هو لأولادها إبراهيم وأمين وفيلومينا وليلى، ميراثا من أبيهم يوسف وشقيقتهم مريم، سبعة قراريط وسدسان اثنان من قيراط وخمسة أثمان ربع سدس قيراط وستة أتساع ثمن ربع سدس قيراط وأربعة أسداس تسع ثمن ربع سدس قيراط. باقي التركة المذكورة، بالفريضة الشرعية بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين.

وحيث كانت وردة بنت يوسف، وفريدة بنت صابات غائبتين، لم يعلم موضعهما ولا حياتهما ولا موتهما، وكانت قد أمنتا على نصيبهما في عينيهما من التركة، فلا ينزع من يدهما.. والله أعلم [2].

● (السؤال): سئل [3] بإفادة من محافظة مصر مؤرخة في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٩ نمرة ٦٥٨، مضمونها: أنه بعد الإحاطة بما اشتملت عليه مكاتبة جناب وكيل بطريكخانة الروم المتعلقة بالجواب على السؤال طيه.

إجابة طلبه والإفادة.

●● (الجواب): السؤال المرفق بهذا يتضمن أن امرأة ماتت عن زوج وأم وبنتين وأختين وثلاثة إخوة لأبوين. وقد استفهم به عما يخص كلاً منهم على حسب الشريعة الغراء.

ونفيد عزتكم أن التركة الموروثة عن هذه المرأة تقسم على حسب قواعد الميراث المعروفة في تلك الشريعة الغراء من اثني عشر سهما، ويزاد عليها واحد يسمى بالعول به، أي بالزيادة، فيخص الزوج منها ثلاثة، فرضا، وهو الربع عائلا، ويخص الأم منها اثنان فرضا، وهما السدس عائلا، ويخص البنتين ثمانية فرضا، وهي الثلثان عائلا. وبذلك استغرقت أرباب الفروض التركة مع ما زيد عليها، وهو الواحد، ولا شيء للأختين، لأنهما عصبة مع البنتين، ولا للإخوة، لأنهم عصبة لأنفسهم، والكل يسقطون باستغراق الفروض التركة، والله سبحانه أعلم [4].

---

(2) تاريخ هذه الفتوى ١٩ صفر سنة ١٣٢٠ هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٤٨١ وتقع في ص١٩٥، ١٩٦.

(3) أي الأستاذ الإمام.

(4) تاريخ هذه الفتوى ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣١٩هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٤٥٨، وتقع في ص ١٢٥، ١٢٦.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

الصلاة في المسجد متعدد الأدوار

● [illegible] مكون من دورين وتم بناء القبلة والمنبر بالدور الثاني وبالتالي يكون الإمام في الدور الثاني والمصلون في الدور الأول والثاني، والمصلى بالدور الثاني أكبر من الدور الأول، فهل يجوز صلاة الإمام في الدور الثاني [illegible] ذلك هل تكون الصلاة باطلة؟

●● الجواب: مادام المأمومون في الدور الأول يستطيعون متابعة أفعال الإمام فإن صلاتهم صحيحة ولا يقدح في صحة الصلاة كون الإمام على من المأمومين، فالصواب ترك المسجد على حاله لأنه ليس هناك ما يقدح في صحة صلاة الإمام [illegible] مكانه عن مكان المأمومين.

صلاة الجماعة في الأندية

● [illegible] بأداء صلاة الجماعة في بعض الأماكن المخصصة للألعاب والاستحمام وغرف تغيير الملابس، مما دفع البعض للسؤال عن جواز صلاة الجماعة في هذه الأماكن. علما بأن مرتادي هذه الأماكن يقومون بارتداء الملابس [illegible] بالكثرة وتبادل الأحاديث غير اللائقة خلال الصلاة. علما بأن النادي مسجدا كبيرا للصلاة ومسجد [illegible] الأمتار.. برجاء الإفادة عن جواز صلاة الجماعة في هذه [illegible]

●● الجواب: الصلاة تصح فرادى وجماعة في أي مكان على الأرض ما لم تكن مغصوبة أو عليها نجاسة باشرها بدن المصلي أو ثيابه، ولم تكن مقبرة، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» رواه البخاري، فالمسلم ليس عنده دار معينة خاصة بالصلاة كغيره من أصحاب الديانات، بل متى حضر المسلم الصلاة فعنده مسجده وطهوره أي مكان صلاته وتطهره وهو الصعيد الطاهر، هذا من ناحية صحة الصلاة وإجزائها، غير أن الذي يصلي في جو [illegible] عليه جمع قلبه على صلاته، والأصل أن الصلاة في المسجد أفضل في الأجر من الصلاة في غير المسجد بسبع وعشرين درجة، ولكن إذا كان المسلم مخيراً بين الصلاة في المسجد أو عدم الصلاة أصلا لبعد المسجد أو لكسل طرأ على المصلي أو خوفه من خروج الصلاة عن وقتها أو خشية من خطر على حياة إنسان أو حيوان محترم أو على مال محترم [illegible] لتشجيع غيره من المسلمين على صلاة لولا صلاته معهم لتركوها كصلاة الرجل بأهل بيته أو الأستاذ مع طلبته أو المدرب مع المتدربين، ففي مثل هذه الأحوال تكون الصلاة خارج المسجد [illegible] فيه.

حكم صلاة الظهر بعد الجمعة

● السؤال من أ.ب.ج: ما حكم صلاة الظهر بعد الجمعة كما يفعله بعض الناس؟

●● الجواب: [illegible]



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

صلاة الجمعة [illegible] ويشترط جمهور العلماء لصحة صلاة الجمعة أن لا يسبقها ولا يقارنها جمعة أخرى في بلدتها إلا إذا كبرت البلدة [illegible] يجوز التعدد بحسب الحاجة [illegible] قولان أظهرهما وهو المعتمد أنه يجوز التعدد بحسب الحاجة، وقيل: لا يجوز التعدد ولو لحاجة، وفرعوا على ذلك مراعاة خلاف الأظهر أنه يستحب لمن صلى الجمعة مع التعدد بحسب الحاجة ولم يعلم أن جمعته سبقت غيرها أن يعيدها ظهراً احتياطاً؛ خروجا من الخلاف.

على أن الحنفية يجيزون على المعتمد عندهم أن تؤدى الجمعة في مصر واحد بمواضع كثيرة؛ حيث ذكر الإمام السرخسي أن هذا هو الصحيح من مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

[illegible]

● أن من شروط صحة صلاة الجمعة عند جمهور العلماء عدم سبقها أو مقارنتها بجمعة أخرى في نفس البلدة إلا لحاجة.

● أنه يجوز تعدد الجمعة إذا كانت هناك حاجة لذلك؛ كضيق مكان أو عسر اجتماع.

● [illegible] ولا يجوز تعدد صلاة الجمعة ولو لحاجة بإعادتها ظهراً إلا لمن لم يتيقن من صلى الجمعة أن جمعته هي السابقة وأنها لم تقارنها جمعة أخرى، وهذا الاحتياط مشروع على سبيل الندب والاستحباب لا على جهة الحتم والإيجاب.

● [illegible] تعدد صلاة الجمعة في مصر [illegible] مطلقاً [illegible] حاجة [illegible] مسجد [illegible] الأمر بإقامة صلاة الجمعة فيه.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال:

فإن إعادة صلاة الجمعة ظهراً بعدها عند من قال بذلك إنما هي على سبيل الاستحباب لا على جهة الإيجاب. وليس لأحد أن ينكر [illegible] على أحد. وليسعنا في ذلك ما وسع سلفنا الصالح من أدب الخلاف الذي كان منهجاً لهم في مسائلهم الخلافية.

في القيام والقنوات

● [illegible] صلاة العشاء جماعة بنية قيام الليل داعين الله عز وجل أن يفرج عن أمتنا الإسلامية ولما دخل شهر [illegible] دعوا الناس في مساجد قريتهم إلى صلاة ركعتين جماعة عقب صلاة العشاء طيلة الأيام العشر بنية [illegible]

●● الجواب: شرع الله تبارك وتعالى الصلاة وفرضها على الأمة الإسلامية لأنها الصلة التي تربط بين الخلق والخالق فهي عماد الدين فرض الله تبارك وتعالى خمس صلوات في اليوم والليلة وسن لنا سيدنا رسول الله ﷺ سنناً تابعة للفروض وغير تابعة لها، وسن لنا [illegible] صلوات [illegible] جماعة في الصلاة المفروضة وغيرها [illegible] ثواب

جماعة [illegible] في حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» [illegible]

وغير ذلك من الأحاديث الشريفة.. ولقد صلى سيدنا رسول الله ﷺ النوافل في جماعة مثل قيام الليل لما حدث أن خرج في رمضان فصلى وصلى خلفه الصحابة وجاء في الليلة الثانية فصلى وصلى وراءه جمع كثير وفي الليلة [illegible] ﷺ عنهم فلم يخرج عليهم فلما سئل سيدنا رسول الله عن ذلك قال ﷺ: «خشيت أن تفرض عليكم»، والصلاة التي صلاها سيدنا رسول الله لا تخرج عن كونها من قيام الليل.. ولما رواه الإمام مسلم في صحيحه أن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته فأكل منه ثم قال: «قوموا فأصلي لكم»، قال أنس بن مالك فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء فقام عليه رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز وراءنا فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف وفي رواية أخرى لمسلم عن ثابت عن أنس قال: دخل علينا رسول الله ﷺ وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقال: «قوموا فلأصلي بكم» في غير وقت صلاة فصلى بنا [illegible] [illegible] قال [illegible] ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة فقالت أمي يا رسول الله خويدمك ادع الله له، قال فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه» قال الإمام النووي في شرحه [illegible] جواز صلاة النافلة جماعة صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ / ١٦٣-١٦٤.

وفي واقعة السؤال ليس هناك مانع من أداء مثل هذه الصلاة في جماعة ولا حرج في ذلك لما ذكر من أدلة عامة كما سبق



قالوا عن القرآن

٤

للدكتور / عماد الدين خليل

كويليام

(١) «من الوجه العلمي، بصرف النظر عن أنه كتاب موحى به، فالقرآن أبلغ كتاب في الشرق.. (وهو حافل بالعبارات السامية مليء بالاستعارات الباهرة) [illegible]».

(٢) «أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية [illegible] للعالم الإسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية و[illegible] والجنائية والجزائية، ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص في هذه [illegible] إلى القصاص في الآخرة.. وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية، بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الأمور التعبدية.. وهي غير معقولة وعديمة التأثير»[3].

(٤) «لقد عثرت في (دائرة المعارف العامة) Popular Encyclopedia على نبذة نصها كما يأتي: (أن لغة القرآن معتبرة بأنها من أفصح ما جاء في اللغة العربية فإن ما فيه من محاسن الإنشاء وجمال البراعة جعله باقياً بلا تقليد ودون مثيل. أما أحكامه العقلية [illegible] تأليف [illegible] البصيرة لعاش عيشة هنية)..»[4].

---

(١) عبدالله كويليام مفكر إنجليزي ولد سنة ١٨٥٦م وأسلم سنة ١٨٨٧م ولقب باسم (الشيخ عبدالله كويليام) من آثاره (العقيدة الإسلامية) (١٨٨٩) و(أحسن الأجوبة)

(٢) العقيدة الإسلامية ص ١١٩ - ١٢٠ [illegible] (٤) نفسه ص ١٢٨

(٥) «هذا القرآن الذى هو كتاب حكمة، فمن أجال طرف اعتباره فيه وأمعن النظر فى بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز، رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمائة وعشرون سنة، كأنما مقول فى هذا العصر [illegible] مع سهولته بليغ ممتنع ومع إيجاز مفيد للمرام بالتمام، وكما أنه كان يرى مطابقاً للكلام فى زمن ظهوره [illegible] كذلك يرى موافقا لأسلوب الكلام فى كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه، وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين. [illegible] أعطفنا النظر إلى ما فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعاً لجميع ما يحتاجه البشر فى حياته وكماله وتهذيب أخلاقه.. وكذا تراه ناهيا عما ثبت [illegible] حسنه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق.. وكم فيه ما عدا ذلك أيضا [illegible] بسياسة [illegible] وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التى ظهرت [illegible] العظيمة [illegible] فضلا عن القول...»[٥]

(٣) «إن من ضمن محاسن القرآن العديدة أمرين [illegible] أحدهما علامة [illegible] [illegible] التى تشاهد دائما على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون إليه.. [illegible] خلوه من القصص [illegible] وذكر العيوب والسيئات وإلى آخره، والأمر الذى يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون (العهد القديم)..»[٦]

لاندو[٧]

(١) «[illegible] ترجمة القرآن [illegible] عاقبته الإيقاعية، إلى لغة أخرى، تتطلب عناية رجل يجمع الشاعرية إلى العلم، فإننا لم نعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت أن تتلقف شيئاً من روح الوحى المحمدى، والواقع أن كثيرا من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ [illegible] الأصل فحسب، بل كانوا إلى ذلك مفعمين بالحقد على الإسلام إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والمرض، ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن فى شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقى الآسر، على الوجه الذى يرتلها به المسلم، وليس يستطيع الغربى أن يدرك شيئاً من روعة كلمات [illegible] وقوتها إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية».

(٢) «.. كلف كاتب الوحى، زيد بن ثابت، جمع الآيات القرآنية فى شكل كتاب وكان أبوبكر – رضى الله عنه – قد أشرف على هذه المهمة، وفيما بعد، إثر جهد مستأنف بذل بأمر من الخليفة عثمان – رضى الله عنه – اتخذ القرآن شكله التشريعى النهائى الذى وصل إلينا سليماً لم يطرأ عليه أى تحريف[٨]

«.. إن بين آيات قصار السور ترابطا باهراً له تأثيره الوجدانى برغم أنه ليس ثمة أيما وزن نظامى. وفى الحق أن سماع السور تتلى فى الأصل العربى، كثيراً ما يخلف فى نفس المرء تأثيراً بليغاً [illegible] بالقرآن [illegible] أن يتلى فى صوت جهير ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلا لكى يحكم عليه حكما عادلاً ويقدره حق قدره.. وبوصفه كلمة الله حقيقية، كان معجزاً لا سبيل إلى محاكاته. ولم يكن ثمة سبيل بساطة [illegible] أيما شئ من مثله»[٩]

لوبون[١٠]


غوستاف لوبون

(١) «[illegible] إن أصول الأخلاق فى القرآن عالية علوّ ما جاء فى كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التى دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى (عليه السلام) [illegible] إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هى تأثير القرآن العظيم فى الأمم التى أذعنت لأحكامه. فالديانات التى لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد دينا اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم والقرآن هو قطب الحياة فى الشرق وهو ما نرى أثره فى أدق شئون الحياة»[١١].

(٢) «إن هذا الكتاب (القرآن) تشريع دينى وسياسى واجتماعى، وأحكامه نافذة منذ عشرة قرون..»[١٢]

---

[٥] [illegible] ص ٢٥ [illegible]

(٦) العصر الذهبية عن سؤال لأحد علماء أوروبا، ص ٣٣ – ٣٦

(٧) روم لاندو R. Landau ناقد ومتدرس إنجليزى [illegible] الشرق الأدنى (١٩٣٦)، وحاضر فى عدد من جامعات [illegible] فرنسيسكو (١٩٥٣) من آثاره (الله ومغامرتى) (١٩٣٥)، (بحث عن الغد) (١٩٣٨)، (سلم الرسل) (١٩٣٩)، (دعوة إلى المغرب) (١٩٥٠)، (سلطان المغرب) (١٩٥١م)، (فرنسا والعرب) (١٩٥٣)، (الفن العربى) (١٩٥٥)، وغيرها

(٨) الإسلام والعرب، ص ٣٦، ٣٧ [illegible] ص ٣٣٣

[illegible] ص ٢٩ [illegible]

(١٠) غوستاف لوبون، ولد عام ١٨٤١م، وهو طبيب ومؤرخ فرنسى عنى بالحضارات الشرقية من آثاره (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)، (حضارة العرب فى الأندلس)

(١١) حضارة العرب، ص ١٢٦، ١٢٧

[illegible]

المقصد التربوى للعبادات فى الجانب الخلقى للفرد المسلم

للأستاذ الدكتور صلاح سلطان

المقصد التربوى للطهارة فى الجانب الخلقى للفرد المسلم

تؤثر الطهارة فى إصلاح الجانب الخلقى للفرد المسلم فى جوانب عديدة أهمها:

أولاً: النجاسات التى فرضت الشريعة التطهر منها مثل: الميتة والدم المسفوح والكلب والخنزير وبول وروث ما لا يؤكل لحمه والقىء والصديد والمذى والودى أو غير هذه النجاسات التى تستخبثها الطباع السليمة والفطر النقية، والتطهر الدائم منها يحافظ على الحس الخلقى فى النظافة والرقى. ولا شك أن النجاسات الحسية مفضية إلى التلوث الخلقى، ومن ثم كان من الفرائض الواجبة التطهر من هذه النجاسات كلما تعلق شىء منها بثوب الإنسان أو بدنه أو مائه أو مكانه، فيحفظ سلوك النظافة من خارجه وتعمره الطهارة من داخله فتحافظ على فطرته التى فطره الله عليها.

ثانياً: عند دراسة هذه الأحداث أو التطهير من الأحداث نجد أن السنة النبوية دلتنا على ألفاظ راقية مثل الاستنجاء وهو ما يعلو ويرتفع أو طلب المكان المرتفع. كذلك الاستطابة وهو طلب أعلى درجات الطيب. والوضوء وهو من الضوء. والوضاءة من الحسن والنظافة. وقد نجد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما مر على قوم قد أشعلوا نارًا ولا يعرف من هم، فناداهم: يا أهل الضوء ولم يقل يا أهل النار. وهذا ما جرت عليه سنة الإسلام فى تخير كل شىء حتى الكلمات والمسميات لقوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الإسراء ٥٣)

وكان النبى ﷺ إذا وجد من سمى ولده اسمًا قبيحًا يغيره ومنه ما رواه مسلم بسنده عن ابن عمر أن النبى ﷺ رأى امرأة تسمى عاصية فغير اسمها إلى جميلة(١).

(١) المسند، (٢/١٨)

ثالثاً: يتعود المسلم من آداب الطهارة كيف يحافظ على مشاعر الناس، فعند قضاء الحاجة يجب الابتعاد عن ظل الناس وطريقهم. وفى ذلك يروى مسلم بسنده عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين. قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم»(٢). هذا الأدب يقوى شعور الفرد بالحفاظ على البيئة حوله وعدم إيذاء الآخرين.

رابعاً: من آداب الطهارة فى الاستنجاء والوضوء والغسل الاقتصاد فى استعمال الماء ولو كان التطهر من نهر جار لما رواه ابن ماجة بسنده أن النبى ﷺ رأى سيدنا سعدًا يسرف فى استعمال الماء فقال: «ما هذا السرف يا سعد. فقال: وهل فى الماء من سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار»(٣).

هذا الأدب لا يلبث أن ينتقل من الطهارة إلى أن يصير خلقًا عامًا فى الاقتصاد فى كل شىء من نعم الله تعالى من مال وملبس ومشرب ومأكل لقوله تعالى فى صفات عباد الرحمن:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

(الفرقان ٦٧)

ولو أن الدول التى تشكو من الإسراف فى استعمال الموارد الطبيعية وبخاصة المياه جعلت من الإسلام وروافده وأحكامه وآدابه مادة لدعوة الناس إلى حسن استعمال الموارد والاقتصاد الراشد فى التعامل معها لاستجاب الناس سريعًا ولكان الأثر قويًا، ولتوفرت جهود مضنية فى الحفاظ على هذه الموارد ولأمكن استغلالها فى زيادة الرقعة الزراعية لنستغنى عن التبعية للآخرين فى موارد الغذاء.

خامساً: التطهر من النجاسات والحرص على الاستنجاء والوضوء والطهارة والغسل كلما وجدت دواعيه أو كلما غدا المسلم إلى الاجتماع مع الناس كالغسل لصلاة الجمعة والعيدين ودخول مكة والوقوف بعرفة. وهذا يجعل المسلم نظيفًا نظيفًا فى جميع أوقاته؛ لأن الصلوات تتوزع على اليوم والليلة فإذا قام المسلم من نومه بادر إلى التطهر، بل ينبهه النبى ﷺ أن يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها أولاً فإنه لا يدرى أين باتت يده(٤)، ثم يبادر إلى الوضوء، وفيه طهارة لأعضاء جسمه التى تعلق فيها الأوساخ كثيرًا، ويتوضأ لصلاة الضحى، وأثناء عمله يبادر للوضوء لصلاة الظهر. وعند عودته من عمله يزيل بقية الشوائب التى تعلق به فى وضوء العصر وفى المغرب والعشاء يحرص على هذه الطهارة التى تجعله يبيت خاليًا من جميع الأقذار والأدران والأوساخ، هذا يحول النظافة إلى دأب وخلق بحيث لا يستسيغ المسلم أن تعلق به نجاسة أو تمسه الأقذار فيبادر حتى لو لم يكن وقت صلاة، وعليه يكون الفرد المسلم متحليًا بأعلى سمات النظافة؛ لأنه يمارسها تعبدًا لله تعالى ورغبة فى نيل حبه سبحانه وتعالى ورضاه يوم القيامة، حتى إن سيدنا عثمان يروى عنه أنه كان يفيض الماء عليه كل يوم تعبدًا لله تعالى(٥).

(٢) صحيح مسلم- كتاب الطهارة باب النهى عن التخلى فى الطرق والظلال

(٣) سنن ابن ماجه- كتاب الطهارة- باب ما جاء فى القصد فى الوضوء رقم (٤٢٤)

(٤) صحيح البخارى- كتاب الطهارة باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك فى نجاستها فى الإناء

(٥) فتح البارى، لابن حجر (٢/٤٢٦)

سادساً: لا يستطيع الإنسان أن يخفي هذا الخلق السامي والأدب الرفيع في غسل الميت حيث لا يجوز أن يغسل الميت الفساق أو الأشرار الذين لا يكتمون الأسرار، بل ينبغي أن يعهد أهل الميت إلى استصحاب ذوي القلوب التي تكون كالقبور في حفظ الأسرار فلا يفشي للميت سراً. إذا كان لا قدر الله من الأشرار فيرى علامات الشقاء في عبوس وجهه وسواده فلو كان الغاسل غير أمين على هذه الأسرار لأذاع ذلك بين الناس فيشمت أعداؤه، وهذا ما نهى عنه الإسلام لما رواه ابن ماجة بسنده عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «ليغسل موتاكم المأمونون».

المقصد التربوي للصلاة

في الجانب الخلقي للفرد المسلم

للصلاة آثار عديدة في تقويم الجانب الأخلاقي للمسلم نذكر منها ما يلي:

أولاً: الصلاة تجعل المسلم وقافاً عند حدود الله، يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

فهي تعد المسلم إعداداً أخلاقياً رائداً يحرص دائماً على الطهارة والنظافة طوال اليوم والليلة، ثم يقف يناجي ربه تعالى تاركاً وراءه زخرف الدنيا ليتزود للآخرة، فإذا عاد إلى الدنيا لم يكن ذلك الذي ينغمس في زخارفها بل يجعلها بلاغاً إلى الآخرة، يستمتع بطيباتها ليقوى على عبادة ربه جل وعلا، فلا هو ساخط بفرح فرحاً مفرطاً بوجود المنصب ولا يجزع جزعاً مفرطاً لذهابها أو تحولها.

ثانياً: الصلاة تعود الفرد عادات حسنة وتخرجه عن العادات السيئة، فهي تعود المسلم والمسلمة ضبط الوقت، فالمسلم الحق ينتظر الصلاة بعد الصلاة ويحرص على الصلاة لوقتها، كما تعود المسلم ضبط الوقت وعدم تأخير واجباته عن موعدها وتعوده ضبط النفس في أوقات متوالية طوال اليوم والليلة عن الكلام والحركة في الصلاة، وإلا بطلت صلاته. ولذا يقول القرطبي: الصلاة فيها سجن النفوس وتعويدها منع الشهوة، وليس منع شهوة واحدة أو شهوتين كمنع جميع الشهوات. فالصائم إنما منع شهوة النساء والطعام والشراب ثم ينبسط في سائر الشهوات من الكلام والمشي والنظر إلى غير ذلك من ملاذ الحس، فيسقي بهذه الأشياء عما منع، والمصلي يمتنع عن جميع ذلك فجوارحه كلها مقيدة عن جميع الشهوات.

ولعل من أكثر الآفات التي يقع فيها الناس هي آفات اللسان، ولذا قال النبي ﷺ لمعاذ: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[7]. والصلاة تجعل المسلم قادراً على التحكم في كلامه بوجوب الإمساك عن الكلام بغير أذكار الصلاة، في أوقات متوالية حتى يحصل لديه هذا الخلق الحسن فلا يقول إلا كلاماً حسناً، لما يروي مسلم بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت واثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلي فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم... فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[8].

ثالثاً: والصلاة تجعل المسلم يحرص دائماً على أن يراعي نفوس الآخرين ومشاعرهم بل بشريتهم وما لديهم من حاجات ورغبات لا غنى عنها من جهة بعضه ما دامت غير خارجة عن دائرة التشريع، ومن الجوانب التي تعالج هذه الجوانب ما يلي:

(أ) إذا كان المسلم يشعر بحرارة الجوع، وجاء وقت الصلاة فلا يحمل نفسه حملاً على الصلاة فيعاني آلام الجوع وحرارته الملهبة بل روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إذا حضر العشاء، وأقيمت الصلاة، فابدءوا بالعشاء»[9].

(ب) إذا اشتد الحر بالناس في صلاة الظهر أو الجمعة فمن السنة أن تؤخر الصلاة حتى تنكسر حدة الحر وذلك لما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»[10].

(ج) من صلى بالناس إماماً فليخفف قدر الاستطاعة حتى لا ينفر الناس من الصلاة وفي هذا يروي البخاري ومسلم بسندهما عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح لأجل فلان مما يطيل بنا. فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة»[11].

وفي هذا أكبر درس عملي لمراعاة مشاعر الناس وظروفهم وأحوالهم وعدم المشقة عليهم. ولذلك يعلمنا النبي ﷺ من خلال الصلاة كيف نحس مشاعر الآخرين في الحديث الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[12].

رابعاً: ومن الناحية الصلاة أيضاً يعرف المسلم أين مكانه من الناس، فهو أول المسلمين والنموذج الذي يحتذى، والقدوة التي تتبع ويحتل الذؤابة من المسلمين، ولذا فقه المسلمون الأول هذا الافتتاح لكل صلاة لم يرضوا سوى الشهادة على الناس بديلاً، واتجهوا نحو بلاد الشام والعراق ومصر ثم شرقوا حتى وصلوا إلى بلاد الهند والسند، وغربوا حتى وصلوا إلى المغرب العربي، ثم التقى المد الإسلامي في بلاد آسيا قادماً إلى القسطنطينية وبلاد أوروبا من جهة الشرق مع المد الإسلامي من بلاد الأندلس، فصارت الأرض والبحر تحكمها في أغلبها حكم الإسلام وتحقق وعد الله تعالى لهم.

---

[6] [illegible]

(7) رواه ابن ماجه- كتاب الفتن- باب كف اللسان في الفتنة

(8) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة [illegible]

(9) صحيح مسلم [illegible] وجه على تهاونه به

(10) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر

(11) صحيح [illegible]

(12) صحيح البخاري- كتاب الأذان- باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي

خامساً: المسلم حين يكرر متشهداً كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل يعرف الفضل لصاحبه، وصاحب الفضل الأول والأكبر هو الله تعالى، ومن له حق علينا نؤدى له واجب الشكر؛ لأنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى. وهكذا ينطلق من إسار اليأس من رحمة الله إلى سعة الأمل فى رحمة الله الواسعة وهو يردد قوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

وهو دائما يعمل لآخرته ولا يغفل عنها، لأنها دار خير وأبقى، وهو مجتهد فى عبادته وركوعه وسجوده فلا يكون ذلك إلا لله تعالى، وهو متميز دائما عن اليهود والنصارى سائر على [illegible] الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فيعامل كلا بما يستحقه فللمؤمنين الود والتراحم، ومع غيرهم تجرى أحكام الإسلام بلا مهادنة ولا ظلم.

سادساً: والمسلم الذى يصلى راكعاً وساجداً لربه جل وعلا يأبى كل الإباء أن تنحنى هذه الجباه إلا لله تعالى. فهو عزيز النفس، أبى لا يخشى فى الله لومة لائم، لا تستذله الأموال، ولا ينحنى أمام هامات الرجال، ولا يعطى الدنية فى دينه. ولا يرضى سوى العزة والكرامة خلقاً وسمة؛ لأنه يكتسب مع كل سجدة قرباً من العلى القدير. فيرى ويحس من أسباب القوة ما يحتقر معه قوى المتجبرين، وظلم الظالمين، وما أجمل قول النبى ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا». ويقول الشيخ الغزالى: العزة والإباء، والكرامة من أبرز الخلال التى نادى بها الإسلام، وغرسها فى أنحاء المجتمع، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد أو سن من تعاليم. وإليها يشير عمر بن الخطاب بقوله: أحب من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه: لا. علام يصيح المؤذن خمس مرات كل يوم منادياً بتكبير الله وحده فى بداية الأذان ونهايته؟ ولماذا يكرر هذا التكبير فيكتنف حركات الصلاة كلها من قيام وقعود؟ ذلك لكيما يرقى المسلم يقيناً لا يهتز ولا يتزعزع أن كل متكبر بعد الله فهو صغير.. فكأنما وكل منا النداء أن يرد الناس إلى الصواب كلما أطاشتهم الدنيا، وضللتهم متاعاتها الطامة. وتوكيداً لهذا المعنى اختار الله عز وجل اسمى: العظيم والأعلى من أسمائه الحسنى، ليكررهما المسلم فى أثناء ركوعه وسجوده؛ لتتشرب روحه إفراد رب العالمين بالعظمة والعلو[13].

سابعاً: يتعلم المسلم من الصلاة السكينة والوقار، فإذا كانت الصلاة على أهميتها البالغة لا تستحق منه الخروج من البيت فى سرعة وتهور ويجرى المسلم فى الطريق يفقد فيها مروءته ووقاره فغير الصلاة أولى بألا يهرع المسلم إليه ويجرى نحوه على نحو لا يليق بمثله، بل يأخذ الأمور بنفس هادئة وقلب مطمئن أن ما أصاب المسلم لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. هذا الدرس العملى نتعلمه من الحديث الذى رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[14]. هذا الحديث وغيره

---

(13) خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالى، ص (205، 206).

(14) صحيح البخارى، كتاب الأذان، باب يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار (636).

يرسم السبيل الذى يسير عليه المسلم سواء كان فى ذهاب إلى المسجد أو غيره، ومنهجه أن ما أدرك يحصله وما فاته يكمله.

ثامناً: من الصلاة يتعلم المسلم أو المسلمة أن يبادر إلى الواجب فى أول وقته لا يؤخره عن موعده، فإن حالت الظروف بينه وبين أدائه فى أول الوقت فإنه لا يتخلى عن واجبه بمجرد فوات وقته الأول وهذا يستفاد من قضاء الفوائت عند أول فرصة يتمكن فيها المسلم من قضائها وذلك لما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما عاد من غزوة خيبر ناموا ليلة فى الطريق وأمر بلالاً أن يرقب الفجر. فقام بلال فصلى ما قدر له وغلبه النوم وهو مستند على راحلته. فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس. فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ففزع رسول الله ﷺ فقال: أى بلال؟ فقال بلال: أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يا رسول الله. قال: اقتادوا. فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال: من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

(طه ١٤)

هذا الحديث يوضح إلى أى مدى ينبغى أن يدرك الإنسان ما فاته. ونلاحظ فيه فزع النبى ﷺ الشديد وأصحابه كذلك من فوات أول الوقت فى أداء الفريضة، ثم خروج النبى ﷺ وانتقاله عن المكان الذى فوت عليهم صلاة الفجر لحضور الشيطان فيه، ثم يتوضأ ويقيم الصلاة، ومن هنا يتعلم المسلم أن الواجب إذا تعلق بوقته يجب أن يؤديه فى أول وقته أو عند أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.

وإذا كان المسلم يشعر أنه من الممكن أن يفوته شىء منهم فإنه يبادر إليه ولا يدع الأمور للاحتمالات، ومما يشير إلى هذا المعنى الحديث الذى رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخر الليل فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل».

وهكذا يأخذ المسلم منهج المسارعة إلى الخير، والحرص عليه فى أول الوقت ولا يؤخر العمل إلا إذا كان التأخير للعمل ذاته، فإن شك فى ذلك فالأولى أن يبادر إليه فى وقته.

تاسعاً: تساعد تشريعات الصلاة فى التربية الاجتماعية، حيث إن المسلم الذى يرى جيرانه فى المسجد فى لقاء ودى خال من التعالى والكبرياء، والتفاخر والخيلاء، بل فى صلوات جماعة وحلق العلم، وجلسات الذكر، يرى [illegible] المسلمين صفاً واحداً، ويتعانقون فى حب عميق، ويدعو بعضهم لبعض فى الصلوات وبعدها، هذه من أهم أسس التربية الأخلاقية الاجتماعية التى تنفى السلبية والانفرادية وما ينتج عنها من أمراض الخوف من الناس والخفة عليهم، وكراهية مخالطتهم، والتلعثم فى الحوار معهم.

---

(15) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الفائتة واستحباب تعجيله.

عبادة الله مفهوما وغاية

معوض عوض ابراهيم
مراقب عام الوعظ
وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف سابقا

إن الله عزوجل هو رب كل شيء ومليكه وهو الخالق ذو القوة المتين له الخلق وحده وله الأمر دون سواه عرفنا بذاته فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الإخلاص)

وأسعد الناس من عرفوا الله عزوجل بقدر ما يعينهم عليه سبحانه ومن ذلك والله عز وجل اسم الله الأعظم تفرد به عز وأجل وحده وأجل معاني هذا الاسم أنه إله كل شيء ومعبود كل شيء.

وهو سبحانه يقول:

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم ٣٢ - ٣٣)

ولقد أوجب الله سبحانه عبادته بعبارات ربانية تحرك العقول والقلوب على سواء وقلب سبحانه منا الأبصار والبصائر في آياته المتلوة وآياته المجلوة في الأنفس والآفاق لتتصل مواكب أهل الإيمان على الصراط المستقيم وفي مجال التعريف بالله وهدايته يقول ابن منظور في لسان العرب ما يعين على فهم العبادة فقال بتصرف العبد هو الإنسان حرا كان أو رقيقا، يذهب بذلك إلى أنه مردود لبارئه جل وعلا فيقال فلان عبد أي بين العبودة والعبودية والعبدية وأصل العبودية الخضوع والتذلل.

وقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يقل أحدكم مملوكه عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي رواه البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة.

وهذا يعني النهي عن الاستكبار عليهم وأن ينسب عبوديته إليه ولا يقال عبد يعبد عبادة إلا لمن يعبد الله ومن عبد من دونه إلها فهو من الخاسرين وأما عبد خدم مولاه فلا يقال عبده قال الليث: ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله.

إن العابد هو الموحد، قال الإمام الزجاج في قول الله تعالى

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

(الذاريات: ٥٦)

المعنى: ما خلقتهم إلا لأدعوهم إلى عبادتي وأنا مريد منهم العبادة وقد علم الله قبل أن يخلقهم من يعبده ممن يكفر به قال: ولو كان خلقهم ليجبرهم على العبادة لكانوا كلهم عبادا مؤمنين قال الأزهري: وهذا قول أهل السنة والجماعة

ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبد إذا كان مذللا وصدق الله العظيم

﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾

(الملك ١٥)

أي معبدة ممهدة للسالكين

إن عبادة الله أبعد مدى وأعظم دلالة من مجرد الخضوع والتذلل كما يبدو من كلام كثيرين تحدثوا عن العبادة لغة واصطلاحا

فإن عبادة الله لا تكون ذات بال حتى يمازجها حب الله واليقين في أن ما نذكر به من أوامره تعالى ونواهيه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو أيسر حقوقه علينا حتى نتذوق حلاوة الإيمان ونستشعر سكينة الوجدان وندرك بها صفو الحياة وروعة الحياة. أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «قال الله تعالى: يا بن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك».

إن الله تعالى تعرف إلى الناس أول ما تعرف إليهم برحمته بعد ربوبيته للعالمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝ مالك يوم الدين ۝ إياك نعبد وإياك نستعين ۝ اهدنا الصراط المستقيم ۝ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

(الفاتحة)

والله تعالى يحب مؤمنين ويحبه مؤمنون قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٥٤)

وكم يخطئ من حصر العبودية في الخضوع والذل دون محبة لله تدعو إلى طاعته برغبة وشوق وشعور بأن ذلك هو الحق أيسر الحق ومحبة الله ليست [illegible] ولا هي

دعوى لا يرتبط فيها الحب لله وبما بلغ البشرية مصطفاه صلوات الله عليه ودعوى المحبة بدون عادة صبغ أفراده لا تصليهم بالله تعالى وصلة

وقد صدق الذى قال:

[illegible]

إن المحب لمن يحب مطيع

ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد وقد صدق الله العظيم وهو يذكر زكريا عليه السلام واستجابته تعالى لدعوته حين وهبه يحيى فقال:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٩٠)

فهم راغبون فى رحمته خائفون من عقابه تبارك وتعالى

إن من أحبه مولاه استعمله فيما يرضاه وفى الحديث الصحيح «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه......» الحديث رواه البخارى

ومحبوب الله تعالى لا يعمل شيئا يغضب مولاه ويضع دائما أشواق نفسه ومطامحها لمراد الله ومراضيه وهو بذلك يكون سعيدا راضيا يتحقق فيه أمر الله والحياة».

وقد ذكر العلماء عن شباب الفضيل بن عياض [illegible] أنه كان فى طريقه إلى بعض صبوات اللهو والغافلين فسمع صوتا نديا يتردد بقول الله تعالى:

﴿ [illegible] قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق [illegible] ﴾

(الحديد: ١٦)

وتبلغ الآية مبلغها من نفسه وإذا به يقول من فوره [illegible] وقد أصغى الله به وبين ما خر فيه إلى الأذقان من معاصيه سترا صفيقا فيصلح من فساد ويستقيم من عوج ويهتدى من ضلال ويسارع إلى الخيرات ويدوم عليها وتعزف نفسه على الدنيا ويقول «والله لو عرضت لى الدنيا لتقذرتها كما يتقذر أحدكم الجيفة [illegible] مخافة أن تصيب ثوبه».

إن الله تعالى يعبد لذاته ويجد المؤمن فى طريق الحق والخير سوابق فضل الله إليه وسوابغ أنعمه التى ما انفكت تترادف إليه - ومن عبد الله لمجرد طلب ثوابه كان ناظرا فى حقيقة أمره إلى الثواب لا إلى رب الأرباب وحسب المؤمن أن يعبد الله استجابة لأمره [illegible] واستعلاء بطاعة الله على أن يكون عبد هواه أو أسير دنياه وهو شرف يقصر دونه كل شرف ورحم الله من قال:

كفى بى عزا أن تكون لى ربا

وكفى بى شرفا أن أكون لك عبدا

تأملات فى السيرة

غـزوة بـدر الكبـرى

لفضيلة الشيخ [illegible]

لا يخفى عليك أن القارئ الكريم أن الدافع لى إلى كتابة (التأملات فى السيرة) هو فى الأساس ما يزعمه الغرب وأمريكا على وجه خصوص من تدليس تجاوز حد التزوير والافتراء على التاريخ الإسلامى خصوصا ما يتعلق بالسيرة النبوية فلكم تقولوا [illegible] يتطاولون وزعموا أن الإسلام دين حرب وأن النبى كان متعطشا للدماء [illegible] فرصة للغزو والتعدى إلا [illegible] دون مراعاة لخلق أو ضمير ولكم [illegible] ولكم وجهوا سهامهم إلى غزوات النبى وزعموا أنها كانت نتيجة نفسية متعطشة للدماء والحرب مع أن الواقع غير ذلك تماما فلم تكن غزوة من غزوات النبى إلا [illegible] أهداف نبيلة [illegible] سوى أن [illegible] لإصلاح اعوجاج مختل أو انحراف شارد عن الجادة أو إرساء مبدأ إنسانى لا بد أن تتعلمه الإنسانية ولو قسرا حتى يستقيم أمر الناس وصدق الله فى قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٤٠)

وتروج لعبارات كيف يحاربون لتصدق هذه القولة أنه بعث داعيا وهاديا ومعلما وأما ما يزعمه الغرب الاستعمارى فلا حقيقة له بل الغرب هو الذى يتشدق بكلمات ظاهرها غير باطنها حتى أن معنى الكلمات نفسه قد تشوه فهو يطلق كلمة تقدم على انحراف أعمى يؤدى إلى تدمير الإنسان والطبيعة. ويطلق كلمة حرية على نظام يسمح بحرية السوق لأولئك الأكثر قوة أن يفرضوا ديكتاتورية عديمة الإنسانية تلك التى تسمح لهم باستلاب الضعفاء ويطلق كلمة (عولمة) لا على حركة تؤدى إلى وحدة متكاملة الأنغام للعالم ولكن على انقسام يتنامى بين الشمال والجنوب نابع من وحدة امبريالية وطبقية وانقسام يدمر تنوع هذه الحضارات ومعتقداتها هكذا يقول جارودى فى كتابه كيف نصنع المستقبل. فنرى الغرب يزعم أنه يقدم معونات لترسيخ الديمقراطية فى العالم الثالث والواقع أنه يدمر الأخلاق والممتلكات وكذلك يزعم أنه يقدم معونات وقروض بواسطة البنك الدولى للدول الفقيرة والواقع الذى اعترف به رئيس البنك الدولى أنه وسيلة قذرة لسيطرة الامبريالية الغربية على مقدرات الشعوب بالإضافة إلى أنه ترويج لسلع استهلاكية تستنزف طاقات الدول الفقيرة وظل العالم أجمع لم يحس

توضيح أن حجة حرب العراق [illegible] العراق تمتلك أسلحة نووية [illegible] العراق ولم يوجد فيه [illegible] أسلحة نووية وبعد كل الدمار الذي أصاب العراق [illegible] ومستقبلا [illegible] تصرح أن مهمتها انتهت والواقع يكذب هذا الزعم [illegible] تخرج من العراق إلا مع آخر برميل نفط في العراق فأين هذا من نبل الإسلام ونبي الإسلام.

وبعد: فإني أردت أن أوضح أسباب غزوات النبي ﷺ التي قادها فهي تعلم الإنسانية كيف تقف مع الحق [illegible]

لا يخفى على أحد ما لقيه النبي صلى وأصحابه في مكة من تعذيب يجاوز حد القسوة حتى إنه أجبر على الفرار هو وأصحابه بأنفسهم ودينهم إلى المدينة.

قل لي بربك كم خسر المسلمون من أموال وكم نفوس أزهقت كل ذلك بالباطل أفلا يحق في ميزان العقل والمروءة والشجاعة أن يهب الفقراء لاسترداد بعض حقوقهم [illegible] السعي في استرداد [illegible] حق هو في الحقيقة إعلاء للإنسانية وتكريس [illegible] للظلم والجهل والعطرسة فكان لابد أن ينهض النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لاسترداد بعض [illegible] فخروج النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن للحرب إنما كان لاسترداد بعض [illegible] من أموال المسلمين في مكة [illegible] المسلمين لم يخرجوا لقتال ولم يريدوه إنما خرجوا لاسترداد بعض أموالهم فلم يرد النبي قتالا ولم يخرج له لكن الله سبحانه وتعالى [illegible] آيات محكمة ويبين أن المسلمين لم يخرجوا لقتال إنما دخلوا الحرب وهم كارهون يقول الله سبحانه وتعالى:

[illegible]

(الأنفال: ٥ - ٨)

وهكذا كل غزوات النبي وكل حروبه لم تكن عدوانا [illegible] وتدافع عن مظلوم ونشر مبادئ سامية دون إكراه أو اضطهاد فلم تقم في الإسلام حرب ابتغاء نشر الإسلام بالقوة ولم تكن حرب في الإسلام لإشباع شهوة السيطرة والاستعلاء والاستبداد [illegible] ثروات الآخرين وكل ما تفعله أمريكا الآن وما فعلته أوروبا قديما وما يعاني منه العالم كله الآن هو نتيجة أطماع غربية شرهة للمال والسلطة والاستبداد إن الاستعمار الذي نهب ثروات البلاد الفقيرة وما يسمى بالعالم الثالث شاهد على سوء استغلال الدول الغربية وعطرستها وأخس ما يوصف به [illegible] والسلام [illegible] الدول الفقيرة وأكبر دليل على هذا ما يزعم أنه يقدمه للعالم الفقير كمساعدات بما يسمى البنك الدولي فإن هذا البنك هو مخلب الشيطان الغربي الذي يكبلهم به ويوقعهم تحت عطرسته وتحكمه.

إن ما تفعله أمريكا في [illegible] على أحد، ومازالت تفعله في العراق وأفغانستان خير شاهد على [illegible] العطرسة والجبروت [illegible] ثروات

الربيع العربي من أموال تقدمها إلى فئات المجتمع [illegible] تقدمه من أموال [illegible] إنما تستتر خلف مسميات خادعة

[illegible] الاستبداد [illegible] وأعرف ضحايا الاستبداد وحيله وخبث [illegible] المستبدين وأعرف حيلهم وزيف دعواهم التي يخدعون بها الشعوب الضعيفة ليستولوا على ثرواته البشرية والمادية وها هو تاريخ الشعوب المقهورة يفضح مكر وخداع الاستبداد والمستبدين فكم عانت الشعوب ومازالت تعاني من قهر [illegible] أمريكا تدخلها السافر لتفتيت وتشويه ثورات الربيع العربي إنها تسمي ما تفعله وما تبذله من أموال مساعدات لنشر الديمقراطية فهل بربك شراء النفوس الضعيفة لتقويض تقدم الأمم المقهورة يسمى مساعدات لنشر الديمقراطية ولماذا تريدنا أمريكا نبرر لها ما تفعله من تدخل بأنها تسعى لنشر الديمقراطية ونرفض أن يسعى الإسلام لتبليغ دعوة السلام والعدل والتوحيد [illegible] ثم يتهمون المسلمين بالإرهاب

[illegible] بين درة معروف بها [illegible]

وهل بعارة ما للناس من عار

كيف ولماذا تبرر أمريكا عطرستها وتدخلها المشين في دول العالم وتطلق [illegible] من تشاء من رؤساء الدول وتقصي من تشاء وتؤلب الشعوب على حكامها وتزعم أن الإسلام دين إرهاب إننا لا نناقش أو نبرر أفعال النبي صلى الله عليه وسلم دون وعي ولكننا نحتكم إلى العقل والضمير هل أكره النبي صلى الله عليه وسلم أحدا على الدخول في الإسلام؟.. لا.. هل غزا أو هاجم قوما دون إنذار [illegible] السلام. [illegible] لا تسير في [illegible] عن حق [illegible] أبدا ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يعفو ويغفر من يقدم عليه فضلا عن كل ذلك أنه نبي موحى إليه.

فبالله عليك تعالى معي إلى غزوة بدر هل في قدرة أي قائد أو خبرته ما يستطيع أن يحدد مصارع القوم ويحدد أسماءهم ثم هل يصح في ميزان الجيوش والمقاتلين أن يقابل ما لا يقل عن ألف مقاتل مدججين بالسلاح والعتاد يقابلهم ثلاثمائة ليس معهم إلا ما يستر عوراتهم إلا أن الله وعدهم بالنصر الذي تحسب أن أمريكا وغيرها في حاجة إلى أن يتعقلوا وحي السماء ويؤمنوا به بل أقول ليت المسلمين يصدقوا أو يوقنون بوحي السماء وأن يتصرفوا على أساسه بعقل وقلب ويقين.

تأمل معي بعض ما ورد في خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تجنى عليه الغرب بأكمله ظلما وعدوانا واتهمه بالعدوانية تقول الروايات أنه صلى الله عليه وسلم ما ضرب أحدا بيده قط إلا أبي بن خلف لأنه في رأينا استحق القتل، فليت المسلمين يعلمون أبناءهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وكيف أنه لم يبدأ بعدوان قط.

يروى عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال "كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم سورة من القرآن".

ويروى عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال "كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ويعدها علينا ويقول يا بني هذا شرف آبائكم فلا تضيعوه".

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبدالرحمن

نماذج من الغش الثقافي!

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة المنشور بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٣٠/ ١١/ ٢٠١١م يقول:

من مأثورات الحكمة النبوية، قول رسول الله ﷺ: إن الرائد لا يكذب أهله.. ومن غشنا فليس منا.

ولأن أهل العلم والثقافة والفكر هم رواد أقوامهم وأهليهم وأممهم، فإن الواجب عليهم أن يصدقوا أقوامهم وأهليهم فيما يقدمون لهم من فكر وثقافة تنير لهم الطريق. لكن ثقافتنا العربية الإسلامية، في عصرنا الحديث.. خاصة منذ حملة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م)، قد شابها غش كثير وخطير، صنعه، وارتكب وزره عدد من رواد الفكر والثقافة، الذين غشوا أهلهم بدلاً من أن ينصحوهم، وكذبوا عليهم بدلاً من أن يصدقوهم القول فيما قدموا من أفكار وآراء.. وعلى سبيل المثال:

فالإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) قد غزا الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد.. فأسس للقهر الحضاري، والنهب الاقتصادي، والعزل السياسي، والمسخ الثقافي، والاضطهاد الديني، الذي عانى منه الشرق لأكثر من عشرة قرون، كان الشرقيون فيها عبيداً وأقناناً للإغريق والرومان والبيزنطيين.. ومع ذلك وجدنا من رواد ثقافتنا من يغش قيقول: لقد كان الإسكندر قد فكر قبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء.. ولم يكن يريد أن يفتح الأرض وحدها، وإنما كان يريد أن يفتح معها العقل، بل قل إنه إنما كان يفتح الأرض تمهيداً لهذا الفتح العقلي بل لا نستعمل كلمة الفتح فلم يكن الإسكندر فاتحاً بمعنى الذي تفهمه الأجيال المختلفة لم يكن صاحب حرب وقهر وغلب.. وإنما كان صاحب مودة ومحبة وإخاء وتسوية بين الناس!.. وسيراً على طريق الغش الثقافي وجدنا من يدعو لإقامة تماثيل للإسكندر الأكبر في جميع ميادين بلادنا، تخليداً لذكرى هذا الذي أسس لعشرة قرون من الغزو والقهر والاستبعاد.

وعندما جاء بونابرت إلى بلادنا غازياً، ليعيد أحلام الإسكندر الأكبر، والملك الصليبي لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠م)، قرر هؤلاء الرواد الثقافيون الكذبة حملته الفرنسية على الفكر والثقافة والإعلام والتربية والتعليم، باعتبارها الرافعة لأعلام الحرية والإخاء والمساواة.. والتي أيقظت العقول والقلوب وأخرجتها من الظلمات إلى النور، والتي صحبنا الحداثة والاجتهاد والتجديد.. والتي أسست المجمع العلمي في بلادنا.. والتي أتت بالمطبعة التي دخلت بنا إلى العصر الحديث.

ولم يقل لنا هؤلاء الرواد الكذبة: إن حملة بونابرت قد أبادت في عامين ٣٠٠٠٠٠ مصري أي سبع الشعب، الذي كان تعداده يومئذ أقل من ثلاثة ملايين!.. وهي أعلى نسبة إبادة في أي غزوة من غزوات الاستعمار في التاريخ.. وأن بونابرت هذا هو رائد الحملة الاستعمارية، التي أوقفت قطاعات من أبناء الأقليات في خيانة لأمتهم وحضارتهم.. حتى لقد رفع بعضهم علم فرنسا.. وشهرت استقلال المسلمين ودولة الوطنيين الأمر الذي أسس للتوتر الطائفي في عصرنا الحديث، وأنه هو الرائد لاغتصاب فلسطين لحساب الأقليات اليهودية التي دعاها وأغراها بالتحالف مع الإمبريالية الغربية ضد العرب والمسلمين.

وأنه هو الذي أعطى الأمان لثلاثة آلاف جندي مسلم، استسلموا في معركته ضد غزة ثم ذبحهم جميعاً على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

وأنه هو الذي سار على طريق الصليبيين القدماء في تدنيس المقدسات الإسلامية، فاقتحم الأزهر الشريف بخيوله، حيث سكر فيه جنوده، وبالوا وتغوطوا وقتلوا طلاب العلم، وأحرقوا المكتبات، بما فيها من المصاحف وكتب الحديث النبوي الشريف!.. وحتى العشرات من شيوخ الأزهر وعلمائه قتلهم سليمون، وألقى بجثثهم في النيل! وأن المطبعة التي جاءت بها الحملة الفرنسية، لم تطبع سوى منشورات الدعاية للغزاة، وأنهم قد أخذوها معهم عندما رحلوا سنة ١٨٠١م، وأن المطبعة التي قامت بمصر تطبع الكتب والصحف قد أنشأها محمد على باشا.. بأموال الشعب المصري سنة ١٨٢٠م.. أي بعد عشرين عاماً من زوال دولة الفرنسيس!

لم يقل لنا هؤلاء الرواد الثقافيون الكذبة شيئاً من هذه الحقائق.. التي أشرت إلى قطرة من بحرها.. وإنما ظلوا لأكثر من قرنين يزيفون صورة هذه الحملة الفرنسية على مصر، ويكذبون على أهلهم.. حتى لقد احتفلوا بالذكرى المئتين لهذه الحملة الاستعمارية سنة ١٩٩٨م.. أي احتفلوا مع فرنسا بالاحتلال بدلاً أن يحتفلوا.. ككل الوطنيين.. بالاستقلال.. ونموذج ثالث لهذا الغش الثقافي.. صنعه هؤلاء الرواد الثقافيون الكذبة، عندما ترجموا (الكوميديا الإلهية) للشاعر الإيطالي دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١م) فلقد حذفوا عما وصفه للإسلام بالهرطقة، ووصفه لرسول الإسلام ﷺ مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم، وقد قطع جسمهما وشوه جسمهما في دار السعير، لأنهما في رأي دانتي من أهل الشجار والشقاق!! لقد أخفى الرواد الثقافيون الكذبة عنا هذا الفحش الفكري الذي اقترفه دانتي.. تلك نماذج مجرد نماذج للغش الثقافي، الذي مارسه رواد ثقافيون كذبة، خانوا الأمانة، فغشوا أهلهم وجعلوا انتماءهم للآخر وليس للذات!!

الحرب على الإسلام لا مبرر لها

تحت هذا العنوان جاء هذا التقرير في جريدة الأهرام المسائي الصادرة في ٧/ ١٢/ ٢٠١١م جاء فيه:

بينما تحشد الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ هجمات ١١ سبتمبر ميزانيات ضخمة لما يسمى بالحرب على الإرهاب، يفضح مؤلف أمريكي المتاجرة الأمريكية والغربية في إلصاق الإرهاب بالإسلام وإشعال الحروب هنا وهناك للتغطية على فشل هذه الحكومات داخلياً لتوفير متطلبات شعوبها، وادعاء بوجود عدو خارجي يسعى أن تحشد من أجله طاقة البلاد. ويعرض جوشوا سينلد الأستاذ المشارك للأبحاث في جامعة فيرجينيا في صحيفة نيويورك تايمز كتاب (الشهداء المفقودون لماذا هناك عدد قليل جداً من الإرهابيين المسلمين) للمؤلف الأمريكي تشارلز كورزمان أستاذ علم

الاجتماع بجامعة ولاية كارولينا الشمالية الذي جاء في ٢٤٨ صفحة عن مطبعة جامعة أكسفورد ويقول المؤلف: يجب أن يفهم القراء أن الإنفاق الحكومي في الولايات المتحدة وإهدار الموارد فيما يسمى بالحرب ضد الإرهاب أو على نمط تنظيم القاعدة غير متناسب مع حجم التهديد الفعلي الذي تشكله للولايات المتحدة لأن هناك عددا قليلا جدا من المتشددين الإسلاميين. كما أن هناك متطرفين في جميع الديانات، ويتساءل كورزمان: هل علينا إغلاق أعيننا لعدم رؤية الهجمات الإرهابية في كل مكان، ولكنها تحدث كل يوم ولكن لا يرتكبها الإسلاميون فقط؟

وفي فصل كامل حول تنظيم القاعدة يقول المؤلف: إن تنظيم القاعدة الذي ينفذ عمليات إرهابية يمثل نسبة ضئيلة جدا من المتشددين الإسلاميين (أي المتطرفين الذين يستغلون الإسلام لتحقيق أهداف معينة) وفي المقابل، يمثلون قلة من المسلمين الذين يبلغ عددهم أكثر من مليار نسمة في جميع أنحاء العالم.

ومع ذلك يقول كورزمان: تدعي حكومتنا أن التهديد لايزال قائما.

وأضاف إنه عندما واجهت العرب مشكلات اقتصادية وأزمة سياسية كان تكثيف الحرب على الإرهاب بمثابة عنق الزجاجة التي فشل العرب في الخروج منها وتفاقمت مشكلاته الاقتصادية على أثرها

وقال إن التنظيمات الإرهابية تفتقر لما تحتاجه من مئات الجهاديين الذين هم على استعداد للعمليات الاستشهادية في الغرب، وذلك في إشارة لتنظيم القاعدة وحلفائه الذين ينشطون في حركة طالبان في أفغانستان وباكستان، وحركة الشباب في الصومال وتنظيم القاعدة في اليمن، كما قال: إن المناطق الجغرافية لتلك التنظيمات تقلل من التهديدات التي تواجهها الولايات المتحدة والغرب.

وأوصى المؤلف بوضع حد لحالة الطوارئ التي تشهدها الولايات المتحدة والغرب خوفا من الهجمات الإرهابية الضئيلة والتي لا تتناسب مع حجم الموارد التي تستنفدها أمريكا والغرب إلى جانب تأثير حالة الطوارئ على الحريات المدنية في البلاد، مشيرا إلى أن السياسيين الحاليين والسابقين في أمريكا سيلقى عليهم باللوم وسوف يسألون مستقبلا بسبب [illegible] العرب النفق المظلم.

كتاب كورزمان لايخلو من ملاحظات حول كيفية استغلال الإرهابيين لشبكة الإنترنت ذات التأثير العالمي ووسائل الإعلام المختلفة والمتطورة من أجل تغذية التطرف وتجنيد أنصار جدد فيما أطلق عليه اسم «الجهاد الالكتروني» والتي تتضمن نشر كتيبات من تعليمات متشددة لتسهيل عملية هجمات إرهابية إلى جانب جذب التعاطف لشيوخ التطرف مثل زعيم القاعدة الراحل أسامة بن لادن، وفي [illegible] ملاحظة [illegible] تدخل في حروب غير عادلة وغير منطقية [illegible] دول بأكملها وتعريض مواطنيها للقتل والدمار.

ويتحدث المؤلف عن تأثير العولمة على انتشار الإرهاب وإن كان يؤكد [illegible] محمود [illegible] حدوث فرق بين الإرهاب المحلي مثل حركة حماس والإرهاب الذي يتجه نحو العالمية مثل تنظيم القاعدة.

وركز المؤلف أيضا على سعي المسلمين في أنحاء العالم لتحديث المجتمع والسياسة وإعادة صياغة التقاليد في قوالب حديثة وقال: إنهم يسعون لتكريس [illegible] مجتمعات [illegible] حديثة

كما انتقد المؤلف عدم الاعتماد على العلوم الاجتماعية للحد من ظاهرة الإرهاب لتجنب إشعال حروب لا طائل من ورائها سوى الخسائر والدمار.

الخوف من الخلافة الإسلامية!!

تحت عنوان: «نتنياهو يدعو إلى تأسيس صندوق دولي لدعم خصوم الإسلاميين في العالم العربي» جاء تحقيق الأستاذ زهير أندراوس لصحيفة القدس العربي الصادرة بتاريخ ٩/١٢/٢٠١١م يقول:

منذ اندلاع الثورات في العالم العربي لإسقاط أنظمة الديكتاتوريين لم تتوقف مراكز الأبحاث في الدولة العبرية عن نشر دراسات حول [illegible] الثورات، كما أن الإعلام العبري المتطوع لصالح الأجندة الصهيونية، يواصل نشر التقارير والتحقيقات حول آخر المستجدات والتطورات في الوطن العربي، والمتابع للشأن الإسرائيلي يتوصل إلى نتيجة واحدة وهي أن القاسم المشترك لجميع الخبراء والمستشرقين في الدولة العبرية هو التهويل من خطر الإسلاميين، والتحذير من أن سيطرتهم على مقاليد الحكم، ستؤدي إلى قيام امبراطورية إسلامية وراديكالية في الشرق الأوسط الأمر الذي يحتم على صناع القرار في تل أبيب أن يستعدوا لهذا السيناريو المقلق، على حد تعبيرهم.

في نفس السياق، عكفت المؤسسة الحاكمة في إسرائيل والنخب المرتبطة بها على التشكيك في طابع ثورات التحول الديمقراطي في الوطن العربي وتحذير العالم من مآلاتها زاعمة أنها سوف تفضي إلى هيمنة الحركات الإسلامية على مقاليد الأمور في الدول العربية ولقد فطن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إلى إثارة مخاوف العالم من خلال تحذيره من تكرار تجربة، يبدي الغرب تجاهها حساسية خاصة، لاسيما تجربة الثورة الإسلامية في إيران التي انطلقت كحركة احتجاج ضد نظام الشاه وانتهت إلى إقامة الجمهورية الإسلامية.

ولم يفته التحذير من أن مصر تنتظر مصيرا مشابها في حال صعود الإسلاميين إلى الحكم كنتاج للثورة. ولكن نتنياهو لم يكتف بالتحذير من مخاطر وصول الإسلاميين إلى الحكم، بل إنه حاول إعطاء الانطباع بأنه حريص على بروز تيار ديمقراطي منافس لهم فدعا إلى تأسيس صندوق دولي لدعم خصوم الإسلاميين في العالم العربي. لكن نتنياهو نوى أن يحاكي التجربة الغربية، مستلهما خطة «مارشال» التي نفذتها الولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية لدعم أوروبا الغربية وقد أرسل نتنياهو عيران ليرمان، مساعد مستشاره للأمن القومي إلى الولايات المتحدة لبحث هذا المقترح مع قادة الكونجرس الأمريكي.

وفي سعيها لشيطنة ثورات التحول الديمقراطي في العالم العربي، وتأليب العالم عليها، اقتفت النخب الإسرائيلية أثر نتنياهو، وحرصت على استدعاء متلازمتي إيران وحركة حماس، والإيحاء بأن العالم بات على موعد مع تكرار هاتين التجربتين فهناك من اعتبر أن ما حدث في مصر انقلاب وليس ثورة، لأن هذه الأحداث ستنتهي بوصول جماعة الإخوان المسلمين إلى الحكم، وأنهم سيقيمون في مصر النسخة السنية للجمهورية الإسلامية في إيران، مشددين في الوقت ذاته، على أنه لا يوجد في مصر أي ميل نحو التحول الديمقراطي والحريات، بل العكس تماما فقد قال نتنياهو من على منصة الكنيست إن العرب والمسلمين لا يمكنهم أن يعيشوا تحت كنف الديمقراطية، لأنه يوجد تناقض جوهري بين تعاليم الدين الإسلامي وبين قيم الديمقراطية على حد تعبيره.

في سياق ذي صلة، فقد حذر يوسي سريد، وزير القضاء الإسرائيلي السابق، المحسوب على ما يطلق عليه في إسرائيل اليسار الصهيوني، وهو الذي وقع على إعلان جنيف، حذر من أن تسليم العالم بنقل مقاليد الأمور للإسلاميين في أعقاب الثورات العربية يمثل عملا غير مسؤول مدعيا إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما عاد إلى ما اسماه بالخطأ نفسه الذي وقع فيه الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر الذي تخلى عن

الشاه، مما أدى في النهاية ليس فقط إلى سقوط الحكم الإمبراطوري في طهران، ولكن أيضاً إلى تغيير جذري في المنطقة بأسرها.

ورغم أن هناك من يعتبر أنه تسابق تسيروف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق: إسحاق رابين، وأحد كتبة الأعمدة المشهورين في الدولة العبرية، زعم أن الثورة في مصر تحديدا، تشكل نقطة تحول فارقة نحو القطيعة بين مصر والعلمانية والغربية، متوقعا أن تنافس الصور التي ستأتي من مصر، تلك التي تصل من إيران التي تحولت الأحداث من وراء الكواليس، من أجل تحقيق هدف رئيس واحد، وهو القضاء على أجواء السلام والمصالحة مع إسرائيل.

في حين عشر إلياكيم هعتسني أحد قادة المستوطنين في الضفة الغربية، وهو ينشر مقالاً أسبوعياً في صحيفة يديعوت أحرونوت الأوسع انتشاراً في إسرائيل، أن وصول الإسلاميين المتشي إلى الحكم بفضل الثورات العربية، سيشكل دعما كبيراً لحكم حركة حماس، مما يمثل تهديداً استراتيجيا لإسرائيل، معتبراً أن وصول الإسلاميين المتوقع إلى الحكم في مصر يعني تقليص قدرة تل أبيب على العمل ضد الحركة، على اعتبار أن هناك إمكانية كبيرة أن يزود الحكم الجديد في مصر حركة حماس بتجهيزات ومعدات حربية لوجستية دفاعية تقيد قدرة إسرائيل على إلحاق الأذى بالحركة، علاوة على أنه لا يستبعد أن تقف مصر تحت حكم الإسلاميين خلف عمليات عسكرية على طول الحدود مع إسرائيل ـ على حد تعبيره.

إسرائيل والإسلام السياسي

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذة / وفدى حيدر المنشور بجريدة النهار الصادرة بتاريخ ٢ / ١٢ / ٢٠١١م يقول:

تدرك إسرائيل اليوم أنها أمام شرق أوسط جديد وأنظمة عربية ذات طابع إسلامي تختلف تماماً عن الأنظمة العربية القديمة العلمانية والاستبدادية التي اعتادت التعامل معها طوال عقود، وقد انقسمت مواقف الإسرائيليين حيال هذا التحدي الجديد بين اثنين: موقف الذين يهولون بخطر صعود الإسلام السياسي ويعتبرونه بداية لمرحلة من عدم الاستقرار والفوضى في المنطقة وعودة إلى الوراء إلى عهد الصراع بين الإسلام والغرب، وموقف آخر براغماتي والذي يحاول فهم أعمق ما يحدث في العالم العربي في محاولة للتنبؤ بالتطورات المستقبلية، مع سعي جدي للتعرف إلى حقيقة الإسلام السياسي الصاعد وماهيته.

يتولى اليمين في إسرائيل حملة التهويل بخطر صعود الإسلام السياسي إلى السلطة في مصر وفي غيرها من الدول العربية، مدعياً أن هذا الإسلام سيعيد المجتمعات العربية إلى عصور الظلام بفرضه الشريعة الإسلامية وتقييده حرية المرأة وخنقه الأقليات الدينية، والمفارقة الكبيرة أن هذا اليمين نفسه يتجاهل ما يحدث في إسرائيل نفسها حيث يتصاعد يوما بعد يوم نفوذ التيارات الدينية المتشددة التي تحاول فرض نمط حياتها على الدولة عن طريق تطبيق نصوص الشريعة اليهودية، سواء داخل الجيش الإسرائيلي من خلال إجراءات الفصل بين النساء والرجال، أو بسن قوانين عنصرية ضد الأقليات العربية، أو بفرض قيود على تمويل جمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان، وذلك في غمرة حملة يتعرض لها الجمهور العلماني واليساري في إسرائيل من الجمهور المتدين، هذا من دون التطرق إلى معركة الشرسة التي تخوضها حكومة نتنياهو من أجل حمل الفلسطينيين على الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية.

لا يمكن إسرائيل أن تفرض على الجميع الاعتراف بها دولة يهودية، وأن ترفض تحول مصر إلى دولة يحكمها الإسلام السياسي.

بين المجلة و القارئ

اعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

المتحدثون بالإسلام!

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ مصطفى الأزهري ـ خطيب مسجد سوق الحمام ـ السيدة عائشة ـ القاهرة

بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير وانطلاق الحريات وخروج المجتمع المصري من سنوات القهر وتكميم الأفواه إلى استنشاق عبير الحرية حتى صار الكلام مباحا في كل شيء، وصار كل أحد يتكلم بما يهوى الكلام؛ وبالتالي انطلقت أصوات وأفكار إسلامية كان أصحابها من قبل من ذاق صنوف الاضطهاد والملاحقة، فإن بعض الأصوات ـ بعد الثورة ـ تحول التعبير عن أفكارها وتوجهاتها بكل حرية وقوة إلى الحد الذي صار كثير من الدعاة والوعاظ ـ وخصوصا المتحدثين في الفضائيات ـ قد تحولوا ـ في سياق الحديث السياسي عن الإسلام ـ إلى محللين سياسيين أو شيوخ سياسة ـ كما أطلق عليهم كاتب هذه السطور ـ محذراً أن يتكلم الواعظ أو الداعية بلسان السياسي أو العكس؛ فنرى اختلاطا واضحا للأوراق؛ فالسياسة علم له قواعد وأصول يعرفها من درسها وتخصص فيها؛ والعلم الشرعي له منابعه وأصوله ومتخصصوه؛ ومن ثم فالاستخفاف أو الاستسهال في خلط هذا بذاك من غير المؤهلين علمياً من كلا الطرفين يحدث ارتباكا شديدا في المفاهيم، ويعمق الصراع الدائر بين ما هو سياسي وبين ما هو شرعي، وهنا يطفو خطورة هذا التلبيس: الإسلام ذاته ودعوته، فمن أخطر ما يصيب الدعوة وطريقها أن يتحدث في شأنها من لا يجيد مؤهلات الدفاع دون شعور بحجم القضية وأثر التحدث بها أو عنها بلا وعي أو تمكن فيقع في مخالفة صريحة لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

[illegible]

ثم إنه من بعض من واقع الناس أن تمتلئ كثير من الأفواه بالكلام المعسول والحديث الفياض عن الدين والشريعة وحكم الإسلام؛ دون أن يرى الناس نموذجا حقيقيا يلتفون حوله معروف السيرة والمسيرة في عمل الخير وقضاء حوائج الناس وإعانة الملهوفين منهم؛ فتنظيف شارع واحد ورصفه خير من ألف خطبة عن فضل النظافة وآداب

الطريق، وإطعام رغيف خبز لفقير جائع أفضل ألف مرة من موعظة مطولة أو خطبة عصماء عن فضل الصدقة، فالأمة تحتاج لبرنامج واع وخطة راشدة يقدر فيها من يتحملون مسئولية الحكم بلد في قامة

مصر [illegible] صعوبة تلك المسئولية وعظمها أمام الله تعالى وهو سائلهم عما استرعاهم [illegible] فلينظر كيف يعملون [illegible] ربنا ولا تول أمورنا شرارنا.. آمين.

الإسلام وقضية الإسراف

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / محمد على أحمد الشريف - محاسب بكلية التربية - فرع دمياط - جامعة المنصورة:

الإسراف في اللغة ضد القصد ومن معانيه: مجاوزة الحد، ووضع الشئ في غير موضعه.

ويؤدى الإسراف إلى ضياع النعم وتبديد [illegible] وهلاك الحرث والنسل وتدمير [illegible] صحة وحياة الإنسان والكائنات الحية.

وللأسف الشديد، فإننا نعيش اليوم واقعاً مريراً، حيث أضحى الطعام والشراب في أغلب حياة الناس نهما وشرها وإسرافا وتبذيرا ولذة وغاية، فالأموال الكثيرة [illegible] وتهدر في صناعة الأطعمة والأشربة [illegible] في [illegible] وتلقى في [illegible] الحفلات والمناسبات ببذخ شديد.

الفقر ينتشر بين المسلمين ويعانى من مشكلات عديدة وخطيرة بسبب بذخ الأغنياء وإسراف المبذرين.

الأغنياء يسكنون القصور الفاخرة ويركبون العربات الفارهة ولا يشعرون بمعاناة الفقراء بل وملايين من المسلمين الذين لا يجدون ما يقيم أودهم.

والإسلام دين الوسطية فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير، قال سبحانه وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٣١)

إن ديننا الحنيف يقف موقفاً فريداً متميزاً من قضية الإسراف، فهي ليست في الإسلام قضية هامشية [illegible]، وإنما هي قضية تكليفية طاعة للمولى عز وجل وابتغاء لمرضاته وتجنبا لمخاطر وأضرار الإسراف القاتلة. والإسراف في الإسلام نوع من التهور والتسرع وعدم التبصر بعواقب الأمور وهو دليل على الاستهتار واللاعقلانية وعدم الحكمة في تحمل المسئولية. وقد توعد [illegible] بالهلاك، قال سبحانه وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٩)

ومن أهم صور الإسراف، الإسراف في المشرب (الماء) وقد خلق الله سبحانه وتعالى الماء وجعله سبب الحياة حيث قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

لذلك نهى الإسلام عن الإسراف في استهلاك الماء ولو كان الغرض من ذلك الوضوء أو الغسل، فقد أخرج ابن ماجة من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار».

وأخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه [illegible]

كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد.

وهناك الإسراف في استهلاك مصادر الطاقة بترولية أو كهربائية [illegible] التي تؤدى إلى الإسراف والتبذير والضياع دون الضرورة الملحة أو الحاجة الماسة، كل هذا [illegible] إسراف وتبذير وترف ينهى عنه الإسلام فمتى نسترد وعينا ونترك ما نحن فيه من إسراف.

البر والصلة

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ / أحمد عبدالمحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية للبنين - إدارة الدقي - جيزه

● [illegible] الإحسان [illegible] ما يسرهما، فالأمر بالإحسان للوالدين ولو كانا كافرين فقد روى الإمام أحمد ومسلم - أن أم سعد بن أبي وقاص حلفت لا تكلم سعداً أبداً حتى يكفر بدينه، وقالت له زعمت أن الله أوصاك بوالديك، فأنا أمك، وأنا آمرك بهذا [illegible] الآية الكريمة:

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت: ٨)

وقال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

● ومن الإحسان إلى الوالدين وبرهما إكرام أصدقائهما والإحسان إليهم قال الشاعر:

أكرم خليل أبيك حيث لقيته [illegible]

● ومن وصل رحمه وصله الله فقد روي أن إحدى نساء المسلمات ذهبت إلي رسول الله ﷺ - وقالت: أتتني أمي وهي راغبة في عهد النبي ﷺ أي راغبة برى وصلتي مع شركها فسألت النبي ﷺ [illegible] قال ﷺ: «نعم صلي أمك»، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٣٦)

وكذلك وصل عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible] وكان ذلك قبل إسلام أخيه.

● وصلة الرحم تكون سبب في بسط الرزق والبركة في العمر قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحميد

الظلم

قال أهل اللغة:

الظلم معناه في كلام العرب: الذي يضع الأشياء في غير موضعها. ويقال: من يشبه أباه فما ظلم، أي فما وضع الشبه في غير موضعه. والظلم أيضا هو النقصان. قال تعالى:

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(البقرة: ٥٧)

معناه: ما نقصونا من ملكنا شيئاً إنما نقصوا أنفسهم، وقال سبحانه:

﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾

(الكهف: ٣٣)

ولم تنقص منه شيئاً.

ويكون الظلم كذلك بمعنى الشرك. قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾

(الأنعام: ٨٢)

أي بشرك.

رءوس النعم

كان أبو يوسف القاضي ـ صاحب أبي حنيفة ونشر مذهبه ـ يقول: رءوس النعم ثلاثة هي:

نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا به. قال تعالى:

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، فاجعل صحتك في طاعة الله. ونعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.. فكن بما في يد الله أوثق مما في يدك لتكن أغنى الناس.

إن القلوب تموت وتحيا

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي! قال: أدنه من الذكر، وقال: إن القلوب تموت وتحيا، فإذا ماتت فاحملوها على الفرائض، فإذا هي أحييت فأتبعوها بالتطوع، إن قسوة القلب ذمها المولى عز وجل قال تعالى:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ... ﴾

(البقرة: ٧٤)

حقـــا

لقد أتعبت من بعدك

رأى علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب يهنأ[1] بعيرا أجرب من إبل الصدقة، فقال أبو الحسن لأبي حفص، هلا عهدت بذلك إلى عبد يقوم به؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ من ولي من أمر المؤمنين فهو عبد للمؤمنين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده!!

قال علي ـ رضي الله عنه: لقد أتعبت من بعدك!

لهم ما لنا.. وعليهم ما علينا

عندما هاجم قازان التترى دمشق؛ في آخر القرن السابع؛ أسر أسرى من المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى. فذهب ابن تيمية ـ رضي الله عنه ـ إليه فأجابه في فك أسرى المسلمين دون الذميين، ولكن ابن تيمية؛ رأى أن الدين يوجب عليه أن يفك أسرى اليهود والنصارى من أهل الذمة لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولم يتركه حتى فك أسرهم جميعاً.

المسك لوني

كانت العرب كثيرا ما تعير عنترة بن شداد ـ الشاعر والفارس الجاهلي الشهير ـ بالسواد، فلما كثرت الأقاويل في ذلك أنشد في شرح حاله هذين البيتين:

النقي.. التقي

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت، أي الخصال خير للإنسان؟ قال: الدين، قال: فإذا كانت اثنتين، قال: الدين والمال، قال: فإذا كانت ثلاثا، قال: الدين والمال والحياء، قال: فإذا كانت أربع خصال، قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال: فإذا كانت خمسا، قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإذا كانت ستا قال: يا بني، إذا اجتمعت الخصال الخمس فهو نقي تقي، ولله ولي، ومن الشيطان بريء.

دعـــاء

اللهم ارزقنا من العقول أوفرها، ومن الأذهان أصفاها، ومن الأعمال أزكاها، ومن الأخلاق أطيبها، ومن الأرزاق أجزلها ومن العافية أكملها، ومن الدنيا خيرها، ومن الآخرة نعيمها، ومن الجنة الفردوس الأعلى

---

(١) هنأ البعير: طلاه بالهناء، وهو القطران.

أنبـــاء الأزهـــر

إعداد الأساتذة:
عبد الموجود أمين - يحيى سليمان

بيان الأزهر والمثقفين لدعم إرادة الشعوب العربية



د. أحمد الطيب

انطلاقا من إدراك كبار علماء الأزهر ومجموعة المثقفين المشاركين لهم، لمتطلبات المرحلة التاريخية الفاصلة، التي تمر بها شعوب الأمة العربية في نضالها المشروع للحرية والعدالة والديمقراطية، واستئناف مسيرتها الحضارية، واستلهاما لروح التحرر في الإسلام، وتحريرا لحقيقة مشروعية السلطة، ودورها في الإصلاح وتحقيق المقاصد والمصالح العليا للأمة، واتساقا مع مواقف الأزهر الشريف، وقادة الفكر في مصر والوطن العربي في دعم حركات التحرر من المستعمر الغاشم والمستبد الظالم، وإيمانا من الجميع بضرورة يقظة الأمة للأخذ بأسباب النهضة والتقدم، وتجاوز عثرات التاريخ، وإرساء حقوق الشعوب في العدالة الاجتماعية، على أساس راسخ من مبادئ الشريعة وأصولها، بما تتضمنه من حفظ العقل والدين والنفس والعرض والمال، وسد الطريق أمام السلطة الجائرة التي تحرم المجتمع العربي والإسلامي من دخول عصر التألق الحضاري، والتقدم المعرفي، والإسهام في تحقيق الرخاء الاقتصادي والنهضة الشاملة انطلاقا من كل ذلك فإن المجموعة التي أصدرت وثيقة الأزهر ومثلت مختلف ألوان الطيف الفكري في المجتمع المصري، قد أدارت عدة حوارات بناءة، حول ما حققته الثورات العربية من تفاعل خصب، وتجاوب حميم بين مختلف التيارات والتوجهات، وتوافقت على جملة مبادئ مستمدة من الفكر الإسلامي، والطموحات المستقبلية للشعوب العربية، وتبنت مرجعية الأزهر الشريف في إعلان ضرورة احترام المواثيق التالية:

أولا: تعتمد شرعية السلطة الحاكمة من الوجهة الدينية والدستورية على رضا الشعوب، واختيارها الحر، من خلال اقتراع علني يتم في نزاهة وشفافية ديمقراطية، باعتباره البديل العصري المنظم لما سبقت به تقاليد البيعة الإسلامية الرشيدة، وطبقا لتطور نظم الحكم وإجراءاته في الدولة الحديثة والمعاصرة، وما استقر عليه العرف الدستوري من توزيع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، والفصل الحاسم بينها، ومن ضبط وسائل الرقابة والمساءلة والمحاسبة، بحيث تكون الأمة هي مصدر السلطات

جميعا، ومانحة الشرعية وسالبتها عند الضرورة. وقد درج كثير من الحكام على تعزيز سلطتهم المطلقة، متشبثين بفهم مبتور للآية القرآنية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

(النساء ٥٩)

متجاهلين سياقها الواضح الصريح في قوله تعالى قبل ذلك في الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

(النساء ٥٨)

مما يجعل الإخلال بشروط أمانة الحكم وعدم إقامة العدل فيه مسوغا شرعيا لمطالبة الشعوب حكامهم بإقامة العدل، ومقاومة الظلم والاستبداد. ومن قال من فقهائنا بوجوب الصبر على المتغلب المستبد من الحكام حرصا على سلامة الأمة من الفوضى والهرج والمرج، فقد أجاز في الوقت نفسه عزل المستبد الظالم إذا تحققت القدرة على ذلك وانتفى احتمال الضرر والإضرار بسلامة الأمة ومجتمعاتها.

ثانيا: عندما يرتفع صوت المعارضة الوطنية الشعبية والاحتجاج السلمي، الذي هو حق أصيل للشعوب لتقويم حكامها وترشيدهم، ثم لا يستجيب الحكام لنداء شعوبهم، ولا يبادرون بالإصلاحات المطلوبة، بل يمعنون في تجاهل المطالب الوطنية المشروعة التي تنادي بالحرية والعدالة والإنصاف، فإن هؤلاء المعارضين الوطنيين لا يعدون من قبيل البغاة أبدا، وإنما البغاة هم الذين تحددت أوصافهم فقهيا بامتلاك الشوكة والخروج على الأمة، ورفع الأسلحة في مواجهة مخالفيهم، والإفساد في الأرض بالقوة. أما الحركات الوطنية السلمية المعارضة، فهي من صميم حقوق الإنسان في الإسلام التي أكدتها سائر المواثيق الدولية، بل هي واجب المواطنين لإصلاح مجتمعهم وتقويم حكامهم، والاستجابة لها واجب على الحكام وأهل السلطة، دون مراوغة أو عناد.

ثالثا: تعد مواجهة أي احتجاج وطني سلمي بالقوة والعنف المسلح، وإراقة دماء المواطنين المسالمين، نقضا لميثاق الحكم بين الأمة وحكامها، ويسقط شرعية السلطة، ويهدر حقها في الاستمرار بالتراضي، فإذا تمادت السلطة في طغيانها، وركبت مركب الظلم والبغي والعدوان، واستهانت بإراقة دماء المواطنين الأبرياء، حفاظا على بقائها غير المشروع -وعلى الرغم من إرادة شعوبها- أصبحت السلطة مدانة بجرائم تلوث صفحاتها، وأصبح من حق الشعوب المقهورة أن تعمل على عزل الحكام المتسلطين وعلى محاسبتهم، بل تغيير النظام بأكمله، مهما كانت المعاذير من حرص على الاستقرار أو مواجهة الفتن والمؤامرات، فانتهاك حرمة الدم المعصوم هو الخط الفاصل بين شرعية الحكم وسقوطه في الإثم والعدوان. وعلى الجيوش المنظمة -في أوطاننا كلها- في هذه الأحوال أن تلتزم بواجباتها الدستورية في حماية الأوطان من الخارج، ولا تتحول إلى أدوات للقمع وإرهاب المواطنين وسفك دمائهم. فإنه

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة ٣٢)

رابعاً: يتعين على قوى الثورة والتجديد والإصلاح أن تبتعد كلياً عن كل ما يؤدي إلى إراقة الدماء، وعن الاستقواء بالقوى الخارجية أياً كان مصدرها، ومهما كانت الذرائع والتعلات التي تتدخل بها في شئون دولهم وأوطانهم، وإلا كانوا بغاة خارجين على أمتهم وعلى شرعية دولهم، ووجب على السلطة حينئذ أن تردهم إلى وحدة الصف الوطني الذي هو أول الفرائض وأوجب الواجبات. وعلى قوى الثورة والتجديد أن تتحد في سبيل تحقيق حلمها في العدل والحرية، وأن تتفادى النزعات الطائفية أو العرقية أو المذهبية أو الدينية، حفاظاً على نسيجها الوطني، واحتراماً لحقوق المواطنة، وحشداً لجميع الطاقات من أجل تحول ديمقراطي يتم لصالح الجميع، في إطار من التوافق والانسجام الوطني، ويهدف لبناء المستقبل على أساس من المساواة والعدل، بحيث لا تتحول الثورة إلى مغانم طائفية أو مذهبية، أو إثارة للحساسيات الدينية، بل يتعين على الثوار والمجددين والمصلحين الحفاظ على مؤسسات دولهم، وعدم إهدار ثرواتها، أو التفريط لصالح المتربصين، وتفادي الوقوع في شرك الخلافات والمنافسات، والاستقواء بالقوى الطامعة في أوطانهم أو استنزاف خيراتها.

خامساً: بناء على هذه المبادئ الإسلامية والدستورية، المعبرة عن جوهر الوعي الحضاري، فإن علماء الأزهر وقادة الفكر والثقافة يعلنون مناصرتهم التامة لإرادة الشعوب العربية في التجديد والإصلاح ومجتمع الحرية والعدالة الاجتماعية، والتي انتصرت في تونس ومصر وليبيا، ولا تزال محتدمة في سوريا واليمن، ويدينون آلات القمع الوحشية التي تحاول إطفاء جذوتها، ويهيبون بالمجتمع العربي والإسلامي أن يتخذ مبادرات حاسمة وفعالة لتأمين نجاحها بأقل قدر من الخسائر، تأكيداً لحق الشعوب المطلق في اختيار حكامها، وواجبها في تقويمهم منعاً للطغيان والفساد والاستغلال، فشرعية أية سلطة مرهونة بإرادة الشعب، وحق المعارضة الوطنية السلمية غير المسلحة مكفول في التشريع الإسلامي في وجوب رفع الضرر، فضلاً عن كونه من صميم حقوق الإنسان في المواثيق الدولية جميعاً.

سادساً: يهيب علماء الأزهر والمثقفون المشاركون لهم بالنظم العربية والإسلامية الحاكمة بتأكيد وعيهم الحرص على المبادرة إلى تحقيق الإصلاح السياسي والاجتماعي والدستوري طوعاً، والبدء في خطوات التحول الديمقراطي، فصحوة الشعوب المضطهدة قادمة لا محالة، وليس بوسع حاكم الآن أن يحجب عن شعبه شمس الحرية، ومن العار أن تظل المنطقة العربية وبعض الدول الإسلامية قابعة دون سائر بلاد العالم في دائرة التخلف والقهر والطغيان، وأن ينسب ذلك ظلماً وزوراً إلى الإسلام وثقافته البريئة من هذا البهتان، كما يتعين على هذه الدول أن تشرع على الفور في الأخذ بأسباب النهضة العلمية والتقدم التكنولوجي والإنتاج المعرفي، واستثمار طاقاتها البشرية وثرواتها الطبيعية خدمة لمواطنيها، وتحقيقاً لسعادة البشرية كلها.

هذا، ولا يحسبن أحد من دعاة الاستبداد والطغيان أنه بمنجاة من مصير الظالمين، أو أن بوسعه تضليل الشعوب، فعصر الاتصالات المفتوحة والانفجار المعرفي، وسيادة المبادئ الدينية والحضارية المبرأة، وتمادي التضحية والنضال المشهودة عياناً في دنيا العرب، كل ذلك جعل من صحوة الناس شعلة متوهجة، ومن الحرية راية مرفوعة، ومن أمل الشعوب المقهورة دعوات يحملونها للطغاة المستميتين حتى النصر، ولينكف الجاهلون بالدين، والمشوهون لتعاليم الإسلام، والداعون لتأييد الطغيان والظلم والاستبداد عن هذا العبث الذي لا طائل وراءه.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف ٢١)

اللهم إنا نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وترد بها الفتن عنا يا رب العالمين.

مشيخة الأزهر في:
٢من ذي الحجة سنة ١٤٣٢هـ
الموافق: ٣٠ من أكتوبر سنة ٢٠١١م

شيخ الأزهر أحمد محمد الطيب

الإمام الأكبر يؤكد: العدوان على الحرم القدسي الشريف خط أحمر

في الوقت الذي تتسارع فيه وتيرة التهويد الصهيوني لمدينة القدس الشريف، وتتصاعد الاعتداءات الصهيونية على المقدسات الإسلامية بالحرم القدسي - وفي القلب منها المسجد الأقصى المبارك، وتتسابق المشروعات الصهيونية في تهديد معالم الحرم الشريف، وآخرها مشروع قطار القدس - يعلن الأزهر الشريف قبلة العلم الإسلامي، والمرابط على ثغور الأمة والمدافع عن قضاياها العادلة، وطنية كانت أو إسلامية، يعلن:

أولاً: أن عروبة القدس تضرب في أعماق التاريخ لأكثر من ستين قرناً، حيث بناها العرب اليبوسيون في الألف الرابع قبل الميلاد، أي قبل عصر أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - بواحد وعشرين قرناً.. وقبل ظهور اليهودية التي هي شريعة موسى عليه السلام بسبعة وعشرين قرناً.

ثانياً: أن شريعة موسى - عليه السلام - وتوراته، قد ظهرت بمصر، المنطقة الناطقة باللغة الهيروغليفية، قبل دخول بني إسرائيل غزاة إلى أرض كنعان، وقبل تبلور اللغة العبرية بأكثر من مائة عام. ومن ثم فلا علاقة لليهودية لا بالقدس ولا بفلسطين.

ثالثاً: إن الوجود العبراني في مدينة القدس لم يتعد ٤١٥ عاماً على عهد داود وسليمان عليهما السلام - في القرن العاشر قبل الميلاد، وهو وجود طارئ وعابر، حدث بعد أن تأسست القدس العربية ومضى عليها ثلاثون قرناً من التاريخ.

رابعاً: إذا كان تاريخ القدس قد شهد العديد من الغزوات والغزاة، فإن عبرة التاريخ تؤكد دائماً أن كل

الغزاة قد عملوا على احتكار هذه المدينة ونسبتها لأنفسهم دون الآخرين.. صنع ذلك البابليون.. والإغريق، والرومان، وكذلك الصليبيون.. ثم الصهاينة الذين يسيرون على درب هؤلاء الغزاة، ويعملون الآن - على تهويدها واحتكارها، والإجهاز على الوجود العربي فيها.

لقد صنع الغزاة ذلك، بينما تفرد الإسلام الذي تميز بالاعتراف بكل الشرائع والملل، واحترام كل المقدسات، تفردت بتأكيد قداسة هذه المدينة وإشاعة ذلك بين كل أصحاب الديانات والملل.. الأمر الذي جعل ويجعل من السلطة العربية على القدس ضمانًا لمصالح الجميع، فالقدس في ظل السلطة العربية هي دائمًا - مدينة الله، المفتحة الأبواب أمام كل خلق الله وعباده.

خامسًا: أن احتكار القدس وتهويدها - في الهجمة المعاصرة - إنما يمثل خرقًا للاتفاقيات والقوانين والأعراف الدولية التي تجرم وتحرم أي تغيير لطبيعة الأرض والسكان والهوية في الأراضي المحتلة. ومن ثم فإن تهويد القدس فاقد للشرعية القانونية، فضلًا عن مصادمته حقائق التاريخ التي تعلن عروبة القدس منذ بناها العرب اليبوسيون قبل أكثر من ستين قرنًا من الزمان.

سادسًا: أن الأزهر الشريف، - ومن ورائه كافة المسلمين في الشرق والغرب -، إذ يرفض هذه المشروعات، يحذر الكيان الصهيوني والقوى التي تدعمه من التداعيات التي تهدد سلام المنطقة بل سلام العالم كله، ويذكر الكيان الصهيوني ومن وراءه - بأن:

● الصليبيين قد احتلوا مناطق أوسع مما تحتله الصهيونية... ووقعت القدس في الأسر الصليبي سنوات تزيد على ضعف السنوات التي وقعت فيها في قبضة الصهيونية الباغية.. ومع ذلك، مضت سنة التاريخ - التي لا تتخلف - في طي صفحة الاحتلال، وإزالة آثار عدوانه المتعدي على الحقوق والمقدسات.

● وأن الصهاينة - الذين يستندون إلى القوى الإمبريالية الغربية الغاشمة، في محاولتهم تهويد القدس الشريف - إنما يغامرون بمستقبل اليهود أنفسهم، ويتجاوزون الخطوط الحمراء للأمة الإسلامية، التي يبلغ تعدادها نحو ربع البشرية، وهي أمة قادرة - في يوم قريب - على انتزاع حقوقها المسلوبة.

● إن القدس ليست مجرد أرض محتلة، وإنما هي - قبل ذلك وبعده - حرم إسلامي ومسيحي مقدس.. وقضيتها ليست - فقط - مجرد قضية وطنية فلسطينية، أو قضية قومية عربية، بل هي - فوق كل ذلك - قضية عقدية إسلامية، وأن المسلمين وهم يجاهدون لتحريرها من الاغتصاب الصهيوني، فإنما يهدفون إلى تأكيد قداستها وتشجيع ذلك عند كل أصحاب المقدسات كي يخلصوها من الاحتكار الإسرائيلي والتهويد الصهيوني.

● والأزهر الشريف يناشد كل أحرار العالم أن يناصروا الحق العربي في تحرير القدس وفلسطين، كما يدعو عقلاء اليهود للاعتبار بالتاريخ الذي شهد على اضطهادهم في كل مكان حلوا به إلا ديار الإسلام وحضارة المسلمين.

ويؤكد الأزهر - مرة أخرى - أن تهويد القدس، والعدوان على معالم الحرم القدسي الشريف، هو خط أحمر، وهو في الوقت نفسه مقدمة واعدة بطي صفحة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

● لقد سبق لصلاح الدين الأيوبي أن حدد طريقة تحرير القدس الشريف، عندما كتب إلى الملك الصليبي ريتشارد قلب الأسد، وقال له: "لا تفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عن القدس أبدًا. كما لا يمكن بحال أن نتخلى عن حقوقنا فيها كأمة مسلمة... ولن يمكنكم الله أن تشيدوا حجرًا واحدًا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد". ولقد صدق التاريخ على كلمات الناصر صلاح الدين. ومعلوم لكل عاقل أن للتاريخ سننًا إلهية لا تبديل لها ولا تغيير:

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٢١)

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء: ٢٢٧)

شيخ الأزهر أحمد محمد الطيب

بيان بيت العائلة المصرية

عقد بيت العائلة المصرية صباح يوم الخامس من المحرم سنة ١٤٣٣هـ الموافق ٣٠ من نوفمبر سنة ٢٠١١م اجتماعًا طارئًا برئاسة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وحضور ممثلين للكنيسة الأرثوذكسية والطوائف المسيحية الأخرى وتدارس المجتمعون تداعيات حادث قرية الغريزات مركز المراغة محافظة سوهاج، وهو حادث قام على إثر خلاف عائلي حول مسائل مدنية إدارية بين جيران من أبناء قرية واحدة في مشكلة حياتية لا علاقة لها بالدين من قريب أو من بعيد، ولما كان الطرفان من مسلمين ومسيحيين فقد أعطى الحادث انطباعًا طائفيًا غير صحيح، على الرغم من أن الأسباب الحقيقية لا تمت لذلك على الإطلاق.

وقد رأى بيت العائلة إيفاد وفد مصغر من مجلس بيت العائلة إلى موقع الحادث لتقديم العزاء للطرفين في الوقت المناسب والسعي لإنهاء آثار هذا الحادث المؤسف، في إطار القانون وعبر المحاكمة العادلة والسريعة لمن ارتكبوا هذا الحادث أو شاركوا في الجريمة النكراء.

كما بحث المجلس في اجتماعه الإجراءات الوقائية لتفادي مثل هذه الأحداث المتكررة وتداعياتها السلبية على المجتمع المصري، خصوصًا في ظل الأجواء الرائعة التي يعيشها شعب مصر العظيم مع بدء انتخاباته النيابية الأولى بعد ثورة ٢٥ يناير متوجهًا نحو حياة ديمقراطية حقيقية في مناخ كامل بين المسلمين والمسيحيين إذ أن صفوف التصويت أمام اللجان قد جمعت المصريين جميعًا بلا تفرقة أو استثناء.

وسوف يبدأ بيت العائلة جولات في مختلف محافظات الجمهورية تبدأ بمحافظة سوهاج بوفود تضم متخصصين في كافة المجالات الثقافية والاجتماعية والتربوية إلى جانب رجال الدين من الجانبين، لأنه قد آن الأوان لأن تخرج مصر من نفق الطائفية لتعيش في رحاب تاريخ المصري بحضارته المتعاقبة على مر العصور.

حمى الله مصر الكنانة على مر العصور وصانها من كل شر

الإمام الأكبر: مصر في غنى عن المذاهب التي تشيع الفرقة

إن الأزهر الشريف وقد أزعجته الظواهر الغريبة التي أطلت برأسها وتتجرأ على اقتحام المساجد والعبث بحرمتها يعلن من جديد ضرورة اعتزاز الشعب المصري، والمسلمين في مصر بوحدة نسيجهم الديني وتمسكهم – على مدار تاريخهم – بمذهب أهل السنة والجماعة، المذهب الذي عاشوا في ظله وتمسكوا بعقيدته السمحاء، وبفكره الوسطي الذي لا يقدس الأشخاص ولا يعترف بالعصمة إلا للأنبياء وحدهم. وقد حقق المسلمون المصريون في ظل هذا المذهب أمجادهم التاريخية الخالدة، وحموا من خلاله العالم الإسلامي كله، حين ردت مصر بجنودها المرابطين كتائب المغول، وطردت الصليبيين من الأراضي المقدسة، واستعادت الحرم القدسي الشريف بقيادة صلاح الدين وخلفائه الأبطال الذين قاوموا المذاهب الباطنية بالتصوف السني الصحيح.

إن الأزهر الشريف وهو الصرح العلمي التاريخي والمرجعية الكبرى لأهل السنة والجماعة جامع في الوقت نفسه بين الانتماء الشرعي والولاء الروحي لآل البيت الكرام، ليؤكد مرة أخرى أنه بالمرصاد لمن يريدون تمزيق الوحدة الدينية والنسيج الروحي للشعب المسلم في مصر وبخاصة في هذه الظروف التي تحتاج إلى مزيد من الوحدة والوعي والتنبه للمخططات التي تريد بذر عوامل الفتنة والصراع بين أبناء الوطن الواحد. ولن يسمح الأزهر قط في يوم من الأيام باصطناع النزاعات التي تتخذ التشيع المزعوم لآل البيت غطاء يحمي أهدافها الطائفية وأوهامها المذهبية وتوسعاتها الإقليمية. وتدعي المحبة لآل البيت رضي الله عنهم الذين يبرؤون من دعاوى هذه الطائفة التي تخمر الكراهية والحقد على صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم وأزواجه الأطهار.

وإن مصر لفي غنى عن هذه المذاهب التي تشيع الفرقة، وتروج لعداوة أصحاب النبي وخلفائه بناء على أساطير مختلقة، ورؤى تاريخية عفى عليها الزمن. ولسوف يتصدى الأزهر بكل قوة للمحاولات الإجرامية الخبيثة التي تصدم العقل الصريح وترد النقل الصحيح، وتنقض أصول القياس عند جماهير العلماء والعقلاء من الناس. ومصر في تاريخها الطويل، ودساتيرها وقوانينها لا تعرف إلا الأديان السماوية التي تعيش على أرضها، ويحترمها كل المصريين.

حفظ الله مصر كنانته، وحفظ أزهرها عرينا لأهل السنة والجماعة وحمى شعبها من المتربصين بها والكائدين لها والحاقدين على شعبها

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾

(يوسف: ٢١)

شيخ الأزهر د. أحمد الطيب



أنباء العالم الإسلامي

التعاون الإسلامي تدين تسريع بناء المستوطنات

أدان الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو بشدة قرار الحكومة الإسرائيلية بتسريع بناء وحدات استيطانية في الضفة الغربية معتبرا هذا القرار دليلا على عجز إسرائيل وعصبيتها إزاء انحياز المجتمع الدولي لحق الفلسطينيين في إقامة دولتهم المستقلة بعد موافقة (اليونسكو) على منح دولة فلسطين العضوية الكاملة لديها.

وقال الأمين العام للمنظمة إن القرار قد كشف النوايا الإسرائيلية المبيتة التي تثبت عدم جديتها في المضي في عملية سلام حقيقية قائمة على مبدأ الدولتين، وحذر من الانعكاسات السلبية لتحدي إسرائيل للإرادة الدولية. لافتا إلى أن من شأن التعنت الإسرائيلي المتواصل من عملية السلام، أن يقود المنطقة إلى تطورات خطيرة وغير محمودة العواقب. من ناحية ثانية شدد أوغلو على عزم منظمة التعاون الإسلامي على دعم الجهود الفلسطينية في مساعيها لنيل العضوية الكاملة في الأمم المتحدة حتى إقامة دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس.

الحماس ضد الإسلام في الشرطة الأمريكية

أعرب وزير العدل الأمريكي إريك هولدر، عن سخطه من الدروس التي تعطى لموظفي الشرطة الفيدرالية وفيها أن الإسلام دين عنيف جدا وأكد أن هذه الدروس لن تكون أبدا ضمن برنامجه.

وقال هولدر خلال جلسة استماع في مجلس الشيوخ إن لهذه الدروس قوة تدمر الجهود الأساسية التي نقوم بها وقد تكون لها أيضا عواقب سلبية على قدرتنا في التواصل بشكل فعال مع الأمريكيين المسلمين وأوضح أن الأمريكيين المسلمين هم شركاء أساسيون في التصدى للإرهاب وهم يشكلون مصادر موثوقة للمعلومات التي سمحت بتحقيق عدد كبير من النجاحات.

ملحد بريطاني يهاجم المدارس الإسلامية

هاجم الأكاديمي البريطاني الملحد ريتشارد دوكنز التعليم الإسلامي، حيث وصف المناهج التي تدرسها المدارس الإسلامية في المملكة المتحدة بالمتخلفة.

ورأى ريتشارد دوكنز وهو أستاذ علم الأحياء بجامعة أكسفورد أن طلاب المدارس الإسلامية يتجاهلون الأدلة العلمية من أجل اتباع تعاليم القرآن.وأشارت صحيفة «ميل اون صنداي» إلى أن دوكنز أصبح معاديا للدين بوجه عام، وشديد الانتقاد للمدارس الدينية سواء اليهودية أو المسيحية أو الإسلامية، مدعيا أن مناهجها متأثرة بالتعاليم والأجندة الدينية.وقال الملحد البريطاني إن جل من قابلهم في المدرسة يعتقدون أنه إذا حدث تعارض بين القرآن والعلم، فإن القرآن على صواب، زاعماً أن أطفال بريطانيا تم حشو رؤوسهم بثقافة غريبة

وكان دوكنز وقد وصف النقاب بكيس قمامة مما أثار موجة من الغضب بين مسلمي بريطانيا

النيويورك تايمز: النهضة نموذج عصرى للإسلاميين العرب

وصفت صحيفة «النيويورك تايمز» الأمريكية حزب حركة النهضة التونسي بأنه نموذج عصري للأحزاب الإسلامية التي تسعى لتشكيل حكومة ائتلافية مع أحزاب ليبرالية في الدول التي شهدت الربيع العربي في الشرق الأوسط.

وأشارت الصحيفة إلى إعلان حزب النهضة البدء في مشاورات مع أحزاب ليبرالية نجحت في دخول المجلس التأسيسي التونسي وفق النتائج الأولية لفرز الأصوات في

الانتخابات التي جرت مؤخراً من أجل تشكيل الحكومة الجديدة بعد الثورة التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي وتحدثت الصحيفة عن إعلان الأحزاب الليبرالية في تونس دخولها في مشاورات مع حزب النهضة لتشكيل حكومة جديدة تحت قيادة الحركة التي أظهرت النتائج الأولية حصولها على أعلى الأصوات بنسبة تصل إلى ٤٠٪ من مجموع أصوات الناخبين.

٥٣٪ من النرويجيين يطالبون بغلق الحدود أمام المسلمين

كشفت بعض استطلاعات الرأي الحديثة بالنرويج أن ٥٣٪ من النرويجيين يطالبون بإغلاق الحدود أمام المسلمين والمهاجرين الذين لا تتوافق ثقافتهم مع ثقافة المجتمع النرويجي، كما عاد الجدل مرة أخرى حول ارتداء المسلمات للحجاب في الأماكن العامة بالنرويج، حيث تمارس ضغوط كبيرة على النساء المسلمات لاجبارهن على خلع الحجاب بحجة الاندماج في المجتمع.

حماس تطالب اليونسكو بحماية التراث الفلسطيني

دعت وزارة الثقافة في الحكومة الفلسطينية في غزة منظمة اليونسكو لحماية المقدسات والتراث الفلسطيني الذي يتعرض للتخريب والهدم على أيدى المستوطنين تحت سمع وبصر الحكومة الإسرائيلية في مدينة القدس المحتلة وقالت في بيان لها إن اليونسكو مطالبة اليوم أكثر من أى وقت مضى للقيام بمسئوليتها خاصة في أعقاب قبول فلسطين عضوا باليونسكو، وحذرت الوزارة من تصاعد الهجمة من قبل قوات الاحتلال والمستوطنين على مقدسات إسلامية لها أكثر من ألف وأربعمائة عام وناشدت منظمة المؤتمر الإسلامي بالتحرك الفعلي ضد أعمال التخريب والاعتداء التي يقوم بها الاحتلال والمستوطنون ضد المقدسات الإسلامية عبر كل الوسائل وعدم الاكتفاء بإصدار البيانات التي لا تردع الاحتلال.

ملتقى إقليمي في ماليزيا لكليات القرآن الكريم

احتضنت العاصمة الماليزية «كوالالمبور» الملتقى الإقليمي الأول لكليات القرآن الكريم الذي نظمته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بالتعاون مع الهيئة العامة لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وبالتنسيق مع الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا. جاء الملتقى في إطار برنامج التعاون المشترك بين الإيسيسكو والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم تهدف إلى الارتقاء بمستوى تدريس

القرآن من خلال التنظيم والتخطيط والتطوير والمتابعة والتقويم للمؤسسات القرآنية في الدول المشاركة في الملتقى والاستفادة من تجربتها الناجحة في تعليم القرآن الكريم. شارك في الملتقى ممثلون من معظم الدول الإسلامية.. وناقش المشاركون قضايا تعليم القرآن الكريم في ضوء النظريات المعاصرة بهدف تطوير خبراتهم وتعزيز كفاءاتهم وتشجيع التواصل بين العاملين في الكليات القرآنية.

دبلوماسي أمريكي: جرائم إسرائيل سبب معاداة السامية

أكد هوارد جوتمان سفير الولايات المتحدة لدى بلجيكا، أن هناك علاقة بين ارتفاع معدلات معاداة اليهود في العالم وسياسة إسرائيل تجاه الفلسطينيين، حيث ذكرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن جوتمان قال: إنه ينبغي لنا أن نميز بين معاداة السامية التي ندينها وبين الكراهية الناتجة عن الصراع بين المسلمين واليهود، وأن اتفاق سلام ينهي الصراع بين الفلسطينيين وإسرائيل من شأنه أن يقلل من حالات معاداة السامية من قبل المسلمين.

جاءت هذه التصريحات خلال مشاركته في مؤتمر حقوقيون من أجل مكافحة معاداة اليهود في بروكسل، الذي حضره محامون يهود في مختلف أنحاء أوروبا، وجوتمان هو من أصل يهودي، وكان ناشطاً في مجال جمع الأموال للحزب الديمقراطي والانتخابات الرئاسية. وقد أثارت تصريحات جوتمان ذهول العديد من الخبراء والمحامين اليهود الذين حضروا المؤتمر، ورفضوا هذه التصريحات، وقال أحدهم إن معاداة السامية ليست وليدة هذه الأيام، وهذا لا يعني أن اليهود هم الشر الوحيد في العالم.

١٤٦ مليون درهم من هيئة الهلال الأحمر الإماراتي لأبناء الصومال

أعلنت هيئة الهلال الأحمر الإماراتي أن حجم المساعدات التي قدمتها للصومال بلغت أكثر من ١٤٦ مليون درهم إماراتي، ٢٣٨ مليون جنيه، معظمها أنفقت في مشروعات تنموية لصالح المحتاجين من الشعب الصومالي.. شملت المساعدات الأنشطة الإغاثية والإنسانية التي بلغت قيمتها نحو ٥٩ مليون درهم، فيما بلغت تكلفة المشاريع التنموية ٨٧ مليون درهم. ونفذت الهيئة نحو ألفين و١٢٤ مشروعا تنمويا في المجالات الصحية والتعليمية والأوقاف الخيرية، إلى جانب مشروعات توفير مصادر المياه لمحاربة القحط والجفاف؛ وذلك ضمن جهود الهيئة المستمرة لتخفيف المعاناة عن الشعب الصومالي الذي عانى كثيراً من ويلات الحروب والأزمات والكوارث الطبيعية.

{Have you (O Muhammad peace be upon him) not seen of those who went forth from their homes in thousands, fearing death? Allāh said to them, "Die". And then He restored them to life. Truly, Allāh is full of bounty to mankind, but most men thank not. And fight in the Way of Allāh and know that Allāh is All-Hearer, All-Knower.}

[Al-Baqarah (The Cow): 243-244]

The Imam said: "This was the Le[illegible] Allāh, Glory be to Him [illegible] coward nations which do not defend their homeland. The life and the death of the [illegible] are known to all of the people. The death of one nation [illegible] the enemy defeated them and [illegible] their autonomy. Thus, it does not become a nation, as the people scattered, and they have no separate entity, but they follow others. The [illegible]

Cowardness in defending against the enemies by defeat and fleeing is the death full of shame, and the real life is the one protected from the aggressors.

Fighting for the sake of Allah is more general than fighting for the sake of religion, which includes defending the nation [illegible] a greedy enemy [illegible] country and [illegible] bounties or of the tyrant enemy wants to humiliate us and take over our autonomy. If this was not for the sake of protecting [illegible] then fighting for the sake of reality is like fighting for the sake of protecting the truth. All of these are forms of Jihad for the sake of Allah. The jurists agreed that if an enemy entered any of the Islamic countries, fighting is imposed on every Muslim."[3]

Extorting the homeland equals temptation in religion which should be fought to liberate the conscience and homeland.

As Islam revives hearts and homeland: {O you who believe! Answer Allāh (by obeying Him) and His Messenger when he (peace be upon him) calls you to that which will give you life, and know that Allāh comes in between a person and his heart (i.e. He prevents an evil person to decide anything). And verily, to Him you shall (all) be gathered.}

[Al-Anfal (The Spoils of War): 24]

The culture of resistance, witnessing and martyrdom is the only way to the life of the [illegible], nation and civilization. By this reality which is [illegible] since the emergence of Islam as a religion, nation and homeland, the Muslims achieved the [illegible] and honor which Allah, Glory be to Him, [illegible] be from His Dignity and that of the Messenger of Allah:

{But honour, power and glory belong to Allāh, and to His Messenger (Muhammad peace be upon him), and to the believers, but the hypocrites know not.} [Al-Munafiqun (The Hypocrites): 8]

If the tyrant pharaonic and crusade nation want to kill the current Islamic wakefulness and the liberty of the countries of Islam, the culture of witnessing and martyrdom is the culture of: {the rising by night (for Tahajjud prayer)} [Al-Muzzamil (The Enshrouded One): 6]

It achieves one of the [illegible] of Islam among the [illegible] extending from the nation of Islam and the pharaohs of the twenty first century

{Verily, Allāh will help those who help His (Cause). Truly, Allāh is All-Strong, All-Mighty.}

[Al-Hajj (pilgrimage): 40]

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar, 1433 A. H.

ENGLISH SECTION
January, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

AL AZHAR

MAGAZINE

AlAzharMag.com

عدد تذكاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

- فصول عن أكمل إنسان للأستاذ الدكتور محمد عمارة
- ومؤلفة قديمة وحديثة يكتبون عن رسول الإسلام [illegible]
- محمد عبده - المراغي - شلتوت - الصعيدي [illegible] - [illegible]
- العقاد - الرافعي - الغزالي - البشير الإبراهيمي - هيكل باشا - فتح الله
كولن - الفكي بك - البوصيري - أحمد شوقي - البارودي
أحمد حسين - ميخائيل [illegible] - [illegible]
- مع الأبواب الثابتة

هدية العدد

كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم الرسول السياسي)

الدكتور محمد عمارة



السعر ١٥٠ قرشاً

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ربيع الأول ١٤٣٣هـ - فبراير ٢٠١٢م الجزء "٣" السنة "٨٥"

مع هدية العدد

محمد [illegible] الرسول السياسي

للدكتور محمد عمارة

البيان عن أكمل إنسان

للأستاذ الدكتور محمد عمارة

هؤلاء الأئمة والعلماء يكتبون

عن

رسول الإسلام

صلى الله عليه وسلم



العقاد — فتح الله كولن

محمد عبده — البشير الإبراهيمي

ابن باديس — أحمد شوقي

السنهوري باشا — الغزالي

الفلكي باشا — شلتوت

البوصيري — الخضر حسين

هيكل باشا — المراغي — نظمى لوقا

الداوودي — الرافعي

ميخائيل ويردى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
صدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

داخل مصر ١٨ جنيه مصرى
الدول العربية ٥٠ دولار أمريكى
أوربا وأمريكا ٦٠ دولار أمريكى
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولار أمريكا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت ٢٢٦٢٨٥٩٩

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ أحمد قطب

الافتتاحية

البيان عن أكمل إنسان



لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عمارة

• هو أبو القاسم، محمد ﷺ (٥٣ ق.هـ-١١هـ ٥٧١-٦٣٣م) ابن عبدالله (٨١ ق.هـ-٥٣ ق.هـ ٥٤٤-٥٧١م) ابن عبدالمطلب (١٢٧ ق.هـ-٤٥ ق.هـ ٥٠٠-٥٧٩م) ابن هاشم.

• من قريش. يتصل نسبه الشريف إلى عدنان، من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

• وأمه آمنة بنت وهب (٤٥ ق.هـ ٥٧٥م) القرشية، الزهرية.

• ولد بمكة المكرمة، في يوم الاثنين (٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق.هـ ٢٠ أبريل سنة ٥٧١م)

• وأرضعته-بالبادية-حليمة السعدية، من بني سعد بن بكر بن هوازن.

• نشأ يتيما، فلقد مات أبوه عبدالله قبل أن يولد، فحضنته أمه آمنة إلى أن توفيت، وهو في السادسة من عمره. فكفله جده عبدالمطلب، إلى أن مات-وهو في الثامنة من عمره-فكفله عمه أبو طالب (٧٥ ق.هـ-٣ ق.هـ ٥٤٠-٦٢٠م).

• شب كامل العقل، عالي الهمة، صادقا أمينا، شجاعا، فاضل الأخلاق، حتى لقد لقبه قومه-واشتهر بينهم-بالصادق الأمين.

• شارك في عقد «حلف الفضول» الذي قام-بمكة-لنصرة المظلومين، وأخذ حقوق الضعفاء من الأقوياء.

• اشتغل برعي الغنم حينا، ثم بالتجارة، وسافر إلى الشام في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية (٦٨ ق.هـ-٣ ق.هـ/ ٥٥٦-٦٢٠م).

• وفي الخامسة والعشرين من عمره تزوج من السيدة خديجة، وأنجب منها كل أولاده-باستثناء إبراهيم الذي مات طفلا-وظلت خديجة زوجه الوحيدة حتى توفيت-وهو في الخمسين من عمره-سنة (٣ ق.هـ ٦٢٠م)؛ فتعددت-بعدها-زوجاته.

• لم يعش بعده من أولاده، ويعقب سوى ابنته فاطمة (١٨ ق.هـ-١١هـ ٦٠٥-٦٣٢م)، التي تزوجت من ابن عمه علي بن أبي طالب (٢٣ ق.هـ-٤٠هـ ٦٠٠-٦٦١م)، فكان نسله من ولديها: الحسن بن علي (٣-٥٠هـ ٦٢٤-٦٧٠م)، والحسين بن علي (٤-٦١هـ ٦٢٥-٦٨٠م).. على حين توفي بقية أولاده-في حياته- القاسم، وعبدالله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وإبراهيم.

• لم يعبد صنما قط، وكان يميل إلى التأمل، بحثا عن الحقيقة. ثم أخذ يخلو إلى نفسه شهر رمضان من كل عام، في غار حراء-بمكة-يتحنث (يتعبد) فيه تعبد حنفاء ملة أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام.

• وبينما هو بالغار في رمضان سنة (١٣ ق.هـ ٦١٠م) جاءه الوحي من الله بالنبوة الخاتمة، والرسالة الخالدة؛ فأخذ يدعو المقربين منه إلى الإسلام-سرا، ثلاث سنوات-فآمن به نفر قليل، ثم جهر بالدعوة إلى الإسلام.

• نزل عليه القرآن منجما (مفرقا)، وكان كتاب الوحي يكتبونه ويحفظونه. وهو معجزته التي تحدى بها قومه، والإنس والجن أن يأتوا بشيء من مثله

• أصابه الأذى-هو وأصحابه-من مشركي قريش وملئها وأغنيائها، فعذبوا وضربوا، وحاصرته قريش-مع من آمن به-في شعب بني هاشم ثلاث سنوات. وقاطعوهم اقتصاديا واجتماعيا، حتى كادوا أن يهلكوا جوعا؛ فأذن لبعض أصحابه-من الرجال والنساء-بالهجرة-مرتين-إلى الحبشة،

وأخذ يعرض نفسه، ودعوته على القبائل؛ طلبًا للحماية، والإيمان، وكسرًا للحصار.

- ولما استجاب نفر من يثرب (المدينة المنورة) من قبيلتي الأوس والخزرج لدعوة الإسلام سنة (٢ ق.هـ) ثم عادوا في العام التالي سنة (١ ق.هـ)، فتعاقدوا معه -عند العقبة- على تأسيس الدولة الإسلامية الأولى -بالمدينة- بدأ أصحابه في الهجرة إليها.
- هاجر -بصحبة أبي بكر الصديق (٥١ ق.هـ -١٣هـ ٥٧٣-٦٣٤م)- من مكة إلى المدينة، فدخلها يوم الاثنين (٨ ربيع الأول سنة ١هـ ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢م). فأقام مسجد النبوة، ووضع «الصحيفة-الكتاب» دستورًا للدولة الإسلامية الأولى.
- ولاحقته قريش -في مهجره- بالعداء، والعدوان؛ فأذن الله سبحانه وتعالى له ولأصحابه بالقتال دفاعًا عن حرية العقيدة والدعوة، ودفاعًا عن وطن الإسلام ودولته:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

(الحج: ٣٩-٤٠)

- وفي سبيل حماية الدين: والدولة، والوطن؛ وفي سبيل تحرير الشرق من استعمار الرومان وقهرهم: كانت غزواته الثمانية والعشرون، وبها انتصر الإسلام على الشرك والوثنية، وعلى تحالف اليهود مع الوثنية، وتوحد العرب في دولتهم الإسلامية -لأول مرة في التاريخ- ودخل الناس في دين الله أفواجًا. وبدأت الدعوة إلى الإسلام تتعدى شبه الجزيرة العربية إلى جوارها ومحيطها. ولم يتجاوز ضحايا كل تلك الغزوات -التي أعقبتها كل تلك الانتصارات- (٣٨٦ قتيلا) هم كل شهداء المسلمين وقتلى المشركين!
- وفي (٢٥ ذي القعدة سنة ١٠هـ فبراير سنة ٦٣٢م) خرج حاجًا حجة الوداع، وخطب -على عرفات- أطول خطبة، التي قنن فيها الحقوق المدنية، والدينية للإنسانية جمعاء، ثم عاد إلى المدينة المنورة.
- وفي (٢٧ صفر سنة ١١هـ/ مايو سنة ٦٣٢م) كان مرضه الذي توفي فيه؛ فصعدت روحه الطاهرة الزكية المطمئنة إلى بارئها في (يوم الأحد ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ ٧ يونيه سنة ٦٣٢م)، بعد عمر بلغ -بالتقويم القمري- (٦٣) عامًا وثلاثة أيام، وبالتقويم الشمسي (٦١) عامًا، وثمانية وأربعين يومًا.
- وكان عدد الذين اهتدوا إلى الإسلام -عند وفاته- (١٢٤،٠٠٠) مائة وأربعة وعشرين ألفًا، بينما بلغ عدد النخبة والصفوة، والقيادات، والريادات التي تربت في مدرسة النبوة نحوًا من ثمانية آلاف، بينهم أكثر من ألف من النساء.

- كان خطيبًا، أوتي جوامع الكلم، إذا خطب -في نهي أو زجر- احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه؛ كأنه منذر بقتال. وإذا خطب في الحرب اعتمد على قوس، وإذا خطب في السلم اعتمد على عصا.
- وكان محدثًا، حلو المنطق، في كلامه ترتيل وترسيل، وإذا تكلم تبسم.
- وكان متواضعًا، يجلس ويأكل على الأرض، ويخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم أهله، ويلبي دعوة الفقير، والرقيق إلى خبز الشعير، ويجالس المساكين.
- وكان طويل الصمت، قليل الضحك، وإذا ضحك وضع يده على فمه، يمزح -قليلاً- ولا يقول إلا حقًا، وإذا مزح غض بصره.
- وكان شديد الحياء، إذا صافحه أحد لا يترك يده حتى يكون المصافح هو الذي يترك يده.
- ضخم الرأس، واليدين، والقدمين، ربعة -ليس بالطويل ولا بالقصير- واسع الجبين، سبط الشعر (مرسله)، في وجهه تدوير، وميل إلى الحمرة، كث اللحية، عظيم الفم، في أسنانه تفليج وتفريق، عيناه سوداوان، يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه، أزهر اللون، ضخم رءوس العظام، يلبس قلنسوة بيضاء، ويمسح رأسه ولحيته بالمسك وإذا مشى لم يلتفت، وإذا التفت التفت جميعًا، يتكفأ في مشيته كأنما ينحدر من علٍ، وإذا اهتم لأمر أكثر من مس لحيته.
- وكان شجاعًا بطلاً، إذا حمي وطيس الحرب احتمى به أصحابه، وإذا اشتد بأسها كان أقرب أصحابه إلى الأعداء.
- وكان يقف بين يدي مولاه -بقيام الليل- حتى تتورم قدماه، رفيقًا بالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد.
- وكان عاشقًا للجمال في الكون، وللطيب، لا يصد نفسه عن طيبات الحياة وزينتها
- وكان -وهو المعصوم في التبليغ عن ربه- أكثر الناس مشورة لأصحابه يخضع اجتهاده لاجتهادات الأغلبية، وإذا عزم على غزوة أخفاها، وورى بغيرها.
- وصف نفسه فقال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، ووصفته زوجه عائشة (٩ق.هـ -٥٨هـ ٦١٣-٦٧٨م) فقالت: «كان خلقه القرآن»، ووصفه الله سبحانه وتعالى فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

وصدق الله العظيم، وصلى عليه الله وسلم، والملائكة، والمؤمنون إلى يوم الدين

(١) انظر كتابنا (محمد ﷺ المصطفى المعصوم بشر يوحى إليه) طبعة دار السلام - القاهرة

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

(البقرة: ١١ - ١٦)

تنطق هذه الآيات بأن ما عليه هذا الصنف من الغرور بما عنده من التقاليد قد سوّل له الباطل وزين له سوء عمله فرآه حسنا، وشوه في نظره كل حق لم يأته على لسان رؤسائه ومقلديه [illegible]. وقد صورت الآيات هذا الغرور [illegible] حكايته عن بعض أفراده. وهو:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا تصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجا، وتنفرون الناس من محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحاربوا ما جاء به من الإصلاح الذي يحيي الأمم [illegible]، ويقطع [illegible] الأدواء، ويحيي [illegible] من رشاد الدين، ويقيم ما

قوضته التقاليد من سنن المرسلين.

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ بالتمسك بما [illegible] الرؤساء، وما كان عليه الأحبار والعرفاء من تعاليم الأنبياء، فإنهم أعرف بسنتهم، وأدرى بطريقتهم، فكيف ندع ما تلقيناه منهم، ونذر ما يؤثره آباؤنا وشيوخنا عنهم، ونأخذ بشيء جديد، وطارف ليس له تليد؟

هكذا شأن كل مفسد: يدعي أنه مصلح في نفس إفساده. فإن كان على بينة من إفساده عارفا أنه مفسد - وإنما يكون كذلك إذا كان إفساده لغيره لعداوة منه له - فإنما يدعي ذلك لتبرئة نفسه من وصمة الإفساد بالتمويه [illegible]، وإن كان مسوقا إلى الإفساد بسوء التقليد الأعمى الذي لا ميزان فيه لمعرفة الإصلاح من الإفساد إلا الثقة بالرؤساء المقلدين، فهو يدعيه عن اعتقاد، ولا يريد أن يحيد عما تلقاه عنهم.

وإن كان أثر تقليدهم، والسير على طريقتهم، مفسدا للأمة في الواقع ونفس الأمر، لأن الوجود والحقيقة الواقعة لا قيمة لهما ولا اعتبار في نظر المقلدين، بل هم لا يعرفون منشأ الفساد ومصادر الخلل، ولا مزالق الزلل، لأنهم عطلوا نظرهم الذي يميز ذلك، وأرادوا أن يوقعوا غيرهم بهذه المهالك، بصدهم عن سبيل الإصلاح، الداعي إلى التوحيد والاتحاد، فكان ذلك منهم دعاء إلى التفرقة والانقسام، والثبات على عبادة الملائكة و البشر أو الأصنام. وأي إفساد في الأرض أعظم من التنفير عن اتباع الحق، وعن الاعتصام بدين فيه سعادة أهل [illegible]، والأرض إنما تفسد وتصلح بأهلها؟

ولذلك، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾

فابتدأ الكلام المؤكد لإثبات إفسادهم بكلمة «ألا» التي يراد بها التنبيه والإيقاظ وتوجيه النظر، وتدل على اهتمام المتكلم بما يحكيه بعدها.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾

بأن هذا إفساد غرز في طباعهم، بما تمكن فيها من الشبهة بتقليد رؤسائهم الذين أشربوا عظمتهم، وهذا دليل على أنهم لم يكونوا معاندين ولا مرتابين، وأنهم على اعتقاد ضعيف يشهد له العمل كما تقدم في تفسير آية:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾

وإذا كانت الآيات في وصف طائفة من الناس توجد في كل أمة - كما قدمنا - فيحاسب بها نفسه كل مسلم يعتقد أن القرآن إمامه، وأن فيه هدى له، فإنها حجة على كثير ممن يدعون الإسلام بالقول، ويعملون بخلاف ما جاء به ويتبعون غير سبيله.

ثم صورت الآيات ذلك الجهل والغرور في الفريقين بصورة أخرى أشد تشويها مما قبلها، لأن تلك صورتهم في عملهم، وهذه صورتهم في جوهر إيمانهم. وهي:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾

الذين تعتقدون كمالهم، وترون تعظيمهم وإجلالهم، كإبراهيم وموسى وعيسى وأتباعهم الذين كان الإيمان راسخا في جنانهم، ومؤثرا في وجدانهم، ومصرفا لأبدانهم، أو كعبد الله بن سلام وأمثاله من علمائكم.

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾

ويعنون بالسفهاء أتباع النبي ﷺ الموقنين بما كان عليه، المعرضين عن غير ما أنزل إليه، مع تضمنه الأمر من الشهادة لهم بأنهم في إيمانهم كأتباع أولئك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم سلف اليهود الذين كان الكلام معهم، وكانوا يفتخرون بهم يتباهون من سيرتهم، فرد الله تعالى عليهم بقوله

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾

أى وحدهم دون من عرضوا بهم، لأنهم لهم سلف صالح تركوا الاقتداء بهم، وعلما أن المتأخر لا يمكن أن يكون على هدى المتقدم، لأنه يصعب أو يتعذر عليه اللحاق به، واحتذاء عمله، لعلوه في الدرجة، وبعده في المنزلة، وأن حظهم من سلفهم انتظار شفاعتهم، وإن لم يسيروا على سنتهم، فأى الفريقين أجدر بلقب السفيه؟ أهم أولئك اليهود الذين لهم أسوة صالحة ولكنهم لا يهتدون بها وهذه حالهم من سوء العقيدة وقبح العمل؟ أم من لا سلف له إلا عبدة الأوثان، وقلبه مع ذلك مطمئن بالإيمان، وعمله تشهد له بالإحسان، كالصحابة الذين هداهم الله بنور الإسلام، فكانوا كأتباع أولئك الأنبياء الكرام، بل ربما سبقوهم بالفضائل، وزادوا عليهم في الفواضل؟ لا شك أن أولئك المقلدين بعدما تقدم لهم من سلف صالح، ودين قيم، هم السفهاء، دون هؤلاء العقلاء.

﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

أن السفه محصور فيهم، ومقصور عليهم، وإنما عدم شعورهم بأنهم ركبوا هواهم، ولم يتبعوا هدى سلفهم ولا هديهم، يستحلون له العلل الضعيفة، ويتمحلون له الأعذار السخيفة، فهو لم يصل إلى حد العلم الذى تتكيف به النفس.. ويكفى فى إثبات سفههم، أنهم يعرفون حسن حال سلفهم، ويعترفون به ولكن لا يقتدون بهم، ولا يقتفون أثرهم وإنما يعتمدون فى نجاتهم وسعادتهم على تلك الأمانى والتعلات، كقولهم:

﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

وقولهم:

﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾

وشعبه وأصفياؤه، وإنما هو نفى العلم الكامل بربط نتيجته ويذهب بالعلل، ويبعث على الاقتداء بالعمل.

وهذا أيضا حجة على كثير من اللابسين لباس الإسلام، وهم من هذا الصنف، يعتقدون كمال سلفهم، ولا يقتدون بهم، وإنما يطمعون فى سعادة الدنيا والآخرة بانتسابهم إلى أولئك السلف العظام، ولكونهم من أمة النبى عليه السلام، وهى خير الأمم، بشهادة الله فى القدم، ولكنهم لا يعلمون أنها فضلت سواها بكونها أمة وسطا تقوم على جادة الاعتدال، فى العقائد والأخلاق والأعمال، وتسعى فى إصلاح البشر، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكما سيأتى فى تفسير

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وتفسير:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وليس عند هؤلاء السفهاء شيء من هذه الصفات، إلا الأمانى والتعلات.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٤ ـ ١٦)

الآيات التى تقدمت فى وصف هذا الصنف من الناس الذى قلنا إنه يوجد فى كل أمة وملة وفى كل عصر.. كانت عامة تصور حال أفراده فى كل زمان ومكان، وكان أسلوبها ظاهرا فى العموم كقوله ﴿ يُخَادِعُونَ ﴾ إلخ.. وقوله: وإذ قيل لهم كذا ـ قالوا كيت وكيت.

وأما قوله تعالى

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

الآية، فهو وصف قد يختص ببعض أفراد هذا الصنف ممن كان فى عصر التنزيل، جاء بعد الأوصاف العامة، وحكى بصيغة الماضى ليكون كالتصريح بتوبيخ تلك الفئة من هذا الصنف، التى بلغت من التهتك فى النفاق، والفساد فى الأخلاق، أن تظهر بوجهين، وتتكلم بلسانين، وما بلغ كل أفراد الصنف هذا المبلغ من الفساد والضعف.

ولهذه الخصوصية فى الآية، قال بعض الواهمين: إن جميع تلك الآيات فى منافقى ذلك العصر.. وقد مر تفنيده فلا نعيده.. على أن هذه الفئة أيضا توجد فى كل عصر وزمان، يكون فيه لأهل الحق قوة وسلطان.. والحكاية عنها بصيغة الماضى الواقع لا تنافى ذلك، لأن ﴿ إِذَا ﴾ تدل على المستقبل، فمعنى الفعل مستقبل.. وإنما اختيرت صيغة الماضى لتوبيخ أولئك الأفراد وإيذانهم بأن بضاعة النفاق والمداجاة لا تروج فى سوق المؤمنين لأنها مرجاة، وأن استهزاءهم مردود إليهم، ووباله عائد عليهم.

كان أولئك النفر يدهنون فى دينهم، فإذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا بما أنتم به مؤمنون.

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾

من دعاة الفتنة وعمال الإفساد وأنصار

الباطل، الذين يصدون عن سبيل الحق بما يقيمون أمامه من عقبات الوساوس والأوهام، وما يلقون فيه من أشواك المتاعب وتصاريف المدام.. وقد مضى مما الخلال بهم الرؤساء، والعصوات ما فلسا وكم من رئيس معمول لما في نفسه من الضعف والخمول، لا ينصر اعتقاده، وإن كان معترفًا بأن فيه رشاده. وفي عزمه عزه وإسعاده. وكم من مرءوس شديد العزيمة، قوى الشكيمة يكون له في نصر ملته، والمدافعة عن أمته، ما يعجز عن الرؤساء، ولا يأتي على أيدى الأمراء

وللدناءة في الجر المعد يد
تنال ما قصرت عنه يد الأسد

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾

أى إنا معكم على عقيدتكم وعملكم، وإنما نستهزئ بالمسلمين ودينهم.. فكشف القرآن عن هذا التلون وهذه الذبذبة، وقابلهم عليها بما هدم بنيانهم وفضح بهتانهم، فقال

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

أصل الاستهزاء الاستخفاف وعدم العناية بالشيء في النفس، وإن أظهر المستخف الاستحسان والرضا تهكمًا.. وهذا المعنى محال على الله تعالى.. والعارف سبحانه يصح إطلاق لازمه، والمستهزئ بإنسان في نحو مدح لعمله واستحسان لعمله مع اعتقاد قبحه، غير مبال به ولا معنى بعلمه ولا بعمله، حيث لم يرجعه عنه ولم يكرهه عليه. ويلزمه استرسال المستهزأ به في عمله القبيح فمعنى

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

أنه يمهلهم، فتطول عليهم نعمته، وتبطئ عنهم نقمته، ثم يسقط من أقدارهم ويستدرجهم بما كانوا يعملون

﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

والعمه عمى القلب وظلمة البصيرة، وأثره الحيرة والاضطراب وعدم الاهتداء للصواب.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾

المشار إليه بأولئك، هم الذين بينت حالهم الآيات السابقة بأنهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين إلخ وهو صريح في أن خطيئتهم وعميهم من كسبهم، ولم يجبروا عليه بخلق ربهم. وقد فسروا «اشتروا» «استبدلوا»، وهو غير سديد، لأن بين اللفظين فصلًا في المعنى.. وكلنا نعتقد - والحق ما نعتقد - أن القرآن في أعلى درج البلاغة، لا يختار لفظًا على لفظ من شأنه أن يقوم مقامه، ولا يرجح أسلوبًا على أسلوب يمكن تأدية المراد به، إلا لحكمة في ذلك وخصوصية لا توجد في غير ما اختاره ورجحه.. ووجه اختيار ﴿ اشْتَرَوُا ﴾ على استبدلوا، أن الأول أخص من وجهين:

أحدهما: أن الاستبدال لا يكون شراء، إلا إذا كان فيه فائدة يقصدها المستبدل منه، سواء كانت الفائدة حقيقية أو وهمية.

وثانيهما: أن الشراء يكون بين متبايعين، بخلاف الاستبدال.. فإذا أخذت ثوبًا من ثيابك بدل آخر، يقال إنك استبدلت ثوبًا بثوب.. فالمعنى الذى تؤديه الآية، أن أولئك القوم اختاروا الضلالة على الهدى لفائدة لهم بإزائها يعتقدون حصول عليها من الناس، فهو معاوضة بين طرفين يقصد بها الربح، وهذا هو معنى الشراء والاشتراء، ومثلهما البيع والابتياع، ولا يؤديه مطلق الاستبدال.

ذلك بأنه كان عندهم كتب سماوية فيها مواعظ وحكم، وفيها بشارة بأن الله يرسل إليهم نبيًا يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصر التقليد وأغلال التقيد بإرادة العبيد، ويرعى جميع الأمم بقضيب من حديد، فيرجع للعقول نعمة الاستقلال، ويجعل إرادة الأفراد هي مصرفة للأعمال. فكان عندهم بذلك حظ من هداية العقل والمشاعر، وهداية الدين والكتاب، ولكن نجمت فيهم الأحداث والبدع، وتحكمت فيهم العادات والتقاليد، وعلا سلطان ذلك كله على سلطان الدين.. فحل الرؤساء في فهمه، بتحكيم تقاليدهم في أحكامه وعقائده، بضروب من التحريف والتأويل.. وأهمل المرءوسون العقل والنظر في الكتاب بحظر الرؤساء وأثرتهم.. فكان الجميع على ضلالة في استعمال العقل وفي فهم الكتاب، بعد أن كانا هدايتين ممنوحتين لهم لإسعادهم. وكانت المعاوضة عند الفريقين في ذلك المنافع الدنيوية: للرؤساء المال والجاه والتعظيم والتكريم باسم الدين، وللمرءوسين الاستعانة بجاه رؤساء الدين على مصالحهم ومنافعهم، ورفع أثقال التكاليف، بفتاوى التأويل والتحريف.

هكذا استحبوا العمى على الهدى - وهو العقل والدين - رغبة في الحطام، وطمعًا في الجاه الكاذب،

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾

في الدنيا إذ لم تثمر لهم ثمرة حقيقية، بل خسروا وخابوا بإهمالهم النظر الصحيح الذى لا تقوم المصالح ولا تحفظ المنافع إلا به.. وإسناد الربح إلى التجارة عربي في غاية الفصاحة، لأن الربح هو النماء في التجر، وهذه المعاوضة هي التى من شأنها أن تثمر الربح، فإسناده إليها نفيًا.. أو إثباتًا إسناد صحيح لا يحتاج إلى التأويل، كأنه قيل فلم يكن نماء في تجارتهم.. على أن ذلك التأويل المعروف من أن إسناد الربح إلى التجارة لأنها سببه

والوسيلة إليه وأن العبارة من المجاز العقلي ـ تأويل يتفق مع البلاغة ولا ينافيها. ولازال المجاز العقلي من أفضل ما يزين البلغاء به كلامهم. ويلعبون به ما يشاءون من تصحيح معانيهم.

﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

في دينهم لأنهم لم يأخذوه على وجهه. ولم يفهموه حق فهمه. أو ما كانوا مهتدين في هذه التجارة لأنهم باعوا فيها ما وهبهم الله من الهدى والنور بظلمات التقاليد وضلالات الأهواء والبدع التي زجوا أنفسهم فيها ـ أو ما كانوا مهتدين في طور من الأطوار، ولا مس الرشد قلوبهم في وقت من الأوقات، لأنهم نشئوا على التقليد الأعمى من أول وهلة، ولم يستعملوا عقولهم قط في فهم أسراره. واقتباس أنواره.. ولا يدهمن الوهم إلى أن اشتراء الضلالة بالهدى يفيد أنهم كانوا مهتدين ثم تركوا الهدى للضلالة، فيتناقض أول الآية مع آخرها، إذ ليس كان من منح الهدى يأخذ به فيكون مهتديا.. وهؤلاء حملوه فباعوه ولم يحملوه. وينظر إلى هذا الاشتراء ويشبهه الاستحباب في قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾

(فصلت: ١٧).

الله أعلم.

ومن مباحث الأداء. قراءة حمزة والكسائي «الهدى» بالإمالة أي جعل مدها بين الألف والياء وهي لغة بني تميم. وعدم الإمالة لغة قريش وهي الفصحى ولما كان يعسر على لسان من اعتادها تركها. أذن الله تعالى بها فيما أقرأ جبريل النبي ﷺ.

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

(البقرة: ١٧ ـ ١٨)

هذا مثل من مثلين ضربهما الله في هذه الآيات للصنف الثالث من الناس الذين قرع القرآن أبواب قلوبهم.. وكان من عناية الله تعالى في بيان حاله. أن قفى على ذات التفصيل في شأن فرقه وأطوارهم بضرب المثل الذي يقصد به تجلي المعنى في أتم مجاليه، وتأثر النفوس بما أودع فيه، ناهيك بما في التنقل في الأساليب من توجيه الذهن إلى سابق القول، ودعوة الفكر إلى مراجعة ما مضى منه.. ولولا أن بلاء هذا الصنف عظيم، وداءه دفين، وعلاجه متعسر ـ لأنه متولد من الدواء الذي كان يجب أن تكون فيه الصحة وتمام العافية ـ لما كان من البلاغة ولا من الحكمة، أن يعنى بشأنه كل هذه العناية، كما قلنا في تزييف رأي من ذهب إلى أن الكلام في تلك الشرذمة من المنافقين في عصر التنزيل.

ضرب الله تعالى لهذا الصنف في مجموعه مثلين. ينشأن بانقسامه إلى فريقين. خلافا لما في أكثر التفاسير في أن المثلين لفريق واحد، وأن معناهما وموضوعهما واحد.

الأول: من آتاهم الله دينا وهداية، عمل بها سلفهم فجنوا ثمرها، وصلح حالهم بها، أيام كانوا مستقيمين على الطريقة، آخذين بإرشاد الوحي، واقفين عند حدود الشريعة.. ولكنهم انحرفوا عن سنن سلفهم في الأخذ بها ظاهرا وباطنا، ولم ينظروا في حقائق ما جاءهم.. بل ظنوا أن ما كان عند سلفهم من نعمة وسعادة، إنما كان أمرا خصوا به أو خيرا سيق إليهم، لظاهر قول أو عمل امتازوا به عن غيرهم ممن لم يأخذ بدينهم، وإن كان ذلك العمل لم يخالط سرائرهم، ولم تصلح به ضمائرهم، فأخذوا بتقاليد وعادات لم تدع في نفوسهم مجالا لغيرهم.. ولذلك، لم يتفكروا قط في كونهم أحرى بالتمتع بتلك السعادة والسيادة من سلفهم، لأن حفظ الموجود، أيسر من إيجاد المفقود.. بل لم يبيحوا لأنفسهم فهم الكتاب الذي اهتدى من قبلهم بما فيه من شموس العرفان. ونجوم الفرقان. لزعمهم أن فهمه لا يرتقي إليه إلا أفراد من رؤساء الدين، يؤخذ بأقوالهم ما وجدوا، وبكتبهم إذا فقدوا.

فمثل هذا الفريق، من الصنف المخذول في فقده لما كان عنده من نور الهداية الدينية، وحرمانه من الاهتداء بها بالمرة، وانطماس الآثار دونها عنده ـ مثل من استوقد نارا إلخ. والوجه في التمثيل أن من يدعي الإيمان بكتاب نزل من عند ربه، وقد طلب بذلك الإيمان أن توقد له نار يهتدي بها في الشبهات، ويستضيء بها في ظلمات الريب والمشكلات، ويبصر على ضوئها ما قد يهجم عليه من مفترسة الأهواء والشهوات، فلما أضاءت ما حوله بما أودعته من الهدى والرشاد، وكان بالنظر فيها يمشي على هداية وسداد، هجمت عليه من نفسه ظلمة التقليد الخبيث، وعصب عينيه شيطان الغرور، فذهب عنه ذلك النور، وأطبق عليه جو الضلالة، بل طمس فيه نور الفطرة، وتعطلت قوى الشعور بما بين يديه، فهو بمنزلة الأعمى الأصم الذي لا يبصر ولا يسمع.

وأما الفريق الثاني: فقد ضرب الله له المثل في قوله:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

إلخ. وهو الذي بقي له بصيص من النور، فله نظرات ترمي إلى ما بين يديه من الهداية أحيانا، ولمعاني التنزيل لمعان يسطع على نفسه الفينة بعد الفينة، ويأتلق في نظره الحين بعد الحين. عندما

تحركه الفطرة، أو تدفعه الحوادث للنظر فيما بين يديه، ولكنه من التقاليد والبدع في ظلمات حوالك، ومن الخبط فيها على حال لا تخلو من المهالك، وهو في تخبطه يسمع قوارع الإنذار الإلهي ويبرق في عينيه نور الهداية، فإذا أضاء له ذلك البرق السماوي سار، وإذا انصرف عنه بشبه الضلالات الغارة قام وتحير لا يدري أين يذهب ثم إنه ليعرض عن سماع نذر الكتاب ودعاة الحق، كمن يضع أصابعه في أذنيه حتى لا يسمع إرشاد المرشد ولا نصح الناصح، يخاف من تلك القوارع أن تقتله، ومن عواصف النذر أن تهلكه.

هذا هو شأن فريقي هذا الصنف بما يشير إليه المثلان إجمالاً وفي تفسير الآيات تفصيل ما أشرنا إليه

قال تعالى

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾

العرب تستعمل لفظ «الذي» في الجمع كلفظي «ما» و«من» ومنه قوله تعالى:

﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾

(التوبة: ٦٩)

وإن شاع في الذي الإفراد لأن له جمعا وقد روعي في قوله:

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾

معناه، والفصيح فيه مراعاة اللفظ أولاً ومراعاة المعنى آخراً والتفنن في إرجاع الضمائر متفرعة. ضرب من استعمال البلغاء، يقرر المعنى في الذهن ويهبه فضل تمكن وتأكيد، بما يحدث فيه من الروية والترجح إلى الإحاطة بمعاني مختلفات

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾

يقال ضاءت النار والشمس وأضاءت (لازم)، ويقال ضاء المكان وأضاءته النار، أي أظهرته بضوئها قال العباس رضي الله عنه في النبي صلى الله عليه وسلم.

وأنت لما ظهرت أشرقت الأرض

وضاءت بنورك الأفق

استوقدوا بفطرتهم السليمة نار الهداية الإلهية بتصديقهم، فلما أضاءت لهم ببروقها، ووضح لهم طريقها، فاجأتهم التقاليد الموروثة، وباغتتهم العادات المألوفة، وشغلهم ما يتوهمونه فيها من المنافع والفوائد، وما يتوقعونه في الإعراض عنها من المضار والمفاسد، عن الاستعانة بذلك الضوء على دعث الصراط المستقيم، والتفرقة بين نهاره المشرق وظلمات ليلها البهيم بل استبدلوا هذا الديجور، بذلك الضياء والنور، وهذا هو معنى ذهاب نورهم وإنما قال: «ذهب الله بنورهم»، ولم يقل ذهب نورهم، أو أذهب الله نورهم – للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدوا النار فأضاءت، وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، وبأنه تخلى عنهم عندما نكبوا عن تلك السبيل، وعافوا ذلك المورد السلسبيل.

ولا شك أن المستوقد المسترشد تكون له حالة مع الله تعالى مرضية في التوجه إليه وقصد اتباع هداه، والاستضاءة بنوره الذي وهبه إياه. فإذا أعرض عنه وكله الله إلى نفسه. وذهب بنوره وإذا ذهب النور لا يبقى إلا الظلمة، وما كان هؤلاء في ظلمة واحدة. ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض، متعددة بتعدد أنواع التقاليد التي فتنوا بها، وبتعدد أنواع الهداية التي أعرضوا عنها، ولذلك قال:

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾

شبه حذف مفعول يبصرون إيذانا بالعموم، أي لا يبصرون مسلكا من مسالك الهداية ولا يرون طريقا من طرقها، لأنه صرف عنايته عنهم تركهم سنته، وحرمانهم هدايته، ووكلهم إلى أنفسهم وما وبين من وكله الله إلى نفسه، وحرمه توفيقه. نسأل الله العافية.

هذا المثل مضروب لفريق لا ترجى هدايته، لأنه سد على نفسه جميع أبواب الهداية، فلا يثق بعقله ولا بحواسه ولا بوجدانه إذا خالفت تقاليده، وعدم الإبصار بذهاب النور عبر كاف لتمثيل هذا الليل وظلماته، لجواز أن يلوح بارق، أو يذر شارق، أو يصيح طارق، فتكون الهداية، تنكشف الغواية ولذلك، عقبه بقوله تعالى ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أي أنهم فقدوا منفعة السمع الذي يؤدي إلى النفس ما يلقيه المرشدون إليها من الحجج القاطعة، والدلائل الناصعة، فلا يصيخون إلى وعظ واعظ، ولا يصغون لتنبيه منبه.

[illegible]

بل لا يسمعون وإن أصاخوا، ولا يفقهون إن سمعوا، فكأنهم صم لم يسمعوا وفقدوا منفعة الاسترشاد بالقول وطلب الحكمة من معاهدها، فلا يسألون بيانا، ولا يطلبون برهانا، وفقدوا خير منافع الأبصار، وهو النظر للاستفادة والاعتبار، فلا يرون ما يحل بهم من العقاب فينزجروا، ولا يبصرون ما تتقلب به أحوال الأمم فيعتبروا. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن ضلالتهم، ولا يخرجون من ظلماتهم، لأن من وقع في أرض فلاة في ليلة مظلمة وفقد فيها جميع حواسه لا يمكنه أن يسمع صوتا يهتدي به، ولا أن يصيح هو ليقصده من يسمعه، ولا أن يرى بارقا يؤمنه ويقصده فهو لا يرجع من تيهه، بل يظل يعمه في الظلمات، حتى يفترسه سبع ضار، أو يصل إلى شفا جرف هار، فينهار به في شر قرار.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

(البقرة: ٢٧٠)

أقسام السنة النبوية عند الإمام محمود شلتوت



٢

(١٣١٠-١٣٨٣هـ/١٨٩٣-١٩٦٣م)

السنة في اصطلاح الفقهاء:

● وكما أخذت كلمة (سنة) عند الأصوليين هذا المعنى، أخذت عند الفقهاء معنى آخر، وهو الصفة الشرعية للفعل المطلوب طلباً غير جازم، بحيث يثاب المرء على فعله، ولا يعاقب على تركه.

والفرق بين اصطلاح الأصوليين واصطلاح الفقهاء، أنها عند الأصوليين: اسم لدليل من أدلة الأحكام، فيقال: هذا الحكم ثبت بالسنة أي لا بالقرآن، أما عند الفقهاء فهي: حكم شرعي يثبت للفعل بهذا الدليل، فيقال: هذا الفعل سنة، أو حكمه السنية، أي ليس فرضاً ولا واجباً، فهي على هذا حكم من الأحكام، لا دليل من الأدلة.

ومما تقدم يتبين أن كلمة (السنة) مرت بها أطوار أربعة:

أ- معناها في اللغة.

ب- معناها في صدر الإسلام ولسان الشرع.

جـ- معناها عند الأصوليين.

د- معناها عند الفقهاء.

ومن الواضح أنها فيما نحن بصدده (مصادر التشريعة) لا يراد منها سوى اصطلاح الأصوليين؛ لأنها بهذا الاصطلاح هي التي اتخذها العلماء مصدراً من مصادر التشريع، ودليلاً من أدلة الفقه، يستنبطون منها الأحكام ويرجعون إليها - كما قلنا - في تفهم القرآن.

شبهة المخالفين في أن السنة مصدر من مصادر التشريع:

● ويهمنا هنا أن نعلم أن جماعة من الباحثين أبوا أن يتخذوا هذه الأحاديث المروية مصدراً من مصادر التشريع، ورأوا أن القرآن بدلالاته المختلفة، وإشاراته المتعددة، وما تناقله المسلمون بالعمل، كفيل ببيان أحكام الله، وأن ما جاء من هذه الأحاديث لم يكن صادراً عن الرسول إلا باعتباره مرشداً للمسلمين، يقدر مصلحتهم التي تحددها الظروف وتمليها

الأحوال، وليست من قبيل التشريع العام الملزم في جميع الأزمنة والحوادث والأشخاص.

ويستدلون على هذا بمثل قوله تعالى.

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٣)

وقوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(النحل ٨٩)

وقوله عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ٣٨)

وقوله سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء [illegible])

وغير ذلك مما يدل دلالة واضحة على أن القرآن فيه كفاية المسلمين في دينهم وتشريعهم. ويرون أن البيان الذي كلفه الرسول ما هو إلا التطبيق العملي لما فهمه من القرآن. وهو (السنة) بالمعنى المعروف أولاً.

ويستدلون أيضاً بأن الأحاديث لو كانت تشريعاً عاماً كالكتاب، لأمر الرسول بتدوينها وحفظها، كما فعل ذلك في القرآن، وليس من المعقول أن يكون قوله ﷺ مصدر لإيجاب أو تحريم يتعلق بأمة خالدة. ثم لا يأمر - وهو الرسول المكلف بالبلاغ والبيان - بتدوين ما به البلاغ والبيان حفظاً له من الضياع والاختلاق.

ومع هذا فقد وجدت أحاديث تمنع من تدوين الحديث، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ومنها ما جاء في البخاري عن ابن عباس أنه قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «ايتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده». قال عمر: إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا.

قالوا: ولقد رأينا الخلاف يشتد بين المحدثين، بعضهم مع بعض، والفقهاء بعضهم مع بعض، وهؤلاء مع هؤلاء، في تصحيح الحديث أو رفضه، والتعويل عليه في الدلالة أو عدم التعويل، وذلك مما يشهد بأن الحديث لو كان أصلاً في التشريع والتحليل والتحريم، لما ترك بدون تحديد وضبط، حتى تثور حوله هذه الخلافات الشديدة.

ولقد كان من أثر هذا أن رفض جماعة من العلماء كثير من الأحاديث المروية، لاعتبارات فقهية لم يعتمدوا فيها على غير الرأي العقلي البحت(١).

بهذا ونحوه استدلت هذه الطائفة، وأسقطت الأحاديث المروية من أصول التشريع، ورأت أن كل ما ورد منها قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً، مما لم يتواتر عملياً،

(١) راجع [illegible]

تفسيله - إن صحت روايته، وثبت اتصاله - لاجتهاد الذي يتغير تبعا للمصلحة، وليس [illegible]، كما أنه ليس من الهوى الذي نفاه الله عن رسوله ﷺ بقوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

[النجم: ٣-٤]

على أن القوم ما كانوا يرمونه بالهوى إلا فيما كان ينطق به قرآناً ووحياً من عند الله.

الرد على شبهة هؤلاء:

● ولكن المحققين من العلماء، قد أثبتوا [illegible] قولاً وعملاً، كثيراً من الأحكام [illegible]، كما اعتمدوا عليها في [illegible] القرآن تخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وبيان مجمله، وغير ذلك، معتمدين في هذا على القرآن نفسه، إذ يقول الله تعالى:

﴿[illegible]﴾

[الحشر: ٧]

ويقول عز وجل:

﴿[illegible]﴾

[النساء: ٥٩]

ويقول سبحانه:

﴿[illegible]﴾

[النساء: ٨٠]

ويقول تعالى:

﴿[illegible]﴾

[النساء: ٦٥]

ويقول عز وجل:

﴿[illegible]﴾

[النساء: ٥٩]

وقد أقر النبي ﷺ معاذاً على اعتبار السنة مصدراً من مصادر التشريع، حينما بعثه إلى اليمن، واستقر ذلك عند الأصحاب حتى كتبها عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري في عهده إليه بالقضاء، واعتبرها مصدراً تالياً للكتاب.

ومن هنا يتبين أن الرأي السابق مخالف لإجماع الذين يعتد بإجماعهم، وأن ما ذكروه من الشبه لا قيمة له أمام العمل المستمر من عهد الرسول إلى يومنا هذا، في رجوع المسلمين في تعرف أحكامهم إلى السنة المروية. وإذا كانت السنة العملية المتواترة حجة عندهم، فسنة المسلمين العملية المتواترة في جميع الأجيال السابقة هي استدلالهم على الأحكام بما يصح من أحاديث الرسول قولا كانت أو غير قول.

ومع اتفاق العلماء على أن السنة مصدر من مصادر التشريع، فقد جعلوها في المرتبة الثانية بعد القرآن، فلم يكن لها عندهم حكم مع صريحه.

الفروق بين القرآن والسنة وأثرها:

● ويرجع ذلك إلى فروق بينهما نجمل أهمها فيما يأتي:

أولاً: القرآن قد اتخذ له الرسول ﷺ كتاباً يكتبونه ويرتبونه بآياته وسوره حسب ما أمر به من الله، بينما السنة لم يتخذ لها كتاب، ولم يكتب منها إلا القليل، بل ورد كما تقدم نهي عن كتابتها اكتفاء بحفظها في الصدور.

ثانياً: القرآن نقل إلينا بالتواتر حفظاً وكتابة، بينما السنة قد نقلت في معظمها بطرق الآحاد، ولم يتواتر منها إلا القليل.

ثالثاً: القرآن لم ينقل منه شيء بالمعنى، ومع ذلك فيه [illegible]، بينما السنة قد نقل كثير منها بالمعنى، ولا يخفى تفاوت الناس في فهم المعنى وأسلوب التعبير والنقل.

رابعاً: كان الأصحاب يراجعون النبي ﷺ عند اختلافهم في حرف من القرآن، وكان يحكم بينهم فيه، إما بتعيين إحدى القراءتين أو بإجازتهما، بينما السنة لم يعهد فيها شيء من ذلك.

أثر هذه الفروق

وقد كانت هذه الفروق أصلاً في انحصار مصدر العقيدة في القرآن، وعدم الاعتماد في ثبوتها على السنة وكانت في الوقت نفسه سبباً عظيماً في اتساع نطاق الخلاف في دائرة السنة أكثر منه في دائرة القرآن، فإن الخلاف فيها يرجع من جهة سندها، ومن جهة دلالتها، ومن جهة المعارض لها منها أو من غيرها، بينما القرآن لم يتناوله الخلاف إلا فيما يختص بجهة الدلالة [illegible]، وسيتضح هذا حين نذكر أسباب الخلاف بين العلماء في الفقه [illegible].

القرآن.. وثبوت العقيدة

● وتطبيقا للمبادئ التي ذكرناها، يتبين لنا [illegible] القرآن الكريم، وذلك فيما كان من آياته قطعي الدلالة [illegible].

وأما ما كان غير قطعي في دلالته محتملا لمعنيين فأكثر، فهذا لا يصلح أن يتخذ دليلا على عقيدة يحكم على منكرها بأنه كافر، وذلك كالآيات التي استدل بها بعض العلماء على رؤية الله بالأبصار في الدار الآخرة

﴿[illegible]﴾

[illegible]

﴿[illegible]﴾

[illegible]

﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣]

١- [illegible]

٢- [illegible]

ولم يسلم لهم آخرون من العلماء فهمهم فيه، من نحو الرؤية المذكورة بأنه أخرى

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

(الأنعام ١٠٣)

وإذن فثبوت العقيدة بالقرآن أو عدمه مبنى على قطعية الدلالة أو ظنيتها، أما قطعية الورود فهذا لا شك فيه، إذ القرآن كله قد وصل إلينا كما أنزله الله - متواتراً جيلاً عن جيل.

السنة.. وثبوت العقيدة

منشأ ظنية السنة:

● وإذا كانت العقيدة لا تثبت إلا بنص قطعى فى وروده ودلالته، كان لابد من تبيين المبادئ التى تقوم عليها قطعية السنة أو ظنيتها.

وإن مما يجب التنبيه له فى هذا المقام أن (الظنية) تلحق السنة من جهتى الورود والدلالة، فقد يكون فى اتصال حديث برسول الله ﷺ شبهة، فيكون ظنى الورود، وقد يلابس دلالته احتمال، فيكون ظنى الدلالة، وقد يجتمع فيه الأمران: الشبهة فى اتصاله، والاحتمال فى دلالته، فيكون ظنياً فى وروده ودلالته. ومتى لحقت (الظنية) الحديث على أى نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر منكرها، وإنما يثبت الحديث العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً فى وروده وفى دلالته.

التواتر والآحاد:

ولكى يتضح ضابط (القطعية والظنية) فى ورود الحديث ينبغى أن نبين ما قرره العلماء فى (التواتر والآحاد) ليكون مناراً يهتدى به من يريد الوصول إلى الحق. قسم العلماء (السنة) إلى قسمين: ما ورد بطريق التواتر، وما ورد بطريق الآحاد، وضابط التواتر أن يبلغ الرواة حداً من الكثرة تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب، ولابد أن يكون ذلك متحققاً فى جميع طبقاته أوله ومنتهاه ووسطه، بأن يروى جمع عن النبى ﷺ ثم يروى عنهم جمع مثلهم، وهكذا حتى يصل إلينا، وهو عند التحقيق رواية الكافة عن الكافة.

ويقول بعض علماء الأصول: (الخبر المتواتر: هو الذى اتصل بك من رسول الله ﷺ اتصالاً بلا شبهة حتى صار كالمعاين المسموع منه، وذلك أن يرويه قوم لا يحصى عددهم، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم، ويدوم هذا فى وسطه وآخره كأوله، وذلك مثل نقل القرآن، والصلوات الخمس، وأعداد الركعات، ومقادير الزكوات)[1].

الآحاد لا تفيد اليقين:

هذا هو التواتر الذى يوجب اليقين بثبوت الخبر عن رسول الله ﷺ، أما إذا روى الخبر واحد، أو عدد يسير ولو فى بعض طبقاته، فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله ﷺ، وإنما يكون (آحاديا) فى اتصاله بالرسول شبهة، فلا يفيد اليقين[1].

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد فى إحدى الروايتين عنه، وقد جاء فى الرواية خلاف ذلك، وفيها يقول شارح مسلم الثبوت[2]: (وهذا بعيد عن مثله فإنه مكابرة ظاهرة) وقال البزدوى: (وأما دعوى علم اليقين - يريد فى أحاديث الآحاد - فباطلة بلا شبهة؛ لأن العيان يرده؛ وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضل عقله).

وقال الغزالى: (خبر الواحد لا يفيد العلم وهو أى عدم إفادته العلم معلوم بالضرورة، وما نقل عن المحدثين من أنه يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، إذ يسمى الظن علماً، ولهذا قال بعضهم: خبر الآحاد يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن).

وقال الإسنوى: (وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظن).

وقال البزدوى تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم: (خبر الواحد لما لم يفد اليقين لا يكون حجة فيما يرجع إلى الاعتقاد؛ لأنه مبنى على اليقين، وإنما كان حجة فيما قصد فيه العمل).

وقال الإسنوى: (إن رواية الآحاد إن أفادت فإنما تفيد الظن، والشارع إنما أجاز الظن فى المسائل العملية وهى الفروع، دون العلمية كقواعد أصول الدين).

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضرورى لا يصح أن ينازع أحد فى شىء منه، ويحملون قول من قال[3]: (إن خبر الواحد يفيد العلم) على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد، أو العلم بوجوب العمل، على أن الكلام إنما هو فى إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة.

وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما، فإن من الناس من يحدث العلم فى نفسه بما هو أقل من خبر الواحد الذى نتحدث عنه، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد، ولا تثبت به عقيدة يكفر جاحدها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن، ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات قول مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التى لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء!

يتبـــع

(١) أصول البزدوى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الرسول الخاتم



للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

في السنة الثانية عشر من ربيع الأول عام الفيل، ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي بمكة. ولد يتيما. توفي والده قبل أن يولد ولم يترك له من المال إلا خمس جمال وبعض نعاج وجارية، ويروى أقل من ذلك. وفي السنة السادسة من عمره فقد والدته أيضا. فاحتضنه جده عبد المطلب وبعد سنتين من كفالته توفي جده فكفله من بعده عمه أبو طالب

وكان شهمًا كريمًا، غير أنه من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله. وكان ﷺ من بني عمه وصبية قومه كأحدهم على ما به من يتم فقد فيه الأبوين معًا، وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول، ولم يقم على تربيته مهذب، ولم يعن بتثقيفه مؤدب، بين أتراب من نبت الجاهلية، وعشراء من حلفاء الوثنية، وأولياء من عبدة الأوهام، وأقرباء من حفدة الأصنام. غير أنه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنًا وعقلًا وفضيلة وأدبًا، حتى عرف بين أهل مكة، وهو في ريعان شبابه بالأمين.

أدب إلهي لم تجر العادة بأن تزين به نفوس الأيتام من الفقراء، خصوصًا مع فقد القرناء. فاكتمل ﷺ كاملًا والقوم ناقصون، رفيعًا والناس منحطون، موحدًا وهم وثنيون، سلمًا وهم شاغبون، صحيح الاعتقاد وهم واهمون، مطبوعًا على الخير وهم به جاهلون، وعن سبيله عادلون.

من السنن المعروفة أن يتيمًا فقيرًا أميًا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته إلى زمن كهولته، ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه، لا سيما إن كان من ذوي قرابته وأهل عصبته، ولا كتاب يرشده، ولا أستاذ ينبهه، ولا عضد إذا عزم يؤيده، فلو جرى الأمر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم، وأخذ بمذاهبهم إلى أن يبلغ مبلغ الرجال. ويكون للتفكير والنظر مجال، فيرجع عن معتقدهم إذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده، ولكن الأمر لم يجر على سنته، بل بُغِّضت إليه الوثنية من مبدأ عمره، فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادرة حسن الخليقة. وما جاء في الكتاب من قوله:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾

(الضحى ٧)

لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم. حاش لله، إن ذلك لهو الإفك المبين. وإنما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الإخلاص فيما يرجون للناس من الخلاص، وطلب السبيل إلى ما هدوا إليه من إنقاذ الهالكين، وإرشاد الضالين. وقد هدى الله نبيه إلى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته.

•••

وجد شيئًا من المال يسد حاجته - (وقد كان له في الاستغناء عنه ما يسد معيشته) - بما عمل لخديجة -رضي الله عنها- في تجارتها. وبما أحرزته بعد ذلك زوجها. وكان فيما يحتسبه من ثمرة عمله غناء له وعون على [illegible] علمه [illegible] قومه. [illegible] ولم تعرف [illegible] يسلكه مثله في [illegible] الأنفس من [illegible] السن زادت فيه الرغبة [illegible] الكافة، ونما فيه حب الانفراد والانقطاع إلى الفكر، والمراقبة والتحنث(٢) [illegible] الله تعالى، والتوسل إليه في طلب المخرج من همه الأعظم في تخليص قومه، وتخليص العالم من الشر الذي تولاه، إلى أن انشق له حجاب عن عالم كان يحنه إليه الإلهام الإلهي، وتجلى عليه نور [illegible] وهبط عليه الوحي من المقام العلي. في تفصيل ليس هذا موضعه.

لم يكن من آبائه [illegible] سلب من ملكه، وكانت نفوس قريش في انصراف تام عن طلب مناصب [illegible] ورضي قانعة بما وجدت من [illegible] المكان، دل عليهما ما فعل جده عبد المطلب عند زحف أبرهة الحبشي(١) على ديارهم، جاء الحبشي لينتقم من العرب ويهدم [illegible] الحراء، ومشجع [illegible] العلية من [illegible] القرشيين في مفاخرتهم [illegible] وتقدم بعض [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) لقب بالأشرم، حكم [illegible] لملك الحبشة، وكان في الأصل عبدا [illegible] وكان [illegible] مكة [illegible] سنة [illegible]م. انظر دائرة المعارف الإسلامية

فيها لعبد المطلب مائتا بعير، وخرج عبدالمطلب في بعض قريش لمقابلة الملك، فاستدناه وسأله حاجته فقال: هي أن ترد إلى مائتي بعير أصبتها، فلامه الملك على المطلب الحقير وقت الخطب الخطير، فأجابه: أنا رب الإبل أما البيت فله رب يحميه.

هذا غاية ما ينتهي إليه الاستسلام، وعبدالمطلب في مكانه من الرياسة على قريش، فأين من تلك المكانة محمدا ﷺ، في حاله من الفقر، ومقامه في الوسط من طبقات أهله، حتى يتجمع ملكًا أو يطلب سلطانًا؟؟. لا مال، لا جاه، لا جند، لا أعوان، لا سليقة في الشعر، لا براعة في الكتاب، لا شهرة في الخطاب، لا شيء كان عنده ما يكسب المكانة في نفوس العامة، أو يرقى به إلى مقام ما بين الخاصة.

ما هذا الذي رفع نفسه فوق النفوس؟ ما الذي أعلى رأسه على الرءوس؟ ما الذي سما بهمته على الهمم حتى انتدب نفسه لإرشاد الأمم، وكفالته لهم كشف الغمم، بل وإحياء الرمم؟؟

ما كان ذلك إلا ما ألقى الله في روعه من حاجة العالم إلى مقوم لما زاغ من عقائدهم، ومصلح لما فسد من أخلاقهم وعوائدهم. ما كان ذلك إلا وجدانه ريح العناية الإلهية، ينصره في عمله، ويعده في الانتهاء إلى أمله قبل بلوغ أجله. ما هو إلا الوحي الإلهي يسعى نوره بين يديه، يضيء له السبيل، ويكفيه مؤنة الدليل. ما هو إلا الوعد السماوي قام لديه مقام القائد والجندي.

أرأيت كيف نهض وحيدا فريدا يدعو الناس كافة إلى التوحيد والاعتقاد بالعلي المجيد، والكل ما بين وثنية متفرقة ودهرية وزندقة؟!. نادى في الوثنيين بترك أوثانهم، ونبذ معبوداتهم، وفي المشبهين المنغمسين في الخلط بين اللاهوت الأقدس وبين الجسمانيات بالتطهير من تشبيههم، وفي الثنوية بإفراد إله واحد بالتصرف في الأكوان، ورد كل شيء في الوجود إليه، أهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم إلى ما وراء حجاب الطبيعة فيتنوروا سر الوجود الذي قامت به. صاح بذوي الزعامة ليهبطوا إلى مصاف العامة في الاستكانة إلى سلطان معبود واحد هو فاطر السماوات والأرض، والقابض على أرواحهم في هياكل أجسادهم. تناول المنتحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربهم الأعلى، فبين لهم بالدليل وكشف لهم بنور الوحي أن نسبة أكبرهم إلى الله كنسبة أصغر المعتقدين به. وطالبهم بالنزول عما انتحلوه لأنفسهم من المكانات الربانية إلى أدنى سلم من العبودية، والاشتراك مع كل ذي نفس إنسانية في الاستعانة برب واحد، يستوي جميع الخلق في النسبة إليه، لا يتفاوتون إلا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم أو فضيلة. وخز بوعظه عبيد العادات وأسراء التقليد ليعتقوا أرواحهم مما استعبدوا له، ويحلوا أغلالهم التي أخذت بأيديهم عن العمل، وقطعتهم دون الأمل. صال على قراء الكتب السماوية والقائمين على ما أودعته من الشرائع الإلهية، فبكت الواقفين عنده حروفها بغباوتهم، وشدد النكير على المحرفين لها، الصارفين لألفاظها إلى غير ما قصد من وحيها، اتباعا لشهواتهم، ودعاهم إلى فهمها، والتحقق بسر علمها حتى يكونوا على نور من ربهم. واستلفت كل إنسان إلى ما أودع فيه من المواهب الإلهية، ودعا الناس أجمعين - ذكورا وإناثا، عامة وسادات - إلى عرفان أنفسهم، وأنهم من نوع خصه الله بالعقل، وميزه بالفكر، وشرفه بهما وبحرية الإرادة فيما يرشد إليه عقله وفكره، وإن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الأكوان، وسلطهم على فهمها، والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد إلا الاعتدال، والوقوف عند حدود الشريعة العادلة والفضيلة الكاملة، وأقدرهم بذلك على أن يصلوا إلى معرفة خالقهم بعقولهم وأفكارهم بدون واسطة أحد إلا من خصهم الله بوحيه، وقد وكل إليهم معرفتهم بالدليل، كما كان الشأن في معرفتهم لبدائع الكائنات أجمع، والحاجة إلى أولئك المصطفين إنما هي في معرفة الصفات التي أذن الله أن تعلم منه، وليست في الاعتقاد بوجوده، وقرر أن لا سلطان لأحد من البشر على آخر منه إلا ما رسمته الشريعة وفرضه العدل، ثم الإنسان بعد ذلك يذهب بإرادته إلى ما سخرت له بمقتضى الفطرة.

دعا الإنسان إلى معرفة أنه جسم وروح، وأنه يدأب في عالمين مختلفين، وإن كانا ممتزجين، وإنه مطالب بخدمتهما جميعا وبإعطاء كل منهما ما قررت له حكمة الإلهية من الحق. دعا الناس كافة إلى الاستعداد في هذه الحياة لما سيلاقون في الحياة الأخرى، وبين لهم أن خير زاد يتزوده العامل هو الإخلاص لله في العبادة والإخلاص للعباد في العمل والنصيحة والإرشاد.

قام بهذه الدعوة العظمى وحده، ولا حول له ولا قوة، كل هذا كان منه والناس أحباء ما ألفوا، وإن كان خسران الدنيا وحرمان الآخرة، أعداء ما جهلوا، وإن كان رغد العيش وعزة السيادة ومنتهى السعادة، كل هذا والقوم حواليه أعداء أنفسهم، وعبيد شهوتهم، لا يفقهون دعوته ولا يعقلون رسالته. عقدت أهداب بصائر العامة منهم بأهواء الخاصة، وحجبت عقول الخاصة بغرور العزة عن النظر في دعوى فقير أمي مثله، لا يرون فيه ما يرفعه إلى نصيحتهم، والتطاول إلى مقاماتهم الرفيعة باللوم والتعنيف.

لكنه في فقره وضعفه كان يقارعهم بالحجة، ويناضلهم بالدليل، ويأخذهم بالنصيحة، ويزعجهم بالزجر، ويسفههم

للعصر، ويحرضهم مع ذلك. [illegible] [illegible] في حكمه، عادل في أمره ونهيه، [illegible] حكيم في تربية [illegible] على مصالحهم، رءوف بهم في شدته، رحيم في سلطته.

ما هذه القوة في ذلك الضعف؟؟ ما هذا السلطان في مظنة العجز؟! ما هذا العلم في تلك الأمية؟! ما هذا الرشاد في غمرات الجاهلية؟!. إن هو إلا خطاب جبروت [illegible] [illegible]. ذلك خطاب الله القادر على كل شيء، الذي وسع كل شيء رحمة وعلما، ذلك أمر الله [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] على غير [illegible].

[illegible] على [illegible]: [illegible] ما يكتمون وما يقرءون؟! بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء، ليمحصوا ما كانوا يعلمون؟! في ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء؟! ناشئ بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء؟! عربي في أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة وأبعدها عن فهم نظام الخليقة [illegible] أحد يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة، ويخط [illegible] طرقا لن يهلك سالكها ولن [illegible].

ما هذا الخطاب المفحم؟ ما ذلك الدليل الملجم؟.. أأقول ما هذا بشرا، إن هذا إلا ملك كريم؟ لا، لا أقول، ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه، إن هو إلا بشر مثلكم يوحى إليه. نبي صدق [illegible]، ولكن لم يأت في الإقناع برسالته بما يلهي الأبصار، أو يحير [illegible]، أو يدهش المشاعر، ولكن طالب كل قوة [illegible] فيما أعدت له، واختص العقل [illegible]، وحاكم إليه الخطأ والصواب، وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة وآية الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.



كتاب (حياة محمد) (*)

بقلم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما في الكون [illegible]، وكلما [illegible] في المعرفة ظهرت له عظمة الكون [illegible]، وظهر ضعفه [illegible].

ونبي الإسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود، فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الإنسانية فيه، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته في عقله وخلقه وعلمه. ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى الشيء من المعرفة، فقد فاتهم حتى الآن كمال معرفته، [illegible].

وطريق لا نهاية له.

والنبوة هبة لا تنال بالكسب [illegible] حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها. الله أعلم حيث يجعل رسالته. ومحمد ﷺ [illegible] لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه، [illegible] لأن يحمل رسالة أكمل دين، ولأن يختم به الأنبياء والرسل، [illegible] الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء وتنكدر النجوم، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات.

عصمة الأنبياء في التبليغ وأداء أمانة الوحي قضية فرغ العلماء منها؛ فليس للأنبياء فضل الاختيار في التبليغ وأداء الأمانة بعد طبعهم بخاتم النبوة [illegible] التبليغ نتيجة حتمية للنبوة لا مرد لها. غير أن الوحي لا يلازم الأنبياء في كل عمل [illegible] وفي كل قول [illegible] منهم، فهم عرضة للخطأ [illegible] عن سائر البشر بأن الله لا يقرهم على الخطأ بعد صدوره، ويعاتبهم عليه أحيانا.

أمر محمد ﷺ بأن يبلغ عن ربه، ولم تبين له الطرق التي يتبعها في التبليغ وفي حماية الدعوة، وترك له أن يتصرف بعقله وعلمه وفطنته، كما يتصرف غيره من العلماء والعقلاء، وجاء الوحي مفصلا قاطعا في كل ما يخص ذات الإله ووحدته وصفاته وكيفية عبادته، ولم يكن [illegible] النظم الاجتماعية للأسرة والقرية [illegible] والدولة منفردة ومرتبطة بغيرها من الدول، فهناك

(*) [illegible]

مجال واسع للبحث عن عظمة النبي ﷺ في الوحي. وهناك مدى فسيح للبحث عن نمط العظمة بعد الوحي، فقد صار مبلغا عن ربه داعيا إليه، حاميا تلك الدعوة وحرية الداعين، مدافعا عنهم، وأصبح حاكم الأمة الإسلامية وقائد حروبها ومنظم شئونها، وواضع حجر الأساس للصلات والروابط فيها، وبينها وبين غيرها من الأمم. وقد أدى عمله في ذلك كله، وأقر له بالعبقرية من كان العقل يسبح مكان التأليف منه، وظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر وكمال الفطنة وسرعة الخاطر وقوة الحزم في كل ما صدر عنه من قول أو فعل، وتفجرت منه ينابيع العلم والمعرفة، وينابيع البلاغة التي بهرت الناس، وأكسبته عندهم إجلالا وهيبة، وفارق الدنيا وهو راض عن عمله مرضي من الله ومن المسلمين.

وكل هذه النواحي تستحق الدرس والتمحيص، وليس في مقدور شخص واحد أن يعطيها حقها، بل ليس في مكنة شخص واحد أن يوفي على الغاية في ناحية من هذه النواحي.

وسيرة محمد صلوات الله عليه وعلى آله، كسائر العظماء، أضيف إليها ما ليس منها، إما عن حب وهوى وحسن قصد، وإما عن سوء قصد وحقد. غير أنها تمتاز عن سائر العظماء جميعهم بأن منها شيئا كثيرا مصدره الوحي الإلهي ومصدر حفظه القرآن المطهر، وشيئا كثيرا روي على لسان الحفاظ الثقات من المحدثين. وعلى هذه الأسس الصحيحة يجب أن تبنى السيرة، وأن يستنبط العلماء منها حكمتها وأسرارها وفلسفتها، وأن يحللوا التحليل العلمي الصحيح، ملاحظين في ذلك ظروف الوسط وحال البيئة وما حولها من عقائد ونظم وعادات.

وقد أخرج الدكتور هيكل للناس كتابه (حياة محمد) في سيرة محمد ﷺ ويسر لي أن أطلع على جزء منه قبل إتمام طبعه. والدكتور هيكل معروف لقراء اللغة العربية، غني بآثاره عن التعريف. وقد درس القانون واطلع على المنطق والفلسفة، ومكنته ظروفه وطبيعة عمله من الاتصال بالثقافة الغربية والثقافة العربية، وأوتي منهما على حظ عظيم، وناظر وجادل وهاجم ودافع في المعتقدات والآراء وقواعد الاجتماع وفي السياسة وغيرها، فنضج عقله وكمل علمه واتسع اطلاعه وامتد أفقه، فأصبح يدافع عن رأيه بمنطق قوي وحجج باهرة وأسلوب اختص به لا تخفى نسبته إليه. بهذه الثقافة وهذه القوة نسج الدكتور كتابه وقال في مقدمته: (ولست مع ذلك أحسب أني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمد، بل لعلي أكون أدنى إلى الحق إذ ذكرت أني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة. وقد محا التفاوت الفضفاضة إذ ذكرت ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوي. فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت البحث أن تمحو من نفسك كل رأي وكل عقيدة سابقة لك في هذا البحث، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة، ثم بالموازنة والترتيب، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية. فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمي تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها.

وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر. وهي هي مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته)

على أن هذه الطريقة طريقة القرآن قد ثبت حق لا ريب فيه، فقد جعل العقل حكما، والبرهان أساس العلم، وعاب التقليد والمقلدين، وأنب من يتبع الظن وقال: (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) وعاب تقديس ما عليه الآباء، وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها، ولم تكن معجزة محمد ﷺ المعجزة إلا في القرآن، وهي معجزة عقلية، وما أبدع قول البوصيري:

لم يمتحنا بما تعيا العقول به

حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

وأما أن هذه الطريقة حديثة فهذا ما يعتذر عنه، وقد سابق الدكتور غيره من العلماء في هذا، ذلك لأنها طريقة القرآن كما اعترف هو، ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين. انظر كتب الكلام ترهم يقررون أن أول واجب على المكلف معرفة الله، فيقول آخرون: لا، إن أول واجب هو الشك، ثم يرون أنه لا طريق للمعرفة إلا البرهان، وهو وإن كان نوعا من أنواع القياس لا بد يجب أن تكون مقدماته قطعية حسية، أو منتهية إلى الحس، أو مدركة بالبداهة، أو معتمدة على التجربة المكملة أو الاستقراء التام، على ما هو معروف في المنطق، وكل خطأ يتسرب إلى إحدى المقدمات أو إلى شكل التأليف مفسد للبرهان.

وقد جرى الإمام الغزالي على الطريقة نفسها. وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقدر، ورتب ووزن، وقرب وباعد، وعرض الأدلة وهذبها وحللها، ثم انتهى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق، وإلى ما انتهى إليه من الآراء. وقد فعل هذا ليتحامى التقليد، وليكون إيمانه إيمان المستيقن المعتمد على العقل والبرهان. ذلك الإيمان الذي لا يختلف المسلمون في صحته ونجاة صاحبه.

وأنت واجد في كتب الكلام في مواضع كثيرة حكاية تجريد النفس عما ألفته من العقائد، ثم البحث والنظر. فطريق التجريد طريق قديم، وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم، والتجربة والاستقراء التام وليدا الملاحظة. فليس هناك جديد عجيب، ولكن هذه الطريقة القديمة بعد أن نسيت في التطبيق العلمي والعملي في الشرق، وبعد أن نشأ التقليد وتحجر العقل، وبعد أن أبرزها الغربيون في ثوب ناضج وأفادوا منها في العلم والعمل، رجعنا نأخذها عنهم ونراها طريقة في العلم حديثة.

هذا القانون العلمي في البحث معروف قديما وحديثا. والمعرفة سهلة ولكن العمل عسير. ولا يتفاوت الناس كثيرا في معرفة القانون. ولكنهم يتفاوتون جد التفاوت في تطبيق القانون.

تجريد النفس والملاحظة والتجربة والموازنة والاستنباط كلمات سهلة، لكن الإنسان الرازح تحت أحمال الوراثة في دمه وعقله، وأحمال البيئة في البيت والقرية والمدينة والدولة والمدرسة، وأحمال المعتقدات والمزاج والصحة والمرض والشهوات، كيف يسهل عليه تطبيق القانون؟ هذا هو موضع الداء قديما وحديثا وهو سبب تعدد المذاهب والآراء وسبب تبدلها وتنقلها من قطر إلى قطر، ومن أمة إلى أمة. والفلسفة والآداب تبدل ثيابها على تعاقب الأجيال كما تبدل الناس أزياءهم. وقل أن تجد فيها شيئا يصمد حوزة بقية حصن، بل سرى الشك إلى قواعد العلم التي لم تكن طوال الأجيال الماضية موضعا للشك.

وطريقة السببية تضطرب فيها العلماء وسرعان ما قام من يهدمها. والآراء في الأمراض وأسبابها وطرق علاجها وفي التغذية لا تزال مطية للتبدل والتحول. وهكذا إذ لم نعد نستطيع أن نحكم بأن نتيجة العقل وحده إلا ما كان البرهان بشروطه متوافرًا فيه.

ولكن ما نسبة هذه الأشياء التي يتوافر فيها البرهان إلى غيرها مما تمليه الظنون وتسطره الأوهام وتمجه الأذهان المريضة، وتفرضه السياسة، ويبدعه العلماء الذين يجدون كل اللذة في مخالفة غيرهم وإحداث هذه المذاهب والآراء! ولعل هذه الحيرة ستحفز علماء العلماء المعتزين بالعقل وحده، وتلويهم يومًا من الأيام إلى الدخول في حمى الحق وحصن اليقين، وهو الوحي الصادق، وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة.

نعود بعد هذا إلى الدكتور هيكل وكتابه.

يقول بعض علماء الكلام إن الاطلاع على علم تشريح الأفلاك وعلم تشريح الإنسان يدل أوضح الدلالة على شمول العلم الإلهي لدقائق الوجود، ولنا أن نقرر أيضًا أن العلم والكشف عن سنن الوجود وعجائبه سيكون معبر الدين، وسيقرب إلى العقل الإنساني طريق فهم ما كان غامضًا مبهمًا، وما كان فوق طاقة العقل إدراكه من قبل، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

(فصلت: ٥٣)

والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قربت إلى العقل فهم مكان تحول المادة إلى قوة وتحول القوة إلى مادة، وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئًا كثيرًا مما كانوا فيه يختلفون، وعلى فهم تجرد الروح وتمكن المتصلين بها من استطاعة السرعة في طي الأبعاد. وقد يتيح الدكتور هيكل شيء من هذا في تقريب قصة الإسراء فأتى بشيء طريف.

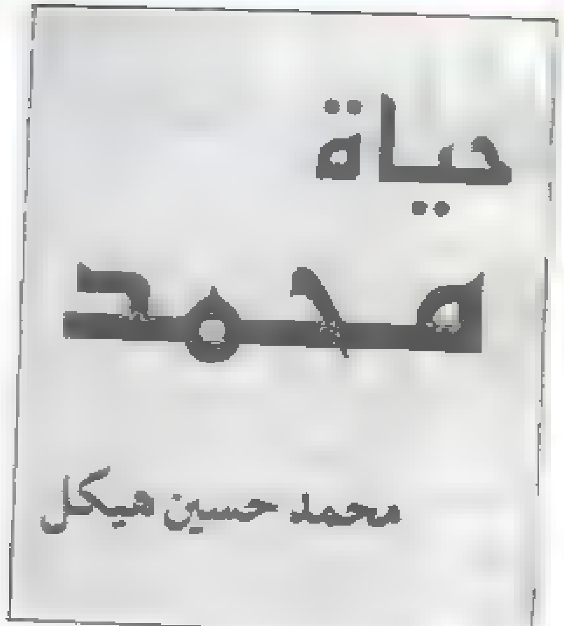
ويطول بي القول إذا ما عرضت لما في كتاب الدكتور هيكل من حسنات، وحسبي أن أنبه إلى تلك الحسنات إجمالًا. وسيدرك الناس جماله بأنفسهم ويستمتعون بما فيه من ثمرات الفكر المهذب بالأساليب الصحيحة، وبما فيه المنطق الدقيق والسعادة الفطرية الصادقة. وسيرون أن الدكتور كان مخلصًا الإخلاص كله للحقيقة، عالمًا بما في الوحي المحمدي من هدى ونور، وبما في سيرة النبي ﷺ من حسن وجلال وعظمة وعبرة، مطمئنًا كل الاطمئنان إلى أن هذا الدين المحمدي سينقذ البشر مما هم فيه من الحيرة، وسينتشلهم من ظلمة المادة ويبصرهم نور الإيمان، ويوجههم إلى النور الإلهي، فيدركون به سعة رحمته التي وسعت كل شيء، وعظمة مجده الذي تسبح به السموات والأرض وكل شيء فيهما، وعزته التي تتضاءل أمامها الموجودات. لا أريد أن أقول [illegible] ولكني أبعد مما تقدم فأقول: إن هذا البحث جدير بأن يهدي الإنسانية طريقها إلى الحضارة الجديدة التي تلتمسها، وإذا كانت نصرانية الغرب تستكبر أن تجد النور الجديد في الإسلام ورسوله وتلتمس هذا النور في (ثيوزوفية) الهند وفي مختلف مذاهب الشرق الأقصى، فإن رجال هذا الشرق من المسلمين واليهود والنصارى خليقون بأن يقوموا بهذه البحوث الجليلة

الشرعية والإنصاف النفس بكمالات وحصصت توجيهها إلى الحق.

«والتفكير الإسلامي على أنه تفكير علمي على الطريقة الحديثة في صلة الإنسان بالحياة المحيطة به، هو من هذه الناحية وقفي بحت. ينقلب تفكيرًا ذاتيًا حين يتصل الأمر بصلات الإنسان بالكون وخالق الكون»

ويقول: «لكن طلائع القضاء على الوثنية التي تتحكم في عالم الحاضر وتوجه الحضارة الحاكمة فيه تبدو واضحة لكل من يتتبع سير العالم وحوادثه. ولعل هذه الطلائع تتواتر وتقوى فلا يمضي زمن حتى تمام العالم تلك المسائل الروحية بالتخصص لدراسة حياة محمد وتعاليمه وعصره، والثورة الروحية التي انتشرت في العالم كأثر من آثاره»

وهذا الاطمئنان يؤيده الواقع: فإن ما يرى الآن من عناية الغرب ببحث آثار الشرق، ومن عناية علمائه بدراسة الإسلام من نواحيه المختلفة ودراسة تاريخه وأممه قديمًا وحديثًا، ومن إنصاف بعضهم للنبي ﷺ، وما تلده التجارب من أن الحق لا محالة غالب، كل ذلك يرشدنا إلى أن الإسلام سينتشر لواؤه على العالم وسيكون أشد الناس عداوة له اليوم هم أشد الناس غيرة عليه ودفاعًا عنه، وسيكون هؤلاء الغرباء عنه هم أنصاره وأهله، وكما نصره أول أمره الغرباء عن البيئة التي نشأ فيها، فسينصره آخر الأمر الغرباء عن لغته ووطنه، وقد بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء. وإذا كان النبي ﷺ خاتم الأنبياء وليس للعالم بعده هاد مرشد، وكان دينه أكمل دين بنص الوحي القاطع، فلا يمكن أن يقف أمره على ما هو عليه الآن، ولا بد أن يمحو نوره نور غيره كما تمحو الشمس أضواء غيرها من الكواكب.



وقد وفق الدكتور في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض، فجاء كتابه عقدًا منضدًا وسلسلة متينة محكمة الحلقات. وقد تدرج في بيان الأسباب والأعراض والحكم بيانًا قويًا واضحًا يجعل القارئ مطمئن النفس رضي القلب يستمتع بما يقرأ ويثلج صدره ببرد اليقين، فيملك عليه أمره، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث.

وفي الكتاب بحوث قيمة ليست من السيرة، ولكنها اتصلت بها بسبب الاستطراد في بيان أغراضها.

وأختم كلمتي هذه بقول سيد الخلق صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار ومن تبعه: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل علي غضبك، أو تحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»

ذكرى الميلاد النبوى

للإمام الشيخ محمود شلتوت

تاريخ ميلاد الرسول

فى النصف الثانى من القرن السادس لميلاد المسيح عليه السلام، وفى مكة، إحدى قرى بلاد العرب، ولد محمد من أبوين كريمين، يتصل نسبهما بنبى الله إسماعيل. وقد مات أبوه، عبد الله بن عبد المطلب، وهو فى بطن أمه آمنة بنت وهب، لم تنفخ فيه روح الحياة. ومكث بعد ولادته إلى السنة الخامسة من عمره فى بنى سعد، حيث كانت ترضعه حليمة السعدية. وبعد أن عاد من الصحراء ارتحلت به أمه إلى المدينة، ومكثت به شهرا فى ضيافة بنى النجار، أخوال أبيه عبد الله. وقد أراد الله ألا يطول أمد اتصاله بأمه كيلا يشتغل قلبه بالأمومة، كما لم يشتغل قلبه بالأبوة، فانتزعها منه أثناء أوبتهم إلى مكة. وهكذا نشأ ربه خالى القلب من شواغل الأبوة والأمومة متفرغا لما يفاض عليه من حب مولاه.

إعداده للرسالة

تولاه الله برعايته، وصنعه بيده، آواه من يتم، وأغناه من فقر، وهداه من ضلال، وما يزال يغمره بالفضل والإحسان، حتى بلغ أشده واستوى فى أفق الإنسانية الأعلى، وتهيأت نفسه لتلقى الرسالة العامة الخالدة التى ختمت بها رسالات الحق إلى الخلق، فأرسله الله رحمة للعالمين، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، أرسله بدين أساسه الإيمان بالله واليوم الآخر، وقوامه مكارم الأخلاق وصالح الأعمال.

﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾

(سورة المدثر ١ - ٧)

ظل بعد ذلك بمكة، يدعو عشيرته وقومه إلى التوحيد وعقيدتى البعث والجزاء، ونبذ ما كان عليه الآباء من الشرك والوثنية، وسوء الخلق وقبيح العادات. ولم يكن له فى تلك الدعوة من سلاح سوى الحكمة، يغزو بها القلوب، والموعظة الحسنة، يهذب بها النفوس ويلطف الطباع.

هجرته إلى المدينة

ولما رأى أن الدعوة لا تتغلغل فى النفوس، كما يحب ويريد، ورأى موقف المكيين منه وحقدهم عليه، وتعصبهم لموروثاتهم، قد يكون له من النتائج خطيرة لا يتفق ونجاح دعوته، هاجر هو وصحبه إلى المدينة، وهناك استقبلته قلوب عاهدته على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأعراضهم، هاجروا إليهم ضمانا لتثبيتات التوحيد، وتوحيدا للصفوف العاملة، وجمعا للقلوب المتحابة فى الله، وهناك ابتدأت للدعوة حياة جديدة، أخذت تعمر الناس فى عقر دارهم، وأخذ الوحى يتتابع من السماء بالقانون الذى ينظم تلك الحياة، وقد صلح فى تركيزها، وتشييدها، وتنظيمها مدة حياته بالمدينة، وقد أقر الله عينه بثمرة جهاده ورأى كلمة التوحيد تعمل عملها فى معسكرات الشرك والوثنية، وتمحى على مظاهر الضلال والبهتان، وعندئذ أنزل الله فى محكم كتابه امتنانا بالنعمة

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾

(المائدة ٣)

ثم تلاه قوله تعالى

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾

(سورة النصر)

وما أجدر المسلمين أن يتعرفوا عظمة نبيهم محمد، التى تجلت آثارها فى أطوار حياته كلها فلم تكن عظمته من جنس العظمات البشرية المألوفة، فهى ليست من عظمة الملوك الجبارين الذين يستعذبون أنين الإنسانية، واستعباد الخلق وإذلالهم، وليست من عظمة القواد الطاغين الذين يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ولا يرون السعادة إلا فى الفتك بالضعفاء، والتخريب والتدمير، وترويع الآمنين، وليست من عظمة الأغنياء الموسرين، الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق، ويمنعون حق البائس والمحروم، ثم يسخرون عباد الله فى شهواتهم وأهوائهم بشىء من حطام الدنيا الزائل.

إنها عظمة رحمة وعطف، عظمة هداية وإرشاد، عظمة تثقيف وتهذيب، عظمة إصلاح وتعمير، عظمة سلم وأمن، عظمة تهيئ للحياة الفاضلة عدتها، وتمهد سبلها، عظمة تساير الدهر، وتستقر فى صفحة الخلود، ويستمد العالم منها غذاء حياته الروحية والاجتماعية، عظمة تتمثل فى تلك التعاليم التى وحدت بين قلوب متنافرة، وربطت بين قبائل مبعثرة، واستلت منها الأحقاد والأضغان، وكونت منها أمة مهيبة الجانب، عزيزة المنال، ذات شخصية ثابتة، ونظام محكم متين، استطاعت أن تسوس به شعوب الأرض، على دعائم قوية من العلم والمعرفة، والحكمة والعدل

آثار تعاليمه وهدايته:

تلك التعاليم التى فوجئ بها قوم رسخت فيهم عوامل الفساد فى الأرض وحرفوا الشرائع، وأفسدوا الفطر، فعبدوا غير الله، ونسوا يوم البعث والجزاء، وانحلت أخلاقهم واستباحوا الدماء، والأعراض، والأموال، حتى اضطرب العالم، وتزعزعت أركانه. وما هى إلا صرخة الحق عن طريق محمد. فيملأ الإيمان قلوبهم، وتسود الرحمة بينهم، فينقلب شرهم خيراً، وفسادهم صلاحاً، وجهلهم علماً. وانحلالهم تماسكاً. وفوضاهم نظاما، ويصبحون بنعمة الله وفضل تلك التعاليم إخوانا. أساس ترابطهم الإيثار، وسبيل دعوتهم التواصى بالحق. والتواصى بالصبر. يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

تلك التعاليم التى أطلقت للعقل البشرى حريته. ودفعته إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض، وفكته من السلاسل والأغلال، وعابت عليه التقليد والجمود والتعصب. هذه التعاليم التى سوت بين الذكر والأنثى، والحاكم والمحكوم. والغنى والفقير. والقوى والضعيف، وقررت أن الناس سواسية، وأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، ونظرت إلى الشعوب والقبائل نظرة واحدة. وجمعتهم فى ثوب واحد. ونادتهم بنداء واحد (يا أيها الناس)، (يا بنى آدم).

تلك التعاليم. التى قررت مبدأ حرية العقيدة، وأنه لا سلطان لمخلوق فيها على مخلوق:

﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾

(يونس ٩٩)

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء ١٣ - ١٥)

تلك التعاليم التى قررت للإنسانية، حق التشريع فى دنياها. وقررت أنه لا سيادة للحاكم عليها، وأنه يسعى لخدمتها بتفويض منها، فلها فيه حق العزل وحق التولية.

تلك التعاليم التى ما تركت فضيلة إلا حثت عليها، ولا رذيلة إلا حذرت منها، ولا أصلا من أصول التشريع الحى الناهض إلا قررته، وطلبته من الناس شرعا يسعدون به فى الدنيا، ودينا ينعمون به الآخرة.

تلك التعاليم التى كانت شفاء ورحمة للعالم: غرست بذور الخير فى نواحيه ونهضت بالإنسانية من كبوتها. وسمت بها إلى المكانة اللائقة بها، مكانة الخلافة عن الله رب العالمين.

النبى الأمى:

تلك التعاليم التى ظهرت وتجلت، وتظهر وتتجلى فى وحى الله، لعبده محمد - هى آثار العظمة المحمدية، تجرى آياتها على لسانه، فتقرع الأسماع، وتخالط القلوب. وتعمل عملها فى التوجيه والإرشاد، ومحمد هو محمد الأمى، الذى لم يقرأ ولم يكتب. والذى نشأ فى مكة التى لا ترى فيها إلا رمالا وجبالا، والتى لا تعرف علماً. ولا تأنس بحضارة

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت ٤٨، ٤٩)

﴿ [illegible] ﴾

(النجم ٤ - ١٠)

الاحتفال بذكرى المولد:

وقد جرت سنة للمسلمين - بعد قرونهم الأولى - أن يحتفلوا فى شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ، وكان لهم فى الاحتفال بهذه الذكرى أساليب تختلف باختلاف البيئات والبلدان.

فمنهم من يحتفل بتهيئة طعام خاص لا يألفونه فى مجرى عاداتهم الغالبة، تتناوله الأسر فى ليلة الثانى عشر من الشهر فرحة مسرورة حول مائدة واحدة، وتلك ذكراهم لميلاد الرسول.

ومنهم من يحتفل بأصناف من الحلوى ذات أشكال وصور مخصوصة، يصنعها الباعة لتلك المناسبة. ويضعونها منسقة منظمة أمام حوانيتهم التماسا للرواج والربح. وتلك ذكراهم لميلاد الرسول.

ومنهم من يحتفل بالدعوة إلى اجتماعات تفتتح بتلاوة آى من الذكر الحكيم وكثيراً ما يتحرى القارئ الآيات التى تعرض لذكرى الرسول باسمه أو صفته

ولعلك تسمع فى الليلة الواحدة أكثر من قارئ يقرأ قوله تعالى

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾

(الأحزاب ٤٠)

ثم تتلى قصة المولد الشريف قد وضع فيها من الأوصاف الخلقية، والأوضاع التى

كانت عصبية وقت ولادته عليه الصلاة والسلام، وتلك ذكراهم لميلاد الرسول.

وتمضي بعد ذلك وهؤلاء قلاه لكتاب والسنة متحدثين بالمقالات والأحاديث، ينشرونها ويذيعونها على الناس، يذكرونهم فيها بعظمة محمد وشمائله التي فُطر عليها، وعرف بها في أهله وبين قومه.

يوم أن كان غلاماً يرعى الغنم، ويعزف بنفسه عما يألفه أقرانه من مجالس اللهو واللعب.

ويوم أن كان شاباً جلداً يحضر مع أعمامه حرب الفجار وحلف الفضول.

ويوم أن كان رجلاً مكتملاً وافر العقل، يرتضيه قومه حكماً في النزاع بينهم.

ويوم أن كان ملتهب الفطرة في صلته بالله، فيفر من صخب الحياة ورحيلتها إلى التحنث والأنس بنور الإيمان الفطري.

ويوم أن كان مشفقاً على قومه من جهلهم بالله، وانغماسهم في الشهوة والهوى، لا يدري كيف يهديهم.

ويوم أن كان هادياً مرشداً، يتعهدهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبشر من آمن وينذر من أبى.

ويوم أن كان محتملاً مكايد قومه، صبوراً على إيذائهم، يستعذب العذاب في سبيل دعوته.

ويوم أن خرج من نطاق الحديد والنار الذي ضربه قومه حول بيته، ليضربوه ضربة واحدة يتفرق بها دمه في القبائل فيستريحوا منه ومن دعوته.

ويوم أن صار في المدينة قائداً يتقدم الصفوف، ويتقي به أصحابه.

ويوم أن كان حاكماً يقيم الوزن بالقسط، لا يعرف نفسه ولا أهله في إقامة حد الله وشرعه.

هكذا جرت سنة المسلمين بعد قرونهم الأولى.

ذكرى الرسول عند المسلمين الأولين:

وما كان المسلمون الأولون يفكرون في تعيين زمن خاص يذكرون فيه الناس بعظمة محمد ﷺ عن طريق الاحتفالات التي تقام، أو المقالات التي تكتب، أو الأحاديث التي تذاع.

ذلك أنهم كانوا يرون أن عظمته ﷺ ليست من جنس العظمات التي يخشى عليها النسيان أو التلاشي في صحف الأيام حتى تحتاج في بقائها إلى تذكير الناس بها، وتنبيه وعيهم إليها، وليست من جنس العظمات التي تألفها الأمم في نوابغها وأفذاذها تكون في ناحية من نواحي الحياة، كانتصار في معركة، أو فتح لحصن، أو سبق إلى اختراع مادي، أو كشف نظرية علمية في السماء أو في الأرض، أو زعامة أمة أو إقليم.

عظمة خالدة:

وإنما كان يرون - كما هو الواقع - أنها عظمة خالدة بخلود آثارها في العالم، تنمو وتمتد، وتسري تغذيتها منه نبية في جوانبه شرقاً وغرباً، وتنطلق أشعتها على سواحل الكرة الأرضية، فتنبض لها القلوب وتتحرك لها العقول، وتنشرح بها الصدور، وتمتلئ بروعتها وبساطتها النفوس. وترسم هي لهم سبل السير وراءها فيكشفون للناس عن جوهرها ومصدرها وعن نظمها في الحياة.

كانوا يرونها خالدة بآثارها هكذا، وخالدة بكتابها الخالد الذي يهدي الإنسان في الحياة إلى التي هي أقوم في عقيدته، وفي خلقه ونظم حياته، وروابطه العائلية والمدنية والإنسانية، وفي علاقته بالكون، أرضه وسمائه، وفي متعته بلذائذ الحياة الطيبة، وفي تضامنه مع إخوته بني الإنسان، وفي عمارة الدنيا وفي أسباب استقرارها وفي بلوغها أقصى ما قدر لها من كمال.

كانوا يرونها هكذا خالدة، وهكذا عامة.

وكان ذكراها لديهم في ترسم خطاها، والجد في نشرها، وفتح قلوب الناس لها، والعمل على انتفاع الإنسانية بها، وبذلك ركزوا حياتهم في تقليب وجوهها، والاقتباس من نصها وروحها، لما يكفل للإنسانية أن تحتفظ بمكانتها في صفحة الترتيب الكوني لهذا العالم.

وتلك كانت ذكراهم لعظمة محمد، كانت حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم أقلاماً من نور، ترسم خطوطها في جميع الآفاق تفتح القلوب، وتنير العقول، وتحيي الضمائر.

انحراف إلى عظمات زائفة:

هذه عظمة محمد ﷺ، وتلك ذكراها عند المسلمين الأولين، ولكن لما ضعفت النفوس، وتفتحت للناس منابع للشهوة والهوى، وناءت القلوب بحمل الأمانة، هان على الناس قدرها واستبدلت بها غيرها من صور العظمات الخاصة، وصارت تلك العظمات هي المحراب الذي نتجه إليه، والغرض الذي نسعى جهدنا في الحصول عليه.

وأقفرت قلوبنا وحياتنا من جوهر العظمة المحمدية، وصرنا لا نذكرها، ولا يلمع برقها إلا حيث يوافينا من كل عام هلال ربيع الأول، ويطل علينا منه شهر المولد النبوي الكريم.

فنهرع إلى هذه المظاهر نقيمها وتلك الكلمات نؤلفها، حفاوة بحق الذكرى وبحق الانتساب.

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ (الكهف: ١٠)

محمد ﷺ بشر يوحى إليه



للدكتور/ عبد الرزاق السنهوري باشا

في إسلاميات السنهوري باشا مكان ملحوظ للحديث عن رسول الله ﷺ سواء في خواطره التي ضمنها «أوراقه الشخصية».. أو المقال الذي كتبه بعنوان: «نبي المسلمين والعرب».. والفكرة المحورية التي كان يلح عليها - في زاوية الرؤية لسيرة المصطفى ﷺ والتي كان يحلم بتوفيتها حقها بدراسة متخصصة - هي إبراز عظمة النبي انطلاقا من بشريته.. فالاصطفاء الإلهي إنما كان لبشر.. والوحي السماوي إنما نزل على بشر.. وهذا الإنجاز المعجز والخالد إنما قام به بشر.. وفي بشريته سر التميز والامتياز.. فالوقوف عند «الإعجاز» وحده فيه ظلم للبشرية المتميزة.. وجدير بالذكر أن هذه «الزاوية للرؤية» هي التي تحدث عنها القرآن الكريم كثيرا، باعتبارها سنة الله في النبوات والرسالات:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾

(الإسراء ٩٤-٩٥)

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

(الكهف ١١٠)

من أوراقه الشخصية[1]

قرأت بعضا من رسالة أحد المصريين وضعها في المرأة المسلمة وعرض فيها لحياة النبي ﷺ فأورد ما أراد أن يثبت به، أن النبي كان يحب النساء، وأنه أحل لنفسه منهن ما لم يحل لغيره. ولا أنكر قيمة الكتاب من الوجهة الاجتماعية. كما لا أعرف ما الذي قصده المؤلف من إيراد مجموعة منظمة من الحوادث يسوقها للنيل من كرامة نبي نال احترام المنصفين من المفكرين في الغرب. ولكني واثق من أن المؤلف فاتته ملاحظة اجتماعية على غاية كبيرة من الأهمية والبساطة، تلك هي أنه عند الحكم على رجل يجب ألا ينتزع من البيئة التي نشأ فيها. ويقاس بمقياس غير العصر الذي وجد فيه. وقد وجد للنبي ﷺ أعداء منذ قام بالدعوة إلى أن مات، وتحينوا له الفرص للإيقاع به والنيل من كرامته، وتناولوه بالطعن في عقله ودينه، ولكني لم أقرأ أن عربيا واحدا نال منه من حيث حبه للنساء، أليس هذا دليلا على أن الوسط الذي نشأ فيه النبي كان يألف كل الألفة هذه الناحية من أخلاقه فلم ير فيها ما يوجب الطعن، وأن النبي ﷺ إن كان قد أكثر من اتخاذ الزوجات فهو في ذلك إما ناظر لمصلحة انتشار الدعوة أو خاضع للوسط ومؤثراته؟ وهو يعد من البشر مثلنا، ولعل خضوعه لكل المؤثرات البشرية وعدم تظاهره كثيرا بصفة من الصفات الروحانية التي تتناقض مع طبيعة البشر من أخص مميزاته التي تتفق كثيرا مع ما يمكن فهمه من معنى حقيقة النبوة، وأن النبي لم يخرج عن الحدود التي رسمها الله للبشر.

وبعد. أليس ثابتا أن النبي قضى زهرة عمره من سن الخامسة والعشرين إلى الخمسين مع امرأة واحدة كان يحبها ويحترمها، وهي أكبر منه سنا بعدد غير قليل من السنين[2]؟.

أعتقد أن دراسة حياة النبي ﷺ كرجل إلى جانب أنه نبي، يفيد كثيرا في تربية الأخلاق. وفي تعريف النبي للمسلمين ولغير المسلمين في صورة طبيعية أقرب إلى الذهن في العصر الحاضر.

لا أشك في أن محمدا ﷺ نبي أوحي إليه من عند ربه، ولكن بقي فهم معنى النبوة ومعنى الإيحاء. وهذه موضوعات لا أتطرق إليها الآن.

ولكني أعتقد أن الله لم يختر النبي ويخصه برسالته إلا لأن النبي فيه صفات ممتازة جعلت منه رجلا ممتازا قبل أن يكون نبيا مرسلا. وتاريخ حياته إلى سن الأربعين، وهي السن التي أرسل فيها، يدل على حب للتفكير العميق، وحياة طاهرة نقية، وأعتقد أيضا أن الذي أعده للنبوة في هذه السن هو الحياة التي أخذ نفسه على أن يعيشها قبل بلوغه سن الأربعين، أي أن النبي كان يفكر حتى إذا استكمل تفكيره وشعر أن

(١) انظر (إسلاميات السنهوري باشا) دراسة وتحقيق د. محمد عمارة - جـ١ طبعة دار السلام القاهرة

(٢) ليعن في (٢٦ - ٣ - ١٩٢٢م) - والإشارة إلى الدكتور منصور فهمي باشا (١٣٠٣ - ١٣٧٩ هـ/١٨٨٦ - ١٩٥٩م). ولقد تمت لمسيرته الفكرية تحولات انتقلت به من «التغريب» إلى «الإسلام» كمنهاج شامل للحياة

عنده فكرة صحيحة عن حياة رب بعد حياة فاض هذا الشعور فى جوانب نفسه، وكان من هذا الشعور العميق (نتيجة التفكير الطويل مؤسس على صفاء عقل ورحب الإنسانية) الوحى والتنزيل، ثم يدخل النبى بعد ذلك فى حياة أخرى، حياة التجارب والسياسة العملية.

كان حتى سن الأربعين يفكر كالفيلسوف الذى يبنى نظرياته الفلسفية فى دائرة الفكر، دون أن يجرب كيف يطبق هذه النظريات على العالم الخارجى، حتى أوحى إليه أن الله اختاره لهداية خلقه، وأنه مطالب بالعمل إلى جانب التفكير، فالتقى الفكر والعمل فكرة جالت فى عقله حتى استقرت فى نفسه وهى فكرة توحيد الله وعجز العقول عن إدراك كنهه. ثم شرّع قواعد الدين الإسلامى، ووضع إلى جانب تلك القواعد التى تعنى بالحياة الأخرى قواعد للحياة الدنيا التى طالما ذكرها القرآن الكريم وجعل السعادة فيهما من أغراض رسالة محمد ﷺ فوضع ﷺ قواعد لحياة اجتماعية وحياة سياسية وأسّس دولة إلى جانب دين. وأعتقد أنه فى تأسيسه الدين كان نبيًا مرسلاً، وفى تأسيسه الدولة كان رجلاً عظيمًا.

وقد درس علماء الدين حياة النبى من ناحية أنه نبى مرسل، ولكن بقى علينا دراسة حياته ﷺ باعتباره رجلاً عظيمًا، وهى دراسة تاريخية ممتعة ومقوية للأخلاق(١).

***

نبى المسلمين والعرب

للنبى ﷺ حرمة فى نفس كل مسلم، بل فى نفس كل إنسان يحترم الإنسانية، ويحترم من يعمل خيرها. وهذه الحرمة تولد فى قلب من يهم بالكتابة عن هذه الصفحة النقية الجليلة من صفحات الإنسانية شعورًا تمتزج فيه الهيبة بالحب والإجلال.

وقد طلبت منى جمعية الهداية أن أكتب فى نبى المسلمين والعرب فوقفت بين الرهبة والواجب، ثم أقدمت على كتابة هذه الكلمة مختلسًا بعض الوقت وسط ما يشغلنى من العمل، وقد حددت -قبل أن أبدأ الكتابة- المعانى التى أحببت أن أتقدم بها إلى القراء، فجوانب الكتابة عن النبى ﷺ متسعة متنوعة، تزدحم بالمعانى، وتزدحم بالأفكار، وهو ميدان فسيح للتعريف الأعلى، وموضوع شهى للأقلام، ومجال متسع للتحليل والوصف.

أردت أن أضع أمام القارئ مسائل ثلاثًا:

أولاً: أن النبى ﷺ هو نبى المسلمين والعرب، وقد اخترت هذا المعنى عنوانًا للمقال.

وثانيًا: أن النبى ﷺ كان بشرًا مثلنا، بل لعل أروع ما فى حياته من جلال وعظمة هى تلك الصفحة التى تريه لنا بشرًا، يخضع لنواميس البشرية، ويجرى على سننها.

وثالثًا: أن هذا الدين الذى أتى به النبى ﷺ هو

(١) مقال فى مجلة الذكرى (التى كانت تصدرها جمعية الهداية العراقية) نشر فى عددها الصادر سنة (١٩٣٦م) بمناسبة المولد النبوى الشريف.

دين الأرض كما هو دين السماء، بل لعله بالوصف الأول أقرب إلى العقل البشرى وأبعد إلى قلب الإنسان.

أما النبى ﷺ هو نبى المسلمين والعرب، فقد أردت بهذا أن أقول: إنه لم يبعث إلى العرب وحدهم، بل بعث إلى البشر كافة، ثم هو بعد ذلك عربى من صميم بنى عدنان، فالنبى العربى وقف فى حجة الوداع، منذ ثلاثة عشر قرنًا، يخطب الإنسانية وهى لا تزال رضيعة لقوته حتى اليوم، ولا يزال يرن ذلك الصوت الكريم الذى يقول: «ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد الغائب».

وهو، إذ ذاك، يرى بعين الغيب أركان الدولة الرومانية، وأركان الدولة الفارسية، تنهار وتتقوض، ويعلو فوق هذه الأطلال بناء على شامخ يكاد يسامت السماء، هو بناء الدولة الإسلامية الجديدة، دولة لا تعرف الأجناس ولا تعرف الألوان، فالعجمى والعربى والأحمر والأسود عندها سواء. ولكن هذه الدولة وضع أساسها نبى عربى، وارتفعت على أكتاف العرب، فللعرب إذن أن يتقدموا إلى الإنسانية بهذه الصفحة البيضاء، فهم أول من قالوا برابطة البشرية، وهدموا الحدود والحواجز ما بين بنى البشر، وأقاموا أساسًا لعصبية أمم حقيقية لم ينجح الغرب فى إيجادها حتى الآن.

وأما أن النبى ﷺ كان بشرًا مثلنا، فهذا ما أكده لنا فى عبارات صريحة حازمة، وهذا ما نقرؤه فى القرآن واضحًا لا لبس فيه ولا إبهام، ومعنى أنه كان إنسانًا هو أنه كان يخضع لما تخضع له البشر من سنن ونواميس. ولو أنك استعرضت سيرة النبى ﷺ، لوقفت أمام كثير من صفحات هذه السيرة النقية الطاهرة، لا تستطيع تفسيرها إلا على أساس أنه كان إنسانًا يخضع للعواطف البشرية، وما تزدحم به من حب وكره ورضا وغضب، وثبات واضطراب، وقوة وضعف، وأمل ويأس، وإقدام وإحجام، وهل ترون معى أيها المسلمون جميعًا، بل أيها البشر جميعًا، لو أن النبى ﷺ كان ملكًا من السماء أكان يقع من نفوسنا البشرية موقعه؟

إن عظمة النبى الحقيقية هى فى أنه إنسان مثلنا، يخضع لما نخضع له من العوامل النفسية وظروف البيئة، ومع ذلك يسمو، فيتغلب بقوة نفسه، وهى نفس بشرية، على ما لا نستطيع نحن أن نتغلب عليه، ثم يسمو، فيقهر بعظمة نفسه، وهى نفس بشرية، ما يقهره نحن أمامه. خذوا جبريل والنبى؛ هذا ملك كريم وهذا نبى عظيم، فلو أنبئتم أن جبريل نظر إلى امرأة جميلة فلم تقع من نفسه شيئًا، واعتصم منها أكنتم تدهشون؟ أكنتم ترون فى هذا ما يدل على عظمة نفس وقوة إرادة؟ كلا فجبريل ملاك من السماء، لا شأن له مع البشر، ولكن إذا أنبئتم أن النبى ﷺ نظر إلى امرأة جميلة بعين الرجل فأثرت المرأة فى نفس الرجل، ولكنه

اعتصم منها. أما كنتم ترون في هذا دليلا على قوة الإرادة وعصمة النفس [illegible] تحمي أقوى ناحية في عظمة النبي ﷺ وهي ناحية البشرية [illegible] يكاد يخرجه عن أن يكون إنسانا مثلنا، ويكاد يجعله آلة تحركها يد الله فلا تتحرك إلا إذا حركت، وليس لها إرادة ولا وعي؟ كلا أيها الناس، فالنبي رجل منا، تركه الله إلى نفسه، بعد أن أيده بروح من عنده، وأنزل عليه وحيه، فقام يعمل ويأخذ يبني ويشيد، وهو في عمله وفي تشييده ينفذ وحي الله، لكن بيده ويلبي كلمة الله لكن بقوته، ويمكن لدين الله، لكن بجهوده.

بقي أن الإسلام دين الأرض كما هو دين السماء، فالإسلام لا يبشر [illegible] الآخرة وجنات عدن تجري من تحتها الأنهار فحسب، بل هو يبشر أيضا بتاج كسرى، وإيوانه وعرش قيصر وسلطانه، يبشر بالأرض تدين لسلطان المسلمين، [illegible] من عباده الصالحين

﴿ [illegible] ﴾

(النور: ٥٥)

فالمسلم له عين إلى الأرض وعين إلى السماء، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا.

والإسلام دين القوة بقدر ما هو دين العطف والرحمة، مائة تغلب ألفا، ثم مائة تغلب مائتين، ولا يرضى الله عن المائة التي تغلب مائتين [illegible] بالضعف. فالمسلم القوي يعدل عشرة، هذه هي القوة العادية، أما القوة المعنوية، فقوة العقل وقوة الخلق، فالمسلم يطلب الله منه أن يجيل عقله فيما حوله، وأن يتدبر خلق السماء والأرض وأن يتدبر خلق نفسه، وأن [illegible] عن تفكير، وأن يجعل العقل المرشد الهادي الذي لا يضل

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٦٤)

والمسلم لا يتم إسلامه حتى يكون قويا في خلقه، والإسلام هو دين

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٧)

دين

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٥٨)

دين ﴿ [illegible] ﴾

(الفرقان: ٧٢)

دين

﴿ [illegible] ﴾

(الفرقان: ٦٣)

دين الفقراء:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٧٣).

أليس الإسلام هو دين الرجولة الحقة؟ بلى وقد بعث النبي ليتمم مكارم الأخلاق.

***

من أوراقه الشخصية

يملأ النبي ﷺ نفسي إعجابا لأنه بشر مثلي.. وإذا كان فيه من نواحي ضعفي[٥].. فليست في من نواحي قوته[٦].

وددت لو تمكنت من كتابة سيرة للنبي ﷺ تظهر فيها بوضوح مسألتان

أولاهما: أن النبي ﷺ لم يخالج نفسه أي شك في صحة رسالته كما تشهد بذلك سيرته من أولها إلى آخرها.

والمسألة الثانية: أن النبي ﷺ رجل مثلنا يجوز عليه ما يجوز على البشر وينتابه ما ينتاب البشر من أعراض [illegible] والضعف. ولعل ما ينعاه عليه أعداء الإسلام من نواحي الضعف هو أصدق دليل على أنه بشر مثلنا، وهو في الوقت ذاته أصدق دليل على قوته النفسية وعلى سمو عظمته[٧].

قرأت مقالا لأحد الكتاب يصف فيه النبي ﷺ وهو فرح عندما يولد له إبراهيم، حزين مثكول عندما يرزأ بفقده. ويقول الكاتب في ختام مقاله [illegible] لم يكون [illegible] إنسان ليكون قدرا على [illegible] جديرا بتبليغ الرسالة إلى الآدميين.

فكرت قليلا، ولم أملك إلا أن أكتب فوق المقال هذه العبارة: «هو نبي لهذا.. لا هذا لأنه نبي»[٨].

---

(٥) [illegible] لبيد

(٦) القاهرة في (١٣-٧-١٩٤٣م)

(٧) دمشق في (٥-٢-١٩٤٤م)

(٨) القاهرة في (١٥ يونية-١٩٤٧م)

محمد ﷺ رسول الإنسانية ورجل القومية العربية (١)



للإمام/ عبد الحميد بن باديس

لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه. فعناية المرء نفسه - عقلا وروحا وبدنا - لازمة له ليكون ذا أثر نافع في الناس، على منازلهم منه في القرب والبعد. ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية ما دام مهملا مشتتا لا يهديه علم، ولا يمتنه خلق، ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه. وإنما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله فأخذ الأصول الثابتة من الماضي، وأصلح من شأنه في الحال، ومد يده لبناء المستقبل يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة له به وما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته.

فمحمد ﷺ وهو رسول الإنسانية، كانت أول عنايته موجهة إلى قومه وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع لا يمكن أن يتم إنسانيا أو شعبيا إلا بمراعاته: فكان أول دعوته ﷺ لعشيرته لقوله تعالى

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

(الشعراء ٢١٤).

فصعد على جبل الصفا ثم نادى «يا صباحاه» - وكانت دعوة الجاهلية إذا دعاها الرجل اجتمعت إليه عشيرته - فاجتمعت إليه قريش عن بكرة أبيها، فعم وخص، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، يا بني كعب بن لؤي، يا بني مرة بن لؤي، يا آل عبد شمس، يا آل عبد مناف، يا آل هاشم، يا آل عبد المطلب، يا صفية، يا فاطمة، سلوني من مالي ما شئتم، واعلموا أن أوليائي يوم القيامة المتقون، فإن تكونوا يوم القيامة، مع قرابتكم، فذلك وإياي، لا يأتي الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد بوجهي عنكم فتقولون يا محمد فأقول هكذا - وصرف وجهه إلى الشق الآخر - غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها. ثم وجه دعوته إلى بقية العرب لقوله تعالى

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾

(القصص ٤٦).

وهم عامة العرب، فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج وما يتصل بها من أسواقهم. ثم عمم دعوته لقوله تعالى

﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾

(الأنعام ١٩).

فكاتب ملوك الأمم وقد عمت دعوته العرب وتهيأ أمرهم لعموم دخولهم في الإسلام، وكان ذلك أيام هدنته مع قريش قبيل فتح مكة. ثم نجد أكثر السور المكية قد وجه فيها الخطاب إلى قريش وإلى العرب، وعولجت فيه مفاسدهم الاجتماعية وضلالاتهم الشركية وما كان منهم من تحريف وتبديل لملة إبراهيم، فكان أول الإصلاح متوجها إليهم ومعتنيا بهم حتى ينتشلوا من وهدة جهلهم وضلالهم وسوء حالهم وتستنير عقولهم وتتطهر نفوسهم وتستقيم أعمالهم فيصلحوا لتبليغ دين الله وهدى رسوله ﷺ للأمم بالقول والعمل. ثم لأجل أن يشعروا بأن القرآن هو كتاب هداية لهم كلهم، وأن الرسول لهم كلهم، أنزل القرآن على سبعة أحرف فعم جميع لهجاتهم، وكان النبي ﷺ يخاطبهم بتلك اللهجات وينطق بالكلمات منها ما ليس من لهجة قريش. وكان في هذا ما أشعرهم بوحدتهم بالتفافهم حول مركز واحد ينتهون كلهم إليه ويشتركون فيه. وقد نبه على هذا المعنى قوله تعالى

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

(الزخرف ٤٤).

فأخبره أن القرآن شرف له ولقومه، يرفع بعضهم ويبعث فيهم من كمونهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهيئهم لهداية الأمم وإنقاذها من الهلاك وقيادتها لعزها وسعادتها، وأنهم يسألون عن هذه النعمة. يقول هذا ليعملوا بالقرآن ويعلموا أن شرفه إنما هو بالعمل.

على أن العرب إذا نجحوا بهداية الأمم وأن الأمم التي تدين بالإسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الإسلام، وهو لسان العرب، فيسمو عدد الأمة العربية سمو عدد من يتكلمون لغتها، ويهتدون مثلها بهدى الإسلام، علم هذا فبين أن من تكلم بلسان العرب فهو عربي، وإن لم يتحدر من سلالة العرب، فكان هذا من عنايته بهم لتكثير عددهم ليبقى بهم ما نشروا له. بين هذا في حديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن مالك الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل، يعني النبي ﷺ، فما بال هذا؟ يعني الفارسي والرومي والحبشي ما يدعوهم إلى نصره وهم ليسوا عربا مثل قومه. فقام إليه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فأخذ بتلابيبه مما على نحره من الثياب، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بمقالته فقام النبي ﷺ مغضبا يجر رداءه، لم أعجله من الغضب، حتى أتى المسجد ثم نادى «الصلاة جامعة» ليجتمع الناس، وقال ﷺ: «أيها الناس، الرب واحد والأب واحد، وإن الدين واحد. وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي». فقام معاذ فقال: فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول

(١) كتاب آثار ابن باديس ج ٣ مجلد ٢ ص ١٧ - ٢١

بعد قليل ... دعته إلى النار فكيف فيمن ارتد في الردة فتنة.

تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد. وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة. وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد: ولو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير. ثم وضعت شاميًا وجزائريًا مثلاً ينطقان باللسان العربي، ورأيت ما بينهما من تفاهم وتقارب في ذلك كله. لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم.

فانظر بعد هذا إلى ما قرره هذا النبي الكريم، رسول الإنسانية ورجل القومية العربية، في حديث متقدم فقضى بكلمته تلك على العصبية العنصرية الضيقة المفرقة. فنبه على تساوي البشر في أنهم كلهم مخلوقون لله، فربهم واحد وأنهم كلهم من عنصر واحد، فأبوهم آدم واحد، وذكر بأخوة دين الإسلام دين الأخوة البشرية والتسامح الإنساني، ثم قرر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع في تكوين الأمم، ووضع للأمة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتسع دائرتها لجميع الأمم التي سمحت بتعريبها في الإسلام بلغة الإسلام. وقد كان ذلك من أعظم ما سهل نشر الهداية الإسلامية وتقارب عناصر البشرية وامتزاجها بعضها ببعض حتى كان ثمرة اتحادها وتعاونها ذلك التمدن الإسلامي العربي الذي أنار العالم شرقا وغربا. وكان الأساس في نهضة العرب والأساس لمدنية اليوم. وبذلك أيضا كانت الأمة العربية اليوم تجاوز السبعين مليونا عدا لا تخلو منهم قارة من قارات المعمورة.

كون رسول الإنسانية ورجل القومية العربية أمته هذا التكوين المحكم العظيم، ووجهها لتقوم للإسلام والبشرية بذلك العمل الجليل. فلم يكونها لتستولي على الأمم، ولكن لتنقذهم من سلطة المستولين باسم الملك أو باسم الدين، ولم يكونها لتستخدم الأمم في مصالحها، ولكن لتخدم الأمم في مصالحهم، ولم يكونها لتدوس كرامة الأمم وشرفها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد، إلى درجات العز والصلاح والكرامة وبالجملة: لم يكونهم لأنفسهم، بل كونهم للبشرية جمعاء. فبحق قال فيهم الفيلسوف العظيم غوستاف لوبون: لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب، نعم، لأنهم فتحوا فتح هداية لا فتح استعمار، وجاءوا دعاة سعادة لا طغاة استعباد.

هذا هو رسول الإنسانية ورجل القومية العربية الذي كان له الفضل - بإذن الله - عليهما، ويشهد المنصفون من غير العرب وغير المسلمين له بهذا الفضل ويتغنى العرب غير المسلمين بذكره، وكم دبجت أقلام الكتاب والشعراء من إخواننا نصارى العرب بالشرق من حلل البيان في الثناء عليه والإشادة بفضله.

هذا هو رسول الإنسانية، ورجل الأمة العربية الذي نهتدي بهديه، ونخدم القومية العربية خدمته، ونوجهها توجيهه، ونحيا لها ونموت عليها، وإن جهل الجاهلون، وخدع المخدوعون، واضطرب المضطربون.

وإلى أعتابه الكريمة نتقدم بهذه الكلمة في مولده الشريف، الذي هو عيد الإسلام والعروبة والإنسانية كلها.. عاد الله فيه باللطف والرحمة على الجميع.

الرسول العابد



الأستاذ / عباس محمود العقاد

الطبائع الأربع

طبيعة العبادة. وطبيعة التفكير. وطبيعة التعبير الجميل. وطبيعة العمل والحركة.
هذه طبائع أربع تتفرق في الناس وقلما تجتمع في إنسان واحد على قوة واحدة.
فإذا اجتمعت معا فواحدة منهن تغلب سائرهن لا محالة. وتلحق الأخريات بها في القوة والدرجة على شيء من التفاوت.

طبيعة العبادة تدعونا إلى الاتصال بأسرار الكون للمعاطفة والتآلف بيننا وبينها: تدعونا إلى الحلول من الكون في أسرة كبيرة.

وطبيعة التفكير تثير في نفوسنا ملكات الكشف والاستقصاء: تدعونا إلى الحلول من الكون في معمل كبير.

وطبيعة التعبير الجميل تشب النار المقدسة في سرائرنا. فتصهر معادن الجمال من هذه الدنيا وتفرغها في قوالب حسناء من صنع قرائحنا وألسنتنا. أو صنع قرائحنا وأيدينا. أو صنع قرائحنا وأوصالنا. تدعونا إلى الحلول من الكون في متحف كبير.

وطبيعة العمل والحركة تعلمنا كيف نتأثر بدوافع الكون وكيف نؤثر فيها. وتجذبنا إليها فنستمد منها القدرة التي تجذبها إلينا: تدعونا إلى الحلول من الكون في ميدان صراع ومضمار سباق.

وقلما تشعر بالكون بيتا لأسرة. ومعملا لباحث. ومتحف فن. ومضمار سباق في وقت واحد. إنما هي حالة من هذه الحالات تجب سائر الحالات. وقد تلحق بها إلحاق التابع بالمتبوع والمساعد بالعامل الأصيل.

محمد بن عبدالله كانت فيه هذه الطبائع جميعا على نحو ظاهر في كل طبيعة: كان عابدا ومفكرا وقائلا بليغا وعاملا يغير الدنيا بعمله.

ولكنه عليه الصلاة والسلام كان عابدا قبل كل شيء، ومن أجل العبادة قبل كل شيء كان تفكيره وقوله وعمله. وكل صبغة فيه

تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه. فولد في بيت السدانة والتقوى، وتقدمه آباء يؤمنون بإيمانهم. ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه.

ونشأ يتيما من عمومته فانطوى على نفسه وتعود التأمل واجد والعزوف عن عبث الصغار. والنظر إلى ما حوله بعين الناقد المترفع عن

لديانا. خاضع في التعبير واستقامة التفسير وتكون في سيرته عامة من عدة

قيل إنه في غيبة أو شبه غيبة من غمرة ما يدركه حالة يختلف شراح التاريخ في تفسيرها، ويرويها من سمعوا بها على روايات مختلفات لا ندري ما هو الواقع الصحيح منها، ويتعجل بعض المؤرخين الأوروبيين فيحسبها ضربًا من الصرع على غير سند علمي أو تاريخي محقق يستند إليه.

كل ما يمكن أن نجزم به من هذه الحالة أو من غيرها أن محمدًا قد تكوّن ليتلقى الوحي الإلهي، وأن تهيئة التكوين لاستعداده لا بد أن يلحظ من أوائل صباه. لأن البنية الحية لن تتهيأ له في أيام ولا في أشهر ولا في سنوات، ولن تستطيعه إلا إذا تمت أهبتها له والمولود في صلب أبيه، ولا نقول في المهد أو في الرضاع.

ومن الأقوال المتواترة أنه كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي سكن رأسه، وكرب لذلك وتربد وجهه، وأخذته البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان في اليوم الشاتي، وسمع عند وجهه كدوي النحل، وقد يصدع فيغلف رأسه بالحناء، وقد شاب لتنزل «شيبتني هود وأخواتها»، وعدد حين سئل عن أخواتها سورًا أخرى من القرآن الكريم.

وإنا لنتساءل مع هذا: إلى أين انتهى المفكرون الذين أوغلوا في شكوكهم وطوحوا بها في قصوى ما تفرضه الفروض؟

إلى أين انتهى «كانت» إمام المفكرين في هذا الباب بين فلاسفة العصر الحديث، إن لم نقل الحديث والقديم؟

انتهى إلى أن النفس نفسان والوجود وجودان: نفس حسية ونفس حقيقية، ووجود محسوس ووجود حق هو ذات الوجود.

النفس الحقيقية تدرك الوجود الحقيقي عندما ترجع إلى قرارها، ثم لا تستطيع بإدراكها عالم الباطن إلى عالم المحسوسات التي يتناولها التعبير وتصوير الكلام. فالنفس بمعنى هذا [illegible] النفس الباطنة أمر لا يتعلق بالبرهان؟ وأن المرجع غاية المرجع إنما هو الإيمان ولا شيء غير الإيمان؟

بل حتى البرهان الأكبر على وجود الله نعود إليه لنسأله ونسمع منه فماذا يقول؟

يقول لنا إن العدم معدوم فالوجود إذن موجود. ومتى ثبت أنه موجود فلا مناص لك من الإيمان به في صفته المثلى؛ لأنك تحتاج إلى مقتضٍ لعرض النقص ولا تحتاج إلى مقتضٍ لعرض الكمال في وجود لا يتطرق إليه العدم.

وما الفارق بين الإيمان بالله والإيمان بالوجود في صفته المثلى؟

هنا ينتهي الإيمان في الفروض والشكوك.

وهناك انتهى الإيمان بغير إيمان في فروض ولا شكوك.

ألا تتلاقى النهايتان؟.. أولا تصل الفروض والشكوك حيث تصل ثم لا يخطو بها قدمان وراء خطو الإيمان؟

[illegible] النبي عليه الصلاة والسلام في عبادته الروحية كثرت وصاياه بإدمان التفكير في خلق الله واجتناب التفكير في ذات الله. قال في حديث: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»، وقال في هذا المعنى: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا»، وقال في حديث قدسي: «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف» أو كما جاء في رواية «فخلقت الخلق فبي عرفوني».

طريق الوصول

وخلاصة هذه الأحاديث وما في معناها أن التفكير في حقائق الوجود هو طريق الوصول إلى الله ولا طريق غيره للحواس ولا للعقل ولا للبديهة: إيمان بالوجود الأبدي في صفته المثلى، وتفكير في حقائق الوجود كما نراها ونحسها ونعقلها، وذلك قصارى ما عند العقيدة، وقصارى ما عند الفلسفة، وقصارى ما عند العلم إذ يقف العلم عند حده، وهذا هو العلم الذي فرضه الإسلام على كل مسلم ومسلمة، وقال النبي في رواية ابن عباس: «إنه أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله»؛ لأنه سبيل الوصول إلى الله.

ومن الواجب أن نذكر بعد هذا جميعه أن محمدًا نبي، وأن النبي يعلم جميع الناس الإيمان، وتلك سبيل جميع الناس فيما يفتح لهم من أبواب التفكير وأبواب الاعتقاد. فهم يضلون في تيه الشكوك والمتناقضات التي يتعمق فيها الفلاسفة والمتطيرون، ولا يبلغون إلى هداية أقوم وأسلم من هداية الإيمان بالخالق والتفكير في الخليقة. فإما هذه الهداية وإما الضلال الذي لا هداية وراءه. وليس للنبي أن يحجب طريق الهداية ويفتح طريق الضلال.

وقد تكلمنا في هذا الفصل عن روح العبادة أو عن فطرة العابد التي توحي إليه «عبادته الروحية».

أما عبادة الشعائر الظاهرة فهي عبادة الإسلام كما فرضت على جميع المسلمين يصلي النبي ويصوم ويحج ويؤدي الزكاة على الشريعة التي يتبعها كل مسلم، وقد يطلب إلى نفسه في هذه العبادات ما ليس يطلبه إلى غيره، على سنة السماحة والتيسير التي أُثرت عنه في كل عمل من أعماله وكل سجية من سجاياه.. «فكان أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه»، وربما قام الليل أكثره أو أقله ولا يلزم أحدًا بالتهجد كما كان يتهجد أو بالصلاة والصيام كما كان يصلي ويصوم، بل قد نهى الناس أن يشتدوا في العبادة فيصبحوا كالمنبت «لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»؛ لأن الناس جميعًا يتلقون الأمر بالعبادة كما يتلقون الأمر بفريضة واجبة، فهم في حاجة إلى الرفق والتيسير.

أما النفس المفطورة على العبادة فالصلاة عندها مناجاة حب وفرحة لقاء، ومطاوعة لميل الضمير وميل الجوارح على السواء.

***

وكان محمد «إذا حزبه أمر صلى».

كذلك إذا حزب الأمر نفسًا رجعت إلى من تحب فخف وقرها وانفرج كربها، وأنست بعد وحشة واهتدت بعد حيرة.

ومتى وجدت النفس «فرحة اللقاء» في الصلاة فلا إجهاد فيها لجسد ولا تضييق فيها لوقت. بل فيها الترويح عن الجهد والتنفيس عن الضيق، ولاسيما إذا كانت النفس من سعة الأفق بحيث تحيي ما تحيي من ليلها ونهارها في الصلاة والعبادة ثم تؤدي عملها وتفكر تفكيرها. ولا يحسب أحد يعرفها أنها تنقطع بالصلاة والعبادة عن حق من حقوق حياتها، أو عن حق من حقوق بني الإنسان.

الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام



للعلامة: مصطفى صادق الرافعى

كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار، يولد النبى فيوجد فى الإنسانية ينبوع النور، المسمى بالدين.

وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها.

والشمس خلقها الله حاملة طابعه الإلهى، فى عملها للمادة تحول فيه وتغير، والنبى يرسله الله حاملاً مثل ذلك الطابع فى عمله تترقى فيه وتسمو.

ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون فى كلام من النور، وأشعة الوحى فى النبى هى قصة الهداية لإنسان الكون فى نور من الكلام.

والعامل الإلهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين:

أجرام النور من الشموس والكواكب، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء.

فليس النبى إنساناً من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق، ومع المنطق الشك، ثم يدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة، ولكنه إنسان نجمى يقرأ بمثل (التلسكوب) فى الدقة، معه العلم، ومع العلم الإيمان، ثم يدرس بكل ذلك على أصول طبيعته نورانية وحدها.

والحياة تنشئ علم التاريخ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء - صلوات الله عليهم - تجعل التاريخ هو ينشئ علم الحياة، فإنما النبى إشراق إلهى على الإنسانية يقومها فى فلكها الأخلاقى ويجذبها إلى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب.

ويجيء النبى فتجيء الحقيقة الإلهية معه فى مثل بلاغة الفن البيانى، لتكون أقوى أثراً، وأيسر فهماً، وأبدع تمثيلاً، وليس عليها خلاف من الحس.

وهذا هو الأسلوب الذى يجعل إنساناً واحداً فى الناس جميعاً، كما تكون البلاغة فى لغة بأكملها، هو الشخص المفسر إذا تعسف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمرون منها، ولا كيف يهتدون فيها، فتضطرب ملايين من البشرية اضطرابها فيما تتقبض عنه وتتهالك فيه من أطماع الدنيا، ثم يخلق رجل واحد ليكون هو التفسير لما مضى وما يأتى، فتظهر به حقائق الآداب العالية فى قالب من الإنسان العامل مرئى، أبلغ مما تظهر فى قصة متكلمة مروية.

وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبى أبلغ نفوس قومه، حتى ليهو فى طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها، كأنها الوضع النفسانى الدقيق الذى ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء، وكأن الحقيقة السامية فى هذا النبى تنادى الناس أن قابلوا على هذا الأصل وصححوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية.

***

ومن ثم فهى البشرية كلها من بعث بالدين أعمالاً مفصلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها، فهو يعطى الحياة فى كل عصر عقلها العملى الثابت المستقر تنتظم به أحوال النفس على بصيرة، ويدع للحياة عقلها العلمى المتجدد المتغير تنتظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى، وهذه هى حقيقة الإسلام فى أخص معانيه، لا يغنى عنه فى ذلك دين آخر، ولا يؤدى تأديته فى هذه الحاجة أدب ولا علم ولا فلسفة، كأنما هو نبع فى الأرض لمعانى النور، بإزاء الشمس نبع النور فى السماء.

وكلُّ ذلك تراه فى نفس محمد ﷺ، فهى فى مجموعها أبلغ الأنفس قاطبة، لا يمكن أن تعرف الأرض أكمل منها، ولو اجتمعت فضائل الحكماء والفلاسفة والمتألهين وجعلت فى نصاب واحد - ما بلغت أن يجيء منها مثل نفسه ﷺ، ولكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الذرة فى مجاذبها، أو تركيب كتركيب النبات فى مجموعه، أو صفة كصفة الذهب فى عرقه، وهى النفس الاجتماعية الكبرى، من أين تدبرتها رأيتها على الإنسانية كالشمس فى الأفق الأعلى تنبسط وتضحى.

وتلك هى الشهادة له ﷺ بأنه خاتم الأنبياء، وأن دينه هو دين الإنسانية الأخير، فهذا الدين فى مجموعه إن هو إلا صورة تلك النفس العظيمة فى مجموعها، صلابته بمقدار الحق الإنسانى الثابت، لا بمقدار الإنسان المتغير الذى يكون عند سبب جبلاً صلداً يشمخ، وعند سبب آخر ماء عذباً يجرى.

وهو دين يعلو بالقوة ويدعو إليها، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم، ويستفرغ همه فى ذلك، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى، وفرق ما بين شريعته وشريعة القوة، أن هذه إنما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها، وتلك تعمل للتفريق، وهو يعمل للمساواة، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية.

ومن هنا كان طبيعيا فى الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يضع عليها صورة الجنة تنعيماً لاحتمالها، ولا رذيلة إلا وهو يضع

عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة، فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة المفكر للنازع: يحرص على ما يكون له وينزو إلى ما ليس له. ويفكر الحيلة، ويبدع وسائل الخداع، ويزيد بكل ذلك في تعقيد الدنيا، بل نظرة القلب للسالم: يخلع الدنيا ويسخو بكل مفتون فيها، فيعف عن كثير، ويعرف الإنسانية ويطمع في غاياتها العليا، فيعفو عن كثير، ويدرك أن الحلال وإن حل قوراءه حسابه، وأن الحرام وإن غرَّ ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد.

ويخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الإسلام هو أن يجعل من خشية الله -تعالى- قانون وجود الإنسان على الأرض. فمن أي عطفيه التفت هذا الإنسان وجد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها، فهو كالمتهم المستراب به في سياسة النفس: لا يمشي خُطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أسباب النية، ويجمعان منه حتى نزوات الكبد، ويترجمان عنه حتى معاني النظر.

وإذا قامت هذه المحكمة الملائكية وتقررت في اعتبار النفس، قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الإرادة المميزة، تريد الحسنات وتعمل لها، وتخشى السيئات وتنفر منها، فإذا معاني الجسد يحكم بعضها بعضاً، لا لتحقيق الحكومة والسلطة، ولكن لتحقيق الخير والمصلحة. وإذا نواميس الطبيعة المجنونة في هذا الحيوان، قد نهضت إلى جانبها نواميس الإرادة الحكيمة في الإنسان، وإذا كل صغيرة وكبيرة في النفس هي من صاحبها مادة تُهمة عند قاضيها في محكمتها، وإذا كل ما في الإنسان وما حول الإنسان لا يراد منه إلا سلام النفس في عاقبتها، وإذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتعرف بالإنسانية في دنياها.

وكل أعمال الإسلام وأخلاقه وآدابه، فتلك هي غايتها، وهذه هي فلسفتها، لا يقررها للإنسانية حسب، بل يغرسها في الوراثة غرساً بالاعتياد والمران الدائم، لتكون علماً وعملاً، فتمكن لسلام النفس بين الأسلحة المسددة إليها من ضرورات الحياة. في أيدي الأعداء المتألبة عليها من شهوات الغريزة.

فليس يعمُّ السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه فشمل الأرض أو أكثرها. فإن قانون العالم حينئذ يصبح منتزعاً من طبيعة التراحم، فإما انتسخ به قانون التنازع الطبيعي، وإما كسر من شرته؛ ويولد المولود يومئذ وتولد معه الأخلاق الإنسانية.

***

تقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس حتى مثقال الذرة من الخير والشر، وضبط ذلك برياضة عملية دائمة مفروضة على النفس جميعاً -هذا هو أساس العقيدة الإسلامية، ولا صلاح للإنسانية بغيره يردها إلى سبيل قصدها، فإن من ذلك تكون الصفة العقلية التي تغلب على المجتمع، وتجانس بين أفراده، فتوجه الإنسانية كلها نحو الممكن من كمالها. ولا تزال توجهها نحو ما هو أعلى، وتحكم فاسدها بصالحها. وتأخذ عاصيها بمطيعها. وتجعل الشرف الإنساني عرضها الأول. لأن الله الحق عرضها الأخير؛ فيصبح المرء -وهذا دينه- كلما تقدم به العمر كمل فيه اثنان: الإنسان، والشريعة، ولا يعود طالب السعادة النفسية في الدنيا كالمجنون يجري وراء ظله ليُمسكه؛ فلا يدرك في الآخر شيئاً غير معرفته أنه كان في عمل باطل وسعي ضائع.

والإسلام يحرص أشد الحرص وأبلغه على تقرير ذلك المعنى الإلهي العظيم. لا بالمنطق، ولكن بالعمل؛ ثم في النفس وعواطفها، لا في العقل وآرائه؛ ثم على وجه التعميم، دون الاستثناء والخصوص؛ وذلك هو سر مشقته على النفس بما يفرضه عليها؛ فإن فلسفته أن هذه النفس هي أساس العالم، وأن النظام الخلقي هو أساس النفس، وأن العمل الدائم هو أساس النظام، وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة ولا يبلغ العسر والحرج، كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والإهمال.

وللنفس وجهان: ما تعلن، وما تسر؛ ولا صدق لإعلانها حتى يصدق ضميرها، ولا صلاح لجهرها حتى يصلح السر فيها. ولا يكون الإنسان الاجتماعي فاضلاً بمشهده حتى يكون كذلك بغيبه.

وللعالم كذلك وجهان: حاضره الذي يمر فيه، وآتيه الذي يمتد له؛ ولا يفلح حاضر منقطع لا يورث ما بعده كما ورث ما قبله، وما حاضر الإنسانية إلا جزء من عمل الناس في استمرار فضائلهم باقية نامية.

وللنظام أيضاً وجهان: نظام الرغبة على الطاعة والاطمئنان لها. ونظام الرهبة على الخشية والنفرة منها. ولا يستقيم شأن ليس أساسه الطاعة في النفس. ولا يستمر نظام عليه خلاف من فكر العامل به.

وللعمل الدائم طريقتان: إحداهما طريقة الجاد يعمل للعاقبة يستيقنها، فلا يجد مما يشق عليه إلا لذة الغالبة للنصر:

كل مرارة من قبله هي حلاوة فيه من بعد، ولا يعرف للمحنة يبتلي بها إلا معناها الحقيقي وهو إيقاظ نفسه، فيصبح الصبر عنده كصبر المحب على أشياء ممن تحبه؛ صبر فيه من السحر ما يكسر الحرمان في بعض الأحيان خيال الاستمتاع، ويضيق النفس في العجز عن بعض أغراضها، لذة كلذة إدراكه.

***

تلك هي فلسفة الإسلام، لا قوام للأمر فيها ولا مساك له إلا بتقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس، ووضع طابع الجنة على أعمال الجنة، وطابع النار على أعمال النار -وحياطة كل فرد من الناس حياطة رياضية عملية بين الساعة والساعة، بل بين الدقيقة والدقيقة، بما يكلف من أعمال جسمه وحواسه، ثم أعمال قلبه ونيته -وتعظيم الشخصية الروحية دون الشخصية المادية، فلا يحاول كل إنسان أن يجعل بطنه في حجم مملكة أو مدينة أو قرية، بما ينتقص من حقوق غيره؛ بل تتسع ذاتية كل فرد بما يجب له على المجتمع من الواجبات الإنسانية؛ وبهذا لا بغيره تتعين مقاييس الأخلاق في الأرض بالمصلحة لا باللذة. فلا يقع الخطأ ولا التزوير. وتحل المشكلة الاجتماعية ما دامت الحياة لا تجد من أهلها كل ساعة عقداً فيها

والاستيلاء بذلك المعنى على العقل والعاطفة هو وحده الطريقة لإنشاء طبيعة الخير فى الناس على سنتها الطبيعى. كما أنه هو وحده الطريقة لتطهير التاريخ الإنسانى من أوبائه الاقتصادية؛ التى جعلته كأنما هو تاريخ الأسنان والأضراس، وتركت الناس يهدم بعضهم بعضا، كما يهدم الجار حائط جاره ليوسع بيته.

وأساس العمل فى الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة. فتجعلها العقيدة أقوى من الحاجة. فيكون الفقير معدما ويتعفف، ويكون الغنى موسرا ويتصدق، ويكون الشره طامعا ويمسك، ويكون القوى قادرا ويرحم، وكما قال العرب فى تحقيق ناموس الأنفة والحمية وعليته على الناموس الاقتصادى: (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها)

***

تريد الإنسانية امتدادا غير امتدادها التجارى فى الأرض، وتحتاج إلى معنى يقود إنسانها غير الحيوان الذى فيه؛ وإذا قاد الغراب قوما فإنه هو - كما قال الشاعر - يمر بهم على جيف الكلاب... والإنسانية اليوم فى مثل ليل حوشى مظلم اختلط بعضه فى بعض. وليست معانى الإسلام إلا الإشراق الإلهى على هذه الكثافة المادية المتراكمة. وإذا رفع مصباح لم تجد الظلام إلا وراء الحدود التى تنتهى إليها أشعته.

وقد علمنا من طبيعة النفس أن إنسانية الفرد لا تعظم وتسمو وتتخيل وتفرح فرحها الصادق وتحزن حزنها السامى، إلا أن تعيش فى محبوب؛ فإنسانية العالم لا تكون مثل ذلك إلا إذا عاشت فى سبيلها الطبيعى. فى أخلاقها الصحيحة وآدابها العالية ونظامها الدقيق. وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا فى محمد ودين محمد؟

وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبى العظيم خمس مرات فى الأذان كل يوم، ينادى باسمه الشريف ملء الجو. ثم حكمة ذكره فى كل صلاة من الفريضة والسنة والنافلة، يهمس باسمه الكريم ملء النفس!

وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا عن نبيهم ولا يوما واحدا من التاريخ، ولا جزءا واحدا من اليوم. فيمتد الزمن مهما امتد والإسلام كأنه على أوله، وكأنه فى يومه لا فى دهر بعيد؛

والمسلم كأنه مع نبيه بين يديه تبعثه روح الرسالة، ويسطع فى نفسه إشراق النبوة. فيكون دائما فى أمره كالمسلم الأول الذى غير وجه الأرض؛ ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميته فى كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة، لا كما نرى اليوم؛ فإن كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر فيها إلا إنسانها التاريخى بجهله وخرافاته وما ورث من القدم؛ فهنا المسلم الفرعونى، وفى ناحية المسلم الوثنى، وفى بلد المسلم المجوسى، وفى جهة المسلم المعطل.. وما يريد الإسلام إلا نفس المسلم الإنسانى.

أيها المسلم: لا تنقطع عن نبيك العظيم. وعش فيه أبدا، واجعله مثلك الأعلى؛ وحين تذكره فى كل وقت. فكن كأنك بين يديه، كن دائما كالمسلم الأول؛ كن دائما ابن المعجزة.

حياة محمد ﷺ (*)

للأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل باشا



لقد كانت حياة محمد حياة إنسانية بلغت من السمو غاية ما يستطيع إنسان أن يبلغ، وكانت لذلك أسوة حسنة لمن هداه الله أن يحاول بلوغ الكمال الإنسانى من طريق الإيمان والعمل الصالح، أى سمو فى الحياة كهذا السمو الذى جعل حياة محمد قبل الرسالة مضرب المثل فى الصدق والكرامة والأمانة، كما كانت بعد الرسالة كلها التضحية فى سبيل الله وفى سبيل الحق الذى بعثه الله به، تضحية استهدفت حياته من جرائها للموت مرات، فلم يصدده عنه أن أغراه قومه. وهو فى الذروة منهم حسبا ونسبا، بالمال وبالملك وبكل المغريات!

بلغت هذه الحياة الإنسانية من السمو ومن القوة ما لم تبلغه حياة غيرها، وبلغت هذا السمو فى نواحى الحياة جميعا، وما بالك بحياة إنسانية اتصلت بحياة الكون من أزله إلى أبده، واتصلت بخالق الكون بفضل منه ومغفرة. ولولا هذا الاتصال.

ولولا صدق محمد فى تبليغ رسالة ربه، لرأينا الحياة على كر الدهور تنفى مما قال شيئا، لكن ألفا وثلثمائة وخمسين سنة انقضت وما يزال بلاغ محمد عن ربه آية الحق والهدى، وبحسبنا على ذلك مثلا واحدا نضربه: ذلك ما أوحى الله إلى محمد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، انقضت أربعة عشر قرنا لم يقل أحد خلالها إنه نبى. أو إنه رسول رب العالمين، فصدقه الناس، قام فى العالم أثناء هذه القرون رجال تسنموا ذروة العظمة فى غير ناحية من نواحى الحياة، فلم تهب لأحدهم هبة النبوة والرسالة. ومن قبل محمد كانت النبوات تتواتر والرسل يتتابعون، فينذر كل قومه أنهم ضلوا ويردهم إلى الدين الحق، ولا يقول أحدهم إنه أرسل للناس كافة أو أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، أما محمد فيقولها فتصدق القرون كلامه، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وهدى ورحمة للعالمين.

(*) فقرات من كتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل باشا

يوم من حياة رسول الإسلام ﷺ



لفضيلة الشيخ محمد الغزالى

لنتأمل فى هذه الصورة، صورة يوم واحد من حياة نبى الإسلام.

لقد صحا من نومه قبل الفجر بيقين، وظلمه الليل لا تزال مخيمة على كل شىء، إنه يتحرك مع طلائع الصبح المقبل قائلا: «الحمد لله الذى رد إلى روحى، وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره».

انظر كيف يستقبل الحياة بترحاب وتفاؤل «الحمد لله الذى رد إلى روحى»

إن العمر الذى ملكناه نعمة نحمد الله عليها، وينبغى أن نحسن استغلالها

إن الحياة فرصة النجاح لمن أراد النجح. ولذلك لفت الله بالشروق والغروب على عباده.

﴿ [illegible] ﴾

غافر (٦١)

وعظمة الحياة فى العافية. ما أجمل أن يكون المرء سليم البدن، تنهض أجهزته وعضلاته بوظائفها كلها دون إعياء أو ملال. إن المسلم عندئذ ينطلق فى كل أفق ليؤدى واجباته باقتدار ورغبة. وذلك سر حمد الله على العافية المتاحة.

وقف طويلا عند قول الرسول «وأذن لى بذكره». أرأيت أدب العبودية فى شمائل العابد الرقيق؟ إن منحه يوما جديدا إيذان له باستئناف العبادة من مطلع الفجر.

ويبدأ العبد الشكور بذكر ربه بكلمات يقطر اليقين والحب من كل حرف فيها، يقولها فى الصباح والمساء على سواء «اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة. اللهم أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى، وعن شمالى، ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى».

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ لى: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شىء ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه، وفى رواية: «وأن أقترف على نفسى سوءا، أو أجره إلى مسلم».

مع طلائع اليوم المقبل يقول الرسول وهو وأصحابه «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين».

وإقرار الأصحاب والأتباع أنهم على دين نبيهم محمد ظاهر، فما معنى أن يقول ذلك النبى نفسه، لقد تكرر فى أدعية كثيرة أن يشهد الرسول لنفسه بالنبوة. أو بأن محمدا حق.

وأرى أن ذلك لمقاصد حسنة منها أنه أول ملتزم بتنفيذ ما جاء به، فكثير من قادة الدين ورؤسائه يحسبون الدين بلاغا للآخرين وتكليفا. أما هم فوق المساءلة به.

ومنها مراغمة الكفار والمنكرين الشانئين، وجعل ذلك حقيقة لا تنال منها الشبهات والأوهام..

ومنها استشعار نعمة الله على صاحب الرسالة، وإبراز الرضا والسعادة بها شكرا لله الذى اصطفى.

وقد كان القلب الشريف يجيش بمشاعر التقدير والإعظام لفضل الله مع كل صبح. ويترجم عن ذلك بكلمات رائقة:

«اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر».

«اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر، فأتمم نعمتك على وعافيتك، وسترك فى الدنيا والآخرة».

وروى أبو هريرة أن رسول الله قال: «ما من رجل ينتبه من نومه فيقول: الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة، الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا، أشهد أن الله يحيى الموتى، وهو على كل شىء قدير.. إلا قال الله تعالى: صدق عبدى»..

وجميل أن يثنى المرء على مالك الملك، فيستمع الله إلى الثناء المهدى، ويقبله بالتصديق، وبسمة الشفقة إلى عبده. يقول عنه صدق عبدى..

وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما بعده، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك».

إن الناس يعيشون داخل كهف معتم من همومهم الحقيقية، أو المتخيلة.

وإنه يحزن أن عقولا ذكية لا ترى أبعد من جدران هذا الكهف، وأن قلوبا فياضة بالأسى لا تحس إلا ظلمته، وضيقه.

إن الرسول العارف بربه يشكر هذا الانقطاع الغوى فيقول «ما من صباح يصبح العباد إلا مناد ينادى: سبحان الملك القدوس – وفى رواية– إلا صرخ صارخ أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس».

أكاد أقول: إن فؤاد محمد وحده، وهو الذى أصاخ إلى صوت الصارخ الهيب بالبشر أن يمزقوا حجب الغفلة وأن يثوبوا إلى الملك القدوس.

واقتداء ﷺ فى التذكير هو أثر استغراقه فى الذكر، ورؤيته لذى الجلال.

وجمهور الفقهاء لا يلزم الأمة بترديد الأذكار والأدعية التى نقلناها ونقلها هنا. إن ترديدها مستحب وحسب، وهذا صحيح.

يبد أنى أرى طول التأمل فى هذه الأذكار والضراعات لابد منه حتى يعتل القلب، وتصعد بالله علاقته، فإن أثرها قوى فى تعريف المرء بربه، وتبصيره بمعانى الأسماء الحسنى.

إن الإيمان الغامض قليل الجدوى، والإيمان الفاتر أعجز أن يهيمن على السلوك، أو يكبح الهوى.

والواقع أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يجعلوا فى الإيمان مكان القمة، ولم يغيروا التاريخ الإنسانى، ويقيموا حكماً مكان حكم، وأخلاقاً مكان أخلاق إلا لقربهم من حياة الرسول، واقتباسهم من سناه، وسريان الإخلاص من قلبه إلى قلوبهم، وحب الله من فؤاده إلى أفئدتهم..

هذه طباع الناس، وربما هاج أشواقهم الهامدة شوق حار على ما قيل:

وذو الشوق القديم وإن تسلى
مشوق حين يلقى العاشقينا

وأرى أن الاستماع إلى النبى وهو يدعو، واستبطان عواطفه وهو يناجى يشعل المشاعر المطفأة، ويدفعها دفعاً إلى الإقبال على الله..!!

* ولكن هذا اللون من الأدعية نافلة، فهناك قدر مفروض من الاتصال بالله يتصل بالمسجد، والصلوات المكتوبات على كل مسلم.

إنه خلال أربع وعشرين ساعة لابد من الوقوف بين يدى الله خمس مرات، وقد تفترض الجماعة أو تكون سنة مؤكدة، ومكانة المسجد فى المجتمع الإسلامى رفيعة، وسوف يستغرب الحديث عنها ناس أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات.

مع انبلاج الخيط الأبيض والأسود من الفجر يبدأ الخطو إلى المسجد وإغراء لذلك يقول الرسول الكريم «بشر المشائين إلى المساجد فى ظلم الليل بالنور التام يوم القيامة»:

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾

(الحديد ١٢)

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾

(التحريم: ٨)

وفى المشى إلى المساجد لحضور الجماعات، صح قول الرسول أنه «ما يرفع الإنسان قدما ويضع أخرى، إلا كتبت له حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة».

وروى ابن عباس أن النبى ﷺ خرج إلى الصلاة بعد سماع الأذان وهو يقول: «اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا، واجعل من خلفى نورا ومن أمامى نورا، اللهم أعطنى نورا».

وقد أعطاه الله ما سأل، فكان: «داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً» وليت شعرى ما تكون الإنسانية لو خلت من محمد؟ ومن سريرته النقية وبصيرته الوضاءة؟ ومن رسالته التى غسلت غسلا ما علق بعقيدة التوحيد من لوثات الأفاكين والخرفين..

لقد ارتبط بالمسجد، وجعل تعلق القلوب به أملا حلوا، وأحيا بسيرته دعاء أبيه إبراهيم لما قال:

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم ٤٠)

لقد تحولت الصلاة فى سيرته من تكليف تصحبه المعاناة إلى سعادة تستريح إليها النفس.

وهو القائل «وقرة عينى فى الصلاة».

وفى رواية كان إذا دخل المسجد يقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال -المسلم- ذلك قال الشيطان: حفظ منى سائر اليوم».

وفى رواية: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد حمد الله تعالى وسمى وقال: «اللهم اغفر لى وافتح لى أبواب رحمتك»، وإذا خرج قال مثل ذلك، وقال: «اللهم افتح لى أبواب فضلك».

ما كان أشد حبه للصلاة، كان إذا سمع المؤذن يقول: قد قامت الصلاة يقول: «أقامها الله وأدامها».

ونحن مأمورون أن نردد كلمات الأذان ثم ندعو للرسول، وهنا لطيفة يحسن إثباتها، إننا نقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته».

وربما تساءل سائل: لماذا لم تتجانس الكلمات فى التعريف، فيقال: ابعثه المقام المحمود الذى وعدته؟ والجواب أن النبى فرح بالكلمة التى ذكرها القرآن الكريم وهو يبشر العابد المتهجد بالخاتمة التى تنتظره

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء ٧٩)

لقد تشبث بالكلمة المبشرة عن مكانته فى الآخرة، وطلب من أمته أن تدعو الرحمن بسوق الجائزة وإنجاز الوعد، ومكافأة قوام الليل الذى تورمت قدماه من طول المناجاة والتلاوة والركوع والسجود.

إن محبة الله فى قلب هذا الإنسان النبيل مكانة لا يزحمها شيء أبدا.

ولقد ربى -عن طريق المحراب- الرجال الذين قادوا الإنسانية بعده ثقافياً وسياسياً، فما رأت الدنيا حضارة أشرق ولا أنقى مما صنع هؤلاء الربانيون من رجال محمد

وساعدهم على ذلك قرب العهد بربه، فبدا الصحراء الغفل تتحول إلى معهد يخرج عرفاء الناس بالعقيدة والشرائع، وأحق الناس بالإمامة والسياسة.

كانت القلوب -وهو يقرأ القرآن- تكاد تطير من الروعة والخشوع وكان الأصحاب يرمقونه وهو يربيهم، فما يملأ أحد عينه منه مهابة وإعزازا.

ولقد شعر الرسول الخاتم أنه أدى رسالته عندما نظر فى مرض الموت إلى المصلين فى المسجد، فرآهم مقبلين على الله، خالصين للحق، فاستنار وجهه كأنه صفحة مذهبة.

ذلك كل ما يريد!! ما يبغى إلا أن يلقى الله بهذا الثمر الحلو لجهاده الدءوب.

ترى هل تعود المساجد يوماً مصانع للرجال كما كانت قديماً؟ إن الأماكن متشابهة ولكن السكان.. غير ما نهوى..

كان مجنون ليلى كأن يصف مشاعرنا عندما قال:

أما الخيام فإنها كخيامهم
وأرى نساء الحى غير نسائها

في ذكرى المولد النبوي الشريف(*)



للإمام محمد البشير الإبراهيمي

أيها المسلمون:

ليس هذا المولد النبوى الذى تحيون ذكراه فى كل عام ميلاد رجل محدود الوجود بطرفى الحياة، ولو كان كذلك لكان محدود المعنى لأن وراء كل حياة موتا. ولكان كبقية الموالد التى تتحكم فيها الأعراف فتغالى فيها أو تتوسط. واحتفال رجل بعيد ميلاد ولده الوحيد العزيز لا ينقل شعور الفرح والابتهاج من الوالدين إلى الجيران إلا على نمط من المجاملة والمقارضة العرفية.

ولكن ميلاد محمد ﷺ الذى جاء بالهدى ودين الحق، هو مولد لكل ما جاء به محمد من الهدى ودين الحق، فهو مولد للصلاح والإصلاح والهداية والرحمة والخير والعدل والإحسان والأخوة والمحبة والرفق، وهو مولد لجميع الشرائع السمحة التى غيرت الكون، وطهرت النفوس، وصححت الحدود بين الناس فوقف كل واحد منهم عند حده، ووضحت المعالم المطموسة بين الخلطاء فوقف كل خليط من خليطه موقف المعاون، لا موقف المعاكس؛ فالمرأة والرجل، والأمير والمأمور، والحر والعبد، والكبير والصغير، والأب والابن، والجار وجاره، والعربى والأعجمى، والأجير والمستأجر، والغنى والفقير، كل أولئك أصبح راضيا بحاله، ناعما فى عيشه، سعيدا فى حياته آمنا من ظلم خليطه.

ومولد محمد هو الحد الفاصل بين حالتين للبشرية: حالة من الظلام حالكة قرونا متطاولة، وحالة من النور كانت تترقبها، وقد طلع فجرها مع فجر هذا اليوم، فميلاد محمد ﷺ كان إيذانا من الله بنقل البشرية من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الوثنية إلى التوحيد، ومن العبودية إلى الحرية، وبعبارة جامعة من الشر الذى لا خير فيه إلى الخير الذى لا شر معه.

مولد محمد ﷺ هو مولد تلك التعاليم

---

* مسودة وجدت في أوراق الشيخ لكلمة ألقاها في الحفل الذي أقيم بالقاهرة في شهر نوفمبر ١٩٥٢ بمناسبة ذكرى المولد بحضور الرئيس محمد نجيب رئيس جمهورية مصر.

التى حررت العقل والفكر وسمت بالروح إلى الملأ الأعلى، بعدما تدنت بالمادة إلى الحيوانية، وبالشهوات إلى البهيمية، وبالمطامع إلى السبعية الجارحة.

ومولد محمد ﷺ هو مولد الإسلام والقرآن وذلك الفيض العميم من المعانى التى أصلحت الأرض ووصلتها بالسماء وفتحت الطريق إلى الجنة.

فقولوا لمن جاء بعد محمد ﷺ من زاعم يزعم الانتصار للحق، وزعيم يهتف بالحق وداع يدعو إلى الحرية، ودعى يكذب على الحرية، وعاقل يبكى على العقل، ومفكر يجهد فى تحرير الفكر، وروحانى يعمل لسمو الروح، وأخلاقى يضع الموازين للمثل العليا، وحاكم يحاول إقامة العدل فى الأرض، وحائر لا يدرى من أين يبتدئ ولا أين ينتهى، قولوا لهم جميعا: قد سبقكم محمد ﷺ إلى هذا كله، وقد نصب لكم بقرآنه وسيرته أعلام الهداية فى كل مصعد وكل منحدر، ولكنكم قوم لا تفقهون أو لا تصدقون، فارجعوا إليه إن كنتم صادقين تجدوه منكم قريبا.

هذه هى المعانى التى يجب أن نستشعرها حينما نذكر المولد، وحينما نحتفل به، أما ما عدا ذلك مما نفعله ونقوله فزوائد لا قيمة لها فى العقول ولا أثر لها فى النفوس.

وهذه هى المعانى التى يجب أن نعد أنفسنا للتأثر بها حتى تلين قيادها للخير وتدمث وعورتها لتلقيه وللعمل به، ولا يكون ذلك إلا إذا مررنا بها على مواطن العبرة فيها، واستخرجناها لحسن الاقتداء بها وإتقان الاحتذاء لها.

لو فهمنا المولد المحمدى بهذا المعنى لكان إظلاله لنا فى كل عام تجديدا لهمتنا، وإيقاظا لشعورنا، وصقلا لأذهاننا، وجلاء لأرواحنا، ولكانت آثار ذلك سموا فى أرواحنا، وسدادا فى آرائنا، وتحولا إلى الخير فى أحوالنا، وجمعا لكلمتنا على الحق، وتوحيدا لصفوفنا فى النوائب.

ولكننا فهمناه على قياس من عقولنا وهى جامدة، وعلى نحو من هممنا وهى خامدة، وعلى نمط من عاداتنا وهى سخيفة، وقصرناه على هذه التوافه: لعب للصغار ليس فيها فائدة وخطب للكبار ليس فيها عائدة.

فعلنا بمولد محمد ﷺ ما فعلناه بسيرته فاقتصرنا فى كليهما على أضعف جانبيه، فنحن فى مولده نلهو ونلعب، وقد نفرح ونطرب، ونعمر يومه وأسبوعه بحفلات تقليدية ليس فيها روح، كذلك نحن ندارس سيرته التى هى التفسير العملى للإسلام فلا ندرس إلا جانبها البشرى من كيفية أكله ولباسه ونومه، لا جانبها الملكى من صبره وجهاده وتربيته لأمته، وبنائه للدولة الإسلامية

يختلف الفقهاء فى هذه الحفلات المولدية وهل هى مشروعة أو غير مشروعة، ويطيلون الكلام فى ذلك بما حاصله الفراغ والتلهى وقطع الوقت بما لا طائل فيه، والحق الذى تخطاه الفريقان أنها ذكرى للغافلين وإنما لم يفعلها السلف الصالح لأنهم كانوا متذكرين بقوة دينهم وضيعة قربهم، وعمارة أوقاتهم بالصالحات.

أما فى هذه الأزمنة المتأخرة التى رانت فيها الغفلة على القلوب، واستولت عليها القسوة من طول الأمد واحتاج فيها المسلمون إلى التنبيهات، فمن حكمة ومسدد أن يرجع المسلمون إلى تاريخهم يستمدون عبرة، وإلى سيرته يدرسون سيرة، وإلى قرآنهم يستخرجون حقائقه. وإن من خير تنبيهات مولد محمد لو فهمناه بتلك المعانى الجليلة.

أيها المسلمون: قبل أن تقيموا حفلات المولد أقيموا معانى المولد، وتدرجوا من المولد المحمدى الذى هو مولد رجل إلى البعثة المحمدية التى هى مولد دين نسخ الأديان لأنه أكمل الأديان، وهناك تضعون أيديكم على الحقيقة التى تهديكم إليها هذه الذكرى.

حاسبوا أنفسكم فى كل عام من أين انتقلتم وإلى أين وصلتم، أشيعوا بينكم فى هذه الذكريات المحبة والأخوة والاتحاد على الحق، واذكروا أن صاحب هذه الرسالة بعث بالعزة والكرامة والعلم والقوة، فكونوا أعزة وكونوا أحرارًا وكونوا أقوياء، واعرفوا محمدًا بدينه وقرآنه وسيرته لا بمولده، وأقيموا دينه، ولا عليكم بعد ذلك أن تقيموا مولده أو لا تقيموه.

إن محمدًا ﷺ يطالبكم بإقامة الدين لا بإقامة المولد، وإن دينكم دين الحقائق والأعمال والنظم فارجعوا إلى تلك الحقائق وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

- ٢ -

من الخير للمسلمين أن يسيروا إلى الأمام دائمًا بأبدانهم وعقولهم مع الأمم الزاحفة إلى الحياة، المتزاحمة على مواردها، أو أمام الأمم الزاحفة المتزاحمة، مندفعين بحداء القرآن إلى الحق الذى تؤيده القوة، وإلى القوة التى يؤيدها الحق، ليعمروا هذا الكون بالعدل والصلاح والإحسان والخير والرحمة، ويتحقق وعد الله إياهم بالاستخلاف فى الأرض، وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم فيها، وتبديل خوفهم أمنًا إذا آمنوا وعملوا الصالحات وعبدوا الله ولم يشركوا به شيئًا.

من الخير العميم لهم أن يفعلوا ذلك فى جميع العام، لا فى ليلة واحدة منه وهى الليلة الموافقة لليلة ميلاد محمد (ﷺ)، فإن حقًا عليهم أن يرجعوا إليها القهقرى، وأن يطووا فيها هذه المراحل الأربع عشرة التى تسمى قرونًا، وأن يمحوها من أذهانهم بخيرها وشرها حتى كأن لم تكن، ليتصلوا فى ليلة من العام بالآفاق التى انفجر منها ماؤه العذب الزلال، فأروى النفوس وغسل أكدارها، وطهر الأرض وأحيا مواتها؛ والواجب أن يتبعوا السبب حتى يبلغوا مطلع الحقيقة - حقيقة السعادة التى جلاها الله على هذا الكوكب الأرضى، كوكب الشقاء والشر والفساد والتناحر، والواجب أن يفعلوا هذا ليجتمعوا بمحمد فى ليلة من كل عام. فيأخذوا عنه كيف كان يزكى وكيف كان يعلم، وكيف كان يجاهد الكفر قبل أن يجاهد الكفار، ويحارب المعانى الفاجرة قبل أن يحارب الفجار، وكيف كان يغرس الفضيلة ويتعهدها بالسقى والرعاية حتى تنمو وتورق وتظل وتثمر، وكيف كان يقتلع الوثنية ليزرع التوحيد، ويهدم الضلال ليبنى الهدى، وكيف كان يهدى بالقرآن للتى هى أقوم، وكيف كان يمهد للحق بالقوة، ويضع القوة فى خدمة الحق، وكيف كان يتصعد بالروح من الجسم حتى إذا بلغ المعدلة أذن لسلطان الروح بالاستيلاء على العرش من غير أن يضار الجسد أو يغبنه، وكيف كان يؤلف بين سنن الله فى الدين وبين سننه فى الكون ليربط الأسباب بالمسببات والدين بالدنيا، ويزاوج بين السعادتين فيهما.

هذه المعانى - وهى قطرة من بحر - هى التى يجب أن يذكرها المسلمون، وأن يتذاكروها كلما أظلتهم هذه الليلة من كل عام، وأن يحتفلوا لذكرها باللسان وذكراها بالقلب وتحقيقها بالعمل، وأن يتواصوا بالتخلق بها فى أنفسهم ثم فيمن يليهم من أهل وجيران وأقارب، وأن يتنافسوا فى البلوغ إلى غاياتها، وأن يعتبروا هذه الليلة حدًا فاصلًا بين مرحلة مقطوعة ومرحلة مستأنفة، وموقف محاسبة على عام مضى، واستعداد لعام يأتى...

أما والله لو أننا نظرنا إلى هذه الليلة بهذه النظرة، ووزناها بهذا الميزان، وبنينا إقامة الحفلات فيها على هذه الحكمة، لما أصبنا بهذا الوهن القاتل، ولما أصيبت جدة الدين بيننا بالإخلاق، ولما تفرقنا شيعًا فيه ومذاهب، ولما تكدرت مشاربنا منه بالضلال والابتداع، ولا تنوسيت تلك السنن العظيمة بالغفلة والإضاعة.

أيها الإخوان: إن نبينا منا القريب لو جعلنا الصلة بيننا وبينه حبل الله القرآن، فقد تركه فينا ليكون النور الممتد بيننا وبينه، وقد كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويقف عند حدوده ويصبغ أعماله وتروكه من أوامره ونواهيه، ويتحدث من معدنه تلك الآداب التى ربى بها نفسه وراض عليها أصحابه، ثم تركها كلمة باقية فينا وحجة دامغة لنا أو علينا، وقد شرفنا ﷺ تشريفًا يبقى على الدهر، وشهد لنا شهادة ننبه بها على الغابرين إذ قال لأصحابه: «أنتم أصحابى، وإخوانى الذين يأتون من بعدى».

ولكننا تركنا هذا المرجع الإلهى المعصوم فى اقتباس سيرة نبينا كما هجرناه فى كل ما جاء به من عقائد وعبادات وأحكام وآداب، وأصبحنا نتلمسها من كتب فيها الموضوع وفيها المصنوع وفيها الصحيح الذى لا يثير عبرة ولا يحيى نزعة من نزعات الخير فينا، ولا يحملنا على التأسى بتلك السير التى هى كنوز معارف ومعادن فضائل وأعلام اقتداء، ومنازل تنقلة بالفكر إلى المثل الأعلى، وبالروح إلى الملأ الأعلى..

ألستم ترون أن أكثر المؤلفين فى السير يصرفون اهتمامهم إلى الجهات التى لا محل فيها للاقتداء الذى يزكى النفس - أكثر مما يصرفونه إلى الجهات التى تزكى النفس وتطبعها على الخلال السرية؟ يهتمون بالمواطن السطحية البشرية مثل كيفية لبسه وأكله وشربه ونومه وملابسة أهله، ويغفلون المكامن الروحية الملكية مثل تعلقه بالله ومراقبته له وتأديته الأمانة الشاقة وصبره وشجاعته وتربيته لأصحابه، وتدريبهم على جهاد أنفسهم حتى تكمل وعلى السمع والطاعة للحق وفى الحق، وعلى التعاون والتناصح والتحابب والتآخى والاتحاد..

مفخرة الإنسانية محمد (ﷺ)

للعلامة / محمد فتح الله كولن

ان تسليط الاضواء على شخصية الرسول محمد ﷺ السامية، وشرحها وبيانها، ثم تقديمها كمنقذ للبشرية، وكاكسير للمشاكل المستعصية على الحل، وللأمراض غير القابلة للشفاء، واظهار هذه الشخصية السامقة وسيرتها بما هي اهل له كان رغبة ملحة لدى- كما هي عند كثيرين- وهاجسا من هواجس فكرى ومشاعرى، وموضوعا مهما من المواضيع التى لا سبيل للوقوف امام سحرها وجاذبيتها أو الفكاك منها.

انه ﷺ فخر للبشرية جمعاء.. فمنذ اربعة عشر قرنا يقف وراءه اكبر الفلاسفة وأعظم المفكرين واشهر العباقرة واذكى رجال العلم الذين زينوا سماء الفكر عندنا.. يقفون وراءه خاشعين قد عقدوا ايديهم امامهم وهم يخاطبونه ويقولون: «انت الانسان الذى نفخر بانتسابنا اليه».

ويكفى للاستدلال على مدى عظمته بأنه على الرغم من كل عوامل الهدم والنخر التى أصابت عصرنا، فنحن لا نزال نسمع من فوق المآذن أصداء نداء «أشهد أن محمدا رسول الله»، ولا نزال نشاهد كيف أن الروح المحمدية تفتح فى كل مكان آفاق السمو نحو الأعالى، فيغمرنا الوجد والشوق خمس مرات كل يوم فى عالم الروح. ونستطيع أن نشير إلى دليل عظمته فنقول بأنه على الرغم من كل هذا العمل المتواصل لأعداء الله فى الداخل والخارج فى الإفساد والإضلال، فإننا نرى حتى فى هذه الأيام كيف أن العديد من الشباب فى عمر الزهور رغم عدم إحاطتهم التامة بالحقيقة الأحمدية التى ليس من اليسير معرفة مفاهيمها الدقيقة والعميقة- يتراكضون نحوه، ويحومون حوله مثلما تحوم الفراشات حول النور [وهذا سر قربه] لا نجد له مثيلا فى العالم. [فالزمن لم يستطع أن يمحو] من قلوبنا ومن صدورنا أى حقيقة من الحقائق العائدة له ﷺ ولا أن يبليها.. أجل، فهى حقائق غضة ندية ونضرة على الدوام.

وكما قلت لإخوانى مرارا إننى عندما [دخلت فى المدينة المنورة حيث روضته] العطرة محيطة بى إلى درجة تشعرنى وكأننى سأقابله بعد خطوة واحدة، وكأن صوته الشجى الذى يحيى القلوب يقول لى: «أهلا وسهلا.. ومرحبا».

[حقا إنه حى ويشرق فى صدورنا فى هذه الدرجة فكلما تقادم الزمن ازداد] نضرة [وعبقا] وحيوية فى قلوبنا.

إن الزمن يتقادم ويشيخ، وإن بعض [الأشياء والأفكار تضعف وتنطوى، أما] منزلة الرسول محمد ﷺ فستبقى متفتحة فى الصدور كأكمام الورود المتفتحة أبد الدهر، وستبقى نضرة فى القلوب على الدوام.

وأنا أرى لو أننا اهتممنا واعتنينا بتقديمه والاهتمام به مثلما فعل الآخرون فى تقديم شخصياتهم، ولو أن المؤسسات العلمية والمؤسسات الأخرى المتعلقة بشئون الحياة نذرت نفسها للاهتمام به وشرحه وتوضيحه وبيان جوانب شخصيته، لما تربع على عرش القلوب غيره، ولما تحلق فى الضلوع والصدور سواه.

ولكن مع كل هذا، وعلى الرغم من كل شىء يهرع الكل من شرق الدنيا وغربها حاملين معهم دلاءهم، مسرعين نحو نبعه الصافى الفياض.. نحو المنهل العذب المورود، يحدوهم الوجد والهيام ليبلغوا قبته.. قبة الإنسان الذى يضع التيجان على هامات الشموس.

أجل، إننا نشاهد فى جميع أنحاء العالم- ولا سيما فى أمريكا وإنكلترا وفرنسا وألمانيا- انبعاثًا جديداً لمنهجه ﷺ، وحركة دائبة من قبل المسلمين لشرح وبيان محاسنه، ونسج نسيجه المزخرف ذى النقوش المبدعة والألوان الجميلة المتناسقة، فكأنهم يعيشون روح عهد النبوة من جديد. ونرى الأمر نفسه فى العالم الإسلامى.. فقبل قرن أو قرنين كان هناك أناس يشعرون بارتباطهم مع المسلمين عن طيب قلب دون تدقيق أو تمحيص، أما الآن فهناك مثقفون يعرفون

هذه يحاربون الإسلام. ومادام يحقدون على رسول محمد ﷺ، لأنهم حاولوا تحليل مبادئ الإسلامية تحليلاً علمياً دقيقاً، فحتى الآن يستعمل أعداؤه الجمعيات والكنائس والمدارس والطرق المختلفة، وجمعوا حولهم ... واستخدموا المؤسسات الوطنية لحساب الكفر والضلال، ولكن كل هذه الأمور آذنت بالانتهاء، وبدأت تتفتت وتذوب وتضمحل مثل جبال الثلج الطافية على المياه، وبدأت الإنسانية تتجه نحو رسول الله ﷺ وتقبل عليه.

أما الذين غيروا مذاهبهم وأفكارهم مرات ومرات منذ سنوات عديدة، وانتقلوا من هذا المبدأ إلى ذاك، ومن هذه الأيدولوجية إلى تلك، فقد رأى هؤلاء كيف باءت محاولاتهم هذه بالفشل والخذلان، ورأوا أن المدرسة الوحيدة التي لم يقربها الخذلان هي مدرسته ﷺ، وأن سبيله وطريقه هو الصراط المستقيم، فاتجهوا إليه وأقبلوا عليه.. هكذا فعل «موريس بوكاي»، وهكذا تصرف «روجيه جارودي» وغيرهم وغيرهم.



جارودي



موريس بوكاي

ولكن هل استطعنا أن نفهم الرسول ﷺ سلطان القلوب المتربع على عرش الأفئدة حق الفهم، وندركه حق الإدراك؟

ولكن ما بالي أشير إليكم، أو أعنيكم؟ ما بالي أنا؟ هل استطعت أن أشرح جوانب عظمته كما يجب، وأكشف معالم شخصيته كما ينبغي؟ أنا الذي أضع جبهتي للصلاة منذ الخامسة من عمري. وأنا الذي أدعي أنني وضعت الطوق حول عنقي لكي أكون «قطميراً»(١) له هل استطعت أن أشعركم مما يجيش في صدري من عظمة النبي ﷺ كما يليق بجوانب هذه العظمة؟ إنني أسائل نفسي وأسائل جميع الذين يتصدون للتبليغ والدعوة: هل استطعنا أن نشرح لإنسان هذا القرن حبه.. حب سيد السادات حباً تجيش به القلوب؟ هل استطعنا أن نسهر القلوب

(١) قطمير: هو اسم كلب أهل الكهف (المترجم).

والأرواح بهذه العظمة، عظمته ﷺ؟

كلا! فلو عرفته البشرية حق المعرفة، وفهمته حق فهمه لهامت به حباً ووجداً، ولسمعت الأرواح ذكره جميلة لذرفت [illegible] عيونها بالدموع، ولاقشعر جلدها وهي تحظو إلى [illegible] المتقدة بحبه بعدما صارت رماداً، فتزورها نسيم نحوه ﷺ.

ولأن الإنسان يحب ما يستطيع إدراكه وفهمه، ولأنه عدو ما يجهل.. فإننا نرى أن البؤرة التي تتجمع حولها محاولات أعدائه هي [illegible] جهود الأعداء لإبعاده ﷺ عن القلوب وإهمال ذكره، وتنشئة الأجيال الجديدة على عدوانه وبغضه، وتوجيه هذه الأجيال وتربيتها وتعليمها في هذا الاتجاه.

ولكن انظروا إلى هذا التجلي الإلهي.. فجميع العقبات والسدود والموانع التي وضعها هؤلاء لكي يمحوا حبه ﷺ من القلوب، ويزيلوا ذكره من العقول، قد انهارت جميعها [illegible] وتحولت [illegible]

له بكل فرح وحبور، كفرح ظمآن في صحراء موحشة وجد بالقرب منه ماء سلسبيلاً بارداً بعد أن قاسى آلام العطش والظمأ أياماً عديدة ولا شك أن قلباً رحيماً مثل قلبه ﷺ لا يرد أبداً من يقبل عليه بكل هذا الشوق وبكل هذا الوجد والعشق، بل يحتضنه بكل حنان وشفقة، ويضمه إلى صدره.

لا أدري إن كنتم انتبهتم إلى الناس الذين يملؤون المساجد على سعتها أيام الجمع؟ فلو دققتم النظر لرأيتم أن معظمهم من الشباب.

فيا ترى ما الذي يدفع هؤلاء الشباب في برد الشتاء القارس، وفي المطر والثلج إلى الجوامع وإلى الوضوء، وأنفسهم ترتعش من البرد؟ من يدفع هؤلاء على الرغم من محاولة أرباب الضلالة والطغيان جذبهم نحوهم بقوة لا تقاوم؟ سأجيبكم أنا: إنها قوة الجاذبية المقدسة للرسول محمد ﷺ.

وسواء استطاعت عقولنا أن تفهم وتستوعب هذه الحقيقة، أو عجزت عن ذلك، فإن القلوب دائماً ترف حول هذه الشمعة وتطوف حول هذه الشمس. وفي المستقبل القريب سوف يتجرع مرارة الألم

ولوعة الندم من فاته المسارعة إلى رحابه، والتوجه إلى جنابه ﷺ ومن لم يقف في عتبته، وبقي متشردا، [illegible] منفردا مثل ذبابة الشتاء... سيتأوه من الألم، وسيعض أنامله حسرة وندما قائلا: [illegible] وحينذاك قد يكون الوقت متأخرا ومنتهيا بالنسبة للكثيرين منهم.

سيبزغ عدله و[illegible]، وستتدفق المحافل العلمية في سيرته، وستسير وراءه كل نفس متفتحة على عالم الفكر، وسيتحول [illegible] في حلقة محبيه وأتباعه، ويهرع إليه ليلوذ به، بل إن منزلة الرسول الكريم بدأت ترجح في كفة [illegible] حتى [illegible] وغريبه. [illegible] تقر وتعترف بعظمته. وقد ورد في الحديث بأن [illegible] فرجحهم، ثم وزن بمائة فوزنهم، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم، فقال الملك [illegible] لوزنها"[2]. وجاء هذا المعنى في حديث آخر كذلك[3].

[illegible] الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وأكثر الناس وأعلمهم حتى يوم القيامة، وجميع المتصوفة والزهاد الذين [illegible] والأولياء والأصفياء، وكل الأبرار والمقربين في كفة، [illegible] لرجحهم جميعا ذلك لأنه هو سبب الوجود وحكمته.

فهو علة الكون والكائنات. وهناك قول مشهور [illegible] من الناس: "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك"[4] أجل، فمن العبث كتابة كتاب لا يمكن فهم معناه. [illegible] جهوري الصوت مثل سيدنا محمد ﷺ [illegible] لكي يشرح معنى الوجود. ومعنى الكون والكائنات كانت هناك حاجة إلى شارح وإلى مبلغ مثله لكي يشرح [illegible] السماء الواسعة والأرض والشمس والقمر والنجوم وكل الموجود. [illegible] يشرح له من أين أتى وإلى أين هو كادح وإلى أي شيء هو مرشح؟ أجل، لكي يعلن ويوضح هذا، ويوصل ما وراء أستار الوجود إلى الأرواح. فمن لم يكن موجودا لما كان للكون ولا للإنسان أي معنى، لأن الرسول محمدا ﷺ هو الإنسان الذي [illegible] المعنى على الأشياء.

هو [illegible] من كل [illegible] ومع أني [illegible] أكثر الناس قصورا [illegible] إلا أني لا أملك نفسي من شرح إحدى مشاعري، [illegible] من هذا الشرح هو لكي [illegible] إذا كنت أستطيع أن أحب رسول الله كل هذا الحب، فما بالك بالقلوب والأرواح الواصلة إلى مراتب عليا في حبها لهذا الرسول الحبيب، وكيف تشتعل هذه القلوب بعشقه [illegible] مشاعري من هذه [illegible] ولا [illegible] يمنعني من طرح مشاعري في حضوركم.

عندما منّ عليّ الله سبحانه وتعالى بزيارة الأرض المقدسة لكي أعفر وجهي بترابها بدت لي بلدة رسول الله مضيئة ونورانية، إلى درجة أني ذقت معها سعادة روحية غامرة، وفرحا لا يوصف، بحيث أني شعرت [illegible] على [illegible] لو فتحت لي حينذاك أبواب الجنة كلها، ودعيت للدخول إليها [illegible] فصدقوني بأنني كنت سأرفض دخول أي باب من أبواب الجنة، بل كنت أختار وأفضل البقاء هناك.

والحقيقة أن الجنة أملنا جميعا، ومن الصعب تصور أن هناك مسلما واحدا لا يرغب في الدخول إليها.. ألا نبتهل لله سبحانه وتعالى كل صباح وكل مساء في أدعيتنا أن يجيرنا من النار وأن يدخلنا جنته، ومع اعترافي بهذا وقبولي له، فإنه لو عرضت علي تلك المرتبة العليا، ودعيت لها، لربما استأذنت ربنا أن يسمح لي بالبقاء في الروضة الطاهرة لرسول الله ﷺ. ولا يذهبن الظن بأحدكم بأنني أرى نفسي لائقا لتلك المرتبة العليا، بل إني أردت فقط إظهار مدى حبي لرسول الله ﷺ، وإلا فإنني قضيت حياتي أدعو الله أن يمنحني شرف خدمة أصغر صحابي من صحابة رسول الله ﷺ. وكنت أتبتل إلى الله تعالى أن لا يبعد فكرنا لحظة واحدة من أمنية تعفير وجوهنا بتراب أرجلهم، وكان الكثير من الأوراد التي يكررها لساني على الدوام تحمل هذه المعاني.

---

(٢) الدارمي، [illegible] ٣؛ المسند للإمام أحمد [illegible]؛ الشفاء، [illegible]
(٣) المسند للإمام أحمد [illegible]
(٤) كشف الخفاء، [illegible]



التحقيق الفلكى لتاريخ المولد النبوى والهجرة النبوية

للعلامة محمود باشا الفلكى

تقديم:

كان العلامة محمود باشا الفلكى (١٢٣٠ - ١٣٠٢هـ/١٨١٥ - ١٨٨٥م) من عظماء علماء مصر فى الرياضة والفلك والهندسة - بالقرن التاسع عشر الميلادى.

- ولد ببلدة «الحصة» بمحافظة كفر الشيخ حاليا.
- وتعلم بالاسكندرية، ثم بالقاهرة.
- وعمل استاذا للعلوم الرياضية والفلكية بمدرسة المهندسين ببولاق وابتعثته الحكومة المصرية الى فرنسا للتخصص فى العلوم الرياضية والفلكية سنة ١٢٦٦هـ سنة ١٨٤٩م وعاد من البعثة سنة ١٢٧٥هـ سنة ١٨٥٨م.
- نال عضوية المجمع العلمى المصرى ومثل الحكومة المصرية فى المجمع الجغرافى بباريس سنة ١٢٩٢هـ سنة ١٨٧٥م وعين وكيلا للمجمع العلمى المصرى سنة ١٢٩٧هـ سنة ١٨٨٠م وناظرا - وزيرا - للأشغال العمومية سنة ١٢٩٩هـ سنة ١٨٨٢م، ووكيلا لوزارة المعارف العمومية سنة ١٣٠٠هـ سنة ١٨٨٢م وناظرا - وزيرا - للمعارف العمومية سنة ١٣٠١هـ سنة ١٨٨٤م.
- ومن آثاره الفكرية والعلمية: «خريطة الوجه البحرى بمصر» و«نخبة اجمالية فى الجغرافية المصرية» و«التقاويم الاسلامية والاسرائيلية» و«الاسكندرية القديمة» و«التنبؤ عن ارتفاع النيل قبل ارتفاعه» و«المقاييس والمكاييل بالديار المصرية ومقابلتها بالمقاييس الفرنسية» و«اهرام الجيزة» و«عمر اهرام مصر» و«نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام وفى تحقيق مولد النبى وعمره عليه الصلاة والسلام» - كتبه بالفرنسية، وقدمه الى احد مؤتمرات الاستشراق. ثم ترجم الى العربية ونشره مجمع البحوث الاسلامية بمقدمة للامام الشيخ عبد الحليم محمود وهو البحث الذى نقدم منه تحقيق تاريخ المولد النبوى والهجرة النبوية.
- وكان الفلكى باشا اول واضع لمدفع الظهر بالقلعة باتجاه خط الزوال. كما اقام على سطح منزله - بميدان الازهار بالقاهرة - مزولة تبين ساعات النهر، وانصاف الساعات وارباعها، ووقتى الظهر والعصر. عليه رحمة الله.

البحث الأول

فى مولد النبى محمد ﷺ

إن عدم وجود روايات قاطعة عن الوقت الذى ولد فيه النبى محمد ﷺ قد اضطرنى إلى أن أرجع فى هذا البحث إلى عدد كبير من الروايات والأقوال المتعلقة بهذا الموضوع:

أولا: نجد ما يلى فى الجزء الأول من «السيرة الحلبية» رقم ٥٩٦ من ملحق المكتبة العربية بالمكتبة الإمبراطورية بباريس صفحة ٤٧ وما يليها[1]

«عن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الإثنين فقال: ذلك يوم ولدت فيه. وذكر ابن بكار والحافظ ابن عساكر أن ذلك كان حين طلوع الفجر، ويدل له قول جده عبدالمطلب: ولد لى الليلة مع الصبح مولود. وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله ﷺ عند ابهيرار النهار - أى وسطه - وكان ذلك اليوم لمضى ثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول - أى وكان فى فصل الربيع - وقد أشار لذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه
وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى
ربيع فى ربيع فى ربيع

قال: وحكى الإجماع عليه، وعليه العمل الآن - أى فى الأمصار - خصوصا أهل مكة فى زيارتهم موضع مولده ﷺ، وقيل لعشر ليال مضت من ربيع، - وصحح أى صححه الحافظ الدمياطى -، وقيل لسبع عشرة ليلة خلت منه، وقيل لثمان مضت منه، قال ابن دحية وهو الذى لا يصح غيره وعليه جمع من التاريخ».

وعلى ذلك فقد كان مولد النبى محمد ﷺ فى الربيع يوم ٨ أو ١٠ أو ١٢ من ربيع الأول طبقا للآراء الجديرة بالثقة.

ثانيا: إن النسخة التى تحمل رقم ٥٩٧ من المؤلف العربى سالف الذكر قد ورد بها ما يأتى، فى الصفحة ٧٠ وما يليها[2]:

«قالت حليمة (مرضعة محمد): فقدمنا مكة على أمه ﷺ - أى بعد أن بلغ سنتين - ونحن أحرص شىء على مكثه فينا لما نرى من بركته ﷺ فكلمنا أمه وقلنا لها: دعينا نرجع به هذه السنة الأخرى فإنا نخشى عليه وباء مكة - أى مرضها - ووخمها فلم نزل بها حتى ردته ﷺ معنا: قالت حليمة: فرجعنا به ﷺ فوالله إنه بعد مقدمنا به ﷺ بأشهر «وعبارة ابن الأثير بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه «يعنى من الرضاعة» لفى بهم لنا «ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبرى فلما شب وبلغ سنتين لأنه ألغى الكسر» فبينما هو ﷺ وأخوه فى بهم لنا خلف بيوتنا «والبهم أولاد الضأن» إذ أتى أخوه يشتد أى يعدو فقال لى ولأبيه ذاك أخى القرشى ﷺ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه.

---

(١) انظر «السيرة الحلبية فى مولد الرسول ﷺ» الجزء الأول ص٤٩ «للمراجع».

(٢) انظر «السيرة الحلبية فى إرضاع الرسول ﷺ».

فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما ممتقعا وجهه، قالت حليمة: فرجعنا إلى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة: لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك، قالت فحملناه فقدمنا به مكة على أمه».

وفي موضع آخر من نفس السيرة صفحة ٨٠ نجد ما يلي

«وعن حليمة رضي الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به ﷺ من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيداً عنها، فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاعة وهي «الشيماء» وكانت ترقصه بقولها

هذا أخ لي لم تلده أمي

وليس من نسل أبي وعمي

فأنمه اللهم فيما تنمي

فقالت: في هذا الحر؟ أي لا ينبغي أن تخرجي به في هذا الحر وهذا الحادث كما يرى القارئ قد وقع بعد أن عادت به حليمة من مكة. ونحن نعرف أن الرواية الأولى تقول لنا إنه كان وقتئذ في الثانية من عمره وأنه قد أعيد إلى أمه حين صارت سنه سنتين وبضعة أشهر «شهرين أو ثلاثة طبقا لرواية ابن الأثير»، وعلى ذلك فإن محمداً ﷺ كان عمره من سنتين إلى سنتين وثلاثة أشهر حين خرجت به أخته من الرضاعة في وقت الحر الشديد الذي خشيت عليه منه مرضعته.

[illegible] في وقت قريب جداً من الصيف. ويستنتج من ذلك أن مولد محمد ﷺ كان في الربيع.

وهذه النتيجة تبدو لي أقرب ما يكون إلى التصديق وخصوصا أنها تتفق مع ما جاء في النص الأول، ومع الأقوال الأخرى التي سأوردها.

ثالثا: إن الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن سالم المعروف بالخلال يقول لنا في كتابه «الجمر الكبير» - رقم ١١٧٤ من المخطوطات العربية صفحة ٤ ما يلي:

«من المؤكد أن النبي عليه الصلاة والسلام ولد في يوم الاثنين من شهر «ربيع الأول» في العشرين من شهر «نيسان» [illegible] في عهد «كسرى نوشروان»، وقد بعثه الله بالرسالة بعد أربعين سنة ويوم من ميلاده، وفي [illegible] وخمسين هاجر إلى المدينة».

وشهر «نيسان» في هذا [illegible] هو شهر «إبريل»، وإذن فقد ولد النبي ﷺ في الربيع.

رابعا: إن المسعودي في كتابه «مروج الذهب»[3] يحدد مولد النبي ﷺ سنة ٨٨٢ من تاريخ الإسكندر.

وإلى القارئ نص ما كتبه طبقا للمخطوط العربي رقم ٧١٤ بمكتبة باريس في الملحق الجزء الأول. الصفحة ٢٧٩

«والذي صح من مولده عليه الصلاة والسلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل إلى مكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من «المحرم» سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد «ذي القرنين»، وكان قدوم أبرهة «الحبشي» مكة لسبع عشرة [illegible] خلت من «المحرم» وليست عشرة [illegible] سنة من تاريخ العرب [illegible] [illegible] لعمر [illegible] من ملك كسرى بن شروان، وكان مولده عليه الصلاة والسلام [illegible] خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة».

والوقت الذي عينه المسعودي يقع في سنة ٥٧١ ميلادية.

خامسا: جاء ما يلي بالصفحة ٢٨٣ بالجزء الأول من كتاب «تاريخ العرب» تأليف المسيو «كوسان دي برسيفال»:

«في رأي ابن الأثير كما ورد في تاريخ [illegible] الجزء الخامس صفحة ٨٦ [illegible] كسرى» استمر حكمه سبعا وأربعين سنة وثمانية شهور «ومؤرخو الروم يذكرون أيضا هذه المدة غير أنهم يفترقون عن مؤرخي العرب في شهر واحد فقط». ويضيف ابن الأثير إلى ذلك، أن «كسرى» عاش سبع سنوات وثمانية شهور بعد مولد محمد عليه الصلاة والسلام».

وإذن: فإن «كسرى» كان قد حكم أربعين سنة كاملة قبل مولد النبي ﷺ ونحن نعلم أن هذا الملك قد بدأ حكمه سنة ٥٣١ ميلادية وعلى ذلك [illegible] ﷺ [illegible] سنة ٥٧١ ميلادية

سادسا: إن جرجس مؤلف كتاب «مختصر التواريخ»[4] وهو ابن أبي إلياس ابن أبي المكارم بن أبي الطيب المعروف باسم العميد - ويؤكد أن محمداً ﷺ كان قد بلغ الثامنة من عمره وقت وفاة كسرى أنوشروان «ملحق [illegible] رقم ٧٥١» [illegible] في كتب [illegible] بالصفحة ٤٠٨ [illegible] في سنة ٥٧٩ مات كسرى في [illegible] حوالي شهر مارس.

وإذن فإن النبي محمداً ﷺ كان عمره ثماني سنوات حوالي شهر مارس، وبناء على ذلك فقد كان مولده الشريف حوالي ذلك الوقت نفسه من سنة ٥٧١ ميلادية.

سابعا: إن فلكي برلين الكبير المسيو إيدلر - Idler - يقول في رسالته عن الكرنولوجية الرياضية الجزء الثاني بالصفحة ٤٩٨ ما يلي:

«إن محمداً «ﷺ» قد ولد طبقا لما ذكره المكين [illegible] ٢٢ [illegible] من سنة ٨٨٣ من تاريخ الإسكندر».

وشهر «نيسان» السرياني هذا يطابق شهر [illegible] ﷺ [illegible] ٢٢ إبريل سنة ٥٧١ ميلادية.

ثامنا: إن المسيو «سلفستر دي ساسي» قد أورد في «مذكرات أكاديمية التسجيلات» الجزء ٤٨ الصفحة ٥٣٠ الفقرة الآتية اعتمادا على ما ذكره جانييه Gagnier:

إن ميلاد النبي قد حدث في الساعة [illegible] من [illegible]

---

(٣) انظر كتاب مروج الذهب للمسعودي الجزء الأول ص ٢٩٨ طبعة الهيئة المصرية سنة [illegible]

[illegible]

«نيسان» سنة ٨٨٢ من تاريخ الإسكندر. [illegible] يوم ٣٠ [illegible] سنة ٥٧١ ميلادية.

ويبدو أن الفلكيين الشرقيين متفقون على تحديد ميلاده ﷺ في شهر [illegible] سنة ٥٧١هـ ميلادية. [illegible] يحددونه عقب اقتران المشترى بزحل مباشرة تقريبا، ذلك الاقتران الذى حدث فى برج العقرب.

وقد حسبت موقع هذين الكوكبين متخذا [illegible] فوجدت أنه فى [illegible] إبريل سنة ٥٧١ ميلادية كان المشترى فى ١٥.٢ من برج العقرب[4] وكان زحل فى ١٧.٥ من نفس البرج [illegible] حركة هذين الكوكبين رجعية ولابد أن الاقتران قد حدث يوم ٢٩ أو ٣٠ مارس سنة ٥٧١ ميلادية [illegible] الاقتران يسميه الفلكيون الشرقيون «باقتران [illegible]» [illegible] القارئ بعض أقوالهم المتعلقة بذلك:

[illegible] فى المخطوط [illegible] رقم ١١٦١ بالصفحة ٨٨ ما يلى:[6] «وأقول إن سنة ولادة النبى ﷺ حدثت عام الفيل وهى سنة ٨٨٢ للإسكندر وفيها كان قران بين زحل والمشترى فى برج العقرب قبل الولادة بقليل».

وطبقا لهذا القول يكون النبى ﷺ قد ولد [illegible] ٣٠ مارس سنة ٥٧١ ميلادية بوقت وجيز.

عاشر: [illegible] يلاحظ لدى [illegible] من كتاب بعنوان [illegible] رقم ١١١٥ من المخطوطات العربية، الفصل الثامن يؤدى [illegible] النتيجة

«ولد النبى ﷺ فى السنة الأولى من القران المبشر بظهور العقيدة الاسلامية».

وقد عرفنا مما تقدم أن هذا القران حدث يوم ٢٩ أو ٣٠ مارس سنة ٥٧١ وإذن فقد ولد النبى ﷺ فى هذه السنة نفسها.

حادى عشر: وأخيرا نجد فى المخطوط رقم ١١٢٩[7] ورقم ١١٣١[8] أقوالا مشابهة تثبت أن مولد النبى ﷺ كان فى سنة ٥٧١ ميلادية بعد ٢٩ مارس بوقت وجيز وهو وقت الظاهرة السماوية سالفة الذكر.

(4) [illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]

(6) مؤلف هذا الكتاب هو يحيى بن محمد [illegible]

(7) هذا الكتاب يسمى الكامل [illegible]

(8) المؤلف هو احمد بن عبدالجليل والكتاب اسمه كتاب القرانات

ثانى عشر: يمكن أن نضيف الدليل الثانى عشر والأخير الذى يتمثل فى آراء المؤرخين والذين يحددون تاريخ مولد النبى ﷺ بالسنة الأربعين [illegible] الحادية والأربعين [illegible] من حكم كسرى أنوشروان.

والواقع أنه مادام هؤلاء العلماء لا يذكرون الوقت بالضبط من أوقات السنة، فإن الإنسان يمكن أن يفترض أن الأولين كانوا يقصدون آخر السنة الأربعين وأن الآخرين يقصدون ابتداء السنة الحادية والأربعين من حكم ملك الفرس الأكبر. وبهذا يكون الرأيان متقاربين ولا يختلف أحدهما عن الآخر إلا بمقدار شهر أو شهرين، ويكونان متفقين على القول بأن مولد النبى ﷺ كان فى سنة ٥٧١ ميلادية.

وأضيف إلى ذلك ما أورده أبو الفداء من أن مولد النبى ﷺ كان فى سنة ٨٨١ من عصر الإسكندر وفى سنة ١٣١٦ من عصر بختنصر وهو يجعل تاريخ المولد الشريف مطابقا للسنة الثانية والأربعين من حكم كسرى أنوشروان والواقع أن سنة ٨٨١ للإسكندر قد بدأت يوم أول أكتوبر سنة ٥٦٩ ميلادية. بينما سنة ١٣١٦ من عصر بختنصر قد انتهت يوم ٢ إبريل سنة ٥٦٩م

وإذن [illegible] ذلك التوافق مستحيل [illegible] على هذا فإننا مضطرون إلى رفض رأى أبى الفدا باعتباره رأيا لا يقوم على أساس ولا قيمة [illegible]، خصوصا أنه يناقض نفسه بنفسه. ذلك أنه بالصفحة ١٤ من طبعة جانييه Gagnier لحياة النبى محمد ﷺ بقلم أبى الفدا قال هذا المؤرخ إن محمدا عليه الصلاة والسلام تلقى رسالته فى سن الأربعين سنة ٩٢٢ للإسكندر وطبقا لهذا القول يكون قد ولد فى سنة ٨٨٢ للإسكندر أى فى سنة ٥٧١ ميلادية.

إن التوافق الذى يلاحظ بين هذه الكثرة من الروايات والأقوال [illegible] حقيقة لا [illegible] ومن ثم [illegible] فى [illegible] النبى محمد ﷺ قد ولد فى ربيع سنة ٥٧١ ميلادية، ولما كان شهر إبريل قد تحدد صراحة فى بعض هذه الأقوال ويدل عليه الاستنتاج فى بعضها الآخر، فإنى أقره أيضا على أنه الشهر الذى حدث فيه المولد الشريف.

ونكشف [illegible] يوم من [illegible] شهر إبريل [illegible] هذا ما سنراه الآن.

إن الاجتماع الحقيقى للقمر قد حدث طبقا لجداول لارحنر [illegible] فى العاشر من إبريل سنة ٥٧١م الساعة ٩ والدقيقة ٤١ تقريبا بعد منتصف الليل [illegible] من الوسط لمكة[11] وما كان يمكن رؤية الهلال [illegible] ١١ مساء. وإذن فإن الشهر القمرى العربى الموافق لابد أنه ابتدأ يوم الأحد ١٢ إبريل وقد ولد النبى محمد ﷺ طبقا للآراء الجديرة بالثقة يوم ٨ أو ١٠ أو ١٢ من

(9) [illegible]

(10) [illegible]

(11) [illegible] ٥٥, ٥١, ٣٧ شرقى خط [illegible] [illegible]

الشهر القمري ربيع الأول. وكان يوم ولادته ﷺ يوم الاثنين كما هو المتفق عليه [illegible].

[illegible] بين يوم ٨ ويوم ١٢ من هذا الشهر القمري يوم اثنين إلا يوم ٩ منه، فإننا لا نتمكن من [illegible] يوما لميلاد النبي محمد ﷺ.

وإذن فإني أختم هذا البحث مقررا أن النبي محمد ﷺ قد ولد يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١م ميلادية.

البحث الثاني

في تحديد وقت الهجرة

روى صاحب السيرة الحلبية في كتابه سالف الذكر «ملحق المخطوطات العربية [illegible] رقم ٥٩٦ص ٢١٠ [illegible] ما يلي:

«وفي كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة يوم عاشوراء[23] فإذا اليهود صيام فقال رسول الله ﷺ: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجى فيه موسى، فقال رسول الله ﷺ. أنا أولى بموسى فأمر رسول الله ﷺ بصومه».

وأضاف مؤلف «السيرة الحلبية»:

[illegible] حديث صحيح خرجه البخاري [illegible] المدينة [illegible] قباء، وهي قرية صغيرة بضواحي المدينة ويحتمل [illegible].

ولأجل الاستفادة من هذا الحديث يجب أن نفهم تماما ماذا كانوا يعنون بعاشوراء الذي يطابق يوم دخول النبي ﷺ في المدينة فإذا كان [illegible] الكلمة [illegible] المسلمون من أنها تدل على اليوم العاشر من شهر [illegible] الحديث يكون [illegible] لما [illegible] الهجرة كانت في شهر ربيع الأول وهو ما يقوم على أساس روايات صحيحة أيضا. وإذن فإن من الضروري أن نعرف ما إذا كانت كلمة «عاشوراء» تطلق في [illegible] على وقت [illegible] من أوقات السنة.

إن الشواهد الآتية تدلنا على اليوم الحقيقي الذي أريد أن تعنيه كلمة «عاشوراء» التي أحاطت ذلك الحديث بالشكوك وأدت إلى خطأ بعض العلماء ومن ثم فإن ذلك المؤلف أيضا لما شعر بهذه الصعوبة أتبع روايته بما يلي

«وفي كونه ﷺ وجدهم صائمين لذلك اليوم إشكال، لأن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس، فكيف يكون في ربيع الأول؟ وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية. [illegible] عاشوراء [illegible] عاشر عاشوراء [illegible] فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم [illegible] في [illegible] قدومه ﷺ كان [illegible] بدليل سؤاله ﷺ: إذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء [illegible]».

ومما يؤيد ذلك ما في «المعجم الكبير للطبراني» عن خارجة ابن زيد عن أبيه قال: ليس عاشوراء الذي يقول الناس إنما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله ﷺ وكان يدور في السنة وكان [illegible] اليهودي [illegible] مات اليهودي أتوا زيدا بن ثابت فسألوه».

وهذا يبين لنا أن يوم عاشوراء الذي نحن بصدده كان عند اليهود وعرب مكة يوما محددا طبقا للسنة القمرية الشمسية.

ولكن في أي شهر؟ وفي أي يوم من هذا الشهر؟ وذلك ما سنراه بعد:

قال البيروني في كتاب «الآثار» ما يلي:

«وقد قيل إن عاشوراء عبراني معرب يعني عاشور وهو العاشر من شهر «تشرى» عند اليهود الذي صومه صوم الكبور وإنه اعتبر في شهور العرب فجعل في اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود».

* * *

[illegible] من جميع هذه [illegible] النبي محمد ﷺ دخل المدينة في اليوم العاشر من شهر «تشرى» وهو اليوم الذي فرضت التوراة الصوم فيه ولايزال اليهود حتى يومنا هذا يراعون القيام بهذه الفريضة.

[illegible] هذه النتيجة [illegible] الحقيقة، وخصوصا أن ذلك اليوم كان يوم الاثنين في رأي جميع الكتاب ولمعرفة وقت هذا الحادث في التقويم المسيحي يجب بكل بساطة البحث عن التاريخ الموافق لليوم العاشر من سنة اليهود[24] من بين أيام سنة ٦٢٢ مسيحية لأنه [illegible] الهجرة قد وقعت خلال هذه السنة [illegible] الحساب[25] على أن هذا اليوم كان هو اليوم العشرون من سبتمبر من الشهر القمري [illegible] من ظهور الكوكب. وذلك لأن اجتماع النيرين قد حدث يوم السبت ١١ من سبتمبر بعد ساعة تقريبا من منتصف الليل بحساب ماريس[26] ولم يستطع الناس رؤية الهلال بالعين المجردة إلا مساء الأحد ١٢ إلى ١٣ سبتمبر بحيث يتحتم أن يوافق يوم الاثنين ١٣ سبتمبر أول الشهر القمري العربي.

وتقول الروايات إن دخول النبي ﷺ في المدينة كان في اليوم الثاني أو الثامن أو في اليوم الثاني عشر من شهر «ربيع الأول»، وإن [illegible] يوم ٢ ويوم ١٢ لم يكن أحدهما يوم الاثنين فإن يوم ٨ هو الذي يحدد بالبداهة لهذا الحادث، وتكون

(٢٢) انظر كتاب «السيرة الحلبية» الجزء الثاني ص ٦١٠ (المراجع).

(٢٣) عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم عند المسلمين [illegible] اليهود من العرب [illegible] عاشوراء أيضا اليوم العاشر من شهر «تشرى» الذي هو أول شهور سنتهم [illegible] شهور السنة [illegible].

(٢٤) هذه السنة هي السنة ٤٣٨٣ من بدء الخليقة كما هو في [illegible] اليهود.

(٢٥) انظر [illegible] «التقويم اليهودي» بالجزء XXVI من مطبوعات الكلية [illegible] [illegible]

الصحيحة المقدمة هي أن الهجرة ودخول رسول الله ﷺ في المدينة كان يوم الاثنين ٨ من سبتمبر ربيع الأول الموافق يوم ٢٠ «سبتمبر» سنة ٦٢٢ ويوم ١٠ من شهر «تشرى» من سنة ٤٣٨٣ من بدء الخليقة

وليس لي غرض في هذا الموضوع الآن من الخوض في تفصيل هذه الملاحظات سوى الحديث الرئيسي.

وإني ألاحظ أولا: أن ورود هذا الحديث في مصادر شتى في صحيحي البخاري، ومسلم يمكن أن يعتبر برهانا على صحته.

غير أن بالحديث عبارة لا تتفق مع ما جاء في التوراة، والعبارة التي وردت في الحديث هي «فقال رسول الله ﷺ: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجى موسى».

إن اليوم الذي يدور عنه الحديث هنا هو العاشر من شهر «تشرى»، بينما اليوم الذي عبر فيه موسى البحر الأحمر كان كما ورد في التوراة الحادي والعشرين من شهر «نيسان»، و اليوم السابع بعد عيد الفصح عند اليهود.

أليس ممكن أن يكون هذا الاختلاف دليلا على عدم صحة الحديث؟ كلا بالتأكيد.

إن ابن عباس رضي الله عنه لم يفعل سوى أن ردد ما رآه وسمعه من بعض اليهود الذين كانوا بلا شك قليلي المعرفة. وما يدل ذلك إلا على جهل اليهود بالسبب الذي من أجله فرض الصوم.

على أن هذه العبارة قد سقطت تماما من نص الحديث، كما ورد في موضع آخر «بالبخاري» عن طريق أبي موسى الذي كان من أكثر الصحابة علما. فقد ورد «بالبخاري» بالمخطوط رقم ٣٠١ ص ٢٣٢ بمكتبة باريس ما يلي

«حدثنا أحمد أو محمد بن عبدالله العدانى قال حدثنا حماد بن أسامة قال حدثنا أبو عميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن ابن موسى قال: دخل النبي ﷺ المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه فقال النبي ﷺ: نحن أحق بصومه فأمر بصومه»[11].

إن بعض الكتاب لم يدركوا تماما معنى هذا الحديث. فزعموا أن الهجرة كانت في اليوم العاشر من شهر «المحرم»، وأن هذا اليوم كان مطابقا لليوم العاشر من شهر «تشرى» عند اليهود، وقد بين البيروني صاحب «كتاب الآثار» استحالة هذا التوافق الذي بني عليه هذا الرأي، ولكنه غالى في نقده حتى لقد حسب أنه يثبت عدم صحة حديث ابن عباس. وإليك ما قاله في «كتاب الآثار»: «وروى أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عنه فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وآله ونجى فيه موسى ومن معه، فقال عليه الصلاة والسلام: نحن أحق بموسى منهم فصام وأمر أصحابه بصومه. فلما فرض صوم شهر

(١٧) انظر كتاب «المختار» عن يوم عاشوراء

رمضان لم يأمرهم ولم ينههم».

وأضاف البيروني

«وهذه الرواية غير صحيحة، لأن الامتحان يشهد عليها. وذلك أن أول المحرم في السنة الأولى للهجرة كان يوم الجمعة السادس عشر من «تموز» سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للإسكندر. فإذا حسبنا أول سنة اليهود في تلك السنة كان يوم الأحد الثاني عشر من شهر «أيلول» ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من شهر «صفر» ويكون صوم عاشوراء يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول وإنما كانت هجرة النبي عليه الصلاة والسلام في النصف الأول من «ربيع الأول»، وسئل النبي عليه الصلاة والسلام عن صوم يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأنزل على فيه وهاجرت فيه.

ثم اختلف في أي الأثانين كانت الهجرة فزعم بعضهم أنها في اليوم الثاني من «ربيع الأول»، وزعم بعضهم أنها في اليوم الثامن منه وزعم آخرون أنها في اليوم الثاني عشر منه والمتفق عليه الثامن ولا يجوز أن يكون الثاني ولا الثاني عشر لأنهما ليسا بيوم اثنين من أجل أن أول «ربيع الأول» في تلك السنة كان يوم الاثنين فيكون على ما ذكرنا قدوم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة قبل عاشوراء بيوم وليس يتفق وقوعه في المحرم إلا قبل تلك السنة ببضع سنين أو بعدها ببضع وعشرين سنة فكيف يجوز أن يقال إن النبي عليه الصلاة والسلام صام عاشوراء لاتفاقه

مع العاشر من المحرم؟ وكذلك في السنة الثانية من الهجرة كان العاشر يوم السبت من «أيلول» والتاسع من «ربيع الأول»، فما ذكروه من اتفاقهما حينئذ محال على كل حال

ومن قولهم إنه اليوم الذي أغرق فرعون فيه فقد نطقت التوراة بخلافه وقد كان غرقه في اليوم الحادي والعشرين من «نيسان»، وهو اليوم السابع من أيام الفطير وكان أول فصح اليهود بعد قدوم النبي ﷺ المدينة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من آذار سنة ثلاث وثلاثين[18] وتسعمائة للإسكندر، ووافقه اليوم السابع عشر من شهر رمضان.

واليوم الذي أغرق الله فيه فرعون كان اليوم الثالث والعشرين من شهر «رمضان» فكان ليس له وروده وجه بتة». اهـ

ويبدو أن البيروني قد فسر الحديث بنفس الطريقة التي فسره بها أولئك الذين انتقدهم، وهي أن النبي ﷺ دخل المدينة في يوم عاشوراء عند اليهود، وأن هذا اليوم هو نفسه يوم عاشوراء عند المسلمين، وأخيرا أن الله قد نجى موسى في مثل هذا اليوم فقد قال: «وهذه الرواية غير صحيحة؛ لأن الأدلة شاهدة على بطلانها

واستدل على ذلك بثلاثة أدلة:

أولا: عدم توافق العاشوراءين.

ثانيا: أن عاشوراء اليهود كان يوم الثلاثاء بينما دخول النبي ﷺ في المدينة كان يوم الاثنين

(١٨) [illegible]

ثالثا: أن هذا اليوم لم يكن مختلفا في مثل اليوم الذى نجا فيه موسى من الغرق.

إن عدم توافق العاشوراءين لا يصلح برهانا على عدم صحة الحديث لأن هذا التوافق لم [illegible] الحديث لا يورده إلا كدليل على عدم مطابقة [illegible] تعبيره تشعر القارئ بالتهجم على الحديث على غير أساس.

أما عن الدليل الثاني الذى ذكره فإن [illegible] أراد.

والواقع أن الحساب الصحيح سيؤكد له أن [illegible] اليهودية التى بدأت خلال السنة الأولى من الهجرة، كان يوم السبت الحادى عشر من أيلول - ١١ سبتمبر، الذى يوافق آخر شهر صفر - وليس يوم الأحد الثانى عشر من أيلول كما يقول البيرونى وعلى ذلك فإن يوم عاشوراء أو اليوم العاشر من شهر تشرى كان [illegible] الثلاثاء التاسع من هذا الشهر العربى.

أما عن النقطة الثالثة: فقد سبق أن ناقشناها فى هذا البحث وبينا أنها لا تمس صحة حديث ابن حبان.

[illegible] حرى على [illegible] كان حقيقة يوم العشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية الموافق اليوم العاشر من شهر [illegible]

[illegible] ملحق المخطوطات العربية رقم ٥٧١٥ ص ١٥٢ [illegible]

[illegible] الأيام ثلاثة آلف وستمائة وأربعة وعشرون يوما[16].

[illegible] ٦٧ يوما من اليوم الأول من شهر (المحرم) الذى يبدأ به التاريخ الهجرى.. وإذن فلدينا ٣٦٢٤ [illegible] ٦٧ [illegible] ٣٥٥٧ يوما بين بداية عصر (يزدجرد) وبين يوم دخول النبى ﷺ فى المدينة.

ولما كان عصر (يزدجرد) قد بدأ يوم الثلاثاء ١٦ [illegible] ٦٣٢ [illegible] ٨ [illegible] ٩ [illegible] وفاة النبى ﷺ، فإنه يكفى أن نعد ٣٥٥٧ يوما إلى الوراء، ابتداء من ١٦ يونيه سنة ٦٣٢، لكى نحصل على اليوم فى التوقيت الجوليانى الذى يطابق يوم الهجرة، وبهذه العملية الحسابية نصل إلى يوم ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية الذى هو يوم الاثنين. وإذن فإن دخول الرسول ﷺ إلى المدينة كان حقيقة

(16) [illegible] علماء الشرق الأخرى [illegible] هذا الرأى

يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية [illegible] يوم ١٠ [illegible]

ثانيا: أن ملحق المخطوط العربى رقم ١١٣١ بمكتبة باريس أورد ما يلى فى آخر [illegible]

[illegible] الهجرية وبين أول يوم من السنة التى تبدأ بالاعتدال الربيعى، والتى تم خلالها اقتران المشترى بزحل السابق لميلاد النبى ﷺ، توجد ٥١ سنة فارسية و٤ أشهر و٨ أيام و١٦ [illegible]

[illegible] الحساب على أنه قد حدث حقيقة اقتران بين هذين الكوكبين حول وقت ميلاد النبى ﷺ [illegible] ٢٩ [illegible] ٣٠ [illegible] ٥٧١ ميلادية [illegible] وقد حدث الاعتدال الربيعى - طبقا لحسابات قمت بها - يوم ١٩ مارس فى الساعة ١٥ والدقيقة ١١ [illegible] من شهر المحرم من سنة الهجرة [illegible] ٥١ سنة فارسية و٤ أشهر و٨ أيام و١٦ ساعة بعد يوم ١٩ مارس و١٥ ساعة و١١ دقيقة من سنة ٥٧١ ميلادية.

[illegible] على أساس أن السنة الفارسية تحتوى على ٣٦٥ يوم، فإننا نحصل على ١٨٧٤٣ يوما و١٦ ساعة أو ١٨٧٤٤ يوما مع إضافة يوم لجبر الكسر، ونحن نعرف أن الهجرة حدثت بعد شهرين وثمانية أيام من ابتداء شهر [illegible] ١٨٧٤٤ يوما [illegible] ٦٧ يوما، أى ١٨٨١١ يوما بين الهجرة نفسها وبين الاعتدال الربيعى الذى حدث يوم ١٩ مارس سنة ٦٢٢ ميلادية وهذا يجعل تاريخ الهجرة أو دخول النبى ﷺ فى المدينة يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية الموافق يوم ١٠ (تشرى) الذى هو يوم عيد الكبور عند اليهود.

---

(20) إن النص العربى قد شوهه الناسخون [illegible]

النبوة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ نظمى لوقا

لا تأليه ولا شبهة تأليه فى معنى النبوة الإسلامية. وهى مسألة كانت تحتاج إلى توضيح وحسم. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد. فكان الرسل أيضا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، أو بنسب من الأنساب. فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا فى الرسول أو النبى أنه ليس بشرا كسائر البشر. وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء.

ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترا مكررا فى آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء فى سورة الكهف:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾

(الكهف ١١٠)

وفى تخير كلمة «مثلكم» معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال.. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى:

﴿ [illegible] حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

(الشورى ٤٨)

والظاهر فى هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التى كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها.. بل كأنما احتاج هذا التنبيه إلى مزيد من التصريح، فجاء فى (سورة ق):

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾

(ق ٤٥)

ومن هذا القبيل أو أبين منه وأصرح ما ورد فى (سورة الغاشية):

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية ٢١، ٢٢)

رسول بشر.. ما عليه إلا البلاغ بما يوحى إليه من ربه ولا زيادة..

وتوكيد القيمة البشرية بحدودها للرسول ليس بلفظ الآيات فحسب، بل هو معنى تنطق به كيفية الرسالة كلها، وتاريخ الرسول كله.

[illegible] الناس وأسرى لدعوتهم إلى دينه من غير مدد من المعجزات الخاطفة للأبصار الخالبة للألباب.. فقد أريد للناس أن يشعروا أن رسولهم «مثلهم» حقا وصدقا كما جاء فى سورة الكهف.. لا يملك من الخوارق أكثر مما يملكون.. وليس له من سلطان عليهم.. وإنما الأمر إليهم، كى يكون اهتداؤهم [illegible] الذاتى [illegible] والضمير.. فيكون اهتداؤهم إيمانا ليست فيه شائبة استهواء أو توريط.

وما توانى العرب عن مطالبته بإخراج ما تعودوه حجة كل صاحب [illegible]:

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾

(يونس ٢٠)

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد [illegible])

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ١٨٨)

ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء. حقا! وما أكثر ما أوذى، وما أشد ما أساءوا إليه به، وهو لا يملك لذلك دفعا، إلا الصبر على البلاء.

حتى [illegible] على [illegible] التقصير عن الاهتداء به.. فلو كان يجرى عليه غير الذى يجرى على البشر، لكانت لبعضهم الحجة بأن استطاعتهم دون استطاعة هذا الرسول، فأين هم منه؟ وكيف يكلفون بما لا طاقة لهم به؟

[illegible] ولا ضرا، ويمسه السوء والتنكيل مرة بعد مرة.. ففيه قدوة [illegible]

وفى يقينى أن تأييد دعوة حق بمخارقة غير طبيعية مسألة لا تستساغ إلا فى حالات انحطاط العقل البشرى، فهما أشبه بالاحتيال على الطفل ليقبل على الطعام الذى يقيم أوده، وهو حرى أن يطلبه ويلح فى طلبه لو أوتى الرشد

[illegible] عليه صاحب دعوى مخارقة لا علاقة لها بصدق تلك الدعوى، فإن كل دعوى صادقة أو كاذبة لذاتها لا لأمر خارج عنها.. فالحقيقة آية نفسها [illegible]

فيما كان لابد للعقل البشرى فى طور رشده أن تأتيه الدعوة إلى الهداية بأسلوب عقلى صرف، يحترم [illegible]

[illegible] جاءت موافقة لتطور الطبيعى للبشرية تاريخا، [illegible]

وكان القرآن يؤكد على الدوام أن الرسول ليس ساحرا ولا كاهنا ولا مجنونا ممن يهم لوثات تصرع وتذهب إلى أن المعجزة الخارقة لا تفيد في قلب مكابر. وفي ذلك ما جاء بسورة الحجر:

﴿ [illegible] ﴾

(الحجر: ١١ - ١٥)

ومن أنعم النظر في هذه الآيات من سورة الإسراء يجد فيها حكمة الإصرار على بشرية الرسول، وأن آيته الوحيدة هي صدق رسالته.. وتلك حسبها من سند، وحسب الناس لو كانوا مهتدين غير مكابرين.. فما شاء الرحمن أن يكون الرسول ملكا من الملائكة، حتى تكون بشرية هذا الرسول حجة على الناس وقدوة:

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ٩٠ - ٩٦)

ولا أملك نفسي من الإعجاب أن أورد هنا ما قاله الإمام محمد عبده في مفتتح كتابه «الإسلام والنصرانية»:

«فالإسلام في هذه الدعوة لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية.

«وقد اتفق المسلمون إلا قليلا ممن لا يعتد برأيهم فيه، على أن الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات، وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله. فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة. فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله، وبأنه يجوز أن ينزل كتابا أو يرسل رسولا».

رحم الله الأستاذ الإمام.

●●●

إن الحقيقة باقية والبشر زائلون

الرسالة إذن هي الباقية، وما هي بمتوقفة في شيء على بقاء هذا الرسول:

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

إنها الحقيقة. ولكن كان لابد من تقريرها لتوكيد بشرية هذا الرسول.. وليس أدل على

لزوم هذا الاحتياط من افتتان الناس برسولهم وجنوحهم إلى الخروج به عن مستوى البشر الطبيعي، من أن إماما مثل عمر بن الخطاب، في رجاحة عقله، وقوة إيمانه، وهو من هو من الإسلام ورسوله، أبى أن يصدق أن الرسول نزل به طائف الموت.

ولولا أن فجأه تلا عليه وعلى الناس هذه الآية لبقي عمر يهدد رجالا أرجفوا بأن الرسول قد مات:

﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

كان من الجائز أيضا أن يقتل بيد عدو من أعداء دعوته وما أكثرهم، وما كان ذلك لينتقص شيئا أو ينتقصه. فإن الحق حق لذاته ودعوة الإسلام صادقة لم تنته بموت الرسول أو قتله.

هذا إذن هو مكان النبوة في ذلك الطور الأخير من أطوار العقيدة الإلهية، لقد تنزهت فيه تلك العقيدة عن أساليب جوبيتر وأشباه جوبيتر. وليس أنبياؤه كهانا ولا ملائكة ولا سحرة ولا مجانين، وإنما هم بشر يأتيهم الوحي من الروح الأمين، وليس عليهم إلا البلاغ المبين.

ولكن هل تكرر تلك النبوة على ذلك الأسلوب؟

لا حاجة للبشرية بذلك التكرير. فإن طور الأسلوب العقلي المجرد هو آخر أطوار البشرية، وفيه تفتح عقله، وبلغ رشده، فطاقته في عمقه، وعليه بعد ذلك أن يعمل فكره، وقد تسلم قياد نفسه.

«فالرسالة الخصوصية هي إتمام ما سبق ومتابعة البشر في أطوار تصحيحهم لما يستهويهم من البدعة والضلال. فما هي الخصوصية التي يمكن أن تكون موضوع رسالة جديدة بعد رسالة الإسلام؟»

لقد تمت فكرة التوحيد، وتم خطاب العقل، وتم البلاغ إلى الناس كافة، أحمرهم وأسودهم، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه، وبدنياه. وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على ذلك الأساس حسبما يستجد لهم من الأمور. فلكل رسالة بعد ذلك قول معاد، ليس فيه جديد يستفاد.

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾

(المائدة: ٣)

وبسبب من طبيعة الرسالة، ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها، كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل، لأن رسالته كانت خاتمة الرسالات.

●●●

مع المبعوث مُعلماً ومتمماً لمكارم الأخلاق



للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه ١١٤)

ان العلم الشامل الذى يحث عليه الاسلام ويعلى من شانه لابد ان يكون نافعا ولا يخلو من فائدة. وقد ورد تحديد العلم الشامل النافع فى دعائه ﷺ: «اللهم انى اعوذ بك من اربع: من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع...» (رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى). ومقياس النفع هنا فى التصور الاسلامى ليس ذلك المعيار الفردى، الذرائعى، الذى تقول به الفلسفة، البراجماتية، السائدة لدى الغرب. وانما هو صالح مجموع الامة واقامة امر الدين. ولا يعقل ابدا ان تكون الهداية الى الحقيقة مجرد هداية الى الفكرة الصائبة وحدها، بل لابد ان تتعدى ذلك فتبصر هداية الى العمل النافع والسلوك القويم ايضا. ويشير القران الكريم فى ايات كثيرة الى ان الانسان هو خليفة الله فى الارض، وهو الذى حمل امانة اعمار الحياة عليها بالافادة من كل ما سخره الله له فى هذا الكون الفسيح.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والبيهقي، وحسنه الألباني

في صحيح الترغيب والترهيب).

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء، فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله. وإن أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسله به» (رواه البخاري ومسلم).

قال ابن القيم رحمه الله: شبه ﷺ العلم والهدى الذى جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد فإنها بالعلم والمطر، وشبه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر لأنها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما أن القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته، ثم قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حكمه وفوائده:

• القسم الأول: أهل الحفظ والفهم مثل الحفاظ الفقهاء أهل الرواية والدراية.

• القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا تفقها في معانيه ولا استنباطا ولا استخراجا لوجوه الحكم والفوائد منه، فهذان القسمان هم السعداء، والأولون أرفع درجة وأعلى قدرا،

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(الجمعة ٤)

• أما القسم الثالث فهم الذين لا نصيب لهم منه، لا حفظا، ولا فهما، ولا رواية، ولا دراية، وهؤلاء هم الأشقى.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده» (رواه ابن ماجه وصححه المنذري والألباني).

وفي هذا بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع.

ولا ينبغي أن يغيب عن الأذهان في كل ذلك نصيب العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة والاستقراء، وكذلك

العلوم [illegible] في [illegible]
الحيوية. فلا ننكر [illegible]
[illegible]
الإنسان. وإن كان بعض [illegible]
[illegible]
[illegible]

من ناحية أخرى. [illegible]
[illegible] العلم والعمل النافع [illegible] على
[illegible] في [illegible]
[illegible]
وجودة في [illegible]
في التطور [illegible]
ثم يأخذ في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في
[illegible]

قال تعالى

[illegible]

([illegible] ١٠٦)

وقال سبحانه

[illegible]

([illegible] ٣٢)

وعن حكمة في نزول القرآن منجما يقول الزرقاني رحمه الله في مناهل [illegible]

[illegible]
[illegible] في حفظه [illegible]
[illegible] وحكمه [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
في [illegible]
[illegible]
[illegible]

وكذلك كان الرسول ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible] الله في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في
[illegible] في [illegible]
(الحديث [illegible])

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

قال ﷺ [illegible]
[illegible]

([illegible] البخاري)

[illegible]

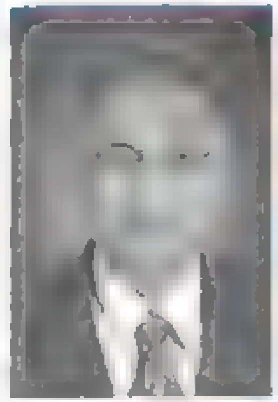
([illegible] البخاري)

[illegible]

([illegible] الترمذي)

[illegible]

مثالية الرسول الأخلاقية في الظروف الحربية



للأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كان بعض المجلين يعيب على الكاتب الكبير (عباس العقاد) إطلاقه مصطلح (العبقرية) على رسول الله محمد ﷺ، وقد ظنوا أن إطلاق هذا المصطلح يشتم منه رائحة نفي النبوة، وقد أكرمني الله فرددت على هذا الظن في كتابي الصغير عن (شخصية الرسول أمام المقاييس الإنسانية).. فالأنبياء بعامة يفترض فيهم بداهة أن يكونوا في القمة من الذكاء.. والقمة من الذكاء تلتصق بالعبقرية.. بل إن من الشروط الأربعة المطلوب توافرها ضرورة في جميع الأنبياء (الفطانة) إلى جانب (الصدق)، و(الأمانة)، و(التبليغ)..

- وتتجلى عبقرية الرسول في أنها (عبقرية إنسانية أخلاقية) تبلغ القمة في الذكاء والتخطيط للمعارك والحروب.. لكنها - في الوقت نفسه - تبلغ القمة في الحفاظ على المستوى الأخلاقي، مهما تكن الظروف الضاغطة الاستثنائية التي تبيح (للعباقرة) العاديين المجردين من المستوى الإنساني والأخلاقي الرفيع - أن يستبيحوا ما لا يباح، وأن يتجاهلوا القيم والأخلاقيات.. وأن يطبقوا المبدأ الميكيافيلي اللاإنساني (الغاية تبرر الوسيلة)...

- لكن سيرة محمد الحربية.. سواء في نطاق التعامل مع جنوده وأصحابه، أم في نطاق التعامل مع أعدائه، تبقى آية عظمى دالة على سموه وأخلاقيته التي امتدحها الله في القرآن

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

... ودالة على عبقريته أيضاً.

- لقد اشترك الرسول ﷺ في نحو عشرين غزوة وانتصر فيها باستثناء ما وقع في (موقعة الأحد)، في حين ... وقع في (موقعة (أوطاس) في حنين)... حين جمعت ثقيف وهوازن أكثر من عشرين ألفاً لقتال الرسول بعيد فتح مكة.. وقد ثبت الرسول في معركتين لم يثبت فيهما إلا قليل ممن معه، وكان ثباته على هذا النحو مظهراً لعبقريته العسكرية، ومعروف أنه في أحد وقع ما وقع بتأثير مخالفة الرماة لأوامره، فالمسئولية عليهم، لكنه استطاع مع هذا أن يتحمل أدق ضغينة.. وأن ينقذ المسلمين بعد أن دفعوا الثمن غالياً.. وفي حنين عندما ظهرت بوادر الهزيمة على أثر مفاجأة ثقيف للمسلمين بالنبل وتشبهم من مكامنهم التي كمن فيها الأعداء وبدأت بوادر الهزيمة تظهر لكن الرسول الأعظم بشجاعته التي تتبدى متألقة في أصعب المواقف وأحرجها.. وشخصيته المقاتلة الكبيرة.. استطاع أن يثبت في وجه الأعداء منادياً بأعلى صوته: (أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)، وأمر عمه العباس أن ينادي في الناس باسم رسول الله، وسرعان ما أجابوه سيوفهم ... وعادوا مسرعين به وسيوفهم في أيديهم... بعد أن أزال نداؤه ونداء عمه العباس الذهول والتراجع القصير الذي كان قد سيطر عليهم... وتحقق النصر للمسلمين في حنين بفضل هذه الوقفة الشجاعة من رسول الله ﷺ.

الرسول والمثالية الأخلاقية

- وفي السياق الإنساني ... لم نسمع أنه - عليه السلام - حاسب أصحابه، أو أحدهم بشيء من اللوم والعصب، وقد ظهرت من بعض حديثي الإسلام بعض الأخطاء، لكنه عليه السلام تجاوز عنها، وتألف قلوبهم، وأعطاهم من الغنائم أكثر مما أعطى المهاجرين والأنصار، حتى غضب الأنصار من ذلك.. فاجتمع بهم - عليه السلام - وخطب فيهم، وقال لهم: يا معشر الأنصار.. تألفت بها قوماً قلوبهم في مكة ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم.. ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم... فو الذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار... اللهم ارحم الأنصار... المحيا محياكم والممات مماتكم.. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم... وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله وتفرقوا...

- وهكذا عالج الرسول بسموه الإنساني موقفاً من توابع الحرب كان من الممكن أن يؤدي إلى فتنة كبيرة...

- ويورد البخاري عن جابر بن عبد الله أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجرة، فنزل رسول الله تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط علي سيفي وأنا

نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال: من يمنعك منى؟ فقلت: الله (ثلاثا)، ولم يعاقبه وجلس (البخارى، باب الجهاد)... فهل رأيت قائدا يصل إلى هذه القدوة على [illegible]

الشورى فى الحروب ودلالتها الانسانية

ومن أخلاقه الحربية التى لا يمكن إغفالها احترامه لجميع جنوده وأصحابه. [illegible] ففى بدر استجاب لرأى (الحباب بن المنذر) [illegible] تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم (متفق عليه) ثم استشار فى شأن الأسرى كما هو معروف [illegible] واستجاب لرأى الأكثرية وهو رأى كان [illegible] واستجاب لاقتراح سلمان الفارسى بحفر الخندق، واستشار سعد بن معاذ، وسعد بن [illegible] يعطوه شطر ثمار المدينة فرفضوا، فاستجاب لرأيهم، ورجع عن رأيه الذى كان يميل إليه.. [illegible] الحديبية وغضب الصحابة فأشارت عليه بأن [illegible] ويبحر دون أن يكلم الصحابة، فلما فعل [illegible] رضى الله عنها... وهكذا كانت قيادته الحربية أخلاقية مع أصحابه أيضاً يحترم عقولهم وإنسانيتهم ويخضع لآرائهم ليعلمهم قيمة الشورى فى أدق الأمور المصيرية وأصعبها. فالإنسانية والأخلاق لا [illegible]

الرسول وشروط القيادة الفذة:

[illegible] النفسية، لا يتأثر ولا يغير وضعه ولا أخلاقه تحت تأثير الحوافز المختلفة.. فلا يغره أروع النجاحات، ولا يغيره أكبر الانتصارات... وهكذا... كان الرسول القمة فى ذلك.

- ويقولون: إن القائد الناجح هو الشخص الذى بعد عن وضاعة النفس، واستمر على نهج حياة بسيطة متقشفة، يعيش حياته [illegible] كان الرسول القائد والنبى الإنسان فى حياته، فكلما ملك الدنيا ودخل الناس فى دين الله، وامتدت رقعة الإسلام، وازداد عدد المسلمين، كلما ازداد تواضعا وانسجاما وكأن الدنيا تحت قدميه، لا يعنيه انخفاضها أو ارتفاعها. [illegible]

[illegible] إلى قلبه من الآخرين، وهو - أيضا - الشخص [illegible] الرعية وثقة رعيته فيه كاملة تامة[1]... وهكذا [illegible] الإنسان الأعظم.. [illegible] صحابته حبا وإجلالا.. فهذا (صديق) وذاك [illegible] (فستحى منه الملائكة)، وخامس (سيف [illegible] يمشى على الأرض).. وأما (على) - رضى الله عنهم [illegible]

- ويقول الشيخ المجاهد المعاصر العلامة [illegible] أمريكا)[2]: "لقد حفل التاريخ الإنسانى بالعديد من القادة العظام، ولكن لا يوجد أى قائد جمع فى نفسه كل الصفات التى [illegible] جمعوا بعض هذه الصفات قلة أيضا..

"لنتذكر "الإسكندر الأكبر"، و"هينبعل" [illegible] و الشيخ شامل [illegible] غير أننا إذا قمنا بتقييمهم من زاوية الصفات التى تحدثنا فيها عن النبى الأعظم، [illegible] لا يمكن مقارنتهم [illegible] محمد ﷺ.

الرسول القائد: نسيج وحده فى العظمة المثالية

- أجل، هناك شخص واحد فقط فى العالم كله، استطاع أن يجمع جميع صفات القيادة الناجحة، دون أى نقص، بل فى أعلى الذرى وهو محمد ﷺ.... ذلك لأنه كان رسول الله [illegible] فى جميع [illegible] حياته... ثم كانت أخلاقيته وإنسانيته ورحمته [illegible] ورحمة من الله لان قلبه لكل من حوله، وكان حريصا عليهم.. بالمؤمنين رءوف رحيم.. يذب الناس عن النار حتى لا يتساقطوا عليها تساقط الفراش... ويسأل الله لأعدائه الهداية، وهم يحيطون به باذلين جهدهم لقتله قائلا: "اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون".. ثم يرفض عرضا ملائكيا بالانتقام الجماعى منهم قائلا: "لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده ويعبده".

- فعلى محمد النبى الإنسان - فى سلمه وحربه - [illegible] المباركات.

---

[1] [illegible] الرسول القائد [illegible] ص ١٦٣، ١٦٤ بتصرف [illegible]

الأبوة في سيرة المصطفى

صفحة مشرقة من إنسانية النبي ﷺ

للدكتور/ وصفي عاشور أبو زيد

شملت جوانب عظمة النبي ﷺ من جوانب الشخصية ما لا يمكن أن يوجد في شخصية بشر، ويتمثل معجزة محققة في هذه الجوانب أنه بلغ في كل جانب مداه وذروة منتهاه.

فالمعلم إذا تأمل سيرة النبي وجد بغيته، والمربي إذا تفحص حصل على طلبته، والقائد العسكري أو الرجل الحربي إذا نظر استطاع أن يحكم خطته، والحاكم السياسي إذا تفرس وقف على سياسته، والمصلح أو الداعية إذا تأسى هدى طريقته [illegible].. ولم لا، وقد قال الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

ولهذا لم تكن شخصية النبي ﷺ يحتويها جانب واحد فقط من هذه الجوانب، إنما كانت تتسع وتتسع لتطلب جانبا آخر بل جوانب أخر، فلم تكن تملأ فطرته ويكتفي عنده لا مقام النبوة، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ويحسب من يتصفح الكتابات المطروحة في جوانب العظمة لشخصية نبينا الكريم، وتجليها بأكثر من طريقة وأسلوب، يحسب أن الكتابة الكثيرة عن عظمة شخصيته ﷺ تنال من هيبتها وجلالها، وتخدش من روعتها وجمالها، فلا يروع ويروق من [illegible] شخصية النبي محمد هي شخصية النبي محمد ﷺ، ولا يعرف محمد بن عبد الله بأفضل من أنه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وكثير من الناس يعلم الكثير عن حياة محمد "النبي"، لكنهم لا يعرفون إلا القليل عن محمد "الإنسان"، وربما ظنوا أن هيبة النبوة وقفت سدا رادعا بينه وبين الإنسانيات من المداعبة والملاعبة، والمرح والفرح، والتبسم ونحو ذلك.

إن النبي ﷺ برفقه وإيناسه كان يتمنى بعض زوجاته [illegible] رسول الله، فتقول أمام أبيها: "تكلم ولا تقل إلا صدقا..."، وأخرى تعارضه وتغاضبه صاحبة بيتها. وقد كان ﷺ يتواضع يتولى خدمة البيت معهن، فعن الأسود قال: سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[1].

ومن أبرز المجالات الإنسانية التي وجدتها في حياة المصطفى هو جانب الأبوة، وهو جانب إنساني بحت، وربما يتساءل إنسان: نتكلم عن الأبوة وهذا شعور طبيعي لدى كل إنسان حتى الكافر؟ حقا هو شعور طبيعي وعاطفة جياشة عند كل مخلوق، ليس الآدميين فحسب، لكن تعالوا نرى كيف بلغت مداها عند أحنى الآباء، وأرق الأجداد.

حبه فاطمة:

بلغ حب النبي فاطمة رضي الله عنها أن جعلها بضعة منه، روى البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني"[2].

وفي بعض الروايات يعبر بالمضغة، كما يروي الإمام أحمد في المسند عنه أيضا أن النبي قال: "فاطمة مضغة مني يقبضني ما قبضها ويبسطني ما يبسطها"[3].

حتى أراد النبي أن يراها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، والإنسان يطلب رؤية من يحب عند صعود الروح، ليبثه مكنون نفسه ومن ألقاه في روعه أبي السماء. عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسر إلي إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي، فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين، فضحكت لذلك"[4].

وهذا الحب العميق الذي ورثت أحاسيسه على فاطمة فملك عليها قلبها، جعل هذا القلب يتصدع ويتأوه يوم وفاة الأب الحنون، عن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد

---

(1) صحيح البخاري، كتاب [illegible]، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ.

(3) المسند للإمام أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم رضي الله تعالى عنهما.

(4) [illegible] عليها السلام.

اليوم فلما مات قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا [illegible]
جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة - عليها السلام - يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ [illegible]

حبه إبراهيم:

قبل مجيء إبراهيم بن محمد بن عبد الله كان النبي في شوق شديد إليه لا سيما أنه مكث أكثر من عشرين سنة لم تلد له فيها إحدى زوجاته، إضافة إلى موت كل أولاده في هذه الفترة ما عدا فاطمة التي ماتت بعده مقبلا - رقية، وزينب، وأم كلثوم [illegible] [illegible] يتعوض إلى الآن بما يعزيه عن هذا الفقد الجلل، ألا ما أشد شوق النبي إلى مولود يكون [illegible].

وجاء الطفل، وسماه إبراهيم تيمنا بجده الأكبر أبي الأنبياء، لعله يخلف رسول الله ﷺ، ولكن ما هو إلا أن مات الخلم الكبير، ومات الطفل الصغير، وقد بلغ أبوه الستين من عمره [illegible] شخصية النبي عند هذا الموقف أتم ما يكون الظهور، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئرا لإبراهيم - عليه السلام - [illegible] دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه [illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible] والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[6].

إن عبد الرحمن بن عوف في هذا الموقف [illegible] الطبيعي أن يحزن ويسيل دمعه، بل إنه أرحم من سائر الآباء، والقلب الذي لا يحزن ليست له فضيلة في الصبر.

[illegible]

وقد تعدت هذه الأبوة بدفقها حتى [illegible]
أحنحتها عليهم: الحسن والحسين، عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ والحسن [illegible]

وروى النسائي بسنده عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا [illegible]

(٥) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب مرض النبي ﷺ ووفاته
(٦) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب [illegible]
[illegible]

للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك قال كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته[8].

وبلغ من حبه لهم أن دعا لهم الله أن يحب [illegible] الحسن والحسين، فعن أسامة بن زيد قال طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي أنت مشتمل عليه قال فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما[9].

وتعدى [illegible] كل الأسرة لتشمل [illegible] جميعا، كما روت أم سلمة [illegible] النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال إنك إلى خير

أبوة لكل المسلمين:

لم تقتصر أبوة النبي - عليه السلام - أبناءه وأحفاده فحسب، وإلا لم يكن له فضل، بل تعدت لتشمل كل المسلمين وتحوط أبناءهم.

إن النفوس التي تنكفئ على شخصها وأبنائها فقط، وتحرم أبناء غيرها هي النفوس الصغيرة الضئيلة، أما النفوس الكبيرة العظيمة فلها شأن آخر، إنها استودعت من الرحمة ومشاعر الإنسانية ما تأبى به على صاحبها إلا أن ينشرها على كل الناس ويعمهم بها، وأولى الناس بذلك الأنبياء، وأولاهم محمد بن عبد الله الذي له من ذلك القدح المعلى.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: "اللهم ارحمهما فإني أرحمهما"[11].

وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم[12]

[illegible]

وفي رواية لمسلم عن عائشة قالت قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا أتقبلون صبيانكم فقالوا نعم فقالوا لكنا والله ما نقبل فقال رسول الله ﷺ وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة[13].

وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله.

وروى عن أنس - رضي الله عنه - قوله إن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير[15].

ولم يمنع النبي أداء شعيرة كبرى من شعائر الإسلام أن يحافظ على مشاعر الأمهات، ويرحم الأطفال. فعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه[16].

ولم تمنع دموع الرحمة من عيني نبي الرحمة لفراق ولده فحسب بل سالت لفراق غيره من أحفاده وأبناء المسلمين. فعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه إن ابنا لي قبض فأتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع قال حسبته أنه قال كأنها شن ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

وبعد، فهذه صفحة مشرقة من الأبوة في حياة قدوة الدعاة ﷺ جديرة أن يتأملها الآباء لا سيما حملة الدعوات وأصحاب الرسالات منهم، الذين يشغلون بالدعوة عن أبنائهم وزوجاتهم وأهليهم، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

* * *

---

(13) صحيح مسلم، [illegible]

(14) صحيح البخاري، [illegible]

(15) صحيح البخاري، كتاب [illegible]

(16) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي

(17) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، وما يرخص من البكاء في غير نوح



في رحاب ذكرى المولد النبوي

سيد ولد آدم ﷺ

للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

في هذه الأونة التي يستلهم المسلمون عمق السيرة النبوية العطرة، تطالعنا بعض الفئات الآثمة، والأقلام الغاشمة محاولة التطاول على أطهر من مشى على أرض، وسيد ولد آدم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ونحن نرى أن الذين يتطاولون على الرسول ﷺ هم في الواقع يتطاولون على جميع الرسل: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وجاء للبشرية جمعاء داعيا إلى الإيمان بجميع الرسل:

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾

ولو عرف المتطاولون منزلة خاتم النبيين، وأنه رحمة الله للعالمين، ما كانوا ليتطاولوا. فبفضل هذا الرسول العظيم رفع الله عن الإنسانية كلها عذاب الاستئصال في الدنيا الذي كانت تؤاخذ به الأمم السابقة. وبفضل هذا الرسول العظيم تكون الشفاعة العظمى يوم القيامة ولا تكون الشفاعة للأمم كلها من هول الموقف إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد اقتدى به جميع الرسل ليلة الإسراء في بيت المقدس إذ صلى بهم إمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، فإذا كان جميع الرسل بمن فيهم من رسل بعض المتطاولين قد اقتدوا به، أليس أولى بأتباعهم في كل الأرض أن يقتدوا به لا أن يتطاولوا عليه؟!

إنه رحمة الله للعالمين، كما قال رب

للعالمين

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء ١٠٧)

ووجيه الله أن يعلم الجميع أنه سيد ولد آدم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم. فهو يتوجيه من ربه سيد ولد آدم، ورسالته خاتمة الرسالات ودعوته خاتمة الدعوات فهو خاتم المرسلين ودعوته خاتمة فرجب على الجميع في كل الأرض أن يتبعوه، وأن يؤمنوا به وأن يطيعوه، وأن يوقروه فهو أول من ينشق عنه القبر فيبعث يوم القيامة وقد بين أيضا أنه «أول شافع»، يشفع للخلائق من هول يوم الحشر حين تشتد المواقف. لينصرف الناس إلى الحساب، وتلك هي الشفاعة العظمى التي لا يستشفعها أحد من الرسل السابقين فكل رسول يقول نفسي نفسي ولكن أول شافع يشفع هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أيضا أول «مشفع» يقبل الله تعالى شفاعته. فالسيادة ثابتة لرسول الله ﷺ بنص هذا الحديث الصحيح. وأما ما يتردد من قوله: «لا تسيدوني في الصلاة» فليس بحديث بل إن نحيه إلى جانب كونه ليس حديثا، خطأ لغويا إذا الأصح لا تسودوني.

بل إن السيادة ثابتة في القرآن الكريم: «وألفيا سيدها لدى الباب» وفي الحديث «قوموا إلى سيدكم» وقول عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، يقصد بلالا رضي الله عنه وقد حدث بعض العلماء في موضوع سيادة الرسول الله ﷺ في التشهد. وفي الأذان وفي مطلق الأحوال أما في مطلق الأحوال. في غير التشهد والأذان فلا خلاف في أن قول: «سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم» هذا هو الأفضل.

وأما في التشهد والأذان. فقد رأى بعض العلماء الالتزام بالنص الوارد في كلمات الأذان وهو أشهد أن محمدا رسول الله، وكذا في التشهد وعند قول «اللهم صل على محمد» في التشهد فرأوا أن في هذا إلتزاما بالنص الوارد، وأن رسول الله ﷺ عندما سئل: «عرفنا السلام عليك فكيف نصلي عليك»؟ فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد» قالوا فنحن نلتزم بالنص الوارد عنه ولا نزيد.

● وأما رأى الشافعية وغيرهم من رأوا بأن الأفضل أن نقول: اللهم صل على سيدنا محمد وأن نقول وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله. فقد بنوا رأيهم هذا - ونحن نرجحه - على أن الرسول ﷺ من تواضعه لم يقل لهم قولوا اللهم صل على سيدنا محمد بل قال: قولوا اللهم صل على محمد تواضعا منه وفي قولنا «سيدنا محمد» احترام وتوقير وتعظيم له.

وقد وجهنا القرآن الكريم إلى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وطاعته. وبين سبحانه أنه لا خيرة لأحد إذا قضى الله ورسوله أمرا فقال الله سبحانه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

(سورة الأحزاب آية: ٣٦)

ووضح الله سبحانه أنه لا يصح أن نقدم بين يدى الله ورسوله ولا أن ترفع الأصوات فوق صوت النبي ولا نجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض فقال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(سورة الحجرات ٢-٣)

ولسيادة عظمته ومكانته. وشرفه وسيادته أقسم الله تعالى بعمره وحياته فقال:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(سورة الحجر: ٧٢)

وأثنى عليه في القرآن حيث قال الله تعالى

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

سورة القلم (٤)

وفي قولنا: «سيدنا محمد» أدب في جانبه، وأما قولنا: «اللهم صل على محمد» فهو امتثال لنص ما أمر، وهل الأدب أفضل أم الامتثال؟

ونرى أن الأدب في جانبه بقولنا: «سيدنا محمد» أفضل من الامتثال إذا قلنا: «اللهم صل على محمد» والدليل على أن الأدب أفضل من الامتثال ما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والذي يفيد أن الرسول ﷺ عندما كان يصلح بين جماعتين وأخبر أبا بكر رضي الله عنه إذا تأخر أن يصلي بالناس فلما صلى بهم وجاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقف في الصف أخذ الناس يصفقون ليتبهوا أبا بكر رضي الله عنه وكان لا يلتفت في صلاته فلما علم بحضور رسول الله ﷺ تأخر ليتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي بالناس فلما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت لم يمتثل وآثر الأدب بالوقوف خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهت الصلاة قال لهم الرسول ﷺ: ما بالكم أكثرتم التصفيق في الصلاة؟ من نابه شئ في صلاته فليسبح إنما التصفيق للنساء. ثم قال لأبي بكر ما منعك أن تثبت إذا أمرتك؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ، فآثر الأدب على

الامتثال كما يؤيد أن قولنا «سيدنا محمد» أفضل. وقد جاء في بعض الروايات ما يفيد أن الرسول ﷺ ما قال إنه سيد ولد آدم تفاخرا بل ليبين البلاغ لمن تلقيه لمن لا يعرف الناس به، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» رواه الترمذي.

ومما لا شك فيه أن الله أعلم حيث يجعل رسالته. فقد اختار خاتمة الرسالات والشرائع خاتم الأنبياء والمرسلين واختاره من خير القبائل ومن خير البيوت.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، وخير الفريقين ثم خير القبائل، فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا» رواه الترمذي وأكد الرسول ﷺ لأصحابه مكانته في الدنيا وفي الآخرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فإذا بعضهم يقول: عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا فإبراهيم خليله، وقال آخر: ماذا بأعجب من أن كلم الله موسى تكليما، وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر وآدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيه وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» رواه الترمذي

ومعنى كلمة السيد في قوله «أنا سيد ولد آدم» هو الذي يفوق قومه في الخير، وهو الذي يفزع إليه الناس في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم.

والتقييد بيوم القيامة في قوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» مع أنه سيد ولد آدم دائما وأبدا في الدنيا والآخرة وفي يوم القيامة وفي غيره سبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سودده لكل أحد، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين كما قال النووي رحمه الله - وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى

﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

سورة غافر (١٦)

ومعلوم أن الملك لله سبحانه وتعالى قبل ذلك لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليك الملك مجازا فانقطع كل ذلك في الآخرة.

وقوله: «أنا سيد ولد آدم» لم يقله فخرا بل صرح بنفي الفخر في غير رواية الإمام مسلم في الحديث المشهور «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان.

وإنما قال ذلك ﷺ لوجهين الوجه الأول: أنه قاله امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

سورة الضحى (١١)

والوجه الثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى.

قال الإمام النووي رحمه الله: وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب أهل الفقه أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم وأما الحديث الآخر: «لا تفضلوا بين الأنبياء» فجوابه من خمسة أوجه

أحدهم: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبا وتواضعا.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ولابد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

سورة البقرة (٢٥٣)

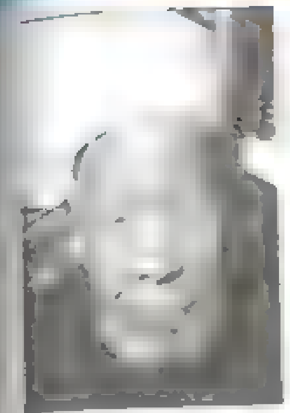
وقوله ﷺ «وأول شافع وأول مشفع» إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الأول.

وهكذا نرى منزلة خاتم الأنبياء والمرسلين، ومنزلة رسالته التي جاء بها رحمة للعالمين، فأخرج الناس بها من الظلمات إلى النور، وصنع خير أمة أخرجت للناس تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الإيمان بالله

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

في أضواء ذكرى المولد النبوى



لفضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم

سيدنا محمد ﷺ هو رحمة الله للعالمين ونعمته المسداة إلى الناس أجمعين عربا وعجما وإلى الجن والإنس. وهو الإنسان الكريم الذى اختصه الله عز وجل فى كتابه الخالد بما لم يُعرف لنبى سبق ولا لرسول تقدم فقد نادى الله عز وجل كل نبى ورسول باسمه ولكنه نادى خيرته من خلقه صلوات الله عليه بقوله مرات (يأيها النبى) وقوله مرات (يأيها الرسول) وجل الله الذى يقول:

﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾

(البقرة: ٣٥)

وقوله:

﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾

(هود: ٤٨)

وقوله

﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾

(الأعراف: ١٤٤)

بينما نرى الله عز وجل يقول

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

ويقول

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الأنفال: ٦٤)

ونجد الله تعالى ينادى رسوله بقوله

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾

(المائدة: ٤١)

ويقسم الله عز وجل بحياة النبى كما لم يقسم بحياة غيره من الأنبياء والرسل فيقول:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

(الحجر: ٧٢)

وما ذكر الله اسم محمد إلا فى مجال الخبر عنه مثل قوله تعالى

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

وقوله تعالى

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

(الأحزاب: ٤٠)

وقوله:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

(محمد: ٢)

وقوله

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

(الفتح: ٢٩)

ذلك تكريم إلهى من الله عز وجل لرحمته العامة ونعمته التامة.

وخذوا كلمة لمنصف من وراء الساحة العربية وهو «جون ديون بورت» فقد نقل صاحب كتاب «الرسالة المحمدية» العلامة الحكيم السيد سليمان الندوى- كبير علماء الهند فى عصره - [illegible] يقول فى كتابه النفائس فى معنى (حلاص) و[illegible] باللغة الإنكليزية وسماه (Appology for Mohammed and Quran) (اعتذار لمحمد والقرآن) واستهله بالكلمات الآتية: «مما لا شك فيه أنه لا يوجد فى قائمة المصلحين والمشهورين أحد اهتم الناس بسيرته ووقائع حياته، وأولوها عناية كبيرة، تكون سيرته ووقائع حياته أوسع بيانا وأصح نقلا وأشمل جهة من سيرة محمد ﷺ»(1).

وأين هذا الكلام على قيمته وصدقه من مثل قول الله تعالى فى مصطفاه:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(التوبة: ١٢٨)

وهى آية من آيات دونت عندى فى معناها. ومن معانيها امتنان الله عز وجل علينا بنبيه محمد الذى جاءنا هدى ورحمة وبشرى رسولا من أنفسنا وأنفسنا كما تذكر قراءة أخرى للآية، عزيز عليه أن تضلوا السبيل وألا تأخذوا من الله البرهان، وبمثل حريص عليكم فى أضواء قول الله عز وجل:

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[الكهف: ٦]

---

(1) الرسالة المحمدية للعلامة [illegible]

وهو عليه الصلاة والسلام يذهب في هذه الآية بصفتي الرأفة والرحمة اللتين هما من صفات الله عز وجل الرءوف الرحيم.

وكلام المنصفين للحق بعد ما تبين خليق بأن تصغي له الآذان وتتحرك به القلوب وتخشع له الأفئدة لتمضي في الحياة بالسراج الوهاج والضياء الذي لا يعتريه انطفاء، به ضياء الإسلام وسراج هذا الكتاب الذي شهد الله عز وجل له بقوله:

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾

(الإسراء٩٠)

وقد نقل الأستاذ محمد فهمي عبدالوهاب في رسالته «محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه» كلام المؤرخ الإنجليزي الكبير «وليم موير» في كتابه حياة محمد ما نصه: لقد امتاز محمد عليه السلام بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول. ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد[3] اهـ.

وكفى بالله شهيدا وهو يقول:

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾

(المائدة ١٥، ١٦)

لقد صلحت برسالة سيدنا محمد ﷺ طباع واستقامت أوضاع وتبين لكثيرين الرشد الذي غطت عليه الأوهام وأفهام أقوام يجادلونك في الحق بعدما تبين ويحرصون على بهارج الحياة وحطام ما لا يساوي مثقال ذرة مما أحل الله عز وجل في كتابه الكريم وهو يقول

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾

(الأعراف ٣٢)

وما جاء محمد ﷺ الناس بشيء من عنده ولكنه الوحي الصادق والدين الحق والكتاب الذي يقول الله تعالى فيه:

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾

(الأنعام ٣٨)

---

(٣) محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه للأستاذ محمد فهمي عبدالوهاب [illegible]

ويقول

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾

(البقرة ٢)

ويقول

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾

(الجمعة ٢)

إنه نبي الحياة المبرأ عن الهوى والله تعالى يقول:

﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ۝ وما ينطق عن الهوى ۝ إن هو إلا وحي يوحى ﴾

(النجم ٢-٤)

ومن معاني ما ذكرت عن الرسول والرسالة يقول «برنارد شو» المؤرخ العالمي والروائي الأشهر: «إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعشق دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمتها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة، وتستمد من فلسفته حل المعضلات وفك المشكلات وحل العقد. وإن كثيرين من الأوروبيين يقدمون تعاليم الإسلام ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة وإني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه لتم له النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير ولحل مشكلاته على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة»[4].

ونبكي إلى لقاء حتام حدث في ذكرى المولد النبوي الشريف ما كتبه الفيلسوف الأديب الروسي تولستوي الذي يقول في كتابه «حكم النبي محمد»: «لا ريب أن هذا النبي من كبار المعلمين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء، وفتح لها طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما، ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام»[5].

ونحن نقول مع العلامة الحكيم السيد سليمان الندوي قال في كتابه الرسالة المحمدية[6]: «فدلوني على أي مؤسس دين أو زعيم مذهب لقي هذا الاهتمام، ونال هذا التحري والحيطة، وقوبل بهذه العناية البالغة في تدوين سيرته وأحواله وترتيب أقواله وسننه وهديه من قبل أتباعه»[6].

ومن حصل على هذه (الجامعية والشمول) غير نبينا وحبيبنا محمد ﷺ اللهم صلى عليه وسلم

---

(٣) محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه ص [illegible]

(٤) حكم النبي محمد للفيلسوف الروسي تولستوي [illegible]

(٥) الرسالة المحمدية ص [illegible]

ردوها لصاحبها ولو حكم لكم بها رسول الله ﷺ

للدكتور / أيمن الغايش

عنوان غريب لم أتصور أن أكتبه يوماً ما ولكنه ما نطق به الرسول ﷺ نفسه. فعندما تأملت العديد من المشكلات الإنسانية حولي وجدت أن سببها أن المتخاصمين حينما يذهبون إلى من يحكم بينهم فإن كل طرف يجمع ما يمكنه من حيل وعواطف وبكاء ودلائل حتى يحكم له أو بمعنى آخر يحكم على خصمه.

إنني أرى هذه المسألة في البيوت والثورة والعمل وفي كل مكان وغالباً ما تنتهي بحكم غير عادل يفسد العلاقة بين الأفراد لمدد طويلة ويبقى من يحكم له بغير الحق يطلب الدعم من القاضي ويطالب المحكوم عليه بالمزيد من الطواعية بينما يطالب القاضي المحكوم عليه بالصبر.

وقد يرى القاضي العدل فيه بتوزيع الأحكام على الطرفين - ولكن غالباً يغفر القاضي لصاحب الحيلة والعصب أو قوة الشخصية والنبرة ويسعى أن ينتظر معه ويحضر حيث يستطرد ويستطيل ويستعرض مع قليل الحيلة والقوة. أليست القوة مطلباً يسعى أن يسعى إليه؟ فما يلاقيه هو جزاء ضعفه ومسكنته.

وفي الغالب يقوم المحكوم عليه بمصالحة المحكوم له وطلب العفو فهو يرى احتياجه أو مصلحته في علاقته بالمحكوم له.

وبعد فترة يتدلل المحكوم له ويبدأ في قهر المحكوم عليه حتى يظهر له أن مجرد الرد عليه أو معاملته بالحسنى هو عين الإحسان ونهاية الإكرام. ولا يجد المحكوم عليه في هذا الوقت أحداً ليشكو إليه فليس أمامه إلا التحمل وانتظار الفرج في لحظة فإن مدة القهر وعمقه وأثره سيطول حتى يعود إلى رشده ويعلن استسلامه مرة أخرى وربما حينها لا يقبل منه ذلك.

أما المرحلة الأخيرة وهي أسوأها على الإطلاق فهي أن يحتقر المحكوم له المحكوم عليه وعندما تمر عليه الخواطر بمراجعة العلاقة السابقة بالطرف الآخر أو يشتاق إليها يجد نفسه محاصراً بالأفكار والعوائق بل والمشاعر التي تمنعه عن ذلك.

﴿[illegible]﴾

([illegible] ٢٤)

إن الظلم ولو مرة واحدة حين لا يجد سوى العدل كفيل بكل هدم وتدمير.

وعندما تبحث عن السبب في كل هذه السلسلة ستجد أنه قبل أن يجد طواعية أكثر من حقه مرة واحدة.

عن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر مثلكم، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحكم له بقدر ما أسمع من حجته، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار" رواه مالك.

والعلاج في ذلك أن يرد من حكم له الحق للمحكوم عليه وألا يلتمس له التبرير لما قضي له به وهذا ليس بالأمر الهين على النفس البشرية الموصوفة بالشح بل لا يفعل ذلك إلا أصحاب نفوس عالية وقلوب طاهرة.

إن من يقبل شيئاً أو نصرة من غير حقه يدفع أضعاف ما أخذه من التعب والتضييق. إن الموظف الذي يرضى بنصرة ظالمة على زميله قضى بها المدير والزوج الذي يرضى بنصرة ظالمة على قرينه قضى بها الوسيط والإدارة المدنية أو العسكرية والحزب الذي يرضى بنصرة ظالمة قضى بها القانون سيلاقي من الآخرين أضعاف أضعاف ما قبله من عطاء بل سيستمر في الشعور بالظلم وإن كان ظلماً جزاء وفاقاً لقبوله للظلم.

وحتى نعيش سعداء ولا نصل إلى كل هذه المراحل المتسلسلة التي يوهم الإنسان في كل مرحلة فيها نفسه بالحق والعدل. أقول لكم ردوها وإن أعطاكموها رسول الله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

(سورة النساء: ١٣٥)

❋❋❋

الخصائص الأدائية والجمالية في الخطابة النبوية

للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم يونس
عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر

ان الخطابة فن أدبى يقصد به إلى التأثير فى نفوس المتلقين عن طريق مخاطبة قلوبهم، وعقولهم. وللخطيب ادوات تاثيرية فى مقدمتها جذب انتباه السامعين وايقاظ ضمائرهم، واثارة مشاعرهم، بما يلقيه الخطيب من عبارات لها ايقاعها المؤثر، وفى صياغتها، وفى نسيج كلماتها وحروفها، وفى إلقائها ايضا، وفى تلوين الصوت جهرا وهمسا وعلوا، وانخفاضا وما إلى ذلك من وسائل تاثيرية متعددة. وكان ظهور الاسلام ايذانا بتطور واسع فى الخطابة إذ اتخذها الرسول ﷺ اداة للدعوة الى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة، حيث ظل ثلاثة عشر عاما يعرض على قومه من قريش وكل من يلقاه فى الأسواق آيات القرآن الكريم، وهو فى أثناء ذلك يخطب فى الناس، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة محاولا بكل طاقته أن يوقظ ضميرهم، بل يصور لهم من قوة الكائن الأعلى مدبر الكون ومنظمه[1].

وللخطابة أهمية قوية وتأثيرية فى الإسلام، فهى مرتبطة بكثير من شعائر وعبادات فى الإسلام - فصلاة الجمعة تسبقها خطبتان، وهما متممتان لشعائر الصلاة، وكذلك صلاة العيدين تعقبهما خطبتان، ولا يكتمل ثواب الصلاة وأجرها إلا بالاستماع إلى خطبة العيدين.

وخطابة المصطفى ﷺ قضت على كل لون قديم من الخطابة الجاهلية لا يتفق وروح الإسلام مثل خطابة المفاخرات، فقد نهى الإسلام عن التكاثر بالأنساب والأحساب.

● وتخالف خطابة المصطفى ﷺ فى رؤاها وأفكارها، وفى صياغتها وتراكيبها.. الخطابة فى العصر الجاهلى، حيث كان المصطفى ﷺ لا يسجع فى خطابته، وكان ينفر منه حتى يلمحا إليه أحد محدثيه كراهية للتشبه بالكهان فى سجعهم.

● والخطابة فى العصر الجاهلى لم تكن ذات موضوع محدد ومن ثم كانت تأخذ شكل أقوال متناثرة، لا رابط بينها. أما فى هذا العصر فقد أصبح للخطاب موضوع واضح يحوم فيه الخطيب ويجول، إذ يحدث الناس واعظا، أو يعرض عليهم حدثا محددا من أحداث الإسلام.

وكان محمد ﷺ يخطب فى العرب على هدى القرآن الكريم ليخرجهم من ظلمات الوثنية إلى نور الهداية السماوية، وقد أوتى من اللسن والفصاحة ما ملك به أزمة القلوب، وكأنما كانت المعانى موقوفة مشخوصها بين يديه ليختار منها ما تهش له الأسماع، وتصغى به الأفئدة.

● ومن خصائص أدبية خطابة المصطفى ﷺ أنه كان يستعمل جميع فمه للتكلم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين، كما يقول هند بن أبى هالة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم.

وقد برأ الله سبحانه رسوله من عيوب النطق الخلقية، التى لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة التبليغ، حيث برئ الأداء السوى فى منطقه من عيوب النطق مثل التمتمة، والفأفأة، وغيرها، وبرئ أسلوبه، ومنطقه من تنافر الحروف ومن التعقيد والمعاظلة، ومن الغرابة المستكرهة، ومن الألفاظ الوعرة الوحشية فى غير قصد أو غرض.

كما برئ منطق المصطفى ﷺ فى خطابته وأحاديثه من عيوب النطق التى تصدر عن مبالغة وتكلف كسبا لرضا المستمعين، واستجلابا لثنائهم، مثل التنطع والتمطق والتفيهق، وغيرها..

● وتتسم خطابة المصطفى ﷺ بالدقة والوضوح وعدم المبالغة، فالخطبة تسيح

(١) انظر الفصل الثانى من هذا الكتاب لمزيد من الإيضاح

متلاحم من الفكر التشريعي الواضح على هدى التعاليم القرآنية.

> وهو ﷺ في أسلوبه الخطابي بعيد عن الانفعال الذي ينأى بالخطيب عن دائرة الحقيقة، فكل ما يتسمو به في خطابته صدق وجد، وترغيب وترهيب، وإرشاد وتشريع، وهداية وتبشير.

ومقدمات خطب الرسول تنبئ عن مقومات الشخصية الإسلامية في إيمانها بالغيب، وتوكلها على الله، وكذلك يهيئ المصطفى ﷺ جو التلقي للمستمعين، ويأتي في مقدمات خطبه بما يلائم أحوال المستمعين، ويهيئهم للجو المناسب لطبيعة الموضوع، ففي أول خطبة خطبها ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه، يقول عبارة موجزة تطمئن النفوس، وتنزع الجزع من نفوس أهل مكة، وتشدهم في صدق وحب ويقين إلى اتباع الإسلام، وإلى حب هذا النبي الكريم، ويقول ﷺ: «إن الرائد لا يكذب أهله»، والرائد هو: المرسل في طلب الكلأ، أي الذي يرسله الناس ليبحث عن مقعد فهو يصدق أهله ودائما لا يخدعهم، بعد أن يطمئن المصطفى ﷺ القوم بهذه العبارة الجامعة الدالة الموحية، يقول لقومه «أهل مكة» في صيغة القسم الذي يؤكد صدق البشير النذير في دعوته، ووفائه بالعهد «والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا وإنها لجنة أبدا أو النار أبدا»[٣]

والمصطفى ﷺ معصوم من الكذب ومن التغرير، ولذلك أتى بأسلوب الشرط وأداته «لو» وهي أداة امتناع لامتناع، فكذبه على قومه مستحيل لأن كذبه على الناس جميعا مستحيل، وكذلك تغريره بقومه مستحيل لأن تغريره بغيرهم من الناس داخل في دائرة الاستحالة، إن المؤانسة والمؤاخاة والمصافاة والمحبة الصافية تسكن حروف هذه الكلمات النقية الحانية، وليس هناك أصفى ودا، وأنقى إخاء، وأشيع عاطفة من إشباع الإحساس بالخصوصية والمودة في القربى، وهذه الخصوصية تعبق بعطرها الإنساني والسوي.

هذه العبارة الحانية الراشدة بما تنشره من ظلال الأمان في النفوس، وبما تزرعه من ثمار الهداية في القلوب.

يقول المصطفى ﷺ لأهل مكة «أحب البلاد إليه»: إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة».

> وبعد هذا التواصل الحميم، وهذا التأثير العميق، يقرر المصطفى ﷺ حقيقة الحقائق، ولب الألباب، وجوهر العقيدة، وصلب الرسالة وهي حتمية الإيمان بالبعث، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وجنة ونار.

ويتوسط دائرة الإيمان بالبعث ووجوبية وجود الجنة والنار محور الوجود الإنساني في حياته الدنيا وضرورة الإيمان بالحساب والجزاء، على ما تقدم من أعمال:

(ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا)

فهي العدالة في أسمى تصور لها، فالخطاب للجميع، والثواب للمحسن، والعقاب للمسيء عملا بقول الله عز وجل:

قال تعالى

﴿[illegible]﴾

(الزلزلة ٧ - ٨)

ويقول تعالى:

﴿[illegible]﴾

(المؤمنون ١٠١)

وفي أول خطبة خطبها بالمدينة نجده يحذر البشرية كلها من الغفلة والتفريط في المسئولية، ويطلعهم على مصير المعاندين، والجاحدين الذين لم يتعدوا تعاليم الله، ولم يطبقوا منهجه في الأرض، ويرشد الناس إلى طريق الخير، وإلى سبيل النجاة من النار، وكل ذلك يتم عرضه في صياغة متنوعة الأساليب وجمل واضحة لا التواء فيها ولا ابتذال.. وإنما تفيض هذه الجمل بالقوة والصدق، والحرص على نجاة كل من آمن بالله ورسوله وبرسالة الإسلام.

ويروي ابن هشام في «السيرة النبوية» عن هذه الخطبة قائلا: وكانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل:

أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه، بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد: (أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه، ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا، فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار، ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته.[٤]

---

(٣) انظر نص هذه الخطبة في جمهرة خطب العرب، تأليف أحمد زكي صفوت ج ١، ويرجع إلى «السيرة الحلبية» والكامل لابن الأثير.

(٤) [illegible]

البشارة بمولد الرسول ﷺ وبعثته



لفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يترقب المسلمون في جميع بقاع الأرض حول شهر ربيع الأول من كل عام للاحتفال بذكرى مولد الرسول الكريم والنبي العظيم الصادق الأمين محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام. ذكرى منقذ البشرية ومخرجها من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد..

لقد عانت البشرية قبل مجيء الإسلام كثيراً من الظلم والقسوة والعذاب، والضلال والشرك والكفر، والتفرقة بين بني البشر، بين الأبيض والأسود، وبين الغني والفقير، وبين القوي والضعيف، وبين الرجل والمرأة، وبين الطبقة الحاكمة وسواد المحكومين، وبين أصحاب الحسب والنسب الذى وضعوه لأنفسهم وبين الخدم والعامة الذين صاروا لا يملكون من أمرهم شيئاً سوى الخنوع والخضوع، والطاعة والولاء لأسيادهم أصحاب الجاه والنفوذ والسطوة والسلطان والأمر والنهي، حتى الأطفال حديثي الولادة لم تسلم عند العرب في الجاهلية من هذه التفرقة البغيضة بين الذكر والأنثى، ويسجلها القرآن الكريم في قوله - تعالى -

﴿[illegible]﴾

(سورة النحل ٥٨ ـ ٥٩)

وأبناء الفرس كانوا ينظرون إلى الأكاسرة كما ينظرون إلى الإله، وأبناء الرومان كان يستعلي بعضهم فوق بعض، ويتحكم القياصرة والأمراء في عامة الشعب تحكم السادة في العبيد والحيوانات..

وهكذا عمت البلوى المجتمعات البشرية قبل الإسلام، وساد قانون الغابة بين الناس، وعاش الناس في رعب الخوف وفزع القلق، وجهالة الغد والمصير... إلى أن بزغ فجر الإسلام وأشرقت شمسه بمولد الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام.

بُشِّرت بقدومك يا سيدي يا رسول الله الكتب السماوية، وترقب مولدك الشريف الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب

إن أمارات النبوة وعلامات الرسالة كانت واضحة جلية على محمد ﷺ منذ ولادته وفي صباه. كان محمد ﷺ قبل الرسالة فتى قريش الذى إليه مطمئنون، وبأمانته يعترفون، وبصدقه يقرون، وباستقامته يضربون الأمثال، فكان يعرف بينهم بالصادق الأمين... وكان عليه الصلاة والسلام ذا مهابة وجلال وجمال وهو في فجر صباه، وكان علما في قومه، فما من قرشي إلا عرف محمد الفتى المستقيم، والشاب الأمين... مع تحاشيه حضور مجتمعاتهم الصاخبة، ومنتدياتهم الفاسدة، فقد عصمه الله من أوزارها، وجنبه المشاركة في عاداتهم الجامحة، وأنجاه ربه من مباذلها... ومن ثم كانت صفحته قبل الرسالة وضاءة الجنبات، وسيرته قبل النبوة عاطرة النفحات...

ذكر أبو هاشم محمد بن ظفر في «خير البشر بخير البشر» خبر أكثم بن صيفي - حكيم العرب - والنبي صلى الله عليه وسلم في سن الحلم، فرآه أكثم، فقال لأبي طالب: ما أسرع ما شب أخوك! فقال: ليس بأخي، ولكنه ابن أخي عبدالله، فقال أكثم: أهو ابن الذبيحين؟ قال: نعم، فجعل يتوسمه ثم قال لأبي طالب: ما تظنون به؟ قال: نحسن به الظن، وإنه لوفي سخي. قال: هل غير هذا؟ قال: نعم، إنه لذو شدة ولين، ومجلس ركين، وفضل متين، قال: فهل غير هذا؟ قال: إنا لنتيمن بمشهده، ونتعرف البركة فيما لمسه بيده، فقال أكثم: أقول غير هذا: إنه ليضرب العرب قامطة[1] بيد حائطة، ورجل لائطة، ثم ينعق بهم إلى مرتع قريب، وورد سريع، فمن اخرورط إليه هداه، ومن اخرورط عنه أرداه.

هكذا توسم وتنبأ حكيم العرب أكثم بن صيفي لمحمد بن عبدالله - عندما رآه - وهو في باكورة صباه.

عليك الصلاة وأزكى السلام يا سيدي يا رسول الله، فقد ظلت البشرية تترقب في لهفة وشوق مولدك الشريف لتشرق بقدومك، وينعم أخيراً الكون كله ببعثتك، وقد تحقق ذلك بعد أن بلغت الرسالة وأديت الأمانة، وتحملت في سبيل ذلك أذى المشركين، وسفه الكافرين، وعناد المكابرين، وضلال المنافقين، وحقد ومؤامرات أعداء الدين، وتحملت كل هذا بقلب كبير رحيم لم يقبل أن يدعو على هؤلاء بالقتل والخسف والعذاب، وأجبت الأمين جبريل حين عرض عليك أن يطبق عليهم جبال مكة بقولك الرحيم: «عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالتوحيد»

سيدي يا رسول الله: تحل ذكرى مولدك العطرة وعالم اليوم قد علا فيه صوت الباطل، وخفت فيه صوت الحق، وعاث الطغاة في الأرض

(١) جامعة

فسادًا، وانقلبت فيه الموازين والمعايير، وعاد الناس إلى سيرتهم الأولى، يفتك فيه الأقوياء بالضعفاء، ويسحق فيه الأغنياء الفقراء، ويعيش المسلمون فيه ـ مع كثرة عددهم وتنوع ثرواتهم وتميز جغرافية بلادهم ـ يعيشون بين عصبية تكالبت عليهم ذئاب البشر، واستأسدت عليهم أراذل الخلق، وتحالفت ضدهم قوى السفهاء، وتعالى عليهم الوضعاء، وتسلط عليهم الأذلاء من القردة والخنازير...

على المسلمين اليوم ـ وهم يعيشون أسوأ مرحلة في تاريخ أمتهم ـ بعد أن مزقتهم الأهواء، وشتت شملهم الأعداء، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا، وركنوا إلى الدنيا وزينتها، وغرقوا في ملذاتها وشهواتها، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، ووصلوا إلى حالة من الاستسلام والضعف، والاستكانة والخنوع، والمذلة والهوان، وتحقق فيهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام: عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أومن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[2].

على المسلمين اليوم أن يدركوا عن عقيدة وإيمان أنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد إلا بالعودة إلى طاعة الله بتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وهجر معاصيه.. واتباع سنة رسوله ﷺ، والاقتداء بسيرته، وأن يتعرفوا عظمته التي تجلت آثارها في أطوار حياته كلها فيقتدوا بها... فطاعة الله ورسوله هي باب العلاج والنجاح، وهي عدة النصر والنجاة...، وأن تتحد كلمتهم وأن يجتمع شملهم وأن يعتصموا بحبل الله ـ تعالى ـ

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣).

وأن يعين قويهم ضعيفهم، وأن يعطف غنيهم فقيرهم وذلك على مستوى الأفراد والجماعات والدول... وأن يحققوا قول رسول الله ﷺ: عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

لا يحتفلون في ذكرى مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسعى الحاكمون لتحقيق ذلك، حتى يرضى عنا ربنا فيكشف عنا كربنا، ويحقق لنا وعده في قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(المنافقون: ٨)

---

(٢) أبو داود.

تأملات في السيرة

لفضيلة الشيخ: الطاهر الحامدي

تحدثنا في العدد السابق عن غزوة بدر الكبرى وسنتحدث بعدها عن غزوة أحد وبينهما وقعت غزوات صغيرة ومناوشات نختار من بينها غزوة بني قينقاع وقبل أن نتحدث عن موقعة بني قينقاع وملابساتها وأسبابها وما جرى فيها أود أن أصارحك أيها القارئ الكريم بأنني أمقت الغدر والخيانة مهما بدى في ناظري أنهما أو أحدهما أقرب سبيل إلى النصر والفوز، لأني أحب النصر والفوز عن طريق الغدر والخيانة ولذلك فأنا أستطيع أن أقول بكل حزم وبكل جد إنني أمقت اليهود لأن الغدر والخيانة طباع أصيلة فيهم فهم أهل غدر وخيانة ليس لهم عهد ولا ذمة على مر التاريخ وكذلك أمقت الحقد والتشفي والغلو فمن يمقت اليهود فهم حاقدون على كل نبيل وتطيش قلوبهم ما يشوهون صورة كل نبيل وتطيش ومن طبيعة خصال الغدر والتشفي أنها توغل في النفس حب الانتقام وتبلغ مداها في نفوس لا تعرف الرحمة لقلوبها سبيلا وأصارحك بأنني لا أثق في كثير من الغرب عموما في عهوده وتعهداته ومعاهداته وكلامه حتى وإن بدى معسولاً براقاً جميلاً، بل كلما رأيته كذلك توجست أكثر لأن التاريخ علمني أن هؤلاء الناس لا عهد لهم ولا ميثاق، إنما ينظرون لمصالحهم وحاجاتهم ومآربهم ولا يتطلعون إلى أي شيء آخر ويأتي في قمة الدول الغربية أمريكا فيا ويلي إننا نشاهد الآن أنها تعبث بأيديها في دول الربيع العربي ورغم ذلك تزعم أنها ترحب بالثورات العربية، إلا أن يديها تعبث في الخفاء ولعلي أتقدم أمولا خطة لتحقيق أغراضها الخاصة وتزعم في بجاحة منقطعة النظير أنها تسعى لنشر الديمقراطية ويا ليت شعري لماذا تسعى بإلحاح لنشر الديمقراطية وترفض نشر الإسلام رغم ما في الإسلام من سماحة ويسر وصدق وخير للإنسانية كلها. هل عرفت أمريكا أن رسول الإسلام لم يحاب إنسانا وإن ادعى أنه يتبع الإسلام صلى وصام وزكى وحج لأنه حبس هرة فلم تشفع له صلاته ولا صيامه لأنه آذى حيوانا ضعيفا لكن مصيره إلى النار. فقال ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض) أرأيت كيف حارب

الإسلام طبيعة الاستعلاء واستعداد للقوة وغرور الاستعلاء. وهل تعلم أمريكا - وأنا أعلم أنها تعلم - أن امرأة مسيئة غفر لها الله سبحانه وتعالى لأنها سقت كلباً بلغ به العطش مبلغه وما ذاك في تصوري إلا لأن فيها نواة لقلب تدب فيه الرحمة فهي رقت لكلب يلهث من الظمأ وذلك هو هدف الإسلام: القلوب الرحيمة

وبعد أن انتهى النبي ﷺ من غزوة بدر الكبرى، ورغم أنه عاهد اليهود في المدينة وكتب بينه وبينهم كتاباً يعتبر نموذجاً أمثل في تعايش بني آدم مع بعضهم وإن اختلفت عقائدهم ومللهم حتى يمكن أن يتعايش الناس في مجتمع مختلف الديانات والعقائد تأمل كيف استقام هذا للنبي ﷺ حتى يكون مجتمعاً متماسكاً يعيش في صعيد واحد

إن أمريكا تتخذ اليوم من اختلاف الأديان والعقائد والملل سبيلاً إلى تشرذم الجماعات وانقسام الأمم لا لشيء إلا لأنها تريد أن تسود هي وأن تقسم العالم إلى قطع صغيرة يمكن التهامها وانقياد إليها لتحقيق مطامعها عكس ما تدعيه وتزعم. لا عليك أخي. لكن دعنا نعود لنذكر أنه بعد انصراف النبي ﷺ من غزوة بدر منتصراً لم يسترح اليهود لهذا وبدأوا يتحينون الفرص ويعقدون الأحلاف ويوزعون من خلالها أساليب التهديد فاجتمع بنو قينقاع وأخذوا يكيدون للمسلمين فبدأوا أعمال الخيانة التي تتنافى مع المعاهدة التي وقعوها مع النبي ﷺ لكي يعيش مجتمع المدينة آمناً مطمئناً وكعادة اليهود إذا ما قدروا أو توهموا أن عندهم القدرة بدأوا يكيدون فأعلم الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بهذا الكيد ورغم هذا الإعلام الصريح من الله سبحانه وتعالى لنبيه بالكيد والخيانة فإن رسول الله ﷺ لم يبدأ بني قينقاع بالهجوم والغارة عليهم رغم أن الإعلام من الله قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنفال ٥٨)

ونحن اليوم نرى أن أمريكا تعتمد على استخبارات تستخدم أساليب رديئة وتتذرع بها في الهجوم على دول العالم لنهب ثرواتها وبينما المسلمون ينتظرون أوامر النبي ﷺ للرد على اليهود لنقض اجتماعهم قدمت امرأة فباعت في سوق بني قينقاع متاعاً لها وجلست إلى صائغ لتشتري حلياً فجعلوا يراودونها عن كشف وجهها فلم تفعل فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فربطه في أعلى ثوبها وهي لا تشعر فلما قامت كشفت عورتها فضحكوا منها فصاحت واستغاثت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله وشد اليهود على المسلم فقتلوه ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ واستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود وغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع فقال ﷺ: (إنما أخاف من بني قينقاع) يعني أني أتوقع خيانتهم وأخاف منهم فلما نزلت هذه الآية سار إليهم وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستخلف على المدينة أبا لبابة وكعادة اليهود أنهم يخافون من القتال المكشوف والحروب خارج المدن لأنهم لا يستطيعون القتال في الأجواء المكشوفة كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الحشر ١٤)

فهم لا يستطيعون ولا يقدرون على المواجهة ولكنهم ألفوا العمل في الخفاء ولذلك فإن (المؤامرة) هي أسلوب حياتهم. ولذلك فإنهم بعد الفعلة الشنيعة وكشف عورة امرأة مسلمة واستعداد النبي ﷺ للهجوم عليهم تحصنوا داخل حصونهم فحاصرهم النبي ﷺ خمس عشرة ليلة حتى قذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا متصاغرين مكرهين على حكم رسول الله ﷺ على أن لرسول الله ﷺ أموالهم وأن لهم النساء والذرية ثم أمر بهم رسول الله ﷺ أن يجلوا من المدينة فلحقوا بأذرعات . فما كان أقل بقائهم بها وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه هو الذي تولى إخراجهم من المدينة فأنزل الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٥١ . ٥٢)

وقوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٥٥ . ٥٦)

ولقد رأينا والتاريخ يخبرنا بأن اليهود انتصروا في عام ٦٧ لأنهم حاربوا وهم داخل حدودهم - فعمدوا إلى الضرب بسلاح الطيران وكذلك انهزموا في ٧٣ لأن مسرح العمليات كان مكشوفاً على أرض سيناء الطاهرة.

وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

احتفاء مجلة الهلال بالنبى محمد ﷺ

الأستاذ / عاطف مصطفى

تعد مجلة الهلال واحدة من المجلات المصرية العريقة التى حملت مشعل الثقافة العربية ودعمت اللغة الفصحى منذ صدورها فى عام ١٨٩٢م وحتى الآن. وظلت مرآة للأمة تسطر حضارتها وتشكل وجدانها المعرفى والحضارى من خلال أساطين الفكر من المصريين والعرب وفى مقدمتهم الشيخ محمد عبده والشيخ على يوسف وطه حسين والعقاد واحمد امين.

وقد شارك العديد من علماء الأزهر ومفكريه فى كتابة نماذج من روائع كتاباتهم وابداعهم فى كثير من قضايا الامة ومن بينهم الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ محمود أبو العيون و ندكتور عبد الحليم محمود والشيخ أحمد حسن الباقورى والدكتور احمد الشرباصى والدكتور أحمد الطيب والدكتور محمد عمارة والشيخ محمود محمد شاكر.

وفى هذا العدد من "مجلة الأزهر" التى تحتفى بذكرى ميلاد الرسول ﷺ نتناول بعض ما قدمته الهلال خلال الاربعين سنة الماضية عن الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه.

أصدرت الهلال عددين بمناسبة قدوم شهر الصوم الكريم، غلاف العدد الأول عنوانه النبى ولوحة فنية للأثر النبوية لمسجد النبوى ومدينته. أما العدد الآخر فجاء غلافه يحمل عنوان محمد ﷺ رؤية جديدة ثم وضعت اسماء كتاب العدد وفى مقدمتهم توفيق الحكيم ود. زكى نجيب محمود ود. بنت الشاطئ وخالد محمد خالد ويوسف السباعى وأنيس منصور ود. محمود على مكى. وبعض كتابات كبار المفكرين والذين رحلوا عن عالمنا وقت تحرير العدد وصدوره ومن بينهم د. طه حسين وعباس محمود العقاد ود. أحمد أمين والشيخ على عبد الرازق والشيخ أمين الخولى والدكتور زكى مبارك وغيرهم.

هذه الأعداد والتى شرفت بالاشتراك فى إعدادها وتحريرها على مدى عملى فى الهلال منذ عام ١٩٦٣م وحتى عام ٢٠٠٩م حققت نسبة عالية فى التوزيع فضلا عن صداها الطيب فى نفوس القراء بما تضمنته من كتابات رصينة عن رسول البشرية الأعظم ﷺ.

رئيس تحرير العدد الأول كان شاعر معروف وهو صالح جودت، أما رئيس تحرير الثانى فكان المفكر والمؤرخ المعروف الدكتور حسين مؤنس.

عالمية دعوته ﷺ

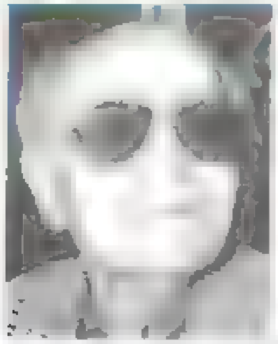
وحرصا منى على نقل بعض ما كتب فى هذين العددين ونحن نقترب من احتفالات العالم الإسلامى كله بذكرى نبينا الكريم ﷺ إلى مجلة الأزهر صاحبة التاريخ الناصع على مدى نيف وثمانين عاما، والتى أسهمت بدور رائد فى إبراز وسطية الإسلام وعالميته من خلال علماء الأزهر البارزين على مدار ما يقرب من قرن كامل من الزمان فإننى أشير إلى ما جاء فى افتتاحية عدد الهلال الذى صدر فى ٢٢ شعبان ١٣٩٢هـ أول أكتوبر ١٩٧٢م.

قال رئيس التحرير: ما أجمل - ونحن فى استقبال أيام رمضان المباركة أن نكون الكلمة عن النبى الذى نزلت عليه رسالة القرآن فى مثل هذا الشهر هدى للناس.

إن رسالة محمد ﷺ ليست مجرد دعوة دينية، وإنما هى قبل ذلك، وبعد ذلك أول دعوة أيديولوجية عالمية نزلت على الناس، قبل أن تظهر أى أيديولوجية من الأيديولوجيات المعاصرة.

ومع هذا فإن أيا من هذه الأيديولوجيات المعاصرة لم تستطع أن ترقى إلى مستوى الإنسانى الذى رفعت إليه دعوة الإسلام الذى نزل للبشر كافة، لم يفرق بين جنس وجنس، ولا بين لسان ولسان، ولا بين أرض وأرض، ولا بين لون ولون ولا بين عنصر وعنصر وإنما جعل المفاضلة بينهم بالتقوى.

بينما الأيديولوجية المعاصرة تسقط معنى التقوى- التى هى قوام الخير والحب والسلام - وتلبس فى ظاهرها ثوب الدعوة الإنسانية، بينما تخفى فى باطنها دعوات العنصرية البيضاء أو الحمراء أو الصفراء وما تنطوى وراءها من مطامع وشهوات.



حسين مؤنس

ويؤكد فى حديثه الافتتاحية على أن رسالة هذا النبى ﷺ هى التى فتحت أبواب الخير والشرف، والعودة عنها هى التى أسقطت المسلمين فى وهدة ما يعانون اليوم من احتلال وانحلال فليكن هذا الحديث عن النبى تذكرة بالعودة إلى الله، فإنها السبيل إلى النصر.. وإن ينصركم الله فلا غالب لكم.

صفات النبى ﷺ

أسماء كثيرة شاركت وأسهمت بالحديث عن الرسول الأعظم عن أخلاقه وغزواته والشعراء الذين مدحوه، وكذلك أصحاب النبى، والمؤامرات اليهودية حول النبى، والاحتفال بالمولد النبوى بدأه العباسيون وزينه الفاطميون، والنبى زوجا وأبا، والتجارة فى حياة النبى.. إلخ.

يقول عنه جبران خليل جبران: أن يكون نبى لم يمت، فمنت حكمة رحمه الله، ولكن النبى الأمى، كان دائما يحض أتباعه على العلم.

كان يقول: العلماء ورثة الأنبياء.

.. كان يطلق سراح الأسير إذا علم مسلما.

وكان يقول دائما: "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"

وكان خلقه القرآن

تصدرت مقالات العدد مقالة بعنوان "أخلاق النبي ﷺ" للدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر في ذلك الزمان. يقول فيه: سئلت السيدة عائشة - رضوان الله عليها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: "كان خلقه القرآن".

ومع أن هذا الوصف من أم المؤمنين واضح وضوحا لا لبس فيه فإننا مع ذلك نحاول له تحديدا نراه ضروريا، وبيانا نراه حتميا.

ذلك أن الأخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم في حده الأدنى وترسم الفضيلة في درجاتها الأولى، ثم لا يقتصر القرآن على ذلك، وإنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق، ويوجه إلى السنام منها، ويقود إلى المشارف العليا من درجات المقربين.

إنه - القرآن - يتحدث عن المقتصد، وعن السابق بالخيرات إنه يتحدث عن أصحاب اليمين، ويتحدث عن المقربين ويبين أنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.

يقول د. عبد الحليم محمود: يحق لنا أن نتساءل، ما الذي تريده السيدة عائشة - رضي الله عنها - حينما تصفه ﷺ - بأن خلقه القرآن؟

هل تريد الخلق القرآني الكريم في حده الأدنى؟ أو تريده في حده الأوسط؟ أو تريده في حده الأقصى؟

ويحكي لنا القرآن الكريم هذه المسألة ويحدد بصورة عامة بطريقة مجملة الدرجة التي وصل إليها الرسول ﷺ من الخلق القرآني فيقول سبحانه لرسوله ﷺ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

يقول صاحب الشفاء: أثنى عليه بما منحه من هيئته، وهداه إليه، وأكد ذلك - تتميما للتمجيد - بحرفي التأكيد، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

قيل القرآن، وقيل الإسلام، وقيل الطبع الكريم، وقيل: ليس لك همة إلا الله. أهـ.

قال الواسطي: «أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه، وفضله بذلك على غيره، لأنه جبله على ذلك الخلق» أهـ.

ويعود الدكتور عبد الحليم محمود ليتحدث عن خلق النبي قائلا: إن القرآن يحسم الأمر حسما لا يدع فيه مجالا للبس ويسفر عنه إسفارا لا يدع مجالا لريب.. يقول الله لرسوله:

[illegible]

(الأنعام: ١٦٢)

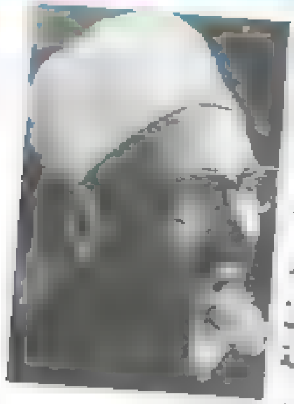
هذه الآية الكريمة تحدد درجة الأخلاق القرآنية التي وصل إليها الرسول (ﷺ) إنها ذروتها وسنامها وقد بعث النبي (ﷺ) ليتمم مكارم الأخلاق بذاته بسلوكه.

وليتممها بقوله برسالته، إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب، وإنما بعث ليتمم مكارمها، ومكارم الأخلاق لم تكن قبل الرسول ﷺ قد تمت، إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد وكانت سمات مكارم الأخلاق متفرقة، كان يتقصها أكمل صفة لمكارم الأخلاق وهي إسلام الوجه لله إسلاما تاما.

النبي في صورة بطل

هذا هو عنوان مقال أحمد نعم كتب هذا الزمان الأستاذ علي أدهم وقد استقى هذا المقال بعد قراءته لكتاب "الأبطال وعبادة البطولة" حيث اهتم بالفصل الممتع الذي اختص به سيدنا الكريم محمد (ﷺ) مشيرا إلى واحد من الكتاب الغربيين الذين أنصفوا نبينا (ﷺ) (يقول كارليل في أحد فصول هذا الكتاب كلاما طيبا عن نبينا الكريم ودافع عنه دفاعا اتسم بالصدق والجرأة ومن بين دفاعه عن النبي أنه رجل الصدق والوفاء، يواصل: "وقد لوحظ عليه منذ صباه أنه كان شابا مفكرا، وقد سماه رفقاؤه: الأمين - رجل الصدق والوفاء، الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره، وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة، وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت، يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لب وفضل وإخلاص وحكمة، لا يتناول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته وكشف ظلمته، وأبان حجته، واستثار دفينته.

وقد رأيناه طوال حياته رجلا راسخ المبدأ، صارم العزم بعيد الهمة، كريما رءوفا تقيا فاضلا حرا، شديد الجد مخلصا، وهو مع ذلك سهل الجانب، لين العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.



عبد الحليم محمود

وقد كان رجلا عظيما بفطرته، ولم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، فأدى عمله وحده في أعماق الصحراء.

المملوء رحمة وخيرا (ﷺ)

ويدحض كارليل حجة الذين كانوا يعزون قيامه بالدعوة إلى الإسلام إلى حب الشهرة والمجد الشخصي فيقول "ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمدا لم يكن يريد بقيامه بالدعوة إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وأيم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات المتوقد المقلتين العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرا وحنانا، وبرا وحكمة، وحكة، وإربة ونهى، ونيات خلاف طلب السلطة والجاه، وليس الطمع وحب الدنيا، هو الذي أثار محمدا واستبعثه.

هذه كلمات وومضات في ذكرى الحبيب المصطفى (ﷺ) سطرها كتاب كبار وما أطيب وأعذب الحديث عنك يا أكرم خلق الله في يوم ميلادك صلوات الله وسلامه عليك.

(يتبع)

قالوا عن محمد رسول الله ﷺ



للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل

«إن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.. إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً يخوله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية».

العالم الأمريكي مايكل هارت

ابراهيم خليل احمد

(١) «هذه هي حقيقة يثبتها التاريخ: فبينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيشان في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله ﷺ، نور وضياء أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام»[١]

(٢) «إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله: (وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية)[٢]»[٣]

(٣) «يقول برنابا: (سيأتي نبي الرسول المرسل من الله لكل العالم، وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة)[٤]»[٥]

(٤) «كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشرى من الله للرحمة. وبشرى متشبرة عن نبياً الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ»[٦]

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٤٧

(٢) إنجيل يوحنا ١٦: ١٣

(٣) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٤٨

(٤) إنجيل برنابا ٨٢: ١٦ - ١٨

(٥) محمد في التوراة، ص١

(٦) نفسه، ص١١٤

(٥) «يقول عيسى (عليه السلام) في إنجيل برنابا: (لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة)»[٧]

ارنولد

(١) «لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنشئ الدعوة الإسلامية ﷺ، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين.. وإذا كانت حياة النبي ﷺ هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام. لذلك نرجو من دراسة هذا المثل أن نعرف شيئاً عن الروح التي دفعت الذين عملوا على الاقتداء به، وعن الوسائل التي ينتظر أن يستخدموها. ذلك أن روح الدعوة إلى الإسلام لم تجيء في تاريخ الدعوة متأخرة بعد أناة وتفكر، وإنما هي قديمة قدم العقيدة ذاتها. وفي هذا الوصف الموجز سنبين كيف حدث ذلك وكيف كان النبي محمد ﷺ يعد نموذجاً للداعي إلى الإسلام»[٨]



ارنولد

(٢) «من الخطأ أن نفترض أن محمداً ﷺ في المدينة قد طرح مهمة الداعي إلى الإسلام والمبشر بتعاليمه، أو أنه عندما سيطر على حيش كبير يأتمر بأمره، انقطع عن دعوة المشركين إلى اعتناق الدين»[١٠]

(٣) «إن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود العشائر المختلفة من النبي ﷺ واهتمامه بالنظر في شكاياتهم، والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم، والسياسة التي أوحت إليه بتخصيص قطع من الأرض مكافأة لكل من بادر إلى الوقوف في جانب الإسلام وإظهار العطف على المسلمين، كل ذلك جعل اسمه مألوفاً لديهم، كما جعل صيته ذائعاً في كافة أنحاء شبه الجزيرة سيداً عظيماً ورجلاً كريماً. وكثيراً ما كان يفد أحد أفراد القبيلة على النبي ﷺ بالمدينة ثم يعود إلى قومه داعياً إلى الإسلام جاداً في تحويل إخوانه إليه»[١١]

---

(٧) نفس المصدر، ص...

(٨) محمد في التوراة، ص١٤١

(٩) الدعوة إلى الإسلام، ص٢٤

(١٠) نفسه، ص...

(١١) نفسه، ص٤٥ عن Myr (Sir William): Life of Mahomet, PP. 107 - 8 (London, 1858 - 1)

واشنجتون ايرفنج

(١) «كان محمد ﷺ خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعو الناس إلى عبادة الله»[١٢]

(٢) «كانت تصرفات الرسول ﷺ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي. ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو»[١٣]

(٣) «لقي الرسول ﷺ من أجل نشر الإسلام كثيراً من العناء، وبذل عدة تضحيات. فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحاً كبيراً، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة»[١٤]

(٤) «برغم انتصارات الرسول ﷺ العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره. فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية. وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ﷺ على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة. فإنها كانت دولة الإسلام. وقد حكم فيها بالعدل. ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثياً لأسرته»[١٥]

(٥) «كان الرسول ﷺ ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام. وفي معونة فقراء المسلمين. وكثيراً ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت ماله. وهو لم يخلف وراءه ديناراً أو درهماً أو رقيقاً. وقد خيره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة»[١٦]

بـــارت[١٧]

(١) «كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي ﷺ أداة لله، ومشرعاً حكيماً، ورسولاً للفضيلة، وناطقاً بكلمة الدين الطبيعي الفطري، مبشراً به»[١٨]

(٢) «كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة، يعيشون فيها فساداً حتى جاء محمد ﷺ ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد، خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس»[١٩]

(١٢) حياة محمد، ص٩٢ (١٣) نفسه ص٢٣٣ (١٥) نفسه ص[illegible]

(١٤) نفسه ص٢٠٢، ٢٠٣ (١٦) نفسه ص[illegible]

(١٧) رودي بارت Rudi, Paret عالم ألماني معاصر، تخصص في الدراسات الشرقية في جامعة هايدلبرج وكرس حياته لدراسة علوم العربية والإسلام وصنف فيها عدداً كبيراً من الأعمال منها ترجمة القرآن الكريم التي استغرقت منه عشرات السنين وأصدرها مع [illegible] [illegible] كتاب عن محمد ﷺ

(١٨) [illegible] (١٩) نفسه ص[illegible]

بـــــروي[٢٠]

(١) «جاء محمد بن عبد الله ﷺ، النبي العربي وخاتمة النبيين، يبشر العرب والناس أجمعين، بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد. كانت الشريعة في دعوته، لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضاً الأمور الدنيوية فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين، ونشر الدين الحنيف... وعندما قبض النبي العربي ﷺ، عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيراً فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية. وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل»[٢١]

بلاشـــير

(١) «إن معجزة النبي ﷺ الحقيقية والمتفردة هي إبلاغه الناس رسالة ذات روعة أدبية لا مثيل لها، فمن هو ذلك الرجل المكلف بالمهام الثقيلة لعبء وهي حمل السور إلى عرب انحازوا في أوائل القرن السابع؟ إن محمداً ﷺ لا يبدو في القرآن إطلاقاً، مضفياً عليه مواهب تنزهه عن الصفات الإنسانية، فهو لا يستطيع في نظر معاصريه المشركين أن يعجز بالاستغناء عن حاجات في حاجاتهم. وهو يصرح بفخر أنه لم يكن سوى مخلوق مثلك

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

(الكهف ١١٠)

وهو لم يتعلق بأي قدرة على صنع المعجزات، ولكنه انتدب ليكون منذراً ومبشراً للكافرين. إن نجاح رسالته مرتبط إذن في قيمتها الإيجابية وإلى شكلها منقطع النظير. ولم يكن محمد ﷺ رغم ذلك، صاحب بيان ولا شاعراً، فإن الأخبار التي روت سيرته لم تحتفظ بذكرى مفاخراته الشخصية، وثمة عوامل تحملنا على الشك فيما إذا كان عرف استعمال السجع، أو أنه تلقى من السماء في زخرف الشعر، وعندما قال عنه المكيون المشركون أنه شاعر، أو حين عرضوا بأن مصدر الوحي جني معروف أنزل الله عنه هذه التهمة

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾

(يس ٦٩ - ٧٠)

وهكذا يطرح هذا الوحي البالغ جماله حد الإعجاز، الواثق بنفسه تماماً، بقوة بيانه على نهاية، كظاهرة لا علاقة لها بالفصاحة ولا الشعر»[٢٢]

(٢) «أما عن انتصار الإسلام فثمة أسباب تداخلت وفي طليعتها القرآن والسنة وحالة انحدار الدينية، ونصح وبيان وأمانة الرجل المرسل لإبلاغ الرسالة المنزلة عليه»[٢٣]

(٢٠) ادوار بروي Edourd Perroy باحث فرنسي معاصر، ومختص في المؤرخين

(٢١) تاريخ الحضارات العام ٣/١٩٢. (٢٢) تاريخ الأدب العربي ٢/٤١، ٤٥ (٢٣) نفسه [illegible]

مارسيل بوازار

(١) «سبق أن كتب كل شىء عن نبى الإسلام ﷺ، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التى نعرفها فى أدق تفاصيلها. والصورة التى خلفها محمد ﷺ عن نفسه تبدو، حتى وإن عمد إلى تشويهها، علمية فى الحدود التى تكشف فيها وهى تسمح فى ظهورة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الدينى وتتيح إدراك عظمته الحقيقة»[٢٤]

(٢) «لم يكن محمد ﷺ على الصعيد التاريخى مبشرا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ، وأثرت فى تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق»[٢٥]

(٣) «منذ استقر النبى محمد ﷺ فى مدينة غدت حياته جزءا لا يتجزأ من التشريع الإسلامى. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته فى أدق تفاصيلها.. ولما كان منظما شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية فى الدفاع عن المجتمع الإسلامى الجنينى، وفى بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبى الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامى فى إبان قيامه وجسدت المناخ الروحى للإسلام.. وكما يظهر التاريخ الرسول ﷺ قائدا عظيما ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحا قوى الشكيمة له سياسته الحكيمة التى تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطى كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات فى الوقت الذى كان النصر العسكرى قد تم بحذافيره. وإذا تذكرنا أخيرا على الصعيد العثمانى هشاشة السلطان الذى كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التى كان لابد أن تجتمع بعائلته لتحظى بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابد أن يكون محمد ﷺ الذى عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانا فوق مستوى البشر حقا، وأنه لابد أن يكون نبيا حقيقيا من أنبياء الله»[illegible]

(٤) «لقد كان محمد ﷺ نبيا مصلحا اجتماعيا، وأحدثت رسالته فى المجتمع العربى القائم آنذاك تغييرات أساسية ماتزال آثارها ماثلة فى المجتمع الإسلامى المعاصر»[illegible]

(٥) «مما لا ريب فيه أن محمدا ﷺ قد اعتبر من كان فى الواقع مؤثرا فى النطاق الذى كان فيه كل نبى مؤثرا بوصفه نبيا، أى بمحاولته تغيير المحيط الذى يعيش فيه»[٢٨]

البردة للبوصيرى

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من إضم

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم

أيحسب الصب أن الحب منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم

وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى
مثل البهار على خديك والعنم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى
والحب يعترض اللذات بالألم

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ولو أنصفت لم تلم

عدتك حالى لا سرى بمستتر
عن الوشاة ولا دائى بمنحسم

محضتنى النصح لكن لست أسمعه
إن المحب عن العذال فى صمم

إنى اتهمت نصيح الشيب فى عذل
والشيب أبعد فى نصح عن التهم

فإن أمارتى بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم

ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسى غير محتشم

لو كنت أعلم أنى ما أوقره
كتمت سرا بدا لى منه بالكتم

من لى برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها
إن الطعام يقوى شهوة النهم

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

وراعها وهي في الأعمال سائمة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع   فرب مخمصة شر من التخم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت   من المحارم والزم حمية الندم
وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم
أستغفر الله من قول بلا عمل   لقد نسبت به نسلا لذي عقم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به   وما استقمت فما قولي لك استقم
ولا تزودت قبل الموت نافلة   ولم أصل سوى فرض ولم أصم
ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى   أن اشتكت قدماه الضر من ورم
وشد من سغب أحشاءه وطوى   تحت الحجارة كشحا مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب   عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته   إن الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من   لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
محمد سيد الكونين والثقلين   والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر الناهي فلا أحد   أبر في قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته   لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به   مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق   ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم   من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فهو الذي تم معناه وصورته   ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه   فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له   حد فيعرب عنه ناطق بفم
لو ناسبت قدره آياته عظما   أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
لم يمتحنا بما تعيا العقول به   حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى   للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد   صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر   وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم
أكرم بخلق نبي زانه خلق   بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف   والبحر في كرم والدهر في همم
كأنه وهو فرد من جلالته   في عسكر حين تلقاه وفي حشم
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف   من معدني منطق منه ومبتسم
لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثم
أبان مولده عن طيب عنصره   يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم   قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدع   كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف   عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها   ورد واردها بالغيظ حين ظمي
كأن بالنار ما بالماء من بلل   حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم
والجن تهتف والأنوار ساطعة   والحق يظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلان البشائر لم   تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم   بأن دينهم المعوج لم يقم
وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب   منقضة فوق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم   من الشياطين يقفو إثر منهزم

كأنهم هربا أبطال أبرهة ... أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما ... نبذ المسبح من أحشاء ملتقم

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة ... تمشي إليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت ... فروعها من بديع الخط باللقم

مثل الغمامة أنى سار سائرة ... تقيه حر وطيس للهجير حمي

أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمي

فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم

ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلم

لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ... قلبا إذا نامت العينان لم ينم

وذاك حين بلوغ من نبوته ... فليس ينكر فيه حال محتلم

تبارك الله ما وحي بمكتسب ... ولا نبي على غيب بمتهم

كم أبرأت وصبا باللمس راحته ... وأطلقت أربا من ربقة اللمم

وأحيت السنة الشهباء دعوته ... حتى حكت غرة في الأعصر الدهم

بعارض جاد أو خلت البطاح بها ... سيب من اليم أو سيل من العرم

دعني ووصفي آيات له ظهرت ... ظهور نار القرى ليلا على علم

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم ... وليس ينقص قدرا غير منتظم

فما تطاول آمال المديح إلى ... ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

آيات حق من الرحمن محدثة ... قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ... عن المعاد وعن عاد وعن إرم

دامت لدينا ففاقت كل معجزة ... من النبيين إذ جاءت ولم تدم

محكمات فما تبقين من شبه ... لذي شقاق وما تبغين من حكم

ما حوربت قط إلا عاد من حرب ... أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم

لها معان كموج البحر في مدد ... وفوق جوهره في الحسن والقيم

فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الإكثار بالسأم

قرت بها عين قاريها فقلت له ... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

إن تتلها خيفة من حر نار لظى ... أطفأت حر لظى من وردها الشبم

كأنها الحوض تبيض الوجوه به ... من العصاة وقد جاءوه كالحمم

وكالصراط وكالميزان معدلة ... فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

لا تعجبن لحسود راح ينكرها ... تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

يا خير من يمم العافون ساحته ... سعيا وفوق متون الأينق الرسم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

سريت من حرم ليلا إلى حرم ... كما سرى البدر في داج من الظلم

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وقدمتك جميع الأنبياء بها ... والرسل تقديم مخدوم على خدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم ... في موكب كنت فيه صاحب العلم

حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق ... من الدنو ولا مرقى لمستنم

خفضت كل مقام بالإضافة إذ ... نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

كيما تفوز بوصل أي مستتر ... عن العيون وسر أي مكتتم

فحزت كل فخار غير مشترك ... وجزت كل مقام غير مزدحم

وجل مقدار ما وليت من رتب ... وعز إدراك ما أوليت من نعم

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ... من العناية ركنا غير منهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

راعت قلوب العدا أنباء بعثته ... كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

ما زال يلقاهم في كل معترك ... حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به ... أشلاء شالت مع العقبان والرخم

تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ... ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم ... بكل قرم إلى لحم العدا قرم

يجر بحر خميس فوق سابحة ... يرمي بموج من الأبطال ملتطم

من كل منتدب لله محتسب ... يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم ... من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة أبداً منهم بخير أب ... وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ... ماذا رأى منهم في كل مصطدم

وسل حنيناً وسل بدراً وسل أحداً ... فصول حتف لهم أدهى من الوخم

المصدري البيض حمراً بعد ما وردت ... من العدا كل مسود من اللمم

والكاتبين بسمر الخط ما تركت ... أقلامهم حرف جسم غير منعجم

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم ... والورد يمتاز بالسيما عن السلم

تهدي إليك رياح النصر نشرهم ... فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا ... من شدة الحزم لا من شدة الحزم

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً ... فما تفرق بين البهم والبهم

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأسد في آجامها تجم

ولن ترى من ولي غير منتصر ... به ولا من عدو غير منقصم

أحل أمته في حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال في أجم

كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

خدمته بمديح أستقيل به ... ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

إذ قلداني ما تخشى عواقبه ... كأنني بهما هدي من النعم

أطعت غي الصبا في الحالتين وما ... حصلت إلا على الآثام والندم

فيا خسارة نفس في تجارتها ... لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

ومن يبع آجلاً منه بعاجله ... يبن له الغبن في بيع وفي سلم

إن آت ذنباً فما عهدي بمنتقض ... من النبي ولا حبلي بمنصرم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه ... وجدته لخلاصي خير ملتزم

ولن يفوت الغنى منه يداً تربت ... إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت ... يدا زهير بما أثنى على هرم

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ... إن الكبائر في الغفران كاللمم

لعل رحمة ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القسم

يارب واجعل رجائي غير منعكس ... لديك واجعل حسابي غير منخرم

والطف بعبدك في الدارين إن له ... صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

وأذن لسحب صلاة منك دائمة ... على النبي بمنهل ومنسجم

ما رنحت عذبات البان ريح صبا ... وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر ... وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

والآل والصحب ثم التابعين فهم ... أهل التقى والنقى والحلم والكرم

يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا ... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر إلهي لكل المسلمين بما ... يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

بجاه من بيته في طيبة حرم ... واسمه قسم من أعظم القسم

وهذه بردة المختار قد ختمت ... والحمد لله في بدء وفي ختم

أبياتها قد أتت ستين مع مائة ... فرج بها كربنا يا واسع الكرم

نهج البردة



لأمير الشعراء أحمد شوقي

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ   أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ[1]

رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَدًا   يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ[2]

لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً   يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي[3]

جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي   جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ[4]

رُزِقتَ أَسمَحَ ما في الناسِ مِن خُلُقٍ   إِذا رُزِقتَ التِماسَ العُذرِ في الشِيَمِ[5]

يا لائِمي في هَواهُ وَالهَوى قَدَرٌ   لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُمِ[6]

لَقَد أَنَلتُكَ أُذنًا غَيرَ واعِيَةٍ   وَرُبَّ مُنتَصِتٍ وَالقَلبُ في صَمَمِ[7]

يا ناعِسَ الطَرفِ لا ذُقتَ الهَوى أَبَدًا   أَسهَرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهَوى فَنَمِ[8]

أَفديكَ إِلفًا وَلا آلو الخَيالَ فِدًى   أَغراكَ بِالبُخلِ مَن أَغراهُ بِالكَرَمِ[9]

سَرى فَصادَفَ جُرحًا دامِيًا فَأَسا   وَرُبَّ فَضلٍ عَلى العُشّاقِ لِلحُلُمِ[10]

٢- الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، والأجم: جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الأسد

٣- رنا: أدام النظر مع سكون الطرف، ويا ويح: كلمة تقال لمن وقع في الشدة والمكروه

٦- شفه الوجد: أمرضه وأنحل جسمه

٨- الناعس: الوسنان

٩- الآلو: ما التقصير

من الموائسُ بانًا بالرُّبى وقَنًا   اللاعباتُ بروحي السافحاتُ دمي[11]

السافراتُ كأمثالِ البدورِ ضحًى   يُغِرنَ شمسَ الضحى بالحَلْي والعِصَمِ[12]

القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ   وللمنيّةِ أسبابٌ من السَّقَمِ

العاثراتُ بألبابِ الرجالِ وما   أُقِلنَ من عثراتِ الدَّلِّ في الرَّسَمِ[13]

المضرماتُ خدودًا أسفرت وجلت   عن فتنةٍ تُسلِمُ الأكبادَ للضَّرَمِ[14]

الحاملاتُ لواءَ الحُسنِ مختلفًا   أشكالُهُ وهو فردٌ غيرُ منقسمِ[15]

من كلِّ بيضاءَ أو سمراءَ زُيِّنتا   للعينِ والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُمِ[16]

يُرَعنَ للبصرِ السامي ومن عجبٍ   إذا أشرنَ أسرنَ الليثَ بالعَنَمِ[17]

وضعتُ خدّي وقسّمتُ الفؤادَ رُبًى   يرتعنَ في كُنُسٍ منه وفي أَكَمِ[18]

يا بنتَ ذي اللِّبَدِ المحميِّ جانبُهُ   ألقاكِ في الغابِ أم ألقاكِ في الأُطُمِ[19]

ما كنتُ أعلمُ حتى عنَّ مسكنُهُ   أنَّ المُنى والمنايا مضربُ الخِيَمِ[20]

من أنبتَ الغصنَ من صمصامةٍ ذكرٍ   وأخرجَ الريمَ من ضرغامةٍ قَرِمِ[21]

بيني وبينكِ من سُمرِ القنا حُجُبٌ   ومثلُها عِفّةٌ عُذريّةُ العِصَمِ[22]

لم أغشَ مغناكِ إلا في غضونِ كرًى   مغناكِ أبعدُ للمشتاقِ من إرَمِ[23]

يا نفسُ دنياكِ تُخفي كلَّ مُبكيةٍ   وإن بدا لكِ منها حُسنُ مبتسَمِ[24]

١٢- العصم: القلائد

١٣- الرسم: حسن المشي

١٤- الضرم: اشتعال النار

١٥- حمل لواء الحسن: كناية عن نهاية الحسن فيه

١٧- العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة

١٨- الكنس (مفردها كناس) وهو مستتر الظباء في الشجر، والأكم: جمع أكمة وهي الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله

٢٠- عنّ الشيء: بان وظهر، ومضرب الخيم: المكان الذي تضرب فيه وتقام

٢١- الصمصامة: السيف، والضرغامة: الأسد، والقرم: شديد الشهوة إلى اللحم

٢٢- العصم: جمع عصمة وهي المنع والحفظ

٢٣- غشي المكان: وافاه، والمغنى: المنزل الذي غني به أهله، والكرى: النوم، وإرم: هي إرم ذات العماد

٢٤- المتبسم: بمعنى المصدر أي التبسم

[illegible] كلمت صحكت … كما يفقأ أذى الرقشاء بالشرم[35]

[illegible] … من أول الدهر لم ترمل ولم تئم[36]

يفنى الزمان ويبقى من إساءتها … [illegible] في الأدم

لا تحفلي بجناها أو جنايتها … الموت بالزهر مثل الموت بالفحم[38]

[illegible] وهي [illegible] … لولا الأماني والأحلام لم ينم[39]

طوراً تمدك في نعمى وعافية … [illegible] في [illegible] والوصم[40]

كم [illegible] ومن [illegible] … [illegible] صابا يرد أو علقما يسم[41]

[illegible] … [illegible] الصحف في [illegible] اللمم[42]

[illegible] … أخذت من حمية الطاعات للتخم[43]

[illegible] على أثر [illegible] … [illegible] داعي [illegible]

صلاح أمرك للأخلاق [illegible] … [illegible] بالأخلاق تستقم

والنفس من خيرها في خير عافية … [illegible] في [illegible]

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى … طغي الجياد إذا عضت على الشكم[46]

[illegible] … في [illegible] يجعلني في خير معتصم[47]

٣٥- الشرم [illegible]

٣٦- [illegible] إذا مات عنها زوجها [illegible] والأيم التي لا زوج لها

٣٧- الأدم [illegible]

٣٨- [illegible] من الشجرة [illegible]

٣٩- [illegible]

٤٠- الوصم [illegible]

٤١- الصاب [illegible]

٤٢- [illegible] اللمم جمع لمة وهي الشعر [illegible]

٤٣- [illegible]

٤٤- [illegible]

٤٥- [illegible]

٤٦- الشكم جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في لجام الفرس

٤٧- [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … عز الشفاعة لم أسأل سوى أمم[39]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] … ما بين مستلم منه وملتزم[43]

علقت من مدحه حبلاً أعز به … [illegible]

يزري قريضي زهيراً حين أمدحه … [illegible] لدى هرم

[illegible] … وبغية الله من خلق ومن نسم[45]

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة … متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمي[46]

[illegible] … فالجرم في فلك والضوء في علم[47]

[illegible] … [illegible]

[illegible] إليه فزادوا في الورى شرفاً … [illegible]

[illegible] … نوران قاما مقام الصلب والرحم[50]

لما رآه بحيرا قال نعرفه … [illegible]

[illegible] … [illegible] عن الإدراك [illegible]

٣٩- [illegible]

٤٠- [illegible]

٤١- [illegible]

٤٢- [illegible]

٤٣- [illegible]

٤٤- [illegible]

٤٥- النسم جمع نسمة وهي [illegible]

٤٦- [illegible]

٤٧- العلم [illegible]

٤٨- [illegible]

٤٩- [illegible]

٥٠- [illegible]

٥١- [illegible]

كم جيئة وذهاب شُرّفت بهما ... بطحاء مكة في الإصباح والغسم(٥٢)

ووحشة لابن عبد الله بينهما ... أشهى من الأنس بالأحباب والحشم

يسامر الوحي فيها قبل مهبطه ... ومن يبشر بسيمى الخير يتسم

لمّا دعا الصحب يستسقون من ظمإ ... فاضت يداه من التسنيم بالسنم

وظلّلته فصارت تستظل به ... غمامة جذبتها خيرة الديم

محبة لرسول الله أُشربها ... قعائد الدير والرهبان في القمم

إنّ الشمائل إن رقّت يكاد بها ... يُغرى الجماد ويُغرى كلُّ ذي نسم

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها ... لم تتصل قبل من قيلت له بفم

هناك أذّن للرحمن فامتلأت ... أسماع مكة من قدسية النغم

فلا تسل عن قريش كيف حيرتها ... وكيف نُفرتها في السهل والعلم؟

تساءلوا عن عظيم قد ألمّ بهم ... رمى المشايخ والولدان باللمم(٥٤)

يا جاهلين على الهادي ودعوته ... هل تجهلون مكان الصادق العلم

لقّبتموه أمين القوم في صغر ... وما الأمين على قول بمتّهم

فاق البدور وفاق الأنبياء فكم ... بالخُلق والخَلق من حُسن ومن عظم

جاء النبيون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جُدُد ... يزينهنّ جلالُ العتق والقدم(٥٥)

يكاد في لفظة منه مشرّفة ... يوصيك بالحقّ والتقوى وبالرحم

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبةً ... حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به ... في كل منتثر في حسن منتظم

بكلّ قول كريم أنت قائله ... تحيي القلوب وتحيي ميت الهمم

سرت بشائر بالهادي ومولده ... في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

---

(٥٢) الغسم: الإمساء، وظلمة الليل.

(٥٣) البيع: جمع بيعة، وهي [illegible]

(٥٤) اللمم: [illegible]

(٥٥) [illegible]

[illegible]

[illegible]

تخطّفت مهج الطاغين من عرب ... وطيّرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت ... من صدمة الحق لا من صدمة القدم

أتيت والناس فوضى لا تمرّ بهم ... إلا على صنم قد هام في صنم

والأرض مملوءة جورًا مسخّرة ... لكلّ طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته ... وقيصر الروم من كبر أصمّ عم

يعذّبان عباد الله في شُبه ... ويذبحان كما ضحّيت بالغنم

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم ... كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم(٥٩)

أسرى بك الله ليلًا إذ ملائكه ... والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لمّا خطرت به التفّوا بسيدهم ... كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلّى وراءك منهم كلّ ذي خطر ... ومن يفز بحبيب الله يأتمم(٦٠)

جُبت السماوات أو ما فوقهنّ بهم ... على منوّرة دريّة اللجم(٦١)

ركوبة لك من عزّ ومن شرف ... لا في الجياد ولا في الأينق الرسم(٦٢)

مشيئة الخالق الباري وصنعته ... وقدرة الله فوق الشك والتهم

حتى بلغت سماء لا يطار لها ... على جناح ولا يسعى على قدم

وقيل كلّ نبيّ عند رتبته ... ويا محمد هذا العرش فاستلم

خططت للدين والدنيا علومهما ... يا قارئ اللوح بل يا لامس القلم

أحطت بينهما بالسرّ وانكشفت ... لك الخزائن من علم ومن حكم

وضاعف القرب ما قلّدت من منن ... بلا عداد وما طوّقت من نعم

سل عصبة الشرك حول الغار سائمة ... لولا مطاردة المختار لم تسم(٦٣)

هل أبصروا الأثر الوضّاء أم سمعوا ... همس التسابيح والقرآن من أمم(٦٤)

[illegible]

(٥٩) البهم: ولد الضأن [illegible] والبلم: صغار السمك.

(٦٠) ذو خطر: ذو قدرة ومنزلة، ويأتمم: أي يقتدي.

(٦١) يريد بقوله منورة درية اللجم: البراق.

(٦٢) [illegible]

(٦٣) سائمة: راعية.

(٦٤) من أمم: من قرب.

وهل تمثل نسج العنكبوت لهم … كالغاب والحائمات والرغب كالرخم[65]

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم … كباطل من جلال الحق منهزم[66]

لولا يد الله بالجارين ما سلما … وعينه حول ركن الدين لم يقم[67]

تواريا بجناح الله واستترا … ومن يضم جناح الله لا يضم

يا أحمد الخير لي جاه بتسميتي … وكيف لا يتسامى بالرسول سمي[69]

المادحون وأرباب الهوى تبع … لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم

مديحه فيك حب خالص وهوى … وصادق الحب يملي صادق الكلم[71]

الله يشهد أني لا أعارضه … من ذا يعارض صوب العارض العرم[72]

وإنما أنا بعض الغابطين ومن … يغبط وليك لا يذمم ولا يلم[73]

هذا مقام من الرحمن مقتبس … ترمي مهابته سحبان بالبكم[74]

البدر دونك في حسن وفي شرف … والبحر دونك في خير وفي كرم

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت … والأنجم الزهر ما واسمتها تسم

والليث دونك بأسا عند وثبته … إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمي[76]

تهفو إليك وإن أدميت حبتها … في الحرب أفئدة الأبطال والبهم[77]

٦٥- [illegible] وهي طائر على شكل النسر، إلا أنه مبقع بسواد وبياض.

٦٦- [illegible] قال الله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) ونسبة اللعن لوجوه الأرض مجاز عقلي، واللاعن من عليها من المسلمين والملائكة [illegible]

٦٧- الجاران: الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه

٦٨- جناح الله: كنفه وستره، ويضم: يلحق به الضيم

٦٩- يتسامى: يتعالى، والاستفهام هنا إنكاري

٧٠- [illegible]

٧١- مديحه حب: أي ناشئ عن الحب أو هو حب أي دال عليه

٧٢- الصوب: الانصباب ومجيء السماء بالمطر، والعارض: السحاب المعترض في الأفق، والعرم: يريد الكثير [illegible]

٧٣- الغابط: الذي يتمنى مثل ما للغير [illegible]

٧٤- البكم: الخرس، وسحبان: هو سحبان وائل [illegible]

٧٥- [illegible]

٧٦- الكمي: لابس السلاح

٧٧- تهفو: هفا الشيء في الشيء يهفو هفوا وهفوا: أسرع وخف فيه، والمراد هنا شدة ميل القلوب له [illegible] وحبة القلب: سويداؤه، والبهم جمع بهمة وهو الشجاع

محبة الله ألقاها وهيبته … على ابن آمنة في كل مصطدم[78]

كأن وجهك تحت النقع بدر دجى … يضيء ملتثما أو غير ملتثم[79]

بدر تطلع في بدر فغرته … كغرة النصر تجلو داجي الظلم[80]

ذكرت باليتم في القرآن تكرمة … وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليتم

الله قسم بين الناس رزقهم … وأنت خيرت في الأرزاق والقسم

إن قلت في الأمر لا أو قلت فيه نعم … فخيرة الله في لا منك أو نعم

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له … وأنت أحييت أجيالا من الرمم

والجهل موت فإن أوتيت معجزة … فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم[81]

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا … لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

جهل وتضليل أحلام وسفسطة … فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفوا كل ذي حسب … تكفل السيف بالجهال والعمم[82]

والشر إن تلقه بالخير ضقت به … ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

سل المسيحية الغراء كم شربت … بالصاب من شهوات الظالم الغلم[83]

طريدة الشرك يؤذيها ويوسعها … في كل حين قتالا ساطع الحدم[84]

لولا حماة لها هبوا لنصرتها … بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

لولا مكان لعيسى عند مرسله … وحرمة وجبت للروح في القدم

لسمر البدن الطهر الشريف على … لوحين لم يخش مؤذيه ولم يجم[85]

جل المسيح وذاق الصلب شانئه … إن العقاب بقدر الذنب والجرم

أخو النبي وروح الله في نزل … فوق السماء ودون العرش محترم

٧٨- مصطدم: بمعنى المصدر، أي الاصطدام أو الموضع، أي موضع الاصطدام وهو ميدان الحرب

٧٩- النقع: غبار الحرب

٨٠- [illegible]

٨١- [illegible] حذفت لغير معنى الرجم القبر

٨٢- العمم: اسم جمع للعامة

٨٣- الغلم: الهائج الثائر

٨٤- الحدم (بالتحريك): شدة احتراق النار

٨٥- لسمر: جواب الشرط في البيت السابق، والطهر: الطاهر من أدران المعاصي، ووصف بالمصدر مبالغة، واللوحان: الصليب الذي [illegible]

علمتهم كل شيء يجهلون به ... حتى القتال وما فيه من الذمم[86]

دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم ... والحرب أس نظام الكون والأمم

لولاه لم نر للدولات في زمن ... ما طال من عمد أو قر من دعم

تلك الشواهد تترى كل آونة ... في الأعصر الغر لا في الأعصر الدهم

بالأمس مالت عروش واعتلت سرر ... لولا القذائف لم تثلم ولم تصم[87]

أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة ... ولم نعد سوى حالات منقصم

مهما دعيت إلى الهيجاء قمت لها ... ترمي بأسد ويرمي الله بالرخم

على لوائك منهم كل منتقم ... لله مستقتل في الله معتزم[88]

مسبح للقاء الله مضطرم ... شوقا على سابح كالبرق مضطرم[89]

لو صادف الدهر يبغي نقلة فرمى ... بعزمه في رحال الدهر لم يرم

بيض مفاليل من فعل الحروب بهم ... من أسيف الله لا الهندية الخذم

كم في التراب إذا فتشت عن رجل ... من مات بالعهد أو من مات بالقسم

لولا مواهب في بعض الأنام لما ... تفاوت الناس في الأقدار والقيم

شريعة لك فجرت العقول بها ... عن زاخر بصنوف العلم ملتطم[90]

يلوح حول سنا التوحيد جوهرها ... كالحلي للسيف أو كالوشي للعلم[91]

غراء حامت عليها أنفس ونهى ... ومن يجد سلسلا من حكمة يحم[92]

نور السبيل يساس العالمون بها ... تكفلت بشباب الدهر والهرم

يجري الزمان وأحكام الزمان على ... حكم لها نافذ في الخلق مرتسم

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت ... مشت ممالكه في نورها التمم

وعلمت أمة بالقفر نازلة ... رعي القياصر بعد الشاء والنعم

86- [illegible]

87- [illegible]

88- اعتزم: عزم

89- على لوائك: أي تحت لوائك

90- [illegible]

91- الوشي: النقش

92- [illegible]

كم شيد المصلحون العاملون بها ... في الشرق والغرب ملكا باذخ العظم

للعلم والعدل والتمدين ما عزموا ... من الأمور وما شدوا من الحزم

سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم ... وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم

ساروا عليها هداة الناس فهي بهم ... إلى الفلاح طريق واضح العظم

لا يهدم الدهر ركنا شاد عدلهم ... وحائط البغي إن تلمسه ينهدم

نالوا السعادة في الدارين واجتمعوا ... على عميم من الرضوان مقتسم

دع عنك روما وآثينا وما حوتا ... كل اليواقيت في بغداد والتوم

وخل كسرى وإيوانا يدل به ... هوى على أثر النيران والأيم

واترك رعمسيس إن الملك مظهره ... في نهضة العدل لا في نهضة الهرم

دار الشرائع روما كلما ذكرت ... دار السلام لها ألقت يد السلم

ما ضارعتها بيانا عند ملتأم ... ولا حكتها قضاء عند مختصم

ولا احتوت في طراز من قياصرها ... على رشيد ومأمون ومعتصم

من الذين إذا سارت كتائبهم ... تصرفوا بحدود الأرض والتخم[93]

ويجلسون إلى علم ومعرفة ... فلا يدانون في عقل ولا فهم

يطأطئ العلماء الهام إن نبسوا ... من هيبة العلم لا من هيبة الحكم

ويمطرون فما بالأرض من محل ... ولا بمن بات فوق الأرض من عدم[94]

خلائف الله جلوا عن موازنة ... فلا تقيسن أملاك الورى بهم

من في البرية كالفاروق معدلة ... وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم[95]

وكالإمام إذا ما فض مزدحما ... بمدمع في مآقي القوم مزدحم

الزاخر العذب في علم وفي أدب ... والناصر الندب في حرب وفي سلم

أو كابن عفان والقرآن في يده ... يحنو عليه كما تحنو على الفطم

ويجمع الآي ترتيبا وينظمها ... عقدا بجيد الليالي غير منفصم

جرحان في كبد الإسلام ما التأما ... جرح الشهيد وجرح بالكتاب دمي

93- الكتائب جمع كتيبة وهي الجيش، والتخم جمع تخوم وهي الفواصل بين الأرضين من معالم الحدود

94- المحل الجدب، والعدم فقدان المال

95- الحشم العيال

ومـا بلاء التي سـكـر بـمـشـتـبـه
بـحـروف وشـعـر وحـدها لـدين في صحف
وحـدك بـالـرشـد [illegible] عن رشـده
[illegible] الـقـدود [illegible] عـهـده
لا تسعد [illegible] لـه حـول به
[illegible] وسلم [illegible] على
صحي [illegible] صلاة لا تـقـطـعـها
[illegible] حي الـليل محـتـملا
رحمة [illegible] لا تـشـتـكي [illegible]
وصال [illegible] عـلـى أن له [illegible]
بين الرحمة [illegible] الدهر ذو حلك
وعـهـد حـبـيـب صلاة [illegible]
[illegible] ذا [illegible] سـيـه
[illegible] الأرض وحمة
[illegible] شعوب من [illegible]
[illegible] ملكه
[illegible] رأي حكمته
[illegible]
يا رب [illegible]

بعد الجلال في الأفعال والخدم
[illegible] من كـبـل ومـحـلـه
في الموت وهو [illegible] عبر [illegible]
في أعظم مرسل قدر كيف لم يدم
[illegible] الحبيب [illegible] العتب عن زعمه
[illegible] عـرفـتـك حـبـر الـرسـل كـلـهـم
أنـا [illegible] من لا [illegible]
[illegible] أو [illegible] من الـورد
ومـا مع حب [illegible] خـلـعـت من [illegible]
جعلت [illegible] الحبيب [illegible]
[illegible] الأسوار [illegible] حـمـى
في [illegible] مرعية [illegible]
[illegible] من حـلـل [illegible] من [illegible]
[illegible] من الأحقاد والنقم
[illegible] من رقدة العدم
[illegible] من [illegible] ومن [illegible]
[illegible] من قاص [illegible]
ولا ترد [illegible] ولا [illegible]
[illegible]

* * *

نهج البردة

للشاعر السوري: ميخائيل ويردي

أنور هادي السوري في كعبة الحرم
وأرسلت [illegible] عن ملك
فـمـرج روحك بالـروح التي ذهبت
وشمت العطر فواحا بروعتها
ومن [illegible]
[illegible] الروح [illegible]
يا ليت احلام عمري لم تضع سدى
ولـيـتـنـي لم [illegible] عرفوا
فكم حبيب إذا [illegible] فكرته
ومن [illegible] حبيبا [illegible]
[illegible] أن [illegible] من [illegible]
واجعل [illegible] رسول [illegible] به
هذا رسول الهدى [illegible]
كـأنـمـا قـلـبـه [illegible] مرحمة
[illegible] ضلعه
وحـدت ربك لم تشرك به أحدا
وكـيـف تـشـرك بـالـرحـمـن آلـهـة

[illegible] علـى ذكـر جـبـران [illegible]
كالروح [illegible] كالزهر [illegible]
[illegible] عن [illegible] دمع [illegible]
[illegible] من عشق [illegible]
بالرأي والفكر قبل الوهم والأرم
فلا تكن للهوى [illegible]
[illegible] من الأوهام [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] قبل البحث في [illegible]
[illegible]
[illegible] أن [illegible] من [illegible]
[illegible] فاق الكرم
من [illegible] شاق كل [illegible]
[illegible]
قد [illegible] نور [illegible]
ولست [illegible] بالإغراء [illegible]
لا يستطيعون رد الروح للرمم

عددت أهلًا في تحطيم مدامعهم … من ينصر الله بالأصنام يصطلم
كأن ربك لم يخلق لدولته … سواك من مرسل بالحق معتصم
أدى الرسالة حتى ضج من سأم … أجداد إبليس واشتد الأسى بهم
وأقلعت بعد إقبال جهنمهم … ولم تجد حطبًا في الأشهر الحرم
كان أحمد بالأصحاب [illegible] … فارتد جيشهم المقهور بالندم
شرع على أقوم الأركان أسسه … للعالمين [illegible] طاهر [illegible]
غذى عقول الورى حتى أتاح لهم … عيش النعيم ونقاهم من الأثم
وعلم الغرب حتى ساد نسلهم … هام الممالك وارتاحت لعدلهم
كأنما الشرع جزء من نفوسهم … فإن هم وعدوا استغنوا عن القسم
قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة … وإن هم قسموا أرضوك بالقسم
وحيدوا ملكهم ريان مؤتلقا … وكل ما شادت الأطماع لم يدم
إن الممالك إن شيدت على جشع … تنهار ولا خير في البنيان للظلم
وقد يمل الفتى بالشيب من أرب … ولا يمل عبيد المال من بشم
أتون نار زفور جد محتدم … والمال يهوى بمخلوق جد مزدحم
لو أدرك المرء أن المال تاركه … كل صحيفة خوان الوداد عمي
ولو درى العاشق الموتور كيف ملا … أحشاءه لم يبت يومًا بقربهم
كعك هم [illegible] الدنيا غصص … تؤدي بصحبتك مثل السم في الدسم
والزهد راحة فكر من متاعبه … فإن دعاك وأعطاه يشفه
[illegible] فعراً وأدهلنا … وأي قلب يسحب الأرض لم يهم
يا أزهد الناس في الدنيا وفي يده … خزائن الملك والأمصار كالخدم
عجبت كيف تعاني الجوع مرتضيًا … حظ الفقير ولم تلتذ بالنعم
ولم [illegible] سبحان [illegible] مرصعة … ولم تكن للألى صلوا بحرمته
تقول ربي أخرجهم من عصابتهم … وتصرف النفس تعنو للورد الشيم
[illegible] النقود [illegible] واستبد بهم … وهم لتصبرهم لحمًا على وضم
كأن أفكارهم من طول ما شقيت … ألفت بأرواحهم في وحدة الحطم
والنار حرقة نفس من ندامتها … يا بؤس من لم يحد عن شر مغتنم
فاسلم [illegible] بروح يعوزها … وما الذي علم الإنسان بالقلم

ولا طعام من البأساء ينقذنا … ولا لباس يقينا شرة [illegible]
وهل تفيدك أبراج مشيدة … والموت في القصر مثل الموت في خيم
والمرء يعمى إذ لم يبق مآثره … تحيا إذا بانت الأجساد في الرجم
والعمر إن طال يومًا لا رجوع له … فهيئ الزاد قبل الشيب والهرم
أسلمت لله أمري فهو يكلؤني … كالزهر في الحقل والأطيار في العلم
ألست يا أيها الإنسان أفضلها … وبارئ الكون قد حلاك بالحكم؟
وكيف تسمو بروح بالثرى علقت … وكيف تعلو على الآساد في الأجم؟
فإن يغب عنك أن العيش مرحمة … فكيف تطمع أن تعلو بلا ألم؟
أقول للمصطفى أعظم بما ابتدعت … آيات سرك من خير ومن نعم
لو يشرع الخلق ما خلدت من سنن … لم يسعف الجهل والإعسار بالأمم
ولم ير الناس أحكامًا وفلسفة … في الاجتماع ستلقيهم إلى العدم
مذاهب أحدثت في الأرض بلبلة … وأورثتنا بلايا الحرب والإزم
أين الزكاة وأين العشر يحمله … أهل الغنى للألى عانوا من السقم؟
هل كنت تبصر ما أودى بعالمنا … من قبل أن فاض بالويلات والنقم؟
أو هل تنبأت عما تم في زمن … تسوده فكرة الإلحاد والشهم؟
نبوة حارب الجبار منكرها … وروع الناس بالتعذيب والحمم
فيا نبي الهدى خبت من علم … بالطهر متسم بالعدل متسم
أحببت دينك لما قلت أكرمكم … أتقاكم وتركت الحكم للحكم
وقلت إني هدى للعالمين ولم … تلجأ إلى العنف بل أقنعت بالكلم
في دينك السمح لا جنس ولا وطن … فكل فرد أخ يشدو على علم
الله أكبر والأكوان فانية … ومن يلذ بجلال الله لا يضم
سبحان من بيديه الملك أجمعه … ويرجعون إليه يوم بعثهم
يا عبقري الورى الأمي هل سمحت … من قبلك العرب وحيًا جد منسجم
آيات الشعر إعجازًا تنزه عن … ند وليس دعي الحب كالسلم
كأنما الناس آلات مبعثرة … أخرجت منها جميل اللحن والنغم
محمد ردد من صلوا وعلمهم … حق النساء اللواتي كن كالرمم
يا فخر أمتنا في الأرض قاطبة … وسيد المصلحين العرب والعجم

عبرت كل شيء: حين صحت بـ
فسألت إن من سدى ... أثرة
حاطت كل ذكي حسب قدريه
وكنت أرى ... المسكين من دون
إن كاد يسحع ض... الناس في حسه
تسرعى نسيته ويرعى كل زميله
فارغ الشخوص سنى ذلك وينصبها
وهب لــ سيد حب ونصحبة
بد لقلوب ذا المتعب انتشت
صد يطهر قومي من تسعسم
حصوة ورعدة عمرهم ضمع
السعت ... ويشعل بـ
فتستح بـ سحوة سحيح أو صرت
أبداء بسائل انسته بـالسهب
وبدمر ومعاتبيه عدت حرتا
يا ليت من شيبوهت ملكاء ...
والسو وأنت مع الانتزاع عرتيه
ومصطفى حنذ في الناس بـ بسرعت
يا أيها العرب بالنور مجدهم
أيصبح حجر تسراعى تحدثك
بالمكر منة تسعى أيسن وته
فتجمعوا مركم فالله وحدكم
وشرع أحمد ... هدمكم
يا أيها مسلمون ... بحركم
فأيدوا ... ديكم
... لا هوى في نفس عشقه
... يا قوم من ... ملاحي

بـ أولئك لسعر عبير لسيدة حسنه
يتعصيب تعرت من آلاء يعصبه
ولم تكن سعى لقوه سالسره
رأت بأمسناله سربا من الصمه
فسألت تسعى بالأرواح كاحسه
رعى الإله المشفق لساكي من لبنه
فقلد الكريمين حب حبير وتشمه
سيها تشردت بين الناس من قسمه
والسود حسن قول يشعر به بسعره
وتسعه يعشق بالأرواح كالرحمة
كأنسهم على بسماء الحق في صمم
سوى أناسي عبير القوه كاحطه
وابعث بها همة يا باعث الهمم
وإن فرعون صد شددوا سوى لسهره
ولكن باحبير عبير الذكر بالإرة
عصى صبائي فأعيننهم عن السد
فإن تحذو من التدريج وحبكم
أولسحو ومحدوح سكن له
... شعت نسه محبتتنه
وسعدي نسه لعريه والرحم
سهتم حقوق سوى كالهنج لشرة
والمكر لـ فكم في حومه حسم
وحد في امركم سحف و...
وسحن حولكم في الحق بسعم
فقيمة حب عندي عظم لقيه
ومن يبح بالهوى يبوء السوى بـ...
ومن يسأل أنس في عالم السعد

صوفية ركبتها لسعى فسعرفت
فاستشهد بالروح في الأفلاك وهو كنت
وقل لمن أدمت الأعداء مهجته
رمت لفؤادي سهمه أحسن فتنته
سمت أن قصيدة سيرا لفرحته
إذ لم يحلــد لفؤادي لحب فالشمس
على أنسية نسائي كما سبت
يا شفحة من جسدي حلمه ساويه
إني صحبا ومحسوب ولو زعموا
فالناس من آدم بالمصطفى جتمعوا
يا أجمل الخلق سيماء وأشرفهم
عشقت ملك صفات حق مدعها
يرسو قسيصحه وحبيب يحلقه
ورب نحو سبير يشكي سكو
وحسن شعري بكم من تمسكم فمن
فيا أحمد سهيد الحق ممدحكم
حبيبة زهى بآيات مشتعلة
لكنهم صورة بالشعر وسعيهم
يا هدى المشكر أهداء الإله لي
إن يمدحوك بآيات مستحقه
... أنت شهدت مراحمه
إن لم تكن بركبين فاتشفع لنا
صلى الإله على محمد في منهج
صلى الإله على مشرق ما صدحت
صلى الإله على ذكراه ما مشتحا

عن المذنب ومن يهوى لعلا يضم
سهري بلاك وحه لنه واستنقم
أنا كتبت من الدنيا بحبيبه
فعجب لعب حريح تابت لقدم
فسرحت عن عليل بالحمال رمي
يا نفس كيف سعى الأرض وعتصم
عرائس البحر صيد لسر في لقمم
كالورد يلبسه في الأسحار من أمم
يا سحمة بالأنسات وترحم
وشرعة حب أد الناس فتشمم
طبعا وأوقدهم بأنعمهم والدم
كالعيد تغشى من لشاعر القيم
ورب حب مخبر حيد بالعصم
فالسم الشمس لم تحرك ولم تره
والسبع مد سال لولا صبيب لديه
فكن صعبي بكم كأنهم عن شعره
والناس أعجر عن أوان وسهم
لاستحبير سيد أمت كالحمه
عـ دة بـ ... فـ صلة النعمه
فأنت تعرف فلسي عن قلوبهم
لشفع سرك بين الناس كشفهم
سحق سرديت الترجيه في أخره
تحتب سهب كحياة لسر في تسعد
ورقاء وهيست عظمه الشيم
حتى تنزه صلاة ستت سلامه

في حب رسول الله ﷺ



لرائد الإحياء الشاعر محمود سامي البارودي

قال يمدح النبي ﷺ:

يا صارمَ اللحظِ مَن أغراك بالمُهَجِ[1] ... حتى فتكتَ بها ظلماً بلا حَرَجِ

ما زال يخدعُ نفسي وهي لاهيةٌ ... حتى أصاب سوادَ القلبِ بالدَّعَجِ[2]

طَرْفٌ لوَ انَّ الظُّبا كانت كلحظته ... يومَ الكريهةِ ما أبقت على وَدَجِ[3]

أوحى إلى القلب فانقادت أزمّته ... طوعاً إليه وخلّاني ولم يَعُجِ[4]

فكيف لي بتلافيه[5] وقد علقت ... به حبائلُ ذاك الشادنِ الغَنِجِ

كادت تذوبُ فؤادي نارُ لوعته ... لو لم تكن من مسيل الدمع في لُجَجِ[6]

لولا الغواني من غزلانِ كاظمةٍ ... ما كان للحبِّ سلطانٌ على المُهَجِ[7]

فهل إلى عَسَلةٍ من عامرٍ عِدَةٌ ... تشفي تباريحَ قلبٍ بالفراقِ شجي[8]

أبيتُ أرعى نجومَ الليلِ في ظُلَمٍ ... يخشى الضلالةَ فيها كلُّ مُدَّلجِ[9]

كأنّ أنجمَه والجوُّ معتكرٌ ... غيدٌ بأخبيةٍ ينظُرْنَ من فُرَجِ[10]

بين غياهبه حَيرى وأنجمُه ... حَسرى وساعاته في الطول كالحِجَجِ[11]

كأنّما الصبحُ خاف الليلَ حين رأى ... ظلماءَه ذاتَ أسدادٍ فلم يَلِجِ[12]

فليت من لامني لانت شكيمتُه ... فكفَّ عني فضولَ المنطقِ السَّمِجِ[13]

يظنُّ بي سَفَهاً أني على سَرَفٍ ... ولا يكاد يرى ما فيه من عِوَجِ[14]

فاعدلْ عن اللومِ إن كنتَ امرأً فطِناً ... فاللومُ في الحبِّ معدودٌ من الهَوَجِ[15]

هيهات يسلك لومُ العاذلين إلى ... قلبٍ بحبِّ رسولِ الله ممتزجِ[16]

هو النبيُّ الذي لولا هدايتُه ... لكان أعلمُ مَن في الأرضِ كالهَمَجِ[17]

أنا الذي بتُّ من وجدي بروضته ... أحنُّ شوقاً كطيرِ البانةِ الهَزِجِ[18]

---

(1) الصارم: القاطع، واللحظ: النظر بمؤخر العين، والمراد باللحظ الصارم: النظرة القاتلة الساحرة.

(2) القلب وسويداؤه [illegible] والدعج: شدة سواد العين مع سعتها [illegible].

(3) الظبا جمع ظبة: حد السيف والسنان ونحوهما. والكريهة: الحرب أو الشدة فيها. والودج: هو الوريد الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

(4) أوحى: أشار، وانقادت: خضعت، والأزمة جمع زمام، وهو المقود أي الحبل الذي تقاد به الناقة، وخلاني: تركني، ولم يعج: لم يرجع.

(5) التلافي: مصدر تلافيت الشيء أي تداركته ولحقته. وعلقت: نشبت وتمسكت. والحبائل جمع حبالة وهي الشرك. والشادن: الغزال [illegible] والغنج [illegible].

(6) اللوعة: حرقة في القلب وألم من حب أو غيره. واللجج جمع لجة وهي معظم الماء.

(7) الغواني جمع غانية.

(8) التباريح جمع تبريح [illegible] تباريح الشوق: توهجه وتوقده. والشجي: الحزين المهموم [illegible].

(9) المدلج: السائر من أول الليل.

(10) والفرج: جمع فرجة، وهي الثغرة.

(11) الغياهب جمع غيهب وهو الظلمة. والحجج جمع حجة وهي السنة.

(12) الأسداد جمع سد. ولج يلج ولوجا: دخل.

(13) [illegible] القبيح.

(14) السفه: الجهل وخفة العقل. والسرف: ضد القصد.

(15) [illegible]

(16) [illegible]

(17) الهمج: الحمقى.

(18) [illegible]

هاجت بذكرك نفسي فانثنت ولها ... وأي صبٍّ بمذكي الشوق لم يهج (29)

[illegible] ونفسي غير صابرة ... على البعاد وهمّي غير منفرج (30)

لا أستطيع براحاً إن هممت ولا ... أقوى على دفع ما بالنفس من حرج (31)

لو كان للمرء حكم في تنقله ... ما كان [illegible] معرجي (32)

فهل إلى صلة الآمال من سبب؟ ... أم هل إلى [illegible] من فرج (33)

يا ربّ بالمصطفى هب لي وإن عظمت ... جرائمي رحمة تغني عن الحجج (34)

ولا تكلني إلى نفسي فإن يدي ... مغلولة وجناحي غير [illegible] (35)

ما لي سواك وأنت المستعان إذا ... ضاق [illegible] موقف الحرج

لم يبق لي أمل [illegible] فلا ... تقطع رجائي فقد أشفقت من حرجي (36)

---

(29) الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد. والصب: العاشق المشتاق.

[illegible]

(31) [illegible] والحرج [illegible]

[illegible]

(33) [illegible]

(34) [illegible]

[illegible]



ذكرى المولد

للإمام الشيخ محمد الخضر حسين

قيلت في حفلة جمعية الهداية الإسلامية بذكرى المولد النبوي الشريف سنة ١٣٥٩ هـ.

أمن خفقان أفئدة رقاق ... تألقت المدامع في المآقي (1)

إذا أفضت يد الإقبال بشرى ... تلقتها الضمائر باختفاق (2)

كما اهتزت غصون لاعبتها ... جنوب باعتناق وانطلاق (3)

وأسعدها الربيع [illegible] ... رباها لاصطباح واغتباق (4)

لقيناها الفخار إذا الليالي ... تباهت بالمحاسن والمراقي (5)

أشارت بالمغيب على ذكاء ... وحفت بالكواكب في نطاق (6)

ومدت في السماء البدر كفا ... تدير الأنس بالكأس الدهاق (7)

ولو رحت [illegible] لقلنا ... [illegible] (8)

---

(1) [illegible] المآقي جمع مأق: مجرى الدمع من العين.

[illegible]

[illegible]

(4) الاصطباح: شرب الصبوح. الاغتباق: شرب الغبوق.

(5) المراقي: جمع المرقى [illegible] الدرجة.

(6) ذكاء: الشمس.

[illegible]

(8) [illegible]

ذكرنا إذ تقلدت المعالي ... حساما قد تهيأ لامتشاق [9]

ذكرنا كيف لاح جبين طه ... وهب الفجر يؤذن بانبثاق

كأن الفجر والميلاد جاءا ... لإجلاء الظلام على اتفاق

ألا من مبلغ قمرا توارى ... وساطع نوره في الناس باق

سلاما كالصبا مرت بروض [10] ... ولا فضتها الكمائم باستباق

أروم مديحه وإخال أني ... ساحظى منه بالسيل الدفاق [11]

فيبهرني علاه كأن فكري ... توثب وهو مشدود الوثاق

تملى سورة صحب فأغنوا ... غناء النجم في الظلم الصفاق [12]

نفوس أخصبت هديا وأدت ... إلى الدنيا جنى عذب المذاق

تحلت بالمكارم وهي أغلى ... من الحلي الخبيئة في الحقاق [13]

وتؤثر غيرها بالزاد زهدا ... وتقنع في المعيشة بالرماق [14]

ولا ترضى إذا خطبت حصان الـ ... ـعلا إلا بغالية الصداق [15]

سراة أحكموا الإصلاح علما ... وهبوا للجهاد على وفاق [16]

دعوا والحجة الغراء تهدي ... إلى سبل الحقائق من تلاقى

وناصبهم خصوم الحق حربا ... فلاذوا بالمثقفة الرقاق [17]

وهل يجدي لأصم بيان قس ... وهل يشفي أخا الأموات راق [18]

فكم شرعوا الأسنة في كفاح ... وكم ملئوا الأعنة في سباق [19]

---

(٩) الامتشاق: امتشق السيف: استله أي أخرجه من غمده

(١٠) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش

(١١) السيل الدفاق: الذي يملأ جنبي الوادي

(١٢) الظلم: جمع ظلمة ضد النور. الصفاق: جمع الصفيق: الكثيف

(١٣) الحقاق: جمع الحق: الوعاء

(١٤) الرماق: ما يسد الحاجة

(١٥) الصداق: مهر المرأة

(١٦) السراة: سادة القوم ورؤساؤهم، جمع السري

(١٧) المثقفة: الرماح

(١٨) قس (... - نحو ٢٣ ق. هـ) قس بن ساعدة من بني إياد، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يقال إنه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه أما بعد

(١٩) الأعنة: جمع عنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة

وإن قاموا قنوتا لم يفتروا ... بعبر ملائك السبع الطباق [20]

هم الأعلام إن طمحت نفوس ... إلى علياء واسعة النطاق

ولا أدري أقومي في سبات ... فأزجر صحوهم أم في سياق [21]

بأشياع الضلال اليوم صالوا ... بألسنة وأقلام حماق [22]

وهم ما بين إخلاد وقاح ... وإلحاد تقنع بالنفاق [23]

وزد شؤم النعاق فما أزاغوا ... به المفتيات أشأم من نعاق [24]

فمن قعص تعاطى فاتنيها ... شرابا ديف بالسم الزعاق [25]

ومن غور تسير هوى وتحدو ... نفوسا كالبدور إلى محاق [26]

أما لشباب أحمد أن يذودوا ... خطوبا كالمطاعن في التراقي [27]

ويرموا للسيادة عن قسي ... من الإيمان والتقوى رشاق [28]

كفى ما قد خسرنا من شباب ... رأوا سوق الخلاعة في نفاق [29]

فعادوها. وكيف ترى فراشا ... تهافت في لظى النار الحراق [30]

وما للمشتكي إن ركبت هواها ... وحطت في المجانة من خلاق [31]

هي المشكوى يرددها لساني ... وما بين الجوانح في احتراق

***

---

(٢٠) القنوت: الطاعة والقيام في الصلاة والدعاء. السبع الطباق: السماوات السبع مطابقة بعضها على بعض

(٢١) السبات: النوم. السياق: نزع الروح

(٢٢) الأشياع: الأتباع والأنصار. حماق: جمع أحمق

(٢٣) الوقاح: ذو الوقاحة المنكر والأنف

(٢٤) [illegible]

(٢٥) ديف: خلط. الزعاق: المر الغليظ

(٢٦) المحاق: آخر الشهر القمري، أو ثلاث ليال من آخره

(٢٧) التراقي: جمع الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، أو أعلى الصدر

(٢٨) القسي: جمع القوس

(٢٩) نفاق: يقال نفقت السلعة أي كثر طلابها

(٣٠) [illegible]

(٣١) المجانة: الهزل. الخلاق: النصيب الوافر من الخير

ذكرى النبى فى الربيع العربى

شعر: السيد الصديق حافظ

يارب صلّ على الحبيب المصطفى ... أهل العدالة والأمانة والوفا

الرحمة المهداة من وسع الورى ... برًا وإحسانًا وفهمًا مدعفا

النعمة المسداة تبهر صحبة ... بنتى قلوب الوادين من الجفا

لو لم يكن فى الكون نور محمد ... لا سود وجه الشمس حزنًا واختفى

رجلٌ.. أبٌ.. زوجٌ.. صديقٌ.. فارسٌ ... جار عاش والوجود به اكتفى

حربى سحر الركب فى إسرائه ... والله وملأ الكون به احتفى

تمت ببيعته النبوة وارتقى ... حتى دنا من ذى الجلال وشرفا

روب إلى نور بارك جانب ... ما زاغ من بصر ولا هو أسرفا

يا من سقى عرس الشباب محبة ... وسماحة وتطهرا وتعففا

ربى وعلم أمة فتعلمت ... ومشت على سنن الهداية مصحف

عقد للواء لدى الفتوة والصبا ... إن لشيوخ سرى القيادة رجف

يعلو بشباب إرادة وعزيمة ... لا يعرفون ترددًا وتحوف

والشيخ رحمى حسح لصغيره ... فالنسر يصعد فى السماء مرفرف

نظر النبى إلى الكنانة راضيا ... فرأى شبابًا رائعًا ومترف

دحلوا فى التحرير حتى يحرحوا ... من أرض مصر لفساد مستعجرف

ما كان أولى أن يخاف ويتقى ... يبوف عمرها بالمهابة مؤسف

والقائلون المغترون مآلهم ... سعار لا يجدون عنها مصرف

«رسالة إلى الحبيب»

شعر: د. محمد إبراهيم العشماوى
مدرس الحديث الشريف بجامعة الأزهر

إذا ما زرت يا مشتاق طه ... وأشرقت المدينة فى رباها

وساد النور واكتشف الحجابا ... وبنت روضة الهادى شذاها

فقبّل بالدموع ثرى حبيبى ... عساها تشتفى منه عساها!!

وقل يا سيد الكونين إنى ... أحبك يا أعز الخلق جاها!

تيتمت أختى بحماك من ... حماك على البسيطة قد حماها

وأتيت لشفاعة يوم حشرى ... فلا ملجا ولا منجى سواها!

وما قد شئت فاسأل لا تبالى ... فساح الجود منسيع مداها!

فإن قضيت أوطار التلاقى ... وفاض الجود من نفحات طه!

فبلغ سيدى منى سلامى ... فقلبى فى محبته تناهى!

وأخبره بأنى فى اشتياق ... لطلعة وجهه عللى أراها!

فتسعد مهجتى وتقر عينى ... وأبلغ فى الحياة منتهاها!

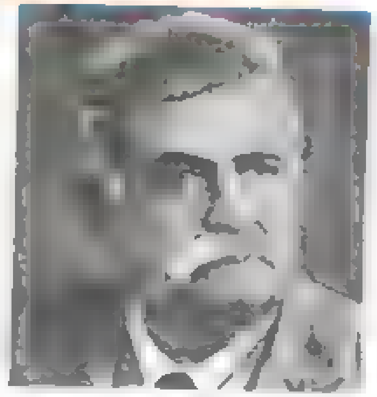
حبيبى لا تدرى اليوم قرنا ... فمن تتركه ضلّ إذن وتاها

فكل رعية فى الخلق راع ... وظلت فى الرعية قد رعاها!

دواء النفس عندك يا حبيبى ... فهل داويتها مما دهاها؟

عليك صلاة ربى كل حين ... إذا اشتحر الصحب ربكم وباهى

مقتطفات شعرية



شبلي شميل

(١٢٦٩ ـ ١٣٣٥هـ ١٨٥٣ ـ ١٩١٧م)

دع من محمد في سدى قرآنه ... ما قد نحاه للحمة الغايات

إني وإن أك قد كفرت بدينه ... هل أكفرن بمحكم الآيات

أو ما حوت في ناصع الألفاظ من ... حكم روادع للهوى وعظات

وشرائع لو أنهم عقلوا بها ... ما قيدوا العمران بالعادات

نعم المدبر والحكيم وإنه ... رب الفصاحة مصطفى الكلمات

رجل الحجا رجل السياسة والدها ... بطل حليف النصر في الغارات

ببلاغة القرآن قد خلب النهى ... وبسيفه أنحى على الهامات

من دونه الأبطال في كل الورى ... من سابق أولاحق أو آت

الشاعر القروي رشيد سليم الخوري

(١٣٠٥ ـ ١٤٠٤هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٨٤م)

عيد البرية عيد المولد النبوي ... في المشرقين له والمغربين دوي

عيد النبي ابن عبد الله من طلعت ... شمس الهداية من قرآنه العلوي

بدا من القفر نورا للورى وهدى ... يا للتمدن عم الكون من بدوي

يا فاتح الأرض ميدانا لدولته ... صارت بلادك ميدانا لكل قوي

يا قوم هذا مسيحي يذكركم ... لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوي

فإن ذكرتم رسول الله تكرمة ... فبلغوه سلام الشاعر القروي



خليل مطران

(١٢٨٨ ـ ١٣٦٨هـ ١٨٧١ ـ ١٩٤٩م)

بأي حلم مبيد الجهل عن ثقة ... وأي عزم مذل القادة الصيد

أعاد ذلك لمعنى الأمي أمته ... شملا جميعا من الغر الأماجيد

صعبين راضهما توحيد معشرهم ... وأخذهم بعد إشراك بتوحيد

تلك تالية القرآن في عجب ... بل آية الحق إذ يبغي بتأكيد

وزاد في الأرض تمهيدا لدعوته ... تمهيده للمسيحيين واليهود

وبدئه الحكم بالشورى يتم به ... ما شاءه الله عن عدل وعن جود

هذا هو الحق والإجماع أيده ... فمن يفنده أولى بتفنيد!

عبد الله حلاق

(١٣٢٩ ـ ١٤١٧هـ ١٩١١ ـ ١٩٩٦م)

قبسٌ من الصحراء شعشع نوره ... فمحا ظلام الجهل عن دنيانا

ومشى [illegible] ... وأريج [illegible]

بعث الشريعة من غياهب رمسها ... فرعى الحقوق وفتّح الأذهانا

مسرحى لأمى يعلم سفرة ... نبغاء يعرب حكمة وبيانا

[illegible] ... [illegible]

إني مسيحيٌّ أجلُّ محمداً ... وأراه في سفر العلا عنوانا

[illegible] ... [illegible]

إني أباهي بالرسول لأنه ... صقل النفوس وهذّب الوجدانا

ولأنه [illegible] ... [illegible]

جاك صبرى شماس

إني مسيحيٌّ أجلُّ محمداً ... وأجلُّ ضاداً مهدها الإسلامُ

وأجلُّ أصحاب الرسول وأهله ... حيث الصحابة موقف وإمامُ

كحّلتُ شعري بالعروبة والهوى ... ولأجل (طه) تفخر الأقلامُ

[illegible] ... [illegible]

ولهُ أيضاً:

يمّمتُ (طه) للرسول الروحاني ... ويجلُّ (طه) الشاعرُ النصراني

يا خاتم الرسل الموشح بالهُدى ... ورسولَ نُبلٍ شامخ البنيان

ماذا أسطر في نبوغ محمد ... درب [illegible]

أنا يا محمد من سلالة يعرب ... أهواك دين محبّة وتفان

وأذود عنك [illegible] ... حتى ولو أُجزى بقطع لسان

كبرتْ شأنك في فصيح بلاغتي ... [illegible]

مهما مدحتك يا رسولُ فإنكم ... فوق المديح وفوق كل بيان [2]

حليم دموس

(١٣٠٥ ـ ١٣٧٦هـ ١٨٨٨ ـ ١٩٥٧م)

لمحمدٍ والمجد بعض صفاته ... مجّدتَ في تعليمك الأديانا

[illegible] ... [illegible]

ورفعتَ ذكر الله في أمّية ... وثنية وتفتحتها الإيمانا

مسرحي لأمّي يتعلم سفره ... نبغاء يعرب حكمة وبيانا

إني مسيحي بحب محمد ... وأراه في فلك العلا عنوانا

---

(٢) [illegible] القومي ـ طبعة القاهرة ـ مكتبة مدبولي الصغير سنة ٢٠١١م.

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحميد

«حقا»

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

«فضل رسول الله ﷺ»

فإن فضل رسول الله ليس له حد

فيعرب عنه ناطق بفم

كالزهر في ترف، والبدر في شرف

والبحر في كرم والدهر في همم

من أسماء رسول الله ﷺ

«الماحي»: الذي يمحو الله به الكفر.

فقد جاء ﷺ إلى هذه الدنيا وهي غارقة في طوفان من الوثنية والشرك يعبدون غير الله ويركعون أمام الأصنام صنعوها بأيديهم ثم يلجأون إليها لتجلب لهم الخير أو تدفع عنهم الضر!!

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم

إلا على صنم قد هام في صنم

دلائل النبوة

من دلائل نبوته ﷺ لجمال الدين يحيى ابن يوسف الصرصري يقول:

محمد المبعوث للناس رحمة

لئن سبحت صم الجبال مجيبة

فإن الصخور الصم لانت بكفه

وإن كان موسى أنبع الماء بالعصا

وإن كان إبراهيم أعطى خلة

فهذا حبيب بل خليل مكلم

والرتبة العليا الوسيلة دونها

ولهو إلى الجنات أول داخل

يشيد ما أوهى وهى الضلال ويصلح

لداود أو لان الحديد المصفح

وإن الحصا في كفه ليسبح

فمن كفه أصبح الماء يطفح

وموسى بتكليمه على الطور يمنح

وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح

مراتب أرباب المواهب تلمح

له بابها قبل الخلائق يفتح

هؤلاء دعا لهم رسول الله ﷺ

● لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: «اللهم اجعل أبابكر معي في درجتي في الجنة» (رواه أبونعيم).

● لعمر بن الخطاب: رأى ﷺ على عمر ثوبا، فقال: «ثوبك هذا غسيل أم جديد؟». قال: لا، بل غسيل، قال: «البس جديدا وعش حميدا ومت شهيدا» (ابن ماجة).

● لعثمان بن عفان: «اللهم اغفر لعثمان ما تقدم وما تأخر وما أخفى وما أعلن، وما أسر وما أجهر» (رواه الطبراني).

● لعلي بن أبي طالب: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه» (رواه الحاكم).

● لسعد بن أبي وقاص: «اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته وحببه» (رواه ابن عساكر).

● لعبدالله بن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (رواه ابن أبي شيبة).

● للحسن والحسين: «اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما» (رواه النسائي).

حراس رسول الله ﷺ

سعد بن معاذ «حرسه يوم بدر»

الزبير بن العوام «حرسه يوم الخندق»

محمد بن مسلمة «حرسه يوم أحد»

ولما نزل قوله - تعالى -

﴿ والله يعصمك من الناس ﴾

(المائدة ٦٧)

خرج صلى الله عليه وسلم - على الناس وأخبرهم بها وصرف الحرس.

فاطمة الزهراء ترثي النبي ﷺ

عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما فرغنا من دفن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقبلت عليّ فاطمة، فقالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التراب؟ ثم بكت ونادت: «يا أبتاه أجاب ربا دعاه. يا أبتاه من ربه ما أدناه. يا أبتاه من ربه ناداه. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. يا أبتاه!! جنة الفردوس مأواه».

وروى أنها وقفت على قبر أبيها المصطفى - صلى الله عليه وسلم وأنشدت:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها

وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما نعيت وحالت دونك الكتب

من دعاء الرسول ﷺ

● اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا.

● اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا، وفي أعين الناس كبيرا.

● اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق، والرضا بالقدر.

● اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك.

● اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني وانقطاع عمري.

● اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا، واحفظني بالإسلام راقدا، ولا تشمت بي عدوا ولا حاسدا.



الديــن (٧)

للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز

٢- الطبيعة الثائرة العنيفة

يرى [illegible] الإنجليزى جيفونس Jevons أن النظر فى مشاهد الطبيعة كان على الجملة هو منشأ العقيدة الإلهية. ولكنه يقرر فى كتابه «المدخل إلى تاريخ الديانات» Introduction to the History of Religion أن الظواهر العادية لا تكفى فى إيقاظ هذه الفكرة؛ لأنها لتكرر عرضها على الحواس تألفها النفس، فلا تحتاج إلى التماس تفسيرها. أما الحوادث الأرضية المفاجئة، والعوارض السماوية النادرة، التى يضطرب بها النظام العادى، كالبرق، والرعد، والعواصف، [illegible] والخسوف والكسوف، والزلازل، فإن تأثيرها على المشاعر كتأثير دق الجرس، فى تنبيه الغافل وإيقاظ الوسنان، ذلك أنه قد [illegible] فى [illegible] البشرية، و[illegible] أيضا، استحالة أن يحدث شئ من لا شئ، حتى إن الطيور والدواب لتفزع عند سماع صوت مزعج، وتلتفت إلى جهة الصوت شعورا بأن له فاعلا، فكان من الطبيعى أن هذه الحوادث الفجائية الرهيبة تزعج من يشهدها، وتحفزه إلى السؤال عن مصدرها[1]. وإذ كان لا يرى لها سببا ظاهرا، اضطر عقليا أن ينسبها إلى سبب خفى ذى قوة هائلة. [illegible] القسمة الثنائية.

على أن جيفونس لا يرى مانعا من أن يكون التأمل فى الحوادث العادية والسنن الكونية المستمرة [illegible] شعور، ولكنه يرى أن ذلك لا يكون إلا بنظرة ثانية، عند هدوء البال، وتضج الفكر، وانزياح أسباب السهو والغفلة، وعلى هذا يكون شعور الرهبة والخشية [illegible] من شعور الإعجاب.

[illegible] بأن أكثر الأسئلة التى أثيرت بصدد التفسير الأول والأجوبة التى قدمت عنها، يمكن أن تسرى على هذا التفسير، لأنهما تفسيران من نوع واحد.

غير أن هذا التفسير، وقد تفادى الاعتراض الأول الذى وجه إلى تفسير «ميلر» قد تعرض لنقد وجيه، أشار إليه سباتييه[2]، وهو أن شعور الرهبة والخوف من القوى العلوية لا يكفى وحده لتفسير [illegible]، ولابد له من شعور آخر يوازنه ويلطف من حموته. ذلك أن الخوف إذا استأثر بالنفس سحق الإرادة، وشل الحركة، وولد اليأس. ومن وقع فريسة للرعب إن لم يتصور إمكان الخلاص لم يفكر فى البحث عن [illegible]، فلابد لتحقيق الشعور الدينى من مقاومة الخوف والرهبة بما يعادلهما من الأمل والرجاء، اللذين يحثان على الدعاء والتضرع. وهذه هى حقيقة التدين.

المذاهب الروحية المشهورة
باسم الحيوية Animisme

رأينا فى التفسيرات السابقة كيف تتولد العقيدة الإلهية عن النظر فى صحيفة الكون المادى [illegible] هذه التفاسير بالمذهب الطبيعى [illegible] الأولى [illegible]

والآن نأخذ فى بيان النظرية المقابلة لها، وهى النظرية التى اشتهرت تسميتها باسم المذهب الحيوى Animisme ونسب إليها أن الأصل [illegible] روح بشرى.

لا ريب عندنا فى أن وضع المذاهب على هذا النحو من التقابل بين المادة والروح، فيه شئ كبير من [illegible] الفكرة [illegible] العادة؛ فقد قلنا غير مرة أن العادة توجه دائما إلى [illegible] روحى غير مادى، [illegible] رئيس المذهب الطبيعى «ماكس ميلر» يصرح بأن النظرة فى عجائب الأفلاك والعناصر، لا تلبث أن [illegible] قوى روحية [illegible] الأزلية [illegible] فى موضوع [illegible].

[illegible] الاختلاف فى هذه [illegible] بين مختلف التفاسير، وإنما الخلاف فى نقطة الابتداء وطريقة الانتقال: فبينما يرى المذهب الطبيعى أن هذه القوة أو القوى الروحية المسيطرة على العالم، إنما جاء الاعتقاد بها عن طريق الحدس أو التأمل فى عالم المادة (استرشادا بعظمة الصنعة ومعقوليتها، على مهارة صانعها وعاقليته؛ كما يستدل على وجود قوة عاقلة فى الإنسان [illegible] فى الأقوال والأفعال، من غير أن يبصر أحد تلك القوة أو يلمسها) يرى المذهب [illegible] أن [illegible] روح [illegible] فى [illegible] على [illegible]، ويكون [illegible] فى هذا التفسير أشد منه فى المذهب الطبيعى. فهناك الانتقال من مادة إلى روح، وهنا من روح إلى روح.

هذه النظرية الروحية [illegible] فى كتاب «المدنية البدائية»، وتابعه عليها مع تعديل يسير الفيلسوف الإنجليزى هربرت سبنسر Herbert Spenser فى كتاب «مبادئ علم الاجتماع» Principes de Sociologie.

[illegible]

1- [illegible]

Le sacré n'est pas [illegible]

[illegible]

L'idée de majesté est [illegible] religieuse ibid p. 87

[illegible]

2- Auguste Sabatier, ouvrage cité p. 13

إيقاظ الاعتقاد بالروح علويه وسفليه بالمعنى الذي . كما يجمل بنا بعد ذلك أن نسلك في تقرير النظرية منهجا مستقلا يتعدى إلى لبها وجوهرها، قبل الإشارة إلى عناصرها الإضافية القابلة للمناقشة.

ليس المقصود بالروح هنا - حسبما يوحي به التعبير غير الموفق باسم المذهب الحيوي - مبدأ الحياة الحيوانية، أعني تلك القوة التي تقوم عليها وظائف التغذي والتنفس والحس والحركة، بل المقصود نوع آخر أسمى من ذلك، هو مبدأ الحياة المفكرة، والإرادة المنظمة، والعاطفة، والضمير، وبالجملة مبدأ الحياة العاقلة الرفيعة.

كل أحد يستطيع أن يميز بين هذين النوعين، ويدرك أن هذه الروح، التي هي خاصة الإنسانية، ذات كيان مستقل عن تلك الروح المشتركة بين الإنسان والحيوان.

فنحن نرى النائم والمغمى عليه والمصروع يتنفسون ويتغذون ويمشون، فهم أحياء بالحياة الحيوانية ليس غير، حتى تعود إليهم تلك القوة الخاصة فيعود إليهم شعورهم المنظم وتفكيرهم المستقيم.

هذه التجربة تجربة صحيحة، والفكرة التي استنبطت منها، وهي التمييز بين القوتين، فكرة سليمة، لا يزال العلم يقررها حتى يومنا هذا.

ولكن الفكر، إذا أرسل على سجيته، لا يقف عند هذا الحد في الاستنتاج، بل إنه يصعد من المعرفة العملية بين الوظيفتين، إلى المعرفة الذاتية بين القوتين، فيجعل منهما مبدأين منفصلين، وجوهرين مستقلين. حتى إذا تقرر عنده هذا الطابع الاستقلالي انتقل به خطوة أخرى. ذلك أنه متى فقدت هذه الروح العاقلة، حين تغيب عن البدن بالنوم، لم تصبح عدما محضا، أخذ يتساءل: لم لا يكون الأمر كذلك في انفصالها بالموت؟ - نعم إن تناوب الحياة والموت على الشخص الواحد لم يتحقق في تجربة تعديه كتناوب اليقظة والنوم عليه ولكن الحكم بعودة الروح إلى البدن بالفعل، أو عدم عودتها إليه، شيء، والحكم بأنها بانفصالها قد أصبحت عدما صرفا شيء آخر لم يقم عليه دليل، بل تأباه الطباع السليمة، وتقاومه غريزة الحياة النفسية، الموصولة من أحد طرفيها بماض لا تطيق تناسيه، وتحرص على استبقاء ذكرياته، ومن الطرف الآخر بمستقبل تنتظر فيه عودة الغائب وإن بعدت غيبته، ووجدان المفقود ولو طال فراقه. بل نقول إن هذا الحكم تأباه العادة العقلية التي تستمد أحكامها من تجارب الواقع ومشاهداته المستمرة: فكما أنه ليس من المألوف أن شيئا يصبح لا شيء، وكل ما يتصوره العقل في فقد الأشياء إنما هو تغير صورها، وتبدل أوضاعها الزمانية والمكانية فالتصور الطبيعي لظاهرة الموت أنها انفصال لعنصري المادة والروح، يرجع به كل منهما إلى طبيعته وبيئته: فتعود المادة إلى عالمها، وتأخذ الروح صورة أخرى من صور الوجود الغيبي. وهكذا ينشأ الاعتقاد بوجود أرواح مستقلة عن الأبدان.

وهنا تجيء الحلقة الرابعة والأخيرة في هذه السلسلة المتصلة، بل في هذه الدوائر المتداخلة، من التفكير الطبيعي. ذلك أن انتقال العنصر الروحي من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ليس من شأنه حتما أن يضعف سلطانه، بل من المعقول أنه قد يزيده قوة؛ لأن الروح في عهد اتصالها بجسم معين تظل شبه أسيرة بهذا الهيكل، مقصورة بتدبيره، وليس لها سلطان مباشر على غيره من الكائنات. ولذلك ليس من حقها في هذه الحال أن تسمى روحا مسيطرة وإنما هي نفس مسخرة. فإذا ما قدر لها أن تنفصل عن ذلك الجسم بالنوم أو بالموت أو بسبب آخر أصبحت جديرة باسم «الروح»، وأصبحت أوسع مجالا، وأملك لحرية العمل في الميدان الذي تختاره: إن نفعا وإن ضرا، من حيث لا يشعر بها أحد.

ولا تحسبن هذه الحلقة الأخيرة ضربا من الشطحات الخيالية، أو التجريدات العقلية المعتمدة على محض التشهي أو الفروض الممكنة، فالواقع أن الفكر قد يلجأ إليها إلجاء لتفسير ظواهر معينة لا يجد لها تفسيرا آخر. ذلك أنه كثيرا ما يحدث في ميدان النشاط الإنساني حوادث عجيبة، تخرج خروجا بينا، علوا أو انحطاطا، عن المستوى المألوف للناس، أو المألوف للشخص نفسه في مجرى حياته العادية، بل لا يكاد يخلو عصر من العصور من وجود هذه الشذوذ التي لا يعرف لها سبب ظاهر تنتسب إلى سبب من تلك الأسباب العضوية الترابية. فالعارف الماهر، والشاعر الملهم، والخطيب المفوه، والبطل الموفق، والقائد الذي لا يخطئ سهمه، والحاسب السريع الجواب، الحاضر الجواب، من غير استعانة بقرطاس ولا قلم، في أطول المسائل وأشدها تعقيدا، والأعمى الذي يخبر بكل ما رأى وقد سمع، كل أولئك يبعث معاصريهم وعشيرتهم إلى أنهم قد أمدوا بروح خيرة، ذات قوة خارقة. وبعكس ذلك يقال فيمن يصاب بالصرع أو الجنون، وفيمن يولعون بالرذائل المنكرة، أو بجرائم الشذوذ المنكرة، إنهم قد مستهم روح خبيثة شريرة.

أضف إلى هذا كله ضروبا من التجارب الجزئية في الرؤيا الصادقة، والفراسة السديدة، والإلهام الكاشف، والعلم بالحوادث البعيدة ساعة وقوعها، ورؤية الأشباح، وسماع الأصوات، إلى غير ذلك من الظواهر التي لا يستطيع تفسيرها بسبب من الأسباب العادية.

وليس يعنينا أن تكون كل هذه الملاحظات والتجارب والاستنباطات سليمة مستقيمة، ولكنها في جملتها يتعاون بعضها مع بعض على تكوين الاعتقاد في غيبين:

١ - أن في الوجود كائنات عاقلة لا يقع عليها الحس، سواء أكانت في الأصل أرواحا بشرية انفصلت عن أبدانها، أم كانت منذ بدايتها أرواحا مستقلة كالجن والملائكة، أم كانت روحا أعلى من ذلك وأسمى.

٢ - أن هذه الكائنات الغيبية مزودة بتلك القوة الخارقة، قد تتصل بعالم النفس أو عالم الحس من جهة الأسباب وتترك فيه أثرا من آثارها العجيبة.

هكذا نشأت عقيدة التأليه من أقرب مقدماتها وأيسرها.

فذلك الكائن الغيبي، الذي كانت المذاهب الكونية تستنتجه استنتاجا من مطالعة الآثار العظمى في عالم المادة، أصبحت تشتق صفاته من جنس عمله نفسه، ومن نوع التجارب التي دلت عليه، فهو لا ريب روح عظيم، ذلك الذي يصنع الأسرار والعجائب الروحية، وهو لا شك عقل خلاق، ذلك الذي يمد العقول بمزيد من النور أو يكف عن إمدادها.

سيقول قائل: لكن أليس تنوع هذه الآثار العجيبة آية على اختلاف مصادرها، كما أن تعدد الأسباب دليل على اختلاف مسبباتها؟ وإذن لم يكن في الغيب كائن فعال واحد، بل كائنات كثيرة. فهل كلها استوجب التأليه والعبادة؟

(٣) لا يفوتنا أن نسجل هنا أن نزعة الاعتقاد في تلك القوى السرية - سيرها لا تختص بأمة معينة من الأمم ولا بدين خاص من الأديان بل إنها تعم الشعوب متحضرة وغيرها [illegible] وما هي إلى الشعوب الحديثة سائرة اليوم في طريق تدعيمها بالتجارب والوسائل العلمية فيما يسمونه علم الروحانيا.

[illegible] وعلتها

[illegible] لا ترى [illegible] منها. فإنها تعد آلهتها وتعدها بعدود الحوادث الفردية أو النوعية وأعدادها. فروح هذا الولي أو [illegible] من حوله البركات، إلخ، وقرين ذلك الكاهن أو العراف الذي صدقت نبوءته أو فراسته، إلخ، والروح الذي هبط على الشاعر الملهم فحل [illegible] ما أوحي إليه...

[illegible] في مواجهة كل أثر روحي عجيب ثم يخرجون [illegible] حقيقي [illegible] محدودة [illegible]، الخاضعة لعوامل الحدوث والفناء وتقلبات الظهور والاختفاء، للتفكر في الكائن الغيبي الأعظم، الأزلي الأبدي، الذي بيده مقاليد الأرواح والأشباح على السواء.

فمثلهم كمثل الذي يرى تفرق منابع الأنهار في الأرض، ولا يذكر أن مردها جميعا إلى أصل واحد، هو الماء الذي أنزله الله من السماء فسلكه ينابيع.

وأما العقول النافذة في بواطن الأمور، المحتفة [illegible] ولا تلهيها حركات هذه الجنود المنتشرة في السموات والأرض عن التوجه إلى قيادتها العليا: إلى رب الأرباب، ومسبب الأسباب، الذي لا تخلو وثنية [illegible] لا يذكرونه إلا قليلا

[illegible] الطريق [illegible]

«تيلور» وأتباعه في بيان تولد العقيدة الإلهية عن التجربة الروحية:

لقد ذهبوا إلى أن هذه العقيدة تمت على مرحلتين: «الأولى» الاعتقاد في بقاء أرواح الموتى «والثانية» الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر.

[illegible] فكرة الروح فيها تعتمد في جوهرها على تجربة «الأحلام» وعلى التفسير البدائي لهذه التجربة. وخلاصته أن الحلم عند البدائيين: انتقال حقيقي لروح الشخص المرئي، أي لجسم شفاف على صورته، هو أشبه بظل أو مثال له، ينشق منه [illegible] على شكل طيف، كما ترى صورة الشخص في [illegible] كما تتعلق بالأحياء، بمعنى أن أرواحهم أي مثلهم تجئ إلى الرائي في المنام كما تجئ أرواح الأحياء، دل ذلك على بقاء أرواح الموتى، واستمرار [illegible]

أما المرحلة الثانية، وهي عبادة أرواح الكواكب والعناصر الطبيعية، فلهم في تفسيرها [illegible] العقلية البدائية فيها من سذاجة الطفولة ما يقصر بها عن التمييز بين الجماد والحيوان، ويجعلها تعامل كلا منهما معاملة الكائنات الحية، كما [illegible]

وأما «سبنسر» فإنه يرفض هذا التفسير بحجة أنه لا ينطبق على نفسية الطفل، ولا على نفسية الحيوان، فضلا عن العقلية «البدائية»، ويرجع أن عبادة الطبيعيات ليست نتيجة التباس عقلي كما زعم تيلور، [illegible]

[illegible] الأسلاف [illegible] يسمون أبناءهم بأسماء مواد طبيعية، فكان بعضهم مثلا يسمى «نجما» والآخر «نمرا» والثالث «حجرا» فانتقل التقديس من أصحاب تلك الأسماء إلى [illegible] نفسها

خلطا بين الاسم المنقول لمجرد التمييز، والاسم الدال على أصل معناه.

وهذا التفسير، كما ترى، [illegible] فكلاهما يجعل [illegible] مبنية على اعتقاد حيوية الأفلاك، وكلاهما يجعل هذا الاعتقاد قائما على وهم [illegible] وكلاهما يجعل العبادة موجهة إلى [illegible] لا إلى روح مدركة مهيمنة غيبية

كما أن عبادة الأسلاف، في التفسير المتفق عليه بينهما، مبنية في جوهرها على نوع واحد من التجارب، وهو تجربة الحلم، وعلى تفسير [illegible] لتلك التجربة [illegible] روحية في تقريرهما معلقة على حيث [illegible] الملكوت

ولقد [illegible] لمهاجمة هذه النقطة الضعيفة في النظرية: مبينا أن البدائيين ليسوا في حاجة إلى تفسير ظاهرة الأحلام، وأنهم إن احتاجوا إلى تفسيرها فليس الطريق الذي وصفته النظرية متعينا، إلخ. ونحن نحتفظ من بين هذه الوجوه بوجه واحد نحرص على تقريره وتأييده، لصحته وصلته بجوهر الموضوع فحسب، ولكن لأنه في الوقت نفسه يحدد فكرة «عبادة الأسلاف» تحديدا معقولا، ويبرز أسبابها الحقيقية، ذلك أن تجربة الحلم إن سلم أنها تكفي للاعتقاد بالروح فإنها لا تكفي بمجردها لتعليل الاعتقاد بألوهية مصدرها، فإن من الرؤى ما هو هذيان وأضغاث أحلام، ومنها ما هو مجرد ذكريات ماضية عادية. وليس شيء من [illegible].

وهو الرؤى التي يتجلى فيها معنى الوحي والإلهام بحوادث غير متوقعة، أو بحقائق لا تدرك بنور العقل البشري العادي. ومن جهة أخرى فإنه لا يعرف في أمة من الأمم أن احترامها للموتى أو الأسلاف وصل بها إلى عبادة جميع الموتى أو جميع الأسلاف؛ وإنما الذي كان موضعا لهذا التقديس من بينهم من كان قد عرف في حياته بقوة خارقة لمتازة تركت أثرا باقيا في الطبيعة أو في المجتمع. فليس الموت إذا شرطا ولا سببا في هذا التقديس، وإنما معيار التقديس هو تلك القوة السرية الخارقة، أو تلك الجوهرة الإلهية التي تتجلى آثارها في الحوادث الإنسانية العظيمة.

أما سائر الوجوه التي أتعب الناقد فيها نفسه، وظن أنه قد نقض بها التفسير الروحي من قواعده، فإنها مناقشات شكلية لم تمس إلا الصورة البدائية التي وصفتها النظرية وطبعتها بطابع الخرافة؛ ومازال جوهر التفسير الروحي سليما لا غبار عليه [illegible]

والواقع أن عالم العجائب الروحية ليس بأقل من [illegible] الألوهية، بل هو أمس بها رحما، وقد أسلفنا أن [illegible] وأقوى بنيانا من تلك الصورة البدائية. وقد اعترف الناقد بأنه «كما لا تخلو أمة من ديانة، كذلك لا تخلو من فكرة عن القوة الروحية» [illegible]

«يتبع»

Durkheim, ouv. cite p. 343 -

سوابق التقنين في بعض البلدان الإسلامية والعربية

الأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي غانم

تعددت محاولات التقنين وتجاربه على مدى القرنين الأخيرين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩ و ٢٠ الميلاديين). وتباينت تلك المحاولات والتجارب من حيث درجة النضج من حالة لأخرى على امتداد بلدان العالم الإسلامي.

كانت البدايات الأولى للتقنين في مجال المعاملات المدنية. إذ كانت هي الأيسر مقارنة بمجال الأحوال الشخصية التي تشتمل - فيما تشتمل - على أحكام الأسرة. وهي أحكام عصية على الاستلاب من الأنظمة القانونية التي وفدت في ركاب حركة المد الاستعماري.

لقد بات واضحا منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري أن العودة لكتب الفقه ومدوناته القديمة لم تعد ميسورة لأغلبية القضاة. وخاصة بعد أن تعقدت المعاملات، وتداخلت أطرافها بين الأهالي والأجانب، وفيما بين الأهالي أنفسهم. وكانت «مجلة الأحكام العدلية» هي أهم خطوة خطتها الدولة العثمانية في طريق التقنين كما أسلفنا. واستمر تطبيقها حتى ألغيت سنة ١٩٢٦م في تركيا ضمن عمليات التغريب الشاملة الأتاتوركية واستبدل بها القانون السويسري.

أما في أغلبية بلدان العالم العربي فقد استمر تطبيق أحكام المجلة إلى عقود متأخرة من القرن الماضي (ظلت مطبقة في الأردن مثلا إلى سنة ١٩٧٦م). ولازال بعضها مطبقا في لبنان.

وقد عني الفقهاء والباحثون بالمجلة وشرحوها. كما كان الفقهاء القدامى يشرحون المتون الشرعية. متبعين في شروحهم تبويب المجلة لا التبويب الفقهي[١]، كما أقامت المجلة الصلة الوثيقة بين الأحكام الحديثة والفقه الشرعي في المسائل المسكوت عنها في القوانين الحديثة. وهي مسائل متنوعة. كما أوجدت المجلة فرصة عظيمة لإعادة تدوين مسائل الفقه الإسلامي المتناثرة في مراجع الفقه الحنفي في مرجع واحد سهل المأخذ، ومنظم وفق الهيكل المعتاد في الدراسات القانونية الحديثة، مما أقام الصلة بين خبراء القانون والفقه الحنفي. وتشهد على ذلك الدراسات القانونية المقارنة على امتداد أكثر من مائة عام.

كانت المجلة وسيلة فعالة لتخليص الفقهاء من الجمود المذهبي. الذي كاد أن يؤدي إلى إحلال القوانين الغربية إحلالا شاملا محل الفقه الإسلامي وأحكامه، وخاصة مع صبق الفقه الحنفي في أبواب المعاملات والشروط بوجه خاص[٢].

وبالرغم من أهمية المجلة في تدريج محاولات التقنين الحديث في العالم الإسلامي. فإنها كانت تعاني من عيوب كثيرة تناولها فقهاء القانون وشراحه. ومنهم العلامة عبدالرزاق السنهوري. ولكن السنهوري قبل أن ينبه إلى بعض تلك العيوب أقر بأنها عمل رائد، ونم عن جهد تشريعي رصين، وأن لواضعيها علما غزيراً بالفقه الإسلامي، وقدرة واسعة على الصياغة التشريعية.

ومن الإنتقادات التي وجهها للمجلة أنها كانت أقرب إلى أن تكون قانوناً للعقود المدنية، لا العقود والالتزامات. فإنها لم تتضمن نظرية عامة للالتزامات إذا استثنينا بعض النصوص الخاصة بالمسئولية التقصيرية[٣].

---

(١) عثمان بن عبدالله الصالح البريكان، مرجع سابق
http://www.arabyat.com/ar_files/kbk albrak.ppt

(٢) الإصلاح التشريعي في مصر، مرجع سابق

(٣) انظر عدنان و السنهوري من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدني العراقي وحركة التقنين المدني في العصور الحديثة، مجلة القانون والاقتصاد، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، عدد خاص، الجزء الثاني ١٩٩٢، ص٤٤

هذا إلى جانب أنها اقتصرت على أرجح الأقوال من المذهب الحنفي، دون الالتفات إلى أقوال وآراء المذاهب الأخرى. الأمر الذي جعلها أقل مرونة في مواجهة الوقائع والمستجدات المختلفة على امتداد رقعة واسعة من الولايات العثمانية التي شملتها أحكامها لعقود طويلة من الزمن. وانتقد السنهوري الصياغة التشريعية للمجلة أيضا - رغم إقراره بأنها جاءت متقدمة بالنسبة لزمنها - ومن ذلك أن أسلوبها في بعض النصوص لا يتفق مع الأسلوب التشريعي الرصين الذي يقتصر على الأمر والنهي في صيغة أحكام مقررة، فتجد فيها أسلوبا تعليميا فقهيا أولى بلغة الفقه منه بلغة التشريع[4].

وإذا كانت «المجلة» عملا رسميا، تبنته الدولة العثمانية وفرضته على أغلبية ولاياتها، فإن محاولة محمد قدري باشا كانت جهدا فرديا، وعملا عبقريا، وقد جاءت محاولته في سياق عدم رغبة الخديوي إسماعيل في أن يعمل بما جاء بمجلة الأحكام العدلية، حتى يقطع صلته بدولة الخلافة العثمانية، وفي الوقت نفسه صارت الحاجة ملحة إلى وضع قوانين جديدة وفق الصياغات العصرية. فاتجه المقننون على الفور إلى القانون الفرنسي ينقلون عنه ويستلهمون منه مواده القانونية، وكان هذا أول خطوة للخروج على الفقه الإسلامي، متعللين بأن الكتب الفقهية ليست مؤلفة على نظام الكتب القانونية الحديثة ذات المواد المرتبة والمرقمة وأنه يصعب على القضاة الرجوع إليها.



نوبار

ويذكر السنهوري باشا أن الامتيازات الأجنبية كانت وراء توجه مصر لوضع تقنين مدني، وأن نوبار باشا رئيس الوزراء في عهد إسماعيل أراد أن يخفف من وطأة تلك الامتيازات، فأنشأ المحاكم المختلطة، ومن ثم وضعت التقنينات المختلطة (المدني، والمرافعات، والتجاري، والبحري، والجنائي، وتحقيق الجنايات).

في سنة ١٨٧٥ انطلقت تلك المحاكم. وقد وضعها محام اسمه مانوري (Manoury) وكان مقيما في الإسكندرية في ذلك العهد، واتخذه نوبار سكرتيرا له، ثم عينه بعد ذلك سكرتيرا للجنة الدولية التي كانت تدرس مشروع إنشاء المحاكم المختلطة بمصر. وينقل واضع التقنينات المختلطة نصوصه من التقنينات الفرنسية، لأنها كانت أكثر شيوعا في ذلك العهد[5].

ومن المفيد أن نستطرد هنا في بيان وجهة نظر السنهوري باشا بشأن الملابسات التي أحاطت بوضع التقنين المدني المصري القديم، والعلل الكامنة خلف وضع ذلك التقنين، وكيف كان رد الفعل تجاهها. يقول السنهوري «لما استقر الأمر بالمحاكم المختلطة وقوانينها، تطلعت الحكومة المصرية في ذلك العهد إلى إنقاذ البلاد من الفوضى التي كانت سائدة في القضاء المصري، وكان يلي أمره مجالس غير منتظمة إلى جانب المحاكم الشرعية.

وكانت القوانين التي تطبق في تلك المجالس هي القوانين المعمول بها في الدولة العثمانية، مع اعتبار العادات المحلية في البلاد، كما كان يطبق القانون التجاري العثماني المأخوذ من القانون الفرنسي. فتألفت في أواخر سنة ١٨٨٠م لجنة لوضع تقنينات لمحاكم نظامية تقوم بالقضاء بين المصريين، كما (كانت) تقوم المحاكم المختلطة بالقضاء بين المصريين والأجانب، ومن بين أعضائها محام إيطالي اسمه موريوندو (Monondo) هو الذي وضع التقنين المدني للمحاكم المصرية الجديدة. وكان قدري باشا ناظرا للحقانية (العدلية) في ذلك العهد. وقد اشترك مع اللجنة في عملها، وتقيدت اللجنة بتقنينات المحاكم المختلطة إلى حد أنها كادت تنقلها بحروفها وصدرت التقنينات الأهلية في ١٢ من شعبان ١٣٠٠هـ/ ٢٨ من يونيو ١٨٨٣م»[7]. وقد انتقد السنهوري باشا التقنين المدني القديم، ووصفه بأنه «معيب من حيث الموضوع، ومن حيث الشكل.. يقلد القانون الفرنسي تقليدا أعمى، فينقل كثيرا من عيوبه..»[8].

كان مشروع النظام القضائي للمحاكم الأهلية قد تم إنجازه، بموجب قرار من مجلس النظار (الوزراء) صدر في ١٠ من صفر سنة ١٣٠٠هـ/ ٢١ من ديسمبر ١٨٨٢م)، وصارت هي المحاكم العامة في مصر، وحددت اختصاصات المحاكم الشرعية في [illegible] والأوقاف، واختصت المحاكم الجديدة بالنظر في دعاوى الحقوق المدنية والتجارية بين الأهالي وبين الحكومة

ويبدو أن ذلك التوجه التغريبي - في القانون والقضاء - كان من أهم الأسباب التي استثارت همة محمد قدري باشا آنذاك - وكان قد شارك في اللجنة التي أعدت تقنين المحاكم الوطنية سنة ١٨٨١م مع موريوندو الذي عمد إلى نقل إلى ذلك التقنين مع التقنين المدني للمحاكم المختلطة الذي كان قد صدر قبل ذلك في مصر سنة ١٨٧٢م[9] وإلى جانب تلك الاستثارة، لا بد أن هناك عوامل أخرى ذاتية دفعت قدري باشا إلى بذل محاولته الرائدة في تقنين أحكام الشريعة، والنهوض إلى وضع كتبه الثلاثة التي تدحض المزاعم القائلة بأن

---

(٤) المرجع نفسه، ص [illegible]

[illegible] الأعمال التي تقنن الشريعة، وهذا التشابه شكلي محض، أما المضمون والروح فمختلفان كل الاختلاف.

(٥) عبدالرزاق السنهوري، المرجع السابق، ص١.

(٦) [illegible]

(٧) المرجع السابق نفسه) ويعني هذا أن عملية تحديث القوانين والمحاكم كانت متحيزة [illegible] نوبرت، وهو ما سعى قدري باشا لاستدراكه قدر استطاعته وبجهد فردي منه

(٨) السنهوري، المرجع السابق، ص١١، ١٥

(٩) انظر عبدالرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية الالتزام بوجه عام مصادر [illegible] النشر للجامعات المصرية ١٩٥٢ [illegible]

الفقه الإسلامي يعاني من قصور لا يمكن استدراكه، ومن ثم لا يكن ثمة حاجة إلى صياغات عصرية للقوانين التي يطبقها القضاة في المحاكم المختلفة. وفي رأي السنهوري باشا أن قدري باشا هو «زعيم مدرسة التقنين ورائدها الأول» في مصر. وقد استند قدري باشا إلى المذهب الحنفي، واسترشد فيها بمجلة الأحكام العدلية. وأما الكتب الثلاثة التي وضعها قدري باشا فهي:

١-مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان: ويحتوي على ٩٤١ مادة، وهو خاص بالمعاملات المالية. وقد طبع الكتاب سنة (١٣٠٧هـ-١٨٩٠م).

٢-قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف: ويحتوي على ٦٤٦ مادة. وهو خاص بالوقف. وقد طبع سنة (١٣١١هـ-١٨٩٣م).

٣-الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية: ويحتوي على ٦٤٧ مادة. وتعد هذه الكتب الثلاثة مرجعاً للرجال القضاء والقانون في المحاكم، وعمدة لكل مشتغل بالعلوم الفقهية والقانونية. ودليلاً لكل محاولات التقنين التي جاءت بعده في العالم الإسلامي[١٠].

ورغم أن تلك الكتب الثلاثة لقدري باشا لم تحظ بالتصديق الرسمي، فإنها غدت مرجعاً واسع التأثير في الدراسات الفقهية والقانونية التي جاءت بعده. كما استمدت منها بعض التشريعات العربية، وأصبحت وثيقة تاريخية، ودليلاً على غنى الفقه الإسلامي، وقابليته للتفاعل مع تحديات العصر، وقابليته للتجديد. وقد سهل قدري باشا بكتابه مرشد الحيران المقارنة بين القسم المدني من الشريعة على مذهب أبي حنيفة، وبين القوانين الوضعية؛ حيث نظم أحكام المذهب الحنفي في المسائل المدنية في مواد وأبواب متتالية على غرار مواد وأبواب القانون المدني المصري، فمكن رحمه الله بعمله هذا لكل من يطلع على كتابه أن يقارن بسهولة بين أحكام الشريعة وأحكام القانون»[١١].

التقنين التونسي والتقنين المراكشي

ألمحنا فيما سبق إلى محاولة المستشرق الإيطالي سانتيلانا Santilana الذي وضع فيما بين عامي ١٨٩٦ و١٩٠٦م «مجلة الالتزامات والعقود التونسية». وكان الفرنسيون قد ألفوا لجنة سنة ١٩٠١م بعد أن فرضوا حمايتهم على تونس (١٨٨٣م). وقد بذلت اللجنة برئاسة سانتيلانا بعض الجهد في التوفيق بين أحكام القانون الفرنسي وأحكام القوانين الغربية الحديثة، وأحكام الشريعة الإسلامية.. ولكن أحكام القانون الفرنسي كانت هي الأساس الذي بني عليه العمل، وقد عرض المشروع الذي أعدته اللجنة على لجنة أخرى تألفت من خمسة علماء من جامع الزيتونة، وخمسة قضاة من المحكمة الشرعية الكبرى بتونس، وانضم إليهم عضوان من اللجنة الأولى (سانتلانا وبرج). فنظرت في المشروع، وبعد أن أقرته، صدر بمرسوم من الباي (حاكم تونس) في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٦م[١٢].

ولكن العمل بذلك التقنين سرعان ما توقف بعد ستة أشهر فقط من بدء تطبيقه أتاح فرض الحماية الفرنسية على مراكش سنة ١٩١٢م-بعد اثنين وعشرين سنة من الاعتداءات العسكرية لإخضاع المغاربة- فرصة أخرى للسلطات الاستعمارية الفرنسية كي تقوم بتكوين لجنة لوضع تشريع حديث للبلاد؛ بحيث يتوافق مع مصالحها الاستعمارية ويكون في خدمتها. وقد استفادت من تجربتها السابقة في تونس. وضمت اللجنة ثلاثة أعضاء هم: المسيوبرج (وهو الذي اشترك في تقنين تونس)، وتيبيه، ولابراديل. ووضعت اللجنة مشروعاً لقانون الالتزامات والعقود مقتبساً من التقنين التونسي المشار إليه.

ولكن التقنين المراكشي جاء أكثر اختصاراً من التونسي؛ إذ حذفت منه بعض النصوص المتعلقة بالإجراءات التي لم تكن تطبق في مراكش، ولا شأن لها بالقانون المدني، وحذفت كذلك بعض نصوص قانون التجارة، وأخرى من قانون الأراضي التي لا محل لتطبيقها في مراكش؛ إذ كانت تقرر نظاماً خاصاً بتونس، وحذفت أخيراً نصوص استمدت أحكامها من عادات محلية في تونس (كما في إيجار الأراضي الزراعية)، وعدلت بعض نصوص التقنين التونسي؛ إما لتجعله متمشياً مع التشريع المراكشي، أو لأنها كانت في حاجة إلى التعديل (مثال ذلك المادتان ٧٩ و٨٠ وهما تقرران مسئولية الموظفين، ومسئولية الدولة عن أولئك الموظفين. والمواد من ٢٢٥ إلى ٣٣٤ وهي تقرر كيفية الوفاء بطريق الشيكات، والمواد ٨٧١ وما بعدها وتحارب الربا الفاحش الذي فشا في شمال أفريقيا).

وصدر التقنين المراكشي في الالتزامات والعقود في ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٣م. وكان من مزاياه -حسب رأي العلامة السنهوري- أن نصوصه تعقب بالإشارة إلى مراجع الشريعة الإسلامية، وردت فيها أحكام تقابل الأحكام التي تتضمنها هذه النصوص، ولا يخفى ما لهذه المراجع من الأهمية عند محاولة التوفيق بين أحكام الشريعة الإسلامية، وأحكام القوانين الغربية الحديثة[١٣].

التقنين اللبناني

للمرة الرابعة وقعت عملية التقنين تحت

(١٠) أحمد تغلب محمد قدري وبواكير تقنين الشريعة، مجلة الفقه والقانون [illegible]

[illegible]

[illegible] الصياغة العصرية في الفقه الحنفي الإسلامي - كتاب [illegible]

[illegible] السنهوري، مرجع سابق جـ١ من المجلد الأول ص ٣٧.

(١٢) السنهوري من مجلة الأحكام العدلية [illegible] مرجع سابق ص [illegible]

(١٣) المرجع نفسه، ص ١٧-١٨.

ضغط الهيمنة الاستعمارية. فبعد أن وضعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٠ نتيجة تفكك الدولة العثمانية وتقسيم ولاياتها إلى مناطق نفوذ بموجب معاهدة سيفر؛ رأت سلطة الانتداب الفرنسي على لبنان إبطال العمل بمجلة الأحكام العدلية والاستعاضة عنها بتقنين جديد في الالتزامات والعقود، على غرار ما حدث في كل من تونس ومراكش. وكلف المسيو رويرس بوضع مشروع التقنين، فوضع مشروعا وأرسله للأستاذ جوسران، عميد كلية الحقوق بجامعة ليون في ذلك الوقت؛ كي يراجعه. ثم جرى تحويل المشروع إلى اللجنة الاستشارية بلبنان، فنقحته، ووضعته في صيغته النهائية. وبعد إدخال بعض التعديلات صدر التقنين اللبناني في ٩ مارس سنة ١٩٣٢، ونشر في الجريدة الرسمية في ١١ أبريل سنة ١٩٣٢.

يقرر السنهوري باشا أن التقنين اللبناني من حيث التبويب ومن حيث اشتماله على نظرية عامة في الالتزامات وفي العقود، يعتبر متقدما على «مجلة الأحكام العدلية» التي حل مكانها. ولكنه ينتقد هذا التقنين لكونه قد تأثر كثيرا بالتقنين المدني الفرنسي، وبالمشروع الفرنسي الإيطالي «هو مشروع تقنين كانت لجنة إيطالية فرنسية مشتركة قد بدأت إعداده عام ١٩١٩م، وانتهت منه عام ١٩٢٨م». فجاء التقنين اللبناني يحمل كثيرا من عيوبهما، ولم يستفد كثيرا من مزايا التقنين السويسري والتقنين الألماني، كما إنه لم يعن عناية كافية بالتوفيق بين ما أورده من الأحكام، وأحكام الشريعة الإسلامية، بل اقتفى أثر تركيا ومصر في نبذه للشريعة الإسلامية[١٤].

محاولات عبدالرزاق السنهوري

توافق انعقاد «المؤتمر الدولي للقانون المقارن» ـ في مدينة لاهاي الهولندية ـ سنة ١٩٣٢م، مع مرور خمسين عاما على وضع القانون المدني المصري «القديم» ذي المرجعية الفرنسية، وعلى إنشاء المحاكم الأهلية المصرية ـ العيد الخمسيني لهذه المحاكم ـ فانطلق عبدالرزاق السنهوري مستعينا بتوصيات مؤتمر «لاهاي» حول الشريعة الإسلامية ليكثف الجهود في الدعوة إلى «وجوب تنقيح القانون المدني المصري، وإلى إعادة مرجعية الشريعة الإسلامية لهذا القانون، ما دامت مرجعيته الفرنسية قد فرضتها التدخلات الأجنبية، وساعدتها السلطات الاستعمارية وكان يرى أن من الواجب مواكبة العودة لمرجعية الشريعة الإسلامية ـ وهي قانون الأمة والحضارة والمدنية ـ وأن العودة إلى هذه المرجعية يجب أن تقوم على أساس سعي مصر إلى تحقيق الاستقلال السياسي؛ لأن الاستقلال الفقهي والقانوني شرط لتحقيق هذا الاستقلال السياسي

اغتنم السنهوري تلك المناسبة ـ العيد الخمسيني للمحاكم الأهلية المصرية ـ ليثير قضية المرجعية الإسلامية للقانون المدني المصري، بدلا من المرجعية الفرنسية التي فرضها الاستعمار.. فكتب وحاضر عن «وجوب تنقيح القانون المدني المصري.. وعلى أي أساس يكون التنقيح»، فأضاف إلى تراثه الفكري آثارا مضيئة بجهاده في سبيل أسلمة القانون[١٥].

ومن يرجع إلى أعمال السنهوري يجد أنه كان دائم التفكير في البحث عن أفضل السبل لوضع التقنينات العصرية وفق المرجعية الشرعية الإسلامية؛ ليس في مصر وحدها، وإنما في جميع البلدان العربية. وكانت انتقاداته للتقنينات المدنية في كل من مصر، وتونس، ومراكش، ولبنان، منطلقة من أنها نبذت الشريعة، فيما عدا الأحوال الشخصية، وأخذت بالتقنينات الأجنبية، وخصوصا الفرنسية

وبالنسبة للتقنين المدني المصري «القديم»، كان للسنهوري دور أساسي في تنقيحه تنقيحا شاملا من ناحية، واعتماد الفقه الإسلامي مصدرا أساسيا من مصادر التنقيح. أما التقنين المدني الجديد «الذي بدأ العمل به في أكتوبر ١٩٤٩م»، فقد استبقى ما أخذه التقنين المدني القديم عن الفقه الإسلامي، وأضاف مسائل جديدة. والأهم من ذلك كله هو أن السنهوري جعل الفقه الإسلامي مصدرا رسميا للقانون المدني، يأتي بعد النصوص التشريعية والعرف، ويتقدم مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة.

ونود بإشارتنا هنا إلى مرجعية الفقه الإسلامي في التقنين المدني المصري «١٩٤٩م» أن نصحح انطباعا سائدا خاطئا لدى الأجيال الجديدة، مؤداه أن هذا التقنين مستورد بأكمله من القوانين الأجنبية، والفرنسية على وجه الخصوص.. صحيح أن ثلاثة أرباع هذا التقنين أخذت من التقنين المدني القديم «١٨٨٣م»، وهي أخذت بدورها ـ في أغلبها ـ من التقنين الفرنسي، إلا أن جوانب مهمة من هذا التقنين استقيت مباشرة من الفقه وأحكام الشريعة الإسلامية، ومن ذلك الأحكام الخاصة بنظرية التعسف في استعمال الحق، وحوالة الدين، ومبدأ الحوادث غير المتوقعة، وبيع المريض مرض الموت، والغبن، وتبعة الهلاك في البيع، وغرس الأشجار في العين المؤجرة، والعلو والسفل والحائط المشترك، والأهلية، والهبة، والشفعة، ومبدأ لا تركة إلا بعد سداد الدين، وكلها أحكام لها أهميتها البالغة في الحياة العملية.

واستمد التقنين الجديد أيضا من الفقه الإسلامي أحكاما أخرى، بعضها أحكام عامة، وبعضها مسائل تفصيلية:

فمن الأحكام العامة التي أخذ بها التقنين المدني من الشريعة: النزعة الموضوعية، التي تخللت في كثير من نصوصه، وقد آثرها التقنين الجديد على النزعة الذاتية التي هي

(١٤) المرجع السابق ص١٨، ١٩.

(١٥) محمد عمارة: الدكتور عبدالرزاق السنهوري: إسلامية الدولة والمدنية والقانون، القاهرة، مكتبة دار السلام [illegible].
http://www.islamonline.net/iol-arabic/qadaya/sunhory/sun2-5.asp

طابع القوانين اللاتينية، وجعل الفقه الإسلامي عمدته في الترجيح. ومن هذه المبادئ أيضاً نظرية التعسف في استعمال الحق، التي لم يقتصر فيها على المعيار الشخصي، بل ضم إليها معياراً موضوعياً في الفقه الإسلامي يقيد استعمال الحق بالمصالح المشروعة، ويتوقى الضرر الجسيم الذي قد يصيب الغير من مستعمله. وكذلك الأمر في حوالة الدين، أغفلتها القوانين اللاتينية، ونظمها الفقه الإسلامي، فأخذ بها التقنين المدني المصري.

وهنا أيضاً مبدأ الحوادث الطارئة، أخذ به بعض التقنينات الحديثة، ولكن التقنين المدني المصري رجع إلى الفقه الإسلامي ورجع الأخذ به استناداً إلى نظرية الضرورة، ونظرية العذر.

ومن الأحكام التي استحدثها التقنين الجديد أيضاً مستمداً إياها من الفقه الإسلامي مسائل تفصيلية منها: ما يتعلق بمجلس العقد، وإيجار الوقف، والحكر، وإيجار الأراضي الزراعية، وهلاك الزروع في العين المؤجرة، وانقضاء الإيجار بموت المستأجر، وفسخه بالعذر، ووقوع الإبراء من الدين بإرادة الدائن وحده.

وتأكيد مرجعية مبادئ الشريعة الإسلامية في التقنين المدني، نصت المادة الأولى منه على أنه إذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه، حكم القاضي بمقتضى العرف، فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة. ويعقب السنهوري على هذا النص بقوله: «إن ذلك يجعل دراسة الشريعة، في ضوء القانون المقارن أمر ضروري، لا من الناحية النظرية الفقهية فحسب، بل كذلك من الناحية من الناحية العملية التطبيقية. فكل من القاضي والمفسر أصبح الآن مطالباً بأن يستكمل أحكام القانون المدني؛ فيما لم يرد فيه نص، ولم يقطع فيه عرف، بالرجوع إلى أحكام الفقه الإسلامي. ويجب عليه أن يرجع إلى هذه الأحكام قبل أن يرجع إلى مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة، بل لعل أحكام الشريعة وهي أدق تحديداً وأكثر انضباطاً من مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة، هي التي تحل محل هذه المبادئ والقواعد، فتغنينا عنها في كثير من المواطن».

ثم قال بالحرف الواحد: «هذا هو الحد الذي وصل إليه التقنين الجديد في الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية، عدا المسائل التي أخذها بالذات من الفقه الإسلامي، وهي المسائل التي تقدم ذكرها. أما جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذي يبنى عليه تشريعنا المدني، فلايزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج بها الصدور، وتنطوي عليها الجوانح. ولكن قبل أن تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن، ونرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامي مصدراً رسمياً للقانون الجديد ما يعاون على قيام هذه النهضة»[18].

يرى الدكتور محمد عمارة أن السنهوري باشا كان رائداً بين رجال القانون في فتح باب المقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الأوروبية الوافدة، وقد أثبت تفوق الشريعة وتميزها من كل وجه وبكل اعتبار على تلك القوانين؛ فالشريعة عند السنهوري كانت - تاريخياً وعبر أكثر من عشرة قرون - هي القانون الواحد الموحد لكل الأمة، على اختلاف مللها الدينية، ومن ثم كانت عامل وحدة للأمة والثقافة والمدنية، أما في ظل مرجعية القانون الفرنسي - والتي يحسب البعض أن «وضعيته» هي عامل توحيد لطوائف الأمة الدينية - فلقد تراجعت وحدة القانون ووحدة المحكمة في واقع الأمة.. الأمر الذي يجعل إعادة المرجعية للشريعة الإسلامية في القانون الحديث جهداً قومياً متميزاً لإعادة الوحدة القانونية للأمة من جديد.. فإسلامية القانون هي سبيل وحدة الأمة، وليست علمنة القانون.

وقد يظن البعض أن مسائل الأحوال الشخصية لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، لا تطبق عليها أحكام الشريعة الإسلامية.

والسنهوري يرى أن مثل هذا الظن خطأ شائع، وأنه يؤدي إلى شق وحدة الأمة، ومن ثم يهدد تماسكها الوطني في ظل الدولة الحديثة.

في رأي السنهوري أن هذه القضية من أخطر القضايا التي لا يجوز الاعتذار عن الإطالة فيها «لأن الموضوع جد خطير» على حد قوله[19].

وقد ذهب إلى أن ثمة خطأً شائعاً بشأن التزام أهل الكتاب لأحكام الإسلام، فيظن كثير من الكتاب أن الشريعة الإسلامية قانون شخصي، فلا يطبق إلا على المسلمين، وأن أهل الكتاب في دار الإسلام قد تركوا وما يدينون، لا في معتقداتهم الدينية وعباداتهم وحدها، بل فيها وفي معاملاتهم المدنية.

ومن أصحاب هذا الرأي «الخطأ» صليب سامي باشا الذي كان يرى أن «الشريعة تقضي في موضوعنا بأمرين:

الأول: أن القاضي المسلم غير مختص بنظر قضايا الأحوال الشخصية لغير المسلمين - وبخاصة قضايا المواريث - إلا إذا تراضوا على قضائه، وفي حالة تراضيهم، يفصل القاضي المسلم في قضايا غير المسلمين على مقتضى حكم الشريعة الإسلامية.

الثاني: عند عدم التراضي يفصل في قضايا غير المسلمين قاضيهم الملي، ويحكم على مقتضى حكم دينهم».

ويعقب السنهوري على ما ذهب إليه صليب سامي بأن «واقع الأمر أن فقهاء الشريعة أبعد ما يكونون عن الاتفاق على هذا الأمر، بل هم يكادون يكونون متفقين على العكس ونحن في أشد الحاجة للرجوع إلى مراجع الفقه المطولة

---

[16] عبدالرزاق السنهوري، الوسيط، مرجع سابق، ج1/ ص44 - 47

[17] [illegible]

[18] [illegible]

[19] [illegible] السنهوري [illegible] لا تجوز إلا في الثلث ولغير الوارث، مقالات وأبحاث الأستاذ الدكتور عبدالرزاق السنهوري [illegible] مرجع سابق [illegible]

حتى تصحح هذا الخطأ الشائع الذى وقع فيه حتى صاحب كتاب مرشد الحيران، ونقل عنه كتاب من الأجانب، لم تواتهم الفرصة فيدرسوا الفقه الإسلامى دراسة أعمق».

وبعد أن أورد السنهورى نماذج من الآراء التى وقعت فى هذا الخطأ، شرع فى البرهنة على وجوب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى الأحوال الشخصية لغير المسلمين، وانتهى إلى أن «ولاية القضاء الإسلامى لا ترتفع عن الذميين، حتى فى الأنكحة؛ ما دام أحد الخصمين استعدى هذا القضاء على خصمه، أما إذا تراضوا جميعاً على قضاء دينهم، فهذا هو التحكيم. وهو جائز لمذهبى جوازه للمسلمين، ولا يعتبر هذا قضاء، بل تحكيما»[٢٠].

وذهب السنهورى خطوة أخرى فى سعيه لإعادة تأسيس التقنينات الحديثة وفق المرجعية الإسلامية، وبما يخدم مبدأ الوحدة الوطنية وتماسك الأمة؛ وذلك بتأكيده على أن تتداخل المعاملات مع الأحوال الشخصية، الأمر الذى دعا إليه عند وضع القانون المدنى المصرى الجديد. وحفظ الفصل بينهما. كان يرى وجوب إدماج مسائل الأحوال الشخصية فيه.

يقول «لا معنى لشطر القانون شطرين، بين معاملات وأحوال شخصية. فالتقنين الجديد يجب أن يكون شاملاً لكل المسائل التى يحتويها القانون المدنى الكامل، ولا نقصد بهذا أن ننقل تشريع الأحوال الشخصية من التشريعات الغربية، بل يجب أن يكون تشريعنا فى هذه المسائل منقولاً من الشريعة الإسلامية. مع جعله ملائماً لأن ينطبق على غير المسلمين من المصريين، فيكون لنا بذلك تشريع عام فى الأحوال الشخصية، يخضع له جميع المصريين. مع احترام العقائد الدينية. وعدم المساس بها.



محمد قدرى باشا

فنحن - إذن - لا نريد بإدماج الأحوال الشخصية فى القانون المدنى أن تنتقص من سلطان الشريعة الإسلامية، بل على العكس من ذلك. نحن نحب امتداد هذا السلطان إلى دائرة المعاملات نفسها. ولكننا نريد أن نحصل على مزية التقنين فى جميع تشريعنا المدنى أما فى الحالة الحاضرة (يقصد فى الثلاثينيات من القرن العشرين) فلا يزال نصف قانوننا المدنى غير مقنن، ولا علة لهذا سوى وهم قام بالذهن من أن الشريعة الإسلامية يجب البحث عنها فى بطون كتب الفقهاء، مع أن تقنينها أمر ليس بالصعب، بل هو قد تم بالفعل، وقد قام به الأتراك رسميا فى «مجلتهم» المشهورة، وقام به فرد من المصريين هو المرحوم «محمد قدرى باشا» فوضع كتبا قيمة يقنن فيها أحكام الشريعة الإسلامية فى الأحوال الشخصية وفى المعاملات وفى الوقف. فلتقنين الشريعة إذن سوابق معروفة»[٢١].

وحسب رأى السنهورى أيضا؛ فإن المشرع المصرى قد قنن بالفعل بعض أحكامها فى شكل تشريعات خاصة، أدمج بعضها فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية، وبقى البعض الآخر منفصلا وكان - رحمه الله - يتساءل: «لماذا لا نقوم بالعمل كاملا، ونتولى - بمناسبة تنقيح القانون المدنى - تقنين جميع أحكام الأحوال الشخصية؟ ونستهز هذه الفرصة فنختار من كتب الفقهاء المسلمين فى هذه المسائل ما يكون أكثر اتفاقاً مع روح العصر، دون أن نتقيد بمذهب معين، فيكون تقنين أحكام الأحوال الشخصية ليس مجرد تقنين، بل هو إصلاح قانونى شامل، نحس جميعاً أن البلاد متعطشة له، بل هو لا يكون إصلاحاً فحسب؛ إذ نحب أن تكون الأحكام التى تقننها من الشريعة الإسلامية قابلة للتطبيق على غير المسلمين من المصريين، وإذا اقتضى الأمر أن نقر أحكاما خاصة بغير المسلمين أمكن إدماج هذه الأحكام فى تقنين الأحوال الشخصية، على أن يقتصر تطبيقها على غير المسلمين، وبهذا يخلص لنا تقنين مدنى كامل، معروف الأحكام بين السبيل»[٢٢].

لقد تعددت محاولات العلامة السنهورى فى تقنين أحكام الشريعة. وكانت له أكثر من تجربة فى صوغ التقنينات المدنية «العراق، ومصر، وسوريا، وليبيا والكويت» ودستور الإمارات وبعض قوانينها، ودستور السودان، وبلغ إيمانه بوجوب إعادة صوغ جميع التقنينات الحديثة وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وفى ضوء اجتهادات الفقهاء المسلمين بمختلف مذاهبهم، أن دعا إلى بذل الجهود لوضع تقنين مدنى عربى موحد. يكون مرجعه الأساسى هو الفقه الإسلامى. وسجل رغبته هذه فى المقدمة الافتتاحية لكتابه الضخم «الوسيط» الذى شرح به القانون المدنى المصرى الجديد الذى كان قد صدر سنة ١٩٤٩م، ومما جاء فى تلك المقدمة قوله «فى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين» أنه قد «حان الوقت ليعاون الفقهاء المصريون مع زملائهم فقهاء سورية والعراق. ويتكاتفوا جميعا لإرساء أساس قوى للقانون المدنى العربى، يكون قوامه الفقه الإسلامى؛ قانون المستقبل لبلاد العروبة جميعاً»[٢٣].

«يتبع»

---

(٢٠) المرجع السابق، ص٢٢٤

(٢١) انظر محمد عمارة، الدكتور عبد الرزاق السنهورى، مرجع سابق

(٢٢) محمد [illegible] مرجع [illegible]

(٢٣) [illegible] السنهورى «الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد» مرجع سابق «المقدمة الافتتاحية» [illegible]

الإسلام والديمقراطية

للأستاذ الدكتور/ القصبي زلط
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ما هو جوهر الديمقراطية؟

إن جوهر الديمقراطية - بعيداً عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية - أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم، وألا يفرض عليهم حاكم يكرهونه، أو نظام يكرهونه، وأن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ، وحق عزله وتغييره إذا انحرف. وألا يساق الناس - رغم أنوفهم - إلى اتجاهات أو مناهج اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها، فإذا عارضها بعضهم كان جزاؤه التشريد والتنكيل، بل التعذيب والتقتيل.

هذا هو جوهر الديمقراطية

وإذا نظرنا إلى هذا الجوهر فإنه يتفق مع الإسلام، فالإسلام يكره أن يؤم الناس في الصلاة من يكرهونه، ولا يرضون عنه. وفي الحديث: «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً ... وذكر أولهم: رجل أم قوماً وهم له كارهون...»[1].

وإذا كان هذا في الصلاة فكيف في أمور الحياة والسياسة؟

وفي الحديث الصحيح: «خيار أئمتكم - أي حكامكم -: الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم - أي تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»[2].

كذلك نعى الإسلام على الحكام الظلمة الذين يسوقون الناس قهراً، ويسكتون كل ناطق بالحق، أو مجاهر بالنقد.

كما نعى على من يساندهم ويعاونهم ويمشون في ركابهم ويحرقون البخور بين أيديهم فقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن عجرة يوماً: «أعاذك الله من إمارة السفهاء يا كعب!» قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وسيردون عليّ حوضي»[3].

ولم يُعفِ الشعوب التي تستكين للظلم وتخضع له ولا تحرك ساكناً من حملها جزءاً من المسئولية؛ لأنها هي التي أطمعت الحكام في الظلم والاستبداد بسكوتها كما قال سبحانه:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

(الزخرف: ٥٤)

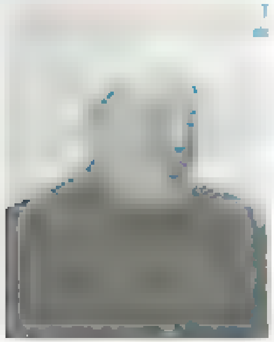
وإذا كانت الديمقراطية الغربية قد اهتدت خلال كفاحها مع الحكام المستبدين إلى وسائل تضمن حماية الشعوب من التسلط والقهر، فلا حرج أن نقتبس منها ومن وسائلها ما يتفق مع الإسلام ونرفض ما لا يتفق معه.

يقول القرضاوي:

دولة الإسلام تقوم على أفضل ما في الديمقراطية من مبادئ، ولكنها ليست نسخة من الدولة الديمقراطية الغربية.

إنها توافق الديمقراطية الغربية في ضرورة اختيار الأمة لمن يحكمها، فلا يجوز أن يفرض عليها من يقودها رغم أنفها.

وتوافقها في أنه مسئول أمام ممثليها من



أهل الشورى، وأصحاب الحل والعقد فيها حتى إن لهم أن يعزلوه إذا انحرف وجار، ولم يستمع لنصح الناصحين.

وتزيد عليها أنها تجعل لكل فرد في الأمة - رجلاً كان أم امرأة - أن ينصح للحاكم، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، بما له من ولاية مؤمن على مؤمن. أي كل منهم وعرضه:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

(التوبة: ٧١)

كما أن الديمقراطية الغربية - على ما لها من محاسن - لا تحكمها أصول تقيدها ولا قيم تضبط سيرها، فتستطيع - باسم ممثلي الشعب - أن تلغي الفضائل وأن تقرر الرذائل، وأن تقنن المظالم، وأن تحلل الحرام، وأن تحرم الحلال، حتى قيل في البرلمان الإنجليزي: إنه يستطيع أن يقرر أي شيء، إلا أن يحول الرجل إلى امرأة أو المرأة إلى رجل!

ولهذا رأينا الديمقراطية الأمريكية تبيح الخمر شرباً وصناعة وتجارة، برغم ما ثبت لها من أضرارها المادية والمعنوية على الأفراد والأسر والمجتمعات وعلى الاقتصاد والأخلاق. ووجدنا بعض الديمقراطيات الغربية يبيح زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء!

---

(١) [illegible] عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم عن عوف بن مالك.

(٣) رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح، كما في الترغيب للمنذري، والزوائد للهيثمي (٥/٢٤٧).

إن الديمقراطية الغربية تستطيع أن تتحلل من أي شيء، حتى من الديمقراطية نفسها، بأغلبية خاصة، أو باستفتاء شعبي، أو غير ذلك من حيل. حتى قال أحد حكماء الغرب يوماً: إن للديمقراطية أنياباً ومخالب! وإنها يمكن أن تكون أشرس من الدكتاتورية!

والديمقراطية الغربية ـ وإن لم ننكر مزاياها ـ توجهها قوى ظاهرة وخفية لخدمة مصالحها، فلا غرو أن وجدت الديمقراطيات الرأسمالية تبيح الربا والاحتكار لما يحققانه من منافع لطبقات ذات قوة ونفوذ، وإن أضرا بمصالح جماهير معتبرة في المجتمع.

فإن قال قائل: إن الديمقراطية تعنى حكم الشعب بالشعب، ويلزم من ذلك رفض المبدأ القائل: إن الحاكمية لله؟

ونقول: هذا القول غير مسلّم فمبدأ «الحكم للشعب» الذى هو أساس الديمقراطية ليس مضاداً لمبدأ «الحكم لله» الذى هو أساس التشريع الإسلامي، إنما هو مضاد لمبدأ «الحكم للفرد» الذى هو «أساس الدكتاتورية».

فليس يلزم من المناداة بالديمقراطية رفض حاكيمة الله للبشر، فأكثر الذين ينادون بالديمقراطية لا يخطر هذا ببالهم، وإنما الذى يعنونه ويحرصون عليه هو رفض الدكتاتورية المتسلطة، رفض حكم المستبدين بأمر الشعوب من سلاطين الجور والجبروت وهو الذى سماه الحديث (المالك العاض) أو (ملك الجبريّة) أى ملك التجبّر والطغيان.

أجل، كل ما يعنى هؤلاء من الديمقراطية أن يختار الشعب حكامه كما يريد، وأن يحاسبهم على تصرفاتهم، وأن يرفض أوامرهم إذا خالفوا دستور الأمة، وبعبارة إسلامية: إذا أمروا بمعصية، وأن يكون له الحق في عزلهم إذا انحرفوا وجاروا، ولم يستجيبوا النصح أو تحذير.

المراد بمبدأ (الحاكمية لله)

وأحب أن أنبه هنا على أن مبدأ «الحاكيمة لله» مبدأ إسلامي أصيل، قرره جميع الأصوليين في مباحثهم عن «الحكم» الشرعي. وعن «الحاكم» فقد اتفقوا على أن «الحاكم» هو الله تعالى. والنبى مبلغ عنه. فالله تعالى هو الذى يأمر وينهى، ويحلل ويحرم، ويحكم ويشرع.

وقول الخوارج «لا حكم إلا لله» قول صادق في نفسه، حق في ذاته، ولكن الذى أنكر عليهم هو وضعهم الكلمة في غير موضعها، واستدلالهم بها على رفض تحكيم البشر في النزاع، وهو مخالف لنص القرآن الذى قرر التحكيم في أكثر من موضع، ومن أشهرها التحكيم بين الزوجين إن وقع الشقاق بينهما.

ولهذا رد أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه على الخوارج بقوله «كلمة حق أُريد بها باطل»، فقد وصف قولهم بأنه «كلمة حق» ولكن عابهم بأنهم أرادوا بها باطلاً.

وكيف لا تكون كلمة حق وهي مأخوذة من صريح القرآن:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾

(يوسف: ٤٠)

فحاكمية الله تعالى للخلق ثابتة يقيناً، وهي نوعان:

١ ـ حاكمية كونية قدرية. بمعنى أن الله هو المتصرف في الكون، المدبر لأمره الذى يجرى فيه أقداره، ويحكمه بسننه التى لا تتبدل، ما عرف منها وما لم يعرف، وفي مثل هذا جاء قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الرعد: ٤١)

فالمتبادر هنا أن حكم الله يراد به: الحكم الكوني القدرى لا التشريعي الأمرى.

٢ ـ حاكمية تشريعية أمرية، وهي حاكمية التكليف والأمر والنهي والإلزام والتخيير، وهي التى تجلت فيما بعث الله به الرسل، وأنزل الكتب، وبها شرع الشرائع وفرض الفرائض، وأحل الحلال، وحرم الحرام.

وهذه لا يرفضها مسلم رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

والمسلم الذى يدعو إلى الديمقراطية إنما يدعو إليها باعتبارها شكلاً للحكم يجسد مبادئ الإسلام السياسية في اختيار الحاكم، وإقرار الشورى والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الجور، ورفض المعصية، وخصوصاً إذا وصلت إلى «كفر بواح» فيه من الله برهان.

ومما يؤكد ذلك أن الدستور ينص ـ مع التمسك بالديمقراطية ـ على أن دين الدولة هو الإسلام، وأن الشريعة الإسلامية هي مصدر القوانين، وهذا تأكيد لحاكمية الله، أى حاكمية شريعته، وأن لها الكلمة العليا.

ويمكن إضافة مادة في الدستور صريحة واضحة: أن كل قانون أو نظام يخالف قطعيات الشرع، فهو باطل، وهي في الواقع تأكيد لا تأسيس.

لا يلزم ـ إذن ـ من الدعوة إلى الديمقراطية اعتبار حكم الشعب بديلاً عن حكم الله، إذ لا تناقض بينهما.

ولو كان ذلك لازمًا من لوازم الديمقراطية، فالقول الصحيح لدى المحققين من علماء الإسلام: أن لازم المذهب ليس بمذهب، وأنه لا يجوز أن يكفر الناس أو يفسّقوا أخذاً لهم بلوازم مذاهبهم، فقد لا يلتزمون بهذه اللوازم، بل قد لا يفكرون فيها بالمرة.

فإن قال قائل آخر: إن الديمقراطية مبدأ مستورد ولا صلة له بالإسلام فهي تقوم على تحكيم رأى الأكثرية، واعتبارها صاحبة الحق في تنصيب الحكام، وفي تسيير الأمور، وفي ترجيح أحد الأمور المختلف فيها، فالتصويت في الديمقراطية هو الحكم والمرجع، فأى رأى ظفر بالأغلبية المطلقة، أو المقيدة في بعض الأحيان، فهو الرأى النافذ، وربما كان خطأ أو باطلاً.

هذا مع أن الإسلام ـ في نظرهم ـ لا يعتد بهذه الوسيلة، ولا يرجح الرأى على غيره لموافقة الأكثرية عليه، بل ينظر إليه في ذاته: أهو صواب أم خطأ؟ فإن كان صواباً نفذ. وإن لم يكن معه إلا صوت واحد، أو لم يكن معه أحد، وإن كان خطأ رفض، وإن

كان معه (٩٩) من الـ(١٠٠)!!

بل إن نصوص القرآن تدل على أن الأكثرية دائماً في صف الباطل، وفي جانب الطاغوت. كما في مثل قوله تعالى

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(الأنعام: ١١٦)

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

(يوسف: ١٠٣)

وتكرر في القرآن مثل هذه الفواصل القرآنية:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(الأعراف: ١٨٧)

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

(العنكبوت: ٦٣)

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

(هود: ١٧)

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

(البقرة: ٢٤٣)

كما دلت على أن أهل الخير والصلاح هم الأقلون عدداً، كما في قوله تعالى:

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

(سبأ: ١٣)

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

(ص: ٢٤)

وهذا الكلام مردود على قائله، وهو قائم على الغلط أو المغالطة.

فالمفروض أننا نتحدث عن الديمقراطية في مجتمع مسلم، أكثره ممن يعلمون ويعقلون ويؤمنون ويشكرون. ولسنا نتحدث عن مجتمع الجاحدين أو الضالين عن سبيل الله.

الثوابت لا يتدخل فيها التصويت

ثم إن هناك أموراً لا تدخل مجال التصويت، ولا تعرض لأخذ الأصوات عليها؛ لأنها من الثوابت التي لا تقبل التغيير، إلا إذا تغير المجتمع ذاته ولم يعد مسلماً.

فلا مجال للتصويت في قطعيات الشرع، وأساسيات الدين، وما علم منه بالضرورة وإنما يكون التصويت في الأمور الاجتهادية التي تحتمل أكثر من رأي ومن شأن الناس أن يختلفوا فيها، مثل اختيار أحد المرشحين لمنصب ما، ولو كان هو منصب رئيس الدولة، ومثل إصدار قوانين لضبط حركة السير والمرور أو لتنظيم بناء المحلات التجارية أو الصناعية أو المستشفيات أو غير ذلك مما يدخل فيما يسميه الفقهاء «المصالح المرسلة»، ومثل اتخاذ قرار بإعلان الحرب أو عدمها، وبفرض ضرائب معينة أو عدمها. وبإعلان حالة الطوارئ أو لا. وتحديد مدة رئيس الدولة، وجواز تجديد انتخابه أو لا، وإلى أي حد... إلخ

فإذا اختلفت الآراء في هذه القضايا. فهل تترك معلقة أو تحسم، هل يكون ترجيح بلا مرجح؟ أو لابد من مرجح؟

الكثرة العددية مرجح معتبر ودليل ذلك:

أن منطق العقل والشرع والواقع يقول: لابد من مرجح، والمرجح في حالة الاختلاف هو الكثرة العددية، فإن رأي الاثنين أقرب إلى الصواب من رأي الواحد.

الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد:

وفي الحديث: «إن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»[1].

حديث: ولو اجتمعتما على مشورة،

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما على مشورة ما خالفتكما»[2] إذ معنى ذلك أن صوتين يرجحان صوتاً واحداً، وإن كان هو صوت النبي ﷺ، ما دام ذلك بعيداً عن مجال التشريع والتبليغ عن الله تعالى.

النزول على رأي الكثرة في أحد:

كما رأيناه ﷺ ينزل على رأي الكثرة في غزوة أحد، ويخرج للقاء المشركين خارج المدينة. وكان رأيه ورأي كبار الصحابة البقاء فيها والقتال من داخل الطرقات.

الستة أصحاب الشورى

وأوضح من ذلك موقف عمر في قضية الستة أصحاب الشورى، الذين رشحهم للخلافة وأن يختاروا بالأغلبية واحداً منهم، وعلى الباقي أن يسمعوا ويطيعوا، فإن كانوا ثلاثة في مواجهة ثلاثة، اختاروا مرجحاً من خارجهم، وهو عبدالله ابن عمر، فإن لم يقبلوه، فالثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف.

أما قول من قال: إن الترجيح إنما يكون للصواب وإن لم يكن معه أحد، وأما الخطأ فيرفض ولو كان معه (٩٩ من المائة) إنما يصدق في الأمور التي نص عليها الشرع نصاً ثابتاً صريحاً يقطع النزاع، ولا يحتمل الخلاف، أو يقبل المعارضة، وهذا قليل جداً.. وهو الذي قيل فيه: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

أما القضايا الاجتهادية، مما لا نص فيه أو ما فيه نص يحتمل أكثر من تفسير، أو يوجد له معارض مثله أو أقوى منه، فلا مناص من اللجوء إلى مرجح يحسم به الخلاف، والتصويت وسيلة لذلك. عرفها البشر، وارتضاها العقلاء، ومنهم المسلمون. ولم يوجد في الشرع ما يمنع منها، بل وجد في النصوص والسوابق ما يؤيدها.

●●●

---

(١) رواه الترمذي في الفتن عن عمر (٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب. قال: وقد روي هذا من غير وجه عن عمر، ورواه أحمد [illegible]، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد عن عبدالرحمن بن غنم الأشعري (٤/٢٢٧) وفي سنده شهر بن حوشب وقال ابن حجر في التقريب صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد وثقه الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند.

بين الصحف والمجلات

إعداد
أ/ محمد جمعة
أ/ علا عبدالرحمن

إسرائيل.. وقوتها المسلحة

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ مرسي عطا الله المنشورة بجريدة «الأهرام» بعددها الصادر بتاريخ: ٩/١/٢٠١٢م يقول:

شغلتنا أحداث الداخل -مع التسليم بأهميتها- بأكثر مما ينبغي ومن ثم لم نلتفت كثيرا لما استجد من أخطار تهدد أمننا القومي وتخل بالتوازن الاستراتيجي في المنطقة بعد أن رفعت إسرائيل ميزانيتها العسكرية عدة مرات «سرا» خلال عام ٢٠١١م لتصل إلى ما يقرب من ١٦ مليار دولار سنويا والشروع في مطالبة أمريكا بمساعدات عسكرية إضافية قيمتها ٢٠ مليار دولار.

والحقيقة أنه لا صوت يعلو في إسرائيل على صوت المؤسسة العسكرية وربما يكون هذا الكتاب دليلا على ذلك.. اسم الكتاب «المجتمعات الديمقراطية وقوتها المسلحة.. إسرائيل في إطار مقارنة» والمؤلف هو الصحفي ستيوارت كوهين الذي حرر كتابه في شكل حوارات صحفية ومن هنا فإن الكتاب والمساهمات الواردة فيه تنبع من توفيره صورة تشريحية وحديثة لعلاقة الجيش الإسرائيلي مع المجتمع وموقعه في العملية السياسية، وهي صورة يقدمها أكاديميون من وجهة نظر متعاطفة مع إسرائيل وحريصة عليها.

ويرتكز الكتاب على فكرة أساسية قوامها أن الجيش الإسرائيلي وفكرة القوة المتفوقة التي تردع جيرانها وتخيفهم تحتل موقع القلب في المشروع الصهيوني في فلسطين منذ تحققه سنة ١٩٤٨م بل أكثر من ذلك ليس ثمة مبالغة في وصف إسرائيل بأنها لم تكن -ولا تزال- سوى مجتمع حرب.

وبسبب الطبيعة العسكرية لهذا المجتمع والدولة فإن نقطة الخلاف الأولى مع الكتاب والتوجه العام للمساهمات فيه تأتي من الافتراض الضمني بوجود حسمي بتبادلات التأثير والعلاقة بين الجيش والمجتمع فالجيش هو الشريحة الأساسية من المجتمع الإسرائيلي، والمجتمع الإسرائيلي هو الرديف الاحتياط للجيش والمكمل له بسبب امتداد فترة الخدمة الإجبارية وتوسع عدد جنود ونشاط الاحتياط.

أما الخلاف الأهم فهو عنونة الكتاب بما يسمى «ديمقراطية إسرائيل» والحديث عنها كحقيقة راسخة وفوق النقاش ومن ثم لا تعد معالجات ولا مجرد تساؤلات عن مدى انطباق الوصف الديمقراطي على إسرائيل في حين أن خمس السكان (من العرب) يعانون من تمييز عنصري وحقوقي قائم على الإثنية والاختلاف الديني والقومي.

الإسلام في إسرائيل

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة - هيام سليمان في جريدة «الوفد» الصادرة في ٥/١/٢٠١٢م تقول:

تجدد الفزع في إسرائيل من تحول اليهود لاعتناق الإسلام.. بعد أن نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية نتائج دراسة أجراها إيزاك رينر الأستاذ بمركز القدس للدراسات الإسرائيلية خلصت إلى أن ٢٠ يهودية يعتنقن الإسلام سنويا.. زاعما أنهن اعتنقن الإسلام ليتزوجن برجال مسلمين.

وقالت الصحيفة: إن الدعوة للإسلام بدأت تتخلل صفوف اليهود وأن دعاة الإسلام في إسرائيل رجال ملتحون يشبهون السلفيين يتقربون لليهود ويدعونهم للإسلام بلطف كما تتميز لغتهم العبرية بالطلاقة، فالداعية أبو حسن الذي تلقى تعليمه في إحدى الجامعات الإسرائيلية وجد عدد الدعاة للدين الإسلامي في إسرائيل غير كاف، لذا قرر هو وزملاؤه إنشاء «جنة الرحمة للمسلمين الجدد» لنشر الدعوة والدعاة وتأليف الكتيبات الإسلامية باللغة العبرية مثل كتاب «الطريق للسعادة» وفيه يدعون اليهود للإسلام.

من جانبه أوضح «عماد يونس» - مؤسس اللجنة - أن غالبية من يعتنقون الدين الإسلامي من اليهود هم نساء وترجع أصولهن لروسيا أو أوروبا الشرقية، وفي آخر احتفالاتهم اعتنق ٥٥ يهوديا الإسلام جميعهن نساء، بينهن خمس سيدات ولدن وتربين في إسرائيل.

وقالت «ياسمين» التي تبلغ من العمر عشرين عاما، وهي يهودية اعتنقت الإسلام: «لقد رحب بي المسلمون كما لم يرحب بي أحد من قبل، لقد أصبحت منهم ولا تلفت لأي سوى زوجي والإسلام».

وقد أثار مؤخرا إعلان إسلام حاخام يهودي زوبعة داخل المجتمع الإسرائيلي حيث اعتبر البعض أن هذا بمثابة خطر على اليهودية في تسرب في ظل الأصوات التي تنادي بيهودية الدولة وكان يحمل أفكارا صهيونية لإقامة إسرائيل الكبرى إلا أن الحياة في قطاع غزة ثم تلاه ظروفه وظروف عمله وقرر الانتقال للسكن في «نتيفوت» الواقعة في جنوب إسرائيل.

وتردد كوهين في تلك الفترة على عمله في الحي اليهودي في القدس القديمة، وبدأ هناك بإجراء أول اتصالاته مع مسلمين. وفي مرحلة معينة قام كوهين بمراسلة علماء دين مسلمين عبر الإنترنت، وبدأ في قراءة القرآن باللغة الإنجليزية وقرر كوهين حسب جميع الخمود فأعلن إسلامه وغير اسمه ليصبح يوسف خطاب. وغيرت زوجته اسمها إلى قمر وغير أسماء أولاده الذين يتعلمون اليوم في مدرسة إسلامية ويتحدثون اللغة العربية بطلاقة، وهم في مراحل متقدمة من تعلم اللغة العربية.

وانتقلت العائلة للسكن في حي جبل الطور في القدس الشرقية، وبدأ خطاب يعمل في جمعية إسلامية خيرية في المدينة.

هذا ولم يكتف خطاب بالتحول إلى الإسلام، بل ذهب مباشرة إلى أحضان التيار الإسلامي وتحول إلى داعية إسلامي وأسس في القدس مركزا للدعوة الإسلامية يقوم بنشاط واسع في أوساط اليهود حتى يعتنقوا الدين الإسلامي وفعلا اعتنق العشرات من اليهود الدين الإسلامي بفضل نشاطاته في الدعوة الإسلامية.

وتقوم السلطات الإسرائيلية منذ أن أعلن خطاب عن إسلامه بتضييق الخناق عليه ورفضت الاعتراف

به كمسلم حتى حصل مؤخراً بعد أن تعرض لمتاعب كبيرة على خلفية [illegible] لأسر بسبب بعد تدخل حقوقي من مركز القسّ محتوى الاجتماعية والاقتصادية.

إسرائيل تريد سرقة العرب

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ / رضا محمد لاري المنشور بجريدة (المدينة) الصادرة بتاريخ: ٩/١/٢٠١٢م يقول:

تعد إسرائيل لمفاجأة كبرى؛ لأنها تطالب في وقت حاضر عن طريق مصدر عند دورة لأملاك وزارة الخارجية الإسرائيلية بإعداد مشروع قانون سيطرح على البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) في شهر مارس من عامنا الحالي ٢٠١٢م يلزم الحكومة الإسرائيلية بمطالبة السلطات المصرية برد أملاك اليهود المصريين الذين تركوا البلد للصرية المختلفة في بداية عام ١٩٤٨م بسببه [illegible] على مائدة مفاوضات الدولية في حالة الضغط على إسرائيل بحق العودة للفلسطينيين إلى ديارهم في فلسطين.

المشروع يطالب مصر وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا والسودان وسوريا والعراق ولبنان والأردن والبحرين بتعويضات عن أملاك ٨٥٠ ألف يهودي قيمتها ٣٠٠ مليار دولار أمريكي مقسمة فيما بينهم طبقاً للتعداد السكاني الأخير لليهود في عام ١٩٤٨م.

ويعمل كبراء خبراء القانون الدولي والتاريخ والجغرافيا الإسرائيليون في جامعات بارإيلان وبئر السبع وتل أبيب، والقدس وحيفا بتمويل خاص حدد بمبلغ ١٠٠ مليون دولار أمريكي مقتطع من ميزانية وزارة الخارجية لعامنا الحالي ٢٠١٢م.

أما إيران فلها قسم خاص في إطار المشروع نفسه حيث تطالبها إسرائيل بدفع مائة مليار دولار وحدها تعويضاً عن مئات القتلى والمفقودين من اليهود لأسر يهود دخل إيران دون أن يعلم مصيرهم حتى اليوم، كما أن إسرائيل تطالب البحرين هي الأخرى بالتعويضات عن أملاك أسر يهودية كانت تعيش في المنامة ولها منازل يهودية في البحرين حتى اليوم طبقاً للمعلومات المتسربة من المشروع الإسرائيلي تحت إشراف وزير الخارجية أفيجدور ليبرمان.

ولا شك أن كل المحافل والمنظمات الدولية تدين هذا المطلب الإسرائيلي ولن يعبأ أحد في الأسرة الدولية بهذا المطلب ويعتبره محاولة سرقة تقدم عليها إسرائيل في وضح النهار؛ لأن مطالبة التعويضات من العديد من دول الوطن العربي عن أملاك اليهود التي تركوها خلفهم عندما هاجروا من تلك الأوطان العربية إلى فلسطين المحتلة، هو مطلب عبثي وسرقة واضحة؛ لأن كل اليهود الذين هاجروا من دول الوطن العربي قاموا ببيع كل ممتلكاتهم بموجب صكوك مسجلة في المحاكم وقبضوا ثمنها قبل أن يهاجروا منها، فلم يتركوا خلفهم ولا دراجة دون أن يقوموا ببيعها، وهذا ثابت في كل السجلات التي تضم نقل الملكية للأرض والعقار وتحويل أموالهم نقداً معهم عند هجرتهم من البلاد العربية إلى فلسطين المحتلة.

سبق لإسرائيل أن رفعت هذه المطالب من قبل، وسبق الإثبات القاطع بأن اليهود المهاجرين باعوا كامل ممتلكاتهم ولم يتركوا خلفهم شيئاً من تلك الممتلكات دون بيع.. كما أن صحيفة الغارديان أجرت استفتاء لليهود المهاجرين عندما طالبت إسرائيل العراق بالتعويضات عن أملاك اليهود المهاجرين منها مستغلة في ذلك الوجود الأمريكي في العراق فطلبت تل أبيب في عام ٢٠٠٣م مبلغ ٣٠ مليار دولار أمريكي من العراق واستطاعت العراق أن تثبت بالصكوك أن إسرائيل تقدمت بمطالب باطلة، لأن اليهود المهاجرين كما أن اليهود المهاجرين من الوطن العربي كله اعترفوا اعترافاً صريحاً بأنهم بالفعل قاموا ببيع ممتلكاتهم وإنما بثمن بخس والحجة الآن أن عملية البيع قد تمت بثمن بخس أو بثمن معتدل أو بثمن مرتفع فإن ذلك لا يلغي قيام عملية البيع أصلاً ويترتب عليه حصول اليهود المهاجرين من الوطن العربي على قيمة كل ممتلكاتهم.

من ناحية أخرى قامت هيئة دولية بالتحقيق أيضاً في المطالب الإسرائيلية بتعويضات عن ممتلكات اليهود وقررت هذه الهيئة والدراسات أن التعويضات التي تطالب بها إسرائيل غير شرعية وغير منطقية كما أن هذه الهيئة الدولية في لندن قررت أن التعويض الذي لا يقدر بثمن هو المستحق للفلسطينيين مقابل الوطن الفلسطيني الذي سلب من أهله ولم يهاجروا منه وإنما هجّروا إلى خارجه بعد أن تمت مصادرة أراضيهم وبيوتهم ومزارعهم دون وجه حق وهذا وحده يحمل إسرائيل جريمة العدوان التي لا تقدر هي الأخرى بثمن فالوطن سلب والمال نهب، ولا تخجل إسرائيل من المطالبة بالتعويضات عن أموال يهودية هاجر أصحابها وقاموا ببيع كل ممتلكاتهم قبل هجرتهم.

إن إسرائيل تريد من وراء المطالبة بهذه التعويضات أن تساوم في المفاوضات لمنع عودة الفلسطينيين إلى بلادهم.. كل هذه الحقائق تدحض المطالبة الإسرائيلية بالتعويضات من الوطن العربي.

أين فلسطين في الثورات العربية؟

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذة / رندى حيدر المنشور بجريدة (النهار) اللبنانية الصادرة بتاريخ: ٦/١/٢٠١٢م وتقول فيه:

خابت كل الآمال التي علقها الفلسطينيون العام الماضي على إمكان ولادة الدولة الفلسطينية المستقلة، وحضورها بعد مرور أيلول.. وخطاب محمود عباس أمام الجمعية العمومية في الأمم المتحدة من غير أن يشهد الوضع الفلسطيني أي تقدم ملموس، ومن دون حصول أي تحركات شعبية ضد الاحتلال الإسرائيلي كثر الكلام عنها. وقد زاد هذا كله مشاعر الإحباط الفلسطيني تفاقماً ولاسيما في ظل تعنت حكومة اليمين الإسرائيلي ومواصلتها خطط البناء في المستوطنات في الضفة الغربية ومدينة القدس.

وبدت حتى الآن الثورات التي يشهدها العالم العربي، لم تبدل في المعادلة القائمة للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي. فإذا كان ذهاب حكم حسني مبارك في مصر وفوز الإخوان المسلمين في الانتخابات المصرية قد قوى النفوذ السياسي لحركة «حماس» في قطاع غزة، وساهم إلى حد بعيد في جهود المصالحة بين حركتي «فتح» و«حماس»، فإنه من غير الواضح حتى الآن كيف يمكن للتغيير الحاصل في مصر أن يؤثر على المواقف الإسرائيلية المتعنتة من مسائل مثل البناء في المستوطنات، وقبولها الحوار مع حكومة وحدة فلسطينية يمكن أن تضم في صفوفها أفراداً من «حماس» التي تعتبرها إسرائيل حركة إرهابية، كما من غير المعروف ما إذا كان القرار الإسرائيلي الذي اتخذ قبل أيام بضرورة فتح باب الحوار غير المباشر مع الإخوان المسلمين في مصر سيؤثر على الموقف الإسرائيلي الرافض للتحاور مع «حماس». والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة اليوم: ما هو موقع القضية الفلسطينية والنزاع العربي - الإسرائيلي على جدول أعمال الأحزاب الإسلامية المتقدمة إلى السلطة في أكثر من دولة عربية؟ فهل تتصدر القضية الفلسطينية سلم الأولويات لهذه الأحزاب الإسلامية، أم يكون التركيز في المراحل الأولى على الوضع الداخلي وعلى بناء مؤسسات الدولة والمجتمع في هذه الشعوب التي لا تزال تعاني آثار مرحلة سابقة؟ كما أنه من غير الواضح حتى الآن كيف سيوظف عداء الأحزاب الإسلامية لإسرائيل في مصلحة القضية الفلسطينية.

عباس محمود العقاد

عبقرية محمد

١

عرض وتقديم . الأستاذ عادل خفاجة

قبل أن نبدأ في قراءة هذا الكتاب نود أن نقول: إن هناك من يرفضون وصف النبي بالعبقرية فيقولون: إن الإنسان العبقري مهما كان ذكاؤه حادًا نجد في كلامه بعض السقطات وهذا كلام صحيح، وأن العبقري حين ينظر إلى شيء فإنه ينظر إليه من وجهة نظره الخاصة [illegible] كان تفكيره [illegible] العبقرية [illegible] نظرة ضيقة.. وهذا لا يرفضه جملة.

ثم [illegible] في موضوع أن العبقري [illegible] ومن [illegible] ذلك فليس مؤهلا أن يكون مشرعا [illegible]

وإن صح تشريعه في عصر فهل يصح ذلك التشريع في العصور التالية [illegible] وجه الاعتراض هنا لا يختلف عليه أحد.. فلأجل ذلك يرفضون أن يوصف النبي بأنه عبقري

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن [illegible] يمنع أن يكون النبي بشرًا عبقريًا يوحى إليه حتى يؤدي ويبلغ ما أوحي إليه على أكمل وجه؟

نعم.. إننا نؤمن أن النبي بشر أعده الله إعدادًا لهذه المهمة، نعمة الله تشمل كل الرسل وهي مع الرسول الخاتم أشمل.. ونحن إذا تأملنا بعض البشر ممن أفاض الله عليهم ووهبهم صفة العبقرية نجدهم مختلفون فيما أوتوا، لأن بعضهم عبقري في الأدب والآخر في الرياضيات وهذا في [illegible] إلى آخر هذه المجالات [illegible] لم نر فردًا اجتمعت له العبقرية في عدة مجالات.

فيبقى الاختصاص الواضح بين ما أوتي آحاد البشر وما وهب الله للنبي ﷺ في كثير من المجالات من الكمال التي هي من نور النبوة ومقتضياتها

ويبرز السؤال: هل هناك فارق بين «العبقرية» و«الكمال»؟

فإذا ذهبنا نبحث عن معنى العبقرية، وجدنا في معاني القرآن وإعرابه للزجاج أن: أصل العبقري في اللغة صفة لكل ما بولغ في وصفه، وصفة أن العبقري ينسب إلى اسم بلد كان توشى فيه البسط وغيرها، فنسب كل شيء جيد، وكل ما يبولغ في وصفه إلى عبقر [1].. وقال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال عند العرب «عبقري»، ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «لم أر عبقريا يفري فريه» [2].

فهل الرفض الواقع على لفظ «عبقرية» سببه ورودها بحث في صياغة بعض المستشرقين الذين يريدون إسناد الرسالة المحمدية إلى عبقرية إنسان لا إلى رسول أرسله الله عز وجل [illegible]

فلعل هذا ما جعل المؤلف يعمد إليها ليصل إلى فهم قوم أراد أن يخاطبهم باللغة التي يفهمونها وليس ليصل للمسلمين فحسب، وهو ما نلمسه في قوله.

إنما الكتاب تقدير «لعبقرية محمد» بالمقدار الذي يدين به كل إنسان، ولا يدين به المسلم وكفى، وبالحق الذي يثبت له حبًا في قلب كل إنسان [illegible] في قلب كل مسلم وكفى،

فمحمد هنا عظيم؛ لأنه قدوة المقتدين في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس.. عظيم؛ لأنه على خلق عظيم.

لقد أفصح المؤلف [illegible] عن [illegible] قبل معاصرين حتى يكون أكثر إقناعًا بهم بعدما اختلت مقاييس التقدير.

وأن هذا التقدير حق للمسلمين يقدر محمدًا بالشواهد والبينات التي يراها غير المسلم، فلا يسعه إلا أن يقدرها ويجري على مجراه فيها.. لأن مسلمًا يقدر محمدًا على هذا النحو يحب محمدًا مرتين: مرة بحكم دينه الذي لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم شمائله الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس.

ويؤكد على هذا القياس مرة أخرى فيقول: وحسبنا من «عبقرية محمد» أن نقيم البرهان على أن محمدًا عظيم في كل ميزان: عظيم في ميزان الدين، وعظيم في ميزان العلم، وعظيم في ميزان الشعور، وعظيم عند من يختلفون في العقائد.

مؤلف الكتاب

مؤلف الكتاب هو الكاتب الكبير عباس محمود العقاد، ولد العقاد في أسوان بجنوب مصر وللعقاد ثروة فكرية ضخمة تزيد على مائة كتاب من أشهرها العبقريات وله في الدفاع عن الإسلام عشرات الكتب منها: هذا الكتاب الذي نعرضه للقراء «عبقرية محمد».. وله الديمقراطية في الإسلام، والمرأة في القرآن، والإنسان في القرآن، والتفكير فريضة إسلامية، بالإضافة إلى مئات المقالات التي نشرت في العديد من المجلات الأسبوعية والشهرية كمجلة الأزهر والرسالة والهلال

وأسلوب العقاد يحتاج من القراء شيئًا من الروية للوصول إلى فهم مراميه العميقة التي اكتسبها الكاتب من ثقافته المتعددة وارتباطه الطويل بالثقافة الإسلامية

سبب تأليف الكتاب

يرجع المؤلف أسباب تأليف هذا الكتاب إلى واقعة حدثت قبل تأليف الكتاب بثلاثين سنة إذ يقول:

تعود بنا هذه المقدمة ثلاثين سنة، إلى اليوم الذي سمعت فيه أول اقتراح بتأليف كتاب عن محمد عليه السلام

وكنت قبل يومئذ في ضاحية العباسية البحرية على مقربة من الساحة التي كانت معدة للاحتفال بالمولد النبوي في كل عام.

وأن رهطًا من الأصدقاء مشتغلين بالأدب [illegible] كانت حلبة [illegible] جماعة، ولم تكن فيهم من نزعة التعرق والشتات.

ثم يقول: ففي يوم من أيام المولد سأل الرهط يزورني لنؤم الساحة مجتمعين في مساء [illegible] الكاتب

(١) [illegible]

(٢) [illegible] البخاري [illegible] ج١ ص٤٤٣ دار عالم الفوائد - مكة ١٤٢٩هـ

(جيمبرى العظيم) توماس كارليل هو محور حديث كله، لأنه كما يعلم كثيرون من قراء العربية، صاحب كتاب «الأبطال» الذى عقد فيه فصلاً عن النبى محمد ﷺ، وجعله نموذج البطولة النبوية بين أبطال العالم الذين اختارهم للوصف والتحليل.

وما لبثت كلمة [illegible] وما سمع [illegible] على النبى، إذ بدرت من أحد الحاضرين الغرباء عن الرهط كلمة نابية [illegible] من سوء الأدب وسوء الذوق وسوء الطوية. وكان الفتى الذى بدرت منه الكلمة متحذلقاً، يتظاهر بالمعرفة، ويحسب أن التطاول على الأنبياء من لوازم الإطلاع على الفلسفة والعلوم الحديثة [illegible] شيء على النبى والزوج، وشيء عن البطولة، فحواه أن بطولة محمد إنما هى بطولة سيف ودماء!.

وارتفعت لهجة النقاش هنيهة، ثم هدأت بخروج الفتى صاحب الكلمة، واعتذاره قبل خروجه بتفسير كلامه على معنى مقبول، أو خيل إليه أنه مقبول.

وتساءلنا: ما بالنا نقنع بتمجيد «كارليل» للنبى، وهو كاتب غربى لا يفهمه كما نفهمه، ولا يعرف الإسلام كما نعرفه.. ثم سألنى بعض الإخوان: «ما بالك أنت يا فلان لا تضع لقراء العربية كتاباً عن محمد عن النمط الحديث؟!».

[illegible] أن يتم ذلك فى وقت قريب، ولكنه لم يتم فى وقت قريب.. بل تم بعد ثلاثين سنة!..

ثم يعلل المؤلف لهذا التأخير بأن الخيرة فى الواقع والخيرة كذلك فى هذا التأخير، حيث نظر المؤلف إلى محصول خبرة ومعرفة وتربية نفسية، وفكرية التى جمعها خلال هذه المدة لذلك نراه يقول:

أين كنا قبل تلك السنين الثلاثين؟

إنها مسافات فى عالم الفكر والروح.. لم تمثلت مكتوب مسطور. لأحد [illegible] من الصور ومشاهد النظر بغير قرار.

كم رأى.. كم مذهب.. كم وسواس.. كم محنة.. كم مراجعة.. كم زلزال يتضعضع له الكيان وتميد معه الدعائم والأركان.. كم، وكم فى ثلاثين سنة لما يطرق [illegible] لا تعقيباً أحياناً من التجارب والعوارض غدة عن فى نهار.. وكم لذلك كله من أثر فى توطيد الرأى وتهدئة الثوائر وتجلية الغبار.. وكم يضيف ذلك كله إلى الشباب الذاكر الذى كان يحلم يومئذ بالعظمة فى كل أوج، وبالأوج المحمدى فى عليا مراتب الأنبياء!

ويؤكد المؤلف أن هدف هذا الكتاب هو الرد على هؤلاء الأغرار والشانئين فيقول:

واليوم نحن نضع كتابنا هذا عن «عبقرية محمد» بين يدى القراء - لا نقول: إننا قد ستوفيناه كما أردناه ولا إننا قد نضعه فيه العرض الذى نرجيناه.. ولكننا نقول: إننا التزمنا فيه الباعث الذى أوحى الاقتراح بتأليفه لأول مرة.. كأنا شرعنا فى كتابته منذ ذلك اليوم قبل ثلاثين سنة، فكتبناه ونحن نستحضر فى الذهن تبرئة المقام المحمدى من تلك الأقاويل التى يخلط بها الأغرار والجهلاء عن حذلقة أو سوء نية.

الكتاب: يقع الكتاب فى مائة وخمسين وأربع صفحات من قطع ١٧سم x ٢٤سم صدر عن نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة فى طبعته الثانية عشرة فى أغسطس ٢٠١٠.. وقد ضمن المؤلف كتابه أربعة عشر فصلاً هى: علامات مولد - عبقرية الداعى - عبقرية محمد العسكرية - عبقرية محمد السياسية - عبقرية محمد الإدارية - الصديق - محمد الصديق - محمد الرئيس - الزوج - الأب - السيد - العابد - الرجل - محمد فى التاريخ.

علامات مولد

لقد ألقى المؤلف الضوء على أهم العناصر التى تشير إلى قرب ميلاد الرسول الهادى.. فبدأ ينظر فى عمق الزمن ويطيل النظر إلى العالم، فوجد عالماً متداعياً قد شارف النهاية، فقد أسباب الطمأنينة فى الباطن والظاهر.

وجد الإمبراطورية قد خرجت من شيخ إلى أحدث العقيم الذى أصبح بعد ذلك علماً عليها.

ووجد «فارس» قد سخر فيها المجوس من فين المجوس.

ووجد الحبشة مقلقة بين الأوثان المستعارة من الحضارة تارة ومن الهمجية تارة.. هذا عن حال العالم.

ثم نظر إلى هذه [illegible] فوجد أمة ليست بذات دولة، ولكنها تتأهب لإقامة دولة.. هى الأمة العربية، وقد تيقظت لوجودها وشعرت بمكانتها، كما شعرت بالخطر عليها وبمواضع النقص منها.

ثم نظر فوجد مدينة واحدة تجتمع [illegible] ثروة الجزيرة، وعصبة من سادة القوم تجتمع فى أيديها ثروة [illegible] فإذا ثم [illegible] وجد قبيلة فى تلك الأمة فى تلك المدينة [illegible] إحداهما من أصحاب [illegible] والطمع [illegible] على هو [illegible]

والأخرى: من أصحاب التقوى والسماحة والتوسط بين مقام القوى الذى يجور ويطغى، وبين مقام الضعيف الذى يحتمل الأذى ويصبر على الكريهة.

ثم نظر من وسط هذا كله إلى بيت من تلك الشعبة الوسطى له كرم النسب العريق، وليس له لؤم الثروة الجامحة والكبرياء الجائحة، والقسوة على من دونه من المحرومين.

ذلك هو بيت عبدالمطلب من صميم قريش ومن ذؤابتها العليا وإن لم يكن معدوداً من أثرياء القبيلة القرشية فى تلك الأونة.

[illegible] البيت «عبدالمطلب» رجل قوى خلق، قوى الإيمان فيما آمن به، حكيم مع قوة طبعه وشدة إيمانه، خليق أن ينجب العقب الذى يبشر بدعوة ويصبح عن دين.

ثم تتابع المؤلف حديثه ليصل إلى الأب. فيقول: وإذا كان «عبدالمطلب» جداً صالحاً لنبى كريم، فابنه «عبدالله» نعم الأب لذلك النبى الكريم.

وليقف عند عبدالله أقرب هذه الأصول الكريمة [illegible] بكلمة هى خلاصة ما تقدم إذ يقول: لكأنما كان بضعة من عالم الغيب، أرسلت إلى هذه [illegible] وهى لا [illegible]

ويريد المؤلف هذه [illegible] عبدالله بضعة [illegible] فيها تاريخ حياة الرجل، إذ يقول: كان إنساناً من طينة الشهداء، يتجه إلى القلب الإنسانى بكل ما فيه من حب وحنو ورحمة [illegible] الذى [illegible] للفداء. فجاشت له شفقة قومه حتى تركه لهم القدر إلى حين، وهو الفتى الذى تحدثت الفتيات فى الخدور بوسامته وحيائه، وودت مئات منهن لو نعمن منه بنعمة الزواج، وهو الفتى الذى أقام مع عروسه ثلاثة أيام، ثم سافر ليتجر فإذا هى السفرة التى لا يؤوب منها [illegible] وهو [illegible] وهو غريب [illegible] نسله الكريم وهو دفين.

[illegible] الأنبياء [illegible] التى تصل بين الآخرة والدنيا وبين عالم البقاء وعالم الفناء.

ثم جاء الكلام عن الرجل الذى لا يساميه رجل، الرجل الذى [illegible] ولعل من يقرأ هذه الكلمات يعلم تماماً أن المؤلف أراد بالعبقرية هنا عبقرية خاصة تليق بالنبى لا [illegible] التى [illegible] المؤلف تحت عنوان «رجل»

عالم يتطلع إلى نبى [illegible] يتطلع إلى نبى، ومدينة تتطلع إلى نبى، وقبيلة [illegible] لإنجاب ذلك النبى

ثم ها هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر فى صفاته ومقدماته، ولا يدانيه رجل آخر فى مناقبه الفضلى التى

هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة.. وفي الجزيرة، وفي العالم بأسره.

نبيل عريق النسب، وليس بالوضيع الخامل، فيصغر قدره في أمة الأنساب والأحساب.

فقير.. وليس بالغني المترف، فيطغيه بأس النبلاء والأغنياء، ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار.

يتيم بين رحماء.. فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذي تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح، وفضيلة العطف على الآخرين.

خبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة، تربى في الصحراء وألف المدينة، ورعى القطعان، واشتغل بالتجارة، وشهد الحروب والأحلاف، واقترب من السراة ولم يبتعد عن الفقراء.

فهو خلاصة الكفاية العربية في خير ما تكون عليه الكفاية العربية..

وهو على صلة بالدنيا التي أحاطت بقومه.. فلا هو يجهلها فيغفل عنها، ولا يغامسها كل المغامسة فيغرق في لجتها.

أصلح رجل من أصلح بيت في أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة، على غير علم من الدنيا التي ترقبها..

ذلك محمد بن عبدالله عليه السلام..

ويشير المؤلف في نهاية هذا الفصل إلى جهود المؤرخين في استقصاء بشائر الرسالة المحمدية.. يسردون ما أكده الرواة منها وما لم يؤكدوه، وما قبله المحققون منها وما لم يقبلوه، وما يتصل منها بالحوادث وما ناقضته، وما أيدته العلوم الحديثة أو عارضته.

ثم يشير إلى قضية منطقية مفادها أن تلك البشائر لم يكن لها أثر في إقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبي بالرسالة وكذلك لم يكن ثبوت الإسلام موقوفاً عليه؛ لأن الذين شهدوا علامات يوم الميلاد لم يعرفوا معناها ومؤداها ولا عرفوا أنها علامة على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة.

ولأن الذين سمعوا بالدعوة وأصاخوا إلى الرسالة بعد التبشير بأربعين سنة لم يشهدوا بشارة واحدة منها، ولم يحتاجوا إلى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا إليه.

ثم يسترسل إلى بحث لا يحتمل الشك أن العلامة التي لا التباس فيها ولا سبيل إلى إنكارها: هي علامة الكون وعلامة التاريخ.

يقول: أما حوادث الكون فقد كانت الدنيا في حاجة إلى رسالة.

وأما حقائق التاريخ فقد كان محمد صاحب تلك الرسالة.

ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ.

عبقرية الداعي

وفي هذا الفصل الثاني من الكتاب يوضح المؤلف أن محمدا كان مستكملا للصفات التي لا غنى عنها في إنجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ، كانت له فصاحة اللسان واللغة، وكانت له القدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة.

وكانت له قوة الإيمان بدعوته وغيرته البالغة على نجاحها، وهذه صفات للرسول غير أحوال الرسول، ولكنها هي التي عليها المدار في تبليغ الرسالة، ولو اتفقت فيما عداها جميع الأحوال.

ولأن الفصاحة أساس في نجاح الدعوة فقد خصها المؤلف بشيء من التوضيح، لأنها الصفة التي يجتمع للكلام ولهيئة النطق بالكلام، ولموضوع الكلام، فقد يكون الكلام فصيحا وهيئة النطق غير فصيحة، أو يكون الكلام والنطق به فصيحين، ثم لا تجتمع لموضوعه صفة الفصاحة لتسري في الأسماع والقلوب.

ثم يقول عن فصاحة النبي ﷺ: إن فصاحة محمد، فقد تكملت له في كلامه، وفي هيئة نطقه بكلامه، وفي موضوع كلامه..

فكان أعرب العرب، كما قال عليه السلام: أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر.

فله من اللسان العربي أفصحه بهذه النشأة القرشية البدوية الموفقة، وهذه هي فصاحة الكلام.

ولكن الرجل قد يكون عربياً قرشياً مسترضعاً في بني سعد، ويكون نطقه بعد ذلك غير سليم، أو يكون صوته غير محبوب، أو يكون ترتيبه لكلماته غير مأنوس.. فيتاح له الكلام الجميل ثم يعوزه النطق الجميل.

أما محمد فقد كان جمال فصاحته في نطقه، كجمال فصاحته في كلامه.

واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها، وقدرته على يقعيها في أحسن مواقعها.. فهو صاحب كلام سليم في نطق سليم.

ولكن الرجل قد يكون عربياً قرشياً مسترضعاً في بني سعد، ويكون مبيناً في كلامه سليماً في نطقه ثم لا يقول شيئاً يستحق أن يستمع إليه السامع في موضوعه.

فهذا النقص قد تنزه عنه الرسول في فصاحته البالغة من شتى نواحيها.

وبهذا المنطق الجامع يتكلم المؤلف في هذا الفصل عن: «الوسامة والثقة، والإيمان والغيرة».

ويختم المؤلف هذا الفصل بالكلام عن نجاح الدعوة فيقول: إن الذين دخلوا في الدين الجديد كانوا يتعرضون لسيوف المشركين ولا يعرضون أحدا لسيوفهم، وكانوا يلقون عنتا ولا يصيبون أحدا بعنت، وكانوا يخرجون من ديارهم ليلوذوا بأنفسهم وأبنائهم من كيد الكائدين، ونقمة الناقمين، ولا يخرجون أحدا من داره.

فهم لم يسلموا على حد السيف خوفاً من النبي الأعزل المفرد بين قومه الغاضبين عليه، بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأقوياء المتحكمين، ولما تكاثروا وتناصروا حملوا السيف ليدفعوا الأذى ويبطلوا الإرهاب والوعيد، ولم يحملوه ليفرضوا دعوتهم أو يستطيلوا على الناس بالسلطان.

فلم تكن حرب من حروب النبوة كلها حرب هجوم، ولم تكن كلها إلا حروب دفاع وامتناع.

وليس قول أبين للحقيقة ولا أقطع للشك من قول المؤلف:

لم يكن في إسلام الفقراء الذين هم أقل من غيرهم ناصراً، وأضعف منهم بأساً حرص ولا طمع، لأنهم تعرضوا بإسلامهم للسيف ولم يحتموا بالسيف حين أسلموا لله ورسوله، وما كفر الذين كفروا زهداً ولا شجاعة، فيقال إن الذين سبقوهم إلى الإسلام قد فعلوا ذلك لشغف بلذات الجنة، وجبن عن مواجهة القوة.. ولكنهم اختلفوا حيث تطلب طهارة السيرة وصلاح الأمور، فمن كان أقرب إلى هذه الطلبة من غني أو فقير، ومن سيد أو مستعبد فقد أسلم، ومن كان به زيغ عنها فقد أبى. وهو استنتاج صحيح يتفق مع ما جاء في حديث الرسول ﷺ فعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم.

قالوا: يا رسول الله ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم. قال: فخيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

وهكذا يصل المؤلف إلى نتيجة مفادها أن دعوة الإسلام نجحت لأنها دعوة طلبتها الدنيا، ومهدت لها الحوادث وقام بها داع تهيأ لها بعناية ربه.

(يتبع)

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

أحباب مصر.. تعالوا إلى كلمة سواء

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار مدير عام مطحن وإدارة سانق - سدهور - قليوبية:

ورد اسم مصر في كتاب الله العزيز في عدة مواضع.. فيها يوصي رب العزة - سبحانه على حفظ مصر وشعبها بالأمن والأمان حيث يقول

﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

(يوسف ٩٩)

كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أيضاً.. حيث يحكي لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي يقول: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال الصديق رضي الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال:

«إنهم في رباط إلى يوم القيامة».

ولكي نستحق - نحن أهل مصر - هذا التكريم فإننا يجب أن نهيئ أنفسنا للتغيير الذي تهدف إليه الثورة والذي ننفض به غبار العهد الأغبر الذي ندعو الله أن يخلصنا من ذيوله وفلوله الذين يستغيرون حكمة الثورة والثوار ويتعقبونهم بالشائعات لإحداث الفتنة والانقسام بينهم وبينهم تنفيذاً لخطط الفوضى والعنف الذي أنذرنا به الرئيس المخلوع في خطاب تنحيه.

وهم بهذا يغلقون عقولهم وقلوبهم ظلما وعدوانا على حكم الله في تحريم قتل النفس إلا بالحق لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

(النساء ٩٣)

وكذلك قوله تعالى منذراً ومحذراً لأمثال هؤلاء:

﴿ [illegible] ﴾

(الفرقان ٦٧ - ٦٨)

.. وإن الدين ليس ببعيد عن الأحداث المؤلمة التي يقوم بها المجرمون أعداء الشعب ضد الثوار الأنقياء فقد أعد الله لهم الجزاء القاسي جزاء تحريضهم على الاقتتال والتناحر متقلدين السلاح والحجارة وقد حذرهم رسول الله الكريم بقوله

«من حمل علينا السلاح فليس منا.. ومن غشنا فليس منا» (رواه مسلم)

كذلك يقول

«لو أن أهل السماوات والأرض اشتركوا في قتل مؤمن لأكبهم الله في النار»

وأيضا قوله

«من أعان على قتل مسلم ولو بشق كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله».

إن النبي ﷺ تحدث وكأنه يعيش بيننا الآن عن هذا التقاتل بين الأبناء في مصر قلب الإسلام والمسلمين بقوله في وداعه للأمة وللصحابة حيث كان يوصي الناس في حجة الوداع

«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» كما حذر الأمة في نفس الخطبة من أن يرتدوا من بعده إلى عصر الجاهلية فيعادي بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا بغير حق.. كما يقول:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

أن تحقيق التغيير الذي يتطلبه الضمير الثوري لتجديد تطلعاتنا وسلوكياتنا في ضوء تقاليدنا المتوارثة وقواعد ديننا وهو بالحق تغيير واجب التنفيذ لقوله تعالى

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد ١١)

وإن ما نقاسيه اليوم من نقاش بسبب تعدد الاتجاهات أمامنا هو ظاهرة صحية نرجو أن تكون هي المخاض الذي ينتج عنه التغيير المطلوب للوصول إلى الأفضل بيقظة الوعي والرجوع إلى الحق والصواب ونأمل أن يحدث هذا في ظل الهدوء والاستقرار وتحكيم العقل والتروي خشية أن تأخذنا زحمة التيارات والنقاشات إلى طريق مسدود يعوقنا عن الوصول إلى الحل المرضي لجميع أطراف الأمة والذي يرسو بنا إلى شط الأمان.. وما علينا إلا أن نجمع بكل إخلاص كل طاقات الحب لبلدنا لتكون دفعة قوية للدفع الثوري محوطا بكل آمال وأحلام المحبين من أجل الانطلاق للبناء والتعمير بروح التحدي في حماية جيشنا وفدائية ثورتنا حتى نحتفل بالذكرى لقيامها ونحن ننعم بالأمن والسلام وننزع فتيل الفتنة التي يدبر لها أعداؤنا ولنرد كيدهم في نحورهم تحت راية الوحدة الوطنية التي يشهد بها تاريخنا البعيد حتى الآن ولنهبَّ حتى نتفرغ لبناء الأمجاد ولن يتراجع قطار الثورة إلى الوراء أبدا.

والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

الأمة بين ربيعين!

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ/ مصطفى الأزهري خطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة - قال فيها:

لا أنس قول أمير الشعراء، تعودت أن أدعو به لأمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله كلما قرأت أو سمعت هذا البيت

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء

إذ تغمرني فرحة مستحقة بتلك النعمة الكبرى التي يصفها المولى عز وجل بقوله:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

ويغمرني شعور عارم بالغبطة والسرور لحكمة الله العلي الكبير أن يولد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في شهر ربيع الأول ليفوح من يومها عبير الخير والرحمة والهدى والنور وكل معاني المحبة والسلام على ربوع الأرض بهذا النبي العربي الذي جاء ليعيد للإنسان إنسانيته، ويمنحه حريته ويفتح قلبه وعقله على معان جديدة للحرية في ظلال العبودية لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وشاء الرب المقتدر جل جلاله أن يولد المصطفى فيما سمي بـ«عام الفيل»، وهو العام الذي أغرى أبرهة الأشرم شيطانه بالتوجه إلى بيت الله الحرام ليهدم الكعبة لتصبح قبلته رهانا لقبائل العرب، وعلى رأسها قريش التي لم يكن لها عهد بهذه المدنية المتضخمة في بلادهم وهي ترى عظم وعروبة وعتاد عسكر من محاولة هدم الكعبة المشرفة، لكن الطغيان يعمي قلوب أصحابه ويطمس على بصائرهم، فحفظ الله بيته الحرام كما أخبر عبد المطلب جد النبي لأبرهة «للبيت رب يحميه»، فصدق الله ظنه وحمى بيته وأهلك عدوه وجاء القرآن ليحمل القصة بكل ما فيها من دلالات جليلة ومالمة ليقصها في آيات قصيرة على سيد الهدى ولد في نفس العام فقال تعالى

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾

(سورة الفيل)

مخبرا حبيبه المصطفى بأنه حفظ البيت الذي أقام قواعده إبراهيم وولده إسماعيل ليكون قبلة أمة رسول رب العالمين، فكان في هلاك الظالم مطردة لآفة الظلم، وتصفية لأجواء مكة من كل من يحاول تعكير أجوائها النقية التي يفوح عبيرها من البيت الحرام، وليولد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم في هذا العام ليكون مولده نارا تحرق الطغاة والمتكبرين، ورحمة يستنشق شذاه من نشأ محمد فيهم يتيما وللعالمين من بعد ذلك أجمعين..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

ويمر الزمان على أمتنا منتصرة حينا مغلوبة على أمرها حينا ويخفض الله تعالى أقواما، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ونحل ذكرى مولد النور والبهجة والسرور على أمة العرب والمسلمين وبالي شهر ربيع الأول وقد سقطت عروش ظالمة، وهوت أنظمة كانت متفرعنة حاكمة ليتزامن - بحكمة الله العليا - ما يسمى بـ«ثورات الربيع العربي» مع ذكرى مولد النبي العربي؛ عسى أن تعود من جديد في ذكرى نبيها كما في زمن [illegible]

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

ذكرى المصطفى ﷺ

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية الموحدة - إدارة الدقي التعليمية الجيزة:

مع إحياء ذكرى المصطفى - ﷺ - يجب علينا أن نتمسك بما جاء في كتاب الله قولا وعملا وذلك باتباع سنته والعمل على إحيائها قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي».

- ويمكننا أن نجعل من هذا اليوم ميدانا للتنافس في الخير ومجالا لتكريم طفل يتيم أو حافظ للقرآن الكريم بتقديم المنح والجوائز لهم.
- أن كما كانت ذكرى الأولى لعظمة سيدنا محمد - ﷺ - فقد كانت حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم وأفعالهم يترسمون خطاها في الآفاق تفتح القلوب، وتنير العقول، وتحيي الضمائر، فكان كل مسلم دليلا على مبادئ الإسلام وكأنه يقول لكل من يراه أنا الإسلام الذي جاء به سيد المرسلين - ﷺ -.
- إن ذكرى مولد رسول الله خالدة بكتابها الخالد الذي يهدي الإنسان في الحياة إلى التي هي أقوم، فهي خالدة بخلود آثارها في العالم تنطلق أشعتها على مجاهيل الأرض فتنبض لها القلوب، وتتحرك لها العقول، وتنشرح بها الصدور.
- إن هذه الذكرى ليست في حاجة إلى تعيين زمن بعينه يتذكر فيه الناس عظمة رسول الله عن طريق الاحتفالات أو الخطب. وكيف تحتاج إلى تذكير وهي ملء السمع والقلب.
- وآخرا وليس بآخر فالذكرى باقية ينبغي أن نعيشها في جميع أوقاتنا. ولا حرج أن نجعل من يوم ميلاده - ﷺ - مثلا أعلى وأسوة حسنة. قال تعالى

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

أنباء الأزهر

إعداد الأساتذة:
محمود الفشني - عبد الموجود أمين


د. أحمد الطيب

بيان الأزهر والمثقفين عن منظومة الحريات الأساسية

يتطلع المصريون، والأمة العربية والإسلامية، بعد ثورات التحرير التي أطلقت الحريات، وأذكت روح النهضة الشاملة لدى مختلف الفئات، إلى علماء الأمة ومفكريها المثقفين، كي يحددوا العلاقة بين المبادئ الكلية للشريعة الإسلامية السمحاء ومنظومة الحريات الأساسية التي أجمعت عليها المواثيق الدولية، وأسفرت عنها التجربة الحضارية للشعب المصري، تأصيلاً لأسسها، وتأكيداً لثوابتها، وتحديداً لشروطها التي تحمي حركة التطور وتفتح آفاق المستقبل، وهي حرية العقيدة وحرية الرأي والتعبير، وحرية البحث العلمي، وحرية الإبداع الأدبي والفني، على أساس ثابت من رعاية مقاصد الشريعة الغراء، وإدراك روح التشريع الدستوري الحديث، ومقتضيات التقدم المعرفي الإنساني، بما يجعل من الطاقة الروحية للأمة وقوداً للنهضة، وحافزاً للتقدم، وسبيلاً للرقي المادي والمعنوي، في جهد موصول يتسق فيه خطاب الثقافة الرشيد مع خطاب الدين المستنير، ويتآلفان معاً في نسق مستقبلي مثمر، تتحد فيه الأهداف والغايات التي يتوافق عليها الجميع.

ومن هنا فإن مجموعة العلماء الأزهريين والمثقفين المصريين الذين أصدروا وثيقة الأزهر الأولى برعاية من الأزهر الشريف، وأتبعوها ببيان دعم حراك الشعوب العربية الشقيقة نحو الحرية والديمقراطية، قد واصلوا نشاطهم وتدارسوا فيما بينهم القواسم الفكرية المشتركة في منظومة الحريات والحقوق الإنسانية، وانتهوا إلى إقرار جملة من المبادئ والضوابط الحاكمة لهذه الحريات، انطلاقاً من متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة، وحفاظاً على جوهر التوافق المجتمعي، ومراعاة للصالح العام في مرحلة التحول الديمقراطي، حتى تنتقل الأمة إلى بناء مؤسساتها الدستورية بسلام واعتدال وتوفيق من الله تعالى.

وبما لا يسمح باستثمار بعض الدعوات المغرضة بكل أشكالها، والتي تتدخل في حريات الناس العامة والخاصة الأمر الذي لا يتناسب مع التطور الحضاري والاجتماعي لمصر الحديثة، في الوقت الذي تحتاج فيه البلاد إلى وحدة الكلمة والفهم الوسطي الصحيح للدين والذي هو رسالة الأزهر الدينية ومسئوليته نحو المجتمع والوطن

أولاً: حرية العقيدة:

تعتبر حرية العقيدة، وما يرتبط بها من حق المواطنة الكاملة للجميع، القائم على المساواة التامة في الحقوق والواجبات حجر الزاوية في البناء المجتمعي الحديث، وهي مكفولة بثوابت النصوص الدينية القطعية وصريح الأصول الدستورية والقانونية، إذ يقول المولى عز وجل:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

ويقول:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩)

ويترتب على ذلك تجريم أي مظهر للإكراه في الدين، أو الاضطهاد أو التمييز بسببه، فلكل فرد في المجتمع أن يعتنق من الأفكار ما يشاء، دون أن يمس حق المجتمع في الحفاظ على العقائد السماوية، فللأديان الإلهية الثلاثة قداستها، وللأفراد حرية إقامة شعائرها دون عدوان على مشاعر بعضهم أو مساس بحرمتها قولاً أو فعلاً ودون إخلال بالنظام العام.

ولما كان الوطن العربي مهبط الوحي السماوي وحاضن الأديان الإلهية كان أشد التزاماً برعاية قداستها واحترام شعائرها وصيانة حقوق المؤمنين بها في حرية وكرامة وإخاء.

ويترتب على حق حرية الاعتقاد التسليم بمشروعية التعدد ورعاية حق الاختلاف ووجوب مراعاة كل مواطن مشاعر الآخرين والمساواة بينهم على أساس متين من المواطنة والشراكة وتكافؤ الفرص في جميع الحقوق والواجبات.

كما يترتب أيضاً على احترام حرية الاعتقاد رفض نزعات الإقصاء والتكفير، ورفض التوجهات التي تدين عقائد الآخرين ومحاولات التفتيش في ضمائر المؤمنين بهذه العقائد، بناء على ما استقر من نظم دستورية بل بناء على ما استقر قبل ذلك - بين علماء المسلمين من أحكام صريحة قاطعة قررتها الشريعة السمحاء في الأثر النبوي الشريف (هلا شققت عن قلبه) والتي قررها إمام أهل المدينة المنورة الإمام مالك والأئمة الآخرون بقوله: (إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر)، وقد أعلى أئمة الاجتهاد والتشريع من شأن العقل في الإسلام، وتركوا لنا قاعدتهم الذهبية التي تقرر أنه: (إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأول النقل) تغليباً للمصلحة المعتبرة وإعمالاً لمقاصد الشريعة.

ثانياً - حرية الرأي والتعبير:

حرية الرأي هي أم الحريات كلها، وتتجلى في التعبير عن الرأي تعبيراً حراً بمختلف وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإنتاج فني وتواصل رقمي، وهي مظهر الحريات الاجتماعية التي تتجاوز الأفراد لتشمل غيرهم مثل تكوين الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، كما تشمل حرية الصحافة والإعلام المسموع

والعرض والتوقي. وحرية الحصول على المعلومات اللازمة لإبداء الرأي. ولا بد أن تكون مكفولة بالنصوص الدستورية لتسمو على القوانين العادية القابلة للتغيير. وقد استقرت المحكمة الدستورية العليا في مصر على توسيع مفهوم حرية التعبير ليشمل النقد البناء، ولو كان حاد العبارة، ونصت على أنه: لا يجوز أن تكون حرية التعبير في القضايا العامة مقيدة بعدم التجاوز، بل يتعين التسامح فيها، لكن من الضروري أن ننبه إلى وجوب احترام عقائد الأديان الإلهية الثلاثة وشعائرها لما في ذلك من خطورة على النسيج الوطني والأمن القومي. فليس من حق أحد أن يثير الفتن الطائفية أو النعرات المذهبية باسم حرية التعبير. وإن كان حق الاجتهاد بالرأي العلمي المقترن بالدليل، وفي الأوساط المتخصصة، والبعيد عن الإثارة مكفولا كما سبق القول في حرية البحث العلمي.

ويعلن المجتمعون أن حرية الرأي والتعبير هي المظهر الحقيقي للديمقراطية، ويناديون بتنشئة الأجيال الجديدة وتربيتها على ثقافة الحرية وحق الاختلاف واحترام الآخرين. ويهيبون بالعاملين في مجال الخطاب الديني والثقافي والسياسي في وسائل الإعلام مراعاة هذا البعد المهم في ممارساتهم، وتوخي الحكمة في تكوين رأي عام يتسم بالتسامح وسعة الأفق ويحتكم للحوار ونبذ التعصب. وينبغي لتحقيق ذلك استحضار التقاليد الحضارية للفكر الإسلامي السمح، إذ كان يقول كبار أئمة الاجتهاد: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، ومن ثم فلا سبيل لتحصين حرية الرأي سوى مقارعة الحجة بالحجة طبقا لآداب الحوار، وما استقرت عليه الأعراف الحضارية في المجتمعات الراقية.

ثالثا - حرية البحث العلمي:

يعد البحث العلمي الجاد في العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية وغيرها، قاطرة التقدم البشري، ووسيلة اكتشاف سنن الكون ومعرفة قوانينه لتسخيرها لخير الإنسانية. ولا يمكن لهذا البحث أن يتم ويؤتي ثماره النظرية والتطبيقية دون تكريس طاقة الأمة له وحشد إمكاناتها من أجله. ولقد كانت النصوص القرآنية الكريمة في الحث على النظر والتفكر والاستنباط والقياس والتأمل في الظواهر الكونية والإنسانية لاكتشاف سننها وقوانينها، ومهدت الطريق لأكبر نهضة علمية في تاريخ الشرق، نزلت إلى الواقع وأسعدت الإنسان شرقا وغربا. وقادها علماء الإسلام ونقلوا شعلتها لتضيء عصر النهضة الغربية كما هو معروف وثابت. وإذا كان التفكير في عمومه فريضة إسلامية في مختلف المعارف والفنون كما يقول المجتهدون؛ فإن البحث العلمي النظري والتجريبي هو أداة هذا التفكير. وأهم شروطه أن تمتلك المؤسسات البحثية والعلماء المتخصصون حرية أكاديمية تامة في إجراء التجارب وفرض الفروض والاحتمالات واختبارها بالمعايير العلمية الدقيقة. ومن حق هذه المؤسسات أن تمتلك الخيال الخلاق والخبرة الكفيلة بالوصول إلى نتائج جديدة تضيف للمعرفة الإنسانية. لا يوجههم في ذلك إلا أخلاقيات العلم ومناهجه وثوابته. وقد كان كبار العلماء المسلمين مثل الرازي وابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم أقطاب المعرفة العلمية وروادها في الشرق والغرب قرونا عديدة. وآن الأوان للأمة العربية والإسلامية أن تعود إلى سباق القوة وتدخل عصر المعرفة، فقد أصبح العلم مصدر القوة العسكرية والاقتصادية وسبب التقدم والتنمية والرخاء، وأصبح البحث العلمي الحر مناط نهضة التعليم وسيادة الفكر العلمي وازدهار مراكز الإنتاج، التي تخصص لها الميزانيات الضخمة، وتتشكل لها فرق العمل وتقترح لها المشروعات الكبرى، وكل ذلك مما يتطلب إطلاق أعلى سقف للبحث العلمي والإنساني. وقد

أوشك الغرب أن يقبض بيديه على كل تقدم علمي وأن يحتكر مسيرة العلم لولا نهضة اليابان والصين والهند وجنوب شرقي آسيا التي قدمت نماذج مضيئة لقدرة الشرق على كسر هذا الاحتكار، ولدخول عصر العلم والمعرفة من أوسع الأبواب. وقد آن الأوان ليدخل المصريون والعرب والمسلمون ساحة المنافسة العلمية والحضارية. ولديهم ما يؤهلهم من الطاقات الروحية والمادية والبشرية وغيرها من شروط التقدم في عالم لا يحترم الضعفاء والمتخلفين.

رابعا - حرية الإبداع الأدبي والفني:

تستهدف الآداب والفنون في جملتها تنمية الوعي بالواقع، وتنشيط الخيال، وترقية الإحساس الجمالي وتثقيف الحواس الإنسانية وتوسيع مداركها وتعميق خبرة الإنسان بالحياة والمجتمع. كما تقوم بنقد المجتمع أحيانا والاستشراف لما هو أرقى وأفضل منه. وكلها وظائف سامية تؤدي في حقيقة الأمر إلى إثراء اللغة والثقافة وتنشيط الخيال وتنمية الفكر، مع مراعاة القيم الدينية العليا والفضائل الأخلاقية.

ولقد تميزت اللغة العربية بثرائها الأدبي وبلاغتها المشهودة، حتى جاء القرآن الكريم في الذروة من البلاغة والإعجاز، فزاد من جمالها وأبرز عبقريتها، وتغذت منه فنون الشعر والنثر والحكمة، وانطلقت مواهب الشعراء والكتاب - من جميع الأجناس التي دخلت في الإسلام ونطقت بالعربية - تبدع في جميع الفنون بحرية على مر العصور دون حرج. بل إن كثيرا من العلماء القائمين على الثقافة العربية والإسلامية من شيوخ وأئمة كانوا هم من رواة الشعر والقصص بجميع أشكاله، على أن القاعدة الأساسية التي تحكم حدود حرية الإبداع هي قابلية المجتمع من ناحية، وقدرته على استيعاب عناصر التراث والتجديد في الإبداع الأدبي والفني من ناحية أخرى، وعدم التعرض لها ما لم تمس المشاعر الدينية أو القيم الأخلاقية المستقرة. ويظل الإبداع الأدبي والفني من أهم مظاهر ازدهار منظومة الحريات الأساسية وأشدها فعالية في تحريك وعي المجتمع وإثراء وجدانه، وكلما ترسخت الحرية الرشيدة كان ذلك دليلا على تحضره. فالآداب والفنون مرآة لضمائر المجتمعات وتعبير صادق عن ثوابتها ومتغيراتها، وتعرض صورة ناضرة لطموحاتها في مستقبل أفضل. والله الموفق لما فيه الخير والسداد.

شيخ الأزهر

مشيخة الأزهر - ١٦ من صفر سنة ١٤٣٣هـ - ١٠ من يناير سنة ٢٠١٢م

أحمد الطيب

بيان الأزهر الشريف حول استكمال أهداف الثورة المصرية واستعادة روحها

بمبادرة وطنية من الأزهر الشريف وبمشاركة كريمة من مجلس الوزراء، والكنيسة المصرية الوطنية، والقيادات الشعبية وفي هذا اليوم التاريخي. عيد الثورة المصرية الأولى. الثورة التي بهرت العالم بحضاريتها غير المسبوقة، وطابعها السلمي الخالص، وحرصها على الإجماع الوطني لمصر بكل رجالها ونسائها، واستعانتها بأحدث أسلحة العصر في ثورة الاتصالات العلمية، لتحرز أول أهدافها الثورية، وهو تخليص مصر من حقبة اتسمت بالفساد والضعف، والقمع والظلم - في هذا اليوم تعود مصر كلها اليوم إلى هذا المكان الذي شهد ميلاد الثورة، وشهد تضحيات الشباب الوطني المخلص، ممن قدموا أرواحهم فداء لمصر، تعود مصر -اليوم- إلى ميدان التحرير، الذي دخل بحروفه العربية كل لغات العالم، وقر بروحه

الديمقراطية على العديد من شعوب الشرق والغرب.

اليوم: مصر الميدان ومصر البرلمان، مصر الجيش ومصر الشعب، مصر الحكومة، ومصر الأزهر، مصر الوطن ومصر العروبة، مصر الإسلام ومصر المسيحية، مصر التاريخ والتراث، ومصر الحاضر والمستقبل، مصر التدين الأصيل ومصر الحريات المدنية المكفولة، تتطلع إليها العالم كله بوجهها الثوري النبيل، معلنة هذه الالتزامات الوطنية:

١ - الحفاظ على روح هذه الثورة كما كانت خلال الأيام الثمانية عشرة التي غيرت مجرى التاريخ المصري، وجمعت كل أبناء الوطن على كلمة سواء.

٢ - التعاهد الوطني بالتزام كل الفئات المختلفة على تحقيق أهداف ثورة الخامس والعشرين من يناير.

٣ - التوافق الوطني على رعاية كل مكونات هذا الوطن، دون غلبة أو هيمنة أو إقصاء أو انحياز.

٤ - تأكيد حق المواطن الدستوري في محاكمته أمام قاضيه الطبيعي، ومنع المحاكمات العسكرية للمدنيين، والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين.

٥ - سرعة المحاكمات بما لا يخل بحرمة الحق ومقتضى العدل وواجب النزاهة.

٦ - استكمال الوفاء بحقوق أسر الشهداء والمصابين في العلاج والتعويض والعمل والرعاية التامة.

٧ - المضي في البناء الديموقراطي لمؤسسات الدولة وإتمام تسليم السلطة للمدنيين في موعدها المحدد دون إبطاء.

٨ - الالتزام بما أسفرت عنه الانتخابات النزيهة الحرة من نتائج، والتعاون بين شباب الثورة حماتها وممثلي الشعب المنتخبين في بناء مصر المستقبل تحت مظلة الديموقراطية وعلى أساس من الشرعية البرلمانية والتوافق الوطني.

٩ - القضاء على آثار السياسات القمعية، والفساد الشامل، مع العمل الجاد على بناء اقتصاد مصري قوي، يستثمر كل إمكانات مصر، ويحقق العدالة لجميع أبنائها.

١٠ - عودة الدور الوطني المصري في ريادة المنطقة، والإسهام في السياسة الدولية بفكر حر دون تبعية أو انحياز.

١١ - عودة الجيش الوطني - درع الوطن وحامي الشرعية الثورية - إلى دوره في حراسة حدود مصر وأمنها القومي.

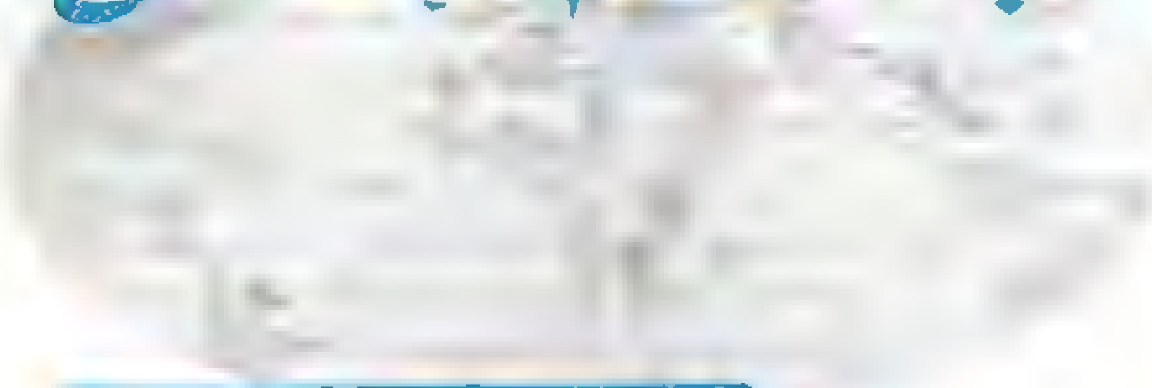
١٢ - إطلاق طاقات الشعب، وبخاصة شبابه الثوري للنهوض بالمجتمع والدولة، ومحاربة التخلف والفقر والمرض والجهل، والنهوض بمصر سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا لتكون النموذج المضيء للأمة العرب والمسلمين.

والله خير الشاهدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل

شيخ الأزهر

أ. د/ أحمد الطيب

أنباء العالم الإسلامي



التعاون الإسلامي تقرر بطلان مشروع قانون «القدس عاصمة لإسرائيل»

دعا الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، مجلس الأمن الدولي واللجنة الرباعية واليونسكو وكافة الأطراف الفاعلة إلى التدخل من أجل وقف سياسات التمييز العنصري الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته ورفض تلك التشريعات الباطلة وعدم الاعتراف بها، وإلزام إسرائيل باحترام قواعد القانون الدولي والالتزام بقرارات الشرعية الدولية.

وأدان أوغلو مشروع قانون إعلان مدينة القدس المحتلة «عاصمة لإسرائيل وللشعب اليهودي»، معتبرا ذلك عدوانا على الشعب الفلسطيني وحقوقه الثابتة والغير قابلة للتصرف.

مصر تستدعي سفيرة هولندا احتجاجا على نشر كتاب مسيء للإسلام

استدعت وزارة الخارجية سفيرة هولندا بالقاهرة سوزان بلانك أرت، للتعبير عن إدانة مصر لاعتزام عضو البرلمان الهولندي فيلدرز نشر كتاب يسيء إلى الإسلام وإلى عدد من رموزه بصورة فجة من شأنها أن تعكس ثقافة الكراهية وازدراء الأديان التي تتنافى مع أبسط قواعد القانون الدولي ومواثيق حقوق الإنسان. وأكدت الخارجية أن مصر الثورة لا يمكنها بأي حال من الأحوال قبول تلك التصرفات غير المقبولة التي من شأنها أن تنعكس سلبا على روح التعاون التي يجب أن تسود العلاقات بين الدول. وكانت السلطات المصرية قد منعت مؤخرا النائب الهولندي فيلدرز من دخول القاهرة خلال قدومه ضمن وفد برلماني أوروبي إلى مصر.

دار الكتب: مقتنيات المجمع العلمي ٤٠ ألف كتاب ومجلد فقط

كشف الدكتور زين عبد الهادي رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية عن أن عدد الكتب التي كانت لدى المجمع العلمي ٢٣ ألف كتاب و١٧ ألف مجلد بحسب قاعدة البيانات التي تم استخراجها من الهارد ديسك، الخاص بأحد أجهزة كمبيوتر المجمع العلمي وهو ما يتعارض مع الرقم الذي أعلنه الدكتور محمد الشربيني الأمين العام للمجمع حول وجود ١٩٢ ألف كتاب داخل المجمع عند احتراقه.

وأكد أن إجمالي ما تلقته الدار كان حوالي ٤ أطنان من الورق المستخدم في تغليف الكتب المبللة قدمتها مؤسسات «الأهرام والأخبار والجمهورية والشروق».

وعن الكتب المسروقة، قال عبد الهادي إنه وزع أختام المجمع العلمي التي يبلغ عددها خمسة على الإنتربول ومكتبة الكونجرس وتجار الكتب النادرة والمزادات حتى يتم التعرف على تلك الكتب حال وجودها في أي مزاد أو لدى أي بائع كتب.

غزة تدعو لمنع اليهود من إحراق مساجدها

دعت وزارة الأوقاف في الحكومة الفلسطينية إلى تدخل الدول العربية والإسلامية والمجتمع الدولي لوضع حد لتكرار قيام المستوطنين اليهود بحرق المساجد في القدس والضفة العربية. وقالت إن الممارسة التي ينتهجها المستوطنون ضد المساجد ودور العبادة بالحرق والتدمير دليل واضح على مدى العنصرية والهمجية التي يتمتع بها الاحتلال الإسرائيلي.

واستنكرت الوزارة في بيان لها قيام مجموعة من المستوطنين المتعصبين العنصريين بإحراق مسجد في شارع شتراوس، بمدينة القدس. وأشارت إلى أن المستوطنين لم يكتفوا بحرق المسجد، بل كتبوا شعارات عنصرية على الجدران الخارجية للمسجد وشعارات أخرى معادية للعرب والمسلمين.

وقالت وزارة الأوقاف إن حماية قوات الاحتلال للمستوطنين أثناء عمليات اقتحام المساجد ودور العبادة وحرقها تتم بتواطؤ مع المستوطنين. منوهة إلى أن قوات الاحتلال في كل مرة لا تقوم بمنع المستوطنين من ارتكاب جرائمهم منذ اللحظة الأولى، بل تتركهم حتى ينتهوا من الجريمة ثم تتدخل بعد ذلك.

وأحرق مستوطنون متطرفون أجزاء من مسجد «النبي عكاشة» غرب مدينة القدس المحتلة. كما قام متطرفون في نوفمبر من العام الماضي بكتابة شعارات عنصرية على أحد مساجد قرية إبطن القريبة من حيفا، كان من بينها «للهدم»، و«حماية ثمن»، و«الحرب على الضفة الغربية»، كما رسمت على الجدران نجمة داوود.

دعوة من وزراء الثقافة لتشجيع الإبداع الثقافي

دعا المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الثقافة بالجزائر إلى تشجيع الإبداع والإنتاج الثقافي بما يعكس الموروث الحضاري الكبير للعالم الإسلامي، ودعت خلال اعتماد مشروع الوثيقة التي أعدتها الإيسيسكو حول المقاولات الثقافية.

وأكد المؤتمر على أهمية تشجيع التبادل الثقافي بين الدول الأعضاء من أجل تنمية الإبداع الفني والثقافي وتعزيز التنوع الثقافي، واستثمار الموروث الثقافي لإبراز الخصائص والحضارة الإسلامية، والاستفادة من مردوده الاقتصادي، للإسهام في التنمية الشاملة. ودعا مؤتمر الدول الأعضاء والقطاع الخاص إلى تقديم الدعم اللازم للمقاولين الشباب من أجل إنشاء مقاولات ثقافية تعنى بمختلف أنواع الإبداع الثقافي والفني الذي يزخر به الموروث الثقافي للأمة الإسلامية وتجلياته المعاصرة وتستجيب لمعايير تدبير المقاولات، لضمان استمراريتها وتعزيز تنافسيتها.

كما دعا المؤتمر الإيسيسكو إلى إعداد برنامج شامل لتكوين الأطر العاملة في المجالات الثقافية وتأهيلها والعمل على تعزيز التعاون مع الدول الأعضاء والمنظمات الدولية والإقليمية المتخصصة، من أجل تشجيع إنشاء مراكز إقليمية في مجالات الصناعات الثقافية الإبداعية.

مشروع ثقافي لمعالجة الصور النمطية عن الإسلام

اعتمد المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الثقافة، مشروع دراسة أعدته الإيسيسكو لتأهيل الصحفيين والإعلاميين لمعالجة الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى اعتماد المشروع والاسترشاد به في مقررات المعاهد والمدارس الخاصة بإعداد وتأهيل الصحفيين والإعلاميين وكليات الإعلام، لرفع الكفاءة المهنية لطلابها في مجال تصحيح المعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين. كما دعا المؤتمر الإيسيسكو إلى مواصلة الاهتمام بتأهيل الصحفيين والإعلاميين داخل العالم الإسلامي وخارجه، من أجل امتلاك التقنيات الحديثة الكفيلة بمعالجة الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين والتصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا، استنادًا إلى مضامين المنهاج المعتمد، وتعزيز التعاون والشراكة مع معاهد تكوين الصحفيين والإعلاميين في الغرب ذات الاهتمام المشترك لتحقيق ذلك.

تعاون مصري إيراني في مجال المخطوطات

اتفق كل من الدكتور محمد صابر عرب رئيس دار الكتب والوثائق القومية والسيد محمد الحسيني وزير الثقافة الإيراني والإرشاد الإسلامي على دعم وتفعيل التعاون المشترك بين البلدين في مجال المخطوطات والوثائق والأرشيف.

وتباحث عرب ـ الذي ترأس وفد مصر في أعمال الدورة السابعة للمؤتمر الإسلامي لوزراء الثقافة بطهران ـ وحسيني في لقاء مشترك على هامش المؤتمر حول جهود مشتركة لترميم وتحقيق المخطوطات الفارسية التي تمتلكها دار الكتب والوثائق في مصر. وأوضح عرب أن دار الكتب قد انتهت مؤخرا من تحرير كتالوج خاص للمخطوطات الفارسية النادرة بالهيئة. وطلب الوزير الإيراني الحصول على نسخة منه. وأعرب الوزير الإيراني عن رغبة بلاده في توقيع بروتوكول تعاون مشترك مع وزارة الثقافة المصرية، متخصصة في مجال تحقيق التراث والمخطوطات ونشرها. ورحب رئيس دار الكتب والوثائق المصرية بالتعاون مع وزارة الثقافة الإيرانية مبديا استعداده للتعاون العلمي مع وزارة الثقافة الإيرانية.

أمين اتحاد المدارس العربية الإسلامية: نستعين بعلماء الأزهر لنشر اللغة العربية

أكد المستشار عبد الفتاح سليمان الأمين العام للاتحاد العالمي للمدارس الإسلامية الدولية أن الاتحاد يستعين بعلماء الأزهر في دول إفريقيا لنشر اللغة العربية في هذه الدول، موضحا أن الدكتور محمود عرب مستشار شيخ الأزهر قد شارك في العديد من هذه الدورات في تشاد والنيجر. وأضاف سليمان أن الاتحاد يضم أربعة آلاف مدرسة إسلامية، تدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية. ويعقد العديد من الدورات التدريبية للمعلمين عن كيفية تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها. كما يعقد دورات تدريبية للطلاب الوافدين بجامعة الأزهر ويمنحهم منحا مجانية للاستفادة من اللغة العربية.

السنة العراقيون يتهمون المالكي بعمل ديكتاتورية تهدد بحرب أهلية

اتهم عدد من كبار الشخصيات السنية العراقية رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي بعمل ديكتاتورية جديدة حوله تهدد بخطر انزلاق البلاد في حرب أهلية بعد انسحاب القوات الأمريكية.

قال زعماء الكتلة العراقية ومن بينهم إياد علاوي وأسامة النجيفي ورافع العيساوي إن المالكي وضع [illegible] حول الكتلة العراقية، وأنه يستخدم قوات الأمن والقضاء لمحاصرة خصومه السنة.. واتهموا المالكي في إعلان بصحيفة نيويورك تايمز بتهميش الشراكة التوافقية للسلطة التي سمحت بتشكيل حكومة وحدة وطنية. وفي الموصل قتل ضابط كبير بالجيش العراقي برصاص مسلحين غربي مدينة الموصل ٤٠٠ كم شمالي بغداد.

the fields of legislation, law, justice and equality reached only a tiny portion of its codification, rather application and work.

Although we did not mention a text from the Book of Allah or the treaties written by the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) which determine the nature of the relations between all the residents of Medina including the Jews, we wish to mention other incidents signifying their persistence in their grudge and stirring seditions between the inhabitants of Medina and the Muslims. This includes their inquiry about the soul.

It was narrated on the authority of Ibn mas'ud (may Allah be pleased with him) that he said: "I was walking with the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) in Medina, and he was leaning on a stick, and some of the Jews were passing by. They told to each other: Ask him about the spirit. Other said: Do not ask him, otherwise he will speak ill to you. Some of them said: We will ask him. One of them said: O Muhammad, tell us about the spirit and how it is punished. When the Revelation descended, it said:

{And they ask you (O Muhammad peace be upon him) concerning the Ruh (the Spirit). Say: "The Rūh (the Spirit) is one of the things, the knowledge of which is only with my Lord. And of knowledge, you (mankind) have been given only a little."}

[Al-Isra' (The Night Journey): 85]

They said: This is what is mentioned in our Book, and others said: We told you not to ask him.

O reader, you may understand from this incident that the Jews wanted to test the Messenger's (May the blessings and peace of Allah be upon him) knowledge with the spirit. However, I may say that I understand from this incident that there is a clear significance that the prophethood of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) is firm in their Book and they know about him. The evidence is that they said: This is what is mentioned in our Book. However, they are still stubborn. When they listened to the separate letters at the beginning of some Surahs (Quranic chapters), they wanted to distort their meanings without any evidence or knowledge that lead to reasonable results.

Moreover, there is the sedition and dispute stirred by them between Al-Aws and Al-Khazraj, as Shas ibn Qays tried to stir sedition between Al-Aws and Al-Khazraj, when he found them in conformity with each other. He sent one of the youths to remind them with the incident of Bu'ath – which was a fierce war between Al-Aws and Al-Khazraj. Also, he reminded them with some of the poetry said by in this battle. Some of the members of Al-Khazraj said other poetic verses until each of them unsheathed their weapon towards the other. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) came out to them in anger and he reminded with their covenant. Then, the following verses were sent down.

{Say: "O people of the Scripture (Jews and Christians)! Why do you reject the Ayāt of Allāh (proofs, evidences, verses, lessons, signs, revelations, etc.) while Allāh is Witness to what you do?" Say: "O people of the Scripture (Jews and Christians)! Why do you stop those who have believed, from the Path of Allāh, seeking to make it seem crooked, while you (yourselves) are witnesses [to Muhammad peace be upon him as a Messenger of Allāh and Islām (Allāh's Religion, i.e. to worship none but Him Alone)]? And Allāh is not unaware of what you do." O you who believe! If you obey a group of those who were given the Scripture (Jews and Christians), they would (indeed) render you disbelievers after you have believed! And how would you disbelieve, while to you are recited the Verses of Allāh, and among you is His Messenger (Muhammad peace be upon him)? And whoever holds firmly to Allāh, (i.e. follows Islām – Allāh's Religion, and practically obeys all that Allāh has ordered), then he is indeed guided to a Right Path.} [Al-'Imran (The Household of 'Imran): 98-101]. Also, there are many other incidents.

Meditations in the Biography of the Prophet Muhammad (May the blessing and peace of Allah be upon him)...!

By: the honorable Shreikh At-Tahir Al-Hamedy

The books of biography records on the authority of the Mother of the Believers Safiyyah bint Huyay (may Allah be pleased with her and her father) that she said: "My parents and my [illegible] uncle did not love anyone more than me. I am the most beloved person to their hearts. When the Messenger of Allah came to Quba'a, my father Huyay ibn Akhtab and my [illegible]

[illegible] I was happy to see them, but they did not care about me as if they had not seen me. I heard my uncle asking my father to make sure and to remove any doubt. "Is it he?" my father Huyay said: Yes, he is. Abu Yasir asked: "Do you know his attributes? Huyay answered: Yes, I swear that it is he. Abu Yasir asked him: What do you think about him? Huyay said: Enmity towards him is removed, I swear.

[illegible] suspicion. She narrates about the days of childhood without suspicion, doubt, or distortion, as she was in the phase of purity. Also, she attained the attributes of virtue and sublimity, as she was one of the wives of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). There is no status above that of the Mothers of the Believers.

Moreover, she is not in need to make false lies to increase the Muslims' love to her. Her status makes her above the status of all the Muslims, and her belief cannot be doubted. No Muslim or disbeliever may accuse her of lying. But a Jew who does not love Muhammad the messenger of Allah may accuse her of lying. This refusal, accusation of lying, fabrication, grudge, and hatred for the call for Islam continued starting from its beginning in Medina until the time of Golda Meir and Netanyahu. But, how the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) responded to their treatment? The treatment of the Messenger of Allah was not a reaction to their deeds, but they stemmed from the meanings of the [illegible]

His way of treating them aims to set the bases of the noble principles and the straightforward and kind treatment. We will not anticipate the events in judging the deeds of the Jews in facing the Islamic Da'wah. However, I want to put forward another incident in which you see the cunningness of the Jews, as they knew about the coming of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and his attributes in their books.

Al-Bukhary narrated on the authority of a man from the family of 'Abdullah ibn Salam. He [illegible] expecting and waiting for him. I kept this secret until the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) came to Medina. When he stayed in Quba'a with Bani Amr ibn 'Awf, someone came and informed us with his coming. At that time, I was at [illegible] bint Al-Harith, was sitting at the bottom. When she heard me, she said: If you heard about Mosa ibn Imran, you will not say anything more. I told her: I swear that he is the fellow brother of Mosa ibn 'Imran and belongs to his religion. She said: Is this the Prophet about [illegible] Yes. She said: It is he. I came to the Messenger of Allah, and when I saw his face, I knew that this is not the face of a liar. The first things I heard from him [illegible] you will enter paradise peacefully. [illegible] of Allah.

[illegible] a Muslim. He came to the Messenger of Allah and said: O Messenger of Allah, I am the master of the Jews and the most informed person out of them. They are slanderers; and if they knew about my embracing of Islam, they would speak falsly about me and will fabricate matters about me. I would like that you let me enter some of your houses, and the Messenger of Allah did.

He sent someone to call the Jews and they entered his house and he said: O Jews, Woe unto you, fear Allah. I swear by Allah, Who has no partner in Deity that you know that I am his Messenger. You should embrace Islam. The Messenger of Allah (May the blessings and [illegible] before embracing Islam)? They said: This is our master and the son of our master. He asked: What if he embraced Islam? They said: We ask refuge for him from this. He said: Ibn [illegible] the Messenger of Allah. O Jews, accept the Da'wah of Muhammad, as I swear that you [illegible] evilest person among us and despised him.

He said: This is what I feared. Messenger of Allah, as I told you that they are slanderers, liars and dissolute. He said that he announce his being a Muslim and my family embraced Islam as well as my paternal aunt, Khalidah bint Al-Harith, as she was a good Muslim.

[illegible] bases governing their lives. The Messenger of Allah (May [illegible] Medina. But he was sent as a mercy to all of the people. He wanted to set instructions and [illegible] However, they are all human beings. They will show the way they coexist in spite of differences in creed, thought, and interests. In spite of the attitude of the Jews in the [illegible] Allah be upon him) did not want to respond to their grudge with similar grudge and a sword that eradicates [illegible] war commander, who seeks military victory or a lightheaded leader.

[illegible]

in the next year, they took upon themselves to set the first Islamic State in Medina, his Companions started to immigrate to it.

- He immigrated with Abu Bakr Al-Seddiq from Mecca to Medina. He entered it on Monday (8th of Rabi' Al-Awwal, 1 H, 20 September 622) and he resided in the Prophet's Mosque. Also, he set a constitution for the first Islamic state.
- Quraysh chased and antagonized him. Allah permitted him and his Companions to fight them to defend the freedom of creed and call for defending the Islamic nation.
- For the sake of protecting the religion, state, and nation, the twenty eighth invasions occurred, by which Islam conquered disbelief and paganism as well as the alliance of the Jews and paganism. The Arabs united for the first time in history and the people embraced Islam in huge numbers. Also, call for Islam transcended the Arabian Peninsula to the surrounding area. The victims of theses victories, which are followed by these victories, did not reach 386 murdered persons. This number includes all of the martyrs of the Muslims and the killed disbelievers.
- In 25th of Dhul Qi'dah in 10 A.H, February 623, he went out to perform Hajj (Farewell Hajj). He delivered a sermon on 'Arafat Mountain, which was the longest sermon, in which the civil and religious rights were determined to humanity. Then, he went back to Medina.
- In 27th of Safar, 11 May, 632, he was ill until he died. Then, his calm soul ascended to Allah on 12th of Rabi' Al-Awwal, 11 A.H, 7th of June, 632, after 63 years and three days in the moon chronology and 61 years and forty eight days in the sun chronology.
- The number of those who embraced Islam at the time of his death 124,000 people, while the number of the elite and leaders who were taught by the Prophet was eight thousand including more than thousand women.
- He was an eloquent preacher, who, if spoke about prohibition, his eyes turn to red, his voice becomes loud, and he becomes angry as if he fights. If he preaches for war, he depends on bow, and when he speaks about peace, he depends on a stick.

- He was a good speaker, whose words were sweet. When he speaks, he smiles.
- He was modest, used to sit and eat on the ground, repaired his cloth and shoe, serves his family, responds to the invitation of the poor to the barely bread. Also, he used to sit with the needy.
- He used to keep silent for a long time and to laugh slightly. If he laughed, he used to place his hand on his mouth. He used to joke somewhat and does not say except the truth. If he joked, he used to lower his gaze.
- He was extremely shy; if he shook hands with someone, he did not leave his hand first.
- His head, hands, and legs were big. He was neither tall nor short. His forehead was wide and his hair was flowing and reached half of his ears. His face was round and tended to be red. His beard was bushy, his mouth was big, and there were spaces among his teeth. He had tawny complexion, and he used to wear a white cap and to apply musk on his head and beard. When he walked, he did not turn around. If he turned around, he turned with his whole body. He walked as if he were descending from a high place. When he paid much attention to a certain matter, he used to touch his beard.
- He was a brave hero, who was strong in wars and his Companions used to protect themselves with him, and he used to be the nearest to the enemies.
- He used to offer optional night Prayer at night until his feet swelled. He was tender towards the human being, the animal, the plant, and the solid bodies.
- He described himself saying: "My Lord brought me up in the best way." His wife 'Aishah (9 B.H – 58 H \ 613-678 B.C) described him saying: "The Qur'an formed his manners." Allah (Glorified and Exalted be He) said: "

  {Al-Qalam (The Pen): 4}

  Allah is the Ever-Truthful. Allah, the angels, and the believers invoke blessings and peace upon him until the Day of Judgment.

(1) See our Book "Muhammad (peace be upon him) the perfect human being receives the Revelation", Dar Al-Salam edition, Cairo.

*Facts about the most Perfect human being the messenger of Allah Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him)…!

By: Dr. Muhammad Imarah

Editor-in-Chief of Al-Azhar magazine

- He is Abul Qasim Muhammad (53 B.H – 11 A.H, 571-633 B.C) ibn `Abdullah (81 B.H – 53 B.H, / 544 – 633 A.D) ibn `Abdul Muttalib (127 B.H – 45 B.H , 500- 579 A.D) ibn Hashim (may the blessings and peace of Allah be upon him).
- He is from Quraysh, and belongs to `Adnan. They are the sons of Isma`il ibn Ibrahim (may peace of Allah be upon them).
- His mother is Aaminah bint Wahb (45 B.H / 575 A.D) from Quraysh.
- He was born in Mecca, on Monday (9th of Rabi` Al-Awwal, 53 B.H / 20 April, 571 A.D).
- He was breastfed in the desert by Halimah As-Sa`diyyah, who belongs to bani Sa`d ibn Bakr ibn Hawazen.
- He was an orphan, as his father died before his birth, and his mother took care of him until her death, while he was six years old. Then, his grandfather brought him up until he died when he was eight years old. Then, his uncle Abu Talib (85 B.H – 3 B.H , 540 – 620 A.D)
- As he grew up, he was sound-minded, resolute, truthful, honest, courageous, and good-mannered. He was known among his people as the truthful and the honest.
- He participated in (Helf Al-Fudul)The excellent people treaty, which was held in Macca to advocate the wronged people and to take the rights of the weak from the strong.
- He worked as a shepherd sometimes, and worked in trade in other times. He travelled to the Levant to trade in the interest of lady

* Leading article in the Arabic section of Al Azhar magazine, Rabul-Awwal, 1433 A.H

Khadijah bint Khuwailid Al-Asadiyyah Al-Qurayshiyyah (68 B.H – 3 B.H / 556 – 620 A.D).

- When he was twenty five, he got married to lady Khadijah and she borne him six children – with the exception of Ibrahim who died as a child. Khadijah was his only wife until she died – while he was fifty years old (3 B.H/620 A.D). Then, he had some wives.
- None of his children lived until his death except his daughter Fatimah (18 B.H – 11 H / 605 – 632 A.D), who married his cousin `Ali ibn Abu Talib (23 B.H – 40 H / 600 – 661 A.D). She bore her sons Al-Hasan ibn `Ali (3-50 H / 624-670 A.D) and Al-Hussayn ibn `Ali (4-61 A.H / 625 – 680 A.D). However the rest of his children died during his life. They are Al-Qasim, `Abdullah, Zaynab, Ruqayyah, Um Kulthum, and Ibrahim.
- He never worshiped an idol, and he tended to meditation and searching for truth. He used to seclude himself during Ramadan month every year in Mecca to worship Allah like the other Hanifis in the rest of the Shari`ahs of Ibrahim.
- When he was in the cave in Ramadan (13 B.H, 610 A.D), the Revelation was sent down to him with the eternal message. He started to call people intimate to him secretly for three years. Few of them believed him, then he announced the Da`wah.
- The Noble Qur'an was sent to him separately, and the writers of the Revelation used to write and memorize it. It is the miracle with which he challenged his people as well as the human beings and the Jinn.
- He and his Companions were severely harmed by the disbelievers of Quraysh and its rich people. They endured this suffering patiently. He was besieged by Quraysh with those who believed him along with his relatives in Banu Hashim mountain pass for three years. They boycott him economically and socially until they were about to die out of hunger. He permitted twice some of his Companions to immigrate to (AlHabasha) Ethiopia .Then, he started to introduce his Da`wah to some tribes, asking for protection, belief, and breaking besiege.
- When some people from Yathrib belonging to Al-Aws and Al-Khazraj responded to his Da`wah for Islam in 2 B.H. and returned

{And Verily, you (O Muhammad peace be upon him) are on an exalted (standard of) character.}[Al-Qalam (The Pen): 4].

('Verily, there has come to you a Messenger (Muhammad peace be upon him) from amongst yourselves (i.e. whom you know well). It grieves him that you should receive any injury or difficulty. He (Muhammad peace be upon him) is anxious over you (to be rightly guided, to repent to Allâh, and beg Him to pardon and forgive your sins in order that you may enter Paradise and be saved from the punishment of the Hell fire) for the believers he (peace be upon him) is full of pity, kind, and merciful.)

[Al-Tawbah (Repentance): 128]

The stubborn disbelievers did not stop at accusing this message with these attributes especially nowadays, as they describe it of being terroristic and incapable of being applied to the modern time. The financial disasters afflicting them now due to usury(riba), prohibited by the Islamic Shari`ah, sent to the Messenger of Allah from his Lord.

After suffering extremely from the disasters, some of their reasonable people call to cure these disasters by making the interest equal zero without indication to the prohibition of usury in Islam.

Allah (Glory be to Him) said: {'O you who believe! Be afraid of Allâh and give up what remains (due to you) from Ribâ (usury) (from now onward), if you are (really) believers. And if you do not do it, then take a notice of war from Allâh and His Messenger (peace be upon him) but if you repent, you shall have your capital sums. Deal not unjustly (by asking more than your capital sums) and you shall not be dealt with unjustly (by receiving less than your capital sums).}[Al-Baqarah (The Cow): 278-279]

Islam urges the Muslims to treat the non-Muslims coexisting with them with piety and justice. Allah (Glory be to Him) says in His Glorious Book: {'Allâh does not forbid you to deal justly and kindly with those who fought not against you on account of religion nor drove you out of your homes. Verily, Allâh loves those who deal with equity.}

[Al-Mumtahanah (She that is to be examined): 8]

Kindness towards them is clear, even when they announce war against the Muslims. Allah (Glory be to Him) permits them to respond to them. If they ask for stopping the fighting, the Muslims should do, according to the Saying of Allah (Glory be to Him): {But if they incline to peace, you (also) incline to it, and (put your) trust in Allâh. Verily, He is the All-Hearer, the All-Knower.} [Al-Anfal (The Spoils of war): 61].

This is because Islam is a religion depending on peace not war.

If the non-Muslims accept coexisting with the Muslims, the Muslims should accept that and should be equal with the Muslims in rights

including justice in treatment and non-discrimination between the Muslims and the non-Muslims.

In this regard, we find the attitude of Omar ibn Al-Khattab, the second Caliphe, when the one of the Egyptian Christians complained to him due to the aggression of the son of the ruler of Egypt, `Amr ibn Al-`As towards the son of the Christian. The son of `Amr ibn Al-`As was playing with the son of the Chrsitian. They were competing each other, and the son of the Chrsitian won. Then, the son of the Egyptian ruler beat him. The Caliphe called `Amr to Medina anlong with his son and gave the son of the Christian a whip to beat the son of `Amr in front of his father. He said his famous saying: "How come that you enslave people while their mothers did born them free?"

Allah (Glory be to Him) limited the aggression if started by the Muslims, as they should not exaggerate in fighting. Allah (Glory be to Him) says:

{And fight in the Way of Allâh those who fight you, but transgress not the limits. Truly, Allâh likes not the transgressors. [This Verse is the first one that was revealed in connection with Jihâd, but it was supplemented by another}.

This means that aggression means starting with fighting. Also, it means fighting to defend self, religion, and nation. It should not be overcome by revenge. This is clarified by the commands of the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) to the war leaders: not to cut a tree, kill a child, a woman, or an old man, or frighten a person worshiping in his place of worship, as he has nothing to do with the war.

The Messenger ordered them not to fright the non Muslims, who practice their acts of worship, as they are peaceful. This can not be compared to the attitude of the Christians in Spain, when they conquered the Islamic Andalusia in the fifteenth century after Christ. They forced its Muslim inhabitants by sword to leave their religion and to embrace Christianity; otherwise, they would kill them severely. This led the Muslims to be killed or fled to the North Africa fearing for their religion.

Also, there is the attitude of Saladin when he conquered Jerusalem in the twelfth century. When the Crusades seized the same city, they killed the Muslims, as the streets were full of the skulls of the Muslims, to the extent that the number of the murdered Muslims was over seventy thousand. Besides, they burnt and plundered their houses.

This is so far from the orders of Saladin to his soldiers to avoid plundering the houses and harming the peaceful civilians. Really Islam is the religion of tolerance and non-aggression, as it is mentioned in the Noble Qur'an, the prophetic Hadiths and as well as the commands of the Muslim leaders.

In the memorandum of the Prophet's birth: His Message (May the blessings and peace of Allah be upon him) is a mercy sent to all of the human beings...!

{And We have sent you (O Muhammad peace be upon him) not but as a mercy for the 'Alamin (mankind, jinn and all that exists).} [Al-Anbia'a (The Prophets): 107]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) was sent from Allah, the Lord of the worlds, to guide all of the human beings to the truth and the straightforward path. Allah, the Lord of humanity, sent him to all the human beings, so that all of them will be in welfare and happiness "say, O you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether, to Whom belongs the kingdom of the heavens and the earth. There is no god except He. He gives life and causes to die. So believe in Allah and His messenger, the prophet the illiterate one, who believes in Allah and His Speeches, and follow him closely that possibly you would be guided" (Al- Araf – The Battlements: 158) . "And we have sent you to mankind a messenger and Allah suffices as Ever-Witnessing" (An-Nisa'a – Women: 79). The message of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) is a substitute for the Divine messages, as it collected the essence of the principles included in the Divine religions, held by the other messengers of Allah starting from Adam to Isa and our Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon them).

Thus, it is better for the Servants of Allah to accept this grace if they want to be happy in their life and their Hereafter. It is unquestionable that everything in life starts small, then becomes mature. This applies to the human mind, as the human beings in the earlier ages differ from those living nowadays. In the earlier ages, they had little knowledge and did not have the cultural progress occurring in the twenty first century.

All the people everywhere should seek this divine grace and adapt themselves to accept it and to apply its principles and their cultural progress should not be a reason for being far from it. Allah (Glory be to Him) willed that the message of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) be general and applies to all of the creatures and be the final divine Shari'ah. Allah declared in the Noble Qur'an:

{ 'Muhammad (peace be upon him) is not the father of any of your men, but he is the Messenger of Allâh and the last (end) of the Prophets. And Allâh is Ever All-Knower of everything }

[Al-Ahzab (The Allied parties): 40]

There is no prophet after him. Nearly fifteen centuries have passed since the beginning of the message of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), and history has not recorded any messenger or prophet came with a message from Allah. This is the best evidence on the truthfulness of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) even if the stubborn, who do not submit to the right and light denied it.

The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) strived much since he carried this trust for the sake of informing his people and the whole world thereafter. His way to achieve this end was the kind word, fair preaching, welcoming manner, and unlimited patience, enduring the stubbornness and denial of the people. When they resorted to fighting, he and his companions did not hesitate to defend the call for the Path of Allah not caring for death for the sake of the creed. Also, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his followers did everything to make it general to all humanity to make the believers happy and to cast a shadow of mercy over those who embraced Islam. Many of the disbelievers described him of being a magician, soothsayer, and poet. Then, they described him of being mad. In this regard, Allah (Glory be to Him) says:

{'Or do they say: "(Muhammad peace be upon him) is a poet! We await for him some calamity by time!"} [At-Tur (Mount): 29].

{'It is not the word of a poet: little is that you believe!} [Al-Haqqah (The Reality): 41].

{'Nor is it the word of a soothsayer (or a foreteller): little is that you remember!} [Al-Haqqah (The Reality): 42].

{'Therefore, remind (mankind of Islâmic Monotheism, O Muhammad peace be upon him). By the Grace of Allâh, you are neither a soothsayer, nor a madman.} [At-Tur (Mount): 30]

{Nûn. [These letters (Nûn, etc.) are one of the miracles of the Qur'ân, and none but Allâh (Alone) knows their meanings]. By the pen and by what they (the angels) write (in the Records of men). You (O Muhammad peace be upon him), by the Grace of your Lord, are not mad.}

[Al-Qalam (The Pen): 1, 2]

When the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) replied to them, Allah said:

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul-Awwal,1433

ENGLISH SECTION
February, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



AL AZHAR
MAGAZINE

العدد القادم

- الطابع الدفاعي لغزوات الرسول ﷺ للأستاذ الدكتور محمد عمارة
- العلمانية وتطبيقها في الإسلام للأستاذ الدكتور محمد لبيب
- دعوة الإسلام إلى تأسيس مدنية عالمية فاضلة لعلامة محمد فريد وجدي
- الآثار التربوية للعبادات .. للأستاذ الدكتور صلاح سلطان

الهدية

كتاب (أثر القرآن في تحرير الفكر البشري)

للعلامة محمد الشيخ عبد العزيز جاويش

دراسة وتقديم وتعليق الدكتور محمد عمارة

السعر ١٥٠ قرشاً

الأزهر

www.AlazharMag.com

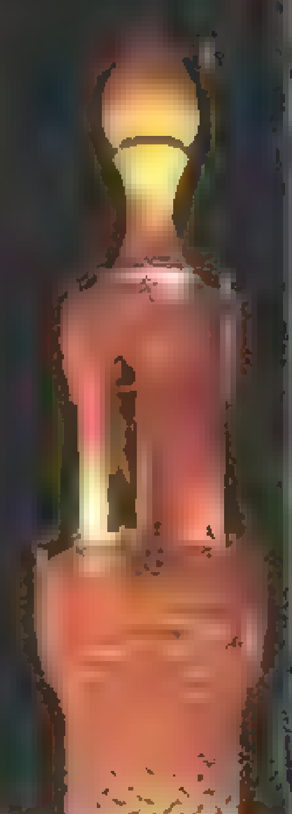
داخل العدد

- **الطابع الدفاعي لغزوات الرسول** صلى الله عليه وسلم
  الأستاذ الدكتور / محمد عمارة
- **تقنين الشريعة بين المجتمع والدولة**
  الأستاذ الدكتور / إبراهيم البيومي غانم
- **محمد الرسالة والرسول**
  الدكتور نظمي لوقا









هدية العدد

أثر القرآن الكريم

في تحرير الفكر البشري

دراسة وتحقيق وتعليق / د. محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ/ أحمد الخطيب

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٦٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

الطابع الدفاعي لغزوات الرسول ﷺ



لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

في كثير من الكتابات العربية. ترددت وتكررت دعاوى انتشار الإسلام بالسيف.. ولقد حاول البعض الاستدلال على هذه الدعاوى بالغزوات التي حدثت في دولة النبوة.

ومرد هذا الافتراء - يحتكم - في سبر حقيقته - إلى مصدر تاريخي. كتبه رائد التنوير في عصرنا الحديث رفاعة الطهطاوى (١٢١٦ هـ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م). الذي دقق تواريخ الغزوات الإسلامية. ورصد مقاصدها وملابساتها وأسبابها في كتابه القيم (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز).. ومن خلال هذا المصدر. نهدي لرائد مستنير - الذي لابد أن يكون موضع الاحترام والمصداقية - نقدم الصورة الحقيقية للأسباب الموضوعية لسرايا المسلمين وغزواتهم في المدينة المنورة.

- إن استعراض مجمل السرايا والغزوات الإسلامية، إنما يعلن عن أنه:

- لم تحدث سرايا ولا غزوات في السنة الأولى للهجرة - على عكس كذب الجابري.

- وأن ما حدث قبل غزوة بدر (رمضان سنة ٢هـ - ٦٢٤م) إنما كان سرايا لتأمين محيط المدينة المنورة والدفاع عنها.

- أما أولى الغزوات. فكانت غزوة «الأبواء» - عند قرية «ودان» - سنة (٢هـ - ٦٢٣م). وفيها صالح رسول الله ﷺ مخشى بن عمرو الجهنى على ألا يغزوهم ولا يغزونه، وألا يكثر عليه جمعا. ولا يعين عليه عدوا.. وكتب الرسول بذلك مع سيد بني ضمرة كتابا.. أي أنها - غزوة «الأبواء» - كانت لتأمين المدينة. ومصالحة سكان الجوار.

- وفي نفس العام (٢ هـ - ٦٢٣م) كانت الغزوة الثانية. غزوة «بواط» في شهر ربيع الآخر - أي بعد أكثر من عام على الهجرة - وكانت لاعتراض قافلة قريش. التي كان يقودها أمية بن خلف (٢هـ - ٦٢٤م) - أحد أكابر المجرمين المشركين الذين احترفوا تعذيب المسلمين بمكة... ولم يحدث في هذه الغزوة لقاء ولا قتال.

- وفي نفس العام (٢هـ / ٦٢٣م) كانت الغزوة الثالثة: غزوة ذى العشيرة - في شهر جمادى الأولى - وهي التي كانت لاعتراض عير قريش وقافلتها التي كانت متجهة إلى الشام. بقيادة أبي سفيان. وهي العير التي خرج الرسول ﷺ لاعتراضها وهي عائدة من الشام - لاقتضاء بعض ما للمسلمين المهاجرين من حقوق مغتصبة ومصادرة عند مشركي قريش.. فلما أفلتت العير. خرجت قريش غازية للمسلمين، ومعتدية عليهم في مدينتهم ومهجرهم. فكانت غزوة بدر الكبرى. رمضان سنة (٢هـ).

- وفي نفس العام الهجرى (٢هـ / ٦٢٣م) كانت الغزوة الرابعة - غزوة «سفوان» (بدر الأولى)... وفيها خرج رسول الله ﷺ إلى كرز بن جابر الفهرى، الذى أغار

على نعم المدينة وهو شبعه ـ (سرح المدينة) التي تسرح بالغداة ـ فأفلت كرز. ولم يقع قتال. فكانت هذه الغزوة دفاعية، لمطاردة الذين أغاروا على سرح المدينة واغتصبوه ونهبوه.

• وفي رجب سنة (٢هـ – ٦٢٤م) كانت سرية عبد الله بن جحش (٣هـ – ٦٢٥م) ـ ومعه ثمانية نفر ـ ذهبوا إلى (نخلة) ـ بين مكة والطائف، على بعد ليلة من مكة ـ ليتعرفوا أخبار قريش.. أي أنها كانت سرية لاستطلاع الأخبار عدد أفرادها تسعة ـ وحدث أن مر بهم عير لقريش فغنموها. وأسروا اثنين من المشركين. فكانت غنيمتهم هذه أول غنيمة غنمها المسلمون. كجزء من المقاصة لما للمسلمين من حقوق اغتصبها منهم المشركون.

تلك هي حقيقة (التحديات)، التي حدثت منذ الهجرة وحتى بدر الكبرى، في (١٧ رمضان سنة ٢هـ/ ١٥ مارس ٦٢٤م).

• أما غزوة بدر الكبرى ـ في (رمضان سنة ٢ هـ) ـ فكانت دفاعية، خرج فيها المسلمون ـ من المهاجرين والأنصار ـ للدفاع عن دولتهم ومدينتهم ضد الجيش القرشي الذي زحف من مكة للقضاء على الكيان الإسلامي في المدينة المنورة.

• وبعد غزوة بدر الكبرى، حدثت غزوة السويق في (٥ ذي الحجة سنة ٢ هـ – ٢٩ مايو سنة ٦٢٤م).. لأن أبا سفيان ـ انتقاما مما حدث للمشركين في بدر ـ تسلل إلى ما حول المدينة، واتصل بسيد بني النضير ـ من اليهود ـ ليؤلب على الرسول ﷺ ودولته وأمته، وقتل اثنين من الأنصار، وأحرق حرثهما، وذلك وفاء لنذره الانتقام من المسلمين بسبب بدر الكبرى.. فكانت غزوة السويق دفاعية، ومطاردة لعدوان أبي سفيان على حرم المدينة وحوزها، وقتله اثنين من الأنصار، وإحراقه لحرثهما ولم يقع فيها قتال.

• وفي أواخر ذي الحجة سنة (٢ هـ) وأوائل محرم سنة (٣ هـ – ٦٢٤م) كانت غزوة بني سليم، التي خرج فيها رسول الله قاصدا بني سليم وغطفان، الذين تجمعوا ـ بين العراق ومكة ـ لمهاجمة المدينة المنورة.. فلم يجدهم الرسول بذلك المكان فعاد بدون قتال.. أي أنها كانت دفاعية، لإجهاض تجمع بني سليم وغطفان للعدوان على المدينة المنورة.. ولم تكن لقطع طرق التجارة.. كما كذب الجابري.

• وفي (جمادى الأولى سنة ٣هـ – أكتوبر سنة ٦٢٤م) كانت غزوة بحران (بني سليم).. عندما بلغ الرسول ﷺ أن بني سليم قد اجتمعوا ثانية للعودة لغزو المدينة.. فلما خرج لإجهاض هذه المحاولة، وجدهم قد تفرقوا، فعاد إلى المدينة دون قتال.

• وفي (٧ شوال سنة ٣هـ – ٢٣ مارس سنة ٦٢٥م) كانت غزوة أحد، التي كانت دفاعية، ضد مشركي قريش، الذين زحفوا من مكة إلى المدينة لتدمير الكيان الإسلامي والأمة الإسلامية فيها.

• وفي (١٦ شوال سنة ٣هـ – أبريل سنة ٦٢٥م) كانت غزوة حمراء الأسد، التي خرج المسلمون فيها إلى هذا المكان، وهم مثخنون بجراح أحد، إعلانا عن صلابة إرادتهم وعزيمتهم، وذلك تخويفا لعدوهم، الذي انتشى بانتصاره في أحد.. فكانت هذه الغزوة، مظاهرة لمنع تكرار العدوان المشرك على المدينة المنورة.

• وفي (شوال سنة ٤هـ – مارس سنة ٦٢٦م) كانت غزوة (بدر الموعد) التي خرج فيها الرسول ﷺ والمسلمون استعدادا لصد عدوان قريش، التي بدر قائدها أبو سفيان إعادة الإغارة على المدينة، عندما قال عقب أحد: الموعد بيننا وبينكم بدر العام المقبل، ـ ولذلك سميت (بدر الموعد) ـ ولقد انسحبت قريش ـ بعد أن خرجت من مكة، لعدم ملاءمة الوقت للحرب. فرجع الرسول ﷺ إلى المدينة دون قتال.

• و(لخمس بقين من ربيع الأول سنة ٥هـ – أغسطس ٦٢٦م) كانت غزوة دومة الجندل، بعد شهرين وأربعة أيام من غزوة ذات الرقاع ـ وهي أول غزوات المسلمين في الشام ـ وكان سببها اجتماع جمع من الأعراب ـ الذين يعيشون تحت حكم الروم البيزنطيين ـ يظلمون من مر بهم، ولقد عزم هذا التجمع على غزو المدينة المنورة.. فكان خروج المسلمين إلى دومة الجندل إرهابا لقطاع الطرق هؤلاء، وإجهاضا لعزمهم على غزو المدينة المنورة.. فلما سمعوا بخروج الرسول ﷺ والمسلمين إليهم، هربوا.. ولم يحدث فيها قتال.

• وفي (جمادى الأولى سنة ٥هـ – أكتوبر سنة ٦٢٦م) كانت غزوة بني لحيان طلبا للثأر من هذيل، الذين قتلوا أصحاب رسول الله ﷺ بالرجيع. فلما وجد المسلمون أن بني لحيان قد فروا، وتحصنوا بحصونهم، عاد المسلمون إلى المدينة دون قتال.

- وفي (شوال أو ذي القعدة سنة ٥هـ أبريل سنة ٦٢٧م) كانت غزوة الخندق. التي كانت دفاعية. ضد الزحف الذي انتظم قريشا وحلفاءها. عندما حاصروا المدينة وأحكموا حولها الخناق.
- وفي سنة (٦هـ ٦٢٧م) كانت غزوة ذي قرد - على ميلين من المدينة. على طريق خيبر - وكانت رد على إغارة عيينة بن حصن - في خيل من غطفان وفزارة - على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة قبل خيبر.. أي أنها كانت مطاردة للمغيرين المعتدين.
- وفي سنة (٦هـ ٦٢٧م) كانت غزوة بني المصطلق.. وسببها أن الحارث بن ضرار - سيد بني المصطلق - جمع من قومه ومن العرب من قدر عليه لمحاربة الرسول ﷺ فخرج إليهم الرسول لإجهاض غزوتهم وعدوانهم.. فحاربهم دفاعا عن المدينة وأهلها.
- وفي (جمادى الأولى سنة ٨هـ ٦٢٩م) كانت غزوة مؤتة - بالشام - وهي أولى الغزوات الإسلامية ضد الروم البيزنطيين. الذين احتلوا الشام والشرق وقهروه عشرة قرون. ولقد كان سببها المباشر قتل الروم لرسول رسول الله ﷺ الحارث ابن عمير (٨هـ/ ٦٢٩م) الذي أرسله الرسول برسالته إلى ملك بصرى.
- وفي (١٠ رمضان سنة ٨هـ أول يناير سنة ٦٣٠م) كان فتح مكة. بعدما نقضت قريش عهدها الذي أبرمته مع الرسول ﷺ والمسلمين في الحديبية سنة (٦هـ ٦٢٨م)

ولقد مثل هذا الفتح عودة الذين أخرجوا من ديارهم بمكة إلى هذه الديار.

- وفي (٦ شوال سنة ٨هـ/ يناير سنة ٦٣٠م) كانت غزوة حنين - بالقرب من الطائف - وذلك لمواجهة اجتماع هوازن التي انضمت إليها ثقيف. وبنو سعد بن بكر، وبنو جشم بخيولهم وأموالهم لمحاربة المسلمين بعد فتح مكة..
- وفي سنة (٩هـ - ٦٣٠م) كانت غزوة تبوك - بالشام - ضد الروم - وهي آخر الغزوات - ولم تقع فيها قتال.. وإنما كانت إعلانا سويا عن ضرورة تحرير الشرق وأهله وديانته من قهر الغزوة الإغريقية الرومانية التي دامت عشرة قرون. فهي شيف العرب لتحرير الشرق حضاريا ودينيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا. وفي هذه

(١) اللقاح - جمع لقحة - الناقة ذات اللبن القريبة من الولادة

الغزوة صالح الرسول ﷺ أهل أيلة وأهل جرباء، وأهل أذرح وأهل ميناء..

- أما غزوات الرسول ﷺ - ضد اليهود - بني قينقاع (منتصف شوال سنة ٢هـ - إبريل سنة ٦٢٤م) فكانت ردا على نقضهم العهد مع الرسول ودولة المدينة وكذلك ضد يهود بني النضير سنة (٤هـ ٦٢٥م) لنقضهم العهد، ومحاولتهم قتل الرسول ﷺ وضد يهود بني قريظة في (ذي الحجة سنة ٥هـ ٦٢٧م) لخيانتهم العهد وتحالفهم مع المشركين الذين حاصروا المدينة في غزوة الخندق. وضد يهود خيبر (أواخر محرم سنة ٧هـ أواخر مايو سنة ٦٢٨م) للقضاء على خيانتهم العهد، وتحالفهم مع الشرك الوثني، وتأليبهم المشركين لمحاربة الرسول ﷺ، وتمويلهم هذه الحروب.. وإعلانهم لقريش إنا سنكون معكم حتى نستأصله[١].

تلك هي حقيقة الأسباب والملابسات التي صاحبت هذه الغزوات التي فرضت على المسلمين فرضا[٢].. والتي مثلت الصراع بين الشرك الوثني - المتحالف مع التآمر والتمويل اليهودي - على امتداد حياة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة

وهي الغزوات والسرايا التي تثبت بالوقائع التاريخية الدامغة أن الموقف الإسلامي فيها كان موقف الدفاع دائما وأبدا. أو الردع الذي يمنع العدوان والفتنة.. ومع عدد الغزوات والسرايا. ومع ما كتب عنها وفيها.. فإن جميع ضحاياها لم يتجاوز عددهم (٣٨٦ ضحية) - (١٨٣) هم شهداء المسلمين.. و(٢٠٣) هم قتلى المشركين[٣].

[illegible] (الأعمال الكاملة) (ص ١٩٨ [illegible]

[illegible] ورسالته [illegible]

(٢) ابن عبد البر [illegible]

(٢٠٠٧م)، والإسلام والآخر (ص [illegible]) طبعة القاهرة سنة [illegible]

[illegible] طبعة دار السلام القاهرة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(البقرة: ١٧ - ٢٠)

هذا مثل من مثلين ضربهما الله في هذه الآيات للصنف الثالث من الناس الذين قرع القرآن أبواب قلوبهم. وكان من عناية الله تعالى في بيان حاله، أن قفى على ذلك التفصيل في شأن فرقه وأطوارهم بضرب المثل الذي يقصد به تجلي المعنى في أتم مجاليه، وتأثر النفوس بما أودع فيه. ناهيك بما في التنقل في الأساليب من توجيه الذهن إلى سائق القول، ودعوة الفكر إلى مراجعة ما مضى منه. ولولا أن بلاء هذا الصنف عظيم، وداءه دفين، وعلاجه متعسر - لأنه متولد من الدواء الذي كان يجب أن تكون فيه الصحة ونعمة العافية - لما كان من البلاغة ولا من الحكمة، أن يعنى بشأنه كل هذه العناية، كما قلنا في تزييف رأي من ذهب إلى أن الكلام في تلك الشرذمة من المنافقين في عصر التنزيل.

ضرب الله تعالى لهذا الصنف في مجموعه مثلين، يتبين بانقسامه إلى فريقين، خلافًا لما في كثير من التفاسير من أن المثلين لفريق واحد، وأن معناهما وموضوعهما واحد.

الأول - من آتاهم الله دينا وهداية، عمل بها سلفهم فتحرر فكرهم وصلح حالهم بها، إذ كانوا مستقيمين على الطريقة، آخذين بإرشاد الوحي، واقفين عند حدود الشريعة. ولكنهم انحرفوا عن سنن سلفهم في الأخذ بها ظاهرا وباطنا، ولم ينظروا في حقائق ما جاءهم. بل ظنوا أن ما كان عند سلفهم من نعمة وسعادة، إنما كان أمرا خصوا به أو خيرا سيق إليهم، لظاهر قول أو عمل امتازوا به عن غيرهم ممن لم يأخذ بدينهم، وإن كان ذلك العمل لم يخالط سرائرهم، ولم تصلح به ضمائرهم، فأخذوا بتقاليد وعادات لم تدع في نفوسهم محلا لغيرها، ولم يتفكروا فيها، ولم يفكروا في كونهم أحرى بالتمتع بتلك السعادة والسيادة من سلفهم، لأن حظ الوجود، يسير مع الجد، ويفقدونه من ليس يسعى، لا يقصدون فهم الكتاب الذي اهتدى من قبلهم بما فيه من شموس العرفان، ونجوم الفرقان، لزعمهم أن فهمه لا يرتقي إليه إلا أفراد من رؤساء الدين، ويوجد بأقوالهم ما وجدوا، ويكتفيهم إذا فقدوا.

فمثل هذا الفريق، من الصنف المخذول في فقده ما كان عنده من نور الهداية الدينية، وحرمانه من الاهتداء بها بالمرة، وانطماس الآثار دونها عنده مثل من استوقد نارا إلخ. والوجه في التمثيل أن من يدعي الإيمان بكتاب نزل من عند ربه، قد طلب بدعوى الإيمان أن توقد له نار يهتدي بها في الشبهات، ويستضيء بها في ظلمات الريب والمشكلات، ويبصر على ضوئها ما فيه يهجم عليه من مغرسة الأهواء والشهوات. فلما أضاءت ما حوله بما أودعته من الهدى والرشاد، وكان بالنظر فيها يمشي على هداية وسداد، هجمت عليه من نفسه ظلمة التقليد الخبيث، وعشى عينيه شيطان الغرور، فذهب عنه ذلك النور، وأطبق عليه جو الضلالة، بل طفئ فيه نور الفطرة، وتعطلت قوى الشعور بما بين يديه، فهو بمنزلة الأعمى الأصم الذي لا يبصر ولا يسمع.

وأما الفريق الثاني، فقد ضرب الله له المثل في قوله:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾

وهو الذي بقي له بصيص من النور، فله نظرات ترمي إلى ما بين يديه من الهداية أحيانا، ومعاني التنزيل لمعان يسطع على نفسه الفينة بعد الفينة، ويأنس في نظره الحين بعد الحين، فتنبعث حركة الفطرة، أو تدفعه الحوادث للنظر فيما بين يديه. ولكنه من التقاليد والبدع في ظلمات حوالك، ومن الخبط فيها على حال لا تخلو من المهالك، وهو في تخبطه يسمع قوارع الإنذار الإلهي ويبرق في عينيه نور الهداية، فإذا أضاء له ذلك البرق السماوي سار، وإذا انصرف عنه بشبه الضلالات المعروفة قام وتحير لا يدري أين يمضي، ثم إنه ليعرض عن سماع نذر الكتاب ودعوة الحق، كمن يضع أصبعيه في أذنيه حتى لا يسمع إرشاد المرشد ولا نصح الناصح، مخافة من تلك القوارع أن تقتله، ومن عواصف الحق أن تهلكه

هذا هو [illegible]

[illegible] اشتروا إليه.

قال تعالى:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾

العرب تستعمل لفظ «الذي» في الجمع كلفظي «ما» و«من» ومنه قوله تعالى:

﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾

[illegible]

وإن شاع في «الذي» الإفراد لأن له جمعا، وقد [illegible]

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾

معناه، والفصيح فيه مراعاة اللفظ أولا ومراعاة المعنى [illegible] ضرب من استعمال البلغاء، يقرر المعنى في الذهن [illegible]

﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾

يقال ضاءت النار والشمس وأضاءت (لازم). ويقال ضاء المكان وأضاءته النار أي ظهرته [illegible] - صلى الله عليه وسلم -

[illegible] الإلهية بتصديقهم، فلما أضاءت لهم بروقها، ووضح لهم طريقها، فاجأتهم التقاليد الموروثة، [illegible] فيها من المنافع والعوائد، وما يتوقعونه في الإعراض عنها من المضارّ والمفاسد، عن الاستعانة بذلك الضوء على ذلك الصراط المستقيم، [illegible] بل استبدلوا هذا الديجور، بذلك الضياء والنور، وهذا هو معنى ذهاب نورهم. وإنما قال:

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾

ولم يقل ذهب نورهم، أو أذهب الله نورهم للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمعونته وتوفيقه [illegible] قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، [illegible]

ولا شك أن المستوقد المسترشد تكون له حالة مع [illegible] هداه، والاستضاءة بنوره الذي وهبه إياه، فإذا أعرض عنه وكله الله إلى نفسه، وذهب بنوره وإذا ذهب [illegible] ظلمة واحدة، ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض، متعددة بتعدد أنواع التقاليد التي فتنوا بها، وبتعدد [illegible]

﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

شيئا، حذف مفعول يبصرون إيذانا بالعموم، أي لا يبصرون [illegible] ولا يرون طريقا من طرقها، لأنه صرف عنايته عنهم بتركهم منته، وإهمالهم هدايته، ووكلهم إلى أنفسهم. ويا ويل من وكله الله إلى نفسه، وحرمه توفيقه، نسأل الله العافية.

هذا المثل مضروب لفريق لا ترجى هدايته، لأنه سد على نفسه جميع أبواب الهداية، فلا يثق بعقله ولا [illegible] لتصيّد [illegible] أو بفجر شارق، أو بصيح طارق، فتكون الهداية، وتكشف الغربة [illegible]

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾

أي أنهم فقدوا منفعة السمع [illegible] القاطعة، والدلائل الناصعة، فلا يصيخون إلى وعظ واعظ، ولا يصغون لتنبيه منبه.

فهم صم بكم عمى

[illegible] فلا يسألون بيانا، ولا يطلبون برهانا، وفقدوا خير منافع الأبصار [illegible] فلا يرون ما يحل بهم من المثل فيزدجروا، ولا يبصرون ما تتقلب به أحوال الأمم فيعتبروا:

﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

عن ضلالتهم، ولا يخرجون من ظلمتهم [illegible] جميع حواسه لا يمكنه أن يسمع صوتا يهتدي به، ولا أن يصيح هو لينقذه من يسمعه، ولا أن يرى [illegible] يظل يعمه في الظلمات، حتى يفترسه سبع ضار، أو يصل إلى شفا جرف هار، فينهار به في شر قرار.

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

هذا هو مثل الفريق الثاني من هذا الصنف من الناس، الذي كان أفراده ولا يزالون فتنة للبشر، ومرضا في الأمم، وحجة على الدين، [illegible] ومداركهم فيضعفونها، ويصارعون الفطرة الإلهية فيصرعونها، حتى يكون بعضهم [illegible]

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾

كما تقدم في المثل الأول.

[illegible] ويكون أفراده في نور البرهان كالخفافيش في نور الشمس، ولكنهم أمثل من الفريق الذي ضرب له المثل الأول [illegible] ورمقا من الحياة، يوجههم إلى الاقتباس من نور الهداية كلما أضاءت لهم بروقها، والمشي في الجادة كلما استبانوا طريقها، ولكن تحول دون ذلك ظلمات التقاليد العارضة، وتقف في

تسيل عقلهت [illegible] وقد تعددت [illegible]

[illegible] وصور ذلك حجج التي تبين لهم كيف انحرفوا، ولا يصدهم عنها إلا أنها تزعجهم في [illegible] المبالاة بسنة الآباء، [illegible] مذبذبين بين أهل الجحود وأهل اليقين.

• ﴿لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ •

(النساء: ١٤٣)

ولا [illegible] الآخر.

[illegible] تعدى في [illegible] من قوتهم

• ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ •

(الزخرف: ٢٣)

وقوله في [illegible]

• ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ •

(الأحزاب: ٦٧)

يحسبهم [illegible]، ويتولاهم الاضطراب والقلق، وتنشق لهم الظلمة عن فلق، ويلمع في نفوسهم [illegible] الهداية الفطرية [illegible] خطوات، ثم تحيط بهم الظلمات، وتعلق بهم [illegible] الظلمات [illegible] في موقفه [illegible] عليه جمهور. والإخلاد [illegible] عرض هذا الأدنى. [illegible] في معنى الشفاعة، [illegible]

• ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ [illegible]﴾ •

(الأعراف: ١٦٩)

بلى هو عندهم مقروء بجماليات النحو [illegible]، ولكنه [illegible] التصوري والأعلام، [illegible] لهداية القلوب والأحلام، ومقروء بالتجويد والأنغام، ولكنه متروك الحكم والأحكام، يقرءونه لكسب [illegible] ومعرفة حلال وحرام، ولا يتلونه لإصلاح القلب واللسان، بتزكية النفس وتغذية الإيمان، ويكتبونه لشفاء الأبدان من الأسقام، لا لشفاء ما في الصدور من الأوهام والآثام. ولو كان له أنصار يدعون إليه، وهداة يعتصمون به ويعولون عليه، لتبددت الظلمات [illegible] الأمور، ومحت آية الليل آية النهار.

تلك الإرشادات الإلهية بمنزلة المطر الذي ينزل من السماء، [illegible] والاضطراب لمن أشرب إليه [illegible] الرعد، [illegible] لمن يلمع في أنفسهم من ذلك كالبرق. والعادات والتقاليد والشهوات والخوف من ذم الجماهير عند العمل بما يخالفهم كالظلمات التي تصد عن سلوك الطريق بل تعميه على طالبه وتحجبه عنه. ولذلك، قال تعالى في تمثيل حال هذا الفريق:

• ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ •

أي قوم نزل بهم صيب، ووصفه بأنه من السماء، مع العلم بأن الصيب لا يكون إلا من السماء للإشعار بأنه أمر لا يملكون دفعه وليس ملاكه في أيديهم، ومن المعهود عند بلغاء العرب، التعبير عما يلم بالناس مما لا دافع له بأنه نزل من السماء. ولا جرم أن تلك السوانح التي تسنح في الأفكار، والإلهامات الإلهية، لأصحاب الفطرة الزكية، التي يكون من أثرها ما أشار المثل إليه، وتقدم التنبيه عليه، هي [illegible] دافع.

قال تعالى في وصف الصيب:

• ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ •

الظلمات هي ظلمة الليل، وظلمة الصيب نفسه. والرعد هو الصوت المعروف الذي يسمع في السحاب عند اجتماعه أحيانًا، والبرق هو الضوء الذي يلمع في السحاب في الغالب، وقد يلمع من الأفق حيث لا سحاب. وقال مفسرنا الجلال السيوطي: إن الرعد ملك أو صوته، والبرق سوطه يسوق به السحاب، وكأن الملك جسم مادي لأن الصوت المسموع بالآذان من خصائص الأجسام، وكأن السحاب حمار بليد لا يسير إلا إذا زجر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع وما ذكرناه هو الذي كان يفهمه العرب من اللفظين، وهو الذي يفهمه الناس اليوم ولا يجوز صرف الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلا بدليل صحيح، ولاسيما إذا صرفت عن معان من عالم الشهادة، الذي يعرفه الواصفون والمتكلمون، إلى معان من عالم الغيب لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن أعلمهم الله تعالى إياها بالوحي. ولكن أكثر المفسرين ولعوا بحشو تفاسيرهم بموضوعات [illegible] يحدثون على كذبها، كما ولعوا بحشوها بالقصص والإسرائيليات التي تلقفوها من أفواه اليهود، [illegible] القرآن [illegible] وتفسيرًا. وجعلوا ذلك ملحقًا بالوحي [illegible] الحق الذي لا مرية فيه. [illegible] في شيء بالوحي غير [illegible] ولا [illegible] بالوحي عن المعصوم الذي جاء به ثبوتًا لا يخالطه الريب.

وقال تعالى في أصحاب الصيب:

• ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ •

الصاعقة هي ما كان يعرفه العرب ويعرفه كل واحد، وهو ما يسقط في أثناء مطر وبرق ورعد فيصعق ما ينزل به، بأن يهلك أو يلحقه ضرر. وما تفسير البرق والرعد والصاعقة مع كونها معروفة لكل الناس إلا لأن المفسرين صرفوا أفهامهم عن المعروف إلى غيره، كما حكى عن (أرسطو) حكيم [illegible] تلاميذه سألوه عن تعريف الحركة، فعداه ومشى. [illegible] على [illegible] لأنهم اعتادوا أن يسمعوا من الفلاسفة [illegible] الأمور الجلية، [illegible] خفية.

وأما حقيقة البرق والرعد والصاعقة، وأسباب حدوثها، فليس من مباحث القرآن، لأنه من علم الطبيعة (أي الخليقة) وحوادث الجو التي في استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم. ولا تتوقف

على [illegible] في [illegible] الأرض [illegible] وتمرق بعقل إلى البحث الذى يقوى به الفهم والتبين. والعلم بالكون ينمو ويضعف في الناس. [illegible] [illegible] في بعض الأزمنة أن الصواعق تحدث من أجسام مادية، لما كانوا يشمونه في محل نزولها من رائحة [illegible] [illegible] محل الصاعقة.

[illegible] سيالا يسمونه الكهرباء، من آثاره ما ترون من «التلغراف» و«التليفون» و«الترامواى»، وهذه [illegible] [illegible] بها الثياب، أحدهما يحمل أو يوصل السيال الكهربائى الذى يسمونه الموجب، والآخر يوصل السيال المسمى بالسالب، وباتصال السلكين يتولد النور من تلاقى السيالين، وبانقطاعهما أو الفصل بينهما ينفصل [illegible] [illegible] شيء، والبرق في السحاب يتولد من اتصال [illegible] [illegible] بعض علماء الكهربائية قبس [illegible] من السحاب إلى الأرض. والصعقة من أثر الكهربائية، وهي تفريغ السحاب طائفة منها في مكان جاذب في الأرض [illegible]

التلغراف، لما بين السحاب والأسلاك من الجاذبية. ومعرفة الناس بالسبب الحقيقى [illegible] منها، باتخاذ القضيب المعروف الذى يسمى قضيب الصاعقة، فلا تنزل الصواعق على بناء رفع فوقه هذا القضيب. ولا مجال في تفسير [illegible] الطبيعية، لأنها تطلب من فنون خاصة بها، فلنعد إلى بيان المثل.

استحضر حال قوم مشاة في فلاة من الأرض، نزل عليهم بعدما أقبل ظلام الليل [illegible] برقه [illegible] آذانهم كلما حدث قاصف من الرعد، ليدفعوا شدة وقعه بسد منافذ السمع برءوس الأنامل. وعبر عن الأنامل بالأصابع، هذا التعبير [illegible] آذانهم، ومبالغتهم في إدخال أناملهم في صماليخها، كأن كل واحد منهم يحاول بما دهمه من الخوف أن يغرس أصبعه كلها في أذنه، حتى لا يكون للصوت منفذ إلى سمعه، لما يحذره على نفسه من الموت الزؤام، ومعاجلة [illegible] [illegible] الوقاية من أخذ الصاعقة ونزول الموت. والموت فقد الحياة بمفارقة الروح للبدن، وخلق الله له عبارة عن تقديره أو عن قبضه للروح وتوفيه للنفس.

وقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[illegible] في أثناء شرح [illegible] حال من [illegible] [illegible] المقصود بالذات – وهو أن التصام، والهروب من سماع آيات الحق، والحذر من صواعق براهينه الساطعة أن تذهب بضلالهم التى يرون حياتهم المليئة مرتبطة بها، لا يغنيهم شيئا؛ لأن الله تعالى محيط بهم، مطلع على سرائرهم، وعالم بما في ضمائرهم، وقادر على أخذهم أينما كانوا، وفى أى طريق [illegible] يهربون من برهان [illegible] كالغريق يدفعه موج ويتلقاه موج، حتى يقذف به إلى ساحل [illegible] العدم [illegible] قال:

﴿ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

ولم يقل محيط بهم. والمراد بالإحاطة هنا إحاطة القدرة. فمن لم يعته بأخذ الصاعقة، أماته بغيرها [illegible] واحد). المحيط بالشيء لا يمكن [illegible] ويفلت من قبضته. ثم بعد [illegible] والاستطرادات، عاد إلى إتمام المثل وتفصيله، فقال عز شأنه:

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ [illegible] ﴾

[illegible] البرق [illegible] فإنه يؤثر في بصره تأثيرا يكاد يخطفه – والخطف هو الأخذ بسرعة [illegible] الطريق، فيمشى فيه خطوات، ثم يعتكر عليه الظلام، وتستحوذ عليه المخاوف والأوهام، فيقف في مكانه، أو يعود البرق إلى لمعانه. ويحاكى هذا من حال المثل بهم أنه عندما يدعوهم الداعى إلى أصل الدين، ويوضح لهم سبب ما هم فيه من [illegible] ويتلو عليهم الآيات البينة، ويقيم لهم الحجج القيمة، على أنهم تنكبوا الصراط السوى وأصيبوا بالداء الدوى، يظهر لهم الحق فيعزمون على اتباعه، وتسير أفكارهم في نوره [illegible] والشبهات، فتقيد الفكر وإن لم تقف سيره وإنما تعود به إلى الحيرة – كما تقدم في أول الكلام – ثم يتكرر النظر في تضاعيفها بطريق الالتفات والإلمام. وفيه أنهم على سوء الحال وخطر المآل، لم [illegible] [illegible] ولذلك قال فيهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾

حتى لا ينجع فيهم وعظ واعظ ولا تفيدهم هداية هاد. ولم يقل إنه ذهب بنور أولئك وسلبهم [illegible] رجوعهم إلى الحق. وقوله تعالى:

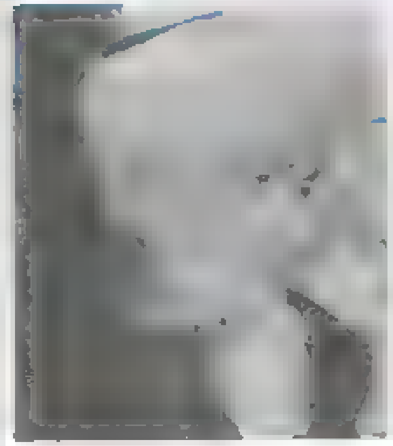
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾

[illegible]

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

بالوصف الذى اقتضى التمثيل.

أقسام السنة النبوية عند الإمام محمود شلتوت



٢

(١٣١٠-١٣٨٣هـ/١٨٩٣-١٩٦٣م)

ندرة المتواتر:

وإذ قد عرفنا الفرق بين مناط القطعية في الورود وهو التواتر، ومناط الظنية وهو الآحادية، فهناك بحث آخر يتصل بالتواتر ولابد من النظر فيه، هذا البحث هو: هل يوجد المتواتر في الأحاديث المروية في الكتب المدونة؟ وقد اختلف العلماء في الجواب عن ذلك: فذهب قوم إلى أنه لا يوجد حديث متواتر فيما روى لنا من الأحاديث ودون في الكتب. ونحن هؤلاء في رأيهم هذا على اشتراط عدد (أحصاه) في رواة التواتر، وهو مذهب طائفة من العلماء كما تبين لنا من قبل في تعريف المتواتر. وقال ابن الصلاح: (ولا يكاد يوجد متواتر في رواياتهم، ومن سئل عن إبراز مثال له فيما يروى من الحديث أعياه تطلبه. وحديث (إنما الأعمال بالنيات) ليس من ذلك السبيل وإن نقله عدد التواتر وزيادة، لأن ذلك طرأ في وسط إسناده ولم يوجد في أوله. نعم حديث «من كذب علي...» نراه مثالا لذلك؛ فإن رواته أزيد من مائة صحابي وفيهم العشرة المبشرون بالجنة، ولا يعرف حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيا إلا هذا الحديث الواحد)

وذهب آخرون إلى أن المتواتر كثير في هذه الكتب. قالوا: (إن هذه الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا مقطوع بصحة نسبتها إلى مصنفيها. فإذا اجتمعت على إخراج حديث، وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد ذلك العلم اليقيني بصحة نسبته إلى قائله. ومثل ذلك في الكتب كثير)

وليس بنا حاجة إلى أن نعرف مدى هذه الكثرة التي يراها هؤلاء، ويذكرونها في مقابلة القول بالعدم، أو في مقابلة القول بالندرة وإعياء تطلب المثال، وإنما يهمنا أن نلفت النظر إلى أنه لا يحكم لحديث بالتواتر - حتى على أكثر هذه المذاهب توسعا - إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية:

١ - أن تخرجه جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة.

٢ - أن تتعدد طرق إخراجه تعددا تحيل العادة معه التواطؤ على الكذب.

٣ - أن يثبت هذا التعدد في جميع طبقاته: أوله وآخره ووسطه.

وإذن فالحديث الذي لم تخرجه جميع الكتب المتداولة المشهورة، أو أخرجته جميعا ولكن لا بطرق متعددة، أو أخرجته بطرق متعددة ولكن لا في جميع الطبقات، بل في بعضها دون بعض - لا يكون متواترا باتفاق العلماء أجمعين!

الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه:

ويجدر بنا بعد هذا أن نعرض لظاهرة غريبة شاعت في الناس، وإن الحق ليتقاضى فيها واجبه من العلماء المسئولين أمام الله وأمام الرسول: تلك الظاهرة هي أنه على الرغم مما قرره العلماء في شأن المتواتر تحديدا ووجودا، وعلى رغم من هذا التحفظ الشديد في الحكم لحديث مما دون في الكتب بالتواتر - نرى بعض المؤلفين قديما وحديثا يسرفون في وصف الأحاديث بالتواتر، وقد يقتصدون فيخلعون عليها أوصافا أخرى كالشهرة والاستفاضة والذيوع على ألسنة العلماء، وتلقي الأمة إياها بالقبول، والثبوت في كتب التفسير وشرح الحديث، أو في كتب التاريخ والمناقب... إلخ

وقد يشتط أناس في سلوك هذا السبيل، فتراهم يتتبعون مع هذا أسماء الصحابة والتابعين والأئمة والمؤلفين الذين جرى ذكرهم على ألسنة النقلة في رواية الحديث، وهم يعلمون أنها روايات ضعيفة لا تصبر على النقد، وأن هذه الأسماء التي يحرصون على جمعها توجد في كل حديث حتى في الأحاديث الموضوعة، ولكنهم مع ذلك يجمعونها؛ ويجتهدون في عدها وإحصائها وذكر الكتب التي اشتملت عليها - لأنهم يريدون أن يخطفوا أبصار العامة، ويستغلوا عاطفتهم الدينية. ويزعموا لهم أن هذا الحديث أو تلك الأحاديث قد وردت عن [illegible] في هذه الكتب الكثيرة، وعلى لسان هذا الجم الغفير من الرواة بين صحابة وتابعين. فهي متواترة لاشك في تواترها، وهي متصلة بالرسول لاشك في اتصالها. ومن حاول الطعن فيها، أو الحط من درجتها، فقد ضل ضلالا بعيدا، وحاد عن سبيل المؤمنين!

ولهذه الظاهرة أسباب:

سبب، وقد يكون أقلها خطرًا: انتشار الحديث في طبقة أو طبقتين فتنسحب الشهرة على جميع طبقاته، ويحكم عليه حكم عام بالتواتر أو الشهرة من غير تحقيق ولا تمحيص؛ وقد لا يصل الحديث إلى حد الشهرة في طبقة ما، ولكنه جاء في (الخلافيات) فقهية أو كلامية فتعصب له أتباع المذاهب وخلعوا عليه وصف الشهرة أو التواتر تأييدًا لمذهبهم، وتناقلته الكتب، موصوفًا بذلك منسوبًا إلى جمع من رجال الرأي والمذهب فيخاله الناس مشهورًا أو متواترًا وهو ليس بمتواتر ولا مشهور.

ولقد كان للقائمين (بالترغيب والترهيب) ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار التي تميل النفوس إلى التحدث بها والاستماع إليها، أثر عظيم في خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة بل ربما كانت غير صحيحة[2]، وقد تأثرت بذلك طبقة من الخاصة لم تعن بتحقيق الرواية، ولا بمعرفة درجة الحديث. واكتفت بتلقي ما يلقنه هؤلاء وأجرته على ألسنتهم وفي كتبهم حتى شاع واشتهر.

وإنما استباحوا ذلك معتمدين على ما قرره بعض علماء المصطلح من (جواز التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع[3] من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد)[4].

وبذلك رووا الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة. ثم توسعوا فوصفوا الآحاد بالتواتر، والضعيف بالصحيح، وتناسوا مقاييس التواتر والآحادية، ومقاييس الصحة والضعف، ومن هنا رأينا من يصف (المعجزات الحسية) كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وكلام الغزالة وحنين الجذع بالتواتر مع أنها غير متواترة، وإنما هي آحادية كما قرره علماء الأصول. وكذلك رأينا من يصف أخبار المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج وما إلى ذلك مما يذكر باسم (أشراط الساعة) بالشهرة أو التواتر.

بقي بعد هذا أمر لابد من تقريره: وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة. فقد تناولها كثير من العلماء قديمًا وحديثًا ولم يتحرجوا من تأويلها. وقد جاء في شرح المقاصد ـ بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية ـ ما نصه: (ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة.. وأول بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازي، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك، وفتنة الدجال بظهور الشر والفساد، ونزول عيسى عليه السلام باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح... إلخ)

ومن ذلك نرى أن المسألة لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعي الدلالة الذي يمتنع تأويله. وإنما يقرر بصريح العبارة (أنه لا مانع من حملها على ظواهرها) فيعطي بذلك حق التأويل لمن اتضح في قلبه سبب التأويل، ثم يحدث عن بعض العلماء أنهم سلكوا سبيل التأويل في هذه الأحاديث فعلا. وبين المعنى الذي حملوها عليه. ولاشك أن هذا لم يكن منه إلا لأنه يعتقد ـ كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله ـ أن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها، فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك، ومن أداه نظره إلى تأويلها فله ذلك. شأن كل ظني في دلالته.

* * *

السنة تشريع وغير تشريع

● ينبغي أن يلاحظ أن كل ما ورد عن النبي ﷺ ودون في كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقريراته، على أقسام:

● أحدها: ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور، والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية، والشفاعة، المساومة في البيع والشراء.

● ثانيها: ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذي ورد في شئون الزراعة والطب، وطول اللباس وقصره.

● ثالثها: ما سبيله التدبير الإنساني أخذًا من الظروف الخاصة، كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية، وتنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة، والكمون والكر والفر، واختيار أماكن النزول، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحي الظروف والدربة الخاصة.

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعًا، يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشئون البشرية التي ليس مسلك الرسول ﷺ فيها تشريعًا ولا مصدر تشريع.

والسنة تشريع عام وخاص:

● رابعها: ما كان سبيله التشريع، وهو على أقسام:

أولاً: ما يصدر عن الرسول ﷺ على

---

(٢) وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: أربعة أحاديث تدور [illegible]

(٣) وفي نخبة الفكر عن بعض الكرامية والمتصوفة إباحة الوضع في الترغيب والترهيب انظر مسلم الثبوت

(٤) انظر مقدمة ابن الصلاح

وجه التبليغ بصفة أنه رسول؛ كأن يبين مجملاً في الكتاب، أو يخصص عامًا، أو يقيد مطلقًا، أو يبين شأنًا في العبادات، أو الحلال والحرام، أو العقائد والأخلاق، أو شأنًا متصلاً بشيء مما ذكر.

وهذا النوع تشريع عام إلى يوم القيامة، فإن كان منهيا عنه اجتنبه كل إنسان بنفسه، لا يتوقف في ذلك على شيء سوى العلم به والوصول إليه.

ثانيًا: ما يصدر عنه ﷺ بوصف الإمامة والرياسة العامة لجماعة المسلمين؛ كبعث الجيوش للقتال، وصرف أموال بيت المال في جهاتها، وجمعها من محالها، وتولية القضاة والولاة، وقسمة الغنائم، وعقد المعاهدات، وغير ذلك مما هو شأن الإمامة والتدبير العام لمصلحة الجماعة.

وحكم هذا أنه ليس تشريعًا عامًا، فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام. وليس لأحد أن يفعل شيئا منه من تلقاء نفسه بحجة أن النبي فعله أو طلبه.

ثالثًا: ما يصدر عنه ﷺ بوصف القضاء، فإنه كما كان رسولاً يبلغ الأحكام عن ربه، ورئيسا عاما للمسلمين ينظم شئونهم ويدبر سياستهم، كان عليه الصلاة والسلام مع ذلك قاضيا يفصل في الدعاوى بالبينات، أو الأيمان، أو النكول[*].

وحكم هذا كسابقه، ليس تشريعًا عامًا، حتى يجوز لأي إنسان أن يقدم عليه بناء على قضائه به، وفصله فيه بحكم معين بين من حكم بينهم، بل يتقيد المكلف فيه بحكم الحاكم؛ لأن الرسول تصرف بوصف القضاء، ومن هذه الجهة لا يلزم المكلف إلا بقضاء مثله. فمن كان له حق على آخر، ويجحده، وله عليه بينة فليس له أن يأخذ حقه إلا بحكم الحاكم؛ لأن هذا هو الذي كان شأن أخذ الحقوق عند التجاحد على عهد الرسول ﷺ.

هذا ومن المفيد جدا معرفة الجهة التي صدر عنها التصرف، وكثيرا ما تخفى فيما ينقل عنه ﷺ، ولا ينظر فيه إلا من جهة أن الرسول فعله أو قاله أو أقره، ومن هنا نجد أن كثيراً مما نقل عنه ﷺ صور بأنه شرع أو دين، وسنة أو مندوب، وهو لم يكن في الحقيقة صادرا على وجه التشريع أصلا. وقد كثر ذلك في الأفعال الصادرة عنه ﷺ بصفة البشرية، أو بصفة العادة والتجارب.

ونجد أيضًا أن ما صدر على وجه الإمامة أو القضاء، قد يؤخذ على أنه تشريع عام، ومن ذلك تضطرب الأحكام وتختلط الجهات.

وقد تكون معرفة الجهة فيما ينقل من كل ذلك واضحة جلية، فيتقيد كل فعل بالجهة التي صدر عنها. وقد يشتبه الأمر على الناظر في معرفة الجهة التي صدر عنها الفعل، فيقع خلاف بين العلماء في صفة التشريع، تبعا لخلافهم في الجهة التي صدر عنها ذلك التشريع.

ولنضرب لذلك أمثلة يتضح بها هذا النوع:

١ - صح أن النبي ﷺ قال: «من أحيا أرضًا ميتة فهي له». واختلف العلماء في أن ذلك: هل صدر عنه بطريق التبليغ والفتوى فيكون حكمًا عامًا، لكل أحد أن يحيي أرضًا ليس لأحد حق فيها فتكون له، أذن الإمام في ذلك أم لم يأذن، أو أنه صادر عنه باعتبار إمامته ورياسته، فلا يكون حكمًا عامًا، ولا يجوز لأحد إحياء الأرض المذكورة إلا بإذن الإمام؟

ذهب إلى الأول جمهور الفقهاء، وإلى الثاني أبو حنيفة[1].

٢ - صح أن النبي ﷺ قال لهند بنت عتبة لما قالت له إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ولولدي ما يكفيني. قال لها «خذي لك ولولدك ما يكفيك بالمعروف».

واختلف العلماء في هذا: هل كان بطريق الفتوى والتبليغ فيجوز لكل من ظفر بحقه أن يأخذه بغير علم خصمه، أو كان بطريق القضاء، فلا يجوز لأحد أن يأخذ حقه أو جنس حقه، إذا تعذر أخذه من غريمه، إلا بقضاء القاضي؟ وهذه هي المسألة المعروفة عند الفقهاء بمسألة (الظفر)، ولهم فيها أقوال وترجيحات[2].

٣ - صح أن النبي ﷺ قال: «من قتل قتيلاً فله سلبه»، والسلب هو ما على القتيل من ملابس وأدوات. واختلف العلماء أيضا فيه على النحو المتقدم، فمنهم من يرى أنه تصرف بالإمامة، فلا يستحق أحد سلب مقتوله، إلا أن يقول الإمام ذلك في الواقعة. ومنهم من يرى أنه تبليغ، فيستحق كل قاتل سلب قتيله، أعلن الإمام أم لا.

قال الكمال: «ولا خلاف في أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك، وإنما الكلام في أن هذا كان منه نصب شرع على العموم في الأوقات والأحوال، أو كان تحريضا قاله في وقائع فيخصها». فعند الشافعي هو نصب شرع؛ لأنه هو الأصل في قوله؛ لأنه مبعوث لذلك. إلى آخر المسألة في فصل التنفيل من الجزء الرابع في فتح القدير.

هذا وقد عرض لهذه المسألة بوجه عام الإمام القرافي في كتابه (الفروق - جـ١)، كما عرض لها الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه (زاد المعاد جـ٢) في أثناء الكلام على غزوة حنين، وعرض لها كما أشرنا كثير من الفقهاء في جزيئات المسائل التي انبنى الخلاف فيها بين الأئمة على الخلاف في جهة التصرف الذي صدر عن الرسول.

---

[*] النكول هو الامتناع عن [illegible]

(١) وقد ذكرت هذه المسألة في كتاب إحياء الموات من كتب الحنفية، وراجعها إن شئت الجزء السادس من شرح الزيلعي والتحقيقات عليه.

(٢) انظر إن شئت (إعلام الموقعين) لابن القيم وكتب المالكية من كتاب (سبل السلام).

ومن هذا نرى أن كل الفقهاء مجمعون على تقرير مبدأ التفرقة بين الجهتين في مصدر التصرف، وأنه معترف به عندهم.

محتويات القسم التشريعي في السنة:

● وإذا قطعنا النظر عما ورد في السنة مما سبيله العادة والتجارب والشئون التي تعتمد على محض التدبير الإنساني، فإنا نستطيع أن نحصر ما احتوت عليه سائر الأحاديث من شئون تشريعية فيما يأتي:

● أولاً: العقائد التي حددها الإسلام، في الفرق بين الإيمان والكفر فيما يتعلق بالله وصفاته، وما يتعلق بالرسل والوحي، وما يتعلق باليوم الآخر.

وهذا القسم قد تكفل القرآن ببيانه، وكان القرآن - لتواتره وإفادته القطع - هو المصدر الوحيد لتعرف هذه العقائد، فما طلب من الناس الإيمان به فهو عقيدة، وما لم يطلب الإيمان به فليس بعقيدة. والحديث في هذا القسم ليس إلا مرددا لما أثبته القرآن منه، وليس في العقائد ما تفرد الحديث بإثباته، أو ما يختلف الحديث فيه القرآن.

وقد كان مسلك الحديث فيه كمسلك القرآن، فمنه المحكم البين، ومنه المتشابه المشكل، وما كان للعلماء من رأى في متشابه القرآن، فهو لهم في متشابه الحديث، وذلك مثل كلمات: (اليد) و(الوجه) و(استوى) المنسوبة إلى الله، في مثل قوله تعالى:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

(الفتح: ١٠)

وقوله عز وجل:

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾

(الرحمن: ٢٧)

وقوله سبحانه:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

(الأعراف: ٥٤)

فالعلماء في مثل هذا - سواء ورد في القرآن أم في السنة - بين أن يقولوا: آمنا به على المعنى الذي يريده الله، وهو مذهب (التفويض)، ولا يكلفون أنفسهم البحث عنه ولا يتحملون تبعة تحديد معنى خاص لها، وبين أن يقتحموا هذه الألفاظ ويفسروها بمعان تتفق مع التنزيه لله سبحانه عن مشابهة الحوادث، كتفسير اليد بالقدرة، والوجه بالذات والأقدس، والاستواء بعموم السلطان والتدبير، وهو مذهب (التأويل).

وإنا لا نثبت العقيدة بالحديث؛ لأن العقيدة ما يطلب الإيمان به، والإيمان معناه اليقين الجازم، ولا يحصل اليقين الجازم إلا ما كان قطعي الورود والدلالة، وهو المتواتر. والأحاديث المروية لم تتوفر فيها أركان التواتر، فلا تفيد بطبيعتها إلا الظن، والظن لا يثبت العقيدة.

● ثانياً: الأخلاق: جاء في الأحاديث كثير من الحكم والآداب والنصائح، مثل ما ورد في مدح العدل، والصدق، والوفاء بالعهد، وذم ما يقابلها، وهي كثيرة في القرآن والحديث، وهي بطبيعتها أمور تتطلبها الكمال الإنساني، وتدعو إليها الفطر السليمة، وكل ما جاء منها في الأحاديث له أصل في القرآن، والحديث فيها إما مردد ومذكر، أو موضح ومفصل.

وهذان القسمان: العقائد والأخلاق، لا كلام لنا فيهما فيما نحن بصدده، وإنما الكلام في القسم الثالث وهو:

● ثالثاً: الأحكام العملية التي تتصل بضبط العبادات، وتنظيم المعاملات، وتمييز الحقوق، والحكم بين الناس. وقد روى في هذا القسم جزء كبير من الأحاديث، اتخذها العلماء - كما قلنا - المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن، فنظروا فيها، واستنبطوا منها، وبينوا بها دلالات القرآن فيما عرض له من أحكام. والأحكام التي تستفاد من هذا القسم هي التي نسميها (فقه السنة)، والأحاديث تعرف بأحاديث الأحكام. كما أن أحكام العبادات والمعاملات التي تستنبط منها هي التي نطلق عليها: (فقه القرآن)، وآياتها تعرف بآيات الأحكام.

وعليه يكون المراد من عبارة (فقه القرآن والسنة): الأحكام العملية المتعلقة بشئون الإنسان، فردا كان أو جماعة المستفادة بطريق مباشر من القرآن والسنة بحسب الدلالات المعهودة للكلام في اللغة العربية. وإنما قلنا بطريق مباشر، لنخرج الأحكام المستفادة بطريق القياس، أو تقدير المصلحة، فإنها لا تندرج تحت هذا العنوان.

ومما ينبغي ملاحظته في هذا المقام، أن الخلاف الذي حصل بين العلماء في وسائل الاستنباط من آيات الأحكام، قد حصل مثله بينهم في الاستنباط من أحاديث الأحكام. فما من آية حصل في دلالتها اختلاف بين العلماء، وفي موضوعها حديث أو أحاديث، إلا كانت هذه الأحاديث أيضاً محل خلاف بينهم، وقلما نجد حديثا وقفت دلالته ما بين العلماء من خلاف في دلالة آية من القرآن. ولعل ذلك يرجع إلى اشتراك القرآن والسنة في الأسلوبية العربية، وهي واحدة فيهما. كما يرجع إلى أسباب أخرى تتعلق بثبوت الحديث وعدم ثبوته، وقوته وضعفه[8]

●●●

[illegible]

الديـن

(٨) للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز



المذاهب النفسية:

هذه فصيلة أخرى من النظريات. تتلخص فكرتها العامة في أنه لأجل الوصول إلى العقيدة الإلهية لم يكن بالناس حاجة إلى التأمل في الطبيعة وجمالها، ولا في التقلبات الكونية وأهوالها، ولا إلى التجارب العجيبة في عالم الأرواح وأسرارها؛ بل إن تجارب الانسان النفسية، في حياته العادية المألوفة له في كل يوم، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة إلى تلك الحقيقة العليا.

١- نظرية ساباتييه:

حاول «أوجيست ساباتييه» في الفصل الأول من بحثه عن فلسفة الدين أن يؤسس العقيدة الإلهية على بعض الملاحظات النفسية. فقال: إن هذه العقيدة تتولد في الإنسان منذ نشأته على أثر شعوره بمناقضة جوهرية بين حساسيته وإرادته، وهما القوتان اللتان تتألف منهما حياة النفس في أيسر مظاهرها.

وفي الحق أن حياتنا النفسية قائمة في جوهرها على حركتين متعاكستين: إحداهما تتجه من الخارج إلى الداخل (من المحيط إلى المركز)، والأخرى من الداخل إلى الخارج (من المركز إلى المحيط).

فالحركة الأولى تمثل تأثير الأشياء على النفس بواسطة الإحساس (وتلك هي حال انفعال النفس وقابليتها)، والحركة الثانية تمثل محاولة النفس على الأشياء بتوسط الإرادة (وهذه هي حالة تأثير النفس وفاعليتها)، بيد أن هاتين الحركتين لا تتطابقان تمام الانطباق، وليس بينهما كمال تناسق وتجاوب، ذلك أن الحساسية تسحق الإرادة وتكبتها، فكلما اندفعت موجة الحركة الإرادية من داخل النفس، وارتطمت على صخرة الأشياء الخارجية فانكسرت عليها، رجعت كئيبة مبتئسة، وهذه الصدمات المتوالية، وتلك المنازعات

المستمرة، بين النفس وبين العالم الخارجي، هما السبب الأول لكل أنواع الآلام، ولكنهما في الوقت نفسه هي منبع النور، ومصدر الشعور ذلك أن ارتداد الموجة إلى مركزها يولد في هذا المركز حرارة تشبه الحرارة الناشئة من حركة العجلة على محورها ثم لا تلبث هذه الحرارة أن تبعث شرارة ضوئية تضيء جوانب الوجدان، وذلك هو الوعي وتنبه البصيرة، والذي تصبح به النفس مدركة مدركة، وحاكمة محكومة معاً، كأنها كائن مزدوج: أحد شقيه هذه النفس المثالية، والآخر تلك النفس المكونة الواقعية.

هكذا ولدت الحياة النفسية بين وخزات الألم والإخفاق. أليست كل ولادة تصحبها الآلام والدموع؟

قال: ولو أننا تابعنا هذه الملاحظة في سائر الحالات النفسية، لرأيناها كلها كما تولد من مناقضة، تفنى في مناقضة أخرى: فرغبة العلم تنتهي بالاعتراف بالجهل، ورغبة الاستمتاع تنتهي بالتبرم، كأنها تحمل في نفسها جرثومة فنائها، والإسراف في الحرص على السعادة يذهب براحة الطمأنينة والرضى، ويزيد الألم شدة.

فأين المفر؟

إن من الخطأ أن يعتمد الناس على تقدم العلوم الطبيعية في إنقاذهم من هذا البؤس والحرمان. فإن العلم بدلاً من أن يلطف من هذه المقاومة العنيدة، يزيد في حدتها، ويشحذ سلاحها الفتاك. ذلك أن كل اكتشاف علمي يضع حلقة جديدة إلى سلسلة الأسباب الضرورية، التي لابد منها في نظام الأشياء واتساقها وثباتها، فيزيد بذلك قيداً في حريتنا، وغلاً في أعناقنا، ولا نزال نتقدم في هذه السبيل، حتى نصل إلى المناقضة العامة بين العقل والعمل، بين التفكير والحركة، بين قوانين الطبيعة وقوانين الأخلاق. وهكذا نقيم حرباً داخلية بين ملكات النفس، وننتهي إلى شعور اليأس من قيمة الحياة.

ومن هذه الأزمة الداخلية ينشأ التدين. كأن هذه الأزمة تفتح في صخرة النفس شقاً يتفجر منه ماء الحياة. لا على معنى أن الدين يقدم لنا حلاً نظرياً لهذه المشكلة. لأن الحل الذي يقدمه لنا الدين هو في الحقيقة عملي محض، فهو لا يفتح لنا باباً جديداً من المعرفة، بل يعود بنا عملياً إلى المبدأ الذي اقتبسنا منه وجودنا، ويمنحنا شعور الثقة والإيمان بمبدأ الحياة وبنهايتها. إن منزلة هذه الثقة من عالم النفس كمنزلة غريزة البقاء من عالم الطبيعة المادية، ولكنها صورة أسمى من تلك، فإنها في عالم المادة تسير بقوة قاهرة عمياء. أما في عالم النفس فإنها تستضيء بنور الشعور والإرادة المفكرة ومن جهة أخرى فإنها تستند إلى حقائق واقعية، وتقوم على شعور ملازم لكل فطرة إنسانية، وهو شعور التبعية المطلقة لقانون الوجود العام.

أجل! من ذا الذي يستطيع أن يبعد عن نفسه هذا الشعور؟ أليس حظنا من القدر قد رسم دون استشارتنا، فقضى علينا أن يكون وجودنا في زمان ومكان معينين، وترك لنا ميراثًا من الملكات والطبائع لم يكن لنا فيه شئ من الاختيار؟ بل إننا لا نجد في أنفسنا ولا في أية مجموعة أخرى من الكائنات الفردية السبب الكافي لوجودنا ولا غايته النهائية المعقولة. ولذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نبحث عن هذا السبب وهذه الغاية خارجا عنا، في الوجود العام. وما التدين إلا الاعتراف بهذه التبعية في تسليم وخضوع.

هذا الشعور بالتبعية هو الأساس التجريبي للعقيدة الإلهية. ومهما تكن فكرة الألوهية في عقولنا ناقصة غير محددة، فإن موضوعها لا يفلت قط من شعورنا؛ فهو حاضر لدينا، بل يفرض نفسه علينا في هذا الشعور حتى إنه يسوغ لنا أن نضع هذه المعادلة الحسابية مطمئنين.

إن شعورنا بالتبعية المطلقة هو شعورنا بحضور السر الإلهي فينا. هذا هو الينبوع العميق الذي تفيض منه الفكرة الإلهية بقوة لا نقاوم.

غير أنه يجب أن نعرف كيف يقبل العقل الإنساني هذه التبعية لمبدأ الحياة العالمية؟ هذا العقل الثائر الذي يرى نفسه من طبيعة غير طبيعة الأشياء الخارجية، ويرى أن أخص خصائصه هو أنه يفهم هذه الأشياء، ويسيطر عليها ويسخرها؛ فالإنسان - كما يقول باسكال - ليس إلا قصبة ضعيفة، ولكنها قصبة مفكرة. حتى إنه لو سحقه الكون لكان هو أنبل من الذي يسحقه، لأنه يعرف أنه مسحوق، بينما الكون لا يعي من أمر نفسه شيئا.

ومن هنا يتبين أن المبدأ العالمي الذي يخضع له الإنسان ليس هو دنيا الكون المادي، بل الروح العالمية التي تدبره، ذلك أن القوة العاقلة لا تخضع إلا لسلطان قوة عاقلة تسيطر عليها وعلى العالم على السواء. وهكذا نجد الحياة العقلية، التي كانت قد انشطرت بالصراع بين الشعور الذاتي والتجربة الخارجية، تكمل وتحتفظ ببعد ثالث جامع ينتظم الحدين معا: وهو الشعور بالخضوع للسلطان الأعلى.

هذه الصفحة الرائعة التي كتبها أوجست سباتييه لا تزال تحتفظ بجمالها ودقة تصويرها للفكرة الإلهية في الديانات العليا. ولكن هل تنطبق على سائر الديانات التي ليست من دقة التعمق والإمعان في التجريد بحيث يمكن أن تكون فكرة عالمية؟

لقد أحس الفيلسوف بهذا السؤال، فكتب يقول:

«إن الذين يعترضون علينا بهذا يبرهنون على أنهم لم يروا جيدا هذه المناقضات الأصيلة في حياتنا اليومية، من مبدئها إلى نهايتها. فإنه لأحرى أن يتحقق الإنسان من هذه المناقضات ويقاسيها ليس بحاجة إلى أن ينتظر حتى يصبح فيلسوفا.

ويجب أن نلاحظ في كل العقول على اختلاف درجاتها من الثقافة والاستنارة؛ وفي كل النفوس مهما يكن نوع تقلبات الجو في وسط العادات، ليست بأقل منها في نفوسنا حين تضطرب أفكارنا أمام اللغز العالمي وأمام ظاهرة الموت. قد تختلف العبارة ونوع الشعور؛ ولكن الظاهرة النفسية التي تزلزل الإنسان هي في جوهرها شئ واحد. فكل أحد حين يكف عن التفكير في عجزه وجهله وفنائه، وحين يخضع لسرة صابرا مستسلما - على أن يقضي الحياة كما يشعر رغما عنه بزفرة يفيض بها صدره، وتكاد تنطق بها شفتاه؛ وما هي في الحقيقة إلا دعاء ومناجاة».

٢- نظرية برجسون ونقدها:

هذه النظرية تتفق مع سابقتها في تقرير أن العقيدة الإلهية تقوم على عوامل نفسية تثيرها حياة الإنسان اليومية. ولكن بينما النظرية السابقة توجه من هذه الحياة جانبها الشخصي المحض ... التي تتصدع بها ... لا يسعه إلا الخضوع والاستسلام للقوة التي فرضت هذه القوانين، وحكمت وتقضيها. بعكس نظرية برجسون، في كتابه عن «ينابيع الخلق والدين» على جانبها الاجتماعي، فتربطها بالنواميس الأدبية التي يفرضها المجتمع وما فيه من العرف والتقاليد، والآخر، يتعلق بالمحدودات المستقبلة التي تفتح بها أبواب الإمكان، وتتسع للاحتمالات وللمصادفات فلا يمكن التنبؤ بها بصفة قاطعة.

أما كيف تنشأ العقيدة الإلهية عن الشعور بالواجبات الاجتماعية فبيانه أنه لما كان نظام المجتمع وتماسكه يتطلب من الفرد تخلياته عن بعض رغباته وتضحيته بجانب من حريته، وتحمله أعباء تقتضيها مصلحة غيره، ولا يعود عليه منها نفع مباشر، وكان أليس من الهين أن يتقبل المرء عن طيب خاطر كل هذه التضحية وكل هذا الحرمان؛ إذ كانت الغريزة الاجتماعية عنده أضعف من أن تحمله على نسيان في خدمة المجموع، وأن تجعل مثله كمثل النملة أو النحلة حين تذهل عن نفسها في خدمة النمل والنحل، وكان استعمال ذكائه العادي في حساب مصلحته يدعوه بالعكس إلى الأثرة، وإلى التضحية بمصلحة الآخرين في سبيل إصلاح الفرد والجماعة، تلك القوة قد أعدتها الفطرة الإنسانية في النفوس حين أشربتها الفكرة الدينية. وذلك أنها صورت أمامها الخطورات الاجتماعية بصورة مخيفة تحمل عن المخاطرة انتهاكها،

وصارت تسائل في هذا التصوير حتى خيلت للنفس أن هذه المحظورات يقوم على حمايتها حارس معنوى، آمر، ناه، محاسب ينذر من ينتهكها بالبطش والعقاب، وذلك هو معنى الإله.

وهنا يضيف «برجسون» أن صورة هذا الحارس وإن لم تكن وليدة التفكير المنطقى، بل من عمل الواهمة أو المخيلة التى تشخص المعنويات، وتجسم المجردات. ولكنها ليست من قبيل تخيل الفنانين، ولهو القصاصين والمصورين وأصحاب الأساطير، فإن آثارها هؤلاء لا تعدو أن تكون نوعاً من الترف الذى يمكن الاستغناء عنه، بخلاف الصورة الإلهية التى تخلقها الحاجة الاجتماعية. فإنها وإن تكن وهماً إلا أنه وهم تفرضه الحياة، ومن أجله أوجدت هذه الملكة الرمزية فى طبيعة الإنسان[*].

فإذا ما انتقلنا إلى ميدان الأعمال اليومية وجدنا فيه كذلك فراغاً نفسياً عميقاً، لا يملؤه إلا العقيدة الإلهية، فالصائد حين يسدد سهمه إلى فريسته، والتاجر فى سعيه إلى الربح، والمريض فى تناوله الدواء، وتطلعه إلى الشفاء، والزارع فى طلبه للثمرة، والمتزوج الذى ينتظر الولد، وراكب السفينة الذى يطلب النجاة، ولاعب الميسر الذى يرقب حظه بين اليأس والأمل، وكل ذى حاجة ينتظرها وهو لا يدرى ما قدر له من النجاح أو الإخفاق.. كل أولئك لو استلهموا عقولهم، وقاسوا أعمالهم بمقدار نتائجها المحققة أو المحتملة، لقعدوا عن السعى، ولوقف بذلك دولاب الحياة. غير أن دفعة الحياة حركة تأبى الوقوف والجمود، فكان لابد لها من ثقل تضعه فى الكفة الأخرى من الميزان النفسى، لترجح به جانب العمل، رغم كل تفكير وحساب. وما ذلك إلا الأمل تبعثه، والاعتماد على الحظ المحتمل تقدره، ولا تزال بهذا الحث والتشجيع، حتى تصور أمام النفس إرادة خفية يركن القلب إليها ويعتمد عليها. تلك هى إرادة «الإله المستعان»، كما كان ذلك السلطان سلطان «الإله الديان».

الذى نلاحظه على هذه النظرية هو أنها جعلت فكرة الألوهية فى مظهريها عند العامة فكرة رمزية لا تعدو أن تكون ضرباً من ذلك الأسلوب القصصى الذى يخوف به الأطفال أو يداعبون به. وهذا وصف لا يستطاع فى القسم الأول منها. إذ لو صح أن كل ما يجرى فى المجتمع من سنن وعوائد، سواء ما كان منها ذا طابع دينى أو اقتصادى أو غيرهما، كان فى جملته مستمداً لعقيدة إلهية فى عقول العامة فهنالك فقط يسوغ أن يقال إن فكرة الإله عندهم لا تدل على حقيقتها، وأنها محض رمز لما فى نفوسهم من سلطان رهيب للمجتمع، ولا شك أن الذى يعيش أسيراً لعوائد قومه ولو تحكمية، ولتصرفاتهم ولو همجية، ولقوانينهم ولو جائرة، لو بلغ به استسلامه إلى حد الظن بأن تلك الوضعيات البشرية أوضاع إلهية، يقوم على حمايتها جنود من السماء حين تغيب عنها جنود الدولة، لكان أقل ما يقال فيه إنه سخيف واهم، وأنه يسمى الأشياء بغير أسمائها. أما إذا أخذنا قانون الأخلاق فى جوهره الصحيح، واعتبرنا ما له من سلطان مركوز فى طبائع الناس على اختلافهم موحياً للعقيدة الإلهية، ودليلا على صنعة الفاطر الأول، الذى ألهم النفوس هداها، ورسم لها طريق فجورها وتقواها، فتلك فكرة سليمة ومنطق مستقيم. وسنرى الفيلسوف الألمانى «عمانويل كانت» يجعل قانون الأخلاق هو المقدمة الأولى فى الاستدلال على وجود الله.

وكذلك نقول إن الاستدلال على وجود القدر الإلهى بالحوادث المستقبلة التى لابد للبشر فى تصريفها، والتى تقع تارة على وجه وتارة على وجه آخر، دون أن تخضع فى سيرها لقانون طبيعى ثابت، نقول إن هذا الاستدلال سديد قويم. لا يعتمد على شئ من الوهم أو التمثيل، لأنه ينطوى على مقدمتين: «الأولى» أن هذه الحوادث تستند إلى سبب خفى. وهذا حكم انفصالى يقينى، إذ أن ما لم يوجد له سبب فى عالم الشهادة يجب أن يكون له سبب فى عالم الغيب. ولا ثالث، «الثانية» أن هذه القوة الغيبية قوة عاقلة إرادية، مقدرة للحوادث قبل وقوعها. وهذه قضية لا يؤيدها العقل السليم فحسب. بل تشهد بها التجارب المتكررة فى كل أمة، فإن هذه الحوادث التى لا يمكن التنبؤ بها من طريق النور العقلى وحده قد يكشفها الروحانيون الملهمون ويتنبئون بما ستكون عليه فى وقتها المحدود. ثم يقع مصداق نبوءتهم. بياناً لا يخالطه شك ولا وهم. فذلك لا شك آية على أنها ليست وليدة المصادفة والاتفاق، ولا نتيجة آلية لدفعة الحياة العمياء كما يقول برجسون[*] وإنما هى خاضعة لخطة مرسومة من قبل، رسمتها يد مدبرة قاصدة لما تفعل، مقدرة لكل ما يجرى فى مملكتها.

(*) [illegible] وفي جميعها بالجماعات الغفلة، ولكنه لا ينطبق في [illegible] ولا حاجة بهم إلى هذه التعابير الشعرية [illegible] للقوانين جدا من أن توضع لهم القوانين وما الجماعة في نظرهم إلا الإنسانية العالية التي لا تعرف [illegible]

(*) [illegible] وإنما كان يؤمن بالحياة من حيث هي قوة متدفقة في أعماقها تخبط خبط عشواء ولا تدري [illegible]

٢- نظرية ديكارت:

لا مناص من الاعتراف بأننا سنجاوز حدود موضوعنا قليلا حين نضم إلى هذه السلسلة من التعابير النفسية طريقة من طرق الفيلسوف الفرنسي «ديكارت» Descartes في إثبات وجود الله، مع أنه لم يصطبغ تفسير أصل هذه العقيدة في شأنها ولا في نظر الجمهور، بل في نظره هو، غير أنه لما صرح بأن أساسها نفسي فطري، لم نر بأسا من نظمها في هذا السلك.

وجد هذا الفيلسوف في تأملاته أن عقيدة وجود الله تعتمد على تجربة نفسية أقرب من هذه التجارب كلها، وأقل تعقيدا، حتى إن الذي يغمض عينيه، ويسد أذنيه، ويقطع علاقته بالكون وبالناس، ثم ينطوي على نفسه، ويتحسس أفكاره وتصوراته يجد مفتاح هذه العقيدة حاضرا فيها بين طيات نفسه، كلما شعر بالفرق بين الشك واليقين، أو بين الجهل والعلم، وبالجملة كلما قرأ في لوحة نقصه عنوان «الكمال» الذي ليس له.

ليست فكرة «الكمال» هذه في نظر «ديكارت» فكرة مستنبطة من فكرة أخرى، وإنما هي حقيقة أولية فطرية، بل هي أسبق في العقل من فكرة النقص، فإن من لا يعرف الشيء لا يتفقده، ولا يحس بحرمانه حين يفقده. إذ كيف أعرف أنني ناقص لو لم تكن عندي فكرة كائن أكمل مني أجعله مقياسا أعرف به مواضع نقصي؟ فالرغبة في الكمال وحدها دليل على أسبقية وجود هدفها في التصور العقلي ثم ليست هذه الفكرة معنى سلبيا «كالسكون: عدم الحركة» و«كالظلام: عدم النور» بل هي جماع الحقائق الإيجابية ونظام ضروب الكمالات كلها.

من أين تجئ هذه الفكرة إذا؟

لا جائز أن يكون من هاوية العدم مطلقها، فإن العدم لا يخلق الوجود، كما أن الصفر لا يلد عددا إيجابيا.

ولا جائز أن يكون من قرارة النفس منبعها فهذه النفس هي مصدر النقص الذي أحاول التخلص منه

ولا يقال: إن الكمال الذي لم أحرزه بالفعل هو حاصل عندي بالقوة، وأنا دائب في سبيل اكتسابه، مترق في مراتبه تدريجيا، وهذه النزعة إليه هي التي أنشأت فكرته في نفسي، فذلك فرض باطل من وجهين

- «أولهما» أن هذه الفكرة لا تصور في نفسي درجات الكمال التي سأنالها، أو التي يمكنني نيلها فحسب، بل إن كل درجة من الكمال أتصورها في نفسي أو في غيري، أتصور دائما فوقها درجة أعلى منها.
- «وثانيهما» أن فكرة الكمال الأعلى التي أجدها في نفسي تحتوي كل درجات الكمال الوجودي الفعلي، الذي لا شئ منه بالقوة والإمكان المحض، ولا لم يكن هو المثل الأعلى، ولما أمكن وجود شئ من الكمالات الغريبة بالفعل، لأن ما هو بالقوة والإمكان فحسب لا يمكن أن يحدث ما هو بالفعل في حقيقته الإيجابية الظاهرة الباهرة، فإن فاقد الشئ لا يعطيه غيره.

وأخيرا ليست هذه الفكرة اختراعا وفرضا افترضه خيالي، بل هي صورة تفرض نفسها على عقلي وعلى كل عقل.

فلم يبق إلا أن تكون صورة منعكسة على مرآة النفس من حقيقة إيجابية، وذات خارجية، هي مادة الكمال المطلق ومصدره، وهي المثل الأعلى. وما وضع هذه الصورة على لوحة نفسي إلا كوضع «سمة الصانع» على صنعته. أو «توقيع الكاتب» في رأس رسالته.

هذا التفسير لم يكن «ديكارت» أسبق الناس إليه. ولكنه أجاد تفصيله، وأحسن تصويره. في التأمل الثالث من تأملاته

Meditation troisieme.

وقد أكثر الناس من الاعتراض عليه، حتى في عصر ديكارت نفسه.

وظن الفيلسوف الألماني «كانت» أنه استطاع هدم هذه الحجة، بقوله: إنه وإن تكن خصائص الماهيات العقلية يمكن استنباطها كلها من طبيعة تلك الماهيات، كما تستنبط خصائص الأشكال الهندسية من مفهوماتها، إلا أن صفة «الوجود» على الخصوص لا يمكن أخذها من تلك المفاهيم العقلية. فحقيقة المثلث وإن ثبتت لها الخواص الهندسية المعروفة، بالضرورة العقلية، إلا أنه لا يلزم من ذلك وجود مثلث في الخارج، وكل ما في الأمر أنه إن وجد مثلث كان على هذه الأوضاع، وكانت له هذه الخواص، وهكذا سائر المفاهيم العقلية، ليس وجودها في الذهن دليلا كافيا على وجودها في الخارج؛ بل إن منها ما هو مخترع اختراعا بحتا، كما نتصور قصرا من ماء، وإنسانا من هواء.

ولكن فات هؤلاء الناقدين ما هنالك من بون شاسع [١] بين تلك الماهيات الممكنة التي يعترضون بها، والتي لا يلزم من فرض عدمها محال، بين الماهية العقلية الواجبة، التي بلغ من رسوخها في كيان العقل أن إبطالها يعد إبطالا لكل معقول ومعلوم؛ إذ لابد في العقل من التسليم بوجودها في الخارج لتستمد منه كل الممكنات وجودها في الأعيان والأذهان.

---

(١) [illegible]

من يغلق عينيه دون النور يضير عينيه. ولا يضير النور. ومن يغلق عقله وضميره دون الحق. يضير عقله وضميره ولا يضير الحق.

فالنور منفعة للرائى لا للمصباح. والحق منفعة وإحسان إلى المهتدى به لا إلى الهادى إليه.

وما من آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميم الذى يفرض على أذهان أصحابه وسرائرهم ما هو أسوأ من العمى لذى البصر. ومن الصمم لذى السمع. لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد البصر إنسانا. والأصم قد يبقى بعد فقد السمع إنسانا... أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه. حتى ما يميز الخبيث من الطيب. فذلك ليس بإنسان. بالمعنى المقصود من كلمة إنسان.

«محمد الرسول والرسالة»

للدكتور نظمى لوقا

وبهدى من هذا النهج وحدت من واجبى أن أكتب هذه الصفحات. موقنا أن الإنصاف حلية يكرم بها المنصف نفسه قبل أن يكرم بها من ينصفهم.

وليس الإنصاف مزية لصاحبه إلا حينما يغالب الهوى. كالعقائد الموروثة. والتقاليد السائدة... أما حين يوافقها فما أهون الإنصاف، «ولولا المشقة ساد الناس كلهم» كما يقول أبو الطيب، وأوشك أن أقول على غراره «لولا العصبية أنصف الناس كلهم».

فما أحوجنا فى هذا العالم المضطرب الذى تقسمت فيه الناس معسكرات متقاتلة متلاحية من المذاهب والعقائد التى صبغت كل منحى من أنحاء الحياة أن نسعى للقضاء على آفة العصبية، ونتعود الإنصاف. إنصاف الخصم وكأنه صديق. فالمنصف إنما يعنو للحق، ويعنو لنوره فى العقل. فيجتهد لنفسه بالعقل وحسن الرأى حين يؤدى لذى الحق حقه مهما اشتجر الخلاف أو لج الخصام

وما أرى شريعة أدعى للإنصاف، ولا شريعة أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ﴾

(المائدة - ٨)

فأى إنسان بعد هذا يكرم نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ، أو يأخذها بديدن أقل منه تساميا

ونتقدمه...؟

أحرى أن تعدل ولا تجور! فذلك حق أنفسنا علينا، وحق عقولنا علينا، وحق ضمائرنا علينا، قبل أن يكون حق هذا من الناس أو ذاك

وما أرى الشانئ يضير خصمه حين يجور فى الحكم عليه. إلا كما يفقأ امرؤ عين نفسه كيلا يرى من يسوؤه مرآه...

ولست أحب ذلك لأحد، بل إننى أرى مستقبل هذه البشرية مرهونا باحترام العقل وتقصى العدل وإنصاف الخصم. حتى يرتد بنو حواء إخوة يختلفون فى مودة. ويتباعدون إلى تقارب، ويفيئون فى نهاية كل مطاف إلى نور الله الذى كرمهم به، وهو الحق والعدل

وبى أن أسأل من يستكثر الإنصاف على رسول أتى بغير دينه، أما يستكثر على نفسه أن يظلمها إذ يحملها على الجحود والجور؟

ولست أنكر أن بواعث كثيرة فى صباى قربت بينى وبين هذا الرسول، وليس فى نيتى أن أنكر هذا الحب أو أتنكر له، بل إنى لأشرف به وأحمد له بوادره وعقباه.

ولعل هذا الحب هو الذى يسر لى شيئا من التفهم، وزين لى من شخص هذا الرسول الكريم تلك الصفات المشرقة. وحملنى أعرض بوجدانى عن تلك النظرة الجائرة أو المتحيفة التى نظر بها فلحجر من يشوه المشوهون كل جميل وكريم من مفاخر البشرية المثخنة بالقروح والخزيات؟

وخير من يثلب الثالبون كل مجيد من هداة هذه الجنس الفقير إلى الغد، المثقل بالخسامة والخفد؟

ألا إن كل محب للبشر ينبغى أن يكون شعاره دواما

- مزيدا من النور! ومزيدا من العظمة! ومزيدا من الجمال! ومزيدا من البطولة والقدوة!

وبدافع من حب البشرية أقدمت على تسطير هذه الصفحات، وسيان بعد هذا أن يقول عنها القائلون: إنها شهادة حق، أو رسالة حب، أو تحية توقير وتبجيل، فما كان كآحاد الناس فى خلاله ومزاياه، وهو الذى اجتمعت له آلاء الرسل، وهمة البطل، فكان حقا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيى فيه الرجل.

الدكتور نظمى لوقا

صبى فى المسجد...

صبى قصير. نحيل. عصبى الملامح. واسع العينين. تطل منهما نظرة تطلع. وفى ثيابه إهمال، وفى يديه آثار حبر. ورباط حذائه مرسل يكاد يتعثر به وهو يمشى، وسنه لم تتجاوز السادسة إلا قليلا. يقطع الطريق جادا مسرعا بعد صلاة العصر يقفل إلى مسجد فى السويس، قريب من مبنى المحافظة بها. لا يلوى على شىء.

ويتمهل الفتى عند دكان الحلاق الذى يواجه المسجد، ليرى الشيخ جالسا بقامته

مفرطة في القصر، وجبهته مفرعة في العلو، وبشرته لبيضاء محمرة، وتبدو النقية ناصعة، وخيته الشهباء التي يخالطها بياض كثير

ويقرئ الفتى أستاذه الشيخ السلام، ويهش الشيخ للقائه، ويده تداعب سبحة جيبه الكبيرة المصنوعة من المعدن، يفتحها، ثم يتحسس عقاربها، ويغلقها ثم يعيدها إلى جيب قفطانه الأبيض وترتسم على وجهه ظلال ابتسامة، يكاد الفتى يراها في موضع عيني الشيخ، لولا أن هاتين العينين أغلقهما مرض في الطفولة الباكرة إغلاقا أبديا.

ويقبض على قلب الفتى قابض، لم تذهب به الألفة المعتادة كل يوم، وينظر بحسرة إلى صفحة السماء الصافية، ويقشعر بدنه وينتبه

ما أنكد هذه الآفة، إنه ليؤثر الموت على هذا الحرمان الوجيع، من ومضات النور، وهمسات ظلاله.. وهي تندى نفسه وأشهى المرئيات، حتى هذه البقية من الروث التي تركها حصان كان يجر عربة عابرة.. فكل شيء عزيز على العين، حتى ولو لم يكن جميلاً مرغوبا؛ لأنه يبدى لها نورها.

ويتأبط الشيخ الكفيف ذراع الصبي، وإنه ليصارعه طولا أو قصرا ثم يدب معتادا عبر الشارع، والصبي لا يخطئ نظرات الفضول من الخلاق، وزبائنه، وعابري السبيل، إلى أن يدخل الشيخ وتلميذه من باب المسجد، ليبدأ درسهما اليومي من بعد صلاة العصر، إلى صلاة العشاء

فشيخ مدينة السويس الصغيرة، سنة ١٩٢٦م، لم يكن أحد من أهليها يجهل من الشيخ عبد البخاري، إمام مسجدها، وعالمها وفقيهها، يجلونه ويرهبونه. فإن له لعلما وأدبا وله قبله لشجاعة في الحق، ودراية في المنطق، ولعلة تدخله لديهم مدخل الكبر الذى لا يغتفر من كانت به كالشيخ حشمة شديدة، يداريها تحمل أنه

ولم يكن أحد من أهليها يجهل كذلك من الصبى الصغير، ابن ذلك الموظف النازح إلى السويس، فيه وسامة وأناقة، وفي لسانه عذوبة وذلاقة، ولعلهم ليعرفونه رجلا قبطيا صليبة يؤم الكنيسة يوم الأحد.

وفي مدينة كالسويس يتساءل الناس عن النازحين إليها والغرباء من الطارقين، وهم يعرفون أن لهذا الموظف والد الصبى أرومة معرقة في صناعة القسوس، فكم له من جد من ذوى الطيالس السود والعمائم السود.. فلاشك إذن في قبطية هذا الصبى الذى يرونه كل يوم يؤم مسجدهم الحنيف مع الإعداد لعالم الشيخ، وإن الحيرة لتستبد بهم، ثم تحدثهم بقلة من الغيرة. يتهامسون بها فيما بينهم ويتناجون. ومن أم منهم المسجد لصلاة المغرب، رأى الشيخ ينفض يده من درس الفتى في مؤخرة المسجد، ويتقدم فيؤم المصلين؛ ثم يعود ليصل من الدرس ما انقطع، والفتى ينظر إليهم مصلين، ويسمع لما يتلى في الصلاة،

وفي عينيه، ذلك التطلع القلق فمنهم من يزور عنه، ومن يحملق فيه بغضب.

وخرج بعضهم من النجوى إلى العلن، فجاهر الشيخ بما في نفسه، وواجهه فيما يفعل. فإن كان حبا للتدريس ففيم رفض التدريس لابن فلان وفلان من الوجوه على ما يبذلوا له من مال وفير؟.. وإن كان حبا للمال، ففيم خطبه التي يحارب بها التقرب للأولياء، وتقديم النذور، ورفعه صندوق النذور من مسجده، وقد كان له من ذلك حصيلة طيبة إن شاء؟

ويغضبها الشيخ غضبة لله ولبيوته، ولسماحة دينه، ويبدى من ذلك ما يفحم سامعه، ولكن السامع ينهض غير قانع بما سمع، لأن حجة العقل لا تقنع القلب والقلوب التي لا يعمرها نور الحب، لا تستجيب إلا للأثرة، والأثرة تتعدى بالعداء لا بالولاء

ويضمر الشيخ في نفسه أمرا، فإذا كان الغد أرسل إلى ذلك المعترض أن يوافيه بعد صلاة العصر لأمر، ويحضر الرجل وقد عقد مجلس الدرس بجوار عمود المسجد ويستمهله الشيخ قليلا ريثما يفرغ له. ويتابع الدرس. وكان موضوعه تفسير سورة الضحى. ويتلو الصبى السورة بلسان قويم، وإيقاع سليم. ويختمها: بصدق الله العظيم، ثم يشرع في تبين معانيها. مستشهدا بسيرة الرسول الكريم. والشيخ يناقشه حينا، ويوجهه حينا آخر، ويستوضحه حينا ثالثا.. حتى إذا بلغ

الموضوع غايته.. وجه الشيخ الكلام إلى صاحبه الزائر قائلا

● كيف بنوك يا فلان؟

●● بخير يامولانا.. يقبلون الأيدى..

● تعرفني يا فلان أمقت تقبيل الأيدى وأخذل عنه الناس.. أعرفت فيم أرسلت إليك؟

فأطرق الرجل وقال: عرفت يامولانا

● انصرف راشدا..

ونهض الرجل محييا، وغرى أن يصافح الصبى الصغير في مودة سابغة أشبه شيء بالاعتذار

ورآه الفتى بعد ذلك اليوم ـ وكان ساعاتيا له دكان قريب من المسجد ـ يستقبله بالتحية التي يلقى بها الشيخ، كلما مر به قادما أو منصرفا، ويكاد يلمس في صوته وإيمائه هزة الخشوع.

>>>

وكان والد الفتى ـ أكرم الله مثواه ـ شديد الولوع بالفصاحة والفصحاء. اتفق له شيء من قرض الشعر في صدر شبابه. وآمن أن ولده البكر ينبغي أن يصيب من ينابيع الضاد وبلاغتها أكبر حظ مستطاع. ورأى هزال ما يتاح لطلاب المدارس من ذلك كله فعهد بولده إلى ذلك الشيخ الذى التقى به في دكان الخلاق فبهرته منه شخصية مشرقة، وذهن رحب، وسماحة ما كان يتوقعها في أحد الأشياخ فقد سمعه يستشهد أمامه بآيات من الإنجيل وهو في

حديثه الدارج مع الناس من حوله لا يحيد عن الفصيح من اللفظ والجزل من التراكيب فكأنما خرج الشيخ لتوه من سوق عكاظ: وهم الشيخ أن يعتذر بزهده في التدريس، لولا أن الوالد ذكر له أنه أقرأ ولده كليلة ودمنة قبل أن تسمح سنه بدخول المدرسة الابتدائية. وأن الفتى — وهو أصغر طلاب مدرسته وأقصرهم قامة — وجد نفسه في مؤخرة صفوف الفصل في أول يوم. فرفع يده وقال للمعلم — وكان معمما — بلغة فصيحة: أريد أن أجلس بجوار السبورة!

فضج التلاميذ بالضحك، وقال المعلم ضاحكا: لك ذلك أيها الفيلسوف العجز!

فذهبت مثلا! وصارت هذه كنيته بين أترابه وأساتذته. لأنه يأبى أن يحدث المعلمين إلا باللغة الفصحى.

— واشتهى أن يقوم لسانه بالقرآن، وتتهذب نفسه بالمعلقات وعيون الشعر..

فأخذت الشيخ هزة وقال: أما وأنت لا تريدني على تدريس تلك المناهج السقيمة والخوض إلى تلك المدارك الضحلة فهذا مطلب تطيب به نفسي وينشرح له فؤادي.

- والأجر؟.

- أمره لك.. وأكبر جزائي أن تزهر للعربية شجرة مثمرة في قلب فتى أريب. في زمن أوشك اللسان العربي القويم فيه أن يعز وجوده كالكبريت الأحمر!..

ووجد الفتى في أستاذه المكفوف خزانة أدب وعلم وفقه وفلسفة.. وخلق!.

كان الشيخ يحفظ أشهر دواوين العرب وعيون الخطب.. وكان التعليم بالضرورة شفويا، ولابد فيه من ضبط مخارج الحروف وإقامة النحو، وتجنب اللحن، وتوخي الجزالة، فتعلم الفتى أن يتكلم وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح.

وبدأ الفتى يحفظ القرآن. ويقف عند كل آية، ويملي عليه الشيخ موجزا لتفسيرها ثم يملي عليه ما يتطرق إليه ذهنه الخصب بصددها من الأمثال السائرة والشعر المشهور. فتعلم الفتى كيف يربط المعنى اللغوي بالصورة الجمالية والذوق الأدبي.

وخرج الفتى مبرزا في امتحان نصف السنة وأتى شيخه فرحا مرحا، فجعل الشيخ موضوع درسه ذلك اليوم بيتا من الشعر، ثم آية من القرآن الكريم، أما البيت فهو:

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

وأما الآية فهي:

(الإسراء: ٣٧)

وكان على الفتى أن يعالج الموضوعين بلسانه، والشيخ يستدرجه ويحاوره على سنة سيدنا «سقراط» عفا الله عنه — إلى أن وصل إلى غايته من تصغير الغرور إليه.

وأتاه بعد ذلك بأيام حزينا محبطا، فقد دعاه أستاذه إلى السنة النهائية وطلب إليه أن يصحح — وهو التلميذ بالسنة الأولى — خطأ طالب طرّ شاربه وأوتي بسطة في جسم، بعد أن عجز كل تلاميذ الفرقة النهائية عن ذلك التصويب، فأجاب بدقة. وأمر الأستاذ التلاميذ جميعا أن ينهضوا له واقفين ويحيوه تحية التعظيم ففعلوا صاغرين.. حتى إذا انقضى اليوم المدرسي، تربصوا له بالباب وأحاطوا به وخطفوا طربوشه وجعلوا يتقاذفونه بالأرجل وصبوا على الصغير سخريتهم وردودا للفظ وليد. حتى تمزقت ملابسه واحمر قفاه. ولولا أنفته الشديدة لفاضت عيناه.

وعض الشيخ على مواجدة ثم قال: الموضوع الذي سنجعله مدار حديثنا اليوم هو آية الحسد أن تعادى وتحسد، و:

كل العداوات قد ترجى إزالتها
إلا عداوة من عاداك عن حسد

وتشعب الحديث وتطرق إلى فنون من الفكر والشعر، حتى إذا انتهيا إلى قول أبي الطيب

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

استشعر الفتى العزة بعد الذل، والكرامة بعد الهوان، ولما آنس منه شيخه أن جرح كرامته قد التأم، انتقل إلى جرح من نوع آخر إلى جرح أحدثه الحقد. ونزعة فطرية إلى الثأر، فقال للفتى: أريد أن تعد لمجلس الغد قول أبي الطيب:

وتعب من يدك من لا تغبطه
واغبط من عاداك من لا تشاكل

وأيضا قول المسيح عليه السلام: أبت اغفر لهم فإنهم لا يدرون ما يفعلون!

أمن عجب بعد هذا أن يكون الشيخ ملاذ الفتى في كل ملمة، ونبراسه في كل مدلهمة، وقدوته التي يأتم بها عقلا وقلبا وعاطفة وضميرا.

لقد أصبح الشيخ القزم عملاقا، وسكن إليه الفتى واطمأن. وأخذ نفسه بأدبه وفضله وأمره الأمر. ورأيه الرأي

وذات يوم أتى غلام صغير إلى المسجد يلتمس الشيخ. فعرف فيه الفتى خادم أستاذه. فقال له: «الولد» حضر يا مولانا.. الولد خادمك.

فأشاح بعنقه كعادته حين يضيق بشيء سمعه. وأدنى الغلام وتسارا برهة ثم انصرف الغلام. وعندئذ قال الشيخ:

- ما هكذا يكون أدب السادة أيها السيد! كان الرسول ﷺ يقول فتاي وفتاتي ولا يقول عبدي وأمتي

وانطلق يوبخه بما كان للرسول وصحابته من أدب رفيع في معاملة خدمهم. ثم قال له في حزم:

أرجو أن تفكر حتى غد، وعندما تخلو إلى نفسك في المخدع، ماذا لو كنت مكان أحد ممن تسميهم خدما؟ فإنه مثلنا ابن أب وأم. والدهر الذي جار عليه جار على سائرنا وأحب أن تفكر في قول الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس

كلاكله أناخ بآخرينا

وأرق الفتى ليلته وقد تصور أباه هلك كما يهلك كل حي، وتصور نفسه يتلقى الركل والسباب والإهانة خادمًا في بيت كبيته هذا. وطار قلبه شعاعًا. وما استيقظ حتى تعمد أن يكون بأخذ له في بيته رفيقًا رقيقًا. ولما رأى أمه تتنبه وهي تتعجله قضاء حاجة ثار بها، وأسمعها طرفًا مما وعاه من آداب الرسول وصحابته في هذا السبيل، فاحتفى وحييها وأتت أباه فأخبرته. ووعدها أن يكون له مع الشيخ حديث في ذلك النهار.

ولما حل العصر، قيل للفتى: إنه لا درس اليوم، وذهب الوالد فلقى الشيخ وقال له: إن بالفتى وعكة. ثم تطرق الكلام إلى بيت القصيد. وترك للشيخ مراد الرجل. فقال محتدًا:

- هل ترضى مني أن أحد ولدك بغير الأدب الأكمل والنهج الأقوم وأن أعرف الحق وأحيد به عنه؟

- بل لا أريد..

- وإن أردت أنت فلن أريد، لأن ذلك هو الغش البين.

فهل تراك أخذت على الدهر ميثاقًا وقد عثر عن ذلك الملوك والسلاطين وأصحاب الملايين من قبلك؟

- ولكن الله يا مولانا رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات.

- ويداول الدنيا بين الناس! ثم أما قرأت كتابك؟ ألم تجد فيه أن المسيح - عليه السلام - ورد بكم فيه ما تعلم - غسل أقدام حوارييه؟ آداب الرسل ليس فيها تفاوت. وإنما التفاوت عندنا حين نفرط في لباب الدين لنتعلق بزخارف الدنيا.

وأعاد الرجل على زوجه حديث الشيخ، وآذنها أن الفتى مستأنف درسه منذ الغد: فما كان ليحبسه عن رزق من الحكمة الرفيعة أتاحه له الله في صورة هذا الشيخ.

- وإني يا فلانة لأستحي - والله - أن يظن الشيخ بنا دون هذه الآداب.

>>>

وكأنما همس الهامسون في آذان الأبوين كما همس هامسون من قبل في أذن الشيخ.. ولعل عجوزًا من أهل الخدلقة قال لهما:

- كيف تخاطران بالفتى هذه المخاطرة؟ فإنه يخشى أن يفتنه الشيخ عن دين آبائه.

ووجد الفتى أبويه يقرآن له فصولًا من الإنجيل كل يوم.

ويرسلانه إلى الكنيسة يوم الجمعة. وجعلت أسرار العقيدة تصب في دماغه صبًا. فاستعصى منها على ذهنه ما استعصى وناقش فقيل له: إن الإمعان في التفكير يسوق إلى الكفر. وإن المناقشة سبيل الشك. ومن دخل الشك قلبه فارقته نعمة الإيمان، وبغير نعمة الإيمان يهلك المرء ولا يدخل ملكوت السماء.

والتمس الفتى عند شيخه الهداية، فتحرج الشيخ أن يطرق الموضوع، بيد أنه حدثه عن العقل. وأنه الإمام الذي أنعم الله به عليه. وأن الدين المتين يقوى بالتفكير والتعقل. وأن اليقين الذي لا يصمد للشك يقين زائف، ومطمئن إليه مخدوع كمن يشيد بيته على الرمال. وحدثه الشيخ في ذلك اليوم عن رجل سمع به حينئذ لأول مرة. وكان لاسمه وبهجته أثر حسن في حياته من بعد. حدثه عن «غاندي»، وكيف يصلي بآي من القرآن والإنجيل والتوراة ولبر هماتونترا. وحدثه عن متصوفة الإسلام، وعن محيي الدين بن عربي، وكيف أن لباب الدين كله واحد عند من يتعمقون إلى الجوهر ويبعدون القشور.

- اقرأ يابني كتابك بنفسك واحتكم إلى عقلك، واعلم أن كل دين ينهى عن قالة السوء، وعن فعل السوء، وعن تفكير السوء.

وسمع الفتى بعد ذلك واعظًا مشهورًا حضر إلى المدينة واحتشد القبط لسماعه احتشادًا مشهودًا، فإذا بعظاته كلها تنديد بطائفة البروتستنت، وبمساوئ المذاهب الخاطئة، وحض على اختصامهم، فلا يحل لقبطي أن يصافح منهم أحدًا أو يرد عليه السلام!..

وصورت المخيلة الناشئة له أولئك الناس ذوي أنياب كاشرة، ومخالب كاسرة. وذهب إلى شيخه بذلك الحديث فزعًا فأفهمه الشيخ وقال:

- أواثق أنت مما سمعت يا بني؟.

- كل الثقة يا مولانا..

- أعوذ بالله! إن مسيح هذا الواعظ ليس مسيح الناصرة ولا مراء!.. فالمسيح الناصري يقول: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم!.. كبرت كلمة تخرج من أفواههم! فرز كلامك يابني وافتح له بصيرتك.. واصدد عن مسرى السوء ما استطعت.

ووعى الفتى درس شيخه. فتزوج بعد عقد ونصف إحدى بنات «الذئاب الخاطئة» المزعومين!

>>>

وحفظ الفتى القرآن لتسع، ووعى المعلقات وديوان الحماسة. وقرأ اللزوميات. وافتتن بأبي العلاء ومشى على وجه الخصوص وأصبح وسيرة الرسول والخلفاء الراشدين آلف لديه من عشرائه.

يكاد يقدس ابن الخطاب وابن أبي طالب. والشيخ من وراء ذلك كله أعز عليه من أهل الدنيا جميعًا.

أتاه ذات يوم باكيًا فسأله ما به:

- سعد يا مولانا.

- رحمة الله على الزعيم الجليل! ماذا ذكرك به؟..

- ليس سعدًا هذا.. بل الآخر..

- ومن ذاك يرحمك الله؟

- هو كبش كنا نربيه في البيت.. فاغتالوني وذبحوه للعيد!.. ولما بكيت سخروا مني.. ولم يكفهم أن يأكلوا منه. فأرادوني - وألحوا - أن آكل منه مثلهم.. فأبيت!.

ولم يضحك الشيخ بل رق للفتى رقة واضحة

- ولماذا يسخرون منك؟ لقد بكيت من

أحببت!..

ـ أليس كذلك؟.. وقالوا حرام ألا تأكل مما أحل الله.

ـ ليس حراماً أن تحب شيئاً خلقه الله.

ـ وقلو تحب حروفاً كأنه أحولك؟

ـ الحب يا بنيّ شئ جميل جليل.. ولو كان لشئ تافه ضئيل: ألا يحب الواحد منهم أصيصاً من الزهر؟.. أو حلية من الجوهر؟. لا تثريب عليك فيما أحببت! فليست قيمة الحب فيما نحبه، بل في حبنا له.. وإن لك لقلباً سخياً وفؤاداً ذكياً.

وأصبح الشيخ أقرب إلى الفتى من آله وذويه، بهذا الفهم، وهذا الحس.

>>>

وأصيب شقيق للفتى في مهده بمرض طويل، أكل علاجه الأخضر واليابس. ثم مات فركب الأسرة دين وسافرت أم الفتى ـ وهي حامل في شهرها الثامن ـ إلى القاهرة تطلب من أمها الثرية حصيدة القسوس جزءاً من حقها القانوني في وقف جدتها. وكانت أم الفتى وحيدة أمها. ولبثت الأم في سفرها ثلاثة أيام أحس الفتى فيها بالوحشة. ثم عادت الأم من سفرها خاوية الوفاض، دامعة العين. وقد أبت عليها أمها الثرية حقها، وهي بين الثكل والحمل والحاجة مهيضة الجناح مضعضعة النفس.

وقررت الأسرة أن تضغط المصروفات كلها لمواجهة الأزمة. فانتقلت إلى بيت أرخص أجراً وقطعت تيار الكهرباء واستغنت عن الخادم والغاسلة. وقبلت الأم الحبلى تعمل بيديها كل شئ. حتى أحس الفتى قهر ذلك في نفس الفتى الذى يكاد يعبد أمه من دون الله..

وتقرر فيما تقرر الاستغناء عن الدرس. وكان الشيخ قد عرف طرفاً من ذلك الحديث من الفتى الذى لم يكن يطوى عنه أشجانه. فبدأ به يسكت عندما فاتحه أبو الفتى في انقطاع ابنه.

وينصرف الأب إلى داره، وإذا بالباب يطرق بعد قليل. وإذا بالشيخ الضرير يقوده صبي الخلاق. ويبادر الوالد قائلاً:

ـ ما أظنك تأبى أن أكون أنا ضيفك كل يوم ساعة أو نحوها.

وعرف الفتى أن الشيخ عازم أن يستمر الدرس، بغير مقابل، وأن تلطفه شاء له أن يكون هو الساعي إلى تلميذه صوناً لعزته وزيادة في مروءته.

ولم يسع الفتى إلا أن يقارن في نفسه بين فعل جدة تنتمي للمسيح وتتشدق باسمه، وبين فعل شيخ يصلي بالناس على محمد وآله خمس مرات في كل يوم.

ليس البر وقفاً على دين دون دين.

>>>

وفي العاشرة رحل الفتى عن السويس، ولم ير الشيخ بعدها ولكن الشيخ ظل قائماً في عقله وبعينه ولسانه... فقد صاغ الشيخ في الفتى ذلك كله، وفتح عينيه على احتقار الجاه واحترام العقل وتقديس العقل وشجاعة الرأي.

الحركة الإسلامية ومنهج التغيير

الشيخ/ راشد الغنوشي

الحركة الإسلامية تيار واسع، يعبر من جهة عن خيبة آمال الأمة في المشاريع النهضوية العلمانية القطرية التي لوحت لها وبشرتها بأحلام النهضة. كما يعبر من الوجه الآخر عن عقد آمالها بالإسلام في الخروج بها من وهدة ومآزق الحاضر وقيادتها إلى تحقيق الآمال المجهضة في العدل والكرامة والوحدة واستعادة فلسطين السليبة فليس عجيباً. مع اتساع التيار وتباين أحوال البلاد الإسلامية واختلاف المصادر الثانوية لتكوين النخبة الإسلامية أن تختلف رؤاهم للواقع المحلي والدولي ومشاريعهم البديلة. وبحسب ذلك تعددت مناهجهم التغييرية.

ومع الإقرار بعمق لو قعة تمس لا يمكن بكونه لتيار تعاده تيار الوسطية الإسلامية كما أحسن صياغته وتهذيب مناهجه شيخنا القرضاوي حفظه الله ـ يكاد يجمع إن لم يجمع فعلاً على الالتزام بالنهج السلمي في التغيير وإعمال كل مساحة للحرية والعمل على توسيعها وصونها، على اعتبار الحرية المناخ الأمثل لعمل الدعوة الإسلامية التي تعتبر الاستبداد عدوها الأول مرددة نداء النبي ـ عليه السلام ـ إلى قومه «خلوا بيني وبين سائر الناس»[1]. حريصة على الاندراج بسائر مجالات نشاطها في إطار القانون والعلنية بعيداً عن أجواء السرية الخانقة، ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وتيار الوسطية الإسلامية ولئن شجب انغلاق الأنظمة ومصادرتها للحقوق والحريات، وارتكابها شتى المظالم وحظرها لحرية الدعوة إلى الله، وانتهاكها حرمات الله. وتعطيلها للشرائع وصمها الآذان عن سماع كل نصح مما من شأنه أن يقدم المسوغات الشرعية لاستخدام القوة كرد فعل حسبما تدل عليه ظواهر بعض النصوص والفتاوى. فهي ترفض الانسياق وراء نعوطف والاندفاعات وتعتصم برد أحد ابني آدم على عدوان أخيه

(المائدة ٢٨)

[1] [illegible]

وتصر على الالتزام الكامل بأساليب الجهاد السلمي وحسب في معالجة ما ينجم من مظالم ويشب من خلافات داخل المجتمع الإسلامي مهما عظمت. إنه جهاد الكلمة. الجهاد الكبير الذي حرضت عليه الآية

﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾

(الفرقان: ٥٢).

وجاء التنويه به على لسان صاحب الدعوة -عليه السلام- مقدما إياه على كل أنواع الجهاد الأخرى في التعامل مع الاختلافات داخل المجتمع الإسلامي: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»(٢) و«سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

وهذه النصوص وأمثالها المنوهة بالجهاد السلمي، بقوة الكلمة وبقوة ضغط الرأي العام الذي يبدأ بالكلمة الفردية يصدع بها عالم في وجه طاغية. قد تتطور وتتراكم وتتكاتف لتصنع ثورة عبر التعابير الاحتجاجية والاعتصامات والمسيرات وعبر الإضراب عن الشغل ومقاطعة المؤسسات الفاسدة و الامتناع عن دفع الضرائب مما يشكل منهجا كاملا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد السلمي المعبر عنه في لغة غاندي استراتيجية اللا عنف، تلك التي قهر بها غاندي أعتى امبراطورية استعمارية في عهده غير أنه وللأسف لم يطور المسلمون هذا النهج في الجهاد السلمي الذي دلت عليه ونوهت به عديد النصوص، مما حصر التعامل مع ظلم الحكام بين الخروج عليهم بالسيف وبين الخضوع لهم حذر الوقوع في الفتنة



القرضاوي

﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾

(البقرة: ١٩١).

مع أن الخيارات أوسع مما ضيقوا!

لقد انتهت تجربة علماء الإسلام مع تجارب الخروج المسلح إلى سد هذا الباب جملة أو إحاطته بشروط قل توفرها بسبب ما جرته تلك التجارب على الأمة من كوارث دون أن يتحقق المقصود أو حتى بعضه، ذلك ما ساقهم إلى منع الخروج والاعتراف بحكم المتغلب كأمر واقع مقابل التزامه بأحكام الشريعة مع العمل على الحد من العيوب ومحاصرتها من خلال إعمال آلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإفراغ الجهد في إصلاح الرعية ودعم مؤسسات العمل الشعبي الطوعي كالمساجد والمدارس وسائر الخدمات الاجتماعية بالاستناد إلى مؤسسة الوقف العتيدة بما حاصر سلطان الحاكم وقلل من حاجة الناس إليه فأغناهم عنه إلى حد كبير فيما عدا شؤون الدفاع عن الحوزة والأمن القومي، وإقامة الحدود

٢- الجامع الكبير للسيوطي

في الجهاد المسلح فقد قصر عمل هذا المنهج الذي ساد لدى جمهور علماء المسلمين وكان ثمرة تجربة تاريخية طويلة - على مواجهة العدوان الخارجي على الدين وأهله وأوطانه.

والحقيقة أن هذا المنهج الذي قررته تجربة تاريخية طويلة في التعامل مع ظلم الحكام رغم ما قد عيب ويعاب عليه من تخاذل وسلبية وتجرئة للظلمة على الدعاة وعلى الحرمات والحقوق والحريات. قد شهدت له تجربة التاريخ أنه إن لم يكن هو الأقوم فهو الأقل ضررا بالأمة من نهج المغامرة وسل السيوف واستسهال استباحة الدماء بدعوى محاربة طاغية لا يمكن الوصول إليه غالبا إلا عبر بحر من دماء بريئة ترهق بغير وجه حق. وتدمير مصالح عامة وفتح ثغرات كبرى تتدخل أعداء الأمة وإضافة أسباب أخرى إلى وهنها. والأدهى من ذلك أنه علاوة على جسامة التضحيات توصلا إلى اقتلاع الطاغية، فقد أثبتت التجربة أن التغلب عبر أنهار قل أن يتم التوصل إليه. وحتى في الحالات القليلة التي تم فيها ذلك فقد كانت المفاجأة منفعلة بإحلال طاغية محل آخر وربما أطغى منه، فلم يكن الحكم العباسي أرحم بالأمة من حكم بني أمية، ولا حكام المماليك أرحم من سابقيهم، ولا الذين خلفوهم من العثمانيين أشد بأسا على الأمة من حكام العرب المعاصرين. هذا إذا لم يكن الأمر على نحو

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾

(الأعراف: ٣٨).

وذلك لا يعني بحال الاستسلام للطغيان، فإن مقاومته بلا هوادة واجب شرعي مقدس لا ريب، ذلك هو المقصد الأعظم الذي أرسل به الرسل -عليهم السلام- ألا وهو مقاومة الظلم وإرساء العدل في العالم. وإنما المقصود عقلنة هذه الآلية العظيمة التي أناطها الإسلام بكل مسلم بحسب قدرته فردا وجماعة. أعني آلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما يخرج بهذه الآلية من طور العمل العشوائي الأعشى على نهج الخوارج ومن سار على دربهم على امتداد التاريخ الإسلامي، مخضبين حياة المسلمين بدماء وكوارث بلا حد، ولا تزال امتداداتهم موصولة دون أن يتحصل من ذلك شروى نقير من الخير والخلاص من الظلم.

إن الخروج من هذه الثورية الفوضوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أمر رشد وتبصر تتنزل معه أنواع الجهاد في منازلها الطبيعية بحسب القاعدة لكل مقام مقال. و«حدثوا الناس بما يعرفون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله!»(٣) وتلك هي الحكمة: وضع الشيء في موضعه. إن الخروج من هذه الفوضى ليس له من سبيل غير ضبط وتطوير نظرية في التغيير الإسلامي تحدد منازل واضحة للجهاد الإسلامي بدءا بتطوير استراتيجية أفضل الجهاد: جهاد الكلمة.. الجهاد الوحيد المأذون فيه للتعامل مع ما ينجم من اختلاف داخل الأمة.

وإن من أسباب هذا الخلل، بل الضعف الفادح في الفكر السياسي الإسلامي المتعلق

٣- صحيح البخاري، باب من خص بالعلم قوما دون قوم

بفقه التغيير، ضعف وحتى ضحالة الفقه المتعلق بالدولة، وكذا الفقه المتعلق بالواقع. وربما كان ذلك تأثرا بالتقليد للأسلاف حيث كانت حاجاتهم ومشكلاتهم بسيطة أو بسبب التأثر بمنطق القياس اليوناني المجرد عن الواقع مما صاغ العقائد الإسلامية صياغة مجردة عن الواقع وجعل عمل العقل حوارا بين معقولات نظرية بدل أن يكون حوارا ثلاثي الأطراف: العقل والشريعة والواقع.

وقد ترتب على هذا النهج التجريدي أن ساد القياس. فكلما وقعت نازلة جديدة سارع المتناظرون إلى النصوص - كان ذلك في المراحل الأولى - أو سارعوا إلى فتاوى وأقوال الأسلاف يبحثون عن واقعة مشابهة للقياس عليها.

ولأن النصوص كالوقائع متعددة إلى حد الاختلاف والتناقض الظاهري فقد اختلف النظار بحسب النص الذي أعمله كل طرف أو الواقعة من تاريخ السلف التي قاس إليها. ففي واقع الحال ترى دعاة الخروج عن الحكام الظلام يعملون آيات القتال في القرآن ويعززون موقفهم بشواهد من أعمال السلف وآراء الفقهاء الأوائل، بما يجعل الجهاد أو الإعداد له على الأقل في حال العجز عنه واجبا شرعيا بالنص في زعمهم. والتخلي عن ذلك في كل الأحوال إثما عظيما قد يخرج من الملة.. بينما يهملون مقابل ذلك الآيات الموجهة إلى الدعوة بالتي هي أحسن والتدرج بالتيسير والمصابرة منعا للفتنة والهرج، واصمين الخارجين بالفتانين. غير أن هؤلاء إذ تحقق لهم النجاح، وهو قليل أن حدث، استحقوا من طرف العلماء الاعتراف بهم كأمر واقع وطولبوا فقط بما كان يطالب بهم حكام الأمس كل هذا يحدث دون إيلاء ما يكفي من الاهتمام بالعنصر الأساسي والحاسم في معادلة التغيير ألا وهو الواقع. فهو وحده نكتشف عن الاستطاعة والإمكان أي حقيقة الظروف الموضوعية ومدى نضجها وما تتيحه من فرص للتغيير. إنه عنصر الاستطاعة الذي اعتبره الشارع حاسما في تعيين نوع وسيلة التغيير المطلوبة شرعا إزاء منكر محدد في زمن محدد، قال تعالى:

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾

(التغابن: ١٦)

وقال:

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وقال صاحب الدعوة عليه السلام: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم). فمن ذا الذي يملك الكشف عن هذا العنصر المحدد لنوعية وسيلة التغيير التي فتح الشارع أمامها خيارات كثيرة؟ قطعا ليست هي نصوص الشرع فلقد قالت هذه كلمتها إذ أحالت الأمر إلى اجتهاد العقل في تشخيص الواقع والكشف عن القدرات المتوفرة ومدى قيامها بالتغيير المطلوب فليست إذن كتب الفقهاء بمجدية شيئا في هذا الباب وإنما هي العلوم المتخصصة في فقه الواقع: علوم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والفلسفة والإحصاء والسياسة.. إلخ، تلك العلوم التي يعاني تخلف العالم الإسلامي في فكرنا السياسي التقليدي والجماعة الحديثة. أهم مصدر للتخلف وإهدار معظم طاقات أمتنا وثرواتها الطبيعية وتضحياتها الجسام من أجل تحقيق أهدافها. بما جعل الخلل في تجارب التغيير لدى عقلنا يحدث إلى ضعف استعدادات أمتنا في بذل دمائها وأرواحها وأموالها من أجل التغيير. فما عرف التاريخ أمة أكثر سخاء بالروح والدم من أجل عقيدتها من هذه الأمة. ويتمثل الخلل الأكبر في وظيفة العقل وضعف قدرته على حسن تقدير الأوضاع والتصرف في الموارد البشرية والمادية وتقدير إمكانات إلى إمكانات أعدائنا، كضعف قدرتنا على ترتيب الأولويات، وتصنيف الخصوم، والبحث عن الأصدقاء، وتقليل الأعداء والاقتصاد في التضحيات ما أمكن والتبصر بالعواقب والتجارب، وتوسيع مجال الشورى، وتوظيف أهل الخبرة، واحترام التخصص وتوزيع المهام بحسب ذلك وإرساء العمل سبيلا لا بديل عنه لتعبئة طاقات الأمة، والتدرع بالصبر والحيلة وتفويت فرص استدراجنا إلى معارك لا ضرورة لها ولما تتوفر الفرص الكافية للنجاح فيها.

وبالنظر إلى كل ذلك يتعين الاعتبار وغيره في الحكم على تجارب التغييرية بلقاها لا تختلف كثيرا عن المعارك التي خاضتها دولنا مع أعدائها المتربصين بها.

تقدم معارك الخليج في هذا الصدد نماذج لا تختلف كثيرا عن معارك الحركة الإسلامية في معظم ساحاتها ومنها الجزائر وتونس ومصر والشام وأفغانستان والبوسنة وكوسوفو وكشمير.. نماذج محكومة بنفس المنطق والعقلية، منطق التخلف إذ كان للتخلف منطق.

الجميع على اختلاف أيديولوجياتهم قد استقوا في تربيتهم الأولى من نفس الينابيع:

﴿ يسقى بماء واحد ﴾

(سورة الرعد: ٤)

ثقافة التجريد والتبسيط والفردية والتعجل والانفعال به التخلف.

وليس يعزينا أمام ما حصل من كوارث بسبب قلة التبصر بقوانين الواقع، وهي غلابة، وما جره ذلك من كوارث غير حسن المقاصد ونبل القضايا، وغير الأمل بعد عفو الله في الأجيال الإسلامية الجديدة أن لا تقلدنا ولا من سبقنا، وأن لا تعتبر أن ما تزدحم به المكتبة الإسلامية من طارف الفقه وتليده محددا لها كثير في ضبط نهجها في التعامل مع واقع محدد، بل قد يكون مضللا وسائقا إلى كوارث. إن طريقها الوحيد هو التبصر في الواقع المحلي والدولي من أجل الوقوف على قوانينه واستخراج ما يتيحه من إمكانات ووسائل تغييرية بعيدا عن كل تعجل وانفعال.

ألا يكفي ما حصل من كوارث؟ فإلى الاستجابة إلى ما طولب به صاحب الدعوة أن يفعله وأن يبلغه

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾

(سورة يوسف: ١٠٨)

فسارعوا إلى العلوم الكفيلة بتوفير إمكانات التبصر بقوانين الواقع.

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام



بقلم الأستاذ الدكتور
محمد المختار محمد المهدى
الأستاذ بجامعة الأزهر والرئيس العام للجمعيات الشرعية بمصر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الدين ضرورة من ضرورات الإنسانية الرشيدة، لا تغنى عنه فكرة عقلية، ولا تنظيم وضعى. والإسلام على وجه الخصوص دين تتضافر تشريعاته وتتكامل لتكون الشخصية الإنسانية الفاضلة التى تتمتع بكافة الحقوق وتقوم بما عليها من واجبات. إنه عقيدة تتسق مع العقل والفطرة، وشريعة تحقق المصالح والمنافع وتربى الفرد الإيجابى الذى يسهم فى إسعاد الإنسانية وتوجيهها للحياة نحو الصراط المستقيم. إنه سلام للخلق وأمن للعالم. إنه دين الحق الذى تشهد به الفطر السليمة وتطمئن إليه النفوس الطاهرة وتطيب به الحياة المستقيمة، وتؤمن به العقول الراجحة. قال تعالى:

﴿ [illegible] رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما ﴾

(النساء: ١٧٤ - ١٧٥)

فإلى الإسلام فى عقيدته وشريعته، فى عباداته ومعاملاته، فى نظمه وأخلاقه، فى حقوق الإنسان كاملة تامة، فلعل قلوب تتفتح للهدى والنور فتستمع إلى دعوة الإسلام الحقة، إذ لا طريق لخلاص البشرية مما تتخبط فيه من ظلمات سوى الإسلام:

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

بين يدى البحث

مضى أكثر من ستين عاما على إعلان هيئة الأمم المتحدة حقوق الإنسان، ويوم أن أعلنت استبشر المظلومون والمقهورون بأن يكون هذا الإعلان بداية لنشر العدل والحرية والمساواة، وقوى الأمل لدى الشعوب المغلوبة أن تحصل على حريتها واستقلالها، إذ طالما عللوا أنفسهم وعلقوا أمانيهم على الجهود الرقيقة لتعاون الأقوياء على إنصاف الضعفاء حتى يتحقق للجنس البشرى ما يصبو إليه من أمن وسعادة ورخاء وازدهار.

غير أن هذا الميثاق - وقد مرت عليه هذه الأعوام - لم يحقق لهؤلاء المطحونين شيئا من آمالهم، وظل حبرا على ورق بالنسبة للشرق الإسلامى على وجه الخصوص، بل إنه كان سيفا مصلتا على رقابهم لتغيير قيمهم ومبادئهم، ولفرض نمط الغرب ونظمه على شعوبهم، بل وساعد الصهاينة على ابتلاع أرضهم وانتهاك حرماتهم ومقدساتهم وسفك دمائهم.

ومن هنا كان على العالم الإسلامى وقد منحه الله تعالى بالإسلام منهجا كاملا، ونظاما شاملا، وتشريعا متكاملا تتعاون روافده كلها على تكوين الشخصية الإنسانية المثالية، وعلى صنع المجتمع الفاضل، وعلى إقامة معالم الحق والعدالة والحرية والمساواة فى فجاج الأرض وبين جنبات الحياة.

كان عليه بهذه الميزة الفريدة وذلك التراث الخالد أن يبرز هذه الحقوق، وأن ينقذ كرامة الإنسان، فهو الذى طبق هذه المبادئ، وأظهر للتاريخ البشرى النماذج العملية الرائعة، والقدوة الطيبة الصالحة، فى شتى ميادين الفضيلة والأخلاق.

وقبل أن نخوض فى غمار البحث، يجب أن نضع بين يدى القارئ الكريم، حقيقتين هامتين تزيلان كثيرا من اللبس والغموض، وتمحوان ما قد يبدو أمامه من تساؤلات وشكوك.

الحقيقة الأولى:

أن الإسلام - وهو الدين الخالد العام الشامل الذى يقول عنه رب العزة:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

يعتبر جنده وأتباعه مسئولين عن مهمة تبليغ نوره إلى جميع أفراد الجنس البشرى حتى لا يكون لأحد حجة على الله تعالى عند الحساب، ولأنه نور وهدى ورحمة، فمن حق كل إنسان أن يرى هذا النور، ثم هو بعد ذلك مسئول عن نفسه فى اختيار ما يحب، إما بالسير على هداه أو بإغماض العين عن نوره وسناه، ولكنه حين يغمض عينه ويتنكب طريقه ليس له أن يصد غيره عن هذا النور، وليس له أن يضع حاجزا بينه وبين وصوله إلى الآخرين. عليه أن يختار لنفسه فقط، فلكل الناس عقول، وهم أحرار كما كان حرا فى النظر إليه واختيار ما يروق له حسب تقديره، دون سلطة خارجة عن أقطار نفسه، ودوافع طبعه، فإذا ما وضع عقبة أو وقف حجر عثرة فى طريق هذا النور، مانعا من وصوله إلى الآخرين، كان متعديا على حريتهم، وكان متسلطا ظالما يجب تأديبه، وتقليم أظافره حتى يسلم للمجتمع الإنسانى كله حق الحرية والاختيار، وحتى يزاح من أمامه كل مسيطر على العقول والأفكار.

من هنا انطلق موكب الإسلام يزحف إلى القلوب المتعطشة إلى سلسله العذب، وغيره

الصافي، المتطلعة إلى نوره المتدفق وبلسمه الشافي، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ومن هنا كان المجتمع الإنساني مقسما -في نظر الإسلام- إلى ما يأتي:

١ - المسلمون:

وهم الذين ارتبطوا بمنهج الإسلام ونظامه وعقيدته يفتدون دينه ويحرصون على نشره في الآفاق.

٢ - غير المسلمين: وهم:

أ - إما مسالمون لا يقفون في طريق الدعوة ولا يمالئون خصومها ولا يضطهدون أهلها سواء كانوا معاهدين، أو ذميين، أو مستأمنين، فهؤلاء لهم البر والوفاء والاحترام المتبادل، ما داموا محافظين على هذه العهود، محترمين لهذا العهد. قال تعالى:

[illegible]

(الممتحنة: ٨)

ب - وإما محاربون شهروا السلاح في وجه الدعوة وصدوا عن دين الله تعالى، ووقفوا أمام نور الإسلام حجابا كثيفا، لا يسمحون لأشعته الهادية أن يتمتع بها عباد الله تعالى، أو ظاهروا أعداءه وساعدوهم، فليس لهؤلاء عند المسلمين غير المصادرة والدفاع عن حرية الإنسان في اختيار ما يشاء من عقيدة ونظام، قال تعالى:

[illegible]

(الممتحنة: ٩)

هذا هو المجتمع الإنساني في العرف الإسلامي، وقد وجه إليه جميعه رب العزة خطابه.

[illegible]

(البقرة: ٢١)

[illegible]

(النساء: ١)

[illegible]

(طه: ١٢٣ - ١٢٤)

هذه النداءات الربانية وأمثالها في القرآن الكريم تخاطب في الإنسان جميع أفراده أن ينضموا إلى رحاب الحق، وإلى الإله الحق، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى. وهذه النداءات لا لبس فيها ولا غموض، فهي موجهة إلى الجميع بلا استثناء.

[illegible]

بيد أن هناك نداءات وتوجيهات إلى المسلمين خاصة، وسيأتي منها الكثير في الأدلة التي سنسوقها برهانا على ضمان الإسلام لحقوق الإنسان من أمثال قوله تعالى:

[illegible]

(المائدة: ٨)

وقد يساور القارئ شك عندما يقرأ هذه الأدلة فيظن أن الإسلام يخص بها صنفا معينا من بني الإنسان، وهم المؤمنون المسلمون، ويمنع هذه الحقوق بالنسبة إلى غير المسلم.

ولإزالة مثل هذه الشبهة نقف عند الحقيقة التي تبين أن لغير المسلم حقا متكافئا مع المسلم من التمتع بالحقوق العامة التي تضمن الأمن والاستقرار له في شتى مناحي الحياة، وتكفل له العيش الكريم.

وبناء على ذلك يكون واضحا أن كل ما يرد في هذا البحث من أدلة يتوهم منها أنها خاصة بالنسبة للمسلم، منسحبة بطريق التبع على المسالمين من غير المسلمين.

الحقيقة الثانية:

إن أدلة واستشهادات ستأتي في ثنايا هذا البحث مأخوذة من حوادث عملية طبقها صحابة رسول الله ﷺ من الخلفاء الراشدين، وقد يتبادر إلى ذهن القارئ أن القرآن الكريم والسنة المطهرة فقط هما المصدران الوحيدان للتشريع، غير أنه تلفت نظره إلى ذلك الحديث الصحيح الذي يرشدنا إلى الاقتداء بأعمال الخلفاء الراشدين من بعد رسول الله ﷺ، حيث يقول ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».(١)

وبهاتين الحقيقتين نستطيع أن نسير في هذا البحث عن حقوق الإنسان، على أن ما قرره الإسلام منذ فجر الأمس وضحاه، فلا يستطيع أحد أن ينكر تأثر الغرب بثقافة الإسلام عن طريق الأندلس، ثم عن طريق الصليبيين، وما لم يقرره الإسلام فهو شعار زائف باطل لا يحتوي معنى للكرامة الإنسانية.

ذلك أن أحدا من البشر لن يستطيع أن يجد سبيلا إلى المفاضلة بين قانون وضعي وبين الإسلام، فهو عندئذ يضع رب الأرض والسماء في مستوى نتاج العقل الإنساني، مع ما بينهما من بون شاسع في الاحاطة والدقة والحكمة والمصلحة، بحكم أن الأول صادر عن العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية ولا تند عنه شاردة لا في عالم الغيب ولا في عالم الشهادة، لا في السر ولا في العلانية وأن الثاني صادر عمن يترجح فكره بين حين وآخر، ويختلف ما يراه مصلحة في يومه بغير ما يعتمده في غده، وهو من أدلة النقص في الإدراك البشري.

---

(١) أخرجه أبو داود - كتاب السنة - باب في لزوم السنة - حديث رقم [illegible]

وأخرجه الترمذي - كتاب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع - حديث رقم [illegible]

مكانة الإنسان في القرآن الكريم

[illegible] القرآن الكريم [illegible] هو المخلوق الذي تحدث عنه الخالق جل علاه أنه قد خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، فاستحق بهذه [illegible] مخلوق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الخلافة في الأرض

[illegible]

(الإسراء: ٧٠)

[illegible]

[illegible]

ولم يتركه هملا كما لم يخلقه عبثا، فاصطفى منه رسلا يحملون إليه وحيا، يهديه ويسعده في تلك الحياة، ويعيده بعد الحياة إلى الفردوس [illegible]

[illegible]

[illegible] ومكانته الفريدة في الجنة وفي الأرض، في الحياة وبعد الموت، وسر هذا التفضيل والتكريم ما منح من عقل، وما وهب من علم [illegible] واجب التكليف، وحوسب المرء على ما يقول ويعمل، وإذا كنا في مقاييسنا البشرية لا [illegible] من ننظر إليه باحتمام، فإننا ندرك أن مسألة

[illegible]

[illegible]

(القصص ٤٦)

الإخاء الإنساني

[illegible]

[illegible]

(الحجرات ١٣)

لا مجال للتفاخر

[illegible]

والكبرياء، إذ القيمة الحقيقية للإنسان [illegible] له أن يزهو بها ويعتز هي الأثر الطيب الذي [illegible]

[illegible]

ولا مجال للتميز

[illegible] على الأصل الواحد والنسب الواحد، لا [illegible] متساويه في كل شيء، ثم منح [illegible] ذلك أدوات الفهم والتعقل و[illegible] أمام كل فرد سبيل [illegible] فيه:

[illegible]

[illegible]

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

(البلد ١٠)

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، [illegible]

حق الحياة

من الأصول الأساسية التى يتبناها الإسلام ويضع لها من القواعد والتشريعات ما يحفظها ويحوطها بالعناية والرعاية هذا الحق. فالحياة منحة ربانية عظيمة لا يستطيع أحد أن يعتدى على حتفها وسببها إلى أن يأتى الأجل المحتوم الذى لا يعلمه إلا من خلق الموت والحياة.

وإذا كان هذا الحق لا يمكن عنه، ولا يمكن حماية منه، فليس للإنسان أن ينتحر ويقتل نفسه، أو يوردها موارد التهلكة، ولا أن يستحق أن يعفى أو يعاقب من الله تعالى ومن المجتمع، فليست حياته ملكًا له يتصرف فيها كيف يشاء. يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء: ٢٩)

وليس لأحد مهما كانت مكانته وسلطانه أن يغتصب الإنسان حق الحياة، ومن فعل ذلك بغير حق فقد قتل الناس جميعًا بالحرب، وقد جعلهم رب الخلق على جعل نفسه وحدة عامة الإحياء والإماتة. والإنسانية كلها متضامنة فى كف اليد التى تمتد لقتل أى إنسان، فإن كل بنى آدم إخوة، حق كل واحد منهم فى أن يعيش هو حق الآخر، فإذا قصرت الإنسانية فى ذلك، دخلت كلها فى إثم إقرار الجريمة وعدم استنكارها:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

ثم إن الإسلام لم يشرع حد القصاص فى القتل إلا حفاظًا على هذا الحق نفسه:

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٩)

وإنه يذكر القرآن ويستنكر من عادات العرب التى كانوا يشيعون بينهم فى الجاهلية لا حفاظًا كذلك على هذا الحق الذى يستوى فيه الرجال والنساء، فعرض لهذه الوحشية التى يصورها القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ... أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(النحل: ٥٨-٥٩)

ثم انظر إلى تحطيمه هذه الأسباب التى يترتب عليها وأد تلك الروح، إنها خشية الفقر بوجود النسل:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٣١)

والحرب مشروعة فى الإسلام فهى محصنة بالدفاع عن النفس، وعن العقيدة، والحرية، واستبعاد الفتنة، واضطهاد المؤمنين، وإكراههم على الخروج من دينهم. والحرب فى هذه الحالات ضرورة كضرورة بتر العضو الفاسد حتى لا يؤثر على بقية الأعضاء، فهى كمبضع الطبيب الذى يضحى بالجزء لإصلاح الكل. فإن اندفع الخطر وساد الأمن والاستقرار، وسلم الناس، فإن الإسلام يقف عند السلام ويضع أوزار الحرب استجابة لقول الله سبحانه:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

(الأنفال: ٦١)

حق المساواة

انطلاقًا من مبدأ الإخاء الإنسانى الذى تحدث عنه نبى الإسلام علاقة الإنسان بأخيه على مبدأ المساواة المطلقة أمام القانون، حتى يستقر العدل ويسود الحق، وتمحى كل آثار من ظلم واستعلاء، فلا تمييز بين فرد وآخر لأى اعتبار سوى التقوى والعمل الصالح، وحتى هذا الاعتبار لا يعطى لصاحبه حقًا زائدًا على غيره، ولكنه فقط يفرض التقدير والاحترام له من المجتمع، فلا يجب أن يكون عمله وتقواه وسيلة لنيل حق ليس له فهذا ما يرفضه الإسلام، وإذا كانت بعض الآراء الحديثة قد أغرقت وتمادت فى إبراز شعارات التمييز بين الناس، فجعلت بعض العناصر تفوق الأخرى، فهذا سامى وذلك آرى، وهذا يجرى فى عروقه الدم الألمانى، فإن الإسلام يرد الجميع إلى أصل واحد، إلى عنصر واحد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾

(النساء: ١)

وإذا كانت نعرة الأجناس قد ذاعت وفشت على هيئة قوميات وجنسيات مختلفة، فإن الإسلام لم يعط جنسًا فضلًا على آخر.

وإن الإسلام لم يحرص للعرب فقط، ولم تقتصر الدعوة إليه على هذا الجنس، إنه دين عالمى يخاطب الناس كافة:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

نظرة الإسلام إلى الجنس العربى:

غاية ما هنالك أنه أنزل باللغة العربية، وطبق أولًا فى الأرض العربية، وحملته إلى الناس كثرة من الجنس العربى، ومع أن هذه الميزات التى نالها العرب لم تعطهم فضلًا على من سواهم، بل حملتهم مسئولية التبليغ والدعوة إلى الله تعالى، قال سبحانه:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

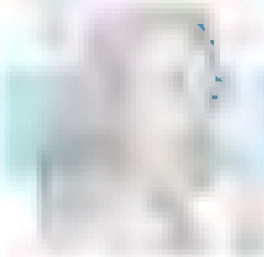
(الزخرف: ٤٤)

ولقد طبقت مبدأ المساواة بين العرب والعجم على مستوى الكفاءة والمعاملة والعدالة، يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه وقف على بابه أبو سفيان بن حرب وبلال الحبشى، فأذن لبلال قبل أبى سفيان، فغضب أبو سفيان؛ إذ كيف يؤذن لبلال وهو حبشى كان من سابقى الإسلام، وأبو سفيان لقد تأخر إسلامه إلى يوم الفتح المبين.

(يتبع)

العلمانية وتطبيقها فى الإسلام

إيمان ببعض الكتاب.. وكفر بالبعض الآخر



للأستاذ الدكتور: محمد البهى

ما هى العلمانية؟:

العلمانية هى فصل بين مجالين فى حياة الانسان: مجال الدنيا. وزينتها ومتعها. ومجال الصلة الخاصة بين الانسان وخالقه.

هى فصل بين سلطتين غير متجانستين: بين دين او كنيسة.. وسلطة زمنية او دولة.

هى تفرقة بين [illegible] وهو سر الله فى الانسان.. و [illegible] وهو ما يمثل المادة وسرف فى حياته.. والكنيسة كسلطة مسيحية تباشر احوال الانسان المسيحى فيما يتصل بعلاقته بربه. تباشره منذ ولادته.. الى موته.. ومنذ زواجه و انجاب الولد حتى يظل فى رضاء الله. بينما الدولة والسلطة الزمنية تباشر شئونه الاجتماعية فى علاقته بالاخرين معه فى المجتمع.. وشئونه الاقتصادية فى الملكية ومنفعة المال. وشئونه فى المعاملات التجارية والزراعية والصناعية. وشئونه فى التشريع والقضاء عدا قضاء الاسرة والتشريع فيها.

العلمانية فصل فى كتب الحياة الاوروبية عنيت به الخصومة بين الكنيسة والسلطة الزمنية فى المجتمعات الاوروبية فى محاولة لاستقلال كل منهما او فى محاولة لمنع الاحتكاك بينهما بعد الشد والتوتر فى علاقتهما طوال القرون الوسطى وسيادة حكم الكنيسة فيها.

ومفهوم الدين هو ما يعطى حاجة الإنسان كفرد فى صلته بالله داخل مكان العبادة أو فى [illegible]

والإنسان بذلك له جانبان: جانب [illegible] كما لا يعمل فيه إلا رجل دين [illegible] الجانب الثانى إلا رجل دولة [illegible] لكل منهما تأثير فى مجال الاخر.. ولكن هذا التأثير يبقى فى الخفاء ويظل من الوجهة [illegible]

وعلى أية حال فالعلمانية كما اتفق على مفهومها رجال الكنيسة والدولة معاً: فصل [illegible] الأخرى وفى شئونها.

فهل فى الإسلام سلطتان: دينية.. و[illegible]

يصور الإسلام كتاب الله، وهو القرآن وكتاب الله عندما يفتح وتتلى اياته يشير [illegible]

فى مجال الاعتقاد:

[illegible]

ووحدانية الله فى الاعتقاد يجب أن تنعكس على ثنائية الإنسان بين عقله، وغرائزه.. كما تنعكس على الأفراد فى المجتمع، فى علاقة بعضهم ببعض.. فشهوة الإنسان لها مكان فى حياته.. وعقله له مكان [illegible]، ولكن مكان السيادة والقيادة.. والأفراد فى المجتمع متساوون فى الاعتبار [illegible] مستوى الإنسانية وهو ما يعرف بتقوى الله

وإذا كان الاعتقاد فى وحدانية الله يجب أن ينعكس على «ثنائية» الإنسان المؤمن به، [illegible] الاعتقاد يحول بالأولى دون أن يوزع المؤمن بالله الواحد، بين سلطتين كما تطلب العلمانية: [illegible]

فى مجال الحكم

[illegible]

فيه من أن يكون حكم بين أهل الكتاب والمؤمنين برسالة الرسول عليه السلام بالطريق الأولى – بما أنزل الله في القرآن [illegible] حكم الهوى [illegible] حكم بالهوى لا يلتزم طريقا واحدا [illegible] بين [illegible] وهو خصيصة من خصائص الجاهلية.. كما يذكر في الآية التالية في قول الله تعالى:

﴿ أفحكم [illegible] ﴾

(المائدة: ٥٠)

فالحكم بين الناس لا يتجاوز أحد نوعين: إما حكم الهوى.. وهو حكم الإنسان حسبما يهوى.. حكم الطغيان والمادية أو كما يطلق [illegible] عليه حكم جاهلية [illegible] حكم بالقرآن وبما أنزل الله فيه.. وهو الحكم بالطريق الأقوم والأحسن، لأناس يريدون أن يسود العدل والإحسان بينهم.

[illegible] حكم بالقرآن ليس حكما [illegible] وإنما هو حكم بما أنزل الله، على حسب اجتهاد الحاكم الإنسان فيه.. هو حكم إنساني [illegible] فيه [illegible] حكم [illegible] [illegible] على [illegible] في اجتهاده [illegible] العصمة له وحده.

والحكومة الإلهية حكومة الكنيسة وحدها؛ لأن المسيح، وهو ابن الله، كما يدعى، يحل في الأب الأعلى لها. ومن هنا [illegible] مقدسة [illegible] مقدسة [illegible] على [illegible]

ويخضع [illegible]

ووحدانية الألوهية في الاعتقاد، كما يدعو [illegible] دون عصمة أحد من البشر، عدا الرسول عليه السلام فيما كلفه [illegible] جميعا [illegible] في عدم العصمة وفي جواز الخطأ والصواب في اجتهاداتهم.

* * *

الإسلام في مجال السياسة

ينصح القرآن في السياسة الداخلية من أجل تماسك الأمة وتعاون بعض أفرادها مع بعض بأن يؤثر المؤمنون في الولاء والمودة بعضهم مع بعض.. وبأن يؤثرن بالولاء كذلك بعضهن مع بعض [illegible] جميعا متحدسون في رسالتهم ومسئولياتهم.

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾

(أي هذا الولاء على هذا النحو يجب أن يكون [illegible] يتحدث عنه)

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ٧١)

وفي الوقت ذاته ينهى عن أن يتخطى ولاء المؤمنين والمؤمنات [illegible] المؤمنين والمؤمنات في الأمة غيرهم عوضا عنهم. أي أنه ينهى عن أن يكون ولاء مؤمن في الأمة لغير المؤمن، بدلا من مؤمن مثله. وكذلك ولاء المؤمنة لغير مؤمنة بدلا من مؤمنة مثلها فيقول:

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾

(أي لا ينبغي أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء، بدلا من المؤمنين)

﴿ [illegible] ﴾

(إلا في حال واحدة وهي اتقاء الكافرين وتحديهم للمؤمنين. عندئذ يجوز إظهار المودة للكافرين ولكن ليس على حساب المؤمنين حتى لا يصيب المؤمنين أذاهم)

﴿ ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾

(آل عمران: ٢٨)

.. فالتقية تدعو فقط إلى إظهار الصداقة للكافر، ولكن ليس بدلا من المؤمن، على أية حال.

[illegible] المطلوب

أولا عدم التجاوز بالولاء: المؤمنين والمؤمنات في الأمة، إلى غيرهم بديلا عنهم.

وثانيا: أنه يجوز أن يكون للمؤمنين والمؤمنات في الأمة ولاء لغيرهم، تقية فقط، بجانب ما هو أصلا للمؤمنين والمؤمنات من ولاء.

ولكي يفصل القرآن مبدأ الولاء، الذي هو مبدأ أساسي في سياسة الأمة الإسلامية، ويبرز أسباب ما يراه فيه، يقول:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٥٥، ٥٦)

فالآية الأولى تحدد من يكون له الولاء والمودة. وهم الله، ورسوله، والمؤمنون الذين يباشرون العبادة والطاعة لله.

والآية الثانية: تعد بنجاح التماسك في الأمة على أساس من مثل هذا الولاء.

ثم يستطرد القرآن مبررا لما حدده هنا، فيقول:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٥٧، ٥٨)

وهم أهل الكتاب والمشركون على السواء.

موضحا أن منع المؤمنين والمؤمنات من أن يكون لهم ولاء لغيرهم يعود إلى استهزائهم بدين المؤمنين، وهو دين الله. فقد اعتاد الفريقان أن يسخرا من الصلاة عندما يؤذن لها [illegible] وسخريتهم من دين المؤمنين على هذا النحو يعبر عن عدم احترامهم للمؤمنين وليس من حسن السياسة أن يكون الإنسان مواليا [illegible] صاحب ود وصداقة لمن لا يحترمه. ولمن [illegible] فيما يعتقده.

وكما ينهى القرآن عن أن يتجاوز المؤمنون والمؤمنات بولائهم أو صداقتهم، وودهم [illegible] في الإيمان إلى غير المؤمنين من أهل الكتاب والمشركين ممن اعتادوا أو ممن شأنهم أن يسخروا من المؤمنين ومن دينهم على السواء، ينهى أيضا عن أن يتخذ المؤمنون والمؤمنات خاصة، أو مستشارين من غير المؤمنين، فيقول:

﴿ [illegible] بطانة من دونكم ﴾

(خاصة من غير المؤمنين)

﴿ لا يألونكم خبالا ﴾

(أي لا يقصرون فيما يورثكم الشر والفساد)

﴿ ودوا ما عنتم ﴾

(أي ما يشق عليكم)

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١١٨، ١١٩)

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١٢٠)

وإذا كان القرآن يبرر ما يدعو إليه المؤمنين والمؤمنات من قبل من عدم موالاة هؤلاء بسبب سخرية هؤلاء لدين المؤمنين واستهزائهم بما يؤدونه من عبادة، فإنه يبرر دعوته الثانية إلى المؤمنين والمؤمنات بعدم اتخاذهم بطانة وخاصة ومستشارين:

(أ) بعدم تقصير هؤلاء من أهل الكتاب والوثنيين [illegible] بطانة للمؤمنين والمؤمنات ـ فيما يسبب الإرهاق والشر والفساد بهم

﴿ لا يألونكم خبالا ﴾

(ب) وبالرغبة في التعنيت عما يشق على نفوسهم [illegible]

﴿ ودوا ما عنتم ﴾

(جـ) وبانطواء نفوسهم على البغض والحقد.

﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾

(د) والرغبة في الانتقام منهم:

﴿ [illegible] ﴾

(هـ) [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

وقد بلور القرآن ما دعا إليه المؤمنين والمؤمنات في كتابه: من مواقف في سياستهم مع غيرهم على الأخص، في قول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة ١)

[illegible]

وقد حذر القرآن المؤمنين [illegible] أعداؤهم مما جاءهم من حق وهو القرآن الكريم، من أن يتخذوا بينهم وبين هؤلاء مودة أو بأن يتخذوا منهم خاصة وبطانة لهم، لأن نفوسهم تنطوي على البغض والحقد.

﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ﴾

(إن [illegible] لكم [illegible] عن عداوتهم)

﴿ ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴾

(ويمدوا إليكم أيديهم بالسوء كما [illegible] إن استطاعوا [illegible])

﴿ وودوا لو تكفرون ﴾

[illegible] معكم [illegible] تعودوا كفارا [illegible]

فهل يعي المؤمنون سياسة القرآن بالنسبة لأمتهم في تماسكهم، وبالنسبة لأعدائهم في عدم موالاتهم، واتحاد بعضهم حاجة له؟ ما أصاب المسلمين بالأمس.. وما يصيبهم اليوم، [illegible] مع حرب [illegible] سياسة الهوى والشهوة؟

في مجال الرأى:

وفي مجال [illegible] الشورى [illegible] سواء في الأمر [illegible] لقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١٥٩)

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى ٣٦، ٣٨)

فيقرن هنا: «الشورى» بالصلاة، والزكاة. والصلاة والزكاة صفتان أساسيتان في حياة المؤمن. وفي صحبتهما كبنيان يتميز بعدم استغراقه في شأن الدنيا ولهوها، وفي عدم طغيانه بالمال الذي يذل كثيرًا من الناس في العادة في سبيله. فمنزلة «الشورى» في حياة الأفراد المؤمنين، وحياة أمتهم تساويها الآية هنا بمنزلة الصلاة والزكاة

والشورى هي أساس المسئولية الفردية التي يحملها حديث رسول الله ﷺ في قوله: «كلكم راع.. وكلكم مسئول عن رعيته».. فصاحب الولاية العامة.. والزوج في أسرته.. والزوجة في أهل زوجها.. والعامل في مال مخدومه أو سيده، مسئول عن رعيته. و«الشورى» هي الطريق الذي يكشف جوانب هذه المسئولية ويحدد الطريق السوي لأدائها.

* * *

في مجال المال:

وفي مجال المال يوضح:

إن المال قوام الحياة في الأمة كلها.. وفي قوله تعالى

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾

(النساء: ٥)

ما يقدم الدليل على وجوب الحجر على أموال السفهاء - وهم الذين يستحقون الحجر في تصرفاتهم - لأن هذه الأموال وإن كانت ملكًا خاصًا للسفهاء، لكنها العماد في حياة الأمة كلها

﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾

كما يوضح أن الملكية الخاصة للمال هي في واقع أمرها: ملكية استخلاف وتفويض من الله جلت قدرته. فإذ يقول الله سبحانه:

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

(الحديد: ٧)

ويأمر المالكين للمال بالإنفاق منه في سبيل المصلحة العامة في الأمة فإنما يأمرهم بأمر فيما يملكه هو أصلا. فليسوا هم المالكين على سبيل الحقيقة، وإنما يقوم عليه بيد الأمناء والوكلاء. وعليهم أن ينفذوا فيه ما يوصى المزكى أو المفوض

وشأن المال في الاستخلاف كشأن الحكم والجاه فيه.. فكلاهما مستخلف فيه من الله عما يقول:

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾

(الأنعام: ١٣٣)

فالولاية العامة في الحكم هي ولاية استخلاف يجب على من يتولاها: أن يطيع الله فيما أمر به، أو نهى عنه.

وعلى أساس أن الملكية الخاصة للمال هي ملكية استخلاف من الله جل شأنه: كانت منفعة المال - رغم ملكيته الخاصة - منفعة عامة يتمتع بمنفعته من يملك ومن لا يملك على السواء. من يكون مالكا من الأحرار، ومن لا يجوز له أن يملك المال كالأرقاء فملك الرقيق يدخل ملك سيده، ولا يستقل به.

فما جاء في قوله تعالى في سورة النحل (آية ٧١)

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا ﴾

(وهم ملاك الأثرياء)

﴿ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾

(من الأرقاء)

﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾

(أي هم في منفعته سواء، لأنهم لا يستوون في صلاحية الملك).. يسوى بين الأثرياء الأحرار المالكين للمال.. وأرقائهم، في الانتفاع بالمال. فما يأخذه الرقيق من مال سيده، نفقة عليه، ليس في واقع الأمر من نصيب سيده كما يظن وإنما هو حقه في الانتفاع بالمال الذي هو تحت يد سيده، عن طريق الاستخلاف عليه.

والإسلام بنظرته إلى المال:

* في أن ملكيته ملكية استخلاف

* وفي أن ملكيته الخاصة، تقترن بمنفعته العامة.

يبرز اهتمام الإسلام بالمال: في إغنائه وفي استخدامه وإنفاقه. فهو أمر مرغوب في تحصيله والسعي إليه. وعلى الأقل ليس أمرا يهرب منه المؤمن بالله. إذ طالما أباح للولاة أو للمؤمنين ككل: الحجر على السفيه بينهم لأن ماله من مال هو عماد الأمة، لا يكون عندئذ أمر غير مرغوب فيه. وفي الوقت ذاته استخدامه أو إنفاقه مشروط بالأوضاع التي يحددها القرآن الكريم. وفي مقدمتها:

وضع المنفعة العامة لأصحاب الحاجة ومصالح الأمة.

ووضع عدم أكله بالباطل. في أية صورة من صور الأكل بالباطل

ووضع تحريم الربا في إنمائه. واستغلال حاجة الضعيف إلى المال.

وبهذه النظرة إلى المال يتفادى المجتمع المؤمن بالله: الطغيان بالمال عن طريق الحرية في إنمائه وإنفاقه على نحو ما يوحي النظام الرأسمالي، كما يتفادى التواكل في الإنماء، والتسيب في الإنفاق، على نحو ما يدعو النظام الماركسي

* * *

في مجال العمل في سبيل الرزق:

يجعل القرآن العمل في سبيل الرزق مساويا لأداء عبادة الصلاة يوم الجمعة فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ... فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الجمعة: ٩، ١٠)

فيأمر بترك العمل مثلاً في التجارة وفي غيرها عندما يحين وقت أداء الجمعة بالأذان لها. فإذا أديت يأمر بالانصراف إلى السعي في سبيل الرزق، نحو مباشرة العمل. ولكن على أن يكون على ذكر من أوامر الله ونواهيه فيما يحل من طريق السعي، وفيما يحرم من طريق آخر له.

وفي هاتين الآيتين لا يقل أثر السعي في سبيل الرزق في حياة الإنسان، عن أثر أداء الصلاة يوم الجمعة في حياته. فإذا كان أثر صلاة الجمعة في نفس مصليها: الترابط بين المؤمنين على أساس من شريعة الله، فأثر السعي في سبيل الرزق: الاعتماد على الله، والاستقلال عن الآخرين في سد حاجة الذات.

والإنسان في حياته في حاجة إلى التعاون والترابط مع الآخرين، كما أنه في حاجة إلى الاستقلال والاعتماد على الذات، بعد الله. وليس هناك تنافر بين الجانبين من حاجة الإنسان. إذ الترابط قوة، والاستقلال كذلك قوة أخرى. فطالما الإنسان غير مستقل في توفير حاجته المعيشية فهو ضعيف بسبب هذه الحاجة إلى الآخرين. وطالما هو غير مترابط مع الآخرين على أساس إنساني فهو ضعيف بعزلته ووحدته بين الناس.

والقرآن في هاتين الآيتين بتقسيم الوقت بين أداء الصلاة.. وأداء السعي في سبيل الرزق. إنما كان يريد أن يحول بين أن يستغرق المؤمن في [illegible]:

والعمل في سبيل الرزق على أي نحو، كما يصرح في قوله:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾

(الجمعة: 11)

فإنه في الوقت نفسه لا يقلل من قيمة العمل في سبيل الرزق، فضلاً عن أن ينفر منه.

ومجالات العمل على أرض الله، والسعي في سبيل الرزق فيها: لا يحدها إذن إلا الاستغراق في متاعبها بحيث ينسى العامل فيها ما له في حياة الإنسان، وبحيث ينصرف كلية إلى العمل، تاركاً ما يجب عليه نحو ربه:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾

وأرض الله واحدة، والعمل عليها متساو ولا يفصل بين نوع وآخر منه إلا ما يحمل على معصية الله، وهو الاستغراق أو الانشغال بالعمل. والدنيا مطلوبة. والعمل فيها مطلوب. ولكن العمل في التوفر من جهة بحيث يقضي على القيم الإنسانية العليا في علاقات الناس بعضهم ببعض: هو المبغوض أو هو الحرام فيها.

ومن هنا صلاحية المؤمنين للعمل في أي جانب من جوانب أرض الله: قائمة. وليس فيها جانب نجس بالنسبة للبعض.. وجانب آخر مبارك فيه ومقدس بالنسبة للبعض الآخر. ومعنى ذلك أن أرض الله والعمل فيها لا يقسم إلى جوانب، ويوزع بحسب خيريته وبركته على طوائف خاصة. ومعنى ذلك أن [illegible] ليست محرمة على طائفة بعينها، وهي [illegible] التي تحمل لافتات الألوهية أو [illegible].

ومن [illegible] العمل في نظر الإسلام على النحو المشروع هنا يصعب على أي مسلم أن يتصور طوائف متعددة في الأمة الإسلامية. [illegible] نوع العمل ونوع محله واختلاف [illegible] في قيمته عن الآخر. [illegible] أن لا تكون هناك حكومة واحدة [illegible] واحدة [illegible] مجالات العمل في الأمة حكومات. حسب ما هو مقدس وغير مقدس في [illegible] العمل، كما هو [illegible]. والسلطة السياسية في المجتمع [illegible].

* * *

في مجال الأسرة والمجتمع

يذكر الله [illegible] الزوجية في خلقه. [illegible] والنبات [illegible] التكثير، وزيادة [illegible] لصالح الإنسان [illegible]:

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا [illegible]﴾

(الشورى: 11)

أي جعل لكم من أنفسكم ومن الأنعام [illegible] من الذكور والإناث يكثركم بجمعكم وجعلها أزواجاً.. كما يقول:

﴿[illegible] فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ۝ كُلُوا [illegible] إِنَّ فِي ذَلِكَ [illegible]﴾

(طه: 53 - 54)

ولكنه يذكر في غاية الزوجية في خلق الإنسان أمرين:

- زيادة العدد، وكثرة الكمية، عندما يقول القرآن الكريم:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

(النحل: 72)

- والأمر الثاني: أمر نوعي يتحقق في السكن.. والمودة.. والرحمة، فيما يذكره في قول الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(الروم: 21)

فزيادة الكم والتكثير في العدد هدف الزوجية المشترك في خلق الأنواع الثلاثة: الأنعام والنبات والإنسان.. ولكن الإنسان يتميز بهدف آخر نوعي، وراء الكم والعدد، وهو تحقيق الاطمئنان والسكن والمودة والرحمة.. وهي من القوى للضعيف

وتحقيق هذه الغاية الثلاثية يكون بتكوين الأسرة، فالمجتمع والأسرة هي النواة الأولى، والمجتمع هو المركب من الأسر. فإذا لم تقم الأسرة: أي إذا لم يتحقق الهدف النوعي للزوجية في خلق الإنسان من: السكنى.. والمودة.. والرحمة، في الأسرة، وظلت عند العدد وحده.. عند النمو والكثرة العددية فقط. يكون الإنسان قد أخفق في تحقيق الميزة التي يتميز بها عن الأنعام، والنبات. كغاية ثانية للزوجية بين الذكورة والأنوثة في خلقه.

والشيء الذي يعوق تحقيق هذه الميزة في الأسرة ثم في المجتمع هو «الفردية» أو بقاء الأنانية في الأفراد. إذ الأنانية تحافظ على استقلال الذات فلا تمكنها من أن تنعطف على ذات أخرى في الأسرة أو في المجتمع. والسكنى والاطمئنان بين فرد وآخر: نتيجة انعطاف أحدهما على الآخر. وكذلك: المودة.. والرحمة.

* * *

في مجال العبادات

والعبادات من صلاة، وصوم، وزكاة، التي فرضها الإسلام إن كان أثرها المباشر: صقل الفرد، وتهذيبه، فهي صاحبة الأثر القوي في تعاطف المؤمنين، وفي تراحمهم، وفي توادهم، وفي مؤاخاة بعضهم لبعض. فالصلاة جماعة خمس مرات في اليوم كفيلة بأن تؤسس هذا التعاطف وتزيد في مستواه. والصيام كفيل بالإحساس بمعنى الحرمان عند الآخرين، ويدفع من أحس من الأثرياء بحرمان غيره إلى الترابط معه على أساس التواد والتعاون. والزكاة هي تعبير مجسد عن عدم طغيان المال عند المزكي، وعن معنى المشاركة لديه في سد حاجة صاحب الحاجة.

وهكذا العبادات في الإسلام ليست صياغة لعلاقة المؤمن بربه، في عزلة عن المشاركة في روابط الأسرة والمجتمع، وفي بعد عن تحقيق ميزة الإنسان لزوجيته بين الذكورة والأنوثة في خلقه.

والعبادات إذن إن كانت تدرب الأفراد المؤمنين على السلوك الإنساني المطلوب وعلى العمل الصالح. فهدف السلوك الإنساني والعمل الصالح للمؤمن هو تحقيق الترابط بين المؤمنين على أساس من هداية الله كما يطالب القرآن الكريم في قول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وليس على أساس آخر بعيد عن الإنسانية في مستواها الفاضل.

ومجال العبادات في الإسلام ليس مجالا منعزلا عن المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في حياة الإنسان. وإنما هو مجال الإعداد للصلاحيات في المجالات العديدة الأخرى التي يزاولها الإنسان: في سلوكه وفي أسرته، وفي مجتمعه.

* * *

الإسلام في جميع جوانب الحياة الإنسانية

وبعد عرضنا هنا من مبادئ الإسلام. كما تذكرها آيات القرآن الكريم. يعلم أن الإسلام نظام شامل لحياة الإنسان ومترابط في مبادئه. وفي تطبيقه لا يقبل التجزئة بحال. وقصر التطبيق على جانب مثلا في حياة الإنسان أو على جانبين فأكثر من جوانب هذه الحياة، دون بقية الجوانب الأخرى. معناه إفساح مكان في الحياة لهوى الإنسان بجانب ما يطبق من مبادئ القرآن. وتشارك بين هوى الإنسان.. ووحي الله.

إن إخلاء مكان لهوى الإنسان في حكم الإنسان المسلم في مجتمع إسلامي، بجانب تطبيق مجموعة من مبادئ القرآن في جانب أو في عدة جوانب من حياة الإنسان، هو كفر ببعض الكتاب، وهو القرآن. فيما أفسح فيه المجال للهوى.. وإيمان ببعضه الآخر فيما يطبق فيه القرآن. فلو قصر تطبيق القرآن على أداء العبادات، أو كما يقال على حياة المسجد، وأبعد عن مجالات الشئون السياسية.. والاقتصادية والاجتماعية، مثلا كان إبعاد القرآن عن مجالات الشئون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية: كفرا بمبادئ القرآن في هذه المجالات. وكان حكم الإنسان المسلم في المجتمع الإسلامي بمجتمع للهوى أو للشيطان في المجالات التي يبعد فيها القرآن. وهي هنا المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٤٩)

(أي في جميع مجالات الحياة الإنسانية)

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٤٩)

(في جانب أو في كثير منها)

إلى أن يقول:

﴿ [illegible] يبغون ﴾

(وهو حكم الأهواء).

﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾

(المائدة: ٥٠)

(وليس هناك حكم أفضل ولا أحسن من الحكم بما أنزل الله)

وارتباط هوى الإنسان بالشيطان هو ارتباط وثيق. فحكم الهوى هو حكم الشيطان. وحكم الشيطان هو اتباع الإنسان سبيل الهوى. والجامع بين الأمرين هو تسلط الرغبات والشهوات. يقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(أي هدايتنا)

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ١٧٥، ١٧٦)

ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه،

فاتباعه هواه جاء على إثر قبوله غواية الشيطان. وغواية الشيطان إذا أبعد القرآن في حياة الإنسان.

والله الموفق وهو المستعان.

تقنين الشريعة بين المجتمع والدولة (٥)

سوابق التقنين فى بعض البلدان الإسلامية والعربية

للأستاذ الدكتور ابراهيم البيومي غانم

التقنين العراقي

قبل أن يصدر التقنين المدني العراقي، كان العراق يطبق مجلة الأحكام العدلية العثمانية، وعاشت البلاد العراقية قرونا تطبق الفقه الحنفي في معاملاتها المدنية، وكان العراق هو مهد هذا الفقه، ففيه نشأ، وبين ربوعه ترعرع وازدهر، وعاش أبو حنيفة النعمان - رضي الله عنه - وأرصده في الخلفة في الكوفة ما قدر الله له أن يعيش وهو يضع كل يوم لبنة في هذا البناء الضخم المشمخر[1]، فما طوى حياته في الدنيا حتى أتم هذا البناء، وتركه للعالم الإسلامي صرحا منيعا تتحصن فيه الأجيال، وتراثا عاليا يفاخر به الأبناء والأحفاد.

وقد أسهم العلامة السنهوري إسهاما كبيرا في وضع التقنين المدني العراقي وفق مرجعية الفقه الإسلامي؛ إذ كان عضوا في اللجنة التي تشكلت لهذا الغرض، وعهدت إليه بإعداد لائحة القانون لتكون أساساً لبحث اللجنة ذاتها وتأثرت اللائحة بالفقه الإسلامي عامة، والحنفي الذي تأسست عليه مجلة الأحكام العدلية خاصة ولكن السنهوري دونما شرح حقيقة ما قامت به اللجنة، فأوضح أن مشروع التقنين الذي وضعته ليس فيه جديد إلا الألفاظ؛ ذلك لأن القانون المدني العراقي كان موجوداً «مجلة الأحكام» وإن كانت تنقصه الصياغة التي تتمشى مع العصر، وينقصه الترتيب والتنسيق والتبويب، وقسط من التحوير والتعديل يقتضيه تطور المدنية؛ فإذا بدا القانون المدني العراقي، بعد هذا الصقل في ثوب جديد، فهي جدة تختفي تحتها تقاليد العراق الفقهية وتراثها العظيم، سالمة مصونة من كل عبث وتشويه، على حد تعبير السنهوري نفسه[2].

لم يكن السنهوري وحده الذى يرى صلاحية الشريعة كي تكون مصدرا للتقنيات الحديثة. بل شاركه الإيمان بهذا الرأي بعض كبار رجال القانون من المسيحيين في مصر منهم مثلا الدكتور شفيق شحاتة، الذى كان يرى «أن الشريعة الإسلامية بحالتها الموجودة من غير تجديد فيها صالحة لأن تكون مصدراً للتقنين»[3].

كما شاركه أستاذه القانوني الفرنسي الشهير إدوارد لامبير الذى أكد على أن: «الشريعة الإسلامية هي مفتاح تطوير النظم القانونية التشريعية في العالم العربي والإسلامي، وأن أعقلها حظيت في علم القانون»، ولم يكتف السنهوري باستحضار بعض شهادات الفقهاء المنصفين من علماء الغرب يؤكدون فيها على صلاحية الشريعة للتطبيق في الواقع المعاصر، ومنهم الفقيه الألماني كوهلر، والإيطالي دلفيشيو، والأمريكي ويجمور بل وجدناه يقوم هو نفسه بإثبات صلاحيتها وحداثتها. وبرهن على ذلك بأربعة أمثلة - كنماذج فقط - وهي نظرية التعسف في استعمال الحق، ونظرية الظروف الطارئة، ونظرية تحمل التبعة، ومسئولية عدم التمييز وكلها من أحدث نظريات القانون في الفقه الغربي الحديث ولكل نظرية منها أساس في الشريعة الإسلامية. لا يحتاج إلا للصياغة والبناء، ليقوم على أركان قوية، ويسامت الفقه الحديث[4].

كان السنهوري يرى أن «من السفه أن نبدد ثروة «فقهية» تركها لنا الأجداد، ونعيش عالة على غيرنا نتكفف»[5] وكان أمام السنهوري عند وضع التقنين المدني العراقي نموذجان من بلدان الشرق الإسلامي: تركيا الكمالية، ومصر

---

(١) الشمخر: المشرف لارتفاعه فهو مشمخر.

(٢) انظر: السنهوري، من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدني العراقي، مرجع سابق، ص٣، ص...

(٣) انظر: شفيق شحاتة، الاتجاهات التشريعية في قوانين البلاد العربية، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٠، ص٥، وص٦.

(٤) انظر: السنهوري، المرجع السابق، ص٣٤ - ٣٧، حيث يوصل النظريات الأربع من مصادر الفقه الإسلامي.

(٥) انظر: السنهوري، من مجلة الأحكام إلى القانون المدني العراقي، مرجع سابق، ص[illegible]

ولكنه وجد أن مصر قد أخذت قوانينها المدنية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر من التقنين الفرنسي، ولم تأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية [illegible] الأحوال الشخصية [illegible] إلا النذر اليسير، ووجد أن تركيا الكمالية قد اختصرت الطريق، وأخذت التقنين السويسري برمته، ولم تشأن أن تعمل فيه شيئًا، وبذلك هجرت الشريعة الإسلامية [illegible] هذا الوضع [illegible] يشأ السنهوري أن يحتذي بأي منهما في وضع التقنين العراقي المدني، وفضل أن يقوم هذا التقنين على عصرية الصياغة والتبويب، والاستفادة دون تحفظ من التقنيات الغربية من ناحية الشكل، وأن تكون الشريعة الإسلامية هي الأساس الموضوعي له من ناحية الموضوع وبناء على هذا صدر قرار وزارة العدل العراقية بتشكيل لجنة من رجال القانون لوضع لائحة للتقنين المدني الجديد، ووافقت اللجنة على اعتبار الشريعة الإسلامية أساساً لهذا التقنين[6].

شرح السنهوري منهجية التقنين العراقي في الأخذ من الشريعة الإسلامية ومن المفيد أن نعيد إثبات ما قاله هنا لأهميته من الناحيتين النظرية والمنهجية في عملية التقنين.

أكد السنهوري على أن الشريعة الإسلامية هي أساس التقنين العراقي وقال: «والخطة المثلى في نظري هي أن يعمد واضع التقنين الجديد إلى التقنيات الغربية، فيختار أحدثها وأكثرها إتقاناً، ويصوغ كل ذلك نموذجاً خير تشريع يراه، دون نظر إلى مذهب معين، أو إلى تقليد معينة ثم يقرب هذا النموذج من أحكام الشريعة الإسلامية في مذاهبها المختلفة، وفي مختلف الأقوال من كل مذهب وهو لابد مستطيع أن يخرج أكثر أحكام نموذجه على قول أو آخر في مذهب من مذاهب الفقه الإسلامي وبذلك يظفر لأكثر الأحكام التي اختارها بمستند في الشريعة الإسلامية يجعله هو الأصل للحكم الذي اختاره [illegible] الأحكام التي نعتمد مستنداً صريحاً في نصوص الشريعة الإسلامية – وهي لا شك قليلة – فإذا لمت تتفق مع حالة العراق وظروفها وتقاليدها القضائية، عدل عنها إلى أحكام أخرى مناسبة للبيئة، وإلا فعليه أن يتأول لها، وينظر في تخريجها، حتى توافق قولاً في مذهب ولا يعترض على هذا الرأي بأن الأخذ به لا يختلف كثيرا على الأخذ بأحكام التقنيات الغربية، فما دمنا سننتهي إلى الأخذ بالنموذج الذي اخترناه من أحدث التقنيات الغربية، فلنأخذ به من الآن، ولا حاجة للرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية.

فمثل هذا الاعتراض لا وجه له: إنما هناك فرق جوهري بين أن نجعل مصدر الأحكام الصالحة التقنيات الغربية، وبين أن نجعل مصدرها الشريعة الإسلامية.

ففي الحالة الأولى نكون قد قطعنا كل صلة بماضينا، وبدأنا حياة قانونية جديدة، نكون فيها عالة على فقه الغرب وجهوده، نأخذ منه ولا نعطيه.

أما في الحالة الثانية فنكون قد احتفظنا بصلة الماضي، وجعلنا من هذه الصلة أساساً يقوم عليه المستقبل، واحتفظنا باستقلالنا القانوني، فلا نكون عالة على فقه الغرب، وفي الوقت ذاته نكون قد استفدنا من هذا الفقه إلى أبعد مدى، [illegible] الأحكام بنفوسه في مستوى الأحكام الغربية وأرقاها وإن كنا نترك الغرب يأخذ بيدنا في حلبة السباق إلى حيث يوجد المتسابقون، فربما بعد أن نمر كيفهم يجب أن نجري على قدمينا، ونكون معهم حتى إلى حيث في هذا الميدان. يجعل الشريعة الإسلامية عنصرًا في تقدير التشريع، ما دمنا قد جعلنا هذه الشريعة هي مصدر الأحكام التي اخترناها، وبذلك نعيد للشريعة الإسلامية ركنًا جديدًا من تطبيق القضاء واجتهاد الفقهاء، فتعود شريعة متطورة، تقوم بقسطها من العمل في تدعيم أركان القانون المتزن في عالم الفقه القانوني»[7].

كان العراق – في ضوء ما سبق – أول بلد عربي اعتز بتراث أجداده، وحرص عليه من الضياع، ولم يشأ وهو يراجع قوانينه المدنية، في منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين، أن يفرط في هذا الذخر العظيم، وكان السنهوري باشا يرى أنه إذا صحت دعوى العراق بصلاحية الشريعة للتطبيق المعاصر كفقه قانوني، فليس أمام سائر الأقطار العربية إلا أن تقتفي أثر العراق[8] وكانت دعوته تلك تعبيرًا عن إيمانه العميق بأن الاستقلال التشريعي جوهر الاستقلال السياسي وأساسه، وأن أي نقص في هذا الاستقلال التشريعي يعني نقصًا في الاستقلال الوطني، وتكريسًا للتبعية[9].

وشرح السنهوري منهجية متعددة الأبعاد في عملية التقنين وطبقها في التقنين العراقي بدأ فيها بالنص، النموذج [illegible] المختارة من بين نصوص التقنينات العربية الحديثة، مع التصرف في النص بما يراه ملائمًا للتطبيق، وبما يحقق أعلى درجة من الوضوح ثم أردفه بالنصوص الواردة بشأنه في «مجلة الأحكام العدلية»، ثم بما ورد في مرشد الحيران لقدري باشا وبعد ذلك قام بتوضيح أسباب اختياره للنص النموذج برؤية مقارنة[10] وعلى هذا صدر القانون المدني العراقي برقم ٤٠ لسنة ١٩٥١م ونشر في الوقائع العراقية (عدد ٣٠١٥ بتاريخ ٨ / ٩ / ١٩٥١)، وصار قيد التنفيذ بعد عامين من صدوره أي في ٨ / ٩ / ١٩٥٣، طبقًا لنص المادة ١٣٨٢ منه. وكما يجدر ذكره هنا أن وزارة العدل العراقية شكلت بتاريخ ٧ من فبراير / شباط ١٩٥٩ لجنة لوضع لائحة الأحوال الشخصية، وقد استمدت مبادئها مما هو متفق عليه من أحكام الشريعة، وما هو مقبول من قوانين البلاد الإسلامية، وما استقر عليه القضاء الشرعي في العراق، واستطاعت اللجنة صياغة مشروع قانون للأحوال الشخصية

---

(6) المرجع السابق، ص٥٠.

(7) المرجع نفسه، ص[illegible] وقد أثبت السنهوري هذا النص في الكلمة الافتتاحية لكتابه «الوسيط» جزء الالتزامات قال بعده هي الشريعة الإسلامية، لو وطئت أكنافها، وعبدت سبلها، لكان لنا من هذا التراث الجليل [illegible] روح الاستقلال في فقهنا وفي قضائنا وفي تشريعنا [illegible]

(8) المرجع نفسه، ص[illegible]

(9) [illegible] حيث يؤكد المعنى الذي دعينا إليه محمد أنور كريم الوكيل عبد الرزاق السنهوري ومشروعه في التقنين، دراسة وتقويم [illegible]

(10) انظر النماذج التي أوردها في محله القيم من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدني العراقي، مرجع سابق [illegible]

والذى صدر بالقانون رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ واشتمل على أهم أبواب الفقه فى الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية الجامعة لمسائل الزواج والطلاق والولادة والنسب والحضانة والنفقة والوصية والميراث وأخذ هذا القانون أحكامه من جميع المذاهب الإسلامية وجرى تطبيق أحكام القانون دون النظر إلى مذهب العراقى المسلم «سنيا كان أم شيعيا»، حيث إن القانون المذكور يشكل حالة وسطية وشاملة يتم تطبيقها على عموم المسلمين العراقيين، والأجانب المسلمين فى العراق[11].

محاولات مجمع البحوث الإسلامية

فى سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٥م أوصى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية فى مصر السلطات ذات الاختصاص بالعمل على تنقية التشريعات والنظم من كل ما يخالف حكم الإسلام، وأن ترد التشريعات إلى الكتاب والسنة، مستعينة بكل مستحدث صالح من فكر أو حكم لا يعارض أصلا من أصول الدين ثم أوصى المؤتمر الرابع للمجمع فى سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٧م بتأليف لجنة من رجال الفقه والقانون لتضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى الدول الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية فى قوانينها[12].

وقد ضمت اللجان التى قامت بإعداد مشروعات التقنين عددا من الأساتذة والمشايخ منهم: فضيلة الأستاذ الشيخ محمد علوى مالكى، السيد الأستاذ المستشار محمد عبد اللطيف ناصف، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الحميد البحيرى، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرحيم الكشكى، فضيلة الأستاذ المستشار أحمد سعيد ثابت، فضيلة الأستاذ الشيخ عبد التواب عبد التواب باظة، فضيلة الأستاذ الدكتور حسن الشاذلى، السيد الأستاذ المستشار محمد محمود علاء، فضيلة الأستاذ الشيخ سليمان عطا[13].

وفى سنة ١٩٧٢م صدرت الطبعة التمهيدية لمشروع تقنين مذهب الإمام مالك عن تلك اللجان، ثم صدرت الطبعة التمهيدية لمشروع تقنين مذهب الإمام أحمد فى نفس العام والطبعة التمهيدية لمشروع تقنين مذهب الإمام أبى حنيفة.

تجربة التقنين فى اليمن

تكونت فى اليمن هيئة علمية لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية، وأسندت إليها مهمة القيام بأعمال التقنين بالقانون رقم (٧٤) لعام ١٩٧٦م وأنجزت هذه اللجنة العديد من القوانين، سواء من خلال عمل الهيئة العلمية لتقنين أحكام الشريعة الإسلامية، أو من مجلس الشعب التأسيسى، أو من خلال مجلس الشورى أو مجلس النواب فى ظل جمهورية اليمن بعد

(11) فدى محمود، مرجع سابق، منشور عبر الإنترنت
www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=33143

(12) الإصلاح التشريعى فى مصر، مرجع سابق

(13) مشروع تقنين الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، اللجنة التحضيرية لتقنين الشريعة الإسلامية، مصر، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٢م

توحيد شطريها الجنوبى والشمالى سنة ١٩٩٠ وقد نصت المادة الثالثة من دستور الوحدة على أن «الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات»، وتشكلت لجنة خاصة بالمجلس باسم «لجنة تقنين الشريعة الإسلامية»، ومهمتها تقديم الآراء الشرعية التى يطلبها المجلس بناء على طلب موقع من عشرة أعضاء على الأقل، أو التى تطلبها هيئة الرئاسة.. أو إحدى لجان المجلس بشأن أى موضوع معروض على أى منها، أما القوانين التى أنجزتها جمهورية اليمن فى مجال تقنين أحكام الشريعة الإسلامية فهى:

1- قانون المواريث
2- القانون التجارى.
3- قانون الوصية.
4- قانون الهبة.
5- قانون الوقف
6- قانون الإيجارات
7- قانون المرافعات الكتاب الأول والثانى
8- قانون العقوبات
9- قانون المرافق[14]
10- قانون الشفعة
11- قانون الإجراءات الجزائية.
12- قانون التحكيم.

ولعل أهم ما تم إنجازه فى مجال تقنين أحكام الشريعة الإسلامية فى اليمن هو القانون المدنى، والذى استغرق العمل فيه ما يقرب من خمسة وعشرين عاما، وقد تم تعديله عدة مرات بهدف مواكبته لكافة التطورات الاجتماعية والاقتصادية والاجتهادات الفقهية المعاصرة. وقد صدر بالفعل قانون الإثبات الشرعى رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٦م، وصدر الكتاب الأول، والكتاب الثانى من القانون المدنى رقم ١٠ لسنة ١٩٧٩م، ورقم ١١ لسنة ١٩٧٩م ثم صدر القانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٨١م الخاص بالمرافعات، ومع إعلان الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠ طرح مشروع قانون الجرائم والعقوبات الشرعى، الذى احتوى على مجموعة كبيرة من النصوص الشرعية، وهو المشروع الذى تم إقراره لاحقا سنة ١٩٩٥ بعد الحرب بين شطرى اليمن.

الخاتمة

لم تصل جهود تقنين الشريعة إلى غايتها حتى اليوم وغايتها لا تتمثل فقط فى اكتمال «عملية» التقنين، وإنما فى وضع هذه التقنينات موضع التطبيق، واللحظة التى تتحقق فيها هذه الغاية هى ذاتها لحظة اكتمال الاستقلال الوطنى واسترداد الهوية وتحرير «السيادة التشريعية» من أسر هيمنة القوانين الأجنبية التى زحفت على بلادنا منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان.

لقد بدأنا هذا الكتاب بالإشارة إلى مشروع تقنين الشريعة الإسلامية فى مجلس الشعب المصرى سنة ١٩٧٨ وكان هذا المشروع استجابة رسمية من الدولة لنص المادة الثانية من الدستور التى تقول إن «مبادئ الشريعة

(14) المقصود بالمرافق أماكن تجمع مياه السيول والأمطار وقد صدر هذا القانون برقم ١٦ لسنة ١٩٧٨ بشأن المرافق والمرافق العامة والمقصود بكلمة «المرافق العامة» الجبال والمرتفعات والمنحدرات التى تتلقى مياه الأمطار وتصرفها، ومجمعات مياه السيول، وكلها فى حكم المرافق العامة

الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، ولكن هذا المشروع لم ير النور رغم كشف عنه إلا قليلا، ودخل في أدراج مجلس الشعب مع بداية عهد الرئيس المخلوع محمد حسني مبارك، ولا يزال حبيس تلك الأدراج إلى اليوم.

وإذا تأملنا قضية تقنين الشريعة من زاوية العلاقة بين إرادة المجتمع وسياسات السلطة سنجد أولا أن «الدولة المصرية» قد أخذت الموقف الصحيح على مستوى النصوص الدستورية التي أكدت على سمو الشريعة الإسلامية على غيرها من مصادر التشريع ولكن هذا الموقف الصحيح نظرا أجهضته سياسات السلطة المستبدة طوال عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك، وبسبب تلك السياسات الاستبدادية اتسعت الفجوة بين إرادة المجتمع ورغبته في النزول عند أحكام الشريعة الإسلامية وبين الموقف الرسمي للدولة وسلطتها الرسمية.

ومنذ شرع مجلس الشعب سنة ١٩٧٨ في تنفيذ عملية تقنين الشريعة، لم يتوقف الجدل الفكري والفقهي والقانوني إلى منتصف الثمانينات من القرن الماضي وشارك عدد كبير من المفكرين العلمانيين، ومن العلماء الأزهريين في ذلك الجدل ورغم تباين وجهات نظر هؤلاء وأولئك إلا أنهم توافقوا جميعا على أهمية مشروع تقنين الشريعة: وأن إنجاز هذا المشروع ووضعه موضع التطبيق من شأنه أن يوثق علاقة الدولة المصرية بالمجتمع. وفي هذه الحالة يكون المجتمع المصري قد استكمل مسيرته الطويلة التي بدأها قبل أكثر من قرن من أجل استكمال استقلاله الوطني والحضاري.

لسنا بحاجة إلى استدعاء أقوال علماء الأزهر الشريف أنذاك الذين أكدوا فيها على وجوب تقنين الشريعة، وأهمية ذلك بالنسبة لقضية الاستقلال الوطني والحضاري للشعب المصري ولكن قد يكون مفيدا أن نذكر القارئ الكريم ببعض ما قاله عدد من كبار المثقفين العلمانيين في الترحيب بمشروع التقنين والثناء عليه والتأكيد على أهميته من منظور الاستقلال الوطني والحضاري بالمعنى الذي أشرنا إليه.

كتب الدكتور فؤاد زكريا في الأهرام بتاريخ ٢٩ / ٧ / ١٩٨٥ معبرا عن اعترافه بشعبية مطلب التقنين فقال: «إن هناك بالفعل أعدادا غفيرة من الناس تؤمن بصدق هذه الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتطالب بها بحماسة وإخلاص».

وكتب يوسف إدريس في الأهرام أيضا بتاريخ ١٥ / ٨ / ١٩٨٥ فقال: «إن أحدا لا ينادي أبدا بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، إنه يكون مجنونا لو فعل، فالشرائع السماوية، وعلى رأسها الإسلام فوق أنها أمر الله سبحانه لم تأت إلا لتقيم العدل بين البشر». وكتب الأستاذ السيد ياسين أيضا في الأهرام بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٩٨٥ فقال: «نحن في مجال الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية بصدد صيحة تدعو للأصالة الحضارية التي يراد لها أن تعتمد على تراثنا. وهذه الدعوة في حد ذاتها يمكن أن تكون مناسبة لمراجعة عديد من ممارساتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية بشرط أن يتم ذلك من خلال الحوار».

وكتب الأستاذ السيد ياسين مرة أخرى في الأهرام بتاريخ ٩ / ٨ / ١٩٨٥ مؤكدا على وجهة نظره السابقة فقال: «إننا نعتبر الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية دعوة للأصالة الحضارية تحتاج لكي تسير في الطريق الصحيح إلى أن نقوم جميعا مهما كانت توجهاتنا السياسية ببعث الاجتهاد والإبداع الفكري في مجال تراثنا الإسلامي. وإننا نحن جمهرة المثقفين والمفكرين والكتاب والباحثين العلمانيين قد انغمسنا في اقتباس الفكر السياسي والاجتماعي الأوروبي نقلا وترجمة، وإن الأجيال الأولى بالاتجاه الذي عمد إلى التهوين من قيمة التراث الوطني والديني، وإننا نشهد الآن ثورة نقدية عنيفة على هذا الاتجاه الأوروبي المتغالي» (انتهى كلام السيد ياسين).

تلك المواقف التي أوردنا نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر، أكدتها نتائج استطلاع للرأي قام به المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية سنة ١٩٨٥ حول «تطبيق أحكام الشريعة على جرائم الحدود»، حيث كشفت نتائجه آنذاك عن أن نسبة الموافقة على تطبيق أحكام الشريعة على جرائم الحدود بلغت ٩٨٪ بين المسلمين، و٩٣٪ بين المسيحيين وأن ٣١٪ من المسلمين يوافقون على التطبيق الفوري لتلك الحدود بينما بلغت هذه النسبة ٣٢٪ لدى المسيحيين أما نسبة الذين قالوا بالتطبيق المتدرج فبلغت ٦٩٪ عند المسلمين و٦٨٪ عند المسيحيين.

وثمة نتائج أخرى كثيرة كشف عنها ذلك الاستطلاع. ورغم أنها باتت قديمة وتحتاج إلى تحديث في سياق الظروف الراهنة التي يمر بها المجتمع المصري إلا أنها تظل محتفظة بدلالتها الأساسية وهي رغبة الشعب المصري بجميع مكوناته في استكمال مسيرته الطويلة من أجل استرداد سيادته التشريعية والتحرر من التبعية للتشريعات والفلسفات القانونية الأجنبية.

ما أردت قوله هو باختصار أن إسهام الشريعة في تكوين هوية المجتمع المصري كبير جدا، ولا سبيل إلى إنكاره أو طمس معالمه وأن الشريعة من حيث صلتها بهوية المجتمع هي في الوقت نفسه رمز من رموز السيادة الوطنية. وهي أيضا حصن يحتمي به المجتمع من النزعات الاستبدادية في الداخل، وكما يحتمي به من أطماع القوى الأجنبية القادمة من الخارج.

إن مسار استرداد سيادة الشريعة في التاريخ المصري الحديث والمعاصر هو نفس مسار حركة التحرر الوطني واسترداد الحقوق الذاتية من أسر الاستلاب الأجنبي.

وقد ناضل المصريون ـ مسلمون ومسيحيون جنبا إلى جنب ـ عشرات السنين من أجل هذا الاستقلال وحققوا انتصارات كبيرة في الطريق نحو هذا الهدف وقد فتحت ثورة يناير ٢٠١١ أمامهم آفاقا جديدة لمزيد من النضال والكفاح من أجل الوصول إلى أعلى مراحل الحرية والسيادة الوطنية في ظل سيادة الشريعة الإسلامية.

الوضع القانونى بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى «٨»

حول حركة التجديد فى التشريع الإسلامى فى مصر



للمستشار: طارق البشرى

من المعروف، أن السياسة الأوروبية تآزرت على عزل مصر عن الدولة العثمانية، كجزء من سياسة تقطيع أشلاء هذه الدولة، على مدى القرن التاسع عشر. وتحققت واحدة من علامات الطريق فى هذا المجال، بمعاهدة لندن فى عام ١٨٤٠. وتحققت علامة أخرى باحتلال الإنجليز مصر فى عام ١٨٨٢. ومن وقتها، عملت السياسة البريطانية بجهد صبور ودءوب على استكمال الجوانب لانفصال مصر عن دولة الخلافة وإذا كانت «المصرية السياسية» قد انتعشت تكافح الاستعمار البريطانى، فى ثورة عام ١٩١٩، فإن هذه «المصرية السياسية» فى بداية القرن العشرين، كانت تلقى، لا أقول تشجيعاً، ولكن أقول نوعاً من «السماح والإفساح» من السياسة البريطانية من حيث كون هذه المصرية تحتوى عنصر انفصال عن دولة الخلافة وهى سياسة تبعها الإنجليزى من بعد فى السودان فصلا له عن مصر.

وكانت الحركة الوطنية المصرية فى بداية القرن، وحتى الحرب العالمية الأولى، تنزع إلى استبقاء على ما بقى من أواصر مع دولة الخلافة، كما تنزع إلى استبقاء ما بقى من المؤسسات التقليدية الاجتماعية والفكرية، بوصف أن ذلك كله من المثبتات لروح المقاومة وحركة المكافحة للوجود الإنجليزى. ومن هنا قامت الصيغة المحافظة للموقف الفكرى والاجتماعى الذى اصطبغت به الحركة الوطنية فى ذلك الوقت وروح الحذر والتوجس التى قامت لديها، تجاه دعاوى الإصلاح التى أطلقها دعاة العلمنة للعصرية، أو تلك الدعاوى التى ترسمت هياكلها الفكرية والاجتماعية، لا من مقتضيات النهوض بالمجتمع القائم، ولكن تقليدا وتشبها بأساليب التفكير ومعايير الاحتكام والشرعية ونماذج العيش الآتية من الغرب والتمس الإصلاح والمحافظة. ولتمست العزلة والمقاومة ولن التحقيق فى مواقف كل من حزب الأمة والحزب الوطنى، ليشهد بصدق على ذلك.

فى إطار هذا التصور العام، ترد قصة قاضى القضاة. أو قاضى مصر. أو قاضى أفندى سبقت الإشارة إلى أن القاضى كان كل سنة تقريبا يعين من دولة الخلافة. وهو يعين القضاة ثم استخلص محمد سعيد سلطة تعيين القضاة فلما جاء إسماعيل، سعى لأن يستخلص من دولة الخلافة جملة من الامتيازات التى تطلق سلطته فى حكم مصر، على ما هو معروف ومن ذلك، أنه لما انقضت مدة عبدالرحمن نافذ فى قضاء مصر، سعى الخديو لاستبقائه، وتم له ما أراد، وبقى الشيخ عبدالرحمن متوليا قضاء مصر، حتى توفى فى عهد الخديو توفيق فرغب الخديو فى أن تنتقل ولاية القضاء إلى ابن الشيخ المتوفى، عبدالرحمن نافذ. وأرسل كتبه فى ذلك إلى الباب الهمايونى. فبرز أمر السلطان بعدم صلاحية الابن لتولى المنصب. وبولاية الشيخ حسن الدين أفندى قضاء مصر رغم الخديو. وتولى جمال الدين القضاء.

ومن جهة أخرى، فمع ظهور لوائح تنظيم القضاء، كان قاضى مصر مع شيخ الجامع الأزهر وصحبة من العلماء المصريين يؤخذ رأيهم فى سن هذه اللوائح وإصدارها، ويشار إلى ذلك فى ديباجة اللائحة. أو ترد بذيلها توقيعاتهم كما كان «قاضى أفندى» يرأس المحكمة الشرعية الكبرى والهيئات الرئاسية.

وبعد احتلال الإنجليز مصر، عملوا تدريجيا على بسط نفوذهم على سائر وظائف الحكومة ومناصبها. ولكنهم تركوا للخديو ثلاثة مجالات: الأزهر، والأوقاف، والمحاكم الشرعية. فلما تم لهم انبساط سلطانهم على جهات الحكومة المختلفة، شرعوا فى عام ١٨٩٩ يعملون على النفاذ إلى المحاكم الشرعية. وأعد المستشار الإنجليزى لوزارة الحقانية مشروعا لإعادة تنظيم هذه المحاكم، وحصر سلطة قاضى القضاة فى دائرة محدودة. وقدم مشروعه فى ١٨ من إبريل، تضمن تعيين قاضيين من قضاة الاستئناف حضور جلسات المحكمة الشرعية وذكر أحمد شفيق فى مذكراته لسنة ١٨٩٩ عن محمد عبده عن بطرس غالى، أن الإنجليز كانوا يرمون من المشروع إلى إلغاء المحاكم الشرعية.

أثار المشروع القضاة وعلماء الأزهر وقاضى القضاة. وأنكر القاضى «أفندى» جواز إشراف وزارة الحقانية أو مستشارها على أعمال المحاكم الشرعية وشئونها، ووافقه على ذلك شيخ الجامع الأزهر، الشيخ «حسونة النواوى» وأصدر الشيخان فتوى بعثا بها إلى مجلس شورى القوانين، حتى عرض عليه المشروع فى ١٠ من مايو وورد بالفتوى أن للمحكمة الشرعية الكبرى عملين: عمل إفتاء، وعمل قضاء. فهى بمراجعتها الأحكام الصادرة من المحاكم الصغرى، تفتى بصحتها أو عدم صحتها. وهى بإعادة النظر واصدار الحكم فى القضايا غير المقبولة شكلا أو موضوعا. تقضى فى النزاع موضوع

الدعوى. لذلك وجب أن تتوافر الشروط الشرعية للإفتاء والقضاء في نائبه.

وذكرت الفتوى عدم جواز تولية من لم يكن موصوفا بالقدرة على معرفة القول الراجح من المرجوح، والضعيف من الصحيح من مذهب الإمام الأعظم، لأن من يتولى الأحكام الشرعية مأمور بالحكم والفتوى بالقول الصحيح من مذهب أبي حنيفة، ويكون من المارسين للمرافعات والأحكام الشرعية، وأنى للأمرين لأن سماحة قاضي مصر حيث كان معينا من لدى الخلافة. فاشتراك أحد قضاة محكمة الاستئناف معه في الأحكام لا يسوغ شرعا ولا يسعه الإذن له، كما يستفاد ذلك من النصوص».

وإن الأمير لم يخول من الخليفة سلطة القضاء. والقاضي قضاؤه يعتبر سلطة الممنوحة له إنما جاءته من قبل الخليفة وإن شروط تولي القضاء لا تتوفر في قرد [illegible] متخرج من معاهد العلم ممن يختارهم مستشار وزارة الحقانية «وكان إنجليزيا».

ونظرت المسألة أمام مجلس شورى القوانين في ١٠ من مايو ووقف إبراهيم فؤاد باشا ناظر الحقانية، يفند ما جاء بفتوى الشيخين، وكانا حاضرين. فقال: إن اختيار القاضيين المنتدبين من محكمة الاستئناف سيجرى حسب توافر الشروط الشرعية فيهما. ثم عرج إلى بحث كل من سلطة أمير مصر وسلطة الخليفة في هذا الشأن، فقال: إنه في عهد إسماعيل تولى لجنة من علماء مصر اختيار القاضي، وهو الشيخ عبدالرحمن نافذ ثم أطنب في الحديث عما حصلت عليه مصر أيام إسماعيل من امتيازات للسلطان بموجب الفرمانات الشاهانية، ثم صدور لوائح المحاكم الشرعية التي جعلت قاضي القضاة رئيس محكمة تصدر حكمها بالأغلبية، ما يتصور معه صدور حكم على غير رأي قاضي القضاة وكان خطاب الناظر يظهر مدى الجهد العنيف الذي بذلته دوائر الحكومة للدلالة على استقلال مصر في قضائها عن الدولة العلية، ولا وجه للتعصب هنا في مثل هذه الحجج.

ثم تحدث المستشار القضائي بالفرنسية، مؤكدا أقوال الوزير، وأن المشروع لم يتضمن عدوانا على الشريعة الإسلامية. ثم تحدث بطرس غالي باشا ناظر الخارجية، فأكد الأقوال نفسها، ثم أخرج برقية بعث الباب العالي إلى مصر، بشأن تعيين جمال الدين أفندي قاضيا للقضاة، وقرأها بالتركية مع ترجمتها إلى العربية، مستدلا بها على أن تعيين القاضي صار يملكه أمير مصر كان الشيخ جمال الدين -الذي حضر الجلسة- يقاطعه محتجا على سوء تأويل بطرس غالي في الترجمة من اللغة التركية. وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله. إنكم تجردونني حتى من معرفة التركية»، ثم تكلم مصطفى فهمي باشا رئيس النظار. مؤيدا موقف الحكومة.

وبعد ذلك، رد الشيخ النواوي بصفته شيخا للأزهر، ومفتيا للديار المصرية، وعضوا بمجلس الشورى قال: إن المشروع مخالف للشرع، ولا يجوز العمل به.

وقال: إن قضاة الاستئناف يحكمون بالقوانين الوضعية التي تخير الربا ومحظورات أخرى، فلا يسوغ توليهم القضاء الشرعي. فلما عرض ناظر الحقانية بأنه استفتى علماء فأجازوا ذلك، رد الشيخ حسونة قائلا: «أنا الذي عينت مفتيا للديار المصرية، ومرجع الفتوى إلي، وهو حقي. والذي أفتي به لا ينقضه أحد، ويجب العمل به». والشيخان هو والقاضي [illegible] محتجين من الجلسة. فقام الأعضاء يتلطفون في استرضائهما، حتى عادا.

واقترع على مشروع الحقانية بالمجلس، فامتنع العضوان المسيحيان عن إبداء رأيهما أما بقية الأعضاء، فقد قرروا بالإجماع على رفضه، عدا عضوين لم يؤيدا المشروع ولكنهم طلبا وضع مشروع آخر لإصلاح المحاكم.

يحكي ميخائيل شاروبيم في مخطوطة الجزء الخامس من كتابه «الكافي»، «وقد استندنا إليها في بيان هذه الواقعة، وإلى مذكرات أحمد شفيق عن سنة ١٨٩٩»، يحكي أن هذا المشروع، «منذ أن أذيع وعرف به الناس، «كان حديث نهارهم وسهر ليلهم»، وأنه قد انقسم الرأي العام والصحافة إلى قسمين: قسم يصوب رأي الشيخين، ويرى في مشروع الحكومة الحيف والافتيات بما لا ترضاه الشريعة المحمدية، «وفيه مساس بحقوق الخلافة ومأذونية القضاء الشرعي في البلاد»، وقسم يصوب رأي مستشار الإنجليزي والحكومة، لما فيه من تقنين «القوانين العصرية المناسبة لروح العمران».

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وتعدى عنه الخلاف إلى جهة. اشتد ضغط الإنجليز على الوزارة، وكثر تردد كرومر على رئيس الوزراء وعلى الخديو، واجتمع مجلس الوزراء بحضور الخديو بالإسكندرية. ثم عزم المجلس على تنفيذ المشروع، وهدد القاضي بالخلع. وسرت


حسونة النواوي

الشائعات بأن عشاء [illegible] رجعت إلى عن حاكمه الشرعية

وقيل: إن الحكومة تزمع عزل القاضي، وإبعاده عن مصر، وتولية مصري محله، على أن يعين مستشارو الاستئناف في المحكمة الشرعية قبل تنصيب القاضي الجديد ومن جهة أخرى، تمسك جمال الدين أفندي بموقفه، يؤازره شيخ الأزهر مفتي الديار، وأجاب عن التهديد بخلعه بأنه سيترك دار المحكمة، ويعقد مجلس القضاء بداره، وينظر دعاوى الناس بما له من إذن الخليفة أمير المؤمنين، ورجع إلى الحسنى. وبعث إلى الآستانة ولما تأخر تأييد الباب العالي له، تحركت جمعيات من المصريين والعلماء تبرق للباب العالي تستحثه على التدخل. وبعثت منهم جمعيات ترسل للخديو: لا يستجيب للمشروع المخالف للشرع، وأن يصون القضاء الشرعي ونفوسه. وبحفظ [illegible] ثم أرسل الغازي مختار باشا، مندوب الباب العالي بمصر، كتابا إلى الخديو بما جاءه من الآستانة بتثبيت جمال الدين أفندي في منصبه، واجتمع مجلس شورى القوانين على بحث المشروع الذي رفضه. وهنا حسم الخديو الأمر، وجمع مجلس الوزراء، وقرر إبقاء القديم على قدمه، وترك المشروع.

وإن كان المشروع سقط، فقد نجح كرومر في أن يستصدر الأمر بخلع الشيخ حسونة النواوي من منصبه في ٣ من يونية عام ١٨٩٩م، وتعيين الشيخ عبدالرحمن قطب النواوي شيخا للأزهر،

والشيخ محمد عبده مفتيا للديار المصرية. وكان هذا الظرف الذي عين فيه الشيخ محمد عبده من أسباب ما لاقى الشيخ في نفور واستياء، على الرغم من أنه هو الذي أوجد للخديو المخرج. ورسم له أسلوب الاعتذار عما كان كرومر يطلبه من تعيين مصري قاضيا للقضاة، بدلا من جمال الدين أفندي. ونجاحه في دور الوساطة. لإقناع كرومر بالتراجع عن هذه الخطوة. إذ استغلوا الحادثة وإقصاء الشيخ حسونة، في الفصل بين مشيخة الأزهر ومنصب الإفتاء. إذ شيخ الإسلام في الآستانة كان هو المفتي وفي مصر، نجد أن منصب الإفتاء غير في القرن التاسع عشر وقد جمع بينهما الشيخ العباسي المهدي، والشيخ حسونة ثم بعده افترق المنصبان، ولم يلتقيا في شخص واحد بعد ذلك قط وتوفي القاضي جمال الدين في يناير عام ١٩٠١م، وحرصت دولة الخلافة على تعيين خلفه بإرادتها هي، دون اتفاق مع مصر وبقي منصب القاضي حتى سنة ١٩١٤م.

والدلالة التي تهم من هذه الواقعة في الموضوع المعروض، أن دعوة الإصلاح هنا التبست ببسط النفوذ الإنجليزي، وأن حركة مقاومة هذا النفوذ اتصلت بنزعة الحفاظ على المؤسسات التقليدية. وكان غالب الرأي العام المصري -فيما يبدو- مؤيدا هذا الموقف الثاني والدلالة أيضا، أن هذا الموقف «الشرعي» كان يحمل موقفا سياسيا في طياته وإن تقييم المواقف لا يجوز أن يقتصر على القول بأن فكرا جامدا حال دون إصلاح ما إنما كان الأمر مرجعه إلى موقف سياسي ظاهر الدلالة، بين التصور، سواء المشروع الإنجليزي أو المقاومة الوطنية له.

وإن كانت الإشارة سبقت في الحديث عن تقرير الأستاذ الإمام أن أول نقط التجديد في التشريع الإسلامي وأولاها، هي العدول عن الالتزام بالرأي الراجح في مذهب الإمام أبي حنيفة، والخروج إلى سعة اختيار الأحكام من المذاهب المختلفة. فقد سبقت الإشارة أيضا إلى أنه لم يوجد مانع، من شريعة ولا من تعصب مذهبي، يحول دون هذا المرام. إنما كان الأمر يتعلق بالأوضاع التاريخية العامة، التي قام بها توجه الحركة الوطنية المصرية على أساس من تأكيد هويتها السياسية في إطار الجامعة الإسلامية. ورفض للعزلة والوقوع الدائم تحت الهيمنة البريطانية بموجب سلطة الاحتلال البريطاني. كما كان موقفا يتعلق بمقاومة ما أرادته السياسة البريطانية من امتداد نفوذها إلى ما لم يكن امتد إليه بعد من مؤسسات الدولة.

لقد أعد الشيخ محمد عبده تقريره عن إصلاح المحاكم الشرعية. في الشهور التالية مباشرة لواقعة قاضي القضاة تلك وجاءت طريقة الشيخ في تناول مسألة تنويع مصادر الحكم الشرعي. وعدم الانحصار في مذهب واحد. جاءت طريقته بالغة الحنكة والذكاء، وكأنه يقوم بجراحة دقيقة فتكلم عن إمكان تعيين قضاة من غير الحنفية، ليقضوا وفق المذهب الحنفي وحرص على الاستشهاد بمجلة الأحكام العدلية، عندما أراد أن يتوسع في الأدلة الشرعية أو غيرها من الأحكام، حيثما أسعفه هذا الدليل. ثم تكلم عن أنه لا حرج على المسلمين من الاعتبار بالمذاهب الأربعة وهكذا.

خلاصة الأمر، في كلمة، أن أهم ما عاق الخروج عن الانحصار في مذهب وحيد، عند وضع التشريع الإسلامي واختيار أحكامه بما يوافق ظروف الواقع المعيش. هو الحرص على ألا تنفصم الصلة الباقية مع دولة الخلافة، انفصاما يشيد -حسبما قدر أهل هذا الزمان- إلا بالنفوذ البريطاني في مصر، وذلك في الظروف التاريخية السياسية لما قبل الحرب العالمية الأولى، عندما كانت مصر تحت الاحتلال البريطاني، ولكنها تابعة رسميا لدولة الخلافة.

لقد بقيت دعوة التجديد خلال السنوات العشر الأولى من القرن العشرين، محض دعوة، لم تلق نصيبا كبيرا من التطبيق وبقيت تبعية مصر في القضاء الشرعي لدولة الخلافة. حتى سنة ١٩١٤م. وبعد وفاة القاضي جمال الدين في يناير سنة ١٩٠١. رفضت الآستانة محاولات الحكومة المصرية مشاركتها في اختيار القاضي الجديد كما فشلت محاولات كرومر خلال فترة الفراغ شغل المنصب بقاض مصري وعين الباب العالي القاضي الجديد في فبراير سنة ١٩٠١. والذي تظهر في مسلكه تشددا واضحا.

ولقد أثير في سنة ١٩٠٣ موضوع الغيبة المنقطعة. أي حكم غياب الزوج عن زوجته غيابا تنقطع به أخباره، ولا يعرف له مقر، ومذهب أبي حنيفة في هذه الحالة. بقاء علاقة الزوجية. وعدم اعتبار الزوج ميتا، وبقاء زوجته على ذمته حتى يموت أمثال الزوج عمرا. مهما تطاول المدى على ذلك عشرات من السنين ولا يخفى ما في هذا الحكم من حرج شديد على زوجة شابة، ليس لها مصدر للرزق وفي مذهب الإمام مالك فرجة لمثل هذه الحالة؛ إذ يحدد زمن الغيبة المنقطعة بأربع سنوات، يجوز الحكم بعدها بموت الزوج أو الحكم بتطليق الزوجة وقد كثرت الشكاوى وقتها، ونظر الأمر وبحث. وتداولته الأقلام والعلماء. ولكن لم يمكن العدول في ذلك عن مذهب أبي حنيفة. لأن المحاكم الشرعية لا تزال تستمد مأذونيتها في الحكم بموجب تلك الصلة التي تكاد تكون الصلة الرسمية الوحيدة الباقية بين دولة الخلافة في الآستانة وبين «الإيالة المصرية».



محمد عبده

على أنه خلال هذه الفترة. أمكن إدخال بعض التعديلات القليلة على لائحة المحاكم الشرعية، وهي تعديلات لم تمس مبدأ الالتزام بمذهب وحيد. وإنما جرى التوصل إليها من خلال مبدأ آخر. وهو فكرة جواز تخصيص القضاء.. لأن ولي الأمر الذي يمد القاضي بشرعية الولاية، له شرعا أن يخصص ولاية القاضي بالرأي، أي يلزمه باتباع مذهب أو حكم معين، أو أن يخصصه بالقضية، أي يحصر نطاق ولايته في نوع قضايا معينة. معاملات أو قضايا عسكرية مثلا وله أن يخصصه بالمكان، أي يحدد لولاية القاضي نطاقا إقليميا معينا. وله كذلك أن يخصصه بالزمان. أي يلزم القاضي في سماعه للقضايا بشرط زمني معين. وطبقا لهذا المبدأ أمكن إدخال بعض التعديلات في لائحة عام ١٨٩٧، وفي التعديلات التي أدخلت عليها في السنوات من ١٩١١م إلى ١٩١٣م.

وبهذا الأسلوب. وجد عرف من أعراف تجديد التشريع الإسلامي في مصر، يترسم طريقه من إجراء التفرقة بين التحليل

والتحريم، أو موضوع الأحقية وعدم الأحقية.

وبين موضوع شروط سماع الدعوى فى المحاكم فإذا أراد التشريع إجراء تعديل ما، لم يذهب إلى المساس بالحق، أو الحل والتحريم، ولكنه يذهب إلى تنظيم طريقة المطالبة بالحق، بأسلوب يمنع به سماع الدعاوى إذا لم تتوافر الشروط التى يراها وبهذه الطريقة، فإن التشريع يجرد الحق عن وسيلة حمايته بطريق الإجبار، أى يمنع تدخل الدولة عن طريق المحاكم لحمايته، مالم تتوافر الشروط التى يتطلبها وبهذه الطريقة، اشترط الدليل الكتابى فى بعض التصرفات، أو التوثيق الرسمى، وغير ذلك.

والمرحلة الثانية فى هذه الفترة معروفة، فمن بعد عام ١٩١٤م، إذ انفصلت مصر عن دولة الخلافة بالقرار البريطانى الذى وضعها تحت الحماية وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى كانت دولة الخلافة قد هزمت، ثم مالبثت أن جرت مقاديرها السياسية بما نشأت به الدولة التركية، وألغيت الخلافة الإسلامية. وقامت بمصر حركة وطنية مصرية تترسم الاستقلال والنهوض فى الإطار المصرى.

وقد شكلت لجنة برئاسة وزير العدل فى عام ١٩١٥م، لاقتراح وجوه التجديد فى التشريع الإسلامى، ثم بعد الحرب، صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠، الذى أوجد بعض الأحكام الجديدة فى مسائل الأحوال الشخصية ثم شكلت فى عام ١٩٢٦ لجنة لاقتراح مزيد من وجوه الإصلاح. وصدر على أثرها القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م بإدخال تعديلات أخرى فى مسائل الأحوال الشخصية أيضا، مع بقاء الرأى الراجح فى مذهب أبى حنيفة هو المرجع للقاضى فيما لم يرد بشأنه نص تشريعى، وهو ما صرحت به لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التى صدرت فى عام ١٩٣١. ومع بقاء هذا المذهب هو المصدر الأساسى للتشريع، بمراعاة أنه جرى به التطبيق دهرا طويلا، فقد تميز قانونا سنتى ١٩٢٠ و١٩٢٩ بالخروج من حدود الالتزام بهذا المذهب وحده، أخذا لبعض الأحكام من المذاهب الأخرى، مراعاة ما يصلح وما يلائم العصر المعيشى من أحكام تحل مشكلاته.

وأخذت هذه التشريعات من أقوال مرجوحة فى مذهب أبى حنيفة، كما أخذت بأقوال من المذهب المالكى وغيره، ومنها موضوع الغيبة المنقطعة وبعد زمن آخر، بدأت الأحكام تأخذ عن أقوال من غير مذاهب السنة نفسها، من آراء المعتزلة والشيعة وصار هذا هو المنهج الثانى للتجديد فى التشريع الإسلامى، أضيف إلى المنهج الأول الخاص بشروط سماع الدعوى.

تلك هى الملامح العامة لأساليب التطوير فى التشريع الإسلامى، حسبما أفصحت عنه حركة التاريخ، وفى إطار السياق التاريخى ومنها، يبين أن هذا السياق التاريخى السياسى هو ما تحكم فى حركة التجديد ولكن هذا التجديد اقتصر على مسائل الأحوال الشخصية والأوقاف، دون مسائل المعاملات، لأن المعاملات انتقلت من القرن الماضى انتقالا كاملا من إطار التشريع الإسلامى والمحاكم الشرعية، إلى القوانين الوضعية والمحاكم الأهلية.

(يتبع)

دعوة الإسلام إلى تأسيس مدنية عالية فاضلة



للعلامة
محمد فريد وجدى

ان كلمتى مدنية ودين تعتبران فى عرف أهل العصر الحاضر متناقضتين. فان ذكرت الكلمة الأولى أيقظت فى ذهن سامعك الزخارف الفنية. والمبدعات الصناعية. والمتع المادية بما تنطوى عليه من المراقص والمسارح والملاعب. متع مطلقة من القيود إلا ما تحدده العادات. مفتكة من الربط إلا ما توجه الآداب المتفق عليه. والتقاليد المعمول بها. لا الآداب ولا التقاليد التى يقررها العلم. وتحررها الفلسفة. وربما أيقظت فى ذهن سامعك مبدأ الاباحة ايضا. ولكن فى حدود تلك الآداب المتفق عليها.

وإن ذكرت كلمة دين نبهت فى نفس سامعك الزهد عن متع الحياة، والتملص من علائق الدنيا، ومكافحة الميول الطبيعية مكافحة لا هوادة فيها، والنظر إلى الزخارف والمبدعات الكمالية بنظر استخفاف وزراية، وتطهير النفس من كل رغبة مادية، وإنكار حقوق الجسد لمصلحة الروح التى يجب أن تستوعب جميع القوى المعنوية.

هذان الاعتباران المتناقضان قد تغلبا على العقلية الإنسانية فى أكثر الأمم، وبعد العهد عليهما حتى لا يكاد الباحث يعثر على مبدأ نشوئهما. وقد تقررا فى الأذهان إلى حد أن أصبحا فى عداد البداهات العلمية. وجاءت أقوال وأعمال حفظة الأديان مؤيدة لهما بحيث صار من المتعذر إعادة النظر فيهما.

ولكن القرن العشرين قد وضع كل المدركات البشرية فى الميزان. حتى ما كان

يعتبر منها من المقررات العلمية التي لا تقبل الشك، وهل بعد الأصول الميكانيكية والرياضية شيء في الرسوخ والاستقرار؟ فقد جعلها العلم هي أيضاً تحت التمحيص، فلم يبق بعد هذا شيء يتعالى على إعادة النظر فيه.

ونحن نستفيد من هذه النزعة التجديدية فنعالج مسألة المدنية والدين تحت هذا الضوء الساطع، فنقول: هل يمكن أن تتفق المدنية والدين؟ وهل المدنية بطبيعتها تنافي الدين؟

وقبل أن نخوض في هذا البحث ننظر في ماهية المدنية، وماهية الدين حتى يكون حكمنا بإمكان اتفاقهما أو تنافيهما مؤسساً على أصول صحيحة، ومقررات قويمة، فما هي المدنية وما هو الدين؟

إذا اعتبرت كلمة المدنية في أوسع معانيها دلت على مجموعة من الشئون تشمل المبادئ المقررة، والعادات الشائعة بين الأحاد المؤلفين لمجتمع مستقل، وعليه فتوجد مدنيات بقدر ما وجد ويوجد من جماعات. ولكن ليست كل المدنيات تستحق هذا الاسم على إطلاقه. فكل منها يقرب أو يبتعد عن المثل الأعلى للمدنية على نسب مختلفة وهذا المثل الأعلى يتألف من اجتماع أصول بالغة أقصى درجات السمو، مستمدة وجودها من صميم الروح الإنساني في أصفى وأبره ما تكون عليه، ومنطبقة على العلم والفلسفة في أقصى ما تؤدي إليه.

فمن يوم أن وجد الناس على الأرض وألفوا الجماعات وجدت لديهم مدنيات تناسب أحوالهم، ثم أخذت هذه المدنيات ترقى يسيراً يسيراً حتى وصلت إلى ما نحن عليه اليوم، فهل ما نحن عليه هو المثل الأعلى الذي ليس بعده مذهب؟ هل الأصول التي تقوم عليها مدنيتنا بالغة أقصى درجات السمو، ومستمدة وجودها من صميم الروح في أصفى وأبره ما تكون عليه؟ وهل هي منطبقة على العلم والفلسفة في أقصى ما تؤدي إليه؟.

إن أهل هذه المدنية أنفسهم لا يدعون ذلك، ويرجون أن يهذبوا من أحوالهم لتصل إلى المثل الأعلى

بقي الدين، فهل هو شيء غير المثل الأعلى الذي يتخيله الإنسان للمدنية؟

نعم، إن المتمدنين قد ساءت ظنونهم في الأديان، لما رأوه من سيرة زعمائهم في الأمم التي خضعت لزعاماتهم، ولما أدخل عليها من الآراء والتأويلات، حتى يئسوا أن يوجد واحد منها ينطبق عليه مميزات المثل الأعلى للمدنية.

إنهم لا ينكرون أن الأديان تعلم الرحمة والإيثار والبذل. ولكنهم يقولون إنها في مقابل ذلك تبث عقائد تنافي أوليات العقل، وبداهات النظر، وتحرم على ذويها إجالة الفكر فيها، وتعادي العلم وتقف له كل مرصد، علماً منها أنه يبير العقائد وينفر الناس من العقائد التي نصبوا أنفسهم قواماً عليها، وتقييد الحريات

الطبيعية، وتضييق الخناق على المذاهب العلمية والآراء المستقلة. وقد فتك قادتها بألوف مؤلفة من خيرة العلماء وجلة الفلاسفة ممن تجاسروا على بث تعاليمهم في القرون الماضية

وقد تأثروا من هذه المشاهد التاريخية إلى درجة أنهم أصبحوا لا يعتقدون أن ديناً في الأرض يخلو من هذه العقبات الكأداء في سبيل تقدم البشرية، ولذلك فهم يرفضون الأديان جملة وإن كان عامتهم لا تزال تتمسك بخيالات منها لا سلطان لها على أعمالهم اليومية. والسواد الأعظم منهم يعدون أنفسهم منها بالإسم دون الواقع.

فإذا أمكن إقامة الدليل على أن واحداً من الأديان تنطبق أصوله على مميزات المثل الأعلى للمدنية، فلا يوجد ما يمنع من إعلان اتفاق الدين الحق والمدنية

ونحن معشر المسلمين نعلم أن الإسلام ينطبق على المثل الأعلى للمدنية. ويزيد عليه سمواً. فعلينا وحدنا التدليل على ذلك، والقيام بنشره في الآفاق في أسلوب من العلم يرضاه المتمدنون، ويلتئم ومقرراتهم الفلسفية

فالإسلام بمعناه اللغوي والاصطلاحي يدفع الإنسان للتجرد من الأحوال البهيمية، والتخلق بالأخلاق الإلهية، في أسمى ما يتخيله العقل من نزاهة ورفعة روحية. وقد قدرت أصوله ومبادئه على هذا المعنى. ليصل الإنسان بالقيام عليها إلى

تحقيقه في عالم الإنسانية. فليس هو معدو للعقل ولا للعلم، بل هو يعتمد عليهما في التدليل على سموه، وعلى أنه عام وخالد خلود الأصول الأولية، والحقائق العلوية.

وقد أطلق كل المواهب الكريمة للنفس البشرية، بعد أن قرر أن النفس نفحة إلهية، إطلاقاً لا يقف بها عند حد من ترقياتها التكميلية. فلم يضع للخير حداً، ولا للعقل والعلم تخماً، ولم يعين للإحسان دائرة، ولم يحصر العدل والرحمة في قبيل دون قبيل، ولم يجعل للارتقاء الصوري والمعنوي مدى لا يتجاوزه، ولم يعين للفضيلة أحوالاً لا تتعداها وشرطه في كل هذه الإطلاقات أن تكون غايتها الحق والخير، والارتقاء الشخصي والاجتماعي.

وكما فتح الإسلام للنفس باب الارتقاء الروحاني على مصراعيه، ووسع من مداه إلى ما لا يصل إليه خيال التخيل، فتح كذلك لها باب الارتقاء المادي، فلم يحرم عليها علماً نافعاً، ولم يضع للعلوم حدوداً، واستنهض الهمم للشئون الصناعية، والإبداعات الفنية، إلا ما كان منها عادياً على الفضائل النفسية، أو مثيراً للقوى الشهوانية، وعد الارتقاء في هذه المجالات العلمية والعملية فتوحاً إلهية يثاب عليها الموفق لها ثواب العاملين على ترقية الإنسانية.

هنا يسوغ لي، وقد انتهيت إلى هذا الحد، أن لا أكتفي بالقول بأن المدنية والدين يجب أن يتفقا، بل أعلن على رءوس

الأشهاد أن الدين هو ذروة المدنية. وليس معنى هذا أن كل مدنية قائمة بدين. وأن كل دين قائم بمدنية. ولكن معناه أن المدنية التي تستحق هذا الاسم بنزاهة أصولها. وطهارة مبادئها. وحكمة حريتها. وسمو أغراض عواملها... إلخ. هي غرض الدين الحق الخالص من كل شائبة بشرية. المؤدي إلى أرفع الكمالات الصورية والمعنوية

أشعر وأنا أقضي بهذا التقرير أن معترضا يقاطعني قائلا: إن كان ما تقوله يسوغ في عالم الخيال. فلا يسوغ في عالم الحقيقة. وليس له صورة في الواقع. فإن الإنسان في تسياره نحو التكمل وهو على فطرته من تسلط العوامل الشهوانية عليه لا يستطيع أن يعيش على حالة من النزاهة والسمو لا يكون عليها إلا الأفراد المفطورون على الفضائل. فالمدنية لا يمكن أن توجد إلا ملتاثة بالرذائل. بل ولا تزداد ارتقاء وازدهارا إلا بحمو قوى قوية من الشهوات البهيمية. فإذا صح هذا. وهو ما لا سبيل إلى إنكاره. وجب القطع بأن المدنية والدين ضدان لا يتفق معهما

نقول: إن هذا الاعتراض لا يضيرنا في شيء. فإننا أقمنا الدليل على أن المدنية الفاضلة المنزهة عن الرذائل. تتفق والدين الحق. بل هي غايته المرجوة. وهذا القول لا يعني أن المدنيات التي ظهرت في العالم الإنساني لم تك ملتاثة بأقذار الشهوات البهيمية. والانحرافات العقلية. ولا يعني كذلك أن المدنيات المستقبلة تبلغ قمة تمام تصحيحه مبلغ الدين من النزاهة الروحية والطهارة العقلية

ولكن هل يرى المعترض أن ليس للمدنية مثل أعلى تحاول الاقتراب منه على قدر الإمكان؟

إن قال نعم. قلنا: وهذا المثل الأعلى هو الدين الحق كما قررنا. وإن قال لا. قلنا: هذا محال. لأن جميع محاولات البشرية مثلا عليا تحاول القرب منها. والوصول إليها. ولا استحالة عليها الترقي عما هي عليه. بل إن هذه المثل العليا تتألق لهذه المحاولات بعضها باعتبار أنها الغايات النهائية لها. فإن منعت موانع من الوصول إليها بقيت هي ماثلة نصب أعين العاملين. تحفزهم لتحسين وسائلهم لبلوغها.

والمدنية لا تشذ في هذا عن سائر المحاولات البشرية. بل هي أدعاها للمثل العليا في كل عنصر من عناصرها العلمية والعملية. لذلك نجد جماهير من أعاظم علمائها انقطعوا لدراسات مختلفة تتعلق بها. منها ما يتصل بأخلاق الأفراد وآدابهم. ومنها ما يختص بأصنافهم وطبقاتهم. ومنها ما يبحث في مقومات الاجتماع وما يتناوبها من عوامل مضعفة وعوامل مقوية. ومنها ما ينظر في البيئة وفواعلها. وما يجب إصلاحه منها... إلخ. وكل هذا يشعر بأن المدنية في حاجة ماسة إلى التقويم والتعديل في كل شيء من أشيائها وكل هؤلاء العلماء لا يفترضون في أعمالهم أن المدنية لا تقوم إلا ملتاثة بالشهوات والموبقات. كما لا يفترض علماء الصحة أن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا إلا مرضى على نسب مختلفة. ولكنهم يبحثون في موضوعاتهم على كمال ما تكون الصحة عليه. فالذين يبحثون في الأخلاق والآداب يأتون بمثل عليا لها غير مبالين بإقبال الناس عليها أو إدبارهم عنها. مسيئين الظن بحظ الاستمساك عليها. ويجري مجراهم سواهم ممن ينظرون في شئون أخرى

كذلك لا نستطيع. ونحن نبحث في هل يمكن تعانق الدين والمدنية؟ أن نفترض حالات مرضية للمجتمعات تنسى على نمط رأيا علميا لا يلبث أن يظهر فساده بتصور جديد للجماعات أو انقلاب فكري لا يحول في حسبان أحد. والمفاجآت في العالم الإنساني لا تقف عند حد

ظهر لك مما مر كله أن المدنية الفاضلة لا تنافي الدين. بل الدين هو المثل الأعلى لأرقى مدنية. ونعني بالدين. الدين الإلهي الخالص من كل شائبة بشرية. لا الدين الذي تداولته جماعات بالتحريف والتصحيف. والشرح والتأويل. حتى خرج عن حقيقته وأصبح هيكلا حجريا غير قابل للمماشاة للتطورات التي تدخل فيها الإنسانية في كل مرحلة من مراحل حياتها العقلية والمادية.

وليس بين أيدي البشر من الأديان ما حفظه الله على نقائه الأول غير الدين الإسلامي. وقد رأيت مما ذكرناه عنه إجمالا في هذه المقالة. وما فصلنا فيه تفصيلا من قبل. ما يكفي لإثبات أنه المثل الأعلى لمدنية فاضلة إن لم تصل إليها الإنسانية إلى اليوم فستصل إليها لا محالة تحت تأثير التطورات الأدبية التي لا تفتأ تطرأ عليها

ولا يقولن قائل: أنى هذا. والعالم يزداد كل يوم بعدا في حمأة المقاذر. وإسعافا إلى حضيض الشاكر؟

لأنا نقول: هذا صحيح. ولكن تدهوره هذا يصحبه شعور قوي بالتقزز مما هو فيه. يدل عليه القلق الذي يساوره في كل حركة من حركاته. وروح السخط المستولي عليه حتى وهو في مجمعان لذاته. وهذا أمر طبيعي من كائن كل ما فيه يدعوه للتكمل. ويبينه خلافة الله في أرضه

فكل ما يمكنا أن نقوله في أمر هذا التدهور أنه دور من أدوار الحياة ينتهي أمده. ثم يحل محله دور جديد فيلبث حتى ينقضي عهده. ثم يخلفه غيره. وهلم جرا حتى تطهر الفطرة البشرية من أقذائها. وإذ ذاك تسير إلى الكمال قدما لا يلويها عنه شيء حتى تصل إليه.

وفي أثناء هذه الانقلابات لا يفتأ الإسلام مثلا أعلى للمدنية تقترب الإنسانية منه يسيرا يسيرا حتى تبلغه. وإذ ذاك تشعر النفوس سعادتها الحقة. فتعيش في أمان وسلام. فإذا انقضت آجالها تابعت ترقياتها في عالم الروح المحض. حيث تجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

(يتبع)

الفتح الإسلامي لمصر (٨):

وأسلم أهلها!!



للأستاذ الدكتور محمد سليم العوا

ذكرنا آنفاً أن سكان مصر عشية الفتح الإسلامي قد كانوا خليطاً من القبط والرومان واليونان واليهود. وعلى الرغم من مسيحية الرومان واليونان وأعداد كبيرة من القبط، فإن الصراع المذهبي بين هؤلاء المسيحيين حال بينهم وبين أن يعتبروا -تاريخياً أو واقعياً- أمة واحدة. ولم يكن الصراع المذهبي وقفاً على مسألة طبيعة المسيح، التي فرقت بين الرومان المحتلين وأتباعهم من القبط من ناحية، وبين سائر القبط المسيحيين من ناحية أخرى، بل إنه كان أوسع من ذلك إذ شمل الصراع بين المسيحيين المثلثين كلهم في ناحية، والمسيحيين الموحدين (= الأريوسيين) في ناحية أخرى. وكان القبط -سكان مصر- الذين لم يعتنقوا المسيحية، قد استمروا على وثنيتهم الأولى على النحو الثابت من كتاب يوحنا النقيوسي (١). وهي حقيقة لم يشر إليها أحد من المؤرخين كما أشار هو.

ولم يكن القبط المسيحيون على رأي واحد في مسيحيتهم، فكان منهم من يتبع مذهب الطبيعتين، وهو مذهب الدولة البيزنطية (الرومانية الشرقية) آنئذ. ويسمى هؤلاء بالملكانيين نسبة إلى الملك الذي هو إمبراطور بيزنطة. وكان منهم من يتبع مذهب الطبيعة الواحدة (٢). ويسمى هؤلاء باليعاقبة، أو الأرثوذكس. وكان من المسيحيين المصريين فريق ثالث يتبعون مذهباً مسيحياً توحيدياً ويسمون الأريوسيين (أتباع أريوس)، فلم تكن في مصر، عشية الفتح العربي، دولة قبطية قائمة، وإنما كانت الدولة هي الدولة الرومانية (الشرقية) المحتلة لمصر، وكانت تلك الدولة في حرب والشعب المصري في عدة حروب. فلم يكن هناك ما يسمى الحضارة القبطية، أو الدولة القبطية، بل كانت الدولة رومانية والحضارة رومانية (٣). فلا يجوز أن يصدق أحد دعوى إنكار حضارة القبط ومحو تاريخهم التي نسبها المتعصبون إلى الإسلام ودولته، فهذا كله باطل لا صحة له.

كان أريوس قساً مسيحياً مصرياً، ولد في ليبيا، وعاش في الإسكندرية، وأصبح فيها كاهناً مسئولاً عن كنيسة في بولكلي الحي الذي فيه المقر الصيفي للحكومة منذ عهد الملكية حتى الآن، وكانت عقيدة الأريوسيين تذهب إلى أن المسيح -عليه، وعلى نبينا، الصلاة والسلام- ليس إلهاً، ولا هو ابن إله، لكنه مخلوق من عدم، كما خلق الله العالم من عدم وكان شعار أريوس هو «المتبع المسيح كما علمنا»، واستند في قوله إن المسيح مخلوق، وإنه ليس إلهاً، إلى نصوص في الأناجيل لا يصح تفسيرها إلا بكون المسيح مخلوقاً لله، وليس هو الله نفسه (٤).

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن المسيحيين الأريوسيين كانوا أكثر عدداً من المسيحيين الأرثوذكس، وهو الاسم الذي كان يطلق على جميع المسيحيين المثلثين قبل الانقسام الكبير بين جماعتي الكاثوليك والأرثوذكس بعد الاختلاف حول طبيعة المسيح في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م.

وقد أدينت الأريوسية باعتبارها بدعة وهرطقة، في مجمع نيقية، سنة ٣٢٥م ومع ذلك فإن المذهب ظل موجوداً في مصر حتى الفتح الإسلامي سنة ٦٤١م (٥) وبدأ اضطهاد الأريوسيين في مصر منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، واستمر إلى وقت الفتح الإسلامي لمصر، وصاحب الاضطهاد، الذي مارسه المسيحيون بفرقتيهم -الرومان والقبط-، نوع من الاحتقار الذي يبدو جلياً في تعبيرات يوحنا النقيوسي عنهم، كما ذكرهم في تاريخه، وهو لم يذكرهم إلا قارناً إياهم بالوثنيين وأعداء المسيح (٦).

ولم يكن الأريوسيون موجودين في مصر وحدها، بل كانوا في أماكن شتى من الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) (٧). ولذلك جاء في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل إمبراطور الروم:

«من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم (٨)، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين.

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾

(آل عمران: ٦٤)»

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible]

(٨) [illegible]

ولم يأت في كتابه ﷺ إلى المقوقس أن عليه إثم الأريسيين ـ على الرغم من أن صاحب دعوتهم الأول قس مصرى ـ وإنما قال له: «... فعليك إثم القبط» لأن المقوقس، وهو عامل هرقل على مصر، كان يضطهد القبط أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة كما يضطهد القبط الأريسيين، فجمع النبي بينهما بلفظ «القبط»[9]، ويؤكد العلامة أبو الحسن الندوى أن المقصود بالأريسيين في رسالته ﷺ إلى هرقل هم أتباع أريوس المصرى[10].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى، في شرح كتاب النبي ﷺ إلى هرقل: «وقد ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعاني أن في رهط هرقل جماعة تعرف بالأريوسية توحد الله وتعترف بعبودية المسيح له - عز وجل - ولا تقول شيئا مما يقول النصارى في ربوبيته.. - وإذا كان ذلك كذلك.. - جاز أن تكون هذه هي الفرقة التي ذكرها رسول الله ﷺ»[11] وروى الإمام النووى مثل هذا القول في معنى الأريسيين[12] هؤلاء الأريسيون، الذين كانوا عددا غير قليل من المصريين، والقبط أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، وبقايا الوثنيين الذين أشار إليهم يوحنا النقيوسى في مواضع من كتابه، تلقوا كلهم رسالة الإسلام عندما وصلت طلائع جيش الفتح الإسلامي إلى مصر، وليس من سبيل سوى التخمين للوصول إلى أعداد قريبة من الصحة ـ أما الصحة المطلقة فلا سبيل إليها ـ لمكونات المصريين والمقيمين في مصر من ذوى المذاهب المختلفة؛ لذلك نكتفي بذكر وجود هذه المذاهب دون أن نغامر بإتباع صنيع بعض الذين زعموا معرفة أعداد هذا بالصحيحة أو التقريبية، فتلك كلها ظنون لا حقيقة لها.

ويتحدث يوحنا النقيوسى عن مسيحيين مصريين كثيرين دخلوا في الإسلام «والآن أي (وقت أن كان يكتب) كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة، أنكروا العقيدة الأرثوذكسية، والمعمودية الحية، وصاروا في عقيدة الإسلام أعداء الرب. وقبلوا تعاليم الركس للحيوان الذى هو (ويذكر اسم نبينا ﷺ) وأخطأوا مع هؤلاء الوثنيين وأخذوا في أيديهم السلاح وحاربوا المسيحيين وكان أحدهم واسمه يوحنا الخلقيدوني من دير سيناء، اعتنق عقيدة الإسلام وترك زيه الكنسي، واتخذ له سيفا، وطارد المسيحيين المؤمنين بسيدنا يسوع المسيح»[13]، ويشير

---

(9) راجع نص كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس في فصل «رسائل وشارات» من هذا الكتاب وراجع: فاضل سليمان، السابق، ص١٠٩ وما يليها

(10) [illegible]

(11) أبو جعفر الطحاوى: مشكل الآثار، ج٣ ط حيدر آباد الدكن، ١٣٣٣هـ، ص٣٩٩، وهو في طبعة شعيب الأرنؤوط الثانية، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٦، ج٥ ص٣٣٢

(12) [illegible]

(13) يوحنا النقيوسى، ط عمر صابر عبدالجليل ص٢٢٢، وط القمص بيشوى، ص٢٣٤ وهذا النص ونظائره في كتابه يؤيد صحة تقويم أحمد عادل كمال الذى أشرنا إليه من قبل الكتاب وصاحبه

في موضع من كتابه إلى أن المسلمين صحبوا المصريين الذين تركوا المسيحية واعتنقوا ديانة هؤلاء البهائم (أى المسلمين) ويذكر عند فتح حصن بابليون كيف اضطهد الأريسيون الأرثوذكس الذين في حصن وقطعوا أيديهم (وقد تكون الإشارة إلى صنيع الروم لا الأريسيين بالقبط)

وهذه النصوص القاطعة المصرحة باعتناق بعض القبط، أو مجموعات منهم، الإسلام في الشهور الأولى بعد دخول المسلمين إلى مصر يجب أن تفهم في ظل الاضطهاد الروماني لأهل مصر الذين لم يقبلوا عقيدة الرومان في طبيعة المسيح، والاضطهاد الروماني المصرى لذوى العقيدة المسيحية التوحيدية (الأريسيين). وفي ظل وجود قطاع من أهل مصر كان لم يزل على وثنيته الأولى وهؤلاء جميعا استقبلوا الإسلام بلا ضغائن تحول بينهم وبينه، إذ كان المسلمون يحاربون البيزنطيين لا المصريين، وكان المصريون يشعرون أن انتصار المسلمين هو غضب الله على الرومان، الله الذى «كان يخذل جيوش الروم أمام المسلمين لأجل أمانتهم (= عقيدتهم) الفاسدة»[14]

فلم يكن أمرا غريبا أن يرحب المصريون بالمسلمين ويعتبروهم ـ في الجملة ـ منقذين لهم من حكم البيزنطيين الجائر[15] ولم يجد المصريون في العرب أعداء لدينهم، ولا لمذهبهم فيه كما كان البيزنطيون فلم يقابلوهم بما يقابل به العدو من دفع ومحاربة ـ وكان فقهاء المسلمين يفتون ببناء الكنائس، وإصلاح ما تهدم منها، وجعلوا أساس فتواهم أن ذلك من «جملة عمارة البلاد»[16] وظل الأقباط بعد الفتح الإسلامي ـ وإلى اليوم ـ يحتفلون بأعيادهم الدينية التي عد منها المقريزى ستة عشر عيدا[17]. والأعياد الدينية من أهم مظاهر التدين، ليس ثم دين بلا أعياد وترك المسلمين للأقباط يحتفلون بأعيادهم تطبيق صحيح للقاعدة الإسلامية «الآمرة بترك أهل الكتاب وما يدينون به».

وقد أبدى المسلمون من حسن التعامل مع أهل مصر ما لا بد أنه كان ذا أثر في تقبل

---

(14) يوحنا النقيوسى، ط القمص بيشوى، ص٢٠٩، ط عمر صابر عبدالجليل ص١٩٢، حيث يترجم العبارة إلى «عقيدة هذا الفارس بدلا من اليهود»

(15) المصدر السابق، ط عمر صابر عبدالجليل ص٢٠٤، ط القمص بيشوى، ص٢١٤ والحق أن الكلام من الضمنى عمن الحق به [illegible]

(16) ساويرس بن المقفع: السابق، ج١ ص٣٦

(17) سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في فجر الإسلام، مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩، ص١٨١

(18) [illegible]

(19) المقريزى: الخطط، السابق، ج١ ص٢٦١ ـ ٢٧٩، ويذكر أن المقوقس كان يباع بكثرة ويعمر في عيد الميلاد، وعلق محققه (أيمن فؤاد سيد) ولا معرفة متى تحول إلى علة رمضانية وراجع ص٢٧٦ وهذا التداخل للعادات والتقاليد بين المسلمين والمسيحيين في مجموعه [illegible]

دعاة الفتنة والمتاجرون بالعصبية الدينية

هؤلاء للإسلام دخولا فيه أو تعايشا معه.

فمنذ أول شهور الفتح قاتل أهل بعض القرى المصرية مع الرومان ضد المسلمين، وأعقب الهزيمة التي حاقت بالرومان أن أخذ جيش المسلمين من المصريين أسرى، أرسلهم عمرو بن العاص إلى المدينة المنورة، إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي ردهم إلى قراهم في مصر، وكتب إلى عمرو بن العاص يأمره بتخلية سبيل من في يده من الأسرى وإعادتهم إلى قراهم[20]. وقد تكرر ذلك في الحرب مع منويل الخصي سنة ٢٥هـ وكان الخليفة الذي أعاد الأسرى هذه المرة عثمان بن عفان - رضي الله عنه[21].

وكان الفتح الإسلامي سببا لاستعادة اللغة القبطية (لغة الطقوس الكنسية)[22] وأسماء المدن والقرى القبطية مكانها الأصلي في مصر بعد أن كانت تحولت إلى اللغة اليونانية[23]. حتى لقد كتب أحد الأساقفة النسطوريين بعد الفتح بنحو خمسة عشر عاما: «إن العرب الذين وهبهم الله السيادة في أيامنا... لا يحاربون الدين المسيحي، بل يحافظون على ديننا ويحترمون الأساقفة والقديسين ويقدمون هدايا لكنائسنا وأديرتنا[24]، وأبقى المسلمون على تقليد سابق على الفتح هو عدم فرض ضرائب على الأديرة والرهبان. وبذلك وجدت منذ الفتح الإسلامي، طبقة متميزة من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية المفروضة على سائر الناس[25].

وقد كانت هذه كلها عوامل تقرب بين أهل مصر وبين الإسلام، ومع ذلك فإن الإسلام لم يبدأ في الانتشار بشكل واسع في مصر إلا بعد القرن الأول الهجري[26]، وقد تطلب التحول الديني من المسيحية، واليهودية، والوثنية إلى الإسلام نحو قرنين أو ثلاثة قرون[27].

ولم تبلغ نسبة المسلمين في مصر نحو ٨٠٪ من السكان إلا في القرن التاسع

(٢٠) ابن عبدالحكم، السابق، ص١٠٢، والمقريزي، السابق، ص ٤٥٠ - ٤٥١ والسيوطي، حسن المحاضرة، السابق، ج١ ص١١١

(٢١) ألفريد بتلر، السابق، ص٤٢٦

(٢٢) محمد بهجت قبيسي، أحمد كمال باشا، السابق، ص ١٠ و١٢

(٢٣) سيدة إسماعيل الكاشف، السابق، ص١٩٠ - ١٩١، وقاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧، ص٣٧ وقارن صنيع المحتل الروماني لمصر بصنيع المحتل الصهيوني في فلسطين في شأن تغيير الأسماء من عربية إلى عبرية!) وكما زال الاستعمار الروماني عن الشرق كله سيزول الاستعمار الصهيوني عن فلسطين إن شاء الله

(٢٤) سيدة إسماعيل الكاشف، السابق ص١٩٧ - ١٩٨، وهي تنقل عن مصدر فرنسي

(٢٥) المصدر نفسه ص٢٢٢

(٢٦) قاسم عبده قاسم، السابق، ص٦٦ وحامد سليمان، من القبطية إلى الإسلام، قصة فتح مصر، الكتب العربي، المعارف، القاهرة ١٩٨٨، ص٧٢ وما بعدها

(٢٧) جمال حمدان، شخصية مصر، الطبعة الموجزة، دار الهلال، مايو ١٩٩٣، ص٣٨

الميلادي أي في القرن الثالث بعد الفتح الإسلامي[28].

وقد كان شأن المسيحية في مصر، عند الفتح الإسلامي، من الضعف بسبب التناحر المذهبي العقدي، إلى الحد الذي دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن المسيحية لم تتغلغل في أعماق النفس المصرية، وأنها لم تغير شيئا من روح الحس المصري، ولم تصل بالتأثير في الحياة الخاصة للأفراد ولم تتحول الأرواح تحولا صادقا إلى المسيحية، ودفع المؤرخين إلى إعلان أن «الشيء الذي لم يكن له أثر في مصر عندما دخلها العرب هو العقيدة والروح الدينية، ذلك لأن نصرانية الأقباط اقتصرت على منازعات عقدية مع البيزنطيين»[29] بل إن جمال حمدان، وهو من هو، يقول: «لم تنتشر المسيحية في أوجها إلا نصف انتشار على الأكثر»[30]. فالدولة كانت رومانية لا قبطية، والقبط كانوا مذاهب ثلاثة لا مذهبا واحدا. وعندما نرى ذلك كله ندرك أي نوع من الإسلام البطيء المتعقل كان الدين الذي دخل فيه المصريون من القبط بأنواع مذاهبهم، وممن لم يكونوا يدينون بالمسيحية من أهل البلاد، على ما تذكر كتب التاريخ القبطي نفسها.

إن بعض الباحثين الأقباط المعاصرين يقدر أن بين سكان مصر المسلمين ٨٨٪ من أسر قبطية اعتنقت الإسلام[31] ويرى أبو سيف يوسف أن الثابت تاريخيا أن كثيرين من قبط مصر قد دخلوا في الإسلام طوعا عن اقتناع، وثمة قطاع من القبط تحول إلى الإسلام بدافع الرغبة في تحقيق المساواة بينهم وبين المسلمين الفاتحين من الناحيتين السياسية والاجتماعية، وأن فريقا من القبط دخلوا الإسلام بسبب المظالم المالية التي طبقت على المصريين (المقصود هنا الخراج والجزية)[32].

أما الأستاذ ماسينيون (المستشرق الفرنسي)، فإنه يضع في كتابه «حوليات الإسلام» نسبا للمصريين تثبت أن غالبية المسلمين هم من المصريين الذين دخلوا الإسلام، فعنده أن المصريين المعاصرين ينقسمون كما يلي:

٦٪ من القبائل العربية الخالصة.

٤٪ من البربر.

٢٪ من الخاميين.

٨٨٪ مصريين أسلموا.

(٢٨) محمد عمارة، [illegible] السابق، ص٦٩ وهو بحث في [illegible] ويوسف كرباج، مسيحيون ويهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي، دار سينا، القاهرة ١٩٩٤

(٢٩) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، السابق، ص١٥٤

(٣٠) جمال حمدان، شخصية مصر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٤، ج١ ص٤٠٩

(٣١) أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، ط مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص١٢

(٣٢) أبو سيف يوسف، المصدر، ص[illegible] [illegible]

[illegible] الاضطهاد الروماني لعدة قرون دون أن تغير إيمانها

٢٪ مصريين لم يسلموا[٣٣].

وقد رد أخونا العلامة الدكتور محمد عمارة في كتابه: (الفتنة الطائفية) على الدعوات الطائفية المتعصرية، التي تصدر بين حين وآخر، عن رجال كنسيين وعن أقباط من خارج سلك الكهنوت[٣٤] وكان رده ذا شعبتين:

أولاهما: نقل تلك الدعوات أو أهمها، على لسان أصحابها من البابا شنودة فمن دونه.

وثانيتهما: نقل الردود على تلك الدعوات من ألسنة الأقطاب المسيحيين الكنسيين وغير الكنسيين.

ففي الفريق الأول نقرأ كلامًا للبابا شنودة والقمص سرجيوس، ودكتور سليم نجيب، والأنبا جريجوريس، وكمال فريد إسحاق، ورمسي عبدالملك، والأنبا مرقس، والأنبا توماس، ومشروع جماعة الأمة القبطية ١٩٥٢، وإعلان المشروع السياسي للكنيسة سنة ١٩٧٧، وإقامة بعض أقباط المهجر حكومة منفى في لندن، لم تدنها الكنيسة، في الثمانينيات من القرن العشرين... إلخ ما ذكره[٣٥]، وفي الفريق الثاني نقرأ كلام مكرم عبيد، والأنبا موسى والأب يوحنا قلته، وعالي شكري، وأنور عبدالملك، ورؤوف نظمي (الشهير بمحجوب عمر)، وعادل عزيز، ومنى المكين[٣٦] والحاصل أن المسيحيين المصريين أسلموا:

● لأن الموحدين منهم وجدوا في الإسلام المسيحية التي بشر بها المسيح و[illegible][٣٧]

● ولأن كثيرين من أهل الرأي والحصافة قد كرهوا المسيحية لما كان فيها من عصيان لصاحبها، إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء في الله، ونسيت ذلك في ثوراتها وحروبها التي كانت تنشب بين شيعها وأحزابها، ومنذ بدا ذلك لهؤلاء العقلاء جاءوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه، واستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته[٣٨]

(٣٣) نقلا عن دكتور حسن محمود أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م، ص ٨١. ويلاحظ أن الحكومة المصرية توقفت منذ عدد من العقود عن نشر نسبة السكان [illegible] الذي يجري كل عشر سنوات [illegible] يجب أن يتدارك لأن نشر الأعداد الرسمية لكل دين يقطع كثيرا من طرق الفتن التي تعاني منها البلاد بين فينة وأخرى.

(٣٤) جاءت هذه الدعوات في التاريخ المعاصر على لسان القمص سرجيوس سنة ١٩٤٧ عندما كتب [illegible] الإسلام في الحجاز فقط وليس البلاد التي يعيش فيها المسلمون. مجلة المنارة ١/١٢/١٩٤٧ والنقل عن محمد عمارة الفتنة الطائفية، مكتبة الشروق الدولية القاهرة ٢٠٠٩م، ص١٧.

(٣٥) المصدر السابق، ص١٧ ـ ٤٩.

(٣٦) المصدر السابق، ص٥١ ـ [illegible].

(٣٧) محمد عمارة، السابق، ص٦٦، نقلا عن بتلر فتح العرب لمصر.

(٣٨) المرجع نفسه، السابق، ص٢٨٥.

● ولأن الاضطهاد الروماني للمسيحية المصرية كان قد بلغ مداه حتى نال من المقومات الثقافية والحضارية للمصريين إلى الحد الذي جعل مصر، الوطن والدولة والسيادة واللغة والدين والحضارة ـ بتعبير محمد عمارة. عندما ظهر الإسلام (سنة ٦١٠م) ـ فرعًا حضاريًا، فقد فهر فيها الرومان أغلب سمات الأغناء وقسماته التي ميزت المصريين عبر تاريخهم العريق فكان هذا الفراغ الحضاري هو العامل الأول والسر الأعظم وراء انخراط مصر في الدولة الإسلامية، ثم في الدين الإسلامي واللغة العربية، والحضارة الإسلامية، على نحو من العمق والشمول نادر الحدوث في غيرها من الأقطار التي فتحها الإسلام... وبذلك استعادت مصر الإسلامية عافيتها الحضارية عندما دخلت في الإسلام[٣٩].

● ولأن تصرف المسلمين الفاتحين كان تصرفا كريما يطمئن الناس إليهم ويحببهم في دينهم الذين يحملهم على هذه التصرفات ومن أكثر ما يبين ذلك أن جماعة من قبط الوجه البحري جاءوا إلى عمرو بن العاص ـ بعد قيادته الجيش الإسلامي ضد منويل الخصي ومن معه ـ وأخبروه بما فعله الروم في قراهم من نهب وسلب، وقالوا له «كان لنا أن تقاتل عنا لأنا في ذمتك وقد أصابنا من وراء ذلك ما أصابنا». يقول بتلر «كانوا على حق في شكواهم لكن قلما تجد من الفاتحين من يعبأ بمثل تلك الشكوى، لكن عمرا ندم، وقال لهم «يا ليتني كنت لقيت الروم حين خرجوا من الإسكندرية»، وأمر بتعويض القبط عما فقدوه من أموالهم. ولم يكن ذلك ـ في تعبير بتلر ـ إلا دالا على «ما كان عليه عمرو من حسن الرأي في الحكم، وما كان متصفا به من نبيل الشيم»[٤٠].

● ولأنه لم تظهر في المدة التي أعقبت فتح مصر سياسات عامة من قبل الحاكمين المسلمين، أو إجراءات خاصة، يمكن أن تفسر على أنها موجهة إلى إجبار القبط على ترك عقيدتهم[٤١].

● ولأن بعض المسيحيين كان يرغب في تحقيق المساواة السياسية والاجتماعية مع المسلمين الفاتحين[٤٢].

● ولأن المصريين لم يشعروا بغربة عن العرب الذين كان الإسلام دينهم «لا لسبب سوى أن العنصر العربي من أصل قاعدي واحد مشترك مع العنصر المصري، فكلاهما أقارب جنسيا منذ ما قبل الإسلام، بل وما قبل التاريخ..»[٤٣].

● ولأن معظم المال الذي يجبى من مصر كان ينفق في مصالحها وعمارة بلدانها

(٣٩) محمد عمارة، عندما دخلت مصر في دين الله، السابق، ص١٦ و١٧.

(٤٠) [illegible]

(٤١) [illegible]

(٤٢) لو سيف يوسف، الموضع نفسه.

(٤٣) جمال حمدان، شخصية مصر، الطبعة الموجزة، السابق، ص٣٨، والطبعة الموسعة ج٢، دار الهلال ص٣٩٩.

ومرافقها[٤٤]. حتى إن بتلر يقول ـ بعد ذكر سيرة عمرو بن العاص فى حكم مصر ـ إن القبط كانوا أجدر الناس أن يأسفوا مر الأسف عندما عزل عنهم عمرو بن العاص[٤٥].

● ولأن الإسلام يجعل لمن يدخل فيه مثل ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ويساويهم فى شرف الفاتحين ومكانتهم ويجعلهم إخوانهم فى كل شىء، ويسهم لهم فى الفىء، ولا يفرض عليهم الجزاء[٤٦].

وعلى ذلك كله، وفى ضوئه، نستطيع أن نفهم، ونصدق، عبارة الأستاذ توماس أرنولد «لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية، حاضرة مصر يومئذ، لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»[٤٧] وفى ضوء ذلك كله، كذلك، نستطيع أن نفهم محاولة الأخ العلامة الدكتور محمد عمارة للتوفيق بين الرأيين المتعلقين بفتح مصر: أفتحت عنوة أم فتحت صلحا؟ فهو يقول إن مصر الدولة (الحكومة) الرومانية فتحت عنوة. أما مصر الشعب (القبط) فقد فتحت صلحا، لأن أهل مصر دخلوا فى الإسلام طواعية واختيارا، والرومان هزموا عسكريا وفروا من مصر فرارا أمام الجيش الإسلامى[٤٨] ومهما يكن من أمر محاولة التوفيق هذه، فإن من الضرورى أن نتذكر أن المسلمين الفاتحين تجاهلوا ـ فى مصر ـ الفرق بين البلاد المفتوحة عنوة والبلاد المفتوحة صلحا، وعاملوا أهل مصر دائما كما لو كانت مفتوحة صلحا.

ومن الضرورى أن نتذكر ـ كذلك ـ أنه لم تسجل حالة واحدة لانتقال مسلم من الذين جاءوا مع جيش الفتح من الإسلام إلى المسيحية، على الرغم من الأمن الذى تمتع به رجال الدين المسيحى ومن فتح كنائسهم وإعادتهم إليها بأوامر مباشرة من عمرو بن العاص.

وعلى ذلك كله، وفى ضوئه، نستطيع أن نعلم، بل أن نوقن، أن مقولة «المسلمون ضيوف على الأقباط» أو مقولة «العرب ضيوف على المصريين» كلتاهما مقولة فاسدة فى ضوء حقائق التاريخ التى يتبتها المؤرخون المصريون وغير المصريين، المسلمون وغير المسلمين. هذا لمن أراد الإنصاف فأحبه، وأراد العلم فطلبه. أما سواهم من أهل الهوى والعصبية الطائفية وصناع الفتنة فسيعلمون أى منقلب ينقلبون.

«يتبع»

(٤٤) سيديو، خلاصة تاريخ العرب القاهرة ١٣٠٩هـ، ص٨١

(٤٥) ألفريد بتلر، السابق، ص٤١٠

(٤٦) ألفريد بتلر، ص٢٤٣

(٤٧) الدعوة إلى الإسلام [illegible] ص١٢٣ [illegible] نقلا عن محمد عمارة [illegible] ص١٠

(٤٨) محمد عمارة، عندما دخلت مصر فى دين الله، السابق، ص٤٩

الفكر المقاصدى وتفعيله فى الواقع الثورى المعاصر

للأستاذ الدكتور وصفى عاشور أبو زيد

دخلت المنطقة العربية ـ بل العالم كله ـ فى واقع جديد، ومرحلة جديدة، تنتقل فيها من حكم الفرد إلى حكم الأمة، ومن الاستبداد إلى الحرية، ومن الدكتاتورية إلى التعددية، ومن تحكم فريق من البشر وصعبة فى واقع الأمة إلى تحكيم شريعة من يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير. إذ أشرق عليها ربيع الثورات بجراحات المجاهدين الأحرار ودماء الشهداء الأطهار التى لا تنبت الأرض بدونها إلا الخور والضعف والتقهقر والتخلف.

ولقد كان الداعى إلى قيام هذه الثورات هو استرداد كرامة الحياة والأحياء، ورفض ما يحدث ضد البشر فى هذه الأوطان من امتهان وظلم وفساد ونهب للأموال الخاصة والعامة، والتعدى على الآخرين بغير حق، بما يمثل استردادا لمقاصد الإسلام العليا والحفاظ عليها، فصبت أهداف هذه الثورات مباشرة فى حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض، بالإضافة للمقاصد العالية أو المفاهيم التأسيسية مثل: الحرية، والمساواة، والكرامة الإنسانية، والأمن الفردى والجماعى والاجتماعى، وتحقيق العيش الكريم[١]؛ حيث مثّل إهدار مقاصد الشريعة السبب المباشر لإشعال الثورات العربية فى المنطقة كلها[٢]، فكانت هذه الثورات المعاصرة فى خدمة المصالح والقواعد الكلية للشريعة الإسلامية.

وينبغى ألا تغيب عنا هذه الغايات فى حراكنا العملى الواقعى المتمم للثورات، سواء فى البلاد التى لا زالت تكتوى بنيران المستبدين، أو تلك البلاد التى تخلصت من فراعنتها، وما زلنا فى طريقنا لتكميل أهداف ما قمنا من أجله على الوجه الذى يحقق مراد الله منا فى هذه الحياة.

قول هذا بمناسبة الأجواء «الرمادية» التى تحيا فيها أوقات كثيرة فى بعض البلدان التى قامت فيها ثورات، حيث نرى مساحات وأوقات ضبابية لا تتضح فيها الرؤية، وتغيب فيها «البوصلة» بفعل المكائد والمؤامرات التى يحيكها أذناب الأنظمة الطاغية البائدة، والتى ليس من السهل عليها ترك مناصبها ومكاسبها التى

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

كانت تتمتع بها في غيبة من وعي الأمة، وحسبنا أن الله تعالى عبر عن ذلك بكلمة نزع الملك، في قوله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾

(آل عمران: ٢٦)

وفي ذلك من دلالة التمسك بالملك والحرص عليه ما لا يخفى.

وفي هذا من الآثار السلبية ما فيه؛ حيث يصاب كثير من قطاعات المجتمع بالإحباط، وتداهمهم مشاعر الريبة والشك، ويخامر خواطرهم وهواجسهم ظنون وأحاديث نفس وخواطر نادمة على ما جرى. ولا شك أن هذه المشاعر والهواجس كلها قاصرة لا ترقى إلى أن تضع نفسها في مرتبة الوعي بالتاريخ والواقع، ولا أن تكون قادرة على ملاحظة الغايات والمقاصد العليا التي قامت من أجلها هذه الثورات.

إن الغايات التي قامت الثورات من أجلها، وقدمت الأمة من الشهداء والجرحى ما قدمت، لا يصح بحال لا يجوز أن تغيب عن الوعي الجمعي في المجتمع، فيسعى أن تتصل بحركاته، وتؤثر في اختياراته، وتنظم سيره، وتضبط حركته، ليكون سيره وفكره على هدى ونور:

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الملك: ٢٢).

وذلك لأن في رعاية الفكر المقاصدي وتفعيله فوائد بالغة الأهمية والدقة والخطورة، ونذكر منها ما يلي:

١- رعاية المقاصد تضبط الرؤية وتقوم الاختيارات

ولهذا كان من الأهمية بمكان أن نراعي المقاصد التي قامت من أجلها الثورات؛ لأن في اعتبارها وتفعيلها ورعايتها ضبطا للرؤية، حيث تعصم العقل الجمعي من الوقوع في براثن التخبط ومهاوي التشتت وضبابية الرؤية؛ وذلك لأن التعلق بالهدف واستحضاره دائما يضمن صحة الاختيارات، وصوابية التصور، ويتحكم في الاختيارات التي نختارها، ويضبط المسار الثوري دون ميل عنه أو حيد إلى جهة اليمين أو الشمال.

فلا يمكن لمراعي المقاصد وملاحظها أن يختار اختيارا خطأ، أو يستمر مع اختيار خطأ إن وقع دون تصحيح وتقويم بحيث يستقيم الاختيار مع الهدف الموجود والمقصد المرصود، لأن ملاحظة المقصد تصحح استخدام الوسائل وترشد الاختيارات وتقوم الرؤية وتضبطها في مسارها الثوري الصحيح.

٢- رعاية المقاصد توحد الصف وتسرع في تحقيق النتائج:

ومن الفوائد المهمة في تحكيم المقاصد في الواقع الثوري -وكل واقع وكل فكرة وكل عمل ونشاط- أنها توحد الصف الثوري، بل الصف الدعوي والعملي؛ لأننا متى اتفقنا على الهدف فلن يكون بيننا خلاف؛ إذ غياب الهدف أو المقصد يحل محله النزاع والخلاف وسعة الفجوة والهوة بين التيارات، ويحل محل الهدف الأهواء الشخصية، والمآرب الحزبية، والمصالح الذاتية، والفتنة الطائفية، ويدور كل فريق حول تحقيق مصالحه الخاصة دون اعتبار للمصلحة العامة التي يجب أن تقدم وتصان، ويكون لها الاهتمام، وعليها التركيز بعيدا عن تحقيق المآرب الشخصية واتباع الهوى.

كما أن من شأن استحضار الغايات والمقاصد دائما أن يعمل على تحقيق النتائج والأهداف المرصودة بأقل جهد وأقل تكلفة وأسرع وقت؛ إذ الذي يغيب عنه هدفه يتخبط هنا وهناك، ويصبح فريسة لسبل الشيطان وطرق الأبالسة من الجن والإنس، ويضل ضلالا بعيدا، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

وعن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال: "هذه سبل -قال يزيد- متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ[1]:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

إن الذي يسير في طريق وعينه على نقطة الانتهاء يختلف اختلافا كبيرا وجذريا عن الذي يسير على غير هدى ولا هدف ولا مقصد، الأول سيختصر المسافات، ويصل إلى غايته في أقرب وقت وأقل جهد ومال، والثاني ستتخطفه السبل في مهاوي الشياطين، ويصبح فريسة للحزبيات والخلاف والتنازع الذي يؤدي إلى الفشل وذهاب الريح:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

٣- رعاية المقاصد تحفظ النسيج الاجتماعي وتحول دون الاستقواء بالخارج:

ومن أهم الفوائد التي تتحقق برعاية المقاصد في واقعنا الثوري المعاصر أنها تعمل على حفظ النسيج الوطني والاجتماعي من التحلل والتفسخ والاهتراء؛ إذ إن تحكيم الأهداف العليا والمقاصد الكبرى والمفاهيم التأسيسية يحفظ القوى الوطنية السياسية، والنخب الثقافية من التنازع، كما أن ذلك يقضي على النعرات الطائفية التي نراها في بعض البلدان التي تجري فيها ثورات، وهذه النعرات هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق المجتمع، وتهدد استقراره، وتبدد سلامته، ويحل التنازع والفرقة والخلاف والتشرذم محل التفاهم والتعاون والوحدة.

كما أن رعاية أهداف الثورة تحمل أصحابها على حفظ أمن المجتمع وسلامته، وأن تكون مانعة ضد أي تدخل خارجي طامع، وربما تأتي عمليات الاستقواء بالخارج -وهي خيانة دينية

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل ... طبعة مؤسسة قرطبة ... [illegible]

وعصبية وسياسية حين يغيب الهدف، وتتحكم الأطماع الشخصية والمصالح الذاتية المحدودة التي لا ترى إلا ذاتها، ولا تنظر إلا تحت أقدامها.

وهذا سبب كبير لما نراه في بعض البلاد التي سقطت أنظمتها الطاغية الظالمة؛ حيث تتعدد الرؤى، وتتنوع الأهواء، وتتباين المصالح الشخصية، وتتعارض المآرب الحزبية؛ فيحدث الصدام، ويكون الصراع، ونسمع بقوى غير وطنية تنادي بتدخل الغرب الطامع في بلادنا؛ ليبني أمجاده ويحقق أطماعه على سُلَّم الجماجم وآلام الجرحى ودماء الشهداء!.

٤- رعاية المقاصد تعين على التحديد الصحيح للمآل:

من الأمور الخطيرة وبالغة الأهمية في تصرفاتنا جميعا أن نراعي المآل الذي سيؤول إليه الفعل أو التصرف، وإذا كان هذا في التصرفات والأفعال العادية خطيرا، فإنه يبلغ من الخطورة منتهاها إذا كان في واقع ثوري كالذي تحياه الأمة اليوم.

فكم من مصيبة حدثت وكان سببها عدم رعاية المآل، وكم من أرواح أزهقت، ودماء سالت، وجراح جرحت، لو راعينا مآل فعلنا أو نتيجة تصرفنا لما وصل الحال إلى ما وصل إليه؛ ولهذا فإنه من الذكاء والفطنة وتمام الحكمة أن ننظر إلى مآل الفعل قبل اختياره والتلبس به.

ولقد نبه الإمام الشاطبي على خطورة المآلات وأهمية اعتبارها فقال في كلام متصل مضبط: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا، سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآلا على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه، أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآلا على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق، محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة"[4].

٥- رعاية المقاصد تضبط الموازنة بين المصالح والمفاسد:

ليس الفقيه من عرف المفسدة من المصلحة، وإنما الفقيه هنا من جلب أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أكبر المفسدتين بارتكاب أخفهما.

ومن الفوائد المهمة التي نستثمرها من تفعيل المقاصد في الواقع الثوري المعاصر، وكل واقع، أنها تضبط الموازنة في الاختيار بين المصالح بعضها وبعض، وبين المفاسد بعضها وبعض، وبخاصة أن واقع الثورات يحكمه في أغلب أحكامه واختياراته مبدأ المصلحة والمفسدة، فبتحكيم المقاصد ورعايتها في التفكير والحركة والاختيار يمكننا أن نختار المصلحة ونرفض المفسدة، ونختار أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وندفع أعظم المفسدتين بارتكاب أخفهما.

وهذا ما تواتر القول به في ضوء فهم نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة عند العلماء الذين أفاضوا في الحديث عن هذا، مثل: ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد السلام، والشاطبي، وغيرهم[1].

فالواقع الثوري المعاصر وغيره لا يخلو من مصالح ومفاسد، ومن وجود مصلحتين، ومن وجود مفسدتين في كل اختيار وكل قضية، فنجلب المصلحة وندفع المفسدة، ونحصل أعظم الخيرين، وندفع شر الشرين.. والذي يحكم ذلك هو اعتبار المقاصد وتفعيل الفكر المقاصدي، فملاحظته تبين أي المصلحتين أكبر فنحصلها، وأي المفسدتين أقل فنرتكبها.

٦- رعاية المقاصد تحدد الأولويات "ما يقدم وما يؤخر":

لكل واقع أولوياته، ولكل مؤسسة وكيان وهيئة ما يجب أن يقدم وما يجب أن يؤخر، والناظر في أحكام الإسلام، وفي كل مجالاتها وأبوابها الفقهية والخلقية والعقدية يجد فيها الأهم والمهم، والواجب والفرض، والمندوب والمستحب، والمكروه والمحرم وهكذا.

ولقد قرر القرآن الكريم أن الأعمال ليست سواء، قال سبحانه:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾

(التوبة: ١٩)

وجعل النبي ﷺ الإيمان شُعبا، منها أعلى ومنها أدنى، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[2].

ومن الفوائد الجليلة التي تؤديها رعاية المقاصد في كل عمل وكل قول أنها تضبط مسار اختيار الأولويات، فقد تختلف على تصرف أو عمل ما في واقع معين أنه الأولى الآن، أو هو واجب الوقت، ولكن حين نستحضر المقاصد ونستدعي الغايات ينضبط الميزان وتصح الموازنة، ونختار التصرف الأولى وفق التصور المقاصدي الذي يرشحه الواقع ويضبطه الشرع.

فمتى أدرك الشباب أولويات دينه، وأولويات واقعه فلن يقدم على أعمال ليست من واجب الوقت، فضلا عما من شأنه أن يروع من المجتمعات مثلا، ويهدد سلامتها، ويسفك دماءها، أو يؤخر عملية الإصلاح والبناء

---

[4] [illegible]

(1) راجع مثلا: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية [illegible]، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٣٨، و٢/٢٥.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

الحفاظ على المرافق العامة واجب شرعى

للمستشار/ حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

من الحقائق التى يقررها علماء الاجتماع، أن الانسان كائن اجتماعى بطبعه، أى أنه لا يستطيع أن يعيش بمفرده، بل هو يعيش مع غيره، سواء من بنى جنسه، أو من المخلوقات الأخرى، وهو فى هذه الحياة لا يملك وحده كل شىء، بما يفرض عليه استعمال أشياء كثيرة لا قدرة له منفردا على ملكيتها، سواء أكانت هذه الأشياء عامة بطبيعتها، كالماء والهواء والبحار والأنهار وغيرها، أو كانت عامة من صنع الإنسان كالمرافق التى ينشئها ليستفيد منها جميع أفراده، ونظرا لأهمية هذا الأمر، باعتباره أمانة شرعية، بمقتضى قول الحق تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

بل هى واجب شرعى أصيل فإننا نعرض له بالبيان، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولا: ماهية المرافق العامة:

والمرافق العامة متعددة الأشكال والأنواع، فهى ليست قاصرة على ما تملكه الدولة منها، كالطرق والمدارس والمستشفيات والحدائق العامة وغيرها، بل تشمل كل شىء مخصص لاستعمال الكافة، أيا كانت الجهة المالكة له، ولو كانت هذه الجهة فرداً من آحاد الناس أو جماعة منهم؛ لأن العبرة ليست بخصوصية الملكية، ولكن بعموم الانتفاع بهذه المرافق، ويدخل فى ذلك البيئة بصفة عامة، التى تحيط بالإنسان فى حياته، ويتعامل معها فى كل زمان ومكان.

ثانيا: واجب المحافظة على هذه المرافق:

وهذا الانتفاع يقتضى قيام علاقة خاصة بين هذه المرافق والمنتفع بها، قوامها السلامة والمحافظة عليها، وذلك فى إطار المبدأ العام فى حياة المسلم، والذى يقرره الرسول الكريم ﷺ، فى تحديد أهم خصائص المسلم، بقوله الشريف الذى رواه مسلم بسنده عن جابر - رضى الله - عنه: «المسلم من سلم المسلمون (وفى رواية: الناس) من لسانه ويده».

والسلامة هنا لا تقف عند حد سلامة الأشخاص، بل تتعداهم إلى سلامة ممتلكاتهم، الخاصة منها والعامة، ومن بينها المرافق العامة.. ويلحظ فى هذا الحديث أن استعمال كلمة المسلمين، تفيد أن السلامة لا تقتصر على كل فرد مسلم على حدة، بل تشمل مجموع المسلمين، وكما فى الرواية، تشمل جميع الناس، أيا كان دينهم أو جنسهم، وما لهم من ممتلكات عامة. وهذه السلامة كما تكون بعدم استعمال اليد، بالاعتداء على المرفق العام، تكون بكف اللسان عن التحريض، ولو بالكلمة على هذا العدوان.

وأيضا تكون بالمحافظة عليها من وقوع أى اعتداء، يؤدى إلى هلاكها، أو تخريبها أو التقليل من الانتفاع بها. وأيضا يكون بصيانتها لتحسين أدائها، لزيادة الانتفاع بها. وقد ضرب لنا الرسول الكريم ﷺ مثلا، لإحدى صور تخريب أحد المرافق العامة. وذلك فيما رواه البخارى والترمذى والإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين فى أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا».

ويؤخذ من هذا الحديث أنه يجوز لولاة أمر المسلمين، أن يراعوا حسن استخدام الرعية للمرافق العامة، والضرب على يد من يعتدى عليها منهم، رعاية للمصلحة العامة فى المجتمع المسلم، ومن هنا كان تدخل الدولة فى وضع العقوبات المناسبة، لجرائم الاعتداء على المرافق العامة، تلك العقوبات التى قد تصل إلى السجن المشدد، كما هو الحال فى جرائم سرقة الأجهزة والمعدات المستعملة فى وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية، وفى خطوط المياه والكهرباء والسكك الحديدية وغيرها من المرافق العامة.

ومن التوجيهات النبوية فى كف الأذى عن المرافق العامة، ما رواه أبو داود والإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال فى بيان حق الطريق العام: «إياكم والجلوس على الطرقات، فإن أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر»... وما رواه الحاكم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «اتقوا الملاعن الثلاث: وضع الأذى

فى كل من الموارد، وهى مورد الماء، وقارعة الطريق، والظل».

ثالثاً: تكريم من يحافظ على هذه المرافق:

ومن الحوافز التى يقررها الإسلام، لمن يحافظ على المرافق العامة، أن ينال التقدير من القائمين على شئون هذه المرافق. سواء كان هذا التقدير ماديا أو معنويا، ومن أمثلة هذا التقدير المعنوى، ما رواه بعض أصحاب السنن، من أن امرأة عجوزا، كانت على عهد الرسول ﷺ، كانت تقم «ترفع منه القمامة» المسجد النبوى الشريف، فغابت حينا من الدهر، فسأل ﷺ عنها، فأخبروه أنها توفيت، فطلب من الصحابة أن يدلوه على قبرها، فذهب إليه وصلى عليها، ودعا لها، جزاء ما كانت تصنعه من المحافظة على بيت من بيوت الله، يرتاده المسلمون لأداء شعائر الصلاة، التى هى عماد الدين، ويقاس على ذلك كل مرافق خدمة عباد الله أجمعين، ولاسيما إذا كانوا داخل وطن واحد.

رابعاً: الحق فى بيئة نظيفة:

إن من أهم حقوق الإنسان، التى أصبحت الآن أكثرها إلحاحا فى رعايتها، حقه فى بيئة نظيفة، لما لهذه النظافة من أهمية خاصة فى حياة الفرد والمجتمع. وقد حض الإسلام الحنيف عليها، فمما رواه الترمذى بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله تعالى طيب، يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود».

فإذا كان الله تعالى الطيب، بهذه الصفات من الكمال، فيكون من مقتضى الإيمان بالله تعالى، وجوب الإيمان بهذا الاسم وهو الطيب، ومن ثم كانت النظافة، ومنها إماطة الأذى عن الطريق، من الإيمان، وقد أوضح الرسول ﷺ ذلك بقوله، الذى رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «الإيمان بضع وسبعون بابا، فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله».

ولا يقتصر الحفاظ على البيئة على النظافة وحدها، بل تتعداها كل أنواع إزالة الضرر والأذى من المكان الذى يعيش فيه الإنسان، كمسببات التلوث الصوتى والإشعاعى والحرارى، وغيرها من ملوثات الماء والهواء، والجار هو أولى الناس بالتمتع بهذه البيئة النظيفة.

بل إن هناك علاقة وثيقة بين الدعاء والحفاظ على البيئة: وذلك كما فى قول الحق تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(الأعراف: ٥٥، ٥٦)

فقد طلب رب العزة تعالى من عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء، وهم على حالتى التضرع والخفية، وأيضا وهم فى حالتى الخوف والطمع، وهذه الأحوال خاصة ومتصلة بشخص الداعى ذاته، وقد يقتصر الدعاء على نفسه، فلا يستفيد منه الغير، ولكن المعنى العظيم الذى يشير إليه هذا القول الحكيم، هو أن الله تعالى، اشترط لقبول هذا الدعاء، أن تتحقق مصلحة لغير الداعى، وهى المحافظة على صلاح الأرض، كما أوجدها الله تعالى نافعة لجميع المخلوقات

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾

خامساً: دور القانون
فى توفير البيئة النظيفة:

وإذا كان الأصل أن الإنسان يتمتع بكامل الحرية فى مباشرة كافة سلطاته على ملكه، فله مثلا، أن يقيم على أرضه ناطحة سحاب، إلا أنه خروجا على هذا الأصل، وتحقيقا لمصلحة الجار، كان لابد من تقييد هذه الحرية، إذا ترتب على ممارستها إلحاق أى نوع من الضرر بالجار، كمنع الهواء أو الضوء عنه، فإذا تطاول الجار فى البناء، إلى الدرجة التى تتسبب فى هذا الضرر، فإنه يكون متعسفا فى استعمال حقه، ويجوز للقاضى فى هذه الحالة وقف هذا التعسف، بإزالة دواعى الضرر، كهدم الأدوار المرتفعة بغير الطريقة المألوفة.

وقد أخذ المشرع القانونى بما ورد فى قول الرسول الكريم ﷺ: «ولا ترفع بناءك فوق بنائه، فتحجب عنه الريح»، ما يعرف لدى فقهاء القانون: بنظرية التعسف فى استعمال الحق، فنص فى الفقرة الأولى من المادة ٨٠٧ من القانون المدنى على أنه: «على المالك ألا يغلو فى استعمال حقه، إلى الحد الذى يضر بملك الجار».

ولم يقتصر دور القانون فى الحفاظ على البيئة، على ما ورد فى القانون المدنى وحده، أصدر المشرع القوانين المتعددة التى تعمل على تحقيق هذا الغرض النبيل، منها قانون النظافة العامة، وقانون مكبرات الصوت، وقانون المحلات الصناعية والتجارية، ثم وضع قانونا متكاملا لهذا الغرض وهو قانون البيئة رقم ٤ لسنة ١٩٩٤، وبمقتضاه تم إنشاء جهاز ووزارة شئون البيئة.

سادساً: دور الفرد والجماعة
فى الحفاظ على هذه المرافق:

لم تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد، أنه إذا كان من الظواهر المحمودة، التى تصاحب قدوم المناسبات الدينية الجليلة، تزاحم المسلمين على المساجد، لأداء الصلوات المكتوبة والسنن والنوافل، مثل صلاة التراويح فى كل ليلة من شهر رمضان المبارك وغيرها، إلا أنه فى السنوات الأخيرة، برزت مشكلة ناجمة عن زيادة أعداد المصلين المترددين على هذه المساجد، بدرجة أدت إلى أنها تضيق بهم، مما جعلهم يفترشون الطريق العام لأداء هذه الصلوات، حتى يصل الأمر إلى غلق بعض الطرقات المحيطة ببعض هذه المساجد، مما ترتب عليه التضييق على المارة من مختلف الناس، أيا كانت دياناتهم

وسيلة وضيعة أعمالهم. ووسائل الخدمة بعضها مما ينذر بأخطار جسام قد تلحق بكافة، كما أنه سبب من أسباب الإسعاف والإطفاء والحماية من القيام بمهامها الإنسانية.

والأصل المقرر في الشريعة الغراء أن بيوت الله في الأرض المساجد، وهي الأماكن المخصصة لأداء الصلوات المكتوبة والأغراض الإسلامية الأخرى، وإذا ضاقت بمن فيها، فهناك أحكام شرعية يجب مراعاتها، في التعامل مع الأملاك المجاورة لها، ولاسيما إذا كانت من الأملاك العامة، كالطرق والحدائق والمرافق العامة وغيرها. وقد ذكر فقهاء المذهب الحنفي، فيما يخص الطريق العام: أنه إذا بنى قوم مسجداً، واحتاجوا إلى مكان ليتسع، فأدخلوا شيئاً من الطريق في المسجد، وكان ذلك لا يضر بأصحاب الطريق جاز ذلك، وإذا كان يضرهم فلا يجوز.

ولذلك فقد ورد النهي الصريح من الرسول ﷺ عن الصلاة في الطريق العام، لما يتسبب في التضييق على الناس. فقال فيما رواه البيهقي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: «إياكم والتعريس (أي النزول آخر الليل للنوم وغيره) على جواد الطريق (جمع جادة أي معظم الطريق والمراد نفسها)، والصلاة عليها، فإنها مأوى الحيات والسباع، وقضاء الحاجة عليها، فإنها الملاعن (أي الأمور التي تحمل على اللعن والشتم)».. وأيضاً روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: «سبع مواطن لا تجوز فيها الصلاة: ظاهر بيت الله «سطح الكعبة»، والمقبرة، والمزبلة، والمجزرة، والحمام، وعطن الإبل، ومحجة الطريق (أي وسطه ومعظمه)»، والصلاة المقصودة هنا، هي المفروضة. ومن باب أولى صلاة السنن والنوافل.

ولكن إذا كانت هناك ضرورة توجب الخروج عن الحدود المعتادة للمسجد، فعلى القائمين عليه التعامل مع هذه الضرورة بقدرها، وعدم التوسع فيها بما يضر بالآخرين. لأن من المبادئ المستقرة في شريعة الإسلام أنه: لا ضرر ولا ضرار، ولو كان ذلك بسبب العبادة، وأن من موجبات قبول الصلاة، كما قال الرسول ﷺ، رواية عن ربه: «إنما أتقبل الصلاة من... ولم يستطل بها على خلقي».

ومن هنا فإن المسئولية الملقاة على عاتق الأسرة، والمدرسة ووسائل الإعلام، تفرض عليهم حسن توجيه جميع أفراد المجتمع، إلى تبني ثقافة السلامة في التعامل مع المرافق العامة، التي يترددون عليها، ويستفيدون منها، كالحدائق العامة ووسائل المواصلات العامة، ومعاهد العلم وغيرها، والحفاظ على البيئة، وأن تغرس في نفوسهم، حب هذه الأشياء، وجعلها في منزلة الملكية الخاصة، واعتبار ذلك من مقومات الانتماء إلى الوطن، ومردود كل هذا يعود بالخير على الجميع.

والله تعالى ولي التوفيق..

من عيون التراث

تسلية أهل المصائب

تأليف:
الحنبلي أبي عبدالله محمد بن محمد
(٧٨٥هـ)
صححه وأعد فهارسه:
السعيد المندوه
القاهرة: دار الكتبي، الطبعة الأولى

عرض الكتاب:

يقع هذا الكتاب في (٢٦٠) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من ثلاثين باباً. يختص كل باب منها بأحد الأمور المتعلقة بالإصابة بكرب ما. وما ذكر في كل نوع من أنواع هذه المصائب والكروب، وكيف للمؤمن أن يتعامل مع الكروب، والأجر الذي ينتظره نظير صبره على ما وقع به.

فيشير الباب الأول إلى المصيبة وحقيقتها، وما أعد الله لمسترجعها. وكيف أن الله يكافئ من يتحمل المصائب ويصبر عليها ويجاريه من عنده. ويكمن تمكين أهل المصاب وعلاجه في اعتناق أفكار عقلانية Rational Thoughts (ص٢٢) تجعله يؤمن أن ما كان يصيبه لم يكن ليخطئه. وأن ينظر المصاب في كتاب الله وسنة رسوله. وأن كلمات الاسترجاع «إنا لله، وإنا إليه راجعون» يؤجره الله عليها. ويحثه عليه

كما أشار إلى أن الرضا satisfaction (ص٢٤) هو تقبل ما أصيب به، والإيمان بأنه كان سيصيبه حتى وإن اعترض عليه، وأن يعلم أن ما وقع قد وقع برضى المالك، فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به له الله.

كما أشار إلى التأسي بأهل المصائب، وأنه لا يوجد من يخلو من المصائب والمحبة. والنظر في حال من ابتلي أكثر من هذا أو بمثل هذا البلاء، ذلك أن التأسي راحة عظيمة.

وأهمية معاتبة النفس عند الجزع أي إجراء حوار مع النفس، لتفسير وتوضيح ما وقع لها، وتقبله على هذا الأساس.

وأشار الكاتب إلى أن بعض الصحابة كانوا

يتمنون أن تحل عليهم المصائب ويطلبونها لما لها من جزاء عند الله؛ كطلب فقد الولد؛ لأنه يستقبل والديه يوم القيامة ليسقيهم شربة ماء.

أما الباب الثانى فى البكاء على المصيبة وما ذكر العلماء فى ذلك، فلم ينه الرسول ﷺ عن بكاء العين والقلب، أما البكاء الذى يصاحبه العويل والصراخ فهو ما نهى الرسول عنه.

ويشير الباب الثالث والمتعلق بتحريم الندب والنياحة وشق الثياب. وقد اختلفت الأحاديث فى هذا الشأن، إلا أن عديدا منها أشار إلى أن الميت يعذب فى قبره بنياح أهله وندبهم عليه.

تناول الباب الرابع والذى ذكر فيمن فقد ثلاثة من الولد فأكثر أن له الجنة. كما أنه يحفظ من النار وتعمه رحمة الله. كذلك وردت أحاديث فى أن جزاء من مات له أربعة أولاد الجنة.

وجاء الباب الخامس فيمن أصيب بفقد ولدين، فورد فى الكتاب والسنة أن هؤلاء الصغار فى الجنة. وأن من صبر على فقد ولديه يجزيه الله الجنة.

كما وردت أحاديث فى الباب السادس فيمن فقد ولداً واحداً. وأجمعت الأحاديث فيمن كانت مصيبته فى فقد أحد أبنائه أن جزاءه الجنة، وأن صغاره ينتظرونه فى الآخرة ليسقوه شربة ماء وذلك فى حالة أن كان حال أهلهم فى الدنيا الصبر على مصيبتهم. وأشار الكاتب فى ظل هذا الأمر إلى كيفية التعامل مع من مات لهم ولد، وكيف لهم أن يتأسوا بمن أصيب بمثل مصيبتهم.

أما الباب السابع فجاء فى ذكر السقط وثوابه، وزيارة القبور. وأن السقط أيضاً يورد أهله الجنة، إذا احتسبوه عند الله. كما ذكرت أحاديث فى فضل زيارة القبور للوعظ والتذكر مع عدم الصلاة، أو الجلوس عليها.

وجاء الباب الثامن فى ذكر تطييب خاطر الوالدين على الأولاد، وقصد بتطييب خاطر الوالدين مساندتهم support (ص١٠٢ ـ ١٠٤) والتخفيف من مصيبتهم. كما أشار هذا الباب إلى أن موت المواليد على الفطرة يعنى موتهم على ما خلقوا وجبلوا عليه من التوحيد والإسلام، يكون جزاؤه السعادة فى الآخرة. واستحقاق دخول الجنة بلا عمل عملوه. ولا خير قدموه بل برحمة الله عليهم.

ويتحدث الباب التاسع عمن مات له طفل رضيع فى أنه يكمل رضاعه فى الجنة، وأورد هذا الباب الأحاديث المؤيدة لهذه المقولة.

أما الباب العاشر والخاص بالصلاة على كل مولود مسلم والدعاء لوالديه. فيذكر أنه يصلى على الطفل الميت، وأنه من الخير الدعاء لوالديه. كما أنه يصلى على السقط إذا أكمل أربعة أشهر فى الحمل؛ لأن الروح تكون قد نفخت فيه عندئذ.

وفى باب استحباب اصطناع الطعام لأهل الميت (الباب الحادى عشر). يهتم الكاتب بالإشارة إلى بعض مظاهر المساندة الاجتماعية social support (ص١١٤ ، ١١٥) ومنها إعانة أهل الميت، وجبر قلوبهم. وذلك بمساعدتهم فى شئون منزلهم.

ويذكر الباب الثانى عشر الذبح عند القبور وكراهة صنع الطعام من أهل المصيبة. تبين الأحاديث المذكورة فى هذا الباب أنه لا عقر فى الإسلام؛ فالذبح على القبر مكروه، كما أن صنع أهل الميت طعاماً للناس مكروه أيضاً.

أما الباب الثالث عشر فيذكر الثناء الحسن على الميت، وذكر محاسنه، والسكوت عن مساويه. وجاءت فيه الإشارة إلى أهمية الثناء على الميت وذكر محاسنه، والكف عن ذكر مساوئه وأذيتهم بما كانوا عليه من سوء فى حياتهم.

وتظهر لنا مرة أخرى المساندة الاجتماعية (ص١٢٥) فى الباب الرابع عشر والذى يدور حول فرح العبد وتسليته بكونه من أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وأن من مظاهر المساندة تعزية أهل الميت وتسليتهم عما ابتلاهم به الله بأنه من أمة محمد، وأن الرسول سيكون أول شافع له وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة.

أما الباب الخامس عشر فى استحباب التعزية لأهل المصيبة، والدعاء لميتهم. فسرد الكاتب عددا من الأحاديث والمواقف المذكورة فى شأن ألفاظ التعزية المختلفة. وجميعها تشير إلى تشبيه من أصيب بموت حبيب له بعطية أعطاها الله عبده فترة من الزمان ثم استردها. فكيف للعبد أن يحزن عليها

ويشير الباب السادس عشر فى وجوب الصبر على المصيبة، أن الصبر على المصيبة هو مفتاح التعامل معها؛ لأن المصيبة تزعزع القلب عند وقوعها، ولكن إن صبر المؤمن عليها صغرت مصيبته واستهانت واستطاع تحمل عواقبها.

وقد أورد عديد من الأحاديث والآيات القرآنية فى الصبر على المصيبة الواردة فى الباب السابع عشر وأوضحت هذه الآيات والأحاديث كيفية الصبر على المصيبة، وكيف أن هذا الصبر خير للمؤمن.

ويهتم الباب الثامن عشر بالشخص الذى لا يستغنى عن الصبر ولا فى المصيبة ولا فى غيرها، فيشير الباب إلى أهمية الصبر من خلال أداء العبادات، واجتناب المعاصى والمساوئ، وأهمية الصبر على الضراء. وأشار الكاتب إلى أن النفس مطوعة على محبة الفطر، ولذلك يأتى الصوم ليكيف النفس على ذلك Adapt (ص١٥٣) كما ورد أن الصبر على السراء مشقة على النفس. أى يمثل شكلا من أشكال المشقة Stress (ص١٥٣) لأنه مقرون بالقدرة على ما تشتهيه النفس وتميل إليه.

أما الباب التاسع عشر فيشير إلى أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس، وأن المشقة تكمن فى الامتناع عن كل شىء يوحى بإظهار الحزن على المصيبة (ص١٥٩)

وجاء فى الباب العشرين فى الرضا بالمصيبة ذكر الرضا Satisfaction (ص١٦٢)،

وكيف له أن يجلب راحة البال لصاحبه، لأنه يعني تقبل الأحداث والأمور التي تتغير من حوله دون أن تثير انفعالاته.

ويهتم الباب الحادي والعشرون بما يقدح في الصبر و نزعنا ريبة فيهم. ويرد في قول الرواة «من يث لم يصبر» وهي إشارة إلى الشخصية التي تفتقد القدرة على التحمل وتميل إلى الشكوى.

وأشار إلى أن العكس من الصبر والرضا الهلع Panic (ص١٧٦). ويعني به الإصابة بالخوف الشديد غير المبرر.

ويشير الباب الثاني والعشرون والخاص بالإجابة عن تساؤل: هل المصائب مكفرات أم مثيبات، فكانت الإجابة أن المصائب والأوجاع تكفر عن الذنوب والخطايا. وأشار ابن تيمية إلى أن كل ما تولد عن عمل الفرد الصالح من مصائب يثيب عليه. بخلاف المصائب التي لم تتولد عن عمله، فإنها مكفرات لا مثيبات.

أما حول الصدقة عن المصاب به وأفعال البر عنه المذكورة في الباب الثالث والعشرين، فمن المستحب التصدق عن المصاب والقيام بأعمال بر عنه، ذلك أن الدعاء و الاستغفار والصدقة عنه. وقضاء دينه وأداء الواجبات عنه تصل إليه.

ويشير الباب الرابع والعشرون في ذكر عمارة القبور فتكون بالصدقة عن ساكنيها، وأفعال القرب عنه، وليس بتجميل القبر وتزويقه بل الأخذ في الاعتبار أن أول منازل الآخرة هو القبر، ولكونه يمثل عبرة لأهل الدنيا، فلا ينبغي تزيينه ولا زخرفته وأشار الكاتب إلى أن المؤمن يثبت عند دخوله القبر. وعند البعث، أي أنه يثبت عند السؤال في القبر وعند الحساب في البعث والكافر لا يثبت في الاثنين.

أما الباب الخامس والعشرون في أن الله يثبت الذين آمنوا عند المسألة. فتحدث الكاتب عن اللاشعور Unconsciousness (ص٢١٣)، وذلك عندما أشار إلى أن الفرد قد يقوم في حالة نومه فيبطش ويضرب في الهواء، أو يدافع عن نفسه، وربما يصرخ بأعلى صوته كأنه يقظان وهو لا شعور له بشيء من ذلك، لأن الروح استعانت بالبدن.

واهتم الباب السادس والعشرون باجتماع الأرواح وحياتها، وأين محلها والخلاف في ذلك فاختلفت الآراء حول من يموت: البدن أم الروح. فأشار بعضهم إلى أن البدن يموت كذلك الروح، وأشار آخرون إلى أن الأرواح لا تموت وخلقت للبقاء، وأن الأرواح في النعيم أو العذاب حتى بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها. كما اختلفت الآراء في عذاب القبر فهل تعذب الروح أم الجسد أم الإثنين معا، فأشار بعض المتفقهين إلى أن الروح تعذب وتنعم منفردة، وبعضهم أشار إلى أنها تعذب وتنعم مع الجسد، ويرى آخرون أن التنعيم والعذاب للجسد فقط.

كما تطرق هذا الباب لعذاب القبر وأنه حق لا ينكره إلا ضال مضل، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، أما ما يختص بالبدن فهو يبلى وما هو إلا آلة تؤذي الروح أو تنعمها.

أما الباب السابع والعشرون فينظر في مسألة عدد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات من الصالحين وأشار إلى فضل الشهداء، وأن من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وأن من يموت بالطاعون أو الغرق أو مبطون فهو شهيد كما أشار الكاتب إلى أن الموت كفارة لكل مسلم وأن على المسلم أن يستعيذ من سبع موتات، الموت المفاجأة من لدغ الحية، ومن السبع، ومن الغرق، ومن الحرق، ومن أن يخر على شيء، أو يخر عليه شيء، ومن الفرار من الزحف.

أما الباب الثامن والعشرون في ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه، وعن الصراط ومن يثبت عليه أشار الكتاب إلى أنه طريق حرج ومسلك شاق وقنطرة مضطربة وعقبة لا تثبت عليها الأقدام، ولا تجوزها الأوهام ولا يثبت عليها إلا من ثبته الله بالقول الثابت.

أما باب ذكر سعة رحمة الله ومن مات على التوحيد في الباب التاسع والعشرين، فيذكر هذا الباب أن من رحمه الله وشمله برحمته، ومات على التوحيد، ومن وجدت في قلبه ذرة من خير فيخرج من النار فمن كان سالماً من المعاصي أدخل الجنة. ومن كان له معصية كبيرة ولم يتب منها فهو داخل تحت مشيئة الله، إن شاء الله عذبه بمقدار ذنبه، أو عذبه بالقدر الذي يريده ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه مطلقا، فلا يخلد أحد في النار مات على التوحيد. وأن سعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ من قال لا إله إلا الله.

وينتهي الكتاب بالباب الثلاثين الخاص بالزهد في الدنيا والتسلية عنها والرغبة في الآخرة. وأنها ممر نقلة و رحيل. ومحل نائبة وامتحان ومتاع وغرور وافتتان. وأنه جاء عن رسولنا الكريم ﷺ أنه قال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»، وأن علامة السعادة اليقين في القلب والورع في الدنيا والزهد فيها، والحياء والعلم وعلامة الشقاء تشوه القلب، وجمود العين، وطول الأمل، والحرص على الدنيا كما أن زاد الآخرة التقوى، فلابد من تعب الشخص والتصبر على مرارة التقوى.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الأفكار العقلانية Rational Thoughts
- الرضا Satisfaction
- المساندة Support
- المساندة الاجتماعية Social Support
- التكيف Adapt
- المشقة Stress
- الهلع Panic
- اللاشعور Unconsciousness

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

بنوا إسرائيل فى الكتاب والسنة



للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

ثالثا: يهود جزيرة العرب، وأحوالهم الدينية والاجتماعية:

نعنى بيهود جزيرة العرب: من سكن منهم المدينة وضواحيها كبنى قينقاع والنضير وقريظة، ونعنى بهم - أيضا - من سكن المدينة كيهود خيبر وتيماء ووادى القرى.

وكلامنا عن يهود جزيرة العرب يتناول الأمور الآتية:

(أ) آراء المؤرخين فى وقت وصولهم إلى جزيرة العرب.

(ب) جنسيتهم ومساكنهم، وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية.

(جـ) أحوالهم الدينية وكتبهم المقدسة.

(د) علاقتهم بالأوس والخزرج.

وللكلام عن الأمر الأول نقول:

(أ) هناك خلاف طويل بين المؤرخين فى الوقت الذى هاجر فيه اليهود إلى جزيرة العرب، فبعضهم يرى أن هجرتهم إليها كانت فى عهد داود - عليه السلام - وبعضهم يرى أن توجههم إليها كان فى عهد الملك «حزقيال» الذى حكم بلاد يهوذا من سنة ٧١٧ إلى سنة ٦٩٠ ق. م.

إلا أن هذين الرأيين ليس لهما سند ثابت من التاريخ. ولذا لم يعتمد عليهما المحققون من المؤرخين.

والذى ارتضاه بعض المؤرخين، هو الرأى القائل بأن الهجرة الكبرى لليهود إلى جزيرة العرب كانت فى القرن الأول الميلادى، بعد تنكيل الرومان بهم سنة ٧٠م.

وهذا لا يمنع أنه كان يوجد عدد قليل من اليهود توطنوا الجزيرة العربية قبل هذا التاريخ.

يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون: بعد حرب اليهود والرومان سنة ٧٠م التى انتهت بخراب بلاد فلسطين، وتدمير هيكل بيت المقدس، وتشتت اليهود فى أصقاع العالم، قصدت جموع غفيرة من اليهود بلاد العرب كما حدثنا عن ذلك المؤرخ اليهودى «يوسيفوس» الذى شهد تلك الحروب وكان قائدا لبعض وحداتها.

ثم يقول: وتؤيد المصادر العربية كل هذا فقد ذكر صاحب الأغانى أنه لما ظهرت الروم على بنى إسرائيل جميعا بالشام فوطئوهم وقتلوهم، ونكحوا نساءهم، خرج بنو النضير وبنو قريظة، وبنو بهدل، هاربين منهم إلى من بالحجاز من بنى إسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام. فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم فى طلبهم ليردهم فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحارى لا نبات فيها ولا ماء، فلما طلب لروم التمر انقطعت أعناقهم عطشا فماتوا، وسمي الموضع (تمر الروم) فهو اسمه إلى اليوم[1].

ويرجح الدكتور جواد على - أيضا - أن هجرة اليهود إلى جزيرة العرب كانت بعد غزو الرومان لهم فيقول:

«أما ما ورد فى روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالى الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم مما اضطر ذلك بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء البعيدة عن مجالات الروم. فإنه يستند إلى أساس تاريخى صحيح؛ فالذى نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود إلى الخارج فلا يستبعد أن يكون يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين. ومن هؤلاء المهاجرين - على رأى الإخباريين - بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو بهدل، ساروا إلى الجنوب فى اتجاه يثرب فلما بلغوا موضع الغابة وجدوه رديئا فكرهوا الإقامة فيه، وبعثوا رائدا أمروه أن يلتمس لهم منزلا طيبا، وأرضا عذبة، حتى إذا بلغ (العالية) وهى بطحان ومهزور وهما واديان بأرض عذبة بها مياه وعيون استقر رأيهم على الإقامة فيها، فنزل بنو النضير، ومن معهم على بطحان. ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور»[2].

وبذلك نرى أن الرأى القريب من الصواب، هو أن غالبية يهود جزيرة العرب حلوا بها فى القرن الأول الميلادى، أى بعد تدمير أورشليم الثانى على يد تيطس الرومانى، وكان حلولهم بها من أهم أسبابه، فرارهم من وجه الرومان حتى ينجو من بطشهم وتنكيلهم بهم.

(ب) وللكلام عن الأمر الثانى نقول:

يرى بعض الكاتبين أن يهود الحجاز من قبائل عربية تهودت، وليسوا من بنى إسرائيل. ويستدل على ذلك: بأن معظم أسمائهم، وأسماء قبائلهم عربية مثل: رفاعة، ووهب، وكعب وزيد. وعبدالله... إلخ، ومثل بنى النضير، وبنى عوف، وبنى ثعلبة... إلخ.

ونحن نرد على هذا الرأى: بأن القرآن

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص٩

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على جـ ٦ ص١٠، طبعة المجمع العلمى العراقى

الكريم قد وجه خطابه إلى اليهود في كثير من آياته بعبارة (يا بني إسرائيل) وذكرهم في مواضع متنوعة بهذه العبارة، أو بعبارة اليهود أو هادوا. وربط في كثير من آياته بين أخلاق اليهود المعاصرين للنبي ﷺ وبين أخلاق آبائهم من لدن موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، وبين ما كان عليه جميعهم من كفر وتكذيب، واعتداء على الرسل الذين جاءوا لهدايتهم. من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

وقوله تعالى في سورة النساء:

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

وقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

فهذه الآيات الكريمة وغيرها، تجعلنا نجزم بأن اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة وضواحيها هم من بني إسرائيل، وليس أصلهم من العرب لأن توجيه الخطاب إليهم بهذه العبارة يفيد أنهم من نسل أولئك الأنبياء الذين جاءوا موسى وعيسى وغيرهما من الرسل (عليهم الصلاة والسلام).

وفضلا عن هذا فإن اليهود في العهد النبوي كانوا يعيشون في أحياء وقرى خاصة بهم، وكانت لهم لغتهم العبرية التي يتخاطبون بها فيما بينهم، كما كانت لهم طقوسهم ومدارسهم ومعابدهم، التي لا يشاركهم فيها غيرهم بل هم كانوا يعتبرون عقيدتهم اليهودية وقفا عليهم وحدهم.

وقد فصل الأستاذ محمد عزة دروزة الحديث في هذا الموضوع فقال ما ملخصه: لم يكن في الحجاز قبائل عربية متهودة، وإن كان لا يبعد أن يكون هناك بعض أفراد من العرب تهودوا، مع أنه ليس هناك من الأسانيد الوثيقة ما يساعد على الجزم بذلك. وتسمية بني النضير أو بني قريظة أو بني قينقاع، لا تقوم دليلا، وكل ما يمكن أن تدل عليه هو اقتباس الإسرائيليين تسميات وضعا متناسبة مع البيئة التي طال عهد إقامتهم فيها، وما روي من أسماء عربية كان يتسمى بها بعض اليهود، فإن الروايات وهي تذكر هذه الأسماء لا تلبث أن تذكر آباء أصحابها الإسرائيلية، مثل عبدالله بن صوريا، ثعلبة بن شعيا، ورفاعة بن يزيد بن التابوت، ونعمان بن أضا.. إلخ.

بل إن لنذهب إلى أبعد من هذا فنقول إنه لم يكن كذلك في سائر جزيرة العرب - وخاصة اليمن - كتل عربية يهودية في عصر النبي ﷺ وإذا كانت الروايات تذكر أن بعض أحياء اليهود في الحجاز استطاعوا نشر اليهودية في اليمن في عهد التبابعة، فليس هناك سند وثيق يؤيد ذلك، ومع هذا فإن كتب السيرة القديمة لم تتضمن أية إشارة إلى وجود يهود في اليمن في زمن النبي ﷺ، كما أنها لم تذكر أن عمر - رضي الله عنه - أجلى يهودا عن اليمن حينما أجلى النصارى العرب عن نجران اليمن تنفيذا لوصية النبي ﷺ بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان، ولقد روى أبو عبيدة - رضي الله عنه - أن آخر كلام قاله رسول الله ﷺ هو وصيته بإخراج يهود الحجاز، ونصارى نجران اليمن من جزيرة العرب، وهذا يدل على أنه لم يكن في اليمن في عهد النبي ﷺ، يهود وإنما كانت بقيتهم في الحجاز[1].

ومن هذا يتبين لنا أن يهود الجزيرة من أصل يهودي، وأنهم كانوا جماعات طارئة عليها أجليت عن المدينة وضواحيها، لم تترك آثارا تشهد بأصالتهم في سكنى تلك المناطق.

وأما عن مساكن اليهود فبعضها كان بداخل المدينة، وبعضها كان قريبا منها وبعضها كان بعيدا عنها.

فبنو قينقاع كانوا يسكنون داخل المدينة في محلة خاصة بهم، بعد أن طردهم إخوانهم بنو النضير وقريظة من مساكنهم التي كانت خارج المدينة.

وبنو النضير كانت مساكنهم (بالعالية) بوادي بطحان على بعد ميلين أو ثلاثة من المدينة، وكانت عامرة بالنخيل والزروع.

وبنو قريظة كانوا يسكنون في منطقة (مهزور) التي تقع على بعد بضعة أميال من جنوب المدينة.

ومن بين اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة وضواحيها بطون صغيرة أخرى كبني عكرمة، وبني ثعلبة، وبني محمر، وبني زعوراء، وبني عوف، وبني بهدل، وبني القصيص وغيرهم. إلا أن هذه البطون الصغيرة كانت تابعة في مساكنها للبطون الكبرى كبني قينقاع والنضير وقريظة.

ويقول الدكتور جواد علي: وقد عرف بنو قريظة وبنو النضير من بين اليهود - (الكاهنين) - وسموا بذلك لأن جدهم الذي يقال له (الكاهن) أو (الكوهن) هو ابن هارون بن عمران على زعم بعض أهل الأخبار، فهم على هذه النسبة من أصل رفيع، ولهذا كانوا يفتخرون به، ويرون لهم السيادة على غيرهم من إخوانهم في الدين[2].

وأما يهود خيبر فكانوا يسكنون على بعد ثماني برد من المدينة إلى جهة الشام وقد اشتهر يهود خيبر بغناهم، وخصوبة أرضهم وكثرة مزارعهم وبساتينهم، كما اشتهروا - أيضا - بضخامة حصونهم ومتانتها.

وعلى مقربة منهم كان يسكن قسم آخر من اليهود، كيهود وادي القرى وتيماء

---

(1) [illegible] عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة ص [illegible] للأستاذ محمد عزة دروزة.

(2) تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج[illegible] ص[illegible].

وقتئذ. ومساكن اليهود عموماً، كانت تمتاز بعزلتها، ومتانتها، وقد أقاموها كذلك؛ ليتحصنوا فيها عند الأخطار، وليدافعوا عن أنفسهم من يحاربهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾

ومن أقوى حصون اليهود، حصن النطاة، والشق، والصعب بن معاذ، وناعم، والزبير، والقموص، والوطيح، وسلالم.. وكلها كانت توجد في منطقة خيبر.

كما كانت تمتاز -في مجموعها- بوجودها في مناطق خصبة، والتي هي ملتقى طرق المواصلات والتجارة البحرية والبرية من جزيرة العرب.

ومن أهم الأعمال التي اشتغل بها اليهود التجارة، حتى صار لبعضهم فيها شهرة كبيرة (كأبي رافع سلام بن أبي الحقيق)، الذي كان يعتبر تاجر أهل الحجاز، ويمكن أن يقال إن تجارة التمر والشعير والقمح والخمر تكاد تكون وقفاً عليهم في شمال الحجاز. كذلك اشتغل اليهود بالزراعة التي كانت المهنة الرئيسية لسكان القرى منهم، واشتغلوا بتربية الماشية والدواجن وكانوا في جهات (مقنا) يشتغلون بصيد الأسماك وكانت نساؤهم يشتغلن بنسج الأقمشة. ومن الصناعات التي كان يهود الجزيرة العربية يزاولونها، صناعة الصياغة، وقد اشتهر بها بنو قينقاع، كما كانوا يزاولون صناعة السيوف والدروع وسائر الآلات الحربية.

وكانت معظم معاملاتهم مع غيرهم تقوم على المراهنات وتعاطي الربا، وكان لهم من طبيعة المدينة الزراعية فرصة إلى ذلك، لأن الزراع عادة يحتاجون إلى اقتراض الأموال لحين الحصاد.

وقد وبخهم القرآن الكريم على أخذهم الربا، الذي نهاهم الله عن أخذه، فقال تعالى:

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

(النساء ١٦١)

وقد ترتب على سيطرة اليهود على الجوانب الاقتصادية في المدينة وضواحيها أن قوى نفوذهم المالي، وصاروا يتحكمون في الأسواق تحكماً فاحشاً، ويحتكرونها لمصلحتهم ومنفعتهم. فكرههم السواد الأعظم من الناس، بسبب أنانيتهم واشتطاطهم في أخذ الربا، وحصولهم على غنى وثراء بطرق خبيثة، يأنف العربي عن سلوكها والتعامل بها.

(جـ) ينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن أحوالهم الدينية وكتبهم المقدسة فيقول:

كان لليهود الذين سكنوا جزيرة العرب، مدارس يتدارسون فيها أمور دينهم وأحكام شريعتهم، وأيامهم الماضية، وأخبارهم الخاصة برسلهم وأنبيائهم، كما كانت لهم أماكن خاصة يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم.

وكانت هذه الأماكن تسمى «المدراس» أي المكان الذي تدرس فيه نصوص التوراة، وأمور الشريعة.

ولم يكن «المدراس» في الواقع موضع عبادة وصلوات وتدريس فحسب، بل كان إلى جانب ذلك هو المكان الذي يتجمع فيه اليهود لتبادل المشورة في سائر أحوالهم الدينية والدنيوية.. وهو المكان الذي كان يقصده غيرهم حين يريد الاستفسار من أحبار اليهود عن شيء يريد الوقوف عليه.

والذين كانوا يقومون بمهمة تعليم اليهود أمور دينهم، هم علماؤهم وأحبارهم. وقد ذكر المؤرخون أنه كان في مقدمة هؤلاء الأحبار عبدالله بن سلام -رضي الله عنه- الذي أعلن إسلامه بعد لقائه مع رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم -أيضاً- (عبدالله بن صوريا الأعور) الذي قيل عنه: إنه لم يكن بالحجاز في زمانه من هو أعلم بالتوراة منه.

وقد جاءت الأخبار الصحيحة بأن الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، كان يذهب إلى اليهود في «مدراسهم» ليدعوهم إلى الإسلام وليحذرهم من الكفر به، فقد أخرج البخاري، عن أبي هريرة قال: «بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد، ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال في الثالثة: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»[5].

وبعض الصحابة -أيضاً- كأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- كان يذهب إليهم في هذا المكان ليأمرهم باتباع محمد ﷺ الذي كانوا يستفتحون به على غيرهم والذي يعرفون صدقه فيما يبلغه عن ربه كما يعرفون أبناءهم.

وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من المجادلات الدينية، والأسئلة المتعنتة التي كان اليهود يقومون بتوجيهها إلى النبي ﷺ بقصد إحراجه وظهوره بمظهر العاجز عن الرد على أسئلتهم ومجادلاتهم. إلا أن الرسول ﷺ كان يجيب على مجادلاتهم وأسئلتهم بما يدحض حجتهم، ويخرس ألسنتهم[6].

كذلك كان لليهود تشريعاتهم ونظمهم الخاصة بهم فيما يتعلق بالذبائح، والقرابين، والقصاص، والميراث، والاعتراف، والتطهير، والرق، والختان، والنكاح، وشئون المرأة، وغيرها من التشريعات التي

---

(٥) صحيح البخاري باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره من كتاب «الإكراه» جـ٩ ص٢٤.

(٦) فصلنا القول في حروب الجدل التي دارت بين الرسول ﷺ وبين اليهود في فصل مسالك اليهود لكيد الإسلام والمسلمين صفحات [illegible].

بعضها أخذوه عن كتبهم، وبعضها وضعه لهم كهانهم وأحبارهم من عند أنفسهم.

من ذلك ـ مثلاً ـ ما جاء في الحديث الشريف عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت ـ أي لم يخالطوهن. ولم يسكنوا معهن في بيت واحد ـ فسأل الصحابة النبي ﷺ فأنزل الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٢٢)

فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يترك من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أُسَيْدُ بن حضير، وعبَّاد بن بشير فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه النبي ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما ـ أي غضب عليهما ـ فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فبعث في آثارهما فسقاهما، فعرفا أنه لم يجد عليهما[7].

وأيضاً كانت لهم أعيادهم الخاصة بهم والتي من أشهرها عيد الحصاد عيد رأس السنة، وعيد الصوم الكبير، وعيد الفصح ويسمونه: عيد الفطير[8]. ويهتم اليهود بهذا العيد لأنه يوافق اليوم الذي خرج فيه بنو إسرائيل من مصر فراراً من فرعون وظلمه.

ويعتبر اليهود كذلك يوم السبت عيداً لهم، لا يجوز لليهودي أن يشتغل فيه، ومن خالف حرمة هذا اليوم ودنسه بالاشتغال فيه، يكون قد ارتكب جرماً عظيماً.

وكانت لليهود أيام خاصة يصومونها، كيوم عاشوراء، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم»، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه وقال لأصحابه: «أنتم أحق بموسى منهم فصوموه»[9].

---

(7) [illegible] ص١٤٣.

(8) قيل سمي بعيد الفطير لأنهم خرجوا سريعاً من مصر فلم يعدوا خبزهم كالعادة ولما أعدوه فطيراً دون أن يختمر، وما زالت عند عامة اليهود في هذا العيد الذي يستمر سبعة أيام يأكلون خبزاً غير مختمر، وهذه الأيام السبعة تبدأ في كل عام في اليوم الرابع عشر من شهر أبريل وتنتهي في اليوم الحادي والعشرين منه.

(9) أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ في كتاب الصوم جـ٢ ص٤٤ طبعة صبيح، وأخرجه مسلم في باب صوم عاشوراء من كتاب [illegible].

هذا، ويزعم اليهود أنهم يعتمدون في عباداتهم، وتشريعاتهم، وآدابهم ومعاملاتهم، على ما جاء في التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام.

وهنا نريد أن نتوسع قليلاً في الحديث عن التوراة، وأسفارها، وعما دخلها من تحريف وتبديل فنقول:

التوراة: كلمة عبرية معناها: الشريعة، أو التعاليم الدينية وقد اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفراً، أطلق عليها اسم «العهد القديم» للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها «العهد الجديد»، وجرت العادة أن يطلق على أسفار العهد القديم، وأسفار العهد الجديد اسم «الكتاب المقدس».

واليهود يعتبرون التسعة والثلاثين سفراً هذه، أسفاراً مقدسة، أي موحى بها ويطلقون على خمسة منها إطلاقاً حقيقياً اسم التوراة، أو كتب موسى، لأنها ـ في زعمهم ـ أنزلها الله على موسى «عليه السلام» وكتبها موسى بنفسه.

وهذه الأسفار الخمسة هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

١ ـ أما سفر التكوين «أو الخلق» فسمي بذلك لأنه يقص خلق السموات والأرض، ويحكي قصة خلق آدم وأكله من الشجرة، ونزوله إلى الأرض، كما يحكي قصة نوح «عليه السلام» وقصة الطوفان، وقصة إبراهيم «عليه السلام» وأولاده. وينتهي هذا السفر بالحديث عن قصة يوسف «عليه السلام» إلى أن مات.

٢ ـ وأما سفر الخروج فسمي بذلك لأنه يحكي تاريخ بني إسرائيل في مصر، وكيف خرجوا منها؟ وكيف عاشوا بعد ذلك؟ كما يحكي قصة تيههم وما جرى بينهم وبين موسى عليه السلام.

٣ ـ وأما سفر التثنية فسمي بذلك لأنه يكرر ويعيد التعاليم التي أوحاها الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ ومعظمه يدور حول الشئون التشريعية والاقتصادية والسياسية، الخاصة ببني إسرائيل.

٤ ـ وأما سفر اللاويين فمعظمه يدور حول شئون العبادات، والواجبات والأحكام، والطقوس والأعياد، والنذور، واللاويون هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب ـ عليه السلام ـ ومنهم موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ونسب هذا السفر إليهم لأنهم كانوا سدنة الهيكل، وحفظة الشريعة، ومعظمه يدور حول ما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

٥ ـ وأما سفر العدد فمعظمه يدور حول تقسيم بني إسرائيل، وبيان تعداد أسباطهم وجيوشهم وأموالهم وذكورهم وإناثهم... وبجانب هذا به بعض الأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات.

أما الأربعة والثلاثون سفراً الباقية فمنسوبة إلى أشخاص كتبوها بعد موسى ـ عليه السلام ـ بأزمان متفاوتة في الطول والقصر وهي:

الشروع والقضاة، وراعوث، وصموئيل

الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني، وعزرا، ونحيميا، وأستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الأنشاد، وأشعياء، وأرمياء، ومراثي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

وهذه الأسفار الأربعة والثلاثون مقدسة ـ أيضا ـ عند اليهود، ويطلق عليها ـ تجوزا ـ مع الأسفار الخمسة السابقة اسم التوراة، من باب إطلاق الجزء على الكل.

والأسفار في جملتها صبغتها دينية، إلا أن منها ما يغلب عليه الطابع التاريخي، كأسفار التكوين، والخروج، ويشوع والقضاة، وأخبار الأيام، وعزرا ونحميا... ومنها ما يغلب عليها الطابع التشريعي، والأخلاقي، والتوجيهي، كأسفار اللاويين والمزامير، والجامعة، وأشعيا ومراثي أرمياء، كذلك منها ما هو طويل: كسفر التكوين والمزامير واشعيا وأرميا ومنها ما هو قصير: كسفر عوبديا وحجي وحبقوق

بعد هذا التعريف الموجز للأسفار المقدسة عند اليهود، والتي يطلقون عليها اسم التوراة، نسأل هل هذه الأسفار المقدسة عندهم هي التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: إن الذي ينظر في هذه الأسفار، يجد فيها من التناقض والافتراء، والانحراف عن الحق، وسوء التعبير ما يجعله يحكم عليها بأنها ـ في مجموعها ـ ليست هي التوراة التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على موسى وهذه بعض الأدلة على ذلك.

أولاً: اعترف القرآن الكريم بالتوراة التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على موسى عليه السلام ـ ومدحها في آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾

وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن اليهود قد امتدت أيديهم الأثيمة إلى التوراة فحرفوها وبدلوها، وأخفوا منها ما لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم، قال تعالى في سورة البقرة:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾

وقال تعالى في سورة المائدة:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

وقال تعالى في سورة المائدة أيضا

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾

ثانيا: انقطاع سندها: فهذه التوراة الموجودة حاليا ليس لها سند متصل إلى موسى ـ عليه السلام ـ بل هي على النقيض من ذلك إذ يوجد فيها ما يدل دلالة قاطعة على أنها كتبت بعده بزمن طويل!!

فمثلاً جاء في سفر التثنية بخصوص وفاة موسى ـ عليه السلام معي يقول «فمات موسى عبدالرب في أرض مؤاب ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا».

فهذا النص بعيد كل البعد عن أن يكون كتبه موسى ـ عليه السلام ـ وجاء فيه ـ أيضا ـ «ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى».

ومن الواضح أن مثل هذا الكلام مكتوب بعد وفاة موسى ـ عليه السلام ـ.

وقد أقام المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي أدلة متعددة على انقطاع سند التوراة فقال ما ملخصه:

«اعلم ـ أرشدك الله تعالى ـ أنه لابد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم، أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل.. وأنه لا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ من تصنيفاته ويدل عليه أمور منها.. أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون

(1) هذه الأسفار التسعة والثلاثون التي تعتمدها الكنيسة البروتستانتية أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى هي [illegible] وطوبيا [illegible] والمكابيين الأول والمكابيين الثاني، وحكم تكون الأسفار المقدسة عندهم ستة وأربعين [illegible]

(11) يوشيا بن آمون واحد من ملوك اليهود حكمهم من سنة ٦٣٨ إلى سنة ٦٠٩ ق.م أي بعد موسى ـ عليه السلام ـ بستة قرون تقريباً

والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقيناً، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة ـ أيضاً ـ غالباً قبل حادثة بختنصر، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأساً، ولما كتب (عزرا) هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة انتيوكس(١٢).

ويتحدث الدكتور علي عبد الواحد وافي عن الأزمنة التي كتبت فيها تلك الأسفار المنسوبة إلى موسى (عليه السلام) فيقول:

«[illegible] أسفار العهد القديم هي أسفار: التكوين ـ والخروج ـ والتثنية ـ واللاويين ـ والعدد ـ التي ينسبها اليهود إلى موسى ـ عليه السلام ـ ويعتقدون أنها بوحي من الله، وأنها تتضمن التوراة. ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين، من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير ـ وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد ـ وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وأنها جميعها مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل في هذه الأسفار عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل.. فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله ـ تعالى ـ على موسى ـ عليه السلام»(١٣).

وبهذا نرى أن سند التوراة الحالية منقطع، وأنها كتبت بعد موسى ـ عليه السلام ـ بأزمنة مختلفة وبأياد متعددة.

«يتبع»

* * *

(١٢) المراد به «انتيوكس» الذي حكم سوريا من سنة ١٧١ ق.م إلى سنة ١٦٤ ق.م وقد نكل خلال حكمه اليهود تنكيلاً شديداً. راجع «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي جـ١ ص٦ ـ ٤٨. طبع مكتبة الوحدة العربية بالمغرب.

(١٣) [illegible]

من فتاوى الحاخامات

لتدمروا أماكن عبادة الأغيار

مصدر الفتوى: www.moriya.org.il نوفمبر ٢٠٠٥ فتوى من الحاخام موشيه عميئيل

سؤال: قرأت في باب قضية الأسبوع عن الأمر الخاص بتدمير الأماكن التي بها توجد عبادة الأوثان، وجاء فيه: «لتدمروا جميع أماكن عبادة الأغيار.. نسفوها ولتحطموها ولتحرقوها بالنار».. هل ينطبق هذا على العصر الحديث؟ أليس هذا استفزازاً للشعوب السابقة وللشعوب الحالية؟

ربما كان هذا الأمر يسري فقط على العصور القديمة عندما احتلوا هذه الأرض، مثلما ورد في الفقرة «الأمم التي ترثونها».

وهل يلزمنا هذا الأمر بأن نفعل ذلك الآن؟ إن التوراة تدعو كثيراً إلى الإحسان، ولكن هنا لا توجد في هذا الشأن أي مراعاة للمتطلبات الدينية للشعوب؟

جواب: هذا الأمر الوارد في الفقرة التي ذكرتها هو واحد من مجموعة الفروض البالغ عددها ٦١٣.

راجع مجموعة فروض الرمبام (موشيه بن ميمون) وبها فروض «افعل» البالغ فصولها ١٨٥. وهي تصلح الآن مثلما كانت تصلح قبل ذلك، بل ربما تصلح الآن أكثر من الألفي عام التي قضيناها في الشتات ولم نتمكن فيها من أدائها.

وكما جاء في كتاب شرح مجموعة الفروض، فقد تم تفسير هذا الفرض على النحو التالي: «ويطبق هذا الفرض على الذكور والإناث في كل مكان وكل زمان، [illegible]».

وبالنسبة لكونه استفزازاً للشعوب.. فلا، ليس هذا استفزازاً، لأن عبدة الأوثان الذين يقيمون في هذه الأرض يجب [illegible] يجب أن نبيد أماكن عبادتهم عن آخرها.

وجاء صراحة في شرح شروط هذا الأمر في كتاب التفاسير ما يلي: «ينطبق هذا الفرض في كل وقت، [illegible] في أرض إسرائيل [illegible] على عبدة الأوثان فيها..» ومعنى ذلك بداية، أن الأمر ليس موجهاً إلى فرد واحد، بل إلى الشعب الذي يعيش على هذه الأرض.. ولكن بشرط واضح وهو أن تكون السلطة في يد هذا الشعب. وفي هذه الحالة [illegible] الأمر على [illegible] صلاحيته [illegible] فروض الرب في هذه الأرض.

أما فيما يتعلق بعدم مراعاة المتطلبات الدينية؟ فهذه الملاحظة ليست ملائمة هنا لأن تحريم عبادة الأوثان أمر إلهي لكل شعوب العالم مثل تحريمها على شعب إسرائيل، وعلى ذلك فإن عبادة الأوثان ليست [illegible] ولكنها جريمة خطيرة في نظر الرب.

ولقد [illegible] التوراة [illegible] في كل مكان في العالم، ولكن عبادة الأوثان هي مرفوضة ومحظورة، ولذلك فإن التوراة توصي الشعب الإسرائيلي – كجزء من دوره كشعب الله في هذا العالم – [illegible] عبادة الأوثان، وهذا فضل كبير من الرب حتى لا تضل الشعوب ويبقى العالم قائماً.

(*) [illegible]

قصة سيدنا إبراهيم (٢)

للعلامة الشيخ عبد الوهاب النجار

المحاكمة

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء:

[illegible]

حينئذ ظهرت حجة إبراهيم واضحة ورأى الفرصة سانحة لإلزامهم الحجة. قال:

[illegible]

فلما أعيتهم الحيلة فيه ووجدت موعظته منهم قلوبا غلفا وآذانا صما: عمدوا إلى ما يلجأ إليه القوى الجبار الذى لا حق معه بإزاء الحق الضعيف.

قال تعالى

[illegible]

وتوجد طريقة أخرى فى احتجاج إبراهيم لدينه وتزييف دين قومه أتى بها على سبيل التدرج فى الإلزام. ويرى فريق من الناس أنها تدرج فى تكوين العقيدة. ذلك أن القوم كانوا يعبدون الأصنام. ينحتونها على أسماء الكواكب كالشمس والقمر ونحوهما. فأراد أن يلزمهم أن الكواكب والشمس والقمر لا تصلح لأن تكون آلهة. وإنما الإله هو الذى خلقهن وخلق السموات والأرض. وبيده ملكوت كل ما فيهما. وأن التماس الصحة والعافية والرزق من غيره تعالى باطل. اقرأوا قوله تعالى فى سورة الأنعام:

[illegible]

(أى خوفوه سطوة آلهتهم)

[illegible]

(الأنعام ٨٠ - ٨٣)

وهناك رأى آخر: وهو أنه حين التفت إلى النظر فى المعبودات لم ترقه الأصنام فظن النجم هو الإله فلما أفل لم يعجبه فانتقل إلى القمر، فلما أفل انتقل إلى الشمس، فلما أفلت علم أن الإله سوى هذه كلها. وقد قصها برنابا فى إنجيله نقلا عن المسيح عليه السلام.

اقرءوا قصة إبراهيم كاملة فى الآية ٢٥ من الفصل ٢٣ إلى آخر ٢٥ من برنابا.

محاجة إبراهيم للملك

تشعر قصة إبراهيم محكية فى القرآن أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون ملوكهم مع آلهتهم. يدل على ذلك المحاجة التى كانت بين إبراهيم وبين الملك فأحب الملك أن يرجع إبراهيم عن نحلته الجديدة المخالفة لنحلة قومه وأن يعبده وآلهته.

وقد قص الله ذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة

[illegible]

تعدد مواقف إبراهيم

وقد كانت مواقف إبراهيم مع قومه متعددة. فتارة يحاج والده وتارة يحاج الجمهور، وتارة يحاج الملك، وتارة يعمل ما يستفزهم به إلى محاجته كتكسير الأصنام ليكلموه فى شأنها إلى أن أوقدوا النار

لتحريقه، فنجاه منها بعد أن ألقي فيها، [illegible] في سورة الصافات:

﴿ [illegible] ﴾

(الصافات [illegible] ٩٣ - ٩٩)

وهذه الآيات أيضا تدل على أنهم كانوا يأتون بالطعام إلى آلهتهم ولعل السدنة كانوا يأخذونه ويوهمونهم أن آلهتهم رضيت عنهم [illegible] في سورة [illegible]:

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾

قصة إبراهيم في القرآن تدل على أنه كان حليما رقيق القلب عطوفا رءوفا بارا بوالده مع قسوته عليه. وأنه كلما باعد والده بينه وبينه تلطف هو في المقاربة وترفق في دعوته وهدايته وتحذيره. ولكن ذلك كله لم يعد نعلة الشقاء عليه يقول الله تعالى في سورة مريم:

﴿ [illegible] ﴾

اخفاق ابراهيم في هداية قومه

إن إبراهيم - صلوات الله عليه - بعد أن جهد الجهد كله في سبيل هداية قومه وبعد أن حاول أن يقنعهم بكل وسائل الإقناع؛ لم يحل من قومه بطائل. وجعله قومه وألقوه في النار فجعلها الله تعالى بردا وسلاما عليه. وهدده أبوه بأن يرجمه إذا استمر على جحد الأصنام. ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة ولوط بن هاران بن تارح.

رحلته إلى أور الكلدانيين

ثم حاران أو حران

تبرأ إبراهيم من أبيه. ولم يطب له المقام بين أهله وقومه. فذهب إلى أور الكلدانيين[1] ثم حاران. وكان إبراهيم قد ظهر من أبيه بعدة: هي أنه سيؤمن به فاستغفر الله له. ولكنه علم بعد ذلك أنه مقيم على دين قومه فتبرأ إبراهيم منه يدل على ذلك قوله تعالى في سورة التوبة

﴿ [illegible] لأواه حليم ﴾

رحلته إلى فلسطين

رحل إبراهيم بعد ذلك إلى فلسطين غربيا ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط، ومع لوط زوجه كما قال تعالى في سورة العنكبوت:

﴿ [illegible] ﴾
﴿ [illegible] مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾

(1) مدينة كانت قرب الشاطئ الغربي للفرات.

ولقد ورد أن [illegible] بنت رسول الله إلى الحبشة قال النبي ﷺ: [illegible]

وسكن إبراهيم ولوط في تلك الأنحاء وكانت أرض الكنعانيين.

وأقام في شكيم وهي مدينة [illegible] ولكنه لم يطل به المقام، بل كان ينتقل نحو الجنوب كما تدل على ذلك عبارات التوراة في رحلتيه إلى مصر ثم إلى أرض أبي [illegible].

رحلته إلى مصر

حدث جدب في الأرض فانتقل إبراهيم إلى مصر وذلك في عهد ملوك الرعاة وهم العماليق ويسميهم المؤرخون الهكسوس، [illegible] حادث [illegible] زوجة له فرأى في نومه أنها ذات بعل فعاتب إبراهيم وأعطاه أموالا وماشية وجواري وعبيدا، وعاد إبراهيم كما بدأ. وأنا استبعد ما قصته التوراة في ذلك، وأحذر كل مؤمن أن يصدق ما جاء بها من ذلك فإنها توهم أن إبراهيم كان يستغل وضاءة وجه زوجته وحسنها [illegible] على جمال، استغلالا شائنا معيبا فهي تذكر أنه اتفق معها على أن تقول إنه أخي وهو يقول أختي لئلا يقتلوه، [illegible]. وأنا أعيذ إبراهيم من هذا النقص الشائن وأقول: إن سارة لما كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة أو أكثر!

وكان لوط مع إبراهيم، وكان الرجلان لهما أموال كثيرة، وكان الرعاة يزدحمون على الأماكن والورد فاتفق رأيهما على أن يفترقا في الإقامة حفظًا لعلاقة المودة والرحم.

فذهب لوط إلى سادوم وعامورة في دائرة الأردن وأقام إبراهيم حيث كان.

دخول إبراهيم بهاجر

كانت سارة زوج إبراهيم عاقراً لم تلد وكان ملك مصر قد أعطى سارة على ما تقول التوراة جارية مصرية وتألمت سارة إذ لم تجد لإبراهيم نسلا ـ وهي قد شاخت ولا يرجى لها أن تكون أمًا ـ فأمرت مع إبراهيم. وكان عاقبة ذلك أن دخل إبراهيم على هاجر فأتت منه بغلام هو إسماعيل عليه السلام.

ولادة إسماعيل بن إبراهيم من هاجر

لم تفصل قصة ولادة إسماعيل وورث والده به في القرآن الكريم. وإنما ذكرت في سفر التكوين مفصلة. والمرة التي ذكرت في القرآن الكريم فلم يذكر فيها إسماعيل وسنذكرها عند موقفه في ذبح إبراهيم ولده.

سنة الختان

وقد عهد الله إلى إبراهيم بالختان وكانت سنه إذ ذلك تسعا وتسعين سنة. وكان إسماعيل قد بلغ ثلاث عشرة سنة، فاختتن إبراهيم وإسماعيل وكل من كان لإبراهيم من العبيد. وفي إنجيل برنابا أن سبب الختان أن آدم لما عصى ربه نذر أن يقطع من نفسه عضوا إذا تاب الله عليه فلما قبلت توبته وأراد الوفاء بنذره احتار ماذا يصنع؟ فدله جبريل على هذا الموضع فقطعه. ولعل أبناءه تركوا هذه السنة حتى أمر الله إبراهيم بإحيائها.

إبراهيم والملائكة

ومن مواقف إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه رأى ثلاثة رجال في البرية فاستقبلهم ـ وكان إبراهيم يحب ـ قرى الأضياف ـ فمالوا إليه، فصنع لهم طعاما وعمد إلى عجل سمين فذبحه وشواه في النار وجاء به حنيذًا، قد أثرت فيه النار وجعلت لونه الحمرة، وقربه إليهم. فلم تمتد إلى طعامه أيديهم، فارتاب في شأنهم وأوجس منهم خيفة. فخاطبهم في هذا الشأن فعلم أنهم ملائكة أرسلهم الله للانتقام من أهل سادوم وعامورة، وهم المعبر عنهم بقوم لوط. وكانت سادوم وعامورة في مكان البحر الميت المعروف اليوم ببحر لوط، ويقال أنه ظهرت بشاطئه بعض آثارهما.

دفاع إبراهيم عن لوط بن أخيه

خاف إبراهيم من هذا العذاب النازل أن يمس ابن أخيه فقال لهم إن فيها لوطا! فقالوا له: نحن أعلم بمن فيها وأنه وأهله من الناجين.

مجادلة إبراهيم عن قوم لوط

كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ رجلا رقيق القلب، فلما علم أن قوم لوط هالكون وأن الملائكة قادمون لإنفاذ الأمر فيهم، أخذته الشفقة عليهم، فأخذ يجادل في شأن قوم لوط ويستنزل الرحمة بهم ـ رجاء أن ينظر الله إليهم نظرة رحمة. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(هود: ٧٤، ٧٥)

وهذه المجادلة عنهم لم تفصل في القرآن الكريم.

البشرى بإسحاق

والبشرى التي بُشر بها إبراهيم هي: أن الملائكة قالوا له إننا جئنا لنبشرك بغلام عليم، فراجعهم قائلا: أبشرتموني على أن مسني الكبر وصار لا يرجى لي كان مثلي أن يلد وامرأتي عاقر قد بلغت من اليأس. وكانت سارة تسمع كلام الملائكة لإبراهيم فضحكت من هذه البشرى العجيبة. وقالت: كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا؟!

وأبدت غاية الاستغراب! فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء، وأقتوا وقتا لهذا الأمر. ثم فصلوا عن إبراهيم إلى سدوم وعامورة.

حب الاستطلاع في إبراهيم

كان إبراهيم عليه السلام محبا للاستطلاع شغوفا بأن يرى الشيء الذي يقع عنده موقع الغرابة، وقد أوحى إليه أن الله سيحيي الموتى ويحشرهم ليوم لا ريب فيه، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. فأحب أن يرى ميتا عاد حيا. فسأل الله ذلك فقال الله له:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٦٠)

فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير فيقتلها ويفرق أجزاءها على الجبال. ثم يدعوها فإنه سيجدها آتية إليه. وحينئذ يكون قد رأى الميت قد عاد حيا. ففعل ودعا الطيور فعادت إليه صحيحة كأنها لم تذق للموت طعما.

اقرءوا قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿[illegible]﴾

والقرآن نزل مصدقًا لما بين يديه ومهيمنًا عليه فهو الواجب التصديق دوما خالدا.

وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا (٦)

للأستاذ الدكتور/ [illegible]
[illegible] جامعة القاهرة

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو [illegible]) :

نشأت فكرة منظمة بقرار صدر في مؤتمر الإسلامي الحادي عشر لوزراء الخارجية، المنعقد في مايو ١٩٨٠، وقرر مؤتمر القمة الإسلامي الثالث المنعقد في مكة المكرمة والطائف بالسعودية في يناير ١٩٨١ إنشاءها، وانعقد مؤتمرها التأسيسي بفاس بالمملكة المغربية في مايو ١٩٨٢، وأعضاؤها هم الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

أهداف المنظمة:

(١) تقوية وتشجيع وتعميق التعاون بين الدول الأعضاء في ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال.

(٢) تطوير العلوم التطبيقية واستخدام التكنولوجيا المتقدمة في إطار القيم والمثل العليا الثابتة للأمة الإسلامية.

(٣) تدعيم التكامل والسعي للتنسيق بين المؤسسات المتخصصة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مجالات التربية والعلوم والثقافة، والاتصال بين الدول الأعضاء في الإيسيسكو.

(٤) جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم في جميع مراحله.

(٥) دعم الثقافة الإسلامية وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والتشويه، والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية وخصائصها المتميزة.

(٦) حماية الشخصية الإسلامية للمسلمين في البلدان غير الإسلامية.

ومن أبرز أوجه نشاط الإيسيسكو نشر كتب توثيقية عن الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي باللغة العربية واللغات الأجنبية. كما تم ترجمة كتب تعليم الصلاة إلى ست لغات إسلامية أفريقية (الهوسا، [illegible]

[illegible]

ماندنكو، الولوف، الفلفلدي، البورغندية، [illegible]). كما تم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]).

وتقوم المنظمة [illegible] الأوضاع التربوية والثقافية والعلمية في العالم الإسلامي [illegible] مؤتمر [illegible] [illegible] وورش عمل في مجالات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تطوير التربية والثقافة والعلوم.

كما [illegible] [illegible] [illegible] في ٦٥٠ صفحة، [illegible] عملاً [illegible] [illegible] [illegible] ولا عهد للمكتبة العربية الإسلامية بمثيل له. كما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع دولتي نيجيريا وغينيا، بهدف تنشيط [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلامية في غرب أفريقيا [illegible] [illegible]، بما ييسر تعلمهما عن طريق اللغة العربية، مع ربطهما بمحيطهما الثقافي [illegible] الإسلامي، [illegible] [illegible] [illegible] الثقافة الإسلامية مع تنشئة أجيال قادرة على مواكبة العصر، مع المحافظة على هويتها.

وقد وقعت منظمة الإيسيسكو مع منظمة الأليكسو على اتفاقية تعاون في عام ١٩٨٤. وكان من أهم ما تم بينهما من اتفاق: برنامج تعاون مشترك للسنوات (١٩٩٨ – ٢٠٠٠) [illegible] [illegible] [illegible] من البرامج المشتركة، التي تعنى بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومحو الأمية وتعليم الكبار والتعليم عن بعد، والمحافظة على التنوع الإحيائي، وحماية حقوق المؤلف، وفهرسة المخطوطات، وتأهيل العاملين في المتاحف، وتدريب الموثقين والإعلاميين، مع دعم إنشاء شبكة للمعلومات، تربط بين اللجان الوطنية وكل من الإيسيسكو والأليكسو مع ربطها بالشبكات الدولية. كما أن من إنجازات تعاونهما دعم المدارس العربية (من ذلك ما تم في جمهورية بنين من عمل دورة تدريبية لموجهي المدارس العربية الإسلامية).

المركز الإسلامي الإفريقي[2]:

أنشئ المركز عام ١٩٦٦م في الخرطوم بالسودان بهدف تعليم الإسلام واللغة العربية لأبناء الوافدين المسلمين من الدول الأفريقية [illegible] ١٩٧١م. وقد دعت الحكومة السودانية العديد من الأقطار العربية للمساهمة في هذا المركز [illegible] مؤسسة إسلامية متكاملة تشمل [illegible] ومباني إداريا، ومكتبة، ومساكن للأساتذة [illegible] ومشروع [illegible] مشتركة في ميزانية التشغيل والتشييد بين المملكة السعودية (٢٥٪) والكويت والإمارات العربية وقطر (١٥٪ لكل منها). [illegible] (١٠٪ لكل منها).

ويهدف المركز إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي وتعميقها بين الشعوب الأفريقية، وتوضيح العقيدة الإسلامية [illegible] نشر الدعوة الإسلامية بين الدول الأفريقية.

وقد بدأ المركز في عام ١٩٧٧م بقبول ستين طالبا من [illegible] مع إعطائهم منحا دراسية، ثم تزايد عدد الطلاب ليصل إلى ٧٥٠ طالبا من ٣٢ دولة أفريقية.

وتنقسم الدراسة في المركز إلى أربع شعب تخصصية[3] وهي:

التعليم وتضم: (التعليم الثانوي الأكاديمي، والتعليم الثانوي دراسات إسلامية وعربية، والتعليم الثانوي [illegible] ودراسات إسلامية، ودبلوم تربية).

الدعوة والتوجيه: (الإشراف على تدريب الوعاظ والدعاة وأئمة المساجد، ونشر الثقافة الإسلامية في أفريقيا، وتوثيق العلاقات والتعاون بين المركز والمؤسسات الإسلامية التي تعمل في إطار الدعوة الإسلامية داخل السودان وخارجها، وتبادل الوفود والدعاة بين السودان ومختلف الدول للقيام بالدعوة الإسلامية).

البحوث والنشر [illegible] (إجراء بحوث ودراسات حول الأوضاع [illegible] والاجتماعية والتعليمية والثقافية للمسلمين في أفريقيا [illegible] الدعوة، مع تبني البحوث والدراسات التي تبرز دور الإسلام في أفريقيا وتصحح المفاهيم الخاطئة عن [illegible] الإسلامية من خلال ترجمة وتأليف الكتب الإسلامية مع ترجمة بعض الكتب التي تتحدث عن [illegible] أفريقيا إلى اللغات الأجنبية [illegible] المكتبة والوثائق وتضم أكثر من ١٥ ألف كتاب ومئتي دورية و٦٥٠ وثيقة و٧٠ أطروحة جامعية وعدد من المخطوطات [illegible] كما يصدر المركز عددا من مجلات [illegible] المركز [illegible] أفريقية، وهي مجلة نصف سنوية، وسلسلة الإسلام في أفريقيا.

وأخيرا شعبة الخدمات الاجتماعية [illegible] قيامها.

ويتكون الهيكل التنظيمي للمركز من مجلس أمناء يضم ممثلين عن الدول المساهمة، ومجلس إدارة يمثل السلطة الإدارية ويتكون من رؤساء شعب التخصصية وخمس شخصيات أخرى يعينها المجلس الأول.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

أنشئت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا بموجب قانون ٦٨ لسنة ١٩٧٢م في ١٣ مايو عام ١٩٧٢م (٢٩ ربيع أول عام ١٣٨١م) أصدره مجلس قيادة الثورة [illegible] في [illegible] مركز الإشعاع الحضاري الإسلامي، والجمعية تعد منظمة خيرية غير حكومية ومستقلة تعمل على تقديم المساعدات بصرف النظر عن الانتماءات [illegible] وتتمتع الجمعية بشخصية اعتبارية مستقلة ويتبعها صندوق لتمويل [illegible] صندوق الجهاد.

ولها عدد من الدعاة في أنحاء العالم المختلفة، كما يتبعها كلية الدعوة الإسلامية التي أنشئت عام ١٩٧٤م والتي يدرس بها طلبة من كافة أنحاء العالم، ومدة الدراسة بها ٤ سنوات يحصل بعدها الخريج على درجة: «الإجازة العامة في الدعوة الإسلامية» وهي تعادل درجة الليسانس الجامعية.

وتعمل الجمعية على دراسة المناطق التي تقدم لها المساعدات خاصة في أفريقيا مع تحديد دراسة الأمراض المتوطنة والمشكلات البيئية.

وتقدم الجمعية المساعدات الإنسانية وذلك عن طريق تسيير قوافل إسلامية إنسانية للدول الأفريقية [illegible] للاستفادة من الخدمات التي تقدمها. والقوافل تتضمن عددا من الأطباء في مختلف التخصصات بالإضافة للممرضين والصيادلة لتوزيع الأدوية والمساعدات والإسعافات الأولية وإجراء الجراحات إذا لزم الأمر، مع عدد من [illegible] فكرة تجمع التبشير بتعاليم الإسلام وشرحه لغير معتنقيه وتثبيته وتقويته في نفوس المسلمين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم... «فهي تزور المدرسة والمسجد والكنيسة والمستشفى [illegible] عدو الإنسان المتمثل في المرض والجهل والفقر».

هذا وقد انتشرت القوافل الإسلامية في مناطق أفريقيا المختلفة ولم تقتصر على منطقة بعينها ولا على المناطق الأقرب لليبيا كالساحل فهدفها أفريقيا ككل ومن ثم زارت كلا من: موزمبيق، إثيوبيا، بتسوانا، بوركينا فاسو، غانا،

---

(٢) The Islamic Education, Science, and Cultural Organization (ISEACO)

[illegible]

انظر: الإيسيسكو، العدد ٤٠، شوال ١٤٢١هـ يناير ٢٠٠١

[illegible] ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠

(٣) [illegible] المركز الإسلامي الأفريقي في السودان، الكويت: مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٦٨، ديسمبر ١٩٨٦، ص ٧٦ـ ٨٣.

[illegible]

وقد [illegible] ... في
أفريقيا وإن كانت قد زارت أيضاً مالاديف وسريلانكا في آسيا. وتتوالى على جمعية الدعوة طلبات الدول بزيارة القوافل لها.

كما تقوم جمعية الدعوة الإسلامية مع بداية شهر رمضان من كل عام بإرسال عدد من قراء القرآن الكريم والوعاظ لإحياء ليالي رمضان.

هذا وقد تم إنشاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، عام ١٩٨٢م ليكون بمثابة اللجنة [illegible] الإسلامية.

وعمل الجمعية هنا يعتبر رائداً، حيث إنها تعد أول مؤسسة إنسانية أفريقية تقوم بهذا العمل [illegible] القوافل على توزيع الدواء والملابس والأغطية والأطعمة [illegible].

وتسعى جمعية الدعوة الإسلامية [illegible] إلى إقامة المراكز الإسلامية مثلما أنشئ في بنين وأوغندا ومراكز ثلاثة في بوروندي، وبناء [illegible] (العروسية) وإنشاء المدارس الإسلامية (مثل مدرسة عمر المختار في مدغشقر). كما تقوم بإرسال الدعاة ودفع رواتبهم[6].

وتحرص الجمعية على [illegible] والإرسال العقاقير الطبية والمساعدات.

وجدير بالذكر أن العديد من المواطنين الأفريقيين [illegible] القافلة وكان جهدها واضحاً في هذا المجال في زوارها عام ١٩٨٢م[7].

كما تسعى جمعية الدعوة الإسلامية إلى محاولة توحيد صفوف الجماعات الإسلامية وحل الخلافات فيما بينها كما حدث في غانا، وتوحيد الجماعات الإسلامية في بوركينا فاسو [illegible] الإسلامية وذلك بإرسالها وفداً من المجلس العالمي للدعوة الإسلامية لهذا الغرض[8].

[illegible] اتفاقية لإنشاء منظمة مشتركة لإنشاء المراكز الثقافية الإسلامية في أفريقيا وآسيا في ٢٨ [illegible] ١٩٧٥م [illegible] التنمية الثقافية والاجتماعية للأقليات المسلمة في آسيا وأفريقيا [illegible].

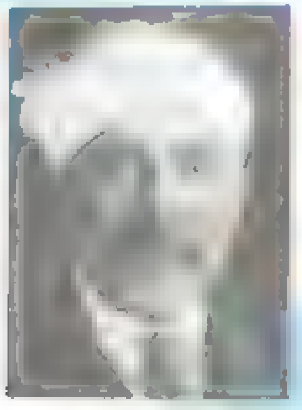
[illegible] ١٩٨٦م [illegible] (وفاة الرسول) [illegible] هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة [illegible] كما هو معروف.

(٧) المرجع السابق ص١٨

(٨) المرجع السابق ص ٣٣ - ٣٤

(٩) المرجع السابق ص٢٦

عبد العزيز جاويش



لأمير الشعراء: أحمد شوقي

أصاب المجاهد عقبى الشهيد ... [illegible]
وأمسى جماداً عدو الجمود ... وبات على القيد خصم القيود
حداه [illegible] إلى منزل ... يلاقي الضعيف عليه الوحيد
[illegible] ... [illegible]
وبات الحواري من صاحبيه ... شهيدين أسرى إليهم شهيد
[illegible] في منكبي مصطفى ... [illegible] وبين ذراعي فريد[1]
فيا لك قبراً أكن الكنوز ... وساح الحقوق وحاط العهود
لقد غيبوا فيك أمضى السيوف ... [illegible]
ثلاث عقائد في حفرة ... تدك الجبال وتوهي الحديد
فقد ذكن الأساس المتين ... وقام عليها البناء المشيد
[illegible] ... ألا إن أمس أساس الوجود[2]
[illegible] ... لما ظهرت جدة للمهود

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش، أحد المناضلين في حركة النهضة المصرية كان زعيماً سياسياً دينياً عظيماً، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة ومصر وتركيا خاصة ثم حكم عليه بالنفي والتشريد مدة طويلة ثم عاد إلى مصر [illegible] ومات في سنة ١٩٢٩. [illegible] في المصلحة والقوة في وقته.

[illegible]

[illegible]

وهل [illegible] ... [illegible] كبرُ [illegible]

[illegible] ... [illegible] وعمر جديد

طريد السياسة منذ الشباب ... لقد آن أن يستريح الطريد

لقيت الدواهي من كيدها ... [illegible] بكيد

[illegible] لا [illegible] ... [illegible] يستطيع [illegible]

وقُلِّبت في النار مثل [illegible] ... وغرِّبت مثل الجمان الفريد

[illegible] ... [illegible] المكانة نجمُ الصعيد (٤)

إذا ما تطلّعت في الشاطئين ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... وتنمي رسائل عبد الحميد

[illegible] ... ويحفظها النثرُ حفظ النشيد

فما بالُها نكرتها الأمورُ ... [illegible] حدود

لقد [illegible] القوم أمس القريبُ ... [illegible]

يقولون ما (لأبي ناصر) ... [illegible]

وفيم تحمّل هم القريب ... من المسلمين وهمّ البعيد؟

[illegible] ... [illegible]

أتستكثرون لهم واحداً ... ولي القديم نصير الحديد؟

[illegible] ليؤلف بين القلوب ... [illegible]

---

٣. الداهي: هو الذي يأتي بالداهية.

٤. كان العقيد محرر جريدة اللواء في عهدها الأول.

[illegible]

يشمله [illegible] ... [illegible]

وللقوم حشى وراء القفار ... [illegible]

جزى الله ملكاً من المحسنين ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] (الرشيد)

يداوي نداه جراح الكرام ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... وكفكفَ بالعطف دمع الوليد

سلامٌ (أبا ناصر) في التراب ... [illegible] التراب رفيف الورود

بعدت وعزَّ إليك البريدُ ... وهل بين حي وميت بريد؟

أجل بيننا رسلُ الذكريات ... [illegible] بطيف ودمعٍ يجود

وفكرٌ وإن عقلته الحياةُ ... يظلُّ بوادي المنايا يرود (٨)

أجل! بيننا الخشَبُ الذاهبات ... وإن كان راكبُها لا يعود

[illegible] ... قيام بملك الصحارى قعود

وكم حملت من صيد نبيلٍ ... وكم [illegible] من [illegible]

[illegible] بالموت إلا أبت ... [illegible]

وكيف يُسمّى الغريب امرؤٌ ... [illegible]

وكيف يقال لجار الأوائل ... جار الأواخر ناء وحيد؟

---

٦. هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر [illegible]

٧. هو هارون الرشيد، وقد [illegible] العلم والأدب في عهده [illegible] كبيراً

٨. يرود: أي يبحث ويكتشف.

٩. يقول: إن الميت [illegible] على [illegible] وجدوده [illegible] ولا وحيداً

مصطفى صادق الرافعي إمام البيان العربي الحديث



٢

للأستاذ الدكتور/ حلمي محمد القاعود

تستطيع أن تجد لكل أديب شبيها في [illegible] ولكنك لا تستطيع أن تجد لمصطفى صادق الرافعي في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] ١٣١٤ [illegible].

والرافعي يختلف عن معظم الكتاب، في [illegible] في كتابته ووضع يده على مناطق لم يتطرق إليها الكتاب من قبل، وهي خاصية تميز بها عن سواه":

"وإن من أعظم خوارق الرافعي البيانية أن يتكلم في حادثة تعرفها تمام المعرفة - إذ قرأتها مرات في كتب التاريخ - ثم تطالع ما كتب الرافعي في هذا المجال الذائع، فلا تجد غير الطريف الجديد، حتى لكأنك تقرأ عن موضوع لم تسمع به قبل الآن".

ومثال ذلك حادثة الإسراء المشهورة، حيث يكتب الرافعي في الموضوع فيقول:

"لقد حار المفسرون في قوله تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾

(الإسراء:١)

فإن السرى في لغة العرب لا يكون إلا ليلا، والحكمة (في ذكر كلمة الليل) هي الإشارة إلى أن القصة قصة النجم الإنساني العظيم، الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في هذه المعجزة [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] تعالى:

﴿لنريه من آياتنا﴾

[illegible] كيف [illegible] صحة، يخيل إليك أن ليس وراءها شيء، ووراءها السر الأكبر، فإنها بهذه المعجزة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم - فوق الزمان والمكان، يرى [illegible] [illegible] قدرة الله لا إلى قدرة نفسه، بخلاف ما لو كانت [illegible] يرى [illegible] هذا ما يجعله لنفسه في حدود قوتها وحواسها وزمانها ومكانها، فيضطرب [illegible] ولا يكون [illegible] معجزة [illegible] صيغة إلى صيغة كما رأيت، هو بعينه [illegible] [illegible] معجزة [illegible] العقل، فتبارك الله منزل هذا الكلام... إلخ" (السابق، ١/ ٤٣٢ وما بعدها).

لقد بدأ الرافعي كتابته النثرية بكتاب مدرسي اسمه ملكة الإنشاء "وضع فيه نماذج يحتذيها الطلاب عند كتابتهم [illegible] في المدارس، ولا أظن هذا الكتاب قد أعيد طبعه مرة أخرى.

بيد أن الرافعي بدأ الكتابة الأدبية في الصحف مع إعلان الجامعة المصرية عن مسابقة لتأليف كتاب في تاريخ الأدب العربي، وكان يأمل أن يعين مدرسا في الجامعة، وشاء قدر الله أن تكون مقالاته في [illegible] [illegible] تاريخ آداب العرب، سببا في تدريس الآداب العربية وتاريخها في الجامعة المصرية، وعلما [illegible] في هذا العلم (حياة الرافعي، ص ٦٧).

ثم إن (الرافعي) في تاريخه للأدب، اعتمد- ربما لأول مرة - على المنهج الرأسي الذي يعني بتناول كل موضوع أدبي على حدة، وهو يختلف عن المنهج الأفقي الذي درج عليه المستشرقون [illegible] في [illegible] التاريخ الأدبي إلى عصور وفترات زمنية معينة مثل العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الأموي.. إلخ، وهو بهذا المنهج - كما يعتقد - يخدم الموضوعات الأدبية بوصفه وحدة متكاملة في كل العصور والأزمنة(الرافعي، تاريخ آداب العرب، [illegible] الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ١/ ١٧).

[illegible] والرواة، ومنزلة القرآن الكريم من اللغة، وإعجازه، والخطابة والأمثال، وعن الشعر ومذاهبه.. ويتوقف في كل باب عند كل ما يتصل بعنوانه من تاريخ وقضايا حتى يستوفيه.

[illegible] الرافعي [illegible] الأجانب في أساليبهم إلى جانب استيعابه للأسلوب القرآني والبلاغة

النبوية والتراث العربي القديم، وقد أعجبته بعض التعبيرات الإنشائية البسيطة، السهلة المعنى، التي كتبها بعضهم، ومنها على سبيل المثال عبارة فيكتور هيجو التي يقول فيها: "وأصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل"، وكانت هذه العبارة وأمثالها جذوة أشعلت لدى الرافعي ملكة الإنشاء (انظر حياة الرافعي، ص٧٦).

وكان من أبرز كتبه التي تأثرت بهذه الجذوة كتاب "المساكين"، الذي عالج فيه قضايا الفقر والمجتمع. وكتب في افتتاحيته:

"أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط الناس".

وهذا الكتاب اجتمع على إخراجه سببان: أهوال الحرب العالمية التي حطت على مصر بالجوع والقحط والغلاء، والشيخ علي الجناجي، وهو رجل كان يعيش ليومه في قرية أصهاره؛ منية جناج التابعة لمديرية الفؤادية آنئذ، وقابله الرافعي هناك وتأثر لمنظره.

وقد لفت كتاب المساكين نظر كبار الكتاب والمشاهير، ومن بينهم أحمد زكي باشا، الذي كتب إلى الرافعي يقول:

"لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير، وهيجو كما للفرنسيين هيجو، وجوتة كما للألمان جوتة".

حرص الرافعي على استخدام اللغة العربية والسمو بها والدفاع عنها، وقر في نفسه أن هذه اللغة لن تعود إلى مستواها المجيد، حتى تعود الأمة العربية إلى مكانها مما يكتبه الكتاب ويبثه الأدباء، ومن يستطيع كتابة بشحذ قلمه لذلك إلا أن يتزود له زاده من الأدب القديم (السابق، ص ٧١).

كان الرافعي حريصا على التأنق في أسلوبه، وتقطيره، بحيث نراه حالة هندسية دقيقة في التصوير والتعبير، وهو ما كان يدفعه أحيانا إلى الإغراق في الصور الذهنية التي تبدو وقد شابها شيء من التعقيد أو الغموض، ولكنه لحسن الحظ لم يكن يتوسع في ذلك، ويمكننا أن نجد حالة من التلقائية والعفوية مفرطة - إن صح التعبير - في رسائله التي كان يرسلها إلى تلميذه "محمود أبو رية"، فعبيها ينطلق على سجيته متحمسا من أسباب التصنع والأساليب المتعقلة. وليس معنى ذلك أن (الرافعي) خرج على أصول فنه أو طريقته في التعبير، ولكنه يتعدى مؤقتا - إذا صح القول - عن التنقيح، فتأتي رسائله عفوية خالية مما يؤخذ عليه أحيانا من استطراد أو ازدحام في المعاني أو تداخل في الصور.

ومن أمثلة رسائله التي يعبر فيها بتلقائية وعفوية، ويجيب فيها عن بعض أسئلة تلميذه أبي رية؛ رسالته عن وحي القرآن باللفظ والقراءات، وجاء فيها:

(يا أبا رية

السلام عليكم، وبعد فإنك تسألني مسائل دقيقة تحتاج إلى الفكر وبسط الجواب، وهذا ما لا قبل لي به، فأنا مريض بمرض حقيقة ولكني أجيبك على قدر ...
وقبل هذا الجواب أنبهك إلى أنك كررت في كتابك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم - دون أن تتبع اسمه الشريف بصيغة الصلاة عليه، وهذا سوء أدب لا أقبله أنا من أحد ولا أقر أحدا عليه وأنت حين تقول في كتابك (إن الأنفاع بعث محمد) لا تكاد تمتاز عن رجل مظلم القلب نعوذ بالله من هذه الظلمة. فانتبه إلى ذلك واستغفر الله لنفسك)

أما سؤالك فقد كثر الكلام في جوابه والذي أراه أنا أن ألفاظ القرآن منزلة بحروفها ونسقها وإلا بطل الإعجاز لأن الإعجاز لا يكون إتسابيا... إلخ) (رسائل الرافعي، ص ٧٣).

وكان الرافعي شديد حبه للعربية والإسلام الذي تعبر عنه؛ قد انبرى لأحمد لطفي السيد صاحب الجريدة، حين دعا إلى تمصير اللغة سنة ١٣٣٠هـ ١٩١٢م وإعلاء شأن اللهجات العامية، ودفعها لتكون لغة الكتابة. وانتبه إلى أن هذه الدعوة تستهدف القرآن نفسه، وإلى الفصل بين الأداء العربي في الأسلوب الحديث، ومستوى الأداء القرآني، من خلال تعميق الفوارق بينهما، وأن الهدف تمزيق


أحمد لطفي السيد

اللغة العربية إلى لهجات إقليمية.

كما تصدى لسلامة موسى عندما حمل على العربية، وغمز بالإسلام في كتابه (اليوم والغد)، كما فجر أيضا معركة مع حضور تعقيدة ومعه. كانت خيرا وبركة على التراث العربي أدبا وفكرا، وخرج بالدين من المعركة منتصرا.

ويلاحظ أن حظ الرافعي من العامية المصرية كان قليلا، وكان يسأل صديقه محمد سعيد العريان عن كلمة أو عبارة أو مثل مما يقع من أمثال العامة حين تلجئه الحاجة الأدبية إلى ذلك، فقد كان يعده قاموس العامية (حياة الرافعي، ص ٣١ وما بعدها).

ويمكن القول: إن الرافعي جعل هدفه الأساسي الذي يسعى إليه هو حراسة الدين وحمايته، ودفع أسباب الزيغ والفتنة والضلال عنه. ثم النفح عن اللغة العربية روح من روحه يرده إلى مكانها ويرد عنها، فلا يجترئ عليها مجترئ، ولا ينال منها نائل، ولا يتندر بها ساخر، إلا انبرى له يبدد أوهامه، ويكشف عن دخيلته (انظر السابق، ص ٧١)

يتبع

***

نماذج تاريخية للتعارف خلال الحرب والدبلوماسية

أ.د. نادية محمود مصطفى

أستاذ العلاقات الدولية

[illegible]

٢

٤- من نموذج طريق الحرير إلى نموذج العلاقات الاقتصادية الدولية العثمانية:

من [illegible] إلى [illegible] لقطة [illegible] والاقتصاد في [illegible] القوى السياسية والعسكرية. فالتجارة والاقتصاد شكلا [illegible] المستمرة مهما كانت أشكال العداء أو الصراع أو التعاون بين الكيانات السياسية. إلا أنها لابد وأن [illegible] استعلاء [illegible] السياسية والعسكرية المحيطة.

نموذج طريق الحرير

وإذا كان نموذج طريق الحرير، يمثل نموذجًا للتفاعلات البشرية الحية وانتقال الموارد من مركز ثقافي وحضاري إلى آخر في مسار ممتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب عند الأراضي التركية وشاطئ المتوسط الغربي، مرورا بتضاريس وجغرافيا طبيعية وبشرية شديدة [illegible] مصالح [illegible] الحضارية [illegible] الطرق [illegible] عبر تاريخ [illegible].

ويستهل [illegible] الفصل الأول [illegible] حريري [illegible] وهي[1]:

[illegible] الطرقات [illegible] في معرفة [illegible] كثيرة [illegible] عجيب [illegible] فارس [illegible] كثيرة [illegible] على [illegible]

(١) [illegible] طريق الحرير، ترجمة [illegible]، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١١

يقدم شهادة مهمة ذات دلالة أساسية عن موضع طريق الحرير [illegible] حضارتين: شرقية زاهرة وغربية [illegible] (خلال العصور الوسطى) وهذه الشهادة هي[3]:

([illegible])

"عندما سجل ماركو بولو مشاهداته في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، لقي ذلك تقدير عدد قليل من الناس ولم يصدقه إلا عدد أقل. فقد كان الأوروبيون الأجلاف غير المتعلمين [illegible] في العصور الوسطى في ريب من رواياته عن المدن القديمة الواقعة وسط بحار الرمال وعن ملوك البدو الذين يرفلون في ثياب من الحرير [illegible] الشرقية [illegible] مدن أوروبا عظمة وجمالا.

[illegible] ماركو بولو [illegible] من [illegible] طريق [illegible] الحرير [illegible] الإسكندر [illegible]

[illegible] ماركو بولو [illegible] طريق الحرير [illegible]

في طريق الحرير [illegible] ١٠٥ أو ١١٥ قبل الميلاد [illegible] حتى [illegible] طريق [illegible] آسيا. ومع ذلك، فالواقع يقول إن طريق الحرير أقدم من ذلك بكثير، فربما يعود إلى ألفي سنة قبل ذلك أو يزيد، إذ ظل طريق الاتصال بين البحر المتوسط والصين ما لا يقل عن أربعة آلاف سنة

وإذا كان طريق الحرير أحد أعظم الطرق التجارية في العالم، فقد يكون كذلك أكثرها أهمية من حيث كونه طريقًا لتبادل الأفكار. فعلى هذا الطريق، انتقلت بعض أهم الأفكار والتقنيات في العالم، كالكتابة والعجلة [illegible] والزراعة وركوب الخيل وغيرها. وكان للدين أيضا دور كبير على طول طريق الحرير. وربما يكون الإسلام والبوذية أهم الديانات التي صاغت شخصية الطريق في عصر كل منهما، إلا [illegible] ديانات كثيرة أخرى [illegible] على هذا الطريق، مثل ذلك المسيحية والزرادشتية والمانوية واليهودية والمزدكية والكونفوشية و[illegible]

وفي العصور الوسطى، وبينما كانت أوروبا تعاني من الضعف، أرسلت الصين المزدهرة إلى الغرب [illegible] تعمد ذلك. وشملت تلك الإسهامات الورق والطباعة، أو ما أطلق عليه مايكل إدواردز "مقالة [illegible] إلى جانب [illegible] الجديد

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣-١٢

والتطورات العملية في الطب والفلك والهندسة، علاوة على الأسلحة التي تشمل القوس والنشاب ومعدات الحصار والبارود والعجلات الحربية.

ولا عجب -إذن- أن يحظى هذا الشريان الآسيوي باهتمام بعض الشخصيات العالمية العظيمة. فمنذ أقدم العصور وهذا الطريق به من المغريات ما يستحق اهتمام أكثر الغزاة طموحاً.

ومع ذلك، لم يكن الناس جميعاً مغرمين بالاتصال بآسيا. فعلى مر العصور، كانت هناك شكوى من قسوة رحلة الشرق ومشكلات الغرب وإبعادهم عن الحياة البسيطة التي تتميز بالنقاء.

وعلى امتداد تاريخ الطريق لم يتمكن من قطعه ذهاباً وعودة إلا قليل من الناس. وهذا الطريق الذي يمتد خمسة آلاف ميل تقريباً يمر عبر العديد من البلاد التي تغار على أراضيها وما يحققه الوسطاء التجاريون من أرباح وكانت بلاد فارس أكثر هذه البلاد غيرة.

وفي العصور الوسطى، التي حكم فيها المسلمون الغرب ولمعت أسرة تانغ في الشرق، لم يقطع الطريق بحرية سوى عدد قليل من الناس، فعلى الدوام كان قطاع أو آخر من هذا الطريق المحفوف بالعذاب يُبتلى بالحروب أو الثورات.

ولم تتوحد آسيا تحت راية واحدة إلا في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر. وفي تلك الفترة، وفر المغول، الذين يعتبرهم الغرب مجرد شعب مدمر، الأمن والسلامة للمسافرين بين الشرق والغرب. وفي تلك الحقبة القصيرة من السلام المغولي اتجه التجار الأوروبيون إلى الصين في رحلات منتظمة.

وبزوال دولة المغول انقضت آخر أيام طريق الحرير العظيمة. إذ عادت شعوب آسيا إلى ما كانت عليه من انقسام وفرقة وعاد الشرق والغرب ينظر كل منهما للآخر نظرة كلها خيال ورومانسية. وكثيراً ما تميزت تلك النظرة بغرابة شديدة. وعند سقوط القسطنطينية في منتصف القرن الخامس عشر، ظل طريق الحرير مقطوعاً تماماً لبعض الوقت. ورغم استئناف التجارة والسفر عبر آسيا، لم تقم لطريق الحرير قائمة، وفي عصر الكشوف الجغرافية كان أهل غرب أوروبا يفتحون طرقاً بحرية جديدة، ليس إلى العالم الجديد فحسب وإنما كذلك إلى الصين حول آسيا وأفريقيا، ولم يكن هناك بأس من قطع الرحلة في عام أو يزيد وضياع العديد من الأرواح، خاصة قبل أن يتعلم البحارة كيف يتقون مرض الاسقربوط. ولم يكن الطريق البحري يمر في أرض تابعة لأحد. ولم يكن الوسطاء يقاسمون التجار أرباحهم، لذلك كان ظهور الطرق البحرية سبباً في أفول نجم ذلك الطريق البري. الذي ظل آلاف السنين مسيطراً على آسيا، لقد انقطع الخيط الحريري.

وفي العصور اللاحقة التي تلت ذلك، نسيت الشعوب التي تعيش على امتداد طريق الحرير تلك العظمة التي شهدها أسلافهم. أما تلك المدن التي شيدها الملوك العظام وأحياناً المستوطنون واللاجئون وأثراها التجار وعمرها الكهنة، فقد انكمشت، وغالباً ما هجرها أهلها وتركوها نهباً للرمال". (نهاية الاقتباس)

وإذا كانت توازنات القوى السياسية والعسكرية وتحولاتها قد أثرت في ازدهار هذا الطريق أو تراجعه، مما لا شك فيه أن تحولات القوى العالمية الراهنة "نحو قارة آسيا" ومع كل حديث عن القرن ٢١ قرن آسيا ومع كل الحديث عن توازنات القوى الآسيوية وتحالفاتها في مواجهة تحالفات القوى الأوروبية-الأمريكية ومصالحها العالمية وفي آسيا بصفة خاصة، فستبدو محاولات لإحياء طريق الحرير كنموذج على تنظيم للمصالح الاقتصادية بين مراكز تنافسية وحضارية وقوى سياسية مختلفة.

وفي هذا، يقول مترجم الكتاب "أن ٤٠ دولة آسيوية علقت ١٩٩٦ من أجل إحياء طريق الحرير الجديد من خلال شبكة خطوط سكك حديدية تربط بين بكين شرقاً والبحر المتوسط غرباً". ويصف المترجم هذا الحدث الراهن ودلالات ذاكرته الحضارية كالآتي:

"... وهكذا، تعود الحياة إلى طريق الحرير الذي خطه التجار منذ ما يربو على الألفي سنة، عندما كانوا ينقلون النفائس بين الشرق والغرب. وهو الطريق الذي سار عليه الغزاة والفاتحون، كالإسكندر الأكبر والرومان والفرس وجيوش الفتح الإسلامي وجحافل جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك. وحمل هذا الطريق الدعاة والمبشرين البوذيين واليهود والمسيحيين والمسلمين، وعليه سار الرحالة العظام أمثال شيان تسونغ وابن بطوطة وماركو بولو، الذين لولاهم لما عرفنا كيف كان حال الطريق في العصور التي عاشوا فيها.

وقد عاش هذا الطريق سنوات عز وازدهار، وأخرى من الكساد والانقطاع. أما أكثر أيامه ازدهاراً فكانت عندما خضعت البلاد الواقع فيها لإمبراطوريات قوية، كما حدث في عهد الفرس والمغول، في حين أدى ضعف الدول التي يمر فيها وحدوث حروب وصراعات فيما بينها إلى انقطاع الطريق.

وعلى مر التاريخ، كانت هناك مدن تظهر وأخرى تختفي، تبعاً لموقعها من طريق الحرير، تماماً كما حدث مع تدمر والبتراء اللتين ازدهرتا بمرور تجارة طريق الحرير عليهما ثم طواهما النسيان حين ابتعد مسار الطريق عنهما

ب- نموذج التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية

نستطيع استخلاص محددات التعارف وكيف تأثر بحالة توازن القوى سلماً أو حرباً، فتحت عنوان "التجارة العالمية"، نجد الجزء الأول من كتاب "تاريخ الدولة العثمانية الاقتصادي والاجتماعي" يشير إلى الآتي:

"كانت تعاليم الشرع الإسلامي تحظى بأهمية عظيمة وتتحكم بعلاقات العثمانيين مع أوروبا، ولا يمكن فهم أي دراسة بدون هذه التعاليم...

قبل عام ١٨٠٠، لم تكن التجارة العالمية بين

---

(٣) المرجع السابق، ص [illegible]

(٤) خليل اينالجيك، دونالد كواترت (محرران)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية المجلد الأول ١٣٠٠-١٦٠٠، ترجمة د. عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧، ص٢٨٧-٢٩٩

الدولة العثمانية وأوروبا محكومة بتكاليف النقل فحسب وإنما أيضًا بالصراعات المتكررة بين هذين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإلزامية فرضت على كلا الجانبين الحفاظ على علاقات تجارية ودية حتى خلال أوقات الحرب، وكان السلطان -الإمام يمنح الضمانات الضرورية للإقامة، والانتقال والتجارة في [illegible] الإسلامي. [illegible] [illegible] [illegible] أعداء للإسلام كانوا يحرمون من تلك الضمانات الرسمية.

إن المبدأ الأساسي للامتيازات هو دائمًا أمان [illegible] في مقابل التعهد بالصداقة من قبل غير المسلمين، وغالبًا ما كان العثمانيون يميلون إلى تفسير مثل هذا التعهد على أنه نوع من [illegible].

وعلى قاعدة التعهد "بالصداقة"، توقع العثمانيون -رغم أن ذلك لم يكن معبرًا عنه في الوثيقة- حصول رعاياهم على امتيازات متبادلة. وقد استفاد الرعايا العثمانيون غير المسلمين مثل: اليهود، والأرمن، واليونان والسلاف [illegible] في الخارج وأنشأوا منذ القرن الخامس عشر، جاليات [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

واستفاد العثمانيون أيضًا من علاقاتهم [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الإمبراطورية في أمس الحاجة إليها..

وفي ظل الامتيازات منح الأجانب غير المسلمين الإذن بالتنقل والتجارة الحرة في الأراضي العثمانية. لكن لم يسمح عمليًا [illegible] [illegible] [illegible] عالية من حرية الحركة".

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تطور العصر العثماني.

ومن ناحية أخرى، بين كيف أن القوة [illegible] التجارة الشرقية بين الهند والشرق الأوسط

---

* [illegible] قاسم عبده قاسم، دار [illegible] الإسلامي ٢٠٠٧ [illegible]

وحافظت على العالم الإسلامي طيلة أربعة قرون من الأخطار الخارجية، التبشيرية والاستعمارية وفي نفس الوقت فلقد كان للدور العثماني العالمي وجهًا آخر حيث يشير خليل [illegible]

... وهناك حقيقة تاريخية مدونة حتى في مناهج التاريخ المدرسية ألا وهي: إن الأوروبيين تعلموا كافة العلوم ابتداء من علم الرياضيات وحتى فنون النسج والأصباغ وبعض المشروبات غير الحمضة وغيرها من حضارة الشرق الأدنى، ودون إدراك هذا المفهوم لا يمكن فهم وإدراك ما يسمى بـ المعجزة الأوروبية".

ومن دون شك، فقد لعب العثمانيون دورًا في تطوير الاقتصاد الرأسمالي الأوروبي وذلك بتوسيع امتيازاتهم الرأسمالية... وباختصار يمكن القول: إنه لا يمكن فهم تطور أوروبا الحديثة بغض النظر عن الحضارة الإسلامية والتعاون الإسلامي. وسوف يجد القارئ تفاصيل كل ذلك في هذا الكتاب".

وفي المقابل، في حين بدأ الدور العثماني العالمي في التراجع عسكريًا وسياسيًا، وبدأ عصر الإصلاحات أو التنظيمات. فإن اتجاهات الاقتصاد العالمي سجلت نموًا أوروبيا متسارعًا نتيجة احتلال الميزان التجاري لصالح أوروبا الرأسمالية الأمر الذي أثر سلبًا على الدولة العثمانية والتي كانت تواجه مشاكل تتفاقم وهو الأمر الذي انعكس على التجارة والضرائب والجمارك والعملة العثمانية[٨].

معارة موجزة

فإن المدخل لتفاصيل العلاقات الاقتصادية والتجارية العثمانية مع العالم هو حالة العلاقات السياسية وميزان القوة السياسية، كما أن حالة هذه العلاقات الاقتصادية هي أيضًا مؤشر أو مدخل للتأثير في حالة العلاقات السياسية، ولقد كان وضع التجار الأجانب والامتيازات العثمانية وهجرات السكان، ووزن العملات محورًا أساسيًا في هذا الجانب من التعارف.

ومن الواضح، أن هذا الجانب موضوعه هو "الاقتصاد السياسي الدولي" "للتعارف" ودوره في تشكيل علاقات القوى العالمية في العصر العثماني.

ويوجز خليل إينالجيك هذا المدخل في عبارات واضحة وشاملة تشرح بيسر تفاصيل ممتدة عبر أكثر من أربعة قرون تفاعل خلالها الاقتصاد والسياسة داخليًا وخارجيًا وهي الآتية:

"علاقات الدولة بالغرب التي تكشفت بعد القرن السادس عشر. لقد كانت الدولة العثمانية أول إمبراطورية آسيوية تشهد تأثير نهوض أوروبا وتوسعها السريع في المجالين الاقتصادي والعسكري. وبينما كان الغرب التجاري مهتمًا بالحفاظ على السوق العثماني واستغلاله كأمر حيوي للاقتصاد الغربي، فإن كلا من إمبراطورية آل هابسبورغ والإمبراطورية الروسية، مستفيدتين من التطورات الجديدة في

---

(٧) المرجع السابق، ص٢٩-٣٠

(٨) المرجع السابق، ص٣٦-٣٩

(٩) المرجع السابق، ص٤٧-٤٨

التكنولوجيا العسكرية، بدأت سياسة عدوانية لغزو وتقسيم الإمبراطورية العثمانية.

في هذه المرحلة الجديدة، غيّرت الهيمنة الأوروبية وضع الإمبراطورية العثمانية، من السيطرة إلى التبعية المتزايدة. وفي محاولة للخروج من هذه الأزمة، سعى العثمانيون أولا إلى إصلاح مؤسستهم العسكرية، ثم تنظيماتهم الإدارية، لذا ظهر بالنسبة للعثمانيين ما يمكن تسميته للمسألة الغربية، أي محاولة مجتمع إسلامي تقليدي أن يحدد إلى أي مدى بإمكانه أن يتبع الطرق الغربية.

ترافقت هذه التغييرات العسكرية والإدارية مع تسارع وتيرة الاستيراد من الغرب.

من التطورات الأكثر أهمية في المرحلة التي تلت المرحلة التقليدية، ظهور "الليبرالية" العثمانية في الموضوعات الثقافية والاقتصادية. وقد توسعت الامتيازات التجارية لتغطي كل الدول الأوروبية.

وفي القرن العثماني الأخير، استوعبت الليبرالية بالقضاء على الإنكشارية عام ١٨٢٦، وهي التي كانت تحمي امتيازات النقابات الحرفية. وبالمعاهدة الإنكليزية - التركية عام ١٨٣٨. لقد ضعفت مساعي الحكومة لتوجيه الاقتصاد، تدريجيا من الآن فصاعدا، بعد أن كادت تؤدي إلى تدميره في أواخر القرن الثامن عشر. إلا أن الحكومة سعت مجددا في القرن التاسع عشر، للتدخل والحماية.

إلا أن حروب وخسارة الأراضي استمرت في تدمير شبكات التجارة وتشكيل شبكات جديدة، أثر وبشكل عميق في النشاطات الزراعية والصناعية في أعقاب ذلك.

لقد سعينا لعرض تفسير للوقائع الاجتماعية والاقتصادية في محيطها العالمي.

خلاصة القول، إن النموذج التاريخي لهذا النمط من "التعارف" خلال الإصلاحات في ظل ضغوط خارجية [illegible] لابد وأن يقود إلى نمط من الإصلاح "الفاشل" والتابع.

وهذه الخبرة تلقي بالكثير من الضوء على مسار ونتائج خبرات الإصلاح الخارجية في العالم الإسلامي في ظل شبكة من الضغوط والتدخلات الخارجية.

فهل ستعي الثورات العربية مغزى هذه الخبرة التاريخية وهي تؤسس نظم جديدة تأملها الشعوب. ألا يمكن للتعارف على الآخر أن يتم لأمور أخرى وليس مجرد النقل عنه فقط احتذاء أو تقليدا؟

حول مزيد من التفاصيل عن [illegible] مصطفى [illegible] مرجع سبق [illegible] نادية محمود مصطفى [illegible] في دراسات التاريخ الإسلامي والنظام الدولي، في: د. عبد الوهاب المسيري (محرر) إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، أعمال الندوة التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن بالتعاون مع نقابة المهندسين، القاهرة من ١٩ - ٢١ فبراير ١٩٩٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٤.

- د. نادية محمود مصطفى، محمد علي بين الدولة العثمانية والتوازنات الأوربية من عواقب التنافس الإسلامي الغربي إلى قيود وضغوط الساحة الأوربية، بحث مقدم إلى ندوة مائتي عام على تأسيس دولة محمد علي، التي عقدت في جامعة القاهرة، مركز [illegible]

صفحات من تاريخ الأقليات

لفضيلة الشيخ عبد المجيد صبح

الإسلام دين الإنسانية:

وهذا المصطلح له معنيان يمثلان معنى إنسانية الإسلام:

أ - أنه دين المروءة والأخلاق السامية التي تراعي كرامة الإنسان وحقه في الحرية، والتكريم، واحترام مشاعره وأفكاره.

ب - وأيضا معنى إنسانية الإسلام أنه دين عام إلى البشرية جميعا وليس لجنس معين ومكان معين.

(الإله في دين الإسلام هو رب العالمين) وليس إله المسلمين فقط أو العرب فقط وحسبك أن تفتتح أول سورة بقوله تعالى:

﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم﴾

(الفاتحة ٢ - ٣)

ونبي الإسلام رسول للناس جميعا ورحمة للعالمين.

ومقتضى هذين المعنيين لإنسانية الإسلام أنه يعطي الحرية لكل الأفراد فيما يرونه أو يعتقدونه ويؤمنون به كما يعطيهم الحرية في أنكار ما ينكرون وحسبك في هذا أن شاتم الرسول ﷺ يعزر تأديبا. بينما المكذب به لا يناله أذى.

وإذا كان معنى «الدولة» التنظيم الذي يكفل لمجتمعه ممارسة علاقة أفراده بعضهم ببعض في حدود الأهداف والمبادئ التي ارتضاها هؤلاء الأفراد كما يكفل لهم حريتهم الفردية في توجههم: الاعتقاد الإيماني، وحركتهم على مقتضى اعتقادهم.

أقول: إذا كان تعريف الدولة هكذا، فإن «الدولة الإسلامية» مكلفة بتحقيق «المعنى الإنساني» للإسلام، الذي سبق بيانه. وهذا معناه: أن المجتمع الإسلامي، والدولة الإسلامية تظلل بسلطانها طوائف الناس جميعا على سواء، مع اختلافهم في الإيمان ونوع العمل، فضلا عن اللون والجنس، وسائر أنواع الاختلاف بين الناس.

دعوة إلى التعاون

وكل ما تقدم معناه أن الإسلام لا ينظر بعين العداوة والعدوان إلى المخالفين لدينه، أو دولته ما داموا لا يبدءونه بالعداوة والعدوان بل هو يدعوهم إلى التعاون

﴿[illegible]﴾

(سورة المائدة ٢)

ويدعوهم إلى تبادل المنافع والخير العام يقول الله تعالى:-

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(سورة الحجرات: ١٣)

تشريع الإسلام يطابق إنسانيته

كما يترتب على (إنسانية الإسلام) أن يكون تشريعه متفق مع (إنسانيته، بمعناها الأخلاقي والعقلي، ولذلك عد الإسلام ديناً ودولة يتسع لقبول كل الأديان، والمذاهب، والأفكار، ولا يضيق بها ذرعاً بل يجعل ذلك قانوناً عاماً حتمياً، يقول القرآن:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

والمولى سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة يحرص على أن يؤكد للنبي الكريم (رسول الإسلام) أنه لا يملك سلطة إكراه الناس إلى ما يدعو إليه، وهذا أمر مهم يهذب ضراوة أصحاب الدعوات الذين ينفرون الغير، إلا أن يكون معهم. ويقول القرآن:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾

(سورة هود ١١٨، ١١٩)

وهذا تقرير لاختلاف الناس. الاختلاف الشامل لكل أنواعه، وتقرير أن ذلك مشيئة الله الخالق. ووقائع دعوة رسول الإسلام كانت تطبيقاً لهذا (التنظير) القرآني. فكان يقول لقبائل العرب: أدعوكم إلى الله ولا أكرهكم على شئ. ولما قال الرسول ﷺ لمن رفع عليه السيف وقال له: من يمنعك مني وقال الرجل عفوك، قال له صلى الله عليه وسلم تشهد أني رسول الله قال الرجل أما هذه فلا. لكن لا أكون معك ولا أكون عليك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فتركه ﷺ.

أنواع الإخاء في الإسلام

ولصفة الإنسانية في الإسلام التي يشمل الناس بدعوته من غير إكراه كانت دعوته إلى الإخاء أنواع ثلاثة

الإخاء «القومي الوطني»

يعني أن القوم، والمواطنين في بلد واحد، أو دولة واحدة هم أخوة وشركاء في وطنهم ودولتهم. لكل منهم ما للآخر وعليه ما على الآخر، وإن اختلف دينهم.

لما هاجر الرسول ﷺ كتب ما عرف في السيرة «الصحيفة»، وأقر اليهود على دينهم وأوجب عليهم التعاون فيما بينهم، كما جعل للمسلمين كذلك وأوجب على الجميع من المسلمين واليهود حماية أرضهم ووطنهم ودولتهم.

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ تعامل مع اليهود بالمزارعة في الأرض، واشترى من تجارهم، وجاورهم في السكن، وزار غلاماً يهودياً مريضاً. ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند تاجر يهودي في قدح من الشعير، وكذلك فعل أصحابه عندما فتحوا البلاد. مثلما أوصى أمير المؤمنين على ولاته على مصر وقال لهم: هم أخوة لكم في الدار.

وأباح القرآن تزوج المسلم من اليهودية والنصرانية خاصة. فيكون أخوال أبنائه من اليهود والنصارى. ولهذه الزوجة حق التردد على كنيستها وأكل ما أباحه دينهم كما أن لها حضانة أولادها وأباح طعامهم يجتمعون عليه أو يتهادونه. يقول الله تعالى

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

(سورة المائدة: ٥)

هذا بينما المذاهب النصرانية واليهودية يحرمون التزاوج بينهم ولا يخفى أن هذا التشريع الإسلامي الذي يصالح أقوى النزعات الجسدية في الإنسان الطعام والنكاح، له أثر قوي عميق في الترابط الاجتماعي

وتأصيل هذا الإخاء بتعبيرات القرآن الكريم عندما كان يذكر أخا رسول من رسل الله كقوله:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾

(سورة الأعراف: ٦٥)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

(سورة الأعراف: ٧٣)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾

(سورة الأعراف: ٨٥)

وهذا دليل على جواز تسمية قريب النسب أو المشارك في الوطن أخا وإن اختلف الدين. ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وعندها يهودية ترقي عائشة فقال لليهودية: ارقيها بكتاب الله ولا يخفى ما في هذه القصة من العلاقة النقية بين ابنة أبي بكر، زوج رسول الإسلام وهذه اليهودية. ومن غرائب الفقه الإسلامي الدالة على قوة الوحدة الوطنية

أ- ما جاء في شرح الكنز للزيلعي أنه إذا أسلم أحد الزوجين الذميين لا يعرض الإسلام على الآخر: لأن عرض الإسلام عليه تعرض له. وقد ضمنا له بعقد الذمة ألا نتعرض له

ب- من هذه الغرائب أن الزوجين الكتابيين إذا أسلمت الزوجة لا يفسخ عقد نكاحها وتظل زوجة لزوجها الكتابي. تأمل ما يكون بينهما من ولد أمه مسلمة وأبوه يهودياً أو نصرانياً!! فهل ترى تسامحاً وتقارباً بين الإسلام وغيره فوق ذلك. أو قريب من ذلك؟؟

وبسبب هذه التشريعات في الإسلام، نشأ في فقه الشريعة ما يعرف باسم: (فقه العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ومن معهم من غيرهم). كما نشأ فيه: (فقه العلاقات الدولية) وهذا تشريع وفقه تأسس على مبادئ إسلامية لم يسبق الإسلام مثله. وما زال واقع البشرية دونه إلى اليوم.

الإخاء الإيماني:

وهو الرابطة الدينية الجامعة للمؤمنين بدين الإسلام والتي يقول فيها الله تعالى:

﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾

(سورة آل عمران ١٠٣)

وقوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(سورة الحجرات ١٠)

ومقتضى هذا الإخاء أن يكون المؤمنون كالجسد الواحد، والبنيان يشد بعضه بعضا، ووجوب التكافل الاجتماعي والولاء، والتناصر، والتعاون على الخير، ودرء الشر والفتن وحسبك من هذا قوله ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتان» رواه أبو داود والترمذي أين هذا من واقع المسلمين اليوم؟!

الإخاء الإنساني

فمن لم يكن لك أخا في الدين ولا في الوطن فهو أخ لك في الإنسانية هذا توجيه الإسلام وبهذا يكون غير المسلم في البلد الإسلامي مستمتعاً متظللا بإخاءين ومتحصنا بحصنين: المشاركة في الوطن، والقاسم الإنساني المشترك وقد قرر الإسلام هذا الإخاء في آيات من القرآن كقوله في مفتتح سورة النساء:

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾

ويذهب في شوط بعيد في هذا الإخاء حين يجعل اختلاف الناس اختلاف تعاون وتبادل وتكامل للمنافع كقوله تعالى

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾

(سورة الحجرات ١٣)

وهذه (عالمية) سبق بها الإسلام واشترى بها قلوب المسلمين حتى يقول عمار فيما رواه البخاري، صاحب رسول الله ﷺ «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم، وحسبك من ذلك أنه كان من أدعيته ﷺ في ختام الصلاة قوله: «اللهم ربنا رب كل شئ، إنا نشهد أن العباد كلهم إخوة» رواه أبو داود.

وقد طبق المسلمون ذلك عملا احترموا إنسانية كل إنسان، وحرموا دمه وماله كحرمتهما للمسلم، وقصص عدلهم في الحكم لغير المسلمين مشهودة معروفة، وتأمل قول الإمام علي في وصيته للأشتر النخعي عندما ولاه مصر: (إنهم أهل مصر) صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) وهذا كلام غني عن التعليق.

أسألك بربك، ثم بخبرتك بواقع التاريخ الاستعماري الممتد إلى زماننا هل وجدت فيه، ومن يدعون الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان مثل ما تجد في الإسلام قولاً وعملاً هل وجدت تسمية غير المسلمين (أقليات)؟ أم وجدت إخاء ومساواة وإنسانا مكرما.

طرف من المقايسة

نكتفي في هذا الطرف بالتنبيه على ما فعلته دول الاستعمار بدول العرب والمسلمين.

أما ما فعلته فرنسا في الجزائر والجزائريين فهو معروف فما زال شهود العيان منهم أحياء يذكرونه، ولا ينس الفرنسيون أنفسهم المجزرة التي قاموا بها في الجالية الجزائرية إبان محاولة الجزائريين التخلص من الاستعمار الفرنسي (والفرنسيون في الشهر الأول من كل عام يحيون ذكرى هذه المجزرة، ولا ننسى أن سبب إسلام الفيلسوف الفرنسي (جارودي) إنما كان لما رأى من ثبات الجزائريين (المسلمين) أمام الإبادات الجماعية التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي في الجزائر وهو معهم. ويحاربهم (حلف شمال الأطلسي) أما ما فعل يهود إسرائيل ويفعلونه في عرب فلسطين فما زال واقعا مشهوداً يصرخ منه الضمير الحي ومع ذلك تؤيده أمريكا بكل أثقالها السياسية والعسكرية. وقضية فلسطين بكل ما فيها من ظلم من صنع إنجلترا باعتراف رجالاتها. وما تدمير العراق إلا واحدا من هذه المآتم تعللوا له بأكاذيب لا ينكرونها وكذلك يفعلون.

ولا غرو، فإله اليهود كما تصوره أسفار العهد القديم: إله حرب: ينفث الدخان من منخريه، ويحرض شعبه على إبادة أصحاب الأرض الأصليين (الكنعانيين) وفتاوى حاخامات إسرائيل اليوم التي تطلب من جيش إسرائيل إبادة العرب وتقول عنهم أنهم أفاعي وتحرض الجيش على الاستيلاء على مزارع الفلسطينيين بحجة أن الأرض أرضهم والزرع زرعهم".



جارودي

وهذا الواقع اليهودي هو حلقة حديثة من تاريخ قديم يؤمنون به ويجددون عهده. يقول ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة) جـ ٢ ص ٣٢٦: «وهزيمتهم للكنعانيين ما هي إلا مثل لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين، وقتلوا من الكنعانيين كل من استطاعوا قتلهم منهم وجرت دماء القتلى أنهارا، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس: «فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى» يقول ديورانت: ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به.

أرأيت أن تحريض حاخامات اليهود اليوم امتدادا لتاريخهم القديم؟

ثم بالله والأساء ترى ما فعل (شارون) في مجازر صبرا وشاتيلا وما يفعل الصهاينة من قتل الشيوخ والنساء والأطفال كل يوم، وما يهدمون من البيوت على أصحابها، وتجريف مئات، ومئات من الدونمات بما عليها من زروع وأشجار. أترك لكل ضمير حي طرف هذه المقارنة وما تقدم من تقريرات الإسلام النظرية وتطبيقات المسلمين العملية وحمايتهم لليهود حينما احتموا ولاذوا بدول المسلمين فعاملوهم خير قسط لا يجور عليهم مقدار شعيرة ولا يحيف قيد شعرة.

قالوا عن محمد ﷺ



للدكتور/ عماد الدين خليل

سنتيلانا

[١] «ما كان من محمد ﷺ إلا أن نزل بالمجتمع العربي هدماً من أصوله وجذوره وشاد صرحاً اجتماعياً جديداً.. هذا العمل الباهر لم تخطئه عين (ابن خلدون) النفاذة الثاقبة.. إن محمداً ﷺ هدم شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنئذ، ومحا منه الشخصية الفردية Gens والموالاة والجماعات المتحالفة، من يعتنق دين الإسلام عليه أن ينشئ روابطه، ومنها رابطة قرباه وأسرته، إلا إذا كانوا يعتنقون دينه (إخوته في الإيمان)، فما داموا على دينهم القديم، فإنه يقول لهم كما قال إبراهيم - عليه السلام - لأهله: (لقد تقطعت بيننا الأسباب)...»[٢].

[٢] «كان محمد ﷺ رسول الله إلى الشعوب الأخرى، كما كان رسول الله إلى العرب»[٣].

هنري دي فاستري

[١] «إن أشد ما تطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي ﷺ، ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية، على أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته المتفق تقريباً عليهما بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي»[٤].

«ثبت إذن أن محمداً ﷺ لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه»[٥].

[٣] «.. ولقد نعلم أن محمداً ﷺ مر بمتاعب كثيرة، وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل أن يجهر برسالته، فقد خلقه الله ذا نفس تمحضت للدين ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضهما متمكناً من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة في جسمه ﷺ ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الإدراك.. إلا أن يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله أحد الله أحد).. كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد..»[٦].

[٤] «.. لو رجعنا إلى ما وصفه الحكماء عن النبوة، ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين، لأمكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الإسلام وحرمنا بأنه لم يكن من المدعين.. ومن الصعب أن نقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل - عليه السلام -. إلا أن معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع مسألة أن الصدق حاصل في كل حال»[٧].

[٥] «لا يمكن أن ننكر على محمد ﷺ في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه. فأما الإيمان فلم يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني (الدور السياسي). وما أوتيه من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان. لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه.. وما كان يميل إلى الزخرف ولم يكن شحيحاً.. وكان قنوعاً خرج من (الدنيا) ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته.. تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً، وقد احتقر المال...»[٨].

إيتين دينيه

[١] «إن الشخصية التي حملها محمد ﷺ بين برديه كانت خارقة للعادة، وكانت ذات أثر عظيم جداً، حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد»[٩].

[٢] «إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في إتمام رسالته على المعجزات. وليست معجزته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم...»[١٠].

[٣] «.. إن سنة الرسول ﷺ الغراء باقية إلى يومنا هذا، يحوطها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس (مئات الملايين) من أتباع سنته منتشرين على سطح الأرض»[١١].

[٤] «وكان النبي ﷺ يعتني بنفسه عناية تامة، إلى حد أن عرف له خط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال، وكان ينظر نفسه في المرآة.. ليتمشط أو ليسوي طيات عمامته.. وهو في كل ذلك يريد من حسن منظره البشري أن يروق الخالق سبحانه وتعالى...»[١٢].

١- دافيد دي سنتلانا [١٨٥٤ - ١٩٣١] David de Santillana ولد في تونس ودرس في روما، نال الدكتوراه في القانون، فدعته نظارة العدل في تونس [illegible] الشريعة الإسلامية، ومستشاراً لها بحسب القوانين الأوروبية كان على معرفة واسعة بالمذهبين المالكي والشافعي، وفي سنة ١٩١٠ عين أستاذاً لتاريخ الفلسفة في الجامعة المصرية، وله محاضرات قيمة فيها، ثم استدعته جامعة روما لتدريس التاريخ الإسلامي من آثاره [ترجمة وشرح الأحكام المالكية] كتاب [الفقه الإسلامي ومقارنته بالمذهب الشافعي] إلخ.

٢- [illegible]

٣- نفسه ص [illegible]. ٤- الإسلام خواطر وسوانح ص [illegible]. ٥- نفسه ص [illegible].

٦- نفسه ص ١٦ - ١٧. ٧- نفسه ص ٢١.

٨- نفسه ص ٢٤. ٩- أشعة خاصة بنور الإسلام ص ١٥.

١٠- نفسه ص ٢٦. ١١- محمد رسول الله ص ٥١. ١٢- نفسه ص [illegible].

[٥] «لقد (دعا) عيسى - عليه السلام - إلى المساواة والإخوة، أما محمد ﷺ فوفق إلى (تحقيق) المساواة والإخوة بين المؤمنين أثناء حياته» [illegible].

[illegible] ديورانت

[١] «[illegible] أن محمدًا لم يعن بتعليم (محمد ﷺ) القراءة والكتابة.. ولم يعرف عنه أنه كتب شيئًا بنفسه.. ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شئون الناس تعرفًا قلما يصل إليه أرقى الناس تعليمًا» [illegible].

[٢] «كان النبي ﷺ من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسيًا محنكًا، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم»[١٥].

[٣] «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا ﷺ كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء. وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به.. ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه.. وكانت بلاد العرب لما بدء الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم، دينًا سهلًا واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا وقوامه البسالة والعزة القومية، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشيء دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم» [illegible].

[٤] «.. لسنا نجد في التاريخ كله مصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد ﷺ لإعانة الفقراء..» [illegible].

[٥] «من الأحاديث النبوية على أن النبي ﷺ كان يحث على طلب العلم ويعجب به، فهو من هذه الناحية يختلف عن معظم المصلحين الدينيين..»[١٦].

[illegible]

رودنسن [١٩]

«.. بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر، بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد ﷺ الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع» [٢٠].

فرانز روزنتال

[١] «إن أفكار الرسول ﷺ التي تلقاها وحيًا، أو التي أدى إليها اجتهاده نشطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية. كما أن شخصية الرسول ﷺ كانت خطًا فاصلًا واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط..»[٢١].

[٢] «تبقى حقيقة، هي أن الرسول ﷺ نفسه وضع البذور التي نمى منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول ﷺ لدرجة كبيرة. وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديمه نحو التاريخ الإسلامي في المستقبل. رغم أن الرسول ﷺ لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه»[٢٢].

جاك ريسلر

[١] «القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي ﷺ وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي ﷺ، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روى عن الصحابة - رضي الله عنهم - أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المكملة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن..» [٢٣].

[٢] «.. كان لزامًا على محمد ﷺ أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوق الشعب العربي، عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمنعه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الذاتي للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم آمال الحياة الإنسانية، فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا ﷺ يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان» [٢٤].

[illegible]

١٦- نفسه ٣٢/٤٧

١٧- نفسه ٣٢/٥٩ ١٨- نفسه ٣٢/١٦٢

١٩- مكسيم رودنسن M. Rodinson ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها، من آثاره [إسهامات في [illegible]] [illegible] [دراسة العلاقات بين الإسلام والشيوعية].

٢٠- تراث الإسلام [تصنيف شاخت وبوزورث] ٦٧/١ - ٦٨ ٢١- علم التاريخ عند المسلمين ص ٤٠

٢٢- نفسه ص [illegible] ٢٣- الحضارة العربية ص [illegible] ٢٤- نفسه ص [illegible]

فتاوى لها تاريخ



للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

العودة للدين الحق

سئل بمكتوب محكمة شرعية [illegible] نابلس: الشيخ عبده بكر التميمي، في رجل أقر أنه من طائفة الدروز، ويريد الآن أن يترك ما كان عليه من الاعتقادات الدرزية، ويعتنق الدين الإسلامي الحنيفي المبين، فهل، والحالة هذه، إذا أتى بالشهادتين، مع عبارة التبري من جميع ما يخالف دين الإسلام، يعتبر بنظر الشرع مسلماً ويعامل معاملة المسلمين فوراً؟ ولا يعد منافقاً؟ وإذا صح إسلامه بتلك الصيغة فما حكم من لم يقبل إسلامه من المسلمين؟ وهل يشترط لقبول إسلامه أن يكون رسمياً؟؟

أرجو الجواب.

(الجواب): الذي قالوه: أنه متى جاء الدرزي ونحوه طائعاً معلناً بأنه كان على عقيدته، وأنه رجع عنها، متبرئاً من كل دين يخالف دين الإسلام. وجب قبول قوله. واعتبر مسلماً. وقالوا كذلك: إن من لم يقبل رجوع من يريد الأوبة إلى الإسلام يكون راضياً ببقائه على الكفر. وقالوا: إن أقل ما في ذلك أن يكون آثماً سيئاً.

ثم إنه ليست لنا سنة نتبعها في اعتبار المتحول إلى الإسلام مسلماً، له ما لنا وعليه ما علينا في أخوة الدين إلا سنة نبينا محمد ﷺ، وقد كان عليه السلام يقبل الرجعة إلى الإسلام بعد الردة، والإخلاص بعد النفاق، ولم يكن ينظر إلى من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن القرآن حق، والآخرة حق. وأن جميع ما فرض الله في كتابه واجب الأداء، وما منعه يجب عنه الانتهاء، إلا نظرة المسلم للمسلم، ولم يكن يفرق بين المسلمين في الإسلام، إلا أن يطلعه الله على ما يكن شخص من نفاق، أو قامت له على ذلك شواهد قاطعة. وكتب السنة شاهدة بذلك. فكيف لا نقنع من الناس بما قنع ﷺ منهم؟ وكيف نطالبهم بأكثر مما طالبهم به؟ وهو صاحب الشريعة، وإليه المرد عند النزاع؟؟

بهذا الدرزي الذي اعترف بما كان عليه. وجاء الآن طائعاً من نفسه يشهد أنه على الدين الحق. وأنه ينبذ كل دين يخالفه. يعد مسلماً حقاً. ومن لم يقبل منه ذلك يخشى أن يبوء بها، نعوذ بالله! فليتق الله المسلمون. وليرجعوا إلى حكم الله وحكم رسوله. ولا يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. والله ينقذهم مما صاروا إليه. وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أما اعتبار الراجع إلى العقيدة الصحيحة مسلماً فلا يحتاج إلى أن يكون ذلك من طريق رسمية، بل يكفي أن يعلم الله منه ذلك. ثم في جريان أحكام المسلمين عليه لا يحتاج إلا إلى أن يعرف الناس منه ذلك ويشتهر أمره بين من يعرفونه. والله أعلم[1].

التبني وفقر الآباء والأمهات

سئل[2] بإفادة من نظارة الحقانية مؤرخة في ٣ ذي القعدة سنة ١٣١٩ نمرة ٣، مضمونها: أنه بعد الإحاطة بما اشتملت عليه مكاتبة مصلحة الصحة رقيمة أول يناير الماضي، نمرة ١ المختصة بالاستعلام عما إذا كان يجوز شرعاً تسليم الطفلة سيدة بنت سارة التي وجدت بالمستشفى لعدم قدرة والديها على تربيتها وعلاجها من [illegible] ومن يماثلها، لمن يرغبون استلامهم لتربيتهم بطرفهم أسوة بالأطفال اللقطاء؟ تفاد النظارة بما يقتضيه الحكم الشرعي في ذلك، وطيه سبع ورقات.

(الجواب) واقعة السؤال ليست مما يختص بباب الحضانة وحده، بل هي واقعة تشتمل مع ذلك على المحافظة على حياة الطفل، لعدم الوسائل للإنفاق عليه، فلينظر في حال الأم، فإن كانت قادرة على حضانة بنتها والإنفاق عليها، والأب عاجز عن ذلك، وجب على الأم أن تحضن بنتها، ولا يجوز تسليمها لغيرها، وإن كانت الأم عاجزة عن التفرغ للحضانة والإنفاق لزم الأب بأن ينفق عليها وأن يكل حضانتها لمن يلي الأم في استحقاق الحضانة إن أبت الأم أن تحضنها، وإن كان الأب عاجزاً عن الإنفاق وإعطاء أجر الحضانة، ولا فائدة من إجباره على ذلك، ووجد من يكفل تربيتها، وكان أبواها راضيين بتسليمها إليه جاز ذلك حفظاً لحياتها. والله أعلم[3]. طيه الأوراق عدد ٧.

(١) تاريخ هذه الفتوى ١٢ صفر سنة ١٣٢٠ هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ١٧٩ ويقع في ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) أي الأستاذ الإمام.

(٣) تاريخ هذه الفتوى ٨ ذي القعدة سنة ١٣١٩ هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ١١٦ ويقع في ص ١٧٢، ١٧٣.

سئل[4] بإفادة من نظارة الحقانية، مؤرخة في ١٧ ذي الحجة سنة ١٣١٩ نمرة ٩ مضمونها: أن حضرة مدير [illegible] ٢٩ ضمن العشر ورقات طيه، معرفة ما إذا كان يجوز شرعا تسليم الأطفال الذين ليس لأهاليهم مقدرة على تربيتهم لمن يرغبون استلامهم لتربيتهم بطرفهم، بصرف النظر عن قبول أبويهم، للسبب الذي أوضحه حضرته؟ فالأمل الإفادة بما يرى.

(الجواب): قد اطلعت على هذا الرقيم، وعلى ما جاء في إفادة حضرة مدير الصحة، المرفقة بهذا، من الاستفهام عما إذا كان يجوز تسليم الأطفال الذين ليس لأهاليهم قدرة على تربيتهم لمن يرغبون استلامهم، بصرف النظر عن قبول أبويهم، نظراً لما أورده حضرته من أنه بعد تسليم الطفل «للاسبتالية» لعدم القدرة على تلك التربية، يصعب معرفة أبويه لأخذ قولهما في الرضاء بالتسليم للغير. فرأيت أن لا مانع في هذه الحالة من تسليمه لثقة قادر على حفظه. والله أعلم. وطيه الأوراق عدد ١٠

حاشية: ويراعى في الثقة القادر أن يكون مسلما. والله أعلم[5].

مسألة في المواريث

● سأل محمود يوسف، المحضر بالمحاكم الأهلية، في: رجل مات عن زوجة [illegible] صرفت على مأتمه مصاريف مثل أجرة [illegible] وغير ذلك. مع أن المتوفى لم تصدر منه وصية بعمل شيء مما ذكر. ولم يأذنها ابن الأخ المذكور بشيء من ذلك. فهل لها الرجوع عليه مما يخصه فيما ادعت [illegible] التكفين؟ أفيدوا الجواب.

(الجواب)

المعروف في كتب الفقه أنه إذا أنفق أحد الورثة للمأتم وشراء الشمع ونحوه، بلا وصية، ولا إذن من باقي الورثة، فإنه يحسب من نصيبه، ولو كان ذلك من مال نفسه يكون متبرعاً فيه، كما في (العقود) نقلا عن (حاوي الزاهدي).

وعلى هذا يحسب ما صرفته هذه الزوجة في لوازم المأتم وإسقاط الصلاة وغير ذلك من نصيبها، إن كان ما صرفته من التركة، أما لو كان من مال نفسها فإنها تعد متبرعة فيه، حيث كان ذلك بلا وصية ولا إذن من ذلك الوارث الآخر. ولا حق لها في الرجوع بشيء من ذلك

---

(٤) أي الأستاذ الإمام

(٥) تاريخ هذه الفتوى ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣١٩ هـ ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٥٠ وتقع في ص ١٨١

نعم لها أن ترجع في التركة بما أنفقته من مالها في تكفين المورث كفن المثل. ولو كان بغير إذن ذلك الوارث. والله أعلم[6].

مسألة في الامامة

● سأل [illegible] مدير [illegible] يكن فيها مأذون من قبل الخليفة، فهل يسوغ شرعا [illegible] في مثل صلاة الجمعة والعيدين وعقد الأنكحة [illegible]

(الجواب)

نعم إذا انتخب المسلمون من بينهم من يقوم بوظيفة الإمامة فيهم ويخطب بهم في الجمعة والعيدين ويعقد لهم الأنكحة. وبالجملة يؤدي من الأعمال ما يؤديه القاضي، جاز ذلك ونفذت جميع تصرفاته فيما من شأنه أن يتصرف فيه. والله أعلم[7].

حرمة الميت

● سئل[8] بإفادة من نظارة الحقانية مؤرخة في ١١ صفر سنة ١٣٢٠ نمرة ١٤ مضمونها: أن مكاتبة الصحة رقيمة ٦ مايو الجاري نمرة ٤٦ والسبع عشرة ورقة طيه مختصة بطلب الست فاطمة بنت يعقوب نقل جثة بنتها من جبانة تلبانة إلى دمنهور. ومعارضة أخ المتوفاة وزوجها في ذلك. ويراد الإفادة عما يرى في هذه المسألة. وعليه نرجو النظر والإفادة بما يرى.

(الجواب)

قد اطلعت على الأوراق المختصة بطلب الست فاطمة بنت يعقوب نقل جثة بنتها مبروكة بنت الحاج محمد الحبشي من مقبرة تلبانة التي دفنت بها في مايو سنة ١٩٠٠ إلى مقبرة دمنهور. ومعارضة أخ المتوفاة وزوجها في ذلك [illegible] المرسلة تلك الأوراق مع هذا الرقيم بقصد الإفادة عن الحكم في ذلك. وأفيد سعادتكم بأن أقوال علمائنا صريحة في منع نقل الميت بعد دفنه. فقد قال في (الفتح) ما نصه: «واتفقت كلمة المشايخ في امرأة دفن ابنها وهي غائبة في غير بلدها، وأرادت نقله، على أنه لا يسعها ذلك». وهذا صريح في المنع، كما قلنا. والله أعلم[9].

---

(٦) تاريخ هذه الفتوى [illegible]

(٧) تاريخ هذه الفتوى ١٨ صفر سنة ١٣٢٠هـ، ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٥٥ في ص ١٩٥

(٨) أي الأستاذ الإمام

(٩) تاريخ هذه الفتوى ١٩ صفر سنة ١٣٢٠هـ، ورقمها في السجل الثاني من سجلات دار الإفتاء ٤٧٨ في ص ١٩٤

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من: مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي

الصلاة في المساجد التي بها أضرحة

● ما حكم الصلاة في المساجد التي بها أضرحة؟

●● الجواب

الصلاة في المساجد التي يوجد بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحة ومشروعة، وما يثار من أنها باطلة هو قول مبتدع لا سند له، بل إنها تصل إلى درجة الاستحباب، وذلك بالكتاب، والسنة، وفعل الصحابة، وإجماع الأمة الفعلي.

- فمن القرآن الكريم: قوله تعالى:

﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾

(الكهف: ٢١)

وسياق الآية يدل على أن القول الأول هو قول المشركين، وأن القول الثاني هو قول الموحدين. وقد حكى الله تعالى القولين دون إنكار؛ فدل ذلك على إمضاء الشريعة لهما، بل إن سياق قول الموحدين يفيد المدح؛ بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول الموحدين قاطعاً وأن مرادهم ليس مجرد البناء بل المطلوب إنما هو المسجد.

قال الإمام الرازي في تفسير ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ «نعبد الله فيه، ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد» اهـ.

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي: «في هذه دليل على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين» اهـ.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية



- ومن السنة: حديث أبي بصير رضي الله عنه، الذي رواه عبدالرزاق عن معمر، وابن إسحاق في «السيرة»، وموسى بن عقبة في «مغازيه» ـ وهي أصح المغازي كما يقول الإمام مالك ـ : ثلاثتهم عن الزُّهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهم: أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو دفن أبا بصير (رضي الله عنه) لما مات وبنى على قبره مسجداً «بسيف البحر»، وذلك بمحضر ثلاثمائة من الصحابة.. وهذا إسناد صحيح، كله أئمة ثقات، ومثل هذا الفعل لا يخفى على رسول الله ﷺ، ومع ذلك فلم يرد أنه ﷺ أمر بإخراج القبر من المسجد أو نبشه.

كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «في مسجد الخيف قبر سبعين نبيًّا».. أخرجه البزار والطبراني في المعجم الكبير، وقال الحافظ ابن حجر في «مختصر زوائد البزار»: هو إسناد صحيح.

وقد ثبت في الآثار أن سيدنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر ـ رضي الله عنها ـ قد دُفنا في الحجر من البيت الحرام، وهذا هو الذي ذكره ثقات المؤرخين واعتمده علماء السير كابن إسحاق في «السيرة»، وابن جرير الطبري في «تاريخه»، والسهيلي في «الروض الأنف»، وابن الجوزي في «المنتظم»، وابن الأثير في «الكامل»، والذهبي في «تاريخ الإسلام»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، وغيرهم من مؤرخي الإسلام، وأقر النبي ﷺ ذلك ولم يأمر بنبش هذه القبور وإخراجها من مسجد الخيف أو من المسجد الحرام.

- وأما فعل الصحابة: فقد حكاه الإمام مالك في «الموطأ» بلاغاً صحيحاً عندما ذكر اختلاف الصحابة في مكان دفن النبي ﷺ فقال: «فقال ناس: يُدفن عند المنبر، وقال آخرون: يدفن بالبقيع. فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه»، فحفر له فيه» اهـ.

والمنبر من المسجد قطعاً، ولم ينكر أحد من الصحابة هذا الاقتراح، وإنما عدل عنه أبو بكر تطبيقاً لأمر النبي ﷺ أن يدفن حيث قبضت روحه الشريفة ﷺ، فدفن في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها المتصلة بالمسجد الذي يصلي فيه المسلمون، وهذا هو نفس وضع المساجد المتصلة بحجرات أضرحة الأولياء والصالحين في زماننا.

وأما دعوى الخصوصية في ذلك للنبي ﷺ فهي غير صحيحة؛ لأنها دعوى لا دليل عليها، بل هي باطلة قطعاً بدفن سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما في هذه الحجرة التي كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تعيش فيها وتصلي فيها صلواتها المفروضة والمندوبة، فكان ذلك إجماعاً من الصحابة رضي الله عنهم على جوازه.

- ومن إجماع الأمة الفعلي وإقرار علمائها لذلك: صلاة المسلمين سلفاً وخلفاً في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ والمساجد التي بها أضرحة من غير نكير، وإقرار العلماء من لدن الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة الذين وافقوا على إدخال الحجرة النبوية الشريفة إلى المسجد النبوي سنة ثمان وثمانين للهجرة، وذلك بأمر الوليد بن عبدالملك لعامله على المدينة حينئذ عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، ولم يعترض منهم إلا سعيد بن المسيب، لا لأنه يرى حرمة الصلاة في المساجد التي بها قبور، بل لأنه كان يريد أن تبقى حجرات النبي ﷺ كما هي يطلع عليها المسلمون حتى يزهدوا في الدنيا ويعلموا كيف كان يعيش نبيهم ﷺ.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فالمساجد: جمع مسجد، والمسجد في اللغة: مصدر ميمي يصلح للدلالة على الزمان والمكان والحدث. ومعنى اتخاذ القبور مساجد: السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان ـ كما فسرته الرواية الصحيحة الأخرى للحديث عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فجملة «لعن الله قوما...» بيان لمعنى جعل القبر وثناً، والمعنى: اللهم لا تجعل قبري وثناً يسجد له ويعبد كما سجد قوم لقبور أنبيائهم.

قال الإمام البيضاوي: «لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم؛ تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، لعنهم الله ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه، أما من اتخذ مسجداً بجوار صالح أو صلى في مقبرته وقصد به الاستظهار بروحه ووصول أثر من آثار عبادته إليه ـ لا التعظيم له والتوجه ـ فلا حرج عليه؛ ألا ترى أن مدفن إسماعيل في المسجد الحرام ثم الحطيم، ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي بصلاته. والنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمنبوشة؛ لما فيها من النجاسة» اهـ.

وبناء على ذلك فإن الصلاة في المساجد التي بها أضرحة الأولياء والصالحين جائزة ومشروعة، بل ومستحبة أيضاً، والقول بتحريمها أو بطلانها قول باطل لا يلتفت إليه ولا يعول عليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الصلاة على النبي

● ما حكم الصلاة على النبي ﷺ جهراً بعد الأذان؟

●● الجواب

الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان سنة ثابتة في الأحاديث الصحيحة، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

ولم يأت نص يوجب الجهر أو الإسرار بها فالأمر فيه واسع، وإذا شرع الله سبحانه وتعالى أمراً على جهة الإطلاق وكان يحتمل في فعله وكيفية إيقاعه أكثر من وجه فإنه يؤخذ على إطلاقه وسعته ولا يصح تقييده بوجه دون وجه إلا بدليل.

على أنه قد ورد عن النبي ﷺ ما يدل على الجهر بالصلاة عليه بعد الأذان، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا سمع المؤذن: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وأعطه سؤله يوم القيامة»، وكان يسمعها من حوله ويحب أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن، قال: «ومن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبت له شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة».

وعلى كل حال فالأمر في ذلك واسع، والصواب ترك الناس على سجاياهم، فمن شاء صلى بما شاء كما شاء، ومن شاء ترك الجهر بها أو اقتصر على الصيغة التي يريدها، والعبرة في ذلك حيث يجد المسلم قلبه، وليس لأحد أن ينكر على الآخر في مثل ذلك ما دام الأمر فيه واسعاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا مانع من سداد العمرة

● عزمت بإذن الله تعالى أن أقوم بعمرة في شهر رمضان المعظم، وأنا على المعاش ومعي من المال مبلغ بسيط وسأقوم بسداد باقي المبلغ من البنك ولي أولاد سيقومون بسداد الأقساط الشهرية للبنك إذا توفيت في العمرة، فما حكم الشرع في نقود البنك التي سأكمل بها العمرة؟

●● الجواب

لا مانع من إتمام العمرة بنقود البنك.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المقصد التربوي للحج في الجانب الخلقي للفرد المسلم

للأستاذ الدكتور/ صلاح سلطان

الحج مدرسة تربوية كبرى للنفس البشرية لضبط شهواتها وكبح جموحها وإطلاق كوامن الخير فيها ويتضح ذلك من جوانب كثيرة منها ما يلي:

أولاً: للحج أركان وآداب وسنن وواجبات ومندوبات تسهم كلها في إقدار الإنسان على جوارحه ومشاعره وشهواته ونزواته، فيتدرب على الامتناع عن الحلال توصلاً إلى الكف عن الشبهات والحرام، فتأتي محظورات الإحرام من الجماع ودواعيه واللغو والرفث الفسوق، ومخاصمة الرفقاء، ولبس المخيط، والامتناع عن التطيب والادهان والخضاب وإزالة الشعر وتقليم الأظافر وستر الرأس للرجل، والتعرض للصيد وإنشاء عقد الزواج [illegible] وهذا وغيره يجعل المسلم أمام مناسك تلزمه بأن يعيد السيطرة الكاملة على كل تصرفاته وحركاته فلا يجوز له أن يرسل نظره إلى زوجته حتى تثور شهوته أو تشتد رغبته أو يرسل لسانه بكلمات من الرفث بين الرجل وزوجته فلا يملك مشاعره، فيفسد حجه أو عمرته مع وجوب القضاء والقضاء، بل إن حركة اليد نحو شعيرات جسمه أو لحيته ورأسه لتنتفها لا تجوز، هذا وغيره يقوي في النفس قوة الإرادة، وأن يكون العقل والقلب هما الموجهين لكل حركات ومشاعر المسلم، وليست الأهواء المتفلتة والمشاعر الهابطة، ومع طول أيام الحج وتدرج الإنسان من التحلل الأصغر، وهو أن يفعل كل شيء سوى الجماع إلى التحلل الأكبر هو تدريب على الصبر الجميل وتعويده على عدم الانطلاق مع الانفلات لكل الشهوات والرغبات.

ثانياً: في أحكام الحج ما يساعد على إحكام هذه السيطرة على كل الخوارج والمشاعر القوية في النفس البشرية بما فرضه الله تعالى أو نبيه ﷺ من عقوبات مالية على من تجاوز شيئاً من محظورات الإحرام أو واجبات الحج من ذلك ما يلي:

١- من جاوز الميقات دون إحرام فعليه دم.

٢- من قبّل فلم ينزل فعليه دم، ومن دون الفرج فلم ينزل فعليه دم، ومن وطيء في الفرج فسد حجهما وعلى كل بدنة إن طاوعته، وإن لم تطاوعه وغلبها على نفسها فسد حجها معه وعليه وحده بدنة.

٣- من قتل صيداً في البر أو شبك في حرم أو دل محرماً على الصيد ليقتله فعليه دم.

٤- من نتف أو حلق بعض الشعيرات فعليه بكل شعرة صدقة، وإن تجاوز إلى أربع شعرات عامداً أو مخطئاً فعليه صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة.

٥- من تطيب عامداً عالماً بالطيب وعليه دم.

٦- من ترك رمي الجمرات أو المبيت بمنى فعليه دم.

٧- إن ظلل رأسه عامداً فعليه دم.

٨- من لبس مخيطاً أو خفاً عامداً وهو يجد النعل خلعه وعليه دم.

هذه العقوبات تضبط بقوة كثيراً من الذين قد لا يقدرون على جوارحهم وتصرفاتهم إلا بإدراك عاقبة أفعالهم، وأنهم سيدفعون على كل تصرف خارج عن دائرة المناسك والمشاعر ما يرهق كاهلهم، ولا يعقل أن يتعمد أحد فعل شيء من ذلك مع تذرعه بقدرته على دفع الفداء، بل إن المسلم يمتثل لذلك قربة إلى الله وحباً في شعائر الله تعالى، ورغبة في محو زلاته وغفران ذنوبه، لكن لا شك أن النفس البشرية تحتاج إلى العقوبات الوقائية والرادعة إذا جنحت عن أمر ربه.

أحسب أن هذا الانضباط الكامل في نظرات العين، وكلمات اللسان وحركات اليد، وخطرات القلب ونزعات الفرج يفضي إلى تزكية الأخلاق، لأن هذه منافذ مكاره الأخلاق وسفاسفها، فإن تدرب بين الحين والآخر على ضبطها انطلقت كوامن الخير فيه وتفجرت ينابيع الخير في كل تصرفاته، ولا تحكم من دوى رغبات سامية انحسر فيها الانفلات وما به التحكم في جوارحه وشهواته.

ثالثاً: يساهم الحج مع العبادات الأخرى في تخلق المسلم بالكرم والجود فهو يبذل مالاً كثيراً ابتغاء مرضاة الله تعالى وينفق دون تردد في الفداء إن سها أو تجاوز في شيء من واجبات الحج أو محظورات الإحرام، ويسوق الهدي ويذبح وجوباً متمتعاً أو قارناً، أو تطوعاً إن كان مفرداً، ليطعم القانع والمعتر، الصديق والرفيق في السفر، بل إن من المندوبات في الحج أن يكثر الإنسان زاده ليعطي رفقاءه في الحج ويتعود كثرة البذل، وقد بين الأستاذ سعيد حوى أن من آداب الحج التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف، وكثرة البذل لا إسراف فيه، قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره، وقيل: إن الحج المبرور يعني طيب الكلام وإطعام الطعام[2].

[illegible]

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، ص (٢٦)

رابعاً: تسهم أحكام الحج بنصيب في تزكية خلق العفة عما في أيدي الناس وعدم استشراف ما بأيديهم، وتعلق القلب بما يأكلونه أو يشربونه أو يلبسونه، وفي ذلك يروي البخاري بسنده عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾

(البقرة: ١٩٧)

وأورد النيسابوري بسنده عن عطاء بن رباح أن الرجل كان يخرج للحج فيكون كلا على غيره فنهاهم الله تعالى[٣].

ويتعلق بهذا النهي عن الحج من القرض فيعمد ذوو المشاعر الطيبة لتحقيق رغبتهم في الحج أو العمرة إلى الاقتراض فيذلون أنفسهم بتعرضها للسؤال، ويعودون بعد العمرة أو الحج يحملون ذلاً بالنهار وهماً بالليل، ومن هنا ندرك القيمة الأخلاقية التي يرسيها الحديث الذي رواه الشافعي بسنده عن عبدالله بن أبي أوفى قال: سألت النبي ﷺ عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج؟ قال: «لا».

خامساً: يتعود المسلم من أحكام الحج على احترام وتقدير مشاعر الآخرين وظروفهم ومن هذه الأحكام:

أ- الغسل للإحرام ولدخول مكة والطواف والوقوف بعرفة وهي مظنة مجامع الناس، حتى لا يؤذي مشاعرهم بروائحه الكريهة من العرق.

ب- عدم المزاحمة على الحجر الأسود بصورة تؤذي الآخرين ولذا روى عبدالرزاق في مصنفه بسنده أن النبي ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: إنك لرجل شديد، تؤذي الضعيف إذا طفت بالبيت، فإذا رأيت خلوة من الحجر فادن منه، وإلا فكبر ثم امض[٤].

جـ- أن من كان ذا مرض كحساسية في رأسه أو جسمه جاز له أن يحلق شعره لما رواه البخاري بسنده عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يتساقط على وجهه. فقال: «أيؤذيك هوامك؟» قال: نعم. فأمره أن يحلق رأسه وهو بالحديبية[٥]. قال القرطبي: أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من حلق شعره وجزه وإتلافه إلا في حالة علة[٦].

د- الإذن بالركوب في الطواف والسعي لمن وجد مشقة في الطواف أو السعي ماشياً ومنه ما رواه البخاري بسنده عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي. فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة»[٧].

(٣) أسباب النزول، للنيسابوري ص(٤٧)
(٤) مصنف عبدالرزاق، كتاب الحج [illegible]
(٥) صحيح البخاري [illegible]
(٦) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن [illegible]
(٧) صحيح البخاري، كتاب الحج [illegible]

هـ- ما ورد من الإذن للضعفاء من الأولاد والنساء من الرخص أن يترخصوا في المبيت بالمزدلفة. وأن يرموا قبل الفجر جمرة العقبة الكبرى قبل الفجر خوف الزحام عليهم. منها ما رواه الشيخان بسندهما عن عائشة قالت: نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة فأذن لها[٨].

يقول النووي: السنة عندنا أن يبقى الحاج في المزدلفة حتى يطلع الفجر إلا الضعفة فيستحب لهم الدفع قبل الفجر[٩].

وقال ابن حجر: روي من طريق عطاء قال: أخبرني ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ للعباس ليلة المزدلفة: «اذهب بضعفائنا ونسائنا فليصلوا الصبح بمنى وليرموا جمرة العقبة قبل أن تصيبهم دفعة الناس». فكان عطاء يفعله بعدما كبر وضعف[١٠].

و- مراعاة مصالح ذوي الأموال والتجارة في أن يكونوا مباشرين لأموالهم، من ذلك ما رواه مالك وغيره بسندهم عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه أن أبا البداح أخبره عن أبيه أن رسول الله ﷺ أرخص لرعاة الإبل في البيتوتة خارجين عن منى يرمون يوم النحر، ثم يرمون الغد، وبعد الغد ليومين، ثم يرمون يوم النفر[١١].

وقد قاس العلماء على هؤلاء الرعاة كل من له مال أو شيء يخاف عليه خوفاً يفوت مصلحة ضرورية كبيرة أن يترك المبيت بمنى ليرعى المصلحة الضرورية التي قد يصيبها فساد كبير بالمبيت بمنى. حتى قال الشيخ الساعاتي في شرحه للمسند: ومن الجمود قصر العذر في عدم المبيت على أهل الرعاية والسقاية، بل يتعداه إلى غيرهم، وقد جزم الشافعي بإلحاق من له مال يخاف ضياعه، أو أمر يخاف فوته، أو مريض يتعاهده بأهل السقاية[١٢].

هذه الأحكام التي جمعت في عرض أدلتها لو التزم بها المسلمون اليوم لكان حجهم خارجاً عن العنت والمشقة التي ترهق الناس عند الطواف خاصة المزاحمة على الحجر الأسود. والمزاحمة على رمي الجمرات. حيث صار هناك قتلى بسبب هذا الزحام. مما يوجب إعادة الفتوى في وقت رمي الجمرات في ظروف العصر الآن التي يتجمع فيها أكثر من ثلاثة ملايين للحج ومطلوب أن يرمي هؤلاء جميعاً في سبع ساعات

(٨) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل رقم (١٦٨١)، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم (٨١٢)
(٩) المجموع، للنووي (٨/١٥٠) وراجع أيضاً في هذا المعنى المبسوط للسرخسي (٤/٦٣)، وحاشية رد المحتار، لابن عابدين (٢/٥١٩-٥٢٢)
(١٠) فتح الباري [illegible]
(١١) الموطأ، كتاب الحج، باب الرخصة في رمي الجمار (١/٤٠٨)، وسنن أبي داود، كتاب المناسك، باب في رمي الجمار، والنسائي، كتاب مناسك الحج، باب رمي الرعاة
(١٢) راجع في هذا [illegible] زاد المعاد، لابن القيم (٢/٣٩٠)

كما تصدر بعض الفتاوى هنا أو هناك(١٣). هذا يوجب عصمة لهذه النفوس المحترمة أن ترهق إلى حد الإهانة أو ترهق إلى حد القتل مهيض الجناح بعدما من جوانبهم المسلمين. كل ذلك من أجل المحافظة على التشكيل دون المساس لهذه الشريعة الغراء التي تنقل الحكم الشرعي في كثير من القضايا من الإباحة إلى الحرمة أو من الإباحة إلى الاستحباب أو الرفق بالنفس. فلو علم الحاج أنه لو دخل في الزحام في الجمرات قد يموت لضعف جسمه وشدة الزحام فيه فإن كان عليه أن يفعل. ويجب عليه أن يرمي في وقت واسع من الليل أو قبل الظهر أو يؤخره ليوم آخر. أو ينيب عنه من يرمي بدلا منه.

• تعلمنا أحكام الحج خلق الرحمة ليس بالخلق فقط كما سبق بل الرحمة بالحيوان. حيث يرد الأمر النبوي في ذبح الأضاحي في الحج فيما رواه الترمذي بسنده عن شداد بن أوس قال: حفظت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله كتب الإحسان في كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»(١٤).

سادسا: من أحكام الحج ما يؤكد على دفع الناس إلى مكارم وأخلاق المعرفة. ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس قال: «مر النبي ﷺ وهو يطوف بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير أو خيط أو بشيء غير ذلك فقطعه النبي ﷺ بيده ثم قال: قده بيده»(١٥).

هذا الحديث يبين إلى أي مدى أحس النبي ﷺ بأن ربط الإنسان بيده وقيادته من خلال هذا الخيط يمثل امتهانا لآدميته وينتقص من كرامته. فبادر إلى تغيير هذا المنكر بيده. ثم أمره أن يقوده بيده وليس كما تقاد الحيوانات والدواب. وهذا الحديث يمثل منهجية واضحة في رفض كل صور الامتهان لكرامة الإنسان. ومعاملته التي تزري به. حتى لو كان متهما في جناية فيمكن عقابه رغبة في إصلاحه. وتقويم اعوجاجه.

سابعا: تكشف الحج ورحلته الطويلة وتعب المتواصل. والسفر جزء من أو يعتبر هو قطعة من العذاب وذلك ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله»(١٦) هذه الرحلة تعيد الثقة في ملكات النفس. وفي قوة الاحتمال. كي ينهض المسلم للمهمات الجسام. أداء لأمانة الإسلام في عنقه. وسعيا للشهادة على الناس. ليصل إلى النوع في كل جوانب الحياة التي تنفعه في آخرته ودنياه.

(١٣) [illegible] تحفظ النفوس من الهلاك أو القتل.

(١٤) سنن الترمذي، كتاب [illegible].

(١٥) صحيح البخاري، كتاب الحج [illegible] رقم [illegible].

(١٦) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب السفر قطعة من العذاب رقم (١٨٠٤).

الخمر والمخدرات في الفقه الإسلامي



للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من الآفات التي انتشرت حديثا وعم ضررها وانتشرت بين قطاعات عديدة من فئات المجتمع الإسلامي المخدرات التي أصبحت تزرع في بعض الدول الإسلامية حيث تتوطن بها أصناف من المخدرات فنشأت السموم القاتلة عن طريق التصدير إلى دول أخرى لتدمر العقول وتفسد الأجسام وتحول كرة محسوبة إلى هياكل عظمية فقدت معنى الحياة، وذلك مناقضة صريحة لأحكام الشرع بالعقل وجعله مناط التكليف، حيث لا يمكن تشبيه العقل في القرآن والسنة ولا مساواته لأنه مخاطب الشرع فهو ملكة العقل للإنسان وبه كان موضع التكريم والتفضيل على سائر المخلوقات ومن ثم يستحق به التكريم وهو مناط التكليف.

من أجل ذلك كانت الخمور موضوعة ومحرمة بالقرآن والسنة والإجماع لإخلالها بمقصد أصلي من مقاصد التشريع وهو حفظ العقل ويلحق المخدرات بالخمر ويشاركها الضرر فيها ويكثر ضحاياها.

ويحسن في هذا المقام أن نعرض لبعض المصطلحات المتعلقة بالخمر والمخدرات. يتعين لفهم الموضوع بيان المصطلحات الخاصة به.

- الشرب: هو عند جمهور الفقهاء مالك والشافعي وأحمد شرب المسكر(١). سواء سمي خمرا أو لم يسم خمرا. وسواء كان عصير العنب أو أي مادة أخرى كالبلح والزبيب والقمح والشعير والأرز. سواء أسكر كثيره أو أسكر قليله وهذا المفهوم للخمر يشمل كل أنواع الخمر المستخرجة من العقاقير الحديثة. طالما كانت شرابا. ومن شأنه الإسكار.

أما أبو حنيفة(٢) فإن الشرب عنده قاصر على شرب الخمر فقط سواء كان ما شرب كثيرا أو قليلا. والخمر عنده يؤخذ من العنب والبلح لحديث الرسول ﷺ: «الخمر من هاتين: النخلة والعنب» فشرب الخمر يطلق عنده على الخمر المستخرج منهما. أما غيرهما من أنواع العقاقير الحديثة. فلا يعتبر متعاطيه قد شرب الخمر

(١) المغني لابن قدامة ج١٠ ص٣٢٣ [illegible].

(٢) بدائع الصنائع للكاساني ج٧ ص٣٩.

لو حب فيه الحد إلا إذا سكر منها فعلا

والأدلة على تحريم الشرب ما روى عن عبدالله بن عمر: لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه.

ويتوافر الركن المادي لجريمة الشرب عند جمهور الفقهاء، كلما شرب الجاني شيئاً مسكراً، ولا عبرة باسم المشروب ولا بالمادة التي استخرج منها. كذلك لا عبرة بقوة الإسكار في مشروب فما أسكر كثيره فقليله حرام. ولو كان لا يؤدي فعلا للإسكار.

ومن المتفق عليه أنه لا يشترط لتوافر ركن الشرب، أن يؤدي الشرب للسكر، فيكفي لقيام الجريمة مجرد الشرب، ولو كان من المستحيل أن تؤدي الكمية التي شربت منه للسكر، لأن الشرب محرم لعينه.

ويشترط أن تكون المادة المسكرة مشروبا، فإن لم تكن كذلك، فلا يجب الحد فيها، وإنما فيها التعزير كالحشيش والداتورة وغيرها من المواد المخدرة.

– السكر: درجة تأتي بعد الشرب، وهي نتيجة له. ويجب أن تتوفر في جريمة السكر أركان جريمة الشرب، وأن يؤدي الشرب بعد ذلك إلى السكر، ويحد الجاني على السكر إذا شرب المادة المسكرة. وهو عالم بأن كثيرها مسكر، ولو شرب منها قليلا، مادام أن الشرب قد أدى فعلا للسكر، ويحد كذلك، ولو لم يقصد من الشرب السكر، مادام قد سكر، وذلك أخذا بالقصد الاحتمالي إذ كان عليه أن يتوقع أن الشرب ربما أدى للسكر.

ومعيار السكر الذي يحد به السكران عند أبي يوسف ومحمد، أن يغلب على كلام السكران الخلط في الكلام ويغلب على حديثه الهذيان. تأسيسا على قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٤٣)

فمن لم يعلم ما يقول فهو سكران ورأيهما يتفق مع رأي بقية الأئمة

والنصوص الواردة في الخمر

﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(المائدة: ٩٠)

ومن السنة عن عبدالله بن عمر قول النبي ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام».

وعن ابن جابر قال رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (مسند أبي داود)، والحديثان يفيدان العموم والإطلاق في إدراج أصناف العقاقير المعاصرة ضمن الخمر، متى كانت خاصيتها الإسكار.

مفهوم الخمر التي توجب العقاب

عند جمهور الفقهاء كل مسكر خمر، لأنها مأخوذة من ستر العقل. وهو تغييب تفكيره السليم، فهي من خامر العقل وخمره بمعنى ستره، من غير عد ولا إحصاء، لأنه وجد من أنواع المسكرات ما لا يحصى عددا ولا نوعا، وأن التعميم في التحريم على مقتضى الحديث في كل مسكر هو الأنسب لروح العصر، فإنه قد حدثت

أنواع كثيرة من المسكرات لا تحصى ولكن تتفق في العلة. وهو الإسكار الذي هو سبب التحريم. والمعيار الضابط للسكر هو، الشخص العادي، ذلك أن الشخص المدمن قد لا يسكر بشربها، لكونه معتادا عليها على الدوام.

وموجب التحريم يكون بشرب الخمر، أو تعاطي المسكر، ذلك أن ما لا يشمله النص بعينه يدخل في التحريم، بدلالته وحقيقته واستحقاق العقوبة بالقياس عليها، لأنه يتحقق فيه معنى الخمر المحرمة بالنص.

ويمتد التحريم. ويحاسب عقوبة التعاطي والاتجار والإدمان وغيرها من المصطلحات التي يستعملها قانون العقوبات، من منطلق أنها تنطوي على معنى الشرب. ويتورط مرتكب في حمأة الشرب المحرم، بل إن درجة ولوغه في إتيان ركن الجريمة في بعض المسكرات الحادثة أكبر، وعموم الضرر أفحش، لما طرأ على الخمور المعاصرة من فنون الصنعة، وصور الإغواء.

كما أن المخدرات التي أفرزها العصر، وابتدعها أعداء الإنسان ومروجوا السموم، من الهيروين والكوكايين وغيرها وتؤخذ عن طريق الحقن والشم والبلع.. إلخ هذه القائمة المدمرة للعقل والجسم والمشرب والاتصال الناشيء عنها، والتي تجعل متعاطيها فاقدا لآدميته، يحمل صورة الإنسان، وهو مجرد من كل معنى للإنسان –وهي أي هذه المخدرات– أس الجرائم، وأم الخبائث، وتفوق في ضررها أضعاف الخمر التي جاء النص بتحريمها، فهي بالقطع تخل بمقصد أساسي من مقاصد الشرع الإسلامي، وهو حماية العقل كجوهرة ربانية للإنسان.

ولأن تأثيرها على العقل والكيان الإنساني خطير، فإن المخدرات بنوعيها المنشط والمثبط والمهلوس والمورفين ومشتقاته والحشيش وبقية المواد المخدرة تحدث أثرها في تغييب نعمة العقل بشكل واضح لا غموض فيه، تندرج في نطاق التحريم والعقاب، سواء كانت سائلة أو جامدة أو كانت من المواد الغازية.

مصطلح المخدرات في الفقه الإسلامي

لم يستخدم الفقهاء لفظ المخدرات إلا في القرن العاشر الهجري وكتبهم تحتوي في ذلك كلام طويل عن البنج (بفتح الباء) ويعتبر البنج هو أول نوع من المخدرات يتكلم عنه الفقهاء. واعتبره الكاساني من البنج فيقول: إن الشرب إذا لم يكن حراما أصلا فلا عبرة بنفس السكر كشرب البنج ونحوه.

البنج لا بأس أن يتداوى به الإنسان، فإذا كان يذهب عقله منه، فلا ينبغي أن يفعل ذلك، والخدر مادة تسبب فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، وقد تنتهي بمتعاطيها إلى غيبوبة تعقبها الوفاة.

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي

أنه يباح للتداوي دون العطش، بأنها حال ضرورة. قد يحدث فيه زوال العقل بسبب شرب البنج ونحوه مما يزيل عقله عامدا متلاعبا. فحكمه حكم السكران في طلاقه، وسائر ما يفتقر إليه.

وأساس تحريم المفترات (المخدرات) قوله تعالى:

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع جـ٧، ص٤٠

(٤) المغني لابن قدامة جـ٨، ص٣٠٨

﴿ ... وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

(الأعراف ١٥٧)

وحديث أم سلمة قالت: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

ويقصد به في الفقه أي: «المفتر هو كل مخدر للجسد، وإن لم ينته إلى حد الإسكار كالبنج ونحوه».

ويقول ابن رجب: «السكران بشرب الخمر عمدًا يجعل كالصاحي في أقواله وأفعاله فيما من المشهور في المذهب، بخلاف من سكر ببنج ونحوه».

واتفق الفقهاء على حرمة تناول جميع المواد المؤدية إلى ذهاب العقل واختلاطه وتشوشه، سواء كانت تلك المواد جامدة أم سائلة، وسواء كانت مصحوبة بالشدة المطربة أم غير مصحوبة بها.

وجاء في فتوى الشيخ جاد الحق رقم س ١٠٥ بتاريخ ٥/٤/١٣٩٩هـ - ٤/٣/١٩٧٩م جملة من القواعد

١- أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية، على تحريم إنتاج المخدرات، وزراعتها وتعاطيها طبيعية، سواء كان المقصود بذلك أنها من النباتات، أو مخلقة، بتصنيعها كيميائيا، وعلى تحريم من يقدم على ذلك.

٢- لا ثواب ولا مثوبة لما ينفق من ربحها، والكسب الحرام مردود على صاحبه، يعذب به في الآخرة.

٣- لا يحل التداوي بالمحرمات، إلا عند تعينها دواء، بسبب عدم وجود مباح سواها، وبقدر الضرورة.

٤- المجالس التي تعد لتعاطي المخدرات مجالس فسق وإثم، والجلوس فيها محرم.

٥- على الكافة إرشاد الشرطة المختصة لمكافحة تجارة هذا السموم القاتلة والقضاء عليها، وهذا الإرشاد، هو ما سماه الرسول الأكرم بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وخلص من فتواه إلى النتيجة التالية: وتخلص مما قدم أن المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها طبيعية أو مخلقة، وأن كل مسكر من أي مادة حرام، وهذا الحكم مستفاد نصا من القرآن الكريم، ومن سنة النبي ﷺ وبذلك يحرم تعاطيها بأي وجه من وجوه التعاطي

في صورة الأكل أو الشرب أو شم أو حقن، بعد أن تعددت أشكالها، وتنوعت مصادرها، لتوسع دائرة التعاطي، ويتزايد الربح للمتعاملين فيها، بتعميق صناعة السموم، وإيقاع الضحايا في حبائل هذه الخبائث، وتعلمها المفاسد في بيان الفرد والمجتمع، لذلك كانت مواجهة الشرع الإسلامي لها، درءا للمفاسد، وطردا للأوهام الناشئة عن تعاطي جرثومة الداء، فجاءت قاعدة: درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

ويجري القرافي كعادته تفرقة مهمة بين المرقد والمسكر والمفسد ويذهب في القاعدة الأربعين إلى التفرقة بين قاعدة المسكرات وقاعدة المرقدات وقاعدة المفسدات أن هذه القواعد الثلاث تلتبس على كثير من الفقهاء، والفرق بينها أن المتناول من هذه، إما أن تغيب معه الحواس أولاً، فإن غابت معه الحواس كالبصر والسمع واللمس والشم والذوق فهو المرقد. وإن لم تغب معه الحواس فلا يخلو إما أن يحدث معه نشوة وسرور وقوة نفس عند غالب المتناول له أولا: فإن حدث ذلك فهو المسكر وإلا فهو المفسد.

فالمسكر: هو المغيب للعقل مع نشوة وسرور كالخمر.

والمزر: وهو المعمول من القمح.

والبتع: وهو المعمول من العسل.

والسكركة: وهو المعمول من الذرة.

والمفسد: هو المشوش للعقل مع عدم السرور الغالب.

ويقول ابن تيمية[6]: وقد توقف بعض الفقهاء المتأخرين في الحشيشة، ورأى أن آكلها يعزر بما دون الحد، حيث ظنها تغير العقل من طرب بمنزلة البنج، ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما.

ويقول ابن القيم[7]: إن الخمر يدخل فيها كل مسكر مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا، فيدخل فيه عصير العنب وخمر الزبيب والتمر والذرة والشعير والعسل والحنطة واللقمة الملعونة لقمة الفسق والفجور ونعني بها الحشيشة؛ لأن هذا كله بنص رسول الله ﷺ الصريح، الذي لا مطعن في سنده، ولا إجمال متنه، إذ صح عنه قوله: كل مسكر خمر، وصح عن أصحابه رضي الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده، أن الخمر ما خامر العقل، على أنه لو لم يتناوله لفظه ﷺ كل مسكر، لكان القياس الصريح الذي استوى فيه الأصل والفرع من كل وجه حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر، في تحريم البيع والشرب فالتفريق بين نوع ونوع تفرقة بين متماثلين من جميع الوجوه.

وقد نهى الرسول ﷺ «عن كل مسكر ومفتر» مسند أبي داود، وهذا النهي على إطلاقه يشمل الخمر وأنواع أخرى من المفترات يندرج ضمنها المخدرات، وقد أجمع أهل العلم على تحريم المسكر والمفتر؛ لأن تحريمها من نوع تحريم الخمر إن لم يكن أشد، بالإضافة إلى أن استخدام القياس الأصولي يجعل من مساواة المخدرات بالخمر في التحريم بجامع تأثيرها على العقل، وتعطيل القوى الذهنية، والملكة الفكرية فيه. وتزيد المخدرات بتحطيمها بنيان الإنسان، وصيرورته شبحا وهيكلا عظميا، مسلوب الإرادة منزوع الكرامة، مؤهل لارتكاب الموبقات والجرائم، مما يجعل تحريمها أشد، ومن قبيل قياس الأولى، ومن ثم يستحق المتورط فيها أقصى عقوبة؛ لأثرها الضار والمدمر على الفرد والمجتمع على سواء.

وحيث نهى رسول الله ﷺ «عن المسكر ثم عطف عليه في الحكم، والقاعدة الأصولية المقررة تقتضي أنه إذ نهى عن شيئين مقترنين، ثم جاء نص آخر على النهي عن أحدهما من حيث التحريم أو الكراهة، أعطي الآخر ذلك الحكم، وحيث إنه قد تقرر حرمة المسكر استنادا إلى ما جاء من أدلة الكتاب والسنة والإجماع مما لا يدع مجالا للشك في حرمة المسكر، وجب أن يعطى المفتر ذلك الحكم.

---

(٥) القواعد من الفقه الإسلامي ص...

(٦) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص...

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، ص...

لِتَعَارَفُوا

رؤيـــة معرفيـــة

بقلم: يحيى رضا جاد
باحث مصري

يقول تعالى:

[illegible]

(الحجرات ١٣)

١ - [illegible]

خطاب للبشرية كلها بتنوعها وتعددها واختلاف ألسنتها وألوانها. وهو نداء يخاطب «الكينونة الإنسانية» في جميع البشر - ولازم ذلك تساويهم في «المقام» و«الكرامة» و«التكريم» - ومن ثم: فهو خطاب «عالمي» و«إنساني» التوجه والوجهة.

٢ - [illegible]

أ - تذكير بحقيقة «وحدة الأصل» الإنساني للبشرية جمعاء رغم اختلاف الناس وتعددهم وتباعدهم في المكان والزمان والأفكار، فهم - رغم كل شيء - «أسرة واحدة ممتدة زمانيا ومكانيا»، ووحدة الأصل هذه تستلزم التساوي في «المقام» و«الكرامة» و«التكريم»، وتنفي - تحت أي دعوى من الدعاوى - أوهام استعلاء بعض الأجناس أو القوميات أو الأعراق أو الشعوب على بعض.

ب - وتذكير كذلك بعنصر «الزوجية» و«الثنائية» و«التعددية» التي قام ويقوم عليها الكون بكل ما فيه؛ فلا «انفراد» ولا «استفراد»، بل «اجتماع» و«مجامعة» و«جماعية»؛ فتصور الوجود في الإسلام قائم على واحدية وأحدية ووحدانية الله تعالى، وزوجية وثنائية وتعددية كل ما عداه.

٣ - [illegible]

إقرار وتذكير بحقيقة «التنوع الإنساني» المعرفي والاجتماعي والتاريخي (ومن ثم الفكري)؛ فالتنوع في الألسن والألوان والأعراق يؤدي - ولابد - إلى تنوع في الدين والمذهب والمرجعية والرؤية الفلسفية والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية.

٤ - [illegible]

أ - في اللغة «العرف» الرائحة الطيبة العطرة الزكية.

وعرفتُ الشخص؛ أي: أصبتُ عرفه؛ أي: رائحته.

واعترف الطعام؛ أي: طاب عرفه، أي رائحته.

وعرفه؛ أي: جعل له عرفا؛ أي: رائحة طيبة؛ أي: طيبه وحسنه. يقول تعالى

[illegible]

(محمد ٦)

أي: طيبها وحسنها وزينها لهم وشوقهم إليها

ومن ثم، فالمعروف هو المستحسن غير المستقبح؛ وهو الأمر بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه (أي لطيبه وحسنه)؛ إنه اسم لكل أمر يعرف بالعقل أو بالشرع حسنه.

والمعرفة: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره (وهو تعريف منبثق عن: إدراك وجود الشيء الطيب بوجود أثر رائحة طيبة له)؛ أي العلم المتوصل إليه بتفكر.

وتعارفوا: أي تعرف بعضهم إلى بعض (وفيه إدراك متبادل للوجود والماهية في جو طيب معطر زكي يغلف المكان) وعرف بعضهم بعضا.

فالتعارف: تفاعل في المعروف، تفاعل فيما هو معروف ومتعارف عليه. أي إقامة العلاقات بين الناس بالمعروف ووفق ما يتعارف عليه الناس. أي إقامة العلاقات بين الناس بالحسنى وفيما هو مستحسن

والتعارف يقابل التناكر، يقول تعالى:

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾

(يوسف ٥٨)

ويقول ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» (متفق عليه). ومن ثم، فالتعارف يستلزم التآلف - وسيأتي لذلك مزيد بيان - بينما التناكر يستلزم التخالف. وبهذا تثبت متتاليتنا الثلاثية: التعارف فالتآلف فالتفاعل والتعاون والتكامل.

ب - [illegible] إذا هو نوع العلاقة التي يجب أن تكون بين البشر - المتنوعين بالضرورة؛ كما أكد الوحي والتاريخ والواقع - ماديا ومعنويا، معرفيا واجتماعيا؛ ليتم إعمار الأرض واكتشاف كنوزها وخيراتها وتبادل منافعها؛ بأن تكون بينها تعارفا تآلفيا تعاونيا مشتركا عامرا آمنا حاضنا، للجميع.

و«عالمية التوجه التعارفي» هذه من خصائص الإسلام

- فرب ورسول هذا الدين ليس ربا محليا أو إقليميا أو عرقيا أو عنصريا، بل هو:

[illegible]

(الفاتحة ٢)

كل العالمين

[illegible]

(الناس ١)

كل الناس.

– ورسول هذا الدين ذاته، ما أرسله ربه إلا

﴿...رحمة للعالمين﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ١٥٨)

﴿[illegible]﴾

(الفرقان: ١)

وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة» (متفق عليه)

– وكتاب هذا الدين، ليس للعرب وحدهم

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

(ص: ٨٧)

﴿[illegible]﴾

(الأنعام: ٩٠)

فهذه هي طبيعة الدين نفسه؛ فهو ليس دعوة عربية ولا شرقية ولا غربية ولا عرقية ولا إقليمية، بل هو دعوة «للعالمين»، كل العالمين.

فكيف يكون الرب عالميًا، ورسوله عالميًا، وكتابه عالميًا، ودينه عالميًا، دون أن يدعو هذا الدين «للتفاعل» مع «العالمين»، (ولا يكون «تفاعل» إلا بعد «تعارف»، بكل ما يستلزمه هذا التعارف، على ما سيأتي بيانه تفصيلاً بعد)؟! وكيف بالعالمين «المكرمين»[1].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

(الإسراء: ٧٠)

٥ – و«المعرفة»، (والتي لا تكون إلا في جو طيب معطر زكي) لا يمكن – بضرورة التعريف والمنطق معًا – أن تقوم على النار، وإنما تستلزم النور، ولا يمكن أن تقوم على السيف، وإنما تستلزم الاستماع والحوار. ولا يمكن أن تكون صدامية (فالصدام مآله الإفناء، ومن ثم: فعلى من، ومع من، سنتعارف[2]). وإنما تستلزم أن تكون تآلفية تعارفية تبادلية (ومن ثم تكاملية)، ولا يمكن أن تتم في جو مشحون بالكراهية وضيق الصدر، وإنما تستلزم المودة واللطف ورحابة الصدر.

٦ – وقيام «التعارف» يستلزم – من جهة السلب:

– انتفاء نية النزاع والصدام.

– وانتفاء النزعة الاستعلائية وشهوات الهيمنة.

– وانتفاء «ازدواجية المعايير» في التعامل – من قبيل:

﴿[illegible]﴾ (آل عمران: ٧٥)

ونفي أي ادعاء باحتكار الفضائل في قطاع بعينه دون غيره من البشر، ونفي أي إدعاء بتجمع الشرور والرذائل في قطاع بعينه دون غيره من البشر، ذلك أن الفضائل والرذائل (مشاع بين الأمم والشعوب، تتفاوت فيها بالكسب والتدافع، فتتعدل موازينها منها، وتتفاوت أرصدتها فيها، دون أن تكون حظوظها منها طبعًا وجبلة يستعصيان على التعديل والتغيير)[3].

ويستلزم – من جهة الإيجاب –:

– الاعتراف المتبادل بالحق في الوجود والتنوع والاختلاف، أي قبول التعددية،

– والاستماع المتبادل للأفكار والتصورات

– والتعاون المشترك على فض مغاليق الحياة والكون المادية والمعنوية، ارتياد آفاق البحث والتجريب.

وبتعبير آخر: «التعارف» يستلزم «الرغبة» في اللقيا والتفاعل الحنون معنويًا وماديًا وهذا الاستلزام يستبطن ويزول معه «التآلف» الذي يبقي على ذاتية العناصر التي تم التآلف بينها، ويحافظ عليها؛ لتتفاعل معًا دون نفي لأي منها أو تذويب لأحدها في الآخر.

و«تعددية التمييز» هذه (التمايز إلى «ذكر» و«أنثى»، وإلى «شعوب»، وإلى «قبائل»، مع كل ما يستلزمه ذلك ويترتب عليه ويؤول إليه) إنما تقوم في إطار «جامع التعارف» بين بني الإنسان، فليس يجوز في الحكمة أن يكثر ويتعدد ويتنوع الناس ولا يختلفوا، وليس يجوز كذلك أن يكونوا منتسبين إلى جنس واحد – هو جنس بني آدم – ولا يأتلفوا!

وإذا كان هذا هو الحال مع المختلف عنا، فما بالنا بمن هو منا!

٨ – ومآل «التعارف»:

أ – الإدراك الواقعي للآخرين، أفكارًا وأشخاصًا وذوات وماهيات، دون وسائط أو حواجز، ومن ثم، تصحيح الصورة المغلوطة عنهم، مما يفضي إلى إحسان التعامل معهم.

ب – الحوار حول الأفكار.

ج – التبادل للخبرات والخبرات، والتعاون والتكامل والتساند في الإنتاج والإعمار.

هـ – استباق الخيرات؛ فبقيام التعارف –

---

(١) وكيف ميغذ أبناء الدين من كرمتهم تعاليم الدين؟ وكيف يدعو أتباع الدين إلى مقاطعة واجتناب، وعدم مخالطة، بل وبغض من كرمهم الدين؟ وكيف ميحتقر أتباع الدين من كرمهم الدين؟ وكيف يقتل فرد من كرمهم الدين أو تنصتهم – بلسان القال حينًا وبلسان الحال في أكثر الأحايين – بشرًا من الدرجة الثانية؟

«سوة البشر كلهم في مناط تكريمهم، وهذا وصف ثابت لا يزايلهم ولا يفارقهم أينما وكيفما رحلوا وحلوا، وإنما جعلت الإنسانية مناط التكريم لأجل كفالة الله للإنسان حرية الاختيار بين أن يؤمن أو يكفر – وهي أم القضايا – تلك الحرية التي جعلها مانحها ذاته [illegible] ... تكريمه للإنسان استعداد طبيعي وحق شرعي للتكريم الإلهي له بالحرية التي كفلها إياه. لقد أكرمه الله وكرمه بالحرية وتحق تكريمه لأجل هذا التكريم الإلهي له (وقبولنا للآخر غير المسلم ليس قبولاً بكفره أو شركه أو ردته وإنما هو قبول بالتكريم الإلهي له، قبول بحرية الاختيار التي كفلها الله له وبنتيجتها كيفما وقعت. إنه قبول شرعي بوجوده على ما هو عليه، لا قبول عقدي قلبي بمشرعه أو معتقده). ولا يسعنه أن نبيح شخصنة الحرية الكاملة – في الدنيا – في أن يؤمن أو لا يؤمن ثم نضيق عليه فيها تضييقًا إن هو اختار شيئًا مما خير فيه إن لم يكن هذا من الإكراه في الدين فلا أدري كيف هو الإكراه؟. لقد كرم الله الإنسان في قضية الاعتقاد – وهي رأس القضايا – بالحرية، فلا يستقيم أن نهينه بعد بالتضييق عليه عند ممارسته إياها، مهما كان اختياره وقراره»

(٣) [illegible]

الذي يستلزم انتفاء نزعة الاستعلاء والاستكبار التي تجسد مبدأ الاستباق(٣) ـ يفتح الباب على مصراعيه للاستباق. خاصة وأن التنوع والتعدد والاختلاف والتمايز هو «العنصر الكيميائي الأكفأ، والداعي للتدافع الأعظم، على خوض اختبارات المنافسة والاستباق في ميادين الإبداع والارتقاء بين الفرقاء المتمايزين المختلفين، يقول تعالى:

[illegible]

[illegible]

فلولا التعددية والتنوع والاختلاف ـ في إطار التعارف لا التحارب ـ لضمرت حوافز الاستباق ودواعي التدافع وأسباب التنافس بين الأفراد والأمم والشعوب والأفكار والمذاهب والديانات والفلسفات والحضارات. ولأصبحت الحياة سكوناً آسناً متعفناً، وموات لا حيوية فيه ولا تجدد ولا نماء.

وحماع الأمر كله أن «التعارف» «تواصل تفاعلي حيوي، في المعرفة والاجتماع معاً، لا «استئصالي عدواني» ولا «سكوني سلبي». لا «انغلاق» فيه ولا «ذوبان»، ففلسفة التعارف ـ التي أصلنا لها هي ـ رؤية

ربانية المصدر (أرشد الوحي إليها وأكد عليها)

إنسانية الوجهة (تعيد الاعتبار للإنسان وتؤكد على كرامته ومحوريته، سيداً في الكون لا سيداً عليه، مستخلفاً فيه لا قاهراً فوقه).

- تدعو إلى (التفاعل بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتآلف والتعاون والتساند والتكامل بين الأمم والشعوب والدول، ترى العالم «منتدى حضارات»، بين أعضائه مساحات كبيرة من «المشترك الإنساني العام» يمكن التعاون فيها والبناء عليها، ولكل منهم «هوية حضارية وخصوصية ثقافية يتميز ويتفرد بها، و«مصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية تخصه، لابد من مراعاتها)(٤). في إطار من «تكامل المصالح وارتفاقها وتوازنها، لا «تضادها وتناقضها وصراعها»، وعلى قاعدة المساواة في الكرامة، والعدالة في تبادل المنافع. بلا طغيان ولا إحسار، بدلاً من فلسفات ونزعات الصراع والصدام والهيمنة والقهر والاستغلال.

والله أعلم

---

(٣) تفسير قول الله تعالى: ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ [العنكبوت ٣٩]

(٤) إن الأخير منه الإقصاء للآخر، ومن ثم سيادة النموذج الواحد والتوحيد، ومن ثم تحول ملكات الإبداع (فالإبداع لا تنقدح شرارته إلا بالمغالبة والتحدي والاختلاف)، ومن ثم السكون الآسن والتعفن والموات (فالإبداع ملكة العبقرية لا ينزل من السماء على بني كسالى)

* مقدمة [illegible] محمد عمارة

الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة مجالات تفعيلها ووظائفها

أ.د. خالد فهمي
كلية الآداب/ جامعة المنوفية

مدخل: التور نهائي والتغيير داخلي

هل فكر أحد يوماً في الربط بين كون الإسلام هو الصيحة النهائية والخاتمة من الدين الإلهي وبين آليات تغيير سلبيات الخبرة في رحلة تقدمها في الزمن؟

وهل فكر أحد يوماً في حل هذا الإشكال؟ كيف تستقيم حياة الإنسانية وهي تتطور في ظل شريحة ظاهرة منها جهاز الفساد في الوقت الذي حكم ربنا سبحانه بتوقف الوحي الواصل من السماء إلى الأرض.

لابد والأمر هكذا أن يكون إجراء التغيير داخلي ذاتي وهو ما نصير إلى فحصه الآن.

عرفت الشريعة الإسلامية منذ أعلنت قيامها بواجب إرشاد الحياة وتوجيهها، وقيادتها جهازاً داخلياً ذاتياً يرعى تصحيح كل خلل يظهر في حياة الناس.

وهذا الجهاز في حركته التصحيحية الإيجابية يتحرك في طريق - ترسم معالمه ثلاث خطوات متراكبة يبدأ مسيره من إدراك تصور جلي للحياة والوجود والكون فطره الأصوليون جميعاً في كليات ظاهرة، وزاد من تفطيرها بعض المعاصرين في التوحيد والإعمار وتزكية الإنسان، ويتحرك هذا الجهاز على ضوء من هذا الوعي ليراقب حركة الحياة والعمران داعماً لما توافق مع التصور نافياً ما يتصادم معه ويعاكسه ويؤخر أثره في حياة الناس.

وهو الجهاز الذي ابتكره الإسلام وسمته الأدبيات الفقهية والحضارية عند المسلمين باسم الحسبة الإسلامية، وظهور هذا الجهاز إعلان ظاهر على أنه مادام أن التور نهائي فلابد أنه لن ينطفئ ولابد أن التغيير ذاتي وداخلي ومستمر!

ومنطقي أن يتطور عمل جهاز الحسبة الإسلامية بتطور عمران المجتمعات الإسلامية

مشيها. وهو ما يمثل ما يمكن أن نقرر أن ثمة آفاقاً جديدة ورحبة يملكها هذا الجهاز بطبيعة تكوينه بما هو ذراع في يد الشريعة لتصحيح مسيرة حياة الإنسان في جزء من حركته في الحياة.

الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة

من الاكتشاف إلى التمدد والازدهار

الذين يدرسون تراث مصنفات الحسبة في الحضارة العربية الإسلامية يلحظون تضخماً واضحاً في إجراءات مقاومة الانحراف وأشكاله التي تهدد حياة الإنسان كما أن تأمين هذا الجدل غاية كلية ثابتة رعاها الذكر الحكيم منذ بدء نزول الوحي بشهادة القرآن المكي الكريم يقول تعالى:

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

(سورة قريش : ١-٤)

أولاً: جاء طلب عبادة الرب بعد تاريخ طويل من تأمين الحياة الإنسانية في بعديها البدني والروحي (طعام / أمن).

ثانياً: أن التكليف والأمر به كان بعد تهيئة أجواء الحصول على عادة تأمين الحياة الإنسانية والوصول بها إلى مرحلة الإلف والعادة

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ ﴾

ثالثاً: وربما أمكن أن نقرر أن ذلك لم يكن إلا بعد تهيئة أجواء الحصول على مادة -إقامة حياة الإنسان وقد أحاط بها وحفها أجواء ترعى قدراً من المتعة والرفاهية (رحلة شتوية / وصيفية).

وهذا التضخم في إجراءات مراقبة الأسواق ومنتديات العمل وحركة جمهور مسلمة يبدو واضحاً لأهمية حفظ البدن وتقدمه في سلم أولويات الإنسان.

لكن ذلك لا يعني أن الحسبة الإسلامية قد هي حركة محاصرة المنكر والحث ودعم معروف الصوت كانت وقفاً أو حكراً على حركة السوق بمعناه الواسع العام.

لقد ظهرت ملامح من عناية الحسبة الإسلامية بترشيد حركة الإنسان في ميدان العلم والعقل والتهذيب والمؤسسات القائمة على رعاية أمورها.

مما يصح معه أن نقرر أن الحسبة الإسلامية تمتلك رصيداً جديداً من الحركة في مجال العلم والمعرفة يمكن استثماره وتطويره والدفع به في آفاق جديدة

في الكتاب الذي صنفه الماوردي علي بن محمد بن حبيب الشافعي بعنوان (الرتبة في طلب الحسبة)، ما يبرهن على ما نذهب إليه

فقد توقفت أمام عدد من الفصول في هذا الكتاب يمكن أن تعد بداية صالحة للتطور والبناء عليها للخروج بتطبيقات معاصرة للحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة وهذه الفصول أو الأبواب هي (من السادس والأربعين إلى التاسع والأربعين في ترتيب الكتاب)

أولاً ـ في الحسبة على مؤدبي الصبيان.

ثانياً ـ في الحسبة على المقرئة والمؤدبين

ثالثاً ـ في الحسبة على الوعاظ

رابعاً ـ في الحسبة على المنجمين وكتاب الرسائل.

و التوقف أمام هذه الأبواب الأربعة تعييناً بما تضمه في داخلها من تفصيلات يدخل بعضها في الصميم من العمل العلمي والمعرفي وتوجيه أمره وإنكار المنكر منه ودعم المعروف منه- مدخل صالح للقول بأن تراث الحسبة في التأليف الإسلامي يمتلك البدايات التي يمكن البناء عليها واستثمارها لتطوير نظام إسلامي للحسبة في مجال العلم والمعرفة ينهض بما توافر من وصف أمة الإسلام ـ الأمة الشاهدة والمصححة لمسيرة الأفكار عند غيرها بحكم وظيفة كتابها الذي نص على قيامها بوظيفة الهيمنة على ما سبق من الكتب.

في هذه الأبواب الأربعة محاولة لرعاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تفصيلات علمية معرفية من مثل:

أ- التدرج في التعليم والبناء التراكمي للتدرج للعلم بداية بتعليم المتعلم قصار السور بعد مهارته في معرفة الحروف وضبطها ثم تعليمه أصول الحساب ومنع المتعلم من حفظ الأشعار الماجنة الى غير ذلك.

ب- مراعاة قراءة القرآن كما أمر سبحانه ومحاربة تلحين القراءة تلحين الغناء و الأشعار.

ج- مراعاة حال الوعاظ في علمهم وحفظهم ومروياتهم وصحتها

د- محاصرة البدع بالتنبيه على أدلة حرمتها.

صحيح أن هذه الحسبة في مثل ما مرت به من مشكلات كان من باب حياطة النظام العام في المجتمع الاسلامي وصيانته بما يحفظ سلامه الاجتماعي وتحقيق أمنه وهويته وحفظ مقاصد الشريعة في الدين والعقل والنفس لكن ذلك لا يمنع أنها تفصيلات تأسست على مراعاة الشأن العلمي والمعرفي بما هو ظاهر فيها بشكل أساسي بل ربما يمكن أن نقرر في غير ما شطط أن نشأة علم الجرح والتعديل مثلاً من أصرح الأمثلة على تطبيقات الحسبة في مجال العلم والمعرفة.

مجالات تفعيل الحسبة الإسلامية

في مجال العلم والمعرفة

و قراءة جانب من حياة التصنيف العلمي في الحضارة الإسلامية تقود الى إمكان القول بأن ثمة تطبيقات علمية يمكن أن تمثل أساساً لما سميناه بالحسبة الإسلامية في مجالات العلم والمعرفة وفيما يلي: محاولة لرصد هذه المجالات توصلاً للعمل على تطويرها واستثمارها وتقنينها في الحياة المعاصرة.

وسأكتفي بمجال واحد ظاهر هو

الاستدراك

التصنيف العلمي في غير مجال علمي ولا سيما في علمي الحديث واللغة مصنفات كثيرة رفعت عناوين مشتقة من الاستدراك، من مثل:

المستدرك لأبي عبد الله الحاكم، و استدراك الغلط الواقع في كتاب العين لأبي بكر الزبيدي الأندلسي، وهي ومثلها دليل ظاهر على ما يمكن أن تسميه الأمر بالمعروف في المثال الأول والنهي عن المنكر في المثال الثاني بمعنى أن ما حمل الرجلين على صنيعهما هو إرادة توسيع

دائرة النفع فيما جمعه استدراكا على أصحاب الكتب الحديثية الصحيحة وإرادة محاصرة الغلط بما هو منكر بالمعنى الواسع وإن لم يكن وقوعه مقصودا في تصحيح أغلاط معجم العين.

و يدور في فلك هذا الفرع التطبيقي أغصان علمية من مثل

أ- كتب التكملات في العلوم العربية الإسلامية كالتكملة للصغاني والتكملة للزبيدي (في المعاجم).

ب- كتب لحن العوام وتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء لغوية.

جـ- كتب تصحيح الأوهام والأغلاط في العلوم العربية الإسلامية، من مثل:

إصلاح خطأ المحدثين للخطابي و غلط الضعفاء من الفقهاء لابن برى المصرى.

د- كتب التنبيه أو التنبيهات في المجالات العلمية المتنوعة من مثل:

التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها و تحريف في كتاب الغريبين لابن ناصر السلامي البغدادي، و كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه للبكري وكتاب التنبيهات لعلي بن حمزة الذى نبه فيه على أخطاء الكامل للمبرد، والفصيح لثعلب، والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والمقصور لابن ولاد.

هـ- كتب الذيول تعد داخلا بشكل ما في المصنفات التي حملت عنوان (التكملة) و لعل التأليف في الطبقات والتاريخ والرجال أظهر الأمثلة للحسبة العلمية في هذا المجال تمهيدا لعمل الأواخر بما يتمم معروفها والانتفاع بها

ولو توسع الإنسان وصنع دراسة مسحية لطرائق التأليف عند العرب والمسلمين لأمكن أن تزيد هذه القائمة النوعية بشكل ملحوظ عما هي عليه هنا الآن لكنها دالة بحالها هذه على توافر التطبيقات التراثية للحسبة الإسلامية في مجال العلوم و المعارف بمعنييها جميعا وأمرا بالمعروف فيما كان من غرضه تتميم عمل اللاحق للسابق تكملة أو استدراكا أو تذييلا ونهيا عن المنكر وتغييره فيما ظهر من إصلاح الغلط أو التنبيه عليه وتصحيحه كما كان مشغلة كثيرين من العلماء في مراجعة السابقين عليه.

هل هناك مكان لتطوير تطبيقات الحسبة في مجال العلم والمعرفة في العصر الحديث

إن هذا السؤال يعني الكشف وإقامة البينات الدالة على عدم انقطاع علامات العناية بالحسبة الإسلامية في مجالات العلوم والمعرفة في العصر الحديث وإن جنحت تطبيقاتها إلى محاصرة الأغلاط والأوهام والأخطاء وما انضاف إليها من ملاحقات السرقات العلمية تعيينا.

صحيح أن الكثيرين ممن يقومون بهذا الواجب لم يظهر منهم في الغالب ربط ظاهر بين عملهم المتابع والمصحح وبين مفهوم الحسبة بما هو نهي عن المنكر ودرء للمفاسد الذى هو عين مفهوم هذا المصطلح الإسلامي.

لكن ذلك لا يعني غيابه غيابا كاملا يقول الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح في كتابه (في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات) (عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ١٩٩) "ولابد أخيرا من إحياء وظيفة الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة".

وهذه الدعوة من هذا العالم الكبير جاءت عن وعي بما يربطها بالفكرة الإسلامية في عمقها عندما يقرر أن هذه الدعوة من جانبه كانت بسبب من إرادة حماية العقل التي هي من مقاصد الدين بإجماع أهل الأصول

وفي هذا السياق أمكن أن تتكشف دوائر جديدة تمثل بدايات قوية على طريق هذا الإحياء للحسبة الإسلامية في هذا الميدان الخطير

وبعيدا عن قضية استحياء الضمير العلمي بمعنى ضرورة ألا يتدخل الإنسان أو يتتبع ما ليس من تخصصه، وعمله العلمي بوازع أخلاقي، وهو الأمر الذى شاعت الدعوة إليه في أعقاب كل قضية للسرقة العلمية، فإن من المهم هنا تقنين إجراءات الحسبة في العلم كما كانت مقننة قديما في مجالات مراقبة الأسواق والصنائع ومؤسسات الدولة.

وفيما يلي محاولة للإشارة إلى بعض من هذه المجالات التطبيقية المعاصرة في هذا الميدان المهم والفعال في حياة الأمة:

أ- تقنية علم نقد التحقيقات وتدريسه والتوسع فيه وهناك أئمة معروفون من المعاصرين بقيامهم بهذا الواجب العلمي من أمثال محمود شاكر وعبد السلام هارون والسيد أحمد صقر وأحمد شاكر ومحمود الطناحي ورمضان عبد التواب وبشار عواد معروف وغيرهم.

ب- الإشراف الفعال على الكتاب الجامعي حماية من تفشي تشويه المعلومات وهو الأمر الذى دعا إليه سعد مصلوح في الكتاب المذكور سلفا.

جـ- التقدم في باب حماية الملكية الفكرية ومقاومة السرقات العلمية بما يمنع من ظهورها فضلا عن تفشيها وبما يردع أصحابها

د- التوسع في باب المراجعات العلمية والفكرية تدريسا في مراحل الدراسات العليا، و تدريبا عليها وإقرارا لها في الخطط البحثية وبرامج الترقيات والتوسع في الدوريات والأوعية التي تعنى بنشرها وهو ما يعرف بدوريات عروض الكتب ونقدها التي تكاد تنعدم في الحياة العلمية والعربية المعاصرة إلا من أمثلة نادرة جدا مع شيوعها في المجتمع العلمي الغربي.

هـ- إعادة تقييم المراجعات التي قام بها عدد من الحركات المختلفة إسلامية وغير إسلامية من مثل مراجعات جماعة العنف أو ما يعرف بظاهرة المتحولين إلى الإسلام ولا سيما أن جزءا من وقوعها كان بسبب علمي سواء بسبب النقد الذاتي أو بسبب النقد الخارجي الموجه من غيرهم إليهم.

و- التوسع في نشر ثقافة التحكيم العلمي الجاد والمسئول للأبحاث العلمية والرسائل الأكاديمية والأوراق والمشروعات البحثية والتأني والتفصيل في كتابة التقارير المقومة لها.

وهذه المحاور من جانبنا مجرد أمثلة على ما

يمكن تطويره واستثماره وتفعيله من تطبيقات معاصرة في مجال الحسبة الإسلامية في العلوم والمعارف

(٥) وظائف الحسبة الإسلامية

في مجال العلم والمعرفة

والحق يقتضي بأن نقرر أن ثمة وظائف كثيرة جدا تتبدى وتلوح من خلف العناية بإحياء الحسبة الإسلامية بهذا المجال.

وسنحاول فيما يلي رصد أهم هذه الوظائف الظاهرة التي نرى ظهورها وقدرتها على قضية الدفع والدعم لإحياء الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة:

أولا: وظيفة تحقيق مقاصد الشريعة:

كان ظاهرا جدا فيما نقلته عن سعد مشلوح أن دعوته إلى إحياء الحسبة الإسلامية كان لتحقيق مقاصد الدين بما أن حفظ العقل أحد هذه الكليات الكبرى وربما أضيف إليها مقصد حفظ المال.

وجلي أن شيوع المعلومات المشوهة الملوطة يمثل ضررا بالغا على مسيرة العقل وقدراته على الاستنباط والاجتهاد وترقية الحياة.

ثانيا: القيام بوظيفة الناصح في الأمة:

ذلك أنه مما كان وأمر به المصطفى صلى الله عليه وسلم التناصح بين الناس في مستويات حياتهم المختلفة وبين طبقاتهم جميعها

وإحياء الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة تطبيق عملي معروف منذ القديم في أروقة العلم عند المسلمين.

ولعل أصرح الأمثلة على تطبيقه وإعلائه ما شهر في أجواء الحديث حول تجريح الرجال وتصحيح الأقوال وعلاقتهما بالغيبة، وورد العلماء على ذلك بالنفي وانتفاء العلاقة بينهما، قياما بواجب النصيحة لله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم لدرجة حملت على التأليف المستقل في هذا الباب إذ كتب ابن رجب الحنبلي كتابه عن الفرق بين النصيحة والتعيير مقررا أن نقد أخطاء العلماء فيما يتعلق بما يقع منهم في العلم لا يدخل في الغيبة ولا في التعيير يقول (ص١٩ من طبعة المكتبة القيمة بالقاهرة سنة ١٤٠٢ هـ=١٩٨٢م بتحقيق الدكتور نجم عبد الرحمن خلف) "اعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرم إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص فأما إن كان فيه مصلحة لعامة المسلمين وكان المقصود منه تحقيق تلك المنفعة فليس بمحرم بل مندوب إليه، وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة، وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين

وغيرهم ممن لا يتسع علمه، ولا فرق بين الطعن في رواة حفاظ الحديث، ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبيين أخطاء من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة، وتأول شيئا منها على غير تأويله، وتمسك بما لا يتمسك به؛ ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضا ولهذا نجد في كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة من المناظرات ورد أقوال من تضعف أقواله من أئمة السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يترك أحد من أهل العلم، ولا ادعى فيه طعنا على من رد عليه قوله ولا ذما ولا نقصا"

وقد أطلنا في هذا النقل للتدليل على عمق وضوح آثار العمل بالحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة تحقيقا لوظيفة النصيحة لله تعالى ولكتابه الكريم ولنبيه صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: القيام بواجب الأمانة والمسئولية الفردية العلمية:

والأمر الذي يتصل بالوظيفة السابقة نكرر من جانب تعبدي فردي يقوم به صاحبه قياما بالواجب في حق نفسه، ذلك أن من رأى في نفسه قدرة على شيء لزمه القيام به دينا وأمانة وتعبدا لله تعالى، ولا سيما أن العلماء في التصور الإسلامي يلزمهم عهد بتبيين العلم.

رابعا: تطوير المعرفة والارتقاء بالحياة العلمية قياما بأمانة العلم:

وقد استقر أن العلم يزكو بالسجال والمناقشة والاختلاف والتحليل وفتح باب القول في المسائل من جهاتها المختلفة، فضلا عن أن تطوير كثير من المباحث رهن في بعض جوانبها بتقدمه في النقد والمتابعة والاستدراك وغير ذلك

وهذه الوظيفة مهمة جدا نظرا لمالها على تحديد العلوم وتنقيتها وإثبات حقوق المؤلفين إلى غير ذلك من الكشف عن السرقات في هذا المجال.

خامسا: محاصرة الدخلاء وغير المتخصصين:

وهي وظيفة مهمة جدا لترقية المجتمع العلمي من الأمراض الكثيرة التي تفشت فيه

سادسا: الخوف من الوقوع في إثم كتمان العلم:

فلقد تواتر في الشريعة التشديد على منع كتمان العلم وتأثيم من يكتم العلم بما يترتب عليه من إلجام فاعل ذلك بلجام من نار، فكان ظهور تطبيقات الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة طلبا للنجاة والطهرة من إثم كتمان العلم وعدم تبيينه للناس.

صحيح أن هذه الوظيفة تمثل دافعا محركا للعناية بها، لكنها أيضا وظيفة تتحقق بها.

إن الله عز وجل بما أودعه في هذه الديانة الشريفة من خصائص ذاتية لهي قدرة على تجديد مسيرتها ومحاصرة عمل الغالين فيها، والإثابة على جهاد المجتهدين في ميدان خدمة العلم والمعرفة في أروقتها التزاما بالأمر بالمعروف ودعمه في مجال العلم والتزاما بالنهي عن المنكر والقضاء عليه في المجال نفسه بما حاولنا أن نكشف عنه فيما ذكرنا من تطبيقات القدماء والمعاصرين معا مما يثبت أن الإسلام العظيم يملك قدرة هائلة على تجديد مسيرة التحضر العلمي وتكميلها وتصحيحها

شيء من الإنصاف للإسلام

للشيخ: معوض عوض ابراهيم

إن من العجب العاجب أن نجد الذين شدوا العلم من روسيا أو من أمريكا مثلا يعودون إلى أممهم بعقول ملتوية. ونفوس بينها وبين الإنصاف أبعد ما بين السماء والأرض. إنهم يتحاملون على أمة الإسلام. ويرفعون على كواهلهم بعصبية عمياء كل بلد شرقي أو عربي ينتسبون بثقافاتهم إليه. ويعرفون علماءهم وأدباءهم أكثر من معرفتهم بعلمائنا الأوائل الذين حملوا نور المعرفة وراء الأفق البعيد. وهذا هو المشير التركي «أحمد عزت» يقول:

ودخول أنوار الإسلام والمعارف عن طريق الأندلس والحروب الصليبية وانتشارها فيها حقيقة ليس في وسع أعداء الإسلام تعصبا إنكارها. لقد ورد في مبحث الإسلام في معجم «لاروس» ما يلي:

كان من المسلمين مستشرقون ولغويون ومؤرخون وجغرافيون ورحالون وفلكيون وصناع، بيد أنهم لم ينجبوا علماء خليقين بالذكر في الحكمة والكيمياء والعلوم الرياضية، ولكن المشير أحمد عزت يقول وبحق: «إن للعلماء المسلمين كشوفاً في الكيمياء و...... ألم يكن الجبر من مخترعاتهم؟ فإن الذين كتبوه وأدخلوه إلى أوروبا من المسلمين واسمه المستعمل في اللغات الأوروبية «جبر» دليل قاطع على مجيء الأصل من المسلمين. وذكر أسماء ابن سينا، والفارابي، وابن خلدون دليل كاف على نصيب المسلمين في كافة شعب العلوم، ولم يخف دور القرآن في نهضة أوروبا العلمية، فهذا «عمنويل» وهو من علماء يهود يقول:

دخل الفينيقيون أوروبا تجاراً، ودخلها اليهود قوميين، ودخلها المسلمون حكاماً، وحملوا مشعل القرآن في المعرفة إلى أوروبا والحق أن المسلمين علموا الشرقيين والغربيين الفلسفة، والطب، والفلك، والشعر، وأحيوا تراث اليونان وعلومهم الميتة، لقد كانت الدنيا محاطة ببحر من ظلمات الجهل فأغرقوا كل أرجاءها في النور. إنهم بهذا الاعتبار واضعوا أساس العلوم الحديثة.

وهذا «جاستن كارمن» من مستشرقي فرنسا المعتبرين يقول:

إن القرآن وهو منبع هذا الدين العقلي ودستوره قد احتوى أسس الخير، إنها أسس تستند إليها حضارة العالم. ففي إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة قد نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الإسلام، كل ما في الأمر أنهم لم يقدروا على مسابقة الغرب في ساحة العلم في الأزمان الأخيرة بعد أن جعلوا ذلك هدفا لهم، بيد أن جعل الدين مسؤولا عن هذا التأخر خطأ فاحش لأن جزيرة العرب وما حولها كانت عند ظهور الإسلام في ظلام دامس، ولم ينعم بالعلوم والفنون، ولم تنعم هي كذلك إلا بفضل هذا الدين الإسلامي. والتاريخ خير شاهد. والفضل ينبغي أن يبقى لمن مهدوا السبل ووضعوا المنهج، وأرسوا التوحيد، ولله ولرسوله المن والفضل، قال تعالى:

﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾

(النساء: ١١٣)

ولقد ذكرت الباحثة الألمانية «كاثارينا مومزن» في كتابها: «جوتة[1] والعالم العربي[2]» الكثير الطيب وخاصة في عمله ـ أي جوتة ـ ذائع الصيت، وهو: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي.

إن علاقة جوتة بالإسلام وبنبيه محمد (ﷺ) ظاهرة من أكثر الظواهر مدعاة للدهشة في حياة الشاعر. فكل الشواهد تدل على أنه كان في أعماق وجدانه شديد الاهتمام بالإسلام وأن معرفته بالقرآن الكريم كانت ـ بعد الكتاب المقدس ـ أوثق من معرفته بأي كتاب من كتب الديانات الأخرى ولم يقتصر اهتمامه بالإسلام وتعاطفه معه على مرحلة معينة من حياته، بل كانت ظاهرة تميزت بها كل مراحل عمره الطويل، فقد نظم وهو في سن الثالثة والعشرين قصيدة رائعة أشاد فيها بالنبي محمد (ﷺ) وحينما بلغ السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن على

(١) جوتة شاعر ومفكر ألماني، عاش بين (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م)

(٢) جوتة والعالم العربي، تأليف «كاثارينا مومزن» ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة د. عبدالغفار مكاوي، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، عالم المعرفة.

الـبي. بل إن دهشتنا لتزداد عندما نقرأ العبارة التي كتبها في إعلانه عن صدور هذا الديوان وقال فيها إنه هو نفسه «لا يكره أن يقال عنه إنه مسلم»[٣].

وتذكر الباحثة أيضاً «لايبنتس» ولسنج وهردر قائلة:

«فهؤلاء على وجه خصوص الذين قاموا بوحي من تفكيرهم الإنساني المستنير. بإنصاف الإسلام»... فهذا لسنج يشيد بالإسلام قائلاً: «الإسلام ديانة تتصف بالحكمة والعقلانية، وهذا «هردر» قد أثنى على حماسة النبي (ﷺ) لعقيدة التوحيد وطريقة عبادته للإله الواحد الصمد عن طريق الوضوء والصلاة وفعل الخير، ويعتقد «هردر» أن فساد التقاليد اليهودية والمسيحية من ناحية، وفصاحة قومه ومواهبه الشخصية من ناحية أخرى، كانت هي الأجنحة التي حلقت بمحمد (ﷺ) عالياً، ويشيد «هردر» ـ فضلاً عن ذلك ـ بالمستوى الثقافي والحضاري الرفيع الذي بلغه المسلمون. وجعلهم ينظرون نظرة ملؤها الاحتقار لما كان عليه عامة المسيحيين «الأوروبيين» من فجور لغة وعادات وحشية، ومن سبل التطهر التي يحرص عليها المسلمون في عباداتهم لله، خالق الكون ومدبره، يبرر «هردر» تحريم شرب الخمر وتناول الطعام عبر التطاهر وكذلك الربا والميسر، ويتبين تقدير «هردر» العالي للقرآن الكريم من خلال قوله «إنه لو توافر للجرمان الذين غزوا أوروبا كتاب شبيه بالقرآن لما غدت اللاتينية أبداً سيدة لغتهم ولا تفرقت قبائلهم وظلت في كل سبيل»[٤].

فأين هذا مما قاله ويقوله أعداء النور وعبيد الفتات والقشور والزبد الذي قال فيه رب العالمين:

(الرعد : ١٧)

وكم يأس الإنسان حين يسمع من بعض أجهزة الإعلام من دكتور درس في روسيا أنه يترجم من الروسية إلى العربية! وسألته صاحبة البرنامج ألم تترجم شيئاً من العربية إلى الروسية؟ فقال ذلك الرجل ـ بصره الله وهداه ـ إنه لم يترجم شيئاً من العربية لأنه لم يجد في العربية ما يصلح للترجمة، ولو أن للرجل شيئاً من البصر البصير والفكر المستنير لقال في أقل القليل بعض ما يقوله علماء الغرب الذين قدمت لك من كلامهم طرفاً. ولا يجد هذا الرجل شيئاً من أسس علم الاجتماع. وملامح تاريخ البشرية عبر أعصار الحياة، ومكارم الأخلاق التي تطالعك في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وفي سيرة خير العصور كما جلاها لنا رسول الله (ﷺ) في قرنه وقرون قليلة من بعده. إن بعض الذين عادوا من شرق وغرب بأفكار القوم ومنهجهم في الدرس وتأصيل قواعد النظر والبحث يستشيرون كثيراً من الإعزاز لأنهم أحدوا إلى حسن ما حصلوه من حقائق الإسلام أحسن ما عند القوم من تطبيق وإخراج وعرض وتشويق وبرهنة وتدليل وهم في ذلك لا يرتفعون إلى مستوى المثل الذي ضربه الرسول (ﷺ) للمعلمين وعلماء النفس، وقد جاءه رجل يقول: «يا رسول الله لقد أتيتك من مسيرة تسع، أسهرت فيها ليلي وأظمأت نهاري وأتعبت راحلتي لأسألك عن خصلتين شغلتا بالي، فسأله النبي (ﷺ): «بعد أن استدناه وقربه منه» ما اسمك فقال: «أنا زيد الخيل» فقال صلوات الله عليه «بل أنت زيد الخير. فسل فرب معضلة قد سئل عنها، فقال الرجل يا رسول الله ما علامة الله فيمن يريد وما علامته فيمن لا يريد؟

فسأله النبي (ﷺ): «يا زيد كيف أصبحت؟» قال: أصبحت أحب الخير ومن يعمل به، فإن عملت به أيقنت بثوابه وإن فاتني منه شيء حسنت إليه فقال له (ﷺ): «هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد، ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لم يبالي في أي واد هلكت»[١].

إن هذا المثل من أمثال تؤخذ قدوة وأسوة من القدوة الحسنة (ﷺ) في ميدان التربية وميدان التعليم. وما أحدى ذلك عندما نأخذه من سيدنا رسول الله (ﷺ) حتى يكون العلم نافعاً. ولقد كان النبي (ﷺ) يتعوذ بالله عز وجل من علم لا ينفع. فضلاً عن ميادين ومجالات في شتى شؤون الحياة تحفل بها حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، فكيف غابت معالي الأمور عمن يتعلقون بالسفاسف ويجرون مع أهوائهم في مجالات الهوى والاعتساف! رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي به من تشاء، فاللهم أهدنا الصراط المستقيم وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. ولا تجعله ملتبساً علينا فنهلك فأنت الرحمن الرحيم وأنت البر الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٣) «محمد والعالم العربي» تأليف كاتارينا مومزن ص١٧٦ بتصرف يسير

(٤) نفس المصدر ص١٨١

(٥) نفس المصدر ص١٨٢، ١٨٣ بتصرف يسير

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج١٠ ص٢٠٣ وأبو نعيم في حلية الأولياء ج١ ص٣٧٦

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الرحيم

موت العلماء

روى عن مجاهد وابن عباس -رضى الله عنهما في تفسير قول الله -تعالى-:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾

(الرعد ٤١)

أن نقصانها يكون بموت علمائها وفقهائها، وأهل الخير والصلاح

قال الشاعر:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
حتى يموت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن أبى عاد في أكنافها التلف

العيب.. فينا

قال الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: وأيم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم إلا بذنوب اقترفوها؛ لأن الله -تعالى- ليس بظلام للعبيد، ولو أن الناس حين ينزل بهم النقم ويزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد.

قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد
وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا. قول الله -تعالى-:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

(الرعد ١١)

صفة الإمام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز -رضى الله عنه- لما ولى الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن -رحمه الله- بوصية نقتطف منها ما يأتي:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويزودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع ويكنها من أذى الحر والقر.

والإمام العادل، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا، ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا تسهر بسهره، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل، وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم ويمون كبيرهم.

والإمام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله -عز وجل- كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله.

واذكر يا أمير المؤمنين: إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها والآن يا أمير المؤمنين، وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، ولا تنظر قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدى الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم

مكارم الأخلاق

قال الشاعر:

مكارم الأخلاق في ثلاثة
من كملت فيه فذلك الفتى

إعطاء من تحرمه ووصل من
تقطعه والعفو عمن اعتدى

وقال آخر

كل الأمور تزول عنك وتنقضي
إلا الثناء فإنه لك باق

ولو أني خيرت كل فضيلة
ما اخترت غير مكارم الأخلاق

مثل هذا الفعل

قال الجاحظ: أخذتني امرأة إلى نجار، فقالت له: مثل هذا الفعل، فبقيت مبهوتا، وسألت النجار عن ذلك، فقال النجار: هذه المرأة سألتني أن أعمل لها صورة عفريت تفزع بها ابنها إذا بكى فطلبت منها مثالا فجاءت بك.

دعاء

يا رب لا تجعل قدمي تزل في الطريق إليك، ولا قلبي يضل في التطلع إليك، أنت العون الذي أبتغيه، والخير الذي أنشده في الدنيا والآخرة.

تأملات في السيرة

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدي

تروي كتب السنة أنه بعد هزيمة المشركين في غزوة بدر الكبرى وما لحق بهم فيها من قتل سادتهم وكثرة من قتل منهم وهزيمتهم شر هزيمة مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة عدد المسلمين وعتادهم أن أبا سفيان بن حرب أقسم ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يثأر لهزيمتهم وجهز فرقة وتوجه بها إلى المدينة المنورة يريد أن يشفي غليله فلقي في طريقه رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث فقتلوهما ويقال إن الأنصاري هذا هو معبد بن عمرو. ورأى أبو سفيان أنه بر بيمينه فرجع إلى مكة وبلغ الخبر رسول الله ﷺ فكان لابد أن يتتبع القوم الغزاة لكن أبا سفيان فر هاربا ومن معه ولم يلحقه رسول الله ﷺ.

ولو أردنا أن نزن هذا الحدث بميزان الحق والعقل فهل يمكن أن نقول إن رسول الله ﷺ هو المعتدي وهل ما فعله يسمى اعتداء؟ وماذا نسمي ما فعل أبو سفيان؟ هل نسميه سلماً ومسالمة؟ وماذا عن فعل القتل الذي ارتكبه هو ومن معه لاثنين في حقلهما؟

أيها القارئ الكريم لا تعجب مما أقول بل ولا تنزعج فذلك هو ميزان أمريكا والغرب كله الذي يزن به معاملته للإسلام والمسلمين وبعد أن فرّ أبو سفيان هارباً ونجى بنفسه ومن معه، فلو أن رسول الله ﷺ تعقب هذا الجاني وتربص له وقاتله وقتله أيعد النبي ﷺ معتدياً؟ أم وقد فر أبو سفيان ومن معه ونجوا فهل أنهوا بذلك قتالاً وشفوا غليلهم ونالوا ثأرهم؟ أم أن الأيام حبلى بما يضمره أبو سفيان والمشركون جميعاً؟ وهل يمكن لرسول الله ﷺ أن يأمن شر هذه الفتنة؟ وأن ينام وصحبه آمنين في المدينة؟ وهل لو أنه استسلم لدواعي الدعة والراحة أيعد ذلك رأياً صائباً منه؟ أم أنه الخطأ بعينه وسوء التقدير والتدبير؟ إن الواجب الذي يفرضه العقل وتوجبه الحيطة أن يتأهب رسول الله ﷺ لرد هذه المطامع الشرسة وهذه الأحقاد الدفينة ولا يلام ﷺ إن هو تأهب أو استعد للحرب فذلك واجب تفرضه شراسة الغدر وعناده.

إن النبي ﷺ لم يبدأ غزوة معتدياً ولم يدخل حرباً قاصداً إراقة الدماء إنما كل الحروب وكل الغزوات فرضت عليه فرضاً وكانت مواقفه ﷺ في كل غزوة هي الدفاع عن النفس أو المال أو رد عدوان أو إقرار مبدأ إنساني، ويصبح رفض الحرب في هذه الحالة نكوصاً. وعدم الدفاع جبناً، وتصبح الحرب لازمة من لوازم الإنسانية النبيلة، فهل يلام ﷺ بعد أن فعل أبو سفيان وصحبه فعلته، وقتل رجلين مسالمين في حرثهما؟ لو أن النبي ﷺ أدرك فرصة أبي سفيان ومن معه وقتلهما شر قتلة فهل يلام النبي ﷺ بعد هذا أم يحمد؟. القول الحق أنه يحمد على تتبع المجرمين والقراصنة ويلام إن تقاعس ـ حاشاه ـ هذا في ميزان كل منصف أبي.

ولا معنى لما يردده الغرب كله، إذ كيف تبرر أمريكا تصرفاتها أو عربداتها في بلاد العالم. وإذا كانت أمريكا تبرر تدخلها القبيح المدمر في بلاد العالم بأنها تسعى لنشر الديمقراطية ألا يحق للمسلمين في عهد النبي ﷺ وفي كل عهد أن يبذلوا كل جهدهم وأرواحهم في نشر سماحة الإسلام ويسره وعدالته في زمن النبي وفي كل زمن؟ على أي حال فإن النبي ﷺ رجع المدينة ولم يلحق بأبي سفيان لكن أبا سفيان لم يهدأ وظل يحرض المشركين ويذكرهم بقتلاهم في بدر وتجهزوا لذلك ومعهم من والاهم من العرب، ويقال إن أبا سفيان رجع بعير كثيرة وتجارة أوقفها بدار الندوة ولم يحركها ولم يفرقها على أصحابها رغبة منه في أن يجهز منها جيشاً وطاف رجال من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وصفوان بن أمية ـ أسلموا بعد ذلك ـ برجال ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر يحرضونهم على قتال رسول الله ﷺ فوافقوا على أن يتنازلوا عن تجارتهم لحرب رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾

(الأنفال: ٣٦)

وبعثوا رسلهم إلى العرب يستنفرونهم لحرب رسول الله ﷺ فأتاهم العرب وأصبحوا قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء وكتب سيدنا العباس بن عبد المطلب ـ ولم يكن قد أسلم بعد ـ إلى رسول الله ﷺ يعلمه بذلك فقرأ الكتاب عليه أبي بن كعب واستكتمه رسول الله ﷺ الخبر فذلك من مقتضيات الموقف التكتم والسرية، ثم نزل رسول الله ﷺ على سعد بن الربيع وأخبره بكتاب العباس، فقال: «والله إني لأرجو أن يكون خيراً» واستكتمه الخبر. فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد أتته امرأته فقالت: ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال: ما لك وذلك لا أم لك، كأنه يعيب عليها سؤالها عما دار بينه وبين رسول الله ﷺ قالت: قد كنت أسمع عليكما وأخبرته بما سمعت. فقال لها: لا حول ولا قوة إلا بالله وانطلق بها إلى رسول الله ﷺ فأدركه فأخبره بالأمر. ثم قال: يا رسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني قد خنت

سرك فقال رسول الله ﷺ: «خلِّ عنها».

قد ترى في هذه الكلمة «خلِّ عنها» ما لا يعجبك في مثل هذا الأمر وكنت تود أن يأمر النبي ﷺ بحبسها حتى لا يفشو الخبر، لكن النبي ﷺ هو رحيم وهو الرحمة المهداة لم يشأ أن يعنف المرأة؛ لأن الحرب لم تكن هدفا من أهداف النبي ﷺ إنما هي أمر فرض عليه ورأى أن رسول الله ﷺ يدخل حربا مكرها غير راض وما كان له أن يحيد عن منهجه في الرحمة والرفق إلى العنف والقهر لكنه سلَّم الأمر لله حيث إنه سبحانه وتعالى هو الذي سخر العباس ليخبره وما كان الله أن يفشى له سرا يفسد عليه أمره فالله سبحانه وتعالى قادر أن ينسى المرأة الخبر كله ببركة الرفق الذي تحلى به ﷺ!!. ومن أجل أن ينشر رسالته ويسمع أمره

وخرجت قريش ومن معها من الأحلاف قاصدين المدينة وبعث رسول الله ﷺ اثنين من أصحابه عينين يتتبعان أخبار قريش فأخبرا أن خيل الجيش لم تترك في الوادي خضراء ثم بعث النبي ﷺ الحُباب بن المنذر الذي قدر الجيش وعددهم وعدتهم ويبدو أن عدد القوم وعدتهم كانت كثيرة، فقال له النبي ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أحول وبك أصول»، وبات سادة الأوس والخزرج يحرسون النبي ﷺ خوفا من مفاجأة المشركين فلما أصبح النبي ﷺ جاء أصحابه إليه وأحب أن يأخذ رأيهم في لقاء القوم فحمد الله وأثنى عليه وذكر لهم رؤية رآها، ثم قال: «إن رأيتم أن تقيموا في المدينة وتجعل النساء والذرية في الآطام فإن أقام المشركون أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم، وكان هذا الذي ذكره رسول الله ﷺ رأى الأكابر من المهاجرين والأنصار. فقال جماعة من المسلمين أكثرهم أحداث لم يشهدوا بدرا وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد قالوا: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا حتى لا يظنوا أنا جبنا عنهم. فقال عبد الله بن أبيّ يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فإن أقام المشركون فهم بشر مقام وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين ويروى أن حمزة بن عبد المطلب ونفر من الأنصار قالوا: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله تعالى عليهم ونحن اليوم بشر كثير قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله تعالى به فساقه الله تعالى إلينا في ساحتنا. وهكذا حتى إني أحسب أن النبي ﷺ أكره على الخروج للحرب.

بل وأحسب أن النبي ﷺ أراد أن يمنح قريشا فرصة للتراجع وعدم المضي للحرب حقنا للدماء كان ﷺ يرى أنها ستكون عونا وقوة للإسلام فيما بعد.

فأين هذا المسلك من قوم يسعون في الأرض فسادا ويختلقون للحرب والعنف والقتل أسبابا!!

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

[illegible]

● يقول المولى عز وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون * واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾

(الأنفال: ٢٤، ٢٥)

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «يحذر تعالى عباده المؤمنين «فتنة» أي: اختبارا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، ولا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما حيث لم تدفع وترفع.

فلنتدبر طائفة من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم التي أمرنا المولى عز وجل بالاستجابة لها:

● أخرج البخاري في صحيحه، قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه. فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به».

● وأخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة». قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد.

ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعت به حتى قالت:

﴿ [illegible] ﴾

(الجن: ١ - ٢)

من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم

● وأخرج الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان، عن حذيفة قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج كموج البحر. قال حذيفة: فأسكت القوم فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك. قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه».

● وقال ﷺ: «ستكون فتن في أمتي حتى يفرق الرجل فيها بين أمه وأخيه، حتى يعير الرجل ببلائه كما تعير الزانية بزناها».

● وأخرج البخاري في صحيحه. قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

● وأخرج البخاري في صحيحه، قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية».

● وقال صلى الله عليه وسلم: «تكون فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا تأتيكم مشتبهة كوجوه البقر لا يدرون أيا من أي».

● وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى سيفا المسلمين فالقاتل والمقتول كلاهما في النار، قيل: يا رسول الله: هذا حال القاتل فما بال المقتول؟ قال صلى الله عليه وسلم: «لأنه كان حريصا على قتل أخيه».

وصدق الله العظيم القائل عن نبيه الكريم

﴿ [illegible] ﴾

(النجم ٣ - ٤)

وسبحان الله القائل في محكم تنزيله:

﴿ [illegible] ﴾

(الحشر ٧)

وآخر دعوانا

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢٨٦)

أحمد تقي الدين

هيا.. بالحب.. نبني ونتمي

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار - مدير عام تنظيم وإدارة سابقا - منتهور - قليوبية:

يقول الله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(يوسف ٩٩)

وهذا هو ما أوصى به كتاب الله الكريم، وكذلك أوصى الحبيب محمد ﷺ بمصر وأهلها خيرا.. حيث يحكي لنا عمرو بن الخطاب - رضي الله عنه، أنه سمع النبي يقول: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا من أهلها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض. فقال الصديق: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: إنهم في رباط إلى يوم القيام»

وإزاء هذا التكريم لمصر وأهلها.. تأمل في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها بلدنا أن نهيئ أنفسنا للتعبير الذي تهدف إليه الثورة. والذي به تنفض غبار الأيام السوداء التي عشناها وقاسيناها في ظل العهد الأغبر، الذي ندعو الله سبحانه أن يكتب لنا السلامة من أذنابه وفلوله الذين لازالوا يستفزون حكماء الثورة والثوار ويتمادون في غيهم وتسلطهم بالوقيعة بين الشعب والجيش بوسائل الدس، وبث الشائعات المغرضة بين صفوف الأحداث الفتية، والانقسام والتفتت إرضاء لسادتهم سارقي الدولة ومخربي اقتصادها ودينها وعقيدتها وتنفيذ خطط الفوضى والعنف الذي هددنا به الرئيس المخلوع في خطاب إعلان تنحيه.

وهم بهذا التحريض وافتعال القلاقل والمشاجرات يوقفون مسيرة التعبير الثوري.. وتبا لهم، فقد أغلق الله قلوبهم وعقولهم فتناسوا قرآنه وعبرة في تحريم قتل النفس إلا بالحق.. كما تناسوا أحاديث معلم البشرية ﷺ: «لو أن أهل السماوات والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار»

ولو أنهم أيضا علموا عقاب الله لهم ما وقعوا فيما فعلوه لقوله ﷺ: «من أعان على قتل مسلم ولو بشق كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله».. وإن الدين ليس ببعيد عن الأحداث المؤلمة التي يقوم بها المجرمون ضد الثوار بمقذوفات النار والحجارة فلهم الجزاء القاسي لقوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ٩٣)

إن النبي ﷺ يتحدث وكأنه يعيش بيننا الآن عن هذا التعامل بين الإخوة في مصر قلب العالم الإسلامي.. واقرأ قوله في وداعه للأمة وللحياة حيث يوصي الناس في حجة الوداع بقوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».. وفي نفس الخطبة

يحذر الأمة من أن يرتدوا من بعده إلى عصر الجاهلية فيكون ذلك بقتل بعضهم بعضًا بغير حق.. فيقول: «لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض».

وإن التغيير الذى ينشده الضمير الثورى لتجديد سلوكياتنا وعلاقاتنا مع بعضنا البعض هو تغيير واجب لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

وإن ما نقاسيه من صراع مع أعداء الثورة وتعدد الانقسامات والاتجاهات. فإننا نأمل أن يكون هذا النقاش هو المخاض الذى ينتج عنه التغيير المطلوب للوصول إلى الأفضل بعد أن أصبح الشعب كله بعد الثورة فى نقاش مستمر مما يبشر بيقظة الوعى والرجوع إلى الحق والصواب.. غير أننا نرى أن التغيير الذى ننشده لن يحدث إلا فى ظل الهدوء والاستقرار وتحكيم العقل والتروى خشية أن تأخذنا زحمة التيارات والنقاشات إلى طريق مسدود يعوقنا عن الوصول إلى الحل المرضى لجميع الأطراف والذى يرسو بنا إلى شط الأمان.

فليكن حلمنا جميعًا هو إنقاذ شعبنا من هذه الانقسامات التى لا نتيجة لها إلا التهلكة والضياع لا قدر الله، ولنجمع أحلى كلمات الحب لبلدنا وأطيب المشاعر نحوها لتكون دفعة قوية إلى طريق الوحدة تحوطها آمال وأحلام المحبين.. ولنبادر بالتحدى للبناء تحت راية العمل الثورى فى حماية جيشنا وفدائية ثورتنا حتى نقيم احتفالات ذكرى ثورتنا فى ظل الأمن والسلام الاجتماعى، ولننزع فتيل الفتنة التى يدبر لها أعداؤنا ولنرد كيدهم فى نحورهم بمرجعيتنا التى تنطلق تحت راية الوحدة الوطنية التى يشهد بها تاريخنا منذ القدم ولنهدأ حتى نفرغ للبناء والتحدى.. فلن يتراجع قطار الثورة إلى الوراء أبدًا.

والله خيراً حافظاً وهو أرحم الراحمين

ومن الاستاذ / عبدالقادر الإدريسى مدير الإعلام بمنظمة الإيسيسكو كانت هذه الكلمات:

الأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد عمارة،

رئيس تحرير (مجلة الأزهر)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فقد قرأت باهتمام وتركيز الافتتاحية بعدد الأخير من مجلة الأزهر، عن سنة التدرج، فاستفدت منها، وازددت بالمعرفة وتذكرت لكم فضلكم، فهذه والله الحق، افتتاحية نموذجية بكل المقاييس. زادكم الله توفيقا.

لك

الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبدالرحمن

...ول ميثاق للعيش المشترك

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة المنشور بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٢٥/١/٢٠١٢م يقول:

قبل أربعة عشر قرنا، وعندما لم يكن هناك من يعترف بالآخر ـ دينيا أو حضاريا كان هذا الآخر ـ وعندما كانت ديمقراطية أثينا وقفا على القلة من الفرسان الملاك الأحرار، ومن عداهم من الشعب برابرة وأرقاء ليست لهم أى حقوق.

وعندما كان شرف التحاكم إلى القانون الروماني مدونة «جستنيان» (٥٢٧ـ٥٦٥م) ـ وقفا على السادة الرومان الأحرار، دون من عداهم من أبناء المستعمرات. فى ذلك التاريخ، ظهر الإسلام الذى جعل التكريم لمطلق بنى آدم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

(الإسراء: ٧٠)

وجعل التعددية والاختلاف فى الشرائع الدينية، وفى الألوان والأجناس، وفى اللغات والقوميات، وفى المناهج والثقافات والحضارات قانونا وسنة ماضية إلى يوم الدين، ليس لها تبديل ولا تحويل:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

(المائدة: ٤٨)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

(الروم: ٢٢)

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

أي وللاختلاف خلقهم

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

(الحجرات: ١٣)

كما جاء الإسلام مصدقًا لما سبقه من الكتب والنبوات والرسالات:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾

(البقرة: ٢٨٥)

منذ ذلك التاريخ، وقبل أن تعرف الإنسانية شيئًا عن حقوق الإنسان، ومواثيق هذه الحقوق، افتتح الإسلام صفحة جديدة قرر فيها الاعتراف بالآخر -كل ألوان الآخر- وتقديس مقدسات الآخر، وحماية الآخر وعقائده ومقدساته ومعابده بما يحمى به أهل الإسلام.

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾

(الحج: ٤٠)

ولم يقف الإسلام -في هذا الفتح الجديد- عند الفكر النظري، وإنما وضع هذه المبادئ والأخلاقيات في مواثيق دستورية، ومواثيق معاشة في الممارسة والتطبيق.

● فمع تأسيس الدولة الإسلامية الأولى سنة ١هـ سنة ٦٢٢م نص دستور هذه الدولة على التعددية الدينية لرعية هذه الدولة، وعلى المساواة في الحقوق والواجبات بين رعية هذه الدولة -على اختلاف دياناتهم- وجاء في هذا الدستور -عن تكوين يهود المدينة أمة مع المؤمنين بالإسلام: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا تناصر عليهم، وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة (الدستور) وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة، دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه».

● فلما كانت سنة ١٠هـ ٦٣١م جاء إلى المدينة المنورة -في «عام الوفود»- وفد نصارى نجران -[illegible]- وفيه أميرهم وأساقفتهم. فاستقبلهم رسول الله ﷺ وصحابته، وفتح لهم باب مسجد النبوة فصلوا فيه صلاة عيد الفصح. وكتب لهم عهدًا دستوريًا، لهم ولكل من يتدين بدين النصرانية -عبر الزمان والمكان- جاء فيه: «لنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها: جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ: على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.

● لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته.

● وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.

● ولا يحملون من النكاح (الزواج) شططًا لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضاروا في ذلك إن منعوا خاطبًا وأبوا تزويجًا؛ لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم ومسامحة أهوائهم، إن أحبوه ورضوا به.

● وإذا صارت النصرانية عند المسلم (زوجة) فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين.

● ولهم (أي النصارى) إن احتاجوا في مرمة بيعهم وصوامعهم أو أي شيء من مصالح أمورهم ودينهم إلى رفد (مساعدة) من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دينًا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وموهبة لهم، ومنة لله ورسوله عليهم.

● لأني أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم، بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذب عن الحرمة، واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.

● وقد شرط عليهم أمورًا يجب عليهم في دينهم التمسك بها، والوفاء بما عاهدهم عليه. منها: لا يكون أحد منهم عينًا ولا رقيبًا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة ولا يساعدوا أحدًا من أهل الحرب على المسلمين، بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم أن يؤوهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدو على عوراتهم، ولا يخلوا شيئًا من الواجب عليهم.

● ولا يدخل شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد ولا منازل المسلمين.

● ولا حرج ولا جزية إلا على من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض، ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدي ذلك على ما يؤديه مثله. لا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططًا، ولا يتجاوز به حد أصحاب الخراج من نظرائه.

● ولا يكلف أحد من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم لملاقاة الحروب. فإنه ليس عليهم مباشرة القتال. وإنما أعطوا الذمة على أن لا يكلفوا ذلك وأن يكون المسلمون ذيابًا عنهم وجوارًا من دونهم.

● ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى حرب بقوة وسلاح أو خيل، إلا أن تبرعوا

من تلقاء أنفسهم، فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به، حمد عليه، وعرف له، وكوفئ به.

● ولا يجبر أحد ممن كان على ملة نصرانية كرها على الإسلام:

[illegible]

(العنكبوت: ٤٦)

● ويخفض لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد.

● فمن نكث شيئا من هذه الشروط وتعداها إلى غيرها فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله.

● ولا يغفل ذلك ولا يغير حتى تقوم الساعة إن شاء الله.

هكذا أعلن الإسلام -منذ ما قبل أربعة عشر قرنا- أول ميثاق للتعايش بين أهل الديانات السماوية. وهو ميثاق ينتظر منا أن ندرسه، وأن نفقه مراميه، وأن نشيعه في مدارسنا ولنطبق

مراكز الفكر الصهيونية..

«عقل الكيان ومحرك سياساته»

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ أبوبكر خلاف المنشورة بجريدة «الحرية والعدالة» الصادرة بتاريخ ٢٠١٢/٢/٤م يقول:

تعتمد المؤسسة الاستراتيجية الإسرائيلية على مراكز الأبحاث والدراسات لرسم وتخطيط سياستها، وتتعدد هذه المراكز من حيث موقعها وخلفياتها وطريقة عملها وإدارتها وتمويلها، ومراكز الفكر أو ما يطلق عليه (مصانع التفكير) هو تجمع وتنظيم لنخبة متميزة ومتخصصة من الباحثين تعكف على دراسة معمقة ومستفيضة تقدم استشارات أو سيناريوهات مستقبلية يمكن أن تساعد أصحاب القرارات في تعديل أو رسم سياستهم بناء على هذه المقترحات في مجالات مختلفة.

ويمكننا أن نقسم مراكز الفكر وفقا لمجال عملها ففي الحقل السياسي (مركز دراسات الأمن القومي أبيهودني) حيث تم تصنيفه مؤخرا في المرتبة الرابعة عالميا في جميع تصنيفات عالمية

وتؤثر مراكز الفكر الإسرائيلية المتخصصة في مجال التكنولوجيا في رسم وتحديد شكل التحالفات الاستراتيجية العسكرية في المنطقة وخاصة بتحالفها مع الولايات المتحدة التي تدعم المراكز الإسرائيلية ماديا وهذا يعكس رؤيا مراكز [illegible] من حيث [illegible] على [illegible] الخارجية في علاقاتها وذلك لعدة أسباب أهمها:

● التبادل المعلوماتي والثقافي بين مراكز الفكر الإسرائيلية، والمراكز المشابهة في عملها في الدول المتقدمة وخاصة في أمريكا الشمالية وأوروبا.

ومن أهم الخواص التي تميز مراكز الفكر الإسرائيلية أنها تعتمد في صقل وبناء برامجها على متخصصين ذوي كفاءات عالية من بين الباحثين اليهود في معظمها.

وتنقسم مراكز الفكر الإسرائيلية إلى ثلاثة قطاعات هي:

أولا: القطاع الجامعي

الجامعات الإسرائيلية هي مؤسسات حكومية تحظى باستقلالية منقوصة -إذا صح التعبير- ولهذا فإن أصحاب المراكز العليا ومتخذي القرارات في الجامعات لهم الحرية في استثمار

الكفاءات والثروات البشرية وفق مصلحتهم الشخصية وانتماءاتهم للمدارس الفكرية والإيدلوجية وتعد مراكز الفكر الجامعية من أنشط وأقدم مراكز الفكر في إسرائيل.

ويعد مركز «هاري ترومان» في جامعة القدس من المراكز الأولى لمراكز الفكر الإسرائيلية، إذ يقوم طاقم المركز بتفعيل نشاطات وبرامج ومنح دراسية بالإضافة لنشر الأبحاث والدراسات في التاريخ والسياسة والمجتمع، كذلك يقدم المركز توصيات خاصة وعينية لمتخذي القرارات الإسرائيلية في قضايا الشرق الأوسطية وعالمية

ثانيا: القطاع الخاص

مراكز التفكير الإسرائيلية المستقلة التي تعبر عن توجهات القائمين والداعمين لها في الأساس، ويعد معهد «فان لير» من المراكز الفكرية المهمة في مجال الدراسات متعددة المجالات، ومناقشة القضايا المتعلقة بالفلسفة والمجتمع والثقافة والتربية..

ثالثا: القطاع العام

أما القطاع الثالث من مراكز الفكر الإسرائيلية فهو القطاع الحكومي ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن نظام الحكم في إسرائيل وكيفية تعامله مع مراكز الفكر الحكومية، فيعتمد نظام الحكم المؤسساتي في إسرائيل على كوادر عمل وقوى بشرية متخصصة ثابتة تعمل في داخل الوزارات والمؤسسات الحكومية المختلفة؛ حيث نلاحظ وجود مراكز تفكير ملازمة وتابعة لكل وزارة من وزارات الدولة يعمل فيها باحثون متفرغون لرصد وتقديم التوصيات المتعلقة في الوزارة التي يعمل فيها الطاقم.

ويتمثل أبرز إنتاج تلك المراكز في الآتي:

أولا: تطوير الحياة المعرفية والفكرية والعملية في الوسط العام عن طريق أنشطتها الثقافية ومنابرها الإعلامية المختلفة.

ثانيا: إقامة جسور العلاقة والتواصل بين أطراف متعددة تمثل مختلف قطاعات دوائر السياسة العامة وتثقيفها والتفاعل معها.

ثالثا: إشاعة روح البحث العلمي، والتعامل مع القضايا بموضوعية. وتعميم ثقافة البحث والتحري والاستدلال التي تقف بالضد من ثقافة التسطيح والخرافة والأحكام العشوائية؛ ورعاية المبدعين على وجه الخصوص، وتوفير الفرصة المناسبة للراغبين في البحث والكتابة والتأليف وإبداء الرأي، وإقامة جسور التواصل بينهم وبين الجمهور.

نحن نحرق «الأمس» و«الغد»

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ صلاح حامد المنشور بجريدة «الجمهورية» الصادرة بتاريخ ٢٠١٢/٢/٦م يقول:

«الماسادا» من بين تلك العقد التي رسخت في أذهان اليهود. وهي اسم قلعة كانت آخر معقل لهم في فلسطين، قبل أن يقتحم عليهم الرومان ويطردوهم منها.. تزعم الأسطورة- كما يدرسونها للتلاميذ في المدارس- أنه في عام ٦٦ م، أثناء التمرد اليهودي ضد الحكم الروماني، هربت جماعة من اليهود -الثوار- تدعى «السيكاريين» من القدس، واستولت على قلعة الماسادا من حامية رومانية. وبعد

٤ سنوات انضمت إليهم مجموعة أخرى وأسرهم، ممن فروا من القدس قبل سقوطها في يد جحافل [illegible] الرومانية.

تقول الأسطورة: إن «السيكاريين» كان عددهم ٩٦٠ شخصاً [illegible] تحصنوا [illegible] واستمروا في مقاومة الرومان طوال سبعة أعوام، وعندما شدد الرومان حصارهم لـ«الماسادا»، وأيقن «السيكاريون» عدم قدرتهم على الصمود، واستحالة الهروب، وأن هزيمة نكراء ستلحق بهم لا محالة، وسيكون مصيرهم إما القتل أو الأسر، عندئذ أحرقوا كل شيء داخل القلعة، ثم أقدموا على الانتحار الجماعي، كي يحفظوا كرامتهم.. فالموت عند اليهودي أهون من أن يذل ويصبح عبداً.. هكذا تقول الأسطورة.. !!

لكن امرأتين وخمسة من الأطفال اختبأوا في قناة للمياه، وهربوا ليسردوا شجاعة «أهل الماسادا» الذين أصبحت حكاياتهم رمزاً لسلوك التضحية بين اليهود!!

العجيب أن هذه القصة الوهمية، مصدرها الوحيد رواية بدون سند للمؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس [illegible] اليهودية ويسي روز مارين بأنها محض خرافة وأسطورة.. [illegible] وحولوا قلعة «الماسادا» إلى معلم سياحي، يأتي في [illegible] موقع [illegible] في إسرائيل، بعد الحائط العربي للحرم القدسي الشريف - حائط المبكى في المصادر العبرية - وفي عام ٢٠٠١ أعلنتها هيئة اليونيسكو موقعاً [illegible]

انظر كيف صنعوا من «خرافة» مزاراً سياحياً عالمياً، وأسطورة تحكي عن شجاعة مزعومة، [illegible] قال الله تعالى عنهم:

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾

(الحشر: ١٤)

والجدار العازل وخط بارليف أكبر شاهد على ذلك.. كما أن سجلات التاريخ تؤكد، أنهم استسلموا طوال تاريخهم للسبي والنفي، [illegible]

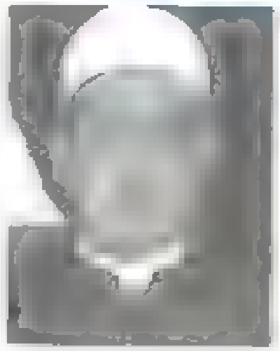
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾

- كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز - فقد أخضعهم الملك العراقي «نبوخذ نصر» أسرى [illegible] عامي ٥٩٧ ق. م، و٥٨٦ ق. م - حسب ما جاء في العهد القديم.. ثم سحقهم [illegible] الفارسي «قورش» عام ٥٣٩ - ٥٣٨ ق. م [illegible] عام ١٣٥م على يد الإمبراطور الروماني هادريان [illegible] وضع أنفسهم تحت تصرف القوى العظمى أياً كانت - كما يحدث الآن - فكان عليهم أن [illegible] وآخر.

[illegible] في «حرق» [illegible] وتراثنا العتيد.. آخر اجتهاداتنا، في محو الأمس حرق «المجمع العلمي»، [illegible] لاحتراق [illegible] والفخار.. فهل نعرف الآن من يحفظ لنا هذا الماضي العريق، ويؤدي للمستقبل الواعد؟!!

أنباء الأزهر

إعداد الأستاذين:
محمود لشتي عبد الموجود أمين


د. أحمد الطيب

بيان بشأن تعديلات بعض المواد من قانون الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وبعد، يسعدني أن ألتقي بكم اليوم لإيضاح ما تساءل عنه البعض في الأيام الأخيرة بشأن تعديلات بعض المواد من قانون الأزهر.

ولست بحاجة لأن أذكركم بأننا، فيما مر بنا من ظروف وأحوال، طالما تمنينا وتطلعنا إلى اليوم الذي تتحرر فيه مؤسستنا الدينية الكبرى، مؤسسة «الأزهر الشريف» وتصبح مؤهلة لأن تنتخب شيخها من بين كبار علمائها بعد أن تستعيد هيئة كبار العلماء ذات الرصيد التاريخي [illegible] ليعود الأزهر الشريف إلى سابق عهده منارة إسلامية للعالم كله، ومرجعية [illegible] الإسلامي، ورمزاً للكرامة الوطنية، وبيتاً للعائلة المصرية.

[illegible] إلى هذا اليوم الذي يستقل فيه الأزهر [illegible] [illegible] ولا يزايد [illegible] حول [illegible] بعض المواد في قانون الأزهر [illegible] حول هذه الأهداف.

وكنت [illegible] مسئولية [illegible] بكل صدق وإخلاص لتحقيق [illegible] الأزهر [illegible] مع عودة هيئة كبار العلماء، [illegible] وهو عودة منهج الأزهر الأصيل في [illegible] الفكر الوسطي [illegible] الأمة مسئوليتها والقيام بها [illegible] وحول انتخاب شيخ الأزهر، وعملت على [illegible] [illegible] على تحقيق [illegible]

وأصبحت الآن جاهزة [illegible] الشعب [illegible] وقدمتها للمسئولين للنظر فيه لإصداره، وحرصت على أن ينص فيه على أن تنتهي خدمة شيخ الأزهر ببلوغه سن السبعين، [illegible] مراجعة الأخيرة من الجهات الرسمية غيرت ذلك [illegible] على ما جرى به العرف والتقاليد [illegible]

وأود أن أعلن بكل صراحة أننا، مع حرصنا على تنفيذ ما أجمع عليه الكافة دون إبطاء، [illegible] الأزهر [illegible] القانون على أي مستوى، ولدى أية سلطة، فنحن جميعا في المناخ الديمقراطي نعمل على تلبية مطالب الشعب، بخاصة ما صار منها محل إجماع وطني، ونثق أن من ينظر في القانون سيدعمه ويقره [illegible] قوة وتأكيدا. كما [illegible] تعديلا لبعض مواد قليلة جدا من قانون تطوير الأزهر، وهو القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م لا يتعدى مادتين تتبنى [illegible] لاستقلال الأزهر، والأخرى لتشكيل هيئة كبار العلماء، واختصاصاتها [illegible] اللوائح [illegible] والإجراءات والأنظمة [illegible] الأزهريون [illegible]. بكل شفافية وموضوعية وديمقراطية، ودون إملاء علوي أو تدخل سلطوي، وستشكل هيئة كبار العلماء من كل من تتوافر فيه شروط عضويتها، لا بقرار منفرد، بل عن طريق لجنة علمية محايدة من كبار المتخصصين المشهود لهم بالعلم والأمانة. ويعلم الله أن شيخ الأزهر الحالي ليس بحاجة، لأن ينتقي قوما من أجل يختاروه فيما بعد، فليس هذا من أخلاقه ولا من تربيته، وهو بفضل الله في غنى عن مناصب الدنيا بأسرها وعن منافعها، ثم إن القوانين لا تطبق بأثر رجعي، كما هو معلوم [illegible] شيخ الأزهر لمنصب [illegible] عاجلا أو آجلا. وسامح الله الجميع. وحفظ الأزهر ومصر والإسلام.

لقد أردت أيها الإخوة والأخوات أن أفضي إليكم [illegible]، وأن أصارحكم بحقيقة الأمر في [illegible] طويلا. [illegible] بمشيئة الله تعالى، إلا الخير، وإلا ما فيه مصلحة الأزهر الشريف.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مشيخة الأزهر في ٩ من ربيع الأول سنة ١٤٣٣هـ

١ من فبراير سنة ٢٠١٢م

شيخ الأزهر

أ. د/ أحمد الطيب

بيان بشأن الأحداث الجسام التي تمر بها مصر

إخوتي وأخواتي.. أبناء وطني العزيز:

سلام الله عليكم جميعا ورحمة الله - تعالى - وبركاته.. وبعد،

إن مصر العزيزة [illegible] ولا ينبغي أن [illegible] في [illegible] الأفكار والأحداث [illegible]، وإن ما يجري عليه بعض المواطنين من قطع الطرق وتعطيل مصالح الناس ووقف القطارات والسفن وتعطيل العمل [illegible] والمؤسسات هو مخالفات شرعية جسيمة لا يرضاها الله ولا رسوله ولا المؤمنون، ولا تتفق من قريب أو بعيد مع التقاليد والأخلاق المصرية التي نشأنا عليها، بل إنها محرمات حرمها الله تعالى في كتابه وشدد بالوعيد والعقوبة على مرتكبيها. فقد قال الله تعالى

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾

(الأعراف ٥٦)

كما نهى النبي ﷺ عن تخريب العامر وعن الإفساد في الأرض.

فاتقوا الله في بلدكم وأوطانكم وأنفسكم، وتوقفوا عن ارتكاب هذه المحرمات التي يحرمها الشرع والعقل والأخلاق والتقاليد المصرية العريقة..

واعلموا أيها الإخوة والأخوات أنكم مسئولون عما بين يدي الله تعالى عن هذه التصرفات وسوف يحاسبكم عليها في يوم يحاسب فيه كل إنسان عما قدمت يداه في هذه الحياة الدنيا

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة ٧-٨)

أيها المصريون والمصريات:

[illegible] في [illegible]، والعالم كله يرقبكم. وينتظر ما ستفعلون بوطنكم وأنفسكم [illegible]. [illegible] التاريخ، [illegible] أعزة كراما، لا تستندون إلا إلى فضل الله وحده.

أيها المصريون:

الله الله في وطنكم، اجعلوه نصب أعينكم وحافظوا عليه بكل ما تملكون من غال ورخيص، واطلبوا حقوقكم بالطرق السلمية التي تليق بمصر ومكانتها في العالم أجمع.

وفقكم الله [illegible] وطنكم العزيز والمحافظة على مكتسباته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مشيخة الأزهر في ٩ من ربيع الأول سنة ١٤٣٣هـ ١ من فبراير سنة ٢٠١٢م

شيخ الأزهر

أ. د/ أحمد الطيب

الشافعي يطالب باستعادة روح ثورة يناير في كلمة الأزهر بالميدان

ألقى فضيلة الدكتور حسن الشافعي رئيس المكتب الفني لشيخ الأزهر كلمة الأزهر في ميدان التحرير في الذكرى الأولى لثورة يناير.

وقد ركز الدكتور حسن الشافعي في كلمته على ضرورة عودة الاستقرار وسلمية الثورة واستعادة روحها وبناء مصر الحديثة وعودة الدور الوطني المصري في زيادة نفقته والإسهام في السياسة الدولية بقرار حر دون تبعية أو انحياز والمطالبة بضرورة المضي قدما في البناء الديمقراطي لمؤسسات الدولة وتسليم السلطة للمدنيين في موعدها المحدد دون إبطاء مع التشديد على ضرورة الالتزام بالتحديات الحرة النزيهة، من شأنها التعاون بين شباب الثورة جميعا وتمثيل الشعب المصريين في بناء مصر المستقبل تحت مظلة الديمقراطية وعلى أساس من الشرعية الدستورية والتوافق الوطني والقضاء على آثار السياسات القمعية والفساد الشامل مع تعميم العدل على الجميع، لتصبح مصر قوية يستثمر كل مكونات مصر ويحقق العدالة لجميع أبنائها.

بيان الأزهر الشريف عن أحداث بورسعيد الفاجعة

تعبر مشيخة الأزهر، وقد صدمتها أخبار الكارثة التي وقعت في بورسعيد، عن تعازيها الصادقة للأسر المكلومة، وعن مشاركتها العميقة للإخوة المصابين، عافاهم الله، وتناشد المسئولين كافة محاسبة المقصرين ومحاسبة المتورطين، وإعمال القانون بكل موضوعية وحسم، لتجنب وضمان تكرار مثل هذه المآسي، التي وقعت بنا مع عادات وتقاليد لم يكن لنا بها عهد. وهي لا تكشف من مقدمات تركية وحسابات معروفة الشيء الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما تناشد كافة المواطنين الشرفاء كل البعد عن إراقة الدماء المعصومة والبغي والعدوان على إخوانهم الأبرياء، وصدق الله العظيم

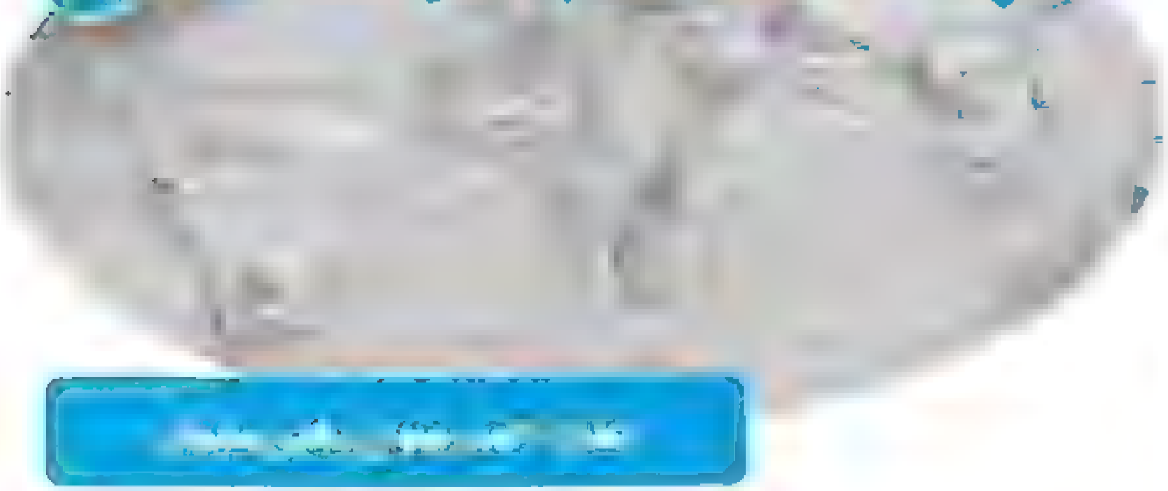
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء: ٢٩)

اللهم احفظ مصر وأهلها، واحمها من كل سوء يا رب العالمين.

مشيخة الأزهر في ١٠ من ربيع الأول سنه ١٤٣٣هـ/ ٢ من فبراير سنه ٢٠١٢م

أنباء العالم الإسلامي



قالوا عن الثورة المصرية

أذهلت الثورة المصرية العالم بسلميتها ونصاعتها وما كشفت عنه من تلاحم أبناء الشعب المصرى وصمودهم وعزمهم على صناعة تاريخهم بأيديهم. علق معظم قادة وزعماء العالم ومثقفيه على هذه الثورة العظيمة بأقوال هي مثار فخر لكل مصرى ونرصد هنا بعض هذه الأقوال:

› الرئيس الأمريكي باراك أوباما: يجب أن نربي أبناءنا ليصبحوا كشباب مصر..

› رئيس النمسا: شعب مصر أعظم شعوب الأرض..

› وزير الخارجية الألماني فستر فيله: أتطلع إلى زيارة مصر والحديث مع قادة الثورة.

› رئيس أركان الجيش الإسرائيلي: الأحداث في مصر أثبتت أنه يتوجب علينا التواضع والحذر في تقديراتنا للعالم العربي.

› سيلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا السابق: لا جديد في مصر فقد صنع المصريون التاريخ كعادتهم.

› ستولتنبرج رئيس وزراء النرويج: اليوم كلنا مصريون.

› هاينز فيشر رئيس النمسا: شعب مصر أعظم شعوب الأرض ويستحق جائزة نوبل للسلام.

> رئيس المبادرة الإسلامية في بريطانيا محمد صوالحة: جماهير مصر العظيمة تصنع اليوم التاريخ ليس فقط لشعب مصر بل للعالم العربي والإسلامي.

> المرجع الإسلامي العراقي الشيخ حسين المؤيد: إن الثورة المصرية فتحت صفحة جديدة في تاريخ الأمة وأعادت ثقة الجماهير بنفسها وبرهنت على أن هذه الأمة لم تمت رغم كل محاولات قمعها والفتك بها والإيحاء لها بالهزيمة.

> الروائي البرازيلي الشهير باولو كويلهو والملقب بساحر الصحراء: العالم يتحول للأفضل لأن هناك شعوباً تخاطر بأرواحها لجعله أفضل.. شكراً يا شباب مصر.

ندوة في لندن عن مصر بعد عام من ثورة ٢٥ يناير

شهدت العاصمة البريطانية لندن ندوة حول «مصر بعد عام من ثورة ٢٥ يناير» لاستعراض أهم التطورات على الساحة المصرية بمناسبة الذكرى الأولى للثورة، وبدأت الندوة التي عقدت في نادي «فرونتلاين» بعرض لقطات من الثورة المصرية. وأعرب الكاتب طارق عثمان عن تفاؤله بمستقبل مصر الذي يمكن خلال خمس سنوات أن تستعيد مجدها السابق - على حد قوله - وتعود دولة مؤثرة على المستوى الإقليمي والعالمي.

من ناحيته، أعرب الباحث المصري الدكتور حسام عبدالله عن اعتقاده بأن التيار الإسلامي ركز - بعد نجاح الثورة وعزل الرئيس السابق - على الفوز في انتخابات مجلسي الشعب والشورى، ولا يريد الدخول في صراعات في الوقت الحالي، قد تتسبب في إلغاء الانتخابات.

وحول دور القوى العربية، قال حسام عبدالله: «إن أمريكا ستقبل ما يصل إليه الشعب المصري شاءت أم أبت.. وأنه متفائل بمستقبل أفضل لمصر».

وأشار الرئيس السابق لقطاع الأخبار باتحاد الإذاعة والتليفزيون عبد اللطيف المناوي، إلى أن المشكلة التي ستواجهها مصر هي اقتصادية في الأساس.. مؤكداً أن مصر تستطيع مواجهة كل المشاكل إذا كان أبناؤها متحدين.

التعاون الإسلامي تعرب عن قلقها لتدمير مسجد بالصين

أعرب المتحدث لمنظمة التعاون الإسلامي عن بالغ قلقه إزاء التقارير التي وردت عن اشتباك بين المحليين والشرطة مما أدى إلى سقوط العديد من الضحايا وتدمير مسجد في قرية تاوتا بالقرب من مدينة هيكس في محافظة يونغشين في منطقة نينغشيا هوي ذاتية الحكم في الصين.. ووفقاً للمعلومات المتاحة لمنظمة التعاون الإسلامي، فقد وقع الحادث عندما هاجمت الشرطة تجمعاً لافتتاح المسجد وحاول أهل القرية منع تدميره، وقد سبق أن

تم تدمير نفس المسجد عندما شيد في ١٩٨٧م وتم تجديده مؤخراً، وقد أدت الاشتباكات إلى سقوط عدد من القتلى، وإصابة حوالي ٥٠ بجروح، كما اعتقل ١٠٠ شخص.

وأعربت منظمة التعاون الإسلامي عن قلقها الشديد وعميق أسفها إزاء تدمير أماكن العبادة وقتل الأبرياء. وتتوقع منظمة التعاون الإسلامي من السلطات في الصين إعطاء المسلمين الحق في بناء أماكن عبادتهم، وأيضاً احترام حقوقهم الأساسية وخاصة فيما يتعلق بصلاة الجماعة بحرية كاملة.

كتابة لغات لافريقية بالحرف العربي بالجامعة الاسلامية بالنيجر

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - واتحاد جامعات العالم الإسلامي التابع لها، بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بالنيجر في العاصمة نيامي، ورشة عمل حول وضع المناهج والمقررات الدراسية والتدريب على كتابة اللغات الأفريقية الوطنية بالحرف العربي المنمط باستخدام الحاسوب. سعت الورشة التي عقدت في الجامعة الإسلامية بالنيجر حول كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي، إلى المحافظة على التراث المكتوب بلغات الشعوب الإفريقية الإسلامية بالحرف العربي، وربط الحرف العربي بتعليم القرآن واللغة العربية والثقافة الإسلامية وتوظيف الحرف العربي ليستجيب لحاجات المجتمع المعاصر، وإكساب الأطر العاملة في المجالات التربوية ومؤسسات النشر الثقافي، تقنيات حديثة في كتابة اللغات الوطنية بالحرف العربي، وإدراج تعليم اللغات الوطنية في المناهج الدراسية على مستوى التعليم العام والتعليم العالي ومحو الأمية، ودراسة مشروع البرنامج الرباعي الذي أعده مركز (اقرأ) للتدريب المهني بالجامعة الإسلامية بالنيجر، وتقديم توصيات بشأنه.

مثل اتحاد جامعات العالم الإسلامي في الورشة، الدكتور مصطفى أحمد علي، مدير الأمانة العامة للاتحاد.

الإيسيسكو ترصد المتاحف في دول العالم الإسلامي

صدر ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - كتاب جديد باللغة العربية، عن «المتاحف في دول العالم الإسلامي: المنشأة والتطور» لمؤلفه الدكتور شوقي شعث، المدير السابق للآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في سوريا.

قدم الكتاب الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الذي أبرز أن الإيسيسكو تعنى بتطوير العمل الثقافي الشامل الذي يدخل ضمن مجالاته، تحديث المتاحف وصيانة مقتنياتها الأثرية والفنية والحفاظ عليها في الدول الأعضاء، باعتبارها حاضنة للتاريخ، وبيوت الفنون

والآداب بما تحتوي عليه من الآثار والمخطوطات التي تعكس النتاج الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي للإنسان عبر العصور التاريخية المتعاقبة، مشيرا إلى أن الإيسيسكو أولت اهتمامها للمحافظة على المتاحف في دولها الأعضاء، وراعت ذلك في خططها المتوالية، عناية منها بالتراث المادي بوصفه أحد مقومات الحضارة، والمتمثل أساسا في المتاحف وموجوداتها الأثرية، وحرصت على إدخال عناصر التراث في عدد من تلك المتاحف، وسعت إلى تدريب الموارد البشرية على إدارتها بالوسائل المعلوماتية الحديثة، وتعمل على استخراج مستنسخات تثقيفية المطلوبة منها، والاهتمام بالمخطوطات في جوانبها المادية المتعلقة بالصيانة والترميم وتدريب الأطر المتخصصة على استخدام التقنيات الحديثة في هذا المجال.

اتحاد طلبة فلسطين يستعيد عضويته في بريطانيا

رحبت منظمات التضامن البريطانية باستعادة الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع بريطانيا عضويته في الاتحاد الوطني لطلبة بريطانيا، بعد أن تم تجميدها مدة خمسة أعوام بذريعة معاداة السامية إثر ضغوط من قبل اللوبي المؤيد لإسرائيل في بريطانيا. وحصل الاتحاد على العضوية الكاملة بعد لقاءات واجتماعات متعددة مع القيادات الطلابية البريطانية والمجموعات الطلابية الدولية التي تنشط في المملكة المتحدة. وعقد رئيس اتحاد الطلبة الوطني جيم ديكسون اجتماعا مع رئيس اتحاد طلبة فلسطين فؤاد شعث واثنين من أعضائه هما خالد التميمي وحازم محيسن.

أكد ديكسون لممثلي طلبة فلسطين موافقة اتحاد طلبة بريطانيا على منح الاتحاد الفلسطيني العضوية الكاملة وإعادة العلاقات وترسيخ التعاون وإعادة تجديد روح الصداقة بين الاتحادين

قلق أممي إزاء الأزمة البرلمانية بالصومال

عبر ممثل الأمم المتحدة للصومال عن قلقه العميق بخصوص الأزمة البرلمانية الحالية التي تعرض للخطر الإنجازات العسكرية والسياسية الأخيرة لإخراج البلد من حرب أهلية تعصف به منذ أكثر من ٢٠ عاما.

وانتخب البرلمان الصومالي خلال الأيام الماضية مادوبي نونو محمد رئيسا جديدا ليخلف شريف شيخ آدم إثر تصويت تخلله تدخل للعزل. واعتبره الرئيس الصومالي شريف شيخ أحمد على الفور ملغيا وباطلا.

واعتبر ممثل الأمين العام للأمم المتحدة للصومال أوغوستين ماهيغا في بيان أن هذا النزاع لا يأتي في وقت مناسب.

system. They became brothers due to Allah's blessings and bounty, and their brotherhood was based on altruism. They spread their Da'wah by recommending one another to truth and patience, propagating virtue and preventing vice, and they believed in Allah.

These teachings liberated the human mind, urged it to look attentively at the heavens and the earth. These teachings equalized between the man and the woman, the ruler and the ruled, the weak and the strong, and the rich and the poor. They declared that the people are equal, and no Arab can be preferred to a non-Arab except by piety. They regarded all the peoples and tribes as equal and called them "O, people" or "O, sons of Adam". These teachings set the principle of the freedom of creed and that no one is the master of another.

{will you (O Muhammad peace be upon him) then compel mankind, until they become believers.}

[Yunus: 99]

{And We have fastened every man's deeds to his neck, and on the Day of Resurrection, We shall bring out for him a book which he will find wide open. (It will be said to him): "Read your book. You yourself are sufficient as a reckoner against you this Day." Whoever goes right, then he goes right only for the benefit of his ownself. And whoever goes astray, then he goes astray to his own loss. No one laden with burdens can bear another's burden. And We never punish until We have sent a Messenger (to give warning).}[Al-Isra'a (The Night Journey): 13-15]

These teachings gave the humanity the right to set legislations in the worldly life. It established that the ruler has no dominance over the nation, and his rule is to serve the nation, being appointed by it. The nation has the right to appoint or depose him.

These teachings urged the people to every virtue and prevented every vice. It set the good legislation and asked the people to follow it to be happy in the worldly life and the Hereafter. These teachings were regarded as treatment and mercy for the world, as it implanted the seeds of good, revived the humanity and took it to a high status.

worlds, sent him with truth carrying good tidings and calling for the Path of Allah. He sent with him a religion, which is based on belief in Allah and the day of Judgment and relies on morals and good deeds. {O you (Muhammad peace be upon him) enveloped in garments! Arise and warn! And magnify your Lord (Allâh)! And purify your garments! And keep away from Ar-Rujz (the idols)! And give not a thing in order to have more (or consider not your deeds of obedience to Allâh as a favour to Him). And be patient for the sake of your Lord (i.e. perform your duty to Allâh)!}

[Al-Muddathir (The one enveloped in garments): 1-7]

He stayed afterwards in Mecca, calling his people to monotheism and the creeds of resurrection and reward. He discarded the predecessors' disbelief, paganism, immorality, and bad habits. He had no weapon in his Da'wah except wisdom, with which he enters the hearts and the fair preaching, with which he refined the souls and natures.

His Hijirah to Medina

When he saw that the Da'wah did not enter the hearts of the people in the way he wanted, and that the grudge which the inhabitants of Mecca bore against him and their partiality to their heritage would have grave effects on his Da'wah, he immigrated with his companion to Medina, where the people there welcomed him and promised him to defend him and the immigrants the way they defended themselves, their children, and dear ones. They immigrated to Medina to unite the Muslims. The Da'wah started from this place to many places. Then, Revelation descended frequently with the law, with which they established and organized their life system. Allah saw monotheism spread in the places of disbelief and paganism. Then, He sent down the following verse to show this blessing {This day, those who disbelieved have given up all hope of your religion, so fear them not, but fear Me. This day, I have perfected your religion for you, completed My Favour upon you, and have chosen for you Islâm as your religion.}

[Al-Ma'idah (The Table): 3]

Then, Allah (Glory be to Him) says:

{When there comes the Help of Allâh (to you, O Muhammad peace be upon him) (against your enemies) and the conquest (of Makkah). And you see that the people enter Allâh's religion (Islam) in crowds. So glorify the Praises of your Lord, and ask His Forgiveness. Verily, He is the One Who Ever accepts the repentance and Who forgives.}

[Surah Al-Nasr]

The Muslims should know the greatness of their Prophet Muhammad, whose effects were brilliant all over his life. His greatness was not similar to the greatness of some known people such as the tyrant kings, who hurt and humiliate the human beings. Also, it is not like the greatness of the oppressive leaders, who spread corruption on earth, shed blood, kill the weak, destroy and terrorizing the innocent people. Furthermore, it is not like the greatness of the rich people who are proud and arrogant, abstain from giving charity to the poor and deprived, exploit Allah's Servants to their desires and tendencies belonging to the worldly life.

It is the greatness of mercy and benevolence, guidance, teaching, reform, , peace, and safety. This greatness paves the way for the virtuous life and extends to eternity. The whole world derives from it nourishment for its social and spiritual lives. It united the inharmonious hearts and scattered tribes. They removed grudge and hatred from their hearts. This greatness formed a great nation, who had great aims, fixed personality, and strong system. The nation was able to lead the people of the earth, being based on strong bases such as science, knowledge, wisdom, and fairness.

The effects of his teachings and guidance:

The teachings which surprised the people who spread corruption on earth, distorted the religious laws, spoiled the natures, worshipped deities other than Allah, forgot the Day of Judgment and reward, had bad morals, so that the whole world became disordered. Then, faith filled their hearts, mercy prevailed among them, their evil turned to good, corruption to reform, ignorance to knowledge, and dissolution to

- This represented the coming back of those who were forced to come out of their houses in Mecca to Medina.
- **In 6th of Shawwal, 8 A.H./January, 630 A.D. Hunayn Battle – beside Taef to face the** union of Huwazen with Thaqif, Bani Sa'd ibn Bakr, Bani Gasham with their horses and **money to fight the Muslims after the liberation of Mecca.**
- In 9 A.H/630 A.D. Tabuk Battle took place in the Levant against the Romans which is the last battle in which no fighting took place. Rather, it was a prophetic declaration to liberate the east, its inhabitants and religions from the oppression of the Roman Greek battle, which lasted ten centuries. The West conquered the east with regard to civilization, religion, politics, society and economy. In this battle, the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) reconciled with the people of Aylah, Jabraa, Adhrah, and Mina'a.
- As for the Messenger's battles against the Jews(Bani Qainuqa'a) [middle of Shawwal, 2 A.H April, 624 A.D., were to respond to their breaking of the promise with the Messenger of Allah and Medina state and against the Jews of bani Nadaeer [4 A.H 325] as they broke their promise and attempted to kill the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him). Also there was a battle against the Jews of Bani Qurayzhah in 5th A.H at Dhul Hijjah 627 A.D. as they broke their promise and allied with the disbelievers who besieged Medina in Al Khandaq Battle and against the Jews of Khaybar in the end of Muharram in 7 A.H the end of May 628 A.D to end their betrayal and their alliance with the disbelief and paganism as well as urging the disbelievers to fight the Messenger and financing these wars. They declared to Quraysh: "We will be with you until we get rid of him."
- These are the real reasons for the battles, which were imposed on the Muslims1. It represented the struggle between the pagan disbelief allying with the conspiracy and finance of the Jews along the life of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) in Medina.
- These battles proven by the accurate historic events show that the Islamic attitude was always defensive, as it was a way of refuting the aggression and fighting. The number of the murdered people in the battles did not exceed 386 victims including 183 Muslim and 203 disbelievers.2

---

[1] Rifa'ah Rafi' Al-Tahtawy: Nihayat Al-Ijaz fi Sirat Sakin Al-Hijaz, part 4 of his complete works, pp. 198, 200, 203, 230, 231, 235, 239, 246, 247, 257, 258, 281, 283, 285-287, 313, 314, 331, 351, 361, and 362. Study by Dr. Muhammad Imarah, Beirut edition, 1977

[2] Ibn Abd Al-Bar, Al-Durar fi Ikhtisar Al-Maghazy wa Al-Siyar, see our book: Al-Fadecan wal Islam, p. 77, Cairo edition, 2007. Al-Islam and Al-Akhar, p. 65, Cairo edition, 2001, Bad thira'at Al-Jabri Ala Al-Qur'an Al-Karim, pp. 325-337, Dar Al-Salam edition, Cairo, 1432 H, 2011 A.D.

[*]Reminiscence of the Birth of the Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him)...!

By: The Grand Imam Sheikh Mahmoud Shaltout

The late Al Azhar Sheikh

The history of the birth of the Messenger

In the second half of the sixteenth century A.D. and In Mecca, one of the Arab cities. Muhammad was born for honorable parents whose lineage backed to Ismail (may peace of Allah be upon him). His father, 'Abdullah ibn 'Abdul Muttalib died while was still in his mother's womb, and the soul had not yet been blown into him. He stayed with Bani Sa'd until he was five years, as Halimah As-Sa'diyyah was breastfeeding him.

When he came back from the desert, his mother travelled with him to Medina, and stayed there in the hospitality of Bani An-Naggar the maternal parents of his father 'Abdullah. Allah willed him not to stay with his mother for a long time, not to be preoccupied with maternity and he was not preoccupied with paternity. His mother died in their return to Mecca. He was only preoccupied with love of Allah.

Preparation for the Message

Allah cared about him, saved him after being orphaned, enriched him after being poor, and guided him from delusion. Allah continued to grant him blessings and bounties until he grew up and he became prepared for carrying the general eternal message, with which he sealed the divine messages. Allah sent him as a mercy for the two

---

[*] An article published in Arabic at Al Azhar Magazine

invasion (Safwan or Badr Al-Ula), in which the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) went out to Karz ibn Jabir Al-Fehry, who attacked the cattle in Medina. Then, Karz fled and no fighting took place. This battle was defensive to chase those who took by force the cattle of Medina.

- In Rajab [2 H/624 A.D.], Abdullah ibn Jahsh (-3 A.H./625) along with eight people went to Nakhlah, which is between Mecca and Taef whose distance from Mecca is one night to inquire about the Quraysh caravan passed by and they took them and captured two disbelievers. Their spoils were the first, which was taken by the Muslims as part of the rights extorted from the Muslims by the disbelievers.

This is the reality of the confrontations occurring since the Hijrah until Badr Al-Kubra Battle in [17th of Ramadan, 2 A.H \ 15th of March, 624]

- As for Badr Al-Kubra Battle [in Ramadan, 2 A.H], it was defensive, as the Muslims, including Muhajirun and Ansar, went out during it to defend their state and their city from the troops of Quraysh which came from Mecca to eliminate the Islamic entity in Medina.

- After Badr Al-Kubra Battle, As-Swayeq Battle took place [5th of Dhul Hijja, 2 A. H \ 29th of May, 624 A.D.] because Abu Sufyan – avenging to what happened to the disbelievers in Badr – went secretly to Medina and contacted Sayyid ibn Al-Nudair – from the Jews – to attack the Messenger of Allah, his state, and nation, killed two of Al-Ansar and burnt their land. This is to keep his promise of taking revenge from the Muslims due to Badr Al-Kubra. Swayeq Battle was also defensive and for the sake of avenging Abu Sufian's attack to the sanctity of Medina and murder of two of Al-Ansar and burning of their land. Also, no fighting occurred in it.

- At the end of Dhul Hijjah, 2 A.H and the beginning of Muharram [3 A. H \ 624 A.D], Bani Salim Battle occurred. The Messenger of Allah went out intending Bani Salim and Ghattan, who gathered between Iraq and Mecca to attack Medina. The Messenger of Allah did not find them in this place. Thus, they came back without fighting. This means that it was defensive and was not to attack the trade, as Al-Jabri lied.

- In Jumada Al-Ula, 3 A.H \ October, 624 A.D, Bahran (bani Salim) Battle occurred. This was when the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him0 was informed that Bani Salim gathered once again to re-attack Medina. When he went out to abort this attempt, he found them dispersed and he went to Medina without fighting.

- In 7th of Shawwal, 3 A.H \ 23th of March, 625, Uhud invasion occurred. It was to defend the Muslims against the disbelievers of Quraysh, who moved from Mecca to Medina to destroy Islam and the Islamic nation.

In 16th of Shawwal, 3 A.H \ April, 625 A.D, Hamra Al-Asad Battle, in which the Muslims went out to this place hurt by what happened in Uhud, announcing the strength of the will and resolution. This is to frighten their enemy, who was happy due to his victory in Uhud. This battle was to prevent the repetition of mutual invasion to Medina.

In Shawwal, 4 A.H \ March, 625, Badr Battle was the time when the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the Muslims went out to refute the aggression of Quraysh, whose leader, Abu Sufyan threatened to re-attack Medina as he said after Uhud Battle: "Our appointment is Badr in the next year". Thus, it was called "Badr the Appointment". Quraysh withdrew after coming out of Mecca as the time was not suitable to war. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) came back to Medina without fighting.

At the last fifty days of Rabi Al-Awwal, 5 A.H \ August, 626 A.D, Dawmatul Jandal invasion took place two months and four days after Dhat Ar-Reqa' Battle, which was the first Battle of the Muslims in the Levant. Its reason was the gathering of the Arabs, who lived under the reign of the Romans, who wronged all the passersby. These people intended to attack Medina. The Muslims' coming out to Dawmatul Jandal was to terrify the highwaymen and to abort their attempt to invade Medina. When they heard about the coming out of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) to it, they fled; and no fighting occurred.

- In Jumada Al-Ula, 5 A.H\October, 626 A.D., Bani Lihyan Battle occurred to take revenge from Hudhail, who killed the Companions of the Messenger of Allah in Ar-Rajee. When the Muslims found bani Lihyan fleeing, they resorted to their sieges and the Muslims went to Medina without fighting.

In Shawwal or Dhul Qi'dah, 5 A.H \ April, 627 A.D, Al-Khandaq Invasion, which was defensive against Quraysh, when they besieged Medina severely.

In 6 A.H \ 627 A.D, Dhul Qird Battle took place – at the distance of two miles from Medina at the road of Khaybar. It was in response to Oyainah ibn Hisn's aggression towards the she-camel of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) in the forest in front of Khaybar. This means that it was for the sake of chasing the plunderers.

In 6 A.H\627 A.D, Bani Al-Mustaliq Battle took place. It was because Al-Harith ibn Dirar – the master of bani Al-Mustaliq – collected as many people as he could to fight the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). The Messenger of Allah came out to get rid of their invasion, perfidy, and aggression. He fought them to defend Medina and its inhabitants.

In Jumada Al-Ula, 8 A.H\629, Mu'tah Battle in the Levant took place, which was the first Muslim's battle against the Roman Byzantines, who occupied the Levant and the east. They subdued them, and its direct reason was the Romans murdering Al-Harith ibn 'Umair, the messenger of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) [8 A.H\629 A.D], whom the Prophet sent to the King of Busra.

- The Liberation of Mecca took place in 10th of Ramadan, 8 A.H \ 1st of January, 630 A.D, after Quraysh broke its promise with the Messenger of Allah and the Muslims in Al-Hudaybiyyah in 6 A.H\628 A.D].

religion is the real truth. They promised him to advocate and defend him in the way they defend their women and offspring. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) commanded his companions to immigrate before him and told them that he would follow them. This happened, all praise be to Allah. The first Islamic state was established in Al-Madinah AL-Munawwarah and defended its existence and raised the banner of Allah.

I can not forget to mention that at these times last year, the Egyptian youth launched 25th of January Revolution. The Egyptian people advocated them including the Muslims, Christians, youth, men, girls, even children and the very old people..

History will continue to remember for the great Egyptian armed forces their protection of the Revolution and the youth. Without the support of the army, the Revolution would have never succeeded. However, Allah willed that Egypt and its people lead a new great victorious and happy life.

In spite of the great role played by the great Egyptian army, the enemies of Egypt repeat slogans against the army and their sincere leaders. Also, the policemen, police Headquarters, and honorable judges did not escape these slogans.

It is worth mentioning that the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) relied for establishing the Islamic state and its protection on youth people. The clearest example on the great confidence put by the Messenger of Allah in the youth is that the Islamic army was led by one youth, although it contained the old Companions as normal warriors, who was the genius Usamah ibn Zayd, who at that time did not exceed eighteen years.

*Facts about the most Perfect human being : The Defending Feature of the Battles of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him)...!

By: Dr. Muhammad Imarah

Editor-in-Chief of Al-Azhar magazine

-2-

There are many claims in the Western writings about the spread of [illegible]. Some of them sought evidence on this in the battles that occurred in the Islamic State.

We resort to a historic resource for the sake of knowing its reality. This historic source was written in our modern age by Rifa'ah Rafi' At-Tahtawy [1216 A.H – 1290 \ 1801 – 1873 A.D], who studied the history of the invasions, knew its [illegible] circumstances [illegible] in his brilliant book "Nihayat Al-Eejaz fi Sirat Sakin Al-Hijaz". We present [illegible] of the Muslims and their earlier battles in Medina via this source, written by this enlightened pioneer, who should be respected.

- Displaying the Islamic battles in general states:
- The earlier invasions did not take place in the first year after Hijrah, contrary to the lies of Al-Jabri.

What happened before Badr Battle (Ramadan 2 A.H/624) was [illegible] the security of the borders of Medina and for defending it.

- The first battle was Al-Abwa' Battle in Waddan village [2 H/623 A.D], in which the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible] with Magdy ibn 'Amr Al-Juhany and agreed with him that none of them [illegible] and that he would not help their enemy. He wrote this with the master of bani [illegible]. This means that Al-Abwa' Battle was to maintain the security of the borders of Medina and reconciling with the neighbors.
- In the same year [2 A.H/623], Buwat Battle took place in Rabi' Al-Akhar – i.e. more than a year after the Hijrah. It occurred due to hindering the way of Quraysh caravan which was led by Umayyah ibn Khalaf [2 A.H/624 A.D], who was the master of the [illegible], who mastered tormenting the Muslims in Mecca, and no fighting occurred in this battle.
- In the same year, Dhul-Ashirah battle occurred in Jumada Al-[illegible] the way of Quraysh and its caravan, which headed for the Levant, being led by Abu Sufyan [illegible] the extorted rights of the Muslims from the disbelievers of Quraysh. When the [illegible] Quraysh went out to invade the Muslims and to attack Medina. This caused the [illegible]

* leading article in the Arabic section of Al-Azhar magazine, Rabi'-Akhir, 1433 A.H.

In the Memorandum of the Prophet's birth: Muhammad the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) is the ideal example for mankind...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

-2-

The birth of the Messenger of Allah Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) carried the good tidings of humanity getting rid of slavery and declaring a new era in which faith dominates. Allah (Glory be to Him) says:

{ }And thus We have sent to you (O Muhammad peace be upon him) Rûh (a Revelation, and a Mercy) of Our Command. You knew not what is the Book, nor what is Faith? But We have made it (this Qur'ân) a light wherewith We guide whosoever of Our slaves We will. And verily, you (O Muhammad peace be upon him) are indeed guiding (mankind) to a Straight Path (i.e. Allâh's religion of Islâmic Monotheism).}

[Al-Shura (Consultance): 52]

His birth opened the gate to receive the age of liberation of humanity and the minds awakening after a long age of unconsciousness. Mecca became eternal due to the birth of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) in it and it deserves being called "Umm Al Qura"

Allah (Glory be to Him) says:

{ }And this (the Qur'ân) is a blessed Book which We have sent down, confirming (the revelations) which came before it, so that you may warn the Mother of Towns (i.e. Makkah) and all those around it. Those who

believe in the Hereafter believe in it (the Qur'ân), and they are constant in guarding their Salât (prayers).}

[Al-An'am (The Cattle): 92]

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) lived in Mecca, where he was born for thirteen years after being burdened with the Da'wah to the new religion, which Allah sent down to him.

He encountered many obstacles and oppression due to the new religion to get rid of the age of ignorance and darkness. The Arabs who were forgotten started a strong nation, which obtained civilization, science, and excellence to gain a sublime status, never obtained by them. The throne of kings and emperors fell before them and they led the world and excelled in science, civilization, and progress. Humanity started to feel the taste of freedom, justice, and equality, as Omar son of Al Khattab, the second Khalifa after the prophet's Muhammad's death declared that the people are born free. Thus, no one is entitled to enslave any of them.

After the oppression of the disbelievers to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companions increased, and they endured all types of torment and harm, which reached murder. Allah (Glory be to Him) permitted to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to immigrate to Yathrib or Al-Madinah Al-Munawwarah, as it was so called afterwards.

The Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) paved the way for his Hijirah by meeting groups from Yathrib secretly at the seasons of Hajj. He pledges alliance with the groups belonging to the two tribes Al-Aws and Al Khazraj to immigrate to them after they were convinced that he is the Messenger of Allah and his

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul-Akher, 1433 A. H.

ENGLISH SECTION
March, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

ترقبوا في العدد القادم

السعر 150 قرشا

AL AZHAR
MAGAZINE

- المنهاج الإسلامي في الإصلاح — للأستاذ الدكتور محمد عمارة
- تفسير سورة البقرة — للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده
- قصص الأنبياء — لفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار
- أدب الدعوة والإصلاح — الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

- هدية العدد

أمريكا.. هل هي شعب الله المختار

تأليف: ميرون أرمسترونج — تقديم الدكتور محمد عمارة



الأزهر

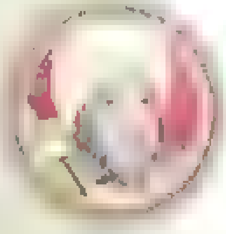
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ - أبريل ٢٠١٢ م الجزء "٥" السنة "٨٥"



أ. د. عبد الرزاق السنهوري



الشيخ محمود شلتوت



د. عصام البشير

هدية العدد

أمريكا... هل هي شعب الله المختار ؟

تأليف هيربرت أرمسترونج
تقديم الدكتور محمد عمارة

- **المنهاج الإسلامي في الإصلاح**
للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

- **تفسير القرآن الكريم**
للإمام محمد عبده

- **الـديـــــــن**
أ. د. محمد عبد الله دراز

- **حول تطبيق الشريعة الإسلامية**
المستشار طارق البشري



داخل العدد

الأعلقة من مكتبة الأستاذ حمد القطب

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وحمل اسم نور الإسلام.
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٥٨ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

المنهاج الإسلامي في الإصلاح



[illegible]

للإصلاح ـ في الرؤية الإسلامية ـ منهاج متميز عن نظائره في كثير من الأنساق الفكرية والفلسفات والحضارات التي استشرت وسادت خارج إطار الإسلام.

● فالإصلاح الإسلامي ليس تغييرا جزئيا ولا سطحيا، وإنما هو تغيير شامل وعميق، يبدأ من الجذور، ويمتد إلى سائر مناحي الحياة. بل إنه لا يقف عند ميادين الحياة الدنيا، وإنما يجعل من صلاح الدنيا السبيل إلى الصلاح والسعادة فيما وراء هذه الحياة الدنيا.

● وهو لا يقف عند «الفرد» ـ كما هو الحال في المذاهب «الفردانية» ـ كما أنه لا يهمل الفرد، مركزا على «الطبقة» ـ كما هو الحال في كثير من المذاهب والفلسفات الاجتماعية الغاربية ـ الوضعية والمادية ـ وإنما يبدأ الإصلاح الإسلامي بالفرد، ليكون منه الأمة والجماعة. فالإسلام دين الجماعة ـ والجماعة أشمل وأوسع من الطبقة ـ وبدون صلاح الأفراد لن يكون هناك صلاح حقيقي للأمة والجماعات.

ولهذه الحقيقة من حقائق الإسلام جمعت التكاليف الشرعية الإسلامية بين «الفردي» و«الاجتماعي» ـ الكفائي ـ لأن صلاح الفرد هو الذي يؤهله للقيام بالفرائض الاجتماعية. والمشتركة في العمل العام، الذي تعود ثمراته على الجماعة ـ المكونة من الأفراد ـ بل لقد رفع الإسلام مقام التكاليف الاجتماعية فوق مقام التكاليف الفردية، عندما جعل إثم التخلف عن التكليف الفردي مقصوراً على الفرد وحده، بينما إثم التخلف عن التكليف الاجتماعي شامل للأمة جمعاء. بل ورفع الإسلام ثواب التكاليف الفردية إذا هي أديت في جماعة واجتماع.

ولهذه الحقيقة، كانت رهبانية الإسلام هي الجهاد، الذي يعني التوسع واستفراغ الجهد والطاقة في أي ميدان من ميادين العمل الصالح في الحياة. فالجهاد ليس العمل القتالي وحده. والرهبانية ـ في الإسلام ـ هي على العكس من العزلة الفردية التي تدير ظهرها للأمة والاجتماع ومصالح العموم.

● وعلى، ومع ذلك الإصلاح ـ بهذا المعنى ـ في الإسلام. تحدث عنه القرآن الكريم باعتباره سنة من سنن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقانونا من قوانين الاجتماع الحضاري، لا تبديل له ولا تحويل. فالتغيير الإصلاحي لابد أن يبدأ من الذات، ليشمل «الذوات».

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٥٣)

● ولأن الإصلاح سنة، لها قوانينها، كانت له «دورات» تصل ما انقطع، وتجدد ما رث، وترفع للأمة ما ألحق بها من التراجع والانحطاط، فتعيدها إلى دورات التقدم من جديد، وعن هذه السنة من سنن الإصلاح يحدثنا رسول الله (ﷺ) فيقول: «لا يزال الجور بعدي قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره. ثم يأتي الله ـ تبارك وتعالى ـ بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره». (رواه الإمام أحمد)

● كذلك حدثنا القرآن الكريم عن أن الصلاح والإصلاح قد كان سنة جميع النبوات

والرسالات، وطريق سائر الأنبياء والمرسلين، فنقطة البدء في سائر الشرائع السماوية على الإيمان، الذي يعيد صياغة الإنسان صياغة إيمانية، والذي يتحلى - من ثم - في العمل الصالح والمصلح لكل ميادين الحياة. فبداية الإصلاح إنما تبدأ بالصلاح الذي تتغير به الجذور والأصول والمنطلقات والمبادئ والهويات والفلسفات والثقافات، ورؤية الإنسان للكون، وموقعه من هذا الوجود، ورسالته فيه، ليتحول هذا الصلاح إلى إصلاح شامل لكل ميادين الفروع في سائر مناحي الحياة.

هكذا كانت دعوة رسول الله شعيب «عليه السلام»:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾

«هود: ٨٤-٨٦».

فنقطة البداية في الإصلاح الشامل هي الإيمان الذي يعيد صياغة الإنسان، ليمتد الإصلاح بعد ذلك إلى الفروع والسياسات والاجتماعيات والاقتصاديات والعلاقات.

وعلى الضد من هذا المنهاج - في الصلاح والإصلاح - كان موقف الكافرين من أهل مدين - قوم شعيب - فلقد استنكروا وجود علاقة - عضوية، وجدلية - بين الإيمان والصلاة وبين ما كانوا يمارسون في فروع حياتهم ومعاملاتهم الاقتصادية والاجتماعية من مظالم جعلوها ثمرات للحرية الفردية المطلقة في هذه الميادين:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾

«هود: ٨٧».

لكن شعيبًا - عليه السلام - عاد ليؤكد لهم أن دعوته هي الطريق الحق للصلاح والإصلاح

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

«هود: ٨٨».

● وفي سورة المزمل - المكية - رسم القرآن الكريم لخاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبدالله (ﷺ) منهاج الرياضات والمجاهدات الروحية التي تحقق صلاح الإنسان، والتي تفجر فيه الطاقات والإمكانات التي تجعل هذا الإنسان - وهو الجرم الصغير - العالم الأكبر، القادر على حمل المهام الثقال في مختلف ميادين الإصلاح. فبهذه الرياضات والمجاهدات، التي تعيد صياغة الإنسان صياغة إسلامية، يكون هذا الإنسان - الذي خُلق ضعيفًا - هو الأشد وطأً والأقوم قيلا:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾

«المزمل: ١-٦».

وعلى امتداد المرحلة المكية - ثلاثة عشر عامًا - أي أكثر من نصف عمر الرسالة - كانت الصناعة الثقيلة التي أقامها رسول الله (ﷺ) هي إعادة صياغة الإنسان، بإقامة الأصول، وتجسيدها في القلة المؤمنة. وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم - مدرسة النبوة والمؤسسة التربوية الأولى في تاريخ الإسلام - كانت صياغة القلوب والعقول بخلق القرآن وقيم الإسلام. فلما تكون الجيل الفريد، وتبلورت الجماعة والأمة التي صنعها الرسول (ﷺ) على عينه، جاءت - بعد الهجرة - مرحلة النشر والانتشار للإصلاح في ميادين الفروع، جاءت: الدولة، والسياسة، والجيوش، والفتوحات، والنظم والمؤسسات، والقوانين، والعلاقات الدولية إلى آخر ميادين فروع الإصلاح. لقد تقدمت «الدعوة» على «الدولة»، وتقدم تغيير «النفس» على تغيير «الواقع»، ولذلك كان التغيير منطقيًا، وحقيقيًا، وراسخًا كل الرسوخ.

وإذا كانت «الأمة العامة» - التي اعتنقت الإسلام، عند وفاة رسول الله (ﷺ) - قد بلغ تعدادها ١٢٤,٠٠٠، فإن «الأمة الخاصة» - التي مثلت الأعلام والقيادات والريادات والصفوة التي تخرجت في مدرسة النبوة - قد أحصى العلماء عددهم في نحو ثمانية آلاف - منهم أكثر من ألف امرأة - جاءت تراجمهم في الأسفار التي رصدت أعلام الصحابة، الذين صنعوا وقادوا - من حول الرسول (ﷺ) أعظم نماذج الصلاح والإصلاح في تاريخ النبوات والرسالات.

● وإذا شئنا إشارات - مجرد إشارات - إلى عظم الطاقات والإمكانات التي يفجرها هذا المنهاج الإسلامي في الإصلاح، بتغيير الجذور والمنطلقات والتصورات والفلسفات بالإيمان الذي تجسده وتنميه المجاهدات الروحية لتتجلى بعد ذلك صلاحا وإصلاحا في سائر ميادين الفروع في جميع مناحي الحياة. إذا شئنا إشارات دالة على صنيع هذا المنهاج في الإنسان - الذي كان في أغلبه بدويا، وجاهليا، وأميا، وفظ غليظا - فعلينا أن نقرأ ما قاله الصحابي جعفر بن أبي طالب (٨هـ. ٦٢٩م) للنجاشي ملك الحبشة - واصفا حال هذه الجماعة إبان جاهليتها، وبعد الصلاح الذي صنعه بها الإسلام. لقد قال: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية. نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع

الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوى الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.. وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات... فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى، فعبدنا الله ـ تعالى ـ وحده ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك»[1].

هكذا صنع الصلاح والإصلاح هذا التغيير الجذري والعميق والشامل في نفوس هذه الجماعة المؤمنة، التي ولدت من رحم القرآن الكريم.

ثم لننظر ما صنع الإصلاح الإسلامي بالصحابي حاطب بن أبي بلتعة (٣٥ ق هـ ـ ٣٠هـ، ٥٨٦ ـ ٦٥٠م) الذي حمل رسالة رسول الله (ﷺ) إلى «المقوقس» ـ عظيم القبط بمصر ـ سنة ٧هـ، ٦٢٨م والوارث لمواريث أقدم حضارات الدنيا وأعرقها

لقد بدأ المقوقس حواره مع حاطب بالتحدي والتساؤل الاستنكاري [illegible] عن صدق نبوة محمد وسلطان نبوته (ﷺ) فقال لحاطب:

«ما منعه (أي الرسول) ـ إن كان نبيا ـ أن يدعو عليّ فيُسلَّط عليّ؟!

فكان جواب حاطب:

● منعه ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يُفعل به ويُفعل!

(فوجم المقوقس ساعة ـ أي فترة ـ ثم استعاد إجابة حاطب، فأعادها عليه حاطب، فسكت المقوقس).

وهنا استأنف حاطب محاورة المقوقس، فقال:

إنه قد كان قبلك رجل ـ يشير إلى فرعون موسى ـ زعم أنه الرب الأعلى، فانتقم الله به ـ أي من الذين استخفهم فأطاعوه ـ ثم انتقم منه. فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك [illegible] دينا ـ أي النصرانية ـ لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فقد ما سواه. وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به»[2].

إن الناظر في حوار «البدري» حاطب بن أبي بلتعة هذا مع المقوقس، إذا سأل نفسه:

(١) [illegible] سيرة الرسالة، باب حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو حديث الهجرة

(٢) [illegible]

من علم حاطب هذه الفلسفات في الدين والدنيا، وفي الحرية، والتاريخ؟ ومن الذي أقدره على أن يكثفها في كلمات، هي عصارات للحكمة العالية؟؟

إن الناظر في ذلك، والسائل عنه، لابد أن ستفتح أمام بصيرته وبصره معالم المنهاج السوي في الصلاح والإصلاح، ذلك الذي يبدأ بالأصول، وبالنفس وبالذات، ليسلك هذه الذات في سلك الجماعة والأمة والمجموع والاجتماع، ليقيم بها وعليها الدولة والسياسة والنظم والمؤسسات والعلاقات.

وإشارة أخرى دالة على «النوع» و«الكيف» الذي أثمره هذا المنهاج السوي في الإصلاح على جبهة صناعة الإنسان نتجلى في كلمات الراشد الثاني، الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ ـ ٢٣هـ، ٥٨٤ ـ ٦٤٤م) عندما أرسل مع عمرو بن العاص (٥٠ ق هـ ـ ٤٣هـ، ٥٧٤ ـ ٦٦٤م) ٤,٠٠٠ جندي ليفتح بهم مصر، فلما وصل عمرو وجيشه إلى «حصن بابليون»، وعلم أن بمصر ١٢٠,٠٠٠ جندي من خيرة جنود الرومان يتدرعون بأوفر العدد والعتاد وأكثرها قوة وفتكا، ويتحصنون ـ كما يقول ابن عبدالحكم (٢٥٧هـ، ٨٧٠م) ـ في حصون وراءها حصون وراءها حصون!! عندئذ، طلب عمرو بن العاص من عمر بن الخطاب مددا، ليهدد المعركة الفاصلة، التي قال عنها «هرقل» (٦١٠ ـ ٦٤١م) ـ قيصر الروم

«إذا سقطت الإسكندرية ضاع ملك الروم» فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يقول له: «إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام (٢٨ ق هـ ـ ٣٦هـ، ٥٩٦ ـ ٦٥٦م)، والمقداد بن عمرو بن الأسود (٣٧ ق هـ ـ ٣٣هـ، ٥٨٧ ـ ٦٥٣م)، وعبادة بن الصامت (٣٨ ق هـ ـ ٣٤هـ، ٥٨٦ ـ ٦٥٤م)، ومسلمة بن مخلد (١ ـ ٦٢هـ ـ ٦٨٢م)، وقيل خارجة بن حذافة (٤٠هـ، ٦٦٠م)، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة»[3].

هكذا بلغ الوزن، والنوع، والكيف لخريجي مدرسة النبوة ومنهجها في الإصلاح.

* * *

وهذا المنهاج الإسلامي في الإصلاح، الذي يبدأ بالعقيدة التي تعيد صياغة الإنسان صبغة إسلامية، لينطلق ـ بعد ذلك ـ هذا الإنسان الصالح لإصلاح سائر ميادين الواقع الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي [illegible] هو الذي ظل منهاج كل دعوات الإصلاح والتجديد عبر تاريخ الإسلام.

وهو المنهاج الذي بعثته وأحيته وجددته مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي في عصرنا الحديث، تلك التي أوقد شرارتها جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ، ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م)، وهندس بناءها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م)

[illegible]

تفسير سورة البقرة



[illegible]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ٢١)

في الناس المنادون هنا وجهان:

● الوجه الأول: أنهم الذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين ذلك الإيمان الذي يملك القلب ويصرف النفس في الأعمال، وهو المقبول عند الله تعالى. وإنما هم آخذون بتقاليد ظاهرية، ليس لها ذلك الأثر الصالح في أخلاقهم وأعمالهم. فهم يخادعون الله تعالى بالتلبس ببعض صور العبادات والأقوال. وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». والكلام على هذا لا يزال في الصنف الرابع من أصناف الناس المخاطبين بالقرآن. كما تقدم. فلا حاجة إلى بيان وجه الاتصال بين الآيات.

● الوجه الثاني - وهو الراجح - أن الخطاب عام للناس كافة، ووجه الاتصال بين الآيات على هذا، أنه لما بين تعالى في أصناف الناس هذا الصنف الذي احتقر أفراده نعم الله تعالى عليهم، واستعظموها وأكبروها على من قبلهم، فحرموا أنفسهم من أجل المزايا الإنسانية، وأحلوا سلفهم حتى رفعوهم إلى مرتبة الربوبية، خاطب الناس عامة بأن يعبدوه ملاحظين معنى الربوبية والخالقية التي تشملهم ومن قبلهم من السلف، فتنظمهم جميعا في سلك العبودية للخالق تعالى شأنه، وألا يكونوا كذلك الصنف الخاسر الكفور بنعم المشاعر والعقل وهداية الدين، إذا لم يستعملوا عقولهم في فهم ما أنزل عليهم، بل اكتفوا بتقليد بعض رؤسائهم وعلمائهم، زاعمين أنه لا يقوى على فهم كتاب الله تعالى غيرهم، كأن الله تعالى أنزل كتبه وخاطب بها نفرا معدودين في وقت محدود، ولم يجعلها هداية عامة للأمة، وإنما ألزم سائر الناس في سائر الأوقات الاكتفاء باتباع أولئك الرؤساء وأتباعهم وأتباع تابعيهم، وهلم جرا. ثم تركوا أتباعهم اتكالا على شفاعتهم واكتفاء بالانتساب إليهم، وزعموا أن الله أعطاهم ما لا يعطي مثله لأحد سواهم، وإن عملوا مثل عملهم. تعالى الله على الظلم والمحاباة، وهو ذو الرحمة التي لا تنتهي، وذو الفضل العظيم.

هذا النداء الإلهي المشعر بأن نسبة الناس الأولين إلى الله تعالى كنسبة الآخرين واحدة:- هو الخالق وهم المخلوقون، هو المستحق للعبادة وهم المأمورون بها أجمعون - حجة علينا وعلى جميع من استن بسنة ذلك الصنف من قبلنا.. وأنا أخص طلاب علوم الدين بالذكر، فينبغي للطالب أن يوجه نفسه إلى فهم القرآن ويحملها على الاهتداء به، فإذا هو فعل ذلك تظهر عليه آداب الإسلام التي أشار إليها الرسول - عليه الصلاة والسلام - بقوله:

أدبني ربي فأحسن تأديبي

وإنما كان أدبه القرآن. ومن اشتغل بهذا حق الاشتغال، وصل إلى معرفة أمراض المسلمين الحاضرة، ومنابع البدع التي فشت فيهم، ومثارات الفتن التي فرقتهم، ويعرف علاج ذلك. وإن من ذاق حلاوة القرآن، لا ينظر في كتاب ولا يتلقى علما إلا ما يفتح له باب الفهم في القرآن، أو ما يفتح له باب القرآن فيجده مرآته، وما عدا ذلك مبعد عنه، والبعد عن القرآن هو عين البعد عن الله تعالى، وذلك هو الضلال البعيد.

كل ما أمرنا به القرآن وأرشدنا إلى النظر فيه: فالاشتغال به اشتغال بالقرآن. فإذا قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ٢١)

فذلك تنبيه وإرشاد إلى الاعتبار بما في خلقنا من الحكم والأسرار، وينبغي لنا البحث عنها، كما قال في آية أخرى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(الذاريات: ٢٠، ٢١)

وإلى الاعتبار بتاريخ من قبلنا، كما قال في آية أخرى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾

(الروم: ٤٢)

وأمثال ذلك كثير.

لا ينتفع الإنسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخشع لوعيده إلا إذا عرف معانيه وذاق حلاوة أساليبه، ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ، مع النظر في بعض النحو كنحو ابن هشام وبعض فنون البلاغة كبلاغة عبد القاهر وبعد ذلك يكون له ذوق في فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن. قال الإمام أبو بكر الباقلاني: من زعم أنه يمكنه أن يفهم شيئا من بلاغة القرآن بدون أن يمارس البلاغة بنفسه، فهو كاذب مفتر.

فهل يصح لمسلم بلغ رشده وطلب العلم أن لا يجعل القرآن إمامه، ويتخذه نورا يمشي به في

الناس، ويهتدى به فى ظلمات البدع؟

أمامنا عقبتان كئودان لا نرتقي عما نحن فيه إلا باقتحامهما، وهما الكسل وتسجيل القصور على أنفسنا بجهل قيمة نعم الله تعالى علينا. وصاحب هاتين الخلتين يمقت كل من يرشده إلى الخير ويهديه للحق، لأنه يكلفه ضد طبعه، فلا يرى مهربا من الاعتراف بضلاله وغيه، إلا بالقدح بمرشده وناصحه.

على كل منا أن ينظر فى نفسه، وينظر فى القرآن العظيم، ويزن به ما هو عليه من العقائد والأخلاق والأعمال، فإن رجح به ميزانه فهو مسلم حقيقي فليحمد الله تعالى، وإلا فليسع فيما يكون به الرجحان.

لابد لنا من النظر الطويل والفكر القويم فيما نحن فيه، فإن لم نتفكر لم نهتد إلى الحق، ومن لم يهده الله فهو ضال

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾

(يونس ٣٢)

يقول تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾

الذين يدعون الإيمان بالله قولاً بأفواههم ولم تمس الإيمان حتى سواد قلوبهم، ولا كان له سلطان على أرواحهم، ويدعون الإيمان باليوم الآخر ولم يستعدوا له بتهذيب نفوسهم وإصلاح أعمالهم، وإنما يأتون بعض صور العبادات بحكم العادات الموروثة، وقلوبهم مشغولة عن الله الذى لا تفيد العبادة عنده [illegible] وابتغاء مرضاته، والشعور بعظمته وجلاله، فهم يخادعون الله بهذه الظواهر التي لا معنى لها، والصور التي [illegible] فيها وإنما يخدعون فى الحقيقة أنفسهم، لأن أعمالهم هذه لا تفيدهم فى الدنيا عزة وسعادة، ولا تنجيهم فى الآخرة.

و﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ الذين لم يرزءوا بهذا الخذلان، ولم يبتلوا بهذا الافتتان، سواء كانوا من أهل الكفر أو من أهل الإيمان، ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ جميعا عبادة خشوع وإخلاص وأدب وحضور كأنكم تنظرون إليه وترونه، فإن لم تكونوا ترونه فإنه يراكم، وينظر دائما إلى محل الإخلاص منكم وهو قلوبكم، واستعينوا على إشعار نفوسكم هذا الخشوع والحضور والإخلاص فى العبادة باستحضار معنى الربوبية، فإنه هو ربكم الذى أنشأكم فيما لا تعلمون،

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل:٧٨)

وغذاكم بنعمه، وربّاكم بكرمه، كما فعل مثل ذلك بسلفكم الصالح فشكروه وعبدوه وحده مقرين بهذه التربية، ومعظمين لهذه المنة. فليدع ذلك الصنف احتقار النعم التي هو فيها والاقتصار على تعظيم نعمة الله على السلف فقط، فإن هذا الرب العظيم ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ وخلق ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ قد رباكم كما ربى سلفكم، ووهبكم من الهدايات مثلما وهبهم، فمن شكر منهم ومنكم زاده نعما، ومن كفر بهذه النعم جعلها عليه نقما، ليكون عبرة ومثلا للآخرين، وذلك من رحمته بالعالمين. وقد أقسم تعالى على ذلك فى كتابه المجيد فقال

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

(إبراهيم ٧)

وفى القصاص حياة لأولى الألباب، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

هكذا أمر الله تعالى عباده جميعهم بأن يعبدوه وحده مخلصين له الدين، وأرشدهم بإعلامه إياهم أنه ساوى بينهم وبين من قبلهم فى المواهب الخلقية - إلى الاستقلال بالعمل، وقدر نعمته عليهم قدرها، ليعلموا أن كل النعم التي تكتسب بالشكر - وهي ما عدا النبوة - مقدورة لهم، كما كانت مقدورة لمن قبلهم، وأنهم إذا زادوا على سلفهم شكرا يزدادون نعما. وما الشكر إلا استعمال المواهب والنعم فيما وهبت لأجله. فالذين يقولون إننا لا نقدر على فهم الدين بأنفسنا من الكتاب والسنة، لأن عقولنا وأفهامنا ضعيفة، وإنما علينا أن نأخذ بقول من قبلنا من آبائنا، لأن عقولهم كانت أقوى، وكانوا على فهم الدين أقدر، بل لا يمكن أن يفهمه غيرهم، أولئك كافرون بنعمة العقل، وغير مهتدين بهذه الآية [illegible] فى [illegible] الرحمة و [illegible]

وكذلك الذين يتخذون وسطاء بينهم وبين الله تعالى لأجل التقرب إليه زلفى، بغير ما شرعه لهم من الدين وما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - وهم الوسائل فى الهداية والإرشاد [illegible] ليشفعوا فيهم عنده لينالوا جزاء ما شرعه من الدين، من غير طريق العمل به واتباع المرسلين - قد احتقروا نعم الله تعالى ولم يهتدوا بهذه الآية لأنهم قد جعلوا لله أندادا يبغون أن ينالوا بأشخاصهم ما حكم الله بأن يطلبه الناس [illegible] هؤلاء الأنداد شركاء لله يغنونهم عن شريعته، شعروا بذلك أو لم يشعروا

يقول تعالى [illegible]

ملاحظين معنى الربوبية، والمساواة فى [illegible]

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، فإن العبادة على هذا الوجه هي التي تعدكم للتقوى، ويرجى بها بلوغ غاية الكمال القصوى

الشائع أن لعل للترجي فى ذاتها. وإذا وقعت فى كلام الله تعالى يكون معناها التحقيق. وغرض القائلين بهذا تنزيه - الله سبحانه - عن الترجي بمعناه اللغوى الآتى. ولكنه رمى للكلام بدون بيان. وحقيقته. أن لعل للترجي. ولكنها [illegible] معنى الترجي. فحيث وقعت (لعل) فى القرآن فالمراد بها هذا المعنى الأخير كما فسرناها به آنفا، وهو يستلزم التحقيق، لأن الإعداد بما تأتى [illegible] لا ريبة فيه. فإن العبادة على [illegible] معنى الربوبية، إلخ ما تقدم شرحه، تطبع فى [illegible] وتعلى همة العابد، وتقوى عزيمته وإرادته، فتزكو نفسه وتنفر من المعاصي والرذائل، وتألف الطاعات [illegible] وإذا قلنا: إن الرجاء متعلق بالناس فالإعداد [illegible] ظاهر ومتحقق، إذ لو لم يخشهم [illegible] للتقوى لما اتقاه منهم أحد.

ومعنى الترجي فى [illegible]

أقسام السنة النبوية عند العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور



١

التعريف به:

● ولد بتونس، فى أسرة اشتهرت بنبوغ عدد من أكابر العلماء والمفتين، والمصلحين والقضاة وشيوخ الإسلام، من مثل: الشيخ أحمد بن عاشور، والشيخ محمد بن عاشور، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ الجد ـ (١٢٨٤هـ/١٨٦٨م) والشيخ محمد الفاضل بن عاشور (١٣٢٧ ـ ١٣٩٠هـ/١٩٠٩ ـ ١٩٧٠م).

● وتتلمذ على فكر تيار الإحياء والتجديد والإصلاح فى اليقظة الإسلامية الحديثة، ونهل من علم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) الذى زار تونس زيارته الأولى (١٣٠١هـ/١٨٨٤م) عندما كان منفيا من مصر، بعد احتلال الإنجليز لها، وكان يومئذ نائبا لجمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ/١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) فى رئاسة «جمعية العروة الوثقى» ـ السرية ـ والمحرر الأول لمجلتها «العروة الوثقى»..

وفى الزيارة الثانية للأستاذ الإمام إلى تونس (١٣٢١هـ ١٩٠٣م) كان ابن عاشور فى الخامسة والعشرين من عمره، فلقى الأستاذ الإمام، وألقى فى حضرته خطابا عبر فيه عن تلمذته على فكر الإمام، الذى تتلمذ به أمته ذات فى تونس منذ زيارته الأولى ـ فقال ابن عاشور ـ مخاطبا الإمام ـ «أيها الأستاذ، إن مباديكم السامية التى ترمي سهمها الأفلج[1] شوارد التقدم.. قد أوجبت لنفسي نحو لقياكم كثرة إشراق، مع علو فى محتدكم وإعراق. فلا ينبعث

الأستاذ ـ أيده الله ـ من نفس أظهرت له التعلق عند ملاقاته الأولى، فإنا وإن لم نلق شخصه من قبل فقد لاقين ذكره وفرائده».

وعند هذه الزيارة، توثقت الصلات الفكرية ـ العميقة ـ بين الطاهر بن عاشور وبين الأستاذ الإمام. وتبادلا الرسائل التى تضمنت إشارات والغازا حول مشكلات الإصلاح والتحرر من الاستعمار والجمود والتقليد ـ وكانت لابن عاشور شفرة خاصة لحل ألغاز تلك المكاتبات، التى استوجبتها رقابة الاستعمار الفرنسى على المكاتبات!

كما أشار ابن عاشور إلى تأثيرات تلك التلمذة وهذه الصلات الفكرية فى كتابه (أليس الصبح بقريب) والذى بدأ تأليفه منذ ذلك التاريخ (١٣٢١هـ ١٩٠٣م)

● ولقد تعلم الطاهر بن عاشور اللغة الفرنسية إلى جانب العربية وعلومها.. ودخل «جامع الزيتونة» ـ وهو الجامعة الدينية المناظرة للأزهر ـ (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م) وفيها درس وتخصص فى علوم الإسلام والعربية وآدابها.. ونال منها ـ بعد سبع سنوات ـ «شهادة التطويع» فى (١٣١٧هـ ١٨٩٩م).

● ولقد أسهم ابن عاشور ـ بعد تخرجه فى الزيتونة ـ فى مختلف ميادين الإصلاح والنهضة والتجديد.. من الإدارة إلى القضاء.. إلى الأوقاف.. إلى التعليم.. إلى الإفتاء.. إلى التدريس والمحاضرات.. وذلك فضلاً عن التأليف

وتحقيق التراث فعين فى مجلس الأوقاف (١٣٢٩هـ ١٩١١م) وتولى القضاء (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م).. وعين نائب للمفتى (١٣٤٣هـ ١٩٢٤م) ثم أصبح مفتيا (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م). ثم مستشارا للحكومة فى الشئون الدينية، وشيخا للإسلام، وشيخا لجامع الزيتونة (١٣٥١هـ ١٩٣٢م) وأصبح عضواً بمجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة ـ (١٣٥٩هـ ١٩٤٠م). وعضوا مراسلا للمجمع العلمى العربى بدمشق (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).. وذلك فضلا عن ممارسة التدريس وإلقاء المحاضرات.. والمشاركة فى المعارك الفكرية.. والمؤتمرات العلمية.. وفوق كل ذلك ومعه بناء «هرم فكرى» تجسد فيما يقرب من أربعين كتابا ـ ما بين تأليف وتحقيق ـ وبعض هذه الكتب موسوعات استغرق تأليف الواحد منها خمسين عاما ولقد طبع من هذه الكتب سبعة عشر كتابا ولا تزال بقيتها مخطوطة حتى الآن.

ومن هذه الآثار الفكرية ـ التى غطت علوم وفنون القرآن والحديث ومقاصد الشريعة والفقه وأصوله واللغة والنحو والأدب والنقد والشعر والاجتماع والتاريخ ومشروع النهضة والتراجم والحكمة

١ ـ تفسير التحرير والتنوير ـ (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ـ وهو الذى استغرق تحريره له خمسين عاما. فجاء عملا عملاقا ومفردا فى ميدان التفسير

[illegible]

٢ - [illegible]

[illegible]

٣ - [illegible] (٤٤٤هـ [illegible])

٤ - [illegible]

٥ - [illegible]

٦ - [illegible]

٧ - [illegible] (٩٣ - ١١٩هـ ١١٢ - ٧٩٥م)

٨ - (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم) - الذى ألفه الشيخ علي عبدالرازق (١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦م).

٩ - [illegible] الشيخ عند مصابق [illegible]

[illegible] في مشروع [illegible] صحيح [illegible]

١٠ - (رسالة [illegible] على [illegible]) - التي أصدرها الإمام محمد عبده عن [illegible] ولبس [illegible] التي أثارت جدلا [illegible] في مطلع القرن العشرين (١٣٢٢هـ ١٩٠٤م).

١١ - ([illegible])

١٢ - ([illegible])

١٣ - (قصة المولد) - عن ميلاد رسول الله ﷺ.

١٤ - (تحقيق ديوان بشار بن برد)

١٥ - ([illegible])

١٦ - (تحقيق قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق)

١٧ - (شرح وتحقيق لمقدمة [illegible] للمرزوقي)

أما الدراسات والأبحاث والمحاضرات والتحقيقات التي لم تطبع في كتب حتى الآن [illegible]

١٨ - (رسالة في القدر)

١٩ - (قلائد العقيان) - شرح وتحقيق [illegible]

٢٠ - ([illegible])

٢١ - ([illegible] وحكمة [illegible])

٢٢ - (مسائل فقهية وعلمية تكثر الحاجة إليها ومعول في الأحكام عليها)

٢٣ - (تعليق وتحقيق على حديث أم زرع).

٢٤ - (أمالي على مختصر خليل) في الفقه المالكي

٢٥ - (آراء اجتهادية)

٢٦ - (تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدمة في النحو)

٢٧ - (تعاليق على المطول وحاشية السيلكوتي)

٢٨ - (أمالي على دلائل الإعجاز) للإمام عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ ١٠٧٨م)

٢٩ - (تراجم لبعض الأعلام)

٣٠ - (تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب، لابن السيد البطليوسي مع شرح كتاب أدب الكاتب)

٣١ - (جمع وشرح ديوان سحيم)

٣٢ - (شرح معلقة امرئ القيس)

٣٣ - (شرح ديوان الحماسة).

٣٤ - (مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد، واللامع العزيزي)، اللذين شرح فيهما المعري (٣٦٣ - ٤٤٩هـ/ ٩٧٣ - ١٠٥٧م) ديوان المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ ٩١٥ - ٩٦٥م).

٣٥ - (تحقيق الشرح القرشي على ديوان المتنبي).

٣٦ - (غرائب الاستعمال)

٣٧ - (تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس، للحكيم ابن زهر)

٣٨ - (كتاب تاريخ العرب)

● وإذا كان ابن عاشور قد تميز وتألق في سماء علماء الأمة - على امتداد القرن الرابع عشر الهجري - حتى استحق أن يطلق عليه الإمام محمد عبده - في بداية القرن العشرين - مفسر الدعوة الإصلاحية في الجامعة الزيتونية، فلقد استحق أن يلقبه الشيخ محمد الغزالي (١٣٣٥ - ١٤١٦هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦م) - في أواخر القرن العشرين - بأنه رجل القرآن الكريم، وإمام الثقافة الإسلامية المعاصرة.

تمييز

مقامات وأقوال وأفعال الرسول ﷺ

للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

للرسول عليه الصلاة والسلام صفات كثيرة صالحة لأن تكون مصادر أقوال وأفعال منه. فالناظر في مقاصد الشريعة بحاجة إلى تطلع تعيين الصفة التي عنها صدر منه قول أو فعل [illegible]

[1] [illegible] الأعلام ولأعلام [illegible]

[2] [illegible]

من اهتدى إلى النظر في هذا التمييز وتمييز العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي في كتابه «أنوار البروق في أنواء الفروق»، فإنه جعل الفرق السادس والثلاثين بين قاعدة تصرف رسول الله ﷺ بالقضاء وقاعدة تصرفه بالفتوى، وهي التبليغ، وقاعدة تصرفه بالإمامة. وقال: «إن رسول الله ﷺ هو الإمام الأعظم والقاضي الأحكم، والمفتي الأعلم. فهو إمام الأئمة وقاضي القضاة وعالم العلماء. فما من منصب ديني إلا وهو متصف به في أعلى رتبة، غير أن غالب تصرفه ﷺ بالتبليغ؛ لأن وصف الرسالة غالب عليه، ثم تقع تصرفاته ﷺ منها ما يكون بالتبليغ والفتوى إجماعا، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة، ومنها ما يختلف فيه لتردده بين رتبتين فصاعدا، فمنهم من يغلب عليه رتبة، ومنهم يغلب عليه أخرى.

ثم تصرفاته ﷺ بهذه الأوصاف تختلف آثارها في الشريعة، فكل ما قاله أو فعله على سبيل التبليغ كان حكما عاما على الثقلين إلى يوم القيامة، فإن كان مأمورا به أقدم عليه كل أحد بنفسه، وكذلك المباح، وإن كان منهيا عنه اجتنبه كل أحد بنفسه. وكل ما تصرف فيه بوصف الإمامة لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام؛ لأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك.

وما تصرف فيه بوصف القضاء لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم؛ لأن السبب الذي لأجله تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء يقتضي ذلك.

فهذه الفروق بين هذه القواعد الثلاث، ويتحقق ذلك بأربع مسائل:

المسألة الأولى: بعث الجيوش، وصرف أموال بيت المال في جهاتها، وجمعها من محالها، وتولية الولاة، وقسمة الغنائم. فمتى فعل رسول الله ﷺ من ذلك شيئا علمنا أنه تصرف فيه بطريق الإمامة دون غيرها، ومتى فصل بين اثنين في دعاوى الأموال وأحكام الأبدان ونحوها بالبينات أو الأيمان والنكولات، فنعلم أنه إنما تصرف في ذلك بالقضاء دون الإمامة، وكل ما تصرف فيه بالعبادات بقوله أو فعله أو أجاب به سؤال سائل عن أمر ديني فهذا التصرف بالفتوى والتبليغ. فهذه المواطن لا خفاء فيها.

وأما مواضع الخفاء والتردد ففي بقية المسائل، وهي:

المسألة الثانية: قوله ﷺ: «من أحيا أرضا ميتة فهي له».

اختلف العلماء في هذا القول هل هو تصرف بالفتوى فيجوز لكل أحد أن يحيي أرضا ولو لم يأذن له الإمام، وهذا قول مالك والشافعي، أو هو تصرف بالإمامة فلا يجوز لأحد أن يحيي إلا بإذن الإمام، وهو مذهب أبي حنيفة.

المسألة الثالثة: قول رسول الله ﷺ لهند بنت عتبة زوج أبي سفيان لما قالت له: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني وولدي ما يكفيني، فقال لها: «خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف».

اختلف العلماء هل هذا تصرف بطريق الفتوى فيجوز لكل من ظفر بحقه أو بجنسه أن يأخذه بغير علم خصمه به، أو هو تصرف بالقضاء فلا يجوز لأحد أن يأخذ جنس حقه أو حقه إذا تعذر أخذه من الغريم إلا بقضاء قاض.

المسألة الرابعة: قول رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سلبه».

اختلف العلماء هل هذا تصرف بالإمامة فلا يستحق القاتل سلب المقتول إلا أن يقول له الإمام ذلك رأى، ورآه الشافعي تصرفا بالفتوى فلا يحتاج إلى إذن الإمام، هذا حاصل كلام الشهاب القرافي(٣).

***

ومن ورائه نقول: إن لرسول الله ﷺ صفات وأحوالا تكون باعثا على أقوال وأفعال تصدر منه. فبنا أن نفتح لها مشكاة تضيء في مشكلات كثيرة لم تزل تعنت الخلق، وتشجي الخلق. وقد كان الصحابة يفرقون بين ما كان من أوامر الرسول صادرا في مقام التشريع وما كان صادرا في غير مقام التشريع، وإذا أشكل عليهم أمر سألوا عنه.

ففي الحديث الصحيح أن بريرة لما أعتقها أهلها كانت زوجة لمغيث العبد، فملكت أمر نفسها بالعتق فطلقت نفسها، وكان مغيث شديد المحبة لها وكانت شديدة الكراهية له. فكلم مغيث رسول الله ﷺ في ذلك فكلمها رسول الله في أن تراجعه فقالت: أتأمرني يا رسول الله؟ قال: «لا، لكني أشفع»، فأبت أن تراجعه ولم يثربها رسول الله ﷺ ولا المسلمون.

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله أنه مات أبوه عبدالله بن عمرو بن حرام وعليه دين، فكلم جابر رسول الله ﷺ في أن يكلم غرماء أبيه أن يضعوا من دينه، فطلب النبي ﷺ منهم ذلك، فأبوا أن يضعوا منه. قال جابر: «فلما كلمهم رسول الله كأنهم أغروا(٤) بي» ولم يثربهم المسلمون على ذلك ونظائر ذلك ستأتي.

على أن علماء أصول الفقه قد تعرضوا في مسائل السنة النبوية إلى ما كان من أفعال رسول الله ﷺ جبليا أنه لا يدخل في التشريع، وما ذلك إلا لأنهم لم يهملوا ما كان من أحوال رسول الله ﷺ أثرا من آثار أصل الخلقة لا دخل للتشريع والإرشاد فيه.

وترددوا في الفعل المحتمل كونه جبليا وتشريعيا كالحج على البعير. وقد يغلط بعض العلماء في بعض تصرفات رسول الله ﷺ فيعمد إلى القياس عليها قبل التثبت في سبب صدورها.

يتبع

(٣) الفروق للقرافي [illegible] طبعة عالم الكتب بيروت.

(٤) [illegible] أولعوا به.

الدين (١٠)



المذهب الأخلاقى ونقده

ذهب الفيلسوف الألمانى (عمانويل كانت) Emmanuel kant في نقده للعقل العملى Critique de la Raison Pratique إلى أن وجود الذات الإلهية ليس موضوع علم ومعرفة، بحيث يثبت بالبرهان أو بالتجربة، بل هو موضوع إيمان عقلى. بمعنى أنه مقدمة مسلمة، لا مناص للعقل من أن يعتمدها لتصحيح الفكرة الأخلاقية الراسخة في النفوس، وبيان ذلك حسبما قرره كانت[1] ينتظم فى مقدمات ثلاث:

١ ـ أن كل إنسان، حتى الطفل المميز، يجد فى نفسه استحسانا لبعض الأفعال، واستهجانا لبعضها. ويدرك بنفسه أن بعضها يجب أن يُفعل، وبعضها يجب أن يجتنب.. هذا القانون الأدبى يضاهى القانون الطبيعى، فى أن كلاً منهما ضرورة لا مفر منها، ولكنه ليس كالقانون الطبيعى فى التعبير عن شىء واقع بالفعل تحققه المشاهدة والتجربة، بل عن شىء لم يقع بعد وإنما يطلب تحقيقه طلباً مؤكداً، وهو فى الخارج يمكن أن يقع وألا يقع.. بل قد يقال إنه ليس فى الوجود مثال واحد يشهد لوقوعه على الوجه المطلوب؛ فكل بنى آدم خطاءون، وما الطهر والعصمة إلا لله وحده.. حتى إن الذين يؤدون أعمالهم طبقاً لقانون الواجب «حرفياً» لا سبيل إلى الثقة بأنهم يؤدونها «روحياً» كما يجب. أى بقصد أداء الواجب خالصا من شائبة الهوى والغرض، ودون تلقى معاونة عليها من الميول والنزعات الفطرية الشريفة.

فالواجب هو أداء الواجب، للواجب، وبالواجب، أى تحت سلطان «فكرة الواجب» لا «حب» الواجب.. وكل خدش فى عنصر من هذه العناصر يجعل العمل هباء.. فمن ذا الذى يستطيع أن يجرد نفسه هذا التجريد؟ ومع ذلك فهذا هو حكم قانون الأخلاق الذى يفرض نفسه علينا فرضاً غير مكترث بمعارضة قانون الطبيعة المتسلط على حواسنا وجوارحنا وإرادتنا بصفة قاهرة.. ومنه نعلم أن الإنسان ينتسب إلى عالمين: عالم العقل، وعالم الطبيعة والحس. كلاهما يطالبنا بحاجته، وما القانون الأدبى إلا ترجمان العقل الخالص، ينطق بلسانه متجاهلا ما للطبيعة من سلطان.

٢ ـ غير أننا لما كان العقل يطالبنا بإلحاح أن نحقق هذا الخير المطلق، كان من الضرورى أن تكون هناك وسيلة لتحقيقه؛ لأن وجوب الشىء بالعقل دليل إمكانه، وإلا لما كان العقل عقلاً. وإذا لا سبيل إلى تحقيق هذا الخير الكامل فى لحظة من لحظات حياتنا، فلم يبق إلا إمكان تحقيقه على التدريج إلى ما لا نهاية.. وهكذا يجب أن نفرض لنا حياة لا تتناهى، يتم فيها ذلك التقدم اللانهائى، الذى هو الهدف الحقيقى لإرادتنا العاقلة، فكان خلود الروح مطلبا لابد من تسليمه ليصح فى العقل وجود ذلك القانون الأخلاقى، ودعوى أن الإنسان يمكنه فى هذه الدنيا أن يصل إلى القداسة والفضيلة الكاملة دعوى باطلة؛ كدعوى أن الواجب الأخلاقى يكتفى منا بأدنى مراتب الكمال.

٣ ـ فإذا حققنا الخير المطلق، بتحصيل الفضيلة الكاملة، فقد بقى المطلب الأخير من مطالب العقل، وهو تحقيق «الخير الأعلى». وليس الخير الأعلى معنى مفرداً، بل هو جماع عنصرين أحدهما الفضيلة والآخر السعادة، التى هى حصول المرء على ما يرضيه فى الحياة، بحيث يجرى كل شىء فى الوجود على وفق ما يهواه، لا وإنا نرى هذين العنصرين يسيران أمامنا فى طريقين منفصلين قلما يلتقيان، فقلما تعيش الفضيلة العاملة الكادحة، الصامتة القانعة، إلا فى زوايا الخمول والنسيان، والتقتير والحرمان، بينما الرذيلة تشق طريقها مسلحة، ملء يديها، لها القوة، والثروة ورغد العيش، والجاه، والنفوذ والسلطان. بكل مقتضى الوضع العقلى السليم أن تكون الفضيلة والسعادة صنوين، والرذيلة والشقاء توأمين، وأن توزع درجات البؤس والنعيم على حسب الأعمال وبواعثها ومقاصدها. فلابد إذا من مبدء أعلى يحقق هذا التوازن.. مبدأ تخضع الطبيعة لإرادته، ويسير هو فى تصرفاته على وفق قانون عادل. وما ذلك إلا خالق الطبيعة والإنسان جميعاً، وهو الله تعالى.

فكان وجود الله هو المطلب الأخير، الذى لابد من تسليمه لتصحيح معقولية القانون الأخلاقى.

الناظر فى هذا النسق الفكرى قد يروقه ما فيه من نسيج بديع مبتكر ولكن الذى يُعْمِل سناده ويمتحنه سوف يجد فى طياته خيوطاً واهية وعناصر غريبة، ستزلزل مهاد الصنعة وحسن السبك، بل سيجد أن هذه المقدمات الثلاث التى سيقت مساق الاستدلال ليست بالمقدمات البديهية ولا بالبرهانية، ولا بالتى سوف تنتهى إلى النتيجة المطلوب.

• أما المقدمة الأولى فلأن الشعور الأخلاقى وإن كان فى جملته مركوزاً فى أصل النفوس، ولكنه على الصورة التى صورها بها كانت لا يفرض نفسه على كل النفوس، بل تجحده كثير من النفوس ... لأنه عسف، فإن

(1) kant, ouv. cite, 2eme partie, iv et v

فحسب، أو لأنه، يمحو الفروق بين الواجبات الأساسية والواجبات التكميلية، بل لأنه فوق ذلك كله يقلب الأوضاع والموازين المألوفة، إذ يقتضى أن الذى يمتثل الأمر عن أريحية ورضى لا يكون قد أدى واجبه، وإنما يكون ممتثلا إذا فعله وهو كاره له، متبرم به. وهكذا تبعد النفوس الخيرة عن المثل الأعلى للفضيلة، بقدرما تقترب منه النفوس الشريرة حين تحمل نفسها على فعل الواجب حملا

● وأما المقدمة الثانية فلأن الواجب المطلوب «وهو تحقيق الخير المطلق لذاته غير مشوب بطلب منفعة، ولا معاضدا بنزعة شريفة أو غيرها، إن لم يكن ممكنا لم يكن واجبا، كما يعترف به «كانت»..

وإن كان يمكن تحقيقه فى مرحلة ما من مراحل الحياة المستقبلة لم يبق لفرضية أبدية الروح مستند، إذ يكون القول ببقائها لحظة واحدة بعد أداء الواجب قولا بما هو أكثر من المطلوب. وإن كان ليس هناك لحظة واحدة فى الحاضر ولا فى المستقبل يمكن فيها إخلاص الامتثال، يكون القول بالخلود قولا بما هو دون المطلوب، لأنه متى فرض أن انضمام أدنى باعثة للخير إلى باعثة الامتثال المجرد يهدم الفضيلة من أساسها، أصبحت المسألة ليست مسألة تدرج يترقى فيها الناقص نحو الكمال، بل هى مسألة أعداد سلبية متتالية؛ وضم السلب إلى السلب لا ينتج إيجابا، ولو سار إلى غير نهاية، على أن التكمل على الوجه الذى يفهمه «كانت» يفضى بنا إلى صورة عجيبة جدا، إذ لابد أن يفترض أن النزعات الشريفة فى تلك الحياة الباقية تأخذ فى الاضمحلال شيئا فشيئا، لتحل محلها نزعات مقاومة للخير؛ تحتاج إلى مجاهدة عنيفة تزداد عنفا على مر الزمان، ليكون أداء الواجب معها محض الواجب رغم كل مقاومة.. فما أبدع هذا الفردوس الذى لا يتبوأ عرشه إلا الشياطين!

● وأما المقدمة الثالثة فلأنها أدخلت باسم قانون الأخلاق عنصرا غريبا عن قانون الأخلاق، وهو مطلب السعادة بمعناها العامى، (ألا وهو تحقيق الأمانى وإرضاء الرغبات الحيوية)، والواقع أن الفضيلة والسعادة بهذا المعنى حقيقتان متباينتان: إحداهما إلزام عقلى يجىء من علٍ؛ والأخرى نزعة مادية للنفس تسرع لقضاء حاجتها وطلب النفس الجمع بين هذين الطرفين، تشوفا إلى قانون أعلى ينتظم القانونين الأدبى والطبيعى، وينسق اتجاههما، إنما هو تشوف إلى حلية شكلية، ووضع هندسى تكميلى، وليس تشوفا إلى ضرورة عقلية، ولا إلى مطلب أخلاقى.. أما أن هذا الاتساق ليس ضرورة عقلية، فلأنه لا يلزم من فرض عدمه محال؛ ولا أدل على إمكان الانفصام بين القانونين من وقوع هذا الانفصام واستمراره بالفعل.. وأما أنه ليس مطلبا أخلاقيا، فلأننا نعرف أن الفضلاء يغتبطون ـ وهم فى أحضان البؤس والشقاء، يقاسون ألوان الحرمان وأنواع التضحيات ـ بمجرد شعورهم بإرضاء ضميرهم وأداء واجبهم. ويجدون فى هذا متعة حقيقية لا تدانيها متعة فى الحياة.

على أنه إذا كان لابد للفضيلة من مقابل مادى، فلماذا نفرض هذا المقابل فى حياة مستقبلة؟ لماذا لا نقدر أننا قد استوفينا هذا المقابل مقدما فى أنواع النعم السابقة التى لا تحصى؟ وبذلك يكون واجب الفضيلة سدادا لدين قديم فى أعناقنا لشكر تلك النعم. لا افتتاحا لمعاملة جديدة تنتظر الجزاء.

كل هذه الفجوات كان يمكن تجنبها لو أن الفيلسوف الألمانى اختصر الطريق، بالانتقال مباشرة من القانون الأخلاقى المجمل إلى واضع هذا القانون وغارسه فى النفوس؛ كما فعل «ديكارت» فى فكرة «الكمال» ولكن طريقة التعقيد والتحايل والدوران قد أطالت عليه الشقة، ولم تصل به فى النهاية إلا إلى فرض غير محقق «فى نظره»، ولا قائم على أساس متماسك.

المذهب الاجتماعى ومناقشته:

يخالف العلامة «دور كايم» Durkheim جميع المذاهب المتقدمة فى دعواها أن التدين حالة نفسية تنبع من فطرة الفرد كلما فكر فى الآفاق أو فى نفسه، ويرى هو أن التدين وليد أسباب اجتماعية[2]، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فيزعم أن عناصر التفكير، وأسس المعرفة العقلية نفسها، ما هى إلا صور ولدتها حياة الجماعة، وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية[3].. ونحن لا يعنينا هنا نقد فكرته فى نظرية المعرفة، بل نريد أن نعرض رأيه فى أصل التدين، ثم نعقب عليه

لقد مهد لمذهبه بتقديم جملة مقدمات، أهمها أن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن تدرس فى بداية نشأتها، قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها؛ وأن ذلك يكون ببيئات الأمم «البدائية»[4] وهى فى نظره تلك الأمم التى لا تتميز فيها الأسر الخاصة بخاصية مستقلة، بل تقوم على نظام القبائل Tridus والفصائل Phatres والعشائر Clans.

ومعروف أن العشائر «وهى النواة الصغرى فى تلك المجتمعات» قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها، وهو لقب يشتق فى الغالب من اسم حيوان، أو نبات، وفى النادر من اسم عنصر جمادى، أو كوكب من الكواكب، وتعتقد العشيرة أنها لها بمسمى هذا الاسم صلة قديمة، حيوية أو روحية (إما على أنها تسلسلت عنه، أو أنه كان حليفا أو حارسا لجدها الأعلى، أو نحو ذلك) ولذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها، وأدواتها، وأسلحتها، وراياتها؛ بل يتخذ الأفراد منه وشما يطبعونه على أجسامهم، كأنه بطاقة شخصية لتحقيق انتساب كل منهم إلى عشيرته.

(2) Durkheim ... p. 132

(3) Id. Ibid. introduction

(4) لقد مضى الزمن الذى كانت فيه كلمة «البدائيين» تستعمل بسهولة ويظن أنها تنطبق على [illegible]

هذا النظام يسمى نظام التوتيم To-tem[*] أو اللقب الأسرى، وهو نظام معروف في الشعوب القديمة: (المصرية، والإثيوبية، والعربية، واليونانية، والرومانية، والعالية) وتوجد آثار منه في الأساطير الشعبية في أوروبا الآن[6]، ولايزال منتشرا في القبائل غير المتحضرة في أمريكا، واستراليا، وهذه الأخيرة ـ فيما يعتقد (دوركايم) ـ هي أخصب مكان لدراسة هذه الظاهرة؛ لأن سكانها أقل تطورا وأقرب إلى الطبيعة الأولى من غيرهم.. ولذلك استمد منها الوقائع التي بنى عليها نظريته.

وخلاصة هذه الوقائع أن تلك الأمم في تعصبها لألقابها تعظم في الوقت نفسه مسمى ذلك اللقب، وإن كان الاسم مشتركا بين الحيوان، وبين الجد الأعلى وبين أفراد العشيرة، وكانت الصلة بين هذه المعاني الثلاثة في نظرها صلة تجانس تام ترجعها إلى جوهر واحد، شمل التعظيم ثلاثتها.. لكن الحظ الأكبر من التعظيم يدخرونه لهذا الاسم مشتركا أو لتلك الصورة الجامعة وهي الوسم أو الوشم: حتى إنهم نسبوا إلى هذه الصورة خصائص عجيبة فزعموا أن الذي يحملها ينتصر في الحرب على أعدائه، ويوفق في تسديد السهم إلى رميته، وإن وضعها على القروح يسرع في التئامها، إلى غير ذلك.

إلا أن هذا التعظيم في العادة لا يصل إلى درجة العبادة، ولا يوحي بفكرة التدين والتقديس والتأليه، ولذلك يقضون جل أوقاتهم في حياة فاترة كل يسعى لقوته، منعزلا في حين للاحتطاب، أو على شاطئ البحر للصيد. وليس لهم مظهر من مظاهر التدين في هذه الأحوال العادية سوى التورع عن بعض المحظورات وإنما يأخذ التدين حقيقته ومظهره التام عندهم في مواسم خاصة، تقام فيها الحفلات المرحة الصاخبة، التي يطلقون فيها العنان لحركاتهم العنيفة، وصيحاتهم المنكرة، على إيقاع الطبول، ولحن المزامير، وقد ركزوا السارية التي تحمل علم العشيرة في سرة الحفل، فينتهي بهم هذا الحماس الصاخب إلى الذهول والهذيان، بل يفضي بهم إلى انتهاك مباح المحرمات الجنسية، التي يحترمونها أشد الاحترام في العادة.. وربما نسبوا هذا التطور العجيب إلى حضور سر الأجداد فيهم عن طريق هذا الرمز، وعبادتهم للروح التي يرمز إليها، ظنا منهم أنها هي التي أحدثت فيهم هذا التحول الروحي الغريب.

ها هنا، وها هنا فقط، تتدخل النظرية لتكشف الغشاوة عن أعينهم، وتنبههم إلى ما حدث من تحول شعورهم عن منبعه وهدفه الحقيقيين، وأنهم إذا كانوا يتوجهون بعباداتهم إلى مصدر هذا الأثر الجديد، فليعلموا أنه ليس هو النصب. ولا ما يرمز إليه النصب، وإنما هو هذا الاجتماع الثائر نفسه، فإن من طبيعة هذه الاجتماعات أن تسلخ النفوس فيها عن مشخصاتها الفردية، وتنمحي كلها في شخصية واحدة هي شخصية الجماعة.. وهكذا يكون الاجتماع هو مبدأ التدين وغايته، وتكون الجماعة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر

* * *

هذه النظرية تبدي صفحتها لضروب من النقد لا تحصى.. وقبل كل شيء فإنها ـ ككل النظريات عن العقليات «البدائية» ـ تقوم على أساس مشكوك فيه، ولابد في قبوله من تحفظ بليغ، واحتراس شديد، ألا وهو تلك المعلومات التي يدونها الرحالة والسائحون عن عقائد الهمج وعوائدهم، والتي يبدو عليها الضعف من وجوه: (منها) أنه ليس كل السائحين على جانب من علوم النفس والمنطق والدين والأخلاق يكفيهم لاستبطان غور الأمور، ووضع الأسئلة الدقيقة المحددة في هذا الشأن، وليسوا في غالب الأمر مزودين بمنهاج معين ديني أو أخلاقي، بل هذا الجانب هو أقل ما يسترعي اهتمام أكثر السائحين.. (ومنها) أن هذه المعلومات لا تستقى من آثار مكتوبة؛ إذ الفرض أن هؤلاء الأقوام محرومون من العلوم والفنون المدونة، وإنما تؤخذ من أفواه قوم لم يصلوا بعد إلى تحليل أفكارهم وتحديد شعورهم في هذه المسائل.. فمن الراجح أنهم يسرعون إلى الإجابة بكلمة «نعم» أو «لا» من غير مراجعة لعقولهم وإحساساتهم العميقة.. ومهما تفترض الدقة وحسن النية في السائل والمجيب، فقد بقيت عقبة هذه اللغات البدائية التي لم تصبح ذاتيا. ولم تستكمل وسائل التعبير عن تلك المعاني الدقيقة الغامضة، التي تصعب أداؤها حتى في أرقى اللغات وأوسعها. أضف إلى هذا أنه ليس كل فرد هناك يمثل الفكرة العامة للعشيرة أو القبيلة؛ إذا قد تختلف التفاسير بين شخص وآخر، بل الشخص الواحد قد يجمع متناقضات من التصورات، وليس أدل على وهن المعلومات المدونة بهذه الوسيلة من أن الكتاب أنفسهم قد يتناقضون[7] في وصفهم لتلك القبائل.

ولنتجاوز الآن هذه الملاحظات العامة لننظر في أسس النظرية نفسها:

يقول صاحب النظرية إنه ينبغي أن ندرس الظاهرة الدينية في أقدم عصورها، وأقربها إلى عهد نشأتها؛ ويقرر أن نظام القبائل والعشائر أقدم وجودا من نظام الأسر، وأن قبائل استراليا الوسطى تمثل أقدم الأطوار المعروفة للقبائل، فهي أحق بأن يقع عليها الاختيار للبحث والدرس.

● أما المقدمة الأولى فإنها وإن كانت مبدأ سليما في الجملة، بل ينبغي تكملته ببحث المسألة من وجهها التاريخية البحتة، إلا أن اتخاذ نتيجة البحث قاعدة عامة نعرف منها حقيقة الدين من حيث هو، يعد عملا مجافيا لقانون المنطق السليم. فيحق لنا أن نحدد حقيقة الإنسانية من النظر في [illegible]

(*) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية وهو اسم لم يتفق أحد على ضبطه ولا تحديد معناه فهو في المشهور totem ولكن يكتب أيضا totam أو toodum أو dodum أو ododam. ويفسر تارة بمعنى موطن العشيرة ومستقرها، وتارة بمعنى العلامة والشعار

(Reinach, ouv. cite p. 23: Durkheim, ouv. cite, p. 144)

(6) كما في مدينة برن بسويسرا حيث تعظم الدببة. وكلمة «برن» أصلها في الألمانية جمع «بير» بمعنى دبة Berne

(7) من أمثلة ذلك أن مستر «مان» Man مكث سنين عديدة في جزائر أندامان Andaman [illegible] وكتب عنها في سنة ١٨٨٢ ثم جاء مستر براون Brown إلى هذه [illegible] ملاحظات سنة ١٩٢٢ فكان معظم كتابه مناقضاً لكتاب مستر «مان».

(Denis Saurat, Histoire des religions, p. 19)

أطوار الجنين، أو وهو بعد في الأدوار التي تمر بها سائر الكائنات الحية، قبل أن تتميز أجهزته الخاصة، وتتعين وظائف أعضائه، وقبل أن يحيا حياة مستقلة، وقبل أن تستيقظ فيه ملكات الفهم والبيان وغيرها؟ إن تحديد الدين بذلك المعنى الغامض الذي يتلجلج في صدر الإنسان في طور طفولته، وهو بعد لا يستبين حقيقة شعوره، ولا أهداف أعماله، فساد في المنهج لا يقل عن تعريف الإنسان بالجنين.. ولقد أصاب هوفدنج إذ يقول: إنه ليس من المستطاع دائما أن نستقي معلومات كافية عن الطبيعة الحقيقية لكائن ما، من مجرد النظر في أصل تكوينه؛ فإن التغييرات والنظم التي تحدث له في أثناء نموه، قد تبرز فيه صفات وخصائص ما كنا نرى منها أدنى أثر في بدايته.. إن الطبيعة الحقيقية لكائن ما، إنما تتكون من قانون تطوره منذ نشأته الأولى إلى صورته النهائية[8].

● وأما المقدمة الثانية، وهي أن نظام القبيلة يمثل طورا تاريخيا أقدم من نظام الأسرة، فهي دعوى لاتزال يعوزها الدليل، بل تقوم بعض الأدلة الأثرية والتاريخية على عكسها؛ فالآثار الباقية من عهد القبائل الآرية والسامية يتبين منها أنها كانت قائمة على النظام الأسرى، الذي تتمايز فيه أفراد الأسرة في الحقوق والواجبات. والذي يتمتع فيه الأب بأوسع السلطات على أعضاء أسرته.. وإذا قرأنا الأوصاف التي ذكرها «أرسطو» Aristote وهوميروس «Homere» للشعوب المعاصرة لليونان، والتي كانت أقرب منهم إلى الفطرة والسذاجة، نرى أن المعيار الذي كانوا يميزون به هذه الشعوب عن الشعوب المتحضرة هو أنهم ليس لهم مجالس شورى، وأن كل واحد منهم يتولى الحكم على زوجه وأولاده[9].

● وكذلك نقول في المقدمة الثالثة، وهي أن قبائل استراليا الوسطى تمثل أقدم نظام معروف للقبائل؛ فهي أيضا مسألة فيها نظر. وهذا «روبرت شميت» من كبار الباحثين، الذين قاموا بدراسات شخصية دقيقة في استراليا.. يقرر أن القبائل المذكورة هي أحدث القبائل الاسترالية وأكثرها تقدما، وأن أقدم قبائل استراليا هم سكان جنوبها الشرقي.. وهؤلاء لا يعرفون نظام الألقاب الحيوانية السالفة الذكر، وفي الوقت نفسه توجد عندهم عقيدة «الإله الأعلى» بصفة واضحة، على أن اللوحة التي رسمها «دور كايم» نفسه لحياة قبائل الوسط تكفي وحدها للدلالة على أننا أمام أمة قد بعدت عن سذاجة الفطرة. وقطعت أشواطا واسعة في نظامها المدني والاقتصادي. يبدو ذلك جليا فيما عندها من قواعد الزواج، والنسب، والملكية، وتنظيم مواسم الصيد وغيرها.. بل إن نظام التسمية وحده كان يحتاج في إنشائه وتثبيته إلى عصور متطاولة للتعاقب عليه بين الأمة جيلا فجيلا.. حتى وصل إلى هذا الوضع الهندسي الدقيق، الذي يلاحظ فيه دائما أن تنقسم كل قبيلة إلى فصيلتين اثنتين، لا زائد عليهما وأن يكون لقب القبيلة مشتقا من جنس عام، وألقاب الفصيلتين من نوعين متقابلين تقابل التضاد تحت هذا الجنس، ثم تتفرع من كل فصيلة عشائرها المتعددة بألقابها المختلفة، كأغصان الشجرة؛ بحيث لا تشترك عشيرتان قط في لقب واحد. ولذلك عد علماء هذا الفن نظام الـ totem نظاما مدنيا. قضائيا. اقتصاديا، أكثر منه نظاما دينيا[10]؛ بل إن الباحثين «لانج» Lanh وفريزر» Frazer لم يريا فيه عنصرا دينيا البته، وقرروا أن فكرة الدين والألوهية تكونت في هذه القبائل بعيدا عن نظام اللقب الأسرى المعروف[11].

ونحن نذهب إلى هذا المذهب الأخير، ولا نرى في هذه الألقاب والرموز عندهم إلا شعارا قوميا يعرفهم أنسابهم، وينمي فيهم شعور الوطنية. وناحية التعاون، واحترام قانون توزيع الملكية وسائر قوانين الجماعة.. فهم لا يعبدون تلك الرسوم ولا مدلولاتها، بل لهم معبود روحي يعتمدون عليه في جلائل أعمالهم ودقائقها حتى إنهم ليستلهمونه أو يدعونه ليرشدهم إلى انتقاء أمثل الأسماء لأبنائهم، كما أنهم في تحريمهم لبعض المحرمات إنما يستندون إلى روايات دينية متوارثة عن أسلافهم، ينسبونها إلى أمر الله.

والعجيب أن رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية يعترف بأن عددا من قبائل استراليا قد وصلوا إلى فكرة «الإله الأعلى» أو «الإله الأحد»، وأنه كائن أزلي أبدي تسير الشمس والقمر والنجوم بأمره، وأنه هو الذي يثير البرق، ويرسل الصواعق، وإليه يتوجه في الاستسقاء وفي طلب الصحو، وهو الذي خلق الحيوان والنبات. وصنع الإنسان من الطين ونفخ فيه الروح، وهو الذي علم الإنسان البيان، وألهمه الصناعات. وشرع له العبادات. وهو الذي يقضي في الناس بعد الموت، فيميز بين المحسن والمسيء[12].

ثم يقرر أيضا أن هذه العقائد كلها ليست مقتبسة من أوروبا كما ظن تيلور، بل إنها قديمة في هذه القبائل قبل أن يصل إليها المبشرون الأوروبيون، وأنهم يعبرون عن هذه العقائد بعبادات حقيقية، ترفع فيها الأيدي إلى السماء بالدعاء[13].

يعترف دور كايم بكل هذا، ولكنه عند استنباط نظريته في الألوهية يضرب الذكر صفحا عن هذه الصورة الدينية الحقيقية، ثم يعمد إلى ضرب من اللهو الخليع تأتيه بعض القبائل في حفلات تضم كل شيء إلا الدين والعبادة، ويترخص فيها بارتكاب أعمال شاذة تنافي قواعد الأخلاق المقررة والمتبعة باستقامة عندهم، يعمد إلى هذه الحفلات الماجنة، فيرسم لنا منها لوحة بارزة يعرضها علينا قائلا: إذا أردتم معنى الدين فها هنا منبعه ومظهره.

هكذا وصل الأمر بهذا الباحث في تقديره لعقول قرنائه إلى حد محاولة إلهائهم عن الحقائق، وتسمية الأشياء لهم بغير أسمائها فهو يريد أن يقول لهم: إن كل حمى حربية يثيرها مجتمع صاخب، وكل

(8) Hoffding, ouv. cite, p. 126.

(9) تاريخ القانون لعلى بدوى، ص16

(10) Marcel H. Hubert introduction a la traduction de chantepie de la saussaye manuel d' Histoire des religions P XXXIX

(11) Durkheim ouv. cite p. 249

(12) Durkheim, cite p. 412

(13) id. ibid p. 412

سورة جامحة ينطلق فيها الوجدان من عقاله بدعوى عن كتابه، إنما كان هدفها وباعثها. فهي نوع من الدين، ولو كان سيل الشهوات جامحة فيها يجرف كل ضابط من ضوابط العقول، ويقتحم كل معقل من معاقل الآداب المحترمة في الشعب نفسه.

إننا نرى لزاما علينا أن ننبه هنا إلى خطأ منهجي صريح وقع فيه صاحب المنهج نفسه.

ذلك أن الذي يريد أن يصور الحالة الطبيعية للجماعة يجب عليه بمقتضى القانون الذي وضعه الرئيس [illegible] أن يستخرج هذه الحالة من سلوك غالب الأفراد في غالب أزمنتها وأمكنتها.

فهذا كان من الحق عليه أن الدين يكاد يسيطر على كل شيء في حياة الجماعات القصيرة. فلا يكون من شأن المخالفات العابرة أن تلتمس الظاهرة الدينية عند هذه الشعوب في تلك الحالة النادرة. وذلك المظهر الاستثنائي الذي لا يتكرر في مجرى حياتهم العامة. وأن يهمل ما وراء ذلك من معتقدات وعادات وأخلاق وعادات تتألف منها هيكل الحياة الشعبية.

لئن كان الفيلسوف قد أصاب حين طلب إلينا أن نميز بين لونين متباينين في حياة الجماعة القصيرة لقد عكس الوضع بعد ذلك حين جعل الشاذ منهما قاعدة للغالب. والاستثناء للانحصار. حيث أخذ القول الإباحي اللاديني. فجعل منه حقيقة الدين.

على أنه لم يكن من العسير عليه أن يجد التفسير الحقيقي لهذا اللون الشاذ حتى لو أنه وضعه في نطاق النظم الاجتماعية والأخلاقية لهذه الشعوب [illegible] وهي نظم تقوم على الفصل التام بين الجنسين. وعدم اطلاع أحدهما على شيء من دخائل الآخر. حتى إن المرأة لا يباح لها أن ترى الدم السائل من عملية الختان بنفسها. وكذلك الفتى يبقى بمعزل عن الشئون الخاصة بالرجال إلى أن يحين وقت بلوغه. فهنالك فقط ينبه إلى فكرة الصلة الجنسية. ولا سيما في وقت ختانه حيث يحتفلون في هذه المناسبة احتفالا مرحا. كما كان يحتفل بالختان في بلادنا المشرقية إلى عهد قريب. إلا أن الأستراليين يبالغون في المرح فيقدمون فيه نموذجا عجيبا يشهرون به أذهان المراهقين إلى حياتهم المستقبلة. مذكرين إياهم بأن هذه سنة الآباء والأجداد. الذين يدين لهم الشعب بوجوده. ولو أننا تتبعنا تفاصيل ما يجري في هذه الحفلات لرأيناها كلها تدور على محور هذا المعنى وأخواته. ولرأينا بعد الشقة بين هذه الشهوات الموسمية، وبين حياة الحياة الطبيعية وقدسيتها عندهم [illegible] من السحرية وأشباهها أن يعرض علينا هذا المرح [illegible] باسم الحرام المقدس للأديان [illegible] وإنه من العجيب حقا أن **الفيلسوف الذي جعل معيار الأشياء المقدسة** هو حرمة انتهاكها، يجعل مظهر انتهاكها **أو الترخص فيها هو مظهر الدين وجوهره، قائلا: إنه لا تكاد تلتمس الظاهرة الدينية** فيما سواه.

ونعود الآن فنسلم جدلا جميع المقدمات التي ناقشناها.

نسلم صدق روايات الرحالة والسائحين.

ونسلم براءتها من التناقض والاختلاف ونسلم استقامة تفسيرها للوقائع، ونسلم صلاحية الديانات البدائية لتعريف فكرة الدين بوجه عام، ونسلم أن نظام القبيلة يمثل النظام البدائي، ونسلم أن نظام استراليا الوسطى هو أقدم نظام للقبائل، ونسلم أن النظام الوثني نظام ديني، ونسلم أن هذه التجمعات والاحتفالات دينية في جوهرها وأهدافها.

نسلم هذا كله. ولكن يبقى أن نعرف هل توصلنا هذه المقدمات مجتمعة إلى النتيجة المطلوبة. وهي أن الدين في جملته نظام اجتماعي. بمعنى أنه حلقة الجماعة يعود إليها بالعبادة والتقديس؟

إننا نعثر ها هنا على هوة سحيقة بين النتيجة ومقدماتها [illegible] ونرى أن الاستنتاج يطفر بنا من مقدمات جزئية إلى دعوى عريضة فضفاضة. ولنسجل في هذا المعنى اعترافا قيما لأحد أعضاء المدرسة الاجتماعية نفسها. حيث يقول في مقدمة ترجمته لكتاب في تاريخ الأديان ما نصه:

«إنه لا يكفي أن يقال إن الظواهر الدينية تحدث في جماعة وتختلف **باختلاف الجماعات؛ لإثبات أنها ظواهر اجتماعية حقيقية** فالظواهر الاجتماعية **الحقيقية ـ كما نشاهده في القوانين والقواعد الاقتصادية ـ ذات وجود خارجي** مستقل عن أفراد الجماعة، ونشاط الأفراد **فيها إنما يحدده أو يعدله مجرد تجاورهم وتعاونهم من غير أن يكون لهم شعور بها أو موافقة عليها.. فهل الظواهر الدينية** ظواهر اجتماعية بهذا المعنى؟

لا شك أن جانبا كبيرا منها يبدو لنا كذلك. وهو جانب الأنظمة والشعائر العملية التي حددت في قواعد ثابتة، والتي تظل مستمرة على الرغم من إرادة الأفراد وآرائهم.

ولكن هل هذه الحالات الاجتماعية المقابلة هي الحالات الجوهرية في الدين؟ وهل هي أعظم وأقدم وأشمل ظواهر الدين؟ إنه قد يعترض على الجواب بالإيجاب اعتبارا على اعتبار الديانات القديمة أو البدائية، لأن بعدها عنا يمحو في نظرنا فوارق الأفراد فيها، ويطمسها في الكتلة الاجتماعية للشعب. أما إذا درسنا الظواهر الدينية وهي ماثلة أمامنا وهي دائبة يشترك فيها الأفراد بقلوبهم إلى حد ما. فإن ذلك يقودنا بالطبع إلى أن نخصص جانبا عظيما منها للابتكار الفردي.»

هكذا استدرك أنصار النظرية على مؤسسها. بأنه ينبغي فيها التقسيم لا التعميم وأنه إذا كان الجانب السطحي من الدين، أعني رسومه ونظمه العملية، يعد ظاهرة اجتماعية، لأنه يحمل طابع الإلزام الجمعي. وليس للفرد اختيار في تكوينه. فإن القسم الرئيسي منه وهو قسم الاعتقادات والتصورات، يأبى بطبيعته أن يكون اعتناق الفرد إياه صورة لأثر من خارج لا يجد فيه أي تجاوب مع فكره ووجدانه وإحساسه.

ذلك ولو أمعنا النظر قليلا لرأينا عدة

---

(١) [illegible] نشرها بنفسه في مؤلفه الشهير «قواعد المنهج الاجتماعي»
Les Regles de la methode sociologique, ch. III. p. [illegible]

Henri Hubert: [illegible] la traduction de chantepie de la saussaye, manuel d' Histoire des religions [illegible] XXXI XXX

الإلزام الجمعي في الشعائر الظاهرية نفسها إنما يقاسيه الفرد في ديانة قد تكونت واستقرت، واعتنق هو مبادئها أو انتسب إليها من قبل.. وليس هذا مجال بحثنا، ولا موضوع دراستنا.. وإنما الشأن في نشأة الدين ومبدأ ظهوره

فهل سمع أحد بديانة ناشئة تحمل تعاليم جديدة، وتدعو إلى شعائر غير مألوفة يكون موقف الجماعة منها موقف حمل الأفراد عليها، وإلزامهم بها؟ أم يكون موقفها موقف المناهضة لها، والمقاومة العنيفة لداعيها؟ حدثينا أيتها التواريخ! وتكلمي أيتها الوقائع! وانطقي أيتها التجارب! ليسمع الذين يبنون نظرياتهم ـ فيما زعموا ـ على التواريخ والوقائع والتجارب.

بل هلم إلى الأعجوبة الكبرى!

إن صاحب النظرية لا يكتفي بأن يكون الدين إلزاماً أدبياً يفرضه المجتمع على الأفراد عقائد وعبادات أياً كان موضوعها وهدفها، إنه يريد أن يكون موضوع العقيدة وهدف العبادة هو الجماعة نفسها، وأن يكون الشعور الديني في نفس الفرد ما هو إلا انطباع آلي لصورة الجماعة في وعيه محوطة بهالة من التقديس، بما لها عليه من فضل في قوام حياته والدفاع عن كيانه، وأنه من أجل ذلك تختلف فكرة الإله وحدود سلطانه عند الجماعات باختلاف رقعة المجتمع ضيقاً واتساعاً: فإذا اختلطت العشائر واندمجت في عصبة، ثم العصائب في قبيلة، ثم القبائل في شعب، تطورت معها فكرة الإله تدريجياً.. حتى يصبح إله شعب برمته[16].

فليقل لنا إذاً: من أين جاءت إلينا فكرة «الإله الأكبر، فاطر السموات والأرض» وعلى غرار أي جماعة طبعت هذه الصورة؟ ثم ليقل لنا: كيف قامت الدعوات في أصغر الشعوب إلى تلك العقيدة الإلهية السامية التي ليس لها مثال تقاس عليه في مجتمعاتهم ولا في غيرها؟ إذ لايزال بين الإنسانية كلها، بل بين العالم أجمع، وبين هذه الصورة العليا فراغ لا يمكن أن تملأه جماعة حقيقية، ولا خيالية

إننا نعود فنسجل اعترافاً أخيراً من أصحاب هذه النظرية.. «إقامة برهان شاف على الطابع الاجتماعي للدين لاتزال أمراً غير ممكن»[17].

أما بعد فإننا لا ننكر كل أثر للجماعات في شأن الأديان.

إن الدين (كاللغة، وأسلوب التفكير، وأدوات التعامل، وغير ذلك من مقومات المجتمع) هو أحد أعصاب الحياة الجمعية وشرايينها، بل هو أقوى عناصرها. ومن ذا الذي ينكر أن الجماعة هي حارسة تلك المقومات وأنها هي منهلها المورود للأجيال الحاضرة، وناقلتها إلى الأجيال المقبلة؟

غير أن المسألة هي صيانة الأديان القائمة وتخليدها، بل في نشأة الديانات الجديدة وتكوينها

ثم لا ننكر ما للجماعات من أثر خطير في التمهيد لهذه النشأة والتمكين لها؛ فالأمم حين تقف في مفترق الطرق بين القديم والجديد تستطيع في بعض خطاتها التاريخية أن تغير مجرى تاريخها بقبولها للدين الجديد أو برفضها إياه.. والداعي الذي لا يحسب إمكانيات أمته ومؤهلاتها إنما هو كواضع البذر في أرض سبخة لا يلبث نباتها أن يجتث من فوقها فلا يبقى له قرار، أو كالذي يعطي المريض طعاماً لا تطيقه أمعاؤه، فلا يلبث أن يلفظه

إلا أنه لن يسوغ لنا بهذا الاعتبار أن نقول إن العقل الجمعي هو الذي يخلق الأديان ويبرزها إلى الوجود، إلا لو ساغ لنا أن نقول إن المعدة هي التي تخلق الطعام.. وإن البصر هو الذي يحدث الضياء، وإن المريض هو الذي يبذل الدواء.. تلك كلها لا شك شروط ضرورية؛ ولكنها كما يقول أهل المنطق ليست شروطاً كاملة، أو ليست أسباباً تامة؛ إذ لابد من تعاون متبادل بين الطبيب والمريض، بين الباذل والآخذ، بين الفاعل والقابل.. وإذا صح أن يقال إن الأمم تخلق زعماءها، فمن الحق أيضاً ـ وبالطريق الأحرى ـ أن الزعماء تخلق أممها.. والأمة تلد زعيمها ولادة طبيعية، وتهيء له وسائل تلك الزعامة؛ والزعيم يلدها بعد ذلك ولادة أخرى روحية، أو سياسية، أو عسكرية، أو فنية، أو غير ذلك.. الأمة تمثل خصوبة التربة، وسلامة الأداة؛ والزعيم يضع البذر ويسقيه، ويتعهده وينميه، والزعيم يحرك الأداة ويوجهها، ويرسم طريقها، ويقف بها عند أهدافها.. بل كثيراً ما يضيء لها هو تلك الأهداف ويحددها؛ وذلك حيث تكون حاجات الأمة غامضة مشتبكة الطرق، غير واضحة المعالم في العقل الجمعي، فتتقي متلهفة إلى رجل الساعة الموهوب.. الذي يتركز فيه وعيها، وتتحدد في نفسه حاجاتها، ويكون له من الحدس أو الإلهام أو الوحي ما يبشر به وسائل تحقيقها ويملك من العزم والحزم ما يحكم به قيادتها، ويبلغها إلى أهدافها، فإذا ظفرت به وألقت إليه بالمقاليد فقد أصابت رشدها، وفتحت لنفسها صفحة جديدة من القوة والمجد. أما إذا تشعبت عليها الطرق، واختلف الزعماء، ولم يستبن لها وجه الاختيار، أو أنها أساءت الاختيار فأهملت داعيها الرشيد أو أنكرته وقضت عليه بالإخفاق أو الموت ـ لا لأن دعوته تتنافر وطبيعتها، بل لأنها جهلت حقيقة نفسها، وطاشت أحلامها ـ فإنها تكون حينئذ قد سلكت طريق شقائها؛ وآثرت الانتحار على الحياة من حيث لا تشعر.

وهكذا يكون من المكابرة وإنكار البداهة جحد أثر الأفراد في أديان الجماعة ونظمها؛ كما يكون من المكابرة وإنكار البداهة نفي أثر الجماعات فيها

غير أن أخشى ما نخشاه من الغلو في إبراز هذا الجانب الجمعي من تلك الخصيصة المزدوجة، أن يبعث في نفوس الأمة نزعة جبرية مثبطة، تحمل أفرادها على القعود والتواكل، انتظاراً لما في الوعي الجمعي من الطاقات الكامنة، والأسباب الغامضة، بدل ذلك التشجيع الحماسي الذي يغري الأفراد بالنبوغ، ويملؤهم بالأمل في دفع الجماعة إلى الإمام

يتبع

(16)Durkeim, ouvr, cite, p. 412

(17)'Une demonstration pleinement satisfaisante du caractere social de la religion n'est pas encore posisble' (Hubert, oure, cite, p. XXVII).

دعوة الإسلام إلى تأسيس مدنية عالمية فاضلة



زيادة بيان فى مبحث المدنية الفاضلة والإسلام

بينا فيما كتبناه فى الفصل السابق تحت عنوان الاسلام يدعو لتاسيس مدنية فاضلة ان الدين الحق والمدنية الفاضله يتفقان فى المبدا والغاية وضاق المقام عن استيعاب كل ما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع. ولما كان أمر المدنية من الشئون التى تعتبر فى الدرجات العليا من الخطورة لافتتان الناس بها افتتانا سحريا يسلبهم ارادتهم ويدفعهم فى سبل محفوفة بالاخطار دفعا اليا. ونظرا لان العقبة الكاداء أمام الدين هو ما يفهمه الناس من معنى المدنية، وجب علينا ان نوفى هذه الناحية من البحث حقها من التحقيق.

واليوم نعرض لهذا الموضوع من جديد متوخين تحليل شبهاته الرئيسية تحليلا دقيقا وحلها حلا علميا، لان بقاءها ماثلة فى بعض الاذهان على حالة شبهات لا تقبل الدحض، وكامنة فى نفسية الدهماء وان لم يستطيعوا التعبير عنها بألسنتهم، يجعل كل محاولته لإخراجهم من سلطانها عبثا محضا. وما اتهم المدافعون عن الاديان باشد من كراهتهم مواجهة الاعتراضات. واتقائها بالحيد عن طريقها، وتركها تعبث بالنفوس والقلوب فتكا ذريعا كما هو مشاهد محسوس.

راى القارىء مما كتبناه فى الفصل السابق أننا دللنا على أن الدين الحق هو المثل الأعلى [illegible] وسبيل [illegible] واضح المعالم لا ينكره متأمل، ولكننا فى هذه التتمة نريد أن نبلغ هذه الغاية عينها باقتحام معقل الآراء المخالفة، وشق طريق لهذه الحقيقة الكبرى من خلال خطوطها الدفاعية، مثيرين بذلك كل ما عندها من قوى وأسلحة، ليكون نجاحنا فى تطويقها بمعونة الله دليلا عمليا على أن تلك القوى المعارضة لا تقوى على حماية مواقعها، فإذا لم نفعل ذلك حسبنا ان يبقى فى بعض النفوس بقية من المزاعم السابقة

الآن نبدأ ما تصدينا له من هذه المحاولة العلمية فنقول

إذا كانت المدنية ثمرة الجهود التى يبذلها الإنسان لتحسين حياته المادية، وتسهيل محاولاته المعاشية، والذهاب فى ترقية وسائله الحيوية، وحاجاته الأدبية والفنية إلى أبعد ما يمكن أن تصل إليه تحت ضوء العلوم ولمقاعات [illegible] فما الذى أوجد ما يتخيله بعضهم من التنافى بين الدين والمدنية؟

ليس فى المدنية الصحيحة كما رأيت من كلامنا السابق ما ينافى الدين الحق أو يقف فى سبيله، اللهم إلا فيما تثمره من مذهب فلسفى يرى غير ما يقرره الدين فى مسائل الاعتقادات، وهذا الخلاف مرده العلم، والعلم الصحيح لا يخالف الدين الحق فى شىء، فلا يلبث هذا الخلاف العارض أن [illegible] فلسفى مقصور على [illegible] لا يؤثر شذوذها على السواد الأعظم من الناس

وإذا كان الأمر على ما ترى، فما الذى أوجد هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية فى نظر بعض الآخذين بمبادىء الحياة العصرية اليوم؟

أوجدها خطأ حلل [illegible] ولم يفطنوا إليه، وهو أنهم خلطوا بين مدنية بمعناها الصحيح، وبين ما أوجده أهل الإباحة من التعديات الموجهة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة، تحت ظل الحرية الشخصية [illegible] ومصدر هذا الخطأ الفاحش هو ما يراه الناس بأعينهم اليوم فى جرى الأمم المتمدنة قاطبة وراء المتع النفسية من مأكل ومشرب وملبس ومنظر غير متقيدين فيها بغير ما توجبه عليهم تقاليد من العرف تواضعوا على مراعاتها فى المشية والقعدة والسلام والكلام وتناول الشراب والطعام، أما ما وراء ذلك من مخالفة ما يأتونه لأصول العلم والاداب الصحيحة فلا يكترث له أحد، ولا يعتبرونه أمرا ينبغى أن يؤبه له، فالعلم يحرم كل ما يحرمه الدين على مقتضى وجهة نظره الخاصة، فيحرم الخمر والميسر والمسرح [illegible] والمناظر المثيرة للشهوات، والسماع المميت للقلوب، والتواضع على تقاليد تعتبر أدبية وليست من الآداب الصحيحة فى شىء الخ، ولكن الذين يعتبرون أنفسهم متمدنين لا يقيمون للعلم وزنا، ولا يعتمدون على مقرراته فيما هم مدفوعون إليه من إشباع [illegible] فهذه المدنية على هذا النحو ليست علمية، ولا هى ثمرة أى مذهب فلسفى حتى ولا المذهب المادى نفسه، فإن الملاحدة وإن كانوا يكفرون بالأمور الاعتقادية إلا أنهم لا يبيحون لأحد [illegible] فى شىء ثم يحتمى بسيرته فى نفسه أو حيال غيره

فهذه الانحرافات الخلقية التى يسميها السطحيون مدنية، محكوم عليها بالتلاشى أو على [illegible] على العلم وعدوان على الحكمة.

وإذ ثبت هذا فإن هناك مدنية تتفق والعلم [illegible] والدين، لأن العلم الصحيح لا يعقل أن يخالف الدين الحق على أى وجه من الوجوه

فالنزاع القائم الآن هو بين المدنية والعلم أكثر مما هو بين المدنية والدين، وموضوعه هل [illegible] على ما يرضى به العلم من

كبح جماح الأهواء النفسية، والإباحيات البهيمية، والاعتدال في توفية المطالب الجسدية، لا يؤثر ذلك في إضعاف العوامل المنشطة للمدنية؟ ووجه الشبهة أن الناس متى لزموا حدود الحكمة في مطعمهم ومشربهم، وامتنعوا عن كل ما يقرر العلم ضرره بصحتهم وعقولهم، ولم يحرجوا في ملاهيهم وملاعبهم واجتماعاتهم عما رسمه لهم من آداب وتقاليد، صيانة لأموالهم وأخلاقهم وأعراضهم، بطلت المعاقرة والمقامرة والمخاطرة والمكاثرة وهذه الأمور كلها وإن كانت تستنزف الأموال، وتبيد الآداب والأخلاق، وتفسد القلوب وتهتك الأعراض، إلا أنها تدفع الصناع للإتقان، والفنانين للإبداع، والكتاب والشعراء للإنتاج، وتلهب النفوس كافة إلى التبارى لنيل المال الذى يوصلهم إلى استيفاء جميع ضروب المشتهيات. والمال لا يوصل إليه إلا بالعمل والدأب والإتقان والابتكار، فيكون من وراء هذا النهم الثائر لتحصيل المآرب المتنوعة، دوافع حافزة للتقدم في جميع نواحي النشاط العقلى والعملى.

ولكن لو اكتفى الناس بتحصيل العيش في حدود الاعتدال، ووقفوا من المشتهيات عند ما هو مقرر منها في العلم، خمدت في نفوسهم هذه النار المتأججة وراء المآرب الإفراطية، وتبع خمودها تصوح زهرة المدنية، وبطلان سحرها الفاتن الخلاب، وربما أدى ذلك كله إلى ارتكاس النوع البشرى إلى عهد الفتور والظلام.

ويزيدون على هذا قولهم: إنه مما يقوى حجتهم أن العلماء والفلاسفة أنفسهم لا يعملون بما ينصحون به الناس، فهم يشربون الخمر ويقامرون ويفسقون، ويرتكبون كل ما يرتكبه الجاهلون من العدوان على الآداب العلمية الصحيحة، والأخلاق الفلسفية السليمة، يقول المعارضون: أتريد دليلا بعد هذا على أن العالم لا يرقى إلا مدفوعا بحوافز من الشهوات مطلقة العنان، راكبة رأسها لا تبالي في غلوائها بقانون أدبى، ولا ترتبط بعهد علمى على النحو الذى هي عليه الآن؟

هذه شبهة يثيرها الإباحيون على كل من يتصدى للإصلاح الأدبى العام باسم العلم والفلسفة والدين، وهي شبهة مبنية على قصر نظر يؤسف له أشد الأسف، وإنا نبين ذلك في كلمتين فنقول:

إن الذين يرفعون صرح المدنية ويشيدونه ليسوا هم من تقع عليهم عيناك من المترفين الإباحيين، الذين يأكلون ويشربون ويمرحون، ولكنهم طبقة من الناس شغلهم ما هم فيه من العمل المتواصل، لا أقول عن اللهو والقصف، ولكن عن حاجاتهم الضرورية، فهم يصلون الليل بالنهار دأبا على ما هم فيه، كأن قيم الوجود سخرهم له، فهم فانون فيه لا يستطيعون عنه تحولا. فجمهور الذين يضعون العلوم، ويرتأون النظريات، ويقررون المبادئ الأولية، من العلماء والفلاسفة لا يكادون يجدون في عمرهم وقتا للاشتغال بغير ما هم فيه، وأكثرهم عاشوا في لادعة أعباء بما اختارهم الله له من الأعمال الخالدة، وجميع العباقرة الفنانين الذين وضعوا المثل العليا للفنون الجميلة والآداب العالية مرضى لا يكادون يسيغون طعاما ولا شرابا، ولا يستبيحون لأنفسهم لهوا من هول ما هم فيه وهؤلاء جميعا مدفوعون بقوة قاهرة لعمل ما يعملون غير ناظرين لما يجره عليهم من الربح الوفير، وكثير منهم بذل في عمله ماله كله وبات محتاجا لسرور نضر.

فالمدنية ليست مدنية الذين يتمتعون بطيباتها ويسرفون، ولكنها مدنية لتلك الطبقة من الأفذاذ [illegible] الذين يبدعون فيما يعملون، ولا يعاونون بالمعجبين واللاحين، بل إنهم يدأبون على ما هم فيه ولو خنقهم [illegible] [illegible]

والمدنية لا تتصوح زهرتها إن راعى أهلها الآداب العلمية، ولكنها تزداد بهجة وتأرجا، وتكتسب سطوعا وتألقا، فيتوحد فيها الحق [illegible] [illegible] [illegible] لا كما هي عليه الآن [illegible] المستمتعين بها والمحرومين منها على حد سوى.

فأما الأولون فلأنهم لا يشعرون [illegible] [illegible] فهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تارة أخرى، فأما الطبيعة فقد قامت على [illegible] على الذرة، فيجدون آثار عدلها في صحتهم وأموالهم وأولادهم. وأما المعايشون لهم فيضطرون لمقابلة هذه الاندفاع منهم، بالائتمار بهم ليوقفوهم عند حدهم، وما ثمرة هذه الائتمار [illegible] لها وعدوانات موبقة يتحرون القيام بها، ليس ضد مناظريهم وحدهم، ولكن ضد النظم القائمة، والمذاهب السائدة [illegible] [illegible] تنابير موقدة، تهدد بالانفجار في كل آونة.

فهل هذا كله إلا ثمرة انحلال خلقى ليس له ما يحفظه في حدوده الطبيعية من عقيدة راسخة أو مثل أعلى، أو وازع مرئى ضرب كان؟

فالذين يزعمون أن المدنية لا تزدهر إلا بحوافز من الميول الإباحية التي عليها الناس اليوم يخطئون خطأ جما، ويرتكبون شططا فاحشا. فإذا كان يخرجهم أن في المدنية من الناعمة ما يحفظها من توالى أمثال هذه الكوارث عليها، فإنهم يتغافلون عن [illegible] المدنيات البائدة.

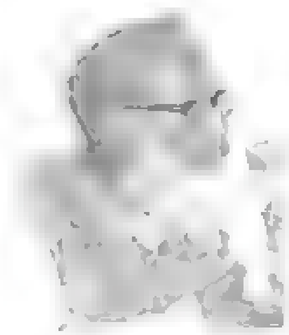
وإذا سلمنا لهم بقدر هذه الناعمة، في مصلحة للنوع البشرى في أن يبقى على [illegible] [illegible] [illegible]، والميول المتطرفة، والسأم الذى أصبح يغرى بعض النفوس المريضة بنسف الكرة الأرضية لو استطاعت إلى ذلك سبيلا.

ألم يقل الفيلسوف الكبير «روبرت دوهارتمن» خليفة «شوبنهور» زعيم المذهب التشاؤمي: إن الحياة الأرضية ما دامت لا تعدو لفساد تركيبها هذه الحالة الشنيعة فليس لها إلا حل واحد، وهو أنه متى وصل الإنسان في مستقبل [illegible] مدمرة قوية تصلح لنسف الكرة الأرضية، فإنه ناسفها بها لا محالة ليرتاح العالم من حياة كلها شرور وآثام، ومصائب وأهوال.

بخ بخ: إن مدنية تولد مثل هذا القول على لسان قطب من أقطاب الفلسفة لهى مدنية في حاجة إلى [illegible] أعلى سطح حركتها [illegible] [illegible]

[illegible]

أدب الدعوة والإصلاح



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد واله وصحبه اجمعين ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم الى يوم الدين. وبعد:

فيقول الله تبارك وتعالى:

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾

(إبراهيم ٢٤، ٢٥)

سادتي وإخواني! إن هذه الآية الكريمة بنصها وفصها معجزة كاملة، وكل كلمة فيها معجزة في مكانها. لا بديل لها ولا عوض، وما يمكن أن يكون تصوير للكلام البليغ الدعوي، والأدب المؤثر الهادف. ليس التعبير للتعكير بل التعبير للتبشير والتيسير، ولقدرة نفوذه في القلوب والنفوس والعقول ولاحتوائه على أكبر مساحة مكانية وعلى أكبر مساحة زمانية في التيسير والنفع من هذه الآية. فالله سبحانه وتعالى يقول

﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾

(إبراهيم ٢٤)

الشرط الأول أن تكون الكلمة طيبة فلا قيمة لكلمة عند الله وعند رسوله وعند من شرح الله صدره للحقيقة إذا لم تكن طيبة، مهما كانت لبقة. ومهما كانت بليغة ومهما كانت ساحرة. ولكنها إذا لم تكن كلمة طيبة فلا قيمة لها عند الله وعند رسوله وعند العارفين

والحقيقة أن تاريخ الأدب العالمي والشعر في مختلف اللغات والأزمنة والبلاد يدل على أهمية اتصاف الكلمة الأدبية والبيانية بالطيبة بصفة عامة، يبرهن على ذلك تاريخ الأقطار الثقافي التي سلمت لها الزعامة في الأدب والفلسفة والعلوم الرياضية، كاليونان وإيران، وبلاد الغرب، والهند، قبل أن يصل إليها الإسلام.

فالشرط الأول أن تكون الكلمة كلمة طيبة. يقول الله- عز وجل:-

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾

(إبراهيم ٢٤)

كانت هنالك أشياء كثيرة، كان يمكن أن تشبه الكلمة الطيبة بها. كالمعادن الكريمة والجواهر الغالية وبالآلات، وبالقوى، وبالطاقات السياسية وغير السياسية، والمادية والعسكرية، ولكن الله اختار للتشبيه شجرة طيبة. ففي هذا الوجود المادي. وفي هذا الكون الواسع والعالم الفسيح. أشبه شيء بالكلمة الطيبة، هي الشجرة الطيبة. فالكلمة الطيبة لابد أن يكون لها أصل راسخ في الأرض، أصل راسخ في القلب، والشجرة لا تنمو، ولا تثمر، ولا تبقى، ولا تزدهر إلا إذا كان لها أصل ثابت، كلاهما لابد أن يكون لهما أصل ترجعان إليه، وتعتمدان عليه، وكما أن الشجرة الطيبة إذا نبتت ونمت، فإنها تمتد فروعها إلى مكان قد لا يتصور العارس نفسه أن هذه الشجرة الصغيرة تمتد إلى هذا المكان العالي وإلى هذا المرتفع وتملأ هذا المكان الفسيح. كذلك الكلمة الطيبة تبتدئ من بداية لا ترى حتى بالمكبرة، ولكنها إذا نمت وترعرعت، وإذا ازدهرت وأثمرت فإنها تمتد فروعها إلى آفاق السماء وأرجاء الأرض.

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في هذه الآية الكريمة المعجزة الخالدة، أن إثمار هذه الشجرة لا يتقيد بزمان دون زمان، وبقرن دون قرن، وبيئة دون بيئة، وبفترة زمانية تاريخية دون فترة زمانية تاريخية، بل إنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فمتى كان ظهور الإسلام؟، ومتى كانت البعثة المحمدية؟، وإلى هذا الوقت لاتزال آثارها ملموسة، ملحوظة موقرة محترمة، وهي التي لم تزل تسيطر على العقول والنفوس أكثر مما تسيطر عليها الحكومات والمنظمات، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وكان من غرسها المجتمعات المؤمنة الصالحة الفاضلة، والعلوم النافعة، والمدارس الفكرية السليمة البناءة، والمكتبات الغنية الزاخرة، وعمليات إنقاذ البشرية والتقدم بها، والقضاء على المظالم والاتجاهات الفاسدة ورسوم الجاهلية، والله إنها لمعجزة لو آمن إنسان بسماع هذه الآية فقط كان مصيبا ومحقا

أيها السادة! إن الدعوة لها أركان ثلاثة في نظري ودراساتي القاصرة، ودراستي لتاريخ الدعوات والثورات والرسالات. تحتاج أولاً إلى حسن النية، والإخلاص. ثم إنها تحتاج إلى لغة مفهومة لبقة لائقة بمستوى المستمعين، ولائقة بالزمان والمكان. ومؤثرة تشق طريقها إلى أعماق النفوس. وما يكفي أن تكون كلمات مركبة ومجموعة كلمات لبقة. بل يكون فيها سحر وجاذبية وعمق وقيمة. والشيء الثالث أن يرافق هذه الدعوة شيء من الألم والرقة والإشفاق على مصير المستمعين

وأحكي لكم حكاية حضرتني الآن، وهي أن أحد أبناء ملوك التتار الذين هاجموا الشرق العربي الإسلامي، ودمروا بغداد كما تعرفون. ودمروا كل المملكات الإسلامية. حتى كان الناس يتصورون أن الإسلام لفظ نفسه الأخير. وأنه لا مستقبل له في هذا العالم. فخرج هؤلاء

المهاجمون في عدة فروع، فرع كان يحكم تركستان وإيران، وكان ولي العهد في ذلك الزمان الذي كان سيتوج في عهد قريب، هو تغلق تيمور، حكى البروفيسر «آرنلد» في كتابه «الدعوة الإسلامية» هذه القصة، والقصة كما حكتها المصادر الفارسية والتركية تختلف قليلاً، فالذي يحكيه «آرنلد»:

هو أن تغلق تيمور خرج للقنص، وعند القناصين كما تعرفون توهمات وبالأصح تشاؤمات وكان عندهم أنه إذا وقع نظرهم على إيراني -كانوا يحتقرون الإيراني إلى آخر نقطة إلى آخر المدى- فإذا وقع نظر أحدهم على إيراني فمعنى ذلك أنه لا يوجد الصيد، والتشاؤم لا أصل له شرعاً، ولكن هو أراد شيئاً، والله أراد شيئاً آخر، أراد أن لا يدخل إيراني ولا يقع نظره على إيراني، والله أراد أن لا يدخل إيراني فقط، بل يدخل بنفسه ويدخل ولي العهد في الإسلام بل يدخل فرع بنفسه في الإسلام، وذلك تقدير العزيز العليم.

فصادف أن الشيخ جمال الدين وكان صاحب قلب حي وصاحب ضمير وشعور، وصلة بالله قوية وعميقة، دخل على غفلة منه، فقبض عليه الشرطي وجره إلى ولي العهد، فاستشاط غضباً، وجن جنونا، وما وجد شيئاً يعيره به ويهينه، إلا أنه كان عنده كلب، فقال: من منكما أفضل؟ كلبي؟ ونسبه إلى نفسه قصداً، فليس كل كلب ككلب الملوك والأمراء المدلل، كلبي أفضل أم أنت؟، فسكت قليلاً، قال: لماذا لا تجيب؟ فالذي يحكيه «آرنلد» أنه قال: إذا لم يكرمنا الله بالإسلام فكان ذلك الكلب أفضل، أما إذا أكرمنا بالإسلام، فأنا أفضل، فقال: ما هو الإسلام والإيمان؟ فبدأ يشرح الإيمان بمقدار مناسب وجرعة يسيغها الأمير في ذلك الوقت القصير والفكر المشغول بالقنص واللهو، ولطافة لم يطب ولم يقصر، فوقع كلامه في أعماق قلبه، وحرك شعوره، قال: طيب.

ومن هنا كان الإسلام قد شق طريقه إلى قلبه، فقال: ياسيدي إذا سمعت أن تغلق تيمور تم تتويجه، فلابد أن تشرفوه بالزيارة، قال: طيب إن شاء الله- تعالى- وبدأ ينتظر بما كان عنده من حرص على إسلام التتار الفاتحين الغزاة الذين دوخوا العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه حتى كان من الأمثال السائرة -إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق- فكان بعد الأمد عدا. ولكن الله أراد أن يسوق هذه الكرامة إلى ابنه، فلما حضرته الوفاة قال: يا ابني لعل الله قد ادخر هذه الكرامة لك، فإذا سمعت أن تغلق تيمور قد تم تتويجه، فلابد أن تزوره، فزاره.

أما المصادر التركية والفارسية فهي تقول:- وأنا راجعتها- إنه لما سأله الملك أيكما أفضل، كلبي أم أنت؟ قال: والله لا أستطيع أن أرد على هذا السؤال الآن، قال: لماذا؟ السؤال بسيط، والجواب بسيط، إما أن تقول: كلب ابن الملك أو نفسي، قال: لا، هذا يحتاج إلى انتظار، قال الأمير: أي انتظار؟ تعرف الكلب، وتعرف نفسك، قال: لا، إذا ختم لي بالحسنى، ومت على الإيمان، وعلى كلمة الشهادة، فأنا أفضل، وأما إذا لم يختم لي على كلمة الشهادة والإيمان، فالكلب أفضل، هذا كلام له سحر وأي سحر، والله إن مكتبة كاملة لا تستطيع أن تقابل هذه الكلمة الواحدة فإن الذي يخرج من القلب يدخل في القلب، قال ولي العهد: طيب، وأذن له بالانصراف، فانصرف، فلما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال: يا ابني لعل الله ادخر لك هذه الكرامة، إذا سمعت أن تغلق تيمور قد تم تتويجه فلابد أن تزوره، وتذكره بالقصة.

فلما بلغه نبأ تتويجه ذهب يزوره، لكنه لم يسمح له بالدخول في البلاط، فرمى سجادته بعيداً عن القصر، وصار يصلي ويؤذن، وفي غير الصبح ما كان الصوت يصل إلى القصر، ولكن في يوم من الأيام طرق أذنه صوت الأذان، قال: ما هذا الصوت العجيب؟ وفي غير أوانه، كان رجل شبه مجنون ينادي هكذا، ادعوه لي، فدعاه فقال: من أنت؟ ماذا تعمل؟ ماذا تصرخ وتقول؟ فقال: يا جلالة الملك، لعلك تذكر أنك كنت في قنص وفاجأك دخول شيخ من العلماء اسمه جمال الدين الإيراني، فتشاءمت بذلك ووجهت إليه سؤالا، أيكما أفضل، الكلب أم أنت؟ فقال: لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال الآن، قال: فماذا تقول؟ قال: أنا أشهد بأنه ختم له بالحسنى، وإنه مات وهو يلفظ بكلمة الإسلام، وهي «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»، فأسلم ابن الملك التتاري ودعا رئيس الوزراء، وقال: أنت وشأنك، فرز صادقا يكون مصيرك، أما أنا فقد اعتنقت الإسلام، وآمنت بالله وبرسوله، فقال: والله يا جلالة الملك، أنا كنت قد أسلمت قديما، ولكني كنت أخفي إسلامي، فدعا رجال البلاط وقادة العسكر ورجال الحاشية، فكلهم أسلموا[1].

فلابد أيها السادة! أن يرافق الدعوة كل ما يجب أن تتصف به الدعوة من قوة إفهام وإقناع، ودلائل علمية وبلاغة بيانية وشيء من الألم النفسي وشيء من الشعور الدافق الذي يملك القلب.

وأحسب هذه الكلمة مستحملة مما ذكرته ونوهت به من بعض صفات الداعية وشروط أثر الدعوة وعملها في القلوب، وفي المجتمع المعاصر المكون من طبقات مختلفة من البشر ومستويات مختلفة متفاوتة من العقول والأفهام والاتجاهات والحرف والصناعات ما قلته في الحديث عن الإمام عبد القادر الجيلاني في الجزء الأول من كتابي «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» وإلى القراء الكرام هذه السطور المنقولة من الكتاب:

«ويجب أن يكون هذا الداعي صاحب بيان ولسان، يخاطب العلماء والمثقفين في أسلوبهم والعامة في أسلوبها، ويجب أن يكون صاحب نفس زكية، وهمة قوية مؤثرة، وعلى جانب عظيم من الزهد والقناعة والعزوف عن الشهوات وكبر النفس، يجد ضعاف الإيمان وضعاف النفوس في مجالسه قوة اليقين، وحرارة الإيمان، ويجد أهل الشك والارتياب السكينة والإذعان، ويجد أصحاب النفوس القلقة والقلوب الجريحة المنكسرة الهدوء، والعزاء والسلوان، ويجد هواة الحقائق والمعارف وأصحاب الدراسات للعلوم الدقيقة والنكت اللطيفة، ويجد أصحاب البطالة والعطلة وأصحاب القلوب الخامدة ما يملؤهم حماسة وإيمانا، وما يحفزهم إلى العمل والجهاد، ويجد عباد اللذات والشهوات والمترفون في الحياة الذين تجرأوا على المعاصي والمحارم ما يبعث فيهم الإقلاع والندامة والتوبة والإنابة، وبالجملة يجد كل أحد في مجالسه غذاءه ودواءه وغذاءه وشفاءه، ويقف كمنارة عالية من الإيمان والعلم في بحر من الظلمات والجاهلية، يأوي إليها الغرقى ويهتدي بها الحائرون، ويخلف الأنبياء في دعاء الخلق إلى الله، ودعوة الناس إلى دار السلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويخلفون الأنبياء في تهذيب النفوس، وتجديد الصلة بالله تعالى، والتذكير بالآخرة، وإيثارها على الدنيا، وتجريد التوحيد، وإخلاص الدين لله تعالى وذلك كله من أهم مقاصد بعثة الأنبياء ومن أعظم أهدافهم. ولا يمكن أن يبقى الإسلام كدين ونظام خلقي، وأسلوب للحياة ودعوة مؤثرة حتى يكون له دعاة مجددون من هذا الطراز»

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الأول، ص/٢٠٢ ـ ٢٠٣

أومــن باللــه



كتبت اليوم لصديقى كتابا ختمته بهذه العبارة: انى اومن بالله ايمانا لا حد له. فامن به بكل ما تستطيع من قوة. فان قلبا كقلبك لا يكون سعيدا بغير هذا الايمان. نعم. انى اومن بالله. وليس لى غير هذا الايمان من ملجا. فاللهم أدمه علىّ وان عينى تغرورقان بالدموع عند كتابتى هذا.

انى أومن بالله ايمانا لا حد له. ونفس كنفسى تجد نوعا من السعادة فى هذا الايمان. اللهم لا تسلبنى هذا الايمان. وقوه فى قلبى حتى القاك وانا من أكثر الناس إيمانا بك.

لا اشعر ان هناك عاطفة ارقى. ولا انبل من عاطفة الاحسان. لم أكتب هذا على اثر احسان قدمته. ولكن على اثر شعور بان كل ما فى هذه الحياة حقيقته اقل من مظهره. وان خير طريق لذى العواطف أن يخفف بلوى المبتلين ويسد حاجة المعوزين. وان يشعر ان كل إنسان على وجه الارض بائس يحتاج إلى العطف والشفقة مهما ظهر فى وجهه من نضرة النعيم.

خير ما يشكر الإنسان الله به على نعمه أنعمها عليه ألا يتخذها وسيلة للصلف والتكبر.

يتردد فى خاطرى الفكرة الآتية: هى أن الحياة جديرة بغرض أسمى من المادة يسعى الإنسان وراءه، هذا الغرض ينزل فى النفس منزلة لها شىء من التقديس، وفائدته العملية تتوافر إذا وصل الإنسان إليه بالحصول عليه، وإذا لم يصل فبأن يستمد منه العزاء والسلوى، وقد فكرت فى أغراض شتى:

خطر فى بالى المجد الشخصى فرأيت دونه مزالق وعثرات لا يخلف له فيها العزاء، خطر فى بالى خدمة الوطن فرأيتها غرضا نبيلا غير أن فيه شيئا من معنى المادية يجعله خليقا بأن يكون وسيلة لا غرضا، خطر فى بالى خدمة الإنسانية جمعاء، فاعترضنى فيها ما اعترضنى فى أمر الوطن، ثم تراءى لى شىء غير هذا وجدته يصلح أن يكون غرضا يتوافر فيه ما أريد: رأيت أن الأجدر بالإنسان أن يجعل غرضه فى الحياة الوصول إلى الحقيقة.

إننا لم نخلق عبثا ولا نموت عبثا، هناك حقيقة فوق كل المظاهر المادية للحياة. قد نكون أدركنا بعضها ولكن لا يزال أمامنا الجزء الأكبر مجهولا، أدركنا أن الموت حقيقة، وأستطيع أن أستفيد من معرفتى هذه الحقيقة فائدة عملية، بشرط أن أفهمها فهما إيجابيا، فإذا علمت أن من الحقيقة أن أموت يوما لم أحرص على الحياة وأنزلتها دون غيرها مما يستحق السعى لأجله

أدرك أن هناك قوة غير منظورة تحيطنى وأومن بها. وأنى من صنع هذه القوة الإلهية أو مظهر من مظاهر قدرتها. فأنى أستطيع أن أستفيد من معرفتى هذه الحقيقة أيضا فلا يتولانى اليأس فى عمل أتولاه وهو على شىء من الخطورة؛ لأنى أعلم أن عملى لا ينتهى بانتهاء حياتى المادية مادمت - وأنا الجزء - سأرجع إلى الكل، رأيت من ذلك أنى أستطيع أن أعمل لكل غرض نبيل إذا كان أمامى هذا الغرض، أستطيع أن أخدم وطنى فلا يتولانى اليأس فى خدمته ولا أخشى فيه أن يصيبنى العطب. ثم لا أطمع من وراء تلك الخدمة فى بعض مظاهر الحياة المادية من فخار أو مدح أو جاه أو ثروة. فقد علمت أن الحقيقة فوق كل هذا وهى أن أخدم الإنسانية جمعاء بذلك الاستعداد الذى أخدم به الوطن

أستطيع أن أخدم مجدى الشخصى البرئ من المظاهر المادية. فإن الحقيقة الإلهية التى هى غرضى لا سبيل لها غير العلم وفيه كل مجد

«أفي الله شك فاطر السماوات والأرض»

(إبراهيم: ١٠)

جالت عوامل الضعف بنفسى، وهممت أن أكتب فامتنعت. ثم نهضت من تلك الفترة، وها أنا الآن أشعر بالإيمان وبالقوة، فاللهم أبقهما لى حتى آخر أيام حياتى.

ولى على الأرض آمال مقدسة

إن يقصنى عنك شىء فهى تدنينى

كلما تقدمت فى السن رأيتنى أحوج إلى الأخلاق منى إلى العلم والذكاء.

الأمل المقدس.. قونى اللهم من أجله وطهر قلبى

السعادة التى يستمدها الإنسان من خارج نفسه، من حب أو مجد أو مال سعادة دنيوية لها آفة. أما السعادة التى يستمدها من داخل نفسه: شعور بطهارة قلبه، وبتأدية واجبه، وبأنه جزء من كل سيرجع إليه، هذه لمحة من السعادة التى وعدت بها الكتب المقدسة.

فى هذا اليوم أتم العام الثامن والعشرين لى، وقد مضى لى نحو سنتين فى فرنسا أردت فيهما علما، إن حاجتى إلى الأخلاق القوية أكثر من حاجتى إلى العلم والذكاء، وإنى أجدد العهد الذى أخذته على نفسى فى العام الماضى، أسأل الله أن يقدرنى على القيام به طوال حياتى، وأن يجعل فى وجودى نفعا.

اليوم هو اليوم الأول فى العام التاسع والعشرين من عمرى، وأسأل الله فيه أن يقوينى على تنفيذ ما أخذته على نفسى من تقوية أخلاقى، وأن يقدرنى على الاحسان

وددت لو تمكنت قبل موتى من زيارة كل بلاد العالم الاسلامى

الايمان بالله هو مظهر من مظاهر القوة

الإيمان والأمل، لا أستطيع السير دون أن أتزود منهما بما يقوى عزمى

من المقدر أن نعيش فى الدنيا سعداء،

للعقل قيمة قوية، ولنستمد قوة من الفضيلة بقدر ما نستطيع

تغلب الإنسان على كثير من قوى الطبيعة ولكنه لم يستطع التغلب على الموت. وما دام لم يتغلب على هذه القوة فهو خاضع لها، وأكبر ظني أن العالم سيقف عاجزا أمام الموت ويرى نفسه أمام قوة مجهولة لا تغلب. فلا مخلص لنا من الإيمان بالله. فلابد من الإيمان والعلم معا للإنسان

يقول أوجست كونت أن العالم ينتقل من الدين إلى (ما وراء المادة) إلى العلم

وظني أنه قد آن أن تختم هذه الحلقة بالرجوع إلى الدين في نهايتها

يهز نفسي الحب والإحساس والشعور بأي قوة تمس

الإيمان بالله وحده يعطي نفسي ترفعا فوق كل الشدائد

آمنت بالله، فملأت القوة الخفية التي تحيط بي نفسي، وأنني أعتمد عليها في كل الظروف التي لا أستطيع الاعتماد فيها على مخلوق، ليس فيما يحيط بي من أشياء وأشخاص وليس فيما يكمن في نفسي من ضعف وقوة. ما أستطيع الاعتماد عليه في قطع مرحلة هذه الحياة، وشعوري أني في سيري متجه نحو تلك القوة الإلهية الخفية يحملني أشد العزم واستأنف السير كلما تعثرت في طريقي

ليس من النادر أن ترى من غرست في قلبه عاطفة الإحسان. ولكن من النادر أن ترى من يحسن ويعرف كيف يحسن

تفوق الرجل بقلبه، ثم بأخلاقه، ثم بذكائه ثم بعلمه، وما عدا ذلك فمظهر [illegible] أو خداعه

اكتشف في نفسي شخصين شخصا هو المثل الأعلى وشخصا هو نفسي

قضيت الخمس والعشرين من عمري بالأمس، وإنما نشوة [illegible] أرجو من الله أن [illegible] على خير وأن يخلص لي [illegible] من قلبي ثم من أخلاقي، ثم من عقلي، ثم من علمي

القلب الرحيم يسند إرادة حق قوي، يقوده عقل يرشده علم. ذلك هو المثل الأعلى للرجل في هذه الحياة

اللهم إن هناك نواميس طبيعية وأفهم أن خلف هذه [illegible] أنك موجود وأنك قادر على خرق هذه النواميس [illegible] وجود النواميس الطبيعية لا يختص عن مداركي التي [illegible] لا تدرك وجود هذه النواميس [illegible] والله قادر على خرقها تعني أنه قادر على تغيير مداركه بحيث تشبه [illegible] معارضة للنواميس الأولى [illegible] ولكن من رحمة الله أن جعل مداركنا [illegible] دائمة [illegible] من نواميس طبيعية

اللهم إني أومن بوجودك وبتحقق سنتك. وإن لي عقلا [illegible] حكمته في أمور هذه الدنيا. وهو ناقص

لا يمكن تفسير [illegible] والقدر وأن كل شيء مكتوب ومقدر [illegible] أن هناك نواميس طبيعية تسري عليها أعمال الإنسان وعلاقاته الاجتماعية بغيره من الناس. ولا يمكنه أن يخرج عن هذه النواميس، ولكنه في هذا الحال يكون حر الاختيار في إيجاد نفسه في الظروف التي يرى فيها قانون طبيعي آخر؟

لا نستطيع أن نعيش بعقولنا وحدها، فإن العقل نفسه يشعر بعجزه عن إدراك كنه ما حوله. لابد من حرارة الإيمان

من نعم الله أنه جعل العقل هو الذي يدرك بنفسه عجزه وقصوره عن إدراك ما حوله، ويحدث عرفنا عجز العقل بالعقل نفسه. ويكون هذا أشد إقناعا

إن القلب هو أول مميز لقدر الرجل، وأعني بالقلب: حب الإنسانية. ويتبعه الإيثار والتضحية والقلب - أيضا - الإيمان، ولكن ذلك الإيمان لا يكمل حتى يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، كما قال النبي ﷺ. فإذا توافر للإنسان هذا الشعور، شعور العطف على أخيه الإنسان الذي يدفعه في بعض الأحيان إلى التضحية بماله أو بنفسه. استطعنا أن نقول إن القلب الذي ينطوي عليه هذا الشعور هو أكبر مميز لقدر الإنسان

اللهم إنا ضعاف إليك

الموت حقيقة يعرفها كل الناس، وهم لا يبالون بها بقدر تأكدهم منها. لو اقتنع الإنسان عقله بهذه الحقيقة بقدر ما هو مقتنع بقلبه لظهر أثر ذلك الاقتناع في عمله، وانصرف عن كثير من سفاسف الدنيا من لم يملأ روعه الموت خليق أن يأتي العظيم من الأمور.

خلق الله الشر ثم قال له: اذهب فقد جعلت آية نقمتي منك ألا يتولى تحطيمك إلا أنت، ومنذ ذلك اليوم صار لا يحطم الشر إلا شر مثله

الصلة بيننا وبين الله تعالى القلب والعقل

يمتاز الإنسان على الحيوان بالعقل، والعقل قوة يستمدها من الحقيقة الإلهية، فالاعتماد عليه اعتماد على الله

تقدمي في السن وشيء من الاختبار يخففان من حدة عواطفي. وقد كنت عهدت نفسي جياش العواطف، غير أنني لا أملك إمساك دمعة إذا رأيت أو قرأت موقفا من مواقف الإخلاص لصادق

الله يعلم ما عشقت عباده

إلا لأني أعبد المعبودا

أترى جمالا ثم أصبو إلى

شيء يؤكد للإله وجودا؟

الإيمان عن تقليد أشد ثباتا

من الإيمان عن اجتهاد

الفكرة المعنوية لا تنتصر في هذه الدنيا إلا إذا سارت في خدمتها القوة المادية. فالمسيحية لم تنتصر حتى اعتنقتها الدولة الرومانية، وكذلك الإسلام لم ينتشر إلا بعد أن هاجر النبي إلى المدينة

على أنه من الحق أن أقول أيضا إن القوة المادية لا تدوم إذا لم تكن في خدمة الفكرة المعنوية، فغارات المغول - وكانت جارفة - لم تدم أكثر مما تدوم فقاقيع المياه.

العقل أداة العلم.. والعقل البشري ناقص، فالعلم حتما ناقص. ولكن كيف أدرك الإنسان أن عقله ناقص؟ أتراه أدرك ذلك بعقل كامل غير عقله الناقص؟ إنه من الممكن أن يدرك الناقص ما انطوى عليه من نقص؟

● استقبل غدا اليوم الأول من العام الأربعين في حياتي. ما أقصر الحياة. وكأني بالأمس شاب غارق في أحلام الشباب لا أكاد أفيق منها. أترى ما أستقبل من حياة مثل ما استدبر منها؟ وهل ترى أفيق من أحلام الشباب العذبة لأقع في أحلام الكهولة

الصاحبة المضطربة.

اللهم وفقني فيما بقي لي من الحياة إلى ما ترضاه.

من يحاول أن يعتمد على سعادة يستمدها مما حوله لا يلبث أن يشقى. السعادة الحقيقية هي التي يستمدها الإنسان من دخيلة نفسه.

القانون لا يوجد إلا في تنظيم العلاقة فيما بين اثنين متكافئين في القوة أو في الضعف.. أما حيث يتفاوتان قوة وضعفا فالقانون هو القوة.

● باسم الله أفتتح صفحة من حياتي.. اليوم أستقبل مرحلة جديدة من مراحل الحياة فهذا هو اليوم من حلقة الخامسة من عمري.

أخذ نفسي بثلاث: أن أكون قوي الإرادة وأن أكون مثابراً على العمل. وأن يكون لي مثل أعلى في هذه الحياة

هذا ما أخذ نفسي به في مستهل هذه المرحلة الجديدة من حياتي معتمداً على الله. ومرشدي خيرتي المستقلة ـ إن قدرت لي الحياة ـ قوة هذه المبادئ، وقوتي على الأخذ بها فاللهم عونا.

الخير إذا كان ضعيفا فأولى به ألا يتكلم، وإذا كان قويا فلا حاجة به إلى الكلام.

يملأ النبي ﷺ نفسي إعجاباً، لأنه بشر مثلي وإذا كان فيه من نواحي ضعف فلست في نواحي قوته.

رب إن ضعفي وعجزي يدلان على أنك موجود

أستعين بالله عند الشدة فأحس القوة تملأ نفسي

جهودٌ منهكاتٌ مضنياتٌ

وصلتُ الليلَ فيها بالنّهار

وكنت إذا اشتد الناس يوما

أبى عزيمة الأسد المثار

إذا افتخرُوا بمال أو بجاه

فقانوني من الدنيا فخاري

أكتب هذه الكلمة في اليوم الذي أفتتح به العام الثامن والأربعين من عمري. لقد أتممت ثلاثين سبعة وأربعين عاماً في هذه الدنيا. وذقت من الحياة حلوها ومرها. ومازلت متعلقاً بالحياة وأنا في مضطرب من الأحداث. وإني أخذ نفسي في هذا اليوم الذي أقطع فيه مرحلة من حياتي بالسعي في تحقيق أمور أربعة أرجو الله أن يهيئ لي وسائل تحقيقها:

١ ـ أن تتوحد في مصر الحكمة.

٢ ـ أن تتوحد في مصر المدرسة.

٣ ـ أن تقوم الصناعات الكبيرة في مصر فيصبح البلد صناعيا بقدر ما هو زراعي.

٤ ـ أن يؤخذ من التركات ما يكفي لتربية جميع أبناء الأمة تربية تغفل فيها الفروق ما بين الغني والفقير ولا ينظر فيها إلا للاستعداد الشخصي وحاجات البلد

تحرر من شهواتك. وتحرر من أوهامك. ثم اعتمد على الله. تلق لنفسك قوة تزعزع الجبال.

أحببت الخير للخير، وكرهت الشر للشر وهذا وحده يكفيني في التقدم به إلى الله.

أيها الشباب اللاهي، كنا شبابا مثلكم وأحسسنا ما في الشباب من دفء وحرارة. وستصيرون شيوخاً مثلنا فتعلمون أن الشيخوخة شتاء قارس لا يدفئه إلا العمل الصالح.

أدعو الله أن يعينني وأن يرزقني الصلابة والقوة

منذ وجدت صلة بين العبد وخالقه، وجمعت الفلسفة في الدين، أقبل الناس يتأملون ماهية هذه الصلة، وهل هي إلهية محضة ذات طبيعة واحدة أم هي إلهية بشرية ذات طبيعة مزدوجة.

الإسلام يرشد البشر متى تبينوا أن إعطاء الفقير ليس إحساناً عليه تمليه الرحمة بل هو حق له تفرضه القانون

الصبر والعزم والتعاون. الأول قوة سلبية، والثاني قوة إيجابية، والثالث مزيج روحي يضيء جوانب القوتين السلبية والإيجابية. هذه هي الأسلحة الثلاثة التي أسأل الله بها العون والتوفيق.

أحسد ما للعقل من سلطان: هو الذي يكشف الحقيقة. ولكنها حقيقة نسبية مقيدة بظروف الزمان والمكان. وهي ـ بعد ـ ليست كل الحقيقة. فهناك من الحقائق ما يسمى أن يسمو العقل بأنها فوق تناوله. وهذه الحقائق هي التي نسميها بما وراء العقل

وددت لو تمكنت من كتابة سيرة للنبي ﷺ تظهر فيها بوضوح مسألتان

● أولاهما أن النبي ﷺ لم يخالج نفسه أي شك في صحة رسالته كما تشهد بذلك سيرته من أولها إلى آخرها

● والمسألة الثانية: أن النبي ﷺ رجل مثلنا يجوز عليه ما يجوز على البشر وينتابه ما ينتاب البشر من أعراض القوة والضعف، ولعل ما ينعاه عليه أعداء الإسلام من نواحي الضعف هو أصدق دليل على أنه بشر مثلنا، هو في الوقت ذاته أصدق دليل على قوته النفسية وعلى سمو عظمته.

اللهم ما شككت في وجودك، ولكن شككت يوماً في قرب رحمتك، ولكنك كنت برحمتك أقرب إليّ من نفسي. فحمداً لك. ثم حمداً لك.

إذا ما نابني خطبٌ كبيرٌ

أقابلُهُ بعزمٍ منه أكبر

ومن تعركه أحداثٌ شدادٌ

بمارِكُها فيكسر أو فيَصهر

يقولون: إن الفضيلة ينبغي أن تتسلح بالقوة، وإن القوة ينبغي أن تتسلح بالفضيلة. وأرى أنه غير ميسور أن تتسلح القوة بالفضيلة، فلم يبق إلا أن تتسلح الفضيلة بالقوة.

أيها الأصحاء ادفعوا زكاة صحتكم للمرضى. أيها الأغنياء، ادفعوا زكاة أموالكم للفقراء. أيها السعداء، ادفعوا زكاة سعادتكم للبائسين

أكتب هذه الكلمة بعد منتصف الليل، وقد استدبرت العام الخمسين من عمري واستقبلت العام الحادي والخمسين، وقد رجعت إلى ما كتبته في العام الماضي في مثل هذه المناسبة فوجدتني أسأل الله العون والتوفيق بأسلحة الصبر والعزم والتعاون

قد صبرت كثيرا وشحذت عزمي في كثير من المواقف وكنت متفائلاً في أشد الأوقات ضيقاً. وقد أراد الله أن يجعل بعد العسر يسراً. ثم أن يجعل بعد العسر يسراً لقد أعطاني ربي فرضيت. فاللهم حمداً وشكراً

والآن أعاهد الله بعد أن أتممت الخمسين من عمري أن أستقبل ما بقي من حياتي قوي الإيمان بأن أكون نافعا لبلدي.

شدد الله عزمي، وكتب لي التوفيق فيما أنتويه من الخير

ولكنكم تستعجلون..!

[illegible]

قال لي: لا أمل. وأردف قوله بما يؤكده من قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه

إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟!

وعذرت محدثي لأنه لا يعلم من حقائق الأمور ما أعلم، وإنما يحكم على ما يراه من ظواهر الأشياء. لكني رأيت من واجبي أن أرفع عنه هذا الإحساس القاتل وهذا الفهم الخطأ.

وقلت له: من أين جاءك هذا الشعور بعدم الجدوى، وغياب الأمل؟ فقال: مما أراه من جرأة وسائل الإعلام والأجهزة الثقافية وحتى مناهج التعليم. فكل ما يتوجه إلى كيان الإنسان ليربيه ويقومه ويهذبه لا يستهدف فيه شيئا من مقومات الروح، ولا يغرس في كيانه شيئا من قيم التضحية والفداء، بل على العكس من ذلك فغالبية ما يبث من برامج، وما يعقد من حوارات ومناقشات يدور كله حول إعلاء قيم غريبة عن مجتمعنا وديننا، أو يوجه في عامته إلى حوارات تافهة وفارغة عن بعض المغنين واللاعبين والمطربين، وكأنما أزمة الأمة الخانقة هي أزمة في عدد المغنين أو الممثلين، أما هموم الأمة الحقيقية من إعلاء القيم الإنسانية وتعميق المعاني الروحية والحفاظ على الهوية الإسلامية فذلك كله مغيب. بل لا أبالغ إذا قلت إنه من المحظورات.

وبرغم ما رأيته لدى محدثي من سوداوية وتشاؤم، فإنني لم أستطع أن أنكر عليه شيئا مما قال؛ لأن ما قاله حق كله، وما أشار إليه صدق كله. وربما خفي عنه كثير، مما لو علمه لكان أكثر تشاؤما واكتئابا. لكني مع ذلك لم أوافقه على ما ذهب إليه من هذا الشعور، وعرفت أن سبب ما يعانيه الرجل هو أنه بنى نظرته على ما يؤمل في أجهزة التربية والإعلام والثقافة وما يعتمده من وسائل الترفيه، فإذا لم ير وسائل الإعلام والتعليم والثقافة تنهض أمامه بهذا الدور امتلأ تشاؤما ويأسا.

أما أنا فإن رؤيتي وتصوري للأمور لم تقم على هذا النحو، وإنما تقوم على سياسة التغيير وإعادة البناء. فكان أول الطريق إلى الأمل هو اليأس الكامل من تلك الأجهزة ونفض الأيدي من أي أمل في الإصلاح يأتي على أيديهم ثقة مني بقول ربي سبحانه

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾

(يونس: ٨١)

ومن قول الحكماء: إنك لا تجني من الشوك العنب. وقولهم في القواعد العقلية: "إن فاقد الشيء لا يعطيه".

وهذا الشعور باليأس من أن يأتي الإصلاح على أيدي المفسدين؛ كان هو البداية الحقة لكل عمل إصلاحي إيجابي منتج.

وقلت لمحدثي: هب أن كل أبناء الأمة جاهلون ضالون، هل يكونون في حال أسوأ من حالهم عند قدوم رسول الله ﷺ عندما جاء إلى قومه وهم من فساد عقيدتهم يسجدون للأصنام، ومن فساد سياستهم يفتقدون الاستقلال ويدينون بتبعيتهم للفرس والروم، ومن فساد أخلاقهم يمارسون الزنا والربا ويشربون الخمر ويلعبون الميسر ويسجدون للأهواء؟!

ومع ذلك لم ييأس رسول الله ﷺ، لأنه خطط ودبر وبدأ معهم من الطريق الصحيح، وهو طريق إعادة بناء الشخصية المسلمة على أسس عقائدية صحيحة. وإذن فليعج المجتمع بما شاء من سخافات وليمارس ما شاء من ضلالات، وليعكف على ما شاء من ألوان العادات، فإن الشيء من معدنه لا يستغرب. ولنبدأ بانتقاء أفراد يقومون في هذا المجتمع بدور الأنبياء وأولئك المصلحين، بأن يصبروا على تربية طائفة من الناس على أصول الفهم الإسلامي الصحيح فإذا ما أحسنت الفهم وأدركت الحقيقة الإيمانية عن وعي وشمول، فلتتقدم هذه الجماعة إلى أهل الأرض كي تتولى فيهم مهمة التربية على هذه الأسس وطبقا لمعايير هذا الفهم الصحيح، وغير عابئة بما تقوم به أجهزة الدولة من تضليل وتجهيل؛ لأنها مهما نجحت لن تفعل بالقوة أكثر مما هم فيه. فلتعتبر أن الكم كله معهم ولنبدأ في الآحاد من هذا الكم أفرادا يتبعهم [illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] التعلم، و[illegible] [illegible] [illegible] فردا [illegible] [illegible] لو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]. وعند ذلك [illegible] ولادات جديدة وعقائد سليمة وعبادات صحيحة. و[illegible]

وقتها أن الكم الغثائى سينقص بمقدار من يهتدى منهم وأن الكم الإيمانى سيزداد بمقدار من ينضم إليه.

وإذا علمت أن كل من يضاف إلى صف المصلحين هو رجل ذو عقيدة صحيحة وعبادة سليمة وإرادة قوية وعزيمة لا تقبل الخمول، أدركت أننا أمام كيان يتمدد ويزيد على حساب كيان ينقص ويقل، والأطباء يقولون إذا رأيت المريض ينتقل من ضعف إلى قوة، ومن ذبول إلى نضرة، فثق بأنه يؤذن بالشفاء، وإذا رأيته ينتقل من قوة إلى ضعف، ومن نضرة إلى ذبول وضمور، فثق بأنه مؤذن بالأفول والموت.

وحالنا الذى صورناه هو حال مجتمعنا المصرى، بل هو حال مجتمعنا العربى والإسلامى، إنه أمام جماعة من العقلاء، أخذوا على عاتقهم تربية الأمة تربية إيمانية سوية على منهاج رسول الله ﷺ، وهم رجال أقوياء فى إرادتهم، ثابتون فى عقيدتهم، مصرون على تحقيق أهدافهم التى من أهمها لديهم

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

(الأنبياء ٩٢)

ومن هنا تباينت وجهات النظر بين من لا يرى أمامه إلا ما تفعله أجهزة الإعلام والتعليم والثقافة من هدم وتخريب وتضليل وتجهيل، وبين من يرى ويدرك حقيقة ما يتم فى أرض الله من قيام فئة مؤمنة واثقة طاهرة تقوم بالعمل المخلص الصادق الدءوب. هذا العمل الذى أنتج مئات الآلاف، بل عشرات الملايين يصعدون فى تحد شامخ أمام صناديق الانتخابات التى باتت تشهد بعمق ما تم فى الخفاء. وصدق ما يبذله هؤلاء الدعاة من تربية وتزكية وتأديب وتهذيب، أثمرت هذا التحول الحقيقى فى قيم المجتمع ووضوح تصوراته. وأشارت إلى طبيعة اختياره وأنه اختار الإسلام هوية وعقيدة ومنهج حياة.

ونظرت فى وجه محدثى فرأيت أسارير وجهه منفرجة بشوشة، وتهللا واضحا أشعرنى بعمق ارتياحه لما سمع ودهشته لما أقول لكنه بادرنى قائلا وإلى متى سيظل الإسلام محتسبا والعمل له جريمة، واعتناق مبادئه تهمة تستحق العقاب؟!

وشعرت فى سؤاله بسمة التعجب والدهشة، فأيقنت أن محدثى صار يتحدث بلسانى. ويتبنى قضيتى، ويشعر مثلى بالغرابة والدهشة لما يقع بالمسلمين فى بلادهم وعلى أيدى إخوانهم الذين يزعمون أنهم يحملون معهم نفس العقيدة وذات المنهج. لكن يعرف كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وراثة أو عادة، وبين من يضحى بنفسه ويبذل دمه حتى يتمكن الإسلام ويعلو فى الأرض. وقديما قالوا: "ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة".

وعند ذلك قلت له: "إن الأمر لن يطول كثيرا، فقد انتقل الإسلام من حال الاختباء والاختفاء إلى حال الإعلان عن نفسه والتقدم إلى أهل الأرض بطوق النجاة، وها أنت الآن تشهد هذا المد الإيمانى الجارف، وترى مظاهره فى امتلاء المساجد بالشباب والعودة الصادقة إلى تعاليم هذا الدين سلوكا وأخلاقا ومنهج حياة. فالنساء محجبات قانتات واعيات. والشباب متعففون معتقدون معتزون، والدعاة صادقون مهمومون غيورون، والناس يشهدون بركة هذا المد المقدس فى القنوات الفضائية والبرامج الثقافية والثورات الإسلامية التى تبشر بخلافة راشدة على منهاج النبوة وفى الانتصارات الميدانية فى فلسطين وفى العراق وفى لبنان وفى أفغانستان. وفى الألوف الذين يتحولون إلى الإسلام فى العواصم الأوروبية كل يوم

فإذا علمت مع ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض اليوم وحى مقدس إلهى معصوم من التحريف سوى القرآن، أدركت أى مستقبل ينتظر هذا الدين العظيم

وإذا علمت أن غالبية المسلمين فى جميع أقطار العالم ما زالوا يحلمون بأيام الإسلام العظيمة وقيمه النبيلة وحضارته الزاهرة، ويحنون إلى هذا الماضى الجميل، أدركت أن العودة إلى الإسلام ستكون أسرع مما نتوقع وأقرب مما نظن

[illegible]

(النور ٥٥)

ومن قول نبينا ﷺ عن تميم الدارى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر

[illegible] (٨٣٣٦)

[illegible]

التقويم الهجرى... هوية أمة وتاريخ حضارة

يقترب فى هذه السنوات التى نعيشها الاحتفال بميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مع الاحتفال بهجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم. ولا تخطئ عين المتابع للأخبار والأحداث ضخامة الاحتفال بالسنة الميلادية وكم الأموال الهائل الذى ينفق فيها، فى الوقت الذى نلحظ فيه ضمورا وخفوتا فى الاحتفال بالعام الهجرى الذى يقتصر على مجموعة من الفعاليات داخل جدران المساجد فى أحسن الأحوال. وبعض البرامج التى تحكى وقائع الهجرة النبوية الشريفة التى نسمعها كما هى كل عام.

ولا يرتضى الإسلام هذه الطرائق من الاحتفال التى يتم فيها التبذير وإنفاق الأموال هباء منثورا بل ربما تطرق الأمر إلى ارتكاب بعض الموبقات. كما أن الاحتفال بالعام الهجرى يحتاج إلى اهتمام وتوعية.

أثر ازدهار الحضارات وتخلفها

والواقع أن الأمة الإسلامية لا ترتبط بتاريخها أو تقويمها الهجرى إلا فى حالات الازدهار والرقى والتقدم، وحينما يتحقق لها واقعيا مرتبة الشهود الحضارى على الأمم كما أراد لها القرآن الكريم

وإذا تتبعنا تاريخنا وتقويماتنا التاريخية وجدنا أن ما قبل سقوط الخلافة كان يؤرخ له بالتاريخ الهجرى أو قبل سقوطها بقليل حينما توزع ميراث الدولة العثمانية وصارت "رجلا مريضا"، فكان يؤرخ للأحداث والمعارك والوقائع والمواليد والوفيات بالتقويم الهجرى.

وبعد ترهل الحكم الإسلامى وذهاب الخلافة الكبرى تحولت الأمة إلى تاريخ آخر هو التاريخ الميلادى الذى نجله ونحترمه أيضا؛ لأنه ميلاد نبى ورسول من أولى العزم من الرسل، ولا يتم إيمان المسلمين إلا بالإيمان به، لكننا نتحدث هنا عن تاريخنا نحن، وهويتنا نحن وحضارتنا نحن

على أن تاريخ النصارى تاريخ رومانى الأصل، عدله بعض الملوك ورهبان النصارى ونسبوه إلى ميلاد المسيح - عليه السلام - بعد مولده بستة قرون أو ثمانية قرون تقريبا والأشهر الميلادية التى يدور عليها فلك هذا التاريخ تحمل فى اشتقاقها ومعناها معانى وثنية، ذات ارتباط بآلهة الرومان وعظمائهم.

والمغلوب - كما قيل - مولع بتقليد الغالب فقلدت الأمة الإسلامية - بعد أن صارت شبه مغلوبة - غيرها من الأمم، وكان استخدام التاريخ الميلادى مظهرا من هذه المظاهر. فأصبحت كل الدول العربية والإسلامية تؤرخ بتواريخ أخرى غير الهجرى باستثناء ما نجده فى بلد كالمملكة العربية السعودية.

هوية الامة فى التاريخ الهجرى

وما من شك فى أن التقويم الهجرى هو هوية أمة، فالعبادات الإسلامية ترتبط بهذا التاريخ؛ حيث نجد الحج أشهره معلومات وهى هجرية، والصيام فى رمضان وهو شهر هجرى، والزكاة يحول عليها الحول الهجرى، وعدة المطلقة بالتاريخ الهجرى، وغير ذلك؛ ولهذا فإن التقويم الهجرى تاريخ حضارة امتدت عبر ثلاثة عشر قرنا من الزمان لم تكن الأمة تؤرخ فيها إلا بهذا التاريخ، ومن هنا ارتبطت أمجادنا وأيامنا ومآثرنا وشعائرنا بهذا التاريخ الذى تحولنا عنه إلى غيره - فيما سوى العبادات لقداستها - ضحية لأحوالنا وأوضاعنا، وأثرا من آثار الغزو الفكرى الذى امتد فى فراغنا!

ولا يحسبن أحد أن المسألة هامشية أو فرعية بحيث يعد الحديث عنها نوعا من اللهو، أو خوضا فى الباطل، أو ضربا من ضروب الترف الفكرى فى الوقت الذى تعانى فيه الأمة من دماء تسيل وأرواح تزهق وبيوت تهدم وأعراض تنتهك وغير ذلك مما يمكن أن نهون به من هذا الأمر، فقد استمرت المؤامرة لطمس التاريخ الهجرى وإزالته وتجهيل الشعوب الإسلامية به قرونا متوالية؛ ففى القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للثامن عشر الميلادى عندما أرادت الدولة العثمانية تحديث جيشها وسلاحها طلبت مساعدة الدول الأوروبية العظمى (فرنسا وألمانيا وإنجلترا... الخ)، فوافقوا على مساعدتها بشروط، منها: إلغاء التقويم الهجرى فى الدولة العثمانية فأذعنت لشروطهم. وفى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى عندما أراد خديوى مصر أن يستقرض مبلغا من الذهب من إنجلترا وفرنسا لتغطية مصاريف فتح قناة السويس، اشترطتا عليه ستة شروط، منها: إلغاء التقويم الهجرى فى مصر؛ فتم إلغاؤه سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م. واستبدال التقويم القبطى والميلادى به.

فلن تفيق أمتنا إلا إذا استمسكت بهذا التاريخ العريق، واستحضرت كل أيام السنة الهجرية، ونظرت فى أحداثها نظر المتأمل المتفحص الواعى الذى يحيا التاريخ ثم يعبر بحيى إلى واقعه المعاصر بدروس تضىء دروبه وتمهد له السبيل.

من أجل هذا وجدنا المؤرخين والحكماء يقولون: "من وعى التاريخ فى صدره أضاف أعمارا إلى عمره، ومن لم يع التاريخ فى صدره لم يدر حلو العيش من مره". وذلك لأن التاريخ تجارب تضيف إلى وعى الإنسان وتجاربه تجارب مضاعفة وتمد فى عمره أعمارا طويلة، وتبين له مواضع العثرات ومكامن الخلل، وتبرز له أسباب القوة وعلامات العافية، فالتاريخ هو الذى نستكشف به ما تحت أقدامنا، ونستبصر به واقعنا، ونستطيع أن نستشرف به مستقبلنا.

الدعاة ووسائل التوعية بالتاريخ الهجرى

وإذ كان البعض يرى الأمة الإسلامية تمر فى المنحنى الحضارى الآن بمرحلة متدنية إلى حد ما فى سلم التقدم المدنى. فإن الكثيرين يرون أمارات الصعود تلوح بين ثناياها منذ أكثر من نصف

قرن وهذا لا يعني أن نستكين لهذه السنة الحضارية أو أن نخضع لحتمية تقليد المغلوب للغالب، ثم لا نفعل شيئا أو نحرك ساكنا، بل فيه ما يحفز الهمم، ويحث على العمل والأخذ بالأسباب.

إن الأدوار التي يجب أن نقوم بها ـ هي أولاً ـ تعجل بالصعود في منحنى الرسم البياني للحضارات، وتقوم اعوجاج أمتنا، وتعالج من عللها وأدوائها، وتعرّف الأجيال بواجبها نحو الأخذ بالأسباب في النهوض بالأمة والرقي بها حتى تصير غالبة لا مغلوبة وشاهدة لا مشهودا عليها.

ومن أهم الأدوار التي نعول عليها هنا ونراهن عليها هو دور الدعاة، بعد أن تضاءل أملنا في كثير من المؤسسات الرسمية والحكومات العربية والإسلامية، فعلى الدعاة والعلماء يُعقد الأمل، وإليهم يرجع الشباب، وفيهم يثق الناس، وبهم يتم التغيير والإصلاح، متى كان هؤلاء الدعاة ربانيين، [illegible] لدورهم ورسالتهم، [illegible] وعلله وأدوائه، متمكنين في الوحي الأعلى الذي يصعدون منه الدواء بعد تشخيص الداء، ومن أهم الأدوار التي يمكن أن يقوموا بها ما يلي:

أولاً: [illegible] للاهتمام بالتاريخ الهجري كأن يوصي الدعاة الناس أن يتواعدوا بالتاريخ الهجري، وأن يذكروا مواليدهم بالتاريخ الهجري، وقد أصبح اليوم ميسورا أن تعرف ما يقابل تاريخ المواليد الميلادية من الهجرية، وغير ذلك.

ثانيا: أن يصبغ الدعاة المجتمعات بالصبغة الإسلامية الممزوجة بهذا التقويم، فلا نؤرخ [illegible] إلا بهذا التاريخ، ونربط دائما بين الميلادي والهجري ابتداء، وشيئا فشيئا يستقل الهجري.

ثالثا: الاحتفال بكل مناسبة هجرية كالغزوات و[illegible] الإسلام في مواعيدها وتذكير الناس بها، واستخلاص أهم الدروس والعبر منها، لتكون وميضا يبرق للدعاة، ونورا يستضيء به العاملون.

رابعا: الاحتفال بالشخصيات ميلادا ووفاة من خلال التقويم الهجري، فنتناول سير الشخصيات المهمة في تاريخنا الإسلامي القديم والحديث والمعاصر ونربط وقائع حياتهم بالتقويم الهجري.

خامسا: تذكير الناس بأن المعتمد في الأحكام الشرعية هو التاريخ الهجري، فحولان الحول ـ شرطا من شروط وجوب الزكاة ـ هو الحول الهجري باتفاق، والصيام يكون مع الهلال في شهر رمضان، والحج يرتبط بأشهر معلومة في السنة الهجرية هي: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وعدة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها تحسب بالتقويم الهجري، وهكذا فكثير من الأحكام الشرعية مرتبط بهذا التقويم الجيد، يقول الإمام الرازي: «واعلم أن مذهب العرب من الزمان الأول أن تكون السنة قمرية لا شمسية، وهذا حكم توارثوه عن إبراهيم وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - فأما عند اليهود والنصارى فليس كذلك». تفسير الرازي ١٦ / ٥٠.

سادسا: أن هناك أياما نحتفل بها في تاريخنا الهجري، ويجب أن تُستثمر هذه المناسبات للتأكيد على هذه المعاني، ومنها يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وحادثة الإسراء والمعراج، وحادثة تحويل القبلة، كلها ـ بحمد الله ـ نحتفل بها في التقويم الهجري، وهي مناسبات ربما تمثل الحد الأدنى من استبقاء هذا التاريخ.

سابعا: إحياء حادثة الهجرة النبوية بما يتناسب معه، فالهجرة حدث غيّر مجرى التاريخ، وحول اتجاه الإنسانية، فكانت تاريخا مشهودا وقف عنده التاريخ وتحول لنحته نحو آخر، حيث أقيمت للمسلمين دولة، فأبرمت الاتفاقيات والمعاهدات، وخاطبت الملوك والأمراء، وغزت البر والبحر، وتحققت لها الزعامة على الناس، والشهادة على العالمين.

ثامنا: عقد مقارنة للناس بين الاحتفالات التي نلقي لها بالا ونتكلف لها الأموال مثل أعياد الميلاد وأعياد الزواج وأعياد الحب وأعياد الأم، وكلها يتم الاحتفال بها من التاريخ الميلادي، في الوقت الذي نستصغر فيه من يتحدث عن التقويم الهجري وأهميته في حفظ هوية الأمة من الانطماس والذوبان، ويمكن البحث عن المقابل للتاريخ الميلادي هجريا، والمقابل للتاريخ الهجري ميلاديا من بعض المواقع الإسلامية التي خصصت [illegible] لذلك، مثل موقع إسلام أون لاين نت.

تاسعا: كشف المؤامرات التي تهدف إلى طمس هذا التاريخ مع اللغة العربية، مثل [illegible] تذكر، لأن هذا التاريخ هو الذي يذكر الأمة بأمجادها وأيامها وصفحاتها المشرقة، ويحفظ لها هويتها.

عاشرا: مطالبة الآباء والأمهات بث الوعي في الأبناء بأهمية هذا التاريخ، والحرص على [illegible] في أيامه ووقائعه حتى يظل الطفل دائما مرتبطا به، وأن يحفظوهم الأشهر الهجرية، ويعودوهم أن يكتبوا التاريخ الهجري في كراساتهم، وأن يضبطوا حياتهم عليه.

حادي عشر: مطالبة المدارس أن تهتم بهذا التاريخ وكتابته، على الأقل بجانب التاريخ الميلادي، وأن يعاقب المدرس على نسيانه، ويكافأ على كتابته.

ثاني عشر: مطالبة الصحف ومواقع الإنترنت [illegible] أن تقوم بهذا [illegible] لأحداثها وأخبارها ومقالاتها وحواراتها بهذا التاريخ على الأقل بجانب الميلادي.

ثالث عشر: مطالبة الهيئات والمؤسسات المهتمة بالدعوة والأوقاف والإرشاد الديني بالتوعية بهذا الأمر والاهتمام به، وأن يثمنوا من أهميته لدى الشرائح التي تقوم بالتوعية والتأثير.

رابع عشر: مطالبة المصالح الحكومية أن تؤسس [illegible] معاملاتها وأوراقها ومراسلاتها ومستنداتها على التاريخ الهجري، وفي هذا ارتباط كبير للناس به.

خامس عشر: وهي نقطة مهمة ولها أثرها في هذا الأمر، وهي مطالبة الحكومات أن تجعل رواتب الناس مرتبطة بالتاريخ الهجري لا الميلادي، وعندها سيحفظ المسلم وغيره لكل يوم في الشهر الهجري.

هذه خمس عشرة وسيلة جمعت بين الفرد والأسرة والمؤسسات والحكومات والإعلام والدعاة وغيرها، اعتقد أنها لو تضافرت فيما بينها، وبنى بعضها فوق بعض، وكمل بعضها نقص الآخر [illegible] فلن تكون هناك أدنى مشكلة في الاهتمام بهذا التاريخ الذي ينطوي على صفحاتنا المشرقة، ويحمل [illegible] المشهودة، ويحفظ هويتنا الإسلامية.

حول تطبيق الشريعة الإسلامية



اشكر للاستاذ الدكتور (...............) التعقيب المهم، الذى اعده تعليقا على مقالين كنت نشرتهما عن مدى قيام الشريعة، كشريعة حاكمة فى التاريخ الاسلامى وانا أحمد له اعتناءه بتلخيص وجهة نظرى، واحمد له انه نقل الحوار خطوة فى طريق الفهم المتبادل، وابعدنا - مشكورا - عن تلك المنطقة البور، التى يدور فيها النقاش حول: هل وجدت الشريعة فى حياة المسلمين أم لم توجد؟ وابعدنا عن «الطريق الاعلامى» الذى اثر استخدام أدوات التحبيب والتبغيض. وقد تكلم عن شروط التطبيق ومجال تأثير التاريخ فى أحكام الشريعة وهنا يكون للحوار خصوبة فيما إخال. هداه الله وهدانا إلى ما فيه الخير لأمتنا.

أولا: يذكر الدكتور (   ) أنه لا تلازم بين تطبيق نظام قانونى فى الماضى وبين صلاحيته للتطبيق فى زمان آخر ولذلك فهو يعيب على المتحاورين الحديث عن تطبيق الشريعة فى الماضى، كسند للمطالبة بتطبيقها فى الحاضر.

والحاصل - فى ظنى - أن الحوار حول تطبيق الشريعة فى الحاضر، قد استطرد إلى الحديث عن مدى تطبيقها فى الماضى، بسبب أن معظم منكرى تطبيقها فى الحاضر استندوا فى منهجهم فى هذه الدعوى العجيبة - وهى أن الشريعة لم تطبق منذ عهد الراشدين - ولم يدر بخلدى أن يصل الأمر «بالمعطلة» إلى إنكار الماضى بهذه الجسارة، حتى ووجهت به فى إحدى الندوات منذ ثلاث سنوات ولم أتخيل أن يكون لهذا الإنكار رواج، حتى وجدته يتكرر على أقلام كتاب وصحفيين، وحتى وجدته من بعض دعاوى المتطرفين أيضا. فالإنكار لم يقم لدى المطالبين بالشريعة، بقدر ما قام لدى «المعطلة» ولدى الغلاة.

ومن جهة ثانية، فإن للمعطلة وجه حجة فى هذا الإنكار، لأن الزعم بعدم انطباقها بضعة عشر قرنا، وعدم انطباقها فى التاريخ كله إلا خمسين سنة، يجعل «الواقع التاريخى» فى صفهم، ويظهر أن دعاوى المطالبين بها لا تخلو من حماقة أوروبية، إذ كيف يصح فى الأذهان أن نعيد لحياة ما لم يصلح للحياة إلا نصف قرن من التاريخ كله؟! وكيف نعيد ما غمر وانقطع وباد بضعة عشر قرنا؟! ثم إن المثبتين للشريعة يقولون إنها كانت قائمة على الشرعية فى مجتمعاتنا طوال القرون الماضية، وإنها بقيت حتى خلعت خلعا فى القرن التاسع عشر بعد أن دهمنا من الغزوات ما نعرف.

لا شك فى أن للواقع التاريخى حجيته، ولا يجوز التهوين من قيمة هذه الحجة إذا كانت فسدت فى أيدى أصحابها ومن جهة أخرى، فإن الواقع التاريخى هو جزء من واقعنا الحاضر، من حيث إنه يمثل شعاعا فى وعينا بالذات الحضارية، وبالخصال المميزة لنا كأمة وجماعة سياسية وحضارية ولا يرضينا بطبيعة الحال أن يقطع من تراثنا عنصر هو من أقوى وأفعل ما عايشناه فى تاريخنا، وكان تعاملنا معه من أزهى ما تبدت فيه العبقرية الإسلامية والعربية، ألا وهو الفقه الإسلامى الآخذ من الشريعة الإسلامية

وقد أسعدنى قول الأستاذ المعقب إن الشريعة لم تكن مطبقة «بحسم وصرامة وبلا استثناء طوال عصور ازدهارها»، لأنه يعنى عدم اعتراضه على أنها كانت تطبق، ولو بغير حسم، ولو بغير صرامة، ولو فى بعض عصور ازدهارها. وإن كنت وددت أن يكون إقراره بوجودها التاريخى يرد بتعبير إيجابى نفيده دلالة ظاهرة. ولكن مفهومه مخالفة، كما شاء أن يعبر.

ثانيا: كنت قد ميزت بين مرحلة التشريع فى زمن الرسالة والراشدين، وبين مراحل التطبيق فيما تلا ذلك من أزمان. ويعترض الأستاذ المعقب بأنه كان فى المرحلة الأولى تطبيق، وفيها ما يخضع للتاريخ وأحواله، فهى لم تكن تشريعا صرفا. كما يذكر أن المراحل التالية تضمنت تشريعا، فلم تكن «تطبيقا» صرفا.

خلاصة القول أنه يقول: إن صيغتى التشريع والتطبيق متداخلتان فى الزمان وفى ظروف الأحوال، وإن فى التشريع تطبيقا وفى التطبيق تشريعا. وقد واجهنا هذا الاعتراض عند الحديث عن الموروث والوافد للتمييز بين السمات المميزة لأوضاعنا الفكرية والعقدية والحضارية، فأثير الاعتراض على ذلك بأن فى الموروث وافدا وفى الوافد موروثا، وهما متداخلان.

وأنا أعرف أن التداخل قائم بين الظواهر المختلفة، وأن من يطالع أول المقالين اللذين يعقب عليهما يتأكد أن فترة التشريع تضمنت ما لا يعتبر قرآنا ولا سنة من أقوال وأفعال الرسول والصحابة. كما أننى لا أغفل عما كتبه أستاذنا الفاضل د. عبدالحميد متولى، ولا عما أفتى به شيخ الإسلام الإمام محمود شلتوت، ولا عما تعلمناه عن شيخنا الأستاذ عبدالوهاب خلاف. ولا أجد فيما قلت ما يتعارض مع أقوالهم. وإذا كان هذا قولى، فهل وجد الأستاذ المعقب فيه ما يدعوه إلى تذكيرى بكل ما ذكرنى به مشكورا؟! وهل وجد فيما قلت أننى أحتاج إلى من يذكرنى بأن وقائع المرحلة الأولى لم تكن كلها أحكاما تشريعية؟!

على أى حال، فحتى فى هذه النقطة لا يكاد الخلاف يظهر بين المقال والتعقيب، فكلانا متفق فى أن وقائع المرحلة الأولى لم تكن كلها أحكاما تشريعية منزلة قرآنا

وسبب ما وجدته خلافا يتبدى في العبارة التي أكمل بها المعقب حديثه. قال: «بل برز فيها جانب، للتاريخ ـ لنسبيته ـ الدخل كل الدخل فيه» وقد لا نختلف في فهم هذه العبارة من أن ثمة جانبا من الأحكام يخضع للنسبية التاريخية. إنما ما أخشاه أن المعقب لم يحدد أو لم يهتم بتحديد «دائرة» ما يخضع للنسبية التاريخية في مواجهة ما يعلو على تلك النسبية. وتركنا نفهم أن ثمة ما لا يخضع لهذه النسبية بطريق مفهوم المخالفة. وللكاتب أن يختار ما يشاء من أساليب التعبير عن فكرته. ولكني لا أستاذ المعقب أعرف منى أن مفهوم المخالفة هذا أضعف أنواع الاستدلال، لأنه يحدد المعنى بطريق الاستبعاد، أي بطريق تحديد غيره؛ ولأنه قول صامت. أي أنه معنى يستفاد من سكوت، ولذلك يبقى المعنى غير محدد إلا بما تحدد به غيره، ويبقى ضعيفا يتلاشى مع أي تعبير مختلف.

الخلاف قد لا يتراءى هنا بيني وبين المعقب، ولكنه بين موقفين فكريين. أحدهما، يعني بتثبيت أن ثمة حكما ـ لا يخضع للنسبية التاريخية ـ يفترض وجودها وجودا مهيمنا على الشرعية في المجتمع، ويرى ضرورة إيضاحها. لا لأنها تشكل الأصول المرجعية لنظام البشر فقط، ولكن لأن هناك من عوادي الزمان الحاضر ما يتهدد وجودها، والموقف الثاني، يوجه عنايته في الأساس إلى بيان أهمية الطرف التاريخي في بناء الأحكام، بحسبان ما تفرضه متغيرات الحياة على فقه النصوص من أحوال، وهو يرى ضرورة إيضاح هذا المعنى لئلا يكون في ثبات النص تجميد له وللمجتمع الحاضر على حال من أحوال الماضي ويمكن أن يجري حوار مثمر بين هذين الموقفين. فكلاهما نقف على معبر من معابر النشاط الوطني والإسلامي.

على أن ثمة موقفا آخر نرى واجبا ألا يلتبس في الموقف السابق. فالبعض يرى أن الأحكام كل الأحكام، والنظم كل النظم، والأفكار كل الأفكار، خاضعة للنسبية التاريخية. إذ وجدت كلها في زمان ومكان وتتحدد بهما، وتخضع لهما، وتنتهي بانتهائهما. وأنها تخضع دائما للمراحل الكبرى لتاريخ البشرية كقانون حتمي للتغيير. وأن كل شيء موقت طارئ وحديث وهو موقف من التاريخ والمجتمع يصدر عن موقف فلسفي يتعلق بأصالة المادة وأحدية الروح. هذا موقف يعارضه موقف إيماني يقوم على الاعتقاد بالغيب وبالرسالات، وأن ثمة أحكاما يخضع لها البشر لها وضع سرمدي غير تاريخي، يعلو على أوضاع الزمان والمكان وعلمهما. والأمر هنا لا يتعلق بالأصالة والتجديد، ولكنه يتعلق بالموقف الفلسفي في مسألة المادية والمهم، عندما نتحدث في أمر التشريع، ألا نخلط الأمور فنتحدث عن الأصالة والتجديد أو أوضاع فكرية، وذلك حتى نتجنب عندما نتحدث في موقف الفلسفي الآخر وقد نقصد بهذا لا يصح أن نحرر المسائل من اللبس والغموض عندما نتحدث عن العامل التاريخي وأثره في بناء الأحكام فليس من الصواب أن نعرض موقف الفلسفي كموقف اجتماعي.

ونحن لا نختلف في أن من الأحكام ما يخضع للزمان والمكان. ولكننا نطمح في تحديد تلك الدائرة من الأحكام التي تعلو على اختلاف الزمان والمكان. وأكاد أقول إن نسبته إلى أثر الزمان والمكان في تغيير الأحكام أمر يعترف به حتى المحافظون، وذلك متى تحددت دائرة الأحكام المنزلة ولم تسرب النسبية التاريخية إلى النصوص المنزلة.

لذلك، كان جهدي أن أقيم من هذه النقطة معيار الفصل بين مرحلة «التشريع» وباقي المراحل، «التطبيق» أي تحديد الفصل بين ما هو «نص منزل» وبين ما هو تاريخ من التاريخ.

ثالثا: يعترض المعقب على «الفصل الصارم» بين مراحل التشريع والتطبيق، ويرى أن ناسا كثيرين ينصرفون عن الاهتمام بالشروط التاريخية لتطبيق الأحكام، وهو يقصد بذلك الشروط الاجتماعية العامة كشرط توافر الكفاية من الرزق لتوقيع حد السرقة، وهو يعتبرها شروطا تاريخية لأنها تتغير بتغير الزمان.

ولا أظن أن عباراتي كانت تتضمن فصلا صارما، فالفصل ليس صارما، ولكن الارتباط أيضا ليس ملزما. وما يسميه سيادته شروطا تاريخية أو اجتماعية، هي مما عرفه الفقه الإسلامي من قبل. وذلك إن كان قصده في حدود ما أوضح من الأمثلة، وهو يقول إن مرحلة التشريع «لم تكن بعيدة تماما عن التاريخ».

وأنا أخشى من التأكيد الذي تفيده هذه العبارة، معنية. هل يقصد أن المرحلة التي نزلت فيها الرسالة ليست بعيدة، كلها، عن التاريخ. بمعنى أن بعضها يخضع للتاريخ؟ أم أنها ليست بعيدة، تماما، عن التاريخ، بمعنى أن للتاريخ يتعلق فيها عامة؟ نحن نقبل المعنى الأول، ونخشى مما قد توحيه العبارة حسب المعنى الثاني، لما قد يرد إلى ذهن بعض القراء من خوف نسبية التاريخ بأحكام ثابتة منزلة. والمعقب في هذا يلعب ولا يبين، ويورد ما يشتبه من الأقوال.

إني أحلل عبارة وردت في سياق يتعين أن نوليه اهتماما جادا وهادئا، إذا أردنا أن يكون لحوارنا ثمرة بيان وجوه الاتفاق وتعيين نقاط الخلاف. بغير شطط وبغير إضمار. وأكرر أن الأمر والحوار هنا لا يتعلقان بخلاف بيني وبين المعقب، ولكنه خلاف عميق بين تيار فكري وتيار آخر ونحن نعلم أن مقتضى المذهب ليس بمذهب، ولكننا نستطرد في البيان وفقا لمقتضى النظر لنتوغل بقدر الإمكان إلى حدود فكر القارئين.

وأساس النظر عندي، أن ثمة أصولا وإطارا مرجعيا أرى وجوب الحفاظ عليها، وهي ـ إن نظرنا إليها على المستوى الفلسفي ـ وجدناها ذات أساس إيماني، وإذا نظرنا إليها ـ على المستوى الاجتماعي والحضاري ـ وجدناها قوائم ارتكاز تتجمع عليها وحوله إدراك الهوية والشعور بالانتماء لدى الجماعة. حتى إن تعددت الأديان فيها.

واستطرادا في الحديث، أقول: «إن واحدا من المشكلات الأساسية التي يتيحها مفهوم المراحل التاريخية التي تشمل تاريخ البشرية جمعاء، أنها تختصر الملامح الحضارية لكل جماعة عاشت بمفاهيم وقيم وأسس ولغة حضارية. هي قوام تشكل الجماعة بخصائصها وتاريخها وحاضرها، وهي ما يشكل حاصة «الأنا» لديها. وإن تحريك مراحل التاريخ لنشرى من تلك الخصائص الحضارية المميزة لكل من الشعوب تطمس ذاتية هذه الشعوب ويفتح الطريق لحضارة الغرب لتعسة التي

تعد بحسبانها تقدما وعصرية وحداثة، وبحسبان تاريخ الغرب هو معيار التاريخ البشرى كله، وبحسبان أن حاضره هو مستقبلنا، وأن واقعه هو مدينتنا الفاضلة.

رابعًا: يذكر الأستاذ المعقب أن مراحل التطبيق لم تكن تطبيقا فقط، بل شملت تشريعا وتأصيلا، وقول المعقب سليم لا أعارضه فيه، إذا نظرنا للتشريع بالمعنى الوضعي للكلمة، بحسبان أن التشريع هو أهم مصادر القواعد القانونية في الفقه العلماني المعاصر. والقاعدة القانونية هنا هي ما اتسم بالعموم والتجريد من الأحكام. وبهذا المنطق فإن جهود فقهاء الإسلام في العصور التالية على التنزيل - أى عصور «التطبيق» - تضمنت بطبيعة الحال عددا ضخما من القواعد القانونية التى تتسم بالعموم والتجريد.

ونحن نعلم أنه في ظل القانون الوضعي وفقهه، ثمة تداخل بين التشريع والتطبيق يعرفه رجال القانون. وهو تداخل تتدرج به القواعد القانونية من مدارج العموم إلى الخصوص، وذلك بمراعاة مراتب العموم والتجريد، وبمراعاة الأدوات التى تصدر بها القواعد القانونية.

فالقانون تشريع. ولكنه - في بعض الحالات، وبمعنى من المعانى - قد يعتبر تطبيقا لقواعد قانونية أعم وردت بالدستور واللوائح التنفيذية تعتبر من بعض وجوهها تطبيقا لقواعد أعم وردت بالقانون... وهكذا بل إن أحكام المحاكم بصورتها التطبيقية الخالصة، قد تتضمن مبادئ عامة، ولها باستقرارها قوة امتثال وهيمنة، لاسيما إن كانت من جهات قضائية عليا. ومن ثم تعتبر في بعض حالاتها ذات صبغة تشريعية.

وبهذا التصور، فإن اجتهادات فقهاء الإسلام وقضاة الشريعة - فيما أسميه مراحل التطبيق - تتضمن تشريعا، والمعقب مصيب بهذا المعنى، ولكننى عندما تكلمت عن مرحلة التشريع الإسلامى ومراحل تطبيقه، لم أكن أتحدث في إطار المعنى الوضعي السابق، فقد كان همى أن أورد الفرق الأساسى بين المرحلة التى نزلت فيها أحكام الإسلام بوصفها المصدر الرئيس للشرعية والاحتكام، وبوصفها الإطار المرجعى الثابت غير المتغير لكل ما عداها، وبين المراحل التى توالت فيها جهود فقهاء الإسلام في العصور التالية على التنزيل، أى عصور التطبيق. فأحكام مرحلة التنزيل، إنما هى أحكام منزلة غير تاريخية تعلو على الزمان والمكان وتحكمهما، وهى مصدر الشرعية القانونية والنظامية. وهى المسلمة الأولى في هيكل البناء التشريعي والشرعي. وهى تستمد وضعها المهيمن، لا من التاريخ ولا من القانون الطبيعي ولا من أى فلسفة تاريخية أو وضعية، ولكنها تستمده من البناء العقدى ومن الفطرة الإيمانية.

وإن كل نظام تشريعى تتسلسل جذوعه وجذوره حتى تصل إلى أسس عامة ومسلمات وإطار مرجعى شرعى. وهذه الأسس والمسلمات تستمد شرعيتها من خارج الإطار التشريعى، أى من المجال الفلسفى. وأسس التشريع الإسلامى، تستمد في النهاية من الأساس العقدى الخاص بالغيب والإيمان بالربوبية وبالرسالة المحمدية. كما أنها تستمد من أساس تاريخى حضارى يرد مما جرت به حياة الأمة بضعة عشر قرنا، واستقر في وعيها وكيانها الجمعى من قيم ومثل نبتت وتأصلت وصارت مصدرا للشرعية لديها. فضلا عن كونها واحدة من الركائز التى يقوم عليها الكيان الجمعى للأمة والشعور بالانتماء المشترك لدى الجماعة. وفضلا عن كونها من أركان البناء الحضارى الذى تكونت به الذات التاريخية للأمة.

وبهذا، فإن التفرقة التى كنت أجريها بين مرحلة التشريع ومراحل التطبيق، إنما جاءت في مجال بيان الأصل الثابت المرجوع إليه، ولم تكن في مجال التعريف المدرسى بالقاعدة القانونية. وكنت أحاول به التفرقة بين ما هو ثابت لا يتغير وبين ما هو متغير وتاريخى.

وإن خلافى الأساسى هنا مع ما توحى به عبارات التعقيب، أنها تطمس الفوارق والفواصل المميزة بين الثابت غير التاريخى، وبين المتغير التاريخى.

ولست أتفق مع ما توحى به بعض عبارات التعقيب من امتداد الصفة التاريخية امتدادا شائعا متغلغلا غير محدد ولا محدود إزاء الأحكام عامة - ومنها الأحكام المنزلة - وتداخل هذه الصفة عبر مراحل التشريع والتطبيق، دون اهتمام ببذل الجهد للتمييز بين الثوابت والمتغيرات.

وأنا لم أقل إن الجهد الفقهى هو مجرد تطبيق آلى للتشريع الإلهى، ولم أسبغ عليه قدسية النصوص المنزلة لذلك، فاجأنى أن يعترض المعقب على معنى قول لم أقله. وإذا كان هذا من آفات فكر عدد من المفكرين المسلمين المعاصرين، كما قال، فأرجو أن يوافقنى الأستاذ المعقب على قيام آفة أخرى تتعلق بهذا الجهد الدءوب الذى يقوم به بعض المفكرين المسلمين المعاصرين، عندما يسقطون نقدهم لآراء فقهية قديمة على الأصل المرجعى الثابت في القرآن والسنة، ويمدون بردة التاريخ إلى مجال النصوص المنزلة، ويحاولون أن يشيعوا مفهوما بأن الشريعة وأسسها هى محض أحكام أفرزتها تجربة تاريخية منذ ألف وأربعمائة عام.

خامسًا: فهمت من حديث الأستاذ المعقب من هناك أن ينكرون دور العقل في بناء حضارة الإسلام، وأن هؤلاء المنكرين لدور العقل يؤكدون على دور الشريعة كأساس لهذه الحضارة. ولا أظن أحدا - حتى من غلاة المحافظين - أنكر دور العقل، وإن لفظى «المعقول والمنقول» يجريان مجرى الاقتران على ألسنة الأزهريين من قديم. ومازلت أتصور أننى لست بحاجة لأن أبرئ نفسى من تهمة إنكار العقل، ولا أظن أحدا ينكر ما حض عليه «النقل» من إعمال العقل. وغالب الخلاف القائم الآن ليس بين النقل والعقل، ولكنه بين «العقل والعقل»، أو هو خلاف بين «نقل ونقل». وذلك أن الناقلين ينقلون من حضارة الغرب ما لم يعملوا فيه عقولهم إعمالا كافيا يلائم أوضاع بيئتنا.

وإذا كان الأستاذ المعقب قد أوجب علينا أن ننظر للتداخل بين مرحلة التشريع ومراحل التطبيق، فهو الآن يوجب علينا العكس، وهو الفصل بين «العقل والنقل»، أفلا نقول له على طريقته: إن في المنقول معقولا، وإن في المعقول منقولا[1] وقد فصل سيادته بين العقل والنقل: كما لو كانا ضدين لا يجتمعان ولا يرتفعان. وإذا كان العقل والنقل معتبرين، سواء فيما انحدر إلينا من تراث أو ما وفد إلينا من الغرب، فليس من الإنصاف تسمية ما عقلناه في

تراثنا «نقلاء»، وتسمية ما نقلناه عن العرب «عقلا».

وهنا كنت أود ألا يتحرك الحوار فجأة من النقيض إلى النقيض، لتتحول العناصر الخصبة في بدايته مسدودة. وكنت أود أن نبتعد عن التراشق بالسؤال، ولا يدور الحديث حول أننا نتصور أن تقدم مجتمعنا المعاصر «رهن فقط بقطع الأيدى»، ولا أظن الغلاة أنفسهم يقولون بهذه الـ «فقط». ولا أدرى أهو يدخلني في القائلين بهذه الـ «فقط»، لأن حواره معي؟ أم تركها يفهمها من يشاء من القراء بغير تبعة على الكاتب؟ على أى حال، لا أظن أن فيما كتبت شيئا يفيد هذه النزعة الخطابية المثيرة. وكنت أود أن يدور حوار الأستاذ المعقب مع من يقول إن الشريعة أعم كثيرا من الحدود ومن الزنى والخمر، وإنها شريعة عامة، وإنها ركن ركين في أى بناء يقوم بالنهضة والاستقلال والوحدة دون أن تكون وحدها مدار ذلك كله، وإنها ركن في تاريخ وحضارة، وركيزة في هوية وانتماء، وعمدة في قوة تماسك الجماعة.

إن دراسة الظروف الاجتماعية والتاريخية لانتشار تطبيق الشريعة ولقوة المجتمعات الإسلامية حينا وضعفها حينا، أمر نعترف بأهميته وفائدته. ولكن، هل يغيب عن البال أننا لم نبرح مرحلة المطالبة بالإقرار بأصل وجودها وشرعيتها، لأن هذا الإقرار بعد متهم، والأصل منكور مجحود، لدى الطرف الآخر من الحوار. وبرغم نص الدستور على اعتبارها مصدر التشريع؟ وهل يرى المطلوب بقاءها منكورة حتى تدرس الظروف الاجتماعية والتاريخية التي أنشأتها أو أضعفتها؟

قد يقول قائل إن هذا أمر طبيعي، فلا نعتمد أمرا إلا بعد دراسته. ولكن، هل تصح دعوى الداعي إلى تعطيل المطالبة بالاستقلال، حتى ندرس أسباب انتكاس أحمد عرابى سنة ١٨٨٢م؟ القصد أن نقول إننا في المسائل الخاصة بالانتماء وبعناصر الوجود الجمعي، نحن لا نشترط الدراسة قبل الإقرار والإحساس بها، ولكننا نفعل ذلك ونحن ممتثلون لواجب الانتماء والهوية، باعتبار أن الانتماء والهوية مفروضتان علينا بحكم اللزوم، فلا نختار بينهما وبين غيرهما، ولا نشترط على أنفسنا الشروط. وإن أنا اشترطنا الشروط للاعتراف بأصل انتمائنا، فإننا نكون قد أخضعنا هذا الانتماء للاختيار، نكون قد ألحقناه بنا بدلا من أن نلتحق نحن به، نكون قد حكمنا عليه بدل أن نحكم به. نحن لا نختار مصريتنا ولا عروبتنا ولا نختار أسس جماعتنا. وفي الشريعة عنصر انتماء بحسبانها من مقومات الوجود الجمعي، سواء بحكم المكون الحضارى والتاريخي لنا عربا ومصريين، أو بحكم المكون الديني الإيماني لنا كمسلمين.

وبعد أن وافق المعقب على وجود الشريعة بعد عهد الراشدين، أبدى ميلا للتحفظ على هذه الموافقة. وقد أبدى هذا التحفظ بأسلوب أكثر إمعانا في التعبير المنفى، إذ قال إنه لا يصح القول بأن الشريعة كانت غائبة لمجرد خروج المحكومين عليها. ثم قال إن هذا الذى لا يصح، لا يصح إلا إن كان إعلان الخروج عن الشريعة صادرا من الحاكم، ولا أظن أن حاكما قبل القرن التاسع عشر أعلن إعلانا بالخروج عن الشريعة، ومن صنع ذلك بعد هذا التاريخ هو من نناقش اليوم صنيعته، فلا يحتج به علينا. ولعل المعقب يقصد أن ثمة من خالف الشريعة من الحكام السابقين. وهذه النقطة هي ما تعرضت لها في مقالي بما لا داعى معه للتكرار. على أنني في هذا الصدد أود أن أسأل الأستاذ المعقب عن قوله في مبادئ الثورة الفرنسية وما عرفناه، بله عهود روبسبير ونابليون ولويس الثامن عشر والعشرون الثالث على مدى أربعة أخماس القرن. هل ينكرون على الثورة الفرنسية دعوتها إلى الديمقراطية بسبب هذه التجارب التاريخية؟! أم نعترف بها وبما قدمت برغم نسبية التطبيق؟

سادسا: أما عن الدولة العثمانية، فلا أظن أن حديثي عنها تم بشير الحماسة كما يذكر المعقب، وما كتبته عنها في مقالي، لم يرد إلا تعليقا على اتهامات مطلقة وجهت إليها فتعمدت أضرب بها مثلا لخطأ هذه الأحكام المطلقة، وللمعنى الحقيقي لإعادة كتابة التاريخ. وقدمت لذلك بأن الحديث عن هذه الدولة هو حديث في التاريخ ولا ينبغى أن يثير جدلا سياسيا، إنما هو تاريخ نستخلص منه العبرة. وأشرت إلى نقاط محددة، وهي أنها دافعت عن ديار الإسلام قرونا، وأن الفساد المطلق الذى تصور به ما كان يسبقها بستة قرون، وأن غالب مصادر التاريخ التي بين أيدينا كانت متحازة ضدها، وأن ثمة مؤرخين الآن يعيدون دراستها بمصادر ووسائل أدق.

وقد كتب المعقب في هذا الأمر، فأطال وأطنب، كما لو كان أصل خلافنا حولها، ومع ذلك لم أجده قد نقض بحديثه عنه نقطة واحدة من الملاحظات التي كنت ذكرتها. وهو تكلم في نقاط أخرى لا أجدها تتعارض مع ما كنت كتبته، وقد لا أخالفه في عديد منها، وعندى أن شأننا في هذا الموضوع وما يماثله، لا ندافع ولا نهاجم، ولكننا نبحث، ولا نكره ولا نحب، ولكننا نستفيد الدرس.

الدولة العثمانية ليست مجال معركة فكرية، ولذلك، فإنني عازم على وقف الحديث في هذه النقطة.

ولكنى أشير إلى ملاحظتين، الأولى، أن خلو سجلات المحكمة الشرعية من ذكر لقضاء الحدود أمر تتفاوت فيه دلالته المعقول، وهو لا يفيد باللزوم انتقاصا من أصل قيام الشريعة الإسلامية، ولم يقل أحد في الماضي ولا في الحاضر إن مدى تطبيق الشريعة يقاس بعدد من قطعت أيديهم.

ولا يقاس مدى احترام القانون ونفاذه في أى بلد بعدد المحكوم عليهم بالحبس والإعدام، وإلا كانت الدول الأوروبية في البلاد احتراما للقانون. والمعروف أن أحكام الحدود في التاريخ الإسلامي كانت قليلة، وأن الأثر الرادع يفوق ما عداه منها، حتى في عهد الرسول ﷺ.

والملاحظة الثانية، أن إنكار قيام الشريعة كمصدر للشرعية على هذا المدى المتطاول من الزمن الذى يقاس بالقرون، لا تقوم معه حجة مستديمة لصالح دعاة النظم الوضعية، فإن قصارى إنكارهم وجود الشريعة في الماضي أن نظم الماضي كانت وضعية، ونتيجته في بحث ذلك تكون ما يصورونه من فساد تلك النظم العابرة، مما يسىء إلى النظم الوضعية بعامة، ويحمل عليها أوزار الماضي، ويبرئ ساحة الشريعة من هذه الأوزار، وتصير أحكام الشريعة المطلوب تطبيق الآن هي سبيلا متأنيا لم

يحرث بعد في التطبيق الماضي. وإذا كانت عبارات المعقب توحي أن الدولة العثمانية لم تكن تطبق الشريعة، فأتصور أنه يكون بذلك ساق حجة ضد منكري الشريعة، إذ فك التلازم الذي يصورونه ويوحدون به بين حكم الإسلام وبين الدولة العثمانية، ليتصوروا الإسلام تمثل هذه الدولة، ويجرحوه بما يسفهونها به.

وليتدبر الأستاذ المعقب أن نفي الإسلامية عن سائر نظم ما بعد الراشدين وعهودهم، أمر يوافقه فيه الغلاة من الحركة الإسلامية ليتدبر في هذا الاستقطاب الحاد الذي تحدثه فكرة واحدة فيضرب بها الاعتدال، ولا يبقى إلا غلاة على الطرفين، معطلون للشريعة يعتبرونها ابنة تاريخ غبر، يقفون في جانب قصي، ومكفرون للمجتمع يقفون في جانب قصي آخر.

سابعا: لا أتفق مع ما يذكره الأستاذ المعقب من أن علاقات القانون العام التي تقوم بين الأفراد والدولة وبين مؤسسات الدولة بعضها وبعض، «كانت بعيدة تماما عن مجال الشريعة الإسلامية». وإن كنت أسلم بأنها لم تول اهتماما كبيرا من فقهائنا السابقين، وأسلم بأن الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسات الواعية لآليات عمل الدولة في المراحل المختلفة، ودراسة فقه الأحكام السلطانية، كما أتصور أن هناك استحسانا عاما وتقبلا للكثير من نماذج التنظيمات التي تولدت في الحضارات الأخرى والحضارة الغربية المعاصرة. وإنه يمكن هضمها في إطار كليات الشريعة وسيادتها.

وقد فرق المعقب بين إعلان الدولة تطبيق الشريعة، وبين التزامها الفعلي. والفرق قائم أقر به. ولكن هناك فرقا آخر لم أر المعقب اعتنى به أي عناية، وهو الفرق بين من يعلن الخروج عن الشريعة وإزاحتها عن مجال الشرعية المهيمنة في المجتمع ونشاط الدولة. وبين من يقر بحاكميتها وسيادتها وإن خالفها. هذا فرق هام جدا لا أظن أن علم الاجتماع القانوني يسقطه من حسابه. وهو في الفقه الإسلامي يماثل الفرق بين المنكر والعاصي، أي بين من يقول بعدم تحريم الخمر أصلا ومن يقول بتحريمها وإن شربها الأول، يعتبر منكرا لما يعرف من الدين بالضرورة. ولا يعترف بأصل الشريعة القائمة.

والثاني، لا يعتبر من الخارجين على الملة، وإن وجب عقابه وردعه

ثم يميز بين القانون الرسمي والقانون الشعبي الواقعي. وهو يبتعد بالأول عن الشريعة فلا يجعله حكرا عليها، ويسلم بوجودها في الثاني، أو «لا يرفض هذا القول في «عمومه»، ثم يشك في أن «الأمة» التي تطبق هذا القانون الإسلامي كانت تعلو «الدولة» التي لا تطبقه، لأن الأمة في قوله إن علت على الدولة لكانت بلورت «نظرية» مماثلة لنظرية القانون الطبيعي في أوروبا إبان عصر نهضة «البرجوازية». وأنا لم أفهم هذا التعليل برغم أنني دققت فيه كثيرا. هل يمكن أن نجزم بأن أمرا لم يحدث عندنا. لأنه لو كان حدث لنتج عنه ما حدث في أوروبا؟ هل بلغت حتمية الامتثال للتجربة الأوروبية هذا الحد من التطابق الآلي؟ وإذا كانت الأمة التي تطبق القانون الإسلامي تعلو الدولة التي لا تطبقه تماما، فمن المنطقي أن يتبلور فكر الثورات والمقاومة في صيغ إسلامية. ومن المنطقي أن يبتعد عن المنزع العلماني مثلا. وهذا ما حدث في الحركات الثورية والفكرية الكبرى التي عرفناها منذ ابن تيمية وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

ومن جهة أخرى، فإن حكام اليوم في النظم العلمانية القائمة، سلطانهم نراه أوسع وأنفذ وأوغل في حياة الناس من حكام الأمس وإنسان اليوم لا يستطيع أن يمارس حياته اليومية إلا وفق مجموعة ضخمة من القواعد والعلاقات التي تقيم الدولة طرفا فيها، والتي تسنها مؤسسات الحكم وهذا أثر من آثار النظم الوضعية في مجتمعاتنا لأن القانون الوضعي صار صنوا لقانون الحاكم، ولأن النظم الوضعية حطمت الكثير من المؤسسات الاجتماعية التقليدية التي كانت ذات قدرة على التسيير الذاتي. وكل ذلك على خلاف ما كان عليه مجتمع الأمس بالنسبة لاتساع نطاق النشاط «الأهلي» غير الحكومي وامتداده في المؤسسات الفكرية والتعليمية والقانونية والاقتصادية. وهذا أمر نعمنا فيه بعلمه وذكائه أستاذنا الدكتور توفيق الشاوي، ولذلك، فلا أتفق مع الأستاذ المعقب في غلبة قانون الحاكم على قانون «الأمة» قديما، وإن كنت لا أقره أيضا في مدى ابتعاد الحاكم قديما عن الشرعية الإسلامية.

ثامنا: نقل الأستاذ المعقب عن بحث آخر أن فتوى كانت صدرت في الدولة العثمانية تجيز التعامل بالربا فيما لا يزيد على ١٥٪. ولم أتبين دلالة ذلك فيما نحن كلانا يجادل فيه. والربا موضوع لبحث فقهي خاص، واختلاف الرأي فيه لا يعني بالضرورة إهدار الشرعية الإسلامية. ونحن نرى الآن من يفتي بأن بعض أنواع شهادات الاستثمار لا يعتبر صكوكا ربوية. وقد نختلف أو نتفق مع القائلين بذلك، ولكن الكلام هنا كلام في الفروع وليس في أصل انطباق الشريعة، متى كانت الآراء المتعارضة تستند إلى أصول الشريعة

فإذا كان الأستاذ المعقب يريد أن يستدل من هذه الفتوى على أن الشريعة لم تكن مطبقة، فهذا يلزمه أن يطالع الفتوى لنرى وجه اتكالها على أصول الشريعة أو استنادها إلى مستند وضعي غير شرعي وإذا سألني سائل عما إذا كنت أعد أي قول «شرعيا» متى ادعى استناده إلى بعض الأسانيد الشرعية، أقول لا بطبيعة الحال ولكن الحديث يجري على مستويين الأول، إقرار أصل قيام المبدأ والتسليم به. ثم يرد المستوى الثاني، وهو الاجتهاد والإحسان في تطبيق المبدأ بما يحقق أمثل الصور التطبيقية له، الكافلة باستقلال الجماعة وأمنها ونهضتها

وقد نجد في تحريم الربا والالتزام بهذا التحريم وجوها لمناهضة قوى البغي العالمية ومؤسساتها الاقتصادية ولكن شريطة ألا يكون منع الربا هو أول الحلال وآخره. شريطة أن يكون منع الربا هو أول الحلال فقط. أما آخر الحلال، فهو في نوع الأنشطة الاقتصادية المنتجة غير الطفيلية التي تبني اقتصادا مستقلا ناهضا يحرر الجماعة من التبعية للقوى الكبرى، ويحرر الإرادة السياسية للدولة من كل ما يضغط عليها ضد التحقيق الأمثل لصالح جماعتها ولن يقوم أول الحلال بغير آخره. فحق الجماعة حق الله

أدب السؤال



السؤال دليل حياة، ومدخل الإنسان بسؤال يعني به حتى يدري فيتعلم ويستزيد لأن يزداد علما ومعرفة. والأسئلة أنواع: فهناك السؤال التقريري

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة ١٠٦)

وهناك الاستفهام الإنكاري

﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾

(البقرة ١٤٠)

وهناك سؤال تقرير وسيادة في تعبير

﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

(المائدة ١١٦)

وهناك السؤال الاختباري، كسؤال الأستاذ لطلابه حتى يختبر معلوماتهم، وللاطمئنان على استيعابهم لما تعلموه، وهناك سؤال التعلم والتأكد من صحة واستقامة ما تعلم، كأسئلة الطلاب لأساتذتهم والعامة لعلمائهم. وهناك أنواع أخرى، مثل سؤال التحدي والتحقير

ولكل نوع من هذه الأنواع أسلوبه وصياغته ودلالاته وظروفه، وزمان إثارته وتوجيهه، وكيفية السؤال وصياغته تنبئ عن طبيعته وتشير إلى مستوى عقلية من أثاره، ولذلك قالوا: السؤال نصف الجواب. والسؤال المحكم بعبارات إذا حسنت صياغته فإنه بذلك يحدد المسئول عنه بدقة، ويبين غرضه والفائدة منه بحكمة، وهو ما قد يسميه القانونيون «بتكييف الواقعة أو المسألة»، أو ما يسميه الأصوليون بتحرير موضع النزاع، ويجعل مهمة المسئول سهلة ميسرة تنحصر في بيان حقيقة ما سئل عنه بحسبه، سواء أكان شأنا سياسيا أو لغويا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو دينيا أو فقهيا أو شرعيا، وقد يبين قيمة وأهمية ما سئل عنه رأي شيء أو حسب وجهة السؤال نحوه.

وللمجيب أن يحاور السائل حتى يعينه على إيضاح مراده ليحسن ويتقن الإجابة عنه. وللسائل - بعد ذلك - أن يستوضح حتى يطمئن إلى أنه حصل على الجواب الشافي؛ لأن هناك أجوبة غير شافية، وكلما ارتقى مستوى أسئلة الناس ارتقت إجابات المجيبين، ودل ذلك كله على رقي المستوى المعرفي والثقافي في تلك البيئة، وبين تلك الأمة من الناس.

ومن مظاهر الانحراف الخطيرة هبوط مستوى الأسئلة التي تثار أو غرورها بمعالي الأمور إلى سفاسفها، وعلى الأستاذ والعالم والمسئول أن يعلم المتعلمين كيف يرتقون ويرتفعون بمستوى أسئلتهم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾

(المائدة ١٠١)

والقرآن يتلطف في تعليم الناس كيف يسألون وعم يتساءلون

والأمم التي تتوقف عن السؤال، أو لا تعرف كيف تصوغ أسئلتها، لا تعرف أولوياتها، ولا تدرك مآلاتها. جاء بعض الحجاج من أرض السواد - العراق - إلى الحج فسأل بعض الناس على عبدالله بن عمر - صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، وأحد كبار قراء الصحابة - فاغتنموا الفرصة وجاءوا إليه يسألونه عن أمور دينهم، فأقبل عليهم. فإذا بهم يسألونه عن دم البرغوث، أيصلي بالثوب إذا أصابه دم البرغوث؟ فأشاح - رضي الله عنه - بوجهه عنهم، وقال: «أتقتلون ابن بنت رسول الله في أرضكم فلا تسألون عن دمه وتسألون عن دم البرغوث؟». وحين تهبط الأمة إلى هذه الدركة فما تحديدها أما الأسئلة، وقد تجاوز الأمر الأفراد والعامة إلى الخاصة فتلك هي الكارثة، وعلى مستوى الأسئلة الفقهية ومجامعها ومدوناتها لم نر من بين ما يثار من أسئلة موضوع وحدة الأمة، خاصة عند التحديات والخطر، ولم نر أسئلة عن المعادن والثروات في باطن الأرض، أهي ملكية خاصة للذين يعيشون على تلك الأرض أم هي ملكية للأمة؟ والتصرف بالأموال وضوابطه وموقف الأمة والشريعة منه، ترى هل أخطأ أبو العلاء المعري حين قال للديك:

استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد؟! وفي الأسئلة - أيضا - أسئلة استضعاف واستكبار

الطريق إلى وحدة الأمة الإسلامية

[illegible]
Addeeb @ hotm[illegible]

ينبغى أن يحرص المسلمون ـ أينما وجدوا ـ على وحدة أمتهم، وصيانة معتقداتهم، والدفاع عن امنهم وممتلكاتهم، ومواجهة الاعداء والخصوم، الذين يتربصون بهم، ويسعون للتفريق بينهم، وأن يكون الحفاظ على العقيدة الاسلامية هدفا . يجب التمسك به وعدم التخلى عنه، وذلك كله عن طريق الحوار الهادئ البناء.

مظاهر التوحد فى الامة الإسلامية

لقد كانت حياة الأمة الإسلامية من خلال شعوبها وعقيدتها موضحاً للمد والجزر وللتلاقى والاختلاف، وكانت العلاقة بالآخرين منذ بداية الفتوحات الإسلامية مشوبة بالقلق والحيرة، وعدم الثقة ـ أحيانا ـ مما أهل العلماء والمفكرين الإسلاميين من خلال مسيرة التاريخ لشرح مقاصد الشرعية، فيما يتصل بوحدة الكلمة ووحدة الصف، والتحذير من الفرقة والاختلاف، وكانت دعوة الإسلام ـ ولازالت ـ معنية بأسباب التوحد ومتطلباته، وجاء البيان لذلك فى القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال الإقرار بربوبية الله تعالى، والدعوة لعبادته وحده لاشريك له، وإلى مراعاة تقوى الله، تلك التى تؤهل القلوب مؤمنة، لتنتصر إلى كل ما يسير الطريق نحو حاضر الامة ومستقبلها

وجاء السند الأول لذلك من خلال آيتين كريمتين من آيات القرآن الكريم، تتفقان فى المضمون، وتتقاربان فى الهدف والغاية تقول الأولى:

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾

(الأنبياء: ٩٢)

وتقول الثانية

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾

(المؤمنون: ٥٢)

وتجلت الدعوة إلى التوحد فى سائر نطاقات العالم الإسلامى، وذلك بوجوب التمسك بكتاب الله الكريم، فهو حبله المتين الذى يجب الحرص عليه والاعتصام به فقال تعالى فى ذلك:

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وتكشف بدايات التكوين العقائدى للأمة من خلال مسيرة الإسلام، يوم أن كان دعوة جديدة ظهرت أصداؤها فى مكة المكرمة، وانتشرت فى المدينة المنورة، وأدت قوة لدفع لها، بفتح مكة، حيث توحدت الكلمة المتفرقة، التى احتمى بها الناس جميعا، وانتشر العفو والتسامح يوم أن دخلها الرسول والمسلمون، وكان الهتاف بالصوت النبوى من القرآن الكريم ودمت قوله تعالى

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾

(الإسراء: ٨١)

وحضّ الرسول ﷺ على حماية الدعوة وحتمية التوحد ونبذ الفرقة، ونشر المحبة والتسامح، وعدم ممارسة الإكراه فى الدين والأخلاق. فقال الرسول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه»[1]

وقد لجأ الرسول فى نهاية هذا الحديث إلى التشبيك بين أصابعه، تدليلا على حتمية التجمع وعدم التفرق، تلك هى البذور الأولى لإنبات المحبة والتلاقى فى بداية الإسلام، وعبّر الرسول فى حديث ثان عن حتمية التوحد والتعاطف والتراحم، وتلك بداية التوجيه البيانى، من خلال الحديث النبوى الذى أورده النعمان بن بشير حيث قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

وبدأت نطاقات العالم الإسلامى فى الاتساع قبل أن يلحق الرسول بالرفيق الأعلى، وتحركت الجيوش إلى الشام والعراق، وتوالت فى مرحلة تالية من حياة الامة الفتوحات الإسلامية، بعيدا عن حدود الجزيرة العربية، وكان التحذير دوماً من التفرق والانقسام، ونشر الفتنة، تلك التى تجتاح الأخضر واليابس، والبرّ والبحر فتعم البلوى ويزداد الفساد، قال تعالى فى ذلك:

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾

(الأنفال: ٢٥)

اسباب التفرق والشقاق

لقد تولدت الفتن عندما اتسع نطاق الأمة الإسلامية، والتى احتوت أجناسا مختلفة، وكانت السنوات تمر، ويأتى الوفاق الذى لايطول ثم لا تلبث الأحوال إلا أن تتغير، ولا يستقيم الحال. وقد خسرت الدنيا كلها كثير بسبب نشر الفرقة بين مكونات العالم الإسلامى، فكان الوفاق يتوارى ويظهر الشقاق. وأصبح واقع الامة الإسلامية خاضعا لتوجهات القادة السياسية فى عصر الدولة الاندلسية بالغرب، حيث تسرب الخلاف الى الدويلات الإسلامية الصغيرة، التى كانت تتنازع فيما بينها. مما شجع الاعداء على

١- متفق عليه

٢- [illegible]

اقتناص فرص الضعف، والتفرق بين إخوان الدين والعقيدة واللغة إلى أن هبت الرياح هبتها الأخيرة فاقتلعت آثار الحضارة العربية والإسلامية، بعد مرور ما يقرب من ثمانية قرون، من الجد والتميز، وكان البكاء لذلك الشأن حاراً موجعاً، ونذكر في ذلك قول الشاعر

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شان

وكانت القيادات في كثير من أحوال الأمة عبر التاريخ الإسلامي من أسباب الإخفاق والشقاق، والقتال بين الممالك والدويلات، مع أن المنهج الإسلامي ودعوته الرشيدة شديدة الحرص على التدقيق في اختيار القيادات، بحيث يكون الوصول إلى الولاية من غير نزاع وقتال، مع الاحتكام إلى الشورى، وتغليب صالح الأمة مع الرفق والرحمة واللين.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً وشق عليهم فاشقق عليه»(٣). وقال رسول الله ﷺ: «من خرج على الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة الجاهلية»(٤).

ويتهم الإسلام كثيرا – في الوقت الراهن – بما ليس فيه مع أن مبادئه ثابتة في حتمية الالتزام بالشورى، وتحقيق العدل والمساواة، وتولية الحاكم الأصلح، الذي ينبغي أن يكون اختياره مبنياً على أسس محكمة، مع التسليم المطلق بحق كل مسلم في تملك حرية الرأي، ولكن هذه القواعد – مع وضوحها – شبه مغيبة عن الواقع، ويتم توجيهها أحياناً على غير المراد منها؛ استجابة لتوجيهات وافدة من خارج الأمة على امتداد رقعتها وكثرة المنتمين إليها والحاملين لعقيدتها.

وحدة الأمة بين الماضي والحاضر

إن حرية الرأي مكفولة في الإسلام، وينبغي أن ينهض بها ويحرص عليها المسلمون في كل مكان وزمان، ونذكر في هذا الشأن مقولة أبي بكر عند بدء خلافته للمسلمين حيث قال: «أما بعد فإني وليت أمركم ولست بخيركم، وقال: «إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق»(٥)؛ أي أنه تولى أمر الأمة بعد الاتفاق على خلافته للمسلمين، ولم يكن بدء مهمته بقرار مسبق، أو بشيء بعيد عن الطرح الإسلامي، الذي تم تداوله بحرية ونقاش هادئ، في سقيفة بني ساعدة، وكان الاختيار مبنياً على الشورى، ونزولاً على قول الله سبحانه وتعالى:

[illegible]

(آل عمران: ١٠٥)

ونذكر صحائف التاريخ أن عمر بن الخطاب عندما كان في النزع الأخير طالبه الصحابة بالوصية فقالوا له: «أوص يا أمير المؤمنين استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدالرحمن وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شيء»(٦).

ثم واصل وصيته التي أوصى فيها الخليفة من بعده بالمهاجرين والأنصار وأهل الأمصار، والأعراب، دون أن يستثني أحداً من مكونات المجتمع، واستقر إجماع الأمة فيما بعد على خلافة عثمان بن عفان.

وكان السعي إلى وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها وتأكيد وحدتها وعدم تمزقها، انطلاقاً من الحرية الشاملة التي أقرها الإسلام من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

إن واقع الأمة في الوقت الراهن يشعر ببعض الألم، ويدعو إلى مراعاة الضوابط والمعايير الإسلامية، بشأن الحوار الهادف البناء، وتطبيق أصول العدل والمساواة وحرية الرأي، ومقاومة كل ما يفت في عضد الأمة، ويهدد وحدتها، وأن يكون كل ذلك خاضعاً للرحمة التي حض الإسلام عليها في ضوء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»(٧).

لقد كانت الصفوة من المسلمين خلال مسيرة الدعوة إضاءات كاشفة إلى غيرهم من سائر الخلق في معظم دول العالم الإسلامي، والأمل في العودة إلى التماسك والترابط وتحقيق الوحدة الشاملة مازالت أحلاماً أو رغبات وطموحات، ينظر إليها سائر المسلمين في كل بقاع الأمة التي ستبقى – بإذن الله تعالى – مصانة بالقرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرص عليها والعمل بها. والله الموفق.

***

نحو خطاب إسلامى مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر



[illegible]
الأمين العام المساعد للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين

الخطاب الاسلامى: دلالة المفهوم والمصطلح

للخطاب مفهومان لغوى واصطلاحى:

المفهوم الاول اصيل. ثابت. بسيط غير مركب. عرفته العرب وورد ذكره فى القران الكريم. وفى حديث رسول الله ﷺ. وفى المعاجم اللغوية الاولى.

اما المفهوم الثانى. فانه معاصر وذو طبيعة تركيبية يتعدى بها الدلالة اللغوية. الى المدارك الفلسفية. والابعاد السياسية. والمرامى الاعلامية.

وتتضح الفروق بين الدلالات حسب السياقات التى ترد فيها.

اولا: على مستوى المفهوم اللغوى:

جاء فى لسان العرب: الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا. وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده.

والخطاب كما قيل: هو الكلام الذى يقصد به الإفهام. إفهام من هو أهل لفهمه. والكلام الذى لا يقصد به إفهام المستمع. فإنه لا يسمى خطابا (1)

ثانيا: على مستوى المفهوم القرآنى:

وردت فى القرآن الكريم مشتقات «خطب» تسع مرات. وورد لفظ «خطاب» ثلاث مرات وهى قوله تعالى

﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾

(النبأ: 37)

وقوله:

﴿ [illegible] وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾

(ص: 23)

والذى يعنينا منها لأن مما يناسب المقام هو قوله تعالى

﴿ [illegible] وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾

(ص: 20)

نلاحظ فى سياق ورود لفظ «خطاب» فى هذه الآية الكريمة أن الخطاب مقرون بالحكمة. وهنا مجال فسيح للتأمل والاستبصار والتدقيق فى اكتناه المعنى العميق للفظ «خطاب»، مما يخرج به عن المفهوم اللغوى بحسبانه مراجعة للكلام، أو الكلام الذى يقصد به الإفهام، ويرتقى به إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعنى الحكمة التى هى وضع الأمور فى حاق موضعها وتدبيرها على ما ينبغى لها.

ويتلاقى المفهومات اللغوى والقرآنى، فى تأكيد الدلالة السامية للخطاب، على اعتبار أن «فصل الخطاب» لا يتم على الوجه الأفضل، إلا إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمها.

ثالثا: على مستوى المفاهيم الحديثة:

الخطاب اصطلاح فلسفى، يقارب فى الدلالة «المقولة الفلسفية». فالخطاب الفلسفى لفلان هو منهاجه فى التفكير والتصور وفى التعبير عن أفكاره وتصوراته، وهذا الخطاب يتعارض أو يتوافق مع الخطاب الفلسفى لفلان.

ودخل هذا المفهوم فى الفكر السياسى المعاصر، فصار الخطاب السياسى، منطويا على المنظومة الفكرية والمضمون الإيديولوجى، مما يجعل الخطاب السياسى لهذه الجماعة معبرا عن عقيدتها السياسية واختياراتها المذهبية، فالخطاب فى هذا المقام ليس مجرد أسلوب للتبليغ، وطريقة للتعبير عن الرأى والموقف لكنه أيضا، الوعاء المعبر عن العقيدة والروح والفلسفة والمذهب

وينطبق هذا المفهوم أيضا، على الخطاب الثقافى، والخطاب الأدبى، والخطاب الفنى، والخطاب الاعلامى، وإن كان الخطاب الإعلامى أكثر استيعابا للمضامين الواسعة، بحيث يمكن أن يستوعب المستويات الخطابية جميعا، فيكون الخطاب الإعلامى الدينى، والخطاب الاعلامى الفلسفى، والخطاب الإعلامى السياسى... إلخ

وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الخطاب الإسلامى، باعتبار أن المقصود هو الوسيلة التى يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهاج الذى يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التى يريدون إيصالها إلى القطاع الأوسع من الرأى العام العالمى، وذلك عبر وسائط الإعلام والتواصل المختلفة، من المقروءة والمرئية والمسموعة

وبناء على ذلك، فإننا نستطيع أن نقول: إن الخطاب الإسلامى هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل(2).

تعريف الخطاب الاسلامى:

ويمكننا أن نعرف الخطاب الإسلامى تعريفا أوليا بأنه: الخطاب الذى يستند لمرجعية

(2) [illegible] http://www.[illegible]

إسلامه من أصول القرآن والسنة، وأى من سائر الفروع الإسلامية الأخرى.. سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية، أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية، أم أفرادا متفرقين؛ جمعهم الاستناد للدين وأصوله؛ مرجعيه لرؤاهم وأطروحاتهم. ولإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى يحيونها، أو للتفاعل مع دوائر الهويات القطرية أو الأممية أو دوائر الحركة الوظيفية التى يرتبطون بها ويتعاطون معها(٣).

مستويات الخطاب: أمة الدعوة.. وأمة الإجابة

أرسل النبى ﷺ إلى الثقلين حسبهما حتى قيام الساعة، فكل المكلفين من لدن بعثته الشريفة وحتى آخر مكلف تقوم عليه الساعة هم من «أمة الدعوة» باعتبار توجه خطاب الإسلام إليهم أما «أمة الإجابة» فهم من استجاب للدعوة المحمدية وأسلم وجهه لله تعالى.

ولكل من هؤلاء وأولئك أرسل النبى الخاتم رحمة:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء، ١٠٧)

وينبغى أيضا أن يكون لكل مستوى ومضمون تحصه فى الخطاب الإسلامى أما «أمة الدعوة» فيتأسس الخطاب الموجه إليها على هدى عدد من المبادئ ونشير إلى بعضها منها:

١- الاعتراف بأن الاختلاف بين بنى البشر فى الدين واقع بمشيئة الله تعالى، فقد منح الله البشر حرية الاختيار فى الاعتقاد بين الإيمان والكفر.

٢- وحدة الأصل الإنسانى والكرامة الآدمية: انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحجرات: ١٣)

وقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ٧٠)

٣- التعارف: لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحجرات: ١٣)

وكما ورد فى الحديث: «وأشهد أن العباد - كلهم - إخوة» (رواه أبوداود). فالتعارف أساس دعا إليه القرآن، وضرورة أملتها ظروف المشاركة فى الدار أو الوطن بالتعبير العصرى، وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلا من إهمالها ومن ثمرات التعارف التى دلت عليها الآية الكريمة، حصول المعرفة وتبادل التجارب وكذلك بذل المعروف الخلاق.

٤- التعايش: إذ أن حياة المشاركين لا تقوم بغير تعايش سمح بيعا وشراء قضاء واقتضاء طعنا وإقامة وتاريخ المسلمين حافل بصور التعامل الراقى مع غير المسلمين وقد حدد الله سبحانه وتعالى أساس هذا التعايش بقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة: ٨)

٥- التعاون: كثير من القضايا العامة تشكل همّا مشتركا بين المسلمين وغيرهم، ويمكن التعاون فيها، كما أن الأخطار التى تتهددهم معا ليست قليلة، ويمكن أن تشكل هذه القواسم المشتركة منطلقا للعيش والتعاون.

وأما «أمة الإجابة» فنستلخص ما يجب أن ينصرف إليه الخطاب الإسلامى المعاصر بخصوصها فى كلمة «المصالحة»:

● المصالحة بين العاملين فى الحقل الإسلامى، ولاء وقياما بالفرائض والشرائع، بقوله الحق عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ٧١)

● المصالحة بين جماعات العمل الإسلامى والتيارات الوطنية والقومية، تعاونا على البر والتقوى، وتناهيا عن الإثم والعدوان، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(المائدة: ٢)

● المصالحة بين المؤسسات الرسمية والشعبية.

● المصالحة بين الشعوب والأنظمة.

ولنا، بإذن الله تعالى، إلى هذه «المصالحات» الواجبة عودة عند حديثنا عن «آفاق الخطاب الإسلامى المعاصر».

امتداد الخطاب: النخبة.. والجمهور

إن تأمل قول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم: ٤)

يدل بوضوح على أهمية تخير «اللسان» المناسب لكل قوم ولكل خطاب. فليس ما يصلح تعليما وتربية لـ«أمة الإجابة» صالحا بالضرورة داعيا وهاديا لـ«أمة الدعوة»، وكذلك.. ما يصلح مثاقفة وتأملا لـ«النخبة» من أهل الفكر والرأى والسلطة بصالح بالضرورة خطابا عاما للجمهور.

ولا يعنى هذا إحداث نوع من الفصام بين «النخبة» و«الجمهور».. فدين الله تعالى واحد، بيد أن لكل منه نصيبا مقدورا من الفهم والوعى والتمثل.. وفى المأثور عن الإمام على - رضى الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون.. أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!»(٤)، ومثله ما روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - بسند صحيح: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٥)

يتبع

---

(٣) [illegible] http://wessamfouad.maktoobblog.com

(٤) صحيح البخارى بالرقم ١٢٧

(٥) ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية ط د ت - ص١٥٦

جيل قرآني فريد



في نحو عشرين عاما، أو تزيد قليلا، اقام النبي ﷺ دولة الإسلام في صحراء شبه جزيرة العرب بصورة لم تكن تخطر على بال احد. وبعث رسله يدقون ابواب الدول المجاورة لجزيرة العرب ... إلى الحد الذي روى فيه الامام مسلم عن انس بن مالك، رضي الله عنه.. ان نبي الله ﷺ كتب الى كسرى، والى قيصر، والى النجاشي، والى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه »(٢). إن كلمة النجاشي لقب لملوك الحبشة في ذلك الزمان وليست اسم علم على ملك بعينه. شانها شان كلمة (فرعون) بالنسبة لملوك مصر القديمة. وكلمة (المقوقس) بالنسبة لحكام مصر الذين كانت تعينهم الدولة الرومانية الشرقية.

واهم من ذلك انه ربى جيلاً من الصحابة الأخيار الأبرار على وقع تنزل الوحي وهديه، وبرعاية الله لنبيه ﷺ وعنايته به، حتى خرج من هذه التربية النبوية رجال ليس لهم فيمن بعدهم نظير. وصفهم سيد قطب، رحمه الله، بانهم «جيل قرآني فريد»(٣). استطاعوا أن يكملوا الرسالة من بعده، فخرجوا من الجزيرة العربية ليواجهوا الامبراطوريتين العظيمتين لا للاستيلاء على مغانم وبلاد وأراض، ولكن ليبلغوا رسالة ربهم ويخرجوا الناس من جور الحكام الى عدل الإسلام.

كان هدف الفتوح -وفتح مصر من بينها- هو بناء الإنسان المسلم الذي يعرف ربه حق المعرفة ويعبده كما ينبغي له سبحانه وتعالى، فتلك هي رسالة الإسلام(٤) الحقة الخالدة كما قال القرآن الكريم

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

(الذاريات: ٥٦)

ولذلك كان قول المسلم إذا سئل عن إلهه:

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم: ١٤).

وكان محرما عليه أن يعبد سواه:

﴿ ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴾

(هود: ٢)

وعلمه القرآن أن الحاكم المستحق للعبادة هو رب العالمين

﴿ [illegible] ﴾

(يوسف: ٤٠).

والآيات في هذا المعنى الكلي عديدة. وقد حكاه القرآن على لسان أنبياء الله ورسله كافة. وهذه العبادة تتضمن بطريق اللزوم الخضوع لأوامر الله ونواهيه، أي التسليم بما شرعه الله تعالى على لسان رسوله ﷺ.

لقد تم فتح مصر في نحو عامين (١٩ هـ - ٢١ هـ)، واستقر الحكم الإسلامي فيها بعد هزيمة منويل الخصي سنة ٢٥ هـ وكانت هزيمته على يد قائد الفتح الأول عمرو بن العاص الذي عاد إليها من المدينة بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعد أن كان قد عزله وولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فلما دخل منويل الإسكندرية وغلب عليها، أعاد عثمان بن عفان عمرو بن العاص ليقود المسلمين في هذه المواجهة الثانية مع الروم على أرض مصر.

وكان الجيش الإسلامي يضم عشرات من أصحاب رسول الله ﷺ الذين تربوا على يديه، وتعلموا منه، وشاهدوا تنزل الوحي، فكان هؤلاء هم حملة الإسلام إلى مصر وأهلها. نعم، إن الذي يلاحظه بعض دارسي الفتح الإسلامي من أن الجيش المسلم لم يكن معه دعاة ومبشرون ينشرون الإسلام، صحيح، لكن أولئك الصحابة الكرام كانوا حملة الدين والدعوة إليه بأنفسهم وخلقهم وسلوكهم. لا بالكلام الذي يكذبه العمل، كما يفعل كثيرون من الدعاة إلى المذاهب والأفكار في كل العصور. كان الواحد منهم يعرف أنه لم يخرج من بلده إلا لنشر هذا الدين، وأنه إذا حيل بينه وبين نشره سيقاتل حتى ينتصر فتفتح له ابواب الدعوة إلى الله أو يموت شهيدا. وكانوا على قول رجل واحد أنهم لا يريدون منازعة أحد في ملكه أو حكمه ما تركهم يبلغون الناس دعوة النبي ﷺ.

وإذ كان هؤلاء الصحابة هم حملة الوحي والهدى، إلى مصر وأهلها، فإنه يحسن بنا، ونحن نختم حديث الفتح الإسلامي لمصر، أن نذكر طرفا من أخبار بعض هؤلاء الصحابة. ولنقل قبل ذلك إن الصحابة الذين دخلوا مصر بلغ عددهم ٣٥٧ صحابيا وصحابية. وإن الذين شهدوا فتح مصر منهم نحو ١٤٠ صحابيا، والباقون نزلوا مصر، أو سكنوا مصر، أو ماتوا بمصر، ولكل واحد من هؤلاء أثره، بغير شك، في انتشار الإسلام واستقراره في مصر. وتأكيد هذه الحقيقة يقتضي نقل قول ابن حزم الظاهري عن الصحابة: «كلهم عدل إمام فاضل رضي فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم... وكل امرئ منهم... لاشك في أهله وجيرانه وقومه...»(٥). لكل واحد من هؤلاء الصحابة، إذن، نوع من مشاركة في الدعوة والتعليم وتفقيه الناس، لأن الناس،

---

(٣) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٤

محمد ناصر، بيروت ٢٠٠٤، ص ٨٢ و ٨٤

بن محمد، كانوا إذا نزل بهم أمر قالوا: أفيكم أحد من أصحاب محمد ﷺ؟ فإن وجدوه سألوه ولم يخالفوا قوله، فإن لم يجدوا صحابيا سألوا عن التابعين، ولم يكن تعليم أولئك وهؤلاء للناس إلا من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ.

ولا يتسع المقام لذكر بعض أخبار هؤلاء جميعا، فنكتفي بذكر بعض مشاهيرهم الذين كان لهم في الفتح أثر مذكور. وقد ذكرت بعض أخبار عمرو بن العاص وابنه عبدالله بن عمرو، فيما سلف، فلأذكر الآن غيرهما من الصحابة القواد، رضي الله عنهم أجمعين. ونحن نذكر ذلك لأمرين:

- أحدهما: التعرف على ذوي الفضل على بلادنا بنقلها من الوثنية، واختلاف عقائد الدين الواحد، إلى توحيد الله بالإسلام له.
- وثانيهما: أن نعرف أن الذين يخوضون في حياة هؤلاء الصحابة بالأباطيل والحكايات المخترعة مخطئون، بل جاحدون لفضلهم، وكفى بذلك نقيصة يرمي بها المرء نفسه.

١- الزبير بن العوام بن خويلد، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أعلام السادة السابقين البدريين، كما يقول الإمام الذهبي في ترجمته.

أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل ثماني سنين [illegible]. هاجر الهجرتين، وكان طويلا تخط رجلاه في الأرض إذا ركب، وكان له ألف مملوك يؤدون إليه غلة عملهم فكان يتصدق به كله، ولا يدخل بيته شيئا منه. كان أحد الأربعة الذين قال فيهم عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص -رضي الله عنهم- إن كل واحد منهم يعدل ألفا من الجند. قتل -رضي الله عنه- في أثناء رجوعه من وقعة الجمل مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فحزن عليه. وقتله عمرو بن جرموز. فاتك من صعبة بالنار، ولما أتي بسيفه قال: إن هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله ﷺ. كان مقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ وله ست وستون أو سبع وستون سنة. كان له بلاء عظيم في فتح مصر، ذكرنا بعضه فيما سلف، وقد اتخذ أملاكا بمصر [illegible]. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله فقد شاع بمكة خبر أن النبي ﷺ بأعلى مكة، فقال: مالك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت (!). فصلى عليه النبي ﷺ ودعا لسيفه(٧). وقال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حواريا، وحواري الزبير بن العوام»(٨) والحواري هو الذي يعصر سيا، ولذلك سمى القرآن أصحاب عيسى -عليه السلام- بالحواريين

(آل عمران ٥٢)

٢- المقداد بن عمرو أو ابن الأسود، والأسود ليس أباه، إنما تبناه وهو صغير، قبل تحريم التبني، أبوه هو عمرو بن ثعلبة بن مالك، وهو من قضاعة ولذلك يقال له المقداد بن عمرو والمقداد بن الأسود. وهو قديم الإسلام من السابقين. هاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة، فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة عندما هجر إليها إليه رسول الله ﷺ فتربص حتى بعث رسول الله ﷺ، قبل غزوة بدر، عبيدة بن الحارث في سرية، فلقوا جمعا من المشركين عليهم عكرمة بن أبي جهل، وكان في المشركين المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان، كانا قد خرجا ليتوصلا إلى المسلمين، ولم يقع بين الفريقين قتال، لكن المقداد وعتبة انحازا إلى المسلمين ورجعا معهم إلى المدينة. وشهد بدرا وكان له فيها مقام مشهود إذ استشار رسول الله ﷺ أصحابه فتكلم أبوبكر ثم عمر فأحسنا، ثم قام المقداد فقال: «يا رسول الله امض لما أمرت به فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى

(المائدة ٢٤)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا إلى برك الغماد [illegible] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله خيرا، ودعا له».

وهو من أول سبعة أظهروا الإسلام بمكة، قيل لم يكن في بدر صاحب فرس غيره وقيل كان على فرس أيضا، الزبير بن العوام، أحدهما على ميمنة رسول الله ﷺ والثاني على ميسرته [illegible].

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وقد ذكره النبي ﷺ في الحديث الذي فيه «إن الله أمرني بحب أربعة، قالوا سمهم لنا يا رسول الله، قال: علي منهم (قالها ثلاثا) وأبوذر والمقداد وسلمان»(١١).

غزا مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح إفريقية فلما رجعوا قال له عبدالله في دار بناها: كيف ترى هذه الدار؟ قال: إن كان من مال الله فقد أفسدت، وإن كان من مالك فقد أسرفت (!) فقال عبدالله: لولا أن يقول قائل: أفسدت مرتين لهدمتها [illegible]

وليس معنى هذا القول أن البناء كان من المال العام، وإنما أراد عبدالله بن سعد بقوله «أفسدت» أن الإسراف نفسه نوع من الفساد وهو كذلك بلا مراء (!)

توفي المقداد بالمدينة في خلافة عثمان -رضي الله عنهما- وأوصى إلى الزبير بن العوام «يعني بتنفيذ وصيته»، وهذه القصة الصحيحة، وأمثالها، تبين لنا مدى الصلة بين هؤلاء الصحابة الكرام، بعضهم وبعض إنهم لم يكونوا مجرد أفراد ارتبط كل منهم برسول الله ﷺ على حدته، إنما كانوا جماعة عظيمة متآلفة يسطع نورها وهي مجتمعة، ويتآلف أفرادها ويتحابون، مثلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. ثم إن لكل واحد منهم نوره الخاص الذي يضيء لمن حوله ولمن تبعه من الناس طريقهم فيمضوا فيه مهديين هداة وذلك بعض معنى قول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم [illegible]»(١٢).

***

(٦) السيوطي، در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق حمزة النشرتي وآخرين، المكتبة القيمة، القاهرة [illegible] ص ١٠١.

(٧) ابن الأثير، أسد الغابة رقم ١٧٣٢، ج٢ ص ٢٤٩.

٣- عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، واسم أمه قرة العين بنت عبادة بن فضلة بن مالك العجلان قال السيوطي ليس في الصحابيات من هذا اسمها سواها (١٦).

شهد العقبتين، وكان نقيبا على بني عوف بن الخزرج.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، واستعمله ﷺ على بعض الصدقات «الزكاة» وقال له: اتق الله، لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها ثؤاج! قال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين!

حفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ وكان يعلمه لأهل الصُّفة. وأرسله عمر ومعه معاذ بن جبل وأبو الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفقهوهم في الدين واختلف مع معاوية بن أبي سفيان في شيء أنكره عليه عُبادةُ فأغلظ له معاوية القول فقال: لا أساكنك بأرض واحدة أبدًا! وعاد إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره. فقال عمر: ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضا لست فيها أنت ولا أمثالك! وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه وهو أول من ولي قضاء فلسطين. وكان مرجع أهلها مدة إقامته فيها. وكان مرجع أهل الشام «دمشق» مدة إقامته فيها. وبايع رسول الله ﷺ على ألا يخاف في الله لومة لائم، وهو أمر لا يقدر عليه إلا أولو العزيمة القوية من المؤمنين كما وصف الله تعالى أنبياءه بأنهم:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

(الأحزاب: ٣٩).

توفي -رضي الله عنه- بالرملة. وقيل ببيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة (١٧).

***

٤- مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار الأنصاري الخزرجي، ولد عند قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجرا. وقيل كان له يومئذ أربع سنين فعلى الأول تكون له عشر سنين عند وفاة النبي ﷺ وعلى الثاني يكون ابن أربع عشرة سنة عندئذ.

شهد بعد النبي ﷺ فتح مصر، وسكنها، ثم تحول إلى المدينة. واستعمله معاوية على مصر والمغرب وهو أول من جمعا له. وجمع له الصلاة والأموال، أي كان واليا على البلدين من الناحيتين السياسية والمالية. وكان المعتاد أن يولى شأن المال جمعا وإنفاقا وال مستقل عن حاكم البلد. لكن مسلمة بن مخلد جمع له أمر الولايتين معا.

وكان من أحسن الناس حفظا للقرآن الكريم. قال مجاهد (١٨) كنت أرى أني أحفظ الناس للقرآن، حتى صليت خلف مسلمة بن مخلد الصبح. فقرأ سورة البقرة، فما أخطأ فيها واوا ولا ألفا.

وكتب إليه عقبة بن عامر -رضي الله عنه- وهو أمير بمصر يسأله عن حديث سمعاه من رسول الله ﷺ (١٩) وكان إذا قرأ في المحراب يسمع صوت سقوط دموعه (٢٠) ولم يكن أحد يسمع قراءته إلا بكى، أي من شعور السامع بخشوع القارئ. مات بمصر سنة ٦٢هـ، وقيل مات بالإسكندرية، وقيل بل مات بالمدينة، تحول إليها من مصر وهذا لا يصح لأن قبره بمصر ومسجده معروفان (٢١)، بسفح الجبل في مصر القديمة، وفيها شارع باسمه (٢٢).

***

٥- خارجة بن حذافة العدوي. وقيل السهمي: وهو ابن غانم بن عامر بن عبدالله القرشي العدوي.

كان أحد فرسان قريش، يقال: إنه يعدلُ بألف فارس. شهد فتح مصر. وكان قاضيا لعمرو بن العاص. وقيل كان على الشرط، أي قائد للشرطة، له بمصر [illegible] لعمرو ولم يزل بمصر حتى قتله أحد الخوارج الثلاثة، الذين انتدبوا لقتل علي ومعاوية وعمرو. فأراد الخارجي قتل عمرو. فقتل خارجة وهو يظنه عمرا. فأخذ وأدخل على عمرو. فقال: على من تدخلونني؟ قيل على عمرو قال: ومن قتلت؟ قيل خارجة. فقال: أردت عمرا وأراد الله خارجة، وقيل إن هذه العبارة من قول عمرو للخارجي وكان سبب ذلك أن عمرا مرض فاستخلف خارجة بن حذافة على الصلاة، فقتله الخارجي في الليلة نفسها التي قتل فيها علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما وفي ذلك يقول الشاعر:

فليتها إذ فدت عمرا بخارجة

فدت عليا بمن شاءت من البشر.

وكان خارجة قد أسلم يوم فتح مكة، ولم يرو عنه حديثه غير المصريين.

وقال ابن الأثير: «وقبره معروف بمصر عند أهلها» وكذلك قال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢٣). ولم أجد من ذكر موضع قبره في قبور الصحابة بمصر والله أعلم أين هو.

***

٦- سعد بن أبي وقاص، وهو سعد بن مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة، القرشي، كنيته أبو إسحاق. أسلم بعد ستة، وقيل بعد أربعة، وكان عمره حين أسلم سبع عشرة سنة، وروى عنه أنه قال: أسلمت قبل أن تفرض الصلاة، وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين أخبر عمر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ.

شهد بدرا وأحدا والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أول من أراق دما في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله. فأما إراقة الدم: فقد كان المسلمون يستخفون في مكة بصلاتهم. فبينما سعد في نفر من المسلمين في شعب من شعاب مكة. إذ ظهر عليهم نفر من المشركين فنكروهم وأنكروا

(١٩) ابن حجر، الإصابة، رقم ٧٩٩٦، ج٣ ص٣٩٨

(٢٠) سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٣ ص٣٤، [illegible]

الصحابة، مات وهو صائم سنة ٥٠هـ ولم يكن أحد يسمع قراءته إلا بكى (الذهبي، سير أعلام النبلاء، رقم ٤٥٣، ج٤ ص٤٤٩)

عليهم عبدتهم) وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم، فاقتتلوا، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي جمل ... فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام وأما الرمي بالسهام فكان يوم أحد عندما التقى المسلمون بالمشركين، وهو فاتح القادسية، وفاتح المدائن، وباني الكوفة، وقال عمر عندما جعله في أصحاب الشورى: إني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ـ وذلك أنه كان عزله عن العراق ـ فإن ولي الإمارة فذاك وإلا فإني أوصي الخليفة بعدي أن يستعمله.

وقد قال عنه رسول الله ﷺ قد أقبل على مجلسه: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»، وإنما ذلك لأن أمه زهرية، وأم رسول الله زهرية وهو ابن عمها، يجتمعان في عبدمناف، وأهل الأم كلهم أخوال.

ودعا له رسول الله ﷺ فقال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»، فكان لا يدعو إلا استجيب له، ولم يجمع رسول الله ﷺ لأحد أباه وأمه إلا لسعد، فقد كان يقول له يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي» وروى أنه جمعهما للزبير أيضا.

واعتزل سعد الفتنة لما قتل عثمان، وأبى أن يكون في أحد الفريقين(٢٥) وكان يقول لمن دعاه إلى المشاركة فيها: «أريد سيفا إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا، وإذا ضربت به الكافر قطع»(٢٦) واستشاره رجل في الفتنة: ما يصنع؟ فقال له: ألك غنم؟ قال: لا قال: فاشتر غنما فكن فيها حتى تنجلي(٢٧) قال الإمام الذهبي: «اعتزل سعد الفتنة، فلا حضر الجمل ولا صفين ولا التحكيم، ولقد كان أهلا للإمامة، كبير الشأن ـ رضي الله عنه»(٢٨).

نقل السيوطي عن ابن الربيع(٢٩) أنه شهد فتح مصر، ثم دخلها رسولا من قبل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكان آخر العشرة المبشرين بالجنة وفاة، توفي سنة خمس وخمسين ودفن بالبقيع رضي الله عنه(٣٠).

***

٧ ـ عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، ابن عم رسول الله ﷺ كان يسمى البحر لكثرة ما كان لديه من العلم، ويسمى حبر الأمة ـ أي عالمها، وهي بكسر الحاء وفتحها ـ، دعا له رسول الله ﷺ مرتين، وقد صح عنه ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ضمه وقال: «اللهم علمه الحكمة»، ومن المأثور عن جابر بن زيد ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول: أدركت سبعين صحابيا فاغترفت ما عندهم كلهم إلا البحر، أي عبدالله بن عباس(٣١).

كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة دعا ابن عباس، وقال له: «إنها قد طرت ـ أي طرأت ـ علينا أقضية عضل، فأنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله. وما كان يدعو لذلك أحدا سواه. قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، راوي هذا الخبر: «وعمر عمر» أي في حذقه واجتهاده ... قيل لطاوس ـ وهو تابعي جليل ـ(٣٢): لزمت هذا الغلام ـ يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: «إني رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارءوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس»، ولد ـ رضي الله عنه ـ في شعب بني هاشم حين حصرت قريش رسول الله والمسلمين فيه، وكان له عند موت رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة (٣٣) وقيل خمس عشرة سنة (٣٤).

حدث عن نفسه أنه لما قبض رسول الله ﷺ قال لرجل من الأنصار: «هلم نسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير» قال: «واعجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك؟»، قال ابن عباس: فترك ذلك ـ أي الأنصاري ـ وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل(٣٥) فأتوسد ردائي على بابه، يسفي على الريح من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث فعاش الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فقال: «هذا الفتى كان أعقل مني»(٣٦) وكان عبدالله بن مسعود يقول: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»(٣٧).

قال فيه الحافظ الذهبي: «حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير»، روى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفسا، كان يقول: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال له أبوه، العباس بن عبدالمطلب، يا بني! إن عمر يدنيك فاحفظ عني ثلاثا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يجربن عليك كذبا.

خرج معاوية حاجا ومعه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب (أي من حاشيته من أصحاب الدولة وموظفيها) ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم، أتاه أبو أيوب الأنصاري وهو وال على البصرة لعلي رضي الله عنهم فشكا دينا عليه ـ كان قد شكاه إلى معاوية قبله فلم ير منه ما يحب ـ فقال له ابن عباس: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ ـ أي كما صنع أبو أيوب ـ ففرغ له بيته. ثم قال: كم دينك؟ قال عشرون ألفا فأعطاه أربعين ألفا، وعشرين مملوكا وكل متاع البيت. مسنده ألف وستمائة وستون حديثا، توفي سنة ثمان وستين بالطائف ودفن بها (٣٨) وسوف نرى في ترجمة أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ ما كان فعله برسول الله، مما أحب ابن عباس أن يجزيه عليه.

***

٨ ـ أبو هريرة، عبدالرحمن بن صخر الدوسي، اختلف في اسمه على أقوال أرجحها: عبدالرحمن بن صخر، وقيل كان اسمه في الجاهلية عبدشمس ... والمشهور عنه أنه كني بأولاد هرة بريه، فقد وجدها فأخذها في كمه

(٢٤) اللحي عظم الفك وهو موضع الأسنان ...
(٢٥) ... والذهبي سير أعلام النبلاء، ج١ ص١١٩
(٣٣) ... الإصابة، ج٢ ص٣٣٣.
(٣٤) الذهبي السابق، ج٣ ص٣٣٩.
(٣٥) ...
(٣٦) ابن حجر، الإصابة، السابق، ص٣٣٣ والذهبي، السابق، ج٣ ...
(٣٧) ابن حجر، السابق ص٣٣٤

فكتب بذلك . كان يقول : كناني رسول الله بأبي هر . فكان يقول : «كلكلني من بأبا هر ، والذكر خير من الأنثى» [illegible]

حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا طيبا مباركا فيه ـ لم يلحق في كثرته ـ وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وأسامة [illegible] أبي بن زيد [illegible] وعائشة ، والفضل [illegible] ابن عباس [illegible] وبصرة بن أبي بصرة ، وكعب [illegible] وهو المسمى بكعب الأحبار .

حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ، حتى قال البخاري : روى عنه ثمانمائة راو وأكثر .

وفي الصحيحين عنه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : «إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعد (٤١) كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم . وقال رسول الله ﷺ «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ، ثم ضممته إلي ، فما نسيت شيئا سمعته منه(٤٢) ومعنى «على ملء بطني» أنه كان يكتفي بالقليل من الزاد الحلال ، وأنه كان قليل القوت ، ولم يكن أكولا شرها ، فكان يستغني بهذا القليل الذي يحصله بأدنى جهد في العمل ليصحب النبي ﷺ في أغلب أوقاته ويتعلم منه ويحفظ عنه ، وليس هذا من الخدمة بأجرة هي طعامه ، ومن قال هذا الفهم لم يفهم معنى الكلام .

قال عن نفسه [illegible] قدمت المدينة مهاجرا ، فصليت الصبح خلف سباع بن عرفطة ـ كان النبي قد استخلفه ـ فقرأ في السجدة الأولى «مريم» وفي الآخرة «ويل للمطففين» فقلت : ويل لأبي ! قل رجل كان بأرض الأزد إلا وكان له مكيالان مكيال لنفسه ، وآخر يبخس به الناس [illegible]

صحب رسول الله ﷺ أربع سنين [illegible]

وكان الشافعي رحمه الله يقول : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره (٤٥)

روى البخاري عنه أنه قال : «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني ، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب» [illegible] ومع ذلك فإن الحديث المروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أقل بكثير من الحديث المروي عن أبي هريرة .

وقد قال العلماء : إن لذلك أسبابا منها اشتغال عبدالله بالجهاد ، وخروجه في الفتوح أكثر من اشتغاله بالتعليم ، ومنها أن أكثر مقامه كان بمصر أو بالطائف ، ولم تكن الرحلة إليهما كالرحلة إلى المدينة التي كان أبو هريرة فيها مقيما ومتصديا للفتوى والتحديث ، ومنها أن النبي ﷺ اختص أبا هريرة بدعاء له ألا ينسى ما حدث به ، ومنها تحديث عبدالله بن عمرو بما جمعه من كتب أهل الكتاب ، التي وجدها في الشام ، فتجنب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين (٤٧) قيل إنه التقى بعلماء النصارى وأحبار اليهود في الشام وحمل من علميهم وقر بعير من الكتب فخشي كبار التابعين أن يختلط ما عنده عن رسول الله ﷺ بما تعلمه من علم أهل الكتاب فتجنبوا الإكثار من الرواية عنه .

دعا أبو هريرة يوما لنفسه ، فقال «اللهم إني أسألك علما لا ينسى» فقال النبي ﷺ «آمين» (٤٨) . مسنده خمسة آلاف وثلاث مائة وأربعة وسبعون حديثا ، وعده ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» من المتوسطين في الفتيا الذين يجمع من فتاوى كل واحد منهم جزء صغير (٤٩)

قدم مصر على مسلمة بن مخلد ، وروى عنه المصريون ثلاثة وثلاثين حديثا (٥٠)

وتوفي أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ سنة سبع وخمسين ـ وقيل ثمان وخمسين ـ بالمدينة وصلى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان بعد صلاة العصر (٥١)

***

٩ـ أبو أيوب الأنصاري ، واسمه خالد بن زيد ونسبه في بني النجار من الخزرج . شهد بيعة العقبة الثانية وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان مع علي بن أبي طالب ومن خاصته .

نزل رسول الله ﷺ في بيته عندما قدم المدينة مهاجرا حتى بنى المسجد وبنى مساكنه فانتقل إليها ، فذلك قول ابن عباس له ـ كما تقدم ـ لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ . وآخى ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير .

عندما سكن رسول الله ﷺ بيت أبي أيوب ترك له هو وزوجته الغرفة العليا ، وقال «ما ينبغي أن نكون فوقك» .

لزم الجهاد ، وكان يقرأ قوله تعالى

﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾

(التوبة ٤١)

فيقول ما أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا ، لم يتخلف عن الجهاد إلا عاما واحدا ـ زمن معاوية ـ أمر على الجيش رجل شاب ، فقعد ذلك العام ، فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول : وما علي من استعمل علي (٥٢) ؟!

استخلفه علي على المدينة عندما خرج إلى العراق ، ثم لحق به وشهد معه قتال الخوارج .

وهو أحد رواة الحديث الصحيح : «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة» [illegible]

قدم مصر في البحر سنة ست وأربعين غازيا ، وكان قد شهد فتحها ، ولأهل مصر عنه نحو عشرين حديثا [illegible]

توفي مجاهدا سنة تسع وخمسين للهجرة ، فقد كان في الجيش الذي غزا

[illegible] مآثرهم ، من شأن سائر الصحابة .

(٤١) [illegible]

(٤٢) البخاري ج ١ ص ١١٨ [illegible]

(٤٣) [illegible]

(٤٤) الدعم [illegible]

(٤٥) الذهبي ، السابق [illegible]

(٤٦) البخاري [illegible]

القسطنطينية، وعليه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فمرض أبو أيوب، فعاده يزيد، فسأله عن حاجته؟ قال: حاجتي إذا أنا مت فاركب ثم سغ بي [illegible] أدخل في أرض العدو ما وجدت مساغا، فإن لم تجد مساغا فادفني ثم ارجع، فتوفي، ففعل الجيش ذلك، ودفنوه بالقرب من القسطنطينية.

ومن الطريف أن القبر الذي أراد أبو أيوب أن يكون في أقصى الروم قد أصبح الآن داخل العمران، وبني عليه مسجد يعتز به الأتراك اعتزازا كبيرا، ويطلقون عليه - رضي الله عنه - سلطان أيوب! إجلالا له وتقديرا. وإذا استسقى أهل القسطنطينية استسقوا عند قبره [illegible]، فجعل الله ذكره في أرض لم يكن لله تعالى فيها ذاكر عندما دفن فيها أبو أيوب، رحمه الله تعالى.

***

١٠- أبو الدرداء: عويمر بن زيد بن قيس، ويقال ابن عامر، الأنصاري الخزرجي، قال فيه الذهبي: «الإمام القدوة، قاضي دمشق، وسيد القراء بها، حكيم هذه الأمة. وهو معدود فيمن تلا القرآن على النبي ﷺ ولم يبلغنا أبدا أنه قرأ على غيره، وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ».

تأخر إسلامه فلم يشهد بدرا، لكنه شهد أحدا وما بعدها. أمره رسول الله - يوم أحد - أن يرد من على الجبل من المشركين فردهم وحده، وقال النبي: «نعم الفارس عويمر» (٥٧).

وألحقه عمر في الفريضة بالبدريين حسن بلائه في الإسلام، وكان الصحابة يقولون أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء.

وكان ابن عمر يقول: حدثونا عن العاقلين. فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء (٥٨).

كان يحضر حلقته للقرآن في دمشق أكثر من ألف وستمائة، فكانوا يقرءون عشرة عشرة لكل عشرة ملقن يقرئهم ويصحح لهم، وأبو الدرداء يطوف عليهم واقفا فمن أتم وأحكم انتقل إلى العرض عليه، وهو أول من سن الحلق للقراءة (٥٩). وكان يقول عن نفسه لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر - الهاجرة شدة الشمس وقت الظهيرة. والمقصود بذلك صوم النوافل في اليوم الشديد الحر -، والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب الثمر (٦٠).

آخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي [illegible] شهد فتح مصر، ولهم عنه خمسة أحاديث (٦١). رأى صاحب ذنب والناس يسبونه، فنهاهم، قالوا أفلا نبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

توفي في دمشق سنة اثنتين وثلاثين، قبل عثمان بسنتين. ولما حضرته الوفاة دعا ولده بلالاً فقال: ويحك يا بلال! اعمل للساعة، اعمل لمثل مصرع أبيك، واذكر به مصرعك وساعتك، فكأن قد، ثم قبض.

***

وذكر السيوطي في الصحابة الذين دخلوا مصر أو شهدوا فتحها:

١- أبو رافع القبطي: مولى النبي ﷺ، اسمه أسلم. كان إسلامه قبل بدر ولم يشهدها، شهد أحداً والخندق وما بعدهما، وشهد فتح مصر وله بها خطة، توفي بالمدينة في خلافة علي - رضي الله عنه - وقيل في خلافة عثمان - رضي الله عنه (٦٣).

٢- صالح القبطي: يقال أنه خرج إلى النبي ﷺ مع مارية من مدينتها ثم عاد إلى مصر إما مع جيش الفتح وإما بعده (٦[illegible]).

٣- يعقوب القبطي: مولى أبي مذكور الأنصاري، له قصة في صحيح البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الإمام على الناس أموالهم وضياعهم [illegible].

٤- جبر بن عبدالله القبطي وهو رسول المقوقس إلى النبي ﷺ الذي بعث معه مارية القبطية برفقة حاطب بن أبي بلتعة، وكان مولى لأبي بصرة الغفاري ويقال كان مولى لبني غفار، وكان قوم يزعمون أنه منهم - أي من بني غفار -، كان له ذرية بمصر توفي سنة ٦٣هـ [illegible].

٥- رقب المصري: ذكره السيوطي في در السحابة، ولم أجد ترجمته (٦٧).

وهذا العرض، شديد الإيجاز، لأخبار هؤلاء الصحابة القبط (أصلا) أو المصريين، ينقض بلا ريب مقولة ذاك القائل أن «المسلمين ضيوف على أهل البلد من القبط». إذا كان العرب كذلك - وهو كلام باطل كما بينا في فصول هذا الكتاب - فماذا يقول في هؤلاء «القبط» الذين لهم عقب بمصر؟ هل سيعدهم ضيوفا كسائر العرب عنده؟! إن هذا الأمر كله ليس إلا كما قال القرآن الكريم:

﴿ [illegible] ﴾

(غافر ٥٦)

﴿ [illegible] ﴾

(يوسف ٢١)

***

إن مجموع من ذكرنا خمسة عشر، من نحو ثلاثمائة وخمسين صحابيا، شاركوا في الفتح الإسلامي لمصر، أو نزلوها وعلموا الناس فيها دينهم. ولكل واحد منهم فضل على كل مسلم في مصر، ومن الواجب أن يعرف كل ما من استطاع منهم. وشيئا ولو يسيرا من سيرته فإن الآخرين لا يفقهون إلا بما غرسه الأولون، ولولا الأول ما كان الآخر.

والحمد لله رب العالمين

(٦٧) السيوطي، در السحابة، السابق، رقم ٩٩ ص[illegible].

إسحاق عليه السلام

قدمت أن الملائكة بشروا إبراهيم بابنه إسحاق، وأن سارة ضحكت من هذه البشرى عجبا من أن يكون نسل بين شيخ وامرأة عاقر قد بلغت من الكبر عتيا، وأن الملائكة قالوا لها: إن هذا وعد من الله القادر:

لم يحل الحول على سارة وهي بنت تسعين سنة حتى حملت بإسحاق، ولما ولدته سمته «يضحك»، وترجمتها يضحك، تريد أن كل من سمع بولادة هذا الولد من أبويه هذين يضحك لما في هذه الولادة من الغرابة، وقد آل أمره إلى أن يكون نبيا لقوله تعالى:

وقوله

تغرب إبراهيم في أرض أبي مالك... ملك جرار

قبل أن يرزق إبراهيم بابنه إسحاق كان قد انتقل إلى الجنوب وتغرب في جرار وسكن بين قادش وشور.

وشور هذه هي الطريق الذي يسلكه من خرج من مصر يريد بلاد العراق، ولما كان في جرار خاف الملك أن يهلكه إذا علم أنه زوج لسارة حتى تخلص له، فقال حين سئل عنها: إنها أختي، وكانت وضيئة، فأرسل الملك فأخذها. وقبل أن يقترب الملك إلى سارة رأى في منامه ما أفزعه، وأنذر أنه ميت بسبب المرأة التي أخذها وهي متزوجة؛ فاحتج في نومه بأنه بريء لا يستحق ما يهدد به من القتل، لأنه قال عنها أختي وهي قالت عنه أخي، وأنه لم يعمل إلا بسلامة قلبه ونقاوة يده ولم يقترف إثما. فأمر برد المرأة إلى زوجها لأنه نبي، وأنه سيدعو له فلا يموت بهذا السبب، وأنه إذا لم يردها فإنه يموت.

فلما هب الملك من نومه أخبر عبيده وحاشيته، وأرسل إلى إبراهيم وعاتبه فيما صنع معه حتى كاد يجلب عليه وعلى شعبه غضب الله. وأنه بقوله «أختي» عمل معه ما لا يعمل، وأطال في عتاب إبراهيم، فما كان جواب إبراهيم إلا الاعتذار بخوفه من أن يقتلوه لأجل امرأته، وما يظن أن أحدا في هذه الأرض يخاف الله. ثم ترقى في الاعتذار بأنه لم يكذب لأنها أخته حقيقة؛ لأنه ولم تكن أخته لأمه فلم يقل إلا حقا.

فأخذ الملك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لإبراهيم ورد عليه سارة، وأباح له أرضه يسكن فيها حيث يشاء، وقال لسارة: إني أعطيت أخاك ألفا من الفضة إكراما لك، فدعا له إبراهيم فشفى الملك وجواريه ونساؤه من كل ما كان الله قد ابتلى به الملك ونساءه وجواريه، لأنه كان قد أعقم أرحامهن. وفي تلك الحقبة كانت ولادة إسحاق. وقصة ارتحال إبراهيم إلى جرار لم تذكر في القرآن وإنما ذكرت في التوراة - وقد أعادوا لنا بها القصة التي وقعت في مصر وأنا أستبعد حصولها لأن سارة أيام كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة، وحين كانت في أرض أبي مالك كانت سنها إحدى وتسعين سنة؛ وليس من المستساغ أن يطمع ملك مترف في ست سبعين أو تسعين.

مسألتان

● الأولى: إن كان صحيحا ما جاء في عبارة التوراة من أن إبراهيم اتفق مع سارة على أن يقول إنها أختي وتقول هي إنه أخي، وكانا أخوين حقيقة يكون ذلك قبل تشريع تحريم الأخت على أخيها.. وهذا هو الذي أميل إليه إن كان ذلك حقا، وحينئذ لا حاجة إلى قول «إنها أخته في الدين» لأن أولئك المتأولين ما دعاهم إلى التأويل إلا اعتقادهم أن الشريعة التي كان عليها إبراهيم كانت كشريعة موسى - عليه السلام - من تحريم الأقارب ديناً كالأخت والعمة، وهذا ما ليس فيه نص قطعي.

هذا موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب - إسرائيل الله - وأمه يوكابد بنت لاوى؛ فيكون عمران متزوجا بعمته - كما تدل عليه عبارة الآيات ٥٧ . ٥٨ . ٥٩ من الإصحاح السادس والعشرين من سفر العدد. وهو من الأسفار الخمسة التي يعزونهن إلى موسى - وقد رأيت في تاريخ القضاعي أنه مر بمسألة أخوة سارة ولم يذكرها أصلا، وحسنا فعل. وأنتم تعلمون أني أشك فيها شكا قويا.. وفيه أيضا كانت ابنة عمه.

● الثانية: لا شك أن إبراهيم كان عالما بأنه متى قال عن زوجه إنها أختي. فإن الملك أو غيره من الأمراء سيأخذها زوجة أو جارية له ويفترشها افتراش الزوجة أو الأمة - فكيف تسمح نفس إبراهيم بهذا العمل يؤتى إلى زوجته؟ والرجولة والمروءة تأبيان مثل هذا العمل؛ بل الموت في هذا السبيل فخر وذكر.

وليس لنا جواب بإزاء هذا إلا أن نقول - إذا صح وقوع شيء من ذلك - أن إبراهيم لا يمكن أن يأتي هذا العمل إلا بسابق وعد من الله تعالى أن يحفظها ممن يريد أن يمسها؛ فأتيا هذا الأمر وفي يد إبراهيم وثيقة من إلهه القادر بحفظه لها وحياطتها من كل من يريد أن يقترب إليها بسوء، وعاقبة ذلك كله الخير لإبراهيم بما يدره الملك عليه وعلى زوجه - كما حصل في هذه الدفعة وفي مصر وهي تشبه هذه تماما - على أني أشك في ذلك كما قدمت

محمد.. الرسول والرسالة (٢)

الآيــة الكبــرى

وقرأ الفتى كتبه، وأعاد قراءتها في الحين بعد الحين، فقد كانت وثيقة الصلة بأزمة وجدانه وعقله وهو يقلبهما بين السماء والأرض، لا تسكن نفسه من شك، ولا يسكن عقله من تطلع، وأعيا عقله أن يجد تفاوتا في نسق الكتب الموحى بها وسياقها.

فهي - بلا استثناء - تنتهي إلى ضرورة الإيمان الذي ينبع من القلب ويفرض أضواءه على كل معتقد بدين.

وهنا وقف الفتى الذي درج إلى الشباب، وقفة لم يكن منها مناص: إن تكن هذه الأديان صحيحة، فبأي حجة وبأي مقياس يمكن الطعن في صدق رسالة محمد؟

ما من نبي حمل إلينا توكيلا موثقا بأنه ينطق بلسان الوحي، وإنما كانت آيته صدق ما أتانا به، وأما المعجزات فلا حجية لها إلا لمن شهد شهود العيان، وبيننا وبين ذلك أجيال وأجيال؛ فتبقى بعد هذه الآيات العابرة الآية الكبرى التي لا يثبت بغيرها صدق، ولا يغني عن غيابها أي دليل مغاير، مهما بلغت درجته من الإعجاز، وهذه الآية الكبرى هي صدق الكلمة من حيث هي، فإن الحقيقة آية نفسها، تحمل برهانها في مضمونها، فيطمئن إليها العقل ويبدو ما يباينها هزيلا واضح البطلان.

إن موقف الناس من الوحي واحد أيا كانت الرسالة الموحى بها والرسول المخبر عنها: لم يطلب أحد من رسول قبل محمد برهانا عيانيا على وحيه كي يطالب به محمد، فمن اعترف بوحي السماء إلى رسول من البشر، لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحي على محمد من حيث المبدأ، فوجه الامتناع هنا غير قائم بمبرر نزيه.

ولا يتبقى بعد سقوط الاعتراض على الوحي من حيث المبدأ، إلا النظر في مضمون ذلك الوحي، فإن كان هذا المضمون حاويا آية صدقه في ذاته، وليس فيه ما ينقض طمأنينة العقل أو يريبها، فلا مفر من الإقرار بصدقه.

ومن هنا وجب النظر النزيه في رسالة محمد، والبحث في مضمونها، لنلتمس فيها آيات الصدق التي يصدق الناس بمثلها من سبقه من المرسلين، ولنرى هل فيها ما يدعو للريب، ويبرر دمغها بالزيف أو الدجل أو البطلان.

ذلك هو الحد القوام الذي لا افتئات فيه على إنصاف، ولا ينبغي أن يحيد عنه من له في استواهة مطمع.

إن السلعة الأصلية هي التي تؤدي للناس مالا تؤديه سلعة أخرى، وإن كانت تشبهها في بعض الوجوه، وليست تقليدا أو تزييفا لسلعة سابقة عليها، بحيث يكون غيابها نقصا وضعفا لا محل فيه للإنكار.

عرف الناس السفينة ذات المجداف، وعرفوا السفينة ذات الشراع، ثم عرفوا السفينة التي تسير بالبخار، وكلها سفن، ولكن الخلاف بينها واضح فيما تؤديه للناس من خدمات.

كذلك العقائد والأديان، كلها عقائد غيبية، تحدد صلة الإنسان برب هذا الكون، ولكنها تتباين بوجه من الوجوه، وهذا تعليل توالي الديانات والرسالات السماوية مع أطوار البشر ومستويات إدراكهم، ووعيهم العمراني.

لزم إذن أن يكون لكل ديانة طابعها المميز الخاص بها، وأن يكون هذا الطابع المميز هو سبب وجودها أو موضوع وجودها.

فهل للإسلام هذا السبب؟ وهذا موضوع؟

وبعبارة أخرى، إن الوظيفة تخلق العضو، والحاجة تخلق السلعة، فإن تعدد بعد الأديان السماوية السابقة للإسلام موضوع معين أو دور معين لعقيدة سماوية تحددها احتياجات التطور البشري، ثبت أن ظهور ديانة جديدة لم يكن نقصا، أو فضولا أو اصطناعا لجأ إليه مغامر أفاق.

ثم يلزم النظر في الإسلام، وهل جاء مؤديا لتلك المهمة والرسالة؟ فإن صح ذلك، كان عقيدة صحيحة جاءت في ميقاتها الطبيعي لتقوم بدورها أو وظيفتها المهيأة لها بأطوار العمران البشري، إن كل من آمن بالأديان ورسالاتها، وبالعقائد ووظائفها، لا بد له من اتخاذ هذا القياس الموضوعي الذي يعدل في النظر إلى العقائد بعامة وإلا كان محض وارث لعقيدته متعصب لها عصبية عمياء.

وما على المنكر إلا أن يبين لنا مقياسا آخر تعرف به وظائف العقائد، ويفسر لنا تواترها وتعاقبها على مرور الأجيال قبل دعوة محمد.

إن قال بالوحي هناك، فما هو دليلك على صدق وحي من قبل محمد، بحيث يفتقر وحي محمد إلى ذلك الدليل؟

لم ير أحد ملك الوحي هابطا على من كان قبل محمد، حتى تطالب بظهور جبريل وهو يهبط بالوحي عليه.

وإن قال: إن الديانات تعاقبت بغير علة لهذا التعاقب من مضمون الرسالة ومؤداها؛ فقد نفى الحكمة من التعاقب، بل نفى الحكمة من الدين عامة، فإن الشرائع التي تتكرر بغير تعديل قول معاد، في غير حاجة إلى إعادة.

فإذا تذكرنا أن البشر يتطورون ويتقدمون في وعيهم العمراني، كانت الإعادة المكررة تقصيرا، فلا يبقى إلا أن الشرائع السماوية تساير البشر في تطورهم، كما أن غذاء الإنسان يساير المرء في تدرجه، من الرضاع إلى الطفولة، واليفاع والكهولة.

وهذا يردنا إلى تمايز الرسالات الدينية، وتفرد كل منها بخصوصية هي موضوع وجودها أو هي وظيفتها

ولا يبقى بعد ذلك جاحد لهذا الموقف إلا من يقول: هذا رأيي وكفى!.. ومثله لا يعول له على رأي، لأنه مكابر بغير عقل، فلا يستحق أن يتجشم خطابه أو إقناعه ذو عقل.

دين شعب

دين بني إسرائيل، وإن كان دين توحيد وتنزيه، قد اختص به شعب معين دون سائر الشعوب، فهو إذن ليس الدين الذي يهتدي به الناس كافة، ويجدون فيه شبع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة.

والدين الذي يختص به شعب بعينه لابد وأن تتمثله سريرة ذلك الشعب، فتكون سيرتهم في العمل به كسيرتهم أصلا، بحسب عقليتهم وفطرتهم وطبعهم، وكان بنو إسرائيل من قبل قوم أوثان وتعدد وتجسيم، وكانوا أشتاتا في الأرض يرحلون هنا وينزلون هناك على شعوب غريبة، فيتمسون على أهل البلاد الأصلاء أن لهم وطنا وبأسا وسيادة وغلبة.

والناس منذ قديم يلتمسون في أربابهم المقدسة قوة السلطان والقدرة على المعونة، فالتمسوا في الإله الواحد أن يختص بهم، لا يعبده أحد سواهم، وأن يسلطهم على من عداهم من الخلق، وأن يمكن لهم في أرض العباد ورقابهم.

والدين -من حيث هو دين شعب- حري أن يعنى بسن النواميس في المعاملات وأن ينهى عن التجسيم، فتعوضوا عن أهدافهم التي صدهم عنها أهدافا أخرى. فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم الوثنية الهياكل لأربابها، وليقدموا القرابين والذبائح كما كان يقدمها عباد الأوثان، مع فارق واحد هو أن من يتوجهون إليه بقرابينهم وشعائرهم في تلك الهياكل والمذابح هو الإله الواحد الخالق القادر «إله إسرائيل».

ثم أسف الشعب المسف بالتوحيد بعده حتى جعلوا الأوثان في بيوتهم، يسمونها «الطرافين»، وحتى أقيمت لصنم البعل وغيره مذابح في قلب هيكل سليمان.

وشعب هذا شأنه لا يُصَدُّ عن الإسفاف والانتكاس إلا بالتخويف وعزيم النذير بين يدي عذاب شديد، فامتلأت أقوال أنبيائهم المتعاقبين بهذا التحذير والتهديد حتى صارت الصفة الغالبة للإله الواحد عند بني إسرائيل أنه رب الجنود، وأنه القوي المنتقم الجبار الغضوب.

ذلك كله يصور سريرة ذلك الشعب، ويطلعنا على ما تصير إليه عقيدة التوحيد والتنزيه إذا صارت إلى قوم تملأ قلوبهم المنافع والحرص على الدنيا، فهم لا يبغون رضوان الله خالصا لوجهه، ولا يعبدونه خالصا لوجهه، ولا يجلونه عن هذه المراسم المادية في تقديم القرابين والذبائح، إذ لا وجود في إخلادهم إلا للمادة وما يتفرع عليها. أما الروح والضمير. أما النظرة الشاملة لبني الإنسان كافة. أما الإخاء الذي يربط الأحياء برباط واحد هو رباط الوجود الحي فذلك وعي لم يكن لديهم إلا مطموسا.

فلم يكن همهم من الدين إلا تشريعا في المعاملات يستحلون به أموال سواهم من الأمم وطقوسا في العبادة هي أيضا ضرب من تشريع المعاملات وصيغ السندات والديون والمطالبات، فهي عبادة في مقابل مؤازرة على عدو أو زيادة في إدرار الرزق.

دين قلب

ولكن العقيدة حاجة روحية أصلا فلن يطول القناعة بالقعود دون التحليق، ولن يطول الطور الذي يكتفي فيه بعقيدة يختص بها فريق من الناس دون فريق، فليس للروح والضمير وطن ولا جنس، والعقيدة التي يقتنع بها الضمير ويطمئن إليها، لابد أن تفتح الباب لجميع الشعوب، وأن تفتح على الخصوص أمام الناس آفاقا عالية، تتجه خلالها الروح إلى الله، لا لأنه المرهوب الوهاب ذو الأيد والمنة فحسب، بل لأنه مصدر الحياة والوجود والمثل الأعلى، والمطلب الأسمى للاعتقاد، تتجه إليه النفس مشوقة غير مسوقة، ولا تستغني بالمراسيم والمجسمات المحسوسة عن الغبطة بتأمل ذلك الكمال الأبدي المطلق الذي لا يتجسم ولا يدرك بالحس فتلقى الاتجاه إليه سبحانه سعادتها الكبرى.

وبهذا، كان الطور الطبيعي للإنسانية أن تتطلب الهداية في رسالة المسيحية التي لا تدعو إلى التوحيد والتنزيه فحسب، بل تجعل الله المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل إنسان، فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه، ولا يبقى للحس وجاهه سلطان على قلب ذلك المحب. ولا للطقوس قيمة، لأنه إذا حضر المحبوب لم يكن لتملي رسمه على الورق أو مناجاة طيفه معنى.

وأعني بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح من نصوص كلامه، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل.

فالمسيحية بهذا الاعتبار هي دين القلب الإنساني من حيث هو كذلك، بصرف النظر عن الفوارق الإقليمية والشعوبية.

ولهذا نجد دعوة المسيح خالية من المراسم والطقوس، كما خلت من تشريع المعاملات، لأن موضوع المعاملات والحياة الدنيا برمتها لم تدخل له في حساب بشقيها من مال وقصاص.

ولكن البشرية لم تنضج لهذا الدور نضوجا واحدا متساوقا، لأن عقيدة القلب الخالص من كل علائق المادة، هي بطبعها عقيدة الأفراد الأفذاذ، أما السواد من الناس، فللحس على قلوبهم أبدا سلطان غير مجحود ولا مردود.

لهذا بقيت المسيحية في حقيقتها دين قلة، من الأفراد مبصرين لها وكانت نتيجتها المنطقية تلك الرهبانية المنعزلة عن الدنيا ومغرياتها. أما السواد من الناس فراحوا يلبسون أوثانهم الحسية، وعقائدهم المادية طيالس العبادة الجديدة، فتمثلوها كما تصورها لهم عقولهم، واطمأنوا إلى هذا التصوير.

ولهذا لم يستطع السواد الارتفاع إلى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح.

ولم يسلموا   لتعلق قلوبهم بالدنيا وغشيان المادة وسلطانها على تفكيرهم من ظهور عقابيل التجسيم والتطلس في المراسم تتخذ عناوين الدين الجديد وتتسرب إليه، لأنها بقية تتصل بحالات النفس التي لم تنضج بعد لدعوى الروح الخالصة من قيد الجسد وشهواته وزهده.

(يتبع)

نماذج تاريخية للتعارف خلال الحرب والدبلوماسية

٤

المحور الثانى

نماذج الهجوم/ الدفاع/ الاستعمار. خلال الهجوم الصليبى والمغولى على القلب الإسلامى والدفاع عنه إلى نماذج خلال تطور الهجمة الاوروبية الحديثة.

من أهم المفاصل التاريخية فى هذا الصدد:

من الحملات الصليبية إلى هجمات الفرنج فى المتوسط الى الكشوف الجغرافية. الى غزوة التتار الى الحملة الفرنسية وبداية الاستعمار الحديث للقلب العربى الاسلامى. إلى التنظيمات والإصلاحات فى مرحلة الضعف والتجزئة.

فما هى النماذج التاريخية الكاشفة عن أنماط من التعارف المتقابلة خلال وعبر هذه المفاصل التاريخية المهمة؟

(١) نموذج تعارف المؤرخ أسامة ابن منقذ الكنانى الشيرازى على الصليبيين فى "رد الاعتبار"[١]

يقدم هذا الكتاب مذكرات اسامة بن منقذ فى حروب الإفرنج التى أسماها الأوروبيون الحروب الصليبية

ومن الترجمة التى قدمها محقق الكتاب لشخص أسامة وطبيعة الفترة الزمنية التى عايش خلالها الصليبيين[٢] يتضح مدى أهمية هذا الكتاب فى تصوير عادات أهل الشام وفلسطين فى غمرة تلك الحروب والأهم هو رؤيته عن الصليبيين خلال معاركهم وخلال تفاعلهم مع المسلمين. والمذكرات على هذا النحو وفق مقدمة المحقق تمثل وثيقة حية من وثائق حروب الإفرنج. حيث لم يؤرخ أسامة للمعارك السياسية والعسكرية ولكنه صور حياة الناس وهم يعاملون هذا العدو. ومن ثم، يرى المحقق

(بداية الاقتباس) أن قيمة الكتاب تبدو فى حسن تصويره لمجتمعه الذى كان يضطرب اضطرابا عنيفا بما يلقى من كثرة الفتن، وتفرق الأهواء، وغلبة الأطماع، واختلال الأمن، وفشو بعض التيارات الفكرية المتطرفة فيه، ثم بوصف ما يرزح تحته من ثقل غزو الإفرنج، واتساع أذاه، وبهوض الناس له، ففى هذا الجانب يبدو الكتاب وثيقة حية من وثائق حروب الافرنج وهى أطول حروب التاريخ إلى اليوم- لا نعرف لها شبيها..

فإن أسامة لم يكن يعبأ فيه بأخبار المعارك والتأريخ لها، على نحو ما نعرف فى كتب التاريخ التى أرخت لها، ولكنه كان يصور - عن طريق السرد الحكائى واستحضار الوقائع والمواقف - حياة الناس التى تجرى تحت سطح الأحداث الدامية. ويقف عند الصور العميقة المؤثرة منها، وما كان يقع لهم داخل بيوتهم، وفى مواطن جدهم ولهوهم. وما كانوا يقولونه لأنفسهم وهم يواجهون الموت، أو وهم يعاملون هذا العدو الغريب الذى جاءهم من الأرض الكبيرة (أوربة، كما كانوا يسمونها) ويتكلم لغة غريبة لا يفهمونها، ويبدو فظا غليظا لم تصقله الحضارة، جهما ضخما لا تسعه العين.

ومن هنا، يتهيأ لدارسى تاريخ التبادل الثقافى والنمو الاجتماعى لهذه المنطقة. أن يجدوا فى الكتاب صورا دالة من عملية المثاقفة التى تمت بين شعوبها من ناحية، وبينها وبين شعوب الإفرنج من ناحية أخرى[٣]

والجدير بالملاحظة، أن هذه المذكرات قد قدمت صورة للصليبيين تبين افتقار الغرب، فى ذلك الوقت إلى أشياء ثقافية وحضارية كثيرة، فما هى وكيف نقلها أسامة بن منقذ؟

يقول المحقق فى هذا الصدد: إن الكتاب يعد[...] وثيقة حية قل نظيرها فى رصد[...] حماسنا بالتفوق الحضارى العام فى القرون الوسطى، وخطواته فى رد غزو الإفرنج ديارنا أيام تلك الحروب. أعنى التفوق فى الأسلوب الذى كنا نتناول به حياتنا ونظمها فى السياسة والاجتماع والتربية والعمل، وتتحقق فيه نظرتنا إلى الإنسان والوجود، وما ينتج من تناغم العقل والمادة والروح. اذ لم يكن عند هؤلاء الفرنجة، على ما يبدو فى الكتاب، ما نتعلم منه وقد كانوا، فى كثرتهم الغالبة، عساكر وفلاحين يعيشون فى قلاع وحصون منفردة

ويشخص لنا أسامة، فى جملة الكتاب، فارسا عربيا مسلما، يحفظ تقاليد الفتوة الإسلامية، فى أحسن مظاهرها وأقوالها (الشهامة والإقدام والجرأة والالتزام الخلقى).

(ويشخص).. لأهم صفات الرجال الكبار الذين يراهم ينتسبون، بحق، إلى أمته، ويظهر أمضى أسلحتهم فى المعترك لدى حضور إيمانهم بالله مقدر الأقدار وموقت الآجال والأعمار. إلى جانب إحساسهم بتفرد شخصيتهم الذى جمعهم على اختلاف الأصول والمنابت، ووقفهم من الغزو والغزاة موقف المؤمن بالنصر، القادر على صنع أسبابه، على امتداد المعركة الطويلة، وعلى ما عانوا فيها من تمزق الشمل وتخاذل القيادات وتغليب مصالحها الذاتية الضيقة، أحيانا كثيرة، قبل أن يشغل الساحة البطلُ الذى تهيأت الظروف لظهوره فى ليالى المحنة الحالكة.

ومع أسامة من قوة هذا الاحساس حدا لم يكن يرى معه، فى الافرنج الغزاة، أكثر من بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما فى البهائم فضيلة القوة والحمل[ ] ويرى أن

(٢) المرجع السابق ص١٩ ، ٢١

من تلد منهم (أى سكن بلاد المسلمين وعاشرهم) أصلح من القريبى العهد ببلادهم، لكنهم شاذ لا يقاس عليه")! ويبلغ أن يسخر من أحكامهم وفقههم وطبهم، ويلمس قسوة قلوبهم، وبداوة طباعهم، وجفاء أخلاقهم. ويعجب من ضعف غيرتهم على أعراضهم وقلة نخوتهم: "يكون الرجل منهم يمشى هو وامرأته، يلقاه رجل آخر، يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث. فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى!" "ما فيهم غيرة ولا نخوة، وفيهم الشجاعة العظيمة، وما تكون الشجاعة إلا من النخوة والأنفة من سوء الأحدوثة!".

ويصور، إلى جانب هذا، مشاهد رائعة من نساء قومه رجالاً ونساء. ومن تمسكهم وتدافعهم على الفداء وطلب الشهادة، وشغفهم بالمغامرة واستهانتهم بالخطر، وإيمانهم بقدرتهم على انتزاع النصر، حتى ليتباهون بأسلحتهم، ويندفعون إلى القتال لأول بادرة[*].

(بهية الأنفس)

إلا أن هذه الصورة التى قدمها أسامة بن منقذ عن الإفرنج قد تعرضت -وفق مقدمة المحقق[٦]- لانتقادات انطلاقا من العلاقات التى كان يجريها أسامة مع الإفرنج، والتى ساعدته على سبر هذه الصور عن قرب. ولقد رأى فيها البعض اتجاها للمهادنة مع الإفرنج وموادعتهم، ورأى فيها البعض الآخر انعكاس لمرجعية أسامة وهويته الفكرية المتشبعة بقيم الإسلام وطرح مرجعية فى الوجود والسلوك والعلاقات، وأنه وإن فرض عليه التعامل مع الإفرنج إلا أنه لم يفرط بالأساس الثقافى الذى يؤسس لهويته واختلافه، وفى نفس الوقت لم يجد حرجا فى أن يكون وسيطا بين المسلمين والإفرنج.

إن هذا النموذج الذى تناوله أسامة بن منقذ بقصصه وذاكرته ليبين نمطا مفروضا من التعارف فى ظل الحرب وهو التعارف بين المعتدى على الأرض وبين المعتدى عليه. وهو تعارف، كانت له دوافعه وأهدافه، فضلا عن تزامن هذا النمط من التعارف خلال الحروب والدبلوماسية مع أنماط أخرى من تبادل الأفكار والحوار ومن العلاقات الرسمية وروابط إنسانية وهدنات واتفاقات التصادية وزيارات ومخالطات فى الأسواق والحمامات والبيوت والمزارات[٧].

ومما لا شك فيه أن هذا النمط من التعارف لابد وأن يقدم دلالة بالنسبة لحالة راهنة من الاعتداء الاستيطانى، وهى حالة المشروع الصهيونى فى فلسطين وكيف تطور وتدعم حتى تأسست إسرائيل. وما تلا ذلك من أنماط تعارف (قسرية) بين العرب المسلمين والمسيحيين واليهود وبين الوافدين المستوطنين المعتدين من اليهود الصهاينة. فكيف نوصف هذا النمط من التعارف القسرى؟ وكيف نقرأ أدواته وكيف نحدد عواقبه والأهم كيف نستشرف مآلاته وخاتمته على ضوء ذاكرة النماذج التاريخية الشبيهة؟

(٢) نموذج "الفندق" وتطوره: قناة تعارف التجار بين الحرب والسلم

لم يكن احتكاك المماليك ومواجهتهم مع إمارات الصليبية فى الشام فى آخر مراحل حربهم وحتى تمت تصفيتها، إلا الوجه الأول لعملة العلاقات مع "الغرب المسيحى"، وكان الوجه الثانى للعملة هو الاحتكاك مع "ممالك الإفرنج". وتقدم الخبرة المملوكية خبرة غنية من التفاعلات عبر حوض المتوسط والتى تشابكت فيها الحروب مع الدبلوماسية مع العلاقات السلمية التعاونية ومن ثم فهى تمثل نمطا لتعامل المتفرد، فى مقابل نمط الامتداد الذى قدمته التفاعلات العثمانية الأوروبية المتزامنة مع العصر المملوكى ثم التالية عليه أو فى مقابل نمط الاسترداد المسيحى فى الأندلس وفى روسيا والقوقاز وآسيا الوسطى الذى تزامنت بدايته مع العصر المملوكى واستكمل حلقاته مع العصر العثمانى[٨].

وهذا النمط للتفاعلات المملوكية الأوروبية[٩] الذى بدا جديدا لم ينه الصراع السياسى والعقيدى القائم بين العالمين ولكن أفرز أدوات جديدة لإدارته وفى إطار أكثر من الاتجاه للتعارف بين الشعوب تأثر صعودا وهبوطا بحالة الحرب أو السلم حيث أخذت العلاقات السلمية دفعة قوية مع نهاية الحروب الصليبية وعلى نحو أثار التساؤل هل انتهت الروح الصليبية الأوروبية وهل انتهى الجهاد الإسلامى؟ وهل يدخل التعارف مرحلة جديدة؟ ومع تنوع اتجاهات الإجابة على هذه الأسئلة لا بد من واقع استقراء وقائع التاريخ الدبلوماسى والمقابلة بين التحليلات المختلفة[١٠]، يمكن القول[١١] إنه فى ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية للطرف الأوروبى فى نهاية العصور الوسطى كان بإمكان الفاعلين الإسلاميين الأساسيين، المماليك والعثمانيين توظيف هذه الأوضاع لخدمة وحماية الإسلام حيث إن التغير فى طبيعة العلاقة لم يكن يعنى انتهاء الصراع السياسى بين المسيحية والإسلام، وبقدر ما أفرزت المرحلة الجديدة من الصراع أساليب وأدوات صليبية جديدة بقدر ما واجهتها القوى الإسلامية بنمطين من الجهاد الإسلامى: الفاتح والذى ترجمته الدولة العثمانية والجهاد الإسلامى الحامى والذى ترجمته الدولة المملوكية ولو بأساليب سلمية إلى جانب القتالية. فلم تكن تعنى -كما سنرى- انتهاء للجهاد المملوكى ولكن متابعته بأساليب جديدة.

ومن أهم نماذج اختبار آليات هذا النمط من العلاقات (على المستوى غير الرسمى) ما يعرف بالفندق[١٢]:

- وابتداء من القرن التاسع الميلادى حتى منتصف القرن الثانى عشر لم تكن التجارة بين مصر وهذه الدول إلا تجارة ساحلية حيث تكونت جاليات تجارية فى مدن وسواحل وبنادر البحر المتوسط دون أن تتمكن من الحصول على حق إقامة فندق. وكان ينظم عقد هؤلاء التجار عقد أمان إسلامى للفرد أو جماعة وبالرغم من أن استمرار هذه العلاقات كان يدل على وعى سلاطين مصر بأهمية توطيد العلاقات التجارية على نحو يحدد ولا يضر مصالح مصر السياسية

(*) حول هذه الصفحات انظر على التوالى الفقرات الآتية من كتاب أسامة بن المنقذ (والتى حددها المحقق فى هوامش مقدمته) الفقرات ٦٦، ١٢٥، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٨، ٧٤، ٧٥، ٩٢، ١١٠، ١١٣، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٨، ١٨٣، ١٣٠. انظر [illegible]

(٦) أسامة بن المنقذ، مرجع سابق، ص٢٨ - ٣٠

(٧) المرجع السابق، ص٣٣

(٨) د. نادية محمود مصطفى، العصر المملوكى، مرجع سابق، ص٧-١٣

(٩) المرجع السابق، ص٢٨-٤٠

(١٠) [illegible]

(١١) المرجع السابق، ص٤٢

(١٢) المرجع [illegible]

والعسكرية إلا أنه لم تظهر جماعات أجنبية مستقرة تتمتع بحقوق مؤسسة الفندق، ولكن ومنذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي تراجعت تدريجيا السياسة الإسلامية التقليدية في قصر نشاط التجار الأوروبيين على السواحل حيث تطورت ثم اكتملت أبعاد المؤسسة الفندقية حتى أصبحت تمثل ذروة المؤسسات التجارية والمعاملات الدولية والعمود الفقري للمعاهدات التي عقدتها مصر مع الممالك الأوروبية المتوسطية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. ولقد تضمنت بنود هذه المعاهدات التصريح للتجار القادمين من دار الحرب بمزاولة أعمال التبادل باعتبار أنها لا تضر الإسلام والمسلمين، كما صاغت حدود هذه الأعمال التي تحكمها القوانين الإسلامية والشروط التي طالبت بها دول هؤلاء التجار. وكان من أهم تلك المعاهدات تلك التي عقدت مع البندقية والتي ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي ثم تلتها ست معاهدات أخرى في القرن ١٤م (١٣٠٢، ١٣٤٤، ١٣٥٥، ١٣٦١، ١٣٦٦، ١٣٧٥) وثلاث معاهدات في القرن الخامس عشر ميلاديا (١٤١٥، ١٤٢٢، ١٤٤٤) وذلك نظرا لازدهار العلاقات التجارية بين مصر والبندقية أواخر القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع هجريا الخامس عشر ميلاديا.

ومن ناحية أخرى: فإن لطبيعة هذه العلاقات مدلولات مهمة بالنسبة لفهم ما كان لمصر يومئذ من شأن في الشئون الدولية الاقتصادية والسياسية، وبالنسبة لتكييف طبيعة علاقاتها كطرف مسلم مع أطراف مسيحية أوروبية. بعبارة أخرى، فإن تحليل هذه المدلولات بغرض الإجابة على سؤال هام يعد امتدادا واستكمالا لسؤال سبق طرحه حول مرحلة تصفية الإمارات الصليبية وهو: هل تعد هذه العلاقات الجديدة نقطة تحول في العلاقات الدولية الإسلامية - المسيحية بعيدا عن السياسة الإسلامية التي كانت دعامتها فكرة الجهاد والتقسيم إلى دار حرب ودار إسلام؟ أم أنها ظلت تعبر عن نفس هذه السياسة ولكن بأدوات جديدة لا تنفي طبيعتها السلمية استمرار تفوق وهيمنة دور الطرف الإسلامي؟

وإذا كان البعض[14] قد رأى أن معاهدات القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (كما سبق ورأى البعض)[15] في معاهدات المماليك خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي تشتمل على بدايات "الامتيازات الأجنبية" التي وردت في معاهدات الباب العالي (السلطان العثماني مع البلاد الصديقة)، وإذا كان البعض الآخر[16] قد أشار في معرض تقويمه لأبعاد قوة المماليك العسكرية والاقتصادية والدينية أنه من الأمور المشكوك فيها مقدرة المماليك قد رأوا مبدأ الحرب المقدسة (الجهاد) بنفس طريقة الفقه التقليدي إلا أنه بالنظر إلى السياق الزماني والمكاني لهذه المعاهدات وحالة الطرف المملوكي وأهدافه من ورائها يمكن القول إن هذه الممارسات المملوكية على صعيد العلاقات السلمية التجارية انطلقت من وضع القوة والمناورة وليس الضعف والخضوع، كما أنها كانت تخدم وتدعم المصالح السياسية والعسكرية المصرية في مواجهة الأعداء من الشرق والغرب على حد سواء.

(٢) نموذج تعارف "الفقيه" ابن تيمية على ممالك الإفرنج في "الرسالة القبرصية"[17]:

خطاب من شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سرجيوس ملك قبرص من التعارف النقدي للمسيحية إلى حقوق الأسرى المسلمين والمسيحيين: (دور الفقيه في التعارف المعرفي والعقيدي والدور السياسي).

في هذه الرسالة، وفق تقديم المحقق لها[18]، يسأل فيها ابن تيمية ملك قبرص مساعدة الأسرى والإحسان إليهم والمعاونة على خلاصهم. ولكن تتضمن الرسالة هدفا آخر هو في غاية الأهمية من ابن تيمية للملك خاصة "وهو معرفته بالعلم والدين وانكشاف الحق وزوال الشبهة وعبادة الله كما أمر، فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها، وهو الذي بعث به المسيح، وعلمه الحواريين".

والمتصفح لأوراق الرسالة لا بد وأن يستوقفه أمران:

الأول: سعة إطلاع ابن تيمية ومعرفته بعقائد النصارى وفرقهم، وامتلاكه الحجة البالغة، والدليل الساطع، في الرد على دعاويهم، وكشف تلبيساتهم ودحض باطلهم.

الثاني: اهتمامه بأمور المسلمين العامة، وتدخله -وهو الشيخ والعالم والإمام- في واحدة من قضايا السياسة الخارجية للدولة، من خلال سعيه لإطلاق أسرى المسلمين، وحرصه وعنايته بأحوال الرعية ومن كلها، حتى تلك التي تقع في اختصاص الحاكم ومسئوليته".

إن القارئ لهيكل الرسالة الذي يبدأ بأمور الدين ثم ينتقل إلى شئون الأسرى، ليتضح له حيوية هذا الربط بين أمور فقه الأديان المقارن وبين فقه أمور السياسة والتحرك لخدمتها من جانب شيوخ الإسلام الذين لا يحكمون، فهؤلاء لم يقتصر دورهم في تاريخ المسلمين على جانب دون آخر، ولكن حيوية الأمة ونهوضها تأثرت بالجمع بين الدورين، سواء تجاه المسلمين وفيما بين بعضهم البعض أو تجاه الخارج وغير المسلمين.

وبدأ التدهور والتراجع في حال الأمة مع الانفصال بين الجانبين وخاصة فيما يتصل بالخطاب تجاه الآخر، على أرض الوطن أو في الخارج. ومن أهم الدلالات الحضارية لهذه الرسالة أنها تتصل بالأسرى من المسلمين والمسيحيين على حد سواء فهم جميعا "الأهل" في مواجهة المعتدي.

أن نمط التعارف الذي جسده نموذج العالم ابن تيميه ليدفع إلى التساؤل عن دلالاته الراهنة واتصاله بدور علماء الإسلام وشيوخه (سلبا أو إيجابا) في الأزمة القائمة بين المسلمين والمسيحيين في بعض الدول العربية؟

وتزداد بالطبع أهمية هذا الدور، سواء في أبعاده السلبية أو الإيجابية، في ظل تداعيات الثورات العربية على قضية العلاقة بين الدين والمجتمع والدولة.

(يتبع)

---

(١٤) وحول مزيد من التفاصيل، انظر:
- [illegible] العسق ظاهرة سياسية واقتصادية [illegible] (في): [illegible] (محرر)، مصر وعالم البحر المتوسط، دار الفكر [illegible]

(15) p 166. Holt, The Age of The Crussads M P

(16) Aziz Swral Atiy. The Crusade in later Middle Ages (Methuen. London, 1938), p [illegible]

(١٧) ابن تيمية، الرسالة القبرصية (خطاب من شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سرجوانس ملك قبرص)، تحقيق: علاء الدين دمج، دار ابن [illegible]

(١٨) انظر مقدمة المحقق، المرجع السابق، ص ٩-١١

بنو إسرائيل في الكتاب والسنة

٨



[illegible]

اذا نظرنا الى التوراة الحالية من حيث المتن نجدها محشوة بالقصص والعبارات والمتناقضات التي تتنزه الكتب السماوية الصحيحة عن ذكرها. واليك بعض الامثلة:

(أ) يقرر سفر التكوين: «أن الله ـ تعالى ـ بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، استراح في اليوم السابع، وكان يوم سبت. وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل»[1].

وهذا الوصف تنزه عنه الخالق ـ تعالى ـ كما تنزه أى كتاب سماوى عن أن يشتمل على هذه العبارة الباطلة.

ولقد بين القرآن الكريم أن الله ـ تعالى ـ خلق السموات والأرض وما بينهما دون أن يناله نصب أو تعب فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(ق: ٣٨)

وفي الأسفار ـ أيضاً ـ ما يدل على أن بني إسرائيل كانوا يعتقدون تعدد الآلهة، وأن إلههم يخالف آلهة البشر (وفيها ـ كما يقول بعض الكتاب ـ مواقف كثيرة يبدو فيها الإله أشبه بالإنسان في أحوال ضعفه وقوته. وفي ضلاله ورشده. وفي حلمه وجهله.. حتى لكأن الإله قد اتخذ له خيمة مع اليهود وعاش بينهم.. ولهذا أمثلة كثيرة. قل أن تخلو منها صفحة من صفحات العهد القديم)[2].

(ب) تنسب التوراة الحالية لبعض الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أعمالا قبيحة تتنافى مع العصمة التي منحها الله ـ تعالى لهم، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس. من ذلك ما جاء في سفر التكوين (عن لوط ـ عليه السلام ـ وابنتيه فهو يذكر أن لوطاً ـ عليه السلام ـ وابنتيه هم الذين نجوا بعد هلاك قومه، وأن ثلاثتهم قد أقاموا عقب ذلك في غار. وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما (إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً، وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذى يفعله ذكور الناس مع إناثهم، وإذا بقي الأمر هذا على تلك الحالة. فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا، وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة أن نسقي أبانا خميراً حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذرية تخلد نسله.. ثم أنفذنا ما اتفقنا عليه، وجاءت الكبرى بغلام أسمته (مواب) وجاءت الصغرى بغلام أسمته (عمون) ومن هذين الغلامين تكون شعب (المؤابيين والعمونيين)[3].

هذا، وفي التوراة الحالية نصوص أخرى فيها تطاول على بعض الأنبياء[4] كآدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهرون، وداود، وسليمان ـ صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ـ وفيها وصف لهم بأعمال ذميمة تتعارض مع الخلق الكريم، الذى طبعهم الله ـ تعالى ـ عليه.

(جـ) في التوراة الحالية، كثير من مظاهر التناقض والتضارب في الأحكام

فمثلا سفر الخروج والتثنية (يقرران أن الإسرائيلي الذى يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزه وحاجته إلى المال لا يدوم رقه أكثر من ست سنين) بينما يقرر سفر اللاويين في هذه الصورة نفسها أن رق الشخص لا ينتهي إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلي (وهو العيد الذى يجيء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التي قضاها في الرق قبل ذلك، فيمكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة إلا يوما أو أياما إذا استرق عقب العيد الخمسين مباشرة[5].

وهناك أمثلة عديدة للتضارب في الأحكام والأعداد والتشريعات في التوراة الحالية

(د) ما [illegible] الأسفار من غزل شهواني [illegible] تعبير ماجن خليع، يجعل [illegible] أن تكون هذه الأسفار منزلة من السماء، وفي سفر (نشيد الإنشاد) ـ مثلا ـ كثير من هذا اللون الماجن من الغزل، [illegible] (في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي.. طلبته فما وجدته [illegible] وأطوف المدينة في الأسواق والشوارع.. وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت: أرأيتم من تحبه نفسي.. فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدته [illegible] دخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي)[6].

وقد تحدث صاحب (قصة الحضارة) عما [illegible] في الأسفار [illegible] مهيجة للشهوة فقال: «وفي هذه الكتابات [illegible] [illegible] لقد تكون [illegible] الأصل. [illegible] من شعراء العرب [illegible] ومهما يكن [illegible] [illegible]

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الثاني

(٢) المسيح في القرآن للأستاذ عبدالكريم الخطيب ص٤٦

(٣) سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر

(٤) ذكر هذه النصوص بإسهاب فضيلة المرحوم الشيخ عبدالرحمن الجزيري في كتابه (أدلة اليقين [illegible] وغيره من مطاعن المبشرين) من ص٤٢٩ ـ ٤٥٤

(٥) الأسفار المقدسة للدكتور علي عبدالواحد وافي ص٣٣

(٦) [illegible]

يدرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواصف شهوانية فاجرة وضعوها في أقوال (أشعياء) و(إرمياء).

وقصارى القول، إن التوراة الحالية ـ في مجموعها ـ قد كتبت بعد موسى ـ عليه السلام ـ بأزمان متفاوتة، وبأفكار مختلفة، وأن اليهود كتبوها محكات لأخلاقهم، وتاريخهم وآمالهم وآلامهم، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك إظهارهم الشعب الإسرائيلي بمظهر الشعب المقرب إلى الله ـ تعالى ـ والمفضل على غيره من الشعوب، ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا في كتابتها امتلأت بالأخطاء والمغربات والتناقضات.

ورحم الله الشيخ (رحمة الله الهندي)، فقد تناول في الكلام على أسفار العهدين العتيق والجديد ـ أي التوراة والإنجيل ـ كل باب من أبوابهما واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلمائهم على تبيان المطعون فيه من الأبواب والآيات. وبين بالحجج الدامغة أنه لا يوجد لدى علمائهم سند متصل لأي كتاب من كتب العهدين. ثم تناول بعد ذلك ما في الكتابين من الاختلاف والأغلاط. ثم عقد بابا خاصا لإثبات التحريف في كتب العهدين القديم والجديد مصداقا لقوله تعالى:

[illegible]

[illegible] ١٣)

وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد، وكان يأتي التحريف أحيانا بالزيادة وأحيانا بالنقصان وأحيانا بالتبديل اللفظي، وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهداً، كما ساق على التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهداً، أما التحريف بالنقص فقد ساق عليه عشرين شاهداً.. مما يدل على سعة اطلاع وتتبع حريص لإقامة الحجة عليهم من كتبهم[8].

هذا! وليست الأسفار التي تحدثنا عنها سابقاً هي الكتب المقدسة عند اليهود وحدها، وإنما عندهم كتاب آخر يعتبرونه في منزلة لا تقل عن منزلة التوراة وهذا الكتاب هو (التلمود).

وذلك أن علماء اليهود ومجتهديهم قاموا بتأليف مجموعات من التفاسير والشروح للتوراة. تتعلق هذه الشروح بشئون العقيدة والشريعة والتاريخ كما قاموا بجمع الروايات الشفوية التي تناقلها أحبار اليهود من جيل إلى جيل وقد بلغ ما جمعه هؤلاء المجتهدون ثلاثة وستين سفراً، ألف خلال القرنين الأول والثاني الميلادي، وأطلق عليها اسم (المشناة) أي الشريعة المكررة، لأن المشناة تكرار وإيضاح وتفسير وتكميل لما ورد في التوراة.

ثم قام بعد ذلك مجتهدون آخرون من اليهود الذين كانوا يسكنون فلسطين وبابل بشروح للمشناة، أطلق على هذه الشروح اسم (الجمارا) أي الشرح والتعليق. وقد تم تأليف هذه الشروح في فترة طويلة امتدت من القرن الثاني إلى نهاية القرن السادس الميلادي.

(7) قصة الحضارة لديورانت جـ3 ص288

(8) من مقدمة كتاب (إظهار الحق) للأستاذ عمر الدسوقي

ومن المشناة والجمارا يتكون التلمود الذي هو بمعنى التعاليم والآداب الدينية لليهود، وبهذا نرى أن التلمود يتكون من شيئين:

● من (المشناة) التي هي عبارة عن شروح وتفاسير للتوراة.

● ومن (الجمارا) التي هي عبارة عن حواش وتعليقات وتفسيرات للمشناة.

ويطلق على الشروح التي أضافها أحبار فلسطين إلى المشناة اسم التلمود الأورشليمي ويطلق على الشروح التي أضافها أحبار بابل إلى المشناة اسم التلمود البابلي وهو أضخم من التلمود الأورشليمي، وأكثر تداولا منه. وإذا أبهم على اليهود شيء من التلمود الأورشليمي، راجعوا من أجل معرفته التلمود البابلي، لأنهم يعتبرونه دليلهم ومرشدهم.

ويعتقد معظم اليهود أن التلمود كتاب مقدس. ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله تعالى أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهاً، وبعض اليهود يضع التلمود في منزلة أسمى من منزلة التوراة. وقد نسب بعض اليهود إلى (أشعيا) أنه قال: (إن التوراة كالماء، والمشناة كالخمر، والجمارا كالخمر المعطر. فالعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر وخمر معطر ولعلى لا يدع واحدة تفوته. ولهذا السبب فإن العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والمشناة والجمارا، فالشريعة هي كالملح، والمشناة كالبهار، والجمارا كالتوابل. إن الذين يدرسون التوراة يحتمل أن يكون عملهم فضيلة أو غير فضيلة، أما الذين يدرسون المشناة فإنهم يمارسون الفضيلة ويثابون عليها، إلا أن الذين يدرسون الجمارا فإنهم يكتسبون أعظم فضيلة وأسماها، وأن من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت)[9].

وقد احتوى التلمود على كثير من الأكاذيب، والمغربات، التي لا يقبلها عقل من ذلك ما جاء فيه (من أن الله ـ تعالى ـ يقسم النهار إلى اثني عشر ساعة، في الساعات الأولى الثلاث يدرس شريعة اليهود وفي الساعات الثانية يدين الشعوب، وفي الساعات الثالثة يغذى العالم بأسره وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ملك الأسماك...)[10].

وجاء فيه (أن الله ندم لما أنزله باليهود بالهيكل، وأنه ظل يصرخ ويقول: (الويل لي لأني تركت بيتي ينهب، وهيكلي يحرق، وأولادي يشتتون...)[11].

وجاء فيه عن اليهود قوله: (تتميز أرواح اليهود عن باقي أرواح البشر بأنها جزء من الله تعالى كما أن الابن جزء من أبيه وأنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الأرض... وأن اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة وأن اليهودي جزء من الله، فإذا

(9) عن كتاب (همجية التعاليم الصهيونية) للأستاذ بولس حنا مسعد طبعة بيروت 16

(10) المصدر السابق ص24

(11) المصدر السابق ص25

ضرب أمي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود.. وأنه مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له أيمانا كاذبة).

هذه مقتطفات من الأكاذيب والمفتريات التي امتلأ بها التلمود، وقد قام بجمعها والتعليق عليها عدد كبير من الباحثين، ومن أشهر الكتب التي ألفت في ذلك كتاب «الكنز المرصود في قواعد التلمود» للدكتور روهلنج [illegible] الذي كان مدرسا بجامعة براج، وقد قام بترجمته الدكتور يوسف نصر الله، وكتاب «التلمود وشريعة إسرائيل» لأحد الباحثين، وكتاب «همجية التعاليم الصهيونية» للأستاذ بولس حنا سعد.

بعد هذا الحديث الموجز عن أسفار اليهود المقدسة نختم كلامنا عن أحوالهم الدينية بكلمة عن فرقهم فنقول:

لليهود فرق كثيرة تزعم كل فرقة منهم أنها أمثل طريقة، وأشد تمسكا بأصول الديانة اليهودية من غيرها، ومن أشهر فرقهم:

(أ) فرقة الفريسيين: تعني معتزلين ومنفصلين عن [illegible]، وقد سادت هذه الفرقة في عهد المكابيين أي في القرن الثاني قبل الميلاد، وهدفهم المحافظة على الشريعة [illegible] بمعانيها الحرفية دون أي اجتهاد فيها.

ويرى الفريسيون صحة البعث والحساب والجزاء، وأكثرهم لا يتزوجون ويحافظون على وجودهم عن طريق التبني.

(ويعتقد الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يعتمد عليها. وإنما هناك بجانبها روايات شفوية، ومجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير التي تعتبر توراة شفوية. وقد تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل.. وتلك الروايات الشفوية هي التي دونت فيما يسمى بالتلمود، ولضمان تقديس اليهود للتلمود أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون. وأن أقوالهم صادرة عن الله ـ تعالى ـ وأن مخافتهم هي مخافة الله)[13].

وعن سلوك الفريسيين يقول صاحب تاريخ الإسرائيليين: (ويتضح من التلمود أن الفريسيين لم يكونوا جميعا على ما يرام، وأن كثيرين منهم كانوا كذلك بحسب الظاهر فقط، أما باطنا فكانوا يخالفون تعاليم فرقتهم وقد قسم التلمود الفريسيين إلى سبعة أقسام، وقال إن ستة من هذه السبعة لا تستحق الاعتبار لمخالفتها الغاية المقصودة، أما السابعة فأفرادها هم الفريسيون الحقيقيون وهم الذين يعملون بإرادة الله لأنهم يحبونه)[14].

(ب) فرقة الصدوقيين: سموا بذلك نسبة إلى زعيمهم (صدوق الكاهن) الذي عاش في القرن الثالث الميلادي.

وهم ينكرون البعث والحساب والجزاء والجنة والنار، ويقولون إن جزاء الإنسان إنما يتم في الدنيا.

وينكرون كذلك التلمود، وحتى التوراة يرون أنها غير مقدسة قدسية مطلقة. بل للمرء أن يدخل عليها ما يراه مناسبا ومعظم المنتسبين إلى هذه الفرقة من أغنياء اليهود وأثريائهم ووجهائهم، ويرى بعض الباحثين أنهم إلى الحزب السياسي أقرب منهم إلى الطائفة الدينية.

(جـ) فرقة القرائين: كانت هذه الفرقة في مبدأ أمرها تمثل قلة من اليهود، إلا أنها اتسعت وكثر عدد المنتسبين إليها بعد تدهور شأن الفريسيين.

وهذه الفرقة تعترف بما جاء في التوراة وحدها، ولا تعترف اعترافا تاما بأحكام وتعاليم الحاخامات، بل تقول إن ما جاء عنهم قابل للخطأ والصواب والإضافة والتنقيص منه، بخلاف فرقة الفريسيين التي ترى أن كلام الحاخامات له قدسية كقدسية كلام التوراة.

وقد أسست هذه الفرقة في القرن الثامن الميلادي. وتولى رئاستها (داود عنان) أحد علماء اليهود في بغداد.

(د) فرقة الكتبة: وأفراد هذه الفرقة وظيفتهم كتابة الشريعة لمن يريدها، فهم أشبه ما يكونون بالنساخ، وقد نتج عن كثرة مزاولتهم لهذا العمل أن عرف عدد منهم بالإلمام بأحكام شريعتهم، فاتخذوا الوعظ والتدريس مهنة لهم.

وبمرور الأيام تولوا المناصب، وعاونوا الحكام في بلوغ غاياتهم، وأصبحوا هم الرعاة للمدارس والمعابد.

هذه أشهر فرق اليهود الدينية، وهناك فرق أخرى ذكرها علماء الملل والنحل ولا مجال لذكرها هنا وبذلك نكون قد ألممنا بجوانب من أحوال اليهود الدينية.

ننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن الأمر الرابع وهو علاقتهم بالأوس والخزرج ـ فنقول

يذكر المؤرخون أن الأوس والخزرج أصلهما من قبيلة الأزد باليمن، وأنهم جاءوا إلى المدينة بعد حادث سيل العرم التماسا لمكان جديد يصلح لمعيشتهم بعد أن غرقت مساكنهم باليمن، وأنهم حين نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوة؛ ولذلك رضوا بما حصلوا عليه من أرض ضعيفة ومن رزق شحيح. وبمرور الأيام اختلط الأوس والخزرج باليهود الذين كانوا يسكنون يثرب، وكانوا أصحاب الثروة والمال والكلمة النافذة فيها.

وقد بقي الأوس والخزرج على ضعفهم، حتى ظهر فيهم رئيسهم (مالك بن العجلان)، الذي استطاع بدهائه ومكره وشجاعته أن يفتك باليهود وأن يجعل الكلمة العليا لبني قومه.

ويصف (الدكتور جواد علي) ما كان عليه اليهود من ضعف وذلة فيقول: (ولكن اليهود مع ما كان لهم من حصون وآطام وقرى عاشوا فيها متكتلين مستقلين، لم يتمكنوا من بسط نفوذهم وسلطانهم على الأرض التي أنشأوا مستوطناتهم عليها، ولم يتمكنوا من

[illegible]

[illegible]

[illegible] مكاريوس ص١١٩

انشاء ممالك وحكومات يحكمها يهود، بل كانوا مستظلين في حماية سادات القبائل ورؤسائها، يؤدون لهم إتاوة في كل عام مقابل حمايتهم لهم، ودفاعهم عنهم، ومنع الأعراب من الاعتداء عليهم. وقد عمدوا إلى عقد المحالفات معهم فكان لكل زعيم يهودي حليف من الأعراب ومن رؤساء العرب.

وقد أشار القرآن الكريم إلى انضمام بعض اليهود إلى الأوس، وبعضهم إلى الخزرج عند القتال. فقال تعالى في سورة البقرة

(البقرة ٨٤ ـ ٨٥)

ومع أن الثابت أن اليهود لم يكن لهم نفوذ يذكر على المدينة من الناحية السياسية والحربية، وأن السلطان من هذه الناحية كان للأوس والخزرج. إلا أن بعض آيات القرآن الكريم تحكي لنا أن اليهود من الناحية الدينية كانوا يعرفون أنفسهم بأنهم أهل العلم بالأديان والشرائع، وأنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم كانوا يبشرون بمبعث نبي جديد، ويقولون للأوس والخزرج إن نبيا قد أظلنا زمانه، وأننا سنتبعه، ونقتلكم قتل عاد وإرم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قولهم هذا فقال تعالى

(البقرة ٨٩)

والخلاصة: إن علاقة اليهود بالأوس والخزرج كانت خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية، فهم يعملون على إثارة الحروب بين الفريقين متى وجدوا في إثارتها فائدة لهم، كما حصل ذلك في كثير من الحروب التي أنهكت الأوس والخزرج. وأنهم كانوا يهمهم أن تكون لهم السيطرة المالية على المدينة. وأن حديثهم عن النبي المرتقب شجع الأوس والخزرج على الدخول في الإسلام.

وقد استمرت علاقة اليهود بالأوس والخزرج تسير على هذا المنوال، إلى أن هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة فاشتركوا في استقباله. ثم جرى بينه وبينهم ما جرى من أمور سنتحدث عنها فيما بعد.

(يتبع)

خطابهم الديني !!

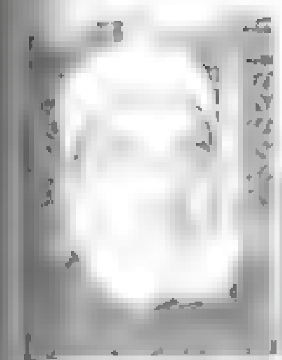
من فتاوى الحاخامات *

عنوان الفتوى: الشعب اليهودي عنصري لصالح البشرية

WWW.daatemet.org

WWW.yeshiva.org.il

حقوق الإنسان في شريعة الإسلام (٢)



للأستاذ الدكتور/ محمد المختار المهدي

عضو مجمع البحوث الإسلامية

لا تمييز بسبب اللون

وليس في الإسلام كذلك تمييز بسبب اللون، فإنه يعتبر اختلاف اللون في الإنسان كاختلافه في [illegible] هذا الاختلاف دليلا على [illegible]

[illegible]

(سورة الروم: ٢٢)

والرسول [illegible] تلميحا بهذا التمييز في مجتمع كان يعد سواد اللون نقصا وخسة، ويغمط الأسود حقه ولو كان كفئا، ولا أدل على ذلك من هضم حق الشاعر الفارس عنترة بن شداد العبسي.

عن المعرور [illegible] بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه [illegible] عن ذلك؟ فقال: إني ساببت رجلا، فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية».

ويمثل هذه التوجيهات الحكيمة محيت من نفوس المسلمين هذه التفرقة محوا قاطعا، فقد أرسل (عمرو بن العاص) إلى المقوقس وفدا وجعل رئيسه (عبادة بن الصامت) وكان أسود اللون، فغضب المقوقس لسواده، وبسطة جسمه وطلب أن يتكلم غيره، فرفض الوفد قائلا: إن هذا أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا.

لا تمييز بسبب الدين

ولا تمييز في الإسلام كذلك بالنسبة للمعاملة بسبب الدين أو التقوى والصلاح. كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق. إن النفس الإنسانية محترمة مكرمة بدون نظر إلى دينها أو جنسها، فقد مرت جنازة على النبي ﷺ فوقف لها، فقيل له إنها جنازة يهودي. فقال النبي ﷺ: «أليست نفسا»[١].

فإذا ما حدثت مقاضاة بين اثنين وكان أحدهما أتقى من الآخر، أو كان أحدهما مسلما وكان الآخر يهوديا أو مسيحيا، فلا اعتبار لشيء من ذلك أمام القضاء.

شكا يهودي «عليا» إلى «عمر» في خلافة «عمر»، فلما مثلا بين يديه خاطب «عمر» اليهودي باسمه وخاطب «عليا» بكنيته، فقال يا أبا الحسن، حسب عادته في الخطاب، فظهر أثر الغضب على وجه «علي»، فقال له «عمر»: أكرهت أن يكون خصمك يهوديا، وأن تمثل معه أمام القضاء، وعلى قدم المساواة[٢] فقال «علي»: لا، ولكني غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه، بل فضلتني عليه، إذ خاطبته باسمه بينما خاطبتني بكنيتي.

هكذا غضب «علي» لهذا التمييز الواهي غير المقصود، و«علي» ليس مسلما فقط وخصمه يهودي، ولكن من الصفوة المختارة من صحابة رسول الله ﷺ.

لا تمييز بين قوي وضعيف

ولا اعتبار كذلك للوضع الاجتماعي، فلا تمييز في القضاء بين قوي وضعيف، أو شريف وسوقة، أو حاكم ومحكوم.

شفع «أسامة بن زيد» وكان حب رسول الله ﷺ - في «فاطمة بنت الأسود» المخزومية عندما وجب عليها حد السرقة إلى رسول الله ﷺ، فانتهره الرسول ﷺ قائلا: «أتشفع في حد من حدود الله»، ثم قام فخطب وقال: «يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[٣].

وخطب «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه - حين تولى إمارة المؤمنين فقال: «أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه».

وكتب إلى «أبي موسى الأشعري» في رسالة القضاء: «آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك».

وكتب إلى الخليفة من بعده: «اجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله».

لا تمييز بسبب الرأي

ولا اعتبار كذلك باختلاف الرأي السياسي في الدولة، فعلى رئيس الدولة أن ينفذ حكم الله - تعالى - بالعدل والقسط على الجميع، لا فرق بين مؤيديه ومخالفيه، استجابة لقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٨)

وإذا كان الإسلام لا يضع في اعتباره أمام المساواة بين الإنسانية كلها عوامل الدين ولا اللغة ولا الجنس ولا اللون ولا الرأي السياسي، فهو كذلك لا ينظر إلى الأصل الوطني على أنه ميزة تعطي لصاحبها حقا أفضل من الغريب، فلقد كانت مكة هي الوطن الأصلي لرسول الله ﷺ وللمهاجرين رضي الله عنهم

ولما ذهبوا إلى المدينة وجدوا فيها من روح الإسلام وطنا وأهلا وأنصارا لم يظفروا بهم في موطنهم مكة، ذلك أن الإسلام جعل وطن

---

[١] [illegible] الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي - حديث رقم ١٣١٢

[٣] أخرجه البخاري [illegible] رفع إلى السلطان - حديث رقم ٦٧٨٨، وأخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود - حديث رقم ١٦٨٨

المسلم ليس هو الأرض التي ولد عليها وعاش عليها فقط، ولكن الوطن الصحيح هو الأرض التي وجد نفسه حرا عليها في دينه وعقيدته ويحكمها الإسلام. أيا كانت هذه الأرض، وأي انحراف عن هذه النظرة نفاق ومرض نفسي.

هذا «عبد الله بن أبي» يثير فتنة في غزوة «بني المصطلق» أساسها أن الرسول ﷺ وصحبه المهاجرين غرباء عن المدينة، وأن أهل المدينة هم الذين آووهم ونصروهم، ولو أن أهل المدينة منعوا عنهم المعونة لانفضوا عن هذا الوطن، ومغزاها أن الوطني أعز من الغريب، ولو كان مشتركا في الدين واللغة، وفي هذا يقول الله عز وجل

(سورة المنافقون: ٧، ٨)

لا تمييز بسبب الغنى والفقر:

ولا اعتبار في الإسلام كذلك لفوارق الغنى والفقر، فلا الغنى يعطي صاحبه حقا، ولا الفقر يبخس صاحبه شيئا من حقه، ولقد صرح القرآن الكريم بذلك فقال

(سورة النساء: ١٣٥)

بل إنه لا يصح في عرف الإسلام أن يحترم الغني لغناه، وأن يحتقر الفقير لفقره، فمقاييس الرجال لا ينبغي أن تكون رهن المظاهر الخادعة. عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟». فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟». فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[4]

بعد هذا البيان الواضح لنصوص الإسلام القاطعة، يتبين إلى أي مدى بلغت قيمة المساواة بين أفراد هذا الجنس البشري كله في كنف التشريع الإسلامي

حق الحرية

الحرية هي الإطار الذهبي الذي يبدو فيه الإنسان وهو يرفرف في أفقه الإنساني الرفيع، متميزا به على ما سواه من المخلوقات.

لقد منح عقلا وتفكيرا وإرادة، وفتحت له أبواب الاختيار والتمييز بمقتضى هذا العقل وتلك الإرادة، لا سلطان عليه، ولا جبار يقف بالمطرقة بين يديه. إن الله تعالى قد جعله سيد هذا الوجود، وجعل الكون كله مسخرا لخدمته، وجعل المخلوقات جميعا تطأطئ رأسها لهامته.

إن هذه الحرية التي وهبها الله تعالى لبني الإنسان منذ أن وطئوا بأقدامهم هذه الأرض شيء نفيس وهبة غالية لا ينبغي التفريط فيها إلى متسلط جبار إن معنى العبودية لله وحده أن يخلع الإنسان كل عبودية لما سواه، وهذا هو أصل العقيدة الإسلامية.. وأن يتخلص الإنسان من كل ذلة أو خضوع لغير الله تعالى، إن الجبين الذي يسجد لرب العباد، لا ينبغي له ولا يليق منه أن يخفضه لغير الله تعالى.. من هذا المعنى الحي انطلق صوت «عمر بن الخطاب» يستنكر ما فعله ابن «عمرو بن العاص» قائلا: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!»

ومن هذا المعنى كذلك سخر سيدنا «موسى» عليه السلام من «فرعون» المتسلط على بني إسرائيل قائلا

(سورة الشعراء: ٢٢)

بل إن هذا المعنى السامي هو الذي يفرض على المسلمين أن يحاربوا المستبدين لإنقاذ المستضعفين

(سورة النساء: ٧٥)

ومن هذا المعنى كذلك يفرض الإسلام الهجرة من موطن الذلة والاستضعاف إلى موطن آخر يحصل فيه على أمس حق يتصل بالكرامة الإنسانية، فإذا ما أهمل هذا الذليل المستضعف ولم يهاجر فمأواه جهنم وبئس المصير

(سورة النساء: ٩٧-٩٨)

بل لقد وصلت قداسة الحرية إلى درجة جعلت من أهداف سيدنا «موسى» -عليه السلام- تخليص الأذلاء من قيود الذل والاستكانة لفرعون

(سورة القصص: ٥، ٦)

مفهوم مغلوط للحرية

هكذا يحرص الإسلام على الحرية، ولكن وللأسف لقد لبس بعضهم الكلمة معاني ساقطة هابطة لا تتسق مع سموها ومكانتها، ولقد فهمها البعض حديثا على أنها الفوضى والتهاون بالقيم والفضيلة والأخلاق، وفهمها البعض الآخر على أنها ممارسة لكل النزوات والشهوات، وانطلاق من كل القيود والضوابط الإنسانية والاجتماعية، فلا يهمه في سبيل هذه الحرية الزائفة أن يعتدي على حرية الآخرين، وعلى حقوق الآخرين.

إن الحرية لا تعني أن يفعل الإنسان ما يشاء، ويترك ما يريد، لكنها تعني ألا يخضع لأحد

(4) أخرجه البخاري - كتاب الرقاق - باب فضل الفقر - حديث رقم ٦٤٤٧

سوى ربه، وألا يذل نفسه لمخلوق، وأن يرعى حرية الآخرين، بل إن إيمان الإنسان بأنه مكلف هو أول خطوة من حريته، ذلك أن الحرية معنى اجتماعي لا يتصور وجوده إلا في مجتمع يأخذ الأفراد منه ويعطون، وإذن لابد لها من قيود في هذا المجتمع حتى لا تتضارب الحريات، ولا تتصادم الرغبات. وكل تقييد للحرية لابد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية ذاتها، وإلا كان عدوانا عليها، فتقييد حرية المغالين الذين لا يراعون حق المجتمع يكون المبرر له هو المحافظة على حرية المجتمع.

إن النفس الإنسانية حينما تسمو وتشف فإنها تستشعر حرية الآخرين، وتجد في داخل أقطارها من الحياء ما يمنعها من التعدي والجور، وهذا السمو وتلك الشفافية وذلك الحياء هو ما يهدف إليه الإسلام في تكوين الشخصية المسلمة المتميزة. وما أروع قوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»(*)، أي أنه إذا انطلقت النفس فقد ذهبت الحرية والإنسانية معا، وعاد الناس إلى حياة الوحوش في الغابات.

الحرية الشخصية

أول مظهر من مظاهر التمتع بالحرية، هي الحرية الشخصية، وهي تتناول حرية الاعتقاد والتدين، وحرية الرأي والتفكير، وحرية العمل والتصرف.

أولاً: حرية الاعتقاد والتدين: بناها الإسلام على عناصر ثلاثة:

الأول: التفكير الحر الذي يرفض التقليد والضغط.

الثاني: منع الإكراه على عقيدة معينة.

الثالث: حماية العمل على مقتضى العقيدة وأداء الشعائر التي تتطلبها العقيدة.

● فأما العنصر الأول: فقد نعى الإسلام وسخر ممن يعتمد على التقليد للآباء في العقيدة قال تعالى:

(سورة المائدة: ١٠٤)

ودعا الناس إلى التفكير والاستدلال وتعرف الحقائق بعقولهم، فقال سبحانه:

(سورة يونس: ١٠١)

(سورة النمل: ٦٠)

● وأما العنصر الثاني: فقد حرم الإسلام إكراه الناس على الدخول في الدين، قال تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾

(سورة البقرة: ٢٥٦)

وقال:

(سورة يونس: ٩٩)

(*) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، حديث رقم ٦١٢٠.

وما أبيح القتال في الإسلام، كما تقدم، إلا لحماية الحرية الدينية ولمنع الفتنة والاضطهاد والإكراه، قال تعالى:

(سورة البقرة: ١٩٣)

ولقد كان المسلمون الأولون حريصين على تنفيذ هذه التوجيهات بدقة متناهية.

يروى في هذا أن عجوزاً نصرانية قابلت عمر بن الخطاب، لحاجة لها عنده، وبعد أن دعاها إلى الإسلام، فأبت فخشي عمر أن يكون في كلامه إكراه لها فقال: «اللهم إني لم أكرهها».

● وأما العنصر الثالث: فقد حمى الإسلام من يكونون في ظل حكمه من غير المسلمين في عباداتهم وشعائرهم. والقاعدة المعروفة التي نفذت على مدى العصور «إنا أمرنا بتركهم وما يدينون». ولا أدل على ذلك من معاهدة الرسول ﷺ لليهود في المدينة على حسن الجوار، وعلى ترك حريتهم الدينية يقيمون شعائرهم كما يحبون.

ولقد عاهد «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه - أهل بيت المقدس على هذه الحرية، فكان في نص معاهدته معهم: «هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

والذي يدعو إلى الدهشة فعلاً أن الإسلام لا يبيح وجود دين آخر معه في بلد واحد فحسب، بل إنه يسمح وجوده في البيت الواحد، وعلى مرقد واحد، فأجاز الزواج من اليهودية والمسيحية، على أن يصرح لها الزوج المسلم بأداء شعائر دينها كما تشاء.

بهذه العناصر الثلاثة شيد الإسلام بناء الحرية الدينية على أساس التسامح والمعاملة العادلة النزيهة التي تحترم حرية الآخرين؛ ذلك أنه دين يقف على أرض صلبة متينة، دلائله واضحة، وبراهينه قاطعة، وتعاليمه تساير الفطرة البشرية، وقرآنه الكريم يخاطب نبيه بقوله:

﴿ ... لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(سورة الغاشية: ٢١، ٢٢)

وبقوله:

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

(سورة آل عمران: ٢٠)

وبقوله:

(سورة المائدة: ٩٢)

وبقوله:

(سورة التوبة: ١٢٩)

الردة نفاق وبلبلة

وهنا يثور من البعض تساؤل لابد من الإجابة عليه حتى لا يكون هناك شك أو

ريبة تشوه هذا البناء المشيد : لماذا - وفي الإسلام هذه السماحة - تقتلون المرتد عن الإسلام؟

ونقول : إن الدخول في الإسلام كما ذكرنا مشروط بالبحث والتفكير والنظر والموازنة بينه وبين ما سواه. فإذا ما دخل أحد هذا الدين بعد هذا النظر المفروض عليه والاقتناع به، ثم أراد الخروج منه فما هو إلا أحد شخصين:

إما متآمر : يدخل في الإسلام ويخرج منه ليحدث بلبلة في المجتمع، وخلخلة في النظام العام كما كان يحدث من أهل الكتاب في بدء الإسلام، وحكاه لنا القرآن الكريم في قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة آل عمران ٧٢)

ولا أظن أن مثل هذا العبث يقبله أي نظام يريد لأتباعه الهدوء والاستقرار، إنه في الحقيقة تعد على الآخرين وإثارة للفتنة والشغب والاضطراب في المجتمع، وعمل على قلب النظام العام الذي ارتضاه الشعب دينا وعقيدة.

وإما أنه شخص نفعي مذبذب : لا يستقر على رأي وعقيدة، إذ ما الذي دعاه إلى ترك دينه الأول؟ وما الذي دعاه إلى الدخول في الإسلام؟ ثم ما الذي دعاه إلى الخروج منه علنا وأمام الناس؟ إنه من البدهي المعلوم للجميع أن النظام الإسلامي لا يتدخل في نوايا الناس ولا في بواطنهم، إن له الظاهر والله - تعالى - يتولى السرائر. فإذا ما زاغت عقيدة مسلم ما ولم تظهر منه بوادر الكفر والزندقة في المجتمع فلن يتعرض لمكروه. أي أنه لو اقتصر كفره وضلاله على نفسه. فجزاؤه عند الله تعالى على هذا الضلال وليس للدولة الإسلامية عليه من سلطان.. أما إذا دعا إلى الكفر وطعن في دين الأمة، فإنه يعتبر متعديا على الآخرين، ومشجعا على الفساد والكفر، ومحرضا على نبذ الإيمان وإطفاء نور الله تعالى.

الجزية

وهناك تساؤل آخر يمليه الجهل بطبيعة الإسلام، ولابد من تبديد شبهاته. ماذا يفرض الإسلام على غير المسلمين جزية في أموالهم؟ أليس في هذا إذلال لهم وأخذ لأموالهم مقابل عدم إسلامهم؟

ولبيان الحقيقة لابد أن يعرف الجميع أن الإسلام لا يفرض على المخالفين لعقيدته أن ينضموا إلى جيش المسلمين؛ لأنه ليس لديهم الوازع الديني الذي يجعلهم حريصين على نصر هذا الدين وتعزيز بناء دولته، كما أن إجبارهم على ذلك مناف لطبيعة الأشياء، إذ كيف يطلب من إنسان أن يدافع عن عقيدة غيره؟ ومع هذا لهم حق الأمان من المسلمين، أي إن المسلمين مفروض عليهم حمايتهم من أي عدوان داخلي أو خارجي، فهل من العدالة والإنصاف أن يكون كل الغرم على المسلمين، وكل الغنم لغيرهم على حين أنهم يعيشون في بلد المسلمين؟

إن الذين حسبوا الجزية بدلاً عن الإسلام واهمون، إنما هي بدل من الحفظ والحماية والأمان، وإسهام في إنشاء وصيانة المرافق العامة، كما أنها دليل على أنهم لا يضمرون كيدا ولا سوءا بالمسلمين، فهي علامة لخضوعهم للنظام، فإن لم يدفعوها ويسهموا بها في تكاليف الأمن، فهم غير متعاونين، ولا يحق لهم أن يدخلوا في ذمة المسلمين ورعايتهم، وهذه نتيجة منطقية لا يشوبها أدنى ظلم ولا إجحاف.

إن المسلمين يؤدون زكاة أموالهم فريضة من الله تعالى، وليس على غير المسلمين زكاة، أوليس من العدل أن يسهم غير المسلم في نفقات مجتمعه بما شرعه الإسلام من جزية على القادر منهم فقط، وليس على المريض أو الفقير جزية.

يتبع

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الشافعي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن المالطي صاحب المذهب الشافعي. والمتوفى عام (٣٧٧هـ)

عرض الكتاب: قال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار» فقد خصص الكتاب الحالي في ذكر هذه الفرق. بأسمائها، واعتقاداتها والرد عليها من خلال الكتاب والسنة وبعرض إرهاف العزائم وشحذ الهمم، بدأ المؤلف بذكر ما قاساه الرسول والصحابة في صدر الدعوة، أعقبه عرضا موجزا لأصول السنة.

يقول المؤلف أنه «لا راحة لكذاب» (ص ١١) فقد أشارت بحوث علم النفس المعاصر أن الكذب يصاحبه بعض التغييرات الانفعالية مثل التوتر والشعور بالذنب، يعتمد عليها كمؤشرات سلوكية لكشف الكذب. كما يرى أن «العذاب هو الأمراض، والفقر، والآلام، والأوصاب، وما تتأذى به النفوس» (ص ٢١) قد يكون ذلك تعريفا لمقابل الصحة النفسية Mental Health

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الكذب Lie.
- الصحة النفسية Mental Health.

القائم بالعرض

د. أحمد محمد مجرية

من صدور المؤلف

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع

تأليف

الشافعي أبي الحسين محمد بن احمد بن عبدالرحمن المالطي

قدم له وعلق عليه محمد زاهد بن حسن الكوثري

القاهرة المكتبة الأزهرية للتراث (١٩٩٣م)

رسالة إلى طاغية

د. عبدالرحمن العشماوي

قف عن القتل فقد جاوزت حدك ... إنه ذُل الخطايا والرزايا

واتق الله الذي إن شاء هدّك ... والخيانات التي تنقض عهدك

قف عن القتل فإن القتل نارٌ ... إنه ذل احتقار الشعب، أمسى

سوف تصلى رأسك الخاوي وزندك ... وصمة العار التي تبرز عندك

وستشوي وجهك الممسوخ شويا ... وصمةٌ ما وجدت قبلك جبينا

وستشوي حزبك العاوي وجندك ... فاستدارت رقعة تملأ خدك

قف عن القتل فقد أسرفت حتى ... أيها المسرف في القتل، ستلقى

أصبح الشيطان في الطغيان ندك ... عند بوابتك السوداء حدك

لكأني ببقاع الأرض تبكي ... إن من شدّك نحو المجد - وهْمًا

وتثير الرمل والحصباء ضدك ... وادّعاء -، هو نحو الذل شدك

لست إنسانا رشيداً، قد رأينا ... إن إبليس الذي أعطاك وهْما

منك غيًّا، وفقدنا منك رُشدك ... هو للإجرام والظلم أعدّك

إنني أبصر في وجهك ذُلاً ... فانتظر عقباك في الدنيا ضياعا

أنت من يحمله في الناس وحدك ... وانتظر عند إله العرش وعدك

هل ثمة حاجة إلى تفسير جديد للقرآن الكريم؟!

مدخل فى شرعية السؤال

كان مما تواتر فى التاريخ وتناقلته الصحف على امتداد الزمان وصف الذكر الحكيم بأنه كتاب لا يخلق على كثرة الرد، وربما صح أن يفهم فى أصول التفسير على هامش هذا الوصف الجامع اتساع حدود مرونة النص الكريم، وكثرة ما لا ينحصر من دلالاته وحكمه معا.

وهو ما نلمح لدى بوادره منذ عصر من جيل الصحابة، ومن بعدهم أجيال التابعين فى مثل القول الذى يقول: "إلا رجلا آتاه الله فهما فى كتابه" وهى مظلة ترقى بأصحاب النظر فى كتابه الكريم إلى منطقة مائزة يحوطها التكريم والحفاوة؛ حتى كان ابن حنبل رحمه الله تعالى فيما أخرجه البيهقى فى كتابه مناقب الشافعى شديد الحفاوة بعمل عقل الإمام الشافعى على حداثة سنه فى كتاب الله تعالى.

وبما يشبه القاعدة فى أصول التفسير صنف ابن عباس رضى الله عنهما قوله إذ تعد التفسير ... القرآن بغيره الزمن . وهو ما يعنى أن نكل زمان معالمه التى يوفيها النص حقها مع دوام النظر، والفحص والتفتيش فى الذكر الحكيم.

وفى سبيل التمهيد للإجابة عن السؤال الذى تقدم فى عنوان هذا المقال بالإيجاب يحسن بنا أن نسوق الملاحظات التالية:

● أولا: ظهرت ملامح العناية بتفسير الذكر الحكيم ابتداء بما جمعه علماء الحديث النبوى الشريف من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم التى فسر فيها عددا من آيات الذكر الحكيم. وهو ما تجلى فى أبواب التفسير فى كتب الصحاح على ما يظهر مثل له فى صحيح الإمام البخارى رضى الله عنه.

● ثانيا: سرعة ظهور تيار واسع بين الصحابة والتابعين يرعى تفسير القرآن الكريم بغير طريقة رواية الآثار النبوية الكريمة، بمعنى أن عددا من الصحابة والتابعين اجتهدوا فى مواجهة الذكر الحكيم بهدف تفسيره وبيانه ولعل المحاولات المتقدمة على يد ابن عباس رضى الله عنهما فيما عرف تاريخيا بسؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس التى تأسست على إعادة استثمار الشعر العربى الجاهلى القديم، بما هو أساس ودليل وشاهد على صحة ما فسره الصحابى الجليل، وهو نوع من أنواع التفسير المخالف بدرجة من الدرجات لمدرسة رواية الآثار النبوية فى الميدان نفسه.

ولم يكن مجهود ابن عباس رضى الله عنهما فذا وفريدا فى هذا السياق، ولكن لنا جهودا أخرى ظهرت فى السياق الزمنى نفسه من أمثال جهود أبى الدرداء، وابن مسعود، ومجاهد التفسيرية، مع وجود بوادر قليلة لتأويل القرآن الكريم، فيما روى فى سياق التدليل على منزلة ابن عباس فى تفسير القرآن الكريم.

● ثالثا: اتساع تيارات التفسير بالرأى المحمود، وهو اتجاه مخالف لمدرسة المرويات التفسيرية، التى عرفت منهجيا بمدرسة التفسير بالمأثور، وقد اندرج تحت هذه المدرسة التى فسرت القرآن بالرأى مجموعة كبيرة من المدارس الفرعية من مثل:

أ- مدرسة التفسير الفقهى (تفاسير الأحكام).

ب- مدرسة التفسير اللغوى والنحوى (تفاسير معانى القرآن).

جـ- مدرسة التفسير البلاغى أو الإعجازى.

د- مدرسة التفسير العلمى، وهى مدرسة قديمة فى التراث التفسيرى عند المسلمين.

هـ- مدرسة التفسير الحركى وهو اصطلاح صككناه بما لاحظنا من عمل تفسير الأستاذ سيد قطب رحمه الله (فى ظلال القرآن).

وقبول الأمة بهذه المدارس الفرعية على امتداد تاريخ العناية بتفسير القرآن الكريم دليل حاسم على الإيمان بضرورة تجديد التفسير للذكر الحكيم جيلا بعد جيل.

● رابعا: الإيمان بأن القرآن هو الكتاب الخاتم يبعث على وجوب تجديد النظر فيه للوفاء بمتطلبات الأمة التى تتجدد من عصر لآخر.

هذه العلامات الأربعة السابقة تشير من طرف غير خفى إلى أن ثمة اتجاها ظاهرا يقرر أن الأمة أجابت على السؤال المتقدم عنوانا لهذه المقالة بالإيجاب بما كانت تفجره من مدارس واجتهادات فى جنب تفسير الذكر الحكيم.

من التفسير الحركى الى التفسير الحضارى
السير فى اتجاه مطالب العصر

إن فحص بعض جوانب المنجز التفسيرى للقرآن الكريم فى العصر الحديث أو تعيينا فى القرن الرابع عشر الهجرى / العشرين الميلادى يقود إلى أن ظهور فى (ظلال القرآن) تعيينا، وبعض اجتهادات أبى الأعلى المودودى، وسعيد النورسى، وفتح الله كولن فى (أضواء قرآنية) يمثل ظهورا لا يخفى لما يمكن أن يسمى بمدرسة التفسير الحركى، ونقصد

به تفسير النص القرآني الكريم بما هو نص كبرى غاياته ضبط حركة الجماعة المسلمة. وهو التعبير المعاصر لغاية الهداية التي تنوع التعبير عنها في الذكر الحكيم، بما هي غاية حاكمة لنزوله، وهو ما يظهر في أمثال قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

(سورة البقرة: ٢)

﴿[illegible] هُدًى لِّلنَّاسِ﴾

(سورة البقرة: ١٨٥)

﴿[illegible] مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ [illegible] بُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

(سورة النحل: ١٠٢)

﴿[illegible] مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

(سورة النمل: ٢)

إلى غير ذلك مما هو مبثوث في الذكر الحكيم.

وإذا كان تفسير (في ظلال القرآن) وما ظهر بجواره من محاولات أقل اكتمالا منه أسهمت في نضج الحركة الإسلامية في العصر الحديث، وما تزال تمارس هذه الجهود التفسيرية الحركية تأثيرها في إلهام أبناء هذه الحركة فإن طبيعة المرحلة التي تطبع الأمة المسلمة اليوم في مركزها العربي، وما بدأ يظهر من علامات الوعي والإفاقة في هذا المحيط يفرض علينا معاودة النظر في الكتاب الحكيم من زاوية جديدة توائم متطلبات هذا العصر الجديد، ولعل مطالب هذه اللحظة تفرض افتتاح باب جديد تفسر فيه الذكر الكريم تفسيرا حضاريا بما يرعى مراد الله تعالى في أن تكون الأمة المسلمة قائمة بواجبها في الحياة، بما هي الأمة المهيمنة، أو الأمة (العليا) التي تستخدم علوها من خبرتها وإيمانها، ولا سيما في ظل ما يعرف عن معاني القرآن الكريم من أنها متراحمة وليست متخاصمة.

إن مفهوم الحضارة بما هو مواجهة الحياة بكل إيجابية، وبكل ما من شأنه قهر التوحش والهمجية والجفوة، مراد ظاهر من مرادات الإسلام، وغاياته العظمى، وقد صح أن القرآن الكريم ضد كل ما هو سلبي والحضارة التي ينشدها هي الحركة في الحياة بإيجابية تامة.

إن الدعوة إلى تفسير القرآن الكريم تفسيرا حضاريا مطلب ملح، ولا سيما أننا مازلنا نعيش أجواء قرون مظلمة أصبح فيها العالم الإسلامي "مهددا بزوال هويته الحضارية" على حد تعبير (خالص جلبي) في كتابه «النقد الذاتي»: ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية، طبعة مركز الراية المعرفية، بدمشق ٢٠٠٧م، ص ٣٥) وإن كان أيضا لم يمت حضاريا

في التفسير الحضاري: محاولة جديدة للتفسير ويراعى فيها مطالب المرحلة

إن تأمل القرآن الكريم منذ نزوله على قلب النبي ﷺ في مكة المكرمة يمكن من استخراج ركيزتين ظاهرتين لما يمكن أن يسمى بالتفسير الحضاري للقرآن الكريم يمكن إجمالهما فيما يلي:

أولا- ركيزة تأمين الحياة الإنسانية

ثانيا- ركيزة تنمية الملكات الإنسانية

وسنحاول في السطور التالية تأمل الذكر الحكيم تعاطيا مع هاتين الركيزتين بما هما برهان على حاجة الأمة إلى تفسير القرآن تفسيرا حضاريا.

● أولا- تأمين الحياة الإنسانية محور من محاور التفسير الحضاري للقرآن الكريم.

إن القرآن المكي وفحصه وتأمله يقود إلى ما يمكن التعبير عنه بقولنا إن الله تعالى لم يدع إلى عبادته إلا بعد أن أحاط جبيل الدعوة بعلامات ظاهرة ترعى تأمين حياة الإنسان بدنا ونفسا

وفي هذا السياق أرجو أن نتأمل معا النقاط التالية

١- استقر منذ نزول القرآن المكي محورية رعايته لتأمين الحياة الإنسانية حتى أنه ليصح أن نقرر أن الله تعالى أمر بعبادته بعد كفالة من دعاهم، أليس هو القائل سبحانه

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾

وهو ما يعني أن القرآن المكي يرى أن الأمر بعبادة الله تعالى إنما كان منه بعد استقرار الحياة الإنسانية، واستقرار توفير مادة بقائها. فبما حققه لهم من إجراءات الحصول على الطعام، وجعله عادة مألوفة، ومصحوبة بشيء من نوع المتعة والرفاهية في طريق الحصول عليه من سفر في رحلة شتوية وصيفية

ولم يكن الحصول على الطعام بما هو مادة بقاء الأبدان معزولا عن مطالب أمن النفس، وإنما كان مشمولا بتحقيق أمن النفس، بما فرضه في الزمان (الأشهر الحرم) وبما فرضه في المكان، حيث أحيطت مكة وقريش بمرافيت مكانية من جهاتها جميعا، لأعماق ممتدة بلغت أحيانا آلاف الأمتار

٢- وقد استقر كذلك أن ثلثي رحلات الجماعة المسلمة الأولى كان لتحقيق مطالب تأمين الحياة الإنسانية بمعنى أن رحلتين من مجموع ثلاث هجرات هي هجرة الحبشة الأولى والثانية كانتا لطلب الأمن وحفظ أبدان المسلمين الأوائل في مقابل هجرة واحدة كانت لطلب الإيمان.

٣- وقد استقر كذلك أن غالب العقوبات المكفرة للجنايات في الشريعة الإسلامية رعت جانب تأمين الحياة الإنسانية، إما بتحرير الرقاب وإما بإطعام الأبدان وإما بكسوتها.

٤- وقد استقر أن عددا من مناسك الإسلام رعت جانب تأمين البدن فجعلت الإطعام سبيلا إلى إقامة الشعائر والمناسك في الهدي، والأضاحي، والعقائق، والولائم وغيرها. ثم استقر كذلك امتداح الإنسان المؤمن في الذكر الحكيم بوصف دوار هو إطعامه الطعام على حب الله تعالى أصناف العاجزين من خلقه سبحانه

٥- وقد استقر كذلك أن محورين من

محاور عناية الله تعالى بمحمد ﷺ قبل بعثته توجها إلى إيوائه، وإغنائه، وما الإيواء والإغناء إلا قيام بموجبات تأمين البدن إطعاما وكسوة وإسكانا وتزويجا وتمليكا إلخ.

لقد من الله على نبيه فقال:

﴿ [illegible] ﴾

فكان مجموع ما منّ به سبحانه عليه مفضيا إلى تقرير أن القرآن المكي جعل محور تأمين حياة الإنسان أساسا أصيلا في التصور الإسلامي، شريطة أن نفسر القرآن الكريم تفسيرا حضاريا.

٦ - وقد ستقر أيضا حضارة القرآن الكريم بأصل تأمين الإنسانية في نفسه بما ورد منذ نزول القرآن في مكة من تعانق حفظ مادة بدن الإنسان بتحقيق أمن نفسه. على ما ظهر من آيات سورة قريش، وعلى ما تواتر في الشريعة، ونصوصها العالية من حرمة تفريع النفس، وحياطتها بما يحقق أمنها بكل صنوف الندب والتكريم.

● ثانيا - تنمية الملكات الإنسانية: محور من محاور التفسير الحضاري للقرآن الكريم.

وفي خطوة تالية متعانقة مع صاحبتها يمكننا أن نقرر أن القرآن المكي يقف أمام محور تنمية الإنسان، بما يقود إلى تقرير أنه محور آخر مركزي من محاور قيام لأمة مسلمة بواجب سيادتها وتمينها وعلوها. [illegible] مع القرآن الكريم من رؤية منهجية تفسيرية جديدة، وهي رؤية التفسير الحضاري

وهذا المحور المركزي، نرى أنه يتوزع على ثلاثة فروع متكاملة غير متنافرة وهي:

أ - تنمية الملكات العملية (عمل الخوارح)

ب - تنمية الملكات العقلية (العلم)

حـ - تنمية ملكات النفسية (التزكية)

وفيما يلي محاولة موجزة للتحشية على بنود هذا المحور من محاور النظر في الكتاب من زاوية التفسير الحضاري

أ - تنمية الملكات العملية

إن المتأمل لطبيعة الفكرة الإسلامية، في مثلها الأعلى، وفي تطبيقات صاحب البلاغ ﷺ يجد عجبا في هذا الباب، إذ قد توافرت العلامات التالية بشكل يبعث على التأمل الجاد

١ - جاء النبي ﷺ وقد كان شعبه منصرفا نحو تعيير ثقافة العرب نحو المهنة والعمل اليدوي، مما رفعه من أجر العمل اليدوي [illegible] من بات كالا (متعبا) من عمل يده بات مغفورا له، وبوصفه لليد الخشنة من أثره بأنها يد يحبها الله ورسوله، ومما عاون فيه صحابته في الأعمال اليدوية، جمعا للحطب، وحملا لنتائج حفر الخندق، وحطما لصخور خيبر إلخ

٢ - قصنا في الذكر الحكيم الإخبار عن الأنبياء جميعا بأنهم عملوا أعمالا يدوية مهنية في البناء

﴿ [illegible] ﴾

(سورة البقرة: ١٢٧)

ومنها الحدادة

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾

٣ - وربط الله سبحانه بين أداء العبادات وبين منجز الحضارة من عمل اليد، فشرط ستر العورة في الصلاة، وطهارة الماء، بل إن الزكاة لن تكون إلا بعد غنى أفراد الجماعة المسلمة، وتراكم الأموال والحيوان وعوائد التجارة وثمار صناعات النقدين وغيرها

٤ - استقر في بعض القصص القرآني أثر العمل اليدوي، بما هو منجز حضاري في تغيير أمة كاملة ولانتقالها من الكفر إلى الإيمان، وتأمل قصة مملكة سبأ بعد دخول ملكتهم الصرح الذي تقدم منجز سليمان عليه السلام وقومه حضاريا، أقرت بظلمها نفسها، وإسلامها مع سليمان لله رب العالمين والمدهش حقا هو تعقيب سليمان الذي قال

﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾

وهو ترتيب عجيب يستحق التأمل الطويل، حيث جاء العلم قبل الإسلام

وهذه العلامات كفيلة بأن تصحح مسار المجتمعات الإسلامية التي تهمش التعليم الصناعي وتؤخر رتبته في سلم الأمة

ب - تنمية الملكات العلمية (العلم)

وفي فرع ثان لتنمية الإنسان في التصور القرآني، يظهر العلم أساسا فاعلا في هذه التنمية لملكات الإنسان، بحيث نراه في الدعاء والذي دعا به نبينا ﷺ لنفسه ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وفي عدد آخر من العلامات، يمكن إيجاز بعضها فيما يلي:

١ - جعل القرآن أساسا في مؤهلات الملك:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾

ليتقدم في لوازم الملك على القوة والمال معا.

٢ - [illegible] الذكر الحكيم بجعل ظاهر معاد طلب العلم في ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ مع [illegible] لنص من ذكر العلم وأدواته، و[illegible] ومدح طالبه

٣ - استقرار فضله في تثبيت قلب النبي ﷺ على ما روي في حديث البخاري من كلام ورقة بن نوفل، وهو رجل عالم بالكتاب المقدس الذي ذكر فيه للنبي ﷺ أن الذي جاءه إنما هو الناموس أو الوحي الذي نزل على من سبقه من الأنبياء

٤ - استقر فهم السلف على سبق العلم للإيمان والعمل، وهو ما استخرجه البخاري فيما ترجم به لـ(باب العلم قبل الإيمان والعمل)

٥ - استقرار تسويته بالحياة مما يظهر من حكم النبي ﷺ على أسرى بدر افتداء أنفسهم بتعليم كل أسير عشرة من أبناء المسلمين الكتابة

٦ - استقرار الحكم بنفع المتعلم للعالم مع تفاوت المراتب، وهو نص ما فهمه

لقرطبي من قوله تعالى

﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾

ومن عجيب ما قد يظهر في هذه القصة إن الله رتب للعبد الصالح الاشتراط على موسى، وعتابه، وعقابه، ورتب لموسى أن يتابع ويقبل الشرط، ويعتذر عن النسيان، وينزجر بالعقاب للعبد الصالح.

٧- لقد بعث النبي ﷺ زيدا في بعثه لتعلم لغة من اللغات وفي هذا برهان لهدم من يحاول الانتصار لنوع معرفة في مواجهة إهدار نوع معرفة أخر.

٨- ولقد استقر تقدير القرآن الكريم لأنواع العلم جميعا؛ فقد قدر المعلومات المعلل من التحليل في مثل:

﴿ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين ﴾

و قدر رتبة مقاومة الجهالة، وارتقى بمقام الوحي وجعله حاكما ومصححا لغيره من المعارف

ومجموع هذه العلاقات تقرر أن العلم جناح ظاهر الأهمية على طريق تنمية الإنسان في التصور القرآني منذ تنزل الذكر الحكيم في مكة المكرمة.

جـ- تنمية الملكات الإنسانية النفسية (التزكية).

وإذا كان الغرب قد خطا أشواطا واسعة في السباق التنافسي للإنتاج وحدا من سيناريوهات المستقبل ظاهر في تدمير الكود بالسحر الحضاري المفتقد إلى التزكية.

ومن هنا فإن فضيلة الحضارة في التصور القرآني ظاهرة في ترشيد تنمية الملكات الإنسانية العملية والعلمية بما يضبط حركتها وآثارها بروح التزكية.

وفيما يلي محاولة لتأمل هذا الفرع الخطير في قائمة صوانع التنمية الإنسانية.

١- لقد أمر الله تعالى بالتزكية بما هي تطهير شامل للنفس الإنسانية، وبأساليب متنوعة في مثل قوله تعالى:

﴿ قد أفلح من تزكى ﴾

وقوله تعالى

﴿ قد أفلح من زكاها ﴾

وهذا التنوع يضخم من قيمة الأمر بها، وهي قائمة على جناحين، جناح الهبة الربانية:

﴿ بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا ﴾

و جناح الجهد البشري، وفي هذا السبيل رسم الشرع الحكيم طريقا من إجراءات كبيرة لصناعة التزكية

٢- يظهر من فحص مقاصد العبادات أنها محققة للتزكية والتطهير؛ فقد جعل الله تعالى العبادات المادية طريقا للتزكية فالوضوء والصلاة، والصوم، والحج عبادات مقصود في بعض قرائن مقاصدها تحقيق التزكية لممارسيها، وطلب تحقيق التزكية ظاهر في النص عليها، فالصلاة مرتبطة بنفي البغي والمنكر والصوم لخلق التقوى، والزكاة للطهارة عموما وخصوصا، والصدقة للتطهير.

٣- وقد جعل الله سبحانه حفظ البدن من المعاصي سبيلا للتزكية والتطهير، وهو ما يظهر من قوله تعالى:

﴿ ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾

٤- وجعل الله تعالى التلاوة والعلم والحكمة سبيلا مألوفا لتزكية الأنفس بقول تعالى

﴿ يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾

٥- وقد حذر القرآن الكريم من سبيل سلوك التزكية عن طريق اغتيال الطبيعة البشرية، فرعى الغريزة ووضع منهجا لإشباعها فأباح الطعام، وأباح لذائذه، وأباح الزواج وأثاب على متعه، وقد كان ظاهرا تشديد التطبيقات النبوية في هذا المقام على من يبالغ في اغتيال الطبيعة البشرية ولو في طريق طلب تحقيق التزكية.

٦- وقد استقر في التصور القرآني منذ مكة أن التزكية لا تعني إسقاط التدبير، وهو ما فهمه المفسرون من قوله تعالى:

﴿ آتنا غداءنا ﴾

مما يدل على عمل الزاد في الرحلة، والعبد الصالح وفتاه، وليا كان أو نبيا حملا الزاد، ودبرا للرحلة.

٧- وقد استقر في التصور الإسلامي التسوية بين الرجال النساء في تحقيق مقام الولاية إذ كمل من الرجال كثيرون، وكمل من النساء أيضا عدد منهم مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم.

٨- واستقر في الشريعة أن للطعام الحلال أثرا في تزكية النفس فقد طلب أهل الكهف من صاحبهم أن يمدهم بما هو أزكى طعاما، ورتبت السنة استجابة الدعاء على طعمة من الحلال.

٩- واستقر في السنة حياطة الإنسان بمعية الله تعالى في كل الأحوال بما شرع بما شرعه من الأذكار جميعا، خوفا من انكماش القرآن في مواجهة الإنسان بمرونة القرآن، واكتنازه بالحكمة، والخير والهداية فإن ثمة مخاوف حقيقية من أضداد هذه الأوصاف، وهو ما يعني انكماش القرآن لو منعنا من تجديد التفسير للوفاء بمطالب الحياة المتجددة

لقد حذر بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين من هذا المعنى، على أنه بعض ما يمكن فهمه من قوله تعالى لدى يحكي شكاة النبي ﷺ قومه الذين اتخذوا القرآن مهجورا

﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾

ويقول الدكتور (خالص حلبي) في كتابه سابق الذكر ص(٢٥٥-٢٥٦) فيما عنوانه: انكماش القرآن إن القرآن وهو يضم مئة وأربع عشرة سورة نرى أنه على لسان خطيب يوم الجمعة قد انكمش إلى آيات معدودة

والدعوة إلى التفسير الجديد للقرآن الكريم هي دعوة إيجابية لمقاومة انكماش القرآن الكريم ومقاومة كل محاولات هجرانه.

مصطفى صادق الرافعى

إمام البيان العربى الحديث



وأبرز ما يميز كتابات (الرافعى) فى المجال الإسلامى هو عاطفته القوية الملتهبة التى تكاد تتأجج بين السطور، فهو رجل مسلم يعيش الإسلام ويعيش فيه وحوله وأمر المسلمين وتاريخهم وما يجرى لهم وما ينتظرهم.. وكان يعد نفسه بكتاباته الإسلامية واحداً من حراس العقيدة الواقفين على ثغورها يدافعون عنها بكل ما يملكون، ويمضى فى ذلك عنيفاً ثائراً مهتاجاً حين يستدعى الأمر الهياج والثورة والعنف، وموضوعياً عاقلاً هادئاً حين يتطلب الموضوع الهدوء والعقل والموضوعية.

إن كتابات (الرافعى) جميعها ترتبط بهذه (العاطفة) القوية الملتهبة من قريب أو بعيد، حتى فى كتاباته التى تناولت العلاقة بين الرجل والمرأة فى العشق والحب، كانت محكومة بمنطق تلك العاطفة الإسلامية تردعها وتردها عن التمادى والاستغراق إلى خارج ما هو معقول ومسموح، إنها فى كل الأحوال محكومة بحكم العاطفة الإسلامية، وملتزمة التزاما بحدود العقيدة الدينية.

وقد خصص كتابه (تحت راية القرآن) للرد على من نادوا بتجديد الدين، ومن قالوا بمذهب الشك فى مصادر الشعر الجاهلى من خلال كتاب (طه حسين) فى الشعر الجاهلى. فقد لعب الرافعى دوراً كبيراً فى المعركة الأدبية الكبرى التى نشبت فى العقد الرابع الثانى من القرن العشرين الميلادى، بسبب هذا الكتاب، وتحولت فيما بعد إلى خصومة سياسية بين الأحزاب القائمة آنئذ مما اضطر الجامعة المصرية إلى سحب الكتاب من الأسواق، وتراجع مؤلفه عن بعض آرائه، وتغيير اسمه إلى (فى الأدب الجاهلى) (العريان، حياة الرافعى ص ١٣٢ - ١٣٣).

كان الرافعى يرى المسألة دائماً من جانب هؤلاء الداعين إلى التجديد حملة ضد الإسلام والمسلمين. ومهما ليست دعاواهم من زينة فهم على حد قوله يريدون بآرائهم الأمة ومصالحها ومراشدها، ويقولون فى ذلك بما يسعه طغيانهم على القول واتساعهم فى الكلام واقتدارهم على الثرثرة، حتى إذا فتشت وحققت لم تجد فى أقوالهم إلا ذواتهم وأغراضهم وأمراضهم يريدون أن يبتلوا بها الناس فى دينهم وأخلاقهم ولغتهم، كالمسلول يتفحك ليبلغك نحيه وسلامه فلا يبلغك إلا مرضه وأسباب موته!) (الرافعى، تحت راية القرآن، ص ٨).

لقد كانت فى الرافعى عصبية للدين. ولهذا يفسر محمد سعيد العريان موقف الرافعى من طه حسين، بأن الأخير كان فى أول أمره " كاتبا يزعم أن له مذهبا جديدا فى الأدب فعاد مبتدعا مضللا، فكما ترى البدوى الثائر لعرضه أن ينتهك، كان الرافعى يومئذ، فمضى يستعدى الحكومة والقانون وعلماء الدين أن يأخذوا على يده، ويمنعوه أن تنتشر بدعته فى طلاب الجامعة.. وترادفت مقالاته ثائرة مهتاجة تفور بالغيظ، وبالحمية الدينية وبالعصبية للإسلام والعرب، كأن فيها معنى الدم!" (حياة الرافعى، ص ١٥٦).

كان الرافعى يكتب مقالاته حول الشعر الجاهلى فى صحيفة شعبية واسعة الانتشار هى كوكب الشرق التى كانت لسان الوفد وسعد زغلول، فحققت ما هدف إليه الرافعى من حملته على طه حسين وخصوم الإسلام بصفة عامة، ويشير العريان أنها بعثت روحا دينية كانت راقدة، وأذكت حمية كانت خامدة، وألفت قلوبا كانت متنافرة، ونبهت طوائف من عباد الله كانت أشتاتا لتعمل للذود عن دين الله (انظر حياة الرافعى، ص ١٥٨).

ومع حدته فى هجومه، فإنه كشف كثيراً من الجوانب المتعلقة بالإسلام قد تخفى على كثيرين، وهو منهج اتبعه الرافعى فى كتاباته التى دافعت عن الإسلام فى مناسبات متعددة تستدعى الدفاع عنه، منها مثلا أنه عندما عرف أن كاتبا يفضل قولا للعرب على آية قرآنية هب للدفاع عن القرآن دفاعاً مجيداً، وخصص لذلك أكثر من مقالة (انظر مثلا وحى القلم، دار الكتاب العربى، بيروت، د.ت، ٣، ٣٩٧ وما بعدها).

من ناحية أخرى فقد ركز الرافعى على بيان فضائل الإسلام وأفضاله على الإنسانية، وهو جانب أكثر رقياً فى كتاباته بوجه عام، وأكثر إفادة وجمالاً أيضاً، ولعل أفضل ما كتبه (الرافعى) فى هذا الجانب هو كتابه (إعجاز القرآن) الذى نشر بوصفه جزءاً ثانياً من كتابه (تاريخ آداب العرب)، وفى هذا الكتاب تتألق موهبة الرافعى الأدبية، وعقيدته الدينية، فى جلاء أسرار المعجزة الكبرى التى اختص الله بها سيدنا محمد - ﷺ - فيغوص بقلمه إلى أعماق لم يصل إليها أحد قبله، ويذكرنا بعبد القاهر الجرجانى، فى كتابه العظيم (دلائل الإعجاز) إن عبقرية الرجلين، أو حدة ذهنيهما، تؤدى دورها بفعالية فى استكشاف المكنون من أسرار كتاب العربية الخالد، ولو لم يكتب الرافعى غير (إعجاز القرآن) لكفاه.

لقد خصص الرافعى عدداً كبيراً من مقالاته لبيان فضائل الإسلام وتقديمه إلى المسلمين وغيرهم تقديم واع، وتفسير سديد. وبه فى ذلك ليمثل (المسلم الظافر) الذى يعتز بدينه ويشعر بالقوة فى داخله تحركه، وتأخذ بيده إلى مواقع النصر.. فلم يتحدث بضعف أو وهن، ولم يأبه لاعتبارات قد تجعله يتحرز فى إبداء عاطفته الدينية، ومشاعره الإسلامية وهو - كأعلام مدرسة البيان فى عصره - يربط بين الإسلام والواقع ربطاً ناضجاً، ويأخذ من الجزئيات الصغيرة التى قد لا يفكر فيها بعض الكتاب، مداخل يعود إلى أشياء مهمة وخطيرة فى حياة المسلم، من بين هذه الجزئيات مثلاً ذكر اسم النبى - ﷺ - فى الأذان خمس مرات فى اليوم والليلة؛ فيرى فى ذلك تجديداً لارتباط المسلمين بنبيهم الكريم ﷺ وتواصلاً لبعث الرسالة باستمرار (فيمتد الزمن مهما امتد والإسلام كأنه على أوله، وكأنه فى يومه لا فى دهر بعيد والمسلم كأنه مع نبيه بين يديه تبعثه روح الرسالة، ويسطع فى

نفسه إشراق النبوة، فيكون دائماً في أمره كالمسلم الأول الذي غير وجه الأرض، ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميته في كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة، لا كما نرى اليوم، فإن كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر إلا إنسانها التاريخي بجهله وخرافاته وما ورث من القدم. فهنا المسلم الفرعوني وفي ناحية المسلم الوثني، وفي بلد المسلم المجوسي، وفي جهة المسلم المعطل.. وما يريد الإسلام إلا نفس المسلم الإنساني» (وحي القلم، ٢ / ١١).

إن تناول الرافعي للإسلام وتاريخه، يتجاوز دائرة الرتابة والأساليب المكرورة، إلى أفق أكثر رحابة وبهجة، حيث تبدو مثالية الإسلام وخصائصه الباعثة على معايشة الحياة واستثمارها لصالح الإنسان بقيم الخير والحق والجمال، والتواصل المستمر مع الله.. ولعل أفضل مقالاته في هذا المجال، ما كتبه حول حقيقة المسلم (السابق، ٢ / ١٢ وما بعدها).

لقد اتكأ (الرافعي) على الحوادث التاريخية والمناسبات الإسلامية المختلفة مثل الهجرة والإسراء والمعراج وموقف أمهات المؤمنين والصيام.. ليصحح مفاهيم قاصرة ويضيء معالم جديدة لهذه المناسبات وتلك الحوادث، وإنه في ذلك كله ليربط بين الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون، وبين هدى الإسلام ومنهجه الصحيح، ولا يتساهل في توجيه النقد واللوم للمسلمين المعاصرين، خاصة إذا كانوا من العلماء المربين؛ على تقصيرهم ومجافاتهم لروح الإسلام (نفسه، ٢ / ٢٤٤ وما بعدها، وانظر كتابي، مدرسة البيان في النثر الحديث، ط٢، دار النشر الدولي، الرياض ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ص ١٨٢ - ١٨٦).

وانطلاقاً من الرؤية الإسلامية، عالج من قضايا ذات الصبغة السياسية في عصره، مع ملاحظة أنه لم يشتغل بالسياسة، ولم يخض غمارها، بل كان على حد تعبير (محمد سعيد العريان) تلميذه وصديقه، لا يعرف السياسة ولا يحضر مؤتمراتها. بسبب علته (فقد السمع) وإقامته في طنطا بعيداً عن العاصمة، وتركيز اهتمامه في قضايا الفكر والثقافة. مما جعل خصوماته الأدبية تنتهي إلى اتهامه في وطنيته ومذهبه السياسي، حتى صار عند بعض القراء رجلاً لا وطنية له ولا إنسانية فيه ولا إخلاص في عقيدته» (حياة الرافعي، ص ٢٩٢).

لقد نظر إلى العلاقة بين الحاكم والشعب، والحاكم وعالم الدين وقضايا الاستقلال والحرية والشورى والنهضة الإسلامية نظرة إسلامية، سواء عالجها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وغالباً ما كان يعالج هذه القضايا من خلال النظرة الكلية والتناول غير المباشر، فإما يتحدث عنها من خلال التاريخ، أو يصنع رمزاً يصب فيه أفكاره أو يصطنع قصة أو حواراً ليجلو أفكاره وآراءه.

ولعل سلسلة مقالاته (أحاديث الباشا) التي تضمنها الجزء الثاني من (وحي القلم) أبرز الأمثلة وأوضحها على نظرته للساسة المعاصرين له، وعلاقة الأمة بهم، ولأنه يرى أن الأخلاق هي عماد السياسة، وهي عماد الحقيقة على الإطلاق فإنه ينتقد الساسة، وينتقد الجمهور معاً، ويربط بين الطرفين في رؤية عميقة تتجاوز الانفعال العاطفي السريع الذي تولده الأحداث أحياناً أو يغشى على بعض العقول في بعض الظروف. ومن هنا يصل إلى نتيجة تتلخص في قوله: (ومتى صار الكذب أصلاً يعمل عليه، تقرر عند الناس أن الكلام إنما يقال ليقال فقط. أفلست ترى الرجلين إذا أخبر أحدهما صاحبه الآخر فيه شيء من الغرابة أو البعد، لا يكلمه الآخر أول ما يتكلم إلا أن يسأله: صحيح؟ صدق؟

ولا أضر على الأمة من هذه العقيدة، عقيدة أن الكلام يقال ليقال فقط، فإنها هي طابع الهزل على أخلاق الأمة، وعلى كل أحوالها، وعلى حكومتها أيضاً) (وحي القلم، ٢ / ٢٦٤).

ولعل لجوء (الرافعي) إلى التاريخ، واستدعاء بعض حوادثه الخاصة بعلاقة علماء الدين بالأمراء، كان يعني حديثاً مغلفاً عن الواقع السياسي، بمنعه عن الجهر به لأمور عديدة تخصه سبقت الإشارة إليها، ويضاف إليها أيضاً كونه (شاعر الملك) وهي وظيفة أدبية شرفية، تجعل صاحبها ناطقاً باسم السلطة - في شعره على الأقل - بيد أن مقالته القصصية (أمراء للبيع) التي حملت مناقشة حول معنى الإمارة والأمراء، وموقف كل من الشيخ تقي الدين بن محمد الدين بن دقيق العيد، والشيخ عز الدين بن عبد السلام من أمراء زمانهما - تعني هذه المقالة رفضه للطغيان واستعلاء الحكام (وحي القلم، ٣ / ٥٢ وانظر مقالة الأسد في السابق، ٣ / ٤٥)، وهو ما تناوله أيضاً باستفاضة في مقالته (تاريخ يتكلم) التي اعتمدت على أسلوب الرمز، وحمل فيها على (أتاتورك) وتتريكه (تركيا)، ويشير إليه الرافعي بالطاغية، ويتحدث عن سيئاته وجرائمه ضد الشعب والدين والوطن، يقول عنه في بعض أجزاء المقالة والذي سماه (الخمس الخامس)

(يزعم الطاغية أنه يعز قومه، ومن آراه يعزهم، لكنه يمتحن دينهم وضعفهم وهوانهم على الأمم، يتجر شيئاً فشيئاً متنظراً ما يتمهل، مترقباً ما يمكن، وهو يرى أن أخلاقنا الإسلامية هي أمواتنا دفنوا أنفسهم فينا، فمن ذلك يهدم الأخلاق ويظن عند نفسه أنه يهدم قبوراً لا أخلاقاً.

ولقد سخر منه المصريون بنكتة من ظرفهم البديع، وجاءوه من غريزته، فصنعوا امرأة من الورق الذي يشبه الجلد، وألبسوها خفيها وإزارها، حتى لا يشك من رآها أنها آدمية، ثم وضعوا في يدها قصة وأقاموها في طريقه، فلما رآها عدل إليها وأخذ من يدها القصة وقرأها، فإذا بها سب له ولأمه، وسخرية من حمقه ورعونته المضحكة، فغضب وأمر بقتل المرأة، فكانت هذه السخرية أخرى حين تحقق أنها من الورق) (وحي القلم، ٢ / ٢١٦).

وعلى هذا النهج صاغ مقالته (كفر الذبابة)، وإن كان قد اتخذ من (كليلة ودمنة) والحوار فيما بينهما أسلوباً رمزياً آخر لمعالجة فكرة الطغيان والديكتاتورية التي عالجها في حديثه عن (أتاتورك) (وحي القلم، ٢ / ٢٦٢).

ويلاحظ أن الرافعي في هذه اللون من النثر يلجأ إلى حشده بالقصص والحكايات والطرائف التي تؤكد فكرته، وتجلوها، وتحقق غاية (التشنيع) على الحاكم الديكتاتور، و(التجريم) لسلوك الطاغية الظالم.

ونظرة الرافعي إلى الاستقلال تتجاوز ما هو معروف لدى الناس والسياسيين عامة، من خروج جيش الاحتلال، وحكم البلاد بمعرفة شعبها وأبنائه.. إلى أن الاستقلال الحقيقي يعني سلامة مقوماته الثلاثة: اللغة والدين والعادات من التشويه والتغيير والتعديل. فهذه المقومات كانت دائماً وما زالت هدفاً للمؤامرات الاستعمارية، وضياعها يعني ضياع الوطن واستقلاله الحقيقي (السابق، ٣ / ٣٢ وما بعدها)

الخمر والمخدرات فى الفقه الإسلامى

٣



للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى

عقوبة شرب الخمر وتعاطى المواد المخدرة

لم يحدد القرآن عقوبة لشرب الخمر وتعاطى المخدرات أو الاتجار بها، واقتصر القرآن الكريم على تحريمها وكذلك السنة وإجماع الصحابة، ويقاس على هذا التحريم، المواد المخدرة.

أما بالنسبة للعقوبة، فإن السنة لم تعين حدًا للخمر، فكان النبى ﷺ يضرب فيه القليل والكثير، ولكنه لم يزد عن أربعين، وفعل مثل ذلك أبو بكر ولما جاء زمن عمر بن الخطاب استشار عمر الصحابة فى حد الخمر، فقال عبدالرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين فضرب عمر ثمانين، وكتب به إلى خالد وأبى عبيدة بالشام وروى أن عليا قال فى المشورة: نرى أن نجلده ثمانين، فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون.

فمن رأى من الفقهاء أن حد الخمر ثمانون، وسنده أن الصحابة أجمعوا على ذلك، والإجماع مصدر من المصادر التشريعية ومن رأى أن الحد أربعون، احتج بما فعله الإمام على فقد جلد الوليد بن عقبة أربعين جلدة، وقوله جلد النبى أربعين، وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين. وكل سنّة، وهذا أحب إلى.

ويرى أصحاب هذا الرأى أن فعل النبى ﷺ حجة يسبق الإجماع لا يجوز تركه بفعل غيره، وأن الإجماع لا ينعقد على ما يخالف فعل النبى وأبى بكر وعلىّ، ويحملون الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز إذا رآه الإمام.

عقوبة التعزير فى المخدرات

التعزير عقوبة غير مقدرة بنص، وليست بحد أو قصاص وتقدر بحسب رأى الحاكم واختياره، تبعا لخطورة الجريمة، وشخصية المجرم، وتتدرج العقوبة فيها من اللوم وحتى القتل، أو الإعدام لعظم ضررها وهذا ما قرره المحققون من أهل العلم أن القتل ضرب من التعزير [illegible] شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن لم يندفع فساده فى الأرض إلا بالقتل قتل، مثل قتل المفرق لجماعة المسلمين الداعى للبدع فى الدين، إلى أن قال: وأمر النبى ﷺ بقتل رجل تعمد الكذب عليه. وسأله ابن الديلمى عن من لم ينته عن شرب الخمر، فقال من لم ينته عنها فاقتلوه. وفى موضع آخر، قال: فى تعليل القتل تعزيرا ما نصه: وهذا لأن المفسد كالصائل. وإذا لم يندفع الصائل إلا بالقتل قتل.

والغالب فى الفقه إن كل شراب أسكر كثيره حرام قليله وحد شاربه، ويخرج بالشراب ما حرم من الجامدات كالبنج والأفيون، وكثير الزعفران والجوزة والحشيش فلا حد فيه. وإن أذيبت، إذ ليس فيها شدة مطربة. بخلاف جامد الخمر اعتبارا بأصلها. بل التعزير الزاجر له عن هذه المعصية الدنيئة والمراد أن الكثير من البنج والأفيون، يحد به متناوله. فالكثرة قيد فى جميع المسكرات.

والمسكر والمخدر فيه من تغييب العقل وتعطيل وظيفته ما هو مشاهد ومعلوم فيهما ومن ذلك- أى المسكر أو المخدر- البنج والحشيشة والأفيون كلها مسكرة، ومرادهم بالإسكار تغطية العقل، لا مع الشدة المطربة؛ لأنها من خصوصيات المسكر المائع، فلا ينافى أنها تسمى مخدرة، فما جاء فى الوعيد على الخمر، يأتى فيها، لاشتراكهما فى إزالة العقل المقصود للشارع بيانه.

ومما يقوى القول بأنه يحد إن أكلها؛ لأنه يشتهى ويشتهيها كالخمر وأكثر. حتى لا يصبر عنها، وتصده عن ذكر الله وعن الصلاة، مع ما فيها من تلك القبائح. وعلى أية حال، فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى.

الحشيشة فى رأى ابن تيمية[1] من المسكرات المحرمة فهذه الحشيشة حرام، سواء سكر منها أو لم يسكر، يجلد صاحبها كما يجلد شارب الخمر، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد.

والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة.

اتفق فقهاء العصر على المنع من تعاطى- المسكرات والمفترات- واختلفوا فى الواجب فيها: الحد أو التعزير بناء على أنها مسكرة أو مفسدة للعقل. وعن كتاب الذخيرة له: أنه يجب فيها الحد والتعزير.

وفى فقه الشيعة: أنه يحد كل من شرب مسكرا مكلفا غير مضطر ولا معذور،، ويكفر مستحل خمر الشجرتين، ويفسق مستحل ما عداهما، وتحريم سائر المسكرات

بالنسبة والقياس فقط، إذ لا يسمى خمر إلا مخدرا، وقبل بها وبالقرآن لتسبيها خمرا، حيث قال ﷺ: «إن من التمر خمرا».

الخمر فى العصر الحديث

ثمة حقيقة ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار أن المخدرات قد تطورت أشكالها وتأثيراتها، وعظم ضررها، وعم شرها، إلى الحد الذى يمكن معه القول بحق بأن المخدرات أصبحت سلاحا لاغتيال الشباب لما تسببه من ضمور ومرض الخلايا، والهذيان والارتعاش والصرع والهلوسة، والتهابات في المعدة والأمعاء، وارتفاع ونهتك وانضغاط المخ، وهبوط ضغط الدم، وسرطان المعدة والتهابات الأمعاء الدقيقة والغليظة، وأمراض كرات الدم الحمراء.. إلخ هذه السلسلة من الأمراض والعلل الصحية، بالإضافة إلى تأثيراتها الدينية والاجتماعية المدمرة، في إفساد قوى العقل وخلايا الجسد، وضياع المال، فهي تخل بثلاثة مقاصد شرعية العقل والنفس والمال.

فمن الناحية الدينية، فإنها تقطع الصلة بالله وبالقيم والمثل الدينية والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

ومن ناحية تأثيرها في الطباع، فإنها تؤدى إلى أنانية مجحفة تدفع شاربها إلى الاستزادة منها، متلفا في سبيلها كل ما يملك، ومضحيا من أجل الحصول عليها بكل غال وعزيز ولو نفسه وأهله ووطنه.

ومن الناحية الاجتماعية، فإن الواقع تحت سلطان المخدرات وخاصة الأنواع الجديدة منها مثل الأقراص، والتي تتعاطى عن طريق الشم والحقن، تجعل من يقع تحت سلطانها عبدا لها، يتجرع السموم، وصدق الرسول ﷺ في قوله: «اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث» «مسند النسائي».

وقد شاع من أصناف الخمور الكثير كالهيروين والكوكايين وعقاقير أخرى أصبحت آفة للشباب والشيوخ والنساء وشاع ضررها على الأمة حتى صارت من أسلحة الأعداء ضد المسلمين

لكل ذلك، فإن فرض عقوبة تعزيرية في حدها الأقصى الذى قد يصل إلى حد الإعدام، سائغ ومشروع كما ذهب ابن تيمية، وهو الأجدر لتخليص المجتمع من شرورها، ولدفع ضررها عن الشباب، وللحد من آثارها في إتلاف المال، وإفساد الأخلاق، واستباحة الأعراض، وتحطيم النفس، وهزال البدن، وضياع الكرامة والنخوة، والاندفاع نحو القتل، وفي كلمة، فإن عدم تطبيق العقوبة يخل بمقاصد الشريعة، التي تتمثل في الحفاظ على الدين والنفس والعقل والمال والعرض

عقوبة المخدرات فى بعض الدول الإسلامية والمجامع العلمية

صدرت القوانين والتشريعات التى تحرم استخدام المخدرات والاتجار بها لغير الأغراض الطبية في مختلف دول العالم ما فيها الدول العربية والإسلامية

ففي المملكة العربية السعودية نص الأمر السامي رقم ٣٣١٨ بتاريخ ٩ ٤ ١٣٥٣هـ وتعديل مجلس الوزراء رقم ١١ بتاريخ ١ ٢ ١٣٧٤هـ على السجن لمدة ... ، ويعزر بنظر الحاكم الشرعي، والإبعاد عن البلاد لمن كان أجنبيا.

أما عقوبة تهريب المخدرات في الدول الإسلامية فتتفاوت في شدتها، فلقد طبقت عقوبة الإعدام في ماليزيا وكانت السباقة لتنفيذها في العالم الإسلامي، ثم تبعتها دول أخرى، من أهمها العراق، وإيران، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، في عام ١٤١٦هـ، ومصر عام ١٩٩٥م على ترتيب تطبيقها.

وقد أصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورتها التاسعة والعشرين المنعقدة في الرياض بتاريخ ٩ ٦ ١٤٠٧هـ وحتى ٢٠/٦/١٤٠٧هـ جاء في برقية خادم الحرمين نظرا لما للمخدرات من آثار سيئة، وحيث لاحظنا كثرة انتشارها في الآونة الأخيرة، ولأن المصلحة العامة تقتضي «إيجاد عقوبة رادعة لمن يقوم بنشرها وإشاعتها، سواء عن طريق التهريب أو الترويج، نرغب إليكم عرض الموضوع على مجلس هيئة كبار العلماء بصفة عاجلة، وموافاتنا بما يتقرر

وقد أصدر مجلس هيئة كبار العلماء بالإجماع قراره رقم ١٣٨ بتاريخ ٢٠ ٦ ١٤٠٧هـ، متضمنا عقوبة القتل لمهربي المخدرات، وتعزير من يروجها لأول مرة بالحبس أو الجلد أو الغرامة المالية أو بجميعها، ومن يكرر هذه الجنحة يعزر بالقتل لقطع شره، وقد صدر أمر سامي آخر برقم ٤ب ٩٦٦٦ بتاريخ ١٠ ٧ ١٤٠٧هـ لكل من وزارة العدل ووزارة الداخلية، بالعمل بعقوبة القتل لمهربي المخدرات.

أما المروجون فيعززون تعزيرا حسبما يقتضيه الردع القضائي وفي حالة تكرار فعلته فيعزر بقطع شره عن المجتمع، ولو كان ذلك بالقتل، وتم تعميمه على المحاكم وبذلك حلت عقوبة القتل بدلا من الحبس التى صدرت بحق مهربي ومروجي المخدرات، حسب نص قرار مجلس الوزراء رقم ١١ لسنة ١٣٧٤هـ.

وفي مصر نشير إلى أنه قد صدر في سنة ١٩٦٠م قانونا قضى في مادته الأولى: تعتبر جواهر مخدرة في تطبيق هذا القانون «المواد المبينة في الجدول رقم ١» الملحق به، ويستثنى منها المستحضرات المبينة بالجدول رقم «٢»، والذى يستفاد منه حصر المواد المخدرة التي يقع متعاطيها تحت طائلة العقاب، وحسنا فعل تطبيقا لقاعدة: «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص».

المقاصد التربوية للعبادات

[illegible]

المقصد التربوى للزكاة فى الجانب العقلى للفرد المسلم

عند إمعان النظر نجد أن هناك جوانب تؤثر فيها الزكاة فى إصلاح الجانب العقلى للفرد المسلم منها ما يلى:

أولاً: أداء الزكاة يزكى النفس ويطهر القلب من هذا النهم على الدنيا ليفرغ العقل لينهل من العلم؛ ولذا قال النبى ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا»[1]، فمن امتلأ قلبه بحب الدنيا لا يجد فى عقله إلا طرائق تحصيل المال، وفنون تجميعه، وطرق حفظه وعدّه وتنميته، هذا العقل لا يصلح للعلم، أما من وضع المال فى موضعه فإن عقله يحتفظ باتزانه ،ويدير أموره فى الدنيا والآخرة بشكل متوازن يتوافق مع قوله تعالى:

[illegible]

(البقرة ٢١٩، ٢٢٠)

ومن يخالط الناس اليوم يجد من صرف كل همّه، وصرّف ملكات عقله لمزيد من الكسب المادى، أو الاستحواذ على مورد للمال لا ينضب، فإذا حدثته فى أمر علمى أو وجهته إلى كتاب نادر أو حكمة بالغة أو فكرة بارعة وجدته كالميت الذى فقد التجاوب مع من حوله. وهؤلاء يتحولون إلى عبيد ملتصقين بالأرض، وليسوا عبادا لرب السماوات والأرض. إذا لاحت لهم طيوف بعيدة بدنيا قريبة وجدتهم كالجمر المستعر، وإذا دعوتهم إلى يقين من ثواب الآخرة وجدتهم أجسادا هامدة وعقولا راكدة

ثانيا: إذا راجعنا كتب الفقه فى أدلة الخلاف حول أحد فروع أحكام الزكاة، مثل جواز إخراج زكاة الفطر مالا بدلا من الحبوب[2]، فسنجد من الثراء العقلى ما يفيض على العقل المسلم بكثير من الوجوه السائغة والعلل الجامعة، التى يخرج منها المسلم وهو على يقين بأن فى تفاصيل الأحكام الشرعية ما يؤهل العقل المسلم - لو أحسن استغلال هذا العقل الحى الباحث عن الحقيقة بين الظنون الشائعة ما يؤهله - لكى يقود البشرية كلها نحو صلاحها، لتكون للعقلية المسلمة تميزها وتفردها وسبقها فى الكشف والاختراع، فى الربط بين الزيادة فى الدنيا والشهادة فى الآخرة، فى الجمع بين مطالب الروح والجسد، فى التوازن بين حياة الإنسان وأخيه الإنسان حوله. وهى حركة لا تستمر إلا بعقل يفهم ويستوعب دور الإنسان فى هذه الحياة.

المقصد التربوى للصيام

فى الجانب العقلى للفرد المسلم

العقل هو مناط التكليف فى الإنسان. وبه كرمه الله عن غيره من المخلوقات. ولأجله تحمل الأمانة التى أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، والصيام ذو أثر مباشر فى تقويم العقل وإذكائه ويبدو ذلك فيما يلى:

أولا: إذا كان الهدف من الصيام هو تحصيل التقوى كما قال الله تعالى

[illegible]

فإن هذه التقوى تفتح على المسلم آفاق العلم والخير لقوله تعالى

[illegible]

إن هذه التقوى تفتح على المسلم آفاق العلم والخير لقوله تعالى:

[illegible]

(البقرة: ٢٦٩)

ثانيا: الصيام يجعل عقل الإنسان أكثر نشاطا وإدراكا؛ لأن البطن إذا امتلأت تذهب الفطنة كما جاء فى الأثر «البطنة تذهب الفطنة»، ومن أكل كثيرا نام كثيرا وحرم من خير كثير، فمن أراد أن يحصل من أسباب العلم ما يوسع به مداركه فلا يشبع؛ لأن ملء بطنه بالطعام سرعان ما ترتخى أعضاؤه ويميل إلى الكسل ويخلد إلى النوم الطويل، لكن صيام رمضان بآدابه من الإقلال من الطعام والشراب وصيام النوافل يعوّد الإنسان على الاقتصاد فى طعامه وشرابه بما يحفظ لعقله فاعليته. ولنفسه القدرة على حدة التفكير وطول السهر تحصيلا للعلم.

ثالثا: كثرة قراءة القرآن فى هذا الشهر، أو الاستماع إليه فى صلاة التراويح أو غيرها؛ مما يرسى أصول العلم لدى المسلم أو المسلمة، ففى القرآن أصول العلم التجريبى، وأصول العقيدة الصحيحة. وقواعد التشريع الكاملة، وقصص السابقين من الطائعين والعاصين، وهذا من أكبر موارد النمو العقلى.

رابعًا: لا شك أن مفردات أحكام الصيام تؤثر تأثيرًا قويًا فى صياغة العقل الإسلامى صياغة مرنة ويبدو ذلك مما يلى

أ- لابد للإنسان أن يزن الأمور بميزان العقل لا العواطف فقط، وفى هذا يقال: «ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول».

ولذا فإن نبينا ﷺ يوصى عبدالله بن عمرو وهو يريد أن يصوم كل يوم. فأمره ألا يزيد عن صيام يوم وإفطار يوم يقول: إنك لا تدرى لعلك يطول بك عمر. قال: فصرت إلى الذى قال النبى ﷺ فلما كبرت وددت لو كنت قبلت رخصة نبى الله ﷺ

ب- نهى النبى ﷺ عن الوصال، وفى هذا يروى البخارى بسنده أن النبى ﷺ قال: «إياكم والوصال» مرتين، قيل: إنك تواصل. قال: إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى.

---

(1) [illegible]

(2) راجع رسالة «تحقيق الآمال فى إخراج زكاة الفطر بالمال» للإمام الحافظ أبى الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى [illegible]

فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون»[2] والحقيقة أن الإنسان يجب أن يدرك طاقته ولا يكلف نفسه إلا على قدر وسعه لقوله تعالى:

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وهذا يقتضى المرونة فى التعامل مع المواقف بما يحقق الهدف، دون أن يذل الإنسان نفسه بأن يحملها ما لا تطيق، ثم تتضاعف عنده الشعور بعدم الثقة فى النفس فى نهاية الأمر، ولذا هناك رواية لمسلم فى نفس الباب بقول النبى ﷺ: «لو تمادى لى الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم»[3] هؤلاء، لعلاة يريد النبى ﷺ أن يعودوا إلى الواقع وألا يبالغوا فى تقدير طاقاتهم أو إمكاناتهم، وأن يتعاملوا مع دين الله تعالى بنفس درجات التيسير التى وردت به دون تعمق أو مغالاة.

جـ- إذا تحققت هذه المرونة لم ير واحد لنفسه فضلا على غيره، لأن الله تعالى هو أعلم بمن اتقى، ولذا يروى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ لست عشرة مضت من رمضان، فمنا من صام، ومنا من أفطر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم»[4]

د- لاشك أيضا أن عقلية المسلم تكون فى غاية المرونة وهو يقرأ من أحكام الصيام أن كل ما دخل الجوف مما يستحيل التحرز منه لا يفطر، مثل رائحة الدخان أو الطيب أو الماء الذى يسبق إلى الجوف عند المضمضة مع عدم المبالغة، وما دخل عن طريق السمع عند العطس أو الاستحمام، ومن خرج منه منى بغير شهوة فصومه صحيح، ومن ذرعه القئ فلا شىء عليه ومن أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه، والقطر فى العين لرمد لا يفطر الصائم، والحقن للتداوى لا تفطر، هذه الأحكام وأمثالها تصوغ العقل المسلم صياغة رائعة مرنة قوية، يضع الحدود ويعرف الأعذار ويراعى الظروف والأحوال التى تخرج عن طاقة كل إنسان فيقدرها بقدرها

المقصد التربوى للحج

فى الجانب العقلى للفرد المسلم

تتجلى أهم الجوانب التى يصلح فيها الحج الجانب العقلى للفرد المسلم فيما يلى

أولا: إذا كان من المسلمات العقدية أن تقوى الله تعالى تفضى إلى سعة العلم لقوله تعالى

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾

(البقرة: ٢٨٢)

فإن الحج يفضى - إذا استوفى أركانه وآدابه - إلى التقوى ويتضح ذلك مما يلى

أ- أن أداء الشعائر يجب أن يكون مصحوبا فى شعائر الحج بتعظيمها، لأنها فرائض الله تعالى وسنن نبيه ﷺ وهذا مؤد إلى التقوى لقوله تعالى

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾

(الحج: ٣٢)

ب- أن الله تعالى لا يتقرب إليه بالأفعال الجامدة التى لا تنبعث من التقوى وهى مناط القبول لقوله تعالى:

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾

(الحج: ٣٧)

ويقول سبحانه:

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾

(المائدة: ٢٧)

جـ- أن الخروج إلى الحج يجب أن يكون مصحوبا بزاد التقوى يقول سبحانه

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث [illegible] فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب﴾

(البقرة: ١٩٧)

د- أن التأخير فى أيام منى لرمى الجمرات يجب أن يكون مصحوبا بالتقوى: يقول الله تعالى:

﴿واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾

(البقرة: ٢٠٣)

هذه النصوص وغيرها تؤكد العلاقة الوثيقة بين الحج والتقوى، وهذا مؤد إلى فيوضات الله عز وجل فى سعة العلم.

ثانيا: الحج يمثل فى بعض أحكامه قمة التميز لعقلية المسلم الربانى الذى يكون الفكر من أكبر روافد الإيمان، فإذا وصل إلى هذا اليقين، وأسلم وجهه لله تعالى، فإنه يتلقى أوامر الله تعالى ويتعبدها حتى لو لم يدرك العقل الغاية والحكمة من الشعيرة التى يقوم بها، لذا يروى الشيخان بسندهما عن عمر - رضى الله عنه - أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، وقال: إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك[1]

وسيدنا عمر يشير إلى صفاء عقيدة التوحيد التى توقن أن الله تعالى هو النافع والضار، بيده الأمر كله والأحجار ليست بذاتها قوة فاعلة فى شىء من الكون ولا يجوز أن تقدس فى حياة الناس، لكن تقبيل الحجر الأسود هو من الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى، بل يوحى إليه ويبلغ أمته

هذا الأمر يعد من خصائص العقلية الإسلامية، حيث يصل المسلم عن طريق النظر العقلى فى الكون والتسليم القلبى بالوحى إلى امتزاج إيمانى يجمع بين الانطلاق العقلى فيما يفيد ويثرى حياة الإنسان، ويتوقف أمام ما يعجز عن إدراك حكمته، وفى كل يمتثل للأمر، لأنه من الله رب هذا الكون، أو يوحى الله إلى رسول الله ﷺ دون حماس لما أدركه عقله وفتور لما فاته إدراك حكمته

ثالثا: أحكام الحج فيها من السعة والمرونة ما يطبع العقل المسلم بهذا الطابع المميز وهو

---

[2] صحيح البخارى، كتاب الصوم، باب [illegible] [illegible] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهى عن [illegible]

[3] صحيح مسلم، نفس الباب (١/٤٤٦)

[4] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر [illegible]

[1] [illegible] كتاب المناسك، باب فى تقبيل الحجر رقم (١٨٦٤)

المرونة وسعة الأفق والتيسير على الناس وعدم حملهم على ما يؤدى إلى الحرج ويفضى بهم إلى المشقة البالغة، والضيق الشديد، ومن هذه الأحكام ما يلى:

أ - أن الله تعالى أباح التجارة للمحرم أيام الحج، لأن الله تعالى يعلم أن من عباده من لا تبرحه الرغبة فى الاستكثار من الحلال أيام الحج، فأباحها الله عز وجل وفيه جاء فى كتب التفسير [7]، عن ابن عباس أن الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذى المجاز ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم، فأنزل الله تعالى

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾

(البقرة ١٩٨)

هذا يعبر عن هذا التوفيق الكامل بين الأحكام الشرعية والحاجات الفطرية، ويحكى صورة التدين الصحيح الذى لا يلوى أعناق الرغبات الصحيحة للنفس البشرية كى يبالغ فى الترهبن، بل هو الدين الحنيف الذى لا يدع رغبة فطرية صحيحة إلا لبى رغبتها فى غير ما سرف ولا تقتير

ب - مباحات الإحرام [8] تؤكد هذا المعنى السابق مثل الاغتسال وتغيير الرداء والإزار وتغطية الرأس ناسيا، وتغطية المرأة وجهها نسيانا أو اتقاء فتنة، أو فقء الدمل ونزع الضرس والجراحات الضرورية، وحك الرأس والجسد، والنظر فى المرآة وشم الريحان، وشد الهميان فى وسط المحرم لحفظ نقوده، ولبس الخاتم والاكتحال وتظلل المحرم بمظلة أو خيمة أو سقف أو الخضاب بالحناء، وضرب الخادم للتأديب، وقتل الفواسق الخمس وكل ما يؤذى، هذه تدل على مدى المرونة فى تشريعنا الإسلامى الذى لا يدع شيئا مما لا تستغنى عنه النفس البشرية وفيه نفعها - إلا أباحته حتى فى الإحرام الذى يكون الأصل فيه هو الحظر للأفعال، لكن الحظر يرد على ما يربى فى الإنسان قوة الإرادة، وتبقى الإباحة لكل المطالب التى لا غنى عنها

جـ - ما ذكرناه من قبل من تيسيرات أحكام الحج مراعاة لمشاعر الناس فى عدم المزاحمة على رمى الجمرات، أو جواز حلق الرأس مع الفداء لمن آذاه هوامه أو أصابته حساسية فى جلده، والإذن بالركوب للمرضى والزمنى فى الطواف والسعى، والإذن للضعفاء من الأولاد والنساء فى الترخص فى المبيت بالمزدلفة ورمى جمرة العقبة الكبرى قبل الفجر، والأمر بالرفق بالآخرين فى رمى الجمرات، والإذن للرعاة والسقاة أن يترخصوا فى المبيت بمنى لرمى الجمرات، وقياس ذوى المصالح الضرورية عليهم، هذا مما يبعث على المرونة العقلية فى تناول المسلم لأية قضية من القضايا بشكل يخلو من الجمود والتحجر الذى يلابس بعض ضيقى الأفق، قليلى العلم، الذين يدفعهم الحماس الأجوف إلى التضييق على أنفسهم أو الناس.

د - رفع الحرج عن الناس فى ترتيب مناسك يوم العيد مما يساهم فى بناء عقلية الإسلامية بناء مرنا. ومنه ما رواه مالك بسنده عن عبدالله بن عمر قال: «وقف رسول الله ﷺ للناس بمنى والناس يسألونه، فجاءه رجل فقال له: يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر. فقال النبى ﷺ: انحر ولا حرج، ثم جاءه آخر فقال: يا رسول الله: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى فقال: ارم ولا حرج، قال: فما سئل رسول الله ﷺ عن شىء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج».

هذه العبارات الأخيرة تمثل الاستيعاب الواعى للرسالة الإسلامية وهدفيها فى رفع الحرج، وهو ما يجب أن يتمثله الكثير ممن يتحدثون فى بقاع شتى عن الإسلام، ليحملوه للناس كما أنزله الله دون تشديد يبعث على التنفير من الصورة الشائهة التى تعرض للإسلام، ولو عُرض الإسلام بهذه الروح لتكالب عليه أهل الشرق والغرب جميعا؛ لذا أعتقد أن المسلمين هم المسئولون قبل غيرهم عن صورة الإسلام الشائهة التى انطبعت فى ذهن عامة الناس فى الأديان الأخرى

رابعا: من النصوص الشرعية ما يدل على سعة الأفق فى التعامل مع الخلافات الفقهية، ومن ذلك ما رواه البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: «صليت مع النبى ﷺ ركعتين - أى يوم عرفة، ومع أبى بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين. ثم تفرقت بكم الطرق، فيا ليت حظى من أربع ركعتان متقبلتان» [9]. ويقول ابن حجر فى التعليق على هذا الأثر: تبع عثمان كراهة خلافه، وأخبر عما يعتقده [10] هذا مما يدل على منهجية عقلية وخلقية فى آن واحد فى التعامل مع الرأى الآخر. فما دامت المتابعة ليست تقليدا أعمى أو يصير المقلد إمعة، بل هو نوع من ترك الرأى الراجح إلى المرجوح. لكن لكل أدلته التى يجب احترامها، والحق أن احترام الإنسان لرأى مخالفيه هو احترام لعقله أيضا، لأنه يحترم العقل المفكر، العقل الذى يختار ويرجح وتكون له إضافة على ما تعلمه، هذا عقل يجب احترامه، مهما كانت هوة الخلاف بينه وبين غيره.

خامسا: فى النصوص الشرعية أيضاً ما يوظف العقل فى الأمور المجادلة لا الجدلية، القضايا التى وراءها نفع دينى أو دنيوى، وليس ما يكون استكثاراً لعلم لا ينفع، ومن ذلك ما رواه البخارى ومسلم بسندهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا، فسأله سائل: أفى كل عام يا رسول الله؟ فقال ﷺ: دعونى ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [11]

هذا السؤال عن فرضية الحج كل عام ربما لمس النبى ﷺ أنه من أنماط الأسئلة التى يثيرها بعض الناس الذى يتكلمون أكثر مما يعملون، ويكثرون الجدل ويقل منهم العمل، فنهاهم النبى ﷺ، وهو ما يدل على منهجية البحث والتحرى فيما تحته عمل، فيما يفيد الفرد فى خاصة نفسه أو الناس من حوله فيما يريد المسلم رقيا فى معاشه أو معاده

(7) راجع: تفسير القرطبى [illegible]، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٨٦).

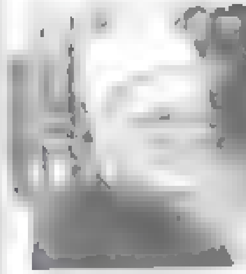
(8) هذه المباحات [illegible]

(9) «صحيح البخارى»، كتاب الحج، باب الصلاة بمنى رقم (١٦٥٧)

(10) فتح البارى، لابن حجر [illegible]

(11) اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة فى العمر رقم [illegible] عن النبى ﷺ «دعونى ما تركتكم» أما ما قبله فهو ما يستفاد من روايات أخرى [illegible]

تعميم الحكم على الناس خطأ صريح



بقلم: [illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية

شاع وانتشر فى المجتمع الدولى فى العقود الأخيرة من القرن العشرين. وفى مطلع الالفية الثالثة استعمال اسلوب التعميم فى الحكم على الموضوعات.. أو بتعبير اخر أدق استعمال أسلوب التعميم فى الحكم على منْ ينتسبون إلى شعوب معينة. أو على منْ ينتسبون الى عقيدة دينية واحدة فى حالة ما إذا فعل أو قال بعض ما ينتسبون إلى هذه الشعوب أو إلى تلك العقيدة الدينية ما يخالف فكر او منهج او سلوك او رأى غيرهم.

فنحن نرى أنظمة حكم بعض دول العالم التى تعتنق فكرا سياسيا معينا. او التى تطبق نظاما اقتصاديا خاصا. او التى تتبع منهجا وسلوكا اجتماعيا ترتضيه. او التى تعتنق دينا معينا.. نراها عندما تتحدث عمن يخالفها فى ذلك تعمم الحكم على الدول والشعوب. وعلى معتنقى الديانات الأخرى.

وإذا جاز استعمال هذا الأسلوب ـ مع التحفظ على هذا الجواز ـ فى المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية فإنه لا يجوز مطلقاً أن يقبل استعمال أسلوب التعميم هذا فى المجالات الدينية.

فقد تعدى هذا الخطأ الكبير إلى بعض رجال الأديان أنفسهم فوقعوا فيه. وعمموا الأحكام على الأديان الأخرى المخالفة لعقيدتهم الدينية وعلى معتنقيها عندما يقول أو يفعل بعض منْ ينتسبون إلى دين آخر شيئاً مرفوضاً لدى رجال الدين هؤلاء.. مع أن المفروض فيهم أن يكونوا أكثر دقة فى الحكم، بحكم مسئوليتهم الدينية، وبحكم أنهم قدوة مؤثرة فى أتباعهم ومجتمعاتهم يتأسى الجميع بأقوالهم وأفعالهم.. وكان الواجب عليهم التأنى والروية، والقيام بدراسة موضوعية جادة محايدة لمبادئ وأحكام هذا الدين الذى يعتنقه مخالفوهم لمعرفة عقائده وتشريعاته وأوامره ونواهيه، وتوجيهاته وإرشاداته.. وهل هو فعلا يقر تلك الأقوال والأفعال أم لا؟

موقف الإسلام من تعميم الحكم على الناس

عندما نتحدث عن بيان موقف الإسلام من تعميم الحكم على الناس يلزم أن نوضح أولا أن الحكم على الناس فى الإسلام ينقسم إلى قسمين:

١ ـ حكم عام لا يختلف فى تطبيقه على الناس جميعا عند ارتكاب أحدهم مخالفة فى فى العبادات أو جريمة فى الحدود، فيطبق هذا الحكم على المخالف وحده، ولا يستثنى من تطبيق هذا الحكم عليه أحد من الناس فى حالة ارتكابه مثل هذه المخالفة أو الجريمة.

٢ ـ وحكم خاص يتحمل المسيئ فقط وزر قوله أو فعله على قدر السيئة التى ارتكبها، ولا ينسب هذه السيئة إلى الدين، ولا إلى بقية معتنقيه.

ولنوضح القسم الأول نضرب مثلا من العبادات على ذلك: صيام شهر رمضان فرض على كل مسلم ومسلمة إذا توفرت فى المسلم شروط محددة، وفى حالة إفطاره عامدا متعمدا ـ وهو مستوف لشروط الصيام ـ فإنه تجب عليه الكفارة، هذه الكفارة محددة تطبق على كل من يرتكب هذه المعصية لا يعفى منها أحد ولا تخفف على أحد، فهى عامة فى حكمها.

مثال آخر على ذلك فى الحدود: السرقة فى الإسلام حرام، وأن منْ يسرق حكْم الإسلام فيه أن تقطع يده إذا توفرت فى السرقة شروط إقامة حدها.. هذا الحد يطبق على كل من يرتكب هذه الجريمة بشروطها، لا يعفى منه أحد مهما كان وضعه ومكانته فى مجتمعه، فهو حكم عام، وكلنا يعرف قصة فاطمة بنت الأسود المخزومى، من بنى مخزوم ـ قبيلة قرشية مشهورة ـ وقد سرقت حليا، فاهتم لها قريش لشرفها فيهم، وخافوا الفضيحة من إقامة الحد عليها. وفكروا فيمن يشفع لها عند النبى ﷺ فى عدم إقامة الحد عليها.. فوقع اختيارهم على أسامة بن زيد وقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع فى حدٍّ من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

فهذا حكم عام يطبق على كل من يرتكب هذه الجريمة.

هذا هو القسم الأول: وقد حرصت على أن أشير إليه حتى لا يلتبس الأمر على منْ لم يعرف أحكام الإسلام فيقول ـ عندما أتكلم عن القسم الثانى لدى نفى الإسلام فيه التعميم ـ الإسلام فيه تعميم للأحكام.

والقسم الثانى: فكلنا نرى ونشاهد، ونقر ونعترف بأن الناس ليسوا سواء.. منهم الصالح ومنهم الطالح، ومنهم المطيع ومنهم العاصى، ومنهم الطيب ومنهم الخبيث، وقد يكون الاثنان أخوين شقيقين من أب واحد وأم واحدة، أو يكونان من بلدة واحدة، أو ينتسبان لدين واحد، و[illegible] يتمان [illegible] واحدة.. ومع ذلك توجد هذه [illegible] التفاوت الشاسع بينهما فى الأخلاق والسلوك والمعاملات [illegible]

يؤاخذ البرىء بذنب المذنب، وألا يعمم الحكم على الاثنين، بل يأخذ كل واحد جزاءه حسب عمله.. وقد يحدث أن تسيء جماعة فى أمة من الأمم، ففى تلك الحالة يجب أن يحكم بالذنب على تلك الجماعة المسيئة فقط، ولا يعمم الحكم على الأمة كلها.. وهذا أمر تقتضيه الفطرة السليمة، ويحكم به العقل السليم.

وهنا نجد عدل الدين الإسلامى الحاسم الذى يرفض التعميم، ويقرر بكل وضوح أن كل إنسان مجزى بعمله، محاسب عليه، يقول الله تعالى:

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾

(المدثر ٣٨)

أى: كل نفس مرهونة عند الله تعالى بكسبها، مأخوذة بعملها، فإن كان عملها صالحا نجاها الله من العذاب، بل وحباها بالحسنات والنعيم، وإن كان عملها سيئا أهلكها وجعلها محلا للعقاب، ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى:

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾

(الزلزلة ٧، ٨)

أى: فى يوم القيامة يخرج الناس من قبورهم متفرقين لا يلوى أحد على أحد، متجهين إلى موقف الحساب على أعمالهم فى الدنيا، فمن كان منهم قد عمل فى دنياه عملا صالحا رأى ثماره الطيبة، حتى ولو كان هذا العمل فى نهاية القلة، ومن كان منهم قد عمل عملا سيئا فى دنياه رأى ثماره السيئة، حتى ولو كان هذا العمل ـ أيضا ـ فى أدنى درجات القلة.

وقد حرص الإسلام على تأكيد عدل الله فى أن كل نفس مسئولة عن أعمالها فقط فكرر فى القرآن الكريم الآيات التى تثبت ذلك، يقول الله تعالى:

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾

(البقرة ٢٨٦)

أى: أن الله سبحانه وتعالى كلف الإنسان بما تسع قدرته وتستطيعه نفسه، وأن كل نفس لها ثواب ما كسبت من حسنات بسبب أعمالها الصالحة، وعليها عقاب ما اكتسبت من سيئات بسبب أعمالها السيئة.

وحتى لا يترك القرآن الكريم مجالاً لفكر الإنسان بأن يظن أن أعماله السيئة يمكن أن يحمل عقابها غيره، أو يتحمل جزءا من عقابها نفى القرآن الكريم ذلك نفيا قاطعاً، يقول الله تعالى:

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى﴾

(فاطر: ١٨)

أى ولا تحمل نفس غير آثمة إثم نفس أخرى، وإنما كل نفس مسئولة وحدها عن أعمالها وأقوالها التى باشرتها أو تسببت فيها.. وإن طلبت نفس آثمة مثقلة بالذنوب من نفس أخرى غير آثمة أن تحمل عنها شيئا من ذنوبها التى أثقلتها لا تجد استجابة منها، حتى ولو كانت تلك النفس الأخرى من أقربائها وذوى رحمها.

وهذا التخصيص بتحمل النفس الآثمة مسئولية قولها وعملها، وعدم تعميمها على الآخرين أو إشراكهم فيها ليس قاصراً على الأفراد فقط، بل على الأمم أيضاً، فكل أمة مسئولة عن عملها ما دام جميع أفرادها مشتركون فى هذا العمل، يقول الله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(البقرة ١٤٠)

أى: قل يا محمد لأهل الكتاب: إن إبراهيم وآله يمثلون أمة مضت لسبيلها، لها عند الله ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر، ولا ينفعها غير صالح أعمالها، ولا يضرها سوى سيئاتها، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء الذين تفتخرون بهم، فمن الأولى أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لكم، فعليكم أن تسلكوا طريق الإيمان والعمل الصالح، وأن تتركوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد، فإن كل نفس يوم القيامة ستسأل عن أعمالها دون أعمال غيرها.

أمثلة من واقع التاريخ الإسلامى سجلها القرآن الكريم تمنع تعميم الأحكام:

فى بدء تكوين الدولة الإسلامية، بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، كان الأعراب الذين يسكنون حول المدينة أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر الكفار والمنافقين، لأن ظروف حياتهم البدوية، وما يصاحبها من عزلة وتنقل فى الصحراء وخشونة فى الحياة.. كل هذه العوامل جعلتهم أقسى قلوباً، وأجفى قولاً، وأغلظ طبعاً، وأبعد عن سماع ما يهدى نفوسهم إلى الخير من غيرهم من سكان المدن، وبذلك كانوا أحق وأخلق من أهل الحضر بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، بسبب ابتعادهم عن مجالس رسول الله ﷺ، وعدم مشاهدتهم لما ينزل عليه ﷺ من شرائع وآداب وأحكام، يقول الله تعالى:

﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾

(التوبة ٩٧)

غير أن الإسلام الذى يمنع التعميم فى الحكم على الناس أخذ يفصل أحوال هؤلاء، ويعطى كل ذى حق حقه، ويبين أن الحكم ليس عاما على كل واحد من جنس الأعراب، فتناولت الآيات الكريمات التاليات لهذه الآية تفصيل ذلك، تقول الآية الكريمة التى تليها مباشرة

﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾

(التوبة ٩٨)

أى: ومن الأعراب منافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وينصرون أعداء المسلمين فى حربهم وقتالهم للمسلمين بما يدل على نفاقهم وكذبهم عندما يعلنون إسلامهم، وبدا فى محاولة منهم لستر كفرهم وما يبطنونه من الكفر يعلنون التبرع بالمال ذرا للرماد

في العيون، وخديعة للمسلمين، وهم في قرارة أنفسهم يعتبرون ما ينفقونه في سبيل الله غرامة وخسارة عليهم، لأنهم لا ينفقون ما ينفقونه طمعا في ثواب، أو خوفا من عقاب، وإنما ينفقونه تقية ورياء ومداراة للمسلمين، لا مساعدة للغزاة والمجاهدين، ولا حبا في انتصار المسلمين، ولا رغبة في إعلاء شأنهم.. بل على العكس إنهم في حالة قيام الحرب بين المسلمين وأعدائهم يتربصون الدوائر بالمسلمين، ويتمنون في أعماق نفوسهم أن ينهزم المسلمون وأن يتبدل حالهم من الخير إلى الشر، ومن الأمن والأمان إلى القلق والاضطراب.. وهؤلاء بكل تأكيد أشد كفرا ونفاقا.

ثم تقول الآية الكريمة التي تلي هذه الآية:

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة ٩٩)

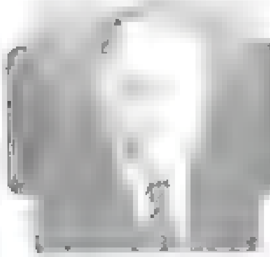
أي ومن الأعراب قوم آخرون من صفاتهم أنهم يؤمنون بالله إيمانا صادقا، ويؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، ويعتبرون أن كل ما ينفقونه من مال هو في سبيل الله، ووسيلة للتقرب إليه سبحانه وتعالى، ووسيلة للحصول على دعوات الرسول ﷺ لهم بالرحمة والمغفرة، وبحسنات الدنيا والآخرة، وأن هذه النفقات التي يتقربون بها إلى الله مقبولة عنده سبحانه وتعالى قبولا مؤكدا. وسيجزيهم عليها بما يستحقون من أجر جزيل. وقد وعدهم الله - ووعده حق وصدق - بأنه سيغمرهم برحمته التي لا شقاء معها.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة تمنع تعميم الأحكام، فذمت من يستحق الذم من الأعراب، ومدحت من يستحق المدح منهم، وبينت مصير كل فريق ليكون عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين، وذكرى للذاكرين.

إن تعميم الحكم على الناس دون نظر إلى المحسن والمسيء، والصالح والطالح، والبرئ والمذنب خطأ كبير، وظلم فادح لا يقره الإسلام. فلكل إنسان ميزان خاص به حسب مواقفه وحسب أقواله وأفعاله. وحسب سلوكه وتصرفاته، وهو غير مسئول عمن سواه. فالواجب علينا عند تحديد حكما على الناس أن نحدد الحكم عليهم بحسب مواقفهم وأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم مع غيرهم. لا بحسب انتسابهم لدولة، أو انتمائهم لعقيدة دينية، فلا نعمم الحكم على الجميع.

وعلى الله قصد السبيل

وحدة الأمة في مواجهة التحديات



إن أمتنا الإسلامية، في أمس الحاجة إلى تأكيد وحدة صفها، وجمع كلمتها، لتستطيع مواجهة التحديات التي تحدق بها من كل اتجاه.

وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يوحدوا صفوفهم وأن يعتصموا بحبل الله جميعا وألا يتفرقوا، حيث قال سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

وقال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة المؤمنون ٥١ - ٥٤)

ونهى رب العزة سبحانه عن التفرق والتنازع

﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾

(سورة الأنفال ٤٦)

ولما كان الاختلاف الخطير والمريب يعمل على إفساد الدين والدنيا اعتبره الإسلام كفرا حيث قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الأنعام ١٥٩)

والناس عندما يختلفون ويتصارعون يرجعون إلى خصال الجاهلية في ظلمها وظلامها فيصبحون في ضلال من لا دين له قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» (رواه الترمذي).

وقد جعل الله تعالى الوعيد الشديد من يشق عصا الطاعة ويتبع غير سبيل المؤمنين حيث قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة النساء ١١٥)

ومن مات وهو على خلاف الجماعة لأمة وكان خارجا عن الطاعة فإنه يموت ميتة جاهلية حسب قال رسول الله ﷺ: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية» (رواه البخاري).

وقال ﷺ: «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بعهد ذي عهدها فليس مني ولستُ منه» (رواه مسلم).

فهذا وعيد شديد لمن يخرج على الأمة ويخون ضرب البار والفاجر وأهل العهد والأمان. إن رسول الله ﷺ يتبرأ ممن كان كذلك ويقول: «فليس مني ولست منه» وتوجيها من الإسلام في وقاية الأمة من غوائل الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ترى الشريعة أن المنكر الذي يلزم تغييره إذا أدى تغييره إلى مفسدة أكبر يرى أهل العلم، أن تركه أولى من إنكاره، وعندئذ رضوا بارتكاب أخف الضررين، كالطبيب الذي لا يجري جراحة في جسد إنسان لا يستطيع تحمل الجراحة فإذا رأى الطبيب في الجراحة خطرا على حياة المريض توقف ولو بقيت العلة اكتفاء بارتكاب أخف الضررين.

وحثّ الإسلام على رد الظلم ودفعه عن المظلوم إذا رآه إنسان وإلا فإنه يأثم إذا لم يدفع عن المظلوم وهو قادر. قال رسول الله ﷺ: «لا يقفن أحدكم موقفًا يُضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه» (رواه الطبراني).

وعلى المسلم أن ينتظم في صفوف الجماعة وألا ينفرد حتى لا يكون هدفا للشيطان، عن سعيد بن المسيب قال، قال رسول الله ﷺ: «الشيطان يهمّ بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم» (رواه مالك).

وكما أمر الإسلام بالانتصار للمظلوم بدفع الظلم عنه فإنه أمر أيضا بالانتصار للظالم بدفعه عن ظلمه قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلومًا»، قال: «أنصره مظلوما، فكيف أنصره ظالما»، قال: «تحجزه عن ظلمه فذلك نصره» (رواه البخاري).

لبناء قوة المسلمين وتدريبهم على الاتحاد فيما بينهم شرع الله من العبادات ما فيه وحدتهم واجتماعهم بحيث يضاعف الأجر للصلاة في جماعة على أجر الصلاة على انفراد. وكما جعل الصلوات الخمس يوميا يجمع الناس فيها، فقد جعل الله لهم اجتماعا أسبوعيا لأهل الحي أو البلد في صلاة الجمعة. وجعل اجتماعا أكبر في صلاة العيد وجعل اجتماعا أكبر وأكبر بحيث يجمع المسلمين من أنحاء العالم وذلك في الحج إلى بيت الله الحرام.

ولقد أقام رسول الله ﷺ المجتمع الإسلامي الأول على اتحاد المسلمين في عقيدتهم حين دعاهم إلى الإله الواحد، وإلى قبلة واحدة، وأرسى أسس وحدتهم بالقرآن الذي يدعوهم إلى الاعتصام بدين الله وكتاب الله

﴿[illegible]﴾

ثم لما هاجر إلى المدينة كان أول عمل أقامه بناء المسجد ليوثق صلتهم بالله، وآخى بين المهاجرين والأنصار ليوحد بين المسلمين ثم أبرم وثيقة المعاهدة بين المسلمين وغيرهم وبهذا الاتحاد لصفوفهم حققوا بعد ذلك الانتصارات والفتوحات.

إن أعداء أمتنا لم يتمكنوا من غزو بلاد الإسلام إلا بعد أن مهّدوا لذلك بوضع بذور الفرقة، وإضعاف الدول الإسلامية، وتقسيمها إلى دويلات متفرقة ومتباعدة فسياسة الأعداء «فرق تسد»، فتفرق المسلمين احضر عليهم من عدوهم.

وقد أمر الله تعالى بالتعارف والتآلف:

﴿[illegible]﴾

(سورة الحجرات: ١٣)

وكما دعاهم القرآن إلى التآلف نهاهم وحذرهم من الخروج على إجماع الأمة.

﴿[illegible]﴾

(سورة النساء: ١١٥)

وعلى دعاة الإسلام والمرشدين أن يوضحوا للأمة طريق الصلاح وطريق اتحادهم كما كان رسول الله ﷺ يرشد الناس بذلك.

عن أبي ثعلبة: كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال النبي ﷺ: «إن تفرقكم هذا من الشيطان، فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم» (رواه أبو داود)

ولقد كان في غزوة أحد الدرس القوي، والابتلاء الشديد، بسبب ما حدث من بعضهم من تنازع وانقسام ومخالفة لأمر الله ورسوله. قال الله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(سورة آل عمران: ١٥٢)

وحذر القرآن الكريم من الفرقة التي تأتي نتيجة العلم عندما يفقد أهل العلم الإخلاص فيه لله وحده، قال الله تعالى

﴿[illegible]﴾

(سورة الشورى: ١٤)

وقال الله سبحانه

﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم﴾

(سورة البقرة: ٢١٣)

فالقلوب الخالية من الإخلاص تجعل العلم سلاحًا للدمار بدل الإصلاح والعمار وقد عانى العالم- قديما وحديثًا- من العلم الذي كان أصحابه بعيدين عن الإخلاص فتفرقوا فيه، قال الله سبحانه:

﴿شرع [illegible]﴾

(سورة الشورى: ١٣)

وهكذا عُني الإسلام بالتحذير من الفرقة، وأكد الدعوة إلى الاجتماع والألفة حتى تكون الأمة متحدة وعلى قلب رجل واحد محققة خيريتها على ظهر الأرض

المسلمون فى موزمبيق وبداية النهاية للتغريب الثقافى

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

تقع جمهورية موزمبيق فى شرق القارة الافريقية. الى الجنوب من تنزانيا ومالاوى. وعاصمتها «مابوتو». وتملك جمهورية موزمبيق اطول ساحل على المحيط الهندى. ويمتاز هذا الساحل بطبيعة خلابة. حيث تتوفر به الغابات والجزر ذات الطبيعة الساحرة. ويمتاز ايضا بوجود اثار عربية اسلامية وافريقية ذات اهمية تاريخية كبيرة. مما يوفر امكانيات سياحية كبيرة لهذه الدولة. وتمتاز موزمبيق أيضا بتنوع طبيعتها. وكثرة خيراتها من جوز الهند والشاى والقطن وقصب السكر والثروة السمكية الكبيرة فى بحارها وبحيراتها.

يتكون سكان موزمبيق من عدة قبائل من أعراق مختلفة وجملة عدد السكان نحو ٢٠ مليون نسمة. ويشكل المسلمون نحو نصف سكانها ويتركزون فى شمال البلاد، حيث يشكلون نحو ٩٠٪ من سكانه (٢)

يعود دخول الإسلام إلى موزمبيق إلى [illegible] الإسلام فى القارة الافريقية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ودعت [illegible] والممتدة عبر التاريخ بين العرب والمسلمين، وبين شعوب سواحل شرق أفريقيا، ومن المعروف أن العلاقات بين العرب وساحل شرق أفريقيا وعالم المحيط الهندى علاقات موغلة فى قدمها، ترجع إلى أيام الساميين القدماء وهجراتهم إلى بلاد الساحل، حيث تركوا آثارا باقية فى حياة السكان حتى اليوم

كان العرب قد عرفوا أسرار المحيط الهندى قبل الإسلام بزمن طويل، وكثرت رحلاتهم إلى سواحل شرق أفريقيا، [illegible] وحملوا خيراتها من العاج وزيت النخيل وغيره من الحاصلات الاستوائية (٣) وفى العصور الإسلامية ظهرت جاليات إسلامية قوية فى كثير من المدن الساحلية، من «دهلك» شمالا إلى «سوفالا» (مدينة الذهب) فى موزمبيق جنوبا، وتعتبر «سوفالا» من أهم المدن التى نشأت على ساحل موزمبيق، فمنها كان يصدر الذهب المستخرج من روديا (موزمبيق الآن). وعلى طول الطريق إلى روديسيا وجدت مقرات ومراكز للمسلمين، حيث شهدت الفترة الواقعة بين القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر توطد النفوذ الإسلامى وظهور مدن إسلامية انتشرت على طول الساحل الأفريقى والجزر المتاخمة كأنها العقد أو الطراز(٤).. كانت هذه المدن أسواقا ضخمة اختلط فيها الوافدون بأهل البلاد، مما ترتب عليه اعتناق الكثيرين منهم للإسلام.



مع بداية عصر الكشوف الجغرافية، وقبل عبور «ماجلان» إلى رأس الرجاء الصالح، ظهرت سفن البرتغاليين فى [illegible] سنة ١٤٨٦م. وجاء فاسكو داجاما [illegible] موزمبيق سنة ١٤٨٧م، واستغل البرتغاليون الصراع القائم بين مدينة [illegible] ومدينة «ممباسا» [illegible] واحتلوا المدن الإسلامية [illegible] فى إثر الأخرى، ولم تنج مدينة [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) راجع وصف الاستاذ «كوبلاند» لهذا النشاط فى كتاب East Africa, P. 10 [illegible] الطوف حول البحر الإيثرى Schoff, The Periplas Of Erythraean Sea [illegible]

(٤) راجع «المقريزى» الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٦٠

(٥) فى جمهورية «كينيا» الآن

الحرق على أيديهم، حيث ضربوا وأحرقوا مدينة «مقديشيو» في الصومال، واستولوا على جزيرة سوقطرة في مدخل البحر الأحمر، كما استولوا على «زيلع» وأحرقوها عام ١٥١٧م، ودخلوا «بربرة» وأحرقوا مدينة «ممباسا» خمس مرات. واستولوا على مدينة «سوفالا» عام ١٥٠٥م وانطلقوا منها إلى جميع أنحاء موزمبيق، ووصلوا إلى مملكة «مونوموتاپا» في زيمبابوي، حيث توجد مناجم الذهب وبذلك أصبحت «موزمبيق» أقدم المستعمرات الأوروبية في إفريقيا، وتمكن البرتغاليون من الاستيلاء على الساحل كله سنة ١٥١٠م، وجعلوا من «موزمبيق» مركزاً لحكمهم الاستعماري.

ارتكب المستعمرون البرتغاليون مذابح بشعة في موزمبيق منذ وصولهم إليها، وأرهبوا المسلمين، وقاموا بمذابح عديدة منها مذبحة «شيبا فالي» الشهيرة التي قتلوا فيها [illegible] العمال في مزارع قصب السكر. ومذبحة «ميوداء» التي قتل فيها العديد من الرجال والنساء والأطفال، ومذبحة ويرياموا وغيرها.

رزح شعب موزمبيق تحت نير هذا الاستعمار البغيض نحو ٨٤ عاماً، لم يستسلم المسلمون فيها تماماً، بل قاوموا بقدر الإمكان. وقاموا بثورات [illegible] ولكن البرتغاليين استخدموا وسائل قمع وحشية ضد السكان في كافة المناطق، وقاموا بمذابح يندى لها جبين الإنسانية.

قامت عدة ثورات واجه فيها المسلمون المستعمرين وهزموهم في مواجهة عسكرية شهيرة في معركة Namaro، وكان المستعمرون يعيثون في البلاد ذبحا وتخريبا طوال حكمهم البغيض.

أدت السيطرة الاستعمارية للبلاد إلى تهميش دور المسلمين في الحياة السياسية، كما أدت إلى ضعف قدراتهم الاقتصادية حيث تم تشتيت العديد من القبائل من مواطنها، مما أبعدهم عن مصادر أرزاقهم. وعلى الجانب الثقافي ومنذ البداية بدأ المستعمرون عمليات التنصير والتغريب الثقافي، وفرضوا على المسلمين تسمية أبنائهم بأسماء غير إسلامية بل ومنعوا حتى أداء الصلاة [illegible] ولم يراعوا الحقوق الثقافية للمسلمين، حيث حرصوا منذ البداية على الحط من قدر الثقافة الإسلامية والعمل على تشويهها، وحرمان المسلمين من فرص التعليم، وكانوا يشترطون على أبناء المسلمين أن يتنصروا قبل التحاقهم بالمدارس أو الكليات، والأدهى من ذلك أنهم قاموا بتحويل عدد من المساجد إلى كنائس، واستبدال الأسماء العربية بأخرى أجنبية، وتعمدوا عدم تقديم أي نوع من الخدمات التعليمية والصحية للمسلمين.

حاولت البعثات التنصيرية ومن ورائها السلطات الاستعمارية العمل على وقف انتشار الإسلام، بل وإخفاء حقيقته [illegible] واتهام المسلمين وحدهم بممارسة تجارة الرقيق.

(٦) يصرح «الشيخ عبدالكريم نورالدين صالح» نائب رئيس [illegible] بل وفرضوا عليها التوجه إلى الكنيسة أيام الآحاد. ويذكر الشيخ عبدالكريم أمثلة أخرى منها رئيس البرلمان الذي يحمل [illegible] مسلم ووزير الدفاع ورئيس [illegible]

وترسيخ هذه الفكرة في أذهان السكان.

أثمرت تلك الادعاءات، ونجحت إلى حد ما في تنفير مجموعات من السكان الأصليين من المسلمين، وتنمية الشعور بالكراهية نحوهم.

استقلت موزمبيق في ٢٥ يونية عام ١٩٧٥، وكان أول رئيس للجمهورية هو «ساموراً ميشيل» وقد دارت في عهده حرب أهلية طاحنة استمرت ١٥ عاماً ثم لجأ الموزمبيقيون إلى السلام وهدأت البلاد منذ نحو ٢٠ عاماً فحسب، ومنذ ذلك بدأ المسلمون عهداً جديداً من الاستقرار والتطلع إلى المستقبل، والعمل على وحدتهم في ظل الإسلام الذي يجمع بينهم رغم اختلافهم عرقيا ما بين أفارقة وآسيويين، ورغم اختلاف ثقافتهم الأصلية.

ومن أبرز مجتمعاتهم القبلية قبيلة «الماكوا» Makua التي تعيش بين لوجاندا Luganda والخط الهندي، وهي من أكبر القبائل في البلاد وأكثرها حفاظا على تقاليد المسلمين وعاداتهم، وكذلك «الماتومبي» Matumbi و«الموبرا» Mwera اللتان تعيشان في مقاطعتي «ليندي» وناشينجوا Nachingwa وتوجد مجموعات قبلية من السكان الأصليين الذين يقيمون في الأرياف والقرى وعلى أطراف المدن، وأكثرهم يمتهنون الزراعة والرعي والصيد البحري وبعض الحرف التقليدية.

كان المسلمون في أمس الحاجة إلى إعادة تثقيفهم وتعليمهم وإبراز دور الإسلام في حياتهم بإنشاء المدارس التي تمكنهم من تعلم اللغة العربية، حيث إن هناك تعددا لغويا واضحا يفرق بين قبائلهم، ومن الممكن أن تجمعهم اللغة العربية فيما لو بنيت لهم المدارس، وكذلك المساجد التي افتقدوها طويلا. كما افتقدوا المراكز الإسلامية والمطبوعات العربية والبرامج التثقيفية المناسبة.

لم يكن للمسلمين معاهد تقوم بتدريس العلوم الإسلامية بينما وجدت مراكز وجامعات كاثوليكية تقوم بنشر المسيحية خاصة جامعة IUGM في إقليم «نمولا» عاصمة شمال البلاد ذي الأغلبية المسلمة.

وفي الأعوام القليلة الماضية ظهرت صحوة إسلامية في البلاد، دعت إلى توحيد المسلمين، وعملت على تمسكهم بدينهم وبعاداته السامية، وشهدت الفترة الأخيرة بناء عدة مساجد، منها «مسجد حمزة» بمنطقة «ماتولا» ويشرف عليه الآن الشيخ «أمين الدين»، كما يشرف على المدرسة التي ألحقت به في مدينة مابوتو العاصمة. ثم بنيت عدة مدارس أخرى في الجزء المسلم من شمال البلاد ويبلغ عدد الطلاب في بعض هذه المدارس نحو ٢٥٠ طالباً وطالبة.

يقول الشيخ «أمين الدين»: إن بعض هذه المدارس تقوم بالتدريس حتى المرحلة الإعدادية باللغة العربية وكذلك تقوم بتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين، ومنذ نحو ١٥ عاما تقريبا بدأت الحكومة في بناء بعض المدارس والاهتمام بالتعليم والتدريب على بعض المهارات، بالإضافة إلى بناء بعض المستشفيات في الجزء الشمالي المسلم من البلاد، ثم بدأت بعض الهيئات الإسلامية بناء وتأسيس بعض المدارس الخاصة، حيث قام المجلس الإسلامي بإعداد عشر مدارس موزعة على عدة مناطق.

أسس المجلس الإسلامي سنة ١٩٨٣م، وهو من أقدم منظمات لعمل الإسلامي في موزمبيق، وتعترف به الحكومة، وهو المؤسسة الوحيدة المعترف بها رسميا، وهو يتكون من المجلس العام الذي يتشكل من مندوبين عن تجمعات المسلمين بالمحافظات، ويجتمعون كل عامين لبحث مشكلات وقضايا المسلمين، ووضع خطط لبرامج العمل الإسلامي، واختيار رئيس المجلس ونوابه. وتتشكل إدارة المجلس من رئيس وأربعة نواب، ثم هناك مجلس للشورى يتولى متابعة قرارات الإدارة، وهو يتكون من الدعاة والمشايخ من مختلف المناطق.

يركز المجلس على البرامج التعليمية، ويحاول القضاء على سياسات التغريب الثقافي، ونشر الوعي بالثقافة الإسلامية في كل مكان، ويقوم المجلس أيضا بتأسيس دور للأيتام، ويساهم في حل مشكلات فقراء المسلمين.

لقد بدأت بالفعل نهضة إسلامية شاملة في هذه البلاد وبدأت حركة واسعة للمطالبة بالحقوق الثقافية والدينية والاقتصادية، ومحاولة رد أملاك المسلمين التي اغتصبت في الماضي.

ومؤخراً ومنذ بضع سنوات تم إنشاء مركزين إسلاميين ومعهد إسلامي في الشمال في «نتمبولا» وفي «بمبا» وقد عمدت هذه المراكز والمعاهد إلى الاهتمام بالشباب، وعقدت دورات لرفع كفاءة الأئمة، وسيرت قوافل ثقافية للتوعية في كل البلاد لنشر معاني الأخوة والتعاون وتنمية المفاهيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام.

كذلك تم إنشاء محطة إذاعة للمسلمين، وتم أيضا ترجمة بعض المطبوعات العربية والإسلامية، ويعمل حزب «بيمو» Bimo الإسلامي على نشر الوعي الثقافي، ويقوم زعيمه الحالي «يعقوب سيدي» بجهود كبيرة في هذا المجال، وانشئت بمساعدته جمعية الشباب الموزمبيقي المسلم، وجمعيات سنية إسلامية. هذا وقد انضمت موزمبيق كعضو في المؤتمر الإسلامي عام ١٩٩٤ م.

يدل كل ذلك على أن المسلمين في موزمبيق هم الآن على طريق النهضة الإسلامية الشاملة، ويعملون بكل إخلاص على القضاء على نتائج السياسات الاستعمارية التي عمدت إلى تغريب المسلمين في هذه البلاد وإبعادهم عن مصادر ثقافتهم الإسلامية.

نسأل الله للمسلمين في هذه البلاد التوفيق والسداد.. والله المستعان.

قصيدة القدس

مدرس الحديث الشريف بكلية أصول الدين بطنطا

سمعت صوتا ينادي وهو مختنق ... كأنه صرخة المكلوم تنطلق

فقلت: بالله ذاك الصوت أعرفه ... صوت الحبيبة إلا أنه قلق

باتت تنادي وستر الليل منسدل ... والعين دامعة والقلب يحترق

من ذا يجيبك يا أرضا مقدسة ... قد لفها الطهر واستشرى بها العبق؟

من ذا يجيبك يا جرحا يؤرقنا ... يُدْمي الفؤاد ويُعيينا به الأرق؟

من ذا يجيبك والأهوال دامية ... والقوم حولك موتى ما بهم رمق؟

قالت: كفاك ففتيان الحمى عشقوا ... فيّ الشهادة يالله ما عشقوا!

فلو رأيتهمو والشوق يدفعُهم ... نحو الحياة التي من أجلها خلقوا!

كأنها المرأة الحسناء تعشقهم ... وهم إلى الوصل منها عندهم شبق

على وجوههمُ الآمال باسمة ... وفي عيونهم الأحلام تأتلق

إذا دجا الليل فالرهبان ساجدة ... أو أبلج الصبح فالفرسان تنطلق

خُضر أناملهم حمر مقاتلهم ... بيض محاملهم في الله قد صدقوا!

يا ويح شعبك يا مسكين من دمهم ... عند اللقاء إذا ما احمرّت الحدقُ

زُفوا إلى الله في عرس تشيعه ... ملائك الخلد حملى حولهم حلق

عادوا شظايا وأشلاء ممزقة ... على الأعادي فمات القوم وانصعقوا

كأنهم حمم البركان ثائرة ... أو شعلة من لظى النيران تنبثق

أعطوا مواثيقهم لله خالقهم ... أن ينصروه وما في غيره وثقوا

يا للشهيد غدا للأم معتنقا ... قبل الوداع وقلب الأم ينفلق



والحور في لهجة برقى مقدمه … هذي تعانق والأخرى ستعتنق

ولو رأيت فتاة القدس صامدة … إلى الشهادة تسعى وهي تستبق

بيضاء عاطرة الأردان ناعمة … في جيدها العقد في آذانها الحلق

كأنها ظبية في القاع ساكنة … لكنها بحزام الموت تنتطق

أيطمع الوغد أن يحظى بمأمنه … مهما استبد به في غيه النزق!!

وكيف يأمن من في الغدر قد نشأوا … وكيف يسلم من للظلم قد حذقوا؟!

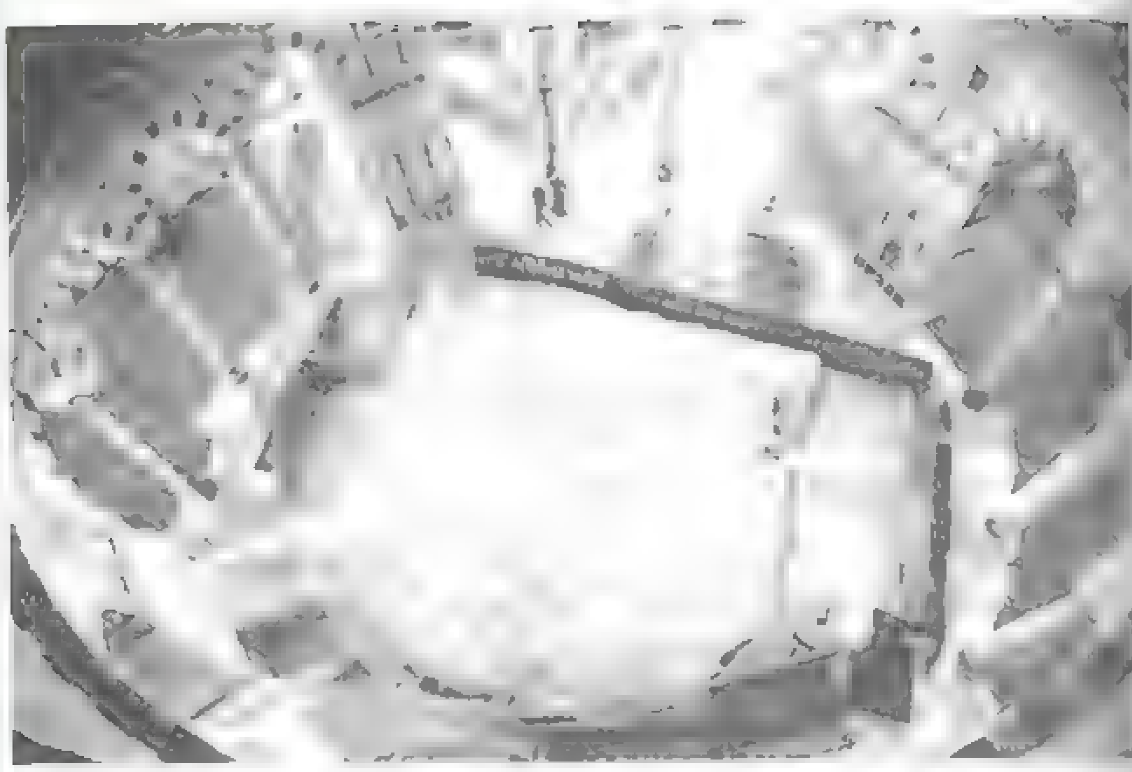
من عاش في قلق أو مات من فرق … أين الأمان وهذا الأمن مخترق؟!

كتائب العز أعلى الله رايتكم … يا ألسن الحق لما أسكتوا نطقوا!

يا هامة المجد ما للمجد غيركمو … لا يبلغ المجد إلا من له عنق!!

أنت الكرامة إذ هانت كرامتنا … أنت النجاة إذا ما عمنا الغرق

أنت الضياء إذا اسودت حوالكنا … أنت الطريق إذا ما انسدت الطرق



أرض الكرامة باعتها سماسرة … للاحتلال فمأجور ومرتزق

ماذا أقول ولا سمع ولا بصر … ولا كلام ولا حبر ولا ورق؟!

وهل سينفع بين العرب مؤتمر … حتى إذا اجتمعوا فيه أو افترقوا؟!

هذا بكرسيه قد باع أمته … وكاد يقتله الإملاق والملق

وذاك يسرق من تاريخ أمته … كي ما يكافئ بالتاريخ من سرقوا

يا أمة القدس ما للقدس غيركمو … متى ستجتمع الآحاد والفرق؟

ويح العروبة والإسلام في فرق … ومن سواهم عليهم راح يصطفق

القدس خاصرة الإسلام قبلته … مسرى الحبيب ومنها أشرق الأفق

شدا السجود في أرجائها عبق … ماء الحياة بها يجري ويندفق

اليوم تصرخ: هل حر يخلصني … فلست أبصر إلا أعبدا أبقوا؟!

لكن لي أملا في الله يغمرني … وكل ذي أمل بالله معتلق

مهما دجا الليل وانداحت جوانبه … لابد يذهب والإصباح ينطلق

ميلاد محمد ﷺ

خير إبداع وعطاء للمفكرين والكتاب «٢»

أ. عاطف مصطفى

يوم ميلاد محمد ﷺ نور يتلألأ في ربوع أمة الإسلام من مشرقها إلى مغربها، ومناسبة طيبة نتعرف فيها على صفات الحبيب المصطفى الذى غير وجه العالم، وجاء رحمة للعالمين، كما يقول عنه ربنا سبحانه وتعالى

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء ١٠٧)

فى هذه الحلقة الثانية نواصل بعض ما تناوله كُتّابُ العدد الخاص من «الهلال» الذى صدر فى أغسطس من عام ١٩٧٨م عن «محمد» ﷺ، حيث شارك فى الكتابة فيه اثنان وعشرون من كبار الكتاب والمفكرين من بينهم د. زكى نجيب محمود، وخالد محمد خالد، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، والإمام الأكبر - فى ذلك الوقت - الدكتور عبدالحليم محمود، وتوفيق الحكيم، وأنيس منصور، والدكتورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»، ويوسف السباعى وكان من بين كتابات هؤلاء «محمد الإنسان الكامل» من وحى السيرة المحمدية، آية الهجرة، السيرة النبوية فى مواجهة تحديات العصر، خصوم رسالة محمد، محمد وخديجة، سيرة محمد عند كتاب الغرب، كل هؤلاء الكتاب تباروا فى الحديث عن محمد الداعية والقائد والمعلم.

وهى كتابات لو قرأناها جيدا، ووعينا كل مضامينها، وسرنا على هديه وعلى خطاه لتغيرت حياة أمة الإسلام إلى الأفضل، ولعادت لنا الريادة فى كل المجالات وفى مقدمتها ريادة علمائنا المسلمين، الذين مازالت ابتكاراتهم ونظرياتهم هى خير عطاء للغرب، ينفذه بدقة بالغة، ويحقق السبق فى كل الميادين.

عظة وعبرة

يقول الدكتور حسين مؤنس وهو يتناول محمد ﷺ برؤية جديدة: إن حياة محمد ﷺ إلى جانب جمالها وجلالها، كانت فى نفس الوقت رمزا وعظة وعبرة تنفع المسلمين طوال تاريخهم لو أنهم تدبروها

لقد كان الله سبحانه وتعالى - قادرا على أن ينصر الدعوة نصرا مؤزرا فى الأسابيع الأولى لنزول الوحى، فيؤمن أهل مكة جميعا، ثم يتفق العرب جميعا على الدخول فى الإسلام.

ولكن الله - تعالى - عهد بالرسالة إلى الرسول وتركه يخوض معركته مع البشر لكى يتعلم الناس كيف يخوضون معاركهم، وكيف يثبتون على مبادئهم لا يتحولون عنها قيد شعرة، وكيف يعاملون الخصوم بالصبر والأناة والحلم وحسن الخلق والحجة البالغة، وكيف يواجهون العقبات بقوة العزيمة وعمق الإيمان وثبات القلوب.

وفى علم الله - عز وجل - أن أمة الإسلام ستلقى فى تاريخها بعد محمد عقبات مشابهة لما واجه الرسول، وستجد نفسها فى نفس المواقف، وأن السيرة النبوية ينبغى أن تكون لذلك خير معين لهم على النصر والخروج من الأزمات

وبنظرة المؤرخ الفاحصة يقول د. حسين مؤنس مواصلا «ولو أنك نظرت إلى العرب والمسلمين عن طريق يفضى بهم إلى السلامة من هذه الظروف القاسية، فإنك ستجد هذا الطريق قطعا فى سيرة الرسول ﷺ، ومن رأيى أن نقرأ السيرة اليوم فى مصادرها الأولى، أى دون أن يجرى فيها ابن هشام قلمه فيترك ما لا يرضيه، ويثبت ما شاء مما انتهى إليه حديثه من رواة متأخرين، لأن ابن هشام أدخل تغييرا على السيرة نعتبره كبيرا، بينما نحن نريدها كما رواها أوائل الرواة: عروة بن الزبير، وأبان بن عثمان، وموسى بن عقبة، ثم ابن إسحاق والبلاذرى والواقدى وابن سعد فى طبقاته.

لنقرأ السيرة فى هذه الأصول، فستتجلى لنا فى ظروفنا هذه عن نور جديد، وسنعرف محمدا صلوات الله وسلامه عليه فى ضوء جديد، وسنرى إدراكا جديدا يعيننا على السير فى طريقنا اليوم.. ولكن هذا يقتضى منا أن نفهم السيرة فهما جديدا.



دفاع عن محمد

هذا هو عنوان مقال الأديب توفيق الحكيم وهو يتناول ما كتب فولتير عن نبينا الكريم. يقول الحكيم «قرأت لسنوات خلت قصة فولتير التمثيلية «محمد» فخجلت أن يكون كاتبا معدودا من أصحاب الفكر الحر، فقد سب فيها النبى سبا قبيحا، وعجبت له، وما أدركت له علة، لكن عجبى لم يطل، فقد رأيته يهديها إلى البابا بنوا الرابع عشر.. ويقول الحكيم: ولقد قرأت بعد ذلك رد البابا بنوا على فولتير وأخطائه فى حق نبينا الكريم والذى وصفه بأنه «مؤسس ديانة كاذبة بربرية».

ألفيته ردا رقيقا كتبا لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين، وكله حديث فى الأدب. فعظم عجبى لأمر فولتير وسألت نفسى طويلا: أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب العظيم أن يعتقد ما يقول؟.. دين تتبعه آلاف الملايين من البشر على مدى الأجيال.. هو فى نظره حقا دين كاذب. ومبادئه إنسانية كالتى جاء بها الإسلام، هى عنده مبادئ بربرية، أم أنه التملق والزلفى والنفاق - للبابا - وأن الزمن والتاريخ يضعان أحيانا أقنعة زائفة على نفوس نزعم أنها خلقت للدفاع عن حرية الفكر»

ومنذ ذلك اليوم وأنا أحس كأنى فجعت فى شىء عزيز لدى: الإيمان بنزاهة الفكر

الحر، ولقد كنت أحيانا ألتمس الأعذار لفولتير، وأزعم أنه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق، بل عن عقيدة وحسن طوية استنادا على علم خاطئ بأخبار النبي. ولكن كتابه إلى البابا كان يتهمه اتهاما صارخا، لا يدع مجالا للشك في دخيلة أمره

هي الأطماع التي كانت تدفع فولتير فيما أرى إلى التمسح بأعتاب الملوك والباباوات ولقد يقدم ثمنا لذلك الفكرة الحرة [illegible] ومنذ ذلك التاريخ وفولتير عندي متهم، ولن أبرئه أبدا، ولكني أعده أبدا من بين هؤلاء العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر وأحسب أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم، فينتقم للحق بما افتراه على نبي كريم ظلما وزورا

وأشار توفيق الحكيم إلى كتاب [illegible] دافعوا عن الإسلام وعن نبي الإسلام في مقدمتهم الأستاذ الإمام محمد عبده الذي رد على جابرييل هانوتو الكاتب والوزير الفرنسي، وكذلك الدكتور طه حسين في كتابه «على هامش السيرة»، والدكتور محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد».

«إن في كتاب هيكل صفحات تصلح ردا بليغا على فولتير.. إن محمدا هو أعظم من فهم حقيقة النبوة، ووعى معنى الحقيقة العليا، وأدرك أن أكبر معجزة في هذا الكون هي أنه لا يوجد في الكون معجزات، وأن كل شيء يسير طبق نظام دقيق

إن محمدا كما يبدو في وصف الدكتور هيكل قد تأمل [illegible] وفكر [illegible] في نظامها العجيب، فكشف عن بصيرته وبصره، فامتلأ قلبه بالله، كما اقتنع عقله بوجوده. فجاء دينه دينا كاملا، صادف في نفوس [illegible] العقل معا. وليس [illegible] على الأرض [illegible] العلم [illegible] العلم [illegible] العلماء، فهو محمد الذي قال [illegible] العلماء [illegible] العبادة (مصنف ابن أبي شيبة) [illegible] العلم ولو في الصين» (روضة المحدثين، الباب ٤٩١٢) وكثير من الأحاديث التي تثني على العلم وتحض عليه، ذلك أن مصدر إقناع العلم ومصدر اقتناع محمد واحد: الكون وملاحظة ما فيه من إبداع ينم عن يد الخلاق العظيم

الدفاع عن الاسلام

يختتم توفيق الحكيم مقاله «دفاع عن محمد» بقوله: «إني كلما تأملت شخصية محمد مجردة، ثبت إيماني بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها في الحقيقة وجود، وأن الدين الحق لا يتعارض والعلم الحق، بل إن الدين والعلم شيء واحد كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه وكلاهما يحيى ويؤمن ويلهج بتناسق الوجود ووحدة نواميسه، ودلالة ذلك كله على وحدة الخالق. ولم يظهر نبي حق ولا عالم حق [illegible] ذلك. إنما نفرق بين العلم والدين في السبل التي يسلكها كل في الدنو من الله. ومن قال إن وسائل العلم ينبغي أن تماثل وسائل الفن أو وسائل الدين؟

إن الطرائق والسبل يجب أن تظل مختلفة [illegible] لا يختلط بعضها ببعض، إنما المصدر واحد والغاية واحدة. فما الدين والعلم والفن إلا خيوط ثلاثة، كتب على بشريتنا القاصرة [illegible] أن تتمسك بها سيهدي إلى ذلك النور الذي لا بداية له ولا نهاية: الله

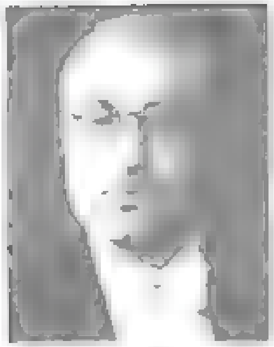
إن الإسلام وهو أحدث الأديان، وهو الذي لم يخاصم العلم، وهو الذي اتسع صدره لكل شيء، يصلح فيما يرى الدكتور هيكل لمعالجة [illegible] العالم الحاضر الروحية والاجتماعية والاقتصادية، وهو رأي صادق إذ قيض الله للإسلام رجالا أصحاب نظرة نافذة، وذهن مستنير، واطلاع واسع، يبرزون فضائله بأساليب جديدة، ويتولون إذاعته والدفاع عنه بأقلام ذكية قديرة

كما يقول الحكيم موجها دعابة جميلة إلى الدكتور محمد حسين هيكل صاحب الكتاب القيم «حياة محمد»: لقد صنع هيكل كثيرا في هذا السبيل بأسلوبه الجديد في «حياة محمد» ولئن كان قد أثم في دنياه، فلقد اشترى بكتابه هذا [illegible] ولسوف يتقدم يوم الدين وكتابه بيمينه يشفع له في دخول الجنة! ولسوف يدخلها بإذن الله متأبطا ذراع طه حسين بما قدمت يمناه هو أيضا من كتاب أدبي جميل «على هامش السيرة» كان له ولا ريب أبلغ الأثر في حمل الناس على استمراء أخبار النبي

ولهما بعد ذلك ولأمثالهما ممن دافعوا ويدافعون عن الإسلام خير تحية فإني قلتها وأقولها دائما: ليس الأمر أمر عقيدة وديانة إنما هو إلى جانب ذلك أمر حياة تلك الكتلة التي يسميها الغربيون: الشرق، وما الدفاع عن الإسلام إلا الدفاع عن الشرق

سيرة الرسول عند كتاب الغرب

لو توقفنا عند ما كتبه فولتير عن نبي الإسلام لأحسسنا بغصة من هذا الذي ناله عن نبينا الكريم، لكننا عند الكاتب محمد



[illegible] وهو ضمن كتاب العدد الخاص من الهلال «محمد رؤية جديدة» والذي نستعرض بعض ما جاء فيه وجدناه يشير إلى نموذج محترم من كتاب العرب أنصفوا نبينا ﷺ

فنجده يقول: التقول والافتراء من طبائع البشر، وعلينا أن نعتاد ألا يكون إيماننا سبيلا إلى إغلاق عقولنا دون ما يقول به أي فرد أو أية جماعة، لأن الإيمان لا يتفق مع التزمت والتشنج، إنه نعمة يهبها الله من يشاء ويحرم منها من يشاء ومن الناس من وهبها، ومنهم من لم يوهبها

ولقد كتب الباحث الإنجليزي المتخصص مونتجمري وات كتابين هامين في تاريخ الدعوة الإسلامية، أحدهما «محمد في مكة» والثاني «محمد في المدينة».. وواضح من عنوانيهما موضوع كل منهما ثم ضمهما معا في كتاب موجز هو «محمد نبيا ورجل دولة».

[illegible] القارئ [illegible] تاريخا لحياة الرسول ﷺ ودعوته، يكتبه رجل لا يؤمن بالإيمان بنبوته [illegible] التاريخ [illegible] من زاوية جديدة لا [illegible] التاريخ [illegible] بالطبع [illegible] وتفاصيل [illegible] التاريخي الخاص

التاريخي المحض.

١ - ومن بين ما قاله مونتجمري وات: إن محمدا كان يؤمن برسالته، وكان يحس أنه يتلقى وحيا هو كلمات الله، وهو لم يكن مندعا لشيء من هذا. ولم يكن مجرد رغبة يتخذ من هذا الإدعاء وسيلة لجمع الناس حوله كما قال الكثيرون من كتاب الغرب.

٢ - إن الرسول ﷺ لم يكن مصابا بمرض الصرع كما يزعم الغربيون ومنهم الروائي تيودور ستوبنسكي، ويقول وات: إن الذي يعاني مرضا كهذا لا يمكنه أن يقود أمة ويضيف أيضا: أن محمدا ﷺ كان حاضر الذهن ثاقب الفكر وهو ما لا يتصف به من يمرض بالصرع!

٣ - إن زيجات النبي كلها أو أغلبها إلى درجة كبرى سياسية وهو هنا يدفع عنه كل ما يصفه به زملاؤه الغربيون من الشهوانية، ويبين إلى أي مدى هي ظالمة هذه التهمة وأغلب زوجاته كن أرامل شهداء قتلوا في الغزوات، أو كبار في السن لا يغرين أحدا، ولكن الكراهية التي نمت في النفوس أيام الفتوحات الإسلامية وانتصارات المسلمين وتغلغل إمبراطورية بيزنطة، دعت كتاب الغرب للهجوم على نبي الإسلام وهو براء من كل ما يقولون!

ملامح محمد (ﷺ) وصفاته

كما جاء في حديث أم معبد كلمات قليلة ولكنها ذات معنى كبير نقرؤها في مقال جاء بهذا العنوان للدكتور محمد عبدالعزيز خاطر يحكي قصة رسول الله ﷺ مع عاتكة «أم معبد» من بين ما جاء في السيرة الحلبية في معرض الحديث عن الهجرة: أن الرسول ﷺ لما خرج من الغار بعد أن مكث فيه ثلاثة أيام بلياليها هو وصاحبه أبوبكر، وانضم إليهما الدليل «أريقط بن عبدالله الليثي» وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الذي كان يتعهدهما في الغار وساروا متجهين إلى وادي قديد، مارين بطريق السواحل.

وتقول السيرة: اجتازوا في طريقهم بأم معبد، واسمها عاتكة وكان منزلها بطرف الوادي الذي يلي المدينة، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء بيتها وتطعم وتسقي الناس، وهي لا تعرفهم.

فسألوها لحما وتمرا أو لبنا يشترونه.

فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم - أي الشراء.

وفي رواية أخرى ما أعوزناكم القرى

فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم معبد هل عندك من لبن؟»

قالت: لا والله.

فرأى رسول الله ﷺ شاة قد خلفها الجهد عن الغنم، أي لم تطق اللحاق بهن لما بها من الضعف والهزال.

قال: هل بها من لبن؟

قالت: هي أجهد من ذلك.

قال: تأذنين لي حلبها؟

قالت: والله ما ضربها فحل قط. فشأنك - أي فعل - فإن رأيت بها حلبا فاحلب

فدعا بها ثم مسح ظهرها بيده الشريفة، وضرعها، وسمى الله تعالى وقال: اللهم بارك لنا في شاتنا، فدرت، ثم دعا بإناء فحلب فيه فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه، ثم شرب رسول الله ﷺ فكان آخرهم شربا، ثم حلب فيه مرة أخرى وتركه عندها وارتحل.

صفاته ﷺ

قال يونس عن ابن إسحق: إنه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب حتى أرغى وقال: اشربي يا أم معبد

فقالت: اشرب اشرب فأنت أحق به.

فرده عليها فشربت، ثم دعا بحائل أخرى - وهي الواحدة من الغنم إذا قل لبنها ثم يبس - ففعل بها مثل ما فعل ثم شربه.

ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك وسقى الدليل، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك وسقى عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الذي كان يرافقهم.

ولما جاء زوجها «أبو معبد» عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذي حلبه رسول الله ﷺ عجب وقال: يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب في البيت؟

قالت: مر بنا رجل مبارك!

قال: صفيه يا أم معبد.. فقالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة [1]، متبلج الوجه[2] في أشفاره وطف [3] وفي عينيه دعج[4] وفي صوته صحل[5] لا تشنؤه من طول[6] ولا تقتحمه من قصر[7] لم تعبه ثجلة[8] ولم تزريه صعلة[9] كأن عنقه ابريق فضة، إذا نطق فعليه البهاء[10] وإذا صمت فعليه الوقار، له كلام كخرزات النظم، أزين أصحابه منظرا، وأحسنهم وجها، أصحابه يحفون به، إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى انتهوا عند نهيه

فلما سمع أبومعبد هذا الوصف قال: هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولأجتهدن أن أفعل.

وفي كلام ابن الجوزي أن «أم معبد» هاجرت وأسلمت هي وزوجها وأخوها حبيش بن الأصفر الذي استشهد يوم الفتح.

>>>>

إن المسلمين يا رسول الله في ذكراك العطرة أشد ما يكونون في حاجة للتأسي بخلقك الحميد، وبعدلك في وقوف القوي إلى جانب الضعيف يأخذ بيده ويساعده، ويرد المظالم إلى أهلها وبالوقوف صفا واحدا في مواجهة مشكلات الجهل والفقر والبطالة، وبالعمل الذي يتيح للأوطان نهضة تقيلها من تلك العثرات التي تحيط بنا من كل جانب.

ويوم يتحقق لنا ذلك نعود إلى المسلمين هيبتهم ومنعتهم من جديد، وترفرف رايات العزة عالية خفاقة.

---

(١) بادي النور ينبعث من وجهه

(٢) أي يشرق من وجهه النور

(٣) [illegible]

(٥) بحة

(٦) لا تنقصه لفرط طوله

(٧) لا تحتقره لقصره

(٨) عظم البطن والسرة

(٩) صغر الرأس

(١٠) [illegible]

التاريخ أكبر ملهم وأعظم معلم

[illegible]

صح أن رسول الله ﷺ قال: كان الله ولا شيء معه وكان عرشه على الماء[1] وخلق الله القلم وقال له: اكتب فقال ما أكتب يارب؟ قال اكتب ما يكون».

ولقد كتب القلم - بإذن الله - ما يكون إلى يوم القيامة وصارت للقلم قيمته التي كرمه الله بها وجعله قسما من أقسامه تبارك وتعالى حيث قال:

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾

(العلق: ١ - ٥)

وقال تعالى: ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾

(القلم: ١)

ولقد كانت مشيئة الله - عز وجل - بخلق الأرض ذات الفجاج، والسماء ذات الأبراج، وبث في كل هذه الأرضين وتلك السموات ما يناسبها. ثم اقتضت مشيئة الله أن يخلق آدم أبا البشر من قبضة من تراب الأرض. ثم خلق منه أم البشرية حواء. وبث منهما [illegible] فيما قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible])

وكانت الملائكة، وكان الجن، وكان الإنس الذين خلق الله - عز وجل - من أجلهم كل شيء

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾

(البقرة: ٢٩)

وراح بنو الإنسان إلى جوانب الأرض يؤمن منهم من يؤمن ويكفر من يكفر، ويحسن من يحسن، ويغدر من يغدر. وكانت كل تلك عناصر التاريخ: تاريخ الأحداث، وتاريخ الناس، وتاريخ المواقع، وتاريخ الأزمان وفي كل ذلك تبدو حكمة الله ورحمته في أن نأخذ من التاريخ أعظم معلم وأكبر ملهم. والله تعالى يقول:

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴾

(العنكبوت: ٢٠)

وأمثال هذه الآية كثير في كتاب الله تعالى. ولقد تساءلنا ما هو التاريخ؟

يعني التاريخ بدراسة الزمن فيما يتعلق بالإنسان أما بالنسبة لعلم تحديد الأحداث عبر الزمن فهذا علم التاريخ، والتاريخ هو: دراسة الماضي بالتركيز على الأنشطة الإنسانية وبالمضي حتى الوقت الحاضر، وكل ما يمكن تذكره من الماضي أو تم الحفاظ عليه بصورة ما يعد سجلا تاريخيا. ويركز البعض على طرق بعينها مثل علم التاريخ وبدراسات الديموغرافية (السكانية) ودراسة [illegible] ودراسة [illegible] ودراسات التاريخ الاقتصادي أو دراسة تاريخ مناطق بعينها[2] وعلى الطريقة المعروفة للبث بالذكريات.

والتاريخ اصطلاحا: جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما على الفرد أو المجتمع. كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية. ويعرف محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي[3]

أما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته، ويذهب سيد قطب - رحمه الله - إلى أن التاريخ في المكان والزمان من المللك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة الأحوال[4]

فذلك نستطيع أن نقول مع الشاعر:

نبني كما كانت أوائلنا

تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وأين الشعر والشعراء من قول الله عز وجل

﴿ [illegible] وهدى وموعظة للمتقين ﴾

(آل عمران: ١٣٨)

ولقد مرت كلمة التاريخ بتطورات عديدة في الثقافة العربية فقد بدأت تعني التوقيت ثم توقفت في صدر الإسلام، واختصت بهذا المعنى لفترة. ثم صارت تعني الخبر وهو تسجيل الأحداث على أساس الزمن فتحل كلمة التاريخ تدريجيا محل ما كان يعرف باسم الخبر، وصارت تطلق على عملية

---

(١) صحيح البخاري - بدء الخلق.

(٢) نقلا من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، قسم التاريخ (بتصرف).

(٣) الكافيجي: هو محمد بن سليمان بن سعد الرومي الكافيجي (ت٨٧٩) هـ، له معرفة باللغة والتاريخ والتفسير وعلوم أخرى

(٤) نقلا من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (بتصرف).

التدوين التاريخى، وعلى حفظ الأخبار، بشكل متسلسل، متصل الزمن والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور فى الخبر والعملية الإخبارية منذ منتصف القرن الثانى الهجرى، وفى تعريف السخاوى [5] للتاريخ صبغة ثقافية واجتماعية واضحة فهو يقول:-

«هو التعريف بالوقت الذى تضبط به الأحوال، من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج، وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم فى ابتدائهم وحالهم واستقبالهم»[6].

والتاريخ بعامة يؤخذ أصدق ما يؤخذ من رسالات الله - تعالى - لأنبيائه ورسله، ومما بقى فى أيدى الناس مما عملت فيه أيديهم وأهواءهم، حتى جاء القرآن الكريم بالصواب، الذى لا صواب وراءه وبالحق الذى قامت به السماوات والأرض:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٨٧)

وعلى الذين يعنون بالتاريخ تأصيلاً وتنقية وذكراً للذاكرين، ألا يغلبهم على ذلك هوى أنفس ناكبة عن الرشد ولا انحياز عن جادة الصراط السوى، قبل أن ينكشف الزيف ويظهر الاتباع الأعمى، ولقد ذم الله - تعالى - أقواما فقال

﴿ [illegible] وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾

(النجم ٢٣)

ولقد قيل لبعضهم: ما الحكم فى كذا؟ فقال: لا أدرى، فقال: التلميذ لشيخه فيما استحققت رزق السلطان فقال: «لأقول فيما لا أدرى لا أدرى»!!

وقال بعضهم فى مثل هذا الموقف «أيزرى بى أن أقول لا أدرى ولو كان لأملك بعدد ما لا أدرى بمثلك لاستغنت.

وصدق الذى قال: «لو سكت من لا يعلم لارتفع الخلاف، ورحم الله الذى قال

ومن قال لا أدرى بما لم يدره

فقد اقتدى فى القول بالعلماء

هذا الإمام أبوحنيفة - رضوان الله عليه - يتورع عن مثل الذرة مما خر فيه إلى الأذقان الدخلاء على الفتوى المتفيقهون الذى يدخلون إلى سوق العلم وليس معهم أقل شئ مما يشترون ما يشاؤن، وقد جاء فى كتاب مقالات الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى - رحمه الله - فى مبحث «خطورة التسرع فى الإفتاء» ذكر للإمام سفيان بن سعيد الثورى كثرة المتحدثين فى عصره، فقال «إذا كثر الملاحون غرقت السفينة»[7] والعامة تقول: «المركب اللى فيها ريسين تغرق».

ومرحبا بمن يفهمون سر الله - عز وجل - فى أن جعل اللسان وراء سجنى الأسنان والشفاة حتى لا يتكلم اللسان إلا عن صدق وإيمان، ورحم الله الخليفة الراشد أبا بكر، فقد كان يشير إلى لسانه كثيرا وهو يتكلم فيقول: هذا الذى أوردنى الموارد، فلما لقى ربه راضيا مرضيا رآه العباس - رضى الله عنهما - فى منامه فقال له: أين أوردك لسانك، فقال: قلت به لا إله إلا الله فأوردنى الجنة.

وما أحوج البشرية ومجتمع الإسلام اليوم إلى التاريخ الصحيح ليقرؤه على مكث وحرص على أن يسود الحق ويزهق الباطل.

ولقد ذكر علامة العصر، ومعنى كنانة الله فى أرضه مصر، الدكتور على جمعة فى نصيحته لشباب مصر فى إحدى المؤتمرات: إن الوطن له معنى فى النجاح وله معنى فى البقاء، وله معنى فى قابل الأيام، وإذا أردنا أن نعرف ماذا نعمل غداً فيجب علينا أن نقرأ ما الذى حدث بالأمس، وأن نقرأ التاريخ، وأنه لابد علينا أن نتعلم من خطواتنا الصحيحة ومن أخطائنا التى وقعنا فيها أ. هـ.

وللأستاذ الفاضل الدكتور أحمد عزب - الأستاذ بجامعة حلوان بكلية الآداب - بحث باسم: «مصر فى ضوء منهجية ليبنتز، رؤية فى منطق التكتيك»، أقتبس منه قوله: «كيف لا نتعقل ونتفهم يا بنى وطنى دروس الماضى؟ فلن يحدث هذا قبل قراءة التاريخ أولاً، ثم فهمه ثانيا، ثم تطبيق ما فهمناه وتعلمناه ثالثا، فما بالنا إذا كنا لم نقرأ من الأساس [8] ويردف قائلاً: فالواضح للكافة أن الخطأ الواحد - نفس الخطأ - يتم تكراره عبر ماضينا الطويل، ولذلك فلا مناص من استيعاب حكمة ودروس التاريخ [9]

والله المستعان على أن نأخذ التاريخ نورا وهدى مما أسلفت من كلام الله - عز وجل - وكلام المرسلين وكلام البصراء الحريصين على أن يعم النور وينقشع الظلام، والله حسبنا ونعم الوكيل

(٥) السخاوى شمس الدين أبوالخير محمد بن عبدالرحمن السخاوى المتوفى ٩٠٢هـ

(٦) نقلاً من ويكيبيديا - الموسوعة الحرة (بتصرف)

(٧) [illegible]

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

فتاوى لها تاريخ

المسلم الذي يقضي بغير حكم الإسلام



للإمام [illegible]

ما رأيكم في رجل يحكم في قضية ما حكما غير إسلامي هل يعتبر مرتداً عن الدين؟

السؤال لا يختص بالقاضي

هذا السؤال لا يختص بالقاضي الذي يحكم حكما غير إسلامي، إنما يتناول الحكام المسلمين الذين يأمرون بتقنين أحكام غير إسلامية، والمقننين المسلمين الذين يتولون وضع هذه الأحكام، والمتخاصمين المسلمين الذين يتحاكمون إليها ويرضون بها، بل إن حاجة هؤلاء إلى حكم الإسلام فيهم أشد من حاجة القضاة الذين يحكمون بتلك الأحكام، وخاصة من يكونون منهم في بلد إسلامي، ليس لغيره عليه سلطان في تشريعه وأحكامه.

وقد شاع على ألسنة كثير من المسلمين المتدينين أن القضاة الذين يحكمون بالقانون الوضعي - الذي تخالف أحكامه أحكام الإسلام كفار مرتدون عن الإسلام، معتمدين في ذلك على ظاهر قوله تعالى من سورة المائدة:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(المائدة ٤٤)

ويلزمهم أن يحكموا بكفر المقننين والآمرين بالتقنين، فإن هؤلاء - وإن لم يكونوا يحكمون بها - فقد وضعوها بأنفسهم أو أمروا بوضعها، ولا شك أن واضعيها والآمرين بوضعها تبعتهم أشد من تبعة الحاكمين بها.

الحكم الإسلامي نوعان: قطعي واجتهادي

ومعرفة الجواب الحق لهذا السؤال تجب أن نعلم أولا أن الحكم الإسلامي نوعان:

- حكم نص عليه القرآن أو السنة نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل ولا يقبل الاجتهاد.

ومثاله في الأحوال الشخصية: حرمة المطلقة ثلاث مرات على مطلقها حتى تتزوج غيره.

وفي المدنيات حرمة الأرباح التي استغلت في سبيل الحصول عليها حاجة المضطر المحتاج المستحق للمعونة، وتقسيم الميراث الذي ورد في القرآن.

ومثاله في العقوبات قطع يد السارق الذي تتوفر فيه وفي سرقته شروط العقوبة.

- هذا نوع، والنوع الآخر: حكم لم يرد به قرآن ولا سنة، أو ورد به أحدهما ولكن لم يكن الوارد به قطعاً فيه، بل محتملا له ولغيره، وكان بذلك محلا لاجتهاد الفقهاء والمشرعين، فاجتهدوا فيه، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره. وأكثر الأحكام الإسلامية من هذا النوع الاجتهادي.

في النوع الاجتهادي متسع للقاضي

وإذا علمنا هذا استطعنا أن نقول في الجواب عن السؤال: إن الحكم في النوع الثاني - وهو النوع الاجتهادي - ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الإسلامية فيه ما دام أساسه تحري العدل والمصلحة، لا اتباع الهوى والشهوة، فإن الإسلام لا يمنعه ولا يمقته فضلا عن أن يراه ردة يخرج القاضي به عن الإسلام، ذلك أن الإسلام ليس له في هذا النوع حكم معين، وإنما حكمه هو ما يصل إليه المجتهد باجتهاده المبني على تحري المصلحة والعدل. فمتى وجد العدل والمصلحة فثم شرع الله وحكمه.

متى نحكم بالكفر؟

أما النوع الأول - وهو الحكم القطعي المنصوص عليه في كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة، التي لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال - فإن الحكم بغيره وإن كان مبنيا على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه هو لا يحقق العدل ولا المصلحة، كان ولا شك ردة يخرج به القاضي عن الإسلام.

أما إذا كان القاضي الذي حكم بغيره مؤمنا بحكم الله، وأنه هو العدل والمصلحة دون سواه، ولكنه في بلد غير إسلامي، أو بلد إسلامي مغلوب على أمره في الحكم والتشريع، واضطر أن يحكم بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والإنكار، فإن حكمه في تلك الحالة لا يكون كفراً، إنما يكون معصية، وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمتها.

الواجب على القاضي المسلم

وإذن يجب على القاضي المسلم أن يرد نفسه عن حكمه متى استطاع إلى ذلك سبيلا. وإذا لم يستطع أن يرد نفسه - خوفا من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته - فإن الإسلام يبيح له ذلك، ارتكابا لأخف الضررين، ما دام قلبه مطمئنا إلى حكم الله.

تخريج آية المائدة

أما قوله تعالى

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا [illegible]

[illegible] ﴾

فقد جاء في قوم يملكون أنفسهم وتشريعهم ويعرفون حكم الله ويرفضونه مؤثرين عليه حكم الهوى والشهوة، وفي هؤلاء يقول الله:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٤١)

ويقول

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ [illegible]

[illegible] ﴾

(المائدة ٤٩)

ومن هنا يتبين أن الآية الكريمة وهي

﴿ [illegible]

[illegible] ﴾

ليست في حق كل من حكم حكما غير إسلامي في قضية ما.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

مصافحة الرجل للمرأة

● السؤال من ... : ما حكم مصافحة الرجل للمرأة باليد؟ وهل ذلك ينقض الوضوء؟ وما حكم النظر إلى وجه المرأة؟

●● الجواب: مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية محل خلاف في الفقه الإسلامي، فيرى جمهور العلماء حرمة ذلك، إلا أن الحنفية والحنابلة أجازوا مصافحة العجوز التي لا تشتهى لأمن الفتنة. ومن أدلة الجمهور على التحريم قول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «ما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط» متفق عليه. وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» أخرجه الروياني في مسنده والطبراني في معجمه الكبير.

بينما يرى جماعة من العلماء جواز ذلك، حيث ثبت أن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- صافح النساء بدلاً من النبي ﷺ عن مصافحتهن عند مبايعتهن له، فيكون الامتناع عن المصافحة من خصائص النبي ﷺ. وأن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه صافح عجوزا في خلافته. ولما جاء في البخاري عن النبي ﷺ أنه كان يجعل أم حرام -رضي الله تعالى عنها- تفلي رأسه الشريف، وما أخرجه البخاري أن أبا موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه- جعل امرأة من الأشعريين تفلي رأسه وهو محرم في الحج.

وأجابوا عما استدل به الجمهور بأن حديث معقل بن يسار حديث ضعيف، لضعف راويه شداد بن سعيد، وقد تفرد بهذا اللفظ مرفوعا، ومثله لا يحتمل تفرده لو لم يخالف، وقد خالفه بشير بن عقبة -وهو ثقة من رجال الصحيحين- فأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، من طريق بشير بن عقبة، عن أبي العلاء، عن معقل موقوفا عليه من قوله بلفظ: «لأن يعمد أحدكم إلى مخيط فيغرز به في رأسي أحب إلي من أن تغسل رأسي امرأة ليست مني ذات محرم».

وعليه فيمكن من ابتلي بشيء من هذا أن يقلد من أجاز ذلك من العلماء، والخروج من الخلاف مستحب.

وأما عن انتقاض الوضوء بمصافحة الأجنبية فهو أيضا محل خلاف في الفقه الإسلامي، فبينما يرى الإمام الشافعي أنه ينقض الوضوء ولو كان من غير شهوة، يرى الإمام أبو حنيفة أن اللمس نفسه لا ينقض ولو كان بشهوة، ويفصل الإمام مالك القول في ذلك بين ما إذا كان اللمس بشهوة فينقض أو من غير شهوة فلا ينقض، ويروى في مذهبه أقوال أخرى، وعن الإمام أحمد أيضا روايات بكل هذه الأقوال، وكل له أدلته المبسوطة في كتب الفقه.

والقواعد المقررة شرعا في المسائل الخلافية:

١ - أنه إنما يُنكَر المتفق عليه ولا يُنكر المختلف فيه.

٢ - أن من ابتُلي بشيء من ذلك فليُقلد من أجاز.

٣ - أن الخروج من الخلاف مستحب.

أما نظر الرجل للمرأة الأجنبية فالمعتمد من مذاهب الفقهاء أنه يجوز النظر إلى وجهها وكفيها -وزاد الإمام أبو حنيفة قدميها- من غير شهوة إذا أمنت الفتنة، ويدل على ذلك أن سياق الأمر بغض البصر في الآية ليس كالأمر بحفظ الفرج في إطلاقه، وفي ذلك يقول الزمخشري في «الكشاف» عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

(دخلت «من» في غض البصر دون حفظ الفرج دلالة على أن أمر النظر أوسع، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وسوقهن وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات للبيع، والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين، وأما أمر الفرج فمضيق، وكفاك فرقا: أن أبيح النظر إلا ما استثني منه، وحظر الجماع إلا ما استثني منه) اهـ.

وما سوى الوجه والكفين والقدمين من المرأة الأجنبية فإنه لا يجوز النظر إليه إلا للضرورة وحاجة المعالجة ونحوها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

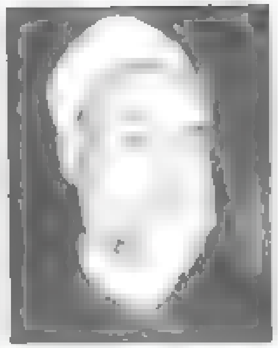
الوفاء بالنذر

● السؤال من ... : نذرت ... نذرا لله ثم توفي في ظروف مأساوية، وأنا أحتاج لثمن النذر حاجة شديدة، فهل يجب علي القيام بوفاء النذر مع احتياجي الشديد إلى ثمنه؟

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية



●● الجواب:

أمر الله -عز وجل- بالوفاء بالنذر، فإذا ما نذر الإنسان شيئًا فقد [illegible] وعليه الوفاء بما نذر [illegible] عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

(الإنسان: ٧)

ولقول سيدنا رسول الله -ﷺ- في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» [illegible] في مقدور الإنسان الوفاء بما نذر، وإلا فلا يجب عليه [illegible] لقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

ولقوله -ﷺ-: «من نذر نذراً لم يسمه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين».

وعلى ذلك [illegible]

والله سبحانه وتعالى أعلم

سفر المرأة للحج

● السؤال من [illegible]

●● الجواب: [illegible] على الرجل [illegible] قريبًا كان أو بعيدًا، وارثًا كان أو غير وارث، من نسب أو رضاع؛ لقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٢٢)

وقال البراء بن عازب: «لقيت خالي ومعه الراية فقلت: أين تريد؟ قال: أرسلني رسول الله -ﷺ- إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن أضرب عنقه -أو: أقتله» رواه النسائي. وفي رواية قال: لقيت عمي الحارث بن عمرو ومعه الراية، فذكر الخبر كذلك. رواه سعيد وغيره.. وسواء في هذا امرأة أبيه أو امرأة جده لأبيه وجده لأمه، قرب أم بعد، وليس في هذا بين أهل العلم خلاف علمناه) اهـ

[illegible] زوجة الأب محرمة على التأبيد، وأن ذلك محل إجماع من العلماء، وعليه فإن الزوج محرم لزوجة أبيه، ويجوز لك السفر معه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الزكاة على شهادات الاستثمار!!

● السؤال من: أ.ب.ج.

كيف تخرج الزكاة على المبالغ المجمدة في شهادات استثمار بالبنوك المصرية والتي تعطي عائدًا شهريًا أو كل ثلاثة أشهر يساعد في تكاليف المعيشة الشهرية ومطالب ضروريات الحياة المعيشة

●● الجواب:

زكاة المال المودع في البنوك على هيئة ودائع أو شهادات تكون بمقدار ربع العشر على المال المودع في البنك أو الذي تم به شراء الشهادات الذي مر عليه حول قمري وعلى المال الذي يمر عليه عام قمري من الأرباح كذلك. وهناك قول آخر لبعض العلماء بجواز إخراج العشر على أي ربح يخرج من هذه الودائع أو الشهادات، دون رأس المال ودون النظر إلى الحول القمري.

ولك أن تأخذ بأي الرأيين شئت.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المال المحجور عليه

● السؤال من: ص.ب.م:

هل في مال المحجور عليه زكاة؟

●● الجواب:

يرى جمهور العلماء أن الزكاة واجبة في مال الصبي القاصر وفي مال السفيه أو المجنون المحجور عليه، وهذا هو الذي عليه الفتوى؛ لأنه حق يتعلق بالمال فلا يسقط بالصغر أو السفه أو الجنون ويخرجها عنهم وليهم. واستندوا في ذلك إلى عموم النصوص من الآيات والأحاديث الصحيحة التي دلت على وجوب الزكاة في المال الذي بلغ نصابًا وحال عليه الحول، كقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ١٠٣)

وكقوله -ﷺ- في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم» رواه مسلم.

والقُصَّر والسفهاء والمجانين تؤخذ منهم الزكاة إذا كانوا أغنياء، فلتؤخذ منهم إن كانوا أغنياء.

كما استدلوا بما رواه الإمام الشافعي عن يوسف بن ماهك أن رسول الله -ﷺ- قال: «ابتغوا في أموال اليتامى؛ لا تستهلكها الصدقة»، وهو مرسل صحيح يعتضد بما سبق من عموم النصوص، وبما يأتي من طرقه وشواهده، وقد صح هذا اللفظ أيضًا موقوفًا على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «اتجروا في أموال اليتامى؛ لا تأكلها الزكاة»، وصححه الحافظ العراقي.

وروى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي -ﷺ-: قال: «من ولي يتيمًا فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة».

ولولا أن الزكاة واجبة في مال القاصر والسفيه والمجنون لما جاز للولي أن يخرجها منه؛ لأنه ليس له أن ينفق ماله أو يتبرع منه في غير واجب، فأمر النبي -ﷺ- بتنمية أموالهم حتى لا تستهلكها الزكاة الواجبة فيها.

وقد صح إيجاب الزكاة في مال الصبي والمجنون عن عمر، وعلي، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبدالله -رضي الله عنهم-، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة إلا رواية ضعيفة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- لا يُحتج بها.

وهذا هو الملائم لتشريع الزكاة في الإسلام من أنها حق في المال يجب لمستحقه كما قال سيدنا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: «فإن الزكاة حق المال». [illegible] والمجنون أهل لوجوب [illegible] في ماله [illegible]

[illegible] القاصر أو المجنون [illegible] وليه في إخراجها [illegible] قائمًا عن [illegible] بلغ هذا [illegible] حول.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يُنسَبُ إلى أبى حنيفة غيرُ مذهبه!!

حول الفتوى الشاذة بإباحة شرب الخمر المصنوع من غير العنب

بقلم: حمد الله حافظ الصفتى

نجد لكثير من متفيهقة هذا العصر ولعًا غريبًا بتبنى الآراء الفقهية المهجورة، والعمل على إحيائها تحت دعوى التيسير، وباسم تحقيق المصلحة ورعاية المقاصد الكلية للشريعة، متناسين أن الشريعة كما هى مقاصد وكليات فهى أيضًا أحكام مستقرة ومحرزة، جرى عليها عمل الأمة شرقًا وغربًا، ولعل السبب فى هذا الفهم العجيب ما دبَّ على البيئة العلمية التى نشأ بها هؤلاء المتفيهقة من عدم انضباط بما أصله الأئمة السابقون من مناهج الفهم وقواعد الاستنباط وطرق التعامل مع أحكام الشريعة الغراء.

وهؤلاء وأمثالهم أحرار، يرون ما يشاءون تحت مسئولياتهم الأدبية، وجمهور الناس أيضًا أحرار فى مناقشة تلك الآراء، أو الاكتفاء بتسجيلها بأسماء أصحابها، لتكون مثالاً واضحًا أمام الأجيال اللاحقة على مدى الشذوذ الفقهى الذى وصل إليه هؤلاء. لكن إذا جاوز الأمر هذا الحدَّ فصدر عن أستاذ فى جامعة الأزهر، بحيث يعزو لإمام من أئمة المسلمين غير مذهبه بدون سند أو حجة، فلا بُدَّ حينئذ من وقفة نطالب فيها هذا الأستاذ - على الأقل - بتصحيح ما قال.

وقد شاهدتُ لقاءً لفضيلة الأستاذ الدكتور سعد الدين الهلالى فى برنامج (القاهرة اليوم) على قناة (أوربت)، خلط فيه وخبط، وأتى بما يُعدُّ من قبيل الشطط، حيث طالب العوام بممارسة الاجتهاد، والتحرز على الفتوى. وغير تعريف الأصوليين للمباح. واعتبر الهرج والمرج فى الفتوى من مظاهر الحرية فى الإسلام، إلى آخر ما ذكره هناك من ترهات.

غير أنه أتى بطامة كبرى حين أباح للناس مطلقًا شرب الخمر المتخذ من غير العنب طالما لم يصل شاربه لحالة السُّكْر، مدعيًا أن هذا مذهب الإمام أبى حنيفة - رضى الله عنه، حيث قال فضيلته هناك:

إن قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة ٩٠).

نزلت فى الخمر العنبية. وأما الخمر غير العنبية المتخذة من التمر أو الشعير أو غيرهما، كالبيرة وغيرها. فقد خرج عن كونه خمرًا من العنب، والإمام أبو حنيفة - رضى الله عنه - يقول: إن الحرام منه هو القدر المسكر، أما القدر غير المسكر فلا، وهذا علم بغض النظر عن قبول الناس له أو لا، فالبيرة ليست متخذة من العنب، ولكن من الشعير، وهذا الشراب كثيره مسكر، فيكون قليله حرامًا عند الجمهور، أما أبو حنيفة فيرى أن القدر المسكر منه فقط هو الحرام، وهذه وجهة نظر أبى حنيفة، وليست مسألة خفية، بل هى من الأمهات المعروفة، وهذه الأحكام يجب أن تطرق وتُعرف). هذا هو نص كلام الأستاذ، بعد تحويله للفصحى، وواضح من سياق الحديث أنه يقصد مذهب الإمام أبى حنيفة، لا مجرد قوله.

وهذا الذى يعزوه الأستاذ إلى الإمام أبى حنيفة - رضى الله عنه - أشنع مما يُعزى إلى مجَّان أصحاب الكلام فى كتب الفقه فى هذه المسألة، وطوبى للأستاذ فقد أدخل السرور بفتواه على شاربى الويسكى والفودكا والتيكيلا، وغيرها مما لا يتخذ من العنب، ولله فى خلقه شئون.

اختلاف الفقهاء فى معنى الخمر

والواقع أن الإمام الأعظم لا يقول بهذا الكلام على إطلاقه كما أوهم الأستاذ الناس، وإنما حاصل الأمر أن الفقهاء اختلفوا فى الخمر المحرَّمة: هل هى ما يصنع من العنب فقط، أم تشمل سائر المسكرات؟ فذهب الجمهور منهم مالك ومحمد بن الحسن والشافعى وأحمد إلى أن الخمر تطلق على كل مسكر، سواء اتُّخذ من العنب أو من غيره [1]، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: (كل مسكر خمر) [2]، وبقوله: (إن من الحنطة خمرًا، وإن من الشعير خمرًا، وإن من التمر خمرًا، وإن من الزبيب خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وأنا أنهى عن كل مسكر) [3].

---

(١) [illegible]

(٢) النيسابورى (مسلم بن الحجاج)، الجامع الصحيح، [illegible] كل مسكر خمر وكل خمر حرام، [illegible]

(٣) الشيبانى (أحمد بن حنبل)، المسند، ج٤، القاهرة، مؤسسة قرطبة، [illegible] عيسى)، الجامع الصحيح، ج٤، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربى، د. ت، [illegible]

وذهب فقهاء العراق منهم أبو حنيفة وأبو يوسف إلى أن الخمر حقيقةً لا تطلق إلا على ما اتُّخذ من العنب [4]، بدليل قوله تعالى:

﴿[illegible] أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾

(يوسف: ٣٦) [illegible]

وقوله ﷺ: (الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة) [5]، وأن إطلاق الخمر على ما سواه - كما في الأحاديث التي استدل بها الجمهور - على سبيل المجاز لا الحقيقة.

تحرير قول الأئمة [illegible]

واتفق الفقهاء على أن الخمر الحقيقية يحرم قليلُها وكثيرُها، ثم اختلفوا في المجازية، فذهب الجمهور إلى حرمة قليلها وكثيرها كذلك، لقوله ﷺ: (ما أسكر كثيره فقليله حرام) [6].

بينما ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف إلى الترخيص في قليلها غير المسكر، إذا شُرب للتَّقوِّي لا للتلهي والطرب، واستدلوا على ذلك بقول ابن عباس رضي الله عنهما: (حُرِّمت الخمرُ بعينها والسُّكْرُ من كل شراب) [7]، وبأن جمعًا من أصحاب رسول الله ﷺ شربوا النبيذ المتَّخذ من غير العنب، منهم عمر وعلي وابن مسعود [8]، وقد ذكر أدلتهم ابن عبد ربه الأندلسي في الجزء الأخير من (العقد الفريد) [9]؛ وهي مما ينقذهم من موقف المخالفة للأدلة الصريحة، مع ما تقرَّر من عُذر المجتهد إذا جانبه الصواب، فقول الإمام بجواز ذلك مشروط بكونه للتقوي لا للهو، كما يفعله الفسقة، فإن كان للتلهي حرم قليله وكثيره باتفاق.

قال في الدر المختار: (والحلال منها أربعة أنواع: الأول: نبيذ التمر والزبيب إن طبخ أدنى طبخة، يحل شربه وإن اشتد، وهذا إذا شرب منه بلا لهو وطرب، فلو شرب للهو فقليله وكثيره حرام). اهـ

(4) ابن عابدين (محمد أمين): رد المحتار على الدر المختار، ج ١٠، مصدر [illegible]

(5) النيسابوري (مسلم بن الحجاج): الجامع الصحيح، ج ٣، مصدر [illegible]

[illegible]

[illegible]

(7) الطبراني (سليمان بن أحمد): المعجم الكبير [illegible] رقم (١٢٤١٩)، والنسائي [illegible] باب شراب المسكر ص ٢٣٣ رقم (٥٦٩٤)، وغيرهما.

(8) بسط ذكر ما جاء في ذلك من الأحاديث والآثار الحافظ [illegible]

(9) ص ٣٦، وما بعدها.

قال ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار: (قال في الدرر: وهذا التقييد غير مختص بهذه الأشربة، بل إذا شرب الماء وغيره من المباحات بلهو وطرب على هيئة الفسقة حرم، قلت: وكان ينبغي للمصنف أن يذكر التقييد بعدم اللَّهو والطرب وعدم السُّكْر بعد الرابع؛ ليكون قيدًا للكل) [10]. اهـ

وفي القُهُسْتاني: (فإن قصد به استمراء الطعام، والتَّقوي في الليالي على القيام، أو في الأيام على الصيام، أو القتال لأعداء الإسلام، أو التداوي لدفع الآلام، فهو الحِلُّ للخلاف بين علماء الأنام). اهـ

وفي الدر المختار كذلك: (والكل حرام عند محمد، وبه يفتى، والخلاف إنما هو عند قصد التقوِّي، أما عند قصد التلهِّي فحرام إجماعًا). اهـ

قال ابن عابدين في الحاشية: (قال في المعراج: سئل أبو حفص الكبير عنه، فقال: لا يحل، فقيل له: خالفت أبا حنيفة وأبا يوسف! فقال: إنهما يحلانه للاستمراء، والناس في زماننا يشربون للفجور والتلهي، وعن أبي يوسف: لو أراد السكر فقليله وكثيره حرام، وقعوده لذلك حرام، ومشيه إليه حرام) [11]. اهـ

وفي كتب الفقه المبسوطة والمختصرة نصوص كثيرة تبين أن قول الإمام هو هذا - أي: بشرط عدم السكر، وعدم الشرب للهو والطرب - وكلها متوفرة بين أيدي القراء، فلا نطيل بسرد ما جاء فيها.

معنى الشرب للتقوي:

وهذا المعنى يتصوَّر في مشروب به نسبة قليلة من الكحول مثلاً - وهو شراب كثيره مسكر - لكن هذه النسبة غير مسكرة، كما هو الحال في بعض الأدوية؛ فشارب هذا المحلول المحتوي على الكحول هو عند الجمهور شارب لشراب كثيره مسكر فقليله حرام - وهذا بحكم الأصل - وقد يفتي البعض بجواز ذلك للضرورة أو الحاجة على تفصيلات - أما عند الإمام أبي حنيفة فهو شارب لشراب مصنوع من غير العنب، فيحرم الكثير المسكر منه فقط، بينما يجوز شرب قليله ما لم يسكر؛ لأن هذا القليل شرب لا على سبيل اللعب والتلهي، بل لغرض مقصود غير لعب.

فالشرط عند الإمام - كما قدمنا - ألا يكون الشرب للتلهي والطرب، بل يكون لغرض كالتغذي أو فائدة ما، بأن يحتوي على فيتامين أو دواء أو غيرها، أو يكون منشطًا مغذيًا، وهذا موجود في بعض مشروبات الطاقة، التي تكون الكيماويات

(10) ابن عابدين (محمد أمين): رد المحتار على الدر المختار، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٣٣.

(11) ابن عابدين (محمد أمين): رد المحتار على الدر المختار، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٣٨.

المصنوع منها مذابة في مادة كحولية قليلة، لا يسكر منها الشارب، ولا تشرب على سبيل اللعب واللهو والتشبه بأهل الفسق، فضلا عن أن تشرب لقصد السكر، فقد تكون النسبة قليلة كـ ٥ ٪ مثلا أو ١

أما إذا زادت النسبة على ٤ ٪ مثلا فتسكر غالبا؛ إذ نسبة الكحول الموجودة في زجاجة البيرة غالبا ٤ ٪، وقد تزيد وقد تنقص، وكثير من الناس قد يسكرون بشرب زجاجة واحدة فقط من البيرة - كما هو مشاهد - فضلا عن شرب كاس من الويسكي أو التكيلا أو الفودكا أو الرم، التي نسبة الكحول فيها تتراوح بين ٣٠ : ٦٠ ٪.

فلخص أن الخلاف - بين الإمام والجمهور - في شراب به نوع من أنواع السائل المسكر من غير العنب والتمر، مع عدم شربه على وجه اللعب واللهو أو التشبه بشاربي الخمر والفساق، بل للتقوى والتغذية، كما مثّل بشراب فيه نسبة كحول غير مسكرة مذاب فيه بعض الأدوية أو الكيماويات المغذية، فهذا هو الذي أباح الإمام شربه، لا سواه.

مذهب الحنفية

ما أسكر كثيره فقليله حرام

على أن الفتوى في مذهب الحنفية ليست على هذا القول، بل هي على قول الإمام محمد بن الحسن، وهو موافق للجمهور فيما ذهبوا إليه؛ لقوة الأدلة في جانبهم، ولأن الشروط التي قال بها الإمام لا يوجد مقدمها في هذا الزمان

قال في الدرّ المختار: (وحرّمها محمد)، أي الأشربة المتخذة من العسل والتين ونحوهما (مطلقا) قليلها وكثيرها، (وبه يفتى) ذكره الزيلعي وغيره، واختاره شارح الوهبانية) اهـ

قال ابن عابدين في الحاشية: (وبه يفتى)، أي بقول محمد، وهو قول الأئمة الثلاثة ... قوله: (الزيلعي وغيره)، كصاحب الملتقى والمواهب والكفاية والنهاية والمعراج وشرح المجمع وشرح درر البحار والقهستاني والعيني، حيث قالوا الفتوى في زماننا بقول محمد، لغلبة الفساد. وعلل بعضهم بقوله لأن الفساق يجتمعون على هذه الأشربة ويقصدون اللّهو والسُّكْر بشربها، أقول الظاهر أن مرادهم التحريم مطلقا وسد الباب بالكلية، وإلا فالحرمة عند قصد اللّهو ليست محل الخلاف، بل متفق عليها كما مر ويأتي) [12]. اهـ.

إلى غير ذلك من نصوص، تعتبر الفتوى معها بقول الإمام تقديما للمرجوح وإفتاء بالضعيف غير المعتمد في المذهب، وهو ما لا يقبله عالم، فضلا عن عالم ورع، ولعل الأستاذ لا يذكر ما قرّره أهل العلم في هذا الشأن؛ فلنذكّره به، والله المستعان

الفتوى بغير الراجح شذوذ ومخالفة للإجماع:

قال الإمام ابن الصلاح: (اعلم أن من يكتفي بأن يكون في فتواه أو عمله موافقا لقول أو وجه في المسألة ويعمل بما يشاء من الأقوال أو الوجوه من غير نظر في الترجيح ولا تقيد به فقد جهل وخرق الإجماع) [13].

وسئل العلامة ابن حجر الهيتمي - رحمه الله تعالى: هل يجوز العمل والإفتاء والحكم بأحد القولين أو الوجهين وإن لم يكن راجحا، سواء المقلد البحت والمجتهد في الفتوى وغيره؟ فأجاب بقوله في (زوائد الروضة) إنه لا يجوز للمفتي والعامل أن يفتي أو يعمل بما شاء من القولين أو الوجهين من غير نظر. قال: وهذا لا خلاف فيه، وسبقه إلى حكاية الإجماع فيهما: ابن الصلاح والباجي من المالكية) [14]. اهـ.

وقال العلامة قاسم بن قطلوبغا: (إني رأيت من عمل في مذهب أئمتنا رضي الله عنهم بالتشهي، حتى سمعت من لفظ بعض القضاة: هل ثَمّ حجْر؟ فقلت: نعم، اتباع الهوى حرام، والمرجوح في مقابلة الراجح كالعدم، والترجيح بغير مرجّح في المتقابلات ممنوع) [15]. اهـ

وقال الإمام ابن عابدين: (اعلم أن الواجب على من أراد أن يعمل لنفسه أو يفتي غيره أن يتبع القول الذي رجحه علماء مذهبه، فلا يجوز له العمل أو الإفتاء بالمرجوح إلا في بعض المواضع. وقد نقلوا الإجماع على ذلك) [16]. اهـ

والحاصل أن الإمام أبا حنيفة - رضي الله عنه - لا يقول بحلّ ذلك على إطلاقه، وإنما بشرط شربه للتقوّي لا للّهو والطرب. وهو شرط لا يوجد مقدمه في هذا الزمان، ثم الفتوى في مذهبه ليست على قوله، وإنما على قول محمد الموافق لمذهب الجمهور، فما كان ينبغي للأستاذ أن يتحدث بهذا الأمر أصلاً على مرأى ومسمع من العوام لو صح ما نقله عن الإمام، فكيف به وقد بدّله وغيّره، وقد قام كثير من الأزهريين الأفاضل بإنكار ما أفتى به، فزادهم الله - تعالى - عزة على دينه، وألهمنا جميعًا رشدنا، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(12) ابن عابدين (محمد أمين) رد المحتار على الدر المختار، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٣٦

(13) ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن) أدب المفتي والمستفتي، ج ١ [illegible]

(14) ابن حجر الهيتمي (أحمد بن محمد) الفتاوى الفقهية الكبرى، ج [illegible]

(15) قاسم بن قطلوبغا، التصحيح والترجيح على مختصر القدوري [illegible]

(16) ابن عابدين (محمد أمين)، شرح عقود رسم المفتي، ضمن رسائل ابن عابدين [illegible]

طرائف.. ومواقف

عظني

عندما ولي عمر بن عبدالعزيز، خامس الخلفاء الراشدين، الخلافة، دخل عليه السدي - إسماعيل بن عبدالرحمن - وكان من خاصته، ودار بينهما حوار بدأه عمر، فقال: أسرك ما وليت أم ساءك؟ قال السدي: سرني للناس، وساءني لك.. قال عمر: أخاف أن أكون قد أوبقت نفسي. قال السدي: ما أحسن حالك إن كنت تخاف. فقال عمر: عظني، فقال السدي: أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة.

غاية الفخر

دخل الحسين بن علي - رضي الله عنهما - على يزيد بن معاوية يوماً، فجعل يزيد يفتخر ويقول: نحن كذا وكذا، ومنا من الفخر كذا وكذا، ولنا من الشرف كذا وكذا، والحسين ساكت لا يرد. فحان وقت الصلاة، وأذن المؤذن. فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله. قال الحسين: أحد من هذا يا يزيد؟! فخجل يزيد ولم يرد جواباً.

حوار بين الحق والباطل

تمشى الباطل يوماً مع الحق

فقال الباطل: أنا أعلا منك رأساً

قال الحق: أنا أثبت منك قدماً

قال الباطل: أنا أقوى منك

قال الحق: أنا أبقى منك

قال الباطل: أنا مع الأقوياء والمترفين

قال الحق ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

(الأنعام ١٢٣)

قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن

فقال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.

حسن التفرس

قال أبو السعيد الخراز: رأيت في الحرم رجلاً فقيراً، ليس عليه إلا ما يستر عورته، فأنفت نفسي، فتفرس فيّ وقال:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾

(البقرة ٢٣٥)

فندمت على ذلك واستغفرت الله في نفسي، فقال:

(الشورى ٢٥)

ما أكفر الإنسان!!

اقتبس بعض الأدباء من قوله تعالى

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾

(عبس ١٧)

هذين البيتين

يتمنى المرء في الصيف الشتا
فإذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد
قتل الإنسان ما أكفره

المأمون.. والخادم

نادى المأمون يا خادم، فلم يجبه، ثم نادى ثانياً، وصاح: يا غلام!

فدخل غلام تركي يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟

كلما خرجت من عندك تصيح: يا غلام، يا غلام!!

فنكس المأمون رأسه، فما شك أحد أنه سيأمر بضرب عنق الغلام، ولكنه قال: إن الرجل إذا حسنت أخلاقه، ساءت أخلاق خدمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه، ولا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا.

سيدنا عمر والشورى

لحافظ إبراهيم

يا رافعاً راية الشورى وحارسها
جزاك ربك خيراً عن محبيها
وما استبد برأي في حكومته
إن الحكومة تغري مستبديها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

اختبار جارية

عرض على المتوكل جارية، فقيل له: إنها فصيحة شاعرة، فأراد أن يختبرها، وكان أبو العيناء الضرير جالساً عنده، فطلب منه اختبارها، فقال لها: أجيزي أحمد الله كثيراً

فقالت: حيث أنشاك ضريراً

فقال: اشترها يا أمير المؤمنين، فقد أحسنت في إساءتها.

اعط سيبويه كسرة

● وقف بعض الفقراء على باب «نحوي» فقرعه، فقال النحوي: من بالباب؟

●● فقال: سائل

● فقال: ينصرف

●● فقال: اسمي «أحمد»

● فقال النحوي لغلامه: أعط سيبويه كسرة

دعاء

اللهم لا ترزقني رزقاً يطغيني، ولا تبتليني بفقر ينسيني، وأعطني في الآخرة حظاً وافراً، وفي الدنيا معاشاً واسعاً

تكنولوجيا التصوير الضوئى من الغرفة المظلمة إلى كاميرا الفمتو

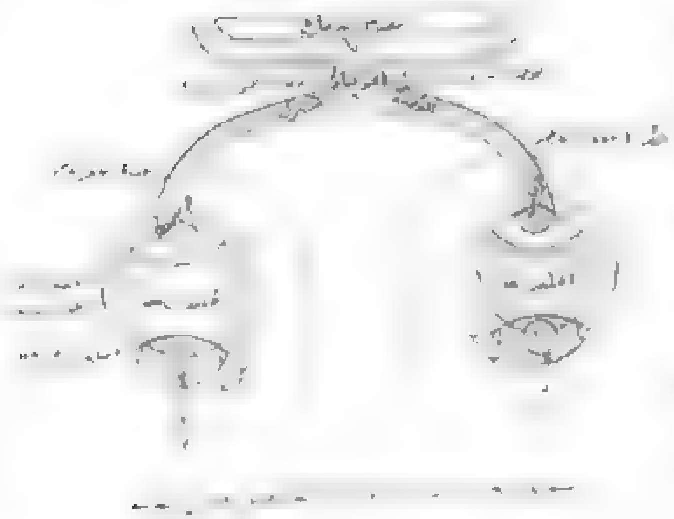


الة التصوير الضوئى (الكاميرا) تشبه العين من حيث إن كلا منهما تعتمد بصورة أساسية على عدسة لتكوين صور حقيقية لجسم على سطح حساس للضوء، وتزود آلات التصوير الحديثة بادوات خاصة لضمان الحصول على صور واضحة محددة المعالم، كما يمكن استخدام عدسات خاصة لتصوير مجال اكثر اتساعا، او لالتقاط صور اجسام بعيدة (تليفوتو Telephoto). وقد كانت فكرة الحسن بن الهيثم فى القرن العاشر الميلادى اول الغيث المنهمر فى تقنية التصوير الضوئى التى أدت، بعد اكتشاف الليزر، الى تطوير كاميرا الفمتو على يد احمد زويل مع بدايات القرن الحادى والعشرين.

فى البدء كانت الغرفة المظلمة لابن الهيثم

كان الحسن بن الهيثم أول من استعمل (الغرفة المظلمة) Camera obscure، أو (الكاميرا ذات الثقب) Pinhole camera، فى التجارب الضوئية وقارنها بوظيفة العين فى الإبصار. وقد برهن ابن الهيثم فى كتابه (المناظر) بتجربة الغرفة المظلمة على خاصية انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة بقوله: «إذا كان فى موضع واحد عدَّة سُرُج فى أمكنة متفرقة، وكانت جميعها مقابلة لثقب واحد، وكان ذلك الثقب ينفذ إلى مكان مظلم، وكان مقابل ذلك الثقب فى المكان المظلم جدار، فإن أضواء تلك السرج تظهر على ذلك الجدار متفرقة وبعدد تلك السرج، وكل واحد منها مقابل واحد من السُّرج على السمت (الخط) المستقيم الذى يمر بالثقب، وإذا ستر واحد من السرج بطل من الأضواء التى فى الموضع المظلم الضوء الذى كان يقابل ذلك السراج فقط، وإن رفع الساتر عن السراج عاد ذلك الضوء إلى مكانه».

وأوضح ابن الهيثم أن (الضابط) لوضوح الصورة على الجدار هو اتساع الثقب الذى يجب أن يكون وسطا بين الضيق الشديد والسعة الزائدة. وفى تفسيره لعملية الإبصار، ومقارنتها بتجربة الغرفة المظلمة، ذكر أن كل نقطة فى الجسم المرئى تتمثل بنقطة مماثلة على الصورة فى داخل العين، وتظل تلك العلاقة سارية حتى ينتقل الحسّ البصرى إلى منطقة الاستشعار (الإدراك) النهائى فى الدماغ.





ويعلق مؤرخ طب العيون اهيرشبرغ على هذا الشرح بقوله: لم أستطع أن أجد عبارة تشير إلى أن أحدا من الناس قد سبق ابن الهيثم أو ماثله فى هذا الشرح الواضح لعملية الإبصار.

وفى عام ١٥٨٩م - أى بعد ابن الهيثم بأكثر من خمسة قرون نشر الفيلسوف الإيطالى «ديلا بورتا» Della Porta من مدينة نابولى كتابا أسماه «السحر الطبيعى» Magic Naturalis، كان كشكولا حاويا موضوعات عديدة فى فروع مختلفة من العلوم وذكر فيه إمكان الحصول على صور مقلوبة للمرئيات بواسطة ثقب صغير فى حائل، فعدَّه بعض المؤرخين لأجل ذلك - دون سند تاريخى - مخترع «الخزانة المظلمة ذات الثقب»، كذلك كان ليوناردو دافنشى قد وصف فى مذكراته ما أسماه «الصندوق المعتم». لكن الراهب الألمانى «جوهان تزاس» J.Zahn هو الذى أدخل بعد ذلك أول تعديل على الغرفة المظلمة ذات الثقب، حيث ركّب على فتحتها عدسة لامة ساعدت على استضاءة الصورة ووضوح معالمها على الحائل.

أفلام التصوير الضوئى

تتكون الصور الضوئية نتيجة لانطباعها على شريحة أو طبقة من مادة حساسة للضوء، ولم يتحقق ذلك إلا فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى عندما نجح «نيسفور نيبس» Nicephore Niépce، بالاشتراك مع لويس داجير Daguerre [illegible] فى استخدام مواد كيميائية حساسة للضوء، وسبقا بذلك إلى استخدام الغرفة المظلمة فى تجارب تهدف إلى التسجيل الضوئى الكيميائى للصور وتثبيتها بأملاح خاصة، وأعلن فى عام ١٨٣٩م عن اختراع أول طريقة عملية للتصوير الضوئى عرفت باسم «النموذج داجير» Daguerre type. فى هذه الطريقة تمّ تغطية لوح نحاسى بالفضة، ثم عولج سطح اللوح ليكون حساسا للضوء، واستخدم بخار الزئبق لاظهار الصورة [illegible] محلول مركز من ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) [illegible] العلمى الفرنسى [illegible] الطريقة إلى [illegible] وعلى [illegible]

gon أن الاختراع لن يعامل معاملة الأسرار، بل سيقدمه فرنسا هبة منها للعالم كله

ورغم أن أنموذج داجير كان ثورة تقنية في عالم التصوير الضوئي آنداك، إلا أن مشكلتين أساسيتين أعاقتا انتشاره إحداهما كانت الكلفة المرتفعة، والثانية عدم إمكانية تكبير الصورة أو طبع نسخ منها. وفي نفس العام الذي نجح فيه اختراع داجير ظهرت في إنجلترا تقنية التصوير الضوئي التي كتب لها النجاح النهائي على يد وليم هنري فوكس تالبوت W.H.F Talbot وحصل على براءة اختراعه عام ١٨٤١م، وعرف نموذجه باسم كالوتيب Calo type وتتلخص هذه التقنية في مرحلتين هما: الصورة السالبة (نيجاتيف)؛ ثم الصورة الموجبة، وكانت الصورة السالبة تتم على الورق، ثم تطبع على ورقة أخرى حساسة للضوء بتسليط أشعة الشمس على الصورة السالبة الموضوعة فوقها. وكان تالبوت يستعين بمحلول هيبوكبريتات الصوديوم لتثبيت الصورة، استجابة لنصيحة قدمها إليه العالم الفلكي المعروف السير جون هيرشل Sir John Herschel.

ولم يبدأ التصوير الفوتوغرافي في التطور السريع إلا منذ عام ١٨٤٨م عندما فكر نيبس دي سان فيكتور Niepce de St. Victor في استخدام لوحات زجاجية بدلا من الورق لصناعة الصورة السالبة، ثم تلا ذلك مراحل من التطور في صناعة الأفلام الجيلاتينية إلى أن تمكن الانجليزيان ريتشارد ليتش مادوكس R.L. Maddox وجوزيف سوان J.W. Swan في عام ١٨٧١م من اختراع لوح جاف حساس عليه طبقة من بروميد الفضة تثبتها مادة جيلاتينية غليظة القوام. وكان هذا الاختراع خطوة حاسمة في التغلب على العقبة الأساسية التي وقفت في طريق التصوير الفوتوغرافي. وكانت الميزة العظمى التي امتازت بها الألواح الجافة هي تخليصها المصورين الذين يريدون التقاط صور في الخلاء من الغرفة المظلمة المتنقلة التي كان ينبغي عليهم حملها معهم لكي يعدّوا لكل لقطة لوحها

آلات التصوير التلقائية

تحول التصوير في عام ١٨٨٤م إلى تقنية أكثر بساطة وسهولة عندما استخدم الأمريكي (جورج ايستمان) G. Eastman مادة صناعية لدنة تسمى السيللولويد Celluloid، بدلا من اللوح الزجاجي، بعد أن كساها بطبقة حساسة للضوء. وتتابعت التحسينات على آلة التصوير، فصنع إيستمان أول آلة تصوير للهواة عرفت باسم الكاميرا الصندوقية Box Camera، لها عدسة ثابتة البؤرة ومغلق (مصراع) Shutter ذو سرعة وحيدة، وأطلق عليها اسم كوداك Kodak وبمرور الوقت تطورت أنواع الكاميرات الآلية، وشهد النصف الأول من القرن العشرين نماذجا عديدة منها، مثال ذلك: الكاميرا الصندوقية (براوني Brownie) (١٩٠٠م)، الكاميرا لايكا Leica (١٩٢٥م)، الكاميرا (أرجوس) Argus (١٩٣٦م)، بولارويد لاند Polaroid Land (١٩٥٥م)

وفي آلات التصوير الأكثر تقدما يمكن تغيير الفتحة وزمن التعريض ليتناسبا مع كل من ظروف الإضاءة وحركة الجسم (إن وجدت)، أو كليهما معا. ومن الواضح أن السرعات العالية للمغلق (المصراع) تتيح التقاط صور واضحة للأجسام المتحركة بسرعة، وحيث إن المغلق لابد أن يظل مفتوحا لفترة كافية تسمح بقدر مناسب من الضوء أن يسقط على الفيلم، فإن سرعات المغلق العالية تستوجب أن تكون العدسة كبيرة لكي تمر كمية كبيرة من الضوء خلال زمن قصير جدا إلى داخل الكاميرا.

ويوجد بآلات التصوير الحديثة نظام معقد جدا للعدسات، بدلا من عدسة مفردة أو مزدوجة. ودرجة التعقيد هذه ضرورية إذا أردنا للكاميرا أن تلتقط صورا واضحة وبسرعات عالية للمغلق. ويتم تصميم مجموعة عدسات الكاميرا الحديثة ذات الأداء المرتفع عن طريق حسابات معقدة باستخدام الحاسوب.

من ناحية أخرى، شهدت آلات التصوير الرقمية Digital cameras تطورا كبيرا خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وفيها تستخدم العدسة والفتحة المتغيرة لتركيز الضوء على لاقط إلكتروني للصورة، بدلا من الفيلم الكيميائي في (الكاميرات الفيلمية) Film Cameras كما تتميز (الكاميرات الرقمية) Digital cameras بأنها تظهر الصور على الشاشة في الحال بعد تسجيلها، ويمكنها تخزين آلاف الصور، واستعادتها أو نشرها حسب الطلب. ويحظى هذا النوع من التصوير التلقائي بتطبيقات عديدة في مجالات متنوعة.

التصوير الضوئي الملون

يمكن تصنيف الطرق المختلفة للتصوير الضوئي الملون إلى مجموعتين رئيسيتين مختلفتين في التفاصيل: إحداهما تسمى (الطريقة الجمعية) والأخرى تسمى (الطريقة الاستخلاصية)، وكلتاهما توفران الحصول على صور بالألوان الأولية الثلاثة. وتولد عند اتحادها الصورة الملونة المطلوبة. وتختلف العمليات المتنوعة مثلا في أنه قد يجري تصوير الجسم ثلاث مرات على التتابع بثلاثة ألوان مختلفة، أو بتعريض الأفلام الثلاثة معا في آلة تصوير خاصة مزودة بجملة عدسات ومرايا لتحقيق ذلك. أو باستعمال فيلم واحد مزود بثلاث طبقات متراكبة من المستحلب، كل منها حساسة للون معين مختلف

وتحتوي طبقات المستحلب على مواد كيميائية تكوّن عند تعريضها للضوء صبغات متدرجة طبقا لكمية الضوء. وقد طور الدكتور أدوين لاند E. Land في عام ١٩٦٣م طريقة جديدة للتصوير الملون تبدأ بالصورة السالبة وتنتهي بالصورة الموجبة خلال دقيقة واحدة فقط، وفيها يغطى الفيلم بثلاث طبقات حساسة للضوء الموجب



تحتوى على بلورات هالوجينات الفضة وثلاث طبقات تحتوى على الصبغات والمظهرات وطبقتين وسيطتين، وتجمع جزيئات الصورة السالبة المواد الكيميائية الحساسة للألوان والمواد اللازمة للتحميض. أما الصورة الموجبة فتتكون من ثلاث طبقات [illegible] فلوية تولد فى المرحلة الأخيرة قبل انتهاء [illegible] اللازمة لعمل الصورة

لقطات فوتوغرافية تاريخية

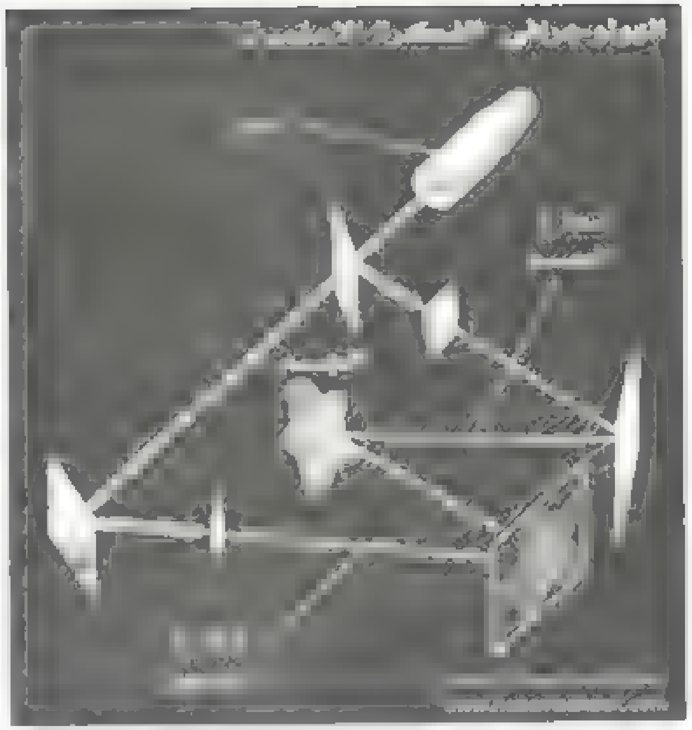
فى عام ١٨٧٢م طلب محافظ كاليفورنيا من المصور الفوتوغرافى الإنجليزى (إدوارد مويبردج E. Muybridge) أن يعينه على حسم موضوع تراهن بشأنه مع نفر من أصدقائه وهو معرفة ما إذا كان يرفع الحصان حوافره الأربعة معا عن الأرض عندما يركض أم لا فوضع المصور على مضمار حلبة السباق ٢٤ آلة تصوير الواحدة بجوار الأخرى، وربط فتحاتها بخيوط حتى يتمكن من تشغيلها الواحدة تلو الأخرى أثناء جرى الحصان أمامها. وكلفت التجربة المحافظ كثيرا، ولكنه ربح الرهان إذ بينت الصور أن الحصان الراكض يرفع حوافره الأربعة جميعا عن الأرض لمدة جزء صغير جدا من الثانية فى كل ركضة. ونشر مويبردج الصور الفوتوغرافية التى التقطها للحصان فى كتاب بعنوان (الحصان فى حالة حركة) أثار الاهتمام فى كل الأوساط المهتمة بصور الحركة.

[illegible] اللقطات الفوتوغرافية فى تاريخ التصوير: هى تلك التى [illegible] الأخرى من القمر ونقلت إلى الأرض لاسلكيا من المركبة الفضائية الونيك فى أكتوبر من عام ١٩٥٩م. وكانت هذه المركبة الفضائية تحمل آلة تصوير بعدستين، ومعدات للتحميض والتثبيت، وصماما مهبطيا صغيرا جدا، وعديدا من الأجهزة الإلكترونية مثل كاشفة الصور، ومعدات التحكم التلقائى، وقياس الزمن، وجهاز [illegible] على بعد ٦٥٠٠٠ كيلومتر من القمر، وتم تصوير الفيلم كله فى أربعين دقيقة أثناء إيقاف المركبة الدوارة بواسطة دواميات موجهه بفعل الحاسوب، ثم انتقلت إلى الأرض حيث تناولها جهاز استقبال لاسلكى خاص وترجمها إلى صور مرئية

التصوير المجسم بالليزر (الضوء المركز)

التصوير المجسم هو الذى يظهر الأجسام بحالتها الطبيعية فى الفراغ ثلاثى الأبعاد، وهو عبارة عن [illegible] على الفيلم بطريقة تختلف عن الطرق [illegible]

[illegible] لذلك لا يمكن تسجيل أبعاد العمق



[illegible] لا يمكن [illegible]

[illegible] فى طريقة [illegible] بالليزر (أو الهولوجرافى [illegible]), فإن تفاصيل المنظور يتم إضاءتها بالضوء الليزرى، حيث يتم احتواء تفاصيل التموجات [illegible] للجسم [illegible]

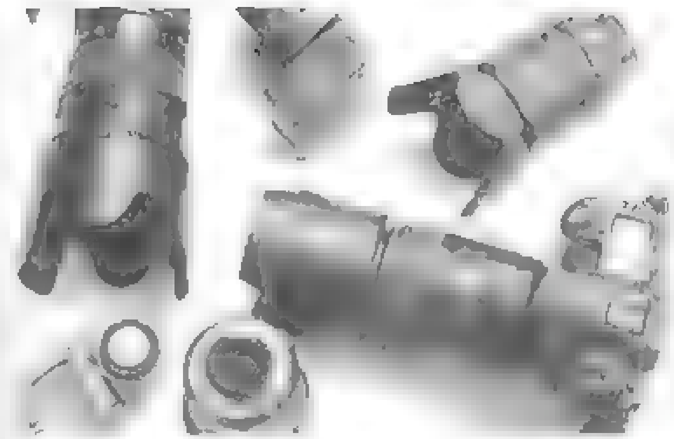
ودونما دخول فى التفاصيل العلمية الدقيقة لتفسير عملية التصوير المجسم بالليزر، وتطور التقنيات المتتابعة لتحسين جودة الصورة المجسمة الناتجة التى تتأثر بجسيمات الغبار المترسب على العدسات أو فى الهواء، أو تتأثر بوجود بعض الشوائب فى الزجاج المستعمل، والتغلب على العوامل التى تسبب انحرافا أو انحناء لحزمة أشعة الليزر وتنتج عنه أشكال غريبة. فإن [illegible] التنظيف الدقيق للعدسات، ساعدا على معالجة بعض العيوب التى تظهر على هيئة بقع معتمة على الصورة المجسمة

ومن مميزات التصوير المجسم أنه يكفى إضاءة جزء صغير من لوحة الهولوجرام لكى ترى صورة [illegible] وبمساعدة نظام مسارات الأشعة الليزرية على رؤية الصورة من زوايا إبصار مختلفة. وأيضا يمكن تسجيل أكثر من صورة على لوحة هولوجرافية واحدة، مع ملاحظة أن العين ترى صورة واحدة لكل زاوية إبصار. وهذا عكس ما يحدث عندما يتم إضاءة اللوحة الهولوغرافية بالضوء الأبيض، حيث يمكن للعين أن ترى صورة للجسم [illegible] مختلفة طبقا لزاوية الإبصار.

[illegible] حاليا بالتصوير الليزرى المجسم فى كافة المجالات. ففى الصناعة يستخدم فى تصميم نماذج الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية والدوائر الإلكترونية. وفى مجالات الإنشاءات يستخدم فى عمل نماذج العقارات، وفى المجال الطبى يستخدم فى تصوير الأجزاء الدقيقة فى الجسم، إلى آخره. كما يستخدم فى مجال صناعة [illegible] المجسمة، وفى منظومات الاحتراس والأمن، وفى المعاملات المالية حيث تمنح البنوك عملاءها تذكرة الأرصدة [illegible] المجسمة، [illegible] دقة الطريقة [illegible]

كاميــــرا الفمتــو

في عام ١٩٩٩م حصل أحمد زويل على جائزة نوبل في الكيمياء، وجاء في حيثيات منح الجائزة التي أذاعتها الأكاديمية السويدية للعلوم في مؤتمر صحفي أن أعمال البروفيسور أحمد زويل قد أحدثت ثورة في الكيمياء والعلوم المتصلة بها. واستخدمت تقنية زويل فيما يمكن وصفه بأسرع كاميرا في العالم لرؤية تحركات ذرات المادة بعد أن كنا نتخيلها، وبالتالي لم تعد هذه الذرات أشياء غير مرئية، وكان ذلك باستخدام ومضات الليزر بالمقياس الزمني الذي تتم به التفاعلات الكيميائية بالفعل، وهو مقياس الفمتو ثانية التي تساوي جزءا من ألف مليون مليون جزء من الثانية



لقد اقتحم زويل بهذه الكاميرا عالم المتناهيات في الصغر على مستوى الذرة وتفاعلاتها الكيميائية التي تقع في حدود الفمتوثانية، وهي تعادل سمك شعرة يجتازها شعاع ليزر يقطع المسافة بين الأرض والقمر جيئة وذهابا، أو هي لقطة لصورة snap shot مقدارها ثانية واحدة على شريط سينمائي يستغرق عرضه ٣٢ مليون سنة

إن مجرد دراسة معدل التفاعلات الكيميائية قبل هذا الاختراع لم يقدم للكيميائيين صورة تفصيلية لسلوك الذرات والجزيئات الداخلة في تلك التفاعلات، ومن ثم فإنه يمكن تتبع التفاعل من خلال الحالات الانتقالية ورؤية ذلك مباشرة باستخدام نبضات ليزر قصيرة في حدود الفمتوثانية، حيث يمكن بدقة تسجيل لقطات متتابعة وتقدير طاقة الوضع السطحي للجزيئات المشاركة قبل وأثناء وبعد التفاعل في المسافة بين الجزيئات المتفاعلة التي تصل إلى بضعة أجزاء من البيكومتر (١٠-١٢م). ويتيح التسجيل الصوري بكاميرا الفمتو لمواقع تساوي الطاقة الانتقالية بين الجزيئات المتفاعلة ونواتج هذا التفاعل فهما أفضل لديناميكا الروابط الكيميائية

وقد نجح أحمد زويل مؤخرا، مع فريقه البحثي في معهد كاليفورنيا للتقنية، في استحداث طريقة جديدة للتصوير الليزري على مستوى الذرات في الزمكان (أي في نفس المكان والزمان) رباعي الأبعاد، وبذلك تتحول الصورة الساكنة إلى أفلام ترصد سلوك المادة وهي تتكشف بمرور الزمن. وبإمكان هذه الطريقة الجديدة في المستقبل القريب أن تظهر المنظومات الذرية للبنى النانوية Nano structures، وأن تقتفي حركة الإلكترونات الطوافة ضمن الذرات والجزيئات على المقياس الزمني من رتبة أتوثانية (أي ١٠-١٨ ثانية)

ومن يستقرئ تاريخ العلم والتقنية سوف يعرف أن كاميرا الفمتو التي اكتشفها أحمد زويل هي الجيل الأحدث لأول آلة تصوير ضوئي وضع نظريتها سلفه العربي المسلم الحسن بن الهيثم منذ حوالي ١٠٠٠ سنة وسماها (البيت المظلم).

تأملات في السيرة

غـزوة أحـد

رأى النبي ﷺ رؤيا في منامه فقصها على أصحابه، ثم قال: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتجعل النساء والذرية في الآطام، فإن أقاموا - أي العدو - أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة، فنحن أعلم بها منهم، ورماهم النساء والصبية من فوق الصياصي والآطام. وكان هذا رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، وقال جماعة من المسلمين غالبيتهم أحداث صغار، لم يشهدوا بدرا وطلبوا الشهادة، وأحبوا لقاء العدو (يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم)، فقال عبدالله بن أبي بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا، فقال حمزة بن عبدالمطلب، وسعد بن عبادة، والنعمان بن مالك، في طائفة من الأنصار: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا، ويروى أن النعمان بن مالك قال: (يا رسول الله لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها، فقال رسول الله ﷺ: لم؟ قال: لأني أحب الله تعالى ورسوله، ولا أفر يوم الزحف فقال رسول الله ﷺ: صدقت)، فاستشهد يومئذ. ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما - فعمماه وألبساه، وقد صف الناس ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروج رسول الله ﷺ، فقال بعضهم استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، وقلتم ما قلتم، والوحي ينزل عليه من السماء فردوا الأمر إليه، فما أمركم به فافعلوه، وما رأيتم له فيه هوى فأطيعوه، فبينما هم على ذلك، إذ خرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته ولبس الدرع وحزم وسطه بمنطقة واعتم وتقلد السيف، وندم الناس على إكراهه، فقالوا يا رسول الله استكرهناك، ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد، فقال رسول الله ﷺ: قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه امضوا على اسم الله تعالى فلكم النصر ما صبرتم. ثم دعا ﷺ بثلاثة رماح، وعقد ثلاثة ألوية، لواء الأوس لأسيد بن حضير، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، ويقال سعد بن عبادة. ودفع لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار رسول الله ﷺ بالجيش وعرض عليه عسكره فاستصغر بعضا فردهم وأجاز من هم أكبر منهم سنا. ثم قال

رسول الله ﷺ من رجل يخرج بنا من كثيب لا يمر بنا على الأعداء، فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله. فسلك بهم في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في ماء مربع بن قيظي، وكان منافقا ضرير البصر. فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثو التراب في وجوههم، ويقول: إن كنت رسول الله ﷺ فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي. وذكر أنه أخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب غيرك لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر. وانصرف النبي ﷺ إلى أرض المعركة ورجع عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الناس. وقال - فيما ذكر - ومن لا رأي له: ومضى محمد يعصي علام نقتل أنفسنا أيها الناس ها هنا؟ فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق والريب. ويقال إنه نزل فيهم قوله تعالى:

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾

(آل عمران: ١٧٩)

ومضى رسول الله ﷺ في سبعمائة مقاتل وفرسه. وفرس من بني بردة. وقيل لم يكن مع المسلمين فرس ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وصف المسلمين، وحانت الصلاة والمسلمون يرون المشركين. فأذن بلال وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الصبح صفوفا، ثم قام رسول الله ﷺ خطيبا، وكان مما قال: (أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله تعالى به في كتابه، ومن العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن

ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه). واشتملت خطبته ﷺ على مواعظ وعبر، يتضح منها أن النبي ﷺ لم يخرج للحرب وإنما هو داعية ورسول ومبلغ.

وكان مما قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا. وما علمت من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، وما أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ومن صلى علي صلاة صلى الله عليه وملائكته عشرا)، ثم اختار رسول الله ﷺ خمسين رجلا من الرماة وقال لهم: (انضحوا الخيل عنا لا يأتونا من ورائنا. إن كانت لنا أو علينا فاثبتوا مكانكم لا نؤتين من قبلكم فالزموا مكانكم لا تبرحوا عنه، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا، ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم اشهدك عليهم)، ثم أمر عليهم عبدالله بن جبير، وهو أخو بني عمرو بن عوف. وهو يومئذ معلم بثياب بيض. ورغم أن النبي ﷺ داعيا للحرب ولا راغبا فيها، إلا أنه وقد وجد نفسه ﷺ قد فرضت عليه فرضا فلا بد أن يتأهب لها، ويعد أصحابه ويحرص على نصرها حرصا غير هياب. ولقد تأهب ﷺ للمعركة وأعد أصحابه لها وكانت نظرته إلى مسرح العمليات، وموقع العدو وموقع أصحابه يدل على وعي بالحرب وفنونها، واستيعاب كامل لميدان المعركة، وضح ذلك في وصيته للرماة والتشديد على

ألا يبرحوا مكانهم، مهما كانت الظروف، حيث إنه أدرك أن مكان الرماة هو مفتاح النصر أو الهزيمة، لكن إرادة الله كانت فوق كل تدبير وتخطيط، وهو درس استفاده المسلمون في هذه الموقعة، وفي كل موقعة حتى يوم الدين، وأهم ما فيه - إلى جانب أنه مهم - هو طاعة القائد وعدم الاغترار بالنصر حتى تضع الحرب أوزارها. ولقد كان النصر مع المسلمين والمعركة تدور في صالحهم، وقد هزم الأعداء رغم كثرة عددهم وعدتهم، حتى خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ وتركوا مواقعهم، فاهتبل الفرصة عكرمة وخالد بن الوليد. ويروى أن النبي ﷺ عرض سيفه يوم أحد، وقال من يأخذ هذا بحقه. فقام إليه رجال فأعرض عنهم، ثم قام أبودجانة فقال: يا رسول الله وما حقه؟، فقال: أن تضرب العدو حتى ينحني، قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فقال: رسول الله ﷺ لعلك إن أعطيتكه تقاتل في الكبول - يعني يستحسه النبي ﷺ ألا يقاتل به الجبناء الجالسون آخر الصف، بل يدخل به في غمار الحرب. فقال أبودجانة: لا، فأعطاه إياه، وكان أبودجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكانت له عصابة حمراء يعلم بها يعتصب بها عند الحرب فإذا اعتصب بها عرف الناس إنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من رسول الله ﷺ أخرج عصابته فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج أبودجانة عصابة الموت. ثم جعل يتبختر بين الصفين - أي يمشي بعزة وخيلاء - فقال النبي ﷺ حين رآه يتبختر: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن، وكان يقول وهو يتبختر

أنا الذي عاهدني خليلي
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول
أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يمر بشيء إلا قتله وفتك به وفلق بسيفه هام المشركين. وكان السيف إذا كل شحذه بالحجارة، ثم ضرب به العدو كأنه منجل، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا من المسلمين إلا أجهز عليه. فالتقى مع أبي دجانة، فضرب المشرك أبي دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبودجانة فقتله، ويروى أنه حمل على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، فقال له رجل: كل صنعك رأيته فأعجبني إلا أنك لم تقتل المرأة. فقال: رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا فصمدت إليه، فلما حملت عليه السيف ولول (فإذا امرأة) فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها. ويروى أن رجلا من المشركين خرج فدعا إلى المبارزة فأحجم الناس عنه حتى دعا ثلاث وهو على جمل له. فقام إليه الزبير بن العوام فوثب كأنه طائر حتى استوى معه على بعيره فعانقه، فاقتتلا ووقع المشرك فوقع الزبير عليه فذبحه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ، فقال: إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير، وقال لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه

هذه بعض مواقف وأحداث في غزوة أحد، سردناها حتى يعلم المسلمون أولا، والناس ثانيا، أنهم رغم قلة عددهم فإن الله ناصرهم، وقد أبلوا بلاء حسنا رغم قلة عددهم وعدتهم وما زال التأييد من الله ورسوله

وإلى لقاء آخر مع حكايات كثيرة وبطولات أكثر إن شاء الله

بين الصحف والمجلات

[illegible]

العثور على انجيل يحوى نبوة عيسى بالنبى محمد ﷺ

تحت هذا العنوان جاء التقرير الإخبارى المنشور بجريدة الأهرام المسائى الصادرة بتاريخ: ٢٠١٢/٢/٢٧م يتضمن ما يلي:

عثر في تركيا على نسخة نادرة من الإنجيل مكتوبة باللغة الآرامية وتعود إلى ما قبل ١٥٠٠ عام، تشير إلى أن المسيح عليه السلام تنبأ بظهور النبي محمد ﷺ من بعده حسبما أفاد الموقع الإلكتروني لقناة العربية الإخبارية.

ونقلت العربية عن صحيفة «ديلي ميل البريطانية» أن الحدث يشغل الفاتيكان، حيث طالب البابا بنديكتوس السادس عشر معاينة الكتاب الذي بقي مختفيا أكثر من ١٢ عاما

وقال وزير الثقافة والسياحة التركي أرطغرل جوناي: إن الكنيسة المسيحية عمدت إلى إخفائه طيلة السنوات الماضية لتشابهه الشديد مع ما جاء في القرآن الكريم بخصوص ذلك.

وهذه النسخة من الإنجيل تصف المسيح بأنه بشر وليس إلهاً يعبد وأن عيسى تنبأ بظهور النبي محمد من بعده

وجاء في نسخة الإنجيل أن المسيح أخبر كاهناً سأله عمن يخلفه، فقال: محمد هو اسمه المبارك، من سلالة إسماعيل أبي العرب، وذكر جوناي أن الفاتيكان طلبت رسميا معاينة الكتاب الذي أصبح بحوزة السلطات التركية، بعد اختفائه عام ٢٠٠٠ بمنطقة البحر المتوسط في تركيا، واتهمت حينها عصابة من مهربي الآثار بسرقته خلال الحفريات غير الشرعية وتتم محاكمتهم حاليا.

وقال القس إحسان أوزبك لصحيفة «زمان» التركية: إن نسخة الإنجيل تعود إلى أحد أتباع القديس برنابا، لأنها كتبت في القرن الخامس أو السادس، بينما عاش برنابا في القرن الأول للميلاد لكونه أحد تلاميذ المسيح.

والجدير بالذكر أنه نشر في جريدة [illegible] الصادرة بتاريخ ٢٧/٢/٢٠١٢م تعليقا على خبر العثور على نسخة من الإنجيل الذي يعترف بنبوة محمد ﷺ فجاء تحت عنوان (الإنجيل الذي يعترف بنبوة محمد يتناقض مع القرآن) مايلي:

أهم ما في خبر الإنجيل الذي «يعترف بنبوة محمد» ونقلته «العربية. نت» عن صحيفة «ديلي ميل» البريطانية التي قامت بدورها بنسخ بعضه عن «زمان» التركية، أنه «قد» يكون النسخة الأصلية لإنجيل مثير للجدل ومعروف منذ مئات السنين. وهو «إنجيل برنابا» الذي أهمله علماء المسلمين منذ أطلعوا على ترجمته العربية التي صدرت قبل ١٠٠ عام. لما احتواه من تناقضات مهمة مع القرآن.

ومترجم الإنجيل إلى العربية هو اللبناني الدكتور خليل سعادة، الذي ترجمه لأول مرة في ١٩٠٨ حين كان مقيما في القاهرة قبل هجرته إلى البرازيل حيث توفي في ١٩٣٤ بسان باولو، وهو والد أنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي.

وأهم ما ذكرته صحيفة «زمان» أن أحدا لم يقل إن النسخة هي أصلية «إنجيل برنابا» الذي اشتهر عبر التاريخ باعترافه بنبوة الرسول الأعظم، علما بأن المسلمين ليسوا في حاجة لأن يعترف غير القرآن برسالة خاتم الأنبياء، إنما الذي ورد في «زمان» التركية تلميح إلى أن هناك «إمكانية» بأن تكون المخطوطات هي أصلية «إنجيل برنابا» الشهير.

كما لم يرد في «زمان» أيضا أن الفاتيكان طلب نسخة عن المخطوطات. إنما «طلب السفير الفاتيكاني بأنقرة من السلطات التركية فحصها وإعلام الحاضرة الفاتيكانية بحقيقتها». كما ورد في «زمان» أيضا أن وزير الثقافة، أرتوغرول غوناي، كشف بأن السلطات التركية ضبطت المخطوطات مع عصابة كانت تقوم في ٢٠١٠م بتهريب ما خف وزنه وغلا ثمنه عبر الحدود في الجنوب التركي، ومن بينها ما يعتقدون أنه إنجيل برنابا.

وقال أرتوغرول إن وزارته طلبت «نسخة» من المخطوطات التي تم إيداعها قبل عامين في مخزن تابع لوزارة العدل، واحتفظت وزارته بالنسخة في متحف لعلم الإنسان التطبيقي «وهي مهترئة وتحتاج إلى ترميم، وعندما ننتهي من ترميمها سنعرضها على الملأ» وفق تصريحه الذي شمل اعتقادا منه بأن يكون عمر المخطوطات ١٥٠٠ عام».

بعض الفلاحين في قرية أوليدير (كيلابان الكردية) وهي في منطقة حكاري المعروفة للأتراك باسم «شيرناك»، والواقعة على الحدود مع العراق، عثروا في ١٩٨١، داخل أحد الكهوف على المخطوطات مكتوبة على رقائق جلدية بأحرف آرامية مذهبة، وهي اللغة التي كانت سائدة زمن المسيح في فلسطين القديمة، ثم اختفى أثرها إلى أن تم ضبطها مع عصابة التهريب.

وإذا تم التأكد بأن المخطوطات هي النسخة الأصلية لإنجيل برنابا الشهير، وهذا صعب التصديق. لأن معظم الدراسات تؤكد بأنه كتب قبل ٥٠٠ عام فقط وهو برغم توافقه مع القرآن في نقاط كثيرة، وأهمها اعترافه بنبوة محمد، إلا أنه يتناقض مع القرآن نفسه. وأشهر المشككين به كان الكاتب المصري الراحل، عباس محمود العقاد. فكتب في جريدة «الأخبار» عدد ٢٦ أكتوبر ١٩٥٩ موضوعا عدد فيه تناقضاته بإيجاز حاسم.

وأهم ما كتبه العقاد: «إن وصف الجحيم في إنجيل برنابا يستند إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود والمسيحيين في عصر الميلاد، وأن بعض العبارات الواردة به قد تسربت إلى القارة الأوروبية نقلا عن المصادر العربية بحسب تعبيره.

وأضاف أيضا أن أخطاء تكررت في هذا الإنجيل «لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه. ولا يرددها المسيحي المؤمن بالأناجيل المعتمدة من الكنيسة. ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن».

وهناك دراسات كثيرة تؤكد أن «إنجيل برنابا» هو هرطقة من يهودي في أوروبا بالعصور الوسطى وكان على شيء من الإطلاع على القرآن وأناجيل المسيحية الأربعة. فكتب خلطا احتفى بالشامل ولا أحد يعرف ماذا كتب برنابا.

انقاذ الاقصى ونموذج صلاح الدين

تحت هذا العنوان جاء مقال الدكتور إبراهيم الصحراوي المنشور بجريدة المصري اليوم الصادرة بتاريخ ٢٨/٢/٢٠١٢م يقول:

في أعقاب الخطبة التي ألقاها إسماعيل هنية في الجامع الأزهر، داعيًا علماء مصر إلى أن يقودوا تحرير المسجد الأقصى من منبر الأزهر إلى منبر صلاح الدين، قامت قوات الشرطة التابعة للاحتلال الإسرائيلي في القدس باقتحام المسجد الأقصى وإطلاق قنابل الغاز على المصلين، الذين راحوا يدودون عن حرم القدس بما يملكون من قوة الإيمان والحجارة.

وبالطبع اعتبر بعض المراقبين أن عملية الاقتحام جاءت كرسالة للرد على خطبة هنية. وهو أمر غير مستبعد، خاصة أن العقلية الإسرائيلية السياسية يستفزها دائما ذكر صلاح الدين الأيوبي، الذي قاد جيوشه من مصر، ونجح في تحرير القدس من قبضة الصليبيين.

الساسة الإسرائيليون ومعهم المؤرخون والباحثون الأسرى ينظرون بعيون الإشارة إلى صلاح الدين تهديدا بإزالة كيانهم. ولأنهم يأخذون الأمر على محمل الجد، فإن جهودهم تنصب على إجهاض الظروف التي يمكن أن تهيئ لظهور قيادة تحمل سمات صلاح الدين وقدراته على توحيد العرب في مصر والشام، وتجهيز جيش قادر على هزيمتهم.

لقد استخدم «هنية» في خطبته القياس التاريخي كاملا عندما أشار إلى أنه كلما وقعت فلسطين تحت الاحتلال على مدار التاريخ فإن الله - عز وجل - يسخر لها جيشا من خارجها ليحررها، كما فعل صلاح الدين.

هذا المنطق بالتحديد يخضع للدراسة والتشريح في إسرائيل منذ زمن بعيد، ويعمل الإسرائيليون على إجهاضه في ساحة الواقع من خلال التركيز على قوة التكنولوجيا العسكرية القادرة على تحييد دور الكثرة العددية لدى العرب، التي كانت أحد عوامل نجاح صلاح الدين، إن العقيدة الاستراتيجية الإسرائيلية الخاصة ببقاء دولة إسرائيل لا تقوم فقط على شراء أو امتلاك قوة التكنولوجيا العسكرية المتطورة، وباستمرار، بل إنها تسعى بقوة للأهداف التالية:

١- إرساء البنية الأساسية العلمية والصناعية والبشرية والاقتصادية اللازمة لقيام الإسرائيليين بإنتاج وتطوير الأسلحة المتقدمة بأنفسهم.

٢- العمل على حرمان الدول العربية والإسلامية من امتلاك التكنولوجيا العسكرية الأكثر تطورا سواء عن طريق الشراء من الأسواق العالمية، أو عن طريق إرساء البنية الأساسية لإنتاج هذه التكنولوجيا.

كما أن هذه المهمة تتم أيضًا بسبب فشل النظم الحاكمة في تطوير الحياة العلمية والبشرية والصناعية في الدول العربية.

٣- إحكام المراقبة على الدول العربية والمسارعة إلى تصفية أي منشآت تكنولوجية تنذر بامتلاك أسلحة متطورة، كما حدث في العراق بتدمير المفاعل النووي، وأيضا المسارعة إلى التخلص من القوى العلمية والبشرية المتفوقة، والقادرة على إنتاج التكنولوجيا العسكرية العربية، ويظهر ذلك في عمليات اغتيال العلماء الألمان الذين استعانت بهم ثورة يوليو ١٩٥٢ لبناء منظومة صواريخ، كما يظهر في اغتيال العلماء المصريين والعراقيين العاملين في مجال التكنولوجيا النووية، بالإضافة إلى استخدام وسائل الغواية المالية والإغراء العلمي والمعنوي لسرقة العقول العربية المتميزة، ودفعها للهجرة من مجتمعاتها.

السؤال الذي يواجهنا هنا هو كيف يمكننا أن ننطلق إلى مجالات الوحدة الجادة والتنمية العلمية والبشرية والصناعية والتكنولوجية بما يحول الطاقات الكامنة في مجتمعاتنا إلى قوى فاعلة دون أن تتعرض للإجهاض أو الاصطياد من جانب فخ العقيدة الصهيونية الواعية بخطورة تكرار نموذج جيش صلاح الدين ودولته الموحدة والمنيعة التي ارتكزت على مصر والشام؟

إن الإفلات من مصيدة العقيدة الاستراتيجية الصهيونية التي تشارك فيها القوى الكبرى المؤسسة والداعمة لدولة إسرائيل حتى يومنا هذا مهمة ذات حيوية مطلقة أضعها أمام المفكرين والمخططين الجدد في عصر الثورات العربية، وإلى أن تنتج العقول المبدعة استراتيجية مصرية وعربية، للتنمية والإنتاج السلمي والعسكري، قادرة على الفكاك من القيود والفخاخ الصهيونية والدولية، ووضع مصر على الأقل في مصاف الدول العشرين الأكثر تقدما في إنتاج التكنولوجيا السلمية والعسكرية، فإنني أدعو إلى الممكن الآن وهو الاعتماد على الجهود الشعبية السلمية لإنقاذ المسجد الأقصى من مخططات الهدم والتدمير، وذلك بإنشاء جمعيات أهلية تختص كل منها بإحدى المهام العاجلة اللازمة لإنقاذ الحرم القدسي من قبضة جمعيات أنصار الهيكل التي تجاوز عددها العشر، والتي تعمل على تفريغ القدس من سكانها العرب باعتبارهم خط الدفاع الأول عن الأقصى، وتسعى إلى تدميره لبناء الهيكل اليهودي

مكانه، إننى أضع أمامكم حقيقة أن الضغوط الإسرائيلية التى تجمع بين الجمعيات اليهودية المتطرفة والحكومات الإسرائيلية تستهدف إرغام ثلاثمائة ألف عربى مقدسى يملكون دوراً فى المدينة، على الرحيل من خلال التجويع والحرمان الاقتصادى

ترى هل يمكننا أن ننجح فى تثبيتهم بجمع التبرعات اللازمة لتوفير مصادر العمل والرزق لهم"

الأقصى المعركة الأخيرة

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة بتاريخ ٢٠١٢/٣/٣م تتضمن ما يلى:

تخوض إسرائيل معركة جديدة ضد العرب والمسلمين. معركة فاصلة اختارت مكانها وزمانها عنوانها «المسجد الأقصى». فقواتها المسلحة اقتحمت مسجد قبة الصخرة، ووجدت هناك النساء - قبل الرجال - وهن يدافعن عنه. وحدهم الفلسطينيون فى المواجهة

وإسرائيل حسب محلليها الاستراتيجيين و أجهزة مخابراتها، ترى أن اللحظة الحالية فرصة سانحة للانقضاض على رمز العرب والمسلمين، وأن اختيار المسجد الأقصى «بالون اختبار» عظيماً لبسط نفوذها العملى فى الشرق الأوسط. فأولى القبلتين وثالث الحرمين يهدد بالاحتلال والتهويد، والعرب والمسلمون جميعاً فى حروب أهلية خاصة تحت مسمى «ثورات ربيع».

والجنرال عاموس يادلين، جنرال إستراتيجى خطير، ينصح إسرائيل بأن تتخذ إستراتيجية سلبية لا تجزع مما يجرى فى دول الطوق حول إسرائيل، فحسب وصفه إنها ثورات لا تعادى العرب ولا إسرائيل، بل هى مشغولة بالداخل، ويرى أن الإسرائيليين قد يجزعون فى المدى القصير، لكن على المدى البعيد فهذه الثورات تصب فى صالح إسرائيل، لأنها لا ترفع شعار الحرب أو التخلى عن الاتفاقات السياسية مثل كامب ديفيد أو أى اتفاقات أخرى وقعتها هذه الأنظمة مع إسرائيل فى السابق.

أحد الخبراء الإسرائيليين ينصح قادة الجيش والدولة العبرية بضرورة انتهاز الفرصة السانحة والانقضاض على ما تبقى من فلسطين، أولا الضفة الغربية تذهب إلى الأردن، أى ما تبقى منها تحت سلطة أبو مازن الهشة، وثانيا ضم غزة إلى مصر للتخلص من صداعها.

يبدو أن اقتحام باحة قبة الصخرة دون تحرك إعلامى كبير على الأقل فى الصحافة العربية المشغولة بمعارك صغيرة فى الداخل، يعنى أن إسرائيل لم تعد فى حاجة إلى الخوف، فالإستراتيجية السلبية التى تنتهجها آتت بثمارها المرجوة، فلا أحد يهتم بإسرائيل. كما قال يادلين، لأن الشعوب العربية غاضبة من حكامها وليس إسرائيل.

قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم



نصرى سلهب

(١) «فى مكة.. أبصر النور طفل لم يمر ببال أمه - ساعة ولادته - أنه سيكون أحد أعظم الرجال فى العالم بل فى التاريخ، ولربما أعظمهم إطلاقاً..»[١]

(٢) «هنا عظمة محمد (ﷺ) لقد استطاع خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطع أحد فى التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة»[٢].

(٣) «.. هذا الرجل الذى ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج، أن يرسى قواعد دولة، وأن يشرع قوانين ويسن أنظمة، ويجود بالتفاسير والاجتهادات.. ولم ينس أنه أب وجد لأولاد وأحفاد، فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات المتعددة الأبعاد والجوانب، الفريدة بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات - كان بذلك كله - عالما قائما بنفسه»[٣].

(٤) «تراثك يا ابن عبدالله ينبغى أن يحيا، لا فى النفوس والقلوب فحسب، بل فى واقع الحياة، فيما يعانى البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات. تراثك مدرسة يلقى على منابرها كل يوم عظة ودرس. كل سؤال له عندك جواب كل مشكلة، مهما استعصت وتعقدت، تجد لها فى آثارك حلاً»[٤]

(٥) «.. لم يكن النبى (ﷺ) رسولاً وحسب، يهدى الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيماً وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس، وكان له ما أراد»[٥].

أحمد سوسة

(١) «.. أى غاية أسمى وأقرب إلى الإنسانية ودين الله من تلكم الغاية التى كان يرمى إليها الرسول ﷺ فى توحيد القلوب وإظهار الحقيقة؟ ... محمداً ﷺ وهو يملى على أهل الكتاب وحى الله قائلاً

١ فى حضرة محمد ص [illegible]
٢ نفسه ص ١١
٣ نفسه ص ١٠١
٤ نفسه ص ٢٠٠
٥ نفسه ص ٩

(آل عمران: ٦٤)

(٢) «... إن نبي الإسلام شخصية تاريخية مسجلة. وما حياة الرسول ﷺ سوى سلسلة وقائع تاريخية عظيمة الشأن، نبيلة المرمى، يتجلى فيها مقامه السامي من الخلقة الإنسانية».

(٣) «... كان محمد ﷺ أنموذجا للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة، بل مثالا كاملا للأمانة والاستقامة. وإن تضحياته في سبيل نشر رسالته الإلهية خير دليل على سمو ذاته، ونبل مقصده، وعظمة شخصيته، وقدسية نبوته».

(٤) «إن التاريخ ينبئنا أن محمدا (ﷺ) ضحى بكل شيء من أجل رسالته، إذ أتيحت له مرات فرصة الاختيار بين أمرين: أولهما: حياة راحة وهناء وغنى على أن ينبذ «دعوته»، وثانيهما حياة عسر واضطهاد مقرونة بنشر رسالته. وقد فضل الأمر الثاني؛ لأن يمانه برسالته كان قويا وكان قد أوحي إليه بأنه قد اختاره ربه لبث هذه الرسالة إلى الإنسانية جمعاء. فكان ما أراد الله له»[٩].

لويس سيديو

(١) «لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية، فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون، ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد (ﷺ)..»[١٠].

(٢) «... لم يعد محمد (ﷺ) نفسه غير خاتم لأنبياء الله «عليهم السلام» وهو قد أعلن أن عيسى بن مريم كان ذا موهبة في الإتيان بالمعجزات، مع أن محمداً (ﷺ) لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجا على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة».

(٣) «... إن محمدا (ﷺ) أثبت خلود الروح.. وهو مبدأ من أقوم مبادئ الأخلاق، ومن مفاخر محمد (ﷺ) أن أظهره قويا أكثر مما أظهره أي مشترع آخر...».

(٤) «... ما أكثر ما عرض محمد (ﷺ) حياته للخطر انتصاراً لدعوته في عهده الأول بمكة، وهو لم يمسك عن القتال في واقعة أحد، حتى بعد أن جرح جبينه وخده وسقطت ثنيتاه.. وهو قد أوجب النصر بصوته ومثاله في معركة حنين، ومن الحق أن عرف العالم كيف يحيي قوة إرادته ومتانة خلقه.. وبساطته، ومن يجهل أنه لم يعدل، إلى آخر عمره، عمّا يفرضه فقر البادية على سكانها من طراز حياة وتقشف عيش؟ وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط مع ما ناله من غنى وجاه عريض.. وكان (ﷺ) حليماً معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه، وكان يستقبل بلطف ورفق جميع من يودون سؤاله، فيسحر كلماءه بما يعلو وجهه الربيع الزاهر من البشاشة، وكان لا يضجر من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلا، فلا ينم ما يقول على كبرياء أو استعلاء، وكان يوحي في كل مرة باحترام القوم له. ودل (ﷺ) على أنه سياسي محنك..»[١٣].

(٥) «بدت في بلاد العرب أيام محمد (ﷺ) حركة غير مألوفة من قبل، فقد خضعت لسلطان واحد قبائل العرب الغيرى على استقلالها والفخورة بحياتها الفردية، وانضم بعض هذه القبائل إلى بعض فتألفت أمة واحدة»[١٤].

هنري سيروي

(١) «محمد (ﷺ) لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضاً المدنية والأدب»[١٥].

(٢) «محمد (ﷺ) شخصية تاريخية حقه، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل وقبل مماته أراد أن يطهر ضميره من كل هفوة أتاها، فوقف على المنبر مخاطبا أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحدا فهاكم ظهري فليأخذ ثأره، أو سلبته مالا فمالي ملكه. فوقف رجل معلنا أنه يدينه بثلاثة دراهم، فرد الرسول (ﷺ) قائلا: أن يشعر الإنسان بالخجل في دنياه خير من آخرته. ودفع للرجل دينه في التو. وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد (ﷺ) لدوره كنبي يرينا بأن «رينان» كان على غير حق في نعته العرب قبل الإسلام بأنها أمة كانت تحيا بين براثن الجهل والخرافات..»[١٦].

(٣) «إن المحاولة الإسلامية في التاريخ ذات أثر كبير، والعبقرية العربية تجد في محمد (ﷺ) منشئا لحضارة التوحيد التي تعتبر ذات أهمية كبيرة، إذا فكرنا في القيمة الفلسفية للتوحيد، وفي تفوقها الكبير الذي جعل كل الشعوب الآرية تمارس أفكار تلكم الفلسفة. وهذه الثروة الروحية الغزيرة في الأمة العربية، راجعة إلى الغريزة النبوية والتي تعد واضحة لدى الشعوب السامية، فاليهود الذين يستطيعون الفخر بأنبيائهم الكبار، يقرون بأن روح النبوة قد اختفت لديهم بعد هدم معبدهم الثاني، وهذا ما يفسر ـ بمعنى أكيد ـ العداوة العنيفة والكثيرة التكرار في القرآن بالنسبة إليهم»[١٧].

«... إن الحضارة الفكرية الذهنية الحقيقية لم تظهر وتوجد ـ لدى العرب ـ سوى لدى وصول محمد (ﷺ)»[١٨].

يتبع

٨. نفسه، ١٦١/٦ ـ ١٧٥
٩. نفسه، ٢/ ١٣٠
١٢. نفسه، ص٩٣
١٣. نفسه، ص١٠٢ ـ ١٠٣
١٤. نفسه، ص١٢٢

مكتبة الأزهر

تسعى «الأزهر» عبر هذا الباب الى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن أحدث الاصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة، ذلك للمساهمة فى تكوين عقلية واعية وعصرية.



مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى

إصدار: دار رؤيـــة

تعد هذه الطبعة هى المكتملة فى نشر تفاصيل وخبايا حرب أكتوبر ـ وفق رؤية الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان القوات المسلحة فى هذه الفترة ـ ابتداء من السنوات التى تلت النكسة وحتى المفاوضات مع إسرائيل ويكشف الشاذلى فى هذه المذكرات عن كواليس ثغرة الدفرسوار وحقيقة خلافه مع السادات.



إصدار: دار سطور الجديدة - تأليف: ماثيو جايكوبز.



عنوان من إصدار عالم المعرفة بالكويت..

تأليف: يوبان بارى - ت حمة، كمال المصرى

[illegible]

الأغلبية عبر استثناءات قانونية يتمتع بها

[illegible]



«اليهود فى حروب أفريقيا»..

● تأليف: د. نجلاء عبد الجواد.

● إصدار: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

تكشف المؤلفة برؤية علمية دقيقة وروحية مدعمة بالوثائق تفاصيل الدور الذى لعبته الجماعة اليهودية فى القارة الإفريقية وتغلغلها بين النخب الحاكمة مستغلة هذا التغلغل فى دعم الكيان الصهيونى خصوصا فى جنوب أفريقيا التى اعترفت بإسرائيل عام ١٩٤٨م نفس عام قيام الكيان الغاصب وفى العام نفسه فاز الحزب «الوطنى المتطهر» اليهودى الذى قام بتطبيق سياسة الفصل العنصرى.. وترصد المؤلفة الدعم الاقتصادى الذى قدمه هذا الحزب لإسرائيل.

قراءة في كتاب

عبقرية محمد (٢)

هناك من يعتقد أن العقاد، حين كتب «عبقرية محمد» قد أساء إلى النبي ﷺ وهو لا يدرى، أو أنه دار في مدار غربيين، أطلقوا صفة العبقرية على النبي بغرض نفى صفة النبوة عنه ﷺ.

ولكننا حين نقرأ ما كتب الرجل عن النبي ﷺ حين تكلم عن «عبقرية محمد العسكرية» نراه يقول: إن محمدا كان على اجتنابه العدوان يحسن من فنون الحرب، ما لم يكن يحسنه المعتدون عليه، وأنه لم يحسب الهجوم والمبادأة بالقتال لعجز أو خوف مما يجهله أو لا يحسنه. ولكنه حسبه لأنه مضطر إلى الحرب مطرته في ضرورة يعيشه، يلجأ إليها ولا حيلة له لاجتنابها، حيثما تيسرت له الحيلة الناجحة.

وهذا الكلام الذى يقدمه العقاد ليؤكد على «عبقرية محمد العسكرية»، إنما ينطق بأن محمدا ليس بشرا عاديا، بل هو: مصطفى ومختار ومحتنى. والعقاد حين يتكلم عن «عبقرية محمد العسكرية»، إنما يدافع عن الإسلام كدين يأبى القتال لذات القتل. شأنه في ذلك شأن الديانات السماوية الأخرى، ويقدم عدة حقائق نذكر منها:

الحقيقة الأولى: أن مطعن القائلين بأن الإسلام دين قتال، إنما يصدق - لو صدق - في بداءة عهد الإسلام، كما أسلفنا، يوم دان هذا الدين كثير من العرب مشركين، ولولاهم لما كان له جند، ولا حمل في سبيله سلاح.

لكن الواقع أن الإسلام في بداءة عهده كان هو المعتدى عليه، ولم يكن من قبله اعتداء على أحد.

الحقيقة الثانية: أن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع.

ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف «سلطة» تقف في طريقه، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه.. لأن السلطة تزال بالسلطة، ولا غنى في إخضاعها عن القوة.

ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية، وإنما كانوا أصحاب سيادة موروثة، وتقاليد لازمة، حفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء، وفي عهد الأعقاب بعد الأسلاف، وكل حجتهم التى يذودون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها، وأن زوالها يزيل مابهم من سطوة الحكم والجاه.

وقصد النبي بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها، لأنهم أصحاب السلطة التى تأبى العقائد الجديدة، وقد تبين بالتجربة، بعد التجربة، أن السلطة هي التى كانت تحول دون الدعوة المحمدية، وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء، لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كان يمنع العوائق التى تصد الدعوة الإسلامية، فيمتنع القتال.

ومن التجارب التى دل عليها التاريخ الحديث، كما دل عليها التاريخ القديم، أن السلطة لا غنى عنها لإنجاز وعود المصلحين ودعاة الانقلاب.

فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكرة بالقوة، ولابد من التمييز بين العملين، لأنهما جد مختلفين.

الحقيقة الثالثة: أن الإسلام لم يحتكم إلى السيف قط، إلا في الأحوال التى أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها.

فالدولة التى يثور عليها من يخالفها في ظهرانيها، ماذا تصنع إن لم تحتكم إلى السلاح؟ وهذا ما قضى به القرآن الكريم حيث جاء فيه:

[illegible]

«البقرة ١٩٣»

والدولة التى يحمل أناس من أبنائها السلاح على أناس آخرين من أبنائها، بماذا تفض الخلاف بينهم إن لم تفضه بقوة السلطان؟

وهذا ما قضى به القرآن الكريم أيضا، حيث جاء فيه

[illegible]

«الحجرات: ٩»

وفي كلتا الحالتين يكون السلاح آخر الطب، وتكون نهاية الظلم والاعتداء نهاية الاعتماد على السلاح، ثم يأتى الصلح والتوفيق، أو يأتى التفاهم بالرضا والاختيار.

ثم اختار العقاد نابليون باعتباره أبرع القادة المحدثين، وهنا يتبادر إلى ذهن القارىء أن من هاجم العقاد وجد ضالته في هذا الجزء من الكتاب، غير أن العقاد بعد أن تكلم عن براعة نابليون وعن خططه وكيف يستفيد منها راح يقول:

وكان النبي ﷺ سابقا إلى تلك الخطط في جميع تفصيلاتها، فكان - كما قدمنا - لا يبدأ أحدا بالعدوان، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه، جهد ما تواتيه الأحوال، بل ربما وصل إليه الخبر، كما حدث في غزوة تبوك والناس مجدبون، والقيظ ملتهب، والشدة بالغة، فلا يثنيه ذلك عن الخطة التى تعودها، ولا يكف عن التأهب السريع، وعن حض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال، ولا يبالى ما أرجف به المنافقون الذين توقعوا الهزيمة للجيش المحمدى، فلم يحدث ما توقعوه.



العقاد

وكان ﷺ يعمد إلى القوة العسكرية حيث أصابها، فيقضى على عزائم عدته بالقضاء عليها، ولا يتريث يوقف في انتظار ما يختاره أولئك الأعداء، وإضعاف انتصاره بترك زمام الحركة في أيدى المهاجمين. لا أن يكون الهجوم وبالا على المقدمين عليه، كما حدث في غزوة الخندق

لا أعتقد أن من هاجم العقاد حين هاجمه قد قرأ الكتاب قراءة كاملة، أو على الأقل لم يقرأ السطور التالية

تلك مقابلة محكمة بين الخطط والعادات التى سبق إليها محمد، وجرى عليها نابليون بعد مئات السنين، ومن الواجب أن نحكم على قيمة القيادة بقيمة الفكرة، أو الخطة قبل أن نحكم عليها بضخامة الجيوش وأنواع السلاح.

ثم هو يقول في موضع آخر: فمن كانت عنده هذه الأداة النافذة - يقصد الخبرة والتمكن من فنون القتال - فاقتصر بها على الدفاع واكتفى منها بالضرورى الذى لا محيص عنه، فذلك هو الرسول الذى تغلب فيه الرسالة على القيادة العسكرية، ولا يلجأ إلى هذه القيادة إلا حين توجبها رسالة الهداية.

ويزيد هذه الشهادة عظما أن الرجل الذى يجتنب القتال في غير ضرورة رجل شجاع غير هياب

ولم قاله أيضا ومن خصائص العظمة النبوية في محمد ﷺ أنه وصف بالنقيضين على ألسنة المتعصبين من أعداء دينه، فهو عند أناس منهم صاحب رقة تحرمه القدرة على القتال، وهو عند أناس آخرين صاحب قسوة تغريه بالقسر وهدر الدماء المشتبه في غير حربه، وتبرئ محمدا عن هذا وذاك

فإذا كانت شجاعته ﷺ تنفي الشبهة في رقة الضعف وخوف الجبن، فرحمته كلها من فضوله لتأكيد معنى نشبهه في القسوة والجفاء، إذ كان في كل صلة من صلاته بأهله أو بعشيرته أو بصحبه أو بزوجاته أو بخدمه مثلا للرحمة التي عز نظيرها في الأنبياء.

أقول: هل قرأ من هاجم لمحمد ما حسبه ما كتبه عن عبقرية محمد العسكرية، حين قال: إن عبقرية محمد في قيادته لعبقريته ترضاها فنون الحرب وترضاها المروءة، وترضاها شريعة الله والناس، ويرضاها المنصف في حدث عصورها، ويرضاها المنصفون من الأصدقاء والأعداء.

عبقرية محمد السياسية

بعد أن تحدث المؤلف عن السياسة في العرف الحديث يقول: وقد تولى النبي ﷺ أعمالا كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة في عموم مدلوله، ولكننا لا نعرف عملا واحدا هو أدخل في أبواب السياسة وأجمع لضروبها، وأبعد عن المشاركة في صفة القيادة العسكرية، أو صفة الوعظ الخلقي، أو سائر الصفات التي اتصف بها ﷺ من عهد الحديبية في مراحله جميعها، منذ ابتدأ بالدعوة إلى الحج، إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدي قريش.

ففي عهد الحديبية تدبير محمد في سياسة خصومه وسياسة أتباعه، وفي الاعتماد على السلم والعهد، حيث يحسنان ويصلحان، والاعتماد على الحرب والقوة، حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود.

بدأ بالدعوة إلى الحج، فلم يقصره في تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته، بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل العربية التي تشارك المسلمين في تعظيم البيت والسعي إليه، فجعل له وللعرب أجمعين قضية واحدة في وجه قريش، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها، وفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى، ثم أفسد على قريش ما تعمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوأة محمد والرسالة الإسلامية، فليس محمد وأصحابه أناسا معزولين عن النخوة العربية يضعون من شأنها ويبطلون مفاخرها، ولكنهم إذن عرب ينتصر بهم العرب ولا يدلون بانتصارهم، أو يقطعون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم، فإذا خالفوا قريشا في شيء، فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المستمسكين من قريش بالسيطرة على مكة، وليس هو شأن القبائل جميعين.

ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تعمدوه من إعصاب العرب على الإسلام، بما ادعوا من قطعه للأرزاق وتهديده للأسواق التي يعمرها الحاج، ويستفيد منها الغادون إلى مكة والرائحون منها، فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة، كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين قصاد البيت الحرام، فإذا حال بينهم حائل وبين ما يقصدون إليه، فتلك جنايته وذلك وزره على نفسه وعلى قومه، ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين.

ويشير المؤلف في هذا الفصل من الكتاب إلى تأكيد النبي في رحلة الحديبية أنه ﷺ خرج حاجا، لا غازيا، وأنه ﷺ ظل يقول ذلك ويكرره، ويقيم الشواهد عليه لمن سأله، ويثبت نية السلم بالتجرد من السلاح إلا ما يؤذن به لغير المقاتلين.

ثم يؤكد المؤلف على سياسة الرسول الحكيمة حين اتفق الطرفان - المسلمون وقريش - على التهادن والتعاهد، وأن النبي حين قبل الشروط التي طلبتها قريش كانت سياسته غاية الحكمة والقدرة، أو «الدبلوماسية»، كما تسمى في اصطلاح الساسة المحدثين.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بقوله: وهكذا تجلت عبقرية محمد في سياسة الأمور، كما تجلت في قيادة الجيوش، فكان على أحسن نجاح في سياسته، إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته، وإذ دعا المسلمين وغير المسلمين إلى مصاحبته في رحلته، وإذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة وإقامة الحجة في إنفاذ عزيمته، وإذ قبل العهد الذي كبر قبوله على أقرب المقربين من عشيرته، وإذ نظر إلى عقباه ووصل به إلى القصد الذي توخاه.

عبقرية محمد الإدارية

مهد المؤلف للكلام عن الإدارة، فذكر مما ذكره أن ليس في وسع رجل مطبوع على الفوضى، مستخف بالتبعة أن يؤسس إدارة نافعة ولو كان فيما عدا ذلك الكبير العقل كبير الهمة، أما السليقة المطبوعة على إنشاء الإدارة النافعة فهي السليقة التي تعرف النظام، وتعرف التبعة، وتعرف الاختصاص بالعمل، فلا تسنده إلى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه.

وقد كانت هذه السليقة في محمد ﷺ على أتم ما تكون، كان يوصي بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعي، أو العمل الذي يحتاج إلى تدبير، ومن حديثه المأثور: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم». ومن عادته المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة للأمير وخليفة للخليفة، إذا أصيب من تقدمه بما أقعده عن القيادة، وكان يقول في الرياسة والإمامة عنده شرطان هما جماع الشروط في كل رئاسة، وهما الكفاءة والأمانة: «أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين». «وأيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه».

ثم يعرض المؤلف بعض الأحاديث الشريفة التي تدل على عبقرية النبي الإدارية، حيث يقول: وما أكثر ما سمعنا في أيامنا الأخيرة عن الأمن والنظام، وتوطيد أركان الشريعة والقانون، ولكننا لا نعرف في كل ما قيل كلاما هو أجمل لوجوه الصواب في هذه المسألة من قول النبي: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». ومن قوله فيما رواه عبادة بن الصامت: «... ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان». ومن قوله: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكل لا خير فيه، وفي بعض الشر خيار». ومن قوله: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم». فهي أحاديث في هذا المعنى هي جماع الضوابط التي تقوم عليها الإدارة الحكيمة، والخطط السليمة المستقيمة، بين الآمر والمأمور، فللنظام وفوق النظام سلطان، وفوق السلطان برهان من الشرع والعقل لا شك فيه. وجميع ذلك على سماحة لا تتعسف النزاع، ولا تتعسف الريبة ولا تلتمس العلل.

هذا الإلهام النافذ السديد في تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعات، هو الذي أوحى إلى الرسول الأمي قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضي في مسائل الصحة والعلاج بقضاء لا مزيد عليه في الخطاب الذي لم يأت العلم بعده بمزيد، حيث قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها».

فتلك وصية من ينظر في تدبيره إلى العالم الإنساني بأسره، لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد، إذ ليس أصون للعالم من حصر الوباء في مكانه، من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكنها بتعريض المدن كلها لعدواها.

ويسير المؤلف في بقية فصول الكتاب ليثبت أن محمدا ﷺ كان بليغا، فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، وكان بليغا مبلغا على أسمى ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين، بل قدوة المرسلين، وأنه ﷺ استحق حب الأصدقاء، فقد أحب أصدقاءه وأحبوه لأنه طبع على الصداقة والوفاء، وأنه ﷺ كان يعلم أن الرياسة للجميع وليست للموافقين منهم دون المخالفين، فيأمر قومه أن «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنها ليس دونها حجاب».

ويختتم المؤلف هذا الكتاب النفيس بفصل يوضح فيه للقارئ أنه إنما قصد أن يوضح مناقب محمد ﷺ التي يتفق من يدين برسالته الدينية ومن لا يدين له برسالته، وأن محمدا عظيم في نفسه، وأنه بعظمته وفقا لكل مقياس صحيح يقاس به التعظيم عند بني الإنسان في عصور حضارة

بين المجلة والقارئ

[illegible]

«نعم» للحرية... «لا» للفوضى

تحت هذا العنوان جاءت كلمة السيد / [illegible] محمود عبد الفتاح [illegible] بالإسماعيلية.

من المقولات التى حفرت فى ذاكرة التاريخ وسطرت فى كتبه بأحرف من نور على صفحات من ذهب وكان لها وافر الحظ فى الذيوع والانتشار تلك المقولة التى خاطب بها «عمر بن الخطاب» واليه على مصر «عمرو بن العاص» - رضى الله عنهما - متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!

ومادام الإنسان حرا منذ ولادته فالواجب أن يكون كذلك حتى مماته وليأخذ لنفسه الحذر من الوقوع فى مواطن الذلة والصغار وهو المخلوق الذى أحاطه الله بسياج من الإكرام ووهبه قدرا عاليا من الإجلال والإكبار.

ولنا فى وصية «على بن أبى طالب» لابنه «الحسن» - رضى الله عنهما - المنهج القويم الذى يضع أقدامنا على أعتاب التحرر من قيود العبودية وأغلال القهر والذل هذه الوصية التى تقول: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا». فالحرية حق من حقوق الإنسانية التى كفلتها كل الشرائع السماوية وأقرتها جميع الرسالات الدينية فضلا عن التشريعات المدنية والقوانين الوضعية. ويأتى الإسلام فى مقدمة هؤلاء وأولئك حيث ضمن للبشرية جمعاء حرية الاعتقاد «الإيمان والكفر» فلا يقبل الإسلام بأى حال أن يكره أحد على ترك دين رضيه واعتنقه أو يجبره على إعتناق دين لا يرضاه أو يرفضه ونصوص القرآن الكريم صريحة فى ذلك كل الصراحة.

وقال فيما يشبه العتاب - لرسول الله ﷺ -: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين).

فهل بعد إقرار الإسلام لحرية الاعتقاد يمكن لأحد أن ينكر على أحد مطالبته بباقى الحريات كالحرية السياسية أو الحرية الفكرية أو الحرية المدنية أو أى حرية من الحريات الحقيقية؟!

ولقد أفاء الله فى - الآونة الأخيرة - على مصر وأهلها بظلال وارفة وقطوف دانية وثمار يانعة من واحة هذه القيمة الإنسانية التى عظم أمرها الإسلام - كما أشرنا - لما لها من أثر طيب وحميد على الإنسان حيث ترفع عنه كل ألوان الضغط والقهر والإذلال.

ومما يؤسف له أن بعضنا قد فهم الحرية فهما غير دقيق وغير عميق فأطلق لنفسه العنان ليقول ما شاء لمن شاء فى أى مكان شاء وأى زمان شاء دون مراعاة لمعيار القيم والمبادئ الدينية ودون اعتبار لمقاييس الأخلاق والأعراف الإنسانية. فظهرت على السطح المظاهرات الفئوية والاحتجاجات العمالية والمطالبات النقابية والاعتصامات الطلابية فما تكاد تهدأ طائفة فى مكان حتى تنطلق طائفة ثانية فى مكان آخر وكل يدعى - زورا وبهتانا - ممارسة حقه فى الحرية"

أى حرية هذه؟ إنها ليست إلا (حرية الفوضى) تلك التى تقوم على العشوائية وتدعو إلى تغليب المصالح الفردية على المصالح الجماعية وتحث على تحقيق المكاسب الذاتية على حساب مكاسب الوطن والأمة فالحرية الحقيقية مع كونها حقا مشروعا للإنسان لا يجوز المساس به ولا يمكن مصادرتها دون وجه حق إلا أنها ليست حقا مطلقا فلا توجد فى الوجود حرية مطلقة للإنسان وإنما حرية منظمة تنظمها القوانين والقيم الأخلاقية والدينية ويقوم المجتمع والدولة على رعايتها وحراستها.

فحرية أى فرد تنتهى عند المساس بحرية أى فرد آخر فالإنسان (حر مالم يضر) فأى تصرف فيه ضرر ما للآخرين يجب الوقوف فى وجهه ومنع حدوثه مراعاة للقواعد العامة التى تحكم العلاقات بين الناس فعلينا أن ندعم الحرية بمعناها الجميل الجليل الذى يسع كل الأطراف ويزيل أسباب الخلاف ليبقى الود والصفاء هو سيد الموقف وأن يدرك كل منا أن الحرية مسئولية ثقيلة وأن الفاصل بينها وبين الفوضى شعرة من السهل أن تنقطع فحافظوا على هذه الشعرة لتحيا مبادئ الثورة.

دعاء النبى لخلفائه من الصحابة

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ / شعبان عبد العال إبراهيم السابسى حمى الشروق.

روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفاءنا، قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤكم؟ قال: الذين يأتون من بعدى، يروون أحاديثى وسنتى». صدق رسول الله ﷺ.

وفى هذا الحديث يدعو رسول الله ﷺ بهذا الدعاء المبارك بالرحمة لخلفائه فقال الصحابة ومن خلفاؤك يا رسول الله. قال: «الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى» فلقد اختص الله طائفة من الأمة بحفظ السنة المطهرة قاموا على جمع الأحاديث والسنة خير قيام، وميزوا صحيحها من سقيمها حتى صارت السنة المطهرة وهى المصدر الثانى للتشريع - بعد القرآن الكريم المصدر الأول -، صارت السنة صرحا شامخا تكسرت على أعتابه كل محاولات النيل من السنة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حتى كان عملهم مشكورا وجهدهم عند الله مأجورا.

فالسنة موضحة للقرآن العظيم فلذلك كان حملة الحديث خلفاء الرسول ﷺ لأنهم حملة أشرف العلوم وكما قال الإمام الشافعى رحمه الله: «أهل الحديث هم فى كل زمان كالصحابة فى زمانهم». وقد دعا رسول الله ﷺ لمن بلغ حديثه إلى أمته بقوله: (نضر الله امرءا أسمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، ورب مبلغ أوعى من سامع) وفى الاشتغال بالحديث خير الدنيا وسعادة الآخرة فيه يعرف الحلال من الحرام. وبه تكون طاعة الله تعالى على أكمل الوجوه فاستحق رجال الحديث الدعاء لهم من الرسول ﷺ، لأنهم الأمناء على أعظم ثروة فى الوجود وهى سنة رسول الله وهم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما علموا وعملوا.

الخطابة الدينية فى ميدان النقد الأدبى

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / [illegible] مدرس ثانوى لغة عربية بإدارة المنتزه بالإسكندرية.

تسابق - إلى الخطابة الدينية - المثقفون تساهلا إلا القليل من الأزهريين السابقين، ومن ساروا على دربهم.

لقد سعى أولئك الذين استثيت منهم وراء القديم مقلدين، والتجديد محاولين. لكنهم لم يحققوا أصالة ولا تجديدا بغلبة التقليد الأصم لفترات الضعف، فبدت الخطابة سطحية باهتة. فانعكس ذلك على المتلقى الذى امتلأ فكره ووجدانه بالشعارات والحالات التى تمس الدين لكنها ليست الدين ولعل مرد هذا فقد آلة الخطابة الفنية

إن فن الخطابة عامة فى الأدب العربى الفرع الأعظم بعد الشعر لارتباطها بكنه اللغة العربية التى هى منطوقة قبل كونها مكتوبة. من أجل ذلك قعد النقاد والبلاغيون القواعد الفنية للخطابة، وعددوا كذلك المآخذ لتحسبها.

لقد كان على رأس السمات الغيبة الإقناع والإمتاع، وكان في مقدمة ذلك سرعة الأداء التي تقطع التواصل بين الملقي والمتلقي بفقد العلاقات المعنوية بين الألفاظ أولاً، ثم بين الجمل ثانيا.

لقد كانت الخطابة مرآة عصرها سلبا وإيجابا، فعبرت عن العصر الجاهلي على قلتها، ثم جاء عصر صدر الإسلام فاحتلت الخطابة الدينية مكانة سامقة لارتباطها بالدين الحنيف. ثم جاء العصر الأموي ومن بعده العباسي فتطورت الخطابة تطورا بالغا في أحداث العصرين. فلما كان عصر الضعف عرفت الخطابة في زخرف القول وترديد النصوص الشكلية، فكشف لك عن ضعف علمي وعقل مسه الجمود.

ومع مجيء العصر الحديث بعصب العلوم الحديثة، وفنون الآداب والثقافة لاسيما الأدب العربي الذي واكب النهضة، فمال إلى التكثيف والتركيز وتجلى ذلك في القصة القصيرة والشعر الواقعي أما الخطابة الدينية فوقفت مكانها تجتر النصوص الخطابية القديمة دون فهم وراءها وما كاد متلقاهم إلا السجع وراء حماسة الخطابة التي تواري المعنى وراءها، وفقد المضمون رونقه إن وجد. ويمر السنين تولد معنى من معنى، وخرج نص من عباءة نص، فابتعد الخطيب وراءه المستمع ... فلذوا على غير هدى لم يلوذوا المعنى ولم يمروا على أسرارها. ولم يجدوا جمالا ولا روعة ولم يتشربوا منها رونقا ولا سحرا، فنقلوا نص جمعا متحسرة، وإذا ما نقلوا نكتة فنية بلاغية كانت أو نحوية نقلوها باهتة فاقدة لقيمتها الفنية في شكلها الأدائي وإن احتواها المعنى.

إننا إذا نظرنا إلى منهج الرسل والأنبياء في الدعوة ومنهج النبي ﷺ ثم الصحابة ومن بعده وجدناه قائما على الإيجاز والتكثيف فلما عدت القرون تأثر خطباء العصور المتأخرة بنصوص السابقين عليهم تاركين الأصل والمصدر. ثم جاءت لغة الخطابة بين لغتين إحداهما فصيحة مقعرة لا تساير العاصر، والأخرى عامية مبتذلة تسقط خطبة وصاحبها من عل. فضاع بين اللغتين هدفا الخطابة الإقناع والإمتاع، إننا إذا فتشنا في الجانب الفني العلمي، وجدنا أن الداء يكمن في الجهل ببلاغة العرب ومحاسنه في أهم أصلين من أصولها وهما الإيجاز ومقتضى الحال أي مطابقة الكلام للمقام. وهذا ما يسمى نظرية الاتصال في الدراسات الإعلامية إذ البلاغة تعني الوصول إلى الهدف. وما الهدف إلا عقل ووجدان المتلقي والخطابة الدينية أشد أنواع الخطب حاجة إلى أصلي البلاغة الإيجاز ومقتضى الحال، ذلك لارتباطها بالوعظ الذي يبعث السأم في النفس الخاملة عادة إن تأمل منهج الأنبياء جميعا في الدعوة يجد أنهم صلوات الله عليهم وسلامه قد ساروا على هذين الأصلين البلاغيين للوصول إلى المدعو من أقرب سبيل، وعليه سار النبي ﷺ. ومن بعده صحابته وأولو العلم من بعدهم أما خطابة زماننا هذا، ومن الضعف العلمي، والمحاكاة خوفا، فقد تصدى للدعوة الدينية فاقدو مقومات العربية وأصولها يسجعون ويتخبطون، فجاءت دعوتهم فاترة باهتة خالية من الروح والأثر. إنني أدعو إلى الرجوع إلى أصل الأشياء في نقاط.

أولا: الاعتماد على المقدمة الموجزة الجاذبة المقتبسة من العصر الزاهر عصر رسول الله وصحابته إن اللغة البيانية لا تعني الفصاحة في كل حين.

ثانيا: عند عرض الآية والحديث يجب أن نمس التفسير مسا خفيفا بذكر معنى الكلمة أو الجملة موجزا مبتعدين عن كثرة التأويلات وكملت القضايا النحوية والبلاغية التي لها مكانها العلمي إلا إذا دعت الحاجة إلى بيان مع الاهتمام البالغ بقصة أسباب النزول إن وجدت، لأنها تمثل التهيئة والجو الفني للنص ثم إسقاط ذلك على مقتضى مجتمعة دون الإيغال في النقد

ثالثا: الاعتماد على دعاء القرآن ودعاء الرسول الذي جمع ووعى.

أنبـــاء الأزهـــر

عـــتب وبيـــان

(مناقشة موضوعية لما ورد في حوار الدكتور القرضاوي)

في الوقت الذي يتطلع فيه الشعب المصري إلى مستقبل يبنيه بجهود أبنائه المخلصين، وينهض فيه الأزهر الشريف، كعادته دوما، بدوره الوطني والعالمي الذي ينتظره المصريون والعرب والمسلمون، وغيرهم من المنصفين في كل أنحاء العالم، بكل الإعزاز والتقدير، بل بالإعجاب والإجلال - يفاجئنا شيخ كبير من أبناء الأزهر وعلمائه المعدودين - وهو الدكتور يوسف القرضاوي - بما لا يتوقع من مثله، في علمه وفضله، إذ يورد في حديثه المنشور بجريدة «الشروق» المصرية يوم الأربعاء الموافق ١٥ / ٢ / ٢٠١٢م، أمورا غير صحيحة على الإطلاق، نود - مع كراهيتنا للجدال والتراشق بالتهم - أن نبين فقط وجه الحق فيها:

أولاً: إن ما قاله عن شيخ الأزهر من أنه استدعى رجال الأمن للقبض على طلاب جامعة الأزهر في ما عرف بـ «قضية الميليشيات» لم يحدث قط، والحقيقة أن فضيلة الإمام - عندما كان رئيسا للجامعة - لم يستدع أيا من رجال الأمن لا في هذه الواقعة ولا في غيرها على الإطلاق بل إن شيخ الأزهر - أثناء القبض على هؤلاء الطلاب - كان بمكة المكرمة يحضر مؤتمرا في جامعة أم القرى، عن «الوقف في الإسلام» وكان يشارك فيه الشيخ يوسف القرضاوي نفسه، وعندما عاد د. أحمد الطيب وجد الطلاب قد اعتقلوا، ولو كان موجودا فلربما حماهم - كما فعل مرارا - من هذا الاعتقال، فقد سبق له أن بذل جهدا خاصا - لدى النائب العام المستشار ماهر عبدالواحد - للإفراج عن مجموعة من الطلاب على مسئوليته الشخصية، وأخرجهم من السجن، وكان من بينهم أحد أبناء القيادات الإخوانية بمجلس الشعب آنذاك.. وعندما سئل د. أحمد الطيب في موضوع ميليشيات الطلاب قرر في محضر مسجل أنه كان غائبا عن مصر، وأنه لم يحدث أنه رأى أبدا بأيدي طلاب الإخوان أو غيرهم أية أسلحة، وشهد أنهم كانوا يلقونه دائما بما يلقى به الطالب أستاذه من الاحترام والتقدير، وقد كان مكتبه في الجامعة مفتوحا لهم بصفة مستمرة، ويمكن للشيخ الذي ردد الواقعة التي لم تتثبت من صدقها أو كذبها أن يتحقق الأمر من هؤلاء الطلاب أو من آبائهم، وكما رجونا الشيخ أن يسأل

الطلاب فإننا نرجوه أن يسأل أعضاء هيئة التدريس من الذين يبدى غيرته عليهم الآن، ومنهم من كان عضوا بمكتب الإرشاد حينذاك وهو الأستاذ الدكتور / عبدالحى الفرماوى الذى عينه الشيخ الطيب ـ الذى تسمح لنفسك بالخوض فى سيرته ـ وكيلا لكلية أصول الدين بالقاهرة برغم معارضة جهات كثيرة لذلك، لعلك تسأله وسينبئك خبر اليقين

وليسمح لنا الشيخ الكبير ـ والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ـ أن نذكره بحديث النبى ﷺ : «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»، كما أورده الإمام مسلم فى صحيحه. وما روى عن الإمام مالك رضى الله عنه من أن الرجل لا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع



د. أحمد الطيب

ثانيا : أن الدكتور يوسف القرضاوى ـ الذى كاد يستوقف طويلا فى المطار أثناء دخوله مصر ـ دعاه فضيلة الإمام الأكبر ـ أيام رئاسته الجامعة ـ للمشاركة فى الاجتماع الأول للرابطة العالمية لخريجى الأزهر على مسئوليته الشخصية. واصطحب معه أحد ضباط أمن الدولة إلى المطار، لتأمين استقبال الشيخ هو وزوجته الكريمة وسكرتيره الخاص، وأثناء انعقاد المؤتمر وانطلاق فعالياته، جاء إلى القاعة أحد الضباط يطلب اصطحاب الدكتور القرضاوى فى مقابلة بـ «لاظوغلى» فرفض د. أحمد الطيب ذلك رفضا حاسما، وقال للضابط : سأدخل إلى قاعة المؤتمر ـ لو فعلتم ذلك ـ وأعلن استقالتى من الجامعة، وأذكر السبب للحاضرين، فتراجع الرجل، بعد مراجعة رؤسائه. وهكذا وضع فضيلة الإمام استقالته فى كفة وأى مساس بضيفه الدكتور يوسف القرضاوى فى كفة أخرى، ولم يشأ أن يذكر ذلك للشيخ القرضاوى أبدا، وقد حمله على ذكره اليوم ما يقوله الدكتور القرضاوى ويردده ـ للأسف الشديد ـ عن الرجال الذين عاملوه بكل تقدير ومروءة، وهو يرد لهم الجميل على النحو الذى يراه الجميع ويقرءونه ـ اليوم ـ على صفحات الجرائد.

وقد يتصل بالواقعة السابقة أو يشبهها ما كان أثناء شغل الدكتور أحمد الطيب لمنصب الإفتاء، إذ دعى الشيخ يوسف القرضاوى للمشاركة فى مؤتمر «السلام» الذى أقامه الأزهر، وذهب د / الطيب مع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور طنطاوى ـ رحمه الله ـ لاستقبال الشيخ القرضاوى فى المطار، وفى هذه الزيارة تدخل رجال الأمن وطلبوا مقابلة الدكتور القرضاوى لبعض القيادات الأمنية فى مكان ما، فما كان من الشيخ طنطاوى رحمه الله إلا أن رفض رفضا قاطعا، وبقى فضيلة الشيخ القرضاوى فى المؤتمر والفندق حتى عاد إلى قطر.. معززا مكرما.

أما ما ذكره الشيخ القرضاوى عن الأزهر وعلمائه جميعا، فسامحه الله وهو الأزهرى الذى منحه الأزهر شهادة العالمية «الدكتوراة» ـ أثناء إمامة الدكتور عبدالحليم محمود ـ ونال ما ناله من

مكانة بفضل الأزهر الذى يشهد له الجميع من علماء مسلمين فى كل بلادهم، بالفضل والتقدم والمرجعية. وقد عين الشيخ بـ الدرجة الأكاديمية التى نالها من الأزهر أستاذا فى جامعة قطر، دون أن يتدرج فى الدرجات الجامعية المعروفة من مدرس إلى أستاذ مساعد ثم إلى أستاذ. وربما جاز لنا أن نذكر الدكتور القرضاوى ـ الذى يبدو أنه نسى دينه نحو معهده العريق، ورجاله الذين كرموه ووقفوا بجانبه فى الموطن الحرج ـ بما قاله فى الملتقى الذى تم بالمشيخة يوم ٢٤ يناير ٢٠١١م، قبل الثورة المصرية بيوم واحد، والذى ضم علماء من كل الاتجاهات والأطياف، ومنهم علماء خليجيون بارزون، فأشاد الدكتور يوسف بالأزهر وقيادته، وبدوره التاريخى، ومكانته العالمية. والآن يسمح لنفسه بلمز الأزهر ودوره العالمى، كأن مؤسسة الشيخ القرضاوى التى يرأسها «الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين» هى وحدها المؤهلة للأعمال ذات الصبغة العالمية، وكأن على الأزهر أن يتنحى عن دوره العالمى على مدى قرون متطاولة تزيد على ألف عام لكى يقوم «الاتحاد المذكور» الذى جاء فى مؤتمره الأخير بالقاهرة حول «الخطاب الإسلامى» إلى الأزهر ليرعاه ويشاركه، وكان لإسهام علماء الأزهر فى مصر ـ مع ضيوف كرام أزهريين أيضا ـ النصيب الأكبر من أنشطة هذا المؤتمر الذى أشار إليه هو نفسه فى حديثه، بل إن أحد كبار المسئولين بالاتحاد المذكور طلب من الشيخ الطيب أثناء رئاسته للجامعة أن يزود الاتحاد بمجموعة من أساتذة الأزهر ليحموه من الاختلاف والذوبان. فهل يكون الأزهر عاجزا عن إدارة شئون نفسه ـ كما يزعم الشيخ الآن؟ وهل يعجز الأزهر عن الأعمال ذات الصبغة العالمية. فليشرح لنا الشيخ كيف يكون «الاتحاد» الذى قام منذ عقد واحد من الزمن، مؤهلا للأعمال ذات الصبغة العالمية، ورئيسه أزهرى وأمينه العام أزهرى أيضا، أم أن هذه القيادات الأزهرية قد كسبت الصبغة العالمية والقدرة على الأعمال العالمية لمجرد أنها تحمل جنسية غير مصرية؟!

وهل يذكر الشيخ الذى يتحدث عن الأعمال ذات الصبغة العالمية بمجلة «الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين» التى أسندها الاتحاد إلى أحد المفكرين العرب، الذى اعتذر بعد فترة عن رئاسة تحريرها، لهبوط مستوى البحوث التى قدمت وعدم رقيها إلى المستوى العلمى. وهل يذكر الشيخ الذى حرم الاتحاد من بعض الكفاءات المصرية أن الاتحاد سينهار لو تخلى عنه العلماء المصريون والعلماء الأزهريون. وهذا ما لا نحبه ولا نقبله، لأننا جميعا نعمل ـ دون منافسة ـ لغاية سامية، وهى خدمة العلم والدين

وأخيرا ـ ليس للشيخ الذى قضى ما يزيد على نصف قرن فى نعيم الخليج أن يزايد ـ كما سمح لنفسه ـ على الأزهر وشيخه وعلمائه، وهم الذين يكابدون مصاعب الحياة وضنكها، ويقيمون بميدان التحرير محتسبين، ويقاومون الظلم دون طموحات إلى زعامة أو بروز أو جاه أومال، ويرحم الله شيخنا الغزالى الذى خرج من مصر مضطرا، لفترة قصيرة، عاد بعدها إلى عرينه فى القاهرة وبقى حتى مضى إلى جوار ربه.

وليس للشيخ القرضاوى الذى يزور مصر أياما أن يتكلم عن التردد، وموقف الأزهر من الثورة وبيانات الأزهر التى ساندت حقوق الشباب فى ثورتهم كلها، قبل تنحى مبارك عن حكمه

وعلى الشيخ أن يرجع إلى هذه البيانات وتواريخها. وما صدر من شيخ الأزهر من نداء لعدم الخروج للتحرير كان ظهر يوم الجمعة قبل رحيل مبارك بساعات. وبعد أن تأكد رحيل النظام، للكبير والصغير. ولكن خوف شيخ الأزهر وإشفاقه من صدام مسلح بين الثوار والجيش هو الذي دفعه إلى ذلك. وهو اجتهاد يعصم دماء المسلمين. وشيخ الأزهر أول من وصف ضحايا الثورة بالشهداء، وقدم لأهاليهم العزاء، ومبارك باقٍ في منصبه. وهو الذي بعث ببعض الأزهريين والميدان الذي لم تره فضيلتك إلا قليلا. كان مليئا بالعمائم بحمد الله وأنا ممن فوضهم شيخ الأزهر في الحديث باسمه. وتأييد الثورة والثوار، منذ الثامن والعشرين من يناير، ومبارك مازال في منصبه. وحديث المزايدات يا شيخنا بغيض، فدعك منه، ودعنا نتعرف على تضحياتك في الربيع العربي، الذي يمتد الآن إلى الفضاء العربي الكبير، ومرة أخرى سامحك الله.

إن أقل ما يدعو الشيخ إلى الامتناع عن إطلاق الأحكام على الأزهر الشريف، ومكانته العالمية، وإمامه الأكبر، وعلمائه المصريين أنه غريب عن مصر غائب عن الأزهر لمدة نصف قرن، ويجب أن يعلم أن مصر والأزهر قد تغيرا. وأنه لا يعرف من شئونه إلا ما يتناهى إليه من أخبار بعضها غير صحيح. وحكايات توقعه في الحرج. كاتهامه للشيخ باستدعاء الشرطة للقبض على الطلاب. بينما كان معه ويصحبته في مؤتمر واحد بمكة المكرمة. والشاهد على هذا الغياب وتلك الغربة أن الدكتور القرضاوي يعترف بعدم اطلاعه على ما سمي بقانون الأزهر. وهو في الحقيقة مجرد تعديل لقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشهور بقانون التطوير، في حدود مادتين اثنتين إحداهما لتقرير استقلال الأزهر. بحيث لا يكون مجرد إدارة في الجهاز التنفيذي بل يكون أحد مرافق الدولة وأركانها و الأخرى عن قيام هيئة كبار العلماء. ولو كان الدكتور القرضاوي يعيش في مصر مع الأزهريين لعلم أنهما يمثلان مطلب شعبيا عاما ومطلبا أزهريا كذلك. وأما النواحي الإجرائية فلم يمانع الأزهر ولا أنكر سلطة المجلس المنتخب وقد انتقلت لجنة من الأزهريين لتشارك النواب المنتخبين أعضاء اللجنة الدينية في توضيح كل ما يتعلق بهذا القانون أو بالأحرى تلك التعديلات. فهل يسوء الشيخ القرضاوي أن يستقل الأزهر بشأنه؟! وأن تعود الهيئة المباركة؟! وهل يحتاج الأزهر إلى استيفاء علماء من خارجه لكي يقوى على تدبير شؤونه، ومن يعني بهؤلاء طيور الأزهر المهاجرة أم علماء الدولة الشقيقة المتخرجين في الأزهر الشريف، أم إخواننا الذين عشنا معهم في أنحاء آسيا وإفريقيا وكلهم تقدير وتقديم للأزهر الشريف ورجاله واعتزاز بهم.

ما كنا نود أن نتعرض لما تعرضنا له لولا ما انخرط فيه الشيخ من تهم غريبة لإخوانه، وجحود لما قدموه من تكريم ورعاية. والأزهر العريق الذي يتلقى منه اليوم الطعنات والسهام فهل يقول لك يا شيخنا سامحك الله.؟!

أ.د/ حسن الشافعي

رئيس المكتب الفني لشيخ الأزهر

مشيخة الأزهر - ٢٤ من ربيع الأول

١٤٣٣هـ الموافق ١٦ فبراير ٢٠١٢م

الأزهر يدين اقتحام المسجد الأقصى

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد؛

فيا أيها المسلمون لقد أضاف الصهاينة اليوم إلى سجل تصرفاتهم البربرية، التي لا ترعى حرمة لأماكن العبادة، ولا لقواعد القوانين الدولية والإنسانية، أضافوا فعلة شنيعة شائنة، باقتحامهم للمسجد الأقصى، وإغلاق أبوابه بالسلاسل الحديدية على من فيه من المصلين الخاشعين، وأدخلوا برعاية الشرطة وجيش الاحتلال جماعات المتعصبين، المسكونين بالهوس الصهيوني، ليحتلوا ساحات الطاهرة، ويعتدوا على الشيوخ والأئمة، على النحو الذي نقلته الصور الإعلامية. ويدمغ بالعار والهمجية دولة البغي والعدوان، ومن يساندونها ويشجعونها بالمال والسلاح، والدفاع عنها بالباطل في المحافل الدولية.

والأزهر الشريف إذ يدين هذه التصرفات البربرية، لن يتوجه إلى هؤلاء الذين استمرءوا العدوان. واستباحوا المقدسات ومن وراءهم. ولكن يخاطب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ليظهروا غيرتهم على مقدساتهم، وغضبتهم على استهانة الصهاينة بمقدسات أمة كاملة تمثل خمس سكان المعمورة.

ودولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.

﴿ [illegible] ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)

بيان الأزهر الشريف بشأن الاعتداء على المصحف الشريف

أعلى ما في قلوب المسلمين وأعزها مكانة عندهم هو «المصحف الشريف»، كلام الله - تعالى - الذي أنزله على قلب سيدنا محمد المصطفى ﷺ، وأي مساس به أو إساءة إليه تعتبر اختراقا للخطوط الحمراء التي لن يقبلها مسلم ولو بذل في ذلك حياته ودمه. وقد ارتكب عسكريون من قبل هذه الجريمة، التي هي عدوان على مقدسات التراث الإنساني وكرامته، فضلا عن إساءتها مشاعر المسلمين، حين دخلت خيول المحتلين الفرنسيين الأزهر الشريف وعبثوا بنسخ المصحف الشريف، ولم يكتفوا بتمزيقها، بل أهانوها بصورة بربرية، لا يفعلها إنسان مهذب متدينا كان أو غير متدين مسلما أو غير مسلم، حين فعلوا ذلك لم يبقوا في مصر بعدها، بل رحلوا عنها بعد أقل من عام.

إن الأزهر الشريف إذا يعبر عن غضبه وانزعاجه الشديد لهذا التصرف الهمجي يعلن أن التصرف الذي يجب على القوة العسكرية المعتدية الآن هو أن ترحل فورا عن الأرض الأفغانية، وأن توقف تنكيلها بالشعوب الإسلامية، وبخاصة هذا الشعب الذي يذكرون معاقله لعشر سنوات كاملة، ومعهم جيوش الحلفاء، تحت ستار الحرب على الإرهاب، وما هو إلا ستار يشبه ورقة التوت، لدعاواهم المخترعة في غزو العراق التي غزوها أكثر من مرة.

الأزهر يقول لهؤلاء المعتدين:

كفاكم أيها المعتدون، دعوا الشعوب تصرف مصائرها بنفسها، وتختار طريقها، ولا تضيفوا إلى سجل «جوانتانامو»، «وباجرام»، «وأبي غريب» مزيدا من التصرفات المخزية التي لن يغفرها لكم التاريخ.

الرحيل الفوري هو الحل الوحيد لهذه الأزمة، كما كان من أسلافكم في مطلع القرن التاسع عشر. ولن تكفي الكلمات المعسولة، وشعوب اليوم أذكى وأغير من أن تخدعها الكلمات.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء ٢٢٧)

صرخة الأزهر من أجل سوريا الشقيقة

الإخوة العرب: لقد بلغ السيل الزبى فى قطرنا السورى، وجاوز الظلم المدى، وفى كل يوم ترهق فيه الأرواح البريئة، تشكو لربها هذا الطغيان البشع الذى لا يتوقف، وتستصرخ العرب وجامعة دولها أن يفعلوا شيئا - ولو يسيرا - يوقف آلة القتل والموت والدمار والخراب، وتحملهم - أمام ضمائرهم وتاريخهم - مسئولية هذا العبث، وهذه الهمجية التى طال عليها الأمد فى سوريا، وقست قلوب القائمين عليها والمتورطين فى أوحالها، بعد أن نزعت الرحمة من قلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم.

إن الوضع الآن أيها الأخوة لم يعد فى حاجة إلى بيانات الإدانة والتنديد، ولكنه فى أمس الحاجة إلى عمل جاد جرئ وعاجل، من قبل العرب والدولة العربية أولا، ومن أحرار العالم كله ثانيا.

واعلموا أيها العرب الأكارم أن من العار علينا أن يسجل تاريخنا المعاصر تدهور القطر السورى الشقيق، وذهابه إلى هذا المصير المشئوم، وأنتم هانئون وادعون، حكاما كنتم أو محكومين..

وحيث لم يعد مجديا أن يستصرخ الأزهر هؤلاء الطغاة والمتجبرين، فإنه يوجه صرخته إلى الشعب الصامد فى سوريا الشقيقة، وهو يدق أبواب الحرية والعدالة بيد مضرجة من دمائه الذكية.

أيها الصامدون فى سوريا الشقيقة!

اصبروا وصابروا ورابطوا.. وسيروا فى طريقكم على بركة الله، ولا تستدرجوا إلى عنف أو مواجهة مسلحة فى هذا الصراع البائس الكريه، ولكن دافعوا عن أنفسكم وأعراضكم ونسائكم وأطفالكم.. واعلموا أن من قتل دون حقه فهو شهيد، كما وعد بذلك رسول الله ﷺ.

هذا وإن الأزهر ليصرخ فى وجوه هؤلاء الذين يستخدمهم الحكام فى قتل إخوانهم المواطنين، مذكرا إياهم بأن مهمة الجيوش هى حماية الشعوب والأوطان، وليس القمع والبطش والعدوان، وعليهم أن يعلموا أن لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وأن من أكبر الكبائر قتل النفوس بغير حق، وإراقة الدم الحرام، ولن يحميكم أمام ربكم يوم الحساب أن تقولوا: إن أوامر المتسلطين أجبرتنا على ذلك، فلا شرعية لمن يقتل الشعب ويريق دمه وييتم أطفاله ويرمل نساءه، هذا وإن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة..

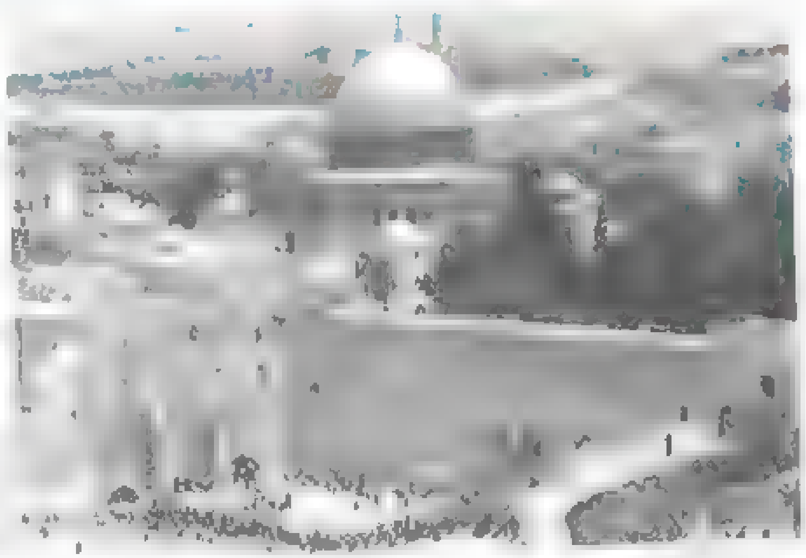
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (إبراهيم: ٤٢)

شيخ الأزهر

أ. د. أحمد الطيب

أنباء العالم الإسلامى

محكمة اسرائيلية تقر بحق اليهود فى الصلاة بالمسجد الأقصى



فى قرار خطير للمحكمة العليا الإسرائيلية بحق اليهود فى الصلاة بالمسجد الأقصى، وتكرار جديد لمأساة الحرم الإبراهيمى الذى تم اقتسامه بين المسلمين واليهود فى مدينة الخليل

صدر قرار قضائى إسرائيلى عقب التماس قدمه جرشون سلمون من الحركة اليهودية لبناء الهيكل يطلب فيه السماح له بدخول المسجد الأقصى، حيث قررت المحكمة العليا الإسرائيلية مصادرة الإقرار بحق اليهود بالصلاة فى المسجد الأقصى المبارك، واعتبر الحكم أن هذا الحق هو حق مجمع عليه من جميع الأطراف الإسرائيلية، بل هو من الحقوق الأساسية لهم بحسب تلك المحكمة.

يذكر أن المحكمة العليا سبق وأوقفت مثل هذا القرار، وكذلك الشرطة الإسرائيلية لم تسمح لهذه الجماعة اليهودية المتطرفة باقتحام الأقصى أو الدخول ضمن برنامج سياحى

حيث يتسرب المستوطنون ويتسللون ضمن السياح لحملهم جوازات سفر أجنبية، ورغم قرار السماح للمستوطنين والمتطرفين أمثال سلمون إلا أن المحكمة العليا الإسرائيلية في الماضي كانت تترك مجالا للشرطة عبر بند «إذا لم يمس ذلك الوضع الأمني في القدس المحتلة»، بيد أن الخطير أن القرار لم يتضمن هذا البند ولم تتحفظ المحكمة، بل أقرت الاقتحام للأقصى من هذه الجماعة اليهودية المتطرفة.

بدورها أكدت مؤسسة الأقصى للوقف والتراث في بيان لها أن المسجد الأقصى حق خالص للمسلمين، وللمسلمين وحدهم، وأنه لا حق لغيرهم فيه، ولو بذرة تراب واحدة، فيما ذكرت أن ما يصدر من الاحتلال الإسرائيلي ومن أذرعه وإن كان من المحكمة العليا الإسرائيلية بحق المسجد الأقصى من قرارات أو إجراءات فهو باطل، لأن الاحتلال باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

الأمين العام للأمم المتحدة يحذر من جرائم ضد الإنسانية في سوريا



دعا الأمين العام للأمم المتحدة «بان كي مون» السلطات السورية إلى الكف عن قتل المدنيين، قائلا: «إن جرائم محتملة ضد الإنسانية ترتكب في البلاد».

وقال «بان كي مون»: نرى أحياء تقصف بصورة عشوائية ومستشفيات تستخدم كمراكز تعذيب، وأطفالاً لا تزيد أعمارهم على عشرة أعوام يقتلون ويعتدى عليهم. نرى تقريبا جرائم محددة ضد الإنسانية.

وأضاف أنه قرأ عن اعتزام الرئيس السوري بشار الأسد إجراء استفتاء قد يقود إلى انتخابات متعددة الأحزاب، لكنه أوضح أن الأولوية الآن يجب أن تكون لوقف إراقة الدماء في الانتفاضة. وتابع: المهم في هذا الوقت هو ضرورة أن تتوقف السلطات السورية أولاً عن قتل شعبها وضرورة أن يتوقف العنف

جدل بين العلماء حول قبول توبة كاتب سعودي أساء للرسول

تفجرت موجة من الجدل بين بعض علماء الدين في السعودية حول مدى قبول أو رفض توبة كاتب سعودي أساء للرسول ﷺ على أحد مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت بخاصة بعدما اتهمته هيئة الإفتاء السعودية بالكفر

ودخلت على الخط بعض جمعيات حقوق الإنسان ومنها منظمة العفو الدولية مع تسليم الكاتب حمزة كشغري للسلطات السعودية، بعدما فر من بلاده هاربا إلى ماليزيا غير أن السلطات الماليزية قامت بترحيل كشغري إلى السعودية وبالفعل تسلمت السلطات

السعودية كشغري البالغ من العمر ٢٣ عاما، وهو صحفي من مدينة جدة، وقالت حسيبة حجي صحراوي نائب رئيس المنظمة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا «إن منظمة العفو الدولية تعتبر كشغري من سجناء الرأي لاعتقاله في ماليزيا بسبب حرية التعبير عن آرائه بشكل سلمي، وتدعو إلى الإفراج عنه فوراً ومن دون شروط».

كانت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية التي يرأسها مفتي المملكة عبدالعزيز آل الشيخ قد اعتبرت أن كشغري «كافر» و«مرتد» ويجب محاكمته.

وتثير قضية كشغري عاصفة في الإعلام السعودي، وخصوصاً عبر موقعي تويتر وفيس بوك وقد انشئت مجموعة على فيس بوك للمطالبة بإعدامه.

مؤتمر الأوقاف الرابع ضمن فعاليات المدينة عاصمة الثقافة الإسلامية

تنظم الجامعة الإسلامية بالتعاون والتنسيق مع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية مؤتمر الأوقاف الرابع تحت عنوان «نحو استراتيجية تكاملية للنهوض بالوقف الإسلامي» وذلك ضمن فعاليات « المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية ٢٠١٣»، برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

وقال مدير الجامعة الدكتور محمد بن علي العقلا: إن عنوان مؤتمر الأوقاف في نسخته الرابعة يكشف عن وجوه مغايرة هذا المؤتمر لما سبقه من مؤتمرات، إذ أن المؤتمرات السابقة هدفت إلى تطوير الوقف الإسلامي من جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والاستثمارية والإدارية والتنظيمية والحضارية، أما المؤتمر الرابع فإنه يهدف إلى إعداد المؤسسة الوقفية وتحديد اتجاهاتها، وتطوير منظومة تشغيلها وإدارتها وإعادة هيكلتها، وتحديد الخطوات التنفيذية والآليات الواضحة لتوجيه مؤسسة الأوقاف نحو المستوى المرغوب فيه، ومعالجة ثغرات الأداء الحالي لمؤسسات الأوقاف، والوصول إلى الأداء الأمثل المنشود، إضافة إلى تنظيم جهود مؤسسات الأوقاف وتوزيع المسئوليات عن تنفيذها، وتطوير طرق استثمار الموارد الوقفية لتحقيق أفضل النتائج المستهدفة، مع الارتقاء بمستوى الأداء في المؤسسات الوقفية.

افتتاح أول متحف إسلامي في استراليا

افتتح أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، أول متحف إسلامي في استراليا، وذلك خلال حفل رسمي أقيم في موقع المتحف، وحضره عدد كبير من أبناء الجالية المسلمة في استراليا، وممثلون عن الحكومة الاسترالية، بالإضافة إلى مندوبها لدى المنظمة «أحمد فاحور».

وسوف يركز المتحف على تاريخ المسلمين في استراليا، وإسهاماتهم في بناء هذا البلد، بالإضافة إلى اعتباره عاملاً مساعداً في فهم التنوع الثقافي، وتعزيزه في ولاية فكتوريا ومدينة ملبورن على وجه الخصوص.

tidings of Muhammad. We call you to the Qur'an in the same way the Jews called to Injil. Also, we do not forbid you from embracing the religion of Christ."

Whoever scrutinizes the dialogue of the nomad Hatib ibn Balta'ah with Cyrus may ask himself: Where did Hatib get this philosophy in religion, freedom, and history? Who enabled him to crystallize this great wisdom in these words?

One should take into consideration the prophetic trend in reform. This trend started with the individual reaching the community, nation, and society. This is to set the state, policy, system, institutions, and relations.

There is another indication to the prophetic trend in reform. This becomes clear in the words of the rightly guided Caliphs, 'Umar ibn Al-Khattab (40 B.H. - 23 A.H., 584-644 A.D.) when he sent with 'Amr ibn Al-'As (50 B.H - 43 A.D. 574-664 A.D) 4000 soldiers to conquer Egypt. When the troops of 'Amr reached Fortress of Babylon and knew that Egypt has 120,000 soldiers of the best of the Roman soldiers, who had great fortresses and equipments, as mentioned by Ibn 'Abd Al-Hakam (257 A.H - 879, then 'Amr ibn Al-'As asked 'Umar ibn Al-Khattab to give him more equipment and soldiers fro this decisive war. Hercules, the Roman Caesar (610-641) said

"If Alexandria is conquered, the Roman empire will be lost." 'Umar ibn Al-Khattab wrote to 'Amr ibn Al-'As: "I supplied you with four thousand men, every one of whom is considered a thousand of men such as Al-Zubayr ibn Al-'Awwam (28 B.H – 36 A.H., 596-656 A.D.), Al-Miqdad ibn 'Amr ibn Al-Aswad (37 B.H – 33 A.H., 587 - 653 A.D.), 'Ibadah ibn Al-Samit (38 B.H. – 34 A.H. 586-654), Musallamah ibn [illegible] (62 A.H. – 682 A.D.) and Kharijah ibn [illegible] (40 A.H. 660 A.D.) as it was said, and twelve thousand soldiers will not be beaten by a few number."[4]

This was the way of weighting and evaluating things and matters in the prophetic trend

The Islamic trend in reform, starting with creed, which reformulates the behavior of the human being in an Islamic way, prepares the human being for reform in different fields of life: social, political, economic trends. This was the way of reform calls throughout the history of Islam. This is the trend, which was restored and revived by the school of Islamic restoration and revival in the modern history, which was launched by Jamal Al-Din Al-Afghany (1254-1314 A.H., 1838-1897 A.D.), then it was outlined by Shaikh Muhammad 'Abdo (1266-1323 A.H. 1849-1905)

[illegible] of Egypt and Morocco, Chapter on the most important resources of Ibn 'Abd Al-Hakam in the conquest of [illegible]

[illegible]

جزء عم بأربع لغات إفريقية بالحرف العربي

صدرت ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» وبالتعاون مع جامعة إفريقيا العالمية في السودان، ترجمة معاني الجزء الثلاثين من القرآن الكريم «جزء عم» إلى أربع لغات إفريقية مكتوبة بالحرف العربي المنمط، وهي: الولوف، والصونغاي والماندنكو، واللوكندا.

وتندرج ترجمة معاني هذا الجزء من القرآن الكريم ضمن مشروع واسع يهدف إلى ترجمة سلسلة من كتب الثقافة الإسلامية باللغات الوطنية الأفريقية المكتوبة بالحرف العربي المنمط.

يذكر أن اللغات الأفريقية التي سبق أن ترجم إليها معاني الجزء الثلاثين من القرآن الكريم هي: الهوسا، والفلاني، والصومالي، والسواحيلي، واليوربا.

مشروع لإطلاق اسم منظمة التعاون الإسلامي على ٥٧ شارعا وميدانا



شرعت بعض الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، في بحث تنفيذ آليات قرار إطلاق اسم المنظمة على أحد الشوارع أو الميادين الرئيسية في العواصم الإسلامية.

وأوضحت مصادر مطلعة في الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي التي تتكون من ٥٧ دولة أعضاء، وأن هذه التحركات تأتي في أعقاب مشروع القرار الذي قدمه الأمين العام البروفيسور، أكمل الدين إحسان أوغلي، إلى مجلس وزراء الخارجية في دورته الثامنة والثلاثين المنعقد في العاصمة الكازاخية، لأستانا في يونيو ٢٠١١ وتم اعتماده هناك.

ويقضي القرار بإطلاق اسم منظمة التعاون الإسلامي على أحد الشوارع أو الميادين الرئيسية في عواصم الدول الأعضاء أو في المدن الرئيسية.

وقالت المنظمة: إنما نأمل من الدول الأعضاء أن تسرع في تنفيذ القرار، تمهيدا لأن يكون هناك ٥٧ شارعا وميدانا في العواصم الإسلامية تحمل اسم منظمة التعاون الإسلامي

وأشارت المصادر إلى أن الهدف من إطلاق اسم المنظمة على تلك الشوارع والميادين، يتمثل في إبراز أهمية المنظمة وتعزيز دورها السامي الذي تضطلع به من حيث تحقيق التضامن بين الدول الإسلامية وتنفيذ البرامج والمشاريع السياسية والإنسانية والثقافية وغيرها من الأنشطة.

الأمم المتحدة تعلن انتهاء المجاعة في الصومال

أعلنت الأمم المتحدة رسمياً انتهاء المجاعة التي ضربت أجزاء من الصومال العام الماضي ولكنها حذرت من أن البلاد مازالت تواجه ظروفاً قاسية وأنها قد تشهد نكسة.

وقال المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة «فاو» التابعة للأمم المتحدة جوزيه جرازيانو دا سيلفا للصحفيين في نيروبي بعد زيارة جنوب الصومال: إن هطول الأمطار التي جرى انتظارها طويلا إلى جانب المحاصيل الزراعية الوفيرة والموارد الإنسانية خلال الأشهر الماضية هي الأسباب الرئيسية لهذا التحسن.

[Hud: 87]

However, Shu'ayb (may peace of Allah be upon him) assured them that his Da'wah is the right way for reform:

{He said: "O my people! Tell me if I have a clear evidence from my Lord and He has given me a good sustenance from Himself (shall I corrupt it by mixing it with the unlawfully earned money) I wish not, in contradiction to you, to do that which I forbid you. I only desire reform to the best of my power. And my guidance cannot come except from Allah, in Him I trust and to Him I repent.}

[Hud: 88]

In Surah Al-Muzzamel, which descended in Mecca, the Noble Qur'an outlined to the last of the Prophets Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) the trend of spiritual strife, carrying out the reform of the human being and giving him the abilities and energies. This enables him to carry the loads of tasks in different fields of reform. This spiritual strife reformulates in an Islamic way. Thus, the human being, who was born weak, will become strong.

{O you wrapped in garments (i.e. Prophet Muhammad peace be upon him)! Stand (to pray) all night, except a little — Half of it or a little less than that, or a little more. And recite the Qur'ân (aloud) in a slow, (pleasant tone and) style. Verily, We shall send down to you a weighty Word (i.e. obligations, laws). Verily, the rising by night (for Tahajjud prayer) is very hard and most potent and good for governing oneself, and most suitable for (understanding) the Word (of Allah).}

[Al-Muzzamel (Wrapped in garment): 1-6]

Throughout the part of the Da'wah spent in Mecca – thirteen years – i.e. more than half of the period of the message, the task undertaken by the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) was reformulating the behavior of the human being by setting bases in the believers. In the house of Al-Arqam ibn Abu Al-Arqm (the school of prophecy and the first educational school in Islam), hearts and minds were reformulated by the manner of the Qur'an and the values of Islam. When the unique generation made by the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was formed. This was the phase of spreading reform in different fields such as the state, politics, invasions, systems, institutions, laws, and international relations and other fields of reform. When the Da'wah spread and the individual change takes priority over the change of the reality, the change became logical [illegible] established.

The general nation which embraced Islam at the time of the death of the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) reached 124,000 people while the nation of the elite which represented the leaders who were educated by the Prophet included eight thousand people, including more than thousand [illegible]. The books of the righteous predecessors mentioned their Companions, who represented the models of reform in the history of prophecies and messengers.

We can refer to the greatness of the abilities and energies, caused by this Islamic [illegible]. This is a change in roots, conceptions, and philosophies due to belief and developing the spiritual strife. Consequently, he becomes reformed in all of the branches of life. If we want to refer to the effect of this trend on the human being, who was illiterate, tough, and Bedouin, we should refer to the saying of the Companion Ja'far ibn Abu Talib (8 A.H. - 629 A.D) to Negus, the King of Abyssinia, describing the status of the human being at the pre-Islamic era and after embracing Islam. He said: "O King, we were ignorant people who worshipped idols, ate meat of dead animals, committed grave sins, break the ties of kinship, mistreat the slaves, and oppress the weak. This was the case until Allah sent to us a Messenger from our people. We know his lineage, truthfulness, honesty, and chastity. He called us to worship Allah only instead of the idols we worshipped. He commanded us to say the truth, to be honest, maintain the ties of kinship, treat the neighbors kindly, and abstain from prohibitions, grave sins, false speech, stealing the orphans, and defaming the chaste woman. He commanded us not to worship any deity with Allah, and to offer Prayer, pay charity, and to observe fast. We believed him and followed the Commands of Allah (Glory be to Him). We abstain from that which Allah forbade and permitted ourselves to that which Allah made lawful for us. Our people tormented us and tried to tempt us in our religion to return to worshipping idols, and make evil deeds. They oppressed us and caused us to get out of our country. We chose you from among others to stay in your country, hoping not to be oppressed."[2]

In this way, reform made radical, deep, and comprehensive change in the soul of the believing community, which was affected by the Noble Qur'an. Then, we may consider the effect of Islam on the Companion, Hatib ibn Abu Balta'ah (35 A.H - 30 A.H., 586-650 A.D) who held the message of the Messenger of Allah to Cyrus, the great of the Copts (7 A.H. - 628 A.D), who inherited the oldest civilization in the world. Cyrus started his dialogue with Hatib with challenge, condemning inquiry about the truthfulness of the prophecy of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). He told Hatib:

"What prevented the Messenger – if he is really a prophet – from invocating Allah against me?

Al-Hatib said:

He was prevented by that which prevented Ibn ibn Maryam from invocating Allah against those who did not believe him. Hatib went on speaking with Cyrus saying:

There was a man before you – referring to Pharaoh – who claimed that he is Allah. Then, Allah took revenge from his followers, then from him. Thus, learn the lesson! If you embrace a religion – Christianity - do not leave it except for embracing a better religion: Islam. Mosa carried the good tidings of Isa, and 'Isa carried the good

[2] Musnad Ahmad, Al-Resalah edition, Chapter on the speech of Ja'far ibn Abu Talib (may Allah be pleased with him), which is that of Hijrah.

The Islamic Methodology in Reform[1]...!

By: Dr. Mohammed `Imarah

Editor-in-Chief of Al-Azhar Magazine

Reform in the Islamic view has a remarkable methodology in many intellectual patterns, philosophies, and civilizations, which spread outside the framework of Islam

The Islamic reform is not a partial or shallow change, but it is a deep and comprehensive change. It starts from the roots and extends to all of the fields of life. Rather, it does not stop at life fields. However, it makes the reformation of life the way to happiness and reform in the Hereafter.

It is not limited to the individual - as well as the individualism doctrines. Also, it does not ignore the individual and concentrate on the class. This is [illegible] and leftist social philosophies. The Islamic reform starts with the individual, by whom it forms the nation and the communities. Its aim is the reformation of the community, which is more comprehensive than the class. Without the reformation of the individual, there will not be a real reform for the nation and the communities.

Thus, the Islam combines the legal duties of the individual and those of the community, because the reformation of the individual prepares him for the social obligations and participation in the public work, because its outcomes will affect the community, which is formed by individuals. Rather, Islam raised the status of the social duties above the individual duties, as it limited the sin of abstaining from doing the individual duties to the individual. However, the sin of abstaining from the social duty includes the whole nation. Islam raised the reward of the individual duties if they are performed in the community.

Thus, the friary of Islam is Jihad, which is exerting every thing in the field of goodness. Jihad is not in fighting only. Friary in Islam contradicts with the individual isolation, which is heedless to the nation, society, and public welfare.

To raise the status of reform – within this context – in Islam, the Noble Qur'an speaks about it as one of the Commands of Allah (Glory be to Him) and one of the inevitable laws of cultural society. Reform should start from the individual and should be extended to the community.

{Verily, Allâh will not change the (good) condition of a people as long as they do not change their state (of goodness) themselves (by committing sins and by being ungrateful and disobedient to Allah).}

[1] [illegible]

{That is so because Allâh will never change a grace which He has bestowed on a people until they change what is in their own selves. And verily, Allâh is All-Hearer, All-Knower.}

[Al-Anfal (Battlements): 53]

As reform is a commendable act, which has laws, it has renewing phases, taking the nations and civilizations away from backwardness to advancement. In this respect, the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Injustice after my death starts little then becomes gradually large. Whenever it appears, justice disappears gradually with its appearance. Then, it becomes widespread to the extent that nothing is known except it. Then, Allah (Glory be to Him) grants the people justice. Whenever justice appears, injustice disappears gradually to the extent that nothing is known except it." (Reported by Imam Ahmed)

Also, the Noble Qur'an tells us that reform was commanded by all of the prophets and messengers. The starting point in all of the heavenly Shari'ahs is belief, which reformulates the behavior of the human being according to belief. This appears in the good and reforming deeds in all fields of life. The beginning of reform starts with the amendment and change in roots, origins, principles, entity, philosophies, cultures, the human view of the universe, his status in this University, and his message, so that this reform transfers to comprehensive reform in all fields of life

This was the Da'wah of Shu'ayb (May peace of Allah be upon him):

{"And to the Madyan (Midian) people (We sent) their brother Shu'aib. He said: "O my people! Worship Allah, you have no other ilah (god) but Him, and give not short measure or weight. I see you in prosperity and verily I fear for you the torment of a Day encompassing. "And O my people! Give full measure and weight in justice and reduce not the things that are due to the people, and do not commit mischief in the land, causing corruption. "That which is left by Allâh for you (after giving the rights of the people) is better for you, if you are believers.}

[Hud: 84]

The starting point for comprehensive reform is belief, which reformulates the behavior of the human being to be extended afterwards to other fields, policies, societies, economies, and relation

Contrary to this trend in reform is the stance of the disbelievers of Madian – the people of Shu'ayb – who denied the existence of physical and argumentative relation between belief and Prayer and the injustice practiced by them in all of the fields of their life and their economical and social transactions and dealings, which they regarded as the outcomes of the absolute individual freedom in these fields

{"They said: "O Shu'aib! Does your Salât (prayer) command that we give up what our fathers used to worship, or that we give up doing what we like with our property? Verily, you are the forbearer, right-minded!" (They said this sarcastically).}

Those who participate in the Conference of supporting Jerusalem declared "The Charter of the Honor of Jerusalem", in which they emphasized that Jerusalem is the city of peace and crossroads of civilizations. Also, it is the heart and capital of Palestine and should be a model for the human and cultural co-existence as well as a symbol for tolerance and justice.

The huge presence of the praying persons from the occupied Jerusalem and Arabs of 48 in Al-Aqsa Mosque succeeded in frustrating the attempt of the Israeli Likud Party to break into Al-Aqsa Mosque. This party invited thousands of the Jews, headed by Moshe Feiglin to break into Al-Aqsa Mosque and putting the model of the Temple of Soliman, as a sign of building it and destroying Al-Aqsa Mosque. This is days after the Israeli Supreme Court permitted the Jews to pray in Al-Aqsa Mosque.

The Palestine Muslims are called upon the Islamic Body to Supporting Jerusalem and the Sacred Places wherever they are. Also, it called upon the Arab League, the Islamic Cooperation Organization, UNESCO, the people of the Arab countries, and all of the free people in the world to interfere to relate the settlers and the members of the Likud Party as well as Netanyahu extremist government.

This body asserted that the concerns increase gradually with the news of attacking Al-Aqsa Mosque, as this may be the beginning of introducing the idea of distributing it between the Muslims and Jews as a step on the path of building the claimed temple.

As for the reactions to the attempt to break into Al-Aqsa Mosque, the Chief of Staff Sami Annan warned against the circumstances of breaking into Al-Aqsa Mosque. Al-Azhar hurried to announce its refusal for this attempt as well as all of the attempts of Judaizing Jerusalem. Also, it warned Israel against thinking that the Arabs and Muslims forgot their right in Al-Aqsa Mosque and Jerusalem, stressing the fact that the Palestian Issue is the first issue for the Arab and Islamic world.

The concluding conference issued a statement of the international campaign of breaking the siege of Jerusalem, stating that being committed to the sacred duty is a firmly established creed for the Islamic nation and the Arab nation including its Muslims and Christians. This is to confront the Zionist occupation and its criminal and aggressive practices targeting Al-Aqsa Mosque, the Islamic and Christian endowments, and sacred places in Jerusalem.

The statement emphasized that these practices try arrogantly to change the characteristics of Jerusalem.

The Christ lived in it and the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), the seal of the Prophets, was taken for a journey by night to the blessed Aqsa Mosque. Then, he ascended to heaven therefrom, indicating that Jerusalem is linked to the tolerant Message of Monotheism.

{The Messenger (Muhammad peace be upon him) believes in what has been sent down to him from his Lord, and (so do) the believers. Each one believes in Allâh, His Angels, His Books, and His Messengers. (They say), "We make no distinction between one another of His Messengers" - and they say, "We hear, and we obey. (We seek) Your Forgiveness, our Lord, and to You is the return (of all)."}

[Al-Baqarah (The Cow): 285]

The Arab and Islamic nations do not find a substitute for taking back Jerusalem, as it has ever been honored with its Islam and Arab entity along with its spiritual belonging as a symbol of tolerance, religious fraternity, and a model of respecting the religious sacred rituals. Moreover, the Conference stressed its rejection of violating Jerusalem, breaching its rights, or the right of practicing religious rituals therein.

Also, the statement asserts the necessity of confronting the Israeli violation of the national rights of Al-Aqsa mosque as well as those of the Palestinian people. It stresses the necessity of being committed to support Jerusalem and redemption of the Al-Aqsa. This is a firmly established creed for the Islamic nation and the Arab nation including its Muslims and Christians. This is to confront the Zionist occupation and its criminal and aggressive practices, targeting Al-Aqsa Mosque.

The Conference called at the conclusion of its statement to gather the efforts in the Arab and Islamic nation to break the siege of Jerusalem and escalating the international support for Al-Aqsa Mosque and the sacred places.

It added that the International Campaign for breaking the siege of Jerusalem aims at supporting the steadfastness of Al-Aqsa Mosque and escalating solidarity to make fraternity between Jerusalem and all of the international parties engaged in the campaign at the economic, legal, and political levels and at the level of the Muslim and Christian Arabs from one side and the governmental and international sides for the sake of gathering the Arabs, Muslims, and Christians around the organization of supporting Jerusalem. Also, the efforts of breaking the siege of Jerusalem should be converted from advocacy to actual performance.

{Verily, Allâh will help those who help His (Cause). Truly, Allâh is All-Strong, All-Mighty.}

[Hajj (Pilgrimage): 40]

the sacred people is a creed firmly established for the people of the Arab and Islamic nation including the Muslims and Christians. This is to confront the Zionist Occupation and its criminal aggressive practices, targeting Al-Aqsa Mosque, the Christian and Islamic endowments, sacred places in Jerusalem.

The declaration stressed the fact that these practices try hard to change the apparent characteristics of Jerusalem, the city of the Prophets (may peace of Allah be upon them). The Christ lived in it and the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), the seal of the Prophets, was taken for a journey by night to the blessed Al-Aqsa Mosque. Then he ascended to heaven therefrom, indicating that Jerusalem is linked to the tolerant Message of Monotheism.

{The Messenger (Muhammad peace be upon him) believes in what has been sent down to him from his Lord, and (so do) the believers. Each one believes in Allah, His Angels, His Books, and His Messengers. (They say), "We make no distinction between one another of His Messengers" - and they say, "We hear, and we obey. (We seek) Your Forgiveness, our Lord, and to You is the return (of all)."}

[Al-Baqarah (The Cow): 285]

The Arab and Islamic nations do not find a substitute for taking back Jerusalem, as it has ever been honored with its Islam and Arab entity along with its spiritual belonging as a symbol of tolerance, religious fraternity, and a model of respecting the religious sacred rituals. Moreover, the Conference stressed its rejection of violating Jerusalem, breaching its rights, or the right of practicing religious rituals therein.

It should be a role model in respecting the religious sacred places and rituals and non violation of its sacredness, and enabling all of the Muslims to practice their religious rituals freely and without any derogation or breaching of the national rights of all the Arab people in Palestine.

It is shared by the Muslims and Christians, and this reveals that there is no place for the Jews in it. There is a document given by Al-Faruq `Umar to Patriarch Syrinos, when he received the city. It states:

"In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful. The Prince of the Believers ` `Umar ibn Al-Khatab let the people of Aília live peacefully and safely. They will feel safe for their souls, Churches, Crosses including the ill and innocent people as well as all of the people believing in all religions. Their churches will not be inhabited, destroyed, or decreased in space. Also, nothing of their crosses or money will be taken. They will not be forced to embrace a certain religion and none of them will be harmed. Moreover, none of the Jews will stay at Iliya ty

This was in 15 A.H. (636 A.D). The Muslims and Christians lived in Jerusalem and welcomed the visitors of the believers throughout hundred of years until the beginning of the Zionist occupation, upon which the dangers of judaizing Jerusalem started since June 1967.

As for the status of Jerusalem, there are many Hadiths in this regard. One of which narrated on the authority of Maimoinah bint Sa`d (may Allah be pleased with her) that she said: "O Messenger of Allah, give us your opinion concerning Jerusalem. He said: It is the land of resurrection, and come to offer Prayer in it, as the Prayer offered in it equals a thousand of Prayers. We said: O Messenger of Allah, What if we can not go there? He said: Whoever can not go there may grant it oil to be put in its lamps. Whoever does so seems to be like the one who goes there."

The Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) said in another Hadith:" There is a group of people who conquer their enemy and those who contradict with them do not harm them, and will not be afflicted with distress until Allah wills. They said: Who are they? He said: In Jerusalem and around it."

The majority of Al-Azhar scholars agreed unanimously on the necessity of confronting quickly to the frequent Israeli attempt to destroy Al-Aqsa Mosque and to build the claimed temple on its debris. They clarified that there is no time for weakness, and that the revolutions of the Arab nations should not keep our mind away from our role towards Al-Aqsa Mosque. The threat of demolishing Al-Aqsa Mosque and building a temple on its debris should be taken into consideration seriously. Also, the Palestinian cause concerns creed and religion, and not only a piece of land that was attached.

The Grand Imam, Ahmad At-Tayyib emphasized supporting the campaign of breaking the siege of Jerusalem and confronting the plans of judaizatoin. This is through the General Conference for Supporting Jerusalem, which was held in Al-Azhar in cairo, aiming at launching the campaign of breaking the siege of Jerusalem and sacred places.

The attendees agreed on forming a coordinating body undertaking the role of confronting the conspiracies and plans of Israel concerning judaizing Jerusalem and changing its historical, Arab, geographic, and religious attributes.

Al-Azhar decided to form a committee to support an international campaign for breaking the siege of Jerusalem and Al-Aqsa Mosque officially in April. At the same time, the Grand Sheikh of Al-Azhar declared setting an Islamic endowment for financing the projects of housing in Jerusalem, aiming at establishing 200000 building to face the plans of judaization. This is in addition to launching Arab and international media campaigns to introduce the cause of Jerusalem and inserting in the curricula of the preparatory, secondary and University phases in various Islamic countries.

Al-Azhar headed by the grand Imam Prof. Ahmad At-Tayyib confronts the Zionist occupation, settlement, attempts of Judaization and destruction of Al-Aqsa Mosque, preventing the Palestinians from offering Prayer, and the barrier...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Al-Azhar is the most important world institution and Allah willed it to become an Islamic University, visited by people from all over the world. Al-Azhar has been undertaking its responsibilities throughout its long history, which exceeded a thousand years in the best manner. Also, it plays a role in the scientific development and directing the intellectual life in the Islamic world, especially in the modern era, as it is not limited to the coming students. It sent delegation of Al-Azhar scholars to the Universities of the European countries to learn their long ages. Also, these scholars are distributed in Islamic countries and minorities in all of the countries of the world. They are the ambassadors of Egypt with regard to enlightening the people with its religion and refuting the lies said by the enemies of Islam.

All the students who are delegated by Al-Azhar or sent to it assure that it is a minaret that enlightens the whole world before the people could hear about the USA. Undoubtedly, Islam is spreading in all of the countries of the world due to the scholastic efforts exerted by Al-Azhar and the comers to it benefited greatly from it.

Many people come to Al-Azhar, as its curricula include the famous doctrines of Sunnah. It is well known for keeping the heritage and serving the language of Qur'an, in a way that made the people feel happy when attending its lectures whatever the distance is between Cairo and the other Isalmic capitals.

Making journey seeking knowledge is one of the attributes of the scholars who dedicated their souls to studying. Thus, Al-Azhar has a great role in developing the Islamic thinking, spreading science, protecting the creed of the nation even in the hard times faced by this ancient university.

Those who graduated from Al-Azhar from all the parts of the world contributed to maintain the Islamic identity and spreading the Arabic language. They contributed in a scientific way to develop the cultural, scientific, and civilizational life, as they are distributed over various fields. They complete each other in performing the mission in the best way.

Some of them are judges who set justice, teachers who educate the coming generations, ambassadors for their nation in various countries, expressing its status, origin, and attributes, as they do not limit their efforts in political work.

They were, due to their culture, the best heralds and reformers, who represent their religion and nations. Also, they are Imams of mosques, who enlighten the people with the rulings of their religion. Also, some of them call to the Path of Allah, as they dedicated their souls to spreading and defending their religion. Also, some of them help the people memorize the Qur'an, applying the saying of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him): "The best people amongst you are those who learn the Qur'an and teach it."

The Messenger of Allah said: "Allah gives the person to whom he willed goodness more knowledge in religion." Al-Azhar made the scholars who graduated from it and spread its Fiqh among the people the inheritors of the prophets, as they inherited religion and not money.

Jerusalem belongs to the Arabs in origin, history, role, and location, a matter which was denied by the lying Zionist. Canaanites who came from the Arabian Peninsula established Jerusalm in the fourth century before Christ and called it Yaroshalem. Yaro means the place or location, while Shalim is peace. This name is Canaanite and has nothing to do with the Jews, Israel, or the old or current Hebrew. Then Jerusalem was called Jebus. Jebusites were a tribe belonging to Canaanites. Jebusites govered Jerusalem for a long time, and one of their kings Salem Al-Yabusy built his palace on the hill of Suhun overlooking the town in the middle of the third century before Christ.

It was mentioned in the Old Testament: "The children of Judah could not dismiss the Jebusites, the inhabitants of Jerusalem. Thus, they stayed with each other thereafter."

It was mentioned in another text in the Old Testament: "The man did not accept to spend the night and he left until he found Jebus, and the night was approaching."

There is much debate around the Temple, as they said in the Old Testament that Dawud rented a house from Arnan, the Jebusite, which contained barns for cows, cattle, and harvest. Arnan emptied it, so that Dawud could set his tent to worship Allah. It is strange that a barn is turned to sacred place.

Shimon Peres, the current Israeli President, asked his friend, the archialogist Tobiah Sagiv to make a study, concluding that Al-Aqsa Mosque and Hebron are Jewish. Then, Sagiv concluded: "I do not find any trace in Al-Aqsa Mosque or the Ibrahimi Mosque proving that their origin is Jewish."

The archeologist, Meir Ben-Dov, said emphasizing: "If we dig in this region, we will find water wills. We find water canals throughout digging and the studies which were conducted during the last twenty five years. We conclude that there is nothing that refers to this period.

The Conference of the International Campaign to break the siege issued a declaration stating that being committed to the sacred duty and the redemption of

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada-Al-Oula, 1433 A. H

ENGLISH SECTION
April, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ - أبريل ٢٠١٢ م الجزء ٥ - السنة ٨٥

أعلام الموقع



أ.د. عبد الرزاق السنهوري



الشيخ محمود شلتوت



د. عصام البشير

هدية العدد

أمريكا...
هل هي شعب الله المختار ؟

تأليف. هيربرت أرمسترونج
تقديم الدكتور محمد عمارة

- **المنهاج الإسلامي في الإصلاح**
  للأستاذ الدكتور / محمد عمارة
- **تفسير القرآن الكريم**
  للإمام محمد عبده
- **الديـــــن**
  أ. د. محمد عبد الله دراز
- **حول تطبيق الشريعة الإسلامية**
  المستشار طارق البشري

ترقب في العدد القادم

السعر 150 قرشا

AL AZHAR
MAGAZINE

- الافتتاحية - البابا شنودة يشهد لتاريخ الإسلام
  الأستاذ الدكتور محمد عمارة
- ماذا يعني تطبيق الشريعة الإسلامية
  فضيلة الشيخ محمد الغزالي
- قصص الأنبياء
  فضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار
- بنو إسرائيل في الكتاب والسنة
  فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي
- المقاصد التربوية للعبادات
  أ.د. صلاح سلطان

هدية العدد

المدنية الإسلامية - الدكتور عبد الرزاق السنهوري

الأزهر

www.AlazharMag.com

البابا شنودة يشهد لتاريخ الإسلام

الأستاذ الدكتور محمد عمارة

قصص الأنبياء

فضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار

شمولية الشريعة الإسلامية عناصر الثبات والتغير

المستشار طارق

حقوق الإنسان في شريعة الإسلام

تأليف أ. د. عبد الرزاق السنهوري باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

[illegible]
داخل مصر ١٨ جنيه مصري
الدول العربية ٥٠ دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا ٨٠ دولار أمريكي
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولار أمريكي
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شركة الإعلانات الشرقية: ٢٣٧٨٦١٠٠ - ٢٣٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٨

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

داخل العـدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ أحمد القطب

البابا شنودة يشهد لتاريخ الإسلام



في ١١ من أكتوبر ١٩٧٧ م، وأمام الرئيس أنور السادات، وفي مناسبة وضع حجر الأساس لمستشفى «مار مرقس» بالقاهرة، ألقى البابا شنودة خطابًا تجلت فيه ثقافته التاريخية الواعية، حتى لقد جاء شهادة من هذا الحبر الكبير للتاريخ الإسلامي في الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، بل وشهادة للقرآن الكريم في السماحة والإنصاف للنصارى.

ولأن الكثير من وسائل الإعلام تركز الأضواء على عوامل الشقاق، وتتجاهل عوامل الوفاق، ومنها هذه الشهادة الهامة للبابا شنودة، لزم التنبيه على عناصر هذه الشهادة ليقرأها المسلمون والمسيحيون جميعًا. وليتعلموا الاحتفاء بأقوال العقلاء، بدلا من أقوال السفهاء، ولزم التقديم لمعالم هذه الشهادة، وبالنصوص الحرفية لصاحبها.

● ففي هذا (الخطاب - الوثيقة)، شهد البابا شنودة بأن «القرآن» قد وضع اليهود الذين أشركوا في ناحية، ووضع النصارى في ناحية أخرى، مميزا بينهم وبين المشركين، وأن القرآن حينما يتكلم عن المسيحيين من أهل الكتاب، إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتي هي أحسن.

● وفي هذه الشهادة، أثنى البابا شنودة على تاريخ الإسلام في السماحة والعيش المشترك بين المسلمين والنصارى، وقدم الصور الرائعة لواقع هذا التاريخ، ووقائعه منذ صدر الإسلام، وعبر مراحل هذا التاريخ، ومما قاله هذا الحبر الكبير - على سبيل المثال - «في تلك العصور نجد تمازجًا قد حدث بين المسلمين والمسيحيين، وظل هذا التمازج ينمو شيئا فشيئا حتى وصل إلى حد من الوحدة. فلنا في التاريخ الإسلامي صداقات كثيرة بين حكام المسلمين وبين المسيحيين، وتراهم قد اعتمدوا عليهم في ميادين عدة، لعل من أبرزها التعليم والطب والهندسة والأمور المالية.

فالتاريخ الإسلامي - بشهادة البابا شنودة - قد صنع نسيجًا واحدًا، امتزج فيه المسلمون والمسيحيون، ووصلت علاقات الحكام المسلمين بالنصارى إلى درجة الصداقة، وليس فقط التعايش.

● وتحدث البابا شنودة عن عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤م)، الذي تعرض تاريخه لافتراءات أهل الشقاق، فقدمه كنموذج مثالي للسماحة الإسلامية، فقال: «لقد رأينا في التاريخ الإسلامي أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية، نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتي بعده في الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين: الأمر الأول: وفاء العهود التي أعطيت لهم. والأمر الثاني قال فيه: ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون».

ثم يمضي البابا شنودة في الحديث عن عمر بن الخطاب، فيقول: «... في إحدى المرات، حينما كان الوليد بن عقبة واليا على بني تغلب ومن فيهم من النصارى، ورأى عمر أن الوليد هدد هؤلاء الناس وتوعدهم، عزله عمر من الولاية حتى لا يلقى بهم شرا. وهناك قصة طريفة تروى عن عمر بن الخطاب، أنه حينما كان خليفة للمسلمين، اختلف علي بن أبي طالب مع رجل يهودي، وجاء الإثنان أمام الخليفة عمر، فقال عمر لعلي: يا أبا الحسن اجلس إلى جوار خصمك لنبحث الأمر، فجلس علي، وقد تأثر قليلاً. وبعد أن قضى بينهما، قال عمر لعلي:

هل استأت أنى أجلستك إلى جوار خصمك؟ فقال له على: كلا، أنا استأت لأنك ناديتنى بكنيتى - يا أبا الحسن - وفى هذا نوع من التعظيم، خفت أن يشعر معه اليهودى بأنه لا يوجد عدل بين المسلمين، فلم لم تساو بيننا، وإنما رفعتنى عنه بأن ناديتنى بكنيتى؟.

ثم يعقب البابا شنودة على هذا العدل الذى جسده عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب فيؤكد أن ذلك إنما كان خلقًا عامًا وسائدًا فى الحكم الإسلامى، ويقول: «هكذا كان المسلمون يسلكون فى العدل بين رعاياهم، أيًا كان مذهبهم».

• ثم يؤكد البابا شنودة على أن هذا العدل الإسلامى لم يقف عند دولة الخلافة الراشدة وإنما امتد روحًا سارية وسنة مرعية عبر تاريخ الإسلام. فيقول: «لقد انتهت حياة عمر بن الخطاب على الأرض، وانتهت مدة خلافته، لكن الخير الذى عمله لم يمت بموته إطلاقًا، وما يزال حيًا الآن يملأ الآذان ويملأ الأذهان، ويحيا مع الناس على مدى الأزمان».

• ثم يمضى البابا شنودة فيضرب الأمثال على استمرار السماحة الإسلامية والعدل مع النصارى على امتداد التاريخ الإسلامى، فيقول عن معاوية بن أبى سفيان (٢٠ ق.هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠م)، وعن الدولة الأموية: «لقد كان الطبيب الخاص للخليفة معاوية مسيحيًا، واختار رجلاً مسيحيًا لكى يؤدب ابنه زيادًا، وزياد هذا اختار كاهنًا مسيحيًا لكى يؤدب ابنه خالدًا، والخليفة عبدالملك بن مروان (٢٦ - ٨٦ هـ / ٦٤٦ - ٧٠٥ م). كان يأخذ يوحنا الدمشقى (٥٥ - ١٢٢ هـ / ٦٧٥ - ٧٤٠م) مستشارًا له، وقد اختار رجلاً معلمًا مشهورًا اسمه (أطاناسيوس) لكى يؤدب أخاه عبدالعزيز، ولما صار عبدالعزيز بن مروان حاكمًا لمصر أخذ (أطاناسيوس) معه كمستشار له، ونجد أن الأخطل (١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨م) كان من الشعراء المسيحيين المشهورين، واندمج فى مجموعة متلازمة مع جرير (٢٨ - ١١٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٢٨ م)، والفرزدق (١١٠هـ / ٧٢٨ م) واشتهرت هذه المجموعة فى العصر الأموى. وكان الأخطل المسيحى حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالاً لعلمه وأدبه - كما يروى التاريخ الإسلامى».

• كذلك يشهد البابا شنودة للخليفة الأموى هشام بن عبدالملك (٧١ - ١٢٥ هـ / ٦٩٠ - ٧٤٣ م) فيقول: «إنه ابتنى للبطريرك فى أيامه بيتًا إلى جوار قصره، وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته».

• ويشهد البابا شنودة لعدل الإسلام فى العصر العباسى، فيقول عن الخليفة أبوجعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م): «إن طبيبه الخاص كان مسيحيًا اسمه جرجس بن بختيشوع. وكان الخليفة هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣ هـ / ٧٦٦ - ٨٠٩ م) يقول للناس: من كان منكم له حاجة عندى فليكلم فيها جبرائيل، لأنى لا أرد له طلبًا، وكان يوحنا مشهورًا من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل (٢٠٦ - ٢٤٧ هـ / ٨٢١ - ٨٦١م). وكان هؤلاء جميعًا يدعونه إلى موائدهم، وما يأكلون شيئًا إلا فى حضرته، وكان حنين بن إسحق (١٩٢ - ٢٥٩ هـ / ٨٠٨ - ٨٧٣ م) من أشهر الأطباء فى العصر الإسلامى، حتى قيل عنه إنه بقراط عصره وجالينوس دهره. وحبيب بن إسحق هذا تعلم كذلك اللغة والفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥ م) وعلى يد سيبويه (١٤٨ - ١٨٠ هـ / ٧٦٥ - ٧٩٦ م) ونبغ فى اللغة العربية نبوغًا عظيمًا».

• وفى شهادة البابا شنودة لعدل الإسلام والتاريخ الإسلامى مع غير المسلمين، حيث صنع من الجميع أمة واحدة وثقافة واحدة عرج الرجل على التاريخ المصرى والعدل الإسلامى مع الأقباط. فتحدث عن انتشار اللغة العربية فى مصر، التى تعلمها وأتقنها أقباط مصر، فكانت هذه اللغة مجالاً كبيرًا للتوحيد بين الناس».

• وتحدث عن أحمد بن طولون (٢٢٠ - ٢٧٠ هـ / ٨٣٥ - ٨٨٤ م) «الذى كان من محبى الأقباط كثيرًا. وقد اختار مسيحيًا لكى يبنى له مسجده. واختار مسيحيًا لكى يبنى القناطر وكثيرًا من منشآته. وكان يذهب كثيرًا لزيارة دير القصير. وكان على صلة وثيقة براهبه هناك. فلقد كانت الأديرة المصرية دائمًا مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة. وكانوا يحبونها. ويقضون فيها الكثير من الوقت، ويصادقون رهبانها وأساقفتها».

• وتحدث البابا شنودة عن عدل الإسلام مع أقباط مصر فى ظل الدولة الإخشيدية. والدولة الفاطمية، «فمحمد بن طغج الإخشيد (٢٦٨ - ٣٣٤ هـ / ٨٨٢ - ٩٤٦ م) كان يبنى الكنائس بنفسه ويتولى ترميمها، وكنيسة أبى سرجة، فى مصر القديمة، اهتم ببنائها الخلفاء المسلمون. وكنيسة أبى سيفين «القديس مارقريوس» بمصر القديمة تولى الاهتمام بها الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م). ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها. وإنما أترك ذلك لعالمين كبيرين من علماء الإسلام، هما «المقريزى» (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ / ١٣٦٥ - ١٤٤١ م) فى (الخطط)، و«المسعودى» (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) فى «مروج الذهب»، كما تولى الخلفاء والحكام إقامة الوحدة الوطنية ورعايتها».

هكذا شهد الحبر الكبير البابا شنودة لعدل القرآن الكريم مع النصارى، ولعدل التاريخ الإسلامى مع المسيحيين، منذ عمر بن الخطاب، وكيف أن عدل عمر لم ينقض بموته، وإنما استمر عبر التاريخ الإسلامى، وبعبارة البابا شنودة: «فإن الخير الذى عمله عمر لم يمت بموته إطلاقًا، وما يزال حيًا الآن يملأ الآذان، ويملأ الأذهان، ويحيا مع الناس على مدى الأزمان».

إنها شهادة بل وثيقة تحتاج إلى أن تقرأ مرات ومرات. لتتحول إلى دعامة «للتصحيح الوطنى»، وإلى سلاح نصد به كيد الأعداء وجهالات الغوغاء.

«باسم الإله الواحد، الذى نعبده جميعا، يسرنى نيابة عنكم أن أرحب بالسيد الرئيس أنور السادات

وفى هذا اليوم الذى يزور فيه مكان البطريركية وموضعها هذا، تتذكرنا علاقة الإسلام بالنصارى. وزيارة الرئيس اليوم لها مغزاها الكبير

وسأتحدث فى قليل عن هذه الناحية. الإسلام حينما يتحدث عن النصارى. فإنه يسميهم أهل الكتاب. ولقد ورد فى القرآن الكريم عديد من الآيات فى محبة أهل الكتاب، وفى محبة النصارى، نذكر من بينها ما ورد فى سورة آل عمران:

(آل عمران: ١١٣)

وهنا نرى القرآن قد تكلم عن أهل الكتاب، كأهل عبادة، وأهل سهر فى الصلاة وأهل معروف وإيمان وصلاح، ولذلك ورد فى سورة البقرة:

(البقرة: ١٢١)

ولهذا نجد أن القرآن حينما يتكلم عن المسيحيين من أهل الكتاب، إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتى هى أحسن، فلقد ورد فى سورة العنكبوت:

(العنكبوت: ٤٦)

بل أكثر من هذا فقد وضع القرآن أهل الكتاب فى موقف السؤال والمشورة، بل والإفتاء فى الدين، فقد ورد فى سورة يونس:

(يونس: ٩٤)

وقد ورد أيضا فى سورة الأنبياء:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنبياء: ٧)

والقرآن حينما يتكلم عن النصارى يصفهم أيضا بأنهم أهل رأفة ورحمة. ففى سورة الحديد فى الحديث عن السيد المسيح يقول:

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد: ٢٧)

وهو أيضا يجعلهم أقرب الناس مودة للمسلمين فى آية قرآنية فى سورة المائدة يميز فيها القرآن بين المسيحيين والمشركين فيقول:

﴿ ... الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(المائدة: ٨٢)

وهنا نرى أن القرآن وضع اليهود الذين أشركوا فى ناحية، ووضع النصارى فى ناحية أخرى مميزاً بينهم وبين المشركين. بهذا عاش المسيحيون فى الحكم الإسلامى مع الحكام الذين فهموا القرآن على حقيقته وأحبوا السماحة، عاش النصارى معهم عيشة طيبة نريد أن نتوجها بحكم أنور السادات، فى تلك العصور نجد تمازجا قد حدث بين المسلمين والمسيحيين ظل هذا التمازج ينمو شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى حالة من الوحدة، فلنا فى التاريخ الإسلامى صداقات كثيرة بين حكام المسلمين وبين المسيحيين وتراهم قد اعتمدوا عليهم فى ميادين عدة لعل من أبرزها التعليم والطب والهندسة والأمور المالية

وفى التعليم نرى أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان اختار رجلاً مسيحيا لكى يؤدب ابنه زياد، وزياد اختار كاهناً مسيحيًا لكى يؤدب ابنه خالداً، والخليفة عبد الملك بن مروان كان يأخذ يوحنا الدمشقى مستشاراً له، وقد اختار رجلاً معلماً مشهوراً اسمه أطاناسيوس لكى يؤدب أخاه عبد العزيز.

ولما صار عبد العزيز بن مروان حاكماً لمصر أخذ أطاناسيوس معه كمستشار له، نجد أن الأخطل كان من الشعراء المسيحيين المشهورين اندمج فى مجموعة متلازمة مع جرير والفرزدق اشتهرت فى العصر الأموى، وكان الأخطل المسيحى حينما يدخل إلى

مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالاً لعلمه وأدبه كما يروى التاريخ الإسلامي.

نرى في التاريخ الإسلامي أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية. نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتي بعده في الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين:

- الأمر الأول: وفاء العهود التي أعطيت لهم.
- والأمر الثاني: قال فيه: ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون.

عمر بن الخطاب في إحدى المرات حينما كان الوليد بن عقبة واليا على بني تغلب ومن فيهم من النصارى، لما رأى عمر بن الخطاب أن الوليد بن عقبة هدد هؤلاء الن وتوعدهم عزله من الولاية حتى لا يلقى بهم شراً.

وهناك قصة لطيفة تروى عن عمر بن الخطاب أنه حينما كان خليفة المسلمين اختلف علي بن أبي طالب الذي صار الخليفة الرابع مع رجل يهودي وجاء الاثنان أمام الخليفة عمر، فقال عمر لعلي: يا أبا الحسن اجلس إلى جوار خصمك لنبحث الأمر، فجلس علي وقد تأثر قليلاً، وبعد أن قضى بينهما، قال عمر لعلي، هل استأت لأني أجلستك إلى جوار خصمك. قال له: كلا، إنما استأت لأنك ناديتني بكنيتي يا أبا الحسن، وفي هذا نوع من التعظيم خفت أن يشعر معه هذا اليهودي بأنه لا يوجد عدل بين المسلمين.

ولهذا نرى أن الإمام علي بن أبي طالب الذي صار من أعظم الخلفاء في تاريخ الإسلام يعاتب عمر ويقول له: لم لم تساو بيننا، وإنما رفعتني عنه بأن ناديتني بكنيتي. هكذا كان المسلمون يسلكون في العدل بين رعاياهم، أيا كان مذهبهم

ونجد أنه في التاريخ كثير من الخلفاء المسلمين وولاتهم اهتموا بالمسيحيين من كل ناحية، كان محمد بن طغج الأخشيد يبني بنفسه الكنائس ويتولى ترميمها، وكنيسة أبي سرجة في مصر القديمة اهتم ببنائها الخلفاء المسلمون وكنيسة أبي سيفين القديس مارقوريوس بمصر القديمة تولى الاهتمام بها الخليفة العزيز بالله الفاطمي، ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها في العهد الفاطمي، إنما أترك هذا الأمر لعالمين كبيرين من علماء الإسلام هما: المقريزي في كتابه الخطط، والمسعودي في كتابه مروج الذهب.

من ناحية الطب الذي بسببه نحن مجتمعون لإنشاء هذا المستشفى نجد أن أول مستشفى في مصر كان في عهد أحمد بن طولون وكان أحمد بن طولون من المحب

للأقباط كثيرا وقد اختار مسيحيا لكي يبني له مسجد أحمد بن طولون، واختار مسيحياً لكي يبني القناطر واختار مسيحياً يبني كثيراً من منشآته وكان أحمد بن طولون يذهب كثيراً لزيارة دير القصير، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك.

والأديرة المصرية كانت دائماً مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة وكانوا يحبونها ويقضون فيها الكثير من الوقت ويصادقون رهبانها وأساقفتها. نسمع أن هشام بن عبد الملك ابتنى للبطريرك في أيامه بيتاً إلى جوار قصره وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته، ونسمع أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي كان على صداقة كبيرة بالبابا إبرام بن زرعا وبالأنبا ساويرس أسقف الأشمونين، وكان يدعوهما إلى قصره مع رئيس القضاة يتناقشان في الدين وهما في حضرته

وفي الطب نسمع أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان له طبيبه الخصوصي وكان نصرانيا. والخليفة أبوجعفر المنصور كان طبيبه الخاص مسيحيا اسمه جرجس بن بختيشوع. وكان جبريل بن بختيشوع طبيبا لهارون الرشيد. وكان الخليفة هارون الرشيد يقول للناس: من كان منكم له حاجة عندي فليكلم فيها جبرائيل لأني لا أرد له طلباً.

وكان يوحنا مشهوراً من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل، وكان هؤلاء الخلفاء يدعونه إلى موائدهم وما يأكلون شيئاً إلا في حضرته، وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء في العصر الإسلامي حتى قيل عنه انه أبوقراط عصره، وجالينوس دهره، وحنين بن إسحق تعلم كذلك اللغة والفقه الإسلامي على يد الإمام أحمد بن حنبل، وعلى يد سيبويه، ونبغ في اللغة العربية نبوغا عظيما.

وبانتشار اللغة العربية في مصر التي تعلمها وأتقنها أقباط مصر، كانت هذه اللغة مجالاً كبيراً للتوحيد بين الناس، فكان الأقباط يتكلمون اللغة العربية، وكان المسلمون في الريف يستخدمون التقويم القبطي في أمور الفلاحة جميعها.

نرى هذا التعاطف كان موجوداً باستمرار، ونسمع عن كثيرين من الخلفاء والحكام أنهم تولوا هذه الوحدة الوطنية ورعوها.

عمر بن الخطاب انتهت حياته على الأرض، وانتهت مدة خلافته، لكن الخير الذي عمله لم يمت بموته إطلاقاً، وما يزال حياً حتى الآن يملأ الآذان ويملأ الأذهان، ويحيا مع الناس على مدى الأزمان.

أنا لست بمستطيع أن أتحدث طويلاً في هذا الأمر لكيلا أنسى نفسي، وكلكم

مشتاقون لسماع السيد الرئيس، ولكنى أحب أن أقول: إن الخير يا سيادة الرئيس هو الذى يعيش دائما، ويخلد مع الزمن، ونحن نسعى إلى انتشار الخير بين الناس، ونريد أن يكون الخير الذى يسلك فيه الناس خيراً اختيارياً ينبع من قلوبهم، وليس خيراً جباريا يرغمون عليه. صدقوا أستطيع أن أقول إن عمل الخير ليس هو الخير، وإنما الخير الحقيقى هو محبة الخير داخل القلب. فالإنسان قد يعمل الخير مضطراً، وقد يعمل الخير خوفاً، وقد يعمل الخير تقليداً، ولكنه لا يكون خيراً فى الحقيقة. إنما الإنسان الخيّر هو الذى يحب الخير فى عمق أعماقه حتى إن لم يعمله تصير نيته له عملا والأعمال بالنيات. الإجبار للخير يكون عبيداً يخضعون للسلطة. أما الخير الاختيارى فيكوّن قديسين.

ومن هنا نريد أن ننشر الخير بين الناس فى قلوبهم من الداخل، وأن نوطد أعمال الصلاح والبر داخل الإنسان، وليس خارجه

إن يوسف الصديق كانت الخطيئة أمامه سهلة وتلح عليه، وكان ربما يعاقب إن لم يرتكبها، ولكنه فضل ألا يخطئ لأن محبة الخير فى قلبه كانت أقوى من إغراءات خفية.

هذا هو الإنسان الصالح الذى نريده، والذى نريده من تعليم الدين، والذى نريده من الوعظ، والذى نريده من تشجيع الدولة.

ونحن كمسيحيين نحب أن نساهم فى هذا المجال فى إيجاد المواطن الصالح قلبا وتصرفا، نساهم بكل قوتنا لأننا نحب مصر بلادنا، ونحب ترابها، ونحب ماءها، ونحب تاريخها المجيد، ونحب رجالها العاملين، ونحب أيضاً رئيسها أنور السادات، مصر بالنسبة لنا ليست وطنا نعيش فيه، إنما هى وطن يعيش فينا، يعيش فى داخلنا، مصر هذه نحبها الحب كله، ونحرص على سمعتها كل الحرص فى الداخل وفى الخارج أيضاً، ونبذل كل جهدنا لكى تكون صورة مصر مشرقة فى كل مكان، جميلة عند كل شعوب العالم، تليق بعبارة الكتاب المقدس التى قال فيها (مبارك شعب مصر).

●●●

تفسير سورة البقرة



قال تعالى: ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢٢)

لما ذكر الله عباده بنعمة الإيجاد وبنعمة المساواة فى المواهب التى تقتضى التقوى وعدم إطراء السلف برفعهم إلى مقام الربوبية كما وقع من الذين

(التوبة ٣١)

ذكرهم ثانيا ببعض خصائص الربوبية التى تقتضى الاختصاص بالعبودية، فقال

بما مهدها وجعلها صالحة للافتراش والإقامة عليها والارتفاق بها، أى فهو القادر على جلائل الفعال، العظيم الذى يستحق العبادة والإجلال، المنعم بجميع النعم، الجدير بأعلى مراتب الشكر، جعل الأرض بقدرته فراشا لأجل منفعتكم، ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ متماسكا لكيلا تقع على الأرض فتسحقكم. السماء مجموع ما فوقنا من العالم، والبناء وضع شئ على شئ بحيث يتكون من ذلك شئ بصورة مخصوصة. وقد كون الله السماء سقفا كسقف البناء، وسوى أجرامها على هذه الصفة المشاهدة، وأمسكها بسنة الجاذبية فلا تقع

على الأرض، ولا يصطدم بعضها ببعض، إلا إذا جاء يوم الوعيد، وبطل نظام هذا العالم ليعود في خلق جديد. والواجب ملاحظته في هذا المقام هو تصور قدرة الله تعالى وعظمته وسعة فضله ورحمته

ثم بعد أن امتن بنعمة الإيجاد، ونعمة الفراش والمهاد، وبنعمة السماء التي هي كالبناء، ذكر نعمة الإمداد، الذي تحفظ به هذه الأجساد، وهي مادة الغذاء التي بها تنمو [illegible] فقال:

﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾

والثمرات ما يحصل من النبات نجما كان أو شجرا. يصلح الزارع والغارس الأرض، ويبذر البذر، ويغرس الفسيل، ويتعاهد ذلك بالسقي والعزق، فيكون له كسب في رزقه. ولكنه ليس له كسب في إنزال المطر الذي يسقي به، ولا في تعديه [illegible] المطر أو النهر المجتمع من المطر، وبأجزاء الأرض، وعناصرها الأخرى، ولا في تولد خلاياه التي بها نموه، ولا في إثماره إذا أثمر، وإنما كل ذلك بيد الله القدير. فعلينا أن نتفكر في ذلك لنزداد تعظيما له وإجلالا، فلا نعبد معه أحدا.

وبعد أن عرفنا الله تعالى بأنعمه، ونعمته علينا [illegible] سلف. وبعد أن عرفنا ذاته الكريمة، بآثار رحمته ومننه العظيمة، وصرنا جديرين بأن نعرف أن العبد عبد فلا يعبد، وأن الرب رب فلا يشرك به ولا يجحد، قال تفريعا وترتيبا على ما سبق

﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾

من سلطكم المخلوقين مثلكم، تطلبون منهم ما لا يطلب إلا منه. وهو كل ما تعجزون عنه، ولا يصل كسبكم إليه. لا تفعلوا ذلك، فإنهم في الخلق والعبودية مثلكم.

الأنداد جمع ند (بكسر النون)، وفسر [illegible]. وهو في اللغة المشارع والمكافئ يقال: فلان ند فلان، ومن أنداد فلان، أي يضارعه ويماثله ولو في بعض الشئون. والأنداد الذين اتخذوا في جانب الله، هم الذين خضع الناس لهم وصمدوا إليهم في بعض الحاجات، لمعنى يعتقده فيهم الخاضعون المخاطبون بترك الأنداد أولا وبالذات، وهم مشركو العرب وأهل الكتاب. فالعرب كانت تسمي ذلك الخضوع والتصمد عبادة، إذ لم يكن عندهم وحي ينهاهم عن عبادة غير الله، فيتحاموا هذا اللفظ (العبادة)، ويستبدلوا به لفظ التعظيم أو التوسل مثلا تأويلا لظاهر نص التنزيل. وأما أهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أندادا وأربابا فكانوا يأولون فلا يسمون هذا الاتخاذ عبادة ولا أولئك المعظمين آلهة أو أندادا أو أربابا وفرق بين الاتخاذ بالفعل، والتسمية بالقول. والجميع متفقون على أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله. وإنما كانوا يسمون دعاء غير الله والتقرب إليه توسلا واستشفاعا. ويسمون تشريعهم لهم العبادات، وتحليلهم لهم المنكرات، وتحريمهم عليهم بعض الطيبات. فقها واستنباطا من التوراة. إلا أن من النصارى من لا يتحامون التصريح بعبادة السيدة مريم وبعض القديسين استعمالا للفظ في مدلوله اللغوي.

وصورة العبادة تختلف عند الأمم اختلافا عظيما، وأعلاها عند المسلمين: الأركان الخمسة والدعاء. وقالوا: كل عمل غير محظور، تحسن فيه النية لله تعالى، فهو عبادة. كأن المعنى الذي يجعل جميع الأعمال عبادة هو التوجه إلى الله تعالى وحده، وابتغاء مرضاته [illegible] وليس عند أهل الكتاب صور أخرى، والمؤولون يخصون هذه الصورة بالله تعالى. وإذا ابتدعوا صورة فيها معنى العبادة يسمونها باسم آخر يستحلونها بل يستحبونها به، ولكنهم لا يخرجون بالتسمية أو التأويل عن حيز من يتخذ من دون الله أندادا، كما ذكر الله عنهم في قوله

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾

(التوبة ٣١)

ولم يكن منهم سوى التوصل بهم والأخذ في الدين بقولهم تقليدا لهم بدون فهم لما جاء على لسان الوحي، كما صح ذلك عن رسول الله - ﷺ -. وقدماء الفرس جعلوا لله ندا في الخلق والإيجاد، فقالوا: إن للخير إلها هو الإله الأول، وللشر إلها يعبدونه. وليس النهي في الآية عن هذا الند التشريك، لأن المخاطبين لا يدينون به كما [illegible] وتنص عليه الآيات الكثيرة

لذلك وصل النهي بقوله عز وجل:

﴿ وأنتم تعلمون ﴾

أي [illegible] بكم تعلمون أنه لا [illegible]. لأنكم إذا سئلتم: من خلقكم وخلق من قبلكم؟ تقولون الله. وإذا سئلتم: من يرزقكم من السموات والأرض؟ ومن يدبر الأمر؟ تقولون الله. فلماذا تستغيثون إذن بغير الله، وتدعون غير الله؟ ومن أين أتيتم بهذه الوسائط التي لا تضر ولا تنفع، وادعيتم أنهم شفعاؤكم عند الله؟ ومن أين [illegible] لكم أن التقرب والتوسل إلى الله يكون بغير ما شرعه من الدين حتى قلتم:

﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾

(الزمر ٣)

يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم، وخلق وسطاءكم وشفعاءكم، وأعدكم جميعا للتقوى، التي تقربكم إليه زلفى. وساوى بينكم في أنواع المواهب، إلا أنه خص الأنبياء - عليهم السلام - بالوحي ليعلموكم ما أعطاكم ربكم فيه، فعليكم أن تهتدوا بما جاءوا به. فإنه صد المرءوسين عن ترك تقاليدهم واتباع الوحي من غير زيادة فيه ولا نقصان منه خوفهم الرؤساء، فقد آثروا رؤساءهم على الله وجعلوهم له أندادا. وإن صد الرؤساء عن هذا الاتباع توقع زوال المنفعة والجاه لدى المرءوسين، فقد اتخذوهم أندادا. فالند هو المكافئ والمثل، وأنتم بتركك الحق لخوفهم ورجائهم تفضلونهم على الله تعالى وتجعلونه أقل من الأنداد تعظيما. ففروا رحمكم الله إلى الله، ولا تخافوا غيره، ولا ترجوا سواه. فعار على من يعرف الله، أن يؤثر رضاء أحد على رضاه، لا فرق بين رئيس ومرءوس، وتابع ومتبوع. بل هذا لا يقع من مؤمن حقيقي لأن الله تعالى يقول

﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾

(آل عمران ١٧٥)



أقسام السنة النبوية
عند العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

٢

(١٢٩٦ـ١٣٩٣هـ/ ١٨٧٩ـ١٩٧٣م)

عرض لي أن أعد من أحوال رسول الله ﷺ التي يصدر عنها قول منه أو فعل اثنى عشر حالا. منها ما وقع في كلام القرافي ومنها ما لم يذكره وهي: التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد.

فأما حال التشريع فهو أغلب الأحوال على الرسول ﷺ، إذ لأجله بعثه الله، كما أشار إليه قوله تعالى:

(آل عمران: ١٤٤)

وقرائن الانتصاب للتشريع ظاهرة، مثل خطبة حجة الوداع، وكيف أقام مسمِّعين يُسمِعون الناس ما يقوله رسول الله ﷺ، ومثل قوله ﷺ في حجة الوداع «خذوا عني مناسككم»، وقوله عقب الخطاب: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب».

وأما حال الإفتاء: فله علامات مثل ما ورد في حديث الموطأ والصحيحين عن عبدالله بن عمرو وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع على ناقته بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال: لم أشعر فحلقت، قبل أن أنحر، فقال: «انحر ولا حرج»، ثم جاء آخر فقال: نحرت قبل أن أرمي، قال: «ارم ولا حرج»، ثم أتاه آخر فقال: أفضت إلى البيت قبل أن أرمي، قال: «ارم ولا حرج»، فما سئل عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض إلا قال: «افعل ولا حرج».

وأما حال القضاء: فهو ما يصدر حين الفصل بين المتخاصمين المتشادين مثل قوله ﷺ: «امسك يا زبير حتى يبلغ الماء الجَدْر[1] ثم أرسله». ومثل قضائه في خصومة الحضرمي والكندي في أرض بينهما، الوارد في صحيح مسلم. فكل تصرف كان بمحضر خصمين فليس بقضاء مثل ما في حديث هند بنت عتبة المتقدم.

ومن أمارات ذلك الخصم قول الخصم للرسول ﷺ: اقض بيننا، وقول الرسول ﷺ: «لأقضين بينكما». مثاله ما في حديث الموطأ عن زيد بن خالد الجهني، قال: جاء أعرابي ومعه خصمه فقال: يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله. وقال خصمه (وكان أفقه منه). صدق. اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكلم، وذكرا قضيتهما. فقال رسول الله: «لأقضين بينكما بكتاب الله...» الخ.

وقد استقصى الإمام محمد بن فرج مولى بن الطلاع القرطبي معظم أقضية رسول الله في كتاب ممتع[2].

وقوله حين شكت إليه حبيبة بنت سهل الأنصاري، زوجة ثابت بن قيس، وذكرت أنها لا تحبه، فقال لها رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: كل ما أعطاني هو عندي، فقال رسول الله لثابت: «خذ منها»، فأخذ حديقته وطلقها.

وهذه الأحوال الثلاثة كلها شواهد التشريع وليست التفرقة بينها إلا لمعرفة اندراج أصول الشريعة تحتها.

والفتوى والقضاء: كلاهما تطبيق للتشريع، ويكونان في الغالب لأجل المساواة بين الحكم التشريعي والحكم التطبيقي، بحيث تكون المسألة أو القضية جزئيا من القاعدة الشرعية الأصلية بمنزلة لزوم المقدمة الصغرى للكبرى في القياس. وقد يكونان لأجل عموم وخصوص وجهي بين الحكم التشريعي العام وبين حكم المسألة أو القضية، بأن يكون المستفتي قد عرض لفعله عارض أوجب اندراجه تحت قاعدة شرعية، لا لكون الفعل نفسه مندرجا تحت قاعدة شرعية. بمنزلة لزوم إحدى القضيتين للأخرى في قياس المساواة المنطقي بواسطة مقدمة غريبة.

مثاله في الفتوى: النهي عن الانتباذ في الدُّبَّاء والحنتم والمُزَفَّت والنَّقِير[3]، فإن هذا النهي تعين كونه لأوصاف عارضة توجب تسرع الاختمار لهذه الأنبذة في بلاد الحجاز، فلا يؤخذ ذلك النهي أصلا يحرم لأجله وضع النبيذ في دُبّاءة أو حنتمة، مثلا إن هو في قُطر بارد. ولو قال بعض أهل العلم بذلك لعَرَّض الشريعة للاستخفاف.

وكذلك القول في الأقضية مثل قضاء رسول الله ﷺ بالشفعة للجار. فإن ذلك يحمل على أن الراوي رأى جارا قضى له

(١) هو حائط الحوض.

(٢) كتاب (أقضية رسول الله ﷺ) تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة [illegible]

(٣) [illegible]

بالشفعة ولم يعلم أنه شريك.

وأما حال الإمارة: فأكثر تصاريفه لا يكاد يشتبه بأحوال التشريع للتشريع لا فيما يقع في خلال أحوال بعض الحروب مما يحتمل الخصوصية؛ مثل النهي عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية في غزوة خيبر، فقد اختلف الصحابة: هل كان نهي رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية وأمره بإكفاء القدور التي طبخت فيها نهي تشريع فيقتضي تحريم لحوم الحُمُر الأهلية في كل الأحوال؟ أو نهي إمرة لمصلحة الجيش، لأنهم في تلك الغزوة كانت حمولتهم الحمير، وقد تقدم كلام الشهاب القرافي في الإذن بإحياء الموات.

وقد قال رسول الله ﷺ يوم حنين: «من قتل قتيلاً فله سلبه»، رواه مالك في الموطأ ورجاله الصحيح. فجعل مالك تصرفاً بالإمارة فقال: لا يجوز إعطاء السلب إلا بإذن الإمام، وهو من النفل [4]، وهو خارج من الخُمس الذي هو موكول لاجتهاد أمير الجيش، وبذلك قال أبوحنيفة أيضاً، وقال الشافعي وأبو ثور وداود: لا يتوقف ذلك على إذن الإمام، بل هو حق للقاتل، فرأوه تصرفاً بالفتوى والتبليغ.

وأما حال الهدى والإرشاد: فالهدى والإرشاد أعم من التشريع [5]؛ لأن الرسول ﷺ قد يأمر وينهي، وليس المقصود العزم. ولكن المقصود الإرشاد إلى طرق الخير، فإن الرغبات، وأوصاف نعيم أهل الجنة وأكثر المندوبات من قبيل الإرشاد. فإن أردت بالهدى والإرشاد هنا خصوص الإرشاد إلى مكارم الأخلاق وآداب الصحبة وكذلك الإرشاد إلى الاعتقاد الصحيح.

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «عبيدكم خولكم جعلهم الله تحت إيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق فإن كلفه فليُعِنه». قال الراوي: لقيت أبا ذر وغلاماً له وعلى غلامه حلة فقلت لأبي ذر: ما هذا؟ فقال: تعال أحدثك. إني ساببت عبداً لي فعيرته بأمه، فشكاني إلى رسول الله، فقال رسول الله: «أعيرته بأمه يا أباذر؟» قلت: نعم، قال: «إنك امرؤ فيك جاهلية عبيدكم خولكم..» الحديث

وأما حال المصالحة بين الناس: فهو حال يخالف حال القضاء، وذلك مثل تصرف رسول الله ﷺ حين اختصم إليه الزبير وحميد الأنصاري في شرَاج الحرَّة [6] كانا يسقيان به، فقال رسول الله للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك»، فلما غضب حميد الأنصاري، قال رسول الله للزبير: «اسق ثم احبس حتى يبلغ الماء الجدر [7]». قال عروة بن الزبير: وكان رسول الله أشار برأي فيه سعة للزبير وللأنصاري. ثم استوعى رسول الله للزبير حقه في صريح حكمه.

ومثل قضية كعب بن مالك حين طالب عبدالله بن أبي حدرد بمال كان له عليه، فارتفعت أصواتهما في المسجد، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «يا كعب»، وأشار بيده، أي: ضع الشطر، فرضي كعب فأخذ نصف المال الذي له على ابن أبي حدرد.

وأما حال الإشارة على المستشير: فمثل ما في حديث الموطأ أن عمر بن الخطاب حمل على فرس في سبيل الله، فأضاعه الرجل الذي أعطاه عمر إياه وزاد بيعه فرام عمر أن يشتريه وظن أن صاحبه بائعه برخص، فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله: «لا تشتره ولو أعطاكه بدرهم، فإن الراجع في صدقته كالكلب يعود في قيئه»، فهذه إشارة من رسول الله على عمر ولم يعلم أحد أن رسول الله ﷺ نهى عن مثل ذلك نهياً علناً، فمن أجل ذلك اختلف العلماء في محمل النهي، فقال الجمهور: هو نهي تنزيه كيلا يتبع الرجل نفسه ما تصدق به فجعله لله، وحمل على هذا قول مالك في الموطأ والمدونة لجزمه بأن ذلك البيع لو وقع لم يفسخ. وحمله في الموازية على التحريم ولم يقل: إن البيع يفسخ مع أنه لو كان نهي تحريم لأوجب فسخ البيع؛ لأن أصل المذهب أن النهي يقتضي الفساد إلا لدليل.

وعلى هذا المحمل يحمل عندي حديث بريرة حين رام أهلها بيعها، ورغبت عائشة في شرائها واشترط عليها أن يكون ولاؤها لهم. رأبت عائشة ذلك. وأخبرت رسول الله ﷺ بذلك كالمستشيرة، فقال لها: «لا عليك أن تشترطي لهم الولاء»، وفي رواية: «خذيها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق»، ففعلت عائشة ذلك، ثم خطب رسول الله في الناس خطبة قال فيها: «ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله - إلى قوله: «وإنما الولاء لمن أعتق». فلو كان قوله لعائشة تشريعاً أو فتوى لكان الشرط ماضياً ولعارض قوله في الخطبة «إنما الولاء لمن أعتق»، ولكنه كان إشارة منه على عائشة بحق شرعي حتى تَسنَّى لها التحصيل عليه مع حصول رغبتها في شراء بريرة وعتقها، وهذا مَخرج في فهم هذا الحديث هو من فتوحات الله عليَّ، وبه يندفع كل إشكال حيَّر العلماء في محمل هذا الحديث.

وعلى مثل هذا المحمل حمل زيد بن ثابت نهي رسول الله عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه، ففي صحيح البخاري عن زيد: كان الناس في عهد رسول الله يتبايعون الثمار، فإذا جدَّ الناس وحضر تقاضيهم، قال المبتاع: إنه أصاب الدمان [8]، أصابه مراض، أصابه قشام [9] عاهات يحتجون بها، فقال رسول الله ﷺ لما كثرت عنده الخصومة: «فإما لا فلا تتبايعوا حتى يبدو

(5) أردت من التشريع ما يومئ به ظاهر الفعل النبوي أو القول من وجوب أو تحريم مع أن المقصود غير ذلك الحكم، وإلا فإن الهدى والإرشاد يدلان على مشروعية ما، كما تقدم في أول صلاحية الكتاب.

(6) الشراج: هو مسيل الماء، والحرة: أرض منسعة تحيط بالمدينة.

(7) الجدر: هو محيط الحوض يتصل النخلة.

(8) الدمان: عفن النخلة وسوادها.

(9) أي اليبس.

صلاح الثمر، قال زيد بن ثابت: كالمشورة يشير بها عليهم لكثرة خصومتهم [illegible]

وأما حال النصيحة: فمثاله ما في الموطأ والصحيحين عن النعمان بن بشير أن أباه بشير بن سعد نحل النعمان ابنه غلامًا من ماله دون بقية أبنائه، فقالت له زوجه عمرة بنت رواحة، وهي أم النعمان: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله، فذهب بشير وأعلم رسول الله بذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نحلت مثله»، قال: لا، قال: «لا تشهدني على جور»، وفي رواية: «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء»، قال: نعم، قال: «فلا إذن».

فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي: إن رسول الله نهى بشيرًا عن ذلك، نظرًا إلى البر وصلة لأبنائه ولم يرد تحريمه ولا إبطال العطية، ولذلك قال مالك: يجوز للرجل أن يهب لبعض ولده ماله، وما نظروا إلا لأن رسول الله ﷺ لما لم يشتهر عنه هذا النهي علمنا أنه نهي نصيحة لكمال إصلاح أمر العائلة وليس تحجيرًا، ويؤيد ذلك ما في بعض روايات الحديث أنه قال: «لا، أشهد غيري».

وذهب طاوس وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وسفيان وداود بن علي إلى تحريم مثل هذه النحلة، وقوفًا منهم عند ظاهر النهي.

ومن هذا أيضًا حديث فاطمة ابنة قيس في صحيح مسلم أنها ذكرت لرسول الله ﷺ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباها، فقال لها رسول الله: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك»، لا يدل على أنه لا يجوز للمرأة أن تتزوج برجل فقير، ولكنها استشارت رسول الله فأشار عليها بما هو أصلح لها.

وأما حال طلب حمل النفوس على الأكمل من الأحوال: فذلك كثير من أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه الراجعة إلى تكميل نفوس أصحابه وحملهم على ما يليق بجلال مرتبتهم في الدين من الاتصاف بأكمل الأحوال مما لو حمل عليه جميع الأمة لكان حرجًا عليهم، وقد رأيت ذلك كثيرًا في تصرفات رسول الله ﷺ ورأيت في غفلة بعض العلماء عن هذا الحال من تصرفاته وقوعًا في أغلاط فقهية كثيرة، وفي محمل أدلة كثيرة من السنة على غير محاملها، وبالاهتداء إلى هذا اندفعت عني حيرة عظيمة في تلك المسائل.

فقد كان رسول الله ﷺ لأصحابه مشرع لهم بخصوص، فكان يحملهم على أكمل الأحوال من شد أواصر الأخوة الإسلامية بأحلى مظاهرها والإعراض عن زخرف هذه الدنيا وألا يهملوا في الإقبال على الدين وفهمه؛ لأنهم أعدوا ليكونوا حملة هذا الدين وناشري لوائه، وقد نوه الله تعالى بهم في آية سورة الفتح:

[illegible]

«الفتح: ٢٩».

ألا ترى إلى قوله ﷺ: «[illegible] أصحابي

كالسجود»، وقوله: «لا يمش أحدكم في نعل واحدة [illegible] ولا [illegible]»، وقوله في مرض سعد بن أبي وقاص في مكة في عام الفتح: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم»، لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله أن مات بمكة، لأنه طلب منهم أن يكملوا في حالتي حياة ووفاة وإن كان موت المهاجر بمكة لا ينقض هجرته.

وأمثلة هذا الحال كثيرة، ففي كتاب اللباس من صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي.. ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن آنية الفضة، وعن المياثر الحمر والقسية والإستبرق والديباج والحرير، فجمع مأمورات ومنهيات مختلفة بعضها مما علم وجوبه في مثل نصر المظلوم مع القدرة، وتحريمه في مثل الشرب في آنية الفضة، وبعضها مما علم عدم وجوبه في الأمر مثل تشميت العاطس وإبرار القسم أو عدم تحريمه في النهي مثل المياثر والقسية.

فما تلك المنهيات إلا لأجل تنزيه أصحابه عن التظاهر بمظاهر البذخ والفخفخة للترفه والتزين بالألوان المريبة وهي الحمرة. وبذلك تندفع الحيرة في وجه النهي عن كثير مما ذكر في هذا الحديث مما لم يهتد إليه الخائضون في شرحه.

ويشهد لهذا ما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن لبس القسي، وعن لبس المعصفر، وعن تختم الذهب، وعن القراءة في الركوع والسجود. ولا أقول نهاكم»، يعني أن بعض هذه المنهيات لم ينه عنها جميع الأمة، بل خص بالنهي عليًا.

ومن الأمثلة حديث أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال: «الجار أحق بصقبه»، أي: ما يليه، أي أحق بشرائه إذا باعه جاره، فما هو إلا لحمل أصحابه على المواساة والمؤاخاة، ولذلك جعل الجار منهم أحق بالشفعة لأجل السقب، أي القرب، ولولا كلمة (أحق) لجعلنا الحديث لمجرد الترغيب، فلما وجدنا كلمة (أحق) علمنا أنه يعني الجار من الصحابة أحق بشفعة عقار جاره فلا تعارض بينه وبين حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «الشفعة في ما لم يقسم. فإذا حددت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة».

وكذلك حديث الموطأ والصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا

[illegible]

يمنع أحدكم جاره خشبة يغرزها في جداره»، ثم يقول أبوهريرة: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم. فحمل ذلك أبوهريرة على التشريع، وحمله مالك على معنى الترغيب، فقال في الموطأ: أن لا يقضى على الجار بذلك، أي؛ لأنه يخالف قاعدة إطلاق تصرف المالك في ملكه وأن لا حق لغيره فيه.

وعلى هذا النحو يحمل حديث رافع بن خديج عن عمه ظُهير بن رافع أنه قال: لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان بنا رافقا، قال رافع: قلت: ما قال رسول الله فهو حق، قال: دعاني رسول الله فقال: «ما تصنعون بمحاقلكم؟» قلت: نؤاجرها على الربع وعلى الأوسق من التمر والشعير؟ فقال: «لا تفعلوا ازْرَعوها أو أَزْرِعوها أو أمسكوها»، قال رافع: قلت: سمعا وطاعة.

فتأوله معظم العلماء على معنى أن رسول الله أمر أصحابه أن يواسي بعضهم بعضا، ولذلك ترجم البخارى هذا الحديث بقوله: باب ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يواسي بعضهم بعضًا في الزراعة والثمرة.

وأما حال تعليم الحقائق العالية فذلك مقام رسول الله ﷺ، خاصة أصحابه، ومثاله: ما روى أبو ذر قال: قال لي خليلي: «يا أبا ذر أتبصر أُحُدًا؟» (بضم الهمزة)، قلت: نعم، قال: «ما أحب أن لي مثل أُحُد ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير»، فظن أبو ذر أن هذا أمر عام للأمة، فجعل ينهى عن اكتناز المال، وقد أنكر عليه عثمان - رضي الله عنه - قول ذلك كما سيجيء.

وأما حال التأديب: فينبغي إجادة النظر فيه؛ لأن ذلك حال قد تحف به المبالغة لقصد التهديد. فعلى الفقيه أن يميز ما يناسب أن يكون القصد منه بالذات التشريع، وما يناسب أن يكون القصد منه بالذات التوبيخ والتهديد، ولكنه تشريع بالنوع أي بنوع أصل التأديب.

ومثال ذلك ما في الموطأ والصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينا أو مرماتين حسنتين[11] لشهد العشاء».

فلا يشتبه أن رسول الله ﷺ ما كان ليحرق بيوت المسلمين لأجل شهود صلاة العشاء في الجماعة. ولكن الكلام سيق مساق التهويل في التأديب، أو أن الله أطلعه على أن أولئك من المنافقين وأذن له بإتلافهم إن شاء.

ومنه أيضًا ما ورد في صحيح البخارى عن أبي شريح قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، فقلنا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»، فخرج الكلام مخرج التهويل لمن يسيء إلى جاره حتى يخشى أن لا يكون من المؤمنين. والمراد نفي الإيمان الكامل.

وأما حال التجرد عن الإرشاد: فذلك ما يتعلق بغير ما فيه التشريع والتدين وتهذيب النفوس وانتظام الجماعة، ولكنه أمر يرجع إلى العمل في الجِبِلَّة وفي دواعي الحياة المادية. وأمره لا يشتبه. فإن رسول الله يعمل في شؤونه البيتية ومعاشه الحيوى أعمالاً لا قصد منها إلى التشريع ولا طلب متابعة، وقد تقرر في أصول الفقه أن ما كان جبليا من أعمال رسول الله ﷺ لا يكون موضوعا لمطالبة الأمة بفعل مثله، بل لكل أحد أن يسلك ما يليق بحاله، وهذا كصفات الطعام واللباس والاضطجاع والمشي والركوب ونحو ذلك، سواء كان ذلك خارجا عن الأعمال الشرعية، كالمشي في الطريق والركوب في السفر، أم كان داخلا في الأمور الدينية كالركوب على الناقة في الحج، ومثل الهُوِيِّ باليدين قبل الرجلين في السجود عند من رأى أن رسول الله ﷺ أهوى بيديه قبل رجليه حين أسنّ وبدن، وهو قول أبي حنيفة.

وكذلك ما يروى أن النبي ﷺ نزل في حجة الوداع بالمحصب الذى هو خيف بني كنانة، ويقال له: الأبطح، فصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم هجع هجعة، ثم انصرف بمن معه إلى مكة لطواف الوداع، فكان ابن عمر يلتزم النزول به في الحج ويراه من السنة ويفعل كما فعل رسول الله ﷺ.

وفي البخارى عن عائشة أنها قالت: «ليس التحصيب بشيء إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ ليكون أسمح لخروجه إلى المدينة»، تعني: لأنه مكان متسع يجتمع فيه الناس، وبقولها قال ابن عباس ومالك بن أنس.

وكذلك حديث الاضطجاع على الشق الأيمن بعد صلاة الفجر، وفي حديث يوم بدر أن رسول الله سبق قريشا إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به بالجيش، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فإني أعرف غزارة مائه وكثرته فننزل ثم نغور ما عداها من القُلُب[12] فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأى».

وفي جامع العتبية في سماع ابن القاسم قال مالك: مر رسول الله ﷺ ببعض الحوائط وهم يؤبرون النخل ويلقحونها. فقال لهم: «ما عليكم ألا تفعلوا» فترك الناس الإبار في ذلك العام فلم تطعم النخل،

(11) المرماة - بكسر الميم - ما بين ظلفي الشاة من اللحم من الساقين، ولذلك شيء هو العصب.

(12) القلب - مفردها قليب - الآبار.

فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: [illegible]

قال أبو الوليد ابن رشد في البيان [illegible] مختلفة منها أنه قال: «ما أظن هذا يغني شيئًا ولو تركوه لصلح» أو «ما أرى [illegible] شيئًا». فتركوه فنقص[13]. فأخبر بذلك رسول الله، فقال: «ما أنا بزارع ولا صاحب نخل، لقحوه».

وبعد، فلا بد للفقيه من استقراء الأحوال، وتوسم القرائن الحافة [illegible] الاهتمام بإبلاغ النبي ﷺ إلى العامة والحرص على العمل به والإعلام بالحكم [illegible] قول رسول الله ﷺ: «ألا لا وصية لوارث»، وقوله [illegible]

ومن علامات عدم قصد التشريع عدم الحرص على تنفيذ الفعل، مثل قول النبي ﷺ في مرض الوفاة: «آتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده».

قال ابن عباس: فاختلفوا فقال بعضهم [illegible] ولا ينبغي عند نبي تنازع، فلما رأى اختلافهم، قال: «دعوني فما أنا فيه خير».

واعلم أن أشد الأحوال التي ذكرناها [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] التشريع؛ لأن التشريع هو المراد الأول لله تعالى من بعثته حتى حصر أحواله فيه في قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

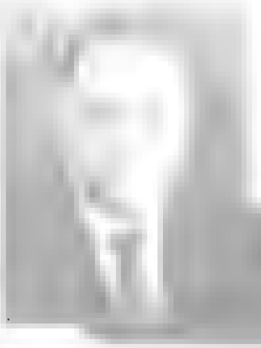
[illegible] عن رسول الله ﷺ من الأقوال والأفعال فيما هو من عوارض أحوال الأمة صادرًا مصدر التشريع ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك.

[illegible] سعد بن أبي وقاص، حيث سأل النبي ﷺ أن يوصي في ماله، فقال له: «الثلث والثلث كثير»، فجعلوا الوصية بالزائد على الثلث مردودة إلا أن يجيزها الورثة، ولم يحملوه محمل الإشارة والنصيحة مع ما قارنه مما يسمح بذلك، وهو قوله: «إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»، فإنه مؤذن بالنظر إلى حالة خاصة بسعد وورثته وشدة فقرهم، ومع كونه جرى بين رسول الله ﷺ وبين سعد خاصة، ولم يعمل به رسول الله ﷺ ولا رواه عنه غير سعد، فكان [illegible] أحد من أهل العلم، أو لمن لم يكن له وارث، وقد قال بذلك بعض أهل العلم [illegible] مسعود وعبيدة السلماني وطائفة، وهو قول شاذ[14].

(١٣) [illegible] قبل أن يصير شرًا

(١٤) [illegible] للتفصيل انظر د. محمد عمارة [illegible] حول السنة النبوية، طبعة دار السلام - القاهرة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مكانة الصحابة رضى الله عنهم



الصحابة رضى الله عنهم جميعا عدول. وقد ثبتت عدالتهم بالكتاب والسنة قال الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)

والوسط: الخيار والعدول. قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران: ١١٠)

ويدخل في الخطاب الصحابة دخولا أوليًا. قال الله سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾ (التوبة: ١٠٠)

وقال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[1].

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

وقال ﷺ «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[3].

وفي هذه الأدلة من الكتاب والسنة ما يثبت عدالة الصحابة رضى الله عنهم. [illegible] الكثير من الصحابة. [illegible] قاله الإمام أبو زرعة الرازي [illegible] الرجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك لأن الرسول حق وما جاء به حق. [illegible] إلينا كله الصحابة، وهؤلاء - أي [illegible]

(١) رواه البخاري

(٢) [illegible]

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان

يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.

فالصحابة هم الذين أدوا للأمة الدين وسمعوا القرآن والسنة.

● فتدوين السنة النبوية المطهرة تدوينا رسميا وإن كان على رأس المائة في عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، إلا أن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين صانوا السنة أقوالا وأفعالا وحفظوها وفهموها وطبقوها وبلغوها من بعدهم.

وهم الذين تلقفوا كل أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، وصانوا ذلك كله في صدورهم وحوافظهم وفي صحف بعضهم الذين أذن لهم الرسول ﷺ إذنا خاصا بالكتابة، في الوقت الذي نهى فيه عن التدوين والكتابة مخافة أن يلتبس القرآن بالحديث. وقد أذن بالكتابة للبعض مما لا يلتبس عليهم الأمر ومن يحسنون الكتابة. فكتبها البعض في صحف خاصة أمثال: عبدالله بن عمرو وأنس وجابر وغيرهم.

بل عرف عن بعضهم الرحلة إلى بعض من أجل طلب الحديث، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ لم أسمعه منه فابتعت بعيرا، فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرا، حتى قدمت الشام، فإذا هو عبدالله بن أنيس الأنصاري فأتيته فقلت له: حديث بلغني عنك أنك سمعته عن رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس عراة غرلا بهما قلنا وما بهم؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم الله نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصها منه. ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقصها منه حتى اللطمة، قلنا كيف؟ وإنما نأتي الله عراة غرلا بهما؟ قال: «بالحسنات والسيئات»(٤).

● بل عرفت رحلة بعضهم في الاستيثاق والتأكد من الحديث وإن كان عندهم، عن عطاء بن أبي رباح أن أبا أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- رحل إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه منه غيره، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري- وهو أمير مصر- فخرج إليه فعانقه ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث رسول الله ﷺ في ستر المؤمن فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمنا في الدنيا على كربته ستره الله يوم القيامة»(٥)، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعا إلى المدينة. فما أدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر.

فكان الصحابة- رضي الله عنهم- يبذلون أقصى ما في الوسع الإنساني لجمع الأحاديث.

وانقضى عهد الصحابة ولم تدون السنة تدوينا رسميا اللهم إلا ما كان من بعضهم ممن أذن لهم في الكتابة. ولقد فكر الفاروق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في تدوين السنة، ولكنه عدل عن ذلك مخافة انشغال الناس عن القرآن الكريم.

عن عروة بن الزبير- رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال: «إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا»(٦).

فالسنة وإن لم تدون في عهد الصحابة تدوينا رسميا إلا أنها كانت مصونة في صدورهم الأمينة وحوافظهم السيالة، وصحف بعضهم التي كتبت منذ العهد النبوي.

فالصحابة هم الأساس في تدوين السنة ونقل الوحي وعلوم الدين إلى من بعدهم فهم الصلة بين عهد الوحي وبين العهود التي جاءت بعد ذلك فرضي الله عنهم أجمعين.

● ● ●

(٥) رواه البيهقي وابن عبدالبر

(٦) رواه البيهقي في المدخل وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله



نظـــرة جامعــــة

[illegible]

والآن وقد طوفنا بك فى مسالك متشعبة من الرأى فى أصل العقيدة ومنشئها. نريد أن نلقى معك نظرة شاملة. نضم بها أطراف البحث، ونحاول فيها التوفيق بين مختلف مذاهبه.

وسيكون سبيلنا فى هذا التوفيق - بعد أن ننحى نظريتين اثنتين[1] من هذه النظريات - أن نحتفظ من كل نظرية بجانبها الإيجابى (أعنى إثباتها لصحة مسلكها) دون جانبها السلبى (وهو إنكارها لسائر المناهج). وبذلك يعود الاختلاف بينها اختلاف تعاون وتكامل، لا اختلاف تعاند وتناقض.

والواقع الذى لا مرية فيه هو أن مطلب الألوهية مطلب توافرت عليه الفلسفات و[illegible]. ومن دلائله البرهانية ماثلة فى الأنفس وفى الآفاق، وفى [illegible] مركوزة فى العقول وفى الوجدانات. غير أن الناس ليسوا على درجة سواء فى سرعة الاقتناع بكل هذه الدلائل، ولا فى تيقظ [illegible] بكل هذه الوسائل. فرب امرئ يغلب عليه الانطواء على نفسه فيتأثر بالإيحاء الذاتى أكثر مما يؤثر فيه الإيحاء الخارجى، وآخر على عكس ذلك. والمتأثرون بالأحداث الخارجية فيهم من يأسر لبه جمال المشاهد وجلالها، ومن لا يهز قلبه إلا قوارعها ومروعاتها ورب امرئ يعنى من هذه الأحداث بجانبها [illegible]. وآخر يهتم بجانبها [illegible].

والمنطوون على أنفسهم منهم من يغلب تفكيره وجدانه، ومنهم من تغلب عاطفته فكرته.. وإلى ذلك كله، فمن الناس من تلفته نظرة عابرة، أو لمحة خاطفة. ومن لا ينتبه إلا [illegible]. ومن لا تكون [illegible] إلا من تضافر [illegible] مختلفة. ومن لا يمر على كل هذه الدلائل وهو غافل، فلا تستيقظ فيه بواعث الاعتقاد حتى تبين له الدلائل [illegible] تلقيها تلقينا [illegible] الباحثون الذين عرضنا نظرياتهم آنفا إلا آحاد من الناس، يغلب على كل واحد منهم مزاجه الخاص فى [illegible] فكذلك من الطبيعى أن [illegible] كل منهم شخصيته من الطريق الذى هو أكثر لديه [illegible] ويقوى به [illegible] عما سواه [illegible] بعد ذلك. وهكذا كان منهم من [illegible] فى [illegible] الطبيعة، ومن كانت عقيدته [illegible] فى عالم الأرواح، وثالث [illegible] من ملاحظته [illegible] فى [illegible] بعض معانى العقلية، وخامس استنتاجا من القوانين الأخلاقية، وسادس لم يرفع رأسه إلى هذه الحقائق العليا إلا بعد أن تلقاها من طريق التعاليم الدينية. وهذه كلها طرق مؤدية للغاية، وإنما عرض الخطأ لهؤلاء المفكرين الذين شرحنا نظرياتهم آنفا من جهة أن كل واحد منهم حين [illegible] الطريق التى سلكها [illegible] سائر الطرق. وجعل الأولية التى أحسها من نفسه لبعض الدلائل أولية لها عند الكافة، فاتخذ نفسه مقياسا عاليا بغير بينة ولو أن كل باحث وقف بالنتيجة عند [illegible] مقدماته [illegible] المنهج الذى سلكه إنما يصور نشأة العقيدة عنده وعند من يشاكله فى مشربه، ولكنهم جعلوا هذه [illegible] حقائق مطلقة، فكان [illegible] النزاع والاختلاف.

ولو أننا طلبنا الحق المجرد فى هذه المسألة لأمكن [illegible] فى كلمتين:

(١) أن [illegible] الألوهية منثورة فى كل شىء.

(٢) أن كل فئة من الناس لها طريق مسلوك فى الاسترشاد ببعض تلك الآيات قبل بعض.

وهذه الحقيقة المزدوجة يقررها القرآن فى أوضح بيان، حيث يقول فى المقدمة الأولى:

[illegible]

(جاثية ٣ - ٤)

[illegible]

(الذاريات: ٢٠، ٢١)

[illegible]

(فصلت ٥٣)

ويقول فى المقدمة الثانية:

[illegible]

(المائدة ٤٨)

[illegible]

(البقرة ١٤٨)

﴿ ولكل قوم هاد ﴾

(الرعد ٧)

ولا جرم أنه من أجل هذا الاختلاف فى وسائل الاقتناع عند الناس، تنوعت فى القرآن وسائل الدعوة إلى الله، وصرفت فيه الآيات تصريفا [illegible]، حتى إن الذى يستعرض أساليب الهداية القرآنية إلى عقيدة الألوهية يجدها قد أحاطت بأطراف هذه المسالك، وأشبعت تلك النزعات جميعا، بل ربما زادت فى كل منهج عناصر جديدة، لم يفطن إليها الباحثون المذكورون.

وإن شئت التحقق فإليك نماذج قرآنية من هذه المناهج على الترتيب:

أولا: فى المنهج الطبيعى، [illegible] قوله تعالى

[illegible]

(ق ٦ - ٧)

---

(١) [illegible] نظرية [illegible] التى تجعل موضوع العقيدة فكرة خيالية [illegible] التى تعترف بموضوع [illegible] حقيقة [illegible] التى يتوجه إليها [illegible] حقيقة أخرى لا شعورية [illegible] النظريتان [illegible] عن سائر النظريات [illegible] مهمة التوفيق [illegible] عسيرة شاقة

وقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ٩٩)

وقوله:

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾

(الأنعام ٩٦)

وقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(القصص ٧١ - ٧٢)

ويزيد القرآن في هذا الباب عنصراً جديداً، وهو عنصر الاختلاف بين المتشابهات، اختلافاً لم يتهيأ للعلم البشري معرفة أسبابه، ولا التحكم في عوامله، ولا التنبؤ به قبل ظهوره، لأنه - كما يقول (وليم جيمس) - يرتبط بأحوال ذرية دقيقة، لا تخضع لشيء من أنواع الملاحظة، ولأنه لا يتبع حالة خاصة من أحوال البيئة الطبيعية ونحوها، بل يجيء مع كل الحالات الممكنة لهذه البيئة. ومع ذلك كله تراه يسير في نظام غاية في الإحكام.

هذا الاختلاف الناشئ من تحد البيئة والعوامل الطبيعية الظاهرة، نجد التنبيه على موضع العبرة منه في قوله تعالى:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ [illegible] ﴾

(الرعد ٤)

وقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الروم: ٢٢)

وقوله

﴿ [illegible] ﴾

(غافر: ٢٧، ٢٨)

وأخيراً يعني القرآن عناية خاصة، في هذا الجانب التكويني، بظاهرة الحياة التي حيرت العلماء فيقول

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢٨)

ويقول:

﴿ [illegible] ﴾

(الواقعة ٥٨: ٦٤)

ويقول

﴿ [illegible] ﴾

(الروم ٥٠)

هذا كله في الشطر الأول من المنهج الطبيعي:

فإذا انتقلت إلى الشطر الثاني منه نجد أمثال قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الروم: ٢٤)

وقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد ١٣)

ثم لا يكتفي القرآن ها هنا بالتنبيه إلى الحوادث المروعة الواقعة بالفعل، بل يضيف إليها الإنذار بالأحداث المتوقعة أو المحتملة، فيقول:

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ [illegible] ﴾

(الأعراف ٩٨)

ويقول:

﴿ [illegible] ﴾

(سبأ ٩)

أما المنهج الروحي فترى عناصره مثبوتة فيما في كثير من الآيات (فمنها) استقلال الروح البشري وانفصاله عن الجسم وعن الروح الحيواني في هذه الحياة، (ومنها) بقاء هذا الروح الإنساني بعد الموت في حالة برزخية بين الدنيا والآخرة. (ومنها) تعلق أرواح الموتى بشئون أهل الدنيا.. هذه المبادئ كلها تراها مقررة في مثل قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ٦٠)

وقوله

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾

(الزمر: ٤٢)

وقوله:

﴿ [illegible] بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

(آل عمران ١٧٠)

وقوله في شأن أهل الشقاوة وهم في قبورهم

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾

(غافر: ٤٦)

ذلك إلى ما يقرره القرآن في غير موضع من وجود أرواح أخرى مستقلة عن العالم الإنساني، ولكنها تتصل بشئونه، ويسخرها الله في تدبير أحواله، تارة بالنصر والتأييد، وتارة بغير ذلك. اقرأ قصة الجن في السورة المسماة بهذا الاسم، وفي سورة الأنبياء، وسورة النمل، وسورة سبأ. واقرأ أخبار الملائكة في السورة المسماة بهذا الاسم، وهي سورة فاطر، أو السور الأخرى، مثل سورة آل عمران، وسورة الأنعام، وسورة الأنفال، وغيرها.

وكذلك المذاهب النفسية نرى مناهجها مستعملاً في القرآن حين يشير إلى قصور الإرادات الإنسانية عن بلوغ أهدافها، وإلى عجز الإنسان أمام المقادير العليا، وضرورة استسلامه لها، في قوله تعالى:

[illegible]

(النحل: ٢٤، ٢٥)

وقوله:

[illegible]

(القصص: ٦٨)

وقوله

[illegible]

(النحل: ٣٧، ٤٠)

ويريد القرآن في هذا المعنى عنصرا آخر عظيم الدلالة على الألوهيـــة، وهو تحـــول الإرادات الإنســانية عن أهدافها، حين تنقلب كراهيتها محبة، وعداوتها ألفة، واستهجانها استحسانا، وثورتها سكونا، من غير أن يكون للأسباب الطبيعية مدخل معقول في هذا التحول. وفي ذلك يقول الله تعالى:

[illegible]

(آل عمران: ١٠٣)

ويقول

[illegible]

(الأنفال: ٦٣)

ويقول [illegible]

(الفتح: ٢٦)

ويجمع ذلك كله قوله سبحانه:

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾

(الأنفال: ٢٤)

حتى المذهب الأخلاقي [illegible] في القرآن حيث يقول الله تعالى

[illegible]

(الشمس: ٧، ٨)

بل المذهب الاجتماعي نفسه إذا عدنا إلى أساسه الصحيح، وهو تقرير ما للبيئة والوراثة من سلطان بالغ على نفوس الأفراد، وما لها من أثر في تكوين آرائهم وعقائدهم، يسجله القرآن حقيقة واقعة:

﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾

(البقرة: ١٧٠)

[illegible]

(الزخرف: ٢٣)

إلا أن القرآن حين يقرر هذا الأمر الواقع لا يذكره إلا في معرض التقريع والذم، ناعيا على العامة رضاهم بما فيه من استعباد فكري [illegible] إلى مستوى القطعان من الماشية التي تسير وراء كل ناعق:

[illegible]

(البقرة: ١٧٠)

[illegible]

(الزمر: ١٧، ١٨)

وفي هذا المعنى تقول الحكمة النبوية

«لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»

إنما كيف تتحرر العقول من هذا الأسر الاجتماعي القاهر؟ فإن القرآن يعلن أنه ليس [illegible] إلا وسيلة واحدة، وهي التفكير الفردي [illegible]، المتحرر من كل القيود إلا قيود [illegible] والمنطق السليم:

[illegible]

(سبأ: ٤٦)

وأخيرا نرى المذهب التعليمي ساريا في القرآن كله، إلى جانب ما فيه من التوجيه المستمر إلى الاعتبار بتلك الآيات الواضحة، والدلائل اللائحة في الأنفس والآفاق، فالقرآن يقرر أن الرحمة الإلهية لم تكتف بدلائل العقل، حتى دعمتها بشواهد النقل، وأنها قطعت حجة كل عاقل.

[illegible]

(النساء: ١٦٥)

[illegible]

(الأعراف: ١٧٣)

هكذا يلتقي في محيط القرآن ما رأيناه قد تشعب عند العلماء من مسالك الاعتبار، ومذاهب البحث والنظر.

[illegible] الباحث [illegible] متى تحقق من هذه الإحاطة العلمية الشاملة، إلا أن يرى فيها آية جديدة على أن القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد، ولا مرآة لعقلية شعب، ولا سجلا لتاريخ عصر، وإنما هو كتاب الإنسانية الطموح، ومنهلها المورود. فمهما تتعدد الأقطار والعصور، ومهما تتعدد الأجناس والألوان واللغات، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات، سيجد فيه كل طالب للحق [illegible] يهديه إلى الله على بصيرة وبينة

﴿ وَلَقَدْ تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر: ١٥)

[illegible]

(٣) [illegible] هذه الوصية الحكيمة [illegible] والأفراد جميعا [illegible] تقرير [illegible] الحقيقة الواقعة [illegible] [illegible] ولذلك تدعو الآية الكريمة كل فرد من الجماعة [illegible] [illegible] لهذه الفروق العامة [illegible]

المقصد التربوى للعبادات فى الجانب الجسدى للفرد المسلم

[illegible]

الجسد هو الوعاء المادى المحسوس لهذا القلب النابض بالإيمان، أو الذى استولى عليه الشيطان، لهذا العقل المفعم بالحقائق أو الأوهام، هو الذى يحقق مكارم الأخلاق أو سفاسفها ومخازيها، وبنشاط الجسد وحيويته تنشط كوامن الخير فى عباد الرحمن أو تتوارى وراء أهواء النفس عند عبدة الشيطان.

من هنا كان من الثابت اليقينى أن تكون أحكام الشرائع السماوية عامة والإسلام خاصة ذات اهتمام بالغ بحاجات الجسد، وإشباعها فيما لا يعود عليها بضرر أكبر أو بشر [illegible] لا يمكن دفعه إلا بفرائض مكتوبة أو محرمات ممنوعة. غير أن الإحاطة بمطالب الجسد، وما يصلح الجسم دون إجحاف بمطالب الروح والعقل لا تكون إلا عند خالق هذا الإنسان العجيب فى صنعه وتكوينه وملكاته ورغباته. قال سبحانه:

﴿[illegible] من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك: ١٤)

ولقد خطت المدنية الحديثة خطوات غير مسبوقة فى إشباع حاجات الجسد واستحداث كل سبل الراحة له، سواء فى مطعمه أو مشربه أو مركبه أو مخدعه. فيضغط الإنسان وهو كامن فى فراشه الوثير على زر لكى يوقد مصباحا أو يطفئه ويضغط على ثان كى يحدث إنسانا فى أقاصى الأرض أو على سطح القمر ويضغط على ثالث كى يسخن له الماء أو يقدم له الغداء، ويضغط على زر رابع كى يحلق شعره أو يغسل أسنانه، وقد يضغط على زر يفتح له باب سيارته أو بوابة منزله أو تضغط المرأة على زر آخر كى تخرج الملابس نقية جافة، ويحسب الإنسان أنه قد حاز كل ألوان الراحة والمتعة، ولا يدرى أنه عندما بالغ فى إشباع الجسد، دمرت ملكاته، وذوت قدراته، ولانت عظامه، ومع هذا السعار المجنون فى إشباع هذا الجسد، خوت الأرواح من شفافية الإيمان، والعقول من ثوابت العقيدة والأخلاق والتشريع، فغدا الإنسان فى مجمله صورة شائهة، همه مركب فاره وطعام شهى وسقاء ندى، وفراش وثير، وامرأة وضيئة، وعندما حازها أحس أنه نال السراب، وتبخرت السعادة مع حرارة الرغبة الجامحة والأهواء العالية، ولايزال إنسان اليوم يتساءل: أين سعادة الدنيا؟ وهو فى غفلة عن نعيم الآخرة. وليس من جواب إلا فى الإسلام والتزام أحكامه لتأخذ كل ملكة فى النفس حظها، وتتوازن حياة المسلم فى جوانبه الروحية والخلقية وعقيدة وسلوكا.

وفى هذا المعنى يقول الدكتور أمين الخولى: [illegible] الإسلام لا تدعو [illegible] جسده [illegible] وإذلاله فى سبيل حياة روحية [illegible]، وتحريم زينة الحياة الدنيا مثلما فعلت [illegible] فى [illegible] فحطمت جسمه [illegible] حتى [illegible] التعذيب والعنت، الأمر الذى أثمر خللا فى [illegible] فى الشخصية الإنسانية [illegible] الروحى، وعلى حساب [illegible] البدنى.

الإسلام [illegible] هو [illegible] الربانية التى لا تغرق الجسد فى [illegible]، ولا تحرمه من الزينة والطيبات، وفيما يلى سنرى كيف كانت العبادات وهى شعائر روحية بالدرجة الأولى تعطى الجسد قوة تضاعف دوره فى الحياة[1].

المقصد التربوى للطهارة فى الجانب الجسمى للفرد المسلم.

هناك جوانب كثيرة تؤدى إلى إصلاح الجسد للفرد المسلم عن طريق أحكام الطهارة منها ما يلى:

أولاً: الطهارة هى نظافة من الحدث أو الخبث كما عرفها الكاسانى[2]، وقال ابن رشد المالكى اتفق المسلمون على أن الطهارة الشرعية طهارتان: طهارة من الحدث وطهارة من الخبث[3]، هذه الطهارة فى معناها اللغوى والشرعى تفوق مصطلح التعقيم فى الواقع المعاصر يقول الأستاذ محمد كامل عبد الصمد [illegible] الإسلام [illegible] نظام علمى عرفته الإنسانية يأمر بالتعقيم ويحارب التلوث، ثم يطلق الإسلام على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة نجسة.

واتبع الأسلوب العلمى فحددها فى ثلاث عشرة مادة [illegible] فى [illegible] الحديث [illegible] الميكروب [illegible] والقيح [illegible] والقىء ولعاب الكلب وجسم الخنزير، وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت، وقد أثبت العلم الحديث أن جميع هذه المواد هى وسط صالح لنمو الميكروبات وتكاثرها... وقرر الإسلام أن أية مادة من هذه تصيب الإنسان فى جسمه أو طعامه أو شرابه أو مكانه أو تغير لون الطعام أو رائحته أو طعمه، فهذا يدل على وجود ميكروب [illegible] نجسا فى نظر الدين، ملوثا فى نظر الطب الحديث وسمى القرآن الكريم هذه النجاسة أى الميكروب رجسا ورجز الشيطان[4].

ثانياً: [illegible] الإسلام [illegible] على [illegible] العقيدة [illegible] حتى [illegible] فى [illegible]

---

1. الرياضة والحضارة الإسلامية، للشيخ [illegible] الخولى (ص[illegible])
2. بدائع الصنائع، للكاسانى (٣٣/١)
3. بداية المجتهد ونهاية المقتصد [illegible]
4. الإعجاز العلمى فى الإسلام، د. محمد كامل عبد الصمد ص (١٥، ١٦)، الطب الوقائى فى الإسلام، ص (١٨، ١٩)

المقصد التربوى للعبادات فى الجانب الجسدى للفرد المسلم

الجسد هو الوعاء المادى المحسوس لهذا القلب النابض بالإيمان، أو الذى استولى عليه الشيطان، لهذا العقل المفعم بالحقائق أو الأوهام، هو الذى يحقق مكارم الأخلاق أو سفاسفها ومخازيها، وبنشاط الجسد وحيويته تنشط كوامن الخير فى عباد الرحمن أو تتوارى وراء أهواء النفس عند عبدة الشيطان.

من هنا كان من الثابت اليقينى أن تكون أحكام الشرائع السماوية عامة والإسلام خاصة ذات اهتمام بالغ بحاجات الجسد، وإشباعها فيما لا يعود عليها بضرر أكبر أو بشر لا يمكن دفعه إلا بفرائض مكتوبة أو محرمات ممنوعة. غير أن الإحاطة بمطالب الجسد، وما يصلح الجسم دون إجحاف بمطالب الروح والعقل لا تكون إلا عند خالق هذا الإنسان العجيب فى صنعه وتكوينه وملكاته ورغباته. قال سبحانه:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤)

ولقد خطت المدنية الحديثة خطوات غير مسبوقة فى إشباع حاجات الجسد واستحداث كل سبل الراحة له، سواء فى مطعمه أو مشربه أو مركبه أو مخدعه. فيضغط الإنسان وهو كامن فى فراشه الوثير على زر لكى يوقد مصباحا أو يطفئه ويضغط على ثان كى يحدث إنسانا فى أقاصى الأرض أو على سطح القمر ويضغط على ثالث كى يسخن له الماء أو يقدم له الغذاء، ويضغط على زر رابع كى يحلق شعره أو يغسل أسنانه، وقد يضغط على زر يفتح له باب سيارته أو بوابة منزله أو تضغط المرأة على زر آخر كى تخرج الملابس نقية جافة، ويحسب الإنسان أنه قد حاز كل ألوان الراحة والمتعة، ولا يدرى أنه عندما بالغ فى إشباع الجسد، دمرت ملكاته، وذوت قدراته، ولانت عظامه، ومع هذا السعار المجنون فى إشباع هذا الجسد، حوت الأرواح من شفافية الإيمان، والعقول من ثوابت العقيدة والأخلاق والتشريع. فغدا الإنسان فى مجمله صورة شائهة، همه مركب فاره وطعام شهى وسقاء ندى، وفراش وثير، وامرأة وضيئة، وعندما حازها أحس أنه نال السراب، وتبخرت السعادة مع حرارة الرغبة الجامحة والأهواء الغالبة، ولايزال إنسان اليوم يتساءل. أين سعادة الدنيا؟ وهو فى غفلة عن نعيم الآخرة، وليس من جواب إلا فى الإسلام والتزام أحكامه لتأخذ كل ملكة فى النفس حظها، وتتوازن حياة المسلم فى جوانبه الروحية والخلقية والعقلية والبدنية.

وفى هذا المعنى يقول الدكتور أمين الخولى: «إن فلسفة الإسلام لا تدعو إلى قهر الجسد وحرمانه من متعه وإذلاله فى سبيل حياة روحية خالصة، وتحريم زينة الحياة الدنيا مثلما فعلت طوائف الرهبان فى الزهد فى الدنيا. فأهملت الجسد ولم توفه حقه [illegible] وعذبته حتى [illegible] التعذيب والعنت، الأمر الذى أثمر خللا فى [illegible] طبيعى فى الشخصية الإنسانية لحساب الجانب الروحى، وعلى حساب الجانب البدنى»[1].

الإسلام إذن هو الوسطية الربانية التى لا تغرق الجسد فى وحل الشهوات، ولا تحرمه من الزينة والطيبات، [illegible] كانت العبادات وهى شعائر روحية [illegible] تعطى الجسد قوة تتضاعف [illegible] حية.

المقصد التربوى للطهارة فى الجانب الجسمى للفرد المسلم.

هناك جوانب كثيرة تؤدى إلى إصلاح جسد الفرد المسلم عن طريق أحكام الطهارة منها ما يلى:

أولاً: الطهارة هى نظافة من الحدث أو الخبث كما عرفها الكاسانى[2]، وقال ابن رشد المالكى اتفق المسلمون على أن الطهارة الشرعية طهارتان: طهارة من الحدث وطهارة من الخبث[3]. هذه الطهارة فى معناها اللغوى والشرعى تفوق مصطلح التعقيم فى الوقت المعاصر يقول الأستاذ محمد كامل عبد الصمد [illegible] نظام علمى عرفته الإنسانية يأمر بالتعقيم ويحارب التلوث. ألم يطلق الإسلام على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة النجاسة؟!

[illegible] عشرة مادة، وهى التى تعرف فى عصرنا الحديث [illegible] ومنها: القيح والدم المسفوح والبراز والبول [illegible] شيء [illegible] صالح لنمو الميكروبات وتكاثرها... وقرر الإسلام أن أية مادة من هذه تصيب الإنسان فى [illegible] الطعام أو رائحته أو طعمه، فهذا يدل على وجود ميكروب [illegible] الخبيث وسمى القرآن الكريم هذه النجاسة أى الميكروب رجسا ورجز الشيطان[4].

ثانياً: [illegible] على الطهارة المعنوية، وألغى العقائد الباطلة التى [illegible] الروح توجب إهمال البدن تماما حتى عُرف فى بعض الأديان الوضعية أو الخرافة ما اصطلح عليه بـ - القذارة المقدسة - التى

[illegible]

٤- الإعجاز العلمى فى الإسلام، محمد كامل عبد الصمد ص (١٤-١٦)؛ [illegible]

﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾

ثالثا:

﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾

[illegible]

عندما اتصلوا بالمسلمين - حرصهم الشديد [illegible]

[illegible] منهم في نقل بعض عادات النظافة في الشرق ومن مظاهرها كثرة الحمامات العامة التي يوجد بها ماء ساخن وبارد حتى إن مصر وحدها كان بها مائة وسبعون ألف حمام عام[8].

ولقد رأيت طبيبا مسلما في رومانيا [illegible] منه ولم يتزوج. وناقشته في سبب تأخير زواجه مع هذه السن المتراكمة، فذكر لي أنه بحكم عمله قد أصيب بكراهية حادة للنساء، [illegible] الطبية. واجهتني رائحة كريهة جدا [illegible] ليس حالة أو حالتين، بل هو ظاهرة في أغلبهن. فقلت: إن هذا قد يكون واردا في غير المسلمة، لكن وجوب التطهير لدى المسلم والمسلمة يجعلهما معافين من هذه الأدران المصاحبة للإنسان إذا لم يلتزم بأحكام الإسلام.

٢- يظهر عادة في العانة والإبط نوع معين [illegible] المباشر، أو المراحيض الملوثة. ويحدث لدغة أو حكة شديدة تزداد بالهرش، وهذا القمل أيضا ينقل بعض الأمراض وعلى رأسها التيفوس. والعجيب أن هذا القمل يزول تماما بحلق العانة [illegible]

٣- تقليم الأظافر هدي إسلامي، وسنة من سنن الفطرة للحديث السابق وهو يدل على الحفاظ على الصبغة الإسلامية لشكل المسلم [illegible] تنقلها اليد من خلال الأظافر التي تتراكم تحتها جراثيم تنقل مرض التيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية[10]. لكن المسلم الذي يتوضأ [illegible] يده مع كل عضو يغسله أيضا، والحرص على تقليم الأظافر بشكل دائم يكون في حصن [illegible] إنسان ذي فطرة فيها أي قدر من الاستواء لا يرضى لنفسه ولو كان غير مسلم أن يبقي واحدا من أظافره على هذا النحو، ولا أدري كيف غلظ حس الأزواج عندما تركوا لزوجاتهم تقليد الغرب في تطويل الأظافر حتى صارت كالخناجر، وصبغوها بالألوان المبطلة للوضوء، الموجبة للقذارة، إنها تدخل للاستنجاء فتحمل جراثيم عديدة في يدها دون أن تدري، ثم تخرج لتدس يدها في الطعام لتؤدي به زوجها وأولادها وضيوفها، وهو أمر [illegible]

(8) الإسلام والرعاية الصحية [illegible] ص١٢

(9) الإعجاز العلمي في الإسلام، ص (١٤٣)

فى سوء عاداتهم، وانحلال أخلاقهم، أما فى الإسلام فيتقدم لاختيار كليف واحب لا فرق بين أصبع صغير أو كبير، والحفاظ على اليد، ويستحب اليمنى حتى لا تلامس الفرج من سنن وآداب الوضوء، وفيه يروى الإمام مسلم بسنده عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال: «لا يمسن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول». ويكون الاستنجاء باليسرى وصب الماء باليمنى إن احتاج إلى صبه، وذلك لأن اليمنى تمتد إلى الآخرين مصافحة، وتمد للأشياء تلمس، وبها يأكل المسلم طعامه، ويرفع شرابه إلى فيه، فتكون فى مأمن من أى تلوث يصل إلى جوف الإنسان أو أجساد الآخرين، بل هناك احتياط أكثر وهو غسل كلا اليدين بعد النوم، وقبل كل وضوء، وقبل كل طعام وبعده، لما رواه البخارى ومسلم بسنده عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فليغسل يده قبل أن يدخلها فى وضوئه، فإن أحدكم لا يدرى أين باتت يده»[12].

فربما لامس أثناء نومه فرجه بيده دون أن يدرى، أما فى اليقظة فاليد هى التى تجول وتمسك بالأشياء التى قد تحمل التلوث فيسن قبل أن يدسها فى فمه أو يغسل بها وجهه ويديه أو يمسح رأسه ورجليه أن ينظفها أولاً من العلائق التى يحتمل أن تعلق بها

٤- من آداب قضاء الحاجة عدم التبول أو التبرز فى طريق الناس أو ظلهم أو فى الماء الراكد أو تحت الأشجار المثمرة كما يقول النووى[13]، فى هذا يروى مسلم بسنده عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم»[14]، وروى مسلم أيضا بسنده عن جابر بن عبدالله أن النبى ﷺ نهى أن يبال فى الماء الراكد[15]. هذه النصوص مع ما فيها من إرتقاء بمستوى الأخلاقية لكل فرد منا ألا يؤذى غيره، أو يؤذى من غيره إلا أن فيها جانبا هاما فى الحفاظ على أجسامنا من الأمراض التى تصيب الناس إذا تعلقت هذه النجاسات بأجسامهم فقد ينقل براز أحد مرضى «الانكلستوما» مرضه إلى هؤلاء عن طريق يرقات «الانكلستوما» ذات الفم المسلح الذى يشبه الأسنان الحادة وتنهش الغشاء المخاطى المبطن للأمعاء فتؤدى إلى القروح والنزيف وفقر الدم[16]، أما البول فى الماء الراكد فيسبب زيادة نشاط البلهارسيا التى ثبت أنها تنشط جدا عن طريق التبول فى الماء وتعرض الآخرين لها، وإذا نظرنا إلى الميزانيات التى تنفق لعلاج مرضى البلهارسيا وآثارها الحادة على الكبد، مما شكل نسبة

١١- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهى عن الاستنجاء باليمين.

١٢- صحيح البخارى، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ يده المشكوك فى نجاستها فى الإناء.

١٣- المجموع، للنووى (٨٧/١).

١٤- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهى عن التخلى فى الطرق والظلال.

١٥- صحيح مسلم [illegible]

١٦- الإسلام والرعاية الصحية، د. عز الدين فراج ص(٦١).

كبيرة من الوفيات فى بعض الدول النامية[17] فهنا ندرك أن الالتزام بهذا الهدى النبوى يقى الفرد والمجتمع من حوله من هذه الأمراض التى تفتك بأجسادهم، وتستهلك ميزانياتهم.

٥- إذا كان من الثابت علميا أن كل سنتيمتر مكعب من الهواء به ملايين الميكروبات، فإن أكثر الأعضاء تعرضا لهذه الميكروبات هى: الأيدى، والفم، والأنف، والوجه، والعينين، والرجلين؛ لانكشافها طوال الوقت أمام هذا الهواء، فيأتى الوضوء طهارة كاملة من كل هذه الميكروبات التى تعلق قطعا بجسم الإنسان، خاصة هذه الأعضاء الظاهرة فى أغلب الأحوال للهواء الذى قد يحمل أتربة، أو الدخان، أو تلوثا إشعاعيا، أو غيره من صور التلوث التى امتلأ بها عالم المصانع والنفايات، التى انعقدت عقد مؤتمرات عالمية لعلاج مشكلات تلوث البيئة، وآثارها الحادة على الإنسان بل الحيوان والنبات، وأعضاء الوضوء هى أكثر أعضاء الجسم تعرضا لهذه الأجواء الملوثة، فتحظى عند المسلم بعناية فائقة فى التخلص المستمر منها بين حين وآخر فى خمس مرات على الأقل يوميا، وفى هذا يقول الأستاذ محمد كامل عبد الصمد: «ثبت لعلماء حديثا أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية التى تسببها مواد الكيمياويات، لأن الوضوء يكفل إزالتها قبل أن تتراكم بكمية تمكنها من النفاذ إلى الجسم عبر الجلد، مما يؤدى إلى حدوث تغيرات سرطانية... ويشير إلى أن سرطان الجلد أكثر شيوعا فى المجتمع الغربى والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا رغم ضعف أشعة الشمس هناك وقوتها فى بلاد الشرق لكن الوضوء يرطب الجلد ويقلل من آثارها السلبية على الجلد... وأشار كذلك إلى أثر الغسل والوضوء فى إزالة العرق الذى يحتوى على أملاح ومواد دهنية؛ فإن تبخر تبقى هذه الأملاح والدهون وتسد مسام الغدد العرقية[18].

٦- المضمضة مع استعمال السواك ذات تأثير رائع فى احتفاظ الفم واللثة والأسنان بصحة جيدة، ورائحة طيبة، وإذا رجعنا إلى كتب الفقه فسنجد أن الجمهور على أن المضمضة من مندوبات الوضوء[19]، أما الحنابلة فيرون أن المضمضة والاستنشاق من أركان الوضوء؛ لدخولهما فى وجوب غسل الوجه[20] وإذا أضفنا إلى ذلك حديث البخارى بسنده أن رسول الله ﷺ قال:

١٧- يراجع بحث الشيخ منصور الرفاعى عبيد عن دور الدين فى العلاج والوقاية من مرض البلهارسيا فى المؤتمر الطبى الإسلامى الدولى عن الشريعة الإسلامية والقضايا الطبية المعاصرة بالتعاون بين الأزهر الشريف وكلية الطب جامعة عين شمس، وانظر ملخصها ص(٣).

١٨- [illegible]

١٩- [illegible] عابرة عن الفم ولم يقل أحد بوجوب غسلها.

٢٠- الكافى، لابن قدامة (٢٦/١)، كشف القناع للبهوتى، (٩٦/١).

«السواك مطهرة للفم، مرضاة [illegible]

[illegible] على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[٢٢]. فإنما سنجد أن الطب الحديث يريد المسلم يقيناً بأن كل حكم شرعي وراءه مصلحة يقينية لجسم الإنسان وعقله ووجدانه وقلبه ودنياه وآخرته، [illegible] ما بين الأسنان، هذا يطرد كل المواد التي يثبت على دراتها السوس الذي يؤدي الأسنان، ويؤثر تأثيراً بالغاً على الجهاز الهضمي كله، فضلاً عن تأثيرها الشكلي على الإنسان نفسه، فإذا تمضمض بشكل مستمر على هذا النحو حلا فمه دائماً من [illegible] وتؤدي أسنانه.

أما استعمال السواك فقد ثبت طبياً أن فيه [illegible]

أ. مادة الفلورايد تتفاعل مع أحد مكونات السطح الخارجي للأسنان وتسمى [illegible] تسمى فلوروأباتيت. وهذا له مقاومة عالية ضد الذوبان الإحماضي الذي تفرزه البكتيريا [illegible]

كما يقلل من حموضة الإفرازات البكتيرية في داخل الفم. وهذا يقلل من سرعة ذوبان [illegible]

ب. مادة [illegible] والألوان المترسبة على الأسطح الخارجية [illegible]

ج. [illegible] الفم وتجعل له رائحة طيبة. وتوقف نشاط البكتيريا في الفم، بل الالتهابات في اللثة والأنسجة المحيطة بالأسنان.

د. مادة التانين والمواد الشمعية وهاتان [illegible] والأنسجة المحيطة بها. وتغلف المواد الشمعية الأسنان فتكون طبقة عازلة للأسنان تزيد من [illegible] على ٨٨٧ شخصاً منهم ٤٥٠ رجلاً و[illegible] مجموع المشاركين في البحث لا يعانون من فقد أسنانهم، وكانت نسبة التسوس محدودة جداً.

وفي سنة ١٩٨١ أجري بحث آخر في باكستان، أثبت بالتجربة العملية أن استخدام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢٣): الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد ص(١١٩، ١٢١) وهو اكثرها مكة واحصنها عرضة

رابعاً:

الحيض، وإن كانوا قد رتبوا عليها اعتزال النساء [illegible] في مدة الفترة [illegible] عنهم لكن الإسلام أمر بالنقاء منه والاغتسال بعد الانتهاء من هذه العادة، وتتبع آثاره بالقطنة المبللة بالمسك، للقضاء على بقايا الدماء ورفع رائحتها. وقد ثبت أن معاشرة المرأة خلال هذه الفترة قد تؤدي إلى مرض الإيدز، كما يذكر الدكتور عادل رسلان في بحثه بعنوان «العلاقة الجنسية غير السوية وأمراضها» الذي ألقاه في [illegible] الإسلامي الدولي بالقاهرة سنة ١٩٨٧ [illegible] الأمراض التي [illegible]:

أ- التهاب قناتي الرحم أو إحداهما، مما قد يؤدي إلى العقم [illegible] خروج الرحم [illegible].

ب- امتداد الالتهاب إلى مجرى البول فالمثانة فالحالبين فالكلى، مما يسفر عن أمراض مزمنة للجهاز الهضمي. وهذا يحدث للرجل والمرأة، [illegible] والحويصلتين المنويتين والخصيتين والبربخ، وقد يتعسر معه البول أو يكون البول مع آلام [illegible].

جـ- قد يمتد الالتهاب إلى المجرى الخلفي، [illegible] ويحدث العرغريا فيهما، ولا يوجد في هذه الحالة مفر من بتر الذكر حتى لا يتسمم سائر [illegible].

لكي تسلم [illegible] كله [illegible].

خامسًا: حرمة لحم خنزير وشحمه وجميع أجزائه. لقوله تعالى:

﴿ قل لا أجد [illegible] ﴾ (الأنعام: ١٤٥)

والرجس هو النجس ولكي يزداد [illegible] تحدي حرص الإسلام على صحة البدن لكل مسلم، بل [illegible] يمكن أن نلخص [illegible] الذي عرضه د. أحمد شوقي الفنجري تحت عنوان: «الأسباب العلمية لتحريم لحم الخنزير» وذكر منها ما يلي[38]:

السبب الأول: يصاب الخنزير عادة بنوعين من الديدان هما:

١- دودة التينيا الشريطية، وتنتقل من لحم الخنزير إلى أمعاء آكله وتخترقها إلى الدورة الدموية، وتتحوصل حتى تصل أحيانًا إلى مثل [illegible]، وتستقر في مكان [illegible] فإن وصلت إلى المخ فيصاب قطعًا بالجنون [illegible] العين أعمتها، وإن كانت في جدار القلب أدت إلى الذبحة الصدرية، وثبت أن ورم المخ كان ٢٥٪ منه بسبب دودة الخنزير، وهذه الحويصلة قد تستمر مع الإنسان ٢٣ عامًا.

٢- دودة [illegible] وهي موجودة في خنزير واحد من بين كل ستة خنازير. [illegible] الإحصاءات العالمية [illegible] سنة ١٩٤٧ [illegible] ٢٦ مليون [illegible] وهي تؤدي [illegible] ورم [illegible] مصحوبة بحمى [illegible] وقد تؤدي إلى هبوط القلب.

[illegible] ولا يوجد علاج لها [illegible] حسب ما ذكره [illegible] متخصص في علاج هذه الأمراض.

السبب الثاني: أكدت نشرة [illegible] الصحة العالمية أن مختبراتها في الدانمارك تثبت [illegible] علميًا أن لحم الخنزير هو أكثر أنواع اللحوم قابلية للتلوث ونقل الميكروبات. [illegible] ٤٠ [illegible] من الخنازير موجودة حاملة للميكروبات [illegible].

السبب الثالث: أن علماء الحيوان يصنفون الخنزير على أنه من الحيوانات آكلات اللحوم، مثل الأسد والذئب والثعلب والكلب، لأنها ذات أنياب والمعروف بالمشاهدة أن كل خنزير له أربعة أنياب كبيرة. والإسلام حرم [illegible] كل ذي ناب من السباع، أو مخلب من الطير[39]، لأنها حقًا كما تؤكد الأبحاث العلمية تصيب آكلها بالضراوة والعنف، وفي المكسيك يعرضون مقاتل الديوك كلعبة، ولوحظ أن مربيها يطعمونها [illegible] بدلًا من [illegible] كي تزداد ضراوة وميلًا إلى القتل، والمعروف أن الخنزير فيه شراسة وعنفًا تزيد كثيرًا عن الغنم والأبقار آكلات العشب، وأنثى الخنزير تصاب عادة بحالات هستيرية بعد الولادة وقد تقتل أولادها كلهم أو بعضهم ثم تأكلهم، ولذا يضطر الآن رعاة الخنزير إلى خلع أنيابه وهو صغير حتى لا تفترسه الخنازير عند الكبر، وقد لوحظ أن الخنازير إذا أخرجت من [illegible] في أوروبا وأمريكا إلى الغابات، فإنها تسارع بأكل الفئران الميتة والرمم، وإذا دهست السيارة أحدهم تجمع القطيع من الخنازير حوله ليأكله، وهم الآن يطعمون في بعض مزارع [illegible] لحم خنازير ميتة [illegible] ميت، وقد لوحظ أن الخنازير لا ترتبط بنظام [illegible] أكثر من [illegible] على أنثى غيره، [illegible] أكثر من ذكر. ولذا لا نجد العفة في آكلي لحوم الخنازير فقد [illegible] زوجته [illegible] دون حرج، على حين قد يؤدي بعض هذا في عرفنا العربي والإسلامي إلى قتال عنيف.

السبب الرابع: [illegible] نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة، منها ترايجلسريدز وتبلغ نسبة الكولسترول ١٥ ضعف ما يوجد في البقر [illegible] في [illegible] ٥٠ [illegible] في لحم البقر ٥ [illegible] العالية تؤدي إلى الإصابة بتصلب الشرايين وارتفاع الضغط والذبحة القلبية وهي القاتل الأول في أوروبا.

السبب الخامس: وباء الأنفلونزا يظهر أولًا بين مزارعين المشرفين على الخنازير، ثم ينتشر بعد ذلك في الآكلين، ولذا سميت الأنفلونزا الخنزيرية، وهو من الأمراض الشائعة الآن في العالم التي لم يجد لها الأطباء علاجًا حاسمًا حتى الآن.

[illegible]

39. الحديث رواه الجماعة: البخاري والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير [illegible]

الله

[illegible]

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الإخلاص: ١ - ٢)

ولا في تنزيهه عن الشرك والتعدد:

﴿ [illegible] كفوا أحد ﴾

(الإخلاص: ٣، ٤)

وفي ذلك نقض لعقائد الشرك، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب أيضا. فقد [illegible] ابن الله وأن الإله الواحد جوهر واحد له [illegible]

الله الأب، والله الابن - وهو المسيح - والروح [illegible] المسيحي بالشمس، وكيف أنها حقيقة واحدة، تقع على الحواس قرصا، ونورا، وحرارة.

ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حوارييه: (الأناجيل)، إشارة إلى شيء من ذلك، بل كان يدعو نفسه على الدوام (ابن الإنسان).

وأما البنوة لله - عز وجل، فما ورد لها ذكر [illegible]

[illegible] علاقة الناس إلى الله مادفعه بقولهم (يا أبانا [illegible] وجميع الناس، أن يسلكوا طريق البر، كي يكونوا جديرين بنسبتهم إلى الله. فالمسيح رفع خصوصية البر عن اليهود الذين قالوا: «إن أبناء إبراهيم وحدهم هم الناجون الظافرون برضوان الله»، لأن الناس كافة أبناء الله ما سلكوا طريق البر، وأحبوا الله [illegible]

بل إن المسيح وعظ الناس فضرب لهم المثل برعاية الله وعنايته، بما يتيحه من الرزق لطيور السماء، ووحش الفلاة، وما يتيحه من الزينة لزنابق الحقل. فلا ينبغي أن يكون حرصهم كله على مال الدنيا وقوتها وجاهها [illegible] الأبوة مطلقة شاملة لجميع الكائنات. وما أبعد هذا أن يكون ذلك (السر) أو (اللغز) [illegible] أساطين الكهان وعلماء اللاهوت.

وقد أدى هذا اللبس إلى فتنة، بل فتن بين صفوف أتباع المسيح والمنتسبين إليه، [illegible] الإيمان سبيلا إلى اللدد والفرقة، لا إلى الألفة واجتماع العقول والقلوب على عقيدة يطمئن الجميع إليها.

[illegible] تكون منار ذلك كله.

[illegible] معقول السواد، ممن عبرت لهم [illegible] (السر) الذي يجعل من الواحد الفرد [illegible] أقانيم!

[illegible] من رد الناس إلى بساطة الاعتقاد، [illegible] من نفي اللبس وشوائب الريب عن [illegible]

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الإخلاص: ١ - ٤)

[illegible] سبحانه فردا في جنس، ولا واحدا في [illegible] من نوعه - حاشا! بل جل عن [illegible] والأكفاء. فمن ذا الكفء [illegible]

[illegible] كله، فقرر القرآن في عزم وحسم أن:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

(الزمر: ٦٢)

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

(الفتح: ٢١)

هو خالق وهو مدبر [illegible]

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾

ولا يدع القرآن في ذلك شكا، فهو يقرر ويكرر في أكثر من موضع تلك الحقيقة الجوهرية، التي تقر سلطان الله على الخلق وتدعوهم للطمأنينة إلى عنايته، والحرص على رضوانه، فجاء في سورة الحديد:

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ [illegible] ﴾

(الحديد: ٣)

وجاء في سورة الأعراف:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٨٩)

وجاء [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ٥٤)

وجاء في سورة يونس:

﴿ [illegible] ﴾

(يونس: ٦١)

وجاء في سورة يس:

﴿ [illegible] ﴾

(يس: ٧٩)

وجاء في سورة فاطر أنه سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(فاطر: ٣٨)

وجاء في سورة المؤمن:

﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾

(المؤمن: ١٧)

وجاء في سورة غافر:

﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾

(غافر: ١٩)

وهكذا بدت العقيدة الإلهية في الإسلام ناصعة الصفاء في تجردها من الشرك وشبهاته، ومن النقص وشوائبه على نحو حاسم كانت البشرية [illegible] في حاجة ماسة إليه بعد الذي انتاب المؤمنين بالأديان من اختلاف وبلبلة.

وأما والمسألة مسألة إيمان، فمن آمن بعقيدة [illegible] وعلى كل تعدد تجسيم أو اشتقاق، يكون أقرب إلى طمأنينة العقل والنفس ممن يروضها على الإيمان بإله واحد، ولكنه يحتال على تصور وحدانيته وعدد أقانيمه المتعددة، ويحار في وجه حاجته سبحانه إلى تعدد الأقانيم. وقد كانت لعباده غنية عن تلك الحيرة بتمام التوحيد، فيغلق الباب دون كل تساؤل وكل إبهام.

أما صفاته سبحانه، فلا يدركها الحصر، وإنما يتجلى للناس منها ما يعنيهم وما يكون على قدر إدراكهم.

وأول ما يعني الناس أمر الحياة والممات. [illegible]

﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾

(الفرقان: ٥٨)

﴿ وهو الذي يحيي ويميت ﴾

(المؤمنون: ٨٠)

﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾

(القصص: ٨٨)

وتتواكب آلاء الله على عباده، فهو [illegible] حكيم [illegible]

وقد كان [illegible] في حقهم من الدنيا والآخرة.

إن كل سورة يفتتحها القرآن باسم الله (الرحمن الرحيم)، لا يكتفي من هاتين الصفتين بواحدة دون الأخرى.

ويقول في سورة فصلت:

﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾

(فصلت: ٤٦)

ولا يجري ذكر العذاب إلا ويطمئن الناس إلى العدل وإلى الإعذار مع الإنذار، فهو إذ يقول في سورة البروج:

﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾

(البروج: ١٢)

يردفها بقوله:

﴿ وهو الغفور الودود ﴾

(البروج: ١٤)

وجاء في سورة الإسراء:

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾

(الإسراء: ١٥)

ولئن كان [illegible] الأحفاد لآثام الأجداد الغابرين، وأن حصره

[illegible] في سورة فاطر:

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

(فاطر: ١٨)

ويقول في البقرة:

﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾

(البقرة: ١٤١)

وهو توضيح [illegible]

وكأنما بقيت بعد تلك الصفات وقفة قد [illegible] محدد وإلى معين.

ويأتي القرآن بجواب حاسم قاطع [illegible]

﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾

(البقرة: ١١٥)

﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾

(الأنعام: ١٠٣)

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾

(البقرة: ١٨٦)

﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾

(ق: ١٦)

ويحار البشر، فيقضي على تلك الحيرة بذلك القول الفصل:

﴿ ليس كمثله شيء ﴾

(الشورى: ١١)

عقيدة واحدة بسيطة، يقطع الإيمان بها الطريق على كل حيرة وحرج، وتبعث الطمأنينة في كل نفس.

وباب هذه العقيدة مفتوح لكل إنسان، لا يصد عنها أحد بسبب جنسه أو لونه:

﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

(الحجرات: ١٣)

وهكذا يجد كل إنسان له مكانا في ظل هذه العقيدة الإلهية، على أساس من المساواة العادلة، التي لا تفاضل معها إلا بالتقوى، تقوى الله رب (العالمين)

إسماعيل عليه السلام
واقـدام أبيـه عـلى ذبحـه

[illegible]

نذكر قصة اسماعيل لقصرها ولانها على التحقيق جزء من قصة ابراهيم. فليس غريبا ان تذكر فى خلالها سورة مريم:

﴿ [illegible] ﴾

(مريم: ٥٤ - ٥٥)

وجاء فى القرآن قصة ذبح ابراهيم لولده. وهمه بذلك الى ان نودى بالكف عن ذبحه. وانه فدى بكبش يذبح عوضا عنه.

كانت المنامات عند الصالحين من عباد الله بمثابة الوحى والامر المباشر. وقد راى ابراهيم فى منامه انه امر ان يقدم ابنه قربانا لله ويحرقه. كما تقدم القرابين وتحرق وكان ذلك الولد اسماعيل - على ما نذكر فيما بعد - فصدع ابراهيم بذلك الامر الصادر اليه فى المنام وعرض الامر على ولده فتقبل القضاء بالرضا وقال:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible]: ١٠٢)

ويظن بعض [illegible] أنه يذبح ذلك الولد عملا. فقص ذلك على [illegible] حقق العمل [illegible]

[illegible] للرؤيا، ورأى إبراهيم كبشا قريبا منه. فذبحه [illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

([illegible]: ٩٩ - ١١٣)

[illegible] العلام الذبيح وذكر اسم إسحاق معه صريحا، يقتضى التغاير بين الذبيح وإسحاق. ومعنى [illegible]

أما هذه القصة فى التوراة فبطلها عند اليهود إسحاق. وفى اعتقادى أن لفظ إسحاق حشر حشرا فى عضون القصة، وذلك حرصا منهم على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه فى طاعة ربه وهو فى حالة صغره.

ودليل على أن الذبيح هو إسماعيل من التوراة نفسها، أن الذبيح وصف بأنه ابن إبراهيم الوحيد - أى الذى ليس له سواه - إذ

[illegible] امتثالا لأمر ربه له فى منام، أدل على نهاية الطاعة والامتثال لأمر الله، وهذا هو الإسلام [illegible]

إن الإسلام هو الطاعة والامتثال، وهو دين الله فى الأولين والآخرين، وإذا رجعنا إلى [illegible] الايام، لأن إسحاق ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة - كما هو صريح التوراة - وبقى إسماعيل إلى أن مات إبراهيم، وحضر إسماعيل وفاته ودفنه، وأيضا فإن ذبح إسحاق [illegible] الوعد الذى وعد به ابراهيم أن اسحاق [illegible]

رحلة إسماعيل وهاجر [illegible]

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم: ٣٧)

ويظهر لى أن إبراهيم دعا هذا الدعاء بعد بناء البيت.

والوادى الذى لا زرع فيه، هو الوادى الذى به مكة اليوم.

ولم يبن بمكة شىء بعد البيت إلا فى القرن الثانى قبل الإسلام، فى عهد قصى بن كلاب، فإنه بنى دار الندوة وتبعته قريش تبنى حول

المسجد، وكان المسجد ساحة فيما حوله وذلك من نحو خمسين ومائة سنة قبل الإسلام راجع صبح الأعشى صفحة ٢٥٠ جزء رابع - ومكة والحرم الذى حولها لا تنبت شجرا يثمر سوى شجر البادية، ففى صفحة ٢٥٥ من الجزء الرابع من صبح الأعشى، قال ابن حوقل: وليس بمكة والحرم شجر يثمر إلا شجر البادية فإذا خرجت عن الحرم فثمة عيون وآبار.

وفى البخارى: عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شىء، فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه، فقال:

[illegible]

حتى بلغ «يشكرون»، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ «فذلك سعى الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينا معينا». وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء، فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا، قال: «وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك، فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم فى الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ «فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الإنس» فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن فى ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته، وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشىء؟ قالت: نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قال: ذاك أبى، وقد أمرنى أن أفارقك، الحقى بأهلك. فطلقها وتزوج أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده. فدخل على امرأته فسألها عنه. فقالت: خرج يبتغى لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم فى اللحم والماء، قال النبى ﷺ «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه» قال: «فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه» قال: «فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه» فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألنى عنك فأخبرته، فسألنى كيف عيشنا، فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشىء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبى، وأنت العتبة، أمرنى أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم. فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرنى بأمر: قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: «فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له: فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان:

﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾

قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان:

[illegible]

هذا وقد قرأت فى كتاب من كتب الأدب العبرى قريبا من ذلك.

بناء البيت

لما ترك إبراهيم إسماعيل وهاجر بالوادى الذى به مكة اليوم، كان يزور ولده إسماعيل - الحين بعد الحين - ففى إحدى هذه الزيارات أمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت فصدعا بالأمر وبنيا الكعبة ولما تم بناؤها أمره الله تعالى أن يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى وأن عليهم أن يقصدوه للنسك. وطلب إبراهيم وإسماعيل من الله تعالى أن

يربيهما المناسك التي ينسكانها. وبقي إبراهيم بعد ذلك زمنا طويلا حيا.

والكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى. في حين أن بقية الشعوب والقبائل في سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل.

كان أهل مصر يعبدون آلهة متعددة، تارة في وقت واحد وتارة في أوقات متعددة فمن عبادة الشمس. إلى عبادة الثور. إلى عبادة الآلهة الثلاثة أوزوريس وإيزيس وابنهما حوريس. وكانوا يرمزون بذلك إلى صفات الله تعالى. ويصنعون التماثيل لتلكم الرموز. وكان الآشوريون يعبدون بعل شموش أي الإله الشمس ويصنعون له صنما على نحو أبي الهول له رأس إنسان وجسم أسد وله أجنحة.

وكان الكنعانيون يعبدون البعل، وهو على وصف بعل شمرش بدون أجنحة. وقد رأيته مشوها في معبد بعلبك المعروف الآن بقلعة بعلبك - وكان أهل نواحي غزة يعبدون داجون ويصورونه إنسانا له جسم سمكة: والعمونيون وأهل باشان كانوا يعبدون بعل فغور وآخرون كانوا يعبدون العشاروت أي القمر - صنم على هيئة أنثى.

اقرءوا قوله تعالى في سورة آل عمران:

[illegible]

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

وفي سورة البقرة:

[illegible]

استطراد

يريد بعض الناس أن ينفي العرب عن إبراهيم وإسماعيل فيتفرع إلى ذلك بنفي وجود إبراهيم وإسماعيل تاريخيا. بمعنى أنه لم يكن في ذلك الوقت الذي يدعي لهما من يدون التاريخ ويسطر أحواله. ومعلوم أن عدم وجود مؤرخ يكتب عن إبراهيم وإسماعيل لا ينفي أنهما وردا سجل الحياة، فإن الجد الذي يكمل العشرة من أجدادي، لم أعلم اسمه، ولم يسجله تاريخ، فهل معنى ذلك أن ليس لي جد عاشر؟

وعلى النافي أن يثبت أن حوادث عصرهما مسجلة - كبيرها وصغيرها - بيد مؤرخين كانوا في تلك الأمكنة، فتركيبه محدث لنفسه، على أن إبراهيم وإسماعيل قد ورد خبر تثبيت وجودهما بالتواتر حجة قطعية.

يقولون: إن وجود إبراهيم وإسماعيل إنما هو أمر اخترعه اليهود بعد الهجرة ليتقربوا إلى العرب المسلمين، وهذا القول حجة داحضة. لأنه يقتضي أن ذكر إسماعيل وأنه أبو العرب مستحدث في التاريخ اخترع زمن البعثة، بعد الهجرة! اخترعه اليهود ليوجدوا صلة بينهم وبين العرب، في حين أن مسألة إسماعيل موجودة في سفر التكوين من أسفار التوراة! وقد ترجم في نحو سنة ٢٨٠ قبل الميلاد من العبرية إلى اليونانية، في عصر بطليموس فيلادلف وهو بطليموس الثاني في الترجمة المشهورة بالسبعينية التي قام على ترجمتها بالإسكندرية سبعون حبرا من أحبار اليهود، وذلك قبل هجرة محمد ﷺ بتسعة قرون. وهو ذنب مؤرخ معروف في التاريخ، وتلك دعوى لا دليل عليها. رجعوا بعد ذلك يقولون: إن إبراهيم لم يبن البيت، وإسماعيل لم يكن ولم يوجد بمكة. وإنه ربما كان هناك بلدة أخرى اسمها بكة خارج بلاد العرب وهي غير مكة، وجد بها ذلك البيت الذي أخبر الله به أول بيت وضع للناس. وقد أعماهم الله عن أن يحددوا ذلك.

ومعلوم أن لفظ «مكة» عربي والعربية إحدى اللغات السامية، وقد قال جورج زيدان بك في كتابة العرب قبل الإسلام: إن لفظ «بيك» معناه البيت. وعزا ذلك إلى لغة سامية. ومعلوم أن اللغة العربية فيها إبدال الباء ميما وبالعكس. ومن القبائل التي تفعل ذلك مازن، فيقولون في بكر مكر. وفي مكة بكة. وعندنا في بلاد الصعيد وغيرها أثر من ذلك إلى اليوم. وفي بلاد العرب كذلك كما نص عليه صديقنا البحاثة الرحالة محمد لبيب البتنوني بك في رحلته الحجازية.

فمكة هي عين بكة، ومعناها البيت أطلق على ما جاوره توسعا. وهذه كلمة «بعل بك» مركبة من كلمتين «بعل» ومعناه الإله و«بك» ومعناه البيت أي بيت البعل، اسم للمعبد الذي أقيم باسم البعل ووضع به صنمه، وهو به إلى اليوم مشوه الوجه كما رأيته في سنة ١٩٠٨، وقد أطلق هذا الاسم على المدينة التي فيها بيت البعل - كما هو الواقع بمكة.

هذا وأما وصف الكعبة والحرم ومكة وتاريخ مكة والبيت فقد وفاه صديقنا البحاثة محمد لبيب البتنوني بك في كتابه الرحلة الحجازية.

أولاد إسماعيل

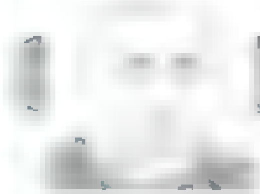
وقد ذكر في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين أولاد إسماعيل الذكور وهم اثنا عشر ولدا رؤساء قبائل.

عمر إسماعيل ووفاته

وفيه أن إسماعيل عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة. وفيها أيضا ما يشير إلى أنه مات بفلسطين. ولكن ما عليه مؤرخو العرب أنه بمكة. ويظن أنه دفن بالحجر الذي بجوار البيت هو وأمه.

بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة

منهاج القرآن الكريم فى دعوة اليهود إلى الإسلام ومظاهر إنصافه لهم



كلامنا هنا يتناول موضوعين أساسيين:

أولهما: بيان أهم الوسائل التى اتبعها القرآن الكريم لحمل أهل الكتاب على الدخول فى الإسلام، والإيمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

وثانيهما: بيان أهم مظاهر الإنصاف والتسامح التى عامل بها الإسلام أهل الكتاب.

وللحديث عن الموضوع الأول نقول: إن دعوة الناس إلى توحيد الله - تعالى - وإخلاص العبودية له، والخضوع لحكمه، هى القضية الأولى التى من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين، وأمرهم أن يوجهوا الناس إليها فى كل زمان ومكان.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم أن كل رسول بعثه الله - تعالى - كان يأمر قومه بتوحيد الله سبحانه.

[illegible]

([illegible] ٢٥)

و[illegible] إلى عبادة الله وحده. حكاه القرآن الكريم بصيغة متحدة على لسان عدد من رسله وهم ينصحون أقوامهم.

فقال تعالى - فى شأن نوح - عليه السلام:

[illegible]

(سورة الأعراف - الآية ٥٩)

وقال تعالى فى شأن هود عليه السلام:

[illegible]

(سورة الأعراف - الآية ٦٥)

وقال تعالى فى شأن صالح عليه السلام:

[illegible]

(سورة الأعراف - الآية ٧٣)

وقال تعالى فى شأن شعيب عليه السلام:

[illegible]

(سورة الأعراف - الآية ٨٥)

ولا شك أن كل نبى قد وجه هذه الجملة إلى قومه إما بنصها أو بمعناها؛ لأنها جملة فى استجابة الناس - بإخلاص وطاعة - لمضمونها، سعادتهم وفلاحهم.

ولقد اقتضت حكمة الله - تعالى - أن يجعل رسوله محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن تكون رسالته عامة للناس جميعا، وشريعته ناسخة للشرائع التى سبقتها، ومعجزته الكبرى - القرآن الكريم - مصدقا للكتب السماوية السابقة ومهيمنا عليها، ودعوته موافقة فى جوهرها لما دعا إليه الأنبياء السابقون.

وتقتضى هذه الاعتبارات التى منحها الله تعالى لنبيه ﷺ دون غيره من الرسل، أخذ يدعو الناس جميعا إلى توحيد الله تعالى بعزيمة صادقة وبيان واضح، وصبر جميل، وحجة ساطعة وأدلة ناطقة بأنه صادق فيما يبلغه عن ربه.

وكان من بين الأقوام الذين وجه إليهم الرسول ﷺ دعوته ليتبعوه ويصدقوه أهل الكتاب بصفة عامة، واليهود الذين كانوا مجاورين لعرب الجزيرة بصفة خاصة.

ولقد سلك النبى ﷺ فى دعوته لهم كل وسيلة من شأنها أن تدفعهم لتصديقه وتستميلهم إلى حقية دعوته، وساق لهم من آيات القرآن الكريم ما يحملهم على المبادرة إلى الدخول فى دين الإسلام إن كانوا ممن يفتحون قلوبهم للحق، ويخافون مقام ربهم، وينهون أنفسهم عن الهوى.

وهذه بعض الوسائل التى اتبعها القرآن الكريم فى دعوته بنى إسرائيل إلى الدخول فى الإسلام، واتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

أولا: إقامة الأدلة لهم على صدق النبى ﷺ وذلك عن طريق:

(أ) تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل.

(ب) تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبى الذى بشر به عيسى عليه السلام.

(جـ) تنبيههم إلى أن محمداً ﷺ هو النبى الذى كانوا يستفتحون به على الذين كفروا.

(د) تنبيههم إلى أن القرآن الكريم الذى نزل على محمد ﷺ مصدق للكتب السماوية السابقة.

ثانيا: إرشادهم إلى أن ما دعاهم إليه محمد ﷺ يوافق فى أصوله ما دعا إليه الأنبياء.

ثالثا: ترغيبهم فى اتباع محمد ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة.

رابعا: إنذارهم بالعقوبة العاجلة

والاعتراف بنبوة النبي ﷺ.

خامسا: إعلامهم بأن اختلافهم في الدين سببه البغي والحسد.

سادسا: حث بعضهم على أن القرآن الكريم يقص عليهم الحكم الحق فيما اختلفوا فيه.

سابعا: إقامة الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بهم على صدق النبي ﷺ.

هذه بعض الأمور التي ساقها القرآن الكريم كأدلة على صدق النبي ﷺ ودعا أهل الكتاب إلى تفهمها بتعقل وإخلاص، ليتسنى لهم بذلك المسارعة إلى الدخول في الإسلام، واتباع نبيه محمد ﷺ. وهاك البيان عنها مفصلا بعد أن سقناها مجملة:

أولا: إقامة الأدلة - لهم ولغيرهم - على صدق محمد ﷺ

من بين الوسائل التي استعملها القرآن الكريم لدعوة بني إسرائيل إلى الإيمان بمحمد ﷺ إقامة الأدلة على صدقه فيما يبلغه عن ربه. ومن بين هذه الأدلة تنبيههم إلى أن محمدا ﷺ هو النبي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل. وقد جاء هذا التنبيه في قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿ [illegible]

[illegible]

وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

معنى الآيات الكريمة

وصف الله تعالى رحمته بأنها

﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾

فهي في الدنيا تعم المؤمنين والكافرين، والمتقين والعاصين. وأما في الآخرة، فقد أخبر - سبحانه - أنها ستختص من جمع أوصافا ثلاثة:

- الوصف الأول: تقوى الله في السر والعلن.
- والثاني: إعطاء الزكاة عن مجاوزة نفس لأربابها المستحقين لها.
- والثالث: الإيمان بآيات الله تعالى التي أوحى بها إلى أنبيائه ورسله فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

ثم زاد من اتصف بهذه الأوصاف الثلاثة بيانا وتوضيحا بأنهم الذين يؤمنون بعبده ورسوله محمد ﷺ وبكتابه عن صدق وإخلاص فقال تعالى:

﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾

وقد وصف تعالى رسوله بأوصاف كريمة تدعو العاقل المنصف إلى اتباعه والإيمان به وتعزيره وتوقيره.

- الوصف الأول: أنه رسول الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا.
- والوصف الثاني: أنه نبي أوحى الله إليه بشريعة عامة كاملة دقيقة إلى يوم الدين.
- الوصف الثالث: أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا جلس إلى معلم ولا أخذ علمه عن أحد ولكن الله تعالى أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل - عليه السلام - وقص عليه من لدنه علوما نافعة ومبادئ توضح ما تنطوي عليه القرآن الكريم. فسبق بذلك الفلاسفة والمشرعين والمؤرخين وأرباب العلوم الكونية والطبيعية. فدعيته مع هذه العلوم التي يصلح عليها أمر الدنيا والآخرة. أوضح دليل على أن ما يقوله إنما هو وحي من الله إليه.

قال تعالى:

﴿ [illegible]

[illegible] ﴾

(سورة الشورى: الآية ٥٢)

﴿ [illegible]

[illegible] ﴾

(سورة العنكبوت: الآية ٤٨)

الوصف الرابع: أشار إليها بقوله

- [illegible]

أي: هذا الرسول النبي الأمي من صفاته أن أهل الكتاب يجدون اسمه ونعته مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ووجود اسمه ونعته في كتبهم من أكبر الدواعي إلى الإيمان به، وتصديقه واتباعه. ولقد كان اليهود يبشرون ببعثة النبي ﷺ قبل زمانها ويقرءون في كتبهم ما يدل على ذلك فلما بعث الله - تعالى - نبيه بالهدى ودين الحق آمن به منهم الذين فتحوا قلوبهم للحق، وخافوا مقام ربهم ونهوا أنفسهم عن الهوى، وأما الذين استكبروا واستكبروا، وحسدوا محمدا ﷺ على ما آتاه الله من فضله فقد أخذوا يحذفون من كتبهم ما جاء عن النبي ﷺ فيها، أو يؤولونه تأويلا فاسدا، أو يكتمونه عن عامتهم، ورغم حرصهم على حذف ما جاء عن الرسول في كتبهم وتأويلهم لسقيم له، أو كتمانه عن الأميين منهم، أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره. إذ بقي في التوراة والإنجيل ما بشر بالنبي ﷺ وصرح بنعوته وصفاته بل وباسمه صريحا.

وقد تحدث العلماء الأثبات عن بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ وجمعوا عشرات النصوص التي ذكرت نعوته وصفاته، وهانحن نذكر طرفا مما قاله العلماء في هذا الشأن.

قال الإمام الماوردي في (أعلام النبوة): «وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء، بنبوة محمد ﷺ مما هو حجة على أممهم، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله تعالى على غيبه،

ليكون عونًا للرسول، وحثًا على القبول، فمنهم من عينه باسمه، ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه، ومنهم من عزاه إلى بلده، ومنهم من خصه بأفعاله، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره، وقد حقق الله تعالى جميعها فيه، حتى صار جليًا بعد الاحتمال، ويقينًا بعد الارتياب.

وجاء في (منية الأذكياء في قصص الأنبياء): «إن النبي -عليه الصلاة والسلام- قد بشر به الأنبياء السابقون، وشهدوا بصدق نبوته، ووصفوه بوصف رفع كل احتمال، حيث صرحوا باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته، ومع أن أهل الكتاب حذفوا اسمه من نسخهم الأخيرة إلا أن ذلك لم يجدهم نفعًا، لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة، وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى، إذ قد يشترك اثنان في اسم، ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الأوصاف، لكن من أمد غير بعيد قد شرعوا في تحريف بعض الصفات ليبعد صدقها على النبي ﷺ فترى كل نسخة متأخرة تختلف عما قبلها في بعض المواضع اختلافًا لا يخفى على اللبيب أمره، ولا ما قصد به، ولم يفدهم ذلك غير تقوية الشبهة عليهم، لانتشار النسخ بالطبع وتيسير المقابلة بينها»[1].

وقال مرحوم الشيخ (رحمة الله الهندي) في كتابه (إظهار الحق): «إن الأخبار الواقعة في حق محمد ﷺ توجد كثيرة إلى الآن -أيضًا- مع وقوع التحريفات في هذه الكتب، ومن عرف أولًا طريق أخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر، ثم نظر ثانيًا بنظر الإنصاف إلى هذه الأخبار وقابلها بالأخبار التي نقلها الإنجيليون في حق عيسى -عليه السلام- جزم بأن الإخبارات المحمدية في غاية القوة»[3].

وقد جمع صاحب كتاب (إظهار الحق) وغيره من العلماء والمؤرخين كثيرًا من البشائر التي وردت في التوراة والإنجيل خاصة بالنبي ﷺ ومبينة نعوته وصفاته.

ومن أجمع ما جاء في التوراة خاصًا بالنبي ﷺ ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ) محمد رسول الله: عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله[4].

(1) الباب العاشر عشر فصل (بشائر الأنبياء محمد ﷺ)

(2) نقلًا عن تفسير القاسمي جـ٧ ص ٢٨٧٤

(3) [illegible] (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي

(4) [illegible]

كذلك مما يشهد بوجود صفة النبي ﷺ في التوراة ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي صخر العقيلي قال: (حدثني رجل من الأعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة النبي ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشيان، فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود وقد نشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأحسنها، فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي، فقال برأسه هكذا، أي لا، فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فقال الرسول ﷺ: «أقيموا اليهود عن أخيكم، ثم تولى كفنه والصلاة عليه»[5].

هذا، ومن أراد مزيد معرفة بتلك المسألة فليراجع ما كتبه العلماء في ذلك[6].

- ثم وصف الله تعالى رسوله ﷺ بصفة خامسة فقال تعالى:

أي: هو الرسول النبي الأمي الذي يجده في الكتب مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل من صفاته كذلك أنه يأمرهم بالمعروف، الذي يتناول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، كما يتناول مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم وغير ذلك من الأمور، التي جاء بها الشرع الحنيف وارتاحت لها العقول السليمة، والقلوب الطاهرة وينهاهم عن المنكر الذي يتناول الكفر والمعاصي، ومساوئ الأخلاق.

- ثم وصف الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بصفة سادسة، فقال تعالى:

أي: يحل لهم ما حرمه الله عليهم من الطيبات كالشحوم وغيرها، بسبب ظلمهم وفسوقهم عقوبة لهم، ويحل لهم كذلك ما كانوا قد حرموه على أنفسهم دون أن يأذن به الله، كلحوم الإبل وألبانها، ويحرم عليهم ما هو خبيث كالدم، ولحم الميتة، والخنزير في المأكولات، وكالخمر في المشروبات، وكأكل أموال الناس بالباطل، في المعاملات وفي ذلك سعادتهم وفلاحهم.

- ثم وصف الله تعالى رسوله ﷺ بصفة سابعة، فقال تعالى:

(5) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٥٦

(6) راجع على سبيل المثال تفسير المنار جـ٩ ص٢٩١ وكتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي وكتاب «غاية البيان» للشيخ عبد الرحمن العريني

فالإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة لثقله، ويطلق على العهد كما في قوله تعالى:

﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾

أي: عهدي.

قال القرطبي: «وقد جمعت هذه الآية المعنيين، فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد وثقل تلك الأعمال، كغسل البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض، ومؤاكلتها ومضاجعتها، فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم البول قرضه، وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها، إلى غير ذلك مما ثبت في الصحيح وغيره»[1].

والأغلال: جمع غل، وهو ما يوضع في العنق أو اليد من الحديد، والتعبير بوضع الإصر والأغلال عنهم استعارة لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة والتكاليف الشديدة كاشتراط قتل النفس لصحة التوبة. لقد شبه سبحانه ما أخذ به بنو إسرائيل من الشدة في العبادات والمعاملات والمأكولات جزاء ظلمهم بحال من يحمل أثقالا يئن من حملها، وهو فوق ذلك مقيد بالسلاسل والأغلال في عنقه ويديه ورجليه. والمعنى أن من صفات هذا الرسول النبي الأمي أنه جاء ليرفع عنهم ما ثقل عليهم من تكاليف، كلفهم الله بها بسبب ظلمهم؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- جاء بالتبشير والتخفيف، وبعث بالحنيفية السمحة، ومن وصاياه: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[2].

قال الإمام ابن كثير: وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها، وسهلها لهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»، وقال: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، ولهذا قال: أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا:

﴿[illegible]﴾

وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه: قد فعلت، قد فعلت.

إذا، فمن الواجب على بني إسرائيل أن يتبعوا محمدا ﷺ الذي هذه صفاته، والذي في اتباعه سعادتهم في دنياهم وآخرتهم. ولهذا ختم الله تعالى الآية الكريمة ببيان عاقبة المصدقين لنبيه، فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

أي: فالذين آمنوا به من بني إسرائيل وغيرهم وعزروه، أي: منعوه وحموه من كل من يعاديه، مع التعظيم والتوقير له ونصروه بكل وسائل النصر،

﴿[illegible]﴾

وهو القرآن، والوحي الذي جاء به، ودعا إليه الناس،

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

أي الفائزون الظافرون برحمة الله ورضوانه.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد وصفت النبي ﷺ بأحسن الصفات، وأكرم المناقب، وأقامت الحجة على أهل الكتاب، بما يجدونه في كتبهم، وعلى ألسنة رسلهم بأنه ما جاء إلا لهدايتهم وسعادتهم، وأنهم إن آمنوا به وصدقوه، كانوا من:

﴿[illegible]﴾

ثم أمر الله رسوله أن يبين للناس أنه مرسل إلى الناس كافة، فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

أي: قل يا محمد لكافة البشر من عرب وعجم إني رسول الله إليكم جميعا، لا فرق بين نصراني أو يهودي، وإنما رسالتي إلى الناس عامة. وقد جاء في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية ما يؤيد عموم رسالته.

أما في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

وقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

وقوله تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾

أي: وأنذر من بلغه القرآن ممن سيوجد إلى يوم القيامة، من سائر الأمم، وفي ذلك دلالة على عموم رسالة النبي ﷺ وعلى أن أحكام القرآن تعم الثقلين إلى يوم الدين.

وأما في السنة فمن ذلك ما رواه البخاري، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[1].

[1] تفسير القرطبي جـ٧ ص٣٠٠.
[2] [illegible]

[1] صحيح البخاري (باب التيمم) جـ١ ص٩٢

وفى صحيح مسلم، عن أبى موسى الأشعرى- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة، يهودى، ولا نصرانى، ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار»[10].

[illegible] كثيرة [illegible] فى هذا كثيرة، كما أن الأحاديث فى هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه رسول إلى الناس كلهم[11].

ثم وصف الله تعالى ذاته بما هو أهل له من صفات القدرة والوحدانية، فقال تعالى:

[illegible]

أى: قل- يامحمد- للناس إنى رسول إليكم من الله الذى له التصرف فى السموات والأرض، والذى لا معبود بحق سواه، والذى بيده الإحياء والإماتة. ومن كان هذا شأنه فمن الواجب أن يطاع أمره، وأن يترك ما نهى عنه، وأن يُصدق رسوله. ثم بنى- سبحانه- على هذه النعوت الجليلة التى وصف بها نفسه، الدعوة إلى الإيمان فقال تعالى:

[illegible]

أى: فآمنوا أيها الناس جميعًا، بالله الواحد الأحد، وآمنوا- أيضًا برسوله محمد ﷺ النبى الأمى الذى يؤمن بالله، وبما أنزل عليه، وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه، ووحيه، واسلكوا سبيله، واقتفوا آثاره، فى كل ما يأمر به، أو ينهى عنه، رجاء أن تهتدوا إلى الصراط المستقيم.

وفى وصفه ﷺ بالأمية مرة ثانية، إشارة إلى كمال علمه؛ لأنه مع عدم مطالعته للكتاب، أو مصاحبته لمعلم، فتح الله له أبواب العلم، وعلمه ما لم يكن يعلم، من سائر العلوم التى تعلمها الناس عنه، وصاروا بها أئمة العلماء، وقادة المفكرين، فأكرم بها من أمية تتضاءل بجانبها علوم العلماء فى كل زمان ومكان.

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد وصفتا رسول الله ﷺ بأشرف الصفات وأقامتا أوضح الحجج وأقواها، على صدقه فى نبوته، ودعتا اليهود بل الناس جميعا- إلى الإيمان به؛ لأنه قد بشرت به الكتب السماوية السابقة؛ ولأنه ﷺ ما جاءهم إلا بالخير، وما نهاهم إلا عن الشر؛ ولأن شريعته تمتاز باليسر والسماحة؛ ولأن أنصاره وأتباعه هم المفلحون، ولأن رسالته عامة للجن والإنس، ومن كانت هذه صفاته، وتلك شريعته، جدير أن يتبع، وقمين أن يصدق ويطاع. وما يعرض عن دعوته إلا من طغى، وآثر الحياة الدنيا.

يتبع

---

(10) صحيح مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

(11) تفسير ابن كثير جـ2 ص255.

من فتاوى الحاخامات

عنوان الفتوى: من يأخذ بمشورة زوجته مصيره جهنم.

مصدر الفتوى: [illegible] 7/11/2005.

فتوى من الحاخام يوفال شارلو

سؤال:

يقلقنى أننى فى الماضى [illegible] مشورة سيدات، وكانت نصائح حكيمة ومنطقية ومفيدة، إلا أننى أعرف من الشريعة أن كل من يأخذ بمشورة امرأة مصيره جهنم. لذلك [illegible] خائف وقلق، وأطلب أن تساعدونى.

موطى شرعابى

جواب:

فى البداية نفسر المسألة التلمودية التى ذكرتها:

قال حاخام: كل من يأخذ بمشورة زوجته يدخل جهنم، لكن [illegible] إذا تكلمت زوجتك فطأطئ رأسك واستمع لها. [illegible] فقط. [illegible] الأمور [illegible]. أما من يأخذ بمشورة زوجته فى [illegible] (بابا متسيعا 59 / 71).

وقد تعامل فقهاء التلمود مع النساء، سواء على المستوى القانونى أو الثقافى، [illegible].

وقد أوضحنا بالتفصيل نظرة الشريعة إلى وضع المرأة فى [illegible] وضع المرأة فى الشريعة اليهودية.

ومثال ذلك [illegible] يهودا هناسى (واضع المشنا) عندما أنجب بنتا «وليس ولدا» شعر بالغضب، فحاول والده أن يواسيه فقال له: البنت تسارع بإنجاب الأحفاد قبل الابن، وعن كلمات المواساة تلك قال [illegible] مواساة البنت لا قيمة لها. فلا يمكن أن يعيش العالم بلا ذكور ولا إناث، ولكن طوبى لمن يرزق بالبنين، وواحسرتاه على من يرزق بالإناث (بابا بترا 16 / 72).

[illegible] لأمور ثلاثة

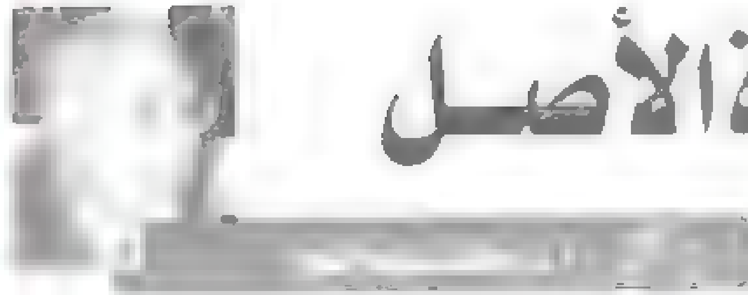
أ- يروى التلمود من واقع الحياة اليومية [illegible]، وهى ليست [illegible] من الخرافة، بل واقعا ينتشر فى ثقافة السلف، أن ولادة البنت كانت تسبب الحزن.

ب- [illegible] يهودا هاناسى أن كل قيمة المرأة وميزتها هى فى الخصوبة الإنجابية فقط.

ت- مقولة عامة وجامعة: «واحسرتاه على من رزق بإناث».

وبالنسبة لخوفك من جهنم، فدع عنك هذا الخوف، [illegible] التلمود: قال السابقون هذه الأقوال لإخافة الناس (وهذا غير حقيقى)، حتى يخافوا [illegible] عز وجل

(الحاخام يفن عزرا)



وحدة الأصل

تلك هي خريطة المسيحية أو جغرافية الأقباط في مصر. فماذا تعني سياسيا من حيث النسيج والتماسك الجيوبوليتيكي والوحدة الوطنية والسياسية؟ ابتداء، إن كثافة المسيحية تزداد كلما تعمقنا جنوبا، أي كلما بعدنا عن مدخل الإسلام من الشمال. فهذا لا يعني مطلقا أن الموجة العربية الإسلامية - إذا كان لنا أن نضع الحاضر في إطار الخلفية التاريخية - قد أزاحت الأساس «القبطي» إلى جيب الجنوب المغلق في الصعيد. وذلك كما حدث مثلا للقرشات الأساسية في الشام أو المغرب حيث التجأت إلى المعاقل الجبلية والمرتفعات. فالانتشار العربي كان أشبه شيء بعملية الانتشار الغشائي الأسموزي - عالمية وسارية - عملية تغلغل لا زحزحة، وتخلل لا زراعة. ولهذا فقد أثبتت الأبحاث الأنثروبولوجية الحديثة خطأ النظرية التي كانت ترى بين «الفلاحين والقبط» فارقا كالذي بين «العرب والبربر» في المغرب.

«رأى بعض المؤلفين أن بينهما نفس الاختلافات التي بين من يدعون بالعرب وبين البربر. ولكن علم الأجناس لم يؤيد هذا الرأي. فالأقباط والفلاحون يكادون يكونون شيئا واحدا»[1] وهكذا. ميتة طبيعية لنظرية غير طبيعية.

والواقع أن [illegible] في هذه النظرية ليس سقوطها وإنما أصلا قيامها، ذلك لأن، وحدة الأصل بين المسلمين والأقباط ليست علميا إلا تحصيل حاصل ومجرد بديهية أنثروبولوجية، ببساطة لأن تكوين مصر الجنسي سابق على تكوينها الديني بنحو ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنة على الأقل فالأساس [illegible] الأنثروبولوجي [illegible] كما [illegible] من المسيحية بأكثر من ٣٢٠٠ سنة ومن الإسلام بأكثر من ٤٠٠٠ سنة، على أن [illegible]

(1)Chantre, op. cit. P.149, Valkus, op. cit. P.39

تقدير، أو كما يضعها حزين بكل وضوح [illegible] العام للمصريين قد وحد واتحد [illegible] قبل أن تكون هناك أقباط ومسلمون».

وفي هذه المناسبة، [illegible] وتوضيحي أيضا على النظرية الشائعة من أن الأقباط أقرب إلى تمثيل المصريين القدماء من المسلمين، ولا شك ابتداء أن هذا صحيح [illegible] المسلمين وليس كلهم، فليس كل المسلمين بالضرورة قد داخلتهم دماء عربية أو غير عربية، فهؤلاء إذن لا يقلون قربا من المصريين القدماء عن الأقباط، والأصح أيضا أن نقول إن معظم الأقباط لا كلهم كذلك، لأن الأقباط هم أيضا قد داخلتهم بعض مؤثرات خارجية، وإن تكن غير عربية أو إسلامية بالطبع، وذلك من خلال الزواج المختلط مع بعض العناصر والجاليات المسيحية الأوروبية وغيرها.

بل إن المسلمين الذين انحدروا من الأصل المصري الأول دون التأثر بالدم العربي هم ببساطة [illegible] أضعاف أولئك الذين تأثروا به، وهم بالتالي عشرات أضعاف الأقباط أنفسهم، وهم من ثم أيضا ليسوا «دخلاء» على مصر في أي معنى ولا هم أقل «مصرية» في الأصل عن الأقباط، وإلا لكان معنى هذا أن الغالبية العظمى من المصريين «دخلاء»، وهو توهم على النقيض [illegible] من الحقيقة [illegible] والانحراف [illegible] على النقيض [illegible] مع [illegible]



العقاد

[illegible] معظم المسلمين المصريين [illegible] منهم [illegible] معظم القبط المصريين أسلموا بالأمس، مثل ما أن أقباط اليوم هم [illegible] على عقيدتهم السابقة، ومن هنا وحدة أيضا قد نستطيع أن نفهم، إن لم نستطع أن نقبل، وجهة نظر البعض أو تعبيرهم حين يقولون إن المصريين إما «قبط مسلمون» وإما «قبط مسيحيون»، [illegible] أن كلمة «قبط» إنما هي تحريف أو شكل آخر لكلمة «إيجبت» أي مصر، أي مرادف لكلمة مصري. [illegible] طريقة خاصة جدا للتعبير عن وحدة الأصل بين [illegible]، ولكن [illegible] وهو تلك الوحدة بعينها، وعلى أية حال، [illegible] الدين [illegible] هناك [illegible] الوطن [illegible]، فالكل مصريون قبل الأديان وبعدها، وإذا صح [illegible] الشائع عن [illegible] بين أرض مصر وفيضان النيل، فإن من الصحيح أيضا أن ثمرته هي المصريون جميعا، فالنيل أبوهم ومصر أمهم![2]

ولعل العقاد كان عالما باحثا قبل أن يكون

(2) Coon, p.459

أدبيا متحمسا حين لخص الموقف كله في قضية الوحدة الوطنية بقوله الجامع «ينقض التاريخ كل ما يقال عن التفرقة بين عناصر الوطنية المصرية؛ فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين والمسيحيين سواء في تكوين سلالته القومية. ولا فرق بين هؤلاء وهؤلاء في الأصالة والقدم عند الانتساب إلى هذه البلاد. فإذا كان بين المسلمين المصريين أناس وفدوا من بلاد العرب أو الترك، فبين المسيحيين المصريين كذلك أناس وفدوا من سورية واليونان والحبشة ودانوا بمذهب الكنيسة المصرية أو بغيره من المذاهب المسيحية. ويبقى العدد الأعظم بعد ذلك سلالة مصرية عريقة ترجع بآبائها وأجدادها إلى أقدم العهود قبل الميلاد المسيحي وقبل بعثة موسى....»[4].

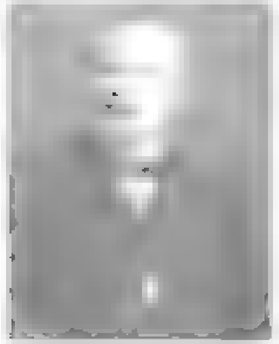
وبهذه المناسبة، واختتاما للمناقشة، نذكر أن كثيرا من الأجانب خاصة الأوروبيين يدعون القدرة على التمييز بين المسلمين والأقباط على نحو ما يفعلون مثلا في أوروبا بين المسيحيين واليهود. غير أن من الصعب علميا أن نفهم كيف؟! فحتى المصريون أنفسهم يعجزون، وكم تحدث من مفارقات، ليست غير محرجة أحيانا، إذا ما هم حاولوا. والحق أن هذه الفكرة الشائعة هي أساسا من أوهام الغير وربما من أوهام الخواص. والتفسير العلمي هنا لا يختلف عن تفسير ظاهرة الخاصة باليهود في أوروبا، ولندع سليجمان يلخص، ويحسم، لنا موقف كله في حسنا نحن بالذات هو «يعتقد الأجانب غالبا»، يقول الأنثروبولوجي الكبير: «إنهم قادرون على التمييز بمجرد النظر بين المسلمين والأقباط. ولكن لما كان التحليل الجسمي لا يشير إلى اختلاف كبير، فإن التمييز إن وجد لابد أن يكون حضاريا أساسا، يرجع إلى العادات والسمات التي تعتمد على طريقة الحياة. فالأقباط، وهم مسيحيون وسكان مدن في الدرجة الأولى، هم بصفة خاصة من الكتبة وأصحاب المحلات، في حين أن الأغلبية العظمى من الفلاحين هم من المزارعين. فلعل أثر العادات السائدة والتابعة لكليهما قد أحدث ذلك فرقا ملحوظا. وصحيح أن فروقا طفيفة في مظهر الوجه قد وصفت كاختلاف عيون وبشرة أفتح لونا وأنف أضيق قليلا، ولكن بالرغم من ذلك فإن من المشكوك فيه ما إذا كان التشخيص بالنظر بين القبطي والمسلم ليس برمته سوى مسألة عوامل مثل المشية والملبس»[5].

ولنا على نقطة اللون والأنف التي يشير إليها سليجمان هامش تفسيري. فإذا كان لا خلاف على أن هذا الفارق بيئي أساسا، ومهني بالتحديد، حيث لا يرتبط الأقباط كثيرا بالزراعة والعمل في الخلاء وبالتالي لا يتعرضون للشمس كالفلاح المسلم، فإن لنا مع ذلك أن نضيف أن لون البشرة ومعه سائر الصفات الجسمية المرتبطة به كالشعر والعين تتفاوت بين الأقباط مثلما تفعل بين المسلمين ما بين الشمال والجنوب أو في المنطقة الواحدة، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من الأقباط هم أشد سمرة من كثير من المسلمين، خاصة منهم في جنوب الصعيد مثلا وأسوان، حتى إن بعض من نعرف منهم كرواسم مثلا في العاصمة لا يكادون يختلفون في مظهرهم عن البواب النوبي التقليدي.

هذا على الجانب الجسدي البحت، ولكن حتى على الجانب الحضاري يصعب أن نجد كذلك فارقا محسوسا ذا بال بين الطائفتين، حتى كرومر نفسه عرف هذا واعترف به فقال: القبطي، كما هو في مصر الحديثة - «هو من قمة رأسه إلى أخمص قدمه، في السلوك واللغة والروح، مسلم وإن لم يدر كيف». فالقبطيات تتشبهن بالمسلمات، والأطفال يكبرون بصفة عامة، وعادات الزواج والجنائز تشبه ما عند المسلمين[6]. ورغم أن كرومر يرد هذا التشابه إلى قانون تأثر الأقلية بالأغلبية وتقليدها لها على نحو ما كان في الهند بين الهندوس والمسلمين، إلا أن أثر البيئة والحضارة والحياة المشتركة لا يمكن تجاهله.

التداخل السكني

وليس أقل خطأ بعد هذا من تلك المحاولات السطحية عند بعض الكتاب الغربيين لتصوير أو تصور «نطاق قبطي» في الصعيد الأوسط حاليا[7] وإذا كان هناك تركز مؤكد في هذا القطاع، فهو ليس نطاقا إلا على المستوى القبطي نفسه، بمعنى أنه قمة تجمع الأقباط في هيكل توزيعهم العام، ولكنه ليس نطاقا قبطيا على المستوى الوطني، بمعنى أنه لا يشكل أغلبية محلية أو إقليمية على الإطلاق



كرومر

في جسم الوطن. فأقصى كثافة لا تعدو خمس السكان، أي بين نسبة موضوعية بين أربعة أخماس من الأغلبية.

لا، ولا كانت مدينة الفيوم في القرن الماضي ولا مدينة أسيوط في الوقت الحالي[8] «عاصمة» للأقباط إلا في المعنى المجازي جدا، وعلى أية حال، فإن كان للأقباط في مصر عاصمة حقيقية فهي العاصمة الوطنية القاهرة، عاصمة الجميع فلعل فيها وحدها الآن أكثر من ربع أقباط مصر جميعا، أي أكبر تجمع منفرد لهم في أي منطقة من القطر، وفي هذا الصدد ربما جاز أن نقول أن حي شبرا بالذات، حيث تحتشد أكبر نسبة من أقباط العاصمة، هو بدوره «عاصمة الأقباط في العاصمة».

فيما عدا هذا، فرغم أن نسبتهم ترتفع بين السكان محليا، فإنهم لا يمثلون الأغلبية في أي مساحة على أي مستوى، فليس ثمة تركزات أو توطنات محلية. وإنما الكل مبثوث في تضاعيف وخلايا الجسم الأكبر كجزء لا يتجزأ ولا ينفصل. والقرى التي تخلو من الأقباط تماما في مصر نادرة

(4) محمد رفعت، القاهرة ١٩٣٦، ص٢٤ وما بعدها

(5) Races of Arfica, P. 108-9.

(6) Modern Egypt, p. 158.
(7) Bdnjamin E. Thomas in: world geography ed. freeman & morris, 1958, p. 409.
(8) Chantre p. 153. stamp. Africa. p. 203

للغاية، وأندر منها جداً تلك التي يمثلون فيها الأغلبية النسبية. بينما لا تعرف مصر قرية ينفردون بها تماماً مثلما تعرف مناطق مختلفة في الشام مثلاً، وكثير من الحالات التي توصف في بعض المراجع بأنها مدينة أو قرية «قبطية» يتضح من الأرقام الدقيقة أن هذه الصفة المطلقة إن هي إلا من قبيل التبسيط الشديد على الأقل، فمثلاً يذكر [illegible] وهي بالصدفة من أعلى نسب الأقباط في أي مدينة صغيرة بمصر - على أنها مدينة «قبطية»[9]، بينما تصل النسبة الإحصائية إلى الثلثين بالتحديد.

ولعل من المفيد هنا أن نتوقف عند بعض الأمثلة والعينات والحالات الخاصة إلى الشمال من المنيا، وعلى الأخص في الدلتا، يبدو أن تتجاوز نسبة الأقباط في الحالات [illegible] حوالي ٥ كحد أقصى أعلى. أما جنوب ذلك، وبالأخص ابتداء من أسيوط، فيمكن أن ترتفع النسبة في بعض المدن المتوسطة الحجم إلى الربع أو الثلث، ولكنها تقل عن ذلك كلما كان حجم المدينة أكبر أصلاً، ولا تتجاوزها إلا في مدن صغيرة [illegible]. فالنسبة مثلاً نحو الربع في كل من [illegible] وجرجا. ولا [illegible] في الأقصر. بينما ترتفع إلى [illegible] في مدن صغيرة كما [illegible] في كثير من [illegible] سويف [illegible].

هناك بعد هذا مجموعة من الحلات الصغرى تحمل من أسماء الأماكن كلمة «دير» وتقتصر على الصعيد دون الدلتا، وهذه التسمية تشتق من أصولها التاريخية الغابرة حين بدأت بالفعل كأديرة، ولكنها لم تلبث بالتدريج أن تحولت إلى حلات سكنية عادية عامة، وهي من وجهة جغرافية السكن تقابل الحلات التي تبدأ بمقطع «زاوية» أو «مسجد» عند المسلمين والتي تتناثر بالعشرات وربما بالمئات في كل أنحاء الريف المصري بلا تمييز أو تحديد جغرافي. ولهذا فليس كل مكان يحمل اليوم اسم دير يعني أديرة دينية بالطبع، فهذه هي الأقلية المحدودة، بينما تظل الأغلبية العظمى حلات سكنية لا وليست كل حلة سكنية منها تدل اليوم بالضرورة على أغلبية قبطية.

ترجع أصول هذه المجموعة في الغالب إلى بدء الاتجاه إلى حوف الصحراء من الاضطهاد الروماني للمسيحية، ومن هنا فإن نواتها في الأعم الأغلب بدأت بالسكنى الدينية. ثم تحولت بمرور الزمن إلى سكنى مدنية عادية للأهالي عامة، ولكن بطبيعة [illegible]. ومن ثم قد يغلبون عليها بدرجة أو بأخرى، غير أن أحجامها بالضرورة محدودة للغاية، بضعة آلاف أو مئات تتألف من عدة عائلات تعيش في كنف الدير، وحيث تقترب هذه الحلات من المدن الكبرى فإنها تفقد بالضرورة استقلالها وتندمج في نسيجها العمراني المتنامي، وإن لم تفقد بالضرورة تركز الأقباط بها بدرجة أو بأخرى. مثال ذلك دير الطين ودير [illegible] في مصر القديمة جنوب

---
(9) P 47.

مجمع القاهرة، ودير الملاك في شمالها الشرقي.

وفيما عدا ذلك فإن الأصل الديني القديم يفسر انسحاب كثير منها خوف الصحراء حيث كانت تنشد العزلة والحماية، فنجدها اليوم إما على أقصى أطراف الأرض الزراعية في الضفة العربية من الصعيد، وإما في قرب الحافة الشرقية اللامعمور أو قرب جيوبها الزراعية الصغيرة. كذلك فإن بعضها يبدو في عمارته أقرب إلى الحصون منه إلى الأديرة.

والمجموعة تبلغ نحو العشرين حلة، أغلبها في أسيوط وسوهاج وبعضها في بني سويف والمنيا، وأقلها ما هو اليوم دير حقيقي (+) كما يوضح الجدول الآتي:

بني سويف

دير الميمون
عزبة دير الحديد
دير الأنبا أنطوان (+)

المنيا

دير صمالوط
دير جبل الطير (أو دير البقيرة) (+)
دير [illegible]
دير البرشا
دير مواس

أسيوط

رزقة دير المحرق
دير درنكة
دير الجنادلة
دير القصير
دير الجبراوي
دير بصرة
دير تاسا

سوهاج

نجع دير الملاقطة
نجع الدير
دير مار جرجس
دير الحديد (+)
دير سلات
الدير الأبيض (دير الأنبا شنودة) (+)
الدير الأحمر (دير الأنبا بشوى) (+)

قنا

الدير

فيما عدا هذه الحالات الخاصة المحدودة يتوزع سكان الأقباط حيثما توزع سكان المسلمين بلا حدود أو تمييز. حتى أسماء الأماكن يندر أن تحمل دلالة دينية. فما أقل القرى والنواحي أمثال كودية الإسلام وكودية النصارى (أسيوط) أو [illegible] النصارى وبياض النصارى (بني سويف) أو أشبين النصارى (مغاغة) أو غيط النصارى (دمياط) أو عزبة الأقباط (سوهاج)، فهذه وأمثالها أقل من القليل على الخريطة، ولها عادة أصول خاصة في التاريخ، ولذا لا يقاس عليها.

كذلك في داخل القرى والمدن لا نكاد نعرف تجمعات أو تركزات طائفية سكنية خاصة أو بارزة بل السكن مختلط مشاع، وكثيراً ما تتداخل المساجد والكنائس في اللاندسكيب المدني. وقد تتجاور ما

ظاهرة «حارة النصارى»، و«حصة الأقباط»، أو «الدرب»، و«درب النصارى»، فاستثناء من شذوذ محلي نادر، وظاهرة تاريخية عند ذلك - معنى هذا - بعيداً تماماً عن أي عزل سكنى - هو التعايش والتداخل الجغرافي على كل المستويات، تماماً كالتداخل والتشابك الاقتصادي والمهني حيث لا يختص الأقباط بحرف معينة بذاتها وإن كانت نسبة الزراعة بينهم أقل نوعاً والمهن الحرة أعلى نوعاً.

التماسك السياسي

نصل من هنا كله إلى أن ثنائية «المسلمين - الأقباط» في مصر لا تتعارض مع الوحدة الوطنية، بل البيئية، ولا هي تمسخها، فبالأصل الأنثروبولوجي، كما بالوضع الاجتماعي، كما بالتوزيع السكني، يعد الأقباط من صميم الكيان المصري الكبير، وككتلة رصينة رصيفة من جسم الأمة شديدة التماسك فيه والالتحام به، وقد تبدى ذلك سياسياً حتى في العصور الوسطى. فضلاً عن العصر الحديث في العصور الوسطى، ربما فرضت بعض حالات فردية عابرة من التمييز في الملبس والمظهر وما أشبه. مثلما وقعت بعض حوادث مؤسفة انتقامية نتيجة انفلات الأعصاب أثناء الحملات والغارات الصليبية على بعض المدن المصرية، لكن هذا كله لم يكن إلا الشذوذ النادر، وذلك أيضاً في فترة كانت ما تزال مرحلة انتقال وتحول إلى الإسلام[10] وفيما عدا ذلك فإن صلابة الوحدة الوطنية إبان الصليبيات هي مضرب المثل بشهادة المستشرقين أنفسهم.

أما في العصر الحديث، فالثابت المسجل أنه لم يقع لا أثناء الحملة الفرنسية ولا أثناء الثورة العرابية - بشهادة الدنشواية - صدامات أو انفعالات، دعك من ثورة ١٩١٩ التي كانت نموذج الوحدة الوطنية. وبصورة عامة فإن مصر الحديثة لم تعرف التعصب الديني أو التفرقة الطائفية. ولا كان وضع الأقباط في يوم غير مريح قط. أما كل ما قيل بعكس ذلك فهو عادة من ترويج المغرضين من أعداء مصر، خاصة الاستعمار الذي - بالمناسبة - لم ينفك حتى اليوم يشكك حتى في صحة أرقام تعدادهم الرسمية المعلنة ونسبتهم الإحصائية من مجموع السكان، ويروج من تريبعه أرقاماً مضخمة قد تبلغ أحياناً ثلاثة أو أربعة أمثال الحقيقة.

ومن الثابت المقرر، مثلاً، أن الأقباط كانوا دائماً يتمتعون بمستوى اقتصادي ومستوى معيشة أعلى عموماً من متوسط الشعب ككل، وكمؤشر واحد إلى هذه الحقيقة، يذكر تقرير المؤتمر القبطي في أوائل هذا القرن أن الأقباط كانوا يدفعون ١٦٪ من ضريبة الأراضي، رغم أن نسبتهم من السكان ٦٪ فقط[11]. كذلك فإنهم إلى وقت قريب كانوا يشغلون في وظائف الإدارة نسبة أكبر وتحوى بكثير من نسبتهم العددية. مثلما انتقلوا بعد ذلك إلى وضع مماثل في المهن الحرة العالية، فضلاً عن ارتفاع نسبة التعليم

(١٠) عاطف حلمي إسماعيل، «التسامح مع أهل الذمة في عهد الدولة الأيوبية»، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية، ديسمبر ١٩٦٤، ص٥٩-٦١.

(11) Issawi, p. 34

وانخفاض نسبة الأمية بينهم بالقياس إلى مستوى الوطني العام[12].

ويمكن لأي عابر سبيل في مصر أن يطالع هذا كله مختزلاً ببلاغة ومنعكساً عملياً في اللاندسكيب المدني، حيث تبرز أبراج الكنائس العديدة بكثافة أعلى بكثير من كثافة السكان الأقباط نفسها إلى حد أنه - كما يفعل بعض الزوار الأجانب - لو اتخذ كثافة الكنائس المرئية مقياساً لكثافة الأقباط غير المرئية لخرج بنسبة بعيدة جداً عن الحقيقة وبعدد هو أضعاف الواقع تماماً، أحياناً ما اتخذه الاستعمار دليلاً مزعوماً على أرقامه المضخمة المكذوبة عن عددهم كأقلية. غير أن هذا كله ومثله إنما يدل على مستوى أعلى من الثراء والدخل، ولهذا فإذا كان هناك حقاً تمييز، فهو بالتمييز لا بالتحيز وبالموجب لا بالسالب، وهذا في الواقع قانون عام شبه عالمي، إذ من المعروف أن الأقليات عادة تتمتع بمزايا عديدة قد لا تتمتع بها الأغلبية أحياناً[13].

من هنا جميعاً فلقد فشلت كل محاولات الاستعمار الحديث ابتداء من الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطاني (هل نضيف الصهيونية الإسرائيلية؟) في خلق مشكلة طائفية أو مشكلة الأقليات ليضرب بها الوحدة الوطنية. فمن الثابت المحقق، بل والمعترف به الآن رسمياً، أن الاستعمار في استراتيجيته التقليدية «فرق تسد» كان يلعب في مصر دائماً لعبة ثنائية مزدوجة محورها ثنائية الدين، فيضارب كلا من الطائفتين بالأخرى ويوغر ويؤلب كلتيهما سراً ضد الأخرى، موهماً إياها بأخطار ومخططات خيالية تبيتها نحوها، مدعياً في ذلك كل الانحياز إليها والتعاطف معها وأن موقفه أقرب إليها منه إلى الأخرى إما بحكم ديانته أو بحكم موقعه، بحسب الحالة.

غير أن موقف الأقباط في وجه هذه الاستراتيجية كان دوراً إيجابياً بناء للغاية فقد رفضوا كل مناورات وإغراءات ودسائس الاحتلال البريطاني لاحتضانهم وفرض حمايته المزعومة عليهم على غرار ما كانت تفعل القوى العظمى من بسط نوع من الحماية والرعاية التقليدية كل منها على إحدى الأقليات الدينية في الشام مثلاً، وهي نفسها تلك الحماية التي تذرع بها - من بين ما تذرع - لفرض الحماية على مصر نفسها والتي تشبث بها في التحفظات الأربعة بعد إلغاء الحماية[14].

ومن قبل ومن بعد رفض الأقباط مع المسلمين لعبة تحويل ثنائية المسلمين - الأقباط إلى ثنائية تركيا الخلافة - بريطانيا الاستعمار. وإذا كان بعض المسلمين قد والى الأتراك في تلك اللعبة، وكان بعض الأقباط قد والى الإنجليز. فلم يكن ذلك عن خيانة بل عن جهالة، ولا عن نقص في الوطنية ولكن عن نقص في التفكير، وما منع الإسلام تركيا، ولا المسيحية إنجلترا، أن

(12) id, p. 161.

(13) E.E. Berel. Urban sociology, Mc Graw - Hill. 1955, p. 274 ff.

(14) W . B . Fisher, the middle East, p. 104 - 5.

تطلع مصر كلبف تستعمرها، ثم باستغلالها، وتعويقها وقهرها»(١٥) وقد انعكس رد مصر على تلك اللعبة السياسية المزدوجة بصورة رائعة في ثورة ١٩١٩ على الاستعمار حين «تعانق الهلال والصليب» تحت شعار «الدين لله والوطن للجميع» وفيما بعد في الفترة الأخيرة، وعلى عكس دعاوى الاستعمار، لم يكن الأقباط أقل تحمسا من سائر المصريين لفكرة القومية العربية ودولة الوحدة العربية، كما ساهموا مساهمة مشرفة في حروب التحرير وفي صنع أكتوبر سواء في الميدان أو في خطوط الخلفية.

هذا، وإذا كان قد وقع خلال تلك المراحل المتعاقبة بعض الأحداث المؤسفة، فهي حالات فردية بحتة ونادرة للغاية لا تنفي القاعدة العامة بقدر ما تؤكدها، كما أن بعضها ينبع لا من سوء النية ولكن من سوء المعرفة إن لم يكن الجهل الفاحش حقا، من ذلك مثلا صيحة بعضهم العصبية المغلوطة بعد هزيمة يونيو «فليعودوا إلى صحراء العرب التي أتوا منها» يقصدون المسلمين، وهي دعوة مترتبة منطقيا على دعوى أن المسلمين «دخلاء» في مصر، تلك الدعوى التي لسنا بحاجة إلى أن نكرر فسادها وخطأها إلى حد يثير الشفقة أكثر مما يثير السخرية. والذي يدعو إلى السخرية في هذه الصيحة جهلها بأنها دعوة إلى طرد الأغلبية العظمى والسواد الأعظم من المصريين أبناء مصر الأصلاء.

والغريب بعد هذا أنها تذكر - مع الفارق الهائل - بصيحة الأب سييس الشهيرة في فرنسا إبان الثورة «أعيدوهم إلى مستنقعاتهم الجرمانية التي أتوا منها!»(١٦) - يقصد طبقة النبلاء والأرستقراطية، الذين هم بالفعل غزاة ومهاجرون معا في الأصل - ولكن يبدو أنه في الأزمات القومية حين يصبح «الوطن في خطر» أو في مراحل الانحطاط السياسي تنفلت الانفعالات وقد تختلط الأمور والحقائق إلى حد التشويش والاضطراب الفكري.

ولا شك أن هذا الوضع بلغ، بل تجاوز قمته المتراكمة والمتصاعدة في أحداث أواخر السبعينيات حتى ١٩٨١ فلأول مرة في تاريخ مصر السياسي والوطني الحديث وربما القديم كله وباعتراف الدولة الرسمي علنا للأسف، وصلت المشكلة الطائفية في مصر إلى حد الانفصالية [illegible] السافرة. حيث طالبت [illegible] بدولة قبطية مستقلة داخل مصر وعن مصر، وبغض النظر عن دوافع الدعوة المزعومة من اضطهاد وقهر موهوم أو صدامات عاصفة أو مشاكل متراكمة مكبوتة، فليس من شك أن هذه الدعوة الانفصالية إلى دولة قبلية دينية في مصر لا أصل لها من الدين ولا سند لها لا من التاريخ ولا من الجغرافيا، بل لا من العقل، ولا من المنطق، فمصر لم تنقسم قط داخليا ولا عرفت التقسيم ولا هي قابلة للقسمة تحت أية ظروف أو ضغوط.

لذا كان حتما أن تسقط الدعوة المنحرفة [illegible] بالتحجر والفشل، بحيث لو عدت الدعوة الانفصالية [illegible] وطنية [illegible] المكاسب ما هو أعظم وتضحيات ما هو أكبر وفرع لما هو عام، وعلى أية حال فإن كلتا الظاهرتين أو المظهرتين، على غرابتها وبشاعتها كوصمة دامغة وسبة بذيئة في سجل التاريخ، لا تعدو في تاريخ مصر العريق أكثر من حملة اعتراضية، وزوبعة في فنجان وانحرافة ضد حركة التاريخ لا يلبث تياره أن يكسحها إلى [illegible] حيث يطويها إلى الأبد.

فيما عدا هذا الاستثناء الوحيد [illegible] هذا الشذوذ البحت، الذي يؤكد القاعدة ولا ينفيها، فإن مثل تلك الحوادث والأحداث الطائفية العابرة مهما كانت مؤسفة تبقى في النهاية مسألة عائلية بحتة بلا جدال، مسألة خلافات عائلية - كتلك التي تقوم وتتفجر داخل كل من الجنسين ذاته وحتى عند ذلك فربما كان لها [illegible] على علاقتها بعض الفضل، كالبثور على سطح الجلد، في نزح وتصريف المستنقعات الفكرية المتحللة الآسنة والمفاهيم الخاطئة المحترقة، الموروثة أو المكتسبة، التي عششت بعض الوقت في عقول البعض من الجانبين.

وأخيرا فلعلها آخر سقطات عصور التخلف التي تذوب الآن بسرعة في بوتقة التقدم والتقدمية، وقد آن لكل هذه الخرافات الوطنية أن تنقرض إلى الأبد وكما يلخص شارل عيسوى «لقد ربت السنوات الثلاثون الأخيرة من الحرية والتسامح جيلا من الشبان الذين لا يعرفون [illegible] الاضطهاد، الذين تعاونوا مع المسلمين في النضالات السياسية والاجتماعية في روح من المساواة التامة والاحترام المتبادل، والذين هم مهيأون [illegible] أعمق وأبقى بين كلتا الطائفتين»(١٧).

وبالفعل فلقد أثبتت التجارب السياسية الأخيرة أنه إذا كانت الأزمات الوطنية «اختبار حمضي» [illegible] الوطنية [illegible] حتى [illegible] أثبت الأقباط فيها أنهم إذا كانوا لا يزيدون على معظم المسلمين - مصرية - بالأصل الأنثروبولوجي، فإنهم لا يقلون عنهم مصرية - بالحس الوطني وإذا كان ثمة شيء، فلقد خرجت الوحدة [illegible] الوحدة الوطنية من هذه التجارب القاسية أو الأحداث المؤسفة وهي أكثر صلابة ونقاوة منها في أي وقت مضى، كالمعدن تخلص من شوائبه بعد نار الصهر ومفترق الطرق. ومصر - نحن نخلص - ليس لها مشكلة طائفية ولا تعرف مشكلة أقليات، إلا أن تكون من صنع أو وهم الاستعمار أو من إفرازات عصور الانهيار والانحطاط السياسي، وتظل مصر رمزا للوحدة الدينية [illegible] على الوحدة الوطنية.

(١٥) [illegible]

(16) Ripley. p. 157

(17) P. 162

الاستعمار التشريعي في بلادنا



اقول في البداية، بانني كمسلم اقف دون شك في صف المطالبين بتطبيق الشريعة. لا فقط لان ذلك يحقق مصلحة لامتنا. بل أيضا لأننا كمسلمين مامورون من قبل الله تعالى. ولا يمكن أن يجرى التعامل مع التعاليم الالهية حسب اهواء الناس. فينفذ بعضها ويترك البعض الاخر - بهذا المعنى هنالك موقف إسلامي مبنى على الإيمان وعلى شمولية النظرة للعالم وللكون. فلا يمكن انتقاء جانب من تعاليم الله دون الجانب الأخر. ففى القرآن:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾

ونحن ملزمون بتطبيق هذه الاوامر. ولكنني ساشرح وجهة نظرى فيما بعد حول الفرق بين الاعتقادات والعبادات والمعاملات.

إن شبكة التعاليم الإسلامية التي ترعى شئون الناس تحتاج إلى توضيح وتمييز بين جوانبها المتعددة، بمعنى أن الإسلام قصد من القوانين التي وضعها أن يصون دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، [illegible]

الأول هو أمر عقيدي وأخلاقي [illegible]

[illegible] الإنسان من ذلك [illegible] حماية حقوق الآخرين والمحافظة على حرماتهم ولا يتحقق [illegible] على الإيمان والأخلاق [illegible] الناس والمجتمع [illegible]. فحقوق الناس مصونة ومقدسة في الإسلام وكذلك يجب أن تكون في دخيلة كل مسلم مؤمن. وقد جاء في الحديث. إن النبي ﷺ نظر إلى الكعبة وقال: «ما أطيبك وأطيب ريحكم وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند كل منك، حرمة دمه وماله وعرضه»، أي إن حقوق الإنسان قداسة لا يجوز أن تنتهك. وتجلى هذا الموقف في تعريف الرسول ﷺ للمسلم والمؤمن، فالمسلم هو من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم.

لكن هذه التعاليم، على وضوحها، لا يمكن وحدها أن تحفظ العدل والنظام في مجتمع ما، لذلك وجدت ضرورة تعزيزها بعقوبات رادعة، تردع المجرم الذى ينفلت من إسار العقيدى والإيماني ليتبع هواه ونزعاته ويؤذى الآخرين والمجتمع، وهذا ما نسميه بالأمر الثاني الذى تتطلبه صيانة حقوق الناس ونظام المجتمع الإسلامي، ففرض العقوبة يجعل المقبل على الإجرام يشعر بالرهبة من القصاص والحد وإجراء.

وقد وضع الإسلام حدودا دقيقة لهذا الأمر. فأمر بالقصاص في حالة انتهاك ما هو من حقوق الناس، ووضع حدودا فيما هو مختلط بين حقوق الله وحقوق الناس ولكن حق الله أظهر.. وهذا هو الفارق بين القصاص والحد. فالقصاص مصلحة البشر فيه أظهر بينما الحدود حق الله فيها أكثر.

طبعا لا يوجد مجتمع متحضر دون نظام قانوني للعقاب، ولكن هنالك فرق واضح بين الشريعة والقانون الوضعي المقتبس من شرائع أجنبية في هذا المجال.

فالشريعة ترى الخمر محرماً، وينطلق هذا الموقف أساساً من ضرورة حماية العقل البشرى من التخدير والتغييب وما ينتج عن ذلك من شطط. فحماية البشر من الخمر والمخدرات من حقوق الله وهنالك حد الخمر الذى فرضته الشريعة. أما القانون الوضعي فيعاقب فقط في حالة عربدة السكير في الشارع وإزعاجه للناس مثلا، أو عندما يقدم السكير على جرم آخر وهو في حالة السكر بسبب. الشريعة الإسلامية ترفض السكر وتمنعه صيانة لعقل البشر. وكذلك الموقف من الزنا فالإسلام يحرمه حماية لأعراض الناس وحفظا للمجتمع. بينما القوانين الوضعية السائدة في بلادنا والمنقولة أساساً من القانون الفرنسي تبيح الزنا في الواقع، فهي لا تعتبره جريمة إذا وقع برضى الطرفين وإرادتهما. وتنتفى الإرادة في حالة الاغتصاب وفى حالة القاصر حيث لا يعتبر صاحب إرادة حرة ونحن نرى الخلاف واضحا بين الشريعة والقانون الوضعي هنا ولا يمكن التوفيق بينهما.

وقد أوصل الموقف الوضعي المجتمعات العربية إلى درجة الإباحة التامة، لا للزنا فقط، بل حتى وصل الأمر لإصدار قوانين تبيح اللواط

وهنالك أمر آخر يفصل الشريعة عن القانون الوضعي في قضية الزنا. فزنا الزوجة لا يهم المجتمع إذا لم يقدم الزوج شكوى بذلك، بل لا يحق للأب أو الأخ أن يتدخلوا في الأمر. وإن موقف القضاء من الزوجة المتلبسة بجريمة الزنا يعتمد

على موقف الزوج، يعفى عنه أو لا، أى لا دخل للمجتمع ولا للدولة فيه.

أما القتل فقد حرمه الإسلام، وعقوبة القتل العمد هى القصاص إلا إذا عفى ولى الدم. وهنالك بعض الناس من أهل الخير يحاولون فى هذه الحالة إقناع ولى الدم بالعفو وقبول الدية. فإذا قبل وعفى، سقط القصاص ويبقى حق الدولة التى تقوم بتعزير المجرم. والواقع أن عقوبة القصاص وحد الزنا لعبا دورا كبيرا فى الردع وفى تقليل عـدد الجـرائم فى المجتمعات الإسلامية بينما أدى التساهل بشـأن هذه الجـرائم فى ظل القـانون الوضعى والاستعمار التشريعى إلى ازدياد لا مثيل له فى نسبة الجريمة. فمن النظرة الأولى يبدو موقف الشريعة قاسيا وحازما وأقرب لفكرة العقاب.. بينما النظرة المتمعنة تبين بأن هذا الموقف فى الواقع هو أقرب للرحمة بالناس والمجتمع بل وحتى بالإنسان الشارع نحو الجريمة.

ولا ننسى أن غياب القصاص الإسلامى، وسع حالات الأخذ بالثأر فأدى ذلك إلى ازدياد حجم الجريمة بشكل عام.

إن الحد من نسبة الجرائم بل والوصول إلى مجتمع فاضل تنتفى فيه الجريمة أو تكاد هو هدف المسلمين على المدى الطويل. ولكن تحقيق مثل هذا المجتمع هو أمر يتطلب إقامة العدل بين الناس لتنتفى أسباب الجرائم، ويتطلب أيضا مزيدا من التوعية وبث القيم النبيلة فى النفوس.

ولكن ما دامت الجريمة موجودة، فلابد من القصاص والعقاب.. ولكم فى القصاص حياة.

إننى عموما مع تطبيق القصاص والحدود. ولكن يجب أن نتفحص موقف الإسلام من الحدود، فالشارع درأها بالشبهات أولا، ثم جعلها فى أضيق نطاق. فحد الزنا ظل حدا رادعا يساهم فى منع الجريمة، بينما كانت نادرة تلك الحالات التى طبق فيها الحد فعلا، بسبب ما وضع من شروط ومستلزمات لذلك التطبيق. فعندما جاء رجل إلى الرسول ﷺ معترفا بارتكابه الزنا وطالبا توقيع الحد به، أعرض عنه الرسول، ثم طبق عليه الحد بعد إصرار الرجل. ولكن الرسول لم يسأل عن شريكته فى الجريمة وسكت عنها معتبرا الإقرار حجة قاصرة على صاحبها.. فالرجل، كما يقول ابن تيمية، أبى أن تعمله التوبة الشخصية فهو لو تاب واكتفى لكاد ذلك مطهرا له، لكنه أبى إلا أن يقتل فى الدنيا.

ولنأت إلى موقف السرقة، أو غيركم. وكيف يكون الأمر عندما يمثل أمام القضاء رجل ثبتت عليه الجريمة. حسب ابن تيمية وابن القيم وما أفهمه أنا من النص، أستطيع أن أقول بأن القاضى يستطيع وقف التنفيذ فى السابقة الأولى فلو سرق تلميذ أو شاب، وكانت سرقته الأولى أو عثرة قدم زلت بصاحبها، فإذا وجده القاضى متألما لذلك ونادما أو شاعرا بالخجل، له أن يوقف العقوبة، ويستتيبه ويقبل توبته، وله أن يعزره بالكلام أو بالجلد أو السجن، حسبما يرى. ولكن إذا عاد للجريمة مرة أو مرات أخرى، تقطع يده.

يبدو هذا الحكم قاسيا، ولكن هل حكم السجن لسنين عديدة هو أرحم من ذلك وأكثر صونا للمجتمع؟ الأيادى التى تمتد عامدة من حقيقة أن تكف، ويد نافعة من حقيقة أن تعمل وتنتج، ويد فاسدة تكف فساد صاحبها فى كثير من الحالات. فلا يحمى الناس منها إلا أن تقطع. ونعود إلى الحد فيجب أن يطبقه أحد على المجتمع لا يتدخل ويحدد من هو يعود إلى الإجرام.

تحدث حديث كثير عن كون الحدود الإسلامية منافية للحضارة الحديثة والمجتمعات الحديثة، وماذا فعل الناس المعروفون بحجتهم العقيدة نفسها. فيتركون شريعتهم ليقبلوا الاستعمار التشريعى الغربى. إن الحضارة الغربية المعاصرة حققت تقدما فى مجالات العلم والتكنولوجيا، ولكن ما علاقة هذا التقدم بالتشريع الذى يحكم المجتمعات؟ لماذا يصبح التعلم من إنجازات الغرب التقنية مرتبطا باقتباس شرائعه وقيمه وأنماط حياته، لماذا لا يمكننا التمسك بديننا وشريعتنا وثقافتنا مع أخذنا بنتاجات التقدم العصرى فى الدوائر الحضارية الأخرى، إن اليابان حققت تقدما تقنيا هائلا مع تمسك غالبية أهلها بدينهم وتراثهم.

إن الاستعمار التشريعى نتاج تطور متعدد الجوانب لدائرة حضارية أخرى، وهو تطور لم يستطع حتى مع تغلبه على المسيحية، وفى هذا لا أذكر من يعتقدون بأن النظام التشريعى الغربى له أصول مسيحية. فالواقع إن الغرب الأوروبى تنكر للمسيحية حتى قد يصح بحقه قول على بن أبى طالب (رضى الله عنه) عن نصارى تغلب: لا يعرفون من النصرانية سوى شرب الخمر. لقد استخدم الغرب الهاجم المسيحية فى بعض معاركه الخارجية وكأداة تبشيرية رافقت الحملات الاستعمارية وسياسات التتبيع المعاصرة.

لماذا يصر البعض منا على التمسك بمعايير الغير، والحرص على أن يرضى عنا الرأى العام الأوروبى، الرأى العام الذى لا يأخذ مرة فى الحسبان ما نقوله نحن عنه أو نعتقده، بل ولا يحترم أقدس مقدساتنا. لماذا لا تكون معاييرنا نابعة من قيمنا وتراثنا وديننا، ومن مصالح أمتنا بالدرجة الأولى؟

إن العمل من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية يبدأ بالتحرر من نير العبودية الحضارية والاستعمار التشريعى، والوقوف مرة أخرى على أرضية التشريع الإسلامى. وهنا بالضبط تبدأ معركة أخرى، وهى التى تعنينى أكثر من غيرها، أى معركتنا مع العقل الإسلامى الراهن. من يطبق الشريعة، من يفتى، من يعمل فى مجال الفقه المعاصر، من يسن القوانين المستمدة من الشريعة، أى نظام وأى تطبيق؟؟ هذه كلها أسئلة تشغل بالى، وأنا أعرف حق المعرفة بأن معركتنا داخل مجتمعنا ومع أنفسنا ليست معركة سهلة ولا تنتهى بإقرار عام بضرورة تطبيق

الشريعة.

هل العقل الإسلامي المعاصر هو سليم أم مختل؟ في رأيي أن العقل الإسلامي، ومنذ قرون، به خلل عميق وخطير، ولابد من علاج هذا الخلل. وقد كتبت في هذا الأمر كتابي: سر تخلف العرب والمسلمين. ولنأت إلى بعض التجليات الفاضحة هذا الخلل. فقط على سبيل المثال.

أولا: الناحية الدستورية

[illegible] الإسلام [illegible] لشئ إسمه «التراث»؟ لماذا يحجم ويجعل سجينا في أسرته الأولى وعهود نشأته الأولى؟.. أي في أسرة بني أمية وبني العباس؟

طبعا هنالك موقف العلماء على مر القرون، كان قد شجع هذا الفهم الخاطئ للإسلام. [illegible] ضمير العلماء، [illegible] كالضمير التاريخي للأمة ككل، من عقدة ضعفين، فدفع هذا إلى نوع من الانزواء وترك ساحات الحكم وإدارة المجتمع لسلطات لا تلتزم بالضرورة بأحكام الإسلام كما كان الأمر في العهد الراشدي. ولقد تم لقرون عديدة، نوع من التحييد لقوة الرأي العام الإسلامي، [illegible] الأمر في العصر الحديث بحيث عندما نرى قوة الرأي العام الإسلامي المعاصر تدفع مرة أخرى باتجاه [illegible] على أساس الإسلام، يبدو الأمر وكأنه مطالبة غريبة. لا كعودة طبيعية إلى صراط مستقيم وحالة طبيعية تنسجم مع تكون الأمة وشخصيتها.

ثانيا: وضع النساء. وما يتهم به الإسلام من إجحاف حقوقهن.

ففي عهد الرسول كانت النساء يملأن المساجد، ما خلا منهن مسجد، ينشطن في كافة مناحي الحياة وحضورهن في ميادين العمل [illegible] لا يعوقه عائق.

أما الآن فلا نرى وجودا نسائيا في [illegible] المساجد يسمح فيها بدخول النساء، وذلك أيضا بشكل محدود وأوقات محدودة [illegible] الأمر يضيق به بعض الناس.. وذلك باسم الإسلام، [illegible] هذا هو الإسلام؟ وأي دين هذا الذي يقسم البشر إلى قسمين ويجعل بيت العبادة لأحدهما فقط. إن هذا لا يليق إلا بالوثنيات المتخلفة [illegible] المجتمع [illegible] الإسلام [illegible] مجتمع [illegible]

إنني أرى بأن تطبيق الشريعة تطبيقا صحيحا سوف لن يضير المرأة في شيء، بل أرجو أن يعيد ذلك إليها حقوقا [illegible] [illegible] وعادات سائدة في مجتمعاتنا، هي نتاج تطور تاريخي مشوه في القرون الأخيرة، والناس الذين [illegible] الإسلام

والمؤسف أن حتى بعض علمائنا أخذوا في هذا [illegible] والتصحيح. [illegible] الأمر في كتابي الأخير [illegible] الفقه». لقد حاولت أن أبين انحراف أمتنا، وأعتبر أن هذا الانحراف والانهيار الداخلي هو أخطر من الغزوة الثقافية [illegible] التشريعي. بحيث أصبحت عقولنا وتصوراتنا المتخلفة لا تستطيع مواجهة تحديات العصر [illegible] للأنظمة الوضعية المستوردة والمفروضة علينا.

[illegible] والنظر في طرفيها. أنا أعرف طبعا [illegible] الأوروبية. ولكنني لا أعتقد بأن هذه النواحي تتعلق بقوة روحية أو أخلاقية أو بتماسك داخلي ومنطقي. أعتقد أن حضارة الغرب تسير نحو الانحدار [illegible] وكاد يمكن للعرب والمسلمين [illegible] الأوروبية [illegible] بالإسلام. [illegible]

في نهضة عصرية تعيد للإسلام قوته. [illegible] حكام الأمة، فقد يتحول العرب كلهم إلى شتات لاجئين، ليس في بلاد الغرب، بل حتى لاجئين [illegible] في بلادهم وعلى أرضهم. إن السعي يجب أن يتركز على [illegible] إصلاح جذري في [illegible]

الاجتهاد المعاصر

[illegible] الاجتهاد المعاصر في حالة تطبيق الشريعة. فالدين الإسلامي يتكون من ثلاثة أجزاء: العقائد والعبادات والمعاملات. فأما العقائد فهي [illegible] عقيدية [illegible] والأساس في التعامل معها هي الأخبار الإلهية ولا مجال فيها للمناقشة، فالمرء يؤمن بها أم لا. [illegible] وتفاصيلها مثلا، وهذه أيضا ابتدعتها الشريعة [illegible] أصولا لا يمكن تغييرها. علما بأن الشريعة حتى في هذه المجالات وضعت شروطا واستثناءات تراعي [illegible] ما هو خارج العقائد والعبادات، ينضوي في مجال المعاملات. وأساس المعاملات هو [illegible] ولا حيلة لنا في مناقشة نصوصها، [illegible] الشريعة تنسجم مع [illegible] كان هنالك زواج قبل الإسلام فجاءت الشريعة ومنعت الزواج بالأخت والأم

مثلا، ووضعت قواعد لهذا التنظيم الإنساني. وكذلك وضعت قواعد للتجارة والمعاملات المالية فحرمت الربا وأحلت الربح الحلال.. وهكذا.

وهنالك علاقة النص بالاجتهاد. فما جاء بنص قاطع، لا اجتهاد فيه. مثلا للذكر مثل حظ الأنثيين، فهذا الحكم يرتبط بما يوازنه: عليه الإنفاق ولها النفقة، فيكون الرجل والمرأة قد تعادلا في هذا. فهذا النص قاطع ضمن هذه المعادلة وبالنظر لما يوازنه من حقيقة اجتماعية فإذا لم يتحقق الجانب الآخر من المعادلة، يصبح هنالك خلل في الأمر. أي أن هنالك اجتهادا في فهم النص. وقد يجيء النص محتملا لعدة معان.

يرى الأحناف بأن حديث الآحاد يوقف العمل به إذا كان يخالف قياسا قطعيا، إذ أن القياس القطعي يعتمد على يقين ديني، بينما حديث الآحاد نصه ظني. هذا مثال بسيط لسعة دائرة الاجتهاد في فهم النص أو فيما لا نص قاطع فيه. ولكن المطلوب من المجتهدين: سعة الفقه وصدق الدين. فالخطر أن يسخر المجتهد نفسه خدمة حاكم جائر أو صاحب نفوذ مقتدر، أي أن يكون إلى جانب فهمه الفقهي الواسع، ضمير مخلص وإيمان ثابت يضمن عدم انحرافه. ولضمان هذا الأمر نحتاج أيضا إلى وعي عام، إلى رأي عام يعمل كضمانة لعدم انحراف هذا المجتهد أو ذاك، فهنالك من يجتهد ليلحق المسلمين أكثر فأكثر بركب التبعية؟ فأين الضمير وأين مصلحة الجماعة الإسلامية في هذا الاجتهاد؟

أما فيما يخص حقوق الجماعات القومية والدينية في مجتمعاتنا. فلا خوف على الجماعات القومية، فالإسلام ليس لقوم دون آخر، إنه جامع للأقوام والشعوب وحاضن للمحبة والتعاون بينها على أساس العدل. وما يجري من اضطهاد للشعوب والقوميات في بعض بلداننا إنما يجري على أيدي النخب الحاكمة وأكثرها قومية وعلمانية. ولا يمكن لإسلام صحيح تطبق شريعته في المجتمع، إلا أن يعيد لكل صاحب حق حقه، فإذا كان الإسلام يحمي حق فرد واحد ويصونه من العدوان فكيف بحق الجماعات والقوميات؟.

أما الجماعات الدينية غير المسلمة، فلنا معها تاريخ طويل من العيش المشترك منذ أيام الإسلام الأولى عاشت الأقوام في هذا البلد، وقد حفظت الشريعة حقوقهم ولم تتدخل في شئونهم. وإذا كان هناك من ضرر قد لحقهم في بعض العهود على أيدي حكام ظالمين، فقد لحق المسلمين أيضا على أيدي نفس الحكام الظالمين. ولكن المجتمع الإسلامي كان قادرا على وضع صيغة عادلة للتعايش، صيغة لا تعتمد على موازين القوى بحيث يبيد المسلمون جميع المسيحيين عندما يتمكنون من ذلك، وكما حدث أن فعل الإسبان بالمسلمين واليهود بعد أن ضعف شأنهم في الأندلس، أو كما فعلت جموع الصليبيين. وإنما الصيغة كانت تعتمد على العدل.

الجزية!!

نحن لدينا منذ قديم .. حديث. لا لبس فيه نقول عن غير المسلمين، لهم ما لنا وعليهم ما علينا. إن مطالبة بعض جهلة بفرض الجزية على غير المسلمين، لا يجب أن تحسب على الإسلام. فالجزية كانت على الأغلب كبدل للخدمة العسكرية. فلم يشأ الإسلام أن يفرض على المسيحيين أن يقاتلوا ضمن جيشه، بينما كان هذا القتال يجري أحيانا ضد جيرانهم في الدين، وذلك حرصا على مشاعرهم، وكذلك لأسباب أمنية ففرضت جزية لتكون تعويضا عن إعفائهم من الخدمة العسكرية. أما الآن فالمسيحيون يعيشون معنا في أوطان، نحن وإياهم نعتبر مواطنين متساوين في الحقوق. أما حقوق غير المسلمين في مجال الأحوال الشخصية وعقود الزواج وغيرها فلا حق لأحد التدخل فيها.

ولكي نرى كيف يفرض أحيانا حكم الأقلية على الأغلبية. لنرى لبنان حيث الشيعة أكثر السكان عددا، يليه الموارنة ثم السنة. ثم إن المسلمين كلهم (شيعة وسنة ودروز) يمثلون أكثرية ساحقة، بينما ظلت مقاليد السلطة السياسية والاقتصادية بين الموارنة. وهنالك ضغوط دولية جائرة تمنع أي إصلاح يريد إحقاق الحق وإقامة العدل بين هذه الجماعات.

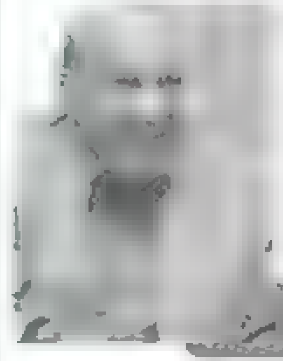
فعندما نتحدث عن حق الأقلية ونطالب بصونها (وهذا واجبنا) لا يجب أن ننسى حقوق الأغلبية. ومن الخطأ أن يطلب من المسلمين بأن يتخلفوا عن إسلاميتهم (أن لا يطبقوا الشريعة مثلا) حرصا على غير المسلمين. إذن أعتبر هذا المنطق يعني ذلك ظلما فاحشا بحق الأغلبية يفرض باسم الأقلية وباسم الحرص عليها.

في جنوب السودان ١٠٪ من السكان مسيحيون، و١٠٪ مسلمون والبقية وثنيون. الآن يطرح الأمر وكأن جنوب السودان كله مسيحي وهذا الطرح يعيق الحلول المطروحة للأمة ويعرقل جهود الأغلبية المسلمة لإعادة بناء حياتها ودولتها على أساس دينها. يجب أن نراعي كفتي الميزان: نطالب بحق المسلمين الذي لا جدال فيه، بتطبيق الشريعة الإسلامية، ونطالب في الوقت نفسه بصيانة حقوق غير المسلمين وإحقاق الحق في كل المجالات، وهذا من مقاصد الشريعة. ويجب أن نتمسك بالقاعدة الذهبية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا).

إن بلادنا لم تشهد حروبا دينية ولا مجازر كالتي حدثت في أوروبا. أما أن يلقى في روعنا بأن تطبيق الشريعة قد يؤدي إلى صراعات طائفية وتناحر ديني، وهذا غريب عن تجربتنا التاريخية. ولنتذكر: إن لبنان الذي أصبح رمزا للتناحر الطائفي، بدأت الحرب فيه وليس فيه حزب إسلامي واحد، ولا أحد يطالب بتطبيق الشريعة، بل إن الأحزاب السائدة والمتنفذة في كل طائفة كانت أحزابا علمانية: ليبرالية وقومية واشتراكية،... وفي ظل هذا التكوين العلماني للدولة والأحزاب جرت الحرب الطائفية المقيتة.

شمولية الشريعة الإسلامية

عناصر الثبات والتغير



عندما نتكلم عن الشريعة الإسلامية وصلاحيتها للزمان والمكان، يتعين علينا أن نميز بين أمرين: أولهما، الشريعة الإسلامية، وثانيهما، الفقه الإسلامي.

والشريعة الإسلامية: هي الأحكام المنزلة من الله - سبحانه - على نبيه محمد بن عبد الله، والتي وردت في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة.

والقرآن: هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، والذي يضمه المصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، والذي انتقل إلينا بالتواتر جيلا بعد جيل محفوظا من أي تغيير أو تعديل مصداق قوله تعالى:

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

(الحجر ٩)

والسنة: هي كل قول أو فعل أو تقرير ورد عن رسول الله ﷺ، وكان مقصودا به التشريع والاقتداء.

والقرآن كله ثابت ثبوتا يقينيا لا يأتيه الشك أبدا. والسنة، منها ما هو ثابت ثبوتا يقينيا لورودها إلينا بالتواتر، مثل شعائر الصلاة وعدد ركعات كل منها. ومنها ما ثبت بالظن الراجح، أي ثبوتا أقل درجة من ثبوت القرآن والسنة المتواترة. ونصوص القرآن والسنة بعضها قطعي الدلالة لا يرد الخلاف بين العقول حول الحكم المقصود من النص، مثل نصيب الزوجة من ميراث زوجها، وبعضها ظني الدلالة، أي يمكن أن تتباين العقول في إدراك معانيه.

وأحكام القرآن والسنة لها وضع إلهي، وهي لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل. وهذه الأحكام هي المقصودة بالشريعة الإسلامية. وهي تشمل جملة ما يتضمنه الإسلام من أصول حاكمة للعقيدة الإسلامية، وللعبادات، وللمعاملات البشرية.

والفقه الإسلامي، هو اجتهادات البشر في إدراك أحكام الشريعة، وفي استخلاص المعاني المقصودة. [illegible] أحكام [illegible] في كل [illegible] في إدراك معاني النصوص، والتفريع على الأصول العامة الواردة بالقرآن والسنة، وتطبيق النصوص الثابتة التي لا تتغير على أحوال البشر المتنوعة [illegible] مع تغير الزمان والأمصار. وهذه الاجتهادات ذات [illegible] بشري [illegible] تتنوع مع اختلاف البيئات والأحوال، وهي [illegible]

[illegible] ثبات فيها، ووجوه التغير والاختلاف.

[illegible] من الأحداث التي ترد إلى أسباب حادثة وتغير [illegible] أحوال البشر عبر مراحل التاريخ والفقه من حيث [illegible] يرد عليه التنوع والتغيير [illegible] والمكان. فهو [illegible] تاريخي [illegible] كما يرد عليه احتمال الخطأ بحسبانه من جهد بشر.

٢٠.

[illegible] هناك عهدا ليس كالعهود، وهو يتميز عنها تميزا جوهريا. وذلك هو عهد الرسالة وما تلاه في زمان الراشدين تلك الفترة التي لا تجاوز [illegible]

الفارق الأساسي بين عهد الصدر الأول هذا [illegible] هو عهد «الشريعة» أي عهد تأصيل الشريعة. بينما أن كل ما تلا ذلك من عهود فهي عهد «تطبيق الشريعة» أي عهود الفقه

العهد الأول، هو الذي يتحصص في الزمان المدة التي نزلت فيها الرسالة السماوية، قرآنا وسنة، وهي مدة حياة الرسول بما شرع وسن، [illegible]

[illegible] فيه أصول الدين، واستخلصت فيه أحكامه [illegible]

[illegible] الفترة أو في الأعوام القليلة التالية لها. ومن ثم، فهي تشكل الحلقة الأولى المهمة في سلسلة ما انتقل إلينا بالرواية والتدوين من أحكام الشريعة.

وهذا العهد نفسه، هو عهد أعمال الخلفاء [illegible] الرسول للبرزخ، وفيهم المشروع ما جنه وعهدهم قريب من عهد الرسول وحياته. لذلك، كانت أعمالهم أقرب إلى ما نسميه اليوم «بالسوابق التشريعية»؛ لأن من أعمالهم ما [illegible]

أنه دليل على قيام حكم تشريعي.

ونحن نعلم أن الشريعة الإسلامية، مصادرها الأصلية هما القرآن والسنة، ولها مصادر فرعية أخرى، ومن هذه المصادر الفرعية الإجماع، وأقوى الإجماع هو إجماع الصحابة. بمعنى أنه إذا اتفق الصحابة على حكم في مسألة، ولم يظهر معارض فيهم لهذا الحكم، فإنه يصير في قوة الحكم الشرعي، ويعد مصدر أهميته، وخاصة في موضوع الإمامة ونظام الحكم. وإجماع الصحابة إن ينعقد، فإنما ينعقد في هذه الفترة وما تلاها من أعوام قليلة. ويكون للعمل الذي يجمعون عليه قوة السلطة التشريعية.

لذلك، فإن هذا العهد لا ترد أهميته من كونه تجربة تاريخية. ولكن أهميته ترد من قيمته التشريعية الأصولية، وإن مقتضى النظرة الإيمانية، أن ما نستخلصه من هذه الفترة من أصول، إنما يتعلق بما يعتبر لدينا نصوصا وأحكاما ذات دوام، وتعلو على نطاق الزمان والمكان وشأنها في ذلك شأن سوابق التشريع. والمقصود بالسوابق التشريعية، أن هناك تصرف أو قرار أو حدث ما، أو حكم يصدر من محكمة. إن أمرا من هذا إذا حدث في واقعة معينة، فنحن نستخلص من حدوث هذا التصرف أو القرار حكما عاما يعلو على ملابسات تلك الواقعة، ويصير له قوته الملزمة على الوقائع التي تحدث بعد ذلك وتتوافر فيها الأوصاف ذاتها.

مثال ذلك، عندما لم يوقع عمر في عام المجاعة حد السرقة. واستخلص الفقه من هذا التصرف أن من شروط توقيع حد السرقة أن يكون المجتمع قد كفل للناس ضروراتهم.

وكذلك اجتماع الصحابة بالسقيفة فور وفاة الرسول، استخلص الفقه منه وجوب قيام الحكومة في الشريعة الإسلامية.

هناك بطبيعة الحال جانب تاريخي في هذا العهد، أي جانب لا يتعلق بالتشريع ولا بالشريعة الإسلامية أو تأصيل أحكامها، وهو كل ما كان يصدر عن رسول الله بموجب صفته البشرية من حيث إنه إنسان يحيا حياة الناس، ومن حيث إنه يجتهد برأيه فيما يعرض عليه من أمور. فكان يجتهد، ثم يعدل إلى الصواب حسبما يتبين له في غير ما يخص الوحي، وفي كل ما ليس مقصودا به التشريع والاقتداء من أعماله ﷺ وكذلك اجتهادات الصحابة ومن يشبههم، مما لا يظهر معه دليل أنهم كانوا يتبعون سنة عن الرسول، أو يصدرون عن سنة الإسلام والمقصود أن هذا العهد يضم فيما يضم «الوعاء الزمني» لرسالة الإسلام، وأن ما به من نقاء وصفاء إنما يرد من هذا الوضع. ومن أنه كان «وعاء» النصوص. والنص دائما «مثال» يستمد مثاليته من ذاته وليس من غيره؛ فهو قائد وليس مقودا، وهو حاكم وليس محكوما.

أما ما بعد ذلك من عهود وأزمان، فهي تاريخ من التاريخ، وما حدث فيها من تجارب هي من تجارب المجتمعات والبشر، وساستها وعلماؤها هم رجال من الرجال، في كل أحوالهم وأوضاعهم، نحن ندرسهم ونأخذ منهم العبرة ونسترشد بما قالوا وفعلوا، ولكننا نأخذ من أقوالهم وأفعالهم ونترك، حسبما يتراءى لنا وجه الصواب ووجه المصلحة. وكل إنتاج هذه العهود، هو ما ينسب للفقه وليس للشريعة، وإنه ليجري حجيته لهم من حيث ما استدلوا به من البراهين والأدلة، ومن حيث ما طبقوه بمراعاة مصالح الناس في أوقاتهم.

إلى أن نقارن ذلك كله بأحوالنا الآن. وذلك في إطار ما تفرضه أصول الدين وأحكام الشريعة من ضوابط وحدود، سواء لفهم النصوص والاستدلال منها، أو مراعاة مصالح الإسلام والمسلمين، وذلك بعبير التراث وحوادث تاريخه.

٣

لكي نفهم القدرة الهائلة التي للشريعة الإسلامية على التجدد في فروعها مع المحافظة على أصولها، يمكن أن نتصور حركة سريان الشريعة الإسلامية على مدى القرون الهجرية الأولى.

إن المصدرين الرئيسيين للشريعة وهما القرآن والسنة قد صدرا في مجتمع الحرمين مكة والمدينة، وهما أرض الحجاز في أرض العرب، ثم مع الفتوحات الإسلامية ودخول الشعوب الأخرى في الإسلام، لم تمض بضع عشرات من السنين حتى انتشر الإسلام، وانطبقت معه الشريعة الإسلامية في رقعة جغرافية تمتد من الهند شرقا حتى الأندلس غربا، ومن الجزيرة العربية جنوبا حتى بحر قزوين شمالا وهي بيئات جد متنوعة ومختلفة في لغاتها وتاريخها وعوائد أهلها وأعرافهم، وفيهم مجتمعات تجارية، وفيهم مسيحيون من أهل الكتاب، وفيهم يهود كتابيون أيضا، وفيهم وثنيون، وفيهم ديانات مختلطة، وفيهم أجواء باردة، وأجواء حارة... إلخ.

هذا التنوع الهائل في كل ظرف وفي كل عصر من عناصر البيئة الجغرافية التاريخية الاجتماعية السياسية، بدأت الشريعة الإسلامية تنطبق فيها كلها وتحكم كل أوضاع الناس، عقيدة وعبادة ومعاملات. واستطاع الفقهاء في فترة وجيزة أن يلائموا بين الأحكام الكلية للشريعة وبين أوضاع تلك البيئات جميعها، مع المحافظة على أصول الشريعة واحدة ثابتة، وسمحة خصبة متنوعة الفروع.

هذا الاختبار التاريخي الواقعي للشريعة الإسلامية، يظهر مدى قدرتها على تمثل أوضاع البيئات المختلفة، ومدى مرونتها في التصدي لكل هذه الظروف والأحوال المتغيرة مع محافظتها على الأصول ثابتة مكينة غير مختلف عليها. هذه القدرة الهائلة على الوحدة مع التنوع، لم تكن مسبوقة في التاريخ، ولا أظن أنها تكررت بعد ذلك.

فنحن من سابقيها، فنحن نعرف كيف انقسمت المسيحية كعقيدة وككنيسة، بعد أن امتدت شمالا حتى بلاد الروم وجنوبا حتى شمال إفريقيا، وكيف كان الانقسام العقدي يصل إلى حد التكفير والاضطهاد وسفك الدماء. وأما ما تلا الإسلام، فنحن نعرف ماذا جرى في ماضينا القريب من انقسام البلدان التي تدين بالشيوعية انقساما صار به كل منها، وبخاصة الاتحاد السوفيتي والصين يكفر على صاحبه وصف الماركسية، وهو نوع من التكفير المتبادل. وليس هذا بسبب مهارة فقهاء المسلمين، فليس فقهاء المسيحية أو فقهاء الماركسية أقل مهارة، ولكن السبب يرجع إلى ما تضمنته شريعة الإسلام المحفوظة المنزلة من قدرة فريدة على المحافظة على ذلك التوازن الدقيق بين الوحدة والتنوع، وبين المحافظة والتجدد.

ويسهل أن نقول إن ذلك كان بسبب أنها صيغت على أساس الإجمال ما يتعين من

الأحكام وتفصيل ما لا يتغير، ولكن يبقى الإعجاز فى هذا الضبط الدقيق فى التمييز بين ما يتغير وما لا يتغير من أحوال الأفراد والجماعات. وهذا الضبط الدقيق لحدود ما يحتمل من الأحكام وما يفصل منها. وهذه المعرفة الناصعة لما هو ثابت من أحوال البشر وما هو متغير مع تغير ظروف البيئة.

قد يقال إن ثمة فرقا نشأت، وحروبا وصراعات سياسية قامت. وهذا صحيح ولكن لم يحدث - بحمد الله - أن انقسمت الجماعة انقسامات تؤدى إلى تكفير كل قسم للآخر. وما حدث من ذلك كان من جماعات محدودة انسلخت دون أن تصدع الجماعة، فهى لا يعول عليها من حيث الحجم، أو من حيث الزمن الذى بقى فيه الخلاف. أما ما بقى من خلافات، فهى إلى التنوع أقرب منها إلى الاختلافات.

ومن جهة أخرى، فإن العلاقات القانونية المستمدة من الشريعة الإسلامية تغطى كل أنواع الأنشطة البشرية فى المجتمع: من المعاملات المالية بالبيع والإيجار والرهن والمضاربة، إلى المراكز القانونية كالملكية وحقوق الانتفاع، إلى وسائل عقاب مجرمى والشذاذ فى المجتمع بالحدود والقصاص والتعازير، إلى علاقات الأسرة ودرجات القرابة مثل الزواج والطلاق والنسب والبنوة. وما يترتب على ذلك من آثار كالميراث والنفقة، وذلك كله فضلا عن أحكام العبادات مثل قواعد الصلاة والصيام وأحكام الزكاة. وكل ذلك مما لا يكاد يقع تحت حصر.

فى هذا المجال العريض للتنوع، لم تتعرض الشريعة من عنت [illegible] مع شيوع الإسلام بين الناس وانتشاره فى الأصقاع والأمصار. ونحن نتذكر أن الخليفة العباسى رغب فى أن يعرض على الناس كتاب «الموطأ» الذى ألفه الإمام مالك وأودعه ثمرة فكره وعلمه فعارضه الإمام مالك نفسه ولم يفرض على الناس حكم الفقيه فى تلك الفترة التى [illegible] وازدهرت مدارسه ومذاهبه.

وكانت أحكام الفقه الإسلامى تتراكم بالصلة المباشرة التى تنشأ بين الناس وبين الفقهاء، بمجلس الفقهاء فى المساجد، يدرسون لتلاميذهم، ويتناظرون فيما يجد من بحوث. ويقصد إلى هؤلاء الناس بمشكلاتهم ومنازعاتهم، فلذلك ارتبط الفقه على يدى الفقهاء بالمشكلات العملية، واشتهر بالحس الواقعى، وارتبط بالمقاصد والغايات من جلب المنافع ودفع المضار.

بهذه الروح كان الفقه الإسلامى يتفرع عليه التفاريع بما يحقق مقاصد الشريعة من الحفاظ على الأحكام الشرعية العامة ويرعى مصالح العباد ويشيع العدل بين الناس. وهى نشأة ونمو استقلا عن أجهزة الدولة ووجهات نظر الحاكمين. وإن من وقائع أئمة المذاهب وغيرهم ما يؤكد مدى استقلال هؤلاء عن الولاة والسلاطين فى ذلك الوقت الذى تكون فيه الفقه ونضجت مناهجه ودونت أحكامه.

وإذا كانت فترات ركود جاءت بعد ذلك، على مستوى الفقه والفقهاء من تسلط الحاكمين خلالها، فقد بقيت الشريعة بصيغتها الفريدة فى ثبات أصولها مع تنوع أحكامها التفصيلية. وبقيت مناهج الفقه فى تخريج الأحكام الفرعية من أدلتها الكلية بقى ذلك كله سليما يمثل الرصيد العظيم لشريعة الإسلام وفقهها.

(٤)

حتى صارت لدينا القدرة على التمييز بين ما هو ثابت، أى يشكل وضعا إلهيا - وهى النصوص والأحكام المنزلة قرآنا وسنة - وبين ما هو متغير واجتماعى وتاريخى من اجتهادات الفقهاء. ثم نستطيع بذلك أن ندرك كيف يحفظ ثبوت الشريعة وفى الوقت نفسه يعمل العقول فى المجال الفسيح المتاح للاجتهاد فى هذه الأحكام بما يحفظ الشريعة ويرعى مصالح العباد، وما يشيع العدل.

وفى هذا المجال الاجتهادى الكبير كان الاجتماعى التاريخى فى الفكر الإسلامى وفقهه، يسعى بعض الخطوط الفكرية الفقهية بوظائفها الاجتماعية. أى تعنى الربط بينها وبين مقاصد الشرع الإسلامى فى حفظ الدين وجماعة المسلمين وحفظ العقول والأعراض والأموال، وأخرى هذه الخطوط ترعى ملاءمة تطبيق الأحكام لأوضاع المجتمع وظروف العمران.

ولكن حكم الدينى أثر فى التشريع والمجتمع. ويمكن أن يقال بعض التشريع وتفاعلات المجتمع والعقيدة نفسها يمكن أن تنمو قوتها فى قلوب الرجال ونفوسهم بالتشريعات التى تشيع فى المجتمع، والأوضاع الحياتية المشروعة على الناس الفقراء والضعفاء فى نفوس [illegible] بها والمنتشرة والمتفقة. ونحن يجب أن نتعامل مع تلك الأسباب [illegible] لها. هو ما ييسر علينا ملاحظة تلك الأوضاع ملاحظة حافظة للدين والجماعة والداعمة لها.

إن محاولة إضعاف الإسلام فى نفوس المسلمين، خلال القرن الماضى، لم تتخذ شكل محاربة الإسلام من حيث هو عقيدة، ولا اتخذت شكل الهجوم الصريح عليه من حيث هو نظام للحياة، ولم تكن هذه الأساليب مما تنجح بها تلك المحاولات، لأنها كانت ستثير لدى المسلم دوافع التجمع والمقاومة.

إنما كان الأسلوب الأكثر نجاحا، هو تغيير الأوضاع الاجتماعية وأنماط العلاقات بين الناس، بطريقة تجعلها قائمة على تعارض مع تصورات الشريعة الإسلامية وأحكامها، وتغيير سلوك الناس وعادات العيش وأساليب الحياة اليومية، بما يقيم التعارض بين هذه الأساليب وأحكام الشريعة وقد جرى هذا الأسلوب، لا بطريق القسر والإلزام، ولكنه جرى فى الأساس بالترويج والدعاية والإغراء، وإثارة نوازع التقليد والمحاكاة، وذلك فى أساليب المأكل والمشرب والملبس والمسكن وعادات المعيشة.

ولما استتبت قاعدة اجتماعية من هذه العادات والأساليب ونماذج السلوك، بدأ يظهر التعارض بينها وبين أحكام الشريعة وفكرها، وبدا الفقه الإسلامى يحاصر بين بديلين: إما أن يعترف بهذه الأساليب والأوضاع - حتى ولو كان ذلك على حساب الشريعة وضوابطها العامة - وإما أن يتهم بالجمود والعجز عن ملاحقة الواقع والتطور، ولفظ التطور لفظ لا يدل على مجرد الحركة والتغيير، ولكنه يوحى بأن الحركة والتغيير يجريان للأحسن والأرقى فى مدارج الارتقاء والعمران البشرى والحضارى.

وصار الحكم على الفقه بالتجدد، لا يتأتى من قدرته على ملاحقة مثل تلك الظواهر، ولا يتأتى أيضا من قدرته على مخالفة أصول الشرعية الإسلامية العامة التى أتت بها أحكام

[illegible] وذلك مناط تحديد الفقهى [illegible] من قدرة الفقه على أن يستجيب للتحديات التى يفرضها الواقع والتاريخ - فى زمان ومكان معينين - على الجماعة الإسلامية، وأن تكون هذه الاستجابة بما يحفظ مصالح الإسلام والمسلمين.

ولذلك فإن علينا واجبين:

● الأول: هو أن نحفظ للشريعة الإسلامية - كأصول عامة - سيادتها وفاعليتها على [illegible] الاجتماعية [illegible] الشريعة تؤول إلى الاضمحلال، [illegible] العقيدة قد تؤول إلى الضعف، إذا قامت الأوضاع الاجتماعية على تعارض وتناقض فى هذه الأحكام والأصول. وعلى سبيل المثال، فإن استقاء النظام الربوى فى التعامل الاقتصادى للمؤسسات [illegible] وفى [illegible] القانونى للمعاملات، يقيم هذا التناقض الذى لا يتحاشى [illegible] الشريعة الإسلامية.

لذلك، يتعين أن نكون منتبهين للمقتضيات الاجتماعية التى يحسن الاستمساك بها، دعما للفاعلية الاجتماعية للأحكام المنزلة. فمثلا، قد يكون نظام الميراث [illegible] وحقوق الزوجية ذات علاقة اجتماعية أعظم وأنسب مع نظام الأسرة الكبيرة الممتدة. لذلك، يحسن الحض على الحفاظ على الأسرة الممتدة، ودعم العلائق الاجتماعية بين أعضائها. ومثل آخر عن حقوق الشفعة والجوار وعن الشيوع، فهى تفيد بمقتضاها الاجتماعى [illegible] الاجتماعية [illegible] سواء فى حى [illegible] المسجد، كمؤسسة اجتماعية، يحسن ألا يقتصر دوره على الصلاة فقط، ويحسن أن تلحق به وتتفرع عنه مجموعة الأنشطة الاجتماعية المحلية.

● وثانى هذين الواجبين: يتعلق بالمجال الذى يعمل فيه الفقه، وهو مجال الاجتهاد فى إدراك معنى الأحكام مطبقة على الواقع المعيشى. وهنا، فإننا إزاء اجتهادات الفقهاء المسلمين فى العصور السابقة، يحسن أن ندرك الأوضاع الاجتماعية والتاريخية التى لابست الاجتهاد الفقهى فى أى من فروع المسائل والأحكام التفصيلية. لأن ذلك يفيدنا فى إدراك الدلالة الواقعية للحكم المقضى به أو الرأى المفتى به.

ومن ناحية أخرى، فيحسن بالفقه الإسلامى المعاصر أن يدرك وجوه التحدى الواقعى التى تواجه المجتمع الذى نعيش فيه، وأن يعمل اجتهاداته الفقهية بما يحقق الاستجابة لهذه التحديات على النحو الذى يحقق وجوه النفع لدينه ولأمته، وأن يربط بين الحلول الفكرية والفقهية وبين الوظائف الاجتماعية التى تترتب عليها.

والمهم فى ذلك كله: أن تكون لدينا ملكة تركيب الواقع الاجتماعى وفقا للأحكام المنزلة، وأن يكون الواقع على اتساق وانسجام مع هذه الأحكام المنزلة، وأن تكون لدينا أيضا ملكة الإفساح فى الاجتهادات الفقهية لما يطرأ من تغيير فى تركيب الواقع الاجتماعى، وفقا لوجوه الاستجابة للتحديات المطروحة على الجماعة فى كل ظرف خاص.

[illegible] يجرى التوظيف [illegible] بين [illegible] الاجتماعى ومؤسساته وعلاقاته ونماذج سلوكه، وبين الأحكام والأفكار، ويجرى الدمج بين علم [illegible] وعلم الدنيا، ويترابط العمل [illegible]

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام

٣

[illegible]

حرية الرأى والتفكير

ان الرأى منتهى ما يستقر فى الذهن بعد البحث والتفكير. ومن حق المجتمع الذى ربى هذا الذهن واولاه عنايته ان ينتفع بثمرته. وهو لا ينتفع بذلك اذا كان هناك قيد على نشر هذه الاراء مادامت فى محيط النفع العام. ومادامت فى دائرة العقل. وفى اطار من الاحترام يحجزها عن التعدى على حرمات الاخرين. او على قدسية الاديان والقانون.

ان الأراء السليمة هى التى تكون الجو المناسب للتقدم الحضارى المنشود. وان الجو الاسلامى لهو خير الاجواء التى تنمو فيها الاراء السامية الهادية الى الخير والمصلحة العامة.

فى غزوة بدر الكبرى، وفى أول لقاء بين الإسلام والكفر تخير الرسول ﷺ مكانا للمعركة رأى أنه الموقع المناسب، ومع أن الرسول ﷺ يتمتع بين أمته باحترام وتقدير [illegible] يوحى [illegible] مجال الإسلام للرأى والمناقشة، قال له سيدنا (الحباب بن المنذر) فى أدب جم وفى حرص شديد على مصلحة المسلمين: «أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟» [illegible] الرسول ﷺ [illegible] الرأى والحرب والمكيدة [illegible] ليس هذا [illegible] رسول الله، انهض [illegible] حتى نأتى على أدنى ماء من القوم، ثم نغور ما وراءه [illegible] ولا يشربون [illegible] ولم يسع الرسول ﷺ إلا أن يستجيب لرأى هذا الجندى الباسل المخلص.

وفى غزوة أحد تنازل رسول الله ﷺ عن رأيه وأخذ برأى الشباب الذى صمم على الخروج إلى الأعداء، حتى لا يقول الناس: إنهم حبسوا المسلمين فى ديارهم.

وفى غزوة الأحزاب أخذ كذلك برأى سيدنا (سلمان الفارسى) فى حفر الخندق.

وفى غزوة بنى قريظة قال الرسول ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة». فأدرك بعضهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها. وقال بعضهم بل نصلى، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبى ﷺ فلم يعنف واحدا منهم[2].

(١) رواه ابن حنبل فى كتابه «المسند»

الآراء المدمرة مرفوضة

بيد أنه لا ينبغي أن تتخذ هذه الحرية ذريعة لإشاعة المذاهب الهدامة والدعوة إلى الفساد والانحراف والآراء المدمرة للأمة [illegible] والمبادئ. ولابد كذلك أن تلتزم قانون العلم [illegible] حتى لا [illegible] على الناس كل ناعق [illegible] ضرورة التمحيص والتحقق [illegible] العقل التي منحها الله تعالى للإنسان في الوصول إلى الرأي الصائب.

[illegible]

(الإسراء: ٣٦)

مفارقة واضحة بين ميثاق البشر وشريعة الإسلام

على أن هناك فارقا ضخما بين التعبير [illegible] بحرية الرأي [illegible] للبشر [illegible] فحسب، وبين مبدأ الإسلام الذي يفرض إعلان هذا الرأي مادام في دائرة النفع العام، وفي إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن الإسلام يعتبر هذا الأمر وذلك النهي فريضة على كل مسلم مستطيع. وبذلك يفتح الإسلام أقطار العقل والفكر من كل أبوابها ليفكر كل مسلم فيما هو واقع في المجتمع، ليكون عنه الآراء السليمة، ويعلنها على الناس. وهو بهذا الإعلان يؤدي واجبا لا يفعل مباحا. أي أن إبداء الآراء الصائبة [illegible] فريضة [illegible] يتاح، ولكنه واجب اجتماعي وفرض ديني لا تتحقق المصلحة الاجتماعية إلا [illegible] بالقيام به على خير وجه. قال ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[3]. ويقول الله [illegible] في وصف المجتمع المسلم:

[illegible]

ويربط هذه [illegible] للتقدم والخيرية لكافة الأمم بمدى محافظتها على القيام بهذا الواجب مع الإيمان بالله تعالى:

[illegible]

(آل عمران: ١١٠)

حرية العمل والتصرف

هناك فرق كبير كذلك بين التعبير بحرية العمل الذي يجعل العمل مباحا [illegible] الإسلام التي توجب هذا العمل وتحث عليه بشتى أنواع الأوامر [illegible] الأحاديث عن العمل بصيغة صيغة الأمر في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى:

[illegible]

(التوبة: ١٠٥)

(٢) أخرجه البخاري - كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة - حديث رقم ٤١١٩ وأخرجه مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب من لزمه أمر فدخل عليه أمر آخر - حديث رقم ١٧٠١

(٣) أخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان - حديث رقم ٤٩

وفي قوله

[illegible]

(الملك: ١٥)

ويتخذ صيغة الامتنان بما هيأه الله تعالى من وسائل العمل والإرشاد إلى استغلال الثروات والخيرات التي بثها الله تعالى في هذا الكون في مثل قوله تعالى:

[illegible]

(طه: ٥٣، ٥٤)

ويتخذ صيغة الحث والتأكيد في وصايا رسول الله ﷺ. يقول ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»[4]. ويعتبر الرسول ﷺ العمل جهادا في سبيل الله تعالى ما دام لغرض شريف نبيل.

عن كعب بن عجرة قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[5].

القضاء على متبطلات العمل

وبجانب هذه التوجيهات الإسلامية في العمل نجد الرسول ﷺ يحرم البطالة والتسول، قال ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»[6]. ويحرم الإسلام وسائل الكسب التي تشجع على الراحة والكسل وتعتمد على المال وحده دون جهد ولا عناء ولا مخاطرة. ويتمثل ذلك في تحريمه للربا، يعني أن المال يلد المال دون أن يدخل الجهد البشري عاملا فعالا في نتيجة الكسب. والقرآن الكريم يعلن حرب الله تعالى ورسوله ﷺ على المرابين فيقول:

[illegible]

(البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩)

وكذلك حرم الإسلام جميع الطرق التي تؤدي إلى تضخم الأموال عن طريق غير مشروع كاحتكار أقوات الناس، أو غشهم، أو التحكم في ضروريات حياتهم، واستغلال

(٤) أخرجه البخاري - كتاب البيوع - باب كسب الرجل وعمله بيده - حديث رقم ٢٠٧٢

(٥) رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجاله رجال الصحيح، والحديث صحيح لغيره - حديث رقم ١٥٦١٩

(٦) أخرجه البخاري [illegible] وأخرجه مسلم [illegible] المسألة للناس - حديث رقم ١٠٤٠

عن ظلمهم وحاسبهم، ونهى عن طريق الانتفاع بالسلطة والجاه. قال تعالى:

[illegible]

(البقرة: ١٨٨)

وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا»(٧). وقال: «من احتكر فهو خاطئ»(٨). وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلا على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه فقال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا». ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»(٩).

ولقد صادر (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - هدايا عماله على البصرة والبحرين، وقاسم مال عماله على الكوفة، وفعل مثل ذلك مع (عمرو بن العاص) حين كان واليا على مصر، فقد كتب إليه: «إنه فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر».. فكتب إليه (عمرو): إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا. فكتب إليه (عمر): «إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلي كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظنا، ووجهت إليك (محمد بن مسلمة) ليقاسمك مالك فأطعه وأخرج إليه ما يطالبك، وأعفه من الغلظة عليك، برح الخفاء»... وأذعن (عمرو) للأمر وتركه يقاسمه ماله.

بهذه التشريعات الحاسمة رفع الإسلام من قيمة العمل حتى جعله أفضل من الانقطاع لعبادة الله تعالى.

مسئولية الدولة في توفير فرص العمل

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره رئيس الأمة يحاول فتح أبواب العمل وتهيئة وسائله لمن يريد. عن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال: «ائتني بهما». فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر

---

(٧) أخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا - حديث رقم ٢٩٤

(٨) أخرجه مسلم - كتاب المساقاة - باب تحريم الاحتكار في الأقوات - حديث رقم ٤٢٠٦

(٩) أخرجه البخاري - كتاب الحيل - باب احتيال العامل ليهدى له - حديث رقم ٦٩٧٩

بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به». فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما». فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة»(١٠).

[illegible]

وحرص الإسلام كذلك على إنصاف العامل وإعطائه حقه كاملا في الأجرة دون بخس ولا ظلم. قال تعالى:

[illegible]

(الأعراف: ٨٥)

وحث الإسلام كذلك على حماية العامل من الأخطار والعمل على تأمينه في عمله ورعايته رعاية تامة، يقص الله عز وجل قصة الرجل الصالح وهو يساعد عمال البحر ويقيهم من خطر اغتصاب الملك لسفينتهم فيقول على لسانه:

[illegible]

(الكهف: ٧٩)

وفي هذا توجيه للدولة الإسلامية بحماية عمالها كما حماهم هذا الرجل الذي يقصه القرآن الكريم بقوله:

[illegible]

(الكهف: ٦٥)

ولما كان للجسم طاقة محدودة في مواصلة العمل، وللنفس كذلك طاقة ينتابها عند مجاوزتها الملل، فقد أعطى الإسلام للعامل حق الراحة وحق تحديد ساعات عمله بما يتلاءم مع المحافظة على صحته، وما يتفق مع دوام التجديد لنشاطه وقوته، قال ﷺ: «فإن لجسدك عليك حقا»(١١)، وقال عن حق الخادم يوصي به مخدومه: «ولا تكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»(١٢).

وخلاصة ما يهدف إليه الإسلام أن يضمن للعامل حق المعيشة في مستوى لائق من التغذية والملبس والمسكن والعناية الصحية، وفي إطار الرحمة التي لا تكلفه ما لا يطيق ولا تفرض عليه ما لا يستطيع، وفي رعايته كذلك لما تتطلبه المصلحة العامة، فإذا كانت ظروفه وطاقته لا تمكنه من كسب ما يفي بكل حاجته، فإن له حقا آخر على المجتمع هو حق الفقراء والمساكين من الزكاة والصدقات من بيت المال تكفل له هذا المستوى الكريم من معيشة لائقة بكرامة الإنسان.

---

(١٠) أخرجه أبو داود - كتاب الزكاة - باب ما تجوز فيه المسألة - حديث رقم ١٦٤١

(١١) أخرجه البخاري - كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم - حديث رقم ١٩٧٥

وأخرجه مسلم - كتاب الصيام - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا - حديث رقم ٢٧٨٧

(١٢) أخرجه البخاري - كتاب الأدب - باب ما ينهى من السباب واللعن - حديث رقم ٦٠٥٠

فقه الخلافة الراشدة والتحول الديموقراطى فى مصر

شهد عام ١٤٣٢ هجرية (٢٠١١ ميلادية) نجاح ثورة الشعب فى تونس ومصر وليبيا وتحرك الشعوب فى اليمن وسوريا وغيرهما من الدول العربية الاسلامية فى خصومة معلنة ضد حكامهم المستبدين. هذه الثورات ليست حدثا عارضا بل هى تنبئ عن تأثر قطاع الشباب (حوالى ٦٠٪ من الشعب) بثقافة العصر وقيمه السياسية التى تسيدت العالم كله فى عصر ثورة الاتصالات والانترنت ومحاولتهم اللحاق بعصرهم أو الموت دون ذلك.

هذه الثورات تخلق واقعا جديدا لا يمكن ان يتجاهله الفقه السياسى الإسلامى؛ اذا ترك الامر واكتفى الفقهاء برد الفعل فسوف يسقط على الاقل الادعاء "بشرعية الحكم بالغلبة"؛ واذا اخذ الفقهاء المبادرة فسوف يتم إحياء "فقه الخلافة الراشدة" بآليات النظم السياسية الحديثة.

فى هذا الخاص يبدو أن هناك استقطابا بين [illegible] مرجعية [illegible] الاسلامية، [illegible] تأخذ من التفاعلات الناتجة عن تجربة البشر مرجعية [illegible].

[illegible] القيم لدى الشعوب العربية عموما [illegible] مرجعية [illegible] الاسلام، ولكن [illegible] المرجعية الاسلامية [illegible] بالنصوص التى وردت فى القرآن والسنة النبوية المشرفة دون إطار أو هدف علم يهذب مدلول النص أو الواقعة، [illegible] بالسابقين من السلف الصالح وفتاواهم باعتبار [illegible] يمكن [illegible] ينتج عن التطبيق على أرض الواقع فى القرن الواحد والعشرين، حتى ولو كانت نتائج لا تحمد عقباها.

[illegible] الحكم فى [illegible] الاسلامية [illegible] الخلافة الراشدة [illegible] (٤٠) [illegible] الفقه

[illegible] لتحققها دون تأخذ بنظم القرون الوسطى [illegible] والدول البوليسية فى العصر [illegible] بينما حكام هذه الدول وأعوانهم لا [illegible] تناقض بين [illegible] الإسلامى [illegible] صلاحية الدين الإسلامى لأن يكون مرجعا للديموقراطية وحقوق الإنسان" بالمعايير الحديثة المتعارف عليها فى القرن الواحد والعشرين.

كذلك فإن أدبيات الفكر الإنسانى والتجربة [illegible] فى موضوع "الديموقراطية وحقوق الإنسان" تنتسب كلها إلى عصر التنوير (القرن [illegible] عشر الميلادى) وما بعده مما أشاع ظلالا من [illegible] بقصد أو بدون قصد فى إمكان إدخالها فى ثقافة وقيم الشعوب الإسلامية، هذا على الرغم من أن القراءة الدقيقة للرسالة الإلهية "القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة" [illegible] حيث [illegible] الأرض [illegible] من [illegible] الاجتماع [illegible] والاقتصاد [illegible] الشريعة الإسلامية [illegible] التجربة البشرية والعلم فى ذلك.

التراث هو كل ما تركه لنا المسلمون [illegible] القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة" [illegible] الإسلامى [illegible]

[illegible] رسالة الله سبحانه وتعالى إلى البشر جميعا فى كل زمان ومكان أفرادا وجماعات[1]؛ ونحن اليوم فى القرن الواحد والعشرين مطالبون بقراءة "القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة" قراءة [illegible] وإدراك للمعانى بأحدث ما لدينا من علوم ومناهج بحثية؛ "القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة" وحى من الله يشتمل على رسالة الخاتمة إلى البشر جميعا فى كل زمان ومكان أما "الفقه" و"علم أصول الفقه" فمن صنع البشر.

قد كان للمسلمين حضارة عظيمة [illegible] العالم وقادت الفكر والعلم الإنسانى فى الفترة [illegible] الميلادى [illegible] نزول الوحى برسالة الإسلام على سيدنا محمد ﷺ؛ وانتهت بنهاية القرن الخامس عشر الميلادى [illegible] ثم انتقل مركز [illegible] ذلك إلى أوروبا والبلاد العربية وبلاد أخرى، لقد انقضت خمسة قرون منذ ذلك التاريخ حتى اليوم قطعت الحضارة الإنسانية خطوات وحققت طفرات هائلة فى التقدم العلمى والتكنولوجى [illegible] فى التشريع والسياسة والاقتصاد والعلاقات الإنسانية لم يكن لها ما يماثلها فى تاريخ البشرية حتى نهاية القرن الخامس عشر مما جعل التراث غريبا عن عالمنا اليوم، وهذا ما وصفه المفكرون بمشكلة "التراث والمعاصرة".

[illegible] الإلكترونى democracyinislam.net // http

P.O. Box 109 Helwan, zip code 114211 Cairo Egypt.

e-mail bmansour2003@yahoo.com

(١) (سورة إبراهيم آية ٥٢) (سورة المرسلات آية ٢٠) (سورة الفرقان آية ٣٠) (سورة التوبة آية ٣٦) (سورة العصر آية ٣)

[illegible] موضوعات هامة قد استحدثا واستقرت تطبيقاتهما في العالم الإنساني: الأول هو ظهور الدساتير والثاني هو حل مشكلة اختيار ومحاسبة رؤساء الدول على السلطة المفوضة لهم فيما [illegible]

حتى القرن الخامس عشر الميلادي كانت أكثر النظم التشريعية حداثة تقوم على أساس سمو القوانين وسيادتها على ما تحتها من تشريعات [illegible] تاريخ البشرية هو الدستور الأمريكي عام ١٧٧٦ [illegible] للتشريعات في الدولة الأمريكية الناشئة بحيث تتسق كلها على فكر واحد ومقاصد واحدة، وإلا تشتت التشريعات والقوانين وتفككت أوصال [illegible] يتجاوزه بما يعني إقامة دولة القانون، مكملا لهذا [illegible] التشريعات والآليات المصاحبة له.

[illegible] طريقة منهجية إلا في القرن الثاني الهجري وكان [illegible] والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل؛ ولذلك فإن "علم أصول الفقه" للقول عن السلف الصالح قد نظر إلى القرآن الكريم باعتباره مصدرا لنصوص قانونية تنظم أعمالا جزئية بعينها وتضع عقوبات [illegible] لإدراك دستورية القرآن الكريم بالمفهوم الحديث [illegible] "بالإطار العام للمعاملات الإسلامية" الذي يحتوى بداخله كل ما هو شرعي ويقع خارجه كل ما هو غير شرعي فنطبق معايير "الرقابة الدستورية" على [illegible]

أو السنة النبوية المشرفة فتعرف مدى شرعيته. وفي هذا الشأن يجب أن يكون هذا الإطار قطعي النص قطعي الدلالة جامعا مانعا يمنع الخلط بين "ما هو شرعي وما هو غير شرعي" وصالحا لكل زمان ومكان [illegible] البشر بلا حدود للزمان أو المكان.

[illegible]

ليس في الإسلام كهانة ولا كهنوت ولا [illegible] ولا مذاهب مستقلة تشرع بما لم يأت به الله ورسوله، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

[illegible]

(النساء: ٥٩)

[illegible] هذه الآية الكريمة [illegible] والرسول [illegible] الأمر والمسلمون [illegible] شيء من [illegible] يرد الأمر فيه إلى الله والرسول [illegible] أولي الأمر [illegible] على الحق ومن انحرف عنه هو رد الأمر إلى الله ورسوله. وبمنتهى الوضوح أطيعوا الله، فهو مصدر للتشريع، وأطيعوا الرسول، فهو مصدر للتشريع بوحي [illegible]

[illegible]

(النجم: ٣-٤)

فالسنة النبوية المشرفة ليست إلا وحيا يوحى من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم لتفصيل ما جاء في القرآن الكريم وتقييد مطلقه وبيان محكمه

يبنى الإطار الدستوري للقرآن الكريم على كل ما جاء في الرسالة السماوية قطعي النص قطعي الدلالة، كل القرآن الكريم قطعي النص ولكن آياته تنقسم إلى قسمين رئيسيين [illegible] في القرآن الكريم نفسه

[illegible]

([illegible] عمران: ٧)

الآيات المحكمات هي أم الكتاب حيث تضع [illegible] والأحكام الأساسية في الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ومعاملات. [illegible] الآيات المتشابهات [illegible] باختلاف الزمان والمكان والعلوم [illegible] والتفاصيل التطبيقية. [illegible] السنة النبوية المشرفة فهي ليست إلا وحيا يوحى من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم لتفصيل ما جاء في القرآن الكريم وتقييد مطلقه وبيان محكمه وبالتالي فإن كل ما جاءنا متواترا عن الرسول الكريم في موضوعات الرسالة الإلهية "العقيدة والشريعة والمعاملات" فهو ملزم وجزء لا يتجزأ من الرسالة الإلهية.

الإطار العام للمعاملات الإسلامية

الإطار العام للمعاملات الإسلامية [illegible] هي العدل والرحمة والإحسان وتأدية الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل

[٢] [٣]. وبخصوص السلطة والعهود فقد حرم الله البغي بغير الحق[٤]. أما بخصوص التعامل في الأموال والتبادل الاقتصادي فقد حرم الله أكل أموال الناس بالباطل[٥]، وحرم التلاعب في الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم لأكل حقوقهم [illegible] الاقتصادية [illegible] وأوجب أيضا المحاسبة بين الناس على الأموال حفاظا على حقوق العباد[٨].

أما آداب التقاضي وواجباته فهي القسط في الشهادة [illegible] في القصاص فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به[١٣].

وهكذا [illegible] يتعداها أحد مسلما أو غير مسلم، مثل جرائم القتل أو السرقة أو الزنا والاعتداء على الأنساب دون إقامة الحدود التي أوضحها الله سبحانه وتعالى في شرعه الحنيف، فضلا عما هو محرم مما يندرج تحت صور البغي والتعدي على الآخرين، فإذا اختلفوا فإن أساس التقاضي العادل وأركانه يرعاها الله بنفسه في آيات محكمات ويتوعد الخارج عن هذه الأسس أشد العذاب، حيث تقع كل هذه المعاملات على أساس متين من وجوب القسط في الشهادة وعدم كتمها وتحريم قول الزور، وتلك أهم أسس إقامة العدل في جميع المعاملات بين الأفراد وفي ساحات القضاء بل تكفي وحدها لإقامة مجتمع العدل والاستقامة.

(١) سورة [illegible]	(٣) سورة [illegible]	[illegible]
(٤) سورة [illegible] آية ٢٩	(٧) سورة [illegible]	[illegible]
[illegible]	(٩) سورة الأنعام آية ١٥٢	(١٠) سورة البقرة آية [illegible]
(١١) سورة الحج آية ٤٠	(١٢) سورة الفرقان آية ٧٢	(١٣) سورة النحل آية ١٢٦

الثقافة العربية والمستقبل

[illegible]

هذا موضوع من اهم المواضيع الفكرية التى تطرح على الأمة. وبخاصة على المثقفين اسئلتها. وهو موضوع واسع الارجاء مترامى الاطراف. جلي وغامض واضح ومشكل. حيث ان الصورة العامة لهذه الثقافة مدركة بالحس، وان كانت معطيات هذه الصورة بعيدة الاغوار مظلمة الجوانب. ولهذا سيكون تعريف بعض المفردات خطوة اولى فى تشرفنا لاكتناه حقيقته.

إن الثقافة بالمعنى الحديث الذى يترجم كلمة culture فإنه مصطلح قد عرف كما يقول (كوبر وكلايكون) بمائة وخمسين تعريفا [illegible] تعريف الأروس الفرنسي. حيث يقول:

(الثقافة هى مجموع [illegible] الاجتماعية والمظاهر الفنية والدينية والفكرية التى تتميز بها وتحدد بها مجموعة أو مجتمع بالنسبة للآخر).

تعريف موسوعة دار الشروق حيث جاء فيه:

([illegible] الثقافة يشير إلى كل ما يصدر عن الإنسان من [illegible] فكرى أو أدبى أو فنى أو علمى).

تعريف الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجرى فى كتابه (التنمية الثقافية من منظور إسلامى)، حيث قال: (إنها [illegible] الإبداع الفكرى والأدبى والفنى).

ويرى البعض [illegible] الاجتماعى فى مجتمع [illegible]

لكن التعريف الأنثروبولوجي [illegible] الباحث عن المعتقدات واللغة [illegible] والعوائد والتقاليد لكل مجتمع، وعلاقات الكائنات البشرية بعضها ببعض هو التعريف الأولى فى [illegible] مصطلح الثقافة مصطلح [illegible] الاستشهاد بمدلوله، إلا أنه من المؤكد دخول الدين، والتقاليد، واللغة فى أفراد هذا المصطلح.

[illegible]

وسأبدأ بافتراض مسلمات

الأولى: الافتراض أن الدين الإسلامى، [illegible] العربية [illegible] العربية، [illegible]دات، هى الثقافة العربية. فهذا الثلاثى [illegible] يشكل [illegible] وخلفية [illegible]سلوك ومعيار القيم لدى العربى.

هنا اتفق مع إليوت عندما يقول: (إن [illegible] الثقافة نتيجة [illegible] الدين [illegible] الثقافة [illegible]

[illegible] مع الفقرة الأولى [illegible] الفقرة الثانية لتكون (التدين نتيجة الثقافة).

وإذا كان هذا الدين هو الدين الإسلامى، وهذه الثقافة هى الثقافة العربية، فهما صنوان متلازمان ملازمة [illegible]

فإلا يكنها [illegible]

[illegible]

فالإسلام إذن كان ولا يزال هو الأمر [illegible] فى [illegible] العربى [illegible]

المسلمة الثانية: أنه توجد سمات مشتركة بين جميع العرب من معتقدات، [illegible] وعادات وتقاليد، [illegible] مشترك، وطموح [illegible] نوع مشترك من المستقبل، وهى سمات تسمح بالحكم بوجود ثقافة عربية [illegible] العلاقة [illegible] واختلاف [illegible] والممارسة بين مكونات الأمة. [illegible]

أما الجزء الثانى من العنوان وهو [illegible] المستقبل وإن كان ما يجرى فيه مجهولا [illegible] لا يجرى عليه [illegible] ويمكن للإنسان أن يتعامل معه طبقا للسنن الجارية التى تجعل الحاضر مقدمة للمستقبل؛ ذلك أن الحاضر هو نتيجة ماضينا، كما يقول الكاتب وليام فولكنر من جنوب أمريكا

[illegible] عشرة آلاف سنة، [illegible] آلاف سنة، منذ أن رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ومنذ تزوج إسماعيل من قبيلة جرهم القحطانية وتكلم العربية، حيث أصبح للعرب بيت عبادة يحج إليه استوجب احترام الأمم الأخرى وأثار فى بعض الأحيان غيرتها، [illegible] وطبائعها سواهم، فأنشأوا الحواضر فى أطرافها جيرانا لأمم الفرس والروم، واحتفظوا بأرومتهم البدوية فى قلبها حيث صقلهم شظف العيش وخشونة الصحراء، فامتطوا صهوات الجياد وذللوا [illegible]

ما بكاء الكبير بالأطلال

وسؤالى وما ترد سؤالى

[illegible] الخطب فى عكاظ ومجنة وذى المجاز.

[illegible] وقيادتها وريادتها قد تأدبت وتأيدت،

[illegible]

حين انتشر الضياء من جبال فاران من مكة المكرمة، من الأرض عربية على الدنيا بعث سيدنا محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة من البارى جل شأنه إلى الناس كافة، حيث حمل القرآن إلى العالم قيم الخير ومبادئ العدل والإحسان وحسن علاقات قيس وعبس وذبيان وتغلب وشيبان. فتفتقت لغة الضاد عن روح [illegible] وحدة الأمة وتشكل كيانها. وامتدت أجنحته على الشرق والغرب في صحوة دينية وخلقية وفكرية وحضارية لم يسبق لها التاريخ مثيلا. فتعلموا مما عند من سبقهم من الأمم من غير خجل ولا وهن، فحققوا ونقدوا واستوعبوا وأضافوا وشادوا وقادوا. وسجلوا خلاصة ما توصلت إليه الإنسانية في أدق العلوم من فلك ورياضيات وصعدت إلى الإنسانية جمعاء. فأخذ الغرب منها سجلا كان أساس علومه وتقنياته عن طريق معابر البحر الأبيض المتوسط والأندلس.

وبعد قرون عدة تحولت الحركة إلى [illegible] فامتدت يد الزمان إليها، فاستطال الأعداء عليها، فأظلم صبحها وفزع سرحها، لأسباب معروفة قد يطول شرحها. ذلك هو [illegible] نحمله على كواهلنا بانتصاراته وهزائمه، بأعراسه ومآتمه، بكل تراكماته في حاضرنا.

وإنه [illegible] في محله. وإن الأمر ليس حكرا علينا. فهذه فرنسا يرفع رئيسها عقيرته جاهرا بالشكوى أمام مؤتمر هانوى الفرنكفونى قائلا: (يجب ألا نستسلم من نبع ثقافي وحيد، وينبغي أن نحترم الخصائص الثقافية لكل أمة). وحتى إن البعض يتخوف من الغزو الثقافي الإسلامي. فيكتب [illegible] في جريدة ([illegible]) الإيطالية قائلا: (ماذا لو أصبح [illegible] فقط مسيحيين والنصف الآخر مسلمين).

لا بد أن نقف على مستقبل ثقافتنا من أكثر من سبب. فهناك عوامل داخلية [illegible] من داخل ثقافتنا. وعوامل خارجية ترجع إلى تأثير ثقافة الغير في ثقافتنا. [illegible] هذه الأسباب:

أولا: وجود ثقافة عالمية غالبة عبر عنها من رؤية التعدد الثقافي [illegible] تحاول تجاوز المراحل، [illegible] وتكاد تجعل من العالم قبيلة واحدة تتكلم لغة واحدة. تحاول [illegible] والأعراف في بوتقة واحدة، يكون [illegible] المعلى فيها للأندى صوتا والأكثر عددا وعتادا وعددا. إنها عالمية تملك الإدارة والتخطيط والوسائل، وتتقمص الشرعية الإنسانية، ومن يراوده أدنى شك فليراجع وثائق مؤتمر السكان في القاهرة، ومؤتمر المرأة في بكين، وهي عولمة حملت المجلة الفرنسية revue littéraire الصادرة في نوفمبر على المطالبة بضرورة تضافر الجهود [illegible] لتثبيت الثقافة الأوروبية في مواجهة العولمة.

ثانيا: العجز عن اقتراح مشروع ثقافي حضاري شامل [illegible] التاريخية، يحوز إجماع العرب ويوحد قواهم أمام تحديات القرن القادم، وهذا لا يعني عدم وجود مشروعات حضارية أصيلة وواعدة لدى جهات سوية راشدة من هذه الأمة.

ثالثا: ردود فعل متباينة ومتضاربة عبر عنها جسم الأمة تجاه حالتي السابقتين العالمية من خارج الأمة والعجز المحلي، ونعني بجسم الأمة تلك الفعاليات المنتجة للمادة الثقافية أو المعيدة لإنتاجها. وهذه الردود قد تكون دوافعها حسنة، هدفها خارج عن نطاق السيطرة. إذ تنزع فيها عقود الحافلة وقفز الركاب جميعا إلى مقعد السائق كل واحد يريد أن يكون هو قائد الحافلة، فكانت النتيجة أن انقلبت الحافلة... كما يقول [illegible] في صورتها النمطية والظواهر المتزامنة مع التحول، لقد غابت روح التسامح وأعلنت حرب داحس والغبراء في بعض الفضاءات العربية.

رابعا: عقم الجامعات والمراكز العلمية: فلا إنتاج ولا إسهام في اختراع، كما تؤكده دراسة أعدها بعض الخبراء، يقول فيها: (إنه في كل سنة يعد حوالى مليوني بحث علمي، وتطبع مائة ألف مطبوعة علمية، نسبة إسهام المسلمين جميعا فيها ٣٪ فكم ستكون نسبة إسهام العرب في تلك النسبة؟).

خامسا: ضحالة الإنتاج الفكري في مجال الفلسفة والعلوم الإنسانية، وهي ضحالة لم تسلم منها الآداب شعرا ونثرا والتراث والعمارة.

سادسا: قصور واضح في الدراسات الإسلامية [illegible] شريعة وروحا. وتقدم المنهج الوسطى الذى يحتوي على [illegible] على من عرفت ومن لم تعرف. وعن تكوين جيل قوى يفهم أمور دينه ودنياه، نتج عنه انفصام بين التعليمين الديني و[illegible].

سابعا: تكلس الاجتهاد الفقهي. نتج عنه عجز الفقيه عن مواكبة مستجدات العصر في المعاملات وحتى في العادات.

ثامنا: فقر مدقع في أكثر البلاد العربية في وسائل الثقافة.

تاسعا: أضف إلى ذلك التخلف التنموي الذى يجر موكب الفقر والبطالة [illegible] بالنسبة لملايين الشباب.

وقد نشأت عن هذه السمات أنساقا جمعية وفئوية وتربوية غير قادرة على إشباع حاجات الإنسان العربي وإحلال الأمة بمجموعها في مكانتها لتشكل فضاء محترما له مميزاته [illegible] ومتواصلا مع الفضاءات الثقافية الأخرى، كما يشير إلى وجود خلل ما في التمثل السلوكي للمسلم في [illegible] الراهنة في التعامل مع مزيج القيم الذى تقترحه المعاصرة على الذات القائلة.

وهو خلل يشترك فيه عاملان: داخلي وخارجي، تتداخل فيه الأثر والتأثر والفعل والانفعال مع ما يعنيه من شطط وغلو واستنجاد بشتى السلبيات، إنه

خلل في العوالم الثلاثة كما سماها مالك بن نبي: عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء وفي علاقة هذه العوالم فيما بينها.

إن ثقافة هذا حاضرها وذلك ماضيها فكيف سيكون مستقبلها؟ إن الحديث عن مستقبلها إما أن يكون على أساس استشراف المستقبل من خلال مؤشرات الحاضر وتفاعلات العناصر المؤثرة إيجابا وسلبا. وإما يكون تمنيا واقتراحا على المستقبل. وهذا ما آثرناه في هذه المداخلة بحثا عن الحل للأزمة الثقافية.

فما هو الحل؟ وما هي معالمه وخطابه وأسسه ووسائله؟

لقد سمعنا عن وصفات كثيرة للحل، ولسان حال المستهدفين بها يقول:

بكلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذي ود

لقد طرحت أكثر الحلول راديكالية وجذرية وتطرفا. فمن داع إلى القطيعة مع التراث وما تصرف من مادة (ورث) فأدار ظهره للتاريخ وقلب له ظهر المجن وانبهر بكل حديث، ولم ير في الثقافة الغربية إلا التحقق الاقتصادي والسلم الاجتماعي، فغنى وشدا بديمقراطية الغرب وتقدمه التكنولوجي وضمانه الاجتماعي.. إلخ. لقد جربت ذلك إحدى الأمم فلم تكن تجربتها قمة في النجاح.

ومن داع إلى التمسك بالماضي وتقريب وذكرياته، ولم ير أصحاب هذا الحل في الغرب إلا الانحلال الخلقي والتفكك الأسري وملاجئ الكبار والمسنين آباء وأجدادا، والتبرم بالحياة الذي يصل إلى حد محاولة الهروب منها بالقتل. فقد أكدت الإحصائيات في فرنسا أنه في كل سنة تسجل ١٩٥ ألف محاولة انتحار تصل منها اثنا عشر ألفا إلى انتهاء الحياة.

إن في كلا الموقفين شططا وغلوا. إن القطيعة مع التراث خطيئة والتقوقع فيه خطأ. إن الذي أقترحه هو مقاربة للحل أو تدرج للحل وليس هو الحل النهائي الأبدي كما يحلو للكثيرين منا أن يصفوا حلولهم في هذه القضايا. وإن الحل الذي أقترحه يرفع شعارا واحدا هو شعار التجديد.

ومصطلح التجديد ليس غريبا على ثقافتنا. فقد ورد في الحديث

(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)(١)

وقد يكون هذا المجدد عالما مجتهدا كالشافعي مخترع علم أصول الفقه وآليات التعامل مع نصوص الشريعة، وقد يكون ملكا عادلا كعمر بن عبد العزيز وهذا بنص علماء الأوائل.

وإن مصطلح التجديد كان معروفا

(١) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم

للجاهلية. قال زهير بن أبي سلمى:

هم جددوا أحكام كل مضلة
من العقم لا يلفى لأمثالها فصل

قال الأعلم الشنتمرى: يريد بالتجديد أنهم بينوا أمور الحرب. فتجديد تقاليد الحرب والشجاعة هو تجديد الجاهلية.

ومعالم هذا التجديد تتمثل في معادلة التراث والمعاصرة: فما هي معالمة إذن؟

إنه تعامل جديد مع التراث بالتعمق فيه، والاستعداد بإيجابياته. وتحريره وتأصيله، والتنقيب في أعماقه، وتجليته بكل مكونات الإشراق حتى يصبح حيا. فإن الثقافة الميتة لا يمكن أن تكون إيجابية، ولا يمكن أن تتعامل مع الثقافات الأخرى إلا بحوار وندية.

إنه تعامل جديد كذلك مع التراث يهدف إلى استكشاف فضاءات الالتقاء ومجالات التماس والتقاطع، وتوسيع قنوات التواصل والاندفاع بقوة إلى المعاصرة فكرا وعلما بندية وكفاءة، وذلك بالاحتكام إلى ثلاث قيم أساسية (العقلانية - العلم - التسامح).

بناء على هذه الجدلية بين ثقافة أصيلة حية وثقافة عالمية ديناميكية فإن النتيجة ستكون تنسيب المواقف من بعض القيم، ومن بعض الأشياء، ومن بعض الأفكار، وتحسين العلاقة بين الأفكار والأشخاص، فبدلا من واقع قيم تهاجم وقيم تقاوم، سيكون التعاون والتعاضد والتآزر، وبهذا فإن التجديد لن يكون هدما للتراث الأصيل بل سيكون عملا من خلاله، ولن يكون ترميما وتلفيقا بل سيكون دفعا وأخذا وعطاء، فالنهر يتجه إلى مصبه ويظل أمينا لمنبعه، كما يقول فيلسوف عربي.

إنه إحياء لثقافتنا عبر منطلقات جديدة وآليات العصر ووسائله. إن التراث سيكون إطار المرجعية، وإن التجديد هو توسيع وعاء الثوابت لتستوعب الحديث، وقولبة الحديث ليستوعب، إنه انطلاق من عقال الحيرة، وتزحزح عن مفترق الطرق، لسلوك الجادة وولوج الفضاء الرحب في انسجام بين الضمير الجمعي ومتطلبات العصر، إنه مزج الأصالة في أجلى الضمير الجمعي ومتطلبات العصر، إنه مزج الأصالة في أجلى صورها بالمعاصرة في أنجح وسائلها وصيغتها. إن الخيار الاستراتيجي للتجديد، هو التحرك من خلال التراث إلى المعاصرة ليكون التفاعل بين الاثنين أساس الصيرورة الثقافية.

(يتبع)

من عيون التراث

التنوير في إسقاط التدبير

تأليف/ السكندري ابن عطاء الله

(١٢٦٠ - ١٣٠٩م)

التعريف بالمؤلف

هو تاج الدين أبو الفضل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله، ولد سنة (١٢٦٠م) ثم تفقه ودرس التفسير والحديث واللغة والأدب على شيوخ عصره في مصر [illegible] حتى نال [illegible] ويسعى إلى تزكية النفس على يد عالمين جليلين أحدهما الشيخ أبو العباس المرسي أحمد بن عمر، الذي اشتهر إلى جانب غزارة علمه بالصلاح والتقوى، والآخر أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله.

من كتبه كتاب «الحكم العطائية» و«مفتاح الفلاح» و«تاج العروس» توفي بمصر سنة (٧٠٩هـ ١٣٠٩م).

عرض الكتاب

يقع الكتاب في (١٣٢) صفحة من القطع الصغير، يتناول فكرة أن الله سبحانه وتعالى هو المدبر لهذه الدنيا والخلق، ويبين أحكام التكليف والأوامر والنواهي المتعلقة [illegible] وأحكام التعريف، ويبين فائدة أن الله إذا أراد أن يقوي عبدا على ما يريد أن يورد عليه من وجود حكمه [illegible] من وجود نعمته ويبين عشرة أسباب توجب صبر العبد [illegible] لأحكام سيده منها:

١- إنما يعينهم ذلك على حمل الأقدار ورود الأنوار.

٢- [illegible] يعينهم على حمل الأحكام [illegible] الأفهام.

٣- إنما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا.

٤- إنما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره.

٥- إنما صبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه.

٦- إنما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله.

٧- [illegible] صبرهم على [illegible] وعلمهم [illegible] الصبر يورث الرضا.

٨- إنما صبرهم على الأقدار كشف الحجب والأستار.

٩- إنما قواهم على حمل أثقال التكليف ورود أسرار التعريف.

وهنا أشار إلى أن الفرد كلما شكر الله على نعمه [illegible] Persistence (ص ١٠) للاستمرار في شكر الله.

١٠- إنما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وإبراره.

واعلم أن الذي يحملك على إسقاط التدبير مع الله والاختيار [illegible] علمت [illegible] تدبير الله [illegible] وأن تعلم أن التدبير [illegible] حجبا [illegible] حسن [illegible]. وعلمت أن القدر لا يجري على حسب تدبيرك بل أكثر ما يكون [illegible] مدبر. وأن الله تعالى هو المتولي لتدبير مملكته علوها وسفليها. وأنت ملك لله وليس لك تدبير ما هو غيرك فما ليس لك ملكه ليس لك تدبيره. وأنت في ضيافة الله، لأن الدنيا دار الله وأنت نازل فيها عنده، ونظر العبد إلى قيومية الله تعالى في كل شيء. واشتغال العبد بوظائف العبودية التي هي معنية بالعمر. وأنت عبد مربوب وحق العبد أن لا [illegible] مع سيده مع [illegible] بالأفضال. عند [illegible] الأمور [illegible]

ثم عرض تعريف وبيان [illegible] التدبير [illegible] وأن [illegible] تؤدي [illegible] المذموم شغلك عن الله وشغلك عن [illegible] الله وشغلك عن معاملة الله [illegible] محمود [illegible] كذلك

وبين أن [illegible] من [illegible] الذكاة [illegible] الطهارة [illegible] على وجود [illegible]. وهو [illegible] إلى أن التعلم يحدث من خلال الاقتداء Modeling (ص ٥٣).

وأن هناك أمورا ينبغي للمتسببين أن يلتزموها:

١- [illegible] الله تعالى [illegible] الخروج [illegible] على [illegible]

٢- أن يتوضأ ويصلي قبل خروجه ويسأل الله السلامة في مخرجه

٣- [illegible] من [illegible] الله [illegible]

٤- يستحب له [illegible] من منزله أن يقول: «بسم الله توكلت على الله».

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليجعل ذلك شكرا لنعمة القوة والتقوى.

٦- أن يكون مشيه بالسكينة والوقار.

٧- أن يذكر الله تعالى في سوقه.

٨- أن لا يشغله ما هو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض إلى الصلاة.

٩- ترك الحلف والإطراء والسلف.

١٠- كف لسانه عن الغيبة والنميمة.

وأن هم العبد مناجاة مولاه، ولهذا فوائد منها:

- الفائدة الأولى: أن يكون [illegible] طالب من ربه ما قال.
- الفائدة الثانية: أنه ﷺ نادى متعلقا باسم الربوبية، لأنه المناسب في هذا المكان.
- الفائدة الثالثة: أني لم أنزلت إلي من خير فقير.
- الفائدة الرابعة: أن الطلب من الله لا [illegible] العبودية وغيرها من الفوائد الأخرى.

وبين أنه لو توكل العبد على الله حق توكله يرزقه كما يرزق الطير وبين وجوه الإنفاق والادخار ووجوه البخل وما يتعلق به [illegible] ثم لم يبدل منه شيئا وبين فضل الله على عبده وكيف للعبد أن يشكر ويطيع ربه ثم أنهى الكتاب بدعاء.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- المثابرة Persistence - الاقتداء Modeling

الفئة ذات العرض

د. [illegible]

تاريـــخ الأقليـــات

(٢)

لم يعرف ما يسمى (حقوق الأقليات) إلا فى القرن الثامن عشر، حيث نصت المعاهدات التى عقدتها الدول الأوروبية فى هذا القرن على هذا المصطلح. إلا أن تطبيق هذا النظام أثار صعوبات كثيرة لدى (عصبة الأمم) التى تكونت بعد الحرب العالمية الأولى والتى زعم منشؤوها أنها أقيمت لحماية الشعوب على اختلافها. ولذلك عندما انتهت الحرب العالمية الثانية لم تتضمن معاهدات الصلح نظاما خاصا بحماية الأقليات. ولم ينص ميثاق (الأمم المتحدة) التى تكونت بعد الحرب العالمية الثانية، بديلا عن (عصبة الأمم)- على شىء يتعلق بحماية الأقليات فيا عجبا ممن أنشأ المصطلح ثم لم يطبقه، ثم تناساه.

استغلال المستعمرين لهذا المصطلح:

من المعروف فى تاريخ الاستعمار الأوروبى وزحفه على بلاد المسلمين تعلله بدعوى حماية حقوق الأقليات [illegible] وتاريخ الاستعمار الإنجليزى فى مصر منذ ١٨٨٢ شاهد صدق على استعمالهم لهذا المصطلح مع محاولات إثارة الفتنة بين المسلمين و[illegible] استغلالهم له [illegible] [illegible] فى [illegible] وتحريضهم على [illegible] لاستعمارهم، والحقيقة أنهم على مذاهب تقطع الود بينهم والحروب الدينية بين [illegible] السنين فى قارة أوروبا، فأنى لهم أن يأتوا إلى مصر لحماية أقباطها. إنها تعلة الاستعمار، ثم ورثت أمريكا [illegible] مسألة حماية الأقليات [illegible] كيدها وكذبها لعرض ما سمته (بالنظام العالمى الجديد) [illegible] ليسأل عن حال الأقباط. فيا ملائكة الرحمة ارحموا أهل العراق وانصروا المظلومين من أهل فلسطين وأهل البوسنة وقيسوا عملكم بهذه الأمثلة من سيرة رسول الإسلام إذ استسقى فسقاه يهودى فدعا له بقوله جملك [illegible] (الأعشى جـ٩ / ٢٤٧) وبسبب هذا التشريع وهذا المسلك الأخلاقى لم يحصل لليهود ولا للنصارى فى بلاد المسلمين ما حصل لليهود فى بلاد الغرب من المسيحيين ولا مثل ما حصل للمذاهب المسيحية من حروب بلغت أحيانا مائة سنة متوالية، أو قريبا من ذلك، مما استوجب – بحق – كلمة (جو [illegible]) [illegible] الغرب.

عاق الغرب كله على المميزين للناس بسبب الجنس والعقيدة

ولكن الأوروبيين [illegible] يتعرضون [illegible] الأسود والأصفر على [illegible] يحققوا للنهوض الفكرى والعلمى الذى حقق به الأوروبيون [illegible].

كما كانوا يميزون بين الناس (بالإيمان والاعتقاد) ومن ثم كان اضطهادهم لليهود فى كل دول أوروبا ولاسيما أسبانيا وإنجلترا فى الوقت الذى كان ينعم أصحاب هذه الديانات بل وغيرها كاليهودية وغيرها ممن لا يذكرون أصحاب الكتب السماوية بالأمان فى الدول الإسلامية. هذا ومن الجدير بالذكر أن مؤسس الخلافة العثمانية (عثمان) ودولته إسلامية رشح بوناتيه وهى مسيحية زوجة لابنه. ومن مظاهر التسامح فى الدول العثمانية [illegible] لكل أصحاب دين من ينظر فى أحوالهم وقضاياهم الدينية وأحوالهم الشخصية دون [illegible].

وذلك على نحو ما فعل الرسول ﷺ مع يهود المدينة وهذا يدل على امتداد التسامح الإسلامى مع الطوائف غير المسلمة حتى خلافة سقوط الخلافة الإسلامية (١٩٢٤م) كما يدل على تأصل هذا التشريع فى الإسلام وتاريخه وبذلك كانت الدولة العثمانية أسبق فى (تقرير) حقوق الإنسان – فى العصر الحديث – من دول أوروبا التى كانت (فى هذا التاريخ نفسه ومن قبله) توجد بها تفرقة دينية.

هذا دينهم وهذا ديننا

[illegible] فى [illegible] جريدة (الأسبوع ١٨ / ١٢ / ٢٠٠٤م) مع [illegible] من عينة رجال [illegible] مسيحى [illegible] ومعهم [illegible] مسيحى جميعا أن نصارى فلسطين ولاسيما نصارى (بيت لحم) فى أزمة شديدة بسبب [illegible] اليهود [illegible] يعملون على إخلاء فلسطين كلها وبيت لحم (مولد المسيح) خاصة منهم وتفريغ أرضهم منهم [illegible] اليهود [illegible] أهل الأرض ومالكوها ووارثوها فى تاريخهم الطويل وتعطى لغير مستحق.

هذا دينهم أما ذلك الذى تقدم من سماحة الإسلام وتاريخ المسلمين – ذلك هو ديننا [illegible] ولا يذكرون [illegible] المسلمين بهم وإقرارهم على عقيدتهم وإعطائهم حق المواطنة [illegible] المسلمون [illegible] فى ما فعلوا [illegible] فلسطين نصارى ومسلمين من تقتيل والتشريد وهدم البيوت وتجريف الأراضى المزروعة ولم يرحموا شيخا ولا طفلا ولا امرأة.. مما شهد به العالم أجمع ضاربة عرض الحائط بكل [illegible] وهذا كله يحظى بالتأييد الأمريكى المطلق وتحت صمت العالم كله (دعاة حقوق الإنسان)!

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم فى المنزل الخشن

بين حقيقة مصطلحين

يكثر اللغو حول مصطلحين إسلاميين متعلقان بأهل الكتاب يهودا أو نصارى وتعلق بهما كثيرون ممن يطلبون العيب للبرىء ومن [illegible] صدورهم [illegible] فى الإسلام [illegible] المصطلحان هما: أهل الذمة، والجزية ويحسن فى مناسبة هذا البحث أن نكشف الغمة ونزيل الشبهة إحقاقا للحق ودحضا للباطل فأقول: عندما تقول العرب فلان فى ذمة فلان: أو الأمر الفلانى فى ذمتى، فمعنى ذلك [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] فى [illegible].

ولذلك جاء في حديث رسول الله (ﷺ) : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا. فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة الرسول. فالمسلم - بنص حديث رسول الله (ذمي) في رعاية الله و[illegible] رسوله [illegible] في ذمة الدولة الإسلامية.

فاليهودي أو النصراني الذي ارتضى العيش في دولة الإسلام ومع المسلمين (ذمي) له [illegible] وعلى المسلمين [illegible] مثل ما على دولتهم من واجب هذه الرعاية والحفاظ.

ومن تشريعات هذه الرعاية أن (الذمي) لو [illegible] عليه دولة أخرى أو [illegible] ولم يكن هناك حيلة (دبلوماسية أو سياسية) ولم يكن إلا الحرب لتخليصه وجب على المسلمين إعلان هذه الحرب لحمايته وتخليصه. ومن تطبيقات هذا الحكم أن نصارى فلسطين الذين تكيد لهم (الصهيونية الإسرائيلية) بما تقدم أن المسلمين جميعا دولة وأفرادا ملزمون بحمايتهم مما يكاد لهم! هذا معنى (الذمي - والذمة) في معنى اللفظ وحكم الشريعة ولكن الكلمات - في [illegible] في نفوس الناس وهذا ما حصل للفظ (الذمي) [illegible] في نفسه [illegible] ومعناه الشرعي، إلى معنى في نفس الناس بما يدل على دونية المنزلة، والإسلام غير مسئول عن هذا التطور الذي يصيب معاني الكلمات كما يصيب غيرها وعلينا أن نستحضر تلك [illegible] إلى حد أباحت فيه للمخالفين مناظرة المسلمين في صميم دينهم من غير خوف عليهم ولا تشريب، حتى إن بعض هذه المجادلات والمناظرات كانت تعقد في مساجد المسلمين.

من ذلك ما ذكره ابن نجيم في كتابه (الأشباه والنظائر) من أن ملك الروم أرسل إلى خليفة المسلمين رسولا ومعه مال كثير وثلاثة أسئلة. إن أجابوا عنها كان لهم المال وإن هم لم يجيبوا فعليهم الجزية لملك الروم وعرضت الأسئلة على العلماء في مسجد الكوفة فلم [illegible] وكان [illegible] حنيفة حاضرا مع أبيه فاستأذنه أن يجيب أسئلة الرومي [illegible] فأذن له (أنظر أسلوب التربية لصبي من أعلى مراكز الدولة) وكان الرومي على المنبر (تأمل - [illegible] المسلمين ويتحداهم - في مسجدهم - ويعتلي منبرهم - وفي حضرة الخليفة وبإذن منه) قال أبو حنيفة للرومي: أسئل أنت؟ قال الرومي نعم

قال أبو حنيفة: انزل: مكانك الأرض ومكاني المنبر، صعد أبو حنيفة المنبر وقال [illegible] الله؟ قال أبو حنيفة: هل تعرف العدد؟ قال: نعم، قال أبو حنيفة: ما قبل الواحد قال: هو الأول ليس قبله شيء! قال أبو حنيفة: إذا لم يكن [illegible] شيء [illegible] فكيف يكون [illegible] كان النور المستعار الزائل لا وجه له إلى جهة فنور خالق السموات والأرض الباقي الدائم [illegible] كيف يكون له جهة؟! قال الرومي: بماذا يشتغل الله اليوم؟ قال أبو حنيفة: إذا كان على المنبر شبه مثلك أنزله. وإذا كان على الأرض موحد مثلي رفعه، كل يوم هو في شأن فترك الرومي المال وعاد إلى الروم.

[illegible] في الرأي

[illegible]

[illegible] يقام عليه حد شريعة الإسلام، كما لو سرق مال مسلم وقتله ظلما من المسلمين يقتل به [illegible]

[illegible] (١٣٨١هـ (١٩٩٢م)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لفظ (السامية) [illegible] إلى سام بن نوح مصطلح يتسع ليشمل العرب الكنعانيين [illegible] هؤلاء. أما جماعة اليهود التي اخترقت به شبه جزيرة سيناء إلى شرق دلتا النيل واستقرت بعد ذلك في فلسطين [illegible] أمة دينية جديدة، وما إن بدأت الحروب الصليبية حتى [illegible] واستمر حتى القرن الثامن عشر فحرم عليهم امتلاك الأراضي وكثير من المهن الحرة ولم يترك [illegible] وطرد كثير منهم من فرنسا وانجلترا وأسبانيا والبرتغال فلجأوا إلى هولندا وبولندا وبلاد [illegible] حقوق الإنسان فلما قامت النهضة [illegible] المختلفة فلم يمنحوا حقوقهم في روسيا إلا بعد [illegible] ١٩١٧ [illegible] ظهور تيارين متعارضين: أولهما يدعو إلى (رسالة ثقافية) وعلى هذا أكثر اليهود، والآخر، (وعليه قلة اليهود) وهم الذين يسمون باسم الصهيونيين يدعون إلى إيجاد ([illegible]) [illegible] القرن التاسع عشر وهذا الاتجاه الثاني هو الذي قاومته واضطهدته ألمانيا النازية فكان من أسباب النكبة الكبرى على أهل فلسطين والعرب والمسلمين عامة وتحمل وزره غير جارمه وكان هذا (مكافأة) لجميل الخلافة

إلى قداسة بابا الفاتيكان

(صاحب الافتراءات المتكررة على الإسلام)

نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر

(٢)



[illegible]

الأمين العام المساعد للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الظاهر والباطن: خطاب التزكية

[illegible]
مراعاة التلازم بين الظاهر والباطن وتكاملهما.. بإقامة الشعائر والمناسك الظاهرة، ومراقبة الخواطر والمشاعر الباطنة.. وهذا ما يجعل المسلم سائراً إلى
[illegible]
ظاهراً وباطناً، بحيث يتوازن كمال
[illegible]

والأمر في هذا هو كما يقول الإمام المربي
[illegible]
إليه من معانٍ وأخلاق رفيعة) فيها!»[1].
وهذا من مكارم الأخلاق العالية التي لم يبعث النبي الأكرم ﷺ إلا ليتممها (كما
[illegible]

ويتصل بهذا.. ضرورة أن يعمل الخطاب
[illegible]
وأقواماً ممن قصروا الاتباع على الهدى الظاهر الخالي من التزكية للروح والجوهر.

(١) الحكم العطائية، [illegible] ص ٢ (الحكمة العاشرة)، ط١

التنزيل والتأويل: خطاب التدين وخطاب التجديد

[illegible]
المثالي / الكلي) على واقع الناس للعيش
[illegible]
نقيض: من خفتت في نفوسهم دواعي الدين وكاد حضوره يتلاشى في حياتهم
[illegible]
الظاهرة من غير منهج متزن
[illegible]
بكفالة الله تعالى

﴿ [illegible] الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)

[illegible]
النزوع إلى «التدين» وتفجير ينابيعه في
[illegible]

[illegible]
الإسلامي إلى «فقه التدين» (منهج تنزيل
[illegible]
الشاطبي: «الاجتهاد المتعلق بتحقيق
[illegible]
(منهج فهم النصوص الدينية واستنباط الأحكام الشرعية بالتهاون بها.. من جهة،
[illegible]
يتعافى المسلم من علل «التدين المغشوش»[2] (كما كان يسميه الشيخ محمد الغزالي
[illegible]
تفريطاً وإفراطاً، إسرافاً وتقتيراً.

تراث السلف ومعارف الخلف: خطاب الأصل والعصر

ضرورة احترام تراث الأمة بوصفه إنجازاً
[illegible]
والتعامل معه دون تقديس ولا تبخيس،
[illegible]
بالنظر الفاحص والتأمل الواعي، والقراءة
[illegible]
ولنبني عليها من ثمّ - بما يناسب تغير الزمان والأحوال - ثقافة معاصرة تحقق
[illegible]

[illegible]
الموروث وإيجاب التقليد وغلق باب الاجتهاد - نظرياً أو عملياً - وبين جحود الموروث والخروج عن المذاهب جملة وفتح مصاريع باب الاجتهاد لكل من هب ودرج!

[illegible] (وبناء على ما سبق في «المنهجية المنهج.. والمذهب»).. احترام المذاهب المتبعة والمدارس العلمية المخدومة دون إغلاق
[illegible]
محله وتنظيم ما يتعلق بالمصالح والمقاصد
[illegible]
العوام عن التصدر في أمور الأمة العامة، أو
[illegible]

(٢) الإمام الشاطبي، كتاب الموافقات، ج٤/ ٨٩ - ٩٠

(٣) انظر: الشيخ محمد الغزالي، [illegible] ص٨٩ وما بعدها

الدقيقة التي لا تصلح لهم ولا يصلحون لها.. وقديما ألف أبو حامد الغزالي رسالة [illegible] عن علم الكلام».

و[illegible] يقتضي [illegible] الإلهي مصدرا معرفيا حاكما، واتباع الشرع الحنيف فيما أمر ونهى، وتحقيق مراد الله تعالى في الظواهر والبواطن (كل ذلك عبر منهج علمي موثق استغرق تأصيله وضبطه أعمار وجهود علماء أثبات مخلصين على مر القرون).

والاتصال بالعصر يقتضي كذلك استحضار روح العصر، وتحصيل أسباب الرقي المادي والتقدم الحضاري، والضرب بسهامنا في بناء الإنسانية بكل ما يمكننا.. وهو كثير!

التجديد والتحديد: خطاب الوعي

يتعين تجديد الخطاب الإسلامي، وإعادة النظر في كثير من قضاياه الفكرية و[illegible]، و[illegible] السلوكية المرتبطة به، ولكن ليس لأن مصلحة قوى مهيمنة هنا أو هناك تدعو إلى ذلك من خلال تبديد دور الإسلام وحضوره في المجتمعات المسلمة. وليس استجابة لدعوات الاغتراب الحضاري وعلمنة الإسلام وتفريغه من محتواه الجهادي والاجتهادي. ذلك.. أن التجديد الديني سنة كونية وقانون تاريخي عبر القرون [illegible]. ولأن الدواعي الموضوعية تدفع إلى التجديد، كي يستعيد الإسلام فعاليته العميقة في علاج المجتمعات الإسلامية، وحل المشكلات المعاصرة التي تواجه

المجتمعات والإنسان [illegible] التجديد لا يعني [illegible] يعني [illegible] على [illegible] و[illegible] [illegible]. و[illegible] ونتذكر كلمة الأمير شكيب أرسلان بهذا الصدد: «إنما يضيع الدين [illegible] وذلك [illegible] منه بجموده، وهذا يضلهم عنه بجحوده» [illegible] ومن لم [illegible] ومن لم يتقدم يتقادم».



شكيب أرسلان

الخصوصية والحرفية: خطاب الإبداع والاتباع

الأصل في [illegible] والوقوف [illegible] النبي ﷺ [illegible] عنه نهى

﴿ [illegible] ﴾

(الحشر: ٧)

والأصل في الدنيويات وأمور المعاش [illegible] الإبداع والتحديث، وعدم الركون إلى ما سبق علمه أو إنجازه. وقد قال النبي الأكرم - صلوات الله عليه - عندما التزم أصحابه حرفية إشارته إلى أمر من أمور النخل فقلت جودته:

«[illegible] أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر».

وفي الواقعة ذاتها قال أيضا: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

[illegible] على [illegible] يجب على الخطاب الإسلامي إيلاء مقاصد الشرع الحنيف أهمية قصوى، فهي التي تحدد اتجاه الفقيه عند الاجتهاد، [illegible] عند إبداء الرأي.. لاسيما في النوازل التي لم تعهد قبل، لأن من لم يحكم [illegible] يكلف ت يضطرب ولا يحسن فهم وعلاج [illegible] على [illegible] محدودة [illegible] محدودة.

والأمر في هذا يتلخص فيما قاله ابن قيم الجوزية محققا: «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها».

التهوين والتهويل: خطاب التوازن

[illegible] حقيقة [illegible] في [illegible] دون [illegible] إخسار؛ فالمبالغة دوما قبيحة تشوه الحقيقة تقرب البعيد، وتبعد القريب، وتظهر غبشا في الرؤية على الطريق. إنها استغفال [illegible] في [illegible] الناس، وهي ظاهرة في سلوك المجتمع [illegible] الخطاب الفكري والدعوي».

وفي المقابل.. يجب على الخطاب الإسلامي المحافظة على الوسطية في تناول جميع القضايا. فالمشكلة دوما في طرفين:

- طرف [illegible] الأعداء ومكرهم و[illegible] المؤامرة، إغراقا أقعدهم عن العمل يأسا!
- وطرف مستغرق بآلام جلد الذات كما يسميه فهمي هويدي استغراقا يدفعهم إلى [illegible] مشلول.

وواجب الأمة التي تحمل أمانة الخطاب الإسلامي أن تكون في مسار الفعل لا ردود الفعل، وهذا يستوجب [illegible] العدوان، ونشر العدل وأداء الحقوق.

[illegible]

الإمام محمد بن أبي بكر (ابن القيم) اعلام الموقعين، دار الكتب العلمية ١٩٩١م، ج٣ ص ١٢-١١

العقلانية والخرافة.. خطاب السُّنَّة

جعل الله تعالى [illegible] والأسباب والنواميس والقوانين معتمدة، وموضحة في تحقيق مقاصد [illegible]، وجعل من الإنسان مستوعب هذه السنن والأسباب بعد أن شرعها له وخاطبه بها، ودلل على فاعليتها بالعبرة التاريخية والحجة المنطقية والبرهان الحسي، وناط النجاح والفوز في الآخرة بالقدرة على استيعاب هذه الأسباب وحسن تسخيرها والتعامل معها.

[illegible] الإنسان [illegible] شيء من الماضي، ومظهر من مظاهر تحققه. ورؤية سنن الله تعالى المطردة هي ما يضفي التنظيم والمنطقية على أحداث التاريخ.

ومع وجوب الإيمان بقدره - سبحانه -. فقد حض الشارع الحكيم على مدافعة الأقدار بأضدادها، وهذا ما أشار إليه عبد القادر الكيلاني في كلمته العالية: «كثير من الناس إذا دخلوا القضاء والقدر أمسكوا (أي: امتنعوا عن الكلام فيهما).. وأنا انفتحت لي فيه روزنة (أي: نافذة معرفة)؛ فنازعت أقدار الحق بالحق للحق. والولي من يكون منازعاً للقدر.. لا من يكون موافقاً له» [illegible] وعلق عليه ابن تيمية بكلام نفيس: «وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان [illegible] أي: أن المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به، ويدفع ما نهى الله عنه، وإن كانت أسبابه قد قُدّرت.. فيدفع قدر الله بقدر الله (...)». فقد قيل لرسول الله ﷺ: [illegible] رقية نسترقي بها، ونتقي تقيها.. هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله».

وعندما تورع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في شيء من هذا قال: «نفر من قدر الله إلى قدر الله».

المضمون والأسلوب.. خطاب الجمال

ينبغي أن يكون مضمون الخطاب الإسلامي مبنياً على التأصيل المنهجي المعتبر لدى أهل العلم، والعرض ينبغي أن يكون بأساليب تناسب الأشخاص والأحوال. فلا يغني كون الفكرة حقاً وخيراً عن ضرورة مراعاة جماليات عرضها وطرحها، وإلا.. فكم من حق ضيعه أهله بسوء عرضه! وكم من خير لم يلق محبيا بقبح الدعوة إليه!

والأمر في هذا يتلخص فيما قال الحكماء: «من حسن القيام: مراعاة المقام».

ومن هنا.. لابد للخطاب الإسلامي من أن يكون مشبعاً بروح [illegible] أهل الوجدان، وينبغي عنه أرباب العقل، ويستوعب طاقة أهل الرياضة.

كما يجب أن يخاطب الروح والعقل والجوارح جميعاً [illegible] مع تركيز على إظهار قيم الجمال في الإسلام وربطها بالعقيدة، وتبيان مظاهر الجمال والزينة في كل أرجاء الكون.. من سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وحيوانات ذات جمال، ونباتات ذات بهجة؛ [illegible] خالق الكون جميل يحب الجمال، خلق فأحسن، وصور فأبدع، وقدر فهدى.

(يتبع)

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٣٠٣-٣٠٧)

التعليم والتنمية.. الهمُّ الجوهرى

أ.د. سيد دسوقى حسن
أستاذ هندسة الطيران والفضاء - جامعة القاهرة

التعليم الجامعى مرتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية، سواء كانت تنمية إنتاجية أو تنمية خدمية أو تنمية جمالية وثقافية.

فلسفة التنمية هى افراز اجتماعى تقوم على رعايته الدولة.. هذه الرعاية يمكن ان تكون فى الحماية التشريعية. ويمكن ان تمتد لتسهم الدولة فى العملية التنموية.

فى ظل الهيمنة الغربية الشهيرة بالعولمة اضطربت منظومة التنمية اضطرابا شديدا، وفقد التعليم امه الرءوم، واصبح تائها يتلفت ذات اليمين وذات اليسار. وليس الامر خاصا فقط بالتنمية الانتاجية، وانما بدا يمتد للتنمية الخدمية والثقافية.

[illegible] منظومة التعليمية [illegible] محكومة بالوضع التنموى السائد فى الدولة، ومن ثم بدأت تنضب المشاريع [illegible] التى كانت تأتى إلى الجامعة [illegible] وتلاميذهم. وتملى [illegible] النشاط الذى يؤثر على العملية التعليمية جميعها.

نضبت هذه المشاريع؛ لأن العولمة استأثرت بكثير منها، وحملتها إلى مكان بعيد لتسهم فى تنمية بلاد أخرى.

وبالطبع العولمة لا تعمل منفردة، وإنما لها قرينة شمطاء هى القابلية للعولمة [illegible] الاستعمار والقابلية للاستعمار).

والقابلية للعولمة هى الترجمة الحرفية للدناءة والخسة وحب الدنيا وكراهية الموت.

[illegible] مثلا [illegible] فى مراحل التعليم المختلفة ومنها الجامعات. المعروض أن إنشاء المعامل هو تدريب بسيط يشترك فيه الأساتذة مع طلابهم فى وجود تمويل لشراء بعض الأجهزة الخاصة والمكونات الإليكترونية والميكانيكية، ولكن الذى يحدث عندنا هو أن يفاجئ المسئولون فى الأقسام

والكليات بوجود تمويل للمعامل لابد أن يتحقق في خلال شهر من ترشيحه، وخاصة أن التمويل قرض من البنك الدولي.

ومع ظهور القرض يظهر في الأفق رءوس الوكلاء التجارية الذين أسميهم (الثموديون الجدد)، عاقرو ناقة التنمية. وخلال الشهر نوزع المواصفات التي تناسب شركات الوكلاء التجاريين، ويدخل القرض في معامل تصنع في بدرومات الدول الكبيرة بشركات تتكون من حفنة من المهندسين. حتى الهند دخلت هذا المضمار، وأصبحنا نستورد معامل للثانوي والابتدائي من الهند.. كيف يحدث هذا؟! هذا مثال جيد نتتبع فيه أخطاءنا..

ولا لا شيء يصنع نفسه من العدم. نحتاج أولاً: للدراسات عن أنواع المعامل المختلفة، وتجارب الشعوب من قبلنا، وارتباط ذلك بالعملية التعليمية، وأي ظاهرة طبيعية يحللها هذا الجهاز، ومجموعة التجارب المرتبطة به، وبالطبع الظاهرة نفسها نتدرج في فهمها وقياسها بتجارب بسيطة وأجهزة بسيطة، إلى تجارب معقدة بأجهزة متقدمة (مثل ظاهرة الطفو).. إن إنشاء الأجهزة وتصنيعها يصبح بعد ذلك أمرا سهلا إذا أعددنا التمويل المناسب، وأعطينا الوقت المناسب لعملية التطوير التي تأخذ وقتا معلوما، فإذا فرغنا من التطوير وأنجزنا عينة أولية أعطينا ذلك لبعض المصانع أو الورش لإتمام عمليات التصنيع

كل ذلك يحتاج لمنظومة بشرية مرتبطة بالبحث لأعلى التخصصات مثلا. إن هذه المنظومة البشرية لن تنظر فقط فيما سلف، ولكن ستنظر في السوق العربية والإفريقية، وربما العالمية لتوزيع المعامل المبتكرة والمصنوعة بأيدينا.

نخلص مما سبق أن التعليم الجامعي مرتبط ارتباطا وثيقا بمنظومة التنمية في الدولة، وأن مشاركته فيها بنشاط معقول في البحث والتطوير هو فرض عين على الدولة؛ ولذلك ينبغي ألا تكون هذه المهمة غائمة مائعة، إنما ينبغي أن يكون لها في الدولة جهاز راصد، يرصد توجهات الدولة التنموية، ويحدد قدر مشاركة الجامعة في كل ما تقدر عليه، ويفرض ذلك على الداخل والخارج. وأنا أسأل: لو فعلنا هذا في مشروعات الفضاء الكبرى (نايل سات ٢٢١) وطلبنا من الجهات الفرنسية مشاركة فعالة للجامعة المصرية على الصناعة الوطنية في الاضطلاع ببعض المهام البحثية.. لو فعلنا ذلك لحققنا عائدا وخفضنا بقدر مئات الملايين.

وأختم بملاحظة هامة حول الإعداد في التعليم الجامعي وعلاقة ذلك بالتنمية:

في الثمانينيات كنت في زيارة لسويسرا، وكان في انتظاري في المطار أخي الأكبر محمد منصور عميد كلية الهندسة الإلكترونية بجامعة زيوريخ (IETH)، وأخذني الدكتور منصور لنركب الترام من المطار لبيته، وفي انتظارنا القصير للترام أقبل صديق له فسلم عليه وعرفني به..

إنه وزير التعليم في سويسرا، وكان هو الآخر سيستقل الترام لمقصده، وبعد أن مضى الرجل سألت الدكتور منصور هل هذا الوزير مغضوب عليه؟ فضحك منصور وقال: أنت تفكر بعقلية مختلفة. ثم تضاحكنا وحكيت بعض القصص التي تعرفونها جميعا، ثم دار حديث حول التعليم. أخبرني منصور بهيكلية الإعداد في التعليم السويسري، قال: يدخل إلى التعليم كل الأطفال، وبعد المرحلة الابتدائية والإعدادية يتوجه ٩٠٪ للتعليم الحرفي، بينما يتوجه ١٠٪ للتعليم الثانوي. وبعد الثانوية العامة يتوجه قليل من الـ١٠٪ للتعليم الجامعي، بينما يتوجه الباقون للتعليم الفني، والتعليم هنا من أوله حتى نهايته مرتبط بمنظومة الأعمال التي تنبثق عن منظومة التنمية في سويسرا.

ولكن في مصر يريد الناس أن يحشروا أبناءهم في الجامعة؛ ليخرجوا منها إلى الشارع يبحثون عن كادر مؤهلاتهم تصلح لشيء مما هو مطلوب. بينما المهن والحرف التي ينبغي أن يتجه إليها أكثر من ٩٠٪ لا تجد من يعملها ولا من يقبل عليها.

وهكذا وجدت الجامعة نفسها بين سندان الانفجار السكاني ومطرقة العجز عن أن تنشئ الدولة من المؤسسات التعليمية ما يتسق مع منظومة التنمية، إن كانت هناك منظومة للتنمية!! وحشر في الجامعة التقليدية والنصيحة وما كل النصح، مع شيء من ذكاء قليل.

هذا هو هم الجامعة الثقيل، وكل هم آخر ينشأ معه، ولن يستطيع وزير وحده أن يزيح هذا الهم، إن الأمر يحتاج إلى فكر على مستوى الدولة ككل، ويحتاج إلى إرادة سياسية من قبل الدولة يترجمها الوزير وإخوانه بعد ذلك إلى خطط وميزانيات.

وأخيرا أشهد الله وأشهدكم أننا في كلية الهندسة جامعة القاهرة، خاصة في قسم الطيران حاولنا وما زلنا نحاول أن نحتال حول الضعف العام بجهود فردية، كان همها الأول هو أن نلبي مطالب التنمية الآنية والمتوقعة. والحمد لله رب العالمين وجدت المصانع المصرية والهيئات القومية في خريج قسم الطيران (الغوث والمدد)، ووجد الجيش في أبنائه الذين درسوا فيه دراساتهم العليا نعم الشباب.

إن البذرة المباركة التي وضعها شيخ هندسة الطيران في مصر والعالم العربي إبراهيم أدهم الدمرداش - عليه رحمة الله - قد آتت أكلها بإذن ربها وبجهود أبنائه المخلصين منذ عام ١٩٣٨م وحتى الآن، وإني أحسب أنه بقدر من الثقة في النفس والاعتماد على الله على مستوى الدولة والجامعة يمكن إصلاح أوجه الخلل القائمة في العملية التعليمية بسهولة ويسر. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها



رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي ... وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي

رموني بعقمٍ في الشبابِ وليتني ... عقمتُ فلم أجزعْ لقولِ عُداتي [2]

ولدتُ ولمّا لم أجدْ لعرائسي ... رجالاً وأكفاءً وأدتُ بناتي

وسِعتُ كتابَ اللهِ لفظاً وغايةً ... وما ضقتُ عن آيٍ به وعِظاتِ

فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ ... وتنسيقِ أسماءٍ لمُخترعاتِ

أنا البحرُ في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوّاصَ عن صدفاتي

فيا ويحكُمْ أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عزَّ الدواءُ أساتي

فلا تكلوني للزمانِ فإنّني ... أخافُ عليكم أن تحينَ وفاتي [5]

أرى لرجالِ الغربِ عِزّاً ومَنعةً ... وكم عزَّ أقوامٌ بعزِّ لغاتِ [6]

(١) رجعت لنفسي: أي [illegible]. والحصاة: الرأي والعقل. واتهمت حصاتي: [illegible] يقول على لسان اللغة العربية: [illegible]

(٢) العداة: الأعداء. يقول: [illegible]

(٣) الآي: جمع آية.

(٤) الأساة: جمع الآسي وهو الطبيب.

(٥) تكلوني: تتركوني. وتحين: تحل.

(٦) يقال: هو في منعة أي هو في قوم يمنعونه ويحمونه.

أتَوا أهلَهم بالمعجزاتِ تفنُّناً ... فيا ليتكُمْ تأتونَ بالكلماتِ

أيُطربُكم من جانبِ الغربِ ناعبٌ ... يُنادي بوأدي في ربيعِ حياتي [7]

ولو تزجرونَ الطيرَ يوماً علمتُمُ ... بما تحتَه من عثرةٍ وشتاتِ

سقى اللهُ في بطنِ الجزيرةِ أعظُماً ... يعزُّ عليها أن تلينَ قناتي [9]

حفظنَ ودادي في البِلى وحفظتُه ... لهنَّ بقلبٍ دائمِ الحسراتِ

وفاخرتُ أهلَ الغربِ والشرقُ مُطرِقٌ ... حياءً بتلكَ الأعظُمِ النَّخِراتِ [10]

أرى كلَّ يومٍ بالجرائدِ مَزلقاً ... من القبرِ يُدنيني بغيرِ أناةِ

وأسمعُ للكُتّابِ في مصرَ ضجّةً ... فأعلمُ أنّ الصائحينَ نُعاتي [12]

أيهجرُني قومي عفا اللهُ عنهمُ ... إلى لغةٍ لم تتّصلْ برُواةِ

سرتْ لوثةُ الإفرنجِ فيها كما سرى ... لُعابُ الأفاعي في مَسيلِ فُراتِ

فجاءتْ كثوبٍ ضمَّ سبعينَ رُقعةً ... مُشكّلةَ الألوانِ مختلفاتِ

إلى معشرِ الكُتّابِ والجمعُ حافلٌ ... بسطتُ رجائي بعدَ بسطِ شكاتي [15]

فإمّا حياةٌ تبعثُ الميْتَ في البِلى ... وتُنبتُ في تلكَ الرُّموسِ رُفاتي [16]

وإمّا مماتٌ لا قيامةَ بعدَه ... مماتٌ لعمري لم يُقَسْ بمماتِ

(٧) الناعب: المصوت بما هو مستكره. وربيع الحياة: أيام الشباب والقوة.

(٨) زجر الطير: هو أن ترمي الطائر بحصاة أو تصيح به، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاءلت به خيراً، وإن ولاك مياسره تطيرت منه. والعثرة: السقوط، والشتات: التفرق. يقول: لو استخدمتم [illegible] بزجر الطير، كما كان يفعل العرب، لعلمتم ما ينطوي عليه [illegible] من السقوط والتحقير.

(٩) القناة: الرمح، ولينها: كناية عن الضعف. ويريد بالأعظم من دفن في الجزيرة من العرب الأولين.

(١٠) النخرات: البالية المتفتتة.

(١١) المزلق: مكان الانزلاق، أي السقوط والزلل. والأناة: التأني والإبطاء. ويريد وصف لغة الجرائد [illegible] بالضعف.

(١٢) النعاة: جمع ناعٍ، وهو المخبر بالموت.

(١٣) لم تتصل برواة: أي لم ينقلها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من التغيير كما هو الشأن في العربية. ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة.

(١٤) اللوثة (بالضم): مس الجنون، ولعاب الأفاعي: سمها، والفرات: الماء العذب.

(١٥) الشكاة: الشكوى.

(١٦) تبعث الميت: تحييه، والرموس: القبور، الواحد رمس، والرفات: كل ما تكسر وبلي. يريد ما بقي من الجسد بعد الموت.

نماذج تاريخية للتعارف خلال الحرب والدبلوماسية

(اخيرة)

[illegible]

[illegible] المغول [illegible] الحروب مع [illegible]

لم يكن التعارف الحضاري بين عالم المسلمين وغيرهم قاصرا على العالم المسيحي شرقه وغربه، ولكن امتد إلى عالم المغول. ولقد [illegible] الشعوب الإسلامية من غرب [illegible] وحتى الشام ومصر، بأساليب المغول الوحشية في القتال والتدمير للأبنية الثقافية والحضارية وليس الجيوش فقط.

واقترن ذلك الهجوم الممتد عبر فترة زمنية [illegible] من جنكيز خان وهولاكو حتى تيمورلنك. اقترن بسلسلة من التحالفات [illegible] بين المغول [illegible] أوروبية في محاربة [illegible] المماليك [illegible] المغول [illegible] الفرنجة [illegible] لتكون لها نموذجا عن كيفية التفاعل بين الديني والسياسي بل وتوظيف الديني التبشيري من جانب أوروبا المسيحية في وقت متقدم وسابق على ما حدث بعد ذلك مع موجات الاستعمار الحديث [illegible] العسكري على العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا[2]. إلا أنه سرعان ما دخل المغول إلى الإسلام [illegible] من [illegible] بينهم وبين [illegible]

[illegible] بعد ١٢٦٠م وبعد عين جالوت حدثت علاقات عميقة حضرة على [illegible] المغولية التي تكونت على يد جنكيز خان [illegible] ومن ثم توزعت [illegible] في [illegible] المغول [illegible] (الإيلخانيون)، المغول القبيلة الذهبية في الشمال والتي تركزت في حوض الفولجا جنوب روسيا، مغول آسيا الصغرى (مملكة جغطاي)، [illegible] في [illegible] الشرق [illegible] خاصة أهم الثلاثة الأرقام حيث لعب كل منهم دوره في العلاقات المملوكية -المغولية، أو المملوكية -الصليبية في الشام أو المملوكية -الإفرنجية. ولقد تباين تأثير كل من هذه الأطراف المغولية الثلاثة على هذه العلاقات نظرا لاختلاف درجة وتوقيت انتشار الإسلام بينها ونظرا لصفة العلاقة فيما بينهم.

ويكفي [illegible] المغول في [illegible] الإسلام [illegible] علاقة [illegible] نذكره الأمور التالية:

١- مع بداية القرن الرابع عشر الميلادي [illegible] الأخير للقرن الثالث عشر الميلادي كانت الإيلخانية [illegible] قد تحولت إلى الإسلام وكانت [illegible] في [illegible] تأثير [illegible] بركة خان (١٢٥٦م-١٢٦٧م) (٦٥٢هـ-٦٦٥هـ) وتلاهما مغول آسيا الصغرى في التحول إلى الإسلام.

٢- لعب القبيلة الذهبية دور [illegible] في العلاقات [illegible] الإسلامية في هذه المرحلة التي فتحت أراضي روسيا (٦٣٣هـ-٦٣٥هـ) أي خلال العقدين الثالث والرابع من القرن الثالث عشر الميلادي. ومن ثم [illegible] تأثيرها على حدود [illegible] بعد [illegible] مع الإسلام [illegible] القبيلة الذهبية إلى الإسلام في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي تكونت كدولة إسلامية [illegible] إمارات وتسيطر على الإمارات المسيحية الروسية وعلى أوروبا الشرقية (من بحر البلطيق إلى البحر الأسود ومن شبه جزيرة القرم وعلى طول حوض الفولجا وحتى وصلت إلى حدود [illegible] التعبية عواصم خانات مسلمة مستقلة والتي دخلت بعضها في مجال السلطنات العثمانية [illegible]

ومن ناحية أخرى [illegible] المماليك في [illegible] مع [illegible] بركة خان [illegible] هولاكو [illegible] بيبرس في [illegible] الصليبية في الشام [illegible] الإفرنجية.

٣- مثلت الدولة الإيلخانية أي مغول فارس (والتي أسقطت الخلافة في بغداد) العدو الرئيسي للمماليك، واستمر الصدام بينهم [illegible] حتى بعد إسلامهم [illegible] كما كانت [illegible] مع [illegible] مع الممالك الإفرنجية ضد المماليك ولقد انهارت [illegible]

٤- أما المملكة المغولية الثالثة في آسيا الصغرى، فكانت في التأثير المباشر على العلاقات الدولية للعالم الإسلامي إلا فيما يتعلق

---

(١) [illegible] من التفاصيل انظر [illegible] العصر المملوكي، الفصل الأول، مرجع سابق.

(٢) انظر التفاصيل في [illegible] العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية (الجزء الثاني) تقديم أ.د سهيل زكار [illegible]

[illegible]

- رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦
- [illegible] العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة [illegible] عيسى، مراجعة وتقديم د سهيل زكار، دار حسان [illegible]
- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٤٨-٢٧٩
- Hodgson, The Venture of Islam (University of Chicago Press, Chicago 1971, Vol G M [illegible]

تحدث حين وفيهم وهي ما كسب موطن تيمور [illegible] مغربي [illegible] عدة بوحيد [illegible] بعد تفكك [illegible] العالم الإسلامي مرة [illegible] عن [illegible] [illegible] كان [illegible] وتحديه لاحقا، كما سنرى لاحقا، بقدر ما كان [illegible] على [illegible] الإسلامية وعلى العلاقات الإسلامية المسيحية.

[illegible] بين المغرب [illegible] حدود [illegible] بين المغرب [illegible] المغرب [illegible] كما [illegible] خارجية [illegible] أثر على أنماط تفاعلاتهم مع المماليك والقوى المسيحية[3]، ومن ثم على أنماط التعارف الحضاري بين المغرب [illegible].

نموذج "صدمة الغرب المباشرة: الحملة الفرنسية وبداية الهجمة الأوروبية الثانية على قلب العالم الإسلامي

[illegible] الهجمة في ظل [illegible] الاحتلال العسكري [illegible]

[illegible] تاريخ [illegible] تكشف [illegible] محملة [illegible] وباعتباره [illegible] التحدي [illegible] أعداء

كما [illegible] كل من

[illegible] العربية

طارق البشري، في المسألة الإسلامية المعاصرة

[illegible]

رضوان السيد

[illegible] هذه الرؤى الفكرية المعاصرة ترسم خريطة تحولات الفكر العربي والإسلامي في [illegible] لصدمة الاحتكاك الحديث بالغرب في مراحل مختلفة ومناطق عدة من العالم الإسلامي، وهي بهذا تقدم لنا قناة من قنوات حالة التعارف في ظل سياق دولي جديد.

والاهتمام بهذه الخرائط تحديداً وتحليلاً وتقييماً خلال القرون الثلاثة الأخيرة كان محل بحث علمي [illegible] استهدف دراسة كيفية تفاعل الفكر الإسلامي والعربي مع قضايا وإشكاليات العلاقة مع الغرب خلال هذه القرون الثلاثة، حيث أضحى [illegible] الغرب [illegible] للاهتمام ومصدراً للتحدي [illegible] للاستجابات، سواء باعتباره مستعمراً [illegible] باعتباره مصدراً للعلم والمدنية، وباعتباره

[illegible]

[illegible]

(٦) طارق البشري، سلسلة المسألة الإسلامية المعاصرة، ٥ أجزاء، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦.

(٧) [illegible] الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة (الصراع الفكري والحضاري)، مؤسسة نوفل، ط٢، ١٩٩٢.

(٨) رضوان السيد، مراجعة المطلب الإسلامي في حوار مع التحديات خلال قرن، منبر الحوار، العدد ٢٣-٢٤، شتاء ١٩٩٢.

(٩) [illegible] مصطفى، العلاقات الدولية في الفكر السياسي، مرجع سابق.

[illegible] معرفي ونقدي وعلى نحو غير مسبوق في مراحل [illegible] من العلاقات بين المسلمين والغرب [illegible] من حديد [illegible] على أرض المسلمين [illegible] على نحو [illegible] ينعكس على [illegible] وآثاره. ومن ثم، تولدت الأفكار والحركات [illegible] الغرب [illegible] من درجة ما من المعرفة به [illegible] لأي درجة [illegible] عمق معرفته [illegible] الاستقلال والنهضة؟

هل خلق [illegible] حضاري [illegible] دائرة حضارية بالدائرة الأخرى [illegible]؟

[illegible] هو تعارف [illegible] وقع في براثن الانبهار أو وقع في براثن الرفض والانغلاق؟

[illegible] الإشارة إلى أحد الإسهامات في دراسة الاستشراق[10] والتي لم تكتف بنقد الاستشراق [illegible] في بعض إسهاماته في دراسة الشرق.

ومن ناحية أخرى، [illegible] المستشرقين [illegible] في حوار بين [illegible] على الأسئلة الآتية:

- هل فهم المسلمون الغرب [illegible]؟
- هل فهموا [illegible] قوته وتمكنوا من مواجهته؟
- [illegible] لا يعرفون جيداً [illegible] عن الغرب؟
- [illegible] الإسلامي على [illegible] الغرب؟

[illegible] الأكاديميين [illegible] في [illegible]

[illegible] على المستشرقين الأكاديميين [illegible] لدى [illegible] الغرب [illegible] كان [illegible] وعدم قدرتهم على اتخاذ مسافة ما بينهم وبين أنفسهم عندما يدرسون موضوعاً يخص تراثهم [illegible] علمية، وعدم قدرتهم على [illegible]

[illegible] الغرب [illegible] مجتمعات [illegible] في [illegible] وغيرها [illegible]

---

(١٠) مجموعة مؤلفين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، مرجع سابق، ص[illegible]

(١١) المرجع السابق، ص١٠-١١

الأستاذ الجامعي لكل أنواع الهجرات والخصمات [illegible]
[illegible]
[illegible]
يعمل زميله الأوروبي لأنه يظل حانقا على منصبه [illegible]
كما أنه غير قادر دائما على مقاومة ضغط الشارع والأيديولوجيات التي تحتل الساحة والتي يصل [illegible]

[illegible] حانا من قنوات التعارف الفكرى للعرفى الأكاديمي الراهن بين "فعل الاستشراق الحديث" وبين فعل "الاستعراب" المأمول؟!

نموذج التطهير الثقافي الراهن بعد عودة الاحتلال العسكري في العالم العربي [illegible] مع بداية القرن الواحد والعشرين

يمثل احتلال أفغانستان ٢٠٠١ ثم احتلال [illegible] ٢٠٠٣ [illegible] "التعارف بين الغرب والإسلام" في مرحلة ما [illegible] الاحتلال العسكري بأدوات ثقافية وفكرية تتجه لشعبي الدولتين وشعوب العالم العربي [illegible] الأمريكية العالمية على الإرهاب" [illegible] بين أدوات الحرب والدبلوماسية وبين تغيير العقول والقلوب من خلال عمليات متعددة [illegible]

التاريخي خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين (وكامتداد للعقد الأخير من القرن العشرين) [illegible] على [illegible] مادي للمدني والثقافي لتحقيق مصالح [illegible] حضارى والسياسي التقليدي.

ومن المقطات ذات المغزى تلك المتصلة [illegible] دونالد بيكر في كتاب شارك في تحريره [illegible] التطهير الثقافي في العراق.

وفي هذا يصف [illegible] الحرب التي تلت الغزو العسكري الأمريكي بالحرب الحضارية[13] والتي تهدف محو الذاكرة الثقافية أو اغتيال العقل [illegible] العقل من كوادر بشرية ومنجزات فكرية [illegible] ومؤسسات، والحرب الحضارية التي يتحدث عنها المترجم هي حرب على حضارة تستهدف تصفية الوجود المعنوي للخصم الذي تمت هزيمته عسكريا حتى يسهل تشكيله بعد [illegible] حرب حضارية على العراق [illegible] تاريخية ممتدة سواء في التاريخ البعيد (في ظل نماذج الاسترداد السابق عرضها) أو في ظل سوابق أكثر معاصرة مثل ما حدث في البوسنة والصراع العربي -الإسرائيلي مستهدفا تدمير عناصر الذاكرة البشرية والمادية.

ومن ثم [illegible] والتفاصيل المتصلة بدلالة العنوان على تاريخ

[illegible]

[illegible] هذا المفهوم [illegible] الهدى المحرق العرب الحضارية الأولى، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥

[illegible] عرقي [illegible] القتل أو التهجير أو القهر، تطهير العقول، الضحايا من الأقليات.

خلاصة القول بعد هذا المحور الثاني

إن النماذج التاريخية التي تضمنها المحور الثاني تعكس [illegible] التعارف حولها ومن خلالها [illegible] المحور الأول "الكلية" تعكس التقابل بين [illegible] وعربي مسيحي [illegible] ومن خلال مراحل مختلفة من حيث [illegible] الحرب والدبلوماسية.

كما [illegible] متعددات، حديثة ومعاصرة [illegible] الأول، فهي ليست حقبة كلية ممتدة [illegible] نماذج تتصل بسياق زمني [illegible] عن [illegible] محددة، في [illegible] كل نمط.

محاور أخرى مقترحة:

وأخيرا، وإلى جانب نماذج [illegible] دوى [illegible] حربية عسكرية ودبلوماسية بين شعوب [illegible] الإسلامية والعربية، فإنه يمكن التفكير في محورين حرين [illegible] يحتاجان إلى رصد وتحليل نماذجهما للتعارف بين شعوب [illegible]

[illegible]

[illegible]

المحور الثالث: التعارف وتشكيل [illegible] في ظل تجديد القوة الإسلامية [illegible] من هيمنة الدولة العثمانية [illegible]

وهنا: يمكن رصد النماذج [illegible]

(١) نموذج التعارف في ظل الامتيازات للأجانب ونموذج المراسلات الدبلوماسية والمعاهدة من موقع القوة العثمانية (القرنين [illegible]
[illegible] التعارف في ظل نفس هذه الأنماط ولكن في إطار الضعف والتراجع العثماني (القرنين الثامن عشر [illegible] عشر).

(٢) نماذج [illegible] في ظل تحدى الفتوح العثمانية من الشرق[14].

(٣) نموذج أزمة العلمانية وتحديات مراجعة الهوية الأوروبية في ظل إشكاليات: التعددية [illegible] الوجود المسلم في أوروبا والولايات المتحدة خلال القرن العشرين. وتتعدد محطات اختبار [illegible]

(١٤) [illegible] مصطفى، العصر العثماني، مرجع [illegible]

(١٥) من هذا الصدد انظر
Tomas Mastna, Islam And Creation Of European Identity, University Of Westminster, 1994

[illegible]
- نادية محمود مصطفى (محرر)، الجوية الإسلامية في أوروبا [illegible] المعهد الفرنسي، أعمال الندوة التي عقدت في ٢٨-٢٩ فبراير ٢٠٠٤، جامعة القاهرة، برنامج حوار الحضارات [illegible]
- أعمال ندوة المسلمين في أوروبا [illegible] (في) د. نادية محمود مصطفى ود. سيف الدين عبد الفتاح (تحرير علمي [illegible]) [illegible] (مراجعة)، أزمات حوار الثقافات والأجيال، سلسلة حوارات الموسم [illegible]

المحور الرابع: نماذج من الصور والرؤى المتبادلة بين أعلام الفكر الإسلامي، وأعلام الفكر الاستشراقي القديم والحديث عن مسارات تطور التعارف المعرفي والفكري والخصائص المقارنة بين الحضارتين الإسلامية والغربية [illegible]

ومن هذه الصور المتبادلة نذكر وجهي العملة التالية: من ناحية الرؤى المقارنة [illegible] توماس أرنولد، مارسيل بوازار، وودولف بيترز، ومن ناحية أخرى رؤى إسلامية حول كيفية تطور استجابات الفكر والحركات الإسلامية للتحديات الغربية الحديثة[17].

خلاصة القول

بعد القراءة في هذه النماذج التاريخية يمكن الإشارة إلى الأبعاد الثلاثة التالية:

من ناحية: أن تناول "التعارف" تأصيليا أو كعملية لا يمكن أن يكون مرسلا فلابد من تحديد السياق، والمجال [illegible] في المقولات عن آثار التاريخ على تشكل الصور النمطية المتبادلة. فإذا كان لا يمكن إنكار هذه الصور، فلا يمكن أيضا قبول الدعوة إلى تجاوزها كما لو لم تكن قائمة أصلا. ولذا نحن في حاجة إلى رصد النماذج التاريخية المتنوعة والقراءة المقارنة في دلالاتها التاريخية والراهنة.

دون الوقوع في [illegible] سياسية محددة.

[illegible] والتعارف وآلياته وكذلك وظيفته.

[illegible] على سبيل المثال - أن من مجالات التعارف: التجارة والدعوة، وتبادل الأفكار والمعارف وتبادل الصور، والتعارف بين المعتدي والمعتدى عليه. أما عن سبل التعارف فلقد [illegible] وأنها طريق ذو اتجاهين من حيث المكاسب [illegible] البشري لا يمنع الجهاد العسكري ولا [illegible] يلعبون دورهم في هذا التعارف إلى جانب [illegible] الاختلاف فيما بين رؤى العالم والنماذج المعرفية يلعب دوره في نمط التعارف. والأهم هو أن إدراك الذات الحضارية وثوابتها، يتأكد من خلال عمليات التعارف، ويصبح هذا الإدراك من عدمه منطلقا إما لمقاومة حضارية أو خضوع [illegible]

[illegible]: إلى جانب التعارف بين [illegible]، فإن التعارف يمتد أيضا إلى الثقافات التي تنتمي لنفس الحضارة. ومما لا شك فيه، أن نماذج التعارف بين أقوام وشعوب وثقافات الحضارات العربية الإسلامية الجامعة لا تقل أهمية عن نماذج

[17] انظر: د. نادية مصطفى: العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق.

[illegible] التعارف بين الحضارات إلا أنها لابد وأن تنطلق من مقولات وافتراضات أخرى. فما هي؟ وكيف نختبر هذه النماذج؟ وما [illegible] وما أوجه الاختلاف مع [illegible] التعارف بين حضارات مختلفة؟

ونكتفي هنا بالأمور التالية:

- إن النماذج التاريخية للعلاقات بين شعوب وأمم وثقافات الحضارة العربية الإسلامية [illegible] أو ضعف وحدة أو تجزئة، فتوحات أو استعمار.
- إن النماذج التاريخية للعلاقات بين الأقوام التي كونت أركان الأمة تاريخيا، تقدم دلالات واضحة ومهمة لابد من دراستها ومقارنتها في سياقات متنوعة لنعرف هل التعدد والتنوع في ذاته موجبا للصراع أم أنه محرك للتدافع وفق طبيعة الأطر القائمة. هذه الأقوام هي: العرب، والترك والفرس.
- [illegible] الاهتمام بهذا النمط من التعارف. فالتعارف البيني مثل الحوار البيني من أهم الشروط المسبقة للتعارف والحوار مع الآخر[18].

ومن ناحية ثالثة: أن النماذج التاريخية لا تكتسب أهميتها لذاتها، ولكن بقدر القدرة على التدبر في دلالاتها بالنسبة للأوضاع الراهنة التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية، وخاصة في [illegible] نموذجا تاريخيا يقتضي الرصد والتدبر.

[18] من الدراسات المعاصرة التي اهتمت بهذا المجال من منظور حضاري إسلامي انظر:
- د. نادية محمود مصطفى، د. ماكيلام الشرقاوي (تنسيق علمي وإشراف)، أسامة أحمد مجاهد (تحرير ومراجعة): إيران والعرب [illegible] ٢٠٠٩.
- د. ماكيلام الشرقاوي، د. نادية مصطفى (تنسيق وإشراف)، أسامة مجاهد (تحرير ومراجعة): تركيا جسر بين حضارتين، جامعة [illegible] (تحت الطبع).
- د. إبراهيم البيومي غانم، د. ماكيلام الشرقاوي (محرران): أعمال مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: حركات مقارنة مع حركة فتح الله كولن (أكتوبر ٢٠٠٩)، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، القاهرة (تحت الطبع).
- د. نادية مصطفى، د. سيف الدين عبد الفتاح (تنسيق علمي وإشراف)، أ. محمد كمال محمد (مراجعة وتحرير): ثقافات متنوعة في [illegible]
[illegible]
- د. جميل الحسيلي: العرب والأتراك: الانبعاث والتضامن من العثمنة إلى العلمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩١.
- د. وجيه الكوثراني: الفقيه والسلطان: دراسة في تجربتين تاريخيتين: العثمانية والصفوية - القاجارية، منشورات المركز العربي [illegible]
- العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٣.
[illegible]

وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا

[illegible]

[illegible] السياسية و[illegible] الإسلامي

[illegible] الإسلام [illegible] وعلى مراحل انتشاره ظهرت الزعامات الدينية [illegible] في [illegible] التاسع عشر وبداية القرن العشرين. والتي [illegible] الاستعمارية باسم الإسلام مما أسهم في زيادة انتشاره.

[illegible] في إفريقيا العديد من [illegible] التي ظهرت [illegible] عائلات عارفة بالإسلام وجميعهم أفريقيون ولكن يرجعون عادة أصلهم وأنسابهم [illegible] في اللغة العربية والشريعة الإسلامية. ومن السمات المشتركة بينهم [illegible] أنهم كانوا زعماء روحيين صوفيين وأن كلا أسس طريقة خاصة به. [illegible] جميعا ـ فيما عدا عثمان دان فوديو ـ فترة من التعلم والتعليم في مكة والأماكن المقدسة ومروا بمصر والأزهر ومعظمهم مكث هناك لسنوات باستثناء [illegible] ثلاثة أسابيع، وفي مصر لشهور قليلة. كما [illegible] الاستعماري ـ فيما عدا عثمان دان فوديو الذي توفي قبله واستمر ابنه محمد بللو [illegible] الاستعمار الغربي في أفريقيا [illegible] بصفة عامة مقاومة من جانب الزعامات الإسلامية ولم يستقر [illegible] على تلك الدول والزعامات الإسلامية [illegible].

وقد توافرت في حالة كل من الزعامات مقومات النجاح السياسي: حيث القيادة [illegible] الإسلام كعقيدة وكثقافة وكأيديولوجية أعطى دفعة كبيرة من النجاح السياسي للزعامات الكاريزمية. أي توافر الإطار العقائدي والإطار التنظيمي اللازم لنجاح الدولة التي استخدمت الإسلام كقوة دافعة.

[illegible] في مجال [illegible] الإسلام [illegible] في إفريقيا كثيرا ما تشير لتلك الحركات الدينية السياسية التي ظهرت في القرن التاسع عشر باسم المهدية، [illegible] مفهوم المهدية بالنسبة لغالبيتها يقتصر على قلة قليلة منها لا يجوز التعميم على أساسها.

(١) انظر: Martin, op. cit.

ومن المراجع العربية الأساسية انظر الأثوري: الإسلام في نيجيريا وقد اعتمدنا اعتمادا كبيرا على هذا المرجع.

عثمان دان فوديو: وجهاد الفولاني في شمال نيجيريا

كان عثمان دان فوديو ـ والمعروف بالعربية باسم عثمان بن فودي أو عثمان بن فوديو وفي بلده شيخو (الشيخ وتنطق سيكو) ـ من أهم الزعماء المسلمين في غرب أفريقيا [٢] وهو من المصلحين الدينيين: فقد كان زعيما روحيا وكاتبا، وكانت تعاليمه وكتاباته [illegible] الانتشار والتأثير في غرب أفريقيا. وكان عالما وفقيها وأديبا ومحدثا في العلوم الشرعية [illegible] في تعلمه وتعليمه حتى تخرج على يديه [illegible] من العلماء ممن بلغوا مرتبة الاجتهاد المذهبي في الفقه [illegible] الانتشار في غرب أفريقيا [illegible] وقد كان لزعامته وتعاليمه الفضل في قيام دولة إسلامية للفولاني في مناطق الهوسا، كما كانت [illegible] في المناطق [illegible].

وقد تزعم جهاد الفولاني الذي كان وراءه الصراع السياسي التقليدي بينهم وبين الهوسا. وساعده في جهاده ابنه محمد بللو وأخوه عبدالله [٣]. وقد اعتبر البعض تلك الحركة صدى [illegible] الصوفي في [illegible] الأوسط [illegible] الإصلاحية [illegible] في الجزيرة العربية، إلا أنها مثلت بدرجة أكبر جهودا محلية ترمي للإصلاح الإسلامي كرد فعل لتردي أوضاع المسلمين في المنطقة. وذلك بتطبيق [illegible] إسلامي جديد أساسه التركيز على المصادر الأصلية للشريعة مع الأخذ في الاعتبار البعد الثقافي المحلي. ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن عثمان دان فوديو ـ على خلاف الزعماء الإسلاميين الأفريقيين الذين نهضوا في القرن التاسع عشر ـ لم يقم بزيارة الأراضي المقدسة، ولم يكن له احتكاك بالحركة الوهابية بل إن حركته في انتشارها سبقت

(٢) ومصادرها الفولانية [illegible] انظر وللمزيد من المعلومات: المرجع السابق، ص٩١. انظر أيضا: Martin, Op. cit, p.p. 13-12

(٣) ولد عثمان دان فوديو في شمال مناطق الهوسا في [illegible] وذلك في عام ١٧٥٤م وتوفي عام ١٨١٧ [illegible] ١١٦٩هـ). أما أخوه عبدالله فقد ولد عام ١٧٦٦، أما ابنه محمد بللو فقد ولد عام ١٧٨١. وقد [illegible] من عشيرة [illegible] الهوسا في القرن الخامس عشر حيث [illegible] في تلك البلاد وهو من طريقة [illegible].

(٤) من مؤلفاته: [illegible] ومصباح [illegible].

(٥) الأثوري، الإسلام في نيجيريا ـ مرجع سابق، ص٩١، ٩٥.

(٦) د. [illegible] أحمد العراقي، [illegible] محمد بللو بن الشيخ عثمان دان فودي ـ من علماء غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، في ندوة العلماء الأفارقة، ص ٣٥٧ - ٣٦٥.

ومن أهم كتابات الشيخ عبدالله [illegible] انظر لمزيد من المعلومات: عمر أحمد سعيد، [illegible] الشيخ عبدالله بن فوديو، دراسات أفريقية، المركز الإسلامي الأفريقي، الخرطوم، العدد الأول، رجب ١٤٠٥هـ - أبريل ١٩٨٥م، ص [illegible]

حركة توحيدية [illegible] بعدها من الاختلاف بين الحركتين[illegible].

وقد اعتمدت الحركة [illegible] على الطريقة القادرية [illegible] من المسلمين الذين ينتقدون الاعتقادات البدعية التي عمت على [illegible] مع بعض المعتقدات غير [illegible] الذين [illegible] التوفيق [illegible] والتوفيق بين الإسلام و[illegible] التقليدية. كما [illegible] غير [illegible] و[illegible] وتعتبر [illegible] عليهم.

وعثمان دان فوديو ينتمي لعشيرة تسمى توروديي أو توروب أو توروذ [illegible] يسميهم [illegible] بكلمات [illegible] مرادفة للفولاني[illegible] وقد كانت تلك العشيرة نواة الأساسية للدولة الإسلامية [illegible] التي [illegible] ترعاها عثمان دان فوديو في [illegible] وقد تميزت العشيرة بتفوقها العلمي [illegible] دراسة قواعد الدين الإسلامي وتمسكهم [illegible] وكانوا [illegible] على صلة بالتطورات السياسية والثقافية في المناطق الإسلامية الأخرى في [illegible] ومن ثم [illegible] لأنفسهم تقاليد ثقافية إسلامية [illegible] ووصل بعضهم إلى مستوى عال في الثقافة. [illegible] منهم للأراضي الحجازية للحج وبقي بعضهم في مصر [illegible]

حيث [illegible] الأفكار الإسلامية من [illegible] ومنهم [illegible] ثم [illegible] حيث [illegible] على حضارة إسلامية ومع تفوقهم العلمي والحضاري [illegible] كانوا [illegible] لغيرهم من الشعوب [illegible] بين [illegible] فقد كانت [illegible] بحكم [illegible] بعضهم في [illegible] ولبعض الآخر في [illegible] سياسي وقد [illegible] فوديو بين [illegible] و[illegible] و[illegible] الصحيح في المجتمع وكان هناك [illegible] بين متعلمي الفولاني ومتعلمي توروديي كما [illegible] وقد [illegible] التوروديي بطرق الاجتماعية [illegible] من [illegible] عن [illegible] للمجتمع نتيجة وجود [illegible] من الهوسا [illegible] التقليدية و[illegible] المسلمين [illegible] يحتفظون [illegible] صغيرة من المسلمين (الفولاني والطوارق والعرب وبعض الهوسا المسلمين [illegible]) وهؤلاء تطلعوا في [illegible] حكومة مسلمة ومؤسسات [illegible] إسلامية في ظل [illegible] إسلامية وكان بعض منهم [illegible] لعودة الدولة الإسلامية في الماضي (مثل [illegible] في ظل [illegible] الراشدين الأربعة و[illegible] العباسية) وقد [illegible] عدد من [illegible]

من المسلمين في مناطق [illegible] في القرن الثامن عشر [illegible] من [illegible] مع [illegible] الهوسا [illegible] [illegible] و[illegible] للإسلام [illegible] الأمة [illegible] الإسلامي [illegible]

وقد وجد هؤلاء [illegible] في عثمان دان فوديو [illegible] في [illegible] من عشيرة توروديية معروفة كما سبق ذكره [illegible] وقد [illegible] القرآن صغيرا و[illegible] في [illegible] الفقه الإمام مالك و[illegible] الإسلامية كما درس الشريعة الإسلامية والأدب العربي [illegible] في تدريس عثمان دان فوديو [illegible] [illegible] محمد [illegible] جبريل بن [illegible] في [illegible] و[illegible] في [illegible] و[illegible] وقد كان جبريل [illegible] على [illegible] عثمان دان فوديو [illegible] الأخير [illegible] من [illegible] نتيجة [illegible] إلا أنه اتفق معه في [illegible] على [illegible] في [illegible] السودان الغربي [illegible] يعرف [illegible] التكرور.

و[illegible] فقد بدأ عثمان دان فوديو في التفكير في الإصلاح الإسلامي مع [illegible] على [illegible] وبدأ الدعوة [illegible] من سن العشرين. [illegible] من موطنه في [illegible] قرب [illegible] [illegible] الإسلام و[illegible] حوالي ١٧٧٤م.

وقد [illegible] الشيخ عثمان دان فوديو [illegible] تقوم على أن أصول الإسلام هي الكتاب والسنة والإجماع [illegible] والاجتهاد [illegible] واسع فيما اختلفوا فيه ومن [illegible] لا [illegible] من المذاهب الفقهية [illegible] على حق وقد [illegible] إلى [illegible] التي تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنها بدع يجب [illegible] واعتبر [illegible] بين [illegible] الإسلام ومعتقدات [illegible] نوعا من [illegible] يستوجب [illegible] مثل [illegible] كما ربط بين الإسلام والكفر [illegible] الإسلام والكفر [illegible] على دين ملوكهم وفي حالة بلاد الكفر يستوجب الأمر إعلان الجهاد عليها و[illegible] منها إلى بلاد الإسلام واعتبر من عداد بلاد الكفر التي يجوز إعلان الجهاد عليها تلك التي لا تحكم بالشرع.

(٧) لمزيد من المعلومات انظر: الأوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص٩٩ – ١٠٢ حيث يتناول بالتحليل أوجه الخلاف بين [illegible]

وعن الاتحاد المعارض لها انظر: ص١٤٥ – ١٦٣

[illegible]

[illegible] في عهد العربي، ورقة ثقافية، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧، [illegible]

[illegible] في الطريق للحج من مكة واستقروا في حي بولاق الدكرور الذي يستمد اسمه من تكرور الذي أصبح تكرور مع مرور الزمن.

[illegible]

ولقد ذاع صيته بين حكام الهوسا نتيجة تعاليمه ودعوته وحقيقته بعض بين شعبه وقد دعمت صورته بعد فشل محاولة حاكم عوبير ... في قتله وبعد أن أصبح معروف أنه هو وأتباعه يراكمون الأسلحة والعتاد. ولم يتوقف عن الكتابة بالعربية (والتي كانت موجهة للفئات الأكثر تعليما) والفولفولدى (وهي اللغة الشائعة بين الفولاني).

ويقول عن نفسه إنه عندما بلغ السادسة والثلاثين من عمره رفع الله عنه الحجاب وصح يرى الأشياء البعيدة قريبة ويسمع الأصوات البعيدة كما أصبح يشم الرائحة الطيبة لمن يعبدون الله والرائحة السيئة للمخطئين. وفي سنة ١٧٩٤م كانت له تجربة أخرى أقنعته بأنه يمتلك تأييدا إلهيا حيث يذكر أنه وبعد أن بلغ الأربعين - بخمسة شهور - ... أحمد الله إليه ... سيدنا محمدا مع الصحابة والأنبياء والقديسين ثم جاء عبدالقادر الجيلاني - مؤسس القادرية - يلبس رداء أخضر مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأنه قلده سيف الله ليستخدمه ضد أعدائه[١٢].

ومنذ ذلك التاريخ أصبح عثمان دان فوديو مقتنعاً بضرورة المواجهة العسكرية مع حكام الهوسا، خاصة حاكم عوبير الذى قام عام ١٧٩٧م بإيقاف الدعوة الإسلامية وتقييد حرية المسلمين. وهو ما أوضحه محمد بللو ابن عثمان دان فوديو في رده على محمد الكانمي - أحد علماء عصره وهو من برنو - الذى أرسل لعثمان دان فوديو يلومه على ما سمع من محاربته لحكام عوبير وبرنو وغيرهم رغم إسلامهم مخالفة لشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. حيث ذكر: «فلم يرعنا إلا إنذار من أمير عوبير بثلاثة أمور: أنه لم يرض لأحد أن يعظ الناس إلا الشيخ وحده، ولم يرض لأحد بالإسلام إلا ... ومن لم يرث الإسلام فليعد إلى ما عليه آباؤه وأجداده، وألا يتعمم أحد بعد اليوم ولا تضرب امرأة بخمارها على جيبها»[١٣]. وكان هذا الإنذار هو ... القشة التي قصمت ظهر البعير. حيث قرر عثمان دان فوديو - الذى كان قد سلح أتباعه - الهجرة مستنا بالرسول وتمشيا مع قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾

(النساء ٩٧).

فنقل مقره إلى جودو وهي إلى الشمال الغربي من موطنه كما أنها على حدود عوبير.

وقد تبع الهجرة إعلانه الجهاد الذى بدأ في ١١ فبراير عام ١٨٠٤م واستمر أربع سنوات. وقد حقق بالفعل نصرا كبيرا على حاكم عوبير. وأعلن الخلافة في الدولة الإسلامية التي أنشأها تطبيقا لأيديولوجيته التي بلورها، على نمط الخلافة في صدر الإسلام وعاصمتها صكتا[١٤].

وجاء النصر بحلفاء جدد لعثمان دان فوديو خاصة من الرحل الفولاني ممن كانوا يراقبون الأحداث لينضموا للمنتصر سعيا وراء الغنائم أكثر منه حماساً للجهاد. هذا وقد قام الكانمي بمحاربة جيوش فوديو واستطاع استرداد برنو ونصب نفسه حاكماً عليها كدولة إسلامية. وقد ظل أبناؤه يحملون لقب شيخ حتى الآن.

وقد أسهم جهاد (الفولاني) في ظل عثمان دان فوديو إسهاما كبيرا في نشر وتعميق الدين الإسلامي في نيجيريا والمناطق المحيطة في القرن التاسع عشر، وقد دامت دولته التي أسسها على النظام الإسلامي مائة عام قبل الاستعمار الإنجليزى لنيجيريا، حيث استمرت من بعده في ابنه محمد بللو الذى تولى الخلافة من بعده وفي آل بيته من بعده[١٥]. وقد استطاعت الإدارة البريطانية أن توقع معه معاهدة صداقة في ١٨٢٦م، ولكن توسعها في المنطقة لقي مقاومة من السلطان ... محمد بللو، الذى ما لبث أن هزم وهاجر، ولكن تتبعته القوات البريطانية وقضت عليه وعلى معظم أعوانه والعلماء المصاحبين له، مما أدى إلى سقوط الخلافة في أيدى البريطانيين عام ١٩٠٣م.

ولكن لم يتم القضاء على الدعوة الإسلامية ولا على صورة عائلة دان فوديو ... بالذكر أن أحمد بللو - رئيس وزراء شمال نيجيريا الأسبق - وهو من ذرية عثمان دان فوديو - قد ختم حياته بالدعوة الإسلامية، وتحولت على يديه مناطق كبيرة وقرى بأكملها ممن يدينون بالديانة التقليدية والمسيحية في شمال نيجيريا للإسلام. الأمر الذى كانت تنشره الصحف اليومية والإذاعات المحلية في شكل أرقام حيالية.

❊❊❊

(١٢) انظر MARTIN, OP. CIT. P. 30

(١٣) ... مرجع سبق ذكره ...
وعن الرد كاملا، انظر ص ١٢٥ - ١٣١، وعن أصل رسالة الكانمي التي كان الرد السابق عليها، انظر ص ١٣٣ - ١٣٥

(١٤) ... محمد ... مرجع سبق ذكره ص ...

(١٥) لمزيد من المعلومات عن دولة بنى فوديو انظر د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١

(١٦) ... مرجع سبق ذكره ...

قراءة فى كتاب

الحل الإسلامي فريضة وضرورة

سبق أن عرضنا للمؤلف كتاب «الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا»، وهذا الكتاب الذى بين أيدينا هو استكمال لهذه السلسلة [illegible] أعوام [illegible] حتى يسّر الله له الأسباب، وتأخرنا – نحن أيضا – فى عرض هذه الكتب فى هذه الأونة، مع فى وقت هى أشد حاجة إلى الاطلاع على كل فكر جاد يضيئ لها الطريق.

ونذكر القارىء الكريم – فى عجالة – أن المؤلف [illegible] فى كتابه الأول فشل كل من الحل الليبرالى والحل الاشتراكى، وأشار إلى أن الحل الإسلامى إنما هو الحل البديل المنشود.

المؤلف: هو الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى [illegible] وحفظ القرآن وجوده وهو دون العاشرة، وأتم تعليمه فى الأزهر الشريف، حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣ م، وعلى [illegible] عام ١٩٥٤ م، وحصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣ م، وقد قدمت مجلة الأزهر تعريفا بفضيلته عند الكلام عن الجزء الأول من كتابه هذا تحت عنوان «الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا»، نشر بعدد ذى القعدة ١٤٣٢ هـ، ص ١٩٦٩

[illegible] وسبعين صفحة من قطع ١٧ x ٢٤ سم، الناشر مكتبة التقوى.

ويشمل عدة أبواب، الأول منها تحدث فيه عن [illegible] الحلول المستوردة وأن أمتنا ترفض الحل الشيوعى شكلا وموضوعا، إجمالا وتفصيلا، أما [illegible] شيوعية [illegible] مذهب [illegible] أساس وجودنا، ومحور حياتنا.

[illegible] فهى [illegible] وكل ما يترتب عليه من حقوق وأنظمة: [illegible]

[illegible] والاجتماعية؛ فهى لا تؤمن بقيم ثابتة، فكل شىء فى فلسفتها قابل للتغيير، بل واجب التغيير، فما كان حراما بالأمس قد يكون حلالا غدا أو بعد غد، أما نحن فنؤمن بأن ما أحله الله فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرمه فهو حرام [illegible]

[illegible] فهى مذهب متطرف ونحن أمة وسطا، نؤمن بالإخاء وهى مذهب يدعو إلى الصراع الطبقى، نحن ندعو إلى الرفق وهى تدعو إلى العنف [illegible]

[illegible] وهو ما تناوله فى الباب الثانى.

[illegible] فى قطع يد السارق وجلد الزانى أورجمه [illegible]

ويشير المؤلف إلى أن «الحل الإسلامى» أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع فى كل الميادين وكل المجالات، مادية ومعنوية، وأن تكون عقيدة المجتمع إسلامية، ومفاهيمه إسلامية وأفكاره [illegible] إسلامية [illegible] إسلامية

وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل – [illegible] عدة عناصر يحتضنها مجتمعنا فى كافة النواحى: الأخلاقية والروحية – التربوية والثقافية – الاجتماعية والاقتصادية – العسكرية والسياسية، الداخلية والخارجية، والتشريعية.

ونتوقف عند بعض ما قاله المؤلف عن الناحية الاقتصادية، إذ يرى المؤلف أن ما يدعيه الكثيرون أن الدين لا يعنى بالجانب المادى الذى هو مجال الاقتصاديين، إنما هو [illegible] أخرى فإنه لا يصح فى الإسلام لأن القرآن اعتبر المال قواما للحياة فقال

﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ﴾

(النساء: ٥)

وغيرها كثير..

وقال ﷺ: «يا عمر نعم المال الصالح مع الرجل الصالح» [illegible] إسناده قوى على شرط مسلم، وأخرجه أحمد ١٩٧ / ٤

وأشار القرآن والسنة إلى أهمية المؤثرات الاقتصادية فى السلوك البشرى فى مثل قوله:

﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾

(الأنعام: ١٥١)

وفى مثل قوله ﷺ: [illegible] صحيح البخارى (٦ / ١٦٦)، باب الدعاء قبل السلام.

ويشير المؤلف إلى أن الإسلام أقام نظامه الاقتصادى على إقرار الملكية الفردية، ووضع لها [illegible] وقيودا [illegible] وفى ذلك عتبر المالك الحقيقى للمال هو الله تعالى، والناس أمناء عليه أو وكلاء فيه، وبتعبير القرآن مستخلفين فيه.

من أجل ذلك يرى المؤلف ضرورة عناية الحل الإسلامى بالناحية الاقتصادية، أن أبرز ما يراعى فيها:

١- إتاحة العمل الملائم لكل مواطن قادر باعتبار العمل حق له وواجب عليه.

٢- عطاء الأجر العادل لكل عامل بما يكافئ عمله ويعطى حاجته بالمعروف، فقد أعطى النبى فى الفىء العزب حظا والآهل حظين، وهناك أحاديث من الشواهد التى تؤكد ذلك من أعمال النبى ﷺ، وهو ما يميز الإسلام عن النظرية الاشتراكية التى تعطى كلا حسب عمله فقط.

٣- جباية الزكاة من كل الأموال: ظاهرة كالثروة الحيوانية والزراعية، وباطنة كأموال التجارة والنقود.

٤- كفالة المعيشة الكريمة، التى تتوافر فيها الحاجات الأصلية لكل مواطن عجز عن العمل عجزا أصليا أو طارئا عقليا أو جسميا، أو كان قادرا عليه ولم يجد عملا ولم تستطع الدولة أن تهيئ له سبيلا للعمل المناسب، أو وجد عملا ولكن كان دخله لا يكفيه لكثرة عائلته المعيلة أو لظروف عارضة زادت فى معدل نفقاته، كمرض ألم به أو لغلاء الأسعار.. إلخ

٥- مصادرة كل مال حصل عليه حائزه بطريق من طرق الحرام وأكل أموال الناس بالباطل بشرط أن يثبت ذلك بتحقيق نزيه وأن يفصل فيه قضاء عادل.

٦- أن يخضع موظفو الدولة - خاصة الكبار منهم - لقانون (من أين لك هذا).

٧- محاربة السرف والترف فى المجتمع بالتشريع والتوجيه.

٨- تقريب الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئات والعمل الدائب على الحد من غنى الأغنياء ورفع مستوى الفقراء.

٩- تقريب الفوارق بين القرية والمدينة.

١٠- تطهير المؤسسات الاقتصادية من رجس الربا، ومن كل معاملة تخالف شريعة الإسلام.

١١- وضع خطة على أساس علمى وإحصائى لزيادة ثروة الأمة وتنمية إنتاجها، كما ونوعا، والاستفادة من التكامل بين البلاد الإسلامية للعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى فيما بينها.

شروط الحل الإسلامى

أما الباب الثالث من هذا الكتاب فنجد المؤلف قد وضع شروطا للحل الإسلامى تتمثل فى:

١- ضرورة الدولة المسلمة

٢- الاستمداد من مصادر الإسلام

٣- أن يكون الحل متكاملا لا يقبل التجزئة

٤- لابد من عنوان الإسلام

٥- أن يكون الإسلام غاية لا أداة ومطية

ويتوقف أمام هذا الشرط: لابد من عنوان الإسلام،

إذ يذهب المؤلف إلى أنه لا يكون حلا إسلاميا إلا إذا أخذ باسم الإسلام، وتحت عنوان الإسلام. ويفترض المؤلف أن قوما حكموا بتعاليم الإسلام وشرائع توافق شريعته، ولكنهم أطلقوا عليها أسماء وعناوين أخرى، ولتكن الديمقراطية أو الاشتراكية أو الرأسمالية، ويتساءل: هل نعد حكم هؤلاء إسلاميا؟

ويجيب: أن لا. ثم لا. لأن الله تعالى تعبدنا بأحكام هذا الدين، فلابد أن نشعر فى كل أمر نتخذه أننا نحكم ديننا ونعمل بهديه لنفوز برضوانه سبحانه وتعالى.

الإسلام غاية لا أداة ومطية

ويتوقف - أيضا - عند النقطة الخامسة من هذا الباب، حيث يؤكد فيه أن الحل الإسلامى لا يكون حلا إسلاميا إلا إذا كان الإسلام نفسه هو الغاية وإليه المنتهى وأن تجند كل الأنظمة والمناهج والوسائل والإمكانات لخدمته هو.

أما أن يتخذ الإسلام وسيلة لتثبيت حكم معين أو لكسب قيمة معينة عسكرية أو سياسية أو أداة للدعاية لبلد أو أسرة أو حزب أو عهد أو نظام أو مذهب، فهذا يعد إهانة عظمى للإسلام وهو انحراف به، وتحريف لوجهته فى الطلب، حيث جعله خادما وهو السيد المطاع، وجعله آلة وهو الهدف المقصود، والوجهة التى يشد إليها الرحال.

مكاسب من وراء الحل الإسلامى

وفى الباب الرابع: يرد المؤلف على من يزعم أن المناداة بضرورة العودة إلى الإسلام هدفها الأوحد الفوز بالجنة.

فيؤكد فيه أن الفلاح فى الآخرة غاية وربح، ولكن فى المناداة بضرورة الأخذ بالحل الإسلامى حل وعلاج لمشكلاتنا ومصدر لتنظيم حياتنا ومنار نهتدى به أيضا.

ويثبت فى هذا الباب عددا من الفوائد منها:

١- تحقيق إيماننا ووجودنا الإسلامى.

٢- إقامة التوازن فى حياتنا.

٣- علاج مشكلاتنا من جذورها

٤- تكوين الإنسان الصالح

٥- تحقيق الاستقرار والطمأنينة فى حياة الأمة.

٦- حفظ وحدة الأمة والإخاء بين أبنائها

٧- جمع كلمة الأمة العربية والإسلامية.

٨- تجديد روح الحياة والقوة فى الأمة.

٩- تحقيق الأصالة والاستقلال للأمة.

ويخلص المؤلف إلى أن الحل الإسلامى هو الحل الذى جرب فى هذه الأمة من قبل فأعطى نتائج باهرة وحقق نجاحا منقطع النظير وسعدت به وتحت سلطانه بالطمأنينة والعدل والاستقرار وأطعمها الله به من جوع وآمنها من خوف، وأعزها بعد ذل، وعلمها بعد جهل، وهداها بعد ضلال واجتمعت عليه بعد فرقة، وأصبحت فى ظله بعد عداوة وشحناء. ومن ينكر ذلك فقد كذب التاريخ ونفى الواقع وجحد نعمة الله وأنكر آيات الله فى كتابه على المؤمنين، ويدلل المؤلف على صدق قوله مستشهدا بقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران-١٦٤)

وقوله سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١٠٣)

بهذه الشواهد وغيرها يؤكد المؤلف أنه لا صلاح لهذه الأمة التى كانت على شفا الهلاك والدمار إلا بالتمسك بمنهج الله حتى تخرج من الظلام إلى النور.

السبيل الى تحقيق الحل الاسلامى

ينهى المؤلف هذا الكتاب بحديث عن السبيل إلى إقامة ذلك المجتمع الإسلامى المتكامل وهذا المجتمع المنشود وكيف ننتقل به من عالم الأحلام والأمانى إلى عالم الحقائق والواقع ويشير إلى أن هناك عدة سبل لكل منها دعاته وأنصاره وهى:

١ـ سبيل القرارات الحكومية.

٢ـ سبيل الانقلابات العسكرية.

٣ـ سبيل الوعظ والإرشاد.

٤ـ سبيل الجهود الجماعية.

[illegible] لا تخلو من صواب وإن لم يكن كل الصواب.

[illegible] الحكومية فإن المؤلف يرى أن من يدعون إلى [illegible] عليهم حقائق مهمة فى هذا المجال وهى:

١ـ [illegible]

٢ـ [illegible]

٣ـ مدى قدرة الحاكم الفرد على تغيير مجتمع ما، وبنائه من جديد.

٤ـ [illegible] الإسلام، وإقامة مجتمع إسلامى حقيقى.

٥ـ [illegible]

ويلقى المؤلف الضوء على كل عنصر من [illegible] صعوبة هذه المهمة لأى حاكم لأنه سيواجه [illegible] للحكم «عصبية، تحميه وتغذيه وشعبية تناصره وتعضده تجاه المؤامرات والفتن لم يستطع الثبات والصبر طويلا أمام ضغطها.

اما السبيل الثانى وهو سبيل الانقلابات العسكرية، فقد ذكر المؤلف عشرة أدلة لأصحاب هذا الرأى أهمها:

١ـ [illegible]

٢ـ أن القوة هى أضمن طريق لإحقاق الحق.

ثم [illegible] أسقطها أصحاب هذا الرأى برغم ما له من [illegible] الاعتبار.

١ـ [illegible] بالقوة لا يعنى النجاح فى تطبيق المبادئ التى قام من أجلها الانقلاب، وكم من فئات حزبية انقضت على السلطة، وظلت تحكم عدة سنين وهى معزولة عن الشعب مبغضة إليه.

سبيل الوعظ والارشاد

وعن السبيل الثالث يرى المؤلف أنه وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله، لا [illegible] أثرها على كثير من الناس، ثم يسجل مآخذه على هذه الوسيلة فيقول:

[illegible] ويذكر من أسباب ذلك.

١ـ أن تأثيرها محدود لأنه محصور فى رواد المساجد وأشباههم ممن لا يزالون على اتصال بالتدين والعبادة.

٢ـ [illegible] المكان والزمان فالمستمعون يتأثرون بالواعظ عند السماع، وقد تذرف أعينهم الدمع ثم ينصرف الواعظ لا يملك متابعة موعوظيه، وسرعان ما ينحسر أثر الوعظ اذا دخل الناس فى لجة الحياة.

وهكذا يعرض المؤلف السبيل الرابع وهو [illegible] الاتجاهين متناقضين الاتجاه الأول يبالغ فى [illegible] الآخر يرفض مجرد المشاركة فى هذه [illegible] الأساسى وهو إقامة الدولة الإسلامية

ثم [illegible] الحركة الإسلامية ومتى تكون القيادة شرعية، ثم يمتد حديثه عن ضرورة التخطيط ـ وعناصر التخطيط المرجو ـ وما لا يدخل فى التخطيط ثم يتكلم عن [illegible] الإسلامية بالأمس والحركة الإسلامية غداً.

[illegible] والقسمات المعبرة عن وجه الحركة الإسلامية [illegible] الإسلامية كما يتصورها فيذكر أربعة [illegible] للمعانى التى ذكرها فى هذا الفصل مكتفى أن نذكر منها:

١ـ أن تعمل وتحافظ وتحرص على تقوية الرابطة بين أبنائها فكريا بتنمية المفاهيم المشتركة وروحيا بتعميق معنى الأخوة فى الله وأخلاقيا بتثبيت فضائل التسامح وخفض الجناح وترك المراء والتماس الأعذار.

٢ـ أن تغلب العمل للحاضر والتخطيط للمستقبل على التغنى بأمجاد الماضى.

٣ـ [illegible]

٤ـ أن تربى أتباعها على أن العمل للإسلام هو فى ذاته واجب دينى وعبادة وقربة إلى الله.

٥ـ أن تحاول ملء الفراغ عند أفرادها بما [illegible] من نقاط يرى أنها ملامح وقسمات للحركة الإسلامية المنشودة، وقد ذكرها على وجه الإشارة والإجمال حتى ييسر الله له توضيح والتفصيل فيما بعد أو يتولاه غير [illegible]

وبعد فقد كانت هذه قراءة سريعة فى بعض ما جادت به قريحة رجل فذ من أفذاذ أمتنا الإسلامية، نقدمها لتلفت أنظار قرائنا إلى هذا الجهد الصادق وهذا المنهج الجدير بالتأمل فى وقت تتسارع فيه العقول إلى الاطلاع على العديد من الأيدولوجيات وربما تحترت فى الاختيار فلعل هذا الكتاب يكون ضياء ومرشدا

فتاوى لها تاريخ

الشريعة تنظم الغريزة



الغناء والموسيقى

جاءتنى رسالة من شاب يقول فيها: انه يهوى الموسيقى منذ نعومة اظفاره. وانه يدرسها ويجتهد فى تعلمها. وقد فاجاه احد أصدقائه بانها حرام. لانها لهو يصرف عن الصلاة وعبادة الله. وكل لهو حرام. فقال لصديقه: انى اصلى الصلوات الخمس فى اوقاتها واعبد الله تماما. واذهب الى النادى فى اوقات الفراغ. لأسرى عن نفسى عناء العمل نهارا والمذاكرة ليلا. فلم يقتنع صاحبه بذلك. واصر على ان الموسيقى حرام. واخيرا اتجها الى التحكيم. وبعث الى الشاب هذه الرسالة ملتمسا بيان الحكم الشرعى فى الموضوع.

حيرة بين المحللين والمحرمين

ارجو أن يجد إخواننا المسلمون فى هذه الفتوى ما ينفعهم فى معرفة حكم الله، بالنسبة لكثير من الأشياء التى يجرى على بعض الألسنة أن حكمها الشرعى هو التحريم، ويجرى على البعض الآخر أن حكمها هو الحل، وبذلك وقع الناس فى حيرة نفسية [illegible]

ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة التى جاءتنى فى شأن «تعلم الموسيقى وسماعها»: فهى كما سمعتم تصور رأيين مختلفين فى حكم الموسيقى، [illegible] بعض الكتب الشرعية، أو تسمع من بعض الناس الذين يلبسون ثوب الورع على غير الوجه الذى يلبس عليه، [illegible] الإنسانية المحكومة بالعقل الدينى [illegible]

[illegible] أن تعلم الموسيقى وسماعها حرام.

ويرى [illegible] أن تعلمها وسماعها حلال لا حرمة فيه

فطرة الإنسان تميل إلى المستلذات

والأصل الذى أرجو، أن يتنبه الناس [illegible] فى هذا الشأن وأمثاله، مما يختلفون فى حله وحرمته، هو أن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات التى يجد لها أثرا طيبا فى نفسه، به يهدأ، وبه يرتاح، وبه ينشط، [illegible] ينشرح صدره بالمناظر الجميلة، كالخضرة المنسقة والماء الصافى الذى تلعب أمواجه، والوجه الحسن الذى [illegible] وينشرح صدره بالروائح الزكية التى تحدث خفة فى الجسم والروح، وينشرح صدره بلمس النعومة التى لا خشونة فيها، وينشرح صدره بلذة المعرفة فى الكشف عن مجهول مخبوء، وتراه بعد هذا مطبوعا على غريزة الحب لمشتهيات الحياة وزينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث

الشرائع لا تقضى على الغرائز بل تنظمها

ولعل [illegible] الحياة ما كانت لتتم على الوجه الذى لأجله خلقه الله إلا إذا كان ذا عاطفة غريزية، توجهه نحو المشتهيات، وتلك [illegible] التى خلقها الله معه فى الحياة، [illegible] ويشعه

ومن هنا قضت الحكمة الإلهية أن يخلق الإنسان بتلك العاطفة، وصار من غير المعقول أن يطلب الله منه، بعد أن خلقه هذا الخلق، وأودع فيه حكمته السامية هذه العاطفة، نزعها أو إماتتها أو مكافحتها فى أصلها، وبذلك لا يمكن أن يكون من أهداف الشرائع السماوية، فى أى مرحلة من مراحل الإنسانية، طلب القضاء على هذه الغريزة الطبيعية التى لابد منها فى هذه الحياة.

نعم، للشرائع السماوية بإزاء هذه العاطفة مطلب آخر، يتلخص فى كبح الجماح ومعناه: مكافحة الغريزة عن [illegible] أو يفسد عليه أخلاقه، أو يحول بينه وبين أعمال هى له فى الحياة ألزم، وعليه أوجب

التوسط أصل عظيم فى الإسلام

ذلك هو موقف الشرائع السماوية من الغريزة، وهو موقف الاعتدال والقصد، لا موقف الإفراط، ولا موقف التفريط، هو موقف التنظيم، لا موقف الإماتة والانتزاع، هذا أصل يجب أن يفهم، ويجب أن توزن به أهداف الشريعة السماوية، وقد أشار إليه القرآن فى كثير من الجزئيات:

(الإسراء ٢٩)

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ٣١)

﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ﴾

(لقمان ١٩)

وإذن، فالشريعة توجه الإنسان في [illegible] فهي لم تنزل لانتزاع غريزة حب المال، إنما نزلت بتعديلها على الوجه الذي لا جشع فيه ولا إسراف، وهي لم [illegible] نزلت بتهذيبها وتعديلها على ما لا ضرر فيه ولا شر، وهي لم تنزل لانتزاع [illegible] على الوجه الذي لا هلع فيه ولا جزع، [illegible] بالنسبة لسائر الغرائز.

وقد كلف الله العقل، الذي هو حجته على عباده، بتنظيمها على الوجه الذي [illegible] إلى سماع الصوت الحسن، أو النغم المستلذ، من حيوان أو إنسان، أو آلة كيفما كانت، أو مال إلى تعلم شيء من [illegible] وقف بهما مع هذا عند الحد الذي لا يصرفه عن الواجبات الدينية، أو الأخلاق الكريمة، أو المكانة التي تتفق ومركزه، كان بذلك منظما لغريزته، سائرا بها في الطريق السوي، وكان مرضيا عند الله وعند الناس.

بهذا البيان يتضح أن موقف الشاب في تعلم الموسيقى، مع حرصه [illegible] على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها وعلى أعماله المكلف بها، موقف - كما [illegible] حكمت العقل بشرع الله وحكمه، فنزلت على إرادته، وهذا هو أسمى ما تطلبه الشرائع السماوية من الناس في هذه [illegible].

رأى الفقهاء في السماع

ولقد كنت أرى أن هذا القدر كاف في معرفة حكم الشرع في الموسيقى، وفي سائر ما يحب الإنسان ويهوى [illegible] الحلال والحرام، وإنما يقتضيهم عرض ما قيل في الكتب وأثر عن الفقهاء، وإذا [illegible] على إباحة السماع في إثارة الشوق إلى الحج، وفي تحريض الغزاة على القتال، [illegible] ورأيناهم فيما وراء ذلك على رأيين: يقرر أحدهما الحرمة، ويستند إلى أحاديث وآثار ويقرر الآخر الحل، ويستند كذلك إلى أحاديث وآثار.

وكان من قول القائلين بالحل: «إنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في معقول [illegible] الاستدلال [illegible]

الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات، وقد [illegible]

رأى الشيخ النابلسي

وقد قرأت في هذا الموضوع لأحد فقهاء القرن الحادي عشر المعروفين بالورع والتقوى رسالة هي: «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» للشيخ عبدالغني النابلسي الحنفي، قرر فيها [illegible] بالتحريم [illegible] يخلو من ذلك، وعليه كان الحكم عنده في سماع الأصوات والآلات [illegible] كل ذلك كان [illegible] وسمعه وتعلمه، وقد نقل عن النبي ﷺ ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء [illegible] يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم، وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء، وهو موافق تماما في المغزى والنتيجة الأصل الذي قررناه في موقف الشريعة بالنسبة للغرائز الطبيعية.

ولع الشيخ العطار بالسماع

وكان الشيخ حسن العطار، شيخ الجامع الأزهر في القرن الثالث عشر الهجري، ذا ولع [illegible] ومن كلمته في بعض مؤلفاته: من لم يتأثر برقيق الأشعار تتلى بلسان الأوتار، على شطوط الأنهار، وفي ظلال الأشجار، [illegible]

الأصل في السماع

الحل والحرمة عارضة

وإذن فسماع الآلات، ذات النغمات أو الأصوات الجميلة، لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة، أو صوت إنسان، أو صوت حيوان، وإنما يحرم إذا استعين به على محرم، أو اتخذ وسيلة إلى محرم، أو ألهى عن واجب.

[illegible] حكم مثل هذه الشئون ونرجو بعد ذلك ألا نسمع القول يلقى جزافا في التحليل والتحريم، فإن تحريم ما لم يحرمه الله أو تحليل ما حرمه الله كلاهما افتراء وقول على الله بغير علم:

﴿ [illegible] وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾

(الأعراف ٣٣)

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

حكم قراءة القرآن الكريم على الموتى

● ما حكم قراءة القرآن الكريم على الموتى، بما في ذلك قبل الدفن وبعده؟ حيث يدعي بعض الناس أن ذلك بدعة؟

●● الجواب:

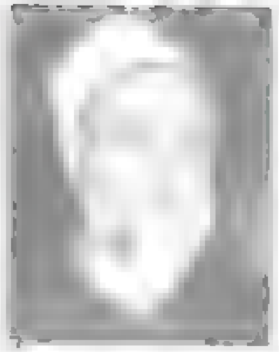
جاء الأمر الشرعي بقراءة القرآن الكريم على جهة الإطلاق، ومن المقرر أن الأمر المطلق يقتضي عموم الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأحوال؛ فلا يجوز تقييد هذا الإطلاق إلا بدليل، وإلا كان ذلك ابتداعًا في الدين بتضييق ما وسعه الله ورسوله ﷺ.

وعلى ذلك فقراءة القرآن الكريم عند القبر على الموتى قبل الدفن وأثناءه وبعده مشروعة ابتداءً بعموم النصوص الدالة على مشروعية قراءة القرآن الكريم، بالإضافة إلى أنه قد وردت أحاديث عن النبي ﷺ وآثار كثيرة عن السلف الصالح في خصوص ذلك ذكرها الإمام أبو بكر الخلال الحنبلي (ت ٣١١ هـ) في جزء «القراءة على القبور» من كتاب «الجامع»، ومثله الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في هذه المسألة، والإمام القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) في كتابه «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، والحافظ السيوطي الشافعي (ت ٩١١ هـ) في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور»، والحافظ السيد عبد الله بن الصديق الغماري (ت ١٤١٣ هـ) في كتابه «توضيح البيان لوصول ثواب القرآن»، وغيرهم ممن صنف في هذه المسألة.

١- فمن الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك:

ما رواه عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه قال: قال لي أبي - اللجلاج بن خالد -: يا بني إذا أنا مت فألحدني، فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـــي جمعـــة
مفتي جمهورية مصر العربية



الله، وعلى ملة رسول الله، ثم سن علي التراب سنا - أي ضعه وضعا سهلا -، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، قال الهيثمي: ورجاله موثقون.

وقد روي هذا الحديث موقوفا على ابن عمر رضي الله عنهما، كما أخرجه الخلال في جزء «القراءة على القبور» والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهما، وحسنه النووي، وابن حجر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره». أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان، وإسناده حسن، كما قال الحافظ في الفتح، وفي رواية «بفاتحة البقرة» بدلا من «فاتحة الكتاب».

وفي المسألة أحاديث أخرى، لكنها واهية الأسانيد:

منها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه عن النبي ﷺ قال: «من مر على المقابر، وقرأ «قل هو الله أحد» إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات». أخرجه الخلال في «القراءة على القبور» والسمرقندي في «فضائل قل هو الله أحد» والسلفي.

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل المقابر، ثم قرأ فاتحة الكتاب و

[illegible]

و

[illegible]

ثم قال: [illegible]

قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله تعالى». أخرجه أبو القاسم الزنجاني في «فوائده».

ومنها حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل المقابر، فقرأ سورة يس، خفف الله عنهم، وكان له بعدد من فيها حسنات». أخرجه عبد العزيز صاحب الخلال.

قال الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزئه الذي ألفه في هذه

المسألة: وهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة، فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً، وأن المسلمين ما زالوا في كل مصر وعصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعاً. اهـ.

٢- وجاءت السنة بقراءة سورة (يس) على الموتى في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اقرءوا (يس) على موتاكم» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وصححه ابن حبان والحاكم.

قال الإمام القرطبي في «التذكرة»: وهذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره. اهـ.

قال الحافظ السيوطي في «شرح الصدور»: وبالأول قال الجمهور كما تقدم في أول الكتاب، وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في الجزء الذي تقدمت الإشارة إليه، وبالتعميم في الحالتين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا. اهـ.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى»: أخذ ابن الرفعة وغيره بظاهر الخبر، وتبع هؤلاء الزركشي فقال: لا يبعد - على القول باستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه - أنه يندب قراءتها في الموضعين. اهـ.

٣- كما جاءت الشريعة بتخصيص قراءة سورة الفاتحة على المتوفى؛ وذلك لأن فيها من الخصوصية في نفع الميت وطلب الرحمة والمغفرة له ما ليس في غيرها، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عوضاً عنها» رواه الدارقطني وصححه الحاكم، وبوب لذلك الإمام البخاري في صحيحه بقوله: (باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة)، وهذا أعم من أن يكون في صلاة الجنازة أو خارجها. فمن الأحاديث ما يدل على أنها تقرأ في صلاة الجنازة، ومنها ما يدل على أنها تقرأ عند الدفن أو بعده كحديث ابن عمر السابق عند الطبراني وغيره، ومنها ما يدل بإطلاقه على القراءة على المتوفى في كل حال؛ كحديث أم عفيف النهدية رضي الله عنها قالت: «بايعنا رسول الله ﷺ حين بايع النساء؛ فأخذ عليهن أن لا تحدثن الرجال إلا محرماً، وأمرنا أن نقرأ على ميتنا بفاتحة الكتاب» رواه الطبراني في المعجم الكبير، وحديث أم شريك رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب» رواه ابن ماجة.

٤- واستدل العلماء على قراءة القرآن عند القبر أيضاً بحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير»، ثم قال: «بلى؛ أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله»، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» متفق عليه.

قال الإمام الخطابي: «فيه دليل على استحباب تلاوة الكتاب العزيز على القبور؛ لأنه إذا كان يرجى عن الميت التخفيف بتسبيح الشجر، فتلاوة القرآن العظيم أكبر رجاء وبركة». اهـ.

وقال الإمام القرطبي في «التذكرة»: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين... قالوا: ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن، قال: «ولهذا استحب العلماء زيارة القبور؛ لأن القراءة تحفة الميت من زائره». اهـ.

وقال الإمام النووي في «شرح مسلم»: «واستحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث؛ لأنه إذا كان يرجى التخفيف بتسبيح الجريد فتلاوة القرآن أولى، والله أعلم». اهـ.

٥- وقد صلى النبي ﷺ صلاة الجنازة على القبر غير مرة، كما جاء في الصحيحين وغيرهما، والصلاة مشتملة على قراءة الفاتحة والصلاة على النبي ﷺ والذكر والدعاء، وما جاز كله جاز بعضه.

كما أخذ العلماء وصول ثواب القراءة إلى الميت من جواز الحج عنه ووصول ثوابه إليه، لأن الحج يشتمل على الصلاة، والصلاة تقرأ فيها الفاتحة وغيرها، وما وصل كله وصل بعضه، وهذا المعنى الأخير وإن نازع فيه بعضهم إلا أن أحداً من العلماء لم يختلف في أن القارئ إذا دعا الله تعالى أن يهب للميت مثل ثواب قراءته فإن ذلك يصل إليه بإذن الله؛ لأن الكريم إذا سئل أعطى وإذا دعي أجاب.

٦- وعلى ذلك جرى عمل المسلمين جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف من غير نكير، وهذا هو المعتمد عند أصحاب المذاهب المتبوعة، حتى نقل الحافظ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي الإجماع على ذلك - كما سبق -، ونقله أيضاً الشيخ العثماني في كتابه «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة» ونص عبارته في ذلك: «وأجمعوا على أن الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت ويصل إليه ثوابه، وقراءة القرآن عند القبر مستحبة». اهـ.

ومن الآثار في ذلك عن السلف الصالح:

ما أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» عن الإمام الشعبي رحمه الله قال: «كانت الأنصار يقرأون عند الميت بسورة البقرة»، وأخرجه الخلال في «القراءة على القبور» بلفظ: «كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرأون عنده القرآن».

وأخرج الخلال عن إبراهيم النخعي رحمه الله قال: «لا بأس بقراءة القرآن في المقابر».

وأخرج أيضاً عن الحسن بن الصباح الزعفراني قال: سألت الشافعي عن القراءة عند القبور، فقال: «لا بأس بها».

وأخرج أيضاً عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا، إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن

حنبل: يا أبا عبد الله!! ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة. قال (يعني أحمد): كتبت عنه شيئا؟ قال: نعم؛ أخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه: أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يوصي بذلك. فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ. وأخرج أيضا عن العباس بن محمد الدوري أنه سأل يحيى بن معين عن القراءة على القبر، فحدثه بهذا الحديث.

وقد نص أصحاب المذاهب المتبوعة على ذلك:

- فجاء في «الفتاوى الهندية» على مذهب السادة الحنفية: ويستحب إذا دفن الميت أن يجلسوا ساعة عند القبر بعد الفراغ بقدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها؛ يتلون القرآن ويدعون للميت. اهـ. وذكر أن ذلك قول الإمام محمد بن الحسن رحمه الله، وأن مشايخ الحنفية أخذوا به.

- وأما السادة المالكية: فالمحققون منهم - وهو المعتمد عند متأخريهم - على جواز ذلك وأن ثواب القراءة يصل إلى الميت؛ ففي حاشية العلامة الدسوقي على الشرح الكبير: (وفي آخر نوازل ابن رشد في السؤال عن قوله تعالى:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾

(النجم: ٣٩)

قال: وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت، جاز ذلك وحصل للميت أجره. اهـ.

وقال ابن هلال في نوازله: الذي أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا الأندلسيين أن الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل إليه نفعه، ويحصل له أجره إذا وهب القارئ ثوابه له، وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووقفوا على ذلك أوقافا واستمر عليه الأمر منذ أزمنة سالفة. ثم قال: ومن اللطائف أن عز الدين بن عبد السلام الشافعي رؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى؟ فقال: هيهات وجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن) اهـ.

وجاء في «النوازل الصغرى» لشيخ الجماعة سيدي المهدي الوزاني المالكي: (أما القراءة على القبر فنص ابن رشد في «الأجوبة»، وابن العربي في «أحكام القرآن» له، والقرطبي في «التذكرة» على أنه ينتفع بالقراءة، أعني الميت، سواء قرأ على القبر أو قرأ في البيت) اهـ. ونقله عن كثيرين من أئمة المالكية: كأبي سعيد بن لب، وابن حبيب، وابن الحاجب، واللخمي، وابن عرفة، وابن المواق، وغيرهم.

- أما السادة الشافعية: فقد قال الإمام النووي في «المجموع»: قال أصحابنا: ويستحب للزائر أن يسلم على المقابر، ويدعو لمن يزوره ولجميع أهل المقبرة. والأفضل أن يكون السلام والدعاء بما ثبت في الحديث، ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسر ويدعو لهم عقبها. نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب. اهـ.

- وقال في «الأذكار»: ويستحب أن يقعد عنده بعد الفراغ ساعة قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها، ويشتغل القاعدون بتلاوة القرآن، والدعاء للميت، والوعظ، وحكايات أهل الخير، وأحوال الصالحين. قال الشافعي والأصحاب: يستحب أن يقرءوا عنده شيئا من القرآن، قالوا: فإن ختموا القرآن كله كان حسنا. اهـ.

وقال في «رياض الصالحين»: قال الشافعي رحمه الله: ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن، وإن ختموا القرآن عنده كان حسنا. اهـ.

وكذلك السادة الحنابلة، صرحوا بجواز ذلك.

قال العلامة المرداوي في «الإنصاف»: قوله: (ولا تكره القراءة على القبر في أصح الروايتين). وهذا المذهب، قاله في «الفروع»، ونص عليه - يعني الإمام أحمد -، قال الشارح: هذا المشهور عن أحمد. قال الخلال وصاحبه: المذهب رواية واحدة: لا تكره. وعليه أكثر الأصحاب؛ منهم القاضي، وجزم به في «الوجيز» وغيره، وقدمه في «الفروع» و«المغني» و«الشرح»، وابن تميم، و«الفائق»، وغيرهم. اهـ.

والمتصفح لكتب السير والتراجم والتواريخ يرى عمل السلف على ذلك وتتابع الأمة عليه من غير نكير، بما في ذلك السادة الحنابلة وأصحاب الحديث، ويكفينا في ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة أبي جعفر الهاشمي الحنبلي (ت ٤٧٠ هـ)، شيخ الحنابلة في عصره. قال: (ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد، ولزم الناس قبره مدة حتى قيل: ختم على قبره عشرة آلاف ختمة) اهـ.

حتى إن الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى - وهو الذي ادعى أن قراءة القرآن على القبر بدعة مخالفا بذلك ما عليه عمل السلف والخلف - قد ذكر أهل السير في ترجمته أن الناس اجتمعوا لختم القرآن له على قبره وفي بيوتهم كما ذكره ابن عبد الهادي الحنبلي وغيره. والتاريخ محكمة المذاهب، كما يقولون.

وبناء على ذلك: فقراءة القرآن على الموتى من الأمور المشروعة التي وردت بها الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، وأطبق على فعلها السلف الصالح وجرى عليها عمل المسلمين عبر القرون من غير نكير؛ سواء أكان ذلك حال الاحتضار، أو بعده، أو عند صلاة الجنازة، أو بعدها، أو حال الدفن، أو بعده، ومن ادعى أنه بدعة فهو إليها أقرب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الرد على الرافضين لفقه أبي حنيفة في المسكرات

وكان من دعائه:

«اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له»[1]

بقلم أ.د. سعد الدين هلالي
أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر

اطلعت على مقالات وبحوث مجلة «الأزهر» في عددها الصادر بتاريخ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - ابريل ٢٠١٢م الجزء ٥، السنة ٨٥، وادهشني قبول هيئة التحرير نشر مقال بعنوان: ينسب الى ابى حنيفة غير مذهبه - حول الفتوى الشاذة بإباحة شرب الخمر المصنوع من غير العنب، بقلم: حمد الله حافظ الصفتي. ص ١١٦٤:١١٦٩. وذلك لعدم صلاحيته للنشر شكلا وموضوعا من وجهة نظرى.

اما الجانب الشكلى للمقال فقد اشتمل على جمل والفاظ مسيئة ينكر الشرع الحنيف ان تكون بين الناس فضلا عن ان تكون بين اهل العلم منهم. وقد ذكر بالاسم من عمد الى التشهير به لجريمة فى خيال صاحبه تتمثل فى افتاء الفقه وتعليمه الناس ونشر اقوال الفقهاء المعتبرين وادلتهم. وهى اقوال يتباهى بها اصحابها ان وفقهم الله اليها: لتكون صدقة جارية لهم فيمن يقتنع بدليلهم. فقد اخرج مسلم عن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال: «اذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: الا من صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له».

[illegible]
[illegible]
أستاذ عامل في الفقه المقارن بجامعة الأزهر حالياً، ويشغل منصب رئيس القسم بكليته، [illegible]

[illegible] بكلية الشريعة بالكويت في إعارته، وحاز على العديد من الجوائز الدولية والخلية، وله [illegible] وليس له مطلب من الدنيا إلا توفيق الله في

[illegible]

[illegible] الدين.

وأما الجانب الموضوعي للمقال فقد تضمن الرد على نفسه من النصوص التي أوردها عن [illegible] سنة ١٢٥٢هـ في [illegible] على [illegible] دون حاجة [illegible] من فقه السادة [illegible] سنة ٥٣٩هـ في كتابه [illegible] سنة ٥٨٧هـ في كتابه «بدائع الصنائع»، والإمام المرغيناني [illegible] سنة ٥٩٣هـ في كتابه [illegible] وشرحه تكملة شرح فتح القدير المسماة «نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار» [illegible] المتوفى سنة ٩٨٨هـ وغير هؤلاء [illegible] على [illegible] على [illegible] اليوم» على قناة «أوربت» مع الإعلامي «عمرو أديب» بتاريخ ٢ / ١ / ٢٠١٢م.

وقد حاول صاحب المقال إنكاره ووصفه بالشذوذ، وذلك بفرض وصايته على فقه أبي حنيفة الذي أكرم الله تعالى به الأمة، وكان سبباً في دخول الملايين في دين الله أفواجا، وبخاصة في دول شرق آسيا وأوروبا، وقد أرفقت صورا من نصوص من [illegible] تكون بين يدى هيئة التحرير للاستيثاق [illegible] إلا أن تريد.

ويشتمل ردى بعد هذا الموجز على مقدمة [illegible]

أما المقدمة فمن تنبيهين:

● التنبيه الأول: في إجلال مقام [illegible] التذكير بأنه يعد من التابعين (٨٠-١٥٠هـ). [illegible] الفقه - أى جعل له منهجا وأصولا علمية [illegible] في الفقه عيال على أبي حنيفة»[2].

بعد موت شيخه حماد بن أبي سليمان آلت إليه رئاسة حلقة الفقه وكان عمره أربعين سنة بعد أن بلغ أشده وتجاوز مرحلتي التكوين والمراهقة اللتين استثمرهما في التحصيل والتهذيب. فقد بلغ عدد شيوخه أربعة آلاف، ولقى من الصحابة عبدالله بن أبي أوفى المتوفى ٨٧هـ وسهل بن سعد الساعدى المتوفى ٨٨هـ وأنس بن مالك [illegible] ٩٣هـ [illegible] عامر بن واثلة المتوفى ١٠٢هـ[3].

[illegible]

(2) الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٣، السيوطي في طبقات الحفاظ ١/ ١٢.

(3) [illegible] أبو حنيفة حياته وعصره وآراؤه الفقهية - دار الفكر العربي ص ٦٠.

وفي سن [illegible] من عمره [illegible] سيهيئ تلاميذه [illegible] مدة [illegible] الفقه [illegible] الصفات خلقا وسلوكا. يقول أبو يوسف عن شيخه أبي حنيفة [illegible] سنة. وإذا قلت له: ما رأيت أجود منك. [illegible] أجمع للخصال المحمودة منه[5].

وقال أبو يوسف: كانوا يقولون: أبو حنيفة زينه الله بالفقه والعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه.

التنبيه الثاني: في الاستعانة بالمتخصصين والإعراض عن غيرهم في المسائل الفقهية الدقيقة؛ لأن المناسبة [illegible] في فقه أبي حنيفة غير أهل الاختصاص مع [illegible] الأزهر الشريف الذي حفظ الله تعالى به العلوم الشرعية ومنها علم الفقه بمذاهبه المشهورة، والذي يقوم [illegible] في الفقه الحنفي [illegible] في الفقه المالكي، وهكذا في الفقه الشافعي، [illegible]

وعندما يتكلم أهل الاختصاص في المذهب الحنفي عن فقه أبي حنيفة سيعرف الناس الحق الذي قاله وهدف إليه، وليس الذي يريده الناقلون عن [illegible]

[illegible]

(البقرة: ١٨١)

كما جاء التحذير من ترك أهل الاختصاص [illegible] الهلاك والتدمير بنهاية الشيء، فقد [illegible] عن أبي هريرة [illegible] فسأله متى الساعة؟

فقال ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا وسد - وفي رواية أسند - الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

[illegible]

فهو تحقيق قول أبي حنيفة في حكم المسكر من غير الخمر، وليس في حكم شرب الخمر المصنوع من غير العنب، [illegible]

والفرق ما بين هذين العنوانين هو [illegible] في الفقه الحنفي وبين قراءة غير المتخصص فيه.

[illegible] غير متخصص في الفقه الحنفي [illegible] حقيقة لا مجاز.

أما المتخصصون فيرون أن أبا حنيفة ومن وافقه يفرقون بين الخمر وبين المسكر من غيرها، كما ورد هذا الفرق في السنة الصحيحة وفي لغة العرب المشهورة، فقد أخرج النسائي بإسناد صححه الألباني وغيره عن ابن عباس قال: «حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب» [illegible] بلام الجنس فاقتضى اقتصار الخمر على ما [illegible] ٩، ٢٩٤٩ -مطبعة الإمام بالقلعة).

[illegible] عددها المذكور نفسه ص ١١٢٣ قد [illegible] فيما أعلم - عن الخمر والمخدرات، وفيه [illegible] التفرقة بين الخمر وبين المسكرات من [illegible] يكفر مستحل خمر الشجرتين، ويفسق مستحل ما عداهما، وتحريم سائر [illegible] يسمى خمرا إلا مجازا، وقيل بهما [illegible] ﷺ: «إن من التمر خمرا».

بل جاء في المقال الرافض لفقه أبي حنيفة في المسألة نص لابن عابدين في «حاشيته» يؤكد ذلك بما يخالف عنوان المقال. فجاء في ص١٩٦٦ عن [illegible] أبو حنيفة وأبو يوسف إلى أن الخمر حقيقة لا تطلق إلا على ما اتخذ من العنب»، ثم نقل صاحب المقال نصوصا من «الدر المختار» والحاشية عليه تظهر قول أبي حنيفة [illegible] بكل أمانة وليس بما وصف من ألفاظ احتفظ بحقي الديني والقضائي فيها إلا أن يعتذر بالوجه اللائق شكلا وموضوعا.

تفنيد اتهامي بحل بعض المسكر

كان من شدة ظلم صاحب المقال المهاجم أن نسب إليّ بأني أبحت للناس مطلقا شرب الخمر المتخذ من غير العنب طالما لم يصل شاربه لحالة السكر. وأعجب كيف [illegible] يتقول عليّ ما لم أقله، فقد كان الحديث عن فقه أبي حنيفة وما يثمره من أحكام تطبيقية على واقع الناس. وليس مثلي يصل إلى فصل الفتوى في مسألة قتلت بحثا وكان فارسها الأئمة الأعلام.

أما اختياري الفقهي في المسألة فقد أثبته في كتابي «موسوعة فقه الخمر والمخدرات» الذي قدمته مع طلب ترقيتي [illegible] بجامعة الأزهر سنة ١٩٩٠م، [illegible]

[illegible]

بشره في المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت سنة ٢٠٠٩م. وعقدت في الجزء الأول من تلك الموسوعة عنوانا في الترجيح والتعريف المقترح للحقيقة [illegible] ص ١١٤ - ١١٦)، كما أعلنت اختياري الفقهي هذا في قناة المحور في برنامج «٩٠ دقيقة» مع [illegible] ٢٠١٢م [illegible] منها الرحمة وأزهري. وقلت: إن الذي أدين الله به في هذه المسألة هو ما عليه الجمهور من تحريم كل ما فيه خاصية السكر قليله وكثيره. ولكن ما أدين الله به من حكم فقهي لا يلزم غيري إلا بقناعته أو إلزام ولي الأمر له. فلا أدري ما مقصد صاحب المقال المهاجم من نسبة قول أبي حنيفة إلى اختياري مع وضوح المسألة بكل جوانبها؟!

قيد عدم اللهو والطرب

أما إضافة صاحب المقال - نقلاً عن الدر المختار - قيد أن يكون شرب المسكر من غير الخمر بالحد الذي لا يبلغ الإسكار عند أبي حنيفة وأبي يوسف بلا لهو وطرب، فالعجيب أن صاحب المقال أبطل هذا القيد بنفسه وهو يعلم أو لا يعلم - الله بذلك أعلم - ولكن ليتأكد للقارئ الكريم أمانة طرحي لقول أبي حنيفة. فقد أعقب ذكر ذلك القيد [illegible] ص ١١٦٧ [illegible] في حاشيته على الدر المختار: قال في الدرر: وهذا [illegible] شرب الماء وغيره من المباحات بلهو وطرب على هيئة الفسقة حرام».

قيد استمراء الطعام والتقوى في الليالي على القيام

وأما القيد الذي نقله صاحب المقال ص ١١٦٧ من حاشية ابن عابدين عن القهستاني وهو: أن يقصد به استمراء الطعام والتقوى في الليالي على القيام، أو في الأيام على الصيام، أو القتال [illegible] فهو قيد مرسل يصلح دعوة في كل حال غالبا. وحسبه من النكارة - عند من يرى التحريم - أن يتعاطى ذلك في موطن العبادة. ثم إنه قيد محل [illegible] بين علماء الأمام - كما ورد في نص القهستاني - وليس قيداً مجمعا عليه [illegible] في فقه المتقدمين من الحنفية كالسمرقندي والكاساني والمرغيناني المشار إليهم سابقا.

المسكرات التي لا تسمى خمرا عند أبي حنيفة

بقي أن نسأل صاحب المقال المهاجم عن باقي الأنواع الأربعة الحلال من المسكر غير الخمر الذي شوق القارئ إلى معرفتها عندما قال في ص ١١٦٦: «قال في الدر المختار: والحلال منها أربعة أنواع، الأول: نبيذ التمر والزبيب إن طبخ أدنى طبخة يحل شربه وإن اشتد، وهذا إذا شرب منه بلا لهو وطرب، فلو شرب للهو فقليله وكثيره حرام».

إن عدم ذكر باقي الأنواع الحلال عند أبي حنيفة [illegible] على فقه السادة الحنفية، وإن كان عن خطأ أو سهو فهذا لا يفوت المتخصصين الذين يحرصون على الأمانة العلمية.

متعلق الموضوع في حق العلم واختيار العمل

إن من حق كل مكلف أن يتعلم ما [illegible] على كل عالم أن يبذل علمه ولا يحجبه مهما اختلف مع قناعته، فربما استطاع الغير أن يحسن توظيف العلم الذي يحمله البعض ولا يحسن توظيفه. فقد أخرج [illegible] عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». وأخرج الشيخان عن أبي بكرة، أن النبي ﷺ قال في خطبة [illegible] فرب مبلغ أوعى من سامع».

وأما العمل بالعلم أو بوجه من وجوهه فهو اختيار الناس؛ ليتحملوا مسئوليتهم. وذلك لعموم قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾ (النحل: ٤٤)

وأخرج أحمد بإسناد حسن عن وابصة ابن معبد، أن النبي ﷺ قال له: «استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك».

فهل كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الفوضى في الفتوى، أم كان ينقل الناس من عبوديتهم للناس - ولو كانوا وجهاء أو علماء - إلى عبودية الله الخالصة؟

جاء في كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر - الطبعة الأولى ٢٠٠٢م الصادر عن مؤسسة الريان ودار ابن حزم ٢ / ١٦٢ - عن الشعبي قال: اجتمعنا عند [illegible] والعرق، فجعل يسألهم حتى انتهى إلى محمد بن سيرين فجعل يسأله فيقول له: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، وقال فلان كذا. فقال ابن هبيرة: قد أخبرتني عن غير واحد فأي قول آخذ؟ قال: اختر لنفسك.

وأخرج [illegible] ١ / ٤٠٤ عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «ما يسرني أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة».

وعن القاسم بن محمد قال: «كان [illegible] الله به، فما عملت منه من علم لم يدخل نفسك منه شيء».

[illegible] ١ / ١١٣ عن اختلاف الصحابة: «إن اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمة؛ [illegible]».

وذكر ابن قدامة في خطبة كتابه «المغني» ١ / ٢ أن من فضل الله أنه «جعل في سلف هذه الأمة أئمة من الأعلام [illegible] بهم مشكلات الأحكام [illegible] قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة».

انتشار المذاهب والانتقاء منها

إن الفقه يسود حيث تتحقق القناعة [illegible] بالتخويف والإرهاب الفكري. لقد ساد

الفقه الحنفي عند ستين بالمائة من المسلمين من أهل السنة كما هو معروف في دول شرق آسيا وأوروبا، كما ساد الفقه المالكي والشافعي في دول أفريقيا، والفقه الحنبلي في شبه الجزيرة العربية.

وفي هذا العصر الذي تداخلت فيه الأعراف والثقافات تحول الناس من الالتزام بالمذهب الواحد إلى التنوع والأخذ من المذاهب المخالفة بحسب المصلحة التي [illegible]

وعلى سبيل المثال:

١- اتجه الناس إلى إنشاء المساجد [illegible]

٢- [illegible] القرشيين، ولم يقل بجواز ذلك إلا أبو بكر [illegible] خلافاً للجمهور.

٣- [illegible] خلافاً للجمهور.

٤- [illegible] خلافاً للجمهور.

٥- [illegible] خلافاً للجمهور.

٦- اتجه الناس إلى قبول شهادة [illegible] على [illegible] في القضاء، ولم يقل بذلك أحد قبل ابن تيمية خلافاً [illegible]

٧- اتجه الناس إلى قبول وإقرار الوصية الواجبة لفرع من يموت في حياة والديه [illegible] الفقهاء المصريين المعاصرين تخريجاً على مذهب الظاهرية.

وهكذا مئات المسائل ترك الناس فيها مذهب الجمهور وأخذوا بقول مخالف [illegible]

وقد تناولت تلك الموضوعات [illegible] في مقال أسبوعي تحت عنوان «فقه [illegible]

[illegible] وهو الهادي إلى سواء السبيل.

دكتور سعد الدين هلالي

٢٨-٣-٢٠١٢م

٥ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

التصوير.. إشكالات ومقترحات (١-٢)

[illegible]

فجرت ثورة الملتيميديا تساؤلات عديدة، بما أفرزته من منجزات بدأت بالقدرة في الحصول على صورة ثابتة لأي شيء يمكن رؤيته، ثم تطورت إلى الحصول عليها حية متحركة، ولا تزال ثورة الملتيميديا مستمرة، تقذف لنا بالمزيد من اكتشافاتها المذهلة.

وقد تركبت الحياة المعاصرة على تقنيات التصوير من التعليم والإعلام والتجارة وغيرها من القطاعات، بحيث صارت الصورة من المكونات الأساسية في تركيبة الدولة المعاصرة.

وهذه القضية ناقشها الفقه الإسلامي منذ وقت مبكر، واختلفت آراء الفقهاء فيها وتأرجحت بين المنع والجواز والكراهة.

وهذا الخلاف الفقهي سببه:

١- ما جاء من روايات وأحاديث في ظاهرها التعارض.

٢- الاختلاف في تفسير هذه الروايات وتوجيهها.

والبعد الغائب في كثير من الأحيان هو الرؤية القرآنية لقضية التصوير، والتي لو استحضرها الفقهاء لأراحوا أنفسهم من عناء طويل في فك شفرات مختلف الحديث ومشكله.

التصوير في اللغة والاصطلاح

جاء في القاموس المحيط [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] «التماثيل جمع تمثال، وهو اسم للشيء [illegible]»، وفي

[illegible] تعالى [illegible]

[illegible]

وتأتي الصورة بمعنى التمثال، ففي لسان العرب (التصاوير التماثيل).

وفي "النهاية في غريب الأثر": (والأصنام وهو ما اتخذ إلهاً من دون الله تعالى، وقيل هو ما كان له جسم أو صورة [illegible])

مما سبق يتضح أن الصورة في اللغة [illegible] الصورة والتمثال يأتيان بمعنى واحد، أما الصنم فيكتسب معنى عقائدياً مخالفاً لعقيدة التوحيد، ولذا عبر القرآن بالتمثال في بعض الأحيان عما كان مباحاً، قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام.

﴿ [illegible] ﴾

([illegible]: ١٣)

وفي أحيان أخرى بما كان مكتسباً للطبيعة الوثنية قال الله تعالى على لسان [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٥٢)

أما الأصنام والأوثان في التعبير القرآني من أوله إلى آخره كانت تعبر عن مضامين عقدية وثنية مخالفة لعقيدة التوحيد.

قال تعالى:

﴿ [illegible] فِي ضَلَالِهِمْ ﴾

([illegible])

وقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible]: ٣٥)

وقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٣٠)

الأحاديث الواردة في الموضوع:

وردت في [illegible] عدة أحاديث [illegible]

١- روى الربيع (٢٧٤) [illegible] عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال: اشترت عائشة -رضي الله عنها- نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ وقف بالباب ولم يدخل، فلما رأت في وجهه الكراهية قالت: يا رسول الله ﷺ أتوب إلى الله ورسوله مما أذنبت، فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه النمرقة؟ [illegible] وتتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون بها في النار ويقال لهم أحيوا ما خلقتم.

ثم قال: إن البيت الذي فيه تصاوير لا تدخله الملائكة عليهم السلام.

وهذا الحديث رواه أيضاً البخاري من طريق السيدة [illegible] (١٩٩٩)، (٣٠٥٢)، (٤٨٨٦)

٢- روى البخاري (٤١٧)، ومسلم (٥٢٨)، عن السيدة عائشة أن أم حبيبة [illegible] فيها تصاوير [illegible] ﷺ فقال: ([illegible] إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات [illegible] على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).

٣- روى الربيع (٢٧٦): أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال: بلغني أنه اشتكى أبو طلحة الأنصاري [illegible] يعودونه [illegible] فقال: لأن فيه تصاوير وقد قال رسول الله ﷺ ما قد علمتم. فقال رجل منهم [illegible] يقل: (إلا ما كان رقماً في ثوب). فقال: بلى، ولكنه أطيب لنفسي [illegible] من الإثم.

[illegible] الحديث بهذا السياق من قصة مرض أبي طلحة الأنصاري [illegible] في السنن الكبرى (٩٧٦٦)، والترمذي (١٧٥٠)، [illegible] (٥٨٥١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٣٦٢).

وورد بسياق آخر من قصة مرض زيد بن خالد الجهني عند البخاري (٥٦١٣)، ومسلم (٢١٠٦)، من طريق بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ قال: [illegible] ﷺ قال: "إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة"، قال بسر: ثم اشتكى زيد فعدناه، فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟. فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: (إلا رقماً في ثوب) [illegible] عمرو هو ابن الحارث حدثه بكير حدثه بسر حدثه زيد حدثه أبو طلحة عن النبي ﷺ.

٤- روى البخاري (٣١٧٤) [illegible] (٥٨٦١) عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- [illegible] (قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط).

٥- روى مسلم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

٦- روى مسلم (٢١٠٧) من طريق [illegible] بن محمد عن عمته السيدة عائشة قالت: دخل النبي ﷺ عليّ وقد سترت نمطاً فيه تصاوير فنحاه، فاتخذت منه وسادتين.

٧- روى النسائي في السنن الكبرى (٨٩٥٠)، [illegible] (٤٩٣٢) [illegible] سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت: قدم النبي ﷺ من غزوة [illegible] على باب حجرتي عباءة وعلى عرض بيتها ستر إرميني، فدخل البيت فلما رآه قال لي: (يا عائشة مالي وللدنيا؟)، فهتك العرض حتى وقع الأرض وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية عن بنات لعائشة لعب فقال: (ما هذا يا عائشة؟) قالت: بناتي ورأى بين ظهرانيهن فرس له جناحان قال: ([illegible]) [illegible] حتى رأيت نواجذه.

[illegible]

الفقه القديمة والحديثة، يتضح أن هناك عدة اتجاهات فى التعامل مع هذه المسألة:

١ - الاتجاه الأول: غلب الروايات الدالة على منع تصوير ذوات الأرواح بكافة أشكالها وهى الأحاديث (١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥)

[illegible] لأن فيها مضاهاة لخلق الله، وقد بين الرسول ﷺ أن أصحاب الصور يعذبون بها فى النار ويطالبون بأن يحيوا ما [illegible] صريحة على التحريم.

وهذه الروايات رواها جمع من الصحابة منهم السيدة عائشة وابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدرى.

٢ - الاتجاه [illegible]: القائلون بالجواز، [illegible] فريقان

- فريق غلب الروايات الدالة على [illegible] على النسخ لقوله ﷺ: «إلا رقما فى ثوب» واعتباره أمرا اقتضته ظروف حداثة [illegible]

- وفريق رأى انطلاقا من رؤية قرآنية أن التصوير المذموم هو الذى ينحو منحى مخالفا لمقتضيات عقيدة التوحيد، وأن المضاهاة والمماثلة لخلق الله تعالى غير ممكنة من أساسها.

٣ - الاتجاه الثالث: حاول الجمع بين الروايات المجيزة والمانعة بأن حمل المنع على الكراهة، وهناك آراء أخرى فى المسألة لم أتعرض لها، لكن هذه الاتجاهات هى [illegible]

التصوير الفوتوغرافى والمجسم

عندما غلبت النظرة الفقهية التى ترفض [illegible] أشكال التصوير، وصار التصوير أحد [illegible] بعض أشكال التصوير فتقلصت مع الأيام [illegible]

[illegible] للمجتمعات الإسلامية وقع النظر الفقهى فى معضلات [illegible]

لقد احتار الفقهاء فى تكييف هذا [illegible] فى تطلب الحياة المعاصرة للتصوير [illegible] مجالات التعليم والشؤون القانونية [illegible] وغيرها من الأمور التى تعود على الناس [illegible] الفوتوغرافى على سبيل المثال، فعند ظهوره تبنى أكثر الفقهاء تحريمه على [illegible] محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية ألف فى عام ١٣٤٥هـ رسالة

[illegible] الجواب الشافى فى إباحة التصوير الفوتوغرافى" ذهب فيها إلى إباحة التصوير الفوتوغرافى لأنه (عبارة [illegible] باب هذه الصناعة ليس من التصوير [illegible] يضاهى بها حيوانا خلقه الله تعالى، [illegible] تلك الآلة) على حد تعبير المطيعى، أى [illegible] عين ما ظلوا يحذرون به الضمير المسلم قرون طويلة من ذم المعتزلة فى تقديمهم [illegible] عقلية فى مقابل النقل، مع العلم أن المعتزلة لم يكن لهم فقه يذكر مارسوا فيه تقديم "العقل على النقل" فكانوا [illegible]

ووقوعهم فى هذا المطب [illegible] الحقيقى ضغط الحياة وإلحاحها فى

ضرورة إيجاد مخرج "شرعى" لمسألة التصوير، فكان المخرج فى أصل نسب [illegible]

وبعض من القائلين بجواز التصوير الفوتوغرافى يمنعون التصوير باليد أى الرسم، وهذا يعكس أزمة أخرى فى [illegible] للظل، لأن التصوير باليد أيضا عبارة [illegible] وكمهارة من التصوير الفوتوغرافى، فكيف تحرم الصورة الأقل دقة وتباح الأكثر دقة؟!!

[illegible] استند إليها القائلون بالجواز، واعتمد على قاعدة الضرورات فى إباحة المحظورات، فتحولت الحياة التى تركبت على التصوير إلى ضرورة من أولها إلى آخرها، فالمجلات والصحف التى تصدر بالصور ضرورة، والتصوير السينمائى والتلفزيونى ضرورة، [illegible] على ذلك بقية الضرورات، وعليه تحكم [illegible] الضرورة التى نمارسها كل حين ولا ندرى متى سترتفع هذه الضرورة وحط الحياة [illegible]

القضية إلى الآن لم تحل فى نظرى، ولا يزال الموضوع يحتاج إلى معالجة أخرى تتجاوز هذه الإشكالات وإلا فإننا قد نتراجع مع اتجاهات تعيد عقارب الساعة للوراء.

قصيدة العدد

من وحى مكة

[illegible]

أيامُ (مكة) هزَّ القلبَ ذكـــراها ... [illegible]

منذ من جبريلُ باسم الله جاءيها ... أفــاض منهــا على الدُّنيــا فــأغناها

وخصَّــها اللهُ بالتنزيل فــأتلقتْ ... بهــا الرَّوابى.. رســولُ الله يغشــاها

[illegible] ... بالشكر تلهجُ إذ مســت خُطى (طه)

[illegible] ... مــازال يُشرقُ فى الدنيــا ويرعــاها

[illegible] ... وآخــرٌ من من كــفيــه مــغناها

[illegible] ... وظلَّلتــهُ ســحــاباتٌ فــمــاشاها

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... والطيب يصحبــه أنى تغشــاها

ســبحــان رب أفــاض النور فى بلد ... واخــتــاره آية للخلق ســواها

[illegible] ... [illegible]

هنا (الخليل) و(إسمــاعيل) قد وقفا ... حــتى أتمَّا بناءً كــان أعــلاها

فكانت القــبلةُ العُظمى لأمــتنا ... ويا (محــمــدُ) أنى جئت ترعــاها

وأذنا فى فــضــاء الكون فــاتــفــقتْ ... منا القلوبُ: أجل يارب نهــواها

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... منا الحناجــرُ والأرواحُ نحــواها

[illegible] ... أو غــيل زائرة، فــالله الله!

[illegible] ... [illegible]

لا جنس، لا لون، لا نطقٌ يفــرقنا ... فــالكل ذاب مع التــهليل أو تاها

الله عظمــهــا.. واللهُ حــرمــهــا.. ... [illegible]

يا أرض مكة، تيــهى فى الدُّنا شــرفــاً ... فــأنت أطهــرُ أرض الله أمــواها

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... مهــمــا تناءت ديارى لست أنســاها

[illegible] ... وأســتــفــيقُ على طيف لمرآها

حــتى كــأنى أخطو فى شــوارعــهــا ... وأطرقُ الحى تلو الحىِّ تيَّـــاها

مــا بين (أجياد) حتى حى (صــفلة) ... إلى (الشــبيكة) أيامــاً قــضــيناها

يا زائر الكعــبــة الغــراء أمنيــتى ... بدعــوة عند بيت الله ترعــاها

ودمعــة فى خــشــوع عند (مُلْتــزم) ... وقــد تعلقت بالأســتــار أوَّاها

[illegible] ... وأغــسل النفس من أدران بلواها

التفكير الإبداعي مجالاتــه وضــوابطه



موضوع التفكير التقدمي والابداعي ودورهما في المجتمع. يدفعنا الى الحديث فيه الواقع المؤلم الذى نعيشه ونعانيه من حيث اختلاط المفاهيم، وتداخل الاصطلاحات. وعدم تحديد المعانى. ودعوة التحرر المطلق فى الكتابة والتأليف والفن دون قيد او شرط.. ان الذى يتأمل فيما تخوض فيه كثير من الاقلام من احاديث عن حرية الكاتب والفنان المطلقة فيما يكتب او يعبر. وضرورة ان توفر هذه الحرية له كى يتمكن ابداعه من الانطلاق فينتج ما يعبر به عن مشاعره الذاتية. وافكاره الشخصية بالاسلوب الذى يختاره والكلمات التى تروق له. من يتأمل ذلك يتصور ان هناك من يمنع الكاتب والفنان عن ممارسة الحرية الايجابية الهادفة التى تبنى ولا تهدم، وتعمر ولا تخرب. وتجمع ولا تفرق. او من يقف حائلا دون تصوير المشاعر الانسانية تصويرا راقيا.. بل يزيد الامر خطورة حين ينشر هؤلاء ويدعون ان رجال الدين يقفون امام الحرية الادبية للكاتب. وانهم يعيدون عهود الحجر الادبى القديمة!!

إن الواقع غير ذلك تماما فالإبداع الأدبي الهادف هو ما يحرص عليه دور الرسالات السامية من المفكرين والأدباء، وأصحاب الدعوة إلى الرقي الأخلاقي والأسلوب السامي العالي من الكُتاب، وهو ما نجده في صحف الأدب الرفيع.

وكتاب الله عز وجل هو الصورة الأدبية الرائعة للبيان العربي في التعبير عن قصة خلق الكون، وعن الدعوة إلى النظر في [illegible] وعن الدعوة إلى [illegible] الأرض، وعن التفكير الهادف، وعن التوحيد وعبادة الله، وعن قصص الأنبياء والأمم السابقة، وعن العبادات والتشريعات والأخلاق، وعن [illegible]، وعن البعث والنشور، وعن الثواب والعقاب.. إلخ، ما تضمنه القرآن الكريم من معاد ومقاصد وعبادات ومعاملات، وأحكام وتشريعات، وأخلاق وفضائل، وتوجيهات وإرشادات.

ولا ينكر أحد أنه نمط فريد من الأسلوب الأدبي الراقي، والبلاغي المعجز يحاول أدباء العربية الأصلاء احتذاءه والاقتباس من سموه. هذا الإبداع الرباني يضرب المثل الحقيقي لكل من يحاول الإبداع البشري [illegible]

[illegible] الإبداع الفكري محارب من بعض الأفراد والمؤسسات والهيئات، لا يقصدون بالإبداع الفكري ما يصور خوالج النفس الشريفة، وما يدعو إلى الارتقاء بالقارئ إلى عالم من الإحساس الشريف الذى يريح [illegible]، ويسمو به إلى مثل من الشعور الإنساني [illegible]، [illegible] بل يقصدون ناحيتين مهمتين هما موضوع الاحتجاج على ما يكتبون:

أما الناحية الأولى: [illegible] وغير صريح [illegible] الأخلاقي [illegible] في تصوير [illegible] الشائن، وجعل الأدب [illegible] حديث المنحرفات والمنحرفين في المخادع المريبة بدعوى أن الفن للفن، وأن كل من يصور لحظات السقوط أديب فنان.

وهذا في الواقع انحراف عن مثل الأمة [illegible] على نحو [illegible] المجتمع بالسقوط والتردي إلى مدارك الرذيلة، وظلم لمفهوم التفكير الإبداعي، ومعناه، وغايته.

وقد عرفنا من كبار الأدباء والكتاب في الجيل الماضي من كتبوا: القصة، والقصيدة، والمسرحية، والمقالة...، وعالجوا مشكلات العاطفة، ومعضلات الحياة الوجدانية دون أن ينحدروا إلى الإسفاف الدنيء، متأدبين بآداب الفضائل الدينية، وقيم المجتمع الأخلاقية، ولم تظهر عند أدباء الجيل الماضي كتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعلي أحمد باكثير، والمنفلوطي، والرافعي، وغيرهم كثير.. ما يدل على انحدار في تصوير [illegible] في [illegible] التعبير على نحو ما نراه الآن.. مما سبب في اعتراض الشرفاء الغيورين على قيمهم الدينية، وأخلاقهم الاجتماعية، ومثلهم [illegible] اعتراضهم على ما يطبع وينشر من قصص وكتب مليئة بالانحدار والإسفاف والإلحاد الذى يدافع عنه من يظنون أن [illegible] وأن ينتشر دون اعتراض..

أما الناحية الثانية: [illegible] كل احترام وتقدير [illegible] يسوقون على [illegible] في كتبهم ومقالاتهم ما يبرأ منه الواقع الحقيقي لهؤلاء

الكرام، بل يزيدون فى غيهم وانحرافهم وسقوطهم فيتحدثون عن الذات الإلهية [illegible] الأحاديث مثالا لحرية الفكر؟ كأن حرية الفكر لا تكمن عندهم إلا فى الهجوم على المقدسات الدينية، وأصحاب المثل العليا من أتباع [illegible] العاصية، وجدنا من أرباب الأقلام من يدعى ويعلن فى صوت عال بلا حياء ولا خجل أن فى ذلك محاربة لحرية الفكر والإبداع، وأن الأديب لا يتقيد بأفكار يحترمها المجتمع. وربما خجل أحد هؤلاء المدافعين فحاول أن يبرر هذا السقوط بقوله: إن هذا الإلحاد قد جاء على لسان بطل لا يصور عواطف الكاتب.

هل رسالة صاحب القلم أن يرقى بمستوى قارئه أم يهبط به؟ وأيهما أجدى على المجتمع وأنفع للناس، أن يقرأ الإنسان قصة تصور الهبوط الجنسى فى مراحله المتدنية، أم أن يقرأ صورة [illegible] وتدفعه إلى تصور عالم فاضل تكون فيه الأسرة الإنسانية سعيدة بالتعاون الخلقى، والتحاب الشريف، واحترام الحقوق والحدود. فيشرئب ويسعى إلى تحقيق ما يقرأ، ويرتفع بنفسه إلى مستوى ينأى به عن [illegible]؟

[illegible] والمرسلين والمصلحين، فإذا كانت مادة [illegible] يوسوس للقارئ بما يؤذيه ويكدر حياته، ثم [illegible] كتاب القصة والمقالة على تصوير الجانب [illegible].

[illegible] يتطلب الإشباع، ولا ننكر على الأديب أن يصور هذه الدوافع تصويرا نبيلا، ويستطيع كل كاتب أن يعبر عن أحرج المواقف وأشدها حساسية بما لا يؤذى الشعور الإنسانى، وبما يجعله محترما أمام قارئه.

[illegible] الجنسية تعبيرا نبيلا يضرب به المثل الراقى لمن يريد أن يتحدث عن العواطف الإنسانية فى [illegible] فى محكم كتابه [illegible]

[illegible]

(الأعراف: ١٨٩)

فماذا يرى القارئ فى هذا النص القرآنى الشريف؟ لقد تحدث عن أدق العلاقات الجنسية فى قوله تعالى [illegible]

[illegible] الحامل فى قوله:

[illegible]

[illegible]

وهذا مثل يحتذى بين الكتاب النابهين، فقد كنا فى عهد الدراسة الثانوية نقرأ آثار المنفلوطى -رحمه الله- وقصصه العاطفية [illegible] الفضيلة، وغيرها فنرى العفاف فى أجمل مظاهره، ويشعر قارئ الفضيلة -مثلا- أنه قرأ كتاب أخلاق وقصة أدب معا.

والقصة مترجمة عن الفرنسية، أى أنها لكاتب أوروبى كبير لم يشأ أن ينحدر فى تفكيره [illegible] الإباحيين.. فإذا كنا نحرص على تقليد أدباء الغرب فلماذا لا نقلد الموهوبين منهم [illegible] وقد ترجم [illegible] حسن الزيات، ومحمد عوض، وخليل [illegible] وغيرهم وغيرهم عن روائع [illegible].

نحن لا ننكر [illegible] مشكلات [illegible] هذه المشكلات من ناحية [illegible] الرذائل، وتسمو على الإسفاف والتدنى والانحطاط.

وإذا قال قائل إن الواقع الفعلى يجب أن [illegible] شئون الحياة لا يستحسن التعبير عنها، [illegible] فى الطريق، كما ليس معناها أن تسىء إلى [illegible] بتطبيقها وعدم الخروج عنها، فلماذا لا يكون للتعبير الأدبى هذه الضوابط؟ أتراعى الأدب فى مجالس السمر، وفى المجتمعات العامة بحيث يصير من يخرج عنها (هزأة) بين الناس، منبوذا منهم غير مرغوب فى الجلوس معهم، ثم نتحلل من ذلك كله حين نكتب قصة ماجنة وندعى أننا نعبر عن الواقع! أى واقع هذا؟ هل تخلع عن ذاتك العورة فى الطريق العام وتقضى حاجتك أمام الناس ثم تقول: هذا أمر ضرورى لا سبيل [illegible]

[illegible] والحياء؟

إن مشكلات المجتمع التى تتطلب: الفكر الإبداعى، والإفصاح الروائى، والتعبير [illegible] وتعد، ولكننا للأسف لا نلجأ إلا إلى الإغراء [illegible]

والمجتمع يعج بشتى المشكلات: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، ومشكلة التعليم التى صارت مشكلة المشكلات.. ويعانى المجتمع التخلف فى كثير من هذه النواحى، فلماذا لا يكون الفكر الإبداعى مصباحا وضاء ينير الطريق فى هذه النواحى حتى يساهم فى حل هذه المشكلات، [illegible] فى دول العالم المتقدم، بدلا من تصنيفنا ووضعنا فى دول العالم المتخلف الذى يتحكمون عليه [illegible]

ولماذا لا يكون الاهتمام إلا بالجنس فى أحط صوره، وبالإلحاد فى أخس نواحيه؟

طرائف.. ومواقف

[illegible]

فذلك الذي بكاني

قال يونس بن محمد المكي:

زرع رجل من أهل الطائف زرعا، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق فدخلنا عليه نسليه فبكى

وقال: والله ما عليه أبكي، ولكن سمعت الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١١٧)

فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك أبكاني.

فقد كنت للدنيا مذلا.. وللآخرة معزا

حدث الزبير، قال: قامت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بعد ما دفن أبوها أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقالت: نضر الله وجهك، وشكر صالح سعيك. فقد كنت للدنيا مذلا، وللآخرة معزا بإقبالك عليها، ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله ـ ﷺ ـ وأكبر الأحداث بعده، فإن كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة، وأنا تابعة له في الصبر [illegible]

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

[illegible] فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك.

أنا ابن نفسي

تكلم رجل عند عبدالملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب، فأعجب عبدالملك ما سمع من كلامه، فقال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت إليك. قال: صدقت. [illegible]

[illegible]

ما أنا مولى ولا أنا عربي

إذا انتمى منتم إلى أحد

[illegible]

خفي

وكم لله من لطف خفي

[illegible]

وكم يسر أتى من بعد عسر

وفرج كربة القلب الشجي

وكم أمر تساء به صباحا

وتأتيك المسرة بالعشي

إذا ضاقت بك الأحوال يوما

[illegible]

أوحش المواطن

أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه.

لذلك قال الله ـ تعالى ـ: في حق سيدنا يحيى عليه السلام:

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

(مريم: ١٥)

حقيقة

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله:

من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه، وفي هذا يقول:

تعمدني بنصحك في انفرادي

وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي

فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

وكان المريض بخيلا

حكى الهيثم بن عدي، قال: [illegible] أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ في نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا، وتواصينا على أن نعرض [illegible] [illegible] قال أحدنا:

﴿ [illegible] ﴾

(الكهف: ٦٢)

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ٩١)

فقال أبو حنيفة لأصحابه: قوموا فما لكم هنا من فرج.

دعاء

إلهي لست للفردوس أهلا

ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لي توبة واغفر ذنوبي

فإنك غافر الذنب العظيم

مكتبة الأزهر

تسعى «الأزهر» عبر هذا الباب الى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن احدث الاصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة. ذلك للمساهمة فى تكوين عملية واعية وعصرية.



فى خطوة جادة قامت دار فاروس [illegible] وطباعة الأعمال الكاملة لشعراء العربية المحدثين [illegible] [illegible] الخاصة بشعره واتجاهه الفنى. الدار أصدرت حتى الآن أعمالا لكل من: المتنبى، والبحترى والفرزدق، أحمد شوقى، وحافظ إبراهيم، وناجى، وأحمد مطر، ومحمد [illegible]





«مرحبا فى صحراء الواقع ... مفكر ماركسى غربى يعترف»

سجل الإسلام فى حقوق الانسان أفضل من الغرب





يشتبك المفكر السلوفينى سلافوى جيجيك فى كتابه الممتع «مرحبا فى صحراء الواقع» ـ الصادر عن دار العين [illegible] مخاطر تواجه البشرية، جيجيك الماركسى ينطلق من التحليل النفسى لمدرسة «جاك لاكان» كاشفا عن حقيقة أساطير مثل: «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات» و«١١ سبتمبر» و«الحرب على الإرهاب» التى يراها حالة من السعى الغربى [illegible] وعلى الرغم من أن المؤلف تتبع حيل الغرب فى خمسة فصول إلا أن موقفه من الإسلام وصراع الحضارات جدير بتسليط الضوء عليه، حيث يقول نصا فى صفحة ٧٨: «إن نظرة سريعة إلى التاريخ المقارن للإسلام والمسيحية تبين لنا بأن سجل حقوق الإنسان للإسلام أفضل بكثير من سجل المسيحية [illegible] الإسلام أكثر تسامحا بشكل ملحوظ تجاه الأديان الأخرى من المسيحية».

نحو فلسفة إسلامية فى العمران:

الهجرة من الريف إلى المدينة وآثارها المدمرة

[illegible]

منذ ثلاثينات القرن الماضى، بدأت عمليات الهجرة من الريف الى المدينة فى مختلف اقطار العالم الثالث. وفى مقدمتها عالمنا العربى والاسلامى. والاسباب كثيرة: اهمها اهمال الريف من قبل معظم الحكومات التى وجدت فى العالم الثالث. والتركيز على المدن وخاصة العواصم. فكان تلك الحكومات عكس تلك النفسية المحتاجة لكثير من التسديد والترشيد. ألا وهى نفسية العناية بالمظهر وليكن المخبر ما يكون. فكثير من الاسر والافراد يركزون عنايتهم على المظاهر ولا يكادون يلتفتون الى غيرها او ما يجاوزها. فالمظهر هو الذى يراد الناس ويرون انهم لا يقيمونهم إلا من خلال المظهر. وقد يحرم الناس انفسهم من أمور هامة جداً فى سبيل العناية به.

وهذا النوع من الانحراف الثقافى والمزاجى الذى يفتقر إلى تسوية وتعديل فى كثير من حكومات العالم العربى [illegible] لم تولها أية عناية، وركزت جميع الخدمات فى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليه [illegible] [illegible] [illegible] الأحوال المدنية والمطارات وما إلى ذلك لا تتوافر إلا فى العواصم.

ولما بدأت بعض الحكومات تعنى ببناء جيوش [illegible] للأفراد - من جنود أو شرطة أو من إليهم - لم تكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

دراسات حول [illegible] وسائلها. فقد تبنى المدينة وتنظم شوارعها وخدماتها لتستوعب مليونا من البشر، لكنها بعد أشهر أو سنوات قليلة تجد نفسها وقد جاءها ثلاثة ملايين أو خمسة أو عشرة فى بعض الأحيان. فتبدأ عمليات بناء ما يعرف بالعشوائيات، لتتحول تلك العشوائيات فى بعض المدن إلى حزام من الفقر وقلة التنظيم وانعدام الخدمات، بحيث يصبح عبئا لا تحتمله المدينة التى يغلب أن يعمل فيها (٩٥٪) من سكان العشوائيات ويعودون ليلا إلى عشوائياتهم المحرومة. هنا تصبح عملية بناء ثقافة موحدة للشعب، وذوق عام، ورأى عام، ومجتمع تسوده علاقات التواصل والتكافل [illegible] يحدث اليوم نتيجة لذلك، وهؤلاء الذين اقتلعوا من الأرياف ووجدوا أنفسهم فى محيطات المدن. لو أنهم وفرت لهم خدمات [illegible] [illegible] الخدمات وربطت الريف والمدينة بمواصلات [illegible] [illegible] بالإنسان، ويجاوره ما يستطيع أن يربى فيه [illegible] [illegible] فى قريته، وإذا أراد ابنه أو ابنته الالتحاق فى الجامعة فإنه لا يحتاج إلا أن يكون قريبا منها أو [illegible] [illegible] الريف أن يعيشوا فى أريافهم ويحققوا ذواتهم ويصلوا إلى طموحاتهم. لما وقعنا فى مشاكل أخشى أن أقول إن كثيرا منها قد أصبحت معالجته فى غاية الصعوبة، إذ لم تكن متعذرة.

[illegible] التى جاء الإسلام بها، وتأسست حضاراتنا وعمراننا على قوائمها وقواعدها حين عنى رسول الله ﷺ أول ما عنى بالمدينة، بل قبل ذلك نجد القرآن المجيد قد حدد حدود أم القرى (مكة) وبين حدود الحرم، وأشار إلى آثار البيئة فى الخلق والسلوك. فقال عن الأعراب:

[illegible]

﴿[illegible] الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم [illegible]﴾

(التوبة ٩٧ - ٩٨)

وحفل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بكثير من الإشارات التى لو اعتنينا بها خرجنا بتصور [illegible] [illegible] كثير من الأزمات الهائلة التى صار بعضها يهدد الوجود؛ مثل المخدرات والزنا والعلاقات المتوترة [illegible]

إن لدينا بفضل الله عناصر معمارية وهندسية كثيرة يعج بها العالم العربى الإسلامى، لا يعجزها أن تؤسس منظومة عمرانية إسلامية، فيها كل آداب السكن المناسب للأسرة المسلمة وللمجتمع المسلم، والمناسب للبيئة والمناخ، والذى يمكن أن يعتمد فى عمليات بنائه وإعداده على المواد المتوافرة فى البيئة، فليت قادة الرأى والفكر ورؤساء الدول والحكومات عندنا يلتفتون إلى هذه الناحية الخطيرة قبل وقوع الطوفان.

من تراث الهلال

المرأة فى الأزهر بين الأمس واليوم

ظلت مجلة الهلال منذ بداياتها وعلى مدى رحلتها الطويلة فى عالم الثقافة التى بلغت ١٢٠ عاما [١٨٩٢ - ٢٠١٢م] واحة خصبة وارفة الظلال تفيأها مشاهير علماء الأزهر الشريف. فعطروا صفحاتها بتلك الكلمات الطيبة الفواحة: من خلال مقالات رصينة هى بمثابة غذاء الروح للعقل والوجدان المسلم. وعشت بنفسى مدى حرص كل رؤساء التحرير الذين عملت معهم على مدى رحلة العمل بها لمدة ٤٦ عاما. على أن تزدان صفحاتها فى كل عدد من أعدادها بكل ألوان ثقافة الإسلام ووسطيته بما تحمله من عذوبة الحرف وغنى اللغة العربية وسديد الرأى.

أسماء كثيرة من هؤلاء العلماء والمفكرين الكبار أسهمت على مدار عمر هذه المجلة [illegible] أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ مصطفى المراغى، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والدكتور محمد البهى، والدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور أحمد الطيب والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محمد الغزالى، والدكتور محمد رجب البيومى، والدكتور محمد عمارة، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، والمرأة فى الإسلام عاشت معززة مكرمة [illegible] المكانة التى يحظى بها الرجل بعد أن أنصفها ديننا الحنيف وأعلى قدرها.

لذا نقدم واحدة من المقالات البديعة التى نشرتها «الهلال» فى الأول من فبراير عام ١٩٣٤م تحمل عنوان «المرأة فى الأزهر».. مهداة تتقدم إلى الشهادة العالمية بقلم الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون ننشرها بنصها:

«لم تحرم المرأة فى الإسلام من التحلى بحلية العلوم والمعارف والآداب، وما بلغ الرجل منزلة فى ذلك إلا نالته وضربت فيه مثلا يحتذى.

كانت المرأة فى صدر الإسلام تحضر مجلس رسول الله ﷺ وتسأله عن الشىء كما يسأل الرجل وكان يجيبها، وكانت تروى الحديث [illegible] فى مسائل الفقه كما يروى الرجل ويفتى. واشتهر فى ذلك العهد كثير من النساء، كعائشة أم المؤمنين فى الفقه والرواية، وفاطمة وسودة وأم سلمة وغيرهن فى الحديث. [illegible] الأمر كذلك من فجر الإسلام إلى [illegible] [illegible] ويحتلف العلماء ورجال الأدب إلى قصور الخلفاء وبيوت الأمراء وذوى الجاه.

يتعلمون [illegible] فى [illegible] من فنون العلم والأدب وقرض الشعر.

وفى [illegible] والكليات بزائدات العلم [illegible] متعطشات، ويتخرجن فى تلك المعاهد [illegible] المؤلفات الحديثة، وملأت الصحف والمجلات والموسوعات بآثارهن الرائعة فى مصر وشقيقاتها من الأقطار العربية وغيرها».

ويضيف الشيخ محمود أبو العيون: «ذلك ما حدثنا به التاريخ فى عهده الغابر وما شاهدناه فى عصرنا الحاضر، ولم يحدثنا التاريخ عن نساء احتللن إلى الأزهر نفسه وتلقين العلم فى حلقاته.

والذى شاهدناه بأعيننا وسمعناه من شيوخنا أن كثيرا من النساء كن يتحلقن حول بعض [illegible] الوعظ، وفى رمضان على الأخص، وكن [illegible] وكن يشهدن الصلوات متحجبات حجابا كثيفا، فلا يطمع فيهن العابث ومريض القلب».

نساء تعلمن على يد شيوخ الأزهر

ويقول مواصلا مقاله: «وعرفنا أن نساء كن يتلقين العلم فى الجامع الأزهر إلى عهد غير بعيد، وكان من شيوخهن الأساتذة: الشيخ القويسنى والشيخ السقا والشيخ على الصعيدى العدوى والشيخ الخضرى وغيرهم من العلماء المشهورين [illegible] فى ذلك العهد كانت رغباتهن فى العلم محدودة. [illegible] فى نوالها زملاؤهن الرجال، ولهذا لم يتركن أثرا، ولم نسمع عنهن شيئا سوى أحاديث تروى فى المجالس، وقد يكون من [illegible] التيمورية الشاعرة المعروفة أنها كانت تتلقى [illegible] حسن [illegible] اللاتى حضرن العلوم اللغوية والشرعية فى الأزهر [illegible] ستيتة الطبلاوية وقد درست عليهما جانبا من النحو والعروض».

[illegible] الشيخة فاطمة العوضية

[illegible] عهد قريب، على الطريقة التحاورية [illegible] فاطمة العوضية. كانت تدرس على الشيخ [illegible] وإلى عهد قريب، على الطريقة التحاورية [illegible] العوضية أجودنا منطقا وفهما، وأكثرنا نقاشا وحوارا، وأصبرنا على صعوبة الدرس، ومشقة [illegible] تنال الشهادة العالمية من الجامع الأزهر، وكانت لجنة الامتحان تطوف على المعاهد الملحقة بالأزهر لامتحان طلبة الشهادة فيها، فحضرت [illegible] ١٩٩١م لامتحان طلبته ومن ثم تقدمت الشيخة فاطمة العوضية للامتحان، وكان موضوع درسها فى علم الأصول «لا تكليف إلا بفعل» من كتاب «جمع الجوامع» وهو باب عويص [illegible] من الطلبة النابهين من يحذقه أو يجوزه بسلام.

وما إن أحدت الشيخة فاطمة العوضية [illegible] في [illegible] حتى [illegible] وابلا من الأسئلة المعقدة في الباب المعين [illegible] الأزهر في [illegible]. فقد كان مرهقا حقا، وكان السبيل في نجاح الطالب أن يكون ملما بما كتب في الحواشي والتقارير، وأن يكون قادرا على الجمع بين الآراء والخلافات، وتصحيح المسائل المختلف [illegible] وضعيفة. [illegible] من العلماء [illegible] في [illegible] كله عمق لتفهم [illegible]. لا بكثرة [illegible] وبقل الأقوال والمسائل، وشرط آخر لابد منه مع ما ذكرنا، وهو أن يكون لأغلب [illegible] والوزن، لاستقامته وشهرته وحسن سمعته مثلا.

فكان طالب الامتحان يلاقي من ذلك عنتا وجهدا، وكان كثيرا ما يصيبه الإعياء والإعماء فيبوء بالحرمان!

جلست الشيخة فاطمة العوضية تجيب عن أسئلة الامتحان، واللجنة تهاجمها بمعضلات المسائل.

ولقد [illegible] الشيخ [illegible] العربي مغالطا: «هل الاسم والحرف يكلف [illegible]؟»

فأجابت: «ده بشئ وده بشئ، أي (دا شيء ودا شيء)، وهي كلمة تركيبة، أي أن الفعل هنا هو فعل المكلف المخاطب بالأحكام وهو غير [illegible] الاسم والحرف. [illegible] اللجنة لهذا الجواب الظريف: تقول: [وما زال صاحب المقال يوصل]. ومع أن أعضاء اللجنة لم يكن اتجاههم تخريج المرأة تحمل شهادة العالمية فهي أيضا قد أصابها الخور والضعف، ولم تستطع إكمال الامتحان، فلم تنل من ذلك مغنما، فكان لرسوبها أسف عميق في نفسها قضى عليها بعد قليل من الزمان».

نصير المرأة في الأزهر

ولم يعلم إلا الله ماذا كان يكون لها من حظ [illegible] في الامتحان وأصبحت «عالمة» بين علماء الأزهر والمعاهد، أكانت تطالب بحقوق النساء في الأزهر؟.. أكانت تطالب بإنشاء فرق لهن خاصة بهن؟ أكانت تطالب بحقوقهن في [illegible] الشرعي [illegible]؟

ولكن إذا كان القدر المتاح لم يهيئ لها الظفر بالفوز لتتمكن مما عسى أن تطالب به [illegible] الاجتماع ودور العلم وهامات المناصب العلمية الدينية، فهي لم تقدم نصيرا من [illegible] الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش كان من نصراء المرأة في الأزهر، وكان ينادي في خطبه وفي [illegible] فرق في المعاهد الدينية لتعليم المرأة الدين والعربية ووسائلهما، ولقد كان رحمه الله متحمسا لتلك الرأي، وكان حين يتحدث في ذلك يكون عميق الإحساس، قوي الإيمان بتحقيق هذه الرغبة، وسمعته يخطب في ذلك على مسرح متروبول بالقاهرة، وهو شديد [illegible] لا تكفي [illegible] في تعليم [illegible] بل [illegible] حقيقي [illegible] إن هذه المدارس مدنية لا تعلم الدين بل تفسده، ولا تفيد تربية بل تعدمها.

أما الأزهر فهو خير كفيل بتخريج نساء يعرفن [illegible] والتربية [illegible]

قلت: أليس أقرب من ذلك أن تهذب [illegible] في [illegible] الحكومة، وتنظم طرق الدراسة فيها لتكون محققة للغرض الذي تنشده، ثم وأنت رجل كبير من رجالات التعليم في وزارة المعارف، قد يكون لك نفوذ يمكنك من تلك المحاولة [illegible].

قال: «إن يد التخريب والغشاء تلعب في [illegible] في [illegible] الإصلاح الديني عبث وضلال. أما الأزهر فقد يكون بعيدا عن تلك الأيدي اللاعبة».

يقول الشيخ أبو العيون: هذا كان رأي المرحوم الأستاذ عبد العزيز جاويش، ولقد كان شديد الحرص عليه، قوي العقيدة بلزومه في الأزهر، عظيم الأمل بتحقيقه، لأن الظروف التي كانت محيطة به في ذلك العهد، كانت مواتية، وكادت تمهد له منصبا رفيعا في المعاهد الدينية، ولقد كان يعمل له دائبا. ولكن الله [illegible]

[illegible] قيمة. [illegible] أن كانت الحياة هنية، قليلة التكاليف، لم تعمرها المدنية، والمشكلات العصرية، فقليل من التعاليم الدينية تتلقاها المرأة في حلقات الأزهر، أو في المساجد الأخرى كانت تكفي [illegible] الدينية التي هي أساس التعليم للمرأة تقوم على نظريات تتصل بالدين والأخلاق والتربية وعلم النفس [illegible] صف ومائة صف من النساء تجانب صفوف الناشئين في المعاهد مقضي عليها بالفشل، ولو بعث الله إليها خيرة العلماء قادة [illegible]

يختم [illegible] نمانية وسبعين عاما قائلا:

إن الأزهر في حاضره لا يستطيع أن يؤدي هذه الرسالة إلى المرأة الحديثة، وليست وزارة [illegible] في حاجة ملحة إلى تأسيس معاهد خاصة بها للتربية والثقافة لتخريج فتيات صالحات للاضطلاع بأعباء الأمومة الصالحة والزوجية والمنزل، وهذه المواد الثلاث هي سلاح المرأة في حياتها الجديدة، وبدونها لا تتم حياتها ولا يستقيم شأنها ولا تصلح لشيء في الوجود.

[illegible] عناية أولي الأمر فيه إلى وضع سياسية تعليمية دائمة، تتفق وروح العصر، لاستطاع بعد ثلث قرن - لا أقل - أن يعيد للدين بهجته وللإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible] ووزيرة وقاضية، وأصبح للمرأة في مصر دورا لا يقل شأنا عن الرجل، وتتحمل مسئولية ضخمة في العناية بالنشء، داخل المنزل، والأمل كبير فيما تقدمه المرأة الآن دعما لوطن يحتاج إلى جهد كل أبنائه [illegible]

بين الصحف والمجلات

[illegible]

فكر النهضة: المغزى.. والتوقيت

في هذا العرض ... مقال الدكتور محمد عمارة ... بجريدة الأهرام ... بتاريخ ... ٢٠١٢ [illegible]

قبل حملة بونابرت على مصر ١٢١٣هـ ١٧٩٨م كانت بلادنا ـ ومعها الشرق الإسلامي تعاني من التخلف الموروث عن العصور المملوكية ـ العثمانية.. وكانت تلتمس النهوض من قيود هذا التخلف الموروث. فلما جاءت الحملة الفرنسية كانت البداية لتحدي الهيمنة الغربية ـ العسكرية.. والاقتصادية.. والفكرية.. التحدي الذي لا يقف عند احتلال الأرض ونهب الثروات، وإنما يسعى لاحتلال العقل وتغريب [illegible] احتلال الأرض ونهب الثروات.. ومع تزايد تأثيرات هذه الهيمنة الغربية ـ عبر القرنين التاسع عشر والعشرين ـ فرضت [illegible] الأوروبية [illegible] على عالم الإسلام ـ [illegible] هذه [illegible] على إجهاض بوادر التجديد التي سبقت الحملة الفرنسية [illegible] لتتمدد في فراغه فكرية التغريب والاستلاب الحضاري الغربي. فوقع الشرق الإسلامي في [illegible] حضاري [illegible] تمثل في تحديات جناحي التخلف الموروث والهيمنة الغربية لكن العقل الإسلامي لم يستسلم أمام هذه التحديات.. بل كان أميناً على خصوصية الحضارة الإسلامية [illegible] الإسلامي تحديات التخلف الموروث والهيمنة الغربية بالإبداعات الفكرية [illegible] المنشودة، تلك التي تتطلع إلى طي صفحة التخلف الموروث مع بعث ثوابت الاعتقاد الإسلامي [illegible] وروح الحضارة الإسلامية، كما اجتهد هذا العقل الإسلامي في التمييز بين ما هو مشترك إنساني في الوافد الغربي وبين ما هو خصوصية غربية [illegible] الحضارية وتشويهها ولقد تمثل فكر [illegible] القرنين التاسع عشر والعشرين.. هذه [illegible] نهضت مكتبة الإسكندرية بجمع هذا التراث النهضوي وتحقيقه ودراسته وتقديمه في صورة فريدة لم يسبق أن قامت بها مؤسسة من مؤسسات الفكر [illegible] في عالم الإسلام.

ولقد شاء الله أن يواكب هذا المشروع لنشر الفكر النهضوي قيام ثورات الربيع العربي التي تفجرت خلال عام ٢٠١١م.

وهي الثورات التي فتحت باب النهضة الحضارية أمام الشرق الإسلامي ليتجاوز المأزق الحضاري الذي عاشته الأمة لعدة قرون، [illegible] التراث النهضوي الذي مثل ويمثل معالم طريق النهضة [illegible] الربيع النهضوي وجدول الأعمال الذي [illegible] على طريق التقدم والنهوض والانعتاق لقد وصف السيناتور الأمريكي جون ماكين ـ إبان زيارته القاهرة في ٢٠ فبراير ٢٠١٢ ـ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م في مصر بأنها الحدث الأهم في الشرق منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية.. وأن التغييرات التي ستشهدها مصر في المرحلة المقبلة هي التي سترسم مستقبل المنطقة كلها.. وأن ثورات الربيع العربي التي أذهلت العالم بأكمله قد تحولت إلى مصدر إلهام للعالم كله.. وأن هذا الحدث سيؤثر على [illegible] هذه الكلمات المدروسة بعمق، والمختارة بدقة وعناية؟..

إنهما تعني أن ثورات الربيع العربي وخاصة في مصر قد فتحت أبواب النهضة الإسلامية التي [illegible] الاستعماري عندما [illegible] الخلافة [illegible] المعبر عن الهوية الإسلامية لأول مرة منذ أربعة عشر قرنا.. وأن استبعاد المرجعية الإسلامية كخيار شرقي للنهضة الذي نجح فيه الغرب الاستعماري في عشرينيات القرن العشرين قد بدأت موجته في [illegible] الإسلامية قد فتحت أمامه الأبواب من جديد وعلى غرار رؤية السيناتور الأمريكي جون ماكين جاءت تصريحات رموز الكيان الصهيوني التي قالت: إن نجاح ثورات الربيع العربي في الامتداد [illegible] بحيرة إسلامية تغرق فيها إسرائيل!

إذن نحن نعيش لحظات تاريخية، تمثل [illegible] وليس مجرد ثورة [illegible] قطري وجغرافي محدود ـ كما يظن الذين لا يفقهون وفي ضوء هذه الأبعاد [illegible] معنى هذا المشروع العملاق الذي تفردت بإنجازه مكتبة الإسكندرية.. [illegible] موسوعة الفكر النهضوي التي أبدعها العقل العربي المسلم على امتداد القرنين الماضيين، والتي حوت معالم النهضة الحضارية التي تصالب ـ لتغلب ـ المأزق [illegible] التخلف الموروث وهيمنة الغزو الفكري الغربي. ففي هذا المشروع تقدم مكتبة الإسكندرية [illegible]

علال الفاسي ١٣٢٨ - ١٣٩٤ هـ / ١٩١٠ - ١٩٧٤م الذي كان قائداً في معركة الاستقلال السياسي والاستقلال الحضاري معاً.. كما تقدم (مقاصد الشريعة) للعلامة التونسي محمد الطاهر بن عاشور ١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ / ١٨٩١ - ١٩٧٣م الذي قاد تيار الإحياء والتجديد في تونس - البلد الذي انطلقت منه شرارة ثورات الربيع العربي.. كما تقدم مكتبة الإسكندرية (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) للعلامة الشهيد عبد الرحمن الكواكبي ١٢٧٠ - ١٣٢٠ هـ / ١٨٥٤ - ١٩٠٣م الذي فتح عقول الأمة على مكامن الداء، ورسم لها طريق تحطيم القيود، حتى تعي أن إسلامها قد جاء ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. وأن الحرية هي الحياة، وأن الاستبداد والعبودية هي الموت. وإذا كان التخلف قرين الجمود والتقليد، وإذا كان التقدم والنهوض مشروطين بالتجديد فإن مكتبة الإسكندرية تقدم للعلامة محمد إقبال ١٢٩٣ - ١٣٥٧ هـ / ١٨٧٧ - ١٩٣٨م كتابه الهام (تجديد التفكير الديني في الإسلام) في مواجهة الذين يريدون تحويل التدين إلى أشكال وطقوس خالية من الروح. تقدم مكتبة الإسكندرية في مشروع كتب النهضة للعلامة المجاهد الشيخ عبد العزيز جاويش ١٢٩٣ - ١٣٤٧ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٢٩م كتابه (الإسلام دين الفطرة والحرية)، وإذا كانت النهضة التي فتحت ثورات الربيع العربي نافذتها أمام الأمة إنما تعني أول ما تعني العودة إلى الذات الحضارية للأمة فإن كتاب (علي شريعتي ١٣٥٢ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٣٣ - ١٩٧٧م) (العودة إلى الذات) إنما يقدم دلالة ذات مغزى في هذا المقام وحتى لا تكون نهضتنا الإسلامية تقليداً للفلسفات الوضعية الغربية والعربية، وحتى يتم البعث لذاتنا الفلسفية الإسلامية وعقلانيتنا المؤمنة يقدم مشروع مكتبة الإسكندرية للعلامة الشيخ مصطفى عبد الرازق كتابه الهام (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية).. وإذا كان رفاعة رافع الطهطاوي ١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م قد ارتاد ميادين التنوير لشعوب الشرق في العصر الحديث، فإن كتابه (مناهج الألباب المصرية ومباهج الآداب العصرية) إنما يمثل معلماً ذا دلالة في هذا المشروع.

تلك مجرد أمثلة لموسوعة فكر النهضة التي تقدم عشرات الكتب التي تمثل معالم على طريق النهضة العربية الإسلامية.. والتي حظيت - بعد التحقيق والتعليم - بالدراسات العلمية التي مهدت للقارئ المعاصر طريق التعامل السلس مع نصوص الأعمال الفكرية لهذا المشروع. ويزيد من أهمية هذا الإنجاز الرائع لمكتبة الإسكندرية شبكة الباحثين المتميزين والمتمارين الذين قاموا ويقومون على تقديم هذا المشروع.. والذين يمثلون مختلف أقطار عالم الإسلام وقومياته.. فكتب هذا المشروع هي ثمرات ناضجة لعقل الأمة الإسلامية وإبداعات علمائها والباحثون الذين ينهضون بالدراسات العصرية لهذه الثمرات إنما يمثلون هم الآخرون كل قوميات جامعة الإسلام.

وبهذا المشروع تبوأت مكتبة الإسكندرية مكانتها الطبيعية.. مكانة المنارة التي لا تقف فقط - عند تعريف الشرق بثمرات الفكر الغربي وإنما تقدم - كذلك - أفضل ما لدى الشرق الإسلامي تقدمه للأمة أولاً وللعالم من حولنا ثانياً، لتجسد المعنى الحقيقي للدور والرسالة في التفاعل الخلاق بين الثقافات والحضارات.

إنه مشروع معالم النهضة الإسلامية تقدمه مكتبة الإسكندرية لثورات الربيع العربي التي فتحت نافذة النهضة الحضارية العربية الإسلامية في مناخ عالمي سقطت فيه الشيوعية سنة ١٩٩١م ودخلت فيه الليبرالية والرأسمالية المتوحشة - التي حسبوها نهاية التاريخ، نفقاً مظلماً لن تخرج منه سالمة أبداً.. الأمر الذي جعل ويجعل خيار الإسلام في النهضة وثورتها في التقدم متفرداً بالصلاحية للتألق، ولإعادة الشرق الإسلامي إلى مكانة الريادة والقيادة بين الأمم والحضارات من جديد.

محاولة للفهم

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ محمد هزاع المنشور بجريدة المساء الصادرة بتاريخ ٤ / ٤ / ٢٠١٢م يقول فيه:

لا أعرف عن أي مدرسة أو معهد أو كلية أو حتى مركز تدريب يتخرج هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أو يسميهم غيرهم بالناشطين والناشطات ولا أعرف كذلك ما هو عمل هؤلاء، وما المهنة التي يتكسبون منها قوتهم حتى يمكن نسبتهم إليها والتعريف بها كالمحامي والصحفي والطبيب والمهندس والكاتب والسباك وهكذا وربما يكون ذلك بسبب جهلي وتخلفي بحقيقة هذا المصطلح الذي تطفح به الآن وسائل الإعلام المصرية والعربية والدولية بدون تحديد مفهومه تحديداً جامعاً مانعاً - كما يقول المناطقة - فيمكن حينئذ التعرف ولو مبدئياً بأصحاب هذه المهنة التي تعاظم شأنها في الفترة الأخيرة وخاصة أن العامة من البشر أمثالي يعلمون بالفطرة أن كافة بني آدم يفترض أنهم نشطاء وناشطات بدرجة أو أخرى في مجال أو آخر على الأقل للوفاء بالحد الأدنى من احتياجات الإنسان إلى درجة تخلي من الشواذ الذين يخالفون هذه الفطرة الطبيعية موصوفين على سبيل الاستثناء بالكسالى أو خاملين.

فإذا كان المقصود بهؤلاء الذين يهتمون بالشأن العام كالسياسة والاقتصاد والاجتماع وما يتبع ذلك كحقوق الإنسان والديمقراطية وخلافه.. فهل يمنع ذلك نسبة هؤلاء لمهنهم الأصلية حتى نتعرف عليهم ونعرف مؤهلاتهم وإمكانياتهم التي تتيح لهم الحديث بل والتنظير في هذه المجالات العامة وحتى نعرف أنهم من أهل الذكر فنسألهم عن مشكلات الألغاز والأحجيات التي لا يفهمها أمثالي في هذه المجالات العويصة على أفهامنا والتي تفوق ثقافتنا المتواضعة جداً؟!

عن العلاقة التاريخية بين الفوضى والحرية

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ - حسن محمد شافعي المنشور بجريدة [illegible] بتاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠١٢م يقول:

أشار تاريخ الفكر السياسي إلى تحفظ بعض الفلاسفة تجاه الديمقراطية واعتبارها من أسوأ أنواع النظم السياسية، منهم على سبيل المثال - أفلاطون الذي رأى أن أثمن ما يعتز به أنصار النظام الديمقراطي، وهو الحرية، قد يكون هو علة أعراضها؛ لأنها ستكون دافعاً إلى حال الفوضى التي يصعب التحكم فيها وعلة التحول إلى الحكم المطلق أو الطغيان. إذ أن الرعية [illegible] في تحقيق هذه [illegible]. [illegible] كل ما عاداها قد يؤديان إلى تعيير هذا [illegible] للخروج من حال الفوضى.

فإذا كان التخلص من الاستبداد هو تحد للآخر السالب للحرية والمهيمن على السلطة، فإن إدارة ممارسة الحرية هي تحدى الذات للمجتمع بأسره. [illegible] حالة الاستثمار الجديد للحرية وما يجعلها مصدر أمن واستقرار للمجتمع.

[illegible] يمكن [illegible] الديمقراطي وفق تعريف أرسطو للفضيلة هو وسط بين رذيلتين، فالديمقراطية تحتاج إذاً إلى مصل مضاد لها من أجل عافيتها واستمرار بقائها وضمان تأثيرها الفعال في المجتمع.. فهي ليست تكوين أحزاب وانتخابات وصندوق اقتراع فحسب، بل هي عملية [illegible] ممارسة الحرية [illegible] وهو ما يجعل [illegible] [illegible] الديمقراطية [illegible] [illegible] لصراعات إثنية ومشاحنات بين القوى السياسية.

ومن هنا تأتي الحاجة إلى عامل آخر يتمثل في [illegible] الديمقراطية [illegible] ليبرالية دستورية، ما يعني تقييد الحريات عبر سيادة القانون في شكل يضمن عدم طغيان [illegible] على [illegible] أو سيطرة فصيل بعينه على شرائح المجتمع الأخرى.. ولعل هذا ما جعل مونتسكيو يسمي مصنفه الشهير عن الحرية «روح القوانين»، وهو ما عبر عنه بأن الحرية هي ما تجيزه القوانين، كما أنه أبدى إعجابه بعبقرية النظام الإنجليزي [illegible] في [illegible] الحرية متمثلة في تقسيم الحكم بين الملك ومجلس اللوردات ومجلس العموم. فسلطة واحدة لا يمكنها أن تنمو وتصبح قوية أكثر مما ينبغي.. ويمكن القول إن الديمقراطية تبدو في تاريخ الفكر السياسي كترياق تصاحبه سموم [illegible]. فهي تحتاج إلى طبيب حاذق في استخراجها وضخها من جنبات المجتمع في شكل منظم يضمن عافيته وأمنه.

تأملات في السيرة

غزوة أحد

(٢)

[illegible]

يعلمنا التاريخ دائما أن كل حرب تقوم لابد أن تكون لأطرافها أهدافا.. وقد تختلف أهداف المشتركين في الحروب، فهي غالبا ما تتباين بين مشعل الحرب ومسعر أوارها وبين المدافعين، ومهما اختلفت أهداف المحاربين فإنها في كل الأحوال تكون أهدافا دنيوية، بمعنى أنها تكون إما بهدف الغلبة والتأديب أو [illegible] دول أخرى. أما أهداف النبي ﷺ في الحروب فنستطيع أن نقول بكل ثقة: إن الحرب عند رسول الله ﷺ [illegible] للاستعلاء على الإطلاق.. ولا وسيلة على الإطلاق فالنبي ﷺ يلخص دعوته في كلام [illegible] [illegible] [illegible] ويقول [illegible] صحابته فيقولون لم يكن بذيئا ولا لعانا ولا شتاما فكان ﷺ يبلغ [illegible] كان يجد عنتاً وطغيانا من الآخرين أصحاب السلطة والمال الذين لم يروا في دعوته أي شيء [illegible] ولا في [illegible] أي شيء [illegible] الخوف على المكانة والسلطان والمال والجاه والسيادة والتحكم في الآخرين فقاوموا دعوة [illegible] يرونه من حقهم مشروعا، وسيرة النبي ﷺ تخبرنا بأن وقائع كل غزواته بحساب أهل الحرب والغزو غير معقولة حيث إن كل غزوة [illegible] [illegible] معه من رجال في معركة هي في ظاهر الأمر خاسرة بكل المقاييس باستثناء غزوة حنين. لكن من قال لك أن النبي ﷺ يسعى غلبة أو استحواذاً؟ إنه ينشر مبادئ الخير والرحمة والعدالة والمساواة هذا بعد أن ينتزع من قلوب العباد أثر الشرك والوثنية كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لملك الفرس عندما سخر من هيئته وسأله: لماذا جئتم إلينا؟! فقال في أنفة وعزة: جئنا لنخلص الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد.

[illegible] رسول الله ﷺ رغم تخلف أسباب النصر في الظاهر واختلاف موازين القوة لصالح أعدائه إلا أن الله سبحانه وتعالى مسبب الأسباب وخالقها هو الذي كان يؤيد رسول الله ﷺ بما تعجز عنه الأسباب، ففي غزوتي بدر وأحد نصر الله سبحانه وتعالى جنده بوسائل غير عادية كانت من

[illegible] غزوة [illegible]

[illegible]

[illegible] في معركة [illegible] جنديا يغفو حتى يسقط سلاحه، فماذا يفعل القائد وماذا يقول المحللون؟! هذا الجيش بموازين البشر جيش خاسر وقائده مهزوم. لكن الله سبحانه وتعالى قال وحكم بأن النعاس أمنة وأنه يثبت به القلوب و الأقدام.

و في غزوة أحد [illegible] تركوا وصاية النبي ﷺ وخالفوا أمره وتفرق الجيش واستحر القتل بالمسلمين واختلت موازين القوى ولا مجال للنصر في نظر كل المحللين العسكريين والقادة المحاربين ينزل النعاس على جيش [illegible] يقول الله تعالى

[illegible]

وهو هو النعاس حيث إنه أمنة المؤمنين المجاهدين وهو حسرة وندامة على المنافقين.

يقول الله سبحانه وتعالى:

[illegible]

وهكذا نرى أسباب النصر لطائفة المؤمنين الموحدين تختلف عن أسباب النصر لغيرهم شريطة أن يتمسك المؤمنون بالعروة الوثقى [illegible] تسمع لقوله ﷺ: «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» فمن أسباب النصر وأسباب [illegible] مستقيم في شريعة الإسلام وهو يختلف عن [illegible] رعاية المعاقين. فليس ذو العاهة المعاق عالة على المجتمع إنما هو وسيلة إلى الرزق وسبيل إلى النصر [illegible] رسول الله ﷺ حين يقول وهو يسير في جماعة مسرعة وفيها ضعيف لا يقدر على مسايرة الركب في سيرهم إلى أن هذا الضعيف يجب أن يراعى حاله ويحفظ له قدره ومكانته [illegible] الركب» أرأيت إلى المكانة الرفيعة التي نالها هذا الإنسان بضعفه، وأي مجتمع يرتقي فيه الضعيف [illegible] في مجتمع النبوة الطاهرة إنه مجتمع الإسلام، ولن يكون فلاح للمسلمين إلا إذا تحرروا [illegible] إلى هذا المستوى الطيب الرشيد لا أظن أننا [illegible] نرفل في ثنايا نهجها القويم.

وتعال إلى ذلك النبيل حنظلة زوج جميلة بنت أبي بن سلول، حنظلة دخل المعركة في صبيحة عرسه لما سمع نداء الحرب واستشهد رضي الله عنه وذكر [illegible] الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف [illegible]

فسألوا صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتف، فقال ﷺ: «[illegible] الملائكة [illegible] يعمل وإنما يدفن بثيابه فذلك حنظلة غسيل الملائكة».

وكان ممن أبلى بلاء حسنا واستشهد يوم أحد عمرو بن الجموح رضي الله عنه وقد كان أعرج شديد العرج ولم يكن عليه قتال لقوله تعالى:

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾

[illegible] مع رسول الله ﷺ المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: [illegible] يحبسوني عن هذا الوجه ويمنعوني من الخروج معك فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، أرأيت إلى الإيمان [illegible] فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله تعالى فلا جهاد عليك» [illegible] لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة؟!» فخرج مجاهدا وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهلي خائبا. ويروى أن عمرو بن الجموح قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقتل هو [illegible] برجلك هذه صحيحة في الجنة فأمر بهم رسول الله ﷺ فحملوا في قبر واحد.

وهذا هو أنس بن النضر -رضي الله عنه- غاب عن بدر وتخلف عن المعركة فشق عليه ذلك وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه لإن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين- وأبرأ [illegible] يعني المشركين- ثم مضى إلى رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم من سلاح وجلسوا! فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ فقال في فدائية وشجاعة: وما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ [illegible] فاستقبل أنس القوم فلم أستطع أن أصنع ما صنع [illegible] النضر إني لأجد ريحها من دون أحد. ثم تقدم فقاتل حتى قتل ووجدوا في جسده بضعا وثمانين ضربة، يقول: ووجدناه قد مثل به المشركون [illegible] فكنا نرى أو نظن أن قوله تعالى:

[illegible]

نزل في أنس بن النضر -وممن أكرمه الله تعالى بالشهادة في أحد [illegible] تستحق أن نفرد لها حديثا آخر في لقاء آخر إن شاء الله.

شغب المستشرقين وجهود العلماء

[illegible]

ان الذين قضيت ليهم اجالهم، بعد ان امضوا حياتهم فى الكيد للسنة النبويه، ابتغاء ان ينطلموا منها الى ان يشغبوا الشغب على القران الكريم كما أخبر الله تعالى عن أوائلهم، فقال:

[illegible]

«فصلت ٢٦».

قد احبط الله سعيهم، و زهق باطلهم، وصدق الله العظيم:

[illegible]

«الأنبياء/١٨».

لقد ذهب هؤلاء وأولئك، وبقي القرآن طلق المحيا، ندى الراحة وبقيت السنة المطهرة كما قال الله تعالى:

[illegible]

[illegible] ٤٤

[illegible] مستوجبين الاتهام والملام وسوء الأحدوثة، وأحاديث يستبين من خلالها الأسوياء عصرا بعد عصر إن من هؤلاء من امعل فى افتراءاته بحقده الموروث على الإسلام، [illegible] فيما رأى الاخرون نظرة، وردد كالسعارات كلام من غيرهم فكرهم الوافد من وراء [illegible]

وهم كثير، ولديه غير مستنير، ودعاوى لا يسندها برهان صحيح لهم منها كما قيل:

«والدعاوى إن لم تقيموا عليها

بينات دعاتها أدعياء»

[illegible] أدعياء العلم من المستشرقين ومن لف لفهم.

وفي علمائنا المعاصرين، من قضى منهم إلى مولاه، ومن نسأ الله فى حياتهم حتى اليوم، من كروا على ضلالات المضلين، فمزقوا عنها أغشية الزور فبدت على عوارها وراء ثوب هو [illegible]

ورحم الله الدكتور الشيخ محمد عبدالله [illegible] فقد تركا أبرك الأثر فى الدراسات القرآنية والحديثية، وحلقا أكرم الحوار فى مؤتمرات دولية، [illegible] الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا، وما أنسى حديث العلامة أبى زهرة - نضر [illegible] الأخير من حياة الدكتور دراز فى مؤتمر لاهور بباكستان عام ١٩٥٨م فقد كان فيه سيفا سله الله على أعداء السنة فى جلسة صباحية، وأخرى مسائية لم يلبث أن انتهى منها وصلى العشاء وأسند ظهره إلى سريره حتى استأثرت به رحمة ربه - رضى الله عنه - [illegible] «التراث العامة» حتى استنسر بيننا البغاث، [illegible] ومؤسساتنا العلمية دخلاء على علوم القرآن والسنة واللغة والأدب والتاريخ.

ومنحهم الاستعمار الذى منيت به بلاد الإسلام وديار العروبة ردحا من الزمن، قدرة على [illegible] مصادرنا الكريمة، وتراثنا العظيم، والاتشاح بأردية التحقيق والبحث العلمى، [illegible] لا تمتنع أمام المغريات، وماذا أذكر وماذا [illegible] ذكريات فترة عملى فى بيروت بين عامى ١٩٥٦ - ١٩٦٢م، فقد زرت مع صديقى [illegible] وكان مع مركزه الكبير ومكانته فى المجتمع البيروتى يستكمل دراسات عليا فى الجامعة [illegible] العلم من المهد إلى اللحد، ونأخذ الحكمة أنى وجدناها فنحن أحق بها.

لكن الغريب فى الأمر أن محاضرات فى «السنة النبوية» كانت تلقيها عليهم أستاذة يهودية، فقد عرفنا أثرها المنكر، من خلال [illegible]

وحقيقة هذا الموضوع مقنعة للذين ينصفون الحق من أنفسهم، وكيف نطلب الشيء ممن لا يجده - وفاقد الشيء لا يعطيه - كما قالوا.

ورضى الله عن الإمام البخارى فقد أخرج بسنده من حديث معاوية - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

وفى موازين حسنات «ندوة العلماء فى لكهنو - الهند - العددان: الأول والثانى من المجلد السابع والعشرين من مجلة البعث الإسلامى فقد أفردت «الاستشراق» بالدراسة وتناولته من أكثر جوانبه، [illegible] على مقرراتنا الإسلامية، ولغتنا الوارثة».

وقد ألمح إلى كل ذلك الأستاذ «سعيد الأعظمى» فى مقدمة المجلد الآنف الذكر، [illegible] الإسلام وكتابه، والسنة وعلومها وكيف سلط أضواء الحقيقة على الذين خانوا أمانة العلم، [illegible]

[illegible]

[illegible] ويقول الأستاذ [illegible] لا [illegible] من المستشرقين قد تكشفت معاثرهم من خلال أعمالهم الدراسية وتغلب نور الإيمان على ظلام التحريف والتضليل، فاهتدوا بتوفيق من الله تعالى [illegible] مناحي الحياة، ونفت عن التاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية جميع الأكاذيب والأباطيل التي حرص عليها المستشرقون وأمثالهم، [illegible] الناصع، وهو ينظر في كل ذلك إلى قول [illegible] كتاباتهم مقدارا خاصا من السوء ويحترسون في ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارئ ولا [illegible]

ويقرر العلامة الندوي أن أسلوبهم ذلك أشد خطرا من أولئك الذين يستعملون مارانهم الخاقدة الواجدة وافتراءاتهم التي تجور على البسطاء وأوساط الناس.

[illegible] المنصفين، وأسماء نفر من الأدعياء، وذكر جهودا كبيرة واجهت الاستشراق من غير [illegible] بالقلم لدحض الباطل، وإحقاق الحق والتعريف البصير بالإسلام، بعد أن أفضى إلى دار الخلد سلف لا يجزى على عطائهم للقرآن والسنة إلا الله تعالى، فهو لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يظلم مثقال ذرة.

[illegible]

[illegible] الهجمات [illegible] على القرآن والسنة وعلومهما، وعلى [illegible] أزمان سحيقة، وإن كانت تستخفي أحيانا [illegible] وشحذا لعزائم الأكفاء على التصدي لأعداء [illegible] الزمن وتجددها الأيام بما أصابت من بركات القرآن ويمن السنة ووفاء مؤلفيها لدينهم كتابا وسنة، وهي تتضاعف من إكبار العارفين، [illegible] وهي تعمق فينا إيماننا بجلال القرآن وكمال السنة وشرف إلهيتهما على التفاوت بينهما في [illegible] المنبثق من إحقاق الحق:

﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾
(النساء: ١٣٥)

لا [illegible] تهتدي بهدي الله، من ليس له قلب يعرف به المعروف، وينكر به المنكر.

كما قال الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه..

والحاجة ماسة إلى تناول كتب علوم القرآن [illegible]

[illegible] رواية ودراية، متنا وسندا، وحديثهم عن السند مراد للمتن الذي يجدون عليه في قلوبهم كحر المدى، وقد توسلوا بأساليب ووسائل لا تعرف [illegible] بعضها وتركوا بعضها، كالذين جعلوا القرآن [illegible] يحسبون أنه يخدم مرادهم، تعويلهم على مصادر لا يؤبه بها من صنيع من لا يتقون الله. ومرة أخرى تعود بي الذاكرة إلى عهدي في بيروت حين نمى إلينا خبر بعض المحاضرين في التفسير وعلومه، وهو مصراني كان يومئذ [illegible]

فلما روجع في هذا اعتذر بمراجع، لم يقع له غيرها، ولو أراد الحق لوجد دلائله ووسائله ولكنها الأغراض والأمراض والهوى المتبع والعياذ بالله..

[illegible]

[illegible]

وجلت نعم الله الذي قيض لخلقه حراس الأرض فيما قال الإمام الثوري «الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض».

ورحم الله الإمام الدار قطني فهو يبرز [illegible] بغداد لا تظنوا أن أحدا يستطيع أن يكذب على رسول الله وأنا حي!!

وهي أثر من آثار اقتبسها الدكتور نور الدين عتر أستاذ التفسير والحديث بجامعة دمشق في كتابه «منهج النقد» في علوم الحديث.

ابتدأها بقوله: ولقد كان حقا ما شهد به [illegible]

فقال عبدالله بن المبارك حين سئل: هذه الأحاديث الموضوعة؟!

[illegible]

[illegible]

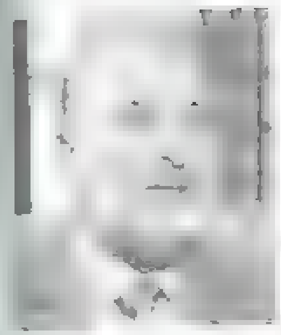
[illegible] المسلم فقد قال في كتابه:

«الإسلام على مفترق الطرق: لقد كانت [illegible] العصر الأول من القرن الخامس عشر للهجرة - فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلالنا المعاصر؟!

وقال: إن العمل بسنة رسول الله ﷺ هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام، لقد كانت السنة هي الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، [illegible] أزلت هيكل بناء ما أفيدهشك بعدئذ أن يتقلقل ذلك البناء وكأنه بيت من [illegible]

وطوبى لمن يحيون بالقرآن والسنة ويمضون في أيمن ركب بين السائرين على [illegible] يملكون من حول وإمكان!!..

قالوا عن محمد (صلى الله عليه وسلم)



[illegible]

لورا فيشيا فاغليري

[١] [illegible]
سوريا زمن الإعداد، عندما أسكت الموت إلى الأبد صوت النبي ﷺ الذي كان قد أحدث هذه الهزة العميقة في تلك [illegible] في السنة الحادية عشرة من الهجرة»[1].

[٢] [illegible] عرف كيف يتدرع بالصبر مع الوثنيين، [illegible] الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور.. لقد عرف جيدا أن الله لابد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشرى»[2].

[٣] «حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله ﷺ [illegible] كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته، ومن العجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز [illegible] والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية. لو كان هو قبل ذلك «وحاشاه» رجلا كذابا؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، [illegible] الرجل ذو الفطرة البسيطة، حقا موصولا؟ كيف استطاع أن يستهل صراعا كان يبدو يائسا؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا [illegible] في نجاح قليل جدا، وفي أحزان لا تحصى، [illegible] رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد [illegible] ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة [illegible] كثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد ﷺ كان عميقا وأكيدا»[3].

[٤] «دعا الرسول العربي ﷺ بصوت ملهم باتصال [illegible] الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية [illegible] وارتضى أن يخوض صراعا مكشوفا مع [illegible] المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى»[4].

[٥] «.. إن محمدا ﷺ طوال سنى الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان [illegible] أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة – رضي الله عنها – [illegible] مكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين [illegible] ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت [illegible] عمره، لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى [illegible] عائشة – رضي الله عنها – ، ليس غيره، [illegible] عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلا لا إلها، وقد تكون الرغبة في الولد هي التي [illegible] الأولاد الذين أنجبتهم خديجة – رضي الله عنها – له كانوا قد ماتوا، ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائما سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعا، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفارق مع أي منهن، لقد تصرف متأسيا بسنة الأنبياء القدامى – عليهم السلام – مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد، فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين [illegible] العائلية؟»[5]

(١) دفاع عن الإسلام ص ٣٣

(٢) نفسه ص ٦٣

[illegible]

بين المجلة والقارئ

تضمن بريد المجلة لهذا الشهر رسالة نعتز بها كثيرا بقلم الاستاذ عبد القادر الادريسى مدير الاعلام بالمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم (ايسيسكو) تضمنت من الاشادة بما وصلت اليه «مجلة الازهر» شكلا ومضمونا ما يدفعنا الى العمل على بذل المزيد من الجهد لنكون عند حسن ظن قرائنا الاعزاء، وفيما يلى نص الرسالة:

الأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد عمارة رئيس تحرير «مجلة الأزهر»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسعدني أن أهنئكم بتكريمكم في حفل كبير من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي، تقديرا لجهودكم المتميزة، اعترافا بفضلكم، وإقرارا بأياديكم البيضاء على الفكر الإسلامي المعاصر.

تمنيت لو كنت حاضرا في الحفل، فهنيئا لكم.

أما كلمتكم في الحفل وحديثكم عن حياتكم في القرية قبل ثورة ١٩٥٢ م، فما أسعدني جدا، ووددت لو حصلت على النص الكامل لهذه الكلمة.

[illegible]

هل في الإمكان الحصول على نسخة من هذا الكتيب / الهدية حتى أحتفظ به في مكتبتي؟

[illegible] الافتتاحية يدخل في صميم قضايا هذه المرحلة واختياراتكم من كتب الرواد «شلتوت» [illegible]

بارك الله فيكم وزادكم توفيقا، وزاد مجلتكم تألقا

ومع وافر التقدير وبالغ الاحترام وخالص محبتي

عبد القادر الادريسي

● كما تلقت المجلة أيضا رسالة مماثلة من الاستاذ / عبد العزيز محمد شريف ـ محافظة الغربية ـ قطور ـ طريق الشين يقول فيها:

الأستاذ الدكتور رئيس تحرير

مجلة الأزهر «المحترم»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد قمتم بتحرير مجلة الأزهر شكلا وموضوعا، وتطويرا لأداء المجلة في ثوبها الجديد فقد ربطتنا بثقافتنا العربية والإسلامية الشامخة من خلال تراثنا العربي والإسلامي، وذكرتنا بثقافة العلماء الأفاضل، ورواد الأدب والفكر الإسلامي الأوائل وندعوا الله أن يجعل هذا الإنتاج الخالد، والعطاء المثمر في ميزان حسناتكم وفقكم لخدمة الإسلام والعربية، [illegible]

ولقد توجتم ذلك كله بهدايا رائعة مع المجلة «كتاب ملحق بالمجلة الأم يكون مكتبة إسلامية عربية لقارئ المجلة الشهرية».

سيدى الدكتور [illegible] أرجو أن [illegible] تكون [illegible] مجلة «الأزهر» ورافدا من روافد الأزهر العظيمة.

ألم يكن فضيلة الشيخ الشعراوى أزهريا؟ ألم يكن جامعة وموسوعة علمية عربية وإسلامية؟ ألم يكن شمسا مشرقة في سماء الثقافة العربية الإسلامية ولماذا تحرمون قراء المجلة من [illegible] حول القرآن الكريم. إن قنوات التليفزيون، وإذاعة القرآن الكريم، وصحفا أخرى تزين برامجها بأحاديث الشعراوى إنكم تفسحون المجال لعلماء غير أزهريين وتنسون أزهرى وشعلة أزهرية فكيف لا تزين بخواطره وأحاديثه؟

هل يقل الشيخ الشعراوى علما ولغة عن الطنطاوى وشلتوت ومحمد عبده؟ سيدى الدكتور [illegible] عقول وقلوب ومكتبات بأحاديث الشعراوى بارك الله فيكم وأعانكم على حسن اختيار نماذج العلم النافع من علماء ربانيين.

● ونقول لقارئنا العزيز: تراث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ملء السمع والبصر نشاهده على الفضائيات ونقرؤه في مقالات وكتب عديدة كان لها ولا زال دورها في إنارة القلوب والعقول كما قلت. فقد كان رحمه الله ـ ولا يزال ـ علما من أعلام الدعوة الإسلامية. وقد سبق لمجلة «الأزهر» أن نشرت مقالات لفضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى وهدايا من تأليفه. وقدمت كذلك سيرة ترجمة وتأبينه. وكما قلت فإن أعمال فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى مازالت ملء السمع والبصر.. والمجلة جعلت من صميم رسالتها إحياء تراث العلماء الأفذاذ أفنوا حياتهم في خدمة الدعوة الإسلامية سواء كانوا أزهريين أو غير أزهريين وهو تراث يوشك على الاندثار وهدفنا كان ولا زال خدمة الدعوة الإسلامية. وستجد على صفحات مجلة الأزهر قريبا ـ إن شاء الله ـ نفحات من مدرسة إمامنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ رحمه الله ـ.

الرئيس القادم.. وقلوب الشعب تنتظر

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ ابراهيم مسلم ابراهيم النجار.. مدير عام تنظيم وادارة سابقا ـ سندنهور ـ قليوبية

إن اختيار الرئيس القادم يحتاج إلى حسابات دقيقة من الشعب [illegible] صحيح [illegible] كثيرة بمختلف التوجهات نحوها، فإذا ولينا وجهنا شطر التيارات الدينية مثلاً لوجدنا حتى الآن هي التي [illegible] سيكون من بين رموزها.. وهذا حسبما تتمخض عنه صناديق الانتخابات ويحسم الأمر بها فستكون كلمة الشعب الفاصلة ليتوحد جميع [illegible] الرئيس [illegible] مسئولية رأب الصدع وترميم ما أصاب ملدنا وأنمى قلوبنا لإعادة بناء باقي مؤسساتنا حتى ننفض عن كاهلنا غبار الماضي البغيض ولنملأ أعيننا وقلوبنا بفرحة الأمل والنور مع الرئيس الذي اخترناه.

[illegible] الكلام في [illegible] الحديث عن تأثير الدين وقيمه في الاختيار فيصحبنا ذلك إلى الحديث عن الدولة الإسلامية التي أرسى دعائمها النبي الكريم ﷺ وسار على هديه من بعده الخلفاء الراشدون حيث كانت تسير شئون كل من الدين والحياة في مسار [illegible] وقد كان ذلك بفضل الورع والتقوى والفهم الصحيح للدين [illegible] ونظر إلى توصيات الرسول ﷺ لقواده وجنود جيشه عند ذهابهم إلى غزواتهم ألا يقطعوا شجرة أو يهدموا بيتا أو صومعة بها راهب أو ديرا [illegible] لا يروعوا الأطفال والنساء بالرغم

من [illegible] هؤلاء ليسوا على ملة الإسلام. ثم انظر إلى معاملته ﷺ لجاره اليهودي الذي كان يؤذيه [illegible] اليهودي [illegible] في مرضه فتعجب من سماحة النبي فنطق بالشهادتين وانضم إلى جماعة المسلمين.

فهل يا ترى إذا تم اختيار الرئيس القادم من [illegible] الإسلامية [illegible] غير المسلمين [illegible] هذه هي قيم الإسلام التي التزم بها أبوبكر الصديق عند ترشيحه للخلافة حيث قال: «أيها الناس: إني وليت عليكم ولست بخيركم إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ألا إن الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له [illegible] القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه [illegible] أطعت الله ورسوله [illegible] عصيت فلا طاعة لي عليكم».

فما أعظم إيمان القائد وإنسانيته مع رعيته ولا غرابة في ذلك فهو أبو بكر المعروف باللين والتواضع رغم شدته وقوته في حروبه ضد [illegible] أن يكون الرئيس [illegible] هديه اللين والشدة كما [illegible] معاوية [illegible] رضي الله عنه [illegible] في معاملته مع الآخرين.

[illegible] برئيس [illegible] عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible] المسلمين قائلا [illegible] معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا هكذا..؟ فينهض رجل يشق الصفوف إليه

ويقول وهو [illegible] إذن نقول بالسيف هكذا! فيسأل عمر: إياي تعني بقولك؟ فيجيب الرجل بلا خوف ولا وجل: نعم إياك أعني بقولي!! فيضيء الفرح وجه عمر ويقول له: رحمك الله والحمد لله الذي جعل منكم من يقوم عوجي».

[illegible] يكون [illegible] في [illegible] موقف سيدنا عمر - رضي الله عنه - فلا يدق عنق [illegible] وكذلك يذكر [illegible]

[illegible] الذي وجده نائما آمنا تحت شجرة فقال له [illegible] فعدلت.. فأمنت فنمت يا عمر».. فما أعظم هذه الشهادة لعمر وأمثاله من حكام [illegible]

ولا يتسع المقام هنا لمواصلة الحديث عن [illegible] عثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين - آملين أن نجد من يرى في نفسه الخبرة والكفاءة ليرشح نفسه [illegible]

الأمـــة.. والحضـــارة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ يحيى السيد النجار:

●● الأمة الإسلامية شاهدة على الأمم الأخرى بما تملك من قيم القرآن الكريم والسنة المطهرة [illegible] قال تعالى

[illegible]

(الحج: ٧٨)

والأمة لها [illegible] بميزان الاعتدال [illegible] لقوله تعالى

[illegible]

(البقرة: ١٤٣)

وعلى كل مسلم أن يعرف قيمة الرسالة [illegible] نموذج القدوة للرسول ﷺ قال تعالى

[illegible]

(الجمعة: ٢)

والرسول ﷺ القدوة حذر الأمة من حالة الوهن والضياع وقال ﷺ: «توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: [illegible] كثير ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم من قلوب عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» رواه أبوداود

[illegible] الأمة القوة والإرادة

● الأمة الإسلامية [illegible] من التخلف الحضاري [illegible] السياسي [illegible] وكأنها لا تجيد رؤية المستقبل.. برغم أن حركة التاريخ تمثل: المختبر الحقيقي للأفكار.. والعقائد.. والسياسات.. وكيفية ترجمتها إلى واقع، لأن المعرفة هي التي تمكن من اكتشاف آلية النهوض والسقوط.. وسنن الكون [illegible] ضرورة حياتية.. حتى لا يحدث التخلف والسقوط [illegible] عن [illegible]

قال تعالى:

[illegible]

(آل عمران: ١٣٧ـ ١٣٩)

وسياسات بلدان الأمة بحاجة لتبصر.. لأن ... تكون لا تنحل ولا تتحول. قال تعالى:

[illegible]

(الأحزاب: ٦٢)

● الأمة الإسلامية .. عقيدتها قائمة على حماية قيم الأمن والحق والعدل، واحترام حقوق الإنسان، وتحقيق كرامته .. لقوله تعالى:

﴿ ... وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٠)

والأمة هي أمة العقيدة.. والله عز وجل منح الإنسان عقلا وإرادة .. كي يفكر ويدبر.. ثم يتخذ القرار.. إن كان صوابا فله أجره .. وإن كان خطأ فعليه وزره. قال تعالى:

﴿ ... [illegible] يَكْسِبُونَ﴾

(الأعراف: ٩٦)

وقيل: إذا فقدت الأمانة فانتظروا الساعة.. ومن علامات الساعة ضياع الأمانة.. وأن تتحد الأمانة مغنما.. كما أن من علامات المنافق: إذا اؤتمن خان..

وفي تاريخ المجتمع البشري تدافع بين الحق والباطل .. الخير والشر .. الإنسان والشيطان..

وقال الرسول ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس» رواه السيوطي.

● الأمة الإسلامية .. عليها .. حضاري عن امتلاك خصائص النهضة ثان.. وهي بحاجة إلى اجتهادات متجددة.. لأن التاريخ الإنساني في حقيقته ما هو إلا نتاج الإنسان .. قال تعالى:

[illegible]

(آل عمران: ١٠٤)

كتمــــان الســــر

ومن الأستاذ أحمد عبدالمحسن على محمد ـ مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية إدارة الدقى التعليمية ـ جيزة ـ كانت هذه الكلمات:

قال تعالى:

﴿ ... [illegible] ﴾

(التكوير: ٢٤)

أي بمتهم. وفي الحديث: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود)

● قال الإمام على كرم الله وجهه: «سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره».

● واعلم أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأحوال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار، لأن أحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال، وأحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق، وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال، فإن الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به، ولا يستطيع كتم السر. وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق ما لا يلحقه من حمل الأثقال، فإذا أذاعه استراح قلبه، وسكن خاطره، وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا.

● وكان عمر بن الخطاب يقول: ما أفشيت سري إلى أحد قط فأفشاه، فلمته إذ كان صدري به أضيق.

● وقال عمر بن عبدالعزيز: القلوب أوعية، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها. فليحفظ كل إنسان مفتاح سره.

● وقال صالح بن عبدالقدوس: لا تودع سرك إلى طالبه، فالطالب للسر مذيع، ولا تودع مالك عند من يستدعيه، فالطالب للوديعة خائن.

● وقيل لأعرابي: ما بلغ من حفظك للسر قال: أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه، وأتناساه كأني لم أسمعه.

● ويقال: أخرق الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه.

● وقال حكيم: قلوب الأحرار قبور الأسرار.

● وقيل: المرء سرك لا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلا فيخون.

● وقال المهلب: أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه.

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

ومن الشيخ/ مصطفى الأزهري ـ خطيب بوزارة الأوقاف ـ مسجد سوق الحمام ـ السيدة عائشة ـ القاهرة.

عن عبد الله بن مسعود قال قال: رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه مسلم.

لم يحظ عضو من أعضاء جسد الإنسان باهتمام الإسلام كما حظي هذا العضو الخطير .. ألا وهو اللسان وذلك لأنه آلة التعبير والإفصاح عن مكنون النفس خيرا كان أو شرا، بل هي إحدى الآيات الكبرى التي امتن بها الخالق العظيم ـ سبحانه وتعالى ـ على بني آدم بقوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

فمفتاح الدخول إلى الإسلام (كلمة الشهادة) وبكلمة الكفر يخرج المرء من ملة .. عياذا بالله .. والإيمان والنذور وعقود الزواج والطلاق وغير ذلك معقودة على النطق باللسان، بل إن مصير المرء في الآخرة مرتبط بما يقول، وذلك مفهوم إجابة النبي ﷺ

على معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إذ قال له الحبيب ﷺ: «... ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم».

● كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد...» فالعزيمة والثبات إشارة إلى قوة الأخلاق على صراط الله المستقيم ودينه القويم الذي يأمر بكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة، ومن هنا فإن الدين لم يحث على فضائل الأخلاق فقط بل يحث على قوة الأخلاق ويجعل إحدى علامات هذه القوة: إمساك اللسان عن اللغط، ويحذر من القيل والقال، ويجعل - كذلك - من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه..

● وكثيرًا ما نتوقف عند قول النبي ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». هي - إذن - معطيات ونتائج غاية في الأهمية لأنها تتعلق بعضو آخر يرتبط به مفهوم الصلاح ألا وهو القلب «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» والذي هو وعاء الإيمان فلن يستقيم هذا الإيمان ويستقر في مكانه إلا إذا [illegible] القلب وكان متوددًا لا [illegible] غير مريض ولا عليل بكفر أو فسوق أو عصيان، ولن يستقيم هذا القلب حتى يستقيم اللسان، فمن اللسان يستقيم القلب، ومن استقامة القلب يستقيم الإيمان وبالإيمان الحق تكون هداية القلوب كما قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾

● ومن الأمثال الشعبية الجميلة والتي تلحص كثيرًا مما جاء في الحث على إمساك اللسان عن الزلات والهفوات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هالك، وتلك حقيقة نراها في حياتنا، فكم من [illegible] [illegible] تشردت، وظلم وظلمات ومفاسد وقع فيها من انفلتت ألسنتهم بالسوء والفحشاء، ولذا فما أجمل أن يضرب الله مثلًا للخير والشر بالكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة في قوله تعالى:

[illegible]

***

أنبـــاء الأزهـــر

[illegible]



د. أحمد الطيب

بيان مجمع البحوث الإسلامية

على ضوء ما ناقشه المجمع بجلسته يوم الخميس الموافق ٦ جمادى الأولى الموافق ٢٩ مارس ٢٠١٢ وخصصه على تمثيل الأزهر الشريف تمثيلا مناسبًا، ثم تهميش دوره في قضية وطنية محورية هي: إعداد مشروع الدستور، فإن الأزهر الشريف يعلن اعتذاره عن عدم المشاركة في الجمعية التأسيسية لوضع مشروع الدستور.

مجامعة الأزهر تؤكد

أوفياء لأزهرنا ومنهجه الوسطي

هذا وقد أصدر عدد من قيادات وعمداء وأساتذة جامعة الأزهر بيانًا في ٢ / ٤ / ٢٠١٢ لتأييد قرار مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - الانسحاب من الجمعية التأسيسية للدستور والتحذير من تهميش دوره أو الافتئات عليه، جاء فيه:

من منطلق تقديرنا لدور الأزهر وعراقته وريادته في العالمين العربي والإسلامي ودوره العلمي والدعوي في العالم كله شرقه وغربه، فإننا نستنكر أي محاولة لتهميش دوره أو الافتئات عليه ونؤيد ونبارك ما أقدم عليه مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - من الانسحاب من تأسيسية الدستور.. نظرًا لأن تمثيل الأزهر في هذه اللجنة لم يكن مناسبًا على الإطلاق لتاريخه وعراقته في الماضي ودوره وأثره في الحاضر، كما أن الأزهر ينبغي أن يقدم من أبنائه من يختار القوى البرلمانية المخولة بالاختيار من بينهم لا أن تختار هي بنفسها من يمثل الأزهر دون الرجوع إلى قيادته وعلى رأسها فضيلة الإمام الأكبر.

كما أننا في جامعة الأزهر نستنكر ونرفض أي محاولات لاختراق الأزهر أو محاولة إخراجه عن مساره في فكره الوسطي وكونه قبلة للعالم كله وملاذ للأمة العربية والإسلامية وللمسلمين بكل طوائفهم. كما يجعلنا نرفض بشدة محاولة أي تيار اختراقه أو السيطرة عليه أو توجيهه أو التدخل في شئونه الخاصة.

ونؤكد أننا أوفياء لأزهرنا ومنهجه الوسطى وأننا سندافع عن هذه الوسطية بأرواحنا ودمنا فضلا عن جهدنا ووقتنا وفكرنا وأقلامنا ولن نسمح بالنيل منه أو المساس به أو رموزه التى نكن لها كل احترام وتقدير

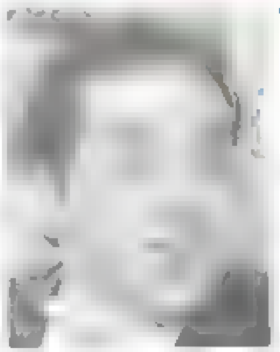
الإمام الأكبر لن يترشح لرئاسة الجمهورية

أصدر الأستاذ الدكتور محمد العزب مستشار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى ٢٦ / ٣ / ٢٠١٢ بيانا جاء فيه:

يؤكد الأزهر الشريف نفيه القاطع لكل ما يشاع أو ينشر أو يذاع حول ما يسمى «ترشيح الإمام الأكبر، شيخ الأزهر لرئاسة الجمهورية». وإذ يرفض الأزهر ذلك رفضا تاما يؤكد على استمراره فى أداء رسالته الوطنية والعالمية من خلال الأزهر منارة للعلوم والحضارة ونشر الإسلام الوسطى، كما كان دائما منذ ولد على أرض مصر.

والأزهر ليس طرفا فى أى نشاط سياسى أو حزبى داخل الوطن ولا خارجه، ولا يطمح من قريب ولا من بعيد إلا بالقيام بواجبه فى دوره الوطنى، ومهمته أوسع وأشمل. وهو ملتزم بالمبادئ والثوابت العليا للنهوض بالوطن وبالإسلام والارتقاء بعلومه لا ينضم لطرف ولا يعادى طرفا، وهو يهيب بوسائل الإعلام أن ترتفع عن الزج باسمه فى أى عمل من هذا القبيل، حفظا لكرامة الأزهر وعلمائه وبالإسلام والمسلمين

نور يطالب بضرورة الاعتماد على وثيقة الأزهر فى صياغة الدستور


أيمن نور

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب ـ شيخ الأزهر ـ فى ٨ / ٣ / ٢٠١٢ الدكتور أيمن نور رئيس حزب غد الثورة.

وطالب نور فى تصريحات عقب اللقاء بضرورة الأخذ بما جاء فى وثيقة الأزهر التى أقرتها القوى السياسية عند صياغة الدستور الجديد، والتى جاءت بنودها معبرة عن فكر الأزهر ووسطيته واعتداله التى بدأت منذ عهد الإمام محمد عبده وتمسك بها سعد زغلول.

وأضاف أنه طلب من شيخ الأزهر الموافقة على رعاية مؤتمر الإسلامى المسيحى الثانى بالقاهرة، مشيرا إلى مطالبة مفتى لبنان الدكتور محمد رشيد قبانى والرموز الإسلامية المسيحية فى لبنان بأن يكون المؤتمر تحت رعاية الأزهر.

النسيج الوطنى.. غرة فى جبين كل مصرى

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر ـ أن مصر لم تعرف فى التاريخ التقسيم والتشريح الحديث المتمثل فى العلاقات، وقوة فى الوحدة، وعمق فى الألفة والمحبة بين أبناء الأمة منذ عرفت فى شعب مصر مسلميه ومسيحييه، وليس هذا بمستغرب على شعب عرف بفطرته النقية طريقه إلى التوحيد والإيمان قبل أن تصله رسالة الأديان. وليس بمستغرب عليه أن يشتهر أبناؤه جميعهم فى بوتقة الوحدة. وأنه تمثل النموذج الأسمى والمثل الأعلى فى وحدة نسيجها وروعة مظهره وجوهره. جاء ذلك خلال استقبال فضيلة الإمام الأكبر لنيافة الأنبا باخوميوس قائم مقام بكرسى البابوية، والوفد المرافق له. والذى ضم بيانه الأنبا بسنوى سكرتير المجمع المقدس ونيافة الأنبا هدرا مطران أسوان ونيافة الأنبا موسى أسقف الشباب وذلك يوم الأربعاء ٤ / ٤ / ٢٠١٢

وقال فضيلة الإمام الأكبر: إن الشعب المصرى برهن عبر تاريخه الطويل على قدرته الفذة فى التغلب على المحن والصعاب التى تواجهه. وأن مصر ستتخطى [illegible] وستتعافى من الآثار السلبية والمشاكل التى واجهتها عقب الثورة، وهذا شىء طبيعى فى أثناء الثورات، ومصر ليست بدعا من ذلك.

وقال نيافة الأنبا باخوميوس: إن مصر نسخة فريدة صاغها الخالق سبحانه وتعالى أرضا، ومكانا، وتاريخا، وأن قوة النسيج الوطنى الذى انفردت به مصر دون العالم [illegible] لأن الله [illegible] المسلمين والمسيحيين بالعيش على تلك الأرض الطيبة، التى أنبتت شعبا طيب الأعراق، فسعدت مصر باستقبال المسيحية ومعها فضائل المحبة والسلام، ومن بعدها استقبلت رسالة الإسلام، ومعها شريعة الرحمة والوئام. ليعيش فى مصر أتباع الديانتين ـ فى مودة وأخوة ووفاق وتلاحم، وليتشكل من شعب مصر مسلميه ومسيحييه نسيج قوى وفريد من نوعه لم تفلح كافة محاولات القوى الاستعمارية أن تنال من قوته

وشكر نيافة الأنبا باخوميوس، شعور الحب للمسلمين عقب وفاة قداسة البابا شنودة الثالث، والذى برهن على عمق الروابط والألفة والمحبة، التى تجمع بين نسيج هذا الوطن الغالى، متمنيا لمصر دوام الازدهار، والاستقرار، ومثمنا الدور الريادى للأزهر الشريف على مدى تاريخه. وخاصة تحت قيادة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر ـ الذى أعاد له هيبته ومكانته فى الحفاظ على الفكر الإسلامى الوسطى السمح، والذى حافظ على لحمة الوطن.

[illegible]

وكان فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب – قد استقبل يوم ٣٠/٣/٢٠١٢ بمشيخة الأزهر وفدًا من أعضاء مجامع اللغة العربية تقدمهم الأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى، والأستاذ الدكتور / محمد بن شريفة وحرمه الدكتورة / عصمت دندش من المغرب، والأستاذ الدكتور / عمار طالبى من الجزائر، والدكتور / عبدالكريم خليفة من الأردن.

وتطرق الحديث إلى وضعية اللغة العربية فى العالم العربى، فأبدى الوفد استياءه من تجاهل العالم العربى للغته فى كل الميادين عكس جل الدول الناهضة فى العالم.

وانتقد الدكتور خليفة ما يثار من أن اللغة العربية ليست صالحة للعصر الحالى، ودعا إلى أن يكون الأزهر قائدًا للأفكار العربية لاستعادة اللغة العربية فى كل ميادين الحياة.

كما أبدى الدكتور محمد بن شريفة ابتهاجه بالأزهر الجديد، وبتوجهه الإصلاحى الذى [illegible] المعاصرة، والأزهر الشريف مؤهل للعب هذا الدور الريادى المنشود.

وقال الدكتور عبدالهادى التازى: إننا لا نعادى اللغات الأخرى ولكننا نعتز بلغتنا العربية التى كانت [illegible] فى العصور الوسطى.

أما الدكتور عمار طالبى فقد طالب بأن يكون الأزهر الشريف هو الرائد لتدريس العلوم التقنية والطبية باللغة العربية، فالأزهر هو المؤهل لهذا بما يحمل من تاريخ طويل فى هذا الميدان، فعلوم الفلك والرياضيات كانت تدرس إلى عهد قريب فى أروقة الأزهر الشريف. كما ذكر الدكتور طالبى أن شيخ النهضة الجزائرية عبدالحميد بن باديس كتب رسالة إلى شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمد مصطفى المراغى، ذكر له فيها: أن الأزهر الشريف هو الخلافة [illegible] الإسلامية بعد غياب الخلافة الإسلامية.

ورحب فضيلة الإمام الأكبر بفرسان العربية والمدافعين عنها، وذكر أن الأزهر يعيش همَّ النهوض باللغة العربية فى عالمنا العربى المعاصر، وأبدى فضيلة الإمام أسفه واستياءه من غزو اللهجة العامية لقاعات الدرس الجامعى، ومختلف قنوات الإعلام المسموع والمرئى، وهو أمر لا يليق بعصر العروبة والإسلام، [illegible] على عاتق مجامع اللغة العربية كثيرة وعلى رأسها الوقوف دون زحف اللهجة العامية فى محيطنا العربى فى كل مستوياته، وانتقد فضيلة الإمام الأكبر لجوء المثقفين إلى العامية، وعدم تمكنهم من الإعراب عما يريدون بلغة عربية مبينة.

وأضاف فضيلة الإمام الأكبر قائلًا: من الأسف فإن اللغة العربية الآن مهانة فى ديار العروبة، وتفتقد إلى المنهج التربوى السليم لتعليم العربية. فالأمة التى تفقد لغتها ستفقد بالضرورة هويتها وأصالتها وإذا استمر هذا الوضع السائد للغة العربية فى بلادنا، فإن الأمر ينذر بخطر كبير يهدد [illegible] العربى.

وأضاف الإمام: لابد من تحليل أسباب انهيار العربية، وعلى مجامع اللغة العربية فى العالم العربى مسئولية معرفة عوامل الانهيار والضعف.

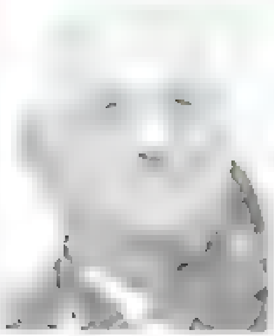
والأزهر يدق ناقوس الخطر، فالأمر جلل، ولابد من الإسراع بخطوات ثابتة نحو معالجة الموضوع بجدية كاملة، وعلى الكل التعاون من أجل إيجاد حل [illegible].

وعرض شيخ الأزهر على الضيوف فكرة إقامة مؤتمر علمى لمعرفة أسباب ضعف اللغة وكيفية النهوض بها.

وثمن الضيوف هذه الدعوة، وتمنوا أن يكون الأزهر الشريف هو حامل لواء استعادة اللغة العربية فى العالم العربى.

الإمام الأكبر يناشد المجتمع الدولى سرعة الاعتراف الرسمى بالدولة الفلسطينية

ناشد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب – شيخ الأزهر – المجتمع الدولى سرعة الاعتراف الرسمى بالدولة الفلسطينية.



وقال فضيلة الإمام الأكبر خلال استقباله الرئيس الفلسطينى محمود عباس أبو مازن والوفد المرافق لسيادته يوم الثلاثاء ٣/٤/٢٠١٢ إن المصالحة الفلسطينية أصبحت ضرورة قصوى لرأب الصداع بين أطياف الشعب المناضل لاستعادة حريته وأرضه من براثن الاحتلال الصهيونى، الذى يعمل ليل نهار لتعميق هوة الخلاف بينهم، مما يتطلب تضافر جهود المخلصين من أبناء الشعب الفلسطينى للوصول بالقضية إلى بر الأمان، وتغليب المصلحة العليا فوق أى خلافات.

ومن جانبه استعرض الرئيس الفلسطينى الجهود المبذولة لإنهاء ملف المصالحة بين حركتى فتح وحماس، مشيدًا بالدور الريادى الذى يقوم به الأزهر فى رأب الصدع بين أبناء الشعب الفلسطينى خلال هذه المرحلة الفارقة فى تاريخ الأمة، موضحًا أن هذا ليس بغريب على الأزهر الذى كان عبر تاريخه الحصن الحصين والملاذ الآمن لأبناء أمته عند اشتداد المحن والأزمات، يهرعون إليه ليقود سفينتهم إلى بر الأمان، فكان دائمًا على مستوى ثقتهم وآمالهم.

الإمام الأكبر يشيد بالدور المحورى الذى تلعبه تركيا فى خدمة قضايا الأمة

أشاد فضيلة الإمام الأكبر د/ أحمد الطيب – شيخ الأزهر الشريف – خلال استقباله يوم ٢٦/٣/٢٠١٢ وفدًا تركيًا رفيع المستوى برئاسة د/ سردار اتشام – رئيس الوكالة التركية للتعاون والتنسيق «تيكا» والسيد/ حسين عونى سفير تركيا بالقاهرة، د/ أنور أربا – رئيس دائرة الشرق الأوسط بالوكالة بعمق الروابط التاريخية بين الأزهر وتركيا قديمًا وحديثًا، وأشاد فضيلته بالدور المحورى تلعبه تركيا فى خدمة قضايا الأمة.

وقد وقع الإمام الأكبر والوفد التركى على اتفاقية بروتوكول تعاون بين الجانب التركى والأزهر الشريف [illegible] الأوقاف والأستاذ [illegible] التركى [illegible] الترميمات اللازمة فى جامع الأزهر الشريف، وجامع أبو الذهب، وتكية السلطان محمود، وجامع

الإمام الشافعي بالقاهرة، وجامع الشوربجي، وجامع ابراهيم تربانه، ومقبرة النبي دانيال – عليه السلام – بالإسكندرية، وتجديد فرش جامع سيدنا الحسين وتحديث شبكته الكهربائية.

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على منح مؤسسة «تيكا» التركية خمس منح دراسية بالأزهر الشريف لدراسة اللغة العربية مجانا.

وقد شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على جهوده العظيمة لخدمة قضايا الأمة، وخاصة في الظروف الراهنة التي تمر بها، والتي كان لها أثر كبير في بث روح الوعي في نفوس أبنائها وذلك لما يتميز به الأزهر الشريف من وسطية المنهج الذي يجسد روح الإسلام وسماحته مما جعله على مدار التاريخ كعبة للعلم والعلماء.

السفير الأردني بالقاهرة

الأزهر استعاد ثقله الكبير في كافة الأوساط العالمية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - خلال استقباله السفير الأردني بشير الخصاونة يوم ٤-٤-٢٠١٢ أن الظروف التي مرت بها مصر، والأمة العربية مؤخرا جعلتنا أكثر حرصا على استعادة الأزهر لدوره الريادي، والنهوض به من أجل مستقبل أمتنا وطموحات، وتطلعات الشعوب الإسلامية من أجل تحقيق أسس الديمقراطية والسلام، وقال فضيلة الإمام الأكبر إن الأزهر الشريف سيظل دائما وأبدا ضمير الأمة من خلال منهجه الوسطي المعتدل الذي لم ولن يحيد عنه أبدا، والمعبر عن طموح الشعوب من أجل تحقيق رسالة السلام والاستقرار.

ومن جانبه، نقل السفير الأردني لفضيلة الإمام الأكبر التحية والشكر من جلالة الملك عبد الله الثاني للدور الرائد والمؤثر الذي اضطلع به الأزهر على مدى تاريخه العريق لمساندة الشعوب الإسلامية ونشر قيم العدل والسلام والاستقرار.

وأشاد السفير بدور مصر الريادي على الساحة الإقليمية والدولية، وأنها بمثابة البوصلة التي تحدد مسار الأمة صعودا وهبوطا، فكل حدث في مصر، سلبا أو إيجابا يؤثر في باقي الأمة.

وأضاف بأن الأزهر قد استعاد في الآونة الأخيرة ثقله الكبير في كافة الأوساط العالمية، وبخاصة بين المسلمين من خلال مواقفه ومبادراته التي لبت طموحات وآمال الشعوب.

شيخ الأزهر يجتمع برؤساء الكنترولات

عقد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - اجتماعا يوم ٢ / ٤ / ٢٠١٢ مع رؤساء كنترولات الشهادات الأزهرية هذا العام لبحث الترتيبات الخاصة بالعمل.

وقال الشيخ عبد التواب قطب، رئيس قطاع المعاهد، إن الاجتماع تناول الترتيبات الخاصة بالعمل في الكنترولات هذا العام، والتأكيد على ضرورة مواصلة العمل بما يحقق الاستقرار وإعلان النتائج في وقت مناسب دون وقوع أخطاء، وأهمية تنفيذ معايير التي تم الاتفاق عليها هذا العام وخاصة تحديد نسب مشاركة محددة في أعمال الكنترولات مع تحديد العمالة هذا العام حسب ما يحقق تلبية الطموحات خاصة بإعداد كوادر جديدة للعمل في الكنترولات مستقبلا

الأزهر استطاع أن يجمع شمل القوى الوطنية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - أن الأزهر الشريف لا يألو جهدا في مد يد العون للمسلمين في جميع الأقطار لتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، جاء ذلك خلال استقباله لسفيرة باكستان بالقاهرة السيدة / سيما نقوي - والوفد المرافق لها وذلك يوم ٢٦ / ٣ / ٢٠١٢، متمنيا لسيادتها كل توفيق بمناسبة قرب انتهاء عملها كسفيرة لبلادها بالقاهرة.

وأثنت السفيرة على الدور الريادي للأزهر الشريف على الساحة المحلية والإقليمية والدولية، خصوصا بعد ثورة ٢٥ يناير المجيدة، الذي استطاع بحكمة ورصانة إمامه الأكبر أن يجمع شمل كافة التيارات والائتلافات والأحزاب والقوى الوطنية في رحاب الأزهر الشريف، حيث انبثقت وثائقه التاريخية التي تعتبر لسان حال كل من يهتم بشئون الوطن والأمة طريقها للخروج من الأزمة الراهنة.

واستعرض الجانبان، وسائل دعم العلاقات الثنائية بين الأزهر الشريف ودولة باكستان الشقيقة التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ، وعرضت سيادتها على فضيلة الإمام الأكبر مشروع إنشاء المدرسة الباكستانية الدولية بمدينة ٦ أكتوبر، ورحب فضيلة الإمام بهذا المشروع، وأبدى كامل استعداد الأزهر الشريف لتقديم كل إسهامات علمية وتعليمية أو توجيهية في هذا الصدد.

الإمام الأكبر يناشد الدول الأوروبية بضرورة مساندة الشعب السوري

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - أن الشعب المصري برهن عبر تاريخه الطويل على قدرته في التغلب على المحن والمصاعب التي تواجهه، وأنه يتميز بترابط نسيجه الوطني، وهو ما ظهر جليا في ثورة ٢٥ يناير المجيدة، مشددا على أن مصر ستتعافى من الآثار السلبية والمشاكل التي واجهتها عقب الثورة وهذا شيء طبيعي تجاه الثورات ومصر ليست بدعا من ذلك.

وقال فضيلة الإمام الأكبر خلال استقباله السيد كارل شوارزنبرج نائب رئيس الوزراء التشيكي ووزير الخارجية يوم ٣ / ٤ / ٢٠١٢ والوفد المرافق لسيادته: إن انسحاب الأزهر من الجمعية التأسيسية للدستور المصري جاء نتيجة عدم تمثيل الأزهر تمثيلا متكافئا وهو ما أعلنته الكنيسة أيضا.

وناشد فضيلة الإمام الأكبر الدول الأوروبية بضرورة مساندة الشعب السوري في محنته والعمل على وقف آلة القتل اليومية.

ومن جانبه عبر وزير الخارجية التشيكي عن انبهاره بسلمية الثورة المصرية مقارنة بما يحدث في بعض دول الربيع العربي، داعيا الدول الأوروبية إلى الوقوف بجانب مصر حتى تتعافى من مشاكلها الاقتصادية، مشيرا إلى ما حدث في الثورة التشيكية وما واجهته عقب الثورة أيضا من مشاكل اقتصادية واجتماعية استطاعت التغلب عليها بعد فترة وجيزة.

أنباء العالم الإسلامي



د. محمد ... بالعاصمة العمانية مسقط

العلماء يطالبون بتجديد الفقه الإسلامي

أكد فقهاء وعلماء من ٢٤ دولة عربية وإسلامية، على ضرورة تبني مشاريع الفقهية استراتيجية لتجديد الفقه الإسلامي، لمواكبة تطورات العصر ومتغيراته.

جاء ذلك في افتتاح مؤتمر تطور العلوم الفقهية ... والنظام الفقهي، الذي انطلقت فعالياته بالعاصمة العمانية مسقط في ٧ / ٤ / ٢٠١٢.

وفي كلمته أمام المؤتمر أكد الدكتور على جمعة مفتي مصر أن زماننا تفرد بسرعة الحركة والاتصال ولابد أن نساير هذا الواقع ونحقق مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لجلب الخيرات والمصالح للناس.

وأضاف بأن أحكام الشريعة وهي التي تأسست عليها المصالح، استندت إلى أسس ثابتة ومستقرة في الفقه الإسلامي موضحا أن الحكمة أو المقصد الشرعي لا يفهمه إلا المتخصصين والدارسين للفقه الذين ينظرون للأحكام بنظرة شاملة ويدركون حكمة الشرع فيما أمر وفيما أبطل وأجاز.

من جانبه قال الشيخ عبد الملك بن عبد الله الخليلي وزير العدل العماني في الكلمة التي ألقاها نيابة عنه د. عبد الرحمن بن سليمان رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر: إن الأمة تمتلك موروثًا أخلاقيًا، وتشريعيا هائلا غنيا بإمكاناته وقدراته للتواصل والإخراج الجديد النافع للأمة، فعجلة الحياة لن تتوقف، فالنصوص محدودة والشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان والعقول تتفاوت في استخراج الأحكام.



كما أكد الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة أن الحفاظ على اللغة العربية هو صون للعلوم الشرعية، فهي لغة ... ولا ... الواقع الذي نعيش فيه متغير وعلى الفقيه أن يدركه ادراكا واقعيا.

مؤتمر ... المنورة

نظمت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برعاية الأمير عبدالعزيز بن ماجد بن عبدالعزيز، المؤتمر الدولي الأول حول اللغة العربية ومواكبة العصر في ٩ / ٤ / ٢٠١٢. بمشاركة أكثر من ٢٠٠ عالم وباحث بينهم ٣٠ عالما وباحثا مصريا وذلك، سعيا لتأصيل الهوية اللغوية العربية لأهلها من العرب والمسلمين، ومناقشة حال العربية وما يعترض سبيلها من تحديات متنوعة، كزحف العامية وتعدد اللهجات وغزو اللغات الأجنبية.

قال الدكتور محمد بن علي العقلا مدير الجامعة إن المؤتمر يهدف إلى تأصيل الهوية اللغوية العربية وترسيخها، في ضوء مناقشة واقع اللغة العربية وما يعترض سبيلها من تحديات مختلفة. وبيان مدى إسهام الدراسات اللغوية الأكاديمية في خدمة الفصحى، والوقوف على المناهج اللغوية الحديثة وتطبيقاتها والإفادة منها.

... المؤتمر ناقش خمسة محاور رئيسية هي دور أقسام اللغة العربية في الجامعات في النهوض بالعربية و... والمصطلحات والتعريب اللغوي، واللغة العربية ووسائل التقنية والاتصال الحديثة، ودور الآثار الأدبية المعاصرة، وهموم اللغة العربية في عصر العولمة.



لجنة عربية إسلامية لدعم القدس

شهدت مدينة جدة السعودية خلال مارس الماضي – الإعلان عن إنشاء لجنة عربية إسلامية، لدعم مدينة القدس وذلك في ختام اجتماع [illegible] بين منظمة التعاون الإسلامي، وجامعة الدول العربية [illegible].

[illegible]. وتصدرت الأزمة السورية جدول أعمالها، [illegible] السودان والصومال وحوار الحضارات ومكافحة الإرهاب [illegible] للتحرك على [illegible] البرلمانات العربية والإسلامية، ومنظمات المجتمع المدني للدفاع عن القدس الشريف، [illegible] عن كل من القطاعات المختلفة العاملة في القدس الشريف، [illegible] احتياجاتهم الفعلية، وكيفية إيصال المعونة لهم، بالإضافة إلى أهمية مخاطبة الدول الأعضاء لدى المنظمتين، للوفاء بما تم الالتزام به من تعهدات مالية بهدف دعم صمود الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وبشكل خاص المقدسيين منهم، وكان الأمين المساعد للشئون السياسية السفير عبدالله بن عبدالرحمن عالم، قد ترأس جانب المنظمة في الاجتماع الذي ترأس جانب [illegible] الأمين العام المساعد لشئون فلسطين.

في غضون ذلك، استعرض الجانبان الأوضاع [illegible] المنظمتين من خلال التحرك العاجل بهدف وقف العنف [illegible] ضد المدنيين الأبرياء، وتقديم الدعم الكامل للمبادرة العربية حل الأزمة السورية، واستمرار التشاور والتنسيق بين [illegible] في التحرك المستقبلي في الأزمة السورية وبصفة خاصة على صعيد مجلس الأمن، كما استعرض الطرفان نتائج اجتماع المجلس الوزاري العربي في القاهرة، بالإضافة إلى جولة المبعوث المشترك للأمم المتحدة والجامعة العربية الأخيرة.

تدفق اللاجئين السوريين إلى تركيا هرباً من الموت

واصل اللاجئون السوريون تدفقهم إلى تركيا هرباً من الموت في بلادهم. ويعيش نحو ١٦ ألفاً من اللاجئين السوريين المسجلين في مخيمات داخل تركيا. ويشكل هؤلاء اللاجئين نحو نصف أعداد اللاجئين الذين فروا من سوريا [illegible]. وعددهم ٣٤ ألفاً حسب تقديرات الأمم المتحدة. ويعتقد أن هناك [illegible] داخل سوريا.

وتخشى تركيا من حدوث [illegible] مماثل لعشرات الآلاف الذين عبروا من العراق خلال حرب الخليج عام ١٩٩١ [illegible] إقامة منطقة عازلة داخل سوريا يعد أحد الخيارات التي [illegible].

على صعيد آخر أعلنت عدة فصائل من المعارضة السورية عن تشكيل تحالف جديد، مما يكشف عن وجود انقسام خطير بين خصوم الرئيس السوري بشار الأسد. ولم تحدد الفصائل اسم التكتل المعارض الجديد بعد، وقالوا إن التكتل [illegible] معارض للمجلس الوطني السوري، لكنهم انتقدوا المجلس الوطني السوري، لاهتمامه [illegible] على الأرض.

دول غربية تطلب تعزيز علاقاتها مع «التعاون الإسلامي»

ذكر [illegible] الإسلامي أن ثلاث دول غربية تسعى إلى توطيد علاقاتها مع المنظمة، وذلك في إطار دور المنظمة المتزايد في الساحة الدولية، وقال المصدر إن كلاً من كندا والسويد بالإضافة إلى أستراليا طلبوا توطيد علاقاتهم مع التعاون الإسلامي.

وأضاف المصدر بأن بعض هذه الدول قد [illegible] في ظل وجود طلبات متزايدة لهذه العضوية من قبل الكثير من الدول من آسيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا وبخاصة بعد إقرار قانون عضوية «مراقب» في [illegible] منتصف العام الماضي.

وأشار المصدر إلى أن بعض هذه الدول عرض تعيين مبعوث خاص لدى المنظمة، وبعضها طلب إرسال وفود إلى مقرها في جدة بغية تعزيز [illegible] الطلبات تقدم إلى أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام للمنظمة في جولاته وزياراته إلى مختلف دول العالم.

يذكر أن روسيا كانت قد انضمت للعضوية كـ«مراقب» إلى المنظمة في عام ٢٠٠٥ [illegible] الولايات المتحدة [illegible] التعاون الإسلامي في عام ٢٠٠٨، عندما [illegible] الرئيس جورج بوش، ساده قمير [illegible] الذي يشغل المنصب حالياً. فضلاً عن مبعوثين لكل من بريطانيا وأستراليا باشرا عملهما بالفعل، فيما عززت الصين من علاقاتها مع المنظمة، في الوقت الذي طلبت فيه البرازيل ومنحها عضوية «مراقب».

وأوضح المصدر بأن التوسع الذي تشهده المنظمة من خلال علاقاتها الدولية، يؤكد ثقة المجتمع الدولي بالدور المنوط بالمنظمة، [illegible]

الأمم المتحدة تنتقد تقصير حكومة جنوب السودان في حماية السكان

[illegible] حكومة جنوب السودان على حقيقة تعاملها البطيء مع الأزمة التي راح ضحيتها المئات في [illegible].

وقال أمين عام المنظمة الدولية بان كي مون: إن نشر قوات عسكرية لحماية السكان لا يعد سوى تدبير مؤقت، وثمة حاجة ماسة إلى حلول دائمة من خلال تطوير قدرات مؤسسات الدولة على توفير الخدمات [illegible] الدولي قدم الكثير الذي كان من الممكن أن يسهم في تفعيل الأداء الحكومي، وأعرب مون في تقريره الذي عرضته رئيسة البعثة الأممية بالجنوب هيلدا جونسون، أمام مجلس الأمن عن قلق بالغ بشأن تدهور العلاقات بين جوبا والخرطوم، وحمل حكومتي البلدين مسئولية إيقاف طبول الحرب التي علا صوتها في الفترة الأخيرة [illegible] حكومة [illegible]

تحديات غير مسبوقة على جوبا، وسيحد من [illegible] والإنسانية. فضلا عن إضعاف قدرتها على [illegible] نزع السلاح والتسريح وإعادة الاندماج وإصلاح القطاع الأمني وسيادة القانون ومحاربة الفساد. إلى ذلك دعت الأمم المتحدة حكومة الجنوب إلى الوفاء بوعودها ووقف [illegible] مشيرة إلى أنه لا يزال هناك نحو ألفي طفل مجند بصفوف الجيش النظامي. وقالت الممثلة الخاصة بالأطفال والصراعات المسلحة [illegible] كوماراسوامي [illegible] للغاية تسريح هؤلاء الأطفال من الخدمة العسكرية [illegible] عليهم.



خطة سعودية لرصد الإساءة للدين في مواقع التواصل الاجتماعي

تعكف وزارة الثقافة والإعلام السعودية على سلسلة من الدراسات التشخيصية لمواقع التواصل الاجتماعي على شبكة [illegible] والاتجاهات التي تتشكل داخل تلك المواقع، إضافة إلى الوقوف على المخالفات.

[illegible] وكيل وزارة الثقافة والإعلام المساعد [illegible] على تقنية المعلومات، أن دور الثقافة والإعلام في مجال مواقع التواصل [illegible] وزير الثقافة والإعلام يعد رقابيا ومشروعا، مشددا على أن الدور الرقابي يظهر في حال وجود مخالفة صريحة مثل التعرض للدين أو ما هو منصوص عليه في الأنظمة.

[illegible] متاحة على مواقع التواصل الاجتماعي في الوقت الراهن تستهدف فئة الشباب في مجال الإعلام الجديد، وتمثل قنوات تواصل مع هذه الفئات، مشيرا إلى أن [illegible] وإحصائيات تبين كيفية تعامل الشباب مع تلك المواقع، بالإضافة إلى العرض الموجودة في الواقع الافتراضي.

ولفت الملحم إلى أن آخر الدراسات التي خرجت من وزارة الإعلام كانت نحو القنوات التي تنشأ على موقع «اليوتيوب»، وهي التي عرّج القائمون [illegible] المجتمع، بالإضافة إلى التعليق على آخر الأخبار التي ترد في الصحافة الورقية. [illegible] الاتجاهات التي تسير نحوها تلك القنوات، إضافة إلى معرفة إلى ماذا يهدف [illegible]

منظمة التحرير تدين بناء أكثر من ١٠٠٠ وحدة استيطانية بالقدس وحماس تواصل هجومها على سياسات أبو مازن

[illegible] منظمة التحرير الفلسطينية طرح [illegible] عطاءات لبناء [illegible] الوحدات الاستيطانية الجديدة من بينها ١٠٥٢ وحدة في محيط مدينة القدس المحتلة.

قالت دائرة العلاقات الدولية بالمنظمة في بيان: إن حكومة الاحتلال تعمل جاهدة على تسريع تهويد مدينة القدس من خلال تعزيز استيطانها غير الشرعي القائم على سرقة الأرض الفلسطينية وبناء المستوطنات فوقها وتهجير سكانها الشرعيين منها وتزوير التاريخ الحضاري والإنساني العربي في المدينة لفرض أمر واقع على الأرض.

● أضافت أن قرارات الاستيطان الجديدة تشكل [illegible] لإحلال سلام عادل وشامل في المنطقة وخطوة إضافية للقضاء على إمكانية حل الدولتين.

أوضحت الدائرة أن خطط الاستيطان الإسرائيلية منافية للقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية التي [illegible] الشرقية أرض محتلة تنطبق عليها كافة القرارات والاتفاقات الدولية مؤكدة أن كافة الإجراءات التي [illegible] قوة الاحتلال الإسرائيلي على الأرض لاغية وباطلة.

كانت وزارة الإسكان الإسرائيلية طرحت عطاءات لبناء ١١٢١ وحدة استيطانية غالبيتها في القدس الشرقية المحتلة والباقي في الضفة الغربية وهضبة الجولان المحتلين. وسيتم بناء ٨٧٢ في مستوطنة جبل أبو غنيم جنوب القدس الشرقية و١٨٠ وحدة في مستوطنة أخرى شمال القدس.

وفي غزة انتقدت حركة حماس عزم الرئيس الفلسطيني محمود عباس توجيه رسالة سياسية إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بشأن تطورات عملية السلام و[illegible]

وقال فوزي برهوم المتحدث باسم حماس: إن رسالة عباس مستغربة ومستهجنة وتعبر عن إفلاس سياسي لدى السلطة وتحديدا في ظل التعنت الإسرائيلي وما يجري في القدس من تهويد واستيطان واقتلاع وجرائم يومية.

[illegible] للعودة إلى المفاوضات التي [illegible] الشعب الفلسطيني

محكمة سويسرية تقرر تغريم أسرة مسلمة بسبب دروس سباحة مختلطة

قررت محكمة [illegible] سويسرية غرامة ١٤٠٠ فرنك على أسرة مسلمة [illegible] مشاركة في دروس السباحة المختلطة مخالفة ذلك لتعاليم الإسلام.

وقد أشارت المحكمة الفيدرالية في حيثيات إقرار حكم المحكمة الإدارية أن إجبار الطلاب على المشاركة في دروس السباحة المختلطة لا يمثل [illegible] على حريتهم الدينية.

Ahmad ibn Hanbal [164-241 A.H/780-855 A.D] and Sibawih [148-180 A.H/765-796 A.D.] He mastered greatly the Arabic language.

When the Arabic language spread in Egypt, and was learnt and mastered by the Copts in Egypt, this contributed to unite all the people in Egypt, as the Copts in Egypt got used to speaking in Arabic. The Muslims in the Egyptian villages were using the Coptic Calendar in matters related to cultivation.

This empathy existed continuously; and we hear that many Caliphs and rulers took care of this national unity. The life and caliphate of 'Umar ibn Al Khattab ended, but the goodness he did not come to an end. His behavior and manners are still alive in the souls of the people.

I am not able to talk for a long time about this matter, not to speak at great length. Your Excellency, Mr. President, I want to say that goodness lives eternally, and we want to spread goodness among the people. We want that the people accept this goodness willingly not forcibly. I may say that doing good is not the real goodness; rather, it is loving goodness, as the person may be forced to do goodness, or may do it out of fear or tradition, but this is not actually goodness. However, the good person is the one who likes to do goodness from the bottom of his heart, even if he does not do it, he has the intention to do it, as deeds depend on intentions. Forcing to do goodness is done by the slaves, while loving to do it is done by the priests.

Thus, we want to spread goodness in the hearts of the people and to support good and benevolent deeds inside, not outside, the human being.

The sin was easy to be done in front of Prophet Yusuf, and he might be punished if he did not do it. However, he preferred not to commit this sin, because loving goodness and virtue lies in his heart and is stronger than the invisible temptations.

This is the good person whom we want. This is also the instructions of religion and the encouragement of the country we need. We, as Christians, want to contribute in this field and want to find the real good citizen. We will exert every effort in this regard because we love our country, its honorable history, and its President, Anwar Al-Sadat, from the deepest of our hearts. We take care of its reputation inside and outside it, and we do our best to brighten its reputation in every place. We want all the peoples of the world regard Egypt as beautiful and to conform with the words mentioned in the Bible "The people of Egypt are blessed."

مدرسة فرنسية تمنع دخول م.. مدرسة بدنها لارتدائها الحجاب

نشر موقع التليفزيون الفرنسي على موقعه [illegible] لأربعة أولاد [illegible] من دخول مدرسة [illegible] الابتدائية في مدينة باستيا الفرنسية، بحجة أنها ترتدي الحجاب والملابس السوداء، وقد جاء قرار الرفض عن طريق إدارة المدرسة المدعومة برئيس أكاديمية كورسيك. وقالت [illegible] مدرسة فضلت أن ارتدي مثل النساء الأخريات، ومن جانبها فقد حاولت إدارة المدرسة [illegible]. وكذلك [illegible]

بالوثائق... الولايات المتحدة تتجسس على المسلمين

كشف اتحاد الحريات المدني الأمريكي أن المباحث الفيدرالية بمدينة سان فرانسيسكو كانت تسيء استغلال مشروعات التواصل مع المساجد والمراكز الإسلامية في جمع وتخزين المعلومات الخاصة بمسلمي الولايات المتحدة بصورة غير قانونية، فيما يعد انتهاكا لحقوق وحرية ممارسة المعتقدات والشعائر الدينية.. وأكدت الوثائق الحكومية التي صدرت مؤخرا في إطار القضية التي رفعها الاتحاد أمام القضاء في إطار قانون حرية جمع المعلومات أن المباحث قد سجلت الخطب والدروس وبيانات هوية المسلمين ومعلوماتهم الشخصية [illegible] لآرائهم وممارساتهم الدينية.

وقد أشارت الوثائق التي نشر موقع [illegible] كما نشرت [illegible] [illegible] بنشر المعلومات بين وكالات حكومية أخرى دون أن تشير إلى معرفة المسلمين [illegible] المباحث بتسجيل تلك المعلومات أو تداولها.

قاض ألماني يحتكم للشريعة الإسلامية في قضية زواج

أخذ أحد القضاة بمدينة ليمبورج أل[illegible] [illegible] الإسلامية، وذلك خلال دعوى قضائية رفعها مسلم تركي يطالب زوجته السابقة برد مجوهرات ذهبية كصداق عقب انفصالهما بعد شهرين من زواجهما.. وقد أشار القاضي إلى أن الصداق من حق الزوجة [illegible] بعد الطلاق [illegible] الزوج مؤكدا اعتماده في الحكم على أحكام [illegible] التركي

The Qur'an puts the Jews who associated others with Allah in divinity on one side and the Christians on the other side. The Christians lived in the Islamic rule with the rulers, who understood the Qur'an truly and liked the Islamic rule. The Christians lived with the Muslims in peace. In these ages, we find mixture between the Muslims and Christians, which was increasing gradually until it reached the national unity. In the Islamic history, we can find friendship between the Muslim rulers and the Christian rulers. Also, they depended on them in many fields such as education, medicine, engineering, and finance.

"The private physician of Mu'awiyah was Christian, and he chose a Christian man to educate his son Ziyad, who chose a Christian priest to educate his son Khaled. Also, Caliph Abdul Malek ibn Marwan (26-86 A.B. 646-705 A.D) selected Yuhanna Al-Dimishqy [55-122 A.H 640-708 A.D] as his consultant. He chose a famous teacher called Atanasios to educate his brother Abdul Aziz. When Abdul Aziz ibn Marwan became the ruler of Egypt, he appointed Atanasios as consultant. We find Al-Akhtal [19-90 A.H 640-708 A.D.] who was a famous Christian poet, and he joined a group of poets parallel to Al-Farazdaq. When Al-Akhtal, the Christian poet, used to enter the mosques, the Muslims used to salute and honor him for his knowledge, as it is narrated in the Islamic history.

We find many examples of the tolerance of Islam, one of which is that when the Caliph `Umar ibn Al-Khattab was about to die, he advised the coming Caliph with regard to the People of the Book with two matters: First, keeping the promises given to them. Second, he advised not to overload them with burdens they can not tolerate.

Pope Shenouda proceeded to say: "At one time, when Al-Walid ibn `Uqbah was the ruler of Bani Taghleb including the Christians, and `Umar knew that Al-Walid threatened those people, he removed him from office not to hurt them.

Also, there is a funny story about `Umar ibn Al-Khattab. When he was the Caliph of the Muslims, `Ali ibnn Abu Taleb disagreed with a Jew. When both of them came in front of Caliph `Umar, he said to `Ali: Abul Hasan, sit beside your opponent to discuss this matter. Ali was slightly affected. After he judged the matter, he said to Ali: Was you annoyed as I asked you to sit beside your opponent? Ali said: No, I was affected because you called be Abul Hasan, and this is a kind of honoring, and I feared that the Jew think that the Muslims are not fair, as you did not treat us equally and called me with my nickname.

Then, Pope Shenouda commented on the justice, being represented by `Umar ibn Al-Khattab and Ali ibn Abu Taleb. He emphasized that these were the dominant morals in the Islamic rule.

This was the justice, by which the Muslims used to treat their subjects, whatever their religion is. We find in history that the Muslims Caliphs and rulers took care of the Christians in many parts of the country. Muhammad ibn Tang Al-Ikhshid [268-334 A.H.] used to build and restore churches. The Muslim rulers gave due care to building Abu Sirga Church in Misr Al-Qadimah. The Fatimid Caliph Al-Aziz Billah [365-386 A.H.] paid due care to building Abu Sifin Church and Marqirus Church. The Fatimid rulers paid due care to building and restoring the churches. Al-Maqrizy [766-745 A.H.; 1365-1441 A.D.] in Al-Khitat and Al-Mas`udy in Muruj Al-Dhahab tackled this matter in their books.

As for medicine, for which we are gathered today, we find that the first hospital in Egypt was built at the time of Ahmad ibn Tolon. He loved the Copts very much and chose a Christian man to build his mosque. Ahmad ibn Tolon. Also, he chose a Christian man for building the vaults and many buildings. He used to visit Al-Qusair Monastery, and he was closely linked to the priests. Also, the Egyptian monasteries were a place for the meetings of the ruler.

Hisham ibn `Abdul Malek had a house built to the Patriarch beside his palace, and he used to listen to his sermons. The ruler Al-Aziz Billah, the Fatimid, has a great friendship with Pope Ibram ibn Zar'a and the priest Sawiras, the bishop of Al-Ashmonain. He used to invite them to his palace with the chief justice to talk about religion in his presence.

As for medicine, we hear that the private physician of Mu'awiyah ibn Abu Sufian was Christian. Also, Abu Ja'far Al-Mansur's private physician was Christian and his name was Girgis ibn Bakhtishu'. Jibril ibn Bakhtishu' was the physician of Caliph Harun Al-Rashid. He told the people that whoever needs me to do something should tell Jibra'il, as I do not refuse any of he requests.

Yohanna was famous from the time of Al-Rashid to the time of Al-Mutawakkel [206-247 A.H/821-861 A.D.]. All of these Caliphs used to invite him to their banquets and used not to eat except when he came. Hunayn ibn Ishaq [192-259 A.H/808-872 A.D] was one of the famous physicians at the Islamic age, and he was called Abuqrat and Galinus of his age. Hunayn ibn Ishaq learned the Arabic language from Imam

Muruj Al-Dhahab tackled this matter in their books. Also, the rulers undertook establishing national unit among the subjects.

Also, Pope Shenouda testified the justice of the Noble Qur'an with the Christians and the justice of the Islamic history with the Christians since the time of 'Umar ibn Al-Khattab and the way the justice of 'Umar Ibn Al-Khattab did not end with his death, but it continued throughout history. Pope Shenouda said: "The goodness of 'Umar did not come to an end with his death, but it was alive in the minds and souls of the people along history. This document needs to be read many times, as it calls for national union, which is a weapon against the ignorance of the people.

The Christians in the Islamic Rule

In the Name of Allah, Whom we all worship. [1]I am pleased on your behalf to welcome President Anwar Al-Sadat. On this day, the President visits the Patriarchy, and this reminds me with the relation of Islam with the Christians. I will talk about this point. When Islam refers to the Christians, it refers to them with the People of the Book. There are many Qur'anic verses, which carry love for the People of the Book and the Christians. One of these verses is an Ayah in Surah Al-Imran:

{ They believe in Allâh and the Last Day; they enjoin Al-Ma'rûf (Islamic Monotheism, and following Prophet Muhammad peace be upon him) and forbid Al-Munkar (polytheism, disbelief and opposing Prophet Muhammad peace be upon him); and they hasten to (all) good works; and they are among the righteous.}(Al-Imran "The Household of Imran": 114)

It referred to the People of the Book as the people who worship Allah, offer Salah (Prayer), devote themselves to goodness, belief, and reform. Also, it is mentioned in Surah Al-Baqarah:

{ Those (who embraced Islâm from Bani Israel) to whom We gave the Book [the Taurât (Torah)] [or those (Muhammad's peace be upon him companions) to whom We have given the Book (the Qur'ân)] recite it (i.e. obey its orders and follow its teachings) as it should be recited (i.e. followed), they are the ones who believe therein. And whoso disbelieve in it (the Qur'ân), those are they who are the losers. (Tafsir Al-Qurtubi).}(Al-Baqarah "The Cow:"121)

[1] From the speech delivered by Pope Shenouda the third, the Patriarch of the Orthodox Copts in October 1977 at the occasion of putting laying the corner stone of Mar Morqus Hospital

Also, we find that when the Qur'an refers to the Christians, it asked the people to debate with them leniently. It is mentioned in Surah Al-[illegible]

{ 'And argue not with the people of the Scripture (Jews and Christians), unless it be in (a way) that is better (with good words and in good manner, inviting them to Islâmic Monotheism with His Verses), except with such of them as do wrong, and say (to them): "We believe in that which has been revealed to us and revealed to you; our Ilah (God) and your Ilah (God) is One (i.e. Allâh), and to Him we have submitted (as Muslims)."}(Al-Ankabut "The Spider": 46)

Also, the Noble Qur'an put the People of the Book in the position of consultancy and giving religious legal opinion. It is mentioned in Surah Yunus.

{'So, if you (O Muhammad peace be upon him) are in doubt concerning that which We have revealed to you, [i.e. that your name is written in the Taurât (Torah) and the Injeel (Gospel)], then ask those who are reading the Book [the Taurât (Torah) and the Injeel (Gospel)] before you. Verily, the truth has come to you from your Lord. So be not of those who doubt (it).} (Yunus "Jonah": 94)

Also, it is mentioned in Surah Al-Anbia:

{'And We sent not before you (O Muhammad peace be upon him) but men to whom We revealed. So ask the people of the Reminder [Scriptures — the Taurât (Torah), the Injeel (Gospel)] if you do not know.}(Al-Anbiya "The Prophets": 7)

When Islam refers to the Christians, it describes them as being merciful. It is mentioned in Surah Al-Hadid about the followers of Christ:

{We ordained in the hearts of those who followed him compassion and mercy.} [illegible]

Also, the Qur'an describes them as the people who love the Muslims more than any people else. There is a verse which differentiates between the Christians and the disbelievers, saying:

{'Verily, you will find the strongest among men in enmity to the believers (Muslims) the Jews and those who are Al-Mushrikûn, and you will find the nearest in love to the believers (Muslims) those who say: "We are Christians." That is because amongst them are priests and monks, and they are not proud.}(Al-Maidah "The Table" 82)

ibn Al-Khattab was about to die, he advised the coming Caliph with regard to the People of the Book with two matters: First, keeping the promises given to them. Second, he advised not to overload them with burdens they can not tolerate.

Pope Shenouda proceeded to say: "At one time, when Al-Walid ibn `Uqbah was the ruler of Bani Taghleb including the Christians, and `Umar knew that Al-Walid mistreated those people, he removed him from office not to hurt them

Also, there is a funny story about `Umar ibn Al-Khattab. When he was the Caliph of the Muslims, `Ali ibn Abu Taleb disagreed with a Jew. When both of them came in front of Caliph `Umar, he said to `Ali: Abul Hasan, sit beside your opponent to discuss this matter. Ali was slightly affected. After he judged the matter, he said to Ali: Was you annoyed as I asked you to sit beside your opponent? Ali said: No, I was affected because you called me Abul Hasan, and this is a kind of honoring, and I feared that the Jew think that the Muslims are not fair, as you did not treat us equally and called me with my nickname.

Then, Pope Shenouda commented on the justice, being represented by `Umar ibn Al-Khattab and Ali ibn Abu Taleb. He emphasized that these were the dominant morals in the Islamic rule. He said: "This was the Muslims' attitude towards justice among their subjects.

Then, Pope Shenouda emphasized that the Islamic justice was not dominant merely in the earlier Muslim Caliphate, but it extended throughout the history of Islam. He said: "The life and caliphate of `Umar ibn Al-Khattab ended, but the goodness he did not come to an end. His behavior and manners are still alive in the souls of the people

Then, Pope Shenouda proceeded to give examples about the continuation of the Islamic tolerance and justice practiced towards the Christians along the Islamic history. He said about the Caliphe Mu`awiyah ibn Abu Sufian [20 B.H. – 60 B.H/ 603-680 A.D] and the Umayyad State: "The private physician of Mu`awiyah was Christian, and he chose a Christian man to educate his son Ziyad, who chose a Christian priest to educate his son Khaled. Also, Caliphe Abdul Malek ibn Marwan (26-86 A.B/ 646-705 A.D) selected Yuhanna Al-Dimishqy [55-122 A.H 640-708 A.D] as his consultant. Also, Al-Akhtal [19-90 A.H/640-708 A.D.] was one of the famous Christian poets and joined a group of poets parallel to Jarir [28-110 A.H 640-728 A.D] and Al-Farazdaq 110 AD-728 A.D]. This group was very famous in the Umayyad State. When Al-Akhtal, the Christian

poet, used to enter the mosques, the Muslims used to salute and honor him for his knowledge, as it is narrated in the Islamic history."

Also, Pope Shenouda said about the Umayyad Caliph, Hisham ibn Abdul Malek [71-125 A.H – 690-743 A.D.]: "He had a house built to the Patriarch beside his palace, and he used to listen to his sermons.

Also, Pope Shenouda testified the justice of Islam in the Abbasi era.

Saying about Caliph Abu Ja`far Al-Mansur [136-158 A.H – 757-774 A.D] "His private physician was Christian and his name was Girgis ibn Bakhtishu`. Caliphe Harun Al-Rashid told the people that whoever needs me to do something should tell Jibra'il, as I do not refuse any of he requests. Yuhanna was famous from the time of Al-Rashid to the time of Al-Mutawakkel [206-247 A.H 821-861 A.D]. All of these Caliphs used to invite him to their banquets and used not to eat except when he came. Hunayn ibn Ishaq [192-259 A.H 808-872 A.D] was one of the famous physicians at the Islamic age, and he was called Abuqrat and Galinus of his age. Hunayn ibn Ishaq learned the Arabic language from Imam Ahmad ibn Hanbal [164-241 A.H 780-855 A.D] and Sibawih [148-180 A.H' 765-796 A.D.] He mastered greatly the Arabic language.

Also, Pope Shenouda said that justice was dominant with the non-Muslims, as they were one nation and one culture. He confirmed the Islamic justice practiced in the Egyptian history with the Copts. He talked about the spread of the Arabic language in Egypt, which was mastered by the Copts in Egypt. This language contributed greatly to unite the people.

He talked about Ahmad ibn Tolon [220-170 A.H / 835-884 A.D] saying "He loved the Copts very much, and he chose a Christian person to build a mosque for him. Also, he chose a Christian to build many buildings. He used to visit Al-Qusair Monastery, and he was closely linked to the priests. Also, the Egyptian monasteries were a place for the meetings of the rulers. They used to spend time in them and befriend the priests.

Also, Pope Shenouda talked about the Islamic justice with the Egyptian Copts at the time of the Al-Ekhshid and Fatimid States. Muhammad ibn Tang Al-Ekhshid [268-334 A.H.] used to build and restore churches. The Muslim rulers gave due care to building Abu Sirga Church in Misr Al-Qadimah. The Fatimid Caliph Al-Aziz Billah [365-386 A.H.] paid due care to building Abu Sifin Church and Marqirus Church. The Fatimid rulers paid due care to building and restoring the churches. Al-Maqrizy [766-745 A.H./ 1365-1441 A.D.[in Al-Khotat and Al-Mas`udy ibn

them. Then, a structural lots was done so that Pope [illegible] can be choosen a general bishop for education and to be a [illegible]. He was numbered the 117th Pope in the manner of Saint March [illegible] he was the third one named as Shenouda. The ceremonies of appointing him as a patriarch were held on 14th of November, 1971 and he became the 117th Pope.

On Tuesday, the 19th of March, 2012, the dead body of Pope Shenouda the third, the Pope of Alexandria and the See of Saint Mark, who died on Saturday, 17th of March, 2012, aged 89 years, reached the Cathedral in Abbasiyah. His funeral was officially, nationally, and internationally attended in a great procession. Then, a private car carried him to Almazah Airport, where a military plane transported him to the Monastery of Saint Bishop in Natrun valley. The military police supervised the organization of the funeral until it reached the monastery. It exerted great effort due to the attendance of ten thousands of people in this funeral

The Egyptian military leadership attached due care to this funeral and Field Marshal Muhammad Hussein Tantawy, the General Commander, and the head of the Military Council received many Presidents, who came to offer condolences for the death of the Pope. The Grand Imam, Dr. Ahmad Al-Tayyib, the Sheikh of Al-Azhar, headed a high-level official delegation to offer condolences for the death of Pope Shenouda.

Many international figures praised him, as the Secretary General of the Cooperative Islamic Association, as he was an international figure who devoted his life to serve the citizens. The German Foreign Minister said that he was the voice of mediation, who played a very important role in the Egyptian history. Also, the Foreign Minister of Austria said that Pope Shenouda left a great effect in his soul

Pope Shenouda praises the Islamic History...!

By: Dr. Muhammad `Imarah

Editor-in-chief of Al-Azhar Magazine

On 11th of October, 1977 and in front of President Muhammad Anwar Al-Sadat and in the occasion of laying the foundation stone of St Mark's Hospital, Pope Shenouda the third delivered a speech, which implied his watchful historical culture. He praised in his speech the national unity of the Muslims and Christians in the Islamic history and praised the Noble Qur'an in its tolerance with the Christians.

As media focuses on the aspects of disunity and ignore the aspects of unity and harmony – including the speech of Pope Shenouda – we found it necessary to shed light on the main points of this speech, so that all the Muslims and Christians read them and learn to attache due care to the sayings of the wise people instead of the ignorant people. Thus, we should present the text of this speech.

In this speech, Pope Shenouda confirmed that put the Jews who worshiped other than Allah in one side, and the Christians in the other side, as it distinguished them from the disbelievers. Also, the Quran asks the Muslims to debate with the Christians, who are from the People of the Book, in a lenient way

In this point, Pope Shenouda praised the Islamic history for its tolerance with the Christians. He presented many aspects of this tolerance in the Islamic history since its beginning. For example, Pope Shenouda said "In this age, we find harmony and mixture among the Muslims and Christians, which grow gradually until it reached unity. In the Islamic history, we can find friendship between the Muslim rulers and the Christian rulers. Also, they depended on them in many fields such as education, medicine, engineering, and finance.

Pope Shenouda said that the Islamic history is marked with unity, as the Muslims and Christians mixed with each other. The relation between the Muslim rulers and Christian rulers reached friendship not only acceptance.

Pope Shenouda talked about `Umar ibn Al Khattab [40 B.C – 584-644 A.D.], whose history faced lies and fabrications, as the ideal example of the Islamic tolerance. He said: "We knew in the Islamic history clear examples for the tolerance of Islam. He said that when the Caliph `Umar

Pope Shenouda, who shared with his nationals their hopes and pains, departed…!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Pope Shenouda, the person for whom Egypt is in dire need, departed at a very critical time. This implies a warning. Pope Shenouda the third was an example for mediation and reasonability.

No doubt that the person who will succeed Pope Shenouda will find an extremely heavy burden. However, the policy, which is based on patience, wisdom, and reasonability and which helped Pope Shenouda push the rescue ship for a long time, is still the only way for passing through the evil storms, being launched by the foreigners whenever they want.

The death of Pope Shenouda the third raises once at a time all the questions related to sharing the same homeland in Egypt and in all of the parts of the Arab nation immediately after his death on Saturday, 17th of March, 2012.

[illegible] until it gets rid of the

Israeli occupation. These situations, which occurred at a critical time formed the remarkable partnership of the Muslims and Christians in struggling against the Zionist dominance and against the effacement of the Arab entity of the Palestinian people. This is at a time when the entities are effaced for the sake of the ambitions of Israel, America, and the European Union in the fortunes of the region. Whatever the period we live in this world is, certainly we will depart this life, but our sayings and deeds will remain. History will remember for Pope Shenouda his bright words about his love for his homeland, as he said: "Egypt lives in our souls, not we live in it."

This becomes clear in his national attitude when he refused to agree to participate in the conference of the minorities in 1994, based on the fact that the Copts are not minorities, but the people of Egypt are similar to a piece of cloth, consisting of Muslims and Copts.

Pope Shenouda the third was born in 3rd of August, 1923. When he got (Al-Thanawiyyah Al-'Ammah) secondary school certificate, he joined Fuad I University now (Cairo University), history department. He started with studying the Pharaonic history, then the Islamic and modern history. He received the BA with honors in 1947. He worked for many years as an editor, then the editor-in-chief of one of the magazines.

At the same time, he continued his post graduate studies in archeology. Then, he completed the military service as a lieutenant in the army. He devoted his time to reading the archeological manuscripts and was appointed as a priest on 31st of August, 1958.

In 1962, Pope Cyril VI appointed him as a private secretary. Also, he was chosen as a patriarch on 9th of March, 1971. Five priests were chosen to

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumadal-Akherah, 1433 A. H.

ENGLISH SECTION

May, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

AL AZHAR MAGAZINE

- الافتتاحية: الإسلام والسياسة

الأستاذ الدكتور محمد عمارة

- الأُنس بالله

أ.د. عبد الرازق السنهوري باشا

- وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا

د. حورية مجاهد

- نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر

د. عصام البشير

- الوظائف والحرف في عهد رسول الله ﷺ

أ.د. ... إسماعيل علي

هدية عدد رجب

الديـــن في الفكر الأمريكي



الأزهر

www.AlazharMag.com

الإسلام والسياسة

نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر







بنو إسرائيل في الكتاب والسنة

أ.د محمد سيد طنطاوي

أؤمن بالله

في القرار الأمريكي

داخـل العـدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ أحمد الخطيب

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

[illegible]
داخل مصر [illegible] جنيه مصري
الدول العربية [illegible] دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا [illegible] دولار أمريكي
[illegible] دولار أمريكي
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
[illegible] ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
ت: ٢٣٦٢٨٥٩٩

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

الإسلام والسياسة



- ١ -

ليس هناك خلاف في فكرنا القديم منه والحديث ـ على تعريف «الإسلام».. فهو الخضوع والانقياد لله، سبحانه وتعالى، وفق ما جاء به وأخبر عنه الرسول (ﷺ) من الشرائع والأحكام[1].

أما «السياسة»، فإن في مضمون مصطلحها خلافاً!..

فقبل الاحتكاك الفكرى بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية، بعد الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لديار الإسلام، وعندما كانت للمضامين «العربية ـ الإسلامية» هي الوحيدة والسائدة والشائعة في معاجمنا وقواميسنا وموسوعاتنا، لم يكن هناك خلاف في مضمون مصطلح «السياسة»؛ لأن هذا المضمون الإسلامي كان تعبيراً أميناً عن صورة الإنسان كما صورها وتصورها الإسلام.. الإنسان: الخليفة عن الله، سبحانه وتعالى.. الحامل لأمانة عمران الحياة الدنيا كابتلاء وامتحان ومعيار للحياة الآخرة، التي هي خير وأبقى.. فسياسته لعمران الدنيا ليست هي المقاصد والغايات، وإنما هي السبل والوسائل للدار الآخرة.. وهو، بحكم خلافته عن الله، ليس سيد هذا الكون، وإنما هو عبد لسيد هذا الكون، وإن كان سيداً فيه.. هو عبد الله وحده، وسيد لكل شيء بعده!.. ومن ثم كانت حرية هذا «العبد ـ السيد» محكومة بشريعة خالقه، التي هي بنود عقد وعهد الاستخلاف؛ الأمر الذى جعل المضمون الإسلامي للسياسة في العمران الإسلامي لا يقف عند المعايير المادية في حدودها الدنيوية معزولة عن معايير الصلاح الأخروى.. وإنما ربط هذا المضمون الإسلامي لمصطلح السياسة بين المعايير الدنيوية والأخروية بعروة وثقى!

لقد عرفت القواميس الإسلامية «السياسة» ـ انطلاقاً من هذه «الصورة الإسلامية» للإنسان، بأنها: «هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل.. وتدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة..»[2].

ـ فهى ليست مطلق طلب الصلاح والمصلحة الدنيوية والعاجلة.. بل الصلاح والمصلحة التى تجعل نجاة الدنيا محققة للنجاة في الآخرة.. وهي ليست مطلق تدبير المعاش وتنميته وفق المعايير الدنيوية وحدها، بل التدبير المحكوم بمعايير سنن العدل والاستقامة التي وضعها الخالق لخليفته إطارا وفلسفة حاكمة لسياسة العمران.

ولما كان العمران البشرى فى الدنيا هو ميدان «السياسة»، وفيه من «المتغيرات» و«المستجدات»، أكثر مما فيه من «الثوابت».. جاءت نصوص الدين والشرع الإلهى متناهية، بينما لا تتناهى متغيرات العمران الدنيوى ومستجداته.. فكان أن وقفت النصوص الشرعية، في سياسة العمران، عند الثوابت والكليات والفلسفات والقواعد والمبادئ والأطر الحاكمة، تاركة للعقل الإنساني وللاجتهاد البشرى حرية التفريع والبناء والتفصيل والإبداع في إطار القواعد والمبادئ والأطر الحاكمة. تحقيق الإسلامية للعمران المتجدد. مع فروع إسلامية من الأصول والقواعد تتقبل بالإسلام هذه المتغيرات والمستجدات.. فتتواصل الصبغة الإسلامية للعمران، دونما جمود.. ودونما قطيعة مع الأصول.

ولتحقيق هذه الخصيصة التى اقتضاها ختم الرسالات الإلهية برسالة محمد (ﷺ)، استقر الرأى في الفكر السياسى الإسلامى على أن «شرعية» السياسة لا تقف عند ما نص عليه الشرع، وإنما هي «الشرعية» ـ متحققة فيما يبدع المسلمون من السياسات، طالما أنها لا تخالف ما شرعه الله.. «.. فالسياسة: ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن

(1) [illegible]

(2) [illegible]

الفساد، وإن لم يشرعه الرسول (ﷺ)، ولا نزل به وحي.. فهي لا تنحصر فيما نطق به الشرع، وإنما تشتمل ما لم يخالف ما نطق به الشرع. والسياسة العادلة غير مخالفة للشريعة الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحي، وإلا فإذا كانت عدلا فهي من الشرع.. وتقسيم بعضهم الحكم إلى: شريعة، وسياسة، كتقسيم غيرهم الدين إلى: شريعة، وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى: عقل، ونقل.. وكل ذلك باطل، بل السياسة، والحقيقة، والطريقة، والعقل، كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح، وفاسد، فالصحيح قسم من أقسام الشريعة، لا قسيم لها، والباطل ضدها ومنافيها.. ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من أحاط علما بمقاصدها، ووضعها موضعها، وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة.. فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة، تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها. وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها»(٣).

هكذا استقر في الفكر الإسلامي الإحيائي والإسلامية مضمون مصطلح «السياسة»، انطلاقا من صورة الإنسان في الإسلام - صورة الإنسان الخليفة عن الله - ومن كون سياسته للعمران البشري هي الأمانة التي حملها والتكليف الإلهي الذي اختاره. كرسالة محكومة حريته في أدائها بالشريعة الإلهية، التي هي بمثابة بنود عهد وعقد الوكالة والاستخلاف. ولم تقف هذه «الإسلامية» لـ«السياسة» عند حدود ما نصت عليه النصوص المتناهية، بل امتدت - باستصحاب ضوابط النصوص وروحها وفلسفة قواعدها - امتدت، بالاجتهاد الإسلامي، إلى ما لم ترد به النصوص.

ذلك هو مضمون مصطلح «السياسة» في فكر الإسلام: «استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل.. والأفعال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد.. وتدبير المعاش على سنن العدل والاستقامة الإسلامية..».

وعلى هذا النحو ظلت السيادة لهذه المضامين في معاجمنا وقواميسنا إلى أن جاء الاحتكاك الحضاري بين أمتنا وبين فكر الغرب وحضارته، فدخلت في معاجمنا وقواميسنا المعربة المضامين الغربية المتميزة لمصطلح «السياسة» لتصب في نفس الوعاء.. الأمر الذي أحدث ازدواجية في المفهوم والمضمون، رغم وحدة المصطلح والوعاء.. وهي مشكلة تواجه العقل المسلم في بحثه عن المضامين الإسلامية المتميزة في قواميس ومعاجم خلطت مضامين الغرب بمضامين الإسلام عندما عرَّفت الكثير من المصطلحات!

---

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين ج٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ١٧ - ١٩. تحقيق د. جميل غازي طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م.

فإذا كانت «السياسة»، في العرف الإسلامي لا تقف عند استصلاح الخلق في العاجلة - الدنيا - وحدها، لأن صورة الإنسان في الإسلام هي صورة خليفة عن الله، والذي يعمر الدنيا كمعبر للآخرة، التي هي خير وأبقى.. فإن «السياسة»، في الحضارة الغربية، ذات الطابع الوضعي، إنما تقف عند تدبير الإنسان لحياته الدنيا وحدها.. فهو في عرف تلك الحضارة سيد هذا الكون، ومقاصد عمرانه لدنياه هي تعظيم اللذة في هذه الحياة، وتنمية الوفرة المادية، وتكثير القوة، دونما رابط يربط ذلك بالدار الآخرة، أو ضابط ديني ولا معيار شرعي يتخذه إطارا حاكما لهذه التدابير والسياسات.. فالواقع المحسوس هو المنطلق.. والعقل والحواس هي سبل المعرفة..

﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤)

إنها سياسة دنيوية، محتوى ومقاصد، لا تتعدى شيئا خارج العمران الدنيوي، ولا تحكمها أية معايير غير دنيوية، ولا دخل فيها لسنن الدين وفلسفته وضوابطه!..

ولهذه النظرة الدنيوية الخالصة للإنسان، ولسياسته للعمران البشري، كانت علمانية الحضارة الغربية فصلا للدين، لا عن «الدولة» وحدها - كسلطة تنفيذية - وإنما فصلا له واستبعادا لمعاييره من كل شئون العمران البشري، المعرفية، والاجتماعية، والتربوية، والاقتصادية، والأخلاقية، والفلسفية.. إلخ.. فإنسانها «دنيوي» ذو مقاصد «دنيوية»، تحكم سياسته للعمران المعايير الدنيوية وحدها.

وعندما يكتب أستاذ مسيحي معرفا مصطلح «العلماني» - Secular - فيقول: إنه «نسبة إلى العلم - بمعنى العالم - بمعنى غير قياسي، تعني العالم. وهو خلاف الديني أو الكهنوتي. وهذه تفرقة مسيحية لا وجود لها في الإسلام. وأساسها وجود سلطة روحية هي سلطة الكنيسة، وسلطة مدنية هي سلطة الولاة والأمراء... والعلمانيون يحكمون بوحي العقل، ويرعون مصلحة العامة دون تقيد بنصوص أو طقوس دينية..»(٤).. فإنه يقدم شهادة - غير متهمة - على أن العلمانية الغربية - فضلا عن أنها خصيصة غربية هي فصل للدين عن الدنيا، واستبعاد لمعاييره عن أن تكون حاكمة في سياسة العمران - كل العمران.

ولذلك، كان طبيعيا في حضارة علمانية أن تكون السياسة علمانية هي الأخرى، فهي تدبير «الإنسان - الدنيوي» لحياته «الدنيا»، وصولا إلى مقاصد «دنيوية» صرفة - ولقد صاغ ميكيافيللي (١٤٦٩ - ١٥٢٧م) في كتاب «الأمير» فلسفة السياسة في الحضارة الغربية العلمانية، باعتبارها: «الممكن من الواقع» - دونما ضوابط أو معايير دينية لهذا الممكن من هذا الواقع.. وتحدثت القواميس عن هذه السياسة - Policy - فقالت: إنها «سلوك معين للعمل اختير بطريقة مقصودة بعد استعراض كافة البدائل الممكنة...» دونما إشارة إلى الصلاح

---

(٤) د. حنا رزق. انظر: معجم العلوم الاجتماعية. تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م.

الدينى الذى يربط سياسة الدنيا بمقاصد الآخرة.. ولذلك جاءت التعريفات الغربية بأن «القوة» وعلاقاتها، والصراع بين مالكيها هو محور هذه «السياسة».. «فالتعريفات الحديثة للسياسة ـ Politics ـ تذهب إلى أن محور السياسة: هو الصراع حول طبيعة الحياة الخيرة، وعلاقة مصالح الجماعة بها. أما العناصر التحليلية الرئيسية فهي: الصراع، والقوة.. والفعل السياسى هو الذى يحدث من خلال منظور القوة.. التى تمارس من خلال عملية الحكم وفى إطار الدولة. ودراسة السياسة: هى تحليل لعلاقات القوة..»[٥].

فالإنسان دنيوى فقط.. والحضارة دنيوية ـ علمانية ـ فقط.. ومن ثم فالسياسة فيها هى من الممكن ـ الدنيوى ـ من الواقع ـ الدنيوى ـ.. دونما علاقة بين هذه الدنيا وبين الآخرة، ولا علاقة بين تدبير المعاش وسياسة العمران وبين الاستقامة الدينية.

ذلك هو جوهر ومنطلق الخلاف بين مضمون «السياسة» فى الحضارة الإسلامية ومضمونها فى الحضارة العربية.. يبدأ من الخلاف حول تصور كل حضارة لـ«الإنسان».. أخليفة هو عند الله سبحانه وتعالى، فتكون دنياه معبراً إلى الآخرة، التى هى خير وأبقى، فيسوس عمران الدنيا بشريعة الدين، قياماً بتكاليف عقد وعهد الاستخلاف.. على النحو الذى يجعل هذه «السياسة»: «سياسة ـ شرعية».. ؟؟.. أم أن هذا الإنسان هو سيد هذا الكون، الذى تقف معارفه وعلومه عند ظاهرة الحياة الدنيا.. والذى تغدو سياسته للعمران تحقيق المقاصد الدنيوية ولا شىء وراءها.. حتى ليفصل الدين عن العمران كله، وليس فقط عن «الدولة»، كسلطة تنفيذية؟؟..

هكذا وجدنا ونجد أنفسنا أمام مضمون واحد لمصطلح «الإسلام».. وأمام مضمونين متميزين لمصطلح «السياسة»، اختلطا فى المعاجم والقواميس التى صبت المعانى العربية المتميزة فى أوعية المصطلحات التى اتفقت فيها الحضارات!..

***

وإذا كنا نلح اليوم، ونحن نسعى إلى صفاء الرؤية الإسلامية، وإلى تحرير العقل المسلم من العبث الذى لحقه به عدم التمييز بين «أوعية ـ مصطلحات ـ لا مشاحة فى وضعها واستخدامها، وبين «مضامين» تحمل خصوصيات حضارية متميزة بتميز الحضارات والثقافات.. إذا كنا نسعى إلى ذلك، فنحن لا نبتدع اختراعاً غير مسبوق.. فالعلامة ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) عندما تحدث عن «الدولة» و«الملك» ـ الذى تشترك فيه كل ألوان الاجتماع البشرى ـ ميز بين «السياسات» التى تطبع وتصبغ الدول وسلطات الملك.. فتحدث عن تميز «السياسة الإسلامية» عن «السياسة الدنيوية».. فالأولى سياستها شرعية، تربط صلاح الدنيا بصلاح الآخرة، بينما لا تربط الثانية بين الصلاحين.. فالسياسة الدنيوية هى التى تقف مرجعيتها عند العقل، كملكة للإنسان الدنيوى.. بينما تجعل السياسة الإسلامية من الشريعة نظراً حاكماً لحركة العقل المسلم.. وصولاً بالسياسة إلى تحقيق سعادة الدنيا والآخرة كليهما.. بل لقد ميز ابن خلدون بين هذين اللونين من ألوان «السياسة»، وبين «سياسة القهر، والاستبداد» التى لا قيود لها، ولا مرجعية تحكمها إلا شهوة استبداد المستبدين.

لقد تحدث ابن خلدون عن أنواع السياسات هذه.. فقال: «.. وحقيقة الملك أنه الاجتماع الضرورى للبشر.. ويجب أن يرجع فى ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها.. وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها، ولا يتم استيلاؤها

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ (الأحزاب: ٣٨)

فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها، كانت سياسة عقلية. وإذا كانت مفروضة من الله، بشارع يقررها ويشرعها، كانت سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة. وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط، فإنها كلها عبث وباطل، إذ غايتها الموت والفناء، والله يقول:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٥)

فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة فى آخرتهم

﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (الشورى: ٥٣)

فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم، من عبادة ومعاملة، حتى فى الملك، الذى هو طبيعى للاجتماع الإنسانى، فأجرته على منهاج الدين، ليكون الكل محوطاً بنظر الشارع. فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وإهمال[١] القوة العصبية فى مرعاها، فجور وعدوان ومذموم عنده، كما هو مقتضى الحكمة السياسية، وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها، فمذموم أيضاً؛ لأنه نظر بغير نور الله:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: ٤٠)

لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم، وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم، من ملك أو غيره، قال ﷺ: «إنما هى أعمالكم ترد عليكم»[٢]. وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط:

(٥) قاموس علم الاجتماع، تحرير ومراجعة د. محمد عاطف غيث، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

(١) [illegible]

(٢) وفى صحيح مسلم: «إنما هى أعمالكم أحصيها لكم».

﴿ يعلمون ظاهرا من [illegible] ﴾ (الروم: ٧)

ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم. فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية فى أحوال دنياهم وآخرتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة، وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء.

فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة.

والملك الطبيعى: هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة.

والسياسى: هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار.

والخلافة: هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة. فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[8].

فالسياسة [illegible] [illegible] والدولة .. مصطلحات عامة فى كل النظم والحضارات .. لا مساحة فى وضعها ولا فى استعمالها .. لكن .. ثمة تمايز فى هذه المصطلحات .. تتمايز بتمايز النظم والحضارات.

فالسياسة الشرعية هى التى تعنيا بتدبير عمران الدنيا تحقيق سعادة الآخرة.. وإنسانها خليفة عن الله، يتعبده بسياسة العمران الدنيوى.. فهو عبدلله وحده، وسيد لكل شيء بعده!

بينما السياسة الدنيوية - العلمانية - التى تقف بمرجعيتها عند عقلاء الدولة وأكابر بصرائها، فإنها تعبر - بتعبير ابن خلدون أيضا - «مصالح الدنيا فقط»:

﴿ يعلمون ظاهرا من [illegible] ﴾

وهكذا تتميز مضامين «السياسة» بتميز صورة ومثال «الإنسان»:

أخليفة عن الله فى هذا الوجود؟؟..

أم السيد فى هذا الوجود؟؟؟!

- ٢ -

شيئا فشيئا.. ومع ما يشهده عالمنا، بحضاراته المختلفة، فى السنوات الأخيرة، من سقوط وتراجع «الإيديولوجيات» العلمانية الوضعية. تلك التى ناصبت الدين والإيمان الدينى العداء، أو تلك التى عزلته عن سياسات العمران.. شيئا فشيئا يدرك عقلاء العالم، من مختلف الحضارات، وتدرك فطرة الجماهير حاجة العمران البشرى إلى العامل الدينى وإلى النظرة المؤمنة والمعايير الدينية فى شئون الحياة الدنيا.. فبعد تراجع الموجة المادية للعلم

(٨) «المقدمة» ص ١٥٠ - ١٥١ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

الغربى، تلك التى قامت على أسسها الوضعية الغربية، بمدارسها المادية والمنطقية، والتى أوهمت إنسان الحضارة الغربية أنه سيد الكون، القادر على فض كل أسرار الغيب واكتناه كل جوانب وحقائق المجهول .. يعود الإنسان مرة أخرى إلى اكتشاف صدق الحقيقة القرآنية

﴿ [illegible] ﴾ (الإسراء: ٨٥)

وذلك عندما يكتشف التلازم بين إحساسه باتساع مساحات الغيب والمجهول كلما اتسعت مساحات المعلوم والمعروف؟؟![9].

وهذه التحولات الجديدة، فى إطار صفوة العقلاء، وفطرة الجماهير، لابد وأن تلفت أنظار الكافة إلى عظمة الصدق فى المنهجية الإسلامية التى ظلت صامدة أمام فتنة مادية الغرب ووضعيته وعلمانيته، معلنة عن أن الإسلام إنما هو منهج شامل لكل مناحى الحياة، وعن أن إسلامية العمران الإنسانى وتدينه هى السبيل إلى توازن الإنسان مع نفسه، ومع معارفه وعلومه، ومع مجتمعاته وأقرانه، ومع الطبيعة التى سخرت له، ومع الكون الذى هو حامل أمانة إعماره، كخليفة عن الله، سبحانه وتعالى، وعن أن هذه النظرة الإيمانية التى تتأسس عليها الفلسفة الإنسانية، فى النظر إلى «المبدأ».. وإلى «المسيرة» ومعناها.. وإلى «المصير» والغايات منه.. هى السبيل لانتشال الإنسان من قنوطه

﴿ [illegible] ﴾ (الحجر: ٥٦)

وهى السبيل إلى تحقيق سعادته الحقيقية فى دنياه. والتى عليها تتأسس سعادته فى دار البقاء!

إن إسلامية العمران الإنسانى، إنما تحقق هذه السعادة الإنسانية، بتحقيقها لتوازن الإنسان والذى بدونه - التوازن - يختل كل شيء فى الوجود فالتوازن هو سر قيام كل ما عدا الواحد الأحد الذى ليس كمثله شيء.

ونقطة البدء فى طريق هذا التوازن، الذى تحققه إسلامية العمران البشرى، هو تحقيق توازن المعرفة الإنسانية، التى يتأسس عليها العمران، وذلك بإقامتها على حقائق ومعارف من كل من «كتاب الوحى المقروء» و«كتاب الكون المنظور» كمصدرين للمعرفة والعلوم.. فهما «الساقان» المحققان لتوازن مصادر المعرفة للإنسان.. وأيضا تحقيق التوازن فى سبل المعرفة وأدواتها باعتماد «العقل والحواس» و«النقل والأدلة السمعية» مع «الوجدان والفؤاد والذوق» سبلا متعاونة ومتكاملة فى تحصيل المعارف الإنسانية..

(٩) [illegible] ١٩٩٩ م.

إن عقول العقلاء، وفطرة قطاعات واسعة من الجماهير، خارج دائرة التدين بالإسلام، تدرك أكثر فأكثر - وخاصة بعد سقوط وتراجع الإيديولوجيات المادية والوضعية والعلمانية - أن العقل والفطرة الإنسانية - التي غاب الإسلام وجهلا أعلامها - هي سبيل «المتعة - الحقة» و«السعادة الحقيقية» للإنسان في هذه الحياة.

وهنا.. يضيف الإسلام إلى هذا الذي بدأت الإنسانية اكتشافه والاتجاه نحوه.. عندما يؤكد على أن معيار «سعادة الدنيا» هو «سعادة الآخرة».. لأن الوقوف عند «سعادة الدنيا» هو وقوف عند «المادة والجسد والشهوة» التي هي - في الحقيقة - الخلل الذي لا علاقة له «بالتوازن المنشود»:

﴿ [illegible] ﴾ (الروم: ٧)

لابد وأن تكون «دنياهم» فقط

﴿ [illegible] ﴾ (الحديد: ٢٠)

بل ويضيف الإسلام، في تأكيد هذا المنهاج - منهاج إسلامية العمران البشري ما هو أبعد من «المتعة - التوازن» الحققة «للسعادة - الإنسانية»، عندما يعلمنا أن هذه الإسلامية - أي إقامة العلاقة بين «سنن الله» المبثوثة في «كتاب الوحي» وبين «سنن الأنفس والآفاق» المخلوقة في الاجتماع الإنساني وفي الكون المادي.. إنما هي فريضة دينية وواجب إلهي وتكليف شرعي، بدون الالتزام به يكون الإنسان عاصيا للخالق، وناقضا لعقد وعهد خلافته عن الله في إقامة العمران الدنيوي، وخائنا للأمانة التي حملها وهو حر مختار.. فالصبغة الإسلامية، والطابع الإسلامي، والمعايير الشرعية للعمران الإنساني، ليست مجرد خيار واختيار محقق للتوازن، ومن ثم للمتعة والسعادة.. وإنما هي تكاليف وفرائض وواجبات دينية لا يصح الإيمان الديني بإنكارها وجحودها، ولا يكتمل بتعطيلها.. إنها عبادة المخلوق للخالق في شئون العمران الدنيوي، كما أن الصلاة والصوم - وغيرهما من التكاليف الفردية - هي عبادة المخلوق للخالق، بها تؤدى شعائر التكاليف الدينية!..

تلك هي إسلامية العمران الإنساني.. وفيها يرد كل «البلاغ القرآني» وكل «البيان النبوي» لهذا «البلاغ القرآني» - وليس فقط آيات الأحكام - في القرآن... والسنة التشريعية - في الحديث النبوي -.. وهذه الإسلامية للعمران كله هي المدخل لموضوع هذه الصفحات: إسلامية سياسة الدولة، كما يراها الإسلام، ومعنى هذه الإسلامية وأطرها ومعاييرها التي تضمن تحقيق الإسلامية في مؤسسات الدولة التشريعية والقضائية.. والتنفيذية.

* * *

في القرآن الكريم آيات أجملت قواعد وبنود التعاقد بين «الرعية» وبين «الرعاة».. بين الأمة، وبين «أولي الأمر» فيها.. ومن هذه الآيات قول الله - سبحانه وتعالى - في سورة النساء:

﴿ [illegible] فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي [illegible] ﴾ (النساء: ٥٨-٦٥)

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى: ١٠)

ففى هذه الآيات القرآنية – التى آثرنا الاكتفاء بالنظر فيها تحقيقاً للإيجاز - مع الوفاء والحسم - نجد بنود التعاقد بين «الرعية» و«أولى الأمر» واضحة ومحددة غاية الوضوح والتحديد.

● فعلى أولى الأمر أن يؤدوا الأمانات.. أمانات السلطات التى فوض إليهم الناس أمر القيام بها نيابة عنهم.. أن يؤدوا هذه الأمانات إلى أهلها المستحقين لها.. كل الأمانات، وكاملها، فى كل ميادين السلطات.

●ولقد بدأت بنود التعاقد بما هو مفروض على أولى الأمر، لما لسلطاتهم وسلطاتهم من خطر فى شئون الدولة والعمران.. وللتأكيد على أن وفاءهم بما فرض الله عليهم هو الشرط والمبرر لطاعة الأمة والرعية لهم!

● وزيادة فى التنبيه على خطر مسئولية ولاة الأمر، نبهت الآية على أن هذا الوفاء فى تأدية الأمانات هو أمر الله وفريضته.. فهو ليس شأناً دنيوياً صرفاً بين الرعاة والرعية.. وإنما هو فريضة إلهية، أمر بها الله، وهو يعظهم بالامتثال لأمره فيها.

●ومع الشمول الذى يدل عليه مصطلح «الأمانات» خصت الآية بالذكر «الحكم بالعدل بين الناس» وفيه التأكيد على إسلامية سلطات «التشريع» و«القضاء»!.

● وفى مقابل وفاء أولى الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل بين الناس، تكون طاعة الرعية

● على أن اللافت للنظر فى هذه الآيات، أن الطاعة الواجبة على الرعية ليست مطلقة «لأولى الأمر».. فالطاعة أصلاً إنما هى لله:

﴿ [illegible] ﴾

ثم للرسول، فيما يبلغ عن الله:

﴿ وأطيعوا الرسول ﴾

– وطاعة الله ورسوله تعنى التزام الأمة بالبلاغ الإلهى – القرآن الكريم – وبالبيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى – السنة النبوية الصحيحة فى التشريع – وبهذه الطاعة يتحقق إيمان الأمة، فتستحق خطاب:

﴿ [illegible] ﴾

– ثم تأتى الإشارة إلى طاعة أولى الأمر، فتذكرهم بصيغة الجمع، تأكيد على نفى الاستبداد والانفراد بالسلطة والسلطان فيهم ﴿ وأولى الأمر ﴾

لا «ولى الأمر»!

ولابد وأن يكونوا من الأمة ملتزمة، التى معيار إيمانها هو طاعة الله والرسول.. أى لابد وأن يكون أولو الأمر ملتزمين بالطاعة لله والرسول.. فتكون الشريعة هى الحاكمة فى علاقتهم بالمحكومين

﴿ [illegible] ﴾

● وتمضى الآية تحدد وتفصل فى بنود هذا التعاقد، فتجعل المرجعية، عند حدوث التنازع والاختلاف، بين طرفى التعاقد – الرعية.. والرعاة – لله ورسوله.. أى للبلاغ القرآنى والبيان النبوى لهذا البلاغ:

﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾

● ولا تكتفى الآية بهذا التحديد لهذه المرجعية – وهو التحديد الذى يؤكد على إسلامية المرجعية للدولة الإسلامية، وحاكمية الشريعة الإلهية فى مختلف ميادين سياساتها – لا تكتفى الآية بهذا التحديد الواضح والجلى.. وإنما تضيف الإعلان الإلهى عن أن الوفاء ببنود هذا التعاقد - المحدد لإسلامية الدولة.. وإسلامية علاقة الحكام بالمحكومين – هو شرط الإيمان بالله واليوم الآخر.. فإسلامية «الدولة» هى الشرط فى تحقيق الإيمان «بالدين»؟!.. وإذا انتفت هذه الإسلامية.. بالإنكار والجحود.. انتفى إيمان المنكرين والجاحدين لها بالله واليوم الآخر

﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾

فمعيار الإيمان بالله واليوم الآخر.. هو جعل الشريعة الإلهية المرجعية للدولة.. وللتعاقد بين الرعية والرعاة!.

● ثم تمضى الآيات فى ضرب الأمثال.. وفى إيراد المؤكدات على أن هذه هى حقيقة طبيعة التعاقد – الدولة – فى النظرة الإسلامية.

فالذين يتحاكمون إلى الطاغوت، لا إلى الشريعة الإلهية، ليسوا بمؤمنين بالدين، رغم أنهم «يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك».. فحاكمية الشريعة فى «الدولة» شرط لتحقق الإيمان «بالدين»!

والإسلام ليس بالدين الذى نزل ليقف الرسول به عند حدود «البلاغ».. وإنما هو دين جاء ليقيمه الناس معياراً حاكماً للعمران.. وليجسدوه نظماً وسياسات فى الدنيا.. وعملاً ترد عليهم يوم القيامة

﴿ [illegible] ﴾

ثم يأتى ختام السياق بقسم الله – سبحانه وتعالى – بذاته، على انتفاء الإيمان الدينى عن الذين لا يحكمون الشريعة الإلهية قانوناً لقضاء الدولة والمجتمع.. ولا يكون ذلك [illegible] على النحو الذى لا يجد فيه المؤمنون منه حرجاً

﴿ [illegible] ﴾

تلك هى بنود التعاقد القرآنى بين «الأمة وبين «أولى الأمر» على إقامة «الدولة الإسلامية».

[illegible] ملتزمة بالكتاب والسنة [illegible] وأولو الأمر فيها. ومنضبط فى هذا الالتزام بالكتاب والسنة.. والمرجعية الإسلامية لهذا التعاقد هى الشرط لتحقق الإيمان بالله واليوم الآخر لكل من الحاكمين والمحكومين.

فإسلامية «الدولة» شرط لتحقيق الإسلام فى «الدين».. فهى ليست مجرد سبيل لتحقيق المصلحة الدنيوية، وإنما هى تكليف من تكاليف الدين.

ولقد كانت لمحة عبقرية من شيخ الإسلام ابن تيمية «٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨م» عندما رأى فى هذه الآيات القرآنية - التى حددت بنود التعاقد بين الرعية والرعاة - رأى فيها «جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة» - أى جماع السياسة الشرعية، وإسلامية السياسة.. فكتب فى رسالته «السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية» يقول: «هذه الرسالة مبنية على آية الأمراء فى كتاب الله، وهى قوله تعالى

[illegible]

(النساء: ٥٨، ٥٩)

قال العلماء: «نزلت الآية الأولى فى ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية فى الرعية، من الجيوش وغيرهم، عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلية لذلك، فى قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك. إلا أن يؤمروا بمعصية الله تعالى، فإن أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة»[10].

أما الإمام محمد عبده «١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م» فلقد نبه، عندما وقف أمام هذه الآيات، على شمول مصطلح «أولى الأمر» لكل القيادات والسلطات والمؤسسات فى المجتمع، الأمر الذى يجعلها نصاً قاطعاً فى «إسلامية العمران الإنسانى» وليس فى إسلامية «الدولة» - بسلطاتها الثلاث - وحدها كما نبه على الشروط التى تعطى السلطات «أولى الأمر» هؤلاء حجية شرعية ومشروعية إسلامية.. فقال: «إن المراد بأولى الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين، وهم الأمراء - أى السلطة التنفيذية» - والحكام - «أى السلطة القضائية» - العلماء - «أى السلطة التشريعية» - ورؤساء «وسائر الرؤساء، والزعماء الذين يرجع إليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة» - «أى قيادات كل مؤسسات المجتمع» - فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه، بشرط أن يكونوا منا، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله ﷺ التى عرفت بالتواتر، وأن يكونوا مختارين فى بحثهم فى الأمر واتفاقهم عليه، وأن يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة، وهو ما لولى الأمر سلطة فيه ووقوف عليه، وأما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الدينى فلا يتعلق به أمر أهل الحل والعقد. بل هو مما يؤخذ عن الله ورسوله فقط. ليس لأحد رأى فيه إلا ما يكون فى فهمه...»[11].

فالإسلامية فريضة فى مختلف سلطات قيادات ومؤسسات الاجتماع الإنسانى. وليس فى نطاق الدولة وحدها.. والآيات تختص بالحديث عن سلطات ومؤسسات العمران البشرى - السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والتربوية والمعرفية والحربية.. إلخ - وليس عن ميادين «الدين - الخالص»، من العقائد والعبادات، فهذه إنما تؤخذ مباشرة عن الله ورسوله، دونما وساطة سلطات أو مؤسسات.. إنها ميادين الإنسان الحقيقية فى إعمار الحياة الدنيا، تلك التى حمل أمانة إعمارها بالحرية والاختيار.. حددت معايير الإسلامية لها شريعة الله، التى مثلت وتمثل بنود عقد وعهد الاستخلاف.

---

(١٠) ص ١٥ - ١٦ تحقيق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور طبعة القاهرة سنة ١٩٧٦م.

(١١) الأعمال الكاملة [illegible]

تفسير سورة البقرة



[illegible]

قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة: ٢٣-٢٤)

قلنا: إن الكلام من أول السورة في القرآن وتقسيم أحوال الناس في الإيمان به وعدمه [illegible] دليل على [illegible] الخروج عن هذا الموضوع إلى كل ما تقدم. فالآيات متصل بعضها ببعض كحبات من الجوهر نظمت في سلك واحد. فإنه بعد ما ذكر المتقين الذين يهتدون بالقرآن، وعلاماتهم، وبين خصائصهم وصفاتهم، وذكر [illegible]، وما هم عليه من العمى عن جلية الحق المبين، وما رزئوا به من [illegible] حتى إنهم لا يسمعون [illegible]، وما [illegible] بالنسبة لقول الحق أو سؤال المرشدين. ثم ذكر [illegible] فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وذكر فرقهم وأصنافهم، و[illegible] أخلاقهم وأوصافهم، وضرب لهم الأمثال، ونقلهم في [illegible] الحجج [illegible]. وسيوف البراهين القاطعة - بعد هذا كله، تحداهم بالكتاب الذي يدعو إليه ويناضل عنه ويكافح دونه:

[illegible]

(البقرة: ٢)

فقال:

[illegible]

أي يأيها الناس: عليكم بعد أن تتسلوا من مصيبة الوساوس، وتتسللوا من مآزق [illegible]، وتنزعوا ما طوقكم به التقليد من [illegible]، وتكسروا [illegible] [illegible] إلى الحق [illegible] [illegible]. وهي عجزكم عن الإتيان بسورة مثل سور القرآن من رجل أمي مثل الذي جاءكم به. وهو عبدنا ورسولنا محمد ﷺ [illegible] عجزه عن الإتيان بسورة من مثله [illegible] سورة في [illegible]، وتتنازعهم في أسلوبها وبلاغتها، وأنتم فرسان البلاغة، وعصركم أرقى عصور الفصاحة، وقد اشتهر كثيرون منكم [illegible] في هذه [illegible]. ولم يكن محمد ﷺ ممن يسابقكم من قبل في هذا الرهان؛ لأنه لم يؤت هذا الاستعداد [illegible]، ولم يتمرن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله، فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن إلا بوحي إلهي، وإمداد سماوي، لم يسم عقله إلى علمه، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه.

وعبر عن كون الريب بـ﴿ وَإِن ﴾، للإيذان بأن من شأن هذا التنزيل أن لا يرتاب فيه؛ لأن الحق فيه ظاهر بذاته، ويتلألأ نوره في كل آية من آياته. ولكن:

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة
فلا غرو أن يرتاب [illegible]

و[illegible] من مادة التنزيل [illegible]، وتقدم تفسيره، إلا أن صيغة (التفعيل) [illegible] على التدريج [illegible]. [illegible] القرآن نزل نجوما متفرقة، وهو الواقع، و[illegible] لا تشبيه

وقوله تعالى: ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ فيه وجهان (أحدهما) [illegible] الضمير في مثله للقرآن المعبر عنه بقوله: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ (والثاني) أنه لعبدنا [illegible] وهو أرجح بدليل ﴿ مِّن ﴾ الداخلة على ﴿ مِّثْلِهِ ﴾ الدالة على [illegible]، أي فإن كان أحد ممن [illegible] [illegible] على الإتيان بسورة فليفعل. قال تعالى:

﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم ﴾

الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة من مثله وهؤلاء الشهداء هم غير الله بالضرورة، أي ادعوا كل من تعتمدون عليه ليشهد لكم ﴿ مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

[illegible] كل أحد غير الله تعالى [illegible] كما أيد الله تعالى دعوة عبده ﷺ، وانظروا هل يعينكم دعاؤكم [illegible] في دعواكم أن عندكم فيه ريبا، وإنما يصدق المرتاب في ريبه إذا خفيت الحجة، وعلت الشبهة، وكان جادا في النظر. فهو يقول: إن كنتم صادقين في أنكم مرتابون، فعليكم ما يمحص الحق، فجدوا في الفكر، ولا تتوانوا في النظر، وتدبروا هذا الكتاب [illegible] معروض عليكم. [illegible] واحدة من مثل هذا النبي الأمي. فإذا أمكن لكم ذلك، فلحجز [illegible] [illegible] وجه إعراضكم عن دعوته، وإبطالكم عن تلاوته؟ أي إذا تجردت نفوسكم وخلصت عقولكم مما أنتم عليه من التقاليد والأهواء، ونظرتم في القرآن نظر [illegible]. فلا يمكن [illegible] أن يبقى الشك فيه منكم، ولو [illegible] من قلوبكم [illegible] إعجاز القرآن.

ثم قال تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾

أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله [illegible] دليله من أصله، وما أنتم بفاعلين، لأن هذا ليس في طاقة [illegible] لأمثالكم من الكافرين، الذين يجحدون الحق بعد البرهان المبين. وقوله تعالى:

[illegible] جملة معترضة بين الشرط

وجوانبه، وهي مقصودة هنا في ذاتها لما فيها من [illegible] وتعريضهم بتكلف المعارضة. ولا يمكن أن يصدر مثل هذا النفي الاستقبالي المؤكد أو المؤبد من عاقل كالنبي ﷺ في أمر ممكن عقلا، لولا أن [illegible] الذي يعلم غيب السموات والأرض، بأنه غير ممكن لأحد.

وعبر عن نفي وقوع [illegible] التي يعبر بها عما يشك في شرطه، أو يجزم [illegible] يفعلوا كما صرحت به الآية، مع القطع بأن الله تعالى منزه عن الشك. ولكن القواعد التي تذكر في علم البلاغة، قد ينظر فيها إلى حال المخاطب لا حال المتكلم، والمعول عليه هو ما يقصد المتكلم أن يلقيه من نفس المخاطب ويودعه في ذهنه. فهنا يخاطب الله المرتابين، والذين هم في جحودهم وعنادهم كالواثقين الموقنين، خطابا يؤذن أوله بأن عدم الإتيان عما تحداهم به مشكوك فيه، ولازمه أن المعارضة حاضرة منهم، وداخلة في حدود إمكانهم. خاطبهم بهذا مراعاة لظاهر حالهم التي تومئ إلى القدرة على المعارضة، وتشير إلى إمكان الإتيان بالسورة. ثم كر على هذا [illegible] وأبطل مراعاة الظاهر، بل حولها إلى تهكم، بالنفي المؤكد الذي ذهب بذلك الدعاء، واستبدل اليأس بالرجاء، كأنه يقول: إن إعراضكم عن الإيمان، بعد سماع هذا القرآن، الذي فاض العلوم على نبي لم يترب في معاهد العلم، وأظهر معجزات البلاغة على من لم يكن يعرف منه التبريز بها في نثر ولا نظم، يدل على أنكم تدعون استطاعة الإتيان بسورة من مثله، وما أنتم بمستطيعين، ولو استعنتم عليه بجميع العالمين:

[illegible]

(الإسراء: ٨٨)

كان يتحداهم بتلك الآيات [illegible] التي تبهر [illegible]، مع علو كعبهم في البلاغة ورسوخ عرقهم في أساليبها وفنونها، في عصر [illegible] الكلام [illegible] لم تعرف مثله الأيام، حتى كانوا يتبارون فيه ويتفاخرون، [illegible] ويقيمون الأسواق، ثم يطيرون بأخبارهم في الآفاق. ومع هذا، لم يتصد أحد منهم للمعارضة، ولم ينهض بليغ من مصاقعهم إلى [illegible] إلى درجة لا يرقى البشر إليها، وهو - تعالى جده - العالم بمبلغ استطاعتهم، المالك لأعنة قدرتهم. [illegible] لما كانوا يلتزمون بسجعهم [illegible] على النمط الفطري، والأسلوب العادي، الذي يتسنى لكل إنسان أن يحذو مثاله، ولكنهم عجزوا فلم يأتوا ولن يأتي غيرهم بسورة من مثله. [illegible] قد تحدى به كل من بلغه من العرب على تفرق ديارهم، وتنائي أقطارهم، وأرسل الرسول إلى الأطراف يدعو الناس إلى الإيمان به، فعمت الدعوة [illegible] كما قلنا، ألا يدل هذا على نهاية العجز وعمومه. [illegible] وعلى أن الله تعالى جعله فوق القدر، خارقا لما يعتاد من كسب البشر؟ بلى، وإن لهذا الإعجاز وجهين:

أحدهما: كونه معجزا بذاته، لأنه في مرتبة لا يمكن لبشر أن يرتقي إليها

وثانيهما: أنه جاء على لسان أمي لبث أربعين سنة لم يوصف بالبلاغة، ولم يؤثر عنه شئ من العلم.

وقد ذكروا وجوها أخرى للإعجاز بعضها [illegible] عليها القرآن [illegible] قوله:

﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ بناء على أن المخبر هو الله تعالى عالم الغيب وما يكون في المستقبل، [illegible] في عهد نزوله، وقبل ظهور تأويله، أن قرعه لسمع من لا يؤمن بالغيب بمقتضى [illegible] التحريض على المعارضة التي يظهر بها العجز ويقوم البرهان، بالإعجاز المقتضي للإيمان لولا مكابرة المستكبرين لوجدانهم، وجحود ألسنتهم لما استيقنته قلوبهم.

[illegible]

(النمل: ١٤)

وأما من يؤمن بالغيب ويعتقد الخوارق، فما عليه إلا أن ينتهي إلى عجزه ويبادر إلى الإيمان به [illegible] لا يمكن لعاقل أن يجزم بذلك إلا إذا كان مطلعا على الغيب، فهو خبر عن الله عز وجل.

ثم قال تعالى مخاطبا للفريقين بعد تسجيل العجز عليهم: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ وهي موطن عذاب الآخرة، نؤمن بها لأنها من عالم الغيب الذي أخبر الله تعالى به، ولا نبحث عن حقيقتها، ولا نقول إنها شبيهة بنار الدنيا ولا أنها غير شبيهة بها، وإنما نثبت لها جميع الأوصاف التي وصفها الله تعالى بها، كقوله:

[illegible]

والمراد بالحجارة الأصنام، كما في قوله تعالى

[illegible]

(الأنبياء: ٩٨)

ولا يسبق إلى الفهم أنها لا توجد إلا بوجود الناس والحجارة، إذ يصح أن يكونوا وقودها بعد وجودها. والوقود بالفتح ما توقد به النار، وبالضم مصدر وقد، وسمع المصدر بالفتح أيضا. وقال بعضهم في تفسير ﴿وَقُودُهَا﴾: إن الناس بأعمالهم وعبادة بعضهم بعضا [illegible] والحجارة بعبادة الناس لها - سببان في إيجاد النار وإعدادها لهم، فلذلك كانوا كالوقود الذي تضرم به النار. وفي الكلام [illegible] - وهو الناس والحجارة - على المسبب وهو قوله تعالى:

[illegible]

وبهذا التفسير يظهر الحصر في جملة

[illegible]

لأنها إسمية معرفة الطرفين. وخص الحجارة بالذكر، لأنها أظهر المعبودات عند العرب. والمراد بالكافرين: الذين لا يجيبون دعوة الأنبياء عليهم السلام، والذين ينحرفون عن أصولها بعد الأخذ بها لبدع يبتدعونها، وتقاليد يحدثونها، وتأويلات يلفقونها. فهؤلاء هم الذين أعدت وهيئت النار لهم، لأنهم الذين يستحقون الخلود فيها ومن وردها ورودا وانتهى إلى موطن آخر، [illegible] وليس بعد الدنيا موطن إلا الجنة، جعلنا الله من أهلها بالتوفيق للتقوى. [illegible] النار نعوذ بالله منها ومما يقرب إليها من قول وعمل

أقسام السنة النبوية
العلامة الشيخ على الخفيف

(١)

(١٣٠٩، ١٣٩٨هـ ١٨٩١، ١٩٧٨م)

التعريف به:

- ولد بقرية «الشهداء» بمحافظة المنوفية- بدلتا النيل- بمصر.
- وتخرج فى «مدرسة القضاء الشرعى» سنة «١٣٣٢هـ/١٩١٥م»، وكانت مدرسة القضاء مع «دار العلوم» منبع التجديد والاجتهاد فى الفكر الإسلامى الحديث.
- وعين مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى سنة (١٣٣٩هـ/١٩٢١م).
- وتولى القضاء بالمحاكم الشرعية.
- ثم عمل محاميا شرعيا بوزارة الأوقاف المصرية.. فمديرا للمساجد بها سنة (١٣٥٨هـ ١٩٣٩م).
- وتولى استادية التدريس بكلية الحقوق- جامعة فؤاد الاول- القاهرة سنة (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م).
- وكان عضوا «بمجمع البحوث الاسلامية- بالأزهر الشريف- «هيئة كبار العلماء» منذ إنشائه.. وعضوا بالمجلس الأعلى للأزهر منذ سنة (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- وانتدب لتدريس الشريعة الاسلامية والقانون بجامعة بغداد.. وجامعة الخرطوم.
- وكان عضوا بهيئة إخراج (موسوعة الفقه الاسلامى) بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية- بمصر.
- كما تولى عضوية لجنة وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية- بمصر.
- ونال عضوية «مجمع اللغة العربية» منذ سنة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

من آثاره الفكرية

١- (الخلافة).

٢- (أحكام الوصية).

٣- (الشركات في الفقه الإسلامى).

٤- (نظرية النيابة عن الغير).

٥- (أحكام المعاملات الشرعية).

٦- (أسباب اختلاف الفقهاء).

٧- (الحق والذمة).

٨- (البيع في الكتاب والسنة).

٩- (الملكية في الشريعة الإسلامية).

١٠- (الشركة والحقوق المتعلقة بها).

١١- (الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامى)[1].

١٢- «السنة التشريعية» وهو البحث الذى عرض فيه لأقسام السنة النبوية.

والناظر في عناوين وموضوعات هذه الكتب والأبحاث، يدرك أن الشيخ على الخفيف كان من أئمة الاجتهاد والتجديد في «فقه الواقع».. والمستجدات، في ضوء «فقه الأحكام الشرعية».. الأمر الذى جعله يحتل مكانا بارزا في تهيئة العرض لعودة الشريعة الإسلامية إلى عرش الحاكمية في القانون وتنظيم الاجتماع والواقع الإسلامى المعاصر.

من فضل الله على عباده ورحمته بهم، وتمام نعمته عليهم، أنه لم يتركهم لعقولهم، ولم يكلهم إلى ضمائرهم، في إقامة أسس صلاحهم في حياتهم، وإرساء قواعد أمنهم واستقرار وجودهم وسلامة مجتمعهم.

فالعقول متفاوتة، وأسباب انحرافها متعددة، وموازين الضمائر مختلفة تبعا لاختلاف البيئات وتغاير العادات، وكثيرا ما تضطرب هذه الموازين أمام نوازع النفوس، وتيارات الأهواء، واختلاف المصالح. وذلك ما نشاهده ونحسه في زماننا وفيما مضى من دهور، وفي كثير من الحالات. مما فرق بين الناس، وجعلهم أمما وشيعا، لكل وجهته إلى ما يرى أن فيه الخير لنفسه، وإن كان فيه الدمار والهلاك لغيره.

لذلك وقد كتب الله على نفسه الرحمة، إذ يقول في كتابه العزيز:

﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾

(الأنعام ٥٤)

أرسل رسله إلى الناس ليكونوا أعلام الطريق وهداة السبيل، هداية لهم من الضلال، ووقاية لهم من الشكوك والحيرة، وإخراجا لهم من الظلمة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، بوحى من السماء وتعليم من العليم الحكيم. فكانوا فيه مبلغين ومعلمين

---

[1] [illegible]

ومبلغين، ومدرسين ومستشرين، ومنزهين فيه عن الخطأ، ومعصومين فيه من الضلال. طاعته لله في طاعتهم، وفلاح الناس وسعادة مجتمعهم في متابعتهم والاهتداء بهديهم.

لم يترك الله سبحانه وتعالى الناس سدى، فما من أمة إلا خلا فيها نذير أرسله إليهم بشريعته، كما قال في كتابه العزيز:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٤٨)

وعلى هذا أرسل إلينا محمداً ﷺ وأنزل عليه الكتاب، وخاطبه بقوله فيه:

﴿ [illegible] ... الذين لا يعلمون ﴾

(الجاثية: ١٨)

هذا ومن شريعته: عبادة يتقرب بها إلى الله - سبحانه وتعالى - وإليه وحده، تعريف الناس بوسائل قربه وطرائق رضاه فإليه بيانها وليس للعقول في ذلك مدخل. ومن ثم نيط أمرها بما يبلغه رسوله ﷺ دون أن يكون للعقل في بيانها وتحديدها مجال. ومنها معاملة هي الوسيلة إلى حياة سليمة صالحة مستقيمة، خالية من الشرور والفحشاء والمنكر، لا يهدف بها إلا إلى ذلك، علة وضع أمين يقوم على التوجيه الإلهي، مع الاسترشاد بالنظر والتجربة ومن ثم كان للعقل والنظر فيها وظيفة الهداية والإرشاد، وكانت الشريعة فيها على العموم ضرورية لهداية الناس في المجالين: أما في المجال الأول فهي السبيل الوحيد لبلوغ الغاية والمقصد. وأما في المجال الثاني فهي للإرشاد والعصمة من الخطأ وتجنب الزلل.

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الخطأ فيما أمره بإبلاغه وبيانه، ومن ثم وجبت طاعته وعدم الانحراف عما يأمر به في المجالين، إذ لم يكن فيما يبلغه من ربه في المجالين من ناحية وجوب الطاعة فرق، سواء أكان إبلاغه بالقول أو بالفعل أو بالإقرار - فكان بيانه ملزما في دائرة التشريع التي أقامه الله فيها معلما ومبلغا، بشيرا ونذيرا.

وعن هذا كانت السنة - التي نحن بصدد بيانها - هي ما أثر عن رسول الله ﷺ في مجال التشريع: قول أو فعل أو تقرير، لما رآه أو بلغه ممن آمن به، أو كان في ظاهر حاله ممن التزم بطاعته، لا في نطاق الأعمال الطبيعية والأفعال العادية، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٦٧)

وقوله

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام: ١٩)

وقوله

﴿ [illegible] ﴾

(النحل: ٤٤)

وآيات أخرى عديدة واضحة الإشارة والمعنى في ذلك. وعلى هذا كان ما جاءنا به محمد ﷺ وبلغنا إياه في هذا النطاق، إما قرآنا أنزله الله عليه بلفظه ومعناه، فكان أصل الدين وأساس الإيمان واليقين، وإما بيانا له أوحى الله به إليه بمعناه أو أقره عليه، وهو ما يراد بالسنة، وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النجم: ٣ - ٥)

وذلك ما يعم القرآن والسنة.

واسم السنة يطلق في اللغة على السيرة حسنة كانت أم سيئة، ومن ذلك قوله ﷺ فيما أخرجه مسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»، كما تطلق فيها على تدبير الله أمر خلقه، ومنه قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأحزاب: ٦٢)

ويريد بها رجال الحديث عند استعمالهم إياها - وبخاصة من يكتب في السير والمغازي - كل ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل أو صفات خلقية أو إخبار، دون نظر إلى صلاحية ذلك لإثبات حكم شرعي أو عدم صلاحيته.

ويطلقها علماء الأصول على أقواله وأفعاله وتقريراته مما يدل على حكم شرعي.

ويستعملها الفقهاء في الدلالة على ما ليس بواجب، مما روي أن رسول الله ﷺ قد فعله ولم يداوم عليه، كسنة الصبح وسنة الظهر.

وقد يطلقونها في مقابلة البدعة كقولهم طلاق السنة هو الطلاق في طهر لا مساس فيه.

ونريد بالسنة في موضوعنا - كما ذكرنا - ما أثر عن النبي ﷺ في محيط التشريع من قول أو فعل أو تقرير لأمر رآه أو بلغه عمن يعد في ظاهر حاله ممن آمن له. وهي بهذا المعنى لا تكون إلا فيما كان لرسول الله ﷺ فيه اختيار بين أمرين أو أكثر، فيختار ما يرى أنه الأفضل خلقا وسلوكا، ولا تكون فيما كان يأتيه ﷺ بطبيعته وإنسانيته مما لا اختيار له فيه، أو فيما كان يأتيه اختيارا بحكم العادة والميل الطبيعي الجبلي. وعلى الجملة لا تكون فيما يأتيه كل الناس بحكم خلقتهم وطبائعهم مما يعد من مقومات الحياة وضرورات الوجود والعادات، كالأكل والشرب والنوم واللباس والحركة والتخاطب والتفاهم والسعي إلى الطعام واتخاذ المسكن، ونحو ذلك.

فقد كان رسول الله ﷺ بشراً كسائر الناس:

﴿ [illegible] ﴾

(الكهف: ١١٠)

فكان يحيا كما يحيا الناس، وَلِد كما يُولَد الناس ومات كما يموت الناس، وكان يأكل كما يأكل الناس وينام كما ينامون ويلبس كما يلبسون، ويعيش في مجتمعهم يزور ويُزار ويرضى ويغضب ويسر ويحزن ويمشي في الأسواق [illegible]، ويسالم، ويمرض ويصح ويطلب العلاج كما يطلبه الناس، ويشفع بين المتنازعين ويصالح بينهم، له وزنه وحكمته [illegible]. وليس عمله العادي ولا أقواله المألوفة المكررة في هذا المجال شريعة تتبع، وإنما يفعل ذلك بحكم العادة والطبيعة، لا بحكم الرسالة والتبليغ.

أما ما يتعلق بهذه الأفعال والعادات وما يتصل بها من كيفيات وأوضاع وأشكال ووسائل ونحو ذلك فإن منه ما قد يعد سنة تشريعية يؤخذ الناس باتباعها إذا كان له ﷺ فيه اختيار كان من أثره تفضيل وضع على وضع، وصورة على صورة، وطريقة على أخرى، قصدا إلى فعل ما هو الأفضل والأنفع [illegible] وهذا منه ﷺ إرشاد وهداية وتشريع. وبخاصة إذا اقترن بأمر أو نهي، ما دام لم يتبين أنه ﷺ قد فعله بحكم العادة [illegible]

والظروف والملابسات مما يبعده عن أن يكون من قبيل الإرشاد والتشريع. وذلك موضوع خطير وأمر جليل جدير بالتأني والتريث والعمق في النظر، وقد يضل فيه من لا علم له بما كان في زمنه ﷺ من أعراف وعادات لها سلطانها ورسوخها وعمومها. [illegible] لرسول الله ﷺ من سيرة وطريقة وخلق ومنهج، وإنما يعرف ما يراد منه التشريع بالنظر والاجتهاد وسعة الاطلاع والتعرف على شمائله ﷺ.

ومن أمثلة ذلك ما صدر منه ﷺ من أفعال وهيئات في حجه: مثل نزوله ﷺ في بعض الأماكن أثناء سيره، ومدة إقامته فيها ومبيته بها، ومثل إسراعه أو عدم إسراعه في طوافه وفي سعيه مما يكون قد فعله تشريعا يتناول قوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم». (السنن الكبرى للبيهقي رقم ٩٥٢٤) أو فعله للاستجمام [illegible] أو لغرض آخر من أغراض الحياة. ولذا كان فعله هذا موضع خلاف ومثار نزاع بين الفقهاء: منهم من رآه من قبيل التشريع، ومنهم من لم يره كذلك، ولم ير في تركه حرجا، وعلى الجملة فكل ما نطق به الرسول - صلوات الله عليه - من قول أو أتاه من فعل أو صدر عنه في شأنه إقرار هداية للناس وشريعة لهم، أو وصل إليه بنظره واجتهاده فأقره الله عليه مما ليس بقرآن هو ما يراد بالسنة التي هي المصدر الثاني لشرع الأحكام بعد القرآن.

يتبع...

موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها



[illegible]

[illegible] كلمة «الإسلام» بمعناها القرآني [illegible] لا تدع مجالا [illegible] السؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية [illegible] الإسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين [illegible] هو اسم للدين المشترك الذي [illegible] به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع [illegible] نرى نوحا يقول لقومه

﴿ [illegible] ﴾

(سورة يونس: ٧٢)

ويعقوب يوصي بنيه

﴿ [illegible] ﴾

(سورة البقرة: ١٣٢)

[illegible] يعقوب يجيبون أباهم

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٣٣)

وموسى يقول لقومه

﴿ [illegible] ﴾

(سورة يونس: ٨٤)

والحواريون يقولون لعيسى

﴿ [illegible] واشهد بأنا مسلمون ﴾

(سورة آل عمران: ٥٢)

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن

﴿ [illegible] ﴾

(سورة القصص: ٥٣)

وبالجملة نرى اسم الإسلام شعارا عاما يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينا جديدا، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الشورى: ١٣)

ثم نراه بعد أن يسرد سيرة الأنبياء وأتباعهم ينظمهم في سلك واحد، ويجعل منهم جميعا أمة واحدة لها إله واحد كما لها شريعة واحدة:

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

(سورة الأنبياء: ٩٢)

ما هذا الدين المشترك الذي سماه الإسلام، والذي هو دين كل الأنبياء والمرسلين؟ إن الذي يقرأ يعرف كنه هذا الدين: إنه هو التوجه إلى الله رب العالمين في خضوع خالص لا يشوبه شرك. وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أي لسان وفي أي زمان أو مكان. دون تمرد على حكمه، ودون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه، أو بين رسول ورسول من رسله.

هكذا يقول القرآن:

(سورة البينة: ٥)

ويقول:

(سورة البقرة: ١٣٦)

نقول إذًا: إن الإسلام بمعناه القرآني الذي وصفناه لا يصلح أن يكون محلا للسؤال عن العلاقة بينه وبين سائر الأديان السماوية. إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه، فها هنا وحدة لا انقسام فيها ولا ثنينية.

غير أن كلمة (الإسلام) قد أصبح لها في عرف الناس مدلول معين، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد ﷺ، أو التي استنبطت مما جاء به. كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى، وما اشتق منها، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة عيسى وما تفرع منها.

فالسؤال الآن إنما هو عن الإسلام بمعناه العرفي الجديد، أعني عن العلاقة بين المحمدية وبين الموسوية والمسيحية.

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نقسم البحث إلى مرحلتين:

- (المرحلة الأولى): في علاقة الشريعة المحمدية بالشرائع السماوية السابقة وهي في صورتها الأولى لم تبعد عن منبعها، ولم يتغير فيها شيء بتغير الزمن ولا بيد الإنسان.
- (المرحلة الثانية): في علاقته بها بعد أن طال عليها الأمد، وطرأ عليها شيء من التطور.

أما في المرحلة الأولى:

فالقرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله. فالإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب:

(المائدة: ٤٦ - ٤٨)

غير أن هاهنا سؤالا يحق للسائل أن يسأله: أليست قضية هذا التصادق الكلي بين الكتب السماوية أن تكون الكتب المتأخرة ما هي إلا تجديد للمتقدمة وتذكير بها، فلا تمس فيها معنى ولا تغير حكما. وإلا فكيف نقول إنها تصدقها؟ بينما هي تبدل وتعدل. فإذا كان من قضية التصادق الكلي بين الكتب ألا يغير المتأخر منها شيئا من المتقدم فهل الواقع هو ذلك؟

الجواب: ليس الواقع ذلك. فقد جاء الإنجيل بتعديل بعض أحكام التوراة، إذ أعلن عيسى أنه جاء ليحل لبني إسرائيل بعض الذي حرم عليهم:

(آل عمران: ٥٠)

وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة، إذ أعلن أن محمدا ﷺ جاء ليحل للناس كل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم:

(الأعراف: ١٥٧)

ولكن يجب أن نفهم أن هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم. ولا إنكارا لحكمة أحكامه في إبانها، وإنما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب، وأجلها المقدر.. مثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم إلى الطفل في الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن، وجاء الثاني إلى الطفل في مرحلته التالية فقرر له طعاما لينا وطعاما مشويا خفيفا، وجاء الثالث في المرحلة التي بعدها، فأذن له بغذاء قوي كامل.

لا ريب أن هاهنا اعترافا ضمنيا من كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقا كل التوفيق في علاج الحال التي عرضت عليه.. نعم إن هناك قواعد صحية عامة في النظافة والتهوية والتدفئة، ونحوها لا تختلف باختلاف الأسنان. فهذا لا تعديل فيها ولا تبديل، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين.

هكذا الشرائع السماوية كلها صدق وعدل في جملتها وتفصيلها. وكلها يصدق بعضها بعضا من ألفها إلى يائها، ولكن هذا التصديق في ضربين: تصديق القديم مع الإذن ببقائه واستمراره، وتصديق له مع إبقائه في حدود ظروفه الماضية، ذلك أن الشرائع السماوية تحتوي على نوعين من التشريعات: (تشريعات خالدة) لا تتبدل بتبدل الأصقاع والأوضاع (كالوصايا التسع)(1) ونحوها، فإذا فرض أن أهل شريعة سابقة تناسوا هذا الضرب من التشريع جاءت الشريعة اللاحقة بمثله أي عادت مستمرة به تذكيرا. وإن كان منها (تشريعات موقوتة) بآجال طويلة أو قصيرة، فهذه تنتهي بانتهاء وقتها. وتجيء الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة وهذا - والله أعلم - هو تأويل قوله تعالى:

(البقرة: ١٠٦)

ولولا تتضمن الشريعة السماوية على هذين النوعين ما اجتمع فيها العنصران الضروريان للسعادة: عنصر الاستمرار الذى يربط حاضر البشرية بماضيها وعنصر الإنشاء والتجديد، الذى يعد الحاضر للتطور والرقى اتجاهًا إلى مستقبل أفضل وأكمل.

ونحن إذا نظرنا نظرة فاحصة إلى سير التشريع السماوى من خلال الشرائع الثلاث، نجد فيها هذين العنصرين واضحين كل الوضوح، إذ نجد كل شريعة جديدة تحافظ على الأسس التى أرستها الشريعة السابقة، ثم تزيد عليها ما يشاء الله زيادته.

نرى شريعة التوراة مثلًا قد عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك «لا تقتل، ولا تسرق... إلخ، ونرى الطابع البارز فيها هو طابع تحديد الحقوق وطلب العدل والمساواة بينها، ثم نرى شريعة الإنجيل تجيء بعدها فتقرر هذه المبادئ الأخلاقية وتؤكدها، ثم تترقى فتزيد عليها آدابًا مكملة

«لا تراءوا الناس بفعل الخير، أحسن إلى من أساء إليك..، ونرى الطابع البارز فيها التسامح والرحمة والإيثار والإحسان، وأخيرًا تجيء شريعة القرآن فتراها تقرر مبدأين كليهما فى نسق واحد

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾

(النحل : ٩٠)

مقدرة لكل منهما درجته فى ميزان القيم الأدبية مميزة بين المقصرين عنها والفضل

﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾

(الشورى : ٤٠)

ثم نراه وقد أضافت إليهما أصولًا جديدة صاغت فيها قانون آداب اللياقة، ورسمت بها مناهج السلوك الكريم فى المجتمعات الرفيعة فى التحية والاستئذان، والجلسة والمخاطبة إلى غير ذلك كما نراه فى سورة النور والحجرات والمجادلة.

هذا مثال من أمثلة الجمع فى سير التشريعات السماوية بين عنصر المحافظة على القديم الصالح، وعنصر الأخذ بالجديد الأصلح، والأمثلة كثيرة لا يتسع لها نطاق هذا البحث.

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متعددة، ولبنات متراكمة فى بناء الدين والأخلاق وسياسة المجتمع. وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أنها أكملت البناء وملأت ما بقى فيه من فراغ، وأنها فى الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذى يمسك أركان البناء. وصدق الله وصف خاتم أنبيائه بأنه

﴿ جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾

(الصافات : ٣٧)

وحين وصف اليوم الأخير من أيامه بأنه كان إتمامًا للنعمة وإكمالًا للدين:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ﴾

(المائدة : ٣)

وصدق رسول الله ﷺ حين صور الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير.

«مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» (البخارى. كتاب المناقب. باب خاتم النبيين) عن أبى هريرة رقم (٣٢٧١).

إنها إذًا سياسة حكيمة رسمتها يد العناية الإلهية لتربية البشرية تربية تدريجية لا طفرة فيها ولا ثغرة، ولا توقف فيها ولا رجعة، ولا تناقض ولا تعارض، بل تصاعد وتعانق، وثبات واستقرار، ثم نمو واكتمال وازدهار.

ونصل الآن إلى المرحلة الثانية فى بحث العلاقة بين الشريعة المحمدية والشرائع السماوية بعد أن طال الأمد على هذه الشرائع فنالها شيء من التطور والتحور.

رأينا فى المرحلة السابقة كيف كان القرآن يعلن عن نفسه دائمًا أنه جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب، ونرى الآن أن القرآن أضاف إلى هذه الصفة صفة أخرى، إذ عبر أنه جاء أيضًا (مهيمنًا) على تلك الكتب

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة : ٤٨)

أى حارسًا أمينًا عليها. ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب ألا يكتفى الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل الذى عساه أن يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها.

وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفى عنها [illegible]، وأن يتحدى من يدعى وجودها فى تلك الكتب

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران : ٩٣)

كما كان من مهمته أن يبين ما يسعى [illegible] كتمانه منها

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة : ١٥)

وجملة القول إن علاقة الإسلام بالديانات السماوية فى صورتها المتطورة علاقة تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليه من البدع والإضافات الغريبة عنه.

هذا الطابع الذى تتسم به العقيدة الإسلامية، وهو طابع الإنصاف والتبصير الذى يتقاضى كل مسلم ألا يقبل جزافًا، ولا ينكر جزافًا، وأن يصدر دائمًا عن بصيرة وبينة فى قبوله ورده، ليس خاصًا بموقفها من الديانات السماوية، بل هو شأنها أمام كل رأى وعقيدة، وكل شريعة وملة، حتى الديانات الوثنية نرى القرآن يحللها ويفصلها، فيستبقى ما فيها من عناصر

الخير والحق والسنة الصالحة، ويمحى ما فيها من عناصر الباطل والشر والبدعة.

(ب) بعد، فيبقى عن موقف الإسلام من الديانات الأخرى من الوجهة النظرية، وقد بقى أن نبحث عن موقفه من الوجهة العملية.

هل يقف منها موقف السكوت عليها والإغضاء عنها، كما يفعل المتواضع؟

أم هل يقف موقف المحارب للمقاتل الذى لا يهدأ له بال حتى يطهر الأرض منها ومن أهلها؟

فريق من الكتاب الغربيين يحسب الشق الأول، حتى قال قائل منهم (جوتييه فى كتاب أخلاق المسلمين وعوائدهم): إن المسلم أنانى، وإن الإسلام يشجعه على هذه الأنانية، فالمسلم لا يعنيه ضل غيره أم اهتدى، سعد أم شقى، ذهب إلى الجنة أم إلى السعير.

وأكثر الكاتبين يجيبون بالشق الثانى، فالإسلام فى نظر هؤلاء يريد أن يفرض نفسه على الناس بحد السيف، والقرآن فى نظرهم يأمر المسلم بأن يضرب عنق الكافر أينما لقيه.

الواقع أن كلا الفريقين لم يصب كبد الحقيقة فى تصوير موقف الإسلام.

ليس الإسلام قاترا ولا منطويا على نفسه كما زعم الأولون فالدعوة إلى الحق والخير ركن أصيل من أركان الإسلام، والنشاط فى هذه الدعوة فريضة مستمرة فى كل زمان ومكان، يأمر الله نبيه بتبليغ كلامه، وبأن يبذل جهده فى هذا التبليغ

(الفرقان: ٥٢)

والقرآن يحرض المؤمنين على هذه الدعوة:

(فصلت: ٣٣)

بل يجعل الفلاح والنجاة وقفا على هؤلاء الدعاة:

(آل عمران: ١٠٤)

ولكن الإسلام فى الوقت نفسه ليس كما يزعم الأكثرون، عنيفا ولا متعطشا للدماء، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة. فنبى الإسلام ﷺ هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة، بل هى مقاومة لسنة الوجود، ومعاندة لإرادة رب الوجود:

(هود: ١١٨)

ومن هنا سنت القاعدة الإسلامية المحكمة شرعه فى القرآن قاعدة حرية العقيدة

(البقرة: ٢٥٦)

ومن هنا رسم القرآن أسلوب الدعوة ومناهجها فجعلها دعوة ناصحة ونصيحة فى رفق ولين:

(النحل: ١٢٥)

على أن الإسلام لا يكتفى منها بهذا الموقف السلمى السلبى، وهو عدم إكراه الناس على الدخول فيه، بل يتقدم منا إلى الأمام خطوات إيجابية نكرم بها الإنسانية فى شخص غير المسلمين.

هل ترى أسمى وأنبل من تلك الوصية الذهبية التى يوصينا بها القرآن فى معاملة الوثنية التى هى أبعد الديانات عن الإسلام، فضلا عن الديانات التى تربطنا بها أواصر الوحى السماوى؟ اقرأ فى سورة التوبة

(التوبة: ٦)

فأنت تراه لا يكتفى منا بأن نجير هؤلاء المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الأمن فى جوارنا فحسب، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية فى انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذى يأمنون فيه كل غائلة.

ثم هل ترى أعدل وأرحم، وأحرص على وحدة الأمة وتماسكها من تلك القاعدة الإسلامية، التى لا تكتفى بأن تكفل لغير المسلمين فى بلاد الإسلام حرية عقائدهم وعبادتهم، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم، بل تمنحهم من الحرية والحماية، ومن العدل والرحمة قدر ما تمنح المسلمين من حقوق العامة: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، شرح معانى المنتدى

ثم هل ترى أوسع أفقا، وأرحب صدرا، وأسبق إلى الكرم، وأقرب إلى تحقيق السلام الدولى والتعايش السلمى بين الأمم، من تلك الدعوة القرآنية التى لا تكتفى فى تحديد العلاقة بين الأمم الإسلامية وبين الأمم التى لا تدين بدينها، ولا تتحاكم إلى قوانينها، لا نكتفى فى تحديد هذه العلاقة بأن تعقد معاهدة سلم بسلم

(الأنفال: ٦١)

بل تندب المسلمين أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل، وقسط

(الممتحنة: ٨)

ليس هذا هو كل شىء فى تحديد الموقف الإنسانى النبيل الذى يقفه الإسلام عمليا من غير أتباعه، ولضيق المقام نكتفى بكلمة واحدة.

إن الإسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة أتباع كل ملة ونحلة فى سبيل التعاون على إقامة العدل، ونشر الأمن وصيانة الدماء أن تسفك، وحماية الحرمات أن تنتهك، ولو على شروط يبدو فيها بعض الإجحاف. ذلك هو المثل الرائع الذى ضربه لنا رسول الله ﷺ فى هذا المعنى حين قال فى الحديبية: «والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» ـ البخارى ـ عن المسور بن مخرمة ومروان كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب رقم (٢٥٢٩).

هذا هو مبدأ التعاون العالمى على السلام، يقرره نبى الإسلام، ورسول السلام.

منهج السنة في الاعتدال والوسطية (١)



للسنة النبوية المطهرة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - مكانتها في التشريع، فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولها منزلتها من القرآن الكريم، فهي المفصلة لمجمله، المقيدة لمطلقه، المخصصة لعامه، الشارحة لأحكامه.

وللسنة النبوية دورها في الاعتدال والوسطية من حيث البيان والتفصيل لما جاء في القرآن الكريم، ومن حيث توضيح منهج الاعتدال والوسطية، من خلال الأحاديث النبوية، ومن تطبيقات الرسول «ﷺ» لها في المجتمع الإسلامي، ومع المسلمين، فكرا وسلوكا.

وقد كان للتوجيهات النبوية أثرها في إرساء أسس الاعتدال في الأمور كلها.

وكان للاعتدال والوسطية أعظم النتائج في نشر الإسلام وفضائله، وحب الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجا، بسبب اعتداله ووسطيته، وعظمته وسماحته.

ولقد كان رسول الله «ﷺ» يوجه المسلمين إلى منهج الاعتدال، عن أبي هريرة «رضي الله عنه»، عن النبي «ﷺ»، قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم». رواه البخاري ومسلم

وكان الرسول «ﷺ» يوجه أصحابه إلى أن من أراد الاستمرار في العبادة والعمل فعليه ألا يغالي أو يتشدد. عن عبدالله بن عمرو بن العاص «رضي الله عنهما» قال: قال لي رسول الله «ﷺ»: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» رواه البخاري ومسلم.

أي: كان التشدد سببا في عدم استمراره على عبادته وقيامه الليل بسبب ضعفه. فالأخذ بالاعتدال والوسطية فيه الاستمرار، والمحافظة على دوام العمل والعبادة.

وكان ﷺ ينهى عن التشدد، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثا، رواه مسلم.

والمتنطعون هم الذين يتشددون في غير موضع التشديد.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشئ من الدلجة» رواه البخاري.

ومعنى استعينوا على طاعة الله بأداء العبادة في وقت النشاط، و«الغدوة» هي: أول النهار، و«الروحة» هي: آخر النهار، و«الدلجة» هي: آخر الليل.

وكان رسول الله ﷺ إذا علم أن أحدا من الناس يتشدد أو يغالي حتى ولو كان في العبادة ينهاه عن ذلك، ويوضح أن أحب الدين إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه.

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دخل وعندها امرأة قال: «من هذه؟» قالت: هذه فلانة، تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا. وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه». رواه البخاري ومسلم

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: دخل النبي ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد» رواه البخاري ومسلم

وسطية الإسلام

مفهوم الوسطية

يتحدد مفهوم الوسطية ببيان معناها اللغوي، ومعناها الاصطلاحي، فأما المعنى اللغوي فوسط الشئ هو ما بين طرفيه.

وأما المعنى الاصطلاحي: فالمراد بالوسطية: التوازن والتعادل بين الطرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل، والأجود والأكمل.

ولا نريد بالوسطية أن يكون الإنسان في درجة المتوسط في عبادته أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو السعي أو الخلق أو أنه لا يكون متقدما ممتازا في هذه الأمور، بل نريد بالوسطية الأجود والأفضل، والأكمل والأعدل، وخير الأمور أوسطها أي أعدلها

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾
(آية ١٤٣ سورة البقرة)

أي: عدولا خيارا.

قال تعالى:

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾
(آية ٥ سورة العاديات)

أي: تتوسط الصفوف في المعركة.

وقال سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

(آية ٨٩ سورة المائدة)

وقال جل شأنه

﴿ [illegible] ﴾

(آية ٢٨ من سورة القلم)

أي: قال أعدلهم وأصلحهم.

وقال سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

(آية ٢٣٨ سورة البقرة)

والراجح أنها صلاة العصر، لقوله ﷺ في يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم وقبورهم نارا.

وسطية الأمة

لقد وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها الأمة الوسط قال الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(آية ١٤٣ سورة البقرة)

والوسط الخيار والأجود. ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأيسر التكاليف وأوضحها. كما قال سبحانه وتعالى

﴿ [illegible] ﴾

(آية ٧٨ سورة الحج)

وفيما رواه الإمام أحمد- بسنده- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله- ﷺ- «يدعى نوح- عليه السلام- يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، أو ما أتانا من أحد. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، : فذلك قوله

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

قال: الوسط العدل: فتدعون فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم» رواه أحمد

وفيما رواه أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «يجئ النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم هذا، فيقولون لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول نعم فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

رواه أحمد.

والآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم- عليه السلام- واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن جميع الأمم معترفون لهم بالفضل.

وقد صح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهل المدينة اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا، وكان قبلة إبراهيم، فكان يتوجه بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى- وينظر إلى السماء، فأنزل الله تعالى قوله

﴿ [illegible] ﴾

(آية ١٤٤ سورة البقرة)

وكان- عليه الصلاة والسلام- قبل هجرته قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى، وكان التحويل إلى الكعبة من الله. ووافق رغبة رسول الله ﷺ. فقد شرع الله التوجه إلى بيت المقدس ثم شرع التحول إلى الكعبة، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آية ١٤٣ سورة البقرة)

عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آية ١٤٣ سورة البقرة)

يتبع

الإنســـــان

الإنسان. وقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لا يحسد عليه كثيرا، بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم. ذلك الوزر الذى اعتبر خطيئة أولى. وخطيئة باقية موروثة. لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشرى كافة.

وإن انس لا انس ما ركبنى صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الاولى. وما سيقت فيه من سياق مروع. يقترن بوصف جهنم. ذلك الوصف المثير لمخيلة الأطفال. وكيف تتجدد فيها الجلود كلما اكلتها النيران. جزاء وفاقا على خطيئة ادم. بايعاز من حواء. وانه لولا النجاة على يد المسيح. الذى فدى البشر بدمه الطهور. لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين.

وإن انس لا انس القلق الذى ساورنى وشغل خاطرى عن ملايين البشر قبل المسيح. أين هم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة؟!

فكان لابد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة. وتطمئنهم الى العدالة التى لا تأخذ البرئ بالمجرم. او تزر الولد بوزر الوالد. وتجعل للبشرية كرامة مضمونة.

ويحسم القرآن هذا الأمر. حين يتعرض لقصة آدم، وما يروى فيها من أكل الثمرة المحرمة، فيقول فى سورة طه:

[illegible]

(طه: ١٢١ - ١٢٢)

ويقول فى سورة البقرة:

[illegible]

(البقرة: ٣٧)

وكرم أبو البشرية. كرمه الله فخلقه على صورته. وفضله على الملائكة. وقد جاء فى سورة البقرة

[illegible]

(البقرة: ٣٤)

ذلك أن الإنسان قادر على الخير والشر وليس كالملائكة التى لا قدرة لها إلا على الخير، فله عليها فضل الإرادة لما يأتيه من الصالحات.

أما بنو آدم، فتقول سورة الإسراء:

[illegible]

(الإسراء: ٧٠)

ويخاطب الناس فى سورة الحج بأن:

﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الحج: ٦٥)

وفى سورة لقمان أن:

﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾

(لقمان: ٢٠)

إن المسئولية هى أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة، وهذا ما نص به الإسلام. ووضع به حجر الأساس لكرامة بنى آدم. فيقول فى سورة النجم

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

(النجم: ٣٩ - ٤٠)

ويقول فى أكثر من سورة، على سبيل التأكيد

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

(الأنعام: ١٦٤) (الإسراء: ١٥)

(فاطر: ١٨)، (الزمر: ٧)

وهو القائل فى سورة التين:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(التين: ٤)

هذه المسئولية هى التى يسميها القرآن الأمانة تلك الأمانة التى جاءت فى سورة الأحزاب:

[illegible]

(الأحزاب: ٧٢)

ثم نجد فى سورة الإسراء:

[illegible]

(الإسراء: ١٣)

والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ فى ظل تلك الفكرة وثقلها. التى تصبغ بصبغة الحزن والتشاؤم كل أفعال المرء. فيمضى فى حياته مضى المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق، بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث.

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقا، ورد اعتبار لا شك فيه، إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه.

والناس فى كرامة البشرية أمة واحدة. بغير تفريق، فقد جاء فى سورة الأنبياء

[illegible]

(الأنبياء: ٩٣)

وجاء فى سورة الحجرات.

[illegible]

(الحجرات: ١٣)

أجل، لا عصبية ولا شعوبية ولا فروق من حيث اللون أو اللغة. وهذه سورة الروم تقول:

[illegible]

(الروم: ٢٠ - ٢٢)

وهكذا صار الناس سواسية كأسنان المشط، أكرمهم عند الله أتقاهم ثم

﴿[illegible]﴾

(المجادلة ١١)

و

﴿[illegible]﴾

(الزمر ٩)

ألا من له أذنان للسمع فليسمع

وإن من كرامة الإنسان على نفسه أن يتبع الحق ويجهر به ويحتمل في سبيل ذلك من العذاب ما يصيبه بنفس راضية.

وعلى المؤمنين أن يتواصوا بالصبر كلما تواصوا بالحق، أو كما جاء في سورة العصر

﴿[illegible] وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

(العصر: ٣،٢)

وأن الغلبة للحق في نهاية المطاف على كل حال

﴿[illegible]﴾

(الأنبياء: ١٨)

﴿[illegible]﴾

(الإسراء ٨١)

أجل وينبغي أن يقر الإنسان الكريم بالحق لو على نفسه والأقربين، كما ورد في سورة النساء

﴿[illegible]﴾

(النساء ١٣٥)

إن حق مقدس، ولو كان فيه مضرة عدو أو معونة له. فذلك هو لباب التقوى، فقد جاء في سورة المائدة

﴿[illegible]﴾

(المائدة ٨)

ثم جاء في ختامها

﴿[illegible]﴾

(المائدة ١١٩)

وتشيد سورة الفرقان بالصادقين:

﴿[illegible]﴾

(الفرقان ٧٢)

وإن الإنسان الكريم العزيز بإيمانه لصبور على المكاره إن أوذي في سبيل الحق:

﴿[illegible]﴾

(البقرة ١٥٣)

﴿[illegible]﴾

(آل عمران ٢٠٠)

﴿[illegible]﴾

(إبراهيم ١٢)

هي الشجاعة في الحق، والشهادة لله، والصبر على الإيذاء في سبيل الحق. إنها صفات الإنسان الكريم على نفسه حقا. ولكنها لا تتم روعة إلا بالخشوع للرحمن

﴿[illegible]﴾

(البقرة ٤٢، ٤٦)

﴿[illegible]﴾

(الرعد ١٨، ١٩)

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾

(غافر: ٣٥)

﴿[illegible]﴾ (النحل ٢٣)

ولشهد كم تبعث نفسي وعتيت كلما رأيت عتلا من المستكبرين الذين غرهم من الدنيا ظل من السلطان، ومن دون تعقليهم أن السلطة في ذاتها ليست شيئا. وأن الولاية على الناس جمرة من النار. أما الشيء حقا، فهو رعاية الله في حقوق الناس، و استخدام السلطان للخير والعدل في غيرة على الحق، وحماسة لنصرته، والتجاء لوجه الله لا يعرفه إلا الخاشعون. وكان الخطاب في وجه هؤلاء بما جاء في سورة الإسراء

﴿[illegible]﴾

(الإسراء ٣٧، ٣٨)

ولا تتم صورة الإنسان الكريم الصبور على الحق، الصادق في القول، الصابر في الهول، الخاشع للرحمن، إلا بأن يكون صادق الوعد، موفيا بالعهد والعقد

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾

(الإسراء: ٣٤)

﴿[illegible]﴾

(المائدة ١)

﴿[illegible]﴾

(النحل ٩١)

وما من خلة أزرى بالإنسان الكريم من النفاق، وقد أنحى عليه القرآن إنحاء عنيفا:

﴿[illegible]﴾

(النساء ١٤٢، ١٤٣)

﴿[illegible]﴾

(النساء ١٤٥)

﴿[illegible]﴾

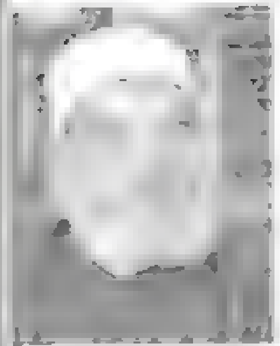
(آل عمران ١٦٧)

فالإنسان الكريم حقا لا ينافق، ولا يخشى في الحق شيئا، ينصر الله، والله ناصره. ذلك جوهر إيمانه، وأنه بذلك لعزيز مكرم في الدنيا والآخرة، لا يسعى في دنياه سعي المريب الذليل

﴿[illegible]﴾

(القصص: ٧٧)

وهكذا يكون الإنسان متكامل الجوانب. لا يشكو انفصام الروح والجسد، ذلك الانفصام الذي عانى منه الكثيرون، ولا يعرف الفصام إلا من يكبته. وبهذا يكون الإنسان سيد الأرض حقا، لا ينظر إلى طيباتها نظرة الحسير، ولا يمشي في جنباتها مشية الأسير، ولا يثقل كاهله الخوف من نوازعه، في يده زمام نفسه، وقد أحل له ما لم يرد فيه تحريم، تقر به عينه في غير حرج ولا غضاضة.



الحريــــة المدنيــــة

هذا الاصطلاح الحديث يعنى في العرف الدولى صفة الرشد التى تجعل الشخص أهلا لأن يتحمل الالتزامات، ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة من بيع وشراء وهبة ورهن ووصية، وما إلى ذلك. ويقابل هذه الحرية حالة الرق التى تحكم على الشخص بالقصور والعجز عن مباشرة هذه الحقوق، وعن تحمل هذه الالتزامات.

قضية الرق

ألغى الرق حديثا باتفاق دولى. وبعد هذا الإلغاء حدث كثير الكلام وتسع النقد للإسلام.. بمعنى أنه إذا كان الإسلام يهدف إلى الحرية والمساواة بين الناس فى جميع الحقوق، فلماذا لم يلغ الرق من أول الأمر حتى يتم له هذا الهدف؟

وحتى نستطيع تصور الملابسات التى اتصلت بهذا الموضوع ينبغى لنا أن نعرف أنه ليس هناك دين ولا قانون سبق الإسلام فى تحريم هذا الرق. أى أن الشريعة اليهودية لم تحرمه، بل قسمت البشر إلى قسمين: بنو إسرائيل قسم، وسائر البشر قسم آخر، وأباحت استرقاق غير الإسرائيليين إلى الأبد، لأنهم سلالات كتب عليها الذلة من الأزل. أما المسيحية فلم يرد فيها نص واحد يستنكره أو يحرمه، بل إن رسائل الرسل كانت توصى بإخلاص العبيد فى خدمة سادتهم.

أما الدول قبل الإسلام فقد كانت معاملاتها قائمة على اعتبار رعايا الدول الأخرى غنيمة تستولى عليهم متى استطاعت، تسترق من تشاء، وتبيع من تشاء.

ويروى فى هذا أن (أفلاطون) الفيلسوف اليونانى قد جرى عليه الرق فى إحدى رحلاته. وأن (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه قد استرقه قبل الإسلام شخص فى إحدى رحلاته إلى الشام، فاستغله له (عمر) ابتداء حتى تمكن من الانفراد به فقتله.

ولقد كان يحيط بالعرب دولتان كبيرتان لهما حضارة، وفيهما علم وفى حدهما ميراث زاخر من الفلسفة والحكمة وهما دولتا الروم والفرس، ولقد كان قانون الرومان - الذى مازالت بعض قوانينه مقدسة عند أوروبا حتى الآن - يعطى للأشراف الرومان حقوقا ليست لغيرهم ممن هم فى ظل الحكم الرومانى، فالعبيد لا يعاملون معاملة الآدميين. فليس على السيد مسئولية فيما يفعل مع عبده، حتى إن قتله فلا تبعة عليه، وجريمة العبد تضاعف لها العقوبة، وجريمة الرومانى يخفف فيها العقاب، ويعطون لهم حق استرقاق المدينين إن عجزوا عن الوفاء.

أما الفرس فقد كان الحكم للأشراف خاصة وما كان هناك دين سماوى أو أخلاق سائدة تحمى من الظلم والاستعباد.

والخلاصة

أن الإسلام قد ظهر فى عصر كان نظام الرق فيه شرعا سائدا، وعرفا دوليا قديما، وكانت منابعه كثيرة، ومنافذه قليلة، وكانت أهم روافده سبعة:

١- حرب بجميع أنواعها.

٢- خطف ونهب.

٣- ارتكاب بعض الجرائم كالقتل والسرقة.

٤- عجز المدينين عن السداد.

٥- سلطة الوالد على أولاده، فله أن يبيع من يشاء بيع الأرقاء.

٦- سلطة الشخص على نفسه، فله أن يتنازل عن حريته لقاء ثمن معين.

٧- تناسل الأرقاء.

فلما جاء الإسلام حرم كل هذه الروافد، ولم يبق منها سوى رافدين اثنين هما: رق الوراثة، ورق الحرب، بل إنه قد وضع على هذين الرافدين من القيود ما يكفل نضوب معينهما.

فقيد النوع الأول: بأن لا يكون تناسل بين جارية وسيدها.

وقيد النوع الثانى: بأن تكون الحرب شرعية غير أهلية، والحرب الشرعية كما بينا فيما سبق حدودها ضيقة. كما أجاز الإسلام فى أرقائها المن والفداء، بل إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة جاء فيهما عشرات الأوامر بالعتق والإحسان والمن والفداء. قال تعالى

﴿ فإما منا بعد وإما فداء ﴾

(محمد ٤)

وقال تعالى:

﴿ وما أدراك ما العقبة فك رقبة ﴾

(البلد ١٢-١٣)

ووصى بالإحسان إلى الأسرى فقال تعالى

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾

(الإنسان ٨)

وقال ﷺ فى حديث قدسى عن الله

عزوجل: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه، ولم يعط أجره»[1]، وقال ﷺ: «أطعموا الجائع وعودوا المريض، وفكوا العاني».

والتاريخ الرسول ﷺ في غزواته يشهد بهذه الروح التي تهدف إلى حرية العبيد، ففي (بدر) قبل المسلمون الفداء، وفي (الفتح) عفا عن أهل مكة وهو قادر على [illegible] منهم، وفي (بني المصطلق) تزوج النبي ﷺ [illegible] من هذا الحي ليرفع مكانته (أي الحي)، فتحرج المسلمون من استرقاق الأصهار الجدد.

والقاعدة الفقهية المشهورة: «الشرع يتشوف إلى الحرية»، وقد بلغت حدا من [illegible] عليها لدرجة جعلت بعض الفقهاء يحكم بسبب [illegible] إلى [illegible] حر ويرفض [illegible] عليه [illegible].

فماذا ينتظر أعداء الإسلام منه أن يفعل أكثر من ذلك؟ [illegible] يريدون منه ألا يسترق أعداءه على حين أنهم يسترقون أبناءه؟!

منهج الشرع لتحرير العبيد

إن الإسلام لم يلغ الرق، لأن أعداءه لا يستجيبون لذلك فكانت المعاملة بالمثل..

ومع هذا فقد وضع في تشريعاته [illegible] كثيرة لو سارت في طريقها الصحيح [illegible] التدريج لانتهى الرق من زمن بعيد، [illegible] أن العتق يلزم باللفظ ولو مزاحا، كذلك التدبير، ومنها أن السيد [illegible] جاريته تولد عتقت عليه، ومنها [illegible] المكاتبة التي يبيح فيها السيد لعبده [illegible] يتاجر ويعمل حتى يوفيه ثمنه، وقد حث الإسلام على مساعدته [illegible] جعل له نصيبا من مصارف الزكاة في كل عام، قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(التوبة: ٦٠)

ومنها [illegible] الكفارات، فالقاتل خطأ عليه أن يعتق رقبة، والحانث في يمينه عليه أن يعتق رقبة، والمظاهر من زوجته عليه أن يعتق رقبة، [illegible] كفارات معروفة.

وهناك عتق مرغوب فيه تطوعا بلا إيجاب من الشرع.. قال ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار»[2]، وفضلا عن كل ذلك فإن الإسلام قد ضمن لهم معاملة كريمة من سادتهم، قال ﷺ: «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه»، وكان من آخر وصايا رسول الله ﷺ قوله: «الصلاة [illegible] وما ملكت أيمانكم».

(1) أخرجه البخاري - كتاب البيوع - باب إثم من باع حرا - حديث رقم ٢٢٢٧

(2) أخرجه البخاري - كتاب الأطعمة - باب [illegible] الله تعالى: ﴿[illegible] مكروا من طيبات ما رزقناكم﴾ - حديث رقم [illegible]

(3) [illegible] قول الله: ﴿أو تحرير رقبة﴾ وأي الرقاب أزكى - حديث رقم [illegible]

(4) [illegible]

(5) [illegible]

ومن توجيهاته سبحانه: لا يقول [illegible] عبدي، ولا [illegible] ولكن ليقل فتاي وفتاتي، ومن [illegible] ﷺ [illegible] جعل العبيد إخوة [illegible] فقال: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس».

ولقد صنع صحابة رسول الله ﷺ مع [illegible] ما [illegible] الأخوة، فلقد وعى [illegible] التاريخ وهو مطأطئ الرأس إكبارا [illegible] سيدنا (عمر بن الخطاب) وهو [illegible] إلى الشام لعقد المعاهدة مع أهل بيت المقدس بعد انتصار المسلمين أنه كان معه غلامه ولم يكن معهما سوى [illegible] واحدة، [illegible] الأخوة كان أمير المؤمنين المنتصر يتعاقب الركوب مع غلامه على [illegible] [illegible] الأخوة والعدالة والمساواة [illegible] [illegible] حين دخول المدينة للعلماء [illegible] [illegible] (عمر) [illegible] يدخل المدينة [illegible] وغلامه [illegible].

[illegible] عظمة الإسلام [illegible] على [illegible] الاستشهاد [illegible] [illegible].

عن المعرور بن سويد قال: دخلنا على أبي ذر [illegible] فإذا عليه برد وعلى غلامه مثله، فقلت: [illegible] لو أخذت برد غلامك إلى بردك فكانت حلة وكسوته ثوبا غيره؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليكسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه»[3].

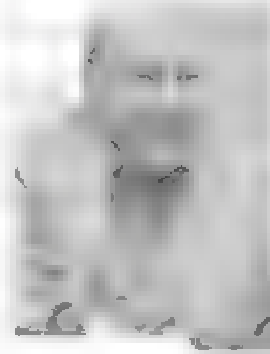
بل إن الإسلام قد بلغ الذروة في [illegible] كيان الرقيق فأباح لهم أن يكونوا أسرة [illegible] المسلم، بل إن حق العبد [illegible] القصاص قد أعطاه لهم الإسلام ولو كان مع حر بل ولو كان مع رسول الله ﷺ.

عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، وكان بيده سواك، فدعا وصيفة لي فلم ترد عليه حتى استبان الغضب في وجهه، فخرجت إلى الحجرات فوجدتها تلعب، فقلت: أراك تلعبين ورسول الله ﷺ يدعوك! فقالت: لا والذي بعثه بالحق، فقال الرسول ﷺ: «لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك».

يتبع

[illegible]

شمولية الشريعة الإسلامية



عناصر الثبات والتغير

٢

إذا أردنا أن نجمل مجالات الثبات والتغير فى الأحكام الشرعية، أى مجالات التغيير والانفساح التى يجد الفقيه نفسه إزاءها، فإنه يمكن بيان ذلك فيما يلى:

من الثوابت التى لا تتغير، ما يعتبر حدودا من الأحكام الشرعية، كعدد مرات الطلاق والأنصبة المورثة فى التركة والعقوبات المنصوص عليها كحد الجلد مثلا.

ومن الثوابت أيضا، سائر الفروض الواجبة والمحددة بعدد ركعات الصلاة والصوم والزكاة والحج، كل ذلك لا يتغير. والجهاد فرض على المسلمين لا يتغير. وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما يتعلق بشأن المنهى والنص الواحد والحكم المعين.

ومن هذه الثوابت أيضا جميع المحرمات، كالشرك والقتل والسرقة والزنا وشرب الخمر والربا وقذف المحصنات وشهادة الزور.

أما ما ينفسح فيه المجال أمام الفقيه، فهو يتعلق بمنطقتين هما:

● الأولى هى المنطقة التى تخرج عن الحدود والفروض والمحرمات، وهى منطقة واسعة أعمل فيها الفقيه أدوات للاستنباط كثيرة ومتعددة، وسلك عديدا من المناهج والطرق لاستخلاص الحكم الشرعى الذى ينطبق على كل حالة خاصة. وفى هذه المنطقة، تعددت الاختلافات التى قامت بين الفقهاء والآراء المختلفة. وذلك بسبب يرجع إلى اختلافهم فى مناهج استنباط الأحكام والاستدلال عليها. كما أنها هى المنطقة التى يرد الخلاف فيها، بسبب يرجع إلى ظروف الزمان والمكان بالنسبة لانطباق أى من الأحكام الفرعية المعينة.

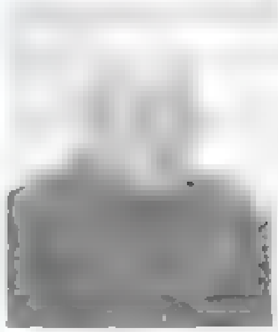
وكانت أدوات استنباط الأحكام والاستدلال عليها، هى ما يعرف بكونه المصادر الفرعية أو الثانوية للتشريع الإسلامى التى ترد بعد القرآن والسنة، ومنها: القياس والاستحسان والمصلحة المرسلة والاستصحاب وسد الذرائع وفتح الذرائع واعتبار العرف. وليس ثمة وجه الآن للتفصيل فى هذا المجال. إنما المقصود هو بيان أن هذه المنطقة، وإن انفسح فيها مجال الاجتهاد أمام الفقيه، فقد كان نشاطه فيها مرتبطا بالأصول الشرعية الإسلامية، ومرتبطا بمناهج للتفسير تضبط هذا النشاط.

وقد اختلف الفقهاء فى اعتماد كل منهم لأى من هذه المصادر. فمنهم من اعتمد القياس، ومنهم من لم يعتمده، ومنهم من أجاز الاستحسان، ومنهم من لم يجزه. ولكن كانت لكل منهم أدواته المعتمدة فى استخلاص الأحكام على وجه يستجيب لمقتضيات الأوضاع المتغيرة.

● والمنطقة الثانية، هى منطقة النصوص المتشابهة، إذ ترد النصوص الشرعية بالفاظ وعبارات على نحو يحتمل أكثر من معنى، ويسع أكثر من رأى، ويضرب الشيخ يوسف القرضاوى مثلا لهذا النوع من الأحكام المتشابهة بما اختلف فيه الفقهاء بالنظر إلى وسائل استغلال الأرض. فمن الفقهاء من منع المؤاجرة ومنع المزارعة، ومنهم من منع المؤاجرة وأباح المزارعة، ومنهم من أباح الأمرين وكل ذلك تتسع له نصوص الأحكام. وكل ذلك يتسع به مجال اختيار الحكم الذى يستجيب أكثر من غيره لضرورات الواقع المعيشى فى أى ظرف، وفى أى قطر.

واتساع الحكم على هذا النحو: إما يكون مصدره اختلافا فى فهم المعنى اللغوى للفظ المستخدم أو العبارة المستعملة، أو يكون اختلافا فى فهم المعنى الاصطلاحى أو المجازى لهذا اللفظ أو العبارة. وإما أن ينتج عن إعمال عدد من النصوص بعضها مع بعض، وما قد ينشأ عن التنسيق بينها من اختلاف فى فهم الحصيلة النهائية التى تسفر عن الحكم المقصود.

وفى كتاب أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، أثبت الإمام ابن القيم فى صدر الجزء الثالث فصلا عن تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف والأحوال، وذكر ما نصه: «هذا فصل عظيم النفع جدا، وقد وقع - بسبب الجهل به - غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التى فى أعلى رتب المصالح لا تأتى به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد. وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها.



يوسف القرضاوى

فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل..».

والإمام الطوفى فى شرح الحديث الشريف «لا ضرر ولا ضرار» يقرر أنه يجب تطبيق والالتزام به عند تطبيق كل حكم من أحكام الشريعة، وإنه يحدد مقاصد الشارع من تنزيل الأحكام بحيث يراعى هذا القصد فى كل حالة. كما أن الإمام أبا إسحاق الشاطبى أكد فى كتابه (الموافقات على مقاصد التشريع الإسلامى من جلب المنافع ودرء المفاسد) بما لا مزيد عليه. وكل ذلك مما تتشكل به أدوات الفقيه فى الاجتهاد وتفسير الأحكام.

إن شمول الشريعة الإسلامية واستجابة أحكامها وقواعدها للتطور الحضارى المعاصر، هما أمران يتصلان بإدراك عناصر الثبات والتغير بشأنها. وهذا مما سبقت الإشارة إلى

وجوه مختلفة منه في هذه الورقة. إن استجابة الأحكام للتطور الحضاري أو للواقع المعيشي هو ما نعبر عنه بحركة التجديد.

وحركة التجديد في الفقه الإسلامي ليست ممكنة فحسب، ولكنها كانت متحققة على مدى زمني طويل من حياة الأمة الإسلامية. لقد عرف الفقه الإسلامي مجددين كبارا منذ القرن الثامن عشر، أمثال: محمد بن عبدالوهاب، والشوكاني، والألوسي، والدهلوي، والسنوسي، والمهدي، وغيرهم.

ثم مع نهايات القرن التاسع عشر، تأتي الموجة التالية من المجددين أمثال: الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا. ثم ترد وجوه النشاط الفقهي المختلفة على مدى القرن العشرين، نراها فيما يمكن جمعه من آراء متجددة من فتاوى دور الإفتاء، وأحكام المحاكم الشرعية حيثما وجدت في أقطارنا. ثم ترد مجموعات التقنينات الآخذة عن الشريعة، ثم مؤلفات أساتذة كبار في الشريعة الإسلامية كالشيوخ: زيد الإبياري، وأحمد إبراهيم، وعبدالوهاب خلاف، وعلي الخفيف، ومصطفى الزرقا، وعبدالكريم زيدان ودراسات أساتذة القانون الوضعي في فقه الشريعة، كالدكتور عبدالرازق السنهوري، والدكتور عبدالحميد متولي، وغيرهما. ثم العدد العديد من الرسائل الجامعية والبحوث التي تمت في المقارنة بين فقه الشريعة وفقه القوانين الوضعية.

وهذه نماذج لجهد دءوب جرى على مدى عشرات السنين في عدد لا نكاد نحصيه من المسائل الفرعية، والقضايا الكلية، والجزئية التي تتعلق بالمعاملات وبالتقاضي وغيرهما.



رشيد رضا

ونحن نلحظ عددا من الملحوظات في هذه الحركة، نشير إليها في نقاط ثلاث:

أولا: وهي ما أشرنا إليه من قبل، وهي أن التجديد تمثل في كيفية استجابة الأحكام الشرعية لتحديات الواقع المعيشي. وهذه حركة دائمة منذ الماضي في مواجهة أشكال التحديات العصر الكبرى، التي تواجه جماعة العرب والمسلمين: مقاومة الأجنبي، ونظم الحكم، والتقدم العلمي.

ومفاد الاستجابة لتحديات الواقع، أن مقياس التجديد إنما يستخلص من واقع مجتمعنا المعاصر ومشكلاته الحيوية. فهو ليس مقياسا نستخلصه من واقع مجتمع آخر، ولا من نماذج مجتمعات الغرب المعاصرة، وهو ليس مقصودا به إسباغ بردة الدين وبردة الشريعة الإسلامية على أنماط السلوك الغربية ووقائع حياة الناس هناك. وهو كذلك ليس مقياسا صوريا مقصودا به مجرد التخفيف من الأحكام الشرعية، فسحا للرخص وتضييقا للعزائم، فقد تتطلب الاستجابة لتحديات العصر ومتطلباته مزيدا من الضبط والتضييق في بعض الأمور. وهذه الاستجابة الشرعية يمكن أن تعتبر تجديدا. وهذا ما نراه مثلا في بعض فتاوى ابن تيمية التي راعت ظروف عصره في مجتمعه. وكانت تنهض جماعة المسلمين من عثرات التتار وما كان يشكو منه المجتمع من أمراض ووهن. وهو ما نراه في بعض الفتاوى الحديثة التي حرمت شرعا التجنس بجنسية المستعمرين، مقاومة لسياسة الاستيعاب الاستعماري للبلاد وحماية لها. وهو ما يمكن أن نتوقعه من مواقف فقه الشريعة فيما يتعلق بقضايا التنمية والنهضة المستقلة ومقاومة التبعية. وقد نجد مثالا له في مجال استثمار المال فيما يمنع الجماعة الوطنية وتقييده للاستيراد مثلا، وغير ذلك من استعمالات الفقه والشريعة لمتطلبات البناء الاقتصادي السياسي المستقل.

ثانيا: مع القابلية للتجدد، ترد القابلية للتنوع داخل الوعاء الفسيح للفكر الإسلامي. فنوع من هذا لدى معروف قديما باختلاف الزمان والمكان. ويمكن أن نضيف إليه وجوها للتنوع مما يقوم داخل الجماعة السياسية الواحدة، تعبيرا عن وجوه الاختلاف في الأوضاع السياسية والاجتماعية داخل هذه الجماعة.

ومن ذلك - على سبيل المثال - الاجتهادات المتنوعة حول حق الملكية، ومدى ما يتيح للمالك من سلطات اقتصادية واجتماعية. وإن معاود النظر في توجهات الفصائل المختلفة للجماعة، يظهر أن هذا التنوع قائم بينها فعلا. وهو مردود في بعض التحليلات إلى اختلاف يعبر عن أوضاع سياسية واجتماعية متباينة. ولكنها كلها يجمعها جامع عام واحد، وتهيمن عليها أصول شرعية واحدة، تقود تنوعها الفكري والثقافي والعقدي بها جميعا.

قد لا تكون هذه التنوعات ظاهرة ظهورا سافرا الآن، ولكنها فيما يبدو مضمرة وسبب الإضمار - في ظني - الشعور العام بأن الأصول الفكرية والعقدية معرضة لهجمات الاجتثاث، ولكنه إضمار لا ينفي قيام الخلاف بين مواقف الأزهر مثلا - ومواقف عديدة - من الجماعات الإسلامية.

ثالثا: إن التنوع في الآراء والاختلاف في الاجتهادات كما يقتضيه اختلاف الزمان والمكان، وتنوع الأوضاع السياسية والاجتماعية، هذا التنوع يجد حده في النطاق العازم لثوابت الشريعة الإسلامية، حسبما أشير إليها في الفقرات السابقة. كما أنه يجد حده في الإطار الضابط أيضا للصالح العام للجماعة الإسلامية الوطنية. فحيثما استحلت حكمة تحريم شرعي لنوع نشاط اجتماعي معين، جواز لا يصل إلى الفرض ولا يدنو من المنع، فإن الخلاف حول مدى هذا الجواز يجد حده الشرعي في القدر المقدور من الإباحة المحافظة لصالح الجماعة ونفعها. بمعنى أنه جواز يرد عليه القيد مما توجبه السياسة الشرعية في كل ظرف خاص.

ونحن إذا وجدنا خلافا بين الفقهاء حول مسألة، كالتخيير بالأجرة النقدية بين مانع ومجيز، أو حول المزارعة بين موجب ومجيز، وكان هذا الخلاف مما يتعلق بالفروع، ومما تحتمله ثوابت الشريعة، إذا وجدنا ذلك، فإنه

يفضى بنا إلى موقف لا نرى فيه وجهات النظر الفقهية المتاحة، ولا يجعل وجهات النظر المتباينة على ذات المستوى من الحجية فى كل آن. ولا يجعلها ثابتة الرجحان والمرجوحية بين بعضها وبعض فى كل حين، ولا يجعلها متعلقة فقط بصحة الاستنباط من النصوص فى إطار الحجة والبرهان. إنما يتعين قياس وجوه الرجحان بين المنع والإيجاب والجواز بالنظر لصالح المجتمع والجماعة فى كل حين. فالحكم الشرعى متصل أوثق اتصال بالمقاصد العليا للشريعة والمصالح المحيطة بها. وجلب النفع، ودفع الضرر عن جماعة المسلمين وأفرادهم أمر متضمن فى صميم حكم الشريعة، ومتضمن بالضرورة فى اجتهادات الفقه والحكم يدور فى هذا المدار. وما دامت ثوابت الشريعة تسع تلك الوجوه جميعا، من منع وجواز وإيجاب، فإن صالح الجماعة فى كل حين هو ما يرجح فيما يرجح من وجوه أحكام النصوص فى كل حين.

رابعا: مع القابلية للتعدد والتنوع، فإنه عند التفكير فى إقرار تطبيق الشريعة الإسلامية، يكون من حق الجميع - بموجب حقهم فى المواطنة - أن تبسط أمامهم وجهات النظر الإسلامية، وأن يبين الفرق بين الأحكام القطعية الثابتة وبين الآراء والاجتهادات الفقهية التى يمكن أن يؤخذ منها ويترك، والتى يمكن أن تتعدل بمراعاة الزمان والمكان، وأن يجرى الحوار الفقهى حثيثا حول الجوانب التطبيقية والتعبيرية، لإمكان الوصول إلى الصياغات التى يمكن أن تحتضن غالب إيجابيات تجاربنا التاريخية وخبراتنا، وذلك فى الإطار العام للشرعية المهيمنة الآخذة من الشريعة، وبما يستجيب لحاجات البيئة والعصر ويتوخى جلب المصالح ودفع المفاسد، وبما ينسجم مع الأعراف وعادات التعامل الجارى.

خامسا: إن ثوابت الشريعة الإسلامية وسعت فى القديم أنماطا من العادات والأعراف كانت قائمة فى البلاد التى دخلها الإسلام، وأمكن لفقه الشريعة أن يستوعب ما يصلح من هذه العادات والأعراف بما يمكن احتواؤه تحت بردة الشرعية الإسلامية، واغتنى فقه الشريعة بهذه التجارب كثيرا وبات. فليس ما يمنع من اغتناء فقه الشريعة الآن بالعديد من نماذج الحاضر، حتى ما نتج من هذه النماذج من حضارات أخرى ونقصد من النماذج تلك الأعراف المستحدثة والأنماط العديدة من العلاقات بين البشر ومن أبنية المؤسسات التى تلائم أنواع الأعمال المطلوبة وضروب الأنشطة الاجتماعية المتعددة فى مجتمعات فى هذا الزمن.

على أنه فى هذا المجال، ينبغى الاعتناء بأمور ثلاثة:

● أولها: أن يكون «النموذج» المطلوب استحضاره مما يفيد حقيقة بيئتنا المحلية. فلا يرد بحسبانه محض تقليد لمجتمعات أخرى أو حضارات غازية. ووجه الفائدة الحقيقية يقيسه بمدى حاجتنا لهذا الأمر فى إطار دوره الفعال فى الاستجابة لواحد من التحديات الأساسية التى تواجه جماعتنا.

● وثانيها: أن يفصل بين النموذج التنظيمى المطلوب استدعاؤه، وبين الأساس العقدى والأيديولوجى الذى تولد عنه فى بيئته وحضانة فالنظام النيابى هو نموذج تنظيمى يمكن استدعاؤه، ولا وجه لأن يشمل هذا الاستدعاء الأساس الأيديولوجى الذى قام هذا النموذج عليه فى الغرب، «وهو الأساس العلمانى المتمثل فى فكرة سيادة الأمة بالمعنى الغربى المقصود منها».

● وثالثها: وصل هذا النموذج التنظيمى وربطه فى السياق العقدى والحضارى للبيئة التى تستدعيه إليها.

ونجد مثالا على ما نعنيه فى التشريع فى جهد الذى بذله الفقيه المدنى المصرى السنهورى فى سنة ١٩٤٩، إذ استدعى عديدا من الأحكام من القانون الفرنسى المعمول به تماما من حكم وبين مصادره، ولكنه لم يربط هذه الأحكام بالفكرية المستمدة من الشريعة الإسلامية.

ونجد مثالا لهذا الربط بين نماذج ومفاهيم كثيرة استدعيت من بيئات وحضارات أخرى وبذل الجهد لاستيعابها واستصحابها فى أنسجة الشرعية والحضارة السائدة، نجد ذلك فيما نجده فى جهود فكرية قام بها رفاعة رافع.

سادسا: إن تطبيق الأحكام يتعلق بإنزال حكمها الثابت على الوقائع المتغيرة. والتفسير والاجتهاد هما تحريك النص الثابت ليطبق على الوقائع المتغيرة. وهذه العملية تشمل أمرين: أولهما، استخراج دلالات النص بطرق الاستدلال المعروفة فى علم أصول الفقه وفى علم المنطق، ووفقا لمذاهب التفسير المعروفة. وثانيهما، تكييف الواقعة التى ينطبق عليها حكم النص، أى صياغة الواقعة الحادثة صياغة قانونية، والتعبير عنها حسبما يتجمع لها من خصائص، أى من المفاهيم القانونية المطروحة، فهى تعبير قانونى أو فقهى عن الواقعة، أى رفع الواقعة الحادثة بتفصيلاتها إلى مرتبة من مراتب التجريد القانونى وبهذين العمليين، يمكن أن يلتقى حكم النص الثابت مع النص المتغير.

لذلك فإننا عندما نفكر فى تجديد الفقه الإسلامى، يتعين أن نبحث فى هذه الصلة، وأن يكون الواقع متصورا فى هياكله وعلاقاته ومؤسساته على نحو يتقبل تلقى حكم النص الشرعى. إننا لا نستطيع أن نتكلم عن أحكام الميراث أو تجديدها فى مجتمع لا يعرف نظام الأسرة مثلا. لذلك، فتجديد الفقه الإسلامى يقتضى وصفه بالواقع. ووصله بالواقع يقتضى أن نمكن له فى الأرض وأن نعيد صياغة الواقع ومؤسساته وعلاقاته، وفقا لأسس العلمانية وحدها، لن تؤدى فى التطبيق إلا إلى ذلك الانفصام الحادث بين نصوص جامدة لأنها لم تعد تطبق، وبين واقع منفلت عنها لا يعبر عن قيمها وأسسها العامة. وهذا ما سبق أن أشرت إليه.

تلك هى الملاحظات، التى عنّت لى فى إطار موضوع مطروح، وهو شمولية الشريعة واستجابة أحكامها للتطور الحضارى المعاصر إن شمولية الشريعة تتعلق باستكشاف عناصر الثبات والتغير فيها. وهى ليست شمولية بمعنى أنها تغطى مجالات النشاط الاجتماعى المختلفة فقط، ولكنها أيضا شمولية بالمعنى الزمانى للشمول ولا يتأتى ذلك الشمول إلا بتجلية عناصر الثبات والتغير فى الشريعة الإسلامية وفقهها

نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر



(٣)

[illegible]
الأمين العام المساعد للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

حيوية الخطاب

الثابت والمتغير: خطاب المرونة

يمكننا أن نردّ مكونات الخطاب الإسلامي إلى نوعين:

[illegible] الشرعي [illegible] الوحي الإلهي من [illegible] السنة النبوية الصحيحة [illegible] وهو أصل الخطاب الإسلامي ومنطلقه ومرجعيته الشاملة الدائمة؛ لكونه صادرا عن الله سبحانه الذي أبدع الوجود كله.

والمكون البشري [illegible] البشر من النصوص الشرعية وما نتج عن [illegible] لذلك فهو فرع للمكون الأول ومؤسس منه وإليه.

وبما أن المكوّن الشرعي قد أكسبه مصدره الرباني خصائص الربانية والشمول والثبات والتوازن والمرونة والصلاحية لكل زمان ومكان؛ فباستطاعتنا أن نكتشف بمعاييره كلّ خلل واضطراب في واقع الحياة القائم.

[illegible] الخطاب الإسلامي [illegible] عرضة للتطوير والتبديل؛ فإن خطابنا الإسلامي سمة خاصة، فهو لا يتغير ولا [illegible] في [illegible] الإسلامية مرتكزة على مكونه الشرعي [illegible] عوارض الزمان والمكان والأحوال والأشخاص. أما المكوّن الآخر؛ ففيه يكون الاجتهاد والتطوير بما يراعي المخاطبين وظروفهم العامة والخاصة زمانا ومكانا [illegible] يوسف القرضاوي: [illegible]

[illegible] الدين وفقهائه قد قرروا أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، والفتوى تتعلق بأحكام الشرع، [illegible] تغيير [illegible] الزمان والمكان والعرف والحال [illegible]

[illegible]

على الخطاب الإسلامي أن يميز بين [illegible] والمرحلي، وهذا على مستوييه الفكري والعملي جميعا.

[illegible] التمييز [illegible] كثير من السلبيات التي عاقت تطور الخطاب الإسلامي كما [illegible] عن الوصول به إلى حد التطبيق الواقعي الذي يحقق الوصول إلى [illegible] مستقرة. فقد قامت الصحوة الإسلامية خلال عقود طويلة [illegible] الإسلام [illegible] في نزاله السياسي مع بعض السلطات القائمة في بلاد إسلامية عدة، ولقد نالت [illegible] في عدد من المجتمعات الإسلامية، [illegible] وضربات كادت تودي به.

ولابد للخطاب الإسلامي أن يركز في سعيه إلى إبلاغ رسالة الله تعالى للعالمين على المبدئي من الثوابت والأصول التي تمثل «هوية الإسلام» (والتي سبقت الإشارة إليها في [illegible]) [illegible] في [illegible] ومرحلياته المرنة التي يجب أن يجتازها ويتكيف معها في جميع مستويات البلاغ على وفق سنة الله تعالى في الخلق والشرع. كما يجب أن يبتنى هذا وذاك على رؤى موضوعية ودراسات علمية.. تنظر إلى الشرع الحنيف بعين، وإلى الواقع المعيش بأخرى.

وعليه أن ينطلق من قاعدة الثبات في الأهداف، والمرونة في الوسائل [illegible] الأهداف ثابتة لثبات مصادرها وتحددها، والوسائل مرنة لارتباطها بالزمان المتغير والبيئة المختلفة [illegible] الأهداف الكبرى هي إقرار الإيمان واحترام الإنسان، وتوطيد العمران [illegible] يؤدي إلى تحقيقها، وجب اتخاذه؛ إذ تقرر وجوب ما لا يتم الواجب إلا به [illegible] قاصر عن تحقيقها، فلا قدسية.. بل يجب تجاوزه إلى الأصلح والأنفع.

[illegible]

خطاب النهضة

الشريعة الإسلامية ـ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين.. حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين[2].

[illegible] القواعد المهمة في الأمر

(١) د. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص ١٧

(٢) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، جامعة الإمام محمد بن سعود [illegible]

بالمعروف والنهى عن المنكر اعتبار المصالح، فيشترط فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ألا يؤدى إلى مفسدة أعظم من المنكر أو مثله. فإن كان إنكار المنكر يستلزم حصول منكر أعظم منه؛ فإنه يسقط وجوب الإنكار، بل لا يسوغ الإنكار فى هذه الحالة.

وهذا ليس فى باب الأمر والنهى وحسب. بل - إنه القاعدة فى باب «الإصلاح» بوجه عام. وهذا المعنى قرره شيخ الإسلام بوضوح فى قوله «ومما ينبغى أن يعلم: أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس على غاية ما يمكن من الصلاح، لا لرفع الفساد بالكلية، فإن هذا ممتنع فى الطبيعة الإنسانية، إذ لابد فيها من فساد»[٣].

وفى هذا يجب على الخطاب الإسلامى أن يحض على رأس أولوياته الاهتمام بالحفاظ على الثوابت الشرعية، والسعى إلى إصلاح ما يعتور الطريق أحياناً من زلل أو تقصير أو تجاوز، مع التزام سلمية الكلمة والممارسة، وعدم الانزلاق إلى أى من أشكال العنف.. والدعوة المستمرة إلى الحق والخير دون استعلاء أو وصاية متوهمة. مبتغياً فى هذا كله وجه الله تعالى أولاً وأخيراً، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لصالح البلاد والعباد والنهوض العام.

تنظير وتطبيق.. خطاب لا قطيعة

على الخطاب الإسلامى أن يبنى تصوراته ورؤاه على أسس متينة من الواقع، وعليه أن يتجنب الاستغناء بالتنظير عن التطبيق، كما أن عليه - بالضرورة - ألا يؤسس إلا ما هو قابل للتحقق بحسب سنن الله تعالى فى الخلق وفى الأنفس. ومن مقتضيات هذا:

- استيعاب الواقع المعاصر استيعاباً سليماً من خلال منهج علمى موضوعى، يتتبع جذور هذا الواقع ومساره، ويكشف جوهره وروحه، ويميز حقائقه الموضوعية عن أوهامه الخيالية أو المؤقتة، ويستشرف آفاقه وتوجهاته المستقبلية.

- بلورة معالجة تكون مناسبة للواقع المعاصر والتنظير له فقهاً وفكراً، بناء على قراءة مباشرة لأصول الشرع الحنيف ووفق مناهج الاستنباط المعتبرة.

الخصوصية والكونية.. خطاب العالمية

كانت «عالمية الدعوة الإسلامية» واضحة الملامح منذ سنوات الدعوة النبوية الأولى، حيث أمر النبى الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - بأن يتجاوز مرحلتى السرية ودعوة العشيرة الأقربين، ليتوجه برحمة الرسالة الإسلامية إلى العالمين - وحتى قيام الساعة

[illegible]

(سبأ ٢٨)

[illegible]

(الأعراف ١٥٨)

وبناءً على هذا.. على الخطاب الإسلامى المعاصر أن يوازن بين خصوصية كل بيئة ومتعلقاتها الظرفية وبين عموم الرسالة، وذلك بإعادة بعث موعية جديدة من الخطاب العالمى، الكامن أساساً فى بنية الخطاب الدينى الإسلامى العالمى، الذى يستطيع تخطى حدود العالمية الإسلامية، إلى العالمية الكوكبية باتجاه الآخرين من غير المسلمين.

وعليه بالضرورة أن يعرف كيف يجتذب الآخر إليه، ليرتبط به على قاعدة الثقافة التى ترتكز على الفكرة والإحساس.

العلاقات البينية

ثقافة الاختلاف وأدب الحوار.. خطاب الائتلاف

يجب أن يؤسس الخطاب الإسلامى المعاصر فى حياة المسلمين اليومية ثقافة الائتلاف الذى يعمل على تعميق المشترك، وتعزيز الجوامع، وتوسيع قاعدة المتفق عليه. تحقيقاً لمرجعيات الوحدة، والتماسك الاجتماعى، والوئام المدنى، والسلم الأهلى.

كما أن عليه أن يكرس أدب الاختلاف.. انطلاقاً من مبدأ إقرار حق كل صاحب مذهب أو رأى معتبر فى تبنيه والدعوة إليه - وفق الأصول العلمية والعملية -، مع مراعاة أن الحق يقبل من كل من تكلم به، «كما قال ابن تيمية رحمه الله»[٤]، ومع ملاحظة أن «البصير الصادق يضرب فى كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها»، «كما قال ابن القيم رحمه الله»[٥]، مع رعاية رحم الأخوة، وحفظ الحرمات، وعدم التشنيع على المخالف والسعى بالإرجاف.

وينبنى الأمر فى هذا على ما أخبر به النبى الأكرم ﷺ من ثبوت ثوابين للمجتهد المصيب وثواب كامل للمجتهد المخطىء، فى الحديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[٦]، وفى هذا يوجز ابن تيمية - رحمه الله -: «لا يحل التشنيع والإرجاف بسبب مسائل تحتمل وجوها فى الفهم ومتسعاً من الرأى.. فمن كان من المؤمنين مجتهداً فى طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر خطأه كائنا ما كان، سواء كان فى المسائل النظرية العلمية، أم المسائل الفروعية العملية. هذا الذى عليه أصحاب النبى وجماهير أئمة الإسلام».

(٣) السابق ج ٦ ص ١١٤.

(٤) [illegible] عنه النبى رواه أبو داود فى سننه «اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً - أو قال فاجراً - واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال إن على الحق نوراً أو قال كلاماً هذا معناه» اهـ وقال فى منهاج السنة (٣٤٢/٢) «وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودى أو نصرانى فضلاً عن الرافضى قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق» اهـ.

(٥) الإمام ابن قيم الجوزية مدارج السالكين ٣٩/٢.

(٦) رواه البخارى برقم ١٩١٩.

(٧) [illegible]

[illegible]

لابد أن يبرز الخطاب الإسلامي المعاصر [illegible] تغليب قيمة الضمير على حكم القانون، وإلى تقديم ضوابط المجتمع على قبضة الدولة، وإلى الاهتمام بالإصلاح قبل الردع والعقاب، وإلى التأليف قبل التعريف.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية وهي تحمل نوازع الخير والشر:

[illegible]

(الشمس، الآيات ٦ - ١٠)

وجعل سبحانه الفلاح والخيبة مرهونة بسعي الإنسان لتزكية نفسه أو [illegible] بها، والإنسان منذ بدء الخليقة خُيِّر بين طريقين طريق الخير أم طريق الشر، ومن ذلك [illegible] رحلة [illegible] الإنسان بين نوازع الخير والشر في نفسه.

وإذا أصبح الإنسان رقيبا على نفسه كان أبعد عن الحرام شرعا، والممنوع قانونا، والمعيب عرفا. إنه لا يغدو ملاكا معصوما.. ولكنه يصير [illegible] يخطئ، لكنه لا [illegible] يعثر، لكنه ينهض [illegible] لكنه [illegible]

النقد والتقويم.. لا الانتقاص

[illegible]

هذا باب يجب على الخطاب الإسلامي أن يتناوله بقوة لعظم دوره

والأصل في إنزال الناس منازلهم دون بخس [illegible] شطط، وتقديرهم بما يستحقون دون إفراط ولا تفريط [illegible] على قول الله تعالى:

[illegible]

(المائدة ٨)

مع التنبيه إلى أن ليس مما يحسن أن يشغل المرء نفسه بمراقبة الناس ليحكم عليهم سلبا أو إيجابا. فمما روي من كتب الأنبياء السابقين - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - أن «على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه. ومن حسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه».

وإذا لم يكن بد من انتقاد شخص أو جماعة أو فكرة؛ فليكن بالإنصاف والاعتدال، ومعرفة [illegible] - لا العكس والانطلاق من أنه لا معصوم إلا من عصم الله - تبارك وتعالى -

ومع أن عندنا - نحن المسلمين - منهجا إلهيا، وهديا نبويا، وسيرة تاريخية طويلة توضح لنا كيف نتعرف إلى الخطأ في أنفسنا أو في غيرنا، وكيف نستطيع تصحيح الخطأ؟ سواء أكان خطأنا نحن أم خطأ الآخرين.. [illegible] أن هذا المنهج القويم أفاد منه الغرب - في الناحية الدنيوية - أكثر مما أفدنا نحن! فأرسوا قواعد النقد بين الحاكم والمحكوم، ووضعوا [illegible] وضوابطه (سواء في المجال الإعلامي، أو [illegible] الاقتصادي، أو السياسي، أو غيرها من المجالات)، [illegible] كل فرد منهم يعرف كيف ينتقد. وكيف يوجهه. وكيف [illegible] في كل قضية صغرت أم كبرت دقت أم عظمت، وأصبح كل إنسان منهم يحث على أن [illegible] في [illegible] المجتمع، وفي تصحيح الأخطاء، وفي توجيه الناس. أما المسلمون؛ فإن كثيرا من [illegible] إلى [illegible] إلى سلوك من يدعي امتلاك [illegible]

التواصل.. لا التقاطع، التكامل.. لا الذوبان: خطاب التعارف

[illegible]

[illegible]

(هود، ١١٨، ١١٩)

وليس هذا التنوع مقصورا فيما بين [illegible] الحضارية، بل [illegible] الحضارية الواحدة [illegible] على قدر غير قليل من التنوع [illegible] الكيانات الحضارية ضمن قوالب أحادية [illegible]، وتجاهل ما تضم الحضارة الواحدة من تفاعلات [illegible]

التعسف؛ الذي يقود حتما إلى مغالطات في التصور، وتجاوزات فيما يتفرع عن هذا التصور المغلوط من أحكام وقرارات وسياسات.

[illegible]

[illegible]

(الحجرات ١٣)

وأحد أهم الاشتراطات التي ينبغي تحقيقها [illegible] (غير المصادمة ولا المهيمنة) بين الأطراف [illegible]

[illegible] الاعتقاد بأن هذه الأطراف كافة شريكة في [illegible] المساهمة بجدارة في صنع الحاضر والمستقبل، وأن يتم التفاعل بمقتضى هذه [illegible] المشتركة.

فالتواصل بين خلق الله كافة واجب.. لكن دون استعلاء طرف وذوبان آخر. واعتزاز كل طرف بهويته مطلوب.. لكن دون [illegible] بين الشعوب مستحب فيما وقع خلال التاريخ من مثالب وأخطاء، لكن دون [illegible] الإيجابية!

الإسلام بين السلف والخلف



يرجع الاسلام فى اصل دعوته وتفاصيل شريعته الى قسمين:

(١) العقائد وما يلحق بها من أنواع العبادات.

(٢) الاحكام العملية التى ينظم بها شئون الحياة. وللعلماء فى بحث هذين القسمين طريقتان:

(١) طريقة السلف من العلماء الأولين الذين تلقوا دعوة الاسلام من معينها الصافى. لم تشبها الشوائب. ولم تتحكم فيها الاهواء ولا المذاهب: ولم تفرقها الفرق ولا الطوائف.

(٢) طريقة المتاخرين الذين خلفوا من بعدهم. بعد ان دخل فى الاسلام ما ليس منه: وطغت على عقول المسلمين فلسفات اجنبية. وافكار طارئة لا عهد لهم بها من قبل ونريد ان ننظر فى هاتين الطريقتين: لنعرف ايتهما هى الطريقة القويمة التى يصلح بها شأن المسلمين فى حاضرهم.

طريقة السلف

تمتاز هذه الطريقة بالبساطة المطلقة فى العقائد وما يتصل بها. فهى لا تعرف التعقيد. ولا تتكلف التأويل. ولا تنزل على أساليب الفلسفة النظرية ولا المنطق [illegible]. ولا تعتمد [illegible] والروايات لتصحيح العقائد أو تركيب العبادات. إيمانها بالله لا يعدله إيمان، مصدره الاقتناع النفسى، والاطمئنان القلبى، الناشئان من النظر فى ملكوت السموات والأرض، والتأمل فى بدائع هذا الكون، وإدراك أسراره والإذعان لقدرة خالقه. [illegible] عليه كتابه يتلى عليهم بكرة وعشيا، ويهديهم للتى هي أقوم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور. ورضا فيما وراء ذلك بما يخبرهم به الله أو الصادق الأمين عن عالم الغيب، لا يكلفون أنفسهم بحثه أو التعمق فيه، أو الوقوف على تفاصيله، علما منهم بأن الغيب لله لا يظهر على غيبه أحدا وبأن للعقل حدا يجب أن ينتهى إليه، ويقف عنده.

١ - كانوا يؤمنون بأن لله ملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكنهم لا يكلفون أنفسهم بعد ذلك [illegible] فى حقيقة هؤلاء الملائكة ولا تعرف كيفهم، وهل هم أجسام نورانية، أو أرواح علوية أو نحو ذلك؟

٢ - وكانوا يؤمنون بيوم الحساب. وبأن الله سيخرج للناس كتبا فيها أعمالهم. يلقونها منشورة، وبأنه سيضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا. ولكنهم لم يكونوا يكلفون أنفسهم ما وراء ذلك من معرفة كنه هذا الكتاب. ولا أين تكون ساحة هذا الحساب. ولا حقيقة هذه الموازين، وكيف تعد. وهل لها كفتان ولسان [illegible]

هى على شكل [illegible]، وهل هى من جنسه [illegible] وهل [illegible] لا [illegible] يكتب فى صحف ثم يوضع فى [illegible].

٣ - وكانوا يؤمنون [illegible] ولكنهم لا يكلفون أنفسهم [illegible] أو [illegible] هى [illegible] فوق السموات السبع أو تحتها، وكم مساحته [illegible] وكيف [illegible] كتب وكيف

٤ - وكانوا يؤمنون بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. ولكنهم لا يتطلعون إلى معرفة كنه هذه الحياة، ولا نوع هذا الرزق.

٥ - وكانوا يؤمنون بأن الرحمن على العرش استوى

[illegible]

(البقرة ١١٥)

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(الفتح ١٠)

[illegible]

(الحديد ٧)

ولكنهم لا يشغلون أنفسهم بالبحث فى الاستواء وكيف كان. ولا بالسؤال عن اليد، أو الوجه، وتأويل معناهما، ولا يتطلعون إلى معرفة حقيقة هذه الصاحبة وعلى أى حال تكون.

سئل مالك - رضى الله عنه - عن معنى الاستواء [illegible] فى القرآن [illegible] الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

وسئل على رضى الله عنه: كيف يحاسب [illegible] الناس يوم القيامة. وهل يكون ذلك دفعة واحدة [illegible] يحاسبون كما يرزقون

وكان عمر - رضى الله عنه - [illegible] هؤلاء [illegible] ويعنفهم ويعاقبهم. وقد [illegible] [illegible] فى [illegible] حتى [illegible] [illegible] من كان قبلكم بكثرة السؤال)

هذه طريقة السلف الصالح فى الإيمان بالله وما أخبر به من الغيب: لم يكونوا يكلفون أنفسهم شيئا من التفاصيل التى لم يذكرها الله فى كتابه ولم ترد عن الصادق الأمين من طريق يعول عليه فى إثبات العقائد. لأن العقائد إيمان [illegible] لا يغنى [illegible]

[illegible]

(يونس ٣٦)

وقد [illegible] من [illegible] قياس الغائب على الشاهد لا يستقيم وأن الله كلفهم بالإيمان بالغيب كما يريده غيبا يحتفظ به لنفسه ولا يطلع عليه أحد من خلقه.

[illegible]

(الأنعام ٥٩)

[illegible]

(آل عمران ١٧٩)

وعلموا أن الاشتغال بما لم يأذن به الله من هذه التفاصيل هجوم على الغيب وتعقيد للعقيدة وتشتيت لأفكار المسلمين، وصرف لهم عما يجب من العمل بمقتضى إيمانهم إلى أنواع من الجدل ليس فيها فائدة فى العقيدة ولا فى العمل.

وقد كان لهم فى العبادات شأن كهذا الشأن، يعبدون الله كما يريد الله. لا [illegible] [illegible] ولا يبتدعون فيه [illegible] [illegible] [illegible] يرجع [illegible] إلى [illegible] سبحانه وحده. [illegible] لا يستحون [illegible] ولا [illegible] [illegible] عن [illegible]

فيها، بل يوجبون في تشريعاتهم أوضاعا خاصة وملابس خاصة وأوقاتا خاصة، فهل يجوز للناس أن يبتدعوا أو يخترعوا في عباداتهم ما لم يأذن به [illegible]''

لهذا كله سلم الدين في عهد الأولين من الابتداع واتباع الهوى وسلم المسلمون من التفرق بالأهواء؛ ولم يدخل على العقائد والعبادات ما دخل من بعد ولم يكثر الزيغ والإلحاد، ولم تتحير العقول، ولم يتقاذف الناس في الدين والعقيدة تهم الكفر والزندقة و[illegible] على [illegible] بغير حساب''

أما سنة الأولين في النظر إلى المعاملات وأحكام الحياة واستنباط ذلك من شريعتهم، فقد فهموا أن الشريعة [illegible] وضعت لإسعاد العباد وتحقيق مصالح الناس وأنها تقوم على أساس العدل والرحمة، وأن السياسة الصالحة جزء من أجزائها وفرع من فروعها. فهموا ذلك، فلم يتعنتوا ولم يتزمتوا، ولم يضيقوا واسعا ولم يحجروا على العقول والأفكار، ولم يصادروا حرية الرأي، ولم يفرضوا على الناس مذهبا بعينه، ولم يقفوا أمام أحداث الزمن جامدين، بل وضعوا لكل مشكلة حلها، ولكل قضية قضاءها، وفتحوا باب الاجتهاد والرأي والنظر؛ ليسايروا سنة الله في الحياة التي لا تعرف الركود ولا الجمود والتي لا تنتظر المتخلفين والمترددين، ورسموا لذلك حدودا لا يقصد بها تقييد العقول ولا التضييق على الأفكار، ولكن يقصد بها تنظيم الفكر وتقويم الرأي، وتجنب الزلل وضمان الصواب.

[illegible] ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن مقاصد الشريعة الكبرى التي هي رعاية المصلحة وتحقيق معنى العدل والرحمة وتطبيق ما تقضي به السياسة الرشيدة والقياس الصحيح. وقد [illegible] دائرة الشريعة علما وعملا، ولبوا بها مطالب عصورهم، [illegible] حاجات [illegible] و[illegible]. [illegible] مع [illegible] الحكم و[illegible] في [illegible] الأمة والحفاظ عليها وحياطة دينها وشريعتها. وكان لهم في ذلك [illegible] الرؤوس وتكره [illegible] العقول، وتحدث عنهم بأنهم عرفوا لأنفسهم حقها ومتعوا عقولهم بلذات النظر والفكر.

انخصبت في ظل هذه الحرية الفكرية عقول المسلمين، واتسع نطاق الرأي والنظر في جميع علوم الإسلام، وكثر المجتهدون و[illegible] لأحكام الشريعة، وانبثوا في كل قطر من أقطار المسلمين، وصاروا يعدون بالمئات لا بالآحاد ولا بالعشرات؛ ووجد الخلفاء والأمراء والقضاة والحكام حاجتهم من المبادئ والأحكام والنظم والقوانين في الشريعة، فلم يحاولوا الخروج عليها، ولم تحدثهم نفوسهم بنبذ أحكامها أو [illegible] غيرها بها، [illegible] الشريعة [illegible] ينبغي لها من الاحترام والمكانة والكلمة العليا في المراكز العملية وقصور الحكم والسلطان [illegible] الإدارة.

هكذا كان شأن علمائنا السالفين في فهم العقائد وإدراك المقاصد وتطبيق أحكام الله، [illegible] فيما يتصل بالعقائد والعبادات [illegible] على [illegible] والتفرق بالأهواء والبدع، [illegible] في فقه الحياة. [illegible] الناس [illegible] الحياة. فماذا فعل الخلف من بعدهم؟

طريقة الخلف

لقد عكسوا طريقة السلف، ففصلوا ما كان مجملا، وأجملوا ما كان مفصلا، وضيقوا ما كان واسعا، وظلموا أنفسهم بتجاوز حدودهم، [illegible] على [illegible] شريعتهم.

١ – جروا في العقائد على تفصيل أدخل على المسلمين الفرقة والانقسام، وفتح أمامهم أبوابا من جدل المفضي إلى التشاحن والتدابر كانوا في غنى وسلامة منها، وشوهوا أمام الناس علم [illegible] بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وتجرأوا على الغيب يستطلعون خباياه ويستكشفون أسراره. و[illegible] العقائد [illegible] في [illegible] الروايات الموضوعة والأخبار الملفقة و[illegible] المسمومة.

و[illegible] عالم الروح [illegible] من [illegible] و[illegible] عن [illegible] في قبورهم والشهداء عند ربهم. [illegible] حقيقته [illegible] فيها [illegible] يسمعون [illegible]''

و[illegible] الملائكة [illegible] وأحوالهم و[illegible] ومقاييس [illegible] في [illegible] حتى [illegible] و[illegible]. [illegible] من [illegible] بعضهم وبعض''

و[illegible] و[illegible] وسعة [illegible] و[illegible] الأولين منها والآخرين، و[illegible] في تفصيل دقيق عن الصحف [illegible] و[illegible] [illegible] وعن [illegible] ومياهه و[illegible] وتدافع الناس من حوله وازدحامهم بالمناكب عليه، كما كانوا شهودا لكل ذلك [illegible] فيه [illegible] كأنما أطلعهم الله على برنامج هذا اليوم المشهود فهم يقرأون منه على الناس [illegible] مفصلا''

و[illegible] عن اللوح والقلم والعرش والكرسي. [illegible] الآخر [illegible] الله [illegible]، وكيف يكتب [illegible] ومن [illegible]. ومن [illegible] في [illegible] من [illegible] وكلماته. و[illegible] ذلك كله من عالم الغيب. وأنهم يتهجمون منه على ما احتفظ الله به. ويتعدون حدود [illegible] ودائرة عقولهم، ويركبون متن الشطط والغرور!!

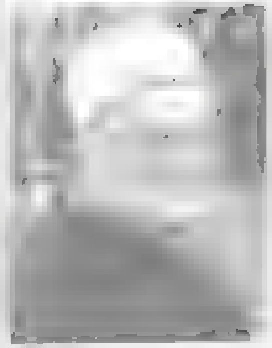
ثم [illegible] قضاء الله وقدره صورة تدفعهم إلى التواكل وتطمعهم في الركود والإخلاد، وتوهمهم أنهم مكبلون من فوق هذا الكون بقيود وأغلال لا سبيل إلى تحطيمها ولا إلى التخلص منها''

٢ – وأدخلوا على العبادات أنواعا من البدع لم يأذن بها الله يتصيدون لذلك من الأحاديث الضعيفة ما يؤيدون به شهواتهم ويخادعون به أصحابهم، حتى اختلط على الناس أمر الدين ولم يعد أكثرهم يميز بين ما شرعه الله وما [illegible]. ففي الصلاة بدع، وفي [illegible] بدع، وفي الحج بدع، وفي [illegible] بدع، وفي الأذان بدع، وفي تشييع الجنائز وزيارة القبور بدع [illegible] العبادات لم يكن يعرفها المتقدمون، وكوَّن العبث الهازل الذي لا يليق بأمة دينها الإسلام وكتابها القرآن.

٣ – أما في الفقه والتشريع وتطبيق أحكام الله على مشكلات الحياة وأمراض المجتمع وأحداث الزمن، فهناك الجمود والخمول: جمود أواهم عن التفكير، وباعد بينهم وبين إدراك روح التشريع، وتقدير المصالح و[illegible] فقه الحياة؛ وخمول زواهم عن الناس وأنساهم أنفسهم، وصرف العقول عنهم، وأيأس المفكرين منهم، وأضعف ثقة أهل الحكم والسياسة بهم وبشريعتهم؛ فذهبوا يلتمسون أحكام الحياة والمعاملات و[illegible] والعقوبات من شرائع [illegible]. ويحكمون في بلاد الإسلام بغير ما أنزل الله.

تركوهم لذلك وأشياعه يدرسون منه ما يدرسون، ويتركون منه ما يتركون، ويقطعون عنه ما يقطعون، ومراكز الفقه والتشريع و[illegible] و[illegible] في أيدي غيرهم، وكراسي الحكم والنيابة خالية منهم، وبيئات العلم والأدب حافلة بهم معرضة عنهم، والأمة لا تراهم إلا حيث يكون الاحتفال والأعياد.

مسئولية الحاكم



[illegible]

تشهد مصر حاليا صراعا محموما على الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية. وترى تجاوزات من بعض المرشحين فى سلوكياتهم وأقوالهم، بل ووصل بعضهم إلى التهديد والوعيد واستخدام السلاح فى وجه من يخالف تأييدهم.. وإلى اتصاف بعضهم بصفة الكذب فى أحاديثهم وتصريحاتهم، مع أن الكذب من أخس صفات الرذائل. فالمتصفون بها يعيشون على خديعة الناس. قال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[1].

وسئل رسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا».

فالكذب كبيرة من الكبائر، وقد توعد الإسلام من يفعله بالعذاب الأليم يوم القيامة. [illegible]

[illegible]

(الصف: ٢، ٣)

والولاية التي يهرول المرشحون إلى تقلدها مسئولياتها كبيرة، وأعباؤها جسيمة، وأوزارها ثقيلة، وحسابها عند الله عسير، فزمام الأمور كلها بيد الحاكم، وهو حمى الله فى بلاده، وظله الممدود على عباده، به ينتصر مظلومهم، ويرتدع ظالمهم، ويأمن خائفهم، ويقوى ضعيفهم، ويضعف قويهم، وينصف جائعهم.

وهي أمانة يتحمل تبعاتها أمام الله، من فرط فيها ولم يعطها حقها فويل له من يوم عظيم [illegible] وحسابه عسير.

[illegible]

(الحج: ٢)

ويصف لنا رسول الله ﷺ الإمارة في الحديث الذى يرويه عوف بن مالك - رضى الله عنه - فيقول: «إن رسول الله ﷺ قال: إن شئت أنبأتكم عن الإمارة وما هى؟ فناديت بأعلى صوتى: وما هى يا رسول الله؟ قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل، وكيف يعدل مع قريبه؟».

ويشعر بمسئوليته ولاته ويخوف من سعة بيعته، [illegible] فقد روى عن أبي وائل شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استعمل بشر بن عاصم - رضي الله عنه - على صدقات هوازن، فتخلف بشر، فلقيه عمر فقال له: ما خلفك؟ [illegible] قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولي شيئا من أمر المسلمين أتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا». قال: فخرج عمر - رضي الله عنه - كئيبا محزونا، فلقيه أبو ذر - رضي الله عنه - فقال: ما لي أراك كئيبا حزينا؟ فقال: ما لي لا أكون كئيبا حزينا وقد سمعت بشر بن عاصم يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ولي شيئا من أمر المسلمين أتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا. فقال أبو ذر: أو ما سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال عمر: لا. قال أبو ذر: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ولي أحدا من المسلمين أتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا، وهي مظلمة سوداء، فأي الحديثين أوجع لقلبك؟ قال: كلاهما قد أوجع قلبي، فمن يأخذها الولاية بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض، أما إنا لا نعلم إلا خيرا، وعسى إن وليتها من لا يعدل فيها أن لا تنجو من إثمها.

[illegible] الحاكم راع وهو مسئول عن رعيته كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

ولقد أدرك سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مسئوليته نحو الرعية، وعرف عموم مسئوليته فقال كلمته المشهورة: لو أن بغلة عثرت بأرض العراق لسألنى الله عنها يوم القيامة لم لم تسو لها الطريق؟

فحق على من قلده الله أزمة حكمه، وملكه أمور خلقه، [illegible] ومكن له فى سلطانه أن يكون بالغ الاهتمام بمصالح رعيته، ولا يعتمد [illegible] بحيث وضعه الله فى منزلة من الكرامة، وأجرى عليه من أسباب السعادة. قال الله عز وجل:

[illegible]

(الحج: ٤١)

ومن مسئوليته رعاية الحاكم أن يتتبع عمال ولاته على الأقاليم والأمصار، فلا ينشغل هو وولاته بأنفسهم عن الرعية، [illegible] الشخصية على حساب مصالح الرعية، ويتملك الأراضى والعقارات، والمؤسسات والشركات، وجمع الأموال بطرق غير مشروعة

وتهريبها للخارج؛ لأن في هذا الانشغال عموم البلاد [illegible] وضياع الرعية وتحكم الأعداء.

ولى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الصحابي الجليل سعيد بن عامر إمرة حمص بالشام، وكان مشهورا بالورع والتقوى والزهد في الدنيا، فقدم [illegible] حمص، وسادت الأمن والأمان ربوع البلاد، وأصبح الجميع في أحسن حال وعلى خير ما يرام.

وفي يوم من الأيام وصلت شكوى إلى الخليفة عمر بن الخطاب من أهل حمص يشكون فيها واليهم الصحابي الجليل سعيد بن عامر فسافر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب بنفسه إلى حمص ليحقق في الشكوى، واستدعى الشاكين وجمعهم مع الوالي وبدأ التحقيق، فتقدم أحد الشاكين يتحدث باسمهم فقال:

يا أمير المؤمنين [illegible] نشكو منه أربعة:

الأولى: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار.

الثانية: لا يجيب أحدا بليل.

الثالثة: [illegible] في الشهر يومان لا يخرج فيهما إلينا ولا نراه.

الرابعة: تصيبه حالة لا حيلة له فيها لكنها تبعث فينا الضيق والقلق [illegible] تعتريه بين الحين والحين.

ثم جلس الرجل، فالتفت سيدنا عمر بن الخطاب إلى الصحابي الجليل سعيد بن عامر وقال له: ما لديك للدفاع عن نفسك؟ فقال الصحابي الجليل سعيد بن عامر: والله لقد كنت أكره ذكر الأسباب أما ولا بد من ذلك فسأشرح الأمر.

أما قولهم: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار [illegible] ليس لأهلي خادم فأنا أعجن عجيني ثم أدعه حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ للضحى وأخرج إليهم.

وأما قولهم: لا أجيب أحدا بليل، فإني جعلت النهار لهم والليل لربي عز وجل.

وأما قولهم: [illegible] في الشهر يومين لا أخرج فيهما فليس لي خادم يغسل ثوبي وليس عندي ثياب أبدله، فأنا أغسل ثوبي ثم أنتظر حتى يجف وفي آخر النهار أخرج إليهم.

وأما قولهم: إن الغشية تأخذني بين الحين والحين فذلك لأني شهدت مصرع خبيب بن عدي الأنصاري - وأنا مشرك قبل أن يهديني الله إلى الإسلام - وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذع نخلة وهم يقولون له: [illegible] خبيب [illegible] في [illegible] محمد مكانك [illegible] معافى؟ فيقول خبيب: والله ما أحب أني في أهلي وولدي [illegible] محمد تشاكه شوكة [illegible] والله كلما تذكرت ذلك اليوم وكيف أني تركت نصرته [illegible] أن الله لن يغفر لي [illegible] خوفا من عذاب الله ويغشى علي [illegible].

فلم يتمالك سيدنا عمر بن الخطاب نفسه وصاح بأعلى صوته وهو في قمة فرحته وسعادته [illegible] لله في [illegible] فقال: الحمد لله الذي لم يخيب فراستي.

[illegible] الصحابي الجليل سعيد بن عامر [illegible] بتقواه وورعه وزهده وخشيته من الله [illegible] الأعلى ما يجب أن يكون عليه من يلي أمرا من أمور المسلمين من التقوى والنزاهة والزهد والورع.

[illegible] من مسئوليات الحاكم الكبيرة والتي يترتب عليها صلاح أمره [illegible] حكمه [illegible] في اختيار بطانته ومعاونيه، لأن الحاكم إذا كان في حاجة إلى قوة الإرادة، وبعد النظر، والاتصاف بالحكمة وحسن الخلق، ورجاحة العقل [illegible] بصيرة [illegible] فهو في أشد الحاجة إلى من يقف إلى [illegible] بصيره بمواقع أقدامه، ويكشف له عن وجه [illegible] يعرض عليه من شئون، ويكون شجاعا [illegible] في توجيه النصح والإرشاد إليه.

[illegible] الحاكم وحكمته [illegible] فراسة في اختيار رجاله الذين يعينونه على إدارة [illegible] حكمه، وعلى قضاء مصالح الرعية [illegible] عليه [illegible] وشرطته.

[illegible] عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد إلى [illegible] قال له: أوصيك بثلاثة: حاجبك فإنه [illegible] الذي به تلقى الناس إن أحسن [illegible] وإن [illegible] وصاحب [illegible] فإنه سوطك وسيفك حيث وضعتهما [illegible] وعمال القدر، وذو الشرف [illegible]، قال: وما عمال القدر؟ قال: أن تختار من كل كورة - مدينة أو بقعة - رجالا لعملك، فإن [illegible].

إن بطانة الحاكم وحاشيته قوة مؤثرة في توجيه دفة الحكم فإذا كانت صالحة، صلح الحاكم وإن كانت فاسدة فسد حاكمها.

[illegible]

ويحكم، قبل أن يكون الجيش والشرطة والأمن المركزي في قبضة يده تحت أمره ورهن إشارته؟ لأنه من المسلم به أن بطانته وحاشيته ومستشاريه ومعاونيه وعماله سيكونون من هؤلاء المتعصبين له، الذين لا يعترفون بالرأي الآخر، ولا يسلمون بحرية [illegible] غيرهم.

إن صوتك أيها الناخب أمانة سيحاسبك الله عليها، وشهادة ستسأل عنها، وتزكية للمرشحين [illegible] الشهادة. [illegible] في الشهادة [illegible] الكذب. فمن [illegible] في كفاءته وأمانته فقد كذب وزور، ولم يقم بالقسط. والله تبارك وتعالى يقول:

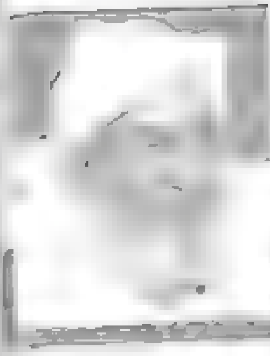
﴿ [illegible]
[illegible]
فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾

(النساء: ١٣٥)

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر [illegible] ثلاثا [illegible] قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وجلس وكان متكئا فجلس، وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت!!»

[illegible] التزوير [illegible] الكبائر [illegible] لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وخطره على الأفراد في القضايا الخاصة، وخطره على الأمة في [illegible] ومن ثم خوف الرسول منه على هذا النحو الصارخ.

خطاب التجديد



خطاب التجديد موجه الى الجميع، الى كل من يبحث عن صالح هذه الامة انطلاقا من قناعته ان مستقبل الامة هو ما سيصنعه الجميع.

خطاب التجديد خطاب متان متئد حينما يتعلق الامر بالمقولات والمفاهيم الإنسانية والاجتماعية التى تقترحها المعاصرة. بل انه يتعامل بشيء من البطء والتروى إلى حد الانتقاء فى الوقت الذى يبذل فيه كل جهد لاستيعاب الجانب العلمى والتكنولوجى باكبر قدر من السرعة المحكمة. مندفعا للمنافسة فى هذا الجانب بكل قوة.

خطاب التجديد خطاب حضارى واع لا يوجه اللوم إلى أحد. اذ يعتبر الجميع بفضائلهم ونقائصهم ومزاياهم ورزاياهم ثمرة ثقافة هذه الحقبة التى نعيشها.

إنه دعوة إلى بناء إنسان جديد فخور بأصالته، متفاعل مع عصره، وهو يهدف إلى تنشئة جيل عربى فاعل وليس مفعولا به. [illegible] والخلقية والنفسية والعلمية المنافسة فى ميدان الحياة ومواجهة الغد القادم بتحدياته ومجهولاته.

خطاب التجديد [illegible] هو ان الإشاحة بوجوهنا، والصدوف [illegible] من منطق استنقاق ثقافتنا ومنطق اليأس منها، وكذلك الاكتفاء على الذات ومنطق اليأس من خير المعاصرة سيخلقان ويخلدان التمزق والضياع.

وبالعكس فإن أى خطوة جادة نحو فكر التجديد وممارسته ستنعكس إيجابيا على [illegible] ومردودية الإدارة و[illegible] وقيمة الوقت والعلاقات الإنسانية والأمن البشرى، وسيكون المردود إيجابيا على العالم كله حيث سنوفر معبرا إلى رحاب التنوع الثقافى لما لعالمنا من صلات تاريخية بنفس التواصل، ولما لموقعنا الجغرافى بين العالم الأصفر والأبيض وتشابك علاقتنا الثقافية مع

[illegible] عنوانه.

[illegible] هى أسس التجديد فى المكونات الثقافية الثلاث فى تعاملها مع بعد [illegible]

[illegible] فى الشريعة [illegible] قيم التسامح والعدل [illegible] والتعايش والتواصل [illegible] والوحدة والتعدد فى [illegible] وهو تعدد تغلبه مرونة [illegible] الفقه وتنوع دلالته وتوسع نطاق [illegible] الاجتهاد فى ضوء الزمان. [illegible] مقولة هى التأكيد حق ان الشريعة صالحة لكل زمان ومكان. [illegible] الاجتهاد على [illegible] بين الزمان وبين الشريعة [illegible] ومقاصد وأصولا وقواعد. انطلاقا من مبدأين: العقل، والمصلحة. [illegible] لثلاثة مقاصد: الضرورى، والحاجى، والتحسينى، وتطبيقا لخمس قواعد

١- [illegible] الشك لليقين.

٢- تحكيم أعراف الزمان.

٣- إزالة الضرر وضرورة الإنسان.

٤- رفع المشقات وإحلال اليسر فى التكليف محل العسر.

٥- الجريان فى التكليف على المقاصد لا على الصور.

بالإضافة إلى الأدلة التى تستند إلى معقول الشرع كالقياس والاستحسان وسد الذرائع والمصالح المرسلة، أضف إلى ذلك التعامل مع سلم الضرورات والحاجات العامة التى تغير مقتضى الأوامر والنواهى فى الشريعة طبقا لما يسمى بالرخص بأنواعها.

فى اللغة: فى إحيائها وتعميمها [illegible] فروعها [illegible] وغريب [illegible] التى لا تدوى. انطلاقا من [illegible] فى [illegible] فى المفردات [illegible] والاشتقاق وأوزان الجموع [illegible] فى لغتنا العربية ثلاثون جمعا يقابلها [illegible] فى اللغة العربية التى تعلمت [illegible] وضاعت [illegible] [illegible] ولفظ [illegible] من العربية فى القرن الثامن الميلادى بالأندلس. فهل [illegible] ثلاثين [illegible]

فى الآداب: بإحيائها نثرا وشعرا [illegible] فى [illegible] وفى شتى مقاصده، يجب أن تصدح الوادى والبيوت بجماله وفنونه، وتشدو طير الحمائل من جديد على أزهارها المونقة فى رياضه المورقة بأنغامه ولحونه.

فى العادات والتقاليد: بإحياء الصناعات والتقاليد والفنون الجميلة، وباتخاذ كل الطرق التربوية لاستمرار التماسك الأسرى، وحب الأدنى، وبر الوالدين، والشهامة والكرم، وإسعاف الآخرين، والوفاء، والبر، والسماحة، كما قال امرؤ القيس:

وتعرف فيه من أبيه شمائلا
من خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا
ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

يجب أن تقدم هذه العادات والتقاليد

في مشهد الإنسان الأخير. وهو صورة لإنسان الغرب المستقبلي عند فوكوياما المستمدة من الفيلسوف نيتشه. حيث يرى أن إنسان الديمقراطية الليبرالية سيكون حرًا بالأخلاق [illegible] لا قيم له ولا حق ولا غيرة [illegible] لا يهمه إلا مصالحه الشخصية وشهواته الخاصة [illegible] (بلا جدة).

[illegible] سيهدد [illegible] التي هي قيم ديننا وتراثنا ستسهم في تقديم نموذج بشري سوي [illegible] هذه المكونات [illegible] متجددة في نفسها [illegible] في [illegible] مستعدة [illegible] متفتحة مع [illegible] معاصرة في حيويته ومقولاته الإنسانية [illegible] في عمومه وتفسيراته التي تقترح [illegible] جديدة يجب أن نعرى [illegible] عميقة يجب أن [illegible]

وسائل هذا التجديد

حيث إن خطاب التجديد مسئولية [illegible] مع كل فعاليات الأمة [illegible] جميع حكومات وأفراد وجمعيات [illegible] الوسائل الكفيلة بتنفيذه، فتصبح [illegible] لا قيمة لها في حد ذاتها إلا بقدر ما تؤديه من وظيفة نافعة، إلا أن العلماء والمفكرين يتحملون عظم مسئوليته، فهم الذين سيقع عليهم عبء ترجمته من سماء النظريات والرؤى الفكرية إلى أرضية التطبيق ليصبح برنامجا علميا يصلح للتنفيذ في ظروف الأمة [illegible] ومكانية، وفي ظروف كل جزء منها على حده.

[illegible] المكتبات التي [illegible] في الشريعة الإسلامية [illegible] واسعة من حيث [illegible] نشر [illegible] وتشجيع [illegible] والجماعة حتى يصبح أكثر [illegible] مع [illegible] مقتضيات العصر الحديث. ولكن [illegible] أكثر [illegible] يصبح وضع خطط علمية ضرورية [illegible] على [illegible] المبادئ والأصول [illegible] والمكتبات في ضوء مقترحات معاصرة وعلى خلفية تطوير [illegible] الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، ولا يكتفي [illegible] من هذه المبادئ [illegible] تكون [illegible] الاجتهادية [illegible] كما [illegible] هذه [illegible] التعليمية والجامعات والمراكز الحكومية والخاصة. كما [illegible] في وضع مفرداتها وتفصيلاتها.

كما [illegible] التاريخ [illegible] شخصية [illegible] فقط [illegible] من [illegible] العبقريات السياسية والقيادية مع ظروفها التاريخية.

كما أنه يجب إدماج الدراسات [illegible] الإسلامية [illegible] علم النفس الحديث؛ لتكوين الشباب المؤهل نفسيا لمواجهة التجديد.

---

(١) تراجع مقدمة فوكوياما، نهاية التاريخ، الترجمة الفرنسية

وفي [illegible] ستكون [illegible] حيز [illegible]، وكذلك النوادي، وكل الهيئات [illegible] ذات [illegible]

[illegible] الصحافة والجامعات والمراكز العلمية يجب أن تكون أكثر [illegible] حيوية، ويجب التركيز على البحوث العلمية المتكيفة مع البيئة المحلية

[illegible] في النهاية [illegible] مستقبل ثقافتنا هو ما سيكون [illegible] مستقبل [illegible] سيكون. وهو ما نريد [illegible] على خطط محددة في [illegible] الثقافة وتحديد [illegible] ثقافية. ووضع خطط زمنية [illegible] مراحلها. [illegible] ذلك أن [illegible] بشكل [illegible] في [illegible] الأهمية. وقد تكون [illegible] الأهمية [illegible] الاقتصادية التي [illegible] جزئي لبعض السلع والانشاء [illegible] حرة للمبادل التجاري

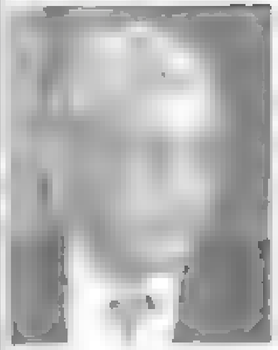
[illegible] ثقافة [illegible] قوية [illegible] راسخة الجذور، خبرت أزمات التدويج فحولت خسارة [illegible] إلى أتباع وخدام أوفياء. إن أحزمة أمنها منتشرة في العالم الإسلامي

واخيرا

[illegible] التجديد الذي نريده سيكون انطلاق من القوى المعنوية [illegible] عبر معادلات ومرتكزات جديدة [illegible] خلاقا مستوعبا [illegible] متجاوزا [illegible] والتكيف [illegible] الاحتراف [illegible] والشراكة الحضارية [illegible]

إنه تطور نابع من عبقرية الأمة [illegible] ميدان على مستوى التجديد التاريخي [illegible] المشروع الحضاري [illegible] الواعي [illegible] والتاريخ في بوتقة الحاضر [illegible] في [illegible] وتناسق. في [illegible] قديم في [illegible] جديد في [illegible] أصيل في [illegible] ولهذا فهو الجديد [illegible] القديم [illegible] الذي يجعل من التراث حافزا، ولا يقيم منه حاجزا.

ما أحوجنا إلى التجديد



كثيرا ما يقرأ المسلم عن الخواص المميزة لشريعته الغراء، ومنها خاصية صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان. وقد لا يشغل باله بما يحقق هذه الخاصية. ولكن في لحظة تامل، قفزت الى الذهن فكرة فيها تبيان لهذه الحقيقة. وهي ان نصوص الشريعة من الكتاب والسنة ثابتة، محفوظة كما أنزلت، لا تتغير ولا تتبدل. ولكن في المقابل ظروف واقع الحياة، هي دائمة التغير والتبدل، حسب الزمان والمكان. ونظرا لمرونة فهم هذه النصوص، فإنه باعمال العقل فيها، يمكن الوصول لافضل التطبيقات، التي تتناسب مع كل زمان ومكان.

وفي هذا الإطار، يمكن فهم الحديث الصحيح، الذي رواه أبو داود والحاكم والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها»، وفي رواية: «أمر دينها». وليس المقصود بهذا التجديد، هو الإتيان بنصوص جديدة، يقام عليها صرح الإسلام. [illegible]

[illegible]

ولكن التجديد المقصود هنا، هو إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة، [illegible] المستعملة في تحقيق هذا التجديد، لابد أن تكون هي العقل، بربط المبادئ بالواقع، [illegible] فإن أهم ما يميز المجدد، أن يكون مستعملا لعقله، ليأتي بما هو جديد، مواكبا لما يستجد في حياة الناس.

وعلى العكس من ذلك [illegible] جمود أمة الإسلام، [illegible] استعمال ملكات العقل عند أصحابه من أبنائها، وهذه جريمة لا تغتفر في حقها. وهنا تجدر الإشارة إلى ما قاله أحد مفكري الإسلام المعاصرين، من أن الدين الإسلامي يتميز بمرونة تحببه إلى النفس البشرية.

وقد كانت بعض فترات من التاريخ، نسب الإسلام فيها - ظلما - إلى الجمود، فإن ذلك لم يكن للإسلام ذنب فيه، وإنما الذنب، كان ذنب بعض المسلمين، الذين جمدوا وتحجروا، [illegible] الإسلام، وكيف يكون الإسلام جامدا وهو الصالح لكل زمان ومكان؟!، وآية ذلك [illegible] للعقل وتقديسه، وهو في ذلك وحيد بين الأديان جميعا سماويها ووضعيها، ففي حديث الصحيح [illegible] رجل مثل فضل عقل، يهديه [illegible] إلى هدى، ويرده عن ردى، [illegible] حتى يكمل عقله، ومن ثم فلا غرابة في أن تجعل شريعة الإسلام العقل مناطا للتكليف، سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات، وبينما يرفع التكليف عن ذاهب العقل بجنون أو عته، لقول الرسول ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة [illegible] والمجنون حتى يفيق».

ومن الأمور التي تقف عثرة أمام فكر التجديد، ما يحلو للبعض إثارته من حين لآخر، حول البدعة في الدين، استمساكا بما ورد بالحديث الشريف القائل: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، ولإزاحة هذه العثرة من طريق الدعوة الخالصة لدين الله تعالى، يتعين الرجوع إلى الفكر الواعي لعلماء الأمة الثقات، وأخذ الرأي الصائب عنهم في مثل هذا الأمر الدقيق، الذي يتطلب الفهم العميق لما جاءت به الشريعة الغراء، من أحكام تجعلها صالحة لكل زمان ومكان. [illegible]

ولا تجديد مقيود ببدعة

فكما قال صاحب القاموس، البدعة هي: الحدث في الدين بعد الإكمال، وما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء، وقال غيره هي: اسم من ابتدع الشيء، أي اخترعه وأحدثه، ثم غلبت على ما لم يشهد الشرع بحسنه، وعلى ما خالف أصول أهل السنة والجماعة في العقائد، وأن يكون الحامل عليه مجرد شهوة.

وفي هذا الإطار يمكن فهم الأحاديث النبوية، التي تشير إلى ذم البدعة، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن غضيف بن الحارث رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة»، وفي رواية أخرى عند الطبراني: «ما من أمة ابتدعت، بعد نبيها، في دينها بدعة، إلا أضاعت مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة». وقد قال العلماء [illegible] في الأديان [illegible] المسلمين [illegible] السنة في تهذيب أنفسهم، بالاقتداء في الاهتداء بهدى نبيهم، تولاهم الشيطان، وسلك بهم سبل البهتان، وما كذب أحد بحق إلا

(١) أخرجه أحمد في مسنده

عوقب بتصديقه بباطل، وما ترك سنة إلا [illegible] بدعة [illegible]. [illegible] التمديد [illegible] أخرى [illegible] كما في قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾ (الإسراء: ٨٩)

وقد تكفل الله تعالى بحماية دينه [illegible]. فقد روى [illegible] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «إن لله تعالى عند كل بدعة، كيد بها الإسلام وأهله، وليا صالحا يذب عنه، ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا [illegible]، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلا».

وبذلك تكون البدعة على خلاف السنة، [illegible] من الأحكام، فقد تكون فرضا كزكاة الفطر، وقد تكون [illegible]. كصلاة العيد [illegible] الجماعة فقد روى مسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد عن جرير رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

ثانيا: هل حقا كل بدعة ضلالة؟!

إن الأساس الذي يستند إليه دعاة الذم في كل ما هو جديد، الحديث النبوي الشريف، الذي رواه مسلم والنسائي [illegible] عن جابر [illegible] ﷺ، إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته [illegible] يقول: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أتتكم الساعة بغتة، بعثت أنا والساعة هكذا، صبحتكم الساعة ومستكم، أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي، وأنا ولي المؤمنين».

إلا أن هذا الحديث يحتاج في فهمه إلى عقل متفتح، يتدبر معاني جوامع الكلم ومقاصد من أوتيها صلى ﷺ، من هذا الكلم. فإذا كانت عبارة «كل بدعة ضلالة»، تفيد الاستغراق، أي تشمل جميع البدع، فإن العقل والمنطق يقضيان [illegible]. [illegible] على البدع [illegible] في أمور الدين، من العقائد والعبادات دون [illegible] المعاملات. [illegible] ولا تتعارض مع صحيح [illegible] يقول قائل: إن بناء السدود وتشييد القناطر ومناهج التعليم وغير ذلك، من البدع التي تدخل تحت هذا الاستغراق فتكون ضلالة، [illegible] في النار والعياذ بالله، بل إن من العلماء من قال: إن المراد بالمحدث الذي هو بدعة وضلالة [illegible] له في الشرع [illegible] عليه [illegible] شبهة [illegible]، أو جاء على خلاف محدث [illegible] في الشرع [illegible] على [illegible].

[illegible] من هذا الإشكال [illegible] العلماء على الأعمال المستحدثة، التي لها أصل في الدين، ما يمكن تسميته بالبدعة الحسنة، وذلك على نحو ما روى الترمذي وابن ماجة، عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: [illegible] من أحيا سنة من سنتي، قد أميتت بعدي، كان له من الأجر، مثل من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة [illegible] لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه [illegible] من عمل بها، لا ينقص ذلك من [illegible] شيئا». وقد قال العلماء، في [illegible] ضلالة، أي في العادات، وقد يكون في العبادات، على نحو ما يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عندما جمع [illegible] على صلاة التراويح في شهر رمضان، وقال: نعمت البدعة هي.

ثالثا: متى تبدع هذه الأمة

على ما يبدو أن هناك خصاما، بين [illegible] الإسلام وعقارب ساعة [illegible]، فالناس من حولنا، أيا كان [illegible] من حيث الدين أو الجنس أو الوطن، أو غير ذلك، يتعاملون مع هذه الساعة، وفق دوران عقاربها، في حركة [illegible]، على مر الأيام [illegible] الذي تنتجه هذه الحركة، مع [illegible] على [illegible] التي [illegible] المستمدة من الدين والقيم الأخلاق، التي لا خلاف حولها. [illegible] قدرا لا يستهان به من التقدم في شتى مجالات الحياة، على الرغم من أن ديننا، حمل ما لا يحصى من أسباب هذا التقدم، وأمرنا بالأخذ بها.

وكثيرا ما كنت أجد نفسي في حيرة، عند سماع كلمات يرددها بعض أهل الفكر من الشرق أو الغرب على السواء، فحواها أن المسلمين موقعهم، خارج التاريخ منذ أكثر من أربعة قرون، وكنت أشعر أن هذه الكلمات، تحمل اتهاما مبالغا فيه، لأمة دينها يضعها في قلب التاريخ، ولكن هذا الشعور يأخذ في الانحسار، عندما أجد علماء هذه الأمة، قد شغلوا أنفسهم بأمور، أبسط ما يقال عنها: إنها من المسلمات، التي لا تقبل الجدل حولها، بأي حال من الأحوال، ولكن البعض من هؤلاء [illegible]، لا [illegible] حكم عليها بالبدعة، [illegible] من [illegible] العادات، ولا تمت للعبادات بصلة، كالأمور المتعلقة بالبحث العلمي في المجالات المختلفة، من طب وهندسة و[illegible] وغيرها.

إن من أوجه العظمة في دين الإسلام، أنه احترم التخصص في العلوم، ولم ينكر على المسلم أن يأخذ بعلوم الدنيا، كما هو الشأن في علوم الآخرة. فقد روى مسلم والإمام أحمد والبيهقي عن أنس بن مالك والسيدة عائشة رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: إذا كان شيء من أمر

دنياكم، فأنتم أعلم به، وإذا كان شيء من أمر دينكم فإليّ». وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه: ما تقولون؟ إن كان أمر دنياكم فشأنكم، وإن كان أمر دينكم فإليّ».

وقد ضرب الرسول ﷺ المثل الرائع في احترام هذا التخصص، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك والسيدة عائشة رضي الله عنهما، قالا: مر النبي ﷺ بقوم يلقحون النخيل، فقال: لو لم تفعلوا لصلح. فخرج شيصاً. فقال: أنتم أعلم بأمر دنياكم. وقد قال العلماء: إن الرسول ﷺ أراد أن يقول أنتم أعلم بأمر دنياكم مني، وأنا أعلم بأمر أخراكم منكم. فإن الأنبياء والرسل إنما بعثوا لإنقاذ الخلائق من الشقاوة الأخروية، وفوزهم بالسعادة الأبدية، وهذا يؤكد حرص الإسلام على انطلاق البحث العلمي في شتى فروع المعرفة، دون أن يحصر أتباعه في عبادات لا تكفي وحدها، لتحقيق رسالتهم الجليلة في الحياة.

والإبداع الذي نتطلع أن تأخذ به أمة الإسلام، لا يقتصر على ناحية واحدة في الحياة، كالعبادات الراتبة، من صلاة وصوم وحج وعمرة وغيرها. ولكن يجب أن يمتد حتى يشمل كل مناحي هذه الحياة الدينية والدنيوية. فيكون هناك الإبداع العلمي والفني والثقافي والاقتصادي وغير ذلك، على نحو ما درجه سالف علماء الإسلام. الذين برعوا وأبدعوا في الطب، فكان منهم ابن سينا، والخوارزمي، وجابر بن حيان، وغيرهم الكثير والكثير، مما يعجز الحصر عن الإحاطة بهم، ومن المعيب والعار على أحفاد هؤلاء العلماء النجباء. أن يتحجروا في السير على منوالهم. ويتحجروا في دائرة البدعة والضلالة. فيما هو خارج هذه الدائرة.

وفي بعض الأحيان ينظر المرء حوله، فيعجبه ما يراه من إقبال كثير من المسلمين على أمور العبادة، ويتوقف عند الكثير من أحوال هؤلاء العباد، ويسائل نفسه بين الحين والآخر: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا نحن على هذه الدرجة من التخلف في شتى مجالات الحياة؟. وربما تسيطر الحيرة على النفس من هذا الأمر، ولا سيما والعلم اليقين أن الدين، الذي طلب من أتباعه التقيد بهذه العبادات. هو ذاته الذي أمرهم بعمارة الأرض، واتخاذ كل الوسائل، التي تحقق لهم الرقي والتقدم في كل هذه المجالات، حتى قيل إن التفكير فريضة إسلامية.

إن اعتدال الميزان في يد المسلم، يقتضي منه تحقيق الاستواء بين كفتيه، وذلك بالتعامل مع الدنيا والآخرة على قدم المساواة، بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى، وهذا ما لفت إليه النظر الرسول ﷺ بقوله الذي رواه صاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه: «أصلحوا دنياكم، واعملوا لآخرتكم، كأنكم تموتون غداً» وذلك كما قال العلماء: أي أصلحوا معاش دنياكم، بتعهد ما في أيديكم، بتحصيل حلال المكاسب لمعونته على دينكم، ومكارم أخلاق الإسلام

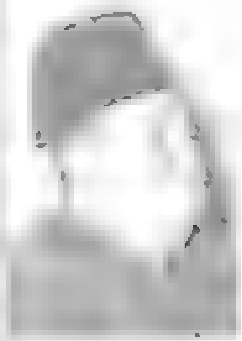
في ذكرى الإسراء



[illegible]

يا أمة العرب والإسلام هات بنا ... وهاكها، حلقاً شدت إلى حلق
نحيي ونحيي لإسراء الرسول وللمعراج ... ذكرى من الإيمان والألق
وفي حنايا جراح لا شفاء لها ... وفي الحناجر وخز الهم والأرق
فالقدس نهب وتنكيل ومحسورة ... وفي فلسطين حرب الفتك والرهق
ومسجد الحرم الأقصى يدنسه ... من اليهود غرام البغي والشبق
يا عالم العرب والإسلام حتى على ... الكفاح، جلجل أمر الله أن أفق
أعدد بعزم ليوم نروع عدته ... وأعلن العهد في إيمان معتنق
عهد الجهاد، ويوم الفتح مرتقب ... فمد «عاصمة» الإسلام واستبق
إن الفداء، حبيبة غلائي بذلوا ... أرواحهم في سبيل الله من ومق
وطالب الحق لا يخشى غوائله ... في الله، كم طال للحق فيه لق
هي الطريق، طريق الله، واحدة ... وأشقياء غرور العقل في طرق
يا أمة العرب والإسلام في بلد ... الأحرار في مغرب الأمجاد والسبق
يستنجد «المسجد الأقصى» لنصرته ... في يوم إسراء خير الخلق والخُلُق
يارب، فابعث له منا نواجده ... وانصر جنودك واحم «الفتح» من زلق
عليك نقسم بالقرآن، تلبية ... يا رب، يا خالق الإنسان من علق

أومــــن باللـــــه



● اتممت العام الحادى والخمسين من عمرى بالامس. واليوم استقبل العام الثانى والخمسين. وانا الان فى مدينة دمشق انجز عملا وددت منذ ثلاث سنوات لو اننى انجزته.. اضع قانونا مدنيا لسوريا كما وضعت هذا القانون لمصر وللعراق. وهكذا يحقق الله الامل ولو تراخى الزمن.

[illegible]

اللهم هبنى قوة وعزما.. فلا قوة إلا بك، ولا [illegible] إلا منك. اللهم كما حققت أمل اليوم، حقق أمل الغد.

الآمال المقدسة

ولى على الأرض آمال مقدسة

[illegible]

اللهم وفقنى فى تحقيق هذه الامال المقدسة التى أخذت نفسى بتحقيقها منذ الصغر. اجعل فيما بقى من عمرى ما يعيننى على تحقيق هذه الآمال التى أتقرب بها إلى وجهك الكريم.

[illegible] وهكذا أراد الله أن يكون نبيه إنسانا ليكون قديرا على فهم الإنسان، وجديرا بتبليغ الرسالة إلى الآدميين.

[illegible] المقال هذه العبارة: «هو نبى لهذا.. لا هذا لأنه [illegible]»

● بالامس [illegible] والخمسين من عمرى، واليوم افتتح الثالثة والخمسين، وأحمد الله على [illegible] رفد مصر لدى مجلس الأمن، نطالب بحقوق البلاد العادلة المقدسة. وفقنا الله إلى تحقيق مطالب الوطن (٢٨).

[illegible] اصطرعا وانتصر الخير، فذلك لأن الله موجود. فاسيت كثيرا من المصاعب والأهوال فى وضع [illegible] وفى النضال عنه. وكنت أحس أن قوى [illegible] والحمد لله [illegible] حمد وشكر.

● اتممت بالأمس الثالثة والخمسين من عمرى. [illegible] أكتب هذه الكلمات جريا على عادتى فى بدء كل [illegible] حسنات. واكتسبت سيئات. ولى ما كسبت وعلى ما كسبت. فهل ترى حسنات قد دفعن سيئات؟

اللهم وفقنى فى العمل الصالح، [illegible] حظاً مباركا حافلا بالخير [illegible] وهدايتك.

اللهم أنت تعلم ما بنفسى [illegible] قريب. اللهم أقل عثرتى وقو من عزيمتى واشدد لى أزرى [illegible] فى عبادك الصالحين.

اليوم [illegible] مجلس الدولة. اللهم تولنى بهدايتك وتوفيقك فى هذا العمل الجديد.

● أكملت بالأمس الرابعة والخمسين من عمرى، واستقبل اليوم الخامسة والخمسين. تنقضى الأيام سراعا ولا تنقضى الآمال [illegible]

وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

● [illegible] مقدسة تجول فى نفسى وألحها فى خاطرى.. وإنا [illegible] يجعل [illegible] يقضى عنها شىء فهى تلذنى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هو الله إن يبعد دنا فحلاله

[illegible]

إذا الناس لم تؤمن برب مهيمن

[illegible]

أحب شىء إلى نفسى أن أكون عادلا رحيما.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ويقضى على طاغ بجور وعات

اللهم إنى قد اجتهدت فى قضائى هذا. فإن كنت مخطئا فاغفر لى. وإن كنت مصيبا فقد هديتنى.

● أتممت بالأمس العام الخامس والخمسين من عمرى، وابدأ اليوم العام السادس والخمسين. وأرانى كبير الأمل فى الله، مؤمنا به أقوى الإيمان.

[illegible] النجاح، يسندها ويدعمها الإيمان بالله. وإنى لأدعو الله [illegible] من أمرى، وفى هذه المرحلة التى بلغتها من عمرى.

اللهم [illegible] أمرى. فأنت خير مؤازر، وخير معين. وأنت نعم المولى، ونعم النصير.

[illegible] طريقى فى هذه الحياة، وهو الذى غرس فى نفسى [illegible]

عمرى، أن تثبت فى الخلق القوى، خلقا يتمثل فى العزيمة القوية، والإصرار على الحق، والصبر على المكروه، والاعتداد برضاء الضمير قبل الاعتداد برضاء الناس، وتطهير النفس مما يداخلها من الحقد والغيرة وحب الانتقام والغرور والزهو، ومؤازرة الخير حتى ينتصر، ومناهضة الشر حتى يندحر.

اللهم ارزقنى اطمئنان النفس وهدوء الطبع وسعة الصدر وقوة الصبر والرغبة فى التعاون. اللهم قونى فى الإيمان بك، وعمقنى فى كرمك، وشد من عزيمتى، وابعث فى نفسى الثقة، اجعلنى أرقب رضاك، وقربنى إليك، ولمسنى عملا فى هذه الدنيا أبتغى به وجهك فى الآخرة.

ولى على الأرض آمال مقدسة

إن يقصنى عنك شىء فسبى تلفنى

وسأعمل بحولك يا ربى على أن تتوافر لى أسباب القوة، وأن أنبذ أسباب الضعف، وأن أهيئ أسباب النصر. فاللهم القوة القوة، والنصر النصر. القوة فى الحق، والنصر فى سبيلك يا الله.

أنت موجود لأنك خلقتنى.

اللهم لا قوة إلا منك، ولا حول إلا بك

ما دام [illegible] إلى الله، منه جئت، وإليه أرجع

● هذا [illegible] انقضى من عمرى. أستقبل اليوم عاما جديدا. اللهم اجعله عاما مباركا ميمونا، ووفقنى فيه إلى عمل الخير.

ويسعدنى أن أحضر اليوم أول جلسة لبحث تحديد الملكية الزراعية فى مصر. وقد شاء الله أن أسهم [illegible] فى [illegible] هذا المشروع الخطير فى هذا اليوم [illegible] الميمون.

اللهم وفقنى إلى عمل الخير.

اليوم تمت الثالثة والخمسون من عمرى اللهم اجعل الباقى من حياتى بركة ورحمة، وهب لى من لدنك قوة. اللهم لا حول إلا بك، ولا قوة إلا منك. اللهم زدنى إيمانا ويقينا، وثبت قدمى واهدنى سواء السبيل.

● اليوم أستقبل العام التاسع والخمسين من عمرى، وهذا أول يوم لى فيه، وإنى إذ أستدبر حياتى أدعو الله أن يوفقنى فيما بقى من عمر أن أعمل صالحا.

وقد شاء الله أن يكون هذا العام هو الذى يفتتح فيه معهد الدراسات العربية العالية، فاللهم وفقنى إلى خدمة الفقه الإسلامى فى هذا المعهد واجعل جهودى فى خدمته سوقا تعرس عليه

يقول شوقى فى رثاء المرحوم أحمد أبو الفتح

يا أحمد القانون بعدك غامض

قلق البنود مخلل بسواد

ما خرج النبى ﷺ من الطائف، وقد نجم من فيها [illegible] عن دعوته، وقذفته الأولاد بالحجارة قال يخاطب ربه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى. إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك، أو يحل على سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

● أتممت من عمرى التاسعة والخمسين، وها أنا فى اليوم الأول من الستين، وأحس وأنا على عتبة الستين أنى أستدبر الحياة، ولا يزال

معى من الأعمال ما أحمد الله [illegible] أن [illegible] يرد به.

اللهم هب لى من الصحة والبصر والأمن والوقت ما أستطيع به أن أنجز ما اختمر فى نفسى من الفكر. واجعلنى أنظر إلى الحياة على أنها وسيلة لا غاية

اللهم اجعل سنى الخمسة هذه سنة سعيدة مباركة موفقة، واجعلنى بها قادرا على عمل الخير، ووفقنى إلى عمله فأثبت وجهك ملاذا ومستعانا. ولا حول ولا قوة إلا بك

● بلغت اليوم الستين من عمرى. ما بقى لى من العمر لابد أن يكون قليلا، وعلى كل حال فالوقت الذى أستطيع فيه الإنتاج محدود

ويجب أن أذكر هذه الحقيقة دائما. فأعمل لدنياى كأنى أعيش أبدا، وأعمل لآخرتى كأنى أموت غدا. لتتعلق نفسى بالحق، وبحب الخير، والإيمان يعمر قلبى، فلا خوف ولا يأس بعد ذلك.

وهذا ما أعده لآخرتى

ما أعده لدنياى فجهد موصول، يهدف إلى غاية أدعو الله أن يعيننى على تحقيقها، ويسرع بوسائل أدعو الله أن يجعلنى متوفرا عليها

● أكملت بالأمس العام الستين من عمرى، وأستقبل اليوم عاما جديدا، جعله الله خيرا وبركة

أومن بالله كل الإيمان وأومن بأن لى رسالة فى الحياة لم تتم، وأستعين على إتمامها بالله وأسأله تعالى أن يهبنى القوة والقدرة. وأن يجعل البقية من حياتى مباركة سعيدة حتى أستطيع أن أتم رسالتى. يقف عائقا أمامى أمران: الهزيمة والمرض.

لا سبيل إلى مقاومة الهزيمة، ولكن يستطاع

تهذيبها، ويجب أن أتذكر دائما أنها وقتية تزول، فلا يجوز أن تترك أثرا، وأن فى الإمكان كبحها.

أما المرض، فلا قبل للمحى به، ولكن التخلص من الوهم واجب، والوقاية واجبة، ثم إن قوة الروح قد تتغلب على ضعف الجسد.

اللهم بك أستعين فقونى، وقدرنى على إتمام رسالتى. وهب لى من لدنك رحمة. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل على سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

[illegible] ذا [illegible] أؤمن بك؟

اللهم إنى [illegible] أن تحمل الشر على يدى، وأن تنشر الخير على يدى

[illegible]

[illegible] حلوة؟

من التراب أتـ[illegible]

وللتراب نعود

ثم من بعد هذا

يقوم خلق جديد

فهل ترى الكون إلا

سلالة لا تبيد

* * *

[illegible] وهل التراب

على حسد [illegible] فيه [illegible]

فماذا يكون مصير حياتى

وكيف أحس [illegible]

اللهم [illegible] وإليك

● هذا [illegible] عام بعد الستين. اللهم ارزقنى فيما بقى من عمرى الصحة والعافية، ومكنى من عمل الخير. وهب لى من لدنك ما يرضيك. و[illegible]

[illegible] الحياة في [illegible] التي وصلت [illegible] فإن [illegible] لم يصلا [illegible]

● بدأت اليوم الثانية والستين من عمرى. اللهم بارك لى فى هذا العام الذى أستقبله، واجعله فى عمرى [illegible] وسدد خطاى، ووفقنى إلى ما يرضيك.

● أتممت اليوم السنة الثانية والستين من عمرى، وأسأل الله العافية والتوفيق فيما بقى من حياتى.

● أشرق اليوم الأول من السنة الثالثة والستين من عمرى، ولئن قسم الله لى بقية من الحياة [illegible] من العافية، وجعل لى حظا من المساهمة فى [illegible] العامة، لأبذلن الجهد فى خدمة بلدى [illegible]

[illegible] وهو تكافؤ الفرص بين الناس من يوم أن يولدوا إلى أن [illegible]

[illegible] وهو العمل على تنمية الإنتاج إلى الحد الواجب لنشل البلاد من وهدة الفاقة.

[illegible] وهو العمل على دعم الديمقراطية، وما تستتبعه من وجوب سيادة القانون وحماية الحريات العامة.

ولعل هذه المبادئ الثلاثة ترسم الخطوط الرئيسية لبرنامج داخلى لحزب اشتراكى ديمقراطى للعمال والفلاحين فى مصر. أسأل الله [illegible] حزب، وأن يرزقنى العافية والقوة والتوفيق فى البقية الباقية من حياتى حتى أرى هذا الحزب يترعرع ويقوى إلى أن يصبح ذا أثر كبير فى حياة مصر [illegible]

الصبر والأمل، وقبل ذلك الإيمان بالله، هذه هى عدتى فيما بقى لى من حياتى.

أطلقوه كوكبا نحو الفضاء

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أيها الإنسان لا تزد فما

أنت فى الأصل سوى طين وماء

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وصلت إلى الستين ثم تركتها

وها أنا أمشى لمرحلة أخرى

[illegible] خطوة بعد خطوة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

اللهم أعنى على إتمام رسالتى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولكنها سنة الله تجرى على جميع الخلق [illegible] لسنة الله تبديلا.

● اليوم [illegible] من عمرى [illegible] أحمدك على نعمتك وأشكرك على ما [illegible]

● اليوم [illegible] من عمرى [illegible]

[illegible]

● أتممت اليوم [illegible] من عمرى [illegible]

● [illegible] من عمرى [illegible] وهب لى أسباب الإيمان والصبر والأمل، وقدر لى [illegible]

● [illegible] من عمرى. [illegible] على عمل خير.

● قد بلغت اليوم السادسة والستين من عمرى. [illegible]

● اليوم أتممت السادسة والستين من العمر [illegible]

● [illegible] اللهم سدد خطاى، وتولنى برعايتك، وارزقنى الصحة والعافية، واجعلنى قادرا على عمل الخير.

● اليوم أتممت السابعة والستين من عمرى. [illegible]

● استقبل اليوم الأول من الثامنة والستين من عمرى [illegible] والقدرة على عمل الخير، وسائلا إياه جل وعلا أن يجعل هذا العام مستهل البركة والخلاص لنفسى ولبلدى، إن الله قريب يجيب الدعاء.

[illegible] إلى الله عز وجل ضراعة رسوله ﷺ فأقول مع النبى الرسول: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى [illegible] من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو [illegible] أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

هذا هو الله.. لابد منه. ومن نحن إذا لم يكن هو؟

● أتممت اليوم [illegible] من عمرى وأحمد الله على ما أولانى من نعمته، وأسأله تعالى أن يكلأنى برعايته فيما يبقى لى من العمر.

● استقبل اليوم الأول من السنة التاسعة والستين من عمرى. وأرجو الله تعالى أن يجعلها سنة سعيدة مباركة موفقة. وقد تولدت فى نفسى [illegible] الجماعات السياسية والاقتصادية، ويكون عنوان هذه

للدراسة «الوحدة العربية والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها» فأسأل الله عز وجل أن يمدني بعونه حتى أتمكن من إنجاز هذا العمل على الوجه الذي يرضيه، وأن يحقق به النفع لهذه الأمة العربية الكريمة. كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينعم علىّ بالصحة والعافية والسعادة في خدمة الحق.

● اليوم تمت العام الثالث والسبعين من عمري. وإني أحمد الله على نعمة الصحة والعافية، وأسأله تعالى السعادة في الدنيا والآخرة، وأن يوفقني في تحقيق مشروع أخذت على نفسي السعي في تحقيقه مادمت حيا، موقنا أن الخير في ذلك.

هذا هو اليوم الأول من العام الرابع والسبعين من عمري، وأمامي مشروع عزيز علىّ فكرت فيه منذ وقت طويل وبدأت في تحقيقه منذ بضعة شهور، وهذا ما [illegible] في الفترة الباقية من عمري.

أضع كتاباً في الوحدة العربية وكيف تتحقق في ضوء تجارب الأمم العربية. ومن ثم أعقبه بعون الله تعالى بكتاب آخر في الوحدة العربية والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها في ضوء تجارب الأمم العربية. وإذا تم وضع الكتابين نظرت في إمكان تكتيل جبهة من الرأي العام العربي تؤمن بالديمقراطية والاشتراكية والقومية العربية، وتعمل على أساس برنامج مدروس [illegible] البلاد العربية عن طريق السعي في توحيدها على أساس ديمقراطية واضحة واشتراكية رشيدة. حقق الله الآمال وأمدني بعونك.

● تمت اليوم السبعين من عمري. والحمد لله على ذلك كل الحمد. والآن تقلب صفحات الماضي بحسناته وسيئاته، وستبقى مقلبة حتى يطويها الموت. وقد قلت في الحياة، وكنت في السابعة عشرة من عمري. ما أقوله اليوم وأنا في السبعين:

إن حياة صفحات تقلب

مرة يسرها والموت يطويها

● اليوم أتم الحادية والسبعين من عمري. وكأنني بعد أن بلغت السبعين وتركتها، ما فتئت عمدا بعد السبعين وتركتها

وصلت إلى السبعين ثم تركتها

وها أنا أمشي في مرحلة أخرى

وما زلت أخطو خطوة بعد خطوة

وسهل إلى أن أخطو الخطوة الكبرى

وقبل أن أخطو الخطوة الكبرى. أسأل الله تعالى أن يرزقني الصحة والعافية فيما بقي من عمري. وأن يجعل حياتي نافعة. وقد بلغت من العمر [illegible] ولم يبق علي فيما يبينه الله تعالى لنا من سعادة وفيما يوليه [illegible]. [illegible] في الخير، فهي شعوري [illegible] نفسي خير من الخير. ولا أزال حتى الآن في سعي وتستقر في أعماقها، وإن في هذه السن المتقدمة أرجو من الله تعالى أن يوفقني إلى تحقيقها قبل أن أموت.

ولا أزال وأنا في السبعين أقول ما سبق أن قلته وأنا في العشرين:

لا هم شئت لي ذي بعد زعزعة

ووقني شر نفسي فهي تغويني

ولي على الأرض آمال مقدسة

إن يقصني عنك شيء فهي تدنيني

لا أحب أن أكون طاغية، ولكن أحب أن أحطم الطغيان.

● اليوم تمت العام الحادي والسبعين من عمري، وهو عمر طويل بارك الله لي فيه. وقد بدأت تخطيطي [illegible] الثانية [illegible] في حياتي. كأن السنين تضع طابعها عليه وهي تولى [illegible] بعد أخرى، ولكني أشعر مع ذلك بأنه لاتزال لي رسالة في الحياة، أعيش من أجلها، فأشد لها قوتي وأشحذ لها عزمي، وهي التي تجعل عندي الحياة معنى. وأن في هذه السن المتقدمة التي لا يعيش فيها الإنسان إلا للأمل.

● اليوم أطل على الثالثة والسبعين من عمري. وهذا أول يوم لي فيه [illegible] أن يحبنيه لي العمر في هذه الحقبة. أرجو الله تعالى أن يكون خيرا [illegible] كما ذكرت بالأمس [illegible] أن لي رسالة في الحياة، أعيش من أجلها. وأحتشد لها القوة والعزم. أدعو الله تعالى أن يحقق آمالي في أدائها على خير وجه.

اللهم أسألك أن تجيب دعائي، وألا تخيب رجائي. وأن تهبني من لدنك القوة على أداء هذه الرسالة. فأقضي البقية من عمري قرير العين بها، طيب النفس بأدائها.

● اليوم أتم العام الثاني والسبعين من عمري وقد تراءت لي الأعوام إلى أن بلغت هذه السن [illegible] بعد. وما زلت طريقي في الحياة [illegible] حتى يحتاج إلى جهد. والآن، وفي هذا العام الثاني والسبعين، بعد [illegible] وبعد [illegible]، وبعد [illegible] وبعد أن قادني العمر إلى هذه السن المتقدمة. لاح لي في الأفق بريق الأمل [illegible] اللهم اجعله أملا يتحقق. ويتحقق في أقرب الأوقات ولك الأمر من قبل ومن بعد.

● هذا مستقبل استقبله بحمد الله وعلى بركته، اليوم الأول من العام الثالث والسبعين من عمري أستقبله بأمل مشرق يعمر قلبي ووجداني. اللهم اجعله هذه المرة أملا لا يخيب، وحقق لي فيما بقي من عمري الصحة والسعادة، وأمدني في القدرة على عمل الخير. والخير الذي أبغيه هو الخير الذي يرضيك. أنت يارب لا ترضى بالفساد، وإنه الفساد لا شك لا يرضيك. أنت يارب تحب الصلاح، فارفع لواء الصلاح ليظل هذا البلد، وافتح هذه الصحائف التي طالما تلبدت غيومها، وأخرج من الظلمات نورا، واجعل الشمس تشرق من جديد.

● اليوم هو آخر يوم في العام الرابع والسبعين من عمري، جعله الله يوما مباركا، وجعلني نافعا طول حياتي لخدمة الحق والعدل والوطن.

● اليوم هو أول يوم في العام الخامس والسبعين من عمري.. جعله الله يوما مباركا ميمونا، وجعل حياتي كلها مخصصة لخدمة الحق والعدل والوطن. رب أرزقني طول العمر، والعمل على خدمة الحق مادمت حيا. وكلل حياتي بالنجاح والتوفيق في خدمة بلدي خدمة تتفق مع الحق والعدل. واجعل هذا العام والأعوام التالية أعوامـا مباركة ميمونة للوطن المصري، والوطن العربي، وللإنسانية جمعاء.

رب يسر لي عمل الخير، واجعل حياتي نموذجا صالحا لمن يحب بلده الأصغر، ويحب بلده الأكبر، ويحب الناس جميعاً[1].

---

(1) توفي في ١١ أغسطس سنة ١٩٦٩م وكانت هذه السطور هي آخر ما دون في أوراقه الشخصية [illegible] [illegible]

حكم ابن عطاء الله (٨٤٦هـ-٨٩٩هـ)

شرح العارف بالله الشيخ زروق

تحقيق الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
د. محمود بن الشريف
القاهرة: دار الشعب، ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى

التعريف بالمؤلف

كتاب «الحكم العطائية» ألفه الإمام الجليل «ابن عطاء الله السكندري» المولود في يوم الخميس الثامن عشر من المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، جمع بين رئاسة علوم الشريعة وعلماء الشريعة، ورئاسة علوم الحقيقة وعلماء الحقيقة، فكان عالما متشرعا متحققا، من رأس علماء التشريع وعلماء التحقيق.

أخذ العهد على الإمام الكبير «أبي العباس المرسي» ذلك القطب الذي قال عنه «أبو الحسن الشاذلي»: إنه أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض. ويقص «ابن عطاء» في كتابه «لطائف المنن» قصة صلته بـ«أبي العباس» وملازمته. ثم كان من بعده شيخ الطريقة الشاذلي. و«ابن عطاء» كان له الفضل الكبير في بيان ما نعرفه الآن من آثار «أبي العباس المرسي»، وفي بيان الكثير أيضا عن القطب الكبير «أبي الحسن الشاذلي». أما الشيخ زروق، فإنه «أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي» المعروف بـ«زروق»، قمة من قمم التصوف أيضا، وسار في الطريق الذي سار فيه «ابن عطاء». يقول «المناوي» عنه: «عابد من بحر العبر يغترف، وعلم الولاية متصف، وتحلى بعقود القناعة والعفاف، وبرع في معرفة الفقه والتصوف والأصول والخلاف. خطبته الدنيا فخطب سواها. وعرضت عليه المناصب فردها وأباها»، وولد في يوم الخميس الثامن عشر من المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، ومات أبوه قبل تمام أسبوعه، فنشأ يتيما. وولد في «فاس»، وحفظ بها القرآن، وكانت حياته دراسة وسياحة وتجردا [illegible] يعني [illegible] استخلص نفسه لله تعالى [illegible] سياحة تتمثل [illegible] الأسفار المتلاحقة في طلب العلم، والخلوة في العبادة، وكتب عن الحكم نيفا وثلاثين شرحا، وعلى القرطبية، وعلى رسالة «ابن زيدون القيرواني» عدة شروح كتب مفيدة. وشرح حزب البحر للشاذلي. وله كتاب «قواعد التصوف»، وكانت وفاته سنة (٨٩٩هـ).

عرض الكتاب

يقع الكتاب في «٦١٥» صفحة من القطع المتوسط ويشتمل الكتاب على مقدمة الناشر، والمحققين، ومقدمة الكتاب، ويحتوى أيضا على خمس وعشرين بابا بالإضافة للملحقات [illegible].

تدبر في الباب الأول:

من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.. الاعتماد: حصر [illegible] في الشيء، وهو باعث النفس لما تريد في تحصيل المقصود منه [illegible] وعلامة حصر [illegible] [illegible] والاعتبار به في [illegible].

وأوضح أن الناس ثلاثة: معتمد على عمله، وموقفه [illegible]، وغايته [illegible]، ومقامه [illegible] مع [illegible] وخوف، ومعتمد على فضل الله تعالى، وموقفه شهود المنة، وغايته التبري من الحول والقوة، ومقامه [illegible] مع [illegible] في [illegible]، ومعتمد على سابق القسمة وماضي الحكم، وموقفه شهود التصريف، وغايته [illegible] في التوحيد، ومقامه الإحسان لما شهد به حاله من [illegible] والعيان. وقيامه بتصنيف الناس [illegible] وهو ما يشير إلى مفهوم التصنيف Classification، انظر (ص٣٥).

[illegible] التجريد مع إقامة الله تعالى إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية.. والناس ثلاثة [illegible] في الأسباب، وحكمه: الرضا والصبر والاستسلام، وعلامته: استقامتها له بحصول [illegible] العادية، و[illegible] منه قيامه بالقيام بالحقوق الشرعية.. ومقام في التجريد، وحكمه الشكر والتسليم، [illegible] والصبر، وعلامته [illegible] بالحقوق والإعراض عن كل مخلوق.

سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، بل هي تدور مع القدر كيفما دار، حسبما دلت عليه العقول وقضايا الشرع والنقول وأوضح أن الهمم ثلاثة: الهمم القواصر: وهي التي تقتضي العزم والحزم من غير فعل ولا انفعال.. والهمم المتوسطة: وهي التي توجب مع العزم فعلا [illegible] كمالا [illegible] أم لا، والهمم السوابق: وهي قوى النفس الفعالة في الوجود بلا توقف [illegible] وهو ما يشير إلى مفهوم (الدافعية Motivation) انظر (ص٣٩).

أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك. [illegible] التدبير تقدير [illegible] تكون عليه في المستقبل [illegible] وهو ما يشير إلى مفهوم (التخطيط Planning) انظر (ص٤١)، ويشير إبراهيم الخواص إلى أن «العلم كله في كلمتين: لا تتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت».

اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك عبر الاجتهاد؛ لأن الطلب دونه لا يقدح بل ربما كان مطلوبا، وبالضمان ليشعر بسبق القسمة، وبالتقصير؛ لأن الترك أعظم، وبالطلب ليشمل الواجب.

- لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختار لنفسك. وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد.. [illegible] في الدعاء [illegible] على سبيل الطلب، وهو مطلوب في الدعاء، والإجابة مضمونة بمطلق الدعاء، فإذا فهمت ما [illegible] من الدعاء [illegible] فيه فلا تيأس

من الإجابة وهو ما يشير إلى مفهوم (المثابرة Persistence) انظر (ص٤٤)

لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود، وإن تعين زمنه، لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك، وإخماداً لنور سريرتك.

يرى أن شككت التردد بين وقوع شيء وعدمه لاضطراب النفس في موجبه وهو ما يشير إلى مفهوم (عدم اليقين Uncertainty) انظر (ص٤٨).

إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك. فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك. ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك. والأعمال أنت مهديها إليه. وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك.

إلا بالتعريف وهو بساط المعرفة التي لا تصل إليها إلا به ولا تطلبها إلا بتبيينه. والتعريف من عنده. وهو ورده. والوجهة بساطه. فإذا وجهك لك فقد وجه لك التعريف الذي تنتفع به وبه تصل للمعرفة التي هي غاية المطالب، ونهاية الآمال والمآرب.

تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال.. التنوع: التلون، والأعمال: عبارة عن الحركات الجسمانية، والأحوال: عبارة عن الحركات القلبية. فحركات الأجساد تبع لأحوال القلوب.

الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها والإخلاص حظ الأعمال فالحمول حظ الإخلاص وهو طرح النفس فيما يليق بها من النقص والدناءة وتحجب عنه فهو دفن لها.

ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه. وكما لا يصح دفن الزرع في أرض رديئة لا يصح الخمول محققاً غير مرضية. وهو ما كان محرماً متفقاً عليه، لأن ما كان ظلمة ظلمات لا يصح أن يكون نوراً بالعرض. فقياس الخمول بالخروج عن عشرة ظلمة لا يجد لها مساغاً إلا بحرمة حجر لا يصح، لأن محرمه لا يباح لمعنى مكروه لم يوصل للإخلاص وتحقيق الخمول إنما هو الصعب والتخلي عن الفكر الصافي، ومقدمته لذا هي العزلة، ثم الخلوة فلذلك أتبعها به فقال

ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة، لأنه بالعزلة يسلم من الأغيار والفكرة يستجلي الأنوار وكل عزلة لا تصحبها فكرة فإلى الحمق مآلها، والفكرة لا تصح بدون العزلة، فالعزلة سبيل الفكرة وهي بتنه يؤتى حكمه، وهو ما يشير إلى مفهوم أهمية (العزلة Isolation) انظر (ص٥٩) والناس ثلاثة: منفرد بقلبه لا بشخصه، وهذا كامل دائم، راحل فاضل. وحاله حال الأقوياء وأهل الكمال. ومنفرد بالشخص دون القلب، ومنفرد بهما وهو متخلي وأنواعه ثلاثة: معتزل ليسلم، ومعتزل ليغنم، ومعتزل ليعم.

– كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله، وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار، وهو لم يتب من هفواته؟ قيل (المحبة) رحمه الله: كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى؟ قال: بتوبة تزيل الإصرار، وخوف يزيل التسويف، ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل قيل له: بم يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد فيه توحيد مجرد.

الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار.

شبه المعارف بالشموس، لأنها تذهب بكل ظلمة ونور، وتكشف عن حقائق الأمور مع علوها وارتفاعها وعموم النفع بها

مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه استدلال بقهره مراده لتمكين الحقيقة من النفس، لا بمعنى الإثبات وهو ما يشير إلى مفهوم (الاستدلال Reasoning) انظر (ص٧١)

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي أظهر كل شيء، وفي كل شيء، ولكل شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، وهو أظهر من كل شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء، ولولاه ما كان وجود شيء؟

الباب الثاني:

ما توفيق من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه. **الوقت هنا هو الزمان وقال (أبو القاسم القشيري)** ومن كلامهم: الوقت كالسيف، أي كما أن السيف قاطع. فالوقت ما تقتضيه الحق تعالى وتجريه حاكم وقتي، والسيف لين مسه قاطع حده، فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم، كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا، ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وهو ما يشير إلى مفهوم أهمية (إدارة الوقت Time Management) انظر (ص٨٠).

إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس. الناس ثلاثة رجل ساعده القدر فعمل في فراغه وشغله وهذا من الموفقين المعطين، ورجل وجد الفراغ ولم يعمل وهذا من البطالين المغبونين. إذ جاء «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» ورجل لم يجد الفراغ وجعله علة في التسويف فأحال عليه العمل. وهذا من المغترين.

لا تطلب منه أن يخرجك من حالة، ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج.

ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك. ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها

[illegible]
البقرة ١٠٢

– طلبك منه اتهام له، وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه.

ما من نفس تبديه، إلا وله قدر فيك يمضيه

لا تترقب فراغ الأغيار، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه. لا تنظر بعملك فراغاً من الأغيار والأفكار، فإن ذلك لتوقف قاطع لك عن عبوديته الوقت

وحكمه. ولكن لو لم تقدر عليه كما أنت ... حتى أحد الشفاء ... حتى تتداوى، فلا يتداوى ولا يجد الشفاء، كمن قد يقول لا أعمل حتى أفرغ ولا يفرغ حتى يعمل. فهو لا يعمل ولا يجد الفراغ.

لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها.

ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك. فالطلب بالله تعالى هو الاستناد إليه في تيسير المطلب، وعلامته ثلاثة: التفويض في المراد، والتوكل في التحصيل، والاستقامة في التوجه. فإذا تمت هذه فالطلب متيسر.

من علامة النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات. ومن علامة الخسران في النهايات الرجوع إلى النفس في البدايات، لأنها إذا كانت البداية بالله تعالى كانت النهاية إلى الله تعالى.

من أشرقت بدايته أشرقت نهايته، أي من أشرقت بدايته بالرجوع إلى الله أشرقت نهايته بالوصول إلى الله.

ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر، أي ما استودع في غيب السرائر من معرفة الله ظهر في شهادة الظواهر بالعمل على مقتضى ما عرفه.

شتان بين من يستدل به، ويستدل عليه. المستدل به عرف الحق لأهله، فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه. وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه؟ ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟ وهو ما يشير إلى مفهوم الاستدلال Reasoning انظر (ص٩٩).

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾

(الطلاق ٧)

الواصلون إليه

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾

(الطلاق ٧)

السائرون إليه، يقول العارفون: وسع عليهم أرزاق العلوم والمعارف فأنفقوا على مقدار ما وصل إليهم إذ استضاءوا به.

اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة. فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم، لأنهم لله لا لشيء دونه. فأنوار التوجه أنوار العمل، والمعاملة، وأنوار المواجهة ما يرد من حقائق التوحيد ... الأولى ثلاثة: الاستدلال للتوصل، والعمل للتوسل، والتعلق بالتقرب ... الأخرى ثلاثة: التوفيق للهداية، والإمداد بالعناية، والتحقق بالولاية.

الباب الثالث

تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

الحق ليس بمحجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه. ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصرًا، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر.

اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبًا، ومن حضرته قريبًا. والأوصاف البشرية أوصاف موافقة للعبودية كالطاعة والعفة واليقظة، وأوصاف مناقضة للعبودية كالمعصية والشهوة والغفلة. فالخروج من المناقضة بالعمل بالموافقة.

أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضا عن النفس. وأصل كل طاعة وعفة ويقظة عدم الرضا منك عنها. ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه. فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟ وهو ما يشير إلى مفهوم الرضا عن الذات Self Satisfaction انظر (ص١١٥).

شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك ولا وجودك.

كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

الباب الرابع:

لا تتعد نية همتك إلى غيره، فالكريم لا تتخطاه الآمال.

لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك. فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعًا؟

من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه، فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعًا؟

إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه، حسن ظنك به لوجود معاملته معك. فهل عودك إلا حسنًا؟ وهل أسدى إليك إلا مننًا؟

العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

(الحج ٤٦)

- لا ترحل من كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى يسير، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون، وانظر إلى قوله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

الباب الخامس:

- لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله. ويقول أبو الحسن الشاذلي: «لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل ما يدوم. واصحب من إذا ذكر ذكر الله، فالله يغني به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد. ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب». وهو ما يشير إلى مفهوم شروط الصداقة Friendship انظر (ص١٣٩).

- ربما كنت مسيئًا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالاً منك.

- ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

---

[1] السنن الكبرى للنسائي، باب النية في اليمين.

ـ حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال.

ـ لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة، إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور، إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور.

الباب السادس:

ـ من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من الزلات. وهو ما يشير إلى مفهوم الحالة الوجدانية (الحزن Sadness) انظر (ص١٥١).

ـ لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه.

ـ لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

ـ لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده.

ـ أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً، وليتسلمك من يد الأغيار، وليحررك من رق الآثار، وليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك.

ـ الأنوار مطايا القلوب والأسرار، والنور جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار.

ـ النور له الكشف والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإدبار والإقبال. ولا تفرحك الطاعة؛ لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك. قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون، فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها، وأما الواصلون؛ فلأنه غيبهم بشهوده عنها.

الباب السابع:

ـ ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع. وما قادك شيء مثل الوهم.

ـ أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع. ومن لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان، قيد إليه بسلاسل الامتحان. ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها. وخف من وجود إحسانه إليك، ودوام إساءتك معه، أن يكون ذلك استدراجاً لك.

الباب الثامن:

ـ من رأيته مجيباً عن كل ما سئل، وذاكراً كل ما علم، ومعبراً عن كل ما شهد؛ فاستدل بذلك على وجود جهله. إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها. ومن وجد ثمرة عمله عاجلاً، فهو دليل على وجود القبول آجلاً. ومتى رزقك الطاعة والغنى به عنها، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة.

الباب التاسع:

ـ الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار، والحزن شعور القلب لفوت محبوب أو خوف حصول مكروه فيصحبه حسرة خوف الفوات، وهو عذاب حاضر ونكد حاصل، لا فائدة له إلا التليف على السالف، والتشمير في المستأنف.. وهو ما يشير إلى مفهوم (الحزن Sadness) انظر (ص٢٠٦).

ـ ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له، لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده.

– الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية.. مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية والعارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل.. وربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك.. الأكوان ظاهرها غرة، وباطنها عبرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها.. والطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك، حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك. العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله عز وجل إحسان.

الباب العاشر:

– كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً.. وكفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته. ومتى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك، ومقبل بوجود لطفه عليك.. وإنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه. وربما فتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وقضى عليك بالذنب، فكان سبباً في الوصول.

– معصية أورثت ذلاً واحتقاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً. فاقتك لك ذاتية، وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض. والفاقة شدة الاحتياج وهو ما يشير إلى مفهوم (الحاجات Need) انظر (ص٢٤٤).

الباب الحادي عشر:

– يخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه وتعالى هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار، هو الذي عودك حسن الاختيار. ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور نظره، ولا يخاف عليك أن تلتبس الطريق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك.. لا تطالب ربك بتأخير مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك.. ومتى جعلك في الظاهر ممتثلاً لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره، فقد أعظم المنة عليك.

الباب الثاني عشر

ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار.

العاقل إذا أصبح نظر فيما يفعل، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به ـ أمرك في هذه الدار النظر في مكوناته، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته ـ علم منك أنك لا تصبر عنه، فأشهدك ما برز منه ـ الصلاة طهارة للقلوب، واستفتاح لباب الغيوب، ومحل المناجاة، ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها.

الباب الثالث عشر:

كن بأوصاف ربوبيته متعلقًا، وبأوصاف عبوديتك متحققًا.. وأوضح أن أوصاف الربوبية أربعة، هي: الغنى، والعز، والقدرة، والقوة، والتعلق بها أن تكون ناظرًا إليها معتمدًا عليها دون النظر إلى سواها.. وأوصاف العبودية أربعة، هي: الفقر، والذل، والعجز، والضعف. والتحقق بها: أن تراها لازمة لك فلا تنفك عن النظر إليها في حال من أحوالك.

الباب الرابع عشر:

لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول ـ أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته ـ الستر على قسمين: ستر عن المعصية، وستر فيها. فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق.

الباب الخامس عشر:

الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًا لنفسك لما تعلمه منها ـ أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ـ الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق.

الباب السادس عشر:

إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببًا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك ـ مطالع الأنوار القلوب والأسرار ـ نور مستودع في القلب، مدده النور الوارد من خزائن الغيوب.

الباب السابع عشر:

ـ من اطلع على أسرار العباد، ولم يتخلق بالرحمة الإلهية، كان اطلاعه فتنة عليه، وسببا لجر الوبال إليه.

ـ حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه.

ـ استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك.

ـ من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا.

الباب الثامن عشر:

ـ لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه، فيقل فهمك عنه، وليكن طلبك، لإظهار العبودية، وقيامًا بحقوق الربوبية ـ إلى

مشيئته مستند كل شيء، [illegible] محال، وليست تستند هي إلى شيء.

الباب التاسع عشر:

ـ [illegible] تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بذلك يمدك بعزه، تحقق بعجزك يمدك بقدرته، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته.

الباب العشرون:

ـ تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث صار التنوير وصل التعبير ـ من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته، وجليت إليهم إشارته.

ـ عباراتهم إما لفيضان وجد، أو لقصد هداية مريد، فالأول: حال السالكين، والثاني: حال أرباب المكنة والمحققين.

الباب الحادي والعشرون:

ـ إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا ـ قيد الطاعات بأنواع الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف، ووسع الوقت عليك كي يبقى لك حصة في الاختيار.

ـ من لم يعرف قدر النعم بوجدانها، عرفها بوجود فقدانها.

ـ لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

الباب الثاني والعشرون:

ـ فرغ قلبك من الأغيار، يملأه بالمعارف والأسرار ـ حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد، فكيف تقضي فيه حق غيره، وأنت لم تقض حق الله فيه؟! فالحقوق التي في الأوقات: هي أنواع العبادات، كالصلاة والصوم وغيرهما مما يتسع زمنه فيمكن قضاؤه إن فات وقته وحق الأوقات هي ما يلزم العبد من العبودية المترتبة على حركاتها وسكناتها وهي متتابعة.

ـ ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له ـ لا تنفعه طاعتك، ولا تضره معصيتك، وإنما أمرك بهذه، ونهاك عن هذه، لما يعود عليك.

الباب الثالث والعشرون:

ـ لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور، فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا.

ـ لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة وجود الإمطار، وإنما المراد منها وجود الإثمار.

الباب الرابع والعشرون:

ـ النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه، فسبب العذاب وجود الحجاب، وتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

ـ ما تجده القلوب من الهموم والأحزان، فلأجل ما منعت من وجود العيان ـ ومن تمام النعمة عليك، أن يرزقك ما يكفيك، ويمنعك ما يطغيك ـ إن أردت ألا تعزل،

فلا تتول ولاية لا تدوم لك.

ـ اعلم أن العلم النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه، ويكشف عن القلب قناعه ـ وخير علم ما كانت الخشية معه ـ والعلم إن قارنته الخشية فلك، وإلا فعليك

الباب الخامس والعشرون

ـ من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً؛ إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر. وليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع. والتواضع الحقيقى ما كان ناشئاً عن شهود عظمته، وتجلى صفته. وهو ما يشير إلى مفهوم (التواضع Modesty) أنظر (ص٤٨٧).

المكاتبات:

ـ وذكر فيها بعض ما كتبه لبعض إخوانه منها:

من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب إليه. ومن علم أن الأمور بيد الله انجمع إليه بالتوكل عليه.

المناجاة: وترتيبها فى التصنيف. وهى بعض الأدعية فى مناجاة مولاه وتضرعه بين يديه عز وجل.

الخلاصة:

ورد فى هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

ـ التصنيف Classification.

ـ الدافعية Motivation.

ـ التخطيط Planning.

ـ المثابرة persistence.

ـ عدم اليقين Uncertainty.

ـ العزلة Isolation.

ـ الاستدلال Reasoning.

ـ إدارة الوقت Time Management.

الرضا عن الذات Salf Satisfaction.

ـ الصداقة Friendship.

ـ الحزن Sadness.

ـ الحاجات Needs.

ـ التواضع Modesty.

القائم بالعرض:

أشرف محمد على شلبى

قصص الأنبياء:

قصة إسحاق «عليه السلام»

قدمنا ما كان من تبشير الملائكة ابراهيم وزوجه سارة بولدهما. وانها سمته إسحاق. ولم يذكر فى القرآن الكريم من قصصه الا البشارة. وانه غلام عليم. وانه نبى من الصالحين. وأن الله بارك عليه. وقدمنا ان اليهود والنصارى يدعون انه الذبيح مع تكذيب التوراة لهذه الدعوى أيضا. ودليلهم هو الاصحاح الثانى والعشرون. وقد تقدم فى قصة إسماعيل.

زواج إسحاق

ومما لم يقصه القرآن من أمر إسحاق. زواجه من ابنة بتوئيل بن ناحور وقد قصته التوراة فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين. وملخصها أن إبراهيم لما شاخ أتى بعبده المتولى على بيته «لعازر» وأحلفه على أنه لا يأخذ لابنه إسحاق زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين فى فلسطين، بل يأخذ له زوجة من عشيرته وبنى أبيه. وأنه لا يرد ابنه إلى الأرض التى خرج هو منها إذا أبت عليه الزوجة وامتنعت من الانتقال. فذهب ذلك العبد وهيأ ما يصلح أن يكون هدية للزوجة، وأخذ من الجمال والأموال ما أحب، وذهب إلى أرض، وأناخ جماله خارج المدينة التى بها أسرة ناحور - أخى إبراهيم - وإذا هو بفتاة حسنة المنظر خرجت من المدينة وجرتها على كتفها، فملأت الجرة فقال لها العبد: اسقينى، فأنزلت الجرة وأعطته إياها ليشرب وقالت: اسق لجمالك أيضا، فتفرس فيها إلى أن فرغت من سقى الجمال. وحلى أنفها بخزامة من ذهب ويديها بسوارين من الذهب وسألها بنت من هى؟ وهل عند أبيها مكان لمبيته وجماله فأخبرته بأنها بنت بتوئيل بن ناحور وأن عندهم مبيتا وعلفا لماشيته وأسرعت إلى البيت وأخبرت بما رأت، وكان اسم الفتاة «رفقة»، وقام لابان بن بتوئيل فى الحال إلى حيث عبد إبراهيم وأضافه وأكرم مثواه. وفى الحال أخبرهم عبد إبراهيم بما جاء لأجله، وأنه يريد «رفقة» لابن سيده. فأجابوه إلى ما طلب وأعطاها آنية من ذهب وفضة وثيابا وتحفا لأخيها

وأسبها. ثم طلب إليهم أن ينصرف سريعا، ووافقته «رفقة» على التعجيل بالسير. فذهب بها إلى ديار سيده.

وكانت عزاء لإسحاق بعد موت أمه. ثم إن رفقة ولدت توأمين هما: عيسو ويعقوب، وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب.

وكان عيسو في كبره مغرما بالصيد، [illegible] وأحبت رفقة يعقوب. وكان في ذلك [illegible] في الميراث بحق البكورية. فجاء عيسو يوما متعبا لم يظفر بصيد. وقد هيأ يعقوب طعامه من عدس فأراد عيسو أن يأكل منه، فأبى عليه ذلك إلا أن يتنزل له عن حق البكورية ففعل.

وأن إسحاق - لما كبر - أراد أن يدعو لولده عيسو [illegible] أن يصيد صيدا ويهيئه للأكل، حتى إذا أكل منه خصه بدعواته. وسمعت رفقة فأحبت أن تكون البركة ليعقوب، فأمرته فصنع طعاما من جدي ذبحه وقربه إلى والده، وأوهمه أنه عيسو، وكان إسحاق قد كبر وساعدته أمه على ذلك، فأكل ودعا له، فحقدها عليه عيسو [illegible] أرام وخدمه وتزوج ابنتيه: ليئة وراحيل. وجاريتهما: زلفا وبلها.

تغرب إسحاق

وأنا أستبعد أن يكون أبو مالك الذي [illegible] الأرض كما حصل في عهد إبراهيم [illegible]

وأنا أستبعد أن يكون أبو مالك الذي كان في عهد إسحاق هو الذي كان في عهد إبراهيم [illegible] الإصحاح السادس والعشرين تكوين. [illegible]

ومما ذكر أيضا أن إسحاق قد كثرت [illegible] بئرا نازعه عليها أهل جرار فيتركها لهم [illegible] حتى صالحوا إسحاق أخيرا وعقدوا معه [illegible]

موت إسحاق

[illegible] سنة، ودفن في حبرون - وهي مدينة الخليل اليوم - بمغارة المكفيلة. هذه الحكاية - مع احتمال وضعها - تفيدنا [illegible] الناس وأنهم من الشر بحيث يصلحون أن تسند إليهم أمثالها.

قدمنا في قصة إبراهيم أن الملائكة أخبروه أنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط، الذين هم أهل سدوم وعامورة.

[illegible] ناج هو ومن آمن معه ثم أخبر [illegible] القصة بأن وقوع العذاب بالقوم [illegible] لا [illegible] ولا [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] وتتلخص في أن قوم لوط كانوا من [illegible] على السابلة، وقد ذهب الحياء [illegible] حكاية عن لوط

﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾

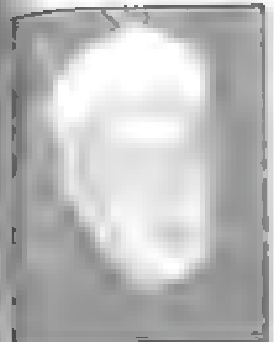
وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله. وذلك أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء. يستعلنون بذلك ولا يستترون ولا يرون في ذلك سوءا أو قبحا [illegible] إلى أن جاء إلى لوط الملائكة - الذين مر ذكرهم في إبراهيم وبشروه بابنه إسحاق - وقد جاءوا إلى لوط بهيئة غلمان مرد حسان الوجوه. فجاء أهل القرية إلى لوط طالبين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة. وقد جهد لوط في ردهم وبالغ في ذلك حتى طلب إليهم أن يأخذوا بناته فلم يصغوا إليه. حينئذ التفت لوط إلى الملائكة [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] يستحقون، وكان لا يعلم أنهم ملائكة [illegible] بحقيقة أمرهم، وأنهم جاءوا للتنكيل بأولئك القوم. ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة وهجموا على بيت لوط [illegible] ولم يهتدوا إلى مكان [illegible] منه عليه وعلى من معه. ثم أخرج الملائكة لوطا وابنتيه وزوجه من القرية وأمروهم ألا يلتفت منهم أحد وأن [illegible] ما يحل بها: وكان هواها في أهل القرية [illegible] ما حل بهم، وكانت كافرة غير مؤمنة. فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل، وقلبت ديار القوم وجعل عاليها سافلها.

وأعتقد أن البحر الميت - المعروف [illegible] موجودا قبل هذا الحادث وإنما حدث من [illegible] وصارت أخفض من سطح البحر بنحو [illegible] اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت.

منهاج القرآن الكريم فى دعوة اليهود إلى الإسلام ومظاهر إنصافه لهم



[illegible]

تبشيره بأن محمداً ﷺ هو النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام

ومن بين الوسائل التى استعملها القرآن الكريم فى دعوة بنى إسرائيل إلى الإسلام إخبارهم أن محمداً ﷺ الذى دعاهم إلى توحيد الله- تعالى هو النبى الذى بشر به عيسى- عليه السلام- وقد جاء هذا المعنى فى قوله تعالى فى سورة الصف:

[illegible]

(سورة الصف الآية ٦)

ومعنى الآية الكريمة: واذكر- يامحمد لهؤلاء اليهود قول عيسى بن مريم لهم: يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم، وإنى مصدق بالتوراة التى جاء بها أخى موسى- عليه السلام- وإنى مصدق- كذلك- بأحمد الرسول النبى الأمى العربى الذى سيأتى من بعدى، فأنا أبشركم به، وأدعوكم إلى تصديقه عند مجيئه بالهدى ودين الحق.

ثم بين القرآن الكريم موقف بنى إسرائيل من الرسول الذى بشرهم به عيسى فقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

أى: فحين جاءهم أحمد المبشَّر به قبل ذلك بالدلائل الواضحات، والمعجزات الباهرات، قابلوا دعوته بالعناد والجحود، وقالوا له: إن ما جئت به ما هو إلا سحر واضح، وباطل بين البطلان.

فالآية الكريمة تذكر أن عيسى بن مريم- عليه السلام- خاتم أنبياء بنى إسرائيل قد بشرهم بالنبى ﷺ الذى لا رسول بعده ولا نبوة. وذكره لهم باسمه، لكى يؤمنوا به ويصدقوه عند ظهوره، ولكنهم عند ظهوره

[illegible]

وفى ذلك إقامة للحجة عليهم، وتوبيخ لهم على إنكارهم وجحودهم.

هذا وقد وردت أحاديث متعددة تبين للنبى ﷺ أن من أسمائه أحمد، وأن عيسى بشر به. ومن هذه الأحاديث ما جاء فى صحيح البخارى، عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «إن لى أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى، الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب»[1].

قال الإمام ابن كثير بعد أن ذكر عدداً من الأحاديث فى أسماء النبى ﷺ. وفى البشارات التى جاءت بشأنه. والمقصود أن الأنبياء- عليهم السلام- لم تزل تنعته وتحكيه فى كتبها على أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره، ومؤازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر من الأمر فى أهل الأرض، على لسان إبراهيم الخليل، والد الأنبياء، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، وكذا على لسان ابن مريم. ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك. يعنى فى الأرض قال: «دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم، ورؤيا أمى التى رأت» أى: ظهر فى أهل مكة أثر ذلك الإرهاص فذكره (صلوات الله وسلامه عليه)[2].

وبذلك تكون الآية الكريمة قد دعت اليهود إلى الإيمان بالنبى ﷺ، بأسلوب يحمل الدليل الواضح القوى على صدقه إذ أن آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام- قد بشر به، ودعاهم إلى تصديقه واتباعه، ولكنهم عموا وصموا عن الحق، وكفروا بهذين النبيين الكريمين كما كفروا بغيرهما من الأنبياء.

إخبارهم بأن محمداً ﷺ هو النبى الذى كانوا يستفتحون به على الذين كفروا

كذلك من بين الحجج التى أقامها القرآن الكريم على اليهود لحملهم على الاعتراف بصدق النبى ﷺ واتباعه، إخبارهم بأنه هو الرسول الذى كانوا يستنصرون ببعثته. قبل مجيئه على أعدائهم من المشركين. وقد وضح القرآن الكريم هذا المعنى فى كثير من آياته، ومن ذلك قوله تعالى:

[illegible]

﴿ ... فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة ٨٩)

والمعنى: وحين جاء اليهود:

﴿ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾

هو القرآن الكريم:

(١) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ٣ ص٢٣٢

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص[illegible]

موقف اليهود من النبي ﷺ بعد بعثته فيما يختص ببعثة النبي ﷺ ونعته:

[illegible]

أي: كان اليهود يستنصرون على أعدائهم من المشركين بمحمد ﷺ قبل بعثته فيقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي نجد نعته في التوراة.

ثم بين القرآن الكريم موقفهم من النبي ﷺ بعد مجيئه فقال:

[illegible]

أي: فلما جاءهم ما عرفوا صفاته، وهو نبوة النبي ﷺ لانطباق علاماته التي يجدونها في كتبهم عليه وجحدوه، كفروا به لأنه ليس منهم

﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾
إبعادهم وطردهم من مواقع رحمته

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾
الذين عرفوا الحق فكتموه وهم يعلمون

هذا، ولقد كان مما دعا الأوس والخزرج إلى الدخول في الإسلام كثرة سماعهم من اليهود عن قرب بعثة النبي ﷺ، وأنهم ينتظرون ذلك، ليؤمنوا به فيرتفع شأنهم معه

ولقد روى العلماء كثيراً من الآثار في هذا[3] المعنى، من ذلك ما جاء عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا: «مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه أنا كنا نسمع من رجال يهود، حين كنا أهل شرك، وكانوا هم أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فكنا إذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: قد تقارب زمن نبي يبعث الآن، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله محمداً ﷺ رسولاً من عند الله، أجبنا حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل قوله تعالى[4]:

[illegible]

فهذه الآية الكريمة سجلت لليهود نوعاً من ضلالهم وجحودهم، لكي يتركوا ذلك، ويثوبوا إلى رشدهم، فيتبعوا النبي ﷺ الذي بشرت به كتبهم، والذي كانوا يستنصرون ببعثته قبل مجيئها على أعدائهم المشركين.

إرشادهم إلى أن القرآن الكريم مصدق للكتب السماوية السابقة ومهيمن عليها

ومن بين الوسائل التي جاء بها الإسلام لدعوة أهل الكتاب للانضواء تحت لوائه، وضع سيدنا ﷺ، إرشادهم إلى أن القرآن الكريم، وهو معجزة النبي الكبرى ﷺ مصدق للكتب السماوية السابقة، ومهيمن عليها. وقد قرر القرآن الكريم هذا المعنى في كثير من آياته. ومن ذلك قوله تعالى:

[illegible]

أي: كما أنزلنا التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام، أنزلنا إليك يا محمد الكتاب وهو القرآن الكريم

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾

أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله

[illegible]

أي: مؤيداً ومؤكداً ما تقدمه من الكتب السماوية، كالتوراة والإنجيل.

وعبر عن الكتب الإلهية السابقة على القرآن الكريم بأنها بين يديه؛ لأن ما تأخر عن الشيء قد يكون وراءه وخلفه، وما تقدم عليه قد يكون قدامه وبين يديه.

ثم بعد أن وصف الله- تعالى- القرآن الكريم، بأنه أنزله:

[illegible]

أضاف إليه صفة أخرى فقال تعالى:

[illegible]

قال ابن عباس: المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله وقال مجاهد وقتادة: مهيمنا: شهيداً، وفي رواية عن ابن عباس: مهيمنا أي: حاكما وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل.

قال الإمام ابن كثير: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، وجعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكما عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه فقال تعالى:

[illegible]

وقال فضيلة أستاذنا الدكتور محمد عبدالله دراز: «أضاف القرآن الكريم إلى كونه، مصدقا لما بين يديه من الكتاب صفة أخرى إذ أعلن أنه جاء أيضاً مهيمناً على تلك الكتب، أي: حارساً أميناً عليها، ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب، ألا يكتفي الحارس بتأييد ما

(3) ساق الإمام ابن تيمية عند حديثه عن هذه الآية الكريمة أكثر من عشرة آثار في هذا المعنى، وذلك في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» جـ3 ص282 وما بعدها

(4) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ3 ص281 للإمام ابن تيمية

(2) تفسير ابن كثير جـ1 ص65

حفظه التاريخ فيها، من حق وخير، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل، الذى عسى أن يضاف إليها بغير حق، وأن يسترها تمس الحاجة إليه من الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها.

وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفى عنها الزوائد، وأن يتحدى من يدعى وجودها فى تلك الكتب:

كما كان من مهمته أن يبين ما ينبه لما كتموه منها[1]

ومن الآيات التى بينت أن القرآن الكريم مصدق للكتب السماوية السابقة قوله تعالى

(سورة الأنعام - الآية ٩٢)

وقوله تعالى:

(سورة يوسف - الآية ١١١)

وقوله تعالى

(سورة يونس - الآية ٣٧)

فهذه الآيات الكريمة تفيد أن القرآن الكريم الذى نزل على محمد ﷺ مصدق للكتب السماوية، التى أنزلت على الأنبياء من قبله، ومهيمن عليها، فعلى أهل الكتاب أن يؤمنوا به، لأنه قد أتاهم بما يؤيد ما فى كتبهم، من الأحكام الصحيحة والمعانى الحقة، وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل، ويظهر ما أخفاه منها أحبارهم ورهبانهم بغير حق، ويفصل ما جاء به الشرع من حلال وحرام، وخير وشر.

وأن كتابا هذا شأنه لا يكون إلا من عند الله - تعالى - ولا ينبغى لعاقل إلا أن يؤمن بما اشتمل عليه إيمانا عميقا، ويصدق ما جاء فيه تصديقا قويا.

---

(١) مجلة لواء الإسلام السنة ١١ ص ٦٨

من فتاوى الحاخامات

صـوت المـرأة

تحذير: صوت المرأة عورة

مصدر العبرى، نوفمبر www.moriya.org.il ٢٠٠٥ - فتوى من الحاخام شموئيل زعفرانى

● سؤال: الحمد للرب، الذى أنعم على بموهبة الغناء، أحيانا أشعر بالغضب، لأن تحريم صوت امرأة يحبق الموهبة؛ لأن صوت المرأة عورة، هل يمكن من فضلك أن تلغى بعرى هذا التحريم بالضبط، وما التشريعات المرتبطة به؟ وهل يحظر سماع صوت فتاة عبر مكبر الصوت؟ أو عبر شريط تسجيل؟»

●● جواب: إليك ما كتبه الحاخام مردخاى إلياهو - أطال الرب عمره - فى هذا الشأن فى كتابه كتاب الشريعة الجزء الثانى ١٤ / ٤٢ : ٤٦.

٤٢ : غناء المرأة سواء كانت غير متزوجة، أو متزوجة وغير طاهرة، وسواء كانت شابة أو عجوزا، جميلة أو قبيحة يعتبر عورة ومحرم سماعه، كما يحرم القراءة أو الدراسة أو الصلاة عند سماع هذا الصوت، وكذلك محرم سماع صوت المرأة التى تغنى عبر الراديو أو عبر شريط تسجيل وحذار أن يدرس المرء أو يصلى أو يقرأ صلاة التوحيد عندما تغنى زوجته للطفل الرضيع أو ما شابه ذلك، حتى ولو كانت طاهرة.

٤٣ : لا يجب الخوف أو التوقف عن ممارسة الأمور المقدسة عندما تقوم طفلة يقل عمرها عن ست سنوات بالغناء لطفل رضيع.

٤٤ : عندما يسمع المرء نساء يغنين أو يسمع أغانى عبر الراديو، ولا يمكنه التوجه للاستذكار فى مكان آخر، يمكنه أن يتأمل فيما جاء فى التوراة، حتى ولو كان ذلك بمطالعة هذا الكتاب، ويمتنع عن إصدار أى صوت، وكل ذلك عند الضرورة فقط

٤٥ : هناك من يتشددون ويرون أن صوت امرأة عورة، حتى ولو كانت لا تغنى، بل تروى قصصا أو ما شابه ذلك بشكل مطول، ولكن فيما يتعلق بالأشياء القصيرة وبالذات عندما تكون لمتطلبات العمل فلا خوف من ذلك.

٤٦ : من الأفضل ومن الصواب لكل امرأة صالحة تخشى الرب سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، ألا تغنى فى مكان به رجال، كما يجب عليها أن تحرص على ألا تنشد حتى تراتيم السبت بصوتها، بل تحرك شفتيها فقط دون أن تحدث صوتا. وهكذا يتضح لنا أنه يحرم سماع صوت النساء اللاتى يشاركن بالغناء فى فرقة غنائية وكذلك فى الراديو أو الاسطوانات المسجلة، وما شابه ذلك.

ذكرى تعود

[illegible]

هى ذكرى الاسراء والمعراج بالنبى (ﷺ) جسدا وروحا يقظة فى جزء من الليل الذى يعنيه قول الله تعالى:

[illegible]

ويقول سبحانه :

[illegible]

ذكرى تعود ونورها يتجدد ... بمثل الأقصى وفيه محمدُ

والأنبياءُ به تحفُّ ولم يَغِبْ ... عن ليلة الإسراء منهم [illegible]

وكأنني أصغي إليهم [illegible] ... [illegible]

فمضى بما أتى إمامهم الذى ... شهد الكتابُ له بذاك وأشهدوا

[illegible] من أسرى به ليلا إلى ... مهد الرسالات التي لا تُجحدُ

لنعيش في أعناقنا أرضَ الهدى ... حرما تطوف به النفوس [illegible]

حرما مآذنه تشدُّ عرى السما ... والأرض بالتكبير إذ يترددُ

الناسُ فى جنباته فى أمنهم ... مثلَ [illegible] للسلام و[illegible]

[illegible] ... فيها أبو حفص رعاها الرشدُ

[illegible] مع [illegible] لم تزل ... لا [illegible] حيث [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] التاريخ [illegible] ... فلسوف ينطق بالجلال وتشهدُ

[illegible] الأقصى [illegible] ... ويحى وأين الراكعون السُّجدُ؟

[illegible] ... [illegible]

[illegible] البراق هنا [illegible] ... [illegible]

[illegible] صخرة المعراج [illegible] ... وجفاك ذياك اللثام الأسودُ

وأقلك القدس المبارك لا أرى ... روضاته وبه الطيور تُغرّدُ؟

وبنوه أين مضوا وفيم أراهمُو ... قد روّعوا عنه الغداة وشُرّدوا؟

ويضم [illegible] صوت حرائر ... يصرخن واغوثاه هل من ينجدُ

[illegible] ... أو غير صهيون يكيد ويحقدُ

لا تذكروا [illegible] ... من فعل من مكروا بنا واستأسدوا؟

[illegible] ... وشبابنا [illegible] إليك الخُرّدُ

[illegible] لربهم كى [illegible] ... لك، يا حمى المبرور أو يستشهدوا

وعد الإلهُ بنصره من آمنوا ... [illegible] وجاهدوا

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

فتاوى لها تاريخ

حلق اللحى



ما حكم الشرع في حلق اللحى؟

آراء الفقهاء:

تكلم الفقهاء على حلق اللحى، فرأى بعضهم أنه محرم، ورأى آخرون أنه مكروه، ومنهم من شدد فوصفه بأنه من «المنكرات»، وبأنه «معصية» وعلامة أو فسق وجهالة.

ونحن لا نشك في أن إبقاءها وعدم حلقها كان شأن النبي ﷺ، وأنه كان يأخذ من أطرافها وأعلاها بما يحسنها، ويجعلها متناسبة مع تقاسيم وجهه الشريف، وأنه كان يعنى بتنظيفها وتخليلها بالماء، عملا على كمال النظافة. وكان الأصحاب رضوان الله عليهم يتابعونه في كل ما يختاره ويسير عليه في مظهره وهيئته، حتى مشيته.

من سنن الفطرة

وقد وردت عنه ﷺ أحاديث ترغب في توفيرها ضمن أمور تتصل كلها بالنظافة، وتحسين الهيئة ومظهر الوقار.

وعرفت تلك الأحاديث عند العلماء بأحاديث «خصال الفطرة أو سنن» والكلمة تعني أن الأشياء التي تتعلق وخلق الإنسان في أحسن ما شاء الله من الصور، وكان من هذه الخصال الواردة مع إعفاء اللحية في تلك الأحاديث «السواك، وقص الشارب والأظافر، وغسل البراجم: وهي عقد الأصابع ومعاطفها، واستنشاق الماء وإزالة شعر الإبط والعانة والختان» وقد أخذت هذه الخصال عند كثير من الفقهاء الباحثين عن أحكام الشريعة حكم السنية و الاستحباب، وأخذت حكم الكراهة. وإعفاء اللحية واحدة من هذه الخصال لا يعدو حكمه حكمها وهي السنية والاستحباب

على أن كلمة سنة أخذت في دور الاجتهاد الفقهي غير معناها في زمن التشريع، فهي عندهم ما يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه. وقد كان معناها الطريقة العملية التي يستحسنها النبي، ويرى فيها النبي ما يرون فيها، فيسير عليها ويرغب أصحابه فيها.

وقد أرشدنا تاريخ العرب القديم وغيرهم إلى أن إعفاء اللحية كان عادة مستحسنة. ولا يزال كذلك عند كثير من الأمم في عظمائها وفلاسفتها. مع ما بينهم من اختلاف في الدين والجنسية والإقليم. يرون فيها مظهرا لجمال الهيئة، وكمال الوقار والاحترام.

والرسول عليه السلام من دأبه إرشاد أمته إلى ما يجعلهم في مقدمة أرباب العادات المستحسنة، التي توفر بحسب العرف مظاهر الوقار، وجمال الهيئة. ومن ذلك جاءت أحاديث الترغيب في توفير اللحية. كما جاءت أحاديث الترغيب في السواك وتنظيف عقد الأصابع ومعاطفها.

الأمر بمخالفة المشركين

نعم جاء في أحاديث خاصة باللحية الأمر بالإعفاء والتوفير، وعللت ذلك بمخالفة المجوس والمشركين، ومن هنا فقط أخذ بعض العلماء أن حلق اللحية حرام أو منكر.

والذي نعرفه في كثير مما ورد عن الرسول في مثل هذه الخصال أن الأمر كما يكون للوجوب لمجرد الإرشاد إلى ما هو الأفضل، وأن مشابهة المخالفين في الدين إنما تحرم فيما يقصد فيه التشبه من خصائصهم الدينية، أما مجرد المشابهة فيما تجري به العادات والأعراف العامة فإنه لا بأس بها ولا كراهة فيها ولا حرمة.

وقد قيل لأبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة - وقد رئي لابسا نعلين مخصوفين بمسامير - إن فلانا وفلانا من العلماء كرها ذلك لأن فيه تشبها بالرهبان فقال: كان رسول الله ﷺ يلبس النعال التي لها شعر، وإنها من لباس الرهبان.

ونحن لو تمشينا مع التحريم لمجرد المشابهة في كل ما عرف عنهم من العادات والمظاهر الزمنية لوجب علينا الآن تحريم إعفاء اللحى؛ لأنه شأن الرهبان في سائر الأمم التي تخالف في الدين، ولوجب الحكم بالحرمة على لبس القبعة. وبذلك تعود مسألتها جذعة بعد أن طوى الزمن صفحتها، وأخذت عند الناس مسلك الأعراف العامة التي لا تتصل بتدين ولا فسق ولا بإيمان وكفر.

والحق أن أمر اللباس والهيئات الشخصية ومنها حلق اللحية من العادات التي ينبغي أن ينزل المرء فيها على استحسان البيئة، فمن درجت بيئته على استحسان شيء منها كان عليه أن يساير بيئته، وكان خروجه عما ألف الناس فيها شذوذا عن البيئة.

والله الموافق للسداد

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

الزكاة في أموال القصر!!

● هل يجب إخراج الزكاة في أموال القصر المودعة لدى النيابة الحسبية إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول؟

●● الجواب: يرى جمهور العلماء أن الزكاة واجبة في مال الصبي القاصر وفي مال السفيه أو المجنون المحجور عليه، وهذا هو الذي عليه الفتوى؛ لأنه حق يتعلق بالمال، فلا يسقط بالصغر أو السفه أو الجنون، ويخرجها عنهم أولياؤهم. واستندوا في ذلك إلى عموم النصوص من الآيات والأحاديث الصحيحة التي دلت على وجوب الزكاة في المال الذي بلغ النصاب وحال عليه الحول؛ كقوله تعالى:

[illegible]

(التوبة ١٠٣)

وكقوله ﷺ في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حين أرسله إلى اليمن: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم» رواه مسلم. والقصر والسفهاء والمجانين ترد فيهم الزكاة إذا كانوا فقراء، فلتؤخذ منهم إن كانوا أغنياء.

كما استدلوا بما رواه الإمام الشافعي عن يوسف بن ماهك أن رسول الله ﷺ قال: «ابتغوا في أموال اليتامى، لا تستهلكها الصدقة»، وهو مرسل صحيح يعتضد بما سبق من عموم النصوص، وبما يأتي من طرقه وشواهده، وقد صح هذا اللفظ أيضًا موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتجروا في أموال اليتامى، لا تأكلها الزكاة»، وصححه الحافظ العراقي.

وروى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «من ولي يتيما فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة».

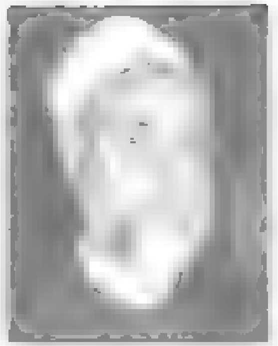
ولولا أن الزكاة واجبة في مال القاصر والسفيه والمجنون لما جاز للولي أن يخرجها عنه؛ لأنه ليس له أن ينفق ماله أو يتبرع منه في غير واجب، فأمر النبي ﷺ بتنمية أموالهم حتى لا تستهلكها الزكاة الواجبة فيها.

وقد صح إيجاب الزكاة في مال الصبي والمجنون، عن عمر وعلي وابن عمر وعائشة وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة إلا رواية ضعيفة عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يحتج بها.

وهذا هو الملائم لتشريع الزكاة في الإسلام من أنها حق في المال يجب لمستحقه، كما قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «فإن الزكاة حق المال»، كما أن كلا من القاصر والمجنون أهل لوجوب حقوق العباد في ماله، ولذلك يضمن ما تلفه بأداء الولي من ماله.

وينوب عن القاصر أو المجنون أو السفيه وليه في إخراجها، بشرط أن يكون هذا المال فائضا عن نفقة الصبي وحاجته الأصلية وأن يبلغ هذا المال النصاب ويحول عليه الحول القمري ويخرج عليه ربع العشر.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـــي جمعـــة
مفتي جمهورية مصر العربية

العمرة بدون محرم!!

● ما حكم الشرع في ذهابي لأداء العمرة بدون محرم وفي جمع آمن من الرجال والنساء (فوج)، علما بأني أبلغ من العمر أربعين عاما.

●● الجواب: يجوز للمرأة أن تسافر بدون محرم بشرط اطمئنانها على الأمان في دينها ونفسها وعرضها في سفرها وإقامتها وعودتها، وعدم تعرضها لمضايقات في شخصها أو دينها؛ فقد ورد عنه ﷺ فيما رواه البخاري وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال له: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة - أي المسافرة - ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله»، وفي رواية الإمام أحمد: «والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد»

لعل هذا الحديث ورواياته أخذ جماعة من الفقهاء، فجوزوا سفر المرأة وحدها إذا كانت آمنة، وخصصوا بهذا الحديث الأحاديث الأخرى التي تحرم سفر المرأة وحدها بغير محرم؛ فهي محمولة على حالة انعدام الأمن التي كانت من لوازم سفر المرأة وحدها في العصور المتقدمة.

وقد أجاز جمهور الفقهاء للمرأة في حج الفريضة أن تسافر بدون محرم إذا كانت مع نساء ثقات أو رفقة مأمونة، واستدلوا على ذلك بخروج أمهات المؤمنين رضى الله عنهن بعد وفاة رسول الله ﷺ للحج في عهد عمر رضى الله عنه وقد أرسل معهن عثمان بن عفان ليحافظ عليهن رضى الله عنه.

قال الإمام أبو الحسن بن بطال في «شرح البخاري» (٤ / ٥٣٢، ط. مكتبة الرشد): قال مالك والأوزاعي والشافعي: تخرج المرأة في حجة الفريضة مع جماعة النساء في رفقة مأمونة وإن لم يكن معها محرم، وجمهور العلماء على جواز ذلك، وكان ابن عمر يحج معه نسوة من جيرانه، وهو قول عطاء وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن البصري، وقال الحسن: المسلم محرم، ولعل بعض من ليس بمحرم أوثق من المحرم. ا هـ.

وقال الإمام الباجي المالكي في «المنتقى شرح الموطأ» (٣ / ٩٥): ولعل هذا الذي ذكره بعض أصحابنا إنما هو في حال الانفراد والعدد اليسير، فأما القوافل العظيمة والطرق المشتركة العامرة المأمونة فإنها عندي مثل البلاد التي يكون فيها الأسواق والتجار، فإن الأمن يحصل لها دون ذي محرم ولا امرأة، وقد روى هذا عن الأوزاعي. ا هـ.

وقال العلامة الحطاب المالكي في «مواهب الجليل شرح مختصر خليل» (٢ / ٥٢٣، ط. دار الفكر): قيد ذلك الباجي بالعدد القليل، ونصه: هذا عندي في الانفراد والعدد اليسير، فأما في القوافل العظيمة فهي عندي كالبلاد، يصح فيها سفرها دون نساء وذوي محارم. انتهى. ونقله عنه في «الإكمال» وقبله ولم يذكر خلافه، وذكره الزناتي في شرح الرسالة على أنه المذهب، فيقيد به كلام المصنف وغيره.

ونص كلام الزناتي: إذا كانت في رفقة مأمونة ذات عدد وعدد، أو جيش مأمون من الغلبة والمحلة العظيمة فلا خلاف في جواز سفرها من غير ذي محرم في جميع الأسفار: الواجب منها والمندوب والمباح. من قول مالك وغيره إذ لا فرق بين ما تقدم ذكره وبين البلد، هكذا ذكره القابسي. ا. هـ.

والذي عليه الفتوى أن سفر المرأة وحدها عبر وسائل السفر المأمونة وطرقه المأهولة ومنافذه العامرة - من موانئ ومطارات ووسائل مواصلات عامة، جائز شرعا ولا حرج عليها فيه - سواء أكان سفرا واجبا أم مندوبا أم مباحا، وأن الأحاديث التي تنهى المرأة عن السفر من غير محرم محمولة على حالة انعدام الأمن، فإذا توفر الأمن لم يشملها النهي عن السفر أصلاً.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فيجوز للمرأة أن تسافر لأداء العمرة مع صحبة آمنة من غير أن يكون معها محرم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الوفاء بالنذر

● نذر أبي نذرا لله ثم توفي في ظروف [illegible]، وأنا أحتاج لثمن النذر حاجة شديدة. فهل يجب على الوفاء بوفاء النذر مع احتياجي الشديد إلى ثمنه؟

●● الجواب: أمر الله عز وجل بالوفاء بالنذر. فإذا ما نذر الإنسان شيئا فقد ألزم نفسه به، وعليه الوفاء بما نذر، لقول الحق عز وجل:

[illegible]

(الإنسان: ٧)

ولقول سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن السيدة عائشة رضى الله عنها: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصه فلا يعصه». وذلك إذا كان في مقدور الإنسان الوفاء بما نذر، وإلا فلا يجب عليه الوفاء، لقوله تعالى:

[illegible]

(البقرة: ٢٨٦)

ولقوله ﷺ: «من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين».

وعلى ذلك: فلا يلزمك الوفاء بالنذر مع حاجتك الشديد إلى ثمنه، وإن كنت محتاجا أيضا إلى ثمن الكفارة فلا تلزمك هي أيضا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مصافحة الرجل للمرأة

● ما حكم مصافحة الرجل للمرأة [illegible]

●● الجواب: مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية محل خلاف في الفقه الإسلامي، فيرى جمهور العلماء حرمة ذلك، إلا أن الحنفية والحنابلة أجازوا مصافحة العجوز التي لا تشتهى، لأمن الفتنة، ومن أدلة الجمهور على التحريم: قول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: «ما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط» متفق عليه، وحديث معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» أخرجه الروياني في مسنده والطبراني في المعجم الكبير.

بينما يرى جماعة من العلماء جواز ذلك، لما ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صافح النساء لما امتنع النبي ﷺ عن مصافحتهن عند مبايعتهن له، فيكون الامتناع عن المصافحة من خصائص النبي ﷺ، وأن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه صافح عجوزا في خلافته، ولما جاء في البخاري عن النبي ﷺ أنه كان يجعل أم حرام رضى الله تعالى عنها تفلى رأسه الشريف، ولما أخرجه البخاري أن أبا

موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه جعل امرأة من الأشعريين تفلي رأسه وهو محرم في حج.

وأجابوا عما استدل به الجمهور: بأن حديث معقل بن يسار حديث ضعيف، لضعف راويه شداد بن سعيد، وقد تفرد بهذا اللفظ مرفوعا، ومثله لا يحتمل تفرده لو لم يخالف، وقد خالفه بشير بن عقبة - وهو ثقة من رجال الصحيحين - فأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» من طريق بشير بن عقبة عن أبي العلاء، عن معقل موقوفا عليه من قوله بلفظ: «لأن يعمد أحدكم إلى مخيط فيغرز به في رأسي، أحب إليّ من أن تغسل رأسي امرأة ليست مني ذات محرم».

وعليه فيمكن لمن ابتلي بشيء من هذا أن يقلد من أجاز ذلك من العلماء؛ والخروج من الخلاف مستحب.

وأما عن انتقاض الوضوء بمصافحة الأجنبية فهو أيضًا محل خلاف في الفقه الإسلامي، فبينما يرى الإمام الشافعي أنه ينقض الوضوء ولو كان من غير شهوة، يرى الإمام أبو حنيفة أن اللمس بنفسه لا ينقض ولو كان بشهوة، ويفصل الإمام مالك القول في ذلك بين ما إذا كان اللمس بشهوة فينقض أو من غير شهوة فلا ينقض، ويروى في مذهبه أقوال أخرى، وعن الإمام أحمد أيضًا روايات بكل هذه الأقوال، وكل له أدلته مشروحة في كتب الفقه.

والقواعد المقررة شرعًا في المسائل الخلافية:

١- أنه إنما ينكر المتفق عليه ولا ينكر المختلف فيه.

٢- أن من ابتلي بشيء من ذلك فليقلد من أجاز.

٣- أن الخروج من الخلاف مستحب.

أما نظر الرجل للمرأة الأجنبية فالمعتمد من مذاهب الفقهاء أنه يجوز النظر إلى وجهها وكفيها - وزاد الإمام أبو حنيفة قدميها - من غير شهوة إذا أمنت الفتنة. ويدل على ذلك أن سياق الأمر بغض البصر في الآية ليس كالأمر بحفظ الفرج في إطلاقه، وفي ذلك يقول الزمخشري في «الكشاف» عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

(النور: ٣٠)

(ودخلت «من» في غض البصر دون حفظ الفرج دلالة على أن أمر النظر أوسع. ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وسوقهن وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات للبيع، والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين، وأما أمر الفرج فمضيّق، وكفاك فرقًا: أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه) اهـ.

وما سوى الوجه والكفين والقدمين من المرأة الأجنبية فإنه لا يجوز النظر إليه إلا للضرورة والحاجة العلاجية ونحوها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المقصد التربوي للصلاة في الجانب الجسدي للفرد المسلم

[illegible]

الصلاة في أصلها عبادة روحية، لكنها مدرسة أخلاقية، وعقلية، وبدنية في نفس الوقت ويتضح ذلك مما يلي:

الصلاة رياضة بدنية

أولا: الصلاة رياضة بدنية يقوم المسلم لصلاة الفجر نشطًا يشم الهواء النقي ويسعى إلى المسجد بهمّة وعزيمة، يحدوه حديث النبي (ﷺ): «بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بنور تامّ يوم القيامة»[1]، ويصلي الصلوات الخمس ما استطاع في المسجد، ويقوم ويجلس في هيئة معتدلة، يركع ركوعا مستقيما يشد رجليه ويديه وظهره، وفي سجوده وقيامه منه، يخشع في قلبه لا في جسمه ورقبته، ولذا رأى سيدنا عمر رجلا يتماوت في الصلاة فقال له:

لا تُمت علينا ديننا أماتك الله.. ورأى آخر يطأطئ الرأس والرقبة مظهرا الخشوع والذل فقال له: ارفعْ رأسك فإن الخشوع في القلوب وليس الخشوع في الرقاب.

وإذا بلغ حب العبد للعبادة مبلغًا عظيمًا أحب طول الوقوف بين يدي الله تعالى وكره النوم لذلك، فيتجافى عن مضجعه كما قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(السجدة: ١٦، ١٧)

وهذا الوقوف والبكاء والتضرع لله تعالى يعطي الجسم قوة وصلابة ويجلي من العين الأذى، ومن القلوب الصدى، فينطلق الجسد من أسر الكسل والخمول وفي ذلك يروي البخاري ومسلم أن النبي (ﷺ) قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على

[1] [illegible]

يمكن كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[2].

والحديث يضع صورتين متقابلتين للمصلي وتارك الصلاة، فالأول نشيط طيب النفس والآخر كسلان خبيث النفس، ولذا يجب كل مسلم أن يكون على هذه الصورة الأولى التي يحبها الله ورسوله.

قيمة الإعداد البدني الصحيح

ثانياً: الصلاة بأركانها وهيئاتها تمثل قمة الإعداد البدني الصحيح في كل الفلسفات المطروحة لإعداد الفرد حيث كانت للياقة البدنية تعتمد الجانب الجسماني دون النفسي لذا يقول الشيخ أمين الخولي: يتأسس مفهوم اللياقة البدنية الآن على مفهوم أشمل وأعمّ هو مفهوم اللياقة الشاملة التي تعبر عن حالة من الكفاية البدنية والصحية عضوياً ونفسياً.

ويعرض الدكتور لأثر الصلاة في هذا الامتزاج الروحي والبدني بقوله: من خلال فريضة الصلاة تسري الإنسان روحياً وبدنياً، فالحكمة يعلمها الخالق الحكيم كلف الإنسان بأداء الصلاة التي تجمع بين خشوع الروحي والنشاط البدني في آن واحد.

ويذكر أن حركات الصلاة وأدوائها البدنية التي تتمثل في خمسة فروض يومياً، بمجموع عام سبع عشرة ركعة في اليوم، تشتمل كل ركعة على القيام والركوع والسجود والقيام منه، بالإضافة إلى [illegible] للتسليم في ختام كل صلاة، كل هذه الحركات تعبر عن نشاط بدني لا ينبغي تجاهل قيمته وفوائده، ويقدر بعض خبراء الطب الطبيعي والتربية البدنية، أن هذه الحركات في مجملها من شأنها أن تعمل على الحفاظ على النغمة العضلية وتنشيطها، والنغمة العضلية هي الانقباضات العضلية في حدها الأدنى للعضلات الهيكلية الكبرى التي تعمل في المحافظة على القوام المنتصب للإنسان بشكل متوازن، وأي ضعف في أحد جوانب أو سطح الجسم يعرضه للانحراف والتشوه القوامي، الذي يفضي إلى قصور في بعض الوظائف الحيوية للجسم.

فإذا أضفنا المشي في رواح الإنسان للمسجد لأداء الصلاة في مواقيتها فإننا بذلك نضمن حداً أدنى للياقة العضلية للإنسان تكفل قدراً مناسباً من الصفات والقدرات البدنية، كالمرونة والمطاطية العضلية والتوافق العضلي العصبي للتمثل في أداء أركان الصلاة بشكل جماعي موقوت ومتناغم ومنضبط[3].

---

(2) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، رقم (١١٤٢)

(3) «الرياضة والحضارة الإسلامية»، ص[illegible]

مراعاة الفروق البدنية

ثالثاً: أحكام الصلاة تراعي الفروق البدنية بين المسلمين، فلا تكلف المريض المتهالك أن يقف في الصلاة وإلا بطلت صلاته كالشاب المتماسك، ولكن من عجز عن القيام يصلي قاعداً أو راقداً أو يومئ برأسه ومن جهده السفر قصر صلاته وجمعها.

وإذا اشتد الحر فيسن الإبراد بالصلاة، وإذا هبت الريح في ليلة [illegible] الحرث والشمال على الناس في مساكنهم لما رواه البخاري بسنده عن عبدالله بن عمر قال: «إن رسول الله (ﷺ) أذن بالصلاة في الرحال في ليلة ذات مطر وبرد وريح»[4].

وإذا اشتد المطر صلوا في بيوتهم مخافة أن تنزلق الأرجل ويصاب المسلم بكدمات أو كسور أو آلام في الظهر أو الأرجل، ونهى النبي ﷺ عن قيام كل الليل وحذر عبدالله بن عمرو من هذا التشديد على نفسه بقوله: «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل. قلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم. فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً»[5].

هكذا يرد النبي ﷺ إلى الجسد اعتباره عندما يرى من بعض الناس جنوحاً مضيقاً وإن طغى على حق الجسد، يتعبد بها العبد بين يدي ربه.

هذه الواقعة التي ترجم لها البخاري باب ما يكره من التشديد في العبادة هو ما انتهى إليه العلم الحديث في التربية الجسدية واللياقة البدنية ولذا يعقد الشيخ أمين الخولي في كتابه «الرياضة والحضارة الإسلامية» فصلاً بعنوان: التوازن بين الراحة والنشاط، يرى فيه أن الراحة مفهوم مكمل للنشاط في سياق مفهوم اللياقة البدنية؛ لأن الإجهاد قد يؤدي إلى الإصابة البدنية والإرهاق والتوتر الزائد، وهنا يبرز مفهوم تقنين الراحة، وهو ما أصبح إحدى سمات التدريب الرياضي الحديث، وتتراوح درجات الراحة فمنها السلبي كالنوم والاسترخاء، ومنها ما هو إيجابي كالراحة النشطة بتشغيل مجموعة عضلات أخرى، ولكل جسم قدرات وطاقات لا ينبغي تخطي هذه القدرات واستدل بحديث عبدالله بن عمرو بن العاص[6]، هذا المفهوم الحديث للتربية البدنية تؤكده كل الأحكام الفقهية في العبادات كلها وفي الصلاة خاصة، حيث يلزم الإنسان بالراحة السلبية وهي النوم وترك القيام وقتاً حتى لرسول الله ﷺ باعتباره بشراً حيث أمره ربه بالقيام مع فرصة من النوم قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(المزمل: ١، ٢)

وقال سبحانه:

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾

(الإسراء: ٧٩)

---

(4) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الرخصة في المطر والعلة أن يصلي في رحله رقم (٦٦٦)

(5) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام رقم (١٩٧٩)

(6) [illegible]

أى بعض الليل وليس كله؛ لأن حرف «من» هنا للتبعيض، وهناك الراحة الإيجابية بتغيير دور العضلات سواء فى حركات القاعد الذى لا يقدر على القيام أو بتغيير هيئة القاعد لمن يجسمه ألم يوجعه إذا جلس للتشهد وفق الهيئة المسنونة. أقول: إن سماحة الإسلام هنا تظهر البون الشاسع بينها وبين عنف الرهبان فى إجهاد الأبدان فى الصلوات يقول الأستاذ شكرى عن تاريخ أخلاق أوروبا: عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائمًا على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة فإذا تعب جدًا أسند ظهره إلى صخرة [7].

مراعاة مطالب الجسد وتلبيتها

رابعًا: من الصور الرائعة التى تدل على مراعاة الإسلام لمطالب الجسد وتلبيتها ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: «إذا حضر العشاء، وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء». وفى رواية لابن عمر أن النبى ﷺ نهى عن التعجل فى العشاء لإدراك الصلاة.

هذا يمثل التوافق الشرعى بين مطالب الجسد التى تلح على الإنسان فتفسد عليه خشوعه واستجماع قلبه، ويؤدى إلى شتات عقله. وهنا يعجل المسلم بالعشاء إذا حضر واشتد جوعه ويأكل كل مهله، ولا يترك العشاء معجلا، أو يتعجل فى العشاء ليدرك الصلاة.

خامسًا: يرى الأستاذ محمد كامل عبدالصمد أن أوقات الصلاة هى أنسب الأوقات التى يوصى بها علماء الرياضة، فصلاة الفجر قبل الشروق حيث الجو النقى المنعش، وفى الظهيرة يحل بالجسم التعب وهذا يحتاج إلى إعادة توازن القوى الحيوية فيه. وفى المغرب يستعد المسلم لنشاط جديد فى المساء، وفى العشاء يتطلب الجسم شيئًا من الحيوية للتعويض عما فقده من حيويته [9]. ويذكر أن هناك علماء قاموا بأبحاث علمية أثبتت أن للصلاة فوائد كثيرة للجسم منها:

أ- تنشيط الدورة الدموية التى تنشط الجسم كله.

ب- الحفاظ على عظام السلسلة الفقرية فى الوقوف المعتدل وقد رأى طبيب عظام فرنسى متبفور حركات الصلاة فى مصر وقرر حركات الصلاة على مرضاه فأتت النتائج كلها إيجابية.

جـ- الركوع فالسجود والقيام يقوى عضلات الظهر والمعدة ويزيل الدهون المتراكمة على جدار المعدة، ويقى من مرض تمدد المعدة.

د- السجود يقوى عضلات الفخذين والساقين، ويساعد على وصول الدم إلى أطراف الجسم وينبه حركات الأمعاء ويحرك الحجاب الحاجز.

هـ- الصلاة قبل الأكل تقى من أمراض المعدة، لأن راحة الأعصاب تحقق ضبط المعدة.

و- الصلاة تقى من مرض الاضطراب العصبى، وينقل عن الدكتور «توماس هايسلب»: أن أهم مقومات النوم التى عرفتها من خلال سنين طويلة من الخبرة والتجريب هو الصلاة. وهى أهم وسيلة لبث الطمأنينة فى النفوس وهدوء الأعصاب.

ز- علاج الأمراض المستعصية. وينقل عن الدكتور «أدون فردريك» أستاذ الأمراض العصبية بالولايات المتحدة الأمريكية عشرات الحالات التى لم يجد فيها أشهر الأطباء وكبارهم فطنة الدواء. ومع ذلك تم شفاؤها واستعادتها لصحتها من خلال معجزة تسمى الصلاة.

ويؤكد ذلك بما نقله عن الدكتور الفسيس «كالليل» الحائز على جائزة نوبل فى الطب قوله: إن الصلاة تحدث بعض النشاط فى أجهزة الجسم وأعضائه، بل هى أعظم مولد للنشاط عرف إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفى طبيبًا كثيرًا من مرضى أخفقت العقاقير فى علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزًا وتسليمًا، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم.. إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتى للنشاط، فقد شاهدنا تأثير الصلاة فى الحالات الباثولوجية إذ برئ كثير من المرضى من أمراض مختلفة متعددة كالدرن البريتونى، والتهاب العظام والجراح المتقيحة والسرطان وغيره [10].



على عزت بيجوفيتش

ولذا أجدنى تتفق تمامًا مع ما ذكره رئيس البوسنة والهرسك على عزت بيجوفيتش: الصلاة ليست قاصرة على الجانب العقلى فيها أو على الجانب الروحى المجرد. وإنما يضيف إليها النظافة والصحة معًا. فهى ليست تأملًا صوفيًا فحسب، بل نشاطًا عمليًا أيضًا، يوجد بالتأكيد شىء من روح العسكرية فى الوضوء فجرًا بالماء البارد، وفى صفوف الصلاة المتلاحمة، ولم يغب هذا المعنى عن ذهن واحد من دوريات استطلاع جيش الفرس قبل معركة القادسية، عندما رأى الجنود متراصين فى صفوف صلاة الفجر، فقال لقائده انظر إلى جيش المسلمين، إنهم يؤدون تدريباتهم العسكرية اليومية، والحركات الخارجية للصلاة بسيطة إلى حد ما لكنها تشمل جميع أعضاء الجسم تقريبًا.. إن خمس صلوات فى اليوم مع الوضوء أو الغسل أولها يجب أداؤها قبل بزوغ الشمس والأخيرة فى المساء وسيلة فعالة ضد الخمول والاسترخاء [11].

---

(7) [illegible]

(8) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة بحضرة الطعام.

(9) [illegible]

(10) الإعجاز العلمى فى الإسلام، محمد كامل عبدالصمد ص (32 - 40) وراجع أيضًا الصلاة فى الإسلام، الزمخشرى ص (332).

(11) الإسلام بين الشرق والغرب ص (293 - 294).

من مقاصد حرية الاعتقاد في التشريع الإسلامي

من أسماء الله تعالى "الحكيم"؛ ومقتضى هذا الاسم أن الله تعالى لا يخلق شيئا باطلا ولا يشرع شيئا عبثا، انما شرع كل شيء لحكمة وامر بكل امر لغاية، ونهى عن كل نهى لمقصد، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، وحرية الاعتقاد التي حرص عليها الشرع لا تخرج عن هذا الاطار.

[illegible] الله مع خلق الإنسان، وجعل قيمتها تعدل قيمة الحياة حين قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٩٢)

فتحرير [illegible] رقبة من عبوديته هو بمثابة إحيائها من موات؛ لأنها توازي نفسا مؤمنة حرة ماتت بطريق الخطأ، فكأن القرآن يريد أن يقول - إن العبودية موت والحرية حياة، كما يقرر ذلك - محق - الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية [illegible]

أن يكون فوت يقتله هذا الوصف، وقد نبهت الشريعة بهذا على أن الحرية حياة، وأن العبودية موت؛ فمن تسبب في موت نفس حية كان عليه السعي في إحياء نفس كالميتة وهي المستعبدة[1].

نقول إذا كانت هذه هي قيمة الحرية بإطلاق فإن حرية الاعتقاد في الإسلام مكانة كبيرة، بل إن الإسلام لا يقف عند مجرد إقرار هذه الحرية فحسب، قال تعالى:

﴿ ليس [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٧٢)

وإذا كان الأمر كذلك وجب علينا بيان مقاصد هذه حرية [illegible] يحتار ما يشاء من معتقد، ويبقيه على ما يشاء من اعتقاد في ظل الإسلام الذي يكفل له هذه حرية. [illegible] مقاصد، كما للعقيدة [illegible] للشريعة كذلك مقاصد[2]، ونذكر أهم مقاصد من مقاصد حرية الاعتقاد في التشريع الإسلامي [illegible]

أولا: تحقيق إنسانية الإنسان والتأكيد على كرمته

ليس هناك مخلوق نال من التكريم الإلهي مثلما نال الإنسان، فقد خلقه الله - تعالى - بيده، وسواه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، [illegible] السموات وما في الأرض جميعا منه:

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ٧٠)

فكل ما ناقض مبدأ تكريم الإنسان، وأهدر كرامته، أو أضعف فيه إنسانيته كان للإسلام منه موقف صارم، فحرم إهانته، [illegible] حقوقه، [illegible] حق

حتى وصل هذا التكريم وتلك الإنسانية [illegible] الدين [illegible] يكون في الدين إكراه، بل يعتنق الإنسان ما يعتقده عبر التفكير والتأمل بإرادة كاملة وعقل واع ودون أدنى إكراه من الداخل أو الخارج، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

[illegible] لا يمكن أن نتجاوزه في سياق تكريم الإنسان وتحقيق إنسانيته، يقول وما أحسن ما قال: وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان؛ [illegible] لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب [illegible] الإنساني، التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب معتسفة ونظم مذلة؛ لا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله - باختياره لعقيدته - أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها؛ فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا - وهو [illegible] الكون - وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب!

إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق (الإنسان) التي يثبت له بها وصف (إنسان). فالذي يسلب إنسانا حرية [illegible] ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، [illegible] حرية

---

[1] [illegible]

[2] انظر كتابنا: الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام ٤٩، وما بعدها، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء - هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين.. فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المعتسفة وهي تفرض فرضا بسلطان الدولة؛ ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟!".

ثم يشير الأستاذ سيد قطب إلى معنى لغوي نحوي وهو أن "لا" هنا نافية وليست ناهية، يقول: "والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾.. نفي الجنس كما يقول النحويون.. أي نفي جنس الإكراه. نفي كونه ابتداء. فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع. وليس مجرد نهي عن مزاولته. والنهي في صورة النفي - والنفي للجنس - أعمق إيقاعا وآكد دلالة".

وبناء على إدراك نوعية "لا" هنا، وأنها نافية للجنس، فإن الإكراه على العقيدة والإيمان شيء مستبعد "من عالم الوجود والواقع" يعني نظريا وتطبيقيا، فكرا وممارسة، فلا يمكن أن يكون للإكراه على دين أو عقيدة وجود في التصور الإسلامي أصلا، كما في الواقع العملي سواء بسواء؛ لأنه إذا مورس في الواقع العملي فلا يثبت لا إيمانا ولا عقيدة، ضعيف الإيمان، لا يعرف حقيقة دينه، ولا يؤمن به حق الإيمان، فضلا عن أن يدعو إليه، ثم يكون الانزلاق والتحول والردة عن هذا الدين عند أول اختبار يمر به، أو شبهة تعرض له:

[illegible]

(التوبة: ١٠٩)

ويجعل قطب حرية العقيدة والاختيار والتفكير لدى الإنسان أهم من الطعام والشراب حين يقول: "إن العقيدة وحرية التفكير والإرادة والاختيار هي مطالب أساسية كالطعام والشراب والمسكن والجنس.. بل هي أعلى منها في الاعتبار؛ لأنها هي المطالب الزائدة في الإنسان على الحيوان. أي المطالب المتعلقة بخصائصه التي تقرر إنسانيته! والتي بإهدارها تهدر آدميته!

ومن ثم لا يجوز أن تهدر في النظام الإسلامي حرية الاعتقاد والتفكير والاختيار في سبيل الإنتاج وتوفير الطعام والشراب والمسكن والجنس للآدميين! كما لا يجوز أن تهدر القيم الأخلاقية كما يقررها الله للإنسان لا كما يقررها العرف والبيئة والاقتصاد في سبيل توفير تلك المطالب الحيوانية"[١].

بل إن صاحب الظلال يذهب أبعد من ذلك حين يقرر أن حرية العقيدة هي أكرم ما يملكه إنسان، وإن سلبت منه لذهاب حياته أهون. يقول: "إن أكرم ما في الإنسان حرية الاعتقاد. فالذي يسلبه هذه الحرية. ويفتنه عن دينه فتنة مباشرة أو بالواسطة، يجني عليه ما لا يجني عليه قاتل حياته".

وهذا حق؛ فحياة إنسان في ظل الإكراه على اعتناق عقيدة معينة يحيل حياته إلى صراع نفسي وقلق؛ نفسه بما يكون معه الموت أكرم وأهون، ومن هنا ندرك أن حرية العقيدة تهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان، وتقصد إلى حفظ كرامته، حتى في أمر العقيدة والإيمان، ومن ثم أتى القرآن بشريعة ترعى ذلك وتحفظه وتشرع له الشرائع والأحكام في ميادين العبادة والمعاملة وغير ذلك من مجالات

تأكيد معنى الضمير الفردي والمسئولية الفردية

وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني: أن يختار الإنسان دينه وفكره ومشاعره، ويترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.

ومبدأ المسئولية الفردية الذي يبعث من على الإيجابية والمشاركة والعمل، يقرره القرآن الكريم في كثير من الآيات، من ذلك:

[illegible]

(الأنعام: ٩٤)

[illegible]

(مريم: ٩٣-٩٥)

[illegible]

([illegible]: ١١١)

[illegible]

(المدثر: ٣٨)

[illegible]

([illegible])

ولقد وضح الله للإنسان طريق الحق، وبين له طرق الباطل، ووهبه العقل، وأرسل له الرسل وأنزل له الكتب؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك، ومنحه قدرة التفكير، وأعطاه حرية الاختيار، يختار عقيدته بعد تفكير كامل عبر كتابين: الكتاب المسطور (القرآن)، والكتاب المنظور (الكون) دون أدنى قيد أو إكراه من الداخل أو الخارج.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: "الاختيار يقتضي الحرية. فلا اختيار حيث لا حرية. والاختيار يجر بالضرورة إلى المسئولية؛ لأنه ضروري لإمكان الفعل"[٦].

ومن هنا فهو مسئول مسئولية كاملة عن هذا الاختيار الذي اختاره بحريته الكاملة

[illegible]

[illegible]

(٦) دراسات في الفلسفة الوجودية ٩٢، القاهرة ط ثانية ١٩٦٦م

بعد تفكير ونظر، وبعد أن بين الله له الطريقين والسبيلين، وذكر له عاقبة كل طريق أو سبيل. ومن هنا فحرية اختيار العقيدة تؤسس في الإنسان معنى الضمير الفردي والمسئولية الفردية.

وهذا الضمير الفردي والمسئولية الفردية نوع من تكريم الإنسان أيضا وتحقيق إنسانيته، فلم يجعله همَلا يساق ويقاد بعد أن خلق له العقل وأنزل له ما يهديه من رسل وكتب، ولم يجعل لأحد عليه من سبيل بعد أن قال الله لنبيه:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

(البقرة: ٢٧٢)

﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

(الشورى: ٤٨)

فهي حرية كاملة للإنسان تهدف إلى إشعاره بالمسئولية وتحقق في الوقت ذاته إنسانيته وكرامته.

ثالثا: الإعلاء من شأن العقل

"الإيمان مبني على الحرية؛ ولذلك فالمكره لا إيمان له" يمكننا أن نقول على هذه العبارة بناء عدة: فالله تعالى أنزل للإنسان النص عبر رسل تبين وتوضح له، ثم أعطاه العقل ليقرأ به النص، ثم جعله حرا بعد ذلك في اختيار ما يشاء.

والنص الذي يقرؤه الإنسان موثوق به، ليس لأنه عن طريق الوحي، وإنما اهتدى إلى ذلك عبر التأمل العقلي والتفكر العقلي والقرائن المادية والروحية التي من خلالها وصل إلى أن هذا النص الموحى به هو موضع ثقة العقل، ثم هو بعد ذلك يختار ما يختار بناء على المصلحة المجردة التي بينها الله في نهاية الطريقين، فالاختيار مبني على وعي حر.

ولعله من نافلة القول أن نشير إلى أن أكبر قضيتين في الإسلام استدل عليهما بالعقل عبر المعجزات والقرائن والكون الفسيح، وهما قضية الألوهية، وقضية النبوة.

وإذا قال الله تعالى:

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

فهل يختار الراشد غير الرشد؟ فالعاقل هو من لا يفارق ما أوجبه تمييزه، ولا يرى لنفسه ثمنا إلا الجنة كما قال أهل السلوك.

وفي رواية معبرة في هذا المقام يسوقها القرافي في فروقه أن شيخا قام إلى علي -رضي الله عنه- بعد انصرافه من صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله تعالى وقدره؟

فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلة إلا بقضاء وقدر.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئا.

فقال له: مه أيها الشيخ؛ عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين.

فقال الشيخ: كيف والقضاء والقدر ساقانا؟!

فقال: ويحك! لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأت لائمة من الله لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها.

ثم قال الإمام علي: إن الله أمر تخييرا، ونهى تحذيرا، وكلف يسيرا، لم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار[1].

فلولا حرية الاختيار عن طريق العقل لما كان هناك معنى للثواب والعقاب، والأمر والنهي والوعد والوعيد، ولا يقول بغير ذلك إلا "أهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها" كما قال علي رضي الله عنه.

ومن هنا رأى المعتزلة أن أول واجب على الإنسان هو النظر والتفكر، أما أهل السنة فيرون أن أول واجب هو معرفة الله تعالى.

حتى بعد أن يدخل الإنسان في الإسلام عن قناعة واقتناع وبعد تفكير وروية، لا يتصور أبدا أن يخرج من هذا الدين أو يرتد عنه؛ لأنه لا يتصور عقلا، فالعاقل كما ذكرنا لا يرضى لنفسه ثوابا إلا الجنة، ولأنه بخروجه من الإسلام قد خسر خسرانا مبينا إذا ما أخضعنا هذا الخروج للتفكير العقلي المصلحي المجرد بعيدا عن الوحي والنصوص الشرعية.

وهذا كله يعزز الإعلاء من شأن العقل، والتنويه به، ويلتقي مع مئات الآيات التي ذكرت التفكر والتذكر والتدبر والنظر في القرآن الكريم، ويلتقي أيضا مع ما ذكره المقاصديون من حفظ العقل وجعله ضمن كليات الضروريات في منظومة مقاصد الشريعة. فلا شك أن حرية اختيار العقيدة تترك للعقل مجاله وتعلي من شأنه وتنوه به ومن قدره، وهو أمر مقرر في شريعة الإسلام.

وليس معنى الإعلاء من شأن العقل أن يقدم على النص، أو أن كل ما خالف العقل من نصوص -ولو بادي الرأي- نطرحه جانبا، ثم نقدم العقل حتى لو كان قاصرا عن إدراك الحكمة من بعض النصوص، وفي الوقت نفسه لا نغيب العقل إزاء النص، لأن العقل هو رائدنا في فهم النص والتفاعل معه، وإنما الوسط في هذه القضية أن نفهم الشرع بالعقل، وأن نحكم العقل بالشرع.

(يتبع)

(١) الفروق مع هوامشه للقرافي ٤/ ٣٩١، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

التصوير.. إشكالات ومقترحات (٢-٢)

[illegible]

التصوير.. رؤية قرآنية

القرآن هو الأصل والمرجع في تأصيل الأحكام، والسنة والحديث تابعان له تبعية الفرع للأصل قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام: ٣٨)

فلم يفرط الله تعالى في الكتاب من شيء، فلا نجد في السنة أو حديث مواضع لا تدور في فلك الكتاب العزيز أو هي مبتوتة الصلة به، فـ(مناهي النبي ﷺ مقتبسة من مناهي الله عز وجل) [illegible] ج١ ص٩٧ والكتاب العزيز:

﴿ [illegible] حكيم حميد ﴾

(فصلت: ٤٢)

روى الربيع (٣٠١) [illegible] أذن لصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ، ثم [illegible]

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه لصلاته ثم يصليها إلا غفر الله له ما بينها وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها».

قال الربيع: يريد بقوله: "لولا أنه في كتاب الله" قول الله عز وجل:

﴿ [illegible] ﴾

(هود: ١١٤)

يستفاد من هذا الحديث:

- أن السنة من الكتاب.

- أن الصحابة [illegible] الله تعالى عنهم [illegible] لا يحدثون إلا بما وافق القرآن.

- رواية الحديث في مسند الربيع تدل على [illegible] الاتصال [illegible] وهذا ما أكد عليه تلميذ الربيع وائل بن أيوب عندما قال: (لا [illegible] عن النبي ﷺ إلا ما [illegible] في كتاب الله، وإن سنة النبي ﷺ موافقة كتاب الله لا يخالفه ﷺ) ابن جعفر جامع، ج١، ص١١١.

وقضية كقضية التصوير كان علينا أن نفهمها انطلاقاً من خلال دلالات الكتاب العزيز ثم نتعامل بقية المفردات على ضوئها، لكن ما أصاب المسلمين من بعد عن استلهام مضامين القرآن وفشو الرواية وضغطها غيّب ذلك كله وحرمنا من الانتفاع به في كثير من القضايا.

وفي موضوع التصوير الذي نحن بصدده، ورد في كتاب الله أنه تعالى

﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾

(الحشر: ٢٤)

وأنه

﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾

(آل عمران: ٦)

فالله تعالى هو الذي صور المخلوقات على ما هي عليه.

والتصاوير لم يرد ذمها لذاتها في القرآن الكريم ولم تعتبر مضاهاة خلق الله، إنما ذمت لأجل ما يصنعه الناس بها من الانحراف عن عبادته وإفراده تعالى بالوحدانية. والتصاوير المذكورة في القرآن الكريم هي

- الأصنام	التماثيل

- الأوثان.

وقد ذكرنا سابقاً أن القرآن عبر بالتماثيل في بعض الأحيان عما كان مباحاً، قال الله تعالى عن سليمان - عليه السلام

﴿ [illegible] ﴾

(سبأ: ١٣)

وفي أحيان أخرى بما كان مكتسباً للطبيعة الوثنية، قال الله - تعالى - على لسان - إبراهيم عليه السلام - في معرض محاجته لقومه

﴿ [illegible] لها عاكفون ﴾ (الأنبياء: ٥٢)

أما الأصنام والأوثان في التعبير القرآني من أوله إلى آخره كانت تعبر عن مضامين عقدية وثنية مخالفة لعقيدة التوحيد.

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ١٣٨)

قال تعالى

﴿ [illegible] أن نعبد الأصنام ﴾

(إبراهيم: ٣٥)

قال تعالى

﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾

(الحج: ٣٠)

فيما عدا ذلك لا يوجد في كتاب الله - تعالى - أي اعتبار لذم التصاوير في ذاتها أو عتبارها من المضاهاة خلق الله

تبارك وتعالى، بل في القرآن الكريم اعتبار التماثيل (أى التصاوير) من النعم التي تستوجب الشكر والحمد للمولى تبارك وتعالى، قال الله تعالى:

[illegible]

(سبأ: ١٣)

- في الآية نماذج وأمثلة مما سخره الله تعالى - [illegible] محاريب وتماثيل وجفان وقدور.

- واعتبار هذه الأشياء من جملة النعم التي تستوجب الشكر عليها.

- والتماثيل: (جمع تمثال وهو كل ما صور على مثل صورة من حيوان أو غير حيوان) وقد شكلت هذه الآية على كثير من المفسرين بسبب ما فهموه من الروايات والأحاديث التي جاء فيها تحريم التصوير [illegible] في تفسير (وتماثيل) [illegible] في الآية ذكرها القرطبي في تفسيره:

١- قيل كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان وذكر [illegible] صور الأنبياء والعلماء، وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا قال ﷺ: «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور» [illegible] فيجتهدوا في العبادة وهذا يدل على أن التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ونسخ ذلك بشرع محمد ﷺ.

٢- وقيل التماثيل طلسمات كان يعملها ويحرم على كل مصور أن يتجاوزها فلا يتجاوزها فيعمل تمثالا للذباب أو للبعوض أو للتماسيح في مكان ويأمرهم ألا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد [illegible] ذلك التمثال قائم.

٣- وقيل إن هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسأل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ويقال إن اسفنديار كان منهم، وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أطلق النسران أجنحتهما.

٤- وقيل: التمثال على قسمين حيوان وموات، والموات على قسمين جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه، لعموم قوله (وتماثيل) وفي الإسرائيليات أن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان.

وهذه الوجوه في تفسير الآية لا تصلح أن يعول عليها:

● أولاً: أن تفسير التماثيل في الآية: بأنها صور الأنبياء والعلماء وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً يرده بما جاء في الرواية عن النبي ﷺ عند البخاري (٤١٧) ومسلم (٥٢٨) عن السيدة عائشة [illegible] أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» ورواه الربيع (٩٨٠) عن جابر بن زيد عنه عليه السلام قال: «لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وهذا المعنى معنى صحيح تماما، إذ أنه الباب الذي ولجت منه الوثنية إلى الناس.

● ثانيا: [illegible] الإسرائيليات كما هي عبارة القرطبي [illegible] التماثيل عبارة عن مجسمات حيوانات كالأسود والنسور وغيرها توضع على كرسي سليمان - عليه السلام - فغير سليم أيضا لعدة [illegible]

- أن ناقلتها هم بنو إسرائيل وهؤلاء قوم [illegible] الكثير [illegible] في حق الأنبياء عليهم السلام.

- ثم كيف يمكن أن يكون حال سليمان - عليه السلام - كحال الأقوام الوثنيين من حوله [illegible] والعمونيين وغيرهم في بناء وتشييد التماثيل [illegible] والتفاخر وإظهار أبهة الملك؟ وهل يعقل أن نبي الله سليمان - عليه السلام - وهو يعيش وسط هذا الحزام الوثني أن يتخذ من عرشه مكانا لاستعراض تماثيل الأسود والنسور بحيث لا يفترق في نمطه وسلوكه [illegible] عن هؤلاء الوثنيين [illegible] أنفسهم كانت لهم [illegible] مع التماثيل مجسمة [illegible] عدوى [illegible] بالأقوام الوثنيين كما حكى القرآن الكريم لنا في قصة عبادتهم للعجل.

● ثالثا: أما ما قيل من أن هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسأل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ويقال إن اسفنديار كان منهم؛ وكذا ما روى [illegible] في أسفل كرسيه ونسرين فوقه. فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أطلق النسران أجنحتهما. فعبارة عن تصويرات أسطورية لا دليل عليها من وحي الله تعالى، وهي بلا ريب - باعتراف القرطبي - من بقايا الإسرائيليات التي تسربت للمسلمين وما أكثرها!

وقد ذكر الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير" أنه (لم تكن التماثيل المجسمة محرمة الاستعمال في الشرائع السابقة. وقد حرمها الإسلام لأن الإسلام أمعن في قطع دابر الإشراك [illegible] العرب وغيرهم. وكان معظم الأصنام تماثيل فحرم الإسلام اتخاذها لذلك ولم يكن تحريمها لأجل اشتمالها على مفسدة في ذاتها، ولكن لكونها كانت ذريعة للإشراك).

وهذا التفسير هو التفسير الشائع [illegible] الآية. لكن هناك عدة تساؤلات نطرحها في مقابل هذا الرأي: ما هو الدليل على أن التماثيل المجسمة لم تكن محرمة الاستعمال على الإطلاق في

الشرائع السابقة ولو كانت ذريعة للشرك والوثنية؟.

– وهل أصول الشرائع السماوية واحدة مشتقة من أصل الديانة أم أنها مختلفة؟

● إن المتدبر للكتاب العزيز يعلم أن الرسل – عليهم السلام – جاءوا بعقيدة التوحيد الصافية النقية

﴿[illegible] فاعبدون﴾

(الأنبياء: ٢٥)

وكلهم عليهم الصلاة والسلام دعوا إلى عبادة الله وحده:

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٥٩)

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٨٥)

﴿[illegible]﴾

(هود: ٥٠)

﴿[illegible]﴾

(هود: ٦١)

﴿[illegible]﴾

(العنكبوت: ١٦)

من كل هذا نعلم أنه لا يمكن أن يعكر صفاء التوحيد ويكون سلماً للوصول إلى الوثنية والشرك هو من المحرمات في كل الشرائع المشتقة من أصل الإسلام الذي جاء به الأنبياء والرسل من عند الله تبارك وتعالى

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ١٣٣)

فعلى هذا ما يمكن أن يكون معكراً لصفاء عقيدة التوحيد فأصول الشرائع جميعاً ترفضه؛ لأنها مشتقة من أصل واحد وهو الإسلام. فعندما يقول شعيب عليه السلام

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٨٥)

فهو يتحدث عن قيم مطلقة لا تخضع لخصوصية الزمان والمكان وهي تشريع يشتق من أصل الإسلام، وكذا عندما يقول الحق تبارك وتعالى في وصف النبي – عليه السلام – في التوراة والإنجيل

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ١٥٧)

فتحلية الطيبات وتحريم الخبائث هي من القواسم المشتركة بين الشرائع السماوية، ولا يمكن أن نقول: إنه مما تفردت به شريعة دون الأخرى.

وبناءً على هذا؛ فلا يمكننا القول دون أي دليل معتبر بأن التماثيل كانت مباحة في شريعة نبي الله سليمان – عليه السلام – ولو كانت ذريعة للشرك، وأن الشريعة الإسلامية جاءت بتحريمها لكونها كانت ذريعة للإشراك. فما كان معبراً عن هذه الطبيعة المعكرة لصفاء العقيدة من باب أولى أن تشترك الشرائع جميعاً في تحريمه؛ لا سيما وأن الشرك في كثير من تلك الأزمنة كان الأقوى تأثيراً والأكثر انتشاراً.

إذن الوجه اللائق في تفسير الآية:

﴿[illegible]﴾

(سبأ: ١٣)

بأن ننظر في القاسم المشترك بين الأمور التي ذكرت كالمتعلقات في الآية والتي عددت من النعم التي تستوجب الشكر والحمد.

فالمحاريب جمع محراب وهو (البناء المرتفع الممتنع، ومنه يسمى المحراب في المسجد لارتفاعه).

والجفان هي: (أكبر الصحاف).

والجواب جمع جابية وهي (الحوض العظيم المصنوع).

والقدور هي (القدور الثابتات لا تتحرك عن أماكنهن ولا تحولن لعظمهن).

والتماثيل: (جمع تمثال، وهو اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من مخلوقات الله كصور الحيوانات).

والقاسم المشترك بينها هو كونها مما ينتفع الناس في حياتهم ويستعينون بها في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لديهم، وهذا الأمر ليس خاصاً بسليمان – عليه السلام –، فهو مما تشترك فيه كل الشرائع الأخرى، وهو من القواسم المشتركة بين المجتمعات الإنسانية في كل زمان ومكان. ولذلك نقل القرطبي عن شيء لم يسمهم قالوا: إن (عمل الصور جائز لهذه الآية) تفسير القرطبي ج ١٤، ص ٢٧٢

إذن نستخلص من هذه الآية أن

التصاوير من جملة المباحات التي تستوجب الشكر من العباد ومن مستلزمات هذا الشكر استعمالها فيما يخدم الإنسان ويرضي المنعم تبارك وتعالى.

لكن كيف يستقيم هذا التأويل وما جاء في الأحاديث عنه ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون بها في النار، ويقال لهم أحيوا ما خلقتم»؟! وقد قال كثير من الفقهاء بأن هذا الوعيد لاحق في التصوير (مضاهاة خلق الله) وقال شراح الأحاديث (قد سبب خلقهم ليهم تقريعا لهم لمضاهاتهم الله تعالى في خلقه. فبكتهم بأن قال إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى فأحيوها كما أحيا هو من خلق). والمضاهاة هي المشابهة.

نتساءل: هل في ذات التصوير مضاهاة خلق الله؟

هل نقل الصورة من الواقع إلى الورق أو على الأفلام أو البطاقات يعد مضاهاة خلق الله، ويستحق الوعيد بالنار والعياذ بالله؟

دعونا نقرأ آيات من القرآن حول هذه القضية لنختبر ما جاء في الرواية على ضوئه.

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحجر ٤٠)

في معرض الخطاب للمشركين يتحداهم الله تبارك وتعالى أن يظهروا ماذا خلق شركاؤهم أو أي دليل يدل على ذلك، وما ذلك إلا لأن الخالق لكل الموجودات وأسبابها هو الله تعالى، فما يملك غيره من شيء يخلقه إذ تستثمر المخلوقات كل ما هو موجود من خلق الله تعالى، فمهما فعل الإنسان فلا يصل إلى ذرة من عظمة صنع الله تعالى، فالمضاهاة هذه بعيدة كل البعد عن التصوير.

وقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد ١٦)

(أي أجعل هؤلاء المشركين مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره. أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٠٨. فالله تعالى ينفي أن تكون هناك قدرة لأحد أن يخلق كخلقه، فهو (استفهام إنكار، والمعنى ليس الأمر على هذا؛ بل إذا فكروا علموا أن الله هو المتفرد بالخلق وغيره لا يخلق شيئا)، فليست هناك قدرة للمخلوقين على مضاهاة خلق الله على الإطلاق؛ لأنهم غير قادرين على إيجاد الأشياء من العدم، فهم يستثمرون ما يوجد في الكون من طاقات وخامات فحسب.

وقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج ٧٣)

أي أن (جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته؛ لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه ولو اجتمع لخلقه جميعها) تفسير الطبري، ج ١٧، ص ٢٠٣

وما يعبد الناس من دون الله يشمل الآلهة المزعومة من البشر والحجر والأحراز المضروبة وغيرها. فكل هذه عاجزة عن خلق ذبابة صغيرة، بل إن سلبهم الذباب شيئا عجز عليهم استنقاذه منه، فكيف للإنسان (وهو جزء من الذين يمكن أن يؤلهوا) أن يضاهي (يشابه) بالتصوير خلق الله؟

وإذا وعينا كل ذلك علمنا أن المذموم في التصوير هو البعد عن التوحيد والجنوح إلى الشرك بمختلف صوره وأشكاله، يقول ناصر بن أبي نبهان (ت: ١٢٦٢هـ): (قد مر بيان منا في التصوير وأنه لو كان حيوانية لا نباتية ولغير معنى، ولكن لا يبلغ به هلاك إذا لم يكن ليعبد من دون الله، كالذي يصور جبلا للأطفال من مسلمين. وإنما توجه الوعيد لمن يصور للمشركين أصنافا على صور الخيل والشجر وغير ذلك ليعبدوها) قاموس الشريعة، ج١١، ص٧٣

وعندما نقول إن المذموم في التصوير هو البعد عن معاني التوحيد لا نحصر ذلك في الصور الثابتة، بل الأمر يتعداه إلى أصنام متحركة ترى لنفسها ما لله تعالى من اختصاصات، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة ٣١)

وكذلك لابد من التقيد بالضوابط الأخلاقية في التصوير:

﴿ [illegible] ﴾

(النحل ٩٠)

بحلف من كل ذلك

- الرؤية القرآنية للتصوير تنتظم فى إطار ذم التصوير البعيد عن معانى التوحيد والتلبس بروح الوثنية بكافة أشكالها وصورها. وعليه تحمل الأحاديث التى وردت فى ذم التصوير. فمثلا حديث أبى سعيد الخدرى عند [illegible] وغيره عن عائشة رضى الله عنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ وقف بالباب ولم يدخل، فلما رأت فى وجهه الكراهية قالت: يا رسول الله ﷺ أتوب إلى الله ورسوله مما أذنبت: فقال رسول الله ﷺ: «ما بال هذه النمرقة؟»

فقالت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتتوسدها فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون بها فى النار ويقال لهم أحيوا ما خلقتم».

ثم قال: «إن البيت الذى فيه تصاوير لا تدخله الملائكة - عليهم السلام -».

هذا الحديث يُحمل على كون تلك التصاوير فى النمرقة مما يحمل مضامين عقدية مخالفة للتوحيد بشكل أو بآخر، [illegible] النبى ﷺ ما قال.

- ورد فى القرآن الكريم أن التصاوير النافعة مما يستوجب الشكر لله تعالى.

- لا يمكن للناس أن يضاهوا (يشابهوا) خلق الله - تعالى - فيما فعلوا.

• [illegible]

[illegible]

(الرعد: ١٦)

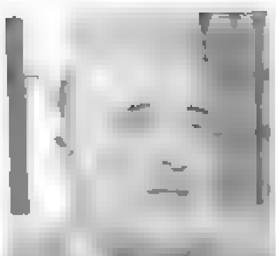
لأنهم فى الأول والأخير لا يُوجدون أى شىء من العدم، فكل ما يستعملونه من خلق الله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

(الرعد: ١٦)

- التصوير اليدوى والفوتوغرافى [illegible] للأغراض النافعة [illegible] بشرط الانسجام والتوافق مع أصول التوحيد والأخلاق وهذا ما يراه العلامة ابن أبي نبهان عندما قال (كالذى يصور خيلا للأطفال من المسلمين)، ولقد جاءت بعض الأحاديث التى تروى مجيزة للمجسم من التصاوير فى الأغراض النافعة كلعب الأطفال، روى النسائى فى السنن الكبرى (٩٤٧) وغيره عن عائشة [illegible] قالت: كنت ألعب بالبنات فربما دخل علىَّ رسول الله ﷺ وصواحباتى عندى فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن فيقول رسول الله ﷺ: (كما أنت وكما أنتن).

قالوا عن محمد ﷺ



ليوبولد فايس

(١) "... إن العمل بسنة رسول الله ﷺ هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه. [illegible] الإسلام لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام. [illegible] بيت من ورق".

(٢) "... إن السنة هي [illegible] الرسول ﷺ من أعماله وأقواله [illegible] الصحيحة كانت [illegible] في القرآن الكريم، ولا [illegible] القرآن الكريم [illegible] الوحي".

(٣) "... إنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل [illegible] الحديث على أنه نظام ما، فإن أولئك النقاد العصريين من المستشرقين [illegible] لم يستطيعوا أن يدعموا [illegible] علمي [illegible].

[illegible] الأولى، وخصوصا الإمامين البخاري ومسلما قد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضا [illegible] كثيرا من ذلك الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوروبيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم"[3].

(٤) "... إن رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو أقساما [illegible] لا قضية ذوق. [illegible] نجعل من نفسها بحثا علميا خالصا من الأهواء.."[4]

(٥) "... إن العمل بالسنة يجعل كل شيء في حياتنا اليومية مبنيا على الاقتداء بما فعله الرسول ﷺ وهكذا نكون دائما، إذا فعلنا أو تركنا ذلك، مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول وأقواله المماثلة لأعمالنا هذه وعلى هذا تصبح شخصية أعظم رجل متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يعتادنا طوال الحياة.."[5].

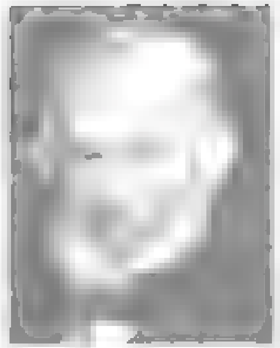
[illegible]

(٣) نفسه ص٩٦

كارلايل (٦)

"[illegible] رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً.. إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص [illegible] وما [illegible] ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد. وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فيتهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقاً [illegible] شعوباً [illegible] الأضاليل..."(٧).

(٢) "..إن محمداً ﷺ لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد [illegible] في بلاد العرب [illegible] حقيقة هي أن محمداً ﷺ لم يكن يعرف الخط والقراءة. وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية.. إنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب، ولم يضره.. أنه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها



كارلايل



[illegible]

لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك. ولم يقتبس محمد ﷺ من نور أي إنسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من [illegible] المصابيح الهادية في ظلمات الدهور [illegible] محمد ﷺ [illegible] وحده في أحشاء الصحراء [illegible] الطبيعة [illegible] أفكاره"(٨).

(٣) "لوحظ على محمد ﷺ منذ صباه أنه كان شاباً مفكراً وقد سماه رفقاؤه الأمين - رجل الصدق والوفاء - الصدق في أعماله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة. وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب [illegible] لين العريكة، جم البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على

وجهه [illegible] وجهه الابتسامة مشرقة من فؤاد [illegible] نشأته [illegible] عظمته [illegible] لم تثقفه مدرسة ولا [illegible] وهو غني عن ذلك [illegible] عظمته في [illegible] وحده في أعماق الصحراء".

(٤) "[illegible] دعوى القائلين أن محمداً ﷺ لم يكن صادقاً في رسالته.. أنه قضى [illegible] مع خديجة رضي الله عنها [illegible] ولا دوي [illegible] لا [illegible] الشباب [illegible] الشيب [illegible] أحمد [illegible] وشأناً عظيماً".

(٥) "..لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ﷺ ابن القفار والفلوات العظيم [illegible] المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة [illegible] أفكار [illegible] الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين [illegible] بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمداً ﷺ لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة

وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومفاخره، ولم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه. فكأنه لسان حال ذلك السر يناجيه: هاأنذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة [illegible] وكل القلوب واعية. وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء.."(١١).

(٦) "[illegible] لأحب محمداً ﷺ [illegible] من الرياء والتصنع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبراً ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما [illegible] الملوك قياصرة الروم وأكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة [illegible] رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد.."(١٢).

[illegible]

(١) "[illegible] شخصية محمد ﷺ [illegible] تاريخية قد لا تجدها عند أي مؤسس آخر من

---

(٧) [illegible]

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

(١٠) نفسه، ص ٤١

(١١) [illegible]

(١٢) نفسه، ص ٦٤

(١٣) كلود كاهن Cl. Cahen ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات [illegible] العليا، وعين محاضراً في مدرسة اللغات الشرقية في باريس (١٩٣٨)، وأستاذاً لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة [illegible] النصوص التاريخية المهمة كما أخرج عدداً من المؤلفات عن الحروب الصليبية

(٦) [illegible] Carlyle Th. [illegible] رافعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم. (الثورة الفرنسية) إلخ

(٧) الأبطال، ص ٤٣

مؤسسي الديانات الكبرى"(١٤).

(٢) "يبدو للمؤرخ المنصف أن محمداً ﷺ كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سمت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقياً وفكرياً، كما استطاع في الوقت نفسه أن يكيف رسالته حسب طباع الناس وتقاليدهم بمزيد من الفهم والتنظيم بحيث كفل البقاء والخلود للرسالة التي بشر بها. وحتم علينا أن نلقى محمداً ﷺ بعواطف الإجلال والاحترام لما تحلى به من سمو الأبعاد ومن قدرة على تذليل العقبات الإنسانية عامة والتغلب على مصاعبه الشخصية خاصة. وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئاً من الارتباك تبعاً لعقليتنا المعاصرة. فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول ﷺ الدنيوية وحبه إلى زوجاته التسع اللاتي اتخذهن بعد وفاة خديجة - رضي الله عنها - لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي، وأنها استهدفت الحصول على ولاء بعض الأشراف وبعض الأفخاذ. ثم إن العقلية العربية تقر الإنسان إذا استخدم طبيعته على نحو ما خلقها الله"(١٥).

(٣) ".. الحق أننا نتجاوز النقد العلمي الصحيح إذا نحن أنكرنا على كل حديث صحته أو قدمه. ولقد باشر العلماء تلك المهمة للتمحيص منذ عهد بعيد فوجدوا أن التحريف أو التلفيق قد لا يمتان على نسق واحد واستندوا في ذلك إلى بعض الأحاديث التي يمكن اعتبارها سابقة أو حجة يعتد بها. بمعنى أن الموقف النقدي مفروض على الباحث المنصف. وفقهاء المسلمين أنفسهم هم قدوة لنا في هذا المضمار لأنهم - على طريقتهم - قد شرعوا بذلك الموقف منذ العصر الوسيط"(١٦).

هاملتون جب

(١) "... قضى الأمر بنشوء علم جديد غايته جمع الحديث ونقده وتصنيفه وتنسيقه والحصول في النهاية - بقدر الإمكان - على مجموعة متفق عليها يتقبلها الجميع. وقد استأثرت هذه المهمة بالكثير من طاقات الفقهاء والعلماء في القرن الثالث. ولكن المتقنين عليه أحرزوا نجاحاً حتى أصبح حديث الرسول ﷺ يعتبر مرجعاً ثانياً معتمداً للفقه والعقيدة"(١٧).

(٢) ".. يكاد يكون من المؤكد أن الآراء التي تعبر عنها الأحاديث - التي تم جمعها في القرن الثالث - تمثل تعاليم القرآن ومبادئه الخلقية تمثيلاً صادقاً"(١٨).

(٣) "... بدايات التاريخ العلمي العربية تقترن بدراسة سيرة الرسول ﷺ ودراسة غزواته. وعليه فربما نجد مصدر هذه المدرسة في جمع حديث النبي وبخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول ﷺ. وكان موطن هذه الدراسة هو المدينة، وتفسر لنا ربط المغازي بالحديث، هذا الارتباط الذي ترك طابعاً لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد، ما طرأ من تغير هائل ظهر منذ هذه اللحظة في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب، ودقتها المؤسسة على النقد. ويمكننا أن نشعر لأول مرة بأننا نستند إلى أساس تاريخي قويم حتى وإن اعترفنا بوجود بعض العناصر المشكوك فيها في أخبار الفترتين، المدنية والمكية، من حياة الرسول ﷺ"(١٩).

(٤) "ومهما تقل في قوة النزعة الإسلامية نحو محمد ﷺ وفي آثارها فإنما لا توصف بالغلو. فقد كان إجلال الرسول ﷺ شعوراً طبيعياً محتوماً في عصره وفيما بعده، غير أن ما نومئ إليه شيء يتجاوز الإجلال. فإن العلاقات الشخصية من الإعجاب والحب اللذين بعثهما في نفوس صحابته ظل صداها يتردد خلال القرآن، والفضل في ذلك يعود إلى الوسائل التي أقرتها الأمة لتستثير بهم محدثين في كل جيل"(٢٠).

(٥) ".. لولا الحديث لأصبح - محمد صلى الله عليه وسلم - في أقل تقدير صورة مبهمة - إن لم تكن بعيدة - في جوانبه التاريخية والدينية. أما الحديث فقد صور وجوده الإنساني في مجموعة وفيرة من التفصيلات الحية الملموسة. وبذلك قدم للمسلمين حين ربط بين المسلمين وبين نبيهم بنفسه الروابط الدينية الوثيقة التي كانت تصله بأصحابه الأولين. وهي روابط تمت على مر القرون وكانت أقوى من أن تصاب بالضعف. ولم يصبح شخص محمد ﷺ أبداً ذا صبغة مرسومة مقررة. ويكاد لا يكون من الغلو أن نقول إن حرارة ذلك الشعور الشخصي نحو الرسول الحبيب ﷺ كانت أبداً أقوى عنصر حيوي في دين الجماهير الإسلامية أو كانت كذلك بين أهل السنة، على الأقل"(٢١).

".. ما تزال الاحتفالات العائلية تختم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول ﷺ وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم العيد، يوم مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك نرى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعاً معاً على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعاً وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم محمد ﷺ"(٢٢).

---

(٢١) نفسه، ص ٢٦٢ - ٢٦٨

(٢٢) نفسه، ص ٢٤٩

(٢٣) البحث عن الله، ص ٣٩ - ٤٠

قصة العدد

حديث النخلتين



قال لى صديقى: أتعرف الشاعر مطيع بن إياس، وإذا كنت تعرفه فما رأيك فيه؟

أطرقت قليلا قبل أن أجيب، ثم قلت فى تؤدة: عفا الله عن أبى الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى فابتسم، وقال فتحت للقول بابا واسعا، فأفض فيما تريد!

قلت: هذا الرجل جعل من وكده أن يجمع من أخبار الشعراء وحكاياتهم كل ما يستطيع العثور عليه، سواء كان جيدا أو رديئا، أما الأخبار فمنها الشريف الذى يتحد قدوة فى تهذيب الأخلاق. ومنها الهابط الشنيع الذى يستحى المتحدث من ذكره، ولن يفيد القارئ فى شىء، بل قد يفتح له بابا يلج به إلى المفاسد الشائنة والنزوات المريضة! وهذا ما فعله مع مطيع بن إياس وعشرات من أمثاله، الذين تركوا من المثالب ما يقذى الخربين، وما كان لهم أن يذكروا بين النابهين الفضلاء! لنزعة أبى الفرج فى تسطير المثالب وإذاعة الموبقات!

لو كان صاحب هذه النزوات شاعرا معتنا ذا مقام رفيع فى الأدب، وكانت له مآثر شعرية ذات صدى لدى الحادب، لعذرنا أبا الفرج فى حديثه عن مثل أبى نواس، لأن مقامه الشعرى لا ينكر ولكن إذا كان هذا الهابط فى سلوكه، متوسطا أو أقل من المتوسط فى شعره، فلماذا يشغل القراء به، أذكر أن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد، كتب فى (المراجعات) فصلا عن شاعر عباسى هو (ابن هرمة) وقد تعجب فيه لمن خصه بالتاريخ، واختار شعره نموذجا للقراء! وقال إن مثله فى تواضعه الشعرى لا يجوز أن يحتل من صحف الأدب ما يشغل القارئ، وابن هرمة أحسن من مطيع بن إياس فنا، وأجود قريحة، وليس فى سلوكه معابة خلقية تنحدر به إلى الوهد السافل،

وقد أنكر العقاد احتفاء أبى الفرج به، فماذا يقول إذن فى مطيع بن إياس؟ وأشباه مطيع، وهم يعدون بالعشرات فيما سجله أبو الفرج فى أجزاء الأغانى وقد قاربت خمسة وعشرين؟

على أن الله جعل لمطيع بن إياس سيرورة فى الذكر بحديثه عن نخلتى حلوان، إذا قال عنهما ما جعل اسمه يتردد. فيتناقل الناس شعره فى شأن النخلتين فقط، دون السافط من شعره الماجن الخليع!

وشعرت أنى استطردت فى الحديث بعض الشىء، فسكت. فقال صاحبى: لقد فتحت على نفسك بابين لا بابا واحدا. فأنا أحب أن أسمع بعض الحديث عن مطيع نفسه أولا، ثم عن قصة النخلتين ثانيا. فقد لا تعرفه عن الشاعر وعن حديث النخلتين!

قلت: لم أعرف من حديث مطيع إلا ما ذكره أبو الفرج، وقد حكى أنه عاصر نهاية الدولة الأموية، وصدرا من العهد العباسى، وكان له ذكر فى العصرين معا!

أما فى العصر الأموى، فقد صاحب الخمر واللعب، ونظم فى الخمر ومجالس اللهو والغناء مقطوعات ترددت على ألسنة عارفيه. لا لقوة الأسلوب، بل لانحدارها إلى التبذل، وقد انتهت بعض مقطوعاته إلى أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فأعجب بها، وسأل عن قائلها. فقيل إنه مطيع، فأرسل يدعوه، وحظى برفده، وأغدق عليه مالا وعقارا، ولو استمر عهد الوليد لبلغ مطيع أقصى ما يأمل من حظوة وثراء، ولكن الوليد قد قتل، وولى من بعده بدولة الأموية



العقاد

وعرف بين الناس أنه كان صنيعة للوليد، لذلك فهو أموى لا محالة، وقد خاف على نفسه فستر الاحتفاء.

ثم سنحت فرصة لظهوره، سنحت له حين أخذ يفكر فى استرضاء الخليفة أبى جعفر المنصور، وقد عرف أن أبا جعفر يريد البيعة لولده المهدى من بعده، دون ولده جعفر لضعف لاحظه عليه، وقد أمر بإحضار الناس فى مجلس لفعل ذلك. وحين التأم الجمع، وتقدم الشعراء فنظموا فى مديح المهدى ما تزلفوا به إلى المنصور، لم يشأ مطيع أن يكون شاعرا فماذا يبلغ من مديحه مع فحول الشعر، ولكنه نحا إلى المنصور فقال يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبى ﷺ قال المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا، واتجه إلى العباس أخى جعفر، وقال له أنشدك الله هل سمعت ذلك، فخاف العباس على نفسه من غضب المنصور، وقد لحظه الخليفة بنظر مخيف فقال نعم، ففرح المنصور وأمر الناس بالبيعة بعد سماع الحديث، ولما انتهى المجلس خرج العباس غاضبا، يقول لمطيع: لم ترض أن تكذب على رسول الله ﷺ حتى استشهدت بى على كذبك، فشهدت خوفا. فقال مطيع: ولم خالفت الحق أيها الأمير، فقال

نفسه ستكون معه يوم تعبث به في موقف خزي عظيم.

استراح مطيع تماما من شجونه السياسية بعد أن نال رضى المنصور، وآثر حياة اللهو والعبث مع فريق من أمثاله كحماد عجرد وبشار ويحيى بن زياد من هواة العبث والتبذل، وأعجب شيء ما يذكر من التمرح اصطفاؤه مع هؤلاء عبدالله بن المقفع وهو من مروءته وترفعه في منزل عال تؤكده سيرته الشخصية، وملفاته الأدبية فأين هذه الشرذمة الضالة من رجل وقور حكيم كابن المقفع. إنها كبوة يحاول بها بعض الناس أن يعبروا دون تعقيب؛ ليكون الإثم مشتركاً بين الجميع! وهيهات فللتاريخ حكمه الصائب! لقد استراح مطيع من شجونه السياسية، ولكنه لم يسترح من شجونه العاطفية، حيث ألف جارية حسناء بادلته الود، وصارت متعلقة به. ولكن أزمة مالية عارضة أجبرته على بيعها. وقد ظن أنه سيستردها حين تسمح له الأيام بالرخاء! ولكنها ما وفدت على النخاس حتى سارع ببيعها لمن رغب في شرائها، وفوجئ مطيع بما أرق مضجعه فضاقت عليه بغداد، وارتحل إلى حيث تحمله قدماه دون وعي. ورأى نفسه في بلدة آمنة تسمى حلوان. وسأل عن رفاق اللهو. فلم يجد من يعرفه. فالتجأ إلى نخلتين يستظل بهما. وقد راقه تآلفهما، وتعاطفهما حين يهب النسيم فيميل بفروعهما، ويتعانقان عناقاً؛ كان يجد الأنس في ظلهما. ويخيلهما كائنتين حبيبتين تحسان ما يحس من لواعج الشوق، فتشتعيان بالعناق، وكان الظن به أن يتعاطف معهما، ولكنه شعر بغيرة تنهش قلبه، فأنذرهما بالفراق، وأن نحس الأيام لن يبقى على عهدهما مستحسن، لأن النوى الذي قد تعقبه لابد أن يحل بهما، وقال في ذلك أبياتا أحدث تدبيج وترددا، ومنها قوله:

أسعداني يا نخلتي حلوان

وابكيا لي ريب هذا الزمان

أسعداني وأيقنا أن نحساً

سوف يأتيكما فتفترقان

ولعمري لو ذقتما ألم الفر

قة أبكاكما الذي أبكاني

قد رمتني صروف هذي الليالي

بفراق الأحباب والخلان

جارة لي بالري تذهب همي

ويسري دموعه حزني

وزعمي أن أصبحت لا ترى لعيني

من منى وأصبحت لا تراني

شاعت الأبيات، وعرفت النخلتان من بين عشاق الأدب بما تحدث عنهما مطيع، ثم كان من النوادر أن يفد أبوجعفر المنصور إلى حلوان، فيرى النخلتين الطريق تعترضان سبل القوافل، ومن بينها ما تحمله الدواب من الحجر: تعد دمنة من بقايا الآثار الفارسية لتكون بعض الجدران في بغداد فمر باجتثاث النخلتين ليسهل مرور دون عائق؛ ولكن أديباً طريفاً تقدم للمنصور، فقال له يا أمير المؤمنين، إن العامة يعتقدون هنا أن يتولى إزالة النخلتين سيكون هو النحس الذي قال عنه مطيع

أسعداني وأيقنا أن نحساً

سوف يأتيكما فتفترقان!

فعض المنصور على شفتيه، وقال: قاتل الله العامة، فهم لا يشبعون من الأراجيف، ولن أضيف إليهم ما يشمت الناس بي. ونهى عن اجتثاثهما في غضب

ويتكرر الموقف مع ولده المهدي! لقد اتجه إلى حلوان في رحلة علاجية حيث وصف له هواؤها. وأخذ معه من الندماء، والأخصاء من راق له أن يكونوا في صحبته. ونصب السرادق قريباً من نخلتي حلوان. وانطلقت إحدى المطربات. فغنت

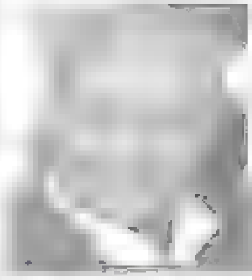
أيا نخلتي وادي بوانة حبذا

إذا نام حراس النخيل جناكما

فاستمعت. وسأل المهدي عن نخلتي وادي بوانة، فقال الخبير إنهما لا تشبهان هاتين النخلتين، وأشار إلى نخلتي حلوان، وقال إن أمير المؤمنين أبا جعفر كان قد عزم على استئصالهما فخاف أن يكون هو النحس الذي عناه مطيع، فقال المهدي: أيبلغ بوالدي التطير إلى هذا الحد، فيزعجه عن عزمه قول شاعر مغمور، سأزيلهما أنا؟ فوجم القوم. وسأل المهدي عما نزل بهم من الوجوم، فقال قائل، ولماذا تكون يا أمير المؤمنين حديث العامة، حين تهم بالنخلتين؟ وهم ذوو إرجاف يحلو في غنى فيه، ففكر قليلا وقال في هدوء، لكم ما بكم لن أكون موضع الإرجاف

وما حذر منه أبوجعفر والمهدي قد وقع فيه طبيب الرشيد، إذ نزل حلوان في بعض رحلاته. وهيج به الدم حتى غلبه. ورأى طبيبه أن يداوى بجمار النخل، وأسرع فاستدعى من استأصل إحدى النخلتين ليأتي بجمارها، ثم شفي الرشيد. ونظر فوجد نخلة واحدة لا نخلتين، فسأل مستنكراً؟ إذ كان يعلم حديث النخلتين مع أبيه وجده. فقيل لقد احتاج الأمر إلى علاجك بالجمار. فاستؤصلت النخلة وهنا فزع الرشيد؛ وقلب كفه في أسف وقال: لقد حذر أبوجعفر والمهدي أن يكونا النحس الذي عناه مطيع، ووددت أن يستمر هياج الدم في دون أن أكون أنا النحس. وطوى مجلس السمر، وعاود نفسه أسف. وكأنه ارتكب جرما سيحاسب عليه. وعلم القوم ما نزل بالرشيد من هم. فشغلوا بالإسراع به ويلتمسون عزاءه مما يتبعه من الكلمات. ولكنه قال هو شؤم وقع. وسيردده الناس ما تردد شعر مطيع!!

مصطفى صادق الرافعي
إمام البيان العربي الحديث



٣

ان الرافعي يرى ان الاستقلال الحقيقي للامة العربية من الناحية الانسانية والحضارية، لا يقوم الا على اساس من الدين الاسلامي واللغة العربية وبذلك ينفتح الطريق الى الوحدة العربية.. ويلاحظ ان "الرافعي" كانت له لمسة في غاية الدقة حين اشار الى ان الساسة في الغرب، قد ساعدوا في توضيح صورتنا امام انفسنا، واننا ينبغي ان نفيد من مخططاتهم لاصلاح واقعنا، ومواجهتهم بما يتلاءم مع قدرنا وطبيعتنا وهويتنا "فان نحن اخذنا من النظامات السياسية فلناخذ ما يتفق مع الاصل الراسخ في ادابنا من الشورى والحرية الاجتماعية عند الحد الذى لا يجور على اخلاق الامة ولا يفسد مزاجها ولا يضعف قوتها" (وحي القلم: ٣ / ١٧٤).

وعلى كل، فإنه ينبغي ملاحظة أن «الرافعي» قد جعل «الدين الإسلامي» محور الحركة والتطور في كتاباته السياسية، وفي [illegible] هو الذى يفسر به الأحداث المختلفة داخل الوطن وخارجه، [illegible] [illegible] الأرض، مستعمرين وغير مستعمرين.

[illegible] «الرافعي» [illegible] على أكثر من حقيقة، تقول بعظمة الإسلام وتفوقه، من خلال كتابه الخالد وقضاياه العظيمة، وأفعاله الجمة، وإنه - أى الرافعي - بكتاباته الإسلامية قد قدم المثل للكاتب المسلم حين يملك الوعي بأصول عقيدته وتراثه فيهب للدفاع عنه [illegible] ولعل هذا يفسر له بعض حدته التى تجاوزت أحيانا ما هو معقول في قواعد النقاش [illegible].

(انظر كتابي، مدرسة البيان في النثر الحديث، ص ١٤٧ - ٢٠١)

وكان تناول «الرافعي» للقضايا الاجتماعية [illegible] الإسلامية [illegible] للمجتمع [illegible] ومن ثم فقد كان حريصا على أن يبرز [illegible] في كل قضية [illegible] يعالجها.

[illegible] الاجتماعية التى [illegible] حول الغنى والفقر [illegible] الحضارة الإسلامية [illegible] والصراع الإنساني والتكالب على الحياة.

فإذا نظرنا إلى الغنى والفقر مثلا، سنجد [illegible] على عهد الرافعي [illegible] في [illegible] بالكتب. [illegible] الفقر [illegible] الغنى والفقر [illegible] «الرافعي» [illegible] الإنسانية [illegible]. وقد نجح «الرافعي» - لاسيما عندما [illegible] الذين يسحرون الدنيا - ومنها [illegible] إلى جانبهم حتى ولو كانوا على خطأ وضلالة. ومن أنصع الأمثلة على ذلك مقالته القصصية.. «الطفولتان» التى تدور حول الطفل «عصمت» ابن أحد الأغنياء، و«جعلص» [illegible] [illegible] ملاحظة ما فيه من تورية وتشبيه [illegible]

قال جعلص: ما اسمك؟

قال (أى عصمت). أنا ابن المدير..!

[illegible] جعلص: لا تبك يا ابن المدير تعلم أن [illegible] ضرب من الناس، هذا [illegible] يا ابن المدير، فأنت كالرغيف (الفينو) [illegible] وحشوه مثل [illegible] (وحي [illegible] ١ / ٧٦ - ٧٧)



الرافعي

ويبدو أن «الرافعي» في فلسفته للأمور، [illegible] ويحتاج إلى الكمال الذى يتوفر عند الطرف المظلوم بالضرورة.

وهذا ما جعله يعقد لواء البطولة للفقراء: «وأنتم أيها الفقراء، حسبكم البطولة، فليس غنى مطل الحرب في المال والنعيم، ولكن بالجراح والمشقات في جسمه وتاريخه» (السابق ١ / ٧٧) [illegible] الفقر إلى درجة السمو حين يتحدث عن فقر الرسول الأعظم - ﷺ (السابق، ٢ / ٤٦ - ٥٨). وهو في تناوله للقضايا المتعلقة بالغنى والفقر، مثل البخل والتشرد والبؤس والانتحار، لا يشذ عن منهجه كثيرا الذى يعتني بناحية التأمل في جوانب النقص والكمال لدى كافة الأطراف، مع إدانته الصريحة والواضحة للخروج عن القواعد [illegible] الإسلام في هذا المجال، (انظر [illegible] ١ / ٥١ [illegible] قطين»، ١ / ٧٨ مقالة «أحلام في الشارع»، ١ / ٨٥ مقالة «أحلام في قصر»، ١ / ٣٠٦، ٢ / ٨٧ - ١٤٠ [illegible])

لعلها سمة عامة عند «الرافعي»، وهي تناوله للقضايا المختلفة - ومنها قضايا المجتمع

- بنظرة تأملية، تتجاوز الأحداث ووقائعها إلى معرفة [illegible] ومدلولها وأسرارها. ونعني هذا أيضًا، ما جعل «الرافعي» لا يلح على قضايا بعينها، وأحداث محددة بقدر ما يلح على مضمون قيم معينة ودلالات مخصوصة.

لقد كان يرى الحدث أو القضية، فلا يتوقف عند سرده وتفاصيله كما يفعل غيره، ولكنه كان يقدح زناد فكره، ويغوص إلى أعماق الأمور، فيتناولها ويفلسفها، ويعلق عليها، ويربطها بحلقة متينة من القيم والأخلاق.

وقد اهتم «الرافعي» بصفة خاصة بموضوع الزواج، وأفرد له عددًا من الصفحات تدور فيه مشكلات الزواج والمهر، وعالج عزوف الشباب عن الزواج وأسبابه المختلفة على ضوء الواقع الجديد، الذي أصبحت فيه المرأة متعلمة وعاملة وتخرج إلى ميدان العمل مثل الرجال، وقد تناول هذه القضايا على هيئة حوار يعرض لوجهات النظر المختلفة (انظر مثلا: وحي القلم ١ / ١٦١، مقالات «الطائشة» ١ / ٢٠٠، مقال «س.أ.ع» ١ / ٢١٤، مقالة «أرملة الحكومة»).

كما حظيت الطفولة والمرأة بنصيب وافر في كتابات «الرافعي» الاجتماعية، وله في الطفولة كلام عذب رقيق حيث يرى فيها كمال الإنسانية وبراءتها (وحي القلم ١ / ٢٩، مقالة «حنلال العيد»)، أما المرأة فقد شغلته بقضاياها التي شغلت المجتمع آنئذ، خاصة مسألة الحجاب، وقد كان الرافعي حريصًا على تناول المسألة بمنطق يعني المرأة قبل أن يعني الرجال، وقد يحتج بمنطقه لحجاب ملحوظ، خاصة عندما يقول مثلا: «وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، وإعلاء سعرها في الاجتماع،

وصونها من التبذل الممقوت، لضبطها في حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم قانون العرض والطلب، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها في مدارج الطرق والأسواق: العيون الكحيلة، الخدود الوردية، الشفاة الياقوتية، الثغور اللؤلؤية، الأعطاف المرتجة، النهود الـ... أو ليس فتياتنا قد انتهين من الكساد بعد نبذ الحجاب إلى هذه الغاية، وأصبحن إن لم ينادين على أنفسهن بمثل هذا فإنهن لا يظهرون في الطرق إلا لتنادي أجسامهن بمثل هذا» (وحي القلم ١ / ٣٩).

وهذه الوقفة من «الرافعي» مظهر من مظاهر الاحتجاج ضد غزو المدنية الغربية، بأخلاقها وعاداتها وتقاليدها وسلوكياتها، وهي وقفة تحرص كل الحرص على خصائص الشخصية الإسلامية ومقوماتها في مصر، دون أن تتنكر لمعطيات المدنية الغربية في جانبها المادي الخاص بالعلم وما يسمى في هذه الأيام «بالتكنولوجيا»، وقد أشار إلى ذلك الرافعي في بعض مقالاته بوضوح (وحي القلم، ٣ / ٣٢ وما بعدها).

وقد سجل الرافعي تطبيقا لهذه الوقفة في موضوع «الربيطة» عن أولئك الذين تأثروا بالحياة الأوروبية وتشبعوا بها، وأداروا ظهورهم لمجتمعهم المسلم وقيمه، فخاطبهم قائلا:

«... لا أليكم حسنتم للبلاد من أوروبا بمحاربات، بدلا من هذه المواريث... وحسنتم بالسعلاة بدلا من هذا الوساد (كناية عن الزوجة الأجنبية)، وبالبهائم للسواقي (...) لا الحلال والغواني. وبمصابيح الخواتيت لا ببضائع أبطوانيت...» (السحاب الأحمر، ص٦٦).

وقد [illegible] الرافعي ظاهرة [illegible] الإنساني والتكالب على الحياة - جشعًا وطمعًا - بالتأمل العقلي الذي يرى في حيوان عقل [illegible] من الإنسان حسب أرواح نفسه واكتفى بأن يأكل ويشرب دون صراع ثم [illegible] على ما كان أو ما سيكون (وحي القلم ١ / ٥٩ وما بعدها، وانظر كتابي: مفهوم البيان في النثر الحديث، ص١٦٦-١٧١).

مؤلفات الرافعي

- تاريخ آداب العرب (ثلاثة أجزاء)، صدرت طبعته الأولى في جزأين عام ١٣٢٩هـ ١٩١١م. وصدر الجزء الثالث بعد وفاته بتحقيق محمد سعيد العريان، وذلك عام ١٣٥٩ هـ الموافق لعام ١٩٤٠م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (وهو الجزء الثاني من كتابه تاريخ آداب العرب)، وقد صدرت طبعته الأولى باسم إعجاز القرآن والبلاغة النبوية عام ١٩٢٨م.
- كتاب المساكين، صدرت طبعته الأولى عام ١٩١٧م.
- السحاب الأحمر.
- حديث القمر.
- رسائل الرافعي، وهي مجموعة رسائل خاصة كان يبعث بها إلى محمود أبي رية، وقد اشتملت على كثير من آرائه في الأدب والسياسة [illegible] مقالات الأدب العربي في الجامعة، والرد على كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين.
- على السفود، وهو رد على عباس محمود العقاد.
- وحي القلم (ثلاثة أجزاء) وهو مجموعة فصول ومقالات وقصص كتب المؤلف أكثرها لمجلة الرسالة القاهرية بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٧م.
- أوراق الورد.
- رسائل الأحزان.
- السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، وهو بحث نفيس أنشأه الرافعي إجابة لدعوة جمعية الهداية الإسلامية بالعراق، لتنشره في ذكرى المولد النبوي سنة ١٣٥٢هـ وقد صدر به محمد سعيد العريان الجزء الثالث من وحي القلم، ونشره منفصلا وائل حافظ خلف.
- ديوان الرافعي (ثلاثة أجزاء) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠م.
- ديوان النظرات (شعر) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٨م.
- ملكة الإنشاء ١٩٠٥م.

وفاته:

في اليوم السابق على رحيله، قام الرافعي [illegible] بعض الواجبات الاجتماعية، وفي فجر يوم الاثنين العاشر من مايو لعام ١٩٣٧م استيقظ [illegible] لصلاة الفجر، ثم جلس يتلو القرآن، فشعر بحرقة في معدته، تناول لها دواء، ثم عاد إلى مصلاه، ومضت ساعة، ثم نهض وسار، فلما كان بالبهو سقط على الأرض، ولما هب له أهل الدار، وجدوه قد فاضت روحه الطيبة إلى بارئها، وحمل جثمانه ودفن بعد صلاة الظهر إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطا. ومات مصطفى صادق الرافعي عن عمر يناهز ٥٧ عامًا (انظر وصفا تفصيليا للوفاة في: حياة الرافعي، ص٣٤٠ وما بعدها) رحمه الله

التـــراث العربـــى

مفهومـه وخصائصـه



(١) التراث العربى: مقال فى الهوية:

مدخل:

يعد مصطلح التراث من أكثر المصطلحات التى تتنازعها الجماعات المختلفة، وتفرقت بهم السبل بين مدح وقدح، وتنوعت دعواتهم، فريقًا يدعو إلى العناية به، وصيانته، وتوسعة نطاق خدمته والإفادة منه، وفريقًا يسعى إلى إهماله، والزراية به، وإغلاق المجال أمام ظهوره وعودة حياته.

والتراث بين الفريقين جميعًا لم ينل ما يستحقه من العناية والخدمة، والفحص والدراسة، وبيان ما ينطوى عليه من خير عميم، وفوائد جلية؛ ذلك أنه استقر فى تاريخ الحضارات جميعًا أن التراث واحد من عمد مختلفة تقوم عليها نهضة الأمة. ومن أجل ذلك فشا فى تاريخ النهضات العناية بما تراه هذه النهضة أو تلك مرجعية مؤسسة لها.

وقد استقر فى الأدبيات مجموعة من العلوم المختصة بتراث الأمة، حملت عنوانًا جامعًا هو: فقه اللغة أو (الفيلولوجى) وفق المفهوم الأوروبى، وهو دراسة جامعة للنصوص وفقه وكتب العلماء، ويدخل فى ركابه ما عرف كذلك بتحقيق التراث ونشر نصوصه، وسبق الأوروبيون إلى وضع قواعده وأصوله فى العصر الحديث، على ما نراه فى عمل المستشرق الألمانى الشهير: (جوتهلف برجستراسر) المتوفى سنة ١٩٣٢ م، وهو العمل الذى كان مجموعة محاضرات ألقاها فى الجامعة المصرية فى عام رحيله، وقد نشر أكثر من مرة، إذ نشر سنة ١٩٦٩ م، بعناية الدكتور/ محمد حمدى البكرى، بدار الكتب المصرية، ثم نشرت طبعة ثانية عنها ١٩٩٥ م.

وفى الفترة الممتدة بين هذين التاريخين نشر الدكتور/ عبدالستار الحلوجى طبعة من الكتاب نفسه مع تصحيح عدد من الأوهام التى وقعت من المرحوم الدكتور/ محمد حمدى البكرى، وكان ذلك سنة ١٩٨٢ م.

والحق أن معرفة العرب لأصول تحقيق النصوص أمر قديم وعريق جدًا، وقف أمام ملامحه، وأصل تاريخه العلامة الراحل الدكتور رمضان عبد التواب المتوفى سنة ٢٠٠١ م، رحمه الله تعالى، فى كتابه المعروف: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين.

وفى هذا الملمح الأول من هذا المدخل يحسن القول فعبر أن الثقافات الإنسانية المختلفة قد مرت أن طريق بناء نهضات أممها المختلفة يمتد عبر أبواب صحيحة يسمى بالهوية التى رأوا أن عمادها موصول بحبل التراث.

(٢) مفهوم التراث قديمًا فى الأدبيات

وقف عدد كبير من الدارسين أمام مصطلح التراث بغرض تشريح مفهومه، وبيان الموقف منه وتنوعت أشكال هذه الوقفات، وتنوعت كذلك المراجع والكتب التى عالجت هذا المفهوم، ولعل أكثر أنواع الكتب عناية بمعالجة مفهوم التراث، وبيان حدوده المعرفية كانت هى:

أ- كتب أصول نقد الكتب، وتحقيق النصوص، ونشرها.

ب- كتب علم اجتماع الثقافة فى قضية الموقف من التراث، وينضم إلى هذه القائمة المؤلفات التى كتبها دارسو الفلسفة فى القضية نفسها.

ج- كتب مراجعات النهضة، وتقييمها، والتأريخ لأصول نشأتها.

د- المعجمات المختصة والموسوعية.

وهذه الأربعة أنواع، وإن لم تكن هى كل الأنواع التى نذرت جزءًا من عنايتها للوفاء ببيان مفهوم المصطلح، فهى أكثرها ظهورًا، وهو الأمر المهم هنا.

ومن المهم أيضًا ألا يصرفنا أمر ظهورها عن إدراك أن ثمة مصادر أخرى اعتنت بهذا المفهوم، وأخلصت فى مناقشته، وتشقيق القول فى ملامحه.

وفيما يلى محاولة للوقوف أمام ملامح هذا المفهوم، يطلعنا على مدى العناية التى صرفت إليه من خلال الكتابة المعاصرة فى الثقافة العربية، وستقف الورقة هنا أمام أربعة من العلماء المعاصرين، اخترتهم بعينهم، وفق معايير موضوعية تراعى الأصالة العلمية فى معالجة المسألة من جانب، وتراعى التنوع المعرفى كذلك، وتراعى ذيوع مساهمتهم فى هذا الميدان بتحكيم ما يسمى بكثافة الاستشهادات المرجعية فى حق بعضهم.

أولاً - وأشهر الذين وقفوا أمام مصطلح التراث فناقشوا مفهومه كان العلامة المرحوم/ عبدالسلام هارون المتوفى سنة ١٩٨٨ م.

وقد عالج هذا المفهوم معالجة قصد إليها بما يجعلها هدفًا مرتين كما يلى:

أ- سنة ١٩٥٤ م فى كتابه (تحقيق النصوص ونشرها)، حيث تحدث بدءًا من مقدمة الكتاب بما يشعر أن التراث عنده هو كل ما خلفه الأسلاف مكتوبًا فى المجالات المعرفية المختلفة.

ويرى الراحل الكريم أن العناية بإعادة هذا الذى كتبه علماء الأمة فى الميادين العلمية المختلفة باب جيد لإعادة إحياء الأمة، وأن جزءًا من الأزمة أن هناك حركة معوقة تهمش هذا التراث، وتزدرى به، وتزرى بمكانته.

ب- سنة ١٩٧٨ م فى كتابه (التراث العربى)، وفيه يطلق عبدالسلام هارون فيقرر أن هذا اللفظ انحدر بطريق الاشتقاق

من حيث المعنى (ورث) الذي يدور حول ما يخلفه الإنسان من بعده من أهله.

ويقف في محاولة تاريخية ليقرر أن ظهور الكلمة قديم ظهر في الذكر الحكيم في قوله تعالى:

«وتأكلون التراث أكلا لما»

(الفجر ١٩)

ثم ظهرت في الشعر الإسلامي في مثل قول سعد بن ناشب الذي يقول:

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها ... تراث كريم لا يبالي العواقب

وهي في المعاجم القديمة ممتدة حتى العصر الحديث دائرة مع الميراث في علاقة ترادف تام.

ويخلص العلامة الراحل إلى أن المعنى المعاصر الدائر في المجال الذي نقصده هو (التراث الفكري متمثلا في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة).

ويقرر الراحل أنه ليس ثمة نطاق زمني يحيط بهذا المفهوم كما يحدث من بعض المؤسسات المعنية بنشر التراث، ذلك أنه (ليست هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان. فكل ما خلفه مؤلف من إنتاج فكري بعد حياته ــ طالت تلك الحياة أو قصرت ــ يعد تراثا فكريا).

والأمر الذي يشير في قدر غير قليل من الأهمية هو ما يسميه الراحل الكريم باسم الإنسان بالتراث، إذ يقرر أن التراث يمثل وطنا محبوبا للإنسان يقف على قدم المساواة مع الوطن بمعناه المادي. ويمثل التراث الفكري مهبط أو المتكأ للإنسان وهيبته أو لنفسه ووجدانه، وهو الأمر الذي يؤدي بانقطاعه الارتباط به إلى تصدع وفقدان النفس.



د. عبد السلام هارون

وفي سبيل استعادة الإيمان بهذا التراث يدعو الراحل الكريم إلى السير في طريق مزدوج من الدفاع عنه بعد نشر هذا التراث، والعمل على إحيائه في خطوة تالية.

وقد قصدت قصدا إلى تفصيل القول في معالجة عبد السلام هارون لمفهوم التراث ودلالته وأهميته، وموقعه الفكري في هذا المجال.

ثانيا - ويأتي الراحل الكريم الدكتور حامد عبد الله ربيع المتوفى سنة ١٩٨٩م، فيناقش مفهوم هذا المصطلح، ويذهب بعيدا في تقدير ماهيته عندما يقرر في مقدمة تحقيقه كتاب (سلوك المالك في تدبير الممالك) لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع) (١/ ٩١) قائلا (التراث حقيقة أكثر تعقيدا من أن نتصور أنها تبدأ وتنتهي عند مجموعة من أمهات الفكر). وهو بهذا التعميق لقضية مفهوم التراث يخطو خطوات عميقة لم يخطها من سبق، وقرره عبد السلام هارون ــ رحمه الله تعالى ــ ولكنه يضيف إليه بعدا أخرى أعمق. الدرجة التي تصل فيها إلى أن النظر إلى التراث على أنه هو فقط ما سبق بيانه عند الراحل عبد السلام هارون يعد خطأ صريحا.

يقول (١/ ٩١): فقد نرجح الحقيقة على أن النظر إلى التراث ــ ومعنى النظر عن تعريف مدون هذه الكلمة ــ على أنه يمثل كل ما هو مجموعة من النصوص المدونة التي تركها كبار المفكرين والفلاسفة ومن في حكمهم، وهذا غير صحيح. والحق أن هذا ظل طويلا أمام الحيلة الأخيرة في الأساس هنا، حيث يظهر الحكمة الحاسمة والضرورة إلى ضرورة التعميق للنظر إلى مفهوم التراث. وعلى حسبه فإنه يحسبه عدة معان بالحصانة، ونشره ودراسته.

وفي الصفحات التالية تتضح فكرة ظاهر توجيه النظر هذه، وحول تلك المعاني لمفهوم التراث نكرر حرصت على جمعها هنا:

١ - ١/ص ١٠ (الفكر ليس فقط تلك الأمهات المتداولة التي تركها كبار المفكرين والفلاسفة ومن في حكمهم).

١ - ١/ص ١٢ (إن التراث يجب أن يحتوي على كل ما تركه السلف للخلف، لأنه لا يتسع ليشمل الفكر والنظم والسلوكيات).

١ - ١/ص ١٥ (إن الفكر (التراث) يجب أن نفهمه على أنه مرادف للمستوى، أي مجموعة مركبة متعددة ومرتبطة بحضارة معينة).

١ - ١/ص ٢٥ (التراث حقيقة أكثر تعقيدا من أن نتصور أنها تبدأ وتنتهي عند مجموعة من أمهات الفكر).

١ - ١/ص ٢٦ (إن حديث التراث لا يعني مجرد نشر أمهات الكتب وتحقيقها).

١ - ١/ص ٢٧ (إن [illegible] التراث ذات أبعاد متعددة).

١ - ١/ص ٢٨ (والواقع أن وظيفة حياة التراث تتنوع وتتوزع).

ثم يعود ويلخص حامد ربيع ــ رحمه الله تعالى ــ على أهمية هذا الطرح ليقرر قائلا (ص ٧٠) (والخلاصة أن التراث هو مرادف لكل ما قدمه السلف للخلف. ولكن كنموذج للتعامل الفكري وعبر الفكري هو مبادئ وقيم ولكنه مبادئ وقيم عاشت أو انحصرت. وهو في حقبة معينة. وهو معنا ومعاش. ولكن من حيث كون هذا التعامل يمثل تكرارات وأو نسبة معينة. وهو نمط وقواعد. لا تعنينا دلالة التراث في الاستهلاك أحصائية ولكن يجب أن نفهم أنه دلالة تكرارية ذلك التراث وترابطه. إن التراث يتناول كل ما قدمه السلف للخلف. حتى لو لم يكن يعني أو يتضمن خطوة جديدة في التقدم الإنساني).

وهذا الطرح الذي يقدمه حامد ربيع لمفهوم في ضوء عدة أبعاد سياسية تظهر عنده [illegible] وهي أبعاد صحيح أن هذا المفهوم وثيق الصلة بالمفهوم الإسلامي للسياسة [illegible] معرفي الأصيل حامد ربيع. لكن ذلك لا يعني أن نغفل الحقيقة بمعنى التنامي الذي يسهمه حامد ربيع [illegible] الطبيعة المعرفية أنه حقيقة من حقائق [illegible] الاعتماد عند فحص وظائف التراث.

وهو الأمر الذي نلمحه في الاعتداد على من سبق في رصد مفهوم مصطلح التراث. حيث ظهرت مسألة على التراث العربي للأستاذ عبد السلام هارون، إذ يعني أنه لا يكتفي

المفهوم الذى قدمه الأخير، ولكن يدعو إلى النظر إليه على أنه وظيفة أو حلقة أولى تعدوها وظيفتان أو حلقتان، هما الوظيفة التاريخية، والوظيفة السياسية (أو الحضارية) التى تسعى إلى استحضار التراث.

ثالثًا- ثم يأتى من الناحية الزمنية محاولة العلامة الراحل الدكتور رمضان عبد التواب المتوفى ٢٠٠١ م، رحمه الله تعالى.

ويدخل رمضان عبدالتواب إلى تناول مفهوم مصطلح التراث ببحث علمى يرى فيه تمهيدًا لازمًا لبناء المنهجى لواحد من أكثر أدبيات تحقيق التراث إتقانًا وشمولاً فى الوقت نفسه، وهو كتاب (مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، القاهرة سنة ١٩٨٦ م).

وثمة ما يشعرنا بالضبط المنهجى فى الكتاب عند تناوله للمصطلح بالبيان؛ ذلك أن الرجل يفتتح معالجته بتقييدها بمجالها المعرفى الضيق المتعلق بمجال تحقيق النصوص، حيث يقول (ص ٨): "والتراث فى مجال تحقيق النصوص: هو كل ما وصل إلينا مكتوبًا فى أى علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو هو بالتالى: كل ما خلفه العلماء فى فروع المعرفة المختلفة، ولهذا فالتراث ليس محددًا بتاريخ معين".

وعلى الرغم من أن هذا التعريف يكاد يتطابق مع تعريف العلامة الراحل عبدالسلام هارون فيما يقدمه من مفهوم، وفيما يحدد من نطاق زمنى، فإنه يزيد عليه وضوحًا وانضباطًا منهجيًا، يتجلى من خلال استعمال القيد اللغوى المتمثل فى عبارة (فى مجال تحقيق النصوص)، وهذا القيد يسمى فى المعجمية المختصة بتعيين مستوى الاستعمال Usage label، أو المجال الاستعمالى، مما يجعله واعيًا بحدود وظيفته ابتداء، ومدركًا أن ثمة وظائف أخرى ممكنة بعده انتهاء.

وفحص هذه المحاولات الثلاثة يلمح فيما بينها مجموعة من عناصر الاتفاق، ذلك أنها جميعًا تنظر إلى التراث على أنه كل ما خلفه السلف للورثة الذين هم عموم الخلف، ثم اختلفوا جميعًا بعد ذلك، وظهر الخلاف على مستويات يمكن الإشارة إليها فيما يلى:

أ- يظهر أن معيارى صناعة تحقيق النصوص، ومنهم من يرون التراث منجزًا فكريًا أو علميًا وصل إلينا فى صورة مدونة أو مكتوبة. (مفهوم عبدالسلام هارون ورمضان عبدالتواب)، وهو المفهوم المحدد بتعبير حامد ربيع.

ب- تميز مفهوم حامد ربيع بالاستيعاب، والعمق، واتساع الدائرة؛ لأن له غاية كبرى تتعلق ببناء الذات.

وهو المفهوم الذى لم يحصر مفهوم التراث فى المكتوب، كما فى معالجة عبدالسلام هارون ورمضان عبدالتواب، ولم يتوقف عند حدوده كذلك.

ومن هنا فإن التعامل مع التراث مهيبًا يستلزم تحصيل أصول صناعة التحقيق، ووعى المحقق بهذا المعنى بحقيقة كونه مقدمة لأعمال خطيرة تتلو مهمته، سيقوده إلى إتقان هذه الأصول النصية، وعدم التحلل بالحراء من شأنه أن يعين على تحصيل فوائد الوظائف الأخرى التى تتبدى عند فريق توسيع النظر إلى التراث.

رابعًا- ويأتى فى خاتمة هذه المحاولات المختارة التى تمثل تطورًا نوعيًا على طريق معالجة مفهوم مصطلح التراث، الدكتور/ عبد الوهاب علوب، الذى صنع قائمة موسعة لألفاظ الحضارة والتراث والفنون والأدب، جعل عنوانه: (التراث، القاهرة ٢٠١٠ م).

وهذا المعجم الذى: "يضم، بين دفتيه كثيرًا من الألفاظ والمصطلحات والتراكيب الخاصة بالفروع الحضارة والتراث المتعددة، فيشتمل على ألفاظ الحضارة والعلوم الإنسانية بمختلف فروعها من أديان وتاريخ وفنون وفلسفة ولغة وعمارة" (ص٥).

وبهذا تكون هذه المحاولة نواة لمفهوم العربى لمصطلح التراث الذى هو تعبير عن تجرد وانطلاق فى عالم المقارنات الحضارية، "أكثر من أن يكون أساسًا لخلق بناء نموذج للتعامل"، على حد تعبير حامد ربيع، رحمه الله تعالى (ص٨٦).

وتبعًا لهذين المفهومين لمصطلح التراث تحددت النطاقات أو الحدود الزمنية للتراث. فالمفهوم الضيق المرتبط بصناعة التحقيق يوافقه توسيع النطاق الزمنى، الذى يرى فى كل إنتاج فكرى مدون رحل صاحبه منضويًا فى دائرة التراث، وهو الأمر الذى صرح به عبدالسلام هارون، ونقله عنه رمضان عبدالتواب، يقول عبدالسلام هارون فى (التراث العربى ص٥): "ولقد أصبح شعر البارودى، وشوقى، وحافظ، وحديث عيسى بن هشام، وآثار المنفلوطى، والمازنى، والعقاد- تراثًا له حرمته التاريخية، وله مقداره الأثرى".

وهو المعنى نفسه الذى يقرره رمضان عبدالتواب فى (مناهج تحقيق التراث ص٨)، فيقول إن: "التراث ليس محددًا بتاريخ معين؛ إذ قد يموت أحد العلماء فى عصرنا هذا، فيصبح ماخلفه مكتوبًا تراثًا بالنسبة لنا، فما كتبه شوقى، وحافظ، وطه حسين، والعقاد، ومحمد مندور وأمين الخولى، وغيرهم، يعد تراثًا لايقل فى أهميته عما خلفه لنا أبو تمام، والمتنبى، والبحترى، وسيبويه، والأصمعى، والمبرد، وثعلب، مثلاً".

وهذا التوسع يبدو مفهومًا ومقبولاً فى إطار هذا المعنى لمصطلح التراث.

غير أن النظر إلى التراث بمفهوم التأسيس لبناء الذات، واستحضار عناصر الشخصية على هدى مما ورثته من أسلافها، لايناسبه فيما يبدو التوسع فى تعيين النطاق الزمنى، ولكننا نرى والأمر كذلك أن نقول بتضييق النطاق الزمنى، والتوقف به عند حدود قديمة يصبح هو اللائق والأولى.

ذلك أن القرب من عصور القوة المتمثلة لعناصر بناء الذات العربية المسلمة، وهى العصور الأولى التى تمتد نسبيًا إلى قريب من حدود القرن الخامس الهجرى بإطلاق، والممتدة بعدها إلى حدود القرن الثانى عشر الهجرى بتقييد، وشروط.

وهو القيد أو التضييق الزمنى له ما يسوغه من وجهة نظرنا؛ ذلك أن صفاء الفكرة الإسلامية فى التراث المدون، أو فى التراث التطبيقى، والسلوكى كان أمره ظاهرًا، قبل رياح عاصفة هبت على عالمنا فنالت من درجات هذا الصفاء.

(يتبع)

الوظائف والحرف في عهد رسول الله (ﷺ) وصدر الإسلام

من القضايا التى تشغل عددا كبيرا من الباحثين والمسئولين عن قطاعات الاعمال المختلفة، القضية الخاصة بما اصبح يعرف بـ ، توصيف المهن ، والتى اصبحت محل اعتبار لعدد من العلوم الانسانية، مثل ادارة الاعمال، والتخطيط، وعلم النفس الصناعى، وعلم الاجتماع الصناعى، وعلم النفس التربوى...الخ.

ومضمون هذه القضية ان لكل مهنة وحرفة، مواصفات بعينها، وعناصر، وكفايات لابد ان تتوافر فيمن يمارسها، وقدرا من المعلومات والمعارف المتصلة بكل هذا، وعددا من المستويات التى تحدد المنزلة التى يمكن ان يحتلها هذا وذاك فى سلم التدرج بالمهنة والحرفة.. وهكذا، وكل هذا يحدد ، الراتب ، الذى يستحق العامل ان يتقاضاه.

ويتوفر مثل هذا التوصيف تتحدد أطراف أربعة هي:

● أولها: صاحب المهنة والحرفة نفسه، حتى يعرف ما هو مقبل عليه ومدى استعداده له.

● وثانيها: صاحب العمل، حتى يساعده هذا في اختيار العنصر المناسب، ومن ثم لا تنفق أمواله هدرا، وإنما العكس هو الصحيح.

● وثالثها: هو «المستفيد» الأخير، وهو ما تسميه بعض الأدبيات «الزبون».

● ثم يجيء دور الطرف الرابع ألا وهو «المربى» الذى يخطط للمناهج وطرق التعليم والأجهزة والمعدات والأدوات المناسبة، والكتب، والمكان، بحيث يمكن له أن يعلم الطالب عن المهنة المعلمية وقواعدها وممارساتها، وآدابها، وكل ما هو لازم حتى يمارسها.

وقد اشتدت الحاجة إلى هذا الدور الأخير في العصور الأخيرة، حيث تعقدت المهن والحرف، وارتقت مستوياتها، وتعددت وظائفها، مما اقتضى قيام مؤسسات تعليمية متخصصة مثل كليات الهندسة، وكليات الطب، وكليات الصيدلة، وكليات الزراعة، وكليات التربية.. وهكذا، بينما لم يكن الأمر كذلك، منذ عشرات قرون خلت، حيث كان الأمر يتم بالتقليد والمحاكاة، وما تراكم من خبرات عملية.

لكن، ومع تنامى التقدم الحضارى الإسلامى، بدأ الاهتمام بدراسة المهن والحرف المختلفة، من حيث توصيفها وبيان أصولها وقواعدها، وإن كان هذا لا يعنى الدراسة العلمية المنظمة، التى لابد منها لممارسة مختلف المهن والحرف المتوافرة.

ولو نظرنا كمثال لما كان قد بدأ يتوافر من دراسات لبعض المهن والحرف، فسوف نجد مجالا مثلا «الفلاحة»، فمن حيث النظر إليها كحرفة، نجد ابن خلدون يكتب عنها في مقدمته قائلا: «هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها، وعلاج نباته، وتعهده بالسقى والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك» (مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٦٥).

وإذا تأملنا هذه العبارة جيدا «وإحكام الأعمال لذلك»، نجد أنها لا تختلف في المضمون والمعنى عما يتنادى به كثيرون في أيامنا هذه من ضرورة مراعاة معايير «الجودة».

وكان للمسلمين تصانيف في الزراعة والنبات، مما يدخل في أربعة صنوف أساسية، يتداخل أحيانا كتب الصنف الواحد بكتب غيره، وهي (سعيد إسماعيل علي: النبات والفلاحة والري عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٧) كما يلي:

الكتب الزراعية التي تتناول العلوم الزراعية المختلفة وكيفية الاعتناء بها، ومقاومة آفاتها.

الكتب التي تتناول النباتات الطبية وفوائدها، وخصائصها، وهي تعرف قديما بكتب المفردات الطبية والعقاقير.

الكتب التي تتناول الرحلات النباتية وما شاهدوه خلال رحلاتهم من نباتات، مع ذكر أوصافها ورسمها بالألوان الطبيعية.

الكتب المعجمية التي تتناول في بعض فصولها شيئا عن النباتات، ومفرداتها، وخصائصها.

ومما يشير إلى عبقرية الحضارة الإسلامية، تأمل تلك البذور الأولى لإقامة عالم المهن والحرف على أسس وقواعد تساعد على تنشيطها وتطويرها المستمر، وإعداد العناصر البشرية التي يمكن أن تقوم بكل منها، وتفعيل كفاياتها الإنتاجية، مما يساعد بدوره في تنشيط الاقتصاد الوطني، وتفعيل القوى الإنتاجية فيه.

أما هذه البذور الأولى فهي مما أرسى تنوعها وتعددها ووظائفها وكفاءتها، رسول الله (ﷺ)، وسار على هديه ونهجه صحابته (ﷺ)، وتابعيه بإحسان، وهم ورثاء، ممثلا لتلك الإشارات المهمة في القرآن الكريم، لأمثلة من بعض المهام والوظائف، وما تتطلبه من مواصفات، لعل أبرزها ما جاء في سورة البقرة، خاصا بمن يتولى أمر الإدارة الكلية للجماعة وحكمها، فيما -رواه سبحانه وتعالى- عن بني إسرائيل:

[illegible]

فلقد تصور القوم أن من يصلح للحكم هو من توافر لديه المال الكثير، فيجئ المولى ـ عز وجل ـ لينبه إلى المواصفات الحقيقية لكفيلة بنجاح الحاكم، وهنا تجئ هاتان الصفتان البارزتان : العلم، وفقا لمستويات ومقاييس العصر الذي يكون فيه متولي أمر الجماعة، وكذلك صحة وسلامة الجسم، لا مجرد حسن المظهر ووجاهة الهيئة الخارجية. ولا بد من التأكد من الصحة الجسمية من سلامة الحواس، وأن يبرأ من الأمراض، نظرا لثقل المهام التي سوف يكلف الحاكم بها.

وفي سورة يوسف، بيان لما تمتع به يوسف ـ عليه السلام ـ من كفايات وقدرات، أهلته لأن يستأمنه عزيز مصر كي يكون مسئولا عن الشئون المالية والاقتصادية، فقال سبحانه وتعالى:

[illegible]

ولما ورد في القرآن الكريم أيضا ما جاء عن قصة ابنتي شعيب ـ عليه السلام ـ مع موسى ـ عليه السلام ـ في سورة القصص

[illegible]

فقد دلت مساعدة موسى ـ عليه السلام ـ لابنتي شعيب على توافر خاصيتين مهمتين، تتيح لشعيب أن يستأجره، ألا وهما : القوة، و الأمانة.

ومن حسن طالع الحضارة الإسلامية أن نجد من العلماء من يحرصون على تسجيل المواقف الدالة على البذور الأولى في الحياة الإسلامية، للوعي بأهمية توافر مواصفات بعينها لكل من تولى وظيفة أو مهنة أو حرفة.

ولقد دلنا على ذلك، أحد الرموز العلمية البارزة في الحضارة الإسلامية، ألا وهو أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود، المعروف بالخزاعي، نشأ في الأندلس، وولد بتلمسان في العام ٧١٠هـ الموافق ١٣١٠ ميلادية، وذلك من خلال مصنفه الفذ حقا (كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (ﷺ) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية)، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة عام ١٤٠١ للهجرة، الموافق ١٩٨٠ م، محققا عن طريق الشيخ أحمد أبو سلامة، ويصل عدد صفحاته إلى ما يزيد عن ثمانمائة صفحة من القطع الكبير.

ومما يتسم به المؤلفون البارزون: إدارة مقدمتهم لعمليهم العلمي بمقدمة تجيب عن سؤال أساسي، وهو : لماذا هذا الكتاب؟ وهو ما أجاب عليه شيخنا الخزاعي بتحديد الأهداف التالية

إثبات النسبة الشرعية للحرف والصنائع والعمالات الشرعية.

تعديل فهم الذين يحسبون من دفع إلى النظر في كثير من تلك الأعمال في هذا الأوان (أي القرن الثامن الهجري، حيث كان يعيش شيخنا) مبتدعا، ومتوغلا في خطة دنية، وليس عاملا في عمالة سنية.

في ذكر الوظائف ومن تولاها من الصحابة رضوان الله عليهم دافع لمن يليها الآن أن يشكر الله ـ عز وجل ـ على أن استعمله في عمل شرعي كان يتولاه صاحب من أصحاب النبي (ﷺ)، وأقامه في ذلك مقامه، ويجتهد في قيامه بحق فيه بما يوصيه الشرع ويقتضيه، فيكون قد أحيا سنة وأحرز حسنة.

ومما يسعد الإنسان حقا أن يهرع باحث متميز مثل الأستاذ سعيد هارون عاشور، إلى خطوة تيسر لكثيرين الاطلاع على هذا العمل الفذ، باختصاره، واستكمال ما يجب من حيث التحقيق والتوضيح، (نشر مكتبة الآداب بالقاهرة، ٢٠٠١)، وهو ما يتبين لنا من خلال ما أثبته الباحث في مقدمته للمختصر، حيث تحدد جهده من خلال:

- إثبات بعض الآثار التي جاءت في الأصل، والتي يتحقق بها النسبة الشرعية للوظائف والعمالات الشرعية التي أوردها المؤلف.
- تخريج بعض الأحاديث التي لم يعزها المصنف إلى مصادرها.
- ذكر أسماء الرجال الذين أسندت إليهم هذه الوظائف والأعمال التي قاموا بها، مع إعمال التراجم التي اهتم بإثباتها المؤلف.
- توضيح لبعض المفردات الواردة في الآثار مع بعض التعليقات في الهوامش

عند قراءة الأصل تبين للباحث أن به بعض الأخطاء المطبعية والتصحيفات، وسقطا في بعض الآثار، مرجعا ذلك احتمالا - إلى الظروف التي اكتنفت مراجعة التجارب الطبعية للكتاب، والتي أشارت

[illegible] للكتاب، فكان لزاما على باحثنا المجتهد الرجوع إلى هذه الآثار في مصادرها، وإثبات [illegible] في مختصره هذا.

ويتكون الكتاب الأصلي من عشرة أجزاء تضم ١٧٨ [illegible] يستحيل علينا في مقالنا الحالي أن نوفيها حقها من حيث البيان، ومن ثم فسوف نقتصر على أمثلة منها، وخاصة تلك التي نرى أنها أقرب إلى المجال التربوي، وهو موضع عنايتنا في هذه السلسلة من المقالات.

ففي الجزء الثاني، الخاص بالعمالات [illegible] وعمال الصدقات [illegible] إليها من عمالات المسجد، وعمالات آلات [illegible] على [illegible] (معلم القرآن). وفيه ما أشار إليه أبو الفرج بن الجوزي في كتابه مشكل الصحيحين، عن عبادة بن الصامت أنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ)، وكان يعلم أهل الصفة القرآن، وهو أحد النقباء الإثني عشر.

وفي مصدر آخر، عن عبادة بن الصامت، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد وجهه إلى الشام قاضيا ومعلما. وفي السير لابن إسحاق أن رسول الله (ﷺ) بعث مع الذين بايعوه في العقبة الأولى، وهم اثنا عشر، بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، وكان يسمى المقرئ بالمدينة. وفي مصدر آخر: استخلف رسول الله (ﷺ) عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل، يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن. وورد أيضا في مصدر آخر أن رسول الله (ﷺ) استعمل عمرو بن حزم [illegible] على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن.

[illegible] فقد خصصه [illegible] الكتابة، وهنا يشير إلى ما ورد في بعض المصادر من أن عبد الله بن سعيد بن العاص [illegible] الحكم فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الله، وأمره أن يعلم الكتاب بالمدينة، أي القراءة والكتابة. وروى أبو داود عن عبادة بن الصامت قال: علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن. وفي مصدر آخر [illegible] كان في أسرى بدر [illegible] من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، فكان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة، ويخلى سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت، في جماعة من غلمان الأنصار.

وروى أبو داود في كتاب [illegible] ما جاء في الرقى عن الشفاء بنت عبد الله قالت: «دخل علي النبي (ﷺ) وأنا عند حفصة فقال: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»، والنملة بثور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح فيتسع.

وعقد شيخنا كذلك بابا (في ذكر المفقه في الدين)، حيث يعني الفقه اصطلاحا: العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال، وقد روى مسلم قول النبي (ﷺ) [illegible] به خيرا يفقهه في الدين». ومن الصحيح أيضا ما رواه أحمد وابن ماجة عن النبي (ﷺ) قال: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فرب حامل فقه إلى فقيه، ورب حامل فقه

[illegible] من هو أفقه منه». وكان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) [illegible]. وقد [illegible] النساء أن يجعل لهن يوما يعظهن فيه، فأجابهن إلى ما طلبن. وقد بعث النبي (ﷺ) بعضا من أصحابه متفقهين في الدين، كمصعب بن عمير إلى المدينة قبل الهجرة، ومعاذ بن جبل إلى مكة بعد الفتح وعمرو بن حزم إلى نجران.

وفي الباب الخامس، بيان لضرورة أن يعتمد المسلم على أهل العلم يقولون له بالرأي المرضي لله بالنزول على أحكام المولى - عز وجل - وإذا كانت الواقعة المستشهد بها في التالي أمرا يخص أحكام [illegible] لا وهو ضرورة الاستناد إلى أهل العلم، وفقا لكل تخصص.

فقد روى مالك في موطئه (كتاب [illegible]) [illegible] أحدهما: يارسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، [illegible] رسول الله [illegible] لي في أن أتكلم، فقال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفا (أي أجيرا) على هذا، فزنا بامرأته، فخبرت أن على ابني الرجم، [illegible] ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني: جلد مائة وتغريب عام، وأخبروني إنما الرجم على امرأته. فقال رسول الله (ﷺ): «أما والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله. أما غنمك وجاريتك فرد عليك». وجلد ابنه مائة، وغربه عاما، وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر [illegible] فإن اعترفت رجمها، فاعترفت فرجمها.

ومن هذه الواقعة نلاحظ أن الرجل، على الرغم من تميزه في العلم، إلا أنه أراد أن يطمئن قلبه إلى ما تصوره من حكم، فذهب إلى بعض من هو أفقه منه فأخبروه بحكم يختلف بعض الشيء عما قال به هو. ولم يكتف الرجل بذلك، فأراد أن يزداد [illegible] وكيف لا [illegible] الحكمة الدينية موجود على قيد الحياة بينهم، ألا وهو رسول الله - ﷺ - الذي قضى بما [illegible] عما تصوره الرجل... [illegible] العلم والمعرفة بمستوى واحد، فعلى المسلم أن يتأكد ويستوثق [illegible] من الاستشارة [illegible] علماء [illegible]

وفي [illegible] عددا من المهام التي يتكفل بها نفر يختصون بالكتابة لأولي الأمر، الذين [illegible] الأمة، [illegible] هو رسول الله (ﷺ) حيث [illegible] الحاجة إلى من يكتبون عنه ما يوحى به إليه من لدن الخالق - سبحانه وتعالى - وهم من عرفوا بكتاب الوحي، حيث قال القضاعي: كان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب يكتبان الوحي، فإن غابا، كتب أبي بن كعب، وزيد بن ثابت. فإن لم يحضر أحد من هؤلاء الأربعة كتب من حضر من الكتاب وهم: معاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وحنظلة بن الربيع

وقال ابن عبد البر: كان زيد ألزم الصحابة لكتاب الوحي. وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب الوحي أيضا، فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، [illegible] وأسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه.

ويذكر المصادر أن أول من كتب لرسول الله (ﷺ) مقدمه المدينة: أُبيّ بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان. وكان أُبيّ وزيد يكتبان الوحي بين يديه (ﷺ)، ويكتبان [illegible]. وقال أبو عمر: وكان من المواظبين على كتابة الرسائل: عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب الزهري.

وذكر ابن إسحق [illegible] زيد بن ثابت يكتب الوحي، ويكتب إلى الملوك أيضا.

وكان الكاتب لعهوده (ﷺ) [illegible] عهد، وصلحه إذا صالح: علي بن أبي طالب. وروى البخاري في كتاب بدء الخلق باب عمرة القضاء: وكان ذلك في صلح الحديبية بين المسلمين وقريش، [illegible] يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب. وروى البخاري أيضا بخصوص مطاردة سُراقة بن مالك للنبي (ﷺ)، فلما ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغت الركبتين، نادى طالبا الأمان من النبي (ﷺ)، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له [illegible] كتب أبو بكر.

وفي الجزء الثالث أيضا نجد في الباب السابع حديثا عن «الترجمان»، وفي الترجمان لغات ثلاث: الأولى: فتح التاء والجيم معا، والثانية ضمهما معا، والثالثة فتح التاء وضم الجيم.

وفي البخاري باب ترجمة الحكام عن زيد بن ثابت أن رسول الله (ﷺ) قال له «تعلم كتاب يهود، فإني ما آمن يهود على كتابي، فتعلمت في نصف شهر حتى كنت [illegible] إلى يهود، وأقرأ له إذا كتبوا له».

وفي مصدر آخر أن زيداً كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي (ﷺ)، وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، وتعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن.

ولعلنا نقرأ ونسمع كثيرا في سنواتنا الأخيرة عن «الشفافية» و«المحاسبة» و«المساءلة»، حيث تشتد الحاجة إلى أن يتسم الحكم والإدارة بأعلى قدر من الشفافية التي تتيح حق معرفة الحقيقة لعموم الناس، فضلا عن أهمية مساءلة الحكام عما يحدث في عهودهم. وهو ما بدأت بذوره في عهد رسول الله (ﷺ)، ففي البخاري، في كتاب الهبة، عن أبي حُميد الساعدي قال: استعمل رسول الله (ﷺ) رجلا من الأزد على صدقات بني سليم يدعى: ابن اللُّتبية، فلما جاء حاسبه.

وروى مسلم مثله بزيادة، قال: هذا ما لكم، وهذا هدية، فقال رسول الله (ﷺ): «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا، ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتيني فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أُهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟ والله لا يأخذ أحد منكم منها شيء بغير حق إلا لقي الله ـ عز وجل ـ يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه، يقول «اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني».

وهذا الذي نشير إليه هذه الرقعة يمكن أن يكون إحدى أهم السمات التي ينبغي أن تتوافر في الحاكم العادل، فأحيانا ما نرى قريبا للحاكم، من الدرجة الأولى أو الثانية، يثرى ثراء مذهلا، ويقولون أن هذا نتيجة تجارة، وشطارة، فتتعدى حدود المدح، وهنا نتساءل تساؤل رسول الله (ﷺ)، هل إذا لم يكن له هذا الموقع من الحاكم كان سيجني مثل هذه المكاسب والأرباح الطائلة، أم أن موقعه شجع آخرين على أن يسهلوا له وييسروا[1]

ويتناول الجزء الرابع «المعاملات الأحكامية وما ينضاف إليها»، حيث نجد الباب الخامس مختصا بـ«الشهادة وكتابة الشروط»، فقد أمر الله ـ عز وجل ـ بالكتابة والإشهاد في بيوع الآجال، فقال في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة:

﴿[illegible]
[illegible] وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾

فشرط توافر «العدل» في الكاتب واضح وصريح. وفي الإشهاد، في الآية نفسها

﴿[illegible]
[illegible]﴾

وفي بيوع النقد قال تعالى، في الآية نفسها

﴿[illegible]
[illegible]﴾

وأمر الله ـ عز وجل ـ بالإشهاد في الوصية فقال في سورة المائدة

﴿[illegible]
[illegible]﴾

وكذلك في بلوغ اليتيم رشده وإعطائه حقه فقال تعالى في سورة النساء:

﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾

وكذلك في الإشهاد بالطلاق والرجعة، فقال تعالى في سورة الطلاق:

﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾

وأشار الباب الحادي عشر إلى وظيفة لعبت دورا مهما في تاريخ الدولة الإسلامية، ألا وهي وظيفة المحتسب، حيث كان المتقلد لها يقوم عموما على المحافظة على النظام العام، ومراقبة ما يجري في الأماكن العامة، من أسواق وكتاتيب وحمامات عامة، ومراقبة الأسعار والموازين والمكاييل، والمحافظة على الصحة العامة عند الجزارين والخبازين، والسقائين. وكان من حق المحتسب التحقيق والفصل الفوري في المنازعات، مما لا يدخل في اختصاص القاضي الذي يحكم في المظالم. وكذلك لا يدخل في اختصاص صاحب الشرطة الذي

يتعد الأحكام (حسب شرح الباحث سعيد [illegible] ص ٣٦).

[illegible] في عهد رسول الله (ﷺ) روى الترمذي في باب البيوع عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) مر على صبرة طعام (أي كم من الطعام لا يعرف وزنه ولا كيله) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: «يا صاحب الطعام، ما هذا؟» فقال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس»، ثم قال: من غشنا فليس منا.

أما الجزء التاسع، فهو [illegible] من الحرف والصناعات. [illegible] في ذكر حرف وصناعات كانت في عهد النبي (ﷺ)، وذكر من عملها من الصحابة رضوان الله عليهم، ويكفي أن نشير إلى أبرزها فيما يلي:

في التجارة في الأسواق - في ذكر من كان بزازا في زمن النبي من كبار الصحابة - في العطار - في الصراف - في بائع الرماح - في بيع [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في النساج - في الخياط - في النجار - في ناحت الأقداح - في الصواغ - في الحداد - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في الصياد في البر - في الصياد في البحر - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في [illegible] - في المعتين - في الخمار - فهذا الجزء وحده أشار إلى أربع وثلاثين حرفة!

وإذا كان عهد رسول الله (ﷺ) عهد بذر البذور، والتأسيس لمجموعة من الحرف والمهن التي لا قوام للأمة بغيرها، فقد كان طبيعيا أن يتم الإعداد لكل منها عن طريق المحاكاة والتقليد، كما قلنا.

وفي المرحلة التالية من التطور، بدأت تظهر الكتب والدراسات التي تسعى إلى وضع الأصول والقواعد، وترسي المبادئ وتعمق المفاهيم.

أما المرحلة الثالثة، الخاصة بتأسيس معاهد ومؤسسات لإعداد العاملين في هذه المهن والحرف، عن طريق التعليم والتدريب؛ فهو لم يظهر إلا في مرحلة تالية من التطور

[illegible]

من تراث الهلال:

مكتبة الأزهر

درة ثمينة وتاج على جبين مصر وبلاد الإسلام

[illegible]

بعد أن انتهى جوهر الصقلي من بناء القاهرة شرع في تأسيس الجامع الأزهر في ١١ شعبان سنة ٣٥٨هـ/ يوليو ٩٦٩م، وأتمه في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م.. وكما تشير المراجع التاريخية استغرق بناء الجامع عامين، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في ٧ رمضان من نفس العام وهو أول جامع أنشئ في مدينة القاهرة.

وقد حرص صالح جودت رئيس تحرير مجلة الهلال على الاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء الجامع الأزهر بتخصيص عدد من المجلة وبعض الكتب التي تصدرها سلسلة كتاب الهلال، وهي ذكرى تستحق كل هذا الاهتمام لمن يعرفون دور الأزهر التعليمي ودوره السياسي في مواقفه المشهودة في التصدي لظلم الحكام وتحريك الثورات ضد المحتل الأجنبي ومن بين المقالات التي كتبت في عدد الهلال الصادر في أكتوبر ١٩٧٢م «مكتبة الأزهر عمدة العلوم الإسلامية والإنسانية»، وكانت المكتبة في ذلك الوقت منتشرة داخل أرجاء المسجد الكبير، وذهبت لعدة أيام أتجول في جنباتها، يملؤني الفخر بتلك الكنوز التي تضمها من مراجع فريدة وكتب ومخطوطات نادرة.

[illegible] في مقدمته أن أول من أنشأ مكتبة في العصر الإسلامي هو خالد بن يزيد الأموي في دمشق، وبأمره ترجمت كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية إلى العربية، كما انتشرت المكتبات العامة في بغداد والأندلس ومصر، واهتم الحكام في كل بلد إسلامي بإنشاء المكتبات، ووصل الأمر إلى حد المنافسة في اقتناء الكتب، وتقريب الأدباء إلى مجالسهم والاهتمام بأمرهم. وقد بلغ عدد المكتبات في غرناطة وحدها سبعين مكتبة.

وقد اقتدى الفاطميون بمصر بخلفاء

بعده وأسس في إنشاء مكتبات، والاهتمام وتنشيط الحركة العلمية. فأنشأ مكتبة خزانة الكتب، ومكتبة دار الحكمة، ومكتبة «الجامع الأزهر» ونالت المكتبات في ذلك الوقت اهتماما شديدا من العزيز بالله فكان يجرى الأرزاق على العلماء والأطباء، ويهتم بكل ما من شأنه رفع الثقافة وزيادة المعرفة بين أهل مصر.

صراع من أجل البقاء

يشير المقال إلى أن المكتبة الأزهرية الموجودة الآن (١٩٧٢) ليست هي مكتبة الأزهر القديمة التي أشار إليها المؤرخون في كتبهم، وإنما هي مكتبة حديثة قامت على أطلال المكتبة القديمة. فقد قال ابن ميسر في كتابه «أخبار مصر» سنة ٥١٧هـ «إنه قد أسند إلى داعي الدعاة أبي الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب».

وقد ذكر المقريزي (خطط جـ٢ ص٢٧٢، ٢٧٥) «أن الحاكم أمر بنقل بعض الكتب التي كانت بدار الحكمة إلى الجامع الأزهر، والباقي إلى مسجده. ومسجد المقس» ويتضح من هذا أن مكتبة الأزهر كانت تضم أكثر من خمسين ألف كتاب (في ذلك الوقت). وقد وزعت كتب مكتبة الأزهر على الأروقة التي بلغ عددها زهاء الثلاثين رواقًا وزاوية، وأشهرها رواق الشوام والمغاربة والأتراك.

والشراقوة، والأروام. وحرصا الذي أنشئ قبيل نهاية القرن التاسع عشر بقليل وهو الرواق العباسي، وذلك لإطلاع الطلبة عليها، وخصص منهم من يقوم على هذه الكتب وحفظها.



صالح جودت

تسرب الكتب وضياعها

ولكن اتضح أن كثيرا من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب على أيدي علماء أوروبا ومكتباتها الشهيرة، وذلك عن طريق سماسرة الكتب الذين استغلوا الجهل والضعف الخلقي في نفوس بعض القائمين على هذه المكتبات في بعض الفترات.

وإلى جانب تسرب الكتب وبيعها بأبخس الأثمان، فقد أهمل البعض وترك في سراديب طعامًا سائغًا للحشرات، وتكومت فوقه الأتربة. فتلفت أوراقه، وبليت وتمزقت وقطعت جلودها وكاد لا يوجد منها كتاب سليم إلا ما ندر!

كما أن الفرنسيين حينما اقتحموا الأزهر بخيولهم أثناء الحملة الفرنسية على مصر نهبوا كثيرًا من هذه الكتب التي يوجد البعض منها بمكتبة باريس حتى الآن (ومن حق مصر أن تطالب باستعادتها مرة أخرى).

دور مهم للشيخ محمد عبده

ويشير المقال إلى أن تعرض كتب الأروقة للضياع والتسرب إلى أيدي المتربصين بها ممن يعرفون أقدارها، والذين تخصصوا في الحصول عليها وإرسالها إلى أوروبا، هو الذي أوحى للشيخ محمد عبده بفكرة إنشاء مكتبة الأزهر، بعد أن راعه أن هذه الكنوز العلمية مبعثرة لا يهتم بها أحد، وكان ذلك ضمن برنامجه الإصلاحي للأزهر والذي أخذه على عاتقه.

وقد تقدم الشيخ محمد عبده بفكرته هذه إلى مجلس إدارة الأزهر، فنالت الفكرة القبول من أعضائه. وبخاصة الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت، والذي وهب مكتبته الخاصة لهذا المشروع الجليل دون تردد ليقتدي به الآخرون.

واجتمع مجلس إدارة الأزهر لدراسة هذا المشروع، وما لبث أن وافق عليه واختار المكان المناسب لعمل مكتبة الأزهر.

وكتب لديوان الأوقاف الذي كان يتولى الإشراف على شئون الأزهر للإعداد لتنفيذ هذه الفكرة.

وتم تنفيذها فعلا في أول المحرم سنة ١٣١٤هـ ـ ١٨٩٧م.

وقد لاقى الإمام محمد عبده كثيراً من الصعاب في إقناع القائمين على الأروقة بفائدة مكتبة الأزهر، وضرورة تجميعها حفاظا على التراث الإسلامي من




حسونة النواوي محمد عبده

الضياع، وتجمعه في مكان واحد ليكون أكثر فائدة، وأعم نفعا لطلاب الأزهر في كل بلاد العالم الإسلامي.

ولم يكتف محمد عبده بتكوين المكتبة بما جمع من مكتبات الأروقة، بل دعا الأغنياء والعلماء إلى المشاركة في تكوينها، مستعينا في ذلك بمدى حبهم له ومكانته عندهم. فاستجاب البعض لذلك وعلى رأسهم الشيخ حسونة النواوي وورثة سليمان باشا أباظة.

مكتبة مبعثرة

حينما تجولت في أرجاء المكتبة في ذلك الوقت لم تكن مكتبة الأزهر ـ كما يتبادر إلى الذهن ـ مكانا محددا معلوما. تستطيع أن تجد فيه بغيتك من قاعات مجهزة للقراءة، كالمكتبة الحديثة. لكنها تشمل أماكن كثيرة، فهي تشمل أربعة أمكنة متفرقة داخل الجامع الأزهر، وهي المدرسة الأقبغاوية والمدرسة الطيبرسية ورواق الأحناف والرواق العباسي.

والمدرسة الأقبغاوية على يسار الداخل إلى الأزهر من بابه الغربي الكبير، وقد أنشأها الأمير أقبغا عبدالواحد على نظم المدارس الإسلامية في ذلك الوقت وهي

المدرسة الأقبغاوية توجد مكتبة لعامة بجميع فنونها التي تبلغ اثنين وستين فنا.

أما المدرسة الطيبرسية فهي على يمين الداخل إلى الأزهر من بابه الغربي، وقد أنشأها علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش المصرية، وأتم بناءها سنة ٧٠٩هـ، وقد شغلت المكتبة أولا المدرسة الأقبغاوية، وعندما ضاقت بالكتب ضمت إليها المدرسة الطيبرسية حتى تستوعب الكتب الكثيرة والمخطوطات التي أمكن تجميعها بعد جهود شاقة بناء على اهتمام الشيخ محمد عبده بجمع التراث والاحتفاظ به لكل طالب علم.

ربع مليون كتاب

ضمت مكتبة الأزهر حتى عام ١٩٧٢، ربع مليون كتاب ومخطوط، وتشمل اثنين وستين فنا.

وتعد ثاني مكتبة في مصر بعد دار الكتب، ويوجد بها أكبر مجموعة في العالم من التراث العربي الإسلامي، منها مخطوطات ثمينة لا توجد في أية مكتبة سواها، برغم السرقات والإهمال الذي لحق بها حقبا طويلة من الزمن، وبعض هذه المخطوطات بخط مؤلفيها الكبار.

ولو طبعت هذه المخطوطات وتداولها الباحثون، لغيروا رأيهم في كثير من مفكري العرب والمسلمين، ولعرفوا قدرهم فيما توصلوا إليه بثاقب علمهم، وعبقرية إنتاجهم لشتى النظريات في الطب والفلك والرياضيات.

كنوز بمكتبة الأزهر

تضم المكتبة التي ورثت خلاصة الثقافة الإسلامية في الشرق ممثلة في مؤلفات علماء جامع الأزهر وشيوخه وعلماء الإسلام بصفة عامة.

فالأزهر قبلة العلماء، وصفوة النابهين من المسلمين لأكثر من ألف عام مضت، وكان ولا يزال مصدرا من مصادر الثقافة الإسلامية الرشيدة لراغبي العلم من كل بلاد العالم.

وفي المكتبة بعض مؤلفات السيوطي بخطه، وبعض مؤلفات ابن حجر وبها جزء من القاموس بخط مؤلفه الفيروزآبادي، وبها نسخة ينقصها جزء من شرح ابن بطال على البخاري، ولا تعرف هناك نسخة أخرى في جميع مكتبات العالم غيرها.

وبها مخطوطات ترجع إلى نحو ما يقرب من ألف سنة مثل: كتاب غريب الحديث لابن سلام، وكتاب البعث لابن داود السجستاني.

ومن الكتب النادرة بها كتاب رسوم دار الخلافة الذي نشر أخيراً محققا نظرا لأهميته.

وأهم ما يلفت نظرك في المكتبة، مصاحف مختلفة الأحجام ولها كسب بماء الذهب، ومنها المصحف ذو الحجم الضخم الذي وقفه أقبغا صاحب المدرسة عام ٧٤٠هـ، ومصحف شريف في تسع عشرة ورقة مهدى إلى المكتبة من عباس حلمي، ومصحف بالخط الكوفي مكتوب على ورق الغزال يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الرابع الهجري.

ويوجد أيضا صندوق صغير غاية في الروعة ودقة الصنع به «ربعة قرآن» وهو باسم الناصر محمد بن قلاوون، وهذا الصندوق من أندر روائع الفن الإسلامي الباقية حتى الآن.

هذا بالإضافة إلى مجموعات نادرة من المخطوطات في علوم اللغة والتاريخ والفلك وبعضها يحتوي على «حواش» بخط المؤلف نفسه.

تناول مقال الهلال: نشاط مكتبة الأزهر، وبسبب نشاطها العلمي البارز خلال النصف الثاني من القرن الماضي، لكي تستوعب أكبر عدد من الكتب، وكذلك محاولة نشر فهرس المكتبة والذي طبع منه ـ في ذاك الوقت ـ سبعة أجزاء وكان الثامن تحت الطبع.

إضافة إلى العناية بتصنيف وإعادة إبراز الكتب المجهولة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتي من شأنها أن تلقي ضوءاً على الكثير من التيارات الفكرية التقدمية التي تشيع لها الأزهر في فترات الاحتلال، وفي عهود التخلف العثماني.

وكان الأزهر مليئا بأصحاب النزعات والأفكار التجديدية والتي اهتم بعضهم بالعلم في حد ذاته، فألفوا أهم المراجع في أبواب العلم والمنطق والتفسير، واهتم بعضهم الآخر بجوانب التجديد الاجتماعي.


عبدالحليم محمود

طالب المقال بتطوير هذه المكتبة كما جاء في تلك الكلمات: «إن مكتبة الأزهر بكل ما تحويه من هذه الكنوز، وهذا التراث العلمي الفريد الذي يحتاج إلى مراجع كثيرة خصره، ونقله إلى محبي التراث العربي والإسلامي لتحتاج إلى تغيير جذري في كل شيء وبأسرع ما يكون. ولابد لوزارة الأوقاف وشئون الأزهر وعلى رأسها فضيلة الدكتور عبدالحليم محمود بأن تسرع بإنشاء مبنى يناسب وهذا التراث الإسلامي العريق، وتجند كل القوى المحبة للعلم، والتي لها إلمام بشئون تلك المكتبة، فتتضاعف من الكتب والمخطوطات المتناثرة هنا وهناك، حتى نحفظ تلك الدرة الثمينة التي تعد تاجا على جبين مصر والشرق العربي».

* * *

وقد تحقق هذا الرجاء وللأزهر الشريف مكتبة شامخة بحق في مبنى رائع مستقل في رحاب مشيخة الأزهر.. وسوف أفرد لها صفحات في عدد قادم بإذن الله

بين الصحف والمجلات

إلى أين تتجه المنطقة؟

تحت هذا العنوان جاء مقال الدكتور عبد العزيز التويجري المنشور بجريدة «الحياة» الصادرة بتاريخ ٢/٥/٢٠١٢م يقول:

هذا يجري في العالم الإسلامي اليوم [illegible] وضع غريب ومريب، ففي الوقت الذي تدفقت فيه حمامات الدماء [illegible] مروعة في سوريا، ويستمر النظام القمعي في سفك دماء شعبه، [illegible] حرب [illegible] حقل هجليج النفطي الواقع في أراضي جمهورية السودان، وتحتله بالقوة مهددة بنشوب حرب جديدة في المنطقة. ويقوم الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بزيارة [illegible] إلى الجزر من [illegible] إلى جزيرة أبو موسى الإماراتية [illegible] من طرف [illegible] مع جزيرتين أخريين. ويتفاقم الوضع الأمني في ليبيا على نحو يهدد [illegible] ويزداد الوضع سوءاً وتدهوراً في اليمن، وتدخل مصر نفقاً مظلماً لا أحد يعرف له مخرجاً، وتشتد النزاعات المسلحة في الصومال الذي لم يعد [illegible] يعرف هل هو دولة [illegible] أو مجرد مناطق متناحرة لا تملك مقومات الدولة. ويصر بعض مواطني البحرين من الشيعة على استمرار التوتر في بلدهم رغم كل [illegible] أطماعاً خارجية أضحت واضحة لكل منصف.

وتأتي الأحداث [illegible] التي تقع في جمهورية مالي [illegible] من [illegible] توتر [illegible] من العالم العربي الإسلامي، لأن مالي ترتبط بحدود مع دول عربية من شمال إفريقيا، ومع دول إفريقية كلها دول أعضاء في منظمة التعاون الإسلامي.

فليس صحيحاً أن نفصل بين ما يقع في سوريا والعراق واليمن ومصر والخليج، وبين ما يحدث في السودان والصومال وليبيا ومالي وتونس، فهذه خريطة واحدة مترابطة الأجزاء [illegible] ومن المفروض أن تكون كذلك [illegible] منظومة الأمن العربي الإسلامي لا يمكن أن تنفصل إلى أجزاء متفرقة.

إن هذه القلاقل التي تهدد الأمن العربي الإسلامي، وهذه الأزمات التي لا تزيدها الأيام إلا تفاقماً بشكل مرعب، يجب أن تدفعنا إلى العمل السريع لمواجهة [illegible] وتداعياتها.

كما لا ينبغي أن تصرفنا هذه القلاقل والأزمات عن الاهتمام بقضايا التنمية [illegible] الواقع وإصلاحه إصلاحاً شاملاً متكاملاً.

فهل سنظل غارقين في بحر الأزمات المتلاحقة في منأى عن ساحة العمل الجدي الهادف لإصلاح الأحوال والنهوض بالمجتمعات العربية الإسلامية من النواحي كافة، [illegible] والآخر، بينما شعوبنا تتطلع إلى حياة جديدة في ظل الحرية والعدالة والكرامة والحكم الرشيد.

فوق كل المؤامرات

تحت هذا العنوان جاء مقال للدكتور هاشم عبده هاشم المنشور بجريدة «عكاظ» الصادرة بتاريخ ٣٠/٤/٢٠١٢م يقول:

عندما تتعرض شعوب في [illegible] لا مصلحة لها فيها [illegible] في متاهات خانقة [illegible] فإن ذلك التصرف اللامسئول يؤدي لا محالة إلى احتقانات [illegible] وسياسية خطيرة..

والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية بلدان كبيران ومحوريان [illegible] يكونا فوق كل خلاف [illegible]

إن قدر المملكة ومصر هو أن يكونا قوتين أساسيتين في ترسيخ دعائم الأمن والاستقرار في المنطقة، بحكم موقعيهما [illegible] وكذلك بحكم الروابط [illegible] التي تجمع شعبيهما [illegible] وهي روابط لا يمكن أن تضعف مع [illegible] المحاولات البائسة للتشويش عليها.

ولست هنا بصدد استعراض الأزمات والمشكلات المفتعلة التي أطلقها وعي الشعبين [illegible] أواصرهما.. وشحن نفوس الشعبين ضد بعضهما [illegible] غرضية ومفتعلة.

هذا الكلام يقوله كل مصري واع ويؤكده عليه كل مواطن سعودي مدرك لأهمية أن يبقى البلدان قوة توازن في منطقة تكاد تفقد هذه الميزة بفعل الاستهداف لركائز قوتها. وتماسك بنيانها.. وصلابة إرادة قياداتها..

[illegible] الذي تحرص فيه أن تكون [illegible] ومصدر قوة [illegible] للدولتين ضد كل ما يحاك ضدهما

[illegible] يدركون مدى حاجة البلدين.. وجمهورية مصر العربية على وجه التحديد [illegible] لكي يتجاوز البلد المرحلة الراهنة.. ويتجنب تعريض سلامة [illegible] للبلاد [illegible] لا سمح الله [illegible]

المسلمون وصعود اليمين المتطرف في أوروبا

تحت هذا العنوان جاء مقال الدكتور محمد حسين اليوسفي المنشور بجريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٣/٥/٢٠١٢م يقول:

لعل الجولة الأولى من الانتخابات الفرنسية قد [illegible] إذ استطاعت ممثلة جبهة الوطنية اليمينية المتطرفة مارين لوبن أن تحصد حوالي ١٨٪ من أصوات الناخبين الفرنسيين.

والمعروف عن لوبن موقفها المتشدد من الهجرة ومن المسلمين [illegible] المشهورة بتشبيه صلاة المسلمين في الشوارع.

بسبب قلة المساجد، بعد الاحتلال النازي لفرنسا، ووجهة نظر تونس متشددة تعكس النظرة العامة السائدة في أوروبا، وبالذات في فرنسا التي يعيش فيها ٥ إلى ٦ ملايين مسلم، وألمانيا التي تضم ٤ ملايين مسلم أيضا.

فقد أظهر استطلاع للرأي في كلا البلدين قبل أكثر من عام، تبعا لما نشره موقع فضائية فرنسا ٢٤ في الربيع من يناير ٢٠١١م، أن حوالي ٤٠٪ ممن استطلعت آراؤهم في البلدين رأوا أن المسلمين يشكلون «تهديدا»، وحوالي ٦٨٪ من هؤلاء من الفرنسيين و٧٥٪ من الألمان رأوا أن المسلمين لم يندمجوا في مجتمعهم الأوروبي الجديد.

وفي سياق الانسجام الاجتماعي، نشر مسئول سابق في البنك المركزي الألماني، واسمه تيلو سارازين، كتابا عن الهجرة ذاع صيته، لأنه بيع منه مليون وربع مليون نسخة، انتقد فيه مقاومة المهاجرين المسلمين للاندماج في المجتمع الأوروبي. وقد ردد صدى هذا الرأي كبار قادة أوروبا، وعلى رأسهم ساركوزي وميركل وديفيد كاميرون البريطاني، حيث اعتبروا أن «التعددية الثقافية قد فشلت» (نفس المصدر، ١١/٢/٢٠١١م).

ثم يقول الكاتب:

وقد أنجحت تلك المشاعر تصعيدات الإرهابية بدءا من حادثة الحادي عشر من سبتمبر التي مضى عليها أكثر من عقد، إلى أعمال القتل التي ارتكبت مؤخرا في مدينة تولوز الفرنسية على يد أحد أبناء المسلمين. فالإرهاب الذي ضرب أوروبا جاء للأسف باسم الإسلام، فأظهر هذا الدين وكأنه دين حرب وعنف في نظر الشارع الغربي عموما.

خلاصة القول: إن صعود اليمين يشكل تهديدا لكل الجاليات في المهجر الأوروبي، لكنه يخص أكثر ما يخص الجالية المسلمة في هذه المرحلة التاريخية، وبالتالي فإن علاج ذلك هو أن تتكاتف قوى الجاليات الإسلامية المستنيرة مع جمعيات المجتمعية والإنسانية والداعمة لحقوق الإنسان، وإقامة جبهة عريضة لتقف كسد أمام المد اليميني.. أما تقوقع المسلمين على أنفسهم فهو الخطر الماحق لهم.

الإسلام ينتشر في أوروبا

تحت هذا العنوان جاء مقال الدكتور حسان رجب، المنشور بجريدة «اللواء الإسلامي» الصادرة بتاريخ ٣/٥/٢٠١٢م يقول:

أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عبر موقعها الإلكتروني وشبكة سي إن إن على شبكة الإنترنت أن الإسلام هو أكثر وأسرع الأديان انتشارا بشكل يثير الدهشة، لاسيما بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م والواقع أن هذا التحليل ليس بجديد، فالإسلام بمنهجه الفذ الرباني قادر بقوته الذاتية على الوصول إلى أعماق النفس البشرية.

إن الكتابات الغربية عبر مشاعره تؤثر بالسلب على نفسية الإنسان الغربي، وتطفح بالوهم بعد السكوت. مثلا برنارد لويس المستشرق الأمريكي الذي ذهب بكل مذهب في التشهير بالمسلمين في المجتمع الغربي. لمن مآذنه:

- لا تدخر أي جهد في إلحاق أية وصمة عار بالإسلام والمسلمين.

- تحسين صورة إسرائيل لدى الرأي العام. إن كتابات هذا الرجل تطفح بالكره للإسلام ونبي الإسلام. هذا في الوقت الذي نجد فيه مفكرا آخر هو جون اسبوزيتو الذي اشتهر بمواقفه المدافعة عن الإسلام والمسلمين ورغم كتابات الرجل الموضوعية إلا أنها لم تستثمر الاستثمار الأمثل، إن الوقت أصبح مناسبا لنشر دعوة الإسلام في الغرب، والأمر يحتاج إلى خطط علمية مدروسة ومجهودات إسلامية منظمة لنشر كلمة حق.

تغيير جغرافيا الأقصى، وكيمياء العقل الإسلامي

تحت هذا العنوان جاء مقال الدكتور محمد حسني أبو العلا المنشور بمجلة «أكتوبر» الصادرة بتاريخ ٨/٤/٢٠١٢م يقول:

لاشك كانت الأنفاق الحارجة لاتحاد الأقصى محددا بعد محفظ الروي لساحة مسجد في ساحة البراق ليستوعب نحو ثمانية ملايين سائح، وقد اعتمدت آليات كثيرة تمهيدا لإقامة ذلك الصرح منها تسخير الكتيبة الإعلامية والدعائية لنشر صور مروعة للمسجد وقد ريلت منه قبة الصخرة. وتخصيص كاميرات للمراقبة داخل باب المغاربة ترصد كل مصلى، ذلك بجانب إغلاق أبوابه كاملة بالسلاسل الحديدية على من فيه من المصلين. وانطلاقا من ذلك فقد طرحت خارطة طريق ليستعيد بها ساسة الغرب وقد تبلورت نقاط هذه الإستراتيجية في ضرورة الوقف الفوري لقرار الحكومة الإسرائيلية بضم نحو مائة وخمسين موقعا أثريا فلسطينيا لقائمة الآثار اليهودية، وسد جميع الأنفاق أسفل الأقصى مع الوقف الفوري أيضا لكل أعمال الحفر والهدم للمباني والمنازل الأثرية بالقدس، والسماح للبعثات الآتية من الدول العربية والإسلامية بترميم كل ما خلفته أعمال الحفر من هدم وتخريب بالأقصى وإدخاله مرة أخرى ضمن قائمة التراث الحضاري العالمي بعد شطبه منها، كما تحتوي تلك الاستراتيجية على عدد من المحاور الأخرى يتصدرها مراجعة كل القرارات الدولية لاسيما قرارات اليونسكو المتعلقة بحماية التراث والتي تجاهلتها إسرائيل متحدية المجتمع الدولي واتخاذ الإجراءات القانونية عن طريق اتحاد المحامين العرب والمنظمات الحقوقية. ويبقى آخر هذه المحاور متضمنة لتوثيق عروبة القدس بإنشاء مركز علمي خاص بجامعة الدول يحوي كافة الكتب والوثائق والدراسات الخاصة بالقدس بجانب الوثائق الخاصة بالمجتمعات خلال مئات السنين وتداولها عربيا وإسلاميا.

ثم يقول الكاتب:-

إن القراءة الصحيحة لمفردات القضية كانت تقتضي وتستوجب استخدام لغة الواقع بمستوياتها المتعددة وليست اللغة الافتراضية المثالية التي تفتقر لوجود آليات تعد محققة للأهداف المرجوة. فالملاحظة المعاصرة لها ظروفها وشروطها بل وقوانينها التي لم تغفل أبدا أن الأقصى هو أكثر الأماكن في العالم شهودا لتحولات جيوبوليتيكية عبر القوة وضعف واحدة من الدول المجاورة وهو ما كان مبررا للقتال من أجل التوسع والانتهاك وتغيير الجغرافيا

وسائل انتشار الإسلام فى إفريقيا (٨)

[illegible]

الحاج عمر التل [illegible] : وجهاده فى غرب إفريقيا:

استمد الحاج عمر - أيضاً - إلهامه فى أفكاره من حركة النهضة الصوفية فى الشرق الأوسط فى القرن ١٨. وقد أصبح زعيماً وبطلاً فى غينيا والسنغال ومالى انطلاقاً من منطقة فوتاتورو. وتميز بالطموح السياسى فضلاً عن زعامته الدينية للتيجانية وقد حقق نجاحا كبيرا فى الأمور العسكرية وفى التوسع لنشر الإسلام واستطاع [illegible] عسكرية كبيرة مكنته من بعض [illegible]. حيث تحالفت ضده جماعات المسلمين المعادين له. كما وجهت فرنسا ضرباتها له ولم تستطع فى الواقع أن تفرض سيطرتها الاستعمارية إلا بعد القضاء على حكمه ودولته الإسلامية التى [illegible] وكان تأثير الحاج عمر كبير على كثير من الجماعات المسلمة وغير المسلمة خاصة البمبارا، وقد اعتقد بعض أتباعه والمؤمنون به بأنه مهدى أو واسطة للمهدى ووكيل عنه.

وقد جاء من التوروديى مثله مثل دان فوديو. من أسرة متدينة عارفة بالإسلام حيث درس منذ صغره على يدى والده - معلم الدين - العربية والعلوم الإسلامية وحفظ القرآن وصحيح البخارى ومسلم. ثم غادر موطنه وهو فى الخامسة عشرة من عمره ودرس على يد [illegible] من معلمى [illegible] كما قرأ الكثير من كتب القانون والشريعة وعمل منذ سنة ١٨١٤ معلما للقرآن وأصول الدين [illegible] فى منطقة [illegible] حيث [illegible] صيته قبل سفره لأداء الحج.

وقد التحق الحاج عمر بالتيجانية التى تبنت [illegible] الإصلاحى وهو فى العشرينيات من عمره قبل سفره لأداء فريضة الحج عام ١٨٢٥م يصحبه [illegible] على [illegible] وفى طريقه سيرا على الأقدام وصل إلى سوكوتو وبقى عند أميرها محمد بللو - ابن الشيخ عثمان دان فوديو وخليفته - عشرة أشهر حيث أكرم وفادته وأعطاه جارية رزق منها بولد. وعند وصوله القاهرة قابل مسئولا مغربيا متخصصا بوفادة الزوار والأجانب من الغرب الذى قام باستدعاء العلماء الذين سألوه فى أمور الدين واللغة العربية والقانون والمنطق وغيرها.

وقد نجح فى إثبات تفقهه فى الدين وتمكنه من اللغة العربية، فزودته السلطات المعنية بما يحتاجه لإتمام رحلته إلى مكة. وفى مكة قابل ممثل التيجانية فى الحجاز - محمد عالى[2] وقدم نفسه وماله وخدمته له، وظل معه ثلاث سنوات فى المدينة يدرس على يديه. وقد تلقى على يديه تعاليم خاصة فى طقوس التيجانية وأدخل فى أسرار الطريقة وكان بمثابة سكرتير «للعالى». وفى نهاية تلك السنوات أخذه العالى لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاه إجازة تؤكد أنه عامل باسم التيجانية برتبة عالية يعتقد أنها رتبة خليفة وفى نفس [illegible] التى شغلها العالى نفسه. وكانت إجازة العالى لعمر تنص على أن عمر هو «أفضل من لديه فى الدنيا والآخرة» وأنه [illegible] السلطة لإعطاء تعاليم التيجانية وذلك لكل من يسألها من المسلمين: صغارا أم كبارا، مطيعا أم ثائرا، رجلا أو امرأة، عبدا أو حرا. كما أكد على أن «التيجانية طريقة محمدية وأنه يجب ألا يخلط بينها وبين الطرق الأخرى غير الإصلاحية مثل القادرية، وأنها عالية بحيث إنها ضمت إليها النساء والعبيد». كما أعطته الإجازة سلطة تعيين رؤساء أقاليم للطريقة فى حدود ١٦ شخصا برتبة مقدم، كل منهم يعتبر مقدما لأربعة آخرين وفقا للتقاليد المحلية ويكون كل مقدم مسئولا عن رعاية الأمور الدينية و[illegible] فى منطقته[3].

وفى طريق عودته بقى فترة فى القاهرة لتكملة دراسة تفسير القرآن فى الأزهر. ثم غادرها سنة ١٨٣٠ إلى غرب إفريقيا متجها أولا إلى بورنو. حيث كان أميرها الكانمى قادريا ومعاديا للتيجانية. وبالتالى معاديا للحاج عمر الذى اعتبره راديكاليا كما اعتبره منافسا له فى بورنو. ولكن العلاقات تحسنت بينهما إلى حد أن الأمير قد زوج ابنته من الحاج عمر، وكان الحاج عمر يردد ما يراه من رؤى يرى فيها هالة الشيخ التيجانى توحى بأن لديه هبة إلهية أو قدرات [illegible].

ومن بورنو سافر لسوكوتو حيث جدد علاقته القوية بمحمد بللو وغادرها بعد موته مباشرة[4]. وطوال فترة إقامته عمل على نشر التيجانية بين شعوب الهوسا (الحوصا) وبين النخبة الحاكمة فى سوكوتو. وهو ما لم يقم به عند زيارته الأولى فى طريقه للحج. وقد مكنته إقامته بسوكوتو وعلاقته بالأسرة الحاكمة من اكتساب دراية وخبرة بما يجرى

(١) ولمزيد من المعلومات انظر MARTIN. OP CIT PP 68 - 98

[illegible]

[illegible]

(٢) كان مغربياً درس على التيجانى فى [illegible] له فى الحجاز

(٣) لمزيد من المعلومات عن الحاج عمر وعن الإجازة انظر

MARTIN. OP CIT P.P 71-72 & HOREYA T. Megahed Mali in Transition Study of Continuity & Innovation in Nation - Building. Ph. D Dissertation. Indiana University. Oct. 1965 pp. 46 - 67.57 - 63

(٤) كان [illegible] قد أعطى عمر [illegible] ولكن هذا الأمير [illegible]

[illegible]

داخل الخلافة الفولانية مما ساعده عند تأسيس دولته وحكمها. وكانت إقامته في سوكوتو تكملة لفترة الثراء الفكري التي قضاها في المدينة والأزهر حيث قام بكتابة بعض آرائه ومؤلفاته.

كما قال عن نفسه أنه تعلم القتال في منطقة الهوسا حيث طور اهتماماً كبيراً بالأمور العسكرية: فقد وضعه الهوسا على رأس جيوشهم وعاد منتصراً في كل مرة مما عاد عليه بالعديد من الممتلكات والنساء والعبيد. فضلاً عن هذا فإنه أحضر معه من مكة نسخاً كثيرة من القرآن والكتب الدينية وباعها، والبعض يقول أيضاً إنه كان يبيع الأحجبة. ومن ثم يمكن القول بأنه كانت لديه القدرات المالية التي مكنته من التفرغ لأمور الدين والتحضير للحرب والدعوة للطريقة التيجانية.

وقد غادر الحاج عمر سوكوتو إلى موطنه عام ١٨٣٨ تتبعه أعداد كبيرة من أتباعه في التيجانية بالإضافة إلى مؤيديه وعبيده. وفي طريقه بقي شهراً بماسينا حيث استطاع أن يجذب أعواناً كثيرين للطريقة.

وقد جرت عدة محاولات لقتله من مناهضي التيجانية، وقد اتهمه الكثيرون بأنه ينشد سلطة دنيوية ويحمل راية القوة، ولكن البعض رآه مجدداً للإسلام في المنطقة. وما لبث ملك البمبارا - وكان يدين بالديانة التقليدية - أن سجنه في سيجو لفترة وتركه بعدها وغادرها إلى [illegible] المعروفة أيضاً باسم مانندي كابا - وكانت مركزاً إسلامياً سيبيرا. حيث أكرمت وفادته ومنها انتقل إلى غيرها من المناطق المجاورة. ثم إلى منطقة فوتا جالون.

وقد أمضى الحاج عمر ما تبقى من حياته من ١٨٥٥ إلى ١٨٦٤ في الحروب. وكان لاتساع نطاق الحروب والسرعة المذهلة لغزواته وفتوحاته الانطباع الواضح على أنه نظم جيشاً كبيراً وأحسن إعداده بالأسلحة وقد قدر عدده بـ ١٢ ألف رجل وإن كان في بعض المعارك الهامة قد زاد عدد رجاله إلى ٣٠ ألف شخص(٣).

لقد واكب تغلغل الجيوش الفرنسية لداخل إفريقيا انطلاقاً من السنغال بناء امبراطورية الحاج عمر وتوسعه بين من يدينون بالديانة التقليدية وللدعوة للإسلام ونشره. حيث وصل نفوذه وسلطانه إلى المناطق التي وصل إليها الفرنسيون وأقاموا حصونهم ونفوذهم في أعالي السنغال.

هذا ويؤكد الاحتكاك بين جيش الحاج عمر والجيوش الفرنسية أن جيشه لم يكن يقل عن الجيوش الأوروبية خاصة وأنه كان يحتوي على [illegible] ويتمتع أفراده بروح معنوية مرتفعة. وقد كانت أكبر مجموعة متماثلة ومتماسكة عرقياً هي التي جاءت من موطنه الأصلي فوتاتورو سواء من المواطنين أنفسهم أم من حلفاء توروودبي في حروب سابقة وبعض العرب والبربر من جنوب موريتانيا. فضلاً عن بعض جماعات من فوتا جالون وقلة من المسلمين السوننكي (سونينكي) و[illegible] كما [illegible] الأسلحة

MARTIN OP CIT P 86 (٣)

[illegible]

تنوعت وتضمنت بنادق ومسدسات وربما بعض المدافع الثقيلة مع ذخيرة ومعدات من المناطق الساحلية في سيراليون أو منطقة السنغال، وهي أسلحة أوروبية الصنع جاءت من إنجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال. وقد حرص الحاج عمر على تخزين أسلحة ومعدات صحيحة قبل بدء جهاده. كما كان لديه ما يكفي من الذهب ليدفع مقابل ما يريد، كما استخدم العبيد لهذا الهدف أيضاً. ولم يكتف بشراء الأسلحة والذخائر بل حرص على تصنيعها حيث عمل على تعيين فريق من صناع البنادق والمتخصصين في إصلاح الأسلحة. وقد استطاع رجاله تصنيع المفرقعات من المواد المحلية.

وفي توسع الحاج عمر ودخوله كارتا اقترب من المركز الفرنسي الجديد في باكل على نهر السنغال. وقد سعى [illegible] الفرنسيين في مقابل دفعهم الجزية وفي مقابل مدهم له بالمعرفة الفنية، الأمر الذي لم يتقبله الفرنسيون في مخططاتهم الاستعمارية في ذلك الوقت. وكان هدف عمر البعيد أن يصبح إماماً أو سلطاناً على فوتا تورو، أما هدفه القريب فكان غزو البمبارا - الذين يدينون بالديانة التقليدية والذين ينظر إليهم عامة باعتبارهم وثنيين. ومن ثم بدأ مخططه بالهجوم على دولة البمبارا في كارتا وسيجو وولى ابنه حاكماً على الأخيرة. كما استولى على مملكة الفولاني المسلمة في ماسينا وجعل عاصمتها «حمد الله» عاصمة له(٦).

ولكنه فشل في مواجهة الفرنسيين عند مهاجمته حصنهم في «مدينة» الذي شيدوه عام ١٨٥٦. ووضح له أن الفرنسيين توسعوا عن مجرد ما ذكروه من أن هدفهم التجارة وبالتالي فإن المواجهة بينهم أكثر من ذلك قد تكون خطراً على مخططاته وعلى دولته. وقد سعى لإبرام اتفاق معهم ولكنه فشل.

وقد وصلت إمبراطورية الحاج عمر التي ارتكزت على مجرى نهر النيجر إلى قمتها عام ١٨٥٧ واستمدت من تمكنه إلى أعالي السنغال. وكانت العقبة الحقيقية لتوسع القوات الفرنسية في منطقة باميوك(٨). وقد توفي في النهاية على أثر هجوم من قوى مختلفة بعد حصار استمر أربعة أيام على قواته. ومن الأقاويل الشفهية المتداولة أنه انتحر في النهاية بتفجير نفسه ببرميل بارود بعد قيامه بالصلاة، وذكر أن ابنه (أحمدو) هو خليفته من بعده في الدولة التي أسسها. وقد استمرت إمبراطورية الحاج عمر من بعده بزعامة أبنائه الذين اختلفوا فيما بينهم على الخلافة ومن ثم زادوها ضعفاً وتمكنت فرنسا من غزوها في عام ١٨٩٣(٩).

[illegible] ibid. p [illegible]

(٧) كان السبب المباشر لغزو مملكة ماسينا المسلمة هو أن الحاج عمر قد لام حكامها على رفض مساعدته ضد الفرنسيين عند هجومه على مدينة التي تحصن بها هؤلاء الفرنسيين. لذا السبب الظاهر أو المعلن يكون نشر الطريقة التي تزعمها. انظر المزيد من المعلومات.

Megahed, Mali in transition.. op. cit., p.58

(8) R. Delavignette, Chapter on Faidherbe in Andre Julien (ed.), Les Techniciens de la Colonisation, Paris, Presses Universitaires de France, 1947, PP. 100-3

(9) Martin, op. cit. P. 98

ماء العينين القلقمي، وانتشار العينية في موريتانيا(١٠)

وُلد محمد مصطفى ماء العينين القلقمي قرب ولاتة في منطقة حوض في جنوب شرق موريتانيا سنة ١٨٣١، وقد توفي في جنوب المغرب سنة ١٩١٠. وكانت أمه مغربية ووالده - محمد فاضل ولد مامين(١١) - موريتانياً متعمقاً في الدين وكان زعيماً للطريقة الفاضلية التي تفرعت عن الطريقة القادرية في موريتانيا في القرن ١٩ حيث درس على يد أكبر شيخ قادري في السودان الغربي وهو سيدي المختار الكونتي الذي توفي سنة ١٨١١، والذي كان له دوره الكبير على الطريقة القادرية في المنطقة وأثر أيضاً على [illegible] وقد أصبح محمد فاضل [illegible] للكونتي وللفرع القادرية المنسوب إليه والمعروف بالمختارية. أي أصبحت الفاضلية [illegible] الكونتي الذي انتقد فاضل لعدة أمور منها أن [illegible] على الرغم من أنه لم يفصل الحاج عمر، [illegible] تتميز بالشعبية وبشعائرها التي تمارس بضجة، وخاصة استخدام الطبول (التم تم) المعروفة في إفريقيا. وقد كانت الأساليب الصوفية والاتجاهات المتبعة من أهم ما جذب إليها الأتباع وبالتالي فإن ماء العينين وجد فيما اتبع في ظل والده أكبر ضماناً لتحقيق الشعبية والنجاح بين الرحل المحليين. ونظراً [illegible] الذي يشاركه فيه العديد من الزعامات الدينية السياسية الإفريقية [illegible].

وعليه فقد نشأ في أسرة متدينة، ودرس أصول الدين منذ صغره وتميز بأنه كان كاتباً ذا نظرة سياسية ثاقبة. كما كان صوفياً انتمى إلى الطريقة الفاضلية التي أصبحت تعرف باسم «العينية» من بعده.

وقد كانت [illegible] مع الأسرة المالكة الشريفة في المغرب، ومن ثم فقد جذب في مقاومة مسلحة ضد فرنسا نتيجة فرض سيطرتها في المنطقة مما أدى إلى فقد العديد من أبنائه حياتهم الأمر الذي كان له أثره في حياته وعجّل بوفاته.

وقد نشط ماء العينين القلقمي في بناء الزوايا الصوفية. وكان من بين اهتماماته ممارسة السحر والحصول على أسرار الكون، مما عاد عليه ببعض النفع من الناحية السياسية وذلك لتأثيره على جذب تلاميذه [illegible] الآبار. وقد كان ثري العطاء الفكري فقد ألّف نحو ٣١٤ كتاباً في مختلف المجالات: كالفلسفة، والقانون والعلوم الدينية والفلك والرياضيات وغيرها.

وعندما بلغ ماء العينين الثمانية والعشرين، وكان قد أتم تعليمه، ثم فرض على نفسه العزلة للتأمل والقراءة. وخرج منها إلى الحج في ربيع ١٨٥٨ حيث مر بالمغرب وزار السلطان وبيت الأشراف. [illegible] علاقات [illegible] بين ماء العينين وسلاطين المغرب قائمة في الحقيقة على المصلحة المتبادلة: فقد كانت المغرب تسعى لتأكيد نفوذها في موريتانيا [illegible] شخصيات موريتانيا، الذين يستطيعون مساعدتها في [illegible] الأوروبية في شمال إفريقيا [illegible] التي قامت بين فرنسا والمغرب سنة ١٨٤٤ آخر الأمثلة). وكان ماء العينين باعتباره ابن أحد كبار رجال الدين في موريتانيا من تلك الشخصيات التي حرصت المغرب على دعم علاقاتها بها. أما من جهة ماء العينين فقد رأى أنه من المفيد أن يكون له مؤيدون أقوياء حتى [illegible] موريتانيا.

ومن الجدير بالذكر أن ماء العينين بقي ثلاثة أسابيع فقط في مكة والمدينة، [illegible] فعل غيره من الزعماء الصوفيين مثل الحاج عمر والسنوسي الكبير. وفي طريق عودته زار مصر حيث [illegible] في الإسكندرية [illegible] إلى المغرب [illegible] براً في مارس ١٨٥٩.

ومع أن ماء العينين لم يمض وقتاً في الدراسة في مصر أو في مكة لعدم توافر الإمكانات [illegible] الدراسة في تندوف على يد اثنين من المعلمين المشهورين أحدهما في اللغة العربية وهو محمد مولود، والآخر زعيم قادري هو محمد الجكاني وكانوا قد جذبوا إليهم العديد من [illegible] في مكتبة جكاني قبل أن يترك تندوف سنة ١٨٦١ ويعتقد أن إقامته كانت بمساعدة ملكية من الأسرة الحاكمة في المغرب. وبعودته خلع عليه والده محمد الفاضل عمامة ولقب شيخ(١٢).

وقد سعى ماء العينين إلى توسيع نفوذه الديني والسياسي فترك موطنه - بمنطقة الحوض في جنوب موريتانيا - [illegible] منطقة حدودية بين شمال موريتانيا وجنوب المغرب - لنشر دعوته وتعاليمه حيث انتشر نفوذه تدريجياً. وقد ساعده هذا الانتقال على تحاشي المواجهة مع إخوته غير الأشقاء، ويذكر أن عدد أشقائه بلغ ثمانية [illegible] لوالدهم حيث سعى ثلاثة منهم إلى خلافته في زعامة الطريقة الفاضلية.

[illegible] منطقة جنوب [illegible] فقد بقي في ولاتة [illegible] الحضرمي ولد محمد، فقد استمر في منطقة حوض. حيث [illegible] مسئوليات الطريقة الفاضلية ومسئوليات عشيرته لأبنائه الأربعة، وكان ماء العينين أقربهم إليه وأحبهم وكان قد بدأ يظهر كزعيم وعمل على مد نفوذه عن طريق الزواج، فبلغ عدد زوجاته وفقاً لبعض الآراء ٧٦ زوجة،

(١٠) حيث اعتمد على هذا المصدر في هذا الموضوع Ibid. pp. 125-136.

ولكنه بالطبع كان حريصاً على أن يحتفظ فقط بأربع نساء في وقت واحد فقد كان يتزوج ثم يطلق فكان له الكثير من الأولاد، ومن المعروف أن كثرة الزواج والطلاق كانت النمط العادي في الصحراء في ذلك الوقت ولم تترك حساسيات، أي أن كثرة زواجه كانت لأهداف سياسية في تدعيم علاقته مع العائلات المختلفة وبالتالي نشر نفوذه.

وقبل عام ١٨٧٠م انتقل إلى الساقية الحمراء وأقام هناك كشيخ - ولي - مقيم للطريقة مما يدل على استقرارها وانتشارها، ولقد استطاع تقليص الخلافات بين الرحل وتقليل التنافس بينهم والتقليل من التحلل الاجتماعي أو الاربكة وقد أطلق عليه بعض الأوروبيين الأوائل اسم «زعيم رحل الصحراء»[١٤]، فقد كانت له الكلمة العليا المسموعة وقد استطاع أن يحقق تماسك سلطته السياسية في شمال موريتانيا.

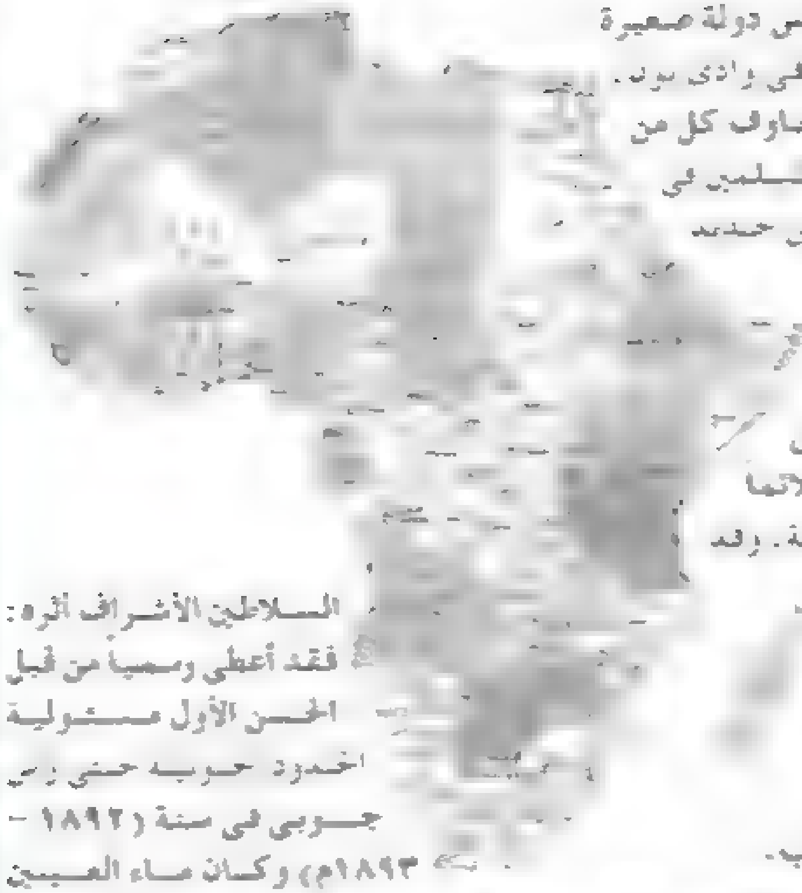
وقد استفاد مع بعض الظروف التي واكبت الغزو الفرنسي للمنطقة: حيث أدى جهاد الحاج عمر إلى اضطرابات وتحرك بشرى على جانبي نهر السنغال، وعندما فرض الفرنسيون السلام توقفت مؤقتاً الغزوات الموريتانية التي قام بها البراكنة والترارزة في نهاية الخمسينات من القرن التاسع عشر.

وواكب ذلك توجيه التجارة الأوروبية على طول النهر، نحو سواحل المحيط ومن ثم تدهورت التجارة التقليدية «تجارة القوافل» نحو الشمال، فلأول مرة منذ القرن السابع عشر أغلقت الموانئ بجنوب الصحراء التي كانت مزدهرة من قبل في ظل التجارة مع الشمال وهددت المصالح الاقتصادية والمادية المدنية، مما أدى إلى صعوبات وتدهور في موريتانيا، وخلق جواً من عدم الرضا والعداء للفرنسيين[١٤]، وقد وجد ماء العينين فرصته في نشر أفكاره في ظل هذه الظروف حيث تولى قيادة الرأي المناهض للوجود الفرنسي.

وقد طور ماء العينين دوره خلال الستينيات من القرن التاسع عشر ليصبح باعثاً وموجهاً وزعيماً للرأي الإسلامي المحلي ضد التدخل الأوروبي، وقد ركز في سياسته على تدعيم علاقات قوية مع الحكام الأشراف في الشمال حيث جمعه معهم هدف إيجاد مستودع مغربي للدفاع عن المنطقة ضد التدخل الأوروبي المرتقب من فرنسا.

ولكن بدأ أول تدخل أوروبي ليس من جانب فرنسا ولكن من جانب مستعمر إسكتلندي يدعى دونالد ماكينزي الذي أقدم عام ١٨٧٤ على إقامة مشروع يرمي لإنشاء طريق مائي من الأطلنطي إلى الصحراء فقاده ذلك إلى رأس جوبي (Cape Juby) «طرفاية» في وادي نون التي اعتبرها منطقة مناسبة متقدمة لمشروعه ثم اشتراها بالفعل عام ١٨٧٨ هي وعيناتها من أهم منافس للشيخ ماء العينين وهو الشريف محمد

١٤- Martin.op cit.p 130



ولد بيروك الذي كان رئيس دولة صغيرة ديبية قرب بوزرايت في وادي نون. وقد أكد هذا الشراء مخاوف كل من ماء العينين والسلاطين المسلمين في الشمال. كما نبهت من جديد المصالح الأسبانية في ساحل موريتانيا ومن ثم أرسلت الحكومة الأسبانية بعثة إلى موريتانيا لتجد مكاناً ملائماً لإقامة مستعمرة أسبانية. وقد قرر السلطان الحسن الأول سلطان المغرب أن يسير حملته على وجه السرعة إلى سوس ووادي نون لمنع قيام أي تنازلات أخرى للأجانب.

وحضر بنفسه على رأس رجاله من مراكش واتصل بمحمد ولد بيروك وجعله مسئولاً في المستودع كموظف به، كما دعم السلطان اتصاله بماء العينين وكان تحرك السلطان يهدف «لطرد المسيحيين واقتلاع جذور هذا الشر»[١٦].

وبسرور قرأت مولاي الحسن الأول أن رأس جوبي أمر ماكينزي بالمغادرة سنة ١٨٨٨م ولكن المشكلة لم تنته إلا سنة ١٨٩٥م عندما اشترى السلطان عبد العزيز رأس جوبي مرة أخرى من الإنجليز بمبلغ ٥٠ ألف جنيه استرليني، وأقام حامية دائمة بها لتأكيد الوجود المغربي هناك، وقد كان لتعاون ماء العينين مع السلاطين الأشراف أثره: فقد أعطى رسمياً من قبل الحسن الأول مسئولية الحدود الجنوبية حتى رأس جوبي في سنة (١٨٩٢ - ١٨٩٣م) وكان ماء العينين يتنقل مع عشيرته وهو مرتحل في المنطقة قرب الساحل والداخل في الصحراء، ولكن في بداية عام ١٨٧٠م استقر في منطقة وادي تيجرت عند الساقية الحمراء.

وقد أسهم القلقمي في الإسراع بالقومية وتقويتها في كل من موريتانيا والمغرب، ولكنه لم يتمكن من التعامل مع التفوق العسكري التكنولوجي للاستعمار الفرنسي وضغوطه الدبلوماسية رغم تقاربه مع سلاطين المغرب، وعلى خلاف الحاج عمر لم يكن لديه الموارد اللازمة والإمكانيات المالية والمادية لمواجهة ذلك الاستعمار

يتبع

١٥- [illegible]

١٦- انظر المرجع السابق، ص١٣٢

طرائف.. ومواقف

[illegible]

نصائح عمرية

من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس، سلام عليك، أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بينة وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى، وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته.

حقيقة العبادة

● أتى أعرابي أبا جعفر بن محمد، فقال له: هل رأيت ربك حين عبدته؟

●● قال: لم أكن لأعبد شيئا لم أره.

● فقال: كيف رأيته؟

●● قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات.

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

(الحشر: ٢٣)

استغفروا الله

روى أن رجلا أتى إلى الحسن فشكا إليه الفقر، وأتى آخر فشكا إليه الجدب، وأتى آخر فشكا إليه جفاف بستانه، وجاء آخر طلب الولد، فقال لكل منهم: استغفروا الله، فقيل له في ذلك رجال يشتكون إليك أمورا مختلفة، ويسألون أنواعا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟

فقال: ما قلت من قبل نفسي شيئا، ولكني أخذت ذلك من قول الله تعالى

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾

(نوح: ١٠-١٢).

أخاف أن أحبس لكثرة مالي

لما حضرت الوفاة عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة - بكى بكاء شديدا، فسئل عن بكائه، فقال: إن مصعب بن عمير كان خيرا مني، توفي على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن له ما يكفن فيه، وإن حمزة بن عبدالمطلب كان خيرا مني توفي على عهد رسول الله - ﷺ - ولم يجد كفنا، وإني أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته في حياته الدنيا، وأخاف أن أحتبس عن أصحابي لكثرة مالي.

كفى بالمرء سرفا

● من حكم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

كفى بالمرء سرفا ألا يشتهي شيئا إلا اشتراه فأكله

● وفي سنن ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت..

● وفي الحكمة العربية:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت

ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي

دعته إليه من حلاوة عاجل

● ومن حكم معاوية - رضي الله عنه -:

قال لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.

ثلاثة

ثلاثة لم يسأل الله - عز وجل - [illegible] أن تقول: [illegible] لفقيهي في [illegible]، وحسبي [illegible]، واجعل لي لسان صدق في الآخرين.

كيف أصبحت؟

● قال حكيم لآخر: يا أخي كيف أصبحت؟

●● قال: أصبحت وبنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثير ما نعصيه؟ فما ندري أيهما نشكر أجميل ما ينشر أم قبيح ما يستر

حقا

والقلب إن مات لم تنفعه موعظة

كالأرض إن سبخت لن ينفع المطر

ازدحام

جلس رجل مع زوجته يأكلان فقال: ما أطيب هذا الطعام، لولا الزحام!!

قالت: أي زحام ههنا، إنما هو أنا وأنت فقط!!

قال: كنت أحب أن أكون أنا والطعام فقط!!

دعاء

اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضياء، ولأبصارنا جلاء، ولأسقامنا دواء، ولذنوبنا ممحصا، ومن النار مخلصا.

أحد.. نهاية مطاف

انا لا اكتب سيرة ولا اسطر تاريخا ولا اسجل وقائعا. لكنى وللامانة انمنم خيوطا تغزل نسجا حول وقائع حدثت اريد اظهارها وتوضيحها.. واسجل حقا حاول المغرضون طمسه وتزييفه. اظهارا للحق وامانة للتاريخ. ولا اكتمك أيها القارىء الكريم اننى من خلال تتبعى لسيرة النبى الكريم ﷺ اريد ان أبين لك كيف انه ﷺ لم يدخل غزوة معتديا وان الاسلام لم ينتشر بالسيف. كما يزعمون ويروجون فكل حروبه وغزواته ﷺ كان يدخلها مكرها. اما لصد عدوان او نصرة مظلوم او دفاعا عن مبدأ إنسانى مهدر.

ويظهر هذا واضحا جليا لكل منصف يقرأ السيرة بلا ضغينة أو حقد على الرسالة والرسول، ولا يظهر ذلك فى الأسباب الداعية لدخول الحرب فحسب، وإنما يظهر واضحا حتى بعد أن تضع الحرب أوزارها، يحدثنا تاريخ الحروب بما يحدث فى نهاية كل الحروب، سواء انتصر فيها المحارب أو هزم، فنهاية صاحب المطامع مسعر الحرب ومشعل نارها [illegible] أعجب بنفسه، وطمعه فى [illegible] أفعاله هى هى فى نهاية النصر، كما فى نهاية الهزيمة - جشع وطمع وزهو وغرور و[illegible] وتخبط [illegible] لكن نهاية حروبه ﷺ تختلف فى كل الحالات عن نهاية حروب أصحاب المطامع مسعرى الحروب من أجل القهر والطمع فترى النبل كله والسمو والرفعة والرضا وليس بعضا من حول الرسول ﷺ الداعية الحكيم ولا ترى أثرا لزهو منتصر أو حسرة مهزوم. [illegible] النبى ﷺ فى كل حالاته [illegible] مبتهل أرأيت إلى هيئته حين دخوله مكة منتصرا يوم الفتح العظيم كيف طأطأ رأسه حتى كادت لحيته الشريفة تمس قربوس فرسه تواضعا وخضوعا لمالك الملك جل جلاله

[illegible] المسلمين [illegible] فى غزوة أحد. [illegible] المؤرخين والباحثين أجمعوا على أن النصر لم يكن حليف المسلمين، فما فعل النبى ﷺ بعد أن وضعت الحرب أوزارها؟ وقبل أن تجيب، أرجوك أن تخبرنى ماذا يفعل القائد المهزوم بعد الحرب؟ اسمح لى أن أجيب عليك من واقع معلوماتى المحدودة: إن كان مغرورا مهزوما فإنه يلجأ إلى إنزال النقمة على بعض قواده وأفراد جيشه أو أن يكره شعبه وجيشه على تجهيز جيش آخر يكرس له كل إمكانات شعبه لكى يسترد النصر لو استطاع.

وفى كل [illegible] يلحظ [illegible] منهورة [illegible] التعقل والاتزان، وقد يكون القائد المهزوم رزينا [illegible] إليه، فإنى أحسب أنه يسعى إلى البحث عن أسباب القصور فى المعركة وأسباب [illegible] فى الاستعداد. ومهما كان [illegible] القائد المنهزم ومهما كانت نشأته فلن يستسلم للأمر أو يتقبله فى هدوء وروية، وما ذاك إلا لأن هؤلاء القادة يسعون وراء دنيا زائلة ناهيك عن شهوة الغلبة والقهر والاستحواذ فهذا هو الهدف الذى يسعون إليه، ولكن تعال إلى الحبيب ﷺ لتعرف كيف يكون اللجوء إلى الله تعالى. وكيف يكون التواضع لجلال الله وعظمته ولا يخطرن ببالك أن ذلك خضوعا للهزيمة منه ﷺ لما انهزم جيشه، إنما هو تواضع لله فى كل حال لأن جلال الله واهب النصر هو هو تواضعه لله [illegible] [illegible] النبى ﷺ لما انتهت المعركة؟.

يروى الإمام أحمد والنسائى والحاكم على شرط الشيخين أن رسول الله ﷺ لما فرغ من دفن أصحابه ركب فرسه وخرج المسلمون حوله. عامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة فلما كانوا بسفح أحد قال: «اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل» فاصطف الرجال خلفه صفوفا خلفهم النساء، فقال: «اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول اللهم إنا نسألك النعيم يوم العيلة اللهم إنا نسألك الأمن يوم الخوف والغنى يوم الفاقة اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك وأنزل عليهم خزيك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق».

هذا الدعاء كان دعاء النبى ﷺ فى ساحة المعركة قبل أن يصل إلى بيته. فماذا كان يمكن أن يقول المرجفون؟

إنه اللجوء إلى الله العلى والتواضع السخى لعظمة الله المعطى المانع وليس

ذلك في الهزيمة فقط، إنما هو في النصر أيضا فكل من عند الله النصر والهزيمة أرأيت إلى رسول الله ﷺ كيف وهو داخل مكة البيت الحرام منتصرا يوم فتح مكة وهو مطأطئ رأسه حتى لا تكاد تبينه فروض فرسه لا زهو ولا خيلاء. أرأيت إليه ﷺ حين سمع نداء واحد من المسلمين: "اليوم يوم الملحمة" نهاه ﷺ وقال: «اليوم يوم المرحمة» وأى مرحمة يا نبي الرحمة صدق شوقي حين قال:

فإذا رحمت فأنت أم أو أب

هذان في الدنيا هم الرحماء

إن رحمتك يا سيدى يا رسول الله فاقت توقعات شانئيك ومبغضيك لكنهم بكل تأكيد هم يطمعون في كرمك وسعة خلقك ورحمتك لقد قلت: «ما تظنون أنى فاعل بكم؟» فهرعوا إلى سعة رحمتك وعظيم عفوك وصفحك الجميل، فقلت في تواضع سخى رفيع وكرم وافر عميم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». وتعال أخى القارئ إلى حوارات جرت بين رسول الله ﷺ وبين بعض أفراد من جيشه. فيروى أنه ﷺ بعد أن فرغ من دفن أصحابه ركب فرسه فخرج والمسلمون حوله راجعين إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش، وقد قتل في المعركة أخوها وخالها وزوجها، فقال لها رسول الله ﷺ: يا حمن - وهو في اللغة العربية نداء فيه ترخيم حذف آخره ويقال في [illegible] [illegible] في [illegible] - احتسبي. قالت: من يا رسول الله؟ قال: [illegible] ويكفيه [illegible] حمزة بن عبد المطلب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون - غفر الله له - هنيئا له الشهادة، ثم قال لها ثانية: احتسبي. قالت: من يا رسول الله؟ قال: أخوك عبد الله بن جحش، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون - غفر الله له - هنيئا له الشهادة، ثم قال: احتسبي. قالت: من يا رسول الله؟ قال لها: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزناه - وفي لفظ واعقراه - وصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها لبمكان، يعنى [illegible] في مكان خاص لا يشاركه غيره مهما كانت قرابته، لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها وكان رسول الله ﷺ رأى عجب القوم لما سمعوا مقالتها على زوجها وتثبتها عند سماع نعى أخيها وخالها وكان في نظراتهم عتب، فأراد النبى ﷺ أن يرفع الملامة عنها ويبين لأصحابه أمر ما عجبوا له - فقال لها: لم قلت هذا؟ قالت: يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعنى، فدعا لها رسول الله ﷺ لها ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم.

ويروى أن رسول الله ﷺ سار بفرسه حتى طلع على بنى عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: لكن حمزة لا بواكى له!!

فخرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ﷺ فلما عاينته [illegible] عليه وعلى سلامته، قالت أم عامر الأشهلية: كل مصيبة بعدك جلل، ثم مر رسول الله ﷺ بامرأة أصيب أبوها وزوجها وأخوها فلما نعوا إليها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله، كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فأشير لها إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل، ويروى الطبرانى عن أنس بن مالك أنه قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة، وقالوا: قتل محمد حتى كثر الصراخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار محزمة فاستقبلت أباها وابنها وزوجها وأخاها. فلما مرت على آخرهم قالوا: أبوك وزوجك وأخوك وابنك فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ فقالوا: أمامك فدفعت إلى رسول الله ﷺ وأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى إذا سلمت من عطب!!

أرأيت أيها القارئ الكريم إلى هذه حوارات [illegible] الحربية. فبربك بالله عليك هل سمعت أو رأيت إلى مثل هذه الحوارات النبيلة الحية في معركة [illegible] [illegible] حمر ونساء وخلاعة ومجون في النصر أو البكاء والحسرة في الهزيمة، وبعد أن رجع رسول الله ﷺ ودخل بيته أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله ﷺ وهو يتوكأ على السعدين: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، ثم عاد إلى بيته فرجع سعد إلى [illegible] نساء قومه حتى لم تبق امرأة، إلا أن جاء بها إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة بن عبد المطلب بين المغرب والعشاء ثم أذن بلال للعشاء، فلم يخرج رسول الله ﷺ حتى ذهب ثلث الليل، ثم ناداه: الصلاة يا رسول الله فهب رسول الله ﷺ من نومه وخرج فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل وسمع بكاء النسوة، فقال: ما هذا فقيل نساء الأنصار يبكين حمزة بن عبد المطلب. فقال ﷺ: ارجعن يرحمكن الله لقد واسيتن - رحم الله الأنصار - إن المواساة فيهم ما علمت قديمة. فرجعن بليل مع رجالهن.

أرأيت إلى فعل رسول الله ﷺ وقوله وكتمه [illegible] [illegible] على حمزة رباطة جأشه كأني به لا يستطيع أن يمنع نفسه عن البكاء وأن يرى البواكي يبكين حمزة رضي الله عنه، لعل ذلك يطفئ حر فؤاده، ولعلى [illegible] ولا عليلى بالحديث عن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ولا أظن أنى مهما كتبت عن سيد الشهداء حمزة [illegible] [illegible] حسبى وحسبك ما قالته صفية بنت عبد المطلب أخته رضي الله عنهم:

أسائلة أصحاب أحد مخافة

بنات أبى من أعجم وخبير

[illegible] حمزة قد ثوى

وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الخلق ذو العرش دعوة

إلى جنة يحيى بها وسرور

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا

بكاء وحزنا محضرى ومسيرى

[illegible]

مكتبة الأزهر

تسعى "الأزهر" عبر هذا الباب الى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن احدث الاصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة. ذلك للمساهمة فى تكوين عقلية واعية وعصرية.



[illegible]

رجل السياسة









يسلط د. إبراهيم شافعي في كتابه عبد الحميد سعيد.. أحد الرواد [illegible] واحدا من أبرز رموز العمل الوطني والقومي والإسلامي في مصر خلال [illegible] حيث خاض خلال هذه الفترة غمار معارك سياسية للدفاع عن عروبة مصر ودورها في الذود عن الإسلام. ويستعرض الكتاب بداية عبد الحميد سعيد بالعمل السياسي والوطني وهو في الخامسة عشر من عمره [illegible] الوطنية التي تعلمها مصطفى كامل من الإمام محمد عبده.



[illegible] وفي عام ١٩٦٢ سافر إكس إلى المملكة العربية السعودية والتقى [illegible]

ابن سينا والطب السيناوى



أ.د. أحمد فؤاد باشا
[illegible]

نبذة تاريخية

نشأ الطب الفطرى عند الإنسان منذ القدم، عندما كان يحتاج إلى معالجة الجروح والكسور التى تلحق به من جراء المعارك والمنازعات، أو لكثرة تعرضه للوحوش المفترسة.. وكان طبيعيا أن تتطور صناعة الطب ونظرياته مواكبة تطور العقل البشرى عبر عصور التاريخ البشرى الطويل.. فقد بلغت بعض فروع الطب، خاصة فى مجال الجراحة والتشريح والتحنيط، منزلة رفيعة عند المصريين القدماء، ويدل على ذلك آثار عمليات جراحية فى الأطراف والعظام والجمجمة تظهر فى هياكلهم العظمية وموميائهم الباقية. وتوجد برديات تؤكد براعتهم فى مجالات عديدة، وتحتوى على شرح كثير من الوصفات الطبية والإشارة إلى بعض الأمراض، والتصقت بالأجيال المتعاقبة طب المصريين، بما فيه من وسائل العلاج بالسحر والشعوذة التى لاتزال [illegible] حتى الآن.

وفى بلاد ما بين النهرين نظمت صناعة الطب فى لوحة حمورابى التى حددت مسئولية الأطباء الإنسانية نحو مرضاهم، كما اكتشفت لوحات تحوى العديد من الوصفات الطبية التى كانت سائدة عند البابليين والآشوريين.

وفى الشرق الأقصى كان الصينيون يعتمدون على العقاقير الطبية والوسائل الطبيعية، وينسب إليهم السبق إلى دراسة خواص شجرة الأفيدرا واستخلاص مادة الأفيدرين التى تستخدم فى أغراض طبية عديدة. أما الهنود فكانوا يعتمدون للوقاية من المرض أو المداواة بالوسائل الطبيعية، واعتمدوا على رياضة اليوجا فى المحافظة على صحة البدن والتغلب على بعض الأمراض.

وفى اليونان يعتبر أبقراط (٤٦٠ - ٣٦٥ق.م) أول من علم الطب ونشره على الناس حتى لا تنقرض صناعته. وقد أفاد الطب اليونانى من الحضارات السابقة. وكان يأخذ بنظرية الطبائع الأربع فى الجسم، وهى البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة، ويمثلها الأخلاط الأربعة: البلغم والدم والسوداء والصفراء، التى تناظر العناصر (الإستقصات) الأربعة: الماء والهواء والتراب والنار، فالجسم يكون صحيحا إذا كان امتزاج العناصر محكما فى الكيفية والكمية، أما إذا زاد أحد العناصر أو نقص، أو امتنع عن الامتزاج بالعناصر الأخرى، فإن الصحة عندئذ تنحرف ويحدث المرض، ولايزال "عهد أبقراط" الذى كان يأخذه على تلاميذه قبل أن يبوح لهم بأسرار التطبيب هو مضمون القسم الذى يؤديه الأطباء بعد تخرجهم من كليات الطب الحديثة.

وتقضى نظرية الأخلاط الأربعة The four humours theory باعتبار أن أكبر عملية تحدث فى الجسم، إنما هى تحويل المواد التى فى الغذاء إلى مواد حيوية تصلح لتغذية الأعضاء، كل على حسب تركيبه. وتبدأ عملية تحويل الغذاء بهضمه فى المعدة والأمعاء، فتصعد الأبخرة إلى أعلى ويهبط الثقل إلى أسفل، أما ما يصلح للغذاء فيمتص وينتقل بواسطة العروق إلى الكبد فتحوله إلى الدم، وتحول جزءا منه إلى "الصفراء"، وينتقل جزء آخر إلى الطحال فتتكون منه "السوداء"، والباقى يذهب إلى المعدة والرئة فيتحول إلى البلغم.

وهذه هى نظرية الأخلاط الأربعة، وهى أساس تصور القدماء لوظائف الجسم ومزاج الأعضاء، فالدم له خواص الهواء "الحار الرطب"، والصفراء لها خواص النار "الحارة الجافة"، والبلغم له خواص الماء "البارد الرطب"، وإفراز الطحال من السوداء له خواص التراب "البارد الجاف".

وكان من نتائج ذلك التصور للعمليات الحيوية أنها عملية طبخ، حيث تعمل الحرارة الطبيعية فى المواد التى امتصها الدم على إنضاج هذه المواد، فإذا تم النضج أصبحت صالحة لغذاء الأعضاء، كل على حسب ما يناسبه، أما إذا لم تنضج هذه المواد، فإن العضو يعجز عن الاغتذاء بها، وإذا زاد نضجها وقع له ما يشبه الاحتراق فيصيب الأعضاء منها الضرر.

وإذا كان القدماء قد ظنوا أن فساد الأخلاط، أى السوائل الكامنة فى الأعضاء والمحيطة بها والخارجة منها، هو الذى يحدث المرض ويفسد المزاج الذى ينعكس فى السلوك والتصرفات والصفات الشخصية، فإن العلم الحديث من ناحية أخرى، يرى أن الأمراض التى تصيب الأعضاء هى التى تحدث فساد الأخلاط، ويكون الأمران متلازمان فى أغلب الأحوال.

والواقع أن مزاج العضو ليس إلا قدرته على أداء وظيفته. فإذا قيل عن عضو إنه أصابه سوء مزاج، فمعنى ذلك أنه فى حالة لا يؤدى فيها وظيفته على الوجه الصحيح، ولما كانت الأعراض والفساد والأمراض والعجز عن أداء الوظيفة، كلها أمور متلازمة، بحيث لا يمكن تحديد أيها يكون سببا وأيها يكون نتيجة، فإننا نجد أن هذا الفرق فى الواقع ليس بالغ الأهمية. والنظر إلى مزاج كل عضو على أنه قدرته على أداء وظيفته، وإلى فساد الأخلاط على أنه فساد تركيب السوائل والإفرازات التى تتعلق بهذا العضو، يمكن أن يساعد كثيرا على فهم وتوضيح مسائل عديدة غامضة فى الطب القديم.

أما جالينوس (٢٠١ - ١٣٠ق.م) فيرجع إليه الفضل فى جعل الطب علما تجريبيا مبنيا على أسس عقلية، وكان يعالج كل مريض بالطريقة التى تناسبه، طبقا لما يستنتجه من فحص [illegible]

كما ذكر ابن سينا - من جهة أنه فيلسوف لا من جهة أنه طبيب.

وعند الفرس والرومان كان الطب خليطا من الطب المصرى والطب الهندى والطب اليونانى، وأهم ما اشتهر به الرومان كانت عملية الولادة عن طريق شق البطن، والمعروفة باسم "العملية القيصرية"، نسبة إلى يوليوس قيصر [illegible] روم (١١٠ - ٤٤ ق.م) الذى ماتت أمه أثناء ولادته فشقوا بطنها وأخرجوه جنينا من رحمها، وأصبح لقب قيصر الروم يطلق على كل إمبراطور يأتى بعده. أما أول مدرسة للطب فقد أنشئت فى [illegible] فى عام ٢٧٢هـ. ثم أنشئت بعد ذلك مدرسة للطب فى مدينة جنديسابور، وكان بها بيمارستان (مستشفى) كبير حصل على شهرة واسعة.

وفى الجاهلية كان العرب يعتمدون فى العلاج على الكهانة والعرافة والكيّ بالنار ووصفات العجائز والخبرة المتوارثة ببعض الأمراض، واستعانوا ببعض أطباء الجاهلية من أسفارهم إلى الشعوب المجاورة.

وبظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم نشأ ضرب جديد من الطب يعرف بالطب الإسلامى، ويعنى بالكشف عن أسرار القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فى العلاج والشفاء، وكان لتعاليم الإسلام الحنيف أكبر الأثر فى إيقاظ العقول وتحريرها، ورفع من قدر العلم والعلماء، وكان طبيعيا أن تبدأ النهضة العلمية فى العصر الإسلامى بنقل معارف السابقين، وسرعان ما حلق العقل الإسلامى فى سماء المعرفة الرفيعة، وبلغ التأليف بعد ذلك قمته كما وكيفا بفضل عدد كبير من

المبرزين فى العلوم المختلفة، بما فيها علم الطب والصيدلة، من أمثال: جالينوس العرب أبى بكر الرازى، وعميد الجراحة العربية أبى القاسم الزهراوى، وأرسطو الإسلام وأبقراطه الشيخ الرئيس ابن سينا وغيرهم.

وقد بذل مؤرخو العلوم جهدا بالغا فى دراسة تاريخ الطب العربى والإسلامى، ووصفوا كيف نما وازدهر حتى بلغ أوجه فى عهد الرازى وابن سينا، وكيف كانت رحلته بعد ذلك إلى الأمم اللاتينية. ويعتبر الطب [illegible] من خير ما تميز به الحضارة العلمية الإسلامية فى هذا الفن، ويمكن التعرف عليه من خلال الدراسة المتأنية لعملين عظيمين [illegible] ابن سينا هما: "كتاب القانون فى الطب" الذى قدر ما فيه بنحو مليون كلمة، ويقع فى أكثر من ١٥٠٠ صفحة، و"كتاب الأرجوزة فى الطب" التى تقع فى نحو ١٣٣٤ بيتا من الشعر جمع فيها كل المعلومات الطبية، ذكر فيها مثلا عناصر (اسطقسات) [illegible] الأركان، كما يلى:

[illegible] الأركان

تقوم من مزاجها الأبدان

[illegible]

[illegible] ونار، وثرى وريح

دليله فى ذاك أن الجسما

[illegible]

ولو يكون الركن منها واحدا

لم تر بالآلام حسا فاسدا

ثم يقول فى ذكر الأمور الطبيعية، وهو المزاج:

[illegible]

أحكامه تمين فى العلاج

أما المزاج فقوله أربع

يفردها الحكيم أو يجمع

[illegible]

[illegible]

توجد فى الأركان والأزمان

[illegible]

والاستقص أحمد فى الغاية

من عنصر المزاج والنهاية

الحر فى النار وفى الهواء

والبرد فى التراب ثم الماء

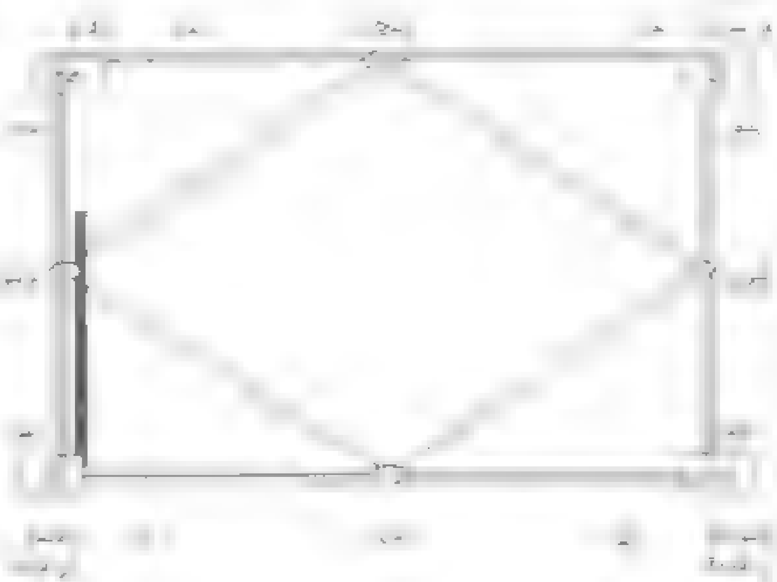
[illegible]

واللين بين الماء والسحاب

بين جواهر لها اختلاف

تقضى لنا بالكون والائتلاف

ويوضح الرسم التالى ترتيب الأخلاط المكونة للعناصر (أو الأركان) وتوازنها فى البدن:



جانب من حياة ابن سينا وفلسفته ومنهجه فى الطب

هو أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، والمعلم الثالث للإنسانية بعد أرسطو والفارابى. ولد فى قرية أفشنة من ضياع بخارى عام (٣٧١هـ - ٩٨٠م)، وعاش حياة حافلة فى فترة من أزهى الفترات فى عصر الحضارة العربية الإسلامية حتى توفى فى همدان عام ٤٢٨هـ (١٠٣٧م)، جمع بين مختلف العلوم، فبرع فى الفلسفة والطب والرياضيات والفلك، وألف بالعربية، وأحيانا بالفارسية.

[illegible] فى السنة الخامسة من عمره إلى بخارى - وكان من طائفة الإسماعيلية، وهى يومئذ صاحبة مذهب فى الخلق والوجود وتفسير الشرائع [illegible] من الظاهر والباطن من معانيها، فنشأ الحسين الصغير وهو يستمع إلى المناقشات الفلسفية والتأويلات الدينية فى النفس والعقل وأسرار الربوبية والنبوة، وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، وتعلم اللغة على أبى بكر أحمد بن محمد البرقى الخوارزمى، وتعلم الفقه على إسماعيل الزاهد، واشتغل الحسين بالسياسة وأصبح وزيرا لشمس الدولة، وعرف بالشيخ الرئيس.

ومؤلفات ابن سينا تتصف عامة بالدقة والتعمق والسلاسة وحسن الترتيب، وهى

كبيرة ومتنوعة، ولكن سيطرته على الأعلى هو كتاب "القانون" في الطب، وكان يقول [illegible] ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون عليّ علم الطب، وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة.

[illegible] يستمتع بها من غيرها، وهو أيضا يشتغل بالطب، فلا يستغرق جهده كله فيه، لأنه يفرغ له جانب الملاحظة وجانب الذاكرة من تفكيره، ويستسهله من أجل ذلك، وليس هو بالسهل على سواه، وعالج ابن سينا أمير بخارى وهو في السابعة عشرة من عمره، وكان على حد قوله يحب الحياة عريضة قصيرة، ولا يحبها ضيقة طويلة.

وإذا كانت نظرية الأخلاط الأربعة هي أحد المبادئ العامة المشتركة في فلسفة العلاج عند الإغريق والعرب [illegible] المسلمات العقدية لتطبيق هذه النظرية كانت مختلفة ومتباينة عند فلاسفة الإغريق، عنها عند علماء المسلمين ذلك أن أهم مسلمات نظرية الأخلاط عند الإغريق تقضي باعتبار أن [illegible] على جميع [illegible]

ويقاوم العوامل الهدامة للجسم – وعلى الطبيب [illegible] Naturism [illegible] Vis medicatrix naturae" التي اعتبروها حجر الزاوية في الفكر الطبي الأبقراطي، ولذا فإنهم حذروا الطبيب من التسرع في التدخل في سير المرض خوفا من أن يحول دون عمل الطبيعة، وهذه – كما نرى – فلسفة مادية إلحادية سافرة، يقابلها عند [illegible] في محكم التنزيل:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

(سورة الشعراء: ٨٠)

وجاء عن "جابر" عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل" (صحيح مسلم – كتاب السلام – باب لكل داء دواء)

[illegible] يعتمد في العلاج بصفة عامة على أثر التغذية في الإصلاح [illegible] من جنس الأغذية، اعتقادا بأن الأمة، أو الطائفة، التي غالب أغذيتها من الأطعمة البسيطة المفردة تكون أمراضها قليلة، ويعتمد طبها على المفردات، فأما البلاد التي غلبت عليهم الأغذية المركبة [illegible] الأدوية المركبة لأن أمراضهم في الغالب مركبة، بينما تكفي الأدوية المفردة لعلاج أهل الصحاري والبوادي لأن أمراضهم مفردة.

وتظهر هذه الفلسفة الإيمانية واضحة جلية عند ابن سينا في تعبيرات عديدة ورد ذكرها في كتاب القانون معبرة عن المبدأ الأساسي المتمثل في [illegible] على اختلاف ترتيبها ودرجاتها، تستند إلى العنصر الأول للوجود، وهو "واجب الوجود" لله تعالى. وفي استظهار مناهضة الطبيعة للمرض، بحسب اختيار الوقت واعتبار الحال، يكون "بإذن الله تعالى"، وأن "القوة الطبيعية المولدة في الإنسان" هي التي [illegible] وتشكيلاتها وتجربتها...".

ويتضح من التراث الطبي للحضارة العربية الإسلامية أن المنهج التجريبي [illegible] المعروفة لنا حاليا كان هو أسلوب الأطباء العرب والمسلمين في ممارسة الطب وتدريسه [illegible] ويقسم الأطباء من هذه الزاوية في رأي مؤرخ العلم المعاصر جورج سارتون إلى مجموعتين، الأولى مجموعة الممارسين الذين اهتموا في المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج، معتمدين على المشاهدات والملاحظات، والفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية، ويمثل هذه المجموعة أبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف. أما الفريق الثاني فهو فريق المدرسيين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة [illegible] للمعرفة هو الذي دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقي، ولهذا أطلق عليهم الفلاسفة [illegible] الفريقين اتبع المنهج التجريبي [illegible] إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة [illegible]

وكان [illegible]

محاربة الشعوذة ومكافحة المشعوذين وتجار الطب الذين كانوا يدعون معرفة المرض والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله، ويستعينون على ذلك [illegible] أسرارهم، حتى إذا ما جاء هؤلاء المرضى إليهم أسرّوا إليهم بما عرفوه، مدعين أن البول فضاح الأسرار.

ويؤكد ابن سينا على أهمية اتباع المنهج التجريبي والتريث قبل استخلاص النتائج، فيقول: علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت الشروط التالية: أن يكون البول أول بول من المريض، أي بول الصباح، على ألا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة، أو أكل ما يمكنه تلوين بوله كالزعفران، كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة، أو يتبع نظاما على غير عادته، لأن كل هذا يؤثر كثيرا في تركيب البول... والنتائج التي نصل إليها من تحليلنا للبول تعتمد على لونه وكثافته ومدى صفائه أو تعكره، وعلى رائحته ورغوته..." وعن الاستدلال على المرض من البراز يرى ابن سينا أن [illegible]

من ناحية أخرى، أشار ابن سينا إلى أهمية التجربة والقياس لتعرف قوى الأدوية، وساق [illegible] وسجل أفعال الأدوية وخواصها في جداول سماها "ألواحا" – وعني في ملاحظة هذه الأفعال [illegible] الأدوية من الخارج وتغير كيانها، مثل الطبخ [illegible] البرد، والوضع في جوار أدوية أخرى، والمزاج، وطريقة التقاط الأدوية وادخارها.

في العاصمة العمانية مسقط، انطلقت ندوة تطور العلوم الفقهية في نسختها الحادية عشرة التي جاءت بعنوان: (النظرية الفقهية والنظام الفقهي)، معلنة بداية العقد الثاني من عمر هذه الندوة المباركة التي تحقق ما تصبو اليه أمتنا، وذلك باستقراء جمع كوكبة من العلماء والفقهاء والمفكرين من مختلف انحاء العالم حيث جاءوا من مصر، وسوريا، واليمن، والمملكة العربية السعودية، وقطر، والجمهورية الاسلامية الايرانية، ولبنان، والمملكة المغربية، وتونس وتركيا، والجزائر، وليبيا، والبوسنة والسويد، بالاضافة الى السلطنة واعضاء المجامع الفقهية والخبراء والباحثين، وطلاب العلم من مختلف المذاهب والمدارس الفقهية يحدوهم حرصهم على اداء امانة العلم لمعالجة ما استجد للناس من قضايا ومعاملات باحكام واضحة رائقة لا يلفها ضباب الخلاف لرفع الحرج عن ابناء هذه الامة مقتدين في ذلك بالسلف الصالح في استنباط الاحكام من الدلائل الشرعية.



[illegible] هذه الندوة [illegible] تكلم فيه عدد من رجالات الفكر الإسلامي، حيث

[illegible] الدكتور عبد الرحمن بن سليمان السالمي

رئيس اللجنة المنظمة للندوة كلمة وزارة الأوقاف [illegible]

[illegible] عقد من الزمن منذ إقامة ندوة تطور العلوم الفقهية التي تنظمها الوزارة في كل عام، وكانت [illegible] تسمح [illegible] في قراءة التدرج الفقهي وقراءة النظرية الفقهية والنظام الفقهي رؤى جديدة ومناهج متطورة.

وأضاف أن: اختيار موضوع هذه الندوة جاء تعبيرا عن الثقة والتطلع إلى المزيد من الإنتاج من قبل العلماء المشاركين من سائر أنحاء العالم الإسلامي، كما شكل هذا الاختيار دافعا يمضي بنا قدما إلى آفاق جديدة تتيحها التجربة من جهة وتساندها النتائج والقراءات الفقهية المعاصرة من جهة أخرى.

و[illegible] ندوات الفقه العماني، التي تعنى ببحث [illegible] فصليا كبرى وهي: النظرية الفقهية العامة، والنظريات الموضوعية والوضعية المتفرعة منها [illegible] في الاستنباط في النظام الفقهي التاريخي، و[illegible] في سائر المذاهب وما يتصل بالفقه، [illegible] إسهامات بارزة في النظريات، والنظام والتجربة الحديثة للفقهاء والعلماء والمستشرقين مع النظرية والنظام فهما و[illegible] ومتابعة، وأخيرا [illegible] الفقهي في قديمه وحديثه.

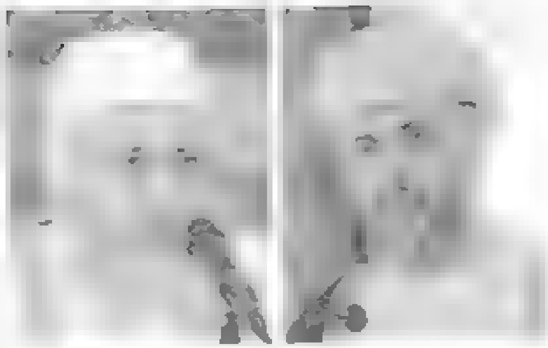
أما سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة فقد ألقى كلمة ضافية قال فيها:

من المعلوم أن عجلة الزمان لم تتوقف ولن تتوقف حتى يرث الله الارض ومن عليها وفي كل دورة من دوراتها تبرز مشكلات متنوعة وقضايا مستجدة لا بد من تسليط الضوء عليها من خلال تدارس شريعة الله سبحانه وتعالى الواسعة فإن الله عز وجل أنزل هذه الشريعة سمحة صالحة لكل زمان ولكل مكان وفي طواياها كل ما تحتاج اليه البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها وانما فهوم الناس تتفاوت في استخراج الحلول من أعماقها ولا ريب أن هذه [illegible] في فهم حكم الله سبحانه وتعالى المنزل وإنزاله على الواقع أمر يحتاج إلى استنفاد كل المجهود من أجل أن يوجد في كل جيل من الأجيال وفي كل قطر من الأقطار من يقومون بحل هذه المشكلات [illegible] القرآن الكريم في قوله تعالى

[illegible]

(التوبة ١٢٢)

لوجود [illegible] بالشريعة الإسلامية



[illegible] عبد الرحمن السالمي — الشيخ حمد الخليلي

جامعة بوسائل تجعلها قادرة على الغوص في أعماق الشريعة واستخراج الحلول منها [illegible] ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم كتابا يشتمل على كل ما نحتاج إليه [illegible] الآراء ولا [illegible] العلماء، هذا الكتاب العزيز أنزل بلسان عربي، وقد جاء النبي ﷺ ليخاطب هذه الأمة [illegible] العربي، ومعنى ذلك أن العربية هي وعاء الشريعة، ولم تعد حكرا على العرب وحدهم، وإنما هي لغة عالمية لغة الدين تربط بين فئات عباد الله المؤمنين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم وأقطارهم، واللغة هي [illegible] كما [illegible] تفكير [illegible] اللغة هي الجسر الذي يعبر عليه الفكر.

واللغة العربية كانت لغة قومية قبل أن ينزل بها القرآن، أما بعد أن اختارها الله تعالى لأن تكون وعاء [illegible] والإعجاز أصبحت لغة يجب أن نحافظ عليها، فالحرص على دراسة العربية هو السبب للدخول إلى فهم الشريعة [illegible] الوسيلة إلى فهم الكتاب العزيز والسنة النبوية، كما أن اللغة العربية والشريعة توأم لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

وأضاف سماحته: أن حرصنا في تدارس اللغة [illegible]



[illegible] لأنه يشتت ولا يجمع، وإنما نحرص على ما يجمع الحكم لنا جميعا، وليس هناك لغة ترشح لجمع شتات الأمة كاللغة العربية، وإنه من العار على المسلم أن يتقن لغة المستعمر الذى استعبده وفرض لغته عليه دون أن يتقن لغته الأم.

موقع الأمة الإسلامية على الجبل

وقال فضيلة الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية فى كلمته [illegible] اجتمعت على علم شريف، أعطى ولا زال يعطى وسوف يعطى للبشرية أنوارا تستضىء بها.

وقال: إن الفقه فى لغة العرب هو الفهم، أو هو فهم السامع للمتكلم ليعرف غرض كلامه أو هو فهم الشىء الدقيق وعلى كل حال فإن الوعى دائما يكون قبل السعى حتى لا نهرف بما لا نعرف فالفقه لا بد منه حتى نسير فى طريق منير واضح نعبد فيه ربنا ونعمر فيه كوننا ونزكى فيه نفوسنا [illegible] سبحانه [illegible]

والفهم ينبغى أن يكون لمصادر الشريعة [illegible] والفهم ينبغى أن يكون للآراء التى صدرت من الأتقياء الأنقياء عبر العصور من المجتهدين العظام والفهم يجب أن يكون أيضا للواقع المعاش وهو يتغير من لحظة إلى لحظة هذا الواقع بعوالمه عالم الأشياء والأشخاص والأحداث والأفكار والنظم يجب على الفقيه أن يدركه إدراكا واعيا ونحن نريد أن نعرف كيف نصل بين فهمنا للمصادر وبين واقعنا حتى نحقق مقاصد الشريعة الغراء ومصالح العباد والبلاد وحتى نلتزم بما تركوه لنا من إجماعات لم يختلف فيها اثنان ولم يتناطح فيها كبشان وحتى نصل بذلك إلى التمكن والتمكين فى الأرض [illegible] فى وقته [illegible] بجتمع على الخير فى الدنيا وحتى نجتمع على الخير فى الآخرة.

نحن نريد أن نكون أمة وسطا

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

والوسط هو أعلى الجبل لأنه وسط السائر إلى علاه حتى ينزل من الطرف الآخر فإذا كنت أعلى الجبل فأنت شاهد ومشاهد اسم فاعل واسم مفعول فأنت شهيد، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء وشهداء جمع شهيد، كما أن علماء جمع عليم، وفعيل يصلح للدلالة على الفاعل والمفعول كما هو مقرر فى موضعه فأنت شاهد ومشهود ولذلك نريد هذه المكانة التى وضعنا الله فيها فلا نريد أن نقصر فى أعمالنا وفكرنا وفهمنا فنتخلى عنها فنكون قد تركنا التشريف بعد أن تركنا التكليف.

نريد أن نكون شهداء بحق [illegible] تطور هذه النظريات وأن نستعمل وأن نستغل وأن نسير وأن نكمل تلك القواعد:

خمس محررة قواعد مذهب

للشافعى بها تكون خبيرا

ضرر يزال وعادة قد حكمت

وكذا المشقة تجلب التيسيرا

والشك لا ترفع به متيقنا

وخلوص نية [illegible] أردت أجورا

[illegible] فى المذهب الشافعى، ثم اتفقوا عليها فصارت القواعد الخمسة الكبرى التى بنيت عليها الأشباه والنظائر.

نريد أن نأخذ مناهج السلف وألا نقف عند أزمانهم فإن الزمن يتغير وإن الواقع يتطور، ولذلك كان هذا [illegible] وهذا الاجتماع الذى يذكر فيشكر.

وأما فضيلة الشيخ وهبة الزحيلى

رئيس رابطة علماء الشام فقد طالب بجمع حصاد الندوات العشر الماضية للاستفادة منها وناشد [illegible] العمل على تفعيل آثار ونتائج هذه الندوات ليستفيد منها الآخرون ولا تكون حبيسة الأدراج، وأشار فى كلمته إلى أن [illegible] يهدف إلى تفعيل وتقنين الشريعة الإسلامية، حيث قال: إن اجتماعنا يأتى للبحث فيما يحقق لهذه الأمة من الخير والتقدم والازدهار والحاكمية، وهذا المعنى الأخير المفقود فى حياتنا، حيث تغلبت القوانين الوضعية على الفقه الإسلامى، فأصبح الفقه بدرجات متفاوتة بين قطر وقطر وبلد وبلد وهذه النصوص الكريمة التى نعتز بها والتى استمعتم إليها من الأساتذة الأفاضل تحتاج إلى تفعيل وتحتاج إلى [illegible] على بقاء حيوية الشريعة وتطلعاتها، لأن فى ذلك إعمالا لعالمية القرآن الكريم الذى أنزله الله رحمة للعالمين.

وأضاف: كنت دائما وما زلت أستغل لقائى بالرؤساء وأطالبهم بتطبيق [illegible] الكريم، فلا أجد [illegible]

ثم أردف: ديننا خير دين يحقق للناس قاطبة هذه المعانى الكريمة دون فتح أى مجال لنظرة عنصرية أو طائفية كل فقهائنا ترمق أنظارهم إلى مثل هذا فلذلك فإننا نشير على الغرب والكل يدرك أن الحضارة السابقة وأن الوسطية والاعتدال وحفظ حقوق الآخرين [illegible] أو نحلهم أو أديانهم، فالإسلام كفيل بتحقيق العدل بين الجميع، ولذلك أسعد ما سمعت أستاذا كنت معه فى ليبيا عندما درست هناك قال لى فى كلمة صادقة: (نحن أشد



وهبة الزحيلى — د. على جمعة

الناس حماسة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهو قبطي، لأن الشريعة تكفل حقوقا لا نجدها في ظل القوانين الوضعية).

فطريقنا جميعا تفعيل هذا الهدى الإلهي والعمل على أن يكون فقهنا في الطليعة، ومن هنا نجد ما سمي بالربيع العربي ونجد أناسا يشككون فيما إذا كان هؤلاء الإسلاميون سيستمرون [illegible] [illegible] كثر من خمسين عاما:

[illegible]

(القصص: ٥)

هذه كلها هروب لبعض المرشحين من هنا وهناك؛ لأنهم وجدوا أن آمالهم الشيطانية لن تجد مجالا في ظل العمق الإسلامي النبيل الذي يحقق للناس جميعا آمالهم وتطلعاتهم.

أما فضيلة آية الله أحمد مبلغي من علماء حوزة قم فقد أشار إلى دقة العنوان المختار للندوة، لأنه جاء من منطلق رؤية [illegible] واستيعابية، حيث إن التنظير يتضمن عناصر أهمها الإكثار من جمع المفاهيم و[illegible] [illegible]. [illegible] وقوع التلاقح بين المفاهيم تتضح أبعاده في الفقه، وتؤدي النظرية فيه إلى إيجاد التوالد بين المفاهيم والقضايا الاجتماعية التي نريد إعطاء حكمها في الفقه.

وقال فضيلته: دور النظرية الفقهية هو تهيئة الأرضية لإيجاد حالة المواجهة بين مفاهيم القضايا حتى لا يفهم مفهوم بشكل مستقل عن فهم مفهوم آخر.

إن التنظير الذي يتضمن إيجاد التلاقح والتوالد والتزاوج بين الأفكار والمفاهيم [illegible] مشتركة [illegible] العلماء من [illegible] [illegible] محصورة في [illegible] [illegible] [illegible] وأفكار [illegible] [illegible] ومن هذا المنطلق [illegible] [illegible] فقه الأمة الإسلامية.



أحمد مبلغي

وعلى مدى أربعة أيام متصلة [illegible] العلماء [illegible] بحثا، تناول بعضها كتب التراث مثل كتاب الإحكام وكتاب الجامع لابن بركة وكتاب العدل والإنصاف وكتاب طلعة الشمس وكتاب الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي.

وتناول البعض الآخر شخصيات كان لها دور في التطور مثل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وجمال الدين عطية ومحمد أبو زهرة وغيرهم. وتناول البعض الآخر التركيز على مراحل التاريخ الفقهي وإلقاء الضوء على تلك الكتابات التي شكلت البدايات لنشوء النظرية الفقهية.

نشأة الفقه

في [illegible] قدم فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة ورقة عمل حول "أصول الفقه والنظريات الفقهية" قال فيها: إن علم أصول الفقه هو علم يبحث عن أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد (المجتهد).

والمراد بالإجمالية: أي القواعد العامة مثل قولهم الأمر للوجوب والنهي للتحريم، والصحة [illegible] [illegible] فلا تذكر في أصول الفقه إلا على سبيل التمثيل على القاعدة.

والمراد بكيفية الاستفادة منها: أي معرفة كيف يستفيد الأحكام من أدلتها بدراسة أحكام [illegible] والإطلاق، والتقييد والناسخ، والمنسوخ وغير ذلك [illegible] [illegible].

والمراد بحال المستفيد: معرفة حال المستفيد وهو المجتهد، وسمي مستفيدا لأنه يستفيد (يستنبط) بنفسه الأحكام من أدلتها لبلوغه مرتبة الاجتهاد، فمعرفة المجتهد وشروط الاجتهاد وحكمه [illegible] الفقه.

وقال: يمكن تعريف علم (أصول الفقه): [illegible] (الإجمالية) التي يقع في طريقتها استنباط الأحكام الشرعية.

وأضاف: كان الصحابة بعد عهد النبي ﷺ [illegible] حكم شرعي [illegible] [illegible] أصول مستقرة في أنفسهم، علموها من نصوص الشريعة وروحها، ومن تصرفات النبي ﷺ [illegible].

وفي عهد التابعين ومن بعدهم كثرت الحاجة إلى الاستنباط، لكثرة الحوادث التي نشأت عن دخول بلاد شاسعة تحت الحكم الإسلامي، فتصدى في الفتيا كثير من التابعين، فاحتاجوا إلى أن يسيروا في استنباطهم على قواعد محددة [illegible] وكان لبعضهم كلام واضح في أثناء كلامهم في علم الفقه.

[illegible]

في القرن الثاني الهجري، وكان للإمام الشافعي [illegible] [illegible] [illegible] الأساسية في علم الأصول حتى تم تعديله وشرحه، وإضافة القواعد الأخرى على يد [illegible] الإسلامية.

تأصيل النظرية الفقهية

[illegible] عمل حول تأصيل النظرية الفقهية قال فيها: الفقه أشهر علوم الحضارة الإسلامية، وأكثرها تأثيرا، وبه يسلم المؤمن جوارحه لله تعالى، وبه تتحقق مظاهر الاستخلاف الرباني للبشر في تعاملاتهم المالية أو عقود نكاحهم، وهو يشمل جوانب القضاء والسياسة وغيرها، فهو يجمع أحكام الأفراد وأحكام الأمم، وهو من ألصق علوم الشريعة بالواقع الخاص والعام، فيه يتمازج الدليل مع واقع الحياة، وقد تباينت أنظار الناس للتجديد في علوم الشريعة عامة، فمنهم من يعلق آماله عليه، ويرى فيه النور المشرق الذي [illegible] [illegible] لقدمه، ويعجب بالجديد لجدته لا لدليله؛ ولا [illegible] يجعل هو الأصل الذي تدور في فلكه الثوابت الشرعية فلا، والأدهى من ذلك والأمر أن يفسر التجديد بأنه نقل مضامين الحضارات الأخرى، وتفسير ملاحق الإسلام بها، حتى تحاكم القواطع الدينية بما عند الآخر، وثمة فريق آخر غمض عينيه عن النظر في الحقائق وكبل نفسه في قيود [illegible] [illegible].

[illegible]

التوصيات:

وقد أنهت الندوة أعمالها بالتوصيات التالية:

• أولا: الفقه الإسلامي فقه قادر على استيعاب المستجدات ومعالجة الأحداث على ضوء الكتاب والسنة وسائر أصول التشريع الإسلامي، وعلى المسلمين أن يستعيدوا الثقة في فكرهم وتراثهم ومشروعهم الحضاري، وأن تعكس برامج الفقه والدراسات الإسلامية هذه الثقة في التواصل والمتابعة والأمل بحاجة الأمة ومستقبلها.

• ثانيا: العناية بالنظريات الفقهية ومعرفتها لما تمثله من تأصيل علمي مهم، ولتسهيل التعامل مع المستجدات وتيسير عملية الاجتهاد واستنباط الأحكام، من خلال استقراء أبواب الفقه وأدلته، وإحكام صنع هذه النظريات بمقاصد الشريعة وتوحيدها لتحديد آليات توظيفها في الاجتهاد المعاصر.

• ثالثا: ربط النظريات الفقهية من جانب أساتذة الدراسات الإسلامية بالواقع المعاصر في منهجيه وطرق التدوين والنماذج والأمثلة التطبيقية، بما يجعلها قادرة على التفاعل مع العلوم الاجتماعية والإنسانية في تطورها المعاصر.

• رابعا: دراسة القواعد الفقهية المتعلقة بكل نظرية على حدة دراسة نظرية وعملية؛ حتى يجرى تفعيلها في فقه الحياة المعاصرة.

• خامسا: قراءة الاجتهادات الفقهية في الفتاوى وأحكام القضاة وقرارات المجامع الفقهية، وتمكين كل منها في مكانه من النظريات الفقهية والنظام الفقهي في القديم والحديث.

• سادسا: تدريب الباحثين والمعنيين بالدراسات الشرعية على الاعتماد على النظريات الفقهية باعتبارها وسيلة للفهم الشامل الذي لا يقتصر على الجزئيات والتفاصيل دون ردها إلى الكليات والأصول، وأكبر المستفيدين من ذلك أساتذة الأصول والسياسة الشرعية في أقسام الإسلاميات بالجامعات.

• سابعا: ضرورة عناية الباحثين والمشتغلين بالدراسات الفقهية بدراسة اللغة العربية وإتقان علومها وتراثها الأدبي، باعتبار ذلك شرط ضروري للاجتهاد وضبط استنباط الحكم من محله، ولذلك لا بد من التبادل والتعاون والتآزر بين أقسام اللغة العربية وأقسام الدراسات الفقهية والإسلامية العامة بالجامعات.

• ثامنا: العناية بالتراث الفقهي في كل المذاهب تأصيلا وتطبيقا في ضوء التنظير الفقهي، مع المقارنة بين المذاهب الإسلامية المختلفة لبيان القواسم المشتركة والأصول الواحدة؛ ليعطي ذلك مزيدا من التفاعل الفكري والترابط العقلي.

• تاسعا: ربط النظريات الفقهية الجزئية مثل نظرية الاحتياط ونظرية الاستطاعة بمصادرها الأصولية ودراسة قواسمها المشتركة وتطبيقاتها المتنوعة في كل المذاهب الإسلامية.

• عاشرا: دراسة النظريات الفقهية باعتبار مجالاتها بما يفرق بين نظريات الأحوال العادية، كنظرية العرف ونظرية الضرر، وبين نظريات الأحوال الاستثنائية، كنظرية الضرورة ونظرية الظروف الطارئة.

• الحادي عشر: العناية بالنظريات ذات التأثير العالمي لبيان تقدم التشريع الإسلامي، ومن أمثلة هذه النظريات نظرية التعسف في استعمال الحق وتطبيقاته في القانون الخاص والقانون العام.

• الثاني عشر: تقديم نظرية العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، وربطها بأصولها المنهجية وقواعدها الفقهية، مع الإشارة إلى الكتابات التراثية في هذا المجال، والاهتمام بوضع ذلك في تصرف أقسام العلوم السياسية والعلاقات الدولية بالجامعات.

• الثالث عشر: الاهتمام بدراسة مناهج الأصوليين باعتبارها أساسا في البحث العلمي، وسبيلا لدراسة التراث الإسلامي عامة والأصولي خاصة، ووسيلة للتفكير النقدي في عدد من القضايا الأصولية، ولهذا الأمر أهمية كبرى في أقسام أصول الفقه وفقه الكتاب والسنة.

• الرابع عشر: تُعدُّ الموسوعات الفقهية وكتب الفتاوى موردا خصبا للتاريخ؛ فقد عنيت بدراسة القضايا الفقهية في ظل الظروف التاريخية التي تشكلت في وقتها، لذا ينبغي الاهتمام بهذه الموسوعات لبيان واقعية الفقه وتاريخ بعض نظرياته. ومن ثم إنجاز دراسات تهتم بتأريخ النظريات الفقهية وتطورها، وأثر الوعاء الحضاري في تشكل تلك النظريات، وطبيعة العلاقة بين تلك النظريات ضمن منظومة التشريع الإسلامي الشامل، واستخدامها في كتابة صحيحة لتاريخ المسلمين الحضاري اجتماعيا وثقافيا، إذ التاريخ الثقافي والفقهي لتحديد الإسلامية الوسطية أمر شديد الأهمية وينبغي أن تعنى به أقسام التاريخ والآداب والدراسات الإسلامية في الجامعات.

• الخامس عشر: هناك دراسات رائدة في مجال التنظير الفقهي، تحتاج إلى إعادة رصد ومعالجة وتحليل، وفي مقدمتها نظرية العرف عند ابن بركة في كتابيه التعارف والجامع، ونظرية العلاقات الدولية في كتاب السير للإمام محمد بن الحسن الشيباني، ومسائل الأحوال الشخصية من كتاب الجناوني، ومن المهم تنبيه المشتغلين بالفقه من الأساتذة والدارسين للاهتمام بهذا التراث العلمي المتخصص، وهذه مسائل تهم دارسي الشريعة وفقهها ونظرياتها كما تهم دارسي الحقوق والقانون.

• السادس عشر: ضرورة مراجعة كتابات المستشرقين المتعلقة بالتراث الفقهي، وتصحيح ما فيها من تأويل مجانب للصواب، في إطار المنظومة الفقهية من حيث المبادئ والأصول والمقاصد، دون إهمال الاستفادة من الجوانب الجادة والإيجابية في هذه الكتابات، ثم إن الاستمرار في الإفادة من عناية الآخرين بتراثنا الفقهي تقتضي القيام بقراءات نقدية للبحوث الجديدة عند المستشرقين.

• السابع عشر: العمل على التعاون بين الأقسام المختصة بالفقه والقانون الخاص والمقارن لتعديل مناهجها باتجاه حضور النظريات الفقهية كل في مجاله في ميدان الدرس الجامعي، ويعد ذلك مقدمة ضرورية للربط بين العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية.

• الثامن عشر: الاهتمام بالدراسات النظرية في الأصول والعلل والمقاصد وذلك لما تمثله من نزوع للمراجعة والنقد والتصحيح واتجاه لصنع الجديد.

بين المجلة والقارئ

الإسراء والمعراج .. تأملات في مفردات

تحت هذا العنوان جاءت كلمة د. السيد أحمد هندية - إمام وخطيب بالأوقاف - عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - قال:

قبل الدخول إلى الحدث ذاته لتفكيك مفرداته، لابد من الوقوف أمام ثلاث حقائق لعليها تصحح خطأ، وهذه الحقائق هي:

● إن هناك خلافاً كبيراً حول توقيت الحدث، وهل وقع مرة واحدة أم أكثر من مرة؟ كل هذا مختلف فيه؛ لأن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لم يتعرضوا لتاريخ محدد وقع فيه حدث [illegible] [illegible] ينبني عليه عمل، وما يترتب عليه حلال أو حرام.

● [illegible] الإسراء قد ذكر صريحا في القرآن [illegible] المعراج فلم يذكر صريحا وإنما ذكر في سورة [illegible] ومشايخنا إلى أن منكر الإسراء يكفر لأنه كذب صريح القرآن، أما منكر المعراج فهو مسلم عاص لكنه لا يخرج عن حظيرة الإيمان.

[illegible] منها فسوف نطالعنا المفردات الآتية:

١ - [illegible] بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء [illegible] يطهر كل ما قبله، وأن ينظف نفسه من الأحقاد والمطامع، إنه التغيير في النفس ليتغير على أثره الواقع، وتلك مسلمة قرآنية.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد ١١)

٢- المسجد الحرام: لقد كان المسجد حاضرا في المشهد على طول الرحلة، ولعل هذا يذكر بدور المسجد ومكانته، ولذا كانت الأمة تحتاج إلى [illegible] الرحال هي المسجد، ولا شك أن الأمة اليوم في حاجة إلى مراجعة علاقتها بالمسجد، لتضبط واقعها على هديه، وترشد مسارها في ضوء أنواره.

٣ - البراق: وهو وسيلة المواصلات [illegible] للسرعة والإنجاز، وهو مشتق من البرق، فأين معنى البراق في حياتنا اليوم؟ أين السرعة في الأداء والإنتاج؟ أين السرعة في عمل الخيرات، إن المسلم عنده من طراز فريد، فهو في مسارعة ومسابقة ليحقق الهدف في أسرع وقت وأقل جهد استجابة لأمر ربه:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

(آل عمران ١٣٣)

٤- الليل: لقد كان الليل هو الوعاء الزمني للإسراء والمعراج

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾

(الإسراء ١)

قال علماؤنا: ذكر الليل منكرا ليدل على البعضية فهو تعبير عن قصر الزمن الذي تمت فيه الرحلة ذهابا وإيابا، والليل في الإسلام للسكن والراحة:

﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾

(القصص ٧٣)

فبعد عناء السعي بالنهار يأتي الليل بالراحة والسكن، هذا ليل الناس، أما ليل المؤمن فهو طاعة وذكر.

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾

(سورة الفرقان ٦٤)

فمتى تدرك الأمة قيمة الليل؟

كانت القدس فيما مضى عاصمة الإيمان، وقبلة الأنبياء، ولاتزال في الحاضر زهرة المدائن وريحانة البلاد، وكان بنو إسرائيل هم حملة [illegible] وفي يديهم مفاتيح الأرض المقدسة بحكم وراثتهم للأنبياء، فلما شاء الله تعالى وبعث النبي الخاتم صلوات ربي عليه، انتقلت العهدة إلى المسلمين، وحملوها تكليفا لا تشريفا، وجاء الإسراء ليقول لنا: إن القدس أصبحت حرما مسلما، وأن التفريط فيها لا يقل جرما عن التفريط في مكة، وأن المسجد الأقصى لا يقل في حرمته ومكانته في حس المسلم عن المسجد الحرام، ولقد دخل المسجد الأقصى النبي (ﷺ) وعمر وصلاح الدين وصلوا فيه جميعا. فهل يليق اليوم أن نترك بيريز وباراك ونتنياهو يعبثون فيه؟ إننا اليوم أمناء على القدس، ولا يحق لنا أن نحتفل بالإسراء إلا يوم أن نطهر القدس من دنس اليهود، ويومها نحتفل كما نشاء.

[illegible]

ما قبل الإسراء والمعراج

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ إبراهيم أحمد جاد الكريم - واعظ بالأزهر - فرشوط - قنا:

رحلة الإسراء والمعراج جاءت بعد عناء طويل وكفاح مرير مر به النبي ﷺ منذ بداية الدعوة إلى ربه ولقد حدثت عدة أمور قبل رحلة الإسراء والمعراج على فترات متتابعة نمس هذه الأمور على سبيل الإجمال فيما يلي:

١- صحيفة المشركين الظالمة التي تدعو إلى مقاطعة المسلمين وكان أهم ما جاء فيها:

(أ) - أنهم لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم

(ب) - لا يبيعون لهم ولا يبتاعون منهم

(ج) - لا يقبلون صلحا مع بني هاشم وبني عبدالمطلب.. حتى يسلموا رسول الله ﷺ

نفس

فكان من نتائج هذه الصحيفة الظالمة حصار المسلمين فى شعب أبى طالب ثلاث سنين، حتى بلغ بالمسلمين الجهد وزادت عليهم الأزمات ولكنهم صبروا وتحملوا من أجل دينهم فعلى قدر المشقة والأزمات يكون مقدار الثبات.

(٢) موت (أبى طالب) عم النبى ﷺ الذى كان يحميه من إيذاء قريش وعنتها.

وموت (خديجة) رضى الله عنها التى كانت تواسيه وتساعده.

(٣) شدة إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ ولأصحابه فتعددت أساليبهم فى إيذاء المسلمين والتى كان منها:

أ- أسلوب الإنكار والتكذيب.

ب- أسلوب الاستهزاء والسخرية.

ج- أسلوب المقاومة والمساومة.

د- أسلوب الاضطهاد والمطاردة.

هـ- أسلوب الاتهام بالباطل.

و- أسلوب الامتحان والاختبار.

فهذه أساليب وصور تعرض لها النبى ﷺ فصبر وتحمل فلما ضاقت الأرض بنكران أهلها لرسالة النبى ﷺ اتسعت السماء بالعرفان لدين الله تعالى واستقبال رسول الله ﷺ.

فجاءت رحلة الإسراء والمعراج ترويحا عن رسول الله ﷺ وليرى من آيات ربه الكبرى، ومن خلال ما تقدم نتعلم: الثبات على دين الله، الصبر على المكاره والصمود فى وجه الطغيان ونعلم أن بعد العسر يسرا وأن بعد الضيق فرجا وأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

المعجزة الخالدة.. الإسراء والمعراج

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بنين:

قال تعالى:

[illegible]

(الإسراء ١)

تلك معجزة طوت الزمان والمكان، وكانت تكريما إلهيا من الله لرسوله ﷺ.

* ولقد جاء السياق القرآنى بالفاتحة الكريمة يحمل معنى عظيما، فكلمة «سبحان» تدل على تنزيه الله وتقديسه. ومن هنا وجب التصديق بما جاء به القرآن عن أمر تلك المعجزة. كما أن لفظة «ليلا» جاءت نكرة وذلك لبيان أن الإسراء برسول الله ﷺ كان فى جزء من الليل، وهذا جزء قليل دليل الإعجاز، حيث إن ما قطع من مسافات لا يدركها العقل وتعجز عن قياسها الأفهام فدل ذلك على ما سيكون عليه موقف القوم من تكذيبه.

* ولما كان الإسراء ليلا، اختلف القوم حول حالة الإسراء أكانت فى النوم أم فى اليقظة ولذلك عندما أخبر رسول الله ﷺ قريشا بأمر تلك الرحلة المعجزة كذبوه حيث استغرابهم كيف يقطع النبى بذكر به تلك المسافة فى جزء من الليل وهم يقطعونها فى أربعين يوما.

* وجاءت لفظة «عبده» فالإضافة إلى الذات العلية تدل على أنه ﷺ أرفع الخلق منزلة، وبينت أنه عليه الصلاة والسلام قد استحق لكمال تعبده لمن يكن له كمال التي صاحبة الرحمن.

* قال ﷺ: «إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» ويؤكد ﷺ على صفة العبودية تلك الصفة التى رفعته مكانة عالية. وقوله ﷺ: «ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنا عبد الله».

* كان كل من الإسراء والمعراج فى اليقظة فقد أثبت الله سبحانه وتعالى رؤيا العين فى قوله:

[illegible]

(النجم ١٧ - ١٨)

كما جاءت الرؤيا القلبية فى قوله تعالى

[illegible]

(النجم ١١)

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «هى رؤيا عين رآها النبى ﷺ لا رؤيا منام».

* ورحلة الإسراء والمعراج حقيقة معجزة أجراها الله سبحانه وتعالى تأييدا لرسوله ﷺ حيث حدثت فى السماء حتى وصل الرسول الكريم إلى سدرة المنتهى فهى معجزة تختلف عن بقية معجزات الأنبياء التى أجراها الله سبحانه وتعالى لأنبيائه حيث حدثت كلها على الأرض ورآها الناس، ومن ثم تصبح تلك المعجزات حسية. أما الإسراء والمعراج فهى رحلة وجدانية وحسية

الفتنـــــة نائمـــــة!

وآخر ما نختم به رسائل هذا العدد رسالة الشيخ مصطفى الأزهري- خطيب مسجد (سوق الحمام) وزارة الأوقاف- السيدة عائشة- القاهرة، وهى رسالة حوت تحذيرا من الفتنة وشرورها وقانا الله وإياكم منها:

الفتنة كلمة تعرف بسبب رائحة غلو وخوف والاضطراب واختلاط الأوراق وضبابية الرؤية، كما تعد الفتنة حين تطل بشر مستطير يوشك أن يفرق الناس ويأتي بتداعيات حكمها على الأخضر واليابس، ومن خطورة شأن الفتنة أنها سريعة متسارعة لا تترك وقتا يستبين فيه العقلاء الحق من الباطل والخطأ من الصواب؛ لا سيما إذا تنادى لها بعض الناس تحت شعارات دينية، أو صاحوا فيها باسم الحق، فهنالك تشتعل المشاعر فى اتجاهات عاصفة ولا حد المتقدعلى معها إلى ولا سحيق بعدما تكون دماء سالت وأرواح أزهقت وهنا لا يجد الشيطان إلا أن يزهو ويتفح أن حقق هدفه ونال مبتغاه بإيقاع الناس فى تلك الفتن؛ ولذا فإن النبي ﷺ كان كثيرا ما يستعيذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويعلمنا الاستعاذة من جميع أنواع الفتن؛ فكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ومن فتنة القبر ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات»، كما حذرنا من حدوث الفتن ليستعد لها الراشدون بالاعتصام بحبل الله المتين، وعدم الجري والانسياق وراء الشعارات الجوفاء، والصيحات الخرقاء التي ربما يكون لأصحابها مآرب خاصة، ومطامع ذاتية وأهواء شخصية، لا يدفع ثمنها إلا البسطاء أو المأجورون البلهاء، ومن شدة اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بشأن الفتن أنهم كانوا يتذاكرونها ويسألون عنها قبل أن تقع حذرا منها، فقد صح عند البخاري من حديث حذيفة أنه قال: (بينما نحن جلوس عند أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إذ قال: أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا يا أمير المؤمنين [illegible] قال: إن فتنة الرجل في بيته وأهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والزكاة والحج، فقال عمر: ليس عن هذا أسألك، إنما أسألك عن الفتنة التي تموج موج البحر، فقال حذيفة [illegible] يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا، فقال أمير المؤمنين: يكسر أم يفتح؟ فقال: بل يكسر، قال: لا أراك إذا تغلق، قال: لا يا أمير المؤمنين بل يكسر. فقيل لحذيفة: من هذا الباب؟ قال: عمر)

وإذا كانت الأمور كلها بمقادير، ولا يكون فى كون الله إلا ما أراده الله ومع ذلك فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يأخذوا حذرهم، فقال تعالى

فنحن في دنيا الأسباب، والحياة تجري وفق سنن وقوانين فلا يصح بحال أن يسعى المرء ... الدنيا فإن ذلك يحدث خللا واضطرابا ويفتح باب فتنة وشر لا يعلم الناس ما وراءها :

● والفتنة تكون عامة : قال تعالى .

(الأنفال :٢٥)

● والفتنة تفرق الناس وتشتت الجماعة ... منها . فيصيرون فريقين أو أكثر :

(المؤمنون ٥٣)

فأول ضحاياها الجماعة وأول ثمارها المرة هي الفرقة

● والفتنة يكثر فيها الهرج وهو كثرة القتل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقبض المال وتظهر الفتن ويكثر الهرج) قالوا وما الهرج يا رسول الله؟ قال (القتل . القتل . القتل) ثلاثا . رواه ابن ماجة واللفظ للبخاري .

● وفي الفتنة كل يقاتل عصبية وقبلية .

● والأثر السلبي للفتنة يؤثر سلبا على شرع الله ، ويرتفع فيها شأن دين غير دين الإسلام واعتقاد غير الاعتقاد الصحيح قال تعالى

(التوبة ٤٩)

● والفتنة تقع في الأمر ... فتحدث ... بين الناس حتى يلتبس فيها الحق بالباطل قال تعالى :

... ﴿ ... إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران :٧)

● والفتنة يكون فيها ترقب ... وتقع في ...

(الحديد ١٤)

● والفتنة تقترن بمعصية قال تعالى

(طه ١٣١)

● أما الهدف من الفتنة فهو اختبار أعمال الناس وسلوكهم في حلو ...

﴿ ... فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

(الفرقان ٢٠)

فالفتنة تفرق الناس ... وتنقي صفوفهم من الغبش والدهماء والعملاء وحوبة ... الحق والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال الله تعالى :

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾

.. فاللهم احفظ مصر وبلاد العرب والمسلمين من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن يا رب العالمين .

أنبــــاء الأزهــــر

الرؤية المستقبلية للأزهر الشريف

شهدت قاعة المؤتمرات الكبرى بمركز الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر انعقاد المؤتمر العلمي الأول للأزهر الشريف حول « الرؤية المستقبلية للأزهر الشريف » وذلك يوم الثلاثاء الموافق ١٠ من جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ ، الأول من مايو ٢٠١٢م وذلك برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر .

كلمة أ . د . أحمد الطيب شيخ الأزهر

الحمد والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبارك عليه وعلى آله وبعد



أ . د أحمد الطيب

فقد كنت أتطلع منذ أمد بعيد إلى مثل هذا اللقاء ، الذي يجمعني ... الأزهرين ... وعلى كل المستويات الجامعية ، وما قبل الجامعية ، وفي دوائر علماء الوعظ ، والدعوة والإمامة ، الذين يسهمون من خلال خطابهم الديني في بناء الفكر المعاصر وتشكيل الوجدان الوطني ، وقبل ذلك وبعده : كنت دائم التطلع إلى لقاء شباب الأزهر وطلابه والعاملين به حفظهم الله جميعا وألهمهم السداد والتوفيق . أهلا وسهلا بكم جميعا في هذا الملتقى الأخوي الأزهري الخالص ، وأود أن أقول لكم في البداية نحن أولا وقبل كل شيء دعاة إلى الله ، وخدام لعباده ، وهذا هو شرفنا وولاؤنا الحقيقي

١ـ أما الرسالة ـ أيها السادة العلماء؟ ـ فهي مناط الشرف لهذا الأزهر الشريف، الذي يمثل ظاهرة فريدة في عالم اليوم، منذ احتضنه هذا البلد النبيل، مصر المباركة المحروسة دائماً بفضل الله وعنايته، و الأزهر الشريف في هذا البلد الطيب، لم يتوقف يوماً واحداً عن التعليم والدعوة، اللهم إلا ليقاوم غازياً، أو يصد [illegible] ويدفع غاشية متجبر [illegible] فوق كل [illegible] السياسية، إذ هي تكليف إلهي كما دلت الآية التي تلوناها آنفاً، بل هي تشريف نبوي كريم: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي [illegible] وبهذه الرسالة التاريخية أصبح الأزهر مرجعية نهائية للعالم الإسلامي.

٢ـ [illegible] وأعني به الخريج الأزهري [illegible] من أقصى العالم الإسلامي، وطالباته، من أقصى الأرض إلى أقصاها، كأمانة بين [illegible] في [illegible] كما كان من قبل: تمكناً من أحكام دينه، وعلماً بجوانب تراثه، وحقائق عصره، وتملكاً لناصية البيان العربي [illegible] أكثر من نصف قرن أمور تعرفونها، فقد عملنا من خلال مجلس الأزهر الأعلى لإعادة النظر في المناهج الأزهرية [illegible] الإسلامية والعربية، في [illegible] المسلمين ـ وهم الوديعة والأمانة التي الإتمنا عليها ـ كلما تيسر له وخلق من أجله، وحتى تعود المناهج الأزهرية من خلال تلك السياسة الجديدة تدريجياً إلى ما كانت عليه من خصوبة وغنى وجلاء آن تقل الشكوى، من أجهزة الدعوة والتعليم، فيما يتعلق بنوعية الخريج، ومستوى ثقافته.

٣ـ [illegible] التي جعلت مصر عاصمة الثقافة العربية والإسلامية على مدى القرون ـ أمنها بالأوقاف الثابتة، التي عصفت بها أحداث وظروف تعلمونها أيضاً. وإن كانت الدولة المصرية قد تعهدت بالوفاء بكل متطلبات الأزهر وهيئاته، وهو ما تفعل أحياناً ولم يعد تماماً أحياناً أخرى، ونحن نثق بأن الشعب وممثليه وقادته سيكونون دوماً أوفياء، ويجب أن يعلم الجميع أن الوقف متى خرج من ذمة صاحبه فهو على ملك الله ـ عز وجل ـ لا يجوز التصرف فيه على أي نحو إلا من الأوصياء الشرعيين، وأن إرادة الواقف كنص الشارع، وقد وقعت هذه الأعيان على الأزهر ورسالته، ولاتزال هناك عقبات كبرى [illegible] الزراعة والإصلاح الزراعي، نحو ١٥٠,٠٠٠ فدان، يجب أن تعاد إلى الأزهر كما أعيدت أوقاف عائدة إلى أربابها وأصحابها.. هذا ويجب على المسئولين أيها الإخوة، وعلى مختلف المستويات أن [illegible] هذه التفرقة بين المتساويين، فهي تفرقة جائرة وقسمة ضيزى، لا تتناسب الآن مع مصر الثائرة، ورجالها الأحرار. وفي كل الأحوال والظروف نؤكد لحضراتكم أن الجانب المادي لم يقف أبدا عقبة أمام العمل [illegible] في الأزهر الشريف [illegible]

٤ـ أما السياسات والتنظيم أيها الإخوة: فكما تعلمون هي دوماً متطورة في كل المؤسسات، قابلة للتغير [illegible] وقد كان الهدف من التعديلات التي درست عاماً كاملاً في المشيخة، وأقرها مجمع البحوث الإسلامية [illegible] وأدخل عليها بعض التعديلات [illegible] في بعض لجان مجلس الشعب، كان الهدف [illegible] هو تحقيق استقلال الأزهر [illegible] مع بقاء الأزهر مؤسسة كبرى [illegible] التقليدية، ذات الرسوخ والمصداقية، كهيئة كبار العلماء، وغيرها من الهيئات والأنظمة، ويستحقون ما يرونه لازماً [illegible]

وأنتهز هذه الفرصة لأقول لإخواني من علماء الدعوة، وأئمتها: نحن جميعاً في زورق واحد، بل نغرد في سرب واحد، ونعمل لله على قلب رجل واحد وسنعمل على زيادة التضافر والتنسيق على المستوى [illegible] شئونهم غيرهم ممن لا يعي حقيقة مهمتهم، وسوف يتواصل التضافر والتعاون مع [illegible] الأوقاف تدريجيا بإذن الله.

أيها الأزهريون: إن المشهد الآن ـ في مصر والعالمين العربي والإسلامي ـ قد تغير، وإن وضعية الأزهر ودوره قد عادتا كالعهد به أن يكون في مقدمة الصفوف، [illegible] العام من كل الأطياف في مصر، وكثير من علماء العالمين العربي والإسلامي، [illegible] أن الدعم الحقيقي لهذه المكانة ولذلك الدور إنما يتمثل أولاً وقبل كل شيء في ترتيب [illegible] وهو الهدف الجامع للقاء اليوم.

وفقكم الله لما فيه الخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة رئيس جامعة الأزهر أ.د. أسامة العبد

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر [illegible] أيها العلماء الأجلاء [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته



إن رسالة الأزهر الشريف رسالة سامية تتناسب مع جلال وعظم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة [illegible] الانتماء إلى الدين القويم وجامعة الأزهر أحد الجناحين المهمين للعملية التعليمية، وتضم ما يقرب من نصف مليون من الطلاب والطالبات، ولاشك أنه إذا قامت العملية التعليمية على [illegible] الأزهر الشريف، سوف يكون مردوده على الأزهر وعلى الوطن وعلى [illegible] الوسطية والاعتدال، دون تعصب أو تطرف أو غلو أو إفراط أو تفريط، [illegible] السلام لمصر ولأهلها [illegible]

[illegible] محكمة [illegible] الشيخ [illegible] حكمة [illegible] على هذه الورقة التي تخلع خديوي مصر توفيق. فقال له بكل هدوء: في الحقيقة أنا لم أوقع [illegible] [illegible] ولكنكم [illegible] توفيقًا قد خان وطنه ودينه وأمته، وحوكم الشيخ، ولكن سجل التاريخ مواقفه.

وأخيرًا.. إن الإصلاحات الأولى في تاريخ الأزهر التي عرفت بالنظام وكانت من ثمار هذه الثورة [illegible] [illegible] الشيخ محمد عبده [illegible] الأزهر [illegible]

وثورة ١٩١٩ [illegible] [illegible] من [illegible] إلى ميدان [illegible] [illegible] الأزهريين في ثورة ١٩١٩م

وتأتي ثورة الخامس والعشرين من يناير ومشاركة الأزهر [illegible] [illegible] الشيخ عماد عفت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في مصر وغيرها.

[illegible] الأزهريون [illegible] [illegible] التاريخية الأربعة.

أقول ثانيًا: إذا كان الأزهر قد عاد إلى قلب الحياة العامة لممارسة دوره المعتاد على مر التاريخ مشاركًا في [illegible] مصر والعالم العربي والإسلامي [illegible] [illegible] الأزهري، شيخ الأزهري، [illegible] الأزهري.

وإن [illegible] الاستقلال الذي حصل عليه الأزهر من [illegible] [illegible] [illegible] وشهرته.

أيها الأزهريون لعلكم تحفظون كلمات شوقي:

قم في فم الدنيا وحيي الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا

[illegible] ... [illegible]

طلعوا به زهرًا وماجوا أبحرا ... [illegible]

كانوا أجل من الملوك جلالة ... [illegible]

وفقكم الله لما فيه الخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible] من [illegible] الأزهر [illegible] [illegible] [illegible] ذلك على سبيل المثال: تجديد وتطوير [illegible] بحاجات أمتنا المعاصرة حق الوفاء، فلابد من إعادة النظر فيها [illegible] حولنا الحياة الحديثة، وهو جدير بالأخذ به للوصول إلى [illegible] يحقق الإسلام وقيمه، ويتخلى عن كل طريق مخالف لذلك.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لعلنا جميعًا أن نتق الله قولا وعملا، وأن نخلص النية له، ونستشعر جلال [illegible] [illegible]



كلمة الأستاذ الدكتور حسن الشافعي
[illegible] فضيلة الإمام الأكبر

[illegible] والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

شيخنا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر السادة [illegible] الأزهريين، لقد دار الزمان دورته واعتدل الميزان في مصر أو كاد أن يعتدل. [illegible]

أيها الأزهريون: لي معكم علامات موجزات:

[illegible] هناك أربع خطات في تاريخ مصر وتاريخ [illegible] الله يومًا ماجدًا من أيام الله:

[illegible]

[illegible] باسمه فضرب مسجد السلطان حسن، ما تزال آثارها باقية، ودخلت خيله الأزهر الشريف وعبث جنوده [illegible]

أنباء العالم الإسلامي



مفتى القدس ووزير الأوقاف الفلسطيني يشيدان بزيارة الدكتور على جمعة للقدس

على الرغم من ردود الأفعال الغاضبة والعاتبة على زيارة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية للقدس إلا أن الزيارة وجدت مؤيدين من قيادات دينية فلسطينية. وثمن وزير الأوقاف الفلسطيني محمود الهباش. زيارة مفتى مصر والأمير الأردني غازى بن محمد، للمسجد الأقصى وقال الهباش: إن تلك الزيارة تأتى فى سياق تعزيز ودعم صمود أهالى المدينة ومشاركتهم آلامهم التى يعانونها من قبل الاحتلال الإسرائيلي.

وأضاف: إن السلطة الفلسطينية تثمن هذه الزيارة المهمة من قبل شخصية دينية كبيرة بحجم مفتى مصر الشيخ على جمعة. الذى جاء لزيارة القدس باعتبارها فضيلة دينية وضرورة سياسية تحتمها الهجمة الاستيطانية الشرسة التى تتعرض لها المدينة المقدسة من قبل المستوطنين.

وأوضح أن صنيع مفتى مصر، والأمير غازى، ومن قبلهما الشيخ الداعية الحبيب على الجفرى والأمير هاشم بن الحسين. بزيارة القدس. هو تحد وإغاظة للاحتلال الإسرائيلي الذى يسعى إلى إفراغ ساحات المسجد الأقصى من زائريه العرب والمسلمين.

ودعا الهباش علماء المسلمين إلى شد الرحال إلى المسجد الأقصى، والصلاة فيه، والتأسى بما قام به العالمان مفتى الديار المصرية، والجفرى، ليحلا ضيوفا على القدس وعلى الشعب الفلسطيني المرابط فى بيت المقدس.

[illegible] الأزهر الشريف

● ناقش مجمع البحوث الإسلامية فى نهاية جلسته الشهرية المنعقدة بمشيخة الأزهر الشريف الخميس الخامس من جمادى الآخرة سنة ١٤٣٣هـ الموافق ٢٦ من أبريل سنة ٢٠١٢م، ما نشر تطاول البعض على رموز الأزهر الشريف فى خلط صارخ بين السياسة والإمامة الدينية، وتذرعا بتفسير مغلوط للقانون، ومساساً غير مقبول بالمرجعية الدينية الأولى للعالم الإسلامى. هذا ومجمع البحوث الإسلامية إذ يرفض أى مساس برموزه الدينية، فإنه يؤكد للأمة الإسلامية نأيه عن الصراعات السياسية، وتمسكه بإمامته وعلمائه. ويهيب بالجميع أن يحفظوا للأزهر الشريف مكانته الرفيعة فى الأمة الإسلامية.

● وقرر مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة فى ٢٦ من أبريل عام ٢٠١٢م عدم قبول أى مصنف متعلق بموضوعات: السحر - العلاج بالقرآن الكريم - الرقية الشرعية، للفحص من قبل الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة.

● كما ناقش المجلس فى جلسته المنعقدة فى ٢٦ أبريل ٢٠١٢م الكتاب الوارد إلى مكتب فضيلة وكيل الأزهر من مكتب رئاسة مجلس الوزراء والمتضمن التوصية الصادرة عن اجتماع لجنة التعليم والبحث العلمى لمناقشة البيان العاجل المقدم من العضو محمد طلعت محمد بشأن اعتراض [illegible] دخولهن الامتحان

قرر المجلس: أنه من المسلم به أنه يتحتم التأكد من شخصية الممتحن قبل دخوله فى مجال [illegible] الشخصية على صورته الطبيعية، فإذا كان الممتحن من الفتيات المنتقبات تستدعى إحدى السيدات - بواسطة أحد مسئولى الامتحانات - لمطابقة بطاقتها على شخصيتها. كما أنه يخصص للجان الفتيات مراقبات يقمن بالمراقبة عليهن، وفى هذه الحال للمراقبة أن تطلب من الطالبة الكشف عن وجهها خاصة إذا شكت فى أنها تستخدم النقاب فى أمر غير مشروع فى الامتحان.

[illegible] الدكتور محمد شوقي الفنجري

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أقامت لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة [illegible] الدكتور محمد شوقي الفنجري [illegible] بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر وذلك فى ٢٤ من شهر أبريل ٢٠١٢م وشارك فيه كل من [illegible] المطهرة، والأستاذ المستشار محمد عبد العظيم الشيخ رئيس هيئة قضايا الدولة، والأستاذ المستشار حامد عبد الدايم رئيس محكمة الاستئناف سابقا ورئيس جمعية المساعى المشكورة، [illegible] الجندى عضو اللجنة، والأستاذ الدكتور رفعت العوضى عضو اللجنة والأستاذ المستشار سعيد عبد الوهاب الزهرى عضو اللجنة.

وفى نهاية الحفل تم توزيع جوائز المسابقة العالمية التى نظمتها اللجنة تحت عنوان الإعجاز التربوى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

● وقال الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية إن زيارة مفتي مصر دينية في المقام الأول، وليست تطبيعا مع الكيان الصهيوني، وأنه قام برفقة الشيخ علي جمعة، بزيارة المسجد الأقصى تلبية لدعوة الرسول ﷺ في الحديث الشريف «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» ودافع عن موقف الحكومة الأردنية بتنظيم هذه الزيارة ودعوة الشيخ علي جمعة، ... رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، محمود عباس، [illegible] خلال القمة العربية الأخيرة في بغداد، [illegible] المسلمين من أجل زيارة المسجد، ودعمه وإعماره البشرى والروحى بالمصلين والحجاج.



الشيخ علي جمعة

٢٠ ألف سوري يفرون إلى تركيا مع استمرار أعمال القمع

كشفت هيئة الإغاثة من الكوارث وإدارة الطوارئ بتركيا أن عدد اللاجئين الفارين من القتال في سورية ارتفع إلى أكثر من ٢٠ ألفا.

وأوضحت الهيئة أن أعداد الفارين هي الأعلى منذ ١٥ مارس الماضي حين دخل ألف سوري تقريبا تركيا في يوم واحد.. ومنذ ذلك الحين يفر ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ سوري يوميا، وكان زعماء [illegible] قد قالوا إن فرار الآلاف من اللاجئين أو ارتكاب قوات الحكومة السورية مذابح على حدود تركيا يمكن أن يضطرها إلى التحرك لمنع كارثة إنسانية.

من ناحية أخرى تواصلت الاشتباكات التي تنفذها القوات السورية وتدعمها الدبابات مع مقاتلي المعارضة قبل موعد انسحاب القوات الذى وافق عليه الرئيس بشار الأسد في إطار خطة وضعها المبعوث الدولي كوفي عنان لوقف إراقة الدماء المستمر طوال عام.

واندلعت أعمال العنف بعد إعلان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون أن الصراع في سورية يتفاقم وأنه لا يوجد أي مؤشر على انحسار الهجمات على المناطق المدنية رغم تأكيدات دمشق أنها بدأت سحب قواتها وفقا لخطة السلام.

وقال المبعوث الخاص للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية كوفي عنان إن هناك حاجة ماسة إلى مزيد من العمل لوقف كل أشكال العنف وسحب الأسلحة الثقيلة وقوات الجيش من المدن.

.. وبرنامج إنساني إسلامي للمتضررين في سوريا بقيمة ٧٠ مليون دولار

أعلن الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي عن برنامج عمل إنساني تعده منظمة التعاون الإسلامي لمساعدة المتضررين في سوريا، وذلك في أعقاب وصول نتائج جولة البعثة الإنسانية التي أرسلتها المنظمة بالاشتراك مع الأمم المتحدة إلى سوريا.

وبين أن البعثة قدرت تكلفة الاحتياجات الإنسانية وفق هذا البرنامج بنحو سبعين مليون دولار، تشمل قطاعات ضرورية تتمثل في توفير الغذاء والمساعدات الطبية العاجلة، وإعادة تأهيل القطاعات المتضررة في بعض مناطق الريف السوري من مزارعين وثروة حيوانية، بالإضافة إلى تقديم مساعدات مالية لتمكين النازحين من استئجار منازل.



للمرة الثانية: القس «جونز» يحرق نسخا من المصحف

أقدم القس الإنجيلي الأمريكي تيري جونز على حرق نسخ من المصحف الشريف وبث مشهد عبر الإنترنت، احتجاجا على اعتقال رجل الدين المسيحي يوسف نادرخاني في إيران.

وذكرت هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» أن عملية حرق المصحف لم تحظ بتغطية إعلامية تذكر في الولايات المتحدة.

وكان المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون»، ويليام سبيكس قد قال في وقت سابق إن القس تيري جونز يخطط لحرق نسخ من المصحف. يذكر أن القس جونز كان قد أشرف على حرق نسخة من المصحف خلال «محاكمة صورية للإسلام» في شهر مارس من العام الماضي، وهو ما أدانه الرئيس الأمريكي باراك أوباما، وأثار ذلك العمل آنذاك ردود فعل غاضبة وعنيفة في العالم الإسلامي، منها هجوم على مقر للأمم المتحدة في أفغانستان أسقط عددا من القتلى.

١٠٠ كتاب تدعو لمعاداة الإسلام بأمريكا.. خلال عام!!

كشف عضو هيئة التدريس في جامعة الملك سعود الدكتور صالح المانع، عن وجود نحو ١٠٠ كتاب جديد، صدرت عن دور النشر في أمريكا تدعو إلى محاربة الإسلام، في المجتمع الأمريكي والمؤسسات المدنية، وذلك خلال عام واحد فقط.

وأوضح المانع في الندوة السعودية الفرنسية لحوار الحضارات في دورتها الثانية بجدة، والتي جاءت تحت عنوان «المفكر العربي الإسلامي في أوروبا: الواقع والمأمول» وجود عدائية شديدة ضد الشريعة الإسلامية في تحكيم القوانين والأنظمة المدنية بأمريكا، لافتا إلى أن الإصدارات من الكتب، كانت جميعها ضد الإسلام ومفهومه، ولفت إلى [illegible] حملة منظمة [illegible] أمريكية تحت مسمى «الحملة ضد الشريعة» تعمل على محاربة الاعتماد على الشريعة كتطبيق في أنظمة الحياة الاجتماعية

worldly policy with the aims of the Hereafter. The Western definitions declared publicly this power and its relations and the struggle among its owners are the bases of this policy.

The modern definitions of politics hold the opinion that the core of politics is: "Struggle over the nature of the good life and the relations between the interests of the communities. As for the main analytical factors, they are: struggle and power. The political actions are that which occurs throughout the perspective of power, which is practiced throughout reign and within the framework of the state. The study of politics is an analysis of the relations of power."

The human being is related to the worldly life only, and the civilization is only secular and worldly. Therefore, politics is worldly, and there is no relation between this worldly life and the Hereafter, and there is no relation between the management of the human affairs and the policy of reconstruction and the religious uprightness.

This is the core of controversy between the implication of "politics" in the Islamic civilization and its implication in the Western civilization. The controversy starts with the perception of every civilization to the human being, i.e., whether he is Allah's successor and his life is the path leading to the Hereafter, which is better and eternal. In this way, he will govern the reconstruction of the worldly life with the Shari'ah, undertaking the duties of the contract of succession. Therefore, politics becomes Shar'i. The other opinion is that the human being is the master of the universe, whose knowledge and sciences are limited to the worldly life. His policy of reconstruction is limited to achieving the worldly objectives only. In this way, religion is separated from reconstruction and not merely the state as an executive authority.

٥ ملايين دولار تعويضا لأمريكية أهينت لاعتناقها الإسلام

في سابقة تشهدها الولايات المتحدة، حكمت إحدى محاكم مقاطعة جاكسون على إحدى شركات الاتصالات العملاقة في الولايات المتحدة، بدفع تعويض قدره خمسة ملايين دولار لموظفة في الشركة، بسبب تعرضها لمضايقات من مديريها بعد أن تحولت من المسيحية إلى الإسلام قبل سبع سنوات.

وأكدت المحكمة أن الموظفة وتدعى سوزان بشير ٤١ عاما وهي متزوجة وأم، قد تعرضت لبيئة عمل عدائية بعد اعتناقها الإسلام مما أثر بالسلب على نفسيتها.

وجاء حكم المحكمة بعد أن رفعت سوزان بشير دعوى قضائية ضد الشركة، ذكرت فيها أنها تعرضت لسلوك عدائي من مشرفيها عندما اعتنقت الإسلام في ٢٠٠٥، وقالت محاميتها آني كوبمان: بعد أن ارتدت سوزان الحجاب وأصبحت تؤدي صلاة الجمعة، أطلق عليها المديرون وزملاؤها في العمل أسماء، من بينها «الإرهابية»، وقالوا إنها ستدخل النار.

وجاء في الدعوى أن أحد المديرين طلب من سوزان خلع الحجاب أكثر من مرة، وعاقبها لارتدائها إياه. وفي إحدى المرات جذبها وحاول تمزيق الحجاب من على رأسها.

خبراء الإيسيسكو يدرسون تحديات الإساءة للإسلام والمسلمين

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ـ واتحاد جامعات العالم الإسلامي، بالتعاون مع جامعة الزيتونة بتونس، اجتماعا للخبراء لمناقشة سبل تفعيل مشروع برنامج العمل الجمعي لمواجهة تحديات الإساءة للإسلام والمسلمين.

سعى الاجتماع إلى مناقشة الصيغة النهائية للمشروع واعتماده، ووضع خطة عمل لتنفيذه، وتعزيز التعاون والتنسيق بين المنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية في العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية في الغرب من أجل تصحيح المعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، والإسهام في عرض العطاء الحضاري للإسلام لمواجهة تحديات الإساءة للإسلام ورموزه ومقدساته.

شارك في الاجتماع أساتذة جامعيون وخبراء متخصصون في مجالات الإعلام والاتصال والعلوم الإسلامية والإنسانية من الأردن والسعودية وتونس والمغرب وليبيا، ومن خارج العالم الإسلامي، من هولندا وروسيا.

يذكر أن المؤتمر العام الخامس لاتحاد جامعات العالم الإسلامي (باكو، ١٢ ـ ١٤ مايو ٢٠١٠)، قد صادق على الخطوط العريضة لمشروع برنامج العمل الذي تقدمت به الأمانة العامة للاتحاد، وكلفتها بدراسته واقتراح آليات تنفيذه بالتعاون مع الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية في ليبيا.

This is the implication of the expression "politics" in the Islamic thinking: Setting the affairs of the human beings right by guiding them to the best and far [illegible] the acts which reform the people and keep them away from mischief as well as managing the affairs of the human beings according to the rules of justice and righteousness in Islam.

As such, these implications were dominant in our dictionaries until the cultural contact between our nation and the thinking and civilization of the West occurred. The Western implications of the expression "politics" poured into the same vessel, the matter that caused disparity in concept and implication in spite of the unity of the expression and vessel. This problem faces the Muslim's mind in his search for remarkable Islamic implications in dictionaries that moved the implications of the West to the implications of Islam upon defining many expressions.

As "politics" in Islam is not limited to setting right the affairs of the human beings in the worldly life only, as the human being in Islam is the successor of Allah on earth and he populates and reconstructs the earth in his worldly life to reach the Hereafter, which is eternal and better. Politics in the Western civilization is positivistic and is limited to the human being managing his life only in this world. According to this civilization, he is the master of this universe, and the aim of populating and reconstructing earth is to increase the pleasure of this life, develop the material abundance, and increase the power without linking all of these things to the Hereafter and without taking any religious or Shar'I criterion as ruling framework of these arrangements and policies. The surrounding reality is the starting point while the mind and senses are the ways to gain knowledge.

{There is nothing but our life of this world, we die and we live and nothing destroys us except Ad-Dahr (the time). And they have no knowledge of it: they only conjecture.}

It is worldly policy in content and aim which has nothing to do with anything outside this worldly reconstruction. It is not governed by criteria that are not worldly. Also, it has nothing to do with religion, its philosophy and basics.

For this entirely worldly view and the policy of the human population, the secularism of the Western civilizations means separating religion, not only from the state – as an executive authority – but separating all of its criteria from the cognitive, social, educational, economic, moral, and philosophic affairs of the human reconstruction. The human being has worldly aims, and his policy of reconstruction is governed by worldly criteria.

A Christian professor wrote about secularism saying: "This meaning belongs to science – which is not an analogical source – and differs from religion. This separation exists in Christianity, and has nothing to do with Islam. Its basis is the existence of spiritual authority, which the authority of the Church and a civil authority, which is the authority of the rulers and princes. The secularists resort to reason in general and take care of the common interest without being limited to a certain text or religious rituals. This professor confirms without an accusation that the Western secularism belongs to the West in addition to separating religion from the worldly life and setting aside its criteria from the policy of reconstruction and population.

Thus, it is natural to find secularist policy in a secularist civilization. It is the management of the human being to his worldly life, just to reach worldly aims. Machiavelli formulated in his book entitled "Al-Amir" the philosophy of politics in the secular Western civilization, as it is "what is possible in the real life" without any religious criteria for it. Dictionaries tackled this policy saying: "It is a certain style of work, being selected on purpose after displaying all the possible substitutes..." without any reference to the religious reform, which links the

criteria of the righteousness leading to a good end in the hereafter. The Islamic conception of "politics" linked strongly the worldly to the Hereafter criteria.

The Islamic dictionaries defined "politics", being based on this "Islamic figure" of the human being as: "Setting right the affairs of the human beings by guiding them to the way, through which they will be saved in the worldly life and the Hereafter. This is also by guiding the human beings to the rules of justices and righteousness.

This conception is not only related to the demanding worldly reform and instant interest. Rather, it is the reform and interest, which make the salvation in the worldly life achieve salvation in the Hereafter. Also, it does not seek managing the affairs of the human beings according to worldly criteria only. Rather, it is management, which is controlled by the criteria of justices and righteousness, set by the Criteria to His successor as a framework and philosophy for the policy of population.

As the population of this worldly life is the field of "politics", which includes amendments and developments more than firmly established matters, the religious texts and the divine Shari'ah are finite, whereas the changes and developments of the population are infinite. The texts of Shari'ah with regard to the policy of population handled the firmly established matters, generalities, philosophies and the ruling basics, principles to achieve the up-to-date Islamic reconstruction by the Islamic rules which cover the changes and developments.

To achieve this special point, which is linked to sealing the divine messages with the Message of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him), the Islamic political thinking settled in the point that the "legislation" of politics is not limited to a certain text from the Shari'ah. Rather, it is achieved by the policies created by the Muslims as long as they do not contradict with Allah's Shari'ah. "....Politics is the acts, by following which the people come closer to the reformation and farther from mischief even if the Messenger of Allah did not set it nor did the Revelation descend with it.

It is not limited to the text of Shari'ah, but it includes matters that do not contradict with Shari'ah. The fair politics does not contradict with the Shari'ah, but part of it. Calling it as "politics" is a matter of expression, and if is its fair, it becomes part of Shari'ah. Dividing regime to Shari'ah and politics is like dividing religion to Shari'ah and reality or dividing it to reason and text. All of this is null and void, because politics, reality, method, and reason are divided into sound and corrupt sides. That which is sound is considered as part of the Shari'ah and not its value. However, that which is null and void contradicts with the Shari'ah. Whoever scrutinizes the Shari'ah and its handling of the interest if the human beings in the worldly life and the Hereafter and the justice it has can include all of the human beings, as there is no justice which can transcend it or an interest which is not included in it will know that the just politics is one of its parts. Also, whoever gets informed with its aims and applies it in the right way will never need any other politics. There are two kinds of politics: unfair politics, which is prohibited by Shari'ah and fair politics, which takes the Truth from the unjust tyrant. It is part of Shari'ah and derives its knowledge from it. This is one of the most important branches of Shari'ah.

Comprehending the Islamic implication of politics being derived from the figure of the human being in Islam – the figure of the human being as the successor of Allah on earth – and the fact that his policy of population as the trust being held by the human being and being granted to Allah. His freedom in applying it is controlled by the divine Shari'ah, which acts as the terms of the contract of succession. The Islamic side of politics is not limited to the texts of the finite texts, but is extended – by associating the texts, their spirits, and the philosophy of their rules – to areas where there is not text by Ijtihad.

Amidst all the ordeals and sorrows suffered by the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) due to the opposition of the people, Allah granted him the miracle of the Night Journey to make him feel at ease.

Allah wanted to lessen the hardships experiences by Muhammad and support him in his Da`wah. He experienced protection from Allah that increased his belief in the success of his Da`wah, spreading the Da`wah, and his victory over his enemies. The matters that Allah exposed to him filled his soul with satisfaction, his heart with light, and his chest with belief.

The first part of the Night Journey took place on earth from the Inviolable Mosque to Al-Aqsa Mosque. Both of the two places are sacred and visited by the Messenger, and they were the source of light to the whole humanity.

The second part of the Night Journey was heavenly and started from Al-Aqsa Mosque to the seven heavens until Sidrat Al-Muntaha (a lote-tree of the utmost boundary over the seventh heaven beyond which none can pass), as Muhammad heard the pencils writing the destinies of the human beings by the angels.

To sum up the Night Journey: Allah (Glory be to Him) commanded Jibril and Mika'el to accompany the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in his journey from Mecca to Medina, to which the Prophet immigrated. Then, they went to Tour Sinai, where Musa spoke to his Lord. Then, they went to Bethlehem where Isa was born. Then, Allah exposed to His Messenger unseen matters related to the affairs of the human beings. These examples include many lessons and good tidings. This affected the Messenger of Allah (may he blessings and peace of Allah be upon him).

The first part of the Night Journey to Jerusalem ended with the great reception of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), as Allah gathered all of the Prophets, messengers, and honored angels.

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) dismounted Al-Buraq, and was accompanied by Jibril, as he welcomed him. Then, Jibril announced the Adhan and let the Prophet lead all of the Prophets and Messengers in prayer.

[*]Islam and Politics...!

By: Dr. Muhammad Imarah

Editor-in-chief of Al-Azhar Magazine

This is no disagreement in our old and new thinking over the definition of Islam. It is full submission to Allah (Glory be to Him) according to the Shari`ah and rulings conveyed by the Messenger.

As for politics, there is disagreement over the implication of this expression.

Before the intellectual contact between our Islamic civilization and the Western one after modern Western colonization of the Islamic countries, at a time when the Islamic and Arab implications were the only dominant and common ones in our dictionaries and encyclopedia, there was no disagreement over the concept of politics. This is because the Islamic implication expresses honestly the human being, as was conceived in Islam. The human being is placed by Allah on earth to carry the trust of the construction of the worldly life to be a trial and a criterion for categorizing him in the Hereafter, which is better and eternal. Thus, the policy of the construction of the worldly life is not an aim in itself, but a way to the Hereafter. He, as a successor on earth, is not the master of this world. Rather, he is the servant of the Creator of this world. Even if he is a master on earth, he is the Servant of Allah and the master of anything else.

Therefore, the freedom of this "slave master" is governed by the Shari`ah of the Creator, which includes the terms of the contract of succession on earth, the matter that made the Islamic concept of politics in the Islamic construction is not limited to the material criteria in the worldly life. Rather, it is not separated from the

(*) Leading article in the Arabic section in Al-Azhar Magazine

miracles granted to our Messenger are greater and more wonderful than those granted to any other Messenger.

The two parts of the night journey are granted to our Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) are two signs and miracles from Allah to His Beloved Messenger Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). Why did Allah grant His Prophet and Messenger Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) specifically this Night Journey?

Allah is not to complement a certain person even if this person is the most beloved person to Him. In fact, our Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) tolerated for the sake of his Lord great suffering, which was never tolerated by any person else. Also, he tolerated much hurt and insult which were never tolerated by any prophet else. Thus, he deserved this great grant. This matter is explained by Ibn Ishaq, as he said that Khadijah bint Khuwailid, the wife of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and Abu Taleb, his uncle, died in the same year. Thus, the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) endured many hardships, as Khadijah tried to protect Islam and she was the most ideal model of wife, because she tended to tranquilize the Messenger of Allah when he was upset. She believed him when the people accused him of lying and consoled him with her money and efforts. Thus, her death was a great ordeal experienced by the Messenger of Allah. Thereafter, his uncle Abu Taleb supported him against his people. After Abu Taleb's death, Quraysh harmed the Prophet in a way they could have never done during his life to the extent that one of the foolish people belonging to Quraysh dared to throw dust on the head of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). When he entered his house, one of his daughters dusted off his head while weeping. Then, the Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "O my daughter, do not weep. Allah will protect your father.

These hardships followed each other and the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) lost hope in the people surrounding him embracing of Islam. Then, he called the people of Taif to Islam, but they accused him of lying and treated him rudely. One of them said to the Messenger: If you were good and you call to something good, your people would believe you. He said: If you do not want to embrace Islam and believe me, [illegible] in every possible way. Then, he sat to relax while his feet were still bleeding, sought his Lord's help, and supplicated to Him saying: "O Allah to You alone, I make complaint of my [illegible] Your wrath, or that you should be wrathful at me. And there is no power nor resource, but yours alone."

[illegible] beget a servant who will worship Allah Alone. O Allah, forgive my people, as they are ignorant. [illegible] merciful.

[illegible] mosque. Then, he told to the Messenger of Allah: Enter, Muhammad. Then, he entered and started to offer Salah (Prayer) and entered his house.

The Night Journey and Ascension....!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

[illegible] to a miracle

[illegible] according to his need, thus proves that he is sent down by Allah. Also, this is not to give a chance to liars to claim that they are Prophets. However, Allah did not support them with [illegible] had a diseased eye and a wholesome one. When he tried to cure the diseased eye, the wholesome eye became blind. Allah supports only His beloved and chosen people.

Allah's Wisdom willed that the miracles of the previous prophets to be perceived by senses such as Mosa's stick which turned to a snake. In addition to this, there is the miracle of Isa, as he was able to raise the dead from death. However, there miracles ended with the elapse of the [illegible] moral because the messages of the previous prophets belonged to certain people and certain [illegible] continue to the Day of Resurrection. Allah (Glory be to Him) says:

[illegible] tidings and a Warner to all mankind) [Saba': 28]

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Every [illegible]

Revelation from Allah (Glory be to Him). Thus, I hope that I become the one who has the greatest number of followers on the Day of Judgment.

Allah (Glory be to Him) wanted to give His Prophet and Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) perceivable miracles in addition to the moral miracle, The Qur'an. He had as many miracles as the other Prophets. Allah gives His Bounty to whomever he wants and He is the One who has the Greatest Bounty.

There is wisdom; people differ with regard to their perception, some of them consider only the miracles perceived by the senses and are not convinced with the moral and intellectual ones. Thus, Allah willed that some of the miracles of the Messenger of Allah become perceivable and others are intellectual. Al-Baihaqy narrated on the authority of Imam Al-Shafi'y (may Allah be pleased with him) that he said: Our Messenger was given more miracles than any other prophet. Prophet Isa was granted the miracle of resurrecting the dead, but the miracle of our Messenger Muhammad is greater than him as he revived a trunk, which is a solid with no life, as reviving a solid is stronger than restoring the life of a person who was previously alive. It was authentically reported that the Messenger of Allah used to deliver sermons in his holy Mosque, leaning his back against a trunk. When many people gathered, they told him to stand on the pulpit; and when he did, the trunk emitted a sound similar to the voice of a mother who lost her child. Then, the people cried loudly, and the sound continued until the Messenger of Allah went to the trunk and hugged it, then the sound stopped.

Al-Shafi'y said: The sea was split into two parts for Mosa, the miracle which is parallel to the splitting of the moon. The latter is greater and more wonderful, as it is a heavenly miracle. It may be said that split so that water flows from it. We may say that water flowed from the fingers of our Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), which is a stranger miracle, as the water flowing from stone is normal, but the flowing of water from flesh and blood is amazing.

When he was asked about subjecting the winds to Sulaiman, but the night Journey is greater and more wonderful. Al-Bayhaqy (may Allah be merciful to him) said: If we follow the methodology of Imam Al-Shafi'y (may Allah be pleased with him), we will find that the

AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab, 1433 A.H

ENGLISH SECTION

June, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

في العدد القادم

www.AlAzharMag.com

AL AZHAR
MAGAZINE

facebook.com/AlAzharMag

- **التنصير الأمريكى حرب عالمية ضد الإسلام**

الأستاذ الدكتور محمد عمارة

- **فتاوى لها تاريخ**

الشيخ محمود شلتوت

- **ابن سينا والطب السيناوى**

أ. د. أحمد فؤاد باشا

- **الدين**

أ. د. محمد عبد الله دراز

- **قصص الأنبياء**

الشيخ عبد الوهاب النجار

روح الحضارة والثقافة الإسلامية



الأزهر

www.AlazharMag.com

التنصير الأمريكي
حرب عالمية ضد الإسلام
الأستاذ الدكتور محمد عمارة

المجتمع المدني
في ضوء المقاصد العامة للشريعة
أ.د. إبراهيم البيومي غانم

الأخلاق والعقل
علي عزت بيجوفيتش

منهج النظر في دراسة القانون







هدية العدد روح الحضارة والثقافة الإسلامية
للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور . وفيلسوف الإسلام محمد إقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

[illegible]
داخل مصر ١٨ جنيه مصري
الدول العربية ٤٠ دولار أمريكا
أوربا وأمريكا ٦٠ دولار أمريكا
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولار أمريكا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شركة توزيع الأهرام ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩
editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ أحمد [illegible]

٣٥ عاماً على مؤتمر كولورادو

التنصير الأمريكى.. حرب عالميـــة ضد الإسلام



بقلم: أ.د. محمد عمارة

قديم هو طمع الكنائس الغربية فى تنصير المسلمين.. وفى سبيل تحقيق هذه الأطماع تعددت موجات التنصير.. وتنوعت جنسيات المنصرين ومذاهبهم.. وتوالت المؤتمرات التى عقدتها الكنائس الغربية لدراسة المسيرة.. ولتقييم النجاحات والإخفاقات.. ولتعديل المسارات..

وبعد تصاعد ظاهرة اليقظة الإسلامية فى المجتمعات الإسلامية، التى أعادت الأمة إلى ذاتيتها الإسلامية، بعد سقوط الخيارات والنماذج التحديثية الغربية، منذ هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧م.. فزع المنصرون الغربيون ـ والأمريكان فى مقدمتهم ـ من هذه الصحوة ـ التى سموها «الأصولية الإسلامية» ـ والتى عرفها الرئيس الأمريكى الأسبق ـ المفكر الاستراتيجى ـ «ريتشارد نيكسون» (١٩١٣ ـ ١٩٩٤م) ـ فى كتابه «الفرصة السانحة» ـ عندما قال:

إن هؤلاء الأصوليين، هم المصممون على:

- استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضى.
- والذين يهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.
- ويسعون لجعل الإسلام دينًا ودولة.
- وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضى، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار![1]

منذ تصاعد ظاهرة الصحوة الإسلامية هذه ـ فى عقد السبعينيات من القرن العشرين ـ ودعوة «نيكسون» إلى تحالف غربى، يضم أمريكا وأوروبا.. ويشمل البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس.. والليبرالية الرأسمالية والشيوعية الشمولية!!.. لمواجهة هذه «الأصولية الإسلامية».. ولسد الطريق أمامها، ولدفع العالم الإسلامى إلى طريق «العلمانية الأمريكية» التى تلحق الشرق الإسلامى بالغرب.. منذ ذلك التاريخ تصاعدت المواجهة بين الغرب والإسلام.

وفى إطار هذه المواجهة استنفرت الكنائس الغربية ـ والأمريكية خصوصًا ـ جهودها وطاقاتها لتنصير المسلمين، ولتتم قطع الطريق على الصحوة الإسلامية، التى تريد إخراج الأمة الإسلامية من الاستضعاف والعودة بها إلى مكانتها الريادية بين الأمم والحضارات.

وبعد أن كان المنصرون الغربيون ـ عبر تاريخهم الطويل ـ يحلمون بالتنصير بين المسلمين.. رفعت الكنائس الأمريكية سقف مطامعها، وتحدثت عن تنصير كل المسلمين، أى طى صفحة الإسلام من الوجود..

وفى سبيل ذلك، تم التحضير لعقد أخطر مؤتمرات التنصير ـ مؤتمر كولورادو ـ فى ١٥ مايو سنة ١٩٧٨م ـ فى ذكرى قيام إسرائيل!..

ولقد ناقش المؤتمرون ـ من كبار خبراء التنصير.. وأهل التخصص فى مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ ناقشوا أربعين بحثًا، أحاطت بقضية تنصير المسلمين من جميع جوانبها.. وانتهت إلى التوصيات التى تحدد معالم الممارسة والتطبيق.. والتى توفر إمكانات سلطة تنفيذ مخطط تنصير كل المسلمين.

ولقد نشر المنصرون على هذا المؤتمر بحثه ومناقشاته وتوصياته ـ بعد أن حذفوا منها ـ كما قالوا ـ «المسائل الحساسة» ـ نشروها بالإنجليزية.. ثم ترجمت إلى العربية فيما يقرب من ألف صفحة.

●●●

(١) نيكسون «الفرصة السانحة» ص ١٤١ ترجمة دكتور أحمد صدقى مراد ـ طبعة دار الهلال ـ القاهرة سنة ١٩٩٢م

وإذا شئنا في هذه الصفحات، التي نقدم بها لهذه الطبعة من وثائق «مؤتمر كولورادو – أمريكا الشمالية» بروتوكولات قساوسة التنصير».. والتي نشاهد ونواجه تطبيقاتها على عالم الإسلام.. إذا شئنا الإشارة إلى معالم هذه «البروتوكولات».. فيكفي أن نعيد:

● – أن قساوسة التنصير وخبراءه وكهنته قد أرادوا للمؤتمر هذا أن يكون مؤتمراً يغير مجرى التاريخ، وعلى دعمك قالوا:

يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات، فيتبادلون الرأى، ويعلنون بعض القرارات، ثم ينصرفون فتصبح قراراتهم حبراً على ورق.. ولكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ.. ولا ريب أن هذا المؤتمر قد أصبح واحداً من المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ..

فهذه هي المرة الأولى، خلال جيلين، يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى، ليناقشوا عملية تنصير المسلمين»[2]

● وتحدثوا عن توقيت عقد هذا المؤتمر، الذى أرادوا به مواجهة «المظاهرات التي يقوم بها المسلمون في مصر وإيران وباكستان، مطالبين بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية.. وإلى الجانب الثورى للإسلام – الذى نسينا وجوده!!.. وعن الصراع الذى استرعى اهتمام وسائل الإعلام العالمية بين الإسلاميين والاتجاهات العلمانية. والذى كاد أن يفرض تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر.. ويمزق إيران.. كما ستقوم باكستان بتطبيق الدستور الإسلامي لأول مرة في تاريخها ابتداء من مارس ١٩٧٨م...»..

● وقام المنصرون – في هذا المؤتمر – بنقد الطرق القديمة للتنصير.. وقالوا: «لا يمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير في مواجهة الإسلام الذى يتغير بسرعة وبصورة جوهرية.. لقد كانت استراتيجية التنصير الأوروبية الأمريكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقلية الاستعمارية.. وإن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين».

● وتحدث قساوسة التنصير وكهنته عن مؤهلات المنصر المطلوب لتنصير المسلمين.. المنصر الفعال في صفوف المسلمين.. وذكروا من هذه المؤهلات:

- التمكن من اللغة العربية، والقرآن، والمصادر اللاهوتية الإسلامية.
- والتحلي بالصبر والحزم في النقاش.
- والشعور المتعاطف الذى يمكنه أن يقود المسلم من الحقائق التي يؤمن بها إلى المسيح.
- والاستعداد لنبذ الطرق القديمة البالية التي تثير الكثير من الجدل.
- وأن تكون لديه روح الأمل.

[2] من كلمة رئيس المؤتمر د. دون مكاري [illegible]

ثم طلبوا من ربهم أن يرزقهم نماذج من المنصرين مثل «صموئيل زويمر» (١٨٦٧ – ١٩٥٢م) الذى تلقى اللغة العربية. وكان عالماً محترفاً في الإسلاميات. ومنصراً متحمساً لقد عمل لمدة ٢٣ سنة منصراً في الجزيرة العربية، وستة عشر عاماً مديراً لمركز الدراسات الإسلامية والمطبوعات في القاهرة، واستطاع في الوقت نفسه أن يشرف على تحرير أهم مجلة نصرانية عن الإسلام لمدة ٣٦ سنة، وهي مجلة «العالم الإسلامي».

● وأعلنوا عن عزمهم على إشراك الكنائس الوطنية في العالم الإسلامي في عملية تنصير المسلمين.. أى دفع هذه الكنائس إلى خيانة أمتها وأوطانها، والانخراط في تنصير المسلمين مع إرساليات التنصير الأمريكية.. وقالت بروتوكولات قساوسة التنصير في هذا المقام:

«.. وحيث إن إرساليات أمريكا الشمالية مبعدة عن بعض أجزاء العالم الإسلامي، ومقيدة في أجزاء أخرى، وبما أن التجمعات النصرانية المحلية موجودة داخل أجزاء العالم الإسلامي وفي أقطار العالم الثالث الأخرى المحيطة به، فإنه يجب علينا أن ندرك الاحتمال القوى وإمكانية أن يقود المسيح خلال العقود القادمة باستخدام كنائس العالم الثالث ووكالاته التنصيرية لتحل محل – أو على الأقل – لتكمل سعى إرساليات أمريكا الشمالية، وإذا كان الأمر كذلك، فعلى مديرى إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنصرين الآخرين أن يكتشفوا ويوظفوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملياتها المنظمة للوصول إلى المسلمين.

لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي. إن النصارى البروتستانت في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا سيمكنون بصورة عميقة ومؤثرة في عملية تنصير المسلمين.

ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم، وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين».

● ولنشر التنصير في كل أرجاء عالم الإسلام، بما في ذلك البلاد التي تمنع حكوماتها دخول أو عمل المنصرين الرسميين.. أو البلاد التي ليس فيها نصارى أصلاً.. قرر قساوسة وكهنة التنصير – في مؤتمر كولورادو – تدريب العمالة المدنية العربية – من المهندسين والخبراء والعمال – على عملية التنصير، والاستفادة من انخراطهم في تنصير المسلمين، خصوصاً وأن أعدادهم تفوق أعداد المنصرين الرسميين بنسبة (١٠٠ إلى ١).. وعن هذا المقصد قالت بروتوكولات قساوسة التنصير:

«إنه على الرغم من وجود منصرين بروتستانت من أمريكا الشمالية في الخارج أكثر من أى وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد

المنصرين بأكثر من (١٠٠٠ بني ١)

وإن الأفراد الذين يمتلكون الخبرة [illegible] أمر مهم، وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني.. إنهم يستطيعون ويجب أن يتمموا عمل المنصرين، وذلك بالعمل معاً جنباً إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي».

● ولعجز هؤلاء المنصرين عن مواجهة الإسلام ـ إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية ـ قرروا سلوك طريق الخداع لاختراق الإسلام!.. وعن ذلك قالوا:

«إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية. وإن النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية [illegible] حركة دينية معادية للنصرانية. محطة تحتفظ بفرق [illegible]

ونحن بحاجة إلى مئات المراكز تؤسس حول العالم، بواسطة النصارى، للتركيز على الإسلام، ليس فقط [illegible] للإسلام، [illegible] ذلك [illegible] المنصرين من أجل اختراق الإسلام في [illegible]»

● كما أعلنت بروتوكولات قساوسة التنصير ـ في مؤتمر كولورادو ـ عزمها على خلط النصرانية [illegible] الإسلامية [illegible] الهدف قالوا:

«إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية.. وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير [illegible] النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعي.

وبهذه الطريقة أيضاً يمكننا أن نستوعب في الحظيرة النصرانية «مسلماً ـ نصرانياً، و لاهوتياً ـ إسلامياً» [illegible] الإسلام ـ [illegible]».

«ومن المهم استغلال أوجه الشبه بين مفهوم الخلاص النصراني وبين الموقف اللاهوتي لبعض الطرق الصوفية، [illegible] فيه الكنيسة وحتى تقبلها. على شرط أن تكون [illegible] التي يتبعها أولئك المسلمون».

● ولقد اعترف قساوسة التنصير أنهم لا قبل لهم بمواجهة المسلم الذى يفهم إسلامه، ومن ثم فلابد وأن يبحثوا عن ضحاياهم بين الذين اختلط إسلامهم بالخرافات والخزعبلات.. ففي هؤلاء تتمثل البيئة الخصبة للتنصير!.. وعن ذلك قالوا

«إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبي، أو الإسلام العامة. [illegible] جداً عن الإسلام الأصيل.. كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها

تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها.. والباب الذى يمكن من خلاله التأثير في هؤلاء وتنصيرهم هو أن يقوم شخص بتقديم منافع دنيوية لهم، مثل ممارسة العلاج الروحي، وطرد الأرواح الشريرة.. أما فهم حقائق الكتاب المقدس الأساسية فهو مرحلة تأتي بعد...»!

● [illegible] قساوسة التنصير إلى سلوك هذا الطريق لتنصير النساء المسلمات.. وقالوا:

«[illegible] المرأة المسلمة كيف تعيش في سلام من ضغوط السحر.. ونقدم المسيح بديلاً نصرانياً للتأثير الشيطاني الذى يهاجم النساء في المجتمعات الإسلامية.

إن النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية.. ويجب أن نقدم قوة روح المسيح بديلاً نصرانياً لتأثير الشيطان في حياة النساء المسلمات.. أما تحديد النسل ـ وهو عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة ـ فمن الأفضل عدم تناوله خلال المراحل المبكرة من العمل مع المسلمين»!.

● ودعا قساوسة التنصير ـ في هذا المؤتمر ـ إلى [illegible] في البلاد العربية.. والذين يعيشون في بيئات غير إسلامية، لجعلهم «مشاتل» يزرعون فيهم النصرانية. [illegible] عندما يعودون إلى بلادهم الإسلامية.. وفي ذلك قالت بروتوكولات هؤلاء المنصرين:

«يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب، ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذى توفره المجتمعات الإسلامية، ويعيشون نمطاً من الحياة مختلفاً ـ في ظل الثقافة العلمانية المادية ـ فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثر.

وإذا كانت تربة المسلمين في بلادهم هي ـ بالنسبة إلى التنصير ـ أرضاً صلبة.. ووعرة، فمن بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم، حيث يتم الزرع والسقي والتهيئة لعمل فعال عندما يعاد زرعهم ثانية في تربة أوطانهم كمنصرين؟!».

● ولقد تحدث قساوسة التنصير ـ في هذه البروتوكولات ـ عن أساليب التنصير للمسلمين. فقالوا:

«[illegible] التنصير ثلاثة [illegible]

١ـ الأسلوب المباشر عن طريق المنصرين والدراسات الإنجيلية.. وهذا الأسلوب لم يجتذب سوى عدد قليل جداً من المسلمين.

٢ـ الأسلوب الشامل، مثل المدارس والكليات والجامعات الأمريكية في القاهرة وبيروت و[illegible]. لكنه فقد تأثيره الإيجابي [illegible] مؤسسوه لعيوب في الإدارة والتوجيه.

٣ـ الأسلوب غير المباشر [illegible]

المكتوبة، والرسوم المتحركة.. إلخ.. وهذا هو المنصر الحاضر دائماً، والقوة الصامتة، وغير المرئية.. التي لا تدخل في أي جدال، ولا تقبل أي اعتذار.. وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير».

● ولقد وصل قساوسة التنصير إلى ذروة اللاأخلاقية.. وقمة الميكافللية.. عندما أعلنوا ـ في هذه البروتوكولات ـ أن صنع الكوارث في البلاد الإسلامية ـ مثل المجاعات.. والحروب.. والفوارق الفاحشة بين الطبقات.. والصراعات الداخلية.. وحتى الزلازل والفيضانات.. إلخ.. أعلنوا أن هذه الكوارث هي «نعم إلهية» تجعل المسلمين من ضحايا هذه الكوارث يمدون أيديهم لعون المنصرين لقاء عقيدتهم الإسلامية» وتجعل الحكومات الإسلامية التي لا تسمح بدخول المنصرين إلى بلادها، تفتح أبوابها ـ تحت ضغط الحاجات إلى المعونات ـ أمام هؤلاء المنصرين!.

نعم.. أعلن هؤلاء القساوسة عن قمة اللاأخلاقية في أساليبهم لتنصير المسلمين فقالوا:

«لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشكلات وعوامل تدفع الناس ـ أفراداً وجماعات ـ خارج حالة التوازن التي اعتادوها»

وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني!

وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية وإن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمراً مهماً في عملية التنصير.

وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تعارض العمل التنصيري فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى»

هكذا بلغت بروتوكولات قساوسة التنصير ـ في وثائق مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين ـ قمة اللاأخلاقية وذروة الميكافيلية.. عندما جعل «رجال الدين» «نعم الدين» ـ من الكوارث التي تصيب المسلمين «إحدى معجزات العصر»؛ لأنها هي السبيل لاختلال توازن هؤلاء الضحايا، والسبيل لمد أيديهم لمعونات المنصرين، ومن ثم بيع عقيدتهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء!!.

●●●

وعلى الرغم من أن كل كنيسة من الكنائس شاركت في مؤتمر كولورادو هي «مؤسسة».. وعلى الرغم من الحماس الشديد لدى هؤلاء المنصرين للانخراط في تنصير المسلمين.. فإن المؤتمرين ـ في كولورادو ـ لم يتركوا أمر تنفيذ هذه البرتوكولات لحماس المنصرين ـ وهو شديد ـ ولا للكنائس ـ ذات الإمكانات الهائلة ـ وإنما أنشأوا «معهد صموئيل زويمر» ليكون ـ كما قالوا ـ بمثابة «مركز الأعصاب» القائد لجيش المنصرين ومراكزه ومؤسساته عبر العالم الإسلامي.

فهذا المعهد «مركز الأعصاب» هو ـ في عالم التنصير ـ أشبه ما يكون «بالبنتاجون».. الأول يقود الجيوش الحربية لتنصير المسلمين. والثاني يقود الجيوش الحربية لديار الإسلام»

ولقد أشاروا إلى أن من مهام هذا المعهد:

– إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في تنصير المسلمين.

– وتعزيز مهمة التنصير للمسلمين.

– وربط مراكز التنصير المنتشرة حول العالم الإسلامي، وتسليم إدارة كل مركز إقليمي إلى عالم منصر ذي خبرة واسعة. على أن يتبع عدة خبراء يمثلون مختلف الثقافات الكنسية. مع خبراء في علم الأجناس البشرية والشئون والدراسات الإسلامية

– وتجنيد المستشارين الذين يزورون كنائس العالم ويجمعون المعلومات عن المسلمين.

– وتكوين «أرشيف» يحوي مكتبة غنية بالمعلومات وسبل الاتصال.

– وإصدار نشرة لإيصال المعلومات إلى مراكز التنصير في مختلف البلاد الإسلامية.

– وتشجيع جميع المدارس والجامعات ومراكز البحث في أمريكا من أجل زيادة دراساتها التي تخدم مقاصد تنصير المسلمين.

– وإقامة اتحاد عالمي بجميع المراكز والمعاهد العاملة في تنصير المسلمين لتنسيق المعلومات التي لها علاقة بتنصير المسلمين.

● وفور إقامة هذا المعهد ـ وزارة حرب التنصير للمسلمين ـ وضعت بين يديه الإمكانات الهائلة المرصودة لتنصير المسلمين.

ويكفي أن نشير إلى بعض مفردات هذه الإمكانات ـ كما كانت قبل عشرين عاماً ـ والمؤكد أنها قد تضاعفت الآن:

– ١٢٠,٨٨٠ مؤسسة وإرسالية ووكالة عاملة في ميدان تنصير المسلمين.

– ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصراً محترفاً يعملون على رأس العمل التنصيري.

– ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ كمبيوتر مخصصة للعمل التنصيري.

– ٢٤,٩٠٠ مجلة تصدر لتنصير المسلمين.

– ٨٨,٦١٠ كتب للتنصير صدرت في عام واحد.

– ٢,٣٤٠ محطة إذاعة وتلفاز بث مواد التنصير.

– ٥٣,٠٠٠,٠٠٠ نسخة من الأنجيل وزعت في عام واحد.

– ١٠,٦٧٧ مدرسة لرياض الأطفال تابعة لمؤسسات التنصير.

– ٩,٠٠٠,٠٠٠ طالب يدرسون في المدارس التابعة لإرساليات التنصير.

– ١٠,٦٠٠ مستشفى تابعة لإرساليات التنصير.

- ٩٨٠ داراً لإيواء العجزة والأرامل تابعة لإرساليات التنصير.
- ١٠,٠٥٠ صيدلية تابعة لإرساليات التنصير.
- ١٦٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ميزانية خدمة المشاريع التنصيرية.
- ٩,٣٢٠ مليار دولار، وهو دخل الكنائس العاملة في تنصير المسلمين.
- ٨,٩٠٠ مليار دولار، هو دخل الإرساليات العاملة لتنصير المسلمين.
- ١٥٧ مليونا من الدولارات هو حجم التبرعات للكنيسة في عام واحد - سنة ١٩٩٠م.

● ولقد خص إفريقيا وحدها من هذه المؤسسات التنصيرية:

- ١١٩٠٠٠ منصر محترف
- ١٦٠٠٠ معهد للتنصير
- ٤٠٠ مدرسة لاهوتية
- ٦٠٠ مستشفى تابعة لإرساليات التنصير.

تلك إشارات إلى بعض الإمكانات التي وضعت لتنصير المسلمين، والتي يديرها «معهد زويمر» - مركز الأعصاب - ووزارات الحرب لتنصير المسلمين.

وإذا كان هذا هو إسهام الكنيسة الأمريكية وحدها.. فكم تكون الصورة إذا نحن أضفنا إليها رصيد الكاثوليك ورصيد الكنائس الإنجيلية الأخرى؟!

وكم تكون الصورة إذا نحن أضفنا الإمكانات المرصودة لتنصير المسلمين لدى الكنائس المحلية، التي استدعتها الكنائس الأمريكية للانخراط في عملية تنصير المسلمين؟!

لقد قامت الكنيسة الأمريكية - على سبيل المثال - بتنصير ربع سكان كوريا الجنوبية، وتأسست فيها كنيسة «سيمول»، وانخرطت هذه الكنيسة الكورية - على نحو مثير - في عملية التنصير، حتى أن عدد المنصرين الكوريين هو التالي لعدد المنصرين الأمريكان!!.. و٦٨٪ من المنصرين الكوريين يعملون في أنحاء العالم الإسلامي!!.. ولقد قتلت المقاومة الأفغانية عددا منهم، عندما ضبطت منصرين منهم في أفغانستان تحت ستار العمل الإغاثي!! ونشرت صحيفة الأهرام أن عددا من هؤلاء المنصرين الكوريين يعملون في عشر محافظات مصرية تحت ستار تعليم اللغة الكورية للمصريين في بلد الأزهر الشريف!!

●●●

بقي أن نقول: إن الدوافع الحقيقية التي تحرك هذه الكنائس الغربية لتنصير المسلمين هي الحقد على الإسلام.. والخوف منه.. والحرص على محاصرة يقظته وصحوته وليس الإيمان الحقيقي برسالة المسيح - عليه السلام -.

لقد أفلست هذه الكنائس الغربية في بلادها.. وخانت مسيحيتها.. وتركت رعاياها نهب للفلسفات الوضعية والمادية واللاأدرية والإلحادية.. ولو كانت هذه الكنائس مخلصة حقاً لمسيحيتها لعملت على تنصير شعوبها بدلا من تنصير الشعوب الإسلامية.. ولانخرطت في إنقاذ رعاياها من المادية والإلحاد بدلا من إخراج المسلمين من إيمانهم الإسلامي، الذي لا يفرق بين أحد من رسل الله.

إن المشهد الديني في أوربا وأمريكا - حيث تعيش هذه الكنائس - يشهد على إفلاسها في بلادها، وعلى خيانتها لشعوبها. كما يشهد على حربها ضد الإسلام إنما هي حرب لا أخلاقية، يحركها الحقد على الإسلام، والكراهية له، والخوف منه، ولا تحركها في هذه الحرب التنصيرية أية قيم دينية لأي دين من الأديان.

● إن الذين يؤمنون بوجود إله - حتى ولو لم يعبدوه - أقل من ١٤٪ من الأوروبيين.

● و الذين يذهبون إلى القداس مرة في الأسبوع، في فرنسا - بنت الكاثوليكية، وأكبر بلادها - أقل من ٥٪ من سكانها - أي أقل من ثلاثة ملايين - وهم نصف الفرنسيين المسلمين الذين يواظبون على صلاة الجمعة، وهم في جمهورية التشيك أقل من ٣٪ من السكان!

● وهناك نقص في الرهبان - بسبب العزوف عن العزوبية - حتى أصبح هناك راهب واحد لكل ١٢٠٠ مسيحي أوربي!.

● وفي أمريكا يواجه ٣,٠٠٠ قسيس تهم التحرش الجنسي بالأطفال.. ولقد شاعت الانحرافات الجنسية بين القساوسة والرهبان وخاصة في الاعتداء على الأطفال حتى أفلست الكثير من الإبراشيات بسبب التعويضات التي تدفعها لضحايا هذه الاعتداءات الجنسية!.

● وفي أمريكا انخفض حضور قداس الأحد بنسبة ٤٠٪ عن خمسينات القرن العشرين.. وثلثهم هم الذين يواظبون على حضور القداس الأسبوعي، وكانوا ضعفي هذا العدد قبل حين من الزمان!.

● و٧٠٪ من كاثوليك أمريكا يطلبون السماح باستخدام موانع الحمل - لانتشار الزنى - على خلاف تعليمات الكنيسة!

● و٧٠٪ من كاثوليك روما - حيث الفاتيكان - يوافقون على ممارسة الجنس قبل الزواج!.

● وكثير من الكنائس الأوروبية وغير الأوروبية تزوج الشواذ - المثليين - وبها قساوسة شواذ!

● والقوانين التي تحكم الاتحاد الأوروبي - الذي يعتبرونه «ناديا مسيحيا» - والتي هي شرط في دخوله تعتبر الشذوذ الجنسي حقاً أصيلاً من حقوق الإنسان.. وللشواذ مؤتمرات سنوية، ومظاهرات ومهرجانات احتفالية تجوب الشوارع والميادين في كثير من

المدن الأوروبية.. تحت سمع الكنائس وبصرها!.

● ولقد شرعت حكومة بلدية «بوينس أيرس» - عاصمة الأرجنتين الكاثوليكية - زواج المثليين!.

● وفي استطلاع أجرته مؤسسة «جالوب» - في إبريل سنة ٢٠٠٥ - ظهر أن ٧٤٪ من الكاثوليك يتصرفون في المسائل الأخلاقية بناء على ضمائرهم، على عكس تعاليم الكنيسة.. ولا يلتزم بتعاليم الكنيسة - في المسائل الأخلاقية - سوى ٢٠٪ فقط.

● وفي ألمانيا توقف القداس في نحو ثلث كنائس إبرشية «أيسن» بسبب قلة الزوار!.. وهناك ١٠.٠٠٠ «عشرة آلاف» كنيسة مرشحة للإغلاق وللبيع لأغراض أخرى!

● وتفقد الكنائس الألمانية - الإنجيلية والكاثوليكية - سنوياً أكثر من ١٠٠.٠٠٠ «مائة ألف» من أبنائها.

● وفي إنجلترا، لا يحضر القداس الأسبوعي سوى مليون فقط.. ولقد صنفت ١٠٪ من كنائسها رسمياً باعتبارها زائدة عن الحاجة، ومرشحة للبيع مطاعم وملاهي وحتى علب ليل وأعلن الكاردينال «كورمك ميرفي» رئيس الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا وويلز «أن المسيحية أوشكت على الانحسار في بريطانيا، وأن الدين لم يعد مؤثراً في حياة الناس»!.

● وفي هولندا - بلد الفاتيكان - تتحول الكنائس إلى مطاعم وملاهٍ.. ولقد عشت مدعواً في كنيسة تاريخية، بعد أن تحولت إلى مطعم.. وتحول «المذبح» إلى «بار للبيرة»!.

● وفي كوبنهاجن - عاصمة الدنمارك - عرضت عشر كنائس للبيع.. وصرح «كاي بولمان» الأمين العام للكنائس في الدنمارك - بأنه «إذا لم تستعمل الكنيسة للعبادة، فالأحدر أن تستعمل كاسطبل للخنازير!» - في محاولة لحظر بيعها مساجد للمسلمين الدنماركيين!-.

● وفي جمهورية التشيك، حيث لا يذهب إلى القداس الأسبوعي سوى ٣٪ من السكان - هناك اتجاه إلى بيع ١٠.٠٠٠ كنيسة - أي نصف كنائس التشيك - بسبب قلة الزوار!.. ولقد بيعت كنيسة - القديس ميخائيل - في وسط براغ - والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر، وتحولت إلى نادٍ للعراة وموسيقى التكنو!.

●●●

تلك مؤشرات - مجرد مؤشرات - على الخراب الذي أصاب المسيحية الغربية.. وعلى الإفلاس الذي أصاب الكنائس الغربية.. ومن ثم على المفارقة المجنونة التي جعلت هذه الكنائس بدلاً من أن تشتغل بإصلاح بيتها الخرب، وتعمل على تنصير رعاياها وشعوبها.. تنخرط في حرب محمومة وضروس لتنصير المسلمين!!.. وتعقد المؤتمرات وتقيم المؤسسات.. وتنفق المليارات لتخريب الشرق الإسلامي كما خربت الغرب المسيحي.

لقد بلغت الكنائس المسيحية في الغرب، حتى لقد عبر بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر - وهو خصم لدود عنيد للإسلام - عن «خوفه من أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين»!

لكن هذه الكنائس الغربية، بدلاً من أن تسلك طريق العقل والحكمة، فتتعلم من الإسلام بدلاً من التخويف منه ومحاربته - فتنخرط في تنصير الغرب، وإخراج أهله من اللادينية واللاأدرية والإلحاد.. نراها تنخرط في حرب ضروس لتنصير المسلمين.. مستعينة بجيوش الغزو الغربي لعالم الإسلام، وبالملاءات الأخلاقية والتكتيكية التي صاغتها في بروتوكولات مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين.

لكن الله سنة تحكم التدافع بين الحق والباطل، وهذه السنة إنما تعمل عملها بجهاد المؤمنين الذين استخلفهم الله وأنعم عليهم بأعظم نعمة.. نعمة الإسلام لكي يقوموا به لله ولما سواه!. وصدق الله العظيم:

[illegible] (التوبة: ٣٢، ٣٣)

[illegible] (الأنفال: ٣٦، ٣٧)

●●●

تلك إشارات إلى عناوين بعض «بروتوكولات قساوسة التنصير» التي قررتها وثائق «مؤتمر كولورادو» - أخطر مؤتمرات التنصير للمسلمين - .. وهي البروتوكولات التي توضع في الممارسة والتطبيق على امتداد عالم الإسلام.. آثرنا أن نقدم بها لهذه الطبعة من وثائق هذا المؤتمر[٢].

سائلين المولى - سبحانه وتعالى - أن تكون هذه الطبعة لهذه الوثائق أداة لإيقاظ مؤسسات العالم الإسلامي إلى هذا الخطر السرطاني، الذي يتهدد أعظم نعم الله علينا: نعمة الإسلام.

والله من وراء القصد.. منه نستمد العون والتوفيق.

---

(٢) عن تفصيل ذلك انظر - من وثائق المؤتمر - كتابنا «الغارة الجديدة على الإسلام» ص ٣٥، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٦٢، ٦٦، ٩٢، ٩٣، [illegible]

تفسير سورة البقرة



قال تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(البقرة ٢٥)

لما بين تعالى فى الآية السابقة ما أعده للكافرين الذين قامت عليهم الحجة فجحدوا بها، أراد أن يبين فى هذه الآية نصيب مقابل هؤلاء، وهم الذين ظهر لهم الدليل فآمنوا، ولاح لهم نور الهداية فاهتدوا.. فالكلام متصل بعضه ببعض. ولذلك عطف الجملة على ما قبلها، لأنها متممة لفائدتها، إذا لابد بعد بيان جزاء الكافرين، من بيان جزاء المؤمنين، والإرشاد ترهيب وترغيب. والخطاب يصح أن يكون للنبى ﷺ خاصة. وأن يكون عاما لكل من يسمع الأمر من أهله.. وقالوا إن الأخير هو المعروف فى لسان العرب، والمفهوم عندهم من أمثال هذا الخطاب كقوله تعالى

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي ﴾

(الحجر: ٤٩)

وقوله:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا ﴾

(الكهف: ٣٢)

فهو فى عمومه جار مجرى الأمثال، والمخاطب الأول به هو الرسول على كل حال.

قال تعالى

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[illegible] معروفا عند المخاطبين، وهو الله - تعالى - وصفاته التى ورد بها النقل الصريح، وأثبتها العقل الصحيح، والوحى ومن جاء به، والبعث والجزاء [illegible] إليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فمن صدقهم فيها كان مؤمنا ويصدق [illegible] ذلك من [illegible] لابد فى تحقق الإيمان من اليقين. ولا يقين [illegible] فصحى لا يقين [illegible] الشك والارتياب.. ولابد أن يكون البرهان على الألوهية والنبوة عقليا [illegible] سمعيا. ولكن لا ينحصر البرهان العقلى المؤدى إلى اليقين فى تلك الأدلة التى وضعها المتكلمون [illegible] كثير منها [illegible] الأقدمون. وقلما تخلص مقدماتها من خلل [illegible] تصح طرقها من علل، بل قد يبلغ أمى علم اليقين بنظرة صادقة فى ذلك الكون الذى بين يديه، أو فى نفسه، إذا تجلت بغرائبها عليه. وقد [illegible] من [illegible] الأميين من لا تسعفه فى بحثه الآلاف من أولئك [illegible] فى تقليب المقدمات [illegible] وهم [illegible] حالا من أدنى المقلدين. فإطلاق الإيمان، وذكر [illegible] وما [illegible] من غير [illegible] المؤمن به، معهود فى القرآن، لأن المتعلق معلوم للسامعين كما قلنا، وهو بالنسبة لمن لم يؤمنوا بما دعاهم إليه النبى ﷺ إجمالا من الأصول، وأما المؤمنون فقد عرفوه مفصلا تفصيلا.

ثم وصف المؤمنين الذين يستحقون البشارة [illegible] الصالحات [illegible] فى هذه أيضا كما أطلق فى كثير من الآيات، لأن العمل الصالح معروف عند الناس بالإجمال، وذلك كاف فى الترغيب فيه وجعله تابعا للإيمان متصلا به. ولا [illegible] الأعمال [illegible] صحة [illegible] فى آيات كثيرة. كقوله تعالى

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾

(البقرة ١٧٧)

[illegible] فى أول سورة المؤمنون، [illegible] سورة الفرقان وأوائل سورة المعارج وغير ذلك. كأن الله - تعالى - يقول: إن العمل الصالح معروف عند الناس، لأنه أودع فى نفوسهم ما يميزون به بين الخير والشر، ولكن بعضهم يضل بانحراف يطرأ على نفسه فيخرجها عن الاعتدال الفطرى، ثم يضل [illegible] فتكون التقاليد والعادات الناشئة عن هذا الضلال هى الميزان عند الضالين فى معرفة الصلاح والفساد والخير والشر، لا أصل الهداية الفطرية. ولذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١). يعنى أن الإنسان لو ترك ونفسه لاهتدى إلى الحق ما دام بعيدا عن التقاليد والعادات.

وقد بلغ فساد الطباع وانحراف الفطرة فى بعض الأمم مبلغا كادوا يخرجون به عن طور البشر، كمتطرفى البراهمة، إذ ذهبوا إلى أن كمال الأرواح وسعادتها إنما هو فى تعذيب الأبدان وحرمانها من لذاتها، ولذلك جدوا فى البعد عن اللذات الجسمانية بأنواعها، فمالوا عن سنن الاعتدال، ومنوا أبدانهم وعقولهم بالفساد [illegible] كبعض [illegible] وطائفة من البراهمة [illegible] لا خير إلا فى اللذة البدنية، ولا شر إلا فى الألم الجسمانى، فالسعادة [illegible] فى البعد عن الآلام البدنية والتمتع بالشهوات الحسية.

فمثل هؤلاء المرضى النفوس، الخارجين من

(١) صحيح البخارى [illegible] عليه

الكمال الروحي والعقلي، كمثل من غلبت عليه الصفراء فصار يذوق الحلو مرا. وإن من المرضى من يشتهي في طور النقه ما لا يشتهي في حال الصحة والاعتدال، وكذلك الحال في صدة الوجه.

يرى الجبناء أن العجز حزم

وتلك خديعة الطبع اللئيم

فالخير والرذيلة والصلاح والفساد والحق والباطل والفضيلة والرذيلة، كل ذلك معروف في الجملة حتى عند الأشرار، ولذلك يدعون الخير والصلاح، ويتكرون ما هم عليه.. وإطلاق القول بذكر الأعمال الصالحات ليس مبهما عندهم، ولا خطابا بغير مفهوم. وإنما يحتاج مختل الفطرة إلى التفصيل في ذلك، وذكر الأمارات والدلائل التي تميز بين الصالحين والفاسقين، والمحقين والمبطلين، ولهذا نزلت آيات البيان والتفصيل التي أشرنا إلى بعضها آنفا، وبها ينقطع تلبيس الأغبياء، واعتذار الجهلاء. وحق القول بأن الذي يستحق هذه البشارة هو من جمع بين الإيمان والعمل الصالح الذي ترشد إليه الفطرة السليمة، ويهدى إلى تفصيله الكتاب العزيز وسنة الرسول المتبعة.

بشرهم ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ ورد لفظ الجنة والجنات كثيرا في مقابلة النار. والجنة في اللغة البستان، والجنات جمعها. وليس المراد بهما مفهوميهما اللغوي فقط، وإنما هما دار الخلود في النشأة الآخرة. فالجنة دار الأبرار والمتقين، والنار دار الفجار والفاسقين، نؤمن بهما بالغيب ولا نبحث في حقيقة أمرهما، ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئا لأن عالم الغيب لا يجرى فيه القياس.

ولما وصف الله تعالى تلك الجنات بقوله ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾، والمناسبة ظاهرة، فإن البساتين حياتها بالأنهار.. وهل سميت دار النعيم جنة وجنات على سبيل التشبيه، وذكرت الأنهار ترشيحا له؟ أم سميت بذلك لأنها مشتملة على الجنات تسمية للكل باسم البعض؟ الله أعلم بمراده.

ألم تر إلى ربك كيف ذكر من شأن أهل تلك الجنات قبيل بيانه ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ كلمة «من» الأولى للابتداء والثانية للتبعيض. أي رزقوا من الجنات رزقا من بعض ثمارها.

﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾

أي هذا الذي وعدنا به في الدنيا جزاء على الإيمان والعمل الصالح، فهو كقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾

(الزمر ٧٤)

وذهب الجلال، وغيره إلى اختيار أن معناه تشبيه ثمرات الآخرة بثمرات الدنيا، لأنها مثلها في اللون والشكل والرائحة، وإن كانت تفضلها في الطعم واللذة. فقوله تعالى:

﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾

بيان لسبب القول على هذا التفسير، أي أتوا بما ذكر من الرزق في الدنيا والآخرة متشابها بعضه يشبه بعضا

ومحصله أنهم عندما يؤتون برزق الجنة، يبادرون إلى الحكم بأنه عين ما وعدوا به، وأنه عين رزق الدنيا، لأن التشابه يكون سبب الاشتباه عليهم، ولكنهم يعرفون الفرق بعد ذلك بالطعم لأن فرقا عظيما بين لذة رزق الدنيا ورزق الجنة.

والتعبير بـ ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ ينافي هذا التفسير، لأن الاشتباه إنما يكون في المرة الأولى، ثم يعرفون التفاوت معرفة تذهب به وقع من الحكم بأن هذا عين ذاك: أما بالنسبة لأفراد النوع الواحد من الثمر فلا اختيار، وأما بالنسبة لما بعد النوع الأول من الأنواع فبالقياس عليه. وما ذهب إليه «الجلال» مناف للبلاغة في المعنى أيضا، لأن تشابه رزقي الدنيا والآخرة في الألوان والروائح واختلافه في الطعم فقط ليس فيه كبير تشويق لأن اللذة في الطعم، ثم إن أطوار الجنة مخالفة لأطوار الدنيا، والتشويق للناس إنما يكون بحسب ما عهدوا واعتادوا وألفوا. وإننا نعلم أن الأكل في الدنيا لأجل حفظ البنية من الانحلال، ولا انحلال في دار الخلد والبقاء. فلابد أن يكون الأكل والشرب هناك على ما ورد لحكمة أخرى، أو هو لتحصيل لذة لا نعرفها لأنها من أحوال عالم الغيب، وإنما نؤمن بما ورد ونفوض أمر حقيقته وحكمته إلى الله تعالى، وما ورد أنه لذة أعلى من لذات الدنيا

وذهب بعض المفسرين إلى ما قلناه أولا من أن ذلك الرزق هو عين ما وعدوا به جزاء على أعمالهم. فكلما رزقوا ثمرة منه، يذكرون الوعد الإلهي شكرا لله على توفيقهم لذلك العمل الذي له أعد هذا الجزاء، كما تفيده آية:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾

(الزمر ٧٤)

التي ذكرناها آنفا، فهو من قبيل ارتباط الموعود به بالموعود عليه، كأن الأعمال عين الجزاء:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

(الزلزلة ٧، ٨)

وقوله تعالى بعد ذلك

﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾

تأكيد وتقرير لتلك النعمة في نفوسهم

وهذا هو الراجح. وهنالك قول ثالث، وهو أن رزق الجنة وثمرها يتشابه على تهذيب في صورته، ويختلف في طعمه ولذته، وهو المتبادر من لفظ «من قبل».

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

أي مبالغ في تطهيرهن وتزكيتهن، فليس فيهن ما يعاب من جهة جسدية، حتى ما هو في الدنيا طبيعي كالحيض والنفاس، ولا نفسي كالمكر والكيد وسائر مساوئ الأخلاق، لأنهن طهرن كل نوع من أنواع الطهور. ونساء الجنات من المؤمنات الصالحات، ومن المعروفات في القرآن بالحور العين. وصحبة الأزواج في الآخرة كسائر شئونها الغيبية، نؤمن بما أخبر به الله تعالى منها، لا نزيد فيه ولا ننقص منه، ولا نبحث في كيفيته. وإنما نعرف بالإجمال أن أطوار الحياة الآخرة أعلى وأكمل من أطوار الحياة الدنيا، كما تقدم. ونحن نعلم أن الحكمة في لذة الأزواج بالصحبة الزوجية المخصوصة هي التناسل وبقاء النوع، ولم يرد أن في الآخرة تناسلا. فلابد أن تكون لذة المصاحبة الزوجية هناك أعلى، وحكمتها أسمى. وإننا نؤمن بها ولا نبحث في حقيقتها كما تقدم في بحث رزق الجنة وثمرها.

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

الخلود في اللغة: طول المكث. ومن كلامهم: خلد في السجن. كما في الأساس. وفي الشرع: الدوام الأبدي، أي لا يخرجون منها، ولا هي تفنى بهم فيزولوا بزوالها. وإنما هي حياة أبدية لا نهاية لها. وفقنا الله لما يجعلنا من خيار أهلها من العقيدة الصحيحة، والأعمال الصالحة، التي ترتقي بها الأرواح، وتستعد لذلك الفلاح.

(يتبع)

رسم المصحف الشريف وأثره فى التفسير

(الرسم) كلمة تطلق على الأثر والعلامة والكتابة والخطوط التى هى الثوب. وتأتى هذه الكلمة بالمعنى الحقيقى والمعنى المجازى كقولك: المكارم عفت رسومها. وقولك: أنا أرتسم مراسمك أى: لا أتخطاها. ويراد برسم المصحف: الكيفية أو الهيئة التى وضعت عليها كلمات القرآن وحروفه وكتبت بها[1].

قال الزرقانى: رسم المصحف يراد به الوضع الذى ارتضاه عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى كتابة كلمات القرآن وحروفه[2].

ومذهب جمهور العلماء أن رسم المصحف الشريف توقيفى لا تجوز مخالفته. واستدلوا بأن النبى ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحى، وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم، وأقرهم الرسول على كتابته. ومضى عهده ﷺ على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل[3].

وإقراره حجة شرعية؛ لأنه نوع من السنة النبوية. إذ السنة: «ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة». ومن هنا قال العلماء: «الرسم سنة متبعة»[4] و«خط المصحف سنة متبعة لا يقاس عليه»[5].

كما أثرت أقوال لعلماء السلف ـ رضى الله عنهم ـ تدل على وجوب اتباع هذا الرسم، فقد سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: «لا، إلا على الكتبة الأولى» قال أبو عمرو الدانى: ولا مخالف له فى ذلك من علماء الأمة.[6] وهذا يدل على إجماع الأمة على رسم المصحف. هذا ونبه الإمام السيوطى أنه «على الناظر فى كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره أن يراعى رسم الكلمة القرآنية»[7].

ويمكن إبراز أثر رسم المصحف الشريف فى التفسير فيما يلى:

إفادة بعض المعانى الخفية الدقيقة فى تفسير الكلمة القرآنية

وذلك كزيادة الياء فى كتابة كلمة (أيد) من قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الذاريات: ٤٧)

إذ كتبت هكذا ﴿بِأَيْيدٍ﴾ وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التى بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهى: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا.[8] قال ابن البناء المراكشى: كتبت ﴿بِأَيْيدٍ﴾ بياءين فرقا بين الأيد الذى هو القوة، وبين أيدى جمع يد. ولاشك أن القوة التى بنى الله بها السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدى فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر فى الإدراك الملكوتى فى الوجود[9] ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو، وهى:

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ١١)

﴿[illegible]﴾

(الشورى: ٢٤)

﴿[illegible]﴾

(القمر: ٦)

﴿[illegible]﴾

(العلق: ١٨)

قال الزركشى: «والسر فى حذفها من هذه الأربعة الدلالة على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به فى الوجود، مثل:

﴿[illegible]﴾

(العلق: ١٨)

فيه سرعة الفعل وسرعة إجابة الزبانية وقوة البطش. وكذلك:

﴿[illegible]﴾

(الشورى: ٢٤)

حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة، يدل على هذا قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ٨١)

وكذلك

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ١١)

---

1. مذكرة فى رسم المصحف / د. إبراهيم توفيق النبيه ص١
2. [illegible]
3. [illegible]
4. الدر المصون فى علم الكتاب المكنون السمين الحلبى ٨/ ٩٠، ٤/ ٣٣٩، ٧٠ ط دار القلم
5. [illegible]
6. المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار الدانى ص ١٦٤ وما بعدها، ط التمرية
7. الإتقان فى علوم القرآن السيوطى ٢/ ٣٦١، مطبعة المشهد الحسينى
8. مناهل العرفان الزرقانى ١/ ٣٤٧
9. عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لأبى العباس أحمد بن البناء المراكشى ص٩١، ط دار الغرب الإسلامى

حذف الواو يدل على أن هذا الدعاء يسهل على الإنسان، ويسارع فيه كما يسارع إلى الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

وكذلك

﴿[illegible]﴾

(القمر: ٦)

حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة.[10]

ومن هذا القبيل أيضا كلمة:

﴿رِبَوٰا﴾

(البقرة: ٢٧٨)

فقد كتبت بالواو للتفخيم على لغة من يفخم، وزيدت الألف بعد الواو تشبيها بواو الجمع فصار اللفظ به على طبق المعنى في كون كل منهما مشتملا على زيادة غير مستحقة؛ فأخذ لفظ (الربا) الحرف الزائد وهو الألف بسبب اللفظ الذي يشابهه وهو واو الجمع حيث زيدت فيه الألف كما يأخذ معنى لفظ (الربا) زيادة في مقابل الأجل.[11]

الترجيح بين أقوال المعربين في بعض كلمات القرآن الكريم.

إذا تنازع المعربون في إعراب لفظة من كتاب الله ـ تعالى ـ وكان أحد الأقوال موافقا لرسم المصحف، ولا يقتضي مخالفة له، وآخر يقتضي مخالفته، فأولى الأقوال في إعرابها ما وافق الرسم العثماني، الذي أجمع عليه الصحابة، الذين هم أعلم الناس بتفسير القرآن ونحته.[12]

●● قال تعالى:

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

(البقرة: ٣)

يرى بعض المعربين أن «هم» مبتدأ، وما بعدها خبر. وهذا الإعراب يخالف رسم المصحف؛ لأن النون فيها متصلة بالهاء، وهذا الإعراب يفصلها.[13]

والصواب أن «هم» ضمير في محل نصب مفعول به؛ بدلالة رسم المصحف الشريف.

●● قال تعالى في سورة النساء

﴿[illegible]﴾

قوله

﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ مجرور المحل عطفا على قوله

﴿[illegible]﴾

أي: ليست التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء، فسوى بين من مات كافرا وبين من لم يتب إلا عند معاينة الموت في عدم قبول توبته، والمراد بالعاملين السيئات المنافقون.. وأجاز أبو البقاء في «الذين» أن يكون مرفوع المحل على الابتداء، وخبره «أولئك» وما بعده، معتقدا أن اللام لام الابتداء، وليست بلام النافية.. وهذا الذي قاله من كون اللام لام الابتداء لا يصح إلا أن يكون قد رسمت في المصحف لام داخلة على «الذين» فيصير «وللذين»، وليس مرسوما كذلك. إنما هو لام وألف. «لا» وألف لام التعريف الداخلة على الموصول، وصورته «ولا الذين». وأوجز ذلك السيوطي فقال: «ومن قال في

﴿[illegible]﴾

إن اللام للابتداء، والذين مبتدأ والجملة بعده خبره؛ فهو باطل؛ فإن الرسم «ولا».[14]

›› قال تعالى في سورة مريم:

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾

(مريم: ٦٩)

قال السيوطي: «ومن قال في «أيهم أشد»: إن «هم أشد» مبتدأ وخبر، و«أي» مقطوعة عن الإضافة؛ فهو باطل برسم «أيهم» متصلة».[15]

●● قال تعالى في سورة المطففين

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾

(المطففين: ٣)

في ضمير «هم» قولان:

الأول: أنه في موضع نصب، فيكون مفعولا به، ويعود على الناس، أي: وإذا كالوا الناس أو وزنوا الناس، فالفعل «كالوا» ـ وكذلك «وزنوا» ـ تعدى إلى المفعول «هم» بنفسه، بعد حذف اللام، والمفعول الذي تعدى إليه الفعل بنفسه وهو المكيل والموزون محذوف، أي: كالوا لهم الطعام أو وزنوا لهم الطعام.. وعلى هذا فالأصل في هذين الفعلين التعدي لاثنين، لأحدهما بنفسه بلا خلاف، وللآخر بحرف الجر، ويجوز حذفه.

الثاني: أن «هم» فيهما ضمير رفع مؤكد للواو؛ والضمير عائد على المطففين، أي: كالوا ـ هم ـ أي: المطففون.. وهذا القول الثاني خطأ لرسم الواو فيهما بلا ألف بعدها. فالصواب أنه مفعول.. فالذي رجح القول الأول سقوط الألف بعد الواو من رسم المصحف الشريف، فهو دال على اتصال الضمير.

ونبه على ذلك السيوطي فقال: «ومن قال في «وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»: إن «هم» ضمير رفع مؤكد للواو فقوله باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها، والصواب أنه مفعول».[16]

٣ـ الترجيح بين المعاني الواردة في الكلمة القرآنية.

● قال تعالى

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

قال الإمام فخر الدين الرازي: فأما «ما»

١٠ـ عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل ص٨٨ وما بعدها

١١ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٣/٨٨، ط دار الفكر

١٢ـ انظر علم إعراب القرآن تأصيل وبيان د. يوسف العيساوي ص ٢٥٠، دار الصميعي

١٣ـ [illegible]

١٤ـ راجع إملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن للعكبري، الدر المصون للسمين الحلبي ٣/٦٢٦، الإتقان للسيوطي ٢/٣٦٧

١٥ـ الإتقان للسيوطي [illegible]

١٦ـ راجع الدر المصون للسمين الحلبي ١٠/١١٦ وما بعدها، الموجات الأدبية بتوضيح تفسير الجلالين لمكتبة الجمعة

هنا فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب، والمعنى: فبأى رحمة من الله لنت لهم؟!

وقال القرطبي عن هذا القول: «وفيه بعد، لأنه لو كان كذلك لكان «فبم» بغير ألف، وفصّل الشيخ خالد الأزهرى ما ذكره الإمام القرطبي فقال: والتوجيه المذكور للإمام القرطبي فى الآية بعض الأمرين

أحدهما: أن «ما» الاستفهامية إذا خفضت وجب حذف ألفها فرقا بين الاستفهام والخبر، نحو:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾

(النبأ: ١)

و«ما» فى الآية ثابتة الألف، ولو كانت استفهامية حذفت ألفها لدخول حرف الخفض عليها.

وأُجيب بأن حذف ألف «ما» الاستفهامية إذا دخل الخافض أكثرى لا دائمى، فيجوز إثباتها للتنبيه على إبقاء الشيء على أصله، وعورض بأن إثبات الألف لغة شاذة لا يحسن تخريج التنزيل عليها[17].

قال تعالى:

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾

(الإنسان: ١٨)

قال بعض المعربين: «سلسبيلا» أمر للنبى «صلى الله عليه وسلم» بسؤال السبيل إليها، والمعنى على هذا - كما قال الفعال: تلك عين شريفة فسل سبيلا إليها، ووصف الزمخشرى هذا القول بأنه تكلّف وابتداع.

وقال أبو حيان: ويجب طرح هذا القول من كتب التفسير. وعلة ذلك ذكرها الإمام السيوطي فقال: «وخطأ من قال فى «سلسبيلا» إنها جملة أمرية، أى سل طريقا موصلة إليها؛ لأنها لو كانت كذلك لكتب مفصولة، أى هكذا «سل سبيلا»[18].

قال تعالى:

﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

(القصص: ٨٢)

ذهب «قطرب» إلى أن معنى «ويكأن»: «وى» كلمة تفجع، «وكأن» حرف تشبيه وذهب ابن برهان أن «وى» للتعجب، والكاف للتعليل، والمعنى: أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ورد هذا القول بأن كلمة «ويكأن» رسمت فى المصحف موصولة، قال الفراء: ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة فرسمها فى المصحف الشريف موصولة يمنع هذا القول[19].

قال تعالى فى سورة الأعلى:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾

(الأعلى: ٦)

قيل فى «لا» قولان: الأول: أنها نافية، والمعنى: سنقرئك فلا يقع النسيان منك وهذا قول الجمهور.

الثانى: أنها ناهية، أى: ينهى الله رسوله عن نسيان شيء من القرآن الكريم.

وأولى القولين بالصواب القول الأول؛ ودعت مو شفته رسم المصحف فى إثبات الألف فى ﴿ فَلَا تَنسَىٰ ﴾، فدل عدم حذفها على أنها ليست «لا» الناهية، إذ لو كانت ناهية لحذف الألف علامة للجزم.

قال القرطبي مفسرا: والأول هو المختار؛ لأن الياء مثبتة فى جميع المصاحف، عليها القراء[20].

الترجيح بين الأقوال الواردة في توجيه القراءات المتواترة

● قال تعالى

﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾

(طه: ٦٣)

جاء فى بعض القراءات الصحيحة المتواترة:

«إنّ هذا لساحران»، ومما قيل فى توجيه هذه القراءة: أن اسم «إن» ضمير القصة وهو «ها» التى قبل «ذان» وليست بـ«ها» التى للتنبيه الداخلة على أسماء الإشارة، والتقدير: إن القصة ذان لساحران وضعف هذا القول من جهة مخالفة خط المصحف الشريف، وهو أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن تكتب «إنها» فيصلوا الضمير بالحرف قبله، كقوله تعالى

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾

(الحج: ٤٦)

فكتبهم إياها مفصولة من «إن» متصلة باسم الإشارة يمنع كونها ضميرا وهو واضح[21].

أثر الدخيل في تفسير بعض كلمات القرآن الكريم

فسر بعضهم «ن» فى أول سورة القلم بالحوت، و«ق» فى أول سورتها بأنها جبل محيط بالأرض. وهذا تفسير دخيل. رده ابن العربى فى قانون التأويل بأنه لو كان كذلك لرسم هكذا: «نون»، و«قاف»[22].

وهذا ما أكده الشيخ عبدالقادر المغربى فقال: «المراد من «ن» أحد حروف الهجاء: افتتح تعالى هذه السورة بحرف النون ثم أقسم بالقلم. كما افتتح سورة أخرى بحرف القاف ثم أقسم بالقرآن قال تعالى

﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾

(ق: ١)

والدليل على أن المراد بالنون هنا حرف الهجاء المعروف كتابتها بصورة الحرف هكذا «ن» وسكون آخرها. فلم يقل «نون» أو «نونٌ» أو «نونٍ» بالتنوين. ولو كان المراد بها مسمى آخر لكتبت بالحروف هكذا «نون»، ولدخلت عليها علامات الإعراب كما دخلت على «والقلم» المجرورة بحرف القسم[23].

الشيخ سليمان الجمل ٢/٤٠٣ ط دار الفكر، الإتقان للسيوطى ٣٦١/٣

[17] الجامع لأحكام القرآن القرطبى ٢٤٨/٤ ط دار الغد، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ص١٧٦ ... الأزهرى تحقيق وتعليق د. عبدالكريم مجاهد ط مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة

[18] الجامع لأحكام القرآن القرطبى ١٦٣/١٩، الكشاف للزمخشرى ١٢٠/٤ ط دار الريان، البحر المحيط لأبى حيان ٣٩٨/٨ ط دار الفكر، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٨١/٦

[19] فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ٤٤٨/٦ ط دار الريان، شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/٧٩٠ ط دار ...

[20] ...

[21] راجع البحر المحيط لأبى حيان ٢٤٩/٧ ط دار الفكر، الدر المصون للسمين الحلبى ٦٦/٨ ط دار القلم

[22] راجع قانون التأويل لابن العربى ص٣٤٢ دراسة وتحقيق محمد السليمانى ط دار القبلة للثقافة الإسلامية بالسعودية، التفسير والمفسرون فى ثوبه الجديد أ. د. عبدالعزيز محمود مصطفى جعفر ص٣٦ ط دار السلام

[23] ...

أقسام السنة النبوية عند العلامة الشيخ على الخفيف

(٢) (١٣٠٩-١٣٩٨هـ/١٨٩١-١٩٧٨م)

انتهينا فى المقال السابق الى أن كل ما جاء به محمد ﷺ بيانا لعقيدة أو تعليما لعبادة او إرشادا إلى قربة او تهذيبا لخلق أو امرا بمعروف او نهيا عن منكر او إصلاحا لمعاملة او ابعادا عن فساد او تحذيرا من سوء يعد شريعة يطلب إلى الناس اتباعها.

أما ما لا يتصل بذلك فلا يعد شريعة يطلب إلى الناس اتباعها. وإن صح أن يعد من السنة بمعناها العام. ذلك انه انما صدر منه ﷺ بحكم انه بشر على انه من الأقوال والافعال العادية المتكررة المباحة التى تدعو اليها طبيعة الانسان وغايات البشر. وإن عدَّ صدورها منه ﷺ دليلا على إباحتها. لانه ﷺ لا يقارف معصية ولا يصر عليها.

ومن هذا القبيل أمور عرض لها رسول الله ﷺ فى هذا النطاق، وفيما يلى بيان لبعضها على حسب ما جاءت به الروايات الصحيحة، نذكره للبيان والتوضيح والمقايسة:

١ - ما عرض له رسول الله ﷺ من الإشارة إلى عدم تأبير النخل، وحاجة النخل إلى التأبير من الأمور التى تعرف بالتجربة والخبرة والممارسة. وفى ذلك رأيه بعد رأيه ﷺ فيه إرشادا تجريبيا استظهره بحسب ظنه، يصيب فيه ويخطئ كغيره من الناس. ولا يعد شريعة تتبع ولا وحيا أوحى به إليه، وقد خطّأ فيه لم ينبه الوحى إلى خطئه.

ويدل على ذلك ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن رافع بن خديج. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل. فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه، فقال عليه الصلاة والسلام: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا». فتركوه فنفضت النخل. فذكروا له ذلك، فقال ﷺ: «إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر». ومعنى ذلك أنه فيما يصدر منه عن رأيه فى مثل هذا يصيب ويخطئ، وقد يكون غيره فيه أعرف به. وذلك ما تدل عليه رواية أنس - رضى الله عنه - لهذا الحديث، إذ جاء فيها أنه قال لهم: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». وجاء فى رواية جابر بن عبدالله لهذا الحديث أنه قال لهم: «إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ولكن إذا أخبرتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله».

ومدلول هذه الروايات: أن ما يصدر منه ﷺ فيما يتعلق بأمور الدنيا رأى يرتئيه وظن ظنه دفعه إليه نظره. وهو فيه كسائر البشر يصيب ويخطئ، وقد يكون غيره فى مثل ذلك - إذا عرضه له - أكثر تجربة وأعظم خبرة. ولكن التمييز بين ما يعد من أمور الدنيا التى لا يعتبر تنظيمها وتدبيرها تشريعا، وما ليس كذلك مما يعد التدبير فيه تشريعا يجب على الناس مراعاته واتباعه، فذلك ما يرجع فيه إلى النظر والاجتهاد، ومن ثم يكون الخلاف فيه بين الفقهاء، وكان من المواضيع الخطيرة الجديرة بإمعان النظر فيها.

ويؤيد ما أشرنا إليه أنه كان فى كثير من الأحوال ينزل على رأى أصحابه حين يستشيرهم فى خطة حربية، أو فى ملاقاة عدو مفاجئ، كما يعدل عن رأى يرتئيه فى ذلك إذا ظهر له صواب ما عرض عليه من رأى آخر. كما يدل على ذلك متابعته ﷺ لما رآه الحباب بن المنذر حين أشار عليه فى غزوة بدر بأن ينزل على أدنى ماء من القوم بدلا عن نزوله ﷺ بالناس حيث نزل. فقد قال له: يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه عنه أو نتأخر، أم هو الحرب والرأى والمكيدة؟ فقال ﷺ: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة». فقال الحباب: ليس هذا لك بمنزل. فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم، فإنى أعرف غزارته وصفائه فننزله ونغور ما عداه من الآبار ثم نبنى حوضا فنملؤه ماء، فنشرب ولا يشربون. فقال ﷺ: «لقد أشرت بالرأى». وانتقل الناس إلى حيث أشار. ذلك، لأن رأيه ﷺ فى مثل ذلك لا يكون له من وجوب الطاعة إلا ما لرأى غيره من الأمراء والقواد الذين يصدرون فى ذلك عن نظر وموازنة فيصيبون مرة ويخطئون أخرى، ولا يكون رأيهم دينا يجب اتباعه، وإنما يكون محلا للنقد والوزن انتقالا منه إلى ما هو أحكم وأصوب.

٢ - ما كان يعرض له من مساومات إذا باع أو اشترى إذ كان ما يطلبه من صاحبه فى أثناء ذلك أو يعرضه عليه من ثمن لا يُعد أمرا دينيا ولا حكما تجب طاعته. يدل على ذلك ما كان بينه وبين جابر بن عبدالله حين طلب إليه ﷺ أن يبيعه بعيره فأبى إذ لم يكن معه غيره، ولم ير رسول الله ﷺ إباءه هذا معصية لأمر دينى.

أخرج مسلم فى صحيحه عن جابر أنه كان يسير على بعير له قد أعيا فأراد أن يسيبه. قال: فلحقنى رسول الله ﷺ فدعا لى وضربه فسار سيرا حسنا لم يسر مثله فقال: «بعنيه بوقية»، قلت: لا. فكرر الطلب. فبعته له بوقية واستثنيت حملانه إلى أهلى، فلما بلغت أتيته بالجمل فنقدنى ثمنه، ثم رجعت، فأرسل فى إثرى فقال: «أترانى ماكستك لآخذ جملك. خذ جملك ودراهمك فهو لك».

٣ - ومن ذلك أيضا ما يجرى عادة بين الناس من طلب معونة أو تحقيق رغبة وقتية دعت إليها حاجة عارضة، كالذى كان منه ﷺ مع سلمة بن الأكوع حين أصاب امرأة من سبى فزارة فى غزوة غزاها مع أبى بكر رضى الله عنه - وكان بنو فزارة أحلافا لقريش - فاستوهبها منه رسول الله ﷺ حين عاد بها إلى المدينة فأبى، ثم استجاب بعد أن أعاد عليه الطلب.

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن سلمة

ابن الأكوع قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا[1] ثم شن الغارة فورد الماء فقتل من قتل وسبى من سبى، وأنظر إلى عنق[2] من الناس فيهم الذرارى فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بنى فزارة ومعها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر فنفلنى ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا.. فلقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال: «يا سلمة هب لى المرأة» فقلت: والله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوبا. ثم لقينى من الغد فى السوق فقال: «يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك» فقلت: هى لك يا رسول الله، فوالله ما كشفت لها ثوبا. فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففدى بها أناسا من المسلمين كانوا أسرى بمكة.

٤ ـ ومن ذلك أيضا ما يجرى بين الناس من شفاعات، ومنه أمره ﷺ بريرة حين شفع إليها لترجع إلى زوجها مغيث حين اختارت نفسها عندما عتقت وهى تحته، وعز عليه أمر فراقها فأبت معتذرة بكراهتها إياه.

أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لبريرة: «لو راجعته» فقالت: يا رسول الله أتأمرنى؟! فقال: «أنا أشفع» فقالت: لا حاجة لى فيه.

٥ ـ ومن ذلك ما كان يشير به فى معالجة بعض الأمراض، فقد كان لا يصدر منه شىء فى ذلك عن وحى يجب اتباعه، إذ لم يبعث إلى الناس طبيبا يطب أجسامهم ـ وإن بعث إليهم طبيبا يطب نفوسهم وأرواحهم ـ وإنما كان يشير بالعلاج وبالدواء لتجربة مارسها أو لمعرفة اكتسبها من بيئته.

أخرج أبو داود عن أسامة بن شريك قال: أتيت النبى ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت وقعدت، فجاء الأعراب من هنا وهنا فذكروا له المرض وقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال لهم «تداووا فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم».. وكان ﷺ يعود المرضى من أصحابه ويبعث إليهم بالطبيب، وذلك ما يدل على أن ما كان يشير به ﷺ فى بعض الحالات من دواء أو علاج لم يكن شريعة وإن كان السبب للشفاء، بناء على تجربة أو ظن. وليس ببعيد أن يكون شىء من ذلك قد صدر منه عن وحى. وإذا حدث فلا يكون من قبيل التشريع وإنما يكون إرشادا ورحمة دون أن يقتضى قصر الشفاء على ما أشير به، وأنه لا شفاء فى غيره، ودون أن يقتضى وجوب المعالجة به دون غيره، ولا الشفاء به فى مريض آخر.

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: إن أخى يشتكى من بطنه فقال له ﷺ: «اسقه عسلا» ثم أتاه الثانية فقال له: «اسقه عسلا» ثم أتاه الثالثة فقال: فعلت ومازال يشكو. فقال له ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقه عسلا» فسقاه المرة الرابعة فبرأ، وما جاء فى الحديث من قوله ﷺ: «صدق الله» قد يكون إشارة إلى قول الله ـ تعالى ـ فى سورة النحل:

[illegible] (النحل : ٦٩)

وأنه ﷺ أراد الدعاء له بأن يشفى بالعسل بعد أن لم يفد شربه له أكثر من مرة فاستجاب الله دعوته، ولا يمكن أن يكون لها دلالة على أن العلاج بالعسل فى هذه الحال كان وحيا وإلا ما تخلف الشفاء لأول مرة شرب العسل.

٥ ـ وكذلك الحال فى لباسه ﷺ من حيث هيئته وصورته وكيفيته وتأليفه، وفى طعامه العادى من حيث نوعه وطعمه وطريقة تناوله فمرجع ذلك إلى عادات قومه، ومقتضيات وطنه ومتطلبات جوه ولو عاش رسول الله ﷺ فى بلد آخر غير جزيرة العرب، أو فى جو آخر، أو كان من غير العرب، لتغير لباسه وطعامه تبعا لذلك.. وما كان الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ يحيون على طعام واحد ولا على لباس واحد، وإنما كانوا فى ذلك على مثال أقوامهم، ألا ترى أنه ﷺ حين قدم إليه لحم الضب عافه ولم يأكل منه، فلما قيل له: أحرام هو. قال: «لا. ولكن لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه»، ويقول خالد بن الوليد فى روايته لهذه الحادثة فيما أخرجه البخارى: فعند ذلك اجتررت هذا اللحم فأكلته والرسول ينظر إلىّ ولا ينهانى.

فمثل هذه الأمور وما يشبهها من هيئات جلوسه ونومه ومشيته وطريقة حديثه وتناوله طعامه كان ﷺ مما يفعله بمقتضى عادته وطبعته وكونه بشرا يحيا حياة قومه ويعيش عيشتهم ويتقلب متقلبهم. ولم يكن فيها شارعا، ولا تعد أعماله فيها شرعا يؤخذ الناس باتباعه فى كل زمان ومكان وبيئة. وما قد يروى فى هذا النوع من أمر أو طلب أو نهى. فإنما هو مجرد إرشاد إلى الحفاظ على التقاليد القومية والعادات المرعية التى يكون لها حسنها وخيرها فى بيئتها. بينما قد يكون لها عكس ذلك فى بيئة أخرى. وذلك، مادام لم يتبين أن أمره ﷺ بشىء من ذلك لم يكن للحفاظ على خلق أو مروءة أو لتحسب فساد أو ضرر أو إثم.

وجملة القول فى ذلك كله أنه ﷺ كان يجمع بين عدة صفات، أو يقوم فى عدد من المقامات والمراكز، فقد كان ﷺ بشرا، إنما يمتاز عن سائر البشر باصطفائه والإيحاء إليه ثم كان إلى ذلك رسولا إلى الناس مبلغا دينهم وداعيا إلى الله سبحانه وتعالى، وكان فى الوقت نفسه زعيما ورئيسا ووليا بحكم زعامته الدينية وولايته العامة، وكان لذلك قاضيا يفصل فيما يرفع إليه من الخصومات. وكان قائدا، له قيادة الجيوش وبعثها وتدبير أمورها. وكان له فى كل هذه المراكز أقوال وأفعال وتدبيرات وسياسات صدرت منه بحكم مركزه ومقامه الذى كان يقومه. فما صدر منه من ذلك بوصف أنه رسول مبلغ لما أوحى إليه فذلك ما يجب اتباعه. ويعد شريعة باقية إلى يوم القيامة، وذلك كان يبين مجملا فى الكتاب أو يخصص عاما أو يقيد مطلقا أو يفصل عبادة أو يأمر

(١) [illegible]

(٢) أى جماعة

بواجب أو ينهى عن منكر.

وما صدر منه بوصف أنه والٍ أو قائد واجب الطاعة في محيطه، وفي ظرفه، وفي بيئته، وحين تتماثل الأمور، وليس بالشريعة الدائمة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتخالف، لأن مثل ذلك إنما صدر ليكون وسيلة إلى غاية خاصة وهدف معين اقتضاه الوضع والزمن وتطلبته المصلحة، فإذا تغيرت الأوضاع وتطور الزمن واقتضت المصلحة تبديلاً أو تغييراً، كان ذلك ما يتسع من ناحية أنه أصبح السبيل إلى الغاية المرجوة. ويتناول ذلك ترتيب المصالح وتنظيمها وتنويعها وطرائق قيامها وطريقة جمع الأموال وحسن توزيعها وصرفها في مصارفها، وتأليف الجيوش وتسليحها وتدريبها وما إلى ذلك من المصالح العامة التي لم يكن لها على عهد رسول الله ﷺ سوى وجود بدائي يناسب الحال في عهده.

وما صدر منه ﷺ بوصف أنه قاضٍ كان له جانبان: جانب يعد من قبيل التشريع الواجب الاتباع، وذلك يتمثل فيما قضى به رسول الله ﷺ من حقوق رتبها على أسبابها الشرعية التي استوجبتها، فكان شريعة ماضية يقضى بها في كل حادثة، ويفتى بها عند كل استفتاء، متى تحقق السبب الذي استوجب الحق. وجانب آخر لا يعد قضاؤه فيه إلا عملاً إجرائياً تنظيمياً إدارياً يؤسس على التوثيق أين يوجد الحق. وهذا يعتمد على الظاهر الذي يبدو وعلى ما يقدم من وسائل الإقناع، ويتمثل في اختصاص أحد الخصمين بالحكم له دون صاحبه، وذلك لظهور أن الحق في جانبه لتمكنه من الإقناع من يسمعه، لأنه ألحن بحجته وأقدر على البيان والتأثير من صاحبه، وقد لا يكون الحق مع ذلك في جانبه. وفي ذلك ما روى عن أم سلمة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه. فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار». رواه أبو داود، وفي رواية: «إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي».

ولما ينبغي مراعاته أن قضاءه ﷺ مع ذلك يجب أن يكون محل تسليم ورضا من الخصمين إيمانا بنزاهته واتباعا لما ظهر له من حق قام لديه دليله بحسب ما سمع وظهر له. ولا يجوز أن يحدث حرجا في النفوس. وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾

(النساء: ٦٥).

وأود أن أشير في هذا المقام إلى أمر هام، هو أن الجانب التشريعي من قضائه أو من فتاويه، هو إلى تطبيق ما نزل عليه على الوقائع والحوادث أقرب، وأن ذلك لا يتم إلا مع مراعاة ظروف الحادثة المعروضة وملابساتها وتفاصيل العادات والأعراف. فإن للعرف والعادة أثرهما في معاملات الناس وتصرفاتهم إطلاقا وتقييدا، وإجازة ومنعا. ولا يتم العدل في القضاء ولا الإصابة في الفتيا إلا بمراعاة ذلك وملاحظته. وهذا ما لا يصح أن يكون محلاً لريبة أو شك.

وبناء على ذلك فإن قضاءه ﷺ أو فتياه في حادثة معينة عرضت عليه قضاء أو رأي روعي فيه ظروفها على ما بينا، ومن ثم ذكر العلماء أن ليس لهذا القضاء عموم، ووصفوه بأنه واقعة حال لا عموم لها، ومن هنا يجب على الراوي الذي يقوم برواية مثل هذا، أن يكون شديد الملاحظة ملما بظروف الحادثة عالما بملابساتها وألا يغفل في روايته إياها ما يدل على ذلك مهما رآه أمراً ظاهراً واضحاً، إذ قد يخفى هذا الظهور بمضي الزمن وتغير العادات وتطور الأحداث، وهذا ما يضع تطبيق قضائه وفتاويه ﷺ موضع النظر والحذر والتثبت من المماثلة بين ما عرض على الرسول -صلوات الله عليه- وما أريد الحكم له حتى لا يقضى في شيء بغير ما قضى به رسول الله ﷺ.

ألا ترى أنه ﷺ حين سأله شاب عن تقبيل زوجته وكان ذلك السائل شابا أجابه بالمنع وحين سأله آخر وكان شيخا أجابه بأن لا حرج. ولم يكن اختلاف الإفتاء إلا مراعاة حال السائل فأراد بالمنع، إلى سد الذريعة بالنظر إلى السائل الأول ولم تكن هناك حاجة إلى ذلك بالنظر إلى السائل الثاني، ويجب أن يراعى أن ما أشير إليه من ذلك لا وجود له في قيامه ﷺ ببيان الكتاب، إذ لم يجيء الكتاب إلا ببيان الأصول العامة والأسس الكلية الواجب مراعاتها في كل زمان ومكان وفي كل أمة. وبهذا البيان يتحدد ما يعد من السنة شريعة باقية واجبة الطاعة لا انحراف عنها في استنباط الأحكام.

ما نيط بالسنة

لبيان السنة التشريعية هدفان:

- أولهما: بيانها القرآن، فقد فصلت أحكامه، وبينت مجمله، وخصصت عامه، وقيدت مطلقه، ووضحت مشكله. ويتجلى ذلك في الصلاة والزكاة والحج من حيث البيان، وفي الوصية من تقييدها بالثلث، وفي بيان ما أحل الله من النساء بعد ذكره المحرمات في قوله تعالى:

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾

(النساء: ٢٤)

من حيث تخصيص ذلك بحرمة الجمع بين المرأة وعمتها ونحو ذلك، وتخصيص قوله تعالى:

﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه﴾

(الأنعام: ١٤٥)

بتحريم لحم الحمر الأهلية.. وهكذا.

- وبهذا النظر كانت السنة في منزلة تلي منزلة القرآن، إذ كان القرآن أصلاً لها وكانت تابعة له ومبينة والمبيَّن يتبع المبيِّن والمفسَّر يتبع المفسِّر، ثم تلا ذلك أن أصبحت السنة مصدراً ظنياً، بينما بقي القرآن على قطعيته. والقطعي مقدم على الظني.

إن السنة والقرآن كلاهما مصدر للشريعة أسست عليهما أحكامها. وما كان كل منهما

إلا وحيًا أوحاه الله إلى رسوله ولم يكن ﷺ ينطق فيهما عن الهوى وكانت طاعته فيهما طاعة لله ومعصيته فيهما معصية لله

﴿ [illegible] ﴾ (النساء: ٨٠)

﴿ [illegible] ﴾ (النساء: ٥٩)

ولم يكن وجوب الطاعة فيما نزل قرآنا بأوثق وآكد من وجوبها فيما نطق به رسول الله ﷺ سنة. وقد كانت السنة في عهده ظهيرا للقرآن، تفسره وتبينه على ما ذكرنا. دون أن يعد ذلك خلافا لما أنزل الله، بل تحديدا له وتصريحا. وليس أدل على هذه المظاهرة والمساندة من رجمه ﷺ الزاني مع نزول الآية بجلده، ومن تجويزه للمسح على الخفين مع نزول آية غسل الرجلين. وعلى هذا كان المصدران في زمنه ﷺ متظاهرين غير متعارضين ولا متخالفين، ينسخ آخرهما أولهما عند التعارض وعدم إمكان الجمع. وبذلك يظهر انتهاء زمن الأول منهما بظهور الآخر منهما. وعلى هذا كانا من ناحية وجوب الطاعة في درجة واحدة، وذلك لا ينفي، ولا يتعارض مع جعل القرآن أصلا للسنة من ناحية اشتماله على أصول الدين وقواعده الكلية التي يجب أن تدور السنة في فلكها.

وليس في حديث معاذ -رضي الله عنه- حين جاء فيه أنه عند القضاء في حادثة، ينظر أولا في كتاب الله، فإذا لم يجد نظر في السنة، وأن رسول الله ﷺ قد أقره على ذلك - معارضة لما ذكرنا؛ إذ المعنى فيه أنه حينما ينظر في كتاب الله بحثا عن الحكم، ينظر في الوقت نفسه إلى ما يبين له هذا الكتاب، وهو السنة، عسى أن يكون فيها بيان ما يدل عليه الكتاب فيما هو بصدد البحث عنه، حتى يكون ما يصل إليه هو طلب بالكتاب وأريد منه، وإلا كان ما قد يصل إليه غير ما جاء به الكتاب. وما كان الاقتصار على أحدهما في تعرف حكم من الأحكام إلا حيث يخلو من بيانه الآخر. ومن ثم فليس بينهما في عهد رسول الله ﷺ من تفرقة إلا من حيث أريد الإعجاز والتحدي بأحدهما وانحصاره دالا على رسالة رسول الله دون الآخر.

ولكن الوضع بعد وفاة رسول الله ﷺ قد تغير؛ إذ لم يعد في الإمكان القطع بصحة ما نسب إلى رسول الله ﷺ من قول أو فعل بعد أن كان ذلك ميسورا في زمنه بالرجوع إليه واقتصر الأمر على روايات تروى وأقوال أو أفعال تنسب إليه ﷺ دون أن يقوم في أكثر الأحوال دليل قطعي على صحة ذلك، بينما ظلت للقرآن قطعيته بسبب ما حيط به من وسائل حفظه، والتثبت منه على أوضاع شتى حفظت له قطعيته إلى اليوم، وكان من نتيجة ذلك أن القرآن الكريم ظل مقطوعا به جملة وتفصيلا، بخلاف السنة فإنها وإن بقيت لها قطعيتها بالنظر إلى جملتها فقد أصبحت مظنونة بالنظر إلى ما تتكون منه من أحاديث، عدا المتواتر منها وهو قليل، وكان أكثرها ظنيا وبذلك انخفضت منزلتها من ناحية الوثوق بها تفصيلا عن منزلة القرآن. وكان القرآن مقطوعا بوروده عن الرسول جملة وتفصيلا، وكانت السنة مقطوعا بورودها عن الرسول جملة، مظنونة الورود عنه تفصيلا، إلا بالنسبة إلى المتواتر.

وعن هذا ثار الخلاف بين الفقهاء عند التعارض بينهما وعدم إمكان الجمع، أيجوز نسخ أحدهما بالآخر؟ وماذا يعد بيانا وماذا يعد نسخا، ومتى يصلح الحديث مبينا ومتى لا يصلح، وهو خلاف مشهور لا يتسع الوقت لتفصيل القول فيه.

وجوب العمل بالسنة

ليس في وجوب العمل بالسنة بعد أن يتبين أنها سنة صدرت من رسول الله ﷺ نزاع إذ العمل بها واجب بصريح القرآن الكريم، وذلك على أوضاع مختلفة وأساليب متعددة ودلالات متنوعة مما ثبت هذا الوجوب ووثقه وأكده.

وقد بينا أن السنة من حيث جملتها مقطوع ورودها عن رسول الله ﷺ. ومن ذلك كان وجوب العمل بها، واعتبارها مصدرا للتشريع أمرا لا ريبة فيه. ولكن الأمر يختلف بالنظر إلى ما روي منها على وجه التفصيل: فمنها المتواتر وهو ما رواه عن رسول الله ﷺ جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، ثم رواه عن هذا الجمع مثله وهكذا إلى أن وصل إلينا بالتدوين الذي لم يقاربه شك وتوافر له جميع شروط الاستيقان، وذلك ما يجب العمل به لقطعيته.

ومنها ما لم يتواتر، ومنه الصحيح وغير الصحيح. فالصحيح ما رواه عن رسوله ﷺ العدل الضابط الثقة الحافظ إلى آخر ما ذكر من شروطه ورواه مثله عنه، وهكذا إلى أن وصل إلينا، ولم تتوافر فيه شروط التواتر، وما شرط فيه من شروط يورث توافرها فيه ظنا راجحا بصحة وروده عن رسول الله ﷺ وجب العمل به أيضا لقيام الدليل القطعي على إناطة التكليف بغلبة الظن دون القطع. وليس إناطة التكليف بغلبة الظن محلا للنزاع، وبيان ذلك وتفصيل القول يعرف في موضعه من كتب أصول الفقه.

أما غير الصحيح وهو ما لم تتوافر فيه شروط الصحة فمنه الضعيف. ولا يعمل به في التشريع، ولا تجب فيه الطاعة، ولا يعد ما يحويه شريعة لانعدام غلبة الظن بصحته. وإنما يعمل به في فضائل الأعمال عند بعض العلماء، وخالف في ذلك آخرون إلى القول بأنه إذا عمل به كان ذلك على أساس أنه حكمة لا حديث عن رسول الله ﷺ. ومنه ما هو دون ذلك وهو الموضوع وذلك لا يعد بتاتا من السنة، ولا يجوز العمل به مطلقا وواضعه كاذب يتبوأ مقعده من النار.

وقد ذكرنا أنه لم يكن لهذا النوع ظهور على عهد رسول الله ﷺ؛ وذلك لتيسر الرجوع إليه فيما يشك في نسبته إليه. فكانت السنة مقطوعا بها على التفصيل. ولم يدم ذلك بعد وفاته بل اختلف الحال، إذ لم يكن من سبيل إلى الاستيثاق من حديث بالرجوع إليه إذا ما بدا الشك أو التردد. ولم يكن كل راو محلا للثقة والاطمئنان، فبدأ الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة يستوثقون من الرواة ويطلبون منهم ما يؤيد رواياتهم من شاهد أو يمين. وقد لا يطلب ذلك من بعض الرواة لما له من الصحة والعلم والثقة ما يغني عن مطالبته بمثل ذلك.

ولو تيسر لأصحاب رسول الله ﷺ أن يعنوا بالسنة وحفظها العناية التي تجنبها الزيادة فيها والنقص منها والتغيير وإدخال ما ليس منها عليها، وعلى الجملة، تجنبها

الريب والشبهات، وأن تظفر منهم بما ظفر به القرآن كتابة وتدوينا وحفظا وتلقينا ومراجعة ومدارسة ما كان للسنة فيها وجود، ولكان ما يعد منها شريعة واجبة الطاعة معروفا لا اختلاط له بغيره، وما وجد فيه ما يلاحظ فيها الآن من تعارض، ولم يقع خلاف في الناسخ منها والمنسوخ؛ ولكن ذلك لم يتيسر لأسباب شتى. فظلت السنة لا طريق لحفظها إلا صدور بعض أصحاب رسول الله ﷺ على مقادير مختلفة باختلافهم، إذ كانت موزعة بينهم يعرف منها بعضهم ما لا يعرفه الآخرون، ويحفظ منها بعضهم ما لا يحفظه غيرهم.

ثم تم تدوين تدوينها بشيء أن يوصف بأنه تدوين علمي منظم قائم على التحري والبحث الدقيق إلا في أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني، وذلك بعد أن أدخل فيها الوضاعون ما أدخلوا، وبعد أن ظلت قرنا عرضة للنسيان أو للعبث بعضها بوفاة حفظته، أو للزيادة فيها والتغيير والنقص بسبب ما قد يراد من اختصار أو يراد من شرح وتفسير أو نتيجة لسوء الحفظ فيما لم تتعدد طرقه، مما اقتضى من رجالها جهدا عظيما مشكورا دائبا لم يلحقه كلل ولا ملل في تخليصها من كل ما شابها وعلق بها. ولقد وصلوا في ذلك إلى ما لم تصل إليه أية أمة من الأمم، ولكن ذلك لم يحل دون اختلاف الأقطار اختلافا كان من نتائجه اختلاف عظيم في الأحكام.

ونتيجة ما تقدم وجوب العمل بالحديث المتواتر، وبالحديث الصحيح غير المتواتر.

أما المتواتر فللقطع بوروده عن رسول الله ﷺ كما تقدم، وأما الصحيح الذي لم يتواتر فلغلبة الظن بوروده عنه ﷺ وذلك كاف في إيجاب العمل على من قام به، وذلك كما قدمنا، وكذلك على من قلده. وليس يقدح في غلبة الظن أوهام وشبهات واحتمالات لا تقوم على دليل ولا تستند إلا إلى مجرد الجواز العقلي، وإلا امتنع العمل بالسنة بتاتا، وهذا فضلا عن أن قيام الدليل القطعي على إيجاب العمل بغلبة الظن. ينبغي ألا يكون لشيء منها لأوهام اعتبار لوجودها في كل عهد وفي كل حال دون أن يحول وجودها من وجوب العمل عند وجود الظن الغالب.

هذا ومما يجب ملاحظته أن وجود حديث معين يرى أنه موضوع مدسوس لا يترتب عليه الطعن في غيره ولا في السنة جملة، كما يجب أن يلاحظ أن وزن كلام رسول الله يجب أن تكون مقاييسه فوق مقاييس كلام الناس، فللرسول صلوات الله عليه عصمته بربه وصفاء روحه وعلمه ومعرفته وبصره وصلته بالوحي مما يجعله في مستوى إذا تكلم أو حكم فوق مستوى الناس.

أما الحديث الضعيف فقد اختلف الرأي فيه، فمن الفقهاء من ذهب إلى جواز العمل به في فضائل الأعمال، ومنهم من لم ير ذلك من حيث هو حديث.

هذا ما أردت بيانه في هذا الموضوع والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل [٣].

---

(٣) [illegible]

منهج السنة في الاعتدال والوسطية (٢)

وسطية العقيدة



تعني وسطية العقيدة أنها عقيدة خيرة، سمحة واضحة، مستقيمة عادلة، لا اكراه فيها، ولا تعقيد، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد. ويؤمن العباد فيها ايمانا لا تمثيل فيه ولا تعطيل؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وكما تتجلى وسطية العقيدة في عدم التمثيل والتعطيل في الصفات فانها تتجلى أيضا في الايمان بالقدر فترى أهل السنة لا يقولون إن الانسان مجبور على عمله، ولا ينكرون القدر، وانما وقف أهل السنة والجماعة الموقف الوسط، فيؤمنون بالقدر خيره وشره ولا ينفونه، وفي الوقت نفسه لا يقولون بأن الانسان مجبور على كل الاعمال مسلوب الإرادة.

إنهم يثبتون أن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويؤمنون أيضا بأن للعبد قدرة واختيارا، فيقفون موقف وسطا بين الذين ينفون اختيار العبد، والذين ينفون القدر، فيؤمنون بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ويؤمنون بأن للعبد قدرة واختيارا.

كما تتجلى وسطية العقيدة بعدم الإغراق والتوسع في الإيمان بكل شيء سواء أكان حقا أو غير حق، قام عليه دليل أو لم يقم، وبين عدم الركون إلى الماديين الذين يقولون بحياة مادية، ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات والتي يدركونها بحواسهم، فلا يؤمنون بالغيب ولا بما قامت الأدلة على وجوب الإيمان به، وإنما يؤمنون بالغيب وبما جاء به القرآن الكريم والسنة الصحيحة

﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

(آية ٣ سورة البقرة)

وتتجلى وسطية العقيدة في الإيمان بالملائكة، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون.

فلا ننزلهم عن مكانتهم كما فعل بعض الغالين ممن حقروهم وقالوا عنهم إنهم إناث، ولا مغالاة في شأنهم كالذين عبدوهم وألهوهم، فكلا الفريقين على خطأ، وإنما هم عباد الله خلقهم لمهمة سامية وجعل لهم وظائف كلفهم بها فمنهم ملك الوحي ومنهم ملك الموت ومنهم حملة العرش ومنهم السياحون في الأرض ومنهم الحفظة إلى آخر الوظائف التي خلقوا لها.

وفي الإيمان بالرسل تتجلى الوسطية في عدم الغلو في الإيمان بهم، كمن غالى حتى ألههم ولا نفرط فنساويهم بسائر الناس، بل إنهم معصومون ويوحى إليهم من ربهم، فالذين قدسوا الأنبياء وعبدوهم ورفعوهم إلى مرتبة الألوهية على باطل، والذين كذبوهم أو قتلوهم كبعض الأمم السابقة على باطل، فالأنبياء بشر ولكنهم يتميزون بالوحي الإلهي لهم وبعصمتهم قال الله تعالى

• ... فليتوكل المؤمنون •

(آية ١١ سورة إبراهيم)

وقال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» رواه أحمد والبخاري والدارمي

وجملة القول أن دعوة الإسلام إلى العقيدة الحقة التي نؤمن فيها بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا، دعوة فيها التوحيد الإسلامي، وليس فيها الإكراه عليها، كما قال الله تعالى

• لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي •

(آية ٢٥٦ – سورة البقرة)

الوسطية في العبادة

من العبادات التي تتجلى فيها الوسطية: الصلاة، فليست كثيرة شاقة ولا قليلة لا تترك أثرا، بل هي خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا تعارض بين أدائها وبين العمل في الحياة، والسعي في الرزق، فالمسلم يعمل ويكدح، ويسعى، فإذا نودي للصلاة، أجاب ثم يعود إلى عمله.. وهكذا فهو يعمل لدنياه ويعمل لآخرته وفي يوم الجمعة يقول الله تعالى

• يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون •

(الآيتان ٩، ١٠ – سورة الجمعة)

ولا تستغرق مساحة كبيرة من اليوم، وإنما حددها رب العزة سبحانه في مواقيت معينة دون إفراط ولا تفريط، ولا مشقة في أدائها ولا حرج

• لا يكلف الله نفسا إلا وسعها •

(آية ٢٨٦ – سورة البقرة)

وقال سبحانه تعالى:

• فاتقوا الله ما استطعتم •

(آية ١٦ سورة التغابن)

وفي أداء الصلاة والقراءة فيها لا يجهر بها ولا يخافت، كما قال الله تعالى:

• ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا •

(آية ١١٠ – سورة الإسراء)

وألا يؤدي صلاته بسرعة دون طمأنينة، ولا يطيل بالمصلين إذا كان إماما إطالة تشق عليهم، بل عليه أن يؤدي صلاته بكامل أركانها مطمئنا بها خاشعا لله وألا يطيل بالناس.

وعندما أطال معاذ في صلاته، شكا منه بعض المسلمين قال له الرسول ﷺ «أفتان أنت، قالها ثلاث مرات، ثم قال: فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة» رواه أحمد والجماعة.

وقد وجه الرسول ﷺ بعض الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم بعد أن سمعوا موعظته وجههم إلى الوسطية وعدم المغالاة

عن أنس – رضي الله عنه – أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه مسلم.

وقد أمرنا الله تعالى أن نقتدي برسول الله ﷺ حيث قال

• لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا •

(آية ٢١ – سورة الأحزاب)

وهكذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه – وهو الأسوة الحسنة والنبي المعصوم المقتدى به – يحث على الوسطية وينهى عن المغالاة والتشدد، وقد قال رب العزة سبحانه

• ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة •

(آية ١٩٥ – سورة البقرة)

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون» وهم المتعمقون الذين يتشددون في غير موضع التشديد، والحديث رواه مسلم

إن راحة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها، حتى ولو كان ما يأتيه الإنسان عملا من أعمال العبادة، فالإسلام يدعو الإنسان إلى إعطاء جسده قسطا من الراحة، ليستطيع القيام بأعماله وعباداته.

عن أبي ربعي حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟، قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات (أي: مارسنا ولاعبنا) نسينا كثيرا، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يارسول الله، فقال ﷺ: وما ذاك؟ فقلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو

تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة» رواه مسلم.

تلك هي رحمة الإسلام شرعها الإسلام وجعل تعاليمه تنادي إليها وتحرص عليها.

وكما نلاحظ الوسطية في الصلاة نلاحظها أيضا في الزكاة فلم تفرض في كل وقت، ولكن

﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾

(آية ١٤١ - سورة الأنعام)

وعند بلوغ النصاب وفي النقدين بعد مرور حول، وإذا كان الجهد المبذول أكثر كان ما يدفع أقل، وإذا كان الجهد أقل كان ما يدفع أكثر فما سقي من الزروع والثمار بماء السماء أو بدون آلة أو تعب ففيه العشر، وما كان بتعب أو آلة ففيه نصف العشر، وما كان فيه تعب أكثر وجهد أكثر ففيه ربع العشر كزكاة النقدين وعروض التجارة، وما جاء بلا تعب كالركاز ففيه الخمس.

وإذا نظرنا إلى الصيام وجدنا أنه يرخص بالفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع، وعليهم القضاء بعد ذلك، وأن الحج إنما يجب مرة واحدة في العمر كله وهو على المستطيع.

وهكذا نرى أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج. قال تعالى

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وقال الله سبحانه:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج: ٧٨)

كما قال الله تعالى

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

إن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا

بين سلمان وأبي الدرداء

قال الإمام البخاري - رحمه الله -: «حدثنا محمد بن بشار، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان» رواه البخاري.

في هذه القصة عدة دلالات على وسطية الإسلام وعلى دقة التشريع السماوي، حيث كفل الحقوق التي يجب أن يراعيها الإنسان المسلم، فهناك حق الله تعالى الذي يجب على الإنسان أن يؤديه، وهناك حق الناس على الإنسان يجب أن يقوم به، وهناك حق للنفس على صاحبها يجب أن يتنبه إليه، وأن يعطي كل ذي حق حقه، بحيث لا يشغله جانب على آخر، وبحيث لا يقصر في حق على حساب الآخر.

ونفهم من هذه القصة سببا من صورة المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ، وقد ذكر أصحاب المغازي أن المؤاخاة بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قد وقعت مرتين: الأولى قبل الهجرة بين المهاجرين، خاصة على المواساة والمناصرة، فكان من ذلك أخوة زيد بن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب، ثم آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد أن هاجر، وذلك بعد قدومه المدينة فأرسى منهج الوسطية الاستمرار.

وهذا نموذج لأخوين ممن آخى بينهم رسول الله ﷺ، وهما سلمان وأبو الدرداء، لقد ربط الإسلام بينهما برباط وثيق، فكانا يتناصحان على الخير، ويوجه أحدهما صاحبه إلى طريق الإسلام وهداه، وإلى ما ينبغي أن يكون على الإنسان المسلم من أداء حق ربه سبحانه وتعالى، وأداء حق نفسه وحق أهله. ولقد زار سلمان أبا الدرداء فوجد امرأته رثة الهيئة، متبذلة، تلبس ثياب المهنة، تاركة للبس ثياب الزينة.

فقال لها: ما شأنك؟، وفي رواية الترمذي، يا أم الدرداء «متبذلة؟» فأجابته قائلة: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، وذلك لأنه يجهد نفسه في العبادة، ويعرف عن طيبات الحياة، وعن التمتع بزينتها الحلال، ويعزف عن النساء.

ولما جاء أبو الدرداء، وصنع لسلمان الطعام، وقدمه إليه ليأكل، قال له سلمان: كل، فقال أبو الدرداء: إني صائم، ورأى سلمان - وهو الضيف - أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه، وهدفه من وراء ذلك أن يصرفه عن رهبانيته التي يسير عليها فيما يصنعه من إجهاد نفسه في العبادة، وفي غير ذلك مما شكته إليه امرأته، لقد قال سلمان له: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، وهذه ناحية من النواحي التي كان يلزم بها نفسه، وذلك بالصيام.

وهذه ناحية أخرى، وهي قيام الليل، إنه كان يأخذ بالقيام ولا يعطي جسده قسطا من الراحة، ولا يعطي نفسه حقها في النوم، ولا يعطي أهله كذلك، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، وبهذا التصرف العملي أراد سلمان توجيهه إلى ما ينبغي أن يتبعه من حق الله وحق نفسه وحق أهله، وعندئذ واجهه بالحقيقة وأرشده إلى ما يحسن اتباعه قائلا له: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.

إن مقاييس التقوى والخوف من الله، ليست بأن يكلف العبد نفسه ما لا طاقة لها به، وليست في الانهماك في العبادة، فقد يورث هذا عدم الاستمرار أو التقصير في الحقوق الأخرى ويقطع على الإنسان مواصلة السير في الطاعة، ولكن مقياس الخشية والطاعة في المداومة، وفي الإقبال على العبادة بمحبة ورغبة، وتذوق حلاوة الإيمان، ولما ذكر أبو الدرداء ذلك لرسول الله ﷺ قال له: «صدق سلمان».

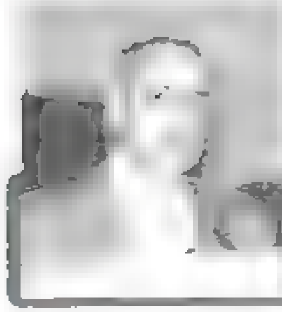
وفي رواية الترمذي وابن خزيمة: «ولضيفك عليك حقا»، وعند الدارقطني: «فصم وأفطر وصل ونم، وائت أهلك».

إن الإسلام دين اليسر فلا عسر فيه، إنه دين الرحمة فلا حرج معه

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾

(البقرة: ١٨٥)

المسئولية المجتمعية للمرأة المسلمة



أ.د. محمد الشحات الجندي
عضو مجمع البحوث الإسلامية

نحسب أن الجدل حول مسلمات شرعية وحقائق مجتمعية من غير التوصل إلى وفاق حول مراد الشرع وصالح الجماعة يعد من قبيل اللغو والسفسطة ومذمة في القول والخطاب. وإثارة الشبهات والشكوك في قضايا حسم أمرها، واستقرت في الوجدان والضمائر السليمة.

يتبادر إلى الذهن ذلك بمناسبة التكرار في الاختلاف حول أحقية المرأة وجدارتها في المشاركة في التنمية بنصيب مناسب بحاجة المجتمع، وتشعر فيه بذاتها واستحقاقها الكرامة الإنسانية الكاملة كالرجال، باعتبارهما نوعان جنس واحد لا يستقيم أمر الجماعة بدون جهودهما معا، كل بقدر طاقته واستعداده. مصداق لقوله تعالى

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

(النساء: ٣٢)

تأسيسا على ذلك نطلق من الحقائق المشاهدة والملموسة، منها أن المرأة نصف المجتمع، ومصدر الخصوبة والنماء فيه، فهي وعاء الثروة البشرية، ومنجبة الأجيال، ومهد الطفولة والذرية، ومحضن التربية والتهذيب وصانعة الرجال، ونبع الأمومة، فهي المعلمة الأولى، فلا غرو أن تكون كما قال الشاعر

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

وبسبب طبيعتها وما تتمتع به من العطف والحنو، فقد تعرضت عبر مسيرة البشرية لصنوف من الأذى والاضطهاد، وقد نهى الإسلام عن ذلك، فقد بوأها الإسلام مكانة رفيعة تعلو بها على الأب وتسبق منزلته، وشدد عليه في حديث الرسول (ﷺ) بقوله: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات، ووأد البنات»[1]

أما إكرام الأم والأب، والإحسان إليهما، والبر بهما، فهو فريضة وواجب شرعي، انتظم في عقد فريد مع فريضة عبادة الله، وعدم الإشراك به، اهتماما بأمرهما، والتزاما بحقهما في التكريم والرعاية، وهو ما جاء في مواضع عدة، نخص منها قوله تعالى

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ٢٣)

لكن الأم خصصت بمقعد أعلى، والمكانة الأوفى، فقدمت على الأب في الصحبة، ووجب لها الرعاية والتكريم، لما لها من عظيم الدور في مراحل الحمل والوضع والتربية والتهذيب، وهو ما علمه الصحابة وأيقنوه عندما سأل رجل الرسول (ﷺ) «من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»[2] رواه البخاري، متفق عليه.

وليس تكريم المرأة قاصرا على حالة الأمومة، وإنما يعم وجود المرأة في كل مراحل حياتها، طفلة أو فتاة عند الأب والأم، ومع الزوج، وفي المجتمع. لكن مما يسترعي النظر أن يوجد من بين المسلمين من يبخس منزلتها ويقلص دورها، ويهمش وجودها، ويحملها شخصية منقوصة، تخلط بها المفاهيم المغلوطة، تتعلل بمطلق منقبة في تقدير وعيها، وإضعاف قدرتها، وحصرها في دائرة شخصية الرجل، وأن تكون ظلاله لا تبرح مكانها، وليس في مكنتها أن تتحمل مسئولية اجتماعية، ولا تتمتع بشخصية قيادية، لضعف في تكوينها وقصور في عقلها، وأنها لا تقدر على فعل شيء بسبب حاجتها إلى الرجل ودورانها في فلكه، وتبعيتها له، تدثرا عبر سياق النصوص وعدم تحري المصلحة العامة

ومن الطبيعي أن يكون للمرأة، وقد وضعت في الموضع الذي يحفظ لها حقها كأم وبنت وزوجة وأخت وعمة، أن يقرر الشرع مسئوليتها عما تقوم به، وفي نطاق الدور الذي عهد به إليها، فقد أناط بها الإسلام وعهد إليها بالمسئولية وقرن مسئوليتها جنبا إلى جنب الحاكم والرجل، فقد روي عن الرسول (ﷺ) «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[3].. وقد نص الحديث على أبرز عمل في نطاق المسئولية الاجتماعية، كما يفتح الباب أمام القيام بأعمال أخرى، إعمالا للقاعدة الأصولية: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وهو ما يوسع من مدى مسئوليتها ويمتد بها إلى آفاق وميادين تتجاوز الدور المعترف لها به على نطاق الأسرة وفي دائرة الأمومة والطفولة

معالم الصورة وأبعادها تتحدد في الدور المجتمعي للمرأة

تموج الساحة العربية بالعديد من الأفكار والأطروحات حول تقرير الدور المجتمعي للمرأة واضطلاعها بمسئوليات شأنها شأن الرجل، أو الاعتراف لها بهذا الدور وقدرتها على القيام به، وهو جزء من الجدل حول حق المرأة المسلمة في صنع مصيرها، وتفعيل وجودها وأهمية دورها في عملية التنمية المجتمعية في مختلف المجالات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ومهما كان اختلاف الرأي والتباين بين

---

(١) حديث متفق عليه، رواه أبو عيسى المغيرة بن شعبة

(٢) حديث أبي هريرة، متفق عليه وهذا لفظ البخاري

تمويلي ومعرفي للمشاركة النسوية في الشأن العام، فإن المشهد الراهن حول القضية يكشف عن حراك اجتماعي غير مسبوق ليس من صنيعة المرأة وحدها التي وجدت لها منظمات تدافع عن وجودها وأهليتها في منافسة الرجل وحمل الأعباء والمسئوليات المجتمعية، وإنما من جانب رجال يدعمون تواجد المرأة ومشاركتها في الحدث الوطني والمجتمعي العام، ويؤكدون مساهمتها في تقديم مبادرات وصنع القرارات المجتمعية.

وعلى الجانب الآخر، فإن هناك فكراً واتجاهاً آخر يعتصم بالرفض أو التحفظ تجاه الدور المجتمعي للمرأة، ولا ينبغي التهوين من أفكار ومناشط الجبهة المعارضة لاستقلالية المرأة فضلاً عن تحملها لأعباء العمل العام، فهذا الاتجاه يمثل قوة لا يستهان بها بالنظر إلى الأيديولوجية التي يستند إليها، والخطاب الديني الانتقائي الذي توجهه إلى الرأي العام وتعتبره حائط الصد تجاه خصومها الذين لا يعتذرون عن الإلحاح المستمر بضرورة مشاركة المرأة في مناشط الحياة المختلفة، وانتزاع حقوق جديدة لها، يؤكد على جدارتها في حصولها عليها واكتسابها لها.

ولا شك في ضراوة المواجهة بين أنصار الجبهتين المؤيدة والمعارضة لمشاركة المرأة في عملية التنمية، والعمل العام على الرغم من أن فقه نصوص الشرع، ومصلحة الأمة يتطلب أن تكون القضية مجال حوار، في إطار التبصر بدلالات النصوص والتعرف على دور المرأة المسلمة في العصر الأول، ومصلحة المجتمع في إشراكها في عملية التنمية بمفهومها الشامل في النظر الفاحص والمتابع لحصيلة المواجهة يتبين له حصول جبهة مؤيدة على مكاسب وإنجازات تمهد للطرح الذي تعرضه وللقضية التي تنحاز لها على أرض الواقع، مما يجعلها في موقع المبادأة أو الهجوم، وخصومها في موقع الصد أو الدفاع.

ومع ذلك فمن الصعب في أجواء المبارزة بين الجبهتين التقرير الحاسم بأن هذا الطرف أو ذاك هو المنتصر الذي حسم المعركة لصالحه، ذلك أن لكل طرف أنصاره ومناصريه المشايعين لفكره ولكل وجهته هو موليها، وطريق يسلكه للوصول إلى هدفه.

ونظراً لأن قضية مساهمة المرأة، هي قضية لا تخص المرأة وحدها، فهي قضية مجتمعية بالأساس، فإن حسم الرأي حولها يتطلب مؤيدات تشريعية واجتماعية تكون هي حجر الأساس، وللعلم الفارق في الإبقاء على الفكر المستند لمنافع مقررة عن الإبقاء على وضع المرأة داخل المنزل وحصرها فقط في مهمة تربية النشء وخدمة سواكنه.. بمقولة أنه الدور الطبيعي لها الذي ينبغي المحافظة عليه، وفي ذات الوقت يحشد الطرف الثاني فكره ومرئياته حول تطوير دور المرأة ومده إلى خارج المنزل باعتبارها عضواً أساسياً في الجماعة، وأنها دور لا يجوز إغفاله أو تجاهل وجوده باعتبارها نصف المجتمع ولديها إمكانات وقدرات ينبغي الاستفادة منها، وهي مع الرجل يشكلان صرح المجتمع الإسلامي.

وينبغي التنويه في سياق المشاركة التنموية للمرأة العربية إلى أن مفهوم التنمية هو ذلك المفهوم الشامل الذي يعم مناحي الحياة المتسعة فهي في عمومها تتراوح بين التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا تنحصر في منحى أو مجال معينه دون آخر، بحسبان أن التنمية بأبعادها المختلفة إنما تتكامل وتتعاضد من أجل رفعة الفرد والمجتمع، وهو ما يتطلب فيه كل إنسان بدوره فيه على قدر استعداده ووفقاً لقدراته، الرجل والمرأة على سواء، فإن لكل طرف إسهاماً بما يتفق مع طبيعته وقدراته وملكاته التي حباه الله بها على سند أن على المرأة مسئولية مجتمعية في ظل التطورات الحادثة التي تقتضي مشاركة كل فرد للنهوض بالوطن والمجتمع.

وبخصوص القضية المطروحة، فإن المطلع على أبعادها، يتبين له الإطار الذي تدور فيه، وهو إطار تشريعي واجتماعي، وحيث إن التشريعات الحاكمة لأوضاع المرأة في العالم العربي والإسلامي مستمدة من الشريعة الإسلامية في الغالب الأعم فضلاً عن أن الهوية الإسلامية هي التي تشكل الأيديولوجية العربية، وهي أساس الهوية والمعتقد في وعيها في الوقت الراهن، لذلك فإنه من المهم أن ننحو لدراسة هذا المنحى، فلعلنا نتوصل إلى حقيقة كل اتجاه ومدى تعبيره عن الإسلام الإنساني والعالمي، ومصلحة الوطن والأمة، على أسس وطنية وموضوعية.

القضية قديمة حديثة

ونقطة البدء في الجدل الثائر حول القضية تفرض حقيقة أولية في هذا الصدد تبرز في أنه لا يجوز الإدعاء بأن قضية مشاركة المرأة في شئون المجتمع هي حكر على بيئة الفكر المعاصر، وأنه ينفرد وحده بأهمية القضية، حتى لو سلمنا بصحة ما حققه هذا الفكر من خطوات ملموسة، ومشاركات فعالة للمرأة على طريق التنمية والمشاركة في العمل العام.. إذ تظل القضية من المسائل محل الاهتمام والتي أثارت ولاتزال تثير الجدل منذ ظهور الإسلام، ونشأة المجتمع الإسلامي في دولة المدينة التي شيدت بموجب عقد اجتماعي، حيث تأسست على بيعة العقبة الأولى والثانية، شارك فيها رجال ونساء، وأرست أساس النظام الاجتماعي في دولة الإسلام، وقامت نهضتها بجهود الرجال والنساء، كل بحسب استعداده، ومن ثم قامت المرأة بقوة على تحقيق الأهداف التي جاء بها الإسلام في إصلاح الدين والدنيا، وتكامل الحياة الروحية والمادية للفرد والجماعة بلا تمييز بين رجل وامرأة بحسب طبيعته وإمكانياته، أو بين مسلم وغير مسلم، فالكل في الحقوق سواء في ضوء فلسفة ومقاصد الإسلام.

أولاً: الاتجاه المعارض لخروج المرأة للعمل العام والتنمية

يبلور هذا الاتجاه رؤيته على أن الله تعالى خلق المرأة للبيت، وخدمة الأسرة، فهي سيدة البيت وملكته المتوجة ومن أكبر الحجج التي يشهرها أنصار المعارضين لحقوق المرأة في التنمية وتحمل المسئولية، أن القرآن حدد وظيفة المرأة في حدود البيت لا تفارقه إلا بإذن من الرجل، فهي حبيسة المنزل لا تبرحه إلا بالطلاق أو الموت:

• ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣)

فيعممون هذا الخطاب على نساء المسلمين، ويعتبرون أن خروجها من المنزل يجعلها متبرجة تعرض نفسها للمعارة وتمتهن شرفها وكرامتها، وينافي الحياء والفضيلة والتصون الذي يأمرها به الإسلام.

أضف إلى ذلك أن فيه حلالاً بحق الرجل في

القوامة عليها، بمقتضى أنه رب البيت، والمتصرف في شؤونه، فهو يتمتع بالتفضيل عليها، باعتباره القائم على الإنفاق والولاية. وهي الدرجة التي رفعته عليها:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

ويخلصون من ذلك إلى أن مهمة المرأة ورسالتها في المنزل والأسرة. ومهمة الرجل العمل والسعي لاكتساب الرزق.

وعلى أساس هذا التصنيف للعلاقة بين الرجل والمرأة تظل المرأة في مركز أدنى من الرجل، آية ذلك أنها تحت ولاية الرجل في أطوار حياتها، حيث تخضع كنف للأب وتكون في كنفه منذ فترة الطفولة وحتى الزواج ثم تنتقل لتكون تحت إمرة الزوج طوال حياتها الأسرية وهي حياة ممتدة تستمر كل عمرها في غالب الأحوال.

وعلى وفق الأحكام الشرعية المؤكدة لهذا المنحى في القوامة وإبرازا لدور المرأة في الأسرة جاءت نصوص قوانين الأحوال الشخصية في البلدان العربية، فهي تجعل من مهام الزوجة القيام على الشؤون المنزلية والتربية العائلية، تربي الأولاد وترعاهم وتطيع أوامر الزوج، وتتولى إرضاع الصغار وحضانتهم. في ظل القوامة التي تقررها القوانين للرجل على المرأة، ذلك أن رعاية الزوجة للأسرة وحق الاحتباس الواجب عليها يوجب على المرأة أن تتفرغ لها ولا تنشغل بشيء عنها[٣]

وهي فضلا عن ذلك، فإن وزن الشهادة المثبتة للحقوق يميل نحو إعطاء قيمة أكبر للرجل، بما ينطوي على عدم التسوية بين الرجل والمرأة، فالحقوق تثبت بشهادة رجلين عدلين، أو رجل وامرأتين، فكأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

وفي ذات الاتجاه، فإن المرأة تأخذ نصف نصيب الرجل في الميراث وهذا هو الأعم الأغلب بل هو القاعدة العامة التي ترد عليها بعض الاستثناءات التي تؤكد القاعدة ولا تهدمها وهذا ما تتبناه التشريعات العربية التي تأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية في الأسرة (الزواج والطلاق) والميراث والوصية، وبعضها في الشهادة والإثبات القضائي، وهي في مجملها تجعل للرجل أسبقية على المرأة.

ومما يؤكد على وضعية المرأة على هذا النحو، الذي يجعل للرجل الدور الأساسي في البناء والتنمية، وأنه صاحب الدور الفعال في وضع القوانين، وإصدار الأحكام، وأن الدساتير العربية في معظمها تنص على أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي، أو أحد مصادر التشريع وهو ما يعطي الهيمنة لفلسفة الشريعة في تمييز الرجل على المرأة في المنزلة والتكسب ويجعل له الصدارة في داخل الأسرة وفي الحياة العامة.

ويغور القوانين والتشريعات العربية في فلك هذا النصف. ويكتفي المدافعون عن إبقاء المرأة في المنزل على تفسيرات ضيقة للنصوص يديرون في فلكها. ولا يأخذ أنصار هذا الاتجاه بمجمل النصوص الأخرى، ولا يحتكمون إلى المقاصد العامة للشرع والفلسفة الحاكمة للقوانين، وإنما يتعصبون لحرفية النصوص، والتفسير الضيق دون الاحتكام إلى روح نصوص الشرع، ومبادئه العامة المؤكدة على أن الحياة الأسرية تقوم على الثنائية والتكامل بين الذكر والأنثى، لا الفردية التي تصادر حق المرأة، وتقصيها في الرأي والوضعية كطرف أصيل، وعنصر أساسي في الكيان الأسري، والعلاقة الزوجية، وهذا هو مقتضى الخلق والتكوين الاجتماعي والتوافق الحياتي. فالرجل والمرأة عماد الأسرة وأساس النظام الاجتماعي، والحياة كلها لا قيام لها بدونهما مجتمعين، وهو ملحظ في قوله تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الذاريات: ٤٩)

ويمضي أصحاب هذا الاتجاه في تعميق فكرهم القائم على التمييز بين الرجل والمرأة إلى حد اعتبار ذلك أصلا مقررا وتنظيما عاما. وحكما قطعيا يستند إلى اجتزاء النصوص المتعلقة بالولاية والقوامة والشهادة والميراث. واعتبارها مبادئ دينية ثابتة قاطعة لا تقبل نقاشا ولا تحتمل تفسيرا آخر في معزل عن دستور وتشريعات الإسلام الحاكمة للزواج وتشييد نظام الأسرة على أساس التعاون والتوازن بين الحقوق والواجبات، ورعاية صالح الأسرة والمجتمع بتقرير أحقية الطرفين، فدستور الزواج في القرآن:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

وفي السنة «النساء شقائق الرجال»، وهي درجة الرعاية والتوجيه والتقويم بما فيه مصلحة الأسرة وليس الإثرة والتحكم والتسلط أو الاستبداد الذي قد يفهم من بعض التفسيرات التحكمية والمغلوطة حول تلك المكانة الشرعية، ويسيء بسببه بعض الرجال في علاقتهم مع النساء.

ولو أنهم تعمقوا في الاحتكام إلى مجموع النصوص المنظمة للأسرة في الإسلام، ولطبيعة العلاقات بين النوعين الرجل والمرأة، وفلسفة الإسلام في الاجتماع البشري، لأدركوا أن النصوص المقتضبة في شؤونهم، وإن قد تكون الدلالة فيها ظنية، تحتمل الرأي والرأي الآخر، فضلا عن أنها خاصة أو بحسب التعبير الفقهي واقعة عين في تلك المسائل التي تنظمها، ولا تنسحب إلى سائر أنواع العلاقة بين الرجل والمرأة، ولا يجوز تعميمها على كافة الأحكام في مسائل الزواج والطلاق الأخرى. وكذا الشهادة كوسيلة إثبات للحقوق أمام القضاء.

وبناء على فهم هذا الاتجاه المضيق للنصوص، الذي يقصي العديد من الحقوق الشرعية الأخرى المقررة للمرأة، ولا يتعمق في فقه النص ولا دلالات الشرع والحكمة المقصودة منه، كما سبق في حينه، فإن هناك خلط في أحكام القوامة والشهادة والميراث والدية والقصاص التي يستشهد بها كمؤيدات على صحة قوله ورجاحة رأيه، كما يرتكن إليه هذا الاتجاه إلى مصادرة دور المرأة في العمل العام، وتنحيتها عن مسئوليتها المجتمعية، وعدم أهليتها في القيام بواجبها الاجتماعي، كعنصر فاعل في مجتمعها، يحتاج مجتمعها إلى جهودها جنبا إلى جنب الرجل، في نطاق الضوابط الإسلامية والتنظيم العام.

(يتبع)

(٣) د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، ص١٠٦

لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا

[illegible]
كلية التربية جامعة سوهاج

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

تضمنت هذه الآية الكريمة عددا من أحكام الرضاعة، وللفقهاء والمفسرين جهود كبيرة في تفصيل تلك الأحكام وتفسيرها فمن شاء الاطلاع عليها فليراجعها في تلك التفاسير ذات الطابع الفقهي مثل أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي، وفي تفسير القرطبي بالإضافة إلى كتب الفقه المعروفة.

أما ما يعنينا هنا فهو التماس وجه من وجوه الإعجاز التربوي القرآني من خلال تقليب وجوه النظر في جملة

﴿ [illegible] ﴾

وقد اخترنا الوقوف عند هذه الجملة لأسباب منها:

١ - أن إيقاع الضرر بالآباء والأمهات في عصرنا، اتسع نطاقه، وزاد انتشاره مع كثرة الاختلاف بين الزوج [illegible] مجتمعاتنا المسلمة من تفكك أسرى، وتحلل حتى في بعض حالات [illegible] الخلافات الأسرية من نطاق الأسرة إلى أروقة المحاكم [illegible] استخدام الأطفال [illegible] وسائل ضغط يستعملها طرف ضد طرف من الوالدين و يتجاهل الوالدان هذا الحكم الإلهي الصارم المحرِّم لإضرار طرف بطرف باستغلال المولود.

٢ - أن في هذه الجملة ثلاث قراءات صحيحة. ولكل قراءة توجيهها اللغوى وتأثيرها الدلالي.

٣ - أن لهذه الجملة حالتين من الإعراب ترتيبا على اختلاف القراءات من جهة وسيرا على نهج العربية من جهة أخرى. ولكل من الحالتين تأويل، مع أنهما في النهاية تؤديان إلى حكم واحد وهو: الزجر عن هذا السلوك المشين: الإضرار المتعمد باستخدام الولد.

٤ - أن هذه الجملة [illegible] عليها من أحكام مما لا يلتفت إليه الخطباء والعلماء والوعاظ في أحاديثهم ودروسهم وكتاباتهم [illegible]

- والقراءة الثانية: قراءة أبي عمرو وابن كثير، ويعقوب بالرفع: ﴿ لَا تُضَآرُّ ﴾ وعلى هذه القراءة تكون [illegible] للمضارع بعدها ﴿ تُضَآرُّ ﴾ مرفوع بالضمة الظاهرة.

وتكون جملة ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

- [illegible] وكيف تفسيرها، وهنا [illegible] الزمخشري في الكشاف (١ / ٢٧٩) والألوسي في روح المعاني (٢ / ٢٣٠) [illegible] في جملتي

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾

له علاقة بقوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ وكأن الجملتين اللتين وردتا بعد قوله ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ تفسير وبيان لهذا المعروف وعلى هذا الفهم تكون جملة

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] في موضع [illegible] الكلام [illegible] الزوجين) [illegible] صاحبه فوق ما يستطيع [illegible] في وسعها [illegible] ولا تعطي [illegible]، وهي منهية عن أن تكلف الأب ما ليس في وسعه، [illegible] فوق ما تستحق.

وأما القراءة الثالثة - وهي قراءة صحيحة عشرية - فقد انفرد بها أبو جعفر المدني، وهذه القراءة بتسكين الراء من الفعل على أن ﴿ لَا ﴾ ناهية، والفعل بعدها مجزوم بها، فإذا وقف القارئ على الفعل وقف عليه ساكنا، وقد أجرى أبو جعفر المدني الوصل مجرى الوقف فوقف على الراء وهي ساكنة مجزومة، ووصلها أيضا وهي ساكنة مجزومة.

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] - في نهاية المطاف - يؤول إلى المعنى المفهوم من القراءة الأولى، وهي قراءة الأكثرين، فاللام في الحالين للنهي، فالقراءة الثالثة لا تؤدى معنى جديدا.

المعنى العام

وخلاصة أوجه الإعراب المختلفة، وأوجه القراءات المختلفة، أن جملة

﴿ [illegible] ﴾

نهى عن [illegible] يقع الضرر بين الزوجين باستغلال الأبناء، سواء أكان هذا النهي نهيا صريحا باستعمال (لا) الناهية، أم كان باستعمال [illegible] مرادا به النهي، وهو أقوى دلالة من النهي الصريح.

أوجه الإعجاز التربوى فى الآية

إن التربية البشرية التى أصبحت علما يضم علوما متعددة، تفرعت اهتماماتها وأصبحت تتوزع إلى ما يخص العملية التعليمية من مناهج وأساليب تدريس، وطرائق للقياس والتقويم، وتروى الهدف الرئيسى للتربية وهو «تعديل السلوك» في جانب واحد هو جانب الصحة النفسية. وفى تخصصات أصبح لها آلياتها وبرامجها المعقدة فيما يعرف بالعلاج والإرشاد النفسى وأكثر آليات تلك التخصصات وبرامجها تعتمد اعتمادا كبيرا على نتائج البحوث التجريبية،

والدراسات الإحصائية الصماء.

ولكن التربية الإسلامية لا تستمد آلياتها وبرامجها من بحوث تجريبية أجريت على القرود والقطط والكلاب ـ كما هو الحال في علم النفس الوضعي ـ بل تستمدها من معين إلهي حكيم هو القرآن الكريم. فالذي أنزل هذا الكتاب الحكيم هو ـ جل وعلا ـ الذي خلق النفوس، ويعلم ما فيها من علل وأمراض. وما الذي تصح به النفوس والأبدان.

لذلك كله، يصعب أن يوصف ما تصل إليه التربية البشرية ـ مهما تبلغ دقته ـ بأنه إعجاز. بل غاية ما يوصف به أنه قد يكون ناجحا أو غير ناجح، فعّالاً أو غير فعّال. هذه ناحية

والناحية الثانية أن بحوث السلف في مجال إعجاز القرآن وقفت أمام الإعجاز البياني لا تكاد تتجاوزه، وذلك في معرض دفاعها عن إلهية المصدر في مواجهة أولئك الذين يتهمون محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه هو الذي كتب القرآن الكريم. ثم أضاف العلماء العصريون أبوابا من الإعجاز العلمي، والإعجاز العددي.

وبقيت الكتابات التي تناولت مفاهيم التربية القرآنية وآفاقها خارج أسوار مباحث الإعجاز لأسباب لا مجال للخوض فيها هنا.

ولكننا في ظلال هذه الجملة:

﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ نقف خاشعين أمام ضرب جديد من الإعجاز التربوي والنفسي، تتنوع منه وجوه التربية الإلهية للبشر تنوعا عجيبا، فتغيير حركة حرف واحد من حروف كلمة في جملة في آية هذا التغيير يحمل وجوها للتأثير النفسي ذات دلالة يعجز عن الإتيان بها أساطين التربية البشرية. فكل قراءة، وكل وجه إعرابي: فيه ما فيه من معان وآثار تربوية عميقة، فمثلا:

١. الإعجاز التربوي بتخير كلمة دون غيرها:

في قوله تعالى ﴿ بِوَلَدِهَا ﴾ إضافة للولد إلى أمه، وفي قوله ﴿ بِوَلَدِهِۦ ﴾ إضافة للولد إلى والده. فالعدول عن لفظ (أم) أو (مرضعة) إلى لفظ ﴿ وَٰلِدَةٌ ﴾ والعدول عن لفظ (ابن)، أو (رضيع) أو (طفل) ـ إلى لفظ: ولدها، وولده.. في هذا الاختيار قدر كبير من الاستعطاف والتحنن وإثارة الجانب الخير من الطبيعة الإنسانية. إذ إن تلاوة الآية، والاستماع إليها، وتدبر بنائها بقلب سليم وعقل متفتح، من شأنه أن يصرف القارئ أو السامع عن هذا السلوك الشائن المنهي عنه أعني الإضرار باستغلال الرضيع. فالأم إذا فكرت في إيذاء زوجها عن طريق الضغط على الإبن أو إيذائه بأي وجه من الوجوه. لو فكرت هكذا ثم استمعت إلى الآية أو تدبرتها. لوقفت أمام كلمة ﴿ وَٰلِدَةٌ ﴾ وكلمة ﴿ بِوَلَدِهَا ﴾ وثابت إلى رشدها، وخافت أن يتمادى الأب ـ في سياق المضارة والعداوة ـ إلى إيذاء الطفل من جانبه. فإذا بها تنتهي عما انتوت.

٢. الإعجاز التربوي بإيقاظ الفطرة السوية:

إن تلاوة الآية على القراءة الثانية

﴿ لَا تُضَآرُّ ﴾ معناها كما قلنا: النفي، أي أن الأصل في السلوك الإنساني السوي: ألا يتصور أن تكون مستعدة لأن تضار والد ولدها. ويشعرون عند هذه القراءة وقفة إعجاب وتقدير. لكن كل ما يعنيهم هو أن النفي هنا أبلغ من النهي. وأن قراءة الآية على صورة النفي (وهو أسلوب خبري) تتفق مع صدر الآية

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾

لكن التربويين ينظرون إلى استخدام النفي على أنه أعظم تأثيرا في السلوك الإنساني لأنه يُشعر القارئ أو السامع بأن هذا المسلك هو أصل الفطرة الذي لا يصح مخالفته. وقد التفت إلى هذا الملمح بعض البلاغيين على ما نراه في بعض التفاسير القديمة كنظم الدرر والكشاف.

٣. الإعجاز التربوي بتنشيط الإرادة:

إن استعمال كلمة ﴿ لَا تُضَآرَّ ﴾ أو (يضار) يحمل توجيها تربويا كامنا لكنه ملموس، بالفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال. وسواء أكان المتلو أو المسموع نهيا أو نفيا في مقام النهي، فإن المضمون التربوي يلازمه: فالثواب والعقاب إنما يكونان نتيجة الإرادة والاختيار، والإضرار ـ في الحال أو المستقبل ـ إنما هو إرادة واختيار. فكأنه سبحانه وتعالى ينهى عن سلوك بفعل يتضمن بالضرورة إنذارا بالعقاب. وهذا غاية الإعجاز في تنشيط الإرادة البشرية وتفعيلها

٤. الإعجاز التربوي بمراعاة الأصل:

إذا كان أصل الزواج هو السكينة والرحمة، وأساس تكوين الأسرة هو التكامل والتوالد وإعمار الأرض، فإن كل ما يعكر صفو ذلك الأصل أو يعطل رسالته، مخالف لإرادة الله سبحانه وتعالى. وهو بهذه المثابة يعد إضرارا وإفسادا. فسياق الآية يشير إلى أن خرم الأصل، ومضادة الإرادة الإلهية، هو إضرار بالمجتمع كله الذي يتكون من مجموعة من الأسر. فإذا نشب خلاف بين زوج وزوجه، وتصارعا باستخدام الأبناء، فستنشأ أسر كثيرة مستقبلا من صلب هؤلاء الأبناء الذين عانوا مرارة خلافات والديهم.

وتلك الأسر سيكون حظها من الاضطراب النفسي عظيما. فبناء الجملة على مفردات الوالدية والإضرار يدل على أن الأمثل في علاقات الوالدية التعاضد والرحمة لا الشقاق.

٥. الإعجاز التربوي بثراء التعبير:

أصل الإضرار المقصود في الآية يتعلق بالخلاف بين الوالدين على أجرة الرضاع وكسوة المرضع. ولكن الإعجاز في قوله

﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ يحمل من الإعجاز كل صور الإضرار التي يمكن أن يساء فيها استعمال الأبناء كورقة ضغط من طرف على طرف. وهنا كان للغة القرآن أثر بالغ في تحقيق الإعجاز التربوي بالإيجاز التعبيري. والله أعلم.

أدب الاختلاف



أ.د/ عبدالله بن بيه

الاختلاف هو التباين في الرأي والمغايرة في الطرح. وقد ورد فعل الاختلاف كثيراً في القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾
(مريم: ٣٧)

وقال تعالى:

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
(البقرة: ١١٣)

وقال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾
(البقرة: ٢١٣)

وقال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾
(الشورى: ١٠)

أما الخلاف فهو مصدر من خالف إذا عارضه، قال تعالى:

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾
(هود: ٨٨)

وقال تعالى:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾
(النور: ٦٣)

وجاء بصيغة المصدر قال تعالى:

﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
(الإسراء: ٧٦)

وقال تعالى:

﴿وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ﴾
(المائدة: ٣٣)

والاختلاف قد يوحي بشيء من التكامل والتناغم كما في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾
(فاطر: ٢٧)

وأما الخلاف فإنه لا يوحي بذلك ويصب الاختلاف غالباً على الرأي، اختلف فلان مع فلان في كذا والخلاف ينصب على الشخص.

ثم إن الاختلاف لا يدل على القطيعة بل قد يدل على بداية الحوار فإن ابن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف، بل أتم معه وقال: الخلاف شر.

قد يدل الخلاف على القطيعة.

هذه الإيحاءات والظلال جعلتنا نفضل كلمة الاختلاف، التي قد تكون مقدمة للتفاهم والتكامل على كلمة الخلاف وإن كان العلماء يستعملون كلتا الكلمتين لتأدية نفس المعنى باعتبارهما من المترادف المتعاورة والمتعاقبة.

الكلمات ذات العلاقة

هناك كلمات قريبة في دلالتها على مضمون الخلاف كالنزاع والشقاق وهو الوقوف في شق أي في جانب بقابل ويضاد الجانب الآخر.

الاختلاف ظاهرة لا يمكن تحاشيها باعتبارها مظهراً من مظاهر الإرادة التي ركبت في الإنسان إذ الإرادة بالضرورة تؤدي إلى وقوع الاختلاف والتفاوت في الرأي.

وقد انتبه لذلك العلامة ابن القيم عندما يقول: «وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه» (إعلام الموقعين)

فإن الشقاق يمكن تفاديه بالحوار الذي من شأنه أن يقدم البدائل المفيدة لتجنب مآزق الاصطدام في هوية الشقاق.

ونحن في ورقتنا هذه إنما نبحث عن البدائل انطلاقاً من الشريعة الإسلامية نصوصاً ومقاصد وأصولاً وفروعاً وتطبيقات بنماذج تاريخية.

الباعث إن الباعث على هذه الورقة هو ملاحظة لا تعزب عن بال أحد بل لا تغرب عن حواسه؛ تتمثل في اختلاف كثير تصديقاً لقوله ﷺ: «وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً».

وهو اختلاف ينتشر في الأمة أفقياً وعمودياً في كل الفئات وعلى مختلف المستويات تعددت أسبابه وتنوعت ألوانه واستعملت فيه كل الوسائل من تكفير وتفسيق وتبديع وتشويه وتسفيه وما شئت من مصدر على وزن تفعيل.

واستعمل فيه الخصوم كل أنواع الدفع والهجوم، وضاقت بالخيار فيه الأرض بما رحبت، فلكل منهم رأي ولكل رأي داع لا يمنعه لواء فحصر الشهود إلا شاهد العقل، واستحضرت الحجج الإحجة الإنصاف (وما أبرئ نفسي).

ونحن هنا لا نحاول إصدار فتاوى في مسائل الاختلاف، ولا نحضر بلسم سحري يبرئ الأوصاب. لأن ذلك ليس في مقدورنا ولا في طاقتنا فقد نتكلف شططاً ونكلفكم عنتاً وعنتاً لو حاولنا ذلك. وقد يكون من مفارقات أن نطلب من الآخرين التروي والنسبية في الحكم، وفي الوقت نفسه أصدر أحكاماً باتة في قضاياهم.

إن محاولتنا تعني بحثاً عن كيفية تعقيل أو عقلنة جدلنا وتنظيم اختلافاتنا وترتيب درجات سلم أولوياتنا وتحسين نياتنا وإرادتنا على ضوء ما يستخلص من نصوص شرعية حاكمة وآثار عن السلف شارحة وممارسات رشيدة هادية. إذ من شأن ذلك أن يقلل من الخلاف أو ينزع فتيل ناره لتصبح برداً وسلاماً.

يقول العلامة ابن القيم: «فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف،

وإن وقع كان اختلافًا لا يضر، كما تقدم من اختلاف الصحابة، (الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٥١٩)

كيف نجعل اختلافنا من هذا النوع الذى أشار إليه ابن تيمية [illegible] كان [illegible] [illegible] إلى تأصيل أهمية الألفة وإصلاح ذات البين.

تأصيل الألفة [illegible] جماعة

إنه من المعلوم ضرورة من الدين قال تعالى:

﴿[illegible]﴾ (آل عمران ١٠٣)

﴿[illegible]﴾ (الأنفال ٤٦)

[illegible] وحدة [illegible] ونصركم

﴿[illegible]﴾ (آل عمران ١٠٥)

﴿[illegible]﴾ (الشورى ١٣)

أوامر بالاعتصام بحبل الله تعالى وإقامة دينه [illegible] إلى [illegible] حتمية [illegible] فى [illegible] الذى يعنى [illegible] عن [illegible] معينة وهنا [illegible] الأمة وعجزها عن القيام بوظيفتها فى هداية البشر والخلافة الراشدة فى الأرض:

﴿[illegible]﴾ (آل عمران ١٠٣)

وقد بين ﷺ ذلك خير بيان، وهو المبين المذكر المبلغ للوحى فى نوافذ صريحة «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا» أخرجه مسلم من حديث [illegible].

إصلاح ذات البين:

﴿[illegible]﴾ (الأنفال ١)

﴿[illegible]﴾ (النساء ١١٤)

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ [illegible]﴾ (الحجرات ٩)

﴿[illegible] فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ (المائدة ٧)

وحديث «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى» أخرجه مسلم من حديث أنس وفى حديث أبى هريرة «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا» (مسند أحمد) وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء عنه عليه السلام: «ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا»

وفى ثانى خطبة له بالمدينة بعد الهجرة كما يروى ابن إسحاق دعا إلى حب الله تعالى قائلا: «أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم» ثم دعا المسلمين إلى الحب فيما بينهم قائلا: «وتحابوا بروح الله بينكم».

استخلص العلماء رحمهم الله تعالى من ذلك أن الجماعة والألفة أصل من أصول الدين يضحى فى سبيله بالفروع.

عبر عنه خير تعبير ابن تيمية حيث يقول: «الاعتصام بالجماعة والألفة أصل من أصول الدين والفرع المتنازع من الفروع الخفية فكيف يقدح فى الأصل بحفظ الفرع». (الفتاوى ٢٢ ص ٢٥٤)، وهو كلام صحيح فيه فقه وبصر بأحكام الشرع ولقد اعتذر نبى الله هارون لأخيه موسى عليهما السلام عن عدم تدخله عندما عبد بنو إسرائيل العجل بالمحافظة على وحدة بنى إسرائيل فلو تفرقوا لحملتنى مسئولية ذلك

﴿[illegible] إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ (طه ٩٢ - ٩٤)

تسويغ الاختلاف:

إن الاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع، وما دام فى حدود الشريعة وضوابطها فإنه لا يكون مذموما بل يكون ممدوحا ومصدرا من مصادر الإثراء الفكرى ووسيلة للوصول إلى القرار الصائب، وما مبدأ الشورى الذى قرره الإسلام إلا تشريعا لهذا الاختلاف الحميد ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾. لكم كان النبى ﷺ يستشير أصحابه ويستمع إلى آرائهم وتختلف وجهات نظرهم فى تقرير المضى فى حملة بدر ونتائج المعركة وكان الاختلاف من الموقف من الأسرى

وعندما استشار فى المضى قدما لنزال المشركين بعد أن تبين كثرة جيوشهم بالنسبة للمسلمين وكان النبى ﷺ ينصت إليهم وما ليم أحد على رأى أبداه أو موقف تبناه وما تعصب منهم أحد ولا تحزب بل كان الحق غايتهم والمصلحة رائدتهم

وقد يقر النبى ﷺ كلا من المختلفين على رأيه الخاص، وبدون أن يبدى أى اعتراض أو ترجيح كما فى مسألة أمره ﷺ بصلاة العصر فى بنى قريظة فقد صلاها بعضهم بالمدينة ولم يصلها البعض الآخر إلا وقت صلاة العشاء، ولم يعنف أحدا منهم كما جاء فى الصحيحين

وفى السفر كان منهم المفطر والصائم، وما عاب أحد على أحد كما جاء فى الصحيح حتى فى الاختلاف فى القراءة فى حديث ابن مسعود.

إنها التربية النبوية للصحابة ليتصرفوا داخل دائرة الشريعة حسب جهدهم طبقا لاجتهادهم. وبعده ﷺ كانت بينهم اختلافات حسمت أحيانا كثيرة بالاتفاق كما فى اختلافهم حول الخليفة بعده ﷺ.

وكما فى اختلافهم حول قتال مانعى الزكاة، وحول جمع القرآن الكريم، ورجوع عمر إلى قول على فى مسألة المنكوحة فى العدة

وتارة يبقى الطرفان على موقفيهما وهما فى غاية الاحترام لبعضهما البعض.

- قصة عمر مع ربيعة بن عياش
- قصة الأرض الخراجية.
- قصة عائشة وابن عباس فى رؤيته ﷺ

للبارى جل وعلا.

- وبين عائشة وبين الصحابة فى سماع الموتى.
- وبين عمر وبين فاطمة بنت قيس فى مسألة سكنى المبتوتة ونفقتها
- وابن مسعود وأبى موسى الأشعرى فى مسألة رضاع الكبير
- وبين أبى هريرة وابن عباس فى الوضوء مما مست النار.
- واختلاف عمر مع أبى عبيدة فى دخول الأرض التى بها وباء.
- ويدخل التابعون فى بعض الأحيان فى حلبة الخلاف كأبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف مع ابن عباس فى عدة الحامل المتوفى عنها.

وتقف عائشة إلى جانب ابن عباس قائلة لأبى سلمة [illegible] تصيح فصاح معتبرة أنه لم يبلغ بعد درجة الاجتهاد ولكن الأمر لا يتجاوز ذلك.

وموضوعات الخلاف كبيرة [illegible] [illegible] [illegible] البعض، ويسجل لعمر رضى الله عنه كثرة رجوعه إلى آراء إخوته من الصحابة [illegible] [illegible] الاجتهاد لا ينقض [illegible] فيما بعد فأمضوا أحكام القضاة التى تخالف رأيهم واجتهادهم حرصا على مصلحة [illegible] وهى مصلحة مقدمة فى سلم الأولويات على الرأى المخالف الذى قد يكون صاحبه مقتنعا به.

أقوال العلماء فى الاختلاف

يقول الحافظ بن رجب: «ولما كثر اختلاف الناس فى مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم وكل منهم يظهر أنه يبغض لله وقد يكون فى نفس الأمر معذورا وقد لا يكون معذورا بل يكون متبعا لهواه مقصرا فى البحث عن معرفة ما يبغض فإن كثيرا كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق وهذا الظن خطأ قطعا [illegible] وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرد الهوى أو الإلف أو العادة وكل هذا يقدح فى أن يكون هذا البغض لله فالواجب على المسلم أن ينصح لنفسه ويتحرز فى هذا غاية التحرز وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم.

وها هنا أمر خفى ينبغى التفطن له وهو أن كثيرا من أئمة الدين قد يقول قولا مرجوحا ويكون فيه مجتهدا مأجورا على اجتهاده فيه موضوعا عنه خطؤه فيه ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته فى هذه الدرجة لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك فإن متبوعه إنما كان قصد الانتصار للحق وإن أخطأ فى اجتهاده.

وأما هذا التابع فقد شاب انتصاره لما يظن أنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته وأنه لا ينسب إلى الخطأ وهذه دسيسة تقدح فى قصد الانتصار للحق فافهم هذا فإنه مهم عظيم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم».

انتهى كلام الحافظ وهو كلام فى غاية النفاسة

قال الشافعى: «ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق فى مسألة»

وقال: «ما ناظرت أحدا إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فإن كان الحق معى اتبعنى وإن كان الحق معه اتبعته» [illegible]

رفض مالك حمل الناس على الموطأ!

قال مالك: للخليفة العباسى حينما أراد حمل الناس على الموطأ - وهو كتاب مالك وخلاصة اختياراته فى الحديث والفقه - «لا تفعل يا أمير المؤمنين» معتبرا أن لكل قطر علماءه وآراءه الفقهية فرجع الخليفة عن موقفه بسبب هذا الموقف الرفيع من مالك فى احترام رأى المخالف وإفساح المجال له.

[illegible] معه [illegible] [illegible]

- كان الذهبى مثل العالم المتفتح المنصف.

فقد قال الذهبى عن الشيخ عبد الستار المقدسى الحنبلى رحمه الله تعالى: «أنه قل من سمع منه لأنه كان فيه زعارة وكان فيه غلو فى السنة، وقال عنه: «وعنى بالسنة وجمع فيها وناظر الخصوم وكفرهم وكان صاحب حزبية وخرق على الأشعرية فرموه بالتجسيم ثم كان منابذا لأصحابه الحنابلة وفيه شراسة أخلاق مع صلاح ودين يابس».

اعتبر الذهبى ذلك حزبية.

وقال الذهبى عن القاضى أبى بكر بن العربى: «لم ينصف القاضى أبو بكر رحمه الله شيخ أبيه فى العلم ولا تكلم فيه بالقسط وبالغ فى الاستخفاف به وأبو بكر على عظمته فى العلم لا يبلغ رتبة أبى محمد ولا يكاد فرحمهما الله وغفر لهما».

وكان الذهبى يثنى [illegible] على تقى الدين السبكى مع أنه شيخ الأشاعرة الذى كان بينه وبين شيخه الشيخ تقى الدين بن تيمية من الخلاف ما هو معروف. ثم يعتذر الذهبى عن الظاهرية قائلا: «إن ما تفردوا به هو شىء من قبيل مخالفة الإجماع الظنى وتندر مخالفتهم الإجماع القطعى».

ثم ذكر أنهم ليسوا خارجين عن الدين.

وقال عنهم: «وفى الجملة فداود [illegible] على بصير بالفقه عالم بالقرآن حافظ للأثر رأس فى معرفة [illegible] [illegible] [illegible] الظاهرية [illegible] باهر وذكاء قوى فالكمال عزيز والله الموفق».

ويقول الذهبى: «ونحن نحكى قول ابن عباس فى المتعة وفى الصرف وفى إنكار العول وقول طائفة من الصحابة فى ترك الغسل من الإيلاج بغير إنزال وأشباه ذلك ولا يجوز تفسيقهم فى ذلك».

وقال: «كل فرقة تتعجب من الأخرى ونرجو لكل من بذل جهده فى تطلب الحق أن يغفر له من هذه الأمة المرحومة».

ويقول ابن تيمية: «وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز [illegible] [illegible] كله».

وقال أيضا: «الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية فكيف يقدح فى الأصل بحفظ الفرع».

(فتاوى ٢٢، ص ٢٥٤)

المعاداة بين المختلفين

فى الاجتهاد اتباع للهوى

يصبح الخلاف فى موالاة ومعاداة حين يكون الاتباع للهوى وحيثما وجد التفرق كان منشؤه الهوى لأن أصل الاختلاف الاجتهادى لا يقتضى الفرقة والعداوة وقد جعل الشاطبى هذا الأصل مقياساً لضبط ما هو من أمر الدين وما ليس منه فقال: (فكل مسألة حدثت فى الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام. وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتدابر والتنابز والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين فى شىء وأنها التى عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية وهى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾

(الأنعام ١٥٩)

فيجب على كل ذى دين وعقل أن يجتنبها.. فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك بحدث أحدثوه من اتباع الهوى وهو ظاهر فى أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف فكل رأى أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين).

ووصف الشيخ تقى الدين ابن تيمية من يوالى موافقه ويعادى مخالفه ويكفر ويفسق مخالفه دون موافقه فى مسائل الآراء والاجتهادات ويستحل قتال مخالفه بأنه من أهل التفرق والاختلاف (الفتاوى ٧- ٣٤٩).

ويرى ابن تيمية ترك بعض المستحبات تأليفاً قائلاً: «لأن مصلحة التأليف فى الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا كما ترك النبى ﷺ تغيير بناء البيت لما فى إبقائه من تأليف القلوب».

وأنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة فى السفر ثم صلى خلفه متما وقال الخلاف شر (الفتاوى ٢٢ - ٤٠٧)

رأى النووى فى الطائفة المنصورة:

«ويحتمل أن هذه الطائفة تفرقت بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من أهل الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين فى أقطار الأرض».

ويقول الذهبى فى ميزان الاعتدال فى ترجمة الحافظ أبى نعيم الأصفهانى: «كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يعبأ به ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد لا ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين».

قال أحمد: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا فى أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً».

آداب عامة ينبغى للمختلفين أن يراعوها ليعذر بعضهم بعضاً:-

١- العذر بالجهل!

يقول ابن تيمية: وكثير من المؤمنين قد يجهل هذا فلا يكون كافراً (الفتاوى ١١- ص ٤٩١).

وفى حديث ابن ماجة عن حذيفة «يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها» فيقول صلة بن زفر: لحذيفة - راوى الحديث - ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه فى الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاث مرات (أخرجه الحاكم).

وقد وقع فى الديار الشيوعية وأيام سقوط الأندلس شيء من هذا القبيل والله المستعان.

٢ - العذر بالاجتهاد:

يقول ابن تيمية عن أعذار الأئمة فى الاجتهاد فليس أحد منهم يخالف حديثاً صح عن النبى ﷺ عمداً فلابد له من عذر فى تركه. مضيفاً: وجميع الأعذار ثلاثة أصناف أحدها: عدم اعتقاده أن النبى ﷺ قاله والثانى: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ (الفتاوى ٢٠- ص ٢٣٢).

وعذر المقلد من نوع عذر الجاهل يقول ابن عبد البر: ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها (جامع بيان العلم وفضله).

ويقول ابن تيمية: وتقليد العاجز عن الاستدلال للعالم يجوز عند الجمهور (الفتاوى ١٩ - ص ٢٦٢)

ويقول ابن القيم: فالعامى لا مذهب له لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال.

٣- العذر باختلاف العلماء:

عدم الإنكار فى مسائل الاختلاف ومسائل الاجتهاد، يقول ابن القيم: إذا لم يكن فى المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل فيها مجتهداً أو مقلداً. (إعلام الموقعين ٣ - ٣٦٥).

ويقول العز بن عبد السلام: من أتى شيئاً مختلفاً فى تحريمه إن اعتقد تحليله لم يجز الإنكار عليه إلا أن يكون مأخذ المحلل ضعيفاً (قواعد الأحكام ١ - ١٠٩)

قال إمام الحرمين: ثم ليس للمجتهد أن يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر فى موقع الخلاف إذ كل مجتهد فى الفروع مصيب عندنا ومن قال إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده فيمتنع زجر أحد المجتهدين الآخر على مذهب (الإرشاد ص ٣١٢)

٤- الرفق فى التعامل:

والرفق أصل من أصول الدعوة ومبدأ من مبادئ الشريعة ففى حديث الرجل الذى بال فى المسجد وزجره أصحاب النبى ﷺ فنهاهم ﷺ قائلاً: لا تزرموه أى لا تقطعوا بوله وأتبعوه ذنوباً من ماء وقال للرجل إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا القذر (صحيح مسلم)

وحديث خوات بن جبير رضى الله عنه حين رآه مع نسوة فقال: ماذا تبغى هاهنا؟ قال: ألتمس بعيراً لى شارداً. ثم حسن إسلامه ولقيته بعده فمازحه ﷺ قائلاً: ما فعل بعيرك الشارد؟ قال: قيده الإسلام يا رسول الله.

وحديث الأعرابى الذى أعطاه فقال له: أحسنت عليك!! فقال كلاماً غير لائق فهم به الصحابة فنهاهم ﷺ وأدخله فى البيت فأعطاه ثم خرج به. وقال: هل أحسنت؟ فقال: أحسنت على وفعلت وفعلت. فضحك ﷺ وضرب مثلاً بصاحب الراحلة الشاردة.

٥- أن لا يتكلم بغير علم

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾

(الإسراء ٣٦)

لا بد من الإحاطة بما في المسألة قبل أن تحكم

قل للذي يدعي علمًا ومعرفة

علمت شيئًا وغابت عنك أشياء

فالعلم ذو كثرة في الصحف منتشر

وأنت تحوي له مستكمل تصحفا

٦- أحد مراعاة المصالح الشرعية في الإنكار:

فإن كان النهي سيؤدي إلى مفسدة أكبر أو سيضيع مصلحة أعظم فلا نهي ولا أمر ويفصل ابن تيمية ذلك في الفتاوى (٢٠ / ٥٨)

ولو كان قوم على بدعة أو فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه (١٤ / ٤٧٢)

فحيث كانت المفسدة للأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجبا وفعل محرما إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله وليس عليه هداهم. (الاستقامة ٢ / ٢١١).

وإن كان التكفير والتفرق والتعصب سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليه آخرون إنكارًا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم فيحصل التفرق والاختلاف والشر وهذا من أعظم الفتن والشرور قديما وحديثا إذ الإنسان ظلوم جهول (٢٦ / ١٤٢).

ولكن ما هي أسباب هذا الاختلاف؟

إنها أسباب موضوعية ترجع إلى بلوغ الأخبار والآثار إلى العلماء والقواعد التي يلتزم بها العالم في تصحيح وتضعيف الأخبار وبالتالي مسألة اختيار معايير التعامل مع السنة وقرائن نسخ الأخبار وإحكامها.

وإلى اللغة وضوحا وجلاء وغموضا وخفاء، كما هو مفصل في كتب أصول الفقه في أبواب دلالات الألفاظ كعموم النصوص وخصوصها وظهورها وتأويلها ومجملها ومبينها.

كما يرجع الاختلاف إلى الأدلة المتعلقة بمعقول النص ومقاصد الأحكام كأنواع القياس والمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب وسد الذرائع.

كما يرجع الاختلاف إلى الأعراف المعتبرة وتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان والموازنة بين المصالح والمفاسد

فهذه العناوين الأربعة يرجع إليها اختلاف العلماء.

وفي الختام

فإنه لا بد من إحياء روح التسامح في الأمة فتتجنب التباغض وبث روح الأخوة والمودة بين المسلمين في أنحاء العالم

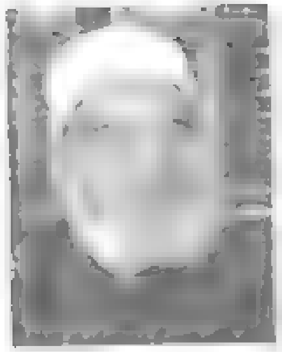
- ولا بد من تأكيد أدب الاختلاف وتجنب سلبيات الخلاف.

-لا بد من التأكيد على أن للاختلاف أسبابا موضوعية مشروعة وجيهة يجب إبرازها واستثمارها لرأب الصدع وإصلاح ذات البين

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حقوق الإنسان في شريعة الإسلام (٥)

الحرية السياسية



وهى تعنى حق الانسان فى ولاية الوظائف الإدارية فى الدولة إذا كان كفئا لها. وهى تعنى كذلك حقه فى إبداء رأيه فى سير الأمور العامة. وهى بشقيها تعنى أن الحكم وسيلة لخدمة المجتمع. لا وسيلة للسيطرة عليه.. أى أن الحاكم خادم للأمة فى تحقيق مصالحها وامالها. والإسلام لا يتصور حكما.. يسير على منهجه.. يحيد عن هذه الحرية بشقيها قيد أنملة.. ذلك أن الإسلام يعتبر الخلافة الصحيحة ما كانت نتيجة لانتخاب حر وبيعة عامة للاكفأ والأجدر بتولى هذا المنصب الخطير ضرورة أن نبينه العظيم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى وترك الامر شورى بين المسلمين.

بل إن الإسلام قد ذهب إلى أبعد من ذلك حين فرض على الرئيس أن يستشير المرءوسين في مهمات الأمور. قال تعالى مخاطبا نبيه المعصوم

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران ١٥٩)

وقال تعالى في صفة المؤمنين

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشوري: ٣٨)

ولقد وقف الرسول ﷺ في غزوة أحد يرسي دعائم حكم الشورى. ويسمع التاريخ قواعد الديمقراطية السليمة من خلال ممارسته العملية فيها.

فلما علم الرسول ﷺ أن قريشًا قد زحفت بجيوشها من مكة إلى المدينة جمع أصحابه يستشيرهم في الأمر، وبدأ حديثه معهم بقوله: «إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا. فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها» ومع هذا الرأي الصريح الذي أبداه الرسول ﷺ، ومع حرص الصحابة على تنفيذ أوامره.. مع كل هذا ينفسح المجال في جو إسلامي الصحيح للمناقشة والشورى. وينقسم المجلس إلى فريقين: فريق مع الرسول ﷺ ويمثله معظم المهاجرين وبعض

زعماء الأنصار، وفريق آخر يمثله شباب الأنصار المتحمس وبعض المهاجرين. قال بعضهم: يا رسول الله، إنا كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا وضعفنا. وقال آخرون: [illegible] يا رسول الله أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون: حصرنا محمدا في صياصي يثرب وآطامها. فتكون هذه جرأة لقريش. وهاهم أولاء قد وطئوا سعفنا فإذا لم نذب عن حرثنا لم يزرع.

وهكذا احتد النقاش وأدلى كل بحجته وحسبه [illegible] الإخلاص. [illegible] مقارنة بين وجهات النظر لوجدنا الرسول ﷺ على رأى حكيم [illegible]. [illegible] رأى أن جيش مكة ليس كله من قريش، ولكن من أحلاف مستأجرين كالأحابيش، فلن يلبثوا أن يدب الخلاف بينهم ويعودوا. [illegible] دخلوا المدينة دافع عنها الرجال والنساء والأطفال، ولكن رسول الله ﷺ لما رأى الأكثرية تؤيد رأى الخروج لم يشأ أن يهدم قاعدة حكم الشورى لئلا تكون نواة للدكتاتورية الفردية، إذ هو نبراس وقدوة لجند الإسلام إلى أن يأذن الله تعالى للعالم بالفناء.. وصلى الجمعة ودخل منزله ولبس لأمة الحرب.. وبينما هو يتجهز كانت صفوف المسلمين [illegible] بعضهم أنهم أساءوا التصرف مع رسول الله ﷺ، وقالوا: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردوا الأمر إليه.. وهنا يقرر الرسول ﷺ مبدأ آخر من مبادئ الشورى: مادام المجلس قد قرر رأيا وانفض فلا يجوز العدول عنه بأية حال حتى لا يؤدى إلى اضطراب الأمر، وفتور العزائم، وضعف الهمم، وبالتالي إلى [illegible] [illegible] رسول ﷺ عليهم [illegible] [illegible] بعضها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»[1].

ويؤكد التطبيق الإسلامي في عهد [illegible] هذه الحقيقة [illegible] الأمة مصدر السلطات، قال (عمر): «لوددت أني وإياكم في سفينة تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه»، فقال طلحة: وما عليك لو قلت: وإن تعوج عزلوه، فقال (عمر): «لا: القتل أنكل [illegible] وكتب لأبي موسى الأشعري واليه على الكوفة: «يا أبا موسى، إنما أنت واحد من الناس غير أن الله جعلك أثقلهم حملا.. إن من ولي أمر المسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده».

وقال (أبو بكر) حين ولي الخلافة: «يا أيها الناس، قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

وقال (عثمان بن عفان) [illegible] أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإذا نزلت عن منبري فليأتني أشرافكم فليروني

رأيهم، فوالله إن ردني الحق [illegible] لأذلن ذل العبد».

الفرق بين الشورى والديمقراطية:

بيد أنه يجب التنبيه إلى أن هناك فرقا بين النظرة الحديثة للديمقراطية، وبين نظرة الإسلام.. فإنه ليس للشعب في عرف الإسلام ولو بأكثرية وغالبية أن يلغى حدا من حدود الله تعالى، أو أن يعدل بعض قوانين الإسلام إلا أن يجد له سندا من النصوص، بحكم أن الدستور الإسلامي ليس من وضع البشر، حتى يعدلوا فيه ما شاءوا، ولكنه من وحي الله تعالى الذي لا تحكمه المصلحة، أي أنه لو تعارضت ظاهريا مصلحة مع النص فالمقدم النص، والشك في النظر إلى المصلحة، إذ محال أن يكون في الإسلام تعارض حقيقي بين المصلحة الحقيقية والنص القطعي، والحق حق ولو خالفه الجميع، والباطل باطل ولو قدسه الجميع. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الأنعام: ١١٦)

هذا فيما يتعلق بالشطر الأول من هذه الحرية.. والأدلة واضحة في أن الحاكم خادم للأمة، مختار منها، مؤتمر بأمرها، خاضع لشئونها، وهو أكفؤها، وموضع ثقتها.. أما الشطر الثاني وهو النقد، فإن الإسلام لا يعبر عنه بأنه حرية، ولكنه داخل في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما فريضة على المسلمين، بل إن نقد الحاكم الظالم يسمو إلى مرتبة أفضل من الجهاد.

ولقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم لا يخشون في الحق لومة لائم.. وما كانوا يحاذرون من قول الحق جهارا نهارا أمام الحاكم مهما كانت قوته وبأسه.

رأى (عمر بن الخطاب) ـ أثناء خلافته ـ رجلا وامرأة على فاحشة فجمع الناس وقام فيهم خطيبا وقال: «ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة؟»، فقام (علي) فأجابه بقوله: يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين، ثم تلا قوله تعالى:

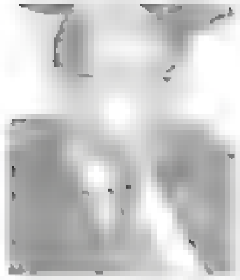
﴿[illegible] شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾

(النور: ٤)

فسكت (عمر) [illegible] المجرمين.

وقال رجل من المسلمين لـ (عمر): اتق الله! فاستنكر عليه أحد الحاضرين، فغضب (عمر) وقال: «ألا فلتقولوها.. لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها».

من مقاصد حرية الاعتقاد فى التشريع الإسلامى



سابعًا - إظهار سلم الإسلام وسماحته

تشريعات الإسلام فى كل مجال تنبئ عن إنسانية هذا الدين وعن سماحته حتى مع [illegible]

[illegible]

ولعل ما سبق بيانه من وصايا الرسول للصحابة قبل الحرب بعدم التعرض لشيخ ولا [illegible] ولا امرأة [illegible] [illegible] يؤيد ذلك.

إن الإسلام جعل من مقاصد القتال الحفاظ على دور العبادة للآخرين، [illegible] ذلك على المساجد:

[illegible]

(الحج ٤٠)

[illegible] يناقض فطرته بل يؤيدها ويشهد لها [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] العلماء عبر الاستقراء للأحكام الشرعية هى مقاصد إنسانية بالدرجة الأولى تشترك فيها [illegible] وكليات تشريعية قامت من أجلها جميع [illegible]

وكذلك القواعد الفقهية نلمح فيها هذا البعد الإنسانى السمح المسالم الذى يحفظ الإنسان، مطلق الإنسان، ويبعد عنه الضرر: [illegible] جلب المصالح"، "الضرر يزال"، "المشقة تجلب التيسير"، "يرتكب أخف الضررين، ويجلب أعظم المصلحتين"، "كلما ضاق الأمر اتسع"، كلها قواعد تمثل السماحة والسلم الإسلاميين، وهى قواعد لا يختلف عليها عاقلان من أى دين.

إن الدين الذى يتعايش مع غيره من [illegible] سقف مجتمع واحد، ويعرض لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات كما يعرض على المسلمين تمامًا، ولا يكره أحدًا على [illegible] الكاملة، ويوصى نبيه ﷺ المسلمين جميعًا بالإحسان إلى أهل الكتاب والبر بهم والإقساط إليهم ما داموا مسالمين، وقبل ذلك يوصى به القرآن، وكما شهد له تاريخ الإسلام لهو دين إنسانى بالدرجة الأولى، سمح فى تشريعاته، سلم فى معاملاته.

يقول الشيخ محمد [illegible] الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير فى القارات الخمس، ولم [illegible]

[illegible] ولا يوجد دين يؤمن عقيدة وسلوكًا بالدين الآخر ورسوله سوى الإسلام، ويعتبر المسلمون الإيمان بالرسالات الأخرى [illegible] لا به. فنحن نؤمن باليهودية والتوراة وموسى، ونؤمن بالنصرانية والإنجيل [illegible] القرآن ولا محمد ﷺ.

يقول [illegible] عدونا الصواب، إنه دعوة إلى الإيمان بالله رب العالمين، وإلى احترام الرسالات التى جاء بها من لدنه جميع الأنبياء والمرسلين، أى أن المسلم مكلف أن يؤمن بموسى مثل [illegible] الإسلام"[2].

ولا يحمل كلام الشيخ هنا على "وحدة الأديان" [illegible] الخصوصيات لكل أهل دين، ونبقى على مجموعة من الشعائر والشرائع يؤمن بها الجميع، فهذا مرفوض عقلًا وشرعًا ومنطقًا، ويتناقض قطعًا مع سنن الله الجارية فى الخلق [illegible] الناس مختلفين، وهذا من مقاصد الله فى [illegible]

ثامنًا - نفى التقليد فى الاختيارات العقدية

وإذا كان التقليد فى الأمور الفقهية الفرعية مرفوضًا على الأقل لمن يقدر على النظر، وحق الاجتهاد فيها مكفول [illegible] أمور العقيدة مرفوضًا وباطلًا لكل [illegible] شرط العقيدة الصحيحة أن تكون بعد تفكير كاف واقتناع تام، ولا تكون [illegible]

[illegible]

([illegible] ٢٢)

(١) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ٢٧، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.

(٢) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ٢٦

وما كفلته الشريعة الإسلامية من حرية في اختيار العقيدة لهو مما يعزز إبطال هذا التقليد الذي ينتفي مطلقا بما تفرضه هذه الحرية التي يكفلها الإسلام من تفكر وتدبر بعيدا عن أي ضغط أو إكراه، وبمعزل عن الترغيب أو الترهيب.

يقول الشيخ محمد الغزالي: إن خير بلد يبشر ميلاد الإيمان الصحيح فيه جو الحرية النبيلة والطمأنينة الشاملة، وهو ما يتنشده الإسلام للناس كافة. قد يؤمن بعض الناس بالرشوة، وبعض آخر بالسيف، وقد ينتقل الإيمان بطريق التوارث من الأسلاف إلى الأخلاف. لكن الإيمان الأسمى الذي رسمه القرآن الكريم للإيمان، هو تفكير هادئ راجح في آفاق الأرض والسماء، يعود المرء منه وهو معتنق لقلب رب الأرض والسماء.

التقليد في العقيدة

والتقليد في العقيدة له خطره من وجوه:

الأول: أن الإنسان بالتقليد في معرفة ربه لا يحقق الإيمان مقاصده في حياته ولا حياة غيره.

والثاني: أنه بالتقليد يعطل عقله، وقد أمر الله بحفظه إيجادا واستمرارا، وجعل من أسباب ذلك التعلم والتدبر والتفكر.

والثالث: أنه من السهل على المبشرين والمنصرين أن يقنعوه بأي كلام، فيتحول عن دينه إلى دين آخر؛ لأنه لم يدخل عن فكر وقناعة، ومن ثم يكون خروجه منه بلا فكر ولا قناعة غير الشهوات والشبهات.

وحسبنا ما قاله الإمام ابن القيم عن منقصة التقليد وذمه بشكل عام، قال: "وكانوا يسمون المقلد الإمعة ومحقب دينه، كما قال ابن مسعود: الإمعة الذي يحقب دينه الرجال، وكانوا يسمونه الأعمى الذي لا بصيرة له، ويسمون المقلدين أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق، كما قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة، وكما سماه الشافعي حاطب ليل، ونهى عن تقليده وتقليد غيره"[1].

تاسعا - تعزيز السنن الإلهية

لله تعالى قوانين وسنن جارية ثابتة، في كونه وفي خلقه، من هذه السنن والقوانين: تدافع البشر، والأخذ بالأسباب، ومداولة الأيام والدول، ومن هذه السنن اختلاف البشر، اختلافهم في كل شيء، في اللون واللغة والطباع والعادات والتقاليد والأفهام والتصورات والأخلاق حتى جعل هذه السنة في الدين والمعتقد.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود: ١١٨-١١٩)

وترك حرية اختيار العقيدة للناس يتوافق مع هذه السنن، حيث إن الناس متفاوتون في الإدراك وفي العقل، ومن ثم تتعدد اختياراتهم وقناعاتهم، وتتنوع انتماءاتهم وعقائدهم، وهذا يتناسب ويتجارى مع مشيئة الله تعالى في خلقه كما سبق في الآية الكريمة.

عاشرا - إبطال دعوى الوصاية الدينية ونفي نظرية الحق الإلهي

ففي عصور الوثنية كان الطغاة هم ظل الله في الأرض، وبعضهم يدعي حقوقا وحرمات، ويسلبون إرادة الناس كل هذا يتم - كما زعموا - باسم الله وبالتوقيع عنه.

ومن تفصيلات ذلك أنه في المرحلة السابقة للإسلام - كما يقول الدكتور معز الحوالي - كان الملوك يستعبدون الناس لأنفسهم، ويدعون أن لهم سلالة عرقية خاصة أسمى من العنصر البشري المشترك، وغلا بعض الطواغيت، فادعى أنه إله أو من نسل الآلهة كما فعل أباطرة الروم، ولم يكن ليدور في خلد أي منهم أن للأمة عليه واجبات وحقوقا، وأن الكرسي والمنصب تكليف لا تشريف، بل كانوا يرون أن ما تقدمه لهم الأمم من مراسم الخدمة والولاء والخضوع المطلق والتضحية بالنفس والنفيس لأجلهم ليس إلا واجبا مقدسا يقومون به تجاه العرش المحروس!

جاء الإسلام فنسف هذه الفكرة من أساسها، ورد العبودية كلها لله وحده، وفرض على الحكام تبعات ومسئوليات تناسب مركزهم في الأمة، فرأى الناس في معظم بلاد المعمورة أولئك يعزلون متى شاءوا، ويتنحون أو يعزلون بمشورة كاملة في الوقت الذي لا يتميزون فيه عن الأمة بكبير فرق[2].

وهذه النظرية حققت للدين ضررا بالغا بتمسحها به وانتسابها اللفظي إليه وادعاء أن طواغيتها يستمدون سلطتهم من تفويض الله لهم، إذ نجم عن ذلك رد فعل عنيف ضد الدين من قبل من يسمون دعاة الحرية الذين وجدوا في هذه الدعوى فرصة سانحة لأدعياء الحرية لتبرئة الطغيان وتقديس تلك النظرية.

والحق الذي لا مرية فيه أن الحكام الذين مارسوا الطغيان متسترين بهذه الدعوى هم أبعد ما يكون عن تنفيذ القانون الإلهي أي الحكم بما أنزل الله، فوق أنهم لا يستطيعون إقامة الدليل على أن الله منحهم الحق في التسلط على الأمم وإذلال الشعوب باسمه[3].

وتأتي حرية الاعتقاد لتحطم كل هذه الأوهام والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان، عبر فريضة الجهاد التي ترفع سلطان الله في الأرض، فيتحرر الإنسان من عبادته لغير الله، وخضوعه لأحد سواه، وفي هذا تعطيل كامل لهيمنة السلاطين، وهؤلاء الآلهة الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله، وتحرير لإرادة الإنسان وعقله ليكون حرا في اختيار ما يشاء.

---

[1] [illegible]

(٣) الطمأنينة نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ٢٩٦، دار الهجرة، بدون بيانات.

حادي عشر: إقامة الحجة على الإنسان

ومن مقاصد حرية الاعتقاد أن تقام الحجة على الإنسان كاملة، فقد أرسل الله له الرسل، وأنزل معهم الكتب، ووهب لهذا الإنسان العقل الذي يقرأ به النص، ثم تركه حراً في اختيار ما يشاء؛ كل ذلك لكيلا يكون للناس على الله حجة.

ولأن الله تعالى لو حاسبه على ما علمه من حاله أزلا لقال ظلمت، فترك الحرية له إقامة للحجة عليه لئلا يعترض هذا الاعتراض.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(الأنفال ٤٢)

وإلا كان في مقدور الله تعالى أن يحمل الناس على الإيمان حملا بعيدا عن هذه الأسباب، وقد منحه نعمة العقل الذي يقرأ به النص الصحيح، قال تعالى:

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾

(الشعراء ٤)

وكملت حتى لا يعترض بأنه أكره على اعتناق أي معتقد بفعل الله تعالى، لكن جعله حراً مختاراً غير مقيد بأي قيد حتى يكون مسئولا مسئولية كاملة عن اختياره، محاسباً به أمام الله تعالى، وهذا المقصد له ارتباط واضح بالمقصد الثاني: تأكيد معنى الضمير الفردي والمسئولية الفردية؛ فإقامة حجة كاملة على الإنسان تقتضي الحرية في اختيار المعتقد، ومن ثم تتأكد مسئولية الفردية للفرد عما يختاره.

ثاني عشر: التأكيد على نورانية معالم الحق ووضوح أمارات الهدى:

فمعالم الحق واضحة وأمارات الهدى ظاهرة بحيث يصل إليها كل حر، ويدركها كل سليم الفكر، متى كان نظره وتفكيره حرا طليقا بعيداً عن القيود وفي حل من الإكراه، ذلك أنه كلما وجدت تضييقا أو تقييدا تستطيع أن تحكم بضعف بضاعة من يفرضه، أما البضاعة القوية فهي ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى توضيح ولا إلى إظهار لأنها تستمد قوتها من وضوحها وظهورها وملاءمتها، وبناء عليه فإن العاقل لا يحتاج إلى كثير عناء للوصول إليها.

روى ابن عبد البر بسنده عن ابن شهاب أن معاذ بن جبل كان يقول في مجلسه كل يوم قل ما يخطئه أن يقول ذلك: الله حكم قسط، هلك المرتابون، إن وراءكم فتنا يكثر المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر؛ فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن تتبعوني حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم وزيغة الحكيم فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة. وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نورا، قالوا وكيف زيغة الحكيم؟ قال هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه. فاحذروا زيغته، ولا يصدنكم عنه، فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة فمن ابتغاهما وجدهما[2].

وإطلاق حرية الاعتقاد من شأنه أن يؤكد على هذه الحقيقة، وهي أن الفكرة الإسلامية فكرة قوية ظاهرة واضحة يهتدي إليها كل من أعمل فكره الذي منحه الله إياه وميزه به على سائر الخلق.

ومن الطريف هنا أن الله تعالى بعدما ذكر حرية العقيدة:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

ثم عقب مباشرة:

﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

فالراشد لن يرتضي سوى الرشد، ولا يرتكب خطيئة ما دام عاقلا متوازنا حرا طليقا بعيدا عن الإغراءات والإغواءات، ومطلقا من سلطة الترغيب والترهيب.

كلمة أخيرة

هذه بعض مقاصد حرية الاعتقاد في الإسلام، وليست كلها قطعا، ومع التأمل والتدبر وطول النظر وإعمال الفكر لا سيما في التدابير الشرعية التي شرعها الإسلام قرآنا وسنة، يمكننا أن نستنبط مقاصد أخرى تضاف إلى المقاصد السابقة.

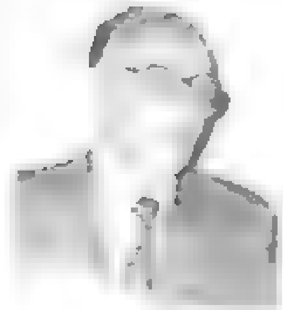
وإذا كانت هذه مقاصد مستنبطة من أحكام الإسلام وشرائعه في مجال الحرية الدينية، فإنها مقاصد إنسانية عامة تبرز عظمة الإسلام وسماحته، وسلامته وصلاحيته، ومدى تقديره للإنسان مطلق الإنسان، وما أحوجنا إلى إبراز جانب الإنسانية في الإسلام في هذا العصر الذي بات فيه الإسلام متهما بالإرهاب والعدوانية.

وأود أن أؤكد في النهاية ما قلته في المقدمة، وهو أننا لا يجوز بحال من الأحوال أن نتبع كل ناعق، ونسير خلف كل زاعق مهما كان مصدره، بل الواجب علينا أن ننطلق من أصولنا إلى غيرنا في غير ذوبان، ونحافظ على هويتنا وأصالتنا في غير انغلاق، مستفيدين من كل قديم نافع، ومرحبين بكل جديد صالح، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

❊❊❊

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١١١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ

الأخلاق والعقل

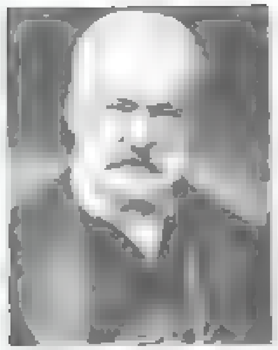


مفهوم الحرية الانسانية لا ينفصل عن فكرة الأخلاق. فبالرغم مما خضعت له هذه الفكرة من تحورات، ظلت الحرية هى الثابت عند كل تحول أو تطور خلال تاريخ علم الأخلاق. فمثل ما للمكان والكم من أهمية فى علم الطبيعة، كانت أهمية الحرية بالنسبة لعلم الأخلاق. يدرك العقل المكان والكم ولكنه لا يفهم الحرية. وهذا هو الخط الفارق بين العقل والأخلاق.

وظيفة العقل أن يكتشف الطبيعة والآلية، وعلم التفاضل والتكامل. بمعنى آخر إن العقل يكتشف نفسه فى كل شئ، ويفهم نفسه. فإن العقل يدور دائماً فى مكانه. فهو لا يكتشف فى الطبيعة إلا ذاته.. أعنى الآلية. ومن هنا، يأتى التناقض البين فى بعض النظريات الأخلاقية التى تنهى جدلها المنطقى المعقد بنتائج، مثل أن الخيرية تساوى الأنانية، ويكاد الخير يساوى اللذة وهذا هو التناقض نفسه الذى جعل «فولتير» يستخلص رأيه الغامض الشهير «تضحية الإنسان بنفسه بوازع من مصلحته الذاتية» [٢].

إن التحليل (المنطقى) العقلى للأخلاق يختزلها ـ ربما لدهشة الملاحظ ـ إلى طبيعة وأنانية وتضخيم للذات. يكتشف العقل فى الطبيعة مبدأ السببية العامة الكلية القدرة. ويكتشف فى الإنسان الطبيعة: الغرائز أو (القوة ذات السيفين: اللذة والألم) التى تؤكد عبودية الإنسان وانعدام حريته. إنها آلية التفكير نفسها التى حولت الألوهية إلى سبب أول (محرك أول لا يتحرك). واختزلت الروح إلى نفس، والفن إلى عمل وتكنيك. إن محاولة إقامة الأخلاق على أساس عقلى لا تستطيع أن تتحرك أبعد مما يسمى بالأخلاق الاجتماعية، أو قواعد السلوك اللازمة للمحافظة على جماعة معينة، وهى فى واقع الأمر نوع من النظام الاجتماعى.

إن الأخلاق ـ بسبب ذلك ـ لا يمكن القول بأنها نتاج العقل. فالعقل يستطيع أن يختبر العلاقات بين الأشياء ويحددها، ولكنه لا يستطيع أن يصدر حكماً قيمياً عندما تكون المشكلة قضية استحسان أو استهجان أخلاقى. مثلاً، يفهم كل إنسان أن المبدأ الذى يسعى إلى صب أرواح الناس فى قوالب متماثلة، لا ينبغى السماح به. ولكن هذا المبدأ نفسه لا يمكن تبريره أو البرهنة عليه عقلياً. فمن المستحيل التبرير العلمى بأن شيئاً ليس خيراً بالمعنى الأخلاقى للكلمة، مثلما أنه من المستحيل أن تصل إلى تفرقة علمية دقيقة بين الفن والكيتش (أى الأعمال الهابطة المنسوبة إلى الفن)، أو بين الجميل والقبيح. الطبيعة والعقل على السواء لا يمكنهما التمييز بين الصح والخطأ، بين الخير والشر. فهذه الصفات ليست موجودة فى الطبيعة. فهذا يعنى الإنسان ـ كشخصية متفردة لا تتكرر. بالنسبة للعلم «لا بد أن يكون العالم شيئاً أكثر من علمه. أن يكون إنساناً لكى يفهم هذه الحقيقة. إن المثل المأثور الذى يقول بأن الإنسان الخير سعيد دائماً، وأن الإنسان الشرير تعيس، لا يمكن فهمه بطريقة عقلية. وتستعصى الأخلاق المسيحية على سعيها بمصطلحات علمية، لأن جميع دعواها الأخلاقية متجسدة فى شخصية معينة، وهى شخصية المسيح. كذلك، فإن المبادئ الثلاثة للثورة الفرنسية (الحرية والإخاء والمساواة) لا يمكن استنباطها علمياً، ولا يمكن الوصول إليها بطريقة علمية. إنما الأرجح أن يقرر العلم ثلاثة مبادئ مضادة، هى عدم المساواة، والخضوع الاجتماعى المطلق، وتعريب الوحدات الإنسانية فى مجتمع كامل التنظيم.



فكتور هوجو

هل كان يستطيع «جان فالجان» [٣] أن يلجأ للعلم كى يحل له المشكلة الأخلاقية التى اعترضته؟ هل كان عليه أن يضحى بمصلحة عدد كبير من الناس فى سبيل إنقاذ إنسان برئ بسيط أى جدوى كان العلم سيحددها؟ ألم يكن العلم يتحاز إلى ما يسمى بالمصلحة المشتركة؟ إن المشكلة المطروحة ليست من اختصاص العلم. وما كانت إجابة العلم ـ لو أنها ممكنة ـ لتعكس رغبة أى إنسان. وما وصفه «فكتور هيجو» بطريقة مثيرة فى «عاصفة فى جمجمة» (La Tempete dans un crane) ليس صراعاً فى عقل إنسان، وإنما هو صراع بين العقل والروح. صدام مصدر من حجج ينتمى إلى جانبين متعارضين فى الشخصية الإنسانية، إنه حوار بين العقل والضمير فى أساسه. حوار يتحاور فيه نوعان مختلفان من الجدل. ولذلك، لا يمكن مقارنتهما لأنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين، عالم الأرض وعالم السماء. ولا يستطيع إلا الإنسان وحده أن يقوم بالاختيار لنفسه وفى نفسه وهو يواجه هذه المعضلة. والقرار الذى اتخذه «جان فالجان»، كان هزيمة للعقل وانتصاراً للإنسان، وهو انتصار لا يمكن تفسيره أو تبريره عقلياً. ولكنه قرار

---

(١) جوهر الروح هو الحرية وجوهر المادة هو الكم. انظر هيجل Sämtliche Werke_ (Stuttgart, F. Frommann, 1961)

(٢) انظر. فرانسوا مارى أروى دى فولتير، François Marie Arouet de Voltaire: Oeuvres Complètes de Voltaire. Vols 17-20: Dictionnaire philosophique. Paris. Garnier frères 1885.

(٣) انظر «فكتور هيجو» Victor Hugo: Les miserables (Paris: Garnier - Flammarion, 1972)

[illegible] [illegible]

إننا جميعاً قد يكون لدينا شعور داخلي مؤكد بحريتنا. فهل نستطيع أن نفسر أو نبرهن بطريقة علمية على هذا الشعور [illegible] جميعنا يوافق على أنه ليس من الصواب معاقبة الشخص الذي تسبب صدفة في جريمة. ومع ذلك، فهذا الموقف المنطقي [illegible] لا يمكن تبريره علمياً. فما يقبله القلب لا يستطيع العلم أن يبرهن عليه أو يفسره. فهل نستنتج القيام بواجبنا الأخلاقي [illegible] هنا. وإذن فنحن نحتفظ بموقف دون أن نعلم [illegible]

فما علاقة العقل بالقرارات الأخلاقية؟ يجيب «هيوم» على هذا السؤال بوضوح ودقة [illegible] ليست أكثر من عدد من الدوافع والأفكار أو الأفعال منسوبة إلى شخص معين وموقف معين [illegible] ونفسر أصل هذا الفعل وطريقة أدائه. [illegible] تتحدث بتعبير الاستهجان، وإذا بنا نصف العمل بأنه شر أخلاقي». ويمضي هيوم قائلاً: «كل ما في قدرة عقلنا أن يستعرض العلاقات بين الأشياء. أما في الحكم القيمي، فنلتقي خطة جديدة تماماً، وهي خطة لا تتوافر في الأحكام الحقائقية، ولا يمكن تفسيرها إلا بواسطة القوة المؤثرة لمشاعرنا»[5].

قال «فرانسيس هتشسون» في كتابه «نظام الفلسفة الأخلاقية»: «كما أن القيمة العليا في المتعة الفنية والعلمية واضحة كل الوضوح [illegible] [illegible] من المفاهيم الأخرى...»[6] ويفهم من كلام هتشسون [illegible] على التعرف على القيم الخلقية لا يعتمد على الذكاء أو التعليم، فالأحكام الخلقية لا تأتي عن طريق العقل، وإنما هي أحكام داخلية مباشرة.

[illegible] بين العلم والأخلاق ينعكس في الحياة اليومية، فالعلم -مثلاً- يقبل الإخصاب الصناعي لأطفال الأنابيب، هذه الأمور لم يكن في الإمكان تخيلها بدون العلم، فهي من نتاجه. ومن ناحية أخرى، نجد أن كل أخلاقي -بصرف النظر عن موقفه الأسمى من الدين- يرفض هذه الأمور باعتبارها مناقضة [illegible] التي تقوم عليها الحياة الإنسانية في [illegible] الأخلاق والدين [illegible] جميعاً في الفكرة نفسها، وإن كان كل منها يفسر الأمر بطريقته المختلفة. فالدين لا يمكن أن يقبل الحياة الصناعية أو القتل، لأن الحياة والموت ملك لله لا للإنسان. ومن وجهة النظر الأخلاقية، يعتبر الإخصاب الصناعي و«القتل الرحيم» جريمة ضد الإنسانية، لأن فيهما حطاً بالإنسان إلى مستوى الأشياء، وهذا يؤدي إلى التلاعب بالإنسان والإساءة [illegible] والموت أسرار يجب أن تبقى على حالها. إن أشهر ثلاثة أحاديث «لهاملت» مكرسة للموت [illegible] الهوة كاملة والمقارنة مستحيلة.

التجارب التي تجري على الإنسان، والإخصاب الصناعي، جميعها أمور عقلانية ومنطقية تماماً، ولا توجد حجج علمية أو عقلانية ضدها. فكيف يستطيع العلم أن يمنع سوء تطبيقها؟ إنه لا يستطيع. ولقد أرادت الأكاديمية [illegible] والسياسية أن تعلن موقفها ضد الإخصاب الصناعي، [illegible] لا علمية حين قالت [illegible] جريمة ضد قاعدة [illegible] عن فكرة مماثلة فقال: «إن الشعور باحترام [illegible] بينه وبين المنطق شيء مشترك.. وأنا أعتقد أن مسألة القتل الرحيم التي تفرض نفسها في بعض الأحوال، لا يمكن السماح بها قانونيا أبداً»[7].

إن القتل الرحيم، والإخصاب الصناعي، [illegible] وغيرها، إنما هي مجالات للعلم من الناحية التقنية فقط. أما تطبيقاتها، فقضية أخلاقية وليس [illegible] أي خطة لمعاملة الإنسان معاملة القطيع تبدو مثيرة للاشمئزاز، وفي الوقت نفسه تجرح فينا مشاعر الكرامة الشخصية»[8] ولا ننسى أن الإخصاب الصناعي تسلل إلينا من الطب البيطري [illegible] بين الإنسانية والبيولوجيا، أو بين الفردية [illegible] الإنسان منذ البداية: المصلحة أم الواجب الروحي؟ تمنح البيولوجيا للإنسان التقدم على حساب روحه ونبله الإنساني. «ويوافق [illegible] عليه بوسائل تحط من إنسانيته. ولكن هل [illegible]

إنه لمن الطبيعي أن يتحد المسيحيون [illegible] النوع من التقدم، فهو، في نظر المسيحيين «المذهب الشيطاني الطبيعي»، وعند [illegible] «ركام من القسوة المبرمجة»[10]. ومن الطبيعي أيضاً أن يبتهج الماديون بالتقدمات الواعدة التي تتيحها التطورات الحديثة في علم البيولوجيا.

إن التقدم العلمي مهما كان واضحاً [illegible] غير ضروريين. فالعلم لا يعلم الناس كيف يحيون، ولا من شأنه أن يقدم لنا معايير قيمية [illegible] مدخل إلى عالم آخر متفوق على هذا العالم، والأخلاق هي معناه.

(٥) انظر: ديفيد هيوم: David Hume: Treatise on Human Nature

(٦) انظر: فرانسيس هتشسون: Francis Hutcheson: A System of Moral Philosophy, New York. A. M. Kelley, 1968, vol. I, part VI

(٧) انظر: لوسيان كينو: Lucien Cuenot: (L'Eugénique) Revue d'Anthropologie: 1935-36

(٨) انظر: جان روستاند: Jean Rostand: Humanly Possible: A Biologist's Notes on the Future of Mankind, trans. Lowell Boir (New York: Saturday Review Press, 1973

(٩) المصدر نفسه

(١٠) انظر: ريمي كولين: Remy Collin: Plaidoyers pour al vie humaine (n.p.n.d) and Voznesensky وفوزنيسنسكي [illegible]

المقصد التربوى للزكاة فى الجانب الجسدى للفرد المسلم

[illegible]

قد تؤدى النظرة العابرة الى أحكام الزكاة الى اعتبارها عبادة روحية اجتماعية فقط لكن عند التأمل نجد جوانب كثيرة يراعى فيها الجانب الجسدى فى تشريع الزكاة منها ما يلى:

أولاً: من المعروف فقهياً أن لكل مال تجب فيه الزكاة نصاباً وذلك للحديث الذى رواه أبو داود بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[1]. هذا النصاب يوفر الحد المعقول من المعيشة التى ذكرها الله تعالى فى قوله

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾

(طه ١١٨، ١١٩)

هذه الثوابت التى يجب أن تتوفر لكل إنسان فلا تجوع بطنه ولا يتعرى جسمه، ولا تظمأ شفته، ولا ينام أو يعيش فى العراء بل لابد من مسكن يقيه من المطر، ويظله من الحر، وهذه كلها مطالب جسدية أوجب الإسلام توفيرها لكل إنسان، ولا يلزم بإخراج الزكاة إلا إذا وجد النصاب مع حولان الحول عليه خاصة فى الأموال السائلة ليدل على امتلاكه كل ما يحتاج إليه هذا البدن من طعام وشراب وكساء ومسكن، وهو الحد الذى لا يجوز أن يعيش إنسان دونه.

النصاب إذن عبارة عن تكريم للجسد، ولا يجوز إهمال مطالبه أو التوانى عن تلبيتها، ولقد كانت وسطية الشريعة الإسلامية ذات تفرد وتميز فى هذه المكرمة الواضحة للمطالب التى تكرم الإنسان فى جسده ونفسه ومكانته. فيلبس لبس مثله. ويسكن فى مسكن يوازى أمثاله، فإن فاض عنه ما يبلغ نصاباً أخرج الزكاة وإلا لم يجب عليه شىء.

وعندما حاولت الأنظمة الوضعية وضع حل لهذا الأمر وضعت حداً للإعفاء لكل مواطن فيكون الإعفاء للعازب مثلاً مائة جنيه، وللمتزوج مائة وعشرين ولمن يعول مائة وأربعين[2]، هذا عندما يطبق على الناس كافة انطوى على ظلم فادح لأن العازب المريض قد يحتاج إلى مؤن وعلاج لا تكفيه الألف، وقد ينفق نصفه المتزوج العائل. فتحديدها بحد أدنى للإعفاء فيه افتراض تساوى جميع الخلق فى ظروفهم وإنفاقهم، أما الإسلام فقد خرج بالناس من هذا المأزق حيث أرشد الإنسان إلى الإنفاق المعتدل قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] ٦٧)

ثم ما فاض عنه من نصاب حال عليه حول يخرج عنه زكاة فى نسبة محدودة ستبقى كل مطالب الإنسان فى الإمكان تلبيتها مادامت حلالاً.

ثانياً: أما الفقير الذى لا تتوافر له مقومات الحياة الضرورية الجسدية والتى تدفع عنه شبح كفافه حتى قال من رجحت مسكن والخادم والمركب المحتاج إليه ليس بمال فاضل تمنعه أخذ الزكوات، ولا يجب فيه حج والكفارات، ولا يوفيه منه الديون والنفقات..

وقد ذكر عدد من الفقهاء والعلماء من له دار واسعة وأثاث وفرش وخادم وملابس سرية ومحتاج للزكاة لا تباع هذه الأشياء ويأخذ من الزكاة[3].

هذه أظهر الأدلة على مراعاة حاجات الجسد كلها، دون تقصير فى شىء منها، بل إن حديث أخرج الإنسان عن دائرة الإسلام كلية فيما روى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما آمن بى من بات شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[4].

هذه النصوص تضمن لكل جسد عار كساء، ولكل بطن خاو غذاء، ولكل ظمآن سقياً، ولكل نازح بيتاً فى مسكن يناسب وضعه الاجتماعى والأدبى فإذا الفقير تقضى يسكن فى مسكن يكافئ نظراءه من بيت مال الزكاة ولا يلزم أن يسكن مسكن الخفراء، ولا أن يركب من كسبهم. هذه الأحكام تراعى الحاجات الجسمية والنفسية فى آن واحد.

ثالثاً: هذا الوجوب الشرعى لسد كل حاجات الجسد والنفس لا يقتصر على أموال الزكاة بل يجاوزها إلى جواز فرض الوظائف المالية على الأغنياء إذا قصرت فى كفاية الفقراء، يقول ابن حزم: وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك،

---

[1] [illegible]

[illegible]

٢٢٨، شرح كتاب النيل للعيش ٢/٣٢٩، والنفقات العامة فى الإسلام د. يوسف إبراهيم يوسف ص ٣٦٠ ـ ٣٧٩، [illegible]

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى ٨/١٦٧، الحديث رقم ٣٧٦١، وقال عنه [illegible] الحديث حسن، وقال الهيثمى إسناد البزار حسن

وتمسكن يكفيهم من مطر وصيف وشمس وعيون المارة[6].

الواضح أن عبارة ابن حزم وغيرها الكثير تؤكد على مطالب الجسد التي لا غنى للإنسان على فقدها. إذا قارنت هذا بما آل إليه الوضع في القرن العشرين فستجد أن ثلث العالم لايزال يعاني نقصا مزمنا في التغذية فهل يرجع هذا إلى نقص في الغذاء أم إلى نقص في الشعور؟ كما يقول الرئيس على عزت بيجوفيتش[7]؟ وقد نشرت سلسلة الأمة كتابا بعنوان [illegible] والتخلف في دول [illegible] المسلمين، وذكر فيه أن هناك ثلاثة عشر مليون مسلم يموتون كل عام بسبب الجوع والفقر. ونشرت [illegible] صور تدمي [illegible] والأطفال والشيوخ والنساء والأرامل والجرحى من المسلمين في بنجلاديش والبوسنة وكشمير والصومال [illegible] وفي كثير من دول [illegible] فقراء يمتصهم الجوع وتنهكهم الأمراض ولا يجدون [illegible] وغياب للضمير الإنساني، وجفاف في المشاعر الإنسانية أدى إلى هذا؟ إنه الضياع، فلا الغنى بعد ذلك آمن على نفسه من سطو الفقير، ولا الفقير يأمن على لقمته من التهام الغنى لها واستحواذه عليها. هناك حرب باردة تسحن درجتها في كل الجرائم اليومية، وقد نشر في عدد 4 من سبتمبر 1969 من جريدة «الجمهورية» المصرية أن مكتب التحقيقات الفيدرالي بأمريكا أفاد بأن عدد الجرائم الخطيرة أربعة ملايين ونصف مليون جريمة كل عام وتقع في كل دقيقتين جريمة سرقة بإكراه، وسرقة سيارة كل [illegible] ثانية وسرقة منزل كل سبع عشرة ثانية[7].

أليست هذه السرقات أكبر خطرا على الأجساد عندما يصاحبها إكراه على السرقة؟.. وإذا لم يحدث إكراه أليست اعتداء على حقوق الأمن والملكية والنفس في نفس الوقت؟.. إن الإسلام وحده هو الذى يمكن أن يحل هذه المعضلات.

فاحترام الإنسان من ثوابت الإسلام لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

«الإسراء: 70»

مهما اختلفت أديانهم، وإطعام الطعام للفقير ذى المسغبة أو اليتيم ذى المقربة، أو ابن السبيل الحائر كل ذلك يمثل للإنسان حقا طبيعيا من المعيشة التي لا تعرف العنت لهذا الجسد، واستقر في العرف الفقهي الإجماع على وجوب بذل الطعام للمحتاج إليه والكساء والسكن لمن اشتدت حاجته إذا فاض عن حاجة المنفق وإذا تركه فمات ألزم دفع ديته[8].

رابعا: إذا كانت الزكاة تلبى كل مطالب الجسد [illegible] والنفسية فإن التشريعات المالية الأخرى قد أخذت روح الزكاة في كفالة الإنسان حتى لو لم يكن مسلما، وسد حاجته الجسدية والنفسية، ولقد أسف عمر عندما وجد شيخا يهوديا يتسول فأعطاه من سهم المصالح ما يسد حاجته، ولما بعث عبدالملك بن مروان عامله الضحاك بن عبدالرحمن الأشعرى إلى أهل فارس ليقرر عليهم مقدار الجزية والخراج، حسب ما يكسبه العامل في السنة. وطرح النفقات كلها من طعام وشراب وإدام وكسوة ومسكن، بل حسب الحذاء ثم وضع الجزية والخراج على ما كسبه بعد ذلك، وحذر سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- عامله عثمان بن حنيف، وحذيفة بن اليمان أن يحملا أهل الخراج غير المسلمين تكاليف مالية في الخراج والجزية فوق ما يطيقون، ولما سألهم قال عثمان بن حنيف: وضعت عليهم شيئا ما فيه كثير فضل، وقال أبو عبيد: وهذا عندنا مذهب الجزية والخراج، إنما هما على قدر الطاقة من أهل الذمة بلا حمل عليهم ولا إضرار بفيء المسلمين[9].

خامسا: لقد زاد الإسلام الإنسان في العطاء في الأعياد فالنفس البشرية تتطلع إلى أن تعيش أفراح العيد في سعة من العيش، فلا يخرج الميسورون وأولادهم في رغد من العيش، ويعيش الفقير طاويا أو يأكل طعاما عاديا. بل سن الإسلام قبل عيد الفطر فريضة من الزكاة هي صدقة الفطر [illegible] الفقراء من التسول في هذا [illegible] ويظهر هذا في حديث [illegible] أن النبي ﷺ فرض زكاة الفطر طهرة للصيام من اللغو والرفث وطعمة للمساكين[10].

وتعدى هذا حتى [illegible] الفقراء [illegible] إلى [illegible] فهذه [illegible] الضحاك بن عبدالرحمن الأشعرى لما وضع الجزية على أهل فارس وقدر خراجها خصم مصاريف أعيادهم من جملة مكاسبهم ضمن النفقات العادية لكل فرد[11].

نستطيع أن نقول: إن توافر الأموال بيد الفقير هو أكبر ضمان أن يتغذى الفقير غذاء متنوعا يحفظ جسده من الاعتلال. فالجسم يحتاج إلى النشويات والبروتينات والأملاح والسكريات وغيرها. وهذه تحتاج إلى غذاء متنوع. والأنيميا التي تصيب الجسد تأتي غالبا من الطعام الذى لا يسد حاجات الجسد كله، والملابس تحفظ [illegible] من ضربات الشمس والأمراض الجلدية التي يتعرض فيها الجلد لحرارة الشمس. أما البرد فهو كاف لإنهاك الجسد، والإصابة بالنزلات المعوية، والأنفلونزا، والتهاب الشعب الهوائية، والنوم في العراء يعرض [illegible] وهوام الطرق. وهذه قد تنهش جسده، وتسمم دمه، وتوفير سكن صالح هو العاصم من هذه المهالك.

---

(6) [illegible]

لابن سلطان

(7) [illegible]

(7) مقومات الاقتصاد الإسلامي، عبدالسميع المصري، ص 22.

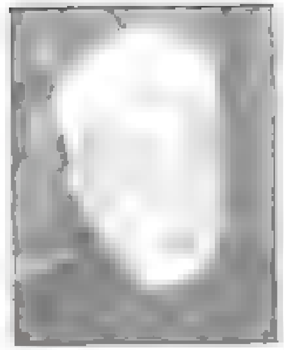
(8) [illegible] 29/10 - والمبسوط للسرخسي 10/ 29، والأشباه والنظائر لابن نجيم، ص 88 - 91، المجموع للنووي 10/ 39 - 40، الطرق [illegible]

(9) الخراج لأبي يوسف ص [illegible]

(10) سنن أبي داود، كتاب الزكاة باب زكاة الفطر، رقم 1423، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب الزكاة [illegible]

(11) الخراج لأبي يوسف ص [illegible]

منهاج القرآن الكريم فى دعوة اليهود إلى الإسلام ومظاهر إنصافه لهم



(٣٠)

[illegible] ... محمد ﷺ يوافق ما دعا إليه الأنبياء السابقون:

هذه وسيلة أخرى اتبعها القرآن الكريم فى دعوة أهل الكتاب إلى الدخول فى الإسلام، والإيمان بمحمد ﷺ، وتتلخص هذه الوسيلة فى أن القرآن الكريم ذكر لهم أن دين الإسلام، الذى دعاهم إلى الدخول فيه محمد ﷺ هو فى أصوله ومقاصده ولبه وجوهره يوافق ما دعا إليه جميع الأنبياء السابقين، وقد وردت آيات كثيرة من القرآن الكريم، فى هذا المعنى منها قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الشورى: ١٣)

والمعنى: أن الله ـ تعالى ـ شرع لكم ـ يا معشر المسلمين ـ من الدين ما شرعه لنوح ومن بعده من الأنبياء إلى زمن محمد ﷺ.

وتخصيص نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بالذكر، لعلو شأنهم، وعظيم [illegible] ... ولم [illegible] من الرسل، وإلا فكل نبى جاء بمثل ما جاء به [illegible] من الدعوة إلى توحيد الله، و[illegible] ورسله، و[illegible] الآخر [illegible] تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الأنبياء: ٢٥)

[illegible] فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

[illegible] هذا الدين، وهو دين التوحيد، وإخلاص العبودية لله، قائما دائما مستمرا، واحفظوه من التغيير والتبديل، واحذروا أن يقع فيه ما لم يأذن به الله، ولا تتفرقوا فيه بأن تأخذوا ببعض أصوله، وتتركوا البعض الآخر

والنهى عن التفرق إنما هو فى أصول الدين وأسسه، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، أما ما عدا ذلك من الفروع والتفاصيل، فيجوز أن تختلف فيها شريعة عن الأخرى كما قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(المائدة: ٤٨)

ثم بين ـ سبحانه ـ موقف المشركين من دين التوحيد، فقال تعالى:

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾

أى: شق وعظم على المشركين ما تدعوهم إليه، من توحيد الله، وترك عبادة سواه، لأنهم توارثوا ما هم عليه من شرك كابرا عن كابر، وهم كانوا عندما يدعون إلى الدين الحق يقولون ـ كما حكى القرآن عنهم

﴿[illegible]﴾

(الزخرف: ٢٣)

ثم بين ـ سبحانه ـ من هو أهل [illegible] وهدايته، فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

أى: الله ـ تعالى ـ يصطفى من يشاء من عباده، ويقربهم إلى محل كرامته، ويوفق للعمل بطاعته من ينيب إليه، ويتوب من ذنبه توبة صادقة نصوحا.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد وضحت أن رسالة الأنبياء جميعا واحدة فى أصولها وجوهرها، ولبها ومقاصدها

وقد ذكر القرآن الكريم أن إبراهيم ويعقوب ـ عليهما السلام ـ اللذين يدعى اليهود اتباعهما ـ قد وصيا بنيهما باتباع ملة الإسلام، وذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة:

﴿[illegible]﴾

قوله تعالى

﴿[illegible]﴾

معناه: لا أحد من الناس يكره ملة إبراهيم وينصرف عنها إلى الشرك بالله، إلا من امتهن نفسه، واستخف بها، وغلب سوء رأيه، حيث ترك طريق الحق إلى طريق الضلالة ثم بين الله منزلة نبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وخطأ من يرغب عن طريقته المثلى فقال تعالى:

﴿[illegible] اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

أى: ولقد اخترناه للرسالة وهداية الناس وإرشادهم فى الدنيا، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين المستقيمين على الطريقة المثلى، فمن يرغب عن ملة من هذا شأنه إلى غيرها من طرق الضلال لا يماثله أحد فى سفهه، وسوء رأيه

ثم بين الله تعالى كمال استقامة إبراهيم التى رفعته إلى المنازل العليا، فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

أى: اصطفى الله ـ تعالى ـ إبراهيم لأنه أمره بطاعته، وإسلام وجهه إليه فى كل حال

... لرب العالمين ﴾

أي: أخلصت ديني لله الذي فطر الخلق جميعاً، كما حكى عنه القرآن الكريم نحو هذا القول في قوله تعالى:

﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾

(الأنعام: ٧٩)

وبعد أن بين الله - تعالى - أن إبراهيم - عليه السلام - كان كاملا في نفسه، أتبع ذلك ببيان أنه كان - أيضا - يعمل على تكميل غيره، ودعوته إلى توحيد الله تعالى فقال - سبحانه -:

﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾

الضمير في ﴿ بها ﴾ يعود إلى الملة التي ذكرت قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾

والمعنى: ووصى إبراهيم بنيه باتباع ملته، ويعقوب كذلك أوصى بنيه باتباعها، فقال كل منهما لأبنائه: يا بني إن الله اصطفى لكم دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينا سواه.

﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

أي: فاثبتوا على الإسلام واستقيموا على أمره حتى يدرككم الموت، وأنتم مقيمون على هذا الدين الحنيف.

ثم أنكر القرآن الكريم على اليهود افتراءهم على يعقوب، وزعمهم أنه كان على اليهودية، التي أقاموا عليها تاركين دين الإسلام. فقال تعالى:

﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ﴾

روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية، فنزلت هذه الآية الكريمة[1].

والمعنى: ما كنتم - يا معشر اليهود - حاضرين وقت أن أشرف يعقوب على الموت، ووقت أن قال لبنيه حينئذ:

﴿ ما تعبدون من بعدي ﴾

فكيف تدعون أنه كان على اليهودية التي أنتم عليها وأنه أوصى بها بنيه؟ ومراد يعقوب - عليه السلام - من هذا السؤال أخذ ميثاق عليهم بالثبات على ملة أبيهم إبراهيم من بعده، لكي يسعدوا في دنياهم وأخراهم وقد حصل منهم ما يدل على رسوخ إيمانهم إذ قالوا:

﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون ﴾

وهذا الجواب يتضمن أنهم متمسكون بملة إبراهيم - عليه السلام - وهي ملة لا تثليث فيها، ولا تشبيه بمخلوق، وإنما هي إفراد الله - تعالى - بالعبودية، والاستسلام له بالخضوع والانقياد.

ثم حذر الله - تعالى - أهل الكتاب من ترك طاعته اتكالا على انتسابهم لآباء كانوا أنبياء أو صالحين فقال تعالى:

﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾

الإشارة (بتلك) إلى إبراهيم وبنيه، أي: أن إبراهيم وذريته، أمة قد مضت وانقرضت، لها جزاء ما كسبت من خير أو شر، ولا تسألون يوم القيامة عن أعمالهم في الدنيا، فلا يقال لكم على وجه المحاسبة لم عملوا كذا؟ وإنما ستسألون عن أعمالكم وحدها، فأصلحوها وحسنوها، وآمنوا بمحمد ﷺ الذي هو دعوة إبراهيم - عليه السلام - وعلى دينه وملته.

فالآية الكريمة واردة لتقرير سنة من سنن الله العامة في خلقه، وهي أن لكل نفس وحدها ثواب ما كسبت من خير، وعليها وحدها يقع عقاب ما اكتسبت من شر. وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت بوضوح لبني إسرائيل وغيرهم أن ملة إبراهيم الإسلام، وأنه هو ويعقوب - عليهما السلام - قد وصيا أبناءهما بأن يستمروا على هذه الملة حتى الموت، وأن أبناء يعقوب قد عاهدوه عند موته، أن يستمروا على ملته، وملة إبراهيم عليهما السلام.

وهذا الذي بينته الآيات الكريمة يطابق ما دعاهم إليه محمد ﷺ وهو الإيمان بالله - تعالى - وتصديق رسوله واتباع تعاليم الإسلام.

وفي القرآن الكريم آيات أخرى صرحت بأن الإسلام اسم للدين الذي دعا إليه كل الأنبياء، وانتسب إليه أتباعهم، فنوح قال لقومه:

﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾

(يونس: ٧٢)

وموسى قال لقومه:

﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾

(يونس: ٨٤)

والحواريون قالوا لعيسى عليه السلام:

﴿ ... آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾

(آل عمران: ٥٢)

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن أشرقت قلوبهم لدعوته، وقالوا:

﴿ ... آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾

(القصص: ٥٣)

وإلى هنا نكون قد ذكرنا بعض الآيات الكريمة التي أرشدت إلى أن ما جاءهم به محمد ﷺ يطابق ما جاء به الأنبياء السابقون، فعليهم أن يؤمنوا به ويصدقوا لأن كفرهم به كفر بجميع الرسل السابقين.

وقبل أن نختم هذا الموضوع ننبه إلى مسألة مهمة، وهي أن ما جاء به النبي ﷺ يطابق - كما قلنا - ما جاء به الأنبياء قبله في أصول الدين وكلياته كتوحيد الله - واختصاصه بالعبادة، وتصديق الأنبياء السابقين فيما أتوا به عن الله تعالى، والإيمان بالبعث، وما يكون فيه من نعيم وعذاب، والحض على مكارم الأخلاق. أما ما عدا ذلك مما يتعلق بتفاصيل العبادات، وأحكام المعاملات فإن الشرائع تختلف فيه بوجه عام، حسب ما يتناسب، وحالة الأمة التي بعث الله إليها رسولا من لدنه كما قال تعالى:

﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾

(المائدة: ٤٨)

ومن هنا جاءت الشريعة الإسلامية بما لم يكن موجودا في الشرائع السابقة، ومن مظاهر ذلك أن القرآن الكريم أعلن للناس، أن محمدا ﷺ من مميزات شريعته أنها أحلت للناس كل الطيبات وحرمت عليهم كل الخبائث، ووضعت عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم، وشرعت لهم أمورا تتعلق بعباداتهم.

[1] أسباب النزول للنيسابوري ص٢٢ طبعة مصطفى الحلبي

[illegible]

ويعجبني في هذا المقام قول فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبدالله دراز: «يجب أن يفهم أن تعديل الشريعة المتأخرة للمتقدمة ليس نقضا لها، وإنما وقوفا بها عند وقتها المناسب وأجلها المقدر.

مثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم إلى الطفل في الطور الأول من حياته، فقصر غذاءه على اللبن، وجاء الثاني في مرحلته الثانية فقرر له طعاما لينا، وطعاما شويا خفيفا، وجاء الثالث في المرحلة التي بعدها فأمر له بغذاء قوي كامل لا ريب أن هاهنا اعترافا ضمنيا من كل واحد منهم، بأن صاحبه كان موفقا كل التوفيق في علاج الحالة، التي عرضت عليه، نعم إن هناك [illegible] ونحوها، لا تختلف باختلاف الإنسان، فهذه لا تعديل فيها ولا تبديل، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين.

هكذا الشرائع السماوية، كلها صدق وعدل في جملتها وتفصيلها، وكلها يصدق بعضها بعضا من ألفها إلى يائها، ولكن هذا التصديق على ضربين:

تصديق للقديم مع الإذن ببقائه واستمراره، وتصديق له مع [illegible] في حدود ظروفه الماضية. ذلك أن التشريعات السماوية تحتوي على نوعين من التشريعات

● (تشريعات خالدة) لا تتبدل بتبدل الأصقاع والأوضاع (كالوصايا التسع ونحوها).

● و(تشريعات موقوتة) بآجال طويلة أو قصيرة، فهذه تنتهي بانتهاء وقتها. وتجئ الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع [illegible].

فشريعة التوراة - مثلا - عنيت بوضع المبادئ الأولية لقانون السلوك (لا تقتل) (لا تسرق) فطابعها البارز تحديد الحقوق، وطلب العدل والمساواة

وشريعة الإنجيل تجئ بعدها لتقرر هذه الأمور، ثم تترقى فتزيد [illegible] مكملة، (وأحسن إلى من أساء إليك)

وأخيرا تجئ شريعة القرآن فتراها تقرر كلا المبدأين في نسق واحد

«[illegible]»

(النحل: ٩٠)

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة، ولبنات متراكمة في بناء [illegible] والأخلاق، وسياسة المجتمع، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أن أكملت البنيان، وملأت ما بقي فيه من فراغ، وأنها في الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية، [illegible].

وصدق رسول الله ﷺ حين صور الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير [illegible] «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. [illegible] خاتم النبيين» صحيح البخاري رقم ٣٥٣٥ باب خاتم النبيين.

[illegible] الشريعة الإسلامية لغيرها من الشرائع السابقة، إنما هي في الأصول والكليات، لا في الفروع والجزئيات.

(*) من بحث قيم للمرحوم الشيخ محمد عبدالله دراز موضوعه (موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها) نشر بمجلة لواء الإسلام العدد ١١ السنة ١١ ص[illegible] وكان فضيلته قد أعد هذا البحث لإلقائه في الندوة العالمية للإسلاميات، التي انعقدت في لاهور في أواخر سنة ١٩٥٧، إلا أن المنية عاجلته قبل الانتهاء من الندوة، فرحمة الله عليه ورضوانه.

من فتاوى الحاخامات

صوت الطفلة!!

مصدر الفتوى: www.nrg.co.il ٤/٤/٢٠٠٩ [illegible]

سيقف للحظة مئات الآلاف من الأطفال في سائر أنحاء إسرائيل حول موائد وليمة عيد الفصح، وسيرددون نشيد «ماذا تغير» الشهير الخاص بعيد الفصح، ومع ذلك، وفقا لفتوى الحاخام يوسف شالوم إليشف، يحتمل أن تصاب الصغيرات اللاتي تزيد أعمارهن على ثلاث سنوات بخيبة أمل؛ لأن [illegible] زعيم الطائفة الليتوانية بأنه: «يجب الحرص على ألا تقوم الصغيرات فوق سن الثالثة بترديد نشيد «ماذا تغير». وقد نشرت هذه الفتوى في كتاب صدر بمناسبة عيد الفصح، باسم «أسطورة عيد الفصح مع تفسيرات [illegible] جميع أبناء المنفى، ومعلمنا العلامة الحاخام يوسف شالوم إليشف أطال الرب عمره. وسجلها المستمعون». وورد في الكتاب أن صاحب الفتوى يحذر من قيام الصغيرات فوق سن الثالثة بترديد نشيد «ماذا تغير» حتى لو كان إنشادا بصوت هادئ، بحيث لا يعد إنشادا. ومع ذلك أكد الحاخام إليشف أنه يمكن التساهل «إذا لم يكن هناك آخرون سوى أشقاء الصغيرات ومحارمهن». وعلى حد قول مصدر حريدي، فإن هذه [illegible] أغاني النساء».



قصص الأنبياء:

لوط عليه السلام

هو لوط بن هاران، أخي إبراهيم، بن تارح. آمن بإبراهيم واهتدى بهديه وتبع إبراهيم عمه في رحلاته فكان معه بمصر وأغدق عليه ملك مصر كما أغدق على إبراهيم. فكثر ماله ومواشيه. ثم افترق من إبراهيم عن تراض لأن الأرض لم تتسع لمواشيهما، ونزل إلى سدوم في دائرة الأردن.

أهل سدوم

كان أهل سدوم ذوي أخلاق رديئة لا يستحيون من منكر ولا يتعففون عن معصية يأتونها على رؤوس الأشهاد. كما قال تعالى عنهم [illegible] وتأتون في ناديكم المنكر. قرأت في كتاب من كتب الأدب العبري وصفا لهم، وهو أنهم كانوا يترصدون لكل داخل مدينتهم من التجار ويجتمعون عليه من كل أوب، ويمدون أيديهم إلى بضاعته يأخذ كل واحد منها [illegible] حتى لا يبقى في يده شيء. فإذا جلس حزينا وجأر بالشكوى، يأتي الواحد منهم ويقول كل هذا لأني أخذت هذا [illegible] يتمنى ما جئت به بعد أن ذهبت بضاعتي. اذهب عني بهذا الذي جئت به. فإذا انصرف جاءه آخر بشيء تافه يريد رده عليه، فيتركه الرجل لزهادة ما أتى به [illegible] متفرقا في الأيدي الكثيرة.

من دلائل ظلمهم واستغراقهم فيه: أن سارة زوج إبراهيم أرسلت إلى لعازر كبير عبيد إبراهيم ليأتيها بسلامة لوط. فلما دخل مدينة سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد إلى لعازر بحجر ضربه به في رأسه فأسال منه دما كثيرا، ثم تعلق به قائلا: إن هذا الدم لو بقي لأضر بك، فأعطني أجري. ثم آل الأمر بينهما إلى الترافع إلى قاضي سدوم، فلما سمع للمختصمين حكم على لعازر بأن يعطي للسدومي أجر ما ضربه بالحجر وأسال دمه، فلما رأى لعازر الجور من القاضي والخصم في أمره، عمد إلى حجر ضرب به رأس القاضي فأسال دمه وقال له: الأجر الذي وجب لي عليك بإسالة دمك عليك أن تعطيه لضاربي السدومي جزاء ضربه إياي وإسالة دمي. ولقد كنت أقرأ قول المعري:

وأي امرئ في الناس ألفى قاضيا
ولم يمض أحكاما كحكم سدوم

فلم أفهم ما يعزوه بهذا البيت، ولم أعرف ما سدوم حتى قرأت هذه القصة لتبينت معنى البيت

انظروا إلى قوله في سورة هود

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾

(هود ٧٧ - ٨٣)

كيف سمحت نفس لوط بابنتيه أو بناته يقدمهن لهؤلاء الفسقة وهو نبي معصوم من المعصية كما هو معتقد جمهور المسلمين في عصمة الأنبياء؟ وهذه المسألة لها عدة أجوبة:

أولها: أن لوطا لم يعرض عليهم بناته الصلبيات، وإنما عرض عليهم بنات القرية وهن أزواجهم، لأن كل نبي أرسل إلى قومه فأولادهم أبناؤه ونساؤهم بناته مجازا. وهذا جواب سخيف إذ كيف يكون لوط أبا لهؤلاء الكافرات غير المؤمنات؟ وكيف يعبر عنهن ببناتي وهن يأبين أبوته ويكفرنه ويجحدون نبوته ورسالته؟ فهذا الجواب لا أرضاه ولا تطمئن له نفسي.

ثانيها: أن الملائكة الذين طمع فيهم هؤلاء الفجرة كانوا ثلاثة. ولا يعقل أن يكون كل واحد من أهل القرية الذين جاءوا إليه يزفون يأمل أن ينال حاجته منهم، وأهل القرية يبلغون ألفا أو يزيدون. ولكن المعقول أنه كان هناك رئيسان مطاعان أو ثلاثة في القوم وهم الذين يقصدون الملائكة [illegible] القرية مظاهرتهم لهم حتى يتم مرادهم، فعرض لوط على هؤلاء بنتيه ليتخذوهما [illegible] بطريق الزواج [illegible]. وهذا الجواب قابل لأن يحوز مكان القبول. ولكن الذي أشرحه فيما يأتي أولى منه بالقبول. فقد نص على هذا الجواب أبو السعود في سورة هود.

ثالثها: أن لوطا عرض على القوم بناته عرضا سابريا(1) أي عرضا غير مؤكد، لا يقصد به الجد وأن يعطيهم بنتيه للزنا. ولكن عرض بنتيه اعتمادا على أنهم يستحيون منه ويخجلون ليكفوا عن خزايته في ضيفه. كما تقول لرجل يضرب آخر وأنت تحجزه عنه: دعه واضربني أنا. لأنك تقول هذا القول وأنت جد واثق بأنه لا يضربك. ولو علمت أنه يضربك حقيقة ما قلت هذا القول ولا تعرضت للشفاعة. وهذا القول قد أورده كثير من المفسرين كأبي السعود والفخر الرازي والأصفهاني وغيرهم، وهو الذي أرتضيه وأختاره.

ذكرت قصة لوط في التوراة على النحو الذي ورد في القرآن. ولا تخالفه إلا في شيء واحد وهو أنها لم تذكر عرض بناته على القوم. وذكرت أن زوج لوط وهي سائرة تلتفت إلى مدينة [illegible] فصارت عمود ملح. وأن لوطا التجأ إلى قرية تسمى صوغر أي الصغيرة. ونجا هو وابنتاه ولم تمس صوغر بضرر.

(1) السابري وهو من رقيق النسج [illegible] ولا يريد المشتري

المجتمع المدنى فى ضوء المقاصد العامة للشريعة

لدينا فى هذا الموضوع مفهوم ومصطلح: اما المفهوم: فهو «المجتمع المدنى».. وأما المصطلح: فهو «المقاصد العامة للشريعة».. فما الذى يربط نظريا أو عمليا بين مفهوم سياسى واجتماعى حديث الورود فى الثقافة السياسية العربية الإسلامية، ومصطلح اصولى قديم الوجود فى التراث العربى الإسلامى؟ وهل من علاقة بين هذا المفهوم وذلك المصطلح حتى نضعهما فى عنوان واحد؟ هذا هو السؤال الرئيسى الذى نحاول الإجابة عليه. ونسعى لإلقاء بعض الاضواء حول جوانبه المختلفة. دون أن نزعم أننا سوف نقدم الجواب الكافى لكل مسائله وتفريعاته.

لقد ورد مفهوم «المجتمع المدنى» بمعناه الحديث إلى الثقافة السياسية العربية والإسلامية قبل نحو عقدين من الزمان تقريبا. وانشغلت به الأوساط الفكرية والسياسية والإعلامية وتجدل حوله ولا تزال منشغلة به؛ وذلك سعيا للوقوف على مضامينه التى يحتويها، ومعرفة دلالاته التى يشير إليها على أرض الواقع الاجتماعى فى هذا البلد أو ذاك، ومن ثم معرفة الدور الذى يمكن أن يسهم به فى عملية الإصلاح التى تحتاجها مجتمعات الإسلامية عربية وغير عربية، فى مختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وبالرغم من حداثة استعمال مفهوم «المجتمع المدنى» فى الخطاب العربى الإسلامى الراهن، إلا أن المضمون الذى يشير إليه هذا المفهوم قديم، بل ضارب فى القدم، وجذوره ممتدة إلى عصر النبى محمد ﷺ، وبأيسر نظر فى البدايات الأولى لتكوين الجماعة الإسلامية على عهد النبى ﷺ. يتضح أن جوهر هذا التكوين مدنية بكل المعنى التى تحملها كلمة «مدنى»، حسب ما يشير إليه جذرها اللغوى العربى. فكلمة «مدنى» لها نفس دلالة اللغوية لكلمة «دينى» تقريبا. الأمر الذى يجعل الكلمتين تؤديان وقعا متقاربا لدى من يسمعهما. كلمة «الدين» فى لغة العرب تشير إلى علاقة بين طرفين أحدهما «دائن» والآخر «مدين». فإذا وصفنا بها الطرف الأول كان قصدنا صاحب الأمر والسلطان، وإذا وصفنا بها الطرف الثانى كان قصدنا المأمور المخاطب من السلطان، أما إذا نظرنا إلى العلاقة التى تربط بين الطرفين فإن قصدنا بكلمة «الدين» يتجه إلى مبادئ عظيمة تلك العلاقة، أو الصيغة التى تعبر عنها.

وتقترب تلك المعانى لكلمة «الدين» اقترابا كبيرا من معانى كلمة «المدنى». وإنه لأمر ملفت للنظر غاية الإلفات أن يكون تغيير اسم يثرب إلى اسم «المدينة» من أوائل أعمال الرسول ﷺ بعد هجرته إليها من مكة المكرمة. وكانت الدلالة الأساسية لهذا التغيير من الناحية السياسية هى أن يثرب أصبحت «تدين» لسلطة جديدة، هى سلطة الرسول ﷺ. ومن ثم فهى فى تكوينها وتأسيسها الجديد وبما أصبحت عليه «مدينة» إلى شرع الله الذى جاء به رسوله. المدينة إذن لا تنشأ بلا دين، والدين لا يتحقق بدون مدينة، وكانت «المدينة المنورة» هى النموذج الأول لنشأة وتطور المدن الإسلامية فيما بعد، وكان دستورها الأول الذى عرف باسم «صحيفة المدينة» مثالا يقتدى به فى كيفية تأسيس الحياة المدنية على أصول الشريعة الإسلامية، وكان قانونها الأول هو إقرار مبدأ «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»، وهو أصل من أصول تكوين المجتمعات المدنية فى مختلف التجارب الإنسانية بلا خلاف.

أما مصطلح «المقاصد العامة للشريعة»، فهو مصطلح أصولى قديم الوجود فى التراث العربى الإسلامى، عميق الجذور، كثيف الفروع، وله نظرية شديدة التماسك. ولا سبيل إلى زحزحتها. ولكنه رغم عراقته وقدمه، يكاد يكون غائبا عن الواقع المعاصر للمجتمعات الإسلامية. يكاد يكون غائبا عن الخطاب، والمؤسسات، ومناهج النظر والتحليل.

فى ميدان الدراسات الإسلامية ذاتها نجد أن حضور نظرية «المقاصد العامة للشريعة» ضعيف، وباهت. وتقليدى: يسعى فى كثير من الحالات فقط إلى إعادة إنتاج ما سبق أن قدمه السلف من العلماء، وفى ميدان العلوم الاجتماعية، نجد أن غياب نظرية المقاصد شبه تام، ولا يسأل عن هذه النظرية إلا القليل النادر من الأساتذة، وإلا الأقل الأندر من الطلاب، وأسباب هذا الغياب كثيرة؛ بعضها يرجع إلى ظروف نشأة العلوم الاجتماعية الحديثة فى بلادنا وبعضها يرجع إلى الانفصال بينها وبين العلوم الإسلامية الموروثة. وتقودنا هذه الملاحظة إلى تساؤل جوهرى هو: هل يمكن البحث فى العلوم الاجتماعية من منظور المقاصد العامة للشريعة؟ أى الممكن أن تكون نظرية المقاصد أداة منهجية توجه البحث فى موضوعات العلوم الاجتماعية الحديثة بفروعها المختلفة، ومشكلاتها المتجددة؟. ومرة أخرى: هل سيختلف البحث فى العلوم الاجتماعية من منظور مقاصد الشريعة أم لا؟ وهل سيختلف النظر فى مقاصد الشريعة من زاوية العلوم الاجتماعية وما تثيره من أسئلة أم لا؟

قد تبدو محاولة الإجابة على تساؤلات من هذا النوع قفزا فى المجهول. وقد يبدو الخيال فى هذه المحاولة أكثر مما يتراءى فيها شىء من الواقع؛ ولكن لا بأس من المحاولة، ولا خطر من الاجتهاد، فتساؤلات من هذا النمط من شأنها أن تقودنا محاولة الإجابة عليها إلى ميدان الصناعة الثقيلة للعلم، ونقصد هنا العلم النافع للناس فى معاشهم ومعادهم. ونحن نلاحظ أن العلوم الاجتماعية الحديثة معنية بمنافع المعاش دون منافع المعاد؛ بل لا تدرك معنى لمنافع المعاد أصلا، ولا توجه إليها جهدا إيجابيا يذكر. وفى الجهة الأخرى نجد أن العلوم الإسلامية - حاليا ومنذ فترة ليست قصيرة - معنية فى أغلب الأحوال بمنافع المعاد دون منافع المعاش، بعد أن كانت معنية بهما معا على نحو متزن ومتوازن فى الأزمنة السابقة، وكان الجمع

بين شئون الحياة الدنيوية وأمور الحياة الأخروية على هذا النحو المتوازن سرا من أسرار القوة المدنية، وقانونا من قوانين الازدهار الحضاري الإسلامي. وكان غياب هذا التوازن سرا من أسرار التدهور والضعف.

وفيما يلي سوف نسعى لقراءة مفهوم «المجتمع المدني» من منظور «المقاصد العامة للشريعة»؛ لنعرف أين الممكن ثم لا التوصل إلى فهم أفضل للمجتمع المدني من هذا المنظور؟ وبصياغة أخرى: ما مقاصد المجتمع المدني؟ وكيف تتحقق من جهة، وأين تتحقق مقاصد الشريعة في الواقع وكيف تجري عملية التحقق على أرض الواقع من جهة أخرى؟

أولا: المقاصد والمجتمع المدني

بين منهجية العلوم الاجتماعية ومنهجية العلوم الشرعية

إذا كانت نظرية المقاصد العامة للشريعة تخضع لمنهجية البحث في العلوم الشرعية. فكيف يمكن تطبيقها على «المجتمع المدني» الذي يخضع لمنهجية العلوم الاجتماعية؟، هذا السؤال يفتح باب الجدل حول تعريف النوعين من العلوم، وما المقصود بالعلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية؟ وهل يمكن حقا تمييز مجموعة من العلوم ووصفها بأنها شرعية، وتمييز مجموعة أخرى ووصفها بأنها اجتماعية؟

في تصورنا أن مثل هذه التساؤلات تحيلنا إلى معضلات النشأة الحديثة للعلوم الاجتماعية في البلدان العربية والإسلامية قبل قرن ونصف فقط من الزمان على الأكثر، ومن أولى هذه المعضلات: وفود العلوم الاجتماعية الحديثة على يد نخبة من الأكاديميين الذين تلقوا تعليمهم في معاهد وجامعات أوروبية، وكان معنى هذا الوفود هو أن العلوم الاجتماعية التي باشرتها المعاهد والجامعات العربية والإسلامية الحديثة لم تنشأ من رحم مجتمعاتها، ولم تمتلك منذ البداية الأولى لها أدوات منهجية خاصة بها، وإنما اعتمدت على آليات النقل والترجمة والتقليد، أكثر من اعتمادها على آليات الاجتهاد والابتكار والتجديد، وكانت المعضلة الثانية هي أن الناقلين الأوائل لتلك العلوم الاجتماعية لم تكن لديهم دراية كافية بالعلوم الشرعية ومنهجيات البحث فيها، وفي المقابل فإن الشرعيين في ذات الوقت لم تكن لديهم معرفة بالمناهج والأدوات البحثية في العلوم الوافدة. ومن ثم لم تظهر أية جهود ذات قيمة تستهدف إحياء أو تطوير المناهج الشرعية في التعامل مع القضايا والموضوعات التي بدأ حملة العلوم الاجتماعية الحديثة يهتمون بها، ومن هنا ظهرت معضلة ثالثة هي انفصال العلوم الوافدة عن العلوم الموروثة في مناهجها وموضوعاتها والقضايا التي تهتم بها، والنتائج التي تتوصل إليها، وأضحت لدينا علوم اجتماعية حديثة ولكنها غير أصيلة. كما أضحت لدينا علوم شرعية أصيلة ولكنها غير فاعلة في التغيير الاجتماعي. والمحصلة في ذلك كانت مدرسة العلوم الاجتماعية الحديثة أكثر قدرة من مدرسة العلوم الشرعية على ملء الفراغ الذي أوجده جمود العلوم الشرعية وعجز القائمين عليها عن استيعاب المشكلات المستحدثة والاجتهاد في المنهجيات الشرعية. ووجدت مدرسة العلوم الاجتماعية دعما قويا لها في الدولة الحديثة من جهة، وفي الدوائر الأكاديمية الغربية من جهة أخرى. وبعد مرور ما يقرب من قرن على نشأة العلوم الاجتماعية الحديثة المنقولة، ثبت أنها لم تسهم في تقدم أو نهضة المجتمعات العربية والإسلامية، وأن حصيلة ما أنتجه أساتذة العلوم الاجتماعية - بمختلف فروعها - لم يعد كونه مجرد نظريات واهية الصلة بمشكلات المجتمع الذي ينتمون إليه، واتضح أنهم كانوا في أغلبهم وسطاء مترجمين، ولم يكونوا علماء حقيقيين، ولم يظهر لواحد منهم نظرية اجتماعية أو نفسية أو سياسية أو اقتصادية تنسب إليه هو وإلى اجتهاده الذاتي.

ولسنا هنا بصدد تحليل الأسباب النظرية التي أدت إلى الفصل بين منهجيات العلوم الاجتماعية ومنهجيات العلوم الشرعية، حتى بات من المسلمات أن لا سبيل إلى الجمع بينهما، وأن أي جهد يبذل في سبيل البحث عن روابط الوصل بينهما لا جدوى منه. والذي نراه هو أن منهجيات العلوم الاجتماعية الحديثة ليست غريبة عن طريقة التفكير ومناهج البحث التي ابتكرها العلماء المسلمون السابقون، بل منها ما هو امتداد لها في بعض الجوانب.

ولنأخذ مثالاً على ذلك من الإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، الذي ذهب إلى أن العلم إما أن يكون علم تصور، أو علم تصديق. ويتعلق علم التصور بذوات الأشياء، كالعلم بالنبات والحيوان، والجمادات. أما علم التصديق فيتعلق بنسبة هذه الذوات إلى بعضها بعضا، إما بالسلب أو بالإيجاب، وهذا يسمى تصديق، لأنه يتطرق إليه التصديق والتكذيب، وكل بحث نظري - حسب رأي الغزالي - ينتهي إلى تصور أو تصديق، والبحث الموصل إلى تصور يسمى قولاً شارحا، ومنه حد ورسم. والبحث الموصل على تصديق يسمى حجة، ومنه قياس ومنه استقراء، وهذا الذي تحدث عنه الغزالي هو عين المنهجية الحديثة في العلوم الاجتماعية. وقد دخلت أكثر في أصول المنهجية لدى «الشرعيين»، سيتضح لنا أن علومهم الشرعية كانت في الوقت نفسه اجتماعية، وأن العلوم الاجتماعية ليست صنفا آخر مختلفا عن العلوم الشرعية.

والوضع الطبيعي هو أن تكون العلوم الشرعية اجتماعية، والعلوم الاجتماعية شرعية وفقاً لأصول منهجية وأدوات تحليلية ذات مرجعية معرفية واحدة.

وفي ضوء هذا التصور، تكون «المنهجية» البحثية ذات أصول واحدة، ولكن الأسئلة يمكن أن تكون مختلفة، وبل يجب أن تكون مختلفة في مساريها النظري والعملي، بين مجال البحث الشرعي - وبالأحرى الأصولي - ومجال البحث الاجتماعي كأحد تطبيقات المنهجية الشرعية. ولنأخذ مثالا على ذلك لنوضح به الفرق بين جانبين: من منظور البحث الأصولي الشرعي، يكون السؤال عن مقاصد الشريعة على النحو التالي: كيف نستدل على مقاصد الشريعة استدلالا منهجيا منضبطا بقواعد الاستدلال الشرعي المعروفة في أصول الفقه مثلا؟

أما من منظور البحث الاجتماعي، فإن السؤال عن مقاصد الشريعة نفسها هو: ما الذي يحدث عندما يبدأ مقصد شرعي ما في الانتقال من حيز النظري المجرد إلى حيز الواقع العملي المتحرك؟ ما الذي يحدث عندما تغادر الفكرة، أو المبدأ، أو المقصد أوراق الكتب وتشتبك مع وقائع الحياة اليومية؟، السؤال من منظور البحث الاجتماعي الذي ينطلق من نظرية المقاصد الشرعية ويلتزم منهجيتها، هو: كيف يتحول تشريع المقصد، إلى مشروع مقصود منه تحقيق مصلحة أو منفعة؟ ما قوانين وإجراءات الانتقال من مستوى الوعي والإيمان والتصديق النظري، إلى مستوى الواقع

والعمل والتطبيق العملي؟

مثال آخر: من منظور البحث الأصولي الشرعي، يكون السؤال عن «الحكم الشرعي» - الذي هو خطاب الله للمكلفين اقتضاء، أو تخييراً، أو وضعاً - بهدف معرفة مستويات هذا الحكم، أو التمييز بين أقسامه وأنواعه من فرائض، وسنن، أو واجبات، ومندوبات، ومحرمات، ومكروهات، ومباحات. أما من منظور البحث الاجتماعي الذي ينطلق من نظرية المقاصد الشرعية ويلتزم منهجيتها فهو: ما علاقة أقسام الحكم الشرعي ببعضها، وما الذي تنتجه من آثار في الواقع الاجتماعي؟ وبعبارة أخرى: كيف تتجلى أقسام الحكم الشرعي في الممارسة الاجتماعية؟

وهنا نجد أن من اليسير الحصول على عديد من المؤلفات والبحوث التي تتناول التكاليف الشرعية وأدلتها التفصيلية، وكيفية استمدادها وبيانها منهجياً، وكيف أنها تتكامل في مكوناتها - منظومة يفضي بعضها على بعض، وأنها تعبر عن نظام متناسق تحت مظلة المقاصد العامة للشريعة، ولكن من العسير العثور على بعض المؤلفات والبحوث التي تبحث مثلاً في علاقة المندوب بالواجب كما تتجلى، أو كيف تجلت - هذه العلاقة - في الممارسة الاجتماعية في فترة زمنية معينة في مجتمع معين.

إن الثراء النظري الخاص بالمنهجية الأصولية التي ابتكرها الفقهاء - على اختلاف تخصصاتهم - لم يستفد منه كمرجعية معرفية لبناء وتطوير منهجية للعلوم الاجتماعية، تكون قادرة على الإجابة عن تساؤلات لا تزال غير مطروقة حول الدور الذي أسهمت به الممارسات الاجتماعية للتكاليف الشرعية وليس التكاليف الشرعية المجردة - في إحداث درجات من التطور الاجتماعي، والاقتصادي، والتقني، والحضاري بشكل عام. لماذا - مثلاً - ارتبطت معظم الفروض الكفائية بممارسات اجتماعية ذات طابع مؤسسي، بينما لم تأخذ معظم الفروض العينية هذا البعد المؤسسي؟ وما علاقة المسئولية الجماعية التي ولدتها الفروض الكفائية بالمسئولية الفردية للفروض العينية؟. مثل هذه التساؤلات توفر ميداناً فسيحاً لتطوير العلوم الاجتماعية من منظور منهجي نابع من مرجعية معرفية إسلامية، ونأمل أن تتجه البحوث والدراسات في العلوم الاجتماعية وجهة نحو المؤسسية والممارسات الجماعية والفردية من منظور مقاصد الشريعة، وهي قيد التطبيق، لا أن تقتصر الدراسات كما هو حادث حالياً على النظر في المقاصد بشكل نظري مجرد.

ثانيا: كيف نفهم المجتمع المدني من منظور مقاصد الشريعة؟

ثمة عدد من الخطوات التي تساعدنا على فهم المجتمع المدني في ضوء نظرية المقاصد العامة للشريعة. وهذه الخطوات هي: أن نعرف مقاصد المجتمع المدني أولاً، ثم نعرف كيف تتحقق مقاصد المجتمع المدني وأين تتحقق ثانياً، وأن نعرف - ثالثاً - كيف تتحقق مقاصد الشريعة وأين تتحقق؟

أ - مقاصد المجتمع المدني

من المهم أن نعرف المجتمع المدني كي نعرف مقاصده، وثمة منازعة فكرية وعملية، نظرية وتطبيقية، حول مفهوم المجتمع المدني منذ وروده إلى السياق العربي والإسلامي عامة قبل حوالي عقدين من السنين كما أسلفنا، وهذه المنازعة تدور حول توصيف حالة المجتمع في علاقته بالدولة، وإلى أي مدى يتمتع بقدر من الاستقلالية النسبية تجاهها، ونظراً لأن الأصول الغربية لهذا المصطلح تجعله ملتبساً وربما غامضاً عند استعماله في السياق العربي الإسلامي المعاصر، فقد انقسمت الآراء بشأنه بين عدد من الاتجاهات منها:

- فريق ذهب إلى أن المجتمع المدني مفهوم يشير إلى مجموعة المؤسسات والتنظيمات التي تستند إلى أسس مدنية جماعية من وضع البشر أنفسهم، أي أنه نقيض مباشر لكل ما هو ديني أو ذا مرجعية دينية.
- وفريق آخر ذهب إلى أنه يشير إلى تلك المؤسسات والتنظيمات التي تنبع من المجال الاجتماعي، وتعمل لصالحه، أياً كان الأساس العلمي الذي تقوم عليه: دينياً أو اجتماعياً وأن هذه المؤسسات والتنظيمات تستهدف بالأساس وضع مجموعة من الكوابح والروادع التي تحد من سلطة المجتمع السياسي، أو العسكري التي تمثله الدولة؛ وبهذا يصبح المجتمع المدني نقيضاً لما هو سياسي أو عسكري، أو لكل ما هو حكومي.
- وذهب فريق ثالث إلى تحديد المقصود بالمجتمع المدني من خلال عدد من القرارات الإجرائية التي تصف مؤسساته ومنظماته وفاعلياته المختلفة. ومن هذه القرارات مثلاً أن تلك المؤسسات والمنظمات تحتل موقعاً وسطاً بين العائلة، باعتبارها الوحدة الأساسية التي ينهض عليها البنيان الاجتماعي، والنظام القيمي الأخلاقي في المجتمع من جهة، والدولة ومؤسساتها وأجهزتها البيروقراطية الحكومية من جهة أخرى.

البعض يعرف المجتمع المدني بأنه تعبير عن حالة تصف المجتمع كله، بمعنى أنه مجال للحرية أو الاستقلال النسبي عن الدولة، والبعض يعرفه بأنه مجال يشتمل على كافة الظروف التي تكفل الحياة الاجتماعية الجيدة، ويكون الناس فيه شكلاً يتواصلون من خلاله، ويرتبطون ببعضهم، وآخرون يقولون إنه مجال للتفاعل الإيجابي ما بين الدولة من جهة والمجال العام بما يضمه من تنظيمات طوعية من جهة أخرى، والسوق بما يشمله من تحالفات وشركات خاصة من جهة ثالثة.

ويرى فريق آخر أن للمجتمع المدني مفهومين فقط:

- الأول يتصوره قطاعاً من المجتمع الأوسع، ويضع له خصائص أو مواصفات، مثل الاستقلال النسبي عن المجال الحكومي، وأنه غير هادف للربح، ويتمتع بوضع قانوني منظم، ويقوم على أساس طوعي... إلخ.
- والاتجاه الثاني يتصور مفهوم المجتمع المدني على أنه حالة المجتمع الأوسع ذاتاً، وليس قطاعاً منه فقط، وأن صفة المدنية فيه تفترض حضور الفرد وقبوله الطوعي الحر للمشاركة في اتخاذ القرارات التي تتعلق بمستويات مختلفة من الحياة العامة انطلاقاً من قناعاته الذاتية، وليس من انتماءاته القبلية أو الدينية.

وطبقاً لهذا التصور فإن المجتمع المدني يشير إلى منظومة من العلاقات التي تحكم الحركة الكلية للمجتمع وعلاقاته.

ومثلما انقسمت الآراء بصدد تعريف مضمون المجتمع المدني، تباينت المواقف من الحكم على وجود ما يصدقه من مؤسسات وتنظيمات في الواقع الاجتماعي، فالبعض ينكر وجوده بأي شكل من الأشكال، ويذهب إلى أنه نتاج حضاري غربي بحت، وأن علينا استزراعه في بلادنا

وتنميته في تربة مجتمعاتنا التي لم تعرف ما يشبهه في تاريخها الطويل، بينما ذهب البعض الآخر إلى أن هناك عديدا من المؤسسات والهيئات التي يمكن تصنيفها مجازا ضمن «المجتمع المدني» وهي تضرب بجذورها في عمق التاريخ الإسلامي. وفي مقدمتها المساجد الجامعة، والأوقاف، والمدارس الأهلية ومكاتب تحفيظ القرآن، والبيمارستانات، وصور أخرى متعددة من أعمال الخير والنفع العمومية.

وفي ضوء المعاني السابقة، يمكن القول أن من أهم مقاصد المجتمع المدني الآتي:

أ- أن يكون ساحة لتطوير التفاعل وقيم الحرية التي تسهم في تطور المجتمع، ودعم السلم الأهلي بين فئاته وجماعاته.

ب- أن يكون مجالا لمقاومة الاستبداد الذي يفرض نمطا معينا من الهيمنة الفكرية أو السياسية.

جـ- أن يسهم في كبح جماح سلطة الدولة، ويمنعها من التغول على المجتمع.

د- أن يكون بمؤسساته وتنظيماته وسيطا بين المجتمع والدولة.

هـ- أن يسهم في تمكين الأفراد من الوصول إلى المنافع العامة، بعيدا عن البيروقراطية الحكومية.

و- أن يشكل قوة أخلاقية وعاطفية وروحية تسهم في المجال العام، وتحقق قدرا من التوازن بين المصلحة الأنانية (القطاع الخاص)، والنزعة الغلابة الرسمية (القطاع العام أو الحكومي).

ز- أن يمكن المواطنين من المشاركة في مراقبة السلطة الحاكمة بمختلف مستوياتها، ومحاسبتها على أدائها.

ح- أن يسهم في رفع وعي المواطنين بحقوقهم، ويجعلهم أكثر حماسا في أداء واجباتهم، وأكثر شجاعة في الدفاع عن حرياتهم.

ط- أن يوفر مجالا لممارسة الحريات الفردية والجماعية.

تلك هي أهم مقاصد المجتمع المدني من الناحية النظرية، فكيف تتحقق عمليا؟

٢- كيف تتحقق مقاصد المجتمع المدني في تصوره الغربي، وأين؟

يقول أصحاب النظريات الخاصة بالمجتمع المدني: إن مقاصده، أو أهدافه، تتحقق بالوعي والإرادة، أي ببناء ثقافة المجتمع المدني من جهة أولى، وبالعمل والإدارة، أي بتحويل تلك الثقافة إلى تشريعات، ومشروعات، ومؤسسات، وبرامج من جهة ثانية.

فلكي تتحقق أية مقاصد يجب أن تسبقها ثقافة تعرف بها، وتدعو إليها، وتحض عليها، وتبين منافعها، وتحذر من مغبة تضييعها، وتسهم في بناء مثل هذه الثقافة مؤسسات التنشئة التربوية، والدينية، والتعليمية، والسياسية. كما تسهم وسائل الإعلام في نشرها، وتساعد في رفع الوعي العام بها.

ولا يكفي الوعي بمقاصد المجتمع المدني حتى تتحقق على أرض الواقع، بل لابد من عمل دءوب يحولها إلى تشريعات قانونية تقررها، وتحميها، وتحدد طريقة ممارستها، ولابد من جهد إداري يصوغ التشريعات في أنماط مختلفة من المشروعات، والمؤسسات، والبرامج التي تتخصص كل منها في تلبية حاجة أو أكثر من الحاجات الاجتماعية.

وتشير جهود السعي لتحقيق مقاصد المجتمع المدني في عديد من تجارب الأمم والشعوب المعاصرة، إلى أن عملية التحقق تسهم فيها عدة أنواع من الهيئات والتنظيمات ذات الطابع المؤسسي، وفي مقدمتها:

أ- الجمعيات الأهلية التي تقوم على أساس تطوعي، وتهدف إلى تقديم خدمة عامة على نطاق محلي أو على نطاق وطني يشمل المجتمع كله.

ب- التنظيمات النقابية التي تقوم على أساس الانتماء إلى مهنة معينة كالطب، أو الهندسة، أو المحاماة مثلا، وتهدف إلى المشاركة في تطوير المهنة، وحماية مصالح أعضائها وعائلاتهم بالدرجة الأولى.

جـ- الأحزاب السياسية التي تسعى للحكم كي تطبق برامجها الإصلاحية، وتهدف إلى أنها كفيلة بتحقيق مصالح القطاعات الأكبر من المجتمع.

د- الأندية الاجتماعية والرياضية التي تسهم في توفير مجال للترفيه والترويح النفسي والرياضة البدنية، وتسهم في دعم ثقافة السلم الأهلي، وتنمية في ساحته بروح تعاونية.

ويضاف إلى ما سبق، عديد من أشكال العمل الجماعي، والمبادرات الشعبية، والحركات الاجتماعية، التي تنخرط في المجال العام بهدف الإسهام في تحقيق مقصد أو أكثر من مقاصد المجتمع المدني التي سبق ذكرها.

ولكن: أين تتحقق مقاصد المجتمع المدني؟

طبقا للنظرية الغربية المعاصرة في المجتمع المدني، نجد أن مقاصده تتحقق في فئات اجتماعية معينة تستهدفها مشروعاته ومؤسساته وتنظيماته المختلفة، إنها تتحقق في جهة المجتمع بصفة أساسية ولمصلحته في مواجهة الدولة، وبالتحديد في مواجهة السلطة السياسية التي تمسك بزمام الدولة وتنطق باسمها في آن واحد.

وثمة ميدان آخر خارجي تتحقق فيه بعض مقاصد المجتمع المدني «الغربي»؛ هذا الميدان هو مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وبعض مجتمعات أخرى في بلدان آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وتعبر عنها المنظمات غير الحكومية عابرة القطرية، أو ذات الصفة العالمية المنطلقة من عمق المركز الحضاري الأطلسي (الأوروبي الأمريكي) المهيمن حاليا على العالم.

٣- أين تتحقق مقاصد الشريعة وكيف تتحقق؟

هل تتحقق مقاصد الشريعة بمجرد العلم بها؟ هل يجني المجتمع ثمرتها إذا هي أصبحت جزءا من الوعي العام لمعظم أبنائه، وإذا تشكلت في ضوئها أغلب جوانب الثقافة السائدة؟، هل تتحقق مقاصد الشريعة في فضاء التأمل النظري الذي يتيح مجالا واسعا للحديث عن البنيان الأصولي المتماسك لمكوناتها؟

إن الإجابة على مثل تلك التساؤلات هي النفي القاطع، وبدون تردد، إذ لا يكفي العلم النظري لإدراك الفائدة العملية، ما لم يقترن بالعمل والاجتهاد في تحويل الفكرة أو التشريع إلى برنامج أو مشروع، ومن أسف، أن نظرية المقاصد العامة للشريعة قد آلت في وضعها الراهن إلى أن أصبحت تصورا نظريا مفارقا ملابسات الواقع، والاجتهادات والجهود التي تبذل من أجل وصلها بالواقع، وقياس أحواله بمعاييرها قليلة وغير منظمة.

لا توجد - مثلا - منهجية لتقييم أداء المؤسسات الأهلية أو الحكومية والرقابة عليها

بمعايير المقاصد العامة للشريعة، وأين هي النظريات التي طورها أساتذة الإدارة، أو العلوم السياسية في ميدان «صنع القرار واتخاذه» انطلاقاً من قاعدة «مقاصد الشريعة»، وأصولها التي تتناول الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، وتميز في كل منها بين ما هو أصلي وما هو مكمل، وما هو عام وخاص، وشامل وجزئي، وتوازن بين المصالح والمفاسد، ولماذا تغيب مثل هذه المنهجيات عن علومنا الاجتماعية بمختلف فروعها؟. لابد أن نرجع مجدداً إلى ما بدأنا به بشأن معضلات نشأة العلوم الاجتماعية في بلادنا العربية والإسلامية، وانفصالها قبل أكثر من قرن من الزمان عن العلوم الشرعية الموروثة.

لا تتحقق المقاصد العامة للشريعة بمجرد وجودها في بطون الكتب والمؤلفات القديمة، ولا حتى عندما تصبح جزءاً من الوعي الثقافي السائد في المجتمع، وإنما تتحقق عبر تشريعات، ومشروعات، ومؤسسات، وبرامج تنفيذية تشق طريقها وسط الواقع الاجتماعي المعاصر بكل تعقيداته ومعطياته.

وقبل الاستطراد في الإجابة على «كيف تتحقق مقاصد الشريعة؟» من المهم أن نجيب أولاً على سؤال: أين تتحقق؟، ولدينا ثلاث إجابات محتملة على هذا السؤال الأخير، وهي:

● الأولى: هي أن مقاصد الشريعة تتحقق في مجتمع ديني، تحكمه سلطة دينية قادرة على تحقيق تلك المقاصد بوسائل مختلفة.

● الثانية: هي أنها تتحقق في مجتمع بدائي، أو بدوي، تنقله نقلة نوعية إلى الأمام ثم لا تكون ثمة حاجة إليها بعد ذلك؛ إذ يتجاوزها الزمن وتصبح عديمة الجدوى.

● الثالثة: هي أنها تتحقق في مجتمع مدني نموذجه الأول - وليس الأخير - هو مجتمع المدينة الذي تشكل بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب؛ وبادر بتغيير اسمها إلى المدينة على نحو ما أسلفنا.

تلك هي الاحتمالات النظرية الثلاثة التي تقدم إجابات مختلفة على السؤال الذي تناقش فيه طبيعة التكوين الاجتماعي والسياسي الأنسب لتحقيق مقاصد الشريعة.

● أما الإجابة الأولى فلا تقدم تكويناً اجتماعياً وسياسياً مناسباً لتحقيق مقاصد الشريعة؛ ذلك لأن من بديهيات شريعة الإسلام وأولياتها نقض السلطة الدينية وتقويض أركانها وتجفيف منابعها، ومن ثم فإن المجتمع الديني ذا السلطة الدينية لا يصلح لتحقيق مقاصد الشريعة، بل إنه سيكون مقيداً لها، مانعاً لتحققها. ومقصودنا بالسلطة الدينية هنا هو: تلك السلطة التي تدعي أن لها حقاً مقدساً أو كبيراً في التدخل في ضمير الفرد أو الرقابة عليه أو معاقبته أو الحكم عليه بالكفر أو الإيمان بدعوى أن صاحب هذه السلطة فرداً كان أو مجموعة أو طائفة أو حزباً أو فئة ينطق باسم الله، أو مبعوث من لدنه، أو واسطة بينه وبين الناس، أو مفوضاً من الله تعالى بهذا المعنى. وجاء الإسلام ليحارب مثل هذا النمط من السلطات ويخلص البشرية من شروره، ويفتح المجال لتكوين مجتمع حر، يهيئ للأفراد والجماعات الازدهار والنمو في وعيهم وعقولهم، وأنفسهم، وأموالهم، ونسلهم، ويهيئ لهم أيضاً إمكانية التفتح الروحي والعقيدي بمحض اختياراتهم.

● وأما الإجابة الثانية فلا تقدم أيضاً تكويناً اجتماعياً أو سياسياً ملائماً لتحقيق مقاصد الشريعة. فالمجتمع البدائي، أو البدوي، من حيث تركيبته الاجتماعية المحدودة، ومن حيث حاجاته الاقتصادية البسيطة، ومن حيث مستواه الفكري والثقافي أسير العادات والتقاليد والجهل، لا يتسع لتلك المقاصد أصلاً، وهي تتجاوزه بمراحل. وقد جاء الإسلام بتحرير العقل من كل قيد، وخاصة قيود التقليد، والخرافة، والأمية، ودعا لإطلاق حرية التفكير وإعمال العقل باعتباره النعمة الكبرى التي أنعم الله بها على بني الإنسان، وجعل التفكير فريضة إسلامية لا تقصر فيها كالتقصير في الصلاة والزكاة وسائر فرائض الإسلام، وكان خضوع مثل تلك المجتمعات البدائية أو البدوية للشريعة واقتدائها بمقاصدها عاملاً جوهرياً في تقدمها ونقلها إلى حالة أكثر تطوراً ضمن «مجتمع مدني» حضاري.

● الإجابة الثالثة، إذن، هي وحدها التي تقدم التكوين الاجتماعي والسياسي الأنسب؛ ذلك لأن مقاصد الشريعة الإسلامية لا تتحقق إلا في مجتمع مدني، وهذه هي الأسباب:

أ- إن جملة المقاصد الشرعية - كما عرفها مؤسسو نظرية المقاصد على تعاقب الأزمان - لا يمكن تصورها متحققة خارج نطاق مجموعات من البشر بينهم شبكة كثيفة من العلاقات، والمصالح، والاختلافات في العقائد والمذاهب والثقافات؛ فإن لم تكن هذه الشبكة موجودة، فستوجدها السيرورة الاجتماعية للمقاصد وهي تنتقل من حيز التجريد النظري، إلى مستوى التطبيق والممارسة العملية، وهو عين ما حدث في التاريخ الإسلامي؛ بدءاً بعهد النبي ﷺ، وبخاصة مع نشأة مجتمع المدينة المنورة، وكتابة وثيقة المدينة، التي هي أول وثيقة دستورية مكتوبة عرفها التاريخ، وفيها جرى تشريع كيفية تحقيق مقاصد الشريعة في إطار اجتماعي محدد زماناً ومكاناً، وجرى الاقتداء به بعد ذلك في تأسيس المدن والأمصار التي أنشأها المسلمون في مناطق العالم القديم الذي وصلوا إليه.

ب- إن مقاصد الشريعة هي التي وفرت الشرط الضروري واللازم لوجود المجتمع المدني ذاته. ويتمثل هذا الشرط في وجود «مجال عام» محدد المعالم ويمكن تمييزه عن المجال الخاص، ولكنه غير منبت الصلة به، وبدون وجود مجال عام فلا وجود لمجتمع مدني أصلاً، ونظرية المقاصد هي التي أوجدت الرابطة بين العام والخاص، هي التي أوضحت، مثلاً، أن من قتل نفساً واحدة، فكأنما قتل الناس جميعاً، من أحيا نفساً واحدة فكأنما أحيا الناس جميعاً، ومن هنا كان «حفظ النفس»، على حد تعبير الفقهاء أحد الضروريات الخمس ضمن المقاصد العامة.

ج- في المجتمع المدني، وبدءاً بالنموذج الذي أسسه الرسول ﷺ في المدينة، يمكن الجمع بين مصلحتي الدنيا والآخرة، أو المعاش والمعاد. أما في المجتمع الديني بالمعنى السابق شرحه، فلا مجال لرعاية مصالح الحياة الدنيا، إذ يتجه الجهد كله إلى الحياة ما بعد الموت لا قبله، وفي المجتمع البدائي لا يكاد الوعي ينصرف إلى أكثر من تدبير شئون العيش، مع بعض التصورات البدائية عن قوى خارقة، أو آلهة موهومة يجد الإنسان البدائي نفسه مضطراً للإيمان بها لا لشيء إلا لتأمين حياته الدنيوية حسب اعتقاده، أما الإسلام فقد جاءت مبادئه التشريعية ومقاصده العامة تحمل في طياتها قوة تمدينية هائلة، وعندما وجدت طريقها إلى التطبيق أدت إلى نشوء مدن ومجتمعات مدنية متطورة، ومستجيبة ما يقتضيه الإسلام من ضرورة الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة؛ فالحياة

فى الإسلام مقدمة على الدين، ولم يقل الرسول ﷺ لمن تملك وتبعني، لكنه قال من استشاره فيما تصدق به من ماله «الثلث، والثلث كثير» والرخص فى الصوم والصلاة والزينة والطيبات من الرزق. والاقتصاد فى الإنفاق والتوسط. والنهى عن الغلو فى الدين، كل ذلك يؤكد أن التكوين الأنسب لتحقيق مقاصد الشريعة هو «مجتمع مدنى»، كالذى وضع نواته الرسول ﷺ نفسه فى المدينة المنورة وليس مجتمعا دينيا مغلقا تقبض عليه سلطة دينية مستبدة كالذى عرفته أوروبا فى عصورها الوسطى المظلمة. ولا مجتمعا بدائيا كالذى مرت به البشرية، وهى مراحل تطورها الأولى من تاريخها.

كيف تتحقق مقاصد الشريعة فى المجتمع المدنى؟

إن وضوح المقاصد على المستوى النظرى المجرد شرط ضرورى لتحقيقها فى الواقع الاجتماعى ولكنه غير كاف، فلكى تتحقق واقعيا لابد من أن تتحول إلى تشريعات تستوعبها وتعبر عنها، أو تصاغ فى ضوئها وتتخذ من تلك المقاصد معيارا لها، ثم تتحول تلك التشريعات إلى مشروعات تترجم المقاصد فى ضوء احتياجات المجتمع المتغيرة من مرحلة إلى أخرى، مع إدراك أن هذا التغير لا يصيب فقط حجم الاحتياجات، وإنما يطرأ أيضا على نوعياتها، فما يصنف فى مرحلة زمنية معينة على أنه من الحاجيات، قد يصنف فى مرحلة أخرى على أنه من التحسينيات، وما ينظر إليه على أنه كلى وعاجل، قد يتحول بعد حقبة من الزمن إلى جزئى وآجل، وهكذا، والذى يبت فيما إذا كانت هذه الحاجة أو تلك كلية أو جزئية، عاجلة أو آجلة، تحسينية أو حاجية هى نتائج البحوث والدراسات التى يقوم بها خبراء ومختصون، وتعتمد - ضمن ما تعتمد - على الإحصاءات الاجتماعية والحيوية التى تسهم فى التشخيص الدقيق لأوضاع المجتمع ونوعية وكمية المطالب التى يسعى لتحقيقها.

كى تتحقق مقاصد الشريعة يجب أولها تحتاج إلى المؤسسات المتطورة لترعى وتطور تلك المشروعات. كما تحتاج إلى برامج تفصيلية تستجيب لمقتضيات كل مقصد وضرورات تنفيذه.

تتحقق المقاصد إذن بالعمل والإدارة الفعالة، والمؤسسات الكفؤة من جهة، وبالوعى والإرشاد، من جهة أخرى.

٤- الحاجة إلى تجديد ثقافة المقاصد

فى رأينا أن ضمور المعرفة بفكرة من الأفكار، أو نظرية من النظريات، أو بأمر من الأمور، هو مقدمة لتلاشيه من الواقع إن كان موجودا من قبل، وسبب من أسباب إزاحته وانسحابه من الممارسة الاجتماعية، وتراجع تأثيره فى السلوكيات وأنماط الحياة، وهذا هو الحادث بالنسبة لنظرية المقاصد العامة للشريعة، فهى تكاد تكون غائبة عن البرامج التعليمية والثقافية، والجهد اليسير الموجه للاهتمام بها يكاد ينصب - كما أسلفنا - على إعادة تكرار ما قاله السابقون دون أدنى محاولة لإعادة قراءة هذه النظرية وضخ ماء الحياة فى أوصالها من جديد لتصبح عاملا مؤثرا فى صوغ الوجدان الفردى، والوعى الاجتماعى، ولتصبح معيارا مرشدا لصناع القرار، ومعيارا رئيسيا من معايير المتابعة والرقابة والمحاسبة.

أحد الجوانب التى تستدعى إعادة النظر هى ما نسميه «ثقافة المقاصد»، وهى ثقافة أصيلة بلا مراء، ولكنها تحتاج إلى ضخ ماء الحياة فيها بعد أن جمدت على ألفاظ وتعبيرات ليس فى التمسك بها فائدة كبيرة، ولا فى تجاوزها خسارة ثقيلة، وتحتاج إلى جهود لتقريبها من أفهام أبناء هذا العصر، بعد أن انقطعت معطيات تاريخية وثقافية كبيرة عاشها أبناء العصر الذى صيغت فيه نظرية المقاصد أول مرة.

ومن ذلك مثلاً: أنه قد استقر فى الأذهان ومنذ أحقاب متطاولة من الزمن مفهوم «الحفظ» كأداة عند الحديث عن الضروريات الخمس. فنقول إن للشريعة مقاصد كلية، أو ضرورية تتمثل فى: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال. ولا نرى ضرورة أصولية أو منطقية تحتم التمسك بكلمة «الحفظ»، بل هناك ما يوجب إعادة النظر فيها واستبدال كلمة أخرى بها.

باستشارة قواميس اللغة بشأن المعانى التى يشير إليها لفظ «الحفظ»، وجدنا أن هذا اللفظ يعنى الصيانة من التلف، والإبقاء على الشىء بمنأى عن الخطر، ويعنى أيضا دفع التحريف عن الشىء المحفوظ، ورعايته بما يضمن استمراره على ما هو عليه. تلك هى الحقول الدلالية التى يتجه إليها معنى الحفظ، ومن تلك الحقول تتشكل الشحنة المعنوية للفظ لدى مستقبله وسامعه وقارئه، وهى شحنة تميل كل الميل نحو السكون والدفاع والصيانة والترميم فى أحسن التصورات فإذا أضفنا إلى ذلك اقتصار مؤسسى نظرية المقاصد على صيغ ذات طبيعة ردعية وزجرية لبيان كيفية تطبيق «حفظ» هذا المقصد أو ذاك، سنجد أننا إزاء مفارقة تاريخية تعانى منها نظرية المقاصد حتى اليوم، فقد انحصرت الأمثلة التى ضربها مؤسسو المقاصد - فى أغلبهم وليس جميعهم - من الحدود الخمسة: فمثال حفظ الدين هو عقوبة الردة لمن بدل دينه، ومثال حفظ العقل هو عقوبة شارب الخمر، ومثال حفظ النفس هو حد القصاص، ومثال حفظ النسل هو حد الزنا، ومثال حفظ المال هو حد السرقة، ولم يأت ضربهم لتلك الأمثلة جزافا، إذ يقف خلفها منطق متماسك وموصول بالجهود النظرية الأولى التى ظهرت باكرا فى تاريخ ابتناء نظرية المقاصد ذاتها، فقد انطلقت تلك الجهود من مفهوم «الزجر»، و«المزجرة».

وهذا هو ما نجده عند أبى الحسن العامرى (ت ٣٨١ هـ)، وهو أحد الأوائل المؤسسين كتابة لنظرية المقاصد، وهو أول من سبق إلى صوغ الضروريات الخمس الكبرى، التى - كما يقول الريسونى - أصبحت على مر العصور محور الكلام فى مقاصد الشريعة، قال العامرى: وأما المزاجر فمدارها على خمسة أركان، وهى:

- مزجرة قتل النفس، كالقود والدية.
- مزجرة أخذ المال، كالقطع والصلب.
- مزجرة هتك الستر، كالجلد والرجم.
- مزجرة ثلب العرض، كالجلد مع التفسيق
- مزجرة خلع البيضة، كالقتل عن الردة.

هذه هى أصول الكليات الخمس التى جرى تنقيحها وضبطها لاحقا على يد إمام الحرمين، ومن بعده الغزالى، ومن بعدهما الشاطبى، وهلم جرا.

نرى إمام الحرمين الجوينى (ت ٤٧٨ هـ)، ينص فى كتابه البرهان على أن: الشريعة متضمنها مأمور به، ومنهى عنه، ومباح، فأما المأمور به فمعظمه العبادات، وأما المنهيات فأثبت الشرع فى الموبقات منها زواجر، وبالجملة الدم معصوم بالقصاص، والفروج

معصومة بالحدود، والأموال بالقطع.

ثم نرى حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، يؤكد في كتابه «شفاء العليل» على أن المقصود ينقسم إلى ديني ودنيوي، وكل واحد ينقسم إلى تحصيل وإبقاء، وقد يعبر عن التحصيل بجلب المنفعة، وقد يعبر عن الإبقاء بدفع المضرة. وبهذا فتح الغزالي الباب أمام نظرية المقاصد لتتنفس شيئًا إلى جانب «مزجرة» كل مقصد، وتشير إلى كيفية تحصيل المقصد أولاً قبل الحديث عن مزجرته. وهو ما عبر عنه بقوله «جلب المنفعة»، إلى جانب دفع المضرة، أي المزجرة.

ولما جاء الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، طفق يؤصل ويقعد نظرية المقاصد، حتى استوت على سوقها، وتسامى بناؤها، ووجدناه يشير إلى ما أشار إليه الغزالي من أن كل مقصد لابد من حفظه من جهة الطلب، أي كيفية تحصيله أولاً. ولابد من حفظه من جهة الدفع. ولكنه اهتم وهو يضرب الأمثلة على كل مقصد شارحا وموضحا له بإيراد أمثلة الزجر، أكثر بكثير من اهتمامه بإيراد أمثلة على كيفية تحصيل المقصد ابتداء، وقبل أن يحتاج إلى زاجر يحفظه ويزجر من يعتدى عليه.

ومرت خمسة قرون كتب فيها عدد من العلماء في نظرية المقاصد كتابات يغلب عليها التقليد واقتفاء أثر السابقين دون إضافات نوعية إلى بنيانها المتين الذي شيدوه، وبقيت النظرية أسيرة النشأة الأولى، وظلت تحمل في ملامحها آثار فكرة «المزاجر» الدافعة، أكثر مما تحمل فكرة الدوافع المحفزة على تحصيل كل مقصد من مقاصدها

وانتظر العالم الإسلامي مدة تلك القرون المتطاولة إلى أن جاء الشيخ الطاهر بن عاشور ليقوم بمحاولة جادة وشافية لتجديد نظرية المقاصد وفتح آفاقها. ومدها إلى منتهاها الذي يجب أن تصل إليه، فأضاف عدة مقاصد إلى المقاصد الكلية الخمسة التي استقرت قرونًا. وأهم ما أضافه - بعد أن قعد ما أضاف تقعيدًا أصوليًا - مقاصد: أحكام العائلة، ومقاصد التصرفات. مقاصد المعاملات. مقاصد العقوبات، مقاصد التبرعات، مقصد الحرية، وما أطلق عليه «مقصد حفظ نظام العالم».

انفتحت إذن نظرية المقاصد مرة أخرى شيئاً قليلاً - بعد الشاطبي - ولكنه انفتاح بالغ الأهمية، خرجت به هذه النظرية العظيمة نسبيا من محبسها الذي استكنت فيه قرونًا طويلة، وبفضل جهود ابن عاشور أضحى من الممكن اليوم المضي قدما خطوات أخرى لتجديدها وتطويرها، لتصل إلى غايتها القصوى، وإلى أعلى مراحلها. ولعلي مراحل نظرية المقاصد في نظرنا هي «العالمية»، أي عندما نتمكن من صياغة المقاصد العامة للشريعة صياغة تستوعب المعاني والمبادئ التي بها تتحقق عالمية رسالة الإسلام. ومخاطبته بني آدم أجمعين وكون شريعته «عدل كلها. ومصلحة كلها. ورحمة كلها»، عندئذ، وآنئذ فقط تصل نظرية المقاصد العامة للشريعة إلى غايتها التي نزلت رسالة الإسلام من أجلها.

ماذا يغير نظرية المقاصد لو وضعنا كلمة «تنمية» مكان كلمة «حفظ»؟. أليس من الأجدر بنا أن نركز خطاب المقاصد باتجاه كيفية تحصيل كل مقصد طرائق تحقيقه في الواقع، خاصة أن أكثر المقاصد أضحت غائبة أو ضامرة على مستوى الممارسة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية السائدة في مجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة؟ ولنجرب ونحاول أن نقلب الطريقة القديمة التي كانت تبدأ بالحفظ والصون، أو الدفع والزجر أولاً، ثم تأتي لماما وبكلام مجمل على جانب الطلب أو التحصيل، - ربما لأن أهل تلك الأزمنة السابقة (العامري، والجويني، والغزالي، والشاطبي)، كانوا يرون أن جهة التحصيل متحققة، وأن الأهم هو جهة الدفع والحفظ، لنحاول قلب تلك الطريقة، أو ذلك الأسلوب، ونقدم صياغات للكليات الخمس انطلاقًا من كيفية تحصيلها أولاً، ثم كيفية صونها وحفظها ثانيا. فنقول مثلاً إن من المقاصد الكلية العامة للشريعة، الآتي:

- تنمية الدين: وذلك بنشر تعاليمه، وتعليمه للأجيال الجديدة، وللفئات الاجتماعية المختلفة، حتى يشكل وجدانهم في ضوء مبادئه، ويشتغل وعيهم بقيمه وأحكامه، وتثبت دعائمه في نفوسهم وقلوبهم، حتى يروا أن مصلحتهم هي في اتباع مبادئه وأحكامه في قوانينهم وتشريعاتهم. وتكون تنمية الدين أيضا بتشجيع العلماء على الاجتهاد والتجديد. وصون حرية التدين، وحرية الإيمان، وحرية الاعتقاد، إلى جانب التحذير من مخالفة أحكامه، أو الخروج على مبادئه، وتطبيق العقوبات على من يقترف جريمة منصوص عليها وعلى عقوبتها في هذا المجال.

- تنمية النفس: وذلك عن طريق الإسهام في توفير مقومات الحياة الكريمة بوسائل متنوعة. وسياسات عامة تنتهجها الدولة في مختلف مستويات الحكم والإدارة الحكومية والمؤسسات الأهلية: من رعاية صحية، وتعليمية، وعناية بدنية ورياضية، ومحافظة على البيئة التي تعيش فيها هذه النفوس، ومقاومة الأمراض التي تفتك بها. إلى جانب صون النفس من العدوان عليها بتطبيق العقوبات الشرعية المنصوص عليها في هذا المجال.

- تنمية النسل، وذلك باتخاذ سياسات تضمن للمواطن، رجلاً كان أو امرأة، حق تكوين أسرة على أسس شرعية قويمة، وتوفير فرص العمل، وأماكن صحية للسكن، ومدارس لتربية وتعليم أبنائهم، وغذاء وكساء وكل ما يؤدي إلى تحسين نوعية الحياة جيلاً بعد جيل إلى جانب صون الأسرة من العدوان عليها، أو من أن تنتهك حرمتها. وتطبيق العقوبات الشرعية المنصوص في هذا المجال

- تنمية العقل، وذلك بتثقيفه، وتهذيبه، وتشغيله، وتوفير مناخ الحرية اللازم كي يفكر ويبدع ويبتكر، ويتثقف، ويعبر عن آرائه، دون خوف، أو تردد. وتسهم في ذلك مؤسسات الدولة التعليمية والإعلامية، والثقافية، كما تسهم منظمات المجتمع الأهلي وأنشطته وبرامجه المختلفة هنا إلى جانب تطبيق العقوبات الشرعية المنصوص عليها في هذا المجال.

تنمية المال، وذلك باتخاذ سياسات تشجع على العمل والكد والكسب، وتحض على الاتقان والتفوق والسبق، والابتكار وفتح أسواق جديدة. ومجالات استثمار تسهم في عمران البلاد وتحقق مصالح الناس وصون الملكية الناتجة عن العمل والكدح هنا إلى جانب تجريم العدوان على أموال الناس، ومعاقبة من يرتكب جريمة بحق مال الغير أو المال العام بالعقوبة الشرعية المنصوص عليها.

يتبع

سورية ومصر



[illegible]

مصر [illegible] ... [illegible]
[illegible] لا [illegible] ... [illegible]
[illegible] للضاد [illegible] ... [illegible]
أم اللغات غداة الفخر أمهما ... [illegible]
أيرغبان عن الحسنى وبينهما ... [illegible]
ولا يمتان بالقربى وبينهما ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] في [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
بالواديين [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] كم [illegible] ... [illegible]
في الشرق والغرب أنفاس مسعرة ... تهفو إليك وأكباد بها لهب[11]
لولا طلاب العلا [illegible] ... من طيب رياك لكن العلا تعب[12]
كم غادة ببروع الشام باكية ... على أليف لها يرمي به الطلب[13]
[illegible] ... [illegible] رحلاته [illegible][14]

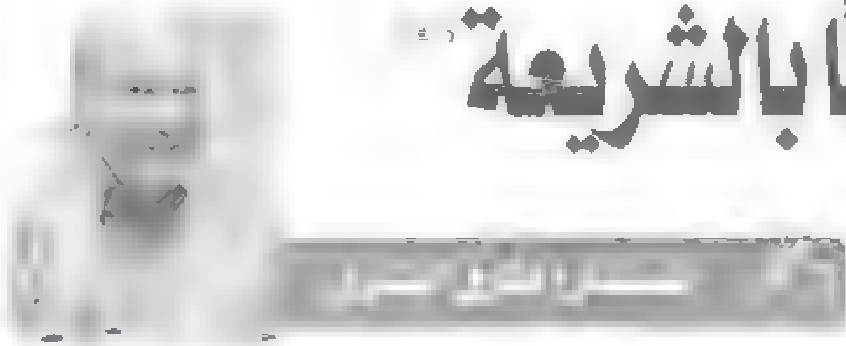
هي العلا [illegible] ... [illegible]
قلب الهلال عليها خافق يجب
ولا تحول عن مغناهما الأدب[3]
وإن سألت عن الآباء فالعرب
في رائعات المعالي ذلك النسب[4]
تلك القرابة لم يقطع لها سبب[5]
دنت لها راسيات [illegible] تضطرب[6]
[illegible][7]
[illegible] والعشب[8]
[illegible] والدأب[9]
[illegible][10]
من الرياض وكم [illegible] منسكب

(1) [illegible] وهو هنا كناية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما والهلال شعار الدولة العثمانية
(2) الضاد: كناية عن اللغة العربية [illegible] (3) يريد أن الأمتين تجمع بينهما الأمومة والعمة [illegible]
(4) [illegible] المعالي ما ظهر منها [illegible]
(5) [illegible] (6) [illegible] (7) [illegible] مرتفعاته وأعاليه [illegible]
(8) [illegible] (9) [illegible] الجد والاجتهاد
(10) [illegible] بالشطر الأول إلى وادي النيل وبالشطر الثاني إلى وادي الأردن
(11) [illegible] عن الشوق [illegible] عن وطنهم في أنحاء الأرض طلبا للرزق
(12) الريا: الرائحة الطيبة (13) [illegible]
(14) يقول إن هذا [illegible]

يكر صرف الليالي عنه منقلبا ... وعزمه ليس يدري كيف ينقلب[15]
[illegible] (كولمب) أبطال غطارفة ... [illegible] إذا ما [illegible][16]
لم يحمهم علم فيها ولا عدد ... سوى [illegible][17]
[illegible] في البحر [illegible] ... وجيشهم عمل في البر مغترب[18]
[illegible] ... وفي قوا كل طود مسلك عجب[19]
لم تبد بارقة في أفق منتجع ... إلا وكان لها بالشام مرتقب[20]
ما عابهم أنهم في الأرض قد نثروا ... [illegible] مذ كانت الشهب
[illegible] ... فكل حي له في الكون مضطرب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا ... إلى المجرة ركبا صاعدا ركبوا[21]
أو قيل في الشمس للراجين منتجع ... [illegible] في [illegible][22]
سعوا إلى الكسب محمودا وما فتئت ... [illegible] تكتسب[23]
فلين كان الشاميون كان لها ... [illegible] ليس يحتجب
[illegible] ... [illegible] العرب
[illegible] لا [illegible] ... [illegible][24]
لولا [illegible] ... [illegible] ولا [illegible][25]
إن يكتسبوا إلى دنيا في عودتهم ... فإنما الفخر في الكسب الذي كسبوا[26]

(15) يكر صرف الليالي عنه: [illegible]
[illegible]
[illegible] وإذا ما [illegible]
[illegible]
(16) [illegible]
[illegible]
(17) [illegible]
(18) [illegible] في كل مكان
(19) [illegible] أي على كل جبل
(20) [illegible]
(21) [illegible]
(22) [illegible]
(23) [illegible]
(24) [illegible]
(25) [illegible]
(26) [illegible]

منهج النظر في دراسة القانون مقارناً بالشريعة (*)



١- الموضوع الذي تتعلق به هذه الدراسة هو عن منهج دراسة القانون مقارناً بالشريعة. ومناهج تدريسها تدريساً مقارناً، ومدى صلاحية كل منها، وقد بدأت بالمعتاد والمتوقع، وهو مطالعة عينات للدراسات وكتب التدريس التي اتبعت الأسلوب المقارن، ووقعت كثيرا بين إمكان اختيار العينات لذلك وبين إمكان التسمح بالقدر المتيسر للجهد الفردي. كما ترددت بين التقاط الظواهر العامة في هذا الشأن وبين محاولة التدقيق في تفاصيل العملية الفعلية التي تتبع في وضع المقارنة.

ثم فجأة ألقي في ذهني السؤال عما نريد من هذه الدراسة، وما هو معيار التقويم لصحة هذه المناهج أو فسادها؟ ومعيار التقويم هنا يتوقف على إدراك ما نريد ومن جهة أخرى فإن معيار التقويم لا ترد الحاجة إليه فقط لمعرفة مدى الصواب والخطأ، وإنما هو لازم لاختيار المادة المبحوثة، فنحن لا نستطيع أن نجمع مادة أي بحث إلا إذا كان لدينا معيار مسبق لما نأخذه وما نتركه، لما نرى له وجه دلالة في السياق المبحوث فنأخذه، أو لا نرى له دلالة مؤثرة في المجال المبحوث فنتركه، وبمعنى آخر، إننا لا نستطيع أن نجيب في أمر ما قبل أن يتجلى لنا السؤال عن هذا الأمر.

أول الأسئلة: ما الذي نريده من هذه المقارنة التي نجريها بين القانون والشريعة؟ وإن ما نريده وما نحدده كهدف لنا هو ما يتوقف عليه تقدير مدى صواب منهج المقارنة أو خطئه وتقدير أفضلية منهج على غيره، لأن المنهج طريق يتناسب إلى الغاية منه. ما الذي نريده من المقارنة في مرحلة ما إذا أردنا إثبات أن الشريعة أفضل من القانون الوضعي من حيث الاستجابة لحاجات الناس. وفي مرحلة غيرها إن أردنا إثبات أن الشريعة أسبق من القانون الوضعي فيما يزهو به هذا القانون من أحكام. وفي مرحلة أخرى إن أردنا إثبات أن الشريعة لا تقل عن القانون الوضعي في تحضر أحكامها، وما أكثر ما جمع باحثونا بين هذه الدلالات يستخلصونها من مقارناتهم.

بدأت المقارنة مع الشك الذي أصاب العقل المسلم من قدرة الفكر السائد في مجتمعه على تحقيق النهضة المرجوة، بعد أن بهره التفوق الغربي وتسيّده على المسلمين بحكوماتهم ونظمهم، وبعد أن بهره ما رآه من نظم وممارسات في المجتمعات الأوروبية. فقام يستنهض أمته بعقد المقارنة وباستخلاص ما قدر نفعه لدى الغرب ينقله ويستخلصه ويعمل على ضمه واستيعابه في أطره المرجعية الإسلامية ومعايير حاكميته المستمدة من هذه الأطر، نجد هذا بما يظهر لنا من اجتهادات الشيخ محمد عبده ومن يشاكله

وقد تعدلت القوانين والنظم إلى ما صارت به مأخوذة عن قوانين الغرب ونظمه وبما جرت به في إطار المرجعيات الغربية، وكان لابد لتسويغ هذه النقلة الخطيرة من أن تجرى الكتابات والأقوال بعدم جدارة الشريعة الإسلامية لأن تحكم مجتمعاً يريد النهوض وهو في القرن العشرين، وإن أحكامها التي ظهرت منذ بضعة عشر قرناً قد صارت من تراث الغابرين، وجاء رد العقل الإسلامي على ذلك بعقد المقارنة بين أحكام الشريعة وأحكام القانون، لإثبات أفضليتها وأسبقيتها، أو بالأقل لإثبات أنها لا تزال صالحة لحكم مجتمعات تعيش في القرن العشرين، ومن هنا جرت البحوث المقارنة لإثبات هذه الصلاحية، وهذه المواكبة الزمنية لما اعتبر من ملامح المعاصرة في القرن العشرين. نجد هذا فى ما يظهر لنا من اجتهادات أمثال أساتذتنا: الشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ على الخفيف ممن درسوا في مدرسة القضاء الشرعي ومن على شاكلتهم

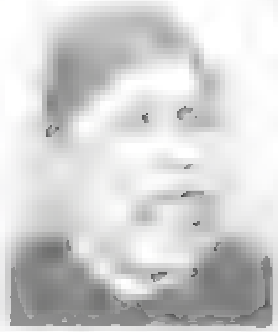
إنني هنا لا أؤرخ، ولكنني أكتفي بالإشارة إلى السياق العام، آملاً أن يساعد ذلك على أن يظهر في النهاية وجه ما أريد أن أطرحه، وأنا في صدد رسم ملامح هذا السياق العام، إنما يجري مني القول بتعميمات قد لا تخلو من عدم الدقة، لأن التعميم يوجب قدراً من التجريد يتخفف من التفاصيل ومما يعتبر أوضاعاً عارضة. لذلك كان التعميم دائماً لا يخلو من محذورات ومن تعرض لصورة الكلية للعديد من التفصيلات العارضة.

٢- لما ساد التشريع الآخذ عن قوانين الغرب ونظمه، ظهر مطلب العودة إلى الشريعة الإسلامية، ظهر بالتدريج، لأن العقل المسلم لم يكن يتصور في البداية أن تلك القوانين والنظم الغربية وضعت لتسود المجتمع كله ولتحل محل الشريعة الإسلامية، نظر إليها في البدايات على أنها نظم وافدة تقف بجوار الشريعة ولا تعقبها، يشهد على ذلك في مصر مثلاً أن القوانين الآخذة عن الغرب عندما صدرت في سنة ١٨٨٣م وأنشئت المحاكم الأهلية لتطبيقها، لم يتضمن كل ذلك أن المحاكم الأهلية هي جهة القضاء ذات الولاية العامة، وأن الناس استصحبت مع هذا السكوت أن الولاية القضائية العامة باقية للقضاء الشرعي، كما يشهد به أن وزيرين منهما على مبارك وافقا على سن تلك التشريعات وإصدارها إقناعاً للأجانب بأن يستغنوا بها عن المحاكم المختلطة لأنها تطبق قوانين آخذة من موارده، فتكون مصر بهذا

(*) بحث قدم لندوة انعقدت بجامعة قطر في ديسمبر سنة ١٩٩٥، ونشر بصحيفة الحياة اللندنية على ثلاث حلقات في الأسبوع الأول من مارس سنة ١٩٩٦

الإصلاح قد سرت مبادئه الغربية وبعض من مبادئه الشريعة وإن بقيت مقيدة. لأن القضاء الأهلي تقيمه حكومة مصر دون مشاركة المحكومات الأجنبية في تعيين. ولأن القانون الأهلي تصدره حكومة مصرية دون توقف على مشيئة الدول صاحبة الامتياز، ولأن كانت وزارة حكومة مصرية مقصود بها أن تستمد تلك التشريعات من موارد الغرب وتشريعاته. ثم كسبت المحاكم الأهلية الولاية العامة بعد إنشائها بعدد من السنين. وكان الاستعمار البريطاني قد مد جذوره في الأرض المصرية مع خواتيم القرن التاسع عشر، وكان الفكر العلماني قد صارت له مؤسساته ودعاته، سواء في مدارس الدولة أو في دوريات الثقافة أو في الصحف السيارة.

من هنا بدأت المطالبة بالعودة إلى الشريعة الإسلامية كشريعة حاكمة، وإلى القضاء الشرعي الذي يطبقها بوصفه صاحب الولاية العامة. بدأت هذه المطالبة فيما قبل الحرب العالمية الأولى كمطلب، لا أقول مطلبا مهيبا، ولكن أقول إنه كان يدور على أسس فقهية وفكرية واجتماعية، ويتردد الحديث بشأنه بين رجال الصفوة من العلماء وغيرهم. ثم تطور الأمر بعد الحرب العالمية الأولى وبعد قيام ثورة ١٩١٩م، وبعد انكشاف أن التحول الذي يجرى في المجتمع المصرى، وغيره من مجتمعات المسلمين، لا يقتصر على استبدال قوانين بقوانين، ولا على الاستعاضة عن تنظيم قضائي بتنظيم آخر، ولكنه يمتد تحويلا لأسس الشرعية والمرجعية كلها في المجتمع، فالجامعة الإسلامية تسقط والهوية التي تقوم على أساس الإسلام تزوي، والتكوين العلماني يسود، وبدا أن الشريعة الإسلامية -وهي ركن



الجامعة الإسلامية قد أريد إقصاؤها لا لعوار أو نقص أو قصور في تنظيمها للمجتمع وتشغيله للمنشآت ولكن لما يرتبه من تغييب شعور الجماعة بذاتيتها، وتفكيك قوى التماسك لها بوصفها جماعة ذات هوية وموقف حضاري وتاريخ ممتد. ومن هنا بدأ مطلب العودة إلى الشريعة الإسلامية يتحول من مطلب فقهي مهني جماعي إلى مطلب سياسي، وجرى ذلك على أيدى الحركات السياسية الإسلامية التي ظهرت مع نهاية العشرينات من القرن الحالي، وهو لا يزال كذلك.

لقد صار تطبيق الشريعة الإسلامية، أو العودة إلى الاحتكام إليها، صار "مسألة" أو "قضية"، وصارت ثمة مسألة تعالج في مجالين: مجال فكرى يقوم بإعداد البحوث والدراسات وبذل الجهود للمواءمة بين أحكام الشريعة الإسلامية وأوضاع الواقع المعاش ومطالبه، وبإجراء المقارنات بين أحكام القوانين الوضعية والأحكام التي تفتق عنها الفقه الإسلامي أو التي يمكن أن يتفتق عنها، ومجال سياسي يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ويحشد الناس للمطالبة بها، ويقف حارسا على هذه الدعوة، ويبين مدى ارتباط الشريعة والاحتكام إليها بالموقف العقدي الإسلامي، ومدى ما يطرأ من نقص على إسلامية المسلم إذ ابتعد عن الاحتكام إلى شرع الله، وما يلحق المجتمع الإسلامي من عوار في هذه الحالة. ومن الطبيعي أن كلا من هذين

يؤثر في الآخر ويتأثر به، وهو يمديه ويتغذى بنتاجه.

على أني أجازف بالقول: إنه وإن كان كلا المشتغلين، كل في مجاله، يتجه إلى جمهور يتلقى عنه، وكل منهما يستمد الأدوات الصالحة لهذا التوجه، سواء بالبحث العلمي بالنسبة للنشاط الفكرى، أو بالدعوة بالنسبة لمجال النشاط السياسي، فإن كلا منهما كان يستبطن في وعيه أن الغاية المرتجاة هي أن تتبنى الدولة هدف العودة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وأن يستعيد المجتمع المسلم شريعته بواسطة سلطة الدولة وعن طريق قراراتها الملزمة القادرة وحدها على تحقيق هذا الأمر.

كان ولا يزال الهدف المستبطن هو تقنين الشريعة الإسلامية، أي صياغة أحكامها صياغة قانونية معاصرة، تصدر بها قوانين وقرارات من الدولة، وتكتسب شرعية سيادتها من إقرار الدولة لها وإصدارها لأحكامها، ورقابتها كافة تطبيقها، وحرصها على حسن إعمالها. وهنا ظهرت العقبة الكؤود التي تزداد كل حين استعصاء، كلما ازدادت مع الوقت المطالبة بعودة الشريعة الإسلامية إلحاحا وانتشارا.

وهنا نحاول أن نقترب من لب ما وردت من هذه الورقة أن تطرحه. وهو في ظني ما سوف يقف عليه تقرير منهج الدراسة المقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.

٢- يجدر بنا أن نفرق ونميز بين الدولة من حيث هي هيئة وهيكل تكوين وأسلوب أداء وبين العاملين بها من ناس متخصصين تتوزع عليهم التخصصات، كل فيما تأهل له، وتتقسم بينهم الأعمال نوعيات ومستويات، ليتجمع الأداء الكلي بعد ذلك من مجمل ما قدمت إليه تلك الأعمال، وهو يتجمع مصطبغا بالهدف الكلي أو بواحد من الأهداف الكلية التي نيط بالدولة أداؤها وتحدد بها الغرض من قيامها. مثال ذلك المدرسة أو المعهد العلمي تتوزع بالمدرسة فيه أقسام وفروع معرفية، ويقوم بذلك رجال متخصصون كل في مجاله. ولكن الأداء العام الإجمالي هو ما يصوغ عقل الطالب ويشكل الحصيلة العامة أو المنتج النهائي، ومن هنا يجرى التمييز بين المدرسة بعامة وبين أفراد قائمين عليها. فهم ليسوا سواء، وما يصدق عليها يتعلق بالغرض المقصود، أو بحصيلة الأداء العام، وهو لا يصدق بالضرورة على العاملين بها أفرادا وفرقا.

بهذا التمييز الواجب، يمكن القول بأن الدولة الحديثة في مثل بلادنا المشرقية عامة، قد طورتها الصناعة التاريخية منذ وجدت في القرنين التاسع عشر والعشرين، وطورتها حصيلة العلاقة العضوية مع النموذ الغربي المهيمن، بلورتها وواحد من أهدافها الأساسية المتضمنة في الالتزام الوضعي وصبغ عقليته الفكرية، أن تكرس النزعة القطرية والإقليمية، وأن تؤكد الوجه العلماني الوضعي للمشرب الفكرى، وأن تمحى المؤسسات الاجتماعية التقليدية التي كانت تتشكل بها وحدات الانتماء الاجتماعية، محلية كانت أو مهنية أو مذهبية، والتي كانت تحفظ التوازن الاجتماعي للجماعة، وأن تحل السلطة المركزية محل التكوينات الجماعية الفرعية، وأن تحتكر العمل العام من دون هيئات الإدارة الذاتية كالطوائف والنقابات والملل وغيرها، وأن تمتلك -على سبيل الاختصاص- المحجوز سلطة

إدارة المجتمع وشئون الأمة بغير شريك لها من هيئات المجتمع وتنظيماته وجماعاته الفرعية.

وليس غير التوجه العلماني الوضعي هو ما يكفل للدولة إمكان تحقيق كل هذه الوظائف لأنها لابد لقيامها بكل هذه المهام، لا أن تمتلك السلطة منفردة فقط، ولكن أن تمتلك مصدر السلطة. لا أن تمتلك ملكة التشريع فقط، ولكن أن تمتلك مصدر التشريع. أي أن تكون هي مصدر الشرعية لما تقيمه في المجتمع من نظم وهيئات وما تنسبه من قيم وأحكام، والدولة الحديثة تنظر إلى علاقتها بالجماعة وبالمجتمع بوصفها قوامة عليهما وذات وصاية، وهذا أمر إن لم يظهر في الصياغات الفكرية المصاحبة لقيامها وتكوينها، ولا يظهر في الفكر السياسي والفكر الدستوري الذي تستند إليه، إلا أنه يظهر واضحاً في ممارستها لوجوه أنشطتها المختلفة، فهي أبداً مصدر الشرعية لأي من أنواع النشاط التي تمارسها العامة والجماعات المختلفة، سواء في التعليم أو الصحة أو البناء أو العمل أو ممارسة المهن أو الزراعة أو الصناعة أو الري أو فتح المحال العامة من فنادق أو مطاعم أو متاجر... إلخ. وسواء نشاط التبرع أو أعمال الخير أو إقامة الجمعيات أو طبع الكتب أو إنشاء الصحف أو الخطابة إلخ، لا شيء من ذلك إلا ويحتاج إلى ترخيص من جهة ما من جهات الدولة، ويصدر ذلك بواسطة قانون ينظمه، والقانون تصدره الدولة ذاتها من الهيئة المختصة بالتشريع فيها.

والقانون يصدر مستنداً في مرجعيته إلى الإجراءات المحددة عن طريق أجهزة الدولة، وإلى ما تقدره هذه الأجهزة من مصلحة في الإصدار، ومن ثم فإذا كانت الدولة الحديثة ذات سلطة مقيدة فيما تذكره النظريات الدستورية ونظريات علم السياسة، فهي مقيدة بما تنشئه من قوانين، أي هي مقيدة بعضها من بعض، أي سلطتها التنفيذية بسلطتها التشريعية، وبواسطة سلطتها القضائية التي تنظر إلى ممارسات السلطة التنفيذية في ضوء ممارسات السلطة التشريعية لتقضي بما تعتمده السلطة التشريعية، والدولة باعتبارها جماع هذه السلطات الثلاث فهي مقيدة بإرادتها ومشيئتها الذاتية، ولا يرد عليها القيد من خارجها من إطار مرجعي عام خارجي يهيمن عليها مثل ما يحدث عندما نتكلم عن وجوب تقيد الدولة بأحكام الشريعة الإسلامية، إذ تصير الدولة محكومة بمرجعية خارجة عنها لم تصنعها الدولة بذاتها، ومن ذلك يظهر وجه القول بأن العلمانية هي من خصائص الدولة الحديثة في مجتمعاتنا، وهي من مقتضيات هذه الدولة ومن أركان تكوينها، وهي خاصة لصيقة متضمنة في مواد بنائها. ومن هنا استطاعت الدولة أن تحول المجتمع إلى أن يصير من ممتلكاتها وأصولها الثابتة، ومن هنا صار المجتمع تابعاً وملحقاً بالدولة وليس العكس، لأنها تملك عليه لا سلطة التشريع له فقط، ولكنها تملك مصدرية سلطة التشريع ذلك.

من هنا يظهر التعارض الرئيسي بين مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية وبين الدولة بالصياغة التي تقوم عليها هياكلها وبالوظائف التي تقوم بها هيئاتها الحديثة.

٤- نحن نلاحظ من متابعة وقائع حركة المطالبة بالعودة إلى الشريعة الإسلامية، أنه كلما توجهت هذه الحركة إلى الدولة كلما تعثرت وارتدت على آثارها، وكلما توجهت إلى جماعة الناس في حضيضها وعمقها كلما ازدهرت وربت وربما... الدولة الحديثة ليس مرجعه إلى أنها لم تؤمن بالتوجه إلى الشريعة الإسلامية بعد، ولكن مرجعه إلى أنها بتركيبها وطبيعتها وامتلاكها للمجتمع لا تستطيع إلا أن تملك مصدر الشرعية في المجتمع، فلا تكتفي بامتلاك سلطة التشريع، كما لا تستطيع إلا أن تكون لديها القدرة على صناعة القيم وامتلاك الأساس الذي تقوم عليه القيم، بمعنى أنه متى وجدت دولة تمتلك المجتمع وتعمل على السيطرة المنفردة على مقدراته لتكون هي المؤسسة الوحيدة وتخضع ما دونها وما يماثلها وما قد يعلوها من وحدات الانتماء الأخرى الجامعة للبشر على اختلاف مشاربهم وتنوع أنشطتهم، متى وجدت دولة بهذه المواصفات فلابد أن تكون علمانية لتصير شرعيتها مستمدة من ذاتها، ونشاطها صادراً عن محض مشيئتها.

ونخلص من ذلك إلى أنه لا يقوم رجاء معتبر في تحقق شيء ذي شأن من أن تتصدر الدولة الحديثة في بلادنا وتأخذ على عاتقها مهمة إعادة الشريعة الإسلامية كشريعة حاكمة وشريعة مسيطرة على الأعمال والأقوال والنظم. إنما الرجاء جله في السعي بهذه المطالبة لدى جماعات الأمة، فهي مطالبة في هذا المجال أنفذ وأفعل، لأنها تستثير فيهم تراثاً يحفظونه وعقيدة يتعلقون بها وقيم سلوك وتعامل يألفون الاحتكام إليها، وقوة تماسك يترابطون بها مع بعضهم البعض، وبقدر ما يشيع تبني هذه المطالبة بين أفراد الأمة وجماعاتها، بقدر ما يهيئ ذلك وجوه الضغط على الدولة لتعدل من ضغطها وتخفف من غلواء تفردها، وإن أفعل ما يقوم به هذا الأثر هو تحلل الأمة هيئات وجماعات وطوائف، ثم ما يشيعه ذلك من تغلغل في أبنية الدولة الحديثة من خلال العاملين بها كل في مجاله ومحيطه، وأفعل ما يكون هذا التشيع في أجهزة الدولة الحديثة ذات الهيمنة المركزية وذات الضخامة والتوغل في شئون الجماعة، لأنها دون ذلك أجهزة كبيرة تضم أعداداً غفيرة من المواطنين، بما تنضح به عقائدهم وآراؤهم، وبما يرشح من ذلك من آثار بقدر كثافتهم وقوة اقتناعهم.

إن لنا في تجربة أحداث ١٩١٩م في مصر عبرة، يمكن استدعاؤها في هذا الصدد. فإن مطلب الاستقلال عندما ارتفع وشاع بما يشبه الإجماع، استطاع أن يحمل مؤسسات الدولة والإدارة إلى ما صارت به تتزاوج مع حركة شعب أعزل، سلاحه تماسكه، وأداته وقوفه صفاً كالبنيان المرصوص، فصار ذلك الجهاز محايداً ثم متعاطفاً ثم مشاركاً. وهذا ما أكسب حركة المصريين وقتها صبغتها السلمية، ومضاء عزيمتها في الوقت ذاته. عبّر اللورد اللنبي المندوب السامي البريطاني في مصر عبّر من وجهة نظره عن موقف جهاز الدولة المصري وقتها بقوله: "إن الحكومة صارت مستحيلة". وفي الحقيقة إن الحكومة صارت مصرية، تنضح عليها مجمل شعور الرأي العام المصري بما يطلب وما يبغي، وكان جهاز الدولة ذاك هو عينه الذي حكم الإنجليز المصريين به ما يجاوز خمساً وثلاثين سنة سبقت، فامتنع في ١٩١٩م على حاكميه وسلس للمحكومين به، في لحظات حاسمة. وتعدلت طبيعة الدولة ونوع أداتها من بعد إلى

درجة لا بأس بها بالقياس إلى سابق عهدها، وقد قصدت بذكر هذا المثال، بيان أن التوجه إلى الأمة من شأنه أن يفضي إلى التأثير بالمستمر في طبيعة الدولة ونوع ذلك، ما دامت اجتمعت الأمة بهذا التوجه على مطلب معين.

ومن جهة أخرى فنحن نتابع على خبرة الواقع المعاش - حركة المناداة بالحجاب بعد السفور، ولنا أن نتصور لو أن حركة العودة إلى الحجاب بين النساء كانت توجهت إلى الدولة لتعميم الحجاب أو تركيته في المدارس وأماكن العمل.

- فأولاً: كان الأمر الواقع سيكون في صالح السفور، وكان الحجاب سيفوت تحت به دعوة تغيير الواقع.
- ثانياً: كان سيلقى من الصدود ما لا يمكنه من الإقناع بدعوته.
- وثالثاً: كان سيولد نقطة احتكاك بينه وبين الدولة لأنه ينازعها على قرارها، ولأنه يريدها على الخروج من علمانيتها، ولكن الحادث أن دعوة الحجاب توجهت إلى جمهور الأمة، ولم نشاهد القول بها بقدر ما شاهدنا الفعل لها، الذي صار إلى الانتشار والتغلغل في المجتمعات التي اعتادت بعض أوساط النساء فيها على السفور منذ عشرينات القرن العشرين، حتى صارت الأزياء حاسرة عما لا يجوز كشفه، ثم آل الأمر إلى العكس، فمدت الجلابيب وتغطت الشعور، وآتت المحاكاة آثارها، وتغير الوضع المحيط وانسدلت الملابس، وصارت الحاسرة تفاجأ من أمر نفسها بأنها قد صارت أقرب إلى الانكشاف والعري، رغم ثبات زيها طولا وسعة، لأن "الوسط" قد تغير وكشف لها من أمر نفسها ما لم تكن تلحظ، واكتسب الحجاب الأمر الواقع، وحدثت دعوة التغيير من دعاة السفور، وظهرت الدولة حيية مترددة تقدم رجلا وتؤخر أخرى، وتلزم بالسفور في المدارس ثم تعود، وتعدل وترمي بأنصاف الأقوال وتواقص القرارات.

هذا ما قصدت بيانه من التوجه إلى الأمة، واكتساب قدم راسخة فيها قبل التوجه إلى الدولة، والتوجه إلى الأهالي بالنصيحة وبالفعل الفردي والجمعي، قبل التوجه إلى حكومة إصدار القرارات.

٥- إلى أي مدى يمكن التوجه بطلب العودة إلى الشريعة الإسلامية التوجه به إلى الأمة لممارسته، وهو متعلق بتطبيق القانون النافذ في المجتمع مما تملكه الدولة، ومما يعتبر جوهر سيادتها؟ وهل يمكن ممارسة الأهلية للتحاكم بالشريعة الإسلامية في ظل سيادة الدولة القائمة والنظام القانوني الوضعي السائد؟ إنني أحاول أن أضع السؤال بهذا الأسلوب الملتبس حتى يمكننا تحريره واستخلاص حقيقة المقصود، فليس المقصود تحدي سلطة الدولة، وليس المقصود إيجاد قانون بطريقة تأباها نظم الدولة المستقرة، إنما المقصود الذي أريد أن أوضحه هو كيفية تخلل الشريعة الإسلامية للنظام القانوني السائد، وهذا ما يجعلنا نحدد في البداية ما هو المقصود من "الشريعة الإسلامية".

عندما عدلت تشريعاتنا من الأخذ عن الشريعة الإسلامية إلى الأخذ عن القوانين الأوروبية، الفرنسية والإنجليزية وغيرها، لم يكن قصد العدول العربي من ذلك - في ظني - استبدال أحكام محددة في القانون المدني أو التجاري بأخرى، فقد كان ذلك ممكنا في إطار حاكمية الشريعة الإسلامية بما تتسع له من تعدد وتنوع في الاجتهادات والمذاهب والآراء، وما يظهر اتساع من ذلك حرية التخير بين الآراء، ولا نعدم التخير بين الأحكام التي تدخل بعد تبني من محاولات تجديد الشريعة الإسلامية، وما يظهر [illegible] كان القصد - في ظني - هو العدول عن الإطار المرجعي الشرعي إلى إطار مرجعي آخذ عن الغرب وقوانينه بما يقضي على استقلال التشريعي ويكرس التبعية للغرب في نظمنا التشريعية واجتهادات قضاتنا ومفتينا وشراح القوانين عندنا. وهذا ما حدث فقد صرنا بعد أن كنا نقول: قال الشافعي، وقال أبو حنيفة، صرنا نقول: قال قانون نابليون، وقال القانون الروماني من قبله، وبدل أن نستدل بمالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل، صرنا [illegible] والزيلعي والسرخسي [illegible] وكتب الحنفية ومبسوط السرخسي، صرنا نلجأ "لدالوز" وأحكام النقض الفرنسية.

لا تثريب علينا أن نطلب العلم من كل مكان، ولو من الصين ولو لم نكن من أهل الديانات السماوية، ولكن التثريب كما لم يقتصر علينا أن ننقل عن الآخرين والإثم الأعظم أننا فصلنا تنظيماتنا عن عقيدتنا كأصل للشرعية ومعيار للاحتكام، وأخذنا من عقائد الآخرين عن شريعتهم ومعايير احتكامهم. لم يكن المقصود إذا استبدال حكم فرعي في واقعة أو أخرى بحكم آخر، إنما كان المقصود العدول عن أصول الشريعة الإسلامية إلى أصول شرعية وضعية غربية [illegible].

القانون المدني الذي أعد لمصر من القانون الفرنسي وصدر في ١٨٨٣م كان قد عرضت نصوصه على بعض علماء الشريعة، فتحدث بعضهم عما وجده من وجوه الشبه بين أحكام هذا القانون وبين اجتهادات الفقه المالكي في [illegible] المقصود العدول عن الأحكام، إنما هو العدول عن المصدر الشرعي للحكم، وهذا ما تحقق [illegible] الدعوة لاستقلال القانون المصري من القانون الفرنسي مجموعة التقنينات التي صدرت في الأربعينات، وكان أساس حركة الاستقلال هذه هو الفصل بين أحكام هذه التقنينات وبين الأصل المرجعي لها، سواء كان قانونا فرنسيا أو قانونا ألمانيا أو غير ذلك.

[illegible] حركة العودة إلى الشريعة الإسلامية، إنما نجد أساسها وحقيقة مقصودها في [illegible] الأحكام الشرعية التي ولدها الفقه الإسلامي [illegible] الثابتين للشريعة الإسلامية: وهما القرآن الكريم وسنة سيدنا محمد رسول الله ﷺ. لذلك أخال أننا أخطأنا أحيانا عندما استدرجنا [illegible] ومطلوبا أن نثبت بالحديث عن الأحكام الفرعية قدرة الشريعة الإسلامية على البقاء [illegible] للإثبات غلا أحيانا وجعل البعض يظن أن [illegible] كذلك، مع أن طلبتنا هي إعادة أصل الشرعية الإسلامية لتكون حاكمة ومعيار احتكام ومصدرا تشريعيا للمعاملات والنظم، فضلا

عن قيم السلوك الضابط للأخلاق. المطلوب هو المرجعية، هو المورد والمشرع وعين الماء، المطلوب ليس الموزون مجردا، بل الميزان في الأصل والأساس، ونحن نطلبها كإطار فسيح يسع -كما وسع دائما على مدى تاريخي طويل وفي مجال جغرافي عريض- العديد من الاجتهادات وتنويعات الأحكام واختلافاتها وتغيرها، نطلبها ونعلم أنها تسع اجتهادات وتنوعات بقدر ما تسع وتضيف مناهج التفسير وأصوله المعروفة والمعترف بها.

-٦- المقصود هنا بالدعوة إلى الأخذ بالمطالبة بعودة الشريعة الإسلامية، لا يعني تحدى سلطة الدولة، ولا يصل إلى إيجاد قانون وتنظيم بديل على غير ما سنت الدولة، ولا يبلغ الخروج على قوانينها. وفي الوقت ذاته ليس المقصود فقط هو عموم الدعوة إلى الشريعة الإسلامية وتزكية أطرها المرجعية ومعاييرها في الاحتكام بها بين الناس، إنما المقصود هو منزلة بين هاتين المنزلتين، وهذا ما أحاول عرضه في هذه الورقة حول منهج دراسة "القانون مقارنا بالشريعة الإسلامية".

المقصود ليس فقط الدعوة المطلقة، ولا هي دعوة تغيب الحث على "الممارسة"، ولكنها ممارسة مقصودة لا تخرج لا تغيير الأحكام القائمة (فهذا أمر تبقى بالنسبة له الدعوة إلى المطالبة بتغيير ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية وتشريع ما توصيه مما لا يزال غير نافذ بسلطان الدولة) ولكنها "ممارسة" تجرى لتغيير "الأطر المرجعية" أي تعديل قواعد الاحتكام للنصوص والأحكام السارية الآن، ليصير مصدر الشرعية لها هو اتفاقها مع الشريعة.

المطلوب هنا هو النظر فيما تسعه الشريعة الإسلامية من أحكام تقوم بها القوانين والتشريعات السارية والنافذة في المجتمع الآن، ورد هذه الأحكام إلى أطرها المرجعية من الشريعة الإسلامية وإسنادها إلى ما يمكن أن تستند إليه من مصادر التشريع الإسلامي وفقا لما تفتق عنه اجتهاد الفقهاء المسلمين قديما وحديثا. وهذه مسألة هي من أولى ما ينبغي أن يتجه رجال القانون والفقه والعاملون بالقانون من قضاة ومحامين وشراح ومدرسين وأساتذة متخصصين. أن يتجه كل هؤلاء إلى مسائل الإسناد الشرعي لأحكام القوانين القائمة في حدود ما تتسع الشريعة الإسلامية وفقهها بإسناده من أحكام تلك القوانين.

وأبادر فأذكر أن الأمر هنا لا يعني إضفاء بردة الدين والشرع الحنيف على نظام قانوني وضعي (علماني)، ولكنه هو أمر تحلل للنظام القانوني الوضعي بما لا يستطيع بدايته تحلله بالتدريج لرد أصول مرجعيته لمصادر التشريع الإسلامي، والفرق بين العمليتين يتأتى من وجوه ثلاثة هي ما يلي:

أولاً: إن إضفاء بردة الإسلام على ما ليس منه، مقصود به تثبيت الوضع القائم وإبقاء للمصدرية الوضعية (العلمانية) للتشريعات القائمة، وهي تنعى إذابة الفروق بين الصيغة (العلمانية) الوضعية والصيغة الشرعية الإسلامية، وهي تنكر مبرر قيام دعوة إسلامية تهدف إلى تطبيق الشريعة وإقرار حاكميتها في المجتمع، باعتبار أن الشريعة قائمة ونافذة فعلا.

بينما التحلل المطلوب للنظام القانوني يستبقي وضوح الفروق لديه بين أحكام ونظم وقوانين ذات مصدر (علماني) وضعي حسب أصل نشأتها وتقريرها، وبين أحكام ونظم وقوانين ذات مصدر شرعي إسلامي، وهو بدعوته إلى تحلل النظام القانوني لا ينكر وجوب قيام الدعوة العامة بقيام مرجعية الشريعة الإسلامية، فهو يضيف وسيلة إلى وسائل، ولا يستعيض بوسيلة مقترحة عن الوسائل القائمة الآن فعلا، فهو يضيف ولا ينقص.

ثانيا: أن إضفاء بردة الإسلام على ما ليس منه، إنما يصطنع فقها وحينئذ لا يجرون وفق أصول التفسير والفقه التي يجريها علماء الشريعة، إنما يؤولون الأحكام الشرعية بما يخرجها عن وجوه القياس الصحيحة إلى ما ليس مقصودا به إلا إضفاء الصبغة الشرعية على أحكام تتعارض معها، فهو باجتهاده يصل في الحقيقة إلى "التعطيل" وليس إلى "الإعمال".

بينما القائل بالتحلل للنظام القانوني، لا يبغي أن يصطنع فقها يخرج عن مألوف ما تجرى به مناهج الفقه الإسلامي وسوابق اجتهادات المجتهدين من داخل الفقه الإسلامي وبمالته، وهو بذلك يخضع نصوص الأحكام الوضعية لهيمنة الشريعة الإسلامية مصادرا وفقها، ولا يخضع أحكام الشريعة لهيمنة النظر الوضعي (العلماني).

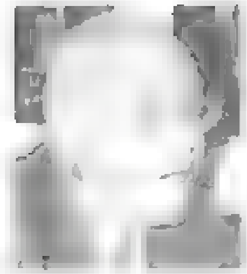
ثالثا: إن من يضفي بردة الإسلام على الأحكام الوضعية (العلمانية)، إنما يبذل الطاقة ليخفي الفارق بينه وبين دعاة الشريعة الإسلامية، وهو ينشط لإثبات أن المطالبين بالشريعة الإسلامية إنما يطلبون أحكاما فرعية مما يتعلق بوقائع الحياة الجارية وتوازنها، ويحاول أن يثبت ألا فرق في تلك الأحكام إلا في القدر اليسير.

بينما القائل بالتحلل يحاول -بما يبذل من جهد- رد الأحكام السارية إلى مسندها الشرعي- أن يكشف عن أمرين هامين. أحدهما أن الفارق بين الموقفين هو فارق يتعلق بمصدرية الحكم وليس بالحكم ذاته، وأنه إذ يوافق على الحكم الفرعي فهو يؤكد اختلافه فيما يتعلق بمصدرية هذا الحكم، ويصر على التمسك بالمصدرية الإسلامية لأصل شرعية الحكم الشرعي. وهو لا يثبت إلا مشروطا بارتباطه بهذه المصدرية الشرعية. فهو موقف يكشف عن جوهر المسألة مختلف عليها ولا يمانع في الجزئيات.

والأمر الآخر أنه بصرامة التزامه بالحدود الشرعية والضوابط المنهجية، إنما يقوم بعملية فرز تشريعي بين ما يتفق من القوانين الوضعية السارية مع أحكام الشريعة الإسلامية وما لا يتفق، وكل ذلك يفضي من بعد إلى فرز الأحكام المخالفة للإسلام فرزا دقيقا، وتتجلى للناس بذلك مجالات المخالفة واضحة بينة، وكما أن السيدة الحاسرة تزداد مع الوقت انكشاف محاسرها لعلية المحجبات من حولها، كذلك سيزداد الحكم المخالف للشريعة انحسارا بعملية انكشاف ما يتفق مع الشرعية من الأحكام الأخرى.

والأمر كله هنا هو التوصل إلى استرداد الشريعة الإسلامية للشرعية في المجتمع بهذا التحلل للنظام القانوني، كوسيلة تمكن من الاستفادة بالمتاح وبأقل جهد ممكن، وفي إطار السعي للحركة الإسلامية بعامة لاستكمال استرداد كل الشرعية الإسلامية وسيادتها الكاملة، فهو مجال لا ينفي غيره ولا يستبعده ولا يستعيض عنه، ولكنه يكمل ويتمم ويقوم مساعدا وميسرا.

الوسطية السياسية



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

فهذا النص يحاول أن يرسم صورة للوسطية الإسلامية في جانبها السياسي.. والوسطية خصيصة هذه الأمة التي ميزتها عن غيرها من الأمم، وحفظت لها دينها عدلا لا غلو فيه ولا تفريط.

والوسطية روح يسري في جميع أجزاء الفقه، وفي جميع تجليات الفكر التي يقيمها أصحابها على الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله [illegible] أو يستصحبونه في علمهم وعملهم.

وما يتضمنه هذا النص لا يمكن أن يعد القول [illegible] في فهم [illegible] الإسلامية في جانبها [illegible] [illegible] في معنى الوسطية [illegible] [illegible] تطبيقاتها على أسس الإسلام: فقهه وفكره، [illegible]

ولا يستطيع الدعاة إلى الإسلام أن يبلغوا مرادهم من دعوة الناس إليه إلا إذا حببوهم في هذا الدين العظيم، وقربوا أحكامه إليهم، واتخذوا التيسير وسيلة إلى تأليف القلوب، وتحبيب الناس [illegible] في ذلك في [illegible] [illegible] والتيسير ما يجعل اختلاف الرأي بشأنها أمرا [illegible] الإسلامي، وهو اختلاف [illegible] تشريع الإسلام وفقهه.

[illegible] العلماء والباحثين في الفقه والفكر والإسلاميون إلى ضرورة [illegible] قائمة على تحقيق معالم الوسطية [illegible] في مجالات الحياة كافة [illegible] لواجب الدعوة والتبليغ من ناحية، وتيسيرا [illegible] أحكام الإسلام [illegible] من ناحية أخرى.

والأمل كبير أن يكون المركز العالمي للوسطية نقطة إشعاع ومحور عمل مستمر لخدمة هذه الغاية النبيلة بجميع الوسائل المتاحة لهم، ولا ريب أن القائمين على هذا الأمر، والذين يسروا إنشاء هذا المركز مثابون ومأجورون بإذن الله.

معنى الوسطية

الوسطية المعاصرة تيار يسري في الجسد الفكري والثقافي للأمة العربية الإسلامية، تيار يستنهض العزم نحو التقدم [illegible] في حال التخلف والجمود في مجالات الحياة كافة، وهو تيار يستلهم [illegible] الإسلامية. [illegible] وقد قررها القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وأهل التأويل يقولون في هذه الآية ما خصه الإمام الطبري بقوله [illegible] الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم، والوسط في كلام العرب الخيار.

ونقل صاحب لسان العرب عن الزجاج أن الوسط هو العدل والخير: فاللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأن العدل خير، والخير عدل[3]، وهو المعنى نفسه الذي رضيه أهل التأويل، كما قال الإمام الطبري.

الأمة الوسط

والأمة الإسلامية أمة وسط [illegible] واستقامتها على الأخلاق والقيم التي [illegible] الإسلام؛ لتبتعد بها في كل شيء وفي كل شأن من شئون حياتها عن الإفراط والتفريط، وما يتبع كلا منهما من غلو أو تقصير.

وهي لا تكون وسطا حتى تحمل هذه القيم وتحافظ عليها، وتعمل بها وتسعى إلى تحقيقها [illegible]

﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾

([illegible] ١١٠)

لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر [illegible] في كتابه العزيز.

هو المعنى الذي استظهره الطبري عندما قال [illegible] (وسط) لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى [illegible] أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه؛ فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان [illegible]

وأهل هذه الوسطية هم العدول الذين [illegible] عن العلم الإسلامي تحريف الغالين [illegible] ويحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال

---

٢ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن (تفسير الطبري)، طبعة شاكر، ج٣ ص(١٤١-٣).

المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٦].

والوسطية العربية الإسلامية تبدأ من الواقع، وهو نقطة الوصل بين الماضي والحاضر، إذ البشر [illegible] يحملون [illegible] كما يحملون [illegible] الوراثية يحملون تجاربهم التاريخية. والوسطية وهي تبدأ من الحاضر تستصحب الماضي تجارب وخبرات، لتتطلع إلى المستقبل عاملة أو آملة على الأقل أن يكون أفضل من الماضي والحاضر معا؛ ولذلك يسمي بعض الباحثين مقام الوسطية مقام الكمال، وينقل ذلك عن ابن قيم الجوزية، ويشرحه بأنه يجمع بين مقامي الجلال والجمال؛ فالجلال للتاريخ، والجمال للحاضر، والمستقبل يحتاج إلى مقام ثالث يحتفظ فيه [illegible] بخصائصهما دون أن يندمجا، ودون أن يذوب أحدهما في الآخر، وهذه الوسطية الإسلامية العربية [illegible] لم تتبلور بعد على هيئة محددة، ولم تقطع مراحل مسيرتها كلها، وإنما هي في مرحلة التكوين والتخلق، فهي محتاجة إلى كل جهد بناء في مناحي الحياة كافة: فكرا وثقافة وسياسة و[illegible] وأخلاقا [illegible] تفصيل[٧].

وبهذا الفهم للوسطية باعتبارها تيارا في طريق التشكل النهائي، أو باعتبارها تيارا يستمر في التشكل جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر حتى [illegible] الجماعة الإسلامية في كل عصر مقام الكمال، ننظر إلى الوسطية السياسية باعتبارها فرعا من فروع الوسطية الواجبة على هذه الأمة بجعل الله إياها ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فنراها تتمثل في معالم عدة نحاول أن نوجزها بالقدر المناسب مقام هذه الورقة.

تحرير مفهوم الدين والدولة

المعلم الأول من معالم الوسطية الإسلامية السياسية أنها تنظر إلى مسألة العلاقة بين الدين والدولة على أنها علاقة اجتهادية، توجب على العلماء المؤهلين للبحث السياسي على أساس فقهي إسلامي استمرار الاجتهاد في كل عصر. وربما صح أن نقول: في كل دولة إسلامية في المسائل السياسية التي تتصل بسلطات الدولة الثلاث، أو بعلاقات الدولة الإسلامية بغيرها من الدول.

فالإسلام دين يتعبد به ويتقرب إلى الله بفعل مأموراته وترك منهياته، ويطلب الثواب الإضافي بالحرص على مندوباته ونوافله، وشريعة قانونية تحكم تصرفات الناس وأفعالهم من بيع وشراء وزواج وطلاق وميراث ووصية وجرائم وعقوبات وما إليها؛ بحيث لا يكون بالمسلمين حاجة إلى استيراد القانون من غيرهم، وإلى العيش في تنظيم حياتهم عالة على سواهم، كما هو حالهم اليوم.

فالمقصود بكلمة (دولة) في هذا المقام هو الشريعة التي أقلها نصوص صريحة قطعية الورود والدلالة، وأكثرها ظني [illegible] أو في [illegible]، والفقه المبني على النوعين معا هو الاجتهاد البشري في فهم النصوص القرآنية والنبوية، ولذلك عرفه الإمام الغزالي في المستصفى بأنه «عمل المجتهد»، وبأنه «بذل المجتهد الوسع في طلب العلم بأحكام الشريعة»[٨]، وعرفه ابن حزم الظاهري بأنه «استنفاد الطاقة في طلب حكم النازلة حيث يوجد ذلك الحكم»[٩].

فالمقصود من كون الإسلام (دينا ودولة) هو قبول المرجعية الإسلامية العامة التي تسمح بتعدد الآراء وتنوعها في الشأن السياسي، كما تسمح بتعددها وتنوعها في كل شأن إسلامي آخر؛ وبهذا الفهم يتجنب المسلم المعاصر الوقوع في [illegible] وهو فصل غير صحيح نظريا، وغير واقع عمليا في فهم معنى (الدين) على أنه الشريعة الحاكمة [illegible] وهو أن النظام السياسي المقبول إسلاميا هو نظام بعينه، لا يصح الاختلاف حوله ولا الاجتهاد في تفصيله.

التداول الدستوري للخلافة

ولا يعترض على هذا المذهب بما يتداوله كثير من الباحثين والكاتبين، ويلقنه بعض مسموعي الكلمة لآلاف الشباب الحركيين، من أن للإسلام نظاما للحكم واحدا، يجب على الجميع السعي إلى استعادته، والعمل على تهيئة المناخ لإقامته؛ [illegible]

لا يعترض على ما قدمته بمسألة [illegible] الخلافة، لأن هذا اللفظ الذي أصبح منذ تدوين العلوم الإسلامية [illegible] في [illegible] الإسلامية، لا يعني في [illegible] الدستوري أكثر من تنظيم رئاسة الدولة الإسلامية تنظيما يشمل اختيار رئيسها وتحديد حقوقه وواجباته، على نحو يشير إلى محاولة الصحابة الذين ابتكروا لفظ الخلافة السعي إلى محاولة اتباع المثل الأعلى الذي كان قائما في بداية نشوء الدولة الإسلامية التي تولى رسول الله ﷺ رئاستها، [illegible] تستقر التسمية نفسها، حيث لقب أبو بكر بخليفة رسول الله، ثم لقب عمر بإمرة المؤمنين بأمير المؤمنين، ثم [illegible] (الإمام) في [illegible] الشرعية و[illegible] والخروج على الحاكم (البغي) وما إليها[١٠].

[illegible] الدستوري للخلافة [illegible] كلمة الصحابة عليها أمرين:

أولهما: أن (ترشيح) من يصلح لتولية الخلافة يتم بناء على ما تنتهي إليه (شورى المسلمين).

وثانيهما: أن (تولية) هذا المرشح تتم بناء على (بيعة المسلمين) له[١١].

وعلى هذا النحو تمت تولية الخلفاء الراشدين جميعهم، [illegible] الطريقة التي تمت بها الشورى والبيعة أو ما يقوم مقامهما، وأصبح كل منهم رئيسا للدولة الإسلامية، يجب عليه الالتزام في [illegible] بأحكام الشريعة الإسلامية، وأن يبذل جهده كله لتحقيق مصالح الناس، وعلى المسلمين أن يبذلوا له النصح، ويلتزموا بطاعته فيما لا معصية لله ورسوله فيه، وعليهم أن يأمروه بالمعروف وينهوه عن المنكر.

ومرجع هذه الحقوق والواجبات كلها إلى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وإلى الاجتهاد في فهمهما والعمل بهما، وهو اجتهاد يتعدد بتعدد مذاهب المجتهدين في عشرات [illegible] الأصولية، وفي [illegible] من علوم الرواية والدراية، وفي مسائل لغوية مما يتعلق به تفسير

---

٦ - رواه عن أبي هريرة وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال عن ابن عدي والبيهقي وابن عساكر وغيرهم ونقل قول الخطيب [illegible]

٧ - د. عبدالحميد إبراهيم، الوسطية العربية، الكتاب الثالث نحو وسطية معاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٤ - ٢٠

٨ - الإمام الغزالي، المستصفى من علم الأصول، طبعة التجارية، القاهرة، ١٩٣٧م، ج١ ص١٠١

٩ - ابن حزم الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، طبعة المنيرية، القاهرة، ج٥ ص١٢٢

١٠ - محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٩٦ وما بعدها

١١ - محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ص١٨١

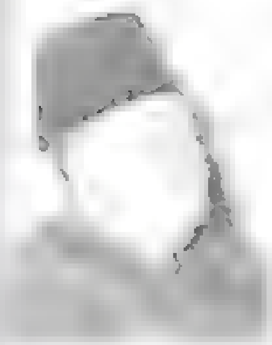
النصوص وفهمها وتنزيلها على الواقع الذي يجري الاجتهاد في ظله

الاجتهاد المعاصر في الفقه السياسي

ومؤدى ما نقول به في هذا الشأن هو وجوب [illegible] التعدي. وفي شأنها للنبوي أيا كان محاله. فإن [illegible] ورد عن الله أو رسوله ﷺ [illegible] غضبا في ثلاثة أو [illegible] الأصول أعني علم أصول الفقه. وفي هذا [illegible] تضمنته مبادئ الشريعة بلا خلاف.

والاجتهاد الفقهي المعاصر يرى أن مسألة النسب القرشي كانت متصلة بزمان نشأة [illegible]

باطل. وتصرفاتهم على الرعية غير مشروعة. وهذا لا يجوز [illegible]



السنهوري

والاجتهاد الإسلامي المعاصر [illegible] هذه البيعة لمدة محدودة؛ لأن الذي تضمنته كتب تراثنا السياسي الإسلامي عن أبدية البيعة كان [illegible] اجتهادا فقهيا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] السنهوري [illegible] من [illegible]

[illegible] بالفرنسية سنة ١٩٢٦م ترجمها وعلق عليها [illegible]

[illegible]

مـدة ولاية حاكم. والشاوي يرى ذلك من (مقومات) فإن مبنى التحفظ الواضح في كلام [illegible] هو ما تقرره النصوص الفقهية والكلامية التقليدية من أن الخليفة لا يجوز عزله. وبعضها لا يجيز عزله ولو فسق وجار وخرج عن [illegible] نعيه.

والصحيح أنه ليس لهذه الآراء الكلامية والفقهية سند صحيح من الكتاب والسنة يقضي بمسألة بقاء الحاكم حاكما مدى حياته، والأسانيد المقبولة من حيث الرواية التي يستند إليها بعض الفقهاء والمتكلمين تشير إلى ضرورة تجنب الفتنة، ومنع وقوع الفوضى، ودرء خطر إراقة الدماء. وهذه معان واعتبارات توجب علينا [illegible] الاجتهاد الإسلامي المعاصر. مدة معينة لا يتجاوزها [illegible] الفوضى والفتنة. ويحول بين الاستبداد والفساد وبين أن يستشريا في [illegible] الأمة [illegible]. ولو لم يكن إلا ما تعانيه الأمة الإسلامية من [illegible] مترتبا على تأبيد حكم في معظم أقطارها لكان [illegible] وجوب تأقيت مدد الحكم.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن القصد الأسمى للحكومة الإسلامية هو تحقيق مصالح المحكومين، وتمكينهم من القيام بواجب خلافته في الأرض. فكل طريق تحقق هذا المقصد يجب سلوكها. وكل اجتهاد قديم أو حديث يقعد عن تحقيقه في وقت من الأوقات. ولو كان قد حققه في زمن سابق. يجب العدول عنه، ولا يصح التمسك به.

وليس في النظم التي عرفتها البشرية نظام يحول بين الحكام وبين [illegible] المحرمات القطعية في الإسلام. ويحول بين الاستبداد والاستئثار بالسلطة والثروة، ويحول بين الحاكمين وقمع المخالفين بالقوة الغاشمة.. ليس هناك نظام يحول بين الناس وهذه المآثم جميعا إلا نظام يتقرر فيه وجوب تداول السلطة بالطرق السلمية.

وهذا التداول يؤدي إلى ألا ينفرد شخص أو حزب أو جماعة أو طائفة بحكم الناس إلى ما لا نهاية، أو إلى أن يقع انقلاب عسكري يأتي بمستبدين جدد، أو إلى أن تغزو ديار الإسلام قوة أجنبية. كما وقع في العراق. فتستبيح الحرمات، وتحكم بالحديد والنار، وتدخل الأمة في مسلسل مقاومة الاستعمار من جديد!.

ولا يتحقق هذا التداول للسلطة إلا باتباع النظام المعروف بين الناس اليوم بنظام (الانتخاب) شريطة أن يكون حرا لا شبهة فيه. وألا تزور إرادة الناس بعد إبدائها، وأن يتولى الحاكمون المنتخبون سلطتهم. أو ولايتهم. إلى أمد معلوم. ولا يعترض علينا في ذلك بقول بعض القائلين عن الانتخاب: إنه بدعة أجنبية تقليدها حرام. فإنه أشد حرمة من ذلك أن يبقى الظلمة الغشمة متسلطين على رقاب العباد بدعوى (أمن الفتنة)، وقديما قال ابن قيم الجوزية. رحمه الله: «إن أي طريق أسفر بها وجه الحق والعدل فثم شرع الله ودينه»[15].

وإذا كان الفقه السني المعاصر قد انتهى إلى اجتهاد مغاير في مواضع عديدة للاجتهاد القديم في شأن الخلافة [illegible] في الشأن السياسي الإسلامي، فإن الفقه الشيعي الإمامي مضى في الطريق نفسه، يتغيا الغاية نفسها؛ أعني تحقيق مصالح الأمة.

١٥ . راجع كتابنا: الفقه الإسلامي في طريق التجديد. الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م، ص ٤٠ - ٤١.

فالأصل عند إخواننا الإمامية وفق الفقه الموروث للمؤلف أن الحكومة الإسلامية لن تقوم حتى يعود الإمام [illegible] العسكرى، المهدى المنتظر [illegible] لا [illegible] عدلا بعد أن ملئت جورا.

وجاء الإمام آية الله الخمينى رحمه الله، [illegible] في ولاية الفقيه [illegible] التى [illegible] في [illegible] عام ١٩٦٩م في [illegible] إلى العراق، وفى هذه الدروس قرر الخمينى أنه من غير المعقول أن يبقى المسلمون بلا حكومة إسلامية [illegible] الشرعى [illegible] في [illegible] حكومة [illegible] عدلا بعد أن ملئت جورا [illegible] الإسلام [illegible] في طول هذه المدة؟

ويجيب الإمام الخمينى على هذا التساؤل بقوله: إن الذهاب إلى هذا الرأى أسوأ في نظرى من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ [illegible]

[illegible] الخمينى على هذا الاجتهاد [illegible] الحكومة التى تنفذ الشريعة، وأن الذى يتولاها هو الفقيه [illegible] العادل [illegible] على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا[17].

على [illegible] هذه [illegible] الاجتهادية في الفقه الإمامى قامت الثورة الإسلامية في إيران، وتأسست الدولة الإسلامية فيها[18].

وقابل هذا الاجتهاد الشيعى الإمامى اجتهاد [illegible] محمد مهدى شمس الدين رحمه الله في كتابه [illegible] الحكم والإدارة في الإسلام، حيث يبدأ الشيخ شمس الدين من ضرورة [illegible] الاجتهاد [illegible] القواعد العقلية، وأنه مع إعمال الرأى الفقهى الشيعى القائل بعدم جواز إقامة الحكومة الإسلامية في عصر الغيبة [illegible] دولة إسلامية [illegible] حكومة إسلامية [illegible] نظرية ولاية الفقيه في المذهب الإمامى، لينتهى إلى اقتراح صيغة بديلة عن الخلافة السنية وعن ولاية الفقيه الشيعية، يسميها ولاية الأمة على نفسها [illegible] الإسلامية[19].

[illegible] المسألة السياسية كلها أو جلها مسألة اجتهادية [illegible] في كل عصر [illegible]

---

١٧ - آية الله الخمينى، الحكومة الإسلامية، دار الطليعة، بيروت، ص[illegible]

[illegible]

١٨ - [illegible] نظرية ولاية الفقيه [illegible] آية الله العظمى حسين على منتظرى في كتابه دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨م

١٩ - آية الله محمد مهدى شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الدولية، بيروت، الطبعة، ١٩٩٥م، ص٤١٩

[illegible] دولة مصر ص٦١، ٧٥

مسئولية العلماء



[illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية

العلم امانة استودعها الله لدى العلماء الذين اصطفاهم من خلقه، وكرمهم بحملها، ونوه بقدرهم ومكانتهم ومنزلتهم، واشاد القران الكريم بهم فى كثير من سوره مبينا وموضحا صور تفضيلهم.. فتارة يحكم بنفى التسوية بينهم وبين غيرهم، فيقول سبحانه:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
(الزمر: ٩)

فقد نفى - سبحانه - المساواة بين العالم والجاهل، فلا يستوى عند الله العلماء الذين يعلمون بمقتضى علمهم، والذين لا يعلمون ويعملون بمقتضى جهلهم.

وتارة يقصر خشية الله على العلماء، فيقول - جل شانه -:

﴿ [illegible] ﴾
(فاطر: ٢٨)

اى: انما يخاف الله ويخشاه العالمون بما يليق بذاته وصفاته من تقديس وطاعة، واخلاص فى العبادة، وادراك وفهم لما يحيط بهم من اسرار خلق الله فى كونه، واستيعاب وتحصيل علوم الدين والدنيا، والعمل فى طاعة الله بمقتضاها.. وكفى بهذه الاية الكريمة مدحا للعلماء، حيث قصر - سبحانه وتعالى - خشية الله والخوف منه على العلماء.. وتارة يقصر الفهم السليم، والادراك العميق لمعانى ايات القران الكريم، وفهم المقاصد والغايات والاهداف من الامثلة التى يضربها فى القران الكريم على العلماء، فيقول - عزوجل -:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾
(العنكبوت: ٤٣)

ساق القرآن الكريم أمثلة كثيرة ومتنوعة فى آيات سوره على سبيل التوضيح والإرشاد، والتنبيه والتحذير، والترغيب والترهيب.. غير أنه لا يعقل هذه الأمثال، ويفهم معانيها [illegible] الراسخون فى العلم، المتدبرون فى خلق الله، الفاهمون لما يتلى عليهم.. وتارة يقصر توريث القرآن الكريم وما اشتمل عليه من عقائد وأحكام، وعبادات ومعاملات، وآداب [illegible]

فقال – سبحانه –

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾

(فاطر ٣٢)

أي: أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا ... فهم مختارون من الجبار.

وتارة يعظم العلماء ويشرفهم بأن يقرنهم باسم الله واسم ملائكته، يقول الله – تعالى –:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾

(آل عمران ١٨)

فبدأ – تعالى – بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولي العلم.... فهذا شرف عظيم للعلماء لا يدانيه شرف، ودليل على فضل العلماء وعلى مكانتهم ومنزلتهم وقدرهم عند الله، فلو كان يوجد أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء الذين سخروا ما أعطاهم الله من علوم ومعارف في خدمة دينهم وعقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع غيرهم، وأخلصوا لله في عبادتهم، وصدقوا في تربيتهم وتعليمهم، فاستحقوا أن ينالوا هذا الشرف العظيم.. إذن فمسئولية العلماء كبيرة، فهم مأمورون بحفظ هذه الأمانة وأدائها بنشر العلم وتعليم الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وحثهم على عمل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ولن تؤدى هذه المسئولية على وجهها الصحيح إلا إذا كان العلماء قدوة حسنة فيما يأمرون به وفيما ينهون عنه ... وأجرهم عند الله كبير في حالة قيامهم بأداء واجباتهم بإخلاص لله من غير كبر ولا غرور ولا نفاق ولا رياء، ولا تطلعا لسمعة، ولا حرصا وراء حكام للحصول على منصب أو جاه، ولا إراقة لماء وجوههم لتحصيل كسب مادي.

عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير».

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد»، وعن عثمان – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي».

وللبيهقي: «يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم».

ومن صفات العلماء العاملين الذين يتقون الله ويخشونه، ويؤدون أمانة العلم التي ائتمنهم الله عليها، أنهم يقدمون النصيحة والموعظة إلى الحكام ولا يتهيبونهم، ولا يخشون في قول الحق لومة لائم..

دخل ابن السماك يوما على الرشيد، فلما وقف بين يديه قال له الرشيد: عظني يا ابن السماك وأوجز. قال ابن السماك: كفى بالقرآن واعظا يا أمير المؤمنين. قال الله – تعالى – بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(المطففين ١ – ٦)

هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل، فما ظنك بمن أخذه كله!!

لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه، وقال: أتعرفني؟ قال: لا، ولكنك قبضت على قبضة جبار، قال: عظني أبا عبدالله، قال: وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟ قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: إن الله نهى عنكم فقال – تعالى –:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾

(هود ١١٣)

فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال: ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فرارا.

هذه هي مكانة العلماء العاملين الذين يقدرون مسئوليتهم فيؤدون أمانة العلم، ولا يخشون أحدا إلا الله.

أما إذا قصر العلماء في أداء واجباتهم، وخانوا الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، واشتروا الدنيا بالآخرة، وتملكهم الكبر والغرور، ونسوا فضل الله عليهم فحجبوا علمهم عن الناس، أو استعملوه في غير ما يرضي الله، أو تملقوا الحاكم ونافقوا السلطان، وأهدروا كرامة العلم والعلماء جريا وراء تعيينهم في مناصب دنيوية زائلة، وغرتهم الدنيا فوقعوا أسرى في زينتها وشهواتها... كان حسابهم – في تلك الحالة – عند الله عسيرا، وجزاؤهم في الآخرة النار وبئس المصير.. يقول الله – تعالى –:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

(آل عمران ١٨٧)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»، وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة».

وذكر عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح بالعالم يؤتى إلى منزله فيقال: أين العالم؟ فيقال: عند الأمير، أين العالم؟ فيقال: عند القاضي، ما للعالم وما للقاضي، وما للعالم وما للأمير؟ ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

إن العلماء الحافظين لأمانة العلم والمؤدين حقها كما أمر الله، العاملون بعلمهم، المخلصون في أداء رسالتهم، المتعففون عن جاه ومناصب الحكام، الزاهدون في تواضع فلا تغرهم الحياة الدنيا بزينتها ومفاتنها.. فهنيئا لهم بما يدخره الله لهم من ثواب، وما يجازيهم به من حسنات

كتاب الحلم و كتاب التوكل على الله

- تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد ٢٠٨هـ - ٢٨١هـ.
- تحقيق: مجدي السيد إبراهيم
- القاهرة: مكتبة القرآن، ٢٠٠٤م

يقع كتاب «الحلم» في (٦٠) صفحة، مقسمة إلى فصول. يليها كتاب «التوكل على الله»، والذي يقع في (٣٥) صفحة مقسمة إلى فصول جميعها من القطع المتوسط مشتملة على الفهارس.

يبدأ «كتاب الحلم» بجزء عن حلم النبي ﷺ [illegible]

[illegible]

● وجاء الفصل الأول في طلب العلم والصبر عليه، وأشار فيه إلى أن العلم يكون بالتعلم Learning (ص١٤).

● ثم الفصل الثاني في طلب الرفعة عند الله بالحلم.

● أما الفصل الثالث فجاء في شرف الحلم [illegible]

● [illegible] وصف الحليم وأعوانه.

● وأشار الفصل الخامس إلى خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة.

● وعرض الفصل السادس لفضيلة السكوت عن السفيه.

● أما السابع فجاء في أن الناس رجلان [illegible]

● [illegible] في ذكر الحلم.

● [illegible]

[illegible] في الحلم.

● [illegible] الحادي عشر [illegible] الحلم. [illegible] تمسك بهذه الخصال أصبح واستمر سيداً على قومه. وتناول الفصل الثاني عشر محبة الله للحليم.

● ثم عرض الفصل الثالث عشر لفضل أهل الحلم يوم القيامة، وكيف تتلقاهم الملائكة وتوجيههم إلى الجنة.

● وجاء الفصل الرابع عشر في فضل مجالسة الحلماء.

● وعرض في الفصل الخامس عشر [illegible] السفهاء يهلكون قومهم.

● أما الفصل السادس عشر فجاء في أن الصبر على المكروه من علامة الحلماء، وأن زينة المرء في الحلم.

● وذكر الفصل السابع عشر ما جاء من الشعر في هذا المقام.

● أما الفصل الثامن عشر فعرض لوصايا لقمان.

● وذكر بعد ذلك أن السيادة لأهل الحلم وذلك ما جاء به الفصل التاسع عشر.

● وعرض الفصل العشرون لكون الناس معادن وفي هذا إشارة إلى الفروق الفردية Individual Differences (ص٥٤) [illegible]

● وبين الفصل الحادي والعشرون في [illegible] قبيح الكلام.

● وينتهي الكتاب الأول [illegible] الثاني والعشرين ثواب الحلم يوم القيامة.

التوكل على الله

● تناول الكتاب الثاني «التوكل على الله» بداية المعنى الحقيقي للتوكل، وما جاء على لسان النبي من دعاء في التوكل، وفي [illegible] والتوكل على الله، والتواضع، والزهد.. ثم عرض لوصايا الإمام علي - كرم الله وجهه - ووصايا لقمان لابنه في التوكل، وكيف أن التوكل هو سر قوة الناس، وعرض لكيفية [illegible] وكيف أن من أنفق على أهله من غير سرف قضى الله عنه دينه، وأن العز والغنى يجولان في طلب التوكل.

[illegible] وكيف أنه عند التوكل على الله يكفك الله، وأن التوكل في معناه ثقة بالله عز وجل، والمتوكل راض لا يسخط، وأن الرضى يبعد الشيطان عن الفرد، وذكر ما يقال كشكل من أشكال التوكل عند الخروج من البيت، والخروج من المسجد، وما كان يقول الرسول ﷺ إذا خرج من بيته، وما صفة من يدخلون الجنة بغير حساب، وفضل حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم عرض لوصية معروف الكرخي، وذكر [illegible]

وانتهى الكتاب الثاني بذكر أن الطيرة [illegible] (ص٢٧) [illegible] وبين لنا درجات التوكل وأنها ثلاث درجات [illegible] والثالثة المحبة. وأن أهل التوكل هم أهل الراحة، فالتوكل خير زاد.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم [illegible]

- التعلم Learning.
- الفروق الفردية [illegible]
- [illegible]

القائم بالعرض

د. نشوة عبدالتواب حسين

التـــراث العربـــى

مفهومـه وخصائصه



المفهوم المتسع للتراث والتطبيقات المعاصرة

ليس مستغربًا أن يسعى خالد زيادة وهو يستكشف أبعاد العلاقة السياسية الإسلامية في بين وحاجة الدعوة، إلى تبني مفهوم التراث في أقصى اتساعه الوظيفي، الذي يستثمر الوظيفة اللغوية (الصناعية) والوظيفة التاريخية مصلحة الوظيفة السياسية، والتي مؤسسة للإنسان العربي المسلم المعاصر، اعتمدت على مجموعة من المعاني التي ترعى الثبات والاستمرار.

ولكن وجهًا آخر من تطبيقات هذا المفهوم المتسع لمصطلح التراث يظهر في تطبيق منه جدًا، لم أجد من ربطه بمفهوم التراث، وإن وجدت من يعرفه من زاوية تخصصه.

القصة تبدأ من استقرار الخلفيين على حقيقة أن حفظ السنة اتخذ شكلاً تدريسية مكتوبة، وإن جاءت متعددة المنهج، وظهر فيها تمثلت صورة معيارية لتدوين الحديث، وحفظه.

غير أن الدكتور سيد كشك يلح على أن ثمة طريقًا حر سيهم في حفظ السنة، لا يقل عن وسائل حفظها المعروفة المدونة، إن لم يتفوق عليها، يعرفه صديقي الكريم باسم التطبيق.

ويلاحظ زايد أنه يرى في دور تطبيق السنة في حياة الناس المتتابعة دليلاً ظاهرًا على أعلى أشكال حفظ السنة عمليًا.

وفي هذا الوجه واحد من التجليات المهمة لتطبيق المفهوم المتسع لمصطلح التراث.

وهو منهج الذي يمكن استثماره في دعم الأفكار والقيم والسلوك التي يمكن أن توصف بأنها من محددات الذات العربية المسلمة.

خصائص التراث العربي

يعد المدخل المتعلق بفحص خصائص التراث العربي منفتحًا لتخصصات كثيرة ومتنوعة. وتصور الخصائص يأتي تابعًا - بلا شك - للمفهوم الذي يعين مصطلح التراث ضيقًا وتوسعًا.

وإذا كان تعريفات جميعها تكاد تتفق مفهوم التراث متفقين على أنه لابد وأن ينصرف ابتداء إلى المنجز الفكري في صورته المدونة، بما هو بهذا المفهوم متصلة بعلمي تحقيق النصوص، لأنه صناعة مستقرة الأصول علميًا، تقدم وتنتهي، وما هو خطوة أولى وأساسية من توسيع مفهوم التراث، إذ ليس من سبيل إلى الوصول إلى تحقيق الوظائف التاريخية والسياسية من دون إنجاز الوظيفة الأولى المتمثلة في استيعاب المنجز الفكري المتراكم في صورته المدونة.

ومن هنا فإن فحص خصائص التراث العربي المدون والمكتوب يعد نقطة التقاء لازمة لعمل الفريقين جميعًا.

وفيما يلي محاولة تسعى إلى إجمال القول في الخصائص التي يمكن ملاحظتها لهذا التراث العريق الممتد الذي يرجى من وراء تنامي العناية بفحصه، وخدمته، واستيعابه أن يسهم في وعي الذات العربية المعاصرة بهويتها.

الارتباط بالقرآن الكريم والتمحور حوله

ثمة إجماع منعقد أو يكاد على أن القرآن الكريم هو مفجر الحركة العلمية في الحياة العربية، فهو بما احتواه من نصوص جامعة وقاطعة معًا يرقى بمنزلة التدوين العلمي إلى أعلى المنازل بدرجة غير مسبوقة في التاريخ.

لقد كان مدهشًا أن يفتتح التنزيل بأمر جامع ظاهر الدلالة في قوله تعالى: ﴿ اقرأ ﴾ بما يحتوي تحته من علامات واضحة حول مكانة العلم.

ومن عجب أن التراث العربي المدون، وهو يسعى في طريق تنبيه هذا الكتاب الكريم حفظ لنا تراث الجاهلية، بكل ما يحمله من أفكار ومعتقدات وقيم، وإن كانت هذه الأفكار مرذولة، أو كانت هذه المعتقدات فاسدة وثنية، أو كانت هذه القيم ماحية فاجرة.

وفي هذا السياق تبدو حقيقة التأثير الإيجابي لخدمة الذكر الحكيم على التراث العربي المدون ظاهرة جدًا، يدركها كل دارس للتراث العربي منصف، لا يحكم بتحيزاته فقط، وإنما يحكم بصدق هذه الحقيقة، ويدعمها إدراك الدارس العربي كذلك.

وربما كان كافيًا في هذا السياق أن نلتقط نصًا دالاً على الوعي بهذه الخصيصة يقرر واحد من المتخصصين في المخطوط العربي، بما هو التجلي الأصرح للتراث العربي المدون.

يقول آدم جاسك في كتابه (تقاليد المخطوط العربي: البيليوجرافية ص ٥١ / ترجمة محمود زكي، معهد المخطوطات، القاهرة، سنة ٢٠٠٨ م): "الحضارة العربية الإسلامية حضارة الكتاب فيها ذو قداسة خاصة، اكتسبها من الدين الإسلامي ذاته، وتحديدًا من كتاب هذا الدين (القرآن الكريم) الذي لا ينافسه أي كتاب آخر لدى العرب والمسلمين.

هذه المكانة العالية التي يشغلها الكتاب حفزت الجهود على إنتاجه مبكرًا، حتى ليمكن القول: إنه وهذه الحضارة قرينان بدآ معًا، فما كاد القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) ينتصف حتى جرى القلم بالمعرفة، ورأينا صحائف وكتبًا تتوالى، بعد أن اقتصر سابقًا على تدوين القرآن والسنة.

وقد تسارع هذا التراكم المعرفي من خلال الكتب، فأنتجت الحضارة الإسلامية حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) عشرات الآلاف من الكتب باللغة العربية في مختلف العلوم والمعارف، الدينية والعلمية متمثلة في مئات الآلاف من المخطوطات".

وهذه السمة الفارقة للتراث العربي خلقت عددًا من السمات الملازمة من مثل سعة هذا التراث، وحيويته، وأخلاقيته.

الشمول والاستغراق

كان طبيعة الفكرة الإسلامية التي وجهت التراث العربي، وحددت حيويته تنامي فكرة جامعة مستوعبة شاملة للمتطلبات الإنسانية، بما

يوصف علاقة [illegible] الإسلام [illegible] في
تجليات الفكر العربي المدوّن، المسمى بالتراث،
وهو الأمر الذي صح معه وصف هذا التراث
بالشمول والاستغراق، بمعنى أن منجز الفكر
المدوّن غطى جغرافية المعارف الإنسانية جميعا،
وهو الأمر الذي يظهر جليا في أبعاد تصنيف
العلوم عند القدماء من توزعها على مجموعات
ثلاثة هي: العلوم الشرعية، والعلوم العربية،
والعلوم الحكمية.

ولعل ظهور الأدلة على فكرة شمول التراث
العربي وتغطيته للمعارف الإنسانية جميعا، ما
يمكن أن يسمى بأوليات التراث العربي
الإسلامي، وهو ما يقصد به ما استطاع أن يصل
إليه المنجز الفكري المدوّن من ابتكارات
واكتشافات لم يسبق [illegible].

وهذه الحقيقة الاستيعابية الشاملة تتجلى في
الوعي الجمعي لدى جملة كثير من دارسي هذا
التراث العربي من أمثال: عبدالسلام هارون،
الذي وقف عند [illegible]، حيث وضع
عنوانا جانبيا يقرر فيه: (عبقرية التأليف العربي)،
وهو العنوان الذي [illegible] الدكتور كمال [illegible]
وجعله عنوانا على كتاب [illegible] (عبقرية
التأليف العربي) [illegible] سنة ٢٠٠٦م).

حيث [illegible]
الاستيعاب والشمول والاستغراق يمثل أهمية
[illegible]
الوظائف المعرفية، وهو ما يمكن أن نعبر عنه بما
يلي: "وعلى سبيل المثال نجد وظيفة الخط تتحقق
في شكل [illegible]، ووظيفة
متابعة المعطية في الذيول والصلات، والتصحيح
وتكملة النص في الاستدراك، والفهم في الشروح
والمعارف الفكرية في الردود والمحاكاة، ومفاتيح
الاستخراج من النصوص في الأطراف
والكشافات، [illegible]

[illegible]

وهذا النص الذي
اقتبسناه من كمال
عرفات نبهان
(ص ٢٥، [illegible]) [illegible]
[illegible]
للتراث العربي الممتد
المستوعب للظاهرة
الإنسانية المتشعبة، وهو
يعكس [illegible] الإسلامية في
تصوراتها للحياة والوجود.


د. عبد السلام [illegible]

[illegible]

تمتع المنجز التراثي العربي باستصحابه الذاتي
للدليل، أو ما به تتحقق الحجية لما يورده من حقائق
أو آراء في المعارف والعلوم المختلفة.

وقد حرص القرآن الكريم على ذلك الأمر بما
[illegible]
وعندما أقر في قوائم تدعو فضيلة التحدي المعرفي
والعلمي للمخاطبين، على ما يقرره الصديق
الكريم الدكتور/ محمد إقبال عروي في كتابه
(ملكة التدبر في القرآن الكريم،
الكويت ٢٠١٠م، ص ٢٤). وبإزاء هذا التحدي
ارتقى التراث العربي في واحد من قمم خصائص
احتشاده بالدليل المتنوع خدمة للمجالات المعرفية
المختلفة التي تورط في معالجتها.

وقد ظهر في تاريخ المعرفة العربية علوم
بأعيانها ترعى خدمة قضية الدليل كليا وجزئيا،
فظهر [illegible] أصول الفقه وأصول النحو [illegible] على
[illegible]
[illegible]
وناقشت قضايا التعارض والترجيح.

وقد عرفت أنحاء التراث المدوّن في أنواعه
المختلفة مصادر الأدلة والاحتجاج، وظهرت
تفاصيل كثيرة في هذا السياق تشير في صراحة
[illegible]
في استصحابه الدليل بأنواعه طلبا لتحقيق الحجية
للقضايا الفكرية والمعرفية التي يطرحها
ويناقشها.

الانضباط المنهجي

ووصلا بالسمة السابقة مباشرة يتسم التراث
العربي الإسلامي المدوّن بخصيصة واضحة
ومهمة جدا هي الانضباط المنهجي، بمعنى أن
إجراءات تصميم المنجز الفكري الذي جاء عن
سلف الأمة راعت الانضباط والمنهجية.

ومن اليسير بعد فحص نماذج من كتب
التراث المختلفة أن يخرج الدارس بعدد من
الإجراءات والملاحظات الدالة على هذه السمة
الغالبة في منجز التراث العربي، ومن الممكن
إجمالها فيما يلي:

أ- جمع المادة العلمية من مظانها المختلفة، واستقراؤها.

ب- ملاحظة [illegible]

ج- تصنيفها في أصناف، وأنماط جمع كل صنف منها جوامع، ومشترك جامع [illegible]

د- المناقشة والتحليل.

هـ- الترجيح بين [illegible] ونقدا، تضعيفا وتقوية.

و- استخراج الأحكام المدعومة بالأدلة.

ز- تعميم القواعد الحاكمة والضابطة.

وقد [illegible]
خصيصة الانضباط المنهجي في دراستهم لمناهج
العلوم عند العلماء التراثيين، وفيما كتبه
فرانتز روزنتال وغيره دليل ظاهر على هذا الذي
نقرره الآن.

امتداد التراث العربي زمنيا ومكانيا

يعرف دارسو [illegible] الإسلامية أن
الأمة العربية الإسلامية لم تغب أو تنقطع من
الوجود الإنساني، فهي أمة ممتدة موصولة
الأجيال، ومن ثم فإن تراثها الفكري المدوّن ممتد
[illegible] لم يشهد انقطاعا
في جيل من أجيال هذه الأمة.

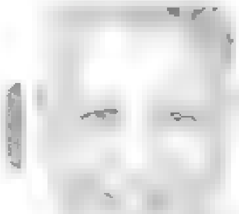
صحيح أن ثمة تفاوتا في الكمية المنجزة في
صورة مكتوبة من عصر إلى عصر آخر، زيادة
ونقصا [illegible]
[illegible] من هذا
التراث المدوّن زيادة وتقليلا- لكن الغياب
للمنجز الفكري لم يكن قط.

ومن الملاحظات المهمة في هذا السياق أن
نقرر مجموعة من العلامات المستقرة، ومع
[illegible] في جوهرها
حاكمة على قيام الشعوب العربية جميعا على
[illegible]
[illegible]

وإن كان ثمة تفاوت بين المشرق والمغرب
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الإسلامي،
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في تأسيس النهضة، واستعادة المكانة من جانب
آخر، أصبح أمرا ضروريا وواجبا في الحياة
المعرفية المعاصرة في ظل صراعات الاستقطاب
المتكررة.

خالد محمد خالد: مفكر مسلم شجاع



-١-

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي التقيت به لأول مرة. كان يحضر مهرجان الجنادرية في الرياض بالسعودية، وجاءت جلستنا قدرا متجاورين، عرفته بنفسي. فتذكر على الفور مجلة الاعتصام - رد الله غربتها - التي كنت أشارك في تحريرها. وعدت وحيه الابتسامة التي تحولت إلى ضحكة عالية صافية. استمرت وهو يراجع ذكرياته في الاعتصام كاتبا ومحررا، مع [illegible] رحمه الله. قضينا وقتا غير قصير والرجل تحكمه السماحة والرضا ورقة التعبير وفكاهته. وكان يرافقه فيما [illegible] في وقت لاحق ولكن لم تتح لي الفرصة، فقد كنت مرتبطا في الرياض ببعض الالتزامات التي جعلتني لم أتمكن من تكرار اللقاء. وبعد شهور قليلة، صحوت ذات يوم على خبر رحيله عن دنيانا. فكتبت مقالا [illegible] في جريدة الوفد [illegible] هذا اللقاء، وأثنيت على شجاعته في تراجعه عن بعض الأفكار التي [illegible] كان نتيجة لظروف ما؛ سوف أشير إليها بشيء من التفصيل فيما بعد.

كان خالد محمد خالد (١٩٢٠ - ١٩٩٦م) من [illegible] الأزهر الشريف، وكان حبه للإسلام والوطن دافعا له كي يشارك بالكلمة في المطالبة بالحرية وصناعة مستقبل أفضل لهذا الوطن وذلك الدين في ظل احتلال شرس، وحكومة ظالمة مستبدة، وفساد كبير يصنعه التفاوت الطبقي والمحسوبية والقهر والقمع. وكان هذا الحب للوطن جارفا جعله أحيانا يجنح إلى بعض الآراء والأفكار التي خالفت التصور الإسلامي الصحيح. فتحمل مسئوليتها ومتاعبها، [illegible] ثم بعد [illegible] إلى الصواب، ولم يستنكف أن يعلن تراجعه عن الخطأ، وعودته إلى الحق وإعلانه بكل شجاعة [illegible] أن الإسلام دين ودولة، دنيا وآخرة، علم وعمل.

لقد كان خالد محمد خالد شجاعا حين واجه النظام العسكري لانقلاب يوليو ١٩٥٢ بدعوته إلى الديمقراطية. وإصداره كتابه "الديمقراطية أبدا" من أجل أن يحصل الشعب على حريته وكرامته وحقه في المشاركة في تقرير مصيره ومستقبله.

كانت هذه الدعوة امتدادا لمواجهته النظام الملكي الفاسد الذي قضى عليه ضباط يوليو، ورفضه للاستبداد والفساد والاستكانة للغزاة المستعمرين الذين حكموا مصر بالحديد والنار.

وكان خالد محمد خالد شجاعا في موقفه من الإخوان المسلمين الذين كان قد عارضهم قبل الانقلاب، ولكنه [illegible] الانقلابيون [illegible] كل ممزق. [illegible] التهديد قائلا: "لقد ناقشت الإخوان ونقدت فكرهم وسلوكهم يوم كان بعض قادة الثورة من محازبيهم [illegible] في المعتقلات والسجون تحت وطأة التعذيب، فقد أوصانا سيدنا الرسول ﷺ ألا نجهز على جريح" (قصتي مع الحياة، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٤١٧).

وكان خالد محمد خالد شجاعا حين واجه جمال عبد الناصر [illegible] في المؤتمر القومي، عام ١٩٦١ [illegible] يحكم الوطن بالحديد والنار والمخابرات..

موقف الشجاعة [illegible] خالد محمد خالد وسوف [illegible] بعض [illegible] ولكن الذي لفت نظرهم هو موقفه القديم الخاطئ الذي دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة، وانبهاره بالتجربة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي، ولم يذكروا أنه تراجع عن ذلك واعترف بالخطأ في شجاعة مفكر أصيل، غير معاند!

[illegible] خالد محمد خالد" للشباب والأجيال في صورة الرجل الذي توقف عند مقولاته الأولى التي دفعت إليها حماسة الشباب واندفاعته [illegible] في الإصلاح، دون أن يذكروا [illegible] في التراجع، [illegible] مفكر المسلم؛ أنه يشاطرهم مقولاتهم المنحرفة لتنحية



خالد محمد خالد

الإسلام [illegible] تدليس وتضليل [illegible]

لقد [illegible] هؤلاء [illegible] خالد محمد خالد في [illegible] يتحدث عن هذا التراجع، وأوسعونا دروسا فارغة في [illegible] لا نعرف الأفكار إلا من خلال أصحابها، ولا نميز القول إلا بقائليه! وأننا نعاني صعوبة موروثة في التعامل مع الأفكار الفلسفية المجردة بعيدا عن أسماء من نادوا بها أو روجوا لها! وهكذا - كما يزعمون [illegible] التشريعات الإسلامية الربانية أفكار فلسفية؟ وهل تراجع خالد عن مقولاته التي خالفت التشريع وأسسه بناء على فهم ووعي ونضج فكري أو لا؟

لم يكتف هؤلاء [illegible] علماء الإسلام بأنهم يقومون [illegible] كما يزعمون. فضلا عن اتهامهم لهم بحفظ [illegible] حيث لا مجال وفقا لتصورات العلمانيين لإعمال العقل نقدا وتحليلا.

[illegible] علماء الإسلام [illegible] النظرة النقدية العقلانية إلى التراث. كما تمثلت - من وجهة نظرهم - في كتابات علي عبد الرازق وطه حسين [illegible] خالد محمد خالد، دون ذكر الفارق بين الأخير

والأولين في الفكر والسلوك!

ثم يزعمون أن الحديث عن تحولات خالد [illegible] (تاريخ الأفكار) التي لا [illegible] للمتحدثين بها، إلى سير الرجال التي يألفونها، كما يتجاهلون الظروف السياسية القاهرة التي أدت بكثير من [illegible] هزيمة ١٩٦٧ [illegible] الصهيوني، ثم الغزو السوفيتي لأفغانستان، وغيرها من النكبات التي حلت بالعالم العربي والإسلامي إلى الإحباط واليأس، فتحولوا عن طريق الخلاص العلمي والعقلاني، ليرتموا في أحضان الخلاص الديني كما يسمونه! وكأن الخلاص العلمي والعقلاني ضد الخلاص الإسلامي أو العكس!

[illegible] في [illegible] بالقصور، ويتصورون أن تاريخ الأفكار مسألة غريبة وبعيدة عن [illegible] عبر صيغ متنوعة لغوية ودلالية وفكرية في كتب موسوعية عديدة تشير إلى تقليب الأفكار والتصورات والدلالات سبقت ما قاله الغربيون بأزمان..

إن تاريخ الأفكار هو أحد الفروع العلمية المعاصرة الذي يبحث في تاريخ الأفكار البشرية وتطورها وتغيرها أو الثبات فيها عبر الزمن. كما يمكن اعتباره تخصصا شقيقا للتاريخ الثقافي intellectual history، أو مقاربة من مقارباته [illegible] في مجال تاريخ الأفكار قد يرتبط بإجراء أبحاث غير تخصصية في مجالات تاريخ الفلسفة، وتاريخ العلوم، وتاريخ الأدب. [illegible] علم تاريخ الأفكار يعد من المواضيع العلمية القائمة بذاتها في السويد منذ ثلاثينيات القرن الماضي، كان ذلك عندما تم تعيين العلامة "جوهان نورد ستروم" أستاذا في هذا التخصص في جامعة [illegible] تاريخ الأفكار، وغالبا ما يكون ذلك ضمن برنامج تعليم عال.

[illegible] "تاريخ الأفكار" ولقي طرق دراستها في العقود الأولى من القرن العشرين، عمل لوفجوي أستاذا للتاريخ في جامعة جون هوبكنز منذ ١٩١٠ وحتى ١٩٣٨ [illegible] عقود.

وهناك مجموعة من الكتب التي عالجت [illegible] "علم تاريخ الأفكار" لمؤلفه فرانكلين باومر، وهو من أهم الكتب الثقافية التي أثنى عليها النقاد ويدور الكتاب حول علم تاريخ الأفكار وأشهر رواده إرنست كاسيرر، وميشيل فوكو، [illegible]

وهناك كتاب [illegible] "الأفكار" لمؤلفه عصام عبد الله، ونشره مركز زايد للتنسيق والمتابعة بدولة الإمارات العربية المتحدة (٢٠٠٢م). وهناك كتاب آخر معنون [illegible] لموضوع تاريخ الأفكار.

وقد تطورت فكرة تاريخ الأفكار لتشكل منهجا يعنى بالأفكار الكامنة في ضمائر الشعوب والجماعات، فتكون باعثا لها على الحركة واتخاذ المواقف، و يوظف الأعداء [illegible] خصومهم في اتخاذ مواقف ليست في صالحهم (أي ليست في صالح هؤلاء الخصوم)، ونشر الأفكار الكامنة التي نقصدها هنا، لا يكون عن طريق الخطابة أو الإعلام المباشر، وإنما يستغرق بثها عشرات السنين أو مئات السنين، بل أحيانا تكون هذه الأفكار عبارة عن تراكمات تظل تتراكم طبقة فوق طبقة حتى تصل في ضمير الأمة إلى ما يشبه العقيدة بحيث لا تخضع لمقاييس المنطق أو لا يقبل أحد أن يخضعها [illegible] السابقة التي يمتصها الناس امتصاصا مشابها لامتصاص [illegible] بتاريخ الأفكار "الأفكار المقصودة هنا" بأنها [illegible] في عمق أعماق الجماعات التي لا تعد مجرد أفكار وإنما يؤمن بها الناس لأسباب غامضة أو بفعل البث المستمر سواء أكان ذلك البث بوعي أم [illegible].

لا [illegible] أكثر من ذلك، ولكني أردت أن أشير إلى أن [illegible] خالد محمد خالد، لا علاقة لها بما يسمى تاريخ الأفكار، لأنها ببساطة شديدة تتحرك في مسار الأفكار البشرية وتحولاتها وما يعتريها من قصور ونقصان. أما ما نحن بصدده [illegible] ومثلما كانت عودة خالد محمد خالد إلى الصواب شجاعة يثاب عليها، وموقفا فكريا محترما يستحق الوقوف أمامه بالتقدير والتبجيل، وليس مجرد حلقة في سياق تاريخ الأفكار تقتضيه طبيعة التطور والتغيير.


محمد الغزالي

وسوف نبين ذلك في موضعه [illegible] تعالى، مع مواقف أخرى تكشف عن [illegible] مسلحة بالجبروت والقوة الغشوم، فيكون إرضاء الله - وليس الخضوع لتحولات التاريخ - هو الغاية الكبرى التي تحكم مواقفه وتحولاته، وذلك بعد أن نطل إطلالة سريعة على ملامح بارزة في نشأته وتعلمه [illegible] ليكون علما بارزا في سياق الشجاعة الفكرية والعلمية [illegible]

لقد كانت مواقف خالد محمد خالد ميدانا رحبا يجد فيه بعض الباحثين والكتاب نموذجا للكاتب أو الباحث الذي يستحق أن تتناوله [illegible] الرجل يملك شيئا ذا قيمة فكرية وعلمية في كل الأحوال.

[illegible] محمد الغزالي والعلامة محمد فريد وجدي والشيخ محمود شلتوت والأستاذ أحمد الشايب والشيخ الخراشي والشيخ صالح عشماوي ومحمود عزلان [illegible]. كما كتب عنه شاكر النابلسي ورجاء النقاش وآخرون من [illegible] لمواقفه الأولى وتجاهلوا مواقفه الجديدة، وهو ما يشير إلى تأثير الرجل الواضح في حركة الفكر الإسلامي في العصر الحديث.

إعرف نفسك أيها الإنسان

ان اوجب الواجبات علينا وعلى ذوي العقول والقلوب على سواء ان نعرف الله تعالى بقدر ما وهبنا من وسائل الادراك. ومنافذ العلم، التي نحسن بها تامل ايات الله المتلوة في كتابه. ونحسن بها استكناه اسراره وشواهد وجوده ووحدانيته وعلمه المحيط وقيوميته على كل شيء في اياته المجلوة في الافاق والانفس.

والله تعالى يلفتنا إلى ذواتنا مم خلقت؟ وإلى [illegible] كيف وجدت؟ وإلى الآفاق علوا وسفلا لنرى بديع صنع الله وباهر قدرته، وظاهر إحكامه وحكمته وسابغ إحسانه، وبالغ جوده وإنعامه في كل ما تراه عين، وتسمعه أذن، ويبلغه فكر، [illegible] يقول الله تعالى

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين [illegible] ﴾

(الذاريات ٢٠، ٢١)

وقوله:

﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾

(الطارق ٥)

والله تعالى يردد هذه الحقائق ويؤكدها في مجال الإحياء والحديث عن خلق الإنسان فيقول:

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] نحن الخالقون ﴾

(المؤمنون: ١٢-١٤)

ويجعل سبحانه تأمل هذه الحقيقة دليلا على المعاد وبعث الأرواح والأجساد:

﴿ [illegible] ﴾ (الروم ٢٧)

﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ﴾

(ق ١٥)

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾

(الحج ٥-٧)

[illegible] لا ريب فيها، والحي بينهما مستخلف مكلف مسئول عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به، (رواه الترمذي والدارمي من حديث أبي برزة الأسلمي)، فهو يسلف من دنيا العمل، [illegible] خيرا [illegible] وشرا بشر:

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ۝ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

(الزلزلة ٧-٨)

إن الإيمان بالله هو المعتصم من أن تزل بنا في الإثم قدم، ومعرفة حق الله في أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر هي موجبة عدة الله تعالى في قوله:

﴿ فاذكروني أذكركم [illegible] ﴾

(البقرة ١٥٢، ١٥٣)

وقوله تعالى:

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾

(التغابن ١١)

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾

(آل عمران ١٠١)

والصراط المستقيم في الآية، وهدى القلب [illegible] في الحياة ثم يجنحهما في المصير إلى الله وعدا عليه حقا

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد ٢٨، ٢٩)

[illegible] أن الخير كله فيما قدره سبحانه ورضيه لعباده، فهو أرحم بهم من الوالدة بولدها:

﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾

(البقرة ١٤٣)

[illegible] حتى تكون ممن قيل فيهم (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وحتى تكون أحرص شيء على الاستجابة لأمر ربك واجتناب ما نهى سبحانه عنه وأنت منطلق بين مبتدئك ومنتهاك خليفة بحق مع أمثالك عن الله عز وجل في إصلاح كونه [illegible] في [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ٥٥)

ولتكون بذلك أهلا لأن تناجي ربك بما ناجاه به الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو يقول:

[illegible]

وجل الله الذي يعصمنا بفضله وحوله وطوله من أولئك الذين توعدهم بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد ١٢٤ - ١٢٧)

وأنت أيها الإنسان قد خلقك الله - [illegible] وقوى متعددة تعين على المعرفة الحقة [illegible] فردا صمدا لا شريك له في تدبير أمور من خلق بعد أن خلقهم وحده بغير [illegible]

[illegible] قوله تعالى:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الذاريات: ٢١)

وقوله:

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

(الطارق: ٥)

وقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الانفطار: ٦ - ٨)

[illegible] كاميرون في مقالة الإنسان ذاته هو الدليل في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» ص ١٢٩، يقول: (إنني أعتقد بوجود الله لأنه وهبني التمييز الأخلاقي. فالجنس البشري لديه إحساس فطري بما هو خطأ وما هو صواب، وكما يقول لويس في كتابه «قضية المسيحية»: «قد تختلف أفكارنا ومع ذلك فإننا جميعا ندافع عن حقوقنا وننشد العدل».

[illegible] على حرية [illegible] بأنها العملية الشعورية الكاملة التي تقود الإنسان إلى اتخاذ قرار معين. الإرادة التي هي إحدى الأقسام الكبرى التي يقسم علماء النفس قوى العقل إليها (القوتان الأخريان هما الإدراك والشعور). فأنا عندما أرغب أو أريد شيئا معينا [illegible]

[illegible] الأرض واستأنس لذلك بما عرفه عن الكتب [illegible] الإنسان يحصل على العلم بطريقتين: البصر والبصيرة.

- أما البصر: فهو ما نعرفه في حياتنا وما نكتسبه عن طريق [illegible]
- وأما البصيرة: فهي ذلك النور الذي يقذفه الله في قلوبنا فيكشف لنا به عما لا نعلم.

واستأنس لذلك الدكتور «العقدي» مترجم هذا الكتاب بقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible]: ٢٢٩)

ومن [illegible] قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد: ٢٨ - ٢٩)

وتابع الكاتب كلامه النافع فقال: وكذلك الحال فيما يتعلق بالإيمان بوجود الله، إذ لابد أن يقوم أولا على البصر وملاحظة [illegible] نلتجئ بعد ذلك إلى الله لكي يكمل إيماننا [illegible]

إن رجال العلوم يعتمدون على التجربة. وأنا مقتنع بوجود الله اعتقادا يستند إلى [illegible] صرف، ومع ذلك فهي أقوى لدي من كل دليل، وأشد إقناعا لي من أي برهان رياضي. لقد لمست هذا الدليل في نفسي [illegible] بحجرتي في القسم الداخلي بجامعة كورنل يوم جاءني البرهان وأغدق الله على قلبي [illegible] كل ما سواه، حتى أنني أرى أن أفقد كل شيء في هذا الوجود، ولا أرتد إلى حالتي السابقة. لقد كان هو سبحانه صاحب الفضل في هذا البرهان فهو الذي أنزل على قلبي وجعلني أعتقد في وجوده. (ا. هـ)

[illegible] حقيقة وجوده تعالى على نحو يجعلني أوثق [illegible] مزيد بشرية سرة تتأدى بهم إلى الاعتقاد للدين الخاتم. ومن خلال هذا القدر اليسير مما حواه كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» تبرز حقيقة وحدة الدين التي يقول الله عز وجل فيها

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

ويقول

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

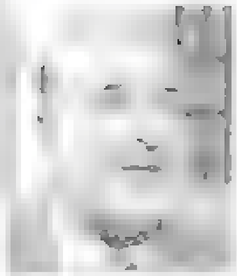
وجزى الله الدكتور العقدي خيرا فهو يقول في آخر ذلك الكتاب: كان لزاما أن يضم إلى ذلك الكتاب فصل أعمل عن آخر كتاب مقدس نزل حين اكتملت الإنسانية [illegible] والتفكير والتدبر والتأمل. وذلك بطبيعة [illegible] الهوامش - من آيات ذلك الكتاب البيان في بعض المناسبات كتعقيب على ما جاء في [illegible]

وتلك أمنية لا ريب مودعا مع الدكتور [illegible] توازره وتظهره مشيئة الله الذي يقول:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾

(الأنبياء: ١٨)

قالوا عن محمد ﷺ



ايفلين كوبولد

(١) عندما تمسك الرسول ﷺ، تعبد في نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتبقى في روعي صورة على تلك وحكمته البالغة في سبيل الوحدانية الإلهية.

(٢) كان العرب قبل محمد ﷺ أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا جماعاتها، فلما جاء محمد ﷺ بعث هذه الأمة بعثاً حيا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فعلمت العالم وحكمت فيه أجيالاً وأجيالاً.

(٣) لعمري لتحدث المرء في نفسه، ما تقدمه في قبر الرسول ﷺ روعة ما يستطيع لها تعبيراً، وهي روعة تملأ النفس خضوعاً ودهولاً ورجاء وخوفاً وأملاً. ذلك لأنه هنا يرقد مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم، إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية.

(٤) لقد استطاع النبي ﷺ القيام بالمعجزات والعجائب، لما تمكن من جمع هذه الأمة العربية المشتتة المتنافرة على سنة الإسلام وقانون الوحدانية الإلهية. لقد وفق إلى جعل العرب جندا واحدا وتخليصهم من الظلمات إلى النور.

(٥) مع أن محمداً ﷺ كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه.

كولد تسيهر(٦)

(١) إن محمداً قد نشر بمهمته للمرة الأولى مجموعة من الأفكار الدينية ...

---

(١) التحدث عن الله ص ٣٩ - ٤٠ (٢) نفسه ص ٣٦ (٣) نفسه ص ٥٥

(٦) ... Goldziher ...

وعقيدة ثابتة لأن هذا المذهب يحقق مصالح جماعة خاصة، وقد كان في ذلك كله مطيعاً لأكبر تجارب حياتية جمهور.

(٢) لقد أثبت محمداً ﷺ كان ملاحظاً وأن مصلح حقيقي في الشعب العربي من الوجهة التاريخية.

(٣) في هذا العصر نرى النبي ﷺ يستخدم حكمته المفكرة وروحه المثقفة وشعوره العالي، في مقاومة خصومه الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه.

عبد الله لويليام

(١) كان محمد ﷺ على أعظم ما يكون من كريم الطباع وشريف الأخلاق ومنتهى الحياء وشدة الإحساس، وكان حائزاً لقدر عظيم من الذكاء مفرط وعواطف رقيقة شريفة، وكان على خلق عظيم وشيم مرضية مطبوعاً على الإحسان.

(٢) إن بعض كتاب هذا العصر الحاضر كانوا يعرفونه بالطعن والقدح والشتم والسب ليس بالحجة ولا البرهان فإنهم يذكرون كثيراً من صفات النبي ﷺ السامية وجليل أعماله العظيمة.

(٣) ما اهتدى مئات ملايين إلى الإسلام إلا ببركة محمد ﷺ الذي علمهم الركوع والسجود لله وألقى لهم دستوراً لا يعلو عليه

أبداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم وخير أخراهم ...»(١٢).

(٤) إن تشرف محمد ﷺ بساحة عالم الشهود بوجوده الذي هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى اعتلاء النوع الإنساني وترقيه في درجات سامية كما أن يحتاج البشر من اللوازم الضرورية على نهج مشروع وأوصل الخلق إلى أقصى مراتب السعادة بسرعة خارقة، ومن نظر بعين البصيرة في حال الأمة قبله ﷺ وما كانوا عليه من الضلالة، ونظر في حالهم بعد ذلك وما حصل لهم في عصره من الترقي العظيم رأى بين الحالين فرقاً عظيما كما بين الثريا والثرى.

(٥) امتدت أنوار المدنية بعد محمد ﷺ في قليل من الزمان ساطعة في أقطار الأرض من المشرق إلى المغرب حتى إن وصول أشعته في ذلك الزمن اليسير إلى تلك المرتبة العلية من المدنية قد حير عقول أولي الألباب، وما السبب في ذلك إلا كون أوامره ونواهيه موافقة لموجب العقل ومطابقة لمقتضى الحكمة.

رود لاندو

(١) لم ينسب محمد ﷺ في أيما يوم من الأيام إلى نفسه صفة الوهية أو قوى أعجوبية، على العكس، لقد كان حريصاً على النص على أنه مجرد رسول اصطفاه الله لإبلاغ الوحي للناس.

... من أكثر كتب سيلا من المقالات والأبحاث في المجلات الأوروبية والعربية بأكثر من لغة. وكتاب (العقيدة والشريعة في الإسلام) (باريس ١٩٢٠)، و(دروس في الإسلام) في جزءين كبيرين، كما حقق العديد من النصوص القديمة.

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) كانت [illegible] محمد ﷺ [illegible]

(٥) [illegible] محمد ﷺ [illegible]

الأبتر

(١) لقد عرف [illegible] من ذوي [illegible] اليهود والنصارى [illegible] محمد ﷺ [illegible] (أوحي إليه به). ولا ريب [illegible] وحي [illegible] ولم يكن [illegible] وخشوع [illegible] وإيمانه القوي [illegible] والنظر الصادق [illegible] والضلال. واستعمل حسن [illegible] العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد ﷺ [illegible] وحي [illegible]

(٢) إن الديانة النصرانية التي [illegible] محمد ﷺ [illegible] المسيح (عليه السلام) [illegible] الشعائر [illegible] والأغلاط [illegible] النصارى. ولقد كان [illegible] محمد ﷺ [illegible] لا [illegible] دين إبراهيم (عليه السلام) [illegible] ولولا هذا الذي [illegible] في دين الإسلام

(٣) [illegible] ﷺ السنة [illegible]

والعشرين من العمر تزوج امرأة عمرها أربعين عامًا. [illegible] عمرها خمسين عامًا في [illegible]. وهي أول من آمن برسالته المقدسة. وبقيت خديجة (رضي الله عنها) معه عشرين عامًا لم يتزوج عليها قط حتى ماتت (رضي الله عنها). [illegible] من العمر خمسًا وخمسين سنة صار يتزوج الواحدة بعد الأخرى. لكن ليس من الاستقامة والصدق [illegible] لا يليق لرجل عظيم [illegible] بالطهارة والعفاف. فلا ريب أن [illegible] حقيقية غير التي [illegible] كتاب النصارى [illegible] ولا ريب [illegible] نساء [illegible]

(٤) [illegible] أوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ [illegible] رجل [illegible] الوحي. فلو كان ﷺ كما يقول أعداء النصارى [illegible] لما كان [illegible] الوحي من وجود

(٥) [illegible] إني لأعجب [illegible] التي [illegible] النصارى المسيح (عليه السلام) احترام عظيم وذلك باحترامهم محمد ﷺ. ولا ريب في [illegible] المسيحي [illegible] برسالة محمد ﷺ [illegible] هو مسيحي الصادق

Lightner [illegible]
[illegible] ١٨٨٤ كما طوف [illegible] من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها

وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا «٩»

[illegible]

ماء العينين القلقمي وانتشار العينية في موريتانيا

وُلد محمد مصطفى ماء العينين القلقمي [illegible] في [illegible] شرق موريتانيا سنة ١٨٣١، وقد توفي في جنوب المغرب سنة ١٩١٠. وكانت أمه مغربية ووالده - محمد فاضل ولد مامين[٢] - موريتانيا متعمقها في الدين وكان زعيما للطريقة الفاضلية التي تفرعت عن الطريقة القادرية في موريتانيا في القرن ١٩. حيث درس على يد أكبر شيخ قادري في السودان العربي وهو سيدي المختار الكونتي الذي توفي سنة ١٨١١. [illegible] الكبير على الطريقة القادرية في المنطقة وأثر أيضا على عثمان دان فوديو في منطقة الهوسا. وقد أصبح محمد فاضل فيما بعد [illegible] المنسوب إليه والمعروف بالمختارية. أي [illegible] وإن كان كلاهما فرعا من القادرية. ولكن [illegible] ما أدى إلى حنق الكونتي الذي انتقد فاضل [illegible]

متصيبة. ولأنه ظل مرتبطا بثلاث طرق أخرى بما فيها التيجانية على الرغم من أنه لم يفضل الحاج عمر، زعيما، مطلقا. كما أن الفاضلية كانت تتميز بالشعبية وبشعائرها التي تمارس بضجة. وخاصة استخدام الطبول (التم تم) المعروفة في إفريقيا. وقد كانت الأساليب الصوفية والاتجاهات المتبعة من أهم ما جذب إليها الأتباع وبالتالي فإن ماء العينين وجد فيما [illegible] الشعبية والنجاح بين الرحل الخليين. ونظرا لما أكده والده من أنه من الأشراف (الأمر الذي يشاركه فيه العديد من الزعامات الدينية السياسية الإفريقية) فقد ازداد جذب الأتباع والموالين إليه.

[illegible] أصول الدين عند صغره وتميز بأنه كان كاتبا [illegible] انتمى إلى الطريقة الفاضلية التي أصبحت تعرف باسم «العينية» من بعده.

وقد تحالف تحالفا شخصيا مع الأسرة المالكة الشريفة في المغرب، ومن ثم فقد جذب في مقاومة مسلحة ضد فرنسا نتيجة فرض سيطرتها في المنطقة مما أدى إلى فقد العديد من أبنائه حياتهم الأمر الذي كان له أثره في حياته وعجّل بوفاته.

[illegible] الزوايا الصوفية. وكان من بين اهتماماته [illegible] كما عاد عليه ببعض النفع من الناحية السياسية [illegible] وحفر الآبار. وقد كان ثرى العطاء الفكري فقد ألف نحو ٣١٤ كتابا في مختلف [illegible] الدينية والفلك والرياضيات وغيرها[٣].

وعندما بلغ ماء العينين الثمانية والعشرين، وكان قد أتم تعليمه. ثم فرض على نفسه العزلة للتأمل والقراءة. وخرج منها إلى الحج في ربيع ١٨٥٨ حيث مر بالمغرب وزار السلطان وبيت الأشراف. [illegible] بين ماء العينين وسلاطين المغرب [illegible] في الحقيقة على المصلحة المتبادلة: فقد كانت المغرب تسعى لتأكيد نفوذها في موريتانيا [illegible] موريتانيا، الذين يستطيعون مساعدتها في حالة الحرب خاصة في ظل تبلور المصالح الأوروبية في شمال إفريقيا (وكانت الحرب التي قامت بين فرنسا والمغرب سنة ١٨٤٤ آخر الأمثلة). وكان ماء العينين باعتباره ابن أحد كبار رجال الدين في موريتانيا من تلك الشخصيات التي حرصت المغرب على دعم علاقاتها بها. أما من جهة ماء العينين [illegible]

ومن الجدير بالذكر أن ماء العينين بقي ثلاثة أسابيع فقط في مكة والمدينة، أي لم يبق في الحج والأماكن المقدسة سنوات مثلما فعل غيره من الزعماء الصوفيين مثل الحاج عمر والسنوسي الكبير. وفي طريق عودته زار مصر حيث مرض بالجدري في الإسكندرية وبقي بها فترة النقاهة ثم رحل إلى المغرب بحرا ومنها عاد أدراجه إلى وطنه برا في مارس ١٨٥٩.

ومع أن ماء العينين لم يمض وقتا في [illegible] الإمكانيات المالية أو لظروفه الصحية، إلا أنه سعى للدراسة في تندوف على يد اثنين من المعلمين المشهورين أحدهما في اللغة العربية وهو محمد مولود، والآخر زعيم قادري هو محمد الجكاني وكانوا قد جذبوا إليهم العديد من الطلبة فدرس لفترة في مكتبة جكاني قبل أن يترك تندوف سنة ١٨٦١ ويعتقد أن إقامته كانت بمساعدة ملكية من الأسرة الحاكمة في المغرب. وبعودته خلع عليه والده محمد الفاضل عمامة ولقب شيخ[٤].

ولقد سعى ماء العينين إلى توسيع نفوذه الديني والسياسي فترك موطنه بمنطقة [illegible] منطقة الحدود بين شمال موريتانيا وجنوب المغرب لنشر دعوته وتعاليمه حيث انتشر

[illegible] Kin. PP. (25 - 13)

[illegible] على تحاشي المواجهة مع إخوته غير الأشقاء «ويذكر أن عدد أشقائه بلغ ثمانية وأربعين» الذين ورثوا بعض الاتجاهات الدينية لوالدهم حيث سعى ثلاثة منهم إلى خلافته في زعامة الطريقة [illegible].

وقد ركز أحدهم «وهو سعد» نشاطه في [illegible] «سيدي الخير» فقد بقى في ولاتا. والثالث، وهو «الحضرمي ولد محمد» فقد استمر في منطقة الحوض. حيث ترك الشيخ فاضل - قبل وفاته - مسئوليات الطريقة الفاضلية ومسئوليات عشيرته لأبنائه الأربعة. وكان ماء العينين أقربهم إليه وأحبهم وكان قد بدأ يظهر كزعيم وعمل على مد نفوذه عن طريق الزواج. فبلغ عدد زوجاته وفقا لبعض الآراء ٧٦ زوجة [illegible] على أن يحتفظ فقط بأربع نساء في وقت واحد فقد كان يتزوج ثم يطلق فكان له الكثير من الأولاد، ومن المعروف أن كثرة الزواج والطلاق كانت النمط العادي في الصحراء في ذلك الوقت ولم تترك حساسيات، أي أن كثرة زواجه كانت [illegible] مع العائلات المختلفة وبالتالي نشر نفوذه.

وقبل عام ١٨٧٠م انتقل إلى الساقية الحمراء [illegible] للطريقة مما يدل على استقرارها وانتشارها. ولقد استطاع تقليص الخلافات بين الرحل وتقليل الثأر الخلي بينهم والتقليل من التحلل الاجتماعي أو الأناركية وقد أطلق عليه بعض الأوروبيين الأوائل اسم «زعيم رحل الصحراء»[5]. فقد كانت له الكلمة العليا المسموعة وقد استطاع أن يحقق تماسك سلطته السياسية في شمال موريتانيا.

وقد استفاد من بعض الظروف التي واكبت الغزو الفرنسي للمنطقة: حيث أدى جهاد الحاج عمر إلى اضطرابات وتحرك بشرى على جانبي نهر السنغال، وعندما فرض الفرنسيون السلام توقفت مؤقتا الغزوات الموريتانية التي قام بها البراكنا والترارزا في نهاية الخمسينيات من القرن التاسع عشر.

[illegible] على طول النهر، نحو سواحل المحيط ومن ثم تدهورت التجارة التقليدية «تجارة القوافل» [illegible] عشر أغلقت الموانئ بجنوب الصحراء التي [illegible] والمبادئ الدينية، مما أدى إلى صعوبات وتدهور في موريتانيا، وخلق جوا من عدم الرضا والعداء للفرنسيين[6]، وقد وجد ماء العينين [illegible]

وقد طور ماء العينين دوره خلال الستينيات من القرن التاسع عشر ليصبح باعثا وموجها وزعيما للرأى الإسلامي [illegible] وقد ركز في سياسته على تدعيم علاقات قوية مع

٥- Martin.op cit.p 130

٦- المرجع السابق، ص١٣١

[illegible] معهم هدف إيجاد مستودع مغربي للدفاع عن المنطقة ضد التدخل الأوروبي المرتقب من فرنسا.

ولكن بدأ أول تدخل أوروبي، ليس [illegible] ماكينزى الذي أقدم عام ١٨٧٤م على إقامة مشروع يرمي لإنشاء طريق مائي من الأطلنطي إلى الصحراء فقام ببناء رأس جوبي (Cape Juby) «طرفاية» في وادي نون التي اعتبرها منطقة مناسبة متقدمة لمشروعه ثم اشتراها بالفعل عام ١٨٧٨م هي وميناءها من أهم منافس للشيخ ماء العينين وهو الشريف محمد ولد بيروك الذي كان رئيس دولة صغيرة دينية قرب تزاروالت في وادي نون. وقد أكد هذا الشراء مخاوف كل من ماء العينين و[illegible] الحكومة الأسبانية بعثة إلى موريتانيا لتحديد مكان ملائم لإقامة مستعمرة أسبانية، وقد قرر السلطان الحسن الأول - سلطان المغرب - إرسال جيش على [illegible] قيام أي تنازلات أخرى للأجانب.

وحضر بنفسه على رأس رجاله من مراكش واتصل بمحمد ولد بيروك وجعله مسئولا في المستودع كموظف به، كما دعم السلطان اتصاله بماء العينين وكان [illegible] واقتلاع جذور هذا الشر»[7].

[illegible] رأس جوبي أمر ماكينزى بالمغادرة سنة ١٨٨٨م [illegible] ١٨٩٥م عندما اشترى السلطان [illegible] بمبلغ ٥٠ ألف جنيه استرليني، وأقام حامية دائمة بها لتأكيد الوجود المغربي هناك. وقد كان لتعاون ماء العينين مع السلاطين الأشراف أثره: فقد أعطى رسميا من قبل الحسن الأول مسئولية الحدود الجنوبية حتى رأس جوبي في سنة (١٨٩٢ - ١٨٩٣م) وكان ماء العينين يتنقل مع عشيرته وراء المرعى في المنطقة قرب الساحل والمداخل في الصحراء، ولكن في بداية عام ١٨٧٠م استقر في منطقة وادي تيجبرت عند [illegible].

وقد أسهم القلقمي في الإسراع بالقومية وتقويتها في كل من موريتانيا والمغرب، ولكنه لم يتمكن من التعامل مع [illegible] للاستعمار الفرنسي وضغوطه الدبلوماسية رغم تقاربه مع سلاطين المغرب، إذ - على خلاف الحاج عمر - [illegible]

٥- انظر المرجع السابق ص١٣٢

السنوسي الكبير [٨] وزعامته الكاريزمية في ليبيا والصحراء

يعتبر محمد علي السنوسي [٩]، ويعرف بالسنوسي الكبير، مكملا لجهود الانتعاش الصوفي المصري في أواخر القرن الثامن [illegible] كفرع للطريقة الإدريسية أو الأحمدية كما يطلق عليها البعض، وتدين في كثير من [illegible] أحمد بن إدريس الفاسي الذي تزعم الطريقة الإدريسية الأم، والتي تعتبر من الناحية المذهبية في منتصف الطريق بين [illegible]

[illegible] فوديو والحاج عمر التال في المناداة بالتمسك بالمصادر الأصلية للشريعة مع إعمال العقل [illegible]

[illegible] الإسلامية وبالتالي كان انتقالها من ليبيا إلى الصحراء جنوبها، ثم جنوبا نحو داخل القارة الإفريقية، وقد ظلت علاقة السنوسي وخلفائه بالأتراك العثمانيين الحاكمين طيبة عامة، فلم [illegible] مثيلاتها من الحركات المعاصرة، فقد انفرد السنوسيون بالحكم داخل بلادهم [١٠] [illegible] ومن أهم ما استطاعت الطريقة السنوسية تحقيقه بعد توليها السلطة هو تحقيق الاستقرار والأمن والقضاء على الخلافات الداخلية بالقضاء على الثأر الذي كان سائدا بين القبائل والعشائر.

والسنوسي الكبير جزائري الأصل ولد سنة ١٧٨٧م في بلدة مستغانم في منطقة [illegible] من أسرة متدينة متعلمة تتوارث تقاليد العلم [illegible] العلماء وهو يؤكد أن أصله يرجع لسيدنا علي بن أبي طالب وأنه من سلالة كل من الحسن و[illegible] إدريس مؤسس الدولة الإدريسية وهي أول دولة إسلامية في المغرب وبالتالي فقد تمتع تلقائيا بهيبة كبيرة بحكم [illegible] القرآن ودرس التشريعات والشريعة [illegible] الصوفية، وكانت تعتبر أساسيات في التعليم الإسلامي في المغرب في القرن التاسع عشر، كما أمضى وقتا يتدرب على الفروسية والرماية.

ثم سافر سنة ١٨٠٥م وهو في الثامنة من عمره [illegible] جامعة القرويين الشهيرة التي اعتبرت من شقيقات الأزهر وأحد مراكز الإشعاع الثقافي والإسلامي في إفريقيا، وقد أمضى بها ١٤ عاما.

حصل بعدها على إجازة، وكان محور دراسته فيها فقه مالك، ولكنه درس أيضا الرياضيات والفلك العام، وقد درس على يد أفضل معلمي ذلك الوقت في المنطقة [illegible] الدرقاوية، وأحمد التيجاني: مؤسس الطريقة التيجانية، وقد زادت اهتماماته [illegible] والحبيبية وغيرها ولكنه كان مهتما بمجالات أوسع من ضمنها القانون والسياسة، وكان شاغله الأساسي إصلاح حال العالم الإسلامي.

وفي نهاية وجوده في فاس بدأ يقوم بالتدريس في الأمور الدينية والقانونية وقد استطاع بالفعل أن يجمع حوله العديد من [illegible] الكاريزمية، الذي أصبح بعضهم من أهم المريدين والإخوان في الطريقة السنوسية بعد تركه فاس سنة ١٨١٩م.

وقد كانت آراء السنوسي وأفكاره أقرب [illegible] من إصلاح وتجديد [١٢] وقد سافر [illegible] لاختلافه في الرأي مع زملائه ومع بعض من لهم نفوذ في الأزهر، لمناداته بالإصلاح [illegible] للتقليد وتأييده التام للاجتهاد [١٣]، واعتبر أن الخروج من المشكلات القانونية بالعودة لآراء الأئمة الأربعة - مؤسسي المدارس الفقهية الإسلامية الأربع - دون إعمال العقل والاجتهاد الشخصي يمثل جهلا يجب محاربته، مما أدى إلى صدور بيان من سلطات الأزهر سنة ١٨٢٣م بعد تركه له بإدانته.

فانتقل إلى مكة في آخر العام التالي حيث [illegible] مؤسس الطريقة الإدريسية الأم: أحمد بن إدريس الفاسي [١٤]، وكان له تأثير ونفوذ كبير عليه، حيث اعتبره السنوسي المعلم الصوفي الأكبر الذي كان يبحث عنه، وأصبحت علاقتهم الشخصية قوية للغاية.

٨- لمزيد من المعلومات انظر Martin.op cit.p-124 [illegible]

٩- [illegible]

١٠- [illegible] ص١

١٢- لمزيد من المعلومات عن أفكار محمد عبده ومكانه في الفكر السياسي، انظر [illegible]

١٣- لمزيد من المعلومات [illegible]

١٤- [illegible]

[illegible]
في مكة للفاسي أن تركيا ومعه السنوسي
[illegible]
حتى توفي سنة ١٨٣٦م، ومن المعتقد أنه قبل
[illegible]
للأحمدية الإدريسية. ولكن هذا الاختيار لم
يوافق عليه البعض في المستويات العليا
للطريقة حيث كان هناك منافسان آخران هما
عثمان الميرغني وإبراهيم الرشيدي، مما أدى
[illegible]
[illegible]

وقد عاد السنوسي إلى مكة وأنشأ أول
[illegible]
عام ١٨١٤م[٤٥]، وقد وجهت للسنوسي
كراهية الخاطئين الحاقدين التي كانت موجهة
[illegible]
[illegible]
السنوسي الدعوة للطريقة وبدأ يجذب لها
الأتباع خاصة من المغرب ومن طرابلس
بليبيا، ولكنه ووجه بمعارضة سياسية ودينية
لآرائه مما اضطره إلى الرحيل مع عائلته
وأصدقائه ومستشاريه المقربين إلى القاهرة
إلى حي بولاق بالذات - والذي تركز فيه
أهالي تكرور - ومنها للفيوم وواحة سيوة
ومنها لليبيا بهدف الوصول إلى الجزائر،
ولكن حال دون ذلك احتلال فرنسا للجزائر
- وهو الأمر الذي تم أثناء وجود السنوسي
بالحجاز - وموقفها المعارض لعودته نتيجة
اتصالاته مع الحجاج الجزائريين، وخوفها من
إثارته انتفاضة ضدها أو تحالفه مع الأمير عبد
القادر الجزائري الذي قاد أيضًا الجهاد ضدها
بالجزائر. فقررت إلقاء القبض عليه وسجنه
[illegible]
السنوسي موطنه الأصلي ثانية وإن كانت
بعض المصادر تذكر أنه ظل يرسل الأسلحة
والأموال للجزائر عن طريق بعض أتباعه
[illegible]

وبالتالي اختار السنوسي بني غازي كمقر
جديد لطريقته حيث أقام زاوية كبيرة عند
[illegible]
استراتيجيا بحيث يمكن الدفاع عنها بسهولة
فهي صعبة الاختراق[٤٦]. كما لم تكن بها
[illegible] فضلاً
عن أنها كانت مزارا للكثيرين لقربها من
ضريح الشيخ رافع بن ثابت الأنصاري، كما
أرادت القبائل المحلية أن يقيم السنوسي مقره
هناك ليقرب بينها في حل الخلافات، وظلت
[illegible]
من (١٨٤٢م - ١٨٥٧م).

[illegible]
[illegible]
لعودة الناس إلى الأفكار الإسلامية الأصلية -
وفقًا لما أطلقه عليها الفاسي - مع الدعوة

[illegible]

للانضمام للسنوسية، وقد نجحت الدعوة
للطريقة لقيام دعاتها بتطويع عملها ووظائفها
[illegible]
تعلق منها بالأرض والاستيلاء عليها وبالتالي
استطاعت السنوسية أن تدمج نفسها بشدة
في حياة الشعوب ولامست متطلباتها.

ومن ثم تحققت الدولة الدينية التي
[illegible]
للإدارة العثمانية في ليبيا. وبعد أن حقق
[illegible]
[illegible]
[illegible] ١٨٤٦م حيث بقي حتى سنة
١٨٥٣م، محققًا الكثير من الإنجاز العلمي
والفكري مستفيدًا من مكتبة مكة. فكتب
٤٤ مؤلفًا في الرياضيات والتشريع، وفي
الأمور الدينية بالإضافة إلى القصائد وغيرها
وقد أراد بلورة أفكاره وأفكار الفاسي عن
الإصلاح، والإحياء والتجديد مع ممارسة
معوذة في نشر السنوسية.

وأصبح السنوسي في تلك الفترة على درجة
[illegible]
العلماء الخاطئين له. وتبلورت آراؤه في الجهاد
حيث أراد حماية المناطق من خطر التوسع
الفرنسي والأوروبي الاستعماري واعتبر أن ما
حدث في الجزائر ما هو إلا خطوة على هذا
الطريق وقد كان بعيد النظر في ذلك، ونظر إلى
[illegible]
[illegible]
شمال إفريقيا مجرد جواسيس وسعى لمعرفة
[illegible]
في الدعوة بينهم على أمل أن يتولوا هم نشر
الدعوة عند عودتهم لديارهم. وعلى الرغم من
أن السنوسي الكبير كانت له آراؤه السياسية
القومية إلا أنه كان ضد الحروب والعنف، وقد
تمشى هذا الجانب مع طبيعته الروحية: فقد كان
مهتما في موطنه بتنظيم الزوايا وكتابة الكتب.

وفي طريق عودته من مكة سنة ١٨٥٣م مر
بالقاهرة ولم يستجب لمحاولات عباس باشا
والي مصر لإبقائه بها مفضلاً مواصلة الطريق
إلى ليبيا إيمانا منه بالرأي الصوفي المنادي
بضرورة ابتعاد رجال الدين الحق عن الحكام.

وقد اختار جغبوب كمقر جديد لطريقته
بعد عودته لليبيا وهي على بعد عدة أميال
جنوب شرقي البيضاء قرب الحدود الليبية
[illegible]
الداخلية، وقد كانت تلك المنطقة مقرا لقطاع
الطرق قبل أن تنتشر بها السنوسية وتنشر
بها الأمن الداخلي، ثم ما لبثت جغبوب أن
[illegible]
[illegible] فقد كانت مقر
جامعة إسلامية نظر إليها على أنها تلي
[illegible] ٨٠٠٠ مجلد.
وإليها قام بتدريب تلاميذه «الإخوان» الذين
جاءوا من المناطق المحلية ومن كافة أنحاء العالم
الإسلامي، فضلاً عن التخطيط لبعثاته.

فقد رأى السنوسي الكبير علامة أن الأمل
[illegible]
فقد بدأ في إرسال بعثات نحو بحيرة تشاد إلى
[illegible]
الطريقة أن تجذب الكثيرين ممن أعجبوا
بتماسكها وعدم فسادها أو تحللها مثل غيرها
من الطرق الأخرى.

وكان من أساليبه في تقوية انتشار الطريقة
شراء العبيد من وادي من القوافل المارة

[illegible] على الطريقة [illegible] تحريرهم وإعادتهم للدعوة للطريقة في موطنهم الأصلي مما ساهم في نشر الطريقة ونشر الإسلام [illegible] كما [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] إلى جنوب تونس سنة ١٨٦٠م ودخلت الزوايا [illegible] [illegible].

وقد توفي السنوسي في [illegible] سنة ١٨٩٥م [illegible] الطريقة من بعده محمد [illegible] وصابة من أصدقائه القدامى وزملائه ومبعوثيه حتى مع [illegible] المهدي ومحمد الشريف [illegible] حيث عملا معا في تناسق مثل [illegible] والعلماء، حيث يحمل الأول السيف مع الاحتفاظ بمجلس والله والذي يضم أهم الشخصيات في السنوسية ويجتمع مرة كل عام في العادة، [illegible] نفوذ الطريقة في الصحراء على طريق [illegible] القوافل [illegible] بحيرة تشاد [illegible] وذلك بنشر الزوايا على مساحة واسعة حيث [illegible] [illegible] للمسيحية بين شعوب الصحراء التي تدين بالديانة التقليدية، ومن ثم اشتبكوا سنة ١٩٠٠م [illegible] بحيرة تشاد ولكنهم اضطروا للاتجاه ثانية إلى الشمال.

وما لبثوا في عام ١٩١١م أن اشتركوا مع [illegible] في [illegible] في ليبيا، وقد مثل زعماء السنوسية معارضة [illegible] للإيطاليين حتى عام ١٩٤٢م [illegible] [illegible] ليبيا بعد حرب [illegible]

وقد انتقل مقر السنوسية في ظل محمد المهدي جنوبا إلى واحة كوفرا، ثم انتقل ثانية في سنة ١٨٩٩م إلى منطقة كيروا وعورو في [illegible] [illegible] للسنوسية تضاعفت الزوايا أربع مرات منتشرة في كافة أنحاء الصحراء وحتى منطقة الساحل، [illegible] المراسلات الذين تنقلوا على طريق القوافل القائمة كما قاموا ببناء طرق جديدة، وقد كان اسم سيدي محمد المهدي في حد ذاته وراء انتشار الطريقة السنوسية بين شعوب الصحراء حيث مثل الاسم برنامجا سياسيا.

وبعد [illegible] السنوسي كانت [illegible] الإخوان في الطريقة يعتقدون أن محمد المهدي هو فعلا المهدي المنتظر، ويبدو أنهم قد تأثروا باختيار السنوسي الكبير لهذا الاسم لابنه على أمل أن يصبح ابنه المهدي المنتظر، وقد ساعد على ذلك الظروف السيئة التي واجهها المجتمع الإسلامي [illegible] الأوروبي والتطلع لظهور المخلص أو المهدي كوسيلة لتحريك عقول الناس ومواجهة الغزو، وكان لبداية قرن هجري جديد ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م [illegible] للمسلمين، ويلاحظ أن المهدية في السودان قد أعلنها المهدي قبل سنوات قليلة من بداية نفس القرن، ولقد تأكدت الآراء عندما جاء محمد [illegible] المهدي [illegible] محمد أحمد بن عبدالله، تفيد أنه إذا اعترف بزعامته فإنه يرحب به في الخرطوم كخليفة[18].

وقد رفض السنوسي هذا الأمر وخاف من [illegible]

على الإخوان مما قد يؤدي إلى احتلالهم بل وحتى إلى [illegible]، وقد [illegible] محمد المهدي تعليماته لحكام باغيرمي ووادي الذين كان لهم نفوذ كبير [illegible] حركة الخرطوم - المهدية - في أراضيهم.

ولقد اصطدم توسع فرنسا في الصحراء وفي ليبيا بالوجود والنفوذ السنوسي اللذين لم يمثلا مقاومة فعالة للقوات الفرنسية في الصحراء وتقدمها العسكري، حيث استخدمت الأسلحة النارية ضد الزوايا الليبية وأدت إلى الكثير من الخسائر في الأرواح وقضت على بعض كبار رجال الطريقة ومن ثم كانوا تحت ضغط القوات الفرنسية بعد أن كانوا قد حققوا الكثير من النفوذ بين قبائل أولاد سليمان في الفترة من ١٨٩٥م إلى ١٨٩٩م، كما [illegible] من المناطق الأكثر تعرضا للضغط الفرنسي في تيبستي وغيرها وذلك بناء على نصيحة العثمانيين، ثم كان هجوم فرنسا قويا على زاوية بير علالي ثم كانم سنة ١٩٠٢م وبعدها بستة أشهر مات محمد المهدي وكان [illegible] الأصغر محمد الشريف قد مات في [illegible] قبلها بسنوات، وبموتهما انتهت الفترة [illegible] في تاريخ السنوسية. وقد [illegible] أحمد الشريف [illegible] في [illegible] الطريقة على الرغم من محاولة حماية [illegible] من الفرنسيين، وعلى الرغم من محاولته تنظيم المعارضة المسلحة، إلا أن جهوده لم تنجح لا في مواجهة الفرنسيين ولا في مواجهة الإيطاليين عام ١٩١١م الذين كانوا يعدون لمواجهة السلطة العثمانية في ليبيا، وقد نجح كل من الفرنسيين والإيطاليين في

تقليص القوة الروحية للطريقة وإجبارها في النهاية على أن تعيد تشكيل نفسها كوسيلة للمعارضة [illegible] للقومية الليبية النامية، وبقيام الحرب العالمية الأولى أخضع أحمد الشريف الجوانب الدينية للطريقة [illegible] صارعت الإيطاليين ثم البريطانيين ثم مرة أخرى الإيطاليين بعد الحرب [illegible] وقد أدى الاستعمار الإيطالي لليبيا بعد تلك الحرب إلى تدعيم وجود السنوسية باعتبارها التنظيم الوحيد القادر على معارضة النشاط الاستعماري الأجنبي فكان للسنوسيين الباع الطويل نتيجة أيديولوجيتهم وتنظيمهم وزعامتهم في الكفاح ضد الاستعمار في الحرب العالمية الثانية، كما كان في الحرب العالمية الأولى: بل كافحوا القوى الاستعمارية المختلفة في المنطقة من إيطالية إلى فرنسية إلى بريطانية لما دعم تماسكهم.

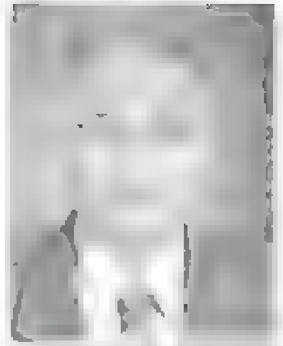
وهكذا كان السنوسي الكبير، صاحب الإيديولوجية التحررية الإصلاحية، الأب الروحي للقومية الليبية التي قضت في النهاية على حكم الأسرة المالكة السنوسية نفسها فأطاحت بها بعد ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩م. [illegible] الاستعمار و[illegible]

وكان من الطبيعي قيادة ليبيا لتجمع الساحل والصحراء [illegible] الهامة لنشاط الزوايا السنوسية ودعم العلاقات مع الصحراء وجنوبها في الساحل وللنشاط الليبي في الدعوة الإسلامية في الماضي والحاضر.

ت

18- Martin, op cit, p 188.

أربعة عشر عاماً من التعذيب والاضطهاد قبل الإذن بالقتال



[illegible] الحليم عويس
[illegible]

طيلة السنوات التى امضاها الرسول ﷺ فى مكة المكرمة وهى ثلاثة عشر عاما قمريا (٦١٠-٦٢٢م) تعرض والمسلمون معه لابشع انواع التعذيب والايذاء. ولم يحاول يوما ان يرد السيئة بمثلها بل كان يصبر الصبر الجميل. ويسال الله لقومه الهداية فانهم قوم لا يعلمون.

وعندما مرّ الرسول على آل ياسر، وهم يعذبون لم يملك إلا أن يقول لهم: صبرا آل ياسر، وفى رواية: أبشروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة. [illegible] ياسر شهيد تحت وطأة التعذيب، أما سمية فقتلت بحربة أبى جهل، وأما عمار ابنها فقد صبر على التعذيب[1]، [illegible] سمح له الرسول [illegible] الكافرين عملاً بقوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (النحل ١٠٦)

- وعندما اشتد التعذيب والتنكيل بعد وفاة عمه (أبى طالب)، وزوجه (خديجة بنت خويلد) رضى الله عنها [illegible] (خباب بن الأرت) [illegible] بهم. [illegible] السلاء، وأظهر الرسول ﷺ شيئا من الغضب قائلاً: "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه [illegible] هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[2].

- وحتى الذين كانوا يرغبون من صحابته الأبرار فى الهجرة من مكة إلى الحبشة أو المدينة؛ فإنهم كانوا يتعرضون للملاحقة والتفريق بين أعضاء البيت الواحد، كما حدث لبيت أم سلمة حيث حيل بين أبى سلمة وزوجه وابنه. ثم حيل بين أم سلمة والهجرة هى وابنها حيث فرق بينه وبينها، وظلت تبكي [illegible] تبكي، إلى أن رقت قلوب بعضهم [illegible] طفلها وخرجت به وحدها مهاجرة من مكة إلى المدينة

وهكذا تعرض المسلمون فى مكة لمختلف أصناف الظلم، بل حرموا حتى من حق الحياة. وقد تعرضوا لمختلف أنواع الحرمان. فقد فارقوا زوجاتهم وأولادهم؛ حيث وقعوا فى الأسر. [illegible] فى شعب بنحو ثماني سنوات وهم مقيدون بالسلاسل.. وحتى عندما لجأ بعضهم إلى ملك الحبشة؛ لأنه - كما وصفه الرسول ﷺ ملك لا يُظلم عنده أحد... لاحقهم المشركون وحاولوا تأليبه عليهم؛ حتى يسلمهم إياهم ليعذبوهم أو يقتلوهم - غير عابئين بحق اللجوء السياسي الذى يمثل قاعدة من قواعد القانون الدولي... لكن النجاشي كان رجل عدل وصدق. فبحث فى الأمر وتبين له صدق المسلمين، فرفض تسليمهم ورد الهدايا التى قدموا بها إليه.

وعندما هاجر الرسول ﷺ بعد معاناة شديدة من مكة إلى المدينة، وأخذ دعائم الدولة الجديدة التى تحتاج إلى هيبة وقوة ردع، حتى يستطيع أفرادها من المسلمين وغيرهم أن يعيشوا فى أمن وسلام، لم يكن قد أذن للمسلمين بعد فى الدفاع عن أنفسهم.

فلما بدأت الملاحقات القرشية تسعى للتكتل مع اليهود والمنافقين فى داخل المدينة (وهم عناصر من المدينة تعيش فى داخلها) من أجل الإجهاز على الدولة الناشئة، وشعر الرسول ﷺ والمسلمون [illegible] كانوا يبيتون ليلهم فى المدينة خائفين لا يعرفون من أين يهاجمون، وبأية كيفية سيأتيهم الخطر الذى يمكن أن يغتالهم - مهاجرين وأنصاراً - وأن يقوض بناء دولة المدينة الإسلامية الناشئة.

فى هذا الوقت العصيب جاء (الإذن) من الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالقتال دفاعاً عن أنفسهم كأفراد، ودفاعا عن العقيدة التى آمنوا بها، ودفاعا عن دولة الإسلام الناشئة التى لا يمكن أن تستمر - دولة لها هيبة - إلا إذا كانت قادرة على الدفاع عن نفسها من جانب، وعلى إقناع الآخرين بأنهم أمام دولة قادرة على تأديبهم إن اعتدوا عليها من جانب آخر

ومرة أخرى نؤكد على مصطلح "الإذن بالقتال"، لدلالته الكبيرة؛ فإن مجرد التعبير القرآنى (بالإذن بالقتال) كما جاء فى قوله تعالى

[illegible]

---

(١) على سامى النشار، شهداء الإسلام فى عهد النبوة، ص ٤٢، ط٣، دار المعارف، مصر

(٢) [illegible]

مجرد هذا التعبير يدل ـ بوضوح ـ على المنع قبل نزول الآية، ويدل على طروء القتال في الإسلام، وأنه ظل ممنوعاً طيلة أربع عشرة سنة قمرية.

ويعلق العلامة الأستاذ (محمد فريد وجدى) على هذا الإذن ـ بعد هذه المدة من تحمل العذاب والأهوال بقوله: "هذا ولم يعش الإسلام حتى في هذا الموطن ـ موطن الدفاع عن النفس والدين ـ أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الإذن خاص بحماية (حق) لا موضوع (انتقام) ولا (شفاء حزازات الصدور). وهذا من مميزات الحكومة النبوية، فإن القائم عليها ـ يكون كـ[illegible] يضع مشرطه حيث يوجد الداء لاستئصاله، مع عدم المساس بالأعضاء السليمة. ومقصده استبقاء حياة المريض لا قتله، والعالم كله في نظر الحكومة النبوية شخص مريض تعمل لاستقامة وجوده سليماً قوياً[٢]".

ولعل الآية الكريمة التي يقول الله فيها في كتابه الكريم:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢١٦)

تدل على النزعة السلمية عند المسلمين، فالأصل عندهم الرغبة في السلم، والجنوح إلى السلم إن وجدوا إليه أدنى فرصة، حتى ولو بشيء من التنازل المقبول!!

وفي هذا السياق الذي يؤكد أصالة السلم يقول الله تعالى لنبيه محمد ـ عليه السلام ـ وللمسلمين:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنفال ٦١)

ويقول ـ أيضاً ـ:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ٩٠)

ويقول:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ١٩٢ ـ ١٩٣)

ـ ومعروف أن المسلمين عندما خرجوا في غزوة بدر الكبرى (١٧ رمضان ٢هـ) لم يخرجوا للحرب [illegible] وعددهم. ووسائلهم. وطبيعة اتفاقية العقبة الثانية (الكبرى) (٦٢١م ـ ١٢ بعد البعثة) من المؤكدات الدالة على ذلك... كما أن القرآن الكريم صريح في تأكيد هذا المعنى السلمي النفسي عند الرسول والمسلمين... يقول تعالى:

﴿ وَتَوَدُّونَ [illegible] ﴾

(الأنفال ٧)

[٢] [illegible]

فهم ما خرجوا إلا استخلاصاً لبعض أموالهم المصادرة في مكة. ولا تأكيداً لقريش أنهم دولة، وأن عليها قبول السلام معهم والاعتراف بهم، وهو الأمر الذي لم يتحقق إلا في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة في صلح الحديبية الذي رضي فيه الرسول ﷺ ببعض الشروط المجحفة إيثاراً للسلام.

إطار الجهاد الأخلاقي والحضاري

وحتى (مصطلح الجهاد) يدل بذاته على أن الأمر فيه مشقة لا تنزع إليها النفس إلا إذا فرض عليها. فالجهاد (لغةً): يعني المشقة، فيقال جاهدتُ جهاداً أي بلغت المشقة. و(شرعاً) يدل الجهد في قتال الكفار والمنافقين عند وجود الدواعي لذلك. وهو في هذه الحالة ليس طريقاً لفرض الهيمنة ولا السيطرة ولا لسرقة ثروات الآخرين. أو احتلال بلادهم؛ بل هو نوع من العبادات يجب أن تلتزم فيه آداب العبادة، ونحن نلمح هذا في الآيتين الكريمتين التاليتين، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج ٧٧، ٧٨)

وقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الصف ١٠ ـ ١٣)

فالجهاد يأتي ضمن منظومة عبادية أساسية.

ـ وثمة ملمح آخر يعطي (الجهاد) معنى عبادياً وإنسانياً وحضارياً. ويبعده عن أن يكون مجرد وسيلة للغلبة على الأعداء واغتصاب أرضهم أو قهرهم على الدخول في الإسلام... هذا الملمح يقودنا إليه المعنى ـ أو الإطار العام ـ لمعنى الجهاد ومجالاته... فالجهاد ليس حرباً فقط؛ بل الجهاد جهد متعدد الآفاق، فهو جهد (أولاً) مع النفس لكبح الشهوات، وجهد جماعي (ثانيا) لفرض الخير ومنع الشر في قلب المجتمع، وجهد مسلح أخيراً مفروض على المؤمن بمفرده، أو على الجماعة بأسرها، تبعاً للظروف.

ـ ولا يمكن أن يتخذ الجهاد (طابعاً عسكرياً) إلا في الحدود المنصوص عليها في الشريعة القرآنية، وعندئذ يصبح قتالاً مقدساً ودينياً، عادلاً في الدافع إليه وفي مباشرته وفي غايته.

والحروب العادلة الوحيدة المقبولة في

الإسلام هى المرخص بها فى التنزيل، والتى تشن فى (سبيل الله)[٤]، ولنلاحظ هنا التعبير عن الجهاد بمصطلح (سبيل الله)، ومعنى هذا أن كل حرب أو جهد يبذل ـ فى غير سبيل الله ـ لا يمكن أن يكون جهاداً ولا حرباً مشروعة [illegible] (حرب مادية) استعلائية أو مصلحية ليس لها صلة بالقتال الإسلامى الذى حارب فى إطاره رسول الله ﷺ بعد أربعة عشر عاماً منعه الله فيها ومن معه من [illegible] الدفاع عن النفس والمعاملة بالمثل... وهى المرحلة المكية، وطليعة المرحلة المدنية بعد الهجرة الشريفة.

ـ ولئن كان (القتال) فى الإسلام محاطاً بالدائرة (العبادية)، و (الإيمانية) انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ على أساس أن القتال إذا لم يكن فى سبيل الله فليس جهاداً إسلامياً، فإن ثمة إطاراً آخر يعمق هذه الوظيفة للجهاد، ويرسخها [illegible] الإسلام وقيم الإسلام. فوظيفة الرسول ﷺ والمسلمين ابتداءً، إنما هى (البلاغ لا الحرب)، وإنما هى (التيسير) وليس (التعسير والتنفير)، وهى (الدفاع عن المستضعفين) من الرجال والنساء والولدان الذين تصادر حقوقهم الإنسانية، ويحرمون من حرية الفكر والعقيدة؛ بل تفرض عليهم الفتنة ـ بالترغيب والترهيب ليكفروا بالله ـ وهى ـ مع كل ذلك ـ وظيفة (الشهادة على الناس) بما تتضمنه من نشر الإيمان بالله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، و [illegible] بالنسبة للإنسانية كلها.

ـ والنصوص القرآنية الكريمة تؤكد هذه الوظائف المنوطة بالأمة المسلمة، وهى تؤكد على أن حركة المسلمين (الحربية) أو (السلمية) لابد أن تكون محاطة بسياج من القيم والأخلاق والآداب الراقية التى ترى فيها الإنسانية (سفينة النجاة) التى تحلم بها، قال تعالى:

[illegible]

(المائدة ٩٧)

وقال تعالى:

[illegible]

(الحج ٧٨)

ويستلهم العلامة (محمد فريد وجدى) من وظيفة الشهادة على الناس أن المسلمين مطالبون بحكم هذا التقدير السماوى [illegible] على مراقبة ذاتهم فى جميع حركاتهم وسكناتهم. والثبات على الطريق السوى فى رغبتهم ورهبتهم، [illegible] على [illegible] فى معاملاتهم ومراعاتهم [illegible] كل [illegible] عليها أن تكون نزاعة إلى التفوق فى كل فضيلة، سباقة إلى التحلى بكل خصلة حميدة، [illegible] من سعة الصدر فى معاملة المخالفين، ورحب الذرع فى حماية المستضعفين، مما كان له أثره فى [illegible] لا تستطيعه جيوش جرارة، ولا [illegible] على [illegible] الإرهاب.

وقد حقق الرسول ﷺ هذا الكمال الأسمى، وحققه السلف الصالح معه، [illegible] القوة [illegible] المناسبة له، فقد استعمل الرسول القوة بعد حساب دقيق ومنطقى، وحسبنا أن نقول [illegible] فى العهد النبوى فى خلال أكثر من سبعين غزوة وسرية [illegible] من الشهداء فقط، أما عدد من قتل من الجانب الآخر فهو فى حدود الثلاثمائة إنسان أو أقل، أى أنه خلال عشر سنوات وأكثر من سبعين غزوة وسرية لم يقتل من المسلمين والمشركين إلا أقل من أربعمائة إنسان، بينما تجاوز عدد [illegible] من القتلى نتيجة الصراع الوحشى بين الطرفين، وهذا بالطبع دون حساب الجرحى والمشوهين [illegible] معظمهم بعد ذلك، [illegible] فى روسيا [illegible] يقارب مائة مليون إنسان، كان من الممكن إبحار سفن على الدماء المراقة هناك وبناء بنايات من جماجمهم، كل هذه الوحشية التى لا مثيل لها كان من أجل توطيد نظام جديد اسمه (الشيوعية).



محمد فريد وجدى

وهكذا ـ بالإحصائيات ـ أثبت العصر النبوى ـ فى سلمه أو فى حربه ـ أنه عهد احترام لإنسانية الإنسان، واحترام [illegible]. ولم [illegible] دعوة الإنسانية الحقة عبر كل العصور إلى هذا المستوى، وليس من المنتظر أن تصله أبداً، [illegible]

فالمؤمن ـ حسب تعليماته ـ عليه السلام ـ يقاتل ويحارب، ولكنه لا يسد أبداً أبواب الصلح، ولا يريق [illegible] ولا [illegible]، ولا يقتل [illegible] ودون حق، ولا يحتل البلاد الأخرى، ولا يمتص خيرات الأمم الأخرى[٦].

---

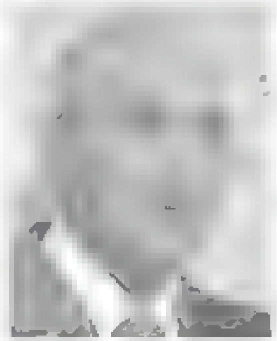
(٤) فرانسوا بورار: إنسانية الإنسان، ص ٢٩٢، بيروت.

(٥) محمد فريد وجدى: من معالم الإسلام، ص ٨٧، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط١/١٩٩٤.

(٦) [illegible]

بين الصحف والمجلات

المحكمة تسجل شهادتها على عصر مبارك



المستشار أحمد رفعت

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٣/٦/٢٠١٢م الكلمة التمهيدية للمستشار أحمد رفعت قبل النطق بالحكم جاءت فيها:

لا شك أنه مع بزوغ شمس يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ م أطلت على مصر شمس فجر جديد لم تره من قبل. أشعته بيضاء حسناء وضاءة تلوح لشعب مصر العظيم بأمل [illegible] ستحقق [illegible] شعبها [illegible] وضياء نقي [illegible] عنه [illegible] لتنفس الشعب [illegible] بعد طول كابوس ليل مظلم ولكنه أخلد لثلاثين عاما من ظلام دامس حالك أسود، أسود، أسود، اسوداد ليلة شتاء قارس بلا أمل ولا رجاء أن ينقشع عنها إلى صباح مشرق بضياء ونضارة وحياة.

وهكذا كانت إرادة الله في علاه، إذ أوحى إلى شعب مصر وأبنائها البواسل الأشداء تحفهم ملائكة الحق سبحانه وتعالى، لا يطالبون برغد العيش وعلياء الدنيا، بل يطالبون ساستهم وحكامهم ممن تربعوا على عرش النعم والثراء والسلطة أن يوفروا لهم لقمة العيش، يطلبون ممن يطعمهم من جوع ويسد رمقهم ويطفيء ظمأهم بشربة ماء نقية، ويسكنهم بمسكن يلملم أسرهم وأبناء وطنهم من عفن العشوائيات وانعدام آدميتهم بعد أن افترشوا الأرض وتلحفوا بالسماء وشربوا من مياه المستنقعات وفرصة عمل لعاطلين بالمئات والملايين تدر عليهم رزقا كريما حلالا، سالمين سالمين منادين سلمية سلمية ملء أفواههم، حين كانت بطونهم خواء وقواهم لا تقوى على المناضلة والجهاد صارخين مستصرخين ارحمونا يرحمكم الله [illegible] [illegible] ما تردى حال بلدهم ووطنهم مصر العزيزة عليهم اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وتعليميا وأمنيا وانحدرت بها الحال إلى أدنى الدرجات بين الأمم وهي التي كانت شامخة عالية يشار إليها بالبنان مطمع الغزاة والمستعمرين لموقعها وخيراتها، فأصبحت [illegible] في [illegible] الدول المتخلفة في العالم الثالث.

[illegible] مصر [illegible] في كتابه العزيز بالأمن والسلام لقد تآلفت قلوب أبناء مصر الشرفاء وشعبها العظيم، ألف الله بين قلوبهم وصاغها في قلب واحد بقدرته سبحانه وألهمهم القوة والرباط والعزيمة وظللهم بظلال الحق فزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا..

الحكم على مبارك

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ عماد الدين أديب المنشور بجريدة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ٣/٦/٢٠١٢م يقول فيه:

الحكم الذي صدر من محكمة جنايات القاهرة برئاسة المستشار أحمد رفعت ضد الرئيس السابق محمد حسني مبارك ونجليه ووزير الداخلية الأسبق اللواء حبيب العادلي و٦ من مساعديه أثارت قدرا هائلا من الجدل وردود الفعل داخل المجتمع المصري، وهناك بعض النقاط يمكن التركيز عليها:

١- إن مبدأ المحاكمة لأكبر رأس في النظام السياسي هو مبدأ غير مسبوق يجعل كل شخص قابل للمساءلة وكل ملفاته قابلة للمحاسبة.

٢- إن الرئيس السابق ومن معه تمت محاكمتهم أمام قاضيهم الطبيعي وليس أمام محكمة سياسية أو استثنائية وهو أمر لاقى استحسانا أمام الدوائر العالمية وعلى رأسها جماعات حقوق الإنسان الدولية.

٣- إن الحكم استند إلى الأدلة المادية وشهادات شهود النفي والإثبات ومرافعات النيابة العامة والدفاع وليس إلى موقف سياسي خاص بالمحكمة، وليس مستندا إلى ترضية سياسية لأي فريق من فرقاء المجتمع المصري.

الحكم في نهاية الأمر لم يسعد أحدا، والقاضي المحترم المستشار أحمد رفعت ليس مطلوبا منه أن يرضي أحدا سوى الله وضميره كقاض..

لا.. للحسينيات

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ عبد العزيز السيد المنشور بجريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ٢٥/٥/٢٠١٢م يقول:

خرجت علينا هذه الأيام جماعة تطلق على نفسها الشيعة وتريد لنفسها مساجد خاصة يطلق عليها حسينيات، هذه الجماعة مدعومة من الخارج ومن جهات بعينها من أجل شق وحدة الصف الإسلامي. كما ترغب أن تهدد وحدة المسلمين خصوصا بلد الأزهر الشريف الذي ظل شامخا أكثر من ألف عام محافظا على الإسلام ووحدة المسلمين في مصر وكل ربوع العالم الإسلامي شرقا وغربا.

إن الذين يزعمون التشيع هذه الأيام أصحاب فكر ضعيف ونفوس مريضة لا يعرفون شيئا عن عقيدتهم، وتدعمهم دول بعينها من أجل أن يجعلوا من مصر عراقا مقطعا ومتشرذما.. إنهم بحق يريدون إشعال فتيل الأزمة والصراعات في بلد الأمن والأمان.

أهل مصر الكنانة يحبون آل بيت رسول الله ﷺ. لكن الشيعة الجدد الذين ظهروا هذه الأيام فجأة ما جاءوا إلا للطعن والسب في [illegible] وإحداث نوع من الشقاق و[illegible] البغيضة بين المسلمين من أجل إشعال نار الفتنة وإخماد دور الأزهر الشريف الذي سيظل قبلة العلم والعلماء إلى يوم الدين.

لا ننسى دور الأزهر الرائد في الحفاظ على عقيدة أهل السنة من تحريف الغالين لها على مر السنين ولقد لمست ذلك بنفسي وأنا واحد من أبناء الأزهر الذين تعلموا فيه الدين الصحيح، ولقد حذر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر من حسينيات الشيعة التي تهدد الوحدة وتشق الصف فهذه وقفة شجاعة وجريئة ومحسوبة للأزهر ولشيخه ولمجمع البحوث الإسلامية وكل القوى الإسلامية الأصيلة.

[illegible]

تحت عنوان «خط أحمر» جاء مقال الأستاذة/ مها المحاسن المنشور بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ [illegible] ٢٠١٢م

إلى متى يظل نزيف الدماء مستمرا في سوريا. وكل ما يفعله المجتمع الدولي والعربي هو إدانة الممارسات السورية؟ فبعد قرابة أربعة عشر شهرا على قيام الثورة السورية وانضمامها إلى مسيرة دول الربيع العربي.. ومقتل أكثر من ١٣ ألفا أغلبهم من المدنيين. لا يزال النظام السوري مستمرا في ارتكاب المذابح بحق المواطنين.

حيث استفاق العالم على مجزرة جديدة يشتبه في أنها إعدام جماعي لمنشقين عن الجيش السوري بدير الزور. وذلك بعد أيام من مجزرة الحولة التي استخدمت في قصفها القوات الحكومية السورية الدبابات [illegible] ٤٩ [illegible] ٣٤ [illegible] في جريمة [illegible] يمكن أن توصف بأنها جريمة ضد الإنسانية.

[illegible]

[illegible]

تحت هذا العنوان [illegible] العربي [illegible] في ٢ ٦ ٢٠١٢م تتضمن ما يلي

معظم التصريحات التي صدرت عن مسئولين عربيين كانت تحذر من حرب أهلية طائفية في سوريا، ولكنها لم تقدم أي مخارج حقيقية من الأزمة تضع حدا لأعمال القتل الإجرامية التي تستهدف الشعب السوري.

بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة قال: إن المجازر التي وقعت في الحولة قرب حمص، وراح ضحيتها أكثر من مائة شخص، نصفهم من الأطفال قد تدفع بسوريا إلى حرب أهلية كارثية لن تنهض منها أبدا، وكرر مطالبته الحكومة السورية بتطبيق التزاماتها بموجب خطة كوفي عنان.

فلاديمير بوتين رئيس روسيا الاتحادية كرر الشيء نفسه تقريبا في المؤتمر الصحفي الذي عقده في برلين مع المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل، وقال: إن بلاده لا تؤيد أي جانب في الأزمة السورية، قد يكون مثار [illegible]

[illegible] إلى ضعف احتمالات التدخل الدولي.

الرئيس الأمريكي باراك أوباما. لا يريد تدخلا عسكريا في سوريا في ذروة الحملات الانتخابية [illegible] مسلحا تسليحا جيدا. خاصة بصواريخ مضادة للطائرات روسية الصنع من طراز إس ٣٠٠، قادرة على إسقاط طائرات معيرة على عكس الحال في ليبيا التي كانت صيدا سهلا لغارات طائرات حلف الناتو.

بوتين الرئيس الروسي الداعم الرئيسي للنظام السوري اتفق مع نظيرته المستشارة ميركل على أن الحل السياسي هو الطريق الأمثل للخروج من الأزمة السورية، وأشار إلى مهمة كوفي عنان المبعوث الدولي والعربي كطريق وحيد للوصول إليه [illegible] طريق مسدود.

للتأكيد أن مجازر كثيرة ستحدث قبل أن يتم الوصول إلى حل سياسي يبدو سرابا في الوقت الراهن.

«الأطفال» هزموا «بشار»!

تحت هذا العنوان جاء مقال أ/ صيغة الشمري المنشور بجريدة «عكاظ» الصادرة بتاريخ ٣ ٦ ٢٠١٢م يقول

الذي حدث من قتل للأطفال في «الحولة» السورية أصاب كل شعوب العالم بالصدمة والخوف عدا النظام الحاكم في سوريا، فهو يرى بأنها تكتيك حربي وخطة من خطط الحرب التي قد تبقيه لأطول وقت ممكن على كرسي الحكم. كل الحروب التي حدثت على مر التاريخ لم تضع قتل الأطفال ضمن خططها أو حتى تفكر بذلك. فالحكومة التي لا تستطيع [illegible] حكومة ضعيفة [illegible] البقاء يوما واحدا في قيادة دفة بلد مثل سوريا، عرفنا الحكومة السورية منذ عشرات السنين، والتي أحالت البلد إلى بلد استخباراتي يعيش فيه [illegible] حرب، إذ لم يجد عقابه على أرض الميدان سيجد نفسه في قفص الاتهام الأممي ومطاردا من قبل جميع دول العالم كمجرم حرب. [illegible] قاصمة الظهر لنظام ديكتاتوري لا يقرأ تاريخ الدول الديكتاتورية جيدا ولا يريد أن يعتبر.

[illegible]

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذة [illegible] المنشور بجريدة الرياض الصادرة بتاريخ ٢٨ ٥ ٢٠١٢م

[illegible] نظامه، انتفاضة طلاب حرية ضد النظام العسكري الدموي الذي كان يقبض على خناق سوريا لعقود، سوريا موئل أقدم حضارة بالتاريخ. تجلد بالحديد والنار وتسجل على مسمع الطاغية. هذا الشعب العريق لم يتق [illegible]

وهم الآن يجهدون فوهة هذه الدبابة نفسها إلى صدور ونحور نساء وأطفال الشعب السوري.

- ثم تعرض الكاتبة عدة أسئلة:

- هل ما يحدث الآن في سوريا حالة تواطؤ عالمي على مشهد ومسمع من قوات حفظ الأمن الدولية؟
- هل هو [illegible] النظام الحالي في سوريا؟
- هل هي نفس المقايضة القديمة بين صمت العالم عام ١٩٨٢م على مجزرة صبرا وشاتيلا مقابل الصمت على مجزرة حماة؟

طرائف.. ومواقف

فما تزود مما كان يجمعه!!

وبينما المرء أمسى ناعما جذلا
في أهله معجبا بالعيش ذا أنق
فما تزود مما كان يجمعه
إلا حنوط وما واراه من خرق

نصيحة

كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى ابنه عبدالله: أما بعد: فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه؛ فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك؛ فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له.

الاجتهاد عند أئمته

● قال أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ: حرام على من لا يعرف دليلي أن يفتي بكلامي.

وكان إذا أفتى يقول: هذا رأي أبي حنيفة، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب.

● وكان مالك ـ رضي الله عنه ـ إذا استنبط حكما قال لأصحابه: انظروا فيه فإنه دين. وما من أحد إلا مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يعني النبي ﷺ.

● وقال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ للربيع: يا أبا إسحاق لا تقلدني في كل ما أقول، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين.

● وقال أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ: انظروا في أمر دينكم، فإن التقليد لغير المعصوم مذموم، وفيه عمى للبصيرة.

الخصومة في الدين

قال الإمام الباقر ـ عليه رضوان الله ـ معلما من رفع المسلمين: إياكم والخصومة في الدين فإنها تحدث الشك، وتورث النفاق، والخصومة تؤدي إلى الاحتراق والإعراض وضيق الفكر.

أفضل الناس

الناس بالناس ما دام الحياء بهم
والسعد لا شك تارات وهبات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تقضى على يده للناس حاجات
لا تمنعن يد المعروف عن أحد
ما دمت مقتدرا والعيش جنات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم.. وهم في الناس أموات

إجابة مقنعة

سئل سلمان الفارسي: ما لذي يبغض الإمارة إلى نفسك؟

فأجاب: حلاوة رضاعها، ومرارة فطامها.

الصبي أخوف منا

كان شيخ يمشي على شط نهر، فرأى صبيا يتوضأ وهو يبكي.

فقال الشيخ: يا صبي ما يبكيك؟

فقال الصبي: قرأت القرآن حتى جاءت هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

(التحريم: ٦)

فخفت أن يلقيني الله في النار.

قال الشيخ: يا صبي أنت معصوم، فلا تخف، أنت لا تستحق النار.

فقال الصبي: يا شيخ أنت عاقل، ألا ترى الناس إذا أوقدوا نارا لحاجتهم، وضعوا أولا صغار الحطب، ثم وضعوا الكبير؟!

فبكى الشيخ بكاء شديدا، وقال: إن الصبي أخوف منا من النار، فكيف يكون حالنا؟!!

ثلاثة ليس لها حيلة لإصلاحها

● فقر يمازجه كسل.

● وعداوة يداخلها حسد.

● ومرض يقارنه هرم.

دعوة إلى القضاء

قال ابن سيرين: كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له، وبين يديه كانون له فيه نار، فجاءه رجل وجلس معه على فراشه فساره بشيء لا ندري ما هو.

فقال له أبو عبيدة: ضع لي إصبعك في هذه النار.

فقال له الرجل: سبحان الله!! تأمرني أن أضع لك إصبعي في هذه النار؟!

فقال له أبو عبيدة: أتبخل علي بإصبع من أصابعك في نار الدنيا، وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم؟!.

قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

تأن.. ولا تعجل

تأن ولا تعجل بلومك صاحبا
لعل له عذرا وأنت تلوم

أتدري من أنا؟!

● خرج الحجاج مرة، فلقي أعرابيا فقال له: كيف سيرة الحجاج فيكم؟

●● فشتمه أقبح شتم.

● فقال: أتدري من أنا؟

●● قال: ومن عسيت أن تكون؟

● قال: أنا الحجاج.

●● قال: وتدري من أنا؟

● قال: ومن أنت؟

●● قال: أنا مولى بني عامر أجن في الشهر مرتين، هذه إحداهما. فضحك وتركه.

هل تخاف الله

قال بعض العلماء: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت لأنك إن قلت لا، فقد كفرت، وإن قلت نعم فقد كذبت.

دعاء

اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا، وفي أعين الناس كبيرا.

من تراث الهلال

دور الأزهر فى السياسة المصرية

الشيخ الشرقاوى لنابليون بونابرت:
اعتنق الاسلام لانك لو فعلت لبادر الى الانضواء تحت لوائك مائة الف عربى

[illegible]

للازهر فى التاريخ المصرى الوسيط والحديث مكانة ربما لم تحظ بها مؤسسة أخرى فى مصر اذا استثنينا «المؤسسة العسكرية». فقد كان للازهر دور بارز فى قيادة الحركة الوطنية فى مصر ضد قوى الاستقلال والاستعمار.

وكان للازهر كذلك دوره البارز بالنسبة للثقافة المصرية: فقد مثل «ثريا» فى صدر الثقافة الاسلامية، رضعت منه الثقافة المصرية، فاكتسبت بذلك الكثير مما كان له أثره فى إثرائها وأصالتها.

والازهر الشريف على مدى اكثر من ألف عام، يظل هو المرجعية الاسلامية لكل المسلمين، وحامل لواء الوسطية وحامى الامة بفضل جهود علمائه التى لا تتوقف.

وخير ما نقول هذا المتهد السياسى الذى تموج به مصر الآن وما يقدمه الازهر من مبادرات تتمثل فى وثيقة الازهر التى تلقى قبول واحترام كل أبناء الوطن.

ولأن مجلة الهلال وشقيقاتها، كتاب الهلال، وروايات الهلال ظلت تحتفى بجهود [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

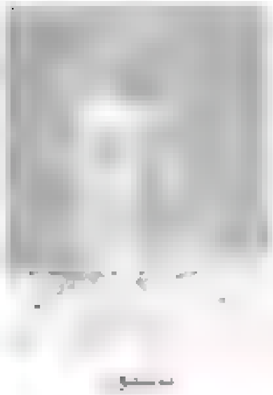
التربوى الدكتور سعيد إسماعيل على، أستاذ التربية المعروف، يتناول على مدار أحد عشر فصلا [illegible] [illegible] [illegible] موقف الأزهر من [illegible] [illegible] زعامة الأزهر، [illegible] مقاومة الأزهر للاحتلال الفرنسى، ودور الأزهر فى حركة اليقظة القومية»، «من الإصلاح التربوى إلى الثورة السياسية».

ولا شك أن استعراض أحد عشر فصلا فى صفحات محدودة [illegible] لكننى توقفت عند الفصل الخامس بعنوان «مقاومة الأزهر للاحتلال الفرنسى»، وكيف استقبل الأزهريون هذا الغزو، ودور علماء الأزهر فى [illegible] بالنسبة لجماهير الناس فى تلك الفترة.

[illegible]

وتحت عنوان «الأزهر يقود الثورة» يشير الدكتور سعيد إسماعيل على بأن الأزهر كان [illegible] ومركز قيادتها، وما أن سقطت «الدولة» المصرية فى معركة إمبابة، حتى أصبح العارى [illegible] الأمة على مستويات عدة: من المقاومة السلبية التى قادها معظم الشيوخ الكبار داخل مجالس نابليون وداخل التشكيلات الإدارية التى أقامها لحكم البلاد، إلى المقاومة الوطنية [illegible] حركات سرية، وأعمال المقاومة الشعبية التى وصلت ذروتها بتنفيذ أهم ثورتين عرفهما [illegible] التى نظمها وقادها بنجاح طلبة الأزهر.

[illegible] يمثل ذاتها، وتراثها، وإمكانية مستقبلها، وأدرك المحتلون ذلك كله، لذا نراهم فى نفس الوقت الذى يجرون فيه المعارضات [illegible] معه، ويعقدون الاتفاقيات مع فلول المماليك، ويصبح كبيرهم «مراد» بك بمثابة موظف أو قائد قوة بوليسية تابعة للمحتل الفرنسى، فى نفس الوقت كان الصدام [illegible] جيش الاحتلال أو [illegible] وبين الأزهر.



الاحتفاظ بصلابة الاسلام

ويقول الدكتور سعيد إسماعيل على: «ومن مظاهر المقاومة السياسية ما يرويه الجبرتى فى [illegible] ١٧٩٨م، حيث [illegible] وعلماء الأزهر، فقد جاء نابليون بإشارات تمثل علم الثورة الفرنسية ذا الألوان الثلاثة الأبيض والأحمر والأزرق، ووضع منها وحدة واحدة على كتف الشيخ الشرقاوى: فما كان من الشرقاوى إلا أن رمى بها إلى الأرض، مما أثار نابليون، فقال المترجم للمشايخ «أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم برايته وعلاماته، فإن تميزتم بذلك، عظمتكم العساكر والناس، وصار لكم منزلة فى قلوبهم».

فقال المشايخ له: لكن قدرنا يضيع عند الله [illegible] من ذلك، ونقل عنه بعض المترجمين أنه قال [illegible]

ولقد حاول نابليون أن ينتزع الاعتراف بشرعية احتلاله، وبتشكيل الديوان، ثم باستصدار فتوى من المشايخ «أريد من الأزهر أن يصدر فتوى تأمر الناس بأن يحلفوا يمين [illegible]

ورغم أن المشايخ كانوا يعلمون أنهم جميعا - كما قال الجبرتي - في قبضة مأسور، إلا أنهم كانوا يحتفظون ببقية من صلابة الإسلام: «فاصفرت وجوههم لهذا الطلب فأبدت برعب دفين، ثم غلبهم الوجوم والارتباك، وطلب الشرقاوي الكلمة.

وقال بعد أن استجمع شجاعته: لا، إنك تطلب رعاية الرسول الذي يحبك، وتريد العرب المسلمين أن ينضووا تحت رايتك، وترغب في استرداد أمجاد العرب، وأنت لست مشركا ولا وثنيا. فاعتنق الإسلام إذن، لأنك لو فعلت، لتدفق إلى الانضواء تحت لوائك مائة ألف عربي من بلاد العرب، ومن مكة والمدينة ولاستطعت وأنت قائدهم ومنظمهم أن تفتح بهم الشرق، وتسترد وطن الرسول بكل أمجاده.

فلما قال الشيخ الشرقاوي هذا، علت الابتسامات وجوه الشيوخ، وركع الجميع ضارعين إلى الله أن يسبغ عليهم حمايته، وكانت الدهشة هذه المرة من نصيب الجنرال.

ولعل في الموقف الذي وقفه عمر مكرم من الغزو الفرنسي بداية المقاومة الفعلية العنيفة. فإنه لما رأى أن رجال الدولة لم يحققوا الأمل فيهم، ولم يحسنوا القيام بالفرض الواجب عليهم، نادى الشعب أن يهب حمية عنه ما استطاع، وأخذ يدعوه، ويحرضه ويحمسه لعله يستعين بنفسه في الدفاع. وكان الجواب، جواب الشعب باهرا نبيلا، إذ لبى جميعه نداء الواجب فخرج كل من في القاهرة وضواحيها من الرجال والشبان، حتى لم يبق أحد إلا الضعفاء والنساء، وجاء كل منهم بما عنده من مال قليل، دراهم اقتطعها الفقراء من أقواتهم وأقوات عيالهم، وجاءوا بها ليشتروا سلاحا وحياما وذخيرة.

ولكن هل كانت النية وحدها وصدق الرغبة لتغني عن العدة والسلاح؟ فإن شعب مصر وإن صدقت عزيمته في الجهاد قد خانته المقدرة، وعصته الحيلة، وعزت عليه الوسيلة.

الأزهر وثورة سنة ١٧٩٨م

يقول الدكتور سعد: كانت الأسباب التي تبرر قيام الثورة قد بدأت تتجمع منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي، حتى إذا جاء يوم الأحد ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨م أي بعد احتلال مصر بثلاثة أشهر فقط.

انفجر البركان. وانطلق رجال الأزهر شيوخه وطلابه في شوارع منطقة الأزهر، يتنادون إلى الثورة، ويلهبون مشاعر الأهالي بخطبهم الحماسية ويدعونهم إلى الجهاد الديني ضد الفرنسيين. ويطلبون منهم التجمع في الجامع الأزهر، وأظهر الثوار ما كانوا يخفونه من الأسلحة، وذهب وفد إلى قاضي القضاة يطلبون منه الذهاب معهم إلى نابليون لعرض مطالبهم وشكواهم، ولكن الرجل أبصر الجماهير المحتشدة في الخارج، فخشى أن ينساق وراءهم، وفضل البقاء في بيته. فأخذ الثوار يقذفون بيته بالحجارة. وحاول الهرب فلم يفلح ولما علم الجنرال ديبوى الحاكم العسكري لمنطقة القاهرة بالتحرك الثوري، انتقل إلى بعض الشوارع الثائرة. إلا أن الثوار حاصروه، وكان معه وكيل محافظة القاهرة برتلمي اليوناني، أو فرط الرمان - المعروف بالقسوة والتهور، فأطلق عيارا ناريا على أحد الثوار فأرداه قتيلا، فلذلك هيج الجماهير وهجموا على ديبوى فجرح جرحا خطيرا أدى به إلى الموت.



وتجمع الوثائق - وثائق الحملة الفرنسية - على أن الأزهر كان له الدور الأكبر في هذه الثورة. كما تؤكد وجود تخطيط دبر وخطط له. فلقد نقل رجال المخابرات العسكرية الفرنسية إلى الجنرال بون أن الجامع الأزهر هو موئل زعماء الثورة، وأنه يضم خمسة عشر ألف ثائر يرابطون في داخله وفي ساحته الخارجية وفي الأزقة الملاصقة له والجهات المجاورة. فأرسل إلى بونابرت التقرير التالي

«إن مركز الثورة لا يزال في حي العرب، حيث يوجد أكبر جامع - الأزهر - وقد أقام الثوار متاريس صغيرة في جميع الشوارع المؤدية إليه، وهذه الشوارع ليست مضاءة على الإطلاق، وقد تعرضت دورياتنا لطلقات الرصاص برهة. والمعتقد أن هذه الحشود التي تتخذ من هذا الحي مكانا للتجمع، لن تتفرق غدا في الصباح، وأرى في هذه الحالة أن تأمروا باتخاذ إجراءات عنيفة جدا».

ويحدثنا «ريو» عن لجنة تدبير الثورة فيقول:

«لقد اجتمع إلى جانب تذمر الأهالي واستيائهم، نشر الدعاية إلى الثورة. فكان في الجامع الكبير المعروف بالأزهر لجنة لتدبير الثورة تعمل على الكراهية في نفوس الفرنسيين ويقول نابليون في مذكراته إن الشعب قد انتخب «ديوانا» للثورة ونظم المتطوعين للقتال، واستخرج الأسلحة المخبوءة. وأن الشيخ السادات انتخب رئيسا لهذا الديوان، وذكر في تقرير إلى حكومة الديركتوار عن ثورة القاهرة أن لجنة الثورة كانت تنعقد بالأزهر.

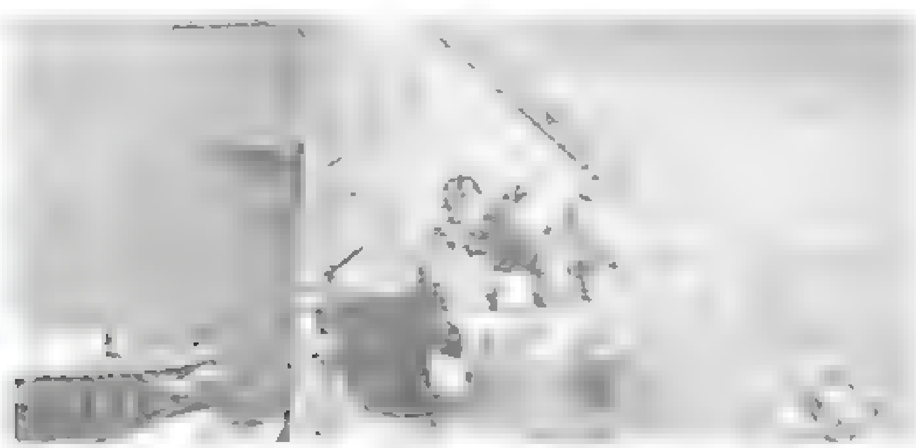
ومن الطبيعي أن تكون قيادة الثورة، أو اللجنة التنفيذية للديوان من المشايخ: القيادة الشرعية اللامعة.. لكن عضوية الديوان لم تكن قاصرة على الشيوخ، بل على جميع ذات الشعب.



مصر صانعة الحضارة والنصر

للشاعر أسامة كامل الخريبي

أطارد الشعر من واد إلى واد … وأقبس [illegible] من حسناء ومن شاد
[illegible] … قوسًا من الشعر أو سهمًا من الضاد
حتى أزين أوطاني برائعة … تثير لوعة نقادي وحسادي
مصر الحضارة تاج فوق مفرقها … وذلك التاج من آثار أجدادي
[illegible] … تخطو على النيل في زهو وإسعاد
[illegible] في الأجواء لامعة … وتسبق السحب في رفع وإصعاد
كان الأصيل يحييها إذا خطرت … [illegible]
حتى [illegible] … عرش لبلقيس في الأحلام أو ناد
[illegible] … عم البلاد بأفراح وأعياد
[illegible] … [illegible] غناه في أهرامنا باد
هنا تعبد «خوفو» في معابده … وقاد «موسى» جيوشًا تعبر الوادي
صوت من الله من آثاره خشعت … [illegible]
وأثمر التين والزيتون وانطلقت … ربوع أرض سقاها الغيث بالزاد
جنت «لعمرو» عدالة الفتح وانتسمت … منها الفتوح لآفاق وآماد
[illegible] … نهر الحياة على خوف وإجهاد
يا أيها الشرق إنا أمة وضعت … [illegible]
نحن الذين جعلنا النصر أغنية … بكل ثغر طروب اللحن ميّاد
نحن الذين جعلنا الموت عاصفة … لكل باغ عتا في الأرض أو عاد
[illegible] … جنود مصر بصلبان وأطواد
وكيف صدت جيوش البغي فاندحرت … بعد الفداء بفرسان وأجناد
وسل «كتبغاء» و«هولاكو» ومن بعثوا … جيش التتار إلى أبواب بغداد
وكيف دكوا أصول الملك وانطلقوا … مثل الوحوش على غزل وزهاد
[illegible] … وأنقذ الشرق من محق وإفساد؟
حتى أتانا يهود الأرض قاطبة … [illegible] محو ثرياتي وأمجادي
قد دنسوا القدس حتى قال قائلهم: … (هنا سيحكم أبنائي وأحفادي
من الفرات وحتى النيل دولتنا … ومن عليها عبيد عند أسيادي)
من ذا الذين أحاطوا الليل أمسهم … [illegible]
من غير مصر بيوم النصر إذ عبرت … شط القنال على شوق وميعاد
يوم هو البعث.. من إشراقه انبعثت … كهزة الروح في أوصال أجساد
عشر كرام بشهر الصوم توجها … [illegible]
[illegible] … للراجفين على بغي وإلحاد
الله أكبر كانت وقع صاعقة … [illegible]
نحن الذين سحقنا كل ما نسجوا … من الأساطير عن جيش وقواد
نحن الذين جعلنا من سواعدنا … جسرًا إلى المجد باسم الواحد الهادي
هي [illegible] … وسوف يلهمها للموكب العادي
تهدي الإباء إلى الأجيال ما بقيت … [illegible]
كل [illegible] … بين المواكب في عرس وأعياد
«بلادي» ربي ستبقى مصر مقبرة … لكل [illegible]



فتاوى لها تاريخ

زواج المتعة

[illegible]

ما هو زواج المتعة؟ وهل هو مباح الآن، كما يشيع بعض الكاتبين؟

زواج المتعة - ومنه الزواج إلى أجل - هو أن يتفق رجل مع امرأة خالية من الأزواج على أن تقيم معه مدة ما، معينة أو غير معينة، في مقابل مال معلوم.

وهذا زواج لا يقصد به سوى قضاء الحاجة، وينتهي دون طلاق بمضي مدته، أو بالمتاركة إن لم تضرب له مدة ولا ريب في أن هذا الزواج ليس هو الزواج الذي شرعه الإسلام ونزل به القرآن.

أساس الزواج في القرآن:

فالقرآن يرشد إلى أن أساس الزواج السكن والمودة والرحمة المتبادلة بين الزوجين، وإلى أن ثمراته تكوين الأسر وتحصيل الأبناء والأحفاد، والتعاون على تربيتهم وما أبعد زواج المتعة عن هذا الأساس وهذه الثمرات

والقرآن قد ربط بعنوان الزوجية أحكاما كثيرة كالتوارث، وثبوت النسب، والنفقة، والطلاق، والعدة، والإيلاء، والظهار، واللعان، وحرمة التزوج بالخامسة وغير ذلك مما يعرفه الناس جميعًا، وليس شيء من هذه الأحكام بثابت فيما يعرف بزواج المتعة

والقرآن قد عرض للزواج بلفظه تارة وبلفظ النكاح أخرى في آيات كثيرة ولا يفهم منها ناطق بالضاد سوى الزواج الذي جعل أساسه الدوام، وتكوين الأسر، وربطت به تلك الأحكام التي أشرنا إليها، واقرأ في ذلك مثل قوله تعالى:

● ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

● ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

● ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

(البقرة: ٢٣٠)

● ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

(النور: ٣٢)

● [illegible]

([illegible] ٢١)

اقرأ هذه الآيات وأمثالها لتعلم أنها - على رغم ما يحاول المفتونون بمشروعية زواج المتعة من تحريفها عن مواضعها - بعيدة كل البعد عن زواجهم الذي يعلنون أنه مشروع لغاية في نفوسهم، أو تعصب لآراء لا تعرف لها حجة.

أبيحت المتعة لحكمة ثم حرمت:

نعم ثبت أن النبي ﷺ أباحه للمحاربين في بعض الغزوات. وثبت أيضًا بما لا شك فيه أنه نهى عنه نهيا عاما وحرمه تحريما مؤبدا. وقد جمع مسلم في صحيحه، والحافظ ابن حجر في شرح البخاري أحاديث النهي، فليرجع إليها من شاء.

وما كان نهي عمر عنها - وتوعده فاعلها أمام جمع من الصحابة، وإقرارهم إياه - إلا عملا بهذه الأحاديث الصحيحة، واقتلاعا لفكرة مشروعيته من بعض الأذهان. وقد كان النبي ﷺ يتخذ قرب عهد الناس بالإسلام في أوقات الضرورة سبيلا للترخيص فيما يحقق عليهم تلك الضرورة، حتى إذا ما أنسوا الإسلام وأحكامه عاد فحرمه التحريم الذي يريده الله، وهو التحريم العام المؤبد



محمود شلتوت

وبهذا القدر من البيان يتضح أن الرأيين في زواج المتعة لا يمكن أن يوضعا في ميزان واحد فضلا عن تساوي كفتيهما. وأن الترخيص في زواج المتعة لم يخرج عن أن يكون ترخيصا بأخف المحرمين في وقت الضرورة، وحداثة عهد الناس بالإسلام، ومثل هذا الترخيص لا يصلح دليلا على المشروعية.

وإن الشريعة التي تبيح للمرأة أن تتزوج في السنة الواحدة أحد عشر رجلا، وتبيح للرجل أن يتزوج كل يوم ما تمكن من النساء، دون تحميله شيئا من تبعات الزواج، إن شريعة تبيح هذا لا يمكن أن تكون هي شريعة الله رب العالمين، ولا شريعة الإحصان والإعفاف.

***

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــي جمعـــة

مفتي جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

ليلة النصف من شعبان

● قد تعودنا منذ القدم في ليلة النصف من شعبان، على تأدية ست ركعات بعد صلاة [illegible] في جماعة [illegible] وفي هذا العام خرج علينا من يقول [illegible] بدعة [illegible] فهل [illegible] صحيح [illegible] نفعله نحن هو الصحيح؟

●● [illegible] ورد [illegible] [illegible] في جملة من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ؛ ومنها قوله: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها؛ فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر» أخرجه ابن ماجة، وهذا [illegible] وردت أحاديث وروايات كثيرة تدل على أن لذلك [illegible] في [illegible] (٣/٤٤٢، ط. دار الفكر) ثم قال: (فهذه الأحاديث بمجموعها حجة على من زعم أنه لم يثبت في فضيلة ليلة النصف من شعبان شيء) اهـ.

ومشروعية إحياء ليلة النصف من شعبان ثابتة عن كثير من السلف، وهو قول جمهور الفقهاء، وعليه العمل في بلدان المسلمين.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في «الأم» (١/٢٦٤، ط. دار الفكر): (وبلغنا أنه كان يقال: إن الدعاء يستجاب في خمس ليال: في ليلة الجمعة، وليلة الأضحى، وليلة الفطر، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان) اهـ.

وقال الفاكهي (ت ٢٧٢هـ) في كتابه «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه» (٣/٨٤، ط. دار خضر): (ذكر عمل أهل مكة ليلة النصف من شعبان واجتهادهم فيها لفضلها: وأهل مكة [illegible] كانت ليلة النصف من شعبان خرج عامة الرجال والنساء إلى المسجد، فصلوا، وطافوا، وأحيوا ليلتهم حتى الصباح [illegible] في المسجد الحرام حتى يختموا القرآن كله [illegible]) اهـ.

وقال العلامة زين الدين بن نجيم الحنفي في «البحر الرائق» (٢/٥٦، ط. دار المعرفة): (ومن المندوبات إحياء ليالي العشر من رمضان وليلتي العيدين وليالي عشر ذي الحجة وليلة النصف من شعبان، كما وردت به الأحاديث. والمراد بإحياء الليل قيامه) اهـ.

وقال الشيخ [illegible] الحنبلي كما في [illegible] الكبرى (٥/٣٤٤، ط. دار الكتب العلمية): (وأما ليلة النصف من شعبان ففيها فضل، وكان في السلف من يصلي فيها) اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ٢٦٣، ط. دار ابن كثير):

واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين:

أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد، كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة: ليس ببدعة، نقله عنه حرب الكرماني في «مسائله».

والثاني: أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي. اهـ.

فتحصل من ذلك مشروعية إحياء هذه الليلة، وأن الصلاة فيها جماعة محل خلاف بين العلماء، والراجح الجواز؛ لأن الأمر بالإحياء أمر مطلق يشمل كل أنواع العبادة المشروعة. فإذا قام به المسلمون فرادى أو جماعات فهو حسن، ولكل منهم سلف فيما يفعله، وكلهم داخل لذلك في فضل إحياء هذه الليلة.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فما تقومون به من الصلاة هو باب من أبواب إحياء ليلة النصف من شعبان، ولكم الأجر الجزيل إن شاء الله تعالى، وليس في ذلك بدعة، إنما البدعة أن يتعامل العامة مع مسائل الخلاف من غير استحضار لأدب الخلاف عند السلف الصالح؛ فلا إنكار في مسائل الخلاف، ولا يعترض بمذهب على مذهب، والصواب في ذلك ترك الناس على سجاياهم؛ لأن أمر الذكر والإحياء مبني على السعة، وقد تنوع فعل السلف في ذلك، فليسعنا ما وسعهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مكتبة الأزهر

تسعى "الأزهر" عبر هذا الباب إلى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن أحدث الإصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة، ذلك للمساهمة فى تكوين عقلية واعية وعصرية.



يقارن د. محمد على أبوهندى فى كتابه «مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية: دراسة فى فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابرى» بين الرؤية الإسلامية والموقف العلمانى تجاه مشروع النهضة فى العالم العربى والإسلامى. يقدم الكتاب الصادر عن دار السلام بالقاهرة -وهو بالأساس رسالة دكتوراة- دراسة عميقة وتفصيلية لمشروعى النهضة فى العالم العربى وهما المشروع الإسلامى ممثلا فى كتابات د. محمد عمارة والمشروع العلمانى ممثلا فى كتابات المفكر المغربى الراحل د. محمد عابد الجابرى ويعلل مؤلف الكتاب سبب اختياره لعمارة والجابرى بعدة أسباب أهمها انتشار مشروع كل منهما فى الأوساط الثقافية والفكرية فى العالم الإسلامى فضلا عن العمق المستقبلى فى المشروعين. ويحقق الكتاب -من خلال ٥٥٦ صفحة- بتقديم نماذج متعددة من إبداعات المفكرين التى طرحت منهجيهما مثل التراث والحداثة والمرأة والعولمة وغيرها





يقدم د. محمد عبد الفتاح الخطيب فى كتابه «القيم الحضارية فى الإسلام: نحو حداثة إسلامية جديدة» والصادر عن دار البشائر جهدا جديدا للخروج من المأزق الحضارى الذى تمر به الأمة الإسلامية حيث يهدف إلى تأسيس خطاب حداثى إسلامى كبديل للمشروع الحداثى الغربى. ينطلق هذا المشروع الجديد من مقدمة مفادها أن الإسلام [illegible] فقط بل ضرورة لحداثة إنسانية جديدة. لكن يعود المؤلف ليؤكد أن هذا المشروع لا يهدف إلى إحلال المركزية الإسلامية محل المركزية الغربية؛ لأن حداثة الإسلام تقوم على قيم العدل والإحسان والتعارف والتراحم والمجاهدة وهى أمور تمنع قيام مركزية، ثم يوضح المؤلف أن أبعاد هذه الحداثة الإسلامية تعتمد على ثلاثة مفاهيم هى «الاستخلاف» و«التزكية» و«الاستقامة».

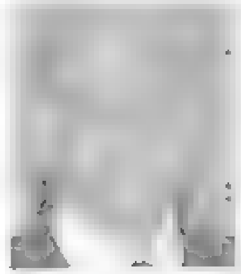




ست قراءات نقدية جادة يقدمها د. إبراهيم عوض فى كتابه «ست روايات مصرية مثيرة للجدل» الصادر عن مكتبة جزيرة الورد. الروايات الست هى «شيكاغو» [illegible] و«أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ و«عزازيل» ليوسف زيدان و«واحة الغروب» لبهاء طاهر و«البشمورى» لسلوى بكر و«العمامة والقبعة» لصنع الله إبراهيم.. الجامع بين هذه الدراسات بل والجديد فى الكتاب هو بعده عن النمطية النقدية التى سيطرت على ميدان النقد الأدبى وخصوصا فى التعامل مع هذه الروايات. فالمتابع للدراسات النقدية يرى أن هناك ما يشبه الإجماع على عظمة وعبقرية هذه الروايات باستثناء «أشواك» لسيد قطب لكن المؤلف يكسر هذا الاحتكار أو التواطؤ النقدى بقراءة رصينة تختلف الأعمال مقيما إياها بما يراه مستحقا دون التماشى مع ثقافة القطيع التى تهيمن على النقد الأدبى فى مصر



ابن سينا والطب السيناوى



[illegible]
كلية العلوم جامعة القاهرة

٢

محتويات القانون وأهميته

[illegible]
[illegible] كلاً منها كتابا - تتناول علوم التشريح ووظائف الأعضاء وطبائع الأمراض [illegible] وعلاجها [illegible] كتاب) إلى أبواب أسماها ابن سينا فنونا، [illegible] والفصول [illegible] أخذ البعض على المؤلف أنه لم يكن يهتم [illegible] الرأى إلى صاحبه، فاختلطت أقواله بأقوال غيره، وعاب "أولبرى" على هذا الكتاب كثرة التقسيمات والتفريعات، لكن [illegible] القانون لابن سينا على أنه نموذج رائد فى فن التأليف من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة، وإن المرء لينبهر [illegible] على القراءة وجد نفسه أمام فيلسوف عالم كبير، يفكر، فيتأمل الواقع، ويحلل ويعلل، على منهج العقل، من غير أن يبعد عن [illegible] معلقا غير مرتبط بمبدأ عام أو قانون كلى.

فالكتاب يبدأ بالتشريح، ويثنى بعلم [illegible] الأمراض، أو الباثولوجيا، وأخيراً ينتهى [illegible] فى مقدمة كتاب القانون.

وشرح الطابع الفلسفى لهذا المنهج ومحاولة تطبيق الاعتبارات الفلسفية على [illegible] القسم النظرى والقسم العملى، ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام القوى المفردة للأدوية، ثم جزئياتها، ثم بعد ذلك فى [illegible] بتشريح ذلك العضو ومنفعته، ثم إذا فرغت [illegible] على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق [illegible]

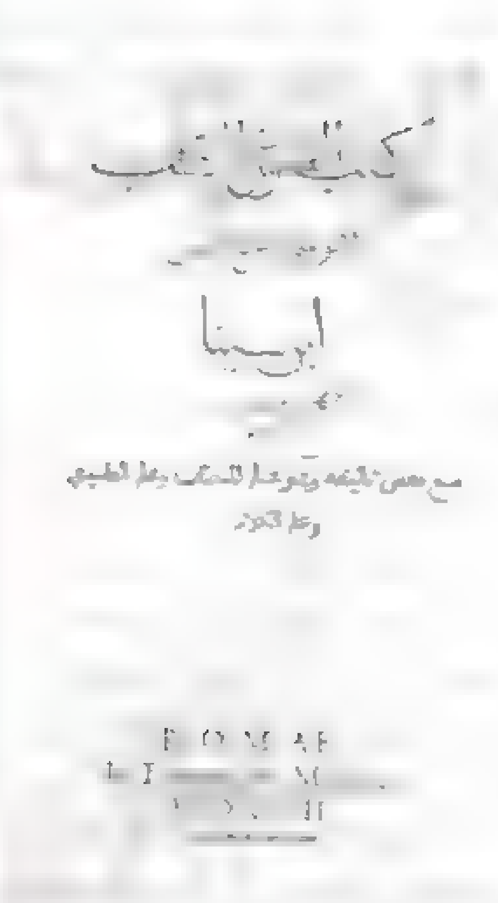
لكنى [illegible] أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولا فى [illegible] وأسبابه ودلائله، ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية".

والكتاب كله على هذا النسق يبدأ بدراسة الكليات ثم الجزئيات، وهو يتناول الأمراض مرضا مرضا، ويذكر أعراضها الكلية، ثم يتناول تدبير علاجها، ولعل هذا [illegible]

ويدل كلام المؤلف فى المقدمة على أنه قصد من كتابه - إلى جانب هدفه الأكاديمى - أن يكون لتعليم الطب وللعلاج فى وقت واحد [illegible] هذا الصدد أنه يقسم فنون الكتب إلى "تعاليم"، وأنه يرى فى محتويات الكتاب أنها تشتمل على أقل ما لابد منه للطبيب الذى يدعى معرفة صناعة الطب، ويريد [illegible] الزيادة عليه فأمر غير مضبوط".

[illegible] مواضع عدة من كتاب القانون على إحساسه وإلمامه الواعى بالفرق بين التصورات الفلسفية، وبين الممارسات العملية ودراسة الواقع الملموس، ويريد من الطبيب، من [illegible] بحثه المحدد، فهو مثلا فى مناقشته لقضية "الأخلاط" وما قيل فيها من آراء يقول: "هذا [illegible] مخاصمات المخالفين فى صوابها فإلى [illegible] العلامة".

على أن المؤلف لم يفته أن ينبه إلى أن هناك معلومات يأخذها الطبيب مسلمة من علوم أخرى، وموضوعات عليه أن يبحثها بنفسه، فالطبيب يأخذ من العلم الطبيعى موضوعات لا يحتاج إلى أن يبرهن عليها، باعتبار أنها محققة عند غيره، مثل: نظرية الأركان التى تحدد جملة العناصر الأربعة [illegible] والتراب والنار، ونظرية الأمزجة - أى الكيفيات التى تحصل من تركيب العناصر



وتعرف علاماتها في البدن بوجه عام. ونظرية الأخلاط - أي السوائل التي يتحول إليها الغذاء قبل هضمه وتمثيل البدن له. ونظرية القوى والأرواح (أي الجواهر اللطيفة التي تتولد في البدن) وعددها ومكانها، وأنواع الأسباب في أحوال الثبات والتغير في الصحة.

ويكفي الطبيب في هذه الأمور أن يتصور موضوع الصناعة فقط تصورًا علميًا (أي بفكره) ويصدق بهليته (أي بأنه موجود)، تصديقًا على أنه وضع له مقبول من صاحب العلم الطبيعي"، وعليه بعد ذلك أن يبحث بنفسه في الأعضاء ومنافعها. وهو يعرف بالحس والتشريح. وكذلك عليه أن يدرس الأمراض وأسبابها الجزئية وعلاماتها وكيفية حفظ الصحة وإزالة المرض، وأن يبرهن على صحة تصوره.

ويحدد ابن سينا منهجه في العلاج عمومًا بأنه يتم من أشياء ثلاثة "أحدها التدبير، والآخر استعمال الأدوية، والثالث استعمال اليد". والتدبير عبارة عن "التصرف في الأسباب الضرورية المعدودة التي هي جارية في العادة، والغذاء من جملتها. وأحكام التدبير من جهة كيفيتها مناسبة لأحكام الأدوية. لكن للغذاء من جملتها أحكام تخصه". وعن المعالجة بالدواء يقول ابن سينا أن لها ثلاثة قوانين: "أحدها قانون اختيار كيفيته، أي اختياره حارًا أو باردًا أو رطبًا أو يابسًا. والثاني قانون اختيار كميته، وهذا القانون ينقسم إلى قانون تقدير وزنه، وإلى قانون تقدير كيفيته، أي درجة حرارته وبرودته وغير ذلك، والثالث قانون ترتيب وقته".

ثم يفصل ابن سينا الحديث عن كل واحد من هذه الشروط والقواعد الأساسية للمعالجة، فيقول: "أما قانون اختيار كيفية الدواء على الإطلاق، فإنما يهتدى إليه بالوقوف على نوع المرض. فإنه إذا عرف كيفية المرض وجب أن يختار من الدواء ما يضاده في كيفيته، فإن المرض يعالج بالضد، والصحة تحفظ بالمشاكل، وأما تقدير كميته فيعرف على سبيل الحدس الصناعي - أي الحدس الناشئ عن الخبرة العملية وممارسة المهنة - من طبيعة العضو، ومن مقدار المرض، ومن الأشياء التي تدل بموافقتها وملاءمتها، التي هي الجنس والسن والعادة والفصل والبلد والصناعة والقوة والسحنة. أما وقت المرض فيجب معرفة في أي وقت هو من أوقاته: فإن كان الورم مثلاً في البداية استعمل الطبيب الدواء الرادع وحده، وإن كان في منتهاه استعمل الدواء المحلل وحده. أما فيما بين ذلك فيخلط الدواءين.. وإن كان المرض مزمنًا لم يلتفت في الابتداء لتلطيف الانتهاء".

وفي باب معالجة الآلام بوجه عام يرى ابن سينا أن تسكين الوجع يكون "بمضادة الأسباب" (أي مقاومتها وإزالتها) إما بشيء يؤثر في مزاج موضع الألم، أي يسخنه، أو بشيء يحلل، أي يذيب، المادة التي تسبب الألم، أو بشيء مخدر، والمواد المرخية من جملة ما يحلل المادة برفق، وكذلك المسهلات والمستفرغات وجميع ما ينضج الأورام أو يفجرها.

ويستطرد الفيلسوف الطبيب موضحًا عوامل أخرى تسكن الأوجاع. فيقول "ومن مسكنات الأوجاع المشي الرفيق الطويل الزمان، لما فيه من الإرخاء Relaxation، وكذلك الشحوم اللطيفة والأدهان التي ذكرت، والغناء الطيب، خصوصًا إذا نوم به. والتشاغل بما يفرح مسكن قوي للوجع".

ولم يفت الشيخ الرئيس أن يضمن كتاب القانون قواعد وإرشادات دقيقة تتعلق بتدبير المولود منذ ساعة ولادته، من النواحيتين البدنية والنفسية. وبرعاية الصبي والفتى، وبتدبير المشايخ، كما لم يفته كطبيب فسيولوجي أن يهتم بدراسة القوى النفسية المدركة والمحركة، الظاهرة والباطنة، وأن يحدد مراكزها في الدماغ.

واشتهر كتاب القانون في أوروبا شهرة عظيمة لدرجة أن السير "ويليم أوسلر" قال عنه إنه كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمن. فقد طبعت ترجمته كاملاً إلى اللاتينية ست عشرة مرة في الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي، ثم أعيد طبعه عشرين مرة في القرن السادس عشر الميلادي، أما الطبعات التي تقتصر على جزء أو أجزاء منه فهي كثيرة ويصعب حصرها لأنها تتجاوز التصور عددًا. وطبع القانون بالعبرية في نابلي عام ١٤٩٢م، كما طبع بالعربية مرتين: الأولى بروما عام ١٥٩٣م والثانية بالقاهرة عام ١٨٧٧م.

وكانت كليات الطب في الغرب حتى أوائل القرن العشرين تنشر في رسالاتها أجزاء من كتاب القانون هذا، بينما لم تنل مؤلفات اليونان الطبية إلا قدرًا ضئيلاً من حظوة يتمثل في الأقوال والحكم المأثورة عن أبقراط وجالينوس.

من مآثر ابن سينا الطبية في كتاب القانون:

- يعتبر ابن سينا أول من اخترع المخدر قبل الجراحة وسماه "المرقد"، وكذلك اخترع أول محقن لحقن الأدوية في الجسم وسماه "الزرقة". وابتكر أول جراحة للأعصاب المقطوعة. واكتشف مرض شلل عصب الوجه Facial Palsy وميز بينه وبين الشلل في الدماغ.

- اكتشف ابن سينا طفيلية الانكلستوما وقدم وصفها التفصيلي لأول مرة في الفصل الخاص بالديدان المعوية من كتاب "القانون في الطب" وسماها "الدودة المستديرة"، وتحدث عن أعراض المرض الذي تسببه.

وعن هذا الفتح الكبير في عالم الطب كتب الأستاذ الدكتور محمد خليل عبد الخالق مقالاً في مجلة "الرسالة" جاء فيه: "..قد كان لي الشرف في عام ١٩٢١م أن قمت بفحص ما جاء في كتاب القانون في الطب، وتبين لي أن الدودة المستديرة التي ذكرها ابن سينا هي ما نسميه الآن بالإنكلستوما. وقد أعاد دوبيني اكتشافها بإيطاليا عام ١٨٣٨م أي بعد اكتشاف ابن سينا لها بتسعة قرون تقريبًا، ولقد أخذ جميع المؤلفين في علم الطفيليات بهذا الرأي في المؤلفات الحديثة، كما أخذت به مؤسسة روكفلر الأمريكية التي تعنى بجمع كل ما يكتب عن هذا

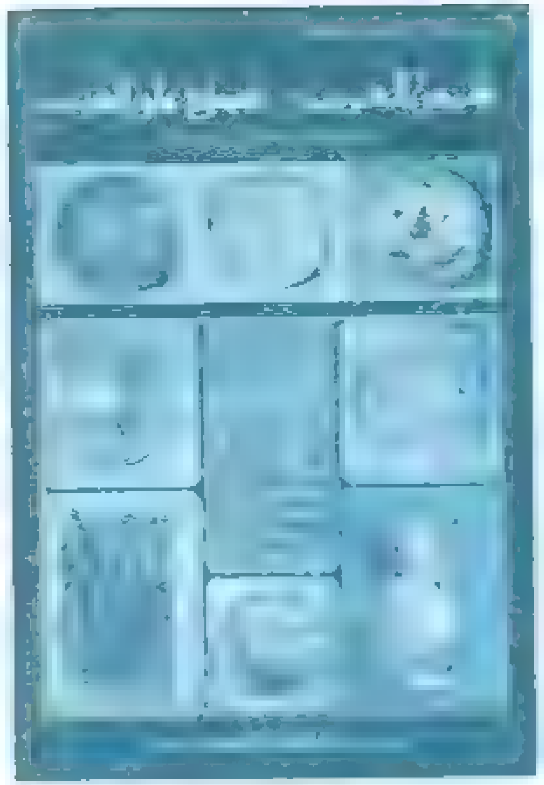
مرض.

- درس ابن سينا النبض وحالاته دراسة وافية، وبين أثر العوامل النفسية في اضطرابه، وتوسع في دراسة الأمراض العصبية والاضطرابات النفسية وعالجها عن فهم ودراية وقال: "علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجحها هي العلاجات التي تقوم على تقوية قوى المريض النفسية والروحية، وتشجيعه ليحسن مكافحة [illegible] [illegible] يحبهم.

- تكلم ابن سينا عن جراحات الأعصاب وعلاجها فقال: "إن كان العصب مكشوفا وكان طولا فاجتهد أن تعطيه وتضع عليه [illegible] عريضة شدا ضاما جامعا، وأما إن كان الجرح عرضا فلابد له من الخياطة". وبعض طرق إيقاف النزيف إما بربط أو بإدخال فتائل أو بالكي بالنار أو بدواء كاو، وإما بضغط من اللحم حول العرق.

- وصف ابن سينا في علل المقعدة علاج البواسير والناسور الشرجي، وتحدث عن حصاة الكلى، وتكلم عن استعمال [illegible]

[illegible] والمعدة والأمعاء، وقال عن أحد مصادر قيء الدم أنه كثيرا ما يكون عقيب القيء الكثير، [illegible] مالورى وفايس" Mallory-Weiss Syndrome، وفيها يبدأ القيء بلا دم، من أي سبب كان، ولكن ما يلبث المرئ أن يتقطع



عشاؤه الخاطي من أسفل من شدة القيء، [illegible]

وتحدث عن أمراض الكبد والطحال والاستسقاء موضحا ما نعرفه اليوم عن مرض "بانتي" Banti- disease من أن تضخم الطحال قد يسبق مرض الكبد ويكون سببا له.

- عن التخدير الموضعي للأسنان وصف ابن سينا خصائص المادة المخدرة التي توضع على السن الوجعة. كما تحدث عن التخدير بالبرودة قائلا: "ومن جملة ما يخدر من غير أذى، الماء المبرد بالثلج تبريدا بالغا، أخذا بعد أحد حتى يخدر السن فيسكن الوجع البتة. وإن كان ربما زاد في الابتداء، وأرجع [illegible] في [illegible] وقد يكون [illegible] في العصبة التي في أصلها، وقد يكون لسبب

يكون في [illegible]

- تناول ابن سينا في "القانون" دراسة بعض الحيوانات والمعادن التي تستخلص منها عقاقير نافعة، ودراسة النباتات التي تتخذ منها الأدوية، شارحا ماهيتها، مع وصف دقيق [illegible] طبعها وخواصها.

- نجح ابن سينا في تغليف الأدوية بالذهب والفضة المفيدين للقلب، مثلما نجح غيره من أطباء المسلمين، مثل أبي بكر [illegible] السكر أو عصير الفاكهة لكي يستسيغها [illegible]

"إن كل مستشفى، مع ما فيه من ترتيبات ومختبرات، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية [illegible] مدمنة أو مسكرة. إنما هي كذلك تذكار صغير ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي بلاد العرب" تقصد ابن سينا والرازي.

[illegible] علم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض، فأهمل مداواة نفسه، وأخذ يقول: المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير، والآن فلا تنفع المعالجة. وتذكر مصادر المؤرخين أن الشيخ الرئيس لما يئس من [illegible] معه على الفقراء، ورد المظالم إلى من عرفه من أربابها، وأعتق علمائه، وكان يحفظ القرآن ويختمه كل ثلاثة أيام، وظل على هذه الحال حتى مات في الجمعة الأولى من رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، ودفن في همدان: "تحت السور من جانب القبة"، ثم شيد حول قبره بناء كبير يليق بذكرى معلم رائد من معلمي الإنسانية وبناة مسيرتها الفكرية والعلمية.

أهم المراجع:

١- كتاب القانون في الطب لابن سينا.

٢- زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، الترجمة العربية، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨١م.

٣- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، إشراف د. محمد كامل حسين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (د.ت)

٤- د. محمد عبدالهادي أبوريدة، الطب السيناوي، فلسفته ومنهجه (من كتاب القانون)، مؤتمر الطب الإسلامي، الكويت، ١٢-١٦ يناير ١٩٨١م.

٥- عباس محمود العقاد، الشيخ الرئيس ابن سينا، سلسلة اقرأ، دار المعارف، [illegible]

٦- [illegible] العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة [illegible]

٧- د. جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٠م.

تأملات علمية فى آيات من القرآن الكريم

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(فاطر: ٩)

محور التأمل

جاء في كتاب الحق - سبحانه وتعالى - في آيتين منفصلتين في سورتي فاطر والروم أن الله يرسل الرياح فتثير سحابا. وهذه الكلمات لها مدلول علمي معجز يمكن أن نفطن إليه عندما نراجع قوانين الديناميكا الحرارية للهواء الرطب أو مخلوطات الهواء والماء. والتعرف على ظاهرة تشبع الهواء ببخار الماء عند مروره على سطح الماء. وهذه العملية هي الأساس في معظم عمليات تكييف الهواء. وكذلك في الطرق الحديثة لتحلية مياه البحر. وفي هذه التأملات نرى كيف تنبهنا هذه الكلمات المعجزة من أن حركة الرياح كما جاء في الآيات الكريمة بأدق الكلمات هي المثير الرئيسي. لأن يطلق البحر بخار الماء المكون للسحاب.

تغطي محيطات المياه المالحة حوالي ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية، أي حوالي ٣٦١ مليون كيلومتر مربع. وتصل أعماق معظم هذه المياه إلى عمق يزيد عن ٣٠٠٠ متر. وتصل ملوحة مياه المحيطات في المتوسط إلى ٣٥ جرما في الألف، بينما تتراوح ملوحة مياه البحار بين ٣١ - ٣٨ جرما في الألف، وتعمل هذه الأملاح على حفظ الماء دون أن يفسد في هذه الأعماق السحيقة للمحيطات، ففي هذه الأعماق يظل الماء ساكنا لفترات طويلة، ولولا هذه الدرجة من الملوحة العالية والتي تتدرج في زيادة التركيز من السطح إلى الأعماق لفسدت مياه البحار، وهكذا يحفظها خالقها ومدبر أمرها من التعطن والتعفن لو كانت بدون أملاح خلال الملايين التي انقضت من عمر الأرض، وإلى الملايين القادمة التي يشاء الخالق أن تحياها الأرض.

وقد قدر الخالق أن تكون هذه البحار المالحة مخزنا دائما للمياه العذبة المطلوبة للبشر وجميع الأحياء على وجه الأرض. حيث لا يمكن تخزين المياه عذبة لفترات طويلة، وإلا أصابها العفن وسكنتها أنواع كثيرة من الكتيريا والطحالب. ولكن وجود الملح في الماء يحفظها دهورا دون أن يصيبها أي تلوث.

عمليات تشبع الهواء ببخار الماء

طبقا للنظريات الحديثة للديناميكا الحرارية. فإنه عند مرور الهواء الجاف على أسطح المياه المالحة، شكل رقم (١). فإن هذا الهواء الجاف يثير هذه المياه كي تطلق كما من بخار الماء العذب، فيعلو سطحها كما من البخار حتى يصبح الهواء المار على أسطح المياه هواء مشبعا بالبخار أو تسمى الرطوبة، والرطوبة هي بخار الماء العذب، وعند تشبع الهواء يصل إلى درجة من الاتزان تسمى الاتزان الديناميكي، عندها لا يستطيع الهواء تحمل كم آخر من البخار. بحيث أنه في هذه الحالة يعادل ما يتبخر من البحر مع ما يتكثف من البخار الموجود في الهواء، وفي الشكل رقم (١) حتى يصل إلى نسبة من الرطوبة ١٠٠٪، عندها لا يمكن لسطح الماء أن يطلق كما آخر من بخار الماء ولا فرصة لتجدد هذه العملية من أن تتجدد إلا أن يأتي هواء جاف جديد كي يعيد إثارة المياه كي تطلق كما آخر من بخار الماء.

تكوين السحاب

وخلال الدورة التي يطلق عليها العلماء دورة المياه في الأرض، تتسلط أشعة الشمس على البحار المالحة، فيتصاعد بخار الماء العذب، وتستقبله طبقة الهواء الملامسة لسطح البحر، والتي تستوعب قدرا محدودا من هذا البخار، حتى يصل هذا الهواء إلى التشبع بالبخار، وحالة الاتزان الديناميكي حيث تتعادل كمية البخر الصاعد من سطح الماء أو المحيطات المالحة مع كمية تكثف بخار الماء في الهواء الملامس لسطح البحر، وتزيد قدرة الهواء على امتصاص كمية بخار الماء عند درجة التشبع بزيادة درجات الحرارة، ولهذا يزيد البخر عند سطوع أشعة الشمس.

وعندما يرسل الحق - سبحانه وتعالى - الرياح لتجوب أسطح المحيطات. تزيل الرياح هذه الطبقة من الهواء المشبع بالبخار والملامسة للبحار وتحملها معها، ونظرا لأن كثافة هذا الهواء المشبع تكون أقل من كثافة الهواء الجاف، فإن هذا الهواء المشبع بالبخار يتصاعد بتأثير الرياح إلى طبقات الجو العليا حيث تقل درجات الحرارة. وفي هذه الارتفاعات يتكثف بخار الماء ويتجمع على شكل قطرات من الماء مكونة السحاب المعلق بين الأرض والسماء، وعندما تدفع الرياح هذه الطبقات المشبعة والملامسة لأسطح البحار وتحملها على مدى هذه المساحات الشاسعة لهذه الأسطح، يحل محلها بفعل الرياح هواء جاف أي غير مشبع بالبخار، وهنا تثار أسطح البحار والمحيطات بهذا الهواء الجاف مرة أخرى وتندفع بكميات أخرى من الماء على شكل بخار ليتشبع الهواء الملامس لأسطح البحار مرة أخرى. ليصل مرة أخرى إلى الاتزان الديناميكي، وهذا البخار يرتفع مرة أخرى بفعل الرياح ليستمر تكوين السحاب، وهكذا تتكرر هذه الدورة مرات ومرات، ينشأ السحاب الثقال الذي يسبب المطر من هذا البخار الذي تثيره حركة الرياح الدائمة، ففي كل مرة تحدث إثارة الرياح لأسطح البحار لتصنع هذا السحاب، وتقدر كمية البخار التي تحملها الرياح من البحار سنويا بمقدار ٣٦١,٠٠٠ كم٣ كما تقدر كمية بخار الماء الذي يختزنه الغلاف الجوي في أي وقت بمقدار ١٣٥,٠٠٠ كم٣ سنويا.. أما كمية البخار المخزونة في البحار والمحيطات فمقدارها ١٤٠٠٠٠٠٠٠٠ كم٣

ملخص التأمل

من كان يدري في عصر رسول الله ﷺ أن الله يرسل الرياح فتثير سحابا أي بخار ماء عذب من مياه البحار المالحة، وأن كل ما يأتينا من ماء عذب في الأرض ينشأ من إثارة هذه الرياح للبحار والمحيطات المالحة عندما تنزع عنها طبقة الهواء المتشبعة ببخارها والمتزنة بدرجة محددة من التشبع. فتأتي الرياح بهواء جاف متجدد لتثير البحار كي تطلق كما آخر من بخار عذب يصنع السحاب، فسبحان الله رب العالمين في آياته التي فصلت من لدن حكيم عليم.

قراءة في أبحاث



... عشرون بحثا في جلسات هذه الندوة وقد تكلمنا في العدد السابق عن حفل الافتتاح [illegible] وما انتهت إليه الندوة من توصيات وأشرنا إلى محاور العمل ونقدم للقارئ الكريم اليوم عرضا لبعض الأفكار التي حوتها بعض هذه الأبحاث ومنها بحث:

نظرية التدرج في الأحكام الشرعية: المفهوم والمشروعية للأستاذ الدكتور محمد كمال الدين إمام الأستاذ بكلية الحقوق - جامعة الإسكندرية

الذي [illegible] بحثه بالتأكيد على أن التدرج [illegible] المناهج التشريعية [illegible] حيث جرى [illegible] في [illegible] لم [illegible] التدرج [illegible] النسخ [illegible] والتغيير [illegible] ولم [illegible] التدرج [illegible] والتدرج في [illegible] النسخ [illegible] والنسخ [illegible] ولم يفصل أحد بين النسخ في الخطاب والتدرج في التطبيق والتنزيل، وهو ما [illegible] التدرج في التشريع.

ويوضح المؤلف أن التدرج في الخطاب الإلهي لم يكن قاعدة عامة في عصر الرسالة. فإذا كانت التشريعات المتعلقة بتحريم الخمر، وتقسيم الميراث، وفريضة الجهاد والقتال جاءت متدرجة [illegible] العرف والعادات، فإن تشريعات أخرى تتعلق بقيم الجماعة العليا جاء التحريم فيها قاطعا من أول وهلة، كما في القتل والسرقة والربا وأكل أموال الناس بالباطل.

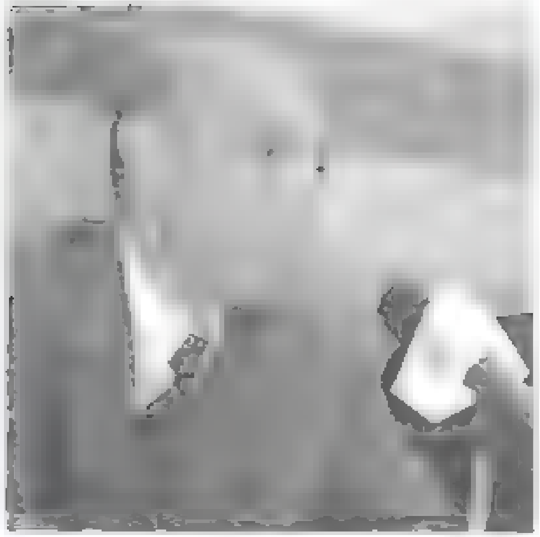
ويستشهد الباحث [illegible] التهذيب والتوحيد جاءت في التشريع المكي، وأغلب آيات الأحكام الجزئية جاءت في التشريع المدني، إلا أنه ينبغي - كما يقول [illegible] أخر الله بيان أحكام كثيرة من حرام وحلال، [illegible] حكمه فيها مرة واحدة، ولم يدع فيها للتدرج مجالا، فالتدرج والقطع كلاهما من منهج [illegible] وكلاهما من رحمة الله بعباده الذي يقول جل في علاه.

[illegible] سورة ١٨٥)

ويشير الباحث إلى أن التدرج ارتبط في مرحلة الوحي بفكرة النسخ، ومعظمه وقع في المدينة لمقاصد أشار إليها الإمام الشاطبي..

ومكمن الخطأ والخطر فيما يقول: طه محمود طه: أنه شريعة جديدة وصل إليها بالتفكير المحض، الذي أخلى من مسالكه كل أحكام الشريعة، وكل قواعد القرآن في الفهم والتفسير والتأويل، ليقدم لنا مفاهيمه الذاتية، باعتبارها إسلاما ينبغي أن ندين الله به، وفهما نهائيا لشريعة الإسلام. في محاولة منه لإيجاد «ميتافيزيقا» فكرية هي من شطحات الفكر، وعلو [illegible] لأحكام الإسلام. [illegible] من دليل واحد عنده على أن الآيات المكية هي الأصل والآيات المدنية هي الفرع؟ وهل من دليل واحد عنده [illegible] على [illegible] النسخ يبقى بعد عصر الرسول؟ وهل من دليل واحد عنده أو عند شيعته على أن الإنسان هو الذي يصنع [illegible] الأحكام حسب مصالحه [illegible] كثيرة يعرضها العقل المسلم بل العقل [illegible] وليس لها من إجابات في منظومة [illegible] محمود طه [illegible] غيره.

إن التدرج الذي أعطته الشريعة صفة المشروعية هو ما أشار إليه «المودودي» في كتابه «تدوين القانون الإسلامي» حيث يقول: إذا كنا نريد حقا أن يحالفنا التوفيق في إجراء هذه الفكرة [illegible] لا ينبغي أن نغفل عن قاعدة للفطرة لا تقبل التغيير، هي أنه لا يحدث الانقلاب في الحياة الاجتماعية إلا بالتدرج.... ولابد لكل نظام [illegible] للمبادئ والأصول أن يجرى تغييرا في كل جهة من



د. محمد [illegible]

جهات الحياة، وناحية من نواحيها بتوازن تام، حتى تساند كل ناحية منه نواحيها الأخرى.

وفي هذا السياق «ليس من حرج على المسلمين - كما يقول [illegible] - في أن [illegible] شرعية تطبق فيها بعض الأحكام وترجأ أخرى، فتجرى الواقع على غير ما تقتضيه، إذا ما كان ذلك مندرجا ضمن تقدير زمني تتكامل فيه الشريعة لتبلغ آجلا تتم فيه، وتبسط سلطانها على الواقع كله، فذلك إجراء [illegible] المبني [illegible] لعملية [illegible] الخطة من باب أنه لبلوغ الكل لابد من البدء بالجزء، فهي لا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، بل تؤمن بالإسلام كله ولكنها تحاول أن تطبق منه ما تيسر، بدءا بما توافرت شروط تطبيقه، ثم تتدرج إلى ما سواه مما تتوافر شروطه تباعا، فيتم بذلك التدرج الزمني للشريعة كما يراد تطبيقها في الواقع [illegible] للمسلمين، وهو عنصر من عناصر التكامل في بناء الشريعة كمنهج تقتضيه معطيات هذا الواقع [illegible] الشريعة

أما الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة دمشق فقد جاء بحثه عن نظرية الضرورة وتطبيقاتها.

ويتلخص هذا البحث في أن بعض المفتين وبعض الناس العاديين يتعلقون بمظلة الضرورة أو الحاجة أو الأخذ بالسماحة ودفع الحرج في الإسلام، فيأخذون ببعض الأحكام الاستثنائية أو الرخص الشرعية حتى [illegible] الأصل، والأصل صار هو الاستثناء، وهذا قلب للمعايير ونسف لأحكام الشريعة العامة، وتمهيد للحيلة، سواء أكانت مشروعة أم ممنوعة.

فليس كل من ادعى الضرورة يغتفر له العمل بها، لعدم انطباق معايير الضرورة أو الحاجة العامة أو ضوابطها على المسألة المعروضة.

وليس الترخيص في الشريعة هو الأصل، فقد ينقلب الأمر، ويصبح التهاون ذريعة للتحلل من أحكام الشريعة، وحينئذ يريد منا أصحاب المصالح أن نعتبهم بأهوائهم.

ويحذر المؤلف من الوقوع في هذا المنزلق الخطير بقوله:

فليتق الله تعالى أهل الفتوى في العود بالأخذ بالقواعد العامة وترك تفاصيل الأحكام الشرعية المنصوص عليها صراحة. أما التأويل وذريعة التيسير فأغلب الحالات غير مقبول فيها التهاون أو الترخيص.

فالضرورة: هي ما يترتب على مخالفتها خطر أو احتمال الوقوع في الهلكة.

[illegible] الضرورة وهي التي يترتب على الاستجابة لها الوقوع في الحرج والمشقة أو العسر والصعوبة.

والمصلحة المرعية: هي المنفعة التي تكون من



د. وهبة الزحيلي

جنس المصالح التي بنى الشرع الحكم عليها من حفظ الدين والنفس والعقل والنسب أو العرض والمال.

[illegible] في أساسيات الحياة من المطعم والمشرب، والملبس، والكسوة، ولكن ضمن معايير الشريعة ودون تفلت منها.

[illegible] للمضطر، ومنح المضطر أو المحتاج العمل ببعض الرخص الشرعية؛ لأن الضرورة أو الحاجة تقدر كل واحدة منهما بقدرها.

وعلى العالم التقيد مبدئياً بما يترتب على الإكراه - أحد حالات الضرورة - من الأحكام الأربعة المذكورة في البحث. وللإكراه أحد حالات الضرورة [illegible]

وكذلك للمشقة أثر في تيسير الأحكام [illegible] الحديث ثم الترجيح، هو ما أبانه علماء أصول الفقه من بيان قواعد التعارض وأساليب الترجيح بينها، وعلى المفتي المرجح التزام [illegible] قطعية كانت أم ظنية، فلكل اتجاه قواعد [illegible]

والعسر (وهو مشقة تجنب الشيء) وعموم البلوى (وهو شيوع البلاء بحيث يصعب على المرء التخلص أو الابتعاد عنه) كلاهما من أسباب التخفيف، ويحكم ذلك قواعد الضرورة [illegible]

[illegible]

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

البقرة ١٧٣

[illegible] الشريعة المعروفة، ومعيار المصلحة بتقدير [illegible]

[illegible]

النحل ١٠٦

وللإكراه الملجئ - أحد حالات الضرورة [illegible] الترخيص من غير إباحة، كالنطق بالكفر، لقوله تعالى:

[illegible]

النحل ١٠٦

وقد يوقف [illegible] كإتلاف المال.

وقد لا يباح الشيء أصلاً كالقتل والجرح [illegible]

وننتقل من نظرية الضرورة إلى بحث تأصيل منهج النظريات للشيخ أفلح بن أحمد الخليلي الذي يستهل بحثه بقوله: من الحكم التي تذكر عن المناطقة «أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، والظاهر أن [illegible] نظرية تعد من بديهيات العلوم، وقد [illegible]. ولهذا فإنه قبل الحديث عن النظريات لا بد من تقريب صورتها للقارئ الكريم.

ويسرد الباحث عدداً من تعريفات المدلول الاصطلاحي للنظريات

منها تعريف الدكتور وهبة الزحيلي بأنها: «المفهوم العام الذي يؤلف نظاماً حقوقياً موضوعياً تنطوي تحته جزئيات موزعة على أبواب الفقه المختلفة».

ومنها تعريف الدكتور مصطفى الزرقا الذي يقول: «نريد من النظريات الفقهية الأساسية تلك الدساتير والمفاهيم الكبرى، التي يؤلف [illegible] في الفقه الإسلامي، [illegible] نواحي الجسم الإنساني، وتحكم عناصر ذلك [illegible] الأحكام».

وفي معرض حديثه عن نشأة النظريات يسوق

الباحث عبارة شهيرة مفادها أن العالم الإسلامي لم يدرك ولم يفطن للنظريات إلا بعدما لفت لفتًا من الوافد الغربية، لكن الباحث يكر على هذه القولة – وإن لم يهدمها فقد هز أركانها – حيث وجد اللبنات الأولى لعدة نظريات. في كتاب «الأموال» للإمام أبي عبيدة القاسم بن سلام الذي جمع شتات مسائل الأموال من أبواب متعددة، فيه بدايات تطبيقية لا نظرية فحسب، ويشير أيضًا إلى كتاب العلامة الكبير ابن بركة «التعارف»، وهو على صغر حجمه يشتمل على جملة كبيرة من الفوائد الجمة، وقد شكل الكتاب اللبنات الأولى لنظرية العرف، وبعد مدة من الزمن جمع العلامة ابن السبكي والحافظ السيوطي في أشباههما جملة من القواعد المهمة المتعلقة بالعقود وبعض الأقطاب الكلية التي يمكن أن تبرز جانبًا من الظهور الأولى للنظريات.

ويخلص الباحث من كل ذلك إلى أننا لا يمكننا أن نغض الطرف عن جهود جبارة قدمها فقهاء كبار عبر عصورهم المختلفة، وإن كانت مختلفة بعض الشيء في أسلوبها، لكنها أصل المكونات لبناء النظريات، ودورها أكبر مما جناه المسلمون من غيرهم في الحقيقة والمضمون بغض النظر عن المظاهر.

وينتهي الباحث إلى أن النظريات تعد رافدًا علميًا مهمًا، فهي تسقي بسلسبيل مائها الفقيه نفسه، لأنه يتسنى له نقد جهده بها، كما يرتوي منها طالب العلم بالنهل من معينها تسهيلًا له تلك المعارف، وهي تخدم علوم المقاصد والقواعد والفروق، وتلك العلوم ترد الجميل بمثله، وبذلك تندفع عجلة العلم إلى الأمام، بل يمكن أن توجه إلى غير المسلم لتوضح له المثل الإسلامية العامة؛ فتكون أمثال هذه النظريات وسيلة دعوة إلى الله



الشيخ أفلح بن أحمد الخليلي

تعالى. من أجل ذلك أنهى بحثه بأهمية التوجيه على العناية بالنظريات، والعمل بجد في تشييد النظريات حتى تحقق مطلوبها.

أما بحث الاجتهاد الإجرائي في الفقه الإسلامي للأستاذ الدكتور أحمد هندي أستاذ قانون المرافعات وعميد كلية الحقوق جامعة الإسكندرية فقد ذهب فيه إلى أن الفقه الإجرائي الإسلامي عالج أهم الأفكار التي تحكم عملية حصول صاحب الحق على حقه من القضاء، وبين كيفية التقاضي وسلطات القاضي وشروطه وكيفية فصله في النزاع. كما عالج الدعوى والحكم والطعن والتنفيذ، وأرسى مبادئ الإجرائية المهمة، مثل مبدأ المساواة أمام القضاء، وكفالة حق الدفاع ومبدأ المواجهة، ومدى حكم القاضي بعلمه الشخصي. كما نظم حجية الحكم القضائي وتسجيله وتنفيذه، بالإضافة إلى تسبيب الحكم، ولم يكتف بتنظيم هذه الأفكار وإجراءات التقاضي، وإنما عالج كذلك عملية الإثبات أمام القضاء بجانب معالجته للجرائم أو العقوبة والسياسة الشرعية.

وإن هذا التراث الإجرائي المهم الذي تركه الفقهاء المسلمون يعتبر رصيدًا مهمًا للفقه الإجرائي الحديث، فقد استمد منه الفقه الغربي [illegible] للمسلمين هذه الأفكار الإجرائية المهمة، وبفضلها عليهم [illegible] شروط [illegible] ونظرية التعسف في استعمال الحق، حيث تأثر واضعو القانون الفرنسي بالمذهب المالكي. والفقه الإجرائي الحديث [illegible] عدة نظريات مهمة التي تركها الفقهاء المسلمون ويضيف إليها ويجدد فيها على ضوء مبادئ الأمة الإسلامية، وبما لا يخالف الثوابت من الشريعة الإسلامية. ولعل ما يزيد من أهمية الفقه الإسلامي الحديث [illegible] الإجرائية واسع، لأن أغلب الأحكام الإجرائية [illegible] اجتهادات الفقه الحديث حتى الوضعي – لا تخالف هذه الثوابت في شيء.

ونختتم هذه الجولة بين أبحاث تلك الندوة القيمة ببحث الذرائع فتحًا وسدًا مساهمة في علم اجتماع الفقه الذي قدمه الأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي غانم أستاذ العلوم السياسية بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة

[illegible] الضوء على نشأة قاعدة «الذرائع فتحًا وسدًا» [illegible] الموضوع هو ما كتبه الشيخ أبو زهرة عن أئمة الفقه [illegible]



د. احمد هندي

[illegible] كتاب [illegible] «تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام: مقاربة في أصول الفقه السني».

وثالث السوابق، وهو الأحدث والأهم من [illegible] محمد حاضري تحت عنوان «الفقه وعلم الاجتماع: دراسة في الروابط والعلاقات».

ويتساءل الباحث: لماذا تبدو «الأمثال الشارحة» [illegible] قياسًا على قوة القواعد والنظريات التي ترد تلك الأمثال في سياق شرحها [illegible]

وفي نقد لاذع لهذا التشبث بالأمثال القديمة [illegible] باستمرار أمثال: حفر بئر في طريق المسلمين، وجميع بيوع الآجال التي يمثلون لها إلى اليوم «بحمار ربيعة» كما عند المالكية، وبيع السلاح في زمن الفتن، وبيوع الغرر التي يمثلون لها إلى اليوم: ببيع السمك في الماء، والطير في الهواء، وبيع المرء ما في كمه، وبيع «عسب الفحل» و«شاة من قطيع» [illegible] فقه البيوع

تعبر، حيث تتضمن الاحتمالات مضمونة وسهولتها احتمالات «الجهالة»، وما يترتب عليها من ضرر.

ولعل أفضل ما حواه هذا البحث هو ما جاء في شأن فتاوى مظاهرات الربيع العربي حيث عرض عددا من الفتاوى تتعلق بأحداث الساعة منها فتوى الشيخ عبد العزيز الراجحي:

السؤال: ما رأيكم فيمن يجوز المظاهرات للضغط على ولي الأمر حتى يستجيب له؟

الجواب: المظاهرات هذه ليست من أعمال المسلمين، هذه دخيلة، ما كانت معروفة إلا من الدول الغربية الكافرة.

وأوضح أن تلك الفتاوى التي تمنع المظاهرات والاحتجاجات السلمية إنما تستند إلى قاعدة «سد الذرائع» خشية وقوع ما تؤدي إليه من مفاسد. أما الأضرار والمظالم التي يئن منها الناس فعلاجها هو «الصبر». وعندما يرد الحديث عما هو واقع من المفاسد وليس المتوقع، يأتي رد الشيخ مشيراً باستدعاء تراث «السياسة الشرعية»، مع تكثيف التركيز على ما فيه من وصايا «الصبر» على الحاكم مهما كان ظلمه وفسقه وفجوره، «حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر». ثم يصف هذا المشهد الأفتائي في مجمله بأنه مشهد «سوريالي»، فحجج كل فريق متروضة عند الفريق الآخر. لا حجر منها يبنى على حجر

وفي النهاية يشير الباحث إلى غياب فتوى بشأن قوانين الطوارئ العربية

حيث لاحظ أن «قوانين الطوارئ العربية» لم تحظ بعناية أي مرجع إفتائي: لا مجمع فقهي، ولا مفت مفرد؛ لكي يبحثها وفق قاعدة «سد الذرائع وفتحها» وغيرها من القواعد الأصولية



د. إبراهيم البيومي غانم

ذات الصلة برعاية «المصلحة» و«دفع الضرر».

ورأيت في هذا الشأن ثلاثة أسباب تدعو المجامع الفقهية وعلماء الفقه وأصوله بصفة عامة إلى البحث في قوانين الطوارئ وإعلان الرأي الشرعي فيها:

السبب الأول هو دخول هذه القوانين بأكملها تحت قاعدة «سد الذرائع» وغيرها من القواعد الأصولية الخاصة برعاية المصالح

والثاني هو أن الفكرة الأساسية لهذه القوانين متجذرة في كتب «السياسة الشرعية».

وقد احتاط بعضها بقول بأنه مجرد «افتراض» منه؛ وهو بحاجة إلى «أصولي نابه» يقوم بالتثبت من صحته

والسبب الثالث هو أن تأثيرات هذه القوانين أسهمت في تشكيل مسارات ووقائع التغيير الاجتماعي والسياسي في عديد من المجتمعات العربية خلال نصف القرن الأخير، ومن ثم فإن دراسة الآثار والنتائج التي ترتبت عليها دراسة أصولية ستسهم في سد نقص حاصل في دراسات «علم اجتماع الفقه».

بين المجلة والقارئ

لنكن.. مظلة.. لليتيم

من الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار- مدير عام تنظيم وإدارة «سابقاً» - منشهور - قليوبية كانت هذه الكلمة

يجب علينا أن نكون شجرة وارفة يستظل بها اليتيم ويتحتم علينا تكريم اليتامى أبناء شهداء الثورة ومعهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم وأولياءهم لأسباب قهرية أخرى مثل شهداء حوادث الطرق وما أكثرها في بلدنا.. وغيرهم ممن هم في عداد اليتامى من مجهولي النسب فلنحرص على احتضانهم وتأمين مستقبلهم وهي مسئولية تقع على المجتمع كله حيث يقول سبحانه

﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾

(البقرة- ٢٢٠)

فالخلط في الآية مقصود به اندماج اليتيم في أسرة ترعاه وتكفله خير له من أن تتركه نهباً لعزلة قد تورثه عقداً نفسية تعكر عليه صفو حياته وتصده عن الطريق المستقيم بالنفور من الناس وتجنبهم بينما الهدف هو اكتساب خبرات التعامل مع الآخرين والاندماج مع من يعايشونه.. ويؤكد هذا ما رأيناه في حياة المصطفى (ﷺ) وأسلوبه في تربية المجتمع الصحابي وتوجيهه نحو رعاية اليتيم ويقول عليه السلام: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.. وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى» (رواه البخاري).. ويحكي لنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلا شكا إلى النبي (ﷺ) قسوة قلبه فقال له: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين».. (الإمام أحمد)

ومن مظاهر حرصه (ﷺ) على رعاية اليتيم حيث كان عبدالله بن جعفر بن أبي طالب طفلا صغيراً إلا أنه يحكي لنا فيقول: أحفظ عن رسول الله أنه حين دخل على أمي ونعى إليها استشهاد أبي وأنا أنظر إليه وهو يمسح بيده على رأسي وعيناه تهرقان بالدموع تقطر على لحيته، ثم قال: يا أسماء ألا أبشرك.. قالت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي قال: إن الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة.. قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فأعلم الناس بذلك.. فأخذ بيدي حتى لاقى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى ثم نزل فدخل بيته وأدخلني معه وأمر بطعام فصنع لأهلي وأرسل إلى أخي

فتغدينا معه غداء طيبا مباركا وأقمنا معه ثلاثة أيام ندور معه كلما صار في بيوت نسائه.. ثم رجعنا إلى بيتنا.. وهذا منهج [illegible] أحسنت إليهم وبسطت عليهم ثوب رعايتها ليس هذا فحسب فإن رعاية اليتيم كانت أبعد مدى عند رسول الله (ﷺ) حيث يقول أنس رضي الله عنه: «قدم رسول الله إلى المدينة المنورة وليس له خادم فانطلق بي أبو طلحة [illegible] فخدمته في السفر والحضر ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا.. ولا لشيء لم أصنعه [illegible]» (البخاري)..

وهكذا نشأ أنس اليتيم في تلك التربة [illegible]

[illegible] الصالحة الطيبة وإذا كان هذا هو حرص الإسلام على مصلحة من فقد أحد أبويه فإنه [illegible] وقد كان عمر رضي الله عنه إذا أتي باللقيط [illegible] كل شهر.. وكان يوصي بهم خيرا ويجعل رضاعهم ونفقتهم في بيت المال.

ولذلك نرى «أبا بكرة» نفيع بن الحارث «وهو من رواة الحديث» يعلن جهالة نسبه وقال كما روى الطبري: «أنا من لا يعرف [illegible]»

وبهذا كانت مبادئ الإسلام تحكم هذا المجتمع فجاءت بأطيب الثمار إلى حد أن وجد مجهول النسب في ظلها نفسه وحقق ذاته بفضل حسن رعاية التربوي العظيم محمد (ﷺ) ومبادئ دينه الحنيف.

والله ولي التوفيق

النصوص القرآنية [illegible]

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ محمد علي محمد عرابي:

نصوص القرآن الكريم دقيقة في [illegible] في تعبيرها وعباراتها

والناظر المتأمل في تلك النصوص لا يرى فيها عوجا ولا أمتا، ولا مبالغة ولا عبثا، ولا زيادة ولا [illegible] في مكانه، وكل كلمة محكمة في [illegible] ولا يناسب غيره.

[illegible] البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، [illegible] مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة، والإيقاع والظلال والجو.. ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه، وبحيث لا يجوز [illegible] أحد.

[illegible] الأداء القرآني هي أن النص الواحد يحوي مدلولات متنوعة [illegible] وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء [illegible] يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى، [illegible] استشهد به فيه وكأنما هو مصوغ ابتداء لهذا [illegible] من الإشارة إليها.

لكل مقام مقال

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ عاصم سيد -المحامي- محكم بكلية الحقوق جامعة عين شمس:

بينما نحن نتلقى درساً من دروس العلم إذ سمعنا ثرثرة من أحدنا؛ حتى وصل [illegible] في حياتنا.. حينئذ أوشك المعلم أن ينزل [illegible] أراد أن يقومه بطريقة أخرى وهو يعلم مقدار قوام تحصيله للدروس، فطلب منه أن يبتهل لنا ابتهالا يدعو للرجاء والتوسل إلى الله عز وجل على نهج الآية الكريمة قال تعالى:

[illegible]

(سورة الإسراء: آية ٥٧)

[illegible] كل البعد وينشد ما يدعو للفرح والسعادة [illegible] مقال ولكل مقال مقام ثم سمح الشيخ له [illegible]

واسترسل الشيخ في هذا المقام حيث وجهنا أن نحسن اختيار ما نقول وتتحين الوقت المناسب لإلقاء ذلك لاسيما وأن كلمة مقال وردت في القرآن الكريم في [illegible] معنى كل منها على حدة كما في قول الله تعالى:

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلࣰّىۖ ﴾

([illegible] ١٢٥)

وقال تعالى:

[illegible]

([illegible] ٢٦)

وقال تعالى:

[illegible]

([illegible] ٧٦)

وقال تعالى:

[illegible]

(الأحزاب ١٣)

وقال تعالى:

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾

(الصافات : ١٦٤)

وقال تعالى :

[illegible]

([illegible] : ٣٩)

وغيرها الكثير من الآيات التي لا يسع [illegible]

فبعد ما انتهينا من الدرس تفتق ذهن [illegible] مع طرح اقتراح. فسمح شيخنا له فقال الطالب : بما أن مقام آيات الله ذات منزلة عليا لا يضاهيها منزلة أخرى فلماذا تحمل مقامات التلاوة نفس [illegible] اقترح أنه لابد أن تكون هناك مسميات أخرى تميز المقامات التي تستخدم في تلاوة القرآن الكريم لاسيما أن تعلم [illegible] أليس كذلك؟ فتوقف عقلنا جميعا عن [illegible] كلامه ثم بادر الشيخ وتحدث واتفق مع [illegible] اقتراحك هذا وأيده بالفعل وقال أيضا : سيدنا داود كان يسبح الله بصوت جميل حتى أطلق على تسابيحه مزامير [illegible] قال الله تعالى :

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] : ١٠)

وقال تعالى :

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الأنبياء : ٧٩)

مما دفع جمال صوته الطير أن تسبح معه والجبال أيضا دون أن يتعلم فن أية مقامات.. فهنا هو العلم اللدني الذي لا يضاهيه علم ولهذا لما مر النبي (ﷺ) على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا، فوقف واستمع لقراءته، وقال : لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود.

وقال النبي (ﷺ) يوما لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : اقرأ عليّ، فقال : اقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال : إني [illegible] السماء حتى إذا بلغ قوله :

﴿ [illegible] ﴾

(سورة النساء : ٤١)

قال : حسبك الآن، فرفع رأسه فإذا عينا [illegible] مصحنا شيخنا بكثرة سماع الرعيل الأول من [illegible] الجميل وحسن الأداء ولا يتأتى ذلك إلا بتدبر الآيات بإخلاص ليأتي معها الخشوع والإحساس بتعمق فيما نتلوا من آيات حينئذ [illegible] قراءة تطريبة لا إرادية يحرك المولى لساننا كيفما يشاء دون أن ندري كيف ولماذا قرأنا هذه الآية هكذا، وهذا ما نراه كثيرا من بعضنا خاصة في صلاة الفجر.

[illegible] شيخنا مما دفعه أن يقترح عليه مسميات لمقامات إسلامية تليق بمنزلة القرآن عند إطلاقها لكي تليق بمنزلة القرآن الكريم المكنون وأثناء كل هذا شت ذهني بعيدا حيث اشتقت أن أسمع صوت سيدنا داود وكيف كان يقرأ في الزبور بالتغني كنت في عصر الصحابة وأرى وأسمع سيدنا عبدالله بن مسعود وهو يتلو القرآن على رسول الله [illegible] على ختم شيخنا الدرس بالدعاء لنا ولكافة المسلمين وقول زملائي «آمين» حيث قال أسوة بدعوة سيدنا يوسف حينما قال تعالى :

﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

(سورة يوسف : ١٠١)

في حدود الأدب

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ إبراهيم أحمد محمد جاد الكريم - واعظ بالأزهر - فرشوط - قنا :

[illegible] العز والفضيلة والكرامة فإذا تعاملنا في حدود الأدب الإسلامي.. ما سمعنا يوما عن سرقة أو اعتداء أو قتل أو رشوة أو خيانة أو تدليس أو تزوير أو أي عمل يضر بمصلحة الناس أو يخل بالنظام العام في أي مجتمع من المجتمعات.

فالأدب للإنسان عامة وللمسلم خاصة [illegible]

[illegible] الإنسان هي التي فصل بها على غيره من [illegible]

[illegible]

(الإسراء : ٧٠)

[illegible]

الإنسان.. والتي يتعامل بها مع غيره من [illegible]

● والأدب قد يتقدم على العلم.. يقول عبدالله بن المبارك - رحمه الله - (نحن إلى القليل من الأدب أحوج إلى كثير من العلم).

● والأدب علم وعمل.. سئل الحسن البصري - رحمه الله - عن أنفع الأدب فقال : (التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك).

● والأدب تصفية وتحلية للنفس البشرية.

قال عبدالله بن المبارك - رحمه الله - : (قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول : إنه معرفة النفس ورعوناتها وتجنب تلك الرعونات).

● [illegible]

[illegible]

يلتزم حدود الأدب الإسلامي فبالأدب والأخلاق تستقيم الحياة.. وتصلح الأوضاع.

يقول الشاعر

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوم النفس بالأخلاق تستقم

والأدب يكون مع الله تعالى ومع الرسول (ﷺ) ومع جميع الخلق.

(أ) الأدب مع الله تعالى : يقول عنه ابن القيم ـ رحمه الله ـ

(ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة أشياء :

معرفة أسمائه وصفاته ـ ومعرفة دينه وشرعه وما يحب وما يكره ـ ونفس مستعدة [illegible] تقول حق [illegible] وعملا وحالا)

(ب) الأدب مع الرسول (ﷺ) : وهذا [illegible] في توقيره [illegible] وتعظيمه والعمل بسنته والسير على خطاه وكثرة الصلاة و[illegible] عليه

(ج) الأدب مع الخلق : وهذا يتمثل في تجسيد الأخلاق في المعاملة مع الناس جميعا.. أخرج الترمذي عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) قال : واتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن

والله من وراء القصد

[illegible]

[illegible] كلمة [illegible] حمد علي الأمير [illegible]

رسالات السماء كلها دعوة للخير و[illegible] المعروف والحب والإخاء والتعاون.

ورسالات السماء كلها تنهى عن الفحشاء والمنكر والقسوة والغلظة. والعدوان وسفك الدماء وتنهى عن الكذب والتباهي بالقوة لإرهاب الناس وظلمهم والاعتداء على مواردهم والسيطرة على توجهاتهم وصدق الله حين يقول في الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) رسالات السماء كلها دعوة للفضيلة ومكارم الأخلاق والبعد عن الكذب والنفاق، والبعد عن العري والفجور وكشف العورات وتتبع العثرات

ومن طريف ما قرأت : مر الأوزاعي يوما وهو إمام وفقيه أهل الشام في القرن الثاني الهجري وكان عالما فقيها زاهدا يجهر بكلمة الحق [illegible] ولا يخشى في الله لومة لائم، توفي سنة ١٧٥ هجرية [illegible] الفقهاء [illegible] ومكة والمدينة وشهد له العلماء بالاجتهاد المطلق.

مر بالسوق يوما فرأى حانوتا يبيع العسل وبجواره حانوت آخر يبيع البصل، فسمع صاحب حانوت البصل يقول (أحلى من العسل يا بصل) فغضب الإمام الفقيه وقال : سبحان الله ألا يظن هذا أنه يكذب؟ هكذا كان الإحساس بجريمة الكذب مع أنه [illegible] ولن يصبح معه حق لأحد ـ لكنه كره [illegible]

لكننا نجد اليوم الذين يدعون الرقي [illegible] والعدالة والحق. ويدافعون عن حقوق الإنسان في المشارق والمغارب يكذبون بالقول [illegible] يفرضوا الوصاية على الدنيا كلها وفي مقدمة هذه الدول أمريكا وسيئات أمريكا : أن حضارتها قامت وتقوم على إبادة الشعوب وسفك الدماء وطمس الحضارات. وسيئات أمريكا : أنها أول دولة اعتمدت سياسة العنصرية فهي حتى اليوم تحتقر اللون الأسود من البشر فلا يتساوى عندها الأبيض مع الأسود فحرب الأحمر والألوان عندهم [illegible] ﷺ يقول عن سلمان الفارسي (سلمان منا آل البيت) ومؤذن رسول الله طوال حياته للصلاة هو بلال الحبشي، وصهيب الرومي حين هاجر من مكة إلى المدينة استقبله رسول الله بالبشر والترحاب قائلا (ربح البيع أبا يحيى) [illegible] أنه ملاق ربه لا محالة أوصى أن يصلي عليه صهيب الرومي.

وسيئات أمريكا : أنها أبادت ثلاثة [illegible] وأهلكت الحرث والنسل.

وسيئات أمريكا : أنها باعت دولة [illegible] فكانت سببا في تشريد سبعة ملايين لاجئ [illegible] في [illegible]

وسيئات أمريكا [illegible] أشواكها حتى اليوم وكانت سببا في تشريد عشرة ملايين من العراق وتحويلهم إلى شهداء ويتامى وأرامل وثكلى ولاجئين وسيئات أنها ساعدت إسرائيل في حربها على غزة في ديسمبر ويناير سنة ٢٠٠٩ وكانت حصيلة هذا العدوان ١٣٠٠ شهيد، ٤٥٠٠ جريح [illegible] ٢٢ ألف مبنى ([illegible] ومستشفيات ومساجد وكنائس)

وكانت النتيجة خمسين ألف مواطن بلا سكن ولا مأوى وسيئات أمريكا أنها أنفقت وتنفق المليارات على جمعيات حقوق الإنسان والنشطاء الحقوقيين ليكونوا معاول هدم وتخريب وتحريض ونشر الفتن والمؤامرات في الدول العربية والإسلامية بالذات. أمريكا التي تحدثت الدنيا عن سجونها السرية والمعتقلات اللا إنسانية التي تمارس فيها أشد أنواع التعذيب.

هل يجوز لها بعد ذلك : أن تتحدث عن [illegible] الديمقراطية أنها الديمقراطية الزائفة التي تنادي بها من [illegible] في العالم العربي والإسلامي (الفوضى الخلاقة).

كذبا تقول وجرائم تفعل وفتنا تنشر

لتمزيق الدول وتقسيمها إلى دويلات صغيرة لا تملك سيادة ولا [illegible] وما فعلته في السودان خير شاهد وما تفعله في أفغانستان والصومال ليس ببعيد عنا. وبعض [illegible] الديمقراطية أمريكية [illegible] الرجال [illegible]

إنها ديمقراطية يهاتم تريدها للعالم بهذا المفهوم؛ إنها بهذا المفهوم حرب على الشرائع السماوية كلها. وبعدها يتهمون الإسلام بالإرهاب ويتصورون تعاليم الإسلام التي جاء بها محمد لإسعاد البشرية كلها دنيا وأخرى ويصفونها بأنها سيف وقتل وجزية وحدود تقطع فيها الأيدى والأرجل.

ونحن نقول [illegible] الإسلام بتعاليمه في أربعة عشر قرنا ما فعلته أمريكا في العراق [illegible] محمدا عليه السلام حين بعث رسالة لعظيم القبط في مصر يدعوه فيها للإسلام قال له (لسنا ننهاك عن دين المسيح لكنا [illegible])

وما جاء به عيسى عليه السلام من حب وإخاء وتعاون ورحمة ضاع مع فجور الدول المسيحية وغطرستها فهي تبعد الدين نهائيا عن الدولة والسياسة وترفع [illegible] (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) إنه الإسلام المظلوم من هؤلاء وأولئك.

إن الإسلام الذى جاء به محمد عليه السلام هو الحب هو الإخاء هو التعاون هو نصرة الضعيف هو الحرية هو العدالة هو الديمقراطية الحقة هو دستور الخالق لإصلاح الخلق والتاريخ خير شاهد.

والوثيقة التى أعطاها محمد عليه السلام لنصارى نجران نجد فيها الحقة [illegible] فيها حقوق المواطنة فى حرية العقيدة وفى الحقوق المدنية حيث قررت أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا وأن لا إكراه فى الدين.

والديمقراطية الحقيقية التى نريدها اليوم تتمثل فى العودة لتعاليم الإسلام الراشدة لا نستورد دستورا من أحد ولا نطلب أسلوب حياة ومنهج سلوك من الغير؛ لأن الإسلام يأخذ الحق ويعطى الحق ويدعو للشورى ويعمل لصالح الجماعة إنها ديمقراطية الإسلام: أمانة وشورى وعدل ومساواة وحفظ حقوق لا يبغى فيها أحد على أحد.

﴿ [illegible] وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾

(البقرة-١٣٨)

صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم والحمد لله رب العالمين

أنبـــاء الأزهـــر

نشاط مكثف للأزهر فى أفريقيا:

الأزهر يدعم مشروع تعليم ونشر اللغة العربية فى القارة الأفريقية

بحث فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب -شيخ الأزهر الشريف- مع الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل: مستشار الرئيس السوداني ورئيس مجلس أمناء جامعة إفريقيا العالمية بالسودان، أوجه العلاقات الثنائية، وخاصة فى المجالات العلمية والثقافية.



حيث طلب مستشار الرئيس السودانى [illegible] على دعم [illegible] الأزهر فى وضع مشروع لتعليم اللغة العربية على مستوى القارة الإفريقية بصفة عامة، وتشاد بصفة خاصة، وذلك بعد قرار الرئيس التشادى بجعل اللغة العربية لغة رسمية لتشاد فى وقت تعانى فيه من ضعف الإمكانيات والكوادر البشرية لهذا الغرض.

وفى [illegible] ولا نقبل بغير عقيدة [illegible] الأزهر [illegible] بوجود الأزهر فى [illegible] مطمئنين على مسارها السليم.

[illegible] للاستفادة منها فى وضع تصور واضح لمستقبل السودان، لاسيما وأن ما ورد فى الوثائق لا يهم مصر وحدها إنما يهم العالم العربى كله مما سيسهم فى توجيه الربيع العربى إلى طريق الرشاد،

وذلك انطلاقًا من تقديرنا للدور الوطني الذي يقوم به الأزهر الشريف في هذه المرحلة الراهنة.

مركز ثقافي لتعليم اللغة العربية في تشاد

وقال فضيلة الإمام الأكبر: إن الأزهر جامعًا وجامعة يمد يد العون لجميع الدول من خلال زيادة المنح الدراسية للطلاب خاصة من دول إفريقيا، وعلى استعداد للمساهمة في إنشاء مركز ثقافي لتعليم اللغة العربية بتشاد لإعداد الكوادر المؤهلة لتدريسها بكافة المراحل الدراسية هناك وبخاصة المرحلة الابتدائية، مؤكدًا أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية؛ بها تحافظ الأمة على هويتها وثقافتها ووحدتها، ومكانتها بين الأمم.

وأوضح مصطفى عثمان إسماعيل أن بعض الدول الكبرى استغلت الساحة الإفريقية في تحقيق مصالحها الخاصة، وذلك بإقامة مؤتمرات ومشاريع تهدف من خلالها إلى تحقيق مصالحها وعلى سبيل المثال المؤتمر الصيني الإفريقي والمؤتمر الروسي الإفريقي، بينما الدول العربية بعيدة عن الساحة الإفريقية وهمومها.

قافلة طبية تنطلق إلى السودان

وفي السياق ذاته شهدت مشيخة الأزهر الشريف الإعلان عن انطلاق قافلة الأزهر الطبية المتجهة إلى السودان الشقيق في مؤتمر صحفي عقد برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، بحضور كل من: كمال الدين حسن علي، سفير السودان بالقاهرة، ووفد اتحاد منظمات المجتمع السوداني، ونقيب الصيادلة، ورئيس مجلس إدارة شركة النيل للأدوية، بالإضافة إلى فريق الأطباء المسافر.



وقال فضيلة الإمام الأكبر: لقد سبق للأزهر الشريف أن أرسل قوافله الطبية وغيرها إلى بعض بلاد إفريقيا، مثل الصومال والنيجر، وها هو اليوم يقوم بواجب الأخوة نحو السودان الشقيق، وستتلوها - إن شاء الله - قوافل عديدة إلى إخواننا في إفريقيا وآسيا.

وقد أشاد سعادة السفير السوداني بالدور العربي والإسلامي والعلمي، والاجتماعي والإنساني الذي يقوم به الأزهر الشريف الذي يستقطب الوافدين، حيث يتفاعل الأزهر كعادته مع هموم المسلمين في مختلف ربوع العالم، وهذا ليس غريبًا على الأزهر لدى احتضانه قضايا الأمة قبل أن تعرفه الأماكن والأمنة، فضلا عن تثمينه هذه القافلة الطبية من

تعزيز لأواصر العلاقات بين الشعب المصري والشعب السوداني الشقيق.

وأعلن أن القافلة تضم فريقًا طبيًا رفيع المستوى من الإداريين ومن أساتذة وأطباء جامعة الأزهر في جميع التخصصات، بالإضافة إلى أدوية ومستلزمات طبية تبلغ تسعة أطنان.

ودراسة زيادة المنح الدراسية المخصصة لجمهورية غانا

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الحاج سعيد سينارى، سفير غانا بالقاهرة، والذي أشاد بالعلاقات التاريخية بين مصر وغانا، حيث كانت مصر أول دولة تسهم في تنمية غانا بعد استقلالها بتقديم كافة الخدمات في مختلف المجالات وكان في طليعتها الأزهر الشريف الذي تعلم وتخرج في رحابه آلاف الطلاب الغانيين، وصرح سيادته أن والده كان أول مبعوث غاني تعلم في الأزهر، ومن حبه لمصر وأزهرها تزوج بمصرية؛ فكنت ثمرة هذه الزيجة المباركة التي تمثل الرباط الوثيق بين الشعبين.



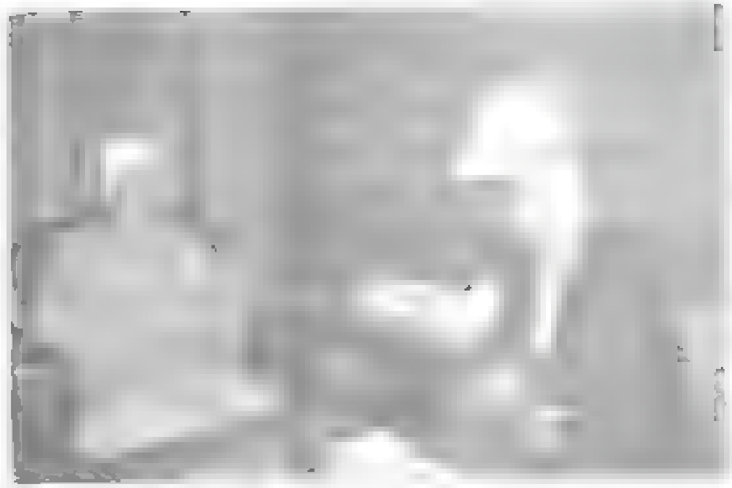
وبذلك فقد ناشد سيادته الإمام الأكبر بزيادة المنح الدراسية المخصصة للطلاب الغانيين بالأزهر، وتمكينهم من الدراسة بكليات: الطب والهندسة والصيدلة، وعدم قصر دراستهم على الكليات النظرية.

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لزيادة المنح الدراسية للطلاب الغانيين التي وصل عددهم حاليا إلى ٢١ منحة يتحمل نفقاتها الأزهر الشريف، فضلا عن ٧٨ طالبا يدرسون على نفقتهم الخاصة، بمختلف المراحل الدراسية، وكذلك أبدى فضيلته حرص الأزهر الشريف على تلبية رغبات الطلاب الغانيين وغيرهم من المبعوثين، وتذليل كافة العقبات التي تقابلهم أثناء الدراسة.

تايلاند تساهم في إنشاء مبان سكنية لطلابها بمدينة البعوث

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - الأستاذ شاليت مانيتا يكول، سفير تايلاند بالقاهرة، حيث أبلغ سيادته شكر وتقدير الحكومة التايلاندية للأزهر الشريف على ما يلقاه طلاب تايلاند وعددهم حاليا ١٦٧٠ طالبًا و ٥٥٠ طالبة، يسكن منهم في مدينة البعوث ٣٦٥ طالبًا؛ مما حدا بالحكومة التايلاندية أن تدرس تحمل جزء من هذا العبء، وذلك عن طريق المشاركة

في بناء بعض المباني السكنية بمدينة البعوث الإسلامية [illegible] [illegible] تايلاند على الدراسة في الأزهر الشريف؛ لما يتميز به من تأصيل علمي، وعقيدة وسطية، وعلماء أجلاء؛ حتى يعودوا إلى بلادهم دعاة مستنيرين يشاركون في نهضة بلادهم وتقدمها.



وكانت هذه المبادرة قد نوقشت في ندوة عقدت في العاصمة بانكوك وشارك فيها العديد من المسئولين التايلانديين، حيث أيدت وزارة الخارجية التايلاندية الفكرة؛ لأنها ستسهم في [illegible] [illegible]

[illegible] وحكومة [illegible] على المستوى التعليمي للطلاب.

وفي ختام اللقاء جدد سيادة السفير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة تايلاند؛ لما تمثله هذه الزيارة لمسلمي تايلاند من أهمية قصوى؛ لمكانة الأزهر وإمامه الأكبر في وجدان الشعب [illegible]

الإمام الأكبر يستقبل سفراء فرنسا وكوريا والجزائر ولبنان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر كيم يونغ سو، سفير كوريا الجنوبية بالقاهرة، بمناسبة [illegible] حيث أشاد بوعي الشعب المصري وتحضره، وروح الأخوة [illegible] الانتخابات التشريعية وتأكدت في الانتخابات الرئاسية، والتي أبهرت كافة المحللين والمراقبين



الدوليين، الذين أثنوا على نزاهة العملية الانتخابية، والإقبال الكثيف من الشعب [illegible] على صناديق الاقتراع، وهذا ليس بغريب على الشعب الذي يعتبر رائدًا في الحضارة الإنسانية، فلا توجد أي دولة في العالم لها علم يدرس في المعاهد والجامعات العالمية يختص بآثار مثل مصر (Egyptology).

وفي فضيلة [illegible] [illegible] واجتماعهم على كلمة واحدة، وإعلاء مصلحة وطنهم فوق المصالح الشخصية والحزبية

● وفي استقباله للسفير الفرنسي أكد فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب [illegible] [illegible] يقين أن المولى -عز وجل- سيلهم الشعب المصري الصواب والسداد للخروج بمصر الكنانة [illegible] الصراع والفرقة.



ووجه فضيلة الإمام الأكبر [illegible] الجهود التي بذلها في مجال إنجاز الاتفاقيات بين الأزهر والمركز الثقافي الفرنسي بالقاهرة، والذي [illegible] مجال التبادل الثقافي والعلمي.

وقد استعرض [illegible] التعاون العلمي والثقافي والبحثي، والتبادل الطلابي، وتنمية المهارات والاستفادة من الخبرات، ومن المقرر أن يسافر ثلاثة من الأزهريين العاملين بمركز اللغة العربية بالأزهر الشريف في منحة تدريبية لمدة ثلاثة أشهر إلى فرنسا.

● [illegible] بمناسبة تسلم عمله بالقاهرة؛ حيث بحثا الأوضاع الثقافية والتعليمية في الجزائر ومصر، وسبل دعم التعاون.

وأشاد السفير بالدور الثقافي لمصر - وخاصة الأزهر الشريف - من خلال إتاحة الكتاب العربي والإسلامي الذي ينشر الثقافة الوسطية الهادفة؛ مما يؤدي إلى نشر الفضيلة والقيم [illegible]

وقال فضيلة الإمام الأكبر: إن العلاقة بين الجزائر ومصر علاقة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ؛ لأنها علاقة مصير مشترك بين بلدين شقيقين، متمنيا مزيدا من العلاقات الثقافية والدينية بين مصر والجزائر.



● عبر سفير لبنان بالقاهرة السيد خالد زيادة، عن خالص شكره لفضيلة الإمام الأكبر على دور الأزهر الشريف في هذه المحطة الفارقة من تاريخ الأمة. حيث استطاع أن يجمع الفرقاء والأحزاب والتيارات والائتلافات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في رحابه، وما تمخض عن ذلك من وثائق تاريخية حددت الملامح المستقبلية للدولة المصرية المنشودة، والتي أشاد بها العديد من قادة الدول على مستوى العالم؛ مما نأمل معه، أن يستمر هذا الدور المحوري للأزهر على مستوى أمته العربية والإسلامية. وهو حق للعرب والمسلمين على الأزهر - للمشاركة الفعالة في رسم ملامح المستقبل القويم للأمة في هذه اللحظات الفارقة من تاريخها

فضيلة الإمام الأكبر يتلقى دعوة رسمية لزيارة المملكة المغربية



تلقى فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف، دعوة من صاحب الجلالة الملك محمد السادس، لزيارة المغرب، قام بتسليم الدعوة سعادة السيد محمد فرج الدكالي السفير المغربي بالقاهرة، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبيتها، في القريب العاجل إن شاء الله

الإمام الأكبر يستقبل وفداً من جماعة التبليغ والدعوة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر - وفداً من جماعة «التبليغ والدعوة» برئاسة د. سعيد عرفة، الأستاذ بكلية التجارة جامعة القاهرة، حيث عرضوا على فضيلة الإمام الأكبر أنشطة جماعة التبليغ والدعوة داخليا وخارجيا. وكيف أن هدف الجماعة هو دعوة كل فرد من أفراد الأمة أن يتحرك بماله ونفسه لتجديد إيمانه، ولدعوة الناس إلى طاعة الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة. كل قدر طاقته وجهده. وتعريف الناس بالله

- سبحانه وتعالى - لامتثال أوامره واجتناب نواهيه، على نهج النبي ﷺ.

وقد رحب فضيلة الإمام بوفد جماعة التبليغ وأبدى سعادته باستقبالهم، وأوصاهم بالثبات على طريق الدعوة، مع مراعاة فهم الواقع، وفقه الأولويات، وتجديد الخطاب الديني، والعمل على بناء الوطن والأمة.

تفعيل دور مركز الأزهر الشريف للسنة النبوية

كما ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية تفعيل دور مركز الأزهر الشريف للسنة والسيرة النبوية بالمهام المنوطة به على المستوى القومي والعالمي وتم احالة الموضوع إلى لجنة السيرة والسنة للدراسات في ضوء المناقشات التي دارت بالجلسة على أن تدعو من ترى من أعضاء المجمع ومن خارجها لهم رؤى مبتكرة تسهم في النهوض برسالة المركز مع توجيه.

الدعوة إلى فضيلة الدكتور محمد عمارة عند مناقشة الموضوع

قناة خاصة بالقرآن الكريم

وورد الى مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الوارد من المهندس علاء الدين محمد عيسى - رئيس إدارة كايرو للقنوات الفضائية بشأن انشاء قناة خاصة بالقرآن الكريم حيث قرر المجمع في جلسته المنعقدة في اخر شهر مايو ٢٠١٢ بعدم الاختصاص بهذا الموضوع.

الاساءة للرسول (ﷺ) على المواقع الإليكترونية والفيس بوك

كما بحث مجمع البحوث الإسلامية في ذات الجلسة الكتاب الوارد من مجلس الشعب بشأن طلب الإحاطة المقدم من النائب محمود عبد النبي حول الإساءة للرسول (ﷺ) على المواقع الاليكترونية والفيس بوك وضرورة التصدى لهذه الظاهرة

حيث أحيط المجلس علما بالموضوع ويتم مناقشته.

منكرات لا يقرها الإسلام

وناقش مجمع البحوث الإسلامية في جلسته المنعقدة في ٣١ من شهر مايو ٢٠١٢ الكتاب الوارد من الجمعية سفوى الفارسي إلى مجمع البحوث الإسلامية بشأن الإساءة إلى القرآن الكريم باستخدام بعض ألفاظه في الشعر.

وقد استعرض مجمع البحوث الإسلامية النماذج الشعرية المنسوبة للشاعر «هشام الجخ»، وتبين له أنه قد استخدم ألفاظ وعبارات ذات مدلولات إسلامية مقدسة في معان خادشة للحياء، كما استعمل في وصف محبوبته صفات خاصة بالله عز وجل ولا ينبغي أن يوصف بها سواه.. ولهذا يرى المجمع أن ذلك من المنكرات التي لا يقرها الإسلام

[illegible] شهادات تخرج لدارسي دورة [illegible] الإسلام



[illegible] أحمد الطيب - شيخ الأزهر - بتوزيع شهادات تخرج [illegible] الإسلامي [illegible] لرابطة العالمية لخريجي الأزهر، والتي استمرت شهرا كاملا، لأربعة وعشرين دارسا من أمريكا والمكسيك [illegible] والسيرة، والحديث، والتاريخ والاقتصاد الإسلامي، على يد نخبة مختارة من كبار [illegible]

د. ممدوح حمزة: فخورون بالأزهر لأنه مصدر لقوة مصر والأمة الإسلامية

[illegible] أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف [illegible] على الصعيد [illegible] والعربي والإسلامي والعالمي، حيث عبر الدكتور ممدوح حمزة عن فخره واعتزازه بالأزهر الشريف [illegible]

[illegible] للشعوب العربية والإسلامية، والعالم أجمع.

الأزهر [illegible] يطالب الإعلام بتحري الصدق والأمانة

نفى الأزهر الشريف ما نشر بجريدة «الوطن» في العدد الصادر يوم الأربعاء الموافق [illegible] تعاديا للطائفية»، موضحا أن هذا الخبر عار عن الصحة، ولم يرسل الأزهر الشريف أي [illegible]

وفق الله الجميع لما فيه الخير لمصر وشعبها

أنباء العالم الإسلامي



[illegible]

الإعلام الدولي يشيد بنزاهة أول انتخابات رئاسية ديمقراطية في مصر

قامت الهيئة العامة للاستعلامات قطاع الإعلام الخارجي برصد ردود فعل الإعلام الدولي حيث أكد السفير إسماعيل خيرت رئيس الهيئة اهتمام كل وسائل الإعلام الأجنبية والعربية بمتابعة الانتخابات الرئاسية في مصر فقد وصفت صحيفة «وول ستريت» الأمريكية كل ما يحدث في مصر سيحولها إلى دولة ديمقراطية بعد نظام الحكم الديكتاتوري وعلى الصعيد العربي ذكرت الصحف الجزائرية أن المصريين يعيشون العرس للمرة الثالثة بعد الثورة حيث كتبت صحيفة «الخبر» أن الانتخابات المصرية انطلقت وسط إقبال كبير من المصريين الذين كان لسان حال قطاع واسع منهم يقول «ربنا يولي من يصلح».

اكتشاف مخطوطة مسيحية بتركيا تبشر بنبوة سيدنا محمد ﷺ

كشفت صحيفة بريطانية أن السلطات في تركيا عثرت على ما يظن أنه النسخة الأصلية لإنجيل برنابا الذي بشر برسول يأتي من بعد المسيح عليه السلام اسمه أحمد، مما سيثير جدلاً في المعتقدات المسيحية المتبعة.

وذكرت صحيفة «ذي ديلي ميل» أن المخطوطة المكتشفة من إنجيل برنابا مكتوبة على جلد حيوان ويعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، لكن عثر عليها قبل ١٢ عاما فقط.

ونسبت الصحيفة إلى وسائل إعلام إيرانية القول: إن الإنجيل المكتشف ينص صراحة على أن المسيح عيسى بن مريم لم يصلب، وأنه يبشر بمجيء النبي محمد ﷺ ليكون خاتم الأنبياء.

وقد عثرت السلطات التركية على مخطوطة الكتاب المقدس عام ٢٠٠٠ عندما داهمت مقر عصابة تخصصت في تهريب الآثار والتنقيب عنها بطريقة غير مشروعة وجرار متفجرات غير أن قمة الإثارة

في هذا الاكتشاف حدث في شهر فبراير هذا العام. عندما قيل إن دولة الفاتيكان مقر القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم تقدمت بطلب رسمي للاطلاع على الإنجيل المذكور.

وتقول صحيفة بريطانية إنه لا يعرف حتى الآن ما إذا كانت تركيا وافقت على الطلب أو لا وتستند الصحيفة إلى الإعلام التركي القول بأن النسخة المكتشفة في إنجيل برنابا كتبت باللغة السريانية المشتقة من اللغة الآرامية، وأن العالم المسيحي ينكر وجود مثل هذا الإنجيل.

وتشير «ديلي ميل» إلى أن أصل المخطوطة غير معروف، إلا أن صحيفة «ناشيونال تيرك» التي تصدر باللغة الإنجليزية في تركيا أوردت أن النسخة كانت محتوطة بقصر العدل في العاصمة أنقرة قبل أن تنقل تحت حراسة مشددة إلى متحف الأنثروبولوجيا.

البرلمان العربي يناشد دول العالم التدخل لوقف مذابح الأطفال في سوريا

ناشد علي سالم الدقباسي، رئيس البرلمان العربي، في بيان له، دول العالم، والأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي ومنظمات حقوق الإنسان الإقليمية والدولية إلى التحرك الفوري والعاجل لوقف ما يرتكبه النظام السوري من مجازر ومذابح ضد أطفال سورية، والتي تصاعدت باستخدام النظام السوري للصواريخ والطائرات الحربية لقصف مدينة الحولة السورية والتي سقط فيها جراء هذا القصف العشرات من الشهداء الأطفال والنساء الأبرياء.

ووصف الدقباسي النظام السوري بأنه نظام قاتل للأطفال، وأبدى دهشته واستغرابه، أن تتواصل عمليات الذبائح والمجازر، تحت سمع وبصر مراقبي الأمم المتحدة.

وأضاف قائلاً: إنه في الوقت الذي انتظرت فيه الشعوب العربية والإسلامية، أن تسفر جهود ومبادرات كوفي عنان المبعوث الدولي والعربي، عن وقف فوري لإطلاق النار في سوريا، فإن واقع الأمر يشير إلى تدفق السلاح، خاصة الروسي، على النظام السوري، الأمر الذي أفقد شعوب العالم العربي والإسلامي الثقة في مهمة ومبادرة عنان. وأشار إلى أن الأزمة السورية قد طال أمدها لمدة ١٥ شهراً دون بارقة أمل في الخروج من النفق المظلم. وتساءل: إلى متى يقف العالم ساكناً أمام ما يجري من مذابح في سوريا؟ ومتى يتمتع الشعب السوري بالحرية والديمقراطية والعدالة؟!

كما حذر رئيس البرلمان العربي الأشقاء في لبنان من بوادر فتنة بين أبناء الشعب اللبناني تغذيها جهات معروفة.

ودعا الدقباسي في بيان له الأشقاء في لبنان إلى الارتفاع فوق الخلافات العارضة والحرص على وحدة لبنان الوطنية وسلمه الأهلي وتفويت الفرصة على القوى التي لا تريد للبنان وشعبه الأمن والاستقرار والازدهار، وأضاف: إن الجميع يعرف تماماً من يقف وراء إثارة التوتر ونشر الفوضى في لبنان خاصة بعد مقتل الشيخ أحمد عبد الواحد يوم ٢٠-٥-٢٠١٢م، وما تلا ذلك من تزايد التوتر ونشر الفوضى في منطقة عكار شمالي لبنان، ولمح إلى أن هناك من يهدف إلى إثارة القلاقل في لبنان بغية تخفيف الضغوط الإقليمية والدولية عليه، وتحويل الأنظار عما يجري في سوريا من قتل وعنف متصاعد ضد أبناء الشعب السوري الشقيق الذي تتصاعد ثورته.. كما دعا الدقباسي المواطنين العرب

عموماً إلى عدم الانجراف في لعبة الطرح الطائفي من أي جهة كانت وعدم إقصاء الآخر وإلى تركيز الجهود في دفع مسيرة تعزيز الحريات واحترام حقوق الإنسان في العالم العربي.

خريطة طريق تنفيذية لاستراتيجية مواجهة الكوارث بالبلدان الإسلامية

بعد مناقشات مستفيضة ومعمقة بين وفود الدول الإسلامية حول سبل التعاون المشترك في مجال مواجهة الكوارث، اعتمد المؤتمر الإسلامي لوزراء البيئة مشروع الخطة التنفيذية للاستراتيجية الحد من مخاطر الكوارث وإدارتها في البلدان الإسلامية والتي تعد بمثابة خريطة طريق في هذا المجال. وحث المؤتمر الدول الأعضاء على جعل الحد من مخاطر الكوارث أولوية في سياساتها الوطنية، والعمل على تفعيل وإنشاء مؤسسات مرجعية وتنسيقية لضمان تنفيذها، من خلال إعداد خطط وبرامج التشخيصية الضرورية والقيام بعمليات التقييم اللازمة.

وشدد المؤتمر على ضرورة تكثيف جهود جمع البيانات المتعلقة بالحد من مخاطر الكوارث وتقييمها، وتوفير الآليات الملائمة لاستثمار هذه البيانات واستغلالها، وتكييف مدلولها وتوظيفها بشكل ناجع، بما في ذلك المبادئ التوجيهية والسياسات ذات الصلة، لضمان تقنين وسائل تشخيص هذه المخاطر وتوحيدها وتقييم حجم آثارها بشكل موثوق.

..وأكاديمية إسلامية للبيئة والتنمية المستدامة

نجح وزراء البيئة بالعالم الإسلامي في بلورة مشروع إنشاء الأكاديمية الإسلامية للبيئة والتنمية المستدامة بصفتها آلية نوعية لتعزيز الإطار المؤسسي للعمل الإسلامي المشترك في مجال البيئة والتنمية المستدامة، مع أخذ ملاحظات أعضاء المؤتمر بعين الاعتبار.

وتم الاتفاق على تشكيل شبكات خبراء الأكاديمية من الدول الأعضاء تكون نواة لشبكة إسلامية للبيئة والتنمية المستدامة ومركز التوجيه برامج الأكاديمية، والدعوة إلى ضرورة التنسيق بينها وبين المؤسسات والهيئات البيئية الموجودة في الدول الأعضاء.

واتفق الوزراء على دعوة الدول الإسلامية الأعضاء بالإيسيسكو وكذلك منظمات إلى العون معها خلال مرحلة الإنشاء وتعزيز قدراتها لتمكينها من الاضطلاع بمهامها على الوجه الأكمل. وأشاد الوزراء بالجهود التي تبذلها المملكة المغربية ممثلة في وزارة الطاقة والمعادن والماء والبيئة، لإنشاء الأكاديمية وتوفير أدوات العمل والمرافق والوسائل الضرورية لذلك.

وكلف المؤتمر المدير العام للإيسيسكو بمتابعة تنفيذ هذا المشروع مع الجهات المسؤولة في المملكة المغربية وتقديم تقرير حول ما يتم من خطوات بشأن إنشاء الأكاديمية.

وثائق ويكليكس تفضح مجلة معادية للعرب والمسلمين في البرازيل

تقوم الجهات القضائية البرازيلية بالتحقيق مع مسؤولين في مجلة «فيجا» المعادية للعرب والمسلمين بعد أن كشفت وثائق ويكيليكس تلقيهم مبالغ من خارج البرازيل وتعاملهم مع مافيا القمار وتبييض الأموال في العالم لتحقيق أهداف ومصالح شخصية لهم بالاشتراك مع القائمين على المجلة.

transfer this understanding to the seekers of Christianity to penetrate into Islam in a truthful and cunning way.

The protocols of the priest concerned with Christianization declared in Colorado Conference their intention to mix Christian culture with the Islamic one by forsting the Christian concepts into Islam. They said about this objective:

"Our objective is to implant the soul and instructions of Christ in the Islamic entity and thought. Accordingly, Christianization process will act like yeast inside the Islamic entity, so that the Christian soul and instructions will be able to make natural change.

In this way, we can include in Christianity "Muslim-Christian", "theological Islamic", "Sufi –Christian community", and other forms of "coordinated Islamic-Christian forms".

"It is important to exploit the aspects of similarity between Christian salvation and theological stance of some Sufis and gap this similarity causes inside the Sunni nation, which can help understand and accept the Church, on the condition that the models of churches become similar to the "way" adopted by those Muslims."

- The priests concerned with Christianization confessed that they cannot withstand a real Muslim, who understands his religion well. Thus, they started to search for their victims from among those who religion is mixed with superstitions, as they are regarded as a fertile soil for Christianization. They said in this regard:

"Most of the Muslims who may be Christianized are those who embrace "the folk Islam" or "Islam of common people". They believe in evil spirits and Jinn, and hardly know anything about the real Islam. They believe in the incantations, which provide them with power enabling them to face the evils and challenges of life. They can affect and Christianize those people by presenting worldly benefits to them such as spiritual treatment and expelling the evil spirits. As for understanding the facts of the Sacred Book, this matter will come later on...".

وأوضحت الشرطة البرازيلية أن هذه الحفلات تم كشفها بعد التنصت على مكالمات تليفونية استمرت بدءًا من الفضائح، حيث تبين وجود صلة بين رجل الأعمال كارلينيوس كاتشويرا وهو أحد مروجي ألعاب القمار وتبييض الأموال وبين بارزة حلة. بالإضافة إلى علاقات مشبوهة مع عدد من السياسيين والبرلمانيين الذين سيتم استجوابهم قريبا في أكبر فضيحة إعلامية تشهدها البرازيل.

خبراء سودانيون لا يستبعدون إقدام إسرائيل على مهاجمة الخرطوم

أكد خبراء سياسيون وعسكريون سودانيون أن إسرائيل تدير مخططا كبيرا وخطيرا لمنطقة الشرق الأوسط ... والقرن الأفريقي ... في الخرطوم وطهران ودمشق. وأشاروا إلى أن إسرائيل تقف وراء كل المؤامرات التي تحاك ضد دول المنطقة عبر عدة استراتيجيات ... الأطراف. والغارات الجوية على مناطق البحر الأحمر بحجة استهداف تجار السلاح التي تزعم إسرائيل أنهم يهددون أمنها القومي عبر مد حركة حماس الفلسطينية بالعتاد العسكري. ولم يستبعد الدكتور حامد حسين الخبير الاستراتيجي إقدام إسرائيل على مهاجمة الخرطوم حال اقتناع أمريكا بضرورة التدخل العسكري في السودان. لكنه عاد وقال إن الخطوة مستحيلة في ظل تعقيد المنظومة الدولية الحالية.

العفو الدولية: مجلس الأمن فشل في قيادة العالم

انتقدت منظمة العفو الدولية -التي تراقب أوضاع حقوق الإنسان حول العالم- مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قائلة إنه غير كفء في أداء مهمته في قيادة العالم متمثلة في اتخاذ إجراءات فورية وفعالة للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين. مشيرة إلى أن الأحداث الساخنة التي شهدها عام ٢٠١١ شكلت نقطة تحول في الصراع من أجل حقوق الإنسان حيث تحدى المتظاهرون حكوماتهم ليثبتوا أن التغيير ممكن. وقالت العفو الدولية في تقريرها السنوي إن فشل القوى الدولية في اتخاذ إجراءات أكثر قوة تجاه سوريا تدل على أن مجلس الأمن تعرقل عمله مصالح راسخة.

قبور وهمية لتهويد محيط الأقصى

كشفت مؤسسة الأقصى للوقف والتراث الفلسطيني، النقاب عن نية سلطات الاحتلال الإسرائيلي زرع آلاف القبور اليهودية الوهمية حول المسجد الأقصى المبارك والبلدة القديمة بالقدس على مساحة كبيرة من الأراضي، في إطار مشروع يهدف إلى تهويد كامل محيط المسجد الأقصى والقدس القديمة.

في غضون ذلك، ندد أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية -ياسر عبد ربه- بإقرار الكنيست الإسرائيلي قانونا للإعفاء الضريبي لصالح تشجيع البناء الاستيطاني في الضفة الغربية بشكل يدمر مستقبل حل الدولتين بشكل كلي. وأقر الكنيست الإسرائيلي قانون إعفاء من الضريبة من يتبرع بالأموال لمنظمات الاستيطان الإسرائيلية. وهو ما دفع بعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الدكتور صائب عريقات بدعوة المجتمع الدولي للكف عن التعامل مع إسرائيل كدولة فوق القانون الدولي، وشدد على إدانة منظمة التحرير للسياسات الاستيطانية لحكومة إسرائيل.

1. [illegible] may lead the Muslim from the facts he believes in to [illegible]
2. [illegible] refute the old methods, which raise controversy.
3. [illegible]

They asked Allah to grant them a model of Christianization, such as Samuel Zwemer [1867-1952]

Who mastered the Arabic language and was an eminent scholar in Islamic studies. He was one of the persuasive seekers of Christianization. He was in [illegible] for 23 years in the Arabian Peninsula and he worked for 16 years as a manager of the Center for Islamic studies and Publications in Cairo. He was the supervisor of one Christian magazines about Islam for 36 years, which is "The Islamic World".

They declared their attempt to let the national churches in the Islamic world take part in the process of the Christianizing the Muslims by pushing theses churches to betray their nations and to be engaged in Christianizing the Muslims along with the American consignments of Christianization. The [illegible] of the priests concerned with Christianization said in this regard:

"As the consignments of North America are detached from many parts of the Islamic world and restricted in some other parts, and the national Christian communities exist in some parts of the Islamic world and the countries of the third world, we should realize the most likely possibility, which is the use of the churches of the third world in the coming decades and their Christianizing agencies to replace or at least to continue mission of the consignments of North America. The managers of the consignments of North America as well as other leaders of concerned with Christianization should find and make use of new methods of cooperation and participation with the churches of the Third World to reach the Muslims.

We make this idea firmly established by interdependence with all of the Christians and all of the churches that exist in the Islamic world. The Protestant Christians in the Middle East, Africa and Asia are deeply and effectively busy with the process of Christianizing the Muslims.

We should take the national characteristics of their [illegible] and to break [illegible] through the cultures and communities of the Muslims, which seek Christianizing them. The Christian citizens in the Islamic countries should cooperate with the Christianization consignments for the sake of interdependence and mutual cooperation in Christianizing the Muslims.

To spread Christianization all over the Islamic world including the countries, which their governments prevent the seekers of [illegible] Christianization from entering or working, the priests concerned with Christianization in [illegible] Conference decided to train the Western civil employees – such as engineers, experts, and workers – on the process of Christianization and to [illegible] them in this regard, especially that their numbers surpass the number of the official seekers of Christianization by 100 to 1. About this [illegible] the [illegible] of the priests concerned with Christianization said:

"Although the number of Protestant seekers of Christianization from North America exceeds their number in any previous time, the number of American technicians who live overseas exceed the number of the seekers of Christianization by 100 to 1.

The individuals who have the technical capability can work also for the sake of Christ. This is an important matter, especially in the countries whose governments prevent public Christianization. They can understand complete the work of the seekers of Christianization by working side by side with them to Christianize the Islamic world.

- Due to their inability to confront Islam – the Qur'an and the prophetic Sunnah – they decided to adopt the [illegible] of deception to penetrate into Islam. They said in this regard:

"Islam is the only religion, whose original sources contradict those of Christianity. The Islamic system is the most coherent system with regard to social and political fields. Islam is a religious anti-Christianity movement, which is planned in a way that is beyond human ability.

"We need to establish many centers all over the world by the Christians to focus on Islam, not only to understand Islam better and to deal with Christianity, but

[illegible] though they look at the past, they seek guidance from it to the future. They are not conservatives, but they are revolutionists.

Since the growth of the phenomenon of the Islamic vigilance in the seventies of the twentieth century, [illegible] of the Western alliance that includes the USA, Europe, the Protestant, Catholic, and Orthodox churches, capitalist Liberalism, and [illegible] to confront the Islamic fundamentalism and to [illegible] world [illegible] Orthodox secularism, which makes the Islamic world [illegible] the confrontation between the West and Islam.

[illegible] of this [illegible] the Western churches, especially the [illegible] to Christianize the Muslims to cut the path [illegible] to take the Islamic nation out of "weakness" and to restore its rank among the nations and civilizations.

[illegible] Christianization [illegible] throughout their long history [illegible] of Christianizing the Muslims, the American churches raised its [illegible] and [illegible] at eradicating Islam. For this sake, a conference – Colorado Conference – on 15th of May, 1978 was held to commemorate founding Israel.

The attendees of the conference, including the specialists of Christianization and other [illegible] the social sciences discussed forty researches, which encompassed the [illegible] of Christianizing the Muslims from all of its sides. It reached [illegible] which define the aspects of practicing the plan of Christianizing the Muslims.

The people concerned with this conference circulated and published in English [illegible] and recommendations after deleting the sensitive [illegible]. Then they were translated into Arabic in about a thousand pages.

We may present an edition of the documents of Colorado Conference, which [illegible] the protocols of the priests concerned with Christianization. We will refer to these protocols. It is sufficient to say:

> The priests and specialists of Christianization wanted for this conference to change the track of history, about which they said:

"The attendees of many conferences meet, exchange views, decide some decisions, and then separate and their words turn to mere sayings."

However, some conferences change history. No doubt that this conference became one of the conferences that are able to change the track of history.

This is the first time throughout two generations to hold a conference [illegible] this number of the Christian leaders to discuss the process of Christianizing the Muslims.[1]

- They talked about the timing of holding this conference, by which they wanted to confront "the demonstrations of the Muslims in Egypt, Iran, and Pakistan, asking for resorting to the Islamic Shari'ah and the revolutionist aspect of Islam, which we forgot. They also talked about the struggle, which attracted the attention of the world media among the Islamists and the secularists, and which was about to impose the application of the Islamic Shari'ah in Egypt and divide Iran. Also, Pakistan would apply the Islamic constitution for the first time in its history starting from March, 1978.
- The seekers of Christianizing the Muslims in this conference criticized the old methods of Christianization, saying: "We cannot nowadays depend on the old methods of Christianization to confront Islam, which changes rapidly and substantially. The European and American Christianization strategy is strongly linked with the imperialist mentality."

The objective behind holding this conference is the belief in the failure and ineffectiveness of the traditional method of Christianizing the Muslims.

- The priests of Christianization handled the qualifications of the person sought to practice Christianization of the Muslims and to become effective in this mission, and some of these qualifications are:

1- Fluency in Arabic Language, Qur'an, and Islamic references.

2- Patience and resolution in discussions.

[1] Part of the speech of the head of the conference: W. Stanly Mooneham.

him. However, I found him prostrating and saying: "My whole body prostrates to You. My heart believes in You. I did not wrong myself with my hands. O Great Lord [illegible] for every serious matter. O Great Lord, forgive me. My face prostrates to Its Creator, the One Who created its eyes and ears. Then he raised his head and prostrated again. He said: "I seek refuge with Your Content from Your Wrath. I seek refuge with Your Forgiveness from Your Punishment and I seek refuge with You from You. I say as my brother Dawud said: "I prostrate placing my face on dust for the sake of my Lord Who deserves prostrating to Him. Then, he raised his head saying: "O Lord, grant me a pious heart free from evil, neither rough nor wretched. Then he entered with me our room and said: This is the night of the middle of Sha`ban Month in which Allah descends to the lowest heaven and looks at His worshippers except the disbeliever and the quarreling.

The wisdom behind the Prophet's observance of fasting in Sha`ban and offering optional Prayer at night is to express practically his gratitude and praise to his Lord for answering his supplication of transferring the Qiblah. Also, the wisdom behind fasting many days in this month is to practice ourselves to observe fasting in preparation to Ramadan. Thus, the Companions of the Prophet and those who followed their guidance used to celebrate this month and Allah honored them.

One of the most important incidents that took place in Sha`ban is the victory of Saladin over the Crusaders and his restoration of Jerusalem as well as establishing the Friday Prayer in it. This took place on the 4th of Sha`ban, 583. This victory took place with sincere belief in Allah, the Lord of the Worlds and the unity of the Muslims.

Allah willed that Sha`ban of 1434 to come after the Presidency elections, as the people choose a President. Praise be to Allah, to Whom we supplicate to grant us many returns in this month, to restore Jerusalem, and to liberate Palestine from occupation. This is not difficulty for Muslims to carry out by helping of Allah.

*In Remembrance of Holding Colorado Conference, since 35 years: The American Christianization (Tanseer) is a Real world war against Islam...!

By: Dr. Muhammad `Imarah

Editor-in-chief of Al-Azhar Magazine

The Western churches aspired to Christianize the Muslims. For the sake of carrying out these aspirations, the trends of Christianization varied as well as the approaches and nationalities of those who aspire to Christianization. There were many conferences held by the Western churches to evaluate the aspects of success and failure and to modify the paths.

After the growth of the phenomenon of the Islamic vigilance in the Islamic communities, which restored to the Islamic nation its entity after the western modernizing models and options declined since the defeat of June, 1976. The seekers of Christianization in Europe and America were terrified of this rise, which they called "the Islamic resort to its fundamentals", which is defined by the previous US President, Richard Nixon [1913-1994] in his book "The Available Opportunity" in his saying:

Those fundamentalists insist on:

- Restoring the previous Islamic civilization through reviving the past.
- Aiming at applying the Islamic Shari`ah (law).
- Saying that Islamic Shariah is a religion and a state.

---

*For the Arabic version look at the leading article of Arabic Section.

[illegible] your prayers offered towards Jerusalem). Truly, [illegible] Most Merciful towards mankind.} [Al-Baqarah [illegible]]

[illegible] We have seen the [illegible] of your (Muhammad's peace be upon [illegible]) [illegible] the heaven. Surely, We shall turn you to a Qiblah (prayer direction) that shall please you, so turn your face in the direction of Al-Masjid Al-Harâm (the sanctuary Mosque at Makkah). And wheresoever you [illegible] turn your faces (in prayer) in that direction. Certainly, the people who were given the Scripture (i.e. Jews and the Christians) know well that, that (your turning towards the direction of the Ka`bah at Makkah in prayers) is the truth from their Lord. And Allah is not unaware of what they do.} [Al-Baqarah (The Cow):144]

Then, the heart of the Prophet was pleased when Allah responded to his [illegible] and when he realized that Allah elected him to bestow love and bounty upon him. When the Qiblah was transferred during Sha`ban in the second year of Hijrah, this month was honored and dignified. Whenever this month comes, we remember this great Islamic event that Allah pleasing His Prophet by transferring the Qiblah to the Ka`bah. Allah who inspired His Prophet with the transfer of the Qiblah and turning his face towards Heaven revealed that the Creator of heavens and earth extremely love and estimate our Prophet.

The transfer of the Qiblah [illegible] the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him), is glorification for the [illegible] Muslims [illegible] means glorification and support for His religion. Also, it is humiliation for the enemies of the Muslims. Also, one of the secrets behind this transfer of the Qiblah for the Muslims who face the Ka`bah in Prayer that whenever their enemy or the Jews launch war against [illegible] on earth, Allah supports the Muslims and let them conquer this oppressing enemy.

History witnesses the secret behind the transfer of the Qiblah. Sha`ban Month passes in many years before the time of the Messenger and it is not gain this eternal commemoration, which makes it one of the most important months. We should mention the fasting and supplications offered by Muslims in this month following the guidance of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) according to the reports mentioned in the authentic Hadiths about the Prophet in Sha`ban. Usamah ibn Zaid went to the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) and said: I do not see you fasting in any other month more than you do in Sha`ban. He said: People neglect this month occurring between Rajab and Ramadan. In this month, the deeds are raised to Allah, the Lord of the Worlds, and I like my deeds to be raised while I am fasting. (Related by Al-Nasa'y and Abu Dawud ranked as Sahih by Ibn Khuzaymah) Al-Bukhari and Muslim narrated on the authority of the mother of the believers `Aishah (may Allah be pleased with her) that she talked about the Messenger of Allah saying: "He did not fast in any moth more that he did in Sha`ban, as he used to fast all of Sha`ban except few days."

It was mentioned with regard to the merit of the night of the middle of Sha`ban the Hadith related by Ibn Majah on the authority of `Ali son of Abu Taleb (may Allah be pleased with him): "When the night of the middle of Sha`ban comes, stay awake at its night worshipping Allah and fast its day. Allah (Glory be to Him) descends at the time of sunset saying: "Is there any person asking Me for forgiveness and I will forgive him? Is there any person asking Me for sustenance and I will give him? Is there any afflicted person and I will grant him well-being? This is until the rise of the dawn.

It was narrated on the authority of (Ummul-Momeneen) the mother of the believers `Aishah (may Allah be pleased with her) that she said: The night of the middle of Sha`ban was the night in which the Prophet spends with me, but I did not find him at the last part of the night. Then, I felt jealousy like any other woman. I put on my coat and went to his other wives to search for

Sha`ban Month and the Transfer of Qiblah (Prayer Direction)...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

[illegible] the Most High, the All-Wise willed to send His Messenger [illegible] (May the blessings and peace of Allah be upon him) supported by the noblest miracle: The Qur'an, which does not ever contain any false [illegible]. Also, Allah made our Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be [illegible] major signs of the [illegible] Arab Prophet was taken for a [illegible] the Sacred Mosque to Al-Aqsa Mosque where he [illegible] in Prayer. This occurred at the [illegible] the month in which the Islamic [illegible]. The incident which occurred in this month [illegible] Ascension to heaven, and Prayer was [illegible] (May the blessings and peace of Allah be upon him).

This month is honored [illegible] and bounty on His Messenger and the [illegible] to bestow more of His Bounty and Grace on [illegible] (May the blessings and peace of Allah be [illegible] supplication, and transferred the direction of Qiblah from Al-Aqsa Mosque to the Ka`bah.

The Messenger of Allah after his immigration and the immigration of the earlier Muslims [illegible] Al-Aqsa Mosque, where the messengers of Banu Israel were sent to the people. It was supposed that some of the People of the Book [illegible] the Da`wah of the Arab Prophet [illegible] worship they were accustomed to [illegible] Al-Aqsa Mosque, the Qiblah of their [illegible] showed rejection, denial, and oppression. Also, our honorable Prophet did not pay attention to acts and sayings of those people and continued to offer Prayer towards Al-Aqsa Mosque for sixteen or seventeen months. However, his heart and honorable soul were directed to the heaven [illegible] to Allah (Glory be to Him), after the oppression he faced from those people [illegible] please him by transferring the Qiblah from Al-Aqsa Mosque to the Sacred Mosque, where the Ka`bah, the place of Ibrahim's Da`wah exists.

Then, Allah pleased His Messenger and transferred the Qiblah [illegible] the middle of Sha`ban Month, the matter which caused [illegible]. Those who loved Allah, His Messenger Muhammad the Prophet and truly believed in Islam followed him while praising Allah. Those who did not truly love Allah or believed in his religion were affected by the fabricated lies of the Jews, as they thought that the first Qiblah is better than the second one. This occurred in Sha`ban Month in the second year of Hijrah. Allah (Glory be to Him) says:

The fools among the people (pagans, hypocrites, and Jews) will say, "What has turned them (Muslims) from their Qiblah (prayer direction towards Jerusalem) which they used to face in prayer." Say, (O Muhammad peace be upon him), "To Allâh belong the east and the west. He guides whom He wills to a Straight Way."} [Al-Baqarah (The Cow):142].

Then, Allah (Glory be to Him) says:

{Thus We have made you [true Muslims - real believers of Islâmic Monotheism, true followers of Prophet Muhammad peace be upon him and his Sunnah [illegible] and the best [illegible] that you be witnesses over mankind and the Messenger (Muhammad peace be upon him) be a witness over you. And We made the Qiblah (prayer direction towards Jerusalem) which you used to face, only to test those who followed the Messenger (Muhammad peace be upon him) from those who would turn on their heels (i.e. disobey the Messenger). Indeed it was great (heavy) except for those whom Allâh guided. And Allâh would never make your faith

AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban, 1433 A.H

ENGLISH SECTION
July, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الأزهر

طارق البشري - يحيى رضا جاد

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم

عدد تذكاري
عن القرءان الكريم

WWW.ALAZHARMAG.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م
وحمل اسم: نور الإسلام.
برئاسة تحرير لصاحبة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

المراسلات باسم: مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ أحمد القطب

فى فقه المنهجية القرآنية



المنهاج.. والمنهج.. والنهج.. هو: الطريق الواضح البين.. وقسطاس النظر المستقيم.

وفى حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: «لم يمت رسول الله ﷺ حتى ترككم على طريق ناهجة» أى واضحة بينة مستقيمة.

ولأن هذا الذى صنعه رسول الله ﷺ من القول والفعل والإقرار هو البيان النبوى للبلاغ القرآنى، وهو التطبيقات والإنجازات العملية التى حولت القرآن الكريم إلى حياة معيشة ومنهاج شامل للفرد والأسرة والأمة، للذات والآخر، للدين والدولة، للعبادات والمعاملات، للثقافة والمدنية والحضارة، للآداب والسلوك وعلوم القلوب وفلسفات العقول، لفقه الكتاب المسطور والوعى بسنن كتاب الله المنظور.

لأن منهاج النبوة هذا كان البيان النبوى للبلاغ القرآنى؛ فإن هذا القرآن الكريم قد مثل ـ ومازال يمثل وسيظل يمثل ـ الكتاب الجامع لكل مناهج النظر والعمل للإنسان الراشد فى جميع ميادين الحياة وفى سائر الأعمال التى تؤدى إلى الرشاد والسعادة فى المعاش والمعاد.

إنه كنز المنهجية الذى لاينفد، وجماع آفاق النظر المنهجى التى تتسع دائمًا وأبدًا أمام خطرات القلوب ونظرات العقول وتجارب المشاعر والحواس.

وإذا كانت كلمات الله ومخلوقاته لا نهائية، تبعا للانهائية طلاقة القدرة الإلهية والإبداع الربانى

(لقمان ٢٧)

فإن آيات الله المسطورة، وكلماته التى نزل بها الروح الأمين على قلب الصادق الأمين ـ ﷺ ـ هى مجمع بحار النظر ومناهج الفكر فى كل ميادين الحياة وسائر عوالم الأحياء.

* * *

وإذا نحن شئنا فى هذا الحيز الموجز أن نشير ـ مجرد إشارات ـ إلى نماذج من المناهج التى يمكن للعقل المسلم أن يلمحها ويستخرجها ويبلورها من القرآن الكريم؛ لترسم له معالم المنهج الذى يعين ويحدد سبل الرشاد فى المواقف المختلفة، والطرق المتشابهة، ووفق مقتضيات الأحوال، وبحسب فقه الواقع المعيشى؛ تحقيقًا للمقاصد والثوابت الكبرى التى جاء لها الدين: هداية الإنسان إلى السعادة فى المعاش والمعاد.

إذا نحن شئنا ـ فى هذا الحيز الموجز ـ إشارات إلى بعض الآيات القرآنية التى تمثل إضاءات منهجية، والتى تمثل نماذج [illegible] من علوم القرآن الكريم ـ علم المناهج القرآنية ـ فإننا نشير إلى هذه النماذج التى تمثلها هذه الآيات

١- المنهاج القرآنى الذى يعلم المسلم عدم الجمود على طريق واحد من الطرق المتعددة التى توصل إلى ذات المقاصد والمصالح الشرعية المعتبرة. فالمقاصد الشرعية المعتبرة واحدة، لكن المناهج والطرق إلى تحقيقها تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف الواقع المعيش ووفق الموازنات بين المصالح والمفاسد فى هذا الواقع المعيشى:

﴿ [illegible] ﴾

(يوسف ٩٧)

٢- ومنهاج التلطف، عندما يكون السبيل إلى الحفاظ على الذات التي ستسعى لتحقيق المقاصد الشرعية المعتبرة:

﴿ [illegible] ﴾

(الكهف: ١٩، ٢٠)

٣- ومنهاج الغلظة الرادعة

﴿ [illegible] ﴾

(التحريم ٩)

٤- ومنهاج الإغاظة للكفار المعتدين

﴿ [illegible] لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

(التوبة ١٢٠)

٥- ومنهاج الجدال والحوار بالتي هي أحسن، إلا مع الذين ظلموا:

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت ٤٦)

٦- ومنهاج الصبر على مقولات الشرك وإحالة أمر رؤوس المكذبين إلى القادر القاهر

﴿ وَٱصۡبِرۡ [illegible] وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ [illegible] ﴾

(المزمل ١٠، ١١، ١٢)

٧- ومنهاج بذل المعرفة والعلم للكافة، حتى للمشرك الطالب للمعرفة:

﴿ [illegible] ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ [illegible] قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾

(التوبة ٦)

٨- ومنهاج التمييز بين فضائل الآخرين وتقدير تميزهم ومذاهبهم

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١١٣-١١٥)

﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٠٠-١٠١)

٩- ومنهاج نسبية العلم الإنساني، وجزئية المعرفة الإنسانية، تبعاً لنسبية مدركات العقل الإنساني، بالقياس إلى العلم الإلهي الكلي والمطلق والمحيط:

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

(يوسف: ٧٦)

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

وقصة موسى عليه السلام مع صاحب العلم اللدني في سورة الكهف شاهد على الفارق بين النسبي [illegible] في المعارف والعلوم

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾

(الكهف: ٦٥)

فالعلم الإنساني ثمرة للوجود والموجود، بينما العلم الإلهي مصدر للوجود والموجود؛ ولذلك يوصف الله تبارك وتعالى بأنه عالم ولا يوصف بأنه عارف لنسبية المعرفة وجزئيتها ولسبق الجهل لها. كما يقال: عرفت الله، ولا يقال: علمت الله؛ لاستحالة إحاطة الإنسان بعلم ذات الله وكنهه. كما يوصف الله جلت قدرته بأنه الشارع للشريعة الإلهية، التي هي علم إلهي كلي، ووضع إلهي مطلق ومحيط.. ولا يوصف الله -سبحانه- بأنه فقيه؛ لأن الفقه معرفة جزئية، متغيرة، يثمرها التفكر والتعقل في فقه الواقع وتنزيل الشريعة على هذا الواقع المعيش.

١٠- ومنهاج التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف في: الخلق، والشرائع، والملل، والنحل، والثقافات، واللغات، والقوميات، والحضارات، والأنواع، والأجناس، والألوان، والقبائل، والأمم والشعوب. ودوام هذه السنة في التعدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾

(الليل: ٤)

﴿ [illegible] ﴾

(طه: ٥٣)

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

(البقرة: ١٤٨)

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٤٨)

١١- ومنهاج التدافع، والحراك الفكري والاجتماعي الذي يصحح الخلل، ويزيل المظالم، ويعيد العلاقات بين الفرقاء المتمايزين إلى مستوى العدل والتوازن:

﴿ [illegible] بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٥١)

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي
عزيز ﴾

(الحج ٤٠)

﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾

(المؤمنون: ٩٦)

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم ﴾

(فصلت ٣٤)

وهذا المنهاج القرآني في التدافع هو البديل لمنهاج الصراع الذي يصرع فيه القويُّ الضعيف؛ فيبقى سنة التعددية والتمايز والاختلاف

﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى
القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية ﴾

(الحاقة ٧، ٨)

١٤- ومنهاج الضرورات المبيحة للمحظورات، والتي تقدر بقدرها:

﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه
إن الله غفور رحيم ﴾

(البقرة ١٧٣)

﴿ إنما يفتري الكذب الذين
لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون *
من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه
مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر
صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾

(النحل ١٠٥، ١٠٦)

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم
تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾

(آل عمران ٢٨)

١٣- والمنهاج الوسطى فى التعامل مع الأنبياء والمرسلين. كبشر يوحى إليهم - فهم بشر، تسرى عليهم سنن الله فى البشر. وهم معصومون فيما يبلغون عن الله من السماء العظيم؛ فأرواحهم - كما يقول الإمام محمد عبده. ممدودة من الجلال الإلهى (١٢٦٦-١٣٢٣هـ - ١٨٤٩-١٩٠٥م) بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليه سطوة روحانية يشرفون بها على الغيب بإذن الله. ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين. نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم فى الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها. أما فيما عدا ذلك، فهم بشر يعتريهم ما يعترى سائر أفراده (الأعمال الكاملة جـ٣ ص ٤٠٠، ٤٠٦).

وهذا المنهاج هو الذى يعصم من غلوى الإفراط والتفريط. يعصم من تأليه الأنبياء والمرسلين وعبادتهم من دون الله، كما يعصم من تكذيبهم وقتلهم على نحو ما صنع الغلاة!

تلك إشارات - مجرد إشارات - لنماذج من منهجيات القرآنية، التى تفتح - وتفتح - أبوابًا متعددة، وطرقًا متمايزة يفتحها فقه المنهجية القرآنية أمام العقل المسلم؛ ليتخير هذا العقل المنهاج الذى يقود إلى تحقيق المقاصد الشرعية المعتبرة، فى ضوء فقه الواقع المعيش.

تفسير سورة البقرة

[illegible]

[illegible]

(البقرة: ٢٦)

الآيات متصلة بما قبلها، ثم يختلف النظم، ولم يخرج الكلام عن الموضوع الأصلي، وهو الكتاب الذى لا ريب فيه، وحال الناس فى الإيمان به وعدم الإيمان، ولا فصل فى صحة هذا الوصل بين أن يكون الكلام ردا على اليهود الذين أنكروا ضرب الأمثال بالحقرات كالذباب والعنكبوت كما يروى عن ابن عباس، أو ردا على المنافقين الذين أنكروا الأمثال فى الآيات السابقة بمستوقد النار والصيب من السماء، زاعمين أنه لا يليق بالله ضرب الأمثال. أو يكون المراد بالمثل القدوة تقريرا لنبوة النبى ﷺ أما على الأول. فيقال إنه إنما نص هنا على نفى الاستحياء من ضرب أى مثل. ولم يذكر ذلك هناك عند تمثيل الأولياء الذين اتخذوهم من دون الله بالذباب والعنكبوت [illegible] ذكر

الاعتراض الموجه على القرآن. فيكون هذا مقام رد شبه المكابرين عنه.

وأما على الثانى والثالث، فهو الظاهر، على أنه لا حاجة فى فهم الآية إلى ما قيل فى سببها. فإن لم تكن ردا لما قيل فهى ردّ لما قد يقال، أو يجول فى خواطر أهل المكابرة والجدل، [illegible]

والاستحياء [illegible] من الحياء، وهو انكسار وتغير فى النفس يلم بها إذا نسب إليها أو عرض لها فعل تعتقد قبحه، وفى الحالة الثانية يكون مانعا من الفعل الذى يعرض، يقال فلان يستحى أن يفعل كذا. أى أن نفسه تنكسر فتنقبض عن فعله، ويقال إنه استحيا من عمل كذا، أى إن نفسه انفعلت وتألمت عندما عرض عليه عمله [illegible]

بهذا المعنى كأنه أصيب فى حياته. كما يقال نسى إذا أصيب فى نساه - هو عرق يسمونه عرق النسا بفتح النون - وحشى إذا أصيب فى حشاه. وقالوا [illegible] ضعف فى الحياة بما يصيب موضعها وهو النفس، فمعنى عدم استحياء الله تعالى، أنه لا يعرض له ذلك الانكسار والانفعال. ولا يعتريه ذلك التأثر والضعف فيمتنع من ضرب مثل. بل هو يضرب من الأمثال الهادية والمطابقة لحال الممثل به ما يعلم أنه يجلى الحقائق ويؤثر فى القلوب. ولكن [illegible] الكشاف وغيره [illegible] الآية دليلا على اتصاف الله تعالى بالحياء، [illegible] ومنه إذ ورد على شئ يدل على أن ذلك الشئ قابل للاتصاف بالمنفى. فمن لا قدرة له على شيء لا ينفى عنه: لا تقول إن عينى لا تسمع وأذنى لا ترى. وقالوا إن معنى نفى الاستحياء [illegible] الله تعالى لا يرى من النقص أن يضرب مثلا بعوضة فما دونها، لأنه خالق كل شيء.

وقد ورد فى الحديث نسبة الحياء إلى الله تعالى [illegible] ما ورد [illegible]

والمثل فى اللغة [illegible] والتشبيه. وضربه عبارة عن إيقاعه وبيانه، وهو فى الكلام أن يذكر حال من الأحوال ما يناسبها ويشابهها ويظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفيا، ولما كان المراد به بيان الأحوال، كان قصة وحكاية. واختير له لفظ الضرب لأنه يأتى عند إرادة التأثير وهيج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهى إلى أعماق

نفسه. ولكن فى الكلام قلبا، حيث جعل المثل هو المضروب وإنما هو مضروب به.

وإذا كان الغرض التأثير، فالبلاغة تقضى بأن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه بحال الأشياء التى جرى العرف بتحقيرها، واعتادت النفوس النفور منها، ومثل هذا لا يخفى على بليغ، ولا على عاقل أيضا، ولذلك قال بعضهم: إن المنكرين لم يروا فى القرآن شيئا يعاب فتحملوا بقولهم هذا:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسدا وبغضا إنه لدميم

وجروا فى ذلك على عادة المتحذلقين [illegible] إذ يتحامون ذكر الألفاظ التى مدلولاتها حقيرة فى العرف، وإذا اضطروا لذكرها شفعوها بما يشفع لها كقولهم: «أجلكم الله». وإذا كان شأن المثل ما ذكرنا، كان ذكر الأشياء التي ينفر منها من ذكره فى الأمثال التى يراد بها التنفير. هو الأبلغ فى التأثير الذى هو روح البلاغة وسرها، وكان قوله تعالى:

[illegible]

[illegible] كلمة عز وجل فى كتابه العزيز. [illegible] على الذين يتحامون ذكر البعوضة وأمثالها بنقص العقل، [illegible] فوق البعوضة ما علاها وفاقها فى مرتبة الصغر، [illegible] التى لا ترى إلا بالنظارات المكبرة [illegible] يضربون مثلا بمخ النملة، وفى كلام علمائهم: أسمع من

فيرد، [illegible] من [illegible] البعوضة، والمعنى أن الله تعالى لا يترك ضرب مثل ما من الأمثال حياء منه، سواء كان بعوضة أو أصغر منها حجماً، أو قل عند الناس شأناً.

ثم ذكر تعالى أن الناس في ذلك فريقان:

﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾

لأنه ليس نقصاً في حد ذاته، وقد جاء في كلامه تعالى، فهو ليس نقصاً في جانبه، وإنما هو حق لأنه أسلوب [illegible] وسائق إلى الأخذ به، بما له من التأثير في النفس. وذلك أن المعاني الكلية للذهن مجملة مبهمة، فيصعب عليه أن يحيط بها وينفذ فيها فيستخرج سرها، والمثل هو الذي يفصل إجمالها ويوضح إبهامها. فهو ميزان البلاغة وقسطاسها، ومشكاة الهداية ونبراسها، ورحم الله تعالى عبد القاهر الجرجاني، إمام البلاغة، وأول واضع لعلمي المعاني والبيان، ومؤلف (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) لتحقيق إعجاز القرآن، حيث قال في كتابه الأول:

«واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً.

«فإن كان مدحاً، كان أبهى وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممدوح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغرر المواهب والمنائح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر.

«وإن كان ذماً، كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحده أحد.

«وإن كان حجاجاً، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.

«وإن كان افتخاراً، كان شأوه أمد، وشرفه أجد، ولسانه ألد.

«وإن كان اعتذاراً، كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث.

«وإن كان وعظاً، كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغيابة، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل... إلخ».

﴿وأما الذين كفروا﴾

فيجادلون في الحق بعد ما تبين، ويمارون بالبرهان وقد تعين، فيخرجون عن الموضوع، ويعرضون عن الحجة، ويتتبعون الكلم المفردة، حتى إذا ظفروا بكلمة لا يستعذبها ذوق المتطرفين، ولا تدور على ألسنة المتكلفين، أظهروا العجب منها، وعقبوا يتساءلون عنه:

﴿فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾

ولو أنصفوا لعرفوا، ولكنهم زاغوا عن الحق فانصرفوا.

﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾

(الكهف: ٥٤)

يذهب به جهله إلى قياس رب الناس، بمتعاطي المتأدبين، وينكر على وجه المثل والقياس، ولا ينكره على نفسه وعلى الناس.

قال تعالى في جوابهم:

﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾

أي يضل بالمثل أو بالكلام المضروب فيه المثل أولئك الذين يجعلونه شبهة على الإنكار والريب، ويهدي به الذين يقررون الأدب، بعد تدبره، ويحكمون عليه بحسب فائدتها، وأنفع الكلام ما جلى الحقائق، وهدى إلى أقصد الطرائق، وساق النفوس، بقوة التأثير إلى حسن المصير.

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾

(العنكبوت: ٤٣)

فهؤلاء العالمون هم المؤمنون الذين يعلمون أنه الحق من ربهم، وهم المهديون به، وأما الذين قالوا:

﴿ماذا أراد الله﴾

أي الذين ينكرون منه لكفرهم فهم الضالون به، وقد بين شأنهم بقوله تعالى:

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾

فعرفت علة ضلالهم وهي الفسوق، أي الخروج عن هداية الله تعالى في سننه في خلقه، التي هداهم إليها بالعقل والمشاعر، وبكتابه بالنسبة إلى الذين أوتوه، وليس المراد بالفاسقين ما هو معروف في الاصطلاحات الشرعية، وهم العصاة بما دون الكفر من المعاصي، فإنه لا يصح هنا، وتلك الاصطلاحات حادثة بعد التنزيل، وقد كان التعبير مشعراً بأن المثل هو منشأ الإضلال والهداية به ذاته، فنفى ذلك بهذه الجملة ليبين أن منشأ الضلال راسخ فيهم وفي أعمالهم وأحوالهم.

ثم إن الآية تشعر بأن المهتدين في الكثرة كالضالين، مع أن هؤلاء أكثر، وكأن الحكمة في التسوية إفادة أن المؤمنين المهديين على قلتهم أجل فائدة وأكثر نفعاً وأعظم آثاراً من أولئك الكفار الفاسقين الضالين على كثرتهم، لأن المؤمنين كما قيل: «قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا».

ولذلك، جعل الواحد في القتال بعشرة في حال القوة والعزيمة، وباثنين في حالة الضعف، قيل هو ضعف البدن، وقيل بل ضعف البصيرة. ولقد كان من أثر ذلك العدد القليل، من مؤمني الأولين أن سادوا جميع العالمين.

لو أن أمثال الرجال تفاوتوا
إلى المجد حتى عد ألف بواحد
... ... في ... ...
فلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

وأما وجه تقديم الإضلال على الهداية، فلأن ... وفساد ... الفكر متقدم في الوجود. وإنما جاءت الآيات المبينة بالأمثال لإخراجهم ... من ظلمات ... إلى نور الحق، فزادت الفاسقين رجسا على رجسهم ... عظة ... من ... في نقض العهد وقطع الوصل والإفساد في الأرض، كما في الآية التالية لهذه

﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾

(البقرة. ٢٧)

وقد علم بما ذكرنا أن في الآية لفا ونشرا غير مرتب، فإن الضلال ذكر أولاً وهو للفريق الثاني، والهدى ذكر آخرا وهو للفريق الأول.

هذا. وإن ما تقدم تقريره في ضرب المثل وضلال قوم به وهداية آخرين، هو مبنى على أن المراد به المثل الكلامي كما عليه الجمهور، أخذا مما ورد في سبب النزول. وتقدم عن بعضهم، أن المراد بالمثل في الآية القدوة الذي يؤتم به ويهتدى بهديه. وهذا معنى ... معروف وقد نطق به القرآن في قوله تعالى

﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾

(الزخرف. ٥٦)

وقوله تعالى

﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ﴾

(الزخرف. ٥٧)

وقال فيه

﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ﴾

(الزخرف. ٥٩)

فهذه الآية تهدينا إلى فهم قوله تعالى:

﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ﴾

وإن المراد به دحض شبهة الذين أنكروا نبوة النبي ﷺ وصلاحيته لأن يكون مثلا يقتدى به، وهي أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وهم المشركون، والذين أنكروا أن يكون من العرب، وهم اليهود.

وقد حكى هذه الشبهة عنهم في آيات كثيرة، كأنهم يقولون: إذا كان بشرا مثلنا، فكيف يدعي أنه رسول من الله يجب اتباعه، ومثل كامل ضرب للاقتداء به؟

﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾

(ص: ٨)

ولأي شيء لم يرسل الله ملكا؟ ومنهم من قال

﴿ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾

(الفرقان. ٧)

وقد أقام الله الحجة على هؤلاء بقوله:

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾

(البقرة. ٢٣)

و... ... بوعيد من ... عن الإيمان بعد قيام البرهان وهم الكافرون، وبشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم المؤمنون. وبعد تقرير الحجة وهي تحديهم بسورة من مثله ... على شبهتهم بالنقض وهي استبعاد أن يكون بشر رسولاً من عنده، ومحصله أن الله تعالى خالق كل شيء. فيجعل ما شاء من المنفعة والفائدة فيما شاء ومن شاء من خلقه. ويضرب به مثلا للناس يهتدون به، وليس هذا نقصا في جنب الألوهية. فيستحي من ضربه مثلا، بل من الكمال والفضل أن يجعل من المخلوقات الضعيفة والحقيرة في العرف كالبعوض فوائد ومنافع. فكيف يستنكر أن يجعل من الإنسان ... ... كرمه وحققه في أحسن تقويم مثلا وإماما يقتدى به قومه ويهتدون بهديه؟ وبقية الكلام في الآية على هذا الوجه في معنى المثل هو نحو ما تقدم تقريره، أو ظاهر منه أتم الظهور، فإن الذين آمنوا يعلمون أن هذا الإمام الذي نصبه للناس، مهما يكن ضعيفا قبل أن يقويه ببرهانه، هو الحق الذي ثبت تأييده من ربهم. والكافرون يقولون لم لم يبعث إلى الناس من هو خير منه في نظرهم؟ وماذا يريد بأن يجعل لهم قدوة في ضعفهم ... وهكذا ... في قوله

﴿ يضل به كثيرا ﴾

وقد عهد من أهل البصيرة الاقتداء بالحيوانات والاستفادة من خصائلها وعاداتها. ويحكى عن بعض كبار الصوفية، أنه قال: تعلمت المراقبة من القط.

وعن بعض حكماء المسلمين، أنه قرأ كتابا نحوا من ثلاثين مرة فلم يفهمه، فيئس منه وتركه. فرأى خنفسة تتسلق جدارا وتقع، فعد عليها الوقوع فزاد على ثلاثين مرة ولم تيأس حتى تمكنت بعد ذلك من تسلقه والانتهاء إلى حيث أرادت. فقال: لن أرضى أن تكون هذه الخنفساء أثبت مني وأقوى عزيمة، فرجع إلى الكتاب فقرأه حتى فهمه.

ويقال إن «تيمورلنك» كانت نفسه تحدثه بالملك من أول نشأته، على ما كان من فقره ومهانته. فسرق مرة غنما وكان لصا، ففطن له الراعي فرماه بسهمين ... كتفه ورجله فعطلهما، فأوى إلى خربة وجعل يفكر في مهانته ويوبخ نفسه على طمعها في الملك، ولكنه رأى نملة تحمل تبنة وتصعد إلى السقف، وعندما تبلغه تقع ثم تعود، وظلت على ذلك عامة الليل حتى نجحت في الصباح، فقال في نفسه والله لا أرضى أن تكون ... عزيمة وأقل ثباتا من هذه النملة. وأصر على عزمه حتى صار ملكا وكان من أمره ما كان.

المبشرون نقاد القرآن



ان العقل السليم لا يتقبل الحكم على الشيء بالغباوة والقداسة لعلة واحدة في وقت واحد. فان تقبل العقل ذلك فلابد من سبب يوقعه في الاضطراب باختياره. واكثر ما يكون ذلك السبب مرضا من امراض الجنون او هوى دفينا يحمله على المغالطة ويعجزه عن مقاومتها. او خداعا مقصودا يعرفه العاقل بينه وبين نفسه ويصطنعه مع غيره لغشه والاحتيال عليه.

وليس بمختلف في جماعة المبشرين المتخصصين لنقد القرآن وعقائد الإسلام عامة من هذه الآفات النفسية، فليس منهم واحد يسلم من التخبط في التفكير، كما يتخبط المصابون بالعلل العقلية، أو يملكه التعصب الأعمى، فيقوده في معمعته ولا يسمح له أن يحجب الحقيقة عن عينيه بيديه، أو يعمل عمل المحترف الذي يحتال لصناعته بما وسعه من وسائل الترويج والتضليل، ولا يعنيه إلا أن يعرض بضاعته ويهيئ لها أسباب النفاق في السوق، وربما اكتفى من النفاق بالدعاية وبحسب ... في العرض والترويج.

عرف في القاهرة منذ بضع عشرة سنة مبشر من أعلام التبشير كانوا يلقبونه «بالرسول المختار إلى العالم الإسلامي»، ويريدون بذلك أنه تكفل أمام جماعات التبشير بتحويل العالم الإسلامي عن عقيدته ولم يكن يستكثر على همته أن يتصدى لتحويل مكة والمدينة في مقدمة المعاقل الإسلامية، ولا تحويل القاهرة بما اشتملت عليه من معاهد الإسلام وذكرياته السابقة.

ذلك الرسول المختار إلى العالم الإسلامي هو رئيس المبشرين في الشرق الدكتور صموئيل زويمر، وقد بلغ الخامسة والثمانين وتوفي منذ تسع سنوات ولم يترك بعده واحدا من «المهتدين» بتلك الرسالة يقال فيه بحق إنه تحول من الإسلام عن يقين وإيمان، لأن التلاميذ الذين أحصاهم في القاهرة كان لهم مرتب ينقطعون به، ولم يرتفع له صوت بعد اعتزال أستاذه وظائفه المتعددة في جماعة التبشير.

ذكرنا بهذا «العلامة» كلام قرأناه له في كتابه «بلاد العرب مهد الإسلام» وكتاب صغير أخيرا في موضوعه عن «الطب الطبيعي» كان فرصة للرد به على ذلك الكلام الذي نشره زويمر قبل نشره خلال ستين سنة ولا يزال مرجعا من مراجع التبشير بين أيدي التلاميذ المتخرجين على يدي ذلك الرسول.

قال هذا الرسول إلى الإسلام في فصله عن العلوم والفنون العربية: إن الشهد لم يزل معدودا كالترياق في بلاد العرب استنادا إلى القرآن والحديث، وقد كانت الإشارة الوحيدة إلى الطب في وحي محمد هذه الكلمة الغبية التي يقول فيها عن النحل إنه:

«يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون»

(النحل ٦٩)

وقد كان هذا هو العلاج الوحيد الذي وصفه الله في كتابه!

إن الدجل المتعمد ظاهر في قول هذا العلامة «العبي» إن القرآن حصر الطب كله في دواء واحد هو الشهد. فإن المعنى الذي تفيده الآية بغير لبس ولا محاولة أن الشهد شفاء ولم تقل إنه كل الشفاء ولا أنه شفاء من جميع الأمراض فإن وصف الشهد بهذه الصفة لا يزيد على أنه دواء من الأدوية، كما يوصف أي عقار من العقاقير في الصيدليات.

ومثل هذا الادعاء «التبشيري» لا يعتسف اعتسافا على هذه الصورة إلا للافتراء المتعمد طمسا للحقيقة مع سوء النية.

أما حكم العلامة بالغباوة على وصف «الشهد» بالشفاء فليس له معنى غير غباوة مضاعفة في القائل إن كان مصدقا لما قال. لم لا يكون «الشهد» دواء من الأدوية وهو خلاصة أعشاب وأزهار؟

إن علاج الأمراض بالأعشاب والأزهار قديم جدا في كل أمة، وهو قوام العلاج إلى اليوم في أكثر الأدوية التي يصفها الأطباء العصريون لضروب شتى من الأمراض وتستحضرها معامل الكيمياء في بلاد الحضارة.

وهذا قبل شيوع الكلام عن «الفيتامينات» وتقرير العلاج بها للأمراض الباطنية وأمراض الأعصاب وعلل الضعف والإعياء على اختلافها.

فلماذا يمتنع على العقل كل الامتناع أن يصف دواء الشهد بوصف غير الغباوة؟

لماذا يرفض العقل أن تكون خلاصة الزهر ومستودع النباتات والحيويات دواء ينتفع به الضعيف أو المريض؟

إن الغباوة هي عجز العقل عن فهم هذه الحقيقة أو عجزه عن فتح الباب لتصورها على كل احتمال.

وإنما قد تكون الغباوة مفهومة إذ هي تشابهت في سوء الفهم ولم تتخصص للشهد دون غيره، ولكنها غباوة تنزل إلى ما دون مستوى الفهم، إذ كان صاحبها يرفض الشهد علاجا ثم يتقبل تطهير الأمراض الجلدية بدماء العصافير ويتقبل أن تكون رائحة الشواء سرورا للإله، ويتقبل أمثال ذلك من أوصاف الكتب التي يتلوها على الناس ويقدسها صباح مساء.

بعد وفاة زويمر ببضع سنوات ظهر باللغة الإنجليزية كتاب عن الطب الطبيعي يقول مؤلفه عن الشهد، ما كان زويمر يدعيه على القرآن الكريم، ويعقد المؤلف لخصائص الشهد الطبية فصلا مستقلا يوشك أن يجعله «صيدلية» وافية تغني عن عشرات من العقاقير.

وليس المؤلف واحدا من أولئك المتطببين الجهلاء يتعاطى علاج الأمراض بوصفات الأقدمين من قبيل تذكرة داود الأنطاكي في اللغة العربية، بل هو الدكتور جارفس الطبيب المتخرج من مدارس الطب الحديث وصاحب المباحث العلمية التي سمعها زملاؤه العظماء المصريون وأشاروا عليه بجمعها للإفادة منها. فجمعها ونقحها وأودع فيها صفوة التجارب التي حققها

(*) نشر هذا المقال في مايو سنة ١٩٦١

نحو أربعين سنة إلى أن جاوز الثمانين، وسماها بطب الجمهور Folk medicin، كما تسمى من قديم الزمن بين العربيين.

وهو لا يعلل فائدة الشهد في العلاج «بالبركة» ولا بالتأثير النفساني المستمد من العادة ولا بالنعمية الفاضحة التي تعمل عمل الدواء وإن لم يحسبها الأطباء من الأدوية العلاجية، ولكنه يعلله بأسباب علمية يعتمد الأطباء والكيميائيون في تحضير الأدوية وتقسيمها على حسب الجراثيم التي تحدث الأمراض أو تضاعف أضرارها، ويقول في تمهيدات فصل مطول كتبه عن الشهد خاصة: إنه لا يتكلم عن «نظرية» معروضة للامتحان، بل يقرر التجربة المحققة التي تثبت أن «البكتريا» لا تعيش في الشهد لاحتوائه على مادة «البوتاس» وهي تحرم البكتريا تلك الرطوبة التي هي مادة حياتها.

قال: «إن الدكتور ب كيت أستاذ البكتريا بكلية الزراعة في فورت كولنز، وضع أنواعا من جراثيم الأمراض في قوارير مملوءة بالعسل الصرف فماتت جراثيم التيفويد بعد ثمان وأربعين ساعة، وماتت جراثيم النزلات الصدرية في اليوم الرابع، وماتت جراثيم الدوسنتاريا بعد عشر ساعات، وماتت جراثيم أخرى بعد خمس ساعات..»

ثم استطرد المؤلف إلى بيان المواد الغذائية الموفورة في الشهد فذكر منها الأغذية المعدنية وعد أكثر من عشرة معادن غذائية تدخل في تركيبه ونقل تقرير الأستاذ شويت Schuette العالم الكيماوي الذي يقول فيه إن الأغذية المعدنية تختلف باختلاف ألوان الشهد، فالنحاس والحديد والمنجنيز أوفر في الشهد الضارب إلى السواد، والحديد ضروري لاتصاله بالمادة الملونة للدم أو الهيموجلوبين، ويلي ذلك كلام عن المعادن الغذائية، وعلاقتها بألوان هذا الشراب، كما جاء في القرآن الكريم، وهو يشير إلى اختلاف ألوانه، وما احتوته من أسباب الشفاء ثم أجمل الطبيب مزايا المادة السكرية في الشهد فعدد منها:

(١) أنها لا تهيج جدران القنوات الهضمية.

(٢) أنها سريعة التمثيل في البنية.

(٣) أنها تتحول سريعا إلى طاقة بدنية.

(٤) أنها مناسبة للمشتغلين بالألعاب الرياضية لتعويض الطاقة.

(٥) أنها بين أنواع السكريات أوفقها للكليتين.

(٦) أنها مهدئة ملطفة.

(٧) أنها مساعدة طبيعية لعملية الهضم فضلا عن سهولة الحصول عليها.

ومضى الطبيب في بيان خصائص الشهد النافعة للعلاج وغذاء الكبار والصغار وتفسير ذلك بالأسباب العلمية فأجملها في خمس وعشرين صفحة، ولم يذكر في سائر الفصول دواء أو غذاء آخر له مثل هذه الخصائص أو خصائصه مثل هذا الثبوت بالتجارب الواقعة وتجارب المعامل والمشتغلين بالتطبيب. تصفحت هذا الكتاب عن الطب الطبيعي فذكرت كلمة رويمر عن الآية القرآنية ووجدتها مثالا أصلح من كل مثال لإبراز عقلية المبشر بما طوته من عيوب الريبة والتعصب والمغالطة، مع عيوب الفدامة والعي في كثير من الأحيان، ولاح لي أن نصيب رويمر من هذه الغفلة المعكوسة على قدر مكانته في ميدان التبشير، إلا أنها غفلة لا ترشحه لرد المسلمين عما اعتقدوه، بل لعله لا يطلب لرسالته غفلة أوفى منها لو أراد بها تثبيت المسلمين على عقائد الإسلام.



هـــذا القـــرآن

للشيخ/ محمد الغزالي

ما كان الله يخلق الناس عبثا. ولا ليتركهم في هذه الأرض سدى.

والراشد من يعرف حكمة وجوده. ويسير في الحياة على بصيرة من أمره. حتى يخلف هذه الدنيا وراءه دون أن يذل أو يخزى. ومن قديم دارت في الخواطر وعلى الألسنة هذه الأسئلة: من أين جئنا؟ وكيف نعيش؟ وإلى أين المصير؟. إن الكثيرين لم يهتموا بأية إجابة على هذا التساؤل المتتابع. وخرجوا من الدنيا كما دخلوا فيها. لا يعقلون شيئا.!!

وبعض الناس أجهد نفسه في البحث وراء الحقيقة. وقضى أغلب عمره وهو يطلبها ولا يبلغها. أو لعله انتهى إلى قرار يظنه ما يبغي.. مع أن بينه وبين الحق ألف ميل.!

وقليل أولئك الذين وصلوا إلى أطراف من الحق. ثم تشبثوا بها. واستراحوا إليها.. لكن الله لا يترك عباده لهذه الحيرة وهو أبر بهم. وأحنى عليهم من أن يدعهم يعتسفون الطرق إليه. أو تتعثر جمهرتهم فلا تكاد تهتدي إلى الصراط المستقيم.

من أجل ذلك بعث الله المرسلين يحملون للناس الحق الواضح. ويشرحون لهم سبيله في غير غموض أو تعقيد. ويوفرون على الأذكياء والأغبياء عشرات السنين قد يقضونها في تعرف سر الحياة. فإما شردوا. وإما انقطعوا. وإما أدرك لمعا من الحق نفر لا يعدون..

نعم. ما من واحد في الخيبة من يفهم الخطاب. بعث الله من يعرف به، ويشرح مراده من خلقه، ويذكر بالمصير الذي سوف ينتهي إليه العالم، ويبشر المتقين بالخير، وينذر الفجار بالشر!!.

ومن ثم يقول الله لنبيه محمد ﷺ:

﴿ [illegible] ﴾

(فاطر: ٢٣، ٢٤)

والقرآن الكريم هو صوت الحق الذي قامت به السماوات والأرض!!

ومعانيه هي الأشعة التي تألق فيها الوحي الأعلى، وتعرض لها الأولون والآخرون، واستطاعوا بها - إن شاءوا - أن يعرفوا: من أين جاءوا.. وكيف يحيون.. وإلى أين يصيرون!!

صحيح أن القرآن الكريم لم ينزل إلا منذ أربعة عشر قرنا. بيد أن معانيه قديمة حديثة. ففيها خلاصة كاملة للرسالات الأولى، وللنصائح التي بذلت للإنسانية من فجر وجودها. فالقرآن ملتقى رائع للحكمة النافعة التي

قرعت آذان الأمم في شتى العصور، واستعراض دقيق للأنصبة السماوية التي احتاجت إليها الأرض جيلا بعد جيل.. !!

إنه لذلك مجمع الحقائق الثابتة، ومجلى عناية الله بعباده مذ خلقوا، وإلى اليوم، وإلى أن تنقضي هذه الدنيا!

وإظهارا لهذا المعنى يقول الله عز وجل واصفا لبعض عظات القرآن

[illegible]

(الأعلى: ١٨ - ١٩)

ويقول بعد سرد لتاريخ الأمم والمرسلين أحصى عددا كبيرا منها ومنهم

[illegible]

(الشعراء: ١٩٠ - ١٩٦)

ويقول - شارحا ضلال الأمم البائدة

[illegible]

(الصافات: ٣٥ - ٣٧)

والنبي الذي جاء بهذا الكتاب، يعلم أنه جدد الدين الأول، وأقام ما انهدم من أركانه، وأوضح ما خفي من معالمه، ومن ثم يقول: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو أن موسى حي ما وسعه إلا اتباعي»!!

نعم.. ولو كان عيسى حيا ما سعه إلا اتباعه، وكذلك يطرد الحكم مع سائر الأنبياء، فإن الرسول الخاتم ﷺ جاء منصفا لتراث الذين سبقوه، وبانيا على قواعده، وملتئما مع أهدافه.

وكتابه أدق تعبير وأصدقه في بيان ما قال نوح لقومه وما قال إبراهيم لقومه، وما هدى به كل نبي في الأولين أمته.

إن القرآن هداية الله للحياة كلها.

إن كانت آيات الكون صامتة يستنبط الناس منها الفكرة، ويستخلصون منها العبرة. فآيات القرآن ناطقة تعرف الناس بربهم، وتتولى إليه قيادهم

وإن كان الله قد خلق هذا العالم الكبير، وأسكن أبناء آدم جانبا منه، ومنحهم الأبصار النافذة المشتاقة إلى تعرف ما بين يديها وما خلفها، فهو - جل شأنه - لم يتركهم حيارى يخبطون في بيداء ليس لها دليل، كلا. إن معهم الدليل الهادي إلى الخير، الخبير بالمشارب والدروب، الذي لا يضل ولا يريب.

نعم، معهم هداية الله التي توارث الأنبياء إبلاغها، وأجهدوا أنفسهم في نصح الناس بها.

تلك الهداية التي صحبت الركب الإنساني من بداية الطريق، ثم تدرجت في أطوار شتى مع التاريخ السائر الدءوب، ثم انتهت إلى صبغتها الأخيرة ووضعها الثابت في ذلك الكتاب العزيز، ثم كتب لها الخلود لتبقى أبدا منارة الحق، ومثابة الرشد!! إن الذي خلق الحياة معلقة بأسرار كثيفة أبى أن يجعل الحياة لغزا معضلا لمن يمرون بها، فجعل «الدين» مفتاح الأغلاق، وجعل «القرآن» مصدر الدين، وجماع تعاليمه من الأزل إلى الأبد.

والتطابق بين حقائق القرآن، ومعارف الكون

مفروض ابتداء، فإن منزل الكتاب هو مجري السحاب

ويستحيل أن تختلف حقيقة كونية وحقيقة قرآنية، كما لا يختلف قول الخالق وعمله. والواقع أن القرآن في الدلالة على الله، والكون ناطق، كما أن هذا الكون الصحيح القرآن، صامت وكلاهما ينبثق من ذات واحدة، ويهدف إلى غاية واحدة

ولعل ذلك سر الأقسام التي جاءت منوهة بهذا المعنى مثل قول الله سبحانه

[illegible]

(الواقعة: ٧٥ - ٨٠)

وخلق بهذه الكواكب في فضائها الوسيع حيث تشرق وتغرب يوميا إلى المعمورة التي يسعى أن تخصها بهذا القرآن، كأنما هو عالم من معاني يضطرب في خلاله هذا العالم الذي الذي نحيا على كرته

وقد تكرر هذا القسم في صورة مشابهة، كما حلف فيها بالمنظور وغير المنظور من خلق

ومما نرى من هذا الوجود أضعاف ما لا نراه، ويكون قسم الله على روعة هذا القرآن وصدوره منه وحده، وتنزيهه أن يصدر من مخلوق ما

[illegible]

(الحاقة: ٣٨ - ٤٣)

ويظهر هذا القسم في ثوب آخر، يتناول المكان والزمان جميعا، ويضم في طياته مواكب الأحياء وهي سائرة إلى مصيرها المحتوم، تخرج من ظلام الليل لتستروح صبح النهار، وتودع حركة النهار لتستقبل هدأة الليل، وتدور بها الأرض لتستقبل صفحات النجوم بعدما سبحت فترة في أشعة الشمس.

[illegible]

(التكوير: ١٥ - ٢٢)

هذا القرآن المقسم عليه قول رسول كريم، أرسله به ذو العرش جل جلاله كي تعرف الحياة طريق الحق فلا تشرد عنه، وإن طال المدى، أو اتسعت أرجاء السعي في طول الدنيا وعرضها، وامتداد الزمان وتراخيه.. !!

ولما كان القرآن الكريم أساس حضارة إنسانية كبرى وضعت ثورة نفسية وعقلية نقلت تاريخ العالم كله من طور إلى طور، فنحن نريد أن نلمع على عجل إلى بعض خصائص الحركات التي لها في الحياة آثار غائرة.

إن نجاح النهضات وبقاءها يرتبطان بمقدار ما تستمد إليه من مشاعر وأفكار، بل إن الارتقاء الصحيح لا يكون إلا معتمدا على خصب المشاعر ونضارة الأفكار.

ولذلك لابد في الثورات الاجتماعية الكبرى من ثورات أدبية، تمهد لها، وتملأ النفوس والعقول إيمانا بها..

وقد تعتري الأمم هزات موقوتة، أو انكسارات وانتصارات سريعة، وقد يصيب

حضارات هذ وجود لأسباب شخصية أو محلية.

وذلك كله ينظر إليه المؤرخون نظرة عابرة، ولا ينتظرون من ورائه نتائج بعيدة المدى. أما النهضات التي تصحبها يقظات إنسانية واسعة، وتخفق بها عواطف حياته وتغيرات عميقة فهي أمر له خطره. وله ما بعده !!

فنحن مثلاً ننظر إلى صنيع «محمد على باشا» والي مصر منذ قرن - فنرى الرجل أحدث تغييراً شاملاً في البلاد، وبلغت فتوحه العسكرية حداً لم تعرفه مصر بضعة قرون. حتى إن الرجل ملأ قلوب أعدائه بالفزع، فألّبت الدولة الكبرى وساقت عليه قواها مجتمعة، فبرته بر وبحراً!

وما إن مات الرجل حتى ماتت معه النهضة التي صنعها!

لماذا؟ لأنها نهضة لم تنبجس عن المشاعر العامة، ولم يمش بين يديها وخلفها حشد من الأقلام الباعثة، والألسنة الناصحة، ولم يلتف حولها العلماء والأدباء. يصلون جسورها بالتربية التي تحفظ عليها حياتها. إن لم تحفظ عليها النماء والامتداد. قارن بين هذه الحركة التي قام بها الجندي التركي [1] «محمد على باشا» وبين الحركة التي عاصرته أو سبقته بستين، أعني حركة حقوق الإنسان التي قامت في فرنسا [2]، والتي مهد لها، وأشرف عليها كتاب وخطباء غرسوا في الدماء حب الحرية، وكراهية الظلم. وكانت مقالاتهم لهباً يؤجج الجماهير. ويسير لهب المستقبل أن تعرف بدورة حضور [illegible]!!

بل قارن بين هذه الحركة، وبين ثورة الطبقات التي أشعلها الروس [3] وجعلوا الدعايات المغرية تسبقها أو تلحقها. حتى إنهم ليجعلون من مبادئهم أماني للمحرومين، وأهدافاً للطامحين. فما تنالهم هزيمة إلا هاجت حميتهم لكفاح جديد وأمل بعيد.. إن ذلك يؤكد الحقيقة التي أشرت إليها وهي أن النهضات الكبرى لا تستوي وتستمر على الزمن إلا بمدى ما تمت به إلى المشاعر والأفكار وتتعمق به إلى النفوس والعقول.

والنهضة التي اقترنت بالقرآن الكريم اقتران النهار بالشمس، وجدت أسباب الحياة والازدهار في هذا الكتاب العزيز، على نحو يروع الألباب.

لقد كان هذا القرآن وفر للنهضة الإسلامية من عناصر الوجود والاكتمال، ما لا تستطيع صنعه كل وزارة للدعاية تجند فيها لتعبئة العواطف والآراء كل الأقلام البارعة، والألسنة الحادة.

كان هذا القرآن للحركة الإسلامية صحافتها. وإذاعتها، وكتابتها، وخطابتها، ومن آياته وحدها اعتبرت الأجيال الهامدة هزة الحياة. وتحلحلت بقوة وعزم من عقابيل الجاهلية الأولى لتنشئ نهضة جديدة مثيرة تحققها وترتبها. نهضة لم تنبعث من نفس رجل واحد فتموت بموته، بل نهضة تنبعث من أعماق النفوس التي آمنت عن يقين جازم،

---

(1) كان محمد على، تركياً من أصل ألباني تولى حكم مصر ١٨٠٥ ومات ١٨٤٩ وهو والياً عليها

(2) مصاحبة لثورة فرنسا الكبرى ١٧٨٩م والتي أعلنت شعارها الحرية والإخاء والمساواة

(3) قامت الثورة الروسية ١٩١٧ تنادي بحقوق العمال والفقراء ولم تحقق شيئاً من أهدافها بعد

واقتناع محض، وكأن كل واحد من حملة هذه الرسالة هو الذي يختص بهمة الآيات

[illegible]

(الأنعام. ١٦٢ - ١٦٣)

إن الإسلام عقد الأواصر فأحكمها بين رسالته السماوية، وبين الآخذين بها، والحياة التي يزاولونها، وقد كان هذا القرآن الكريم السناد النفسي والعقلي لجهاد الأتباع وعملهم الرتيب في توجيه الحياة، وإعادة تخطيطها على أسس أرقى.

وعندما نتجوز ونترخص وندخل في باب المقارنة بين الدعائم الأدبية للثورات المختلفة، نجد رباط المسلم بالقرآن أوثق وأزكى من رباط الشيوعي بكتاب ماركس، وغيره. ومن رباط الديمقراطيين بكتابات روسو، وغيره. بل إن الفيوض المعنوية التي تنساب مع القرآن، وتشرح الصدور به، وتضاعف الحماس له، أجل من أن تدخل في موازنة مع أي سناد أدبي لنهضة في الأولين، أو في الآخرين.

ألم تر أن السيف يزري بقدره

إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

ونجاح الدعاية النفسية والفكرية التي أحدثها القرآن هو الذي قذف بالرهبة في قلوب خصومه، فحاربوه، وفي نفوسهم ريبة من موقفهم وشك في قضيتهم. بل إن الألوف حاصروا الإسلام، وهم يحملون في طواياهم احترام حقيقته، وتصديق رسالته.

ذلك أن الأدلة التي بسطها القرآن الكريم والأساليب التي ساقتها حسمت جميع الشبه التي يمكن أن تهجس في النفس. وجعلت دعوته عالية لا تعالى، وليس أنجح لرسالة من أن خصمها يحس في أعماق ضميره أنه مبطل في خلافها، وليس أنجح لدعاية من أنها تبلغ في التأثير على عدوها درجة تفرق بين المرء ونفسه!!

وبلوغ القرآن هذه الغاية من التأثير في الأصدقاء والأعداء بعض أسرار الإعجاز التي نوه بها العلماء وبعض أسرار الخلود التي كتبها الله لآياته.

وقد كره عشاق المعجزات المادية أن تناط بكتاب ما هذه الآثار، وقالوا متطلعين:

[illegible]

(الرعد ٣١)

لا.. هذا قرآن تسير به الرجال، وتصلح به الأرض. ويكلم به الأحياء. هذا كتاب يصوغ الحياة في قوالب جديدة. ويرد النفوس إلى فطرتها السليمة، ويذود عن البشر فتن الشياطين، ولوثات الأغبياء، وتقاليد الجاهلين والجاحدين.

هذا كتاب الوجود، يعرفه من عرف نفسه، وعرف الغاية من محياه، ومن مبتدئه ومنتهاه:

أما الجاحدون له، فسيعلمون غداً وجه الحق إن لم يعرفوه اليوم

[illegible]

(الرعد ٣١)

دولـــة القـــرآن



القرآن كتاب الكون. لا تفسره حق التفسير إلا حوادث الكون. والقرآن كتاب الدعوة. لا تكشف عن حقائقه العليا إلا تصاريف الدهر. والقرآن كتاب الهداية الإلهية العامة. فلا يفهمه إلا المستعدون لها. والقرآن، لا يبلى جديده. ولا تنقضي عجائبه.

جاء القرآن لهداية البشر وإسعادهم، والاهتداء به متوقف على فهمه فهمًا صحيحًا. وفهمه الصحيح متوقف على أمور: منها فقه أسرار اللسان العربي فقهًا ينتهي إلى ما يُسمَّى ملكة وذوقًا، ومنها الاطلاع الواسع على السنة القولية والعملية، التي هي شرح وبيان للقرآن، ومنها استعراض القرآن كله عند التوجه إلى فهم آية منه أو إلى درسها؛ لأن القرآن كل لا يختلف أجزاؤه، ولا يزيغ نظمه، ولا تتعاند حججه، ولا تتناقض بيناته. ومن ثم قيل: إن القرآن يفسِّر بعضه بعضًا، بمعنى أن مبيِّنه يشرح مجمله، ومقيِّده يبين المراد من مطلقه. إلى آخر الأنحاء التي جاء عليها القرآن في نظمه البديع، وترتيبه المعجز، ومنها الرجوع في مناحيه الخصوصية إلى مقاصده العامة، لأن خصوصيات القرآن وعمومياته متساوقة يشهد بعضها لبعضها، وكلّ هذه الأمور لا تتهيأ إلا لصاحب الفطرة السليمة، والتدبر العميق، والقريحة اليقظة، والذهن الصافي، والذكاء الوهاج.

والقرآن حُجة على غيره، وليس غيره حجة عليه. فليس ما تفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية، والآراء الفقهية، أو المعتقدة فيه، وإرجاعه بالتأويل إليها إذا خالفته. ومن الخطل، بل من الخذلان المفضي بصاحبه إلى ما يستعاذ منه أن يجعل الرأي لأحد من ذوي غير المعصوم أصلاً، ويجعل القرآن المعصوم فرعًا، وأن يعقد التوازن بين كلام المخلوق وكلام الخالق، إن هذا لهو الضلال البعيد.

ما أضاع المسلمين، ومزّق جامعتهم، ونزل بهم إلى هذا الدرك من الهوان إلا بعدهم عن هداية القرآن، وجعلهم إياه عضين، وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليكفكف منها، وفي مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها، وفي نواجم الفتن ليُجلي غماءها، وفي معترك الشهوات ليكسر شرتها، وفي مفارق سُبل الحياة ليهدي إلى أقومها، وفي أسواق المصالح والمفاسد ليميز هذه من تلك، وفي مجامع العقائد ليميّز حقها من باطلها، وفي شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب، وإنّ ذلك كلّه لموجود في القرآن بالنصّ أو بالظاهر أو بالإشارة والاقتضاء، مع مزيد تعجز عنه عقول البشر مهما ارتقت، وهو تعقيب كلّ حُكم بحكمة، وكلّ أمر بما يُثبته في النفس، وكل نهي بما ينفّر عنه. لأنّ القرآن كلام خالق النفوس، وعالم ما تكن وما تبدي، ومركّب الطبائع، وعالم ما يصلح وما يفسد، وبارئ الإنسان وسطًا بين عالمين:

أحدهما: خير محض.

والآخر: شر محض.

فجعله ذا قابلية لهما من غير أن يكون أحدهما ذاتيا فيه. ليبلوه أيشكر أم يكفر، وليمتحنه أي الطريقين يختار، كلّ ذلك ليجعل سعادته بيده، وعاقبته باختياره، وتزكيته أو تدسيته من كسبه. وحتى يهلك عن بينة، أو يحيا عن بينة

***

ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحًا بالجبلّة والطبع، فالرعيل الأول منهم -وهم الصحابة- كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته، واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكّموه في أنفسهم، وجعلوا منه ميزانا لأهوائهم وميولهم، وأقاموا شعائره الزكية، وشرائعه العادلة في أنفسهم، وفيمن يليهم، كما أمر الله أن تقام، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبرية، قادة في غير عنف، ولا يصلح المسلمون ويسعدون إلا إذا رجعوا إلى القرآن، يلتمسون فيه الأشفية لأدوائهم، والكبح لأهوائهم، ثم التمسوا فيه مواقع الهداية التي اهتدى بها أسلافهم. وإذا كان العقلاء كلّهم مجمعين على أن المسلمين الأولين صلحوا فأصلحوا العالم، وسادوه فلم يظلموه وساسوه بالعدل والرفق، وزرعوا فيه الرحمة والحب والسلام، وأن ذلك كله جاءهم من هذا القرآن؛ لأنه الشيء الجديد الذي حوّل أذهانهم، وهذب طباعهم، وثبت الفضائل في نفوسهم، فإن الإجماع على ذلك ينتج لنا أنّ سبب انحطاط المسلمين في القرون الأخيرة هو هجرهم للقرآن، ونبذه وراء ظهورهم واقتصارهم على حفظ كلماته. وحفظ القرآن -وإن كان فضيلة- لا يغني غناء ما لم يفهم، ثم يُعمل به.

وهجر المسلمين للقرآن يرد إلى أسباب، بعضها آت من نفوسهم، وبعضها آت من خارجها.

فمن الأول: افتتانهم بآراء الناس، وبالمصطلحات التي تتجدد بتجدد الزمان. ومع طول الأمد رانت الغفلة.

وقست القلوب، ووقعت الفتنة بالتقليد، والعصبية للآباء والأجداد، وغلت طوائف منهم في التعبد، فحطت الموازنة التي أقامها القرآن بين الجسم والروح، وغلت طوائف أخرى في تمجيد العقل، فاستشرف إلى ما وراء الحدود المحددة له، وتسامى إلى الحظائر الغيبية، فتشعبت به السبل إلى الحق في معرفة الله وتوحيده، ونجمت لذلك ناجمة علم الكلام، وما استتبعه من جدل وتأويل وتعطيل، وتشابهت السبل على عامة المسلمين؛ لكثرة هذه الطوائف، فكان هذا التفرق التشيع في الدين أصوله وفروعه. وفي غمرة هذه الفتن بين علماء الدين، ضاع سلطانهم الديني على الأمة، فاستبد بها الملوك، وساقوها في طريق شهواتهم، فأفسدوا دينها ودنياها، وكان ما كان من هذه العواقب المحزنة.

ومن الثاني: تلك الدسائس الدخيلة التي صاحبت تاريخ الإسلام من حركات الوضع للأحاديث، إلى هجوم الآراء والمعتقدات المنافية للقرآن، إلى ما ادخر لزماننا من إلقاء المبشرين والمستشرقين للشبهات في نصوص القرآن عن عمد؛ ليصدوا المسلمين عن هديه، وإن خطر هذه الفتنة الأخيرة لأعظم مما يتصوره علماؤنا، ويقدره أولياء أمورنا.

هذه العوامل مجتمعة ومفترقة، وما تبعها أو لازمها من عوامل فرعية هي التي باعدت بين المسلمين وبين قرآنهم، فباعدت بينهم وبين الخير والسعادة والعزة، وأصبحوا- كما يرى الرائي- أذلة مستعبدين، ولا يزالون كذلك ما داموا مجانبين لسنن القرآن، معرضين عن آياته وإرشاداته، غافلين عما أرشد إليه من السنن الكونية. ولو أنهم تواردوا على الاستمساك به في هذه القرون الأربعة عشر، لكانوا هم السابقين بإرشاده إلى كشف أسرار الكون، واختراع هذه العجائب الآلية، ولم يكن موقفهم منها موقف المكذب أولا، المندهش آخرا. ففي القرآن آيات للمتوسمين، وإرشاد للعقل البشري، يتدرج مع استعداده، وفيه من الكشف عن غرائب النفوس وألوانها، وعن حقائق الكون وأسرار مواليده، ما يسير بمتدبره رويدا رويدا، حتى يضع يده على الحقيقة، وينكشف له عن وجهها. ويكاد يكون من البديهيات فيه ما يقرره في أطوار الأجنة، وتزاوج النبات، وتكون المطر، وتصاريف الرياح، وتكوير الليل على النهار، وإثبات الصلة بين علويات هذا الكون وسفلياته، ولكن المسلمين ظلوا غافلين حتى عن هذه البديهيات، إلى أن جاءتهم من غير طريق قرآنهم، ثم دلهم القرآن على نفسه، فلاذوا بالفخر الكاذب، وربما دلهم على مواقع هذه الأشياء في القرآن من ليس من أهل القرآن، وإن هذا لهو الخذلان المبين.

وما زاد المسلمين ضلالا عن منبع الهداية وعماية عنها إلا فريق من العلماء، وضعوا أنفسهم في موضع القدوة والتعليم، انتحلوا وظيفة التربية والتقريب من الله، فهم الذين أبعدوهم عن القرآن، وأضلوهم عن سبيله، بما زينوا لهم من اتباع غير سبيله، وبما أوهموهم أنه عال على الأفهام، وما دروا بأن من لازم هذا المذهب كفر، وهو أنه إذا كان لا يفهم فإنزاله عبث، وأنى يكون هذا؟ ومنزله- تعالت أسماؤه- يصفه بأنه عربي مبين، وأنه غير ذي عوج، وأنه ميسر للذكر، ويصفه بأنه يهدي للتي هي أقوم، وكيف يهدي إذا كان لا يفهم؟ ومن عجيب أمر هؤلاء وهؤلاء أنهم يشددون في شأن القرآن عن هوى لا عن بصيرة، فيسدون على الناس باب الاهتداء به في الأخلاق التي تزكي النفس، والعقائد التي تقوي الإرادات، والعبادات التي تغذي الإيمان، والأحكام التي تحفظ الحقوق، وكل هذا داخل في عالم التكليف، وكله من عالم الشهادة، بينما يتصدون عن الاهتداء في ذلك بالقرآن، ونراهم يتعلقون بالجوانب الغيبية منه، وهي التي استأثر الله بعلمها، فيخوضون في الروح والملائكة والجن وما بعد الموت، ويتوسعون في الحديث عن الجنة والنار، حتى لكأنهم يصفون لهما صورا مجسمة، وسبيل المؤمن القرآني العاقل في هذه الغيبيات أن يؤمن بها كما وردت، وأن يكل علم حقيقتها إلى الله، ليتفرغ لعالم الشهادة الذي هو عالم التكليف.

وما زلنا نرى من آيات حفظ الله لدينه أن يقوم في كل عصر داع أو دعاة إلى القرآن، وإمام أو أئمة يوجهون الأمة الإسلامية ومفسر أو مفسرون يشرحون للأمة مراد الله منه، ويتناولون تفسيره بالأدوات التي ذكرناها في أول هذه الكلمة، ويجعلونه حجة على المذاهب والاصطلاحات، ومنازع الرأي والعقل، وحكما بينها، وأصلا ترجع إليه ولا يرجع إليها، ومن المبشرات بالخير، ورجوع دولة القرآن، أن الدعوة إليه قد تجددت في هذا الزمان على صورة لم يسبق لها مثيل، وأن أصوات الدعاة المصلحين قد تعالت بذلك، وتجاوبت وتلاقت على هدى، تدعو إلى دراسته، واستخراج كنوزه، وإحياء دعوته إلى الفضيلة والخير والمحبة، وأخذ العقائد والعبادات والأحكام والمعاملات منه، والاستعانة على ذلك بفهوم السلف الصالح وتطبيقاتهم، وتحكيمه في كل ما يشجر من خلاف في الدين والدنيا، وكان من آثار ذلك أن أصبح العلماء المستعدون للعمل، والشبان المتهيئون للعلم يرددون الجمل الآتية، وتجول في نفوسهم معانيها، وهي: لماذا نهجر دستور القرآن، وهو من عند الله، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتبدل ولا يتغير، ثم نلتجئ إلى دساتير الغرب وقوانينه وهي من أوضاع البشر القاصرة، يظهر في كل حين تناقضها ومنافاتها للمصلحة، فتبدل وتغير، ولا تزال تبدل وتغير، مع أن واضعيها والموضوعة لهم من جنس واحد، وعلى طبيعة واحدة ومصلحة واحدة؟ لقد يؤذن بتحقق الخاسرة عرس.

إن هذا الغليان في أفكار المسلمين

وكثرة حديثهم عن القرآن، وإقبالهم على دعاته ومدارسه، وغدت أساليبه في الوعظ وفي الكتابة. كل ذلك بشائر برجوع دولته، وإصلاح سيرته من جديد، واتخاذه مرجعا وملاذا للأمم الأجنبية التي لم يستقر لدساتيرها الوضعية قرار، فاضطربت حياتها، واستشرفت نفوسها إلى قانون سماوي يحفظ حقوقها، ويحدد للفرد حقه، وللجماعة حقها. ولعمري إن هذه المطالب كلها لفي القرآن. لو وجد القرآن من أهله من يقيمه، ويبلغ دعوته، وينشر هدايته.

ثم ما هذه النغمات الناشزة عن هذا الإيقاع اللذيذ، إيقاع الدعوة إلى إقامة الدستور القرآني؟ ما هذه النغمات المعوجة المترددة التي تصور أن الدستور القرآني يتحيف حقوق الأقليات الساكنة للمسلمين أو يجحف بها؟.. إنها نغمات صادرة عن مصدرين:

● أعداء القرآن ينصبون بها العواثير في طريق الدعوة إليه.

● وضعفاء الصلة بالقرآن الجاهلين آثاره وتاريخه في إصلاح الكون كله.

فليقل لنا المتربصون: متى ظلم القرآن غير المؤمنين به؟ ومتى أضاع لهم حقا، أو استباح لهم مالا، أو انتهك لهم عرضا، أو هدم لهم معبدا، أو حملهم على مكروه في دينهم، أو أكرههم على تغيير عقيدة من عقائدهم، أو حملهم في أمور دنياهم ما لا يطيقون؟!..

سلمي، إنه عاملهم في كل ذلك بما لم يطمع في معشاره الأقليات ولا الأكثريات من شعوب اليوم الواقعة تحت حكم الدول الغاشمة المتحضرة الحضارة الكاذبة، التي تزعم لنفسها الفضائل كلها، ولا تتحلى بواحدة منها.

من أصول الإسلام أنه لا إكراه في الدين، وأين موضع هذا عند هذه الدول الشيوعية؟ ومن أصول الإسلام الوفاء بالعهد في السلم والحرب، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الطاغية؟ ومن أصول الإسلام أن لا يكلف من دخل في ذمته بالدفاع الحربي، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الظالمة التي تجند المحكومين بالإكراه؛ ليموتوا في سبيلها من دون جزاء، ولا شكور؟ ومن أصول الإسلام أن لا يقتل في الحرب إلا المقاتل، وأن لا يقتل الأعزل المعتزل، والشيخ الكبير والمرأة والطفل، والمنقطع للعبادة، وهذه الأصناف هي ثلثا الأمم المحاربة، فأين هذا مما ترتكبه الأمم المتمدنة في حروبها اليوم من الإبادة للكبير والصغير، والمرأة والرجل، والطفل والجنين، وما تفنن فيه من وسائل الاستئصال؟ وكفى بواقعة (هيروشيما) اليابانية شاهدا لا يكذب.

إن الإسلام يعامل المخالفين بالرحمة؛ لأن قرآنه هو دستور الرحمة، ويضعهم في أربع مراتب، لكل مرتبة حكمها العادل: الذمي المقيم في وطن الإسلام له كل ما للمسلم، وليس عليه كل ما على المسلم، فهو محمي النفس والمال والعرض، حر في التصرفات المالية، مثله في الظعن والإقامة. وليس عليه ما على المسلم من أعباء القتال والدفاع. والمستأمن آمن على حقوقه حتى يبلغ مأمنه، والمعاهد موفى له بعهده من غير ختر ولا غدر، والحربي يعامل بما رضيه لنفسه من غير أن يجاوزه إلى غيره من أهله أو بني ملته، فإذا شذ أمير مسلم أو قائد عن هذه القواعد الأساسية في الإسلام، وظلم طائفة من هذه الطوائف أو فردا من أفرادها فقد خرج عن حكم الإسلام. وقد حكى التاريخ عن ملوك مسلمين ظلمة، فهؤلاء بطبيعة حالهم يظلمون المسلمين قبل أن يظلموا المخالفين، وليست أعمالهم حجة على القرآن، بل للقرآن الحجة عليهم، وأيسر أحكام الإسلام فيهم أن يعزلوا، وأعلاها أن يقتلوا.

أين هذا من قوانين اليوم، ومعاملة اليوم، أيها الناطقون بغير علم، الصادرون عن غير فهم؟ وأين عدل القرآن من جوركم، أيها الجائرون في الحكم، المحاربون للحقيقة في الحرب والسلم، البانون لحياتهم في الظلام على الظلم؟ وأين تجدون الرحمة والعدالة إذا لم تجدوها في ظلال القرآن، أيتها الأقليات غير الوفية، المدفوعة من الخلف بالأيدي الخفية؟

***

أثمرت الحركات الإصلاحية منذ أكثر من مائة سنة ثمرات زكية، وفتحت الأذهان حقيقة. وهي أن القرآن يفهم، وأنه ميسر للفهم، فانفتحت للدارسين أبواب كانت مغلقة. وكثر جريانه على ألسنة الخطباء والمرشدين، منزلة آياته في مواضعها من الأحداث الطارئة، متجاوبة مع العلم، مقسمة على المواضيع المتعددة، وكثر جريانه على أقلام الكتاب في المباحث الدينية والأخلاقية والاجتماعية والكونية، يقيمون منه شواهد على كل حقيقة، وأدلاء على كل طريق، وأعلاما هادية إلى كل غاية، فإذا هو يفسر نفسه بنفسه وتتسابق معانيه الواضحة إلى الأذهان، وأعان على ذلك هذه النهضة الأدبية التي لم تر العربية أعمق منها غورا، ولا أوسع منها دائرة، فأصبح بها القرآن قريبا إلى الأفهام، مؤثرا في العقول، وأصبحنا نسمع من تلامذتنا الذين ربيناهم على القرآن حفظا وفهما وعملا، وربيناهم على الغوص وراء معانيه، آراء في الاجتماع الإنساني، سندها القرآن، ما كانت تذيعها أفكار الشيوخ؛ وآراء في الدستور القرآني، وتطبيقه على زمان ومكان ومصلحة، ما كانت تسعها عقول الأجيال الماضية. وهؤلاء التلامذة لم يزالوا بعد في المراحل العلمية المتوسطة، فكيف بهم إذا أمدتهم الحياة بتجاربها، وأمدهم العلم باختباراته؟ لعمر أبيك إنه القرآن حين تتجلى عجائبه على الفطر السليمة، والعقول الصافية.

القرآن الكريم سيد الكتب السماوية

«الدرّة الحسناء من نونيّة أبي الخنساء»

[illegible]

آمنتُ بالكُتُبِ التي قد أُنزلتْ — وحيًا على من أُرسلوا [illegible]

كتبُ السماء تقدست وتنزهت — عن كل عيب [illegible] عن نقصان

آمنتُ بالصُّحُفِ التي قد أُنزلتْ — [illegible] على يدي الخليل الداعي

وأقرُّ مما نزلتْ على موسى من — التوراة إرشادًا من الرحمان

وكذا [illegible] نزلت على عيسى من — الإنجيل للإرشاد والإعلان

وزبورُ داودَ أقرُّ بأنه — [illegible] القلوب بعذبة [illegible]

[illegible] محمد [illegible] شهدت بأنه — قد جاء بالتبيان والفرقان

فكتابه روحٌ ورحمة ربه — وهدى و[illegible] موعظة مع البرهان

فكتابه نورٌ [illegible] وسلامة — وشفاء ما في القلب من أدران

قد داخلت كُتُبَ السماء يد — التبديل والتحريف والإدهان

حتى أتى القرآن وهو محصن — من ربه ومحافظ بضمان

فهو الكتابُ المعجزُ الخالي عن — الأخطاء والأغلاط والألحان

وهو الكتابُ الكاملُ النائي عن — التبديل والتحريف والنقصان

عجز الأُلى كفروا عن الإتيان ما — هو مثله من سورة لقران

والجن مثل الإنس لو جمعوا على — إتيانه اجتمعوا على عجزان

إنّ النبوة صادفت أيام ما — قد فاقت البلغاء في العرفان

لكنهم علموا [illegible] — عجزوا عن التعريض والإتيان

في تعبيرهم وكذا [illegible] — في غاية الإفصاح والتبيان

في [illegible] مثل المرتضى — قالا بقول الصرف وابن سنان[1]

[illegible] — أقوال أهل الصرف [illegible]

[illegible] — في [illegible] الإعجاز للقرآن

فاق الخطابي في "البيان" ففيه ما — يشفي عليل الباحث [illegible]

والباقلاني أيد الإعجاز في — «إعجازه» وكذا أبو عثمان[3]

قد جاء في "أسرار البلاغة" [illegible] — و«دلائل الإعجاز» للجرجاني[4]

والرافعي له [illegible] — [illegible] في مؤلفه العلي الشأن[5]

إعجازه الأعلى أتى في نظمه — [illegible]

[illegible] كل لفظ في النصوص يطابق — المعنى المراد له بلا نقصان[6]

---

(١) [illegible] أشهر من عرف بقول «الصرفة» [illegible] ومصطلح «الصرفة» يعود إلى الفكرة التي تقول بعدم إعجاز القرآن من الناحية اللغوية والبلاغية [illegible] العرب من أن يأتوا بمثله لولا أن الله قد صرف عقولهم عن ذلك [illegible] الجهد [illegible]

[illegible] مثل العرب العلوم التي يحتاجون إليها في [illegible]

[illegible] الفصاحة أثناء رده على أبي الحسن علي بن عيسى الرماني صاحب «النكت في إعجاز القرآن» حيث قال: «لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام [illegible] ومتى رجع الإنسان إلى نفسه [illegible] وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن [illegible]

(٢) والخطابي هو [illegible] أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي وعنوان رسالته «البيان في إعجاز القرآن» [illegible]

(٣) والباقلاني هو أبو بكر محمد بن الطيب متكلم أشعري وكتابه «إعجاز القرآن» من أشهر ما ألف في هذا الفن [illegible] وأبو عثمان هو عمرو بن بحر الجاحظ له كتاب [illegible] مفقود اسمه «نظم القرآن» ردًا على رأي الصرفة [illegible]

[illegible]

(٤) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني صاحب «دلائل الإعجاز» [illegible] أسرار البلاغة [illegible] [illegible] معارضة فكرة الصرفة [illegible] أسراره وإبراز وجوهه

[illegible]

حتى ولو حاولت تعويضا بها ... قالوا بردفة على الإمكان

لأتيت نظما ساقطا لا شك أو ... أحدثت في معنى اضطراب معان

[illegible] وقيل يا أرض ابلعي ماء السما ... هي آية فخمت على التبيان(٨)

هي آية تعلو بلاغتها على ... [illegible] والريح والكيوان

هي آية بجمالها وجلالها ... كسيت من الذهبان والمرجان

كسيت من الذهبان والمرجان ... [illegible]

هي ظاهر إعجازها الأعلى به ... حرمت شقاشق مصقع ببيان

هذا مثال ظاهر فتأملوا ... إن كنتم أهلا لهذا الشان

[illegible] فصاحة وفخامة ... وجزالة تبدو لدى إركان

وطلاوة وحلاوة وطلاقة ... [illegible] وأناقة البيان

هذا مثال بين أمثلة لما ... [illegible] آية إلا أتت كجمان

والمعجزات من الكتاب عديدة ... [illegible] العيب والأخبار معجزتان

هذا الكتاب كلام ربي غير ... مخلوق بلا شك ولا نكران

من قال غيره فهو أكذب كاذب ... [illegible]

إن الكلام معلق بكماله ... ولقد [illegible] لدى الأذهان

قل إن ربي لم يزل متكلما ... ما شاء أنى شاء غير جبان

في سورتي كهف أتاك وتوبة ... لفظ الكلام بأوضح البرهان(٩)

قد قال بالقرآن وهو كلامه ... وعدا لنا والرق مخلوقان

فالصوت صوت القارئين حقيقة ... لكن ما نتلو من الرحمان

فكلام ربي ليس يشبه قوله ... الشعراء [illegible]

أترى كلامه يشبه الشعر الذي ... قد قاله [illegible] في الأوزان

[illegible] ... صوغ عبيد الشعر في [illegible]

أو قول عنترة بن شداد ... وقول مهلهل والنابغ الذبياني(١٢)

أو يشبه السجع الذي قد قاله ... قس وسطيح من الكهان

أترى يباريه قريض سموأل ... في نوعه والأخطل النصراني(١٤)

أترى يعارض ما الشعر أمية ... في الحكم والأخبار والبنيان(١٥)

كلا وحاشا أن يجيء بمثله ... قول الفنان ومنطق الإنسان

[illegible] في ... الأوزان والأخطاء و[illegible]

وتنافر الكلمات مثل ركاكة ... وتكلف وتصنع السلطان(١٦)

[illegible] قد أتى [illegible] ... [illegible] لدى الأذان

سبحان رب قال بالقرآن ... وهو كتابنا المحفوظ جد مصان

---

(٨) [illegible] تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾

[illegible]

ولقد وقف على تفصيل الآية وتحليلها كما انتهى بإبراز مزايا البلاغة عند الشعر في [illegible]

[illegible] شقشقة [illegible]

(٩) في سورة الكهف (١٠٩) قوله: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾، وفي [illegible]

لفظ الكلام [illegible]

﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه﴾ (البقرة ٧٥)

﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ (الأعراف ١٤٤)

[illegible]

(١٢) عنترة بن شداد: هو الشاعر المشهور صاحب المعلقة التي مطلعها

هل غادر الشعراء من متردم

[illegible]

والمهلهل: لقب عدي بن ربيعة شاعر جاهلي، وقيل لقب بالمهلهل لأنه هلهل الشعر، أي: أرقه

والنابغة الذبياني أو نابغة بني ذبيان من فحول شعراء الجاهلية، صاحب الاعتذاريات، [illegible]

(١٣) قس: هو قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهلي من حكماء العرب

وسطيح من أشهر كهان العرب في الجاهلية [illegible]

(١٤) السموأل: هو ابن عاديا، شاعر جاهلي يهودي يضرب به المثل في الوفاء [illegible]

والأخطل: هو غياث التغلبي مع جرير والفرزدق، شاعر نصراني أموي

(١٥) هو أمية بن أبي الصلت الذي قال عنه النبي ﷺ [illegible]

(١٦) السلطان: [illegible] أي: الفصيح [illegible] والتصنع [illegible]

فضائل القرآن

للحارث بن أسد المحاسبي (١)

إن العاقل عن الله عز وجل، بدلائل الكتاب مستبصر، وبحبله من كل هلكة معتصم، ولربه بتلاوته في الخلوات مناج لأنه بنجاة نفسه مهتم، ففزع إلى فهم كلام الرب جل وعز، ليحيي به قلبه، وينجو به من عقابه، في يوم يندم فيه الغافلون، ويتحسر فيه المبطلون، فكفى بكتاب الله - عز وجل - عن غيب الآخرة مخبرا، وببصائره للعوام موضحا، لأن من فهم عن الله عز وجل، ذاق طعم حلاوته، وخالط فهمه لذة مناجاته، إذ عرف من تحاوره، فعقل عن الله عز وجل ما به خاطبه، فاتخذه معاذا فسكن إلى الله جل وعز، وأنس به من كل وحشة، فلم يؤثر شيئا عليه، فكان للمتقين الماضين قبله في الدنيا خلفا، وللآخرين المريدين من بعده سلفا، فتدبر القرآن أيام حياته، فصار الله - جل وعز - به مستفيدا، لأنه الدليل الهادي للعباد قبل نزول المحل، وحادي المشتاقين إلى جوار الكريم.

فيه نطق الحكماء، وبه أنس المنفردون إلى إدمان الفكر في معانيه.

لا يصل السالك باتباع دلائله، لأنه النور الذي استضاء به الموقنون، والغاية التي يتسابق إليها المتسابقون، والمنهج الذي لا يصل السالك إلا باتباع دلائله، ولا يعلم له طريق النجاة إلا مع الاستضاءة بنوره، ولا يصاب الحق إلا في محكم آياته.

شفيع في القيامة لمن تقرب إلى الله - جل وعز - برعايته، وحفظ حدوده، وصبر لله - جل وعز - على أحكامه، وهو الماحل لمن لم يكن في قلبه منه إلا حفظ حروفه، وفي جوارحه منه إلا تلاوته.

هو القرآن الذي فصلت آياته، والفرقان الذي يميز بين الحق والباطل بشواهد بيناته.

حكمة بالغة منزلة من حكيم الحكماء، وعليم العلماء، أنزله الله - تعالى - دواء للقلوب شافيا، ولمن حرم حرامه وأحل حلاله عن النار عادلا، ولمن حذر مخاوفه في مقيل الجنان نازلا.

فأهل العلم بكلام ربهم - عز وجل - هم أهل الصفاء من الأدناس، وأهل الخاصة من الله - جل وعز - الذين أشعروا فهمه قلوبهم، وتدبروا آياته عند تلاوته بألبابهم، فتزودوا لبعد سفرهم إلى معادهم، وفهموا منه شدة إجهادهم يوم القيامة، ففزعوا، وذكروا به السؤال من الله عز وجل، فاستعدوا للجواب عما عملوا، فتابوا إلى الله - جل وعز - من كل ذنب، وتطهروا له من كل دنس، وأخلصوا له النيات في أعمالهم ليجيروه عما سلف من ذنوبهم بالتوبة، وعن إرادتهم في طاعته بصدق النية، فاستعدوا بالقرآن للعرض والسؤال، (منقادين) [٢] له بذلتهم (وخاشعين) [٣] له باستكانتهم، لأنهم وقروه لإجلال المتكلم به، غير معرضين عن تلاوته لطلب حقائق معانيه، ولا مستهينين بحرماته، فاعتصموا به من كل صرعة وجبر الله لهم به من كل مصيبة.

فما زال ذلك دأب العاقلين عن ربهم عز وجل، لأنه ربيع قلوب الموقنين.

وراحة الراجين، ومستراح المحزونين، لا ينقص نوره لدوام تلاوته، ولا يدرك غور فهمه، ولا يبلغ له غاية نهاية تاليه أبدا، لأنه كلام الله جل ثناؤه، الذي تعلق المتقون بعروته، والملجأ الذي أوى الراهبون إلى كنف رحمته.

قلت: كيف لي بفهم ما قال الله - جل وعز - في كتابه؟ لعلي أدرك منازلهم أو أقرب مقامهم؟

قال: بأن يعظم عندك قدر ما تنال بفهمه من النجاة وما في (الإعراض) عن فهمه من الهلكة، لأن الله جل وعز، أنزل في كتابه كلامه مع الروح الأمين على محمد المصطفى برسالته، والمنتخب لإنذار عباده ﷺ، فوصف تعالى نفسه بأحسن الصفات.

ودل خلقه ونبههم فيه لمعرفته بما وضع في سماواته وأرضه، من آثار صنعته، ونفاذ قدرته، وذكرهم فيه أياديه عندهم، وكثرة نعمه، وتعهده إياهم، من ابتداء خلقهم، وحسن تقديرهم وإجراء أرزاقهم، ودفع البلايا عنهم، والآفات المهلكة لهم، وحسن ستره عليهم، وإقالتهم، والعفو عما استوجبوا من تعجيل العقوبات، ونزول النقم بهم.

فأمرهم فيه بالمكارم، ونهاهم عن الآثام والمحارم، ووعدهم فيه جزيل الثواب، وضرب لهم فيه الأمثال، وفصل لهم فيه المعاني الدالة على سبيل النجاة، وأبان فيه المشكلات، وأوضح لهم فيه الشواهد على علم الغيوب وجعل فيه حياة قلوبهم، وعزهم وشرفهم، والغنى به عن جميع العباد.

ثم أخبرهم أنه أنزل كتابه ليدبروا آياته بعقولهم، ويتذكروا ما قال بألبابهم، وقال:

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ﴾

(ص ٢٩)

فسماه بالبركة، ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة، وينالون باتباعه الزلفى والكرامة. ثم قال:

﴿ ليدبروا آياته ﴾

(ص ٢٩)

فأخبر به سبحانه ليتذكر ويتفكر فيه، وخص بالتفكر والتذكر أهل العقول، أولي الألباب.

قال: حدثنا سعيد بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك[1]، قال: أخبرني معمر بن يحيى بن المغتار[2] عن الحسن[3] أنه تلا هذه الآية:

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾

(ص: ٢٩)

فقال: وما تدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ القرآن، فما أسقط منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، فما يرى له القرآن في خلق ولا عمل.

ثم أخبرهم أن اتباع ما فيه، سلوك للصراط المستقيم، والنور المبين، والعصمة لمن تمسك به من كل هلكة، وشفاء لما في الصدور.

قال الرب جل ثناؤه:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

فضمن الله - عز وجل - لمتبعه الهدى لطريق السلامة، والسلوك للطريق المستقيم، ووصف المتبعين له كيف قلوبهم، وما ورثهم من خشيته، فقال جل وعز:

﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾

(الزمر: ٢٣)

فأخبرهم أنه لا حديث يشبهه في حسنه، وأخبر أنه متشابه غير مختلف فيه، ثم أخبر أن فيه التكرار عن معاني ما قال، لتحث قلوبهم عند تلاوة ما في سورة عن فهم معانيه، تكرر في سورة أخرى فتفهمه، فقال (مثاني).

حدثنا سعيد قال: حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة[9] في قول الله جل وعز:

﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾

(الزمر: ٢٣)

في حلاله وحرامه لا يختلف شيء منه، ثم الآية لا تشبه الآية الأخرى في الحروف.

حدثنا إسماعيل[10] عن أبي رجاء[11]، عن الحسن:

﴿كتابا متشابها مثاني﴾

(الزمر: ٢٣)

قال: ثنى الله فيه القضاء، تكون السورة فيها الآية، وفي السورة الأخرى آية مثلها.

قال أبو رجاء: وسئل عنها عكرمة فقال: ثنى الله فيه القضاء.

قال: حدثنا حجاج[12] عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿متشابها﴾ قال: يصدق بعضه بعضا ﴿مثاني﴾ قال: في القرآن كله مثاني.

فتثنية القرآن تعود معنى فيه.

قال: حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة: مثاني. قال: قد ثناه الله تعالى.

قال: حدثنا وكيع[16] عن سفيان[17] عن منصور عن أبي الضحى قال: القرآن كله مثاني.

قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال:

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾

(الزمر: ٢٣)

قال: إذا سمعوا ذكر النار والوعيد، تقشعر جلودهم، ثم تلين إذا سمعوا ذكر الجنة.

قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر قال: تلا قتادة

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾

(الزمر: ٢٣)

فقال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل، هذه صفة الذين آمنوا، وكيف حزنهم ورجاؤهم.

ووصف الذين أوتوا العلم، علم كتبه من قبل أن ينزل القرآن، فقال جل وعز:

﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾

(الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩)

وقال عز وجل:

﴿خروا سجدا وبكيا﴾

(مريم: ٥٨)

يخبر تبارك وتعالى أن وجل الذين أوتوا العلم من قبلهم ومحبتهم كانت عن فهم آياته في كتابه وتدبر قوله، وقد ضمن جل وعز لأمة محمد ﷺ أن لمن اتبع منهم ما في كتابه من الهدى، الأمان من الضلالة في الدنيا، والسعادة في الآخرة، والنجاة من الشقاء، وقال جل وعز:

﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾

(طه: ١٢٣)

قال: حدثنا أبو النضر[31] قال: حدثنا عيسى بن المسيب البجلي[32] قاضي خالد، قال: حدثنا خالد بن عبد الله[33] عن إبراهيم النخعي[34] قال: قال ابن عباس: أجير صاحب القرآن من الضلالة في الدنيا، والشقاء يوم الحساب، ثم تلا:

﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾

(طه: ١٢٣)

وعظمت العلماء بالله - عز وجل - ما أنزل في كتابه لتعظيمه له، إذ سمعوه يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾

(الرعد: ٣١)

قال: حدثنا الحسن بن محمد [٢٦] قال: حدثنا شيبان [٢٧] عن قتادة في قوله:

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾

(الرعد: ٣١)

قال: ذكر لنا أن قريشًا قالت للنبي ﷺ، إن سرك أن نتابعك، فسيّر لنا جبال تهامة، وزد لنا في حرمنا حتى نتخذ قطائع ونحترث، وأحي لنا فلانًا وفلانًا، أناسًا ماتوا في الجاهلية، فإن تابعوك، وآمنوا بك تابعناك وآمنا بك، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية. فلو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم هذا، وكلم به الموتى. وسماه برهانًا، ونورًا، ورحمة، وموعظة وبيانًا، وحقًا، ومجيدًا، وبصائر وهدى، وفرقانًا، وشفاء لما في الصدور

لتعظمه عند المؤمنين، ليعظموا قدره ويفهموه، ليبالوا به شفاء قلوبهم

وقال جل وعز:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الحشر: ٢١)

وأخبر جل وعز، بعظيم قدره، وضرب الجبل مثلا لقلوب المستمعين له، ليعقلوا فيتدبروا آياته، ويتفكروا في عجائبه فضرب هذا مثلا يدل به أن من لم يفهم عنه ما أنزل في كتابه، أن قلبه أقسى من حجر أصم، وأن ما فيه تتصدع الجبال لو فهمته، خشية للمتكلم به، يعظم بذلك قدره وقدرنا فيه، ويبين لنا أن القلوب تخشع لفهمه، وتخاف الله جل وعز، لعقلها ما أخبر به وأخبرنا، أن الجبال الرواسي لو أنزل عليها كلامه لتصدعت خاشعة لتعظيمه

وأخبرنا أنه أحسن من كل حديث ومن كل قصص، وقال:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾

(يوسف: ٣)

ثم أخبرنا جل وعز أنه قد انتهى في الحكمة، فقال:

﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾

(القمر: ٥)

وأخبر أنه لا مبدل لكلماته، وأخبر أنه لا يفنى ولا ينفد، فقال جل وعز:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

(الكهف: ١٠٩)

وسمى الله عز وجل نفسه فقال:

﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾

(الشورى: ٥١)

وسمى كلامه فقال:

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾

(الزخرف: ٤)

حدثنا سعيد، قال: حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة قال: ما استخففتم به فإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم

وسماه بأحسن الأسماء وأعلاها، إذ سمى به نفسه فقال:

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾

(فصلت: ٤١)

ثم أخبر أن ما قبله من الكتب مصدق له، وشاهد له، وأنه لا يأتي من بعده كتاب أبدا يبدل حكمه، ولا ينسخ أمره ونهيه، فقال عز وجل من قائل:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤٢)

فأخبر أنه منعه من الخلائق أن ينتقصوا منه أو يزيدوا فيه، أو يحرفوه كما حرفت الكتب من قبله

حدثنا سعيد قال: حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة في قوله

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤١، ٤٢)

قال: الشيطان لا يستطيع أن يبدل منه حقا ولا يحق به باطلا

قال حدثنا حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد، قال: الباطل الشيطان.

قال ابن جريج: (لا يأتيه الباطل من بين يديه)، قال: ليس فيما قصصنا على محمد ﷺ فيما كان قبله باطل، ولا من خلفه مما قصصنا عليه مما هو كائن بعده من الدنيا والآخرة.

قال حدثنا حجاج عن حمزة الزيات [٢٨]، عن أبي مختار الطائي [٢٩] عن ابن أخي الحارث، عن الحارث [٣٠] قال: دخلت المسجد، فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث فأتيت عليا رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الناس قد وقعوا في الأحاديث قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم.

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنها ستكون فتنة) قلت: وما المخرج يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله عز وجل، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس فيه

[illegible] ولا [illegible]، ولا يخلق عن رد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذى لم [illegible] حتى [illegible] سمعته أن قالوا:

﴿ [illegible] ﴾

([illegible])

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم. قال: خذها إليك يا أعور.

قال: وإنما احتاج التالى له إلى الأحاديث عن قول العلماء الحكماء بالحكمة والموعظة الحسنة، حين ضيع منهم كتابه وطلب معانيه، ولولا ذلك [illegible] العلماء [illegible] يقولون بالحكمة، ويتعظون بالتقوى، لأن فيه معانى التعظيم، وما ينال به اليقين، ويستدل به على كل خلق كريم.

قال: حدثنا خلف بن هشام البزار[32]، قال: إسماعيل بن عياش عن حجاج عن مروان الكلاعى[33]، وعقيل بن مدرك[34] السلمى يرفعانه إلى أبى سعيد الخدرى[35]، أن رجلا أتاه، فقال: يا أبا سعيد، أوصنى. فقال: سألت رسول الله ﷺ من قبلك. فقال: (أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنها رأس كل شىء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك فى السماء، وذكرك فى الأرض، وعليك بالصمت إلا فى حق، فإنك تغلب الشيطان).

قال: وحدثنا يزيد بن هارون[36] قال: أخبرنا حماد بن سلمة[37] عن عاصم بن بهدلة[38] عن مغيث[39] عن كعب[40] قال: عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عز وجل.

قال: وحدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا زياد[41]، قال: حدثنا الحسن، قال: لما أحس جندب[42] بقدوم طلحة والزبير[43] وخاف القتال فخرج [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يقولون أوصنا. فقال: [illegible] القرآن، فإنه نور الليل المظلم، وضياء النهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة.

قال: وحدثنا إسحاق بن عيسى قال: حدثنا محمد بن طلحة [illegible] عن [illegible] بن عبد الرحمن [illegible] عن عبد الله بن مسعود [illegible] قال: قال رسول الله ﷺ: [illegible] كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله القرآن.

وحدثنا خلف بن هشام، قال: حدثنا عبد الوهاب [illegible] عن سعيد [illegible] عن قتادة فى قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

قال: القرآن.

قال: وسمعت الكلبى[50] يقول: هى النبوة. قال: فذكرت ذلك لداود بن أبى هند[51]، فقال: إن النبوة حسن، ولكنه القرآن[52].

هوامش المقال

[illegible] بن أسد المحاسبى (١٦٥ - ٢٤٣ هـ / ٧٨١ - ٨٥٧م) إمام جمع بين التصوف و[illegible] والعقلانية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ) ابن واضح الحنظلى التميمى مولاهم، أبو عبدالرحمن المروزى، إمام، ثقة، روى [illegible] وهشام بن عروة والثورى وشعبة والأوزاعى وابن جريج ومالك والليث وخلق كثير، وعنه الثورى وابن [illegible] بن عياش وابن مهدى والقطان وابن راهويه وابن معين وابنا أبى شيبة، أجمع الأئمة على جلالته [illegible] والزهد. قال الأسود بن سالم: إذا رأيت الرجل يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام. له ترجمة فى [illegible]

[illegible] بن يحيى بن [illegible] الكوفى، روى عن محمد الباقر، وفاطمة بنت على وعنه وكيع وأبو أسامة [illegible] له حديث فى البخارى. قال أبو زرعة: ثقة. تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٩.

[illegible] البصرى (٢١ - ١١٠ هـ) عالم الإسلام العظيم، مشاهير علماء الأمصار ص٨٨.

[illegible] هنا سفيان الثورى الذى نترجم له فيما بعد [illegible]

[illegible] فى المطبوع من الهند، والذى [illegible] يذكر اسمه فى أول الإسناد دائماً بصيغة التصغير «سفير»

[illegible] هنا مروى بطريق سعيد بن داود عن سفيان، ولا نجد بين شيوخ سعيد من يسمى «سفيناً» بل نجد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١١ - أبو رجاء (-١٠٥ هـ) العطاردى، عمران بن تيم التميمى. أسلم شاباً وروى عن الصحابة. ترجمته ابن سعد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] جريج (٨٠ - ١٥٠ هـ) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الرومى، مولى بنى أمية، أخذ عن عطاء وطبقته، وعنه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ٥/٥٩.

١٦ - أبو سعيد الحسن البصرى

[illegible]

١٨ - سفيان (٩٧ - ١٦١ هـ) ابن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى، أمير المؤمنين فى الحديث، ومن أعاظم العلماء فى [illegible]

[illegible] سفيان الثورى، د. عبدالحليم محمود

١٩ ـ منصور بن المعتمر (ـ ١٣٢ هـ) كان ثقة مأموناً كثير الحديث رفيعاً عالياً. ابن سعد ٦/٣٣٥

٢٠ ـ أبو مالك الأشجعي (ـ ١٤٠ هـ) سعد بن طارق، روى عن أنس وصحابة آخرين، وعنه يزيد بن هارون، وشعبة والثوري وعباد بن العوام. مشاهير علماء الأمصار ١٠٢، ميزان الاعتدال ٢/١٢٢، التهذيب ٣/٤٧٢

٢١ ـ أبو النضر (١٣٤ ـ ٢٠٧ هـ) هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي البغدادي، روى عن شعبة وسفيان وابن الماجشون وخلق، وعنه إسحق، وابن حنبل، وابن المديني، وابن معين، وابن أبي شيبة، وأبو خيثمة، وكان [illegible] ترجمنا له من شيوخ الحارث بحسبانه «أبا نميرة»، والصحيح ما أثبتناه هنا استناداً إلى تهذيب التهذيب [illegible]

٢٢ ـ عيسى بن المسيب البجلي الكوفي. قال يحيى والنسائي والدارقطني: ضعيف. وتكلم فيه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. وقال أبو داود: هو قاضي الكوفة، ضعيف. ميزان الاعتدال ٣/٣٢٣

٢٣ ـ خالد بن عبدالله بن أسد القسري، والي العراق لهشام بن عبدالملك، من (١٠٦ ـ ١٢٠ هـ) قتل سنة ١٢٠ هـ على يد يوسف بن عمر، الذي خلفه على ولايته. البداية والنهاية ١٠/١٦

٢٤ ـ إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي (ـ ٩٦ هـ) قال الشعبي: والله ما ترك بعده مثله لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالشام ولا بالحجاز. كان إماماً ثقة، مات شيئاً في [illegible] طبقات ابن سعد ٦/١٨٨

٢٥ ـ [illegible]

٢٦ ـ [illegible] ميزان والنضر بن سعيد الحارثي. الميزان ١/٤٦٦، التهذيب ٣/٣١٩

٢٧ ـ شيبان بن عبدالرحمن (ـ ١٦٤ هـ) التميمي مولاهم، النحوي، أبو معاوية، البصري، المؤدب، سكن الكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، روى عن خلق منهم قتادة، وعنه الأئمة. طبقات ابن سعد ٦/٣٦٢، تاريخ بغداد ٩/٢٧١، ميزان الاعتدال [illegible]

٢٨ ـ حمزة بن حبيب (٨٠ ـ ١٥٦ هـ) أبو عمارة الكوفي الزيات، [illegible] ١٦٨، ميزان الاعتدال ١/٦٠٥، تهذيب التهذيب ٣/٣١

٢٩ ـ أبو مختار الطائي، قيل اسمه سعد الكوفي، روى عن ابن أخي الحارث الأعور، وشريح القاضي، وسعيد بن جبير وأبي البختري، وعنه حمزة الزيات وشريك القاضي لم يعرفه ابن المديني، وأبو زرعة والترمذي. تهذيب التهذيب ٨/٢٢٦

٣٠ ـ [illegible] رواياته. قال الشعبي: حدثني الحارث الأعور، وكان كذوباً. وقال حصين: ما كذب على أحد من هذه الأمة ما كذب [illegible] عن الحارث عن علي، وعنه أبو المختار الطائي، لم يسم هو ولا أبوه. تهذيب التهذيب [illegible]

٣١ ـ علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين (٢٣ ق هـ ـ ٤٠ هـ) ابن سعد ٦/٩

٣٢ ـ خلف بن هشام البزار (ـ ٢٢٩ هـ) روى عن جماعة من الثقات، وروى عنه كثيرون. قال عنه الإمام أحمد: هو عندنا الثقة الأمين. تهذيب التهذيب ٣/١٥٦

٣٣ ـ [illegible] تهذيب التهذيب ١٠/٩٣

٣٤ ـ عقيل بن مدرك السلمي، روى عن لقمان بن عامر الوصابي، وجماعة، وروى عنه صفوان بن عمرو، وإسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد. تهذيب التهذيب ٧/٢٥٥

٣٥ ـ أبو سعيد الخدري، الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان (١٠ ق هـ ـ [illegible]

ـ ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ص٦٦ ـ [illegible]

ـ حماد بن سلمة (ـ ١٦٧ هـ) الإمام، العلم، كان إماماً في العربية، فقيهاً وفصيحاً، مفوهاً مفرطاً شديداً على المبتدعة، له مؤلفات. طبقات ابن سعد ٧/٣٩، مشاهير علماء الأمصار ١٥٧، الميزان ١/٥٩١، العبر ١/٢٤٨، التهذيب [illegible]

ـ عاصم بن بهدلة (ـ ١٢٨ هـ) هو ابن أبي النجود، المقرئ المشهور، كان ثقة إلا أنه كثير الخطأ في الحديث. تهذيب التهذيب [illegible]

ـ [illegible]

ـ كعب الأحبار (٧٣ ق هـ ـ ٣٢ هـ) يهودي، أسلم في خلافة عمر، وكان كثير النقل عن أهل الكتاب، عالماً بالكتب. ابن سعد ٧/١٥٦، التهذيب ٨ / ٤٤٠

٤١ ـ زياد بن حسان بن قرة الباهلي البصري، وهو زياد الأعلم، روى عن أنس والحسن البصري، وثقه العلماء، وهو من قدماء أصحاب الحسن. تهذيب التهذيب ٣/٣٦٢

٤٢ ـ جندب بن عبدالله (ـ ٦٥ هـ) بن سفيان البجلي ثم العلقي، يكنى أبا عبدالله، له صحبة، روى عن حذيفة، وعنه الحسن وابن سيرين وغيرهما. تهذيب التهذيب ٢/١١٧

ـ طلحة بن عبيد الله (٢٨ ق هـ ـ ٣٦ هـ) الصحابي الجليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة. الإصابة ٢/٢٩٢.

ـ الزبير بن العوام (١٢ ق هـ ـ ٣٦ هـ) الصحابي الكبير، قال فيه عمر: الزبير ركن من أركان الإسلام. الإصابة [illegible]

٤٤ ـ إسحاق بن عيسى (ـ ١٤٠ ـ ٢١٥ هـ) البغدادي، روى عن مالك والحمادين وشريك وهشيم، وعنه جماعة، وثقه العلماء. ابن سعد ٧/٨٣، التهذيب ١/٢٤٥

٤٥ ـ محمد بن طلحة (ـ ١٦٧ هـ) بن مصرف، روى عن أبيه وجماعة، وقد ضعفه بعض العلماء. الميزان ٣/٥٨٨

٤٦ ـ معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، روى عن أبيه وعن جده بالواسطة وعن أخيه القاسم، وكان قاضياً على الكوفة، كان ثقة، مات. ابن سعد ٦/٣١٢

ـ عبدالله بن مسعود (ـ ٣٢ هـ) صحابي جليل، أسلم قديماً، قال فيه رسول الله ﷺ: إنك لغلام معلم. الإصابة ٤/١٢٩

٤٨ ـ عبدالوهاب بن عطاء الخفاف (ـ ٢٠٤ هـ) أبو نصر العجلي البصري، سكن بغداد، وكان مستملي سعيد بن أبي عروبة. أكثر العلماء على توثيقه. التهذيب ٦/٤٥٠

ـ [illegible] كان ثقة كثير الحديث [illegible] الحديث. طبقات ابن سعد ٦/٣٢، مشاهير علماء الأمصار ١٤٨

ـ [illegible] ٣/٥٥٧

ـ داود بن أبي هند (ـ ١٣٧ هـ) واسمه أبي هند دينار، كان من أهل الورع والفضل، روى عن أنس بالواسطة. مشاهير علماء الأمصار ١٥١

ـ [illegible] ١٩٢٨م

•••

سرائر القرآن



للعلامة مصطفى صادق الرافعي

خرج في الأستانة القديمة.. كتاب جليل للقائد العظيم والعالم الرياضي الفلكي المشهور الغازي احمد مختار باشا رحمه الله. اسماه «سرائر القرآن» وبناه على سبعين اية من كتاب الله تعالى فسرها باخر ما انتهى إليه العلم الحديث في الطبيعة والفلك. فاذا هي في القرآن منطبق السماء عن نفسها. لا يتكذب ولا يزيغ ولا يلتوي. واذا هي تثبت ان هذا الكتاب الكريم سبق العقل الإنساني ومخترعاته باربعة عشر قرنا الى زمننا، وما ذاك إلا فصل من الدهر، وستعقبه فصول بعد فصول .

ومعلوم أن الزمن تقسيم إنساني محض يلائم وجود الإنسان وفناءه على هذه الأرض المحدودة بعاداتها وأجلها، وإلا فليس في الحقيقة أزمان تبتدى، أو تنتهي. فإذا ثبت للقرآن المجيد سبقه ما نتوهمه زمناً وتقدمه حدوداً من آخر حدود العقل الإنساني. على حين أنه أنزل في حدود غيرها بعيدة ضعيفة لا علم فيها ولا آلات علم - فحسبك بذلك وحده برهاناً على أن هذا الكتاب جملة من الأزل تحولت في معنى ومنطق، وجاءت لغرض وغاية، ولا مست الناس لتكون فيهم سبباً لرسوخ الإيمان، ثم نظاماً للإيمان نفسه، ومتى رسخ الإيمان فقد رسخ معه كله في النفس الإنسانية. وهنا عندنا من بعض السر فيما جاء في الكتاب الكريم من آيات السموات والأرض والنظر والاستدلال، ومن طرق التعبير، التعبير [illegible] بالأمثال [illegible].

ثم إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلا على إعجاز [illegible] يوما بعد يوم، إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل، وأن الإنسانية [illegible] في [illegible] عصورها إلى [illegible]. وأن الدين سيكون عقليا. وأن العقل هو [illegible] الأرض [illegible] فوجود [illegible] فيه [illegible] دلت في [illegible] أربعة عشر قرنا. [illegible] من العيب لا يبقى عليها موضع شبهة، فإن أسفر الصبح وبقي بعض الناس نياما لا يرونه وقد ملأ الدنيا فذلك من عمى النوم في أعينهم. وآخرون لا يرونه من نوره العمى في أعينهم ولقد أصبح فوق هؤلاء وهؤلاء.

﴿فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾

(الأنعام ١٠٤)

قال الغازي في مقدمة كتابه [illegible] وفي [illegible] بكفي للهيئة الاجتماعية [illegible] وسلامتها في معاشها ومعادها [illegible] من التدابير الأخلاقية والتعاليم [illegible] والسياسية وعظة الامتثال [illegible] فيه [illegible] آيات بينات في [illegible] ما برحت عمدة نصيحية تحاول [illegible] عن [illegible] منذ عصور، ولاسيما في علم التكوين والتجريب [illegible] لدى [illegible] الآن بنظريات الإحصائيين من علماء [illegible] ومباحثهم ومشاهداتهم في [illegible] [illegible] ولا تكاد [illegible] من المصحف الشريف بضع صفحات حتى تجد آية في أسرار الكائنات وأحوال السماء منظومة في [illegible] مناسبة من [illegible] [illegible].

قال: «وقد فهموا من علم الهيئة [illegible] عظمة الله تعالى بعظمة الأجرام التي كانوا يحسبونها نقطاً صغيرة منثورة في السماء، [illegible] مثلا [illegible] عظمة الشمس وكوكب الشعرى بالنسبة إلى الأرض، فإن هذه الأرض إذا نحن فرضناها [illegible] بحجم الحمصة، تكون مساحة الشمس [illegible] إليها كمساحة مائدة مستديرة طول قطرها ذراع فرنسية، ومساحة سطح كوكب الشعرى الذي قال الله فيه

﴿وأنه هو رب الشعرى﴾

(النجم ٤٩)

تبلغ مائة ذراع فرنسية بالقياس إلى تلك الحمصة[*].

ولما [illegible] من تلك المباحث أن عالمنا الناموني الذي نسميه «العالم الشمسي» - وتؤلفه طائفة مستقلة من الأجرام السماوية تعد بالمئات أعمها شمسنا المنيرة وأرضنا وأخواتها من السيارات وما يتبعهن من النجوم ذوات الأذناب - يدور بسرعة عشرين ألف ذراع فرنسية في الثانية الواحدة. [illegible] له لا نهاية له، كما أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله:

﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾

(يس ٣٨)

وإن الجرم الأعظم المحيط بالسماء [illegible]

(*) وضع هذا الكتاب النفيس بالتركية [illegible]
والفتح [illegible]

(*) من هذا الشرح تعلم علة [illegible] في [illegible] الكريمة [illegible]

[illegible]

تحتوى مئات الألوف من العوالم الأخرى.. إلى أن قال: «إن القرآن الكريم آيات بينات عن تكوين العالم، وكيف كان هذا التكوين، وعن الأطوار التى تنقل فيها، وعن خلقة الموجودات، وأسباب الحياة، وعن أخرة كرتنا الأرضية وعواقبها التى ستصير إليها فى النهاية، ولقد كانت معانى هذه الآيات الشريفة منظوراً إليها فيما مضى من جهة العقائد حسب، ولم يكن أحد يستطيع أن يذهب فى تأويلها مذهباً يصدر فيه عن علم، ولكن هذه الحالة قد تغيرت الآن، لأن الحكماء الذين سعوا فى العصرين الأخيرين قد أبانوا بمباحثهم العلمية وما كشفوه من الغوامض الدقيقة عن قدرة الله بأجلى بيان، حتى أصبحت نظريات علم التكوين صالحة لتفسير آيات الله سبحانه وتعالى تفسيراً بديعاً، مع أنها هى فى حالتها الراهنة لم تبلغ بعد حد الكمال.

وبعد أن وصف همم علماء الفلك والرياضة، ووسائلهم ومعرفتهم المسائل الدقيقة، عن الكواكب والشموس والعوالم، وعن حقيقة هذه الكرة التى نعيش عليها، وما أفاده المجتمع البشرى من ذلك، قال:

«وأفدنا نحن معشر المسلمين فوائد عظيمة خاصة بنا، لأن هذه المخترعات والمستحدثات وما أدت إليه من أدلة ونظريات - قد جاءتنا ببرهان جديد على إعجاز القرآن الذى ندين الله عليه، فقرت بذلك أعين المؤمنين، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس.. قال: «وسيرجع الفلكيون موحدين إذا علموا أن الأسرار العلمية التى يحسبونها جديدة، هى فى القرآن كما ظهرت لهم، ومثل من ذلك أن العالم الفلكى م. بوانكاريه، قال فى مقدمة كتابه المطبوع فى سنة ١٩١١م وهو يبحث فى دقة نظام هذه الكائنات وما فيها من مظاهر الكمال: ليس ذلك من الأمور التى يمكن حملها على المصادفة والاتفاق، وأحسب أن القدرة التى لا أول لها ولا آخر ... للكائنات هذا النظام فى عهد من على أن يستمر حكمه إلى الأبد، فأذعنت الكائنات لإرادتها راضية طائعة. قال الغازى رحمه الله: فأمعن أنت النظر فى هذه الكلمات وسياقها، ثم اقرأ قوله تعالى:

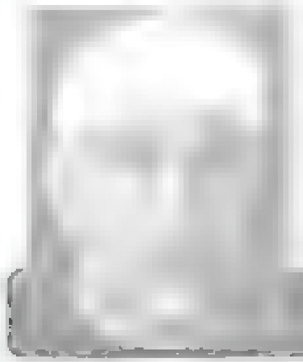
[illegible]

(فصلت: ١١)

وتأمل ما فى الآية من معان ورموز، ثم تصور ما فى ذلك من ذوق وجدانى لأهل العرفان، وقل: «تبارك الله والمنة لله».

كتاب سرائر القرآن ثلاثة فصول: الأول فى كيفية تكوين العالم ووجود الحياة، والثانى فى يوم القيامة أو خاتمة عمر الأرض، والثالث فى المباحث والآيات القرآنية المتعلقة بإعادة الخلق، وكل ذلك مطبق على نظريات وآراء الحكماء الأولين والآخرين إلى عصرنا، ثم ما يؤيد حقيقة ما انتهوا إليه من آيات القرآن الكريم. وكان الغازى يفكر فى هذا الكتاب خمسة وعشرين عاماً، فرحمة الله عليه كفاء ما أحسن إلى أمته.

مع آداب القرآن



تصافح وتسامح. تواضع وتنازل. تسابق إلى الفضل والإيثار. قبول للقليل. وبذل للكثير.. ذلك هو معنى الإحسان وذلك هو أدب المعاملة فى القرآن. شرعه الله للخلطاء والعشراء القرناء والعملاء. وجعله بينهم هو الفضيلة الوحيدة، التى تستحق حمده وثناءه. وتستوجب عنده جميل جزائه.

غير أن هذه الفضيلة العملية الاجتماعية، على عظم قيمتها، وجزالة نفعها، سوف تبقى عملاً سطحياً، وعرضاً وقتياً، لا ثبات له ولا استقرار، بل سوف تكون أقرب إلى الرياء منها إلى العمل الفاضل، ما لم تصدر طوعاً واختياراً عن نفس راضية مطمئنة، غير كارهة ولا مكرهة، ثم يأتيك نبأ قوم لم يتقبل الله منهم نفقاتهم، بل قال لهم:

[illegible]

[التوبة: ٥٣]

ثم بين الأسباب التى منعتهم أن تقبل منهم نفقاتهم وكان من تلك الأسباب أنهم كانوا:

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾

[التوبة: ٥٤]

فلكى تكون هذه الفضيلة الاجتماعية فضيلة حقيقية، لابد إذاً أن تستند إلى فضيلة نفسية فردية، مركوزة فى نفس العامل، مغروسة فى قرارة قلبه.. تلك هى فضيلة الطهر وسلامة الصدر، فضيلة الصفاء والنقاء الذى لا يشوبه غل ولا دخل، ولا حقد ولا حسد.

فضيلة المحبة الشاملة، والرحمة السابغة، التى تضم تحت جناحيها أصناف الخلق كلهم، قريبهم وبعيدهم، عاليهم وسافلهم، برهم وفاجرهم، بل أقول مؤمنهم وكافرهم.

رحمة تقتبس من رحمة الله الذى وسعت رحمته كل شىء وشملت الكافر والمؤمن على السواء، وتتخذ أسوتها فى خلق رسول الله، وتهتدى بهدى أصحابه والذين اتبعوهم بإحسان.

رحمة تتخذ أسوتها فى خلق رسول الله، الذى كان مضرب المثل فى شفقته على أعدائه، وحرصه على خيرهم، وخشيته من نزول العذاب عليهم، حتى كان يدعو لهم إذا آذوه، ويستغفر لهم إذا كذبوه، بل كان يبكى إذا سمع قارئاً يقرأ قول الله

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾

[النساء ٤١]

لا أحدثك في هذا عن إحسانه إلى فقيرهم، وعيادته لمريضهم، وصلته لجيرانه منهم، وسائر أنواع بره ومواساته لهم، فتلك فضيلة اجتماعية مفروغ منها، ولسنا بصدد إثباتها وإنما أحدثك عن منبع هذه الفضيلة في نفسه الشريفة، ومدى تمكن أصلها في قلبه الكريم.. أحدثك عن هذا القلب الشفيق الرقيق، السخي الودود، هذا القلب الإنساني العالي، الذي استحق به شهادة الله له في كتابه حين يقول:

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ﴾

[التوبة ١٢٨]

فانظر كيف شهد له بالشفقة على الجميع وإن كان للمؤمنين من رأفته ورحمته النصيب الأكبر، والحظ الأوفر.

﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾

وكما شهد القرآن للرسول صلوات الله عليه بهذه الرحمة الإنسانية، شهد بها للمؤمنين الأولين، شهد لهم بأنهم يحبون أعداءهم وإن كان أعداؤهم لا يحبونهم. ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾

[آل عمران ١١٩]

لا تظن أن هذا أسلوب لوم وعتاب للمؤمنين على محبة من لا يحبهم، لا يستقيم في نسق الآية الكريمة:

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾

[آل عمران ١١٩]

[illegible] كمثلث على الإيمان بكتابهم ما داموا لا يؤمنون بكتاب لا ريب فيه [illegible] إن عليه أن يؤمن بالكتاب كله [illegible] يؤمنوا. وإنما [illegible] على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. فكذلك لا لوم عليه في محبتهم.

إنما اللوم عليهم [illegible] هكذا تتجه الآية الحكيمة اتجاها واحدا وتسير في نظام متناسق، غير ممزق ولا متعاكس. [illegible] تجعل محط الاستنكار في كلا شطريها آخر جزء من الكلام، على منهاج قوله تعالى:

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾

[البقرة ٤٤]

فليس المستنكر هو أن يأمر الناس بالبر [illegible] كان لا يعمل به. وإنما المستنكر هو أن ينسى نفسه من الخير الذي يعمله للغير. كذلك [illegible] المستنكر هنا [illegible] لا يحبهم الآخرون [illegible] يحبهم.

ومهما يكن من أمر في تأويل هذا النص الكريم، فحسب [illegible] أن نسجل هنا ما سجله الله في غير موضوع من كتابه المجيد، وهو [illegible] هذه النزعة الشاملة، والرحمة السابغة، خلق من أخلاق النبوة المحمدية، وأن نسجل إلى جانب [illegible] دلت قول الله [illegible] هدايته:

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾

[الأحزاب ٢١]

[illegible] من بين هاتين [illegible] في [illegible] الرحمة [illegible] في هذه [illegible] عن [illegible] الأخلاق [illegible] عن شريعة غير شريعة الإسلام [illegible] عن [illegible] غير [illegible].

[illegible] لا [illegible] في [illegible] كل بشر يحب ويكره، ويرضى ويغضب، ويوالي ويعادي [illegible] كل من [illegible] لا يبغض ولا يعادي أحدا. أقل لك [illegible] لا يحب ولا يوالي أحدا. إنه ليس من [illegible] خيرا محضا، فهو إذ يحب الحق [illegible] وبالتالي يحب أهل الحق والخير [illegible] وهو إذ يكره الإثم والباطل [illegible] يكره أهل الإثم والباطل ويعاديهم [illegible] يبغض هؤلاء فكيف يحب [illegible] وإذا كانت هذه هي طبيعة النفس الإنسانية [illegible] كاملا عن نزعة الكراهية والبغض لأحد من الخلق [illegible] فوق طاقتها [illegible] ليس في وسعها. ثم هذه النزعة [illegible] الخيالية، كيف تتفق مع واقعية [illegible] مع وصايا الإسلام؟ أليس من علامات الإيمان الحب في الله، والبغض في الله؟

***

[illegible] في [illegible] متعارضين [illegible] متعارضين في [illegible]

المبدأ الأول:

[illegible] الفضيلة الإنسانية، والتي تتقاضانا [illegible] حميد [illegible] تحققا بأخلاق الله، الذي وسعت رحمته كل شيء، وتأسيا برسول الله، الذي كان مضرب المثل في الشفقة على الجميع، والحرص على خير الجميع، وانتظاما في سلك المؤمنين الأولين، الذين كانوا يحبون أهل الديانات السابقة وإن كان هؤلاء لا يحبونهم، وأخيرا عملا بتوجيه القرآن الكريم الذي عقد بين الناس جميعا رحمة الأخوة النسبية، ثم جعل التذكرة بهذه الأخوة وسيلة لاستدرار عاطفة الرحمة على كل من يشاركنا فيها فقال عظمت حكمته:

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾

[النساء ١]

توصي بصلة الأرحام كلها قريبها وبعيدها، رحمة العقيدة، ورحمة الإنسانية جمعاء.

هذه [illegible] الإنسانية، إذا كانت [illegible] حقيقية، منبعثة عن نفس راضية مطمئنة، فإنها تقتضينا أن نحب فلا نبغض أحدا وأن نوالي فلا نعادي أحدا.

هذا هو المبدأ الأول [illegible] تطلب

المبدأ الثاني:

مبدأ الواقعية العملية، الذي تتسم به وصايا القرآن في شئون التشريع عامة، وفي شأن الحب والبغض خاصة.. فالقرآن يقرر ويكرر أنه دين الفطرة، وأنه لا يحمل أحدا فوق طاقته، ولا يكلف نفسا إلا وسعها. ومعلوم أن النفس البشرية قد طبعت على نزعتي الرضا

والغضب، وجبلت على غريزتي المحبة والكراهية، لا يمكنها أن ترضى عن النقيضين ولا أن تجمع بين محبة الشيء وكراهيته، كما ليس في وسعها أن تتحول من العداوة إلى المودة بمحض اختيارها. ألم يقرر القرآن نفسه أن هذا التحول ليس من صنع البشر، وإنما هو من صنع الله وحده؟

﴿ [illegible] إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ﴾

(آل عمران ١٠٣)

﴿ [illegible] ﴾

(الأنفال ٦٣)

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة ٧)

فانظر كيف اعترف بوجود العداوة بيننا وبين فريق من الناس، ثم لم ينهنا عنها، ولم يأمرنا بالتخلص منها. ولكنه بعث في نفوسنا الأمل بأن عدو اليوم قد يكون حبيب الغد، إذا شاء الله «والله قدير، والله غفور رحيم».

وتدبر كذلك قول الله تبارك وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٨)

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٢)

فقرر وجود البغض والشنآن، ولم ينهنا عنه، وإنما نهانا أن نتخذه ذريعة للجور والعدوان. بل هناك ما هو أوضح من ذلك دلالة. ففي عدة الأمثلة نرى القرآن يكتفي بأن يترك نزعة العداوة والبغضاء على سجيتها فلا يأمر بها ولا ينهى عنها. وإنما ينهى عن لواحقها، التي تقع في حدود إرادتنا وقدرتنا، ولكننا نرى القرآن في مواطن أخرى، يأمر بعداوة من يستحق العداوة، وينهانا عن موادة من يستحق المودة:

﴿ [illegible] ﴾

(المجادلة ٢٢)

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة ٤)

وكذلك نرى الرسول - ﷺ - يجعل من علامة الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله.

***

كيف نوفق إذا بين هذه النصوص الصريحة المفصلة، وبين تلك الوصايا العامة التي تناشدنا أن نسبغ ثوب عفونا وصفحنا، وأن ننشر جناح رحمتنا ومحبتنا على الإنسانية كلها برها وفاجرها. هذه هي المشكلة الأخلاقية التي نحاول بمشيئة الله حلها بطريقة تلتقي بها المثالية والواقعية في هذه الوصايا المختلفة، مع بقاء المثالية فيها على عمومها وشمولها، دون أن تنقض الواقعية منها جزئية واحدة في أي وضع فرضناه من أوضاع حياتنا الاجتماعية.

والناس معنا في هذه الحياة على أحد أوضاع ثلاثة:

- إما أن يكونوا سلما لنا ومسالمين، كافين أذاهم عنا وعن أمتنا.
- وإما أن تبدو منهم بادرة أذى تنال أشخاصنا فحسب.
- وإما أن ينتهكوا حرمة من حرماتنا المقدسة في حق الله أو في حق الجماعة.

فلنعالج هذه الأوضاع الثلاثة، لننظر كيف نستطيع أن ننطوي على محبة الناس جميعها في كل وضع منها.

لنبدأ من هذه الأوضاع بأيسرها وأطوعها لمبدأ المحبة المثالية العالمية، ألا وهو الوضع الأول، المسالم المحايد.

قدر في نفسك أنك قد استيقظت في الصباح من نومك، وأخذت تستعد لخوض غمار الحياة في يومك. فسل نفسك إذا على أي قاعدة تريد أن تخالط الناس وتعاشرهم؟ أتريد أن تتخذهم مقدما عدوا لك تبدؤهم بالعداوة قبل أن يبدءوك؟ أتعجل عداوتهم رجما؟ أتبيعهم أيامك ساجدا؟

ليت شعري كيف ينطوي على هذه النية إنسان؟

اللهم إلا أنه يكون أحد رجلين:

«رجل أفسد سوء الظن فكره وخياله، فجعل يتصور نفسه أمام قطيع من الوحوش الكاسرة. فلابد له أن يأخذهم قبل أن يأخذوه وأن يرميهم بالشر قبل أن يرموه...»

ورجل أعماه الطمع، وأكل قلبه الجشع، فجعل يظن أن كل نعمة في يد الناس إنما هي انتقاص من نعمته، وأن كل حظ ينال أحدا من الناس إنما هو استلاب من حظه، وأنه لن يكون له نصيب في الحياة إلا باسترداد ما سبقوا إليه من حظ ونعمة، نظرات مريضة، ترى الإنسانية من خلال منظار أسود قاتم! هذا ينظر إليها نظرة القانص إلى فريسته، وذاك ينظر إليها نظرة الفريسة إلى قانصها.

كلا! ما هكذا ينظر أرباب الطباع الكريمة، ولا أصحاب العقول السليمة. وإنما ينظرون إليها نظرة الطير إلى عشه الذي يؤويه، وإلى أجنحته التي يطير بها.

فكذلك فلتكن نظرتنا إلى أفراد أسرتنا الإنسانية، نظرة كل فرد منا في أسرته الخاصة إلى أمه وأبيه، وأخوته وبنيه، نظرة قوامها الحنان والرحمة والاستبشار والتعاون، والعطف وحسن الظن، نظرة إن خالطها الحذر حينا، فإنها في انطلاقتها الأولى نقية بريئة، سليمة من كل غل وضغينة.

هذه النظرة المحبة الرحيمة، الشاملة السابغة، ليست داخلة في حدود الإمكان وحسب، ولكنها واقعية عملية تعرفها القلوب الراضية المطمئنة، وإنها عند الله لأفضل من كثير من الصلاة والصيام.

إن رسول الله بشر رجلا من الأنصار بالجنة ثلاث مرات في ثلاثة أيام متواليات فأخذ عبدالله بن عمرو يحتال لمعرفة سيرة الرجل وعمله الذي استحق به هذه البشارة. فلم يجد له امتيازا في نوافل العبادات، فسأل الرجل عن شأنه فقال له

«يا عبد الله.. هو ما قد رأيت، غير أني لا أجد في نفسي غلا لأحد..»

الوحـى القرآنـى



إن جزءا من أهداف هذه الدراسة هو تعريف المسيحيين بمفهوم الاسلام للوحى. وتعريف الذين لم يدركوا منهم حتى الآن أن الوحى الإسلامى مسألة لابد من تناولها بجدية.

ان القرآن الكريم ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد. ولا هو نتاج تفكيره. انما هو كلام الله وحده. قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه. ومن هنا فإن محمدا ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة الى اهل مكة اولا. ثم لكل العرب. ومن هنا فهو قرآن عربى مبين. وهناك اشارات فى القرآن الى أنه موجه للجنس البشرى قاطبة. وقد تأكد ذلك عمليا بانتشار الإسلام فى العالم كله. وقبله بشر من كل الأجناس تقريباً.

وهذه الفكرة نفسها عن «الوحى» اعتنقها مسيحيون كثيرون عبر القرون. فاعتبروا كلمات الكتاب المقدس هى كلمات الله نفسه. إلا انهم - عادة - لا يفترضون أن كلمات الله قد جلبها مصدر خارجى ممثل فى ملك او ملائكة يملونها على كتاب الأناجيل. وانما يلقى فى روع هؤلاء الكتاب ان ما يكتبونه انما هو كلام الله حقا. فالانبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد: «هكذا يقول الرب». لذا. فلابد انهم كانوا يعتقدون ان ما ينطقون به من كلمات انما هو بمعنى من المعانى كلمات الله حقا.

[illegible] القرآن [illegible] من [illegible] عن الله [illegible] الوحى

وكما [illegible] المسيحيون [illegible] شبيه [illegible] المسيحية [illegible] القديسين. فإن هذا يعنى أنه من المستحيل الاستمرار فى الأداء بوجود «الوحى»

أو «رسالة» أو «ديانة» مسيحية دون الاعتراف «بشىء» من الصحة «للوحى» أو «الرسالة» أو «الديانة» الإسلامية

و[illegible] الذى [illegible] فى هذه الدراسة [illegible] أستطيع [illegible] مستوى [illegible] ولن نتعرض للقرآن [illegible]

محمد [illegible] وحى

* * *

كيف وصلت هذه الكلمات التى كونت تجربته الأولى إلى وعى محمد أو شعوره؟

[illegible] بصفة [illegible] وخلاصة [illegible] يقول [illegible] ليست نتيجة [illegible] تفكير [illegible]

[illegible] تجربة سوية مع الوحى يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلى

١ - محمد يشعر. وهو فى حالة وعى. أن هذه كلمات [illegible] فى روعه [illegible] فى [illegible] عقله الواعى

٢ - [illegible] هذه الكلمات والأفكار [illegible] نتيجة تفكير [illegible] من جانبه

٣ - [illegible] يعتقد [illegible] هذه الكلمات [illegible] فى روعه، عقله، من قبل «مندوب» أو «مبعوث» خارجى يتحدث إليه كملك.

٤ - [illegible] يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله تعالى.

هذه ملامح أربعة رئيسية موجودة فى كل حالات الوحى. كما وردت فى القرآن الكريم

إن الكلمات [illegible] على محمد كانت [illegible] فى عقله الواعى وأن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك. وأن يقينا جازما كان يمتلك فؤاده بأن هذه الكلمات هى من الله.

لقد وجد محمد الكلمات او المحتوى الشفهى حاضراً فى وعيه. فلما تمت كتابته شكل النص القرآنى الذى بين أيدينا.

وكان محمد [illegible] لا دخل لتفكيره

الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله. [illegible] يعتقد [illegible] يميز [illegible] بين هذه الرسالة القرآنية [illegible] تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن الكريم لم يكن بأى حال من الأحوال نتاج تفكير محمد [illegible] من [illegible] نقول، فى مجال حديثنا عن [illegible] القرآن الكريم: إن محمدا قال.

[illegible] بعض الدارسين الأوروبيين فى الماضى [illegible] محمد [illegible] ذلك. [illegible] الطريقة فى الحديث [illegible] فهى طريقة غير علمية. [illegible] فى [illegible] لاستيعاب [illegible] لتجربة محمد فى تلقى الوحى

لكن فى مجتمع معاصر [illegible] بين الأديان، [illegible] يتجنبوا الحديث والتفكير على هذه النحو

إن القرآن لا [illegible] نتاج [illegible] بشرية [illegible] وعندما تحدى محمد أعداءه [illegible] بسورة من مثل السور التى أوحيت إليه، [illegible] يستطيعوا [illegible] التحدى. لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله. [illegible] تحدى الله. [illegible] الصدفة أيضا أن كلمة «آية» تعنى علامة على القدرة الإلهية وتعنى أيضا فقرة من الوحى

<<<

[illegible] اليهود [illegible] يهوديتهم ومسيحيتهم فى حالة [illegible] بالرسالة التى [illegible] عن طريق

(١) [illegible] الإسلام والمسيحية [illegible] المعاصر [illegible]

محمد، تمامًا كما فعل «ورقة بن نوفل» (٩٢ ق. هـ - ٦١١م) [illegible] لروايات [illegible] مسيحية كانت لحماية محمد». ومن هنا يمكن أن نقول: إن إشارة القرآن إلى «تحريف» خق اليهودية والمسيحية - بصورتهما الموجودة [illegible] قول صحيح.

[illegible] القرآن.. وجمعه.. وتدوينه.. وحفظه ومحوريته في الثقافة الإسلامية

ثمة عدة نقاط تعد [illegible] عناصر [illegible] وتغير في القرآن، نذكر أن فكرة الوحي وتلقي الرسالة قد تطورت في القرآن.

[illegible] كشفت [illegible] عدم التناسق المنطقي Inconsistency في القرآن، فهذا دليل على ثرائه وخصوبته، ودليل على سمو شعر (تجاوز) يعلو فوق الفكر المجرد العاقر، أو غير المجدي Barren Conceptual Thought ومن هنا قد نجد «معنيين» أو «تقريرين» مختلفين -Inconsis tent لأن [illegible] فقط لا يعبر عن حقيقته بشكل تام.

لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة «موضة» تقديم القرآن للقارئ الأوروبي باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية، بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة، ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة.

والواقع أن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة حروب الصليبية عندما كان على أوروبا العربية - التي كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام - أن تقوي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام.

وإذا نظرنا للأمور بعيدة عن سياقها التاريخي، حتى بقصد مجرد المقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل، لوصلنا إلى نتائج خاطئة، وعلى أية حال، فافتراض أن محمدا قام بدعوته في فراغ، أي دون مراعاة لظروف العالم وقتها، فرض غير علمي، عندما ننظر للقرآن والعهدين «القديم والجديد» في السياق التاريخي، نجد أن الأمور تسير في اتجاه آخر، أو تصل بنا إلى نتائج أخرى، أو تجد ملامح مختلفة، فنبي العهد القديم - هو بدوره - لم يحدثنا من فراغ عقلي، إذ راعى الخلفية العقلية والثقافية السائدة، وبالمقياس نفسه يجب أن ننظر إلى محمد ودعوته، فالرسالة الأصيلة والجديدة لكل نبي هي تلك الرسالة التي تتواءم مع كثير من الأفكار، وتعبر عن نفسها باستخدام مصطلح هذه الأفكار السائدة، وتتعامل مع القضايا المعاصرة لها.

وهكذا يظهر القرآن أصالته، ولو لم يكن إلا هذه الاستجابة الفعالة لمتطلبات موجودة بالفعل لكفاه دليلا على الأصالة.

لدينا إذن أرضية ثابتة نقف عليها باطمئنان، أن القرآن لم يكن مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية، وإنما كانت به إضافات تتسم بالجدة والأصالة.

يؤكد القرآن الكريم أن الرسالة التي حملها محمد لشعبه كانت هي نفسها الرسالة التي حملها الأنبياء الآخرون لشعوبهم، وعلى أية حال، فإن هذا التماثل ينطبق على أساسيات الرسالة، كالإيمان بالله واليوم الآخر وبالأنبياء والملائكة والكتب المنزلة، وحتى الأفكار التي اشترك فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية، فإنها قد اتخذت شكلا عربيا واضحا.

إن القرآن كان يمهد لانتقال مرن ناعم من الصور الراقية لأديان موجودة بالفعل لدين جديد «الإسلام».

على أن تمحّص العلاقة بين القرآن والبيئة المكية أو العربية عامة، يوضح لنا بجلاء أن رسالة الإسلام كانت ملائمة تماما للبشر الذين ظهر محمد بين ظهرانيهم ولم تكن مجرد عقائد سابقة «يهودية أو مسيحية».

وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مشروع لدين إبراهيم في مرحلة نقائه الأولى، إن القرآن يقرر لنا أن الإسلام هو دين مطابق لدين إبراهيم الخالص، وهو قول يستحق النظر إليه بجدية.

***

إن كلمة (جمع) «في الحديث عن جمع القرآن» قد استخدمت في آيات قرآنية مهمة

[illegible]

(القيامة ١٦ - ١٩)

ومن الممكن أن يكون التفسير الطبيعي لهذه الآيات أن محمدا ما دام يتبع تلاوة من يتلو عليه (جبريل) فإن الله متكفل بجمع الآيات المتفرقة أو التي أوحي بها في أوقات مختلفة ليجعلها في سياق واحد.

وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناءً على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور ربما «زيد بن ثابت» (١١ ق. هـ - ٤٥ هـ / ٦١١ - ٦٦٥م) أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل، ومن هنا، فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه، إن القرآن كان يسجل فور نزوله، وقد جمع رسميا حوالي سنة (٦٥٠ م).

ورغم كثرة القراءات، فإن أيّا منها لم يؤد إلى جنوح معاني القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعاني المفهومة من القراءات الأخرى.

والشيء نفسه يمكن أن يقال بشأن المصاحف السابقة على مصحف عثمان، فلم تكن الخلافات بينها وبين مصحف عثمان ذات شأن، بحيث تحدث ردود أفعال مختلفة في المجتمع الإسلامي

***

ومهما كان الطريق الذي دخلت عن طريقه الثقافة اليونانية فإن المجتمع الإسلامي لم يقبل منها إلا ما هو مناسب وموائم لنسيج الحياة الإسلامية وللنظرة العقلية للعالم والكون التي يقرها القرآن، وبمرور الوقت تحقق أن حياة المجتمع الإسلامي بشكل عام قائمة على استمرار القرآن وتبوئه مكان المركز أو القطب أو المحور.

ولقد أدت سهولة المواصلات وتطور الاتصالات السلكية واللاسلكية إلى أن أصبح إسلام المناطق البعيدة عن المركز متوافقا ومتواتما مع إسلام المناطق المركزية أو الوسطى»[٢].

[illegible] الإسلام والمسيحية [illegible] ص ٦٢، ٨١، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١١، ١١٢، ١٠٤، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١١٠ [illegible]

الوحى المحمدى



كان محمد (ﷺ) يتعبد وحيدا، كما اعتاد ان يفعل. وعندما ظهر له الوحى فجاة.. أمره قائلا: «اقرا». كان محمد (ﷺ) شانه شان اهل عصره وموطنه، لم يتعلم ابدا القراءة. وفضلا عن ذلك، لم يعرف ما الذى يريده الوحى ان يقرا. اجابه فى روع: «ما انا بقارئ»... حينئذ، ضمه الوحى ضمة قوية شعر محمد (ﷺ) معها انه فقد قواه. ثم اطلقه الوحى واعاد عليه الامر: «اقرا». ومرة ثانية يجيبه محمد (ﷺ): «ما انا بقارئ». فضمه الوحى ضمة اخرى حتى خارت قواه. وظن انه ملاق حتفه. ثم اطلقه. ومرة ثالثة ياتيه الامر كالرعد: «اقرا». وعندما اجابه محمد (ﷺ) للمرة الثالثة فى روع: «ما انا بقارئ». قال الوحى:

[illegible]

(العلق: ١ - ٥)

وهكذا، [illegible] من القرآن الكريم [illegible] وعى [illegible] وفكرهم ومعرفتهم. [illegible] نزول القرآن الكريم على محمد (ﷺ)، [illegible] نزوله على مدى ثلاثة وعشرين عاما، حتى توفى الرسول (ﷺ) فى المدينة المنورة فى سن الثالثة والستين.

ان قصة تجربته الاولى مع تجلى الوحى له [illegible] الرب كما جاءت فى سفر التكوين من التوراة [illegible] معه فى صراع [illegible] محمد (ﷺ) [illegible] الوحى له فى [illegible] حتى خارت قواه [illegible] قدرة [illegible] على [illegible] يعقوب [illegible] يكن [illegible] يكون [illegible] فى [illegible] والرغبات [illegible] والوعى [illegible] ولكن [illegible]

(١) ومعنى الحديث رواه البخارى فى كتاب بدء الوحى، باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله (ﷺ) ج١/٢، ومسلم فى كتاب الايمان، باب بدء الوحى الى رسول الله (ﷺ) ج١/١٣٩ حديث رقم ٢٥٢ واحمد فى المسند ٦/٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٢ و٢٣٣

[illegible] خالية متلقية لتعاليم الرسالة من الوحى، لقد تجلى أمامه كتاب الحقيقة الأبدية غير المرئى ـ الحقيقة التى تضفى وحدها قيمة ومعنى على كل شىء مدرك [illegible] حدث فى الوجود. طلب منه الوحى أن يقرأ ما يدركه البشر، وما لا يمكن أن يعرفوه بأنفسهم.

[illegible] محمد (ﷺ) من المضامين العظيمة التى تضمنتها تلك الرؤية فى أول آيات نزلت عليه، كان مثله مثل موسى عليه السلام [illegible] فى الصحراء، [illegible] وأنه لا [illegible] بعد [illegible] البشر وقيل: إنه عاد مرتجفا إلى مكة المكرمة، ودخل بيته وهو ينادى زوجه خديجة، رضى الله عنها، قائلا وهو يرتعد: «زملينى، زملينى». كان يرتعد مثل غصن شجرة فى مهب الريح، فدثرته بدثار، حتى [illegible] وقال: «أنا خائف». إلا أن خديجة، رضى الله عنها [illegible] على [illegible] على عاتقه [illegible] لا يخزيك الله [illegible] الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدى الأمانة، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على [illegible] حتى [illegible] إلى ورقة، وهو ابن عم خديجة [illegible] مسيحيا، وكان يقرأ الكتاب المقدس بالعبرية. كان ورقة [illegible] فى ذلك الوقت رجلا مسنا، وكان بصره قد كف.. قالت خديجة رضى الله عنها لورقة: «اسمع من ابن أخيك»، وعندما أعاد عليه محمد (ﷺ) ما رآه [illegible] ورقة [illegible] فى روع وخشية وقال له: «هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران. ليتنى [illegible] حيا [illegible] إذ يخرجك قومك!». سأله محمد (ﷺ) فى دهشة: «أومخرجى هم؟». قال ورقة: نعم، إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودى.

وبالفعل، عاداه قومه على مدى ثلاثة عشر عاما، حتى هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فقد كان أهل مكة المكرمة [illegible]

* * *

وعلى أى حال، هل من العسير أن نتخيل قسوة القلب التى أظهرها أهل مكة المكرمة [illegible] محمد (ﷺ) بدعوته [illegible] مرة؟ كانوا مجردين من أى دوافع روحية، ولا يعرفون [illegible] دينية وحسية [illegible] يؤمنوا إلا بأن الحياة الجيدة لا تتحقق إلا بكسب المال والمزيد من المال، لمثل أولئك الناس تبدو فكرة تسليم أنفسهم بلا [illegible] إلى دعوة [illegible] دينية ـ فكلمة إسلام تعنى حرفيا الاستسلام والتسليم بإرادة الله ـ دعوة مستحيلة لا يمكن قبولها.. عدا ذلك، كانت دعوة محمد (ﷺ) تهديدا [illegible]

(٢) انظر التخريج عنه فى الصفحة السابقة

ولتقاليد القبائل، وترتيب السلطة، وكان ذلك عزيزا على أهل مكة المكرمة.. وعندما بدأ بالدعوة إلى التوحيد، وأعلن أن عبادة الأصنام [illegible] في ذلك [illegible] على معتقداتهم [illegible] وسلالتهم [illegible] محدودة [illegible] الاجتماعي على وجه الخصوص، لم يعجبهم، ولم يرضهم تدخل الإسلام في شئونهم الدنيوية التي [illegible] مثل [illegible] والمساواة بين البشر، والسلوك الاجتماعي العام ـ وكان تدخل [illegible] لا يتفق مع مصالحهم المادية، ونسق حياتهم كما يعيشونه. [illegible] كانت [illegible] مسألة موقف فردى أكثر من أن تكون سلوكا اجتماعيا.

كان [illegible] على [illegible] دعا إليه النبي العربي (ﷺ) من قبل. فلقد شملت دعوته الممارسات والمؤسسات والسلوكيات الاجتماعية، وكانت تصيبه الدهشة عندما يقولون له: إن الدين ليس إلا وعيا شخصيا فقط، ولا دخل له بالسلوك الاجتماعي.. كان ذلك الجانب من دعوته مكروها لهم أكثر من أي جانب [illegible] العقيدة التي يدعو إليها محمد (ﷺ) في الجوانب الاجتماعية، لربما كانت عداوتهم [illegible] للدعوة [illegible]

تضايقوا بلا شك من الدعوة إلى الإسلام لأن [illegible] معتقداتهم [illegible]

لهم أن يؤمنوا بها بعد القليل من المقاومة [illegible] كما استسلموا وتواءموا مع الدعوات الفردية لاعتناق المسيحية قبل ذلك ـ لو اتبع الرسول (ﷺ) نمط التبشير المسيحي وحصر نفسه فقط لدعوة الناس إلى عبادة الله، وإلى الصلاة له من أجل خلاص نفوسهم، وأن يسلكوا سلوكا حسنا في أمورهم الشخصية؛ إلا أنه لم يتبع النمط المسيحي؛ ولم تقتصر دعوته على الإيمان [illegible]. ولا [illegible] الفردية. فكيف يجوز [illegible] يأمره [illegible] في صلاته

﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾

(البقرة: 201)

لقد [illegible]

﴿ ... في الدنيا حسنة ﴾

ثم نعقب

﴿ وفي الآخرة حسنة ﴾

وذلك لأن [illegible] المستقبل [illegible]، لأن الإنسان مكون من مركبات تتطلب الإشباع [illegible] الدنيوي قبل أن يكون لديه قدرة على التطلع إلى [illegible] الروحانيات وخير الآخرة.. لم تكن دعوة محمد (ﷺ) تدعو إلى جوانب روحية منفصلة ومستقلة عن حياة البشر المادية [illegible] كانت الدعوة ترتكز كلها على [illegible] الروح [illegible] ليسا إلا وجهين للوجود البشري.. لم تقتصر دعوة محمد (ﷺ) على الاهتمام بالجانب الروحي

وحده لدى أفراد منفصلين، وكانت دعوته تهدف إلى منهج اجتماعي يضمن لكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي أكبر قدر من الإشباع المدني والمادي. وبذلك يوفر [illegible] النمو والتطور الروحي.

بدأ يدعو الناس إلى أن أعمالهم جزء من الإيمان، فالله لا يأمر البشر بالإيمان فقط، ولكن يأمرهم أيضا بالعمل الطيب، ودعا بقوة إلى مساندة الضعيف إذا تعرض لظلم ممن هو أقوى منه، ودعا إلى ما لم يسمع به أهل مكة المكرمة من قبل من أن المرأة والرجل متساويان أمام الله، وأنهما مكلفان بالتساوي؛ ومضى إلى ما هو أبعد من ذلك حين أعلن ـ وهو ما أرعب كفار مكة المكرمة ـ أن للمرأة حقوقا، لا [illegible] انتسابها إلى الرجل كأم أو أخت أو زوجة أو [illegible]، بل ككيان إنساني مستقل بذمته المالية، أي أن تكون لها ملكيتها الخاصة، وأن تقوم بالأعمال المالية والتجارية بنفسها ولنفسها، وأن تكون مسئولة عن نفسها في أمور زواجها. وأدان الميسر والخمور وحرمهما، لأنهما كما ذكر القرآن الكريم.

﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾

(المائدة: ٩٠)

ونهى الإسلام عن استعباد البشر بعضهم بعضا؛ ونهى عن الربا، والاحتكار والمتاجرة باحتياجات الناس الأساسية ـ وهو ما يسمى في عالمنا المعاصر المضاربة ـ كما نهى عن الحكم بصحة السلوكيات أو خطئها متأثرين بمنزلة الفرد من قبيلة أو أمة، ودعا إلى أن الشرعية الوحيدة ـ المقبولة أخلاقيا ـ تهدف إلى مصلحة الجماعة التي تسبق مصلحة الفرد. [illegible] لا تتحقق إلا بحرية البشر وقبولهم المشترك والواعي المنبعث من [illegible] معتمد على مقاييس أخلاقية، لذلك أمر النبي على إعادة النظر إلى كل المفاهيم الاجتماعية التي كانت حتى ذلك الوقت منيعة وفوق أي مراجعة، وهكذا، كما نقول في عصرنا: «أدخل الدين في السياسة»، وقد كان ذلك توجها ثوريا في ذلك الوقت.

كان مشركو مكة المكرمة، شأنهم شأن البشر في كل مكان وزمان، على اقتناع تام بأن ما نشأوا عليه من نظم اجتماعية، وعادات فكرية وسلوكيات، هي الأفضل، لذلك كان طبيعيا أن يرفضوا تدخل الدين [illegible] في نمط العلاقات القائمة، أي رفضوا أن يكون الوعي والإيمان بوحدانية الله مرتبطين بتغيير اجتماعي جذري، فاتهموا دعوته بأنها غير أخلاقية، وتحريضية، وتناقض كل أعراف الملكية السائدة.. وعندما تأكد لهم أنه ليس مجرد حالم، بل يعرف كيف يلهم الناس، لجأوا إلى مواجهته بالعنف، وراحوا يؤذونه وأتباعه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

تحدى جميع الأنبياء بطريقة أو بأخرى، «القيم الراسخة» التي كانت سائدة في عصورهم، لذلك نجد أنهم قد سخر منهم جميعا، واضطهدوا من أقوامهم و[illegible] وخاتمهم محمد (ﷺ)، ولا يزال يسخر منه في الغرب حتى اليوم

قصص القرآن



امتن الله على رسوله (ﷺ) بقوله:

[illegible]

(يوسف: ٣)

فعلمنا من قوله «احسن» ان القصص القرآنية لم تسق مساق الاحماض وتجديد النشاط. وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير او شر لان غرض القران اسمى وأعلى من هذا. ولو كان من هذا لساوى كثيرا من قصص الاخبار الحسنة الصادقة فما كان جديرا بالتفضيل على كل جنس القصص.

[illegible] بها. فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال [illegible] وأما القصص بفتح [illegible] يقال قص على فلان إذا [illegible]

وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة [illegible] ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك [illegible]

[illegible] عليهم [illegible] وأجل..

إن في تلك القصص لعبرا جمة وفوائد للأمة؛ ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه [illegible] التفكه بها..

[illegible] في سورة أو سور [illegible]

يكون كتب تاريخ، بل كتب معرفة [illegible] هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه.. وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها [illegible] في سوق القصص [illegible] معرفتها لأن سوقها في [illegible] يكسبها صفتين: صفة البرهان [illegible] في سورة [illegible]

[illegible]

(القلم: ٢٦-٢٨)

فقد حكيت [illegible] قوله

[illegible]

وقوله:

[illegible]

(هود: ٢١-٢٢)

[illegible] في سورة يوسف

[illegible]

(يوسف: ٢٥)

فقد طوى ذكر حضور سيدها وطرقه [illegible] المكر به لترى سيدها أنه أراد بها سوءا وإسراعها هي لقصد ذلك لتكون البادئة بالحكاية فتقطع على يوسف ما توسمته فيه من شكاية.. فدل على ذلك ما بعده من قوله

[illegible]

(يوسف: ٢٥)

ومنها أن القصص بثت بأسلوب بديع إذ ساقها في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من [illegible] فوائد:

الفائدة الأولى: [illegible] العلم من أهل الكتاب تحديا عظيما لأهل الكتاب [illegible] تعالى

[illegible]

(هود: ٤٩)

[illegible] بالعلم الذي وصفت به أحبار [illegible]

المسلمين في نظر اليهود، وانقطعت ثقة المعرضين بهم بأنهم أمة جاهلية، وهذه فائدة لم يبينها من سلفنا من المفسرين.

الفائدة الثانية: أن من أدب الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم لكون مشتملا القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم تكميلا لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرعين، قال تعالى

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾

(آل عمران: ١٤٦)

وهذه فائدة من فتوحات الله لنا أيضا.. وقد ريب من أسلوب القرآن في هذا الغرض أنه لا يتعرض إلا إلى حال أصحاب القصة في رسوخ الإيمان وضعفه وفيما لذلك من أثر عناية إلهية أو خذلان.. وفي هذا الأسلوب لا تجد في ذكر أصحاب هذه القصص بيان أنسابهم أو بلدانهم إذ العبرة فيما وراء ذلك من ضلالهم أو إيمانهم.. وكذلك مواضع العبرة في قدرة الله تعالى في قصة أهل الكهف

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ... نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

(الكهف ٩ - ١٣)

فلم يذكر أنسابهم من أي قبيلة وفي أي عصر. وكذلك قوله فيها

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾

(الكهف: ١٩)

فلم يذكر أية مدينة هي لأن موضع العبرة هو انبعاثهم ووصول رسولهم إلى مدينة إلى قوله

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾

(الكهف: ٢١)

الفائدة الثالثة: ما فيها من فائدة التاريخ من معرفة ترتب المسببات على أسبابها في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر، قال تعالى:

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾

(النمل: ٥٢)

وما فيها من فائدة ظهور المثل العليا في الفضيلة وزكاء النفوس أو ضد ذلك.

الفائدة الرابعة: ما فيها من موعظة المشركين بما لحق الأمم التي عاندت رسلها، وعصت أوامر ربها حتى يرعووا عن غلوائهم، ويتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم، وكيف يورث الأرض أولياءه وعباده الصالحين قال تعالى

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف ١٧٦)

وقال

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(يوسف ١١١)

وقال

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

(الأنبياء ١٠٥)

وهذا في القصص التي يذكر فيها ما لقيه المكذبون للرسل كقصص قوم نوح وعاد وثمود وأهل الرس وأصحاب الأيكة

الفائدة الخامسة: أن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهودا للعرب فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن، إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه. انظر إلى حكاية أحوال الناس في الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف. وقد تقدم التنبيه عليه في المقدمة الخامسة فكان من مكملات عجز العرب عن المعارضة.

الفائدة السادسة: أن العرب بتوغلهم في الأمية والجهل فيهم أصبحوا لا تهتدي عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما يتوارثونه فقدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجهلوا معظمها وجهلوا أحوال بعض الذي علموا أسماءه فأعقبهم ذلك إعراضا عن السعي لإصلاح أحوالهم بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم، فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها، قال مشيرا إلى غفلتهم قبل الإسلام:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ... وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾

(الحج ٤٥)

الفائدة السابعة: تعويد المسلمين على معرفة سعة العالم وعظمة الأمم والاعتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم وصمة الغرور كما وعظهم قوله تعالى عن قوم عاد

﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

(فصلت ١٥)

فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات وملائمات حياة الناس تطلبت كل ما يقتضيه ما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها

الفائدة الثامنة: أن ينشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما سادة أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب إذ رضوا من العزة باغتيال بعضهم بعضا فكان منتهى السيد منهم أن يغير صريمة، ومنتهى أمل العافي أن يرعى غنيمة، وتقاصرت هممهم عن تطلب السيادة حتى أنهم حين في أن فقدوا عزتهم فأصبحوا كالأتباع للفرس والروم. فالعراق كله واليمن كله وبلاد البحرين تبع لسيادة الفرس.. والشام ومشارفه تبع لسيادة الروم.. وبقي الحجاز ونجد لا غنية لهم عن الاعتزاز بملوك العجم والروم في رحلاتهم وتجاراتهم

الفائدة التاسعة: معرفة أن قوة الله تعالى فوق كل قوة، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء: من الاستعداد والاعتماد، سلموا من تسلط

غيرهم عليهم.. وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم الله تعالى كما في قوله

[illegible]

(يونس ٨٧، ٨٨)

الفائدة العاشرة: إنه يحصل منها بالتبع فوائد في تاريخ التشريع والحضارة وذلك يفتق أذهان المسلمين للإلمام بفوائد مدنية كقوله تعالى

[illegible]

(يوسف ٧٦)

في قراءة من قرأ دين بكسر الدال، أي في شرع فرعون يومئذ. فعلمنا أن شريعة [illegible] [illegible]

وقوله

[illegible]

(يوسف ٧٩)

يدل على أن شريعتهم ما كانت تسوغ [illegible] في الاسترقاق. [illegible] لا يملك [illegible] معتبر. وتعلم من قوله

[illegible]

(الشعراء ٣٦)

[illegible]

(الشعراء ٥٣)

إن نظام مصر في زمن موسى [illegible] مؤذنين [illegible] وتعلم من قوله

[illegible]

(يوسف ١٠٠)

[illegible] وهي [illegible] الفوائد [illegible] يعقوب

[illegible]

أن بادية الشام إلى مصر كانت توجد بها [illegible] وقد [illegible]

وقد ذكروا ما يدفع [illegible] حظر لكثير من أهل [illegible] وهو [illegible] الواحدة في حصول المقصود منها [illegible] فائدة تكرار القصة في سور كثيرة [illegible] الأخذ في القرآن [illegible] متحيرين [illegible] وتفاوت [illegible] وفوائد القصص تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها لأن [illegible] ذكرها [illegible] في مناسبات أخرى. كما لا يعد [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] أنه أعاد الخطبة [illegible] ولم يعد [illegible] وهذا [illegible] [illegible] الخطبة [illegible] مع مقاصد أخرى.

- **أحدها:** [illegible] في الأذهان بتكريرها.
- **الثاني:** ظهور البلاغة. فإن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية [illegible] وتراكيبها [illegible] الفصاحة وسعة اللغة باستعمال [illegible] ولو رددت [illegible] [illegible] اللفظية ونحو ذلك كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز
- **الثالث:** أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم. [illegible] القرآن عند نزوله وقع في النفوس من تطلبه من حفظه
- **الرابع:** أن جمع المؤمنين جميع القرآن حفظا كان نادرا، بل تجد البعض يحفظ بعض السور فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالما بتلك القصة.. كعلم من حفظ سورة أخرى ذكرت فيها تلك القصة.
- **الخامس:** أن تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر وذلك لأسباب

منها: حسب التطويل في الحكاية الواحدة فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع ويذكر آخر في موضع آخر فيحصل من متفرق مواضعها في القرآن كمال القصة أو كمال المقصود منها، وفي بعضها ما هو شرح لبعض.

- ومنها أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسبا للحالة المقصودة من سامعيها. ومن أجل ذلك تجد ذكرا لبعض القصة في موضع وتجد ذكرا لبعض آخر منها في موضع آخر لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له. فإنها تارة تساق إلى المشركين، وتارة إلى أهل الكتاب، وتارة تساق إلى المؤمنين. وتارة إلى كليهما. وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى.. وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقامات، ألا ترى قصة بعث موسى كيف بسطت في سورة طه، وسورة الشعراء.. وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان

[illegible]

(الفرقان ٣٥، ٣٦)

ومنها أنه قد يقصد تارة التنبيه على خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد ذلك.

فهذه تحقيقات سمحت بها القريحة. وربما كانت بعض معانيها في كلام السابقين غير صريحة

فى ظلال القرآن



الحياة فى ظلال القرآن نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. والحمد لله.. لقد من على بالحياة فى ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط فى حياتى. ذقت فيها هذه النعمة التى ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

لقد عشت أسمع الله - سبحانه - يتحدث إلى بهذا القرآن.. أنا العبد القليل الصغير.. أى تكريم للإنسان هذا التكريم العلوى الجليل؟ أى رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أى مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم؟

وعشت - فى ظلال القرآن - أنظر من علو إلى الجاهلية التى تموج فى الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة.. أنظر إلى تعاجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال.. كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال، ولثغة الأطفال.. وأعجب.. ما بال هؤلاء الناس؟ ! ما بالهم يرتكسون فى الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوى الجليل.. النداء الذى يرفع العمر ويباركه ويزكيه؟

عشت أتملى - فى ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود.. لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنسانى.. وأقيس إليه تصورات الجاهلية التى تعيش فيها البشرية، فى شرق وغرب، وفى شمال وجنوب.. وأسأل.. كيف تعيش البشرية فى المستنقع الآسن، وفى الدرك الهابط، وفى الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكى، وذلك المرتقى العالى، وذلك النور الوضىء؟

وعشت - فى ظلال القرآن - أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله، وحركة هذا الكون الذى أبدعه الله.. ثم أنظر.. فأرى التخبط الذى تعانيه البشرية فى انحرافها عن السنن الكونية، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التى تملى عليها وبين فطرتها التى فطرها الله عليها. وأقول فى نفسى: أى شيطان لئيم هذا الذى يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟ يا حسرة على العباد!!!

وعشت - فى ظلال القرآن - أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود.. أكبر فى حقيقته، وأكبر فى تعدد جوانبه.. إنه عالم الغيب والشهادة، لا عالم الشهادة وحده. وإنه الدنيا والآخرة، لا هذه الدنيا وحدها.. والنشأة الإنسانية ممتدة فى شعاب هذا المدى المتطاول.. والموت ليس نهاية الرحلة وإنما هو مرحلة فى الطريق وما يناله الإنسان من شئ فى هذه الأرض ليس نصيبه كله، إنما هو قسط من ذلك النصيب.. وما يفوته هنا من الجزاء لا يفوته هناك. فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع. على أن المرحلة التى يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هى رحلة فى كون حى مأنوس، وعالم صديق ودود.. كون ذى روح تتلقى وتستجيب، وتتجه إلى الخالق الواحد الذى تتجه إليه روح المؤمن فى خشوع.

[illegible]

[illegible]

...ى راحة.. وأى سعة وأى أنس.. وأى ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟

وعشت - فى ظلال القرآن - أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد.. إنه إنسان بنفخة من روح الله:

[illegible]

مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ

وهو بهذه النفخة مستخلف فى الأرض:

[illegible]

ومسخر له كل ما فى الأرض

[illegible]

ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة التى يتجمع عليها البشر هى الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة. جعلها آصرة العقيدة فى الله.. فعقيدة المؤمن هى وطنه، وهى قومه، وهى أهله.. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج!.

والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب فى شعاب الزمان.. إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذى يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى، ومحمد.. عليهم الصلاة والسلام.

[illegible]

هذا الموكب الكريم، الممتد فى شعاب الزمان من قديم، يواجه - كما يتجلى فى ظلال القرآن - مواقف متشابهة، وأزمات متشابهة، وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكر الدهور، وتغير المكان، وتعدد الأقوام. يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى، والاضطهاد والبغى والتهديد والتشريد. ولكنه يمضى فى طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير، واثقا من نصر الله، متعلقا بالرجاء فيه، متوقعا فى كل

لحظة وعد الله الصادق الأكيد:

[illegible]

موقف واحد وتجربة واحدة. وتهديد واحد، ويقين واحد. ووعد واحد للموكب الكريم.. وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف. وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والتوعيد.

>>>

وفي ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء، ولا للفلتة العارضة.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وكل أمر لحكمة. ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة.

[illegible]

والأسباب التي تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها، والمقدمات التي يراها الناس حتمية قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها. ذلك أنه ليست الأسباب والمقدمات هي التي تنشئ الآثار والنتائج وإنما هي الإرادة الطليقة التي تنشئ الآثار والنتائج كما تنشئ الأسباب والمقدمات سواء.

﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

والمؤمن يأخذ بالأسباب لأنه مأمور بالأخذ بها. والله هو الذي يقدر آثارها ونتائجها. والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله وإلى حكمته وعلمه هو وحده الملاذ الأمين. والنجوة من الهواجس والوساوس.

[illegible]

ومن ثم عشت — في ظلال القرآن — هادئ النفس. مطمئن السريرة. قرير الضمير. عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر. عشت في كنف الله وفي رعايته. عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها..

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إن الوجود ليس متروكاً لقوانين آلية صماء عمياء. فهناك دائماً وراء السنن الإرادة المدبرة. والمشيئة المطلقة. والله يخلق ما يشاء ويختار. كذلك تعلمت أن يد الله تعمل. ولكنها تعمل بطريقتها الخاصة، وأنه ليس لنا أن نستعجلها. ولا أن نقترح على الله شيئاً. فالمنهج الإلهي كما يبدو في ظلال القرآن — موضوع ليعمل في كل بيئة. وفي كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية، وفي كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة. وهو موضوع لهذا الإنسان الذي يعيش في هذه الأرض، آخذ في الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته. وقوته وضعفه. وحالاته المتغيرة التي تعتريه.. إن ظنه لا يسوء بهذا الكائن فيحتقر دوره في الأرض، أو يهدر قيمته في صورة من صور حياته. سواء وهو فرد أو وهو عضو في جماعة. كذلك هو لا يهيم مع الخيال فيرفع هذا الكائن فوق قدره وفوق طاقته وفوق مهمته التي أنشأه الله لها يوم أنشأه. ولا يفترض في كلتا الحالتين أن مقومات فطرته سطحية تنشأ بقانون أو تكشط بجرة قلم!.. الإنسان هو هذا الكائن بعينه. بفطرته وميوله واستعداداته، يأخذ المنهج الإلهي بيده ليرتفع به إلى أقصى درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ووظيفته. ويحترم ذاته وفطرته ومقوماته، وهو يقوده في طريق الكمال الصاعد إلى الله. ومن ثم فإن المنهج الإلهي موضوع للمدى الطويل — الذي يعلمه خالق هذا الإنسان ومنزل هذا القرآن — ومن ثم لم يكن معتسفاً ولا عجولاً في تحقيق غاياته العليا من هذا المنهج. إن المدى أمامه ممتد فسيح. لا يحده عمر فرد. ولا تستحثه رغبة فان، يخشى أن يعجله الموت عن تحقيق غايته البعيدة؛ كما يقع لأصحاب المذاهب الأرضية الذين يعتسفون الأمر كله في جيل واحد، ويتخطون الفطرة المتزنة الخطى لأنهم لا يصبرون على الخطو المتزن! وفي الطريق العسوف التي يسلكونها تقوم المجازر، وتسيل الدماء، وتتحطم القيم، وتضطرب الأمور. ثم يتحطمون هم في النهاية، وتتحطم مذاهبهم المصطنعة تحت مطارق الفطرة التي لا تصمد لها المذاهب المعتسفة. فأما الإسلام فيسير هيناً ليناً مع الفطرة، يدفعها من هنا، ويردعها من هناك، ويقومها حين تميل، ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها. إنه يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغاية المرسومة.. والذي لا يتم في هذه الجولة يتم في جولة ثانية أو

...ــشة والمفاجأة أوانه والأنف. قائم من قبل. والغاية واضحة. والطريق إلى الهدف الكبير طويل. وكما تنبت الشجرة الباسقة وتضرب جذورها في التربة، وتتطاول فروعها وتتشابك.. كذلك ينبت الإسلام ويمتد في تؤدة، وعلى هينة وفي طمأنينة. ثم يكون دائما ما يريده الله أن يكون.. والزرعة قد تسفى عليها الرمال، وقد يأكل بعضها الدود، وقد يحرقها الظمأ، وقد يغرقها الري، ولكن الزارع البصير يعلم أنها زرعة للبقاء والنماء، وأنها ستغالب الآفات كلها على المدى الطويل؛ فلا يعتسف ولا يقلق، ولا يحاول إنضاجها بغير وسائل الفطرة الهادئة المتزنة، السمحة الودود.. إنه المنهج الإلهي في الوجود كله.

والحق في منهج الله أصيل في بناء هذا الوجود ليس فلتة عابرة، ولا مصادفة غير مقصودة.. إن الله سبحانه هو الحق، ومن وجوده تعالى يستمد كل موجود وجوده

ولقد خلق الله هذا الكون بالحق لا يتلبس بخلقه الباطل:

﴿ [illegible] بِالْحَقِّ ﴾

والحق هو قوام هذا الوجود فإذا حاد عنه فسد وهلك

ومن ثم فلا بد للحق أن يظهر، ولا بد للباطل أن يزهق.. ومهما تكن الظواهر غير هذا فإن مصيرها إلى تكشف صريح

والخير والصلاح والإحسان أصيلة كالحق، باقية بقاءه في الأرض

أى طمأنينة يبثها هذا التصور؟ وأى سكينة يفيضها على القلب؟ وأى ثقة في الحق والخير والصلاح؟ وأى قوة واستعلاء على الواقع الصغير يسكبها في الضمير؟

***

وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن – إلى يقين جازم حاسم.. إنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة.. إلا بالرجوع إلى الله.

والرجوع إلى الله – كما يتجلى في ظلال القرآن – له صورة واحدة وطريق واحد.. واحد لا سواه.. إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم.. إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها. والتحاكم إليه وحده في شئونها. وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس، والارتكاس في الحمأة، والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله

إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار، إنما هو الإيمان.. أو.. فلا إيمان

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة [illegible] ﴾

والأمر إذن جد.. إنه أمر العقيدة من أساسها، ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها.

إن هذه البشرية – وهي من صنع الله – لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده – سبحانه – وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق، وشفاء كل داء

ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه، ولا تسلك في أمر نفسها، وفي أمر إنسانيتها، وفي أمر سعادتها أو شقوتها.. ما تعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة.. وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز. ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه، فترده إلى المصنع الذي منه خرج، ولا أن تستفتي المبدع لدى نشأة هذا الجهاز العجيب، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف، الذي لا يعلم مساربه ومداخله إلا الذي أبدعه وأنشأه

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة. البشرية المسكينة الحائرة. البشرية التي لن تجد الرشد، ولن تجد الهدى، ولن تجد الراحة، ولن تجد السعادة، إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير، كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير!

ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثًا هائلا في تاريخها، ونكبة قاصمة في حياتها. نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا في كل ما ألم بها من نكبات.

لقد كان الإسلام قد تسلم القيادة بعد ما فسدت الأرض، وأسنت الحياة، وتعفنت القيادات، وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة

• [illegible] •

تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور، فكان ذلك مولدا جديدا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته. لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم، كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا، كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء.. نعم! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال، والعظمة والارتفاع، والبساطة واليسر، والواقعية والإيجابية، والتوازن والتناسق بحيث لا يخطر للبشرية على بال، لولا أن الله أراده لها، وحققه في حياتها.. في ظلال القرآن، ومنهج القرآن، وشريعة القرآن.

ثم وقعت تلك النكبة القاصمة. ونحي الإسلام عن القيادة. نحي عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى، في صورة من صورها الكثيرة. صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم، كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش واللعبة الزاهية الألوان!

إن هناك عصابة من المضللين الخادعين أعداء البشرية. يضعون لها المنهج الإلهي في كفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى؛ ثم يقولون لها: اختاري!!! اختاري إما المنهج الإلهي في الحياة والتخلي عن كل ما أبدعته يد الإنسان في عالم المادة، وإما الأخذ بثمار المعرفة الإنسانية والتخلي عن منهج الله!!! وهذا خداع لئيم خبيث. فوضع المسألة ليس هكذا ابتداء.. إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني. إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة.. ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. هذا المقام الذي منحه الله له، وأقدره عليه، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه؛ وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه؛ ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع.. على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام، والتقيد بشرطه في عقد الخلافة؛ وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله. فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة، والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى.. فهم سيئو النية، شريرون، يطاردون البشرية الضالة الحائرة كلما تعبت من التيه والحيرة والضلال، وهمت أن تسمع لصوت الحادي الناصح، وأن تؤوب من المتاهة المهلكة وأن تطمئن إلى كنف الله

وهنالك آخرون لا ينقصهم حسن النية، ولكن ينقصهم الوعي الشامل، والإدراك العميق.. هؤلاء يبهرهم ما كشفه الإنسان من القوى والقوانين الطبيعية، وتروعهم انتصارات الإنسان في عالم المادة. فينفصل ذلك البهر وهذه الروعة في شعورهم بين القوى الطبيعية والقيم الإيمانية، وعملها وأثرها الواقعي في الكون وفي واقع الحياة؛ ويجعلون للقوانين الطبيعية مجالا، وللقيم الإيمانية مجالا آخر؛ ويحسبون أن القوانين الطبيعية تسير في طريقها غير متأثرة بالقيم الإيمانية، وتعطي نتائجها سواء آمن الناس أم كفروا، اتبعوا منهج الله أم خالفوا عنه، حكموا بشريعة الله أم بأهواء الناس!

هذا وهم.. إنه فصل بين نوعين من السنن الإلهية هما في حقيقتهما غير منفصلين. فهذه القيم الإيمانية هي بعض سنن الله في الكون كالقوانين الطبيعية سواء بسواء. ونتائجها مرتبطة ومتداخلة، ولا مبرر للفصل بينها في حس المؤمن وفي تصوره.. وهذا هو التصور الصحيح الذي ينشئه القرآن في النفس حين تعيش في ظلال القرآن. ينشئه وهو يتحدث عن أهل الكتب السابقة وانحرافهم عنها وأثر هذا الانحراف في نهاية المطاف:

• [illegible] •

وينشئه وهو يتحدث عن وعد نوح لقومه

• [illegible] •

وينشئه وهو يربط بين الواقع النفسي للناس والواقع الخارجي الذي يفعله الله بهم

• [illegible] •

إن الإيمان بالله، وعبادته على استقامة، وإقرار شريعته في الأرض.. كلها إنفاذ لسنن الله. وهي سنن ذات فاعلية إيجابية، نابعة من ذات المنبع الذي تنبثق منه سائر السنن الكونية التي نرى آثارها الواقعية بالحس والاختبار

ولقد تأخذنا في بعض الأحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الكونية، حين نرى أن اتباع القوانين الطبيعية يؤدي إلى النجاح مع مخالفة القيم الإيمانية.. هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في أول الطريق؛ ولكنها تظهر حتما في نهايته.. وهذا ما وقع

للمجتمع الإسلامي نفسه. لقد بدأ خط صعوده من نقطة التقاء شقوتين [illegible] في حياته مع القيم الإيمانية، وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقهما. وظل يهبط ويهبط كلما انفرجت زاوية الافتراق حتى وصل إلى الحضيض عندما أهمل السنن الطبيعية والقيم الإيمانية جميعا.

وفي الطرف الآخر تقف الحضارة المادية اليوم تقف كالطائر الذي يرف بجناح واحد جبار، بينما جناحه الآخر مهيض، فيرتقي في الإبداع المادي بقدر ما يرتكس في المعنى الإنساني. ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية ما يصرخ منه العقلاء هناك.. لولا أنهم لا يهتدون إلى منهج الله وهو وحده العلاج والدواء.

إن شريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون. فإنفاذ هذه الشريعة لابد أن يكون له أثر إيجابي في التنسيق بين سيرة الناس وسيرة الكون.. والشريعة إن هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير، فهي موضوعة لتنفذ في مجتمع مسلم، كما أنها موضوعة لتساهم في بناء المجتمع المسلم. وهي متكاملة مع التصور الإسلامي كله للوجود الكبير وللوجود الإنساني، ومع ما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير، ونظافة في الشعور، وضخامة في الاهتمامات، ورفعة في الخلق، واستقامة في السلوك. وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية.. فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود.

والإنسان كذلك قوة من قوى الوجود وعمله وإرادته، وإيمانه وصلاحه، وعبادته ونشاطه.. هي كذلك قوى ذات آثار إيجابية في هذا الوجود وهي مرتبطة بسنة الله الشاملة للوجود.. وكلها تعمل متناسقة، وتعطي ثمارها كاملة حين تتجمع وتتناسق، بينما تفسد آثارها وتضطرب وتفسد الحياة معها، وتنتشر الشقوة بين الناس والتعاسة حين تتفرق وتتصادم.

فالارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين مجريات الأحداث في نطاق السنة الإلهية الشاملة للجميع. ولا يوحي بتمزيق هذا الارتباط، ولا يدعو إلى الإخلال بهذا التناسق، ولا يحول بين الناس وسنة الله الجارية، إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى؛ وينبغي لها أن تطارده، وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم.

<<<

هذه بعض الخواطر والانطباعات من فترة الحياة في ظلال القرآن. لعل الله ينفع بها ويهدي.

القــــــــرآن



جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق اليه الريبة. أن النبي (ﷺ). كان في نشأته وأميته على الحال التي نعرفها. وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال انه أنزل عليه. وان ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف. المحفوظ في صدور من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم. كتاب حوى من أخبار الامم الماضية ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة والمستقبلة. نقب على الصحيح منها. وغادر الاباطيل التي ألحقتها الاوهام بها. ونبه على وجود العبرة فيها. حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم. وما كان بينهم وبين أممهم. وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم. المعتقدون برسالتهم.

آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما [illegible] من عقائدهم، وما خلطوا في أحكامهم، وما حرفوا بالتأويل في كتبهم. وشرع للناس أحكاما تنطبق على مصالحهم، وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها، وقام بها العدل، وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حد ما قرره، ثم عظمت الحسرة في إهمالها والانحراف عنها أو البعد بها عن الروح الذي أودعته. فاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية، كما يتبين للناظر في شرائع الأمم. ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب. وتهش لاستقبالها العقول. وتنصرف وراءها الهمم انصرافها في السبيل الأقوم.

نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عند العرب، وأغزرها مادة في الفصاحة. وأنه المتمايز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطابة. وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل، ونتائج الفطنة والذكاء، هو الغلب في القول، والسبق إلى إصابة مكان الوجدان من القلوب ومقر الإذعان من العقول. وتفانيهم في المفاخرة بذلك لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه.

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من

الحرص على معارضة النبي (ﷺ)، والتماسهم الوسائل، قريبها وبعيدها، لإبطال دعواه، وتكذيبه في الإخبار عن الله، وإتيانهم في ذلك على مبلغ استطاعتهم، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته، والأمراء الذين يدعوهم السلطان إلى مناوأته، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته. وقد اشتد جميع أولئك في مقاومته، وانهالوا بقوارعهم عليه، استكبارا عن الخضوع له، وتمسكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم، وحمية لمعتقدهم وعقائد أسلافهم، وهو مع ذلك يخطئ آراءهم، ويسفه أحلامهم، ويحتقر أصنامهم، ويدعوهم إلى ما لم تعهده أيامهم، ولم تخفق لمثله أعلامهم، ولا حجة له بين يدى ذلك كله إلا تحديهم بالإتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب، أو بعشر سور من مثله، وكان في استطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء البلغاء ما شاءوا، ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به، ليبطلوا الحجة، ويفحموا صاحب الدعوة.

جاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدى، ورجاء نشوة في التحدى أصيبوا بالعجز، ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام، وقضى حكمه العلى على جميع الأحكام. أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزة وأدل برهان على أنه ليس من صنع البشر؟ وإنما هو النور المنبعث عن شمس العلم الإلهى، والحكم الصادر عن المقام الربانى على لسان الرسول الأمى، صلوات الله عليه

هذا وقد جاء في الكتاب من أخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون، كالخبر في قوله:

﴿ [illegible] فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾

(الروم ٢ - ٤)

وكالوعد الصريح في قوله:

﴿ [illegible] لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

(النور ٥٥)

وقد تحقق جميع ذلك وفي القرآن كثير من مثل هذا يحيط به من يتدبره حق تلاوته.

ومن الكلام عن الغيب فيه ما جاء في تحدى العرب به، واكتفائه في الرجوع عن دعواه بأن يأتوا بسورة من مثله، مع سعة البلاد العربية، ووفرة سكانها، وبعد أطرافها، وانتشار دعوته على لسان الوافدين إلى مكة من جميع أرجائها، ومع أنه لم يسبق له (ﷺ) السياحة في نواحيها والتعرف برجالها، وقصور العلم البشرى، عادة، عن الإحاطة بما أودع في قوى أمة عظيمة كالأمة العربية، فهذا القضاء الحاتم منه بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشريا، ومن الصعب، بل من المتعذر، أن يصدر عن عاقل التزام كالذى التزمه، وشرط كالذى شرطه على نفسه، لعلة لقى عند من له شيء من العقل أن الأرض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته، وإنما ذلك هو الله المتكلم والعليم الخبير هو الناطق على لسانه، وقد أحاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له وبلوغ ما حثهم عليه.

يقول واهم: إن العجز حجة على من عجز، فإن العجز هى حجة الإفحام وإلزام الخصم، وقد يلتزم الخصم ببعض المسلمات عنده فيفحم ويعجز عن الجواب فتلزمه الحجة، ولكن ليس ذلك بملزم لغيره، فمن الممكن أن لا يسلم غيره بما سلمه، فلا يفحمه الدليل، بل يجد إلى إبطاله أقرب سبيل.

وهو وهم يضمحل بما قدمناه من البيان، إذ لا يوجد من المشابهة بين إعجاز القرآن وإفحام الدليل إلا أنه يوجد عن كل منهما عجز، وشتان بين العجزين، وبعد ما بين وجهتى الاستدلال فيهما، فإن إعجاز القرآن برهن على أمر واقعى، وهو تقاصر القوى البشرية دون مكانته من البلاغة، وقفنا القوى البشرية، لأنه جاء بلسان عربى، وقد عرض الكتاب على جميع العرب في عهد النبوة، وكان حال العصر من البلاغة كما ذكرنا، وحال القوم في العناد كما بينا، ومع ذلك لم يمكن للعرب أن يعارضوه بشيء من مبلغ عقولهم، فلا يعقل أن فارسيا أو هنديا أو رومانيا يبلغ من قوة البلاغة في العربية أن يأتى بما عجز عنه العرب أنفسهم، وتقاصر القوى جميعها عن ذلك، مع التماثل بين النبى وبينهم في النشأة والتربية، وامتياز الكثير منهم بالعلم والدراسة دليل قاطع على أن الكلام ليس مما اعتيد صدوره عن البشر، فهو اختصاص من الله سبحانه لمن جاء على لسانه.

ثم ما ورد في القرآن من تسجيل العجز عليهم، والتعرض للاعتداء بجميع ما أوتوا من قوة، مما يدل على الثقة من أمره، مع ما سبق تعداده من الأمور التى لا يمكن معها لعاقل أن يقف ذلك الموقف مع طول الزمن وانفساح الأجل، كل ذلك يدل على أن الناطق هو عالم الغيب والشهادة، لا رجل يعظ وينصح على العادة.

فثبت بهذه المعجزة العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب الباقى الذى لا يعرض عليه التغيير ولا يتناوله التبديل أن نبينا محمد (ﷺ)، رسول الله إلى خلقه، فيجب التصديق برسالته والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه، والأخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة متبعة. وقد جاء في الكتاب أنه خاتم الأنبياء، فوجب علينا الإيمان بذلك كذلك.

من مقاصد القرآن:

إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية



كانت النساء قبل الإسلام مظلومات ممتهنات مستعبدات عند جميع الأمم وفى جميع شرائعها وقوانينها حتى عند أهل الكتاب إلى أن جاء الإسلام وأكمل الله دينه ببعثه خاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فأعطى الله النساء بكتابه الذى أنزله عليه وبسنته التى بين بها كتاب الله تعالى بالقول والعمل جميع الحقوق التى أعطاها للرجال. إلا ما يقتضيه اختلاف طبيعة المرأة ووظائفها النسوية من الأحكام مع مراعاة تكريمها والرحمة بها والعطف عليها حتى كان النبى ﷺ يقول: «ما أكرم النساء إلا كريم. ولا أهانهن إلا لئيم» رواه ابن عساكر من حديث على - كرم الله وجهه -..

كان كبار العقول من الصحابة - رضى الله عنهم - يرون ما أصلحه الإسلام من فساد وظلم ورذيلة فى الأمة العربية فيكبرونه ويكبرون ويعدونه من دلائل نبوة محمد ﷺ إذ لم يكن يمتاز عليهم قبل النبوة بشىء من العلم ولا البلاغة. بل بالأخلاق وسلامة الفطرة فقط. ولهذا كان عمر بن الخطاب المصلح الكبير والمنفذ الأعظم لسياسة الإسلام وهدى محمد ﷺ من بعده فى الفتوح والعدل وإدارة شئون الشعوب يقول: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية»، ولو كان - رضى الله عنه - واقفا على تواريخ الأمم والشعوب لعلم أن ما جاء به الإسلام إنما هو إصلاح لشئون البشر كافة، وثنييهم وكتابيهم، همجيهم وحضريهم، لا فى شىء واحد بل فى كل شىء. وإنى أشير هنا إلى أهم أصول الإصلاح النسوى التى بسطتها فى كتاب وسيط فى حقوق النساء فى الإسلام سميته «نداء للجنس اللطيف»، بينت فى مقدمته حالهن قبل البعثة المحمدية عند أمم الأرض إجمالا تقريبى:

«كانت المرأة تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع. وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء. وكانت تورث ولا ترث وكانت تملك ولا تملك. وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل وكانوا يرون للزوج الحق فى التصرف بمالها من دونها وقد اختلف الرجال فى بعض البلاد فى كونها إنسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا؟ وفى كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا؟ وفى كونها تدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة أم لا؟ فقرر أحد المجامع فى رومية أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق فى قتل بنته، بل فى وأدها (دفنها حية) أيضا. وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل فى قتل المرأة ولا دية».

وكتبت فى مقدمة الكلام على حقوق النساء المالية فى الإسلام ما نصه:

«قد أبطل الإسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك أو التضييق عليهن فى التصرف بما يملكن، واستبداد أزواج المتزوجات منهن بأموالهن. فأثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها. وإن كانت غنية. وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك. ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة، وأن المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها فى جميع التصرفات المالية، والعقود القضائية». وبينت حظ من ذلك الكتاب المسائل الآتية بالإيجاز، ولمن شاء مراجعتها فيه بطولها

(١) كان بعض البشر من الإفرنج وغيرهم يعدون المرأة من الحيوان الأعجم أو من الشياطين لا من نوع الإنسان وبعضهم يبحث فى ذلك فجاء محمد ﷺ يتلو عليهم أمثال قول الله تعالى

(الحجرات: ١٣)

وقوله:

(النساء: ١)

(٢) كان بعض البشر فى أوروبا وغيرها يرون أن المرأة لا يصح أن يكون لها دين حتى كانوا يحرمون عليها قراءة

الكتب المقدسة رسميا، فجاء الإسلام يخاطب بالتكاليف الدينية الرجال والنساء معا بلقب المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، والآيات في ذلك معروفة.

كان أول من آمن بمحمد خاتم النبيين ﷺ امرأة، وهى زوجه خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ وقد ذكر الله تعالى مبايعته ﷺ للنساء فى نص القرآن، ثم بايع الرجال بما جاء فيها، ولما جمع القرآن فى مصحف واحد جمعا رسميا وضع عند امرأة، هى حفصة أم المؤمنين. وظل عندها من عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق إلى عهد الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنهم فأخذ من عندها واعتمدوا عليه فى نسخ المصاحف الرسمية التى كتبت وأرسلت إلى الأمصار لأجل النسخ عنها والاعتماد عليها.

(٣) كان بعض البشر يزعمون أن المرأة ليس لها روح خالدة فتكون مع الرجال المؤمنين فى جنة النعيم فى الآخرة. وهذا الزعم أصل لعدم تدينها ـ فنزل القرآن يقول:

[illegible]

(النساء ١٢٣، ١٢٤)

ويقول

[illegible]

(آل عمران ١٩٥)

وفيها الوعد الصريح بدخولهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

(٤) كان بعض البشر يحتقرون المرأة فلا يعدونها أهلا للاشتراك مع الرجال فى المعابد الدينية والمحافل الأدبية ولا فى غيرهما من الأمور الاجتماعية والسياسية والإرشادات الإصلاحية، فنزل القرآن يصارحهم بقوله تعالى:

[illegible]

(التوبة ٧١)

فأثبت للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين، وتدخل فيها ولاية النصرة فى الحرب. ولكن الشرع أسقط عنهن فريضة القتال. فكان حظهن من النصرة تهيئة الطعام والشراب للمقاتلين ومداواة جرحاهم، وكن يصلين الجماعة مع الرجال ويحججن معهم، ويأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر حتى إن بعضهن كن ينكرن على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قوله جهرا، فيرجع عنه إذا كان خطأ، وهو الذى كان يهابه الرجال كالنساء.

وقد قفى الله تعالى على هذه الآية بأعظم آية فى جزاء الفريقين جمعت بين [illegible] النعيم الجثمانى والنعيم الروحانى، وهى

[illegible]

(التوبة ٧٢)

(٥) كان بعض البشر يحرمون النساء من حق الميراث وغيره، وبعضهم يضيق عليهن حق التصرف فيما يملكن. فأبطل الإسلام هذا الظلم وأثبت لهن حق التملك والتصرف بأنفسهن فى دائرة الشرع. قال الله تعالى

[illegible]

(النساء ٧)

ونحن نرى أن دولة الولايات المتحدة الأمريكية لم تمنح النساء حق التملك والتصرف إلا من عهد قريب فى عصرنا هذا، وأن المرأة الفرنسية لا تزال مقيدة بإرادة زوجها فى التصرفات المالية والعقود القضائية، وقد منحت المرأة المسلمة هذه الحقوق منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن.

(٦) كان الزواج فى قبائل البدو وشعوب الحضارة ضربا من استرقاق الرجال للنساء فجعله الإسلام عقدا دينيا مدنيا لقضاء حق الفطرة بسكون النفس من اضطرابها الجنسى بالحب بين الزوجين وتوسيع دائرة المودة والألفة بين العشيرتين وكتمال عاطفة الرحمة الإنسانية وانتشارها من الوالدين إلى الأولاد على ما أرشد إليه قوله تعالى:

[illegible]

(الروم ٢١)

(٧) القرآن ساوى بين المرأة والرجل باقتسام الواجبات والحقوق بالمعروف مع جعل حق رياسة الشركة الزوجية للرجل لأنه أقدر على النفقة والحماية، يقول الله عز وجل فى الزوجات:

[illegible]

(البقرة: ٢٢٨)

وقد بين هذه الدرجة بقوله تعالى:

[illegible]

(النساء: ٣٤)

فجعل من واجبات هذه القيامة على الزوج نفقة الزوجة والأولاد لا تكلف الزوجة منه شيئا، ولو كانت أغنى منه. وزادها المهر، فالمسلم يدفع لامرأته مهرا عاجلا مفروضا عليه مقتضى العقد، حتى إذا لم يذكر فيه لزمه مهر مثلها فى الهيئة الاجتماعية ولهما أن يؤجلا بعضه بالتراضى على حين نرى بقية الأمم حتى

يكون كذلك من دفع مهر للرجل.

وكان أولياء المرأة يجبرونها على التزوج بمن تكره أو يعضلونها بالمنع منه مطلقاً إن كان زوجها وطلقها فحرم الإسلام ذلك، والنصوص في هذا معروفة في كلام الله وكلام رسوله وسنته.

(٨) كان الرجال من العرب وبني إسرائيل وغيرهم من الأمم يتخذون من الأزواج ما يشاءون غير مقيدين بعدد ولا مشترط عليهم فيه العدل فقيدهم الإسلام بأن لا يزيدوا على أربع وأن من خاف على نفسه أن لا يعدل بين اثنتين وجب عليه الاقتصار على واحدة. وإنما أباح الزيادة لمحتاجها القادر على النفقة والإحصان لأنها قد تكون ضرورة من ضرورات الاجتماع في أحوال منها أن تكون الأولى عقيماً أو تدخل في سن اليأس من الحمل، أو تكون ذات مرض مانع منه، أو من إحصان الرجل، وقد يكون التعدد من مصالح النساء، خاصة إذا كثرن في أمة أو قبيلة، كما يكون في أعقاب الحروب أو هجرة كثيرة من الرجال لأجل الكسب وناهيك بأمة تحرم شريعتها الزنا وتعاقب عليه فهل من مصلحة النساء أو الإنسانية أن تبقى النساء الزائدات على عدد الرجال محرومات من الحياة الزوجية وحصانتها وكفالة الأزواج ومن نعمة الأمومة؟ وهل من مصلحة أو منفعة الأمة أو حصانة أن يباح لهن الزنا وما يترتب عليه من المصائب البدنية والاجتماعية التي نرى من هذه الحالات برجسها في بلاد الإفرنج والبلاد التي ابتليت بسيطرتهم عليها أو تقليدها بهم؟

وقد فصلنا ذلك في تفسير آية التعدد من سورة النساء ثم زدنا عليه في كتاب «حقوق النساء في الإسلام» ما هو مقنع لكل عاقل منصف بأن ما شرعه الإسلام في التعدد هو عين الحق والعدل ومصلحة البشر كافة والنساء خاصة، فهو قد أباح ذلك ولم يشرعه للتشديد ولم يوجبه وهن في شريعته مخيرات في قبول العقد على رجل متزوج وعدمه بل تجيز الشريعة للمرأة أن تشترط في عقد نكاحها جعل عصمتها بيدها لتطلق نفسها إذا شاءت، بناء على ما ذهب إليه بعض أئمة الفقه في صحة كل شرط يتعاقد عليه الناس غير مخالف لنص قطعي في الكتاب والسنة ولا سيما شروط الزوجية عملاً بحديث «أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج» رواه البخاري في مواضع من صحيحه وأصحاب السنن.

(٩) الطلاق قد يكون ضرورة من ضرورات الحياة الزوجية إذا تعذر على الزوجين القيام بحقوق الزوجية من إقامة حدود الله وحقوق الإحصان والنفقة والمعاشرة بالمعروف وكان مشروعاً عند أهل الكتاب والوثنيين من العرب وغيرهم وكان يقع على النساء منه وفيه ظلم كثير وغبن يشق احتماله فجاء الإسلام فيه بالإصلاح الذي لم يسبقه إليه شرع ولم يلحقه بمثله قانون وكان الإفرنج يحرمونه ويعيبون الإسلام به ثم اضطروا إلى إباحته فأسرفوا فيه إسرافاً صار يعرض الحياة الزوجية والانحلال روابط الأسرة والعشيرة ومما نقلته الصحف من أسباب حكم القضاة بالطلاق عندهم مسائل شعر رأس المرأة ووجه الرجل في إرساله أو قصه وحلقه وشكوى المرأة من اشتغال الرجل عنها وعدم عنايته بها للكتب أو الصحف في الدار وشكواها من نتن رائحته لعدم استحمامه وشكوى الرجل من كثرة كلام المرأة حتى بالمسرة (التليفون) ومنه كثير[1].

جعل الإسلام عقدة النكاح بيد الرجال ومنحهم حق الطلاق لأنهم أحرص على بقاء الزوجية بما تكلفهم من النفقات في عقدها وحلها وكونهم أثبت من النساء حالاً وأشد صبراً على ما يكرهون وقد أوصاهم الله تعالى فوق هذا بما يزيدهم قوة على ضبط النفس والصبر على ما يكرهون من نسائهم فقال:

• ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

(النساء: ١٩)

وأعطت الشريعة المرأة حق طلب فسخ عقد الزوج من القاضي إذا وجدت فيه شيئاً من العيوب الخلقية أو المرضية كالرجال وكذا إذا عجز الزوج عن النفقة وجعلت للمطلقة عليه حق النفقة مدة العدة التي لا يحل لها فيها الزواج وذم النبي ﷺ الطلاق بأن الله يبغضه ويمقته إلى غير ذلك من الأحكام التي بيناها في تفسير الآيات المنزلة فيها وفي كتابنا الجديد في حقوق النساء في الإسلام (نداء للجنس اللطيف).

(١٠) بالغ الإسلام في الوصية ببر الوالدين لا سيما الأم بعد توحيد الله تعالى وأكد النبي ﷺ فيه حق الأم فجعل برها مقدماً على بر الأب ثم بالغ في الوصية بتربية البنات وكفالة الأخوات بأخص مما وصى به من صلة الأرحام، بل جعل لكل امرأة قيماً شرعياً يتولى كفايتها والعناية بها ومن ليس لها ولي من أقربائها وجب على أولي الأمر من حكام المسلمين أن يتولوا أمرها، وقد أثبتنا في ذلك الكتاب طائفة من تلك الوصايا.

والخلاصة المقول إنه ما وجد دين ولا شرع ولا قانون في أمة من الأمم أعطى النساء ما أعطاهن الإسلام من حقوق والعناية والكرامة أفليس هذا كله من دلائل كونه من وحي الله العليم الحكيم أوحاه إلى محمد النبي الأمي المبعوث في الأميين؟ بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين المبرهنين. والحمد لله رب العالمين.

---

(1) [illegible] أشهر قضاة الطلاق في بلدة [illegible] من ولاية «كاليفورنيا» خلاصته: أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم «أمريكا الشمالية» وتحل محلها الإباحة والفوضى في العلاقة بين النساء والرجال في زمن قريب وهي الآن كشركة تجارية يخضعها الشريكان لأوهى الأسباب خلافاً لهداية [illegible] لا نهي ولا حب يربطهما إلا الشهوات والتنقل في وسائل المسرات. العدد الثالث

دفع شبهات عن القرآن الكريم



يقول صاحب كتاب «مسائل فى الدين» فى شبهته الأخيرة عن القرآن الكريم، انه مشحون باخبار المشاهد الروحانية البعيدة عن العقل، وانه ينقصه البيان والترتيب، وهذا من اعظم علل الإملال والارتباك لهذا الكتاب مما جعله غذاء عقيما لذويه!

ونحن نطلق كلمة شبهة على مثل هذه العبارات تسامحاً، لأن التهم فيها غير معينة تعييناً واضحاً، فكل كتاب سماوى أو إنسانى يمكن رميه بهذه الوصمات بحق أو بباطل، والذى يتصدى للرد عليها يضطر أن يجلو عنها الغموض الذى يحيط بها أولا ثم يعنى بمناقشة قائلها.

فهل يعنى صاحب كتاب «مسائل فى الدين» بقوله إن القرآن مشحون باخبار المشاهد الروحانية البعيدة عن العقل، أنه يكثر من ذكر الملائكة والجن والوحى والثواب والعقاب الأخروى... إلخ.

إن كان يعنى هذا فكل الكتب المعتبرة أنها سماوية تذكر كل هذه الأمور، ومنها ما توسع فيها إلى حد بعيد، إذ أثبتت أن لله جسداً وحيزاً، وأنه قابل بعض الأنبياء وجهاً لوجه وتحدث إليهم، وأن منهم من أمسك به ولم يفلته حتى حباه بلقب حديد. وقد وصفت هذه الكتب الخالق بأوصاف المخلوقين، فأسندت إليه الضحك والبكاء والندم والحنان والقسوة إلخ.. على حين أن الإسلام قد قرر أنه دين العقل، وأنه لا يذكر شيئا يصعب فهمه، ولم يكلف الآخذ به إلا بما يعقله ويستطيع التدليل على صحته، وهذه ميزة ليست لدين غيره، فقد زعم حفظة تلك الأديان أن فيها ما هو فوق العقل، وأنه يجب على الآخذ بها إهمال مواهبه الإدراكية فى الأمور الاعتقادية، والبون لاحد له بين الفريقين.

فالأجدر بنا مادامت هذه الشبهة من الغموض بهذه المنزلة أن ندعها حتى يعين صاحبها مراده منها.

أما قوله أن القرآن ينقصه البيان، فهذا من أعرب ما سمعناه من الشبهات على هذا الكتاب الكريم، فإن ساغ لمنكر أن يرميه بكل ما يطرق بحياله من التهم، فلا يسوغ له أن يرميه بالتجرد من البيان. أما بلغة أن هذا الكتاب قد اعتبره العرب معجزا فى نظمه ومعناه معا، وأنهم قد عجزوا عن الإتيان بمثل سورة منه وقد تحداهم بذلك تحديا، فقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٣، ٢٤)

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ٨٨)

وقد سلم العرب بإعجازه بأنه معجز حقا.. وقد ساد هذا الرأى حتى فى العهد الذى بلغت فيه البلاغة العربية أوجها الأعلى لدخول الأساليب الفارسية واليونانية والهندية إليها فى القرن الثالث للهجرة، وقد وضعت مؤلفات تكشف عن أسرار بلاغته من فحول البلاغة أنفسهم، وكل ما ألفه المؤلفون فى علوم البيان والبديع والمعانى اعتمدوا فيه على أمثلة من القرآن، باعتبار أنه بنوع لا يشتمل معيبه جميع ضروب البلاغات اللفظية والمعنوية. فهل مؤلف كتاب «مسائل فى الدين» يصرح بقذفه بهذه الشبهة، ثم هو يقول ما يعتقده فيدلنا بذلك دلالة ناطقة على أنه لا يعرف العربية، وأنه لا يحسن النقل عن المستشرقين الذين عرفوها، ويشهدون للقرآن ببعض ما يستحقه من هذه الناحية؟

ففى قوله إنه خال من الترتيب، يريد بذلك أنه غير مرتب على فصول وأبواب كسائر الكتب، فلم توضع أغراضه كل فى الفصل أو الباب الخاص به، بل مزجت مزجا غير مراعى فيه نظام التأليف.. قال وهذا سبب الملل الذى يعترى سامعه وقارئه، وعلة للارتباك فى فهمه، مما جعله غذاء عقيما لذويه.. وفاته أن هذا الكتاب لو كان مصنفا يتوخى فيه مؤلفه الترتيب الذى يتطلبه صاحب كتاب «مسائل فى الدين»... فقد جرت العادة أن يجلس الذى يريد أن يضع كتابا إلى ناحية ويفكر فى نظامه وأغراضه، فيجعل لكل طائفة من المواد فصلا، ولكن القرآن ليس بكتاب وضعى، ولكنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطروء الظروف، فمنه آيات نزلت للدعوة إلى الدين، وأخرى للرد على المنكرين، وغيرها للإجابة على السائلين، وسواها للفصل بين المتنازعين، وطائفة للحث على الجهاد، ومثليها للحض على مكارم الأخلاق... إلخ مما لا يكاد يحصى، وكلها نزلت تباعا ومرتبة على الحوادث الوقتية.

فلقد كان الوحى لدى الطائفة التى أخذت بالإسلام لأول عهدها بمنزلة العقل المدبر لها، تستهدى به فى المشكلات، وتسترشد به فى تذليل العقبات، وتتحرك تحت إملائه نحو ما جل وما حقر من الأغراض، إلا ما ترك لإرادتهم فى بعض الشئون، تمرينا لهم على الاكتفاء بعقولهم متى استعدوا له بعد حين. فهو مجموع شرائع من الوحى اقتضتها الحوادث وقت حدوثها، وهذه الحوادث تتكرر فى كل جيل، وتتردد فى كل مجتمع. وكثير من آيات القرآن نزلت فى إصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، وتقويم الأخلاق، وبعث الهمم إلى جلائل

[illegible] ويبث روح الثابرة في كيانهم. فهذا المجموع [illegible] استولى على جميع مآخذ النفوس، وتسلط على كل مسارب العقول، وتحكم على جمهرة مواطن الاقتناع من الصدور، فلا [illegible] فيؤخذ سامعه به أخذا. كأنه قد غمرته موجة من السحر فلم تدع له متنفسا في [illegible] سواه من الشئون.. وقد شعر بتأثير القرآن هذا كل من قرأه ومن سمعه سواء أكان من أهل هذا الدين أم لم يكن. فهل هذا التأثير السحري هو الذي يعبر عنه صاحب كتاب «مسائل في الدين» بأنه موجب للإملال، وباعث إلى الكلال! إن كان هو هذا فيكون قد سمى الشيء بغير اسمه، وأطلق عليه ما يدل على عكسه.

أما أنه غذاء عظيم للآخذين به، والمعولين عليه، فهذا من أعجب ضروب [illegible]

[illegible] وعوامل التطور، في بهرة المجتمعات البشرية، حيث مزدحم المطامع، وملتطم المصالح، ومعترك الأهواء، وحيث التناحر المعاشي يسوق الجماعات للتآخذ بالأيدي والمناكب، وللترامي بالحديد والنار، فلم تلبث أكثر من ثمانين سنة حتى أوجدت لنفسها ملكا لا تغرب عنه الشمس، لم يتسن لأكبر الأمم الفاتحة مثله ولا الرومانيين، ولا اتفق لأوسع الأمم [illegible] والفلسفة والفنون والسياسة، وكانت سببا في إنهاض العالم من كبوته، وإقالة المدنية العالمية من عثرتها، شهد لها [illegible]

***

القرآن كائن حيّ



اللغة القرانية تختلف عن لغتنا التى نكتب بها أو نتكلم بها فى أنها محكمة لا خطأ فيها ولا نقص ولا زيادة.

وقد كثر الكلام عن الايات الكونية التى تحدثت عن النجوم ومساراتها والارض وخلقها والحياة وبدايتها.. وكيف جاءت العلوم الحديثة بالجديد المبهر من الحقائق خلال مئات السنين التى اعقبت التنزيل القرانى. فلم تخرق حرفا قرانيا واحدا، ولم تنقض اية. بل توافقت جميعها مع كلام القران وزادته توكيدا.

كما جاء القران فى نظم الحكم وفى الاقتصاد. وفى الاخلاق وفى حقوق الانسان. وفى الاسرة وفى الزواج والمراة. والشرائع بالكلمة النهائية الجامعة.

كما انفرد [illegible] في البلاغة. [illegible] كتاب. [illegible]

لكن [illegible] القرآن، ربما كان أهم من كل هذه الوجوه، يحتاج إلى وقفة طويلة. [illegible] والكلمة.

وما [illegible] فالخلايا تتكرر وتتشابه في الكائن الحي، ومع ذلك فهي لا تتكرر أبدا، وإنما تتنوع وتختلف، وكذلك الكلمة القرآنية لا تتكرر أبدا، وإنما تتنوع وتختلف، وكذلك الكلمة القرآنية فإننا نراها تتكرر في السياق القرآني ربما مئات المرات. ثم نكتشف أنها لا تتكرر [illegible] ذلك، إذ هي في كل مرة تحمل مشهدا جديدا، وما يحدث أنها تخرج بنا من الإجمال إلى التفصيل، وأنها تتفرع تفرعا [illegible] أزهارا ثم ثمارا، وهي في كل مرة لا تخرج عن كونها نبات البرتقال، ولكنها عبر هذا التفصيل تعطينا في النهاية حقيقة نبات البرتقال، وذلك هو الترابط العضوى أو المعمار الحي، والقرآن بهذا المعنى يشبه جسما حيا، [illegible] خلية جنينية حية، فهي تتفرع عبر التكرار الظاهر لتعرض مشاهد يكمل بعضها بعضا تماما، كما تنقسم خلية الجنين لتعطي خلايا الرئتين والقلب والكبد والأحشاء والعظام [illegible] إنسانا كاملا، وقد جاء كل هذا التنوع من

خلايا متشابهة. فذلك هو التفصيل الذى كان مجملاً فى الخلية الأولى للجنين.

وكـمـثـال نأخـذ كلمـة «العلم» فى القرآن فنجد أن العلم يأتى فى البداية مجملاً بمعنى النظر فى خلق السماوات والأرض، ثم نجد هذا النظر يأتى بعد ذلك مفصلاً

﴿ [illegible] ﴾

(الغاشية ١٧ - ٢٠)

وهذه هى علوم الأحـيـاء والفلك والجيولوجيا والجغرافيا كما نعرفها الآن.

ثم ينقلنا القرآن إلى نظر من نوع آخر.

﴿ [illegible] ﴾

(الروم ٤٢)

وذلك هو النظر فى التاريخ ثم نوع آخر:

﴿ قل سيروا فى الأرض [illegible] ﴾

(العنكبوت: ٢٠)

وذلك هو النظر فى التطور وعلم الأجناس

ثم كيف كانت بداية هذا كله؟

﴿ [illegible] ﴾

(النور ٤٥)

﴿ [illegible] ﴾

(فاطر ١١)

﴿ [illegible] ﴾

(المؤمنون ١٢)

ذلك هو الأمر كما ورد مجملاً فى البداية

ثم جاء بعد ذلك التفصيل

﴿ من نطفة ﴾

(عبس ١٩)

ثم تفصيل أكثر

﴿ [illegible] ﴾

(القيامة ٣٧)

ثم نرى النطفة تأتى فى أكثر من عشرة مواضع. وفى كل مرة تأتى بمشهد تفصيلى مختلف. فهى

﴿ نطفة أمشاج ﴾

(الإنسان ٢)

أى أخلاط من صفات وخصائص متنوعة.

وذلك هو ما نعرفه الآن بالجينات الوراثية.

ثم يأتينا القرآن بتفصيل أكثر بأن النطفة المنوية هى التى تحدد جنس المولود إن كان ذكراً أم أنثى.

﴿ [illegible] ﴾

(النجم ٤٥ - ٤٦)

ثم تفصيل ثالث وهو أن هذه النطفة مقدرة بتركيبها هنا من الخالق وليست شيئاً عشوائياً من تدبير المصادفة

﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾

(عبس ١٩)

ثم ينقلنا القرآن إلى مشهد مكانى

﴿ [illegible] ﴾

(المؤمنون ١٣)

تلك النطفة مستقرها الرحم.

ثم ينقلنا إلى مشهد زمانى. فيضع هذه النطفة فى سياقها التاريخى ويربطها بمدتها الأزلية السحيق من التراب

﴿ [illegible] ﴾

(الحج ٥)

ثم يعطينا تفصيلاً أكثر ما حدث فى هذا السياق التاريخى. إن النطفة كانت فى البداية نطفاً غير جنسية تتكاثر بالانقسام الخضرى بدون تزاوج. ثم تنوعت بعد ذلك إلى ذكر وأنثى وظهر التكاثر التزاوجى. تأتى هذه الإشارة فى الآية

﴿ [illegible] ﴾

(فاطر ١١)

فجعل الأزواج تأتى متأخرة بعد النطف. مما يدل على أن النطف المقصودة هنا هى نطف أولية لم يتعين فيها ذكراً وأنثى وهو ما يعرف بالتكاثر اللاتزاوجى Asexual Reproduction.

ثم يعطينا مشهداً آخر تفصيلياً عن تسلسل النطفة فى سياقها فى مراحل خلق الجنين

﴿ [illegible] ﴾

(المؤمنون ١٤)

ثم ينقلنا إلى مشهد غيبى

﴿ [illegible] ﴾

(يس ٧٧)

وذلك الإشهاد حدث فى الغيب قبل أن تولد:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ١٧٢)

هذا موقف إشهاد حدث للنفوس قبل أن تنزل فى الأرحام ثم مشهد عتاب ومؤاخذة.

﴿ [illegible] ﴾

(الكهف ٣٧)

بعد كل هذا تكفر بخالقك!!

وهكذا تتكرر كلمة النطفة فلا تتكرر أبداً. وإنما تحمل فى كل مرة مشهداً جديداً بحيث ينكشف معناها فى الذهن كما ينكشف كائن حى من بذرة تنمو شيئاً فشيئاً إلى نبات كامل.

ثم ينتقل فى مدارج العلم من النطفة نزولاً حتى أصغر شىء يصل إليه العلم. الذرة ومثقال الذرة. فيلفت النظر إلى أن هناك ما هو أصغر من مثقال الذرة:

﴿ [illegible] ﴾

(سبأ: ٣)

ثم يعود فيلفت نظرنا إلى أن كل هذه العلوم التى أشار إليها، إنما هى علوم كونية خاصة بالكون الخارجى الموضوعى. وما فيه من نبات وحيوان وإنسان، وجبال وأنهار وأقمار وشموس ونجوم، ولكن هناك نوعاً آخر من العلم مطلوب منا أن ننظر فيه وذلك هو العلم بالنفس

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

(الذاريات ٢١)

ثم نوع أكبر من العلم بالنفس هو العلم بالله

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾

(محمد ١٩)

ويطول صفحات القرآن وسوره يعرفنا بالله، بوحدانيته وصفاته وأسمائه وأفعاله وذاته)

ثم يتكلم عن علم آخر هو العلم بالغيب وغيب الغيب هي ذات الله ولا طاقة لأحد بعلمها. فالله

﴿ ليس كمثله شيء ﴾

(الشورى ١١)

وكذلك العلم بالساعة

﴿ إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾

(الأعراف ١٨٧)

لكن هناك غيب آخر هو الملائكة والجن والسماوات السبع وسدرة المنتهى، واللوح المحفوظ والعرش. وذلك غيب يطلع الله عليه من ارتضاه من رسله

﴿ فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول ﴾

(الجن ٢٦ - ٢٧)

وهكذا تتكرر كلمة العلم في القرآن فلا تتكرر وإنما تتفرع وتتنوع. وتتفصل مثل شجرة تعطي الجذور والسيقان، والأغصان والأوراق والأزهار والثمار. فهناك علم بالكون وعلم بالنفس وعلم بالله. ثم تنفصل هذه العلوم بحدودها وأنواعها في رحلة الكلمة داخل القرآن.

والعلوم الكونية وحدها لا تصنع من الإنسان عالمًا، فالعلم بظواهر الأشياء ومقاديرها وعلاقاتها هو دائما علم ناقص، وأهل الغفلة هم الذين يقتصرون على هذه العلوم الظاهرة

﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾

(الروم ٧)

وهؤلاء هم الذين

﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾

(غافر: ٨٣)

وكذبوا الرسول وكفروا بالغيب وأنكروا الله فهلكوا

ولا يكون العلم كاملا إلا إذا أوصلك إلى العلم بنفسك ثم إلى العلم بالله. فذلك هو العلم حقا.

تبدو الرحلة بكلمة «العلم» في القرآن وانتقالها من الإجمال إلى التفصيل، ثم إلى تفصيل التفصيل لا تقع على تكرار أبدا وإنما نجد نموا عضويا يتكامل في الذهن عبر السياق القرآني، كما تنمو البذرة إلى جذر وساق وفروع، وزهر وشجرة كاملة مثمرة وكما ينفتح المفتاح الواحد على غرف الدار وقاعات النوم وقاعات الأكل، وكالمتحف وصالة الاستقبال ومكتب للإدارة. فتجتمع للذهن صورة كاملة للعمق. وذلك ما نسميه بالمعمار القرآني، أو البناء العضوي أو الترابط الحي. بحيث تجد كل كلمة تكمل الأخرى وتشرحها، وتفصلها دون تكرار ودون زيادة ودون نقصان، وبحيث يصبح القرآن وكأنه جسم مؤتلف من خلايا أو معمار هندسي مبني من لبنات محسوبة مدروسة، أو كون مترابط متماسك ليس فيه فتور أو عوج أو تكرار أو اختلاف أو تناقض

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾

(النساء: ٨٢)

وهذا هو القرآن. حكمة حكيم بث فيه روح ولهذا يقول المولى لنبيه عن القرآن

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾

(الشورى: ٥٢)

فيسمى القرآن روحا. وهذه الخصائص تشهد بالفعل أنه روح وذلك هو الكمال المعجز.

وكمثال آخر نجد كلمة «الجنة» تتكرر كثيرا في القرآن، ولكن إذا دققنا النظر وجدنا أننا نفقد في كل مرة مشهدا مختلفا

فهي مرة جنات وعيون، ومرة جنات ونهر، ومرة جنات من نخيل وأعناب

وبعد عرض مشاهد الحرير والاستبرق والذهب والفضة والحور العين، والأزواج المطهرة والعسل والخمر، واللبن والكئوس التي مزاجها الكافور والزنجبيل، والمساكن الطيبة في جنات عدن والغرف التي من فوقها غرف مبنية، يفاجئك القرآن بعوالم من الأسرار، فيقول مشيرا إلى جانب خفي من الجنة

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾

(السجدة ١٧)

وفي مكان آخر يقرب بهم

﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾

(القمر ٥٥)

وفي مكان آخر

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾

(الأعراف ٤٣)

وفي مكان ثالث

﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾

(التحريم ٨)

وكل هذه أسرار

ثم هو بعد أن يصف كل المشتهيات في عالم المادة وعالم الغيب يعود فيقول

﴿ ولدينا مزيد ﴾

(ق: ٣٥)

﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾

(التوبة ٧٢)

أكبر من هذا كله

تلك هي رحلة كلمة الجنة في القرآن. عالم خلاب من الصور لا تكرار فيه. يخاطب الجوع المادي، ويخاطب الجوع الروحي، ويخاطب الوجدان الفلسفي، ويخاطب عرائس الخيال والأحلام. ويخاطب طموح الإنسان الذي لا يرضى بشيء فيطمئنه في النهاية.

﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾

(الضحى ٥)

ولقد سبق أن قلنا في مقالات سابقة إن كلمات القرآن كلمات مفردة بذاتها

وبخصائصها، لا تستطيع أن تغير كلمة أو تبدل عبارة أو تفتت جملة. فكل كلمة تمسك بالأخرى مثل الذرات في مجال مغناطيسي محكم، حتى الحرف لا يأتي في القرآن إلا لضرورة. ولا يمكنك أن ترفع حرفا من مكانه أو تستبدله بحرف آخر.. يقول القرآن عن الصبر على المصيبة:

﴿ [illegible] من عزم الأمور ﴾

(لقمان: ١٧)

ثم نراه يضيف حرف (اللام) للتوكيد حينما يتكلم عن الصبر على أذى الآخرين فيقول:

﴿ [illegible] إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾

(الشورى: ٤٣)

لماذا أضاف حرف «اللام» في الآية الثانية؟

لأن الصبر على أذى الغريم الذي تستطيع أن ترد عليه بأذى مثله يحتاج منك إلى عزم أكبر. فالصبر هنا ليس كالصبر على مصيبة لا حيلة لك فيها وبالمثل نرى الله يقول للجهود المادي

﴿ فاتقوا النار ﴾

(البقرة: ٢٤)

ويقول للمؤمنين أولي الألباب

﴿ [illegible] أولي الألباب ﴾

(البقرة: ١٩٧)

لأن العقليات المادية لا تخاف إلا النار المادية، أما أولو الألباب فإنهم يعرفون أن خالق النار أخطر شأنا من النار، ولهذا نراه يضيف الضمير فيقول:

﴿ [illegible] الألباب ﴾

(البقرة: ١٩٧)

وهكذا نرى أن الحروف في القرآن لا ترد عشوائيا، وإنما تأتي بحساب وحكمة

ومثل آخر نرى القرآن يقول

﴿ ألهاكم التكاثر ❁ حتى زرتم المقابر ﴾

(التكاثر: ١، ٢)

فلماذا (زرتم)، لماذا لم يقل سكنتم المقابر، أو دخلتم المقابر، أو حللتم في المقابر، أو ملأتم المقابر؟ ولماذا قال (زرتم)؟

ليلفت النظر إلى أن المقام في القبر مقام مؤقت، وأن الدخول إلى القبر دخول زيارة لا دخول سكنى. ثم على ذلك آية ثانية عن الموت

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٥٤)

فيصف رقدة الموت بأنها مجرد ضجعة وأن القبر مجرد مضجع، والضجعة بعدها يقظة وقيام. وتلك دقة بالغة في التعبير تجعل كل كلمة مقصودة لضرورة ولا يمكن استبدالها

ثم نرى القرآن يختار الفعل المحدد المعاني للمناسبة متعددة المعاني. فهو يقول عن الأرض

﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾

(النازعات: ٣٠)

والفعل «دحى» هو الفعل الوحيد في القاموس العربي الذي يعني البسط والتكوير معا. ولا يصلح للتعبير عن حال الأرض إلا هذا الفعل، لأن الأرض منبسطة في الظاهر مكورة في الحقيقة ثم إن التكوير يعني [illegible] تكوير «الدحية» و [illegible] البيضة.

ولا يوجد في المعجم العربي أي لفظ آخر يعطي هذه المعاني المتعددة. ويستوفي الوصف الظاهر والوصف المستتر للأرض غير هذا اللفظ. فنحن أمام لفظ ليس له بديل.

ومثال آخر لفظ الرياح [illegible] (لواقح)

﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾

(الحجر: ٢٢)

والرياح تلاقح بين السحب الموجبة والسحب السالبة الكهرباء. وهي أيضا تحمل حبوب اللقاح من أعضاء التذكير إلى أعضاء التأنيث في الزهر. ثم هي أيضا تحمل بخار الماء الذي ينزل مطرا على الأرض فيلقحها ويخصبها.

ثم هي تحمل ذرات التراب التي تنمو حولها القطيرات وذلك أيضا تلقيح

فانتقاء اللفظ هنا انتقاء مطلق، بحيث لا يصلح في القاموس لفظ غيره. فلا يمكن استبداله بحال.

ثم إنك لا تستطيع أن تؤخر أو تقدم كلمة من مكانها في السياق لأن التأخير والتقديم في الكلمات القرآنية هو الآخر محسوب. وهو دائما للوظيفة وللهدف.

فالزانية تأتي قبل الزاني في الآية:

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾

(النور: ٢)

في حين نرى السارق يأتي قبل السارقة في الآية

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾

(المائدة: ٣٨)

ذلك لأن المرأة هي التي تبادر بالخطوة الأولى في الزنى منذ أن تقف أمام المرآة لتضع المكياج وتلبس العريان.. أما في السرقة فالرجل هو الأكثر إيجابية

وبالمثل نجد السمع مقدما على البصر في ستة عشر موضعا، ومعلوم الآن أن جهاز السمع أدق تشريحيا من جهاز البصر، وأن السمع أرهف، وأن تنوع النغمات أكثر من تنوع الألوان، وأن موهبة السمع تصل إلى إمكان الاستماع إلى الوحي من الملائكة.. ولقد علمنا أن موسى سمع ربه ولكنه عجز عن أن يراه، وذلك بسبب محدودية الجهاز البصري

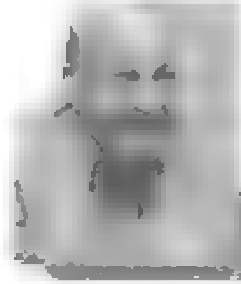
وهذا هو القرآن.. بنيانا محكما من الألفاظ لا تستطيع أن ترفع فيه كلمة أو تبدلها أو تؤخرها أو تقدمها.. تتكرر كلماته بحساب ولحكمة ولهدف، لكي تكشف عن مكنونها وتبوح بأسرارها وثرائها، ثم إن التنوع والتفصيل ينتهي بالقارئ إلى كمال مراد مقصود، وإلى تمام في الفهم والتصور

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام: ١١٥)

فذلك هو التمام المقصود. ولا يقدر على هذا اللون من تركيب الألفاظ بشر.

ثبوت النص القرآنى



إن دينا سماويا أو غير سماوى، لم تثبت وقائعه ثبوتا يقينيا لا ظن فيه بمثل ما كان فى الإسلام. ولا أعمل العقل فى دين من الأديان بمثل ما أعمل فى الإسلام. وما من دين اشترط لثبوت وقائعه أشد مناهج الإثبات وأدق أساليب تحقيق الوقائع والنصوص بمثل ما حدث فى الإسلام.

(١) إننى قاض يعمل بالقضاء من بضع وأربعين سنة، وضعتنى تجربتى بالوقائع تحقيقا وإثباتا للتصرفات والأفعال وبيان حكم القانون فى ضوء من هذا التحقيق. وقد قرأت فى التاريخ ومارست التأريخ من بضع وثلاثين سنة، وعرفت كيف يتثبت المؤرخ من وقائعه ويستجمع الأحداث. ومن مقاربة مناهج تحقيق الوقائع والتصرفات والأفعال فى مجال القضاء والحقوق، بمناهج هذا التحقيق فى التاريخ والسياسة، يتبين أن تلك المناهج فى القضاء والحقوق أدق وأصعب بما لا يقاس عنها فى التاريخ والسياسة. لأن القاضى فيما يفعل إنما ينتهى إلى قرار بتجريد شخص من حياته أو من حريته أو من ماله أو من عمله أو غير ذلك. بينما المؤرخ يحلل وقائع ويدرسها وينتهى إلى رأى قد تقف بإزائه آراء معارضة.

أكاد أقول إن ما شرط فى علوم القرآن والحديث للتثبت من وجود النص هو أكثر دقة وإحكاما فى التثبت مما يشترطه القاضى عند إثباته للواقعة المطروحة عليه، وإن شخصين ليكفيان مثلا عندنا ليتثبت من شخص قتل أو سرق أو من وقوع زواج أو من بيع دين، ثم يقضى بما ينتهى إليه فى من ذلك من إعدام القاتل أو ثبوت النسب أو تفريق بين. فى حين أننا نحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك للتثبت من النص الشرعى.

أكاد أقول إننى كقاض، وبوسائل التحقيق القضائى للوقائع التى تفضى إلى حكم على شخص فى حياته أو فى حريته أو فى ماله وملكه أو فى زواجه ونسبه وولده، بهذه الوسائل أستطيع أن أقضى من باب أولى بثبوت القرآن الكريم ثبوتا قطعيا، لأنه ثابت بالتواتر، والتواتر هو انتقال الخبر أو النص من جمع لا يتفق على الكذب إلى جمع مثله. وهكذا تكون كل حلقات نقل الخبر أو النص حتى يصل إلى المتلقى الأخير. وهذا الأسلوب أشد كثيرا من شهود العدول ومن خبرات ذوى الخبرة كتقرير طبيب أو خبير أو مضاهاة خبير خطوط. ومن جهة أخرى فإننا كمؤرخين إذا التزمنا بمنهج علماء مصطلح الحديث الشريف فى تحقيقهم الأحاديث، إذا التزمنا به فى تطبيقه على وقائع التاريخ، فلن يبقى لنا من التاريخ المكتوب والمروى إلا أقل القليل. وإذا التزمنا التواتر فلن يبقى من وقائع التاريخ غير معتادها. لن يبقى مثلا من وقائع القرن العشرين إلا الأحداث التى من نوع تواريخ قيام الحروب وموت قادة وإعلان نشأة دول.

أكاد أتجاسر بالقول بأن الله سبحانه وتعالى مَنّ علينا نحن المسلمين بوقائع الفتنة الكبرى على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه، ووجه كونها نعمة أن عثمان هو من جمع المسلمين على مصحف واحد. وهو نفسه الذى قام عليه مسلمون من مختلف قبائلهم فى فتنته. فكان خلاف بين هؤلاء وهؤلاء وقتل بعض من جماعة حتى قتل أمير المؤمنين وبقى الخلاف حلقات بعد ذلك حسبما هو معروف ومشتهر. وتوفر لدينا بهذا التفريق عند وسعة وشمولا واستمرارا بين المسلمين من جيل الصحابة وحفظة القرآن الكريم، توافر لدينا ما نستطيع به القول باستحالة اتفاق على كذب فى أى شأن من شئون العقيدة، بله أن يكون هذا الشأن هو نص كلام الله تبارك وتعالى الوارد فى المصحف بدءا بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس. فكانت الفتنة الكبرى ثم بعدها قطعية ثبوت نص كتاب الله من تغيير. ومنه انبثقت أمة الإسلام كلها.

(٢) لو أعملنا مناهج الإثبات القضائى القديمة أو الحديثة، الجنائية أو المدنية، لثبت بها القرآن بالقطع واليقين مما تثبت به الحقائق الواقعية الأخرى المعاصرة أو غير المعاصرة. ثم تقوم به الحقيقة القضائية ذات الحجية التامة والمرئية للعيان لكافة، مسلمين وغير مسلمين، بثبت وجود الكعبة وقبر الرسول. والتواتر غير منقطع على مدى خمسة عشر قرنا يثبت استمرار بقائهما. وكل ذلك أسانيد معنوية ومادية محسوسة على حقيقة الدعوة الإسلامية. وهى تقوم دلائل يقبلها ويعملها المنهج الوضعى والعقلى الصرف. وكل ذلك توفر للحقائق الإسلامية الأساسية ما لم يتوفر مثيل له لأى من الأديان الأخرى السماوية وغير السماوية، بل أكاد أقول إنه لم يتوفر لأى من وقائع التاريخ البشرى قبل الحقبة الحديثة.

(٣) ونحن بوصفنا مسلمين، لدينا وحدنا أقدم وثيقة تثبت ثبوتا يقينيا بالأدلة والبراهين الواقعية والعقلية، لدينا وحدنا أقدم وثيقة من هذا النوع تؤكد على وجود الأنبياء والرسل السابقين وكتبهم، وتؤكد وجود موسى والتوراة واليهودية، ووجود المسيح والإنجيل والمسيحية، وكلاهما ثابت لدينا واقعا وعقلا بأكثر مما هما ثابتان واقعا وعقلا لدى معتنقيهما اليوم.

أردت من كل ذلك أن أوضح أننى عندما أشرت إلى ما يتعين مما يتحلى به المؤمن من تسليم وتصديق ومن أن يبدأ سعيه الفكرى بالمسلمات الإيمانية، لم أكن بهذا أشير إلى الابتعاد عن مناهج التحقيق العقلى والواقعى، ولم أكن أتهرب من إعمال هذه المناهج. لأننا نحن المسلمين أكثر من أعملها من ذوى الأديان والعقائد. بل هى فى الصميم من ركائز المنظومة الإيمانية لدينا.

ولكنى كنت أقصد الإشارة إلى أنه ما من منهج عقلى أعمله الإنسان ويعمله إلا ويعتمد على مجموعة أصلية من المسلمات الفلسفية تشكل لديه المنطلق الفكرى ونقطة البدء، حتى العلمى وحتى الوضعى وحتى اللاأدرى لدى كل منهم من الفلسفة مجموعة من المسلمات الأساسية عن أصل المعرفة، بها يبدأ ومنها يجدل كل مواقفه الفكرية.

والقرآن الكريم، يستخرج منه الأصوليون مبادئ علم أصول الفقه بدقتها العقلية الصارمة، ويستخرج منه المفسرون ما يستخرجون من سخاء المعارف الروحية. ونحن أمة خرجت من هذا الكتاب، ولا تزال تنهل منه. والله سبحانه أسأل أن يجعل أمته هذه أمة قرآنية، وأن يبقيها على القرآن.

كيف نقرأ القرآن مع على عزت بيجوفيتش؟

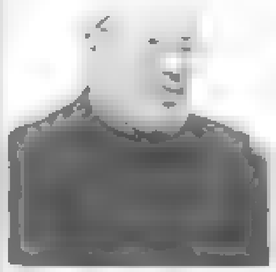
[illegible]

(١) كم من المسلمين فى هذا العالم لا يقرأون القرآن..؟ وكم منهم يقرؤه بدون محاولة لفهمه..؟ وكم منهم إذا فهم معانى الكلمات يقرأ القرآن ولكن بدون تدبر حقيقى ولا استيعاب؟ وكم منهم قد يفهم ويعى ما يقرأ ويجتهد فى الاستيعاب. ولكنه لا يحرك ساكنا نحو تطبيق القرآن فى حياته..؟ عن هذه المشكلة المعقدة يتحدث على عزت بيجوفيتش من واقع خبرته الشخصية وتأملاته فى القرآن.



الغزالى

كانت مشكلة فهم معانى القرآن ومقاصده حاضرة فى عقل العالم الشيخ محمد الغزالى وهو يضع كتاب «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم» وكتابه «المحاور الخمسة للقرآن الكريم» و كتابه «نظرات فى القرآن» كذلك كانت هذه المشكلة حاضرة فى ذهن العالم الشيخ يوسف القرضاوى فى كثير من كتبه.. ومنها: كتاب «كيف نتعامل مع القرآن العظيم» وكتاب «تفسير سورة الرعد» وكتاب «العقل والعلم فى القرآن» وكتاب «المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة: ضوابط ومحاذير فى الفهم والتفسير»



القرضاوى

لم يكن أىّ من هذه الكتب موجوداً أمام على عزت بيجوفيتش عندما شرع يكتب عن هذه المشكلة فى مايو سنة ١٩٧٧، ولم تكن قد تم تأليفها ونشرها بعد.. ولكنه أدرك المشكلة وعاناها، وفكر فيها ـ بالتأكيد قبل هذا التاريخ ـ ولسنا نتوقع أن يأتى بشىء جديد يمكن أن يضاف إلى ما قاله كلّ من الشيخين الجليلين.. لكن الجديد فيها (ربما) هو أنه يكتب من واقع تجربته الشخصية.. وتأملاته الخاصة فى القرآن الكريم.. فهو يعترف بأنه قرأ القرآن مرات ومرات.. ولكنه لم يتساءل من قبل كيف ينبغى عليه أن يقرأ القرآن..؟ ولا بد أنه أدرك أن هذه ليست مشكلته وحده بل مشكلة الكثيرين من أمثاله ممن يتعاملون مع القرآن.. ومن ثم رأى أن يكتب ليشرك الآخرين فيما توصل إليه من أفكار وخواطر حول هذا الموضوع..

وفى ذلك كتب مبتدئا بتوجيه النظر إلى حقيقة محورية هى من أخصّ خصائص القرآن.. قال: «يجب أن نضع نصب عينيه قبل كل شىء، أن القرآن الكريم كلّ لا يتجزأ، وكل آية فيه إذا أخذت منفردة أو منتزعة من السياق العام لا تقدم حقا كاملا، بل تقدم جزءاً من الحق، فنحن لا يمكن أن نعرف الحق كاملا إلا إذا أخذنا القرآن كاملا.. أما سرد بعض الآيات منفردة ـ وهو أمر لا مفرّ منه فى الدرس أو الاستشهاد أو فى أى تعامل آخر مع القرآن ـ فلا بد أن يفهم على خلفية فهمنا الكامل لمجمل القرآن. فالأمر هنا شبيه بلوحة الفسيفساء. كل قطعة فيها يتوقف معناها وقيمتها الجمالية على ما تعبه فى انسجامها مع بقية قطع اللوحة الكاملة. أما إذا أخذنا كل قطعة بمفردها فإنها لا تقدم إلا جزءاً ولا تقدم شيئاً حقيقياً من جمال اللوحة الكاملة...»

ومن أجل مزيد من الإيضاح يضرب بيجوفيتش هذه الأمثلة



بيجوفيتش

آية قرآنية تشرع للقصاص

[illegible]

(البقرة: ١٧٨)

وآية أخرى تدعو إلى العفو والصفح

[illegible]

(الشورى: ٤٠)

أو آية تقول

[illegible]

(المائدة: ٨٧)

وآية أخرى تقول

[illegible]

(طه: ١٣١)

إلى غير ذلك من الأمثلة .. يقول بيجوفيتش :

«إن من يقرأ القرآن قراءة عابرة قد يخيل إليه وجود تناقض فيه ، بينما الأمر ليس كذلك قطعا . فحقيقة الأمر أن المسألة تتعلق بأبدع وأرفع ميزة يمتاز بها القرآن والإسلام بصفة عامة .. وهي التجانس التام بين الأمور التي تبدو متناقضة للناظر إليها لأول وهلة .. يجب أن نلاحظ ونفهم أن القرآن لا يطالبنا هنا بأمر واحد .. بل يطالبنا بأمرين معًا .. فهو لا يريد منا القصاص فقط لأنه يطالبنا أيضا بالعفو .. والعكس بالعكس، كما لا يفرض علينا السعي للآخرة وحدها لأنه يريد منا السعي لهذه الدنيا أيضا .. أي لا يطالبنا أبدًا بالسعي لحياة دون أخرى. لذلك لا يتحقق كمال الإسلام في المسلمين الذين لا يعرفون غير العقاب ولو كانوا على الحق لأنهم لم يعفوا .. كما لا يتحقق كمال الإيمان في الذين لا يعلمون غير العفو ولا يجازون عن سيئة سيئة مثلها .. ويمكن أن نستنتج هنا ببساطة شديدة أن المسلم الكامل هو الذي يعرف مقدارا معتدلا للأمرين معًا .. هو الذي يذهب إلى القصاص ويطلبه في موضعه وهو الذي يسمح بالعفو ويمنحه في موضع استحقاقه ..».

هذا الأسلوب عند بيجوفيتش هو الأسلوب الأمثل في فهم القرآن وتطبيقه .. وهو أفضل وسيلة يمكن أن نرتقي بها إلى مستوى الفهم الكامل لحقيقة الإسلام وجوهر رسالته .. وفي الزمن الذي نحن فيه اليوم هناك أناس بل مؤسسات إعلامية كبرى ومؤسسات دينية دعوية وسياسية تحمل كل رسالتها وتكرس كل جهدها للترويج لفكرة السلام والسماحة والتعاون على البر والتقوى مع الآخرين من غير المسلمين دون اعتبار لموقفهم منا .. وهل هو موقف سلام أو موقف حرب وعدوان .. إلى آخر هذه الدعاوى التي تصور الإسلام وكأنه الدين الذي يدعو الإنسان إلى أن يدير خده الأيمن لمن ضربه على خده الأيسر .. فإذا لم يشفه ذلك استدار ليسلمه قفاه الذي اعتاد على الصفع والاستمراء

ثم يدعو لضاربيه بالهداية وطول العمر ... !!

وهناك فئة من الناس لا يرون في الإسلام إلا العنف والسيف في التعامل مع الأعداء والمخالفين في العقيدة على السواء .. ويزعمون أن آية السيف ـ كما يسمونها ـ قد نسخت كل الآيات الأخرى التي تأمر بالبر والقسط للذين لم يقاتلوا ولم يعتدوا ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم .. وفي مناخ التشدد والتنطع من كلا الجانبين تضيع الحقيقة ويلتبس على الناس الأمر فيتساءلون أين الحقيقة .. ولاشك أن الإسلام يدعو إلى السلام كأساس للتعامل بين البشر .. وهو دين تعارف وسماحة لا ترتقي إليها كل ما في هذا العالم من سماحة مدعاة .. هذا كله حق لا لبس فيه ولا جدال .. ولكنه ليس كل الحق .. لأن الدين الذي يؤكد على هذه القيم الرفيعة يعلم موحيه سبحانه وتعالى أن هناك في هذا العالم أشرارا ظالمين معتدين ومجرمين عتاة لا يرتدعون عن عدوانهم ولا يرتدعون إلا باستخدام العنف والقوة .. ومن ثم شرع القتال للدفاع عن النفس .. وشرع الاستعداد للقتال دائما حتى يرتدع العتاة الظالمون فلا يفكرون في العدوان على المسلمين مرة أخرى

أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير

(الحج ٣٩)

والذين يقاومون اليوم العدوان الظالم على أوطانهم في فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان .. وغيرها من بلاد العالم الإسلامي يقفون في قلب الإسلام الصحيح .. أما أعداء المقاومة من أنصار السلام ـ والذين يستمتعون بالإسرائيليين لمجرد الجلوس معهم على مائدة مفاوضات ـ للمصطرف وأخذ الصور وتبادل القبلات ليقال إن هناك عملية سلام مستمرة بينما القوات الصهيونية تواصل العدوان على الفلسطينيين واغتيال زعمائهم ونشر المستوطنات وتهويد القدس العربية وفرض الحصار والتجويع وتمديد الجدار العازل في قلب فلسطين، فموقعهم في الإسلام مشكوك فيه. فليبحثوا لأنفسهم عن موقع آخر!

(٢) ينتقل على عزت بيجوفيتش إلى النقطة الثانية في تأملاته حول الطريقة المثلى لقراءة القرآن حيث يوصي بالمداومة على التلاوة، مع فواصل زمنية لازمة للتفكير والتأمل فيما تمت قراءته من قبل .. ويرى أن هذا أضمن طريقة لاكتشاف ما يسميه هو «بإشعاع النور القرآني» .. إذ يكتشف القارئ المداوم على التلاوة أن هناك شيئا جديدا في كل قراءة جديدة .. وهنا ينبهنا بيجوفيتش إلى حقيقة أن القرآن نفسه لم يتغير ولكن شيئا آخر هو الذي تغير على حد قوله: «تغيرنا نحن .. أو تغيرت الظروف المحيطة بنا .. أو تغير العالم الذي نعيش فيه .. فهو يرى أن هذه التغيرات هي التي مكنتنا من الغوص في أعماق جديدة كنا قد غفلنا عنها أثناء قراءاتنا السابقة للقرآن الكريم .. ثم نشعر فجأة بأصداء تتردد في قلوبنا لآيات لم نركز على معانيها فيما سبق .. بعيون على عزت بيجوفيتش الصادقة «يمكن لكل واحد منا أن يتأكد بنفسه من هذا المعنى بمداومته على تلاوة القرآن» ثم يضرب أمثلة لتأكيد هذه الفكرة من تجربته الشخصية حيث يقول:

«منذ زمن بعيد وأنا ما أزال في مقتبل عمري كنت أتوقف أثناء قراءة القرآن الكريم عند آيات تتحدث عن العمل والجهاد والعدالة .. وكنت أسجل هذه الآيات في دفتر صغير ـ شاءت إرادة الله له أن ينجو من عبث رجال الأمن ـ وهم يفتشون في كتبي ودفاتري الأخرى .. أذكر جيدًا أن آيات وجوب رد العدوان

والظلم والاستبداد كانت قد ملكت عليّ عقلي . عندما يتحدث القرآن الكريم عن سمات شخصية المسلم السوية يذكر – من بينها –

﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾
(الشورى ٣٩)

وكنت أنتهز كل فرصة للحديث عن هذه الآية . أما اليوم فتستحوذ على الآيات التي تتحدث عن الله سبحانه وتعالى وعن زينة هذه الدنيا وسرعة زوالها ... أي الآيات التي تحث على التأمل وليس على الحركة .. و أذكر جيداً أن الآية التي تدل على زوال كل شيء ما عدا وجه الله – عز وجل – قد أثرت في تفكيري تأثيراً بالغاً لأنه وحده سبحانه هو الحقيقة التي لا تنقضي

﴿ كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾
(الرحمن ٢٦ . ٢٧)

أي أن الله وحده كان قبل النجوم والكون كله وهو باق بعد زوال كل شيء .. فهو الحق وحده والحقيقة الوحيدة الباقية إلى الأبد .. وعندما انتقلت أمي إلى رحمة الله وكاد قلبي يعتصر ألما وحزناً كنت لا أفارق سورة الفجر . وأقف دائما عند هذه الآية البديعة :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾
(الفجر: ٢٧ - ٣٠)

وفي كل مرة كانت عيني تذرف دمعا ولكنني لم أجد من السلوى لنفسي خيراً من هذه الآية الكريمة .. وكنت أتساءل من يمكنه أن يقدّم للإنسان كلمة عزاء أبلغ من هذه الكلمات إذ قدر له أن يفقد وجه ولده المتوفى ؟

وهكذا يصل بيجوفيتش في مجال تأملاته القرآنية وتأثير آيات القرآن على حياته النفسية والعملية إلى حقيقة أن القرآن الكريم كما هو شريعة وتكبيرة جهاد في ظرف ما . هو أيضا وفي ظروف أخرى سلوان لنا لا نعثر منه من نوائب الدهر .. والأمر يتوقف على حالتنا الشخصية والعقلية ففي موقف معيّن يجذب القرآن انتباهنا إلى شيء ما . وفي حالة أخرى أو موقف آخر يجذب انتباهنا إلى حقيقة أخرى

فإذا تركنا الجانب الفردي الشخصي من ناحية (زاوية الاهتمام) واتجهنا إلى ما يتعلق بظروف تاريخية معينة على مستوى المجتمع . حينئذ سوف تتركز أنظارنا على إبراز بعض الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الظرف أو ذاك وفقا للحاجة القائمة . ففي المجتمع الذي تمزقه التفرقة العنصرية تبرز الأولوية للآيات الدالة على مساواة جميع الناس وعلى النشأة المشتركة للإنسانية كالآية الأولى في سورة النساء

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾
(النساء ١)

وفي مجتمع تنتهك فيه الحقوق المدنية أو تمزقه أي نوع من التفرقة لا بد أن تبرز هذه القاعدة القرآنية المكونة من ثلاث كلمات فقط

﴿ لا إكراه في الدين ﴾
(البقرة ٢٥٦)

وفي ذلك يقول على عزت إلا يتناقض نحن المسلمين بين الآيات القرآنية ولكن غير المسلمين يكادون يجمعون على أن هذه الآية القصيرة عن التسامح الديني هي أرفع وأبدع آية قرآنية . وهكذا يمكننا مواصلة التأمل في هذا الاتجاه . . .

(٣) إذا كنا في معرض الحديث عن كيفية قراءة القرآن الكريم فإنه لا بد لنا أن نشير إلى ما يعرف بترتيل القرآن أو الاستماع إلى تلاوة القرآن وقد يرى بعض الناس أن مثل هذا الترتيل المنغّم قليل الفائدة أو غير جائز ويزعم أن أغلبية المسلمين لا يفهمون ما يتلى عليهم ومن ثم فهم يركزون فقط على نغمات الترتيل وجمال الصوت فقط .

يقول على عزت والذين هنا ملزما يقولون بأنني لا أوافق على هذا الرأي . ولا يسعني إلا أن أذكر حادثة لا أظنني سأنساها أبدا : فقد أتيحت لي فرصة مشاركة في مؤتمر دولي قبل عدة سنوات كان يناقش موضوع مشكلات وعوائق النهضة الإسلامية . وتم عقد هذا المؤتمر في مدينة كبيرة من مدن أوربا . حيث شارك فيه عدد كبير من العلماء والمفكرين الذين قدّموا بحوثا وآراء عن تجديد الفكر الديني في العالم الإسلامي .. وكان كل يوم من أعمال المؤتمر يفتتح ويختتم بتلاوة من آيات القرآن الكريم .. كان يقوم بها واحد من أشهر قرّاء القرآن في العالم . . .

ويمضي على عزت في وصف الأجواء التي كانت سائدة في المؤتمر فيقول : كان الحاضرون يستمعون باهتمام إلى كلمات المحاضرين والعلماء، ولكننا كنا نشعر بوجود مئات الحاضرين في القاعة من خلال الهمسات والحركات فهذا يهمس إلى جاره وذاك يحرك كرسيه وآخر يتصفح أوراقه . وهكذا.. ولكن بعد لحظات من شروع القارئ في تلاوة القرآن تتوقف كل الحركات والأصوات فجأة ويسيطر الهدوء الشامل.. حتى أثناء توقف القارئ للتنفس لم يكن يسمع في القاعة صوت بل خُيّل إليّ أن جميع الحاضرين قد توقفوا عن التنفس أيضا.. إنه الهدوء الذي يستطيع الناس فيه أن يستمعوا إلى خفقان قلوبهم بشكل منتظم.. كانت كلمات القرآن الكريم تنساب من فم هذا القارئ كنهر متدفق يجري هادئا مترقرقا حينا ثم لا يلبث أن يتحول إلى شلالات هادرة تتلاحق وتحملك بعيدا ولكن قمة الحدث الذي لا يمكن وصفه بالكلمات كانت في اليوم الأخير، عندما اعتزم القارئ الشيخ أن يتحفنا بهدية خاصة قبل الفراق، لذلك اختار تلاوة سورة الرحمن وهذه السورة بديعة رائعة متميزة بجمال أسلوبها وتناسقها..

أظنني إلى الآن لا زلت عاجزا عن وصف الحالة التي كنت فيها وأنا أنصت إلى التلاوة.. لم أكن قبل ذلك الوقت أفهم معنى آيات هذه السورة فهما كاملا سوى الآية المتكررة:

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

ولكنني بتأثير قوة التعبير الصوتي وجماله شعرت بأني أفهم آياتها تماما، أنا وجميع المستمعين.

بعد الانتهاء من التلاوة في كل يوم من يوم مؤتمر كنت [illegible] نفسي [illegible] شيئا فشيئا من الآخرين، وكنت أقرأ هذا الإحساس نفسه في وجوه الحاضرين، كأنهم يريدون أن يقولوا: ألا ترون.. ألسنا جميعا أخوة في الإسلام.. [illegible] على عزت وهو لا يزال شابا في العشرينات من عمره يعترض على الاهتمام [illegible] بتلاوة القرآن بصوت رخيم وبدون فهم لمعانيه.. ويعتبر هذا عائقا عن الاهتمام الواجب بتطبيق القرآن في حياة الناس.. ولذلك يقول: «بعد هذه الواقعة لن أجرؤ على تقليل أهمية الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم بدون فهم.. لأن قلوب جميع المسلمين تفهم القرآن [illegible] من خلال التجويد [illegible] والتلاوة الجميلة المعبرة عن المعاني.. وسيجد كل إنسان في القرآن من المعاني بقدر ما في عقله وقلبه من رحابة وبقدر إيمانه وقوة تعلقه بالقرآن العظيم».

(٤) مما لم يذكره بيجوفيتش في هذه المقالة فيما يتعلق بسورة الرحمن بالذات أنه كانت له ذكريات معها في طفولته المبكرة.. ففي مذكراته التي نشرت له قبل وفاته ببضعة أشهر يتحدث عن حبه لأمه.. ويصفها بأنها رقيقة عطوف.. وعلى جانب عظيم من التدين والتقى.. فقد كانت حريصة على قيام الليل وقراءة القرآن حتى يحين موعد صلاة الفجر فتوقظه ليذهب معها إلى صلاة الجماعة في المسجد القريب من منزلهم [illegible]. كنت في ذلك الوقت صبيا بين الثانية عشرة والرابعة عشرة من عمري ولم يكن من السهل علي مغادرة فراشي الدافئ في ذلك الوقت المبكر، فكنت أقاوم في بادئ الأمر.. ولكني كنت أشعر بعد العودة من المسجد بانتعاش كبير وسعادة غامرة من هذه الخبرة المثيرة [illegible].. خصوصا في فصل الربيع، حيث تكون الشمس قد أشرقت وغمرت المكان بأشعتها الدافئة، ولما تزل آيات القرآن حلوة ندية تترقرق في مسامعي، لقد اعتاد الإمام [illegible] قراءة سورة الرحمن كاملة في الركعة الثانية بصوته العذب، وكان هو نفسه شخصية محبوبة من جميع أهل البلدة [illegible] كنت أعود من المسجد [illegible] معه [illegible] وقد استقر [illegible] في عمق نفسي [illegible] في وسط ضباب كثيف من الخبرات [illegible] التي [illegible] عبر السنين..».

التجرؤ المذموم على كتاب الله المجيد

تناول المسلمين المعاصرين لكتاب الله انواع. منها: تناول خامل خامد سلبي. وتناول محمود جريء رصين. وتناول مذموم متجرئ متهور. وحديثنا ها هنا سيقتصر على النوع الثالث.. فلنبدأ باسم الله:

لظاهرة «التناول المذموم المتجرئ المتهور» لكتاب الله العظيم أسباب، منها:

١ - أنها رد فعل طبيعي لظاهرة «الإحجام» عن الاجتهاد [illegible] من [illegible] في محله في فهم وتفسير كتاب الله.. وظاهرة «الإحجام» هذه: قصور ذاتي في المجتمع العلمي.

٢ - الغلو في تعطيل النصوص باسم المقاصد كرد فعل طبيعي للغلو في تعطيل المقاصد باسم النصوص.. وهذا خلل منهجي.

٣ - شيوع «القراءة [illegible]» [illegible] «القراءة التجزيئية التقطيعية» - التي تفتت وتبعثر كتاب الله.. وبتعبير آخر: غياب «الرؤية الشمولية» للقرآن الكريم، وغياب منظار «الوحدة الموضوعية» عند التعامل مع كتاب الله.. وهذا - كسابقه - خلل منهجي.

٤ - التعصب للرؤية التي نشأ عليها صاحب هذا التناول المذموم المتجرئ المتهور.. والتعصب هوى، والهوى يعمي ويصم.. وهذا خلل نفسي.

٥ - [illegible] أوليات و[illegible] و[illegible] علوم الآلة [illegible] علوم الفقه وعلوم اللغة) وهذا خلل تحصيلي.

٦ - الجهل بأساسيات علم القواعد «القواعد الفقهية» وعلم مقاصد الشريعة وكلياتها.. وهذا - كسابقه - خلل تحصيلي.

٧ - الإحساس باحتكار الحقيقة، بلسان المقال حينا، ولسان الحال في أكثر الأحايين.. وهذا خلل عقلي.

٨ - النظرة «التقديسية» - في اللاوعي - للحضارة الغربية ورؤيتها الكونية وأدواتها المعرفية.. وهذا خلل معرفي.

٩ - النظرة «التحقيرية» - و[illegible] والمشوهة في ذات الوقت - للحضارة الإسلامية ورؤيتها الكونية وأدواتها المعرفية، وللتاريخ الإسلامي بكافة مكوناته وعناصره.. وهذا - كسابقه - خلل معرفي.

١٠ - وجود مؤسسات تدعم وترعى وتروج لـ«التناول المذموم المتجرئ المتهور» كما يجري

الأعراف وتفتقر للتدبر في هذا المركب. بينما التناول المحمود الجرىء الرصين (لا بواكي له ولا أب!).. وهذا خلل اجتماعي.

١١ - وظلمة فوق ظلمة: المجتمع المريض معنا وجود المؤسسات الداعمة لهذا التناول المذموم المتجرئ المشهور، ووجود النفس المشرهة للمال والجاه والشهرة من أسرع وأقصر طريق! وهذا خلل اجتماعي نفسي مشترك.

إذن، هناك عدة أنواع من خلل تقف وراء هذه الظاهرة: قصور ذاتي في المجتمع العلمي - خلل منهجي - خلل نفسي - خلل تحصيلي - خلل عقلي - خلل معرفي - خلل اجتماعي.

وفي الخلفية من ذلك كله تقف عند كثير من أرباب «التناول المذموم المتجرئ المشهور»: «عقلية مادية مترسة»، تؤمن بالإنسان وتنحي الله جانبا (وكأنهما نقيضان؛ مع أن الإيمان بالله في الإسلام هو الذي يجعل الإنسان سيدا في الكون وفق بنود عقد وعهد الخلافة)، وتؤمن بالدنيا وتنحي بالآخرة (مع أن المسلم لا يعلم طريقا للآخرة إلا ويمر بالدنيا).

ولأجل إعمال سكين «العقلية المادية المترسة» في جسد النص المقدس - أقصد القرآن الكريم - اعتمدوا «الهرمينوطيقا»[1] سبيلا للتعامل مع القرآن المجيد.

والهرمينوطيقا - التي هي: «منهج التأويل الغربي ما بعد الحداثي للنصوص - معظم النصوص» - تقوم على دعامتين كل منهما تقود إلى الأخرى:

● الأولى: «نسبية فهم الألفاظ والمصطلحات» نسبية سائلة هلامية. مرجعيتها الوحيدة: قارئ النص ذاته... وهذا إحلال لقارئ النص محل مبدع النص (ما يعني إحلال الإنسان محل الله)، ونسف لمرجعية اللغة، كأداة تواصل وحيدة بين البشر!

● والثانية: «موت المؤلف» حيث لا إمكان لمقاصد تُحيا من وراء ما كُتب، ومن ثم: الحرية مطلقة في فهم النص كيف شاء قارئه! (وهذا المفهوم كسابقه يحل الإنسان محل الله).

والحق - وحق القول -: إن «مقصود» كتابة النص - أي نص -: أن يحمل رسالة من (مبدع النص) إلى (قارئ النص) وهذا يستلزم:

١ - وجود لغة تفاهم وتواصل (مشتركة معلومة معروفة محددة) بين القارئ والكاتب؛ حتى تصل الرسالة.

٢ - وأن يسعى قارئ النص - من خلال قراءته وتدبره - إلى تحصيل ومعرفة مقاصد مبدع النص الكامنة في النص.

وبتعبير آخر: أن يفهم النص وفق مقاصد مبدع النص؛ لأنه إنما يحمل رسالة منه إلى غيره.

٣ - ومن ثم: لا يكون النص رسالة يفهمها من شاء كيف شاء، ولا تحرم مقصود كتابة النصوص... ولو انخرم لاستلزم ذلك توقف البشر عن الكتابة؛ لاستحالة حمل النص - والحال كما ترى - لأي مضمون أو رسالة يبعثها منه مبدعه!

وبهذا يتسع بطلان «المذهب الهرمينوطيقي» - لمناقضته ومصادمته مقصد كتابة النص - أي نص.

ويقف وراء هذه (الهرمينوطيقا) نموذج معرفي كامل، نرصده ونفككه في الآتي:

١ - «تأليه للإنسان» و«أنسنة للإله»؛ للتمكن من إحلال «دين طبيعي» محل «الدين الإلهي».

٢ - وسعي لصبغ الوحي بصبغة البشرية، ومن ثم نزع القداسة عنه. ومن ثم ادعاء نسبيته، وحتميته للتصويب والتخطئة. ومن ثم: التخلص من قيمه وأوامره ونواهيه. مع فتح الباب للهوى والشهوات لتطل برأسها عبر إلباسها بردة الشرعية، أو بالأقل: عبر نزع صفات (التحريم) و(السوء) عنها.

٣ - وتحويل للواقع إلى مطلق يتمركز حوله الإنسان؛ وصولا إلى حضارة «ها هنا والآن» المادية الشهوانية الاستهلاكية!

وبعبارة أخرى: رصد وتفكيك - نقول:

١ - التمركز حول الإنسان من خلال تنحية الله جانبا (مع أن الإسلام - كما قال البعض - إنسانية كاملة؛ فبقدر ما تقل إنسانيتك يقل إسلامك... ومع أن مفهوم الألوهية لا يلغي الإنسانية بل يؤكدها ويرعاها؛ حيث الإنسان مكرم في ظل الألوهية؛ لأنه يجمع بين كونه عبدا لله وحده، وسيدا في كل شيء بعده، وفق مبدأي الاستخلاف والتسخير).

٢ - ومن ثم: التمركز حول الذات من خلال الكفر بالمعايير والمطلقات (مع أن ذلك إحلال للذات كمطلق محل المعايير والمطلقات التي سبق الكفر بها).

٣ - والتمركز حول الدنيا من خلال تنحية الآخرة جانبا (مع أن المسلم لا يعرف طريقا للآخرة لا يمر بالدنيا. ومع كون الإيمان بالآخرة هو الحفز الأمثل والأقصى على الإبداع واستباق الخيرات في الدنيا).

٤ - والتمركز حول الواقع من خلال تنحية الغيب جانبا، مع أن الغيب - في الإسلام - لا يهدف إلا إلى الارتقاء بالواقع، إقرارا بالصالح منه وتدعيما له، وتغييرا للطالح منه بالهوينا، مع مراعاته - في ذات الوقت - لمطلق الواقع:

أ - عبر سنة التدرج في التعامل معه.

ب - وعبر مراعاة الضرورات والأعذار والظروف الاستثنائية.

ج - وعبر تغير الفتوى الشرعية بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف.

د - وعبر وجود منطقة العفو التشريعي المتروكة قصدا - ورحمة بالناس وللناس - لتغطي متغيرات الواقع.

هـ - وعبر قابلية كثير من نصوص الوحي لتعدد الأفهام؛ حتى يسعهم جميعا على اختلاف أفهامهم وعقولهم وظروفهم وأحوالهم وطبائعهم وأماكن معيشتهم وأزمانهم.

والله أعلى وأعلم

---

(١) الهرمينوطيقا إنما نشأت ونمت وترعرعت في البيئة الغربية تعبيراً ... الدعوة [illegible]
١ - التخلص من السلطة الروحية والتعبيرية للكنيسة التي تعرض على الناس - روحيا وسياسيا - فهمها للنص الديني المسيحي ورؤيتها في معالجة ... [illegible]
٢ - التخلص من التناقض بين النصوص الدينية المسيحية والحقائق العلمية الكونية التي توصل إليها الغربيون.
٣ - التخلص من سلطة النصوص الدينية المسيحية ذاتها بعد شيوع النموذج المادي الشهواني ... ومن ثم فإنها من تربة غير تربتنا، وسياق غير سياقنا، فهي إنما نشأت لمواجهة وعلاج مشكلات لا وجود لها عندنا، فكيف ننقلها ... [illegible]
[illegible]

القرآن الكريم: تأملات في بعض شهادات الغربيين المنصفين

ليس بمستغرب تلك الحملات والانتهاكات والدعوات المسعورة، القديمة، الجديدة، المتجددة، للنيل من القرآن الكريم.. حرقا، أو تدنيسا، أو تكذيبا، أو تشويها، أو تحريفا، أو تسفيها، أو تشكيكا.. إلخ. فلقد كان، منذ نزوله، ومازال، وسيظل.. كتابا مقلقا للغربيين، ومحيرا لهم، ومبلبلا لأفكارهم.. وتاريخ تعاملهم معه حافل بالمتناقضات، ما يستلزم تدخلا فاعلا لحلها. يقول المستشرق الفرنسي «ريجيس بلاشير»: «قلما وجدنا من بين الكتب الدينية الشرقية كتابا بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن».

- كتب المستشرق الفرنسي «إميل درمنغم»: «كان محمد، وهو البعيد عن [illegible] القرآن وتأليفه ينتظر نزول الوحي أحيانا على غير جدوى، فيألم من ذلك، كما رأيت في قصة [illegible]، ويود لو يأتيه ملك متواتر» على لسان رسوله محمد. وليس في استطاعة محمد، ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتيه بكلام تحار فيه عقول الحكماء، ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور. وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الحقيقة، لكن لا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكم، وتلك البلاغة التي لم [illegible] قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات».

- يقول المستشرق «شيبس»: «يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد، وهذا هو الخطأ المحض، فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى

- الأب «روبير كاسبار» يقول: «إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته [illegible] ولم يحاول ذلك مطلقا، حتى خبرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام أمثال «يوحنا الدمشقي» و«تيودور أبي قرة» و«بولس [illegible]» لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته. ولعل ذلك يرجع أساسا إلى أن الغرب المسيحي اكتفى قرونا طويلة بتشويه صورة الإسلام ونبيه (ﷺ) من دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة. فأول ترجمة لمعاني القرآن لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر أي بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام، وقد تمت على [illegible] من [illegible]، كما أن غالب الترجمات لم يكن لها هدف سوى توجيه مزيد من الإدانات للقرآن، تلك الإدانات التي حددت [illegible] على مدى قرون [illegible] غيب معنى [illegible]».

- في كتابها «دفاع عن الإسلام»، تقول «لورا فيشيا فاغليري»: «كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد وهو العربي الأمي؟ وعلى الرغم من أن محمدا دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مثل كتابه، أو على الأقل بسورة من مثل سوره

> ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

(البقرة: ٢٣)

وعلى الرغم من أن أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا [illegible] في بلاد العرب، فإن أحدا لم يتمكن من أن يأتي بأي أثر يضاهي القرآن بعد أن [illegible] بلاسحة، لكنهم عجزوا عن مضاهاة السمو القرآني»[٤].

- المفكر الألماني «هوبرت هيركومر»: «يمرّ [illegible] الصليبيين [illegible] [illegible] الاعتراف بحقيقة [illegible] حتى [illegible] التوحيد [illegible] من [illegible] كانت معرفة الصليبيين بالقرآن محدودة جدا. صحيح أن أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن ظهرت سنة ١١٤٣م، لكن الأوروبيين كانوا يطمعون إلى توظيف [illegible] مستمر في [illegible] الإسلام. ولا شك في أن الترجمة [illegible] لمعاني القرآن [illegible] الغرب اللاتيني أمورا كثيرة، ومع ذلك لم يفكر أحد [illegible] في التوصل إلى حد أدنى من الاتفاق والتفهم والتفاهم مع الإسلام. [illegible] (يوحنا [illegible]) سنة ١٥٤٢م طبع الترجمة اللاتينية [illegible] مدينة [illegible] ولم [illegible] لا [illegible] من [illegible] لوثر، مؤسس الكنيسة البروتستانتية [illegible] لوثر كانت [illegible] لا يمكن [illegible] [illegible] أو الأذى. ولا [illegible] من جميع أنواع السلاح من ترجمة القرآن ونشره بين المسيحيين، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب [illegible] وملعون هذا القرآن، مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع. [illegible] لوثر البروتستانتي كان ينظر إلى القرآن [illegible] في اللاتينية في عصر الحروب مع الدولة العثمانية على أنه وسيلة [illegible] [illegible] القلوب [illegible]

١- ريجيس بلاشير، القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤م، ص٤١.

[illegible]

[illegible]

[illegible] القاهرة، دار نهضة مصر، ص٦٨-٦٩.

[illegible]

٤- لورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، نقله إلى العربية منير البعلبكي، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م، ص٤٢-٤٨.

للمسيحيين ورفع روحهم المعنوية، حيث أعلن قائلا: بعد ظهور الأتراك على حقيقتهم، أرى أن المقاومة عليهم أن يحطم الآن مع انبعاث عن قطائع محمد حتى يرتد مسيحيون عدوة له، وإيمان بالمسيحية، ولتشتعل حماستهم وحماستهم في الحرب، ويضحون بأموالهم وأنفسهم»[6].

- **اشتهر الطبيب الفرنسي «موريس بوكاي»** بوقفته للموضوعية العلمية مع الكتب السماوية، وخرج من دراسته بعدد من النتائج ضمّنها كتابه المشهور: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، «دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة» إذ يقول: «كيف يمكن لإنسان كان في بداية أمره أميًا، ثم أصبح فضلا عن ذلك سيد الأدب العربي على الإطلاق، أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة»[7].

- **الصحفية الأمريكية «ديبرا بوتر» التي اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠م** تقول: (كيف استطاع محمد الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بدّ إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل)[8].

- **يؤكد مونتجمري واط ١٩٠٩-٢٠٠٦م** في كتابه المتأخر «الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر»: أن القرآن ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه ومن بعدهم.

ومن هنا فإن محمدًا ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولا، ثم لكل العرب ومن هنا فهو قرآن عربي مبين، وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكد ذلك عمليًا بانتشار الإسلام في العالم كله، وآمن به، وقبله بشر من كل الأجناس تقريبًا»[9] ويمضي «واط» ذلك المستشرق الإنجليزي الذي أمضى في دراسة القرآن والإسلام أكثر من ثلث قرن - وهو قسيس انجليكاني وابن قسيس أيضا - «بأن القرآن كان يسجل فور نزوله»... ويؤكد في أكثر من موضع من كتاباته سالفة الذكر على صدق الجمع والتدوين والتوثيق فور النزول والتنزيل للقرآن في عهد الوحي والتنزيل وبإشراف الرسول عليه الصلاة والسلام[10]. وقد جاءت شهادته هذه تعليقًا على الآية القرآنية التي تقطع بأن الجامع الأول للقرآن الكريم هو الله سبحانه وتعالى:

﴿[illegible]﴾

(القيامة ١٦ - ١٩)

٦- ثابت عيد، مترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين بحث (ص ٢١) جريدة [illegible]
٧- موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة - ط٤ - القاهرة، دار المعارف ١٩٧٧م - ص [illegible]
٨- [illegible]
٩- انظر محمّد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء - القاهرة، دار الشروق ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م - ص ١٦٣
١٠- مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر / ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١، نقلا عن محمّد عمارة، الإسلام في عيون غربية - مرجع سابق - ص [illegible]

فقال: «إن التفسير الطبيعي لهذه الآيات هو أن محمدا كان ينتظر تلاوة جبريل قبل أن يتكلم، بجمع الآيات متفرقة أو التي أوحي بها في أوقات مختلفة جعلها في سياق واحد، ولذلك لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي من عنده. فمن الصعب أن نتصور أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل».

(هذا القرآن كتاب حكيم فمن أجال طرفه فيه وأمعن النظر في بدائع أساليبه وما فيه من الإعجاز، وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمئة وعشرون سنة كأنه مقول في هذا العصر إذ هو مع سهولته بليغ ممتنع ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام. وكما أنه كان يرى مطابقًا للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوبا كذلك يرى موافقا لأسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه. وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين. وإذا نظرنا إلى ما فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعا لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكماله وتهذيب أخلاقه.. وكذا نراه ناهيا عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق.. وكم فيه ما عدا ذلك أيضا ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالعمل والتجربة فضلا عن القول)[11].

- **في كتابها «الحج إلى مكة»، أو «البحث عن الله» تقول الليدي «إفيلين كوبولد» النبيلة الإنجليزية التي أسلمت:** «وذكرت ما جاء في القرآن عن خلق العالم وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، وكيف أن العلم الحديث قد ذهب يؤيد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدت أجيالا عديدة».

- «كم من الأجيال ستكابد الخوف والشقاء، قبل أن يبزغ فجر الإسلام العظيم الذي يبدو أن التاريخ بأكمله ينحو صوبه، وسلام يومئذ يغمر الدنيا، وسلام يغمر القلوب» (هربرت ويلز)[12].

جملة القول: «عني المستشرقون القرآن الكريم بالدرس والبحث والتحليل، واعتنوا بترجمته إلى لغاتهم.. ترجمات اختلف في تقويمها.. قدحا ومدحا، اتهاما وإنصافا، وتمييزا بين صحيحها وسقيمها، وحسنها وقبيحها، ورصدا للأخطاء التي ارتكبت عمدا، أو بغير عمد.. «ما أشبه الليلة بالبارحة»... فوسط مواقف وأحداث ونظريات تتشح بوشاح استعلائي / عنصري / إقصائي / تصادمي.. تبقى الحاجة ماسة لتسليط الأضواء أمثال تلكم الشهادات المنصفة من عقلائهم التي من شأنها أن تثري «المعرفة المنصفة»، و«المثاقفة المتبادلة»، وتعدل من «الصور الذهنية النمطية»، وتجسر جسور التعارف والتعايش والتعاون، ويلتقي الغرب والشرق، فيعلو الحوار الفعال، على التحجر القتال. وتبقى الضرورة ملحة لتوفير ترجمات صحيحة سليمة لمعاني القرآن الكريم بكل لغات العالم المقروءة.

١١- راجع د. محمد عمارة، مجامع القرآن، بصحيفة المصريون http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=4355
١٢- عبد الله كرسلر، العصمة الإسلامية ص ١٤٠ - ١٢٩
١٣- من كتاب «وجدت محمدا» ولم أخسر المسيح للدكتور عبد المعطي الدالاتي

القـــرآن الكـــريم في عيون غربية منصفة

[illegible]

رؤى غربية منصفة تتقطع من أقلام مفكرين غربيين درسوا الإسلام فراعهم جماله، وأدهشتهم مبادئه. ولكنهم لم يرتووا فتعذبهم من سماء لعقل إلى أرض القلب، ولم يستوعبوا نداء الوجدان، فهم لم عرفوها ولم تثمر.

وفشلوا في أن يحولوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له. وإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجري في العروق، وبذا فقد فشلوا في أن يحققوا السلام الداخلي في أعماقهم. بعد أن سبق أمامهم الأصرة معهم وحدة كي يصلوا إلى النبع أشر الزلال. فلم يشعروا حلاوته، وهم عطشى حول الماء ولم ينهلوا. وإذا عرض قولهم لأولئك الغربيين عباد الغرب الذين لا يشربون الكأس لو أنه لا إذا كانت بيد غربية، ولا يجرعون الدواء إلا من تلك الغربية.

على أن بعض هذه العبارات كانت في سياقها شرك نصب للعقل المسلم. ولا حرج علينا في أن نلتقط حبة، ونترك الشبكة ونغرب سلامه.

يقول المستشرق آرثر آربري: «عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي».

ويقول غوته: «إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة، فالقرآن كتاب الكتب وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم، وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي».

وقد بلغ غوته الستين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد.

وفي ديوانه أنعم غوته بنشوة طوى من صفحات القرآن فهتف: «مرحبًا بك في هذا المكان المقدس، أعلى كرسي في الأرض».

وفي ديوانه «الديوان الشرقي للشاعر

---

(١) نقلًا عن معنى اللانكاتشال، د. جيجري لانج ص(٢٠٦)، وكتاب وبعث محمدًا لولم أحسر السيد، د. عبدالمعطي الدالاتي

(٢) نقلًا عن غوته والعالم العربي، كاثارينا مومزن ص(١٧٧ - ١٨٨ - ٣٦٦)

العربي» يقول غوته: «هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولنتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض».

«القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمدًا هو الإله».

وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماري شميل في مقدمتها لكتاب «الإسلام كدين» لمراد هوفمان: «القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز مستوى السطحي. فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة».

ويقول الباحث الأمريكي مايكل هارت في كتابه المعروف «المائة الأوائل»: «لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملًا دون تحوير سوى القرآن».

«بين أيدينا كتاب فريد في أصالته وفي سلامته، لم يشك في صحته كما أنزل، وهذا الكتاب هو القرآن».

ويقول المستشرق الألماني هيلر: «لقد وعد الله رسوله بالحفظ بقوله

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٦٧)

صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته!...»

ويقول المستشرق «فون هامر» في مقدمة ترجمته للقرآن: «القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمدًا قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية».

«القرآن وحي من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة».

ويقول البروفيسور يوشودي كوزان - مدير مرصد طوكيو - نقلًا عن كتاب (إنه الحق): «إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود... إن الذي قال هذا القرآن يرى كل شيء في هذا الكون، وكل شيء مكشوف أمامه».

ويحاول المفكر مارسيل بوازار أن يصل إلى سر التأثير العجيب للقرآن فيقول: «القرآن يخاطب الإنسان بكليته... من منظور تستطيع نسبته إلى علم النفس التطبيقي».

قلت: إن الذي خلق النفس البشرية والخبير بدروبها ومنعطفاتها وآفاقها هو الذي أنزل القرآن ليهديها السبل

﴿ [illegible] ﴾

(الملك ١٤)

---

(٣) [illegible] ص(٣٥)

[illegible] نقلًا عن (البحث عن الحقيقة) ص(٢٣٦)

[illegible] ص(٢٢)

(٤) نقلًا عن (القرآن الكريم من منظور غربي) د. عماد الدين خليل ص(٢٨)

لغة القرآن بين المجهر والمرقاب
(حمالة أوجه) أم (موشور المعاني)؟

[illegible]

تتصل اللغة العربية اتصالا وثيقا بمعجزة الإسلام الوحيدة والمستمرة في آن: القرآن الكريم. ولقد كان القرآن وسيلة من وسائل حفظ هذه اللغة واستمرارها. و مما لا شك فيه أن اللغة العربية ما كانت ستكون موجودة بشكلها الحالي لولا القرآن الكريم (ولا نعرف طبعا على وجه اليقين ان كان سيبقى هناك عرب على الإطلاق لولا هذا القرآن. ولا نعرف كذلك كيف سيكون شكل العالم لو حذفنا التأثيرات الحضارية التي أسهم فيها تفاعل القرآن مع العالم).

اللغة العربية إذن هي الوعاء الذي تنزل فيه القرآن الكريم، وبسبب كون القرآن هو المعجزة فإن تداخل اللغة العربية مع هذه المعجزة سيجعلنا مضطرين لتفحص خصوصية هذه اللغة وتميزها [illegible] معينة لتكون وعاء للمعجزة.

لا ريب أن عرب الجاهلية باعتبار انحطاطهم التاريخي وباعتبار أنهم كانوا في المرتبة الأدنى حضاريا، كانوا النموذج الأمثل للمعجزة. لأن مجرد نجاح القرآن في نقلهم تلك النقلة كان دليلا على إمكان تكرار هذه المعجزة مع أمم أخرى. كانت في الأساس في مرتبة أفضل من العرب.

لكن ذلك لا ينفي بالضرورة وجود خصوصية لغوية في العربية تسهم في جعل هذه المعجزة مستمرة.. أو على الأقل تجعل من إمكانية استمرار هذه المعجزة قائمة.

ما هذه الخصوصية الكامنة في اللغة العربية التي يمكن أن تجعل من القرآن مصحفا لا ينضب من المعاني الفاعلة التي تحرك الأمة وتساهم في نقلها من أدنى المرتبة إلى أعلاها؟

تملك اللغة العربية خاصية تميزها عن سواها: وهو امتلاك كل لفظ فيها تدرجا من المعاني أفقيا وتقريبا [illegible] وجود تعارض حقيقي في هذه المعاني.

يوجد لكل جذر اشتقاقات متعددة قد تملك استخدامات قد تبدو للوهلة الأولى غير مترابطة، وهي غير مترابطة فعلا في البعد الأفقي المباشر [illegible] لكن في البعد الآخر (الشاقولي) سنجد شبكة داخلية من المعاني التي تتصل ببعضها بطريقة تجعل المعنى ممتدا ومتدرجا دون تعارض.

ولا هنا اقصد حصرا كل لفظ ورد في القرآن الكريم، وكل من حاول التنقيب عن ألفاظ القرآن الكريم مستخدما المعجم اللغوي بمعزل عن كتب التفسير المباشر سيجد أولا المعنى المباشر للجذر الأصلي. وسيجد معه حزمة من المعاني التي قد تبدو غير مترابطة فيما بينها من ناحية الاستخدامات. لكن [illegible] سيجد فعلا شبكة من المعاني التي تتصل بعضها ببعض في عمق شاقولي فيما يبدو أولا أنه غير مترابط، والفرق فقط سيكون في أسلوب النظر والآلة التي ننظر من خلالها، بعض المعاني يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وبعضها الآخر لا يرى إلا بالمجهر. وبعضها الآخر لا يرى إلا بالتلسكوب (المرقاب)[2].

[illegible]

بهذا المعنى لن تكون لغة القرآن الكريم (حمالة أوجه) كما هو شائع أحيانا بطريقة سلبية، بل سيكون تعدد المعاني مرتبطا ببنية داخلية عميقة، كما ترتبط حافات متعددة لبلورة واحدة.. خاصية اللغة العربية هي أنها تكون بمثابة موشور للألفاظ، يقدم معاني متدرجة دون تناقض.

كل ما سبق سيكون مجرد تنظير إنشائي إن لم يأت بأمثلة توضيحية لعلها لن تكون كافية هنا لكنها أمثلة عملية على الخاصية الموشورية هذه.

[illegible] على [illegible] هو أول لفظ أنزل من القرآن الكريم: كلمة (اقرأ) التي شكلت نقطة الانطلاق [illegible] التنزيل كما شكلت علامة مهمة [illegible] تداخلت مع لفظ القرآن، وشكلت الجذر الأصلي للكتاب الذي [illegible] الأساسي لكينونة الأمة.

[illegible] معان واستخدامات قد تبدو مختلفة للوهلة الأولى. مثل الجمع [illegible] الحيض. الإبلاغ. التفقه. [illegible] وكلها استخدامات لها شواهد في لغة العرب، وبعضها لها شواهد قرآنية.

قد تبدو هذه المعاني مختلفة للوهلة الأولى. قد تبدو مجرد اشتقاقات مختلفة لجذر واحد. فما دخل القراءة بالحمل أو بالحيض؟.. لكن التعمق بالنظر عبر قراءة مجهرية تلسكوبية.. سيؤدي فعلا إلى إعطاء أفق متدرج للمعاني، أفق يحقق التكامل والانسجام دون أن يلغي كل معنى المعنى الذي سبقه.

فالقراءة بحسب هذا التدرج تصير جمعا [illegible] بالقراءة الشمولية التي تتجاوز [illegible] إلى [illegible] أكثر من هذا [illegible]

---

1. الموشور: [illegible]

2. [illegible]

القراءة في جمع النصوص مع بعضها وتصنيف دون أن تنفرد بنص معين، ودون أن تقتصر على نص واحد..

أليس هذا الجمع والضم هو الذي يؤدي إلى القراءة التي نتحدث عنها؟ أليس الحمل هو الذي ينتج عن تزاوج (جمع القرآن) بين فردين [illegible] قراءة حقيقية هي ذلك التزاوج بين النصوص بتحميلها معنى ينتج فكرة جديدة أو فهما جديدا يكون بمثابة الجنين أو الحمل ثم تكبر لتصير مولودا بعد انقضاء الحمل؟ أليس هذا هو عين [illegible]؟ أليس [illegible] هو [illegible] القراءة الجامعة التي تنتج فهما جديدا [illegible] وليد جديد. وهل يمكن [illegible] أن يتحقق [illegible]. [illegible] في ذلك إلى الآخرين [illegible] تلك الفكرة من عقل فرد واحد ليصير جزءا من منظومة عقل جمعي كامل؟

هل يمكن [illegible] أن نعبر عن [illegible] في مشتقات [illegible] فرأ بعيدة حقا عن المعنى العميق للقراءة.. أي بالمعنى الذي يريده القرآن الكريم.. والذي كانت اللغة العربية بخصوصية هذا الوعاء الذي تمكن من حمله [illegible] معاني الاشتقاقات [illegible] التي [illegible] متباعدة. وتبدو [illegible] مرتبطة في عمق ما يشكل يثري المعنى الأصلي ويزيده خصوبة وعطاء؟

مثال آخر [illegible] الفعل فلح الذي يعني في مفهومه السائد [illegible] لكن استخداماته واشتقاقاته في لسان العرب لها معان قد تبدو على مستوى [illegible] غير مرتبطة بمعنى [illegible] مثل [illegible] متابعة معاني [illegible] سيوضح [illegible] معنى [illegible]. [illegible] حيث يعتمد ذلك [illegible] على [illegible] في الأرض [illegible]

مثلا على ذلك وهو المعنى الذي [illegible] الفعل بالفلاحة والزراعة. ولكن [illegible] سيرتبط حتما بكل استثمار لكل ثروة موجودة في باطن الأرض [illegible] الأمر أن نتذكر أن الفلاح [illegible] في الأرض واستثماره. وإن الفلاح الأخروي مرتبط حتما بالفلاح الدنيوي مع منظومة أخلاقية [illegible] الأمر أن نتذكر أن [illegible] لا يكتسب [illegible] إلا [illegible] ذلك كله؟ [illegible] مرتبطة؟ [illegible] معنى [illegible] دون أن [illegible]؟ [illegible] فلاح المؤمنين [illegible].

[illegible]

محفظ المعنى والمحتوى يرتبط [illegible] دون أن يمس المعنى السائد الذي يجعل من فلاح المؤمنين [illegible]؟

هذه محاولة [illegible] من [illegible] ومن الأمثلة والاستنباط لكي لا نظل أسرى لنظرة أحادية ووجه واحد من حافات البلورة متعددة الوجوه. تلك البلورة التي لو [illegible] لصارت موضوعا يقدم من المعاني القرآنية مثنى وثلاث ورباع.

وكذلك لكي لا نتصور أن كل نظرة جديدة عليها أن تلغي كل ما سبق.

المعاني تتصل [illegible] لكن ذلك ليس [illegible] [illegible] تتراكم وتتكامل ولا [illegible] لا [illegible] المعنى الكامل لا [illegible] [illegible] كل خصوصية مميزة للغة العربية ولعله [illegible] الأساسي الذي جعل تلك اللغة وعاء [illegible] المعجزة التي يجب أن تكون مستمرة [illegible] التي نستطيع أن [illegible] مستمرة [illegible] الأخرى يجب أن نجعلها كذلك

نزول القرآن في رمضان دلالات وواجبات



القرآن الكريم هو الكتاب الخالد لهذه الأمة، ودستورها الشامل، وحاديها الهادي، وقائدها الأمين. كما أنه الكتاب الخالد للدعوة الاسلامية، ودليلها في الحركة في كل حين. وله أهمية كبيرة في حياة الفرد، وفي حياة الأسرة، وفي حياة المجتمع، وفي حياة الامة: فهو يعالج بناء هذا الانسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره. ويشرع من التشريعات ما يحفظ كيان الأسرة: تظللها السكينة وتحفها المودة وتغشاها الرحمة. كما يعالج بناء المجتمع الانساني الذي يسمح لهذا الانسان بأن يحسن استخدام الطاقات الكامنة في المجتمع. وينشد الأمة القوية المتماسكة الشاهدة على العالمين.

في القرآن الكريم نجد المناهج الثابتة، والسنن الجارية، والقيم السامية، والمثل العالية، والموازين العادلة، والقواعد الراسخة، والأفكار السامقة، والتصورات الراشدة. وغير ذلك مما جعل القرآن الكريم كتابا خالدا شاملا محكما يخاطب الانسان والزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا القرآن الكريم أنزله الله تعالى في شهر رمضان المعظم، وتحديدا في ليلة القدر التي كانت واضحة ثم أخفاها الله تعالى لحكمة يعلمها، ولا يظفر بها إلا المجتهد في العبادة والحريص على التهجد والاعتكاف والقيام والذكر والدعاء، والمسارعة في العبادة والخيرات.

وسوف يكون حديثنا من خلال آيات ثلاثة في القرآن الكريم، أو ثلاثة مواضع فيه

● الموضع الأول: في سورة البقرة من قوله سبحانه

(سورة البقرة ١٨٥ ، ١٨٦)

والموضع الثاني: من سورة الفرقان، مطلعها قال تعالى

(سورة الدخان ١ - ٤)

● وموضع لتلك سورة القدر كاملة، وهو قول الله تعالى:

[illegible]

(سورة القدر)

دلالات الزمان ومعانيه وبركته

لنزول القرآن الكريم في شهر رمضان دلالات ومعانٍ عقدية وإيمانية ونفسية وروحانية وأخلاقية وسلوكية، تحدث عنها علماؤنا حديث المتمعن في تناولهم لتفسير الآيات المشار إليها قبل قليل؛ فهذا الإمام محمد أبو زهرة يقرر أن "اختصاص شهر رمضان بالصوم؛ لأنه نزل فيه القرآن، فيه تذكير بمبدأ الوحي، واحتفال بأكبر خير نزل في الأرض وهو بعث النبي ﷺ فبإرساله نور الأرض وإشراقها، والاحتفال به احتفال بنعمة الهداية، ونعمة الخروج من الظلمات إلى النور، ونعمة إرسال نبي الرحمة. وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هدى للناس، لأنه يخرجهم من الظلمات إلى نور بيّنة. وهو معجزة الله تعالى الكبرى. وهو يهدي بهديه وتوجيهه إلى مقاصد رسالته المحمدية. وهو مع ذلك فيه آياته البينات؛ أي أن آياته بينات واضحة من الهدى وهو الشريعة التي جاء بها. والفرقان أي الأمر الفارق بين الحق والباطل، والظلم والعدل، والشورى والاستبداد، والإصلاح والإفساد، وعمران الأرض وخرابها"[1].

وهذه دلالات عليها عظمته وخصوصيته، فهو تذكير بابتداء الوحي، واحتفال بإرسال النبي وما يقتضيه ذلك ويستتبعه، والتعلم بما في القرآن من بينات واضحة، وأمور فارقة بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والظلم والعدل... إلخ.

وقد أكد على هذا المعنى من قبل الإمام ابن كثير بقوله في قوله:

● ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾

هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ أي ودلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقًا بين الحق والباطل، والحلال والحرام"[2].

وليس رمضان هو الزمان المختار لنزول القرآن فقط بل هو زمان نزول الكتب السماوية جميعًا، وفي هذا ما فيه من تشريف للزمان. يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء"[3].

ويربط الشيخ محمد متولي الشعراوي بين الصيام باعتباره مدرسة للتربية، وبين التشريع باعتباره منهجًا للتربية وترقية الإنسان، وهذه دلالة تربوية مهمة. يقول: "يعطي له الحق شهر رمضان سبحانه مزية ويؤكدها بأنه سمى به الشهر الذي أنزل فيه القرآن. والقرآن إنما جاء منهج هداية للقيم، والصوم امتناع عن الاقتيات، فمنزلة الشهر الكريم أنه يربي البدن ويربي النفس، فناسب أن يوجد التشريع في تربية البدن وتربية القيم مع الزمن الذي جاء فيه القرآن بالقيم"[4].

● ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾

ويؤكد العلامة عبد الرحمن السعدي أن هذا الشهر العظيم قد حصل لنا فيه خير عميم بنزول القرآن فيه. فيقول: "الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة، فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسمًا للعباد مفروضًا فيه الصيام"[5].

وقد حدد القرآن أن نزول القرآن كان في ليلة القدر التي يشتملها شهر رمضان، وفيها من الشرف والمجد والفضل، ومن البركات والخيرات والنفحات والرحمات ما لا يدركه الإنسان ولا تلحقه العبارة. يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور: "فبركة الليلة التي نزل فيها القرآن بركة قدرها الله لها قبل نزول القرآن، ليكون القرآن ابتداء نزوله فيها ملابسًا لوقت مبارك، فيزداد بذلك فضلًا وشرفًا، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها"[6].

إن في سورة القدر فيحدثنا بعض أصحاب الظلال في حديث شائق مبهر يجعل النفس تسجد من عظمة القرآن، والقلب يخضع لسلطان كلام الله تعالى فيتحدث عن دلالات الليلة المشهودة الموعودة، ليلة القدر، قائلًا: "الحديث في هذه السورة - يعني سورة القدر - عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى، ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعًا. العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري

● [illegible]

والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث تكاد ترف وتنير، بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود، نور الله المشرق في قرآنه

● [illegible]

ونور الملائكة والروح وهم في غدوهم ورواحهم طوال الليلة بين الأرض والملأ الأعلى

● [illegible]

ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقًا مع نور الوحي ونور الملائكة، وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٠١.

[4] تفسير الشيخ الشعراوي ١/ ١٧١، مترقيم المكتبة الشاملة

[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٦، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

[6] [illegible]

[illegible] دار الشروق، القاهرة

ويشير العلامة ابن عاشور إلى معنى لطيف حينما تحدث عن شرف الزمان المقرون به، وهو شهر رمضان وليلة القدر تحديداً، مع شرف النازل فيه، وهو القرآن الكريم، فيقول: "والمقصود من تشريف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشريف آخر للقرآن بتشريف زمان ظهوره، تنبيها على أنه تعالى اختار لابتداء إنزاله وقتاً شريفاً مباركاً؛ لأن عظم قدر الفعل يقتضي أن يختار لإيقاعه فضل الأوقات والأمكنة، فاختيار فضل الأوقات لابتداء إنزاله ينبئ عن علو قدره عند الله تعالى. وإظهار اسم (ليلة القدر) [illegible] في قوله:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾

(القدر: [illegible])

على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن مقتضى الظاهر الإضمار، فغير الإظهار تعظيماً، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحاً، وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها، وأن الله اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان [illegible].

وليس معنى نزول القرآن في ليلة القدر أنه نزل على المسلمين في ليلة واحدة كما هو معلوم، وإنما بدء نزوله إلى بيت العزة من اللوح المحفوظ، ثم نزل بعد ذلك منجماً مفرقاً على رسول الله ﷺ؛ ليربي الأمة ويعلمها بحسب الوقائع في زمن مدته ثلاث وعشرون سنة.

واجبات هذا التشريف ومقتضياته

إن نزول القرآن الكريم أو بداية نزوله كان حدثاً فاصلاً في حياة البشرية، عاد عليها بالنور والعلم والهداية، وبشأنه الإنسان خلقاً آخر. ويقال: الأمة المسلمة مرتبة الشهادة على العالمين، وغير ذلك من فضل وتشريف. ومن ذاق هذا التشريف وذلك التفضيل الرباني في شهر رمضان – فإن لذلك واجبات ومقتضيات؛ لأنه ليس هناك تشريف دون تكليف، وليس هناك واجبات دون مقتضيات.

● وأول واجب علينا نحو هذا الفضل الغامر أن نعظم أيام الله تعالى، يقول العلامة ابن عاشور: "هذا تعليم للمسلمين أن يعظموا أيام فضلهم الديني وأيام نعم الله عليهم، وهو مماثل لما شرع الله لموسى من تفصيل بعض أيام السنين التي توافق أياماً حصلت فيها نعم عظمى من الله على موسى. قال تعالى:

﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾

(إبراهيم: ٥)

فينبغي أن نعد ليلة القدر عيد نزول القرآن"[9]، فالإمام ابن عاشور هنا يريد منا أن نعظم الله بأن نجعل ليلة القدر عيد نزول القرآن. وهذا متفق مع أصل شرع من قبلنا، وهو ما جاء في رسالة موسى عليه السلام.

● ومن هذه الواجبات إكمال العدة، لأن الله تعالى يسر لنا تشريع الصيام، وذلل لنا الإتيان به في كل حال: حال الصحة والمرض، وحال السفر والحضر.

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾

● ومن هذه الواجبات تكبير الله تعالى وحمده وشكره على هذه النعم وتلك المنن التي لا توجد لأمة من الأمم في كتاب من الكتب، ولا تشريع من التشريعات

(٨) التحرير والتنوير [illegible]

(٩) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٧

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

● ومن هذه الواجبات عبادة الله تعالى، والدعاء هو جوهرها وروحها، بل هو هي، ولهذا جاءت آية الدعاء في آخر آيات الصيام.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

(البقرة: [illegible])

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي في بيان معاني الدعاء والقرب، ونوعيهما: "والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال:

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة؛ ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم"[10] كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾

(الأنفال: ٢٩)

● ومن هذه الواجبات: الاستجابة لأمر الله تعالى والإيمان به الذي يترتب عليه حصول الرشاد والفلاح في الدنيا والآخرة كما سبقت الإشارة في كلام السعدي:

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

وإنما تكون هذه الاستجابة بصيام هذا الشهر الذي أكرمنا فيه بنزول القرآن: "والقرآن هو كتاب هذه الأمة الخالد، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور، فأنشأها هذه النشأة، وبدلها من خوفها أمناً، ومكن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي صارت بها أمة. ولم تكن من قبل شيئاً، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ولا ذكر في السماء، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن"[11].

● والاستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ بقيام ليلة القدر التي شرفنا الله تعالى بإنزال القرآن فيها؛ ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[12].

إن نزول القرآن في هذا الشهر الكريم وفي هذه الليلة المباركة، يدعونا في واقعنا المعاصر إلى إعادة النظر في تكويننا العقدي والروحي والأخلاقي والسلوكي، كما يدعونا إلى النظر لواقع أمتنا والاستجابة لأمر ربنا بما يعيدنا كما كنا، وما يحقق لنا مقام قيادة الأمم ومرتبة الشهادة على العالمين.

(١٠) تفسير العلامة عبد الرحمن [illegible]

(١١) [illegible]

(١٢) صحيح البخاري رقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم رقم (٧٦٠)

خصوصية التربية القرآنية وفاعليتها

إن التربية القرآنية للأفراد والجماعات تتضمن منظومة قيمية رفيعة المستوى، تتناغم مفرداتها في وحدة متسقة: اجتماعيا، ونفسيا، وخلقيا، ومن ثم فإنها تسير في طريقين متوازيين لا ينفكان أبدا:

أولهما: يبدأ بالتنفير من السلوكيات الشائنة المستهجنة.

والثاني: يبدأ بالجذب إلى السلوكيات الرشيدة المستحسنة.

والتربية القرآنية تختلف عن التربية البشرية ـ مع اتحادهما في الهدف إلى حد كبير ـ في عدة جوانب أهمها:

أولاً: أن التربية القرآنية صياغة إلهية محكمة:

لا تقبل جدلا، ولا يجرى عليها تغيير، وهناك فرق كبير بين كونها (محكمة) وبين كونها (جامدة) فالتربية التي لا تقبل جدلا ولا تغييرا لا تستطيع وصفها بأنها جامدة لأن كانت التربية تصدر وتنمو متجاوزة على رفض التغيير، فتنتج نجاحاتها جامدة بالمعنى المرن، وبتجاوزها التطور الإنساني حتى تستمر.

وإنما رفض التغيير والجمود لأن منظومة التربية (محكمة) بمعنى أنها صياغة إلهية، فلذلك لأنها جاءت في غايتها من مواصفات ما لا يعلمه بطبيعته عن صفات البشر الذين هم ـ بطبيعتهم أيضا ـ صناعة وصياغة إلهية.

فالتربية القرآنية بهذه الصفة تتماشى مع خواص الشخصية المركوزة في فطرة البشر، فكأنها ـ بشكل أو بآخر ـ تحدد من السلوك الإنساني ما كان خروجا على الفطرة (شروط ومواصفات خلق الإنسان).

ثانياً: أن التربية القرآنية (كاملة) والتربية البشرية (متكاملة):

نعني أن التربية القرآنية وحدة واحدة تشمل كل مقومات البناء ومعطياته، ولا توجد بها ثغرة واحدة منذ وجدت، فهي كاملة بحكم القدرة الإلهية المعجزة التي أوجدتها.

أما التربية البشرية فهي (متكاملة) بمعنى أنها لم تثبت على وضعها الحالي، وإنما بدأت على هيئة نظريات خلافية، ثم تحولت إلى نظريات تجريبية سلوكية ثم عقلية ثم معرفية.

وأصبحت الآراء فيها تتقارب وتتباعد، تلتقي وتفترق، تتوازى وتتقاطع، ومن ثم فقد اعتراها الاضطراب والتناقض وأصبحت ـ على مدى رحلتها كلها ـ في التوفيق والتلفيق والتعديل من حين لآخر حتى تستطيع الاستمرار.

ثالثاً: التربية القرآنية تستغني بنفسها عن العلوم الأخرى:

ذلك أن القرآن الكريم جاء صالحا لكل زمان ومكان، ومن ثم فإن التربية فيه تربية أساسية، لا تحتاج إلى أية مساعدة بشرية، أما التربية البشرية فهي تحتاج إلى مناهج العلوم الأخرى وتستمد منها، فكلما حدث تغيير في مناهج علم الاجتماع أو علم النفس أو علوم السياسة والاقتصاد والفلسفة، تبع ذلك تطور حتمي في مناهج البحث التربوي الذي ينعكس في تغيير في نظريات التربية وفي أهدافها ووسائلها وأساليبها.

رابعاً: التربية القرآنية كلية، والتربية البشرية جزئية:

والفرق الجوهري الرابع أن التربية القرآنية (كلية) بمعنى أنها تتناول سلوك الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا جاءت صفتها بأنها (محكمة) لا تتشابه ولا تتناقض ولا تحتاج إلى الترقيع والاستكمال، فإذا وصف (الإنسان) في القرآن الكريم بصفة من الصفات (ظلوم، جهول، عجول، جحود ...) فمعنى ذلك أن كل صفة من تلك الصفات توجد في كل إنسان من جنس البشر بدرجة من الدرجات قد تزيد أو تنقص، فالطبيعة البشرية ـ في نظر القرآن ـ واحدة، وبقدر ارتفاع الصفات وانخفاضها تترسم ملامح الإنسان، وتتحدد معالم سلوكه، وتتألف صورة شخصيته.

أما التربية البشرية فإنها جزئية، بمعنى أنها تتناول الظاهرة الواحدة من سلوك الإنسان فعلم النفس التربوي يدرس عقل الإنسان وقدراته وإمكاناته، ومواهبه، ومن ثم فهو يهتم بالذكاء والتحصيل وما يعتري التحصيل المعرفي للإنسان من معوقات ويحصر نفسه في هذا الجانب، أما علم الصحة النفسية فهو يهتم بالنفس الإنسانية من حيث السواء والاضطراب فيدرس المخاوف والوسوسة والكآبة والقلق والشلل النفسي وما شابه ذلك من مشاعر داخلية كالإحساس بالذنب والقهر وتأنيب الضمير.. إلخ.

وعلى الرغم من التجاور اللغوي بين (النفس) و(العقل) فإن مجالات البحث في هذين العلمين التربويين متباعدة، ولكل منهما نظرياته ومقاييسه وأساليبه العلاجية الخاصة، وليس هناك مجال مثل (الجينات) يجمع هذين العلمين.

هذه الجزئية لا نلمسها في التربية القرآنية ولا نجد فيها أثرا لأنها تقوم على الكليات لا على الجزئيات.

خامساً: التربية القرآنية كونية عالمية، والتربية البشرية إقليمية محلية:

وإذا كانت التربية القرآنية مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان فإنها تتخطى حواجز المكان ولا تخضع لعوامل اللغوية والجغرافية والأيديولوجية التي تخضع لها نظم التربية البشرية، فالتربية البشرية تستمد مقوماتها من المعايير والقوانين والعادات والتقاليد والأعراف بين الناس وهي عوامل متغيرة من زمان لزمان، ومن مكان لمكان.

ففي الدولة الواحدة التي تنتقل بنظام الحكم من الشمولية إلى الديمقراطية نلاحظ تغيرا واضحا في نظم التعليم وأهداف التربية، ومناهج الدراسة، وطرق التعليم، وأساليب الإدارة.

وهذه العوامل كلها تختلف من دولة إلى أخرى، ومن حضارة إلى حضارة ومن بيئة إلى

بيئة، ويكون لكل منها شخصيته الثقافية الخاصة ذات السمات المختلفة عن الأخرى.

أما التربية القرآنية فهي تصلح لكل البشر مهما اختلفت دياناتهم وثقافاتهم. فالتربية القرآنية حين تحرم الحسد والغيرة التي تؤدي إلى التعصب والعنصرية، والكذب، والغش، والخداع، فإنها تستجيب بذلك لما يمكن أن نسميه بـ (مقومات الإنسانية الحقة) بقطع النظر عن أية عوامل أخرى يخضع لها الإنسان موضوع التربية. وقد تحولت هذه الكليات السلوكية إلى تطبيقات عملية في الإدارة ونظم التعليم وطرق التدريس ومناهج الدراسة أصبح هذا كله لونا من الإعجاز التربوي التشريعي الذي لا يدانيه إعجاز.

سادساً: التربية القرآنية لا تعرف العشوائية:

إن تقسيم التربية المعاصرة - وإن كان متعمدا - إلى تربية مقصودة وتربية غير مقصودة Formal and Non - Formal أو شكلية وغير شكلية، يجعل للممارسات التي تتم في الشارع وعبر جماعات الرفاق وضعية تربوية مقننة معترفا بها، وهذا ليس واردا في مجال التربية القرآنية لأنها تحسم سلفا مصادر التوجيه السلوكي، ولا تترك الإنسان - موضوع التربية - هدفا لأنماط سلوكية عشوائية وغير مقصودة تتقاذفه فيتجه على غير هدى ويتقبلها راضيا على أنها مصدر من مصادر تربيته.

وسائط التربية القرآنية

وتستخدم التربية القرآنية وسائط متعددة في سبيل تحقيق أهدافها منها:

١ - الكلمة:

حيث نجد الكلمة في السياق القرآني تؤدي وظيفة نفسية ذات أبعاد متعددة، مثل بعد الترغيب، بعد التنفير، بعد إثارة الفزع، بعد إثارة العطف والحنو، وتتعاون تلك الأبعاد المختلفة للوظيفة النفسية لتعمل فعلها في شحن النفس بتيارات انفعالية جارفة تقوم بدور فعال في تعديل السلوك الإنساني.

٢ - المثل:

وقد تناولت دراسات متعددة العطاء التربوي للمثل القرآني وما يفيض به من عوامل تأثير خاصة، فقد يكون بعضها من خلال قصة يتضمنها المثل، وقد يكون بعضها من خلال عبرة يشير إليها.

٣ - القصة القرآنية:

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيرا، وأسلسها عرضا، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصي أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها معها، ولا شك في أن أعظم سرد للقصة في القرآن الكريم، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف حيية، صارفة عن لوازم التبريد، داعية إلى التبصر والتأمل واستخلاص العبرة. ولا شك في أن قصص القرآن الكريم فيه - من الناحية الفنية - معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله - من الناحية الموضوعية - أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوي من أهمها، بما يحتوي عليه من قيم ثمينة، وعطاء سام متجدد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

القرآن الكريم مصدر للفكر التربوي

لا خلاف بين المشتغلين بالعلوم الإسلامية والعربية على كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدرين الأولين لتلك العلوم مهما تختلف مناهج البحث فيها، ولا خلاف بينهم كذلك على كون القرآن الكريم هو المصدر الأول من هذين المصدرين. وفيما يتعلق بدراسة الفكر التربوي في ضوء القرآن الكريم، هناك أكثر من مدخل يمكن في رأينا إجمالها فيما يلي:

١ - دراسة الفكر التربوي من زاوية فلسفية:

وفي هذا الإطار يمكن للدارس أن يعقد موازنات بين عطاء القرآن الكريم في مجال فلسفة التربية وما قالت به الفلسفات التربوية البشرية. ويدرس الباحث هنا الجوانب المعروفة لأية فلسفة تربوية مثل رؤيتها للطبيعة البشرية، والقيم، والوجود، والحرية.. إلخ.

٢ - دراسة الفكر التربوي من زاوية اجتماعية:

وفي هذا الإطار يمكن للدارس أن يركز على مشكلات المجتمع وكيف تناولها القرآن الكريم. ويتعمق الباحث في تحليل الأبعاد المختلفة لتلك المشكلات وأثرها في الفرد، كما يتناول البحث في هذا الميدان قضايا العمل والإنتاج والاقتصاد والعلاقات الإنسانية بوصفها من (القوى والعوامل) المؤثرة في أي نظام تربوي.

٣ - دراسة الفكر التربوي من زاوية فردية:

وفي هذا الإطار يمكن للدارس أن يبحث وضعية (الإنسان الفرد) في القرآن الكريم بوصفه المحور الذي تدور حوله عملية التربية، فيرى كيف عرض الإنسان في القرآن: خلقا وتكوينا وتنشئة. وكيف بيّن القرآن أحوال نموه المختلفة وطباعه المختلفة.

٤ - دراسة الفكر التربوي من زاوية القصة القرآنية:

وفي هذا الإطار يدرس الباحث قصص القرآن الحافلة بالعطاء التربوي المكثف بحيث يكشف عن مسالك التربية بالقصة في القرآن، ويحلل كيف استخدم القرآن عناصر القصة المختلفة - الشخصيات - الحوار - الزمان - المكان - الأحداث - في إبراز الفكرة الأساسية للقصة.

الأهداف التربوية للقصص القرآني

أولاً: تأكيد العقيدة الإيمانية:

فالقرآن الكريم حين يقص علينا أنباء الأنبياء السابقين، وما حدث ممن أرسلوا إليهم من جحود ونكران، وعدوان على شريعة الله، فهو يهدف أمة الإسلام إلى الاستمساك بحبل الله المتين، ودينه القويم، ودعوة الأنبياء جميعا واحدة وإن اختلفت الظروف التاريخية لكل نبي عمن جاء بعده.

وخلاصة تلك الدعوة كما يتضح من استعراض قصص الأنبياء في القرآن هي تأكيد عقيدة توحيد الله عز وجل. ويمكن تتبع دلالة حروف مادة (س.ل.م) ومشتقاتها المختلفة: أسلم، أسلمت، مسلم،

إسلام، في قصص القرآن ـ وعلى ألسنة الأنبياء جميعاً في القرآن الكريم.

ثانياً: كشف أحوال النفس الإنسانية:

أكد القرآن الكريم في عدة مواضع الطبيعة الثنائية للنفس الإنسانية، فهي مزيج من الخير والشر معاً.

فقال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

(الشمس: ٧ ـ ٨)

وقال تعالى:

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

(البلد: ١٠)

وكشف عن تنكر الإنسان للنعمة وتغير أحواله إزاءها في عدة مواضع من القرآن الكريم بطريقة مباشرة واضحة.

ويكشف القصص القرآني [illegible] تلك النفس في صورة سلوكية، تتجلى في مواقف الحياة المختلفة ففي قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) وفي قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف تقف الطبيعة الخيرة عاجزة أمام الطبيعة الشريرة. وهي في عجزها تلجأ [illegible] المقتدر فيأتي نصر الله سريعاً كما هو الحال في قصة صاحب الجنتين [illegible] وعيده كما في قصة ابني آدم، وفي الحالتين تبوء النفس الشريرة بالندم والخيبة والخسران. وهذا هو شأن كل القصص القرآني في غوصه العميق في أغوار النفس الإنسانية.

ثالثاً: تصويب السلوك الإنساني:

يؤكد القصص القرآني دائماً أن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار البقاء والخلود. والصراع الذي يدور دائماً بين الخير والشر في قصص القرآن يدل على أن الذي يختار الخير العاجل وهو خير الدنيا، يبوء بالخسران المبين.

ومن ثم. فالواجب على قارئ هذا القصص ومستمعه، أن يكون حصيفاً فلا يؤثر الفاني على الباقي، وأن تكون اختياراته كلها قائمة على التمسك بالجوهر، وأن ينأى بنفسه عن [illegible] والإنسان إذا سلك هذا السلوك، اقترب من مراد الله تعالى فلا غرو أن يحيطه نصر الله، وتأييده سريعاً قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

وقال سبحانه وتعالى في صفة الذين يصبرون وينتظرون دار البقاء:

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

(الرعد: ٢٢)

ووازن سبحانه وتعالى بين الذين يختارون الدنيا ويفرحون بما فيها من متاع زائل، وأولئك الذين يختارون الآخرة وما فيها من نعيم مقيم فقال جل شأنه:

﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

(التوبة: ٣٨)

ثم سبق يتضح أن هناك مداخل متعددة لدراسة الفكر التربوي في ضوء القرآن الكريم. [illegible] الكثير. ومع ذلك فإن الدراسة الحالية هذه لن تتطرق إلى دراسة مفصلة للفكر التربوي من خلال أحد المداخل السابقة. ولكنها تطمح إلى إثارة «نقاط» بحثية يمكن لمن يرغب في دراسة العطاء التربوي القرآني أن يتخذ [illegible] متكاملة [illegible] البحث في نقطة واحدة قد لا يجد فيها القارئ ما يبحث عنه من «إثارة» لمشكلات بحثية تهمه.

وفيما يلي نقدم عدة تصورات أكثر تحديداً للدراسات يمكن أن تتعرض للفكر التربوي في ضوء القرآن الكريم.

التصور الأول: الأهداف التربوية في ضوء القرآن الكريم:

يقول أحد المربين المعاصرين: «إذا لم تكن متأكداً من المكان الذي تسير إليه، فإنك ستنتقل إلى مكان آخر».

[illegible] عملي أهمية تحديد الأهداف في حياة الإنسان العادي، فالذي يمشي مكباً على وجهه، محكوم عليه [illegible] المؤسسية أصبحت مسئولة اجتماعياً عن [illegible] بالمجتمعات وقياداتها، فقد أصبح لزاماً على تلك المؤسسات التعليمية أن تبذل جهداً واضحاً من أجل تحديد ماهية رسالتها أو بتعبير آخر: أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها.

ومنذ ظهور تصنيف «بلوم» الشهير للأهداف التربوية في [illegible] من هذا القرن، ظهرت مئات من الكتب والدراسات التربوية حول موضوع الأهداف، صياغتها واستخدامها، وبشكل عام تحتدم الخلافات بين الكتاب حول:

- مستويات الأهداف التربوية: ويقصد بها الغايات التربوية، والأغراض، والأهداف العامة، والأهداف الخاصة، ويختلف ترتيبها [illegible]
- مصادر اشتقاق الأهداف التربوية: [illegible] ولكنها (عند التجميع) لا تخرج عن ثلاثة مصادر تشتق منها أهداف التعليم وهي: [illegible] ومشكلاته»، والمادة الدراسية «من حيث مجالاتها ومكوناتها وطرق تدريسها».

سلطة وضع الأهداف التربوية:

ويقصد بها الجهة المنوط بها تحديداً تحديد الأهداف التربوية [illegible] التعليمية؟

والحقيقة التي نؤمن بها: أن كثيراً من [illegible] في البلدان العربية والإسلامية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتخبط تلك النظم في صياغة أهدافها التربوية: وتبني المشروع العربي في تناول

تلك الأهداف تحت تأثير عوامل عديدة. منها: التبعية الثقافية، وبخاصة التبعية التربوية، للغرب، ويمكن حل هذه الإشكالية ببساطة إذا ما اتجهت دراسات تربوية تتناول صياغة أهداف تربوية في ضوء القرآن الكريم للمجتمعات الإسلامية. وتأتي هذه الخطوة من عدة منطلقات أهمها

- ثبات الأهداف إذا ما اشتقت من مصدر لا يتغير كالقرآن الكريم بحكم كونه نصاً إلهياً لا يأتيه الباطل. وثبات الأهداف يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها في ظل وضوح رؤية نابعة من وضوح الأهداف واستقرارها. أما الأهداف الموضوعة باجتهادات بشرية فهي تخضع للأهواء السياسية المتقلبة، وحسابات المصالح قصيرة الأمد، مما يسبب قلقاً دائماً للنظم التعليمية.
- إبراز الهوية الإسلامية في ارتكازها على كتابها السماوي في تشريعها التربوي، الذي هو جزء من النظام الاجتماعي العام الذي ينبغي له أن يخضع -في شتى منظوماته الداخلية- للتشريع الإلهي.
- التصدي للاتهام الشائع للتربية الإسلامية بأنها مجرد «مواعظ» و«توجيهات خطابية جوفاء لا تناسب العصر الحاضر».

والذي نتصوره في هذا الصدد أن تأخذ عدة دراسات حديثة على عاتقها مهمة اشتقاق أهداف تربوية من القرآن الكريم مصنفة في مستويات تلائم المستويات المعروفة حالياً في الأوساط التربوية. ولكن أسس تلك الأهداف مأخوذة من عطاء القرآن الكريم. وحتى لا نتهم بالخطابية فإننا نضرب مثلاً على ذلك. فإذا اعتبرنا «التقوى» مثلاً غرضاً تربوياً عريضاً، أو هدفاً أو غاية استناداً إلى قوله تعالى

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: ٥٣)

أو

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة: ٢)

فمن الممكن في الخطوة التالية أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً للتقوى مستخلصاً من صفات المتقين بعد تحليلها موضوعياً من جميع أماكن ورودها في القرآن. وفي خطوة ثانية نحول ذلك التعريف إلى خطوات إجرائية ملموسة يمكن قياسها. وفي الخطوة الأخيرة نوزع تلك الخطوات الإجرائية على مناهج المواد الدراسية المختلفة أو على المراحل التعليمية المختلفة وهكذا.

التصور الثاني: الطبيعة البشرية في ضوء القرآن الكريم:

الإنسان هو محور العملية التربوية الذي تدور حوله، فالطفل المتعلم «إنسان» بالدرجة الأولى يفرح، ويألم، ويحب، ويكره، وله طموحاته، وميوله، ويختلف كل فرد عن الآخر بدرجات متفاوتة من الاختلاف في كل ناحية من نواحي شخصيته. ومن هنا تأتي أهمية دراسة الطبيعة البشرية كجزء أساسي من أي دراسة تخوض فلسفة التربية باعتبار الإنسان هو «الخامة» الأساسية للعمل التربوي.

وتتناول دراسة الطبيعة البشرية عناصر عديدة أهمها:

١ - أثر كل من الوراثة والبيئة في تكوين الإنسان.

٢ - الاختلاف بين الذكور والإناث وعلاقة ذلك بالتربية.

٣ - هل الإنسان مسير أو مخير؟

٤ - أيهما أكثر تأثيراً في السلوك: الجسم أم العقل؟

وقد قدمت تصنيفات تربوية معاصرة كثيرة تبحث في كل ناحية من هذه النواحي. وتحوي تلك الآراء كتب شتى كتبوا في فلسفة التربية. ولكن الدراسات التي تعرضت لدراسة الطبيعة البشرية في القرآن الكريم ما تزال محدودة جداً. وفي تصورنا أن من الضروري قبل الشروع في وضع أسس للفكر التربوي الإسلامي تخصيص دراسة مستقلة لتحديد هذا الجانب المهم الذي هو -كما في البداية- محور العملية التربوية. فقد عرض الإنسان في القرآن منظوراً إليه من زاوية طبيعته البشرية من خلال:

أ - حديث القرآن عن حواس الإنسان وطبيعتها الأصلية، ووظيفة استخدامها.

ب - حديث القرآن عن النفس وأنواعها ودورها في السلوك.

ج - حديث القرآن عن دوافع السلوك الوراثية، والبيئية.

د - حديث القرآن عن الحرية والاختيار في حياة الإنسان، وهي قضية نالت حظها من الدراسة على أيدي علماء الكلام ورجال الفرق والمفسرين.

التصور الثالث: الجوانب المعرفية في القرآن الكريم:

تتناول مباحث نظرية المعرفة الجوانب التالية بوجه عام:

١ - طبيعة المعرفة (ماهيتها).

٢ - مصادر المعرفة: (العقل - الحواس - الوحي - الحدس - العقل والحواس معاً)

٣ - أنواع المعرفة.

وتأتي أهمية دراسة نظرية المعرفة كجزء أساسي من أي فلسفة تربوية، من كون التربية تتضمنها عملية نقل معارف، إلى جانب كونها عملية اكتساب مهارات وعملية خلقية.

والملاحظ حالياً أن الاتجاه المسيطر على النظم التربوية المعاصرة هو تغليب الجانب المعرفي على الجانبين الآخرين: المهاري والخلقي على الرغم من النداءات المتكررة لرجال التربية الحديثة بضرورة إيجاد «توازن ما» بين الجوانب الثلاثة.

ومع الانفجار المعرفي السائد حالياً تصبح عملية «اختيار» ما يقدم في المناهج المدرسية عملية في غاية الصعوبة. ففي العصر الحاضر «يتضاعف العلم في أوروبا كل خمسة عشرة سنة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية كل عشر سنوات، وفي روسيا كل سبع سنوات، وفي الصين كل خمس سنوات، مما يدل على أن التنافس العلمي العالمي حالياً أصبح يجري بصورة تشبه السباق إن لم نقل الصراع».

والحقيقة أن البحث عن «نظرية» للمعرفة في القرآن الكريم أمر لازم لإبراز الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية. وأمر

حتمى لإبراز الذات الخاصة للتربية فى الشعوب الإسلامية.

وفى تصورنا أن مثل هذا البحث يمكن أن يتناول الجوانب التالية:

أ - طرق اكتساب المعرفة فى القرآن (الدعوة إلى إعمال العقل - عدم تعطيل دور الحواس فى اكتساب المعرفة - التركيز على دور الوحى و [illegible] ... إلخ).

ب - منهجية المعرفة فى ضوء القرآن وفتح المجال أمام جميع العلوم مع مراعاة المعيار الشرعى فى النفع والضرر على نحو ما توضحه كتابات التربويين القدامى كالغزالى وغيره).

ج - تصنيفات المعرفة القرآنية:

١ - القرآن وعلوم الحياة (البيولوجيا: الحيوان والنبات والحشرات).

٢ - القرآن وعلم الإنسان (الأنثروبولوجى).

٣ - القرآن وعلوم اللغة.

٤ - القرآن والبحث التاريخى.

٥ - القرآن وعلم الطبيعة (الفيزياء: الجوامد، الحرارة، الطاقة، الكتلة، الزمن... إلخ).

٦ - القرآن والعلوم الرياضية (الحساب - [illegible] - النجوم ... إلخ).

التصور الرابع: التربية فى القصص القرآنى:

على الرغم من أن هذا الجانب نال قسطا أوفر من الدراسات التربوية الحديثة إذا قورن بالجوانب السابقة. فإنه ما زال يفتقر إلى دراسات أكثر عمقا تتناوله من عدة زوايا جديدة لم تطرق حتى الآن مثل:

١ - دراسات تربط بين عطاء علم الأسلوب الحديث الذى يدرس الأسلوب، وفقا للمناهج الحديثة للتركيب النحوى والصرفى والصوتى والدلالى، وعطاء علوم النفس والتربية من أجل استنباط محتوى تربوى أكثر عمقا.

٢ - دراسات تتناول القصص القصيرة جدا فى القرآن والتى لم تتوقف عندها الدراسات السابقة كثيرا مثل قصص (سد وسيل العرم - الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت - الصافنات الجياد - بناء الكعبة - القوم الجبارين - أصحاب الجنة (سورة [illegible]) - صاحب الجنتين (سورة الكهف) - وغيرها).

٣ - دراسات تتناول القصص النبوى الذى جاء لتوضيح قصص قرآنى مجمل، أو القصص النبوى الذى جاء تفسيرا لآيات قرآنية غير قصصية أو بها إشارات سريعة.

٤ - دراسات تتناول القصص القرآنى موضوعيا مقارنا من خلال عدة تفسيرات ذات اتجاهات (تفسير بالمأثور - تفسير بالرأى - تفسير إشارى - تفسير إجمالى).

أما بعد:

فهذه فى السطور السابقة إشارة كاشفة للإمكانات المختبئة التى ما تزال بكرا فى مجال القرآن الكريم والفكر التربوى أردت بها فتح الباب أمام طلاب البحث العلمى المتسمين بالجدية، الذين سيجدون صعوبات جمة فى هذا الطريق. ولكن بعد فهم نقسمه ما سيصلون إليه من نتائج قيمة مفيدة يعصمهم من الملل والزلل.

خبرات تطبيقية فى تقريب معانى القرآن الكريم للأطفال

حفظ القرآن وسيلة لحب القرآن

لا يخلو بيت من بيوت المسلمين من طفل يسعى والداه أن يجعلاه من حفظة القرآن الكريم. لما فى ذلك من فضل فى الدنيا باكتساب السلوك القويم والسعادة وفى الآخرة من رفع الدرجات وإكرام والديه وغيرها من الآثار العظيمة لحفظ القرآن الكريم.

وقد لاحظنا أن العديد من الأطفال يبدءون فى الانقطاع عن دروس القرآن فى سن ١٠-١٢ سنة خاصة الذكور، ثم يتبعه بعد قليل الإناث. مما يشكل ثقلا على الوالدين.

كما أن أثر القرآن الكريم فى حياتهم ربما يتراجع فى فترات لاحقة وذلك بسبب عدم ربط حفظ القرآن الكريم بالفهم والتطبيق.

اجتهادات فى تفسير القرآن الكريم للأطفال

ومن هنا اجتهد العديد من المهتمين بالدراسات القرآنية أن يقدموا محاولات عديدة فى مجال تقريب معانى القرآن الكريم للأطفال. وعندما نطلع على جل هذه المحاولات. نجدها تصب مباشرة فى مجال التفسير المباشر وأقصى ما يصبو إليه أصحاب هذا الاجتهاد هو اختيار كلمات بسيطة ومباشرة ومتوافقة مع اللغة والسياق العام للآيات حتى يدونها فى كتابه، وكان اعتماد الكثير من هذه الأعمال على الجانب المعنى مثل الحفظ والأداء حسب الطفل دون رعاية لمرحلته العمرية واهتماماته وبيئته التى يمارس فيها حياته الطفولية.

كما أن بعض هذه المحاولات كانت تخلط بين ما يستفيد الطفل وما يستهدف الوالدين أو المعلمين.

وعلى الرغم من هذه السلبيات المنهجية إلا أن هذه المبادرات حفظت هذه

الفكرة وهي أهمية تقريب معاني القرآن الكريم للأطفال وقدمت حلولاً في الكثير من المواطن القرآنية التي يحتاجها الآباء والمعلمون لتحقيق هذه الرسالة المهمة من فهم وتطبيق آيات القرآن الكريم للأطفال.

لماذا نحتاج إلى هذا العمل؟

ولكل هذه الأسباب شرعت مجموعة من المتخصصين في مجالات متعددة، في التعليم والتربية والأنشطة والعلوم الشرعية والوسائل التعليمية وتقنية المعلومات ليقدموا عملاً يمكنه أن يتناسب مع احتياجات الطفل ومتطلبات العصر ومتوافقًا مع أصول التفسير وملتزمًا بالقواعد التربوية.

● واعتمد البرنامج على إيصال المفاهيم الأساسية في كل سورة من سور القرآن الكريم للطفل عن طريق استخدام الوسائل المناسبة لكل موضوع على حدة، والتي تتوافق مع الأعمار المختلفة. وهذه الوسائل متنوعة مثل: القصة- النشاط - اللعبة - المناقشة - المحاضرة - الرحلة - الفيلم - الصورة - الزيارة - الرسم - الأناشيد - المسرحية. وقد اختيرت هذه الوسائل لأنها محببة إلى الطفل بفطرته ويمكن أن تخلق شكلاً تفاعليًا بين المعلم والطفل ليستوعب المعاني والقيم والسلوكيات والأهداف والمقاصد المرجوة.

أمثلة تطبيقية ونماذج استرشادية:

- عندما ندرس للطفل مثلاً سورة العاديات، فإننا نستهدف أن نوصل للطفل معنى الشجاعة والتضحية وتحمل الصعاب والمخاطرة ونستخدم لذلك وسائل مثل الرحلة إلى مزرعة للخيول، حوار مع أحد مربي الخيول العربية عن صفات الإباء والكرامة لدى الخيول العربية، صور عن مواصفات الخيول ومن خلال ذلك يتعلم الطفل كيف يتحلى بهذه الصفات التي لا تجعله كنودًا وفي النهاية نعطيه واجبًا عمليًا بأن يختار لنفسه أحد الصفات الإيجابية في الخيل ويضع خطة كيف سيتحلى بها ويتابعه المعلم أو الوالد في ذلك.

- عندما ندرس للطفل سورة الشرح، فإننا نستهدف أن نوصل للطفل معاني الأمل وأن لكل أزمة مخرج وذلك من خلال مسرحية اسمها المغارة وهي تحكي عن ثلاثة دخلوا غارًا وأغلق عليهم وجعلوا يستعينون بأعمالهم الصالحة التي كانت سببًا في نجاتهم، ثم مناقشة كيف تحول التحدي إلى فرصة وفي النهاية يكون هناك واجب عملي من خلال تحديد أحد العقبات التي سيجتازها خلال الأسبوع.

- وعند دراسة سورة الإخلاص نستعين بالأناشيد التي ترسخ معنى الوحدانية عند الطفل وبعض الألعاب التي تظهر له الفارق بين أن يتقرب الإنسان إلى رب واحد وبين أن تتعدد وجهته إلى آلهة متعددة ثم نتطرق إلى فضل الله على الأمة بالإسلام بالتوحيد وفي النهاية نتواعد معه أن يقرأ هذه السورة عند النوم كل يوم.

هل هذه الطريقة بدعة مستحدثة؟

وقد وجدت أن هذه الطريقة من استخدام الوسائل في تقريب المعاني لم تكن بدعًا مادامت منضبطة بميزان الشرع، فقد روى الإمام أحمد عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ:

[illegible]

(الأنعام: ١٥٣)

ضوابط الوسائل

١- أن تكون متوافقة مع أصول التفسير وقواعد اللغة.

٢- ألا تؤدي إلى تأثيرات سلبية على نفسية الطفل سواء في الحاضر أو المستقبل.

٣- أن تلتزم بالمرجعية الإسلامية من القرآن والسنة في جانب الغيبيات دون تشبيه أو تمثيل أو تعطيل يؤدي إلى تصورات خاطئة عند الطفل.

٤- أن تكون متوافقة مع لغة الطفل وبيئته واهتماماته.

٥- أن تساعد في بناء شخصية الطفل بناء متكاملاً في الجوانب الإيمانية والاجتماعية والشخصية.

التوجهات التي يراعى غرسها عند الطفل عند فهم الآيات القرآنية:

ويسعى البرنامج عبر هذه الأنشطة غرس ثلاث معان أساسية لدى الأطفال والناشئين وهي:

١- المقدرة على النقد والتمييز بين الصواب والخطأ لإعطاء صورة حقيقية عن الواقع ليعين الطفل ليس فقط على فعل الخير والثبات عليه ولكن أيضًا مدافعة الشر ومقاومته.

٢- تغليب الجانب العملي والابتكاري على الجانب القولي والخطابي والسعي إلى إتقان العمل وجودته والتعاون مع الآخرين من أجل تحقيقه والتوازن في هذه الأعمال بين ما يعود مردوده عليه شخصيًا أو المجتمع المحيط به وصولاً للعالم والكون.

٣- التفكير المستقبلي الذي يجعل الطفل متطلعًا إلى الأفضل دائمًا ومقدمًا أحسن ما لديه من أجل حياة أفضل في الدنيا وثواب أعظم في الآخرة.

المناخ الذي نريد أن نصنعه عند مدارسة القرآن مع الأطفال

أما المناخ الذي نريد أن نصنعه فهو مناخ عام يسوده مشاعر الفرح والابتهاج، والإكرام والحب، والمشاركة والانطلاق، ثم الأمان والثقة ليساعد

الطفل على أفضل فرص التحصيل والتعلم والتطبيق لمعانى القرآن الكريم وكذلك التعلق بمنهاجه ومحبته.

محتويات البرنامج الذى نسعى لتحقيقه لتقريب معانى القرآن الكريم للأطفال

أولا: حقيبة الآباء والمعلمين:

١- تفسير سورة الفاتحة والجزء الثلاثين للأطفال، نموذج استرشادى للآباء والمعلمين:

وهو كتاب للآباء والمعلمين؛ ليعينهم على تقريب معانى القرآن الكريم للأطفال من خلال دراسة سورة الفاتحة والجزء الثلاثين، ويتناول بعض ما ترشد إليه السور ومعانى بعض المفردات والوسائل المعينة على ذلك بالإضافة إلى توقعات التعلم والأهداف المرجوة ثم الواجبات العملية.

٢- دليل الآباء والمعلمين ... المفاهيم والأهداف:

وهو كتاب يناقش تساؤلات تدور حول تفسير القرآن الكريم للأطفال ومناقشة مفاهيم تتكرر أثناء مدارسة القرآن الكريم مع الأطفال بالإضافة إلى أهداف البرنامج وعلامات تحققها عند الطفل.

٣- دليل الآباء والمعلمين ... فهارس البرنامج:

وهو إصدار يقدم نوعين من الفهارس، فهرسا موضوعيا ليسهل للمعلم أو الوالد متابعة دراسة موضوعات معينة مع الأطفال مثل (الإيمان - الأخلاق - التركيبة الشخصية للأبناء) وفهرسا للأنشطة مثل (الرحلات - الأفلام - الصور - المسرحيات - الخ).

٤- المحتوى الإلكترونى للآباء والمعلمين:

وهو يحوى الوسائل التى يحتاج إليها الآباء والمعلمين سواء من الأنشطة أو التدريبات.

٥- الدورة التدريبية لإعداد الآباء والمعلمين لتقريب معانى القرآن الكريم للأطفال:

وهى عبارة عن دورة تدريبية تهدف إلى تمكين الآباء والمعلمين من تقريب معانى القرآن الكريم وأساسيات واستراتيجيات التعلم وضوابط تقريب معانى القرآن الكريم.

٦- نموذج دروس سورة الفاتحة وسور الجزء الثلاثين من القرآن الكريم:

وهو نموذج للدروس معد لتحضير الدروس تقريب معانى القرآن الكريم للأطفال وهى على ثلاثة مراحل ٦-٧ سنوات والمرحلة الثانية ٨-٩ سنوات والمرحلة الثالثة ١٠-١٢ سنة.

٧- كراسة التدريبات حياتى بالقرآن (نموذج المعلم):

وهى كراسة تحوى تدريبات على فهم وتطبيق سورة الفاتحة والجزء الثلاثين وهى موجهة لمراحل التفكير المختلفة، وإضافة إلى ذلك يوجد إجابات مقترحة للآباء والمعلمين وكيفية توظيف كل تدريب تجاه علاقة الطفل بالله أو بالكون أو بالآخرين أو فهمه لذاته.

ثانيا: حقيبة الطفل

١- المحتوى الإلكترونى:

وهو يحوى تدريبات ومسابقات تقيس استيعاب الأطفال لفهم الآيات القرآنية.

٢- كراسة التدريبات حياتى بالقرآن (نموذج المعلم): وهى تحوى تدريبات للأطفال تختبر مدى استيعابهم للبرنامج كما تعطيه فرصة للتعبير عن نفسه وتحقيق الواجبات العملية والسلوكية.

٣- قصص البرنامج:

وهى قصص تغطى بعض الأهداف التربوية المطلوبة من خلال دراسة القرآن الكريم ومثال ذلك:

- كرم ومسعود أثناء دراسة آية

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(سورة الفاتحة آية ٢)

- خديجة والشيطان أثناء دراسة آية

﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾

(سورة الناس آية ٤)

- هانى المتباهى، أثناء دراسة آية:

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾

(سورة التكاثر - آية ١)

- سامر الساخر، أثناء دراسة آية:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾

(سورة الهمزة آية ١)

التغيرات الإيجابية المتوقعة بعد فهم وتطبيق القرآن من خلال البرامج التفاعلية

١- أكثر محبة للقرآن الكريم ومقدرة على تطبيق معانيه وربطها بالواقع المعاصر.

٢- أكثر فهما لآيات سورة الفاتحة وسور الجزء الثلاثين من القرآن الكريم.

٣- أعلى تقديرا للنفس وتعظيما للشعائر وأكثر عملية فى تطبيقها فى حياته المعاصرة.

٤- أكثر رعاية لحق الله ومراقبته فى أعماله.

٥- أكثر تقديرا للرسول ﷺ والسعى فى تطبيق سنته بطريقة عملية.

٦- أكثر ولاء للصالحين ومحبتهم.

٧- أكثر تعاونا مع أفراد أسرته وتواصلا بالعائلة.

٨- أكثر احتراما للجنس الآخر وانفتاحا للتعامل مع الخلاف.

وفى النهاية فإن هذه التجربة وشبيهاتها تفتح المجال فى دراسة هذا الملف الهام من علاقة أبنائنا بالقرآن الكريم وكيفية الاستفادة من الوسائل الحديثة فى تقريب معانيه إليهم وطرق تطبيقه فى حياة الطفل.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الكريم وأن يفتح لنا بابا فى خدمة نشره وتطبيق معانيه وإحياء الأمة بهديه العظيم.

أثر الإسلام والقرآن الكريم في شعر جوتة

ولد (جوهان ولف كانج فون جوتة) في عام ١٧٤٩م. وكان في العاشرة من عمره حين زحفت القوات الفرنسية على مدينة (فرانكفورت) في عام ١٧٥٩م. واحتلتها لمدة اربع سنوات. وقد افاد في خلال هذه الفترة من جنود الاحتلال الفرنسي حيث تعلم اللغة الفرنسية. وتعلم اللغة العبرية من عام ١٧٦٢م إلى عام ١٧٦٥م على يد معلم العبرية (البرشت). وفي هذه المدة ترجم الى الالمانية نشيد الانشاد عن العبرية. وبين عامي ١٧٧٠م و١٧٧١م أثناء إقامته في (ستراسبورج) اتصل بـ (هردر) وقرا معه (سفر ايوب). وكان (هردر) احد المتخصصين في التوراة. وكان يرى أنه سفر عربي وليس عبريا.

وفي عام ١٧٧٢م وهو في الثالثة والعشرين من عمره، ظهر لأول مرة شغف جوتة بالقرآن الكريم، فقرأ- أولا- ترجمة ألمانية له قام بها المستشرق (مرجولين)، ثم قرأه مرة ثانية في ترجمة لاتينية كانت قد سبقت الترجمة الألمانية في الظهور، حيث ظهرت في القرن السابع عشر، ثم أعيد طبعها في (لايبزج) في عام ١٧٦١م.

وفي عام ١٧٧٣م وهو في الرابعة والعشرين من عمره، توجه اهتمام جوتة إلى شخصية النبي محمد ﷺ حيث قرأ كتاب (تاريخ محمد.. مشرع العربية) للمؤلف الفرنسي (فرانسوا هنري توبين)، ثم حاول أن يحول بعض قصص التوراة والقرآن إلى مسرحيات، ووضع مشروع مسرحية عن حياة الرسول الكريم ﷺ، ولم تتم المسرحية، بل يوجد بعض قطع منها توفر عليها الدارسون للأدب المقارن، وكشفوا من خلالها تأثر جوتة بالقرآن الكريم والإسلام.

ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أن اطلاع جوتة على القرآن الكريم قد تأخر إلى عامي ١٧٨١م و١٧٨٢م بعد أن اعتراه السأم والملل من الحضارة الغربية في عام ١٧٧٦م، وحاول أن يعالج ذلك بالسفر والشعر، و ليهرب بذهنه إلى الشرق، وكان جوتة في هذه الفترة قد بلغ الثانية والثلاثين من عمره.

وفي سنة ١٧٨٣م وفي الرابعة والثلاثين من عمره، بدأ جوتة أول تجربة في قراءة الأدب الجاهلي، حيث بعث لجامعة (جوتنجن)، كي ترسل إليه من مكتبتها نسخة من ترجمة المعلقات السبعة الإنجليزية، وكان جوتة قد تمكن من اللغة العربية حتى استطاع قراءة العربية بمساعدة معجم.

وفي سنة ١٧٨٦م ترك عمله ومتابعته للأدب العربي، وسافر إلى إيطاليا تحت اسم مستعار، وبقي فيها حتى عام ١٧٨٨م، ثم سافر إليها ثانية في عام ١٧٩٠م، وفي عام ١٧٩١م وفي الثانية والأربعين من عمره توجه جوتة إلى قراءة الآداب الهندية والفارسية، واستمر في استشراقه حتى عام ١٨١٤م، وفي عام ١٨١٤م التقى وهو في الخامسة والستين- بالسيدة (زليخا) كما يسميها في (الديوان الشرقي) واسمها الحقيقي هو (ماريانه فون فليمر).

وفي هذا العام - ١٨١٤م- بدأ ظهور الديوان الشرقي، وانتهى منه جوتة في عام ١٨١٩م، ثم التعليقات التي كتبها على الديوان كشروح وتفسيرات إضافية فقد كتبت بين الأعوام من ١٨١٦م الى ١٨١٨م. ولا شك أن عددا من الأسباب قد ساعدت على توجه جوتة إلى الشرق في ثقافته وقراءاته. فإن الجو الأدبي الذي كان سائدا في أوروبا كان قد اكتشف في الشرق وكنوزه الأدبية ينبوعا جديدا في فكره، يختلف عما ورثته أوروبا عن الحضارة اليونانية والرومانية. فقد قرأ أدب الشرق العربي بين أبناء الحضارة المتعبة وحروب نابليون التي عاش رومانسي بعيدا به عن الحياة اليومية، وكانت علاقة الشاعر بزليخا قد بعثت كل هذه الدخائر العميقة من أدب الشرق إلى أشعار جوتة، فظهر مقدار ما دان به جوتة للشرق في هذا الكتاب.

إسلاميات الديوان:

في شهري مايو ويونيو من عام ١٨١٤م، صنع جوتة القصائد الأولى من الديوان الشرقي. وهي القصائد الأولى من ذلك المؤلف الذي تمس أجواء الفكر الإسلامي، وأنجز كله بوحي من معالم الإسلام، وما كان هذا الديوان يقدر له أن يظهر للوجود إلا بفضل اتخاذ جوتة موقفا إيجابيا من الإسلام منذ سنوات شبابه، وهذه حقيقة لا يمكن الاختلاف عليها. وإلا كيف نفسر هذه الألفة الحميمة للتصورات الدينية في العالم العربي، وهذه المودة الصافية التي جعلت الشاعر يتنفس في رحابه. لو لم يكن قد شعر نحو الإسلام بتعاطف عميق، واطلع على أحواله اطلاعا واسعا؟! إن هذا الارتباط وحده هو الذي مكن جوتة أيضا من التحرك بحرية بين الجد والمزاح عند تناول الموضوعات الدينية.

تأثيرات قرآنية على قصائد (الديوان الشرقي) لجوتة:

إن عدد قصائد (الديوان الشرقي) المستلهمة من القرآن الكريم مباشرة ليس بالقليل، بل إن جوتة يضمن البعض منها صراحة آيات قرآنية، معتمدا في ذلك على

الترجمة التي قام بها (فون هامر)، والمنشورة في مجلة (كنوز الشرق)، وخير شاهد على هذا هو الآية (١١٥) من سورة البقرة:

﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾

وكان جوتة قد اطلع على ترجمة هذه الآية الكريمة في الأجزاء الستة من (مجلة كنوز الشرق)، إذ اختارها (فون هامر) شعارا يتصدر المجلة، وهكذا ألهمته هذه الآية الرباعية الشعرية التي يقول فيها جوتة:

لله المشرق

لله المغرب

والأرض شمالا

والأرض جنوبا

تسكن آمنة

ما بين يديه

ومن الواضح أن جوتة قد ضمن البيتين الأولين الآية القرآنية صراحة، ثم أضاف إليها البيتين الأخيرين جريا على الأسلوب الذي تعود عليه، وسوف نعود له، من الآن فصاعدا باستمرار في اقتباسات جوتة من القرآن الكريم، وحرصا منه على التوسع في الفكرة المستقاة من الآية الكريمة، وتحويلها إلى رباعية، أضاف إليها الشمال والجنوب رغبة منه في تأكيد أن العالم كله يستظل بالعناية الإلهية. وهذه الرباعية هي المطلع الذي استهل به مقطوعته الشعرية المسماة (طلاسم) في الكتاب الأول من الديوان الشرقي. والواقع أنه لم يعمد فحسب إلى التضمين الصريح في مطلع هذه القصائد والمقطوعات، وإنما نستشف رباعية أخرى على أصداء قوية تذكرنا بترجمة (فون هامر) للقرآن الكريم، الذي وجد فيه جوتة الآيتين الأخيرتين من سورة الفاتحة:

﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

وهنا أيضا شعر جوتة بدافع قوي يحفزه لتحويل معنى هاتين الآيتين إلى مقطوعة شعرية حكمية، فنظم رباعية حرص فيها على الالتزام بالنص، وإضفاء صيغة الدعاء عليه:

"يريد الضلال أن يربكني،

لكنك تعرف كيف تهديني،

فإن أقدمت على عمل أو أنشدت شعراً،

فأنر أنت لي جادة الطريق".

وربما يشق على القارئ إدراك مدى تأثر هذه الرباعية الشعرية بالآية القرآنية، بسبب الفعل (يربكني) الذي أتى به الشاعر في الرباعية، ولا وجود له في النص القرآني، إلا أن الأمر سيكون يسيرا متى ما أخذنا الحقيقة التالية بعين الاعتبار: أن المسلم قادر على تحديد السلوك الضال - أي المنافي للصراط المستقيم - بسهولة، لأن القرآن الكريم يشمل القواعد والمبادئ الأساسية التي تبين للمسلم ما يهديه إلى الصراط المستقيم وما يضله عنه، وبهذا المعنى يكون لهذه القواعد والمبادئ تأثير لا ينقطع على حياة المسلم اليومية.

وقد يقول قائل بأنه كان يقصد بـ (الضلال) الهيام دون هدف وعلى غير هدى، إلا أن كلمة (يهديني) تقطع الشك باليقين، فالهداية بلا ريب من الله تعالى، وهو الهادي إلى سواء السبيل، ومن هنا يتوسل إليه أن ينير له جادة الطريق في حياته كلها، وقد توسع الشاعر في هذه الفكرة أيضا، فأضاف من عنده فكرة التوسل إلى الله أن يهديه إلى الرشاد في كل ما يعمل به، وما يبدع من شعر.

وتوجد مقطوعة شعرية أخرى في كتاب (المغني) كان جوتة قد ضمنها صراحة الآية الكريمة رقم (٩٧) من سورة الأنعام:

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾

فهذه الآية الكريمة تنبه المؤمنين إلى نعم الله عليهم، ففي الظلمات حيث تنعدم الرؤية، يستطيع الإنسان سواء أكان في البر أو في البحر، أن يهتدي بالنجوم، ولعل ضرب المثل بالبحر أن يكون خير تأكيد لذلك، ولا ريب في أن لهذه النعمة جانبا آخر، وهو الاهتداء عن طريق رفع البصر نحو السماء المرصعة بالنجوم، وهو جانب ينطوي كذلك على معنى أخلاقي، أي السير على هدى الشريعة السماوية، وقد استلهم جوتة هذا كله في مقطوعته، ولكنه يشعر بدافع قوي يحفزه لإضافة عنصر آخر أوحاه إليه وجدانه الشعري، ولم يشتمل عليه التنبيه القرآني، فالإحساس بالسمو عند رفع البصر إلى (السماء المرصعة بالنجوم من فوقنا) كما تقول عبارة كانط الشهيرة، يزداد عمقا من خلال ما يجلبه أمره من مشاعر الغبطة والسرور. ولذلك وجد جوتة نفسه يقول:

"هو الذي جعل لكم النجوم،

لتهتدوا بها في البر والبحر،

ولكي تنعموا بزينتها،

وتنظروا دائما إلى السماء".

ولم يكتف جوتة بالتضمين الصريح، بل عمد أيضا إلى تقفية بيته الثالث بكلمة Ergetzt الألمانية (لكي تنعموا) تماشيا مع كلمة gesetzt الألمانية (جعل) في البيت (وهو الذي جعل لكم النجوم)، التي قفى بها المترجم النص الأصلي.

وإذا كانت الآية الكريمة قد لفتت نظر الناس إلى أن الله قد (جعل) النجوم هاديا لهم على طريق العمل الصالح، فإن الشاعر يضيف الجانب الجمالي من وقع إحساسه بنص الآية، وقد صور هذا الإحساس أن رؤية السماء المرصعة بالنجوم تصبغ على الإنسان متعة فائقة، تبهره وتفتنه وتجعله على الدوام يرنو ببصره إلى السماء، وليست هذه في الواقع سوى إحدى الإضافات المميزة لشاعرية جوتة، لأن نغمة الابتهاج والسرور بروعة النجوم تتردد في العديد من قصائده، وهناك مثال استقاه الدارسون لشعر جوتة من قصيدته المسماة: **(التعزي بالدموع)**.

المنظومة عام ١٨٠٣م، وفيها يقول جوتة:

"النجوم لا يبهرها الإنسان

إنه يسر بجلال رونقها،

ويرنو إليها مفتتنا

في كل ليلة صافية".

وفي الديوان الشرقي يعظم الإنشاد بـ (رونق) سماء الليل المرصعة بالنجوم، ففي

تحجب لب شعور الدى ذهب على النظر للأمور من منظور ديني.

وفي كتاب (سوء المزاج) من الديوان الشرقي نجد مقطوعة شعرية تنطوي على شيء من الغرابة، إذ تعود جذورها أيضا إلى القرآن الكريم على نحو ما. وربما كان التعبير الأدق هو أن الشاعر جوتة قد اعتقد أنه أخذ معناها من القرآن الكريم، بدليل أنه أشار في أصلها إلى الآية رقم (١٥) من سورة الحج، والحقيقة أنه لم يستقها من القرآن مباشرة، وإنما وقع عليها في السيرة النبوية التي كتبها (أولزنر)، الذي كتب فيه ذكر فحوى الآية الكريمة في أحد هوامش كتابه على هذا النحو:

إذا عتاط أحد لأن الله
قد منح محمداً الأمن والعون.
فليضع حبلاً على عماد داره.
ويربط نفسه به.
وسوف يشعر بأن غيظه
قد سكن

فنص الآية الكريمة رقم (١٥) من سورة الحج التي كتبها (أولزنر) على النحو السابق في أحد هوامش كتابه عن السيرة النبوية، واطلع عليها جوتة هي:

﴿ [illegible] ما يغيظ ﴾

وسواء ترجم (أولزنر) نص الآية القرآنية بهذه الصورة السالفة، فإن جوتة قد صنع على ما كتبه (أولزنر) في السيرة النبوية، وقد أبهمت هذه المقطوعة شعرا لا يبدو ..... سلبية

الذي يقول
إذا غاظ أحد من أن الله قد شاء،
أن ينعم على محمد بالرعاية والهناء.
فليثبت حبلاً غليظًا بأقوى عارضة في قاعة بيته
وليربط نفسه فيه، فسوف يحمله ويكفيه.
ويشعر بأن غيظه قد ذهب ولن يعود".

وربما أعطت هذه المقطوعة الشعرية - وكان جوتة قد سمعها في بادئ الأمر (إحدى الأمسيات) - الانطباع بأن القرآن الكريم قد دعا أولئك الذين حسدوا النبي على النعمة التي حباه الله بها، إلى أن يقتلوا أنفسهم بأنفسهم أو ينتحروا، ولكن مثل هذا الاستنتاج لا يتفق مع الحقيقة؛ لأن الإسلام لا يقر فكرة الانتحار على الإطلاق، فالمسلم يعتقد أن كل ما يصيبه قدر من الله، وعليه أن يسلم به ويتقبله راضيا، وحقيقة الأمر - كما وضحنا - أن ترجمة هذه الآية كانت ترجمة خاطئة، ولذلك وقع جوتة ضحية المصدر الذي اعتمد عليه، ومع هذا فلم يخلُ هذا الخطأ من جانب إيجابي في الديوان الشرقي بحسب أنه هل هناك قارئ للديوان لم يشعر بروعة هذه المقطوعة؟

بالإضافة إلى هذه الحالات التي ترك فيها القرآن أثرا مباشرة على شعر جوتة، فهناك شواهد أخرى على آثار قرآنية غير مباشرة؛ فالقصيدة المسماة (خلق وإحياء)، وهي قصيدة طويلة اشتمل عليها (كتاب المغني) من الديوان الشرقي، وقد تناول فيها جوتة خلق آدم، ومطلعها هو

آدم كان قالبه من صلصال مسنون،
أحالها إلى إنسان رب تعالى

فهذه القصيدة استلهمت بلا ريب إحدى قصائد حافظ الشيرازي، لكن أبيات حافظ نفسها كانت مستوحاة بغير شك من الآية الكريمة رقم (٢٦) من سورة الحجر، ونصها:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

وهناك قصيدة أخرى في (كتاب حافظ) اسمها (شكوى) ما كان لها هي الأخرى أن تظهر للوجود لولا الآية الكريمة رقم (٢٢٤) من سورة الشعراء، وما بعدها من الآيات حتى الآية رقم (٢٢٧):

﴿ [illegible] ﴾

وكان جوتة قد قرأ هذه الآيات الكريمة في مجلة (كنوز الشرق) من ترجمة (فون هامر)، فاقتبسها وكتبها بمداد أحمر تحت عنوان (شكوى)، ومن المرجح أن يكون جوتة قد دون هذه الآيات يومي ٧، ٨ مارس من عام ١٨١٥م، إذ كتب في مذكراته اليومية أنه كان يطالع القرآن الكريم في هذين اليومين، وفي يوم ١٠ مارس من عام ١٨١٥م أي بعد يومين أو ثلاثة أيام من هذه المطالعة، نظم قصيدته (شكوى) التي ضمنها فيما بعد (كتاب حافظ)، والتي نصها:

شكوى
أتدري لمن يقوم الشيطان بالمرصاد
في الفيافي بين الصخور والأسوار؟
وكيف يحيل فيهم النظرات الخداعة
مغتنما يدعوهم إلى الهاوية؟
إن هؤلاء هم الكذابون الأشرار
والشاعر، لماذا لا يرتاع
من الدخول في زمرة هؤلاء الرعاع!
هل يعرف من يرافق ويصاحب
هذا الذي لا يعمل إلا في حال من الجنون عالية؟
إنه سيهيم على وجهه في القفار والبيد
لا يحدوه غير حب عنيد.
وأغانيه الشاكية المسطورة في الرمال
ستحملها الريح أبداً في ترحال
إنه لا يعي ما يقول
ولا يفعل ما يهذى به.
إن الناس سيتركون قصيده يذهب حيث شاء.
لأنه لا يتفق والقرآن.
فعلموا الناس أيها الراسخون في العلم
والمستنيرون بنور الحكمة
علموا المسلمين المخلصين وجهتهم التي

ويشير تقسيم القصيدة إلى أربعة مقاطع إلى أن هناك أصواتا عديدة ترتفع شاكية، ولكن مضمون القصيدة: عندما .....

واضحا على النص القرآني.

ثم تتحدث في الفقرة الأولى منها [illegible] تشتمل على خمسة أبيات يكون صريحة مضمون الآيتين (٢٢١، ٢٢٢) من سورة الشعراء. وفي النص القرآني وفي القصيدة أيضا تتم إدانة الشعراء بسبب [illegible] غوايتهم هم أنفسهم للآخرين، أما [illegible] في الفقرة [illegible] يفترض - اتفاقا مع الآيتين (٢٢٥، ٢٢٦) - أن الشعراء لا ينشدون الشعر إلا في حالة من (الحيرة) [illegible] أنهم لا يفعلون ما يقولون، وأما الفقرة الرابعة فإنها تحث الحكماء والمتدثرين بأردية العلم على أن يحددوا الدواء الناجع الذي يمنع انتشار هذه الأشعار المخالفة لروح القرآن الكريم.

وإلى جانب هذه القصائد، هناك قصائد أخرى عديدة كان جوته قد استوحاها من القرآن الكريم، كما سيتضح فيما بعد.

التسليم بمشيئة الله في الديوان الشرقي لجوته:

لا شك أن قراءة جوته للإسلام والقرآن الكريم قد أثرت فيه تأثيرا عمليا. فقد آمن الشاعر الألماني بأن كل شيء مكتوب ومقدر من قبل الخالق. ويؤكد هذا الآيات التي أخذها الشاعر من القرآن الكريم في شعره، فضلا عن [illegible] الشعبية، ولهذا ليس بمستغرب أيضا أن نجد في (الديوان الشرقي) عبارات يمكن وصفها بأنها (قدرية). وللدلالة على هذا نسوق فيما يلي عددا من الأمثلة بادئين بقصيدة من (كتاب الحكم):

[illegible]

ورب [illegible] كل شيء

[illegible]

[illegible]

[illegible] الرحلة

لن تغير منه الهموم والأحزان.

بل ستظل تطيح بك بعيدا عن الاتزان.

وكما كانت الحال في مناسبات أخرى، يدعو الشاعر المولع بنشر (الطلاسم) بين قصائد ديوانه الشرقي إلى تحقيق حالة يسودها التوازن الروحي. فالهموم والأحزان [illegible] لن تغير شيئا ولن تدفع شرا، بل ستظل تخرج المرء عن الاتزان. أما إذا تقبل المرء المكتوب له، ورضي عنه واقتنع به، وراح يتم رحلة حياته [illegible] وهو مؤمن بأن العقل الإلهي قد دبر بحكمته كل شيء، عندئذ تعمر الناس حالة انسجام وطمأنينة روحية شبيهة بتلك الحالة التي أنعم الله بها على المسلمين.

[illegible] على لسان الصبي الذي يرد ذكره في كتاب (الساقي)، ففي قصيدة بعنوان (ليلة صيف) يكرر الصبي بسذاجة الأطفال ما كان قد علمه إياه الشاعر العجوز: إذا كان النجم كبيرا أو صغيرا، متوهج البريق أو أقل توهجا، فكل شيء قد قدر سلفا [illegible]. وبهذا الإيمان يرفع الطفل بصره إلى السماء المرصعة بالنجوم قائلا لمعلمه:

لأني أعلم أنك تحب النظر إلى الأعالي.

في [illegible] اللانهائي

حين تتنافس هاتان النارات المتوهجتان في [illegible]

في الإشادة كل منهما بالأخرى.

وتكتفي الأنجم بريقا بقولها:

إني لأتوهج في مكاني هذا.

ولو شاء الله [illegible]

[illegible]

وهكذا يخضع كل شيء عند جوته للإرادة الإلهية العلية. فالتدبير الإلهي الذي يدلل عليه الشاعر في حديثه عن السماء المرصعة بالنجوم، يتحكم حتى في [illegible] الطيور. أليست هي الحكمة الإلهية التي شاءت للعش أن يكون كبيرا أو صغيرا؟ أجل! كل شيء يخضع لإرادته. يتضح هذا في المقطع التالي من القصيدة:

ألا إن كل شيء شاءه الله واقع،

لأنه سبحانه هو الخير الأعظم،

وهكذا تنام كل الطيور،

في أوكارها الصغيرة والكبيرة،

هذا ما علمتني [illegible]

أو شيء مثل هذا،

وما سمعته منك،

لن يفلت من قلبي

والحقيقة هي أن ما (علمه) الشاعر للفتى - كما يتضح في الأبيات السابقة - ليس سوى العقيدة الإسلامية التي ترى أن كل شيء محدد ومقدر سلفا. ولا ريب في أن [illegible] العناية الإلهية تحيط بكل ما في الوجود، قد منح الفتى الشعور بالطمأنينة والأمان. ولكن لا ينبغي أن يغيب عنا أن الفتى الساذج في [illegible] يعكس [illegible] إسلاميا عميق التأصل في حياة شاعر الديوان.

[illegible] في شعره أو رسائله في التذكير بضرورة التسليم بمشيئة الله وإرادته، وفي كتاب الحكم من (الديوان الشرقي) يربط جوته موضوع التسليم بمشيئة الله بالدعوة إلى التسامح. إذ يقول:

[illegible]

أن يتعصب كل منا لما يراه.

[illegible]

فعلى الإسلام، نحيا ونموت أجمعين.

[illegible] (كتاب الحكم) [illegible]

إذا امتحنك القدر، فهو يعلم جيدا لماذا.

[illegible]

اعتراض.

وليس من قبيل المصادفة أن يجعل جوته هذين البيتين شعارا لطبعة (سنوات تجوال فيلهلم مايستر)، وهي رواية تدعو [illegible] إلى الزهد والقناعة والرضا.

فالبيتان ينسجمان انسجاما تاما مع الهدف الذي ترمي إليه هذه الرواية التي كتبها جوته في سنوات الشيخوخة، يدعوان إلى رياضة النفس على القناعة، أي [illegible] والرضا من الأعماق بما نبتلى به دونما اعتراض.

التوحيد في الديوان الشرقي:

معظم الآيات التي استشهد بها جوتة من القرآن الكريم، واقتبس معانيها في شعره تشير إلى التقدير العظيم الذي كان الشاعر يكنه لعقيدة التوحيد، والحقيقة أن جوتة قد أثنى كثيرًا على هذه العقيدة، وعاد إلى الحديث عنها في "التعليقات والأبحاث" التي كتبها موضحة تأثره بالإسلام والقرآن الكريم، فقد كتب في الفصل المسمى (محمود الغزنوي) من "التعليقات والأبحاث" على سبيل المثال قائلاً:

"والإيمان بالله الواحد يسمو.

بالروح دائمًا، لأنه يرد

الإنسان إلى وحدة ذاته"

وقد تحدث جوتة عن هذه العقيدة أيضًا في قصائد (الديوان الشرقي)، التي نشرت بعد وفاته، إذ نجد فيها قصيدة تشيد إشادة لا تنسى بعقيدة التوحيد. وهي القصيدة التي يقول في مطلعها (أيتها الطفلة الرقيقة. هذه الأسماط من اللآلئ). ففي هذه القصيدة يتحدث جوتة من منظور إسلامي بحت، ويعبر عن مناصرته للنبي الذي نشر عقيدة التوحيد، وهي عقيدة الإله الواحد، وخلصها من كل ما ألحقته بها اليهودية والنصرانية من شوائب، مستشهدًا باستمرار على أن إبراهيم نفسه كان مسلمًا حنيفًا، وكما يتضح من المقطع الرابع من قصيدة (أيتها الطفلة الرقيقة)، التزم جوتة في سياق دفاعه عن عقيدة التوحيد بنصوص القرآن، إذ نجده يقول:

"لقد اختار إبراهيم سيد النجوم.

إلهًا لنفسه

وموسى في تيه الصحراء.

صار عظيمًا بفضل الواحد الأحد.

كذلك داود، بعد أن ارتكب العديد من المعاصي.

بل والعديد من الجرائم.

استطاع أن يبرئ نفسه بقوله:

لقد عبدت الواحد الأحد".

وتذكرنا صورة إبراهيم عليه السلام وهو يتعرف على الله الحق من خلال مشاهدته للسماء المرصعة بالنجوم، بما جاء في سفر التكوين (الإصحاح ١٥ الآية ٥)، ومع هذا، لم يستلهم جوتة أبياته من هذا المصدر، بل استوحاها من القرآن الكريم (راجع الآيات من ٧٥ إلى ٧٩ من سورة الأنعام)، وقد سبق أن بينا كيف شغف جوتة منذ أيام الشباب- أي منذ بداية اقتباسه لبعض الآيات القرآنية ووضعه الخطوط العريضة لمسرحيته المسماة (تراجيديا محمد)- بالآيات القرآنية التي تتحدث عن اهتداء إبراهيم عليه السلام إلى الإيمان الصحيح بالله عندما رنا ببصره إلى السماء المرصعة بالنجوم، وتتأكد هذه الحقيقة عندما نأخذ بعين الاعتبار تطابق رأي جوتة بشأن السيد المسيح عليه السلام مع المنظور الإسلامي.

ففي حين يلقي محمد باللائمة على النصارى في المقام الأول لكفرهم بالحقيقة الأساسية التي تقوم عليها ديانة التوحيد وعقيدتها، وزعمهم أن المسيح عليه السلام هو ابن الله، نرى جوتة يؤكد أن السيد المسيح نفسه قد أقر (بالله الواحد الأحد)، وهكذا اتفق جوتة مع المنظور الإسلامي، عندما أطلق على السيد المسيح لقب (نبي)، وليس ابن الله في قصيدته المسماة (أهل الكهف).

وفضلاً عن هذا، فقد عبر جوتة في المقطعين السادس والسابع من قصيدة (أيتها الطفلة الرقيقة. هذه الأسماط من اللآلئ) عن الإسلامي للاعتقاد القائل بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله. هذا الاعتقاد الذي يمثل جوهر الخلاف القائم بين الإسلام والنصرانية. إذ قال في هذين المقطعين صراحة:

"ويسوع كان طاهر الشعور، ولم يؤمن

في أعماقه إلا بالله الواحد الأحد،

ومن جعل منه إلهًا،

فقد أساء إليه، وخالف إرادته المقدسة.

وهكذا، فإن الحق

هو ما نادى به محمد

فبفكرة الله الواحد الأحد، ساد الدنيا بأسرها"

وبعد، فلعل ما سقناه من أمثلة وشواهد يوضح تأثر جوتة بالإسلام والقرآن، والواقع أن القارئ للديوان الشرقي لجوتة يكاد يخرج برأي قاطع على أن جوتة كان يؤمن بالقرآن الكريم، كما يؤمن المسلم الورع. ويظهر هذا الإيمان وهذا الورع على درجات متماثلة لدى الشاعر سواء في شعره أو تعليقاته على الديوان الشرقي، وكان من الممكن جدًا أن نتهم جوتة بأن آراءه ما هي إلا آراء شاعر حين تظهر في القصائد. فالشعر فن يجري على لسان الإنسان، فيقول ما لا يؤمن به، ولكن ما قاله جوتة في تعليقاته على الديوان الشرقي يصور خلاصة فكر جاد مسؤول، يكتب ليبلغ القارئ برأي علمي راسخ، فهو يتكلم عن أسلوب القرآن في تعليقاته فيقول:

(وأسلوب القرآن يتفق مع مضمونه وغرضه، محكم، سام، مثير للدهشة، وفي مواضع عديدة يبلغ قمة السمو حقًا. وبهذا ينبغي ألا يدهش أحد من التأثير الهائل لهذا الكتاب)

ويرى جوتة أن هدف القرآن إنما هو توحيد البشرية ولم شعث الأديان الأخرى. وهاهو ذا يقول: «وكان على القرآن أن يوحدهم جميعًا في معرفة وعبادة الله الواحد الأحد الصمد الذي لا ترى الأبصار، والذي خلق كل شيء بقدرته البالغة، ويمكن أن يخلق ما لم يوجد بعد الله الحاكم العلي، الذي يفصل بين الناس رب الأرباب».

وكانت وفاة جوتة في عام ١٨٣٢م، بعد أن بلغ الثالثة والثمانين من عمره، ولا شك أن شاعر الألمان الأكبر جوتة يتربع على إحدى القمم الكبرى في الأدب الغربي بجوار هوميروس ودانتي وشكسبير، وهو ليس مجرد شاعر وروائي ومسرحي ومفكر وعالم طبيعي فحسب، إنما هو ظاهرة إنسانية كبرى، استحقت عن جدارة أن يطلق اسمها على عصر أدبي كامل هو "عصر جوتة".

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- كاتارينا مومزن: جوتة والعالم العربي، ترجمة: د. عدنان عباس علي، عالم المعرفة. الكويت، ١٩٩٥م.

٣- جوتة: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م

مختارات شعرية

للشاعر الكبير
عمر بهاء الدين الأميري



(١)
قرآن

أنزلت يا ربي كتابك بالهدى
في رمضــان [illegible] فرقانا
أدب الخلق حتى إذا
ما هجروه كان ما كانا
ولنوره قدرت وجودي وقد
ران على الأيام ما رانا
وها أنا في رمضــان به
بعيش قلب يكاد بهتانا
فأنزل ربي عليّ الهدى
من نور قرآنك قرآنا

كراتشي ١٠ رمضان سنة ١٣٧١هـ

(٢)
ليلة القدر

يا رؤى الإشراق في ليل السرى
يا شذا الترحيب في خلد الضمير
هل لنفسي أمل في نفحة
من فيوض الله إن لجّ مسيري
هذي روحي حامت ولها
وتسامت فوق أجواء الأثير
تستقي من ليلة القدر ما
ليتها تنعم منه بعبير

بغداد ٢٧ رمضان سنة ١٣٧١هـ

(٣)
في العشر الأواخر

حارب شيطان حسي جار
فقيده أياه عند الدار
يدعو سيدها الذنب من ربه
في غمرة من خشية وادّكار
يغفره التوبة من ذنبه
مستغفرًا في ذلة وانكسار
مذكرًا بالطوع آثامه
متوسلًا بالعفو والدمع جار
وتوبة تقلب طيور الغنى
وفي رحاب الله للحر دار

حلب ٢٦ رمضان سنة ١٣٧٥هـ

القرآن

للأستاذ/ شبلي شميل

دع من محمد في سدى قرآنه
ما قد نحاه للحمة الغايات
إني وإن أك قد كفرت بدينه
هل أكفرن بمحكم الآيات
أو ما حوت في ناصع الألفاظ من
حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها
ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وإنه
رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجا رجل السياسة والدها
بطل حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن خلب النهى
وبسيفه أنحى على الهامات
من دونه الأبطال في كل الورى
من سابق أو لاحق أو آتي

***

مكتبة الأزهر

تسعى "الأزهر" عبر هذا الباب الى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن أحدث الاصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة، ذلك للمساهمة فى تكوين عقلية واعية وعصرية.



يحرر الدكتور محمد عمارة كتابه "حقائق وشبهات حول معنى النسخ فى القرآن الكريم" فى محاولة لمعرفة [illegible] الإسلامية قديما وحديثا عبر مناقشة لغوية وشرعية وكلامية حول حقيقة وطبيعة النسخ فى القرآن الكريم. الكتاب الصادر عن دار السلام يقع فى جزءين: الأول [illegible] معنى اللغوى والاصطلاحى للنسخ عند الصحابة وعلماء التفسير والأصول. ثم يأتى الجزء الثانى ليقدم نصوص [illegible] العديد من العلماء قديما وحديثا. فى مقدمة [illegible] موقف من النسخ عبر عشر [illegible] للإمام الشافعى وأبو حامد الغزالى والجصاص والزركشى والشاطبى [illegible]. وتحمل هذه النصوص موقفا [illegible] علماء الإسلام من أن النسخ لا يعنى محو آيات [illegible] ورفعها. كما هو شائع لدى البعض، بل يعنى كلام الشافعى تأخير إنزال الحكم على المكلف فهو من قبيل بيان الأحكام لا من قبيل إلغاء النصوص ورفعها.







يكشف الراحل الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية عن علاقة اللهجات ولغات العرب بالقرآن الكريم من خلال كتابه "الكلمات الحسان فى الحروف السبعة وجمع القرآن" الصادر عن دار البصائر وقرأه، وعلق عليه الدكتور محمد توفيق النحاس والمعنى الذى يرجحه المؤلف للحروف السبع هو [illegible] القرآن من خلال عرض واستعراض النصوص وآراء العلماء. ويشدد المؤلف على أنه لا علاقة بين القراءات السبع والأحرف السبع التى يتحدث عنها الحديث، كما يخصص المؤلف فصلا للرد على من قال إن مصحف عثمان كتب بلغة قريش معضدا ذلك بالأدلة.



يقدم الدكتور عبد العلى المسئول فى كتابه "معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية" الصادر عن دار السلام تعريفا شاملا لـ ٧٨٣ مصطلحا فى علوم القرآن وما يتعلق بها من أدلة ورسم وضبط وعد للتوضيح والتقريب. ويشير المؤلف إلى اعتماده على عدد من معاجم الاصطلاحية فى هذا الفن مثل "التعريفات" للجرجانى و"كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوى وغيرهما من المعاجم معتمدا على التبسيط والبعد عن الغموض. يبدأ الكتاب بمدخل عام لمعنى المصطلح عند القرائيين وما يرتبط بهذه المصطلحات من علاقات دلالية متنوعة كالتباين والترادف والاشتراك، ثم يعرض الكتاب للمصطلحات وفق ترتيبها الأبجدى

المقصد التربوى للصيام فى الجانب الجسدى للفرد المسلم

[illegible]

لعل الصيام من أكثر العبادات التى تتوجه آثارها إلى الجوانب الروحية والخلقية والبدنية فى ان واحد. وتتضح آثاره على الجانب البدنى مما يلى:

أولاً: يبدأ الصيام بسُنَّة مستحبة هى السحور، ومن السنة تأخير السحور إلى ما قبل الفجر قدر خمسين آية كما جاء فى صحيح البخارى ومسلم فى حديث زيد بن ثابت[1]. وروى مسلم وابن ماجة بسندهما عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «تسحروا فإن فى السحور بركة»[2]، وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله (ﷺ) قال: «السحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[3] وروى أبو داود بسنده عن العرباض بن سارية قال: دعانى رسول الله (ﷺ) إلى السحور فى رمضان فقال: «هلمّ إلى الغداء المبارك»[4].

هذه النصوص تحشد المسلم لإصلاح جسده طوال يوم الصيام بتناول وجبة السحور ولو أن يجرع جرعة ماء لشدة حاجة الجسم إليها، ويزداد حرص المسلم على هذه الوجبة رغبة فى صلاة الله وملائكته عليه، وأن ينال طعمة من الغداء المبارك، كل هذا من أجل عدم الإرهاق الجسدى من الصيام دون تسحر، إذ قد يتعب الجسد بالإعياء الشديد، وهو أمر منافٍ لأهداف الصيام.

ثانيًا: تظهر أهمية العناية بالجسد فى سُنَّة أخرى من مستحبات الصيام وهى تعجيل الفطر، فقد رواه البخارى ومسلم بسندهما عن سهل بن سعد أن رسول الله (ﷺ) قال: «لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[5]، وهذا يغلق من امتداد فترة الصوم، فمدة الصيام من الفجر إلى المغرب فليكن آخر عهده بالفجر هو السحور وأول عهده بالمغرب هو الإفطار، والمسنون أن يفطر على تمر وماء، ليس غيرهما لحاجة الجسم إلى مادة سكرية، وإلى ماء يرطب جسمه ويعيد إليه حيويته.

ولعل علماءنا عندما اجتهدوا فى صيام المسلمين الذين يطول عندهم النهار حتى ليكاد يصل إلى عشرين أو اثنين وعشرين ساعة، ومنهم من يظل النهار عندهم أياما وشهورا لا يأتيهم الليل فى بعض البلاد القطبية إلا أربعة شهور، هذا جعل العلماء يقربون الأمور باجتهادهم إلى أقرب البلاد المعتدلة بجوارهم فيصومون وفق مواعيد فجرهم ومغربهم، أما البلاد التى لا يأتيها ليل، فيقدرون من النهار اثنتى عشرة ساعة أو أكثر قليلا ويصومون[6]، وكل ذلك راجع إلى التيسير ورفع الحرج عن الإنسان أن يرهق جسده إرهاقا يذهب بنضارته ونشاطه.

ثالثًا: يؤكد ما سبق أيضًا النهى عن صيام الدهر، وهو من يتابع صيام الأيام وراء بعضها مع فطره وسحوره، ولكن هذا التوالى والتتابع الذى فعله عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره فنهاهم النبى (ﷺ) وكانت العلة كما جاء فى صحيح البخارى: «إنك إن فعلت ذلك هجمت له العين، ونفهت له النفس، لا صام من صام الدهر»[7]، وهجوم العين أى دخولها إلى داخل الوجه وذلك يعبر عن حالة ضعف حادة فى الجسم كله، وفى الإبصار خاصة، أما نفهت له النفس أى ضعف القلب، وأعييت وكلت، ومنه الخبر: إن بعد عثرو[8]، وهذا دليل قطعى على حرص الإسلام على قوام الجسم، وقوته، وقد كان النبى (ﷺ) يلاحظ قوة أجساد أصحابه أو ذبولهم فعندما رأى رجلا أنكره، فقال: يا رسول الله أنا الرجل الذى أتيتك عام الأول، قال: فما لى أرى جسمك ناحلاً؟ قال: يا رسول الله ما أكلتُ طعامًا بالنهار، ما أكلته إلا بالليل، فقال (ﷺ): «من أمرك أن تعذب نفسك»[9]، فالرجل لقى النبى (ﷺ)، وذهب مبالغا فى التعبد، ولم يفطر يوما واحدا عاما كاملا فذبل جسمه ونحل بدنه، فأنكره النبى (ﷺ) واعتبر ذلك

---

(1) صحيح البخارى، كتاب الصوم، باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر رقم [illegible]، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، [illegible] فضل السحور [illegible].

(2) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور (١/٤٤٣)، وسنن ابن ماجه، كتاب الصوم، باب ما جاء فى السحور رقم (١٦٩٢)

(3) «المسند» (٣/٢٢)

(4) سنن أبى داود، كتاب الصيام، باب من سمى السحور الغداء المبارك رقم (٢٣٤٤)

(5) «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان»، كتاب الصيام، باب فضل السحور رقم [٦٦٢]

(6) [illegible]

(7) «صحيح البخارى»، كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام (١٩٧٩)

(8) «المعجم الوسيط»، مجمع اللغة العربية، باب النون ثم الفاء ثم الهاء.

(9) سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، [illegible] رقم [illegible]

تعذيبًا للنفس، خارجًا عن دائرة التعبد - لأن هذا غير مقصود في الإسلام بل القصد أن يكون الصيام سببًا في زيادة القوة والفتوة. وفي إحدى روايات حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن سيدنا داود كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى - أي في الحرب شجاع مقدام لم ينهكه الصيام ويحوله إلى راهب في صومعة، بل مقاتل في الميدان[10].

رابعًا: جمع د. فيحان المطيري الأعذار المبيحة للفطر في هؤلاء[11]:

المسافر، المريض، الصغير، من زال عقله، العاجز لكبر سنه، المفطر لإنقاذ معصوم، من غلبه الجوع والعطش، من أكره على الإفطار، الحامل، والمرضع، الحائض، والنفساء.

وزاد ابن القيم الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى، لأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر، واستند إلى أن سيدنا عمر رخص في الإفطار عند لقاء العدو[12]. هذه الأعذار كلها تصب في هدف واحد هو الحفاظ على الجسد قويًا لا تنهكه مشقة السفر أو آلام الداء وآثار الدواء، أو الصغير الذي لم يكمل نضجه، ويحتاج إلى طعام مستمر لبناء هيكله، والكبير الذي فنيت قدرته على الصبر والمجاهدة، ومن رأى معصومًا تهدم فوقه جدار أو منزل، ولا يستطيع إنقاذه إلا بأن يفطر ليدفع عنه الأنقاض أو من اشتد به الجوع والعطش إلى حد يكاد يغشى عليه، أو من خشي من تعرض جسمه أو نفسه لضرر بالغ إن لم يفطر كما يحدث عند أهل الحرف أو ذوي العطش والضعفاء فيكرهونه ملاينة البدن إذا لم يفطر، أو الحامل المرضع التي تذهب عصارتها، وخلاصة طعامها وشرابها لجنينها أو وليدها أو الحائض والنفساء التي تكون على درجة عالية من الإعياء الذي اتفق عليه جميع الأطباء.

هذه الخلال كلها مرجعها الأساسي إلى حفظ الجسم، وصون البدن عن كل ما يجهده وينهكه، وهو من أوسع أبواب التيسير في فقهنا الإسلامي.

خامسًا: من آداب الصيام عند الجمهور الإفطار على تمر وماء، ويرى ابن حزم أن الإفطار يجب أن يكون على التمر أو الرطب قبل الماء إذا وجدا معًا، وإذا وجد الماء فقط أفطر عليه قبل أي طعام وجوبًا، ويبدو لي صحة رأي الجمهور أنه سنة وليس واجبًا كما يرى ابن حزم[13]، ومع ذلك فنحن نجد في الالتزام بذلك مزيد عناية بالجسد؛ لأن الصيام يؤدي إلى قلة السكر في الدم، وهذا قد يؤثر على الجسم كله وعلى العينين خاصة، وبالتالي فإن أكل التمر يؤدي إلى سرعة وصول نسبة جيدة من السكر إلى الدم فتعود للصائم عافيته كلها أحسن مما كانت، فإن أكل شيئًا غيره أخذ وقتًا طويلًا حتى يتحول جزء من البروتينات والنشويات إلى مواد سكرية بعد عملية هضم طويلة ربما تضاعف إحساس الإنسان بالضعف، أما التمر والماء فيعيدانه حسب سريعًا إلى كامل نشاطه[14].

سادسًا: هذه النصوص الشرعية والأحكام الفقهية، أثارت الباحثين من مسلمين وغيرهم فإذا بالعلوم الطبية وغيرها تؤكد أن في الصيام فوائد صحية مباشرة للجسم منها ما يلي:

أ - الصوم يساعد الجسم على التخلص من كل الخلايا الضعيفة أو الميتة والسموم المتراكمة من الأغذية والأدوية، وفي هذا ألف «ماك فادن» (من كبار علماء الصحة في أمريكا) كتابًا بعنوان «كتاب الصيام»، يرى فيه أن الصوم نافع للجسم حيث ينظفه من رواسب السموم التي توجد في الأغذية والأدوية.. وأن كل إنسان يحتاج إلى الطعام ولو لم يكن مريضًا؛ لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض، وتثقله ويقل نشاطه، فإذا صام خف وزنه، وتحللت هذه السموم واسترد عافيته بعد عشرين يومًا[15].

لذا يقول الشيخ محمد رشيد رضا: من فوائد الصيام الصحية أنه يفتت المواد الراسبة في البدن ولاسيما أبدان المترفين أولي النهم، وقليلي العمل، ويجفف الرطوبات الضارة، ويطهر الأمعاء من فساد السموم التي تحدثها البطنة، ويذيب الشحم أو يحول دون كثرته في الجوف، وهو شديد الخطر على القلب، فهو كتضمير الخيل الذي يزيدها قوة على الكر والفر، قال (ﷺ): «صوموا تصحوا»، رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة. وأشار في «الجامع الصغير» إلى حسنه. وقال بعض أطباء الإفرنج: إن شهر واحد في السنة يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدة سنة[16].

ب - يفصل الدكتور محمد علي البار عملية الإدارة للمواد الغاسدة في الجسم بأن هناك ثلاث مراحل تحدث للطعام

الأولى: هي أخذ الطعام وهضمه وتحويله إلى طاقة ينتفع بها، ويشترك فيها الجهاز الهضمي والكبد، وتوزع على الجسم بنظام دقيق حسب حاجة كل خلية فيه.

الثانية: تحويل الفائض من هذه الطاقة على هيئة جلوكوز أو أحماض دهنية إلى مستودعات الطاقة التي تترسب في الجسم بين الأعطاف والعجز والأرداف والبطن. ويقوم به الكبد وهرمون الأنسولين الذي يفرزه البنكرياس، وإذا كان الفائض من الجليكوجين يختزن في الكبد والعضلات

الثالثة: عند عدم وجود الطعام تقوم الغدة الكظرية والدرقية والبنكرياس والغدة

(10) صحيح البخاري - كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام رقم (1979)

(11) الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار، راجع فصول الكتاب الأربعة الأولى

(12) زاد المعاد، لابن القيم (1/ 32 - 333)

(13) المحلى، لابن حزم (6/ 31) المسألة رقم (806)

(14) الطب الوقائي في الإسلام، الصحري ص (66)

(15) الصيام في الإسلام، محمد محمود الصواف ص (25 - 26)

(16) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الشيخ إسماعيل العجلوني رقم (1605)، (2/ 339) ونسبه إلى الإمام أحمد إلى أبي هريرة مرفوعًا، ولما رجعت إلى المسند (2/ 380) وجدت نص حديث أبي هريرة سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا.

(17) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (2/ 199) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

التحاضية بتحويل الجليكوجين والدهون إلى سكر جلوكوز وأحماض دهنية مفيدة للجسم[18].

ويقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري إن الجسم في حالة الصوم يبدأ باستهلاك المواد الغذائية المخزونة فيه، فإذا نفدت يبدأ في استهلاك أو إحراق أنسجته الداخلية. وأول الأعضاء التي يتغذى عليها الجسم هي الأعضاء المريضة بأي مرض فهذه أول ما يتآكل من أنسجة الجسم، وتحترق ويتخلص الجسم منها، فالصوم يقوم مقام الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة أو الضعيفة من كل عضو مريض فيقيه من الزيادات مثل الحصوة، والرواسب الكلسية واللحمية وأنواع البروز والأكياس الدهنية والأورام الخبيثة. وقد لوحظ بالأشعة أن جميع هذه الزوائد يصغر حجمها أثناء فترة الصوم[19].

جـ ـ الصيام فرصة للمعدة والأمعاء أن تهدأ حركاتها وإفرازاتها وهذا يعطي فرصة لعلاج القروح والجروح بالأغشية المخاطية. ويتوقف الامتصاص من الأمعاء. فلا تصل إلى الكبد أحماض أمينية أو جلوكوز أو أملاح. فلا تكون خلايا الكبد مركبات الجليكوجين أو البروتينات أو الكلسترول؛ لعدم وصول مكوناتها فتتخلص هذه الخلايا مما يكون قد ترسب في داخلها من دهنيات[20].

د ـ الصوم أكبر وسيلة فعالة وبسيطة لعلاج السمنة وأمراضها وقد عد منها د. محمد علي البار أمراض جلطات القلب وموت الفجأة وبول السكري، وضغط الدم، والتهاب المرارة وحصواتها، والتهاب المفاصل، وصعوبات الجهاز التنفسي، وزيادة المضاعفات للعمليات الجراحية وزيادة حالات السرطان[21]، وأمراض النقرس وسرطان القولون والمستقيم والبروستاتا للرجال، وسرطان الرحم والثدي للنساء وسرطان المرارة[22].. وقد نقل عن مراكز أبحاث طبية عالمية بعض نسب الوفيات في ذوي السمنة إضافة إلى غيرهم وكانت كالتالي:

١ ـ في جميع الأعمار تزيد وفيات ذوي السمنة ٥٠٪ مقارنة مع ذوي الوزن الطبيعي.

٢ ـ في سن ٢٠ ـ ٢٩ تزيد ٨٠٪.

٣ ـ في سن ٣٠ ـ ٣١ تزيد ٦٩٪.

٤ ـ في سن ٤٠ ـ ٤٩ تزيد ٥٢٪.

٥ ـ في سن ٥٠ ـ ٦٤ تزيد ٣٢٪.

أما الأمراض التي تسببها فالأمر أشد خطورة، عندما نجد مرض البول السكري يزيد نسبة الوفيات بذوي السمنة بنسبة ٣٨٣٪ للنساء و٣٧٢٪ للرجال، وتليف الكبد تزيد نسبة الوفيات ٢٤٩٪ للنساء و١٤٧٪ للرجال، وأمراض القلب ١٤٩٪ للنساء و١٧٧٪ للرجال، وهكذا[23].

ولأثر الصوم الفعال في السمنة وتوابعها تعالج أشهر مصحة في العالم للدكتور «هربيج لاهمان» في سكوبيا عن طريق الصوم، وتتبعها وتتبعنها مصحات أخرى على غرارها.. ويقول الدكتور «روبرت بارتولو»: لا شك في أن الصوم من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات، ومن بينها ميكروب الزهري لما يتضمنه من إتلاف للخلايا، وإعادة بنائها من جديد. ويرى د. «بيلر سربير» أن صوم شهر واحد في السنة هو أساس الحياة وأساس الشباب، ويؤكد ذلك البروفيسور «نيكولايف نيلوف» في كتابه «الجوع من أجل الصحة» بأن المواطن الذي يريد أن يتمتع بصحة جيدة، يجب عليه أن يخلص الجسم من النفايات والمواد السامة بأن يقوم بصفة دورية بجوع تام لمدة لا تقل عن ثلاثة أسابيع ولا تزيد عن أربعة[24].

هـ ـ في الصوم حماية من مرض السكر الذي ينتج عن زيادة كميات الطعام على كمية الأنسولين الذي يفرزه البنكرياس ليحول الزيادة من السكر إلى مواد دهنية وشحوية تختزن في الأنسجة وعند عجز البنكرياس عن مواجهة الكمية الكبيرة يتحول السكر إلى الدم مباشرة ليكون منه مرض السكر، والحل العملي هو الصوم المتكرر الذي يقلل كمية السكر في الدم ويعطي البنكرياس راحة حتى يستطيع الاستمرار في نشاطه.

ز ـ الصيام يقي المعدة والأمعاء من أمراض الالتهاب المزمن، حيث يرمم الخلايا الملتهبة خلال فترة خلوها من الطعام، ويخفف سوائلها الحاطية، وبهذا يتخلص من كثرة التجشؤ أو أمراض القولون، أو الغازات والروائح الكريهة، وسوء الهضم والتخمر في المعدة والأمعاء.

جـ ـ يعالج الصوم الأمراض الجلدية نظراً لراحة الجهاز الهضمي، وعدم دخول أطعمة تؤدي إلى الحساسية والحكة، كما يقل إفراز السموم والتخمر الذي يطرأ بسبب الدمامل في الجلد، وعدم شرب الماء يؤدي إلى جفاف نسبي في الجلد يزيد من مناعته ومقاومته للميكروبات، ويخفف أمراض الحساسية وأمراض البشرة الدهنية.

ط ـ يقي الصوم المسلم من داء النقرس الناتج من كثرة أكل اللحوم. مما يؤدي إلى زيادة أملاح البول في الدم ثم تترسب في العضلات فتسبب آلاما تشبه الروماتيزم، أو تترسب في الكلى فتسبب الحصوة، أو تترسب في المفاصل الصغيرة فتسبب تورمها. ولا علاج مثل الحمية عن الطعام ومن خلال الصيام.

(١٨) ـ الصوم وأمراض السمنة، ص (١١ ، ١٢)

(١٩) ـ الطب الوقائي في الإسلام، ص (٦٣ ، ٦٤)

(٢٠) ـ الإعجاز العلمي في الإسلام، ص (٣٦)

(٢١) ـ الصوم وأمراض السمنة، ص (٢٢)

(٢٢) نفسه ص [illegible]

(٢٣) الصوم وأمراض السمنة ص [illegible]

(٢٤) الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد [illegible]

عطاء يتجدد ولا ينفد

قيمة الشهر الكريم فى أن عطاياه تتجدد ولا تنفد فلو انصف الناس الحق من انفسهم وعرفوا الامور على وجهها الحق لعلموا ان انتهاء رمضان فى حساب الفلك امر لا مرية فيه. وهو كسائر الشهور من حيث إنه يتراوح بين التسعة والعشرين والثلاثين يوما نصومها لرؤية هلاله. ونفطر بعدها لرؤية هلال شوال الذى يليه. ثم لايكون شوال منهيا رمضان فى معطياته وهداياته. ولكنه يجيء والشهور التى تعقبه مرآة يتراءى فيها رمضان بسلوكنا الربانى. وفعالنا التى نلحظ فيها قول القائل:

إذا مــا المرء صــام عن الخطايا
فكل شــهوره شــهر الصيام

إن العبادات فى الإسلام ـ والصوم واحد من تلك العبادات ـ ليست شكلا فحسب، ولكنها مع ذلك روح وانفعال وتأثر يدنينا من رحاب القدس، ويجعلنا من عباد الله حقا.. ومرة أخرى، فالرسول «صلوات الله عليه» يقول: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر» (رواه ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة).

ورحم الله أستاذنا الشيخ «على محفوظ» فقد كان يحدثنا عن الحج الذى لم يستتبع فى بعض الناس أثره ولم يحصلوا ثمره ويضرب لنا من واقع الناس الأمثال، وكم كان يتمثل بقول القائل:

حججت البيت ليتك لم تحج
ذهبت ومعك زنبيل الخطايا
وعدت ومعك زنبيل وخُرج

والذين يصومون وهم يعرفون ويجرحون حرمة هذا الشهر، هم بسبيل من أولئك الذين فاتهم الأجر، وعلى غرارهم الذين لم يرتفعوا بالصلاة إلى المستوى الذى تنهاهم بأثرها فيهم عن الفحشاء والمنكر، الذين وسع الإله عليهم فأغناهم وحرم من سواهم ولم تتحقق قلوبهم. ولم تتحقق أفئدتهم يوما بنبضة حنان أوخفقة إحسان على إنسان.

وقد أسلفت أنهم سألوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم: لم تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

ما ينبغى أن ننسى أن رمضان قد رد الله به إلينا إنسانيتنا التى استحوذت عليها أنانيتنا، وعبادتنا لذواتنا، ونحن لا نتبع أنفسنا هواها ولكننا نجعل هواها فى هدى الله، فالنبى «ﷺ» يقول: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» (رواه ابن ماجة عن شداد بن أوس)

ويقول: «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (رواه مسلم عن أنس).

والشاعر الجاهلى يقول

(إن الأمانى والأحلام تضليل)

والفيصل فى هذا السياق قول الله تعالى:

(النساء: ١٢٣، ١٢٤)

ومن كلام الحجاج بن يوسف الثقفى «إن امرءا أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه ولم يستغفر من ذنبه أو يفكر فى معاده لجدير أن تطول حسراته يوم القيامة»

ويا حسرة على العباد كم تغلبهم الغفلة وينصرفون بآرائهم وشهواتهم عن الله وذكره وهو أنيس من يذكره ووليه وحافظه وهو يقول:

(البقرة ٢٥٢)

(الأعراف: ١٩٩)

وفى الحديث القدسى «أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه».

وفى الحديث الذى يرفعه معاذ بن جبل: ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عزوجل فيها.

وقد أخرج الإمام البخارى فى صحيحه: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت» والنبى «صلوات الله عليه» كما تقول أم المؤمنين عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»

ويذكر الحديث القدسى بسنده: «إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه» أى: قرينه وصاحبه.

أورد صاحب «الظلال» «يرحمه الله» قول الحسن البصرى: «إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتى؟ ما أردت بأكلتى؟ ما أردت بحديث نفسى؟ وإن الفاجر يمضى قدما مايعاتب نفسه»

تلك هى النفس اللوامة التى أقسم بها الله تعالى. وهى لا ريب ثمرة رحلة الإيمان بالله، يعصم الله بها عن التردى فى مساخط الله أو الخوض فى قول أوعمل حتى يتبين رشده، ومن كلمات

الإمام الغزالي في كتابه «معارج القدس في مدارج النفس»: «إن النفس اللوامة حالة أكثر الناس، فهم بها في عراك مستمر موصول بينها وبين أشواق الإنسان ونزغات الشيطان والأهواء الملحة. تنتصر هذه مرة، وتنتصر تلك أخرى، ولا يتخلى الله عمن غلبت عليه إرادة هذه النفس وسلطانها.

ـ ولا أظنك تسألني: أين نحن من الصوم؟ وما كان الصوم إلا مدرجة التقوى التي لم تبعد عنها بهذا الحديث المسترسل.

وذكر الله يعني حبه وخشيته والمسارعة في موجبات رضاه، وما عرف الله قيد شعرة ولا مثقال ذرة من لم يطع ربه، ولم يستعظم ذنبه، ولا انتهى من الخلاف عن أمر الله في جانب من جوانب الحياة إلى حرب آخر من الخلاف عن أمره «تبارك وتعالى»، وربه مع كل ذلك يناديه إليه في خطابه لمصطفاه «صلوات الله عليه»

﴿ [illegible] ﴾

(الحجر ٤٩ ـ ٥٠)

وأين الخلف من السلف؟ هذا عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ يقول لابنه: «يا بني ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن تعقل عن الله ثم تطيعه». فماذا نقول لأنفسنا وماذا نقول لأبنائنا؟

وكان غازي بن العمار ـ كما قال الأهدل في مخطوطه ـ ولي زبيد ثم لحج وعدن وكان فاضلاً ذا مروءة، يقرأ ويعظ الناس ويذكرهم بالله وما توفي وجدوا تحت رأسه ورقة فيها:

وشيخ سوء له ذنوب

تعجز عن حملها المطايا

قد بيضت شعره الليالي

وسودت قلبه الخطايا

إن عفو الله أكبر من ذنوبنا إذا نحن طلبناه بحق من دين الله الحق الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب التوابين ولا يرد باب مغفرته دون المستغفرين وجل الله الذي يقول:

﴿ [illegible] وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾

(طه ٨٢)

ولقد أذنب الإمام الزهري يوماً ـ وكم يذنب أقوام، وكان شيئاً لم يكن، فلا يخشون جلال الله الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يرجون لأنفسهم بعض غفران الله ـ، واستعظم الزهري ذنبه، ومضى هائماً على وجهه يقول:

ذنبي أكبر من السماء، ذنبي أكبر من الهواء، ذنبي أكبر من الماء، فبلغ ذلك أحد أبناء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقال: لقد ارتكب الزهري ذنباً أعظم إذ ظن أن رحمة الله لا تتسع لغفران ذنبه!! قالوا: فلما بلغ الزهري هذا القول اطمأن قلبه وسكنت نفسه.. وقال:

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾

نصر الله للمسلمين



[illegible]

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ١٢٣، ١٢٤)

في القرآن الكريم آيات كثيرة تذكر وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتأييد، وعلو الكلمة وتفرد السلطان، وقهر أعداء المسلمين ودحرهم... وإذا تدبرنا هذه الآيات بفكر مستنير وفهم سليم نجدها لم تجعل هذا الوعد منحة ربانية تهبط على المسلمين من السماء بمجرد أن يقولوا: ربنا الله، أو بمجرد أن ترتفع حناجرهم بالدعاء قائلين: اللهم انصر المسلمين، أو بمجرد أنهم ينتسبون إلى دين الإسلام ويعلنون بألسنتهم أنهم يؤمنون بالقرآن وأن محمداً نبي الله ورسوله.

وإنما جعلت هذه الآيات الكريمة هذا الوعد متحقق الوقوع، ثابت التنفيذ لمن عرف واجب الإيمان بالله ورسوله في حق نفسه، وفي حق جماعته، وفي حق وطنه.. وقرن القول بالعمل، والأحكام بالسلوك، ثم أخلص في القيام بهذا الواجب، والتزم بهذا السلوك، فطهر نفسه وجنبها المعاصي، وعاون جماعته، واجتهد في رفعة شأن وطنه بما رسمه الله في كتابه، وبما حدده الرسول الأمين في أحاديثه.. وعندئذ يكون المسلم قد أوفى بعهده لله، فيوفي الله له بعهده، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾

(البقرة: ٤٠)

العهد: ما من شأنه أن يراعى ويحفظ وأن يلتزم تنفيذه، ويضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعاً، يقال: أوفيت بعهدي، أي: بما عاهدت غيري عليه، وأوفيت بعهدك، أي بما عاهدتني عليه، وعهد الله: أوامره ونواهيه، وتشريعاته وأحكامه، والوفاء به يتأتى باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، أي: أوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي، والطاعة لي في كل ما أمرتكم به، ونهيتكم عنه. أوف بما عاهدتكم عليه من التمكين في الأرض في الدنيا والسعادة في الآخرة، واحذروني في جميع ما تأتون وما تذرون.

ويؤكد الله - تعالى - حتمية تنفيذ وعد الله وتقريره في قوله - جل شأنه -:

﴿ [illegible] ﴾

[التوبة: ١١١]

أي: لا أحد أوفى بعهده من الله - تعالى - لأنه إذا كان خلف الوعد لا يكاد يصدر من كرام الخلق - مع إمكان صدوره منهم - فكيف يكون الحال من جانب الخالق - عز وجل - المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال.

وعلى هذا الأساس جاءت الآيات الكريمة في القرآن الكريم التي تعد المؤمنين بالنصر والتأييد، يقول الله - تعالى:

﴿ [illegible] ... وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[الحج: ٤٠، ٤١]

فالله - سبحانه - يؤكد سُنّة من سننه التي لا تتخلف في أي زمان أو مكان، وهي: نصر الله لمن ينصر الله، أي: لينصرن الله من ينصر دينه وأولياءه، لأنه - تعالى - هو القوى على كل فعل يريده، العزيز الذي لا يغالبه غالب، ولا ينازعه منازع. ثم بين - سبحانه - نصر الله كيف يكون؟ فوصف المؤمنين الذين ينصرون الله فوعدهم بنصره بأنهم هم المؤمنون الصادقون الذين إذا مكن الله لهم في الأرض أقاموا الصلاة في مواقيتها بخشوع وإخلاص، وقدموا زكاة أموالهم في مصارفها الشرعية التي حددها الله، وأمروا غيرهم بالمعروف ونهوه عن المنكر، ولله - تعالى - وحده عاقبة الأمور ومردها ومرجعها في الآخرة، فيجازي كل إنسان بما يستحقه من ثواب وعقاب.

ومفاد ذلك أن مَنْ يتخلى عن طاعة الله، فلا يلتزم بأداء أوامر الله، ولا يتجنب نواهيه، ولا يطبق شرع الله على نفسه، فقد تخلى عن نصر الله فاستحق أن يتخلى الله عن نصره.. ولقد أكد - سبحانه - هذا المعنى في أكثر من آية في القرآن الكريم، يقول - سبحانه -:

﴿ [illegible] ﴾

[محمد ٧]

أي: يا من آمنتم بالله - تعالى - حق الإيمان، إن تنصروا الله بأن تستقيموا على أمره وعلى طاعته، وتتبعوا الرسول - عليه الصلاة والسلام - في كل ما أمركم به، أو نهاكم عنه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند قتالكم أعداءكم، ويوفقكم إلى كل ما فيه الخير لكم في دنياكم وأخراكم.

ولقد نفى القرآن الكريم أن يتحقق النصر والإنعام من الله بمجرد التمني، أو بمجرد الانتماء إلى دين أو كتاب.. يقول الله - جل شأنه -:

﴿ [illegible] ﴾

[النساء: ١٢٣، ١٢٤]

تبين الآية الكريمة أن الوصول إلى رضوان الله وإلى تحقيق نصره وإلى الفوز برضاه وبسابغ نعمه لا يكون بالأماني والأوهام وإنما يكون بالإيمان والعمل الصالح وصدق الأعمال مع الأقوال.. والأماني: جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويرغب فيه ويشتهيه من أشياء متنوعة كحصوله على الخير الوفير في الدنيا من الصحة والمال والأولاد وعلى النصر على الأعداء في شتى المجالات.. وعلى الجنة في الآخرة.

وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات متعددة.. والخطاب في الآية الكريمة يخاطب الناس جميعا، سواء أكانوا مؤمنين أم مشركين أم من أهل الكتاب وهو ما ذهب إليه ابن كثير رحمه الله - فقال: «والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال إنه على الحق سُمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان. ولهذا قال - سبحانه -:

﴿ [illegible] ﴾

أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله - سبحانه - واتباع ما شرعه على ألسنة رسله، ولهذا قال بعد ذلك: «من يعمل سوءا يجز به»، كقوله:

﴿ [illegible] ﴾

[الزلزلة ٧، ٨] (١)

وأن من يعمل السوء سيجازى به ولا يجد من يلي أمره ويحامي عنه، ولا نصيرا ينصره ويحاول إنجاءه من عقاب الله.

ثم بين - سبحانه - حسن عاقبة المؤمنين، أي: ومن يعمل من الأعمال الصالحات سواء أكان العامل ذكرا أم أنثى ما دام متحليا بصفة الإيمان، ملتزما بأداء ما كلف به، فأولئك العاملون الأعمال الصالحة يدخلون الجنة جزاء عملهم، ولا ينقصون شيئا من ثواب عملهم، حتى ولو كان هذا الشيء نقيرا - وهو النقطة التي تكون في ظهر النواة - ويضرب بها المثل في القلة والحقارة.. لقد طلب الإسلام من المسلم أن يتغلغل الإيمان في قلبه، وأن يستكمن في فؤاده. وطبيعة الإيمان في تلك الحالة أنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله: فإذا عبد الله كان مخلصا في عبادته، وإذا تكلم كان صادقًا واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا في أداء عمله، وإذا اتجه كان واضحا في هدفه.. وما دام مطمئنا إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تعمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلا إلى نفسه، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه.. وذلك كله يجعله في الحياة رجل مبدأ متميز، فهو يعاشر الناس على بصيرة من أمره، إن رآهم على الصواب تعاون معهم، وإن وجدهم مخطئين نأى بنفسه عنهم، واستوحى ضميره وحده.. ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى تحقيق ذلك في حديثه الشريف «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت»!!

---

(١) تفسير ابن كثير ١ ص ٥٥٧

ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»[3]. والمسلم في تلك الحالة يكون قد نصر الله فحقق الشرط المطلوب لنصر الله له.

لقد انتصر المسلمون الأوائل وهم قلة قليلة على أعدائهم وهم كثرة كبيرة، وعزوا وحققوا من المجد والرفعة ما جعلهم قادة وسادة، لأنهم لم ينشغلوا بالدنيا، ولم يفتتنوا بها، ولم يركنوا إليها، باعوا الدنيا واشتروا الآخرة، صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم الله، وبذلك قاد سلطانهم في وجه الهوى والشهوة، وكانوا إذا دعوا الله استجاب سبحانه لدعائهم، لأنهم حققوا شروط قبول الدعاء التي أعظمها: طهارة الباطن والظاهر وفعل الواجبات والبعد عن المحرمات، وأكل الحلال والبعد عن الحرام، تصديقا للحديث: «إذا أردت أن تستجاب دعوتك فأطب طعمتك» فإذا كان واقع الحال أن الذي يدعو ربه مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام.. فأنى يستجاب لدعائه!! وكيف يتحقق له نصر الله وهو لم ينصر الله!!

يجب أن يكون المسلم شاعرا بقوة اليقين في شخصه، وروعة الإيمان في نفسه، فإن لم يستطع فرض ذلك على من حوله بقي كالطود الأشم، لم تحرقه الغمار السائدة، ولم تطوه اللجج الصاخبة، وماذا عسى أن يفعل الناس لامرئ اعتز بإيمانه، واستشعر القوة لصلته بربه، واستقامته في دينه؟ إنهم لو تألبوا عليه جميعا ما نالوا منه قليلا ولا كثيرا.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك، جفت الأقلام وطويت الصحف».

إن المسلمين اليوم للخروج من حالة الضعف والهوان التي يعانونها، ولإحداث تغيير في وضعهم الذي هم فيه في المجتمع الدولي [illegible] كي يستردوا مكانتهم الضائعة، ومنزلتهم المسلوبة، في حاجة ملحة إلى أن يبدل حالهم الذي يعيشونه.

وسنة الله في خلقه التي لا تتخلف أبدا اقتضت أنه -سبحانه- لا يغير ما بقوم من ضيق إلى فرج، ومن عسر إلى يسر، ومن ضعف إلى قوة، ومن ذل إلى عزة، ومن هزيمة إلى نصرة ومن نقمة إلى نعمة.. إلا إذا غيروا ما بأنفسهم من معصية إلى طاعة، ومن فساد إلى صلاح، ومن ظلم إلى عدل.. يقول -جل شأنه-:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: 11]

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: وقال ابن أبي حاتم: «أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا من أهل بيت يكونون على طاعة الله، فيتحولون منها إلى معصية الله، إلا تحول الله لهم مما يحبون إلى ما يكرهون.. ثم قال: إن مصداق ذلك في كتاب الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: 11]

وعن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة فقال: كنت إذا سكت عن رسول الله ﷺ ابتدأني، وإذا سألته عن الخبر أنبأني، وإنه حدثني عن ربه -عز وجل- قال: «قال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي»[1].

أيها المسلمون: عودوا إلى دينكم، وعضوا على مبادئه وتعاليمه وأحكامه قولا وعملا، فهو في وجه التفرق والتمزق والانحلال، وفي وجه التخلف والضعف، وفي وجه المفاسد كلها التي عمت بلاد المسلمين فسرت عدواها إلى القلوب، فضعفت المشاعر الدينية المشتركة، ونشأت بين المسلمين ناشئة سوء أفسدت عليهم تصورهم للحياة التي حددها وسعيهم نحو الغاية الكريمة، واقتحمت حرمات مقدسة، وثارت العصبية جهلا تحت ثوب الردة التي [illegible] وأنصارا يفسحون لها الطريق باسم الرأي وحريته، وما كانت الرذيلة في عهد ما [illegible] وما كان الدفاع عنها في عهد ما بحرية!! ولكن هكذا قدر.. وإلى هنا صرنا.. وإلى تلك الحال وصلنا!!

أيها المسلمون: يظلنا الآن شهر رمضان، شهر الانتصارات والفتوحات، شهر الخير والبركات، شهر القنوت والتسابيح، شهر الدعاء والاستغفار.. فانتهزوا هذه الفرصة وعودوا إلى دينكم، وحققوا شروط قبول الدعاء، فطهروا القلوب من درنها، وابتعدوا عن أكل الحرام، وعن أكل مال اليتيم، وعن شرب الحرام، وعن الكذب وشهادة الزور، وعن النفاق والتزلف للحكام.. واجتهدوا في رضا الله وحده، ولا يهمكم سخط الناس، لأن الله -سبحانه- سيكفيكم سخط الناس ما دمتم أرضيتم الله، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه!! ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه من أسخطه في رضاه!! حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينيه»[2] وفي تلك الحالة سيستجيب لدعائكم بطلب النصر على الأعداء.

أيها المسلمون: عودوا إلى الله وانصروه ينصركم الله:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[محمد: 7]

---

(3) الترمذي.

(1) تفسير ابن كثير [illegible]

(2) [illegible]

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر المتضمن لبعض الأسئلة وهي

إفطار المريض

● هل يجوز لامرأة توفي زوجها إثر مرض [illegible]

●● الجواب: [illegible] أن من أفطر في شهر رمضان لعذر من الأعذار ثم مات قبل زوال هذا العذر سقط عنه القضاء، ولا يلزمه أن يوصي ورثته بإخراج فدية، ولو أوصاهم بإخراج فدية فهو من قبيل التصدق؛ لأن [illegible] على قدر [illegible]. [illegible] عذره قبل موته بمقدار يسع قضاء ما فاته لزمه القضاء، ولا يسقط عنه بالموت؛ لأنه عاش بعد زوال العذر وقتاً يسع أن يقضي فيه ما أفطره، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٤)

وعلى ذلك وفي واقعة السؤال:

إذا كان زوج المرأة المسئول عنها قد أفطر لعذر ولم يقض ما أفطره قبل موته، وجب عليها أن تخرج الفدية بأن تطعم عن كل يوم مسكيناً؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكيناً» أخرجه الترمذي وابن ماجه.

وقال جمهور الفقهاء: لا يصام عن الميت مطلقاً، ويطعم عنه وليه، ويؤيد ما ذهبوا إليه ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مُداً من حنطة»، وروى عبدالرزاق والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم».

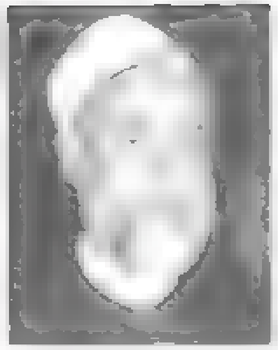
وبما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية



حكم صيام المرأة الحامل

● [illegible] حكم صيام المرأة الحامل؟

●● الجواب: إذا كانت المرأة تستطيع الصيام مع وجود الحمل بغير ضرر يقع عليها أو على جنينها فيجب عليها الصيام، أما إذا خافت على نفسها من ضرر يلحقها أو يلحق جنينها بسبب الصيام فلها أن تفطر وتقضي بعد ذلك الأيام التي أفطرتها.

وبما ذكر يعلم الجواب

والله سبحانه وتعالى أعلم

صيام رمضان بلا صلاة

● [illegible] حكم [illegible] صام رمضان ولكنه لا يصلي، هل ذلك [illegible]

●● الجواب: لا يجوز لمسلم ترك الصلاة، وقد اشتد وعيد الله تعالى ورسوله ﷺ لمن تركها وفرط في شأنها، حتى قال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم. ومعنى «فقد كفر» في هذا الحديث الشريف وغيره من الأحاديث التي في معناه: أي أتى فعلاً كبيراً وشابه الكفار في عدم صلاتهم، فإن الكبائر من شعب الكفر، كما أن الطاعات من شعب الإيمان، لا أنه قد خرج بذلك عن ملة الإسلام والعياذ بالله تعالى، فإن تارك الصلاة لا يكفر حتى يجحدها ويكذب بها، ولكنه مع ذلك مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

والمسلم مأمور بأداء كل عبادة شرعها الله تعالى من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها مما افترض الله عليه إن كان من أهل وجوبه، وعليه أن يلتزم بها جميعاً كما قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٠٨)

وجاء في تفسيرها: أي التزموا بكل شرائع الإسلام وعباداته، ولا يجوز له أن يتخير بينها ويؤدي بعضاً ويترك بعضاً فيقع بذلك في قوله تعالى:

فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾

(البقرة ٨٥)

وكل عبادة من هذه العبادات المشروعة لها أركانها وشروطها الخاصة بها، ولا تعلق لهذه الأركان والشروط بأداء العبادات الأخرى، فإن أداها المسلم على الوجه الصحيح مع تركه لغيرها من العبادات فقد أجزأه ذلك وبرئت ذمته من جهتها، ولكنه يأثم لتركه أداء العبادات الأخرى، فمن صام وهو لا يصلي فصومه صحيح غير فاسد؛ لأنه لا يشترط لصحة الصوم إقامة الصلاة، ولكنه آثم شرعًا من جهة تركه للصلاة ومرتكب بذلك لكبيرة من كبائر الذنوب، ويجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى.

أما مسألة الأجر فموكولة إلى الله تعالى، غير أن الصائم المصلي أرجى ثوابًا وأجرًا وقبولًا ممن لا يصلي.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

يوم الشك

● السؤال من . ج.ج.ص: ما هو يوم الشك؟ ولماذا يحرم صومه؟

●● الجواب: هذه المسألة فيها ثلاثة أحاديث شريفة:

الأول: عن صلة بن زُفر قال: «كنا عند عمار بن ياسر رضي الله عنه، فأتي بشاة مصلية فقال: كلوا، فتنحى بعض القوم فقال: إني صائم، فقال عمار: من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم ﷺ» رواه أبوداود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم، قال الترمذي: «حديث عمار حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبدالله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق؛ كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي يشك فيه. ورأى أكثرهم إن صامه فكان من شهر رمضان أن يقضي يومًا مكانه» أهـ.

والثاني: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم» رواه الجماعة، قال الترمذي: «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول شهر رمضان لمعنى رمضان، وإن كان رجل يصوم صومًا فوافق صيامه ذلك فلا بأس به عندهم» أهـ.

والثالث: حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له» متفق عليه.

وبناء على ذلك فقد اختلف العلماء في تحديد يوم الشك، فعند جمهور العلماء من الحنفية والشافعية: يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان إذا تحدث الناس بالرؤية ولم تثبت، أو شهد بها من ردت شهادته لفسق ونحوه، فإن لم يتحدث بالرؤية أحد فليس يوم شك حتى لو كانت السماء مغيمة؛ وذلك عملًا بظاهر قول عمار بن ياسر رضي الله عنه: «الذي يشك فيه الناس» من غير التفات إلى وجود غيم أو انتفائه، أما المالكية فإنهم يجعلون مناط الشك هو الغيم، فلو كانت السماء مصحية فليس يوم شك؛ لأنه إن لم ير الهلال كان من شعبان جزمًا، ويجعلون قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له» تفسيرًا ليوم الشك.

واعترض ذلك بعض العلماء من المالكية بأن قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له» أي: أكملوا عدة ما قبله ثلاثين يومًا -يدل على أن صبيحة الغيم من شعبان جزمًا، ويقف معهم الحنابلة الذين يوافقون الجمهور، لكنهم يرون في ظاهر المذهب عندهم أن وجود الغيم يعني كونه يوم شك -لأنه حينئذ يعد من رمضان، ويجعلون قوله ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له» مسوقًا لبيان التفرقة بين حكم الصحو والغيم، فإذا كانت رؤية الهلال شرطًا للصوم في الصحو فالمغايرة تقتضي عدم كون الرؤية شرطًا في الغيم، ومعنى «فاقدروا له» عندهم: أي: فضيقوا له وقدروه تحت السحاب؛ عملًا بمذهب راوي الحديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- في ذلك. وتوارد روايات الحديث الصحيحة الصريحة على تفسير «فاقدروا له» بإكمال عدة شعبان ثلاثين يرجح مذهب الجمهور في ذلك حملًا للمطلق على المقيد. والسنة هي أولى ما تبين به السنة، ولذلك اختار كثير من محققي الحنابلة والمالكية مذهب الجمهور، قال الإمام النووي في «المجموع»: «فالصواب ما قاله الجمهور، وما سواه فاسد مردود بصرائح الأحاديث السابقة»، وقد صنف بعض العلماء في تحديد يوم الشك، كما فعل مفتي مكة المكرمة العلامة الشيخ إبراهيم بن حسين بن بيري الحنفي ت: ١٠٩٩هـ في رسالته التي سماها: «إزالة الضنك في المراد من يوم الشك».

أما حكم صوم يوم الشك فله حالتان:

الأولى: أن يصام عن رمضان بنية الاحتياط له، فهذا هو المراد بالنهي عند جمهور العلماء، ثم منهم من جعله حرامًا لا يصح صومه كأكثر الشافعية، ومنهم من رآه مكروهًا كالحنفية والمالكية والحنابلة، فإن ظهر أنه من رمضان أجزأه عند الليث بن سعد والحنفية، ولم يجزئه عند المالكية والشافعية والحنابلة.

وهذا عند الحنابلة في غير الغيم، فأما يوم الغيم فإنهم أوجبوا صيامه عن رمضان في ظاهر الرواية عندهم ولم يجعلوه يوم شك؛ عملًا بمذهب راوي الحديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- كما سبق، وللإمام أحمد رواية أخرى توافق الجمهور أخذ بها كثير من محققيهم؛ لتوارد الروايات الصحيحة الصريحة على ذلك، حتى قال الإمام ابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى -فيما نقله عنه الحافظ ابن عبدالهادي الحنبلي في «التنقيح لتحقيق»-: «الذي دلت عليه الأحاديث في هذه المسألة -وهو مقتضى القواعد- أن أي شهر غم أكمل ثلاثين؛ سواء في ذلك شهر شعبان أو شهر رمضان أو غيرهما» أ.هـ. وقد سبق نقل كلام الإمام النووي في ذلك.

الثانية: أن يصام عن غير رمضان، فالجمهور أنه يجوز صومه إذا وافق عادة في

صوم التطوع كما هو نص حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، ويلتحق بذلك عندهم صوم نفسه، وأما أن تطوع بصوم من غير عادة فهو حرام على الصحيح عند الشافعية إلا إن وصله بما قبله من النصف الثاني من شعبان، ولا بأس به عند الحنفية والمالكية.

وقد صنف الأئمة في هذه المسألة، منهم: الحافظ الخطيب البغدادي الشافعي ت: ٤٦٣هـ في كتابه «النهي عن صوم يوم الشك»، والحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده الحنبلي ت: ٤٧٠هـ في كتابه «صيام يوم الشك» خالف فيه ما هو المذهب عند الحنابلة من صيام يوم الغيم، والحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي ت: ٥٩٧هـ في كتابه «درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم»، والعلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ت: ١٠٣٣هـ في كتابه «تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان».

أما عن الحكمة في النهي عن صومه: ففيها خلاف يذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بقوله: «والحكمة فيه: التقوي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وهذا فيه نظر؛ لأن مقتضى الحديث أنه لو تقدمه بصيام ثلاثة أيام أو أربعة جاز. وقيل: الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض، وفيه نظر أيضًا؛ لأنه يجوز لمن له عادة كما في الحديث. وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية؛ فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم. وهذا هو المعتمد» اهـ.

وهذا الذي اعتمده الحافظ في حكمة النهي يزيد وضوحًا عند معرفة منهج الإسلام في رؤية الهلال، فإن الحاكم هو الذي يقضي بصحة بينة الرؤية - عند إمكانها فلكيًا -، فإذا حكم بعدم ثبوت الشهر فإن حكمه هذا يرفع الخلاف في الأمر الظني ظاهرًا وباطنًا، ويحسم مادة الخلاف فيه، وليس المسلم مكلفًا - تحت أي سقف معرفي يعيش فيه - بالوصول إلى ما في الواقع ونفس الأمر، بل المظنة في ذلك تنزل منزلة المئنة، والأخذ بغلبة الظن واجب شرعي، وهذا يعلم المسلمين القوة والثبات في دينهم، والجدية في أمر عباداتهم، ويحذرهم من أن يكونوا نهبًا لخطر الشائعات بين أهل البلد الواحد عن طريق تحدث بعض الناس بينهم بالرؤية وإحداثهم للبلبلة والفوضى في ذلك مع عدم الحكم بثبوتها، وإذا كان هذا عصيانًا للمصطفى ﷺ في حق من ادعى رؤية لم تثبتها البينة الصحيحة وترك الأخذ بالظن الغالب إذا قضى به الحاكم، فما بالنا بمن يخالف الجماعة ويشق عصا الطاعة ويزرع بذور الفرقة والاختلاف والتشتت ويدعو إلى رؤية قطع الحساب الفلكي القطعي ببطلانها ولم يعتمدها أهل بلده، كما يفعله كثير من المتعصبين في هذا الزمان في زيغ عن الحق من غير حجة ولا برهان من عقل أو نقل، واقعين بذلك في محظورين: تفريق الجماعة، والأخذ برؤية موهومة علم بطلانها بالضرورة. وناهيك بذلك خروجًا عن الجادة وعصيانًا لسيدنا النبي المصطفى أبي القاسم ﷺ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الصلاة لمسافر بالطائرة

● السؤال من ط. ع. غ: على أي توقيت يفطر المسافر بالطائرة؟

●● الجواب: علق الشرع الشريف الإفطار والإمساك بتبين الصائم غروب الشمس وطلوع الفجر، فقال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾

[البقرة: ١٨٧]

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال النبي - ﷺ -: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»، وفيهما أيضًا عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا رأيتم الليل قد أقبل من هاهنا - وأشار بيده نحو المشرق - فقد أفطر الصائم»، وهذا كله يدل على أن العبرة في الإفطار تحقق الصائم من الظلمة إما حسًا برؤيته هو أو خبرًا بتصديق من يعتمد بإخباره في ذلك، وكذلك الحال في الإمساك العبرة فيه بتحقق المكلف من طلوع الفجر الصادق من حسه أو بإخبار من يعتد بإخباره، ومن المعلوم أن الإنسان كلما ارتفع عن سطح الأرض كلما تأخر غروب الشمس في حقه، وهذا مشاهد لمن يقطنون الأدوار العليا، وذلك بسبب كروية الأرض، وحينئذ فمقتضى القواعد الشرعية أنه لا فطر حتى تغرب الشمس في حق الصائم نفسه. قال الإمام فخر الدين الزيلعي الحنفي في «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق»: «روي أن أبا موسى الضرير الفقيه صاحب «المختصر» قدم الإسكندرية، فسئل عمن صعد على منارة الإسكندرية فيرى الشمس بزمان طويل بعدما غربت عندهم في البلد، أيحل له أن يفطر؟ فقال: لا، ويحل لأهل البلد، لأن كلا مخاطب بما عنده». اهـ.

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته: «قال في «الفيض»: ومن كان على مكان مرتفع كمنارة إسكندرية لا يفطر ما لم تغرب الشمس عنده، ولأهل البلدة الفطر إن غربت عندهم قبله، وكذا العبرة في الطلوع في حق صلاة الفجر أو السحور». اهـ.

وبناء على ذلك: فالإفطار المعتبر في حق المسافرين بالطائرة إنما هو برؤيتهم غروب الشمس بالنسبة إليهم وفي النقطة التي هم فيها، ولا يفطرون بتوقيت البلد التي يحلقون عليها، ولا التي سافروا منها، ولا التي يتجهون إليها، بل عند رؤيتهم غروب الشمس بكامل قرصها، فإن طالت مدة الصيام طولًا يشق مثله على مستطيع الصوم في الحالة المعتادة فلهم حينئذ أن يفطروا للمشقة الزائدة المركبة في السفر وليس لانتهاء اليوم، وعليهم أن يقضوا الأيام التي أفطروها، وعلى ذلك فإن ما يقوله بعض قواد الطائرات من الإفطار على ميقات البلد الأصلي أو البلد الحالي غير صحيح شرعًا.

وهناك حالة تغيب فيها الشمس ثم تخرج مرة أخرى من جهة المغرب لسرعة الطائرة، وهنا يفطر الصائم عند غيابها الأول ولا يلتفت لرؤيتها وعودتها.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

يـــارب

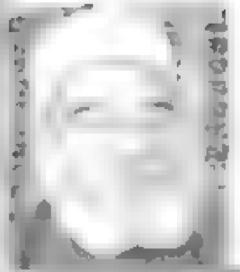
أقلب في علاء الأفق وجهي ... وأطرق في كف حسرتي رأسي
لعل الأفق يمنحني شعاعا ... يزيل ظلام أحزاني ويأسي
فما ألقيت غير بريق نبع ... من الأنداء في رجع بنفسي
وأفرغ من هموم الأمس كأسا ... فيسقيني الزمان بألف كأس
كأني والهموم ولدت طفلا ... فما تنفك عن كبدي وحسي
وحين أفر من خطر وشيك ... يطاردني الزمان بظل أمسي
فيا رباه قد فاضت شجوني ... فما ترتد عن رجمي وحبسي
همومُ مسلمين أعيش فيها ... وغيري همه رقص بعرس
إذا ما قلتُ عن جرح سيشفى ... رماني الجرح من ثقب بخمس
يحس بلوعة تعدو بموت ... ويحرق في أتون الغيب حدسي
وأعجزُ ما لقيتُ طوال عمري ... بوازِ الطب أو فقد المؤسي؟
يمر القرن والأعوام تجري ... نحطم في القلاع بكل بأس
تقسم لدولة الإلحاد صرحا ... وتحجر من بلاد الأرض قدسي
وتنبت في جنان العرب رعبا ... وتنزع من رياض الحق عرسي
وما ندري أتتركنا لنحيا؟ ... ولا أين الزمان بنا سيرسي؟
كأنا في سفين الموت نمضي ... إلى الجب العميق بغير قلس(١)

(١) القلس: حبل تشد به السفينة إلى الشاطئ.

لقد سبقت نهاية لابد وبلى ... ولا حتى الرشاد بيوم نحس
فيا رباه لطفا إذ قومي ... عن القرآن في صد ونكس
حيارى ويهدى منهم قريب ... وظمآى والعيون بغير مس
وصم والنداء يصيح هيا ... وعميٌ والضياء بغير لبس
وقد نشط العدو بهم ليغري ... شقيق الأمس في عمر بأمس
تفرقت الدروب بكل شعب ... كأنا في الخراب يقول نفسي
وقيم في أتون النار تصلى ... وبكر تستبيح دمار عرس
وخمر للسلاح تريد سوقا ... لكم واشت بها سهما لقوس
فمن يهدي القلوب إلى إخاء ... ويجمع للقلوب ولا يقسي؟
ويا رباه من يحمي ربانا ... ويوقف زحف طوفان ورجس؟
فيا رباه أنت بنا عليم ... ولا يخفى عليك حديث نفس
وإنا عاصين ندعو رحيما ... فهبنا رحمة تمحو وتنسي
وهبنا النصر في حلك الدياجي ... وهبنا العفو عن حزن ويأس

***

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام



٦

حرية التنقل وحق الهجرة واللجوء

هذا الفرع من الحرية ما اضطرت هيئة الأمم المتحدة للتنبيه عليه إلا نتيجة للأوضاع المستحدثة فى نظم الدول بعد انهيار نظام الخلافة الإسلامية. فقد كانت بلاد المسلمين كلها وطنا واحدا، لها جنسية واحدة هى الإسلام، ولا يحظر على إنسان أن ينتقل من بلد إلى بلد، فهو مأمور بذلك.. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت ٢٠)

وله أن يقيم حيث يطيب له المقام. ولا يتصور أن يفرض الإسلام على حرية التنقل والإقامة قيودا ورسول الله ﷺ نفسه قد هاجر وانتقل من مكة إلى المدينة، وأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قائلا لهم «تفرقوا فى الأرض إن الله سيجمعكم»..

بل إن القرآن يفرض الهجرة فى سبيل الله تعالى وترك الأرض التى يشعر فيها المسلم بالاستضعاف والذلة، بحيث لو لم يهاجر مع استطاعته كان آثما، فإذا ما هاجر وكانت وجهته الحفاظ على دينه وعقيدته، فإن الله تعالى يعده على ذلك أن يهيئ له سبل الراحة والسعادة فى مهجره الجديد. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ١٠٠)

وروى عبد الله بن عمرو قال: مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال: «يا ليته مات بغير مولده» فقالوا: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره فى الجنة»[1].

وطبيعى أن الإسلام الذى يفرض الهجرة على المستضعفين يفتح صدره مرحبا بالمستضعفين من دون أخرى شريطة ألا يكونوا محاربين أو مفسدين، ومن هنا يتبين حكم الإسلام فى الهجرة واللجوء السياسى للمستضعفين. وقد عمل ذلك فى ظل الحكم الإسلامى على أن من حق الإمام أن يعطى الأمان للوافد على بلد الإسلام، ولو كان مشركا، استجابة لقول الله تعالى:

﴿ [illegible] حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾

(التوبة ٦)

بل إن الإسلام ليوسع الدائرة ويعطى هذا الحق لكل مسلم.. قال ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم»[2].

حق الكرامة

الكرامة حق لكل إنسان من ذكر وأنثى، وهذا ثابت وممنوح له من الخالق جل علاه، فهو الذى فضله على كثير من خلق الله تعالى، وقد أشير إلى كل ذلك فى بدء هذا البحث.

ومن مقتضى هذه الكرامة مراعاة حرمته فى دمه وماله وعرضه، ولقد بلغ الإسلام مبلغ التغليظ والتأكيد لدرجة جعلت رسول الله ﷺ يتحين فرصة الاجتماع الضخم فى يوم الحج الأكبر وفى وصايا الوداع ليعبر عنها أمام الملأ بأسلوب فريد فى تنبيه الأذهان وتذكير العقول وترغيبة النفوس. قال لهم ﷺ: «أتدرون أى يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى. قال: «أى شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس ذو الحجة؟» قلنا: بلى. قال: «أى بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليست بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى. قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[3].

وإضافة إلى ما سبق من نصوص تؤكد حق الحياة، نجد الإسلام يحذر من الاعتداء على هذه الحرمة فى عديد من النصوص التى تحمل معنى التغليظ. قال تعالى:

﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا [illegible] ﴾

(النساء ٩٣)

ووقف الرسول ﷺ أمام الكعبة العظيمة وقال: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرا»[4].

---

(١) أخرجه البخارى - كتاب الجنائز - باب الموت بغير مولده - حديث رقم ١٨٣٢

(٢) أخرجه أبو داود - كتاب الجهاد - باب فى السرية ترد على أهل العسكر - حديث رقم ٢٥٠١

(٣) أخرجه البخارى - كتاب الحج - باب الخطبة أيام منى - حديث رقم ١٦٤١

(٤) أخرجه ابن ماجه - كتاب الفتن - باب حرمة دم المؤمن وماله - حديث رقم ٣٩٣٢

وإذا كانت هذه النصوص تؤكد هذه الحرمة بالنسبة للمسلم، فإن رسول الله ﷺ يؤكدها كذلك بالنسبة لغير المسلم المسالم. قال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة»[5] وقال ﷺ: «من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة»[6].

ومن مقتضى هذه الكرامة كذلك أن يحترم شرفه وسمعته، فلا يجوز التجني عليه وإشاعة الفاحشة عنه في المجتمع. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(النور: ١٩)

ومن أجل هذه الحرمة، ولقطع ألسنة السوء، أمر الإسلام ألا يكتفى في البينة على القذف بشهادة رجلين مع أنه يكتفى في القتل بهما، بل جعل الشهادة التي تثبت هذا القذف أربعة من الرجال المؤمنين العدول. فإن لم يأت القاذف بهذا العدد من الشهود كان هو الفاسق وقام عليه حد ثمانين جلدة، وسقطت عدالته من المجتمع. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(النور: ٤)

المحافظة على المشاعر والأحاسيس:

ومن مقتضى هذه الكرامة ألا يجرح مشاعر أخيه وإحساساته، فليس لأحد أن يسب أحدا أو يشتمه أو يحتقره. قال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[7]. وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[8]. بل إن سخرية أو إشارة يشم منها رائحة السخرية والتهكم حرام، قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الحجرات: ١١)

ولقد ذهب الإسلام إلى حد بعيد في المحافظة على شعور الإنسان والإبقاء على حبل المودة والمحبة. فالنبي ﷺ ينهى عن مجرد التناجي لأية معرفة قد يتسرب بسببها التصديق أو رائحة الإهمال وعدم الاكتراث. قال ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه»[9]. بل ندب الإسلام للمسلم أن يغتسل ويتنظف ويتطيب عند الاجتماع بإخوانه في صلاة الجمعة حتى لا يؤذيهم برائحة العرق.

---

(5) أخرجه البخاري - كتاب الجزية - باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم - حديث رقم ٣١٦٦

(6) أخرجه النسائي - كتاب القسامة - [illegible] - حديث رقم [illegible]

(7) أخرجه مسلم - كتاب البر والصلة - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله - حديث رقم ٢٧٠٦

(8) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان - باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر - حديث رقم ٤٨

(9) أخرجه البخاري - كتاب الاستئذان - باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة - حديث رقم ٦٢٩٠

ومن مقتضى هذه الكرامة كذلك ألا يعتقل بسجن أو يحبس أو يعزر أو يعذب أو يهان أو يروع أو يخوف في غير حق شرعي مستمد من قوانين الإسلام.. إنه فيما عدا التعزير المباح شرعا للحاكم حين يرتكب الفرد ما يوجبه الحق للحاكم في الاعتقال أو الحبس أو التعذيب أو الإهانة.

قال ﷺ: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار»[10].. وليس ذلك مختصا بالمسلم كذلك، فإن تعذيب غير المسلم له نفس الحكم، مادام ذميا أو معاهدا أو مؤمنا.. فله حق الحياة الآمنة التي تشيع في أكنافها الطمأنينة. حدث زيد بن سعنة وهو من أحبار اليهود أنه أقرض النبي ﷺ قرضا كان محتاجا إليه ليسد به خللا في شئون نفر من المؤلفة قلوبهم.. ثم رأى أن يذهب قبل موعد الوفاء ليطالبه بالدين، قال: أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ. قلت له: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلا، ولقد كان لي بمخالطتكم علم.. ونظر إلي عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره وقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، فقال النبي ﷺ: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه.. اذهب به يا عمر فأعطه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما روعته»، ففعل (عمر).

هكذا يعطي الرسول ﷺ عوضا ليهودي روع من (عمر) بعد أن أساء الأدب في معرض الطلب.

مراعاة حرمة البيوت:

ومن مقتضى هذه الكرامة أيضا مراعاة حرمة البيت والأسرة، فلا يحل لأحد أن يتهجم على المسكن، أو أن يدخل البيت بغير إذن صاحبه، أو يتجسس على من فيه من الخارج، أو يتبصص من ثقب فيه على من فيه من الخارج.. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(النور: ٢٧)

وقال:

﴿ولا تجسسوا﴾

(الحجرات: ١٢)

بل إن من أدب الإسلام ألا يأتي الإنسان بيت أخيه مواجهة حتى لا يكشف عورة عند فتح الباب.

ومن مقتضى هذه الكرامة ألا يعتدى على حرمته في نفسه بتفتيشه أو فتح مراسلاته إلا إذا كان بوجه حق، وكان في سلوكه ما يريب.. فلقد مضى تاريخ الإسلام على أن الرسائل تختم بالخاتم حتى لا يتلاعب بها أحد. ولقد نظم سيدنا (عمر) مرفق البريد تنظيما حضاريا صار المنظمون من بعده عالة عليه.

ـــــ

---

(10) أخرجه البخاري - كتاب الفتن - [illegible] - حديث رقم [illegible]

الحرية الدينية



[illegible]

كفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، فلم يكره أحدا على الدخول في الإسلام. قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

كما صان الإسلام حرمة غير المسلمين، وجعل من حقهم أن يبدوا رأيهم، وأن يناقشوا، وأمر المسلمين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن، قال سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

كما أحل الإسلام طعام الذين أوتوا الكتاب للمسلمين وأحل طعام المسلمين لهم والزواج من نسائهم فقال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٥)

كما دعا الإسلام إلى حسن معاملة غير المسلمين، وزيارتهم وعيادة مرضاهم، وتبادل المنافع معهم والتعاون على الخير، والبيع والشراء، وسائر المعاملات، وكان رسول الله ﷺ القدوة في ذلك في الكثير من المعاملات؛ لدرجة أنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه، وكان بعض أصحاب الرسول ﷺ إذا ذبح شاة، يقول لخادمه ابدأ بجارنا اليهودي.

وعندما مرت على رسول الله ﷺ جنازة، قام لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أو ليست نفسا؟ وكان التوجيه الإسلامي داعيا إلى عدم التضييق عليهم في ممارسة شعائرهم، وألا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب، إلى آخر التعاليم التي تحمي حريتهم الدينية والتي هي أكبر شاهد على سماحة الإسلام وعلى قبول التعددية الدينية التي تلتزم بالتعاليم ولا يكون منها عدوان ولا خروج على الشريعة والحق.

وإن حب الوطن من الإيمان، وإن المحافظة عليه والدفاع عنه يستوجب أن يكون أبناء الوطن الواحد على قلب رجل واحد، ولا يتأتى لهم ذلك إلا إذا قامت بينهم وحدة وطنية، متجردة من الأهواء، بعيدة عن التعصب؛ لأن ديننا الإسلامي دين عالمي، ختم الله بشريعته الشرائع السابقة، وختم بالقرآن الكريم الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ جميع الكتب السماوية السابقة، وختم برسوله ﷺ جميع الأنبياء والمرسلين، وهذا الدين عالمي الدعوة، ليس لقطر دون قطر، ولا لزمان دون زمان، ولكنه خالد إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

ومن أجل ذلك جاءت دعوته العالمية لا تخاطب فئة دون فئة، بل جاءت تخاطب الناس جميعا وتأمرهم أن يعبدوا ربهم، وأن يؤمنوا به، وطبق رب العزة سبحانه وتعالى هذه الدعوة العالمية تطبيقا عمليا ليطلع كل الفئات والطوائف في المجتمعات البشرية إلى قيام الساعة، وليبين لها أن هذا الدين يجب اتباعه وأن هذا الرسول ﷺ يجب الإيمان به، طبق ذلك عمليا في ليلة الإسراء والمعراج حين حشر الله جميع الرسل والنبيين أيقاظا أحياء بأجسادهم وبلحمهم ودمهم وهو على كل شئ قدير فهو المحيي والمميت وهو الذي يبعث من شاء متى شاء في أي وقت شاء حشرهم في ليلة الإسراء والمعراج، وأوجدهم أحياء، واجتمعوا في المسجد الأقصى، جمع هؤلاء الرسل جميعا، وجاء جبريل وأخذ بيد الحبيب المصطفى ﷺ وقدمه للقبلة ليصلي بهم إماما، وتقديم جبريل هو تقديم بوحي إلهي وأمر رباني، فصلى بهم ﷺ إماما، فكانت إمامته لجميع الرسل والنبيين إعلاما لأتباعهم في كل الأرض وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين، وأنه إذا كان الرسل والنبيون اقتدوا به واتبعوا هذا النبي، فأولى بأتباعهم في كل الأرض أن يتبعوه إلى أن تقوم الساعة.

وكان إعلانا في الوقت نفسه إلى وحدة الدين السماوي وعدم التفرقة بين نبي ونبي، وبين رسول ورسول، وشريعة وشريعة، وجاء الإسلام ليعلن أن الواحد منا لا يكون مسلما ولا يكون مؤمنا كامل الإيمان إلا إذا آمن بالنبيين والرسل أجمعين.

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

أي أن الإنسان لا يكون مسلما ولا يكون مؤمنا حق الإيمان إلا إذا آمن بالرسل جميعا من لدن آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ليس في هذا تعصب، بل في هذا إيمان بالرسل جميعا، كما امتاز الإسلام أيضا بأنه لا يكره أحدا على الدخول فيه، بل إن من اقتنع بهذا الدين ودخله مؤمنا صادقا فأهلا ومرحبا ومن لا يقتنع.. فله دينه:

﴿ [illegible] ﴾

(الكافرون: ٦)

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

﴿ ... عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾

(ق: ٤٥)

﴿ [illegible] ﴾

(الغاشية: ٢٢)

﴿ [illegible] وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

(القصص: ٥٦)

إن مبادئ الإسلام التى قررها القرآن الكريم وأعلنها بأنه لا إكراه فى الدين وأعلن حقوق المسلمين وحقوق غير المسلمين جاءت تعلن العدالة وحرية والسماحة والوفاء والعدل بين الناس جميعا فى الحقوق والواجبات، وقبل أن يدخل الإسلام مصر وقبل الفتح الإسلامى، كان الأقباط فى مصر يعيشون تحت نير الاستعمار الرومانى ويتجرعون من الروم العسف والشدة والعنف والقتل والحرب والإيذاء والاضطهاد الذى ما بعده وما قبله اضطهاد، حتى إن أقباط مصر استجاروا بهذا الدين الذى سمعوا عنه أنه لا إكراه فيه، وسمعوا أنه دين العدالة ودين الرحمة، وأنه الدين الذى يسوى بين الحاكم والمحكوم، وبين الغنى والفقير، وبين القوى والضعيف، الدين الذى ينصف المظلوم، والذى يعطى لكل ذى حق حقه، سمعوا بهذا الدين فتنادوا إليه ورحبوا به وتمنوا أن يأتيهم، فما إن نزل الإسلام مصر وجاءها الفتح الإسلامى حتى كان الأقباط أول المرحبين بالدين وأول الفرحين به لأنه أخرجهم من الظلمات إلى النور وأعطاهم حقوقهم، ووقف بجوارهم وأنصف المظلوم منهم ورد عنهم كيد الرومان، فأحبوا دين الله، وأعلن القرآن حبهم أيضا كما أعلن عداوة اليهود للمؤمنين حين قال:

﴿ [illegible] لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(المائدة: ٨٢)

جاء القرآن بهذه الآيات حتى لا تحدث فتنة بين الطوائف، وكان أول من طبق هذه الوحدة الوطنية سيدنا المصطفى ﷺ فعندما هاجر من مكة إلى المدينة.

- كان أول عمل قام به بناء المسجد ليوثق الصلة بالله أولا.
- والعمل الثانى أنه آخى بين المهاجرين والأنصار ليوحد الصفوف المسلمة.
- والعمل الثالث أنه قام بتوحيد الصف والتعاون ووضع وثيقة للعلاقات الإنسانية والدولية بين المسلمين وبين غير المسلمين من أهل الكتاب الذين كانوا يسكنون المدينة، فتعاهد معهم أن يكون المسلمون وغير المسلمين يدا واحدة فى مواجهة أعدائهم، لولا أن اليهود هم الذين نقضوا العهد كما هو طبعهم فى كل مرة ينقضون العهود، الشاهد أن الرسول ﷺ هو أول من أقام نسيج هذه الوحدة الوطنية حين أعلن دستور المدينة: يتعاون الجميع فى مواجهة الذين يحاولون أن يعتدوا على المسلمين أو أن يقتحموا على مدينة رسول الله ﷺ وقرر حقوق غير المسلمين كحقوق المسلمين فى المواطنة وفى عدم الظلم، وقرر الإسلام حقوقا للمعاهد الذى بيننا وبينه عهد، أى لم يناصبنا الحرب ولم يقف فى ميدان الحرب ليقاتلنا ويناصبنا العداء، لقد أعطيناه عهد أمان ليعيش معنا فى أمان، فما دام قد أخذ عهد الأمان واتفقنا على أن يأتينا أو يعيش بيننا فالرسول ﷺ يقول: "إلا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس أو كلفه ما لا طاقة له به فأنا حجيجه يوم القيامة" صلوات الله وسلامه عليك، يا من بعثك الله رحمة للعالمين، إن رحمته ليست للمسلمين فقط بل لغير المسلمين حتى بالنسبة للمشرك، يقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ٦)

والقرآن حين يقرر هذا يريد من المجتمعات البشرية ألا تشعل فتنا دينية ولا حربا أهلية فى أوطانها، وإنما يريد أن يعيش الناس فى سلام وأمان وفى استقرار وهدوء، فإذا ما حاول دعاة الفرقة والفتنة أن يبثوا سمومهم فى الصفوف الإسلامية فعلى المسلمين أن ينتبهوا لذلك وأن يطبقوا تعاليم دينهم الحنيف التى لا تسمح لهذه الفتن من المسلمين أو من غير المسلمين أيضا، فنحن جميعا نركب سفينة واحدة، لو قام أحد ركاب السفينة فأحدث فيها خرقا فغرقت لن يغرق الذى أحدث الخرق، بل سيغرق كل ركاب السفينة.

من هنا كانت معاملة المسلمين لغير المسلمين منذ الفتح الإسلامى، وفى عهد سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حدثت هذه الواقعة، عندما تسابق ابن أحد النصارى مع ابن عمرو بن العاص، وسبقه القبطى، فضربه ابن الوالى وقال له، أنا ابن الأكرمين، وحين رفع الأمر إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه استقدم عمرو بن العاص واستقدم القبطى وأباه، وفى موسم الحج على ملأ من الناس يعلن عدالة الإسلام ومساواته ويقول له: اضرب ابن الأكرمين، وأعطاه الدرة، فضربه، ثم قال: أمررها على صلعة عمرو، فقال القبطى: ضربت من ضربنى يا أمير المؤمنين. قال: ما ضربك إلا بنفوذ أبيه، ثم التفت قائلا رضى الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!

وحين رأى رجلا عجوزا من أهل الكتاب كفيفا لا يرى ويسأل ويطرق الأبواب يطلب الحاجة قال: من؟ قال: من أهل الكتاب، قال: من أى أهل الكتاب؟ قال: يهودى. قال: ما أنصفناك حين أكلنا شبابك وتركناك فى كبرك. فأسرع وأعطاه ما يحتاج. وقال لخازن بيت المال: أنظر مثل هذا وأضرابه واجعل له حقا فى بيت مال المسلمين، هذه هى تعاليم الإسلام التى تدعو إلى السماحة على هذا النحو الذى قرر أنه دين سمح لا تعصب فيه، ولا إكراه فيه، ليطلع هذا العالم الذى نعيش فيه وليطلع هؤلاء الذين يعيشون فى هذا العالم المضطرب الذى يموج بالفتن.

صوت الحبيب (*)

شعر د/ محمد إبراهيم العشماوي

عن غير صوتك قد أصممت آذاني ... هذا حديثك مسطورٌ بوجداني

وكيف يا سيدي أصغي لغيركمو ... وأنت في الحُسن فردٌ ما له ثانِ؟!

لا شيء يعدل ما قد صيغ من درر ... يا أفصح العُرب من أبناء عدنان

فيا عذوبة لفظ في سلاسته ... وجَودة السَّبك في حَبك وإتقان

ويا بديع تراكيب وحسن أسا ... ليب ورنة أنغام وألحان

ويا شريف معانٍ قد تضمّنها ... ويا عظيم هُدًى في مثل قرآن

«أوتيت ذكرًا عظيمًا مثله معه»(1) ... هذا كلامك نرويه بإحسان

وقد رواه أبو داود في سُنَنٍ ... كذاك أحمد يا نعم الإمامان

لا فرق بين كتاب الله فهو هُدًى ... وسنة المصطفى فالكل سيان

حدثنا بحديث منك أسمعه ... حتى أُشنِّف(2) بالتسميع آذاني

(*) هذه القصيدة خلاصة بحث عن ضرورة التجويد لحديث المصطفى ﷺ أثبتُّ فيه الأدلة العلمية لوقفه على أن الحديث الشريف يمكن قراءته مجودًا كتجويد القرآن مما يليق بحرمة حبيبه ومصطفاه ويجعله لي ذخرًا في يوم لقاه

1. إشارة إلى قوله ﷺ فيما رواه أبو داود في سننه وأحمد في مسنده بإسناد صحيح «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنة النبوية

2. [illegible]

إني أكرّمه إني أعظّمه ... كي لا يُصيبه تصحيف لحّان

إني أحب حديثًا أنت قائله ... وفي تدارسه رَوحي وريحاني

إني أبجّله إني أقبّله ... وما قصدتُ به تقبيل جُدران

قد كان سهلُ بن عبدالله يفعله ... لما ترشّف من ريق السجستاني(3)

لما تحسّرت عن التقبيل من فمه ... قبّلتُ نورًا بدا منه فأحياني

وددتُ لو أنني أبصرتُ طلعته ... حتى أقبّله في ثغره الحاني

جوّد حديث حبيب الله إن له ... في الجود منزلة ليست لإنسان

واتلُ المقام به في قدس حضرته ... وأنت تسمعه يتلوه للآن

لا زال غضًّا فليس الأرضُ تأكله ... وجسمه ليس بالبالي ولا الفاني(4)

يا سيد الرسل ما بحثٌ أقدّمه ... هدية لك ممزوج بتحناني

عساك ترضاه أو ترضى مؤلفه ... فأنت بابُ الرضا بل بابُ رضوان

إني أحبك يا ذخري ويا سندي ... أرجو بحبك تثقيلًا لميزاني

فاسأل إلهك يا مولاي لي فرجًا ... وحسن حالٍ وتثبيتًا لإيماني

ويا شفيع الورى في يوم زحمتهم ... كن لي شفيعًا إذا ما طار ديواني

إن لم تكن للذي قد ذاب فيك هوًى ... فمن يكون إذن للمذنب الجاني؟!

---

3. كان الإمام سهل بن عبدالله التستري من سادات القوم يأتي إلى الإمام المحدث العظيم أبي داود السجستاني صاحب السنن فيقول له: أخرج لي لسانك الذي تروي به حديث رسول الله ﷺ حتى أقبله فيخرجه له فيقبله. ذكره الذهبي في تاريخه في ترجمة سهل

4. إشارة إلى قوله ﷺ «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه أبو داود بإسناد صحيح

طرائف.. ومواقف

الأمة خمسة أصناف

علماء ثم زهاد ثم غزاة ثم ولاة أمور ثم تجار.

فالعلماء ورثة الأنبياء.

والزهاد ملوك الأرض.

والغزاة أنصار الله.

والأمراء رعاة الله على خلقه.

والتجار أمناء الله.

فإذا طمع العلماء في جمع المال فبمن يهتدى؟

وإذا راءى الزهاد فبمن يقتدى؟

وإذا غل الغزاة فبمن يكون الظفر؟

وإذا خان التجار فبمن يوثق؟

وإذا كان الرعاة كالذئاب فبمن تحاط الرعية؟

«فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»

الجهاد ضربان

كان العز بن عبد السلام يقول للسلطان عمر العين حين أكرم وفادته، وطلب منه المهادنة:

الجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان، وسلاح العالم علمه ولسانه، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، وكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم.

أخي

لا تمنعن يد المعروف عن أحد
ما دمت مقتدرا فالسعد تارات
واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت
إليك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

معلم يغني مدينة

كان الحكم بن حنطب من سراة الناس وأجوادهم؛ قيل لنصيب بن رباح: لقد خرف شعرك أبا محجن -يريد أنه تعب- قال: لا، ولكن خرف الكرم. لقد رأيتني ومدحت الحكم ابن حنطب فأعطاني ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة

وسأل أعرابي الحكم بن حنطب فأعطاه خمسمائة دينار، فبكى الأعرابي، فقال: ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك؟

قال: لا والله ولكني أبكي لما تأكل الأرض منك؛ ثم أنشأ يقول:

وكأن آدم حين حان وفاته
أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم
فكفيت آدم عيلة الأبناء

الحكم بن حنطب هذا قال عنه رجل من أهل منبج: قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا. فسئل: كيف أغناكم وهو مملق؟

قال: علمنا المكارم، فعاد غنينا على فقيرنا.

وأين هي

قيل إن خالد بن صفوان مر على جماعة بالبصرة.. فسأل عن سبب اجتماعهم. فقالوا له: هناك امرأة تدل على النساء، فأتاها، فقال لها: أبغيني امرأة. قالت: صفها لي. قال: أريدها بكرا كثيب، أو ثيبا كبكر، حلوة من قريب، فخمة من بعيد، كانت في نعمة فأصابتها فاقة، فمعها أدب النعمة وذل الحاجة، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا أهل آخرة، قالت: قد أصبتها لك

قال: وأين هي؟

قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة.. فاعمل لها!!

أنت حر

كان حاتم الطائي أكرم العرب وجوادها إذا جنه الليل يوعز إلى غلامه أن يوقد النار في بعض المواضع من الأرض، لينظر إليها من أضله الطريق، فيأوي إلى بيت حاتم فيكرمه ويبيته وكان يقول لغلامه:

أوقد فإن الليل ليل قر
والريح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفا، فأنت حر

انصرف فإنه صدق

دعا رجل صديقا له إلى منزله، قائلا: تعال نأكل خبزا وملحا، فظن الصديق أن ذلك كناية عن طعام شهي، وشراب سائغ، فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح، وبينما هما يأكلان إذ وقف بالباب سائل، وألح في السؤال، فقال صاحب البيت: اذهب وإلا كسرت رأسك.

فقال الضيف: انصرف فإنه صدق في وعده، وسيصدق في وعيده.

أعجبتني نفسي

جلس مقاتل بن سليمان يوما فأعجبته نفسه فقال: سلوني عما دون العرش

فقال له رجل: آدم لما حج من حلق رأسه؟

وقال آخر: أمعاء النملة في مقدمها أو مؤخرها؟ فلم يدر ما يقول!!

ثم قال: هذا ليس من علمكم ولكن أعجبتني نفسي فابتليت

لا تركن

لا تركن إلى القصور الفاخرة
واذكر عظامك حين تمسي ناخرة
وإذا رأيت زخارف الدنيا
فقل: يارب إن العيش عيش الآخرة

دعاء

اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للؤم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي سعة رحمتك لعجز.

إلهي: كم تحببت إليك بنعمتك، وأنت غني عني وكم أتبغض إليك بذنوبي، وأنا فقير إليك سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

بين الصحف والمجلات



لن أخون وطني أبدا

عقب أداء سيادة الرئيس د. محمد مرسي اليمين الدستوري في ٣٠ - ٦ - ٢٠١٢م ألقى خطابا من جامعة القاهرة كان محور اهتمام جميع وسائل الإعلام نقتطف منها ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الله أكبر فوق الجميع

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

الشعب المصرى العظيم، الحفل الكريم، الحضور الكرام، السيدات والسادة، أحييكم جميعا بالتحية الخالدة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيدات والسادة لقد أنجز الشعب المصرى - بفضل الله تعالى، ثم بتضحيات شهدائه الأبرار - ثورة عظيمة سنحافظ عليها، ولن نفرط فيها أبدا، لأنها ولدت من رحم

المعاناة، وتكبد الشعب فيها مئات الأرواح وآلاف الجرحى والمصابين. لقد فرض الشعب المصرى إرادته وسيادته، ومارس لأول مرة في تاريخه الحديث سلطته الكاملة، فانتخب مجلسا للشعب ومجلسا للشورى في انتخابات حرة نزيهة، عكست تمثيلا حقيقيا لكافة مكونات المجتمع المصرى، واختار البرلمان المنتخب جمعية تأسيسية لصياغة دستور جديد لمصر، بدأت عملها، وستستعين - وأنا على يقين من ذلك - بكافة الخبراء في كل الاتجاهات، ليعبر الدستور عن التوافق الوطني ويرسخ للدولة الوطنية الديمقراطية الدستورية الحديثة، ويحافظ على هوية الأمة والمقومات الأساسية للمجتمع، ويحترم للحريات العامة والخاصة.

سيكون في مصر الجديدة الحاكم فيها أجير وخادم للشعب، وهذه من أولى مهماتي معكم، أكون حكما بين السلطات، راعيا للدستور والقانون، وبعد أن أولاني الشعب ثقته في الانتخابات، وأشرف عليها القضاة، وحرستها القوات المسلحة ورجال الشرطة الأمناء، وأعلن شيوخ القضاء المصرى نتيجتها النزيهة التي جاءت بها صناديق الانتخاب، ها أنا ذا أبدأ معكم ولايتي الرئاسية، أعاهد الله وأعاهدكم.

السيدات والسادة، سوف أبذل كل جهدي للحفاظ على أمننا القومي وحماية حدود هذا الوطن مع القوات المسلحة درع الوطن وسيفه، الذي يردع كل من تسول له نفسه المساس بمصر أو تهديد أمنها القومي، إنني من موقعي هذا أتعهد أمام المصريين أن تقوم الدولة بكامل مسئولياتها تجاه المجتمع وتجاه أبناء مصر، وتسهر على ما يحفظ أمنه واستقراره وسلامته وترعى كل فئات المجتمع.

سأبذل كل وسعي لدعم وشائج المحبة بين أبناء المجتمع وتفعيلا للمواطنة بين المواطنين.

إننا بحاجة ماسة لإزالة آثار الفوضى في كل المجالات وخاصة في المجال الاقتصادى، هذه الفوضى التي أسهم فيها النظام السابق، لابد أن يتحقق عدالة اجتماعية بمفهومها الشامل لتحقيق الاستقرار والأمن للمجتمع المصرى.

أيها الشعب المصرى العظيم، إن النظام السابق فرط في أمننا القومي وأدى إلى تقزيم الدولة ومنينى مصر القوية.

إننا نحمل رسالة سلام للعالم ونحمل رسالة حق وعدل، كما تعهدنا دوما. نؤكد على احترام الدولة للمعاهدات والاتفاقيات، وأعلن أن مصر الشعب والأمة والحكومة ومؤسسة الرئاسة تقف مع الشعب الفلسطيني، حتى يحصل على كافة حقوقه، وسنعمل على إكمال المصالحة الفلسطينية ليكون الشعب الفلسطيني صفا واحدا.

المصريون لا يصدرون الثورة ولا نتدخل في شئون أحد ولا نسمح لأحد أن يتدخل في شئوننا، إذا كنا الآن في مصر نبني مصرنا الجديدة، فإننا لا ننفك عن أمتنا العربية والإسلامية. ولا نعادى أحدا في هذا العالم، سنعمل على تشجيع الاستثمار واستعادة السياحة لدورها، بما يعود بالخير على الاقتصاد وكل مواطن في مصر.

سنرسم مستقبلا زاهرا لأولادنا وأحفادنا، مسلمين ومسيحيين، لتعود مصر عزيزة قوية،

ولتستكمل أهداف ثورتها، ولنستكمل معا أهداف ثورتنا ولنحقق الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية. أرسل لكم جميعا احترامي في كل مكان تحية من القلب، وأعاهدكم أن لا أخون الله فيكم.

لن أخون وطني أبداً، لن أخون أهلي أبداً، سأكون عند ظنكم وإرادتكم.

إن دماء الشهداء وأنات الجرحى والمصابين، حق في رقبتي، حتى يؤخذ القصاص العادل لهم.

ننظر إلى الأمام ولا ننظر إلى الخلف. ونمضي إلى العمل والإنتاج. وإن غداً لناظره قريب. «وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ردود فعل واسعة في الاعلام الغربي حول تسلم مرسي السلطة في مصر

تحت هذا العنوان جاء تحقيق الأستاذة/ علياء عبدالفتاح المنشور بموقع «بوابة الحرية والعدالة» في ٢٠١٢/٧/١م جاء فيه:

قالت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية: إن الرئيس محمد مرسي أدى اليمين الدستورية السبت كأول رئيس مدني منتخب ديمقراطيا في مصر، حيث تبدأ مرحلة سياسية جديدة لتحديد مستقبل البلاد بعد ستة عقود من الحكم العسكري المستبد، مؤكدة أن الرئيس الجديدة اكتسب قوة وأرضية في الشارع المصري واعتبرت الصحيفة أن مرسي استمر في جهوده الواضحة لبسط هيبة منصبه الجديد، حيث أثنى على البرلمان المنتخب ووصفه بأنه انتصار للديمقراطية. ووجه تحية إلى المجلس العسكري لدوره في المرحلة الانتقالية، مؤكداً في الوقت ذاته على عودة الجيش لثكناته وحماية الحدود، وعودة المؤسسات المنتخبة لممارسة دورها، متعهداً بالحفاظ على القوات المسلحة قوية للعمل مع غيرها من مؤسسات الدولة ضمن الدستور والقانون.

وأضافت الصحيفة أن خطابات الرئيس مرسي لم تكن بلهجة إسلامية ولكنها كانت خطابات سياسية.

من جانبها، ذكرت وكالة «الأسوشيتدبرس» أن الكاريزما الشخصية للرئيس المصري د. محمد مرسي تتصاعد منذ فوزه، مشيرة إلى أنه فرض هيبته على المصريين جميعا بعد تنصيبه رسميا لرئاسة الجمهورية عقب حلفه اليمين الدستورية أمام المحكمة الدستورية العليا، واحتفال القوات المسلحة بتسليم السلطة ليصبح مرسي أول رئيس مدني منتخب في تاريخ مصر والعالم العربي.

وأشارت الوكالة إلى الخطبة التي ألقاها الرئيس بجامعة القاهرة حول اتفاقية السلام، حينما تعهد بدعم الحقوق المشروعة للفلسطينيين وقال إن إدارته ستواصل احترامها للمعاهدات الدولية.

وقالت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» الأمريكية إن أداء الرئيس محمد مرسي - الذي ينتمي لجذور ريفية - اليمين الدستورية كأول رئيس مدني سينقل البلاد من الحكم العسكري إلى الحكم الديمقراطي، مشيرة إلى أن أداء الرئيس مرسي يتسم بروح العهد الجديد الذي تشهده مصر

بفضل الثورة.

ولفتت الصحيفة إلى عظم حجم التحديات التي تواجه مرسي من تحقيق البرامج الاقتصادية والاجتماعية وإعادة تنظيم البيروقراطية الواسعة في مصر ومواجهة الفساد.

وقالت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية إن المصريين شهدوا أول تسليم ديمقراطي في تاريخ بلادهم مع أداء الرئيس مرسي اليمين الدستورية.

مرسي رئيسا

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ حمود ابو طالب المنشور بجريدة عكاظ الصادرة بتاريخ: ٢٠١٢/٦/٢٧ م جاء فيه:

الرئيس محمد مرسي مواطن مصري حصل على أعلى درجات التعليم وجاء من بيئة مدنية ووصل إلى ما وصل إليه بعد رحلة كفاح علمية، وخاض غمار السياسة من خلال انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، لكنه الآن رئيسا لمصر، مصر بكل أطيافها وتراكماتها ومتاعبها، وأيضاً محوريتها عربيا وإقليميا. وحين قال في خطابه أنه سيكون رئيسا لكل المصريين فذلك ما نتمنى خاصة وأنه الرئيس المدني الأول في تاريخ مصر الحديث.

شعارات العدالة والحرية يجب تحويلها إلى برنامج عمل هذا هو التحدي الكبير الذي يجب أن يضعه الدكتور مرسي نصب عينيه كل لحظة. عليه البحث عن كل الكوادر الوطنية المؤهلة المخلصة لمشاركته بناء مصر.

كان الله في عونه وعون مصر..

مخاوف اسرائيلية

تحت هذا العنوان «إسرائيل ومصر إسلامية» جاء مقال أستاذة/ رندى حيدر المنشور بجريدة النهار الصادرة في: ٢٩/ ٦/ ٢٠١٢ م

تقول:

راوحت ردود الفعل الإسرائيلية على فوز مرشح «الإخوان المسلمين» محمد مرسي بالرئاسة المصرية بين الحذر المشوب بالقلق والخوف.

ولئن كان فوز مرسي متوقعا في إسرائيل منذ نتائج الدورة الأولى، إلا أن تحقق هذا الفوز أيقظ المخاوف وأقض مضاجع المسؤولين السياسيين والقادة العسكريين على حد سوء. وخصوصا أمام موجة الفرح العارم التي عمت قطاع غزة، بحيث بدا واضحا حجم الترابط الوثيق بين السلطة الجديدة في مصر وحركة «حماس» في غزة.

منذ الآن بدأت تظهر انعكاسات فوز رئيس إسلامي في مصر على السياسات الإسرائيلية على أكثر من صعيد، فعلى الصعيد العسكري، بدأت إسرائيل تعيد النظر في إمكان تجدد نشوء خطر الجبهة المصرية، وذلك بعد سنوات طويلة من السلام مع مصر قلصت خلالها عدد قواتها العسكرية على الحدود مع مصر. ومن المعلوم أن الجيش المصري هو أقوى

الجيوش العربية وأكثرها عددا وأحدثها تسلحا، هو يملك سلاحا أمريكيا حديثا متطورا قد يشكل خطرا حقيقيا على إسرائيل في حال نشوب حرب. وهكذا بات على الجيش الإسرائيلي اليوم أن يأخذ في الاعتبار في تدريباته وفي موازنات تسلحه خطر هذه الجبهة من جديد. الأمر الذي من شأنه - وفق التقديرات الإسرائيلية - أن يكلف عشرات المليارات من الشيكلات.

على الصعيد السياسي، وعلى رغم كل التطمينات التي أطلقها مرسي بأنه سيلتزم بالتعهدات التي قطعتها مصر قبل، ... مطالبة القاهرة بإعادة النظر في معاهدة كامب ديفيد واردة جدا.

ولعل الأهم بالنسبة إلى إسرائيل هو الارتدادات الإقليمية لفوز الإخوان بالرئاسة المصرية على الساحة الفلسطينية. فالتطور المصري سيجعل من الصعب بعد اليوم القيام بعمليات عسكرية طاحنة ضد الفلسطينيين مثل عملية «الرصاص المصبوب» في غزة سنة ٢٠٠٨. ولا مجال لاستمرار الحصار المفروض على القطاع منذ سيطرة «حماس» هناك عام ٢٠٠٧؛ لأن من شأن السلطة السياسية الجديدة في مصر ألا تسمح بعد اليوم بذلك، كما من المنتظر أن تقوم هذه السلطة بفتح حدودها مع غزة وأن تحرر أبناء القطاع من السجن الذي عانوه طوال سنوات الأخيرة.

اليونسكو تنتصر للتراث الفلسطيني

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ إبراهيم عباس المنشور بجريدة المدينة الصادرة بتاريخ ٢٠١٢/٧/١م يقول:

دخلت بيت لحم مرحلة جديدة في تاريخها العريق بصدور قرار اليونسكو إدراج كنيستها الكبرى كنيسة المهد التي تعتبر أقدم كنيسة في العالم، على قائمة التراث العالمي بأغلبية ١٣ صوتا من أصل ٢١ مقابل ستة أصوات معارضة وامتناع اثنين عن التصويت وهما يعتبر أول ثمرة من ثمار قبول فلسطين في عضوية منظمة اليونسكو في أكتوبر الماضي.

أهمية هذه الخطوة تكمن في توثيق هذا الأثر العريق باعتباره أثرا عربيا فلسطينيا. واعتباره معلما من معالم التراث العالمي وما يتيحه ذلك من التمتع بحماية اليونسكو، وحيث لم يعد خافيا أن قوات الاحتلال الإسرائيلي لم تستثن الأماكن المسيحية المقدسة من اعتداءاتها ما يدعو إلى الاستغراب في أول رد فعل دولي على القرار إعراب الولايات المتحدة الأمريكية عن خيبة أملها من إدراج الكنيسة على لائحة التراث العالمي.. فهكذا قرار ليس له أي علاقة من قريب أو بعيد بأمن إسرائيل، كونه شأنا فلسطينيا محضا يتعلق بمدينة فلسطينية وأثر فلسطيني عربي داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة في حرب يونيو ٦٧.. لكن سرعان ما يزول هذا الاستغراب إذا عدنا بذاكرتنا إلى شهر أكتوبر الماضي عندما كان رد فعل واشنطن على قبول اليونسكو فلسطين عضوا فيها وقف مساهمتها للمنظمة التي تشكل ربع ميزانيتها.

لاشك أن اليونسكو انتصرت مرة أخرى للتراث الفلسطيني الذي يعتبر مكونا أساسيا من مكونات عروبة فلسطين، ويبقى هنالك خطوات أخرى مهمة أمام السلطة

الفلسطينية قيد الانتظار، أهمها الطلب من اليونسكو وضع المقدسات الإسلامية في القدس ضمن قائمة التراث العالمي.

أهنت لما أهنت

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ فهمي هويدي المنشور بجريدة الشروق الصادرة بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢م يقول:

ما صدر عن الرجل الفريق ضاحي خلفان، كان رأيا أبداه عبر حسابه الشخصي على تويتر، وبدا فيه أنه لم يكن سعيدا بفوز الدكتور محمد مرسي لدى عشيرة أو جماعة مصر. حيث لم يعجبه أن ينتخب عضو في الإخوان المسلمين لرئاسة مصر. لكن سوء ما قاله أن الرئيس المصري لن يفرش له السجاد الأحمر إذا جاء إلى الإمارات وأنه سيأتي إلى الخليج حبوا.

معركته مع الإخوان شأن خاص بالجماعة، واستياؤه لفوز الدكتور مرسي ودفاعه عن منافسه الفريق أحمد شفيق هو حر فيه. رغم أن كلامه يمكن أن يعد تدخلا غير مرحب به في الشأن الداخلي المصري.

لكنني أفهمه وأمرره لأن رئاسة مصر تعد رئاسة لكل العرب.. ومن ثم فلكل عربي فيها نصيب وحق، ناهيك عن أن الذي قيل بحق الرئيس المنتخب في داخل مصر أضعاف ما قاله قائد شرطة دبي. لكن الذي بدا جارحا ومحيرا كان قوله إن الرئيس المصري سيأتي إلى الخليج زاحفا ليطلب العون المادي. وهو الشق الذي استفز الرأي العام المصري وأغضبه، وربما كان ذلك هو السبب في إعلان الرئيس مرسي مرتين أن مصر لا تتدخل في شئون أحد، وأنها ترفض مساس أي أحد بكرامتها أو كرامة رئيسها.

في ضوء هذا! فلست أجد في مجمل الملابسات التي ذكرتها ما يمكن أن يشكل سببا كافيا لتعكير العلاقة بين البلدين، وما دامت تلك العلاقة قائمة على الاحترام المتبادل لاختيار الشعب، فإن ذلك الاحترام يوفر مناخا مواتيا لاحتمال الهنات والأخطاء الصغيرة، التي يدخل ضمنها كلام الفريق ضاحي خلفان. ذلك أن الحفاظ على العلاقة الإيجابية بين الأشقاء العرب من موجبات الرؤية الاستراتيجية الصائبة، وحين يكون طرفا العلاقة هما دولة كبرى مثل مصر، وشقيقة صغرى مثل الإمارات فإن الحرص على إيجابية تلك العلاقة يصبح أوجب.

أكثر ما يهمني في المشهد هو ما أصاب مصر من هوان قلل من شأنها، وشجع البعض على التطاول عليها، لذلك فإني أزعم أن المشكلة الحقيقية ليست فيمن تطاول ولكنها فيمن هان أمره وتصاغر.

الأمر الذي يجعل من استعادة مصر لقيمتها وقامتها أولوية عاجلة. وهذه الاستعادة تتحقق بتعافي البلد سياسيا واقتصاديا وبإصراره على الاعتماد على طاقات شعبه وإبداعه الذي يغنيه عن سؤال الآخرين، مع انتهاج سياسة مستقلة تليق بوزن ذلك البلد وكبريائه وعطائه التاريخي والحضاري. ذلك أن احترام البلد لنفسه وحده الذي يفرض على الآخرين أن يبادلوه الاحترام.

وبعد أحد

حمراء الأسد

إن الذى يطالع السيرة النبوية من بداية ظهور الإسلام حتى دخول النبى ﷺ مكة منتصرا يوم الفتح الأكبر لابد أن يلاحظ أن دور أبى سفيان بن حرب فى مقاومة الإسلام ورسوله، كان دورا بارزا عنيفا شرسا حقودا لدودا وكثيرون كانوا يكرهون الإسلام ويقاومونه لكن أكثرهم لم يكن فى شراسة أبى سفيان وكثيرون قاوموا الدعوة لكنهم لم يكونوا فى عناد أبى سفيان وكثيرون وقفوا فى وجه الإسلام لكنهم لم يكونوا فى حقد أبى سفيان وكثيرون كرهوا الإسلام لأنه يحد من شهواتهم ونزواتهم لكنهم لم يكونوا فى لدد أبى سفيان.

والعجيب فى أبى سفيان أنه رغم كل ذلك ورغم بغضه وبغضه للرسالة وللرسول لأنه يعرف قدر صاحب الرسالة ومكانه ومكانته ولحسب أنه يتحسس مكانة الرسول فى قلوب أصحاب النبى ﷺ حين سأل سؤالا لم يسأله سواه حين قال لابن الدثنة أتحب أن محمدا مكانك يقتل وأنك فى أهلك؟ فكان جوابه طعنة فى قلب أبى سفيان حين قال: والله ما أحب أنى فى مكانى أقتل ورسول الله تصيبه شوكة يشاكها.. لكن الرجل تقبلها على مضض وكأنه ينتظرها ويتوقعها فقال مبديا حقيقة يعرفها ويمارس أساليبها فقال: (ما رأيت أحدا يحب أحدا مثل حب أصحاب محمد محمدا) قال ذلك لأنه يعرف قدر هذا الحب. لكنه يجهل أسبابه وليس فى حسابه فهو يعرف الحب المادى والدوافع المحركة له لكنه لا يعرف حب الإيمان الكامن فى الأفئدة وجوانح القلوب. لقد كان أبو سفيان يبغض رسول الله ﷺ بغضا شديدا ويبغض رسالته ولم يكن فريدا فى هذا الأمر أو وحيدا بين الناس لكن كثيرا من المشركين كانوا على شاكلته وثمة حوادث كان فيها أناس يشاركون أبا سفيان هذا البغض وربما يزيدون عليه لكن جمعتهم برسول الله ﷺ مواقف تحولوا فيها بنظرة من رسول الله ﷺ من النقيض إلى النقيض فكان رسول الله ﷺ أحب الناس إلى قلوبهم فهذا ثمامة بن أثال كيف تحول من النقيض إلى النقيض فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج رسول الله ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة بن أثال؟ فقال: عندى يا محمد خير إن تقتلنى تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: عندى ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلىّ والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلىّ والله ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد إلىّ وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا ولكن أسلمت مع محمد ﷺ رسول الله، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ.

وها هو ذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتأمل كيف أن سماعه للقرآن من قارئه فى بيت أخته حول الرجل من جبار عنيد شرس إلى هين لين يرجوا أن يلقى رسول الله ﷺ وليسلم على يديه وما أجمل وما أبدع حافظ إبراهيم حين قال يصف هذا التحول العظيم فيقول:

سمعت سورة طه من مرتلها

فزلزلت نية قد كنت تنويها

وفضالة بن عمير بن الملوح عندما أراد قتل النبى وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله قال: ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شىء كنت أذكر الله فضحك النبى ثم قال: أستغفر الله ثم وضع النبى ﷺ يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلىّ منه فلما رجعت إلى أهلى مررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث فقلت: لا ثم انبعث يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا

يأبى على الله والإسلام

لو ما رأيت محمداً وقبيله

بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا

والشرك يغشى وجهه الإظلام

إنه شىء يبعث على التساؤل لماذا يجرى مع أبى سفيان ما جرى مع من ذكرنا؟ ولماذا كل هذا الحقد وهذا البغض لرسول الله ولرسالته من أبى سفيان؟ على أى حال قد مارس أبو سفيان ضغائنه فى إثارة الحروب ضد رسول الله فلم يكفه ما وقع من هزيمة للمسلمين فى معركة أحد لم يكفه هو ولا جموع قريش فيروى أنه لما رجع جيش المشركين من أحد لقيهم حيوان يسخرون منهم ويحرضونهم قائلين: لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا، ويروى أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد يوم السبت بات على داره جموع من الأوس والخزرج يحرسونه خوفا من كرة العدو فلما طلع الفجر من يوم الأحد أذن بلال وجلس ينتظر خروج النبى ﷺ فأتى عبدالله بن عمرو بن عوف المزنى يطلب النبى ﷺ فلما خرج قام إليه وأخبره أنه أقبل حتى إذا كان بملل (موضع بين مكة والمدينة) إذا قريش قد نزلوا فسمع أبا سفيان وأصحابه يقولون ما صنعتم شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبدوهم فقد بقى فيهم رءوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول: يا قوم لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا (يعنى أصابهم جراح وشدة) وإنى أخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخروج فارجعوا والدولة لكم فإنى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال رسول الله ﷺ أرشدهم صفوان وما كان برشيد ثم دعا ﷺ أبا بكر وعمر فذكر لهما ما أخبره به المزنى فقالا: يا رسول الله اطلب العدو ولا يقتحمون على الذرية فلما انصرف رسول الله ﷺ الصبح ندب الناس وأمر بلالا أن ينادى أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال

بالأمس فقام أسيد بن حضير وبه تسع جراحات وهو يريد أن يداويها لما سمع النداء قال سمعاً وطاعة لله ولرسوله ولم يعرج على دواء جرحه وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً منهم الطفيل بن النعمان به ثلاثة عشر جرحاً وخراش بن الصمة به عشر جراحات وكذلك كعب بن مالك وقطبة بن عامر ووثب المسلمون إلى سلاحهم وما عرجوا على جراحتهم ويروى أن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال: أنا راكب معك فقال: لا. ثم دعى رسول الله ﷺ فرسه «السكب» على باب المسجد ولم يكن مع أصحابه ﷺ بحمراء الأسد إلا فرس عبيد وبعث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد سمع المنادى فخرج ينظر متى يسير رسول الله ﷺ فإذا رسول الله ﷺ عليه الدرع والمغفر وما يرى منه إلا عيناه فقال يا طلحة أين سلاحك قال: قريب يا رسول الله ثم قال رسول الله ﷺ أين ترى القوم الآن؟ قال هم بالسيالة «موضع» فقال رسول الله ﷺ ذلك الذي ظننت أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا.

وبعث رسول الله ﷺ طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد وبصروا برجلين فعطفوا عليهما فقتلوهم ومضوا لمعسكر رسول الله ﷺ بحمراء الأسد فدفن الرجلين في قبر واحد وهما القرينان.

وكان رسول الله ﷺ يأمر الجيش في النهار بجمع الحطب فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران فيوقد كل رجل نار فلقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رؤيت من مكان بعيد وذاع ذكر خبر المسلمين ونيرانهم في كل وجه وكان ذلك مما كبت الله به عدوهم وأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد الاثنين والثلاثاء والأربعاء.

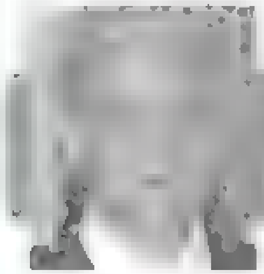
ويروى أن ابن أبي معبد الخزاعي أتى أبا سفيان ومن معه بالروحاء (مكان) وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وقالوا أصبنا خير أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: هذا معبد وعنده الخبر ثم قال ما وراءك يا معبد قال: تركت محمداً وأصحابه قد خرجوا في طلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع معه من تخلف معه من الأوس والخزرج وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم وغضبوا لقومهم غضباً شديداً وندموا على ما فعلوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قالوا ويلك ما تقول قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل فقال: والله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك والله لقد حملني على ما رأيت أن قلت فيهم أبياتاً من شعر قال وما قلت فذكر له ما قال من شعر فثنى ذلك مع كلام صفوان أبا سفيان ومن معه وفت أكبادهم فانصرفوا سراعاً خائفين من الطلب ومر ركب من عبد القيس بأبي سفيان إذا لقيتم محمداً فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وأنا في آثاركم فانطلق أبو سفيان وقدم الركب برسول الله ﷺ بحمراء الأسد فأخبروا بالذي قاله أبو سفيان وأصحابه فقال رسول الله ﷺ حسبنا الله ونعم الوكيل فنزل قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾

(آل عمران: ١٧٣)

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة



أ.د. أحمد فؤاد باشا

كيف بدأ الخلق؟

إن قضية أصل الكون ونشأته تمثل تحدياً مستمراً للعلم البشري مهما تطور وتقدم، وهي تعتبر من أمور الكون التي يعلم الله وحده حقيقتها الكاملة، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

(سورة الكهف: ٥١)

لكن غيبية هذه القضية لم تمنع العلماء بحكم تعاليم الإسلام من أن يواصلوا البحث والتنقيب عن آيات الله في الكون ليزداد الإنسان إيماناً بقدرة الخالق المبدع ووحدانيته، قال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾

(سورة العنكبوت: ٢٠)

ولقد حقق العلم البشري نجاحاً محدوداً على طريق البحث عن أصل الكون فاستعان العلماء بتقنيات متقدمة في الرصد والقياس لدراسة مسائل عديدة تتصل بتطور النجوم، وخصائص موجات الراديو (اللاسلكي)، وطبيعة الأشعة الكونية، وحقيقة الجسيمات الأولية في الذرة، وغيرها.

وكان من بين ما انتبه إليه الفلكيون، من خلال دراسة المجرات البعيدة، أن الكون بأكمله في حالة توسع هائلة مما يعني أن هذه المجرات كانت في الماضي أكثر قرباً من بعضها، وكلما توغلنا في عمق الزمن ثبت أنها كانت أكثر قرباً حتى نصل اللحظة التي كانت فيها المادة الموجودة في الكون مركباً أكثر تركيزاً من أي مادة موجودة اليوم، أكثر تركيزاً حتى من نواة الذرة، وعند درجة حرارة عالية جداً كافية لحدوث جميع التفاعلات النووية ويعتقد العلماء أن هذه المادة الكونية المركزة قد انفجرت منذ ١٢ - ٢٠ بليون سنة

لأسباب غير معروفة، ونشرت دخانا وسديما، وبردت شيئا فشيئا مع انتشار أشعة كونية تحول دون اتحاد العناصر الخفيفة حتى يتم توزيع الأجرام السماوية فى أماكنها المقدرة بها. وأصبحت درجة حرارة الكون وكثافة مادته وحجمه من أهم العوامل التى تعين دراستها على فهم طبيعة الكون وظروف نشأته.

ومن الأسئلة الكثيرة المحيرة فى علم الكونيات المعاصر: ماذا كان هناك قبل الانفجار الكبير؟ وإلى أين يتمدد الكون ويتوسع؟ وهل هذا الكون مفتوح فى كل الاتجاهات ويحتوى عددا لانهائيا من المجرات، أم أنه مغلق وذو فضاء محدب يجعله ينطوى على نفسه؟ وهل بإمكان الإنسان يوما ما أن يرى أبعد من أفق الكون المرصود؟ وهل توجد هناك أكوان أخرى غير هذا الكون الذى نعيش فيه ونسعى لرصد مسافات أبعد فى أعماقه؟

وهكذا نرى أن الإنسان فى سعيه الحثيث لفهم الكون وحقائقه يزداد أمامه هذا الكون عمقا واتساعا لكى تبقى النتائج العلمية التى يحصل عليها مجرد خطوة على طريق المعرفة اللانهائى نحو حقيقة بدء الخلق.

البحث عن الحياة على أرض أخرى

أشار القرآن الكريم إلى تعدد العوالم فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة الفاتحة: ٢)

كما أشار إلى وجود سبع أرضين كما فى قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

(سورة الطلاق: ١٢)

وأشار كذلك إلى وجود كائنات تدب وتتحرك فى السموات والأرض. وهذه الكائنات عاقلة وذكية وعابدة وليست قاصرة على الملائكة، وإلى أن الله -سبحانه وتعالى- قادر على جمع هذه الأحياء وحدوث الالتقاء بينها أثناء الحياة الدنيا أو فى الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾

(سورة الشورى: ٢٩)

وهذه القضية المتعلقة باحتمالات وجود كائنات حية ذكية غير الإنسان فى كواكب أخرى فى هذا الكون الفسيح أصبحت من الموضوعات التى تجذب اهتمام الناس وتستحوذ على تفكيرهم فى هذا العصر الذى نعيشه، حيث يلهث العلم وراء البحث عن أسباب تسمح بوجود حياة على الكواكب الأخرى غير الأرض فى مجموعتنا الشمسية، أو على الكواكب التى تدور بتأثير الجاذبية حول نجوم أخرى، وعادة مايكون اكتشاف أى آثار تدل على وجود الماء من أبرز الأسباب التى ترجح الاعتقاد بوجود حياة، حيث إن الماء هو الأصل والضرورى لنشأة الحياة واستمرارها، باعتراف علماء البيولوجيا أنفسهم، وتقرير القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(سورة الأنبياء: ٣٠)

كذلك لابد من توفر درجة حرارة مناسبة لحياة الأحياء، بالإضافة إلى ضرورة توافر عنصر الكربون الذى يمتاز بقابليته للاتحاد بالعناصر الأخرى فى مركبات أساسية للحياة.

وقد أكدت رحلات الفضاء وأبحاث العلماء استحالة وجود حياة كالتى نعرفها على أى كوكب آخر غير الأرض فى مجموعتنا الشمسية. وأصبح مطلوبا البحث عن وجود هذه الحياة الذكية المحتملة بعيدا عن المجموعة الشمسية على كواكب (أو أرضين) شبيهة بأرضنا وتابعة لنجوم (شموس) أخرى غير شمسنا فى عوالم أخرى فى مجرتنا أو المجرات الأخرى.

وتوجد بعض الدلائل التى تشجع العلماء على مواصلة البحث عن الحياة فى الكواكب البعيدة عن مجرتنا، من ذلك اكتشاف عدة أحماض أمينية فى قطع مختلفة من نيازك سقطت على الأرض حديثا، واكتشاف مايشير إلى احتمالات وجود بخار ماء وأمونيا فى السحب الباردة الموجودة بين نجوم مجرتنا ومجرات أخرى كذلك تمدنا نظرية الاحتمالات الرياضية بأن الفرصة ممكنة لوجود كواكب صالحة للحياة من بين الكواكب التى تتبع هذا العدد الهائل من النجوم (أكثر من مائة بليون نجم) فى الكون المعروف لنا، وخاصة أن تركيب النجوم وقوانينها متشابهة مع نجم الشمس. وبهذا يتضح أنه من المنطقى أن توجد الحياة بأى صورة على كواكب أخرى غير أرضنا.

وقد بذل الإنسان حديثا محاولات للاتصال بالعوالم الأخرى، منها إرسال المركبة الفضائية الخالية من البشر "بايونير-١٠" فى عام ١٩٧٢م، وزميلتها سفينة فويجر ٢ التى أطلقت عام ١٩٧٧م وتحمل أجهزة متفوقة، وطاقة نووية تمكن من مغادرة المجموعة الشمسية، ومواصلة السير بحثا عن العوالم الأخرى.

ولقد زودت هذه السفن برسائل رمزية وصورة رجل وامرأة من أهل الأرض يرفعان أيديهم رمزا للسلام، ورسائل صوتية مسجلة بلغات مختلفة وموجهة من شعوب الأرض إلى سكان العوالم الأخرى لتحيتهم وحثهم على الاتصال بنا، لكن.. هل سيتحقق هذا الذى يبحث عنه العلماء.. العلم عند الله وحده القائل فى محكم التنزيل..

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الشورى: ٩)

قراءة في كتاب



بقلم: عادل خفاجة

هذا الكتاب.. هو رسالة دكتوراه تقدمت بها الباحثة زينب عبد السلام أبو الفضل " المدرس المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة طنطا. وقد نوقشت هذه الرسالة من قبل لجنة علمية برئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية وحصلت الباحثة إثر مناقشتها على درجة الدكتوراه سنة ٢٠٠٨.

ثم تقدمت الباحثة للنشر فصدرت سنة ٢٠١٠ في طبعة فاخرة عن دار الحديث بالقاهرة، في جزءين مجموع صفحاتهما (ألف وأربع) صفحات من قطع ١٧ × ٢٤ سم.

ويتكون الكتاب من مقدمة وتمهيد وتسعة فصول وقد حظي الكتاب بتقديم لكل من فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي مصر وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ والحضارة رحمه الله.

ولأن الكتاب ينصب على عناية القرآن بحقوق الإنسان فقد تم تخصيص صفحات المقدمة للكلام عن الحقوق سواء ما كان حقا لله أو ما كان من حقوق العباد وما اجتمع فيه حق الله وحق العبد.

ثم جاءت فصول الكتاب التسعة على النحو التالي:

الفصل الأول: الإنسان في القرآن

تناولت فيه المؤلفة النزعة السماوية والنزعة الأرضية في الإنسان ثم ما استتبع ذلك أن تكشف شيئا عن مظاهر حب الذات عند الإنسان وكذا العلاقة بين الإنسان والكون.

الفصل الثاني: الحقوق الدينية للإنسان

وقد تناولت فيه المؤلفة حق الاعتقاد ومسالك القرآن في تقرير هذا الحق ونفي الإكراه في الدين وتحرير العقل من سلطة التقليد وعدم قبول الإيمان إلا من قلب مطمئن به.

ثم حق الدفاع عن العقيدة وتناولت فيه حكم القتال في سبيل الله والحكمة من مشروعية القتال.

الفصل الثالث: الحقوق السياسية للإنسان

في هذا الفصل عدة أمور نذكر منها: حرية الرأي والتعبير وكيف حارب القرآن المستبدين، وكيفية تكوين رأي عام قوي ناقد، وفي هذا الصدد تناولت الباحثة تعريف المنكر الواجب تغييره وشروطه ولمن تكون سلطة التغيير، ومتى يشرع السكوت على المنكر؟ ومتى يباح الخروج على الإمام؟

وناقشت الباحثة تحت عنوان حق الشورى عدة مسائل منها:

هل الشورى واجبة؟ كيفية تطبيق واجب الشورى وطريقة اختيار أهل الشورى والفرق بين الشورى والديمقراطية الغربية، ثم هل الشورى ملزمة للإمام؟

حق العدل:

أما عن حق العدل فقد تناولته الباحثة من خلال عدة مبادئ هي:

المساواة بين الناس في الكرامة الإنسانية.

وتحريم الظلم وحق الفرد في محاكمة عادلة.

كما تناولت ضمانات عدالة الحكم في الإسلام ما يتصل بالقاضي وما يخص المتهم.

بالإضافة إلى ما تناولته من إجراءات وقائية كتحريم أخذ الناس بالظلم والشبهة وتقرير مبدأ: " المتهم برئ حتى تثبت إدانته ".

وتقرير مبدأ ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ومنح المتهم الحق في الدفاع عن نفسه.

والدراسة بحق تستحق كل الإنصاف لما حوته من بحوث فقهية متميزة وإنما نقف مع القارئ عند طريقة اختيار أهل الشورى إذ تقول الباحثة: " إن الله سبحانه وتعالى يقول: في امتداح جماعة المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) ولم يحدد لنا من هم أهل الشورى وإن كان ظاهر الآية يفيد أن المراد العموم، وليس فئة من الناس دون فئة، كما يدل على ذلك التعبير بـ(هم).

لكن ما ورد عن النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم في تطبيقهم للشورى، يدل إلى أن أهل الشورى لديهم، كانوا يختلفون بحسب مقتضى الحال. فنرى رسول الله ﷺ يتبع ما يسمى في عصرنا بـ(الانتخابات) في أول مجلس للشورى يستعين به، كما حدث في العقبة، حين اختار الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج وفدا عند رسول الله ﷺ، يتكون من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، وهؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية، وبعد أن تمت البيعة، قال لهم رسول الله ﷺ: " أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس " حرصا منه ﷺ على أن يكون التمثيل دقيقا حسب تعداد كل قبيلة.

ثم نراه ﷺ يتبع أسلوب آخر في الاستشارة، وهو عرض الأمر على ذوي الرأي والمكانة من المسلمين، حين يكون الأمر الذي يراد عرضه على أهل الشورى يحتاج إلى معرفة رأي خاصة الناس، أو من الأمور التي يضر إفشاؤها بمصلحة المسلمين. كما حدث يوم بدر حين علم ﷺ باستعداد قريش بالحرب، فلم يبرم الأمر حتى جمع رؤوس المهاجرين والأنصار واستشارهم، قائلا: أشيروا علي أيها الناس، وكان يريد الأنصار خاصة، خشية أن تكون مبايعتهم له ﷺ في العقبة الثانية على أن يحموه في بلدهم مانعا لهم من الخروج معه لملاقاة قريش.

وقد عمد النبي ﷺ إلى اجتماعهم معه على القتال، وكانوا أكثر عددا من المهاجرين، مما

مخطط خطة

أما يوم أحد، فقد نهج رسول الله ﷺ نهجا آخر، حيث جعل الشورى عامة، لأنها كانت في أمر يخص الجميع، أعني: أن يبقى ﷺ ومن معه بالمدينة لملاقاة قريش، أو يخرج عنها إلى أحد؟ وكان رأى الأكثرية هو الخروج، فنزل ﷺ على رأيهم.

ويأتى الفصل الرابع للحديث عن الحقوق الاجتماعية للإنسان

وفيه تتناول: حق التكافل الاجتماعى ومنهج القرآن فى إرساء مبدأ التكافل فى المجتمع عن طريق بناء الفرد المتكامل، وإلزام جماعة المؤمنين بأن يكونوا متكافلين فيما بينهم وكذلك من خلال تشريع موارد للتكافل منها: الزكاة والكفارات والنذور والصدقات والأضحية والوصية .. إلخ

ثم يأتى حق تكوين الأسرة ثم حقوق الزوجين وتفصيلا أوردت الباحثة أربعة حقوق للزوجة

الأول: كفالة حقوق الزوجة المالية: وتضم الصداق والمتعة والنفقة والميراث.

والثانى: حق المعاشرة بالمعروف. وذكرت عددا من صور المعاشرة بالمعروف.

الثالث: حق الخلع. وتناولت فيه عددا من المسائل منها:

- مقدار ما تخالع به المرأة نفسها، التضييق على الزوجة مقابل المخالعة.
- إذن القاضى فى الخلع، الخلع فسخ أم طلاق. والرابع حق التفريق للضرر

وتناولت فيه ثلاث نقاط هى

- طلب التفريق لسوء العشرة
- التفريق لعدم الإنفاق
- التفريق لعدم الكفاءة.

أما عن حقوق الأزواج فقد أثبتت الباحثة للزوج سبعة حقوق وهى

حق القوامة، حق الطاعة، حق التعدد، حق تأديب الزوجة الناشز ووسائل ذلك، حق الطلاق، وأوضحت فيه الإجراءات التى قصد إليها الإسلام لتضييق فرص وقوع الطلاق، حق الرجعة، حق الزوج فى العدة.

أما الفصل الخامس:

فقد خصصته الباحثة للكلام عن حقوق خاصة ببعض الفئات، مثل حقوق الوالدين وحقوق الأبناء فتناولت فيه بر الوالدين فى حياتهما وبعد موتهما ورعاية الحقوق المعنوية والمادية للأبناء مثل: ثبوت النسب وحق الإرضاع وحق الحضانة وحق التربية والتهذيب وحقوق الأطفال غير الشرعيين.

وتقدم الباحثة حق الحضانة فى عبارة مركزة مستعينة بآراء الفقهاء، إذ تقول: لما كان للأم دورها الخطير فى حياة الطفل لا سيما ما يتصل بحمله وإرضاعه، رتب الفقهاء على ذلك أنها أحق بحضانته من أبيه، فى حال تنازعهما على حضانته. وقد أكد قول الفقهاء: ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، وإن أباه طلقنى، وأراد أن ينتزعه منى، فقال لها رسول الله ﷺ: أنت أحق به ما لم تنكحى.

قال ابن القيم: دل الحديث على أنه إذا افترق الأبوان، وبينهما ولد: أن الأم أحق به من الأب، ما لم يقم بالأم ما يمنع تقديمها، أو بالولد وصف يقتضى تخييره. وهذا ما لا يعرف فيه نزاع. وقد قضى به خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر ولم ينكر عليه منكر، فلما ولى عمر قضى بمثله

قال الشيخ أبو زهرة: وإذا كانت الحضانة حق للأم دون الأب، فقد اقتضى القياس أن تكون للنساء أولا دون الرجال. واقتضى أن تكون قرابة الأم مقدمة على قرابة الأب. ويتقدم فيها الأقرب فالذى يليه من هؤلاء.

وقد اشترط الفقهاء فى الحاضنة أن تكون حرة بالغة عاقلة، أمينة على الطفل، قادرة على القيام بشئونه. فإذا توفرت هذه الشروط، ولم يجز إسقاط حضانتها

ثم انتقلت الباحثة إلى حقوق النساء ومنها:

١- حق المرأة فى اختيار شريك حياتها
٢- حقها فى التعليم
٣- حقها فى تولى الوظائف العامة،

ولم تغفل الباحثة - عند الكلام عن هذه النقطة - ذكر بعض الضوابط التى يجب أن تلتزمها المرأة عند الخروج للعمل.

٤- حقها فى تولى الولايات العامة كالقضاء وعضوية المجالس النيابية وحقها فى الانتخاب وحقها فى تولى الوزارة.

وقد أحسنت الباحثة إذ عقدت مقارنة بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية فى التشريع لحقوق المرأة، إذ تقول: "مما سبق يتضح لنا أن عطاء الإسلام للمرأة فى مجال التشريع لحقوقها، كان عطاء واسعا شاملا، وأن قضية تحريرها من المظالم الواقعة عليها، ومساواتها بالرجل فى القيمة الإنسانية والكرامة البشرية، كانت من أهم القضايا التى بدأ التأسيس لها منذ طور الدعوة الأول فى مكة، بحيث إذا نظرنا إلى منتهى ما وصل إليه الجهد البشرى فى مجال التشريع للمرأة وحقوقها بدءا من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨، ثم مرورا بصدور الإعلان العالمى للقضاء على التمييز ضد المرأة عام ١٩٦٧، وانتهاء باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة عام ١٩٧٩ والتى تعد أهم وأشمل الاتفاقيات الدولية فيما يختص بحقوق المرأة حتى وصفت بأنها بمثابة إعلان حقوق المرأة - وإذا نظرنا إلى هذه التشريعات لوجدنا أن المرأة المسلمة فى مجتمعه الشريف ﷺ، كانت قد مارست فعليا خير ما سطرته العقول البشرية نظريا فى تشريعاتها هذه، ثم عجزت عجزا بينا عن تطبيقه على أرض الواقع فى حياة المرأة سيما عندنا"

وبعد أن طوفت الباحثة بين حقوق الزوج وحقوق الزوجة وأوضحت ما لكل منهما من حقوق وما عليه من واجبات لم تنس أن تقدم شهادتها فى هذا الشأن، لتنفى ما يدعيه بعض العلماء من الغربيين والمستغربين فتقول:

"فليس صحيحا أبدا أن الزوج فى الإسلام له كل الحقوق، والزوجة عليها كل الواجبات، بل هما أكفاء تماما، حتى فى حق إنهاء العلاقة الزوجية. فللمرأة حق الخلع، وحق طلب التفريق للضرر، مقابل ما للرجل من حق، الذى وضعت له الشريعة ضوابطه الخاصة، بحيث لا تضار المرأة، على النحو الذى تقدم.

وما كان للإسلام أن يحابى فى النظام الأسرى طرفا على حساب آخر، وهو الذى جاء لإصلاح الإنسان، وإصلاح أحوال العالم الذى يعيش فيه، والأسرة هى المحضن الطبيعى لهذا الإنسان، وهى المنبت الذى يستمد منه أخلاقه وفضائله. فصلاح الإنسان والعالم مرهون بصلاحها.

وهذا ما يفسر لنا سر هذه العناية القرآنية بالزواج وحكمه التي شملت العلاقة الزوجية من مبدئها حتى منتهاها، وبها يضمن حياة مستقرة مبنية على أساس من المودة والرحمة، والتساوي بين الحقوق والواجبات.

فالزواج في نظر التشريع الإسلامي هو السبيل الشرعي الوحيد لقيام نظام أسري مستقر صالح ينصلح بصلاحه أحوال الإنسان والعالم الذي يعيش فيه.

الفصل السادس:

ثم تناولت الباحثة في الفصل السادس حق العمل، وحقوق العامل والمبادئ التي وضعها الشرع لصيانة حقوق العمل، وحق تملك المال وقيود تملكه وحق ولي الأمر في التدخل لضبط الملكية أو نزعها، وتقف في هذا الفصل أمام حق تملك المال إذ تقول الباحثة:

والمذاهب الاقتصادية الحديثة من رأسمالية وشيوعية، لم تنجح في أن تعالج نزعة الفطرة في الإنسان علاجا صحيحا، فعلى حين تبيح الرأسمالية للإنسان أن يتملك من الأموال ما يشاء دون قيد أو شرط، لتبيح له بذلك مجتمعا عللا كثيرة أبرزها: السيطرة، والاحتكار، واستغلال الإنسان للإنسان، وتضخم الثروات لدى فئات بعينها، والطبقية، والتحكم في السوق والأسعار، والكسب غير المشروع ونحو ذلك، نرى الشيوعية تتجه وجهة أخرى عكس تلك الوجهة، حيث حظرت على الأفراد تملك المال مطلقا، على اعتبار أن الملكية الفردية هي رأس الشرور وأساس الصراع الطبقي في المجتمع.

وقد تباينت مواقفها بالنسبة لحق التملك الفردي بتباين أنواعها، فمنها ما حظر التملك مطلقا، ومنها ما اتجه وجهة أقل تطرفا، حيث أباح التملك الفردي للعمل، ولكن في حدود ضعيفة تمنع تملك وسائل الإنتاج كالمصانع والأراضي، كما تمنع استخدام الغير لحساب صاحب المال. والهدف هو منع استغلال الإنسان للإنسان، ومحو أسطورة الملكية المشئومة مع المحرومين البائسين من الأذهان.

لم يشأ الإسلام أن يكون كأي من هذه الأنظمة، ولكنه - كعادته دائما - أتى بمنهج فريد جديد، فلم يترك الإنسان فريسة لنهمه الفطري لجمع المال، ولم يصادر هذه الفطرة كلية بحظر التملك، ولم يحدد للإنسان ما يملكه ليقف نشاطه في الحياة عند هذا الحد، أو ليحصل على أقل مما يبذل فيشعر بالغبن. سلك الإسلام مسلكا فريدا مختلفا عن هذه الأنظمة كلها، حين أباح تملك المال بقيود عديدة، أراد بها تخليص الملكية من شرورها، ثم توجيهها الوجهة الصحيحة، حتى تنقلب خيرا ينفع الفرد والمجتمع. فمصلحة الجماعة كامنة وراء هذه القيود التي يمكن إجمالها فيما يلي: أن يكون مصدر المال حلالا، وأن يتم ترشيد الكسب، وإخراج حق الله منه، وتحريم الإسراف والبخل وألا يستخدم في الرشوة وأن يتداول بين الناس.

الفصل السابع:

وتخصص الباحثة الفصل السابع للحديث عن الحقوق البيئية، والصحية للإنسان وعقاب الله للمفسدين في البيئة وحديث القرآن عن الهواء والماء والغذاء وكائنات البيئة، كما تتحدث عن الحقوق الصحية.

الفصل الثامن:

وتفرد الفصل الثامن للحديث عن حقوق غير المسلمين وتتناول فيه المبادئ التي وضعتها الشريعة كي تحكم علاقة المسلم بالآخر، كما تناولت فيه حقوق أهل الذمة. فقد أثبتت في هذا الصدد - حق الاعتقاد بحرية، وحق الحماية وتناولت بالتفصيل حماية الحياة والعرض والممتلكات وحمايتهم من الفقر والحاجة.

وكذلك حق العمل والتنقل، وتولي الوظائف العامة، وعضوية المجالس التشريعية وحق التقاضي والحماية من الظلم.

وتتوقف في هذا الفصل أمام قولها: إن الأصل في علاقة المسلم بغيره هي السلم لا الحرب.

فلا يجوز الاعتداء على الآخر المسالم بحال، وأن القتال له مسوغاته التي لا يجوز بغيرها، وله أيضا آدابه التي تحكمه، والمسلم يجب أن يكون أسرع الناس إلى السلم

لقوله تعالى

[illegible]

[illegible]

وأن الناس جميعا متساوون في أصل الكرامة الإنسانية، فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

ولم يقل: ولقد كرمنا المسلم.

ثم إن مظاهر هذا التكريم من الرب جل وعلا للإنسان أن نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، فمظاهر هذا التكريم كان لجنس الإنسان بصفة عامة وليس للمسلم فقط كما نجد سبحانه وتعالى

[illegible]

ومن الأمثلة العملية على ذلك: ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله: أن جنازة مرت على النبي ﷺ فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله: إنها جنازة يهودي، فقال: (أليست نفسا)

وأنه لا ينبغي أن يحتكر خير هذا الكون قوم دون قوم؛ لأن الله سبحانه سخر منافعه للجميع، ولم يمايز بين جنس وآخر في العطاء، فالمعاملة الإنسانية على هذا يجب أن تكون واحدة؛ لأن الطبيعة الإنسانية واحدة، والإله واحد، والكون مسخر لخير الجميع.

ثم تشير الباحثة إلى إنتقاء القرآن تكريم باتباعه ونقده كثيرا حين يربيهم على ضرورة التمييز بين فصائل الآخر وتياراته، وأن لا يأخذوا الكل بجريرة البعض، فليس كل مسيحي صاحب أفكار صليبية عدوانية، وليس كل يهودي صاحب توجه صهيوني استعماري عنصري، فالعدالة في الحكم مقصد شرعي أصيل، وفي المقابل: فإن التعميم في الحكم آية من آيات الظلم الذي لا تقره الشريعة، ومن ثم كان هذا الإنصاف في كثير من الآيات التي تحدثت عن الآخر

[illegible]

فأصحاب النظرة العنصرية البغيضة التي تقر ارتكاب المنكرات والقبائح - التي يتفق عقلاء البشر جميعا على أنها قبائح - مع الآخر هم بعض أهل الكتاب وليسوا كلهم كذلك فمنهم - كما ذكرت

الآية - الذين لا يقرون المنكر ولا يفعلونه مع الناس جميعا، فهم أمناء حتى ولو على قنطار من المال - وهو الذى يمثل به على الكثرة - وهذا قمة الإنصاف لهذه الطائفة أما الطائفة الأخرى التى زعمت أن التوراة تبيح لهم أكل أموال الأميين العرب أو الأغيار، فلم تقف عنصريتها عند الآخر عند حد أكل أمواله بالباطل، ولكنها فرقت بين اليهودى وغيره من حيث حرمته وكرامته كإنسان بدليل هذا العموم فى الحكم الذى حكاه عنهم القرآن: (ليس علينا فى الأميين سبيل)

وهذا حولوا اليهودية - كما يقول الدكتور محمد عمارة - عن روح الدين الإلهى، إلى نسق فكرى عنصرى يرفض الآخر على مر التاريخ. ثم راحوا يتعدون من هذه الروح التلمودية العنصرية التى صارت موجها لتصرفاتهم ضد الآخر بشكل عام، وفى كل العصور وحتى يومنا هذا

أما الفصل التاسع و الأخير

فتناولت فيه العقوبات الرادعة لمنتهكى حقوق الإنسان.

وأخيراً نقول: إنه على مدى صفحات البحث التى تربو عن الألف صفحة استطاعت الباحثة أن تجمع وتناقش وتثبت العديد من الحقوق التى سبق الإسلام إليها جميع التشريعات واستطاعت كذلك أن تثبت أن القرآن الكريم والشريعة الإسلامية بعامة فاقت بنظرتها العليا كل ما توصل إليه مجموع البشر حتى الآن.

وكذلك فقد أثبتت الباحثة احترام الإسلام لعقل الإنسان وإرادته وحرية تفكيره و[illegible] وأن رسالة الإسلام هى رسالة العدل الكامل المطلق والمساواة التامة بين بنى البشر وأن مظلة التكافل الاجتماعى فى الإسلام تحمى جميع أفراد المجتمع.

وبعد: فقد أحدثت الباحثة [illegible] فقدمت عملاً موسوعياً وأضافت للمكتبة العربية كتاباً يثرى ما بها من إبداعات.

ثم أما بعد

لقد توقفت أمام الإهداء الذى كتبته الباحثة فى صدر كتابها القيم والذى ضم توسلها إلى النبى ﷺ قائلة: " إليك يا سيدى يا رسول الله أهدى هذا العمل رجاء أن تتقبله بيمينك، فتسقينى من حوضك شربة لا أظمأ بعدها أبدا [illegible]

أقول: لقد توقفت أمام هذه الكلمات وتساءلت هل يمكن للعرب أن يفهم هذه المعانى التى يتشوف إليها كل مسلم؟ هل يمكن أن نجد فى الغرب من يقدر أن تأليف كتاب تربو صفحاته عن الألف صفحة على مدى سنوات هى عمر هذا البحث وما بذل فيها من جهد بين متون الكتب وحواشيها تقدمه الباحثة طمعا فى شربة ماء؟

إن الفارق الكبير بين الشرق والغرب فى التفكير والاعتقاد هو ذاته ما يجعل الغرب يتيه فخرا بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان - برغم وجوده النظرى فى العالم وبعده عن التطبيق المحايد النزيه - ويعمى عينيه عن المنهل الأصيل لحقوق الإنسان وعن ريادة القرآن فى هذا المجال لا لشىء إلا لأنه إسلامى!!

بين المجلة والقارئ

غضب الصائمين

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ/ مصطفى الأزهري - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام. السيدة عائشة. القاهرة.. قال فيها:

ما أطيب نفوس الصائمين في شهر رمضان، حيث تنكسر العادات السيئة وتقل الرذائل وتضعف [illegible] وتكون النفس أقرب إلى روح السماحة والعفو، وأدنى إلى البساطة ونسيان الإساءة والاعتذار بأننا في شهر كريم، غير أن الامتناع عن الطعام والشراب بالصيام يبدأ معه صراع الإرادة وقوة النفس أو ضعفها، وعلوها أو ترديها، ومن هنا جاءت الأوامر القرآنية والتوجيهات النبوية لتحيط العبادات ولا سيما الفرائض بسياج من التحذيرات من ضياع الأجور الكثيرة المرجوة من [illegible] بسبب المخالفات التي تحبط العمل الصالح وتفرغه من مضمونه، وتقطع الطريق المؤدية إلى تحقق هدفه ومقصده من تربية النفوس وتهذيب الأخلاق و[illegible] الحقوق لله تعالى و[illegible] مع الله تعالى ومع الناس.

وللغضب عموماً آثار لا تحمد عقباها، وخسارة الإنسان بسببها ضخمة وكبيرة، على النفس والجسم، بل والحياة أيضاً، لذا يقول [illegible] الأطباء [illegible] تعتري [illegible] غضب [illegible] وتوتر [illegible] الأدرينالين في دمه زيادة كبيرة وقد يصل إلى ٢٠ أو ٣٠ ضعفا عن معدله العادي أثناء الغضب وبهذا تستهلك الطاقة بغير ترشيد كما إن بعض الجلوكوز قد يفقد من البول إلا زاد عن المعدل الطبيعي وبالتالي يفقد الجسم كمية من الطاقة الحيوية المهمة دون فائدة تعود عليه، لذا جاءت وصية المصطفى ﷺ لتوفر طاقات المسلم (الصائم) وتدربه على توفيرها والاحتفاظ بها في خزينة الصيام: فقال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو شاتمه أو قاتله فليقل: إني امرؤٌ صائمٌ » البخاري

وكذلك صوم شهر رمضان يعلمنا السكينة [illegible] في النفوس [illegible] ويجعلها أكثر هدوءاً وأقرب للاستعلاء على [illegible] الأمور و[illegible] الأحداث، لأنه شهر القرآن كما بين رب العزة والجلال بقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

فإذا كان المولى جل جلاله أنزل القرآن ونزله تنزيلا من لدن حكيم خبير، [illegible] سبحانه [illegible] كذلك شيئا عظيما يخرج من مشكاة واحدة، تلك هي السكينة والتي هي أثر من آثار رحمة الله تعالى بعباده وثمرة من ثمرات الإيمان والصيام، فقال تعالى:

● [illegible]

[illegible]

فهناك رباط وثيق بين السكينة والقرآن تبينها الرواية الآتية: عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن».. فليكن صومنا كما قال النبي ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» [illegible] القرآن الكريم ومعايشته وتدبره يظللان المسلم الصائم بسكينة تجعله أبعد الناس عن الغضب و[illegible] [illegible] ويجعله يتمتع [illegible] [illegible] [illegible] ربه مسموع الدعاء..

اللهم إنا نسألك صياما يفتح لنا باب حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربنا لرضاك عنا يا أرحم الراحمين..

حدث في رمضان

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ احمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الاورمان الثانوية النموذجية للبنين - إدارة الدقى التعليمية - جيزة:

شهر رمضان شهر العزة والنصر ينتصر فيه المؤمنون الصائمون على أنفسهم فينتصرون على أعدائهم في جميع معاركهم. فالإيمان بالله أقوى أسلحة النصر:

● [illegible] ●

ولقد كانت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، كانت على موعد مع القدر في رمضان ففي هذا الشهر المبارك وقعت أهم أحداث هذا التاريخ الطاهر، ومن صفحات الماضي الزاخر بالأمجاد الخالدة نقدم فيما يلي سجلا لأبرز الأحداث التي شاء القدر الأعلى أن يربطها بشهر الصوم، وأن يكون مسرحالها على وجه الحياة:

● ففي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

● فقد ابتدأ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ [illegible] من هذا الكتاب العزيز، تأمر بالقراءة، وتدعو إلى العلم [illegible]

● [illegible] ●

● وفي السنة الثانية للهجرة، وقعت في رمضان غزوة بدر الكبرى. لسبع عشرة ليلة خلت منه. وكان خروجه ﷺ من المدينة، لثمان ليال خلون من رمضان، على ما ذكره ابن هشام، وكان في هذه الغزوة أول انتصار حاسم للإسلام على قوى الشرك.

● وفي رمضان من العام الثامن للهجرة، بعث الرسول ﷺ [illegible] لهدم الأصنام الشهيرة حينئذ، فبعث خالد بن الوليد لهدم «العزى» وعمرو بن العاص لهدم «سواع»، وسعد بن زيد الأشهلي لهدم «مناة» فأدى كل منهم مهمته بنجاح.

● وفي السنة التاسعة من الهجرة شهد رمضان غزوة تبوك، وعاد رسول الله ﷺ من هذه الغزوة في رمضان [illegible]

● وفي رمضان من السنة التاسعة أيضا قدم وفد الطائف إلى المدينة، واعتنقوا الإسلام على يدي رسول الله ﷺ، [illegible] رمضان مع المسلمين في المدينة.

● وفي الشهر نفسه من العام التاسع كذلك قدم وفد ملوك «حمير» يعلنون إسلامهم، فأكرم الرسول الكريم وفادتهم، وكتب لهم كتابا حدد فيه الحقوق والواجبات. ويعتبر هذا الكتاب وثيقة مهمة من وثائق التاريخ المتمدن.

● [illegible] من الهجرة. وفي رمضان منه، بعث الرسول ﷺ الإمام علي كرم الله وجهه في سرية من المسلمين إلى بلاد اليمن، وقد حمل الإمام معه كتابا نبويا إلى أهل اليمن، وخاصة قبيلة «همدان» التي أسلمت جميعها في يوم واحد، وصلوا جميعا خلف الإمام علي.

● وفي رمضان سنة ٥٣ هجرية فتح العرب جزيرة «رودس».

● وفي رمضان سنة ٩١ هجرية نزل المسلمون إلى الشاطئ الجنوبي لبلاد الأندلس وغزوا بعض الثغور الجنوبية.

● وفي رمضان سنة ٩٢ هجرية، انتصر القائد المسلم طارق بن زياد على الملك «رودريك» في معركة فاصلة.

● وفي رمضان سنة ٣٦١ هجرية تم بناء الجامع الأزهر بالقاهرة [illegible] وتدريس العلوم العربية والشرعية.

● وفي رمضان سنة ٥٨٤ هجرية كان صلاح الدين الأيوبي قد أحرز انتصارات كثيرة على الصليبيين حتى استخلص منهم معظم البلاد التي كانوا قد استولوا عليها. [illegible] رجال صلاح الدين عليه أن يرتاح في شهر الصوم. ولكنه تخوف من [illegible] [illegible] [illegible] حتى استولى على قلعة «صفد» الحصينة في منتصف رمضان.

● وفي رمضان سنة ٦٥٨ هجرية، هزم المماليك جيوش التتار في «عين جالوت» [illegible] التتارى نهائيا على باب مصر، وكان التتار يستهدفون القضاء الشامل على العالم الإسلامي.

● وفي رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية، الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣، استطاع الجيش المصرى الباسل أن يقضى على أسطورة الجيش الذى لا يقهر وذلك بإنزال هزيمة زلزلت كيان جيش الكيان الصهيوني وأعادت للأمة العربية كرامتها.

ثقافة الاختلاف أين ذهبت؟!

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ محمد عباس عرابي:

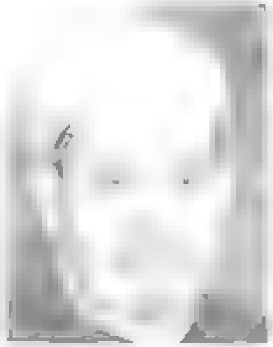
المتابع للتغيرات التى حدثت فى حياتنا فى مصرنا الحبيبة حفظها الله وأدام عليها سبحانه نعمة [illegible] حرية كبيرة [illegible] فى التعبير عن الرأى والكل يقول ما يريد، ولكن ما يحتاج التوقف عنده هو ظن الكثير أن رأيهم هو الصواب ورأى غيرهم يجب أن يهاجم بكل [illegible] في صورة [illegible] [illegible] صاحبه بعيدا كل البعد عن احترام الرأى الأخرى [illegible] هذه هى ثقافة الاختلاف؟

كلا إنه التعصب للرأى والانتصار للذات والرأى ولا يهم إن كان صوابا أو إن كان [illegible] [illegible] ذهبت [illegible] في [illegible] [illegible] ذهبت ثقافة الاختلاف؟!

إن على المؤسسات التربوية والإعلامية دورا كبيرا فى غرس آداب ثقافة الاختلاف فى [illegible] [illegible] الحق، ورحم الله القائل: رأيى خطأ يحتمل الصواب، ورأى غيرى [illegible] يحتمل الخطأ.

أنبـــــاء الأزهـــــر

[illegible]



د. أحمد الطيب

مواجهة الغزو الشيعي

لمواجهة موجة التبشير بالتشيع في المجتمعات السنية، والتي تتمثل في سيل الكتب التي تسيء إلى أمهات المؤمنين وصحابة رسول الله ﷺ والتي بدأت في افتتاح ما يسمى بالحسينيات.

والتي تتوسل بزواج المتعة لجذب بعض الشباب.

ولما لهذا الأمر من تأثيرات سلبية على الوحدة الفكرية للمجتمعات السنية بتحويلها إلى مجتمعات طائفية بأسها بينها شديد، الأمر الذي يعجزها عن حمل مشروع النهضة الإسلامية المنشودة، ويحقق -من ثم- مقاصد الإمبريالية الغربية والصهيونية العنصرية.

لمواجهة هذا الخطر دعا الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى لقاء حضره لفيف من العلماء الذين يمثلون مختلف تيارات الفكر في الساحة الإسلامية.

وتم تدارس هذا الأمر، وطرق مواجهته، وسبل التحصين الفكري لمجتمعات أهل السنة والجماعة – وفي المقدمة منها المجتمع المصري- ضد هذه المخاطر، والواجب الملقى على كاهل العلماء والدعاة.

ولاتزال الجهود مبذولة، والتحضيرات قائمة لمواجهة هذا الوافد الضار، وذلك لوضع هذا التخطيط في واقع الممارسة والتطبيق إن شاء الله.

وكان مجلس مجمع البحوث الإسلامية قد بحث في جلسته المنعقدة بتاريخ ٨ من شعبان ١٤٣٣هـ الموافق ٢٨ من يونيو ٢٠١٢م الظاهرة التي تشهدها البلاد حاليًا في الآونة الأخيرة من دعوات توجه إلى بعض الأئمة والخطباء بمصر لزيارة ما يسمى بالعتبات المقدسة في إيران، وقد صاحب هذه الدعوات توزيع كثير من الكتب التي تروج للعقائد الشيعية المرفوضة من أهل السنة والجماعة.

والأزهر الشريف يحذر من الاستجابة لهذه الجهود التي تسعى إلى تمزيق وحدة المجتمعات السنية وتحويلها إلى مجتمعات طائفية يكون بأسها بينها شديدًا، وتحقق مقاصد أعداء الأمة.



بيان إلى الأمة حول المادة الثانية من الدستور

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب بيانا حول المادة الثانية من الدستور جاء فيه:

لقد ثار جدل كثير خلال الفترة الماضية، حول المادة الثانية من الدستور، وجرى الحديث عنها في وسائل الإعلام مسموعة ومقروءة ومرئية، وهو جدل رأى فيه الأزهر خروجا على ما تم الاتفاق عليه في وثيقة الأزهر، وما سبق أن وقع عليه كافة ألوان الطيف السياسي في مصر من أحزاب وتيارات وجماعات، واتفق عليه بيت العائلة المصرية. وفي ظل هذا الجدل الذي قد يشوش فكر الأمة، ويحول دون وصولها إلى الاستقرار المنشود، فإن الأزهر الشريف يرى من موقع مسئوليته الشرعية والوطنية والتاريخية أن يعلن أن موقفه كان ومازال هو إبقاء المادة الثانية على صياغتها التي وردت في الدستور المصري وهي: «الإسلام دين الدولة الرسمي واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع».

إن هذه المادة بصياغتها الحالية هي عنوان توافق بين جميع القوى السياسية في مصر التي اجتمعت في رحاب الأزهر الشريف حول وثيقة الأزهر.

والمادة بصياغتها الحالية توجه أكثر من خطاب على النحو التالي:

أولا: توجه خطابا إلى المشرع المصري للعمل على صياغة القوانين البشرية في كل فروع القانون على أن تكون مستمدة من الشريعة الإسلامية، بمذاهبها المعتبرة أو مستفيدة من التراث القانوني العالمي بشريعة لا يتعارض مع الشريعة، وبما يحقق مصالح الناس.

ثانيا: توجه خطابا إلى القضاء المصري ممثلا في المحكمة الدستورية العليا باعتبارها الجهة الوحيدة التي أناط بها الدستور أمانة النظر في دستورية القوانين وإلغاء كل نص قانوني يخالف الشريعة الإسلامية. وهذا ما درجت عليه المحكمة الدستورية العليا في أحكامها الصادرة بإلغاء النصوص القانونية المخالفة للمادة الثانية من الدستور.

ويهيب الأزهر الشريف بكل الإخوة الفضلاء المعنيين بهذه المادة الإبقاء على هذه المادة كما وردت في دستور ١٩٧١م، لأنها تمثل عقيدة الأمة والمصدر الأهم لهويتها ومستقبلها وأصولها هي المصدر الرئيسي لتشريعاتها، وهي في هذا الموقع الرفيع من البناء الدستوري للأمة لا تقبل الجدل ولا تسمح لأحد أن يجر الأمة باسمها إلى خلافات لفظية أو خلافات تمزق الطاقات وتثير الخوف وتفتح أبواب الفرقة والفتنة التي تشغلنا عن الالتفات إلى عظائم الأمور، وتعطل ما نرغب فيه من اكتمال صياغة الدستور المصري في هذا الوقت التاريخي والحرج وحتى يتحقق -بمعونة الله- استقرار الوطن وتلبى طموحات الأمة جميعا.

وخلاصة القول: إن موقف الأزهر الشريف الذي دافع وحافظ على الشريعة الإسلامية طيلة ألف عام ومايزال، إن موقفه النهائي والحاسم هو عدم المساس بالمادة الثانية من الدستور بصيغتها الحالية زيادة أو حذفا.

هذه مسئوليتنا أمام الله وأمام الأمة، اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد.

نشر الشائعات يضر بالأمة ومصالحها العليا

أصدرت إدارة الإعلام بمشيخة الأزهر بيانا تنفي فيه ما تناقلته بعض وسائل الإعلام والاتصال على شبكات الإنترنت، بشكل يوحي بأن السيد رئيس الجمهورية الدكتور/ محمد مرسي لم يصافح الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف ـ خلال تواجدهما في منصة المعهد الفني للقوات المسلحة، يوم ٩ يوليو ٢٠١٢م، وأوضح البيان أن كل ما ذكر من هذه الادعاءات لا أساس له من الصحة على الإطلاق، وكشف البيان أنه قد تم بين السيد الرئيس وفضيلة الإمام الأكبر قبل هذا الموقف، سلام دقائق في حفل ثان بالكلية الفنية العسكرية، حيث تم اللقاء والمصافحة والترحيب المتبادل بينهما، كما شاهده الملايين على شاشات التلفاز.

وناشد البيان الإعلاميين وكل من يتواصلون على شبكات التواصل الاجتماعي تحري الحقيقة والدقة في هذه الأمور، وعدم افتعال أزمات لا وجود لها، لأن نشر الشائعات في هذه المرحلة يضر بالأمة ومصالحها العليا.

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف ـ اتصالا تليفونيًا من فخامة الرئيس محمد مرسي ـ رئيس الجمهورية ـ أبدى خلاله تقديره واعتزازه بالأزهر الشريف وشيخه وهيئة كبار العلماء، وأشاد بالدور المتميز للأزهر الشريف على المستوى الوطني والعربي والإسلامي والعالمي، والذي يجسد سماحة الإسلام وعظمته ووسطيته. كما عبر سيادة الرئيس عن سعادته البالغة من تشرف القائمين على بروتوكول رئاسة الجمهورية خلال احتفالية جامعة القاهرة.

من جانبه عبّر الإمام الأكبر خلال الاتصال التليفوني عن شكره وتقديره للسيد رئيس الجمهورية، معربا عن أمله أن يوفقه الله ويسدد خطاه في جمع المصريين على كلمة سواء، حتى تتفرغ جميعا للعمل والبناء واستكمال أهداف الثورة. وكان فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف ـ قد توجه على رأس وفد رفيع المستوى من أعضاء هيئة كبار العلماء ومجمع البحوث الإسلامية لزيارة فخامة الرئيس المنتخب الدكتور محمد مرسي رئيس الجمهورية، للتشاور مع سيادته.

وفي ذات السياق نفى الأزهر انسحاب ممثليه من اللجنة التأسيسية لكتابة الدستور، حيث صرح مصدر إعلامي مسئول بالأزهر الشريف بعدم صحة ما تناولته بعض وسائل الإعلام عن انسحاب ممثليه من اللجنة التأسيسية لوضع الدستور، ويؤكد الأزهر الشريف على استمرار عمل أعضائه باللجنة التأسيسية؛ للقيام بدورهم الوطني مع باقي أطياف المجتمع، للعبور بالوطن إلى بر الأمان في تلك اللحظة التاريخية لمصر.

أفاد بذلك فضيلة الدكتور محمد مصطفى جميعة مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

الإمام الأكبر يؤكد: التيارات التي كانت محظورة جزء أصيل من النسيج الوطني

أكد فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف ـ خلال استقباله للسفير الفرنسي بالقاهرة السيد/ نيكولا جاليه أن مصر بدأت على درب الاستقرار بوصول رئيس الجمهورية عن طريق الانتخاب الحر المباشر وهذا مكسب كبير في هذه المرحلة الفاصلة في حياة المصريين؛ وهو ما يعد أساسا واضحا للديمقراطية والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، مما يتطلب سرعة التعامل مع المشكلات الحادة التي تواجه المجتمع، سواء في مجالات الأمن والبطالة والتعليم والطاقة وكافة القضايا الأخرى.

ومن جانبه أشاد السفير الفرنسي بالدور المهم الذي يلعبه الأزهر الشريف في تاريخ مصر الحديث وخصوصا بعد ثورة ٢٥ يناير والذي جعل أنظار العالم متجهة إلى هذا الدور المتميز آملا في تدعيم أواصر العلاقات التعليمية بين هذا الصرح الشامخ والمؤسسات التعليمية في فرنسا وفي مقدمتها المركز الثقافي الفرنسي بالقاهرة وتبادل الزيارات والبرامج التدريبية وبخاصة الأئمة في فرنسا للاستفادة من الفكر الوسطي للأزهر الشريف بما يعود بالنفع على المجتمع الفرنسي.

وعن أسباب ظهور السلفية بعد الثورة قال فضيلة الإمام الأكبر: إن جو الحريات والديمقراطية التي تعيشها مصر بفضل الله ثم بفضل الثورة قد جعل كل التيارات والمشارب والتجمعات التي كانت محظورة بالقوة أو بالفعل، تخرج لتؤدي دورها في جو ديمقراطي كان عصيا لعقود والحمد لله أننا نعيش بهذا الجو الصحي الذي ستخرج به مصر قوية بإذن الله، مؤكدا أن إخواننا السلفيين وكل الفصائل والتيارات جزء أصيل من النسيج الوطني الذي سيسهم في بناء مصر الحديثة.. وحول دور الأزهر في الوقت الراهن أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر بما له من رصيد في نفوس الشعب المصري يحاول أن يلم الشمل ويلتقي مع كافة أطياف الشعب وتياراته المختلفة للتوافق والبحث بوسائل طمأنينة إلى المصريين جميعا مسلمين ومسيحيين؛ حتى تعبر مصر هذه المرحلة الفارقة من تاريخها الحديث [illegible] والاستقرار والأمان. صرح بذلك فضيلة الدكتور محمد مصطفى جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستنكر التطهير العرقي وحملات الإبادة لمسلمي بورما

استنكر فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف ـ بشدة حملات الإبادة والترويع التي تعرض لها مسلمو «بورما» في إقليم «أراكان» المسلم، حيث يتعرضون لحملات من القتل والتشريد والاضطهاد بالإضافة إلى تهجيرهم وتدمير منازلهم وممتلكاتهم ومساجدهم على يد الجماعة البوذية الدينية المتطرفة «الماغ» بدعم من الأنظمة البوذية الديكتاتورية في بورما، وهو ما يتنافى مع كل الأديان السماوية والقيم الإنسانية وحقوق الإنسان التي أقرتها سائر المبادئ والاتفاقيات الدولية. ويهيب الأزهر الشريف بحكومات العالمين: العربي والإسلامي، وكل القوى المحبة للسلام والهيئات والمؤسسات الخيرية والإغاثية وهيئة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان في كل مكان، أن تعمل على رفع الظلم الواقع على هؤلاء المستضعفين الذين يعانون من التمييز العنصري وحرمانهم من حقوقهم، وأن تقدم الحكومات كافة أشكال الدعم لهم، لمنحهم حقوق المواطنة كاملة، وتمكينهم من العيش على أراضيهم في أمن وسلام.

ملك اليمين ردة وعودة إلى الجاهلية!!

أكد فضيلة الشيخ/ علي عبد الباقي شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية في بيان أن ملك اليمين حالة من حالات الحرب، لكنها حالة بعض الرق والعبودية التي كانت منتشرة في العالم قبل الإسلام، وقضى عليها الإسلام بالتدريج في التشريع، بل عمل الإسلام على التخلص من كافة صورها والتي تشكل إحدى صور الاستعباد، وذلك من خلال فرض عتق رقبة في كل الكفارات، وكذلك صدرت القوانين الدولية والمواثيق بتحريم الاسترقاق وتقييد حرية الإنسان، فانتهى بهذا ملك اليمين، وأصبح غير موجود بلا رجعة، فالحديث عنه في هذه الأيام هو ردة وعودة إلى عصر الجاهلية، ودعوة إلى العلاقات الجنسية الآثمة والمحرمة، ولا يسمى زواجا على الإطلاق، لفقده الأركان والشروط الواجبة في الزواج.

لا يجوز إنفاق أموال الزكاة على إنشاء المعامل

ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٨ من شهر يونيو ٢٠١٢م الطلب المقدم من د/ [illegible] عميد كلية الهندسة جامعة [illegible] بشأن طلب الرأي الشرعي في [illegible] من زكاة المال [illegible] لاستغلالها في إنشاء معامل ومراكز علمية [illegible] بصفة عامة والطلاب غير القادرين بصفة خاصة. وقرر المجلس أنه لا يجوز الإنفاق من أموال الزكاة على إنشاء المعامل والمراكز العلمية [illegible] المشروعات [illegible] من أهل الخير.

أنباء العالم الإسلامي



للأستاذين: أحمد رضوان - يحيى سليمان

الإيسيسكو تناشد الضمير الإنساني للعناية بشئون اللاجئين في العالم الإسلامي

وجهت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- بمناسبة يوم اللاجئ العالمي، نداء إلى الضمير العالمي للعناية بملايين اللاجئين في العالم الذين يزيد تعدادهم على أربعين مليون لاجئ من الأطفال والنساء والشيوخ ومن مختلف الفئات، أكثرهم من دول العالم الإسلامي. وقالت الإيسيسكو في ندائها إن اللاجئين من الشعوب الإسلامية هم ضحايا الحروب والنزاعات المسلحة التي فرضت على بعض دول العالم الإسلامي، أو الصراعات الداخلية والأزمات الحادة التي تتسبب في نزوح ملايين من المسلمين من ديارهم إلى الدول المجاورة، فرارًا من القتل والقمع والبطش، والتماسًا للأمن والأمان والسلام، ومنهم اللاجئون الفلسطينيون الذين أخرجوا من وطنهم فلسطين المحتلة، وأرغموا على النزوح والاغتراب والتشتت في مناطق كثيرة من العالم، نتيجة للعدوان الغاشم الذي تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني منذ أكثر من ستة عقود. ونوهت الإيسيسكو في ندائها بالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين، لقيامها بجهود كبيرة لخدمة ملايين من اللاجئين في جميع أنحاء العالم، وأن جل الخدمات التي تقدمها توجه إلى اللاجئين المسلمين. وطالبت الإيسيسكو المجتمع الدولي بتقديم الدعم للمفوضية السامية التي تعنى بشئون اللاجئين وعديمي الجنسية والنازحين داخليًا من أجل توفير الموارد المالية لتلبية الاحتياجات المتزايدة للاجئين ومنها حوالي عشرين مليونًا من المسلمين. ودعت الإيسيسكو دول العالم الإسلامي إلى تكثيف الجهود لتوفير الدعم اللازم من أجل العناية باللاجئين والنازحين من الشعوب الإسلامية.

إسرائيل تواصل تحدي العالم بإنشاء آلاف الوحدات الاستيطانية

اتخذ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو سلسلة قرارات لتعزيز الاستيطان في الأراضي المحتلة، خاصة في مدينة القدس، حيث أصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارًا بإقامة أكثر من ٨٠٠ وحدة استيطانية جديدة، فيما صادقت بلدية القدس الغربية على مخطط كبير لتوسيع مستوطنة (جيلو) بإقامة ٢٥٠٠ وحدة. من جانبها طلبت القيادة الفلسطينية من الولايات المتحدة واللجنة الرباعية الدولية التدخل، وقال عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير صائب عريقات: لا توجد حكومة في تاريخ إسرائيل دعمت الاستيطان كما فعلت حكومة نتنياهو، وبالتالي فإنه يعترف بأن حكومته تدعم المستوطنين ونأمل أن تكون أقواله بمثابة رسالة واضحة للمجتمع الدولي بأنه آن الأوان للكف عن التعامل مع إسرائيل كدولة فوق القانون، وأضاف: والشعب الفلسطيني، أكدت أن الاستيطان عقبة في طريق حل الدولتين وكذلك فعلت اللجنة الرباعية والعالم أجمع، وبالتالي فإن السؤال المطروح الآن هو: ماذا بعد الإدانة؟

.. والشيخ سلامة يستنكر قرار الاحتلال الإسرائيلي اعتبار ساحات المسجد الأقصى المبارك ساحات عامة

استنكر الشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة خطيب المسجد الأقصى المبارك النائب الأول لرئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس قيام مجموعات من جيش الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنين باقتحامات متكررة للمسجد الأقصى المبارك، ورفع الأعلام الإسرائيلية على أسواره.

كما استنكر الشيخ سلامة التصريحات الصادرة عن سلطات الاحتلال الإسرائيلي، والتي تعتبر ساحات المسجد الأقصى المبارك جزءًا من الساحات العامة التي تقع تحت تصرف بلدية الاحتلال في المدينة المقدسة. وقال سلامة: لقد أعلنا مرارًا وتكرارًا أن المسجد الأقصى المبارك مسجد إسلامي بقرار رباني، وأن هذا القرار لن يلغيه أي قرار يصدر من هنا وهناك.

وناشد سلامة منظمة التعاون الإسلامي ولجنة القدس ورابطة العالم الإسلامي وجامعة الدول العربية ضرورة التحرك السريع والجاد لإنقاذ المسجد الأقصى المبارك، ووقف الاعتداءات الإسرائيلية في مدينة القدس، وسائر الأراضي الفلسطينية، وضرورة العمل على تثبيت المقدسيين في مدينتهم من خلال إقامة المشاريع الإسكانية لهم، ودعم مؤسساتهم الصحية والتعليمية والثقافية والتجارية، ودعم صمود أهلها بكل الطرق التي تؤهلهم للوقوف أمام هذه الهجمة الإسرائيلية الشرسة لصبغ المدينة المقدسة بالصبغة اليهودية الاحتلالية.

اليونسكو تدرج كنيسة المهد في بيت لحم على قائمة التراث العالمي

أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) كنيسة المهد ببيت لحم في الأراضي الفلسطينية على قائمة التراث العالمي أثناء اجتماع في سان بطرسبورج بشمال غربي روسيا.

وأدرج مهد ولادة المسيح الذي يضم أيضًا مسار الحج بغالبية ١٣ صوتًا من أصل ٢١ مقابل ستة أصوات معارضة وامتناع اثنين عن التصويت أثناء جلسة تصويت أعضاء لجنة التراث المجتمعين في مدينة سان بطرسبورج.

وكنيسة المهد هي أول موقع فلسطيني يدرج ضمن لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، وتقدم الفلسطينيون في إجراء عاجل بطلب إدراج الموقع بعد حصولهم على عضوية منظمة اليونسكو في أكتوبر ٢٠١١م

وكانت إسرائيل قد أكدت أنها لا تعترض على إدراج الموقع في التراث العالمي، لكنها احتجت على استخدام الإجراء العاجل معتبرة أنه "طريقة للتلميح إلى أن إسرائيل لا تحمي الموقع".

ومدينة بيت لحم، التي ولد فيها المسيح تعتبر من أبرز أماكن الحج لدى المسيحيين لوجود كنيسة المهد المبنية في القرن الرابع إبان عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين، وهي تاريخيا منطقة مسيحية.

وبفعل الهجرة المستمرة في القرنين الماضيين من بيت لحم إلى أمريكا اللاتينية، بات معظم سكان المدينة من المسلمين، ولكنها ما زالت مركزا مهما للطوائف المسيحية.

مسلمو روسيا ينتقدون حظر بعض الكتب الدينية بحجة التطرف

انتقد مجلس مفتي روسيا بشدة قيام السلطات بحظر بعض كتب الدين الإسلامي بحجة أنها متطرفة، معتبراً ذلك رجعة إلى زمن سيطرة الأيديولوجية الواحدة مثلما كان الحال إبان العهد الشيوعي السابق، وإجراء منافيا للديمقراطية وإنذارا لمواطني روسيا.

جاء ذلك في بيان أصدره المجلس احتجاجاً على حكم كانت قد أصدرته مؤخراً محكمة جزئية بمدينة أورنبورج بشأن حظر تداول ٦٥ كتابا دينيا وتاريخيا من إصدارات معظم دور النشر الإسلامية في روسيا.

وأشار البيان الذي نقلته وكالة أنباء «نوفوستي» إلى أن الحكم الذي أصدرته المحكمة في جلسة سرية بدون الرجوع إلى واحد من مؤلفي أو مترجمي أو ناشري هذه الكتب، ثم تطبيقه وتعميمه على مكتبات بيع الكتب بمعرض الكتاب الذي أقيم مؤخرا بمدينة «قازان» عاصمة جمهورية «تترستان» الروسية.

وجدد البيان حرص مجلس مفتي روسيا على مكافحة التطرف بكافة أشكاله، داعيا إلى عدم مصادرة الكتب الدينية، بحجة أنها قد تكون مسئولة عن شيوع مشكلات اجتماعية أو سياسية في المجتمع، مشددا في الوقت ذاته على ضرورة قمع كل من ينتهك قوانين البلاد.

التعاون الإسلامي تشجب هدم المواقع التاريخية في مالي

شجبت منظمة التعاون الإسلامي، في بيان صحفي، هدم المواقع التاريخية في «تيمبكتو» في مالي، من قبل جماعات متطرفة.

وقال الناطق الرسمي باسم المنظمة في البيان إن المواقع كانت جزءا من التراث الإسلامي الغني في مالي، وكان يجب عدم السماح بهدمها أو الإضرار بها من قبل جماعات متطرفة.

وأضاف الناطق الرسمي، أن المنظمة دعت لاتخاذ الإجراءات الضرورية والخطوات المناسبة من أجل حماية المواقع التاريخية والحفاظ عليها.

وكانت مجموعة متشددة أطلقت على نفسها «أنصار الدين» في مالي قد شرعت في هدم أضرحة الأولياء في «تيمبكتو» التي أدرجت على لائحة التراث العالمي المهدد بالخطر، وذلك في الوقت الذي توعدت فيه المحكمة بملاحقة أنصار الدين واصفة هدم الأضرحة بأنها «جرائم حرب».

المفتي يهيب بالمسلمين حكومات وشعوبا نصرة مسلمي بورما المضطهدين

استنكر الدكتور علي جمعة، مفتي الجمهورية، بشدة حملات الإبادة التي يتعرض لها مسلمو بورما في إقليم أراكان المسلم هذه الأيام، حيث يتعرضون لحملات من القتل والتشريد والاضطهاد، بالإضافة إلى تهجيرهم وتدمير منازلهم وممتلكاتهم ومساجدهم، على يد الجماعة البوذية الدينية المتطرفة (الماغ) بدعم ومباركة من الأنظمة البوذية الدكتاتورية في بورما.

وناشد جمعة حكومات المسلمين وكل القوى المحبة للسلام والهيئات والمؤسسات الخيرية والإغاثية وهيئة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان في كل أرجاء العالم، الإسراع لنصرة مسلمي بورما الذين يعانون من الاضطهاد والتمييز العرقي وحرمانهم من حقوق المواطنة منذ ستين عاما، وتقديم كافة أشكال الدعم لهم، ومنحهم حقوق المواطنة كاملة ومساواتهم بكل مواطني بورما.

وحذر من خطر استمرار قتل واضطهاد المسلمين في بورما، مؤكدا أن الجميع يرفض سياسة التمييز البوذية التي أدت إلى حملات الاضطهاد الأخيرة، حيث قتل عدد من العلماء والدعاة المسلمين بخلاف اعتقال الأبرياء، مما أدى إلى هروب آلاف المسلمين إلى بنجلاديش المتاخمة للإقليم.

يذكر أن الإسلام وصل إلى إقليم أراكان في بورما في القرن التاسع الميلادي وأصبحت أراكان دولة مسلمة مستقلة، إلى أن احتلها الملك البوذي البورمي (بوداباي)، في عام ١٧٨٤م وضم الإقليم إلى بورما خوفا من انتشار الإسلام في المنطقة، ويبلغ عدد سكان بورما أكثر من ٥٠ مليون نسمة، منهم ١٥٪ مسلمون، حيث يتركز نصفهم في إقليم أراكان ذي الأغلبية المسلمة.

ومع حلول الديمقراطية في ميانمار (بورما) أعلنت الحكومة بأنها ستمنح بطاقة المواطنة للروهنجيين (المسلمين) في أراكان، فكان هذا الإعلان بالنسبة للماغيين (البوذيين) بمثابة صفعة على وجوههم؛ لأن من شأنه أن يساهم في انتشار الإسلام في أراكان، حيث إن الماغيين يحلمون بأن تكون أراكان منطقة خاصة بهم لا يسكنها غيرهم.

مجلة دير شبيجل: الإسلام جزء لا يتجزأ من ألمانيا

أكدت مجلة دير شبيجل الألمانية أن الإسلام جزء لا يتجزأ من المجتمع الألماني وسلطت الضوء على الجدل الذي حدث مؤخرا في أوساط السياسيين الألمان حول انتماء الإسلام للمجتمع الألماني واعتبرت المجلة أن هذا الجدل وانتعاش ذلك وضع على نقص الفهم بشكل صريح لدى هؤلاء السياسيين نظرا لأن الشواهد التاريخية والثقافية تؤكد أن الإسلام جزء لا يتجزأ من ألمانيا.

وأشارت المجلة إلى آراء سياسيين ألمان بشأن الإسلام في برلين بعد الجدل الذي صاحب بحث المسلمين هناك عن هويتهم في الوقت الذي أدلى فيه وزير الداخلية في مقاطعة بافاريا ماركوس سودر بتصريح أدهش جمهوره من المهاجرين الأتراك حين قال إن الإسلام جزء لا يتجزأ من بافاريا قبله الرئيس الألماني يواكيم جاوك بعد استنكاره تصريح الرئيس الألماني السابق كريستيان فولف بأن المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا ينتمون لها.

[Taha: 114]

The story of Mosa (may peace of Allah be upon him) and the one endowed with divine knowledge in Surah Al-Kahf is an evidence on the difference between the relative and divine knowledge:

{'Then they found one of Our slaves, on whom We had bestowed mercy from Us, and whom We had taught knowledge from Us.}

[Al-Kahf (The Cave): 65]

The human knowledge is the outcome of existing things. However, the Divine knowledge is the source of existence and things existed. Thus Allah (Glory be to Him) is described as "Al-'Alim" (the All-Knower) not Al-'Arif (Acquainted) because acquaintance is relative and incomplete. We may say "I am acquainted with Allah" but not "I know Allah", as no one can know fully the Divine Entity. Also, Allah (Glory be to Him) is described as "Al-Shari'" (Legislator) of the Divine Shari'ah, which is a complete Divine Knowledge set by Allah. We do not describe Allah as "jurist" because jurisprudence is changing incomplete knowledge, which is the outcome of contemplating, deep thinking, reasoning of reality and the decadence of Shari'ah to this reality.

10- Methodology of various, diversity, and difference in Shari'ahs, creeds, cultures, sects, languages, nationalities, civilizations, kinds, colors, tribes, nations, and people, and the continuation of this norm forever until Allah inherits the earth and everything existing on it:

{'Certainly, your efforts and deeds are diverse (different in aims and purposes);}

[Al-Layl (Night): 4]

وأوضحت مجلة دير شبيجل أن مسلمي ألمانيا الذين هاجروا إليها من الشرق يعلمون الحقائق السابقة نظرًا لاحتكاكهم بالمدارس والجامعات الألمانية وهم يشعرون بالدهشة من تجاهل مثل هؤلاء السياسيين للجوانب المظلمة في الغرب في الوقت الذي يسهبون حول الجوانب السيئة لأنفسهم فقط متجاهلين حقيقة أن العالم العربي يقف على أرجل شرقية مسلمة حسب تعبير رئيس المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا أيمن مزيك.

ملتقى تربوي لحفاظ القرآن الكريم في طاجيكستان

نظمت جامعة الإمام أبو حنيفة الإسلامية في طاجيكستان الملتقى التربوي لحفاظ القرآن الكريم في مدينة دوشنبه عاصمة طاجيكستان، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو- والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم.

بحث المشاركون في الملتقى طرق تحفيظ القرآن الكريم، وسبل تطوير مهارات الحفاظ وتعزيز كفاءاتهم، وتعزيز دورهم في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال، وتشجيع التواصل وتبادل الخبرات والتجارب بين المهتمين والمختصين في مجال تحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه.

دعوة إلى إنشاء مركز عالمي لتطوير برمجيات القرآن الكريم

دعا المشاركون في الملتقى القرآني التربوي لإعداد وثيقة مرجعية حول الضوابط العلمية والتقنية والشرعية لتعليم القرآن الكريم باستخدام المستحدثات التكنولوجية، الذي عقد في العاصمة الأردنية عمان، إلى إنشاء لجنة تابعة للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-للاطلاع على ما ينشر من البرمجيات المتعلقة بتعليم القرآن الكريم، ومراقبة وتدقيق صحة ما ورد فيها من معلومات، وتعميم الملاحظات والتوجيهات اللازمة إلى من يهمهم هذا الأمر.

ودعوا إلى ضرورة الاهتمام بتطوير طرق تدريس القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا في المراكز والحلقات القرآنية من خلال التوظيف الأمثل للحاسب الآلي وتقنيات الوسائط المتعددة في التدريس من خلال إعادة النظر في صياغة المناهج والمقررات الدراسية الحالية وتعضيدها بالبعد التكنولوجي، وتدريب معلمي القرآن الكريم على كيفية استخدام البرمجيات التعليمية وتوظيفها في عملية التدريس، وإجراء بحوث ودراسات ميدانية تقنية متخصصة في مجالات تدريس القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا، والاستفادة من التقنيات المتطورة في هذا المجال.

وأوصوا بتأسيس مركز عالمي لتطوير برمجيات القرآن الكريم بالتعاون مع الإيسيسكو ووزارات الأوقاف في الدول الأعضاء يعمل على ابتكار برمجيات خدمة القرآن الكريم وإنشاء الجائزة العالمية لبرمجيات القرآن الكريم، وإنشاء وقفية لبرمجيات القرآن الكريم، وإعداد فهرس إلكتروني لحصر كل الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة بالقرآن الكريم.

ودعوا إلى إنشاء مختبرات تحفيظ القرآن الكريم في المدارس من أجل تدريب المتعلم على القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، وحفز المتعلم على حب المادة وحفظ النص القرآني بطريقة مسلية وفعالة

manner, inviting them to Islamic Monotheism with His Verses), except with such of them as do wrong; and say (to them): "We believe in that which has been revealed to us and revealed to you; our Ilâh (God) and your Ilâh (God) is One (i.e. Allâh), and to Him we have submitted (as Muslims).")

[Al-'Ankabut (Spider): 46]

6- Methodology of tolerating the sayings of the disbelievers patiently and referring the matter of the belying people to the All-Able and the Irresistible:

{ And be patient (O Muhammad peace be upon him) with what they say, and keep away from them in a good way. 'And leave Me Alone to deal with the deniers (those who deny My Verses), those who are in possession of good things of life. And give them respite for a little while.}

[Al-Muzzamil (The Enshrouded One): 10-11]

7- Granting knowledge and science to all of the people, even the disbelievers who seek knowledge:

{ And if anyone of the Mushrikûn (polytheists, idolaters, pagans, disbelievers in the Oneness of Allâh) seeks your protection, then grant him protection so that he may hear the Word of Allâh (the Qur'ân), and then escort him to where he can be secure, that is because they are men who know not.}

[Al-Tawbah (Repentance): 6]

8- Methodology of differentiating between the categories, trends, and approaches of people:

{'Not all of them are alike; a party of the people of the Scripture stand for the right, they recite the Verses of Allâh during the hours of the night, prostrating themselves in prayer. They believe in Allâh and the Last Day; they enjoin Al-Ma'rûf (Islâmic Monotheism, and following Prophet Muhammad peace be upon him and forbid Al-Munkar (polytheism, disbelief and opposing Prophet Muhammad peace be upon him); and they hasten to (all) good works; and they are among the righteous. 'And whatever good they do, nothing will be rejected of them; for Allâh knows well those who are Al-Muttaqûn (the pious - see V.2:2).}

[Al-Imran (The Household of Imran): 113-115]

{'Is it not (the case) that every time they make a covenant, some party among them throw it aside? Nay! (the truth is:) most of them believe not. And when there came to them a Messenger from Allâh (i.e. Muhammad peace be upon him) confirming what was with them, a party of those who were given the Scripture threw away the Book of Allâh behind their backs as if they did not know!}

[Al-Baqarah (The Cow): 100-101]

9- Methodology of the relativity of the human science and incompleteness of human knowledge according to the things realized by the human mind – compared with the Divine Knowledge – which is complete, absolute, and encompassing:

{But over all those endowed with knowledge is the All-Knowing (Allâh).}

[Yusuf (Joseph): 76]

{And say: "My Lord! Increase me in knowledge."}

and deeds, which lead to guidance and happiness in the worldly life and Hereafter.

It is the "treasure of methodology" which will never become depleted. Also, it includes all of the methodologies which are suitable for the hearts, minds, feelings, and senses.

If the words and creatures of Allah are numerous, then Allah's Ability and Creativeness are absolute

{And if all the trees on the earth were pens and the sea (was ink wherewith to write), with seven seas behind it to add to its (supply), yet the Words of Allâh would not be exhausted. Verily, Allâh is All-Mighty, All-Wise.}

[Loqman: 27]

Allah's Verses and Words, which were sent down by the Revelation to the heart of the prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) contain all methodologies in all fields of life and creatures.

We may refer in this summed up area to some Qur'anic verses, which shed light on the methodologies contained in the Qur'an and represents the gates to the Qur'anic sciences "Qur'anic methodologies science". We will refer to the examples contained in theses verses:

1- The Qur'anic methodology which teaches the Muslim to abstain from adopting only one path, but to adopt the various paths leading to considered legal aims and objectives. However, the methodologies and ways of carrying out them vary according to the reality we live in and according to the benefits and mischief in this reality:

{'And he said: "O my sons! Do not enter by one gate, but enter by different gates, and I cannot avail you against Allâh at all. Verily, the decision rests only with Allâh. In Him, I put my trust and let all those that trust, put their trust in Him."}

[Yusuf (Joseph): 67]

2- Methodology of kindness throughout maintaining the soul, which seeks carrying out these considered legal goals:

{And let him be careful and let no man know of you. "For, if they come to know of you, they will stone you (to death or abuse and harm you) or turn you back to their religion; and in that case you will never be successful."}

[Al-Kahf (The Cave): 19-20]

3- Methodology of refuting toughness:

{'O Prophet (Muhammad peace be upon him)! Strive hard against the disbelievers and the hypocrites, and be severe against them; their abode will be Hell, and worst indeed is that destination.}

[Al-Tawbah (Repentance): 73] [Al-Tahrim (Forbiddance): 9]

4- Methodology of infuriating the aggressing disbelievers:

{ It was not becoming of the people of Al-Madinah and the bedouins of the neighbourhood to remain behind Allâh's Messenger (Muhammad peace be upon him when fighting in Allâh's Cause) and (it was not becoming of them) to prefer their own lives to his life. That is because they suffer neither thirst nor fatigue nor hunger in the Cause of Allâh, nor they take any step to raise the anger of disbelievers, nor inflict any injury upon an enemy but is written to their credit as a deed of righteousness. Surely, Allâh wastes not the reward of the Muhsinûn.}

[Al-Tawbah (Repentance): 120]

5- Methodology of debate and argument with kindness except with the wrong doers:

{'And argue not with the people of the Scripture (Jews and Christians), unless it be in (a way) that is better (with good words and in good

(Say (O Muhammad peace be upon him): "Verily, my Salât (prayer), my living, and my dying are for Allâh, the Lord of the 'Alamin (mankind, jinn and all that exists). He has no partner. And of this I have been commanded, and I am the first of the Muslims.)

[Al-An`am (The Cattle): 162-163]

We should receive this month with true resolution for fasting and offering optional night Prayer out of faith and seeking Allah's reward not to show off or to imitate the other people. Also, our senses should abstain from prohibited speech, gaze, hearing, food, and drink to attain forgiveness and setting free from hell-fire. We should observe the etiquette of fasting such as delaying the pre-dawn meal until the last part of night and hastening to break fast soon after sunset. Also, we should increase our good deeds, as the fasting person should say of another person insults him "I am fasting." He should not respond to a misdeed with another misdeed, but with better word and deed, so as to have his fasting and deeds accepted. We should be sincere to Allah (Glory be to Him) in our Prayer, fasting, and all of our deeds. Allah accepts only the deeds which are done for His sake, and the good deed is the one which is done only for the sake of Allah and in compliance with the Sunnah of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The Muslim should observe Tarawih Prayer (optional Prayer offered in Ramadan) following the Sunnah of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), his Companions, and the Rightly-Guided Caliphs, and seeking the reward. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever offers optional night Prayer in Ramadan out of faith and seeking reward from Allah has his previous sins forgiven."

(Agreed upon its authenticity)

Also, "When the worshipper offers Prayer with the Imam until the later finishes the Prayer, the reward of spending a night in Prayer is recorded for him." It is the Hadith narrated by Abu Dharr and related by Ahmad and At-Tirmidhy who ranked it as Sahih.

Jurisprudence (Fiqh) of Qur'anic Methodology...!

By: Dr. Muhammad `Imarah

Editor-in-Chief of Al-Azhar magazine

Methodology means the clear and straightforward path. It was narrated on the authority of Ibn `Abbas (may Allah be pleased with him) that: "The Messenger of Allah (peace and blessings of Allah be upon him) died after leaving a clear methodology for you."

This is because the methodology of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him), which includes saying, acts, and approvals, is "the prophetic clarification of the Qur'an. Also, his morals, attributes, and achievements made the Qur'an represent life style, comprehensive methodology for the individual, family, and nation, the worldly life, the Hereafter, religion, state, acts of worship, transactions, culture, civilization, etiquette, heart's knowledge, and philosophies.

As this prophetic methodology was the clarification of the Qur'an, the Quran represented, still represents, and will represent the book encompassing the methodologies of deeds for the guided and righteous person in all fields of life

has two moments of joy, one when he breaks his fast and one when he meets his Lord. And the odor that comes from the mouth of a fasting person is better before Allah than the fragrance of musk."

The month of Ramadan is the month in which the doors of paradise are opened and the doors of Hellfire are closed. Victory is attained by the person who seizes this opportunity before it becomes too late. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Ramadan, the blessed month, comes to you. Allah enjoined fasting it in it, the doors of heaven are opened, the doors of hell-fire are closed, and the jinn and devils are chianed up. It has a night which is better that a thousand of months, the person who does not attain its blessings is really wretched."

Blessed is the person who fasts in the day of Ramadan and offers optional night Prayer. Allah singled out this month with doubling the reward of good deeds, as He (Glory be to Him) forgives the previous sins committed by the fasting person. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The person who fasts Ramadan out of faith and seeking its reward will have his previous sins forgiven."

This month comes once every year to remind us with the blessings and bounties of Allah, one of which is that we lived until this month comes, while others may become ill or died and we hoped for attaining its reward. Thus, we should seize the opportunity of living until this moth comes. We should praise Allah for this.

The righteous predecessors of the companions of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) as well as their followers in piety and benevolence attached due care to Ramadan and rejoiced with its coming. They used to supplicate to Allah to cause them to live until it comes. Then, they used to sypplicate to Him to accept their fasting and offering optional night Prayer. They used to fast its day, offer optional night Prayer, and safeguard their fasting from that which nullifies or decreases its reward such as play, amusement, backbiting, gossip, and lies. They spend its nights in offering optional night Prayer and reciting the Qur'an. Also, they used to give the poor and needy charity, alms, and food, and to strive against their souls by offering acts of obedience to Allah and to strive against the enemies of Allah

for His sake to raise the Word of Allah and to make all the acts of obedience for the sake of Allah. Badr Battle in which they conquered their enemy was on seventeenth of Ramadan and Makkah Conquest was on 20th of Ramadan. On this day, many people embraced Islam and Makkah became the place of Islam.

Ramadan is not a month of sluggishness, sleep, and laziness, as some people may think that. Rather, it is the month of striving and worship. Thus, we should receive it with diligence and doing many good deeds. We should do that, as it is the month chosen by Allah for the obligation of fasting and for the descending of Qur'an to guide the people and to take them from darkness to light. We should be happy with this month, in which the doors of paradise are opened, and the doors of Hellfire are closed, the devils are chained up as we already mentioned, the rewards of good deeds are doubled, and the levels are raised, and the sins are forgiven.

We should seize the opportunity of life, health, and youth to do acts of obedience to Allah and to worship Him. We should repent sincerely to Allah at all times of all sins and misdeeds. Also, we should obey Allah (Glory be to Him) all through our life and to avoid the things forbidden by Allah to be the victorious on the Day on which money and children do not benefit except those who come to Allah with a pure heart. Allah, the Ever Truthful, says:

{And whosoever obeys Allâh and His Messenger (peace be upon him), he has indeed achieved a great achievement (i.e. he will be saved from the Hell-fire and will be admitted to Paradise).}

[Al-Ahzab (The Allied Party): 71]

We should do desirable and good deeds and avoid forbidden and prohibited deeds, applying the Saying of Allah (Glory be to Him):

{And worship your Lord until there comes to you the certainty (i.e. death).}

[Al-Hijr: 99]

Allah (Glory be to Him) says:

Ramadan is the month of Qur'an, obedience, donations, and blessings...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

No one can deny that Ramadan has a special status in the heart of every Muslim, as it is the month of mercy, forgiveness, and setting free from Hell-Fire. This month includes all blessings and bounties from Allah (Glory be to Him).

Allah (Glory be to Him) says in His Holy Book, as He is the Most Truthful:

{The month of Ramadan in which was revealed the Qur'ân, a guidance for mankind and clear proofs for the guidance and the criterion (between right and wrong). So whoever of you sights (the crescent on the first night of the month) (of Ramadan i.e. is present at his home), he must observe (Saum) fast that month, and whoever is ill or on a journey, the same number [of days which one did not observe (Saum) fast must be made up] from other days. Allâh intends for you ease, and He does not want to make things difficult for you. (He wants that you) must complete the same number (of days), and that you must magnify Allâh [i.e. to say Takbir (Allâhu Akbar: Allâh is the Most Great)] for having guided you so that you may be grateful to Him.

[Al-Baqarah (The Cow): 183-185]

Abu Hurayrah (may Allah be pleased with him) said that the Messenger of Allah (peace and blessings of Allah be upon him) said: "When the first night of Ramadan comes, the devils and mischievous jinn are chained up, and the gates of Hell are closed, and none of its gates are opened. The gates of

Paradise are opened and none of its gates are closed. And a caller cries out: 'O seeker of good, proceed; O seeker of evil, desist.' And Allah has people whom He frees (from the Fire), and that happens every day." [Narrated by Al-Tirmidhy, Ibn Majah in his Sahih, and Al-Bayhaqy].

Ramadan is the month of benevolence and charity, as the righteous people welcome it, as it is the season of showing acts of obedience to Allah. So, welcome to the best of months. Blessed is the one who welcomes Ramadan. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "O Allah, bless Rajab and Sha'ban as well as Ramadan." Praise be to You Allah that You cause us to live until Ramadan comes, and we ask You to help us observe fast and optional Night Prayer in it and to accept our deeds in it.

Blessed is the person who receives Ramadan with welcome, as it is not like the other months of the year. It is the month in which mercies descend from heavens. We carry glad tidings of its coming as it is the best season of doing acts of obedience to double the reward of good deeds and to expiate the sins. It is the month of blessings and bounties. Allah enjoined its fasting and made it a chance for changing the bad attitude of the self. Allah (Glory be to Him) says:

{O you who believe! Observing As-Saum (the fast) is prescribed for you as it t was prescribed for those before you, that you may become Al-Muttaqûn.}

[Al-Baqarah (The Cow): 183]

Attaining piety is the objective and aim of fasting. It is the month of benevolence and charity, which returned with joy and happiness to spread its goodness in the whole world and to spread mercy and affection among the Muslims. The Slaves of Allah compete to attain reward and blessing from

Allah, as the reward in this month is not like that of the other months. Allah singled out this month with special reward. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The reward of every deed by the son of Adam is doubled from ten folds to seven hundred folds. Allah (Glory be to Him) says: 'Fasting is for Me and I shall reward for it. He gives up his desire and his food and drink for My sake. Fasting is a shield, and the fasting person

AL-AZHAR MAGAZINE

Ramadan, 1433 A.H

ENGLISH SECTION

August, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

في العدد القادم

AL AZHAR
MAGAZINE

facebook.com/AlAzharMag

الافتتاحية [التعصب المذهبي .. والخيانة الوطنية]

تفسير سورة البقرة   الشيخ محمد عبده

بنو إسرائيل في الكتاب والسنة   أ.د. محمد سيد طنطاوي

فتاوى لها تاريخ   الشيخ محمود شلتوت

أقسام السنة   الشيخ عبد الجليل عيسى

قصص الأنبياء   الشيخ عبد الوهاب النجار

هدية عدد شوال

في فقه مقاومة الاستبداد
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لحجة الإسلام : أبو حامد الغزالي

دراسة وتقديم : أ.د. محمد عمارة

www.AlazharMag.com


الأزهر
التعصب المذهبي والخيانة الوطنية
د. محمد عمارة
دور القيم الإسلامية السياسية
الإسلام والدولة الحديثة
الحركة الإسلامية ومنهج التغيير
المجتمع المدني
في ضوء المقاصد العامة للشريعة
د. إبراهيم البيومي غانم
د. أحمد عمر هاشم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
صدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير عام التحرير
عادل رفاعى خفاجة

مدير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

سكرتير التحرير
محمود الفشنى

داخل مصر ٢٤ جنيهاً مصرياً
الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
ش الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ/ أحمد القطب

التعصب المذهبى.. والخيانة الوطنية



لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عمارة

إذا كانت نكبة فلسطين هى مأساة القرن العشرين، فإن نكبة الاحتلال الأمريكى للعراق - سنة ٢٠٠٣م - قد مثلت مأساة القرن الواحد والعشرين.

● لقد تحالفت الصهيونية المعاصرة مع الصليبية الغابية والمسيحية الصهيونية والإمبريالية الغربية على اقتلاع الشعب الفلسطينى من وطنه، والقذف به إلى المهاجر والشتات، لإحلال شذاذ الآفاق الصهاينة على الأرض الفلسطينية المباركة، قاعدة عسكرية للإمبريالية الغربية، تقسم وتقطع وحدة أرض الأمة العربية، وتقوم بدور كلب الحراسة الذى يعمل على إجهاض التقدم العربى الإسلامى.

● وفى مطالع القرن الواحد والعشرين، تحالف «التشيع الصفوى الإيرانى» مع الإمبريالية الأمريكية - ومعها الصهيونية - على تدمير العراق، وتفتيته، والخلاص من القوة الأولى التى تخشاها الصهيونية فى المشرق العربى، ولتأجيج الصراع المذهبى بين الشيعة والسنة، لجعل بأس المسلمين بينهم شديداً، كيلا يتحقق النهوض الإسلامى المنشود.

إن علينا أن نتحلى بالأمانة العلمية والشجاعة الفكرية التى تجعلنا نعلن:

أن المأساة العراقية قد مثلت أكبر الزلازل التى أصابت العلاقات الشيعية السنية منذ قرون.. فهناك أحزاب شيعية تكونت وتدربت وتسلحت فى ظل ولاية الفقيه الشيعية الإيرانية.. ثم تواطأت وتحالفت مع الصليبية الأمريكية، المدفوعة بالصهيونية اليهودية فى القضاء على قوة العراق ووحدته.. ثم عادت هذه الأحزاب مع الغزو الأمريكى للعراق سنة ٢٠٠٣م.. ودخلت عمائم كبيرة وكثيرة - ومعها الميليشيات التابعة لها - إلى بغداد على ظهور دبابات الأمريكان وطائراتهم!

وهناك مراجع شيعية كبرى يقلدها الملايين من عامة الشيعة، صمتت صمت الرضا، عن الغزو الأمريكى.. وأفتت بعدم المقاومة، فأفسح أنصارها الطريق وفتحوا أبواب الجنوب العراقى أمام جحافل الغزو الزاحفة من الكويت.. بينما أغلق البرلمان التركى، فى تركيا العلمانية، أبواب شمال العراق أمام الغزاة الأمريكان!..

ومنذ اليوم الأول لاحتلال العراق - فى أبريل سنة ٢٠٠٣م - ولقيام المقاومة السنية للغزو والاحتلال، قام التنسيق الكامل والتعاون الدائم بين هذه المراجع الشيعية الكبرى - ومعه الأحزاب الشيعية - وبين سلطات الاحتلال.. لا ضد المقاومة السنية وحدها، وإنما أيضاً ضد المقاومة حتى ولو كانت شيعية عربية..

لقد ظهر التمايز فى داخل الصف الشيعى بين ما يسمى «بالتشيع الصفوى» وبين «التشيع العربى».

ولقد شهدت مذكرات «بول بريمر» - أول حاكم أمريكى للعراق المحتل - على هذه العلاقات بين هذه المراجع الشيعية وبين الغزاة الأمريكان، والتى - كما قلنا - مثلت أكبر زلزال أصاب العلاقات الشيعية - السنية فى الصميم.

● لقد مثل «بول بريمر» - الذى حكم العراق المحتل ما بين ١٢ مايو سنة ٢٠٠٣ وحتى ٢٨ يونيو سنة ٢٠٠٤م - «المندوب السامى الأمريكى فى العراق المحتل» - أو «ماكارثر بغداد» - كما سماه البعض.

ولقد أنجز - خلال هذه الشهور الأربعة عشر - تدمير كل مقومات العراق، المادية والبشرية..

● وفى مذكراته، التى نشرها بعنوان «عام قضيته فى العراق» - والبالغة صفحاتها بالترجمة العربية التى قام بها عمر الأيوبى - ونشرتها دار الكتاب العربى - بيروت سنة ٢٠٠٦م - ٤٩٦ صفحة - .. فى هذه المذكرات.. نقف أمام العديد من الوقائع ذات الدلالات الخطيرة فى موقف آية الله العظمى السيد على السيستانى من الاحتلال

الأمريكي للعراق

١ـ فالسيستاني ـ وهو أكبر المراجع الشيعية المعاصرين ـ لم يصدر فتوى بمقاومة الاحتلال للعراق المسلم ـ كما صنع أسلافه مراجع الشيعة مع الإنجليز سنة ١٩٢٠م.. وإنما ـ على العكس من ذلك ـ رفض إصدار مثل هذه الفتوى حتى عندما طلبها منه الرئيس السورى بشار الأسد.. بل وأفتى بعدم مقاومة الغزو والاحتلال!.

ولقد كتب بريمر ـ في مذكراته ص٢٥٤ :

«لقد أذهلني مُوَفَّق الربيعي بمعلومة أخرى، فقد أخبره السيستاني بأن الرئيس السورى بشار الأسد بعث برسالة سرية تقترح أن يصدر آية الله فتوى تدعو إلى الجهاد ضد الائتلاف، ـ أى الاحتلال ـ..

فالرجل لم يمتنع ـ فقط ـ عن الإفتاء بمقاومة الاحتلال.. وإنما «بلَّغ» بريمر بفحوى الرسالة السرية للرئيس السورى بشار الأسد!!..

٢ـ ولقد كتب بريمر ـ ص٧٥ ـ

«إن القادة الشيعة، بمن فيهم آية الله العظمى السيستاني، قد شجعوا أتباعهم على التعاون مع الائتلاف منذ التحرير»!!..

٣ـ وعندما شذ موقف التيار الصدرى ـ المعبر عن التشيع العربى ـ عن هذا الموقف ـ موقف التشيع الصفوى.. المتحالف مع الغزو والاحتلال.. تعاونت المرجعية الشيعية ومجلس الحكم ـ الذى أقامه بريمر بالاتفاق مع المرجعية ضد التيار الصدرى.. وكتب بريمر ـ في مذكراته ص٤٠ ـ يقول :

«تلقيت تحذيرا من مجلس الحكم بأن مقتدى الصدر يستعد لإصدار فتوى أثناء صلاة الجمعة يدعو فيها إلى الجهاد ضد قوات التحالف.. وأن أنصاره يحاولون إثارة الفوضى في كركوك..».

ثم يعود بريمر للتحدث عن موقف السيستاني من التيار الصدرى، إبان انتفاضة الصدر بكربلاء، واعتزامه إنشاء حكومة ـ في ١٠ أكتوبر سنة ٢٠٠٣م ـ فيقول ص٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٠، ٢٤٥ ـ «إن آية الله يخشى التهديد الذى يشكله مقتدى.. وإن الخيار المفضل للسيستاني هو أن لا يبقى مقتدى ـ واقترحت بذلك أنه يريد أن يقتل الشاب.. وعلمنا أن السيستاني أرسل ٢٠٠ مسلح إلى كربلاء لمواجهة قوات مقتدى. وأفيد عن أن بعض مقاتلى السيستاني أعضاء في ميليشيات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ـ فيلق بدر.. وعبر الوسطاء، سألت آية الله السيستاني عن رأيه في إجراء محادثات مباشرة مع مقتدى، فجاء رده سريعاً وواضحاً: نحن لا نعرف سبب التفاوض مع مقتدى أو فائدة ذلك»..

ولقد انتهى الأمر بترك مقتدى الصدر ـ وتياره ـ لقوات الاحتلال وميليشيات بدر..



بريمر

فتم «تأديب» مقتدى وأنصاره، بينما السيستاني يقوم برحلة علاج في لندن!

٤ـ وفي البرهنة على موقف السيستاني من الاحتلال.. وتعاونه مع بريمر لتحقيق «الأهداف المشتركة»! نطالع في مذكرات بريمر :

أ ـ في ص٢٧٩ مكالمة هاتفية من وزير الخارجية الأمريكي «كولن باول» مع بريمر يقول له فيها:

«عليك أن تحصل على مباركة السيستاني. أرسل أحدهم إلى النجف، أو توجه إليه بنفسك، إذا دعت الضرورة.. لا يمكن أن أطلب من حكومتي المصادقة على مسار بدون بعض الضمانات بأن النجف «السيستاني» موافق عليه»!

أى أن «مباركة» السيستاني لاحتلال العراق ودماره كانت «ثابتا» من ثوابت الأمريكان!

ب ـ وحتى يتم التعاون بين السيستاني وسلطات الاحتلال، دون إخلال بهيبة المرجعية أمام الجمهور ـ وخاصة التيار الصدرى ـ تم الاتفاق، الذى كتب عنه بريمر ـ ص٤٢ ـ فقال: «.. ولقد أبلغنا السيستاني، بعد التحرير مباشرة، ومن خلال قنواته الخاصة، أنه لن يقابل أحدا من التحالف ـ ولذلك لم أطالب بعقد اجتماع شخصي معه

وقال لى «هيوم» ـ الذى يفهم العالم العربى جيداً ـ: «إن السيستاني لا يمكن أن يقبل بأن يظهر علانية بأنه متعاون مع قوة احتلال، كما أنه يريد أن يحمي جماعته من آخرين من أمثال مقتدى الصدر، ولكنه سيعمل معنا، فنحن نشترك معه في الأهداف ذاتها»!.

جـ ـ ولقد استعمل بريمر ثلاث قنوات للاتصالات المنتظمة مع آية الله السيستاني :

الأولى : عبر موفق الربيعي ـ مستشار الأمن القومي في مجلس الحكم ـ.

والثانية: عبر آية الله حسين إسماعيل الصدر ـ المقرب من السيستاني ـ.

والثالثة : عبر عماد ضياء الخرسان ـ وهو أمريكي الجنسية، عراقي الأصل، شيعي المذهب.. كان المسئول عن لجنة إعادة الإعمار الأمريكي للعراق.. وهو الذى قال لبريمر ـ عقب إحدى زياراته للسيستاني :

«إن آية الله العظمى معجب بك، ويحترمك، وهو يقدر الفرصة للعمل معك من أجل مستقبل العراق»!..

د ـ ولقد تحدث بريمر ـ في مذكراته ص٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٨ ـ عن مراسلاته مع السيستاني فقال:

«.. وبينما كانت وسائل الإعلام العربية والأجنبية تتحدث عن الصلات المقطوعة بيننا وبين السيستاني، فإنني كنت على اتصال مستمر معه حول القضايا الحيوية، من خلال الوسطاء».



كولن باول



إياد علاوي

وكان هيوم ـ «هوران ـ السفير والخبير في الثقافة واللغة العربية» ـ محقاً في حنبله. لقد أرسل لي السيستاني ذات يوم يقول: إن عدم لقائه بنا ليس ناجماً عن عداء للتحالف، وإنما لأنه يعتقد أنه بذلك الموقف يمكن أن يكون أكثر فائدة لتحقيق أهدافنا المشتركة، وبأنه سيفقد بعض مصداقيته لدى أنصاره لو تعاون بشكل علني مع مسئولي التحالف، كما فعل بعض المعلمانيين من الشيعة والسنة أو رجال دين شيعة ذوى مرتبة منخفضة..

.. لقد تبادلت مع السيستاني الرسائل بشكل منتظم حول الوضع الأمني في النجف، ولاسيما في أغسطس سنة ٢٠٠٣ حين أصبح مقتدى «الصدر» يمثل تهديداً لنا..

وخلال الفترة من نوفمبر إلى منتصف سبتمبر فقط تبادلت أكثر من عشرة رسائل مع السيستاني، الذي عبر، غير مرة، عن امتنانه لقوات التحالف لما فعلته للشيعة والعراق.

.. ولقد بعثت رسالة تحذير إلى السيستاني، كما أرسلت بعض مساعدي للقاء كبير المسئولين الأمنيين في النجف لتقديم المساعدة لحمايته خلال احتفالات عاشوراء، حيث تزدحم المدينة بحوالي مليون زائر ـ عندما قدم مسئول محطة الاستخبارات في وقت متأخر من يوم ٢٨ فبراير سنة ٢٠٠٣م ما وصفه بأدلة ذات مصداقية تقول إن الزرقاوي يخطط لاغتيال السيد السيستاني»..

وفي يوم ٨ يونيو ـ سنة ٢٠٠٤م ـ اعتمد قرار مجلس الأمن ١٤٥٦ بالإجماع وتضمن ترحيباً بالحكومة الانتقالية في العراق، باعتبارها تمثل مرحلة جديدة لانتقال العراق إلى حكومة منتخبة بشكل «ديمقراطي»، بالإضافة إلى تأييد صريح للجدول الزمني المنصوص عليه في قانون الإدارة المؤقت، ولتنظيم الانتخابات في ٣١ يناير سنة ٢٠٠٥م. وأرفق القرار برسالتين من إياد علاوي والوزير كولن باول تحدد دور قوات التحالف متعددة الجنسيات ـ «وهو القرار الذي قنن الاحتلال الأمريكي للعراق»

وبعد ظهر ذات اليوم التقى صبري ـ عماد صبري ـ جورسا ـ برسالة أكثر تعبيراً عن الرضا من آية الله السيستاني، وبدا أنه كان «مسروراً» بما آلت إليه الأمور في العتبات المقدسة، وبالحكومة الجديدة، ورئيس الوزراء، ولكون قرار الأمم المتحدة لم يذكر صراحة قانون الإدارة المؤقت، وأيد موعد تنظيم الانتخابات في يناير سنة ٢٠٠٥م،

وختم رسالته بقوله: «إن حواري مع السفير بريمر خلال العام الماضي كان مفيداً للغاية، وآمل أن يستمر هذا».



علي السيستاني

«ورغم أن آية الله كان رافضاً للالتقاء بسلطات الاحتلال فإنني تبادلت معه طيلة الشهور الأربعة عشر الماضية ما يزيد على ٣٠ رسالة عبر وسطاء عديدين، وهي رسائل أعتبرها من ناحيتي أيضاً «مفيدة جداً»..

●●●

هكذا تحدث «بريمر» ـ المندوب السامي الأمريكي في العراق المحتل ـ الذي قاد تدمير العراق ـ الدولة بجميع مؤسساتها ـ من الجيش إلى شرطي المرور ـ وتدمير كل مقومات الحياة بالنسبة للشعب العراقي ـ .. هكذا تحدث عن «التحالف ـ والتعاون ـ مع أكبر المراجع الشيعية ـ ومع الأحزاب الشيعية ذات التوجه الإيراني».

ولقد علق مكتب آية الله السيستاني على ما أورده بريمر في مذكراته هذه عن العلاقات والمراسلات بينه وبين السيستاني، فلم ينكر ما ذكره بريمر من وجود قنوات الاتصال، وإن كان قد نفى وجود رسائل «مكتوبة» ـ وعلى وجه الدقة تساءل لماذا لم ينشرها بريمر إذا كانت في حوزته؟!..

لقد جاء في «تعقيب» مكتب السيستاني ـ المنشور على موقع سماحته ـ منتدى الفكر العراقي في ١٤ من شوال سنة ١٤٢٧هـ ـ ٧ من نوفمبر سنة ٢٠٠٦م»:

«إن سماحة السيد دام ظله بحكم موقعه ومسئوليته في رعاية الأمة كان ولايزال يستقبل كافة الشخصيات العراقية ـ السياسية والدينية والثقافية والعشائرية وغيرهم ـ يستمع إلى وجهات أنظارهم واستفساراتهم، ويستمعون إلى رؤاه وتوجيهاته.

وكان في عداد زواره خلال المدة التي حكم العراق فيها السفير بريمر أعضاء من مجلس الحكم ومجلس الإعمار وسائر المسئولين في الحكومة العراقية، ومن هؤلاء من كان ينقل إلى سماحته موقف وآراء وتصورات سلطة الاحتلال وممثلها بريمر، بتكليف منه أو من تلقاء نفسه، وكان سماحته يعلق على ما يسمعه منهم في كل القضايا التي لها مساس بالمصالح العليا للشعب العراقي، كقضية الدستور والانتخابات وقانون إدارة الدولة وتشكيل الحكومة المؤقتة، وغيرها..

ولم تكن هناك (رسائل متبادلة) بين المرجعية الدينية وبين بريمر. ولو كان قد تلقى من سماحة السيد دام ظله رسالة واحدة لكان ينبغي له أن يثبتها بنصها في كتابه توثيقاً لما ادعاه»

●●●

تلك هي وقائع العلاقة بين المرجعية الدينية العظمى وبين بريمر ممثل هولاكو القرن الواحد والعشرين في بغداد ـ كما ذكرها بريمر في مذكراته (عام قضيته في العراق)..

إن آية الله السيستاني لم يكن ـ ولا يمكن أن يكون ـ عميلا لأمريكا.. وإنما استعان الرجل بالاحتلال الأمريكي لتحكم الشيعة العراق.. أو تحكم معظمه، بعد تفتيته بالفيدرالية..

وإن أمريكا لم تكن في خدمة السيستاني، وإنما استعانت به ـ وبالأحزاب الشيعية الموالية لمرجعيته ـ على احتلال العراق.

لقد جمعت «المصالح التكتيكية» بين الطرفين ـ فكان الزلزال الذى أصاب العلاقات الشيعية السنية في الصميم ـ وإن بقيت التمايزات والاختلافات حول «المصالح الاستراتيجية» لدى كل طرف من الأطراف..

لقد اعتبرت المرجعية الشيعية العظمى ـ السيستاني ـ الاحتلال الأمريكي للعراق تحريرا لبلاد الرافدين.. وذلك على الرغم من أن العراق ـ قبل الاحتلال:

كان أكثر من ثلث سكانه ـ ٢٠٠٠،٠٠٠ (مليوني أسرة) متزوجين زواجًا مختلطا يجمع بين السنة والشيعة.

● وكان أكثر من نصف الجيش العراقي ـ الذى سرحه بريمر ـ من الشيعة..

● وكان ثلثا رؤساء الفروع الحزبية ـ بحزب البعث الحاكم ـ من الشيعة..

● حتى إن نسبة كبيرة من القيادات البعثية التى احتمت عند الاحتلال، والتى رصدت أمريكا المبالغ الطائلة لمن يرشد عنها، كانت من الشيعة أيضًا.

● لكن الاحتلال الأمريكي قد استعان بالأحزاب الشيعية التى تكونت في إيران والتى تدربت ميليشياتها وتسلحت في إيران [illegible] بل والتى حاربت لحساب إيران ضد العراق لثماني سنوات (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨م) أى ضد الجيش العراقي ذى الأغلبية الشيعية[1] استعان الاحتلال «بالتشيع الصفوى» ـ ومرجعيته العظمى ـ ضد أهل السنة وضد «التشيع العربي» لتدمير العراق وتفتيته.. باعتبار هذا القصد هو المحقق لمخططات الفرقاء المختلفين: أمريكا.. والصهيونية.. وإيران!!..

فكان الزلزال الأشد الذى أصاب العلاقات الشيعية السنية على أرض العراق ـ وخارج أرض العراق..

●●●

● لكن الذى لم يستطع هذا المخطط تحقيقه هو قمع المقاومة العراقية لجيوش الاحتلال.. ولقد كتب بريمر في مذكراته ـ ص٥٧ ـ ٥٠.. وعبرت ـ في التالي للرئيس ـ «بوش» ـ عن خيبتي إزاء عجزنا عن خلق بيئة آمنة، فقد أثبتت المجموعات المتمردة أنها أكثر تنظيمًا، وإن اختراقها أصعب مما كنا نتوقع.. لقد استطاع الإرهابيون ـ (هكذا يسمى المقاومة) ـ أن يحولوا العراق إلى الخط الأمامي لحربهم الشيطانية»



برنارد لويس

وصدق الله العظيم:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

الأنفال: ٣٠

● كذلك سعت هذه المراجع إلى تمزيق النسيج الوطني للشعب العراقي، وذلك بإحلال «الفصل المذهبي» محل الوحدة الوطنية.. فجمهور غفير من أبناء الشعب العراقي ـ شيعة وسنة ـ قد تجاوزوا حواجز «الفصل المذهبي»، إما بالاستنارة والتسامح، أو للعلاقات القبلية والعشائرية. فقامت المصاهرات والزيجات المشتركة ـ الشيعية السنية ـ بين ثلث أبناء الشعب العراقي وبناته ـ مليوني أسرة.. فإذا بهذه المراجع تفتي بأن هذا الزواج المختلط إنما «يغضب الله»!.. الأمر الذى «هدد أكثر من مليوني أسرة عراقية قائمة على الزواج المختلط بين السنة والشيعة ـ وهو ما يمثل نحو ثلث عدد أسر المجتمع العراقي» بالدمار.. الأمر الذى أسهم في زيادة التوتر الطائفي، والفصل المذهبي، والقتل والتهجير على أسس مذهبية وطائفية.. وأحدث ما يشبه «غسيل الدماغ» عند البعض.. بل ودفع العديد من الأطفال.. في هذه الأسر المشتركة والمختلطة ـ إلى محاولات الانتحار للحيلولة دون الانهيارات الأسرية التى دعت إليها فتاوى هذه المراجع المتعاونة مع الأمريكان![1]

فالاحتلال ـ بواسطة ما سمى «بالعملية السياسية» ـ يقنن ـ في الدستور الذى أشرف «بول بريمر» على وضعه ـ لتمزيق وحدة الأرض العراقية بما يسمى «بالفيدرالية».. والمراجع الشيعية المتعاونة على الاحتلال تبارك ذلك، وتفعله على أرض الواقع بإقامة «الفصل المذهبي» بين أبناء الشعب العراقي!..

● كذلك علينا أن ندرك ـ ونعلن ـ أن ما يشهده العراق اليوم ـ بمباركة هذه المراجع ـ هو التنفيذ لمخطط «إمبريالي ـ صهيوني» قديم، رسمه ـ لكل العالم الإسلامي ـ وأعلن عنه المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» Bernard Lews ـ ونشرته مجلة وزارة الدفاع الأمريكي الباحثون Intelligence researchpoject بعد قيام إسرائيل ـ في أربعينيات القرن العشرين ـ.. وفي هذا المخطط التفتيتي للعالم الإسلامي دعا «برناردلويس» إلى إعادة رسم الخريطة السياسية لعالم الإسلام ـ من باكستان إلى المغرب ـ وإنشاء اثنين وثلاثين «كيانا سياسيا» جديدا، على أسس دينية ومذهبية

---

(١) [illegible] «الأهرام» [illegible] «يغضب الله») وذلك نقلا عن «الشبكة الإقليمية المتكاملة للأنباء (إيرين)» التابعة للأمم المتحدة ـ والتي نقلت ذلك عن (جمعية)

وعرقية .. وقال:

«إن الصورة الجغرافية الحالية للمنطقة لا تعكس حقيقة الصراع، وإن ما هو على السطح يتناقض مع ما هو في العمق:

على السطح كيانات سياسية لدول مستقلة، ولكن في العمق هناك أقليات لا تعتبر نفسها ممثلة في هذه الدول، بل ولا تعتبر ان هذه الدول تعبر عن الحد الأدنى من تطلعاتها الخاصة.

ويرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد، بل سوف تشلها خلافات لا انتهاء لها على مسائل حدود وطرقات ومياه ونفط وزواج ووراثة .. إلخ.

ونظراً لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من إسرائيل، فإن هذه ستضمن تفوقها مدة نصف قرن على الأقل»[2].

وفي تطبيق هذا المخطط على العراق .. قالت منظمة الصهيونية العالمية في (استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات) - التي نشرتها مجلتها (الاتجاهات) «كيفونيم» kivuhim في عدد ١٤ نوفمبر سنة ١٩٨٢م.

«إن العراق الغني بالنفط .. هو المرشح المضمون لتحقيق أهداف إسرائيل. إن تفتيت العراق هو أكثر أهمية من تفتيت سوريا .. فالعراق أقوى من سوريا، وقوته تشكل في المدى القصير خطرا على إسرائيل أكبر من أي خطر آخر .. وهكذا تقوم ثلاث دول (أو أكثر) حول المدن العراقية الرئيسية: البصرة، وبغداد، والموصل، إذ تنفصل مناطق شيعية في الجنوب عن الوسط السني. والشمال الكردي .. وإنه في - العصر النووي - لا يمكن ضمان بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعدا بعثرة السكان، وهذا دافع استراتيجي، وإذا لم يحدث ذلك، فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود .. »

هذا هو المخطط الصهيوني .. المرسوم والمنشور - قبل أكثر من ستين عاما! - والذي ينفذه الغزاة الأمريكان - اليوم - على أرض العراق .. بالتعاون مع الأحزاب الشيعية ذات الولاءات الإيرانية .. وبمباركة عدد من كبار المرجعيات الشيعية! .. وعلى رأسهم، وفي مقدمتهم آية الله علي السيستاني (المولود سنة ١٣٤٨هـ سنة ١٩٣٠م) بمدينة «مشهد» الإيرانية .. والفارسي الجنسية - حتى هذه اللحظات! - [3]

(٢) انظر محمد السماك (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص١٣١ - ١٣٢، ١٤٠، ١٤٤ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م. وانظر كتابنا (الإسلام والتعددية) ص٢٥٧ - ٢٧٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧م.

(٣) وتتكرر هذه المأساة الطائفية اليوم على الأرض السورية، عندما تقاتل قوات الحرس الثوري الإيراني وجيش المهدي العراقي وحزب الله اللبناني، مع النظام «النصيري» - العلوي، ضد الشعب السوري .. فتسيل الدماء ويتم التدمير لسوريا، ويتحول كثير من هذه [illegible] إلى لبنان عبر العراق وسوريا!!

إنني أعلم يقينا أن الكثيرين من شيعة العراق قد وقفوا موقف الرفض من الاحتلال الأمريكي - الصليبي - الصهيوني - للعراق سنة ٢٠٠٣م .. ولقد انخرط كثير منهم في صفوف المقاومة السياسية والمسلحة - لهذا الاحتلال ..

ولهؤلاء الشيعة - الوطنيين .. العروبيين المقاومين - تراث وسلف وتاريخ، لعل أقربه إلى ذاكرة الحاضر هؤلاء الشيعة الذين شاركوا سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩٢٠م في الثورة الوطنية العراقية ضد الاحتلال الإنجليزي - يومئذ - «ثورة العشرين» ..

لذلك، علينا أن نميز - في المذاهب التي نختلف معها - بين «الفكر» - حتى ولو كان «مغاليا» .. ومتطرفا - وبين تحول هذا «الفكر» إلى «فعل وعمل» لشق وحدة الأمة، وتمكين لأعدائها الألداء.

إن «الفكر المتطرف والمغالي» - دينيا كان أو سياسيا - إنما يعالج بالحوار الفكري الموضوعي والصبور .. بينما «العمل الخياني»، الذي يسعى «للسلطة المذهبية والطائفية» عبر التحالف مع الأعداء، وعلى أنقاض الوطن والوطنية والعروبة والمصالح العليا للأمة .. هو لون من «الخيانة» للدين والوطن على حد سواء!

وإذا كان لشيعة العراق - الوطنيين العروبيين - سلف صالح في التضامن مع إخوانهم السنة ضد الغزو والغزاة .. فإن للشيعة الذين سلكوا طريق الخيانة، عندما «غلبوا» التعصب المذهبي والطائفي على المصالح العليا للوطن والأمة .. إن لهؤلاء الشيعة - الذين سلكوا هذا الطريق، وسقطوا في هذا المستنقع - هم الآخرون - سلف - غير صالح - وتراث وتاريخ في الغدر والسقوط!

● فبعد أن فتح الضعف الشيعي الفاطمي الإسماعيلي الباطني الثغرات التي أدت إلى احتلال الصليبيين للشام وفلسطين، واجتياحهم للقدس (٤٩٢ هـ - ١٠٩٩م)، تعاون قطاع من هؤلاء الشيعة الإسماعيلية - بقيادة الوزير الفاطمي «ضرغام» (٥٥٩ هـ - ١١٦٤م) - مع الصليبيين سنة ٥٥٩ هـ - سنة ١١٦٣م.

● وفي سنة ٥٦٤ هـ / سنة ١١٦٨م تكررت هذه الخيانة والاستعانة بالصليبيين من قبل الوزير الفاطمي «شاور» (٥٦٤ هـ - ١١٦٩م) - الذي سمى الصليبيين «بالفرج» .. بدلا من «الفرنجة»! .. ورأى فيهم «الفرج .. والإنقاذ» من دخول مصر تحت سلطان الدولة السنية المجاهدة .. دولة نور الدين الشهيد (٥١١ - ٥٦٩ هـ / ١١١٨ - ١١٧٤م)

● وبعد أن انتهت هذه الصراعات وهذه الخيانات الشيعية الفاطمية بزحف جيش الدولة النورية - بقيادة أسد الدين شيركوه (٥٦٤ هـ - ١١٦٩م) وصلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ - ١١٣٧ / ١١٩٣م) على مصر، وتخليصها من مراكز الخيانة الشيعية الفاطمية، وتوحيدها مع المشرق العربي .. وطي صفحة الدولة

الفاطمية من التاريخ - شرعت بقايا هذه الدولة في التآمر مع الصليبيين ضد السلطة السنية - الأيوبية - التي حكمت مصر في ذلك التاريخ!.

لقد تحركت أصابع هذه الخيانة الشيعية الفاطمية - ممثلة في بقايا جند وقيادات هذه الدولة - الذين كانوا «مخالفين في المذهب» لجمهور الأمة - فأرسل قائدهم «جوهر الخصي مؤتمن الخلافة» رسالة سرية إلى الصليبيين، يستعين بهم ويستنجد بجيوشهم ضد الدولة السنية وجيشها!!.. ولقد ضبط صلاح الدين الأيوبي هذه الرسالة، وقبض على «مؤتمن الخلافة» وأعدمه في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٥٦٤ هـ / سبتمبر سنة ١١٦٨م .. واتبع ذلك بهزيمة جند «مؤتمن الخلافة».. وفي ذلك قال الشاعر عماد الدين الكاتب (٥١٩ - ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ - ١٢٠١م) مخاطبا صلاح الدين الأيوبي.

مــــؤتمن القـــــوم خـــــان حـــــتى

عـــالنــــــه من شــــــره غــــــوائل!

● وبعد طي هذه الصفحة من صفحات التآمر والخيانة.. فتحت صفحة أخرى على أيدى قطاع من أركان الدولة الشيعية الفاطمية المنهارة، الذين كاتبوا الصليبيين - سرا - مستنجدين بهم ضد دولة وسلطة صلاح الدين الأيوبي

ولقد التقى رءوس هذه الخيانة مع رسول الفرنجة الصليبيين «جورج» الذي كان يزور القاهرة - في الظاهر - كرسول للصليبيين وسفير لهم.. والذي كان يسعى - في الحقيقة - للالتقاء بالخونة المتآمرين!

وعندما اكتشف صلاح الدين الأيوبي أركان هذه المؤامرة، التي قادها الشاعر عمارة اليمني (٥٦٩ هـ / ١١٧٤م) قبض على هؤلاء الخونة، وأعدمهم في ٢ رمضان سنة ٥٦٩هـ - ٦ إبريل سنة ١١٧٣م - فطويت بذلك هذه الصفحة من صفحات الخيانة، التي قدمت «المصالح» المذهبية والطائفية على المصالح العليا للوطن والأمة، التي كانت تواجه الاجتياح الصليبي في ذلك التاريخ[1]

* * *

● وقبل هذه الصفحة من صفحات «الخيانة» ذات الدوافع المذهبية والطائفية، التي أراد أصحابها فتح أبواب مصر والقاهرة للاجتياح الصليبي، ليحكموا الوطن على أنقاض الوطنية، كراهة في السلطة السنية الأيوبية التي امتدت لإنقاذ مصر وضمها إلى أحضان المشرق العربي الإسلامي.

(1) انظر أخبار هذه الوقائع في: أبو شامة (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) جـ١ ص ٤٩٠، ٥٠٠، ٤٥٣

قبل هذه الصفحة السوداء.. شهد التاريخ الإسلامي صفحة أشد سوادا، وأكثر بؤسا، وأمعن في الدموية والإيلام، فتحت فيها الخيانة المذهبية الطائفية الشيعية أبواب بغداد والعراق والمشرق العربي أمام الاجتياح المغولي الذي قاده هولاكو (٦١٤ - ٦٦٣هـ / ١٢١٧ - ١٢٦٥م) في المحرم سنة ٦٥٦هـ / يناير سنة ١٢٥٨م - مقدمة - بتلك الخيانة الطائفية - الصورة الكالحة السوداء، التي تكررت على أرض العراق - بالتآمر والتواطؤ والتعاون بين التشيع الصفوي وبين الاحتلال الأمريكي - الصليبي.. الصهيوني - الذي قاده الرئيس الأمريكي «بوش - الصغير» - هولاكو القرن الواحد والعشرين!

● كان ابن العلقمي (٥٩٣ - ٦٥٦هـ / ١١٩٧ - ١٢٥٨م) وزيرا شيعيا في دولة الخلافة العباسية.. وكان خبيراً بأدوات السياسة.. ومحبا للرياسة.. ولقد نشأ في بيت علم شيعي، وقصده كثيرون من العلماء والأدباء والشعراء.

ولقد ولي الوزارة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م).. وتربع عليها أربعة عشر عاما.. ثم انتهى به المطاف إلى خيانة الدولة والخلافة والأمة.. بل والحضارة الإسلامية كلها.. فتآمر مع التتر، وفتح أبواب بغداد لهولاكو، وذلك طمعا في أن يحكم الشيعة بغداد والعراق، بدلا من السنة، بعد فتنة طائفية وقعت بين السنة والشيعة في بعض أحياء بغداد.

ويقول مؤرخ الحجة الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١ - ٧٧٤هـ / ١٣٠٢ - ١٣٧٣م) - عن خيانة ابن العلقمي:

إنه مهد لاستقدام التتار بقطع أعطيات الجند حتى تقلص حجم الجيش من قرابة مائة ألف مقاتل إلى نحو عشرة آلاف!.. ثم استقدم التتار - الذين بلغ تعداد جيشهم نحو مائتي ألف مقاتل..!

وبعبارة الحافظ ابن كثير - صاحب (البداية والنهاية)

«فإن ابن العلقمي أطمع التتار في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعا منه في أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين.. ولقد أشار الرافضة على هولاكو أن لا يصالح الخليفة «المستعصم» (٦٤٠ - ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) - وحسنوا له قتله، فأمر بقتله.. وجرت المذبحة للعلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد.. ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان. ودخل كثير من الناس في الآبار، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون. وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم

بالأسلحة، حتى تجرى الميازيب من الدماء فى الأزقة!

وقد بلغت كمية من قتل ببغداد من المسلمين فى هذه الوقعة مليونى نفس فى أربعين يوما، أصبحت بغداد بعدها خاوية على عروشها، والقتلى فى طرقاتها كالتلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير.. فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون..»![5]

وتنقل «دائرة المعارف» عن المؤرخ ابن الوردى ـ أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر (٦٨٩ ـ ٧٤٩هـ ١٢٩٠ ـ ١٣٤٨م) ـ صاحب «تتمة المختصر فى أخبار البشر» ـ وصفه لخيانة ابن العلقمى.. والذى يقول فيه:

«لقد أراد ابن العلقمى نصرة الشيعة، فنصر عليهم، وحاول الدفع عنهم فدفع إليهم، وسعى، ولكن فى فسادهم، وعاضد، ولكن على سبى حريمهم وأولادهم، وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة، ونكبت الإمام والأمة، وسفكت دماء الشيعة والسنة، وخلدت عليه العار واللعنة..

وأى امتحان الخبيث تمعن

هكذا ينصر الجهول أخاه

طبق الأرض بعضهم تطبيقا

ومن البر ما يكون عقوقا»[6]

ذلك أن نهاية هذه الخيانة «الطائفية ـ المذهبية» كانت وبالا على الأمة كلها ـ شيعة وسنة ـ لأن التتار لم يفرقوا بين ضحاياهم وفق المذاهب والطوائف.. بل إن الدمار قد تعدى البشر والحجر والشجر إلى كنوز الفكر والحضارة ببغداد، فحدث الدمار لمكتباتها التى لم يكن لها نظير فى العالم إبان ذلك التاريخ.. الأمر الذى أصاب الذاكرة الحضارية الإسلامية بشرخ غائر وكبير!

بل إن دائرة الخيانة قد دارت على ابن العلقمى ذاته.. فلم يهنأ بثمرات خيانته، ولم يعمر بالوزارة إلا عدة أشهر، إذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ـ فى شهر جمادى الآخرة ـ بعد شهر من رحيل هولاكو عن بغداد.. وخلفه فى الوزارة ابنه عز الدين بن الفضل محمد ـ الذى لحق بأبيه فى بقية نفس العام».

هكذا كانت خيانة ابن العلقمى لوطنه ودينه وأمته ـ التى انطلقت من التعصب الأعمى للمذهب والطائفة ـ وبالا ونكالا على الوطن كله.. والأمة بأسرها..

---

(٥) ابن كثير «تهذيب البداية والنهاية» جـ٤ ص٣٠٤، ٣٠٧ طبعة دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م

(٦) «دائرة المعارف» ـ بإشراف: فؤاد افرام البستانى ـ المجلد الثالث ـ طبعة بيروت سنة ١٩٦٠م

والحضارة بكاملها.. حتى لكأنك تقرأ فيها التراث البائس والسلف غير الصالح لهذا الذى صنعه أحفاد ابن العلقمى بالعراق ودولته وشعبه ـ شيعة وسنة ـ بواسطة الغزوة الصليبية الصهيونية ـ فى مطالع القرن الواحد والعشرين!

* * *

● وإذا كان البعض ـ من غلاة السلفيين ـ يتخذ من هذه المآسى ـ التى صنعتها الحسابات الطائفية والمذهبية ـ منطلقا لتبرير مذهبه فى تكفير الشيعة واستحلال دمائهم.. فإننا نرفض هذا الغلو التكفيرى.. وذلك التعميم والإطلاق فى الحكم على الشيعة كمذهب وفرقة وطائفة.. ونرى أن هذه المأساة يجب أن تكون دافعا يضاعف الجهود الفكرية والعلمية والسياسية التى تميز بين ألوان الطيف الشيعى، فلا نأخذ الوطنيين بجريرة الخونة، ولا نضع جمهور البسطاء فى سلة رءوس الخيانة.. ولا نسوى بين الذين أضيروا من الغزو وبين الذين جاءوا على دبابات الغزاة.. كما أننا يجب أن نعمل على إدارة حوار فكرى موضوعى وصبور مع العقلاء العلماء الحكماء حول جوهر الخلاف بين الشيعة والسنة.. وسبل التقريب بينهما.. ففى ذلك طوق النجاة من هذه المأساة، والتحصين الحقيقى لجدار الأمة ضد الاختراق.. والضمان كى لا تتكرر هذه المأساة فى مكان آخر من عالم الإسلام.. وأيضا السبيل الحقيقى لإخراج العراق من «العار.. والدمار» الذى صنعته به هذه المأساة..

إن الأزهار كثيرا ما تنبت فى أرض المزابل!

وإن الشروق الساطع لا يأتى إلا بعد ظلام الليل البهيم!

وإن الأمم العظيمة هى التى تبحث عن معدنها النفيس فى مواجهة أشرس التحديات!

● وعلينا أن نلح دائما وأبدا على الالتزام بالمنهاج القرآنى.. منهاج

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾

آل عمران: ١١٣

فالشيعة ليسوا سواء..

وأهل السنة والجماعة ليسوا سواء..

وكذلك حال غير المسلمين مع المسلمين، فهم ـ أيضا ـ ليسوا سواء!

وفى مواجهة المراجع والأحزاب و«ميليشيات» فرق الموت ـ الذين دربهم وسلحهم التشيع الصفوى ـ والذين تواطئوا مع «الصليبية.. الصهيونية»، وتعاونوا مع «بول بريمر» وخلفائه.. علينا أن نبنى ـ وخاصة فى المجال العلمى والفكرى ـ جبهة الوحدة الإسلامية ضد أعداء الإسلام والمسلمين.. تلك الجبهة التى لن تقوم لها قائمة إلا بتحقيق التقارب الحقيقى بين الشيعة والسنة.. لأن الخلاف بين الفريقين قد كان ـ ولايزال ـ أعقد وأعمق وأخطر الخلافات التى حدثت فى أمة الإسلام

تفسير سورة البقرة

للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(البقرة ٢٧)

وصف الضالين بالفسوق، ثم بين من حال فسوقهم نقض العهد الموثق، وقطع ما يجب أن يوصل، والإفساد في الأرض، وسجل بذلك عليهم الخسران وحصرهم في مضيقه بحيث لا يسلم منه إلا من رجع عن فسوقه.

العهد هنا لفظ مجمل لم يتقدم في الآيات ما يشعر به، ولم يتل فيما تلاها ما يبينه، وكذلك:

﴿ [illegible] ﴾

ليس في سابق الآيات ولا في لاحقها ما يفسره ويبين المراد منه، فما المعنى الذى يتبادر منها إلى أفهام المخاطبين، ويصح أن يؤخذ من حال أولئك الفاسقين، الذين أنكروا على الله أن يضرب مثلا يقتدى به من البشر أو من العرب، أو الذين أنكروا الوحى لمجيء الأمثال القولية فيه بما يعد حقيرا من المخلوقات في عرف المتكبرين والمتطرفين منهم؟

دل ذكر العهد والسكوت عما يفسره، وإطلاق ما أمر الله به بأن يوصل بدون بيان ما يفصله، على أن الله - تعالى - ما وصفهم إلا بما هم متصفون به، ولا حاجة إلى بيان المجمل بالقول إذا كان الوجود قد تكفل ببيانه، والواقع قد فسره بلسانه.

يرشد إلى فهم العهد الإلهى هنا ما قلناه في معنى الفسوق، فإن الفاسقين هم:

﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾

فإذا كان معنى الفسوق الخروج عن سنن الله - تعالى - في خلقه التي هداهم إليها بالعقل والمشاعر، وعن هداية الدين بالنسبة إلى الذين أوتوه خاصة، فعهد الله - تعالى - هو ما أخذهم به بمنحهم ما يفهمون به هذه السنن المعهودة للناس بالنظر والاعتبار، والتجربة والاختبار، أو العقل والحواس المرشدة إليها، وهى عامة، والحجة بها قائمة على كل من وهب نعمة العقل وبلغ سن الرشد سليم الحواس، ونقضه عبارة عن عدم استعمال تلك المواهب استعمالا صحيحا حتى كأنهم فقدوها وخرجوا من حكمها كما قال تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ١٧٩)

وكما قال فيهم أيضا:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة ١٧١)

هذا هو القسم الأول من العهد الإلهى وهو العام الشامل، والأساس للقسم الثاني المكمل الذى هو الدين، فالعهد فطرى خلقى، ودينى شرعى، فالمشركون نقضوا الأول، وأهل الكتاب الذين لم يقوموا بحقه نقضوا الأول والثانى جميعا، وأعنى بالناقضين من أنكر المثل من الفريقين.

والميثاق: اسم لما يوثق به الشيء ويكون محكما يعسر نقضه، والله - تعالى - قد وثق العهد الفطرى بجعل العقول بعد الرشد قابلة لإدراك السنن الإلهية في الخلق، ووثق العهد الدينى بما أيد به الأنبياء من الآيات البينات والأحكام المحكمات. وقد وثق العهد الأول بالعهد الثانى أيضا، فمن أنكر بعثة الرسل ولم يهتد بهديهم فهو ناقض لعهد الله فاسق عن سننه في تقويم البنية البشرية وإنمائها، وإبلاغ قواها وملكاتها حد الكمال الإنسانى الممكن لها. وأما قوله:

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾

ففيه من الإجمال نحو ما في نقض العهد، وليس هو بمعناه على طريق التأكيد، وإنما هو وصف مستقل جاء متمما لما سبقه.

وهذا الأمر نوعان:

أمر تكوين: وهو ما عليه الخلق من النظام والسنن المحكمة، وقد سمى الله - تعالى - التكوين أمرا بما عبر عنه بقوله: (كن)

وأمر تشريع: وهو ما أوحاه إلى أنبيائه وأمر الناس بالأخذ به.

ومن النوع الأول ترتيب النتائج على المقدمات ووصل الأدلة بالمدلولات، وإفضاء الأسباب إلى المسببات، ومعرفة المنافع والمضار بالغايات، فمن أنكر نبوة النبي بعد ما قام الدليل على صدقه، أو أنكر سلطان الله على عباده بعد ما شهدت له بها آثاره في خلقه، فقد قطع ما أمر الله به أن يوصل بمقتضى التكوين الفطرى، وكذلك من أنكر شيئا مما علم أنه جاء به الرسول، لأنه إن كان من الأصول الاعتقادية ففيه القطع بين الدليل والمدلول، وإن كان من الأحكام العملية ففيه القطع بين المبادئ والغايات، لأن كل ما أمر الدين به قطعا فهو نافع ومنفعته تثبتها التجربة والدليل، وكل ما نهى عنه حتما فلا بد أن تكون عاقبته مضرة.

فالذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هم الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل غايته، أما بالنسبة إلى الإيمان بالله - تعالى - وبالنبوة فيقطعون ما أمر به بمقتضى التكوين والنظام الفطرى، وأما بالنسبة إلى الأحكام فيقطعون ما أمر به في كتبه أمر تشريع وتكليف، وصلة الأرحام تدخل في كل من القسمين.

إذا كان مشركو العرب قد نقضوا عهد الفطرة وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل بمقتضاها بتكذيبهم النبي ﷺ وإيذائه وهو

دو رحم بهم، فالمكدبون من أهل الكتابين قد قطعوا صلات الأمرين كما نقضوا العهدين؛ فإن الله - تعالى - قد بشرهم في الكتب المنزلة على أنبيائهم بالنبي ﷺ، لأنه ذكر للمبشر به صفات وأعمالا وأحوالا تنطبق عليه أتم الانطباق، فحرفوا وأولوا واجتهدوا في صرفها عنه وهم متعمدون

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٤٦)

ومنهم من يحمل تلك الصفات والعلامات على غيره، ومنهم ينتظر مبعوثا آخر يجيء الزمان به.

التعبير بالقطع هنا أبلغ من التعبير بالنقض، ولذلك جاء بعده متمما له؛ كان عهد الله - تعالى - إلى الناس حبل محكم الطاقات موثق الفتل، وكأن هذا الحبل قد وصل بحكمة أمر التكوين وحكم أمر التشريع بين جميع المنافع التي تنفع الناس، فلم يكتف أولئك الفاسقون ينكرون بالمثل الذى ضربه الله لعباده بنقض حبل العهد الإلهى وحل طاقاته ونكث فتله حتى قطعوه قطعا، وأفسدوا بذلك نظام الفطرة ونظام الهداية الدينية أصلا وفرعا، ولذلك عقب هذا الوصف بقوله:

﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

وأى إفساد أكبر من إفساد من أهمل هداية العقل وهداية الدين، وقطع الصلة بين المقدمات والنتائج، وبين المطالب والأدلة والبراهين؟! من كان هذا شأنه فهو فاسد فى نفسه ووجوده فى الأرض مفسد لأهلها؛ لأن شره يتعدى كالأجرب يعدى السليم. ولذلك ورد فى السنة النهى عن قرناء السوء، والمشاهدة والتجربة مؤيدة للسنة ومصدقة لها خصوصا إذا قعدوا فى سبيل الله يصدون عنها ويبغونها عوجا، فإن إفسادهم يكون أشد انتشارا وأشمل خسارا.

ولما كان إفساد هؤلاء عاما للعقائد والأخلاق والأعمال لأن علته فقد الهدايتين؛ هداية الفطرة وهداية الدين، سجل عليهم الخسران وحصره فيهم بقوله:

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة. أما خسرانهم فى الدنيا فهو ظاهر لأرباب البصائر الصافية والفضائل السامية، ولكنه يخفى على الأكثرين بالنسبة إلى الأغنياء من أولئك الخاسرين، يرونهم متمتعين بلذات الدنيا وشهواتها فيحسبون أنهم مغبوطون سعداء بها، فيكون هذا الحسبان من آلات الإفساد. ولو سبروا أغوارهم وبلوا أخبارهم لأدركوا أن ما هم فيه من ظلمة النفس وضيق العطن وفساد الأخلاق ينغص عليهم أكثر لذاتهم، ويقذف بهم إلى الإفراط الذى يولد الأمراض الجسدية والنفسية، ويثير فى نفوسهم كوامن الوساوس، ويجعل عقولهم كالكرة تتقاذفها صوالجة الأوهام، وأن حب الراحة يوقعهم فى تعب لا نهاية له، وهو تعب البطالة والكسل أو العمل الاضطرارى.

ومن لا يذوق لذة العمل الاختيارى لا يذوق لذة الراحة الحقيقية؛ لأن الله - تعالى - لم يضع الراحة فى غير العمل، وإنما سعادة الدنيا بصحة الجسم والعقل وأدب النفس الذى يرشد إليه الدين، فمن فقد هذه الأشياء فقد خسر الدنيا والآخرة و

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

(الحج: ١١)

أقسام السنة عند العلامة الشيخ عبدالجليل عيسى

التعريف به

● هو العلامة الشيخ عبدالجليل عيسى أبو النصر (١٣٠٦ - ١٤٠١ هـ - ١٨٨٨ - ١٩٨١م).. من أعلام علماء المالكية فى عصره، وكبار المجددين

● ولد بعزبة الرملة، التابعة للعامدية، مركز كفر الشيخ - محافظة الغربية حينذاك - ومحافظة كفر الشيخ الآن.

● وبعد حفظ القرآن وتجويده التحق بالمعهد الأحمدى الدينى بطنطا (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م)، ودرس - بالأزهر - على النظام القديم حتى (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م).. ثم درس على النظام الحديث حتى تخرج ونال شهادة العالمية (١٣٣٢هـ - ١٩١٤م)

● وعقب تخرجه عين مدرسا بالمعهد الأحمدى الدينى - بطنطا - فى سبتمبر سنة ١٩١٤م.. ثم نقل إلى الأزهر بالقاهرة مدرسا بالقسم الثانوى.. ثم بالقسم العالى.. ثم بقسم التخصص.. إلى أن عين مفتشا بالأزهر فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٥م.. ثم عين شيخا لمعهد دسوق الدينى فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٧م. ثم شيخا لمعهد شبين الكوم الدينى فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٨م، عندما اختاره الشيخ المراغى (١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ ١٨٨١ - ١٩٤٥م) كأول شيخ لهذا المعهد.. ثم تم تعيينه شيخا لكلية أصول الدين فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٦م.. ثم شيخا لكلية اللغة العربية فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧م.

● وكان الشيخ عبدالجليل عيسى أحد أعلام مدرسة الإحياء والتجديد التى كان الإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) رائدها.. كما كان تلميذاً للإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى، وأحد معاونيه فى الإصلاح الفكرى والتعليمى.

● وإبان ثورة مصر الكبرى (١٣٣٧ هـ ١٩١٩م) كان الشيخ عبدالجليل عيسى أحد علماء الأزهر الذين انخرطوا فى الثورة، وشاركوا فى أحداثها عمليا وفكريا

● وبسبب اشتراكه - مع لفيف من علماء الأزهر - فى الاحتجاج على الوحشية الفاشية الإيطالية ضد الحركة الجهادية الليبية (١٣٥٠ هـ ١٩٣١م) وإعدام البطل المجاهد عمر المختار (١٢٧٥ - ١٣٥٠ هـ ١٨٥٨ - ١٩٣١م) تم فصله - مع عدد من العلماء - بتوجيهات من الملك فؤاد (١٢٨٤ - ١٣٥٥ هـ ١٨٦٩ - ١٩٣٦م) إبان وزارة إسماعيل صدقى باشا (١٢٩٢ - ١٣٦٩ هـ ١٨٧٥ - ١٩٥٠م).. وذلك مجاملة من الملك فؤاد لملك إيطاليا - صاحب الأفضال عليه وعلى والده الخديوى إسماعيل (١٢٤٥ - ١٣١٢ هـ ١٨٣٠ - ١٨٩٥م).. فتمت إحالة الشيخ عبدالجليل عيسى إلى المعاش قبل أن يصل إلى السن القانونى للمعاش!.. ثم أعيد إلى

الأزهر - مع زملائه - بحكم قضائي (١٣٥٤هـ ١٩٣٥م) وفي (١٣٧٠هـ ١٩٥١م) تكرر الأمر، فصدر مرسوم ملكي بإحالته إلى المعاش قبل السن القانونية للمعاش، ولقد أعاده قضاء مجلس الدولة عميدا لكلية اللغة العربية (١٣٧٤هـ ١٩٥٥م) مع تعويضه ماليا، والثناء على علمه وفضله في حيثيات الحكم.

● ولقد نال الشيخ عبدالجليل عيسى عضوية لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.. وأصبح عضواً بمجمع البحوث الإسلامية (١٣٩٠هـ ١٩٧١م)، كما شغل عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف.. والمجلس الأعلى للثقافة.. ومجمع اللغة العربية.

● ولقد نال العديد من الجوائز في العهدين الملكي والجمهوري منها

١- كسوة التشريفة الملكية من الدرجة الثالثة - أثناء عمله مفتشا بالأزهر.

٢- كسوة التشريفة الملكية من الدرجة الثانية - أثناء عمله شيخا لمعهد شبين الكوم.

٣- جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى سنة ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.

٤- نوط الامتياز من الطبقة الأولى.

● ولقد كانت سجاياه الخلقية تنافس عبقريته العلمية شجاعا في الرأي.. شديد الوفاء لعارفيه.. يتمثل دائما كلمات الإمام مالك (٩٣، ١٧٩هـ ٧١٢ ٧٩٥م) «لا تسل من قال؟ ولكن سل: ماذا يقول؟». كما كانت رسالة حياته العمل على تنقية التراث الإسلامي من آثار الجمود والتقليد والخرافات.

● ولقد صعدت روحه إلى بارئها في يوم الجمعة أول رمضان ١٤٠١هـ ٢ يوليو سنة ١٩٨١م عن عمر ناهز الثالثة والتسعين

● وغير إسهاماته في الإصلاح التعليمي، كان له عطاء علمي متميز في المحافل العلمية، وفي الصحف والمجلات ... والعالم الإسلامي - كما خلف تراثا فكريا نفيسا يشهد على عبقريته.. ومن هذا التراث كتب

١- «ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين».

٢- «اجتهاد الرسول ﷺ».

٣- «صفوة صحيح البخاري» في أربعة أجزاء - ٧٠٠ حديث مع شرح مستنير لها - درسه طلاب القسم الثانوي بالمعاهد الأزهرية لسنوات طوال.

٤- «تيسير التفسير» - الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٧م.

٥- «المصحف الميسر» - تفسير لمعاني كلمات القرآن الكريم.

● ولقد قال عنه تلميذه العالم الإسلامي محمد عبدالله السمان: «إنه كان يذكرنا بعلماء السلف: عمق إيمان، وصحة عقيدة، وسعة أفق، وقوة حجة، وسلامة رأي والتزام بالمبدأ، واعتزاز برسالة العلماء ورثة الأنبياء».

● ووصفه إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي (١٣٢٩ ١٤١٩هـ ١٩١١ ١٩٩٨م) في تقديمه للجزء الثالث من كتاب «التيسير الميسر للقرآن الكريم» فقال: «إنه أستاذ أجيالنا. ناصر السنة، وقاهر البدعة، وميسر كتاب الله وسنة رسوله للقارئ والدارس.. علم من أعلام الإسلام الذين ربوا دعاة الدين ومهدوا طريق الدعوة إلى الله.. ولقد كان كتابه هذا أول مراجعي الذي عرفني كيف أجمع شتات الآيات جمعا يستوعب كل ما قيل فيها».

● عليه رحمة الله[10].

(١٠) انظر «الأزهر في ألف عام» ج٢ ص٤٥٧ - ٤٥٩ - للدكتور عبدالمنعم خفاجة. ومجلة «الأزهر» مجلد ٦٧ ص٥٠ - ٥٣ - خيري عبدالجليل - «إتمام الأعلام» طبعة بيروت سنة ١٩٩٩م

اجتهاد الرسول ﷺ

للعلامة الشيخ عبدالجليل عيسى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فإن كل من اطلع على كتاب الله الكريم، وعلى سنة رسول الله ﷺ، يدرك في وضوح عنايتهما بعقيدة «التوحيد»، وحرصهما الشديد على إفراد الله بالكمال في عالم الوجود، واستحقاقه وحده دون غيره من الموجودات تقديس المخلوقين له، وعبادتهم إياه، ولتفرده بالكمال كانت ذاته الحق وقوله الوحي لا يشوبه خطأ ولا وهم. وقد ظل رسول ﷺ يجاهد جل حياته الشريفة في سبيل عقيدة التوحيد حتى أرسى أصولها، ودعم بناءها وأحاطها بسياج قوي من قوله وعمله، ولم يشغله شاغل عنها طول حياته. ولم يصرفه عن تذكير المؤمنين والناس بها كافة صارف ما، مهما عظم شأنه، وأخذ من نفسه مأخذاً قوياً، ذلك أن في عقيدة التوحيد وحمل البشر على عبادة إله واحد أولى دلائل الصدق على أن صاحب الدعوة إليها رسول الله حقا، وعلى أن الدين القائم عليها دين الله صدقا، فما كانت تقدسه البشرية أيام سيطرة الجهل والبدائية عليها من آلهة متعددة لم يكن إلا وليد المصادفة أو انقيادا لعصبية تتصل بالبيئة أو الجنس بصلة، وما كان الشرك بعد إرسال رسل الله إلا نتيجة لعناد الإنسان أو غروره، أو حرص بعض الناس على استغلال بعضهم لبعض ممن يتملكه ضعف الشخصية أو يستهويه بعض متع الدنيا، وكانت دعوة التوحيد أمارة صدق الداعي إليها على أنه رسول الله. ودليل صدق الدين المؤسس عليها على أنه دين لما تنطوي عليه من جملة مظاهر:

أولاً: أن الداعي لذلك على هذا النحو لا يطلب لنفسه ميزة خاصة غير أنه رسول الله، ولا يطلب لنفسه تقديساً من التابعين لدعوته. كما لا يطلب لقوله في غير حدود الرسالة التي أمر بتبليغها إلى الخلق عصمة مطلقة، ولتصرفاته في غير دائرة هذه الرسالة تنزيها عاما، فعناية الداعي متركزة في تبليغ رسالة الله، ليس له وراء هذا التبليغ مطمع شخصي، ولا هدف يجلب من ورائه زخرف الحياة الدنيا من جاه أو مال أو سلطان.

وثانيا: أن حمل الجماعة البشرية على الاعتقاد بإله واحد هو صاحب التدبير المطلق في الوجود، وعلى قصر العبادة عليه، والطاعة له رفع لهذه الجماعة من ظلمة خرافات المصادفة وأساطير الزعماء الإنسانيين.. وتوجيه سديد لها في الحياة، تعمل على تثبيت فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا عائق لها من جهل بالواقع أو من تغرير إنسان يحول بينها وبين أن تهتدي بنور الله في عالمه.

وثالثا: أن هذا الاعتقاد نفسه يؤدي إلى شعور الفرد المؤمن بحريته الفردية، وكرامته الإنسانية، في حدود وصايا الله من أوامر

ونواه، ووصايا الله الرب المعبود وحده، الكامل كمالاً مطلقًا، لا تنطوى إلا على خير الفرد وخير الجماعة. فرسالة الله الحقة تتجه إذا إلى تعريف الأفراد بقيمهم الذاتية وكراماتهم الشخصية، ودفع استغلال الناس بعضهم لبعض، وذلك لا يكون إلا عن طريق نقل التقديس والعبودية من دائرة الإنسان وعالمه إلى من هو أرفع من الإنسان، ومن عالمه إلى الذى خلقه فسواه، وبالتالى عن طريق خلق روح المساواة بالكرامة الإنسانية فى الجماعة البشرية. ولأن محمدا ﷺ كان رسول الله حقًا لم يستهوه أن يرى من المؤمنين به وبدعوته نوعًا من الإكبار لشخصه يسمو به عن منزلة الإنسان. وبعدم انقياده لذلك كان وفيًا لدينه، ولكتابه الكريم، وآياته التى ينطق بعضها بقول الله العظيم:

(الكهف: ١١٠)

كما كان بذلك أيضا كارها حب الظهور.

وكان يمقت هذا الإكبار غير العادى لشخصه، ويدعو إلى محوه، خشية أن يؤدى إلى ثغرة فى دين الله ينفذ منها إلى هذا الدين الحنيف ما نفذ منها من قبل إلى دين عيسى عليه السلام مما خرج برسالته عن أن تكون رسالة الله الخالدة، لذلك يصر عليه السلام أمته بأمر هذه الثغرة، وحذر وشدد فى التحذير من أن يجر تعظيمه إلى الوقوع فى الشرك، دخل عليه يوما رجل يرجف خوفا، وهم بالوقوع على قدميه ﷺ فقال له «رويدك يا هذا! إنما أنا بشر، أنا ابن امرأة أعرابية كانت تأكل القديد[٢]».

ومن هذا القبيل ما رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجمعة (باب تخفيف الصلاة والخطبة). عن عدى بن حاتم أن رجلا خطب أمام النبى ﷺ فكان من خطبته قوله (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى) فقال ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل: (ومن يعص الله ورسوله) يريد ﷺ أن مجرد جمعه مع الله فى ضمير واحد فى قول الخطيب (يعصهما) ربما يوهم بعض السامعين مساواته لله سبحانه وتعالى، وهو ﷺ حريص على الحذر من ذلك أشد الحرص، ولذلك رد على من قال أمامه (إذا شاء الله وشئت يا رسول الله) فقال له: (أجعلتنى لله ندا؟! قل إذا شاء الله ثم شئت).

وروى البخارى عن عمر بن الخطاب أنه سمع النبى ﷺ يقول: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم! فإنما أنا عبده. فقولوا: عبد الله ورسوله»، قال ابن حجر: وسبب قوله ﷺ هذا ما وقع من معاذ بن جبل، فقد روى أحمد فى مسنده عن معاذ بن جبل أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعض، أفلا نسجد لك؟ فقال ﷺ: «لا تطرونى....» إلى آخر ما تقدم.

وكثيرا ما كان ﷺ يكرر قوله

كلما شعر بمبالغة المؤمنين فى تعظيمه. ولم يشغله عن التنبيه على خطر ما تؤدى إليه هذه المبالغة شاغل ما. وكيف يشغله شاغل عن ذلك وهو رسول الله لا يبغى إلا أن يعيش فى حدود الرسالة لله ووظائفها لا يحتمل تعظيم موجود آخر سواه ربما يؤول تعظيمه إلى الاعتقاد بمساواته به جل جلاله. لذا كان ﷺ حتى وهو فى سكرات الموت يؤكد بشريته، ويحدد تبعا لذلك منزلته من الله الواحد الذى لا رب غيره.

روى مسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنى أنهاكم عن ذلك». وفى رواية البخارى عن عائشة وابن عباس قالا: لما نزل[٣] برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه. فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا، ذلك حال الرسول ﷺ مع نفسه إزاء ربه وجماعة المؤمنين به. لم يدع شائبة غموض تعتور علاقته بخالقه.

فوضح أنه رسول الله ومع ذلك هو إنسان، لا يسمو به اختيار الله له إلى أن تصير له قدسية الله وعظمته، وقوله تعالى

(آل عمران ٧٩-٨٠)

من آيات رسالته التى حملها للناس كافة. وكما أكد هذه العلاقة فى حياته الشريفة طلب أن يرعاها المسلمون بعده حتى لا يكون مصيرهم مصير النصارى واليهود الذين استحقوا لعنة الله بسبب ما حرفوا فى دين الله مما يتعلق بمنزلة أنبيائهم فاتخذوا قبورهم أمكنة للعبادة

لكن المؤمنون بدين ما من الأديان لا يبقى إيمانهم به على حال واحدة ولا فهمهم له على نمط واحد.

ولو بقى إيمان الجماعة البشرية بأصول الأديان جميعا من لدن نوح إلى آخرهم، وهذه الأصول هى الإيمان بإله واحد، وبكل رسول يرسله ربه مؤيدا بأدلة صدقه، وباليوم الآخر، وبالجملة بكل ما يجب الإيمان به مما جاء فى هذه الأصول - لو بقى إيمانهم على حال واحدة من المحافظة على ما اتفقت عليه الأديان جميعا من عناصر الدين المهمة التى لا تختلف فى عصر عن عصر، ولا فى قطر عن قطر، كالمحافظة على العقول، والأعراض، والدماء، والأموال، المشار إليه فى قوله تعالى:

(٢) اللحم المجفف يحفظ ليؤكل عند عدم وجود الطرى. يريد أنها كانت غير مترفة

(٣) بالبناء للفاعل والفاعل محذوف أى الموت، والمراد مقدماته. وفى رواية بالبناء للمفعول ويكون نائب الفاعل الجار والمجرور

﴿ [illegible] ﴾ (الشورى ١٣)

وقوله تعالى

﴿ قل إنني هداني ربي [illegible] ﴾ (الأنعام ١٦١)

نقول: لو بقي إيمان الجماعة البشرية على هذه الأصول ثابتا لا يتغير، ولو بقي فهمها للدين على نمط لا يتغير، لما احتاج دين الله إلى رسل يأتي الواحد منهم تلو الآخر، لتعديل ما طرأ على هذه الأسس، ولكانت مهمتهم أيسر من هذا، ولما احتاج دين خاتم الرسل إلى تجديد الدعوة إليه، ومحاربة ما طرأ عليه من المفهوم الخاطئة.

كما نصح القرآن الكريم بقوله:

﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران ١٠٤)

الدين في أساسه واحد لا يتغير. وأفهام المؤمنين به فيه هي التي تتبدل وتتغير، حسب العوامل التي توحي بذلك من بيئة ثقافية، واجتماعية ومواطن جغرافية. إلى غير ذلك مما يؤثر في اختلاف الناس باختلاف ميولهم واتجاهاتهم. وقد يتكر الدين في أساسه فهم بعض المؤمنين به لمبادئه أو لمهمته الرئيسية إذا اتسعت الفجوة بينهما، ومقياس ذلك أن يبدو انحراف هذا الفهم عن أصول الدين التي بشر بها الرسول ﷺ وأتباعه الذين صاحبوه في أغلى وضحوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل نصرته وإعزازه.

فالمسلمون الذين يؤمنون بأن علم اللوح والقلم من علم الرسول الكريم، ويرون أن الدنيا والآخرة من فضل جوده ﷺ، أو يعتقدون أنه كان يعلم كل ما كان وما يكون، يعكسون آية رسالته ويضعونه فوق الرسول ويشبهونه بالله أو يجعلونه شريكاً له. وليس ذلك مما دعا إليه الرسول ﷺ في تحديد منزلته كما أمره ربه. وليس ذلك مما يستقيم مع مثل هذه الآية الكريمة

﴿ [illegible] ﴾ (الكهف ١١٠)

لكن هذا الذي يتنافى مع مثل هذه الآية الكريمة آمن به بعض المسلمين اليوم وبالأمس وربما في الغد أيضاً. وإيمانهم به لا يريد في قدسية الرسول ﷺ فحسب، بل يجعل لقوله وعمله العصمة حتى ما كان منهما خارجاً عن دائرة رسالة ربه. ويصبح محمد بن عبدالله بناء على ذلك ليس ذلك الإنسان المصطفى الذي كلف برسالة الله. بل يؤول أمره إلى ما آل إليه أمر عيسى عليه السلام حينما نظر إليه بعض أتباعه على أنه إنسان حلت فيه روح الإله وأن له طبيعة فوق طبيعة الإنسان، له طبيعة الإله والإنسان معاً. فصورته الظاهرة صورة إنسان، وما كان وراءها يرجع إلى الله ويتفرع عنه وكانت هذه النظرة إلى عيسى سبب تقديسه فتأليهه من مسيحيي القرن الرابع الميلادي. كما كانت سبباً في أن عد الاتجاه المسيحي الذي يتصح بها تحريفاً للمسيحية التي هي دين الله، لأن دين الله لا يدعو إلى عبادة غير الله

ومن الدعوة إلى الخير التي طلبها القرآن الكريم أن يكون في كل جيل إنساني من بين خاصة المؤمنين قبل عامتهم أهداف الإسلام الرئيسية، وفي مقدمتها علاقة الرسول ﷺ بالله جل جلاله. وتحديد هذه العلاقة بالذات كما جاء بها القرآن كانت من الآيات الواضحة كما أسلفنا على أن الإسلام دين الله الحق لا دخل لإنسان فيه. ووجودها واضحة في جيل من أجيال المسلمين أمارة على أنهم لم ينحرفوا عن الإسلام الذي هو دين الله. كما أن وجودها مشوهة في جيل آخر علامة على أن هذا الجيل له من الإسلام اسمه فحسب.

لهذا حرصت على أن أتناول جانباً من جوانب هذه العلاقة في حدود ما جاء به القرآن وصح من الحديث الشريف.

هذا الجانب هو قول الرسول وعمله خارج دائرة الرسالة الإلهية لأؤكد ما أكده الإسلام الذي هو دين الله من أن محمد بن عبدالله كان رسول الله ﷺ، ومع ذلك فيما وراء الرسالة كان إنساناً. فله العصمة فيما أرسل به للناس من قبل الله من وحي متلو وغير متلو، وله حكم الإنسان المجتهد فيما أتى به من قول أو فعل بعد ذلك.

وسأعرض إلى أن هذا الشأن لنبينا الكريم كان شأن الأنبياء والرسل السابقين لا يختلف في شيء عنه لأن الوضع عند الجميع سواء. كلهم رسل الله وكلهم أناسي من مخلوقات الله اختيروا في أزمنة مختلفة وفي أجيال متعددة لأداء رسالة الله الواحدة الخالدة التي لا تختلف في زمن عنها في زمن آخر ولا في جيل عنها في جيل آخر.

﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل [illegible] ﴾ (سورة الأحقاف ٩)

وهذا الازدواج في النظرة إلى رسول الله لا يغير من تقديره واحترامه في نفوس المؤمنين بدينه. فلم يزل هو الإنسان المصطفى وليس بالإنسان العادي كرمه ربه باختياره لأداء رسالته، فكرمه المؤمنون به لما له من منزلة خاصة عند الله. لكن من جهة أخرى من حق الله عليه وعلى المؤمنين به أن يعرفوا حدود هذه المنزلة. فلا يشركوه مع الله في درجة واحدة عن طريق إغفال المعنى الإنساني فيه.

فالرسول ﷺ إذا أضيف إلى الخلق كان في السماكين وكان الجميع يدب على سطح هذه الغبراء. وإذا أضيف إلى ربه صاحب الفضل عليه كان بشرا ككل البشر خاضعا لقوة القاهر الغالب الذي اختص بالكمال وحده.

والله الموفق والمعين

النبـــوة الإســـلامية

[illegible]

لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية . وهي مسألة كانت تحتاج إلى توضيح وحسم، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، أو بسبب من الأنساب. فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشراً كسائر البشر، وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء.

ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواتراً مكررا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في سورة الكهف:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾

(الكهف: ١١٠)

وفي تعبير كلمة « مِّثْلُكُمْ » معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال.

بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى ٤٨)

وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها.

بل كأنما احتاج هذا التنبيه إلى مزيد من الصراحة، فجاء في (سورة ق):

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾

(ق ٤٥)

ومن هذا القبيل أو أبين منه وأصرح ما ورد في (سورة الغاشية):

﴿ [illegible] ﴾

(الغاشية: ٢١، ٢٢)

* * *

رسول بشر. ما عليه إلا البلاغ بما يوحي إليه من ربه . ولا زيادة..

وتوكيد القيمة البشرية بحدودها للرسول ليس بلفظ الآيات فحسب، بل هو معنى تنطق به كيفية الرسالة كلها، وتاريخ الرسول كله.

إن رسول الإسلام هو أول رسول بعث إلى الناس وانبرى لدعوتهم إلى دينه من غير مدد من المعجزات الخاطفة للأبصار الخالبة للألباب. فقد أريد للناس أن يشعروا أن رسولهم «مثلهم» حقًا وصدقًا كما جاء في سورة الكهف. لا يملك من الخوارق أكثر مما يملكون، وليس له من سلطان عليهم. وإنما الأمر إليهم، كي يكون اهتداؤهم نابعًا من قدراتهم البشرية، وعن اقتناعهم الذاتي، بغير تأثير غريب عن معدن العقل والضمير.. فيكون اهتداؤهم إيمانًا ليست فيه شائبة استهواء أو تورط.

وما توانى العرب عن مطالبته بإخراج ما ظنوه في جعبة كل صاحب نبوة، وما أرادوا بذلك إلا المتهة

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾

(سورة يونس ٢٠)

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾

(الأنعام ٥٩)

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الأعراف: ١٨٨)

حقًا! وما أكثر ما أوذي، وما أشد ما أساءوا إليه به، وهو لا يملك لذلك دفعًا، إلا الصبر على البلاء: حقًا! بل وتحطف الموت فلذات أكباده ليكون ذلك إيذانًا بأن البشر الرسول ليس له امتياز على سائر بني آدم. فتسقط دعوى الناس في التقصير عن الاهتداء به. فلو كان يجري عليه غير الذي يجري على البشر، لكانت لبعضهم الحجة بأن استطاعتهم دون استطاعة هذا الرسول، فأين هم منه؟ وكيف يكلفون بما لا طاقة لهم به؟.

من هو «مثلكم»: لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا. ويمسه السوء والثكل مرة بعد مرة.. ففيه قدوة سوية وأسوة عادلة لكل من ينشد الاهتداء والاقتداء.

وفي يقيني أن تأييد دعوة حق بخارقة غير طبيعية مسألة لا تستساغ إلا في حالات انحطاط العقل البشري، فهذا أشبه بالاحتيال على الطفل ليقبل على الطعام الذي يقيم أوده. وهو حري أن يطلبه ويلح في طلبه لو أوتي الرشد.

كذلك العقل السوي يجد امتهانًا له أن يحتال عليه صاحب دعوى بخارقة لا علاقة لها بصدق تلك الدعوى، فإن كل دعوى صادقة أو كاذبة لذاتها لا لأمر خارج عنها. فالحقيقة آية نفسها ولا مراء في ذلك.

لهذا كان لابد للعقل البشري في طور رشده أن تأتيه الدعوة إلى الهداية بأسلوب عقلي صرف، يحترم فطرته وبداهته.

وتلك قرينة أخرى على أن دعوة الإسلام جاءت موافقة للطور الطبيعي للبشرية تاريخًا، ونضوجًا، ورشدًا.

وكان القرآن يؤكد على الدوام أن الرسول ليس ساحرا ولا كاهنا ولا مجنونا ممن بهم لوثات الصرع.. وينبه إلى المعجزة الخارقة لا تفيد في إقناع مكابر، وفي ذلك ما جاء بسورة الحجر:

﴿[illegible]﴾

(الحجر: ١١-١٥)

ومن أنعم النظر في هذه الآيات من سورة الإسراء يجد فيها حكمة الإصرار على بشرية الرسول، وأن آيته الوحيدة هي صدق رسالته. وذلك حسبها من سند، وحسب الناس لو كانوا مهتدين غير مكابرين. فما شاء الرحمن أن يكون الرسول ملكا من الملائكة، حتى تكون بشرية هذا الرسول حجة على الناس وقدوة

﴿[illegible] إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾

(الإسراء: ٩٠-٩٦)

<<<

ولا أملك نفسي من الإعجاب أن أورد هنا ما قاله الإمام محمد عبده في مفتتح كتابه «الإسلام والنصرانية»

«فالإسلام في هذه الدعوة لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق العادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية.

«وقد اتفق المسلمون إلا قليلا ممن لا يعتد برأيهم فيه، على أن الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات. وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله. فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة. فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله، وبأنه يجوز أن ينزل كتابا أو يرسل رسولا».

رحم الله الأستاذ الإمام!

إن الحقيقة باقية والبشر زائلون.

الرسالة إذن هي الباقية، وما هي متوقفة في شيء على بقاء هذا الرسول:

﴿وما محمد [illegible] أفإن مات أو قتل [illegible]﴾

(آل عمران: ١٤٤)

إنها الحقيقة. ولكن كان لابد من تقريرها لتوكيد بشرية هذا الرسول.. وليس أدل على لزوم هذا الاحتياط من افتتان الناس برسولهم وجنوحهم إلى الخروج به عن مستوى البشر الفانين، من أن إماما مثل عمر بن الخطاب، على رجاحة عقله، وقوة إيمانه، وهو من هو من الإسلام ورسوله، أبى أن يصدق أن الرسول نزل به طائف الموت..

ولولا أن أبا قحافة تلا عليه وعلى الناس هذه الآية لقطع عمر أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله قد مات

﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾

كان من الجائز أيضًا أن يقتل بيد عدو من أعداء دعوته وما أكثرهم، وما كان ذلك لينفي شيئا أو يثبته. فإن الحق حق لذاته ودعوة الإسلام صادقة لذاتها، عاش الرسول أو مات أو قتل.

هذا إذن هو مكان النبوة في ذلك الطور الأخير من أطوار العقيدة الإلهية. يتنزه الله في تلك العقيدة عن أساليب جوبيتر وأشباه جوبيتر. وليس أنبياؤه كهانا ولا ملائكة ولا سحرة ولا منجمين.. وإنما هم بشر يأتيهم الوحي من الروح الأمين.. وليس عليهم إلا البلاغ المبين.

ولكن هل تكررت تلك النبوة على ذلك الأسلوب؟

لا حاجة للبشرية بذلك التكرير. فإن طور الأسلوب العقلي المجرد هو آخر أطوار البشرية. ومن تفتح عقله، وبلغ رشده، فطائره في عنقه، وعليه بعد ذلك أن يعمل فكره، وقد تسلم قياد نفسه.

للرسالة خصوصية هي إتمام ما سبق. ومتابعة البشر في أطوار نضجهم بما يناسبهم من الهداية والصلاح. فما هي الخصوصية التي يمكن أن تكون موضوع رسالة جديدة بعد رسالة الإسلام؟.

لقد تمت فكرة التوحيد. وتم خطاب العقل. وتم البلاغ إلى الناس كافة، أحمرهم وأسودهم، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه، وبدنياه. وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على ذلك الأساس حسبما يستجد لهم من الأمور. فكل رسالة بعد ذلك قول معاد، ليس فيه جديد يستفاد:

﴿اليوم أكملت لكم [illegible] وأتممت عليكم نعمتي﴾

(المائدة: ٣)

وبسبب من طبيعة الرسالة، ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها، كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل؛ لأن رسالته كانت خاتمة الرسالات.

يعقوب عليه السلام

[illegible] عبد الوهاب النجار

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام من . رفقة بنت بتوئيل ,أخي إبراهيم.

كان يعقوب أثيرا عند أمه . فلما دعا إسحاق ليعقوب وهو يظنه عيسو ـ وجاء عيسو وقد علم بذلك أخذمنه الغيظ مأخذه، وخشيت رفقة على يعقوب أن يبطش به عيسو فأشارت عليه أن يذهب إلى خاله , لا بان ، فذهب إلى فدان أرام، وأقام عند خاله يخدمه في نظير تزويجه بابنته راحيل. ولكن خاله أدخله على ابنته لينة التي لا يريدها يعقوب. فكلم خاله في ذلك فقال له اخدمني عشر سنين أخرى لأزوجك راحيل ففعل وتزوج أيضا من جاريتيهما ,زلفا وبلها . ومنهن كان أولاده وقد ولد له أولاده جميعا في أرام إلا , بنيامين ، ثم جاء إلى فلسطين بمال كثير ونعم جليلة وأهدى إلى أخيه بعضها وهو خائف أن يبطش به .ولكن عيسو قابله مقابلة حسنة ,١,.

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب ـ إسرائيل الله ـ بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

إن قصة يوسف عليه السلام تتصل بقصة عليه السلام، وقد مر بعضها في قصة إسحاق عليه السلام وسيمر بنا في قصة يوسف عليه السلام قدر وافر من قصص يعقوب عليه السلام

أولاد يعقوب عليه السلام

كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولدا ذكرا وهم ,١, رأوبين بكر يعقوب ,٢, شمعون لاوي ,٤, يهوذا ,٥, ويساكر ,٦, زبولون ـ من لينة بنت خاله لابان ,٧, يوسف بنيامين ـ من راحيل بنت خاله لابان ,٩, دان ,١٠, نفتالي ـ من بلها جارية راحيل جاد ,١٢, أشير ـ من زلفا جارية لينة.

(١) هذه الحكاية لم تذكر في القرآن ولكن هذا ملخص مختصر مما في التوراة

وهؤلاء الأولاد ولدوا له وهو في فدان أرام يرعى غنم خاله لا بان في نظير تزوجه ابنتيه لينة ورحيل . وعاد بهما بعد انقضاء الأجل ـ وبعد أن أخذ من غنم خاله نتاج سنة ـ إلى أرض كنعان الابنيامين فقد ولد في كنعان.

يوسف عند أبيه

كان يوسف جميل الصورة أثير عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته. وكان ذلك سببا في حقد إخوته عليه وسببا في محنته التي كانت خيرا وبركة عليه وعلى الأمم القريبة من مصر ، وقد ذكرت قصة يوسف مطولة في سورة يوسف .فسبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود وتباحثوا في محمد صلى الله عليه وسلم .فقال لهم اليهود سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام.

والقصة أن يوسف كان صغيرا وتقول التوراة كانت سنه سبع عشرة سنة ,ومن كان في هذه السن يبعد أن يصنع معه ما صنع إلى يوسف ، فرأى في منامه أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له والذي في القرآن الكريم يفيد أن قصة هذه الرؤيا على والده كان في غيبة أخوته . وأن أباه قال له:

﴿ [illegible] ﴾

وتفيد عبارة التوراة أن ذلك كان بحضرة أخوته وأن أباه انتهره على هذا القول. وقال: لعلنا نسجد لك أنا وأمك وأخوتك ! متهكما . وما في القرآن هو حق .

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ليوسف وحدبه عليه مالم يكن منه لواحد منهم فغاظهم ذلك .وهم في سن الشباب وطيش الحداثة .فأضمروا له الشر فقالوا لأبيهم :

﴿ [illegible] ﴾

وكان يعقوب قد أحس الشر الذي يضمره بنوه لأخيهم ولم يشأ أن يعلمهم بتخوفه جانبهم فقال:

﴿ [illegible] ﴾

ثم ترقى في تعليل طنه به قائلا

﴿ [illegible] ﴾

والله يعلم أنه يتخوف عدوانهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب .لم يع أبناء يعقوب بجواب .بل أجابوه جوابا لا يبقى له علة يتشبث بها ، فقالوا:

﴿لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾

وهنا تخالف التوراة القرآن في هذه القصة وتقول إن يعقوب هو الذي أرسل يوسف إلى إخوته من تلقاء نفسه ليذهب إليهم في المرعى ثم يعود ويطالعه بأحوالهم وكانوا قد أبعدوا فلما جاء وعليه قميص مخطط ـ قد حباه به والده ـ قالو :قد جاء صاحب الأحلام لابس البجاد المخطط، ثم

التمروا به ما يصنعون ؟ ثم انتهوا إلى أن يلقوه في الجب بعد أن يعروه من قميصه ولا يسفكوا دمه، وأن يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه

والقرآن على أنهم تسلموه من يد أبيه

﴿ [illegible] ﴾

ثم

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾

أى في الصال بالسهام

﴿ [illegible] ﴾

ولما كان المريب يشعر من نفسه بالتهمة ويتخيل أن كل واحد قد اطلع على خبيئة أمره قالوا لوالدهم:

﴿ [illegible]

[illegible] ﴾

فلم يخف عليه شأنهم .وكان كمهرة المحققين في القضايا في هذه الأيام . فأخذ القميص ،ولما لم يجد به تمزيقا ولا قطعا قال لهم متهكما :ما أحلم هذا الذئب الذي افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ولم يحمل في قميصه نابا ولا ظفرا وقال لهم:

﴿ [illegible]

[illegible] تصفون على ما تصفون ﴾

بعد أن ترك يوسف في الجب « البئر » وكانت قليلة الماء جاءت سيارة « قافلة » فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه في الجب فتعلق به يوسف ، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فإذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل وقال:

﴿ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾

ويقول المفسرون : إن الذين كانوا على الماء ادعوا في القافلة أنهم اشتروه من سادته ،وأسروه بضاعة حتى وردوا إلى مصر وشروه أي باعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين وكثير من الناس حتى بعض العلماء يقولون :إن أخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة وعبارة التوراة لا تساعدهم ونظم القرآن لا يساعد على ذلك لأنه ذكر السيارة وواردهم ولم يعد إلى ذكر أخوة يوسف في هذا المقام .

والذي في التوراة أن أخوة يوسف بعد أن ألقوه في الجب جلسوا للطعام .ورأوا قافلة من الإسماعيليين تقصد مصر ومعهم الكثيراء والبلسان والطيب وجاءت قافلة أخرى من المديانيين فسحبوا يوسف من الجب وباعوه للإسماعيليين وأن يهوذا أشار على أخوته لا يتركوا يوسف في الجب وأن يبيعوه، ولما جاء رأوبين إلى الجب لم يجد يوسف فمزق ثيابه وبكى .وهذا كله ينفي ما اشتهر من أنهم باعوه، والمفسرون يخبطون في هذا كثيرا .

وباع الإسماعيليون يوسف في مصر وكان من رأى رأوبين من الأول عدم إهلاك يوسف، وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في الجب لكي يخالفهم إليه ويأتي به إلى أبيه.

يوسف عند سيده

بيع يوسف لرئيس الشرطة في مصر ولم يعين البلد الذي كان عاصمة الملك في البلاد المصرية في ذلك الحين، والأقرب أنه مدينة «صان» ببلاد الشرقية قرب بحيرة المنزلة وذلك أن ملك مصر في ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول إبراهيم، وكان منهم الملك الذي أكرم مثوى إبراهيم وأعطاه الأموال الكثيرة، وهم الذين شغلوا تاريخ مصر ما بين الأسرة الرابعة عشرة إلى الأسرة الثامنة عشرة، التي منها «أحمس» الذي طرد العمالقة من مصر ولما حصل يوسف عند سيده ألقى الله على سيده محبته فقال لامرأته

﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾

وكان سيده رئيس شرطة المدينة واسمه «فوطيفار» ويعبر عن منصبه في العبرية بـ«سرها طباحيم» أي رئيس شرطة فكان يوسف أثيرا لديه فجعله صاحب أمره ونهيه، والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته بحيث لم يكن لأحد ممن في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته. وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق وعلمه من لدنه علما عظيما .كما قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي

الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾

محنة يوسف

كانت منة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمنا لمحنته، ومحنته مكمنا للمنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع الأمم التي تقرب من مصر، كما قال ابن عطاء الله السكندري: «ربما كمنت المنن في المحن»، وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فاشتعل ذلك في نفسها جذوة الحب.

وصار ذلك يزداد بتكرار رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها، فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملين يكفي كل واحد منهما لعزوفه عما تريد:

● أولهما: إيمانه بالله وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الأرجاس الخلقية تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وجده وجد أبيه.

● ثانيهما: أن بعلها سيده الذي حدب عليه، وأكرم مثواه، ومكن له في بيته، وجعله المتصرف في أمواله وخدمه، ووثق به ثقة ليس لها حد، فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران، فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافيًا لحفظ سيده في أهله، والبعد عن تدنيس فراشه.

كان ذلك دأب يوسف معها، إلى أن هاج بها هائج الغرام، واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة فصارحته القول، ودعته إلى نفسها دعوة لا مواربة معها، واحتاطت للأمر وأخذت عدتها له، وغلقت الأبواب، وقالت ليوسف:

﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾

فأبى وقال: (إنه) أي بعلها

﴿ [illegible] ﴾

وفي هذا الموقف العنيف، شاب في ريعان

[illegible] ... إلى نفسه [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... وقرءوا قوله تعالى

﴿ [illegible] ... وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى ٱلْبَابِ ﴾

(يوسف ٢٣ ـ ٢٥)

وللعلماء في تفسير هذه الآية آراء، فقوم يقولون إن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها وهو هم بها [illegible] منها مقعد الرجل من امرأته، فلما لم يبق شيء دون تمام ما قصدته وقصده جاء جبريل [illegible] بأنه سيكون نبيا، وهذا العمل لا يليق من الأنبياء فكف عنها وهذا برهان ربه، ومعنى الآية لولا أن رأى برهان ربه لفعل.

وقال آخرون: إن البرهان الذي رآه وهو على هذه الحال أن نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤنبه على هذا العمل عاضا على أنامله.

وقال آخرون [illegible] يوسف وهو في تلك [illegible] يا يوسف إنك مكتوب في ديوان الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء، إلى غير ذلك من الأقوال الباردة. والقائلون بذلك لم يفقهوا قول الله تعالى في تلك الآية

﴿ [illegible] ... ﴾

(يوسف ٢٤)

فكيف يكون قد صرف عنه السوء وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة وأصغى إلى شيطان الغواية، ولم يرجع كما يقولون إلا بعد أن رأى من الزواجر والروادع ما يكفي لصرف أعظم الفسقة [illegible] والمتابعة الشهوة؟ وكيف يوصف بأنه من المخلصين من كان انصرافه على هذا الوجه؟

ولا يغني هذه الأوجه في السند قول من يعتذر عن هم يوسف بأن ذلك كان قبل النبوة، أي فعل المعصية في هذا الدور غير ممتنع على الأنبياء، فإن صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ١٢٤)

فإن الرسالة إنما يختار لها أصحاب الأعمال المرضية ولا يختار الله رسله من أهل الفسق، وهو تعالى يرشحهم لما يصطفيهم به من رسالته فهو يعصمهم عن الخسائس وسائر ما يعير به الناس، وأي عار أكبر من أن يذهب الشخص إلى المعصية ثم لا يرجع إلا بعد الزجر والنهي؟

ويقول آخرون: إنه هم هم الطبيعة وهو أمر لا اختيار للمرء فيه، وهؤلاء أخف قولا مما تقدم.

ويقول آخرون: إنه هم، هم ترك ولست اطمئن إلى هذا القول وأنه وجد منه هم على حال وتكلف آخرون فقالوا: إنه هم ليضربها.

والقول الذي لا غبار عليه ويلتئم مع قوله تعالى

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾

(يوسف ٢٤)

ومع قوله في الآية نفسها

﴿ [illegible] ﴾

(يوسف ٢٤)

إن همه عليه السلام لها امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة، وأن قوله

﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾

لا يصلح جوابا لأن [illegible] لها الصدارة: لأنا لا نقول إن هذا هو الجواب، ولكنه دليل الجواب، ونظير ذلك قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(القصص ١٠)

ولأن ﴿ لَوْلَآ ﴾ حرف امتناع لوجود، امتنع الهم لوجود البرهان وامتنع ابداء أم موسى بما في نفسها على ابنها لوجود

﴿ [illegible] ﴾

والجواب محذوف تقدم دليله على ﴿ لَوْلَآ ﴾.

«بعث رسول الله ﷺ رجلا على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: (فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا). ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر). ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه، يقول: (اللهم هل بلغت). بصر عيني وسمع أذني» (البخاري)

بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة



[illegible]

ثالثا: ترغيبهم فى اتباع محمد ـ ﷺ ـ بالأسلوب اللين الحكيم.

رغب القرآن الكريم أهل الكتاب فى الدخول فى الإسلام بشتى ألوان المرغبات فقد بين لهم أن فى اتباعهم للنبى ـ ﷺ ـ عزتهم وسعادتهم، وعصمة أموالهم ودمائهم فى الدنيا، وفوزهم وفلاحهم، ورضا الله عنهم فى الآخرة، كما بين لهم أن ما يدعوهم إليه محمد ـ ﷺ ـ أمر تتقبله العقول السليمة، وتتشرح له القلوب المستقيمة. وتطمئن إليه النفوس الطيبة. ولا يختلف عاقلان فى أنه خير وبر ورحمة.

ومن الآيات التى رغب القرآن الكريم فيها أهل الكتاب فى الدخول فى الإسلام قوله تعالى

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا [illegible] ﴾

(آل عمران: ٦٤)

والمعنى قل ـ يا محمد ـ لأهل الكتاب:

[illegible]

هلموا وأقبلوا إلى كلمة ذات عدل وإنصاف، بيننا وبينكم ولا يختلف فيها القرآن، والتوراة، والإنجيل، وهذه الكلمة هى

[illegible]

من خلقه، بل نبرأ من كل معبود سواه:

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

أى: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة، فيما أمر به من المعاصى، بأن نطيعهم فيما حرم الله، وإنما ندين جميعا لشرع الله تعالى فيما أمر ونهى، وأحل وحرم.

ثم بين الله تعالى للمؤمنين ما يجب أن يقولوه لأهل الكتاب إذا لم يستمعوا لكلمة الحق فقال تعالى:

[illegible]

أى: فإن تولى الذين تدعوهم إلى كلمة التوحيد عنها، فقولوا أنتم ـ أيها المؤمنون لهم: أشهدوا ـ يا أهل الكتاب ـ بأنا مسلمون، خاضعون لله وحده، مذعنون لكلمة الحق، وقد أنصفناكم بالدعوة إليها فلم تطيعونا، فلنا ديننا، ولكم دينكم، والله يحكم بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين.

هذا، وقد تضمنت هذه الآية الكريمة، أسمى الأساليب الحكيمة فى الدعوة الحق، لدعوتها أهل الكتاب إلى توحيد الله، الذى جاءت به الكتب السماوية كلها، ولاشتمالها على ما يقنع العقول، ويطمئن القلوب بألطف بيان، وأبلغ أسلوب، ولذا كان يتحدها النبى ـ ﷺ ـ منهاجه فى دعوته إلى الله، وكان يذكرها فى كتبه إلى الملوك والأمراء، وهو يدعوهم إلى الإسلام، كما حصل فى رسالته إلى هرقل ملك الروم.

ومن الآيات التى دعا القرآن الكريم فيها أهل الكتاب إلى الدخول فى الإسلام، بأسلوب هادئ حكيم قوله تعالى:

[illegible]

(المائدة: ١٥، ١٦)

ومعنى الآيتين الكريمتين

[illegible] محمد ـ ﷺ ـ

[illegible] كنتم تخفون من الكتاب ﴾

أى: يظهر لكم أيها اليهود كثيرا من الأحكام والمسائل التى ذكرتها كتبكم ولكنكم كتمتموها الناس، وأخفيتموها عنهم، كإخفائكم صفة النبى ـ ﷺ ـ التى تجدونها فى كتبكم، وكتمانكم أمر البشارات به، وكتمانكم الحكم برجم الزانى المحصن، وغير ذلك من الأمور التى أخفيتموها عن العامة، وتولى الرسول ـ ﷺ ـ إعلانها، إظهارا للحق، ووضعا للأمور فى نصابها.

ثم بين القرآن الكريم بعد ذلك أن الرسول ـ ﷺ ـ قد سكت عن أشياء كتموها فلم يظهرها فقال تعالى:

﴿ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾

أى: مما كنتم تخفونه فلا يبينه، بل يسكت عنه؛ لأنه لا ضرورة تدعو إلى بيانه، ولا فائدة تعود على الناس من وراء إظهاره، ففى السكوت عنه رحمة بكم، وصيانة لكم عن الافتضاح والمؤاخذة

وفى إظهار الرسول ـ ﷺ ـ للكثير مما كتموه، وعفوه عن الكثير مما أخفوه، معجزة له؛ لأنه لم يقرأ كتابا، ولم يجلس أمام معلم، فإخباره بأسرار ما فى كتابهم، إخبار عن الغيب، فيكون معجزة له تحملهم على الإيمان، به وتصديق دعوته، والانضواء تحت لوائه.

ثم مدح الله تعالى ما جاء به رسوله من

الخير والهدى فقال تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾

أى: قد جاءكم من الله يا أهل الكتاب [illegible] هو القرآن الكريم الذى يكشف ظلمات الشرك، ويهدى الناس إلى ما يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم.

ثم بين سبحانه لأهل الكتاب مزايا هذا النور، الذى جاءهم من الله، والفوائد التى تعود عليهم باتباعه فقال تعالى:

﴿ [illegible] وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

أى: يهدى الله من يشاء بهذا النور إلى طريق السلامة من كل سوء وشقاء.

﴿ [illegible] ﴾

أى: يخرجهم سبحانه من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام وضيائه، بتوفيقه وإرادته.

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

أى: يرشدهم ويسددهم إلى الدين القويم والمنهاج السليم، الذى لا عوج فيه ولا انحراف.

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد دعتا اليهود إلى اتباع محمد ـ ﷺ ـ بأهدى أسلوب، وأكمل بيان، وأوضح برهان، وبينتا لهم ما يترتب على اتباعه من منافع جليلة، وفوائد عظيمة، تجعلهم يسارعون إلى تصديقه، إذ كانوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ومن الآيات الكريمة التى دعت أهل الكتاب إلى تصديق محمد ـ ﷺ ـ وأزاحت كل عذر لهم قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة ٩١)

ففى هذه الآية يبين الله تعالى مقام الرسالة المحمدية، وأنها جاءت والعالم فى أشد الحاجة إليها، فيقول سبحانه مخاطبا أهل الكتاب

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا [illegible] ﴾

والمعنى: يا أهل الكتاب ـ يا من معرفتكم الكتاب توجب عليكم الطاعة ـ قد جاءكم رسولنا محمد يبين لكم ما أمرتم به، وما نهيتم عنه، على حين فتور من إرسال الرسل، وبعد وقت لم يكن فيه بيان ولا إرشاد، إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ولا نبى، كما جاء فى الحديث الشريف «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى»[1]

فالله تعالى قد بعث محمدا ـ ﷺ ـ وقد انطمست معالم الشرائع، وحرفت الأديان، وكثرت عبادة الأوثان، فكانت النعمة به أتم النعم

(١) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق، جـ ٤ ص ٢٠٣ طبعة صبيح

ثم ساق القرآن الكريم بعد ذلك ما يقطع عذرهم فقال تعالى:

﴿ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾

أى: قد جاءكم رسولنا محمد يا أهل الكتاب على فترة من الرسل، يبين لكم الطريق المستقيم، لكيلا تعتذروا، وتقولوا يوم الحساب ما جاءنا بشير يبشرنا بالخير على الطاعة، ولا نذير يحذرنا من العقوبة على المعصية. والمقصود من الجملة قطع عذرهم، وإبطال حجتهم، إذا ما تذرعوا بالجهل وادعوا يوم القيامة أنهم لم يأتهم رسول يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ولذا قال تعالى بعد ذلك:

﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾

أى: أرسلناه إليكم لئلا تعتذروا وتقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم محمد ـ ﷺ ـ بشيراً ونذيراً، ليبشركم بحسن العقبى إذا آمنتم، وعملتم صالحا، وينذركم بسوء المصير إذا بقيتم على كفركم وجحودكم للحق فعليكم أن تؤمنوا به، لأنه يهديكم إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم.

ثم ختم الله تعالى الآية الكريمة ببيان قدرته وسلطانه، فقال تعالى

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وبذلك تكون الآية الكريمة قد بينت سمو الرسالة المحمدية وعظمتها، وأنها جاءت، والناس فى أمس الحاجة إليها، فعلى اليهود أن يؤمنوا بهذا الرسول النبى الأمى، الذى بشرهم وأنذرهم، وأزاح عذر الجهل عنهم، لينالوا رضا الله تعالى.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله، فأطال لها فى مرج أو روضة، فما أصابت فى طيلها من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين، كانت أرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت ولم يرد أن يسقيها، كان ذلك له حسنات. ورجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله فى رقابها وظهورها فهى له كذلك ستر. ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهى وزر»

رواه البخارى

المجتمع المدنى فى ضوء المقاصد العامة للشريعة

٢

ثالثا : نماذج تحقيق مقاصد الشريعة فى المجتمع المدنى

تتحقق مقاصد الشريعة فى مجتمع مدنى كما سبق أن أكدنا أكثر من مرة. وفى المجتمع المدنى ـ الذى كان نموذجه الأول هو مجتمع المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ ـ سعى المسلمون إلى إدراك مقاصد الشريعة عبر مشروعات ونظم وبرامج ومؤسسات. وكان من الطبيعى أن تبدأ تلك المشروعات بسيطة ومحدودة الحجم، وغير معقدة، ولكنها أخذت فى الاتساع والامتداد، وأخذت نظمها الإدارية والمؤسسية تنمو وتتعقد، وخضعت لكثير من التحولات والتطورات.

وظهرت عدة نماذج تاريخية ـ أقصد أنها ارتبطت بظروف مرحلة زمنية محددة. وبأوضاع اجتماعية وسياسية فى منطقة جغرافية معينة ـ وكان من أهمها بناء المدن والأمصار الجامعة. من جهة، ومن جهة أخرى تطوير عدد من المؤسسات والنظم الاجتماعية الفرعية داخل المدينة أو المصر الجامع، مثل: نظم الحسبة، والأوقاف، والطوائف الحرفية. وتكشف المصادر التراثية - وخاصة تلك التى تصنف ضمن كتب الحكمة السياسية، أو الأدب السلطانى - عن أن المسلمين الأوائل قد أدركوا الأهمية البالغة لعملية تأسيس المدن والأمصار كشرط ضرورى لإمكانية تحقيق مقاصد الشريعة.

نموذج المدن والأمصار: أصول بنائها وقواعد تأسيسها فى ضوء مقاصد الشريعة

لنأخذ مثالاً واحداً يوضح كيف أدرك المسلمون الأوائل علاقة المقاصد ببناء المدن وتأسيس الأمصار الجامعة. هذا المثال هو ما أورده أبو الحسن الماوردى فى كتابه المعروف باسم «تسهيل النظر، وتعجيل الظفر، فى أخلاق الملك وسياسة الملك»، وذلك فى معرض كلامه عن قواعد تأسيس السلطة الشرعية. وخلاصة كلامه هى أن تأسيس السلطة الشرعية يقوم على أمرين: تأسيس وسياسة، أما التأسيس فعلى الدين، أو القوة، أو المال. وأما السياسة فهى تفرض على من يتولى مسئولية السلطة أن يراعى أربع مسئوليات هى:

١ - عمارة البلدان.

٢ - حراسة الرعية.

٣ - تدبير الجند.

٤ - تقدير المال.

ويرى الماوردى أيضاً أن الذى يراعى فى عمارة البلدان ستة أمور، كلها تفضى إلى تحقيق مقاصد الشريعة فى حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال، وهى:

١ - سعة المياه المستعذبة.

٢ - إمكان الميرة المستمدة.

٣ - اعتدال المكان الموافق لصحة الهواء والتربة.

٤ - قربه مما تدعو الحاجة إليه من المراعى والأحطاب.

٥ - تحصين منازله من الأعداء والزعار.

٦ - أن يحيط به سواد يعين أهله بمواده.

ويشدد الماوردى على خصائص الأمصار التى تساعد فى تحقيق مقاصد الشريعة، فأكد على أن تلك الأمصار (المدن) هى أوطان جامعة، وأن المقصود بها خمسة أمور

أحدها: أن يستوطنها أهلها طلبا للسكون والدعة

والثانى: حفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة

والثالث: صيانة الحريم والحرم من انتهاك ومذلة.

والرابع: التماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة.

الخامس: التعرض للكسب وطلب المادة. فإن عدم فيها أحد هذه الأمور الخمسة فليست من مواطن الاستقرار، وهى منزل قلعة ودمار، على حد تعبير الماوردى.

ويحدد الماوردى ملامح السياسة العامة التى يتعين على منشئ المصر، أو المدينة، أن يتبعها حتى يكون مؤديا ما عليه من الواجبات نحو ساكنى هذا المصر أو تلك المدينة، وهذه السياسة تفرض عليه القيام بالآتى:

١ - أن يسوق إليه ماء الشارب إن بعدت أطرافه، إما فى أنهار جارية، أو حياض سائلة، ليسهل الوقوف عليه من غير تعسف

٢ - تقدير طرقه وشوارعه حتى تتناسب ولا تضيق بأهلها؛ فيستضر المار بها.

٣ - أن يبنى جامعا للصلوات فى وسطه ليقرب على جميع أهله ويعم شوارعه.

٤ - أن يقدر أسواقه بحسب كفايته وفى مواضع حاجته.

٥ - أن يميز خطط أهله وساكنيه؛ ولا يجمع بين أضداد متنافرين ولا بين أجناس مختلفين

٦ - إن أراد الملك أن يستوطنه سكن منه فى أفسح أطرافه، وأطاف به جميع خواصه، ومن يكفيه من أمر أجناده، وفرق باقيهم فى بقية أطرافه ليكفوه من جميع

جهاته، وحص أهله بالعدل، وجعل وسطه لعوام أهله.

٧- أن يحوطهم بسور إن تاخموا عدواً أو خافوا اغتيالاً.

٨- أن ينقل إليه من أعمال أهل العلوم والصنائع ما يحتاج أهله إليه حتى يكتفوا بهم، ويستغنوا عن غيرهم.

فإذا قام منشئه بهذه الشروط الثمانية فقد أدى حق مستوطنيه وصار أكمل الأمصار وطنا وأعدلها سكناً. انتهى كلام الماوردى. ومن الواضح أنه أراد أن يقول إن منشئ المصر أو المدينة إذا طبق تلك السياسة فإنه يكون قد وفر البيئة الأساسية الأنسب لإدراك مقاصد الشريعة وتحقيقها على أرض الواقع بأفضل ما يكون التحقيق. ثم إن عليه أن يضع خططا وبرامج تمكن أبناء الرعية (المواطنين) من أن يسعى كل منهم ويكد أن تتاح له أفضل الفرص كي يحقق ذاته، ويؤدى واجباته، وينعم بثمرات عمله فى ظل هذا الإطار العام الذى ترسمه مقاصد الشريعة. يقول الماوردى إن على الملك، أو ولى الأمر فى حقوق الاسترعاء على الرعية عشرة أشياء يلزمه القيام بها وهى:

١- تمكين الرعية من استيطان مساكنهم وادعين.

٢- التخلية بينهم وبين مساكنهم آمنين.

٣- كف الأذى والأيدى العالية عنهم.

٤- استعمال العدل والنصفة معهم.

٥- فصل الخصام بين المتنازعين منهم.

٦- حملهم على موجب الشرع فى عباداتهم ومعاملاتهم.

٧- إقامة حدود الله تعالى وحقوقه فيهم.

٨- أمن سبلهم ومسالكهم.

٩- القيام بمصالحهم فى حفظ مياههم وقناطرهم.

١٠- تقديرهم وترتيبهم على أقدارهم ومنازلهم فيما يتميزون به من دين وعمل وكسب وصيانة.

من النماذج المدنية الفرعية:

نظام الوقف

إذا دققنا النظر فى السجل التاريخى لنظام الوقف الذى عرفته مجتمعاتنا منذ فجر الإسلام سيتضح أنه كان نظاماً فرعياً بحد ذاته متكامل الأركان الإدارية، والتشريعية، والوظيفية. وكان موظفا بكامل أركانه فى خدمة تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، وكان أيضا قاعدة مادية ومعنوية لبناء كثير من مؤسسات المجتمع المدنى ودعم سياسات التنمية الدائمة، وذلك على امتداد مجتمعاتنا العربية والإسلامية. وبالرجوع إلى تراث الوقف الفقهى وسجله التاريخى يتضح كذلك أن فعاليات الوقف قد غطت مختلف المجالات العلمية والتعليمية، والصحية، والخدمية، وحتى الترفيهية. والذى لا يقل أهمية عن هذا وذاك هو أن التجارب التاريخية أثبتت أيضا أن نظام الوقف كان أحد الابتكارات المؤسسية الإسلامية التى جسدت الشعور الفردى بالمسئولية الجماعية، ونقلت هذا الشعور من المستوى الفردى الخاص إلى المستوى الجماعى العام، وذلك بملء الإرادة الحرة للمحسنين وفاعلى الخير من أبناء الأمة. ومن ثم يمكن القول أن مهمات التنمية كانت مسئولية مشتركة بين المجتمع بفاعلياته المختلفة، وبين الدولة بمؤسساتها وأجهزتها المتنوعة.

إذا رجعنا إلى الشاطبى - مؤسس علم المقاصد - سنجد أنه قد أكد على أن المصالح المعتبرة هى مقاصد الشريعة، أو هى مضمون هذه المقاصد، دنيوية كانت أو أخروية، كلية تتعلق بمصالح الجماعة أو بعض فئاتها، أو جزئية تتعلق بأفرادها أو ببعضهم. وأن لكل مصلحة أو مقصد وسيلة أو وسائل لتحقيقه. وقد عرفنا المقاصد الشرعية بأنها هى المتضمنة للمصالح والمفاسد فى أنفسها. أما الوسائل فهى «الطرق المفضية إليها»، أو هى: «الأحكام التى شرعت لأن بها تحصيل أحكام أخرى». إذ بدونها قد لا يحصل المقصد، أو يحصل معرضا للاختلال والانحلال. ومن هذا يتبين بجلاء أن الوقف - وسائر عقود التبرعات - هى من وسائل المصالح (المقاصد)، الضرورى منه، والحاجى، والتحسينى. ومن هنا كان تعلقه بنظرية المقاصد، ومن هنا أيضا تلقته الأمة بالقبول، وانتشر العمل به فى مختلف الأقطار والأمصار بالرغم من أن التوجيه الشرعى الخاص به قد جاء على سبيل الندب، وليس على سبيل الوجوب أو الفرض. وما كان هذا القبول وذلك الانتشار إلا أثرا من آثار تعلقه بمقاصد الشريعة السمحة. ولعلنا نزيد فنقول إن قوة الوقف وفاعليته ارتبطت بنضج الوعى الاجتماعى بالمقاصد الإنسانية للشريعة، فكان ازدهاره مؤشراً على مراعاة تلك المقاصد وما تتضمنه من مصالح والعكس كان بالعكس.

ولعل من أهم ما أسهم به «الفقه» فى بناء نظام الوقف هو إرساء أسس فاعلية هذا النظام؛ من خلال تأصيل الفكرة المجردة للوقف، وهى فكرة الصدقة الجارية، وأيضا من خلال تفصيل الأحكام المتعلقة بالإجراءات والتنظيمات المشخصة لهذه الفكرة فى الواقع الاجتماعى.

والملاحظ أن «باب الوقف» هو من الأبواب الثابتة فى جميع مصادر الفقه الإسلامى بجميع مذاهبه - السنية والشيعية - وهو مليء بالاجتهادات والآراء والأفكار التى عالجت مسائل الوقف من مختلف الجوانب، وبالبحث فى التاريخ المعرفى لفقه الوقف تبين لنا أنه كان أول فرع من فروع الفقه الإسلامى يستقل بذاته، وتفرد له مؤلفات خاصة به، وذلك منذ منتصف القرن الثالث الهجرى على يد هلال بن يحيى المعروف بهلال الرأى (ت٢٤٥هـ) ومن بعده بقليل من السنوات أبو بكر الخصاف الحنفى (ت٢٦١هـ) الذى ألف أشهر كتاب فى هذا الموضوع وهو كتاب «أحكام الأوقاف».

ويستفاد من فقه الوقف - بدون الدخول فى تفاصيله وتفريعاته - أن الفقهاء قد بذلوا جهوداً مضنية لوضع أصول البناء المؤسسى لنظام الوقف على النحو الذى يحافظ على حرمته، ويضمن له استمرار النمو والعطاء،

للذات بكمالات تحقيق الغاية منه في تحقيق مقاصد الشريعة. وتتلخص تلك الأصول في ثلاثة مبادئ كبرى هي:

١- احترام إرادة الواقف:

و«إرادة الواقف» المقصودة هنا هي التي يقوم بالتعبير عنها ـ في وثيقة وقفه ـ في صورة مجموعة من الشروط التي يحدد بها كيفية إدارة أعيان الوقف، وتقسيم ريعه، وجهات الاستحقاق من هذا الريع، ويطلق على تلك الشروط في جملتها اصطلاح «شروط الواقف»، وقد أضفى الفقهاء عليها صفة «الإلزام الشرعي» فقالوا إن «شرط الواقف كنص الشارع» في لزومه ووجوب العمل به. وعلى ذلك نظروا إلى وثيقة الوقف (الحجة) باعتبارها «دستورا» واجب الاحترام، وأن أحكامه واجبة التطبيق، ولكنهم حددوها بأن تكون محققة لمصلحة شرعية، وموافقة للمقاصد العامة للشريعة، وأبطلوا كل شرط يؤدي إلى إهدار مصلحة معتبرة؛ وبذلك توفرت للأوقاف ومؤسساتها حماية شرعية، وحرمة معنوية؛ وكانت ـ هذه وتلك ـ من عناصر فاعليتها، ومن أهم أسباب زيادة الطلب الاجتماعي لها.

٢- اختصاص السلطة القضائية بالولاية العامة على الأوقاف

حيث قرر الفقهاء أن الولاية العامة على الأوقاف هي من اختصاص السلطة القضائية وحدها دون غيرها من سلطات الدولة. وتشمل هذه الولاية: ولاية النظر الحسبي أو ما يسمى بالاختصاص الولائي، وولاية الفصل في النزاعات الخاصة بمسائل الأوقاف، أو ما يسمى بالاختصاص القضائي. ويشمل الاختصاص الولائي الذي يشمل شئون النظارة على الوقف وإجراء التصرفات المختلفة المتعلقة به، بما في ذلك استبدال أعيانه عند الضرورة ـ والإذن بتعديل شروط الوقف ـ أو بعضا منها ـ والحكم بإبطال الشروط الخارجة عن حدود الشرع وفقا لمقاصده العامة... إلخ.

ومن الواضح أن مثل تلك التصرفات من شأنها التأثير في استقلالية الوقف، ومن ثم في فاعلية الأنشطة والمؤسسات التي ترتبط به، وتعتمد في تمويلها عليه، ولهذا أعطى الفقهاء للقضاء ـ وحده دون غيره ـ سلطة إجراء التصرفات في الحالات التي تعرض للوقف بما يدفع عنه الضرر ويحقق له المصلحة، باعتبار أن القضاء هو المختص بتقدير مثل هذه المصالح. ولكونه أكثر الجهات استقلالية، ومراعاة لتحقيق العدالة وعدم تفويت المصلحة العامة والخاصة، وأيضا لعدم تمكين السلطة التنفيذية للدولة من التدخل في شئون الوقف، وعدم إتاحة الفرصة لها لاتخاذ بعض الحالات الطارئة التي تعرض له ذريعة للاستيلاء عليه، أو إساءة توظيفه، أو إعاقة فعاليته.

ويمكن القول أن بقاء نظام الوقف تحت الاختصاص الولائي للسلطة القضائية كان أحد عناصر ضمان استقلاليته واستقراره وفعاليته، وبالتالي فإن هذا الاختصاص، أو إخراج الوقف من تحت مظلته يضعف استقلاليته ويقضي على فاعليته.

٣- تمتع الوقف بالشخصية الاعتبارية

يستفاد من أحكام فقه الوقف وتفاريعه ـ لدى جميع المذاهب الفقهية ـ أن الوقف يصبح محلا لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات متى انعقد بإرادة صحيحة صادرة من ذي أهلية فيما يملكه، ومتى كان متجها لتحقيق غرض مشروع من أغراض البر والمنافع العامة أو الخاصة.

إن إقرار الشخصية الاعتبارية للوقف كان بمثابة ضمانة تشريعية وقانونية تدعم الضمانتين السابقتين، وتضاف إليهما للمحافظة على استقلاليته واستمراريته وفعاليته في آن واحد، وذلك لأن وجود ذمة مستقلة للوقف لا تنهدم بموت الواقف كان من شأنه دوما ـ أن يحفظ حقوقه في حالة تعرضه للغصب، أو «الاعتداء» حتى ولو كان من قبل السلطات الحكومية، ومن ثم كان من الصعب جداً إقدام تلك السلطات على إدماج أموال الوقف ومؤسساته في الإدارة الحكومية أو إخراجها عن إطارها الشرعي والوظيفي الذي أنشئت من أجله.

العالمية هي أعلى مراحل تحقق مقاصد الشريعة:

إن الأفق الطبيعي والواسع الذي تفتحه نظرية المقاصد هو أفق ما يسمى «المجتمع المدني» على المستويين المحلي والعالمي، وما يتعلق بذلك من مهمات تنموية وعمرانية، وسنجد كلما أرسلنا النظر إلى أبعاد هذا الأفق أن النزعة الإنسانية العميقة الكامنة في نظام الوقف ومنظومة العمل الخيري المستندة إلى أصول الشريعة ومقاصدها هي ما تسعى إليه نظرية المجتمع المدني المحلي والعالمي، أو هي ما يجب أن تسعى إليه في تجلياتها المعاصرة على المستوى المعرفي أو الفلسفي على الأقل، وسنجد أيضا أن بالإمكان أن نسهم في بلورة هذه النظرية بإظهار الأبعاد الإنسانية في النظم الإسلامية، ومنها الوقف ومنظومة العمل الخيري ومقاصدها الشرعية؛ وذلك إذا أعدنا فهم نظرية مقاصد الشريعة، وسعينا لربطها بالواقع، وتغذية الوعي بها، والالتزام بتوجيهاتها في التشريعات، وفي المشروعات والبرامج وفي بناء الأولويات ورسم السياسات، حيث إن مقاصد الشريعة مبنية على الفطرة الإنسانية، وهدفها العام هو حفظ نظام العالم واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان.

وختاما أقول: إن ما قدمته في هذا البحث ليس إلا فاتحة للكلام في موضوع على درجة كبيرة من الأهمية من الناحيتين النظرية والتطبيقية. وأن علينا أن نبذل كل ما في وسعنا للكشف عن المعاني المدنية والإنسانية العميقة لنظرية المقاصد العامة للشريعة.

وإذا كان هدف المقاصد هو حفظ نظام العالم واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان، فإن مقاصد الشريعة لا يمكن أن تبلغ كمال تحققها إلا على مستوى عالمي، وإن موضوع المجتمع المدني، على المستويين المحلي والعالمي، هو أحد الموضوعات التي تتجلى فيها مقاصد الشريعة بكل أبعادها المدنية والإنسانية. وإنسانية الإسلام هي جوهر

منهاج النظر فى دراسة القانون مقارنا بالشريعة



(٧) أمران أخالهما لازمين ليتفهم رجال الدعوة بعضهم بعضا، أولهما أن لكل مجال نشاط أسلوب العمل فيه بما يتناسب مع طبيعته وأوضاعه، ولكل مجال نشاط رجاله بما يتفق معه، وهذا قول لا جديد فيه ولا يضيف إلى قارئ فضل معرفة، ولكن مناسبة ذكره أن النشاط الإسلامى يحتاج إلى وجوه عمل كثيرة متنوعة، منها ما يتعلق بالتدريس، وما يتعلق بالدعوة بين العامة، ومايتعلق بالفقه وأحكام المعاملات. وما يتعلق بالعمل السياسى والعمل الاقتصادى وغير ذلك، تنوع المجالات يولد تنوعا فى الرؤى وفى المنظور أو الوجهة التى ينظر منها إلى الجماعة وأوضاعها، والتنوع قد يولد الخلاف لاختلاف الرؤى ونوع الثقافة ومطالب النشاط النوعى فى كل مجال، فالتعليم مثلا يحتاج إلى الصبر وطول النفس والاستقرار والبعد عن المخاطر وتكرار ماهو المعروف عاما وراء عام، والسياسة تحتاج خصوبة ذهنية وسرعة تفهم لما يتغير ونوع مخاطرة، وهكذا.

وأحرى بنا أن يدرك كل منا فى مجاله ما يقتضيه اختلاف الثغور واختلاف المهام المطلوبة من صلاحيات مختلفة ووجهات نظر مختلفة، وما يترسخ من ذلك من تباين فى التكوين النفسى وعادات العمل، كل ذلك لكى يمكن لنا أن ننظر نظرة التكامل لهذه الأوضاع المتباينة، وندرك ما يمكن أن يجرى به التنسيق بينها والتجميع، فلاتتنافى أنواع النشاط ولا ينقض بعضها من بعض.

ومن هنا عندما نشير إلى أن الجهد الفقهى الشرعى الرامى إلى تخلل النظام القانونى القائم، إنما يتعين وضعه فى إطار التكامل مع المطالبة لسيادة التشريع الإسلامى كاملا من حيث جوانب الدراسة الفقهية من جهة، والمطالبة السياسية من جهة أخرى.

وثانى الأمرين، أنه مامن فكرة إلا ولها حدود، وما من فقه إلا وله ضوابط، والفقه يتعلق ببيان شرعية السلوك والتصرف والتكامل، فهو يتعلق ببيان الحد الفاصل بين المشروع وغير المشروع، وبين الجائز والممنوع، وبين الواجب والجائز، وهو بيان الفروق بين الأمر وغيره والموافقات بين الأمر وغيره، حسبما أسمى كل من القرافى والشاطبى كتابيهما.

ونحن عندما نجدد فى الأحكام بفقه جديد، إنما نعدل فى الحكم المستفاد من النص الثابت بموجب ما طرأ على الواقع من تغيير فى الأوضاع، مما يقتضى لهذا الواقع وضعا جديدا أو وضعا جديدا يترجح نسبه عن مرن الأحكام ومبسطها. عندما نصنع ذلك فإن الكثير ما وهو يصرف همه للانفصال من الحدود والضوابط التى كان الفقه أحاط بها حكم النص، وهو يغفل ذلك مبينا وجوه الاختلاف فى الوضع المحكوم بالنص بين الماضى والحاضر، وإنما يغفل عن بذل الجهود الضابطة لحكم النص فى الواقع الجديد، وبيان محددات هذا الحكم وفروقه بين حلال وحرام أو صحيح وفاسد، وهو فى إغفاله هذه المسألة تتفلت منه أحكام النصوص وتتميع، لأنه لا فقه بغير ضوابط ولا تجديد يزيح الحدود والضوابط، إنما يكون التجديد بتحريك تلك الحدود والضوابط، لتظل فارقة بين أمرين مختلفين وموفقة بين أمرين مجتمعين.

ومن هنا فعندما يقوم البعض بعملية الإسناد الشرعى للأحكام الوضعية، عليه أن يفطن إلى أنه لا يرفع من أحكام الشريعة ضابطا ولا حدا، ولكنه دائما يحفظ لها ضوابطها ويستعين بفروقها وموافقاتها فى تبين حدود الحكم الشرعى الواجب المراعاة، وهو هنا لا يسبغ الشرعية على واقع غير مشروع، وإنما يحاكم الأحكام الوضعية بما تسعه شريعة الله عز وجل، وما وسعته الشريعة أسند إليها، ومالم تسعه بقى خارجها لا يسنده إلا سلطان الدولة العلمانية الحديثة، بما يمنحه هذا السلطان من إمكان نفاذ وقضاء بالقوة والتغلب.

(٨) فى ضوء هذا التصور يمكن فى ظنى أن تجرى دراسة القانون مقارنا بالشريعة الإسلامية. وهذا يقتضى إلى أن تتجه الدراسات إلى الأحكام التفصيلية، وذلك لتمد العاملين بالقانون بالمادة المقارنة التى تساعدهم على إجراء هذا الإسناد الشرعى للأحكام الوضعية فى الحالات المخصوصة التى تعرض لهم فى نشاطهم المهنى، والأمر بطبيعة الحال ليس بهذه البساطة التى يتصور معها أن الشارع يختار من آراء الفقه الإسلامى ما يتناسب مع الحكم الوضعى المعنى، ويكرر هذا الصنيع فى كل ما يتعرض له من أحكام، الأمر ليس بسيطا هكذا وليس سهلا، لأن الدارس سيواجه باختلاف المفاهيم بين النظر الفقهى الوضعى، والنظر الشرعى، وسيواجه باختلاف دلالة المصطلحات بين المجالين أيضا، وهذا من شأنه أن يستلزم جهدا جهيدا فى الملاءمة بين الأحكام والتقريب بين المفاهيم، وهو يقتضى من الباحثين تعمقا تنظيريا لتلك المفاهيم لتبين وجوه المفارقة والتشابه بين مفاهيم المجالين.

أذكر أنه عندما كان مشروع القانون المدنى الجديد يعد فى مصر وتناقش أحكامه المقترحة فى اللجان المختلفة، وذلك خلال الأربعينات، تصاعدت بطبيعة الحال الدعوة

إلى صياغة القانون كله من الفقه الإسلامي. وتشكلت لجنة من بعض رجال القانون فيهم أساتذة جامعيون ومستشارون من محكمة النقض كالأستاذين محمد صادق فهمي وحسن الهضيبي. وأعدت صياغة تقنينية للباب الخاص بالعقد في نظرية الالتزام، أعدته أخذاً من الفقه الإسلامي. وقدمت مشروعها إلى لجنة مناقشة التقنين ووزعته على المهتمين بالأمر من المتخصصين. وأذكر ما تضمنته الأعمال التحضيرية للقانون المدني من مناقشات حول هذا المشروع، وكان من أهم ما وجهه الدكتور عبدالرزاق السنهوري إلى هذه المحاولة، أنها شرعية الشكل وضعية المحتوى، إذ اتبعت في اختيارها للأحكام الشرعية تصنيفات الفقه الغربي ومفاهيمه، مثل «البطلان»، «القابلية للبطلان».

وذكر السنهوري أن الأولى هو أن يجرى تفهم التصورات العامة للفقه الإسلامي من مادة هذا الفقه ذاته. وما ذكره السنهوري هنا، وإن كان لا يؤثر على الجهد الفقهي الحميد الذي بذلته لجنة إعداد مشروع العقد من الفقه الإسلامي، إلا أنه يصدر عن نصيحة مخلصة ونظر ثاقب. فإن أي مفهوم جزئي لا تستمد دلالته إلا في ضوء علاقته بالمفاهيم الجزئية الأخرى وفي ضوء الأداء العام لهذه المجموعة من المفاهيم، فالعقد مفهوم عام ولكنه ينقسم إلى مرحلة نشوء وتنفيذ وانتهاء، والنشوء له أركان وشروط انعقاد وموانع، ثم هناك البطلان والفساد أو القابلية للإبطال وعدم النفاذ وغير ذلك، وكل تلك العناصر أو المفاهيم الفرعية قد تختلف دلالتها من نظام قانوني إلى نظام آخر، ولكن الأداء العام للنظام القانوني العام يبقى واحداً ومتماثلاً. وهذا ما يتعين أن نعيه وندركه عندما نقارن الأحكام الجزئية، أي نقارنها في إطار المقصد العام الكلي لها جميعا



السنهوري

لا نقوم في ظني صعوبة كبيرة في هذا الشأن، لأن حركة الدراسة المقارنة سارت خطوات واسعة، سواء في التأليف أو في الرسائل الجامعية، على مدى العقود الأخيرة، وذلك في غالب مباحث القانون المدني، وأساس النظرية القانونية الوضعية ثم تلك الدراسات العديدة التي صدرت في معاملات المصارف، ومباحث القانون التجاري، وكذلك المجال الدستوري ونظم الحكم، وإن هذه الدراسات العديدة التي أنتجتها قرائح الباحثين في الفقه المقارن، يمكن أن تكون مورداً في عمليات إسناد الأحكام الوضعية إلى المرجعية الفقهية الإسلامية، فيما تسعه هذه المرجعية من تلك الأحكام، بمراعاة ما يقتضيه هذا الأمر من تأصيل وتعقيد نظري يبعدان عملية الإسناد عن الشطط والسطحية والتأويل الخاطئ.

(٩) إذا كان التنظير الفقهي مما تدرك به الأحكام الكلية في أدائها العام، ومما يبعد عن الزلل عند مقارنة الأحكام الفرعية في نظام قانوني بما يشابهها في نظام قانوني آخر، فإن هذا التنظير الفقهي يصير ضروريا ويجاوز حدود الاحتياج، وذلك عندما يطرق الباحث مجالات قانونية حديثة لم يتعرض لها الفقه الشرعي القديم. وذلك فيما جد من مجالات تتعلق بنشاط الإنسان في الأجواء وأعماق البحار وأمور البيئة، وفيما زادت أهميته عن أقصى ما كان يمكن أن يتوقع في الماضي فيما يتعلق بنظم الإدارة وتكوين المؤسسات الإدارية والاقتصادية وتنظيم علاقات الدول، وغير ذلك مما لا يخفى على قارئ.

إن المتابعة التاريخية للتنظير الفقهي وتقعيد الأحكام تكشف أنه قد تراخى التنظير في الفقه الإسلامي قروناً. ولا يعني ذلك أنه لم يبدأ إلا متراخيا. فالحقيقة أنه بدأ منذ كتب الشافعي رسالته في أواخر القرن الهجري الثاني. ولكن وجه القول بالتراخي إذن لم تكن حركة التنظير مواكبة في سرعتها ومداها حركة فقه الأحكام التفصيلية، ويبدو لي أن علة ما تراخت به حركة التنظير بالمعنى السابق، إنما كان بسبب عدم إلحاح الحاجة إليها، مثلما تكون الحاجة ملحة إلى التنظير في الفقه الوضعي العلماني. ذلك أن الفقه الإسلامي بارتباطه بإطار مرجعي عقدي، إنما يكتسب شرعية أحكامه وتقبل الناس لها ورضاءهم بالانصياع لها والطاعة، إنما يكتسب ذلك من أصل الموقف الإيماني بالله وبرسوله ووجوب الطاعة لله سبحانه ولرسوله الكريم، وما يتفرع عن ذلك من تفصيل الاندراج في حاكمية القرآن والحديث

لذلك خضع الناس لأحكام القرآن والسنة في سلوكهم وتعاملاتهم التفصيلية وصرفوا أهم جهودهم الأولى في رصد الأحكام، بتدوين القرآن وجمعه أولا ثم جمع الحديث وتحقيقه. وكانوا يقيسون ما لا نص فيه من وقائع تشريعهم مما ورد فيه نص قرآن أو حديث، فقاس حكم فرعي على حكم فرعي. والقياس يعني الصعود إلى أصل مشترك هو العلة في الواقعة المنصوصة ثم الهبوط منها إلى الواقعة المنظورة. فهو يتضمن وجه تنظير ولكنه تنظير يحدث في أقرب المستويات إلى الأحكام التفصيلية، دون أن يصل إلى أحكام كلية عامة. ثم مع التدريج ومع مرور الزمن وصل التنظير إلى مستوياته العليا، تمثل ما وصل لدى الشاطبي في موافقاته واعتصامه، من استقراء لعموم المصالح الشرعية ومقاصد الأحكام، استقراء يرد من المصادر الأولية للشريعة قرآن وسنة

تلك حركة تنظير سارت سيرها الوئيد عبر القرون. والناس تبدأ من الجزئي إلى الكلي، ومن الخاص إلى العام ومن الفرع إلى الأصل، وهي تمارس ثم تنظر. هكذا صنعوا في الشعر ونظموه قرونا ثم أتى الخليل يستخلص علم العروض ويقوم بتنظير نظم الشعر، في البحور، استقراء مما كان يجري عليه القول. وهكذا صنعوا في علم النحو، إذ جرت ألسنتهم فيما يتحدثون به وما يكتبون صحيحة مرتبطة المعنى بالإعراب، ثم أتى سيبويه يقعد من ممارساتهم القواعد التي صيغ بها علم النحو بعد قرون

وهكذا أيضا في علم الفقه قاسوا قبل أن يسموه قياسا وعملوا القياس صحيحا قبل أن يستخلصوا مناهج القياس في علم الأصول. كما كان العرب لا يخطئون في الحديث قبل أن تقعد قواعد النحو

ومن هنا يمكن القول: إن تراخي التنظير في الفقه، كان ظاهرة طبيعية وليست سلبية، وهو تنظير ينعقد ثانياً في حينما بعد الممارسة ويستخلصان من تجارب الصواب والخطأ في هذه الممارسة ويستخلصان من الأحكام التفصيلية بعد نضج التأمل فيها والمقارنة والتمحيص، ومن جهة أخرى فإن ما أدى إلى هذا التراخي أن لم توجد ضرورة ملحة توجب سرعة التنظير، بمثل ما نراه في الفقه الغربي الوضعي، لأنه لم تقم مشكلة تتعلق بشرعية الأحكام في الفقه الإسلامي، مادامت شرعيتها مستمدة من المصدر العقدي الإيماني للمسلمين في وجوب الطاعة لأوامر الله سبحانه ونواهيه، أما الفقه الوضعي العلماني، فهو يستمد شرعية الأحكام مما يسميه «القانون الطبيعي أو «قواعد العدالة» مما تجتمع الجماعة عليه من قيم ومبادئ وأصول أو مماتراه فيه محققاً «لمصلحتها العليا»... إلخ. وكل ذلك تبلور في عملية التنظير التي تشكل الأحكام الكلية مستقرأة من جهود البشر التاريخية في وضع الأحكام وسن التشريعات ومراعاة مصالحهم، والنظرية هنا ليست مجرد تعميم كلي، ولكنها تقوم كمصدرلشرعية الحكم، ولهذا السبب مثلا تبلورت نظرية العقد في القانون المدني الفرنسي لتقوم على مبدأي سلطان الإرادة وأن العقد شريعة المتعاقدين ... إلخ.

ونحن في التصدي لمجالات النشاط البشري والتكامل الاجتماعي التي لم تكن حظيت من فقهاء المسلمين بفضل اهتمام لعدم قيام بواعث هذا الاهتمام في ظروف زمانهم ومكانهم، وذلك لما أشرت إلى أمثلته يصدر هذه الفقرة من أحكام تتعلق بنظم الإدارة والحكمة ومعاملات الأحواء والبيئة. نحن في هذا التصدي نحتاج إلى الجهد التنظيري الفقهي الإسلامي ليمكن منه استخلاص أصول الشرعية والشريعة الإسلامية التي تبتغي فيها تشكيل الأحكام المنظمة لهذه المجالات.

ومن الجلي أن ما تفتقت عنه نظم الغرب في هذه المجالات، هو مما لابد أن يحظى بأكبر الاهتمام في دراساتنا القانونية، إنما ما يتعين بذله من جهد في هذا المجال إنما يكون بإجراء عملية هضم حضاري وفقهي لهذه النظم والأحكام، مما يمكن أن أشير إليه في الفقرة الأخيرة أن شاء الله.

(١٠) ترد هنا الإشارة إلى النظم والمؤسسات وكيفية بنائها وأساليب إدارتها، وهذا المجال من أهم مجالات النظر في الفقه المقارن بين الشريعة والقانون، ذلك أن ثمة انقطاعاً مؤسسياً جرى في كل مجالات التنظيم المؤسسي للمجتمع، جرى ذلك على مدى القرنين الأخيرين، مع اختلافات تفصيلية بين كل قطر وقطر ولا يتسع المجال للشرح هنا، وقد لا يحتاج لذلك، وتكفي الإشارة إلى أن نظاما كان يقوم على سلطات دولة جامعة هي دولة الخلافة، انفك إلى نظام جماعات سياسية قطرية تقوم على حدود جغرافية أملاها الواقع أو أملتها نظرة وضعية أو استعمارية ثم جرى تنظيم مؤسسات الحكم أخذا من نظم الغرب بطريقة معزولة عن السياق الحضاري الغربي وعن السياق التاريخي والفكري هناك، وانهدم ما كان قائما في مجتمعاتنا، وعايشنا مزقا من بقايا قديم وفسائل جديد معوق. لم يبق إلا الأسرة كمؤسسة حفظ الله سبحانه لنا نسقها مؤسسي الفقهي والسلوكي مرتبطا بأصول مرجعية الإسلامية.

ومن هنا وجب علينا أولا إحياء الفكر مؤسسي الذي تفتق عنه تاريخ الأمة الإسلامية على مدى القرون الماضية، من حيث سلطات الدولة. ووظائفها المتعددة وجوانب نشاطها، ومن حيث التكوينات مؤسسية للأنشطة الاجتماعية كالأوقاف والنقابات وتكوينات المذاهب والملل. ومع هذا الإحياء للفكر المؤسسي القديم. يمكن إجراء المقارنات بين وجوه الأداء الوظيفي لكل مؤسسة قديمة أو حديثة، وذلك في علاقاتها بالمؤسسات المعاصرة لها التي تحيا بينها وتجرى نشاطها بالعلاقات المتبادلة معها.

ويجب ملاحظة أن الفكر المؤسسي هنا لن يستخلص من كتابات الفقهاء فقط فهي من التجريد بما لا يتضح معه حقيقة الدور المؤسسي الذي كان يقوم به كل تشكيل مؤسسي في المجتمع من حيث خريطة توزيع السلطات والأنشطة وتبادل الخدمات المؤداة إن الأمر يحتاج إلى دراسة لوقائع التاريخ أيضا بحيث يمكن استخلاص الأدوار الفعلية للنشاط المؤسسي في علاقاته الواقعية وفي توظيفه الفعلي. ومن هنا وجب بعد البحث الفقهي التاريخي الذي يكشف عن الأداء الواقعي للنظر الفقهي. وجب بعد ذلك أن تجرى المقارنة بين المؤسسات المثيلة أو المتقاربة في كل من فقه المؤسسات القديم وفقه المؤسسات الذي يدرس في معاهدنا العلمية وذلك بملاحظة أن أداء أي هيئة أو مؤسسة لا يظهر إلا في إطار وجوه أعمالها في سياق علاقاتها مع الهيئات المعايشة لها، والنشاط الجزئي لن يظهر معناه ودلالته إلا في ضوء مجمل النشاط الكلي فليس من الصواب مقارنة دور القاضي قديما بدوره حديثا إلا من خلال إدراك علاقة كل منهما بهيئات عصره، والقاضي القديم لم يكن فاصلا في أنزعة فقط، إنما كانت له وظيفة اجتهادية تصل به إلى مشارف التشريع الاجتهادي بأكثر مما يصل إليه قاضي النظم الجارية الآن في معظم بلادنا. وكانت له قديما وظيفة ولائية تزيد عن وظائفه اليوم، من حيث توزيع الصدقات ومراقبة الأوقاف وغير ذلك.

ومن ناحية ثانية. فقد صرنا اليوم على أوضاع مؤسسية واقعية يتعين عند النظر فيها وفيما نظن أن حياتنا تجود به، يتعين علينا أن نبدأ منها إصلاحنا أو بالأقل أن ندخل واقعها في حسابنا، ولكننا ننظر في هذا الأمر مبدلين من عيوب الانبهار بالغرب ومحاكاته ومن أوزار مالم ينفعنا من بقايا الماضي، شريطة أن ننظر في مؤسسات الماضي التي جرى إضمارها أو صارت آفلة بسبب انصرافنا عنها محاكاة للجديد الوافد من الغرب، أو لظن خاطئ بأنه في تركنا لها نفعا لنا، أقول يتعين أن نعيد النظر في شأن هذه المؤسسات ونعيد تقويم دورها في المجتمع لنعيد إليه مايصلح لنا منها، أو نقوي ونعتني بما ضعف منها لدينا، ومثال ذلك مؤسسة «الوقف» التي كانت تقوم بدور فعال في تجميع المبادرات الفردية والأهلية والقيام بأعمال الخدمات الاجتماعية من حيث التعليم والمداواة وسد حاجات المحتاجين في شئون الحياة المختلفة. ومن هنا فإن الدراسة

المقارنة الفقهية يحسن في ظني أن تدخل في اعتبارها جانبا من جوانب الأداء الاجتماعي لهذه المؤسسات والمقارنة بينه وبين مؤسسات الاجتماعية الحديثة، ووجوه التطوير الفقهي للمؤسسات التقليدية بما يجود به أداؤها الوظيفي في الأطر الاجتماعية المعاصرة، ووجوه الأخذ في هذه الإصلاحات من التنظيمات الوافدة وأساليبها في بناء المؤسسات.

ومن ناحية ثالثة، فإن من أوضاع المؤسسات العاملة في المجتمعات الإسلامية الآن ما جرى اقتباسه من نظم الغرب وهيئاته، وقد أثبت قدرا من الفاعلية وإمكان تحقيق الرشد من خلاله في الأنشطة الاجتماعية المختلفة، مثل النظام النيابي ونظم النقابات المهنية والعديد من أساليب الإدارة ومناهج تقسيم العمل وتوزيعه على العديد من مؤسسات مع أساليب اتخاذ القرارات الجماعية وتشكيل النظم المجلسية التي تتخذ فيها القرارات بالأغلبية ولا تنسب إلى من وافق على القرار، وإنما تكون منسوبة إلى الهيئة بمجملها بما تحتوى من أغلبيات وأقليات، كل هذه التكوينات إنما يجرى بذل الجهد الفقهي الشرعي لإجراء عمليات الهضم الفقهي والعقدي لها، بطريق الاستناد الشرعي لأحكامها ونظمها، ما تيسر ذلك وما أمكن.

ومن ناحية رابعة، فإنه يحسن في ظني، تفريعا عن دراسة المؤسسات، دراسة المراكز القانونية التي تنجم عن النشاط المؤسسي، أو من النشاط فيه، كما قد تنجم عن العلاقات العقدية ونظم المعاملات الخاصة، ذلك أن النظم المؤسسية تبنى على قواعد وأحكام لائحية منظمة لأساليب عمل المؤسسة وأوضاعها ووجوه نشاطاتها وتوزيع الاختصاصات بداخلها وطريقة تتابع أدائها الداخلي حتى تستقيم أداء عاما مناسبا وعلاقات أجهزتها بعضها ببعض وعلاقات العاملين بها بهيئاتها.. وهكذا. كما أن النظم العقدية في العلاقات الخاصة إنما تقيم أنماطا من العلاقات التي تخضع لأسلوب تعامل معين شبه مقنن مثل ما نسميه في فقه القانون الحديث بالقواعد والأحكام الآمرة، ومثل ما يسمى في الفقه الشرعي، الأحكام الجعلية، هذا النمط من العلاقات القانونية والشرعية المنظمة، من شأنه أن يكون مراكز قانونية، أي وضعا يفيد تجميعا لمجموعة من العلاقات القانونية ومجموعة من الولايات والصلاحيات مما يكون مجموعة من الحقوق والواجبات الملائمة لتفصيل تلك العلاقات و الولايات، وأظن أنه يحسن إجراء الدراسات المقارنة بين القانون والشريعة من هذه الزاوية، زاوية المراكز القانونية أي مجموعة الحقوق والواجبات التي تنجم عن وضع شرعي أو قانوني معين، سواء في مجال نظم الدول والمجتمع أو في مجال العلاقات الخاصة، وما يجوز من مراكز قانونية تفتق عنها فقه القانون الغربي من جوانبه التنظيمية المختلفة، يمكن بذل الجهود الفقهية الشرعية لإجراء عمليات الهضم الفقهي و العقدي له بطريق الإسناد الشرعي وبطريقة التعديل في هياكل المركز القانوني بما يلائم التصورات الشرعية الأساسية.

(١١) أشرت في الفقرتين السابقتين إلى موضوع الهضم الحضاري والعقدي، عن طريق الإسناد الشرعي للأحكام والنظم ذات الأصل الوضعي أو التي وفدت لدينا من أصول حضارية وعقدية أخرى، وأحاول هنا أن أجمع من ثنايا هذه الورقة ما أقصده من ذلك.

يتعين في ظني أن نبدأ بنظر في المفهوم الوافد أو نظام المؤسسة الوافد أو المركز القانوني أو أسلوب منظم واحد من أصناف المعاملات، ننظر في أي من هذه الأمور من وجهة نظر الشريعة الإسلامية وأحكامها الكلية، وننظر فيما إذا كانت تسع هذا الأمر الوافد أم لا من حيث الغاية من أدائه ووجه الحاجة الشرعية التي يستجيب إليها ويحققها، مثال ذلك المجالس النيابية أو المصارف أو الشيك... إلخ.

ثم نعمل على أن نفصل أو بالأقل نميز بين ما هو نموذج تنظيمي وبين النظام القانوني العام، أي نميز بين الجزء المراد الاعتناء به وبين التنظيم الأشمل الذي يشمل ما يحيط بالنظام من أفكار ومعتقدات وتصورات عامة وقيم ومبادئ ومن أجهزة أو نماذج تنظيمية أخرى يجرى التبادل بينها جميعا، إن الشجرة جذور و جذوع وأغصان و فروع وأوراق وأزهار وثمار، ونحن عندما نجد لنا حاجة في أوراقها لا يتحتم أن نأخذ الشجرة كلها من جذورها، إنما نستخرج منها ما لنا فيه حاجة ونضمه إلى ما نرى لنا نفعا منه لدينا، فالنظام النيابي مثلا يعتمد في الغرب على مبدأ هو سيادة الأمة التي تشير إلى إطار مرجعي علماني، ونحن عندما نحتاج إلى النموذج النيابي ننظر فيما إذا كان يمكن استخلاص هذا النموذج وانتزاعه من الفكرة الفلسفية الكامنة وراءه فإن أمكن (وهو ممكن) لزم تمييزه عنها وفصله، كما يلزم قطع ما بين الحكم المطلوب استخلاصه وبين مصدره التشريعي في النظام الأخير، وإذا كان يعلق به بعض ما لا تسعه أصول الموقف الإسلامي عقيدة وأحكاما، وجب العمل على تخليصه من ذلك الأمر إن أمكن وإلا خرج كلية، مثل وجوب التخلية بين المصارف المالية وبين النظام الربوي، فهناك تخليص من الموانع الشرعية وتخليص من العقائد المخالفة وتخليص من السياق التاريخي والواقعي غير المناسب.

ثم نعمل على وصل الحكم المأخوذ أو النموذج التنظيمي المستعار، وصله بأصول العقيدة الإسلامية و بالأحكام والتنظيمات السائدة في المجتمع، أي أن يجرى هذا الوصل على طريقين:

● أولهما: وصل فكرى بحيث تكون مجموعة الأحكام أو النماذج المأخوذة مرتبطة في أفكارها وأحكامها مع الأصول العقيدية والفقهية السائدة في المجتمع والمنظمة لعلاقات البشر فيه والمتصلة بالتطوير بأنساقه الثقافية ومفاهيمه الكلية.

● وثانيهما: وصل تنظيمي يتعلق بربط هذا الحكم أو النموذج التنظيمي بالهياكل التي تنظم التعامل بين الناس، بحيث يمكن ضمان أن إعمال هذا الحكم أو النموذج لن يؤدى إلى اضطراب في النسق التنظيمي العام لنظم المعاملات أو هياكل المؤسسات المنظمة لأنشطة المجتمع.

وبعد فهذا ما عن لي من ملاحظات في هذا الموضوع أسأل الله سبحانه أن يكون فيها بعض ما ينفع.

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام

٧

[illegible]

حق العدالة

إن العدالة حين تسود مجتمعا تتصرف كل طاقاته إلى العمل المثمر والنتاج الصالح فى جو من الاطمئنان على وصول كل حق إلى أربابه الشرعيين دون جور أو إجحاف.

ومن أجل ذلك أعطى الإسلام لكل إنسان حقه فى التمتع بظلال هذه العدالة.. ورسم القرآن الكريم مناهج تحقيقها. وحين يحدد القرآن الكريم ذلك - وهو من الله تعالى وتسرى أحكامه على الحاكم والمحكوم - فإنه لا يتأتى معه استبداد ولا ظلم. فالاستبداد يأتى حين يكون هوى الحاكم هو القانون:

﴿[illegible]﴾

(النساء: ٥٨)

ولقد أمر القرآن الكريم بالعدالة مع الوالدين والأقربين.. ومع الأعداء والمخالفين على السواء، بل أمر بها مع نفس الإنسان:

﴿[illegible]﴾

(النساء: ١٣٥)

وأمر بها مع اليهود وبنى إسرائيل المسالمين.. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(المائدة: ٤٢)

وقد طبق صحابة رسول الله ﷺ ذلك على أنفسهم، فها هو «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - يصدر منشورا إلى الناس يقول فيه: «إنى لم أبعث عمالى ليضربوا جلودكم ولا ليأخذوا أموالكم، فمن فعل ذلك فليرفعه إلىّ لنقتص منه»، فقال «عمرو بن العاص»: لو أن رجلاً أدب بعض رعيته أتقص منه؟ قال «عمر»: «إى والذى نفسى بيده لأقصن منه، وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه».

وكان «جبلة بن الأيهم» سيدًا وأميرًا فى الجاهلية - وكان نصرانيا فأسلم - وطاف بالكعبة يوما، فزاحمه أعرابى من العامة، وداس ثوبه غير قاصد، فاستشاط الأمير غيظا، ولطم الأعرابى على وجهه، ورفعت القضية إلى «عمر»، فأمر بالقصاص إلا أن يعفو الأعرابى.. فقال «جبلة»: كيف وهو سوقة وأنا ملك؟ فقال «عمر»: إن الإسلام سوى بينكما. فطلب الأمير مهلة فر فى أثنائها على أرض الرومان راجعا إلى النصرانية.

ولقد بلغ الإسلام حداً من العدالة لم يبلغها ولن يبلغها قانون سواه، فقد ورد عن بعض الفقهاء: «إذا بعث الحربى عبدا له متاجرا إلى دار الإسلام بأمان فأسلم العبد بعد دخوله دار الإسلام بيع، وكان ثمنه للحربى مالكه».. هكذا تصل عدالة الإسلام إلى حد يحتفظ فيه بحق الحربى فى ثمن العبد الذى أسلم.

المتهم برىء حتى تثبت إدانته

وانطلاقًا من هذه العدالة التى بلغت هذا الحد من السمو لا يمكن أن يعتبر شخص مدينًا بدون ثبوت الدعوى عليه، بل إن الإسلام - الذى يعتبر من اتهم بالزنا بريئا حتى يشهد عليه أربعة عدول، بحيث إذا نقص هذا العدد اعتبر المدعى والشهود فسقة. واعتبر المتهم بريئا - إن هذا الإسلام لا يمكن أن يجيز لأى سلطة أن تعامل أى متهم معاملة المجرم قبل ثبوت الدعوى عليه.

كما أن الإسلام قد أعطى للعامل حرية فى اختيار نوع العمل الذى يتناسب مع مقدرته ومواهبه، فلا يحكم على إنسان بعمل معين، أو يعاقب على تركه إلا إذا ترتب على هذا العمل أو الترك مضرة عامة، أو حدث من جرائه خلل، أو تضارب مع مصلحة الجماعة، فالقاعدة الإسلامية: «لا ضرر ولا ضرار».

كما أنه لا يتأتى فى جو الإسلام أن يضيع حق أو تنظر قضية بغير براءة وتحر وتدقيق. فإن الإسلام يستغرق فى تفاصيله أحوال القاضى من غضبه ورضاه، وضيق نفسه وانبساطها، فلا يجيز له أن يحكم فى قضية ما وهو غاضب، أو جائع، أو قلق، أو مشغول.

ميزان العدالة

كما أن الإسلام يضع فى ضمير المسلم ميزانًا للعدالة بينه وبين الله من الخشية والتقوى ومراقبته تعالى، قال ﷺ: «إنكم تختصمون إلىّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها»[1]، ويشير القرآن الكريم إلى هذا الميزان الدقيق فيقول:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ١٨٨)

---

(١) أخرجه البخارى - كتاب الشهادات - باب من أقام البينة بعد اليمين - حديث رقم ٢٦٨٠

حق الملكية

من الحقوق المقررة في الإسلام حق الملكية الفردية؛ إذ هو يتعلق بغريزة حب التملك المركوزة في الطبائع البشرية، والإسلام يهذب هذه الغرائز ولا يكبتها، ويوجهها ولا يحاربها، غاية ما هنالك أن يكون هذا التملك من أبواب مشروعة، ومن طريق حلال، فإذا كان كذلك كانت حرمته في الإسلام حرمة الأعراض التي يدافع عنها المرء حتى آخر رمق في الحياة. وقد وردت نصوص كثيرة تؤكد هذا، قال ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس» [illegible]

إن تملك المال ليس مباحا في نظر الإسلام فقط، لكنه أمر مرغوب فيه، مطالب به، ولا يتنافى تملكه مع الورع والتقوى والزهد.. قال ﷺ: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح» [2] وكان الرسول ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» [illegible]

إن المال عصب الحياة وقيام الناس، ولا يعقل أن يهدم الإسلام ما به قيام الناس، بل إنه لينهى عن الإهمال فيه وإعطائه للسفهاء، قال تعالى:

﴿ولا تؤتوا السفهاء [illegible]﴾ (النساء: ٥)

والإسلام حين يعطي الإنسان هذا الحق فإنه بذلك يحثر الهمم لتثميره، وتنميته، والانتفاع به في حدود ما شرع.

لقد أباح التملك والانتفاع الكامل بثمرة العمل فقال ﷺ: «من أحيا أرضا ميتة فهي له» [4] ولقد ترك كثير من الصحابة أموالا طائلة بعد الموت.

وقد وضع الإسلام نظام المواريث بحكمة ودقة وعدالة تحول دون الظلم والاختلاف والشقاق بين الوارثين، عكس ما يحدث عن بعض أنظمة الغرب التي تنقل جميع الثروة أو معظمها إلى الولد البكر.

ويحرم معظم الفقهاء أن يوصي المالك لأي وارث استنادا إلى قول الرسول ﷺ «لا وصية لوارث» [illegible] كما يحرم الإسلام أن يوصي المالك لغير ورثته إلا في حدود الثلث من التركة، وذلك بعكس ما يجري في بعض نظم الغرب التي تجعل المالك حرا في التصرف، بحيث يحق له أن يوصي بتركته كلها لمن يشاء، مما أثار حفيظة أصحاب الحق الشرعي، وخلق تفاوتا فاحشا بين الناس، وفتح أبوابا واسعة للمذاهب المتطرفة الهدامة التي اعتمدت على الثورات والانقلابات العنيفة التي سادت أوروبا في العصور الحديثة.

فلو لم يكن لتملك مكانته المحترمة في الإسلام فكيف يفسر اهتمامه الشديد بضبط ثرواته وتداولها؟!

إن حق الملكية الفردية له من الحرمة والحماية ما يجعله أصلا وأساسا لبناء النظام السليم لاقتصاديات الأمة التي تسير على هدى الإسلام.

بيد أن كل مالك في عرف الإسلام مسئول عن تصريف ماله حسب أوامر الشرع وتعاليمه، أي أنه مسئول عن هذا المال من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ ومسئول عن أداء الواجبات الاجتماعية المفروضة فيه من قبل الخالق، ومسئول عن كل تصرف سيء يخل بأغراض الشرع الحنيف.

والإسلام بعد هذا يضع لهذا الحق من الحفظ والرعاية ما يجعله يفرض أقسى العقوبات على من يعتدي على حرمته بسلب أو نهب أو اختلاس أو قطع طريق، ففرض قطع يد السارق، قال تعالى:

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما [illegible] حكيم﴾ (المائدة: ٣٨)

وفرض القتل أو الصلب أو النفي أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف لقطاع الطريق الذين يرهبون الناس بالاعتداء على حرمات أموالهم وأعراضهم ودمائهم، قال تعالى:

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ (المائدة: ٣٣)

عن طلحة بن عبيد الله التيمي أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة، فقال: الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا. فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام، فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا. فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة، فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئا، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق، أو: دخل الجنة إن صدق.

(صحيح البخاري)

---

(1) [illegible] - حديث رقم ٢٩٢١

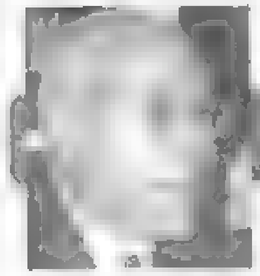
(2) أخرجه أحمد - حديث عمرو بن العاص - حديث رقم ١٨٢٢٦

(3) أخرجه مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل - حديث رقم ٧٠٧٩

(4) أخرجه مالك - كتاب الأقضية - باب القضاء في عمارة الموات - حديث رقم ١٤٢٧

(5) [illegible]

دور القيم الإسلامية السياسية



٢

إذا كان الجمود قد أوقف الاجتهاد السياسي الإسلامي قرونا عن التجديد والإبداع والابتكار، فإن من فضائل الصحوة الإسلامية المعاصرة أن كسر المجتهدون والمفكرون هذا الجمود في المدرستين السنية والشيعية الإمامية على سواء، وإذا كانت الخلافة بصورتها العالمية المنصوص عليها في فقه اهل السنة غير ممكنة الوقوع في عصرنا، أو في المستقبل المنظور، وكانت الإمامة المعصومة، كما نصت عليها كتب إخواننا الإمامية، تمر منذ الف وثلاثمائة سنة بعصر الغيبة، وكانت ولاية الفقيه لا تلقى إجماعا شيعيا ولا سنيا، فإن نظرية (ولاية الأمة) التي انتهى إليها اجتهاد العلامة محمد مهدى شمس الدين رحمه الله، ترضى الاطراف كافة من الناحية الفقهية أو الاجتهادية، فهي ترضى السنة: لأنهم يقولون بمبدا حق الأمة في الاختيار والتولية، ويقبل بها الشيعة ما دام الإمام المعصوم غائبا.

وهكذا تصبح الحكومة الإسلامية المقيمة للشريعة حكومة توليها الأمة وتغيرها الأمة بإرادتها وهذه الفكرة الاجتهادية تلتقي مع ما صح من حيث الرواية - من اتفاق الحكمين: أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص - رضي الله عنهما - من رد الأمر إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، أي إلى الأمة [1] وهي تتيح للمسلمين تنظيما يحقق المصلحة العامة للأمة، وهي تفتح الباب لجواز اختلاف النظم السياسية من قطر إلى قطر، وفي ذلك كله رفع لإصر الجمود عن الناس. وتيسير لإعمال أحكام

١- محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص١٠٢، والرواية الشائعة في كتب الأدب وبعض كتب التاريخ لا تصح من حيث السند ولا من حيث العقل، راجع ذلك تفصيلاً في كتابنا المذكور

الإسلام الكلية والتفصيلية، دون انتظار لإقامة دولة الخلافة أو عودة الإمام الغائب المعصوم [2].

ويضبط إيقاع الاجتهاد الإسلامي، السياسي، الالتزام بالقيم السياسية المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية وما بني على هذه القيم من قواعد فقهية.

فأما القيم السياسية الإسلامية فنعني بها أحكاما ملزمة للحكام والمحكومين، والفقهاء والمجتهدين على السواء. ذلك أنها كلها محل نصوص صريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية. والالتزام بها موضع إجماع من الأمة على امتداد العصور. وأما القواعد الفقهية المستنبطة من هذه القيم فهي قوانين كلية تستخرج منها أحكام المسائل التفصيلية كمثل قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة (وجوب جلب المصلحة ودرء المفسدة) وأن (دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة) وأن (تصرف الإمام على الرعية منوط بتحقيق مصلحتهم). وهذه القواعد كما يقول شيخنا - رحمه الله - العلامة مصطفى الزرقا هي (أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن أحكاما تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها) [3].

والقيمة الأساسية التي تتفرع عنها سائر القيم السياسية الإسلامية هي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو المبدأ المقرر في القرآن الكريم في قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١٠٤)

وقوله

﴿ [illegible]

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

ففي الآية الأولى أمر صريح بممارسة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقييد الفلاح بفعل ذلك، وفي الآية الثانية توقفُ وصف الأمة بالخيرية على كونها آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، وربطٌ لهذه الخصيصة بخصيصة الإيمان بالله. ويصف القرآن الكريم مهمة الرسول ﷺ بأنه:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ١٥٧)

٢- للتفصيل انظر محمد سليم العوا، الفقه الإسلامي في طريق التجديد، مرجع سابق، ص٦٩ - ٧٣

٣- الشيخ مصطفى أحمد الزرقا، المدخل الفقهي العام، الطبعة الجديدة المطورة، دار القلم، دمشق، ج٢ ص٩٦٥ وراجع تحقيقه [illegible] ١٩٨٩م

وفي التنزيل الكريم نعي متتابع على أهل الكتاب وأحبارهم ورهبانهم؛ لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾

(المائدة ٦٣)

﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾

(المائدة ٧٨ - ٧٩)

والعلماء يقررون أن أي أمة تركت هذا الواجب فإنها تستحق ما استحقه تاركوه من الأمم السابقة من غضب الله عليهم ولعنه إياهم.[4] وفي السنة النبوية طائفة كبيرة من الأحاديث الصحيحة التي تأمر الأمة بأداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكفي هنا أن نذكر منها قول ﷺ (من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[5] والترتيب في هذا الحديث غير مراد، فإن محل الإنكار الأول هو القلب، ثم يكون النهي عن المنكر بأخف الوسائل وهو الكلام باللسان، ثم يكون التغيير باليد لمن فُوِّض فيه من سلطات الدولة، وبشرط أمن الفتنة، أو كما يقول الفقهاء (بشرط ألا يترتب على تغيير المنكر منكر أكبر منه) وذلك تطبيقًا لقاعدة (يرتكب أخف الضررين)[6].

وقد وصف الإمام الغزالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه (القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين)

والقيمة السياسية الإسلامية، التي تلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأهمية هي الشورى. وقد ذكرها القرآن الكريم في آيتين كريمتين، إحداهما مكية، نزلت قبل أن تكون للمسلمين دولة ولا حكومة، لتدل على أصالة هذه القيمة في البنيان الإسلامي، وأنها من خصائص الإسلام التي يجب أن يلتزمها المسلمون سواء أكانوا يشكلون جماعة لم تقم لها دولة، كما كانت حالهم في مكة، أم كان لهم دولة قائمة بالفعل، كما كانت حالهم في المدينة. فالآية المكية هي قول الله تعالى

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾

(الشورى ٣٨)

والشورى هنا هي واسطة العقد بين الإيمان والصلاة والزكاة، فهي في المرتبة نفسها التي تقف هذه الأركان فيها. وإلا ما كان لائقا ببلاغة القرآن ونظمه الرباني أن ترد في مورد هذه الأركان وسياقها

والآية الثانية المدنية، هي قول الله تبارك اسمه، في سورة آل عمران مخاطبا الرسول ﷺ

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في أعقاب غزوة أحد، وما أصاب المسلمين فيها من القرح

﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾

(آل عمران: ١٤٠)

وقد بينت أحداث غزوة أحد أن ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يميل إليه من البقاء داخل المدينة كان أصوب مما نزل عليه من رأي أصحابه من الخروج، ومع ذلك نزل القرآن في أعقاب ذلك يأمره بالعفو عن أصحابه والاستغفار لهم ومشاورتهم في الأمر كله. والنص بهذه الصورة وفي هذه الظروف قاطع في أن الشورى قيمة ملزمة لكل ذي سلطان، في وضع إسلامي لا يسعه التخفف منه تحت أي سبب كان.

وفي السنة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ [7]

ويربط الإمام محمد عبده بين واجب الشورى، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله:

(إن آية سورة الشورى تتضمن مدحًا للمؤمنين بأخذهم بالشورى. وآية سورة آل عمران توجب على الحاكم المشاورة، ولكن إذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله للأمر فماذا يكون إن هو تركه؟ إن آية آل عمران:

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾

(آل عمران ١٠٤)

تفرض أن يكون في الناس جماعة متحدون وأقوياء يتولون الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عام في الحكام والمحكومين، ولا معروف أعرف من العدل، ولا منكر أنكر من الظلم)[8]

والصحيح من أقوال الفقهاء وبه نأخذ، هو وجوب الشورى ابتداء، ولزومها أو إلزامها انتهاء، بحيث لا

٤- شيخنا العلامة محمد مصطفى شلبي - برد الله مضجعه - في رسالته تعليل الأحكام، طبعة ١٩٤٧م، ص١٩

٥- رواه مسلم في صحيحه بلفظ (من رأى منكم منكرا فليغيره ...) واللفظ هنا لابن ماجة. وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: والتغيير بالقلب ليس تغييرا على الحقيقة لكنه هو الذي في وسعه، ج٢ ص٢٢.

٦- الإمام الغزالي، الإحياء، ج٢ ص٣٦٩ وهو يرتب الإنكار ثلاث مراتب: التعريف ثم الوعظ بالكلام اللطيف ثم التعنيف، ج٢ ص٣٧٧

٧- سنن الترمذي، طبعة القاهرة ١٩٦٤م، ج٥ ص٣٢٥. وإن يكن في إسناده انقطاع فإن معناه يكاد يكون متواترًا عن الرسول ﷺ. انظر سيرة ابن هشام مع شرحها الروض الأنف للسهيلي، ج٣ ص١٦، ١٢٧، ١٩١

٨- رشيد رضا، تفسير المنار، طبعة المنار، مصر، ١٣٧٦هـ، ج٤ ص٤٥

يجوز للحاكم تركها وإلا كان (عزله واجبا بلا خلاف). وأنها تشمل الشئون العامة كافة، وأن خلو النصوص من تحديد من يستشارون، وكيف تتم الاستشارة، والمدة التي يشغلها المشيرون في التنظيم الذي يدار به أمر الشورى (كالبرلمان ونحوه) كل ذلك من المسائل التفصيلية المتروكة لاجتهاد أولي الرأي من العلماء والفقهاء والمنظرين في الأمة الإسلامية؛ الذين يؤدون باجتهادهم - واختلافهم فيه - إلى أن تختار الأمة أصوب الآراء وأدناها إلى تحقيق المصلحة وتعدل عنه - إذا أرادت - إلى سواه تحقيقا للمصلحة أيضا

وثمة قيم كثيرة أخرى متصلة بالمقام السياسي نترك الحديث فيها طلبا للاختصار، ونحيل إلى مظانها التفصيلية في الكتب المعنية بالشأن السياسي الإسلامي[11]

والتعددية السياسية أصل من الأصول التي تسلم بها المدرسة الوسطية في الفكر الإسلامي المعاصر والتعددية تعني في جوهرها: التسليم بالاختلاف: التسليم به واقعا لا يسع عاقلا إنكاره، والتسليم به حقا للمختلفين لا يملك أحد، أو سلطة حرمانهم منه.

وهي توصف بالموضوع الذي يكون الاختلاف حوله والذي ينحصر فيه نطاقه، فتكون سياسية أو اقتصادية أو دينية أو عرقية أو لغوية أو ثقافية أو غير ذلك

والتعددية (بمعنى الاختلاف) في أنواع الخلق، وبين أفراد كل نوع من حقائق الإبداع الرباني المسلمة وليقرأ من شاء قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ٩٨)

﴿ [illegible] ﴾

(فاطر: ٢٧-٢٨)

والتعددية في نوع الإنسان واتساقه ومستوى أدائه لواجباته وممارسته لمكانته أجلى وأوضح؛ وليقرأ من أراد قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الروم ٢٢)

٩- الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، طبعة دار المعرفة، بيروت، ج٤ ص٢١٩ ـ ٢٥١، والفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) طبعة القاهرة، ج٣ ص١٢٠ ـ ١٢٢

١٠- في تفصيل ذلك انظر محمد سليم العوا، في النظام السياسي، مرجع سابق، ص١٥٩ ـ ٢٠٥

١١- [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الحجرات: ١٣)

وفي هذه الآية يعبر القرآن بلفظي: أكرم وأتقى، وهما يدلان لغة على وجود التقي والكريم، أي يدلان على أن الاختلاف حقيقة واقعة، وأن التعدد في المراتب تقدير رباني، ولا يعني قبول أهل مرتبة واحدة منها دون سائر المراتب، أعني مراتب التقى والكرامة المرتبة على صدق الإيمان ووضوح اليقين.

والتسليم بالتعددية البشرية تبعا للتسليم بحق الاختلاف يقود بغير جهد كبير إلى التسليم بحق التعددية في المذهب السياسي.[12]

ولا يجوز للدعاة إلى إصلاح سياسي يستند إلى الإسلام أن تغيب عنهم حقيقة يشهد بها تاريخ البشرية في مختلف أديانها؛ وهي: أن أسوأ صور الظلم وأفدحها، وأبشع حالات الطغيان وأقساها، ما كان مستندا إلى نظرة دينية يساء فيها استخدام نصوص الدين الصحيحة بتأويلها على وفق أهواء الظالمين، أو يدس فيها على الدين ما ليس منه لتحقيق نزواتهم، والقضاء على خصومهم.

وهذه الحقيقة تجعل بيان جوهر موقف الإسلام من التعددية السياسية باعتبار حق الاختلاف حقا إنسانيا إصيلا ألزم الآن منه في أي وقت مضى)

والسؤال الذي يجب أن نسأله لأنفسنا هو: ما الذي توجبه النصوص أو الأصول الإسلامية على الناس في حياتهم السياسية؟ وما الذي تمنعهم منه؟ وهل حددت لهم طرقا معينة لبلوغ ما توجبه أو لتجنب ما تمنعه؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال أو هذه الأسئلة، ينبغي أن نقرر أن: الذي أوجبته الشريعة في المصادر والأصول يجب الوقوف عنده ولا يجوز التحلل منه. وعدم العمل به معصية مستمرة لا تتقادم ولا يسقطها مرور الزمان أو مضي المدة، لأن النصوص لا يلغيها الإهمال، ولا يفقدها قوتها الملزمة عدم الإعمال.

ولقد أوجبت النصوص القرآنية النبوية ما أسلفنا - بإيجاز - ذكره وذلك أدلته من القيم السياسية.

فكيف يمكن في مجتمع اليوم تحقيق هذه القيم السياسية دون أن نقرر أن التعددية السياسية ضرورية لحمايتها وممارستها وكفالة الحقوق المتصلة بها؟.

إن الناظر في أصول الإسلام (مصادره) لا يجد إلا مثل هذه القيم الكلية التي توجبها نصوص يبلغ عموم ألفاظها مبلغا لا يكاد يفيد المجتهد شيء في سبيل تنظيم وضعها موضع التنفيذ.

وتبقى بعد ذلك الوسائل التي تبدعها الأمة لتحفظ لنفسها حقها في العيش تحت

١٢- محمد سليم العوا وبرهان غليون، النظام السياسي في الإسلام، مرجع سابق

لواء هذه القيم الإسلامية، ولتحول بين الحاكمين وبين الاستبداد والطغيان، سواء أكان هذا الطغيان باسم الدين أم كان بأي اسم آخر لمسمى سواه.

والوسائل، بداهةً وضرورة، تختلف من عصر إلى عصر، ومن قوم إلى قوم، ولا تثريب على أهل بلد إسلامي إن رأوا اتخاذ ما لا يحتاج إليه أهل بلد آخر، أو ابتدعوا ما لم يسبقهم إليه سابق، واقتبسوا من تنظيم غيرهم ما يحفظ لهم حقوقهم ويصون عليهم حريتهم وحرماتهم

ومن الكلمات المضيئة لواحد من كبار علماء الإسلام (في عصوره كلها) قوله: وتقسيم بعضهم (أي بعض العلماء) طرق الحكم شريعة وسياسة.. كتقسيم غيرهم إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل.. وكل ذلك التقسيم باطل.

بل السياسة، والحقيقة والعقل.. كل ذلك ينقسم إلى أمرين: صحيح وفاسد. فالصحيح قسم من أقسام الشريعة. وليس تقسيما لها، فاسد ضدها ومنافيها.. وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها.[١٣]

ومن رأينا أن وجود الأحزاب السياسية في الظروف الحالية للمجتمعات الإسلامية ضرورة لتقدمها. وحرية الرأي فيها ولضمان عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين، وهو استبداد واقع في جل هذه المجتمعات أو كلها.

وفقه القواعد الأصولية الإسلامية يقوم من بين ما يقوم عليه على قاعدة عظيمة: (ما لا يتم الواجب به فهو واجب). فهل يمكن أن تقوم قائمة لنظام سياسي إسلامي في العصر الحاضر وهو يُنكِرُ على الناس اختلاف الرأي، وهو فطرة؟!. أو وهو يُنكِر على الناس حرية التعبير عن الرأي، وهي حق أزلي؟! أو وهو يُنكِرُ على الناس التجمع لبيان ما يرونه حقاً أو يعتقدونه باطلاً وهو أمر رباني؟!

إن الصحيح هو الجواب بالنفي على كل هذه الأسئلة. ويكون منطق المصلحة السياسية ومنطق القواعد الفقهية، والقراءة الصحيحة للنصوص والتاريخ يكون ذلك كله شاهدا لضرورة التعددية السياسية من المنظور الإسلامي[١٤].

«حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عروة عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ان الله لا ينزع العلم من الناس بعد ان يعطيهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيتخذ الناس رؤساء جهالا فيستفتوا فيفتوا بغير علم فيضلوا ويضلوا »

(مسند أحمد)

١٣- ابن القيم الجوزي، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١ ص٣٧٥

١٤ - محمد سليم العوا وبرهان غليون، النظام السياسي في الإسلام، مرجع سابق

الحركة الإسلامية ومنهج التغيير

الحركة الاسلامية تيار واسع. يعبر من جهة عن خيبة آمال الأمة فى المشاريع النهضوية العلمانية القطرية التى لوحت لها وبشرتها بأحلام النهضة. كما يعبر من الوجه الآخر عن عقد امالها بالإسلام فى الخروج بها من وهدة ومازق الحاضر وقيادتها إلى تحقيق الامال المجهضة فى العدل والكرامة والوحدة واستعادة فلسطين السليبة. فليس عجبا. مع اتساع التيار وتباين أحوال البلاد الاسلامية واختلاف المصادر الثانوية لتكوين النخبة الإسلامية ان تختلف رؤاهم للواقع المحلى والدولى ومشاريعهم البديلة. وبحسب ذلك تعددت مناهجهم التغييرية. ومع الإقرار بهذه الواقعة فمما لا يمكن انكاره أن التيار العام - تيار الوسطية الإسلامية كما أحسن صياغته وتهذيب مناهجه شيخنا القرضاوى حفظه الله - يكاد يجمع إن لم يجمع فعلا على الالتزام بالنهج السلمى فى التغيير واعمال كل مساحة للحرية والعمل على توسيعها وصونها، على اعتبار الحرية المناخ الامثل لعمل الدعوة الإسلامية التى تعتبر الاستبداد عدوها الأول مرددة نداء النبى عليه السلام إلى قومه:

« خلوا بينى وبين الناس ».. حريصة على الاندراج بسائر مجالات نشاطها في إطار القانون والعلنية بعيدا عن اجواء السرية الخانقة، ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

وتيار الوسطية الإسلامية ولئن شجب انغلاق الأنظمة ومصادرتها للحقوق والحريات. وارتكابها شتى المظالم وحظرها لحرية الدعوة إلى الله، وانتهاكها لحرمات الله، وتعطيلها للشرائع وصمها الآذان عن سماع كل نصح، مما من شأنه أن يقدم المسوغات الشرعية لاستخدام القوة كرد فعل حسبما تدل عليه ظواهر بعض النصوص والفتاوى، فهي ترفض الانسياق وراء العواطف والاندفاعات وتعتصم برد أحد ابني آدم على عدوان أخيه:

(المائدة ٢٨)

وتصر على الالتزام الكامل بأساليب الجهاد السلمي وحسب في معالجة ما ينجم من مظالم وينشب من خلافات داخل المجتمع الإسلامي مهما عظمت. إنه جهاد الكلمة الجهاد الكبير الذي حرصت عليه الآية

﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾

(الفرقان ٥٢)

وجاء التنويه به على لسان صاحب الدعوة عليه السلام مقدما إياه على كل أنواع الجهاد الأخرى في التعامل مع الاختلافات داخل المجتمع الإسلامي «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (رواه أحمد).

وهذه النصوص وأمثالها تنوه بالجهاد السلمي بقوة الكلمة وبقوة ضغط الرأي العام الذي يبدأ بالكلمة الفردية يصدع بها عالم في وجه طاغية، قد تتطور وتتراكم وتتكاثف لتصنع ثورة عبر العرائض الاحتجاجية والاعتصامات والمسيرات وعبر الإضراب عن الشغل ومقاطعة المؤسسات الفاسدة والامتناع عن دفع الضرائب مما يشكل منهجا كاملا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد السلمي معبر عنه في لغة غاندي استراتيجية اللاعنف، تلك التي قهر بها غاندي عتى إمبراطورية استعمارية في عهده عصرئذ وللأسف لم يطور المسلمون هذا النهج في الجهاد السلمي الذي دلت عليه ونوهت به عديد النصوص، ما حصر التعامل مع ظلم الحكام بين الخروج عليهم بالسيف وبين الخضوع لهم حذر الوقوع في الفتنة:

﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾

(البقرة: ١٩١)

مع أن الخيارات أوسع مما ضيقوا

لقد انتهت تجربة علماء الإسلام مع تجارب الخروج المسلح إلى سد هذا الباب جملة أو إحاطته بشروط قل توفرها بسبب ما جرته تلك التجارب على الأمة من كوارث دون أن يتحقق المقصود أو حتى بعضه، ذلك ما ساقهم إلى منع الخروج والاعتراف بحكم المتغلب كأمر واقع مقابل التزامه بأحكام الشريعة مع العمل على الحد من العيوب ومحاصرتها من خلال إعمال آلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنزاع الجهد في صلاح الرعية ودعم مؤسسات العمل الشعبي الطوعي كالمساجد والمدارس وسائر الخدمات الاجتماعية بالاستناد إلى مؤسسة الوقف العتيدة مما حاصر سلطان الحاكم وقلل من حاجة الناس إليه فأغناهم عنه إلى حد كبير فيما عدا شئون الدفاع عن الحوزة (الأمن القومي) وإقامة الحدود.

أما الجهاد المسلح فقد قصر ضمن هذا النهج الذي ساد لدى جمهور علماء المسلمين - وكان ثمرة تجربة تاريخية طويلة - على مواجهة العدوان الخارجي على الدين وأهله وأوطانه.

والحقيقة أن هذا النهج الذي أفرزته تجربة تاريخية طويلة في التعامل مع ظلم الحكام رغم ما قد عيب ويعاب عليه من تخاذل وسلبية وتخلية للطغاة على الدعاة وعلى الحرمات والحقوق والحريات، وقد شهدت له تجربة التاريخ أنه إن لم يكن هو الأقوم فهو الأقل ضررا بالأمة من نهج المغامرة وسل السيوف واستسهال استباحة الدماء بدعوى محاربة طاغية لا يمكن الوصول إليه غالبا إلا عبر بحر من دماء بريئة ترهق بغير وجه حق، وتدمير مصالح عامة وفتح ثغرات كبرى تستدعي أعداء الأمة وإضافة أسباب أخرى إلى وهنها.

والأدهى من ذلك أنه علاوة على جسامة التضحيات توصلا إلى اقتلاع الطاغية، فقد أثبتت التجربة أن المطلب عزيز المنال قل أن تم التوصل إليه.

وحتى في الحالات القليلة التي تم فيها ذلك فقد كانت النتيجة مدهشة إذ حل طاغية محل آخر وربما أطغى منه، فلم يكن الحكم العباسي أرحم بالأمة من حكم بني أمية ولا حكام المماليك أرحم من سابقيهم ولا الذين خلفوهم من العثمانيين أشد بأسا على الأمة من حكام العرب المعاصرين.. هذا إذا لم يكن الأمر على نحو:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ ﴾

(الأعراف: ٣٨)

وذلك لا يعني بحال الاستسلام للطغيان، فإن مقاومته بلا هوادة واجب شرعي مقدس باعتبار أن ذلك هو المقصد الأعظم الذي أرسل به الرسل عليهم السلام، ألا وهو مقاومة الظلم وإرساء العدل في العالم، وإنما المقصود عقلنة هذه الآلية العظيمة التي أناطها الإسلام بكل مسلم بحسب قدرته فردا وجماعة، أعني آلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما يخرج بهذه الآلية من طور العمل العشوائي الأعشى على نهج الخوارج ومن سار على دربهم على امتداد التاريخ الإسلامي، مخضبين حياة المسلمين بدماء وكوارث بلا حد، ولا تزال امتداداتهم موصولة دون أن يتحصل من ذلك شروى نقير من الخير والخلاص من الظلم.

إن الخروج من طور هذه الثورية الفوضوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أمر رشد وتبصر تتنزل معه أنواع الجهاد في منازلها الطبيعية بحسب القاعدة لكل مقام مقال، وحدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله، وتلك هي حكمة وضع الشيء في موضعه. إن الخروج من هذه الفوضى ليس له من سبيل عبر ضبط وتطوير نظرية في الفكر الإسلامي تحدد معايير واضحة للجهاد الإسلامي بدءا بتطوير استراتيجية أفضل الجهاد: جهاد الكلمة.. الجهاد الوحيد المأذون فيه للتعامل مع ما ينجم من اختلاف داخل الأمة.

وإن من أسباب هذا الخلل، بل الضعف الفادح في الفكر السياسي الإسلامي المتعلق بفقه التغيير، ضعف وحتى ضحالة الفقه المتعلق بالدولة، وكذا الفقه المتعلق بالواقع، ولربما كان ذلك بأثر التقليد للأسلاف حيث كانت حاجاتهم

ومشكلاتهم بسيطة أو بسبب التأثر بمنطق القياس اليونانى المجرد عن الواقع بما صاغ العقائد الإسلامية صياغة مجردة عن الواقع وجعل عملية تعقل النص حوارا بين مقولات نظرية بدل أن يكون حوارا ثلاثى الأطراف: العقل والشريعة والواقع.

وقد ترتب عن هذا النهج التجريدى أن ساد القياس، فكلما وقعت نازلة جديدة سارع المناظرون إلى النصوص ـ كان ذلك فى المراحل الأولى ـ أو سارعوا إلى فتاوى وأقوال الأسلاف بحثا عن واقعة مشابهة للقياس عليها. ولأن النصوص كالوقائع متعددة إلى حد الاختلاف (تعارض الظاهرى فقط) يختلف الموقف بحسب النص الذى أعمله كل طرف أو الواقعة من تاريخ السلف التى قاس إليها. ففى واقع الحال نرى دعاة الخروج عن حكامهم يتعلقون بعموم الآيات التى فى القرآن ويعززون موقعهم بشواهد من عمل السلف وآراء الفقهاء، لا يرون إلا ما يحمل الجهاد والإعداد له على الأقل فى حال العجز عنه واجبا شرعيا بالنص فى زعمهم، والتخلى عن ذلك فى كل الأحوال إثما عظيما قد يخرج من الملة.. بينما يهملون مقابل ذلك الآيات الموجهة إلى الدعوة بالتى هى أحسن والتذرع بالصبر والمصابرة منعا للفتنة والهرج، واصمين الخارجين بالفتانين، غير أن هؤلاء إذا تحقق لهم النجاح، وهو قل أن حدث، استحقوا من طرف العلماء الاعتراف بهم كأمر واقع وطولبوا فقط بما كان يطالب بهم حكام الأمس. كل هذا يحدث دون إيلاء ما يكفى من الاهتمام بالعنصر الأساسى والحاسم فى معادلة التغيير ألا وهو الواقع، فهو وحده الكاشف عن الاستطاعة والإمكان فى حقيقة الظروف الموضوعية ومدى نضجها وما تتيحه من فرص للتغيير. إنه عنصر الاستطاعة الذى اعتبره الشارع حاسما فى تعيين نوع وسيلة التغيير المطلوبة شرعا إزاء منكر محدد فى زمن محدد قال تعالى:

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾

(التغابن: ١٦)

وقال

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وقال صاحب الدعوة عليه السلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم) فمن ذا الذى يملك الكشف عن هذا العنصر المحدد لنوعية وسيلة التغيير التى فتح الشرع أمامها خيارات كثيرة؟ قطعا ليست هى نصوص الشرع فلقد قالت هذه كلمتها إذ أحالت الأمر إلى اجتهاد العقل فى تشخيص الواقع والكشف عن القدرات المتوفرة ومدى قدرتها على التغيير المطلوب. فليست إذن كتب الفقهاء بمجدية شيئا فى هذا الباب وإنما هى العلوم المتخصصة فى فقه الواقع: عموم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والفلسفة والاحصاء والسياسة.. الخ. تلك العلوم التى يمثل تخلفنا الفادح فيها أهم خلل فى فكرنا السياسى القديم وبخاصة الحديث. أهم مصدر لتخلفنا وإهدار معظم طاقات أمتنا ومواهبها الطيبة وتضحياتها الجسام من أجل تحقيق أهدافها، مما جعل الخلل فى تجربتنا التغييرية ليس عائداً بحال إلى ضعف استعدادات أمتنا فى بذل دمائها وأرواحها وأموالها من أجل التغيير، فما عرف التاريخ أمة أكثر سخاء بالروح والدم من أجل عقيدتها من هذه الأمة. وإنما الخلل الأكبر فى وظيفة العقل وضعف قدرته على حسن تقدير الأوضاع والتصرف فى الموارد البشرية والمادية وتقدير إمكاناتنا فى امكانات أعدائنا. كضعف قدرتنا على ترتيب أولوياتنا، وتصنيف خصومنا، والبحث عن الأصدقاء، وتقليل الأعداء والاقتصاد فى التضحيات، ما أمكن والتبصر بالعواقب والتجارب، وتوسيع مجال الشورى، وتوظيف أهل الخبرة، واحترام التخصص وتوزيع المهام بحسب ذلك وإرساء العدل سبيلا لا بديل عنه لتعبئة طاقات الأمة، والتذرع بالصبر والحيلة وتفويت فرص استدراجنا إلى معارك لا ضرورة لها وما تتوفر الفرص الكافية للنجاح فيها

وبالنظر إلى كل ذلك بعين الاعتبار وعبره فى الحكم على تجربتنا التغييرية نلفاها لا تختلف كثيرا عن المعارك التى خاضتها دولنا مع أعدائها المتربصين بها. وتقدم معارك الخليج فى هذا الصدد نماذج لا تختلف كثيرا عن معارك الحركة الإسلامية فى معظم ساحاتها ومنها جزائر وتونس ومصر والشام وأفغانستان والبوسنة وكوسوفو وكشمير.. نماذج محكومة بنفس المنطق والعقلية. إنه منطق التخلف إذا كان للتخلف منطق الجميع على اختلاف أيديولوجياتهم قد استقوا فى تربيتهم الأولى من نفس الينابيع

﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾

(الرعد: ٤)

ثقافة التجريد والتبسيط والفردية والتعجل والانفعال! إنه التخلف. وليس يعزينا أمام ما حصل من كوارث بسبب قلة التبصر بقوانين الواقع، وهى علاقة، وما جره ذلك من كوارث غير حسن المقاصد ونبل القضايا، وغير الأمل بعفو الله فى الأجيال الإسلامية الجديدة أن لا تقلدنا ولا من سبقنا، وأن لا تعتبر أن ما تزدحم به المكتبة الإسلامية من طارف الفقه وتليده مجد لها كثيرا فى ضبط نهجها فى التعامل مع واقع محدد بل قد يكون مضللاً وسائقاً إلى كوارث. إن طريقهم الوحيد هو التبصر فى الواقع المحلى والدولى من أجل الوقوف على قوانينه واستخراج ما يتيحه من إمكانات ووسائل تغييرية بعيدا عن كل تعجل وانفعال. ألا يكفى ما حصل من كوارث؟ فإلى الاستجابة إلى ما طولب به صاحب الدعوة أن يفعله وأن يبلغه

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

(يوسف: ١٠٨)

فسارعوا إلى العلوم الكفيلة بتوفير إمكانات البصر بقوانين الواقع.

فرص وتحديات الديمقراطية الإسلامية

عويمر انجم
جامعة توليدو، اوهايو، الولايات المتحدة
ترجمة صلاح عبد الكريم (بتصرف)

ان أى مسلم لديه أى الما بالتاريخ الاسلامى سيسلم بحماس بان المسلمين كانوا مزدهرين علميا متسامحين مع الاخرين عندما كانوا فى قمة العالم وكانت كلمة الاسلام هى العليا. والعصر الإسلامى الذهبى فى العقل الجمعى المسلم لم يكن علمانيا. كانت هناك مرحلتان سياسيتان متمايزتان فى التاريخ الاسلامى: الخلافة الراشدة فى العصر الاول التى لم تدم طويلا، وتميزت بالمساواة التامة بين الناس. ومثلت العصر الذهبى الذى سيظل محفورا فى الذاكرة الدينية المسلمة الى الابد. وكان القران والسنة فيها هما دستور الحياة والمثل الاعلى. ويرى كثيرون من المسلمين المعاصرين ان النموذج الاول كان ديمقراطيا فى جوهره.

لكن الفكر القانونى المسلم اضطر بدءا منذ القرن العاشر الميلادى إلى أن يتطور فى اتجاه مختلف، للمواءمة مع القلاقل السياسية والغزوات الأجنبية، حيث برز إلى الوجود ترتيب سياسى جديد. وقد فهم بعض علماء الغرب خطأ هذا التطور على أنه علمنة. ففى هذه المرحلة الثانية، لم يكن هناك اندماج بين الدين والدولة، ولا فصل مؤسسى بينهما، بل ظهرت علاقة طريفة، أفضل وصف لها هو أنه تم الفصل بين السلطة السياسية والنفوذ من ناحية وبين الشرعية من ناحية أخرى، دون فصل الدين عن الدولة. ففى حين بقيت الشرعية حسب الشريعة الإسلامية مرتكزة فى المجتمع أو الجماعة بقيادة العلماء والفقهاء، أصبحت الدولة غير ذات صلة بالشرعية إلى حد كبير، وتحصرت مهمتها فى الدفاع عن الامة وحفظ النظام. لم تكن الدولة غير مدنية أو الخلافة لكنها كانت فقط غير شرعية حسب مقتضى الشريعة. وهو مايشبه نوعاً من حالة طوارئ استمرت عدة مئات من السنين إلى أن يتم استعادة الخلافة الشرعية. وعلى حد تعبير روى موتهيده مؤرخ الاجتماع بجامعة هارفارد: «إن المجتمع الإسلامى تعلم أن يعيش دون حكومة»، وبالتالى دون الأعباء الأخلاقية للحكم. وكانت تلك تسوية امتدت طويلا. تخلصت بمقتضاها [illegible] من تلاعب الحكام العسكر فى الشريعة والعقيدة، تنازلت فى المقابل عن أى حق فى التدخل فى شئون الحكومة وأصبح هذا البناء للشرعية المعزولة عن السلطة سمة دائمة للإسلام السنى، يقول عنها الباحث الفرنسى أوليفييه روى أنها جعلت الشمولية الاستبدادية غريبة عن الثقافة الإسلامية.

ولكن هذا الوضع كان أبعد ما يكون عن الحالة المثالية، فقد أصبح الحاكم والمحكوم على طرفى نقيض، وعلاقاتهم متقطعة ولكن لم يكن لهذا الأمر أهمية كبيرة لأن الدول والحكومات لم تكن تتدخل كثيرا فى حياة الناس فى تلك العصور. ولابد أن تلك المقايضة بين الجماعة والحكام كانت مناسبة للظروف فى نظر أهل النظر فى تلك العصور، وكان خيارا لم يخل من الرجاحة. فقد أنتج الإسلام السنى على وجه الخصوص تعددية قانونية متسامحة مع الاختلاف بصورة كبيرة، حيث تعايشت عدة مذاهب شرعية سنية جنبا إلى جنب مع جماعات الشيعة والطوائف المسيحية واليهودية، كل منهم يعيش فى ظل قوانينه الشخصية الخاصة. كان الحكام مسلمون بطبيعة الحال، وكان حكم الشريعة هو الدستور المطاع، لكن التسامح واحترام المسلمين للمجموعات الأخرى يمكن أن نتبينه من حقيقة أنه كان يسمح لغير المسلمين بتطبيق قوانينهم الخاصة فيما بينهم حتى لو تعارضت مع الشريعة الإسلامية. فكان يمكن مثلا لغير المسلمين شرب الخمر والتعامل بالربا.. إلى آخره. لكن أمرا معينا مثل محكًا لما وصل إليه هذا التسامح حيث كان الزرادشتيون من أتباع الدين الإيرانى القديم يعتبرون زواج المحارم جائزا وعندما سئل ابن القيم رحمه الله، وهو أحد الفقهاء العظماء الذين عرفوا بالورع والالتزام عما إذا كانت مثل هذه الزيجات مسموح بها فى البلاد الإسلامية، قال بأنه فى حين أن مثل هذا الفعل هو من أعظم الذنوب فى الإسلام، إلا أنه لا يجوز لأحد أن يمنع الزرادشتيين من ممارسته.

ولكن مع فرض نظام الدولة القومية على العالم الإسلامى فى القرنين الأخيرين، وانهيار وتفتت المجتمع التقليدى الذى امتد من المغرب إلى الهند وأفريقيا وحدود الصين، أصبح حكامه نخبا علمانية متغربة. وقد اعتبرت الجماعة فى تلك المجتمعات المسلمة هذه النخب غير شرعية بطبيعة الحال، كما اعتادت أن تفعل على مر العصور بعد الخلافة الراشدة إلا أن سلطات الدولة الحديثة غير المسبوقة التى امتدت لتسيطر على كل مجال من مجالات الحياة، من التعليم والأسرة والقانون والاقتصاد إلى الجيش والشرطة، أوقعت الفكر الإسلامى التقليدى فى أزمة تاريخية.

وكان من عواقب الانهيار وانتشار الأمية بين عامة الناس أن حدث انقسام بين إسلام العامة وإسلام العلماء والفقهاء. فمدت الأجيال الشابة من المسلمين الذين تعلموا فى المؤسسات العلمانية ولم يفقدوا تعلقهم الشديد بالدين فى تحديث الإسلام، ومحاولة جذب بلادهم إلى نطاق الشريعة الإسلامية. وعندما بحثوا حولهم عن نماذج إسلامية جيدة ليستفيدوا منها، لم يجدوا هذا الأمر سهلا لأن الفقه الإسلامى التقليدى عاش قرابة ألف سنة دون نظم سياسية فاضطروا إلى العودة إلى العصر الذهبى الأول للخلافة الراشدة، بكل ما فى هذه العودة فى حنين وعاطفة. كما وجدوا نماذج معاصرة للمقاومة والتغيير الديمقراطى فى كل من الليبرالية والحركات الشيوعية، واخذوا منها ما وسعهم أن يأخذوا، مع رفضهم لهذه الأيديولوجيات. وكان هذا هو منشأ الجماعات الإسلامية التى تأسست فى العشرينات

والثلاثينات من القرن العشرين، مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في جنوب آسيا اللتان امتدتا بعد ذلك إلى بقية العالم المسلم.

وكان هناك أيضا العلماء والفقهاء التقليديين الذين قاوموا التغيير لعدم رغبتهم فيه، لأن جذورهم كانت أكثر انغراسا في التقاليد الفقهية للعصور الوسيطة وأكثر اعتيادا على التعايش والتكيف مع القوى غير الشرعية. طالما أنها كانت تستطيع في نظرهم أن تحمي الدين.

وكانت لدى الحكومات القومية العلمانية وسائلها الخاصة للتعامل مع كل فريق من هؤلاء الإسلاميين والعلماء حيث قمعوا المجموعة الأولى من النشطاء بلا رحمة، من خلال القتل والسجن والتعذيب وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى بعض التطرف الهامشي من بعض الشباب كما شهدت منذ السبعينيات، وما أدى إلى اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ لكن الأحزاب الإسلامية الرئيسية تجنبت العنف أو حتى مجرد الانتقام، وأصبحت أكثر شعبية في أوساط الطبقة الوسطى المتعلمة.

كما تعاملت الحكومات مع المجموعة الدينية الثانية أي العلماء بسحب البساط من تحت أقدامهم بتأميم مؤسسات العلم العريقة حيث أمم الرئيس المصري عبدالناصر جامعة الأزهر على سبيل المثال في الخمسينيات واستولى على أوقافها وحول العلماء إلى موظفين برواتب من الدولة. وقد مثلت تلك التصرفات بالإضافة إلى الطبيعة المحافظة للعلماء المنبتة الصلة بالجماعة بطبيعة الحداثة المفروضة التي تمددت لتسيطر على كل دوائر الحياة، عوامل أدت إلى انحسار نفوذ العلماء في أعين الناس، الذين رأوا أن الإسلاميين على استعداد لقول الحق في وجه السلطة الظالمة حتى ولو أدى ذلك إلى قتلهم، في حين انشغل العلماء بتحصيل الرواتب الهزيلة. وهذا هو ما أدى إلى الأزمة الهائلة للسلطة والشرعية التي تواجه العالم الإسلامي اليوم. إن الجماعات الراديكالية غير المؤهلة بالعلوم الشرعية لا تحظى بتعاطف الأمة إلا عندما يظهر أن العلماء والإسلاميين المعتدلين مستسلمون أو خانعون للسلطان أو خائنون للأمة.

هذا التناول الموجز يصف بصورة عامة الحال في العديد من البلدان المسلمة، هناك طبعا استثناءات مثل حالة تركيا التي تعزز في الواقع وجهة النظر المقدمة في هذا المقال. لقد حكم العلمانيون المتشددون والمعادون للإسلام تركيا دون رحمة لما يقرب من ٩٠ عاما، حاولوا خلالها اجتثاث جذور الإسلام، وكانت تركيا خلالها دولة علمانية أكثر تطرفا في بعض النواحي من فرنسا اليوم لكن هذا لم ينجح في القضاء على المشاعر الإسلامية. مما أدى إلى ظهور الأحزاب الديمقراطية الإسلامية في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، والتي هي الآن في السلطة.

وإيران تمثل استثناء آخر يثبت القاعدة. فهي الحالة الوحيدة التي وقعت فيها ثورة إسلامية ناجحة أدت إلى تشكيل حكومة شبه دينية، لأن النخبة الدينية الشيعية يمكن أن تتوحد بطريقة لا يمكن أن تحدث في الإسلام السني. والسبب في هذا هو أن السلطة الدينية في الإسلام السني تعتاد بصورة أساسية أي ميل لإفراز تكوين هرمي، أو هي ديمقراطية إن شئت استخدام هذا التعبير، كما هو الحال في معظم البلدان المسلمة اليوم. إن أي عالم سني مؤهل لا يملك أن يتقدم على عالم مؤهل آخر، إلا بما يملك من قوة إقناع لغيره من العلماء أو للعامة ولقد مثلت هذه السيولة المرجعية في الإسلام السني نعمة ونقمة، فكان مصدرا للمتاعب بالنسبة لأي عالم مخلص يرغب في الإصلاح، وسبيلا يعطي الفرصة لكل من تسول له نفسه التلاعب بها

وهذا التاريخ له معنى عميق بالنسبة للعالم المسلم اليوم فهو يفسر كيف ولماذا فشلت عملية استنساخ المؤسسات السياسية والقانونية الغربية في العالم الإسلامي بصورة عامة فالمسلمون لديهم ذكرياتهم ورغباتهم الخاصة، ويتعين على أي شرعية سياسية أن تعكس هذه الذكريات والرغبات والمخاوف لدى الناس. وتؤكد الاستطلاعات أن ٨٠٪ من المسلمين في العالم اليوم يريدون الإسلام والديمقراطية، وأنه على الرغم من تشدد البعض، فإن الغالبية العظمى من المسلمين لاتزال مقتنعة بأن دينها هو منارة التقدم والتسامح كما تعتقد أن حكوماتها فاسدة وغير إسلامية ومدعومة من القوى الأجنبية، وأنها لا تمثل الإسلام الحقيقي. ونحن متأكدون من أنه حالما يتم قطع الدعم الاقتصادي الخارجي عن الحكام المستبدين، فلن يكون بإمكانهم البقاء لفترة طويلة لكن التحدي الماثل أمام المسلمين هو: من الذي يمثل الإسلام؟ ومن يستطيع أن يدعي الشرعية الإسلامية؟ وكثير من الدارسين يتساءلون عن الضمان الذي يطمئن الجميع من أنه إذا تولى التيار الإسلامي الحكم بوسائل ديمقراطية. فإن الديمقراطية في تلك الحالة لن تكون «صوتا واحدا لكل إنسان، مرة واحدة».

ولهذا يسعى الرتكيز على وجود معارضة قوية وقادرة على البقاء ووجود دستور شرعي وفي اعتقادي أن التقاليد الإسلامية يمكن أن توفر الشرطين معا، رغم أنه لم يتم الاستفادة منها في هذا الصدد حتى الآن. ويتمثل التحدي في القدرة على إفراز بدائل إسلامية قابلة للاستمرار تمكن من إشراك الجماعة كلها في العملية السياسية، وتسمح في نفس الوقت بوجود المعارضة وبحرية والتعددية في المجتمع. ويمكن إنجاز المهمة الأولى وهي إشراك الجماهير المسلمة في الحياة العامة بواسطة أطراف التيار الإسلامي الذي يفوز في الانتخابات في الواقع في معظم البلدان المسلمة كلما كانت الانتخابات حرة ونزيهة.

والمهمة الثانية هي ضمان وضع دستور إسلامي يسمح في ضوء ضعف المعارضة وفي نظري أن التراث الفقهي العلمي يمكن أن يكون عظيم الفائدة في هذا الصدد. إن التعددية القانونية الإسلامية التقليدية يمكن أن تقدم نموذجا للتسامح مع المجتمعات المتعددة، وضمانا لحرية المعارضة. إن التناول الإسلامي التعددي في السياسة والدستور الذي سيقام على أسسه النماذج الاجتماعية والقانونية التعددية في النظام السياسي هو غاية في التطور بالمقارنة بالتناول القانوني الغربي الحديث، رغم أن هناك أيضا فرصة للمزيد من الإبداع والمرونة وأنا أزعم أنه إذا ما سمح بالاستقلال المؤسسي والاقتصادي للمؤسسات الإسلامية العلمية المعنية بالمدارس المتعددة للتفسير القانوني، فإنه يمكن لها أن توجد لنا مخرجا قابلا للتطبيق والاستمرار ليوازن سطوة الدولة الحديثة، كما فعلت في العصور الوسيطة.

درس فى نقد الذات

لم يألف المنتمون إلى المدارس الفقهية والكلامية وحملة درجة الأستاذية ولقب الدكتوراة توجيه نقد حاد لأنفسهم ولما كتبوه. وإذا سمعوا النقد من غيرهم أعرضوا عنه، أو ردُّوا عليه بشدة أو بخفة. وكتابى «أدب الاختلاف» من اهم ما كتبت فى بدايات ممارستى للكتابة. فقد سبقه كتابى فى «الاجتهاد والتقليد» وفى «التعليل عند الحنابلة» وبعض دراسات أخرى حول «حقوق المتهم قبل التحقيق»، وفى «تاريخ أصول الفقه» وما إلى ذلك. وحين صدر كتاب «أدب الاختلاف» باعتباره الحلقة التاسعة من كتاب الأمة بتقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة. أقبل عليه الكثيرون ونال اهتماما واسعا، وطبع أكثر من مرة فى سنة واحدة. وانتشر وذاع صيته. ولعله فى تلك المرحلة كان أكثر كتبى قراء وأحظاها بالاهتمام، وقد ترجم إلى ثمانى عشرة لغة، وطبع طبعات لا أكاد أحصيها. وبعد أن شرح الله صدرى لقاعدة «مراجعة التراث على نور القرآن» رأيت أن أراجع كتابى هذا. فقد طالبنى بعض الناشرين بالإضافة اليه وتجديده: لإعادة طباعته وترجمته، وفى خلال تلك المراجعة وجدتنى قد سقطت فى أخطاء أرجو الله أن يغفرها لى، فهى أخطاء ما كان لمثلى أن يسقط فيها. لفتت نظرى إلى بعضها إحدى الباحثات المساعدات لى، وقد وجدت المرحوم سيد قطب قد رجع عن كتابه «العدالة الاجتماعية» وطلب ألا يعاد طبعه، لكننى لا أذكر أننى قرأت له نقدا لنفسه فى ذلك الكتاب، أو لماذا وقف منه هذا الموقف. أما أنا فأحمد الله أننى قادر الآن على أن أقول عن كتابى هذا ما لم يقله لى الآخرون، أو قالوه بطريقة ملؤها الحياء والتردد، واحترام نسبة الكتاب إلىّ، فأقول وبالله التوفيق:

حين نعرض هذا الكتاب اليوم على قاعدة مراجعة التراث فى نور القرآن نجد أن الكتاب صدر فى وقت كنت فيه محافظًا وتقليديًا لا أختلف عن أى أزهرى تخرج فى الأزهر فى مرحلة تخرجى فيه. فالسلف سلف لا يخطئون، والخلف خلف كل منهم خطاء إلا من رحم ربى، لا يستطيع القارئ أن يجد فيه دعوتى إلى مراجعة التراث وتجديده فى نور هداية القرآن والتى يستطيع القارئ أن يلحظها فى سائر كتاباتى ومؤلفاتى ومقالاتى ودراساتى التى صدرت فى التسعينيات وما تلاها، وبالتالى فإن كتابى هذا وكل ما سبقه أصبح يحتاج إلى مراجعة فكرية ومنهجية تتناسب مع قاعدة تحكيم القرآن فى كل ما أنتجناه ونتجه. ولإظهار بعض النقاط التى سقطت فيها أستطيع أن أذكر الأمثلة التالية

أولاً: اعتبرت أنّ للمسائل الاعتقادية لا مجال للاجتهاد فيها. ونسبت فى ذلك موقف الجمهور، فى حين أن الجاحظ والعنبرى وغيرهما كانا يريان أن الاجتهاد يشمل الاعتقاديات كما يشمل المسائل الفقهية العملية. وبالتالى فإن هذا المذهب الذى نسب إلى العنبرى والجاحظ - وإن هاجمه الجمهور كلهم- فإنه مذهب يستحق أن ينظر فيه، وأن يدرس بعناية، خاصة وأننا نمر بظروف وتحولات تجعل كل شىء موضعا للنقاش، ولا يستثنى شىء من ذلك

ثانيا: صنفت أسباب الخلاف بتحيّز شديد: فذكرت أن هناك خلافًا أملاه الحق دون أن أبين كيف أملاه الحق ولم اعتبرته خلافًا لما اعتبرته الحق، وبأى دليل جعلته حقا وجعلت غيره باطلاً، وتحدثت عن خلاف أملاه الهوى، وحددت مرادى به بأنه خلاف أهل البدع: ولذلك اعتبرت الشيعة والخوارج من أهل البدع وصرحت بذلك فى أكثر من موضع من الكتاب، ثم أكدت أن أهل السنة -وأقصد بذلك الأشاعرة- يقفون فى مقابل أهل الأهواء والبدع[1] وكنت فى ذلك منساقًا مع أطروحات علماء الفرق وتحيزاتهم، وذلك مما أخجل منه الآن، ولا أحب أن يُنسب إلىّ أو أُنسب إليه.

ثالثًا: اللغة التى استعملتها فى الكتاب كانت لغة كلامية وفقهية وعقدية، تنزع إلى التكفير وتسارع إليه، وتستسهل الرمى به، ومن ذلك قولى

«ودعاء استحالة تكرار الرعيل الأول إنما هو بمثابة نسبة العجز إلى كتاب الله وسنة رسوله... وتلك مقولة تنتهى بصاحبها إلى الكفر الصراح»[2].

رابعًا: عندما تعرّضت لقضيّة قتال مانع الزكاة قلت: «وحرصًا من الخليفة الأول على استمرار مسيرة الإسلام قرر قتالهم لحملهم على التوبة، والعودة إلى حظيرة الإسلام»، وفى موضع آخر قلت: «وماداموا متفقين -أى الأمة كما يدل على ذلك السياق -على أن الامتناع عن الصلاة دليل ارتداد، فإن الامتناع عن الزكاة ينبغى أن يعتبر دليل ارتداد يقاتل مرتكبه»[3]، والكل يعرف الآن -وخاصة بعد أن أصدرت كتابى

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾

أننى لا أرى للردة حدًا، وأننى أؤمن بقول

١- انظر كتاب أدب الاختلاف ص٧٨ ،٧٩ والصفحات التى سبقتها

٢- [illegible]

٣- [illegible]

الله تعالى:

﴿ لا إكراه في الدين ﴾

(البقرة ٢٥٦)

فلا يكره الناس على اعتقاد ما هو مسموح من المسموعات. لكن دراساتي السابقة -والتي لم أكن في وضع نفسي وعقلي يسمح لي بنقدها، كما لم يعلمني أحد نقدها ولا كيفية عرضها على القرآن- أدت بي إلى هذه المهالك، وأنا أحمد الله وأشكره أن أطال في عمري، وألهمني النقد، والقدرة على المراجعة على كتاب الله وفي نوره وهديه، وعلى ما اتصل به من سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لعل الله أراد لي بذلك النجاة. فحمداً لك ياربي وشكراً على حاسة البصر والبصيرة.

خامساً: اعتمدت القاموس العقدي في لغة الكتاب بدلاً من الكتاب الحضاري الذي أتبناه الآن فكثرت عندي في طبعات الكتاب الأولى أوصاف الكفر، فمرة ألقي بها على أهل البدع، وأخرى ألقي بها على الكافر المستعمر، وثالثة ورابعة وهكذا.

سادساً: اعتمدت على أحاديث ثبت عندي الآن -بعد الدراسة الحديثية الناقدة- أنها تعارض القرآن الكريم، وقد اتفق المحدثون على رد ما يعارض القرآن الكريم، وكذلك سائر علماء المسلمين، ومنها حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، فهذا الحديث وإن ورد من طرق عديدة لكن طريقاً واحداً منها لم تخل من مدلس أو مرسل أو مطعون فيه بشكل أو بآخر. وقد حققت ذلك وحققه غيري.

ووصلت إلى أن هذا الحديث لو قبل فسيؤدي إلى مناقضة مئتي آية من آيات الكتاب الكريم الحكمة، وأن هذا الحديث قد شاع بعد أن تحول المسلمون من الدعوة إلى الفتح، ليعزز من شاء اتجاهات الفتح والغزو ويرجحها على اتجاهات الدعوة السلمية التي جاء القرآن بها:

﴿ كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾

(النساء ٧٧)

سابعاً: أشرت في أكثر من موضع إلى مرجعية السلف دون ربطها بمرجعية القرآن، وهذا مناقض لمشروعي التجديدي القائم على ضرورة عرض تراثنا الإسلامي كله -أصوله وفقهه وكلامه وحديثه وتفسيره- على كتاب الله جل شأنه:

﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾

(الأنعام ٥٧)

وقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ٢٣)

فالمرجعية للقرآن الكريم، ولما اتصل به من سنة رسول الله -ﷺ- وكان اتباعاً له وتطبيقاً لآياته.

وقد اقتضى ذلك مني أن أقول بأن: «جميع القضايا الخلافية يجب ردها إلى مذاهب كرام العلماء من أئمة السلف»[4]

وهذا ظاهر في مناقضته لمشروعي القرآني الآن، والذي حصرت المرجعية فيه بالقرآن المجيد، باعتباره المصدر المنشئ للأحكام، وبالسنة النبوية المتصلة به باعتبارها السنة التطبيقية التي قدمت لنا منهج اتباع القرآن وتطبيقه وكيفياته بطريق المعصوم ﷺ.

ثامناً: كنت كذلك أرى حجية القول بالنسخ، فأشرت إليه في أكثر من موضع في الكتاب، كذلك كنت أقول بالإجماع، بكل تفاصيله التي قال بها الشافعية والمتكلمون، وهو أمر تجاوزته الآن، واعتبرت المرجعية لكتاب الله، وأن الأمة يمكن أن تتبنى بعض المذاهب على أن تستند إلى كتاب الله في الاستدلال لها، وليس لها أن تدعي الإجماع على شيء لم يأت الكتاب به.

تاسعاً: أوردت في الكتاب كثيراً من الروايات: مثل محاورة ابن عباس للخوارج، ومحاورات بعض الأئمة لبعضهم، دون توثيق ودون التأكد من صحة وقوع تلك الحوارات أو عدم وقوعها، وهي في سائر الأحوال إنما تندرج في إطار أدب الحوار. كذلك تبنيت وجهة نظر تعديل الصحابة، وتبني مفهوم الصحبة كما جاء عند الأشاعرة والشافعية، والتأكيد أنهم كانوا جميعاً على حق. ولي في هذا الآن مواقف أخرى -تعلمتها من القرآن الكريم- تقتضي ضرورة تعديل مفهوم الصحبة والأخذ بالصحبة كمفهوم قرآني، فلا يعتبر من لم يصفه القرآن بالصاحب صاحباً: ولذلك فإن القرآن قد أعلم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بما لم يكن يعلم، فقال له:

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة ١٠١)

ولذلك فإن القول بعدالة الصحابة -رضوان الله عليهم- يقتضي إعادة تقييم مفهوم «الصحبة»، وإعادة بنائه قرآنياً، وبعد ذلك تمييز من يعتبرون أصحاباً للنبي ﷺ ومن يوصفون بالعدالة كأهل الشجرة، والذين امتدحهم القرآن وضرب لهم المثل في التوراة والإنجيل في قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الفتح ٢٩)

من غيرهم، فـ ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ لا بد من أخذهم بنظر الاعتبار عندما نتكلم عن الصحبة، وعدالة الصحابة.

عاشراً: لقد سردت أحداث السقيفة أو أحداث الفتنة كما هي عند المؤرخين دون تحقيق، وأحداث السقيفة قد أضيف إليها وحذف منها ولا تصلح للاستشهاد بها إلا إذا تمت تنقيتها وتراثها، ودراستها وفقاً لمناهج المحدثين لمعرفة حقائق ما دار فيها.

حادي عشر: تكلمت في ص ١٦٢: ١٦٣) فيما اعتبرته ضوابط للأخوة الإسلامية ووحدة الصف. وكان حديثي ذاك- كما أنظر إليه اليوم- حديث خطيب جمعة أو واعظ من الواعظين، لا

4- انظر كتاب أدب الاختلاف ص١٦٣

بقدم الوحدة من منطلق حضارى مثلما قدمها القرآن المجيد، بحيث تصبح ممكنة بناء على حاكمية الكتاب وعالمية الخطاب وختم النبوة والمساواة بين البشر «كلكم لآدم، وآدم من تراب»، والمساواة بين بقاع الأرض «جعلت لى الأرض مسجدا وطهوراء، والمساواة بين البشر فى الاستفادة من خيرات الأرض:

[illegible]

(فصلت ١٠)

إن ذلك كله جعلنى أنظر إلى أن (طه العلوانى) الذى كتب «أدب الاختلاف» قبل ما يقرب من أربعين عاما قد تغير، واهتدى بالقرآن الكريم إلى مواقف لم يوصله التراث إليها، فأنا اليوم صاحب منهج، أدور مع القرآن حيث دار، والتزم بكل ما نزل على قلب محمد- ﷺ- ثم فاض على جوارحه منهجا واتباعا وبناء، ولذلك فإننى أستغفر الله لما قدمت وأخرت، وأعلن هذا على الملأ، لعل الله- جل شأنه- يغفر لى ما بدر منى، ويكون مع نيتى- التى كانت وما تزال خالصة له- لا مع ما وقع منى، وقد رأيت أن أتقدم بهذا إلى طلابى وإخوانى ليعلموا أن المراجعات بالفعل ضرورية.

لقد راجع الإمام الرازى تراثه قبل وفاته، وكتب وصيته بناء على ذلك، فقال: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم؛ لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع عن التعمق فى إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء فى القدم والأزلية والتدبير والفاعلية فذاك هو الذى أقول به وألقى الله تعالى به... إلخ»[٥].

إننى أدعو إخوانى وتلامذتى ألا يستنكف أحد منهم إذا ما بدا له أنه أخطأ فى شئ أن ينبه إلى ذلك الخطأ ويدعو إلى تصحيحه. ولقد تجنبت الفتيا قدر ما استطعت، ورفضت أن أفتى بشىء خوفا من أن أكتشف بعد الفتوى خطأ فيها، ثم لا أملك أن أنبه من أفتيه إلى ذلك الخطأ أو أحذره من العمل فيه أو على الأقل من الاستمرار فى العمل فيه، ولذلك فإنى دائما أحيل من يستفتينى إلى أهل الفتوى وأهل النظر.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، وأرجو الله تعالى السداد، وأن يكون مع صالح قصدى لا مع سيء رأى وعملى، وإذا اكتشف لى أخطاء فى ضوء هذا المنهج منهج العرض على القرآن المجيد- فى أى كتاب من كتبى فإننى على استعداد للرجوع عنه حيا، وأرجو من تلامذتى وإخوانى الاستغفار لى عن كل ما لم أستطع مراجعته فى عمرى لقصير وإعلان الرجوع عنه. وفق الله الجميع ما يحبه ويرضاه

تعليـــــق

مع الاحترام لرأى الأستاذ الدكتور طه جابر العلوانى، فإن مجلة الأزهر تسأل: هل الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ليسو أهل بدعة؟ وهل الشيعة الإمامية الذين يكفرون جمهور الصحابة ومن والاهم ليسو أهل بدعة... الأزهر.

٥- انظر المحصول تأليف الإمام فخر الدين الرازى، تحقيق أ.د. طه جابر العلوانى (القاهرة: دار السلام، ٢٠١١م) ط١، ج١، ص١٠.

القدوة المثلى للمرأة المسلمة فى العلم والعمل



أ.د. أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

لبيت النبوة مكانته العالية والأسوة الحسنة يقتدى بهداه كل بيت مسلم، يريد أن يترسم معالم الحياة الإيمانية المشرقة، وتقتدى به كل أسرة تتطلع إلى سعادة الدنيا والآخرة، ولأمهات المؤمنين دور أصيل وواضح فى إرساء أسس الأسرة المسلمة فى العلم والعمل.

ومن أمهات المؤمنين السيدة الفاضلة الكريمة عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، وأمها هى أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية.

بنى بها رسول الله ﷺ وعمرها تسع سنين ودخل بها فى شهر شوال من السنة الأولى، وكان قد خطبها من أبيها وهى بنت ست سنين وقبل سبع، وكانت نامية الجسم، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا سواها.

وفيما رواه البخارى، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «تزوجنى النبى ﷺ وأنا بنت ست سنين»، ولكنه دخل بها بعد ذلك كما سبق.

وقد أراه الله تعالى إياها فى المنام مرتين كما ثبت فى السنة الصحيحة، قال ﷺ: «أريتك فى المنام مرتين، إذا رجل يحملك فى سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشفها، فإذا هى أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه.

وعندما خطبها النبى ﷺ من أبيها قال: إنما أنا أخوك فقال النبى ﷺ: «أنت أخى فى دين الله وكتابه، وهى لى حلال» رواه البخارى، وقد نشأت منذ باكورة صباها وفجر حياتها نشأة طاهرة مباركة، وكبرت وترعرعت فى منزل الوحى فكان طبيعيا أن تجمع كل المحامد الفاضلة والمعانى النبيلة ومكارم الأخلاق.

ولقد وهبها الله تعالى عقلاً واعيًا متفتحًا، وذاكرة قوية حافظة، فكانت عالمة بأحكام الشريعة حافظة للأحاديث، مستوعبة لأمور الدين وأصوله وفروعه، وكيف لا، وقد أخذت علمها وروت ما روت وعاشت ما عاشت مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فروت عنه، وتخلقت بأخلاقه، وتأدبت بأدب الإسلام، وعايشت نزول الوحى فاستوعبت ما لم يستوعبه غيرها.

ولقد أخذ عنها الكثير من أحكام الشريعة، ولاسيما ما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يصنعه فى بيته ومع زوجاته.

يقول مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض، وقال أبو موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ قط شىء فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما.

وهكذا نجد المرأة المسلمة، والأسرة المسلمة فى السيدة عائشة رضى الله عنها قدوة طيبة، وأسوة كريمة فى العلم بأمور الدين وأحكامه، والتثقيف بالثقافة الإسلامية العالية الدقيقة، وقد جمعت رضى الله تعالى عنها بين الفقه والعلم وحسن القول والعمل.

يقول عطاء بن أبى رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا فى العامة، بيد أن علومها كانت كثيرة وثقافتها العامة كانت شاملة فاستوعبت فقه الأحكام، والطب والشعر.

قال هشام بن عروة عن أبيه ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة.

وأسند الزبير بن بكار عن أبى الزناد قال: ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة، فقيل له ما أرواك؟ قال: ما روايتى فى رواية عائشة ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعراً أهـ (من كتاب الإصابة لابن حجر)

وقد جمعت إلى جانب العلم الغزير العمل الصالح، ولا غرابة فهى زوج رسول الله ﷺ، كريمة الصديق رضى الله عنه ونشأت فى منزل الوحى، وكانت كريمة سخية، تبذل كل ما تملكه، وتعطى بلا حدود حتى ولو كانت فى حاجة إلى ما تقدمه فى الإنفاق وفى العطاء

أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهى يومئذ صائمة، فقالت لها: أما استطعت فيما انفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه، قالت: لو كنت ذكرتنى لفعلت

فلتقتد الأمهات والأسرة بأعلى النماذج وبأرقى أسوة للأسرة الإسلامية فى العلم والمعرفة، وفى العمل والبذل، وفى السير على الجادة والاهتداء بهدى الإسلام الواضح والله الهادى إلى سواء السبيل.

وفى بيوت أزواج الرسول ﷺ أعظم القدوة للأسرة المسلمة فى التفقه فى الدين، وفى التعمق بالعلم وفى استمرار العلم ولزومه، وفيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل» قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته.

ولقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها عالمة متفقهة ملمة بسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، واعية لأحاديثه النبوية الشريفة، وهى من أكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم رواية للحديث النبوى الشريف، روى لها عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، واتفق البخارى ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وستين، ولا غرابة فى هذا العدد الجم الذى روته من الأحاديث، فقد عاشت فى بيت النبوة، وعايشت أندى لحظات الحياة فى جوار الرسول ﷺ، ومع ومضات الإشراق الروحى، عند غدوات الوحى وروحاته، كانت تعيش سعدة بما ترى واعية لما تسمع

وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال حدثتنى الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله ﷺ، المبرأة من السماء رضى الله عنها.

نعم فهى الصديقة وأبوها الصديق رضى الله عنها، وكانت لها مكانتها من الرسول ﷺ، ونزلت براءتها من فوق سبع سموات.

وفيها قال حسان بن ثابت رحمه الله:

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

عقيلة أصل من لؤى بن غالب
كرام المساعى مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها
وطهرها من كل بغى وباطل

فإن كان ما قد قيل عنى قلته
فلا رفعت سوطى إلىّ أناملى

وإن الذى قد قيل ليس بلائط
بها الدهر بل قول امرئ متخامل

فكيف وودى ما حييت ونصرتى
لآل رسول الله زين المحافل

رأيتك وليغفر لك الله حرة
من المحصنات غير ذات الغوائل

وقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ الكثير الطيب، وروت أيضا عن أبيها، وعن عمر، وفاطمة، وسعد بن أبى وقاص، وأسيد بن حضير، وجدامة بنت وهب، وحمزة بنت عمرو، وروى عنها عمر وابنه عبدالله، وأبوهريرة، وأبوموسى، وزيد ابن خالد، وابن خالد، وابن عباس، وربيعة بن عمرو الجرشى، والسائب بن يزيد، وصفية بنت شيبة، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، وعبدالله بن الحارث بن نوفل، وغيرهم من الصحابة.

ومن آل بيتها أختها أم كلثوم، وأخوها فى الرضاعة عوف بن الحارث، وابن أخيها القاسم، وعبدالله بن محمد بن أبى بكر، وبنت أخيها الآخر حفصة، وأسماء بنت عبدالرحمن بن أبى عتيق، وابنا أختها عبدالله وعروة ابنا الزبير بن العوام، وبنت عائشة بنت أختها.

ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وعمرو بن ميمون، وعلقمة بن قيس، ومسروق، وعبدالله بن حكمى، والأسود بن يزيد، وأبوسلمة بن عبدالرحمن، وأبووائل وآخرون كثيرون

ولقد كان لها دور بالغ فى تبليغ الأحكام الشرعية لاسيما إلى النساء، جاءت امرأة من الأنصار تسأل رسول الله ﷺ: كيف تتطهر من الحيض؟ فقال: «خذى فرصة من مسك فتتبعى بها أثر الدم»، فلم تفهم، فاستحيا رسول الله ﷺ فأخذتها عائشة وشرحت لها الحكم.

وتلك مهمة لها أكبر الأثر فى التبليغ والتعليم، إذ إن تعليم المرأة للمرأة خاصة فى مثل هذه الأمور يكون أكثر إيضاحا وأبعد عن الحرج.

ومما يدل على كثرة علمها وفقهها ما قاله أبوموسى الأشعرى: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما.

وتوفيت سنة ثمان وخمسين فى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان على الأكثر، وقيل: سنة سبع ذكره على بن المدينى عن ابى عيينة عن هشام عن عروة، ودفنت فى البقيع رضى الله تعالى عنها وأرضاها.

المسئولية المجتمعية للمرأة المسلمة

(٢)



أ.د. محمد الشحات الجندى
[illegible]

ثانيا: الاتجاه المؤيد لحقوق المرأة فى المساهمة فى التنمية والعمل العام:

ينطلق الاتجاه المؤيد لحقوق المرأة من منطلقات تشريعية ورؤى اجتماعية ومن سوابق إسلامية أساسها أن الإسلام فى خطابه التشريعى إنما جاء على سبيل العموم لمجتمع المؤمنين، الذى يتكون من الرجال والنساء، بلا تمييز بينهم فى شئون الحياة والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، إذ تتسم النصوص التشريعية التى تعزز بها الحقوق. والنصوص تخاطب فيها الكل على صفة العموم التى ينتظم فيها النوعان، فهذه النصوص إنما تخاطب مسلمين جميعًا، أعضاء المجتمع الإسلامى بلا فرق بين الرجل والمرأة، وتثبت بهذه الصفة كون الفرد مسلمًا دون اعتبار لنوعه ذكرًا كان أم أنثى، مصداقًا للنص الذى يقضى بالمساواة وعدم التمييز بينهما:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(النحل: ٩٧)

والغرض من تقرير هذا المنحى، التنافس من أجل الخير والصالح العام بين الرجال والنساء فى العصر الإسلامى الأول، لذلك كان من زوجات الرسول ﷺ المتفقهات فى الدين، المشتغلات بالأعمال الكثيرة فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فالثابت أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت تعمل بالتجارة، وقد تزوجها الرسول وهى تعمل فيها، ثم تفرغت لشئون البيت ومعاونة زوجها فى رسالته الخالدة إلى الناس وكانت السيدة عائشة بنت أبى بكر من المتفقهات فى الدين، ودورها فى رواية السنة المطهرة المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، وتعليم النساء أمور الدين معروف ومشهور، وأخذ الصحابة الرجال رواية الحديث عنها منقول ومتواتر.

كما كانت السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب الأمينة على القرآن، فقد كان لديها الصحف المسطرة فيها السور والآيات مكتوبة منه. احتفظت به عندها بعد أن تم جمع القرآن بطلب عمر على يد الخليفة أبو بكر الصديق فى المرة الأولى، ثم احتفظت به عندها حتى طلبه عثمان بن عفان الخليفة الثالث، ليقوم على جمعه للمرة الثانية على النحو الموجود فى نسخ المصحف الشريف التى بين أيدينا الآن، وهو عمل يحسب للمرأة من الرعيل الأول، ويعظم دورها على أساس أن القرآن هو عمدة الشريعة ودستور المسلمين.

وكذلك كانت السيدة أم سلمة ناصحة ومشيرة فى الشأن العام، فقد أشارت على الرسول ﷺ بالرأى فى صلح الحديبية، فكان سببًا فى اقتداء المسلمين به، وحسم مادة الفتنة لما أشارت على الرسول بالحلق أو التقصير عندما لم ينفذوا ما أمرهم به بسبب رأيهم بأن الصلح ينطوى على الإجحاف فى بنود الصلح بين المسلمين وأهل قريش

وقد سبقت الإشارة إلى الدور الرئيسى للمرأة فى بيعة العقبة الثانية، فقد وجدت امرأتان شاركتا فى بيعة الرسول على النصرة وتأسيس المجتمع وقد سجل القرآن[1] مبايعة الرسول للنساء على الالتزام بالعقيدة والشريعة والمصالح العامة اللازمة لاستقامة الاجتماع الإنسانى وانتظام شئون الحياة الدينية والدنيوية تلك المتعلقة بالعبادات والمعاملات والأخلاق، وهى من مرتكزات الهوية الإسلامية، وهو المسلك الذى عرف وتطور فيما بعد، وقد أرسى به الرسول ﷺ ما اصطلح على تسميته بالعقد الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم، وهى النظرية التى جاءت فى كتابات جان جاك روسو.[2].

وما قامت به نساء العصر النبوى فى المشاركة فى شئون الحياة، هو سابقة وحق لا مراء فيه، كونه دل عليه القرآن، فالمرأة من الرجل تتكامل معه وتكتمل به وهو ما حرص عليه قوله تعالى:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾

(البقرة: ١٨٧)

وطبقه الرسول ﷺ فى المجتمع الإسلامى، وأقره فى مسيرة العمل الإسلامى فهذه هى المساواة - كما يقول العقاد[3] - التى شرعها القرآن الكريم بين الرجل والمرأة أو بين الزوج والزوجة أو بين الذكر والأنثى، ولا صلاح لمجتمع يفوته العدل فى هذه المساواة، ولاسيما المجتمع الذى يدين بتكافؤ الفرص ويجعل المساواة فى الفرص مناطًا للإنصاف.

فمن المقرر أن للمرأة مثل ما للرجل وعليها ما عليه فى التكاليف والواجبات بقوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(التوبة: ٧١)

وكل منهما قوة عاملة فى دنياه يطلب منه عمله ويحق له جزاؤه إعمالًا لقول الحق:

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢).

(٢) انظر محمد الشحات الجندى، معالم النظام السياسى فى الإسلام، ص٧٥

(٣) عباس محمود العقاد، المرأة فى القرآن، ص[illegible]

﴿ إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾

(آل عمران: ١٩٥)

كما أن لكل منهما سعيه وكسبه:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٣٢)

فلا يقف أمر مشاركة المرأة في شؤون المجتمع الإسلامي على نموذج محدد لا يتعداه إلى غيره كما يزعم المنكرون على المرأة حقوقها الاجتماعية بمفهومها الموسع. وإنما تخطى ذلك حدود السياج الواقف عند حدود الأسرة وتربية الأطفال، رغم أهمية ذلك وضرورته، إلى القيام بأعباء جسيمة، تتطلبها مسيرة المجتمع والوجود الإسلامي برمته

فقد تعاظم هذا الدور في المهام الخطيرة، كما في صنيع السيدة أسماء بنت أبي بكر التي كانت تنقل المؤن والزاد والأخبار إلى الرسول وصاحبه أبو بكر في الغار في أعظم الرحلات التي غيرت مجرى التاريخ الإسلامي والإنساني. وكانت تخاطر بحياتها في سبيل إنجاز مهمتها، وصنعت ما صنعت من شق بعض ثوبها، حتى سميت بذات النطاقين.

وقد شاركت العديد من النسوة في الجهاد مع الجيش ضد العدو، فمنهن من حملن السلاح، ومنهن من كن يداوين الجرحى والمرضى، نذكر منهن الخنساء التي استشهد أولادها في المعركة، ومنهن من يقفن خلف الصفوف تأييداً ومؤازرة لجند المسلمين.

وفي الشؤون الاقتصادية والعامة، عهد إلى المرأة مهمة ضبط أمور المعاملات، حيث تولت الشفاء أمر الحسبة ومراقبة الأسواق، فقد عهد عمر بن الخطاب الخليفة الثاني إلى امرأة تدعى الشفاء بهذه المهمة، التي تحتاج إلى عزيمة وفطنة وحزم لضمان انتظام المعاملات وضبطها وفق الشريعة الإسلامية.

وعلى هدى ذلك فإن إسهام المرأة في التنمية المجتمعية لم يقتصر على مجال الأسرة وحدها، وإنما عم كل الأدوار الاجتماعية متى كانت المرأة مستعدة لأداء هذه الأدوار ومؤهلة لها، قادرة على الاضطلاع بمتطلباتها مدركة لواجباتها الإسلامية، جارية تصرفاتها على منهج الشريعة، في نطاق ظروف وبيئة لم تكن تعترف للمرأة بأهلية التصرف. فالثابت المقرر أنه ليس في القيام بالأعمال التي من شأنها تحقيق مصلحة المجتمع، والقيام على شؤونه ومصالحه الدينية والاجتماعية والاقتصادية، اختصاص أو حكر لنوع دون نوع، وإنما هذه المصالح من قبيل الواجب العام على كل مؤهل له، يؤديه بالدقة والاتقان والجودة المطلوبة، فهذا مما يتساوى فيه الرجل والمرأة، ويقدم فيه الأصلح منهما لأدائه، بحسب فضل الله على المسلم رجلا كان أو امرأة وإمكانيات كل شخص وملكاته التي ترشحه لهذا العمل، وتجعله مؤهلا وقادرا على إنجاز المهمة.

سند ذلك أن الخطاب الإسلامي في شأن العمل، وهو مقتضى خلافة الإنسان عن الله وهو خطاب عام لا ينظر فيه إلى خصوصية النوع الإنساني الرجل أو المرأة، والمسلم وغير المسلم بما يوجب الشراكة الاجتماعية بلا تمييز شريطة القدرة والاستطاعة على القيام به، ذلك أن الإسلام لا يقيم - في سياق المسائل - وزنا لصفات الذكورة والأنوثة. فالكل سواء في مجال العلم والعمل والجهد والاجتهاد [4].

هذا هو موطن الحق في تحديد المجالات وبيان التخوم التي تقف عندها المرأة في أداء الأعمال والاضطلاع بالمسئوليات مما يضفي الشرعية، ويستوجب المشاركة في المسئولية عن طريق القيام بدور بناء في مسيرة المجتمع، والانشغال بأعمال التنمية بدءا بالتنمية البشرية وانتهاء بالشأن العام. فإن مستند الحق فيها تشريع الإسلام ومصلحة المجتمع وقد صدق القول والعمل فيما أشرنا إلى بعضه. ولسنا بحاجة إلى تفسير جديد للنصوص في القرآن والسنة، إذ أن النصوص والسوابق واضحة في بيانها وفي طلبها بإيجاب العمل والسعي على كل مسلم، وكل مسلم يحاسب وفق عمله الصالح أو الطالح، وهو مطالب دينا وشرعا ومصلحة بأن يرتقي بنفسه وأهله ومجتمعه، لا يجوز له أن يتقاعس عن ذلك، فالوسيلة مطلوبة لتحقيق الهدف بحسبان أن الوسيلة تكون على وفق الحكم كما يقول علماء الأصول: «فهي إلى الواجب واجبة وإلى المندوب مندوبة. وإلى المباح مباحة»، وعمل المرأة ومساهمتها في تنمية المجتمع، وشؤونه العامة يدور بين هذه الأحكام التكليفية. بحسب حالة المرأة واستعدادها للعمل، وتبعا لحاجة المجتمع إلى هذا العمل الذي تقوم به، الأمر الذي يتوجب معه أن تتاح الفرصة وأن تمكن المرأة من العمل في قضايا التنمية والشأن العام. يبرهن على ذلك الضرورة وحاجة الوطن والمجتمع والأمة إلى مشاركة كافة الجهود الداعمة للتنمية المجتمعية. بعد أن وصل حال التنمية في البلدان العربية إلى وضع درجة التخلف والاعتماد على الآخرين، ويقينا فإن للمرأة دورا في ذلك بناء على قاعدة: «ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب». لكن هذا الدور وتلك الممارسة لاتزال محفوفة بالمخاطر والصعاب.

المخاطر والتحديات

الملاحظ أن المرأة المسلمة قد تنامى دورها في العقود الأخيرة نتيجة ما حدث بالمجتمع من تطورات. أسهمت في انخراط المرأة في أنشطة مجتمعية بسبب ما طرأ من تغيرات على الصورة الذهنية لدى الأسرة بضرورة حصول فتياتها على قدر من التعليم والمعرفة نتج عنه ارتفاع في المستوى التعليمي والعقلي بالمقارنة بوضعها إلى عهد قريب من خلال الانتقال من بيت الأب إلى بيت الزوج في عملية روتينية أورثها عصر الانحطاط.

ولا يعني ذلك التطور اختفاء الصورة النمطية للتخلف الذي صار إليه وضع المرأة، فلاتزال قطاعات غير قليلة أسيرة للتقاليد بمنأى عن التعاليم المستنيرة للإسلام، تكرس أوضاعا خاطئة تزدري المرأة، وتنقص من كرامتها وتحرمها من بعض حقوقها، باسم

(٤) محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ص٩٩

الإسلام وإسنادا إلى شريعته.

ومن الغريب أن تسرى وتنسب هذه التقاليد البائسة إلى الإسلام، وأن يحمل الدين الخاتم أوزارها، وأن تضفى عليه صفة لشرعية في غيبة من الفكر السديد الذى يرتقى بأوضاعها، ويقوم الإعوجاج في طريقة التعامل معها، ويجعل منها طاقة خلاقة تضيف إلى الأسرة، وتسهم في نهضة المجتمع على قدم وساق مع الرجل، وعلى نحو تكاملى ينأى به عن التنافر والصراع بين أفراد النوع البشرى.

وهذا الوضع المتدنى يشير إلى أن الطريق إلى إحياء دور المرأة لايزال دونه معوقات، وأمامه تحديات، حتى يتسنى للمرأة استعادة مكانتها، واسترداد حقوقها المسلوبة بسبب موروث ممتد عبر عصور وقرون الانحطاط، الذى قزم دورها وأقصاها عن شئون المجتمع، ومكن للفكر الخاطئ والتقاليد البالية من فرض الوصاية عليها، وتدنى مكانتها.

ولا يخطئ المتابع لحركة المجتمعات العربية الإسلامية أن يرصد بعض هذه التحديات نوجزها فيما يلى:

(١) الأمية الأبجدية والثقافية

تتفشى الأمية بمظاهرها المختلفة لدى قطاعات عديدة من النساء في الريف والحضر، إذ لاتزال معدلاتها المرتفعة تقف حائلا دون مشاركتها المشاركة البناءة في تكوين شخصية الناشئة والإسهام في الأنشطة المجتمعية بالرغم من دخولها في مجالات التعليم بمراحله المختلفة، وزيادة عدد الفتيات في التعليم بأنواعه العام والدينى والفنى.

ولاشك أن عامل الأمية يشكل حاجزا دون تأهيل واستعداد المرأة، وحاجزيتها للقيام بالأعمال والمناشط الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية التى تتطلب مستوى معينا من الاستعداد والكفاءة يؤهلها لأداء هذه المهام ولا يتأتى ذلك إلا بالتعليم الذى أوجبه الإسلام على المسلمة كالمسلم، في قول الرسول - ﷺ - «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٥]، بأسلوب العموم، وبغير تفرقة بين الرجل والمرأة. فبتحصيل التعليم الملائم للولاية أو المنصب، يكون الشخص لديه الكفاءة والخبرة، كما أشار إلى ذلك القرآن، في قصة النبى يوسف مع ملك مصر بقوله تعالى

﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾

(يوسف: ٥٥)

ويخبرنا التاريخ أن بعض النساء تبوأن منزلة رفيعة وهذه المنزلة لم تكن حكراً على الرجال، كما ذكر القرآن عن بلقيس ملكة سبأ أهليتها وقدرتها لإدارة شئون الملك فيما أخبر به الهدهد نبى الله سليمان عليه السلام في قوله تعالى:

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾

(النمل: ٢٣)

فالإشارة القرآنية إلى أنها أوتيت من كل شيء من العلم والمعرفة والخبرة، الأمر الذى مكنها أن تكون ذات عرش عظيم، وحكم سديد، يقول الطبرى: «وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا»، وعن الحسن: «وأوتيت من كل شيء يعنى من كل أمر الدنيا»[٦].

والواقع أن الأمية الأبجدية هي العقبة الرئيسية في النهوض بوضع المرأة، يتفرع منها ضعف المستوى الثقافى، الذى يتجاوز القراءة والكتابة، ويمتد إلى توسيع مدارك أفق المرأة، فتتمكن به من الدخول إلى عصر المعلوماتية والمعرفة وبها يتوافر لها القدرة على التعامل والتصرف الحصيف مع الموقف أو الوضع الناشئ عن الإشكاليات والأزمات الطارئة.

فقد أسفر هذا العصر عن معارف تقنية، وطفرات من التطور التكنولوجى، أضاف أشكالا أخرى للأمية الأبجدية، تتمثل في الأمية التقنية تلك التى أفرزها وجود شبكة المعلومات الدولية - الإنترنت - والثورة المعلوماتية التى أحدثها هذا الاختراع الجديد، الذى جعل العالم بمجراته بين أصابع كل من يجيد التعامل مع هذه التقنية غير المسبوقة وقد أضافت هذه التطورات المتلاحقة تحديات جديدة، يتعين على المرأة أن تلم بها، وتعمل على الاستفادة من إيجابياتها وتوظيفها لما فيه خدمة قضايا المجتمع، وأن تنأى عن سلبياتها، إذا أرادت أن تكون على مستوى المنافسة الحقيقية مع الرجل، فذلك يعطيها مكنة الاستعداد اللازم للمشاركة في الوفاء بأعباء المسئولية المجتمعية والمساهمة في نهضة الأمة كعضو فاعل في الأمة يؤمن بفكر وممارسة حقيقية بالاعتبار تؤكد على أهمية دورها، وضرورة إشراكها في بناء الوطن الذى يحتاج إلى عقول وجهود المرأة على السواء.

(٢) التقاليد والأغلال

من الآفات التى امتهنت المرأة، وصيرتها في وضع دونى مقارنة بالرجل، قيود التقاليد والأغلال المقيدة لحركتها، المتحكمة في شخصيتها، برغم أنها صنو الرجل وعديلته، فلطالما نبه القرآن إلى إنصاف المرأة وتحريرها من القيود والأغلال التى سادت في الجاهلية وصيرتها أشبه بالمتاع أو السلعة حتى سلبها أبسط حقوق الإنسان، وجعلها ملهاة للرجل وأسيرة لأهوائه ونزواته، وأبلغ ما حكاه القرآن في هذا السياق المعاملة المهينة للأنثى عند الأعراب والصدمة التى تصيب العربى إذا علم أن المولود له أنثى، وجاء تصوير هذا الحدث في أجلى صوره بقوله تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾

(النحل ٥٨-٥٩)

وقد أحدث الإسلام نقلة في شخصية المرأة، فيما أثبته لها من حقوق شاملة تقرر صفته الإنسانية كاملة غير منقوصة، فحررها من الدونية والمذلة والهوان، وجعل شأنها في المنزلة والكرامة والمعاملة كالرجل،

---

[٥] رواه ابن ماجة وغيره عن أنس بن مالك.

[٦] تفسير الطبرى المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد التاسع تفسير الآية (٢٣) ص٢٠٩.

توجب أن تكون من ناحية الخلقة والشخصية والاجتماع على قدم المساواة، بصفتها الإنسانية، وعطائها الخلاق.

أرسى القرآن هذا المبدأ كركيزة لأصول المعاملة في الشؤون المجتمعية، فأفسح لها المجال لمشاركتها ولم يحرمها من العطاء، وموقفه من مشاركتها المجتمعية يعبر عن بيان واضح لا لبس فيه، يتجلى في إجراء الموازنة بين احترام خصوصيتها وكونها عضواً في التنظيم المجتمعي، وركيزة للتعايش الذي يحقق المصلحة العامة، بقوله تعالى:

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾

(آل عمران ١٩٥)

وقد التزم ذلك النهج النبي وصحابته الكرام، فارتفعت مرتبة المرأة في المجتمع الإسلامي، وقدمت إسهامات اجتماعية ودينية بارزة تضاهي بها الرجال، بل قد تزيد في بعض المواضع والمواقف، الأمر الذي جعل مرتبة المرأة في العصر الذهبي للإسلام قائماً على الفهم الصحيح للنصوص، وينطوي على التطبيق الرشيد في حياة المسلمين، وينظر إلى المرأة كعضو فاعل في المجتمع، وهي النظرة التي لا تحصرها في كونها أنثى فقط كما حدث في عصور التخلف. هذا التسامي لوضع المرأة انطلق من التعاليم وليس من التقاليد، فقد كان ذلك الموقف الذي يستوحي الشرع ومصلحة المجتمع بقدر ما أودعه الله في كل نفس إنسانية، فقد رزق نفس الرجل والمرأة بالعقل والملكات والاستعداد والعطاء ليكون لها دور تحتاجه الجماعة وتزدهر به الأوطان - وما تزدهر به الأوطان - كما أودع في هذه النفس حظها من الشعور بالمسئولية للقيام على المهام والتكاليف المجتمعية، يشهد له أن الرسول - صلوات الله عليه - عندما قال: أيها الناس، سارعت أم المؤمنين أم سلمة تلبي النداء، فلما اندهش البعض لسرعة الاستجابة، قالت: «ألست من الناس».

ومن الغريب أن تتراجع هذه المواقف البناءة والفاقهة لصحيح الشرع، ليحل محلها الأغلال والقيود التي تغير الحلال إلى الحرام ويركب البعض متن الشطط أو التشدد في غفلة أو انحراف عن وجه الحق في القضية. من ذلك، ما يعتصم به البعض من تبني النظر الضيق، والتفسير الذكوري للخطاب الشرعي، وكأن النصوص إنما جاءت لصالح الرجل دون المرأة، وحتى كان الاعتقاد في صحة التشدد والجمود في التعامل مع قضية المرأة، وتهميش دورها في المجتمع، فضيق أمراً كان متسعاً، ورأى أن السلامة في التعنت والتعسف في النظر إلى النص وإخضاع النص للواقع مما جعل المرأة مكبلة بالأغلال والقيود.

ومن العجيب أن يعتقد أنصار هذا المسلك فيه النجاة، وأن فيه الحفاظ على المرأة، غافلاً عما نتج عنه من تشويش على التعاليم الأصلية، وتعطيل لدور جدير بإفساح المجال له، والحرص على تنميته بدلاً من حصار المرأة وجعلها تنسحب رويداً رويداً، عن واقع المجتمع الإسلامي، حتى ترسخت هذه التقاليد من عصر إلى عصر، مما ألزم المرأة أن تقبع في منزلها، وأن تحرم من حق التعليم والمشاركة، وأن تكون فريسة للمظالم وأن تهضم حقوقها الشرعية والحياتية، لا تفقه من دينها وأمر دنياها شيئاً، وتعيش في جهالة عمياء بمنأى عن فقه الشرع والحياة.

ولا عجب في مثل هذه الأجواء، وذلك الانحراف عن تعاليم الإسلام الصحيحة أن تكون المرأة المسلمة عنواناً على التخلف، لا تدرك من أمر حياتها شيئاً، وتظل كذلك جيلاً بعد جيل حتى صار حالها إلى ذلك الوضع المزري الذي يغيب تعاليم الشرع، ويعوق نهضة المجتمع، وأفسح الطريق أمام من يريد استغلالها، ودغدغة مشاعرها للدفع بها في سوق الحريم والجواري، وإطلاق العنان لابتزازها في عالم الحس والنزوات لطلاب المتعة، من دعاة التحرر والانفلات، من أبواق الفكر الغربي، الذين يتحللون من قيم الأديان، ولا يحترمون قدسية العفة وإنسانية المرأة.

(٣) الفقر والحصار الاجتماعي

تعاني المرأة بحكم التركيبة السكانية في المجتمع الإسلامي ألواناً من الفقر والفاقة، تعطي لذوي النفوس المريضة، والأغراض الشريرة الفرصة لإخضاعها، حيث لا مورداً اقتصادياً أو مالياً يعوينها من التحكم فيها، ويكفل لها الاستقلال في التفكير والتصرف، بما يتيح لها القدرة على القيام بالدور المسئول المراد لها أن تضطلع به في المجتمع.

ولاشك أن الفقر قد يشكل مأساة للمرأة، عبر عنه حديث الرسول ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[7] فقد أسهمت الظروف والأوضاع التي جلبها الركود العقلي، والتراجع الحضاري الذي حل بالأمة، إلى إفقار المرأة وحرمانها من كسب الموارد الذاتية والوسائل المعيشية التي تفي باحتياجاتها، وتصون كرامتها وتمهد لها الطريق للمشاركة في نهضة المجتمع، وتحقيق ذاتها، والكشف عن قدراتها وإمكانياتها التي يتأتى لها أن تشارك بها في المجالات المتنوعة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

وقد أتبع ذلك الأمر تبعية المرأة المطلقة للرجل، وتهميش دورها وانتقاص إنسانيتها في عصور الانحطاط الحضاري، حتى صارت كماً مهملاً وعالة على الرجل تعيش في كنفه، وتدور في فلكه، وتتبعه كظله أينما سار، لاوزن لرأيها، ولا دور ملموساً لها في الحياة، وذلك بسبب فقرها واعتمادها المعيشي عليه.

وقد استمرأ العديد من الرجال هذا الوضع، فأحكموا السيطرة على المرأة، وعلى مواردها المالية، وحاصروها اقتصادياً، بكل ما تبع ذلك من مفاسد وتجاوزات، مع مخالفة ذلك للشرع، من حيث حق المرأة في حماية خصوصياتها، وتأكيد ذاتها، وتمكينها من حق الاكتساب والعمل، وامتلاك الثروة والمال، فإن مصادرة حقها في ذلك قد يجلب لها المآسي والهوان، تلك الحالة التي أوجدت للمرأة في بؤس وفقر ذمه الإسلام كما روى عن الصحابي أبو ذر: «عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه»[8] وهو تصوير لحجم المهانة، وعظم المذلة والمعاناة التي قد تحمل الشريفات العفيفات على السقوط في بئر الانحراف.

وفي السياق ذاته نجد أن الإسلام لم يقف ضد عمل المرأة أو يقاوم طموحها في طلب الغنى والعزة بالمال والعمل

(٧) الجامع الصغير للسيوطي، ج٢ - ص ٨٩

(٨) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر، ص١٦

النافع، متى توفر لها العزم والإرادة لتحقيق ذلك، ونموذج ذلك أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها - فقد كانت من ذوى اليسار وصاحبة تجارة وثراء، ساهمت به فى نصرة الدعوة الإسلامية وفى بنية الجماعة المسلمة.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن ذلك الإقرار بالحرمان من الكسب يحرم المرأة من أن يكون لها حق التمتع بالذمة المالية المستقلة الذى يجعل المال الذى اكتسبته أو حصلت عليه بطريق آخر كالميراث أو الوصية أو الهبة ملكا خاصا لها دون الرجل، تتصرف وحدها بأوجه التصرفات الشرعية، بلا تدخل أو إملاء من الرجل منشؤه حق الملكية الخاصة لها ووجب تمتعها بهذا الحق.

ومن الأهمية بمكان التنبيه على هذا الواقع فى المجتمع الإسلامى الذى يناقض نصوصا قطعية، فقد دأب بعض الرجال على مصادرة حق المرأة فى التملك، وحرمانها من سبل الكسب والحصول على المال، حتى اعتبر بعضهم أن تمتعها بحق العمل والملكية يعد انتقاصا من حقه، وخلالا برجولته وهذا الفكر فى الهيمنة من جانب الرجل على المرأة لا يتفق مع حقائق الشرع، ولا يستند إلى الفهم السديد، ويجدر أن نشير إلى أن ذلك الاستبداد والحصار للنساء يتصادم مع مبدأ الاستقلالية التى أرساها الإسلام لها، فجعل من استحقاقات المرأة الاحتفاظ باسمها مستقلة عن زوجها، فلا تنسب إليه، وإنما تنسب إلى أبيها وعائلتها، فليس سائغا فى النظر الإسلامى، أن تطبق ما يسير عليه النظام الغربى فى نسبة المرأة إلى زوجها دون اسم أبيها، أو تدفع مهرا له، أو أن يؤخذ بنظام الثروة المشتركة. وينبغى أن يكون معلوما أن استقلال المرأة، وتمتعها بالشخصية المستقلة عن الرجل، واكتسابها للحقوق المادية والمعنوية، مما لا يجوز إثارة الجدل حوله أو التشكيك فيه، فإن ذلك من شؤون المعاش. والأسوة فيه خير من الأثرة، ولا يجوز الافتئات على حق المرأة، أو الانتقاص من تلك الحقوق تحت ذريعة أنها أنثى.

فإن من يعتنق مثل هذا الفكر ويسير فى ذلك المسار، يعارض قول الحق تعالى:

[illegible]

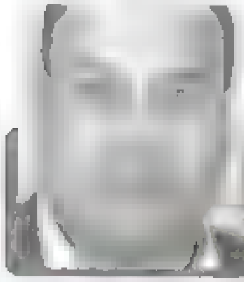
(النحل: ٩٧)

وفى ضوء هذه الحقيقة، فإنه يثبت للمرأة الحق فى التملك والتمتع بالحقوق الإنسانية، والمالية الأخرى تجاه الرجل أيا كان أبا أو زوجا أو أخا، وهى شهادة حق ودليل على إنصاف المرأة، واستقلالها عن الرجل، وضمانة لتمتعها بالعضوية الكاملة، والمواطنة الحقة فى المجتمع.

ومهما كان أمر هذه الصعاب، وتلك المعوقات فى طريق المرأة، فلن تمنعها من الاضطلاع بالمهام والمسئوليات التى تصلح لها، وتقدر على القيام بها.

المنارة الهادية!

الأزهر الشريف وتحقيق التراث العربى الإسلامى



كلية الآداب - جامعة المنوفية

مدخل: الأزهر الشريف والتطبيق الحى للمؤسسة النبوية الأولى!

آل موقع الأزهر الشريف بعد فترة من إنشائه إلى أن يستقر مؤسسة حية تمثلت النموذج النبوى الراشد الذى حكم مؤسسة المسجد فى التصور النبوى ليكون دار عبادة تربط بين الأرض والسماء، ومعهد علم يقود نهضة الأمة، ومؤسسة تدعم حقوق الناس اجتماعيا وسياسيا.

واستقر فى الضمير الإسلامى النظر إلى الأزهر الشريف على أنه العين الساهرة على حفظ الإسلام، ورعاية شئونه.

ومنذ هذا الذى استقر فى الضمير الإسلامى وورثه الوعى المعاصر وإحدى الوظائف الكبرى التى يضطلع بها هذا الجامع العريق ظاهرة فى حفظ التراث الإسلامى، وصيانته، وخدمته.

وليس من شك فى أن تحقيق التراث، ونشره متقنا مصححا ومضبوطا مندرج تحت هذه الوظيفة المركزية للأزهر الشريف.

والأزهر الشريف إذ يقوم بهذا العبء، يضرب المثل للتطبيق الحى والإيجابى لمفهوم حفظ الإسلام، ورعايته، وصيانة مبادئه. وهو بعض المستقر فى قانونه، وذلك أن الأزهر هو "الهيئة الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى، وتجليته ونشره... وتهتم ببعث الحضارة العربية الإسلامية... وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن الكريم" على ما جاء فى المادة الثانية من القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر، وعلى ما جاء فيما جلاه الدكتور محمد سليم العوا فى كتابه: أزمة المؤسسة الدينية، دار الشروق القاهرة ٢٠٠٣م ص١٤.

وهو ما أكدته وثيقة الأزهر الشريف حول مستقبل مصر عندما قرر أن الأزهر هو المنارة الهادية التى يستضاء بها فى إحياء مختلف العلوم الطبيعية والآداب والفنون بتنوعاتها الخصبة، على ما جاء فى البند السادس من هذه الوثيقة.

وهو ما جاء في مشروع قانون الأزهر الجديد سنة ٢٠١٢م في المادة الثانية أيضا.

لم يكن ذلك الذي ظهر في الوعي المعاصر فيما يتعلق بدور الأزهر الشريف إلا حصادا لتراكم تاريخي ممتد للوعي الإسلامي بطبيعة دور المسجد بما هو أهم مؤسسة حضارية في تاريخ التصور الإسلامي للمؤسسات الحضارية.

الأزهر الشريف في مقدمة طلائع الإحياء الحديث في ميدان خدمة التراث الفكري للأمة

وإذا كان ظهور المطبعة في مصر واحدا من أشهر العوامل التي يرصدها التناول المدرسي في باب عوامل نهضة مصر الحديثة، وأسباب تجاوزها لمراحل التراجع الحضاري، فإن التاريخ في هذا الباب تعيينا يقرر أن مطبعة بولاق كانت البداية المنيرة للعناية بتراث الأمة العربي والإسلامي ابتداء من سنة ١٨٢٢م.وهو الأمر الذي يقوله الدكتور/ محمود الطناحي رحمه الله تعالى في كتابه :مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ،مكتبة الخانجي القاهرة١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ص ٣٩: "ولم يظهر الوجه العربي الإسلامي للطباعة إلا في مطبعة بولاق بمصر، لقد كان إنشاء هذه المطبعة في مصر صيحة مدوية أيقظت الغافلين، ومركز ضوء باهر هدى الحائرين، وقد تدافعت مطبوعاتها من الكتاب العربي الإسلامي كأنها السيل".

ولعله من المنطقي أن يثور السؤال عن السر وراء هذا الوجه المشرق الذي دفع إلى العناية بالتراث الفكري للأمة العربية الإسلامية ولعله من المنطقي أن يبحث الباحثون عن إجابة هذا السؤال لدى الأزهر الشريف، وهو ما كان، لتجيء الإجابة لتقرر أن الأزهر كان موجه الكثير من نشاط مطبعة بولاق، ومهيمنا عليه.

وهو الأمر الذي قرره كثير من الذين أرخوا لهذه البدايات من أمثال الدكتور محمود الطناحي والأستاذ عبد السلام هارون في التراث العربي والدكتور رمضان عبد التواب في مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ومحمود شاكر في أباطيل وأسمار وفي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.

وقد تنوعت جهود الأزهر الشريف في دفع حركة خدمة التراث الإسلامي والعربي، وسارت في مسارات متعددة، يمكن إجمالها فيما يلي:

- أولا: وفرة المحررين الأزهريين المدربين.
- ثانيا: وفرة المصححين الأزهريين المهرة.
- ثالثا: وفرة المطبوعات الإسلامية والعربية المتقنة.

وفي هذا السياق يقول الدكتور الطناحي في المدخل إلى نشر التراث العربي (٣٨) "كان محررو المطبعة من الطلبة الأزهريين الذين درسوا تدريبا خاصا... ثم كان إسناد رئاسة تصحيح مطبعة بولاق إلى الشيخ نصر الهوريني الأزهري الشافعي آية كبرى على هيمنة الأزهر على هذه المطبعة الكبيرة".

ولم يكن هذا الرجل وحيدا في هذا الميدان، ولكن يذكر معه الشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف بقطة العدوي رحمه الله تعالى.

ولم تتوقف ريادة الدور الأزهري عند حدود المطبعة الأميرية، أو مطبعة بولاق، لكنه نما وهيمن على عمل المطابع الأهلية أو الخاصة التي أسهمت في نبوغ عدد من المصححين الأزهريين نذكر منهم:

١-الشيخ عبد الغني محمود الأزهري.

٢-الشيخ محمد هارون، والد عبد السلام هارون.

٣-الشيخ حمدي إبراهيم.

والحق خاص أن نقرر أن التصحيح الذي نبغ فيه هؤلاء وغيرهم لم يكن بمعنى التدقيق اللغوي، فقط، وإنما كان أقرب إلى التحقيق الذي تمت مناهجه واستقرت فيما بعد، وهو مايعني أن مصطلح التصحيح الذي نطالعه في نهايات صفحات هذه الكتب التي خرجت من بولاق ومن غيرها من المطابع الأهلية على أيدي هؤلاء العلماء الكبار كان البداية الحقيقة لما استقر فنا وعلما له أصوله وقواعده عرف باسم تحقيق التراث ولنا على ذلك عدد من الأدلة، هي:

أ-ظهور آثار المقابلات بين النسخ، وإثباتها على هوامش الكتب المطبوعة.

ب- التقديم بين يدي عدد كبير من هذه الكتب بمقدمات تتضمن:



عبد السلام هارون

١- بيانا كاشفا عن فهمها، وموضوعاتها، ومميزاتها.

٢- ترجمة مبينة للمؤلف صاحب الكتاب. كما تضمنت هذه الكتب ما يلي:

٣- التعليق على عدد من المعلومات التي يتضمنها متن هذه الكتب.

٤- تخريج بعض النقول، والشواهد.

وهذه الأربعة جميعها هي بإجماع من لوازم عمل المحقق المستقرة في أصول هذا الفن

ج- تطور مواقع عدد كبير من المصححين بهذا المعنى ليكونوا من أئمة المحققين بالمعنى الاصطلاحي العلمي المستقر، من أمثال المحقق الكبير الدكتور محمود الطناحي رحمه الله تعالى ومحمود شاكر وعبد السلام هارون، أنهما قليلا ما يذكر الدارسون أنهما عملا فترة في التصحيح.

ومن الجدير بالذكر أن نقرر أن ثمة أثرا إيجابيا يحسب للأزهر الشريف يتمثل في الإسهام الذي قام به كثير من علماء الأزهر الذين انضموا إلى دار العلوم، ونهضوا بمجال خدمة التراث فيها، ابتداء من المرصفي، حسن بن علي المرصفي- رحمه الله تعالى -.

الأزهر الشريف يؤسس لعلم تحقيق التراث
من خلال ريادة المحققين العظام من أبنائه في العصر الحديث

إن مراجعة مرحلة النبوغ والنباهة في مجال تحقيق النصوص التراثية تثبت أن الأزهر الشريف اضطلع بنصيب وافر في دعم هذه المرحلة، بدرجة واضحة تتناسب مع منزلته، ومثلما ظهرت ريادته وهيمنته في مرحلة البدايات الأولى، امتدت واستمرت علامات هيمنته في المرحلة التالية التي سيطر عليها وحدد أصولها كل من:

أ- أحمد محمد شاكر.

ب- عبد السلام محمد هارون.

ج- السيد أحمد صقر.

وهؤلاء الثلاثة الأعلام أزهريون نضج على أيديهم علم تحقيق التراث، واستقرت أصوله، وقواعده، وأخرجوا للنور عيونا من كتب التراث في العلوم الإسلامية والعربية جميعا، هي بلا مبالغة من أصول العلم التي يتأسس عليها العلم العربي والإسلامي من مثل: المسند للإمام أحمد، وتفسير الطبري، وأسباب النزول للواحدي، والبيان والتبيين للجاحظ، وغيرها مما هو معروف في هذا الباب.

وإسهام هؤلاء الإعلام من الذين أسسوا لأصول هذا الميدان ظاهر جدا في علامتين هما:

● أولا: وفرة ما أخرجوه محققا من عيون التراث العربي الإسلامي وهذه الوفرة يحيط بها من علامات الجودة:

أ- التنوع المعرفي، تفسيرا وحديثا وعقيدة ولغة وشعرا إلخ

ب- القيمة المعرفية، ذلك أنهم عنوا بأصول الكتب، أو ما يعرف بالأمهات في المجالات المختلفة.

ج- الكثرة والامتداد.

● ثانيا: التأصيل العلمي لفن تحقيق التراث، ومسائله، فقد كتب عبد السلام هارون كتابه: تحقيق النصوص ونشرها، وهو كتاب تأسيس في هذا المجال، وكتابه التراث العربي، وهو كاشف عن عدد من المسائل المهمة في بابه.

كما كتب أحمد شاكر كتابه: تصحيح الكتب، وصنع الفهارس وكيفية ضبط الكتاب، وهو الذي اعتنى به وعلق عليه العالم والأستاذ عبدالفتاح أبوغدة

● ثالثا: المتابعة النقدية لأعمال المحققين

وهذه السمة الثالثة هنا من آكد ما يدعم إسهامهم الرائد في ميدان تحقيق التراث، وقد ترك العلماء الثلاثة رصيدا وافرا من المراجعات النقدية الرصينة للأعمال التي حققت وظهر، وتناولت مراجعتهم النقدية تلك:

١- تصحيح النصوص، وبيان ما أصابها من تحريفات وتصحيفات.

٢- تصحيح نسبة عدد من الكتب والشواهد إلى أصحابها بعد أن خرج كثير منها منسوبا إلى غير صاحبه.

٣- الكشف عن كثير من الأعلام المجهولة في الأعمال التي خرجت على أيدي غيرهم.

وهو الأمر الذي يحتاج إلى قدر من العناية والفحص ولاسيما أن هذه الجهود النقدية للتراث العربي مجموعة في مثل كتاب: قطوف أدبية: دراسات نقدية في التراث العربي في تحقيق التراث، للأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله.

الأزهر وتحقيق التراث اليوم ومثال غير أخير لريادته

وما زال الأزهر أعرق مؤسسة علمية ترعى تحقيق نصوص التراث الإسلامي والعربي المشروع الذي يعطي خريطته العلمية جميعا.

والأدلة على ذلك متوافرة في هذا العدد الهائل من الكتب التي يعتني بها أبناؤه ويعتمدونها في رسائلهم لدرجتي الماجستير (التخصص) والدكتوراه (العالمية)، وهو ما يؤذن باستمرار هيمنة المؤسسة الأزهرية على توجيه أعمال تحقيق التراث الإسلامي ونشره.

ويقف الدكتور النبوي شعلان مثالا فريدا فذا في هذا السياق على الدور الممتد المستمر منذ البدايات كما رأينا ـ لعناية الأزهر الشريف بالتراث العربي الإسلامي تحقيقا ونشرا.

وهذا الحكم بفرادة الدكتور النبوي شعلان بما هو محقق من كبار المحققين الذين أخرجهم الأزهر الشريف مدعوم بعدد من العلامات هي:

● أولا: عكوفه الدائم في شبه انقطاع على تحقيق التراث ولاسيما التراث الشعري، والنقدي، وهو باب خطير مؤثر في الدراسات العربية كلها تفسيرا وحديثا وأصولا ولغة.



محمود شاكر

● ثانيا: كثرة تحقيقاته، وتنوعها.

● ثالثا: علو تحقيقاته، وإتقانها.

● رابعا: عنايته بالمراجعات النقدية للتحقيقات السابقة.

● خامسا: وراثة أعلام كبار يدين لهم بالتأثير فيه من أمثال: محمود شاكر - رحمه الله تعالى -.

سادسا: إسهامه في تأسيس أول مركز يعنى بتحقيق التراث الإسلامي في جامعة الأزهر الشريف.

إن فحص منزلة الأزهر الشريف السامية لا يصح أن تقف عند حدود ما يرصده المؤرخون من ملامح ما قدمه للحياة العربية والإسلامية على امتداد تاريخه العريق، ولكن فحص منزلته ودوره ينبغي أن تنطلق ابتداء من واجبه الأول الذي استقر في الضمير الإسلامي والعربي أنه لصيانة الفكرة الإسلامية، وصيانة تراث هذه الفكرة، وهو ما رأينا أماراته في المراحل جميعا، في مرحلة البدء التي هيمن فيها رجاله على حركة النشر وتصحيحه، وفي المراحل التي تلت زمان البداية الحديثة تأسيسا وإنضاجا وإحكاما في ميدان تحقيق التراث الإسلامي والعربي.

وما يزال الأزهر، وسيظل، بما يخرجه للأمة من أعلام المحققين المتميزين منارة الهادية التي تنير الطريق للحياة في دروبها المختلفة.

رسالة روح القدس في محاسبة النفس

تأليف
الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي
جمع
محمود محمود الغراب
دمشق، مطبعة نضر، ١٩٩٤م.
الطبعة الثانية

التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، ولد عام ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بشرق الأندلس وتوفي عام ٦٣٨ هـ بمدينة دمشق. له من المؤلفات ما ينيف عن خمسمائة مؤلف بين رسالة وكتاب. لم يبق منها بخط يده إلا القليل. منها الفتوحات المكية. اشتهر باسمه العربي والشيخ الأكبر من أكبر بأسماء الأسلاه ولقبه الأولياء وأهل العرفان «سلطان العارفين وشيخ المحققين».

عرض الكتاب:

كتبت هذه الرسالة لأخ في الله وصديق للشيخ الأكبر ابن العربي يدعى «أبو محمد عبدالعزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي» كان يعيش في تونس، يخاطب الشيخ الأكبر «محيي الدين بن العربي» صديقه بصورة مباشرة على امتداد الرسالة، التي تتضمن حواراً بين الشيخ ونفسه يتضمن الحوار حكايات عن سلوك الأولياء الذين اجتمع بهم بالجسم أو بالروح، أو الأولياء الذين رويت قصة حياتهم من قبل شهود ثقات قصد الشيخ بهذه الأمثلة تعليم النفس التي تشعر بالتقصير مقارنة بهؤلاء الأولياء.

يخبر الشيخ صديقه بأنه قد أمر بتقديم النصيحة، ويشرح المؤلف كلمات «ابن العربي» ذاته في كتاب المبشرات أنه قد أمر بالنصح العام كما جاء في الحديث النبوي، وأنه أمر بأمر مباشر من الله في مكة ودمشق، وكانت محاولاته الأولى في النصح تجري دون أن يعزوها لنفسه، إذ كان يعتقد أن المقصود هو أن ينتفع الناس وفق مقاييسهم، سواء علموا أم لم يعلموا من هو المؤلف، ولكن عندما نسبت هذه الأعمال إلى «الغزالي» الذي تلقى السباب بسببها من النقاد، شعر «ابن العربي» بضرورة أن يصرح بتأليفه.

وقد أشار «ابن العربي» «ص٢٣» إلى النفس بأنها الصفات التي جبل عليها الإنسان والتي لا تتبدل، فهي ذاتية في النشأة والمزاج الخاص، من الجبن والشح والحسد والحرص والعلظة وطلب القهر. فهي صفات لازمة للنفس في أصل خلقتها لا تنفك عنها ويشير هذا التعريف إلى سمات الشخصية P ersonality Traits.

وتشمل الرسالة ثلاثة أقسام رئيسة:

● القسم الأول: الدروس المستفادة من أحوال ومقامات الأولياء الذين عاشوا قبل زمن الشيخ «كأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب مثلاً» بالإضافة إلى بعض الأولياء الآخرين مثل أويس القرني، وذلك من «ص٢٨ - ٦٥».

● القسم الثاني: يتناول الأولياء وأهل طريق الله الذين قابلهم الشيخ في حياته، مثل «أبو جعفر أحمد العريبي، أبو الحجاج يوسف الشبربلي، صالح الخراز» وغيرهم، وذلك من «ص٦٥ - ١٣٣» وفي سياق تناول الشيخ للفكرة الثانية تحدث عن الذكي وغير الذكي على لسان القاضي «عبدالوهاب الأزدي» أحد أهل طريق الله الذين قابلهم الشيخ ابن العربي، فقال: الناس على قسمين ذكي وغير ذكي، فغير الذكي لا كلام معه لنقصه، وهو يأتي للعالم فيأخذ منه العلم تقليداً، لعدم ذكائه وفطنته، والذكي الغالب عليه الإصابة في عموم أحواله. وهذا لا يقع في الأشياء إلا بالبراهين من نفسه لذكائه. وفي هذا إشارة إلى مفهوم الذكاء Intelligence من حيث الوصف اللفظي لمظاهر السلوك الذكي.

● القسم الثالث: تتضمن وصف النعم التي منحها الله لوليه، والشكر المناسب لها، والواجب عليه له، تتمثل هذه النعم في

- نعمة الإيجاد من العدم.
- ونعمة الإيجاد نامياً متغذياً وليس جماداً.
- ونعمة النقل من عالم النبات إلى عالم الحيوان.
- ونعمة النطق والتفضيل على الحيوان، وسر الألوهية والعبودية في الإنسان.
- ونعمة التوكل والتوبة والطهارة.
- ونعمة إدراك أنه «لا إله إلا الله».
- ونعمة الإيمان بالنبي ﷺ.
- ونعمة جعلك من أهل السنة.
- ونعمة جعلك طائعاً عارفاً وارثاً.

الخلاصة:

ورد في هذه الرسالة الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- سمات الشخصية Personality Traits
- الذكاء Intelligence

القائم بالعرض

د. أمنيه الشناوي

ضياع الأمانة هلاك للدولة



بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

جاء الإسلام بأركانه وفرائضه، وأحكامه وتعاليمه، وأخلاقه وفضائله، وتوجيهاته وإرشاداته ليجعل من المسلم صاحب ضمير حي يقظ، يراقب الله في كل حركاته وسكناته، وأفعاله وأقواله، وسلوكه وتصرفاته، وبذلك تُصان حقوق الله وحقوق الناس، ويكون ضمير المسلم حارسًا أمينًا عليه يحميه من التفريط والإهمال، ومن التجاوز في الأفعال والأقوال.

ومن أجل تحقيق هذه الغايات والأهداف أوجب الإسلام أن يكون المسلم أمينًا.

إن أشق وأثقل وأضخم وأعظم التكاليف التي حملها الإنسان الأمانة، لقد بين الله - عز وجل - في هذه الآية الكريمة ضخامة تبعة ومسئولية التي حملها الإنسان من التكاليف والفرائض الشرعية التي كلف الله بها عباده من إخلاص في العبادة، ومن أداء للطاعات، ومن مجانبة للمحرمات، ومن محافظة على آداب هذا الدين وتعاليمه وأخلاقه وشعائره وفرائضه وسننه، والتي عبر عنها - سبحانه - في الآية الكريمة بالأمانة.. فهذه التكاليف بجميع أنواعها وصورها العقائدية والجسدية والمالية والسلوكية حقوق أمرنا الله برعايتها وتنفيذها، وبتمامها على أدائها كما طلبها الله عندما قبل الإنسان حمل هذه الأمانة عند عرضها عليه، بعد أن أبت السموات والأرض والجبال حملها عند عرضها عليها لثقلها وضخامتها ومشقتها، وخوفًا من عواقب حملها أن ينشأ لهن من ذلك ما يؤدي إلى عذاب الله وسخطه بسبب التقصير في أداء ما كلفن بأدائه - فالإباء هنا ليس إباء معصية ولكنه إباء خوف من ثقلها وتحمل تبعاتها.

وقبل الإنسان حمل هذه الأمانة. لكن بعض جنس الإنسان لم يلتزموا بأداء ما كلفهم الله - تعالى - بأدائه على الوجه الذي طلبه الله وأمرنا به، فظلموا أنفسهم بخيانتهم هذه الأمانة. فالإنسان إذن مطالب بأداء هذه الأمانة أيا كان موضعها وأيا كان نوعها. ومسئول عن التقصير في أدائها.

والذي نشاهده من سلوك كثير من الناس أنهم فسروا الأمانة وقصروها على: رد الودائع التي يؤتمنون عليها، مع أن تفسير الأمانة وقصرها على هذا المعنى يعتبر إهمالاً جسيمًا وبعدًا شاسعًا عن معانيها وصورها المتنوعة والمتعددة في جميع التكاليف والفرائض والسنن قولاً وفعلاً وسلوكًا.

إن المجالات التي تدخل فيها الأمانة كثيرة ومتعددة منها: الدين، والأعراض، والأموال، والأجسام، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، والقسم، وأداء اليمين، ونقل الأحاديث، والأسرار، والرسالات، والسمع، والبصر، وسائر الحواس.. ولكل مجال من هذه المجالات شرح وتوضيح يناسبه.

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -:

«والأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعًا شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه، على النحو الذي فصله الحديث الكريم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته»[1].

قال ابن عمر - راوي الحديث - سمعت هؤلاء من النبي ﷺ، وأحسبه قال: «الرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته».

والعوام يقصرون الأمانة في أضيق معانيها وآخرها ترتيبًا، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل.

إنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها.. حتى إنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر، يقول له أخوه: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[2].

وعن أنس قال: «ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[3].

ولما كانت السعادة القصوى أن يُوقَى الإنسان شقاء العيش في الدنيا وسوء المنقلب في الأخرى، فإن رسول الله جمع في استعاذته بين الحالين معًا إذ قال: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع،

(١) البخاري (٢) الترمذي (٣) أحمد (٤) أبو داود (٥) كتاب «خلق المسلم»

وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»[6].. فالجوع ضياع الدنيا والخيانة ضياع الدين.

وكان رسول الله ﷺ في حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين[5].. إن من معانى الأمانة: الالتزام التام بدقة المعايير، ومطابقة الشروط، ومراعاة الصالح العام عند اختيار الأشخاص الذين تُسند إليهم مناصب عامة في الدولة، فيتحتم عند اختيارهم أن تنحى الأهواء الشخصية، وأن تستبعد المجاملات الاجتماعية، وأن تجتنب الميول إلى ذوى القربى، وأن تغلق أبواب الرشوة والمحسوبية، وأن يقطع دابر الشفاعات المغرضة، فلا يختار لشغل المكان إلا الشخص المناسب له، الخبير بعمله، الكفء في إدارته، الملتزم بمراعاة أداء الأمانة فيه.

فما أضاع الدول، ولا قضى على الأمم، ولا عانت الشعوب من القهر والاستبداد، ومن الظلم والطغيان، ومن الفقر والحرمان، إلا عندما طبق الحكام عند اختيار الأشخاص الذين يتولون المناصب العامة قاعدة: «أهل الثقة مقدمون على أهل الخبرة».

واعتبار الولايات والمناصب العامة أمانات يسأل عنها الحكام أمام الله ثبت ومعلوم من الدين بالضرورة فالإمام راع ومسئول عن رعيته، فعن أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها»[7].

فظاهر وواضح أن أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ لما طلب الولاية لم يره رسول الله ﷺ وسلم جلدًا ومناسبًا لها رغم مكانة أبى ذر وعلمه ومنزلته وقربه من مجالس رسول الله ﷺ، ومعنى ذلك أن الأمانة تقتضى أن نصطفي للأعمال ونختار لها أحسن الناس قيامًا بها، وأداء بواجباتها، فإذا ملنا عنه إلى غيره ـ لهوى أو قرابة أو رشوة أو تعصبًا لحزب أو جماعة أو مجاملة أو كرهًا وبغضًا للأصلح، أو غير ذلك من الأسباب الفاسدة ـ فقد ارتكبنا بتنحية الكفء الصالح، وتولية العاجز خيانة فادحة، حسابها وعقابها عند الله عسير.

قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[7].

وعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ حين بعثنى إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ: «من ولى من أمر المسلمين شيئًا فأمر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»[8].

والأمة التى لا أمانة فيها، هى الأمة التى تعبث فيها الشفاعات والمجاملات والأهواء بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم دونهم الجهلاء والمنافقين.. وقد أرشدت السنة النبوية إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذى سوف يقع آخر الزمان، فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: بينما النبي (ﷺ) في مجلس يحدث القوم جاء أعرابى فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله (ﷺ) يحدث.. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع.. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[9].

كما أن من معانى الأمانة ـ التى أهملها بل وأغفلها كثير من الناس ـ أن يحرص الإنسان على أداء واجباته الكاملة في كل عمل يسند إليه، وأن يبذل جهده في إنجازه وتمامه على أحسن وجه وفى أتم صورة، وأن يعمل على قضاء مصالح الناس التى وضعها الله أمانة بين يديه، وأن يراقب الله عند اتخاذ أى قرار يأمر به أو يرفعه، فلا يحابى قريبًا، أو يجامل صديقًا، أو يسلب حقًا، أو يمنع عدلاً، أو يتقاضى مالاً عن طريق الرشوة أو عن طريق التحايل واستغلال السلطة، أو عن أداء أعمال وهمية لم يزاولها ولم يشارك فيها، بل ولا يعرف عنها شيئًا، مستغلا منصبه الوظيفى، وما أكثر هؤلاء!! الذين غرتهم الدنيا فنسوا الله، ونسوا الموت، ونسوا البعث، ونسوا الحساب والجزاء.

إن أعظم خيانة للأمانة أن يتولى إنسان أمور الناس فيهملها وينام عنها حتى يضيعها، كما أن الاستيلاء على المال العام دون وجه حق، والتربح منه بالطرق الملتوية هو مال سحت، قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»[10]، لأنه اختلاس من مال الأمة الذى ينفق منه في حقوق الضعفاء والفقراء، ويرصد للإنفاق على المصالح والخدمات العامة، يقول الله تعالى:

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ١٦١)

أما الإنسان الذى يلتزم حدود الله في وظيفته، ويراقب الله في عمله، ويخشى الله في أقواله وتصرفاته، فيؤديها بأمانة، ويأنف من خيانة الواجب الذى كلف به، فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه وإعلاء كلمته، قال رسول الله (ﷺ) «العامل إذا استعمل فأخذ الحق، وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته»[11].

---

(٦) مسلم (٧) الحاكم (٨) الحاكم (٩) البخاري (١٠) أبو داود (١١) الطبراني

قراءة فى كتاب



بقلم: عادل خفاجة

ان الاتفاق على ضرورة السعي الى وحدة الامة ولم شمل الطوائف الاسلامية امر مفروغ منه الترسا لامر الله تعالى:

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

من اجل ذلك نهض المصلحون الى لم شمل الامة فنشأت فكرة التقريب بين المذاهب غير ان هذه الفكرة كما وجدت لها الكثير من المؤيدين الذين يرون ان التقارب يغلق باب الفتنة وعلى راسهم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ شلتوت شيخ الازهر وجدت ايضا الكثير من المعارضين بل الذين يرون استحالة ذلك ومنهم الاستاذ الكبير محب الدين الخطيب صاحب هذا الكتاب: الخطوط العريضة للاسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية.

الهدف من تأليف الكتاب:

أورد الأستاذ محمد نصيف ناشر الكتاب أن مؤلفه قام بهذه الدراسة من مهذب كتب الشيعة لتحرى وسائل التقريب فيها. وقد تبين له استحالة ذلك، لأن واضعى أسس الدين الشيعي لم يتركوا فى أصولهم وسيلة يهتدا للتقريب بعد أن قاموا على دعائم مخالفة ما جاء به النبي ﷺ.

ثم يقول: وما كتب المؤلف التي وردت فى هذه الدراسة مأخوذة من الكتب المعتمدة عند الطائفة الإمامية الاثنى عشرية. ومدون عنها بأرقام صفحاتها، وبيان طبعات الكتب المأخوذة منها ولا يستطيع أن يمارى فيها أحد، لذلك رأينا أن نضعها أمام أنظار الناس

﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾

الأنفال ٤٢

مؤلف الكتاب:

هو محب الدين بن أبى الفتح محمد ابن عبد القادر بن صالح الخطيب. ولد بدمشق سنة ١٨٨٦ يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد فى دمشق وتعلم بها وبالأستانة وشارك سنة ١٣٢٤ هـ فى إنشاء جمعية بدمشق سميت النهضة العربية وكان من أعضائها الدكتور صالح الدين القاسمي ورحل إلى صنعاء فترجم عن التركية وعمل فى بعض مدارسها وبعد إعلان الدستور العثمانى (١٩٠٨) عاد إلى دمشق ثم زار الأستانة ومنها قصد القاهرة (١٩٠٩) فعمل فى تحرير المؤيد. وانتدبته إحدى الجمعيات العربية فى وقت الحرب العالمية الأولى للاتصال بأمراء العرب فاعتقله الإنجليز فى البصرة سبعة أشهر

وأعلنت فى مكة الثورة العربية (١٩١٦) فقصدها وحرر جريدة القبلة وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابيا. ولما جلا العثمانيون عن دمشق، عاد إليها (١٩١٨) وتولى إدارة جريدة العاصمة. ثم عاد إلى القاهرة وعمل محررا فى الأهرام

وأصدر مجلته الزهراء والفتح وكان من أوائل مؤسسى جمعية الشبان المسلمين

وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات. وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها. فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها ونشر من تآليفه

اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب، وتاريخ مدينة الزهراء بالأندلس، وذكرى موقعة حطين، والأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه، والرعيل الأول فى الإسلام، والحديقة مجموعة كبيرة فى أجزاء صغيرة. أصدر منها ١٣ جزء

الكتاب:

يقع الكتاب فى ثلاث وستين صفحة من القطع المتوسط ويضم مقدمة وعددا من الأبواب التى حشدها المؤلف للبرهنة على استحالة التقريب بين أهل المذهب السنى وبين أهل مذهب الشيعة الاثنى عشرية وهذه الأبواب هى

الفقه الإسلامى مسألة التقية، الطعن فى القرآن الكريم، كذبهم على على كرم الله وجهه فرحه مستبشرين بهم فى الحكام، الحقد على أبى بكر وعمر، تعصبهم ضد عمر عقيدة الحكم من التشيع للمنسوبية، الرجعة فى التدمير والانتقام عقيدة الرجعة، تفكيرهم لم يعتمد على التاريخ الثابت، الغيب للأئمة المعصومين والأئمة فوق الرسول، حماسات العلقمى والنصير الطوسى، خديعة التقية لا تكون إلا بولاية الشيعة تخالف المسلمين فى الأصول وليس فقط فى الفروع، الشقاق والفرقة، حكاية البنات والمصاهرات، ولاء المسلمين، الحب والمودة بين الخلفاء الراشدين، ما ينسب إليهم سفك الإسماعيلية عنهم، الشيعة أنفسهم لا يريدون التقريب بل نشر مذهبهم الدعاية السياسية، تعليق مفيد، أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات. نلخص ما ورد فى هذه الرسالة وغيرها من فروق خاصة

وقد استهل المؤلف هذا الكتاب بقوله

التقريب بين المسلمين فى تفكيرهم، وفى عقائدهم وغاياتهم وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام ومن أهم وسائل القوة والنهوض والإصلاح وهو من الخير لشعوبهم وجماعتهم

فى كل زمان ومكان.

والدعوة إلى هذا التقريب إذا كانت بريئة من الغرض، ولا يترتب عليها فى تفاصيلها ضرر يطغى على ما يرجى من نفعها، فإن على كل مسلم أن يستجيب لها، وأن يتعاون مع المسلمين على إنجاحها.

وإذا كان الافتراق الأساسى بيننا وبينهم قائما على دعواهم أنهم أكثر ولاء لأهل البيت، وعلى دعواهم أنهم يبطنون -بل يظهرون- الحقد والضغينة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين قام الإسلام على أكتافهم إلى درجة أن يقولوا مثل هذا الكلام القذر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقد كان الإنصاف يقتضى أن يبدءوا هم بتخفيف إحنهم وضغينتهم عن أئمة الإسلام الأولين، وأن يشكروا لأهل السنة موقفهم النبيل من آل البيت وعدم تقصيرهم بشىء من واجبات الإجلال والتكريم لهم، إلا أن يكون تقصيرنا نحو آل البيت فى أننا لم نتخذهم آلهة نعبدهم مع الله، كما هو مشاهد فى مشاهدهم القائمة فى الناحية الأخرى التى يراد التقريب بيننا وبينها.

الفقه الإسلامى

وتحت عنوان: «الفقه الإسلامى» يوضح المؤلف أن الفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلمة عند الفريقين، وأن التشريع الفقهى عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التى يقوم عليها التشريع الفقهى عند الشيعة، ويخلص إلى أنه ما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الاشتغال بفروعها وما لم يتم التجاوب فى ذلك من الناحيتين، فى المعاهد العلمية للطائفتين، فلا فائدة من إضاعة الوقت فى الفروع قبل الأصول، ويشير إلى أنه لا يقصد بقوله هذا أصول الفقه، بل أصول الدين.

مسألة التقية

وينتقل إلى أخطر القضايا المانعة لحدوث التقريب ألا وهى مسألة التقية إذ يرى أنها من موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم، لأنها عقيدة دينية، تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم فى التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به ولا يعملون له، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد مع بقاء الطرف الآخر فى عزلته لا يتزحزح عنها قيد شعرة. ولو توصل ممثلو دور التقية منهم إلى إقناعنا بأنهم خطوا نحونا بعض الخطوات، فإن جمهور الشيعة كلهم من خاصة وعامة سيبقى منعزلا عن ممثلى هذه المهزلة. ولا يسلم للذين يتكلمون باسمه بأن لهم حق التكلم باسمه

الطعن فى القرآن الكريم

ليس هذا فحسب، بل تناولوا القرآن الكريم بالطعن وهو المرجع الذى يجب أن ينال كل التقديس والتكريم والتبجيل من كل المسلمين لأنه الكتاب الذى كان ينبغى أن يكون المرجع الجامع لنا، ولهم على التقارب نحو الوحدة، فإن أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبى ﷺ، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذى نزل عليه القرآن.

بل إن أحد كبار علماء النجف، وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى ألف فى سنة ١٢٩٢هـ كتابا سماه: "فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم فى مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. وقد طبع كتاب الطبرسى هذا فى إيران سنة ١٢٩٨هـ وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك فى صحة القرآن محصورا فى خاصتهم ومتفرقا فى مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله فى كتاب واحد، تطبع منه ألوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه وألف كتابا آخر سماه «رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» وقد كتب هذا الدفاع فى أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين. وقد كافئوه على هذا المجهود فى إثبات أن القرآن محرف، بأن دفنوه فى ذلك المكان الممتاز من بناء المشهد العلوى فى النجف

ومهما تظاهر الشيعة بالتبرؤ من كتاب النورى الطبرسى عملا بعقيدة التقية، فإن الكتاب ينطوى على مئات النصوص عن علمائهم فى كتبهم المعتبرة.

ومما تزعم الشيعة أنه أسقط من القرآن آية «وجعلنا عليا صهرك» زعموا أنها أسقطت من سورة "ألم نشرح" وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة "ألم نشرح" مكية، ولم يكن على صهرا للنبى ﷺ بمكة، وإنما كان صهره الوحيد فيها العاص بن الربيع الأموى رضى الله عنه الذى أثنى عليه صلوات الله عليه على منبر مسجده النبوى، لما أراد علىٌّ رضى الله عنه أن يتزوج بنت أبى جهل على فاطمة فشكت ذلك فاطمة إلى أبيها صلوات الله عليه، وإذا كان علىٌّ رضى الله عنه صهرا للنبى ﷺ على إحدى بناته، فقد جعل الله عثمان رضى الله عنه صهرا له على ابنتيه الاثنتين، وقال له النبى ﷺ لما توفيت الثانية «لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها».

رأيهم فى الحكام

ويشير المؤلف إلى حقيقة خطيرة مفادها أن أصل مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية التى تسمى أيضا (الجعفرية) قائم على اعتبار جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبى ﷺ إلى هذه الساعة -عدا سنوات حكم على بن أبى طالب رضى الله عنه- حكومات غير شرعية، ولا يجوز لشيعى أن يدين لهؤلاء بالولاء والإخلاص من صميم قلبه، بل يداجيها مداجاة ويتقيها تقاة، لأنها كلها ما مضى منها وما هو قائم الآن وما سيقوم منها فيما بعد، حكومات مغتصبة والحكام الشرعيون فى دين الشيعة وصميم عقيدتهم هم الأئمة الاثنى عشر وحدهم، سواء تيسر لهم مباشرة الحكم أو لم يباشروه، وكل من عداهم ممن تولوا مصالح المسلمين من أبى بكر وعمر إلى من بعدهم حتى الآن مهما خدموا الإسلام ومهما كابدوا فى نشر دعوته وإعلاء كلمة الله فى الأرض وتوسيع رقعة العالم الإسلامى، فإنهم مفتئتون مغتصبون إلى يوم القيامة.

الحقد على أبى بكر وعمر

وارتباطا برأيهم فى الحكام يلعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وكل من تولى الحكم فى الإسلام غير على رضى الله عنه،

وقد كذبوا على الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بأنه أقر شيعته على تسمية أبي بكر وعمر الجبت والطاغوت

تعظيم قاتل عمر

وتأكيدا لهذه العقيدة التي تعتبر جميع الحكام مغتصبين للحكم نرى تعظيمهم لقاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد روى علي بن مظاهر من رجالهم عن أحمد بن إسحق القمي الأحوص (شيخ الشيعة ووافدهم) أن يوم قتل عمر بن الخطاب هو يوم العيد الأكبر ويوم المفاخرة ويوم التبجيل ويوم الزكاة العظمى ويوم البركة ويوم التسلية.

عقيدة الحكم

ويشير المؤلف إلى واحدة من عقائدهم الأساسية وهي: أنه عندما يقوم المهدي (وهو إمامهم الثاني عشر) الذي هو حي الآن (بزعمهم) وينتظرون خروجه -أي ثورته ليثوروا معه- وإذا ذكروه في كتبهم يكتبون في جانب اسمه حرفي "عج" أي "عجل الله فرجه".

عندما يقوم هذا المهدي من نومته الطويلة التي زادت على ألف ومائة سنة، وسيحيي الله له ولآبائه جميع حكام المسلمين السابقين مع الحكام المعاصرين لقيامه -وعلى رأس الجميع أبو بكر وعمر فمن بعدهما- فيحاكمهم على اغتصابهم الحكم منه، ومن آبائه الأحد عشر إماما -لأن الحكم في الإسلام حق لهم وحدهم من الله منذ توفي رسول الله ﷺ إلى أن تقوم الساعة، ولا حق فيه لأحد غيرهم.

عقيدة الرجعة

ويوضح المؤلف أن عقيدة (الرجعة) أي محاكمة حكام المسلمين، كان يؤمن بها عالمهم السيد المرتضى، مؤلف كتاب (أمالي المرتضى) وهو أخو الشريف الرضي الشاعر، وشريكه في تزوير الزيادات على (نهج البلاغة)، وتعدل أكثر من ثلث الكتاب وهي التي فيها تعريض بالصحابة وتحامل عليهم فقال السيد المرتضى المذكور في كتابه (المسائل الناصرية): إن أبا بكر وعمر يصلبان يومئذ على شجرة في زمن المهدي (أي إمامهم الثاني عشر الذي يسمونه قائم آل محمد) وتكون تلك الشجرة رطبة قبل الصلب فتصير يابسة بعده.

تفكيرهم لم يتغير

ويوضح المؤلف إن أعلام الشيعة وأحبارهم في جميع العصور واقفون هذا الموقف اخزى من صاحبي رسول الله ووزيريه أبي بكر وعمر ومن سائر أعلام الإسلام وخلفائه وحكامه وقادته ومجاهديه وحفظته. وقد سمعنا داعيتهم الذي كان قائما على دار التقريب، ويتفق عليها يزعم لمن لم يتسع وقته لدراسة هذه الأمور أن هذه العقائد كانت في الأزمان السالفة وأن الحالة تغيرت الآن

وهذا الزعم كذب وغش فالكتب التي تدرّس في جميع معاهدهم العلمية تدرّس هذا كله وتعتبره من ضروريات المذهب وعناصره الأولى.

الشيعة تخالف المسلمين في الأصول وليس فقط في الفروع

ويختتم هذه القراءة بما عرضه المؤلف من نصوص تؤكد أن الشيعة تخالف المسلمين في الأصول حيث ذكر نصا يتعلق بموضوع التقريب ليعلم كل مسلم إمكان التقريب بين أبناء الطوائف والمذاهب الأخرى واستحالته مع الشيعة على وجه الخصوص وذلك اعترافهم الصريح الآتي بيانه:

قوله في تعيين الفرقة الناجية من الفرق الثلاث والسبعين وأنها الإمامية قال: [illegible] اعتبرت جميع المذاهب ووقفت على أحوالها وفروعها فوجدت من عدا الإمامية مشتركة في الأحوال المعتبرة في الإيمان، وإن اختلفوا في أشياء يتساوى إثباتها ونفيها بالنسبة إلى الإيمان. ثم وجدت أن الطائفة الإمامية يخالفون الكل في أحوالهم، فلو كانت فرقة ممن عداهم ناجية لكان الكل ناجين، فدل على أن الناجي هو الإمامية لا غير".

قال الخونساري: وقال السيد نعمة الله الموسوي -بعد نقله لهذه عبارة "تحريره": أن جميع الفرق مطبقون على أن الشهادتين وحدهما مناط النجاة تعويلا على قوله ﷺ "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة". أما هذه الفرقة الإمامية فهم مجمعون على أن النجاة لا تكون إلا بولاية أهل البيت إلى الإمام الثاني عشر. والبراءة من أعدائهم (أي من أبي بكر وعمر إلى آخر من ينتمي إلى الإسلام- من غير الشيعة حكاما ومحكومين) فهي مباينة لجميع الفرق في هذا الاعتقاد، الذي تدور عليه النجاة".

وقد صدق الطوسي والموسوي والخونساري.. وكذبوا. صدقوا في أن فرق المسلمين متقاربة في الأصول، ومختلفة في الأمور الثانوية، ولذلك يمكن التفاهم والتقارب بين الفرق المتقاربة في الأصول، ويستحيل هذا التفاهم مع الشيعة الإمامية لأنها تخالف جميع المسلمين في أصولهم ولا ترضى من المسلمين إلا بأن يلعنوا الجبت والطاغوت أبا بكر وعمر فمن دونهما إلى اليوم، وبأن يتبرءوا من كل من ليس شيعيا حتى آل البيت من بنات رسول الله ﷺ اللاتي صاهره عليهن ذو النورين عثمان بن عفان والأموي الشهم النبيل العاص بن الربيع الذي أثنى عليه النبي ﷺ على منبر المسجد النبوي على ملأ من جميع المسلمين لما أراد علي أن يتزوج بنت أبي جهل ويجعلها ضرة لبنت ابن عمه فاطمة، فشكت ذلك إلى أبيها.

[illegible]

مجرد النطق بالشهادتين هو مناط النجاة في الآخرة، عند غير الشيعة من المسلمين. ولو كانت لهم عقول أو معرفة لعلموا أن الشهادتين عندنا عنوان الدخول في [illegible]

[illegible]

[illegible]

للإيمان كمال كما قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: وإن للإيمان فرائض [illegible]

استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان

وبعد.. فإن الكتاب يعد وثيقة تؤكد أن [illegible]

وأن بقية الأمة الإسلامية في النار

ولم يقل بذلك أحد، إذ بيان الفرقة [illegible]

ﷺ حين قال الصحابة: ومن هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي. وما يفهم من رده ﷺ أن كل من أخذ بما عليه الرسول الكريم وأصحابه هو من الفرقة الناجية نسأل الله العظيم أن نكون منهم وأن يعصمنا من الزلل آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الإسلام والدولة الحديثة « ١ »

منير شفيق
المفكر الإسلامي والباحث الاستراتيجي

كتب الكثيرون عن الدولة وقد حملت كتاباتهم عناوين مثل . الدولة والمجتمع .، و. الدولة والثورة .. . الدولة في التاريخ .. . الدولة الإقطاعية .. . الدولة الرأسمالية .. . الدولة الاشتراكية .. . الدولة الإسلامية .. . الفرد والدولة .. مما يدل على أهمية موضوع الدولة وحيويته بالنسبة إلى كل عقيدة، ومذهب وكل نظام اجتماعي، واتجاه سياسي - ونظرية اقتصادية. اى لابد من ان يحدد بشكل أو بآخر الموقف من الدولة والرأى فيها.

الدولة والحكومة

بداية، عند الحديث عن الدولة، يجب عدم الخلط بينها وبين الحكومة أو السلطة السياسية. فالحكومة والسلطة السياسية هما جزء من الدولة. ولا يغطيان الدولة ككل؛ لأن الدولة تشمل البرلمان والحكومة والجيش والشرطة ومؤسسات كثيرة أخرى وتشمل الدستور والقوانين والقضاء، والحكومات تذهب وتأتي غيرها ولكن مجموع المؤسسات المؤلفة منها الدولة تظل باقية، وتشكل الأساس الذى تقوم عليه الحكومات. أو قل كل حكومة تأتي لتكون امتداداً وتعبيراً وقيادة للدولة المعنية. وعندما لا تكون كذلك أو يصبح انسجامها، أو توافقها، مع جهاز الدولة في حالة تعارض وتناقض يصبح لا مفر من سقوط الحكومة أو من حدوث تغيير جذرى في مؤسسات الدولة نفسها. ويحدث هذا عادة، ولا سيما، في العصر الحديث. عندما تقوم ثورة تؤدى إلى تغيير فورى للحكومة، ولبعض القيادات العليا في أجهزة الدولة. ولكن الدولة السابقة نفسها بكل ثقل أجهزتها ومؤسساتها وقوانينها وإجراءاتها وتقاليدها وعلاقاتها تظل باقية. فعلى سبيل المثال تبقى أغلب التعليمات والقوانين هي نفسها في طريقة إجراء المعاملات في الدولة مثل الحصول على جواز السفر، أو تقديم طلب استخدام، أو إجراءات المحاكم أو قوانين السير في الطريق أو عقود البيع والشراء. كل ذلك يعني بمجموعة «أنظمة أجهزة الدولة». أى عملياً تكون قد تغيرت الحكومة أما أغلب أجهزة الدولة» السابقة وقوانينها فقد بقيت على حالها و من هنا كان لابد من حمل فهم شامل للدولة يتعدى إقترانه بالحكومة أو بقيادة السلطة السياسية

فعلى سبيل المثال تقوم الثورة وتنتصر ويسقط رأس الدولة الطاغوتية وحكومته وكبار حاشيته ومعاونوه، وتحل حكومة الثورة مكان حكومة الطاغية، أو حكومة الاستعمار، وينتخب الشعب برلماناً أو مجلس شورى، ورئيساً للجمهورية، ويتم تغيير الكثير من القيادات على مستويات مختلفة. فتحل محل القيادات السابقة قيادات تعلن انتماءها إلى خط الثورة ثم تعلن عن دستور جديد. وتندفع كم والقضاة بالعمل لحل مشكلات الناس أو البت بالقضايا العالقة. وتتغير قيادات الجيش. ولكن مع ذلك. وبالرغم من كل ذلك. لا يمكن أن نقول ان الدولة السابقة قد صفيت. ويكفي على سبيل المثال أن يحتاج المرء إلى إنجاز معاملة في أحد أجهزة الدولة حتى يجد نفسه أمام سلسلة الإجراءات، والتعليمات السابقة إياها إن لم يزد عليها تعقيدات جديدة. فيدرك ان الدولة ما زالت باقية بالرغم من تغيير طاقم الضباط، أو المشرفين أو المسئولين، أو بعضهم. إنه الجهاز. وما يحمله من إجراءات وقوانين وتعليمات .. بينها العلاقة بين الإنسان وذلك الجهاز. وهي علاقة تشكل جانباً جوهرياً من الجوانب المكونة للدولة. فإذا لم يتغير الجهاز شكلا ومضمونا (التعليمات والقوانين وروح العلاقة بالسلطة وبالناس)، وليس تغيير الكادر والوجوه فقط. فهذا يعني أن الدولة لم تتغير بعد. إن الهيكلية نفسها ليست مجرد شكل لجهاز الدولة وإنما تحمل بحد ذاتها مقومات لها علاقة بالأهداف والمحتوى، أى هي جزء مهم في شكل الدولة، وفي المضمون، أى في الأفراد والقوانين، والتعليمات، والعقلية، وروح العلاقة بالسلطة والناس، كل ذلك يشكل الجزء الآخر من تشكيل الدولة. فالهيكلية جاءت لتخدمه. وعندما يقال بتغيير المضمون واستبدال مضمون آخر به فهذا يقتضي بالضرورة تغيير الهيكلية. أما إذا لم تمس الهيكلية فستظل من عوامل شد المضمون الجديد للتحرك ضمن مقتضياتها.

مثال، طلب رخصة استيراد تحتاج إلى المرور بعدة مراحل، أو عدة «غرف» في الوزارة، أو الإدارة أو الدائرة، أو قل بعدة أختام وتواقيع، وتحتاج إلى بضعة أيام. وربما بضعة أسابيع أو أشهر، أو طلب حق من خلال محكمة يحتاج إلى مراحل كثيرة، ومصاريف ورسوم، ومحامين. ثم قد يستغرق الأمر عدة أشهر وربما سنوات. لماذا بقي كل ذلك مع تغير الأشخاص فهل تكون الدولة قد تغيرت. إن التجربة العالمية أثبتت أن مع مجئ الثورة تظل الدولة على حالها هيكلية ومضمونا (باستثناء بعض المسئولين)، وأحيانا تزداد التعليمات والإجراءات تعقيدا ويزداد المطلوب من التواقيع والمراحل. فرؤوس الأجهزة والدوائر والمؤسسات الجدد يميلون إلى إضافة تعليمات وإجراءات من عندهم أيضا لتتراكم فوق سابقاتها.

الدولة الحديثة

لقد أخذت أجهزة الدولة الحديثة التي قامت على أساس النمط الغربي تتضخم وتتوسع، وأخذت تعليماتها وقوانينها تكثر

[illegible] عامة. ووصل الأمر إلى حد انعقد معه اتفاق عام ضد ما يسمى «الروتين والبيروقراطية»، و«تعطيل مصالح الناس». فما من حكومة ومن حزب في العرب إلا [illegible] الروتين، ومحاربة البيروقراطية. ولم تحدث [illegible] [illegible] ولكن حصيلة العملية كانت باتجاه المزيد من تضخم [illegible] [illegible] حتى أصبحت الدولة عالما قائما بذاته، أو مجتمعا آخر، مقابل المجتمع، والبعض [illegible] الطراز العربي حمل السمات التالية:

١ - أجهزة تضخمت وتشعبت حتى وصلت إلى مختلف أنشطة الحياة

[illegible] موظفي الدولة والمتناوبين في العمل مع أحد أجهزتها حتى أصبح ضخما عددا، وضخما قدرة وسلطة وصلاحيات. فلم يعد وسيلة لتصريف أمور الدولة والمجتمع أو وسيلة لخدمة مصالح طبقة على حد تعبير الماركسيين المحدود، وإنما أصبح أيضا قائما بذاته، ولذاته، وأصبح حالة تقتضي الخروج على المجتمع بكل فئاته، والتحكم بالدستور [illegible]

[illegible] لأجهزة الدولة وأفرادها من القمة حتى [illegible] والصلاحيات والارتفاع فوق المجتمع [illegible] وتتفاقم هذا الأمر بصورة مضاعفة إذا امتلكت الدولة أدوات الإنتاج وأصبحت قيمة على تسيير اقتصاد الأمة وفق خططها وتحت إشرافها.

الدولة والثورة

تنزع الدولة التي تنشأ عن الثورة في هذا العصر إلى ابتلاع الثورة وإخضاعها لها والارتفاع فوق المجتمع وإخضاعه لأحكامها، [illegible] لأمور التشريعية والتنفيذية، والتحكم بمختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والعسكرية والثقافية. والمعادلة في هذا بسيطة، تقول الدولة للثورة «أنا الثورة» بدلاً من أن تقول الثورة للدولة أنا الثورة وأنت الدولة وعليك [illegible] لي. أو بكلمات أخرى تبدأ الدولة بعد الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل الثورة بعملية استيعاب متدرج للوضع الجديد. أو قل تحاول أن تفعل ما تفعله الأفعى حين تستبدل جلدا بجلدها بحيث يتغير الجلد ويبقى الهيكل والمحتوى على حالهما، ويصبح الجديد في خدمة الهيكل الأساسي ويتحرك ضمن حركته. فرجال الثورة الأقوياء حين يصبحون على رأس أجهزة الدولة يظنون أن أجهزة الدولة من تحتهم أصبحت مثلهم وهي تطيعهم. ولكنهم سرعان ما يكتشفون أن الوضع أكثر تعقيدا بل سيكتشفون أن الكرسي الذي تحتهم ليس آلة صماء فحسب وإنما له أيضا متطلباته ومقتضياته من الجالسين عليه.

ومن هنا تمضي أجهزة الدولة وهي تتأقلم مع الوضع الجديد تعمل على التلون بلونه، لتصل في النهاية إلى الإعلان «أنا الثورة». وتصبح مصلحتها ونظرتها وقوانينها السابقة واللاحقة هي الثورة في مرحلتها الجديدة أي بناء الدولة. وهكذا تمضي عملية ابتلاع الثورة من قبل الدولة. ويتم هذا الأمر بسهولة بالرغم من النيات الثورية النقية لأولئك الثوريين الذين يصبحون الدولة. فمن جهة هم مضطرون أن يمسكوا بأيديهم أجهزة الدولة ومؤسساتها لئلا تبقى السلطة بيد غيرهم. ويتصورون أنهم إذا لم يفعلوا ذلك لا يكونون قد فعلوا شيئا حين أطاحوا برأس السلطة.

ولكنهم من جهة أخرى سيجدون أمامهم قوانين وأعرافا تحكم سير تلك الأجهزة بالنسبة إلى علاقاتها بالمجتمع وقد أرسيت تلك القوانين والأعراف على أساس إحكام سيطرة الدولة على المجتمع ومن ثم تصبح المحافظة على تلك القوانين والأعراف أو تشديدها أكثر أمراً مغرياً ومقنعاً جداً، ما دامت تحقق سيطرة الدولة الجديدة على المجتمع. وعندئذ لابد من أن تنسى كل الموضوعات التي تتعلق بـ«البيروقراطية»، أو المطالبة «بتسهيل معاملات الناس»، و«التخفيف من الروتين الحكومي»، ليحل محلها العمل الحثيث لتثبيت سلطة الثورة (الدولة الجديدة - القديمة)، أي تبقى الدولة السابقة من حيث الجوهر على حالها في كثير من الأمور ولا يتغير إلا اسم المسئول وصورة الرئيس التي يرفعها على الحائط خلفه بينما يبقى الجوهر نفسه فيما يتعلق بتحقيق سيطرة الدولة. أما بالنسبة إلى الناس فعليهم التعود على إطاعة السلطة الجديدة ومن ثم عليهم المضي في كل المراحل والعذابات السابقة مضافاً إليها مراحل وعذابات أشد من أجل تسيير أمورهم. وهذا ينطبق على تسجيل زواج أو ولادة، أو استخراج جواز سفر، أو الحصول على إذن بناء، أو استيراد، أو الحصول على تأشيرة، أو الدخول والخروج من المطار، أو تسجيل طالب في مدرسة أو نقله، وانتهاء بإجراءات المحاكم واللجوء إلى القضاء.

يمكن أن نرى هذه المسألة بصورة أوضح بالنسبة إلى أجهزة المخابرات حيث يعاد تكوين تلك الأجهزة على الأسس «العملية» نفسها. وربما احتفظ حتى ببعض الخبراء من رجال الحكم السابق في هذا المضمار، خصوصاً، من الأقل مرتبة.

أما آلية عمل رجال تلك الأجهزة ولاسيما عندما يقع متهم أو مشبوه بين أيديهم، ويصبح من واجبهم كشف مؤامرة، وقمع القوى المضادة للثورة. فعندئذ ترى الأساليب اللاشرعية واللا إنسانية تطبق على الضحية وترى الحقوق التي يتمتع بها هي «الحقوق» نفسها التي كان يتمتع بها أولئك الثوار عندما كانوا هم مكان الضحية ويجب أن يسجل هنا أن تجربة كثير من دول العالم الثالث تخطت التجربة السابقة في بلدانها في مجال القمع وهدر حرية الإنسان وحقوقه وكرامته «وطورت» أجهزة المخابرات والأمن فيها «تطويرا» يفوق المرحلة السابقة عشرات المرات. بكلمة، هذا اتجاه عام تحكمه آليات الدولة الداخلية إذا تركت تفعل فعلها. ويتفاقم هذا الاتجاه عندما يكون الثوار يحملون أفكاراً «تقدمية» حول «التوسع بالتأميم»، و«الإصلاح الزراعي» حيث

تتضاعف قوة الاتجاه نحو تقوية أجهزة الدولة، لأن الدولة هنا تمد أيديها إلى قطاعات جديدة فتصبح مالكة لوسائل الإنتاج بعد أن كانت تملك، بالدرجة الأولى، وسائل القمع ومصادر كبيرة من الأموال. وبهذا يختل التوازن بصورة أكبر بينها وبين المجتمع الذى أضعف حين فقد لحساب الدولة جزءا من مصادر قوته الاقتصادية المستقلة. وهكذا يكون الاتجاه نحو التوسع فى سلطان الدولة وأجهزتها وتحقيق سيطرتها على المجتمع قد تضاعف أيضا تحت شعارات الثورة والإصلاح ومحاربة الاحتكار والاستغلال الرأسمالى والإقطاعى. فبدلاً من أن تقلم أو تصفى الملكية لرأسمالية الاحتكارية أو الإقطاعية من خلال تحويلها لحساب الملكيات الفردية الصغيرة والمتوسطة وملكية المؤسسات الشعبية كالبلديات ومجالس القرى والنقابات والتعاونيات والأوقاف والمساجد والجامعات والمدارس وبهذا تصبح قدرة الشعب أقوى عموما وأكثر استقلالية عن الدولة، الأمر الذى يعدل التوازن بين الدولة والمجتمع لحساب الأخير.. بدلاً من كل ذلك يصار إلى تحويل الملكية المصادرة أو المؤممة إلى الدولة لتقوى بها على حساب إضعاف المجتمع.

الدولة وأعداء الثورة

لا شك فى أن تغييرا مهما يكون قد حدث حين تنتقل قيادة أجهزة الدولة إلى أيدى الثورة. ولا شك فى أن هذا التغيير يلحق أضراراً فى مصالح عدد من القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية العميلة أو الفاسدة ذات النفوذ فى الدولة السابقة.

ولا شك فى أن بعض الدول المجاورة والقوى الدولية الكبرى ستجد أن التغيير تم فى غير مصلحتها. الأمر الذى يجعل من المحتم أن تجرى محاولات للعودة إلى الوضع السابق أى لا مفر من محاولة القيام بانقلاب عسكرى، أو تمرد مسلح، أو تخريب داخلى أو هجوم خارجى، أو حصار دولى «جزئى أو كلى». وهنا تتحرك أجهزة الدولة الثورية لتضرب أعداء الثورة. وقد يحتدم الصراع وكثيرا ما يصبح مصير الوضع الجديد فى خطر حقيقى، أو يصبح على حافة السقوط مما يؤدى بأجهزة الدولة إلى أن تسوغ لنفسها استخدام الأساليب الكفيلة بإنقاذ الثورة وقمع الأعداء. وتبدأ أجهزة القمع تقوى وتوسع نفوذها وتشدد من قبضتها تحت هذا العنوان الجديد «المحافظة على الثورة وصون المكتسبات وسحق الثورة المضادة». ويمضى هذا الاتجاه إلى أقصى مداه فى حمى الصراع الدامى.. وأخيرا يذهب ذلك الخطر المحدق. وتثبت السلطة الجديدة، فتخرج أجهزة الدولة أقوى ساعداً، وأوسع امتداداً، وقد تعززت بالشعور أنها صاحبة الفضل فى الإنقاذ إذ «لولاها» لعاد الحكم الأسود السابق مما يحملها تجنح إلى المحافظة على مكتسباتها الجديدة أى صلاحياتها الاستثنائية التى تمتعت بها فى فترة الطوارئ بل تجنح إلى توسيعها باستمرار ولن تعدم الحجة القائلة أن الخطر لم يزل محدقاً ولم يذهب بعد، وأن الأعداء بعد هزيمتهم ستتضاعف مؤامراتهم. وإن كل تراخ سيعيد المذابح مرة أخرى.

وبهذا يصبح بقاء القبضة الحديدية بالنسبة إلى الدولة الشرط الأول لوجودها أو الهدف الأول فى سياساتها.

يمكن أن ينوه هنا من خلال تجربة غالبية الثورات الحديثة، أن الفوضى، والصراع الدامى، واختلال ميزان القوى فى ظل اشتداد التآمر الخارجى وخطر عودة الحكم الظلامى السابق ينتج، أو يبرز، على مختلف المستويات عدداً من الرجال المنحرفين أو الذين انحرفوا بعد اضطرارهم إلى الغوص فى أعمال التعذيب والتنكيل والقتل والتجسس. هذا إذا لم يصل الأمر إلى هتك الأعراض واستخدام أحط الأساليب فى قهر العدو. إن هؤلاء يصبحون من أعمدة أجهزة الدولة الجديدة وأصحاب فضل عليها فى تثبيت سلطانها. ولكنهم يعلمون أن ما اقترفوه من أعمال تجاوزت الحدود ستجد من رجال الثورة نفسها ومن مؤيديها من سيحتجون عليها. ويطالبون بالمحاسبة ووضع حد لهذا الاتجاه.

وهكذا يصبح من الضرورى لأجهزة الدولة أن تمد إرهابها إلى إسكات تلك الأصوات وإلا وجدت نفسها فى وضع حرج وسط الجماهير إن لم يكن داخل السلطة نفسها أيضا وهنا تبدأ عملية تحتية حتمية من الدسائس والمؤامرات وتشكيل المحاور، والاحتماء ببعض القادة المتنفذين الذين سيجدون بدورهم فى ذلك فرصة لتقوية نفوذهم الشخصى. مما يسمح بخلق أجواء مسممة تسوغ التشكيك فى إخلاص أولئك الذين رفضوا السكوت عن كل إجراء غير شرعى حتى فى مقاومة الأعداء، فضلاً عن الإجراءات التى ذهب ضحيتها أبرياء كثيرون فى غمرة الصراع الدامى وتتسلط بالقبضة الحديدية وتمتد لتنهش فى وجوه، أو فوق رؤوس أغلبية الذين حملوا الثورة على أكتافهم وليس فقط على رؤوس أعداء الثورة. لم تصل العملية إلى نتيجتها الحتمية، إن لم يجر تداركها فى الوقت المناسب، وهى تمحور نواة صغيرة حول قائد طامع بالسلطة ليصبح رجل الدولة ويمسك بالأجهزة والمؤسسات خصوصاً الجيش. وهكذا تصبح الدولة هى السند الأساسى للسلطة السياسية الثورية سابقاً - لا الشعب أو المجتمع - فى تثبيت الحكم الجديد مما يتطلب، بدوره إعطاء المزيد من الصلاحيات والسلطات للدولة. إنه مسار تطور راعب

الدولة والمجتمع

هنالك نظرية تبسيطية يحملها كثير من الماركسيين أو المتأثرين بالنظرية الماركسية حول الدولة. وهى عدم رؤية عنصر الاستقلالية والتمايز للدولة عن الطبقة والمجتمع فيظنون أن المحكوم مجرد خادم مطيع للطبقة التى تسيطر على وسائل الإنتاج ما دام التعريف النظرى الأساسى يقول الدولة تمثل الطبقة فالأصل الطبقة والدولة الفرع. والدولة تمثل لمصالح الطبقة وهذه الطبقة تملك تغيير ممثليها كما تملك تغيير الثوب الذى ترتديه.

إن إزالة الحدود بين الدولة والمجتمع أو الطبقة أدت إلى سوء تقدير للعلاقة بين الدولة والطبقات أو بين الدولة والمجتمع؛ لأنها نظرة لم تستطع رؤية الهامش العريض للاستقلالية الذى تتحرك فيه الدولة خارج الطبقات والمجتمع بل فوق الطبقات والمجتمع

في أكثر الأحيان. أما ما هو أخطر من كل ذلك فإن السلطة في هذه العلاقة بين المجتمع والدولة سمح للدولة «دكتاتورية البروليتاريا» أن تستند إلى التعريف المذكور في تمرير دكتاتوريتها باعتبارها دولة الطبقة العاملة ثم راحت عمليا تتحول تحت قيادة الحزب إلى القوة الوحيدة الحاكمة في المجتمع. وقد وضعت نفسها فوق الطبقة العاملة كما فوق الطبقات إنها لا فوق المجتمع كله وهي تحمل رأيه «تمثيل القوى العاملة». وبهذا توحدت دولة مطلقة الصلاحيات لم يسبق لها مثيل في التاريخ حتى في الحالات التي سادت فيها جيوش الانكشارية، أو حكم فيها الحاكم الفرد المطلق الذي يعتبر نفسه ظل الله في الأرض. ولا حتى في حالة الدولة الفاشية أو النازية وهي تعلن نفسها صراحة فوق الجميع أو فوق المجتمع والطبقات. أما السبب الرئيسي في هذا التطور الاستثنائي لدور الدولة في ظل الاشتراكية من النمط السوفيتي فيرجع إلى أنها صادرت ملكية وسائل الإنتاج الأساسية وتحكمت بالعملية الاقتصادية كاملة. وبهذا لم يحرم المجتمع سيطرته على الدولة والقرار السياسي فحسب، وإنما فقد أيضا قدرته الاقتصادية. وأصبح العمال الذين كانوا أجراء لصاحب المصنع أجراء لصاحب المصنع الجديد «الدولة». ولم يحدث مثل هذا في تاريخ الاقتصاد السياسي إلا في زمن الدولة الفرعونية حيث كانت الأرض ملكاً للفرعون وهو الذي يعين الذين يملكون إدراتها واستثمارها. وأما الفلاحون فهم أجراء أو عبيد عند فرعون وكان ذلك يشكل أساسا لادعائه أنه ابن الإله أو هو الإله نفسه. وبهذا تسمى الدولة من الناحية النظرية دولة «العمال والفلاحين»، وفيما بعد سمت نفسها دولة «الشعب كله». بينما تشكلت من ناحية عملية قوى كبرى موازية للشعب كله تمتلك الأرض والمصنع وطرق المواصلات ووسائل الإعلام والمدرسة والجامعة كما تمتلك القرار السياسي، وكان من الطبيعي أن تستولي أيضا على الأجهزة الأخرى كالنقابات ومجالس الشعب بحيث أصبح الحزب - الدولة هو الذي يعين أعضاء النقابة والنواب وما الانتخابات إلا استفتاء على أسماء تم تعيينها، ولا منافسة بينها، ولا خيار للناخب بين مرشح وآخر حتى لو من الطينة نفسها. وبهذا تكون هنالك فئة حاكمة منتشرة من رأس الهرم إلى القاعدة في أجهزة الدولة والحزب والمؤسسات التابعة (النقابات والمجالس الشعبية) تتوزع فيما بينها السلطة والثروة والقرار السياسي والخط الأيديولوجي بينما يكون المجتمع قد فقد أبسط أشكال المقاومة وهي أكل لقمة العيش بعيدا عن الدولة ولم يملك المجتمع بعد أن حرم أيضا من حق المعارضة والاحتجاج إلا أن يعاقب دولته من خلال التعامل مع مؤسساتها بلا مبالاة والأهم أصبح يتعامل مع الأرض بالصورة نفسها هجرانا وإهمالا وكذلك بالنسبة إلى العمليات الإنتاجية الأخرى فضلاً عن الهروب إلى عالم الخمر والانحرافات المختلفة التي أخذت تطفو على السطح في هذه الأيام. وكانت في الماضي مخفاة تحت ستار كثيف من الأكاذيب الإعلامية.

- يتبع -

فتاوى لها تاريخ

ختان الأنثى



قال صاحبنا: اختلفت آراء الأطباء في ختان الأنثى، فمنهم من سمح به وأيده، ومنهم من أنكره وحذره، والناس على رغم هذا الاختلاف متمسكون به حريصون عليه، يفعلونه ويقيمون له الولائم الأسرية، ويرون أنه شأن يدعو إليه الدين، ويجعله شعاراً خاصاً للمسلمين، فهل لنا أن نعرف حكم الإسلام فيه؟ وأن نعرف وقته من عمر الطفل؟

وليس صاحبنا هذا بأول من يطلب حكم الإسلام في عملية الختان. وليس ما أكتبه اليوم جوابا له هو أول ما كتبت فيها. فقد كتبت فيها مرات كثيرة، غير أنها كانت لخصوص السائلين، لا لعموم القارئين، وقد آثرت اليوم أن أحقق رغبته الكريمة فأتحدث فيها عن طريق منبر له صوته في آذان الناس من جهة ما ترهف أسماعهم إليه، وهو حكم الدين وحكم الإسلام، فيعرف السائل وغير السائل موقف الشرع من هذه العملية، ويكون القارئون على بينة من الأمر في علاقتها بالشرع والدين.

الختان شأن قديم

وعملية الختان عملية قديمة، عرفها كثير من الناس منذ فجر التاريخ، واستمروا عليها حتى جاء الإسلام، واختتنوا وختنوا ذكورا وإناثا - في ظله، غير أنا لا نعرف بالتحديد أكان مصدرها لديهم التفكير البشري وهداية الفطرة في إزالة الزوائد التي لا خير في بقائها، أو التي قد يكون في بقائها شيء من الأذى والقذر، أم كان مصدرها تعليما دينيا، ظهر على لسان نبي أو رسول في حقب التاريخ الماضية؟ والذي يهمنا هو معرفة علاقته بالدين وحكم الإسلام فيه.

الفقهاء والختان

وقد أثرت في شأنه جملة من المرويات، كان الفقهاء أمامها في حكمه على مذاهب شأنهم في كل ما لم يرد فيه نص صريح، فمنهم من رأى أنه واجب ديني في الذكور والإناث، ومنهم من رأى أنه سنة فيهما. ومنهم من رأى أنه واجب في الذكور دون الإناث، وأنه فيهن "مكرمة" وكما اختلف الفقهاء في حكمه على هذا الوجه - الذي

تتباعد وجهات النظر فيه إلى أقصى حد للتباعد، وتتقارب إلى أقصى حد للتقارب - اختلفوا في الوقت الشرعي الذي تجرى فيه عمليته على نحو هذا الوجه أيضاً، فمنهم من رأى أنه لا يختص بوقت معين، ومنهم من حرمه قبل أن يبلغ الطفل عشر سنين ومنهم من جعل وقته بعد أسبوع من الولادة، ومنهم ومنهم إلى آخر ما نقل عنهم في ذلك من آراء.

وجهات النظر المختلفة

وإذا كان لنا أن نأخذ من اختلافهم هذا - وهو الشأن الكثير الغالب بينهم في كل ما لم يرد فيه نص صحيح صريح - ما ننتفع به في معرفة الوضع الحقيقي للتشريع الإسلامي، فإن أول ما نأخذه أن القوم كانوا على حرية واسعة المدى وهم يبحثون عن حكم الشرع فيما وصل إليهم أو وصلوا إليه من مصادر تشريعية، لم تنل قطعية الدلالة ولا كمال الحجة المتفق عليها. لا يعيب أحدهم على صاحبه ولو كان على نقيض رأيه، وكانوا يستمعون الحجج فيقبلون أو يرفضون دون تزمت أو إسراف في التجهيل أو الانحراف.

وليس أغرب من أن يستدل الذاهبون إلى وجوب الختان بقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾

(النحل: ١٢٣)

ويقولون إنه قد جاء في الحديث إن إبراهيم اختتن بعدما أتت عليه ثمانون سنة" والاتباع الذي أمر به محمد وأصحابه يقضي عليهم أن يفعلوا ما فعله إبراهيم، وإذن يكون الختان وقد فعله إبراهيم واجباً على محمد وأتباعه

إسراف في الاستدلال، غاية ما فيه عدم التسليم له، وهو من نوع استدلال آخر للقائلين بالوجوب أيضاً وهو: أن الختان أحد الأمور التي ابتلى الله بها إبراهيم والتي ذكرها بعنوان "الكلمات" بقوله تعالى:

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾

(البقرة: ١٢٤)

قالوا وورد عن ابن عباس أن تلك الكلمات هي خصال الفطرة وهي الختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، إلى آخر ما قالوا ونقرؤه في المتداول من كتب التفسير.

الرأي في الختان

وقد خرجنا من استعراض المرويات في مسألة الختان على أنه ليس فيها ما يصح أن يكون دليلاً على "السنة الفقهية"، فضلاً "عن الوجوب الفقهي" وهي النتيجة التي وصل إليها بعض العلماء السابقين، وعبر عنها بقوله "ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع" وأن كلمة (سنة) التي جاءت في بعض المرويات معناها، إذا صحت، الطريقة المألوفة عند القوم في ذلك الوقت، ولم ترد الكلمات على لسان الرسول بمعناها الفقهي الذي عرفت به فيما بعد.

والذي أراه أن حكم الشرع في الختان لا يخضع لنص منقول، وإنما يخضع في الذكر والأنثى لقاعدة شرعية عامة، وهي أن إيلام الحي لا يجوز شرعاً إلا لمصالح تعود عليه، وتربو على الألم الذي يلحقه.

ختان الذكر

ونحن إذا نظرنا إلى الختان في ضوء هذا الأصل نجده في الذكر غيره في الإناث، فهو فيهم ذو مصلحة تربو بكثير على الألم الذي يلحقهم بسببه، ذلك أن داخل "القلفة" منبت خصيب لتكوين الإفرازات التي تؤدي إلى نتن تعلق معه جراثيم تهيىء للإصابة بالسرطان أو غيره من الأمراض الفتاكة، ومن هنا، يكون الختان طريقاً وقائياً يحفظ للإنسان حياته، ومثل هذا يأخذ في نظر الشرع حكم الوجوب والتحتيم.

ختان الأنثى

أما الأنثى فليس ختانها هذا الجانب الوقائي حتى يكون كختان أخيها، نعم، حكم الناس فيها جانب آخر يدور حول ما يتحدث به بعض الأطباء من "إشعال الغريزة الجنسية وضعفها".

فيرى بعضهم أن ترك الختان يشعل تلك الغريزة، وبها تندفع إلى ما لا ينبغي، وإذن يجب الختان وقاية للشرف والعرض، ويرى آخرون أن الختان يضعفها فيحتاج الرجل إلى استعانة بمواد تفسد عليه حياته، وإذن يجب تركه حفظاً لصحة الرجل العقلية والبدنية.

إسراف هنا وهناك

ولعلي لا أكون مسرفاً أيضاً إذا قلت: ما أشبه إسراف الأطباء في وجهات نظرهم وإسراف الفقهاء في أدلة مذاهبهم. فإن الغريزة الجنسية لا تتبع في قوتها أو ضعفها ختان الأنثى أو عدمه، وإنما تتبع البنية والغدد قوة وضعفاً، ونشاطاً وخمولاً، والانزلاق إلى ما لا ينبغي كثيراً ما يحدث للمختونات كما هو مشاهد ومقروء من حوادث الجنايات العرضية، والمستور منها أكثر مما يعلمه الناس.

والذين يتناولون المواد الضارة إنما يتناولونها بحكم الإلف الواصل إليهم من البيئات الفاسدة وليس ما يحسونه في جانب الغريزة إلا وهماً خيله لهم تخدير الأعصاب

والواقع أن المسألة في جانبيها "الإيجابي والسلبي" ترجع إلى الخلق والبيئة وإحسان التربية وحزم المراقبة، ومن هنا يتبين أن ختان الأنثى ليس لدينا ما يدعو إليه، وإلى تحتمه، لا شرعاً، ولا خلقاً ولا طباً

قد يكون مكرمة

نعم قد يكون ختان الأنثى - كما يقول بعض الفقهاء - مكرمة للرجال الذين لم يألفوا الإحساس "بالزائدة" وهو في ذلك لا يزيد عما تقتضيه الفطرة البشرية من التجمل والتطيب وإزالة ما ينبت حول الحمى.

أما بعد.. فهذا هو حكم الختان للذكر والأنثى فيما أرى، أخذاً من القواعد العامة للشريعة لا أخذاً من نصوص تشريعية خاصة بالموضوع

***

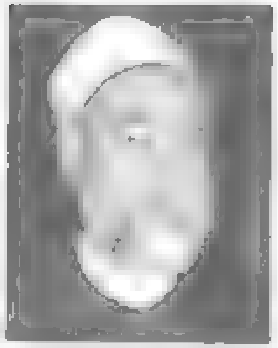
﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتي جمهورية مصر العربية



(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر المتضمن لبعض الأسئلة وهي

إعطاء القروض من الزكاة لا يجوز

● السؤال من: د.م.ن:

تقوم الشركة سنويا بإخراج مبلغ كبير من حساب الزكاة، والسؤال: هل يجوز للشركة إخراج جزء من هذا المبلغ أو المبلغ بالكامل لصالح بعض العاملين بالشركة في الظروف الآتية:

- الحالات المرضية المزمنة أو التي تفوق قدرتهم المالية، والتي لا يغطيها التأمين الطبي.
- حالات الكوارث والتي لا يمكن للموظف من حسابه منفرده
- حالات القرض الحسن للمستحقين.

●● الجواب: يجوز إعطاء الزكاة للمرضى الذين لا يجدون ما يكفون به علاجهم؛ سواء أكانت أمراضهم مؤقتة أم مزمنة، وكذلك لأصحاب الكوارث الذين لا يجدون ما يواجهون به تبعاتها وآثارها؛ سواء أكان المحتاجون من موظفي الشركة أم من خارجها، لكن يراعى في إعطاء موظفي الشركة المحتاجين عدم ربط ذلك بمستحقاتهم على أعمالهم وعدم المن عليهم أو مطالبتهم بزيادة العمل مقابل الزكاة حتى تكون الزكاة خالصة لوجه الله تعالى، أما إعطاء القروض من الزكاة فلا يجوز؛ لأن الزكاة يشترط فيها التمليك، وهذا غير متحقق في القرض.

والله سبحانه وتعالى أعلم

صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة!!

● السؤال من: ح.ح.ك

ما حكم قيام الشخص بصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة؟

●● الجواب: المقصود من إقامة صلاة الجمعة إظهار شعار الاجتماع واتفاق الكلمة؛ ولذا اشترط جمهور العلماء لصحة صلاة الجمعة أن لا يسبقها ولا يقارنها جمعة أخرى في بلدتها إلا إذا كبرت البلدة وعسر اجتماع الناس في مكان واحد فيجوز التعدد بحسب الحاجة، وللشافعية في ذلك قولان: أظهرهما- وهو المعتمد- أنه يجوز التعدد بحسب الحاجة، وقيل: لا يجوز التعدد ولو لحاجة، وفرعوا على ذلك مراعاة لخلاف الأظهر أنه يستحب لمن صلى الجمعة مع التعدد بحسب الحاجة ولم يعلم أن جمعته سبقت غيرها أم لا أن يعيدها ظهرا احتياطا؛ خروجا من الخلاف.

على أن الحنفية يجيزون على المعتمد عندهم أن تؤدى الجمعة في مصر واحد بمواضع كثيرة؛ حيث ذكر الإمام السرخسي أن هذا هو الصحيح من مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى

فتحرر من ذلك ما يأتي:

● أن من شرط صحة صلاة الجمعة عند جمهور العلماء عدم سبقها أو مقارنتها بجمعة أخرى في نفس البلدة إلا لحاجة

● أنه يجوز تعدد الجمعة إذا كانت هناك حاجة لذلك، كضيق مكان أو عسر اجتماع، وهذا هو المعتمد عند الشافعية.

● أن بعض العلماء استحب- احتياطا وخروجا من خلاف من لم يجز تعدد صلاة الجمعة ولو لحاجة- إعادتها ظهرا إذا لم يتيقن من صلى الجمعة أن جمعته هي السابقة وأنها لم تقارنها جمعة أخرى، وهذا الاحتياط مشروع على سبيل الندب والاستحباب لا على جهة الحتم والإيجاب

● أن هناك من العلماء من يحصر تعدد صلاة الجمعة في المصر الواحد مطلقا ولو لغير حاجة، وذلك في المساجد التي يأذن ولي الأمر بإقامة صلاة الجمعة فيها

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فيجوز أن يصلي المسلم الظهر بعد الجمعة بشرط أن لا يرغم غيره على ذلك؛ لأنها من المسائل الخلافية

والله سبحانه وتعالى أعلم

صلاة الأطفال في المساجد

● السؤال من: ط.ع.م

ما حكم اصطحاب الأطفال إلى المساجد؟

●● الجواب: اصطحاب الأطفال المميزين إلى المسجد هو أمرٌ مستحب شرعا؛ لتعويدهم على الصلاة، وتنشئتهم على حب هذه الأجواء الإيمانية التي يجتمع المسلمون فيها لعبادة الله تعالى، حتى يكون ذلك مكونا من مكونات شخصيتهم بعد ذلك، وذلك مع الحرص على تعليمهم الأدب، ونهيهم عن التشويش على المصلين أو العبث في المسجد، على أن يكون ذلك برفق ورحمة، وأن يتعامل مع الطفل بمنتهى الحلم وسعة الصدر من غير تخويف أو ترهيب

له، فإن ردود الأفعال العنيفة التي قد يلقاها الطفل من بعض المصلين ربما تولد عنده صدمة أو خوفًا ورعبًا من هذا المكان، والأصل أن يتربى الطفل على أن المسجد مليء بالرحمات والنفحات والبركات، فيكبر على حب هذا المكان ويتعلق قلبه ببيت الله تعالى، كما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله؛ حيث ذكر النبي ﷺ وآله وسلم منهم: «ورجل قلبه معلق في المسجد» رواه البخاري.

وأما اصطحاب الأطفال الذين يُعلم أو يغلب على الظن أن الواحد منهم لا يكف عن التشويش وإلهاء المصلين إذا نُهي عن ذلك فهو أمر مكروه شرعًا؛ وذلك للحفاظ على جو الهدوء المطلوب شرعًا في المسجد لحصول الخشوع الواجب أثناء الصلاة أو الخطبة، وللحفاظ كذلك على طهارة المسجد وسلامة محتوياته.

وقد استدل العلماء على جواز إحضار الأطفال عمومًا إلى المساجد بأحاديث؛ منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٥٩٢ ط. دار المعرفة): «واستدل به على جواز إدخال الصبيان في المساجد» اهـ بتصرف.

وأخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه».

كما أخرج الأئمة أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يخطب، فأقبل الحسن والحسين -رضي الله عنهما- عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما؛ واحدًا من ذا الشق، وواحدًا من ذا الشق، ثم صعد المنبر فقال:

«صدق الله:

﴿ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

(الأنفال: ٢٨)

إني لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما».

ومن هذه الأحاديث أخذ العلماء جواز إحضار الأطفال للمسجد، واستثنوا منهم من كان لا ينتهي عن التشويش على المصلين إذا نُهي عنه، فبينوا مشروعية منعهم من دخول المساجد، على أن يكون ذلك المنع بالرفق والرحمة.

قال الإمام الأبي الأزهري المالكي في «جواهر الإكليل شرح مختصر خليل» (١/ ٨٠، ط. دار الفكر): [و] جاز [إحضار صبي به لا يعبث ويكف] عن العبث [إذا نهي] عنه، فإن كان شأنه العبث أو عدم الكف فلا يجوز إحضاره به؛ لحديث: (جنبوا مساجدكم مجانينكم وصبيانكم) اهـ.

وقال الإمام الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢/ ١٤٤، ط. دار الحديث): «وفيه جواز إدخال الصبيان المساجد. وقد أخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «جنبوا مساجدكم صبيانكم وخصوماتكم وحدودكم وشراءكم وبيعكم وجمروها يوم جمعكم واجعلوا على أبوابها المطاهر»؛ ولكن الراوي له عن معاذ مكحول وهو لم يسمع منه، وأخرج ابن ماجة من حديث واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع»، وفي إسناده الحارث بن شهاب وهو ضعيف. وقد عارض هذين الحديثين الضعيفين حديث أمامة المتقدم وهو متفق عليه. وحديث الباب وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأسمع بكاء الصبي وأنا في الصلاة فأخفف، مخافة أن تفتتن أمه»، وهو متفق عليه فيجمع بين الأحاديث بحمل الأمر بالتجنيب على الندب كما قال العراقي في شرح الترمذي، أو بأنها تنزه المساجد عمن لا يؤمن حدثه فيها» اهـ.

وقال العلامة الإمام النووي الشافعي في «المجموع شرح المهذب» (٢/ ١٧٦، ط. دار الفكر): (قال المتولي وغيره: يكره إدخال البهائم والمجانين والصبيان الذين لا يميزون المسجد؛ لأنه لا يؤمن تلويثهم إياه، ولا يحرم ذلك؛ لأنه ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ صلى حاملا أمامة بنت زينب رضي الله عنهما وطاف على بعيره، ولا ينفي هذا الكراهة؛ لأنه ﷺ فعله لبيان الجواز فيكون حينئذ أفضل في حقه فإن البيان واجب) اهـ.

وبناءً على ذلك: فإنه لا مانع شرعًا من اصطحاب الصبيان المميزين إلى المساجد؛ لتعويدهم على الصلاة، وتنشئتهم على حب الأجواء الإيمانية، وأما من يعلم منهم عدم الانتهاء عن التشويش وإلهاء المصلين فيكره اصطحابهم إلى المسجد؛ حفاظًا على مقصود الخشوع في الصلاة، مع الالتزام بالرفق وعدم العنف في إرشادهم إذا تم اصطحابهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الذكر وقراءة القرآن

● السؤال من أ. ن. ط

ما هو الحكم الشرعي في قراءة القرآن والذكر بعد صلاة الفجر؛ جماعة وجهرًا؟

●● الجواب: ورد في السنة النبوية المطهرة الحث على ذكر الله تعالى بعد صلاة الفجر، ومن ذلك ما رواه الإمام الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة».

ومن أعظم الذكر قراءة القرآن الكريم، وقد ورد الأمر الشرعي بقراءته مطلقًا، والأمر المطلق يقتضي عموم الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، فامتثاله يحصل بالقراءة فرادى وجماعات، سرًا أو جهرًا، ولا يجوز تقييده بهيئة دون هيئة إلا بدليل.

وكذلك الحال بالنسبة للذكر عمومًا.

وبناءً على ذلك وفي واقعة السؤال: فلا مانع من الذكر وقراءة القرآن الكريم بعد صلاة الفجر، ولا بأس بالمواظبة على ذلك، ولكن الجهر بذلك في جماعة مشروط بموافقة القائمين على المسجد؛ ليتم ذلك بشكل ليس فيه تشويش على بقية الذاكرين وقراء كتاب الله تعالى؛ استرشادًا بالأدب النبوي الكريم في قوله

ﷺ: «لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن» رواه الإمام مالك في «الموطأ» والإمام أحمد في «المسند».

والله سبحانه وتعالى أعلم

مريض السكر

● السؤال من [illegible]

برجاء التكرم بإعطائنا فتوى مكتوبة عن مريض السكر في رمضان، من المسموح له بالصيام؟ ومن المسموح له بالإفطار؟ ومريضة السكر الحامل، ومرضى السكر المصابين بالقلب أو المضاعفات على الأوعية الدموية والكلى.

●● الجواب: يقول الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

(البقرة: ١٨٤)

والمعنى: أنه يرخص للمسلم المكلف المريض مرضًا يرجى برؤه ولا يستطيع معه الصوم- وللمسافر كذلك- الإفطار في رمضان، ثم عليهما القضاء بعد زوال العذر والتمكن من الصوم.

أما إذا كان مريضًا مرضًا لا يرجى شفاؤه- بقول أهل التخصص- ولا يقوى معه على الصيام، أو كان كبيرًا في السن؛ بحيث يعجز عن الصوم وتلحقه مشقة شديدة لا تحتمل عادة فلا يجب عليه نية الصيام من الليل، ولا صيام عليه إن أصبح في نهار رمضان، وعليه فدية؛ إطعام مسكين عن كل يوم من الأيام التي يفطرها من رمضان وقدر هذه الفدية مد من الطعام من غالب قوت البلد، وهو عند الحنفية [illegible] بما يساوي رطلين بالعراقي، أي ٨١٢,٥ جرامًا، وعند الجمهور رطل وثلث بالعراقي، أي ٥١٠ جرامات، ويمكن أن يخرج القيمة بل ذلك أولى؛ لأنه أنفع للمسكين وأكثر تحقيقًا لمصلحته، ويخرج من تركته إذا توفي وفاء، فإن قوي بعد ذلك على الصيام فلا قضاء عليه بل تجب عليه الفدية؛ لأنه مخاطب بها ابتداء مع حالته المذكورة.

والعبرة في الإفطار ليست بالسن مطلقًا ولا بالمرض مطلقًا، فرب كبير سن يقوى على الصيام بينما لا يقوى من هو أصغر منه، ورب مريض بداء عضال لا يمنعه من الصيام، وهناك من المرضى من ابتلي بداء يرجى برؤه ولكنه يمنعه من الصيام أو يجعله شاقًا عليه.

وإن صام مريض السكر واحتاج إلى الحقن بالأنسولين فهذا جائز شرعًا ولا يفسد الصيام؛ لأن المفطر بالصيام إنما هو ما وصل عمدًا إلى الجوف المنفتح أصالةً من منفذ ظاهر محسوس، وانفتاح المسام والشعيرات الدموية والأوردة والشرايين بالحقن ليس ظاهرًا ولا محسوسًا، فلا يصدق على المادة المحقونة بها أنها وصلت إلى الجوف عن طريق منفذ طبعي مفتوح؛ سواء أكانت في الوريد أم في العضل أم تحت الجلد، وسواء كانت دواء أم غذاء؛ قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق بعد أن ساق نصوص أهل المذاهب الأربعة في ذلك: (ومن هذا يعلم أن الحقنة تحت الجلد لا تفسد الصوم باتفاق المذاهب الأربعة، سواء كانت للتداوي أو للتغذية أو للتخدير، وفي أي موضع من ظاهر البدن؛ لأن مثل هذه الحقنة لا يصل منها شيء إلى الجوف من المنافذ المعتادة أصلًا، وعلى فرض الوصول فإنما تصل من المسام فقط، وما تصل إليه ليس جوفًا ولا في حكم الجوف، وليست تلك المسام منفذًا منفتحًا لا عرفًا ولا عادة، ومثل الحقنة تحت الجلد فيما ذكر: الحقنة في العروق التي ليست في الشرايين، والحقنة التي تكون في الشرايين، وكلاهما أيضًا لا يصل منه شيء إلى الجوف، لكن الفرق أن الحقنة التي في الشرايين تكون في الدورة الدموية؛ ولذلك لا يعطيها إلا الطبيب. فالحق أن الحقنة بجميع أنواعها المتقدمة لا تفطر) اهـ من مجلة الإرشاد، غرة رمضان سنة ١٣٥١هـ، العدد الثاني من السنة الأولى: ص (٤٢) وما بعدها.

ومثل الحقن فيما ذكر ما يحتاجه مرضى أحيانًا من عمل ما يسمى بـ«القسطرة»، بإدخال آلة تصويرية في الأوردة أو الشرايين، ربما تصل إلى القلب لتكشف عن الحالة الصحية بالقلب والشرايين فهذا غير مفطر.

فإن غلب على ظن المريض أنه إن صام حصلت له مشقة، أو صام ثم حصلت له مشقة، سواء باشتداد وطأة المرض عليه أم احتاج إلى تناول الدواء أم غلبه الجوع أو العطش- وهذا هو حال غالب مرضى السكر- جاز له أن يفطر، بل ويجب عليه أن يفطر إذا خشي على نفسه من الهلاك؛ لقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء: ٢٩)

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

(البقرة: ١٩٥)

قال العلامة الخطيب الشربيني في «مغني المحتاج» (٢/ ١٦٩، ط. دار الكتب العلمية): (وإن عاد المرض واحتاج إلى الإفطار أفطر، ويجب الفطر إذا خشي الهلاك، كما صرح به الغزالي وغيره وجزم به الأذرعي، ولمن غلبه الجوع أو العطش حكم المريض) اهـ. وكذلك تفطر الحامل إذا خافت على جنينها، والمرضع إذا خافت أن يضر الصيام ولدها.

والأخذ بالرخصة [illegible] أمر تقديري؛ أي أن مرجعه إلى الطبيب الثقة الأمين، وإلى طاقة الإنسان واحتماله وقدرته على الصيام؛ فإنه يقدر لنفسه مدى اضطراره أو حاجته إلى الفطر وجوبًا أو جوازًا، ويجب عليه أن يستجيب لرأي الطبيب في تقدير الحالة إن رأى الطبيب ضرورة أن يفطر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

زكاة المال

● السؤال من [illegible]

أرجو التكرم بالإفادة عن طريقة احتساب زكاة مبلغ من المال في شهادة استثمار هل تكون ١٠٪ بعد أن يحول الحول عليها، أم كم في المائة؟ بالإضافة إلى مبلغ بسيط كمعاش.

●● الجواب: زكاة المال المودع في البنوك على هيئة ودائع أو شهادات تكون بمقدار ربع العشر على المال المودع في البنك أو الذي تم به شراء الشهادات الذي مر عليه حول قمري وعلى المال الذي يمر عليه عام قمري من الأرباح كذلك، وهناك قول جرى لبعض العلماء بجواز إخراج العشر على أي ربح يخرج من هذه الودائع أو الشهادات، دون رأس المال ودون النظر إلى الحول القمري.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الإمام محمد بن الحسن الشيباني حياته وأثره في الفقه النعماني

بقلم: [illegible]
طالب بجامعة الأزهر الشريف

الحمد لله الذى فضل الفقهاء على بعض، أرشد طوائف منهم إلى وجود الفرق فيما بين الواجب والفرض.. ووسع مداركهم فى دقائق المسائل، وانار عقولهم الى تعرف مراتب الدلائل. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحنيفية السمحة البيضاء.. وعلى اله المطهرين الأصفياء.. وصحبه القادة الأتقياء.

فمما لا شك فيه انه لولا الامام محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله، وقيامه بتصنيف وجمع فقه الامام ابى حنيفة رحمه الله، لضاع الفقه الحنفى، وضياعه خسارة كبرى للثروة الفقهية الاصلية، فكان تقدير الله تبارك وتعالى واحسانه وفضله ان قيض الله تعالى للأمة الإمام ابن الحسن، الشامى الأصل.

اسمه ونسبه ومولده: هو الإمام المجتهد العلامة فقيه العراق أبو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني[1] من أهله فقيل هو من دمشق من قرية تسمى «حرستا»[2]. وقيل أصله من الجزيرة[3].. وقيل أصله من قرية قرب الرملة[4].. وأكثر المترجمين له على القول الأول.

(١) «الشيباني» بفتح الشين وسكون الياء المعجمة وفتح الباء، نسبة إلى بنى شيبان بن ذهل بن ثعلبة قبيلة معروفة من بكر بن الوائل انظر كتاب الحجة على أهل المدينة مقدمة عالم الكتب صـ٥ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م

(٢) انظر تاريخ بغداد جـ٢ صـ١٧٢، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية جـ٣ صـ١٢٢، الوافى بالوفيات جـ٢ صـ٣٣٢، وحرستا: بفتح الحاء المهملة والراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ألف مقصورة قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. وفيات الأعيان جـ٤ صـ١٨٥، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية جـ٣ صـ١٢

(٣) انظر تاريخ بغداد جـ٢ صـ١٧٢

(٤) انظر بلوغ الأماني للشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى صـ٤

أما مولده المكاني فإنه ولد بواسط[5] بالعراق بعد انتقال والده إليها، ولا أعلم خلافاً بين المترجمين في هذا.

أما مولده الزماني: فمختلف فيه: فقيل: سنة إحدى وثلاثين ومائة من الهجرة[6] وقيل سنة خمس وثلاثين ومائة من الهجرة[7] وقد قال الكوثرى إن هذا سهو محض[8]، وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة وهو الذى عليه جمهور المؤرخين[9].

نشأته واتصاله بحلقة الإمام أبى حنيفة: أما نشأته فقد كانت في الكوفة. كما ذكرت آنفا أن والده من أهل حرستا فقدم أبوه إلى العراق فولد له محمد بواسط فحمله إلى الكوفة فنشأ بها[10] حيث تلقى العلم على فقهائها المشهورين، وقد كان أبوه ثريا، فنشأ محمد نشأة سعيدة، وكان ذكيا، متقد الذهن، سريع الخاطرة، قوى الذاكرة، جميل الخلق والخلق للغاية، سمينا خفيف الروح، ذا صحة وقوة.

وجاء فى وصفه أن أباه قدم به إلى الإمام أبى حنيفة، فقال الإمام لوالده: احلق رأسه وألبسه الخلقان ففعل، فزاد عند الحلق جمالاً[11].

ولما بلغ سن التمييز تعلم القرآن وحفظ منه ما تيسر له حفظه، وبدأ يحضر دروس اللغة العربية ومجالس الحديث فى الكوفة التى كانت تزخر بكثير من العلوم، كالحديث والفقه وعلوم اللغة العربية ونحوها، منذ نزلها كبار الصحابة، واتخذها على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة، وذكر شيخنا الجليل محمد زاهد بن الحسن الكوثرى أن محمدا لما بلغت سنه أربع عشرة سنة حضر مجلس أبى حنيفة ليسأله عن مسألة نزلت به فسأله قائلا: ما تقول فى غلام احتلم بالليل بعد ما صلى العشاء؟ هل يعيد العشاء؟ قال: نعم! فقام وأخذ نعله وأعاد العشاء فى زاوية المسجد.. وهو أول ما تعلم من أبى حنيفة فلما رآه يعيد الصلاة أعجبه ذلك وقال: إن هذا الصبى يفلح إن شاء الله تعالى. وكان كما قال، ثم ألقى الله سبحانه تبارك وتعالى فى قلبه حب التفقه فى دين الله بعد أن رأى جلال مجلس الفقه فعاد إلى المجلس يريد التفقه فقال له أبو حنيفة رحمه الله: استظهر القرآن أولا. لأن التفقه على طريقة أبى حنيفة فى حاجة شديدة إلى ذلك لأنه مادام الاحتجاج بالقرآن ميسورا لا يعدل عنه الى حجة سواه وله المنزلة الأولى فى الحجة عنده حتى إن عموماته قطعية فيما لم يلحقه تخصيص.

ويظهر أن محمد بن الحسن لم يكن إذ ذاك

(٥) سميت واسطا لانها متوسطة بين البصرة والكوفة لان منها الى كل واحد منهما خمسين فرسخا انظر كتاب الكسب صـ٢٩ [illegible]

(٦) وفيات الاعيان جـ٤ صـ١٨٤، وأصول الجامع الكبير صـ٨

(٧) المصدر السابق وأيضاً فى الوافى بالوفيات جـ٢ صـ٣٣٤

(٨) بلوغ الامانى صـ٥

(٩) انظر تاريخ بغداد جـ٢ صـ١٧٢، وكتاب الكسب صـ٢٩، وكتاب الحجة على أهل المدينة جـ١ صـ٨

(١٠) انظر الفوائد البهية فى تراجم الحنفية صـ١٦٣ للشيخ عبدالحى اللكنوى الهندى

(١١) [illegible] جـ١ صـ٢٦

حيث الاستظهار للقرآن فغاب سبعة أيام ثم جاء مع والده وقال: حفظته. وسأل أبا حنيفة عن مسألة كانت أكبر من مستوى سنه وثقافته بدليل أن أبا حنيفة قال له: أحدث هذه المسألة من غيرك أم أنشأتها من نفسك؟ فقال محمد: من عندي، فقال أبو حنيفة: سألت سؤال الرجال، أدم الاختلاف إلينا وإلى الحلقة. ومن ذلك الحين أقبل محمد بن الحسن إلى العلم بكليته يلازم حلقة أبي حنيفة ويكتب أجوبة المسائل في مجلسه ويدونها وبعد أن لازمه أربع سنين وفي وفيات الأعيان أنه حضر مجلس أبي حنيفة سنتين، على هذا الوجه توفي أبو حنيفة رحمه الله [١٢]، ثم أتم الفقه على طريقة أبي حنيفة عند أبي يوسف هذا ما يتعلق بفقه أبي حنيفة [١٣].

مشايخه في الفقه والحديث

تبين مما سبق أن الإمام محمد بن الحسن الشيباني بدأ حياته الفقهية بحضور حلقات الإمام أبي حنيفة، وبعد وفاته تفقه بأبي يوسف، ثم رحل إلى الإمام مالك وسمع منه الموطأ، فهؤلاء الأئمة الثلاثة هم أبرز أساتذة الإمام محمد، ثم كثر مشايخه وتنوعت ثقافته وسمع منهم سماعا كثيرا، ونذكر بإيجاز فيما يلي بعض شيوخه الذين لهم أكبر الأثر في تكوين شخصية محمد العلمية.

«١» الإمام أبو حنيفة:

هو الإمام فقيه الملة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي، ولد بالكوفة سنة (٨٠هـ) في زمن جماعة كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم. ورأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة إذ قدمها أنس.

وقال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظه [١٤]، ومحمد بن الحسن في فترة تلمذته للإمام أبي حنيفة لم يكن يكتفي بالسماع والمشاركة في تحقيق المسائل. فقد كان مع هذا يدون ويسجل ويحرص على ذلك حرصا شديدا، وكان لذلك أثر كبير في حياة محمد الباكرة بما قام به بعد أن استحصد علمه بتدوين الفقه وتصنيفه في صورة لم يسبق بها، وكانت نبراسا لسائر الفقهاء من بعده.

وكان أبو حنيفة هو الأستاذ الذي اهتم بتربية الرجال أكثر من اهتمامه بتأليف الكتب. تخلف محمد عن الحلقة يوما، وعرف الأستاذ أن تلميذه مريض فذهب يعوده ومرض أبو يوسف مرضا خيف عليه منه، فعاده أبو حنيفة وكان معه تلميذه محمد، وقد توفي رحمه الله سنة (١٥٠هـ) وانتشر مذهبه في العراق والشام والهند ومصر والتركستان وباكستان والبرازيل وغيرها.

«٢» الإمام محمد بن يوسف (١٨٣هـ):

هو يعقوب بن إبراهيم، الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة، ولد في الكوفة سنة ١١٣هـ. وقال محمد بن الحسن: مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضا خيف عليه منه، فعاده أبو حنيفة ونحن معه، فلما خرج من عنده وضع يديه على عتبة بابه، وقال: إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها، وأومأ إلى الأرض. ومما يدل على عظيم شغفه بالعلم أنه اشتغل به إلى أن لفظ نفسه الأخير.. وكان قد سكن ببغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء: المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويجله، وهو أول من دعي بقاضي القضاة.

«٣» الإمام مالك (١٧٩هـ):

هو شيخ الإسلام إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني كان فقيها محدثا بعد من التابعين. روى الخطيب بسنده إلى محمد بن يوسف أنه قال: كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث، وذلك قبل أن يدخل إليه لسماع الموطأ منه، فقال ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد. فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد. قال: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟ قال: فجعل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد. فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟ قال: يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل. قال: من أين أنت؟ قال: من أهل هذه ـ وأشار إلى الأرض ـ فقال ما من أهل المدينة أحد لا أعرفه. فقال: ما أكثر من لا تعرف. ثم نهض. قالوا لمالك: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة. فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب وقد ذكر أنه من أهل المدينة؟ قالوا: إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض. قال: هذا أشد علي من ذاك [١٥]. وقال الشافعي: قال محمد بن الحسن أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسرا، وسمعت من لفظه سبع مئة حديث [١٦] وتوفي (١٧٩هـ) ودفن بالبقيع رحمه الله رحمة واسعة.

«٤» ابن جريج المكي (١٥٠هـ):

عبدالملك بن عبدالعزيز جريج، الإمام، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف [١٧].

«٥» مسعر بن كدام (١٥٣هـ):

هو مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق، أبو سليمان الهلالي الكوفي، الحافظ [١٨].

«٦» عمر بن ذر الهمداني (١٥٣هـ):

ابن عبدالله بن زرارة، الإمام الزاهد العابد، أبو ذر الهمداني الكوفي [١٩].

«٧» الأوزاعي (١٥٧هـ):

هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي وكان مولده في حياة الصحابة. ولد سنة (٨٨هـ) في مدينة بعلبك أحد الأئمة المجتهدين ومن فحول المحدثين.

«٨» عبدالله بن المبارك:

هو عبدالله بن المبارك أبو عبدالرحمن المروزي مولى بني حنظلة. ولد سنة (١١٨هـ)

(١٢) حينما توفي أبو حنيفة كان محمد بن الحسن في الثامنة عشرة من عمره

(١٣) بلوغ الأماني للشيخ الكوثري صـ٥ ـ٦

(١٤) شرح الزيادات جـ١ صـ٢٩

(١٥) تاريخ بغداد جـ٢ صـ١٧٤ ـ ١٧٥

(١٦) سير أعلام النبلاء جـ٩ ص١٣٥

(١٧) [illegible]

(١٨) شرح الزيادات جـ١ صـ٢٤

(١٩) سير أعلام النبلاء جـ٦ صـ٣٨٥

وتوفي في العراق سنة (١٨٩هـ)[٢٠].

«٩» سفيان الثوري (١٦١هـ):

هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب، شيخ الإسلام، إمام الحافظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبدالله الثوري الكوفي المجتهد.

«١٠» داود الطائي (١٦٢هـ):

الإمام الفقيه، الزاهد، أبو سليمان، داود بن نصير الطائي، الكوفي، ولد بعد المائة بسنوات، وكان من كبار أئمة الفقه والرأي.

«١١» القاسم بن معن

بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أبو عبدالرحمن الهذلي المسعودي الكوفي، الإمام الفقيه المجتهد، قاضي الكوفة، ومفتيها في زمانه، وكان ثقة أخباريًا، نحويًا، كبير الشأن.

هؤلاء أشهر أساتذة الإمام محمد بن الحسن. وليس من الميسور الإحاطة بجميع شيوخه في هذا المختصر. والذي يطلع على «الموطأ» برواية الإمام محمد، و«كتاب الآثار» و«كتاب الحجة على أهل المدينة» يظهر له وفرة شيوخ الإمام محمد الشيباني. وقد ذكر الشيخ زاهد بن حسن الكوثري في «بلوغ الأماني» من شيوخ الإمام محمد أسماء نحو سبعين شيخًا، بينهم الكوفي، البصري، المدني، المكي، الواسطي، الشامي، واليمامي، ثم قال: وغير هؤلاء من أهل تلك البلاد وغيرها[٢٢].

ذكر بعض تلامذته: وانتهت إليه رئاسة الفقه بالعراق بعد الإمام أبي يوسف، وطار صيته في الآفاق، واشتهر أمره في جميع الأمصار، فقصده أناس كثيرون من شتى البلاد للأخذ من منهله والارتواء من معينه، لقد أخذ العلم من الإمام محمد الشيباني خلق كثير من العلماء والأئمة الأعلام، أثرى بهم العلم وانتشر في كل مكان. وأذكر بمختصر أشهرهم وأكثرهم أخذًا للعلم وتعليمًا للناس.

وتخرج به وتفقه عليه أئمة مثل الإمام المعظم والمجتهد المقدم أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة.

ويحكي الإمام الشافعي عن قوة عقله قائلًا: «جالسته عشر سنين، وحملت من كلامه حمل جمل، لو كان كلم على قدر عقله ما فهمنا كلامه، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا»، وأبي عبيد القاسم بن سلام الإمام المجتهد، وأسد بن الفرات القيرواني فاتح صقلية ومدون مذهب مالك وشيخ سحنون، وكتب عنه إمام الجرح والتعديل أبو زكريا يحيى بن معين «الجامع الصغير».

ومن تلامذته المشهورين الذين رووا كتبه وأماليه، وأصبحوا أعيان عصرهم: فقيه المشرق وإمام الحنفية في ما وراء النهر أبو حفص الكبير البخاري أحمد بن حفص العجلي، والعلامة الإمام الفقيه المحدث الصدوق أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني، وقاضي بغداد العلامة أبو عبدالله محمد بن سماعة التميمي الكوفي، والإمام الحافظ الفقيه أبو الحسن وأبو محمد علي بن معبد بن شداد الرقي والعلامة الفقيه أحد أئمة السنة هشام بن عبيد الله الرازي السني، وشعيب بن سليمان الكيساني راوي الكيسانيات عنه، وعلي بن صالح الجرجاني راوي الجرجانيات عنه، وإسماعيل بن توبة القزويني راوي السير الكبير عنه، وإبراهيم بن رستم المروزي راوي النوادر عنه وأحد أئمة الأعلام، وفقيه العراق قاضي البصرة أبو موسى عيسى بن أبان البصري راوي الحجج على أهل المدينة عنه.

واستقصاء جملة من روى عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني أو أخذ عنه لا يمكن في هذه الترجمة الوجيزة لإنهم بالكثرة الكاثرة، فاكتفي هنا بهذا القدر[٢٣].

كلمات من ثناء أهل العلم عليه: نظرا إلى مناقب الإمام محمد العلمية والخلقية ومكانته السامية أشاد كبار الأئمة بفضائله وأكثروا بالثناء عليه وإليك بعض كلمات لبعض هؤلاء الأجلة مما نقله الثقات في كتبهم واكتفي منه ما يلي:

شيخه الإمام أبو يوسف رحمه الله، كان يقدر زميله وتلميذه، ويعترف بفضله، جاء في «الأنساب»: «عن أبي جعفر الهندواني: يحكى عن أبي يوسف أن محمد بن الحسن كتب إليه من الكوفة ـ وأبو يوسف ببغداد ـ: أما بعد، فإني قادم عليك لزيارتك، فلما ورد عليه كتاب محمد بن الحسن، خطب أبو يوسف ببغداد، وقال: إن الكوفة قد رمت إليكم أفلاذ كبدها، فهذا محمد بن الحسن قادم عليك، فهيئوا له العلم»... وقال أيضا إنه أعلم الناس وقال مرة: إنه من أعلم الناس.

روى عن الإمام الشافعي رحمه الله ثناء بالغ في حق شيخه محمد الشيباني، بأسانيد صحيحة، كما هو مدون في الكتب. ولقد أنصف الإمام الشافعي حيث قال: «من أراد الفقه فليلزم أصحاب أبي حنيفة فإن المعاني قد تيسرت لهم، والله ما صرت فقيها إلا بكتب محمد بن الحسن الشيباني». وذكر الحافظ ابن عبدالبر: «كان الشافعي رحمه الله يثني على محمد بن الحسن ويفضله ويقول: ما رأيت قط رجلا سمينا أعقل منه». وقال الشافعي أيضًا: «ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن»، وقال الشافعي أيضا: «ما رأت عيناي مثل محمد بن الحسن، ولم تلد النساء مثله»، وعن الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول: «لو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلت لفصاحته»، وقال الإمام الشافعي أيضا: «ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن كأنه عليه نزل»، وذكر الكردري في «مناقب أبي حنيفة» عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: «لقيته أول ما لقيته وهو قاعد في الحجرة، وقد اجتمع عليه الناس، فنظرت إلى وجهه، وكان من أحسن الناس وجها، فإذا جبينه كأنه عاج، ثم نظرت إلى لباسه وكان من أحسن الناس لباسا، وسألته عن مسألة فيها خلاف، وإني أطمع أن يلحقه ضعف أو يلحن في كلامه، فمر كالسهم فقوى مذهبه ولم يلحن في كلامه». وقال الشافعي أيضا: «كان محمد بن الحسن الشيباني إذا أخذ في المسألة كأنه قرآن ينزل عليه لا يقدم حرفا ولا يؤخر».

---

(٢٠) تاريخ بغداد جـ١٠ صـ١٦٨ (٢١) شرح الزيادات جـ١ صـ٣٧

(٢٢) [illegible] ... الكوثري صـ٧ ـ ٨

(٢٣) انظر: كتاب الحجة على أهل المدينة ... (٢٤) ... ـ ٣٤ شرح ... بلوغ الأماني صـ٩، ١٠. تاريخ بغداد جـ٢ صـ١٧٢

روى الخطيب بسنده إلى إبراهيم الحربي أنه قال: قلت لأحمد بن حنبل، هذه المسائل الدقاق من أين لك؟ قال: من كتب محمد بن الحسن الشيباني. وقال الشافعي أيضًا: ما رأيت أحدًا يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه، إلا محمد بن الحسن، وقال أيضًا: حملت من علمه وقر بعير.

قال الطحاوي فحدثني أبو خازم، قال حدثني ابن بنت محمد بن الحسن، قال قلت لأمي: صفي ما كان جدي يعمل في منزلته؟ قالت: كان ـ والله ـ يا بني، يكون في هذا البيت وحوله الكتب، ما كنت أسمع له كلمة عن أبي كان لا يشير بحاجته بإصبعه. وروى الخطيب بسنده عن محمد بن سماعة أنه قال: إن محمد بن الحسن قال لأهله لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا تشغلوا قلبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي، فإنه أقل لهمي، وأفرغ لقلبي [٢٤].

مؤلفات الإمام محمد بن الحسن الشيباني:
فقد صنف محمد بن الحسن تصانيفه كالجامعين والمبسوط والزيادات والنوادر حتى قيل إنه صنف في العلوم الدينية تسعمائة وتسعة وتسعين كتابا.

ولا يخفى مبلغ استمداد الكتب المدونة في المذاهب من كتب محمد بن الحسن فالأسدية التي هي أصل المدونة في مذهب الإمام مالك إنما ألفت تحت ضوء كتب محمد بن الحسن والإمام الشافعي إنما ألف قديمه وجديده بعد أن تفقه على محمد بن الحسن وكتب كتبه وحفظ منها ما حفظ، وأحمد بن حنبل كان يجاوب في المسائل من كتب محمد بن الحسن كما سبق آنفا.

إن كتب محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تمثل المصادر الأولية الأساسية التي يعول عليها في المذهب الحنفي فقد ارتبط المذهب الحنفي بكتبه ارتباطا وثيقا حتى ليمكن القول بأن المذهب الحنفي هو كتب محمد بن الحسن.

وكتب الإمام محمد الفقهية ليست كلها في درجة واحدة من حيث الثقة بها، بل يقسمها العلماء من هذه الناحية على قسمين

القسم الأول: كتب ظاهر الرواية، هي المبسوط «الأصل» والسير الصغير والسير الكبير والجامع الصغير والجامع الكبير والزيادات. وتسمى «الأصول» وسميت بظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد بن الحسن برواية الثقات، فهي ثابتة عنه، إما متواترة أو مشهورة.

والقسم الثاني: كتب الإمام محمد في الفقه لم ترو عنه برواية مشهورة وتسمى «النوادر» أو «غير ظاهر الرواية» لورود تلك الكتب بطريق الآحاد دون الشهرة والتواتر.

وإليك الحديث عنها بشيء من التفصيل

أولا: القسم الأول فإن الكتب الستة للإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله أساس للمذهب الحنفي عول عليه فقهاء الحنفية في كل عصر ومصر إجماعا منهم على أنه المصدر الموثوق لمعرفة المذهب.

(٢٤) انظر شرح الزيادات جـ١ صـ٤٧ ـ ٤٨، كتاب الكسب صـ٣١، ٤٠، الفتح المبين صـ٣٦، وفيات الأعيان جـ١ صـ١٨٤، الجواهر المضية في طبقات الحنفية جـ٢ صـ١٢٤، تاريخ بغداد جـ٢ صـ١٧٧

ومن المؤسف جدا، أن هذه الكتب الستة وشروحها الضافية افتقد اليوم معظمها فلا يوجد منها إلا الجامع الصغير والجامع الكبير وأبواب من المبسوط الذي يسمى الأصل وأما من الشروح الكبيرة فلا يوجد إلا شرح السير الكبير للسرخسي رحمه الله، والشروح الباقية لا يوجد منها إلا نسخ يسيرة خطية في بعض المكتبات.

«١» «كتاب الأصل»

المعروف بالمبسوط للإمام محمد روى هذا الكتاب من تلاميذه بطرق عديدة. ومن أشهرها رواية أبي سليمان الجوزجاني، وهي التي انتشرت وأصبحت متداولة بين أهل العلم روى أن الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ استحسنه وحفظه وألف الأم على محاكاة الأصل، وأسلم رجل حكيم من أهل الكتاب بسبب مطالعته قائلا: هذا كتاب محمدكم الأصغر فكيف كتاب محمدكم الأكبر وهو في ستة مجلدات وكل مجلد منها نحو خمسمائة ورقة، وتوجد عدة نسخ كاملة منه في خزانات إسطنبول منها ما هو في ستة مجلدات وهي نسخة مكتبة فيض الله ومنها ما هو في أربعة مجلدات وهي نسخ مكتبات جار الله ويوجد في مكتبة الأزهر مجلد من أوله وفي دار الكتب المصرية عدة مجلدات باسم الأصل وباسم كتاب في الفروع من غير أن تتم بها نسخة واحدة كما ذكرها الشيخ الكوثري في بلوغ الأماني

«٢» «الجامع الصغير»

اشتمل هذا الكتاب على ما رواه محمد عن أبي يوسف لذلك كان يصدر كل باب من هذه الأبواب بهذه العبارة، محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة، وكان سبب تأليفه أن أبا يوسف طلب من محمد بن الحسن بعد فراغه من تأليف المبسوط أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما حفظ عنه مما رواه له عن أبي حنيفة فجمع هذا الكتاب ثم عرضه عليه فأعجبه فقد اختلف العلماء فيمن قام بترتيبه على قولين:

القول الأول: أنه أبو عبدالله الحسن بن أحمد الزعفراني، الفقيه الحنفي.

القول الثاني: أنه أبو طاهر محمد بن الدباس

وقد اشتمل هذا الكتاب على ألف وخمسمائة واثنين وثلاثين مسألة، وذكر الاختلاف في مائة وسبعين مسألة وأشاد فقهاء المذهب بفضله كثيرا، فقالوا: «مشايخنا كانوا يعظمون هذا الكتاب تعظيما، ويقدمونه على سائر الكتب وكانوا يقولون لا ينبغي لأحد أن يتقلد القضاء ما لم يحفظ مسائل هذا الكتاب، وكان الإمام أبو يوسف مع جلالة قدره لا يفارق هذا الكتاب في حضر ولا سفر، وكيف يفارقه وهو الذي طلب من محمد بعد فراغه من تأليف المبسوط. وطبع الجامع الصغير هذا في الهند بتعليق الشيخ عبدالحي اللكنوي وفي إسطنبول ومصر ولبنان

«٣» «الجامع الكبير»

من أهم مصنفات الإمام محمد وأعمقها وأدقها فقها، ويعتبر من أجل كتب ظاهر الرواية لاحتوائه على مسائل عويصة وفروق فقهية دقيقة، ولذا كان يعد معيارا لدى الفقهاء يختبر به تفاوت مداركهم ومبلغ يقظتهم في الفقه، يقول الإمام السرخسي رحمه الله: «من أراد امتحان المتبحرين في الفقه، فعليه بأيمان الجامع» وروى ابن أبي العوام بسنده عن

الأخفش ثناء بالغا في حق هذا الكتاب وقال عنه ابن شجاع: «لم يؤلف في الإسلام مثله في الفقه» وقد صنفه مرتين: صنفه أولا ورواه عنه أصحابه أبو حفص الكبير وأبو سليمان الجوزجاني وغيرهما، ثم نظر فيه ثانيا فزاد فيه أبوابا ومسائل كثيرة، وحرر عباراته في كثير من المواضع حتى صار أحسن لفظا وأغزر معنى ورواه أصحابه ثانيا، وتوجد نسخ عديدة من الجامع الكبير في مكتبات اسطنبول ونظرا إلى صعوبة الكتاب ودقته شرحه فقهاء كثيرون منهم: الإمام البزدوي والسرخسي والسمرقندي وقاضي خان وغيرهم.

«٤» «السير الصغير»

بين الإمام في هذا الكتاب أحكام الجهاد وما يجوز فيه وما لا يجوز، وأحكام الموادعة، وأحكام الأمان، وأحكام الغنائم والفدية وغير ذلك. والأحكام المذكورة فيه من روايته عن أبي يوسف عن أبي حنيفة.

«٥» «السير الكبير»

هذا الكتاب آخر تصنيف صنفه الإمام محمد من كتب ظاهر الرواية وقد احتفى الرشيد بهذا الكتاب جدا وأسمعه ابنيه الأمين والمأمون وعظم قدر هذا الكتاب معروف، ومن الموضوعات التي اعتنى بها كثيرا في هذا الكتاب موضوع «الأمان» فقد عقد بابا مفصلا فيه، وأفاض في بحثه، وبنى مسائله على أصول فقهية ونحوية مهمة، ولذلك نوه الإمام السرخسي بهذا الجانب في شرح الكتاب. فقال: «أعلم بأن أدق مسائل هذا الكتاب وألطفها في أبواب الأمان، فقد جمع بين دقائق علم النحو ودقائق أصول الفقه.. وقيل من أراد امتحان المتبحرين في النحو والفقه فعليه بأمان السير وقد قال الدكتور علي أحمد: في كتابه «الإمام محمد بن الحسن الشيباني نابغة الفقه الإسلامي»: «ولما توغل الباحثون المعاصرون في هذا الموضوع تحت هذا العنوان الجديد - القانون الدولي العام - وجدوا كتابه «السير الكبير» يغطي كافة جوانبه، فشهد أهل الغرب والشرق بعبقريته وبراعته في هذا المجال. وأسسوا جمعيات تنتمي إلى هذا الإمام الجليل رحمه الله.

وقد شرحه جماعة من الأئمة وقد طبع شرح السرخسي عليه في الهند في أربعة مجلدات، وفي لبنان، وتوجد نسخ خطية من السير الكبير بمكتبات اسطنبول.

«٦» «الزيادات»

هذا هو الكتاب السادس من كتب ظاهر الرواية وقد اشتمل على مسائل لم تشتمل عليها الكتب الخمسة السابقة لذا سمي بالزيادات حيث إنه لما فرغ من تصنيف الجامع الكبير تذكر فروعا لم يذكرها في الكبير فصنفه ثم تذكر فروعا أخرى فصنف زيادات أخرى وسماها - زيادات الزيادات - وتوجد نسخ منها في خزانات اسطنبول وقد اهتم علماء الحنفية بهما وتناولوهما بالشرح والاختصار وتعتبر الزيادات، وزيادات الزيادات - شيئا واحدا حيث اندمجت هذه في تلك وعني كثير من الفقهاء بشرح الزيادات عناية كاملة، منهم الإمام السرخسي، وبرهان الدين بن مازة، والإمام العتابي، والإمام قاضي خان، وشمس الأئمة الكردري وغيرهم، إلا أننا لا نجد الآن في خزائن مخطوطات العالم سوى شرح العتابي، وشرح قاضي خان وطبع شرح الإمام قاضي خان عليه في لبنان.

هذه هي كتب ظاهر الرواية التي تعتبر الأصل الذي يرجع إليه في فقه أبي حنيفة وأصحابه وسميت بظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد بن الحسن برواية الثقات، فهي ثابتة عنه، إما متواترة أو مشهورة.

وهناك ثلاثة كتب أخرى من مؤلفات الإمام محمد بن الحسن يمكن إلحاقها بالقسم الأول لشهرتها وأهميتها والاعتماد عليها وهي «موطأ الإمام محمد» في الحديث، و«كتاب الآثار» في الحديث و«كتاب الحجة على أهل المدينة» في الحديث والفقه المقارن.

والقسم الثاني: كتب الإمام محمد في الفقه لم ترو عنه برواية مشهورة وتسمى «النوادر» أو «غير ظاهر الرواية» لورود تلك الكتب بطريق الآحاد دون الشهرة والتواتر.

فمنها الرقّيات:

وهي المسائل التي فرعها محمد بن الحسن حينما كان قاضيا بالرقة رواها عنه محمد بن سماعه.

الكيسانيات:

وهي التي رواها عنه شعيب بن سليمان الكيساني وتوجد قطعة منها في المكتبة الآصفية في حيدر أباد الدكن بالهند.

الجرجانيات:

وهي مسائل جمعها بجرجان ويرويها علي بن صالح الجرجاني عن محمد بن الحسن.

الهارونيات:

وهي مسائل جمعها لرجل يسمى هارون.

وله كتاب الكسب:

يشرح جوانب مهمة من هذا الموضوع أحسن شرح، وبذلك يعد الإمام محمد - بحق - أول من فتق البحث عن قضايا الأموال في الإسلام بشكل مستقل.

وقد توجهت عناية بعض الاقتصاديين الإسلاميين المعاصرين إلى دراسة كتاب «الكسب» ومؤلفه الإمام محمد، نظرا إلى أنه الرائد في موضوع «الكسب» ويتوافق مع كتابه كثير من مباحث «الاقتصاد الإسلامي» المعاصر، ووجدوا فيه ثروة غنية تصلح أن تكون أساسا لموضوع «الاقتصاد» بالتعبير المعاصر.

وبالجملة ففقه الأئمة الفقهاء المتبوعين عامة وفقه الإمام أبي حنيفة والعراقيين خاصة مدين للإمام محمد بن الحسن بكتبه، فهي التي حفظت فقه العراقيين وأمدته مرجعا للأخلاف يرجع إليه، ومنهلا يستقى منه، وهي التي جرى على نهجها تدوين فقه باقي المذاهب المتبوعة، وبذلك يصدق على الإمام محمد القولة المشهورة: «وخبزه - أي الفقه - محمد بن الحسن، فسائر الناس يأكلون من خبزه» وتمام هذا الكلام ما ذكره الحصكفي في «الدر المختار» وقد قالوا: الفقه زرعه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم النخعي، ودرسه حماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد، فسائر الناس يأكلون من خبزه وقال العلامة ابن عابدين رحمه الله في «رد المحتار» وهو يشرح الكلام المذكور: «قوله زرعه» أي أول من تكلم باستنباط فروعه عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه «قوله وسقاه» أي أمده ورصحه علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الفقيه الكبير «قوله

وحصنه، أي جمع ما تفرق من فوائده ونوادره وهيأه للانتفاع به إبراهيم بن يزيد أبو عمران النخعي الإمام المشهور «قوله ودرسه» أي اجتهد في تنقيحه وتوضيحه حماد بن مسلم أبي سليمان الكوفي شيخ الإسلام «قوله وطحنه» أي أكثر أصوله وفرع فروعه وأوضح سبله إمام الأئمة وسراج الأمة أبو حنيفة النعمان. فإنه أول من دون الفقه ورتبه أبوابا وكتبا على نحو ما عليه اليوم وتبعه الإمام مالك في «موطئه» ومن كان قبله إنما كانوا يعتمدون على حفظهم «قوله وعجنه» أي دقق النظر في قواعد الإمام وأصوله، واجتهد في زيادة استنباط الفروع منها والأحكام تلميذ الإمام الأعظم أبو يوسف يعقوب قاضي القضاة. وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة «قوله وخبزه» أي زاد في استنباط الفروع وتنقيحها وتهذيبها وتحريرها بحيث لم تحتج إلى شيء آخر، الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة وأبي يوسف، محرر المذهب النعماني، المجمع على فقاهته ونباهته. فسائر الناس يأكلون من خبز محمد: مؤلفاته التي خبزه من عجين أبي يوسف ومن طحين أبي حنيفة، ولذا روى الخطيب عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه. كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه

وفاته:

قال محمد بن سماعة في حديثه: قرب الرشيد محمد بن الحسن وولاه قضاء القضاة وحمله معه إلى الري، وبقى الإمام محمد كذلك على منصب قضاء القضاة يؤدى فرائض هذا المنصب، ويخدم العلم وطلبته إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته سنة ١٨٩هـ، وقع موته بالري وقد حمله إليه الرشيد معه ومات في بيت صاحبه الفقيه هشام بن عبيد الله الرازي. وتوفي معه إمام النحو الكسائي، رحمهما الله تعالى، ودفن بجبل طبرك، بقرب دار هشام بن عبيد الله الرازي لأنه كان نازلا عليه. والكسائي بقرية «رنبوية»[25] وبينهما أربعة فراسخ وكان معسكر الرشيد أربعة فراسخ بين الإمام محمد في جانب والإمام الكسائي في جانب فتفرغ بذلك الرشيد وقال: دفنت الفقه والعربية بالري.

وذكر الكفوي: قيل رؤي محمد في المنام بعد وفاته فقيل له: كيف كنت في حال النزع؟ فقال: كنت متأملا في مسألة من مسائل المكاتب فلم أشعر بخروج روحي وقد روي عن إسماعيل بن أبي رجاء أنه قال: رأيت محمدا في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة. ثم قال: لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم فيك فقلت له: فأين أبو يوسف؟ قال: فوقنا بدرجتين قلت: فأبو حنيفة؟ قال: هيهات. ذاك في أعلى عليين كيف وقد صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. وحج خمسا وخمسين حجة. ورأى ربه في المنام مائة مرة[26].

أغدق الله تبارك وتعالى على ضريحه سحائب رحمته ورضوانه ونفعنا بعلومه بمنه وكرمه إنه قريب مجيب والله أعلم بالصواب

(٢٥) رنبوية بفتح الراء وسكون النون وفتح الباء الموحدة والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة

(٢٦) انظر طرح الأماني ص٦٢ - ٦٧، شرح الزيادات ج١ ص٥١ - ٥٧ رد المحتار ج١ ص٣٤ - ٣٥، كتاب الكسب ص٤٨ - ٤٩

المقصد التربوي للحج في الجانب الجسدي للفرد المسلم

بعد الحج كالصيام، من العبادات البدنية الروحية، وآثاره في إصلاح الجسد كثيرة منها مايلي:

أولا: من شروط الحج الاستطاعة لقوله تعالى:

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾

(آل عمران ٩٧)

ومن الاستطاعة القدرة البدنية على مناسك الحج والسفر والإقامة. يقول ابن حزم: استطاعة السبيل صحة الجسم والطاقة على المشي[1]، لأن الحج جهاد لا شوكة فيه، ويحتاج إلى قوة بدنية كي ينهض بأداء الشعائر وقد شرع الإسلام لمن توفرت لديه الاستطاعة المالية دون البدنية ألا يحرم الأجر، ويشعر بأن ضعف جسمه حال بينه وبين ثواب الحج، وربما ضاعف أمراضه، وانخفضت روحه المعنوية، أما إذا أرسل أحدا مكانه شعر بعظيم الارتياح مما يكون له أثر مباشر على تحسن صحته، وفي هذا روى البخاري ومسلم بسندهما، عن الفضل ابن عباس أن امرأة من خثعم جاءت النبي ﷺ عام حجة الوداع فقالت: يارسول الله، إن فريضة الله على عباده الحج، أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: نعم[2].

هذا يدل على مراعاة الإسلام للحالات الصحية، وألا يكلف أحد فوق طاقته البدنية مع عدم حرمانه من الثواب بأن ينيب عنه غيره إن استطاع ماليا.

ثانيا: من الاستطاعة أيضا توفر أمن الطريق، حتى لا يعتدي قطاع طريق، أو عدو مترصد أو بغاة معتدون على حجاج بيت الله، يسرقون أموالهم، أو يأسرون أفرادهم، أو يضربون أجسامهم، أو يقتلونهم. هذا مما يسقط الحج عن المستطيع ماليا وبدنيا، خشية أن يتعرض لأذى في نفسه أو جسمه أو عرضه أو ماله[3].

ثالثا: لا يخرج المسلم للحج مسنعا

(١) المحلى لابن حزم [illegible]

(٢) اللؤلؤ والمرجان، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز [illegible]

(٣) شرح فقه الحج لابن تيمية [illegible] (١٨٩)، والمحلى لابن حزم [illegible]

بالعواطف النبيلة، وليس لديه مؤنته من نفقات المركب والمأكل والمشرب والمبيت. ولا يجوز له أن يخرج معتمدا على التسول، لأنه ربما أصاب ما يقيم صلبه ولا. فيتعرض لأضرار بدنية كثيرة. وسبق أن رأينا نهى النبي ﷺ أهل اليمن عن الحج بغير زاد. واشترط الفقهاء أن يكون هذا الزاد الكافي له، ولأهله وأولاده ومن يعولهم في بلده[4]. فلا يأخذ الزاد ويدعهم يتضورون جوعا، أو يترك أولاده في العراء ويذهب إلى الحج. وفي ذلك ضمان حد معقول من الإشباع للحاجات الضرورية والحاجية للحاج ومن يعولهم. فلا نجد في ديار الإسلام من يقيم فريضة على التراخي ويترك فريضة على الفور.

رابعا: يسن للحاج والمعتمر قبل الإحرام أن يحلق عانته، وينتف إبطه، ويقلم أظافره، ويقص شاربه، ويغتسل ويتطيب. ويسن له مع إحرامه أن يزيل الأوساخ ويغتسل عند دخوله مكة وعند الطواف، وعند دخول منى وعرفة، وهذا كله يدل على أهمية العناية بالبدن في الحج. ويسن تغيير الرداء والإزار كلما اتسخا حتى يبقى المسلم محافظا على سمته الأصيل في طهارة ونظافة تجعله كالشامة في الناس. وهذه الآداب كلها تدل على أن الانهماك في المطالب الروحية لا يجوز أن يشغل الإنسان عن المطالب الحسية، لأن الارتباط بينها جد وثيق. والمسلم الذي لا يغتسل قبل الطواف قد يحرج إخوانه الطائفين من إخوانه وتبتليهم، عندما تزكم أنوفهم هذه الروائح الكريهة. هذا فضلا عن آثار الحركة الكثيرة في الحج في تحمل الأتربة، وخروج العرق. وهذا قد يسد مسام الجلد العرقية فيؤدي إلى أمراض جلدية، وبقاء نفايات سامة بداخل الجسم، أو مجاورة البحر. وفي العادة يكون أغلب الطرق على جوانب البحار والأنهار. فهذا من التوسعة على الناس في طعامهم، وتخصيص الطعام الخارج من البحر بالنص حتى تتوافر مطالب الجسد الأساسية.

خامسا: من أحكام الحج ما يجعل الحفاظ على الصحة العامة أسبق من أداء شخص مريض مرضا معديا فريضة الحج، فأسقط الإسلام عنه الفريضة حتى لا يؤذي الناس بمرضه المعدي. ونلحظ هذا الحجر الصحي في أحكام الحج، فيما رواه مالك بسنده عن ابن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب مر بامرأة مجذومة، فقال لها: يا أمة الله لا تؤذي الناس، لو جلست في بيتك؟ فجلست، فمر بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي قد نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا[5]. هذا الأمر الذي فعله سيدنا عمر حيث رأى المرأة تطوف حاملة مرضا معديا وهو الجذام، فأمرها أن تجلس في البيت، ففعلت راضية محتسبة أجرها عند الله تعالى. ونحن نرى في كلام عمر حكما شرعيا لا أمرا إداريا تجوز مخالفته بعد موته، وهو رقي سواء في الحكم أو في الامتثال له لا نجد له مثيلا في واقعنا المعاصر.

سادسا: إذا لم يكن المرض معديا، فإنه لا حرج في الحج إن قدر على مناسكه. ولكن رحمة الإسلام بهؤلاء يسرت عليهم بعض الأحكام، من ذلك ما يلي:

أ- ما رواه البخاري بسنده عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة[6].

ب- ما رواه الشيخان بسندهما عن عائشة قالت: نزلت المزدلفة، فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة فأذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس[7].

جـ- ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله[8].

د- جواز حلق الشعر لمن آذاه لهوامه لما رواه الشيخان بسندهما عن كعب بن عجرة قال: حملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك. فنزلت في خاصة، وهي لكم عامة[9]. يقصد الآية

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾

(البقرة ١٩٦)

إلى آخر الآية.

هذه الأحكام وغيرها تشير إلى مراعاة الأحوال الصحية في أحكام الحج، فلا يكلف الناس ما لا يطيقون. فمن ألم به مرض في رحلة الحج طاف وسعى راكبا ولا حرج ومن خشي الزحام في رمي الجمرة الكبرى خشية أن يؤذى في بدنه، أو تؤذى المرأة في عرضها، أو الأولاد في صغرهم، فتختار وقتا مناسبا قبل الفجر كما فعلت أسماء، أو قبيل الشروق كما فعلت سودة ومن عباس في صغره، أو بعد الغروب كما فعلت أم سلمة مع ابنة أخ صفية بنت أبي عبيد فلا حرج عليهم، وكذلك رمي الجمرات قبل الظهر أو بعد الغروب خشية الزحام الشديد، كما أجاز الإسلام الحلق لمن تأذى بأي مرض جلدي، ويصوم بدلا من ذلك. هذه الأحكام كلها تدور حول محور واحد هو عدم تكليف المسلم أو المسلمة فوق طاقته البدنية، لأن هذا قد يضره صحيا ضررا بالغا يصعب أو يستحيل علاجه.

سابعا: الحج من أكثر العبادات التي نمارس فيها رياضة المشي من سفر في الطريق ودخول مكة والمسجد الحرام إلى الطواف بالبيت ثم الذهاب إلى بئر زمزم ثم الصعود على جبل الصفا والسعي بين الصفا والمروة والرمل (الجري الخفيف للرجال) بين الميلين الأخضرين، ثم الذهاب إلى منى يوم التروية، والخروج إلى عرفات يوم عرفة، والنفير إلى المزدلفة، ثم منى ثم رمي الجمرة الكبرى، ثم الذهاب للطواف بالبيت الحرام ثم العودة إلى منى والمبيت ثلاثا في كل يوم يرمي الجمرات الثلاث. هذه مسافات كبيرة يمشيها الإنسان، والمعروف أن رياضة المشي من أهم الرياضات التي تحفظ على الصحة الجسدية، وتخليص الجسم من الدهون والسموم المختزنة في جسمه، فإذا أضيف إلى هذه الأماكن المقدسة أنها في العالم ذات أجواء حارة، يعني أن المشي يكون مصحوبا بالعرق الذي يذهب في الجسم الكثير من نفاياته الضارة

٤- شرح فتح القدير [illegible] ٢ / ١٨٠

٥- موطأ [illegible] كتاب الحج ١ / ٤٢٤

٦- صحيح البخاري كتاب الحج باب المريض يطوف راكبا رقم ١٦٣٣

٧- البخاري ومسلم، كتاب الحج [illegible]

٨- نفسه رقم ٨١٤

٩- البخاري ومسلم، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم [illegible]

العلوم الكونية فى خدمة الشريعة الإسلامية ومقاصدها



اختلف العلماء حول ترتيب المقاصد الكلية الخمس للشريعة الإسلامية، والمتمثلة فى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. ورأى بعضهم أنها مترابطة فيما بينها ترابطا محكما، بحيث يتوقف وجود بعضها على البعض الآخر. "فلو عدم الدين لعدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن فى العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش". أو بعبارة أخرى -أن هذه المقاصد يؤثر بعضها فى بعض، ويتداخل بعضها مع البعض الآخر، وأن حفظ بعضها ينعكس تلقائيا فى حفظ البعض الآخر. وانخرام بعضها يؤثر فى البعض الآخر، فهى أشبه بحلقات السلسلة الواحدة التى يرتبط بعضها ببعض، ويأخذ بعضها بيد بعض. ورأى بعض المعاصرين فى فكرة المنظومة الدائرية بديلاً عن الترتيب التقليدى [1].

ولما كان الفكر المقاصدى هو الذى يمثل العُدة العلمية (مبادئ وتقنيات ومفاهيم) التى يُتوسل بها فى التوصل إلى مقاصد الشريعة، سواء تمثلت فى المعانى والدلالات المقصودة من خطابها، أو تمثلت فى الغايات والأهداف المصلحية المقصودة من تشريع أحكامها العملية والاعتقادية، فإنه -أى الفكر المقاصدى- بذلك يُعدُّ جانبًا أساسيًا من الثقافة الفقهية والأصولية، باعتباره ممارسة اجتهادية فى الشريعة الإسلامية بوصفها خطابات أمرنا بالسعى المستمر للإفادة من معانيها، وبوصفها كذلك أحكاما عملية تنطوى على غايات مصلحية نقاس مشروعيتها بمدى تطابقها مع الفطرة الإنسانية النقية بحسب ما يقصده الشارع.

وسوف نعرض فى هذه الدراسة لبيان الدور الذى يمكن أن تؤديه العلوم الكونية وتقنياتها لخدمة الشريعة الإسلامية وتفعيل مقاصدها فى الواقع وأولوياته، ولبيان أهمية كل من السنن الكونية والمنهجية العلمية فى الفكر المقاصدى، وأن الاستخدام السوى للتكنولوجيا وعلومها يلبى متطلبات كل مقاصد الشريعة.

(1) راجع تفاصيل ذلك فى
د. جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سورية، [illegible]

مكانة الفطرة والمنهجية فى الفكر المقاصدى

إن الدين الصحيح -فيما يرى كثير من الباحثين المتخصصين فى دراسة الأديان، هو دين واحد فى أصله وجوهره المبنى على عقيدة التوحيد، أوحى به الله للمصطفين من الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، قال تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

(سورة الشورى ١٣)

وقال جل شأنه

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

(سورة الأنبياء ٢٥)

كما أن الدين الصحيح مفطور [2] فى كينونة الإنسان منذ أن خلقه الله

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(سورة الروم ٣٠).

ومعرفة الإنسان بخالقه معرفة فطرية ترجع إلى الميثاق أو العهد الذى أخذه الله على بنى آدم وهم فى مرحلة "الذر"، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾

(الأعراف: ١٧٢).

وعلى ذلك فإن الرسالات الإلهية التى أوحى الله بها للأنبياء والمرسلين قد توالت لتصحيح الانحرافات التى وقعت من وقت

(2) الفطرة فى اللغة: الخِلْقة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة التى لم تُشب بعيب [illegible] الجبلة [illegible]
ومن مصطلح [illegible] الفطرية Innetism [illegible] موجودة فى الذهن منذ النشأة، وهى مذهب الفطرة
والفطرى Innate [illegible]
والفطرى: اللازم والمتأصل فى صلب الشىء نفسه أو طبيعته الأساسية، أو ما ينشأ بالسليقة، ويقابل المكتسب Acquired، وهو كل ما يضاف إلى القدرات الفطرية عن طريق النشاط الثقافى أو التجربة والتدريب، والعلم المكتسب ما يحصل بالتجربة [illegible]
والمذهب Nativism [illegible] إلى نظرية المعرفة، على أنه ينبغى ألا نبالغ فى التقابل بين المكتسب والفطرى، إذ أن كل صورة من صور السلوك إنما تكون [illegible] مجمع اللغة العربية بالقاهرة

لأحر فى تاريخ البشرية، ولتطهير الدين من مظاهر الوثنيــة والانحــراف عن الدين الصحيح، التى كانت تطرأ عندما توشك رسالة أن تسلم الراية لغيرها، وكان الدين الخاتم هو الإسلام الحنيف الذى جاء ليقود حركة الإنسانية كلها دون أدنى تناقض مع الفطرة الإنسانية السوية التى تمثل مبدأ من المبادئ التى يقوم عليها الفكر المقاصدى، وجملة من الإمكانات الإنسانية الجسدية والعقلية، التى تتسق وتتصدق مع ما جاء به الشرع الإسلامى، فالذى خلق النوع الإنسانى هو الذى شرع لهم الأحكام التى تصلح لهم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(سورة الملك ١٤)

وهكذا فإن استقراء التصرفات الشرعية من زواج وإرضاع، وآداب فى المعاشرة، وأحكام فى حفظ النفس والأنساب والأموال، يفضى إلى أنها مسايرة للفطرة، إما لأنها تقيمها فى أنفس المكلفين، وإما لأنها تحميها من الانحراف، لذا لا يمكن تفقه الشرع الإسلامى إلا على أساس دقيق وواضح من الوعى العميق لمكونات الفطرة الإنسانية[٣].

ولقد سبق للإمام ابن عاشور رحمه الله أن بين أهمية الفطرة، وكان من جملة ما نبه عليه قوله: "إن كل فعل يحب العقلاء أن يتلبس به الناس، وأن يتعاملوا به، فهو من الفطرة، وكل فعل يكرهون أن يقابلوا به، ويشمئزون من مشاهدته وانتشاره، فهو انحراف عن الفطرة. فإذا تعارض فعلان أو خاطران مما تقتضيه الفطرة وجب اختيار أعرقهما فى المعنى الفطرى، أو أدومهما، أو أشيعهما فى الناس، أو ألفهما بالإشاعة فى البشر، على أنه إذا أمكن رعى أحد الفعلين فى بعض الأزمان أو بعض الأمكنة أو لبعض الأمم، مادام لمقتضيه مساس بحاجة الناس الملحة وجب رعيه، فإذا ضعفت الحاجة إليه رجع إلى غيره"[٤].

ولما كان الاستقراء فى المنهج العلمى عمومًا هو الانتقال من تصفح الجزئيات والحكم عليها، ثم الارتقاء من النظر فى حالات وأحكام جزئية إلى حكم عام فى فهم الظاهرة الكونية موضوع البحث والاستفادة منها، فإن علماء الأصول، خاصة أهل المقاصد منهم، قد اعتمدوه فى بناء أنساقهم المختلفة، باعتباره أداة مهمة من أدوات الفكر المقاصدى فى الإسلام[٥].

وأهم ما يميز الاستقراء كطريقة علمية للتتبع والإحصاء والتحقق والتفنيد والمراجعة المستمرة، وصولًا إلى حكم عام بأعلى درجة ممكنة من التصديق والرجحان، أنه يعين على استنباط فروض صائبة تتعلق بالسنن الإلهية المطردة التى لا تتبدل ولا تتحول فى الواقع الكونى الثابت، لأنها سنن الفطرة العاملة فى ظواهر الكون والحياة. فقد خلق الله هذا الكون على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال، وحفظ تناسقه ووحدته وتوازنه، فى ترابط محكم بين عوالم الكائنات، وتنسيق معجز بين أحداثه ومجموعاتها. وفى إطار هذا المفهوم الإيمانى لسنن الفطرة فى المخلوقات، يتمتع الباحث المسلم بالاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث العلمى والنظر فى مجموعة محددة من الوقائع ليستنبط من استقرائها حكمًا عامًا منسجمًا مع قوانين الفطرة السوية المستمدة من إرادة الخالق الواحد ومتوقفًا عليه. قال تعالى:

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

(فاطر ٤٣)

حفظ الدين والعقل بالعلم والتفكر

التوحيد فى العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، ورد الأمور جميعها إليه، والوحدانية صفة من صفات الله تعالى، معناها أنه يمتنع أن يشاركه شىء فى ذاته أو صفاته، وأنه منفرد بالإيجاد والتدبير العام بلا واسطة، يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

(سورة البقرة ٢٥٥).

ومن أوجه الإعجاز فى هذه الآية الكريمة، آية الكرسى، أنها جمعت فى عشر جمل مستقلة أصول صفات الألوهية والتمجيد لله الواحد الأحد ذى الوحدانية، ونطقت بأنه سبحانه وتعالى متفرد فى ألوهيته، موجود لغيره، منزه عن كل نقص ومبرأ عن الفتور والغفلة. ليس كمثله شىء، واجب الوجود بذاته، كان من الأزل ولا شىء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فهو فوق المكان وفوق الزمان. تعالى سبحانه عن أن يكون متحيزًا حتى يحتاج إلى مكان، أو أن يكون متغيرًا حتى يحتاج إلى زمان.

والإيمان الخالص بالله سبحانه وتعالى أساس العقيدة الإسلامية، وهو أمر فطرى ينعم به كل إنسان يتمتع بفطرة نقية، لكن البحث العلمى يوصلنا إلى حقائق كونية تيسر قبول العقل بمسلمة (بديهية) التوحيد الإسلامى، وتكشف عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة مهما تكن درجات تنوعها.

ومن أبسط القضايا التى توضح منطق

---

(٣) [illegible]

- ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٥م
- أ.د. عبد الحميد أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساسى للإصلاح الإنسانى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة والمعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م
- محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
- د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٩م

(٤) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٧٥، ص، ٧٢

(٥) - د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، القاهرة، ١٩٨٤م

ص٤٥-٨٦، صيف ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- أبو إسحق الشاطبى، الموافقات فى أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة (د.ت)، ج١، ص، ٢٣

التوحيد في الفكر العلمي وأثره الواضح في تطور العلم نذكر العلاقة المتبادلة بين المادة والطاقة، باعتبارهما أساس الكون المادي، والشمس هي مصدر الطاقة في عالمنا المسمى بالمجموعة الشمسية، ولقد تمكن الفيزيائي "أينشتين" من إثبات التكافؤ بين المادة والطاقة، وحقق بذلك إنجازا علميا هائلا يتمثل في اعتبار المادة طاقة حبيسة، فالمادة التي نراها بأعيننا ونقبض عليها بأيدينا تشغل في هذا الكون مكانا أو حيزا، لكنها قد تتخلى عن صفات التجسيد هذه وتتحرر من قيودها بحيز معين في الفراغ، وتنطلق على هيئة طاقة موجية تتحدى قيود الزمان والمكان، وكان إنتاج الطاقة النووية وصناعة قنبلتها من ثمار هذا الاكتشاف الخطير.

كذلك نجح العلماء في القيام بالعملية العكسية، أي تجسيد الطاقة وتحويلها إلى مادة، وبهذا أمكن إثبات التوحد والاندماج والتكافؤ بين المادة والطاقة، وتحقق العلماء من صحة العلاقة الرياضية التي تعبر عن علاقة التحول بينهما، وهكذا أمكن أيضا التوحيد بين الصور المختلفة للطاقة، من كهربية وكيميائية وحرارية وغيرها، عن طريق تحويل إحداها إلى الأخرى.

من ناحية أخرى، اقتضى منطق التوحيد في الفكر العلمي أن يغير الإنسان من نظرته القديمة لكل من المكان والزمان اللذين كان يظن أنهما مستقلان عن بعضهما، وهذه من عجائب العلم الحديث التي سلّم العقل بقبولها عندما تم التوحيد بينهما في نسق واحد ضروري لتفسير الظواهر الكونية، وهذا يعني أننا إذا كنا نحدد الحيز أو المكان عادة، مثل حيز الغرفة أو الحيز الذي يشغله جسم ما، بأبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع، فإنه لابد من اعتبار الزمن بعدا رابعا. وعلى ذلك فإن الجسم الساكن في عرف الرأي القديم الذي يتعامل مع الكون ثلاثي الأبعاد، يكون متحركا حسب النظرية العلمية الجديدة على محور رابع هو الزمن الممتد من الماضي والمار بالحاضر إلى المستقبل، أي أن هذا الجسم يكون ساكنا في الفضاء، ولكنه متحرك على محور الزمن، وهكذا يلتئم الزمن مع الفضاء في وحدة اندماجية بحيث لا يجوز الفصل بينهما، تماما مثلما تم التوحيد بين المادة والطاقة، ومهما تكن صعوبة هذا التصور العلمي على الفهم بسرعة، فإن الأخذ به يساعد على تطوير النظريات العلمية القديمة، وظهرت تجارب هامة تؤكد سلامته.



أينشتين

أيضا، استطاع أينشتين أن يتوصل إلى نظرية شاملة تبيّن لنا أن الكون يظهر بمجال واحد وقوانين واحدة تنطبق على كل شيء فيه، سواء كان هذا الشيء إلكترونا دقيقا، أو كوكبا كبيرا، أو شعاعا ضوئيا سريعا، وأوضح أن هذه القوانين تعمل منذ أن بدأ خلق الكون وسوف تستمر إلى أن يأذن الله بانتهائه.

إن مثل هذا الأسلوب في التوصل إلى نظريات التوحيد في الفكر العلمي لابد أن يكون مسترشدا بوجود قوة عاقلة مهيمنة تسيطر على جميع مكونات هذا الكون الهائل المترامي الأطراف، أما الحياة في جميع صورها فإنها تنتفع بالمادة والطاقة معا وتتوقف عليهما، وهذه أيضا وحدة تجمع الحياة والمادة والطاقة في إطار متكامل متصل ومتواصل، فسبحان الخالق العليم القائل في كتابه الكريم

﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾

(سورة الجاثية: ١٣)

إن الباحث المؤمن بعقيدة التوحيد الإسلامي يجد في نفسه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو البحث عن محور الوحدانية في الشخصية الإنسانية، وفي الكون كله مجتمعا في وجود واحد، كما أنه -فضلا عن ذلك- يتمتع بالاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث العلمي في ظواهر الكون المطردة إيمانا منه في ضمان الوصول إلى تعميمات أو قوانين عامة باستقراء مجموعة محددة من الوقائع.

كما يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾

(سورة الأنبياء: ٣٣)

وتدلنا هذه الآية الكريمة على حقيقة مهمة تتعلق بنظام الحركة في الكون، ويسهم العلم الحديث في تجلية هذه الحقيقة وإلقاء الضوء عليها، بعد أن ثبت أننا نعيش في كون فسيح تعتمد الحركة فيه على الدوران الذي هو أشبه بالطواف حول مركز معين، فالأرض تدور في فلك خاص بها حول الشمس مرة كل عام، والقمر يدور في فلك خاص به حول الأرض مرة كل شهر عربي، كما أن الكواكب الأخرى تدور في أفلاك خاصة بها حول الشمس، ومعظم هذه الكواكب لها أقمار تدور حولها، اكتشف العلماء منها أكثر من ستين قمراً حتى الآن.

والمجموعة الشمسية التي ينتمي إليها كوكب الأرض تدور حول مركز مجرة "الطريق اللبني" أو "درب التبانة"، وهي تحتوي على نحو ١٣٠ بليون نجم. ومجموعة المجرات الكونية تدور جميعها حول مركز لا يعلمه إلا الله وحده، وكأننا بهذا التصور العلمي لهيئة الكون، نلفت الأنظار إلى الحركة الدورانية، أو الطواف، كسنّة كونية تتجلى في الخلق كله.

وإذا انتقلنا إلى عالم المتناهيات في الصغر، نجد أن الذرة التي لم يرها أحد بعد بالعين المجردة، ولا بأقوى المجاهر (الميكروسكوبات)، نجدها تتكون من نواة لا يزيد قطرها عن جزء واحد من مليون جزء من المليليمتر، ويدور حولها إلكترون أو أكثر في مدارات، أو أفلاك خاصة. وهذا يعني أن جميع ذرات المواد الصلبة والسائلة والغازية في هذا الكون تعمل فيها ظاهرة الطواف، ويدخل في ذلك جميع الذرات التي تؤلف أجسامنا وطعامنا وشرابنا والهواء الذي نستنشقه، وكل كائن حي من نبات أو حيوان، وكل شيء مادي على الأرض من بحار ورمال وجبال، أو في السماء من نجوم وكواكب وأقمار، أو بين السماوات من



غازات ونيازك وشهب ومذنبات وغيرها.

ولا يختلف عالم الأحياء عن هذه السنة الكونيـــة التي تدل على وحــدة الكون ووحدانية الخالق سبحانه وتعالى، فقد كشف العلم الحديث من خلال تقنية المجاهر القـوية أن الســـائل المعـــروف باسم "السيتوبلازم" فى الخليـة الحيـة يدور، أو يطوف، حول نواتها..

وأهم ما يجمع بين أنواع هذه الحركة فى جميع حالاتها هو الدوران، أو الطواف فى عكس اتجاه عقربى الساعة.

وهكذا يتعدد الطائفون، سواء فى حالة الإلكتـرونات حـول نواة الذرة، أو حـالة الكواكب حول الشمس، أو الأقمار حول الكواكب، أو النجوم حول مراكز المجرات، أو المجرات حول مركز لا نعرفه، فالكل فى هذا الكون يطوف.

وتتوجه بنا الفطرة النقيـة المؤمنة إلى صـورة أخرى من صـور الطواف جعلها الله جل وعـلا من أهم مميـزات الإسـلام، وهو الطواف حول الكعبة المشرفة الذى يعتبر من شعائر الحج والعمرة.

والطواف حول الكعبة شعيرة تعبدية قد لا يدرك البعض حكمتها، ولكنه طبقا لحقائق العلم الحديث يرمز إلى سر عظيم من أسرار الكون يقوم على شهادة التوحيد الخالص لله، تلبية للنداء الإلهى الذى أمر إبراهيم الخليل عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج، مصدقا لقوله تعالى:

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾

(سورة الحج: ٢٦-٢٧).

فكان الكعبة المشرفة مركز للجاذبية الروحية التى ينبغى أن تكون بين العبد المؤمن وبين بيت الله العتيق، هذا البيت الذى يستقبله المسلمون ويتجهون إليه فى صلاتهم خمس مرات على الأقل كل يوم وهم بعيدون عنه، وهذه الجاذبية الروحية هى القوة الخفية التى تجعل كل قادم يطوف حول الكعبة بمجرد الوصول إليها، تماما مثلما يطوف أى جرم سماوى بمجرد وقوعه فى أسر جاذبية جرم آخر أكبر منه.

ونلاحظ هنا أيضا أن المسلمين يطوفون حول الكعبة المشرفة فى عكس اتجاه حركة عقربى الساعة، حيث يكون القلب أقرب إلى مركز الجذب والطواف، ونلاحظ هذا "التيامن" أيضا فى اتجاه الحركة عند السعى ذهابا وإيابا بين الصفا والمروة، الذى هو من شعائر الله.

وتدلنا هذه الرؤية الإيمانية الشاملة على أن الطواف سلوك كونى يشير إلى مظاهر الوحدة والتماثل بين التكاليف الشرعية ونواميس الظواهر الكونية، ولهذا كان شعار التلبية فى الحج أثناء الطواف حول الكعبة هو النداء الناطق بالتوحيد "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".

وهكذا نجد أن الكشوف العلمية التى يتوصل إليها الباحثون تدل بما لا يدع مجالا للشك على أن الدين الإسلامى الحنيف هو دين الفطرة الإيمانية النقية الذى يقدم للإنسان رؤية صحيحة متكاملة تنسجم مع حقيقة الوجود الإلهى المهيمن على نواميس الكون، ومن هنا فإن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ينبغى أن تُفهم عقلاً قبل نطقها باللسان وإحساسها بالقلب، وذلك فى إطارها الشامل من الفكر التوحيدى واليقين الإيمانى الذى يجمع بين وحدة النظام فى بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية، وبين وحدة الطاقة بردّها إلى أصل واحد وإن تعددت صورها، وبين وحدة الحركة فى طواف الإلكترونات حول نواة الذرة، وطواف الأقمار حول الكواكب، وطواف الكواكب حول الشمس، وطواف السيتوبلازم حول نواة الخلية الحيّة، وطواف المسلمين حول الكعبة المشرفة، وسعيهم بين الصفا والمروة.

وفى القرآن الكريم أيضا نقرأ قوله تعالى:

﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾

(الرحمن: ١-٤)

يمتن الله سبحانه وتعالى على عباده فى هذه الآيات البينات من سورة الرحمن بأنه خلق النوع الإنسانى على أعلى درجة وفى أبهى صورة من الجمال والكمال، ومكنه من بيان ما فى نفسه بالمنطق الفصيح، ومن فهم بيان غيره، فتميز بهذا البيان عن الحيوان الأعجم، واستعد لتلقى العلوم وحمل أمانة الاستخلاف فى الأرض، وقد توصل العلم الحديث إلى حقائق تظهر قدرة الخالق سبحانه وتعالى وتنطق بألوهيته وربوبيته، ذلك أن الوحدة البنائية لجسم الإنسان، وهى الخلية الحية، لا يمكن فحصها إلا بالمجاهر (الميكروسكوبات المكبرة)، ويبلغ

متوسط قطر الخلية الواحدة نحو ٠,٠٣ من المليمتر، ويبلغ متوسط وزنها جزءاً من المليار (ألف مليون) من الجرام، ويسمح جدار الخلية بتبادل الأكسجين والغذاء والعوادم المختلفة مع الخلايا المجاورة، ويحوى هذا الجدار سائل السيتوبلازم الذى يحتوى على مولدات الطاقة ومنتجات البروتينات، أما نواة الخلية فتحمل بداخلها الشفرة الوراثية التى تشغل حيزا لا يزيد على واحد من المليون من المليمتر المكعب، ولكنها إذا فردت يصل طولها إلى قرابة المترين موزع فيها حوالى ١٨,٦ بليون جزئ من جزيئات المادة، وإذا اختل وضع ذرة واحدة من ذرات هذه الجزيئات عن مكانها فإن هذا يعنى حدوث تشوه للخلية

إن هذه الخلية الدقيقة يمكنها إنتاج مائتى ألف نوع من البروتينات، وهى فى حالة تجدد مستمر، فجسم الإنسان يتكون من حوالى مائة تريليون خلية حيّة، ويستهلك فى كل ثانية من عمره نحو ١٢٥ مليون خلية تموت ويتم استبدالها بخلايا جديدة متماثلة مع الأصل تماما بحيث يتجدد جميع خلايا جسم الإنسان، ماعدا الخلايا العصبية، مرة كل أسبوع تقريباً.

أما البيان الذى علمه الله للإنسان، بعد أن سواه فى أحسن تقويم، فقد جعل الله أسبابه وأدواته فى جسم الإنسان، حيث يوجد مركز النطق فى المخ، وتوجد أجهزة النطق فى الرئتين والقصبة الهوائية بشعبها والحنجرة واللهاة واللسان والشفتين والفكين والأسنان، حيث تشترك كلها فى النطق والبيان، ويعمل كل من السمع والمخ والأعصاب فى ترجمة هذا النطق إلى معان تُفهم ويستجاب لها بالإيجاب أو النفى، فسبحان الذى علم آدم الأسماء كلها وأنطقه بالكلام المنظوم ليكون وسيلة تعارف واتصال بين البشر وأداة للتعبير عما يحويه الإنسان من علوم ومعارف حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ربما يظن بعض الناس أن المحادثة والكلام أمر عادى، ولا يفطنون إلى إعجاز هذه النعمة التى أنعم الله بها على الإنسان، ومن الواضح أن النطق لا يؤخذ من خلال التعلم أو التعليم فى الحياة الاجتماعية. ولهذا بقيت مهارة النطق عند الإنسان من أسرار الخلق الإلهى، فعندما يبدأ كل شخص بالتكلم بسهولة. وعندما يعرف أنه يستخدم لسانه على أكمل وجه، فإنه يقوم بذلك دون أى معرفة أو قصد منه.

فى اللحظة التى يريد فيها الإنسان أن يتكلم تصل سلسلة من الأوامر إلى الحبال الصوتية واللسان. ومن هناك إلى عضلات الفكين أيضا من الدماغ. إن المنطقة التى تحوى أنظمة الكلام فى الدماغ ترسل الأوامر الضرورية لكل العضلات التى تقوم بواجباتها أثناء الكلام على النحو الذى هيأه الخالق لإحداث النطق وتعليم البيان.

قبل كل شىء تقوم الرئة على جلب الهواء الساخن وهو المادة الخاصة للنطق، ويدخل الهواء عن طريق الأنف، ومن ثم إلى الفراغات الموجودة فى الأنف، ومن الحنجرة إلى قناة التنفس، ثم إلى الأوعية القصبية، ثم إلى الرئتين. ويمتزج الأوكسجين الموجود فى الهواء مع الدم الموجود فى الرئتين، وفى هذه الأثناء يُطرح غاز ثانى أكسيد الكربون إلى الخارج، ويمر الهواء الخارج من الرئتين بالحبال الصوتية فيحركها بحسب تأثير غضروف صغير مربوط بها. وقبل النطق تكون الحبال الصوتية بوضعية مفتوحة، وعند الكلام تُجمع الحبال الصوتية فى مكان واحد وتهتز من جراء الهواء الخارج عند الزفير.

وقد جعل الله -تعالى- بنية الأنف والفم مهيأة لتعطى كافة المواصفات الخاصة للصوت، وفى الوقت الذى تبدأ فيه الكلمات بالخروج من هذا القسم بسلامة يأخذ اللسان وضعا بين اقتراب من سقف الفم أو ابتعاد بمسافات محددة وأوضاع معينة، وتتقلص الشفاه وتتوسع، وتتحرك فى هذه العملية عضلات كثيرة بشكل سريع، وحتى يتحقق النطق السليم يجب أن تكون هذه العملية كاملة دون نقص، وأن تتم بشكل ميسر. إنها نعمة عظمى تستوجب الشكر لله المنعم على عباده.

وإذا بحثنا فى جسم الإنسان بأجهزته المختلفة نجد العديد من التوافقات المذهلة والتنظيمات العجيبة التى تؤكد أن الإنسان لم ينشأ نتيجة صدفة عمياء، أو بتطور من جماد وحيوان بفعل قوى الطبيعة المزعومة، بل هو من صنع قوة عاقلة جبارة تملك القدرة المطلقة على التدبير والتخطيط، وهذه القوة هى قوة القصد الإلهى التى تؤكد أهمية الغاية والهدف من وراء خلق الكائنات، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾

(المؤمنون: ١١٥)،

وقوله عز من قائل:

﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ۞ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

(الدخان: ٣٨-٣٩)

ومن أمثلة التوافقات والتنظيمات المعجزة فى جسم الإنسان نستعرض ما يلى:

١- خلايا الجسم دائمة الانقسام للعمل على نمو الجسم، أو لتعويض ما يفقد أو يموت بين هذه الخلايا. أما الخلايا العصبية فهى لا تنقسم لأنها لو انقسمت تحدث كارثة مروعة بتلاشى جميع معالم الذاكرة فى الخلايا العصبية للمخ.

٢- تعتبر عضلات الرحم عند الأنثى أقوى عضلات الإنسان للحاجة إليها فى دفع الجنين عندما يأذن الله بخروجه من بطن أمه، وتلى عضلات الرحم عضلات القلب التى لابد أن تكون قوية لتتحمل العمل ليلاً ونهاراً وتدفع الدم باستمرار إلى الأوعية الدموية لمدة قد تطول فى بعض الأحيان لأكثر من مائة عام.

٣- عند حدوث جرح فى الجسم يندفع الدم من الأوعية الدموية المجروحة، ولكنه لا يلبث أن يتجلط عند مكان الجرح ليوقف استمرار النزيف، ولولا هذا التجلط لظل النزيف حتى الموت.

٤- المعدة فى الإنسان أشبه بمصنع كيميائى أعده الخالق الواحد سبحانه

وتعالى لكى يعمل ذاتيا (أوتوماتيكيا) وينتج مواد كيميائية أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره الإنسان. فالمعدة تقوم تلقائيا بتحليل ما يتناوله الإنسان من أطعمة على اختلاف أنواعها، وتقوم بمعالجتها وتجهيزها من جديد، وتتولى فرزها وتصنيفها وتوريدها بصورة مستمرة ومنتظمة إلى كل خلية من بلايين الخلايا حسب احتياجات هذه الخلايا وتخصصاتها لتكوين العظام أو الأظافر أو الشعر أو اللحم أو الأسنان أو الأنسجة أو غيرها، كما تحتوى المعدة على جهاز كيميائى مناعى أو دفاعى لمهاجمة الجراثيم والميكروبات المعادية، وهناك الكثير من التنظيمات الأخرى الرائعة.

٥- الأذن البشرية عضو معقد بالغ الحساسية يقوم بتحليل الأمواج الصوتية ونقلها إلى المخ فى صورة تيار كهربى يسرى فى العصب السمعى إلى مركز خاص فى المخ فيحس الإنسان بسماع الصوت، وقد خلق الله الأذن البشرية وجعل استجابتها محدودة بمدى معين من الذبذبات التى يتراوح ترددها (أى عددها فى الثانية الواحدة) من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية، وذلك لكى ينعم الإنسان بالهدوء، ولا يسمع الموجات الأقل أو الأكثر من هذا المدى، ولو استجابت الأذن لكل الذبذبات الصوتية لعاش الإنسان فى ضجيج لا ينقطع.

وما يقال عن الخلايا والعضلات والدم والمعدة والأذن يقال عن العين واللسان والأنف والحنجرة والجلد وغيرها من ملايين التنظيمات والتوافقات الرائعة فى جسم الإنسان، بل ومختلف التنظيمات الموجودة فى كل الكائنات النباتية والحيوانية، مما يدل على أن جميع المخلوقات خلقت منذ البداية على نحو من التصميم الدقيق المقصود الذى لا يدع مجالاً للصدفة أو الاحتمال.

وإذا كان التعبير عن حقائق العلم فى صورة أرقام يسهل الطريق نحو استيعاب بعض آيات الله فى الأنفس بكل خشوع وإيمان، فإننا نقدم الحقائق التالية:

• فى المعدة يوجد ٣٥ مليون غدة معقدة التركيب لأجل الإفراز. أما الخلايا الجدارية التى تفرز حمض الهيدروكلوريك فتقدر بمليار خلية.

• لو وضعت كرات الدم الحمراء لجسم واحد بجانب بعضها فى صف واحد، لأحاطت بالكرة الأرضية التى نعيش عليها خمس أو ستّ مرات، أما مساحتها فتقدر بنحو ٣٤٠٠ متر مربع. وعددها يبلغ خمسة ملايين كريّة حمراء فى كل ملليمتر مكعب من الدم، وتجرى كل كرية حمراء ألف وخمسمائة (١٥٠٠) دورة دموية فى المتوسط كل يوم، تقطع خلالها ١١٥٠ كيلومتر فى عروق البدن.

• تحت سطح الجلد يوجد ما بين خمسة وخمسة عشر مليون مكيف لحرارة الجسم، والمكيف هنا هو الغدة العرقية التى تخلص الجسم من حرارته الزائدة بواسطة عملية التبخر والعرق.

• القصبة الهوائية عند الإنسان تتفرع إلى قصبات، ثم قصيبات، وهكذا حتى تصل إلى فروع دقيقة على مستوى الشعيرات الرئوية، ويبلغ عدد الشعيرات الرئوية حوالى ٧٥٠ مليون شعيرة يتمتع كل منها بغلاف دقيق ويتصل بجدار عرق دموى صغير، وهكذا يتم تصفية الدم بسحب غاز ثانى أكسيد الكربون ومنح الأكسجين اللازم للبدن بواسطة الحويصلات الهوائية.

• يوجد فى اللسان ٩٠٠٠ حلمة ذوقية لتمييز الطعم الحلو والحامض والمر والمالح.

• يستهلك الجسم من خلاياه نحو ١٢٥ مليون خلية فى الثانية الواحدة، أى بمعدل سبعة آلاف وخمسمائة مليون خلية فى الدقيقة الواحدة، وفى نفس الوقت يتشكل ويتركب عدد مماثل من الخلايا تقريبا. ويكفى أن نعلم عظمة الإعجاز فى بناء وهندسة ووظائف الخلية الواحدة حتى نسجد لله عرفانا بإحكام صنعه.

• فى كل يوم يتنفس الإنسان ٢٥٠٠٠ مرة. يسحب فيها ١٨٠ متراً مكعباً من الهواء، يتسرب منها ٩,٥ متر مكعب من الأكسجين للدم.

• لو وضعت الخلايا العصبية فى الجسم فى صف واحد لبلغ طولها أضعاف المسافة بين القمر والأرض

• فى عين الإنسان الواحدة حوالى ١٤٠ مليون مستقبل حساس للضوء، ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبى ينقل الصورة بشكل ملون.

• الكلية الواحدة تحوى مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم تسمّى "النفرونات" Nephrones، ويرد إلى الكلية ألف وثمانمائة (١٨٠٠) لتر من الدم على مدى ٢٤ ساعة، ويتم رشح ١٨٠ لتراً من هذا الدم، ثم يعاد امتصاص معظمه فى الأنابيب الكلوية ولا يتبقى منه سوى ١,٥ لتر هى كمية البول.

• فى الدم الكامل ٢٥ مليون مليون كرة حمراء لنقل الأكسجين و٢٥ مليار كرة بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن، ومليون مليون صفيحة دموية لمنع النزف بعملية التجلط فى أى عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية فى نخاع العظام الذى يصب فى الدم ٢,٥ مليون كرة حمراء، و١٢٠ ألف كرة بيضاء وخمسة ملايين صفيحة فى الثانية الواحدة، وهذه هى أهمية العظام فى توليد عناصر الدم، وتتراجع وتضعف هذه الوظيفة عند المسنين، مصداقًا للآية الكريمة فى قوله تعالى:

﴿ قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل [illegible]

(مريم ٤)

ولا يزال هناك الكثير غير الذى ذكرناه ينطق بأدلة التوحيد والإيمان بالله الذى أبدع كل شىء فى هذا الكون على أعلى درجة من النظام والكمال والجمال

[illegible]

(لقمان ١١)

قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم



غوستاف لوبون

(١) «جمع محمد ـ ﷺ ـ قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى.. ومما لا ريب فيه أن محمداً ـ ﷺ ـ أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيما..»[1].

(٢) «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد ـ ﷺ ـ من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً ـ ﷺ ـ مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله..»[2].

(٣) «استطاع محمد ـ ﷺ ـ أن يبدع مثلا عاليا قويا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد ـ ﷺ ـ على الخصوص. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى..»[3].

«.. لا شئ أصوب من جمع محمد ـ ﷺ ـ لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد ـ ﷺ ـ»[4].

لوقا[5]

(١) «.. ما كان محمد ـ ﷺ ـ كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل «عليهم السلام»، وهمة البطل. فكان حقا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيى فيه الرجل»[6].

(٢) «لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشراً كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء؛ ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواتراً مكرراً في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾
(الكهف: ١١٠)

وفي تحرير كلمة «مثلكم» معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾
(الشورى: ٤٨)

وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه ـ ﷺ ـ إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها»[7].

(٣) «.. رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يعرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه ولو أن هذا الرسول ـ ﷺ ـ بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتز، لما كان عليه جناح من أحد؛ لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه. فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدالله، فقولوا عبدالله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيما له، فينهاهم عن ذلك قائلا: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا»[8].

(٤) «ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلا قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعا أو شبه

---

(١) روح الإسلام ص١٦

(٢) حضارة العرب، ص١١٥

(٣) نفسه ص١١٦

(٤) نفسه، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤

(٥) د. نظمي لوقا مسيحي من مصر يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق برغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيا، فإنه كثيراً ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة رسوله عليه السلام، بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عددا من الكتب أبرزها «محمد الرسالة والرسول» و«محمد في حياته الخاصة».

(٦) محمد الرسالة والرسول، ص٢٨

(٧) نفسه، ص١٧٩ ـ ١٨٠

(٨) محمد الرسالة والرسول، ص١٧٩ ـ ١٨٠

مرفوع لذلك الداعى إلى الله فى عاصمة الأوثان والأزلام، وبراءة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان مطاع لم يفد ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها وحرم على نفسه ما أحل لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس فى الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوى ذلك كله بالأرض أى قالة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة فى الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضل وما غوى.. وما صدق بشر أن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين..»[9].

(٥) «أى الناس أولى منى الكيد عن سيرته من «أبى القاسم» - ﷺ - الذى حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السمو والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟»[10].

(٦) «كان محمد - ﷺ - يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه فهى قوة له تحسب فى مزاياه، وليست ضعفا يعد فى نقائصه. لم يكن - ﷺ - معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به، لأنه يسخرها فى كيانه فى المستوى الذى يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل فى الصورة الجميلة الجليلة التى لا تهدر من قدره بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك فى أمر بناته بزوجاته التسع «رضى الله عنهن»»[11].

---

(٩) نفسه، ص١٨٣ - ١٨٦

(١٠) محمد فى حياته الخاصة، ص١٢

(١١) نفسه، ص٣٩ - ٤٠. ويمكن للقارئ أن يرجع للكتاب نفسه «محمد فى حياته الخاصة»، فهو بجملته يمكن أن يعد شهادة قيمة على حياة الرسول - ﷺ - العائلة الخاصة

تأملات فى السيرة

بنو النضير وخداع خبيث

لقد رأيت أيها القارىء الكريم كيف انتهت غزوة أحد بهزيمة المسلمين وما ذلك إلا لأنهم خالفوا أمر رسول الله ﷺ حيث إنه أوصى الرماة وهم على جبل يطل على ساحة المعركة أوصاهم بأن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوه مهما تكن الظروف إن هم أصابوا القوم وهزموهم فلا يبرحوا مكانهم وإن كانت الأخرى فلا يبرحوا مكانهم، لكن الرماة لما رأوا النصر للمسلمين، ويبدو أن الرغبة فى الغنيمة والنصر أنساهم وصية رسول الله ﷺ فتركوا مكانهم، واهتبل القائد المظفر خالد بن الوليد الفرصة ودار بكتيبة خلف الجيش وانهال على المسلمين من خلفهم ضربًا وطعنًا حتى كان النصر للمشركين، بعدها رجع المسلمون للمدينة ورجع المشركون إلى قواعدهم وفى الطريق إلى مكة لقيتهم جموع منهم وأخذوا يعنفونهم ويوبخونهم على أنهم لم يستأصلوا شأفة المسلمين بعد ويقولون لهم ما صنعتم شيئًا فأصبتم شوكة القوم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم وقد بقى فيهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى منهم، وكان لا بد للنبى القائد ألا يركن إلى ما آلت إليه الأمور أو أن يستكين لما حل بجيشه لكنه ﷺ وهو يدرك مدى حقد الحاقدين من أمثال أبى سفيان ومن على شاكلته وهم لا أمان لهم، فندب النبى ﷺ الناس وأمر بلالاً أن ينادى أنْ رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس فوثب المسلمون إلى سلاحهم يبتدرونه للخروج مع رسول الله ﷺ وما همّهم ما أصابهم من جراح ثم دعا ﷺ بفرسه على باب المسجد ولم يكن مع أصحاب رسول الله ﷺ فرس غيره بحمراء الأسد ثم سأل النبى ﷺ أين تُرى القوم الآن؟ - يعنى أبا سفيان وجيشه - فقيل له: إنهم بالسيالة (موقع قريب)، فقال رسول الله

ﷺ ذلك الذى طلبت. أما إنهم لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا. ثم بعث رسول الله ﷺ طليعة فى أثر القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد فبصر المشركون بالرجلين فعطفوا عليهما فقتلوهم فعسكر النبى ﷺ وأمر القوم أن يجمعوا الحطب بالنهار فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران فأوقد كل رجل نارا، لقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رؤيت من مكان بعيد وكان ذلك إلهاما من الله سبحانه وتعالى لنبيه فأوقع الوهن فى صدور أعدائه.

وبعد أيها القارىء الكريم أحسب أنك تسمع جعجعة الأعداء وكثرة إرجافهم بأن رسول الله ﷺ داعية حرب وأن الإسلام انتشر بالسيف فهل ترى فيما ذكرت لك من هزيمة المسلمين فى أحد وتلمظ أبو سفيان وجيشه لاستئصال شأفة المسلمين وقتله رجلين بعثهما النبى ﷺ لاستطلاع خبر جيش الأعداء. قتلوهما وتركوهما فى العراء ولم يكلفوا أنفسهم حتى بأن يواروهما التراب أرأيت كيف فعل ﷺ بقتلى المشركين فى بدر؟ لكن النبى ﷺ أقبل ودفنهما فى قبر واحد ويقال لهما القرينان، بالله عليك هل يلام النبى ﷺ لو أنه أحرق أبا سفيان ومن معه من جيوش المشركين؟ أو لو أنه رماهم بقنبلة ذرية مثل (هيروشيما) و (ناجازاكى)؟ هل بعد هذا يقال إن رسول الله ﷺ معتد وأن الإسلام انتشر بالسيف؟ أم أن الغرب الصليبى الحقود ما عاد يعرف الحياء؟

أيها القارىء الكريم أعلم أنك تعلم أن رسول الله ﷺ ما أن استضاءت المدينة بوجهه الكريم واستقر أصحابه فيها حتى كتب معاهدة بينه وبين أهل اليهود المقيمين فى المدينة فى الحرب و فى السلم ولم يكن هذا ضعفًا من النبى ﷺ لكنه فيما أحسب ضمانًا للأقليات الموجودة فى المدينة من الديانات الأخرى حتى تأمن على نفسها وأيضًا حتى يظهر غدر الغادرين إن أرادت جماعة أو طائفة أن تغدر وكيف يكون الحساب، كتب النبى ﷺ معاهدة بينه وبين الأوس والخزرج من طرف وبين اليهود على اختلافهم من طرف آخر بينت هذه المعاهدة واجب وحقوق كل طرف كان من أهم ما فيها أن أهل المدينة كلهم المسلمين واليهود جميعًا يد واحدة على من يحاربهم وأن اليهود لهم دينهم والمسلمين لهم دينهم وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه المعاهدة وأن بين أطرافها البر دون الإثم والنصح والنصيحة وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها. ولقد اشتملت المعاهدة على أهم أسس ودعائم الحياة الآمنة لأهل المدينة جميعًا إذ لليهود عقيدتهم وللمسلمين عقيدتهم وللجميع حق المواطنة والدفاع عن المدينة فكانت بحق أول معاهدة فى العالم تقوم على أسس واضحة سليمة نزيهة لكل أطرافها وأرجوك أيها القارىء الكريم أن تُصغى جيدًا لما أقوله هل لو أن أحد أطراف المعاهدة التى ذكرتُ لك أهم بنودها أخل بشروطها أيلام الطرف الآخر إن دافع عن نفسه أو طالب بتطبيق بنود المعاهدة؟ أو لو أن عدوا هجم على المدينة أو على طائفة فيها ودافعت الطائفة عن نفسها؟ بمعنى لو أن عدواً هجم أو أغار على المسلمين بالمدينة أو لو أن عدوا أغار على يهود بالمدينة أليس من حق اليهود أن يطلبوا نصرة المسلمين تطبيقًا للمعاهدة؟ أو لو أن هجومًا أتى على المسلمين أليس من حق المسلمين بمقتضى المعاهدة أن يطالبوا بنصرة اليهود أو مؤازرتهم بمقتضى المعاهدة؟ فما بالك لو أن الهجوم كان على اليهود أليس من حقهم أن يطالبوا بنصرة المسلمين بمقتضى المعاهدة؟ فما بالك لو أن الهجوم كان على المسلمين وأن اليهود لم يقوموا بواجب النصرة بل تمادوا بالغدر والخيانة وأزروا الأعداء على المسلمين أليس من حق المسلمين إذًا، بل أليسْ من واجب المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم؟ ولقد كانت بعد حمراء الأسد غزوة بنى النضير وسوف أسطر لك مما قاله المؤرخون المسلمون و كتاب السيرة والأحاديث رواية واحدة وهى فى مضمونها لا تختلف عن أخريات وسوف أترك لك الحكم فى نهاية الأمر هل ما فعله الرسول ﷺ هو عدوان وتهديد لأمن الآمنين أم أنه الواجب الذى تقتضيه الضرورة ويوجبه حفظ كيان المجتمع، أى مجتمع كان؟ سواء أكان مجتمعًا متجانسًا أم مجتمعًا مختلفًا تشكل من طوائف وأعراق وديانات، بل قل إن شئت إن ما فعله النبى ﷺ فى مواجهة بنى النضير هو ما توجبه ضرورة الأخلاق والتعايش فإنه الردع الواجب لاستتباب الأمن وضرورة الاستقرار وإلا فكيف يواجَه نقض العهود إن لم يكن بالردع والضرب على أيدى ناقضى العهود؟ ثم تأمل كيف أن رسول الله ﷺ تعامل مع واحد من أصحابه نقض العهد مع رجلين كان الرسول أمّنهما فقتلهما لم يفرح ولم يكافىء الرجل على أنه قتل رجلين من أعدائه بل تعامل بمقتضى القانون والمعاهدة والوثيقة التى كتبها مع أهل المدينة. يروى أن عمرو بن أميّة الضمرى رضى الله عنه أقبل من بئر معونة فلقى رجلين من بنى عامر بن صعصعة كان النبى ﷺ وادعهما فعرفهما واستراحوا جميعًا فى الظهيرة حتى إذا ناما وثب عليهما فقتلهما ثم خرج حتى ورد على رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل!! أيها القارىء الكريم قبل أن أذكر لك ما فعل الرسول ﷺ وما قال أرجو و آمل أن تتذكر ما تناقلته

وكالات الانباء العالمية عما فعله الجندى الأميريكى حيث قتل أكثر من سبعة عشر مدنيًا فى أفغانستان وهو يلهو، نعم و هو يلهو ماذا فعلت امريكا حامية الحريات؟ لم نسمع تصريحًا من هيلارى كلينتون تستنكر فيه الحدث إنما سمعنا كلامًا أجوفً لا معنى له و بيانات بلهاء من ناس لا يعرفون قيم أو خلق، وتعال إلى ما قاله الرسول وما فعل. قال الرسول ﷺ: لعمرو بن أمية الضمرى: بئس ما صنعت قد كانا لهما (أمان وعهد)، أرأيت إلى الحرز المنيع و الحصن الحصين الذى أحرز به ﷺ الرجلين. فقال عمرو يعتذر ما شعرت - أى ما سمعت بهذا العهد - ثم أردف يبرر ما فعل، كنت أراهما على شركهما وكان قومهما قد نالوا منًا ما نالوا من الغدر، وجاء بسلبهما فأمر رسول الله ﷺ بسلبهما فعُزل، تأمل وتعلم كيف تكون العفة؟ وكيف يكون الأمان؟ فعزل سلبهما حتى يبعث به مع ديَتيهما ثم سار رسول الله ﷺ يوم السبت فصلى فى مسجد قباء ومعه رهط من المهاجرين والأنصار حتى جاء بنى النضير فوجدهم فى ناديهم فجلس رسول الله ﷺ يكلمهم أن يعينوه فى ديَة القتيلين الذين قتلهما عمرو وقبل أن استطرد معك ارجو أن تتأمل كيف يكون الغدر اليهودى وتأمل أساليب الختل والمكر اليهودى التى لا تعرف عهودًا أو مواثيق لكنها تهتبل الفرصة ما دامت سانحة ولا ترعى ذمة ولا عهدًا، فقالوا فى خداع ماكر و خبث دنى: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت أجلس حتى تُطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به، ورسول الله ﷺ مستند إلى جدار بيت من بيوتهم ثم خلا بعضهم ببعض فقال حيىّ بن أخطب: يا معشر يهود قد جاءكم محمد فى نفر من أصحابه ولن تجدوا أخلى منه الساعة فإنه إذا قتل تفرق عنه أصحابه فما كنتم تريدون أن تصنعوا يومًا من الدهر فمن الآن، فقال عمرو بن جحّاش: إذًا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة فقال سلام بن مشكم: يا قوم أطيعونى فى هذه المرة وخالفونى الدهر كله والله لأن فعلتم ليخبرنه الله بأنا قد غدرنا به، وبينما عمرو بن الجحّاش يهيىء صخرته ليدحرجها على رسول الله ﷺ جاءه الخبر من السماء بما همّوا به فنهض رسول الله ﷺ سريعًا كأنه يريد حاجة وتوجه إلى المدينة وجلس أصحابه يتحدثون وهم يظنون أنه قام يقضى حاجته، فماذا تظنون أن رسول الله ﷺ فاعل؟

و ماذا تظنون أن كل رجل حصيف يفعل؟

و ماذا تطلبون من جراح ماهر حصيف أمين يرى داء عضال يكاد يفتك بمجتمع ناشئ وليد؟

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

إبليس.. مأثرة الشر المطلق

الأستاذ أحمد القطب

ليس من شك فى كون «إبليس» أحد أهم وأقدم الشخصيات التى أثرت فى التاريخ الإنسانى، وأثرت الوعى العقدى والأخلاقى لدى بنى آدم على امتداد مراحل تاريخهم. ببساطة يمكننا تصور حال البشر، لو لم يعرف الشر حياتهم. ولم يكن له صيغة مطلقة يتجسد فيها. إذن لما كان بوسع الإنسان أن يدرك حقيقة الخير ويتعرف عليه. ولما استطاع أن يفرق بينه وبين ما عداه.

كانت ستتداخل الحدود بين الخير والشر، وتصير مائعة بعيدة عن الوضوح. ويصبح الإنسان غير قادر على تمييز الشر، ومصدره على نحو واضح دقيق. فنحن مثلاً قد لا نستطيع أن نميز بين درجات الرمادى، وبين اللون الأبيض القريب إليها، ولكن حين نضع مساحة من اللون الأسود الحالك بين هذا وذاك. لحظتها فقط ليتبين الفرق.

كان هذا وما يزال هو دور إبليس فى حياتنا نحن البشر، والمساحة السوداء التى صنعت التباين الهائل بين الخير والشر فى حياتنا، وعلمنا قيمة الخير حين أسفرت لنا عن دمامة الشر وقبحه، وحملتنا على انتظار طلوع الصبح حين أطبقت علينا بقطع الليل المظلم فعلمنا حقيقة النور، وخيرنا عمله.

يناقض الخير

كلمة «إبليس» فى لسان العربية: تنطوى على إيقاع كإيقاع كلمة «إبريق» و«إكليل» وإن كان قد اختلف على أصلها فيما لو كانت عربية أو أعجمية، فإنه من الظاهر بعد الرجوع إلى معاجم اللغة، أن الكلمة عربية انصرفت عن «بلس» و«أبلس» وكلتاهما تقع فى المعاجم بمعنى واحد تقريبًا، وهو الرجل الذى قل خيره أو الذى لا خير عنده.

وتأتى «إبليس» كذلك بمعنى انكسر وحزن، فضلاً عن أنها تعنى فى العربية اليأس من رحمة الله، وفيما سوى المعنى الأخير، فإنه من الواضح الجلى أن الكلمة فى اللغة العربية: ترمى إلى ما يناقض الخير وصفاً وعملاً.

ومن الطريف أن قصة إبليس قد بدأت بخلاف قائم على أساس عنصرى، تمامًا كبعض الخلافات التى نشأت بيننا نحن البشر حديثًا، وامتدت إلى ممارسات بشعة من العبودية والاضطهاد ومن ثم الحروب والثورات، وحمامات من الدماء لا تتوقف، ولا يتوقف من

ورائها إبليس عن مكائده وتدابيره التى نجحت فى كثير من الأحيان، رغم أنه لم يحاول قط أن يستتر، فلم يدع بالنبوة، ولم يتشح بثياب المصلحين.

حيثيات العصيان

لقد طرد إبليس من رحمة الله حين عصى أمراً مباشراً منه سبحانه، كبراً وعناداً، وجهراً دونما مواربة أو تحايل، وكلنا يعرف تفاصيل ذلك المشهد، غير أن إبليس فى دعواه العنصرية كان يستند إلى حيثية نابعة من الواقع، بغض النظر عن صحتها من عدمه، وهو ما حكاه القرآن حين قال:

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ۝ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾

(الأعراف ١١، ١٢)

إبليس كان يرى أن النار خير من الطين، وأنه لا يجوز أن يسجد كائن مخلوق من النار لكائن مخلوق من الطين، ولعلها مقارنة تدعو للتأمل أنه حين أراد المفاضلة فى هذا المقام بالذات استخدم كلمة «خير». لقد كان إبليس يرى فى نفسه خيراً، يفوق ما يمكن أن يكون لدى آدم ذلك الذى خلق من صلصال!

من أجل ذلك فقد نهى الله عباده، فى كتابه الخاتم (القرآن)، المنزل على النبى الخاتم (محمد) ﷺ أن يتخذ أحد موقف إبليس حين أبى أن يسجد، وزعم أنه خير من آدم، فقال تعالى:

﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾

(النجم: ٣٢)

عنصرية قديمة

وقد طرد إبليس من رحمة الله نتيجة عنصريته، ويتجلى لنا هذا واضحاً إذا نظرنا إلى موقفه بعين إنسان القرن الحادى والعشرين، وقد كان يجد الحيثية التى يقيم عليها دعواه كما أسلفنا، تمكن على نحو ما من التسويق لنفس الفلسفة التى تبناها فى بدء الخليقة، بين البشر أنفسهم..!

وهذه المرة بالاستناد إلى حجج أضعف بكثير من تلك الحجة التى ساقها فى أول الزمان، ربما أراد أن يرضى غروره أو أن يثبت لنفسه صواب رأيه، أو صواب مقولته التى تبجح بها فى حضرة خالقه حين رد قائلاً:

﴿ أنا خير منه ﴾

فإذا كان هو قد رفض السجود لآدم لأنه من عنصر آخر غير الذى خلق منه إبليس، فهاهم بنو آدم أنفسهم، يسحق بعضهم بعضاً ويريقون دماء بعضهم البعض، دون أن يكون هناك اختلاف فى العنصر أو حتى فى الطينة التى خلقوا منها، بل هو مجرد اختلاف ألوان وأجناس.. «فأينا خير من الآخر..؟» لعله يطرح هذا السؤال بينه وبين نفسه..!

على هذا النحو اختار إبليس - أو أياً كان اسمه قبل خلق آدم - طريقه عبر عمر البشرية المديد منتقماً من ذلك الذى خلق من طين، وتسبب فى طرده من الملأ الأعلى كما يرى.. متنازلاً عن مصيره الأخير ليكون خلوداً فى جهنم، مع من تمكن من غوايتهم من أبناء آدم على مدار التاريخ، ومحاولاً أن يثبت لنفسه أنه حقا كان خيراً منهم.

نعم.. فهم الذين اتبعوه وساروا من ورائه مختارين، دون أن يكون له عليهم سلطان، وعبدوا من دون الله آلهة وعصوه كما عصاه هو فى مشهد البداية. فلا فضل لأحد على الآخر إذن.

باب الرحمة

إبليس.. الذى نسى حين عصى ربه أن هذا الرب الواحد: هو الذى خلقه وخلق آدم وهو الذى يعلم حقاً أيهما خير: النار أم الطين، آدم أم إبليس، نسى أيضاً أن الله قد طرده هو وحده من رحمته، بينما وسعت رحمته توبة أبناء آدم جميعاً، إن أرادوا أن يعودوا إلى ربهم مختارين، كما عصوه مختارين.

إن كل إنسان من ولد آدم قادر - ما دام حياً - أن يعود إلى الله، ويرتمى فى أحضان رحمته، مهما بلغت ذنوبه، فليس بينه وبين الإيمان والعودة إلى الإله الواحد الحق من حائل أو مانع، وليس للشيطان عليه من سبيل إلا أن يوسوس له بمعصية جديدة، وهو من بعدها كذلك قادر أن يتوب إلى ربه.

حين طرد إبليس من رحمة الله، وسأل الله أن ينظره إلى يوم القيامة، فأجابه لما سأل، وأطلق إبليس تحديه، وتوعد بنى آدم الذين أشهر عداوته لهم، وقد حكى القرآن هذا المشهد قائلاً:

﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ۝ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾

(الأعراف ١٦، ١٧)

ولعل هذه الكلمات التى تحدى بها إبليس ربه، وتحدى بها عباده، صارت اليوم أشد ما يثير غيظه ويقتله كمداً حين يسمع بنى آدم يقرءونها آية فى القرآن الكريم، فتحتسب لهم بكل حرف عشر حسنات، قربة إلى الله جل وعلا، إنه أعظم وأجل رد سماوى على تحديه لله تعالى فى ذلك المشهد، الذى ولد فيه عنوان الشرور فى حياة الإنسانية.

فى الماضى القريب كان لكل مدينة أسوار وبوابات تبتغى حمايتها وتقوية دفاعاتها فى وجه أى اعتداء خارجى.

وفى العصر الحديث.. انتهى عهد الأسوار والأبراج، وصار على كل دولة أن ترسم حدود أمنها القومى بمنظور أوسع، إذ أصبحت البحار والمحيطات بديلة عن الأسوار والحصون وصارت المضائق والمعابر بديلة عن بوابات المدينة التى كانت تغلق فى مساء كل يوم، ثم تعود لتفتح مع شروق شمس يوم جديد.

وعلى امتداد مراحل الصراع العربى الإسرائيلى كانت الممرات والمعابر المائية عاملاً محورياً فى كل مواجهة مسلحة مع الدولة الصهيونية الوليدة.. وقد مثلت الحيثية الأساسية لنشوب حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧ التى أدت بدورها إلى معركة أكتوبر - تشرين عام ١٩٧٣. تأميم قناة السويس وانتزاع محور الملاحة البحرية العالمية الرابط بين شرق وغرب وشمال وجنوب العالم كان الحدث الذى أطلق شرارة العدوان الثلاثى على مصر.

ومطالبة إسرائيل بحق الملاحة فى خليج العقبة كان بداية التداعيات التى انتهت بعملية عسكرية خاطفة نجحت بها إسرائيل

فى احتلال سيناء كاملة وتأمين خليج العقبة لملاحتها البحرية فضلا عن هضبة الجولان والضفة العربية وغزة.

وكما تقع دولة إسرائيل القائمة على أرض فلسطين المحتلة فى قلب العالم العربى، وإن هذا العالم العربى بدوره يقع «على غير رأى منه» فى قلب خارطة العالم وبالتالى فإنه لم يكن من قبيل المصادفة أن البوابات البحرية الثلاث المؤدية إلى قلب هذا العالم العربى هى بدورها الممرات البحرية الحيوية التى تربط شرق العالم بغربه وشماله بجنوبه

باب المندب.. البوسفور والدردنيل.. وجبل طارق

هى كلمات مفتاحية ثلاث لسيادة وتقرير مصير هذا العالم العربى، على امتداد مراحل تاريخه.. شاء ذلك أم أباه!

فى عام ١٩٧٣ لم يكن من مفر أمام القيادة المصرية من إغلاق مضيق باب المندب، وبوابة البحر الأحمر بصورة قطعية، لتضمن لقواتها انتصارا حقيقيا

ولعلنا إذا ألقينا اليوم نظرة على من كل مضيق البوسفور ومضيق جبل طارق، سندرك ببساطة أن دولا أعضاء فى حلف الناتو باتت تسيطر على البوابتين الرئيسيتين لقلب هذا العالم وتطل من خلالهما على حدود عالمنا العربى.. إذ تخضع منطقة جبل طارق فى أسبانيا لإدارة بريطانية، بينما «وعلى الجهة الأخرى» تخضع سبتة ومليلة لإدارة إسبانية. أما البوسفور فهو كما يعلم الجميع خاضع للسيادة التركية ولم يعد مضيق باب المندب اليوم بعيدا عن محاولات التدخل والسيطرة الخارجية.

وإننا لا نبالغ.. إذا تصورنا أن عودة المنطقة العربية للسيطرة على بوابات ملاحتها البحرية ستكون المؤشر الأعظم لتحقيق السيادة الفعلية للعالم العربى على أراضيه ومقدراته وإذا كان الصراع قد بدأ فى القلب، عند ممر قناة السويس الذى حفره المصريون منذ قرن ونصف ثم انتقل إلى النزاع على خليج العقبة والبحر الأحمر فإن عودة الثقل السياسى العربى لسابق عهده وسيطرته على ممرات البوسفور وجبل طارق فضلا عن باب المندب سوف يكون الفصل الأخير فى بعث كيان سياسى عربى جديد يشارك بقوة فى صناعة تاريخ منطقته والعالم ويقرر مصيره بدراية واقتدار وسيرسم كذلك مشهد النهاية فى حياة الدولة الصهيونية القابعة فى قلب المنطقة ويرى خطة اندثارها

لعل أحدكم يقرأ هذه السطور الأخيرة وكأنه يقرأ عبارات حماسية تحكى أحلاما وآمالا يصعب على الإنسان العاقل تصور وقوعها وإننى أدعو كل من راودته هذه الأفكار وهو يقرأ ما طرحناه.. أن يعود بذهنه إلى الوراء قليلا، فينظر ما صنعه سلطان مصر والشام قبل أن يعبئ الأمة لطرد الصليبيين وسحق ممالكها فى المشرق.

ثم ما قامت به القيادة المصرية من قريب فى حربها الأخيرة أمام الدولة اليهودية.

ليدرك طبيعة العوامل التى تحكم الصراع وطبيعة المؤشرات التى ترتبط بالنهضة.

الحياة يومان

الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وكرم الله وجهه ربيب بيت النبوة وباب مدينة العلم كما قال معلم الناس الخير ﷺ، له فى كل مواقف العقيدة والإسلام والعلم أجمع كلمات تشهد له بالإمامة والفضل. وهو رضوان الله عليه يقول: «الحياة يومان، يوم لك ويوم عليك».

فما كان لك فلا تغتر به، وما كان عليك فأحدث له يقينا بأن لله فى كل طرفة عين مائة ألف فرج قريب، وذلك هو الميزان والبيان الذى يفهم من أمثال قول الله تعالى على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه:

﴿ [illegible] ﴾

«غافر: ٣٩».

ورحم الله الذى قال: من عمل بقول الله تعالى:

﴿ [illegible]

[illegible] ﴾

«الحديد ٢٣».

فقد جمع الخير بطرفيه ومن أصدق من الله قيلا وهو يقول:

﴿ [illegible] الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا ﴾

«الكهف ٤٥».

ومن قبل ذلك قال سبحانه فى سورة البقرة:

﴿ [illegible] السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾

«البقرة ١٦٤».

وقد قال تعالى شأنه:

﴿ [illegible] ﴾

«آل عمران: ١٩٠، ١٩١».

وما نزال مع أبى الحسن على بن أبى طالب فى علمه وفهمه حقيقة الدنيا والآخرة فهو يقول: (ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت).

فقيل له يا أمير المؤمنين ما من أحد إلا قد أحسن وأساء، فقال: ألم تقرءوا قول الله تعالى:

﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء [illegible] ﴾

«فصلت ٤٦».

وهو القائل: «إن المسجد أحب إلى من الجنة لأنى فى المسجد فى طاعة ربى وفى الجنة حاجة نفسى».

والإمام على رضوان الله عليه يقول:

إنما الدنيــــــا فنــاء ... ليس للدنيــــا ثبــــوت
إنما الدنيــا كبيـــت ... نسجـــه من عنكبــــوت
ولقـــد يكفيــك منهـــا ... أيهـــا العـاقل قـــوت
ولعمــــرى عن قـريـب ... كل من فيـــهـــا يمــوت

ولقد فهم حقيقة تلك الكلمات العلوية من قال:

حكم المنية فى البرية جارى ... ما هذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة نار

ولقد كان الخليفة سليمان بن عبدالملك فى طريقه يوماً إلى المسجد فرأى إحدى جواريه فقال لها: كيف ترينني؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

إن الحياة تمضى بقدر الله وإرادته ليل يتبعه نهار ثم يكون ليل دواليك حتى يبلغ الكتاب أجله، وفى مر الأيام وتتابع الشهور والأعوام ما أبرزه الذى قال:

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشى

وذلك من الحق الذى قرره الأثر الكريم: «إن العبد بين أجلين، أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الصحة قبل السقم، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الجنة أو النار».

ويوم يقول شيخ المعرة أبو العلاء المعرى:

تعب كلها الحياة فما ... أعجب إلا من راغب فى ازدياد

مضى فى ضيقه إلى المدى الذى قال فيه:

أرانى فى الثلاثة من سجونى ... فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى ... وكون الروح فى الجسد الخبيث

والخبر النبيث مأخوذ من قولهم «لم ينبث ببنت شفة»

والله تعالى يقول:

﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾

«الجاثية ٢٤»

وفى الأثر الكريم

«الأيام تمضى والأعمار تطوى والأبدان تحت الثرى تبلى والليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك ما يلهى عن الدنيا ويذكر بالآخرة.

ولابد للآخرة من الدنيا التى يُحسن فيها من يحسن ويسىء فيها من يسىء فتجىء الآخرة على غرارها إحساناً بإحسان وسوءاً بسوء إلا أن يغفر ربنا ولقد جاء بعد الإمام على من قال:

ثلاثة أيام هى الدهر كله ... وما هى إلا الأمس واليوم والغد

ولقد قال الشاعر:-

أمسى الذى مرّ على قربه ... يعجز أهل الأرض عن رده

وأسهب فى بيان حقيقة الحياة من قال:-

الأيام خمسة: يوم مفقود وهو الأمس الذى لا سبيل إلى رده، ويوم مشهود وهو اليوم الذى نحن فيه ويوم موعود وهو الذى يدركنا بين الأحياء ويوم مورود وهو آخر يوم من أيام الحياة ويوم ممدود يقول الله فيه: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»

ولقد انطوت ديباجة رجب وشعبان ورمضان وكان رسول الله ﷺ إذا رأى هلال رجب قال: هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك. اللهم سلم لنا رجب وشعبان وبلغنا رمضان وعسى أن نكون ممن خرجوا من رمضان بقلب طهور وتوبة متقبلة واستقبلوا عيد الفطر بحمد الله وشكره والثناء عليه بما هو أهله فلولا الله سبحانه ما صام أيام رمضان صائم ولا قام لياليه قائم ولا صادف ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر من قال فيهم رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناواحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

وفى عيد الفطر الذى يجىء فى أعقاب خير شهر وفى عيد الأضحى الذى يجىء ووفود الرحمن فى أداء الفريضة الخاتمة وفى يوم عرفة الذى لا يغيب عنه حاج والذى قلت فيه

هل شهدت الحجيج فى عرفات إذ أتوا ربهم على ميقات

يتجلى فى هذين العيدين رضا الله الذى يقول فى آيات الصوم

﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾

«البقرة ١٨٥»

ويستجيب الله عز وجل دعاء الرسول ﷺ: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج».

وكما تكون كل أيام المؤمن أعيادا إذا هو عرف ربه وأطاعه وكان من أهل الصلاح والإصلاح لنفسه وناسه والله تعالى يقول:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

«التوبة ١٠٥»

ورحم الله الذى قال لشيخه ما أصلح العمل؟ قال: أخلصه وأصوبه قال: ما أصلحه وما أصوبه؟ قال: أن يكون خالصا لله وأن يكون موافقا للسنة.

فاللهم أصلح أعمالنا فى دنيانا وأكرم مصيرنا إليك يارب العالمين

بين الصحف والمجلات

مأساة مسلمي بورما الإنسانية

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ ممدوح الشمري المنشور بجريدة عكاظ السعودية الصادرة بتاريخ ٢٤/٦/٢٠١٢م يقول فيه:

حان الوقت لكي تنظر بعين الاعتبار المفوضية العليا لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة. أن الروهينجيا المسلمين يتعرضون في بورما لكل أنواع الظلم والاضطهاد، ومنها العمل القسري والابتزاز والقيود على حرية التحرك والعمل وفرض الإقامة وقواعد الزواج الجائرة ومصادرة الأراضي والإقصاء والتهميش مما دفع بالمسلمين في هذا الوضع المأساوي إلى الفرار والتشرد والنزوح نحو مصير مجهول.

ومما يضاعف معاناة ومأساة «الروهينجيا» الذين يناهز عددهم الإجمالي أكثر من مليون نسمة في بورما، عدم ترحيب البلدان التي يحاولون اللجوء إليها.

لذا فإن من واجب مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، بحث هذا الوضع الخطير، واتخاذ الإجراءات المناسبة لوضع حد لهذه الأعمال والانتهاكات، التي تتنافى مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان الأساسية التي تفرضها المواثيق الدولية.

وقد اعتبر الرئيس البورمي أن الحل الوحيد المتاح لأفراد أقلية «الروهينجيا» المسلمة غير المعترف بها، يقضي بتجميعهم في معسكرات لاجئين أو طردهم من البلاد نهائيًا.. ولعل منظمة التعاون الإسلامي وهيئتها الحقوقية.. المبادرة في تسجيل موقف إنساني.. وعرض تلك المأساة في اجتماع دولي والضغط باتجاه إيجاد حل لتلك المعاناة الإنسانية والانتهاكات الخطيرة لحقوق الأقلية المسلمة المضطهدة في بورما وإعمالها من منظور حماية الأقليات التي تقرها المواثيق والعهود والاتفاقات الدولية.



أيام مريرة في بورما

تحت هذا العنوان جاء مقال الكاتب/ عوير دير المنشور بجريدة الشرق الأوسط اللندنية الصادرة بتاريخ ٢/٨/٢٠١٢م يقول فيه:

دعت منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان إلى إجراء تحقيق مستقل في الأنباء التي ترددت عن قيام قوات الأمن البورمية بالاستهداف الممنهج لشعب الروهينجيا وهي جماعة مسلمة تعيش في ولاية أراكان. وذكرت الحكومة البورمية أن ٧٨ من الروهانغ على الأقل قد قتلوا، في حين يقول زعماء جماعتهم إن عدد القتلى يصل إلى ٦٥٠ شخصًا.

ولا يحدد حتى الآن نحو ١٠٠ ألف من الروهانغ (من إجمالي عدد السكان البالغ ٨٠٠ ألف) أصبحوا لاجئين داخليين في بورما، في حين فر الآخرون عبر الحدود إلى بنجلاديش. وقد أعلن الرهبان البوذيون في بورما عن موقفهم.



فالرهبان البوذيون يقفون خارج مخيمات اللاجئين في ولاية أراكان، لإبعاد من يحاولون إحضار الغذاء والمساعدات الأخرى إلى الروهانغ. كما قامت اثنتان من المنظمات البوذية المهمة في الولاية، وهما «رابطة سيتوى للرهبان الشباب»، و«رابطة رهبان مراكويو» بحث الأهالي على عدم إقامة أي معاملات معهم وذكر كتيب يوزعه الرهبان أن الروهانغ «متوحشون بطبيعتهم».

لقد استقر أجداد الروهانغ في ولاية أراكان في ما بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر، قبل وقت طويل من وصول الموجة الرئيسية من المهاجرين الهنود إلى بورما ما بعد غزو الإمبراطورية البريطانية لها في القرن التاسع عشر.

وبحلول ثلاثينات القرن العشرين، كان المهاجرون الهنود الجدد قد صاروا الأكثرية في معظم المدن البورمية الكبرى. كما سادوا القطاع التجاري من الاقتصاد وكان سخط البورميين يطبعه حنق شديد.

ودفع الغزو الياباني لبورما أثناء الحرب العالمية الثانية معظم هؤلاء المهاجرين الهنود إلى الرحيل، لكن البورميين ظلوا يشعرون بالخوف والكراهية تجاه وجود الجاليات الهندية وتسببت هذه الحالة في تشكيل الشعور تجاه الروهانغ.

فالسبب الرئيسي لا ستهدافهم هو أنه ينظر إليهم على أنهم أجانب. غير أن كونهم مسلمين داخل بلد يغلب عليه البوذيون ساهم في زيادة النفور منهم. ويتكون شعب الروهانج المقيم في ولاية أراكان من مزارعين فقراء، تماما مثل



جيرانهم البوذيين. ولم يكن حقهم في المواطنة البورمية محل شك حتى استولى الجيش البورمي على السلطة عام ١٩٦٢م، فهاجم الروهانج ودفع مايزيد على ٢٠٠ الف منهم إلى عبور الحدود إلى بنجلاديش عام ١٩٧٨م في حملة شهدت عاصفة هوجاء من القتل والاغتصاب الجماعي وتدمير المساجد

وقام الديكتاتور العسكري الحالي- ني وين- بسحب المواطنة من جميع أبناء الروهانج عام ١٩٨٢م، كما صدرت قوانين جديدة تمنعهم من السفر من دون تصريح رسمي وتحظر عليهم تملك الأراضي، وتلزم المتزوجين حديثا منهم بالتوقيع على إقرار بعدم إنجاب أكثر من طفلين، ثم دفعت حملة عسكرية أخرى ربع مليون إضافيا من الروهانج للهرب إلى بنجلاديش خلال الفترة ١٩٩٠م إلى ١٩٩١م. ثم أخيرا ما نراه الآن

وفي تصريح للجنرال السابق ثين سين، الرئيس الانتقالي لبورما، على المفوضية السامية للأمم المتحدة حقوق الإنسان قال

سوف نتحمل المسئولية عن عرقنا، ولكن من المستحيل قبول الروهانج الذين دخلوا البلاد بطريقة غير شرعية، ولا ينتمون إلى عرقنا، وأشار إلى أن أي بلد آخر يجب أن يأخذهم جميعا

لكن الروهانج لم يدخلوا البلاد بطريقة غير شرعية، كما أن هناك ١٢ «عرقا» في بورما، ولكن ما يحرك هذه السياسة هو الخوف والطمع والجهل الذي يستغله الساسة كالعادة، للترويج للعواطف القومية والتحيز الديني.

بورما تحترق

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذة/ فاطمة عبدالعزيز بلال المنشور بجريدة العرب القطرية الصادرة بتاريخ : ٢٠١٢/٧/٢٦م جاء فيه:

من منا يتخيل بأن يعيش مشردا ومضطهدا؟!

شيخ يقتل

شاب يحرق حياً..

طفل يشوه....

امرأة عفيفة تغتصب ثم تقتل....

بالمئات يجلسون وسط الجيش البوذي ينتظرون دورهم ليحرقوا أحياء..

فعباد الأصنام والأوثان وعلى رأسهم حاكمهم لم يتركوا مسلماً في بورما إلا وقتلوه، ولم يسلم منهم منزل ولا حجر، فهل سنبقى صامتين؟!

شاب مسلم يركض والنار تحرقه حيا.. والبوذيون يركضون وراءه ليقوموا بتصويره، فأين نحن يا عرب يا مسلمين؟!

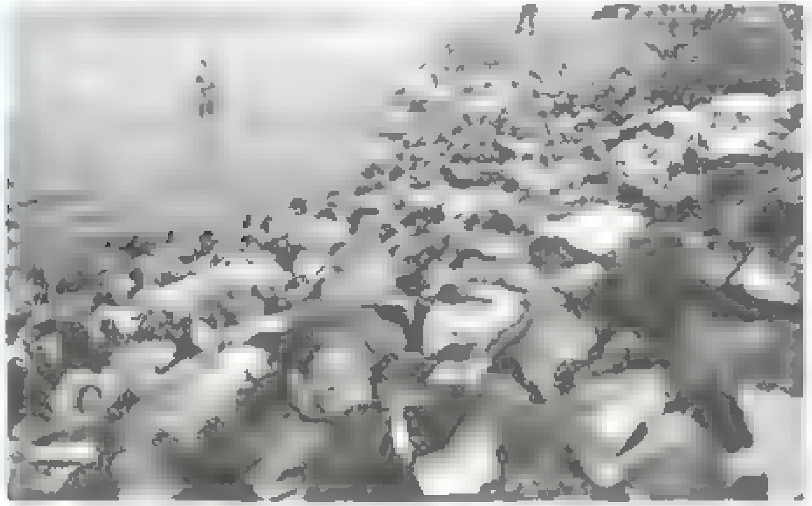
صغير بيده خبز يجلس في منظر حزين أمام والدته التي قتلت على أيدي البوذيين الزنادقة ويبكي عليها بحرقة قلب، فهل أنتم منتهون؟!

داعية يعود من العمرة فيتعرض له مجموعة من البوذيين فيضربونه على رأسه حتى الموت وهو مكبل الأيدي والأرجل، زوجة ممن نجت من مذابح البوذيين تقول: إنها رحلت مع ابنها إلى بنجلاديش، وأما زوجها وأمها وأبناؤها فقد لقوا حتفهم على أيدي عبدة الطاغوت، وكانت تبكي بحرقة وتقول حتى أمي العجوز لم تسلم منهم ولم يتبق لي سوى هذا الابن معي!! أي قلب يستطيع تحمل هذه المآسي يا ترى؟!

المسلمون هناك لا حق لهم في استكمال التعليم في الجامعات، فالحظ الأوفر لأبناء بوذا، ومن تسول له نفسه من المسلمين فيذهب للخارج ليستكمل تعليمه يلاقي أشد العقاب عند عودته.. أي حقد هذا؟!، المسلمون ممنوعون من السفر إلى الخارج ما عدا بنجلاديش ولفترة يسيرة، ولا يحق لهم السفر لأداء فريضة الحج، فلعنة الله على عبدة الأصنام والأوثان

لا يسمح للمسلمين أن يدعوا أحداً من أقاربهم للمبيت عندهم إلا بإذن مسبق من حكومتهم الفاسدة وهذا يعتبر مخالفة يعاقب عليها القانون بهدم بيوتهم!!

المرأة المسلمة الحامل عليها أن تذهب كل شهر لأخذ صورة على بطنها إلى أن تضع مولودها، وعليها كل شهر من شهور حملها أن تدفع مبالغ كبيرة.



المسلمة ممنوعة من الزواج قبل سن الـ ٢٥ عاما أما الرجل فلا يسمح له بالزواج قبل سن الـ ٣٠ من عمره، ولا أعلم ما شأن عبدة الطاغوت في

هذا الأمر سوى إهانة كرامة كل مسلم يعيش هنا.

وكل ما ذكرته ليس إلا نقطة في بحر مما يعاني منه المسلمون في بورما من التعذيب والتنكيل والقتل والتشريد والاضطهاد،



فلا نقول سوى حسبنا الله ونعم الوكيل

بورما!

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذة/ أمينة عوض المنشور بجريدة الاتحاد الإماراتية الصادرة بتاريخ ٣٠/٧/٢٠١٢م تقول:

قالوا: نحن نحيا في زمن يسوده القانون ولا شيء غير القانون، وإن التشريعات الإنسانية بكل بنودها قائمة على حماية البشر فلو أنه لا للعنصرية ولا للتطرف الديني والعرقي. قالوا إن من حق كل إنسان أن يحيا حياة كريمة، قالوا وقالوا.. وما أجمل ما قالوا.

ولكن أين هي مجازر بورما مما قالوا؟! أين هو الإنسان في بورما وتحديداً أراكان في كل ما قولوا؟! فقد وصل عدد قتلى المسلمين في ولاية راكان الواقعة غرب بورما إلى ٢٠ ألف شخص وفي ظل حالة التعتيم والغموض ارتفعت تقديرات أخرى لعدد الضحايا إلى ٧٠ ألف شخص، وفقا للتقارير الإخبارية القليلة عن هذا البلد الواقع في جنوب شرق آسيا.

المذابح والمجازر والإبادات ليست بالشيء الجديد في التاريخ الإنساني القائم على إقصاء الآخر، ولكن ظننا أننا تجاوزنا هذه المرحلة، ليس لأننا لمسنا سطح القمر، ولا لأن الإنسان الآلي بات بيننا ولكنه السمو وتقبل الآخر والإدراك بأن هذا الكون للجميع ويتسع للجميع. فاختلافنا ما هو إلا اتفاق للطبيعة، ولن يكون هناك غيرنا على هذه الأرض، وجودنا ليس بإلغاء الآخر بل لا يكون إلا به.

من لمسلمي بورما؟!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد محمد أبو الخير مقالا نشر بجريدة المدينة السعودية الصادرة بتاريخ ١٦/٦/٢٠١٢م جاء فيه

شهد العالم ما ظلت تعانيه الأقلية المسلمة في بورما منذ سبعين عاما وحتى يومنا هذا من بطش الحكومة العسكرية البوذية في بورما، ودخلت في محاولة جادة لطمس الهوية الإسلامية وإبادة الشعب المسلم بأكمله، أو إخراجه من أرضه، لا سيما وأن بورما من أكثر الدول تأييداً للصهيونية العالمية، وهي أيضا محج البوذيين.

ففي عام ١٩٤٢م تعرضت قرى المسلمين لمذبحة دامية راح ضحيتها أكثر من ١٠٠٠٠٠ مسلم، أكثرهم من الأطفال والنساء، إثر قيام البوذيين بتحريق معظم قرى المسلمين، بمساندة القوات البورمية، أدت إلى تشرذم وتشرد مئات الألوف منهم إلى أقطار العالم الإسلامي، وبقاء من لم يتمكن الفرار منهم وسط سلسلة من المعاناة، والتضحيات في سبيل المحافظة على دينهم وهويتهم الإسلامية وأعراضهم. وتوالت الأحداث الدامية تجاه هذه الأقلية دون رقيب ولا حسيب واستمر دمها ينزف وعرضها ينتهك على مرأى ومسمع من العالم الذي يدعي حماية حقوق الإنسان.

ولا زال مئات الألوف منهم حتى اليوم ومنذ عشرات السنين يعيشون في مخيمات بالية.

وفي سلسلة الجراح التي لا تكاد تنكأ، يتعرض مسلمو بورما هذه الأيام لأبشع صور القتل والتحريق العشوائي، على يد الجماعة البوذية المتطرفة (الماغ) وسط تكتم إعلامي شديد وصمت مطبق بسبب منع الحكومة العسكرية هناك من دخول الصحفيين وغيرهم... أعتقد أن الوقت حان ليتحمل المسلمون شيئا من مسئولياتهم تجاه إخوة في أركان المسلوبة. ولنخرج من صمتنا المعامي تجاه هذه القضية المنسية، وأن يسعى العالم، خصوصا العالم الإسلامي لإيجاد حد لهذه الجرائم الوحشية والمجازر المتكررة والتي ترتكب في حق أقلية مسلمة مستضعفة لاحول لها ولا قوة إلا بالله، في بلد يحكمه أغلبية بوذية غاشمة، وأعتقد أن الاستنكار والتنديد كما هو مألوف لم يعد مجديا.

نناشد باسم إخواننا قادة العالم الحر، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص للعناية بهذا الموضوع الخطير والعمل على إيجاد موقف مشرف على كافة المستويات لإيقاف حمام الدم النازف في هذا الجزء من جسد الأمة الجريح. وبذل كافة السبل السياسية والدبلوماسية، والضغط السياسي والاقتصادي لاحترام حقوق هذه الأقلية وحماية دمنها وأعراضها ومصيرها

بورما الجريحة

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ عادل عبدالله القناعي المنشور بجريدة حياد بتاريخ ٢٨/٧/٢٠١٢م يقول:

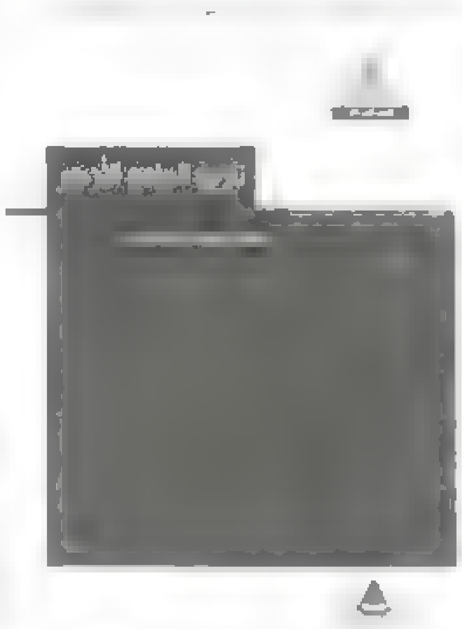
بورما تستغيث بأمتنا الإسلامية وهي جريحة، يطعنها بوذيون حاقدون على الإسلام، يحاولون أن يطفئوا نور الإسلام بكل ما يملكون من عتاد. ومقتلهم لكل مسلم يؤمن بالله. ويرتكبهم المجازر الوحشية العنيفة ضد مسلمي أراكان، من حرق وقتل وتشريد وإحراق للهوية.

المساجد تحرق وتهدم على أصحابها، وها هي الأحياء والمساكن تحاصر بجميع حدودها، وحظر التجوال المفروض جبرا على المسلمين بينما يترك البوذيون أو ما يعرفون باسم الماغ، يعيثون في الأرض فسادا ويهاجمون الأحياء المسلمة بالسكاكين والسيوف ويحرقون من فيها أمام أعين القوات الأمنية الخونة.

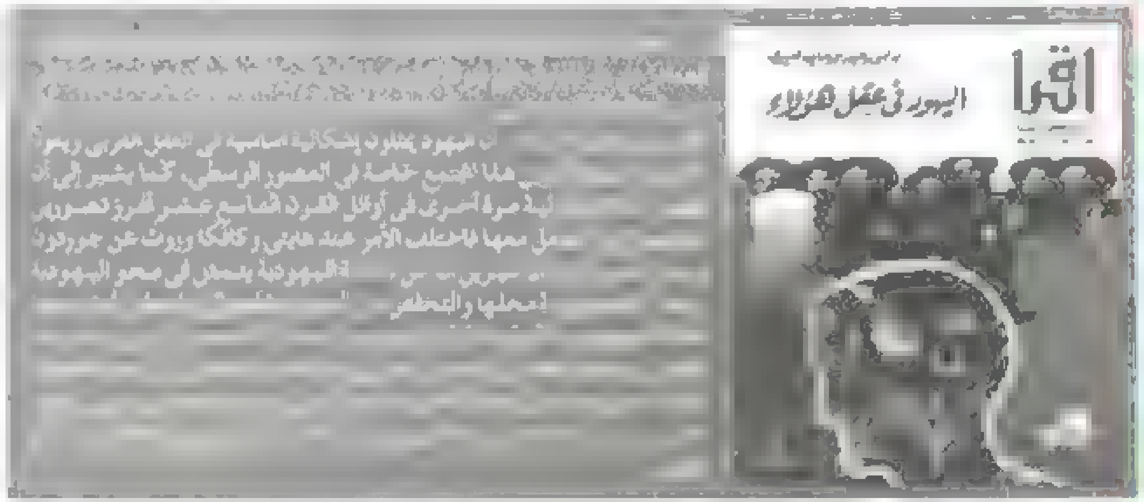
فالرجاء من إخواننا وأخواتنا بالدعاء ثم الدعاء والتبرع بما ملكت أيديكم لنصرة المسلمين في بورما، فيارب العباد نسألك بأن تفرج عن إخواننا في بورما، اللهم اجعل لمسلمي بورما فرجا ومخرجا واحقن دماءهم واحفظ أعراضهم وأمنهم في وطنهم واكشف عنهم البلاء. اللهم اقتل البوذيين الظلمة المتجبرين وأرح البلاد والعباد منهم يارب العالمين «آمين».

مكتبة الأزهر

تسعى "الأزهر" عبر هذا الباب إلى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن أحدث الاصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة. ذلك للمساهمة فى تكوين عقلية واعية وعصرية.



يستعرض محمد عبد الله عنان فى كتابه "تاريخ الجامع الأزهر" رحلة الأزهر جامع وجامعة عبر مختلف العصور منذ افتتاحه يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هجرية "٩٧٢م" وحتى ستينيات القرن الماضى. يتوقف المؤلف فى أول الكتاب على طبيعة المساجد فى عصر الفتوحات الإسلامية حيث كان يتم إنشاء مسجد جامع كبير فى كل بلدة يدخلها الإسلام أو تخضع لنظام حكم جديد وتكررت هذه الظاهرة فى القاهرة عدة مرات الأولى عند الفتح الإسلامى لمصر، حيث تم اختيار مدينة الفسطاط عاصمة للبلاد وكان المسجد الجامع وقتها "جامع عمرو" ونفس الأمر حدث [illegible] "الأزهر" وقتها منبرا للدعوة الشيعية ويوضح المؤلف أن "الأزهر" تحول إلى جامعة [illegible] فى صفر عام ٣٦٥ هجرية أكتوبر ٩٧٥م [illegible] على بن [illegible] بالأزهر [illegible] فى فقه آل البيت "الفقه الشيعى" وأثبت أسماء الحاضرين فكانت هذه أول حلقة للدرس، ويتضمن الكتاب ملاحق بأسماء شيوخ الأزهر وأروقته [illegible]





الكتاب شهادة [illegible] فى أمريكا، حيث [illegible]

[illegible] يقول: "لا أعرف دولة يوجد بها هذا القدر الهائل أو المتقدم لاستغلالية العمل والمقاول، كما فى الولايات المتحدة الأمريكية" كما يتحدث جارودى عن معدل الجريمة فى أمريكا موضحا أنه فى عام ١٩٩٨م سجلت الأجهزة الرسمية ٢١٠٠٠ جريمة قتل فضلا عن وجود أكثر من مليون أمريكى فى السجن



فى ترجمة جديدة ومعتبرة من الدكتور محمد عنانى لكتاب المفكر الفلسطينى الراحل إدوارد سعيد "الاستشراق.. المفاهيم الغربية للشرق" والصادر أخيرا عن دار رؤية بالقاهرة تلحق دار النشر تذييلا قد أضافه المؤلف للكتاب عام ١٩٩٥م ولم يطلع القارئ العربى على ترجمته، حيث يرد سعيد على نقاده بعد صدور الطبعة الأولى ويعيد النظر لأمور تحتاج للمراجعة. والهدف الأساسى من الكتاب هو كشف الأقنعة عن حقيقة التصورات الغربية عن الشرق والتى تم استخدام حيل علمية لتمريرها ويوضح سعيد أن أهداف هذه التصورات والدراسات عن الشرق هى أهداف سياسية استعمارية عنصرية بغرض التسلط والسيطرة، ويشير المؤلف إلى أن هذه النظرة الغربية نابعة عن إحساس بالجهل فضلا عن وجود بقايا خوف أوروبى من تهديد الشرق الذى كان يتمثل فى الدولة العثمانية



يستعرض كتاب "مبدأ الريبة" والصادر عن دار العين بترجمة يحيى الحصادى التطور الخطير الذى لحق بالعلم منذ عشرينيات القرن الماضى، حيث أنهى هذا المبدأ الذى صاغه الفيزيائى الألمانى هيزنبرج فكرة الحتمية العلمية بمعنى إمكانية تحديد كل شىء تحديدا دقيقا بالعلم، بل وكشف هذا التصور عن أنه لم يعد فى مجال العلم مراح للمقاييس والإطلاق والجزم فهما للعلوم يشبه فى أحيان كثيرة فهمنا لحياتنا اليومية. لم يكن مبدأ الريبة مجرد نظرية علمية يقف تأثيرها عند مجال الفيزياء، بل أضحت روحا لعصر بأكمله ودع اليقين العقلى.

شيخ الأزهر ظل مصرياً فى العصر العثمانى

لاشك أن فى تعيين العلماء المصريين دون سواهم فى منصب شيخ الازهر ساعد على ثبوتهم على قيادة الحركة الوطنية شوية شيخ الازهر مصرية فى أيام الدولة العثمانية.

يعيش الازهر الآن فترة من الازدهار، وراهن المصريون والمسلمون جميعا بأن صحوة الازهر، ودوره الذى يؤديه فى السياسة ليس غريبا عليه، فطوال ألف سنة واكثر هى عمر الازهر تشهد كل كتب التاريخ ما اداه الازهر الشريف لمصر وللعالم الإسلامى كحام للوسطية الإسلامية وكمنارة فكرية اسلامية اثرت فى عقول ووجدان كل المسلمين.

ونحن نواصل حديثنا عن دور الأزهر فى السياسة المصرية، وهو كتاب صدر ضمن سلسلة كتاب الهلال عام ١٩٨٦م.. العدد رقم ٤٢١ لمؤلفه الاستاذ الدكتور سعيد اسماعيل على.. حيث نبرز كيف قاوم الازهر على مر العصور الاستبداد والظلم، وكذلك منزلة علماء الازهر الشريف.

يقول [illegible] الدكتور سعيد [illegible] لقد شهد الشعب المصرى طوال عهد [illegible] من باب الظلم والاستبداد والاستغلال ما تنوء بحمله شعوب أخرى، ولكنها طبيعة [illegible] الموجات العاتية بصبر وطول بال، إيمانا [illegible] الشعب متجاوزا هذه العراقيل والمحنات.

ولقد [illegible] الأزهر طوال هذه [illegible] حقيقة هامة، وهى أن المؤسسة التربوية، لا تقف مهمتها عند حدود تلقين طلاب العلم مبادئه وحقائقه، وإنما لابد أن تمتد هذه المهمة لكى تشمل التصدى لمشكلات المجتمع؛ فكان أن دخل طرفًا فى العلاقة بين الحكام والمحكومين، يفرض شخصية علمائه عليهم بالاحترام والتقدير. ولا [illegible] عن العيوب والمثالب، بل [illegible] بالكلمة والنصيحة، [illegible] بتحريك التجمعات [illegible] لإجبار الحكام لاستماع صوت الشعب ومطالبه.

منزلة علماء الأزهر الشريف

ثم يواصل الدكتور سعيد إسماعيل على مبينا منزلة علماء الأزهر حيث يقول: «حظى علماء الأزهر طوال التاريخ بمنزلة لم تبلغها فئة أخرى من قبل، ولا عرو فى ذلك، فقد حفلت كثير من آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ بالكثير من التقدير للعلم وطلبته وحملته، **فقد قال سبحانه وتعالى:**

قال تعالى:

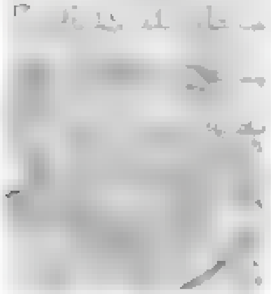
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾

(آل عمران ١٨)

ففى الآية الأولى قرن العلم بالإيمان بالله، وفى الآية الثانية جاء ذكر العلم بعد الله سبحانه وتعالى والملائكة، وهذا كله رفع لشأن العلم والعلماء.

ولم تكن القوة التى اكتسبها علماء الأزهر نتيجة لهذا شكلية بأى حال من الأحوال، فقدرتهم على تحريك العامة، وإصابة البلاد بشلل عام، إما بالتوقف عن الإنتاج، والتوقف عن ممارسة شعائر الدين، أو حتى بقيادة مسلحة. [illegible]

هذه المقدرة [illegible] كانت عاملا لا [illegible] يمكن لأى أمير [illegible] عاقل أن يغفلها، أو [illegible] بسحق خصومه بالاستفادة منها فى لعبة السلطة.



ولم يكن المشايخ [illegible] يجهلون قوتهم، ولا [illegible] عدمت مصر فى حقب العصور [illegible] صريحا لا يخاف فى الحق لومة أمير ولا حتى لسلطان ذاته.

قوة رجال الدين

ولاشك أن [illegible] الإسلامية [illegible] على نكوص العقل الإسلامى [illegible] [illegible] الإسلامية التى لا [illegible] لأى إنسان، ولا [illegible] لأى حاكم [illegible] أو فرد غير [illegible]

[illegible] الفكرى أثره فى المواقف المتحررة المدهشة - حتى بمقاييس اليوم - التى يسجلها التاريخ لشيوخ الأزهر الشريف [illegible]

هذه المكانة كان معترفا بها فى عهد المماليك، والواقع أن المماليك كانوا [illegible] فى [illegible] حكمهم [illegible] قلوب الناس، واستدرار محبتهم، ولم [illegible] من العلماء [illegible] إلى ذلك، [illegible] قوة فى ذلك [illegible] على [illegible] العلماء، [illegible]

كان المقريزى يحاول أن يفسر إقبال المماليك على العلماء واحترامهم لهم، وإغداق الخير عليهم، بأن ذلك يرجع إلى أن المماليك بواسطة العلماء قد عرفوا دين الإسلام، وفى بركته يعيشون.

الحرص على عمارة الأزهر

يشير المؤلف إلى أن السلاطين والأمراء كانوا يتبارون فى الإنفاق على الأزهر، وتخصيصه بوقفيات كبيرة، ولا تكاد تقرأ سيرة لأحدهم إلا وترى أثراً له فى تجديد وترميم الأزهر.

ففى عهد الملك الظاهر بيبرس عادت خطبة الجمعة إلى الأزهر بعد أن ظلت معطلة منذ عهد صلاح الدين، كذلك عمل على إصلاحه وترميمه، وعين له الفقهاء والمحدثين والقراء، وتبرع الأمير بيليك الخازندار بإنشاء مقصورة كبيرة بالجامع، عين لها بعض الأساتذة لتدريس الفقه الشافعى، والحديث النبوى، ورتب لها سبعة من القراء لتلاوة القرآن، وحبس على ذلك أوقافاً جليلة وفى سنة ٧٠٢هـ-١٣٠٣م وفى عهد السلطان الملك الناصر، وقعت بمصر زلزلة عظيمة، وسقطت منشآت عدة منها الجامع الأزهر، فقام أمراء الدولة على عمارة هذه المنشآت وتولى عمارة الجامع الأزهر الأمير سلار.. الخ.

وتوالت أوقاف السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر خلال العصور الوسطى، كما كانت تتوالى الأعطية والأرزاق الثابتة والمؤقتة لأساتذته وطلابه، وكان من أجل أعمال البر وأشرفها أن يوقف القادرون من أملاكهم وضياعهم على دور العلم وبخاصة على الجامع الأزهر.

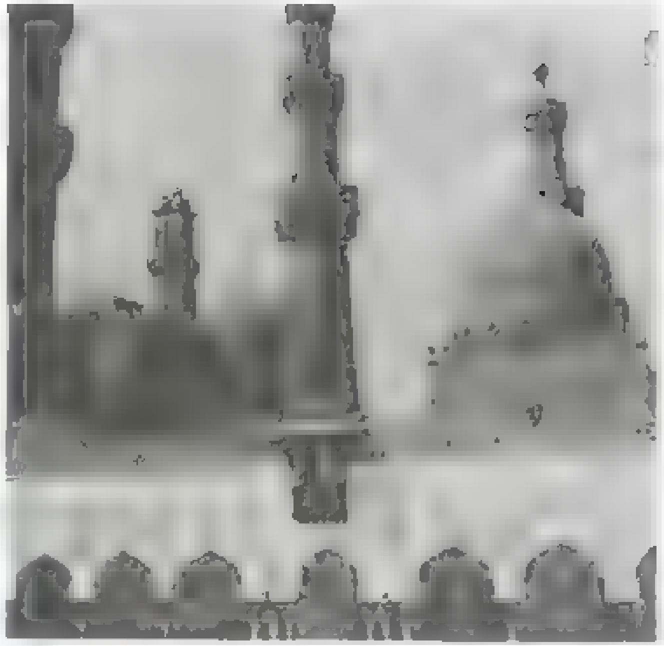
وكانت هذه الأوقاف ترتب إما بصفة عامة، أو تخصص لأساتذة المذاهب أو الأروقة المختلفة وطلبتها، أو للإنفاق على تدريس مادة معينة، ولاسيما علوم القرآن والحديث.

المركز الرئيسى للدراسات السنية فى العالم الإسلامى

يواصل الدكتور سعيد إسماعيل على حديثه عن مكانة الأزهر على مر العصور فيقول: لقد أظهر العثمانيون احتراماً عميقاً للأزهر وعلمائه، وكانت هناك عدة بواعث أملت عليهم هذه السياسة، إذ كان الأزهر بعد سقوط الدولة الفاطمية، قد غدا المركز الرئيسى للدراسات السنية فى العالم الإسلامى.

والعثمانيون يعتنقون المذهب السنى، ويتعصبون له أشد التعصب، فكان من الطبيعى أن يلقى الأزهر من الحكام الجدد السنيين المغرقين فى التعصب لمذاهبهم تقديراً للقائمين على أمره والعاملين فى رحابه.

والحقيقة أن الأتراك العثمانيين وهم فى عنفوانهم، وضعوا بدون قصد البذور لتدخل الأزهر فى السياسة والشئون العامة، فإن السلطان سليم وخلفاءه كانوا يريدون بجانب القهر والجبروت، أن يستغلوه فى القضاء على حيوية مصر، فاهتدوا إلى أن يتخذوا من الأزهر بعد تجريده من خيرة علمائه وكتبه النفيسة



أداة لهذا الغرض، فزاره السلطان سليم عدة مرات، وصلى به، وتظاهر بإجلاله، واتصل بشيوخه رغبة منه أن يتخذ منهم سلاح تخدير للشعب وللعامة بوجه خاص، وسار خلفاؤه سيرته فى ذلك.

وهكذا، فتح هؤلاء الباب دون قصد لشيوخ الأزهر، ليتدخلوا فى الشئون العامة وأمور الحكم.

وأحس المصريون بمكانة الشيوخ فى هذه الشئون، فاتجهوا إليهم كالأمل الباقى فى دياجير الظلمات، وكانوا يهرعون إليهم كلما نزلت بهم نازلة، ومن رحاب الأزهر كانت تنطلق حناجرهم تحمل أمانيهم وشكاواهم، وعادت الحيلة التركية وبالا على الأتراك.

شيخ الأزهر ظل مصرياً فى العصر العثمانى

ومن المظاهر التى تبين قوة علماء الأزهر فى العهد العثمانى، أن العثمانيين لم يجرأوا على تعيين عثمانى فى منصب شيخ الأزهر، بل تركوا هذا المنصب يشغله العلماء المصريون، دون أن ينافسهم فيه علماء عثمانيون.

وكانت نظرة الأستانة إلى منصب شيخ الأزهر تختلف عن نظرتها إلى قاضى القضاة، إذ قصرت التعيين فى المنصب الأخير على العثمانيين، وكان يطلق على شاغله قاضى عسكر أفندى، أو كانت الدولة توفده من الأستانة إلى القاهرة، وهو لا يعرف اللغة العربية.

أما منصب شيخ الأزهر، فقد أبقت الدولة على مصريته، ولاشك أن فى تعيين العلماء المصريين دون سواهم فى منصب شيخ الأزهر، ساعد على ثبوتهم على قيادة الحركة الوطنية.

لقد وقف علماء الأزهر بجوار محمد على عندما تعرض سنة ١٨٠٩ لأزمة نقله من ولاية مصر إلى سالونيك، وكان محمد على قد أغدق نعمه ظاهرة وباطنة على المشايخ من علماء الأزهر.

مازال الحديث عن الدور الكبير للأزهر ورجاله فى السياسة المصرية على مدى أكثر من ألف عام. ونراه متجدد الآن وكل مصرى يحرص على هذا الدور المحورى من أجل نهضة الأمة المصرية، وعودتها من جديد لكى تتبوأ مكانتها ودورها المحورى من أجل الإسلام والمسلمين فى العالم.

عيد الوجود

(خواطر في صباح عيد الفطر المبارك)

للشاعر أسامة كامل الخريبي

شوق يزور مهجتي وفؤادي ... في مطلع الأفراح والأعياد

ألقى على القلب الجريح ظلاله ... أنسى وأضيق من عرى الأصفاد

فلقد ذكرتك يا بلادي ساعة ... والصبح عند تنفس الميلاد

والشمس من خلف الجبال تطلعت ... كتطلع البيضاء خلف سواد

نهض النبات على خيوط ضيائها ... فكأنها مدت إليه أيادي

والزهر في لهف يشق غصونه ... للنور في إشعاعه الميّاد

حمراء ما زال النعاس بجفنها ... فكأنها باتت بغير رقاد

والطير في فرح كأن جناحه ... رايات جيش حاشد الأجناد

والناس في حلل الصفاء قوافلا ... كالنور حول مواكب الزهاد

ما بين تكبير الإله وحمده ... تمضي كأمواج بغير قياد

وملائك الرحمن حول لقائها ... تضفي عليه سكينة العباد

فوددت لو أني هناك يلفني ... والقوم بين معانق ومنادي

ولأن أصافح الكرام ومن له ... في القلب حق محبة ووداد

والدار والأرض التي أحببتها ... وعبير آثار من الأجداد

ووددت لو أني بعثت إليهم ... برسالة: أني أحب بلادي

وطني كفاني أنني لك عاشق ... ما إن بكاك أو ترنم شادي

أشـــواق حديثيــة

شعر دكتور محمد إبراهيم العشماوي
مدرس الحديث الشريف بكلية أصول الدين بطنطا

يا صاحب السُّنة الغراء يا سندي ... يا من سريت كسري الروح في جسدي

أُعْدِيك مُتَّبِعًا في الحُبِّ مَنْ سلفوا ... فبعضَ المشاعر لم أنقصْ ولم أزد

وأنت أكرمُ من يهدي حضرته ... فقد هداني بك المولى إلى الرشد

وذلك الشعر فيضٌ من محبتكم ... فأنتمو عُدَّتي فيه ومُعتمدي

فكمْ شهدتُ به من نورِكُم عَجَبًا ... وكم رأيت به فيضًا من المدد

دبّجْتُه فيك والأقرانُ قد عَجَزوا ... وصُغْتُه لك والألفاظُ طوعُ يدي

علقتُ قلبي بمَنْ مَولاهُ «أرسله» ... «بالوصل» فارتفع «الإعلانُ» للأبد

السابقُ اللاحقُ المختارُ من مُضرٍ ... خيرُ البرية في الآباء والولد

لما تواترت الأفضالُ من يده ... عمَّ البرية لم يستثنِ من أحد

أنى تساويه «آحادُ» الورى كرمًا ... وفي «التواتر» ما يُغني عن العدد؟!

أنا الغريبُ ولكني اشتهرتُ به ... لما «أجاز» «سماعي» بالحياة فدى

تناولتْه الحبُّ من قلبي مُكاتبةً ... وكم «عرضتُ» عليه فلذةَ الكبد

أوصى إليَّ بسرٍّ ثم أعلمني ... أنّي على «الوجد» موصولٌ به «سندي»

رب وعـت ولا عنه قطعت ولا   لى فى الهـوى عنه من صـبر ولا جلد
وكـيف ينعمُ صبٌ فى محـبته   والجسـمُ فى بلدٍ والروحُ فى بلد؟!
ب كان حس حدتى قبه مصطرباً   كـلاً ولا «مُنكراً» إنْ رُمْتَ لم تجـد
حُسنى «عربى» فـما دلست فيه ولا   «حططت» حتى عـدا كـالطود و لوند
ولا تعارض عند الجميع «محكمه»   ولا «ترجُح» إلا حـبُّـه الأبدى!
«درجت فى زمرة بعشاق «مزلفا»   إليـه «مختلفـا» كـالطائر الفَـرد
قـد صحَّ عنه «حديثٌ» فى محبته   فـوق النفـوس وفـوق الأهل والولد
وقـفتُ «شعرى» عليه «فارتفعتْ» به   إلى العلى فلم نزل إلى أحـد
نعمت حلو هواه وهو يشهد لى   يا فـوزَ «مُعْتَبرٍ» منه «ومُعْتَضِد»
لما جرحت «مساسى» «عدالته»   فـدى العيش من غمٍ ومن كـمد
ومَنْ تكُنْ برسـول الله عـصمتُه   فـلا تسلْ أبداً عن عيشه الرَّغَـد!
«متنى ضعيفٌ» ولى فى حبه «سندٌ»   ونظرةٌ منه تَشْـفى «علةَ» الجسـد
يا أرس الخلق فى دنيا واخرة   يا خـيـرَ كفٍّ سَخىٍّ بالعطاء ندى
أمَّلتُ فـيك من الآمـال أكـبرها   وأنت أكـبرُ مما دار فى خلدى
ها قـد أتيـتُك بالأوزار أحملها   فكُنْ شـفيعى عند الواحد الصَّمَـد
تخشى «الأصاغرُ» «وُحْدانا» فإن نزلتْ   ساحَ «الأكابرِ» كانت فى حِمَى الأسد
هذا «مسلسل» عمرى أنت تعرفه   ومن يحب لديكم حسن معتقدى
ما فيه من حسن كلا ولا ....   عليك «يُعْرَضُ» إلا كنتَ فى كَبِد
ما كـان عنك «بمجهولٍ» ولا «نُسختْ»   فـيه «المُخالفُ» إلا من صنيع يدى

يا مصدرَ النُّور فى الأكوانِ قاطبةً   ويا شفاء عيون الخلق من رمد!!
إنى أحـبُّك عنْ الحبُّ يشفعُ لى   فليس لى مورد إلا به أرد
وذا أوانُ «وُرُودى» والهوى «سببٌ»   وبردُ مائك ممزوجٌ من البرد
أذوب فيك هياماً أستلذ به   ولا أبوحُ به من خيفة الحسد
وفى الملذاذة آلامٌ أكابدها   ولستُ فى ذا ولا هذا «بمنفرد»
عـجبتُ ممن له قلبٌ وفيه دمٌ   ولا يحنُّ له كالصخر فى أحُـد!!
جمالُ وجهك فى عينى يداعبها   ونبضُ حبك فى قلبى وفى كـبدى
سميتُ باسمك يا أسمى الورى أملا   ألا أخيبَ ولا أشقى إلى الأبد
أحببتُ سُنتك الغراءَ من صغرى   وعن هواك مدى الأيام لم أحـد
«مولاى» يا كُنيتى يا «اسمى» ويا «لقبى»   يا مُنتهى «منتهى» يا «حاكماً» بلدى!!
يا حافظاً حُجتى يا «مُسْنداً» أملى   أنقذ «أمير» الورى جهدى من المسد!!
أرختُ فى «مولدى» حبى لحضرتكم   حتى وفاتى ونزع الروح من جسدى
إنْ أحبك والأحباب منزلُهُمْ   مع الحبيب إذا ما الحشر يومَ غد
عِدْنى بعفو من المولى وعافية   فأنت أصدقُ خلق الله إن تعد
وأنت أقربُهم منهُ وأكرمهم   عليه منزلة من سالف الأمد
«أنت الحبيبُ الذى ترجى شفاعتُه»   وأنت للناس طراً خيرُ مُعْتمَد
ولى بصديق رسول الله حافلٌ بى   إذا الشدائدُ فتَّتْ فى الرُّدى عَضُدى
فامْنُنْ علىَّ بقول منك يُسعدنى   أنى أحقق ما ترجوه يا ولدى

* * *

طرائف.. ومواقف

صفات سيدنا عمر - رضى الله عنه

قال معاوية بن أبى سفيان- رضى الله عنه- لصعصعة بن صوحان: صف لى عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه، فقال: كان عالما برعيته، عادلاً فى قضيته، عاريا عن الكبر، قبولاً للعذر، سهل الحجاب، مصون الباب، متحريا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقريب، ولا جاف للغريب.

لاذهاب الحمى

روى البيهقى، عن أنس - رضى الله عنه-، قال: دخل النبى ﷺ على عائشة وهى موعوكة تسب الحمى؛ فقال: «لا تسبيها، فإنها مأمورة، ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهب الله عنك»

قالت: فعلمنى..

قال: قولى: «اللهم ارحم جلدى الرقيق، وعظمى الدقيق، من شدة الحريق.. يا أم ملدم، إن كنت آمنت بالله العظيم، فلا تصدعى الرأس، ولاتنتنى الفم، ولاتأكلى اللحم، ولا تشربى الدم، وتحولى عنى إلى من اتخذ مع الله إلها آخر»

(وأم ملدم هى كنية الحمى)

العلم فى الجنة

حضر الشريف التلمسانى، وهو صبى درس الشيخ أبى زيد بن الإمام، فذكر الشيخ فى حديثه نعيم الجنة، فقال الشريف: هل يدرس العلم فى الجنة ياشيخ؟ فقال الشيخ: نعم، قال: ما دليلك؟ قال قول الله - تعالى-:

[illegible]

(الزخرف ٧١)

والعلم يشتهى فهو موجود، قال الشريف: لو قلت لى لا، خسرت. فالحمدلله.

مارأيت أنت ولا آباؤك مثلها

أهدى الشريف التلمسانى إلى الملك صلاح الدين الأيوبى هدايا، وكان الرسول يخرج منها واحدة واحدة، ويعرضها على الملك، فأخرج مروحة من خوص النحل، وقال: أيها الملك هذه مروحة مارأى الملك، ولا أحد من أبنائه مثلها. فاستشاط الملك غضبا وناولها منه وإذا عليها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا
ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتنى سعادة القبر حتى
صرت فى راحة ابن أيوب أقرا

فعرف صلاح الدين أنها من خوص النخل الذى فى مسجد رسول الله ﷺ فقبلها الملك ووضعها على رأسه وقال للرسول: صدقت، صدقت.

أشد عيوب الإنسان

قال ابن المقفع: من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه، فإن من خفى عليه عيبه، خفيت عليه محاسن غيره، فلن يقلع عن عيبه الذى يعرفه، ولن ينال محاسن غيره

الأخ الحق

من كلام المثقب العبدى:

فإما أن تكون أخى بحق
فأعرف منك غثى من سمينى
وإلا فاطرحنى، واتخذنى
عدوا أتقيك وتتقينى
فإنى لوتعاندنى شمالى
عنادك ماوصلت بها يمينى

أظلم الناس لنفسه

روى عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى - رضى الله عنه - أنه قال: أظلم الناس لنفسه: اللئيم؛ فإنه إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف الأشراف، وتكبر على ذوى الفضل.

حقــا

ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضروبؤلم

رد سهمى

صوب الفضل بن يحيى - وهو أحد أجواد وكرماء العرب - سهمه إلى بدوى، وقال له: رد سهمى ببيت من الشعر!

فقال البدوى

لقوسك قوس الجود والوتر الندى
وسهمك سهم العز فارم به فقرى

فأعجب الفضل ببلاغته، ووصله بمال، وأحسن إليه.

دعــاء

اللهم أصبح ظلمى مستجيرا بعفوك، وذنبى مستجيرا بمغفرتك، وخوفى مستجيرا بأمنك، وفقرى مستجيرا بغناك، وضعفى مستجيرا بقوتك، وذلى مستجيرا بعزك، ووجهى الفانى مستجيرا بوجهك الدائم الباقى.

بين المجلة والقارئ

الانسان.. وقيمة العبادة.. وافاق التقدم..

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / يحيى السيد النجار - كاتب وباحث / دمياط - قال فيها:

●● اقتضت حكمة الله عزوجل من خلق الإنسان.. ان يجعله صالحاً.. ويعمل بثوابت العبادة الحقة لله عزوجل.. لأن في صلاح الإنسان صلاح للمجتمع.. والإنسان بحاجة لإصلاح ذاتى.

وعن درة بنت أبى لهب - رضى الله عنها - قالت: قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله: أى الإسلام خير؟

قال ﷺ: «خير الناس اقرؤهم واتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم» رواه أحمد.. قال تعالى:

(الأنفال: ٢٤)

والرسول ﷺ قد هدى حين أخبر انه ستكون فتنة.. فسأله الصحابة: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال ﷺ: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.. وحكم ما بينكم.. هو الفصل ليس بالهزل.. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله» رواه الترمذى..

●● اقتضت حكمة الله عزوجل من خلق الإنسان.. تعظيم وطاعة الله.. واكتشاف سنن الكون.. والاستخلاف فى الأرض. ويتصف الله عزوجل بكل صفات الجلال والكمال وعرّف الله خلقه وهم فى عالم سابق على وجودهم فى الدنيا فأشهدهم على وحدانيته لقوله تعالى:

(الأعراف: ١٧٢)

والإنسان بحاجة للعبادة الخالصة لله.. وقال تعالى

(البينة: ٥)

والله عزوجل دعا عباده للتعاون على البر والتقوى. وقال تعالى

(المائدة: ٢)

كما دعاهم إلى التواصى بالحق والصبر.. قال تعالى:

(العصر ١ - ٣)

●● اقتضت حكمة الله عزوجل.. ان أرسل رسله وأنبياءه «عليهم السلام» مذكرين ومبشرين ومنذرين.. لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.. فمن حافظ على صفاء فطرته.. فإنه انضم لأهل الإيمان.. وتحقق له الفلاح فى الحياة الآخرة. قال تعالى

(النازعات: ٤٠، ٤١)

وفى استقامة حياة الإنسان.. يحيا حياة طيبة مليئة بالطمأنينة والسكينة.. قال تعالى:

(النحل: ٩٧)

ومع غياب استقامة الإنسان.. يعيش الحياة الضنك.. قال تعالى:

(طه: ١٢٤)

كما أن كل إنسان مسؤول عن رعيته.. قال الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.. الإمام راع ومسؤول عن رعيته.. والرجل راع فى أهله.. وهو مسؤول عن رعيته.. والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها.. والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته» رواه مسلم

●● اقتضت حكمة الله عز وجل.. ان خلق الإنسان ضعيفاً.. وبين له طريق الحياة الحقة بقيمة القلب السليم.. قال تعالى:

﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾

(الشعراء: ٨٩)

والإنسان مسؤول عن المحافظة على نقاء فطرته.. وسلامة قلبه.. وتزكية نفسه.. قال تعالى:

(فصلت: ٣٠)

وعلى الإنسان الابتعاد عن هوى النفس وإغراءات الشيطان.. لأن الشيطان عدو للإنسان.. قال تعالى

(فاطر: ٦)

●● اقتضت حكمة الله عزوجل بتحديد هدف الإنسان.. اتقان حركة الحياة عملاً وسلوكاً والعمل بروح من النزاهة والإخلاص.. ويكون دائم ذكر الله شاكراً لنعمه.. كى ينال جزاء العمل.. وجزاء

الإيمان.. قال الرسول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله.. والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة.. فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها.. فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا.. وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» رواه البخاري وأحمد والترمذي...

ومع عمل الإنسان يمتلك المجتمع المسلم آفاق التقدم.. والتقدم بحاجة للعمل بأخلاقيات وقيم العقيدة والضمير الإنساني.

والإنسان صانع مستقبله.. والمستقبل بحاجة لترتيب أولويات.. مع إدراك قوى التجديد والتغيير.. والوعي بالمستقبل والاهتمام به هو وليد التصور المستمر الناشئ عن الريادة المطردة في سيطرة الإنسان على بيئته.

وقوى بين المستقبل والتاريخ تحكمها قوانين حتمية.. قال تعالى:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

(التوبة: ١٠٥)

وقضية المستقبل بحاجة لتخطيط وإعداد.. والإنسان ذو تاريخ لأنه دائم التطور والتغيير.. كما أن الإنسان يعيش أحلامه وآماله.. ويتميز عن غيره من الكائنات الحية بقدرته المستمرة على رفض الواقع.. وتطلعه إلى التغيير في ضوء نتائج تجاربه.. وما يرسمه خياله من آمال وأحلام عن المستقبل..

وإنسان ومجتمع بلا أمل.. ولا مثل عليا هو إنسان أو مجتمع محكوم عليه بالجمود أو الفناء.. كما أن طريق التقدم لا نهاية له.. وبالثقة بالنفس يحقق الإنسان أهدافه المستقبلية.

تغيير المنكر.. الثوابت والمتغيرات

تحت هذا العنوان جاءت رسالة: د. هاني حجاج hany - haggag@hotmail.com

بالنسبة لموضوع تغيير المنكر فهو وإن كان من ثوابت الإسلام، إلا أنه صار ملتبسا في معناه ومضمونه وأسلوبه لدى البعض، هذا البعض الذي يشمل مع الأسف جماعات وحكومات، ومن ثم يجب علينا في البداية أن نضع المعنى القرآني كركيزة أساسية للموضوع. جاء تغيير المنكر في القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين﴾

(النساء: ٨٤)

أي أن المؤمن لا ينبغي أن يرده زجر الزاجرين وامتناع الفاحش عن الانتهاء ولو بقي وحده يحاول تغيير المنكر. وقوله:

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾

(المائدة: ١٠٥)

في دلالة صريحة إلى أننا يجب أن نلتفت إلى أنفسنا ونعمل على سد ما بنا من نواقص قبل أن نتتبع عورات الآخرين ولو بحجة سترها. وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾

(طه: ١٣٢)

فالصبر هو قرين الأمر الهام. ونحن نرى الكثيرين من الآباء والأمهات الذين يعتقدون أن تكاسل أبنائهم الصغار يوجب تعنيفهم وتوبيخهم بشكل فظ، وأما مع الأقارب فيكون الأمر بالإنذار فقط وهو أخف وطأة من الأمر:

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

(الشعراء: ٢١٤)

وأما مع سائر الناس فليس لنا الحق إلا بالدعوة التي هي أحسن

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾

(النحل: ١٢٥)

وقوله تعالى

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾

(آل عمران: ١١٠)

وقوله عز وجل

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾

(فصلت: ٣٤)

من ذلك يتبين لنا أن مسألة تغيير المنكر حسب منهج القرآن تحتاج إلى قدر كبير من الحكمة وتدرج بشكل منتظم متين. وأن هذه الأعراف غير تكليف النفس، غير إنذار الأقارب، غير درجة الوعظ والحث، غير الإرشاد بتنبيه المتجاهل منهم. وقد نبه رسولنا الكريم ﷺ فرضية التغيير باليد للاستطاعة. وتدرجت التغيير باللسان. فإن عجز عن الأولى، انتقل الثانية، فإن عجز عنها أيضا انتقل إلى المرحلة الأخيرة وهي التغيير القلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم. وقال النووي في هذا الحديث «باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث، عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعذاب»

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾

(النور: ٦٣)

والعجز نوعان: حسي ومعنوي. يكون الحسي لمرض أو فقد الأداة التي يكون بها التغيير. فيقدر لعموم بقدر العجز

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾

(القيامة: ١٤-١٥)

فإن تحقق العجز الحسي عن مباشرة التغيير اليدوي أو اللساني بقي وجوب إعانة من هو غير عاجز إعانة مستطاعة مثل المناصرة والمؤازرة، ويكثر السواد والدعاء له بالتوفيق والتسديد.

واحلافه في أهله إن غاب، ومناصحته والتواصي بالحق والصبر

على أننا نوصي أنفسنا بالبر قبل أن نعمل مع الآخرين، فلا يعقل أن يمضي الشاب وقته في تفاهات ثم يجد بداخله الشجاعة لينصح الأخ الأصغر بالاستغلال الأمثل للوقت، مع ملاحظة أمر شديد الأهمية وهو أن للأخذ على هذه النقطة لا يجب أن يكون في اتجاه أنني مادمت على المعصية لا يجوز أن أعطي النصيحة أو أمنع المنكر، فهذا التوجه ناقص وسلبي أما المكتسب فيكون بالارتفاع الإيجابي على هذا النحو: كيف أنصح غيري بالخير وأحرم نفسي منه؟ هنا يفوز اثنان ولا يخسر أحد.

اختيار وسيلة النصح يجب أن يكون حكيما وظيفا. فكيف تصور فيلما يحفل بالألفاظ البذيئة بدعوى أنك تكشف عيوب مجتمع ما بغرض إظهار ما يترتب عليها من تدهور؟ ما أدراك أنه من بين جمهورك عقول ضعيفة ونفوس أضعف تلتقط هذه التصرفات المشينة وتمارسها وتروجها لأنها تبدو ظريفة أو مضحكة؟ هكذا أنت تقدم الدواء في غلاف مسموم فمهما كان أثره لا يمكنك تجاهل استشراء السم في الجسم، والحكمة تقتضي تقوى الله في ما تقدم من عمل قابل للاستمرار لزمن قد يزيد على عمرك نفسه كما في الكتب أو التسجيلات، فوسيلة النهي على المنكر يجب عليها مراعاة تبدل الأحوال بحيث لا تقتصر على بيئة معينة أو زمن بعينه.

نتذكر قول الرسول الكريم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (رواه الترمذي وابن ماجة) ونزيل من الذهن التعارض بين معناه وبين حديثه عن النهي عن المنكر، بإدراك ما إذا كان الفعل شخصي غير ضار بالنفس أو المجتمع وبين أن يكون التصرف فيه من الضرر ما لا تحمد عقباه إما في هيئته المباشرة أو عند تكراره أو في خطورة مكان تقليده وإثارته للفتن كما أنه لا ينبغي لنا تسبب الحرج أو الضرر للآخر، فلا نفضحه بالنصيحة أو النهر، وأن نعرف طبيعة العلاقات بيننا وبين من ننهاه، فحسب السن والمكانة العقلية والظروف العامة تتحدد طريقة وأسلوب النهي عن المنكر، وبعض الكبائر التي ينغمس فيها الشخص المسيء تحتاج منا إلى وقفة مع النفس لتحديد خطة واضحة يمكن تقسيمها إلى مراحل، وقد تشتمل على عدة أنواع من أساليب تغيير المنكر، فهي تبدأ عموما بالإنكار في القلب، ثم التوجيه اللساني بالإشارة أو التصريح المباشر، وقد تشمل المساعدة في خلق ظروف معينة تبعد بها المسيء عن حياة المعاصي، وأخيرا يمكن اللجوء للنهي باليد كنهي معتد أثيم أو قاتل أو مغتصب.

عن أبي بكر الصديق أنه قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:

﴿ [illegible] ﴾

«المائدة ١٠٥».

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه (رواه الترمذي وأبو داود «وابن ماجة».

الاسلام وحسن الهندام

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: شعبان عبد العال إبراهيم - المنيا - بني حسن الشروق:

الإسلامي يوصي أن يكون المرء حسن المنظر يلبس ثوبا نظيفا متناسق الألوان ساترا لذا قال ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم»، وذلك لأن اللون الأبيض فيه صفاء وجمال والتجمل في اللباس عنوان الإنسان وعلامة حكمته سئل حكيم: ما مالك؟ فقال: «التجمل في الظاهر، والقصد في الباطن، واليأس مما في أيدي الناس»

وصدق القائل

حسن ثيابك ما استطعت فإنها
زين الرجال فيها تعز وتكرم

وقد كان السلف الصالح أجمل الناس ثيابا وأشد الناس اعتناء بمظهرهم وفي قلوبهم من التواضع والزهد ما يصعب مدحه، والرسول ﷺ كان إذا رأى مسلما يهمل في تجميل نفسه وتنسيق هيئته نهاه عن ذلك وأمره أن يلبس أفضل ما عنده، ومهما تكاثرت المتاعب والمسئوليات على الفرد فلا ينسى واجب الالتفات إلى ربه ونظافته فليس من التدين فوضى الملبس، بل هذا هو الجهل الواضح والافتراء على تعاليمه فالأناقة مطلوبة في غير إسراف لأنها من تعاليم الإسلام ولم يحرم ﷺ أي لون أو نوع باستثناء الحرير للرجال فقط لحكمة ربانية، قال تعالى:

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾

«سورة الأعراف: ٣٢»

مما يميل إليه الطبع ويقره العقل ويدعوا إليه الشرع النظافة وحسن الهندام لما في ذلك من آثار طيبة على الصحة البدنية والنفسية ومن توثيق الرابطة بين الفرد ومجتمعه الذي يخالطه ولا يستغني عن العيش معه ومن عنوان طيب يستدل على سلامة الذوق وحسن التقدير وعلى سمو الإدراك وصحة الفهم لطبيعة التشريع وبعكس ذلك يكون الإهمال والفوضى والقذارة، وهي من أهم العوامل لكثرة العلل والأمراض، ويظن بعض الناس أن رثاثة الثياب وعدم المبالاة بحسن الهندام زهد في الحياة وبعد عن فتنة الدنيا وأن ذلك كان دأب الصالحين الذين وصلوا من طريق إلى رضوان الله سبحانه وكيف يستقيم ذلك والزينة من مقاصد الإسلام من الله بها على عباده فقال:

﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ﴾

والريش من معانيه اللباس الفاخر والنبي ﷺ كان يعنى عناية بالغة بنظافة بدنه وثوبه ومكانه، وبحسن هيئته وطيب رائحته المجذبت إليه القلوب لكمال مظهره، كما التفت حوله لجمال خلقه وسمو تعاليمه.

نور رسول الله وأخذ العهد والميثاق على الأنبياء والرسل وطهارة نسبه وحسبه ﷺ

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة للأستاذ: محمد سعيد أبو هاشم رضوان - جزيرة سعود - مركز الحسينية - الشرقية.

يقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأحزاب: ٧)

هذا تنويه بأولية خلقه ﷺ حيث قدم ذكر رسول الله على ذكر الأنبياء المذكورين معه في الآية الكريمة وذلك رغم سبق أزمنتهم لزمن ظهوره، وهناك البعض من المفسرين، والبعض يرى أن التقديم في الذكر في الآية للتقديم في الرتبة والشرف، والبعض يرى أن التقديم في الذكر في الآية دال على التقدم في الخلق فقد ذكر الإمام الطبرى في تفسير هذه الآية عن قتادة أنه قال: «ذكر لنا أن رسول الله كان يقول: (كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث)، وقد ذكر الحافظ السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» عند تفسيره للآية الكريمة التي نحن بصددها عن هذا الحديث بتخريجه «أخرج الحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

قال: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»

فبدأ به قبلهم.

وأخرج أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»، وهذا حديث صحيح الإسناد

وقوله: لمنجدل، يعني: طريحا ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه. وأخرج أحمد والحاكم عن ميسرة الفجر قال: «قلت يا رسول الله، متى كنت نبيا؟ قال: وآدم عليه السلام بين الروح والجسد»

وعلمنا من أنه حصل هذه الروايات على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج، وقد ذكر الإمام الغزالي في كتاب «النفخ والتسوية» في قول رسول الله: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» [illegible] المراد بالخلق، هنا التقدير دون الإيجاد فإنه قبل أن تلده أمه لم يكن موجودا مخلوقا، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود»

وقد قال العلامة تقي الدين السبكي ٧٥٦هـ «إنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: كنت نبيا، إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته من الحقائق، والحقائق تقصر العقول عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي، ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي قد تكون من حين خلق آدم، آتاها الله ذلك الوصف، بأن يكون خلقها متهيئة لذلك، وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبيا، وكتب اسمه على العرش، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده».

وعليه فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الإلهية حاصل من ذلك الوقت، وإنما تأخر البعث والتبليغ، وكل ما له من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة، وحقيقته معجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوة، وإنما المتأخر تكونه وتنقله إلى أن ظهر ﷺ فهذا هو رسول الله الذي كمّله ربه وجمّله واصطفاه على سائر خلقه وميزه وعلمه وأدبه وقد أخذ الله العهد والميثاق من أنبيائه ورسله أن يؤمنوا به وينصروه قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ٨١)

الرسول القدوة

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: عبد الباسط محمد السيد محمد الأربعين - السويس

قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [illegible] ﴾

(الأحزاب: ٢١)

إن الحق - سبحانه وتعالى - جعل النبي ﷺ قدوة حسنة للمؤمنين، كي يقتدوا ويتأسوا به، وإنما كان ذلك لأن القدوة تمثلت في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله، وفي شمائله وأخلاقه وصبره ومصابرته ومجاهدته، حتى نقتفي أثره، وننتهج نهجه، ونتمسك بسنته، ولما كانت حياة النبي ﷺ في أعلى درجات القدوة، وأفضلها، وأحسنها، بين الله - تعالى - بأن لنا في النبي ﷺ أسوة حسنة، والأسوة والقدوة بمعنى واحد، إلا أن الأسوة أشد وأقوى وأعمق في بابها من الاقتداء، لأنها جاءت مع النبي ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، وكما جاءت مع خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - فقال عز من قائل:

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة: ٤)

إن المسلم مطالب بأن يحاكي سيرة المثل الكامل في نبي هذه الأمة، وأن يطلع على جوانب شخصية النبي ﷺ.

إن سيرة النبي ﷺ هي المعين الذي ننهل منه فينبغي لنا أن نفكر كيف كانت حياة النبي ﷺ، وكيف أنها كانت فسيحة الأرجاء ومتسعة الجوانب، فما من طالب قدوة، إلا ويجد الرسول ﷺ هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى.

فإن النبي ﷺ قدوة في العبادة، وقدوة في الزهد، وقدوة في العمل، وقدوة في البيت، وقدوة مع الأهل، وقدوة في التعامل مع الصغار، وقدوة في التعامل مع الكبار، وقدوة في التعامل مع الخصوم، وقدوة في حال الفقر، وقدوة في حال الغنى، وقدوة في حال السلم، وقدوة في حال الحرب، وقدوة في حال الصحة، وقدوة في حال المرض، وقدوة في التبليغ.

إن ميادين قدوة النبي ﷺ كثيرة ومتعددة، وأن المتأسي به سالك الطريق للوصول إلى طاعة الله، وسالك الطريق المستقيم، طالبا الهدى والرشد، مبتعدا عن الضلال والغي، محققا قدوة الرسول ﷺ في نفسه قدر الطاقة، وحسب الاستطاعة، وإنما يوفق لهذه القدوة من كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.

ردود خاصة

* وردت إلينا خطابات، ومكالمات تليفونية من عديد من القراء الأعزاء بشأن قيام بعض باعة الصحف ببيع المجلة منفصلة عن الهدية المصاحبة لها، وقد تم إخطار مؤسسة الأهرام التى تتولى توزيع المجلة داخل جمهورية مصر العربية لاتخاذ ما يلزم بشأن هؤلاء الباعة، والمجلة تهيب بقرائها الأعزاء عدم شراء المجلة بدون الهدية المجانية المصاحبة لها

* كما تلقت المجلة العديد من الاستفسارات من القراء الكرام عن طريقة الحصول على أعداد من المجلة لم يتمكنوا من شرائها ولهؤلاء نقول بإمكانكم الحصول على هذه الأعداد عن طريق التوجه لمقر الإدارة العامة للمخازن والمشتريات بالأزهر الشريف بمعهد السلطان حسن بلقية أمام جوازات مدينة البعوث الإسلامية بشارع أحمد سعيد لشراء ما فاتهم من أعداد.

* وننصح قرائنا لضمان الحصول على المجلة بانتظام وفى موعد صدورها بالتوجه إلى أقرب مكتب اشتراكات تابع لمؤسسة الأهرام وسداد قيمة الاشتراك السنوى ويبلغ ٢٤ جنيها داخل القاهرة، أما خارج القاهرة فيتم إضافة خمسين قرشا مقابل الاشتراك لكل عدد شهرياً.

* ومن الأستاذ السيد مجاهد جاءتنا هذه الملاحظات:

السيد الأستاذ مدير التحرير

تحية طيبة وبعد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نشكركم على ما تقدمونه لنا كقراء مسلمين فى مجلتكم الغراء التى تضيف لنا الكثير بسعر زهيد جداً لا يتناسب مع ما تبذلونه فيها من جهد جعله الله فى ميزان حسناتكم.

ولى ملاحظة صغيرة على الكتيب الذى يصدر مع كل عدد كهدية مع المجلة فهو مضغوط عليه جدا عند التجليد من جهة اليمين بحيث لا يسمح للقارئ بمتابعة القراءة بينما الهامش من جهة اليسار به مساحة واسعة وأحيانا تكون السطور إما مرتفعة جداً لأعلى الكتيب أو منخفضة لأسفله بحيث يتعذر علينا قراءته

ورد ذلك على سبيل المثال فى صفحات كتيب المدنية الإسلامية للدكتور السنهورى باشا فى الصفحات رقم ٤٦ و٤٧ وما بعدها.

نكرر شكرنا لكم ونأمل مراعاة تلافى تلك الملاحظة مع قبول وافر التحية والاحترام.

>> والمجلة تعد إن شاء الله بالعمل مستقبلاً على علاج هذه الملاحظات.

* الأخ الأستاذ عبدالعزيز محمد شريف - الغربية - قطور - طريق الشين:

تحتاج لإعادة قراءة المقالات التى قرأتها ومحاولة فهمها بهدوء، وبالمناسبة هذا الكاتب توفى منذ نحو نصف قرن أو يزيد وأعماله قُتلت بحثا ودراسة وأثنى عليها غير قليل من علماء الأمة وأحسبك متجنيا عليه فتذكر أخى الكريم أنه لا يعلم سرائر النفوس ودواخلها إلا الله سبحانه وتعالى، وقديما منذ نحو ١٤٠٠ عام عاتب رسول الله «ﷺ» أسامة بن زيد - وهو من هو - يوم قتل رجلاً من المشركين بعد أن نطق الشهادتين قبل أن يصرعه أسامة بسيفه، وتعلل أسامة بقوله لرسول الله «ﷺ»: يا رسول الله إنما قالها تقية.. فرد عليه رسول الله «ﷺ» بقوله: «هلا شققت عن صدره»..

لنا الظاهر أما السرائر فلا يعلمها إلا الله.

أنبـــاء الأزهـــر



الرئيس محمد مرسى.. فى خطاب شامل للأمة:

لن تأخذنا رأفة بالمجرمين.. الذين يهددون أمن البلاد

أعلن الرئيس الدكتور محمد مرسى أن قرارات التغيير الأخيرة التى اتخذها لم تتوجه لأشخاص أو لإحراج مؤسسات بعينها.

قال: إننى قصدت من هذه القرارات مصلحة الأمة والشعب.

وجه د. مرسى فى خطابه الذى ألقاه خلال الاحتفال بليلة القدر كل الشكر والتقدير لرجال وقيادات القوات المسلحة، وقال: أريد لهم كل الخير، وأن يتفرغوا للمهمة المقدسة لهم وهى حماية البلاد.



ناشد د. مرسي أبناء الأمة العمل بهمة لزيادة الإنتاج وجذب الاستثمارات، وقال: إننا نحمل رسالة سلام ولا نسمح لأحد بتهديد الوطن. ولن يهدأ لي بال حتى تستقر أوضاع أهالي سيناء.

أضاف موجها خطابه إلى أبناء الشعب المصري: اعلموا أنه طال رقاد هذه الأمة، وطال عدوان أعدائها عليها. واليوم تحتاج الأمة إلى وعي أبنائها وعملهم الجاد والمستمر والتضحية.

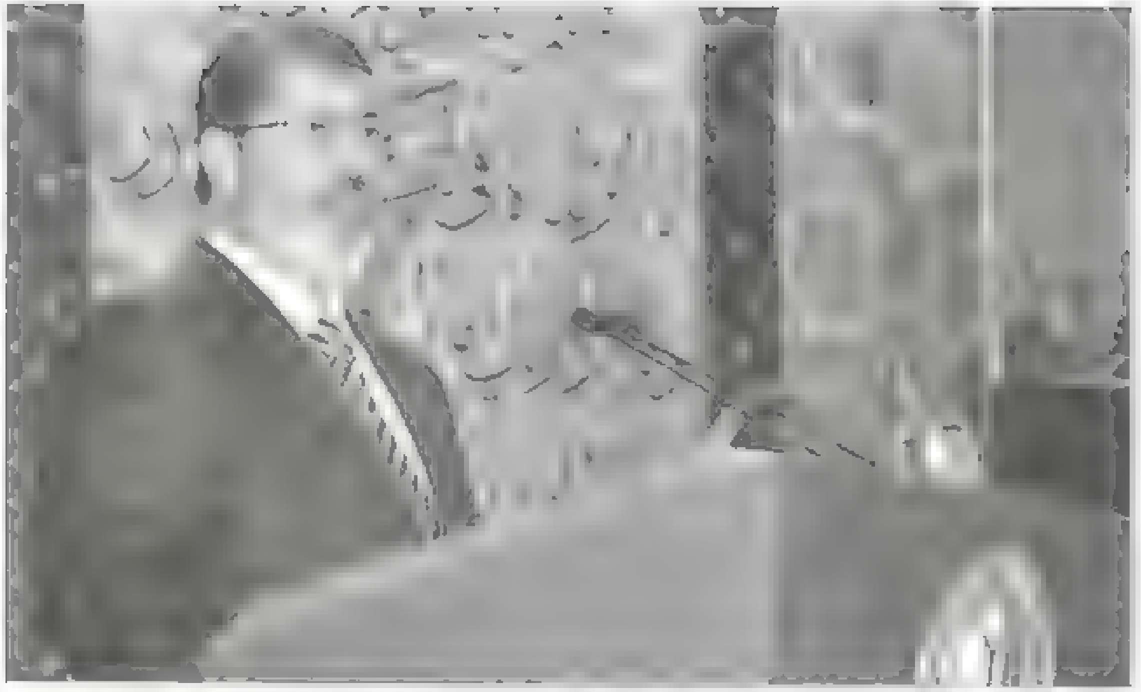
منارات الهدى

قال الرئيس مرسي: إن تاريخ مصر يشهد بأن علماء الأزهر كانوا دائما منارات الهدى وقادة للنهضة والتنوير والعلم والمقاومة.. فالإسلام ليس إلا رسالة سلام

أكد أنه كما كان نصر العاشر من رمضان دليلا على نهضة وانتفاضة كبيرة فإن ثورة ٢٥ يناير قامت والمصريون على قلب رجل واحد، وأضاف: أننا حققنا بعض أهداف ثورة ٢٥ يناير، ومازالت مصر تسعى جاهدة لاستكمال هذه الثورة البيضاء المباركة.

حملة ضد المتآمرين

أشار الرئيس محمد مرسي إلى الحملة التي تقوم بها القوات المسلحة والشرطة ضد بؤر الإجرام في سيناء بعد الهجوم الغادر على جنودنا في منطقة رفح، وأكد رئيس الجمهورية أنه يقود بنفسه هذه الحملة



قال: إن هذه الحملة لا يمكن أن تكون أبدا ضد الآمنين أو المواطنين الشرفاء من أهلنا في سيناء، إنما هي ضد من بغى وطغى وتآمر وخطط، ومن اعتدى وقتل.. وأكد أن هؤلاء الخونة لن تأخذنا بهم أبداً رأفة أو شفقة.. مشيرا إلى أنه تم الإمساك ببعض المجرمين ويجرى ملاحقتهم جميعاً.

أضاف: أننا نستعد بكل ما نستطيع من قوة لكل من يفكر في الاعتداء على مصر قولا أو فعلا.. ودعا د. مرسي في خطابه أبناء مصر للعمل والإنتاج.. مشددا على أن قطع الطرق يعتبر جريمة، لأنه يعطل المصالح العامة والخاصة للمواطنين.

مصر تنتفض

قال: ها هي مصر أيها الأحباب تنتفض لتقود هذه الأمة وتستعيد دورها في كل المجالات بعد أن ظلت للأسف جاثية قدرا طال من الزمن، حيث وبكل أسف طغى عليها أعداؤها وتآمر عليها من جاءوا من خارجها، ووجدوا من بعض من يعيش على أرض مصر من يتعاون ويتآمر معهم ضد الوطن

أضاف: ها هي مصر تنتفض وأيضا في شهر رمضان، فأعزها الله بنصر العاشر من رمضان وحقق لها العزة في حرب اكتوبر المجيدة.. فكانت تلك الانتفاضة دليل نهضة كبيرة لوطننا الحبيب مصر.

هذه هي مصر وهذا حالنا.. نؤدي واجبنا وندعو ربنا أن يوفقنا فيما نسعى إليه، لتحقيق أهداف الثورة ومطالب الشعب والأمة.. فمقاصد الشريعة لا يمكن أن تتعارض مع أهداف ورغبة وحاجات البشر.. لكنها تسعى في تحقيقها رويدا رويدا وهذا ما نفعله ولن نأخذ وقتاً طويلا، وإنما نأخذ بعض الوقت لنفكر وندقق ونخطط معا لم نمضي، فإذا عزمت فتوكل على الله.. ونحن نتوكل عليه في كل شيء.

الرئيس يؤكد:

الأزهر يمثل إسلام أهل السنة والجماعة

شهد الرئيس الدكتور محمد مرسي حفل الإفطار الذى أقامته / الأحد ١٧ من رمضان ١٤٣٣ هـ مشيخة الأزهر الشريف فى قاعة الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر بمناسبة ذكرى غزوة بدر بحضور أعضاء هيئة كبار العلماء شارك فى حفل الإفطار الدكتور هشام قنديل رئيس مجلس الوزراء، وعدد من كبار رجال الدولة.

● أكد رئيس الجمهورية الدكتور محمد مرسي أن مصر تحتاج الى جهود جميع أبنائها من كل الفئات والاتجاهات للعبور بها ومواجهة التحديات التى تواجهها.

وقال الدكتور مرسي فى كلمته إن التحديات التى تواجهها مصر ليست بالمستحيلات وهي تحتاج إلى الوحدة والتآخي وتضافر الجهود والعمل والتضحية والعزيمة والإرادة والمعرفة بعلوم العصر حتى تمضى هذه المسيرة إلى آفاق أرحب.

وقال الرئيس محمد مرسي: إن هذه المناسبة / ذكرى غزوة بدر الكبرى / مباركة وعظيمة وكانت فرقانا وهى فى رحاب الأزهر الشريف ..مؤكدا ان الأزهر هو رمز الوسطية والحضارة والتاريخ الإسلامى والفهم الصحيح للإسلام الكامل والشامل كما أكد أن الأزهر جامعة وجماعة يمثل إسلام أهل السنة والجماعة والذى سار على دربه السلف الصالح، وانطلق من القاهرة رائدة الأمة الى ربوع العالم .

وأضاف قائلا: ما أشبه اليوم بالبارحة حيث الدولة الوليدة الحديثة عندما نشأت دولة الرسول فى المدينة المنورة والتحديات التى واجهها فكانت غزوة بدر وكان الفرقان والنصر من عند الله.

● وفى كلمته التى ألقاها فى الحفل أكد الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر ان الأزهر الشريف سيظل داعيا للتوافق الوطنى والتقارب الفكرى والوحدة التى تميز مصر ..وأن مصر ستبقى بجهود أبنائها ورجالها وقادتها واحة للإخاء والتوافق والعيش المشترك

كما أكد أن الأزهر استعاد دوره بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، مشيرا إلى أن تشكيل هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف كان من اوائل القرارات التى اتخذها رئيس الجمهورية بعد تسلمه مهام منصبه.

وأوضح الدكتور الطيب فى كلمته التى ارتجلها أن الأزهر يمثل ضمير الأمة وأن رجاله أفنوا أعمارهم فى طلب العلم وهم ثروة مصر العالمية وقوتها الناعمة حيث تؤثر على نحو مليار ونصف المليار مسلم حول العالم .

وقال إن إعادة الاعتبار لهيئة كبار العلماء كان من أوائل قرارات الرئيس بعد إعادة تشكيلها بعد أن العبث فى مطلع الستينيات بقرار لم يكن للأزهر يد فيه وأوضح أن الأزهر شهد العام الماضى لقاء وطنيا ضم كل أطياف الشعب المصرى حول وثيقة الأزهر الشريف الأمة سبيلا ووقعت عليها الأطياف كلها من مسلمين ومسيحيين .

كما أكد أن آفاق المستقبل لمصر والأمة العربية رحبة وواسعة وأن هذا العالم الثالث سيعبر من وضعه ومكانته الدولية وأوضح أن مشروع النهضة الذى طرحه رئيس الجمهورية فى برنامجه الانتخابى يجد حماسا وتجاحا من الأزهر الشريف.. داعيا الرئيس الى المضى قدما فى طريقه ومعه الشعب المصرى الذى جعله الله فى رباط الى يوم القيامة والأمة وفيها العلماء والشباب وهم حماة كل نهضة

بيان الأزهر الشريف بشأن أحداث رفح الأخيرة

إنَّ الأزهر الشريف إذ يشعرُ بموجة الأسى والغضب التى تعمُّ الشارعَ المصرى إزاء الأحداث الأخيرة على مشارف مدينة رفح المصرية، يعلنُ رفضه وإدانته لهذا النوع من الأحداث الإجرامية لمنكرة التى ترتكبها عناصر مضللة. سواء كانت محترفة فى أفكارها الشاذة أو فى صفوفها الشاردة.

ومما يزيد من الأسى والغضب أن يرتكب هؤلاء المضلَّلون تلك الجرائم البشعة بحق إخوانٍ لهم يتناولون إفطارهم عقب أدائهم إحدى شعائر الإسلام، والله تعالى يقول:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

(الحج - ٣٢)

لكنَّنا نعرفُ ونشعرُ أنه لا يزيدُ عن كونه حادثًا من أحداث الفوضى والبلطجة، للعبث بعلاقات المصريين بإخوانهم فى القطاع المحاصر. وللتأثير على خطواتهم لتحقيق الاستقرار والوحدة فى الداخل، وإعطاء الحجَّة لخصومنا فى مؤامراتهم حول سيناء الحرَّة المجاهدة حقًا وصدقا

والأزهر الشريف يُشارك كلُّ مصرى وكلُّ مسلم فى إدانة هذه الأحداث الإجراميَّة، ويدعو الجميع إلى التيقظ والحذر والوقوف صفا واحدا للدفاع عن مصرية سيناء الصامدة. ويدعو للشهداء الكرام الذين أخذوا على غرة أن يتقبلهم الله تعالى فى رحمته، ويدخلهم فراديس جنته. ويتمنى للمصابين الأبطال الشفاء العاجل. وعودة الروح المعنوية العالية إلى نفوسهم الشجاعة، ويدعو الأزهر إلى مزيد من اليقظة والحذر للأهداف الخبيثة التى يسعى إليها أعداء مصر وأعداء الأمة الإسلامية

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف ٢١)



الإمام الأكبر لوزير الداخلية:

استعادة الأمن ضرورة قصوى للعبور بالوطن إلى بر الأمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - اللواء أحمد جمال الدين، وزير الداخلية الجديد، وقد تناول اللقاء الوضع الأمني في مصر في المرحلة الراهنة، والعديد من النقاط المتعلقة بالأمن الداخلي

وقد أشاد الإمام بالدور المهم لوزارة الداخلية في الآونة الأخيرة، وأهمية التواجد الأمني الذي لا بد أن يشعر به كل مواطن، والذي سينعكس على تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية للمواطنين، مما يسهم في العبور بالوطن إلى بر الأمان في تلك المرحلة الحاسمة التي يمر بها الوطن

وتناول اللقاء الأحداث المؤسفة التي جرت في شمال سيناء، والتي أحزنت الجميع، وقد راح ضحيتها العديد من خيرة أجناد الأرض من رجال حرس الحدود المصرية، وضرورة محاسبة الجناة على اعتدائهم الآثم الذي نهت عنه جميع الشرائع السماوية

بيان الأزهر الشريف حول أحداث دهشور

إزاء ما تناولته وسائل الإعلام عن تنامي أحداث الصراع والعنف في منطقة البدرشين التي يذهب فيها ضحايا أبرياء؛ مسلمون ومسيحيون، وينسبها البعض إلى الطائفية البغيضة، يعلن الأزهر الشريف رفضه التام لهذه الأحداث المؤسفة التي تلصق ظلماً وبهتاناً بالدين الإسلامي والمسيحي، وهما منها براء.

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - الدعوة لعقد جلسة طارئة لبيت العائلة المصرية؛ لمناقشة هذا الموضوع، والبحث عن حقائق ما يدور وعن أسبابه وظروفه، واتخاذ الخطوات العاجلة نحو حل عُرفي وسريع؛ لإيقاف تلك الأحداث التي تضر بسلامة الوطن وتعرضه للخطر في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الشعب المصري، الطامح إلى الديمقراطية والكرامة والاستقرار، والذي عرف في الدنيا كلها بوحدة نسيجه الوطني وتماسكه في كل الظروف

حفظ الله مصر وبنيها من كل سوء، ودفع عنها الفتن، إنه سميع مجيب.

نداء إغاثة عاجلة لمسلمي بورما (ميانمار)

سبق للأزهر الشريف أن أصدر بياناً يوم الخميس ٨ من شعبان سنة ١٤٣٣هـ الموافق ٢٨ من يونيو سنة ٢٠١٢م استنكر فيه التطهير العرقي الذي يتعرض له الشعب المسلم في بورما (ميانمار) ومازال هذا الشعب الصابر الأبي يعاني من سياسة العقاب الجماعي، من جانب الأكثرية البوذية، على غير ذنب جنوه، وحدثت مذابح عنصرية على نطاق واسع، وهم من أكثر الأقليات المسلمة في جنوب شرق آسيا مسالمة وحرصاً على استقرار وطنهم، وقد تم تجاهل هذه الأحداث المروّعة في خضم الأحداث التي تقع في العالم العربي والإسلامي

إن إخوانكم هناك في حاجة ماسة إلى الدعم المعنوي الذي يرفع عنهم بطش الأكثرية الباغية، وإلى الإغاثة بكل صورها الطبية والغذائية وغيرها من سائر الاحتياجات الضرورية.

وفي الوقت الذي يعلن فيه الأزهر الشريف ضرورة وقف هذه التصرفات العنصرية التي تشين أية دولة في عالم اليوم، فإنه يدعو المؤسسات الإسلامية الدعوية والخيرية والإغاثية الشعبية والرسمية إلى مد يد العون لإخوانهم المضطهدين في غفلة من ضمير العالم النائم

ولئن سكت المتحيزون الذين يدّعون الغيرة على حقوق الإنسان، ولا يعنيهم إلا الإنسان الغربي أو من يدور في فلك الغرب، فإننا نناشد الأمة المسلمة بكلمات سيد الرسل وخاتم النبيين - ﷺ - : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى" فهبوا أيها المسلمون لنصرة إخوانكم، طلبا لرحمة الله وهربا من عقابه الشديد.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

وفى استقباله لسفراء الهند وباكستان وبوروندى ولبنان وجنوب افريقيا:

الإمام الأكبر يؤكد حرص الأزهر على متابعة قضايا المسلمين



● استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - السيد آر سواميناثان، سفير الهند بالقاهرة. وقد تناول اللقاء أوجه العلاقات الثنائية بين مصر والهند. والتى تتصف بالقوة والمتانة؛ حيث بلغ حجم العلاقات التجارية بين البلدين أربعة مليارات دولار، توفر تلك الاستثمارات أكثر من ثلاثين ألف فرصة عمل للمصريين.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر حرص الأزهر على متابعة قضايا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها. وفى مقدمتها مشاكل الأقليات المسلمة مثلما يحدث من أشكال المعاناة والمآسى التى يواجهها مسلمو بورما، وأكد فضيلته أن التعاون بين الأزهر الشريف والهند الذى تمتد جذوره إلى ما يزيد عن ألف عام، يمثل نموذجا أمثل للتعاون المشترك بين البلدين، وخير دليل على ذلك تخصيص رواق فى رحاب الأزهر الشريف للطلاب الهنود سُمّى بـ"رواق الهنود".

وقال سيادة السفير إنه فخور بالأداء المتميز للأزهر الشريف فى الحياة الوطنية. والذى استطاع أن يعبر بالوطن إلى بر الأمان بحكمة إمامه الأكبر، وخير شاهد على ذلك تلك الوثائق التى أصبحت محل دراسة وتحليل معظم مراكز الدراسات والأبحاث فى مختلف دول العالم.



● وفى ذات السياق أكد فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - أن الأزهر الشريف سيواصل دعمه لمختلف المؤسسات الدينية بباكستان، وعلى رأسها الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان؛ وذلك لنشر الوسطية والاعتدال؛ حيث يوجد فى الجامعة الإسلامية أكثر من ثلاثين أستاذاً مصرياً من الأزهر، ويجرى العمل الآن على إعادة فتح المعهد الأزهرى الثانوى بباكستان، جاء ذلك خلال استقبال فضيلته لمعالى السفير منظور الحق، السفير الجديد لباكستان بالقاهرة. والذى قدم لفضيلة الإمام الأكبر شكر الشعب الباكستانى وتقديره للأزهر الشريف ولإمامه الأكبر، على ما قدموه من إسهامات كبيرة للشعب الباكستانى. وخصوصا فى توضيح سماحة الإسلام واعتداله من خلال مبعوثى الأزهر الذين توافدوا على باكستان منذ عقود ماضية وحتى الآن، فضلا عن فتح الأزهر لأبوابه للطلاب الباكستانيين للدراسة بمعاهد الأزهر وكلياته فى مصر، خصوصا وأن الشعب الباكستانى معروف بتدينه الشديد وغيرته على الإسلام. والذى أصبح سمة من سمات هذا الشعب العريق فى منطقة شرق آسيا.

وأكد سيادة السفير أننا نأمل فى تدعيم أواصر العلاقات بين مصر وباكستان بصفة عامة، وبين الأزهر الشريف والجامعة الإسلامية بصفة خاصة، خصوصا فى هذا المنعطف الهام الذى تمر به أمتنا الإسلامية، مما يجعلنا نلتجئ للأزهر لإظهار جمال الإسلام وعظمته، ووسطيته وسماحته.

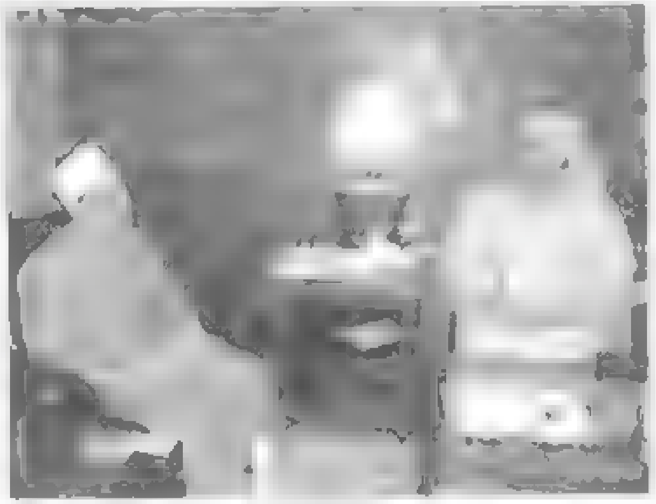


● واستقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد موسى سليمانى، سفير بوروندى بالقاهرة. وقد تناول اللقاء أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وبوروندى، وبخاصة فى مجال العلاقات الدينية والتعليمية وسبل تدعيم تلك العلاقات، والتى تعود جذورها لمئات السنين، والتى أثمرت تخريج العديد من القيادات البوروندية الدينية من جامعة الأزهر الشريف.

وأعرب السفير عن سروره بوجوده فى الأزهر الشريف قائلاً: إن وجودى فى رحاب الأزهر الشريف الذى يمثل عقل الإسلام، ليس للمصريين فقط، بل للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، والذى يهرعون إليه عند النوازل، والمرجعية الأولى لهم فى أمور دينهم.

وحول طلب السفير زيادة المنح للطلاب البورونديين الدارسين فى الأزهر الشريف استجاب فضيلة الإمام الأكبر لطلب زيادة تلك المنح، بما يتواءم مع حاجة الجالية الإسلامية فى بوروندى. علاوة على قبولهم بالكليات العملية وفى مقدمتها كلية طب الأزهر

وحول طلب سيادته دعوة علماء بوروندى لحضور المؤتمرات والندوات التى يعقدها الأزهر الشريف وجّه فضيلة الإمام الأكبر الدعوة إلى بعض العلماء المتميزين فى بوروندى لحضور اجتماعات الأزهر ؛ حتى يكونوا على بينة من القضايا والأمور الشرعية التى تهم مجتمعهم وأمتهم.



● استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - السفيرة نولوتاندو مابندى، سفيرة دولة جنوب إفريقيا بالقاهرة، وقد تناول اللقاء سبل تدعيم العلاقات الثنائية بين مصر وجنوب إفريقيا، وقد أعربت سيادتها عن رغبتها فى تدعيم العلاقات الاقتصادية والتجارية والصناعية، حيث يمثل التعاون بين البلدين أكبر تعاون بين أكبر قوتين فى الشمال والجنوب.

وقد أشارت السفيرة إلى أن المسلمين يمثلون نسبة ١ ٪ من مجموع السكان، ويشتغلون بمختلف المهن والحرف، ويعملون فى مجال التجارة والملاحة، ويتمركزون فى مدينة دربن ؛ كما دعم العلاقات بين جنوب إفريقيا ومعظم الدول العربية والإسلامية وفى مقدمتها مصر.

ورداً على طلب السفيرة حول تدعيم العلاقات بين مصر وجنوب إفريقيا قال فضيلة الإمام الأكبر : إننا نأمل فى توطيد أواصر العلاقات بين البلدين، ليس فقط فى المجالات الاقتصادية والتجارية والصناعية فحسب، ولكن أيضا فى مجال التعليم والثقافة ؛ لتعود بالثمرة الطيبة على الجانبين.

وأضاف فضيلته : إنه يوجد حوالى ٥٨ دارساً من جنوب إفريقيا فى المعاهد الأزهرية والجامعة ؛ حيث سيكون لتعليم هؤلاء الطلاب وسطية الإسلام واعتداله المردود الطيب على أمن واستقرار بلدهم عقب عودتهم إليها ليقودوا قافلة التوعية والتنمية.

وقد استفسر فضيلة الإمام الأكبر عن صحة المناضل الوطنى الكبير نيلسون مانديلا، محرر جنوب إفريقيا، الذى قاد بلاده إلى التحرر، بعد أن ناضل كثيرا من أجلها، وأدخل إلى غياهب السجون لمدة طويلة، وقال فضيلته : إن من حسن حظ إفريقيا أنها أنبتت هذا المناضل الذى كان رمزا للوطنية ؛ فالتف حوله الشعب، فنال الشعب ما شاء.



الإمام الأكبر: مستعدون لزيادة أعداد الدعاة المبعوثين إلى لبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - معالى السفير أشرف حمدى، المرشح للعمل كسفير لمصر فى لبنان، حيث تناول اللقاء سبل الارتقاء بمستوى العلاقات بين مصر ولبنان، وكيفية تدعيمها فى مختلف المجالات، والتواصل مع مختلف الطوائف اللبنانية، بما يحقق المصلحة العليا للبنانيين والأمة العربية، وأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر لتقديم مزيد من المنح الدراسية فى كليات الأزهر، وزيادة أعداد الدعاة المبعوثين إلى لبنان ؛ لنشر وسطية الإسلام واعتداله وسماحته، والذى يعكس مدى تعلق اللبنانيين بالأزهر الشريف ورسالته السامية.

الإمام الأكبر:
لا بد من تأهيل الطلاب المتفوقين لأداء رسالة الأزهر

أكد فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - على أهمية تأهيل الطلاب المتفوقين من كليات العلوم الإسلامية على المهارات اللازمة لأداء رسالتهم فى الخارج للقيام بدور الدعوة، بالإضافة إلى مهارات اللغة الإنجليزية، وطالب بضرورة حصولهم على الدرجات العلمية من الجامعات الكبرى فى العالم، وأكد فضيلته على استمرار دعم المجلس البريطانى فى تسيير مركز الأزهر لتعليم اللغة الإنجليزية، وأيضا فى دعم تعليم اللغة الإنجليزية بالمعاهد الأزهرية ؛ وذلك بإعداد مدرسى اللغة الإنجليزية ؛ ليصبحوا نواة أساسية لتدريب باقى زملائهم على مستوى كافة المعاهد الأزهرية.

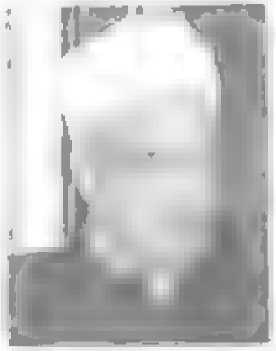


جاء ذلك خلال استقبال فضيلته للسيد مارك ستيفنز، مدير المجلس الثقافي البريطاني، والسيدة جانيت، المديرة التعليمية للمركز سابقا، والوفد المرافق لهما، حيث تم توقيع مذكرة تفاهم بين الأزهر والمجلس البريطاني، تهدف إلى استغلال خبرة المجلس البريطاني في تعلم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، علما بأن هذا المجلس يعمل منذ ست سنوات، ويعتبر هذا العمل نموذجًا للمشروعات الناجحة على مستوى العالم.

وأشاد الوفد بجهود الأزهر في متابعة المستجدات الحضارية التي تدعم دور الأزهر في الداخل والخارج، ويرحبون باستمرار التعاون المتبادل بين الأزهر الشريف والمجلس.

الإمام الأكبر:

اللغة العربية ضرورية لفهم القرآن الكريم



محمد عبدالفضيل القوصي

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، في كلمته التي ألقاها نيابة عنه فضيلة الشيخ عبدالتواب قطب، وكيل الأزهر، خلال الاحتفال بتخريج الدفعة الثانية من مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، أن اللغة العربية هي اللغة التي يتقرب بها العبد إلى الله من خلال التعبُّد بالقرآن الكريم وتلاوته، والذى لا يعرف اللغة العربية لن يعرف أو يعى معانى القرآن الكريم.

ووجه النصيحة للطلاب بضرورة الاستمرار في التحصيل العلمى للغة العربية، حتى يستقيم اللسان، ويستطيع الحفاظ على صلته بالله تعالى وبفهمهم للقرآن الكريم، مؤكدا للطلاب أنهم سفراء للأزهر في بلادهم، وعليهم تحمل ذلك الدور من تعليم اللغة العربية لإخوانهم في تلك البلاد، معبراً عن سعادته بما سمعه من أداء راقٍ للغة العربية ونطق الطلاب بها بصورة سليمة أمام الحضور.

من جانبه عبر الدكتور محمد عبدالفضيل القوصي، وزير الأوقاف السابق، عن سعادته بالدور الذى يقوم به مركز تعليم اللغة العربية للطلاب الوافدين، مؤكداً أن اللغة العربية على لسان هؤلاء الطلاب تشبه سلاسل الذهب، وتشعرك بالمتعة بسماع اللغة العربية من غير أبنائها.

مستشار شيخ الأزهر في فرنسا:

نعمل على توضيح صورة الإسلام في المحافل الدولية



أ.د. محمود عزب

عاد من باريس أ.د. محمود عزب، مستشار شيخ الأزهر للحوار، بعد مشاركته في مؤتمر حول موضوع "الحوار بين المسلمين والمسيحيين في العالم إلى أين؟".

ولقد ألقى فيه محاضرة أكد فيها أن الأزهر الشريف لا يضيع كثيراً من الوقت في النظريات، وإنما يدخل مباشرة إلى عالم الحوار، وقد حقق فيه تقدما كبيرا خلال العامين الماضيين على أرض الواقع، حيث بادر بتحقيق مشروع الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإنشاء "بيت العائلة المصرية" الذى يتكون من: الأزهر الشريف، والكنيسة القبطية الأرثوذكسية مع الكنائس الثلاث الكبرى في مصر، وأعضاء من غير الأزهر والكنيسة، مسلمين ومسيحيين، يعملون على إصلاح الخطاب الدينى، والتركيز على القيم العليا المشتركة في المجتمع، وإصلاح مناهج التعليم، والعودة إلى القيم المصرية الأصيلة التى تتفق مع الإسلام والمسيحية، والتي عرفت بها مصر، ثم حل مشاكل سوء التفاهم، التي كانت قد تراكمت قبل الثورة.

والأزهر يعمل بتنسيق دائم مع الكنيسة، ويتوافقان حول قضايا الوطن والدستور، وقد تجلى هذا التنسيق في اللقاءات المستمرة للمثقفين مع علماء الأزهر، مما أنتج الوثائق التى شهد لها العالم كله، ويعمل الأزهر الآن على المضى قدما في جمع كلمة الوطن والرقى بمصر إلى أفق يليق بها.

تأتى هذه المشاركة من الأزهر في مثل هذا المؤتمر في إطار حرص الأزهر على التواجد والمشاركة والإسهام، وتوضيح صورة الإسلام في المحافل الدولية.

فضيلة الإمام الأكبر:

لا تهاون في أي مظلمة في الأزهر

التقى فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - بأعضاء اللجنة العليا لديوان المظالم بالأزهر الشريف، بحضور المستشار القانونى لشيخ الأزهر لشئون ديوان المظالم، وقد استعرض فضيلته سير العمل بالديوان، وسبل تحقيق التعاون بين ديوان المظالم وكافة قطاعات وهيئات الأزهر الشريف. وترجع فكرة إنشاء الديوان بالأزهر الشريف والذى أنشئ في فبراير ٢٠١١؛ بهدف استقبال مظالم المنتمين والمتعاملين مع الأزهر الشريف بكافة هيئاته والتعامل معها؛ بغرض تحقيق العدالة الوظيفية بين العاملين به. ورد المظالم إلى

أصحابها، ويملك الديوان صلاحيات إصدار قرارات ملزمة لكافة مؤسسات وقطاعات الأزهر الشريف، ويتابع الإمام الأكبر تقارير شهرية عن عمل الديوان.

وقد شدد الإمام الأكبر خلال اللقاء على ضرورة إخطار أصحاب المظالم بما تم في شكاواهم خلال مدة أقصاها عشرة أيام من تاريخ تقديم الشكوى، كما شدّد فضيلته على عدم التهاون في أى مظلمة كانت أو ضد أى مسئول بالأزهر كائنا من كان.

الازهر ينفى منح رسالة دكتوراه تنكر أن الحجاب فريضة اسلامية

ينفى الأزهر الشريف ما تردد فى بعض وسائل الإعلام عن اعتماد كلية الشريعة فرع دمنهور بجامعة الأزهر لرسالة دكتوراه تؤكد عدم فرضية الحجاب فى الإسلام.

وكانت بعض المواقع قد نشرت مؤخراً خبراً يدعى أن رسالة دكتوراه قد تقدّم بها باحث يدعى مصطفى محمد راشد، وأن هذه الرسالة قد نفت فرضية الحجاب، وأن الكلية قد منحته تقدير امتياز؛ مما أثار جدلا بين الأوساط الإسلامية.

وجامعة الأزهر تنفى نفيا قاطعا أن يكون المذكور قد تقدم برسالة علمية عما يدعيه من موضوعات، وسيقاضيه الأزهر عما أحدثه من بلبلة فى أذهان بعض الناس.

والأزهر يؤكد دوما أنه المرجعية الأولى للإسلام والمسلمين، التى تحافظ على ثوابت الأمة الإسلامية، وأنه لم ولن يسمح بنشر الأفكار المنحرفة التى تتنكب عن طريق الحق والشرع.

ويهيب الأزهر الشريف بوسائل الإعلام تحرِّى الحق والصواب، والتثبُّت فى نقل الأخبار قبل نشرها وإذاعتها، وإذا للفتنة والبلبلة بين الناس

الامام الاكبر يثنى على الجهود الخيرية لمؤسسة خليفة بن زايد ال نهيان



استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - محمد حاجى الخورى، المدير العام لمؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية، الذى هنأ فضيلة الإمام بشهر رمضان المبارك، وأشاد بجهود الأزهر الشريف المبذولة فى خدمة الإسلام والمسلمين

ووجه فضيلة الإمام الأكبر الشكر للمؤسسة على ما تقوم به من مشاريع خيرية متنوعة على مستوى العالم العربى والإسلامى.

الامام الاكبر للمصريين بالخارج:

مصر لها حق عليكم بالمساهمة فى دفع عجلة الإنتاج



طالب فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - المصريين بالخارج أن يكونوا مساهمين بصورة فعالة فى عودة العمل ودفع عجلة الإنتاج إلى الأمام؛ لأنّ مصر لها حق عليهم، وبحاجة إليهم فى هذه المرحلة الحرجة.

وقال فضيلته خلال استقباله وفد الجاليات المصرية بالخارج برئاسة المهندس محمد رياض، رئيس اتحاد الجاليات المصرية، وبحضور رفعت حسن، وزير القوى العاملة: إنه يقدر النجاح الباهر للمصريين فى الخارج فى أوروبا وأمريكا وآسيا، واعتزازهم بمصريتهم دائماً، مشيراً إلى اهتمام الأزهر بأبناء مصر فى الخارج لأنهم يمثلون رصيداً هائلا على المستوى العلمى والأدبى

وأشار فضيلته إلى أن أبناء مصر فى الخارج يمثلون طوقا للنجاة لوطنهم، وعليهم أن يضعوا اللبنات التى تسهم فى تقدم الوطن وانتشاله من مشاكله المتعددة، مثل البطالة والأمية والصحة والاقتصاد، وعلى كل مصرى أن يعيش هموم بلده.

ومن جانبهم أكد أعضاء الوفد مساندتهم ودعمهم للأزهر الشريف كمرجعية للأمة الإسلامية، ومساندتهم لوثيقة الأزهر لدعم الحريات. مطالبين الأزهر بضرورة إنشاء مجموعة من المعاهد الأزهرية فى الخارج، متبرعين ببنائها، على أن يتولى الأزهر تزويدها بالمناهج والعلماء؛ لنشر الفكر الإسلامى الوسطى المعتدل؛ حماية لأولادهم من الأفكار المتشددة بالخارج

كما طالبوا فضيلة الإمام الأكبر بضرورة المشاركة فى المؤتمرات الدولية التى تعقدها الجاليات الإسلامية، لما للأزهر وشيخه الأكبر من مكانة مميزة فى وجدان جميع أبناء الأمة، والذين يتطلعون بشغف إلى الاستماع إلى حكمة ووسطية الأزهر، فى وقت تنفق فيه كثير من الدول مليارات من الدولارات لنشر فكرها وأيدلوجياتها.

ومن جانبه أبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر التام لتلبية طلبات المصريين بالخارج، مؤكدا حرصه على دعم ونشر الفكر الإسلامى الوسطى الذى يمثله الأزهر فى جميع أنحاء العالم؛ لحماية أبناء المسلمين من أى فكر قد يؤثر على مسيرتهم العلمية والفكرية والحضارية.

الأزهر يشيد بحملة خادم الحرمين الشريفين لدعم الشعب السورى



استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر - سفير المملكة العربية السعودية بالقاهرة، أحمد القطان، حيث تناول اللقاء دعم التعاون العلمى بين الأزهر الشريف والمؤسسات التعليمية بالمملكة خلال المرحلة المقبلة، كما تناول اللقاء مناقشة ما يحدث على الساحة العربية والإسلامية، خاصة فى القدس وسوريا وبورما، والإشادة بالحملة التى أطلقها خادم الحرمين الشريفين، لدعم الشعب السورى.

الأزهر ينعى الدكتور عبد المعطى بيومى



ينعى الأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد الطيب - شيخ الأزهر - إلى الأمة الإسلامية والعربية فضيلة الدكتور / عبد المعطى بيومى -عضو هيئة كبار العلماء ومجمع البحوث الإسلامية الذى وافته المنية.

وقد شغل الفقيد مناصب عديدة منها: عمادة كلية أصول الدين بالقاهرة، وصدرت له العديد من الأعمال العلمية وشارك فى العديد من المؤتمرات.

وفضيلة الإمام الأكبر وعلماء الأزهر وطلابه يحتسبون عند الله تعالى فقيد الأزهر داعين المولى سبحانه وتعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما قدمه من علم فى خدمة الأمة الإسلامية.

أنباء العالم الإسلامى



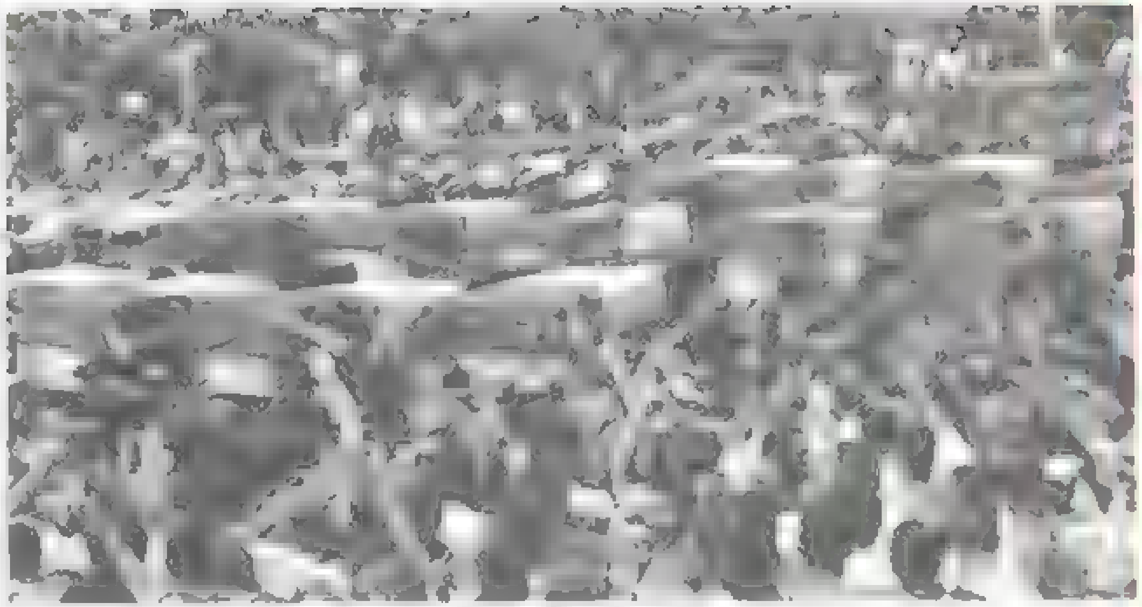
الأصابع الإسرائيلية خلف جريمة رفح!!

هاجمت مجموعة مسلحة نقطتين للجيش المصرى عبر الحدود المصرية - الإسرائيلية عقب أذان مغرب يوم ١٥ / ٨ / ٢٠١٢ أثناء تناول الجنود المصريين طعام الإفطار توفى على أثرها ما يقرب من خمسة عشر جندياً وضابطاً وقامت الجماعة المسلحة بسرقة مدرعتين حاولت مدرعة منهم اقتحام الحدود الإسرائيلية لكن تصدى لها الطيران الإسرائيلى وقام بتفجيرها، أما المدرعة الأخرى فتفجرت عند معبر كرم أبو سالم دون ان يعرف أحد سبب تفجيرها.

وقد اتهم الأستاذ / ضياء رشوان - مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية - إسرائيل بالوقوف وراء العملية الإرهابية، مشيراً إلى أن جميع العمليات الإرهابية التى استهدفت سيناء منذ عام ٢٠٠٣ كانت على خط الحدود بين مصر وإسرائيل، وأرجع رشوان اتهامه لإسرائيل لتصريحات الجانب الإسرائيلى بشأن عدم قدرة مصر على حماية الأمن القومى المصرى.

وأضاف: إنه مع تكرار هذا الحديث عن عدم قدرة الجانب المصرى على حماية سيناء من العمليات الإرهابية تصاعدت المطالب الإسرائيلية بقيام قوات دولية بينها قوات إسرائيلية بعمليات هجومية ضد الإرهابيين فى عمق سيناء.

وتابع مدير مركز الأهرام: نحن لا ننكر وجود جماعات متطرفة ولكن هناك الكثير من هذه الجماعات مخترقة من الجانب الإسرائيلى ويتم تحريكهم للقيام بهذه العمليات بواسطة عملاء من جانب الموساد وهم لا يدركون أنهم يقدمون الخدمات



مصر تودع شهداءها

لإسرائيل ويبيتون للقضية الفلسطينية. واختتم بالتنويه إلى أن جميع العمليات الإرهابية التي استهدفت سيناء تمت بدرجة من التخطيط المتقن، واستخدم فيها أنواع من المتفجرات المتطورة التي يصعب على جماعات العنف المسلح امتلاكها دون تدخل جهاز استخباراتي لتزويدهم بها.

الجدير بالذكر أن بنيامين أليعازر - عضو الكنيست الإسرائيلي - صرح بأن حادث رفح حول موقف الرأي العام المصري تجاه غزة إلى موقف عدائي. وهو مكسب استراتيجي لإسرائيل من منطلق فرق تسد.. فهل تنجح إسرائيل في مسعاها؟ وهل حقا تحول الرأي العام في مصر ليكون معاديا لغزة الواقعة تحت الحصار الإسرائيلي.

«هيومان رايتس» تدين إبادة المسلمين في ميانمار

أدانت منظمة «هيومان رايتس ووتش» المعنية بحقوق الإنسان في تقرير لها حملات الاعتقال الجماعية لمسلمي الروهينجا في ميانمار

وذكرت المنظمة في تقريرها أن قوات الأمن في ميانمار قتلت واغتصبت ونظمت حملة اعتقالات جماعية لمسلمي الروهينجا بعد أعمال شغب طائفية في يونيو الماضي في ولاية راخين شمال شرق البلاد، مشيرة إلى أن السلطات لم تقم بإجراءات تذكر للحيلولة دون وقوع الاضطرابات. وأفاد تقرير المنظمة والتي تتخذ من نيويورك مقراً لها أن قوات الأمن أطلقت النيران على بعض الروهينجا الذين كانوا يحاولون الفرار أو إخماد الحرائق التي أشعلت في منازلهم.. ودعت المنظمة إلى ضرورة وجود رد فعل دولي قوى حيال «الفظائع» التي ارتكبت خلال الاضطرابات الدموية الشهر الماضي.

الشورى يستنكر ويؤكد كذب تلك الادعاءات:

جلسة استماع بالكونجرس الامريكى حول اضطهاد الاقباط فى مصر

استنكرت لجنة حقوق الإنسان بمجلس الشورى جلسات الاستماع التي عقدها الكونجرس الأمريكي في ١٨ / ٧ / ٢٠١٢ بناء على طلب أقباط المهجر في أمريكا.

وقال النائب عز الدين الكومي - وكيل لجنة حقوق الإنسان في بيان: إن أقباط المهجر طالبوا الكونجرس بإجراء تحقيق دولي واسع حول أوضاع الأقباط في مصر مدعين تعرضهم للاضطهاد وانتهاك حقوقهم. واعتبر النائب عقد جلسات الاستماع بناء على هذا الطلب تدخلا سافرا في الشئون الداخلية لمصر. مؤكدا كذب إدعاءات أقباط المهجر ومخالفتها للواقع

وكانت لجنة الأمن والتعاون بالكونجرس الأمريكي، المعروفة بـ «لجنة هلسنكي» حول حقوق الإنسان قد عقدت جلسة استماع حول أوضاع المرأة القبطية في مصر بحضور عدد من الخبراء وسيدات مسيحيات زعمن تعرضهن للعنف قبل تمكنهن من مغادرة البلاد إلى الولايات المتحدة.

وتعد لجنة الأمن والتعاون في أوروبا وكالة مستقلة تأسست عام ١٩٧٦ وتساهم في صياغة سياسة الولايات المتحدة في منظمة الأمن والتعاون. ولعبت دورا مهما في متابعة أوضاع حقوق الإنسان قبل سقوط الاتحاد السوفيتي السابق

قال النائب كريستوفر سميث. رئيس اللجنة: إن العالم كله يراقب قدرة مصر على حماية حقوق الأقليات وحرية الاعتقاد. ومن جانبه قالت كاترينا لانتوس. رئيس مؤسسة توم لانتوس للحريات الدينية: إن الأوضاع الحالية في مصر تشهد استمرار الانتهاكات التي كانت تحدث في العهد السابق

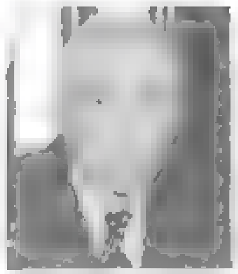
أشارت لانتوس إلى مقتل ١٠٠ شخص في عمليات عنف طائفي في العام الماضي، بينما لم يتم تقديم أحد للعدالة في تلك الجرائم وتسهم جلسات الصلح العرفي في المزيد من اختراق القانون. في الوقت نفسه. أشادت لانتوس ببعض الإيجابيات ومنها تصدى الأزهر الشريف لحماية حرية العقائد وإعادة فتح كنائس مغلقة. ودعت إلى قيام الحكومة المصرية بتقديم المتهمين في قضايا طائفية إلى العدالة ومعاقبة المروجين لخطابات الكراهية واقتطاع جزء من المعونة العسكرية لصالح الشرطة المصرية لتدريبها على التصدى لتلك النوعيات من الجرائم.

مصر تشارك فى التحضير للقمة الإسلامية بمكة المكرمة

تبدأ اجتماعات كبار المسئولين بجدة للتحضير للقمة الإسلامية الاستثنائية يومى ١٤ و١٥ أغسطس الجارى بمكة المكرمة.

وصرح السفير عمرو رمضان، نائب مساعد وزير الخارجية لشئون عدم الانحياز والتعاون الإسلامي المتخصصة الذى يرأس وفد مصر في اجتماعات كبار المسئولين. بأن خادم الحرمين الشريفين دعا إلى القمة عقب مطلع ٢٠١٣ لنظر تحديدا في تعزيز التضامن الإسلامي خاصة في هذا التوقيت الذى تمر به المنطقة العربية بتحديات جسام تتطلب التفاعل معها من كل دول المنطقة والدول الإسلامية.

أضاف رمضان: أن انعقاد القمة فى مكة المكرمة يضع قيداً على مشاركة الرؤساء غير المسلمين لبعض الدول الأعضاء بمنظمة التعاون الإسلامى، إلا أنه يتوقع أن يكون الحضور عاليا فى القمة بالنظر إلى أنها أول قمة بعد قمة السنغال ٢٠٠٨ وانعقادها بمكة فى تاريخ متزامن مع يومى ٢٦ و٢٧ من شهر رمضان. وقال: إن محمد عمرو وزير الخارجية سيرأس وفد مصر فى الاجتماع الوزارى للإعداد للقمة



محمد عمرو

أضاف: أن هناك تنسيقاً بين مصر والسعودية حول القمة، كما تناقش اللجنة التنفيذية للمنظمة محنة مسلمى ميانمار والممارسات العنصرية ضدهم.

الصين تقيد نشاط المسلمين فى رمضان

أصدرت السلطات الصينية توجيهات لقادة الحزب الشيوعى فى مقاطعة شينجيانغ شمال غربى البلاد تأمرهم فيها بتقييد النشاطات الدينية للمسلمين فى الإقليم خلال شهر رمضان، ومن ضمنها الصيام وارتياد المساجد للصلاة

وذكر بيان أصداره مجلس بلدية رونجلانج فى الإقليم أن لجنة المقاطعة أصدرت توجيهات شاملة بشأن ما سمته الحفاظ على الاستقرار الاجتماعى خلال شهر رمضان، ولفت البيان إلى أنه يحظر على كوادر الحزب الشيوعى والموظفين- بمن فيهم المتقاعدون والطلاب- المشاركة فى النشاطات الدينية فى شهر رمضان.

ودعا البيان قادة الحزب الشيوعى إلى إحضار هدايا من الطعام لزعماء القرى المحلية للتأكد من أنهم مفطرون خلال شهر رمضان. وقد دفعت هذه القرارات مجموعة مؤتمر الإيغور العالمى فى المنفى للتحذير من العنف فى الإقليم.

من جهة أخرى أصدرت محاكم فى إقليم شينجيانغ المضطرب غرب الصين أحكاما بالسجن بحق ٢٠ شخصا بتهم تتعلق بالترويج عبر الانترنت للإرهاب والأنشطة الانفصالية.

ذكرت تقريرات إعلامية محلية أن ثلاثة محاكم أصدرت الأحكام بحق ٢٠ شخصا مثلوا أمامها فى خمس مجموعات، بالسجن لفترات تتراوح بين ١٨ شهرا و١٥ عاما الشهر الماضى بعدما خلصت إلى إدانتهم بتنظيم أنشطة إرهابية وانفصالية عبر الإنترنت وأجهزة المحمول.

القضاء السعودى ينظر لاول مرة قضية تنصير احدى المواطنات

تنظر محكمة محافظة الخبر شرق السعودية، فى شهر شوال الجارى قضية تنصير فتاة سعودية على أيدى شخصين أحدهما مواطن سعودى والآخر مقيم من الجنسية اللبنانية وتعتبر القضية هى الأولى من نوعها بالمملكة العربية السعودية

وصرح مصدر قضائى لصحيفة «الرياض» السعودية بأن المدعى العام السعودى رفع أوراق القضية إلى محكمة الخبر بعد أن تقدم والد ووالدة الفتاة بدعوى قضائية ضد المواطن السعودى والمقيم اللبنانى بتهمة قيامهما بتنصير ابنتهما البالغة من العمر ٢٨ سنة، واعتناقها ديانة المسيحية وتهريبها من السعودية إلى لبنان وإقامتها بكنيسة هناك، فى الوقت الذى لم يستطع والد الفتاة ووالدتها إقناعها للعودة للوطن، حيث تقيم حاليا فى كنيسة لبنانية وتدرس فى مدارس تابعة للكنيسة.

وقال المصدر: إن الفتاة كانت تعمل بإحدى الشركات بمحافظة الخبر، والتى يعمل بها المواطن السعودى والمقيم اللبنانى من خلال العمل تعرفت عليهما، وقد استطاع أن يقنعاها بالتخلى عن ديانتها المسلمة واعتناق الديانة المسيحية ومن ثم تهريبها للبحرين ثم لبنان.. وأكد المصدر القضائى أن هناك مجالا للفتاة أن تستتاب وترجع عن ما هى فيه بعد عودتها للوطن. والجلوس معها وبيان العقيدة الصحيحة والحق والباطل. وطالب فى الوقت نفسه أن تضطلع الجهات المعنية بدورها فى حفظ شبابنا وتأصيل العقيدة الشرعية الإسلامية. معربا عن تخوفه أن يكون ذلك مخططا لاستهداف شباب وشابات الوطن.

اجتماع دولى لحماية التراث الثقافى فى مالى

قررت كل من الإيسيسكو واليونسكو عقد اجتماع تنسيقى بالتشاور مع السلطات المختصة بدولة مالى، للاتفاق على الخطوات الخاصة بالحفاظ على التراث الثقافى المهدد بالانقراض فى مالى، وخاصة ما يرتبط بالمخطوطات النفيسة الموجودة فى معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية فى تمبكتو.

يأتى الاجتماع فى إطار التعاون بين الإيسيسكو واليونسكو، وسعيا لتعزيز آليات التشاور والتنسيق القائم بين المنظمتين. أطلعت السيدة بوكوف إيرينا المديرة العامة لليونسكو، المدير العام للإيسيسكو على نتائج عمل الفريق الذى أرسلته اليونسكو لتقصى الحقائق حول واقع التراث الثقافى فى جمهورية مالى، وخاصة فى مدينة تمبكتو، بناء على اقتراح من الإيسيسكو.

يذكر أن رئيس الحكومة الحالية فى جمهورية مالى الشيخ موديبوديارا هو سفير الإيسيسكو للنوايا الحسنة للحوار بين الحضارات والثقافات.

سفير سوريا ببغداد ينشق عن الأسد، ويصفه بالديكتاتور

فيما يعد ثانى أبرز انشقاق عن نظام بشار الأسد بعد هروب نجل وزير الدفاع السابق مصطفى طلاس، أحد أبرز سدنة النظام السورى إلى باريس أخيرا، أعلن نواف الفارس سفير دمشق لدى بغداد انشقاقه عن الأسد واصفا إياه بالديكتاتور، وداعيا عناصر الجيش النظامى والشباب السورى إلى الالتحاق بصفوف الثوار، وعدم السماح للنظام الحالى بزرع الفتنة. فى حين أعلنت الخارجية السورية فى بيان لها إعفاء نواف من مهام منصبه

وفى تطور ميدانى مفاجئ ومهم، ذكر ناشطون أن قوات الأمن السورى أطلقت عددا من قذائف الهاون صوب حى يقع عند مشارف دمشق فى أول سابقة تتعرض لها منطقة بالعاصمة للقصف منذ اندلاع الثورة.

First: Via Muwaffaq Al-Rabi`y – the Consultant of National Security in the ruling council.

Second: Via Ayatullah Hussein Ismail Al-Sadr, who is close to Al-Sistany.

Third: Via Emad Dia'a Al-Khurasany, who holds American nationality and has Iraqi origin and is Shiite. He was responsible of the committee of the U.S. reconstruction of Iraq. He told Bremer in the wake of one of his visits to Al-Sistany:

"Ayatullah Al-`Uzhma likes and admires you, and prepares for a chance to work with you for the sake of the Iraqi future."

d- Bremer said in his notes on pages 42, 43, 44, and 48 about his correspondences with Al-Sistany: "Whereas the Arab and foreign media talked about the cut relations between me and Al-Sistany, I was in constant contact with him to discuss the vital issues via mediators.

Hiyum Horan, the ambassador and expert in culture and Arabic language, was right in his analysis. He sent to Al-Sistany one day saying: "His non meeting with us does not result from enmity to alliance. He thinks by this stance that he may become more useful for achieving our mutual objectives and that he may lose some of his credibility with his advocators if he cooperated publicly with alliance responsible, as the secularists among the Shiites and Sunni or Shiite religious people have a low stance.

I exchanged correspondences regularly with Al-Sistany concerning the security situation in Al-Najaf especially in August in 2003, as Moqtada Al-Sadr became a source of threat.

والجامعة العربية تدعو الأسد للتنحى

كما وجه مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزارى فى دورته غير العادية المستأنفة نداء إلى الرئيس السورى بشار الأسد للتنحى عن السلطة على أن تساعده الجامعة العربية على توفير الخروج الآمن له ولعائلته حقنًا لدماء السوريين وحفاظًا على مقومات الدولة السورية وعلى وحدة سوريا وسلامتها الوطنية ونسيجها الاجتماعي ولضمان الانتقال السلمي للسلطة مؤكدا فى الوقت ذاته على حق الشعب السورى فى الدفاع عن نفسه.

إطلاق قناة فضائية لمسلمى روسيا

أعلن النائب الأول لرئيس الإدارة الدينية لمسلمى روسيا الأوروبية دامير مقتلبتوف أنه سيتم قريبًا إطلاق أول قناة تليفزيونية فضائية مخصصة لبث برامج تعنى بقضايا المسلمين خاصة الدينية والاجتماعية فى روسيا. وأوضح مقتدينوف فى تصريح لوكالة انباء «نوفوستي» الروسية بأن القناة التى سيطلق عليها اسم «ال - آر - تى - فى» ستمول ذاتيا عن طريق تبرعات مؤسسيها ومن شخصيات ورجال أعمال إلى جانب دعم حكومى محتمل

وأشار إلى أن القناة ستبث برامجها ضمن باقة تضم عدة قنوات فضائية يتم بثها عن طريق «تريكلور» أفضل شركات تشغيل القنوات الفضائية فى روسيا.

محافظ القدس: الأقصى وقف ربانى للمسلمين لا يغيره تصريحات مسئول اسرائيلى



عدنان الحسيني

رفض وزير شئون القدس ومحافظ المدينة المقدسة عدنان الحسيني تصريحات المستشار القضائى للحكومة الإسرائيلية التى ادعى فيها أن المسجد الأقصى جزء لا يتجزأ من إسرائيل.

وقال الحسيني: الأقصى وقف إسلامي بقرار رباني وليس بقرار محلى أو من صنع البشر، وهذا الأمر لا يمكن أن تغيره تصريحات المستشار القضائى للحكومة الإسرائيلية أو أى شخص سواه.

ووصف الحسيني المزاعم الإسرائيلية بأنها تنم عن فقدان الحكمة وعدم التقدير لحساسية الموقع وأهميته للمسلمين

وقال الحسيني: إن المسجد الأقصى ملك للمسلمين وحدهم وسنبقى فيه مهما فعلوا.. مشددًا على أن ما صدر هو تعبير عن موقف أحادى لا نقبل به كفلسطينيين ولا يقبله المسلمون ولا المجتمع الدولى. وأكد الحسيني أن التصريحات الإسرائيلية تأتى فى سياق محاولة تهويد القدس والمسجد الأقصى، وقال «تتواصل الاقتحامات اليومية من قبل المتطرفين اليهود للمسجد المبارك بحماية الشرطة، كما تمضى عمليات الهدم والمصادرة والطرد، وكلها أعمال تتحمل مسئوليتها الحكومة الإسرائيلية التى تشجع وترعى هذه الممارسات.. ولكن مهما حاول الاحتلال فإنه لن يتمكن من إيجاد موطىء قدم له فى المسجد الأقصى أو تنفيذ مخططاته التهويدية.

3- When the stance of the Sadrists, who express the Arab Shiites, differed from that of the Safavid Shiites, who cooperated with the invasion and occupation, the Shiite groups and the ruling council, held by Bremer in agreement with the Shiites against the Sadrists. Bremer said in his notes on page 40:

"I received warning from the ruling council that the Sadrists prepare themselves to issue a Fatwa during Friday Prayer calling them to strive against the alliance forces and their advocators try to stir chaos in Kirkuk. Then, Bremer turned to speak about the stance of Al-Sistancy towards the Sadrists after the uprising of Al-Sadr in karbalaa and his resolution to form government in the 10th of October in 2003. He said on pages 245, 250, 253, and 254:

"Ayatullah fear the threat formed by Muqtady As-Sadr, and the preferable option of Al-Sistany is that Muqtady should not survive. I supposed that he wanted to kill this youth.

We knew that Al-Sistany sent an armed force to Karbala to face the forces of Muqtada. I add that some of the fighters belonging to Al-Sistany are members of the militias of the Supreme Council of Islamic Revolution in Iraq – Badr Corps. I asked Ayatullah Al-Sistany through mediators about his opinion concerning holding direct conversations with Muqtada. Then, he answered clearly saying: We do not know a reason for negotiating with Muqtada and any benefit for this...

The matter ended with leaving Muqtada As-Sadr and his trend to the forces of the occupation and Badr militias, and then Muqtada and his advocators were attacked while Al-Sistany was receiving treatment in London.

4- To prove the stance of Al-Sistany towards the occupation and his cooperation with Bremer to attain the mutual objectives, we read in Bremer's notes:

a- On page 279, there is telephone call from the U.S. Secretary of State Colin Powell to Bremer, in which he said:

"You should take the blessed approval of Al-Sistancy. Send someone to Najaf or go to him in person in case of necessity. I cannot ask my government to approve of any action without guaranteeing that Al-Sistany agrees to it. This means that Al-Sistany's blessed approval of the occupation and destruction of Iraq was confirmed by the Americans.

b- To achieve cooperation between Al-Sistany and the occupation authorities without violating the awe of the Shiites in front of general people – especially the Sadrists – there was an agreement, about which Bremer wrote on page 42: Al-Sistany informed us via his private channels that he will not meet any of the alliances. Thus, I did not call to hold personal meeting with him.

c- Mr. Hiyun horna, The American Ambassador who understands Arabic well, said: "Al-Sistany will not appear in public to be cooperative with the occupation. Also, he wants to protect his group from the people such as Muqtada As-Sadr. However, he will cooperate with us and we both have mutual interests.

D- Bremer used three main channels for frequent communications with Ayatullah Al-Sistany:

في العدد القادم

AL AZHAR MAGAZINE

facebook.com/AlAzharMag

المفهوم الإسلامي للحرية (عوامل الازدهار وأسباب الانكسار)

أ.د. محمد عمارة

تفسير القران للإمام محمد عبده

أقسام السنة عند العلامة الشيخ عبد الجليل عيسى

تحويل المرجعية التشريعية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين

المستشار طارق البشري

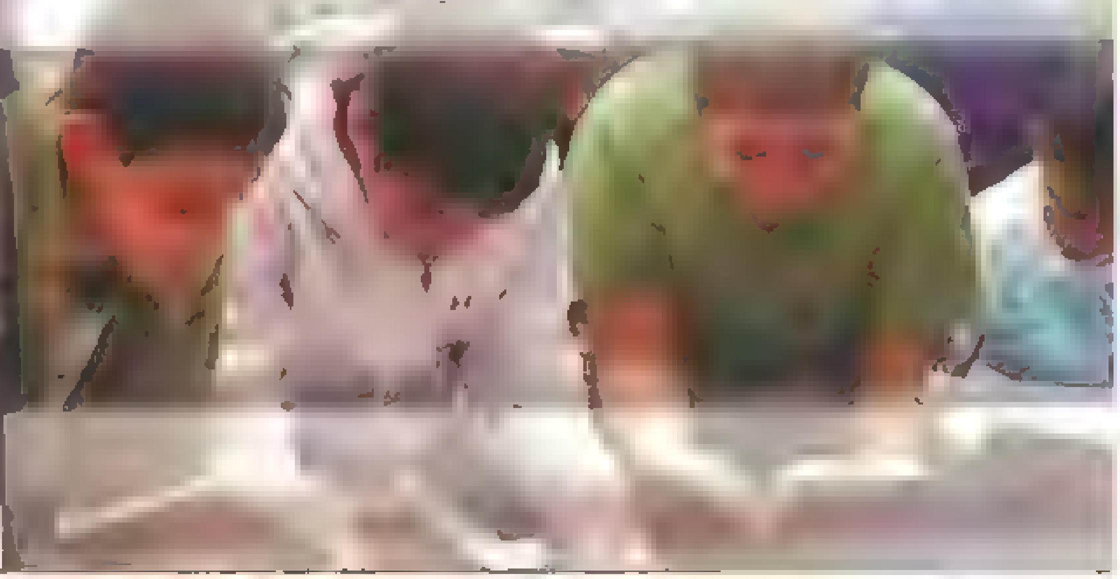
من فتاوى الحاخامات

هدية عدد ذي القعدة

في فقه مقاومة الاستبداد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الجزء الثاني والأخير)

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي دراسة وتقديم د. محمد عماره



السعر جنيهان

الأزهر

المفهوم الإسلامي للحرية
عوامل الازدهار وأسباب التكميم
أ.د. محمد عمارة

تفسير القرآن
الإمام محمد عبده

إشكاليات السنة النبوية
عند فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

تحويل المرجعية التشريعية في مصر
في القرنين التاسع عشر والعشرين
المستشار طارق البشري

من فتاوى الخالدات

داخل العدد

الأغلفة من تصميم الأستاذ أحمد القطب

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م
وحمل اسم «نور الإسلام»
برئاسة تحرير فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

رئيس التحرير
أ.د. محمد عمارة

مدير عام التحرير
عادل رفاعي خفاجة

مدير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

سكرتير التحرير
محمود الغشي

[illegible]
داخل مصر ٢٤ جنيه مصري
الدول العربية ٥٠ دولار أمريكيا
أوربا وأمريكا ٦٠ دولار أمريكيا
اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولار أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم مدير التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩
editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

جامع قرطبة الذي حوله أعداؤه ومحولوه ليصبح كاتدرائية قرطبة .. إنه من آيات الفن الإسلامي



المفهوم الإسلامى للحرية.. عوامل الازدهـــــار.. وأسباب الانكسار

الحرية: ضد العبودية.. والحر: ضد العبد والرقيق.. وتحرير الرقبة: عتقها من الرق والعبودية.

فالحرية: هى الإباحة التى تمكن الإنسان من الفعل المعبر عن إرادته، فى أى ميدان من ميادين الفعل، وبأى لون من ألوان التعبير.

وفى المصطلح القرآنى، الذى يقابل بين الحر والعبد:

﴿... الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾

(البقرة: ١٧٨)

ومن المأثورات الإسلامية كلمات الراشد الثانى عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ- ٢٣ هـ- ٥٨٤- ٦٤٤م) التى يقول فيها: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!».

ولقد كان مبحث الحرية والاختيار أول المباحث التى بدأت بها الفلسفة الإسلامية فى تاريخنا الحضارى، بعد ظهور الإسلام- حول منتصف القرن الهجرى الأول-.. ولقد دلت ملابسات هذه النشأة على ارتباط «الحرية» «بالمسئولية» فى النظرة الإسلامية؛ لأن القضية التى أثارت الجدل فولدت البحث فى هذه القضية، هى التغييرات التى أحدثتها الدولة الأموية فى نظام الحكم الإسلامى، والتى انتقلت به من الشورى والخلافة الكاملة إلى الخلافة الناقصة والملك العضود، ومن الصراعات الفكرية والسياسية التى حدثت بين المسلمين حول هذه التغييرات.. وهل القائمون بها مسئولون عنها، يحاسبون عليها، فهم أحرار مختارون؟.. أم أنهم غير مسئولين، كليا أو جزئيا، أو لا حساب عليهم؛ لأنهم مسيرون مجبرون؟.

وإذ كان «التكليف»- وهو عنوان المسئولية فى القانون والفقه الإسلامى - فرعا عن «الحرية».. فلقد تجاوزت الحرية - فى النظرة الإسلامية- نطاق الفرد- الحرية الفردية- إلى النطاق الاجتماعى - الحرية الاجتماعية- للأمم والجماعات.. ففى التكليف الإسلامى



لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عمارة

«فروض عينية» على «الفرد» تستلزم حرية هذا الفرد المكلف، وفيها كذلك «فروض كفائية»- أى اجتماعية- تجب على الأمة والجماعة.. وتستلزم حرية اجتماعية للأمة والجماعة.. الأمر الذى يقطع بتجاوز نطاق الحرية- فى النظرة الإسلامية منذ البدء- نطاق الفرد إلى الجماعة والاجتماع.. على عكس ما يظن الذين حسبوا مبحث الحرية- والاختيار فرديا دينيا، لم يتجاوز هذا الإطار.. [illegible] التكاليف الفردية [illegible] على الفرد. وهى فروض العين- تستلزم حرية المكلف بها، فإن التكاليف الاجتماعية- الواجبة على الأمة، وهى فروض الكفاية تستلزم حرية الأمة المكلفة بها.. بل إن هذه التكاليف الاجتماعية- فى النظرة الإسلامية- هى أشد توكيدا من الفروض العينية الفردية؛ بدليل أن التخلف عن «فرض العين» إنما يقع إثمه على الفرد، بينما التخلف عن فرض الكفاية الاجتماعى يلحق إثمه بالأمة جمعاء.. الأمر الذى يوحى أن حرية الأمة هى الأساس فى حرية الفردية لآحاد هذه الأمة.

ونظرة الإسلام إلى الحرية، ومن ثم مقامها ومكانتها فيه، نظرة متميزة، خاصة إذا كانت مقارنة مستحضرة نظرة الحضارة الغربية وبعض الحضارات الشرقية القديمة إلى هذا الموضوع.

فالحرية، فى النظرة الإسلامية، ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية وتكليف شرعى واجب.. وليست مجرد «حق» من الحقوق، يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه إن هو أراد..

ومقام «الحرية» يبلغ، فى الأهمية وسلم الأولويات، مقام «الحياة»، التى هى نقطة البدء والمنتهى، وجماع علاقة الإنسان بوجوده الدنيوى.. لقد اعتبر الإسلام «الرق» بمثابة

«الموت»، واعتبر «الحرية» إحياء «وحياة».. فعتق الرقبة، أى تحرير العبد، هو إخراج له من الموت الحكمى إلى حكم الحياة.. وهذا هو الذى جعل عتق الرقبة - إحياءها - كفارة للقتل الخطأ الذى أخرج به القتيل نفسا من إطار الأحياء إلى عداد الموتى. فكان عليه، كفارة عن ذلك، أن يعيد الحياة إلى الرقيق بالعتق والتحرير:

﴿ ... فتحرير رقبة مؤمنة ﴾

(النساء:٩٢)

وبعبارة واحد من مفسرى القرآن الكريم- الإمام النسفى (٧١٠هـ / ١٣١٠م)-: «فإنه -(أى القاتل)- لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرق أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكما»[1] وفى الآية (١٢٢) من سورة الأنعام:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾

فالإسلام عندما يهدى إنما يحرر الإنسان من عبودية الطواغيت، وعندما يحرر فإنه يحقق للإنسان ضرورة الحرية المحققة لمعنى «الحياة» وحقيقة الحياة.. ومن هنا كانت شهادة أن لا إله إلا الله عنوان الحرية التى تحرر كل ملكات الإنسان وطاقاته من العبودية لكل الطواغيت، فإفراد الذات الإلهية بالعبودية هو قمة التحرير لعباد الله!.

وكلمات الإمام النسفى التى تقول: «إن الرق أثر من آثار الكفر»، تلفت النظر إلى الموقف العملى الذى اتخذه الإسلام، إبان ظهوره، من نظام الرق وواقع الاسترقاق.

لقد ظهر الإسلام ونظام الرق - إن فى شبه الجزيرة العربية أو فيما وراءها - نظام عام وراسخ وبالغ القسوة ويمثل ركيزة من ركائز النظامين الاقتصادى والاجتماعى لعالم ذلك التاريخ وفى كل الحضارات.. وإذا نظرنا إلى المحيط الذى ظهر فيه الإسلام وجدنا الروافد والمنابع المتعددة دائمة الإمداد لنهر الرقيق الزاخر بالجديد من الأرقاء، فالحروب العدوانية والغارات الدائمة والفقر المدقع والعجز عن سداد الدين.. والحرابة وقطع الطريق.. وأسواق النخاسة التى تمج بالصغار المجلوبين - فتيانا وفتيات - والتى تمثل مصدرا من مصادر الاستثمار فى الرقيق - كانت من المعالم الأساسية لكل المجتمعات، حتى لا نغالى إذا قلنا: إن الرقيق كان العملة الدولية لاقتصاد ذلك التاريخ!.. ولقد بلغ من قسوتها وشيوعها ما صنعته القيصرية، الرومانية والكسروية الفارسية - القوى العظمى يومئذ - من تحويل كل شعوب المستعمرات إلى رقيق وبرابرة وأقنان!..

فلما جاء الإسلام، وقامت دولته بالمدينة المنورة، حرم وألغى كل المنابع والروافد التى تمد

[1] النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) جـ١ ص١٨٩. طبعة القاهرة ١٣٤٤هـ

«نهر الرقيق» بالجديد.. ووسع المصبات التى تجفف هذا النهر، وذلك عندما حبب إلى الناس عتق الأرقاء بل وجعله مصرفا من مصارف الأموال الإسلامية العامة، وصدقات المسلمين وزكواتهم.. وعندما جعل العديد من الكفارات هى تحرير الرقبة.. وعندما سن شرائع المساواة بين الرقيق ومالكه وسيده فى المطعم والمشرب والملبس.. ودعا إلى حسن معاملته والتخفيف عنه فى الأعمال.. حتى لقد أصبح الاسترقاق- فى ظل هذه التشريعات - عبئا اقتصاديا يزهد فيه الراغبون فى الثراء!.

فلم يكن موقف الإسلام من «الحرية» وعداؤه «للعبودية» مجرد موقف «فكرى» «نظرى»، وإنما تجسد على أرض الواقع تجربة «إصلاحية - ثورية» شاملة غيرت المجتمع الذى ظهر فيه تغييرا جذريا - وذلك هو الذى يحسب للإسلام، ولا تحسب عليه «الردة» التى حدثت عندما استشرى الاسترقاق فى فترات لاحقة من التاريخ!.

لقد وقف التشريع الإسلامى من الاسترقاق عند أسرى الحرب المشروعة، ليبادلهم مع أسرى المسلمين.. بل وشرع لهذه الحالات المحدودة المن والفداء:

﴿ [illegible] ﴾

(محمد: ٤)[2]

وإذا كان هذا هو مقام الحرية فى النظرة الإسلامية، فإن هذه النظرة قد ربطت قيمة الحرية بالإنسان مطلق الإنسان، وليس بالإنسان المسلم وحده، وإذا كان الدين والتدين هو أعلى وأول ما يميز الإنسان، فإن تقرير الإسلام حرية الضمير فى الاعتقاد الدينى لشاهد على تقديس حرية الإنسان فى كل الميادين.. فهو حر حتى فى أن يكفر، إذا كان الكفر هو خياره واختياره:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

﴿ [illegible] ﴾

(هود: ٢٨)

﴿ [illegible] ﴾

(يونس: ٩٩)

[2] انظر فى تفاصيل هذا البحث كتابنا (إزالة الشبهات عن معانى المصطلحات) الرق ص٤٧٤- ٤٧٩ طبعة القاهرة - دار السلام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

لقد أراد الناس الهدى والإيمان، لكنه - سبحانه - جعل لهم، مع هذه الإرادة الإلهية حرية التخيير والتمكين. فكان انتصار الإسلام للحرية الإنسانية في كل ميادين [illegible]. كانت شهادة التوحيد - «أن لا إله إلا الله» - هي جوهر التدين بالإسلام، فإنها، في مفهومه، ثورة تحرير للإنسان من العبودية لكل الطواغيت، ومن جميع الأغيار، فإفراد الله بالألوهية والعبودية هو جوهر تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، إنها العبودية للذات المنزهة عن المادة.. ومن ثم فإنها هي المحققة لتحرير الإنسان من كل ألوان الطواغيت المادية التي تستلب منه الإرادة والحرية والاختيار.

[illegible] الإسلام عندما يدعو الإنسان إلى الاقتصاد في الأشياء والممتلكات [illegible] لتشهديه [illegible] والوقوف بها عند حدود «الاستخلاف» و«الانتفاع» لا «ملكية الرقبة» و«الاحتكار».. إن الإسلام بصنيعه هذا إنما ينجز إنجازا عظيما على درب تحرير الإنسان.. وانعتاقه من العبودية للأشياء، التي يحسبها مملوكة له، على حين أنه لها مملوك!

لكن للإنسان مدهما متميزا في «نطاق» الحرية الإنسانية و«آفاقها» و«حدودها».. فالإنسان خليفة لله - سبحانه - في عمارة الوجود، ومن ثم فإن حريته هي حرية الخليفة، وليست حرية سيد هذا الوجود..

[illegible] في هذا الوجود، وليس سيده [illegible] الوجود. وبعبارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) [illegible] فالإنسان عبد لله وحده، وسيد لكل شيء بعده..

ثم إنه حر، في إطار الملابسات والعوامل الموضوعية الخارجية التي ليست من صنعه، والتي قد يستعصي عليه تعديل بعضها أو تحويرها وتغييرها.. وهو حر في إطار أشواقه ورغباته وميوله، التي قد لا تكون دائما وأبدا ثمرات حرة وخالصة لحريته وإرادته الخالصة، وإنما قد تكون - أحيانا - ثمرات لم يصنعه، ولموروث ما كان له إلا أن يتلقاه.

ثم إنه «الخليفة والوكيل الحر» في إطار ونطاق ثوابت ومقاصد الشريعة، التي هي عقد وعهد الاستخلاف والتوكيل.. فحرية الإنسان الخليفة ليست الحرية الليبرالية الغربية، التي [illegible] الإنسان هو سيد الكون، وأن حريته [illegible] لا تخضع لأية قيود.

وعندما وفد هذا المفهوم الليبرالي الغربي في الحرية إلى بلادنا في القرن التاسع عشر [illegible] على الإباحة وعدم التعرض لأحد في أموره الخاصة، انتقده علماء الإسلام انتقادا شديدا [illegible] وكتب الأستاذ عبد الله نديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م) فقال:

«.. ولئن قيل: إن الحرية تقضي بعدم تعرض أحد لأحد في أموره الخاصة، قلنا: إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود.. وهذا الذي تسمع به ونراه رجوع إلى البهيمية وخروج عن حد الإنسانية. ولئن كان ذلك سائغا في أوربا، فإن لكل أمة عادات وروابط دينية أو مدنية. وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا تقر عندهم دينية ولا عاداتهم. والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يجني أو يغري بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال الخطرة عندها»[١].

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد سخر للإنسان ظواهر الطبيعة وقواها؛ ليتحرر من العبودية لها، فإنه قد أقام وأراد إخاء بين قوى الإنسان وقوى الطبيعة - الخليقة - لتمتزج حريته بهذا التسخير المتبادل، فهو أخ لطبيعة بين قواه وقواها تسخير متبادل، هو أشبه ما يكون بالارتفاق، كل مرفق مسخر للمرفق الآخر، الأمر الذي يجعل الحرية الإنسانية حرية المخلوق المسئول لا حرية الذي لا يسأل عما يفعل.. الفعال لما يريد.

هكذا جاء الإسلام لـ

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾
(الأعراف ١٥٧)

أي ليحطم القيود والأغلال التي كانت تحول بين الإنسان - مطلق الإنسان - وبين تحقيق أشواقه في الحرية والانعتاق.

ولقد بدأ الإسلام فوضع قيمة الحرية في الممارسة والتطبيق عندما حرر الإنسان من أغلال الجاهلية وظلمها وظلماتها وذلك بإعادة صياغة هذا الإنسان الصياغة الإسلامية التي حررت ملكاته وطاقاته حتى لقد أصبح «العالم الأكبر» رغم أنه - ماديا - «جرم صغير» وتمت تربية «الجيل القرآني الفريد» الذي صنعه الرسول ﷺ على عينه في «دار الأرقم بن أبي الأرقم» التي كانت أولى مؤسسات الصناعة الثقيلة التي أقامها الإسلام لإعادة صياغة هذا الإنسان.. أي أن منهاج الإسلام في الحرية والتحرير قد وضع التربية قبل «السياسة»، و«الأمة» قبل «الدولة»؛ لأن «الأصول» لابد أن تسبق «الفروع».

ولقد عبر الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب (٨هـ - ٦٢٩م) عن حقيقة هذا التحرير الذي صنعته التربية الإسلامية للإنسان، وكيف أخرجته هذه التربية من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، متفجرة فيه الملكات والطاقات الدفينة، فقال للنجاشي - ملك الحبشة - عن سبب اضطهاد الوثنية القرشية - للمسلمين، وسبب هجرتهم من مكة إلى الحبشة - (سنة خمس من البعثة) فقال للنجاشي «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به

---

(١) [illegible]

شيئا، ومربا بالصلاة والزكاة والصيام».

وعندما تمت التربية الإسلامية، التي حررت هذا الجيل القرآني الفريد، جاءت «الدولة» ومؤسساتها - وجاءت «السياسة» وقوانينها، وجاءت «الفتوحات» التي حررت الشرق من قهر الفرس والرومان - القهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي الذي دام عشرة قرون - وذلك عندما فتح هذا الجيل القرآني الفريد في ثمانين عاما - أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون.. وشتان بين فتح وفتح.. شتان بين فتح حرر الضمائر والأوطان ثم ترك الناس أحرارا وما يدينون - حتى أن نسبة الذين أسلموا في مصر وسوريا وفارس بعد قرن من الفتوحات الإسلامية كانت ١٠٪ من السكان..[4] شتان بين هذا الفتح التحريري وبين الفتح الروماني الذي حول كل شعوب المستعمرات إلى برابرة ورقيق وأقنان.

ولأن خطاب التحرير الإسلامي إنما هو موجه للإنسان - مطلق الإنسان - بصرف النظر عن دينه ولونه وجنسه فلقد بدأت السياسة الخارجية لدولة النبوة سنة ٧هـ/ ٦٢٨م بالرسائل التي دعا فيها رسول الله ﷺ إلى تحرير المضطهدين والمستضعفين.. فهذا التحرير للمستضعفين - بصرف النظر عن دينهم - هو فريضة إسلامية:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾

(النساء ٧٥)

هذه الفريضة قد حملتها رسائل رسول الله ﷺ إلى القياصرة والأكاسرة والملوك والرؤساء فدعا رسول الله قيصر الروم هرقل (٦١٠ - ٦٤٠م) إلى تحرير «الأريسيين» النصارى الموحدين - الذين كانوا مضطهدين في دولة الرومان وقال له «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين» وفي اللقاء بين رسول رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة (٣٥ق هـ - ٣٠هـ، ٥٨٦ - ٦٥٠م) وبين المقوقس عظيم القبط حذر حاطب المقوقس من الاستبداد وعواقبه، ومن الفرعونية ومصيرها فقال له: إنه قد كان قبلك رجل «فرعون موسى» زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك ثم أعلن له أن الإسلام لا يريد إلغاء الآخر بل الإضافة إلى مالدى «الآخر» فقال: «إن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نأمرك به[6].

---

(٣) [illegible]

(٤) أطلب طرح يوسف كرباج (المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي) ص٣٣ ترجمة بشير السباعي طبعة القاهرة ١٩٩٤م

(٦) ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها) ص٤٦ طبعة ليدن ١٩٢٠م

فلما جاءت الفتوحات الإسلامية التي طوت صفحات القوى المتجبرة الفرس والروم - كانت تجسيدا لهذه القيم في الحرية والتحرير فكانت كل معاركها ضد جيوش الفرس والروم ووقفت معها وساعدتها وناصرتها شعوب الشرق - وهي على دياناتها القديمة - عندما رأت فيها «الإنقاذ» الذي حررها من الظلم وحقق لها الأمن والطمأنينة» على حد تعبير البطرك المصري «بنيامين» (٣٩هـ - ٦٥٩م) الذي حرره عمرو بن العاص (٥٠ق هـ، ٤٣ هـ - ٥٧٤ - ٦٦٤م) من النفي والاضطهاد ولقد امتلأت كتب التاريخ التي أرخت لهذا التحرير الإسلامي بالشهادات التي كتبها غير المسلمين والتي تقطع بأن هذه الفتوحات الإسلامية قد وضعت قيمة الحرية هذه في الممارسة والتطبيق.



توماس أرنولد

فقال الأسقف المصري «يوحنا النقيوسي» الذي كان شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر فرح الشعب المصري بالفتح الذي حرر الضمائر والوطن والأديرة والبطرك.. فقال:

«كان كل الناس يقولون: إن انتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين وأن عمرو بن العاص لم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما سلبا أو نهبا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام» كما نقل النقيوسي كلمات البطرك «بنيامين» الذي حرره الفتح الإسلامي، ورد إليه كنائسه وأديرته، وأعاده إلى منصبه بعد عزل البطرك الروماني فلقد زار «بنيامين» كنائسه وخطب في «ديرمقاريوس» وقال: «لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهاد والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون، الرومان».[7]

وبعد خمسة قرون من الفتح الإسلامي، أكد هذه الحقيقة البطرك السرياني «ميخائيل الأكبر» (١١٢٦ - ١١٩٩م) الذي قال:

«لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام».[8]

وفي العصر الحديث، شهد المؤرخ القبطي «يعقوب نخلة روفيلة» (١٨٤٧ - ١٩٠٥م) «بأن الفتح الإسلامي قد حقق للشعب القبطي نوعا من الحرية والاستقلال المدني وهي ميزة كانوا قد حرموا منها في أيام الدولة الرومانية وحقق لهم راحة لم يروها من أزمان».[9]

● كذلك حمل الفاتحون المسلمون قيمة الحرية والتحرير هذه إلى بلاد الفرس حتى كانوا

---

(٧) (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي) ص ٢٠١، ٢٠٢ ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبد الجليل طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

(٨) د. صبري أبو الخير سليم (تاريخ مصر في العصر البيزنطي) ص٦٢ - طبعة القاهرة ٢٠٠١م

(٩) يعقوب نخلة روفيلة (تاريخ الأمة القبطية) ص٧٤ تقديم د. جودت جبرة طبعة القاهرة ٢٠٠٠م

يعيشون فى ظل كهانة الحكم بالحق الإلهى، ويقهرهم نظام طبقى مغلق يقتل الملكات والطاقات لدى جماهير المستضعفين.. ففى لقاء القائد المسلم «ربعى بن عامر التميمى» مع القائد الفارسى «رستم».. سأل «رستم» «ربعى»:

- ما الذى جاء بكم؟!

- فقال له «ربعى»: «إن الله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»..![10]

● أما المؤرخ الإنجليزى الحجة «سير. توماس آرنولد» «١٨٦٤-١٩٣٠» فلقد شهد على هذا التحرير الذى حققه الإسلام للشرق فقال: «إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلا فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة..»[11]

لكن.. إذا كان هذا هو مقام الحرية فى الإسلام، وتلك هى تطبيقاتها فى أرض الواقع.. فلماذا وكيف ساد الاستبداد «الدولة» الإسلامية لفترات طويلة من التاريخ؟! حتى اضطرت «الأمة» إلى الثورات التى غطت أغلب مساحات هذ التاريخ؟!..

● إن الجيل القرآنى الفريد، والذى أقام الدين، وأسس الدولة، وفتح الفتوح، ووضع قيم الإسلام فى الحرية بالممارسة والتطبيق، قد تحول إلى أقلية فى الدولة الإسلامية بعد الفتوحات التى أدخلت فى المجتمع الإسلامى شعوبا وقبائل وعادات وتقاليد ومواريث لم تتح لها سرعة الفتوحات العربية وإعادة الصياغة للإنسان، فأصبحت الغلبة فى الدولة الإسلامية لعادات وتقاليد ومواريث وقيم عاشت طويلا وترسخت فى ظل استبداد الفرس والرومان.. ويكفى لتقريب الصورة أن نعرف أن تعداد شبه الجزيرة العربية- يومئذ كان حوالى المليون.. بينما ضمت الدولة الإسلامية- على نحو سريع- قرابة الأربعين مليونا من السكان!.. فاختل التوازن بين الجيل الذى صاغه الإسلام وبين الملايين التى أدخلتها الفتوحات السريعة إلى «معدة» المجتمع الإسلامى.

ولقد كان عمر بن الخطاب واعيا بمخاطر هذا «الوافد السلبى» الذى يمثلك إغراءات الترف وغوايات الرفاهية التى تتمتع بها قطاعات هذه البلاد المفتوحة- على النقيض من البساطة والخشونة التى عاش فى ظلالها الجيل القرآنى الفريد.. فحاول عمر الاحتفاظ ببقاء هذا الجيل القرآنى «قوة ضاربة» للإسلام وحافظة لقيمه ومثله العليا حتى لقد ذهب إلى حد محاولة «الحجر» على ملأ قريش وأشرافها الخروج إلى مجتمعات البلاد المفتوحة، ففرض ما يمكن أن يعد «تحديد الإقامة» لهم بالحجاز كى لا تجتذبهم إغراءات المجتمعات الغنية فتقوم

---

(١٠) [illegible]

(١١) ارنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٤٦١ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة ١٩٧٠م

من حولهم «مركز قوى» تستثمر منظومة القيم الموروثة التى لم تخضع لتهذيب الإسلام.



محمد عبده

ويرصد التاريخ بعبقرية هذه الحقيقة التى مثلت تحولا عن نقاء النموذج القيمى الإسلامى لحساب المواريث التى ترسخت فى ظلال الترف والاستبداد، فيقول:

وكان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلا بإذن وأجل، فلما ولى عثمان «٤٧ق.هـ- ٣٥هـ / ٥٧٧-٦٥٦م» لم يأخذهم به، فخرجوا إلى البلاد فلما نزلوها، ورأوا الدنيا، ورآهم الناس.. وتقربوا إليهم، وقالوا: يملكون فيكون لنا فى ملكهم حظوة. فكان ذلك أول وهن على الإسلام، وأول فتنة كانت فى العامة.. ولذلك كان عثمان أحب إلى قريش من عمر»[12]

وكثمرة من ثمرات هذا التحول الاجتماعى، شهدنا كيف جاءت عوامل الفتنة ووقائعها ورموزها من المجتمعات التى أدخلتها الفتوحات السريعة فى دولة الإسلام دون أن تتاح لها الفرصة للتهذيب بمنهاج الإسلام فى إعادة صياغة الإنسان بقيم الإسلام.

- لقد جاء اغتيال عمر من فارس، عن يد «أبو لؤلؤة» المجوسى.

وجاءت الثورة على عثمان بن عفان من مصر والعراق.

وجاء الملك العضود من الشام.

وهكذا.. رويدا رويدا تراجعت الحرية والشورى عن الدولة والسلطة لحساب العصبية والدين ورثوا ميراث النبوة فى حضانة الأمة، يصنعون حضارتها، وتتوارى عنها الاستبداد والاستعباد.

فلما ظهرت منافسات العصبية العرقية- التى كان الإسلام قد هذبها فى عهد النبوة- وصنفها ووصفها «بالجاهلية» وأماتها، ظهرت هذه العصبية العرقية بين شعوبية الفرس وعصبية العرب، وعلت العصبية العربية فى ظل الدولة الأموية، ثم علا شأن الشعوبية الفارسية فى العقود الأولى من الحكم العباسى، حيل للخليفة العباسى المعتصم «١٨٠-٢٢٧هـ ٨٣٣-٨٤٣م» أن عزل الفريقين- العرب والفرس- عن جيش الدولة يمكن أن يكون سبيلا حفظ وحدتها، وتحجيم النفوذ السياسى لهذه العصبيات العرقية فاستجلب المماليك من أواسط آسيا، وكون منهم جيش الدولة، وجعل لهم معسكر فى «سامراء» بالقرب من بغداد لكن هذه المؤسسة العسكرية، الغريبة عن روح الحضارة العربية والقيم الإسلامية سرعان ما تضخمت وتحولت من أداة فى يد الخلافة إلى حيث أصبحت الخلافة لعبة فى يدها، حتى لقد أصبحت «سامراء» هى العاصمة بدلا من

---

(١٢) [illegible]

«بغداد»!. وهكذا زحفت العسكرة على المجتمع، وعانت عوامل «القوة» والجمود والتقليد فيه الإبداع والاجتهاد و لتحديد فبدأ التراجع الحضاري يأخذ طريقه إلى الفضاء الإسلامي بالتدريج.

وعن هذا التحول السلبي - والرئيسي - يقول الإمام محمد عبده:

كان الإسلام دينًا عربيًا ثم لحقه العلم فصار علمًا عربيًا بعد أن كان يونانيًا، حتى سيطر الترك والديلم وغيرهم ممن لم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الإسلام، والقلب الذى هذبه الدين، بل جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل، يحملون ألوية الظلم، فلبسوا ثوبه على أبدانهم، ولم ينفذ منه شئ إلى وجدانهم فمالوا على العلم وصديقه الإسلام ميلتهم. أما العلم فلم يحفلوا بأهله، وقبضوا عنه يد المعونة، وحملو كثيرًا من أعوانهم على أن يندرجوا في سلك العلماء، وأن يتسربلوا بسرابيلهم ليعدوا من قبيلهم. ثم ليضعو للعامة فى الدين ما يبغض إليهم العلم ويبعد بنفوسهم عن طلبه ودخلوا عليهم - وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين، وزعموا الدين ناقصًا ليكملوه. فاستعاروا للإسلام ما هو منه براء ونجحو فى إقناع العامة بأن فى ذلك تعظيم شعائره، وتفخيم أوامره والغوغاء يرعون الغاشم، وهم يد الظالم فخلقوا لنا هذه الاحتفالات وسنوا لنا عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم مما فرق الجماعة و أوقع الناس فى الضلالة وقرروا أن المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة، حتى توقف الفكر، وتجمدت العقول، ثم بثوا أعوانهم فى أطراف الممالك الإسلامية، ينشرون من القصص والأخبار و الآراء ما يقنع العامة بأن لا نظر لهم فى الشئون العامة. وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدوله هو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم، ومن دخل فى شئ من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه، وأن ما يظهر من فساد الأعمال واختلال الأحوال ليس من صنع الحكام، وإنما هو تحقيق لما ورد فى الأخبار من أحوال آخر الزمان، وأنه لا حيلة فى إصلاح حال ولا مآل، وأن الأسلم تفويض ذلك إلى الله، وما على المسلم إلا أن يقتصر على خاصة نفسه، ووجدوا فى ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك، وفى بعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة ما شد أزرهم فى بث هذه الأوهام.

وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضللين، وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم فى جميع الأطراف، واتخذوا من عقيدة القدر مثبطًا للعزائم وغلا للأيدى عن العمل، والعامل الأقوى فى عمل النفوس على قبول الخرافات إنما هو السذاجة. وضعف البصيرة فى الدين، وموافقة الهوى - وهى أمور إذا اجتمعت أهلكت - فاستتر الحق تحت ظلام الباطل، ورسخ فى نفوس الناس من العقائد ما يتضارب وأصول دينهم ويباينها على خط مستقيم.

(*) محمد عبده [illegible] ص [illegible] دراسة وتحقيق [illegible] محمد عمارة طبعة بيروت [illegible]م

هذه السياسة، هى التى زوحت بـ أدخل على الدين مما لا يعرفه. وسلبت من المسلم أملاكًا كان يخترق به أطباق السموات. وأخلدت به إلى يأس يجاور به العجماوات. هنالك استعجم الإسلام وانقلب عجميا».

هكذا حلل الإمام محمد عبده - بعبقرية حضارية - دور عسكرة الدولة، التى صرت سلبياتها إلى المجتمع، ودور العجمة التى ميزت هذه العسكرة فى إحلال الجمود والتفكير والخرافة محل المعالم الحضارية التى ميزت منظومة القيم الحضارية التى جاء بها الإسلام، والتى صاغت الجيل القرآنى الفريد فى صدر الإسلام.

● فلما جاء الإمام الشهيد حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) وهو تلميذ نجيب للإمام محمد عبده - وأخذ فى تشخيص عوامل التحلل والتراجع الحضارى فى التاريخ الإسلامى، تبنى ذات التحاليل، وكتب يقول: «إن من أهم عوامل التحلل فى الدولة الإسلامية.. انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب، من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن، لصعوبة إدراكهم لمعانيه»[14].

فلما كانت المخاطر الخارجية الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م] والتترية [٦٥٦ - ٦٥٩هـ / ١٢٥٨ - ١٢٦١م] - التى هددت الوجود الإسلامى - مدت هذه المخاطر فى عمر «عسكرة الدولة».. فأصبحت الغلبة «لقوة العضلات» بدلا من «ملكات العقل والعقلانية».. وغدت الأرض إقطاعا للمماليك مقابل حمايتها من الصليبيين والتتار، وأصبحت «الدولة» قوة قهر واستبداد تراجعت من فضائها قيم الحرية والشورى ومشاركة الأمة فى صناعة القرار. وأخذ فقهاء السلاطين يطرون ويبررون حكم التغلب، ويدعون لطاعة أهل الفسق والفجور طالما تغلبوا بالقوة على البلاد والعباد».

تلك إشارات لمقام الحرية فى الإسلام.. ولأسباب صعودها وازدهارها.. ولبعض أسباب تراجعها عن فضاء «الدولة والسلطة والسلطان».

وهى إشارات ترسم معالم الطريق نحو استعادة هذه الحرية من جديد.. إذا لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها:

إعادة صياغة الإنسان بقيم الحرية التى جاء بها الإسلام.

- والبدء بالصناعة الثقيلة: التربية قبل السياسة.. والأمة قبل الدولة - لتأتى «الدولة الحرة» ثمرة ناضجة وطبيعية «للأمة الحرة». وليتحقق شعار «كما تكونوا يولى عليكم»، بدلا من الشعار القائم الآن: «كما يولى عليكم تكونوا»!.

(١٤) حسن البنا (مجموعة الرسائل) ص ١٣١، ١٣٢، طبعة دار الشهاب القاهرة بدون تاريخ

تفسير سورة البقرة

[illegible]

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الكلام متصل بما قبله ومرتبط به ارتباطا محكما، والخطاب للفاسقين الذين يضلون بالمثل فإنه وصفهم أولا بنقض العهد الإلهي [illegible] وقطع ما أمر به سبحانه أن يوصل، سواء كان الأمر أمر تكوين وهو السنن الكونية، أو أمر تشريع وهو الديانة السماوية، ثم بعد هذا البيان جاء بهذا الاستفهام التعجبي عن علة كفرهم مقترنا بالبرهان الناصع على أنه لا وجه له ولا شبهة تسوغ الإقامة عليه، فقال:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾

أي: بأي صفة من صفات الكفر بالله - تعالى - تأخذون، وعلى أية شبهة فيه تعتمدون، وحالكم في موتكم وحياتكم تأبى عليكم ذلك ولا تدع لكم عذرا فيه؟ وبين هذه الحال بقوله:

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾

أي: والحال أنكم كنتم قبل هذه النشأة الأولى من حياتكم الدنيا أمواتا متبشة أجزاؤكم في الأرض، بعضها في طبقتها جامدة وبعضها في طبقتها السائلة وبعضها في طبقتها العارية (الهوائية) لا فرق في ذلك بينها وبين أجزاء سائر الحيوان والنبات، فخلقكم أطوارا من سلالة من طين فكنتم بالطور الأخير في أحسن تقويم، وفضلكم على غيركم بما وهبكم من العقل والإدراك، وما سخر لكم من الكائنات ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ بقبض الروح الحي الذي به نظام حياتكم هذه فتنحل أبدانكم تتفرق أجزاؤها وتعود إلى أصلها الميت وتنبث في طبقات الأرض وتدغم في عوالمها حتى ينعدم هذا الوجود الخاص بها

﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ حياة ثانية كما أحياكم بعد موتة الأولى بلا فرق إلا ما تكون به الحياة الثانية أرقى في مرتبة الوجود وأكمل لمن يزكون أنفسهم في تلك، وأدنى منها وأسفل لمن يدسونها ويفسدون فطرتها

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ... ﴾ (القارعة: ٦-٩)

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

فينبئكم بما عملتم، ويحاسبكم على ما قدمتم، ويجازيكم به. وأقول:

إن تراخي الإرجاع إلى الله - تعالى - عن حياة البعث عبارة عن تأخير الحساب والجزاء، وطول زمن الوقوف والانتظار كما ورد في حديث الشفاعة العظمى وغيره، فإذا كان هذا شأنكم معه وهذا فضله عليكم، وهذا مبدأكم وذلك منتهاكم، فكيف تكفرون به وتنكرون عليه أن يضرب لكم مثلا تهتدون به، ويبعث فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من قيام مصالحكم في حياتكم الأولى، وسعادتكم في حياتكم الأخرى؟

لا يقال: كيف يحتج عليهم بالحياة الثانية قبل الإيمان بالوحي الذي هو دليلها ومثبتها؟ لأنه احتجاج على مجموع الناس بما عليه الأكثرون منهم، ولا عبرة بالشذاذ المنكرين للبعث في هذا المقام، لأن الاحتجاج بالحياة الأولى بعد الموتة الأولى كاف للتعجب من كفرهم بالله وإنكارهم عليه أن يضرب مثلا ما لهداية الناس زعما أن هذا لا يليق بعظمته، فإن من أوجد هذا الإنسان الكريم، وجعله في أحسن تقويم، وركب صورته من تلك الذرات الصغيرة، والنطفة المهينة الحقيرة، والعلقة الدموية أو الدودية، والمضغة اللحمية.

﴿ ... ﴾

والكلام مسوق لإبطال شبه منكري المثل والقرآن الذي جاء به لا لإبطال شبه منكري البعث بلوامع شبههم، ثم إن تمثيل إحدى الحياتين بعد الموت بالأخرى داحض لحجة من يزعم عدم إمكان الثانية، لأن ما جاز في أحد المثلين جاز في الآخر، والكلام في إثبات الوحي الإلهي للنبي المرسل من البشر والإيمان بالبعث تابع له

ثم بعد بيان بعض آياته في أنفسهم بذلك المبدأ والمنتهى ذكرهم بآياته في الآفاق فقال:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

فالكلام على اتصاله وترتيبه وانتظام جواهره في سلوك أسلوبه. فليس في قوله:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾

إلخ - انتقال لإثبات البعث. كما قال بعض المفسرين غفلة عن هذا الاتصال المتين، ولعمري إن وجوه الاتصال بين الآيات وما فيها من دقائق المناسبات لهي ضرب من ضروب البلاغة، وفن من فنون الإعجاز، إذا أمكن للبشر الإشراف عليه فلا يمكنهم البلوغ إليه، والكلام في البعث في القرآن كثير جدا فلا حاجة إلى الإسراع إليه هنا.

يصور لنا قوله - تعالى -

﴿ خَلَقَ لَكُم ﴾

قدرته الكاملة، ونعمه الشاملة، وأي قدرة أكبر من قدرة الخلق؟ وأي نعمة أكمل من جعل كل ما في الأرض مهيئا لنا، ومعدا نافعا؟ وللانتفاع بالأرض طريقان

(أحدهما): الانتفاع بأعيانها في الحياة الجسدية.

(وثانيهما): النظر والاعتبار بها في الحياة العقلية

والأرض: هي ما في الجهة السفلى، أي ما تحت أرجلنا، كما أن المراد بالسماء: كل ما في الجهة العليا، أي فوق رءوسنا. وإننا ننتفع فيه بعقولنا بالاستدلال به على قدرة مبدعه وحكمته، والتعبير يفي بتناول ما في جوف الأرض من المعادن بالنص الصريح. قال تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾

يقال استوى إلى الشيء، إذا قصد إليه قصدا مستويا خاصا به لا يلوي على غيره.

وقال الراغب: إذا تعدى استوى بإلى، اقتضى الانتهاء إلى الشيء، إما بالذات وإما بالتدبير. والمراد أن إرادته توجهت إلى مادة السماء، كما قال في سورة فصلت:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾

(فصلت: ١١)

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾

فالمراد خلقهن من تلك المادة الدخانية وجعلهن سبع سماوات كاملات الخلق.

وهذا الترتيب يوافق ما كان معروفا عند اليهود عن سيدنا موسى عليه السلام، من أن الله - تعالى - خلق الأرض أولا، ثم خلق السماوات والنور، ولا مانع من الأخذ بظاهر الآية، فإن الخلق غير التسوية، ألا ترى أن الإنسان في طور النطفة والعلقة يكون مخلوقا ولكنه لا يكون بشرا سويا في أحسن تقويم، كما يكون عند إنشائه خلقا آخر. وسيأتي - إن شاء الله - تعالى - عند تفسير قوله - تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾

(الأنبياء: ٣٠)

إن العالم كان شيئا واحدا ثم فصله الله - تعالى - بالخلق تفصيلا وقدره تقديرا، فلا مانع إذن من أن يكون خلق الأرض وما فيها سابقا على تسوية السماء سبعا، نعم إن هذا من أسرار الخلقة التي لا نعرفها، وربما يتوهم أن هذه الآية تناقض أو تخالف قوله - تعالى - بعد ذكر خلق السماء وأنوارها:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾

(النازعات: ٣٠)

والجواب عنه من وجهين:

● أحدهما: أن البعدية ليست بعدية الزمان ولكنها البعدية في الذكر وهي معروفة في كلام العرب وغيرهم. فلا بعد في أن تقول فعلت كذا لفلان وأحسنت عليه بكذا، وبعد ذلك ساعدته في عمل كذا، كما تقول: وزيادة على ذلك ساعدته في عمله، تريد نوعا آخر من أنواع الإحسان، من غير ملاحظة التأخر في الزمان.

● ثانيهما: أن الذي كان بعد خلق السماء هو دحو الأرض أي جعلها ممهدة مدحوة قابلة للسكنى والاستعمار لا مجرد خلقها وتقدير أقواتها فيها، وخلق الله وتقديره لم ينقطع من الأرض ولا ينقطع منها ما دامت، وكذلك يقال في غيرها.

وحاصل القول: إن الله - تعالى - خلق هذه الأرض وهذه السماوات التي فوقنا بالتدريج وما أشهدنا خلقهن، وإنما ذكر لنا ما ذكره للاستدلال على قدرته وحكمته وللامتنان علينا بنعمته، لا لبيان تاريخ تكوينهما بالترتيب، لأن هذا ليس من مقاصد الدين.

فابتداء الخلق غير معروف، ولا ترتيبه، إلا أن تسوية السماء سبع سماوات يظهر أنه كان بعد تكوين الأرض، ويظهر أن السماء كانت موجودة إلا أنها لم تكن سبعا، ولذلك ذكر الاستواء إليها وقال:

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾

فنؤمن بأنه فعل ذلك لحكم يعلمها، وقد عرض علينا ذلك لنتدبر ونتفكر، فمن أراد أن يزداد علما فليطلبه من البحث في الكون، وعليه بدراسة ما كتب الباحثون فيه من قبل، وما اكتشف المكتشفون من شئونه وليأخذ من ذلك ما قام عليه الدليل الصحيح لا بما يتخرص به المتخرصون ويخترعونه من الأوهام والظنون، وحسبه أن الكتاب أرشده إلى ذلك ونبهه له.

هذه الإباحة للنظر والبحث في الكون، بل هذا الإرشاد إليها بالصيغ التي تبعث الهمم وتشوق النفوس، لكون كل ما في الأرض مخلوقا لنا محبوسا على منافعنا هو مما امتاز به الإسلام في ترقية الإنسان، فقد خاطبنا القرآن بهذا على أن أهل الكتاب كانوا متفقين في تقاليدهم وسيرتهم العملية على أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان، وأن العلم والدين خصمان لا يتفقان، وأن جميع ما يستنتجه العقل خارجا عن نص الكتاب فهو باطل.

ولذلك جاء القرآن يلح أشد الإلحاح بالنظر العقلي، والتفكر والتدبر والتذكر، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الأكوان، ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها، واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها:

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(يونس: ١٠١)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

(العنكبوت: ٢٠)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾

(الحج: ٤٦)

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

(الغاشية: ١٧)

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جدا، وإكثار القرآن من شيء دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به. ومن فوائد الحث على النظر في الخليقة - للوقوف على أسرارها بقدر الطاقة، واستخراج علومها لترقية النوع الإنساني الذي خلقت هي لأجله - مقاومة تلك التقاليد الفاسدة التي كان عليها أهل الكتاب فأودت بهم وحرمتهم من الانتفاع بما أمر الله الناس أن ينتفعوا به.

كانت أوروبا المسيحية في غمرة من جهل وظلمات من الحمق، تسيل الدماء فيها أنهارا لأجل الدين وباسم الدين وللإكراه على الدين، ثم فاض طوفان تعصبها على الشرق، ورجعت بعد الحروب الصليبية تحمل قبسا من دين الإسلام وعلوم أهله، فظهر فيهم بعد ذلك قوم قالوا: إن لنا الحق

في أن نتفكر، وأن نعلم أو نستدل، فحاربهم الدين ورجاله حربا عوانا انتهت بظفر العلم ورجاله بالدين ورجاله

وبعد عمل العلماء المسموكة قام منذ مائتي سنة إلى اليوم رجال منهم يسمون هذه المدنية القائمة على دعائم العلم المدنية المسيحية، ويقولون بوجوب محق سائر الأديان ومحوها - بعد انهزامها - من أمام الدين المسيحي، لأنها لا تتفق مع العلم وفي مقدمتها الدين الإسلامي. وحجتهم على ذلك حال المسلمين، نعم إن المسلمين أصبحوا وراء الأمم كلها في العلم حتى سقطوا في جاهلية أشد جهلا من الجاهلية الأولى، فجهلوا الأرض التي هم عليها، وضعفوا عن استخراج منافعها، فجاء الأجنبي يتخطفها من بين أيديهم وهم ينظرون، وكتابهم قائم على صراطه يصيح بهم:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
(البقرة ٢٩)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
(الجاثية ١٣)

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
(الأعراف ٣٢)

وأمثال ذلك، ولكنهم:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
(البقرة ١٧١)

إلا من رحم الله، ولو عقلوا لعادوا، ولو عادوا لاستعادوا، وبلغوا ما أرادوا، وها نحن أولاء نذكرهم بكلام الله لعلهم يرجعون، ولا ييأس من روح الله

﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾
(يوسف: ٨٧)

ثم ختم الآية سبحانه وتعالى بقوله

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

أي فهو المحيط بكيفية التكوين وحكمته وبما يمنع الناس بيانه. وإذا كان العاقل يدرك أن هذا النظام المحكم لا يكون إلا من عليم حكيم، فكيف يصح له أن ينكر عليه أن يرسل من يشاء من خلقه لهداية من شاء من عباده؟ فهذا الآخر يتصل بأول الآية في تقرير رسالة النبي - ﷺ، وإبطال شبه الذين أنكروا أن يكون البشر رسولا، والذين أنكروا أن يكون من العرب رسول، لأن قصارى ذلك كله اعتراض الجاهلين على من هو بكل شيء عليم.

* * *

أقسام السنة عند العلامة الشيخ عبدالجليل عيسى

٣

الاجتهاد مظهر من مظاهر الإنسانية في الرسول ﷺ:

هناك عدة مظاهر تنم عن إنسانية من اختاره الله لرسالته، وتدل على أن اصطفاءه لأداء هذه المهمة القدسية لا يخرجه عن طبيعة الإنسان، يجوز عليه ما يجوز على بني آدم فيما عدا ما كلفه الله بتبليغه عنه.

فهو يأكل قبل الرسالة وبعدها كما يأكل الإنسان، ويغتسل قبل الرسالة وبعدها كما يغتسل الإنسان [1]، ويدفع عن نفسه ضرر الجوع واعتداء المعتدي بوسيلة أو بأخرى من الوسائل التي اعتاد أن يسلكها الإنسان في دفع الضرر ودفع الاعتداء عنه، يحترف ويتجر على نحو ما يحترف الإنسان، ويتجر لتأمين عيشته وعيش من يعوله. يقاوم المعتدي ويهاجمه أو عن طريق جمع من أعوانه.

يناضل في الحياة ويكافح من أجل هدفه فيها، ويتخير لنضاله وكفاحه ما يتخيره لتحقيق الشروى من الإنسان. يسلك لإقناع الغير سبيل الإقناع حسبما يتجلى له من بعضه وحصيلة أمره. ويسلك لمحاربة المعاند من خصومه وأعدائه طريق الحرب حسبما تتطلب الظروف والمواطن.

ولم يشأ الله أن يخرجه عن طبيعة الإنسان وخصائصه لأنه أراد، حسب ما في علمه، أن يكون رسوله المصطفى لتبليغ رسالته في جيل أو في أمة أو للناس كافة، والله تعالى قادر على أن يخرجه عن هذه الطبيعة ويمنحه من الوسائل في الحياة والكفاح فيها ما ليست للإنسان، لكنه شاء جل جلاله أن يبقى رسوله للناس من الناس، لا يتحول بالرسالة من إنسان إلى ملك فضلا عن أن يصل بها إلى مرتبة فوق مرتبة الرسالة والملك..

وقد قص الله جل جلاله حكاية عن نوح عليه السلام في رده على قومه لما قالوا له

﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾

[illegible]

﴿ [illegible] ولا أقول إني ملك ﴾
(هود ٣١)

وقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ:

﴿ [illegible] ﴾
(الأنعام ٥٠)

وقد تعنت كفار قريش مع نبينا ﷺ وطلبوا منه ما يدل على أنهم معاندون. وقالوا:

﴿ [illegible] ﴾
(الإسراء: ٩٠-٩٥)

وهكذا عاش الأنبياء والرسل أناسي وماتوا أناسي كلهم احترف في سبيل عيشه، وكلهم ناضل من أجل عقيدته، وكلهم اجتهد في تخير وسيلة العيش وطريق النضال، وكلهم أخطأ وأصاب في اجتهاده فيما تخير من وسائل وطرق لعيشه وكفاحه [٢].

وفي موتهم جاز عليهم ما جاز على الإنسان، نعم في غمرات الموت كانوا يتشوفون إلى لقياء الله تعالى أكثر من حنينهم للدنيا وما فيها، ذلك لأنهم ركزوا إيمانهم فيما وراء الدنيا بحكم اختيارهم للرسالة، وإيمانهم إيمانا كاملا بها.

وهكذا الإنسان لا يأسف على ما فات إن قوي أمله فيما هو آت.

وربما في عيشهم وكفاحهم كانوا أحوج إلى الاجتهاد وإعمال العقل أكثر من غيرهم؛ لأن الأنبياء - وكذا المصلحون في الجماعة - أشد الناس حاجة إلى قوة العقل ورجاحة الفكر وحسن التقدير عن طريق المران العقلي.

لأن ما يصادفهم من مشاكل الحياة ويعترض طريقهم من صعاب يتطلب سرعة البت في حل تلك المشاكل وإزالة هذه الصعاب والعقبات. ولا يكفي في سرعة البت هذه حسن استعداد المرء وصفاء عقله وسلامة فطرته، فكم في الفيافي ووعور الجبال وبطون الأودية من خصوبة عقل وجودة طبع قضى عليها الكسل العقلي أو قلة الدربة في معاناة الأمور.

ولأن الدربة العقلية ألزم للرسول - كذا للمصلح - أكثر من غيره لا نجد بين من اختارهم الله لرسالته إلا من صهرهم الزمن وعركتهم الحوادث فجمعوا مع صفاء الطبع وعلو الأصل وغزارة العقل؛ قوة الجلد ووفرة النصب والصبر على نوائب الدهر ومقارعة الخطوب.

وكلهم من أجل عيشهم احترفوا؛ لأنهم لم يكونوا من أصحاب اليسار، وربما تشابهوا جميعا في مزاولة حرفة بالذات: فكثير منهم نشأ يتيما أو شبه يتيم، وكثير منهم قد رعى الغنم، وبعضهم عمل عند غير أهله أجيرا يأكل من أجره.

وقد تجشم رسول الله ﷺ طويل الأسفار للتجارة في مال غيره بأجر، وذاق مرارة اليتم، وحرم حنو الوالد، فألبسه كل أولئك من دروع العظمة أقواها، ومن فضائل الرجولة أعلاها، وسمت به نفسه عن مواطن الترهل والنعومة، فتسابقت إليه أسباب الفضائل وتجمعت لديه عناصر الزعامة، وأخصبت عبقريته وتفتحت لإلهام السماء مشاعره، الله أعلم حيث يجعل رسالته.

من الميسور للرجل أن يستغني عن الاجتهاد، وأن ينزوي في ناحية من نواحي الحياة غير متعرض لتياراتها المختلفة: فمن الميسور أن يتوارى الرجل في جوف صومعة منقطعا للتبتل والعبادة حتى يلقى الله، ومن الميسور أن ينقطع للدنيا ويوليها جميع عنايته، ويعطيها كل نفسه لا يسعى إلا لها ولا يفكر إلا في جمعها، معرضا عن الآخرة لا يشعر بها ولا يعرف من أبنائها أحدا.

كما أنه من الميسور أيضا أن يعيش الرجل في هذه الحياة لا يهدف إلى غاية ولا يسعى إلى غرض طافيا فوق تياراتها تقذف به مع الريح حيث دارت وكيفما اتجهت، فتارة تراه عابدا مع العباد، وتارة فاسقا مع الفساق، وتارة عطوفا خيرا، وأخرى جبارا عتيا، وتارة ينهمك في جمع المال، وأخرى يغرق في السرف والتبذير، فكل فعل من أفعاله يصدر عنه بلا تفكير ولا روية، فمثل هذا إن لم يكن مجنونا فهو أشبه بالمجانين.

كل هذا ميسور، أما أن يخوض الرجل غمار هذه الحياة ويأخذ من كل ناحية من نواحيها بطرف فيعطي ربه حقه، ونفسه حقها، وبني جنسه حقوقهم، يعاشر الناس ويخالطهم ويعاملهم، يجامل ويواسي، ويقاطع ويخاصم، ويهادن ويحارب، كل في حدود المصلحة العامة والعدل والعقل، وهو في كل ذلك سلم له دينه وعرضه، فهذا ما لا يقدر عليه إلا القليل النادر، ولا يستطيعه إلا أحد رجلين:

١- رجل ألقى بنفسه بين يدي ملك الوحي، يحركه كيف شاء، وأنى شاء، يرسم له الطريق ويخطو به كل خطوة، ويسلك به دقيق المسالك وشعاب السبل، ومثل هذا لا يحتاج في حياته إلى عبقرية ولا فكر، بل ولا إلى عقل، وهذا ما تنزه عنه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- أو رجل أعطي من قوة الذهن وشدة الفطنة ويقظة القلب وعبقرية الفهم ما سهل عليه أن يجتهد ويضع كل شيء في محله وأن يستعمل كل شيء عند ظهور

٢- في الصحيح أنه ﷺ كان يقول «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي» انظر ما سيأتي من كلام القاضي عياض في مسألة تأبير النخل حيث قال ﷺ عن نفسه «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب».

دواعيه، وهذا مقام الأنبياء والرسل والمصلحين.

فمن اصطفاهم الله خاضوا الحياة في جميع نواحيها وعالجوا كل صعابها بفكرهم وقدرتهم [illegible] وقفت في طريق ذلك هنات فتلك من مقتضيات طبيعة البشر، للفرق بين الرب والمربوب والإله والمألوه، إذ العصمة لا تكون إلا لله وحده.

ونحن نعلم لهذا أنه لايكفي ليكون الرجل قائدا مصلحا في كل ضرب من ضروب الحياة أن يكون حسن السيرة تقيا ورعا فحسب، بل لا بد أن يكون قوى الفكر سريع البديهة، قوى الحجة صارم العزيمة شديد الشكيمة في تنفيذ الحق، فطنا يقظا، حذرا لا يخدع.

فكثير من الصحابة عرفوا بالصلاح والتقوى ولم تعرف عنهم قوة الجلاد والحجاج والحذر: منهم أبوموسى الأشعرى رضي الله عنه، فقد كان ورعا تقيا صالحا خاشعا ومع ذلك مكر به عمرو بن العاص وخدعه في التحكيم حتى ظفر به وغلبه.

ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه، قد كان عابدا حافظا ولكن لم يبرز اسمه في عداد شجعان الصحابة ولا ذوى الرأى النافذ فيهم. روى البخارى عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: «إني كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني». وقال محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة فيقال مجنون وما بي جنون، وما بي إلا الجوع».

ومنهم عبد الله بن عمر، وهو المعروف بالصلاح والورع وكثرة العبادة حتى أبكته، ومع ذلك لما طعن والده رضي الله عنه وذكره فيمن يؤخذ رأيهم فيمن يكون خليفة بعده، قال لهم: خذوا رأيه ولا يكون هو الخليفة. ومنهم حسان بن ثابت فقد روى ابن كثير في تاريخه: قال عباد بن عبد الله بن الزبير: كانت صفية بنت عبد المطلب يوم الخندق في حصن، قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ورسول الله والمسلمون في نحور العدو لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا، فقلت يا حسان! إن هذا اليهودى كما تراه يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءه من اليهود، فانزل إليه واقتله! قال: يغفر الله لك يابنت المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال ذلك أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن وقلت: ياحسان! انزل فاستلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالي بسلبه حاجة يابنت عبدالمطلب.

وإذا تعددت صفات الخير ومنت كلها على كثرتها من الرسل عليهم الصلاة والسلام حدة الذهن وإعمال العقل والاجتهاد في تحرير الرأى لصائب كان من الحكمة الإلهية أن وهب الله لرسله سلامة الجسم، كما منحهم سلامة العقل حتى يستطيعوا عن طريق القوة البدنية المثابرة في التغلب على الضعف وإيجاد حلول لمشاكل الحياة.

وقد كان الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله جميعا ذوى أجسام صحيحة وأبدان معافاة سليمة، وربما كان حرفهم التي زاولوها في حياتهم قبل البعثة والتكليف بتبليغ رسالة الله دخل في صحة أجسامهم ومعافاة أبدانهم.

وربما كان احترافهم يهيئ توجيه الله لهم، فقد رعى معظمهم الغنم [1] أو زاول حرفة أخرى [2]، ولا شك أن في رعي الغنم أو مزاولة حرفة دربة على الصبر على العمل مهما عظم أو شق على النفس [3]، كما يحضر إلى الاستخفاف بالمكاره والإقدام عند الفزع [4].

قال الحافظ ابن حجر: وجاء عن ابن عباس: أن داود كان زرادا، وكان آدم حراثا، وكان نوح نجارا، وكان ادريس خياطا، وكان موسى راعيا.

قال الخطابي: إن الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين منهم، وإنما جعلها في أهل التواضع كرعاء الشاة وأصحاب الحرف.

١- روى البخارى عن البراء بن عازب قال: «رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه». وروى البخارى أيضا عن جابر بن عبد الله قال: كنا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة (قطعة حجر صلبة لا يعمل فيها المعول) فاخبروه صلى الله عليه وسلم، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر وكنا لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيبا أهيل».

٢- روى البخارى عن أنس قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم ﷺ وقد تحقق الخبر، وهو على فرس عرى، ما عليه سرج، وفي عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا».

---

[1] روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة. وروى النسائي من حديث نصر بن حزن قال: افتخر أهل الإبل وأهل الغنم فقال رسول الله ﷺ: بعث موسى وهو راعي غنم، وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت أنا وأنا راعي غنم لأهلي.

[2] روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: إن داود عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده. قال الحافظ ابن حجر: وجاء عن ابن عباس: أن داود كان زرادا، وكان آدم حراثا، وكان نوح نجارا، وكان إدريس خياطا، وكان موسى راعيا. قال الخطابي: إن الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين منهم وإنما جعلها في أهل التواضع كرعاء الشاة وأصحاب الحرف.

[3] روى البخاري عن البراء بن عازب قال: «رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه». وروى البخاري أيضا عن جابر بن عبدالله قال: كنا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة (قطعة حجر صلبة لا يعمل فيها المعول)، فأخبروه ﷺ، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر، وكنا لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيبا أهيل.

[4] روى البخاري عن أنس قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم ﷺ وقد تحقق الخبر، وهو على فرس عري، ما عليه سرج، وفي عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا».



الذرائع فتحاً وسداً
مساهمة فى علم اجتماع الفقه

أ.د. [illegible]
أستاذ العلوم السياسية بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية (القاهرة)

تاريخ نشأة قاعدة "الذرائع فتحا وسدا" غير محدد بدقة، واسم اول العلماء المجتهدين الذى سك هذا التعبير فى تاريخ الفقه الاسلامى واصوله لم اتوصل إلى معرفته، وغير معروف كذلك اسم البلدة او المصر او المدينة التى كان فيها "مكان" ولادة هذه القاعدة لأول مرة، وراحت سدى كل المحاولات والحيل البحثية التى بذلتها فى سبيل الوصول الى اجابة محددة عمن وضعها، وعن زمان ومكان وضعه لها، واقصى ما أمكننى الذهاب إليه هو التعيين التاريخى والاجتماعى المجمل لهذه القاعدة، ومثل هذا التعيين المجمل لا يشبع من يبحث بحث المتخصص فى علم الاجتماع، ولا يقنعه، وغاية التعيين المجمل هذا هو أن هذه القاعدة بنت القرن الثانى الهجرى وشىء من القرن الثالث، وأنها نمت وترعرعت فى القرنين الرابع والخامس، واشتد عودها وبسقت اغصانها فى القرنين السابع والثامن، ثم واصلت النمو عبر القرون من التاسع الى الخامس عشر الهجرى حتى تحولت بمرور الزمن الى "نظرية" ذات جذور ممتدة فى اعماق التراث الفقهى وفى آفاقه، وذات اغصان وفروع كثيفة ومتشابكة مع مختلف جوانب رؤية العقل الإسلامى للعالم، حتى قال بعضهم مؤخرا "إنه ما من شىء فى الشريعة الإسلامية إلا وهو راجع إلى مسألة الذرائع سدا وفتحا".

ما أرقنى وأقض مضجعى هو أننى بحثت عن قاعدة الذرائع ونظريتها بحث المتخصص فى علم الاجتماع وفروعه، ولم أبحث عنها بحث متخصص فى علم الفقه وأصوله، وإلا فما أيسر على متخصص الفقه وأصوله أن يعثر على تفاصيل الاجتهاد والتأصيل لقاعدة "سد الذرائع وفتحها".

وأن يحيط باختلاف المدارس الفقهية الكبرى فى شأنها، ما بين موسع لأحكامها ومطيل لذيل ثوبها، ومكثر خجم عمدتها مثل السادة المالكية والسادة الحنبلية، أو مضيق لكل ذلك مثل السادة الشافعية، وهناك من هم فى منزلة وسطى بين هؤلاء وأولئك مثل السادة الحنفية. وليس من يعثر على متخصص الفقه وأصوله كذلك أن يتتبع السردية الفقهية فى أصول هذه القاعدة وفروعها، ويتعقب علاقتها بغيرها من القواعد والنظريات وخصوصا أدلة المصلحة وحفظ المصلحة، والاحتياط، وغيرها من قواعد ونظريات أسهب فيها هؤلاء بقوم على نوع مذاهبهم، وتباين أصولهم وفروعهم وموقفهم ما بين محدد ومقلد، وإن كان هذا التتبع يحتاج منه إلى من غيره إلى كثير من التعب والصبر وطول النفس.

ما بحثت عنه فى هذا الموضوع هو "مادة" يستطيع الاستهداء بها، ليس فى بناء "علم الفقه" أصوله أو فروعه، فهذا له علماؤه ومتخصصوه ولست منهم، وإنما فى بناء "علم اجتماع الفقه الإسلامى"، فهذا هو العلم الغائب، والأهم والأخطر هو أن غيابه نادرا ما يستشعر فقده أحد، وخصوصا من أهل الافتاء والاجتهاد، والمفترض أنهم هم الأكثر حاجة إلى نتائجه، وأن يكونوا الأحرص على تحصيل فوائده.

هناك بعض الجهود والمقدمات والسوابق البحثية الجادة التى لا غنى لنا عنها فى سبيل جبر ذلك النقص، وسد هذا الثغر، ونذكر منها هنا اثنين أو ثلاثة.

أول هذه السوابق البحثية الجادة هو ما كتبه الشيخ أبو زهرة فى الخمسينيات والستينيات من القرن الرابع عشر الهجرى (الثلاثينيات والأربعينيات من



عبدالرحمن الشرقاوى



أبو زهرة

القرن العشرين الميلادى) عن أئمة الفقه وهم أبو حنيفة، ومالك، وابن حنبل، والشافعى، وابن تيمية، وابن حزم، وزيد، والصادق[1]. وأهم ما يلفت النظر فى تلك السلسلة هو منهج جديد لدى الشيخ أبو زهرة فى تناوله لمسيرة الاجتماعية والعلمية مربوطة بمعطيات البيئة التى عاشها كل منهم، على نحو يقترب من منهجية "علم اجتماع المعرفة"، والشيخ رحمه الله قصب السبق فى فتح باب هذا النوع من الدراسات بلغة معاصرة ونسق واضح، ولعله تبارى فى هذا المضمار مع معاصريه من أمثال عباس العقاد ومحمد حسين هيكل فى الكتابة عن الشخصيات الكبيرة فى التاريخ الإسلامى بمنهجية اجتماعية تاريخية جديدة، فصنع سلسلته الرائعة عن الأئمة الثمانية. ثم من بعده جاء عبد الرحمن الشرقاوى الذى اختصر ما قدمه وزاد عليه شيئا فى كتابه "أئمة الفقه التسعة"[2]، ولكنه كانت له فى كتابته وجهة أخرى غير وجهة الشيخ أبو زهرة

(1) [illegible]

(2) عبد الرحمن الشرقاوى: أئمة الفقه التسعة، القاهرة، [illegible]

ثاني السوابق هو كتاب وائل حلاق عن "تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام: مقدمة في أصول الفقه السني"[3]، وهو عمل علمي رصين؛ حاول فيه أن يبين تأثير التغيرات السياسية والاجتماعية التي مرت بها المجتمعات الإسلامية على منهجية التفكير الفقهي، وأراد أن يعرف كيف ولماذا تعدلت الأوزان النسبية لمكونات النظرية العامة لأصول الفقه مثل الإجماع، والقياس، والعرف، وما يلحق بذلك من استحسان ومصالح مرسلة واستصحاب، وأنعم نظره كثيرا في الإمام القرافي ابن القرن السابع الهجري الذي أدخل فكرة السياق المجتمعي بشكل واضح وممنهج في محاولة فهم النصوص واستنباط دلالاتها، وفعل الشيء نفسه مع أئمة آخرين منهم الشاطبي ابن القرن الثامن الهجري، وبين كيف تأثر في موافقاته واعتصامه بما آلت إليه الأحوال السياسية والاجتماعية في زمنه، ووصل حلاق إلى عصرنا وميز فيه بين مدرستين

● الأولى سماها "النفعية الدينية" التي صاغ أنصارها نظريتهم الفقهية على أساس المصلحة؛ وإن أدى بهم ذلك إلى الخروج على بعض أصول الفقه ـ حسب رأيه الذي لا نوافقه عليه.

● والثانية سماها "التحرر الديني" وأنصارها في رأيه أكثر تماسكا في تأصيلهم من أنصار المدرسة الأولى، وهو رأي لا نوافقه عليه أيضا. وأيا كان الرأي فيما قدمه حلاق؛ فدراساته مهمة ومفيدة في سياق الطريق الطويل لبناء علم اجتماع الفقه.

ثالث السوابق، وهو الأحدث والأهم من منظور الدرس الاجتماعي، هو ما قدمه علي محمد حضيري تحت عنوان "الفقه وعلم الاجتماع: دراسة في الروابط والصلات"[4]، ورغم صغر حجم هذا البحث؛ إلا إنه يقتحم المشكلة بجسارة، وينبه بشكل مباشر إلى ضرورات تطوير البحوث والدراسات الاجتماعية في مجال الفقه، وينبه أيضا إلى تطوير البحوث والدراسات الفقهية بمنظور اجتماعي واسع وعملي وميداني. ويضرب عددا من الأمثال التي يدلل بها على صواب القول بتأثير التغير الاجتماعي في الاجتهاد الفقهي بأكثر مما يؤثر هذا الاجتهاد في وقائع عملية التغير ذاتها، ويحلل ظاهرة قضايا "الاستبداد، والعدالة الاجتماعية، والمرأة، وبطء التغير الثقافي وأثره على تكليف المكلفين. ويشير ببراعة إلى "المراحل الانتقالية" أثناء عملية التغير الثقافي، وكيف يتعين أن تنعكس على الاجتهادات الفقهية. وكيف تؤثر على أحوال المكلفين الذين يمرون بتلك المراحل، ويتساءل كذلك عن أثر كل هذا على "العرف" وعلاقته بعمليات التغير الاجتماعي، مع ما للعرف من مكانة مرموقة في عملية استنباط الأحكام الشرعية.

ومن جانبي، فقد اكتشفت أهمية "علم اجتماع الفقه" من اكتشافي لأهمية التاريخ الاجتماعي للفقه ذاته أثناء دراستي الموسعة عن "فقه نظام الوقف وتطبيقاته في تاريخ مصر الحديثة"[5]. وتأكد لي أن مدار التاريخ الاجتماعي للفقه هو الإدراكات والاختيارات المجتمعية للاجتهادات الفقهية، أما مدار "علم اجتماع الفقه" فهو الخط الواصل بين اجتهادات المجتهدين والتحديات والمشكلات والوقائع التي عاصروها، وهل استجابوا لها، أم أنهم غضوا الطرف عنها أو عن بعضها، ولماذا؟ وعرفت أن ثمة فجوة كبيرة في الدراسات الخاصة بما أسميته "علم اجتماع الفقه"، وكان ذلك في منتصف العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري (منتصف التسعينيات من القرن العشرين). ثم عدت إلى الموضوع أكثر من مرة في دراسات مفردة، تناولت فيها "مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية"[6]، وفرض الكفاية وفرض العين وعلاقتهما بالمسئولية الاجتماعية[7]. وأصول المجال العام وتحولاته في الاجتماع السياسي الإسلامي[8]، وفقه إدارة المياه وحماية البيئة في نظام الوقف[9]، ثم هذا البحث الذي بين أيدينا. وهو عودة جديدة إلى الموضوع نفسه ولكن من زاوية قاعدة أصولية هي "الذرائع فتحا وسدا" والسؤال الرئيسي الذي شغلني فانشغلت به في هذا البحث هو: لماذا تبدو "الأمثال الشارحة" المعروضة في أغلب كتب الفقه وأصوله هزيلة؛ قياسا على قوة القواعد والنظريات التي ترد تلك الأمثال في سياق شرحها، وتقريب معانيها؟، ثم ما الأثر الذي يتركه "هزال الأمثال" على التكوين العلمي للمشتغلين بعلوم الفقه وأصوله من جهة، وعلى الوعي الجمعي للمجتمع عموما، من جهة أخرى؟

سأوضح فيما بعد أهمية "الأمثال" في التكوين العلمي والتوجيه العملي ولكن الذي يهمني هنا هو التأكيد على أن بحثي لا ينصرف إلى شيء مما أفضى إليه اجتهاد المجتهدين القدماء أو المحدثين في موضوع "سد الذرائع وفتحها" من الوجهة الأصولية؛ وإنما ينصرف إلى تحليل الدلالات الاجتماعية "للأمثال" التي غلب استعمالها في كتب الأصوليين والفقهاء، ولماذا ظلت هذه الأمثال تتكرر هي هي؛ لأكثر من ألف سنة دون أن يتصدى أحدهم لتحديثها بما يجعلها مستوعبة لوقائع التغير الاجتماعي وتحولاته من حقبة إلى حقبة؟ وما أثر هذه

---

3. وائل حلاق، تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام، مقدمة في أصول الفقه السني (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2007)

4. علي محمد حضيري، الفقه وعلم الاجتماع: دراسة في الروابط والصلات، في: [illegible] المعاصرة، العدد الأول (بيروت: معهد الرسول الأكرم ﷺ العالي للشريعة الإسلامية 2003)، ص 93 - 108.

5. [illegible] في سبتمبر 1992، وصدرت عن دار الشروق في سنة 1998 بعنوان "الأوقاف والسياسة في مصر"

6. [illegible]

7. إبراهيم البيومي غانم، [illegible] من الدولة السلطانية إلى الدولة الوطنية الحديثة، مصنفة ندوة تطور العلوم الفقهية: الفقه الإسلامي في عالم متغير، [illegible]

8. إبراهيم البيومي غانم، أصول المجال العام وتحولاته في الاجتماع السياسي الإسلامي، المجلة الاجتماعية القومية (القاهرة) العدد الأول، المجلد 46، يناير 2009، ص 37 - 62.

9. [illegible] مجلة العمران 2010/4/23)

الظاهرة على فاعلية القاعدة موضوع اهتمامنا: أعنى "سد الذرائع وفتحها" فى الممارسات الاجتماعية؟. ثم ما الذى تكشف عنه الوقائع العملية لهذه القاعدة عندما وجدت طريقها إلى التطبيق: أحققت أهدافها "سداً وفتحاً" أم لا" وبدا". وإذا كان "سد الذرائع" طريقاً من عشر طرق للاجتهاد فى تقدير المصلحة فى النوازل التى لم يرد فيها بعينها نص[10]؛ فلماذا آل أمر قاعدة "الذرائع" فى الممارسة إلى تغليب "السد"، على "الفتح" فيما يخص العادات والمعاملات الفردية، وتغييب ما يدخل فى "المصالح العامة" مثل الخدمات والمرافق العامة، وأمور السلم والحرب؛ عن متناول الاجتهاد وفق هذه القاعدة؛ اللهم إلا فى حالات نادرة، والنادر لا حكم له كما يقول أهل الأصول؟

تلك بعض التساؤلات التى تحاول الإمساك بأطراف الإجابة عليها بعد هذه المقدمة فى قسمين وخاتمة، أما القسم الأول فعبارة عن بحث مشكلة "الأمثال الشارحة" المستعملة فى أغلب كتب الفقه وأصوله لشرح قاعدة "الذرائع سداً وفتحاً". وفى القسم الثانى ندرس عدداً من الأمثال التطبيقية لهذه القاعدة قديماً وحديثاً لمعرفة مدى وظيفتها فى تحقيق غاياتها فى السد لدرء المفاسد، والفتح لجلب المصالح، أما فى الخاتمة فنحاول بيان الخلفيات الاجتماعية لأزمة سد الذرائع وفتحها فى الوقع المعاصر لمجتمعاتنا، مع إطلالة عامة على ما نسميه "نموذج التفكير بالسد والاحتياط" وحدوده من منظور التغير الاجتماعى وسننه التى لا تتبدل، والله تعالى هو المعين، ومنه وحده السداد والتمكين.

أولاً: فى نقد "الأمثال الشارحة لـ "سد الذرائع وفتحها"

"الأمثال" الشارحة التى نصادفها فى كتب الفقه وأصوله، هى أحد المفاتيح الذهبية التى تساعدنا على فتح مغلقات العلاقة بين نظريات الفقه وقواعده فى مستواها التجريدى من ناحية، وتطبيقاتها فى مستواها العملى والممارسات المجتمعية لها العملية من ناحية أخرى[11]، ينطبق هذا على نظرية المصلحة، ونظرية الاحتياط مثلاً، كما ينطبق على قاعدة "الذرائع سداً وفتحاً"، وقاعدة "درء المفسدة" وعلى غيرهما من القواعد، فـ"المثال يتضح المقال" أو "الحال" ليس فقط كما قالوا قديماً؛ وإنما يكشف "المثال" جوانب من الواقع، وقد يؤثر على الميل العام فى الممارسات الاجتماعية التى هى منتهى إرادات واضعى تلك القواعد والنظريات؛ وإلا لما كان لها من فائدة، ولما كان من معنى لقولهم "لا خير فى علم لا ينبنى عليه عمل".

وإذا نظرنا ملياً فى "المثل" الذى يستخدمه المجتهد الأصولى أو الفقيه، سنجد أنه بمثابة المرآة التى ترتسم فيها ملامح العملية الاجتهادية، وبقدر براعته فى ضرب المثل والإتيان به فى محله، بقدر نجاحه فى إنجاز مهمته الاجتهادية والتعليمية فى آن واحد، إذ "الأمثال" هى خير تعبير عن عمق التجربة الاجتهادية والاجتماعية، الفردية والجماعية معاً؛ وهذا بعض ما نستشفه من عناية القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بضرب "الأمثال" لغايات منهجية وتعليمية وتربوية وسلوكية وتعبيرية متعددة، منها البيان، والإقناع، والتذكير، والتحذير، والإرشاد، والاعتبار، والإصلاح، ...إلخ.

وفى رأينا أن "اختيار" الأمثال التى يسوقها العلماء، فى معرض حديثهم عن قاعدة "الذرائع" وغيرها من قواعد الفقه وأصوله؛ إنما هو عملية بالغة الدقة والحساسية - لأن الإخفاق فى اختيار "المثال" الشارح المناسب، يهدم جهده كله ويطرحه سدى، وغالباً ما تكون مادة "المثال" مقتبسة من معطيات الواقع، ومنتمية إلى مجال "الحس الاجتماعى المشترك"، وتعبر عن قناعات سائدة أو ماثلة فى مدركات السواد الأعظم من الناس، ولكن الأمثال قد تكون "افتراضية" فى بعض الأحيان بغرض التدرب على التفكير فى المستقبل، أو لتوسيع الأفق ولو بالرياضة العقلية دون الوصول إلى حد مبالغة "الأرأيتيين"، وأيضاً قد يكون هدفها هو توقع مآلات الأفعال فى قابل الأيام، وفى جميع الأحوال يكون توظيف الأمثال "الواقعية" و"الافتراضية" من أجل استثمار سلطتها فى تحصيل الاقتناع بصحة ما يقول هذا المجتهد أو ذاك.

ارتباط "المثال" بسياقه المجتمعى، مسألة تبدو ضرورية؛ حتى ولو كان المثال من النوع "الافتراضى"، إذ يستحيل مثلاً أن يطرأ على ذهن مجتهد من أبناء القرن الثانى الهجرى أن يشرح لطلابه قاعدة سد الذرائع فى مسألة تختلط فيها المصالح مع المفاسد بأن يضرب مثالاً شارحاً لهم بصفقة طائرات إف ستة عشر، أو صفقة سيارات دفع رباعى، ولكن الأرجح هو أن ذلك المجتهد كان عليه أن يلتقط واحدة من المعاملات السائدة فى بيئته، وهو ما حدث فعلاً وورد مثلاً فى موطأ "ابن وهب" (١٢٥ ـ ١٩٧هـ ـ ٧٩٥م)، ففيه مثال "حمار ربيعة" الشهير الذى ولد السادة المالكية منه أربعاً وعشرين مسألة فى باب "سد الذرائع".

ولمعايير زمنهم ومعطيات مجتمعهم الذى عاشوه وعايشوه، فإن مثالهم الشارح (حمار ربيعة) قد أدى وظيفته وأنهى مهمته. ولا تثريب عليهم فيما قالوا أو فعلوه، أما غير المقبول وغير المعقول أيضاً أن يظل "حمار ربيعة" يتردد كمثال مرجعى شارح لأبناء القرن الخامس عشر الهجرى على لسان أحد أشهر علمائه وهو يقول قبل بضع سنين: "مسألة حمار ربيعة ذكرها ابن وهب عنه فى موطئه قال حدثنى الليث بن سعد قال كتب إلى ربيعة يقول فى رجل باع حماراً بعشرة دنانير سنة، ثم استقاله فأقاله بربح دينار عجله له، وآخر باع حماراً

---

١٠ ـ حسين حامد حسان، نظرية المصلحة فى الفقه الإسلامى (القاهرة مكتبة المتنبى، ١٩٨١).

١١ ـ هناك مفاتيح أخرى تساعد على فتح مغلقات تلك العلاقة منها مثلاً: الفتاوى وأحكام القضاء، ولكن كلامنا مقتصر فى هذا البحث على "الأمثال" المضروبة فى بعض مؤلفات الفقه وأصوله.

... ولا يخطر على بال أحد من معاصرينا أن يضرب مثالا جديدا، يكون أكثر ملاءمة لتوليد مئات المسائل في سد الذرائع التي تجلب المفاسد وتضيع المصالح بكثير من مقطعة الشطير في زمننا هذا. لن نطالب هذا الفقيه المعاصر أو ذاك بالتمثيل بصفقة "إف ستة عشر"، أو "سيارات دفع رباعي"؛ رغم أهميتها في دفع العقل الاجتهادي إلى النظر في صميم المصالح والمفاسد العامة التي تشمل مجتمعنا المعاصر كله؛ وإنما نطالبه على الأقل بمثال "صفقة قمح" مستوردة من روسيا، أو أمريكا، أو حتى صفقة ملابس جاهزة واردة من الصين أو الهند، ويتخذها مثالا شارحا، أو حالة تدريبية على كيفية إعمال قاعدة "الذرائع فتحا وسدا" بحساب المصالح والمفاسد، ترى لو أن ربيعة حيا بين أظهرنا اليوم أكان يسأل عن حمار ثمنه عشرة دنانير؟.

ليس من العسير ـ بعكس ما كنت أتوقع ـ حصر الأمثال المضروبة في شرح قاعدة "الذرائع فتحا وسدا"، رغم كثرة المؤلفات الأصولية والفقهية التي تناولت هذه القاعدة قديما ووسيطا وحديثا، وخصوصا في أصول المالكية وأخالسه وفروعهم، وشروحهم، وحواشيهم. وهي موجودة أيضا ولكن بدرجة أقل كثيرا لدى غير هؤلاء وأولئك. وقد خلصنا من حصرها إلى أن هناك ما لا يزيد عن ثلاثين من الأمثال الأساسية الشارحة؛ هي التي نجدها سارحة ومهيمنة على أغلب تلك المؤلفات في باب "سد الذرائع وفتحها".

وتدور عملية الاجتهاد في القول بالسد أو بالفتح طبقا للشروط والتقسيمات التي وضعها الأصوليون أمثال القرطبي (ت ٤١٠هـ) صاحب أقدم تقسيم للذرائع، والقرافي، والزركشي، والشاطبي، وابن تيمية، وابن القيم، والغزالي، وغيرهم ممن أتى بعدهم وكرر أقوالهم؛ على ما بينهم من اختلافات في تلك التقسيمات، أو من مطارحات في تقدير شروط إعمال "سد الذريعة أو فتحها"، ومن أرادها فليلتمسها هناك في كتبهم.

وبعد أن تتبعنا الأمثال الشارحة لقاعدة "الذرائع" في المؤلفات المشار إليها، ودرسناها دراسة أولية، وجدنا أن سماتها الرئيسية تتمثل في أنها متركزة أساسا في "العقائد والعبادات"، وفي "المعاملات"، ثم العدد القليل منها في "العادات والأعراف"، والعدد الأقل في "الجنايات والجزاءات"، ولا نكاد نصادف في تلك المؤلفات مثالا يتناول مسألة من مسائل "المصالح" العامة، أو قضية من قضاياها. وتلك السمات لم تفارق أغلب مؤلفات الفقه وأصوله منذ بدايات عصر التدوين إلى العصر الحديث.

فأغلب تلك المؤلفات تستنسخ الأمثال نفسها. ولئن ساغ ذلك في الأزمنة السابقة، حيث كانت تلك الأمثال تؤدي وظيفتها الشارحة، والمسهمة أيضا في تكوين الوعي العام، نظرا لثباتها النسبي لأن التغير الاجتماعي كان يجري بوتيرة بطيئة وغير محسوسة. وكان الأمر يستغرق وقتا طويلا حتى يحل شيء جديد محل شيء قديم؛ فما سوغ استمرار المحدثين من أصوليين وفقهاء في استنساخ تلك الأمثال نفسها؟ وقد عدت عليها عوادي التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والسلوكية؛ حتى باتت تلك الأمثال قديمة شاحبة المعنى، ومتيبسة الدلالة، وبات استرجاعها عملا غريبا في سياق المعطيات الاجتماعية المعاصرة.

ففي ذرائع العبادات والعقائد نجد باستمرار أمثال "سب الأوثان"، و"سب الرجل والديه"، و"من شك في وضوئه أو صلاته"، و"المتحيرة في الحيض"، و"رجل له ثوبان أحدهما طاهر، والآخر نجس لا يستطيع تمييز أحدهما عن الآخر، يصلي عريانا على أحد الأقوال!"، و"دخول الركبة في حدود العورة"، و"الأسير يلتبس عليه دخول شهر رمضان"، و"من لبس خفيه فأحدث، ثم مسح، فشك هل كان قبل الصلاة أم بعدها؟!

وفي ذرائع المعاملات الاقتصادية نجد باستمرار أمثال: حفر بئر في طريق المسلمين، وجميع بيوع الآجال التي يمثلون لها إلى اليوم بحمار ربيعة كما عند المالكية، وبيع السلاح في زمن الفتن، وبيوع الغرر التي يمثلون لها إلى اليوم "ببيع السمك في الماء، والطير في الهواء، وبيع المرء ما في كمه، وبيع "عسب الفحل"، و"شاة من قطيع"[١٣]، وما درى معاصرونا أن "الهاتف النقال" قد أزاح أكثر من ثلاثة أرباع الحاجة إلى "فقه بيوع الغرر"، حيث جعلت الاتصالات الحديثة وسهولتها احتمالات "الجهالة" وما يترتب عليها من "غرر" هما "على تحريم بيوع الغرر".

أما في الذرائع ذات الصلة بالعادات والأعراف والسلوكيات الاجتماعية، فالأمثال أقل عددا وأقل انتشارا، ومنها: التبول في الطريق العام!، والتصرف مع "الخنثى المشكل"، و"التجاور في سكنى البيوت"، و"دخول الحمامات العامة" لغرض النظافة، و"لعب الشطرنج"، و"ثار في ملك اعتدت للغير"، و"جارية مشتركة بين اثنين"!!.

ما لاحظناه في "الأمثال" المضروبة في الحالات السابقة هو أنها باستثناء مثالين أو ثلاثة تكاد تندرج كلها في الاستدلال على "سد" ذريعة، أو احتياط من مفسدة متيقنة، أو يغلب على الظن وقوعها، وليس منها أمثال على "فتح" ذرائع إلى جلب مصالح في أي من تلك المجالات، اللهم إلا مثال "عدم المنع من زراعة العنب" بحجة أن يتخذ خمرا، والسماح بمجاورة البيوت رغم خشية وقوع الزنا، هذا بالرغم من أن الجميع يسلمون بأن "الذريعة كما يجب سدها،

١٢ ـ المسألة واردة في موطأ ابن وهب وفي كثير من المصادر الأخرى انظر مثلا ابن عبد البر، الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا محمد علي معوض (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ ...) [illegible] من بحوث حديثة كثيرة نقلا عن ابن عبد البر منها مثلا: عبد الله بن بيه، سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات (جدة: سلسلة محاضرات العلماء الزائرين، رقم ٣٢، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب/البنك الإسلامي للتنمية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦).

١٣ ـ الصديق محمد الأمين الضرير، الغرر وأثره في العقود في الفقه الإسلامي (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٩٠) ص٧٦، ٧٧.

يجب فتحه. ويستذكرون مقولة الشاطبي، والقرافي من بعده التي يقول فيها: "واعلم أن الذريعة كما يجب سدها يجب فتحها، ويكره ويندب ويباح.." [14].

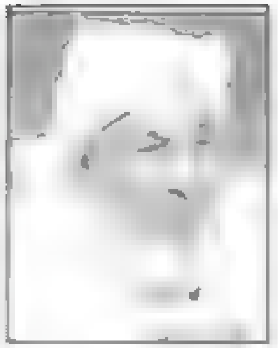
وأما في ذرائع العقوبات والجزاءات الجنائية، فهي وإن كانت قليلة العدد مقارنة بالأمثال [illegible] إلا أن [illegible] يندرج في خانة "فتح الذرائع"، والمثير للانتباه هنا هو أن "السلطان"، أو "القاضي"، هو من رخصوا له في التصرف من باب "فتح الذرائع" في "الجنايات" على ما يظهر من الأمثال التي [illegible] المالكية، ومنها: أن لولي الأمر "التعزير" الشديد في أمور ليست فيها حدود منصوصة، ولو أتى التعزير على نفس المتهم. قال خليل: "وعزر الإمام لمعصية الله، [illegible] أتى على النفس" [15]، ومنها "أن للقاضي أن يحكم بما يدل عليه ظاهر الشهود إذا زكاهم الثقات، وألا يرد شهادتهم لمجرد الاحتياط" [16].

وهناك مثال ثالث يخص "سارق الكفن (نباش القبور)" [illegible]. وقد [illegible] في عقوبته [illegible]، ولا يزال [illegible] مثلما يستعيدون غيره من الأمثال القديمة دون أن أي تغيير! رغم أنها توارت أو كادت تتلاشى من [illegible] لانقطاعها من الواقع المعاصر؛ الذي بزغت فيه أمثال أكثر خطرا تصل إلى سرقة المال العام، ونهب البنوك، وتصل إلى "سرقة الوطن"، وهو بلا شك أهم من مسألة سرقة الكفن.

لا تدل "الأمثلة النادرة" في مسائل الجنايات والعقوبات، على وجود فجوة معرفية، وتهميش لمسائل أكثر أهمية؛ وإنما تدل تلك الأمثال أيضا على ميل جارف نحو فتح باب الذرائع على مصراعيه للحاكم (السلطان) كي يفعل ما يشاء من منظوره الأمني؛ حتى لو "تجاوز الحد وأتى على النفس"، على ما جاء في مختصر خليل، والمشكل هنا ليس في أننا نعاند في حق السلطان في "التعزير" لاعتبارات أمنية، أو نقلل من حق القاضي فيه لاعتبارات حقوقية، وإنما [illegible] في كيفية التحقق من [illegible] الإجراءات التي يتخذها السلطان، وضمان عدم إساءته للسلطة الممنوحة له؛ حتى تفتح أمامه الذرائع على هذا النحو؟. لا أظن أن المالكية طرحوا على أنفسهم هذا السؤال قديما أو حديثا.

عندما فتشنا في مؤلفات المحدثين من الأصوليين والفقهاء، وجدنا تلك الأمثال القديمة حاضرة فيها بقوة، مع هامش ضيق [illegible] بعض الأمثال المستحدثة. لا يختلف في ذلك علماء كبار مثل الشيخ الزنداني [18]، والشيخ الزحيلي [19]، والشيخ [illegible]، والشيخ الشريم [20]، عن دارسين متخصصين من جيل الشباب مثل إلياس بلكا [21]، ومحمد عمر سماعي [22]، وأفلح الخليلي [23]، وغيرهم.

فهؤلاء جميعا يبدءون بالسردية الأصولية لقاعدة "الذرائع"، ويستنسخون الأمثال الشارحة لها من الكتب القديمة، ثم يخصصون حيزا صغيرا للغاية لأمثال مستمدة من الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه، ونادرا ما يقدمون جديدا، فالشيخ الزنداني، اقترح عدم الرد على المخالف في الرأي إذا كان هذا الرد ذريعة إلى الفرقة، والشيخ ابن بيه انتهى بعد أن استوفى السردية الأصولية استذكارا؛ انتهى إلى مثالين جديدين: حمل جوازات السفر، والامتثال لإشارات المرور، وفي عمل آخر له عن سد الذرائع قال "الديمقراطية هي لسد الذرائع إلى الحرب والصراع"، ولم يقل إنها لفتح ذرائع الحرية على أية حال!، بل قال إن "الملكية في المغرب توفر ضمانة تحول دون انزلاق الديمقراطية إلى وضع مأساوي".



ابن بيه



أفلح الخليلي

والشيخ الشريم أتى بمثال يقول "تمنع أطفالنا من تناول الحلوى سدا لذريعة التسوس". وأفلح الخليلي قدم حزمة جديدة من الأمثال على "فتح الذرائع" ـ ولم يمض إلى قافلة السد ـ فذكر في نهاية بحث له: تسويغ رسومات ذات الأرواح لتعليم الصم والبكم، وإبقاء جثة ميتة لدراستها وتشريحها لتعليم الطب، ونبش المقابر إن اقتضت ضرورة البحث عن جثة مفقود، والرسوم المتحركة لتعليم الأطفال السن العليا. وأغلب هذه الأمثال وجدتها في فتاوى دار الإفتاء المصرية في أيام الشيخ جاد الحق رحمه الله.

أما إلياس بلكا، فقد التفت إلى قصور التعليل الفقهي في بيوع الغرر، وسود أكثر

14 ـ القرافي، الفروق، بيروت، دار الكتب العلمية [illegible]

[illegible]

18 ـ الشيخ عبد المجيد الزنداني، سد الذرائع، بحث منشور على موقع جامعة الإيمان www.jameataleman.org ‏htm.news

ـ الشيخ وهبة الزحيلي، الذرائع في السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، دمشق، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ 1999م

19 ـ الشيخ عبد الله بن بيه، سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات، مرجع سابق

20 ـ الشيخ سعود الشريم، قاعدة سد الذرائع، جامعة أم القرى، [illegible]

21 ـ إلياس بلكا، الاحتياط حقيقته وحجيته وأحكامه وضوابطه، بيروت، مؤسسة الرسالة [illegible]

22 ـ محمد عمر سماعي، نظرية الاحتياط، مرجع سابق

23 ـ أفلح بن أحمد الخليلي، فتح الذرائع أدلته وضوابطه، بحث ضمن أبحاث المؤتمر العام الثاني والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة [illegible] ووضع تقديري للأمثال التي قدمها إلا أنني لم أفهم المثال الذي نقله من كتاب الشيخ الخليلي "شامل الأصل والفرع" ـ 1984، ص 123) وقال فيه "يحاول إنقاذ المرأة من غرقها فلا حائل أن تتجرد الوسائل الأخرى، [illegible] ما الذي تستفيده من هذا المثال؟ هل يمكن أن نتساءل عن العكس؟

من عشر صفحات في سرديات فقهية وأصولية وأمثال شارحة للموضوع دون أن يطرح سؤال الواقع الأهم وهو: هل لا تزال عقود الغرر تحتل في واقع المجتمع اليوم، نفس الحيز الذي كانت تحتله إلى مطالع القرن الرابع عشر على أكثر تقدير؟ وكم يا ترى تأثر حجم بيوع الغرر التي شرحتها قديما كتب الفقه وأصوله ـ تحت تأثير انتشار التعليم، وتطور وسائط نقل المعلومات وسهولة تداولها عن أغلب المعاملات بفضل ثورة الاتصالات. وفقه حسبة ومستقبلية؟ أليس من الأولى أن نبحث تسمية جديدة هي "بيوع الغرر" ونمثل لها بعقود بيع ثروات الأمة من غاز ونفط، وعقود امتيازات للشركات الأجنبية التي تنقب عن الثروات وتستغلها، أو امتيازات لدول أجنبية تقيم قواعد عسكرية في بلادنا، أو عقود "بيع الديون" القومية وما يترتب عليها. وفي هذه الحالات غالبا ما يكون الشعب كله هو المغرر به، وربما وقعت معه حكومته في الغرر نفسه. وفي مثل هذه الحالات والأمثال لا تعني شيئا: مستويات التعليم العالية ولا تكنولوجيا المعلومات وسهولة تداولها ولا الشفافية وأنظمتها. أليس البحث في مآلات "عقود الغرر" من هذه الأنواع أحق بتطبيق قاعدة سد الذرائع ونظرية الاحتياط وما شابه؟ نخسره إن نسينا حكاية "بيع الرجل ما في



وهبة الزحيلي

كمه" كمثال شارح لما تدرجه في بيع الغرر، مقابل أن نشغل بمثال بيع الدين القومي الغارقة فيه بلد من بلادنا؟ لسالفين كان عندهم مبررات قوية للاهتمام بمثل هذا النوع من البيوع وضرب الأمثال المناسبة للمعطيات الاقتصادية والثقافية لمجتمعهم الذي عاشوه[24] فما حجتنا نحن؟

الشيخ وهبة الزحيلي انفرد عن الفقهاء المعاصرين عندما أفرد مسألة "الذرائع في السياسة الشرعية"، وكشف عن الصلة بين قاعدة سد الذرائع و"السياسة الشرعية"، فبعد أن عرفها بتعريف الشيخ خلاف والشيخ تاج، وغيرهما من المعاصرين، أشار إلى أن فائدة السياسة الشرعية هي "مسايرة التطورات الاجتماعية"، فكأنه يقدم إقرارا بأن الفقه ليس من عمله مسايرة تلك التطورات الاجتماعية، ثم أضاف دليلين يؤكدان استنتاجنا هذا وهو يبرهن على شرعية "السياسة الشرعية"، وأول الدليلين هو تغير الظروف والأحوال، والثاني قاعدة سد الذرائع، وقاعدة العرف" باعتبارهما من أصول أحكام هذه السياسة.

24- لم يشأ التطرق إلى الأمثال التي سيقت فيها مقصدهم وهم يشرحون قاعدة الذرائع مثل حظر قيادة النساء للسيارات، ومنع [illegible] جلود السباع للجلوس عليها سدا لذريعة الكبر، وتحريم [illegible] سدا لذريعة رؤية الصور [illegible] وتحريم [illegible] النظر إلى [illegible] سدا لذريعة الشرك، ومنع الزوجة من الاطلاع على رسائل الأمر [illegible] لها [illegible] على علمه إلى [illegible] [illegible] من الأمثال الحديثة [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]

وليس هذا هو أهم ما قاله الشيخ وهبة، ولكن الأهم هو إشارته العابرة في سطر واحد فقط من كتابه بقوله: "مبدأ سد الذرائع لا ينظر فيه فقط إلى النيات والمقاصد الشخصية، بل يقصد منه ذلك إلى النفع العام، أو دفع الفساد العام"[25]. ولم يرجع بعد ذلك في كتابه إلى السياسة الشرعية، ولم يتبع هذه الفكرة الجديدة التي لم يسبق إليها لأول مرة ـ ولكنه انهمك في سردية أصول فقه الذرائع والمذاهب الشارحة المستنسخة من كتب القدماء، ولم تجد فكرته الجديدة في خضم هذه السردية، ولم يتذكرها إلا في الفقرة الأخيرة من خاتمة كتابه عندما قال: "باب سد الذرائع هو من أعظم الأبواب التي تدخل منها السياسة الشرعية للعمل على إصلاح شؤون الأمة، والأخذ بها في الجادة وطريق الاستقامة، والنهوض بها على الأسباب القوية القويمة من قواعد الشريعة، فإن ولي الأمر إذا رأى شيئا من المباح قد اتخذه الناس ـ عن قصد ـ وسيلة إلى مفسدة، أو أنه بسبب فساد الزمان أصبح يفضي إلى مفسدة أرجح مما قد يفضي إليه من المصلحة ـ كان له أن يحظره، ويسد بابه، ويكون ذلك من الشريعة، وعملا بالسياسة الشرعية التي تعتمد فيما تعتمد على قاعدة سد الذرائع"[26]. ونلاحظ هنا أن الشيخ لم يوضح كيف يتم التحقق من أن الناس اتخذوا مباحا عن قصد وسيلة لمفسدة؟ وكيف نقيس فساد الزمان؟ وما معايير الترجيح بين المفسدة والمصلحة؟

هنا تتجلى أزمة افتقار الفقه وأصوله ومنهجيات العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تسهم في الإجابة على هذه الأسئلة حتى يكون هذا الاجتهاد الفقهي قابلا للتطبيق، والشيء الوحيد الواضح والمحدد القابل للتطبيق الذي قاله الشيخ هو أن ولي الأمر إن رأى شيئا من ذلك "كان له أن يحظره ويسد بابه ويكون ذلك من الشريعة عملا بالسياسة الشرعية".

ما الذي فعله الشيخ وهبة أيضا؟! أولا هو أزاح الصمت التاريخي الذي مارسه الأصوليون والفقهاء تجاه المسائل التي تدخل ضمن "المصلحة العامة والمفسدة العامة"؛ وقد وجدنا أنهم لم يمثلوا لها بمثال واحد طوال أكثر من ألف ومئتي سنة، وهم يتناولون قاعدة الذرائع فتحا وسدا درسا وشرحا. وثانيا هو صرح بما لم يصرحوا به؛ ألا وهو أن كل ما يدخل ضمن المصلحة أو المفسدة العامة هو من اختصاص "ولي الأمر"، وليس للمجتهد الأصولي أو الفقيه دخل في تقديرها؛ باعتبار أن ذلك من "السياسة الشرعية".

ولكن الشيخ وهبة لم يضرب مثالا واحدا شارحا لهذا الذي ذهب إليه؛ واكتفى بإحالة الموضوع "لولي الأمر" مستخدما صيغة المفرد؛ علما بأن القرآن الكريم تحدث بصيغة الجمع عن "أولي الأمر" في الآيتين اللتين وردت فيهما هاتان الكلمتان: الآية 59، والآية 83 من سورة النساء، بمعنى أن النظر في المصالح العامة وتدبير شئون

25- الزحيلي، الذرائع في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ص10/11

26- المرجع السابق، ص19

أساس مسئولية تشترك فيها أكثر من "ولي أمر" واحد، ولا معنى لتعدد أشخاص أولي الأمر إن كانوا من نوع واحد (سلطان أو رئيس) وإنما بتحقق جميعهم بتنوع اختصاصاتهم، وشيخنا أحال الموضوع برمته لولي الأمر، ولم يشترك مجتهدين وعلماء في تحمل هذه المسئولية بحكم اختصاصهم في تقدير المصالح والمفاسد والنظر في المآلات.

وكما أسلفنا، فإنَّ مؤلفات المجتهدين أصوليين وفقهاء ـ قدماء ومحدثين ـ خلو ـ تقريباً ـ من أمثال شارحة لقاعدة الذرائع في قضايا "المصالح العامة" و"المنافع العمومية". ويبدو أن هذا النوع من المصالح قد أحالوه بـ "صمت" إلى فقه "السياسة الشرعية"؛ حسبما نجده في كتبها المتكاثرة منذ القرن الثامن الهجري، وفيها فوَّضوا ولي الأمر في تقدير المصلحة العامة بالتشاور مع أركان حكمه. ووضعوا تعريفات جامعة لدلالة مفهوم السياسة الشرعية، كقولهم إنها تعني: "التصرف في عموم مصالح الأمة بما زاد على القضاء والفتيا" كما قال القرافي[37]، وتردد هذا المعنى بمضمونه عند آخرين منهم: ابن نجيم، وابن عقيل، والطرابلسي قديماً، ومحمد البنا، وعبد الله جمال الدين، وعبد الوهاب خلاف، وعبد الرحمن تاج، وغيرهم حديثاً، ولم يكن باب "السياسة الشرعية" (بالمعنى الذي ذكروه) سوى الباب الملكي لما سيعرف في تاريخنا الحديث باسم "الأحكام العرفية" وقوانين الطوارئ. ومن ثم تجذير السلطة الاستبدادية وإضفاء "الشرعية" عليها. وحصر اختصاص الاجتهاد الفقهي في مسائل العبادات والمعاملات الفردية؛ لا الجماعية التي يعج بها واقعنا.



عبد الرحمن بدوي

وليس مصادفة أن تتكرر في كتب الفقه المالكي وأصوله ـ وفي غير المالكي ـ عبارة كالتي نقلها ابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ ـ ١٣٩٧م) أي قبل ما يقرب من ستمائة سنة في كتابه "الديباج المذهب"، ونصها هو "سلطان جائر سبعين سنة، خير من أمة سائبة ساعة من نهار". أو كالتي ذكرها القاضي عياض (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ) أي قبل ما يقرب من ألف سنة في كتابه "إكمال المعلم": "جمهور أهل السنة من أهل الحديث والفقه والكلام أنه لا ينخلع السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق، ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه"[38]. !

ترى لماذا لم تناقش الجامع الفقهية المعاصرة ولو مرة واحدة الحكم الشرعي في "قوانين الطوارئ" و"المحاكم الاستثنائية" في أي بلد من بلادنا العربية؟. هل لأنها اعتبرتها من شئون "المصلحة العامة" التي يختص بها ولاة الأمر، ومجالسهم "التشريعية" التي لم تحدثهم مرة واحدة في شأن تعميم الطوارئ وأحكامها لضرورة القاسية حسبما يقدرها "ولي الأمر"، أم ثمة أسباب أخرى تتصل بمزدوج "الترهيب والترغيب"؟!.

أيا ما كان الأمر؛ فإن "الأمثال الشارحة" لقاعدة "الذرائع سداً وفتحاً" باتت تعاني من عدة إشكاليات موضوعية، وهذه الإشكاليات التي أتينا على بعض منها جعلتها معزولة في معظمها عن الواقع المعاصر؛ وخاصة في ظل استمرار عجز المعاصرين عن تجديدها؛ فضلا عن إحجامهم عن نقد الموروث منها للتأكد من فعاليتها أو عدم فاعليتها في أداء مهمتها التعليمية والتطبيقية في الواقع الاجتماعي المتغير على الدوام.

والغريب أن المعاصرين في أغلبهم لم يسعوا إلى استحضار الأمثال القديمة إلى عالم الواقع إما أن يفككها من حمولتها التاريخية، ولا يكون ذلك إلا بجهد واع منهم، وإما أن يبقى على تلك الحمولة ومن ثم يحمل تلك الأمثال مفارقة للواقع المعيش، وعليه تتدنى فوائدها لأقل قدر، إن اكتفاء الفقه المعاصر باستنساخ الأمثال القديمة في قاعدة "الذرائع" وفي غيرها، قد أفقده الشعور بنبض الواقع.

وما نلاحظه هو أن جل جهد المعاصرين متجه للتشديد على "الذرائع" من جهة "السد" أو من باب "الاحتياط". وتبلغ هذه النزعة ذروتها باستحضار مقولة "فساد الزمان"؛ فهنالك ينهض الفقيه الأصولي "لسد" ذرائع الفساد العميم، وينهض فقيه السياسة الشرعية للاحتياط من الفتن؛ وتغليب دواعي حفظ النظام والاستقرار على أي اعتبارات أخرى، وبينهما وبسببهما تسود "ثقافة" مترعة بالتردد والحذر والإحجام عن أخذ زمام المبادرة في كثير من أشغال الحياة ومتطلباتها ـ بدعوى سد ذرائع الفساد. والنتيجة هي وجود "فجوة" كبيرة تحجب النظرية الفقهية عن الممارسات الاجتماعية على اتساعها، والنتيجة هي أيضاً مزيد من تراجع تأثير "الثقافة الشرعية" في توجيه مسارات الحياة الاجتماعية. وإذا أضفنا إلى ذلك إشكالية "نقص" الاجتهادات في كيفية نقل قواعد الذرائع إلى أرض الواقع وتحديد المسئول عن ذلك (فرداً كان أو مؤسسة، أو سلطة ما)؛ لوضح لنا عمق أزمة "النظرية الفقهية" وقواعدها في واقعها المعاصر. وهو ما سنتابع ـ في البند التالي ـ جوانب منه ببحث مثالين أو ثلاثة لهذه القاعدة وهي قيد التطبيق.

يتبع

٣٧ ـ نفسه ص ٦٤

٣٨ ـ القرافي: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ص ٥٦

الإسلام والدولة الحديثة «٢»



كتب الكثيرون عن الدولة وقد حملت كتاباتهم عناوين مثل، الدولة والمجتمع،. و، الدولة والثورة،.، الدولة فى التاريخ،.، الدولة الاقطاعية،.، الدولة الرأسمالية،.، الدولة الاشتراكية،.، الدولة الاسلامية،.، الفرد والدولة،. مما يدل على أهمية موضوع الدولة وحيويته بالنسبة إلى كل عقيدة. ومذهب وكل نظام اجتماعى. واتجاه سياسى - ونظرية اقتصادية. أى لابد من أن يحدد بشكل او باخر الموقف من الدولة والرأى فيها.

الدولة ونزعة التسلط

لا يراد هنا إطلاقاً من تشريح هذا النمط من الدولة عبر ظهور ذلك الميل أو الاتجاه أو النزعة لدى الدولة - أية دولة نحو توسيع الصلاحيات وتعزيز السلطان، والتحكم فى المجتمع. فإذا كانت العملية فى النظام الإقطاعى فى أوروبا [illegible] بين الملك والأمراء الإقطاعيين. وإذا كانت العملية فى النظام الرأسمالى الغربى صراعاً [illegible] بين رجال الدولة والساسة من جهة وبين أصحاب رؤوس الأموال من جهة وبين العمال والنقابات والأقليات من جهة ثالثة. فإن غالبية الحالات تشير إلى جنوح الدولة نحو المزيد من مركزة السلطة ومحاولة الارتفاع فوق الرأسمالية والفئات الأخرى والمجتمع عموما

أما النظام الفاشى - النازى (هتلر وموسولينى)، فقد كان نموذجاً لتحول الدولة إلى جهاز فوق طبقة الرأسماليين والمجتمع. تمارس بمختلفهما أنواع العنف والقهر وصولاً إلى إعلان حرب طاحنة لم يكن لهما حق فى قرارها إيجاباً أو سلباً.

ومن هنا فإن القانون الذى يحكم طبيعة الدولة -أية دولة هو- الاتجاه والميل النزعة نحو توسيع الصلاحيات. ونحو التحكم فى المجتمع، ونحو التحول إلى قوة فوق المؤسسات والمجتمع بل فوق الدستور والقانون. وهذا ما جعل الصراع بين اتجاه الدولة نحو السيطرة واتجاه المجتمع، عموما، حتى صارت القوى الاجتماعية الأقوى يشكل قانوناً ملازماً آخر، ومضمونه محاولة زيادة دور

المجتمع ومؤسساته والحد من ذلك النزوع لدى الدولة. إنه الصراع الذى يخوضه العلماء والجمعيات والمؤسسات والنقابات والجمعويات، وأصحاب الفكر والرأى وأهل العقد والحل، أو الطبقات والفئات الاقتصادية المتعددة. وقد عرفت أكثر التجارب التاريخية الحديثة هذا الصراع بين نزعة الدولة للسيطرة واتجاه المجتمع للحد من تلك السيطرة لامتلاك مزيد من الحرية والاستقلالية والقدرة كما أظهرت تلك التجارب أن ميزان هذا الصراع يميل فى مصلحة المجتمع فى مراحل الثورات والانتفاضات وبناء الأنظمة الجديدة. أو إذا كان المجتمع يملك قدرات اقتصادية واجتماعية وتنظيمية وسياسية وأيديولوجية ثقافية تسمح له بالتحدى والموازنة مع قوة الدولة بينما يميل الميزان فى مصلحة الدولة فى حالات الحروب الخارجية أو الحروب الأهلية وإعلان حالة الطوارئ أو الحالات التى يسيطر فيها الجيش أو الحزب الواحد على الدولة ويجرد المجتمع من قوته الاقتصادية والتنظيمية والسياسية والأيديولوجية. ولاسيما فى الدول التى امتلكت فيها الدولة المصنع والأرض والتجارة والجامعة والمدرسة ووسائل النقل والإعلام وجرد المجتمع من حقه فى التعبير عن رأيه أو المطالبة بحقوقه.

ولهذا فإن الدولة التى تملك السيطرة على الأرض والمصنع والجامعة وأجهزة الإعلام إلى جانب سيطرتها على الجيش والشرطة وسائر الأنشطة الحيوية الدولة تكون أكثر قدرة على حسم ذلك الصراع لعقود



موسولينى



هتلر

من السنين فى مصلحتها. لأنها تكون قد جردت المجتمع حتى من أبسط وسائل المقاومة والدفاع الذاتى. لأنها عندئذ لا تملك البندقية والسوط والسجن والقرار السياسى فحسب، وإنما أيضا تملك مصادر أقوات الناس من العامل المهنى إلى المثقف. وهذا يفسر فى تجارب عدد من الأنظمة العربية أو أنظمة العالم الثالث تلك النتائج المروعة الناجمة عن الحكم العسكرى - أو حكم الحزب الواحد حين يسيطر على المراكز الرئيسية فى العملية الاقتصادية وفى المدرسة والجامعة وأجهزة الإعلام المختلفة والنقابات والمؤسسات الأخرى. فضلاً عن سيطرته على الجيش وأجهزة الدولة الأخرى. إنها سلطة مصدرة للقرار السياسى.. دولة فوق المجتمع والقانون، دولة قمع حتى الحدود القصوى ومن ثم دولة تبعية للخارج بلا رادع داخلى لأن استئثار الدولة بمراكز [illegible] والمؤسسات الاجتماعية [illegible] تنزع من المجتمع كل مصادر استقلاليته عن الدولة [illegible] فعلت ذلك فى المجتمع ككل وهى تدعى أنها [illegible] والإقطاعيين، أو تصفية الرأسمالية

والإقطاعية، ولهذا انتهى فى تلك الأنظمة دور الشعب - الجماهير، وانتهى دور الفكر الحر. وأصبحت النقابات كأنها جزء من أجهزة الدولة وغاصت البلاد فى مستنقع عفن من الدكتاتورية والقمع والدماء والإرهاب ما يؤدى فى النهاية إلى اختزال كرامة الإنسان وثقته بنفسه وقدراته. فيهبط أخلاقيا وروحيا، وتتراجع قدراته الإبداعية والإنتاجية.

إنا طاغوت الفئات العليا المتفسخة من ملاك الأراضى الكبار والرأسماليين الاحتكاريين والسماسرة ووكلاء الشركات الأجنبية فى بلدان العالم الثالث وطاغوت الرأسمالية العالمية الاحتكارية فى العالم الغربى سمحا بتعطية اتجاه «الدولة الثورية» نحو السيطرة على كل مقدرات المجتمع تحت دعوى مقاومة الإقطاع والاحتكار والرأسمالية وإقامة الاشتراكية. وكان هذا هو الخيار الذى ظن أنه البديل لكل السلبيات والمفاسد الناجمة عن النظام الرأسمالى أو الأنظمة التى خلفها الاستعمار وراءه. ولكن التجربة أثبتت أن امتلاك الدولة لكل السلطات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وتجريد المجتمع من المرافق الاقتصادية والحريات السياسية يؤديان فى نهاية المطاف إلى أوضاع أشد سوءا من الأوضاع السابقة. ولا نكون قد فعلنا أكثر من الاستجارة من الرمضاء بالنار، أو نكون تحت الميزاب ونحن نهرب من الدلف. ولقد أثبت الفكر الماركسى عجزه عن إعطاء الحل النقيض للحل الرأسمالى. فالحل الذى قدمه كان


خروشوف


شيلاسيلاسي

وجها آخر للعملية نفسها. ولم يكن حلا نقيضا فعلا. ويكفى أن نلاحظ أزمة الأنظمة الماركسية مع شعوبها التى أصبحت فى حالة يرثى لها فى كل مكان. ووصلت حدا لو خيرت معه - تلك الشعوب لاختارت أى نظام آخر حتى التسلط الرأسمالى. كما يكفى أن نلاحظ التراجعات تلو التراجعات التى تحاول تلك الأنظمة. وبعد خمسين سنة من التطبيق الاشتراكى أى فى ظل الجيل الرابع أو الخامس من أبناء الاشتراكية، أن تستوعب من خلالها نقمة المجتمع لتقديم بعض التنازلات التى تخفف من قبضة الدولة على ملكية الأرض والتجارة والمصنع والسوق، ولا يبالغ المرء إذا قال إن صورة هذه الأنظمة ستصبح بعد عشرات السنين القادمة من الذكريات الرهيبة المرعبة فى مخيلة العالم تماما أو أسوأ، من صورة الأنظمة الإقطاعية أو الاحتكارية الرأسمالية. أو الأنظمة المتفسخة للفئات العليا من ملاك الأراضى والسماسرة ووكلاء الشركات الأجنبية كما عرفتها بعض بلدان العالم الثالث بعد التخلص من الاستعمار. فصورة نظام منغستو هايلى مريم، على سبيل المثال، سوف ترى فى منظور التاريخ القادم أشد رعبا وفظاظة من صورة نظام

الأمبراطور هيلاسيلاسى - ولا عجب حين يصل الأمر بنكيتا خروتشوف فى تقريره السرى الذى أقره المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفياتى أن يرى عهد ستالين من نواح كثيرة «أشد ظلاما وإجراما من عهود القياصرة». وهو ما ستفعله الأجيال القادمة عندما ستقارن عهد خروتشوف - برجنيف مع عهد القياصرة. وتقول القيادة الصينية شيئا شبيها حين تتحدث عن عهد من تسميهم «بعصابة الأربعة»، ولعل هذه الشهادات، ومن خلال إقرار رسمى تم عبر مؤتمرات حزبية تكررت فى أغلب البلدان الاشتراكية - الماركسية، لا يمكن وضعها بالدعايات المعادية للشيوعية.

نقد الرأسمالية وحدها لا يكفى

لعل من الاستنتاجات الأساسية التى تؤدى إليها دراسة تجربة الأنظمة الاشتراكية الماركسية أو المتأثرة بها هى القطع باستحالة حل أزمة الرأسمالية فى الحضارة الغربية من خلال ما يسمى بالاشتراكية العلمية (الماركسية) كما أثبتت التجارب اعتماد الفكر الثورى فى بلدان العالم الثالث على نقد ماركس للرأسمالية ومن ثم الاعتراف وراء «الحل الاشتراكى» بنقل العالم الثالث من دياجير ظلام إلى دياجير أشد إظلاما، ومن هنا تتطلب عملية البحث عن حل لأزمة العالم الراهن الناجمة عن أزمتى الرأسمالية الغربية والاشتراكية السوفياتية من جهة وعن أزمة أنظمة العالم الثالث من جهة أخرى أن يجرى نقد صارم لكل من الرأسمالية والاشتراكية (أساسا للماركسية) الأولى فيما يتعلق باستغلال

العمال، والثانية فيما يتعلق بدولتها الطاغوتية، وكلاهما فيما يتعلق بالشعوب الأخرى. وبهذا يصبح بالإمكان معالجة العلاقة بين الدولة والمجتمع معالجة سليمة من خلال معالجة مشكلتى النظامين الرأسمالى والاشتراكى اللذين لم يستطيعا إيجاد حل متوازن وسليم لمشكلة العلاقة بين الدولة والمجتمع أو بكلمات أخرى إن المعضلة الناشئة عن التنازع بين الحاكم - الحاكمين - والمحكومين - أو بين الدولة والمجتمع، أو بين الدولة والثورة لم تجد لها حلا فى الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والفاشية والنازية، فقد أثبتت التجارب التاريخية، والمعاصرة منها خصوصا، أن كل واحدة من هذه الأنظمة كانت تزيد تلك المعضلة تفاقما على طريقتها فالحل الرأسمالى جعل التنازع بين الدولة والرأسمالية سجالا.

إنه صراع بين دولة تنزع إلى أن تزيد من سيطرتها على الطبقة الرأسمالية، وأن تضعف من سيطرة تلك الطبقة عليها لكى تتمتع بأعلى درجة من درجات الاستقلالية إلى حد الارتفاع فوقها - فكان نموذجها الأعلى النظامين النازى والفاشى فى أوروبا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية - ولكنها فى الوقت نفسه تظل حامية النظام الرأسمالى وحارسه اليقظ المتقد، بينما تنزع الطبقة الرأسمالية إلى جعل الدولة وسلطتها السياسية الحكومية - والمجلس التشريعى، ممثلة لها، ومعبرة عن مصالحها، خاضعة لرؤيتها فى إدارة شئون السياسة، والاقتصاد، والسياسة الدولية وغير ذلك

من شئون فكان نموذجه الأعلى - بدرجات متفاوتة - الأنظمة الرأسمالية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا خصوصا أنظمة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

هذا من جهة أما من جهة الأخرى، فإن سمة هذا النظام اتفاق عام بين الدولة والطبقة الرأسمالية على فئات المجتمع الأخرى فهو اتفاق يتجه إلى تغلب مصلحة الدولة والرأسماليين كلاهما على مصالح المجتمع ككل. وسمة هذا التغليب المحاولات المستمرة لزيادة الضرائب غير المباشرة وتقليص الخدمات والضمانات الاجتماعية. والحد من الأجور ولكن هذه العملية تجرى ضمن معادلة معقدة متشابكة أو ضمن ما يسمى «باللعبة الديمقراطية» التى تجعل المجتمع يحصل على بعض الحقوق ويملك متنفسات. وتحرص على رجال الدولة الذين يواجهون الناخبين أن يراعوا ناخبيهم استطاعت لعبة الديمقراطية التخفيف من المعضلة الناشئة عن التنازع بين الحاكمين والمحكومين. ولكنها ما كانت لتنجح لولا اتفاق جميع الأطراف على المحافظة على النظام الاقتصادى والسياسى العالمى الراهن فهذه السيطرة سمحت بوضع الدولة والرأسماليين والمجتمع عموما على أرض مشتركة. أما فى الحالات التى كانت التناقضات تنشب بينهم فوق هذه الأرض المشتركة فقد كان معها الاختلاف فى الاجتهاد على كيفية إدارة الصراع مع مجتمع طال استعباده واستطاع أن يثور ويفرض إرادته، ويلغى إمكان استمرار السيطرة المباشرة عليه مما يجعل المجتمع ومعه فئات من الطبقة الرأسمالية نفسها تأخذ مظهرا ليبراليا، وربما بعض أجنحة السلطة السياسية أيضا. تعارض قرار استمرار الحرب الخارجية، ولكن يجب أن يلاحظ أن هذه التناقضات لا تصل درجة الحدة إلا بعد أن تكون الحرب قد فشلت فى إبقاء السيطرة وأصبحت فى نفق لا خروج منه وهذا ما حدث فى فرنسا فى المراحل الأخيرة من حربى فيتنام والجزائر وما حدث فى الولايات المتحدة فى أواخر حرب فيتنام.

إن السيطرة على الخارج، وما تجلبه من ثروات، وما تتطلبه من مساومات داخلية حتى يقف المجتمع كله فى سبيل تحقيقها هى التى سمحت للأنظمة الرأسمالية أن تخفف من حدة المعضلة الناشئة بين الدولة والمجتمع ولهذا لا يستطيع هذا النظام أن يقدم حلا عالميا بما يطرحه من أنظمة دستورية، ومؤسسات ديمقراطية، ولعبة برلمانية؛ لأن حله لا يصلح إلا فى التخفيف من حدة المعضلة كما لا يصلح إلا لمن يسيطر على بقية العالم - سيطرة مباشرة أو غير مباشرة وتعمل فيه تحكما ونهبا. ولهذا عندما حاول بعض السياسيين والمثقفين فى بلدان العالم الثالث اتخاذ التجربة الديمقراطية الرأسمالية فى الغرب نموذجا، فسعوا إلى تطبيقها على بلدانهم ازدادت المعضلة بين الدولة والمجتمع تفاقما، لأن الشرط الأساسى لنجاح هذا النموذج لا يتوفر إلا فى إطار سيطرة سياسية واقتصادية على الأقل على السوق العالمى سيطرة تحقق نهب أجزاء من الثروات العالمية المتراكمة ومن هنا وجدوا تجربة التقليد تسير إلى فشل وتحولت دولهم إلى التعثر فى الفساد وإلى التمادى فى القمع والتجاوز فى السيطرة على المجتمع مما جعلها تفرز أنظمة عسكرية تنقلب على مجرد التوجه إلى النموذج الرأسمالى. لأن الديمقراطية واللعبة البرلمانية، ومحاولة تثبيت المؤسسات الدستورية تسمح فى ظروف بلدان العالم الثالث بإعطاء المجتمع قوة فى التنازع مع الدولة والسلطة السياسية. وهى قوة لا تستطيع الدولة والطبقة الرأسمالية المساندة لها احتمالها لأنهما لا تستطيعان فعل ما يفعله النموذج الرأسمالى الأصلى فى استيعاب أو امتصاص ذلك الضغط من خلال التوجه إلى السيطرة على الخارج والإفادة من خلال الثروات الفائضة التى تجنى من السيطرة على الخارج وإذا أضيف إلى ذلك عامل الضغط الخارجى الذى تتعرض له هذه الدولة من قبل الدول الكبرى مما يجعلها بين المطرقة والسندان. فتزيد حدة تناقضها مع المجتمع خصوصا حين تميل إلى مساومة والخضوع لذلك الضغط الخارجى.

الأمر الذى يولد الشروط التى تجعل بعض الدولة تدفع بأحد الجنرالين ... ليأخذ بيدها. دون الشركاء الرأسماليين والمتنفذين اقتصاديا. القرار السياسى. ومن ثم الارتكاز على الدولة وحدها فى عملية الصراع ضد المجتمع ويصبح من الضرورة أن تقصى الفئات الحاكمة السابقة المتفردة بالسلطة تماما وهى تفعل ذلك تحت شعار تصفية العملاء، والرجعيين والاستغلاليين. أى تفعل ذلك تحت شعار «الثورة». وهكذا تتولد شروط بناء دولة «الثورة» التى ستتجه إلى حل المعضلة بين الدولة والمجتمع من خلال جعل نفسها فوق المجتمع، ونزع مخالب المقاومة منه، وعندما يمضى هذا الجنوح إلى مداه الأخير يصار إلى إلغاء المؤسسات السياسية المستقلة عن الدولة، الأحزاب والنقابات والجمعيات، ليقوم مقامها نظام الحزب الواحد (أو الجبهة الواحدة التى تقع تحت السيطرة التامة للقائد الأوحد أو الحزب القائد الأوحد)، أما فى المجال الاقتصادى فيتخذ ذلك المدى الأخير شكل التأميم والسيطرة على مراكز الإنتاج والتجارة الخارجية والتحكم بأرزاق الناس فى العمل وفى السوق.

بهذا يكون هذا الإفراز الذى أقام السلطة العسكرية على رأس الدولة قد أخذ يتشبه بالنموذج الاشتراكى من النمط السوفيتى، ويستند إلى نقد الماركسية اللينينية للديمقراطية والليبرالية برفع شعارات «الديمقراطية الموجهة» أو «ديمقراطية الطبقة العاملة» و«لا ديمقراطية لأعداء الشعب والقوى المضادة للثورة» إلخ ... وما هى إلا مرحلة قصيرة حتى يحسم الصراع فى مصلحة الدول كاملا. ويفقد المجتمع كل وسائل المقاومة السياسية والاقتصادية والفكرية. ثم سيرتد تلك المعضلة تتفاقم فوق كل تفاقم، وإذ بدت الأمور على السطح هادئة بسبب قهر المجتمع قهرا شبه تام على الأقل فى مراحل معينة، وهكذا تتحقق نتيجة مماثلة لأنظمة الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والنازية الفاشية لم تستطع أن تقدم حلا مناسبا لمعاضلة التنازع بين الدولة والمجتمع، ومن ثم تكون التجربة التاريخية الحديثة قد أثبتت الحاجة الماسة

إلى نقد الدولة الاشتراكية.. دولة التأميم وامتلاك أدوات الإنتاج والتحكم بالأرض والتجارة نقدًا لا يتقص عن نقد الدولة الرأسمالية بأشكالها الليبرالية والفاشية والنازية، وما لم يتم ذلك ستظل كل ثورة، بما في ذلك الثورات الإسلامية معرضة للوقوع في براثن أحد النجاعين الأساسيين للدولة الحديثة: الرأسمالية أو الاشتراكية السوفيتية.

الثابت والمتغير في الدولة

إن النظريات التي لا تسلط الضوء الكافي على نزوع الدولة، أية دولة، نحو السيطرة على المجتمع بكل فئاته تخفي بعضها تحت المقولة التي ترى التعامل مع الدولة انطلاقًا من تعاملها مع النظام ككل، وبعضها انطلاقًا من الطبقة المالكة لأدوات الإنتاج، وبهذا يكون هنالك الدولة في النظام الرأسمالي أو النظام الإقطاعي أو النظام العبودي في أوروبا، والدولة في النظام الإسلامي، أو الأنظمة قبل الرأسمالية، في بلدان آسيا وإفريقيا، وبهذا يصبح الحديث عن الدولة حديثًا عن النظام، أي تلحظ العناصر المتغيرة في الدولة ولا تلحظ الثوابت في طبيعتها وهذا يشبه بالضبط ما تفعله تلك النظريات بالإنسان حين لا تلحظ الثوابت الأساسية فيه كالفطرة والغرائز والأهواء، وما تولده من ميول ونزعات. فترى صفات الإنسان ضمن النظام الاجتماعي الاقتصادي المحدد، وبعضها تراه جزءًا من طبقة لا غير، وبهذا يصبح الحديث عن الإنسان حديثًا عن النظام الاقتصادي الاجتماعي، أو عن الطبقة التي ينتمي إليها. فتنكر العناصر الثابتة في تكوينه وتغليب المختلفة وفق الظروف والأنظمة المختلفة. ومن ثم ترى تلك النظريات الإنسان معادلة تأخذ لونها وطبيعتها وميولها وفق الظروف والأنظمة والطبقة. وترى بالعين نفسها الدولة معادلة (أو ظاهرة) تأخذ لونها وطبيعتها وميولها وفق الأنظمة والطبقة الأمر الذي يؤدي إلى كارثة نظرية وعملية نتيجة إنكار العناصر الثابتة وميولها ونزعاتها وتغليبات الثقافية فيها، والمؤثرة فيها، والمتأثرة بالظروف والأنظمة والطبقات أحيانًا، والتشكيلات الاجتماعية الأخرى أحيانًا كالقبائل والعشائر.

إن من المخاطر الناجمة عن النظريات التي ترى العناصر المتغيرة في الإنسان أو الدولة فقط، ولا ترى العناصر ذات الثبات والمتعلقة بالتكوين الأساسي، أو بالجوهر، وبالطبيعة، هي انفلات تلك الميول والغرائز بالرغم من طبيعة النظام المحدد، دون رادع أو وازع، مما يحملها تلك الأهداف، أو المبادئ، وتتحكم بالنظام، والمجتمع. وقد يصل الأمر إلى صنع تعبيد، أو الفترة التاريخية، أو النظام بطبعها وصبغتها. إن عدم إدراك هذا القانون المميز بين الثوابت والمتغيرات وذلك بإنكار الثوابت أو بكل المتغيرات لا يستطيع أن يميز في التاريخ الإسلامي بين الدولة والسلطة الحاكمة في زمن الخلافة الراشدة والأمويين والعباسيين والمماليك والعثمانيين، بل لا يستطيع أن يميز بين عهد السلطان عبد الحميد وحكم حزب الاتحاد والترقي، وهو لا يستطيع أن يميز على مستوى التجربة الأوروبية بين الدولة النازية والدولة الديمقراطية ما دام النظام في الحالتين هو نظام رأسمالي وما دامت الطبقة المسيطرة مالكة لأدوات الإنتاج الرئيسية هي الرأسمالية-الاحتكارية أو الرأسمالية في مرحلة الكارتيلات والترستات، فلو أخذ بالتعريف التبسيطي الذي لا يرى للدولة جانبًا من الاستقلالية، ولا يرى نزوعها الناجم عن طبيعتها من حيث هي دولة، نحو السيطرة والارتفاع فوق المجتمع والطبقة الاقتصادية الاجتماعية المسيطرة فسوف لا يفهم من أين أتت الدولة النازية. ولا سيما حين يؤخذ بعين الاعتبار أن الطبقة الرأسمالية العليا في ألمانيا ما كانت راضية بأن تفقد قدرتها، ودورها القيادي السياسي والاجتماعي الثقافي والاقتصادي لحساب دولة أصبحت تقرر كل شيء دون رجوع إليها وما عليها إلا الرضوخ والتأقلم سواء كانت قرارات الدولة متقاطعة، أم غير متقاطعة مع مصالحها أو وجهة نظرها. وإن عدم رؤية هذه السمة هي التي ستصدم كل الرجال أصحاب المبادئ والمثل في مختلف الثورات حين يرون الدولة التي أقاموها لتعبر عن مبادئهم، ومثلهم تنقلب لتعمل لحسابها. وتعيد صياغة الأهداف وفق نزوعها إلى إحكام السيطرة على من هم خارجها، وإخضاع المجتمع لها إلى حد تحويله إلى قطيع إن أمكن.

طبعًا إن تسليط الضوء على النزوع الطبيعي في تكوين الدولة من حيث هي دولة، أية دولة، لا يعني بالمقابل أن تحليله واحد في كل الحالات. أو بكلمة أخرى لا يجب أن يقود نقد النظريات التي تنكر على الدولة ذلك النزوع باعتباره مكونًا أساسيًا إلى عدم رؤية الفروق الأساسية في تجليات هذا النزوع من نظام لآخر ومن مجتمع لآخر، فتحول الدولة إلى ملك عضوض، على سبيل المثال، في النظام الإسلامي يختلف عن تحول الدولة إلى الفاشية في النظام الرأسمالي، وهذه تختلف عن تحول الملكية إلى ملكية مطلقة في النظام الإقطاعي. أو بكلمات أخرى أن أي تحليل لا يرى فعل العناصر الثابتة في تكوين الدولة أو الإنسان ضمن إطار الظروف والأنظمة يخطئ أيضًا في تحليل وإدراك ومعالجة تلك العناصر.

على أن الأمر الذي يراد التأكيد عليه هو إلقاء الضوء أساسًا على ذلك النزع في تكوين الدولة حتى لا يؤدي إنكاره إلى الخطأ في المعالجة الإسلامية للعلاقة بين الحكام وأجهزة الدولة من جهة وبين الجماعة الإسلامية والشرع من جهة أخرى في ظل قيام نظام إسلامي أو دولة إسلامية.

٭٭٭

أوضاع الأقليات المسلمة فى القارة الإفريقية

إعداد المشير:
عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب



يقول تعالى فى محكم تنزيله:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)

هذه الاية امر واضح للدعاة الى الله ان يتخذوا من الوسائل الحكيمة ما يمكنهم من ابلاغ الدعوة والحكمة تقتضى أن يقف الناس لتدارس مناهجهم التى يعملون بموجبها ودراسة الواقع الذى تمارس فيه عملية الدعوة لاستنباط احسن الوسائل المستخدمة للوصول لأفضل النتائج المبتغاة وان يستفيدوا من تجاربهم الخاصة فى الدعوة سعيا لتجويدها بما يتلائم مع المبادئ المقررة والواقع المعاش حتى لا نصبح كالذى يجىء ويروح مكانه وفى هذه الورقة سنتلمس مشكلات الواقع الذى تعيشه الاقليات الاسلامية فى أفريقيا ونقترح من الطرق والأساليب التى ينبغى ان تسلكها الدعوة الاسلامية هناك فى محاولة لارساء منهج يجمل بالعاملين فى هذا الحقل الكريم اتباعه صدعا بالحق ووصولا لابلاغ كلمة الله للعالمين.

أوضاع الاقليات المسلمة فى القارة الافريقية

يعانى المسلمون فى أفريقيا من مشاكل معقدة نتيجة لعوامل شتى أدت إلى انحطاطهم وقعدت بهم عن ممارسة دورهم فى نشر الدعوة الاسلامية فى مجتمعاتهم فضلا عن تقديمها لجيرانهم من الوثنين وأصحاب العقائد الأخرى.

وعند تعريف لكلمة أقليات إسلامية قد ينصرف الذهن إلى ضعف هذه المجموعات من الناحية الكمية العددية ولكن الواقع أننا نعنى كل المجموعات المسلمة المستضعفة التى ليس لها وجود فى السلطة السياسية والخدمة المدنية وليس لها أيضا نفوذ اقتصادى فاعل أو دور مؤثر فى صياغة القرارت المصيرية وبهذا التعريف فإنه ينسحب ستثناء أى مجموعة مسلمة فى إفريقيا.

والمسلمون الأفارقة يشكلون ثقلا ضخما لا يمكن تجاهله رغم ما به من ضعف فهناك خمس عشرة دولة إفريقية جنوب الصحراء تفوق نسبة المسلمين فيها الـ ٥٠٪ وتليها عشر دول تزيد نسبة المسلمين فيها عن الـ ٣٠٪ لذلك فقد احتدم الصراع بين المسيحية والإسلام لتحويل قبلة القارة ودينها وحضارتها، ويعمل المسيحيون وفقا لخطط يأملون أن تصبح بموجبه إفريقيا قارة مسيحية. و سنحاول فيما يلى أن نقوم باستعراض سريع لأوضاع هذه الأقليات والتعرف على مشكلاتها توطئة لاستجلاء المناهج المناسبة لواقعها.

أولا: يعانى المسلمون الأفارقة من الوهن العام الذى تتبدى مظاهره فى عدم مقدرتهم على المشاركة فى الحياة السياسية والاجتماعية فى بلادهم شاءوا أم أبوا. فبلد مثل السنغال تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٧٪ كانت تدار إلى عهد قريب بواسطة رئيس مسيحى وبلد مثل أثيوبيا تفوق نسبة المسلمين فيه الـ ٥٠ بالمئة على أقل تقدير تجد معظم إدارييه من الأمهرا المسيحيين ولا يوجد وزير مسلم واحد فى حكومتها.

كينيا تبلغ نسبة المسلمين فيها الـ ٣٠٪ لم يحظ مسلم واحد بوظيفة وزارية منذ استقلالها وقس على ذلك كثير من الأقطار الأفريقية

ثانيا: يعانى المسلمون من الجهل والفقر الذى تتجلى مظاهره فى عدم تأهيلهم للحياة العامة نتيجة لاحتكار المؤسسات التنصيرية للتعليم الأمر الذى جعل المسلمين يعزفون عنه فأورثهم ذلك جهلا وبعدا عن دقة الحياة الحديثة وفى ذات الوقت أتاح لغيرهم التحكم فى مصائرهم ففى بلد مثل تنزانيا غالبيته من المسلمين نجد أن عدد الطلاب المسلمين بجامعة دار السلام لم يتجاوز الـ ١٠٪ حتى الآن فكيف الحال فى بلاد الاقليات الصغيرة وقد كان للاستعمار القدح المعلى فى الوصول بالمسلمين الأفارقة لهذا الوضع من الفقر المزرى.

ثالثا: يعانى المسلمون الأفارقة من مشكلة الذوبان الثقافى فى المجتمعات من حولهم وضياع هويتهم الثقافية فأصبحوا ينظرون إلى الحياة بنظرة هذه المجتمعات ويستحلون ما يستحله غيرهم وأصبح سلوكهم فى الغالب الأعم من جنس سلوك سواهم من غير المسلمين وذلك نتيجة للجهل بأمور الدين الإسلامى رغما عن وجود المدارس القرآنية وذلك لقلة المعلمين ومحدوديتهم وضعف ثقافتهم ومحدودية المامهم الصحيح للعلوم العربية والإسلامية كما أن الاستعمار والكنيسة عملا على تشجيع التفسخ الاجتماعى فى مناطق المسلمين عن عمد ففى الساحل الشرقى لكينيا حيث يتركز المسلمون عملت الشركات الأوروبية على إقامة الملاهى والمصايف السياحية التى تشجع الموبقات وتسعى لإفساد الشباب تحت مظلمة إنعاش السياحة.

رابعًا: يعاني المسلمون في إفريقيا من الفرقة والشتات وانقسامهم إلى طوائف وشيع وقبائل فالمجتمع الإفريقي مجتمع قبلي يجعل الكثير من المسلمين يوالون قبائلهم أكثر من ولائهم لدينهم مما كرس الجاهلية العرقية ومهد الطريق لأعداء الأمة لتبديد محققاتهم.

كما أن للجهل بالدين دورا لا ينكر في تفاقم الخلافات حول قضايا هامشية ليس لها وزن في مبادئ الإسلام حيث تبدأ الانقسامات حول الزعامة وتتطور لانقسامات نظرية حول التقويم القمري والذكر، وعدد الذين تقام بهم الجمعة مما أدى لضعف المسلمين وعرى بهم سامة فصاروا العوبة في أيديهم، وغالبا ما تذكي نار الخلافات جهات خارجية من بعض الدعاة الذين يأتون من الخارج ويسعى كل منهم لنشر مذهبه الفقهي السياسي بغض النظر عن أثر ذلك على مجتمعات المسلمين الأمر الذي يؤدي لإضعاف المسلمين وتدخل الدولة في شئونهم كما هو الحال في يوغندا وتنزانيا وزنجبار وجيبوتي.

خامسًا: تعاني المجتمعات الإسلامية في أفريقيا من ضعف اتصالها ببقية أجزاء العالم الإسلامي نتيجة للعزلة التي ضربها الاستعمار وأخذت بها الحكومات التي أعقبته بالحد من حرية الحج الذي يهيئ أسباب الاتصال بالعالم الخارجي والالتقاء ببقية المسلمين كما أن لحكومات العالم الإسلامي أيضا دورا سلبيا في عزوفها عن إقامة المراكز الثقافية في البلاد الإفريقية على غرار المراكز الأوروبية والأمريكية والبريطانية بالإضافة لإعراض الدول الإسلامية عن تقديم المنح الدراسية للمسلمين الأفارقة، فالناظر إلى المنح المقدمة من الدول الإسلامية مقارنة مع غيرها يجد أثرها لا يكاد يذكر.

العوامل التي أدت لمشاكل الأقليات المسلمة في إفريقيا

بعد هذا الوصف الموجز لأوضاع الأقليات الإسلامية ومشكلاتها نحاول إلقاء الضوء على العوامل الرئيسة التي أدت إلى هذه المشاكل

أولا: الاستعمار:

كان مؤتمر برلين عام ١٨٨٤م نقطة البداية للسباق المسعور للتكالب على أفريقيا من قبل الدول الأوروبية كما أشار إلى ذلك الزعيم الإفريقي أحمد سيكوتوري حيث كتب قائلا: (ومهما يكن من تنوع أشكال التسلل الإمبريالي في إفريقيا وتنوع أشكال القوى اقتصادية كانت أم عسكرية ثقافية أم روحية فإن الاستعمار قد تميز قبل كل شيء بثلاثة ميزات فرضت نفسها على إفريقيا.

أولا: حرمان الأفارقة من تسيير دفة مصيرهم وسيادتهم وتجريدهم من حقهم الطبيعي في حل مشاكلهم.

ثانيًا: السيطرة الأجنبية على ثروات إفريقيا وشعوبها والاضطهاد الإداري والسياسي والثقافي.

ثالثًا: إيقاف التطور الطبيعي للثقافات الإفريقية وتجفيف منابع حضارتها بهدف



ـعرة للثقافة العربية.

هذا وقد استخدم الاستعمار أساليب متعددة لتحقيق هذه الأهداف من بينها السيطرة العسكرية والقمع ونهب الثروات الطبيعية والخزنة، وتفتيت الوحدة الـ...حلية من خلال سياسة فرق تسد والتلاعب بالحدود وتشجيع ...التنصير العربي والاستيطان الأجنبي، وفرض لغة المستعمر وثقافته على البلدان المستعمرة وفرض المستعمر لغته وثقافته على المجتمعات الإفريقية عن طريق مناهج التعليم وتوجيه الثقافة والإعلام وعندما قاومت الثقافة الإسلامية هذه المواجهة قابلها الاستعمار بحرب عنيفة وحاول اقتلاع جذورها من البلاد الإفريقية ومن أمثلة ذلك ما فعله ونجت باشا حيث أغلق مدرسة واو الابتدائية عام ١٩٠٤م بحجة أنها تساعد في نشر الدين وأمر حاكم كردفان بتدريس اللغة العربية بالحرف اللاتيني.

كما استخدم المستعمر القمع العسكري لكل الحركات الإسلامية التي وقفت في وجهه واستخدم السلاح الناري في مواجهة السلاح الأبيض وأوقع فيهم مقتلا عظيما كما كان الحال مع مهدي الصومال والسودان وخلفاء دان فوديو وعمر بن سال الفولاني في غرب أفريقيا وعندما هدأت الحرب عمل تفتيت وحدة المسلمين فجزأ خلافة سكتو إلى نيجيريا ومالي والنيجر وجزأ الصومال إلى إقليم إنجليزي وفرنسي وإيطالي وألحق بعضه بكينيا وجزأ سلطنة زنجبار إلى تنجانيقا وكينيا وزنجبار وشجع البعثات التنصيرية للعمل في مناطق المسلمين وأعطى المؤسسات التنصيرية حق احتكار التعليم الأمر الذي جعل المسلمين يعزفون عن تعليم أبنائهم فيها حفاظا على دينهم وهويتهم الحضارية مما فتح الباب على مصراعيه للمسيحيين والوثنيين ليتأهلوا بالتعليم المدني الأوروبي الحديث ومن ثم يرثوا مقاليد الأمور بعد رحيل المستعمر الأوروبي.

وقد امتدت هذه السياسات بعد رحيل الاستعمار العسكري المباشر حيث حافظت عليها ورعتها دول الاستعمار الاستراتيجي الغير مباشر والذي سار على نفس أهداف سلفه التقليدي فجر البلاد إلى تبعية وضعف وفتحها لإنشاء القواعد العسكرية وقبول السيطرة الاقتصادية وانحاز إلى جانب المسيحيين والتأثير لصالحهم فسمح للمؤسسات الكنسية بالعمل والحركة دون قيود واحتكر لهم خدمات الصحة والتعليم في بلاد كثيرة كيوغندا وجنوب السودان

فصار المواطن لا يتمكن من التعليم أو العلاج إلا إذا تنصر وترك دينه

التنصير الكنسي

تعاون التنصير المسيحي بمؤسساته المختلفة مع الاستعمار الغربي لإقصاء المسلمين من موقع التأثير في الحياة العامة وتهميش دورهم ولم يكن في بدء الأمر يسعى لتنصيرهم فقد بدأ يعمل بجد ونشاط في المجتمعات الوثنية المجاورة لهم ويحول دون انتشار الإسلام إلا أنه عمد بعد ذلك إلى التأثير على عدد قليل من أبناء زعماء المسلمين باحتضانهم وتعليمهم وتربيتهم على ثقافته وسلوكه وإعادتهم لبلادهم حتى يكونوا رسلا لثقافته ثم تطور الأمر واصبحوا مصرون على التخطيط لتنصير أبناء المسلمين أنفسهم بعد أن نجحوا في اجتذاب الملايين من أتباع الديانات الأفريقية التقليدية وقد عقد مؤتمر في أبادان بغرب أفريقيا عام ١٩٥٨م لكنائس غرب أفريقيا وخرج بقرارات أسموها مشروع الإسلام في أفريقيا، جاء فيها:-

١- يشكل المسلمون ٤٠٪ من الأفارقة ويجب عدم استثنائهم من تقديم بشارة المسيح.

٢- يجب أن تعمل كل كنيسة على تفهم واقع المجتمعات الإسلامية من حولها بإجراء الدراسات الميدانية

٣- أن تعمل هذه الكنائس على نشر المسيحية من خلال التأثير في مناهج التعليم والبحوث.

ولتحقيق هذه الأهداف كونت الكنائس لجنة أطلق عليها لجنة الارتباط واتخذت نيروبي مقرا لها ومهمتها إنشاء لجان من الكنائس في المجتمعات المسلمة لتقوم بما يلي:

١ / تشجيع كافة المسيحيين الذين يواطنون مجتمعات إسلامية على العمل المنظم بين المسلمين.

٢ / تنظيم حلقات دراسية وسمنارات للمعنيين المسيحيين

٣ / تشجيع التعارف بين المسيحيين والمسلمين

٤ / نشر الدراسات المسيحية عن الإسلام والمسلمين.

٥ / توفير الاستشارات والفتاوى الخاصة بموضوع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين.

وقد أجريت دراسة شاملة للمجتمعات الإسلامية في أفريقيا وأكدت نتائج بعض الدراسات إلى قابلية مجتمع الفولاني بغرب أفريقيا لبشارة المسيح بالإضافة لصومالي شرق كينيا ثم مدى التكثيف التنصيري على المسلمين الأفارقة وكانت نتيجة ذلك أن تقبل أكثر من ٩٠٠،٠٠٠ مسلم المسيحية في عدد من البلاد الأفريقية.

ويستعمل التنصير عدة وسائل أهمها

١ / التنصير عن طريق التأثير في المناهج التعليمية

٢ / التنصير عن طريق البث الإذاعي خاصة في المجتمعات الرعوية التي لا يصلها المنصرون أو تلك التي يخشون فيها مغبة الاتصال المباشر وقد أوضحت الدراسات أن هناك أكثر من خمسين إذاعة كنسية في أفريقيا تبث برامج بمختلف اللهجات واللغات الأفريقية.

٣ / الفيديو والكاسيت تستعمل خاصة في المجتمعات الأمية

٤ / الكتب والمنشورات والصور المعبرة.

٥ / الخدمات الصحية والبيطرية.

٦ / الإغاثة من الكوارث العارضة كالمجاعات وغيرها



ملامح الأساسية لمنهج الدعوة الإسلامية بين الأقليات الإسلامية في أفريقيا

بعد هذا العرض السريع لأوضاع الأقليات وواقع الدعوة الإسلامية في أوساطها، يضعنا البحث على أعتاب مرحلة استكشاف المناهج الصالحة للتحرك بالإسلام في هذا الواقع واختيار منهج يتم بمقتضاه تلافي السلبيات الراهنة التي تلازم حركة الدعوة لنستشرف بها آفاق تعديات السامية للدين.

ويرتكز هذا المنهج - الذي تمليه ضرورات الواقع - على قاعدة كبرى مستوحاة عن مجمل العبر والدروس المستفادة من مناهج الدعوة التي اتبعها الأنبياء عليهم السلام على مدار التاريخ الإنساني كله وعلى القواعد التي قررها القرآن الكريم فالأنبياء في دعوتهم لعقيدة التوحيد لم يتبعوا مناهج تجريدية محضة لتوجيه الناس للإسلام لرب العالمين وإنما دخلوا إلى ذلك من منافذ اجتماعية عدة تختلف صورها باختلاف حال مجتمعاتهم واختلاف مشكلاتها وقضاياها كما أن الله تبارك وتعالى أمرنا في كتابه العزيز بأن ندع إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وقد قال

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »

ومن الحكمة أن يتبصر الدعاة أفضل السبل والطرق لتوصيل كلمة الله وأكثرها ملاءمة لحال المخاطبين بالدعوة.

ويقوم هذا المنهج الذي تتجلى ملامحه الآن على مشاركة الدعاة للناس ومقاسمتهم همومهم والسعي لعلاجها واقتراح الحلول لها فالأقليات الإسلامية في أفريقيا هي الرصيد الأساسي والاحتياطي الضخم للدعوة الإسلامية في القارة إذا ما حسن أسلوبنا للارتقاء بحياتهم الروحية والمادية فهم سفراء الإسلام في مجتمعاتهم ولهم القدرة أكثر من سواهم على مخاطبة إخوانهم الأفارقة من غير المسلمين.

الاهتمام بتطوير الوسائل والأساليب

لقد ظلت أساليب الدعاة إلى الله فى معظم الأقليات المسلمة فى أفريقيا متوقفة زمنا طويلا على ذات الأساليب العتيقة الموروثة من عهود موغلة فى القدم وإن الحكمة التى يصطحب القرآن كقاعدة لأسلوب الدعوة تقتضى النظر والتدبر فى وسائل الدعوة وتطويرها حسب حاجات العصر ومقتضياته واكتشاف المنابر المؤثرة والمواقع الجديدة لخدمة الدعوة وأصبح لازما أن يتمتع الدعاة بقدر من المرونة والفهم ليطوروا وسائلهم المستخدمة، فمجرد الحديث على المنابر لم يعد وحده كافيا لإقناع الناس بالمعانى الدينية وقد أتاح التقدم العلمى والاختراعات التكنولوجية الحديثة قدرا كبيرا من النظم والوسائل والأساليب الفعالة فى مجالات الاتصال والتأثير يمكن الاستفادة منها والإفادة بها أيما إفادة فى دفع حركة الدعوة أفقيا ورأسيا.

التخطيط

أصبح من الضرورى أن يخضع العمل الإسلامى فى أوساط الأقليات بصورة من التنظيم والتخطيط تتجاوز به مرحلة العشوائية التى اتسم بها العمل فى أوساط الأقليات وتمكن الدعوة من مواجهة الخطط المعادية وذلك من خلال الوعى بالزمن ودوره فى العملية الاجتماعية وربط الشباب بالنتائج ودراسة الاحتمالات وتوفير الحسابات الدقيقة وترجمة الأهداف إلى برامج والموازنة الدقيقة من الحاجات والإمكانات وترتيب الأولويات حماية للجهد وتوفير للطاقات برسم الاستراتيجيات الشاملة والخطط.

التنسيق

لابد من تنسيق العمل الإسلامى لتكامل جوانبه وتفادى التضارب فى الوظائف والاختصاصات وتركز الجهود فى رقعة معينة بينما تبقى المناطق الأخرى خالية من أى جهد وعمل وهو أمر مطلوب من هيئات الدعوة المحلية والقارية حتى توظف الجهود الإسلامية المبذولة بكفاءة وفعالية لخدمة الأهداف المرسومة فى خطط الدعوة الإسلامية العامة والخاصة.

التمويل

يعتبر توفير المال اللازم لمشروعات الدعوة وتسيير برامجها واحد من مقومات أى خطة تنشد النجاح ومن دون إيجاده يصعب على أى عمل أن يستمر ويؤتى أكله ولقد توقفت كثير من أعمال الدعوة الإسلامية فى أفريقيا لعدم توفر المال أو لاعتمادها على التبرعات التى تحسب فى عداد المصادر المؤقتة التى تتأرجح بين الفينة والأخرى وفى تاريخ الدعوة الإسلامية بعامة ابتكر المسلمون نظام الوقف الذى كان له أثره الكبير فى إنجاح الكثير من البرامج والمشروعات إلا أن إسهام الأوقاف اليوم أصبح ضئيلا لسوء الإدارة وعدم الصيانة والإهمال فلابد إذن من تطوير نظامها وخلق الاستثمارات كمصادر ثابتة وانتداب إدارات أمينة ومتمرسة لترعى شأنها وتحافظ على ريعها الذى يشكل المصدر الرئيسى لتمويل برامج الدعوة.

الخدمات الاجتماعية

خدمة المجتمع وتقديم العون للفئات الضعيفة فيه عبادة وقيمة تكاد تغيب عن كثير من المسلمين اليوم برغم ما ورد فى الإسلام من تعاليم تدعو لفعل الخير وتأمر به وتجعله فريضة يومية على الإنسان المسلم ولقد لمسنا فى صدر هذا البحث كيف نفذ التنصير من خلال هذه الثغرة فى مختلف الجوانب الصحية والاجتماعية فدعاة الإسلام مأمورون بأن يشاركوا المجتمع همه ويمسحوا دموع اليتامى ويبتسموا فى وجه البائسين ويسهموا فى إغاثة الملهوفين وإطعام الجائعين ويداووا جراح القلوب الحزينة بكلمة طيبة وموقف عملى ولابد أن تتعاون الهيئات الإسلامية العالمية والإقليمية والمحلية لتحقيق هذا الغرض فى أوساط الأقليات الإسلامية فى أفريقيا بإنشاء المستشفيات والمراكز الصحية والمرافق الخاصة برعاية الأمومة والطفولة وتوطين اللاجئين لسد الثغرة التى ينفذ منها المنصرون ويحولون من خلالها الآف المسلمين الأفارقة إلى المسيحية مستغلين ضعفهم الاجتماعى ومرضهم. والمسلم مأمور بفعل الخير بنص القرآن مثلما هو مأمور بالركوع والسجود حيث يقول عز وجل

[illegible]

(الحج ٧٧)



التعليم

التعليم أداة رئيسية من أدوات التحول الاجتماعى والحضارى حرم منها المسلمون الأفارقة طيلة العهد الاستعمارى والاهتمام به يعد مفتاحا لنهضة الأقليات المسلمة لدوره فى تنمية الوعى وتقوية الشعور بالهوية خاصة وأن معظم الحكومات الإفريقية ترحب بالمساهمة فى هذا المجال وتسمح بقيام المؤسسات التعليمية الخاصة الأمر الذى استفادت منه الكنيسة فائدة قصوى ولابد أن نراعى عند إنشاء المؤسسات التعليمية فى مناطق الأقليات أن تكون من النوع الذى يسمح بالصعود للجامعات والمعاهد العليا بتخصصاتها المختلفة حتى تجذب العناصر الذكية والفاعلة من أبناء المسلمين، ومن الأوفق أن تتبع المناهج القومية فى بلاد الأقليات الإسلامية مع اهتمامها بالعلوم العربية والإسلامية والمناخ التربوى الإسلامى السليم، كما يجب الالتفات لتأهيل المعلمين، وتوسيع حجم المنح الدراسية التى تقدمها الدول

الإسلامية لأبناء الأقليات وعدم حصرها في التخصصات الدينية فحسب؛ لأن كثيرا من الدول الأفريقية لا تعترف بالشهادات الدينية ولا توظف حملتها في المرافق الحكومية

القطاعات الاجتماعية

أصبحت القطاعات الاجتماعية كالشباب والأطفال والمرأة تتعرض لمخططات منظمة تستهدف تحويلها عن دينها وتفريغها من محتواها لحرمان الأقليات الإسلامية من طاقتها الشابة البناءة ومن المهام العاجلة أن يقوم المشتغلون بأمر الدعوة بين الأقليات بوضع البرامج الإسلامية التي تتلاءم مع هذه القطاعات لتوجيهها إسلاميا والاستفادة منها في دفع عملية الدعوة ذاتها وذلك بصرف الاهتمام للمرأة باعتبارها الراعية للمؤسسة الاجتماعية الأساسية وتثقيفها إسلاميا لينعكس ذلك على دورها التربوي المهم كما يجب مراعاة أن عددا كبيرا من أطفال الأقليات الإسلامية يعانون من مشاكل الفقر واليتم والتشرد، وعلاجها يتم بإنشاء دور التربية ومؤسسات رعاية الأطفال التي لا تزال محتكرة لهيئات التنصير.

وسائل الاتصال

تلعب وسائل الاتصال الحديثة دورا هاما في نشر الأفكار والتغيير الاجتماعي ويمكن الاستفادة منها في الدعوة بصفة عامة عن طريق تعاون الهيئات العاملة في حقل الدعوة بين الأقليات بإنشاء مراكز لطباعة الكتيبات التي تقدم التعاليم الإسلامية الأساسية ونشرها بمختلف اللغات المتداولة في أوساط الأقليات. كما يمكن الإفادة أيضا من أفلام الفيديو وأشرطة التسجيل الصوتي في تعليم العقيدة والفقه ومبادئ الدين.

وقد حان الوقت لتوجيه بث إذاعي إسلامي بمختلف اللغات المستعملة لبعض المناطق الجغرافية للأقليات بحسبان الإذاعة وسيلة فعالة للوصول للأميين وذات مقدرة على تخطي مختلف الحواجز وهنا يمكن أن يسهم تعاون الدول الإسلامية وتنسيقها بحيث تتولى كل دولة مهمة البث لمجموعات لغوية وجغرافية معينة ليتم تغطية القارة كلها.

تدريب الدعاة

إن الدعوة الإسلامية وفقا لهذا المنهج الذي نحن بصدده لابد أن تقوم على عاتق كوادر بشرية مؤهلة بكل حقل من حقول المتقدمة وعلى درجة عالية من الكفاءة والتخصص الدقيق لتسيير دفة المشروعات المختلفة وهذا لا يتأتى إلا بالتدريب الرفيع والمستمر.

كما ينبغي إعادة النظر في المناهج التي تعمل بها معاهد إعداد الدعاة الميدانيين الذين يؤهلون للعمل في مناطق الأقليات بحيث يتم إعدادهم إعدادا خاصا يتناسب والمهمة التي تنتظرهم. وذلك بتزويدهم بفكرة كافية عن طبيعة المجتمعات التي سيعملون بها وتاريخها وعقائدها واتجاهاتها وتزويدهم بالخبرات اللغوية والمهارات الضرورية وفنون الاتصال والإقناع

توطيد العلاقات الدبلوماسية بين الدول الإسلامية والبلاد الأفريقية



إن البلاد الإسلامية بإمكانها أن تدفع الدعوة الإسلامية في مناطق الأقليات بصورة كبيرة إذا ما وضعت هذا الهم في طليعة همومها الدبلوماسية وعند رسم سياساتها الخارجية تجاه قضايا الأقليات المسلمة والدفاع عنها واستخدام كافة إمكاناتها الدبلوماسية والسياسية لتقوية مواقفها المناصرة لهذه الأقليات بحيث تشكل هذه السياسة طوقا من الدفاع الاستراتيجي عن هذه الأقليات وارتباطها الحضارية والإسلامية ويدعم كل هذه الجهود الدبلوماسية علاقات ثقافية متينة ونشطة تستهدف إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية في تلك البلاد وتقديم المنح الدراسية المنتظمة لأبناء المسلمين. إضافة لعلاقات التبادل التجاري والاستثمارات والمصارف التي من شأنها أن تقوى العلاقات وتحسن من أوضاع المسلمين الاقتصادية.

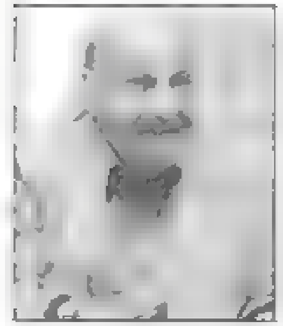
إن الجهود المتنوعة بإمكانها أن تدفع الدعوة الإسلامية شوطا متقدما بإذن الله إذا ما استصحب الدعاة والمشتغلين بأمر الدعوة أن واقع الأقليات يتطلب استخدام أكبر قدر من الحكمة بالبعد عن الخلافات والمذهبية وأن يتبعوا منهجا دقيقا في الخطاب يراعي فيه طبيعة هذه الأقليات التي تجهل الكثير عن الإسلام بحكم الظروف والملابسات التي تعرضنا لها في صدر هذا البحث فهي بعيدة عن المنابع الأساسية للدين بحيث لا يكاد مرء يميز بين سلوك المسلم وجيرانه من غير المسلمين فعلى الدعاة أن يهتدوا بهدى الآية الكريمة:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾

(النحل: ١٢٥)

فإذا كانت هناك طريقتان للحوار إحداهما حسنة والأخرى أحسن منها وجب على المسلم أن يجادل بالتي هي أحسن والداعية حكيم هو الذي يدرك هذه المعاني ويحسن استخدام الأسلوب المناسب للظرف المناسب.

تحويل المرجعية التشريعية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين



الموضوع الذي اخترته هو ، تحويل المرجعية التشريعية عبر القرنين التاسع عشر والعشرين ، يخرج قليلا عن اطار السمينار الذي يتخصص فيما يتعلق بالعصر العثماني حتى سنة ١٩١٤ م. ولكنني سوف ازيد عن هذا التاريخ قليلا ، لان لها اهمية بالنسبة لي.

ولقد فضلت ان نتحدث ليس عن حركة التشريع، انما عن المرجعية. وهذه لها اساس فكرى بالنسبة لي. فبعد استمرار عملية الحوار والجدل السياسي والثقافي الذي ثار على مدى العقدين الماضيين حول الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، وجدت في النهاية أن المسألة ينبغي ألا تطرح على أساس الأحكام القانونية. وانما على أساس المرجعية: لان المشكل لا يتعلق بالأحكام التفصيلية مثلا: ان عقد البيع يحتوى على ضمانات للمشترى عندما يشترى شيئا ما. ولا يتعلق بحقوق المستاجر عندما يستاجر قطعة ارض، او مسكن. لا يتعلق بشيء من هذا.

والحلول التي يضعها الفقه الإسلامي والقانون الوضعي لمثل هذه الأمور متقاربة. والخلاف في هذا الأمر إذا كانت تقتضيه المصلحة حول بعض المعاملات المعاصرة من الممكن العبور إليه بسهولة. والذين مارسوا التفسير بمناهجه ، سواء في القانون الوضعي أو في الفقه الإسلامي ، يعرفون كيفية هذا الأمر ، دون خروج عن النص ، إنه لتعمل مناهج مستقرة ومقررة. فيها جانب منطقي ، وجانب مراعاة المصالح. وقد كتب فيها فقهاء كثيرون ، خصوصا في الفقه الإسلامي ؛ لأن نصوصه ثابتة ولا تتحرك ؛ فنجد كثيرين نظروا موضوع المصلحة ، قالوا إن المصلحة هي التي تؤدي إلى تغيير الأحكام ، ونحن سوف ننظر موضوع المصلحة – ونظروا موضوع المصلحة فعلا – ووضعوا لها قواعد كيف يمكن استخراج المصلحة ؟ وكيف يمكن تحريك النص في إطار المصلحة ؟ وكيف يمكن استقراء الوصول إلى المقاصد العليا والعامة الخاصة بتشريع معين ؟ وكيف يمكن إعمالها في هذه النصوص ؟ وكيف يمكن التقريب ما بين ثبات النص وبين الواقع المتغير ؟

ولذلك المسألة في الأساس يخيل لي أنها لم تكن مسألة أحكام فرعية ، فإذا مارست القانون في شكله التطبيقي ، وكل شغلنا كان أننا نمسك النصوص الوضعية ونحركها على الواقع في ظل واقع متغير ومتنوع ، والنص حتى إن كان وضعيا فهو نص ، فأساليبها معروفة ومستقرة ومعترف بها لدى أهل الصنعة ، ولذلك المشكلة ليست في هذا الاتجاه ، وإنما المشكلة في المرجعية. ما هو الأصل المرجعي ؟ ما هو الذي يجعل هذا النص شرعيا أو غير شرعي ؟

في القانون الوضعي نرجع إلى ما يسمى حقوق الإنسان أو القانون الطبيعي ، القواعد العامة ، وهنا فلسفة القانون تدرس وفيها مدارس مختلفة ، وفي الفقه الإسلامي نرجع إلى القرآن والسنة بصفتهما المراجع الأساسية لتصرفات الإنسان ، فالمرجع هو الأساس.

ويوم أن غيرنا قوانين من الفقه الإسلامي إلى القانون الوضعي ، ابتداء من سنة ١٨٨٢ وما قبلها بقليل ، وسوف أفصلها فيما يلي ، يوم أن فعلنا ذلك لم تكن الأحكام التفصيلية هي محل مشكلة. بالعكس فعندما أحضرنا القانون الفرنسي وعرضناه على بعض علماء الأزهر وسألوهم رأيهم فيه ، مع أنهم لم يدرسوا القانون الفرنسي ولا القانون المقارن ، هم فقط درسوا المذاهب المقارنة في الفقه الإسلامي فقط ، درسوا الحنبلي والشافعي والمالكي والحنفي ، والظاهري والباطني إلخ ، إنما لم يدرسوا الغربي ، فلما قرءوا التقنين قالوا إنه قريب جدا من المذهب المالكي ، ونحن كان عندنا المذهب الحنفي هو المطبق من أثر من آثار العصر العثماني ، إنما المذهب المالكي بالنسبة للمصريين أقرب إليهم من المذهب الحنفي ، المذهب الحنفي أتت به الدولة العثمانية ، إنما المصريون عموما كانوا يتوزعون بين المذهب الشافعي بنسبة الثلثين تقريبا ، والمالكي بنسبة الثلث ، وكان شيوخ الأزهر جميعا شافعية ومالكية ، ولم يتول منصب مشيخة الأزهر قط حنفيا ولا حنبليا ، وكان أول حنفي يتولى مشيخة الأزهر هو الشيخ المهدي العباسي – رحمه الله – في عهد الخديوي إسماعيل عندما أحب أن يجعل شيخ الأزهر بمثابة مفتي إستانبول ، وحيث كان المذهب الحنفي هو السائد ، فجاء بحنفي ووضعه في مشيخة الأزهر ، وتولى الإفتاء في نفس الوقت ، وبعد ذلك جاء الشيخ حسونة النواوي والشيخ عبد المجيد سليم وغيرهما ، إنما قبل ذلك كانت مالكية وشافعية. فلما يكون قانون أقرب إلى المذهب المالكي ، يرحب به المصريون أكثر مما يرحبون بالمذهب الحنفي ، والأزهريون بالذات يرحبون به أكثر.

ومع ذلك فإن ما حدث لم يكن كذلك ؛ لأنه قطع المرجعية. التشابك كان في الأحكام التفصيلية ، إنما أين ذهبت المرجعية. لم يعد الرجوع ثقافيا لرجال القانون للبحث عن أصل النصوص لم يعد الرجوع في ذلك إلى القرآن والسنة ، فلم نعد نقول : قال الله وقال الرسول ، وإنما أصبحت نقول قال قانون نابليون والقانون الروماني من قبله ، في مثل هذه المناسبات لم

معد نرجع إلى الفتاوى الهندية والزركشي والمدونات الإسلامية، وإنما أصبحت نرجع إلى الفكر الفرنسي، ولم نعد نقول من أين جاءت النصوص، وإنما أصبحت نرجع إلى محكمة النقض الفرنسية ونأخذ منها الأحكام. هذه هي المشكلة التي عزلت البناء القانوني عن التكوين الثقافي للجماعة مصرية في ذات الوقت. حيث كان البناء الثقافي يستمد مشروعيته في الأخلاق وفي العادات وفي الثقافة العامة من الفقه الإسلامي، فالمشكلة إذن هي المرجعية وليست تشريعية الآخر، عندما نجد تشابها في القوانين لا يهمنا، عندما نجد تقليدا ومحاكاة من قوانين لقانون أجنبي لا يهمنا، فالمقارنة بين المطروحة عندما نأخذ منه ما نريد لا مشكلة، إنما نربطها بالمرجعية التي تتعلق بالتقبل العام والثقافي في المجتمع لما هو الخير وما هو الشر وما هو الحسن وما هو القبيح، فعندما أخذ قلم الدكتور رءوف ويقول إنه قلمي، ويأتي آخر ليحكم، فبأي شيء سيحكم بيننا، سنقول هناك نص يقول كما ذكرت، وهنا نسأل على أي أساس يحكم هذا النص؟

سنقول على أساس الدستور، إذن فعلى أي أساس يحكمنا الدستور؟ هذه هي المرجعية العليا التي تحكم في النهاية ما هو مشروع وما هو غير مشروع بالنسبة لتصرفاتنا وبالنسبة لسلوكنا. فأنا لست محتاجا إلى الشرعية في المأكل والملبس، إنما أحتاج إلى الشرعية عندما يكون رأي ينفذ على غيره، ولماذا ينفذ رأي على غيره؟ من الذي يجعل كلمته نافذة علي وماضية علي، نص أو قول أو فعل مرجوع فيه إلى مبدأ، مبدأ فلسفي هو مدى يحكم في البداية.

هذه هي النقطة التي تجعلني أشعر بأن المشكلة الأساسية ليست هي النصوص أو الأحكام الشرعية بين القانون الأساسي والقانون الإسلامي، إنما المشكلة الأساسية هي: ما هي المرجعية؟، وهذا سيوصلنا إلى نتيجة حكم مختلفة تماما عما يمكن أن نصل إليه من ناحية تغيير القوانين والنصوص.

النقطة التي أريد أن أقولها أولا هي تعريف المرجعية، ما هي "المرجعية" حتى تكون تعبيراتي واضحة. المرجعية في ظني هي الأصول الفكرية والثقافية العامة التي تؤمن بها الجماعة وتشكل قوة الثوابت الأساسية في تشكيلها بوصفها جماعة بشرية، وهي أيضا الأصول الفكرية والثقافية التي تصدر عنها مبادئ المشروعية السائدة في المجتمع سواء بالنسبة للأوامر والنواهي، أو بالنسبة لأحكام التعامل بين الناس وهي الأصول الفكرية والثقافية التي تتشكل منها هياكل التنظيمات السياسية والاجتماعية المشخصة للجماعة العامة كجماعة سياسية، أو الجماعات الفرعية التي يتكون منها المجتمع والمنظمة لأنماط العلاقات الاجتماعية السائدة.

ملاحظات عامة

- **أولا: قبل أن أدخل في الموضوع.**

فالذين تحدثوا عن الشريعة وعن فقه الشريعة قالوا أول حاجة عرفوا الشريعة، ونحن أول ما درسنا فقه الشريعة كانت أول محاضرة، وكان الشيخ على أول حاجة قالها شرع من مشرع، مشرع ماء هو مورد الماء وشرع من المصدر والمورد فكلمة الشريعة أصلها معناها المورد، أي العين التي نردها، وهذه هي أساس الحكم على المسائل كلها من الجانب العلمي أو الخط الأساسي، ثم بعد ذلك هناك أحكام تفصيلية تتعلق بالمعاملات بين الناس. هذه هي أول نقطة أحببت أن أوضحها.

- **النقطة الثانية: علينا أن نتفق فيما يأتي:**

أولا: إن هناك دائما نصوصا ثابتة، وهنا وقائع متغيرة سواء بالنسبة للقانون الوضعي أو بالنسبة للشريعة، دائما هناك ما يسمى الاجتهاد أو التفسير، كل هذا يتعلق بتفسير النص الثابت على الواقع المتغير. فالنص أول ما يقال يصبح ثابتا، يصبح مجموعة من المعاني المحددة بمجموعة من الألفاظ، والوقائع متغيرة، وعلى أن أطبق هذا النص الثابت على الواقع المتغير، سواء كان وضعيا أو قانونيا شرعيا.

كذلك النص يتعلق بمجموعة من المعاني المحددة المستقرة في النص، والوقائع متنوعة. فما من نص يتكون من مجموعة من الألفاظ، يمكن حصر جميع الوقائع التي يتناولها، إنما نلجأ إلى قدر من التجريد لكي يشمل معاني هذه العبارات. كل الوقائع متغيرة، فهناك تنوع هنا، وهناك تحدد. والفرق بين التحدد والتنوع: التحدد هو النص، والتنوع هو الواقع. ومجاله إعمال النص، وهناك ثبات النص، وهناك تغير الواقع والمشاكل التي تقابلنا في تطبيق النصوص الأساسية من الناحية الوضعية. هي بالضبط من نوع المشاكل التي تقابلنا في تطبيق النصوص الشرعية. هذه ناحية، الجانب الآخر: دائما هناك للنص سعة معينة، في وجه من وجوه الأعمال له سعة معينة، وهو محدد مثل السيف لا يحتمل التأويل، كما نقول مثلا الزوجة لها الثمن في الميراث، هذا الثمن لن يكون سبعا أو تسعا، الثمن ثمن ١٢.٥٪، إنما في غالب الأحكام هناك دائما سعة للنص. وسعة تسمح بقدر من الخلاف داخله، بين مشدد ومخفف، وبين من يراعي المعاني وبين من يراعي المباني، دائما هناك خلافات في هذا المجال، ودائما هناك سعة في النصوص، وهذه السعة هي التي تؤدي إلى نوع من الاختلاف في فهم النصوص، سواء كانت وضعية أو شرعية، وهناك مدارس وأحكام في فهم هذه النصوص وفي إعمالها، ثم يؤخذ أي معنى ويرجح بمدى ملاءمته للواقع ومطابقته له، فدائما هذه السعة موجودة في النصوص، ودائما تسع قدرا من خلافات في داخله. وإلى الحد الذي جعل واحدا مثل الإمام عبد الوهاب الشعراني يقول: الشريعة ليست مذهبا واحدا فقط، ولكنها جميع المذاهب معا. ليست رأيا على خلاف الآراء الأخرى، الآراء كلها هي الشريعة، وأي رأي واحد هو ناقص، رأي هو شريعة ناقصة؛ لأن كل هذا ممكن إعماله في ظروف معينة، فيعطيني سعة من التعبيرات، وسعة من كميات الأعمال بحيث أستطيع أن أغاير وأباين في التطبيق بين حالة وأخرى، مع اختلاف ظروف الزمان والمكان بالنسبة للجماعات التي نطبق عليها النصوص فلما نرى ثبات النصوص مع تغير التفسيرات التي ترد عليها عبر عشرين سنة أو ثلاثين سنة،

ملاحظ - وهذا لم يكن يعني أن الناس كانت تفكر خطأ أو صحا - فكل هذا استرداد لكميات النص. هذا إعمال للنص.

الذى زود إمكانيات السعة فى هذا مجال. أنى ليس أمامى نص واحد. إنما أمامى مركز قانونى، والمركز القانونى يكون فيه مجال لإعمال عدد من القوانين معا فى نفس الوقت على شىء واحد، فعندما أفتتح محلا أو كشكا فى الشارع فسوف أجد نفسى خاضعا للقانون المدنى والجنائى، وعدد كبير جدا من القوانين ينطبق على مجرد شخص يبيع سجائر مثلا. هنا عندما يأتى القاضى لتحقيق العدالة، يكون أمامه هذا المركز القانونى، فكيف يحقق العدالة من خلال تداخل هذه النصوص وتفاعلها مع بعضها؟ إن هذا التنوع يعطى له سعة أكثر، فلا يكون أمامه نص واحد: نعم أو لا. إنما أمامه عدد من النصوص تتعامل مع بعضها. وهذا يفسح فى التعامل لتحقيق ما يراه من العدل والصالح والنافع فى هذه الأمور.

المشكلة التى حدثت خلال العشرين سنة الماضية - مع أنها خارجة تماما عن نطاق هذه الدراسة - أننا تعاملنا فى هذا الموضوع أخذا وردا حول الأحكام التفصيلية، وليس حول المرجعية. ومع أننا نلاحظ أن رجال الفقه والقانون عندما يتناقشون معا حول هذا الموضوع يكونون أكثر هدوءا وأكثر تفهما لبعضهم البعض، وأكثر قدرة على مراعاة الجانب الصحيح من كلام الآخر؛ لأنهم يعرفون كيفية النقاش. إنما المشكلة التى حدثت أن عددا من المفكرين السياسيين والفلاسفة بالمجردات التى فى أذهانهم دخلوا فى موضوع متخصص لم يتقنوا أساليب التعامل معه، فكان الصراع بينهم صراعا هائلا ما بين نافع أو ضار، تلغى أو تبقى، هكذا جملة واحدة، إنما التفاصيل لا تهم.

وهذا ما جعل الصراع بينهم صراعا حادا جدا، لأنه أصبح صراعا ارتطاميا واصطداميا عنيفا. ولكن عندما نرى أى مساجلات قانونية بين لجان متخصصة فى موضوع الشريعة والفقه الإسلامى والفقه الوضعى سنجد أنهم متفهمون، الوضعى يعرف جيدا مناهج الشريعة ودرسها جيدا ويعرف كيف يعمل، ويكون كلامه فى موضوعات محددة. والمتخصص فى الفقه الإسلامى والشريعة يعرف أيضا ما فى الواقع المتغير من متطلبات جديدة. تحتاج إلى إعمال قدر من التجديد فى هذا الوضع، ويعرف أساليبها وحدودها، ولذلك هم أكثر قدرة على التفهم من الآخرين دون الاصطدام والعراك الذى دار على مدى عشرين سنة، واستنفد منا قوة فكرية كبيرة حقيقة، وبدد طاقة فكرية لو كنا بذلناها فى التعاون مع المختلفين، لكان الحال أحسن مما هو عليه.

من الناحية التاريخية عندما ندخل فى بداية القرن التاسع عشر، نجد أن الوضع الفقهى فى مصر يكاد يتفق الفقهاء الذين تكلموا عن هذه الفترة التاريخية أنه كان وضعا يتسم بالجمود الفكرى والفقهى، وأنه كان يحتاج إلى قدر من إعمال مسائل الاجتهاد التى لم تكن واضحة فى بداية القرن التاسع عشر. إنما لو نظرنا على مستوى العالم الإسلامى كله نجد أنه كانت هناك أسس حركات تجديد قامت فى تلك الفترة، مثلا الدعوة السلفية فى الجزيرة العربية، قد أسقطت المذاهب وقالت نرجع إلى القرآن والسنة وحدهما، حيثما كانت فى بداية التجديد، لأن التجديد فى معتقدات دائما يرجع إلى الأصول، ويسقط الاجتهادات التى حدثت ما بين الأصل والواقع الحاضر، حتى يبدأ من هذا الأصل بإعمال قواعد التفسير الجديدة دون أن يتقيد بالمذاهب وبما يراه. حتى الماركسية عندما أرادت أن تجدد قالت ماذا قال ماركس حقيقة، رجعوا إلى الأصول، وتجاهلوا الاشتراكية الثانية والثالثة وغير ذلك، وبدءوا من الأصول، فقالوا ماذا كان يقصد ماركس أولا. فالرجوع للأصل فى هذه المسائل وسيلة من وسائل التجديد، والسلفية لا تعنى هنا - فى أصل وجودها - لا تعنى الإمعان فى الجمود، بالعكس هى صفة التجديد، وهى فكرة قالها محمد بن عبد الوهاب، وقالها من قبل الشوكانى، وقالها طاهر بن عاشور، وقالها فقهاء كثيرون على خلاف الأصقاع، عندما يأتون إلى التجديد يتركون المذاهب ويسمون إلى تجديد. والشيخ عبد الرزاق السنهورى - الله يرحمه - لما كان يسمع اجتهادا كان يقول أهذا اجتهاد على المذهب أم اجتهاد مطلق؟ لأنه كان يريد أن يعرف إذا كان اجتهادا مطلقا إذن فقد دخل من الباب الواسع.

أكان هذا هو الوضع فى البداية، أما نحن فكان عندنا جمود فى الفكر وجمود فى المذهب فى ذلك الوقت، أساسه فى مخيلتى ليس الفكر وإنما أساس أن المجتمع نفسه، عاش نحو ٣٠٠ سنة فى حالة سكون وجمود، المجتمع المصرى والمجتمع الشرقى عامة. ولا يمكن تصور حتى من رفع الفكر الاجتماعى أن القانون بذاته يتطور مع وجود وضع اقتصادى واجتماعى ساكن وراكد وهادئ. من أين سيأتى التطور القانونى، ويتسع القانون لأفكار جديدة، مع هذا التحجر فى الوضع الاجتماعى؟ على العكس عندما تكون هناك حركة ونشاط فى المجتمع يبدأ القانون فى تشريع هذه الأوضاع ويحيطها بالشرعية، وتحديد الصواب والخطأ والحق والباطل. غير هذا كيف يتطور القانون دون أن تستدعى الأوضاع الاجتماعية هذا التطور. فالركود القانونى هنا مردود إلى هذه النقطة الأساسية وهى ركود المجتمع كله. ولما جاء محمد على ستجد حركة فى المجتمع فبدأ يصدر قوانين جديدة لتنظيم المجتمع. فكانت هناك جمود على أية حال فى مطلع القرن التاسع عشر.

مشكلة أخرى كانت موجودة، على مدى النصف الأول من القرن التاسع عشر وهى النفوذ الأجنبى الذى وضح بشكل جيد فى معاهدة ١٨٤٠، والذى صاحبناه بعد ذلك إلى نهاية القرن التاسع عشر. والذى بدأ يضع لنا حلولا قانونية جاهزة بدلا من قيامنا بإخراجها من نفس الإطار المرجعى القائم. وكانت هناك ضغوط سياسية، خاصة بالامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة، والخاصة بالنفوذ الأجنبى الاقتصادى والنفوذ السياسى ثم العسكرى فيما بعد، هذه هى المشاكل التى كانت تحيط بنا ونستطيع أن نوثق بها الوضع على مدى القرن التاسع عشر، ونرى كيف سنتعامل معها.

ونحن نبنى حضارتنا

[illegible]

إننا كأمة لا بد لنا اليوم أن نعرف البرامج والخطط التى نسير بها إلى المستقبل. والمراحل التى نريد التنقل عبرها فى مسيرنا لقد احاط بمجتمعنا فى ماضينا القريب أحداث ماسوية زعزعتنا وفتحت عيوننا على العصر فى ضباب ودوى صواعق كأنها قيامة حمراء فكان عسيرا جدا .بطبيعة الحال. أن نبصر بوضوح ونقاء الغاية والهدف الذى هو احياء أمتنا. وأن نستدل على الاتجاه القصير الصائب للوصول إلى ذلك الهدف وقد وجدنا أنفسنا فى غبش ذاك الضباب والدخان ومركز رجة الكثير من الزلازل بل لعل ذلك كان محالا بواقع الاحوال الداخلية والخارجية .

نعم كان عسيراً أو محالا لكن العجيب أن تتشكل رؤى هذا المجتمع فى الانبعاث من جديد وأن يتوجه إلى قيمه الذاتية، متزامنا مع هذا الوقت العصيب بعينه، بعدما سيق إلى التضعضع فى كل ما هو ذاتى فيه وهى ليستلب وجعل قابلا للاستعمار وكان هذا حالا خارقا للعادة - لأن الشعور الفردى كان مهزوزا من الأساس والشعب كان حائرا ومضطربا فى قلب أشد الزلازل وأرهبها . وجموع البشر كانت مقصومة الظهر فى مآس مفزعة من أندر ما فى التاريخ .

وفى وسط ذلك الضباب والدخان الكثيف الذى لم يكتمل تشكل الوجدان والرأى العام الاجتماعى بعد لم يكن هناك غير أفراد منقطعين عن بعضهم البعض يكدون من أجل الوصول إلى المستقبل بدافع :

أن يحددوا القمتين ومأوى ويعنى ذلك أنهم يحسبون المراوحة فى مكانهم سيرا وتقدما غافلين عن غاية حياتهم وعن وجود قيم سامية تستحق كل شىء حتى الموت فى سبيلها . نعم كانت الأفكار مشتتة والإرادات مهزوزة والهمم مشلولة والآفاق مظلمة والقلوب خاوية، ولكن مع هذه المثبطات كلها كان المجتمع يصنع كل يوم أحلاما جديدة ويسرى عن نفسه بالأمانى ثم يرجع خاوى الوفاض مما أمل فى كل يوم جديد ببرنامج جديد فحديثه عن تصاميم تشبه أحاديث النيام وحديثه عن مشاريع ولو ذات نطاق ضيق كانت تتزامن مع هذه المرحلة المشؤومة التى تضاعف فيها وقع النكبات عليه وتوالت عوامل التعرية الروحية ولقد بدا كل شىء فى البداية كرد فعل للأفكار مستهان بها والمعتقدات المتعرضة للتربص وعناصر مقموعة ثم أعقب ذلك حركات مستشعرة واعية وأنشطة مستقيمة فمن اللائق أن نعتبر تلك البداية بداية حقيقية للانبعاث بعد الموت لأمتنا وكان طبيعيا أن يظهر بعد هذه المرحلة كما ظهر قبلها من يريد أن يتحكم فى هذه الحركة الواعية المستشعرة والطاقة الحاصلة من إحياء النفوس والأرواح ويوظفها كما يهوى ويشتهى وقد ظهر فعلا ولكن جموع البشر لم تعد تقبل أن تقع كرة أخرى فى موقع القابلية للاستعمار بعد ما بدأت تدرك ذاتها بذاتها وبمقوماتها الداخلية الذاتية ومع الزلات والكبوات كان الانخراط يمضى ويدوم فى هذا الإحياء الذى صارت الجموع تستشعره فى عوالمها الداخلية وفى أرواحها وقلوبها وسيحظى جميع الجميع من غير استثناء بوجود ذاتى جديد عاجلا أو آجلا صحيح أن موانع كأمثال ذلك الضباب والدخان القديم لا زالت تعيق الرؤية السليمة والإحساس السليم للمجتمع لكن كثافة الضباب والدخان اليوم ليست كالتى لدى عرفناه فلم يبق شىء من الهمة والجهد صارت القلوب قادرة على أن تنهل من منابعها الذاتية وأن تحلم بتحقيق رؤاها الحضارية .

غير أنه ينبغى اليوم أن نحدد على نعيد لتلك الحضارة ونعيد النظر فى كنهها (بتعريف جامع ومانع) ونقف على المعنى الذى تحتوى الأسماء . والموعود بها يوما وعمومه ومعالجات المتصورة لعهدنا . ثم نتعرف على صورت هذا العصر مع الحفاظ على الأصل والذات من جهة وأخذ معالجات الزمان الحاضر وتفسيراته بنظر الاعتبار من جهة أخرى ويبدو أن هذا عمل شاق لكننا قادرون على القيام بأعبائه بعناية الله عزوجل ما دمنا قد كنا راغبين فى هذه الطريق .

ومن مقاربة أنثروبولوجية نجد أن الحضارة والتى يمكن أن نفسرها بأنها مجموع النشاطات المتعلقة بتنظيم الحياة الإنسانية أو التصورات الفكرية والاعتقادية والفنية لأى أمة أو كل الأوصاف الخاصة بوجودها المادى والمعنوى مفهوم له أشكال مختلفة وعديدة وذلك حسب الرؤى والمفهوم والفلسفات والقدرة على التلقى ومهما كثر التنوع فى التعبير فلا شك أن الرؤية السليمة ليست تلك النوعية والأساليب من الحياة التى انتقلت إلينا من رجال فترة الاستعمار فتقطعت أنفاسنا لهثا وراءها منذ سنين طويلة وتزعنا من أجلها عن بعض كثير من قيمنا ولو كانت كذلك . لقد الكفاح العظيم ضد الاستغلال والاحتلال كان معاناة وجهدا وقد أن هدف الكفاح كان واضحا وهو الاستقلال التام فى كل النواحى

فإن كنا الآن نفكر فى إعادة بناء الذات من جديد ونبحث عن مقومات الذاتى الحضارى فينبغى أن نتخلص من احتلال المفاهيم والأفكار الغريبة فى داخلنا والمبرمجة على تخريب جذور الروح والمعنى فينا . وأن نتبع بالضرورة سبيلا يمكننا من العمل على طبع فكرنا الذاتى وبعث الاعتقادى الذاتى وفلسفتنا الذاتية فى الحياة على نسيجنا الحضارى الخاص

وبعض النظر عن التحليلات الأنثروبولوجية الحديثة لا بد لنا . وبقدر المستطاع . أن نستخدم جميع الوسائل المشروعة للوصول إلى الهدف الجليل الذى

يمليه عليه فكره الذاتي، وجد حلولا بديلة للتخلص من الفوضى التي نعيشها وعلينا إذ نبحث عن الحلول البديلة ـ أن نأخذ بنظر الاعتبار كل الخصوصيات التي تتعلق بموقعنا الجغرافي والاجتماعي ولئن كانت الحضارة عنوان أو مصدر مجموع الأحوال والأشراط المادية والمعنوية، وكانت هذه الأحوال والأشراط واعدة بتلبية حاجة أفراد ذلك المجتمع من أطفال وشباب وشيوخ ومسنين، بل ملبية لها بالفعل في كل مرتبة من مراتب الحياة وفي كل مرحلة من مراحل التطور فإني أحسب أن الأصوب هو أن ننظر إلى القضية بعين عملية إلى جانب المنظور الأنثروبولوجي بصورة قد تتعدى علم الأنثروبولوجيا البحت وإذ نفكر في هذا يلزمنا ألا نهمل المرحلة الراهنة لتطور المجتمع فإننا إذا اقتدينا ـ بوضعنا الحالي ـ بدول سبقت في وتيرة الإمكانات الحضارية بأشواط بعيدة أو بأخرى تقطع المسافات بسرعة البرق في الطريق الذي نمشي فيه مرة ونكبو أخرى ومعنا الحرون من يقاسموننا الخطوط والتوجهات نفسها وذلك للوصول إلى الغاية فأحسب أننا سنقع تحت صفعات الخيبة عند الفشل في نوال المقصود ونعجز عن الوقوف على أقدامنا تحت وطأة الخذلان والفشل.

إن المجتمعات المتطورة والمتقدمة اليوم كانت من قبل تعاني من مثل ما نعانيه وكانت تقوم وتقعد في تخبط كتخبطنا وتكتوي بنار عذاب كعذابنا ثم جاءتها أيام فتحت فيها أبواب التجديد على مصاريعها بفضل ما كانوا يتمتعون به من شوق البحث وعشق العلم وحثيث العمل ومكافأة من وفقوا بأجزل المكافآت فتحقق النجاح إثر النجاح مما أدى إلى فوران العزم وشحذ الشوق وصارت البيئة عنصر مشتغل تختص بإنماء العبقرية فتتبع الاختراع من مكاتب البحث إلى مصانع النسيج ومن مختبرات الأبحاث إلى المطابع وبلغوا بعد مدة عصر العلم والعقول الألكترونية.

وما دام هناك من يقدرون العلم في تلك الأرض بمكافأة المكتشفات والاختراعات والأبحاث العلمية فهو وسيلة لاكتشاف القابليات العظيمة في كل مكان تجد فرصتها في النماء والتطور فكأن أطراف أرضهم معرض العجائب لأعمال النوابغ الذين لا يعرفون الفتور وكما نعرف ظهور العلماء في عالم الإسلامي من أمثال ابن سينا والفارابي والخوارزمي والرازي والزهراوي، إبان تحقق الوسط والبيئة المتشابهة كذلك استخدم الغرب ما توارثه من المكتسبات خير استخدام وبتوسع رحب تمكن في ذلك الوسط واستطاع في القرون الأخيرة بسعته لذلك من الغلط أن نحصر حاضر «الغرب» في آثار جهود علماء ذوي قابليات راقية مثل كوبرنيك، وغاليلو، وليوناردو دافينشي، ومايكل أنجيلو، ودانتي، أو أديسون، وماكس بلانك، وآينشتين، فلا يمكن أن نرجع النهضة العلمية أمس ولا التطور العلمي والتكنولوجي اليوم إلى مساعي عدد قليل من أمثالهم فحسب وإلا فإننا سنواجه مشاكل نعجز عن إيضاح أسبابها بالقاعدة المعروفة، ولنسب العلية في النجاحات الخارقة للعادة المتحققة أمس واليوم والتكوينات العالمية الكبرى مرتبطة إضافة إلى عبقرية الأفراد وبنوعيتهم بالنشاء الاجتماعي المولد للعبقرية والوسط المناسب لتنشئة المكتشفين والبيئة العامة الخاصة للقابليات فنقول بهذا الشعور إن الحديث عن الوسط والبيئة العامة مازال يرد حيثما كان يرد ذكر عند أصحاب الاستعدادات الفائقة وجدهم وجهدهم بل كثيرا ما يظهر الدهاء والقابليات لأصحاب المواهب العظيمة والعباقرة السامقين بقدر ما تسمح به البيئة العامة وتوقع ما يحدث ذلك غير مجد اليوم أيضا فدعى أنه ما من أحد يقوى على تغيير قواعد الشريعة الفطرية فالذي يطلع الشمس الكونية كلها فسيحر مهرما عاجلا أو آجلا إذ العبقرية في أرض غير أرضها محكوم عليها أن تكون كمصير ما تكون كما يحكم على البذرة بالفناء في أرض لا تراعي فيها بالهواء والماء والقوة الإنباتية، إذن علينا نبحث عما نأمله لغدنا في نقطة تتلاقى فيها البيئة الصالحة وعشق العلم وعزم العمل والبحث المنهجي. فإن ما تثيرت البيئة الصالحة لعشق العلمي والبحث لعزته على السعي والإعمار فستثير القلوب الخاصة يملك في أعماق كيانها بعملية امتصاص خارقة، ثم تقومه ثم تضعه موضع التنفيذ في إطار منهجية معينة وبعد ذلك تعمل الدائرة الصالحة للارتقاء بالهامات وتداعيات وتركيبات وتحليلات جديدة تعقبها ـ باستمرار وغزارة جهود الفكرية والعلم المنسجمة مع مقوماتنا الذاتية والمتوافقة مع رؤيتنا ومبادئنا الحضارية.

لكن الحاصل عندنا كان دائما عرضا خلابا ـ نتحدث عنه تحت اسم الحداثة أو النهضة الإسلامية. ولئن كان أكثر هذه المتحدثات يناقض مرتكزاتنا الأساسية، فلم نفلح في تفهيم «الحداثة» أو «النهضة» بمقوماتها الذاتية، أو قل إن شئت دعلنا عن ذلك، ومن هذا الوجه. نستطيع القول بأن تخلف عالمنا عن اللحاق بما بلغته الدول المعاصرة وعجزه، مع كده وجهده، عن تحقيق النهضة المأمولة، ليس بسبب الوضع الجغرافي لبلادنا أو نقص الإمكانات أو ضعف القدرات والقابليات لإنساننا، بل لقصور عن فهم كنه التحديث ونقص في الفكر، والاكتفاء بالقوالب الفكرية النمطية كبديل عن حب العلم وعشق الحقيقة.

وأظن أن التعرف على أنموذج ألمانيا، وعملاق الشرق الأقصى اليابان، يريح عن أنظارنا ستائر كثيرة لنطلع على نواقصنا، فألمانيا خرجت من حربين عالميتين مثخنة الجراح، فكان حالها في النصف الأول من القرن العشرين خرابا وركاما ومأوى للبوم الناعب في كل طرف، وكأنها هي التي وصفها محمد عاكف في بيت شعر (ترجمته):

المدن خرائب،

والصحارى خالية موحشة،

والأيام محرومة من العمل والكد،

والليالي حافلة بمعنى النعد.

لكنها تغلبت على المثبطات، ولمت شعثها وجمعت أشتاتها في زمن قصير، وانتعشت بلدا عملاقا أمام العالم، ولم يكن أحد يتفوه بكلمة عن الوحدة الألمانية، حينما كنا نحلم نحن بأحلام التحديث في أوائل القرن التاسع عشر، وإذ صارت ألمانيا بلاد الأحلام متحدية كل هذا الخراب. لازلنا نتوتر عن أحلام التحديث. وقد يقال إن ألمانيا عبرت كعبها أي فيمض مرتين لكونها بلدا عريقا محظوظا، فحققت انبعاثات بعد موتها مرات حسب فلسفة حياتها.. إذ ما كانت ألمانيا قادرة على القيام من كبوتها لولا حظها عن القرابة الدينية والثقافية من دول أوروبا، ولئن قبلنا بهذه الفرضيات والتقديرات في شأن ألمانيا، فثم يابان الشرق الأقصى التي تعرضت

إلى الحصر والتحديد من العالم الغربي كله رداحا من الزمن.

إن مشروع التحديث عندنا تسبق اليابان بنصف قرن من الزمن. إنها بدأت بالسعي الحثيث في طريق التحديث بعدنا بخمسين أو ستين عاما.. فاجتازت كل العوائق وسبقتنا في طفرة واحدة مع أنها كانت قد أصيبت بنكبتين عظيمتين في تاريخها القريب، فأخذت موقعها بين الدول الكبيرة والقوية التي تتولى شئون العالم، وإذ نسلي أنفسنا ونسرى عنها بأناشيد الولادة والانبعاث من جديد، بدأ اليابانيون يجنون ثمار نهضتهم، وإذ ينهش بعضنا بعضا بعد مائة وخمسين سنة من المسير بمناقشة صحة نقطة الانطلاق بدلاً من النقاش حول الهدف المنشود، سد اليابانيون الفجوة بينهم وبين الغرب في زمن قصير لا يعدو الأربعين عاما، واكتسبوا قدرة منافسة عصرهم ومباراته. فاليابان اليوم قوة عملاقة، بقدرة اقتصادها ونشاط مبادراتها. وطاقتها الاستثمارية الفعالة، وسمعتها الجيدة على مستوى العالم. وقد ظلت اليابان حسرة وانتقائية ومخلصة لهويتها القومية إبان تحقيقها التحديثات المتتالية وتبشير شعبها بوعود المستقبل المرفه، وأثناء اقتباسها من العالم ما تقتبس، وأخذها ما تأخذ أو تركها ما تترك.. فلم تستخف بتاريخها، ولم تلعن ماضيها، ولم تنكر جذورها المعنوية والروحية. بل ما فتئت تفكر مليا في المهاوي السحيقة بين حالها المتخلف وبين الذرى التي تصبو إليها، وتقوم حلا بعقلانية وواقعية. فخططت مشاريع قابلة للتطبيق، وآمنت بأنها ستحل معضلات التخلف كلها بمنظومة اجتماعية تقوم، إلى حد كبير، على الأسس الأخلاقية، وملأت الفجوات الناجمة من نقص القدرات وزيادة الحاجات، بالاعتزاز الوطني والانتساب القومي والعز، والحركة المنظمة الهادفة وتنظيم المساعي والجهود، فنجحت في الاحتفاظ بهويتها الذاتية وصارت أنموذجا يذكره التاريخ كشعب يجر عجائب العصر.

إن ما فعلناه في تاريخنا القريب هو الكدح في بناء الحضارة فوق إنجازاتها السابقة، وأنعمها وثمراتها، أما اليابان وأمثالها من البلاد المتقدمة، فقد أقامت كل شيء على أسس الفكر الحضاري والمفاهيم والسلوكيات الحضارية. ومع تقديري وتوقيري لشيء من التطور الحاصل عندنا، فإنني أظن أن هذه النظرة المنحرفة، في عالمنا الإسلامي، هي السبب الرئيسي في مراوحتنا في مكاننا بينما يتسابق الآخرون من نجاح إلى نجاح، فبينما كنا نكافح نحن في استكشاف طرق سهلة ورخيصة للحصول على نعم الحضارة ووسائل تقاسمها، أقامت الشعوب المتقدمة بناء كل شيء على الإنسان والأخلاق والتعليم والثقافة، واجتازت بسرعة الطير المهاوي التي سقطنا فيها، فارتقت إلى القمم التي قصرنا عنها.

ولننظر إلى الموضوع من زاوية أخرى، إن مجموع النتائج والمعطيات لحضارة معينة هي تلك الحضارة عينها، وعلينا أن ننسى أن أهم أركان ظاهرة الحضارة هو الإنسان المؤهل. وأقوى أسسها الحيوية هو دولة حرة ومستقلة. وأثمن رءوس أموالها هو الزمن، ولا شك أن الدول المتقدمة قد استغلت هذه المقومات بأحسن وجه. وعلاوة على استغلالها هذه المقومات استغلالا حسنا، لم تهمل أبدا تقسيم الوظائف، واحترام الاختصاصات والاهتمام بالإنسان ومكافأة النجاحات واستثمار الإمكانات الأولية التي وهبها الله تعالى لها استثمارا محكما. وفي مقابل إذ وقعت هذه المقومات التي تساوى قيمة فوق القيم في أيدي المجتمعات التي لم تنظم مساعيها تنظيما دقيقا، ولم توزع الواجبات والأعمال توزيعا حيدا، ولم تتعرف إلى أسرار ثرواتها المكنوزة والظاهرة، ولم تعطيها القيمة الحقيقية للإنسان، ولم تستثمر الزمن استثمارا مجزيا، ففي هذه الحالة ستكون هذه المقومات كالمتاع الذي يقع في يد بائع لا يقدر قيمته فيبيعه بثمن بخس دراهم معدودة.

إن كل الأمم التي تركت حضاراتها آثارا وبصمات في التاريخ والخرائط الجغرافية لم ينقش اسمها على صفحات التاريخ بأحرف بارزة إلا بمثل هذه المثابرة في التقويم والتنظيم، والقابلية في التركيب والتحليل، والنعمة الروحية والغور المعنوي، ففي الخط التاريخي الطويل، الممتد من البراهمانية إلى البوذية، ومن اليهودية إلى المسيحية ثم الإسلام، هناك نماذج عديدة تربت في مهد الإيمان والعشق والتصورات الروحية والمعنوية فاكتسبت الأرض والزمان والإنسان فيه لا تقدر بثمن.

لكن الواقع أن الإسلام يمتاز بأوجه كثيرة عن جميع الأفكار والنظم القديمة والحديثة، الدينية واللادينية، وابتداء، فإنه من المسلم به أن حركات التجديد والتحديث الواقعة في جميع النظم غير الإسلامية، أدت إلى إبعاد الدين عن مركز الحركة. أما في الإسلام، فعلى خلاف ذلك مطلقا قد تولى الدين رسالة مهمة في مركز الحركة التجديدية، وتحولت كل حملة إلى تمسك بعضوية وأعمق بالمستقبل، بتغذيتها المستمرة من معنويته وروحه.

وما زال إنساننا منذ سنين ينتظر من روح الدين بارقة من هذا النوع كلما هم بالقيام بعمل، وبالفعل لاحظنا أن لمعان بارقة من هذا النوع ولو من بعيد، أو رؤى تحمل رموزا ودلالات حوله، قد كفت لانبعاث أرواح بالية منذ مئات السنين.

فما بالك إذا اطلعنا على نتائج الجهود التي تبدو الآن ضعيفة ولكنها في الحقيقة مهمة..؟! فإنني أظن أن الآمال حينذاك ستتحقق وتشتد بجدة نبعثت بعد الموت، وتنهض الإرادات، وتجيش القلوب بالإيمان، فلابد أن تحقق المشاريع حضارية المرتقبة منذ مئات السنين، واحدا تلو الآخر، هنا، ما لم تستسلم للعوائق المصطنعة والموقوتة التي تريد أن تقطع علينا السبيل، وما لم نتطلع إلى الأجور الدنيوية أو الأخروية لخدماتنا التي نحن ملزمون بأدائها والإيفاء بحقها، وحصرنا الغاية في طلب رضى الحق تعالى وحده.

إن التصور للديمقراطية والحرية، ولو بوضعهما الحاضر، قد حلصت شعبا عاش رهين العطلة، وجهزته بأحاسيس وأفكار وقدرات للعبور إلى الحضارة. فإذا لم يسمم الثورات ضد مصالح عندنا في مواجهة الأحوال والمعدلات الداخلية والخارجية، فسنقتدر في العاجل القريب أن نقول: هاكم مشاعرنا الذاتية ومنظومتنا الفكرية وقراءتنا للحياة ورؤيتنا الحضارية وثقافتنا الأصيلة.

العلوم الكونية فى خدمة الشريعة الإسلامية ومقاصدها (٢)



أستاذ الفيزياء النووية بجامعة القاهرة

حفظ النسل والعرض وفطرية التزاوج

إن من يستقرئ تاريخ البشرية، فضلاً عن تعاليم الأديان السماوية، يدرك أن الزواج وعقد قرانه وتكوين الأسرة، وزيادة النسل وحفظ العرض، وعدم اختلاط الأنساب، والابتعاد عن [illegible] الزوجية، كلها قضايا مغروسة فى فطرة الإنسان وكينونته. حتى عند [illegible] والوثنيين الذين لا يعتقدون فى أية شريعة، نجد أن فطرتهم تنتفض بين حين وآخر، وتتجلى على شكل قانون، أو عادات وتقاليد، لتنظيم سلوكهم الأخلاقى وحياتهم الاجتماعية. فإن اتفاق البشر وتعاهدهم، على اختلاف مللهم ونحلهم وحضاراتهم وأديانهم وشرائعهم، على مسألة ما دليل على تأصل تلك المسألة فى النفوس، وموافقتها للفطرة الإنسانية السليمة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه. وتكون مهيأة لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين الجمال والقبح. واهتداء الإنسان إلى فطرته التى فطره الله عليها فيه خير كثير يجعله يعيش فى سلام ووئام مع نفسه، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله.

ولقد جاء الإسلام بشريعة واقعية توافق الفطرة النقية فى كل ما أحلت وحرمت، وفى كل ما سنت من أنظمة وقوانين للفرد، وللأسرة، وللدولة، وللمجتمع. من ذلك تشريعات الزواج والأسرة لحفظ كرامة الإنسان وبقاء ذاته ونوعه.

إن كافة الكائنات الحية يلهمها الله سبحانه وتعالى- أعمالاً هى من صميم فطرتها وغريزتها التى لا إرادة لها فيها، من ذلك فطرية التزاوج والتناسل وما يلزمهما من سلوكيات تدل على قدرة الخالق الواحد سبحانه وتعالى.

وإذا كان التزاوج بين أفراد الجنس البشرى لم يختلف منذ بدء الخليقة من حيث الطرق المعروفة فى إبداء الرغبة ولفت الانتباه بين الذكر والأنثى، فإن معظم الحيوانات لا يختلف عن الإنسان فى التزاوج، بل ربما تكون مظاهر الإلهام فى تناسل الحيوان أقوى وأبلغ فى الدلالة منها فى الإنسان.

إن طائر البطريق -على سبيل المثال- له أسلوب فى الغزل لا يحيد عنه، فإن أراد التودد إلى أنثاه، اختار حصاة وتقدم بها فى زهو وحنان ووضعها تحت قدميها، فإذا التقطتها كان ذلك دليلاً على أنها قبلته زوجاً لها، فيتزوجان، أما إذا تركتها ولم تمسها كان ذلك دليلاً على عزوفها عنه وإعراضها عن الزواج منه. وعندئذ يعود فيلتقط حصاته، وينصرف بها إلى أخرى!!!.

ويعتبر طائر الروبين من أوضح الأمثلة على ما تتخذه الطيور من خطوات طويلة للتزاوج، ففى صيف السنة السابقة لبناء العش يستولى الذكر على قطعة من الأرض كبيرة المساحة فى حقل أو غابة، وحين يحط عليها يأخذ فى الدفاع عنها ضد أى حيوان أو طائر يحاول انتزاعها منه، وحين يأمن وتثبت ملكيته لها، يقف على شجرة قريبة ويأخذ فى الصياح إعلاناً منه وإشعاراً لباقى الطيور بامتلاكه الأرض، ويظل على هذا الإعلان ستة أشهر كاملة، وفى منتصف الشتاء ينقلب صياحه إلى تغريد وغناء فتنجذب إليه الأنثى التى تعيش معه فى الربيع، وحينئذ يتعاونان فى بناء عشهما ثم يتلاقحان وتضع الأنثى بيضها وتحتضنه حتى يفقس. وهنا نلاحظ أن الزواج قد سبقته مقدمات منتظمة مقصودة الغرض طوال عام تقريباً، وكافة أفراد هذا النوع من الطيور تتفق فى هذه الطقوس الفطرية التى علمها خالقها إياها مثلما علم غيرها فى عالم الأحياء.

وقد لوحظ أن الطيور المهاجرة ترجع إلى مواطنها فى مواعيد تكون محددة، مهما كانت المسافات التى تفصل بين الطير وموطنه، ليتم التزاوج والتناسل.

وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التى تدعو إلى العجب فى عالم الحيوانات البرية والبحرية، وكذلك فى عالم النبات الذى تتنوع فيه طرق التلقيح والتزاوج بين أعضاء التذكير والتأنيث بواسطة الحشرات أو الرياح أو الإنسان.

ويرتبط بفطرية التزاوج والتناسل فى عالم الأحياء غريزة الأمومة السامية التى أوجدها الله سبحانه وتعالى فى الأنثى من الإنسان والحيوان، وهى تأتى فى مقدمة الغرائز الضرورية لاستمرار الحياة وبقائها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فلقد ملأ الخالق -جل وعلا- قلب كل أم بالحب والحنان على صغارها، وهداها إلى وظيفتها فى الحرص على أولادها مهما كانت التضحيات[1].

إلا أنه فى هذا الصدد ينبغى إدراك الفرق الرئيسى بين الإنسان وغيره من الأحياء، ففى عالم الحيوان تقوم الغريزة الفطرية بتنظيم مواسم معينة للنشاط الجنسى، حتى إذا تمت المهمة، وحملت الإناث بذور الأجيال القادمة، صد الذكر والأنثى كلاهما عن كل محاولة جنسية صدوداً ينشأ من عدم وجود الرغبة، لا من ضعف وتقييد من إرادة الحيوان. ولهذا تهتم بعض الهيئات بالحفاظ على السلالات الحيوانية المهددة بالانقراض لأسباب مختلفة.

أما الإنسان فقد تحرر من هذا الضبط والتقييد، وصارت الأبواب كلها عنده مفتوحة صالحة لهذا النشاط الجنسى، وفى مقدور

(١) [illegible]

حربة تقود: نعم سعة. فلك منة حيدة، وهذه النعمة تقتضي أن يقوم الإنسان نفسه بتنظيم مشاعره الحسية وضبطها، بحيث تحقق هدفها من وجودها، ولا يعود عليه بالضرر فرداً أو جماعة. وعلى قدر توفيقه في هذه المهمة يكون مدى ارتفاعه في سلم الرقي[٣]، فهو قادر على ضبط نفسه عن طريق الإرادة المتحكمة في مشاعره وأعماله، وهذه مزيته التي كرمه الله بها، كما أنه قادر على اختيار ما هو خير من غيره وإيثاره على ما عداه، والإنسان لا يكون إنساناً إذا لم يعمل على ضبط نوازعه وتنظيم شهواته، وإذا لم يسلك الطريق المؤدية إلى كل ما يبعث على الرضا والاستحسان لكماله في نوعه، أو لملاءمته، أو لفائدته، أو لاتفاقه مع التشريعات الإلهية[٤].

• أهمية النسب ومكانته في الأسرة والحضارات القديمة:

من حقائق الفطرة الإنسانية أن هناك تجاذباً فطرياً بين الجنسين. لابد أن يأخذ سبيله إلى اللقاء على النحو الذي يحقق استمرار الحياة والإعمار في الأرض إلى ما شاء الله تعالى، ومادامت فطرة التجاذب بين الجنسين حتمية الحدوث، ومداه خصب بين فردين معدودين، ولكنهم رجل كثير ونساء، فقد لزم تنظيم التجاذب بينهما لكي لا يؤدي إلى الفوضى والاضطراب، وكان الزواج تلبية ضرورية تشبع الرغبة الفطرية العميقة في نفس الفرد. وتعد الأسرة تجمع اجتماعي فطري بحث لتكوين "المجتمع" بادئ ذي بدء في أية صورة من صوره. ومازال الزواج والأسرة قد وجد في مجتمع الصيد في ظلمات التاريخ. نظامين طبيعيين في حياة المجتمعات البشرية بسبب دوافع الفطرة في اللقاء الجنسي والرغبة في التنسل، رغم ما يظهر إلى جانبهما من نظم أخرى تقوم على الإباحية والتحلل. وتهدد البشرية بالدمار، فالفطرة تتأذى دائماً من كل شيء لا يلائم طبيعتها، وتفرض من استمرار العاطفة وخاصية النمو، التي تنمي الطفل حتى يبلغ أشده. وهي خاصية بيولوجية. أي في صميم الفطرة. هي ذاتها التي تنمي المجتمعات الصغيرة إلى مجتمعات كبيرة. فتنتمي الأسرة إلى العشيرة، والعشيرة إلى قبيلة، والقبيلة إلى أمة، وهكذا، وتنمي العلاقات بين الناس من علاقات بدائية صغيرة مباشرة إلى علاقات معقدة كبيرة غير مباشرة ومن الطبيعي أن تكون التنظيمات الاجتماعية المختلفة ذات صلة وثيقة بالحضارة والثقافة.

وقد توصل علماء الأنثروبولوجيا إلى أن النسب والمصاهرة هما أساس القرابة بين اثنين أو أكثر. وتحدد هذه القرابة رابطة الدم أو القبيلة، أو المصاهرة الناشئة عن الزواج، أو الرضاعة، أو التبني، الخ، ويقصر الأنثروبولوجيون الاجتماعيون البريطانيون مصطلح "النسب" على العلاقات القائمة بين أفراد ينتمون إلى أكثر من جيلين، في حين يستخدمون مصطلح "البنوة" على علاقات النسب داخل "الأسرة النووية" ما بين الأب أو الأم وأولادهما[١]. وقد ظهر علم الأنساب بقواعده الجزئية والكلية للتعرف على أنساب الناس من أجل الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص.

وسوف نعرض فيما يلي بإيجاز لبيان أهمية النسب ومكانته في الأسرة وفي بعض الحضارات القديمة.

١- حضارة المصريين القدماء

اعتمد مؤرخو الحضارة المصرية القديمة في كتابة تاريخ هذه الحضارة على ما خلفته من تراث مكتوب وغير مكتوب يشمل الأهرامات والمعابد والمقابر وأوراق البردي واللوحات الجنائزية والتوابيت، وغيرها، بالإضافة إلى كتابات الرحالة اليونان والرومان، وما ورد في كتابات الحضارة المعاصرة للحضارة المصرية القديمة، كالحضارة البابلية والسومرية والآشورية والفينيقية والآرامية، وما ورد في الكتابين السماويين (التوراة والقرآن الكريم) من إشارات إلى مواقع قديمة وأحداث تاريخية.

وكان من بين الوثائق المهمة التي خلفها المصريون القدماء ما يعرف باسم "نصوص الأنساب"، ويقصد بها النصوص التي تحكي نسب عائلة معينة، وكان الاهتمام بتسجيل الأنساب قد انتشر بصورة خاصة في العصور المصرية المتأخرة، وترجع أهمية تلك النصوص إلى أنها تساعد على معرفة تتابع بعض الملوك الذين عاشت أسر أصحابها في عهودهم، ومن أشهر هذه الأنساب نسب كاهن عاش في الأسرة الثانية والعشرين، منقوش على لوحة من الحجر محفوظة بمتحف برلين، وقد ذكر الكاهن أسماء ستين جداً، وأمام كل منهم الملك الذي عاصره.

وتشير مصادر أخرى إلى أن العرش انتقل في يسر من الأسرة الحادية والعشرين إلى الأسرة الثانية والعشرين دون إراقة دماء. ولعل رابطة النسب كانت الدافع لذلك الانتقال السلمي للسلطة لأن "شيشنق" ابن شاشنق مؤسس الأسرة ٢٢. وخليفته كان زوجاً لابنة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين الذي لم ينجب ذكراً، مما جعله يقبل تزويج ابنته من ابن أقوى رجال في الدولة ليضمن العرش في نسله من الإناث[٢].

وبصورة عامة، كانت النصوص المصرية القديمة تولي الزواج أهمية بالغة، وتنهى عن الزنا وتهدد مرتكبه بأعنف العقوبات، فالزوج الخائن يتعرض لعقوبة الجلد. والزوجة الخائنة تتعرض لجدع الأنف، كما كان الزنا أحد المبررات للطلاق عندهم دون تفرقة بين الرجل والمرأة.

ولقد كان لعقيدة الخلود بعد الموت عند المصريين القدماء أكبر الأثر فيما يتعلق بالأخلاق عندهم على مستوى الفرد والمجتمع،

---

(٢) محمد ... [illegible]

(٣) الاختيار هو ... قيمة ... نعم الله بها على الإنسان ... الجانب الخير الكامن في الفطرة الإنسانية، فالخير هو ... للأخلاق ... به الفعل في طبيعتها، راجع مادة "خير" في المعجم الوجيز، ومادة "خير" في المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٤) محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، دار الشروق، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

(٥) المرجع السابق

(١) مارفن هاريس، الأنثروبولوجيا الثقافية، الترجمة العربية مراجعة أ.د السيد حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٦م

(٢) ... عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ... [illegible]

وقد تضمن "كتاب الموتى" الذي كانت توضع نسخة منه مع كل ميت - عددا من الإعلانات المرية تكون بمثابة الدفاع الذي يدفع به الميت عن نفسه ويعلن أنه طاهر من كل إثم حتى يمكن لسيد القضاء "أوزوريس" أن يحاسبه في الآخرة.

ومما جاء في هذا الدفاع: "إنني لم أقترف الشر ولم أعتد، ولم أسرق، ولم أقتل غدرا، ولم أمس القرابين، ولم أكذب، ولم أدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلف أرضا مزروعة، ولم أقذف (الأعراض)، ولم أترك الغضب يخرجني إلى غير الحق، ولم أزن، ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل، ولم أسئ الظن بالملك ولا بأبي، ولم ألوث الماء، ولم أغش في الميزان، ولم أمنع اللبن عن أفواه الرضع، ولم أسد قناة ري على غيري، ولم أطفئ نارا يجب أن تشتعل، ولم يخطر على بالي أن أستخف بالآلهة، إنني طاهر طاهر".

وبعد أن ينتهي الميت من هذا الكلام الذي يتوجه به إلى أوزوريس، يتوجه إلى القضاة قائلا: "إنني أتيت بلا خطيئة ولا سوء، وقد فعلت ما يرضي الناس والآلهة، وأرضيت الإله بما يحبه، وقد أعطيت خبزا للجائع، وماء للعطشان، وثيابا للعاري، وزورقا لمن ليس له مركب...".

ويلاحظ على هذا الدفاع الشامل أنه يتضمن كثيرا من أوجه النشاط الإنساني الشامل في مجالات مختلفة تتعلق بالآلهة والملك والأب والجار، ثم بالناس جميعا، بل بالبيئة الطبيعية نفسها. ثم يلاحظ كذلك أن هذا الدفاع ليس مقصورا على الامتناع عن بعض الرذائل، وإنما يضيف إلى هذا الجانب عددا من الفضائل الإيجابية التي تدل على التعاطف مع إخوانه من بني البشر. وإذا كان كل فرد يتحلق بهذه القيم الرفيعة والصفات الفاضلة، فإن المحصلة النهائية هي الارتفاع العام للأخلاق السائدة في المجتمع، وقلة نسبة المظالم والهبوط الأخلاقي[8].

٢- الحضارة الصينية

تقف الحضارة الصينية وحدها وسط حضارات العالم الكبرى من حيث إنها قد تطورت في عزلة تامة تقريبا عن بقية الحضارات، ولهذا كانت إنجازاتها فريدة، فهم يتكلمون لغة لا يربطها صلة بأي جماعة لغوية أخرى، وتكتب بخط اخترعوه لا يشبه غيره. وقد قامت اللغة وطريقة كتابتها وقراءتها بدور قوي في إحساس الشعب الصيني، لا بالوحدة والهوية فقط، بل كذلك بالاستمرار والتواصل. وهذه الخاصية الفريدة تكتسب أهمية خاصة في حديث عن مكانة النسب ونظام القرابة في الفطرة الإنسانية، مقارنة بالحضارات الأخرى القديمة، خاصة وأن استقراء التاريخ القديم يوضح لنا أن الصين قد تطورت بنفسها، وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية عند الهضبة الشرقية القصوى (في الطرف الشرقي الأقصى) من العالم الأوروبي الآسيوي القديم، تحيط بها جبال وصحراء، ولا تمر بها أية طرق للتجارة.

ونشأ عن هذه العزلة الجغرافية، فإن التجربة الصينية استوعبت مشاعر وتطلعات الجنس البشري كله، ولكنها عبرت عنها باستمرار بطريقة صينية خاصة في ظل المذهبين القوميين الأصليين: الكونفوشية، والطاوية (التاوية) على مدى ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الصيني، حتى بعد مواجهة التيارات الأخرى الوافدة إليه. وكانت الأولى ملهمة لفلسفة الأخلاق والسلوك الاجتماعي، بينما كانت الثانية ملهمة للديانة والتصوف.

وإذا قصرنا الحديث عن الكونفوشية، فكان مؤسسها "كونفوشيوس" (٥٥١-٤٧٩ق.م) هو الفيلسوف الصيني الأول الذي أنشأ مذهبا أخلاقيا في النظم العائلي والاجتماعي وما يتعلق بهما من طقوس وممارسات. ويؤكد أحد مبادئ هذا المذهب على ما أسماه "ولاء الأبناء" أو "الهسياو Hsiao" التي تعني في اللغة الصينية أصلا ولاء الأبناء للآباء الموتى وللأسلاف، والواجبات التي يسعى أن تؤدى لهم كتقديم القرابين والطعام. لكن كونفوشيوس كان يشدد أيضا على تأدية الواجب للأحياء، فقد أصبح ولاء الأبناء يعني خدمة الوالدين أثناء حياتهما، ومن ثم اكتملت علاقة الابن بأبيه، والأخ بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته.

فالهسياو إذن هو فضيلة توقير العائلة واحترامها، حيث يتم أولا، وقبل كل شيء، توقير الأبوين، لأن الحياة نفسها متولدة عنهما، وفي إطار إظهار التوقير للوالدين، يكون من الأهمية بمكان حماية الجسم من أن يلحق به أذى، حيث إن الجسم من الأبوين، ومن هنا فإن حماية الجسم هي تكريم للأبوين... والأكثر من ذلك أن يتم إظهار التوقير للأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة، وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يشرف اسم أبويه، فعليه، على أقل تقدير، ألا يجلب لهما الخزي والعار، وهكذا فإن "الهسياو" لا يتمثل في الرعاية البدنية من جانب المرء بوالديه فحسب، وإنما كذلك في جلب الشرف العاطفي والروحي، ومن المهم بالقدر نفسه أن تكون أهدافهم وأغراضهما التي لم تتحقق هي نفسها، بعد موتهما، أهداف أبنائهما وأغراضهم، بل إن هذا أكثر أهمية من تقديم القرابين إلى روح الوالدين الراحلين.

والولاء للأسرة في فلسفة كونفوشيوس يعني أن يكون المرء مهذبا وإنسانا وخيرا إلى أقصى حد، ويقولون إن ما يجعل البشر إنسانيين على نحو فريد هو "جين Jen" أي الصفة الجوهرية للقداسة، فالجين نفسه عند كونفوشيوس هو نموذج مثالي لم يبلغه سوى حكماء الماضي، إنه كيان صوفي[11]. ومن ثم فإن "الهسياو" ليس فضيلة عائلية فقط، فهذه الفضيلة التي تنشأ في العائلة

---

(٨) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٣م.

[illegible]

جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة [illegible] عالم المعرفة، الكويت [illegible]

(١١) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة د. إمام عبدالفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة [illegible]

[illegible] Jen [illegible]

تؤثر في الأفعال خارج المحيط العائلي، وتصبح من خلال اتساع نطاقها فضيلة أخلاقية واجتماعية.

وعندما يتعلم الأطفال احترام أبويهم وتوقيرهم، فإن بمقدورهم أن يحبوا إخوتهم وأن يحترموهم، وعندما يحققون ذلك، فإن بإمكانهم أن يحبوا الإنسانية بأسرها، وأن يحترموها، وعندما يوجه حب الإنسانية كل الأفعال فإنهم يتصرفون وفق لإنسانيتهم، أو وفقاً للجين "Jen"، وهكذا فإن بدايات حب [illegible] إنما توجد في ولاء الأبناء "هسياو". وإن العائلة تشكل في فلسفة كونفوشيوس البيئة الاجتماعية المباشرة للطفل، ففي العائلة يتعلم الطفل احترام الآخرين وحبهم، حيث يأتي الآباء أولاً، فالأخوة والأخوات والأقارب، ثم باتساع النطاق التدريجي، الإنسانية كافة، وقد قال "تونسو" Tutzu أحد أتباع كونفوشيوس: "إن الولاء البنوي (هسياو) والاحترام الأخوي هما جذر الإنسانية"[12].

٢- حضارة وادي الرافدين

كان الزواج عند السومريين يحظى بأهمية بالغة، وكانت الخيانة الزوجية عندهم جريمة يعاقب عليها القانون، فالزانيان إن أخذا بالجرم المشهود يوثقان ويلقيان في الماء، وإن لم يكن بالجرم المشهود فيمكن للمرأة تبرئة نفسها بالقسم، ولم يختلف الأمر كثيراً عند الآشوريين، فالخيانة الزوجية عندهم عقابها الموت غرقاً، أو جلد الفاعلين أو نتف شعرهم أو قطع آذانهم، وكانوا يدعون لزيادة النسل واعتبار الإجهاض جريمة خطيرة عقابها الإعدام، واعتبروا الضرب المفضي إلى الإجهاض جريمة عقابها الجلد خمسين جلدة، وتشغيل مرتكبها بأعمال السخرة، وقد تصل العقوبة في بعض الحالات إلى حد الإعدام، أما البابليون فقد خصصوا أكثر من ٦٠ حكماً يتعلق بصيانة العائلة، والتشديد على الحد من وقوع الزنا وتنفيذ عقوبة الغرق لمرتكبه.

وفي أواخر الألف سنة الثالثة، أو في بكور الألف الثانية قبل الميلاد، نجد حمورابي أعظم ملوك الأسرة البابلية الأولى قد وضع نظاماً إدارياً لإمبراطوريته، وكان أهم أثر تذكاري لحكمه هو مدونة القوانين التي كشف عنها علماء الآثار الفرنسيون في "سوس" في السنوات الأولى من القرن العشرين الميلادي، وكشف أيضاً عن أجزاء منها في مكتبة آشور بني بال في نينوى، وقد ترجمها القس سي. هـ. و. جونز C.H.W Johns، وهي تمثل تقدماً عظيماً بالقياس إلى ما جرت عليه العادات في المجتمعات الأولى، وكان من بين ما تضمنته "شريعة حمورابي" هذه أحكام الاستقامة في الزواج والتبني والإرث والمسئولية عن ديون الزوجة والحقوق الشرعية للنساء والأطفال، وقد ربط بعض الباحثين بين الشريعة الموسوية ومدونة القوانين البابلية، وأشاروا إلى امتداد تأثيرها في العهد المسيحي.

---

(١٢) [illegible]

(١٣) [illegible] موجز تراث العالم القديم، الجزء الأول، ترجمة زكي سوس، مراجعة د. يحيى الخشاب، [illegible] دار الفكر، القاهرة [illegible]

الشكوك على كلام فاضل الأطباء جالينوس في الكتب التي نسبت إليه

تأليف: الرازي أبو بكر

القاهرة، مكتبة دار الكتب والوثائق القومية (٢٠٠٥م)

التعريف بالمؤلف:

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١هـ - ٣١٣هـ)، وكان مولده في بلدة الري، بالقرب من مدينة طهران الحديثة، درس الرياضيات، والطب والفلسفة، والفلك، والكيمياء والمنطق والأدب. ومن أهم إنجازاته: الإشراف على بناء بيمارستان (مستشفى) بغداد - بتكليف من الخليفة المعتصم بالله - وهو يضارع أحدث مستشفيات العالم اتساعاً وتنظيماً. ومن أهم إبداعاته كتاب الحاوي في الطب الذي يتكون من (٢٣) مجلداً، وهو موسوعة طبية أعدها لتعليم الأطباء فنون الفحص والتشخيص والعلاج لمختلف الأمراض، ووضع فيه كل ما توفر له من علوم السابقين والمعاصرين، مضيفاً إليها خبراته وآراءه. ومن أعظم كتبه «تاريخ الطب»، وكتاب «المنصوري» في الطب، وكتاب «الأدوية المفردة»، الذي يتضمن الوصف الدقيق لتشريح أعضاء الجسم. وألف موسوعة طبية أطلق عليها اسم «الجامع الكبير» في اثني عشر جزءاً على الأقل. وكان يعد العدة لكتابة جزأين آخرين من أجزاء «الجامع الكبير»، أحدهما «الجامع في العين»، والثاني «الجامع في الخميات»، إلا أنه توفي قبل أن يحقق تلك الأمنية. وله مؤلفات في الصيدلة ساهمت في تقدم علم العقاقير، ويسجل للرازي أنه أول من استخدم مجموعتين، تجريبية وضابطة في البحث الطبي، وابتكر الطب النفسي في العلاج، واستعمال الموسيقى في علاج بعض الأمراض. كما يعد أول من استخدم خيوطاً من أمعاء الحيوان لخياطة الجراحات، وأول من حضر الجبس واستخدمه في تجبير العظام، وأول من اكتشف أثر الحساسية من مواد أو روائح معينة في إظهار بعض الأمراض، وأهم من ذلك أنه وضع نموذجاً للالتزام الأخلاقي للطبيب، وأسلوباً لاختيار الأطباء على أساس الالتزام والمهارة. والالتزام يحمي

رعايه امرضى. وقد ترجمت كتب الرازى، وتم تدريسها فى أوروبا حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادى. وأمضى الرازى الشطر الأخير من حياته بمدينة الرى. وتوفى فى مسقط رأسه فى سنة (٣١٣هـ).

عرض الكتاب

يقع الكتاب فى (٢٥٢) صفحة، ويتكون من مقدمة للمحقق (ص٩-٣٥)، ثم عرض لآراء جالينوس فى قضايا عديدة، وإبراز مدى تناقضها (ص٣٩-٢١٦).

ويبدأ بآرائه فى قدم العالم وحدوثه (ص٤٤-٥٣) يذكر الرازى أن جالينوس قد منع بل قد حكم فى المقالة الرابعة من «البرهان» بأن العالم لا يفسد. ثم ناقض ما قاله وقال فى كتابات أخرى بأن: «ما لا يفسد فليس بمكون». فلم يكن ينبغى له أن يثبت الحكم بما أثبت به دون أن يبين أن العالم من الأشياء التى لا يمكن فسادها إلا على جهة الذبول كأنه لا يمكن أن يكون فسادا إلا على هذه الجهة فقط. وإنما يصح لزوم هذا التالى لهذا المقدم بزيادة مشروطة حتى يكون على هذه الصفة، لو فسد العالم فسادا ذبوليا لكانت الأجسام التى فيه لا تلبث بحالة واحدة بعينها (ص٤٦).

ويتناول الرازى آراءه فى أمر الإبصار (ص٥٥-ص٦٦) يذكر جالينوس: إنه من البين عند جميع الناس أنه ليس يكون البصر بأن صورا تجرى إليه من كل واحد من الأشياء المبصرة ويستنكر الرازى ذلك بقوله: «كيف استجاز لنفسه الإقدام على هذا وهو يعلم أن أناسا كثيرين يخالفونه فى ذلك» (ص٥٩) ثم يذكر جالينوس «وقول من زعم أنه يخرج من العين شعاع حتى يأتى المبصر محال، لأنه لا يمكن للشعاع أن يمتد إلى الكواكب، فيعلق الرازى بقوله: «بل الأفضل من هذا أن يقال: إن صورة الكواكب والمبصرات متصلة بالبصر بتوسط المضىء» (ص٥٦) وقال جالينوس «وأعجب من ذلك أن يجرى فى وقت واحد صور كثيرة بحسب عدد الأعين التى تبصر بها». يذكر الرازى أن جالينوس استنكر ما ليس بمستنكر بل محسوس مشاهد وهو: تأدى أشباح الأشياء المبصرة. ونحن إذا أقمنا بحذاء البصر مرآة رأينا شبحه فيها. حتى إنه لو كان المبصر وراءنا، والمرآة أمامنا لأخبرناه بجميع أحواله حتى نخبر عنه كإخبارنا عنها لو كانت محاذية للبصر نفسه. ولو أقمنا حواليه وفوقه وتحته مرايا كثيرة لرأينا شبحه فى كل واحد، فكيف يكون الظاهر للحس مستنكرا» (ص٥٧) وقال جالينوس «لو كان اللون وحده يأتى البصر بتوسط الهواء المحيط لم تحتج العين أن تتحرك، ولا كنا نعلم مقدار عظم الشىء وبعده وشكله» ويرد الرازى عليه إن العين إنما تحتاج إلى الحركة لتقابل المحسوس، كما أنا نحرك المرآة حتى نقابل لها ما نريد تشبيحه فيها، ولذلك جعل لها العضل الذى يحركها ليقابل المبصر، ومتى لم يمكنها ذلك فزعت إلى حركة جملة الرأس (ص:٥٨). (يقابل مفهوم الإدراك البصرى للحركة Visual Perception of The Movement).

ورد فى هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١- الجليدية «الرطوبة الجليدية»: جزء من العين الشبيهة بالجليد المسماة باليونانية (قريسطاليوئيدس) أى جليدية وهى بيضاء صافية نيرة مستديرة ليست بمستحكمة الاستدارة بل فيها عرض، وهى فى وسط العين كنقطة توهمناها فى وسط كرة (ص٦٢).

٢- العنبية: طبقة فى العين أمام الرطوبة، تحوى الرطوبة الشبيهة بيياض البيض. وهى شبيهة بالعنبة، وفى لونها سواد مع لون السماء، يقال لها باليونانية (راغويديس خيطن)، أى عنبية.

٣- بطن الدماغ: خمسة أوعية. وعاءان فى مقدمه، ووعاء فى مؤخره، ووعاء فيما بين الوعائين المتقدمين والوعاء الآخر، وفى هذه الأوعية روح نفسانى تكون به أفعال التخيل والفكر والتذكر (ص٦٢).

٤- الروح النفسانى: هو الروح النورانى الذى به يكون البصر إلى الرطوبة الجليدية وهو يجرى فى عصب ينبت فى بطون الدماغ، وبه يكون التخيل، والفكر، والتذكر، وتوليد هذا الروح النفسانى من الروح الحيوانى الذى يتولد فى القلب، والحس والحركة الإرادية، إنما يكونان بنفوذ هذا الروح النفسانى. ووصول ما يحدث عنه فى العصب من الدماغ إلى الأعضاء الحساسة المتحركة (ص٦٣).

ويبين الرازى تناقض آراء جالينوس فى طبيعة النفس الإنسانية (فى مواضع متفرقة ص٦٧، ص١٧٨، ١٨٩) فجالينوس يقرر أن الأبدان آلة للنفس. وهذا مناقض لما يميل إليه فى أكثر كتبه. ويقول الرازى: «إن جالينوس يرى أن النفوس جواهر لها ذوات قائمة بغير جسد، وأنها موجودة قبل الأجسام، وهذا يناقض ما قاله فى أنه لا علم له البتة بأن النفس جوهر أم عرض، ولما يميل إليه فى أكثر كتبه فى أن قوى النفس تابعة لمزاج الجسد، فهو يرى أن النفس تابعة لمزاج الجسد من بخار الدم، والروح الذى فى بطون الدماغ. ولم يقل أنها شىء غير الجسد لها إنية، وذات قائمة بانفراد عند الجسد إلا فى هذا الكتاب (ص٦٧). ثم يتناول النفس الناطقة فيذكر جالينوس: «أى حجة لمن يقول إن النفس الناطقة فى القلب، ثم يداوى الرأس عند اختلاط الذهن ونحوه. فالقلب وإن كان المعطى والباعث إليه بالشىء الذى به تكون الأفعال العقلية والإرادية. فإن الدماغ حاله ما لا يمكن قبوله لذلك إلا معها، فنحن نداويه لكى يعود إلى حياته تلك» (ص١٥٢و١٥٣) وقال: «إن القوة النفسانية فى الدماغ. والعصبية فى القلب».

وورد فى هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم التالية:

١- العصبية: جسم أبيض لدن ينبت من الدماغ والنخاع، وينفذ فى جميع

البدن فيعدمه الحس والحركة (ص: ٧٤).

٢- المراقية: مرض نفسي يشبه الماليخوليا إلا أن اختلاط الذهن فيها أقل، وهي وسواس سوداوي Obsessive يكون ابتداؤه من المعدة. ويتبع هذه العلة جشاء حامض، وبزاق رطب كثير، وحركة وقرقرة بعد تناول الطعام. والأعراض المميزة لهذه العلة التجشؤ وخبث النفس (ص١٥٣)

ويشكك الرازي فيما ذهب إليه جالينوس من أن سبب تولد المنى إنما هو بياض صفاقات المنى، فيحيل الدم لذلك إلى بياض (في مواضع متفرقة: ص٨٤ - ٨٦، ص١٨١، ص٢٠٠). ويرى الرازي أن السبب المولد للمني هو الغدد الحاوية على الدم الذي في صفاقات أوعية المنى الذي في طبيعته المني (ص٨٤-٨٦)

وفي رد جالينوس على أرسطو، وبيان جالينوس أن الأعصاب والأغشية والآلات الأول بيض عديمة اللون، فهي بأن تكون مخلوقة من المنى أولى من أن تكون مخلوقة من الدم.. يرى الرازي أن كلام جالينوس هذا مقنع لا برهاني، لأنه ليس كل ما يكون من شيء يحفظ لون مادته، بل لا يكاد يحفظه (١٨١). وقال جالينوس كذلك «إنما تنمو البيضة اليسرى في اليمنى لضعف خلقه». وقوة قبل اليمنى يدل على أن الخبر أن يولد الإناث». ويرى الرازي أن هذا الكلام غير صحيح. ولو كان هكذا لكان يجب أن يتولد الإناث في الندرة والأقل، لا معتدلاً متكافئاً، والبيضة اليمنى يجب أن يكون ضعفها في الأقل. ولذلك يجب أن يكون نمو اليسرى قبلها في أقل الأمر في الندرة. ويجب عن ذلك أن يكون تولد البنات في الندرة، وفي أقل الأمر (ص:٨٤). ويفسر جالينوس العقم حيث يذكر «أن المعتدل من الرجال يولد دائماً. وأما الخارج عن الاعتدال فإنه يولد إذا صادف زوجاً مضاداً له في المزاج» ويعقب الرازي «ليس يصح هذا فإنا نرى رجالاً عقماً، ونساء عواقر حال أبدانهم الحال التي يحكم لها جالينوس باعتدال المزاج» (ص٢٠٠).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:-

١- الصفاقات: هي الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر، وهي أغشية عصبية تلتف على التجويف من الداخل (ص ٨٥)

٢- الكلام المقنع: هو الذي لا تقوم مقدماته على أساس منطقي، بل تقوم على أساس عاطفي (ص١٨١).

٣- الكلام البرهاني: هو الذي تكون مقدماته صادقة، فتصدق بذلك نتائجه (ص١٨١)

ويتناول الرازي منفعة آلة في الحس والحركة (ص٨٦-٩٧). يرى جالينوس أنه «حيث مبدأ العصب فهناك مبدأ الحس والحركة الإرادية، والقوى النفسانية المدبرة. فيجب أن مبدأ ذلك أجمع من الدماغ». وقال «ليس بالدماغ حاجة في هذه الأفعال إلى القلب إذا كان هو العضو الذي ينازع فيه». ثم قال في توضيح ذلك: «إنه كشف عن القلب، وضغطت تكبيتان، وعصر لا ينال الحيوان آفة في حسه، ولا في حركته، لا بل لو أخرج القلب عن الجسد جملة لبقي الحيوان بحاله في الحس والحركة، مدة ما إلى أن يلحق به خروج الدم فيموت. وأما قول الذين ظنوا أنه يعرض للحيوان من شد هذه العروق الضوارب، يعني المعروفة بالسبات. فينبغي أن يعلم أن قد غلطوا وكذبوا أيضاً. أما غلطهم ففي توهمهم مع شد هذه الشرايين العصب الدقيق الذي يعرق بالراجع إلى فوق وأما كذبهم فقولهم إنه يعرض للحيوان عند هذه الحال سبات. وليس يعرض له سبات، بل إنما يعرض له عدم الصوت. ولو كان يعرض له عن شد هذين الشريانين أو قطعهما سبات، لكان الأمر على ما قال القوم: من أن الدماغ وإن كان منه منبت العصب، فإن الباعث إليه بقوة الحس والحركة هو القلب. ويعلق الرازي بقوله «إن هذا الشك قائم بعينه ما لم يبين السبب في العارض، الذي يعرض عند الغمر، والضغط على هذين الشريانين. وهما العرقان النابتان الموضوعان عند جنبي قصبة الرئة. فإنه يعرض من الغمر على هذين العرقين حالة شبيهة بالصرع أولاً ثم بالسكتة، وربما لم ينحل، ولم يراجع الإنسان منه إذا أطيل إمساكه، والضغط عليه» (ص٨٨).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية

١- السُبات: هو أن يكون الإنسان كالنائم ملقى. وهو يحدث عن آفة في مقدم الدماغ، فإنه إن حدث فيه كله؛ أحدث سباتاً ثقيلاً أو جموداً، فإن حدث في بعضه أحدث آفة في بعض الوجه. وصاحب السبات يكون ملقى لا يحس، ولا يتحرك إلا أن نفسه صحيح. وهذا هو الفرق بينه وبين السكتة (ص٨٨).

٢- الصرع: هو سقوط الإنسان بغتة وتخبطه. وضغط نفسه. ثم يفيق ويكون ذلك بأدوار (ص٨٨)

٣- السكتة: هو أن يعدم البدن كله الحس والحركة دفعة ويتبع ذلك غطيط وزبد وموت في أكثر الأحوال (ص٨٨). وتعرف في موضع آخر بأنها أن يعدم البدن كله بغتة الحس والحركة، خلا حركة النفس وحدها. فإن عدمها فذلك أعظم وأدهى ما يكون منها (ص١٢٨).

ويناقض الرازي آراء جالينوس في الكون والاستحالة (ص٩٧-١٠٩). يرى جالينوس أن جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد. وهي أبدان الحيوان والنبات، والأجسام التي تتولد في باطن الأرض. إنما تركيبها من أربعة أسطقسات (عناصر). وهي الأرض والماء والهواء والنار. والطبيعة هي المزاج الذي تولد من الاسطقسات (العناصر) الأربع للإنسان والطبيعة والنفس ليستا شيئاً غير الحرارة الغريزية. وقال إن مزاج العضو هو سبب أفعاله. وهذين جميعاً لا يتقدمان الجسم ويعلق الرازي بقوله «كان يجب عليه مع اعتقاد هذا الرأي أن يحكم بأن النفس جوهر، وأن الطبيعة جوهر متقدمين في تكون للأجسام وفي هذا

مناقضة لما قاله في هذه المواضع» (ص١٠٣).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١- الأسطقس (العنصر): ما منه يكون الشيء، ويرجع إليه منحلا وفيه الكائن بالقوة، وأيضا هو عنصر الجسم، وهو أصغر الأشياء من جملة الجسم (ص٩٨).

٢- القياس الخطابي: ما كانت مادته أو مقدماته من المقبولات والمظنونات (ص١٠٩).

٣- القياس الجدلي: ما كنت مادته أو مقدماته من المسلمات والمشهورات (ص١٠٩).

ويناقض الرازي آراء جالينوس في شرح (ص١٢٤-١٣٦) يذكر جالينوس «... استعملت تربيت في الورد المعروف بالحمرة يبث لك حرارة، وأنه يضره مضرة عظيمة». ويعلق الرازي: وفقا لهذا القانون يجب أن تكون جميع الأشياء المجاورة للاعتدال، مجاورة يسيرة إلى الحر أو إلى البرد، لا تظهر أفعالها في الأبدان والأعضاء الصحيحة، لضعف تأثيرها. لكن إذا امتحنت الحارة منها في العلل الحارة والباردة ظهرت أفعالها، وبانت جدا. فتظهر إسخان المسخنة منها، إذا استعملت في العلل الحارة كالحمرة، إذا لطخت بالزيت، وتبريد المبردة إذا استعملت في العلل الباردة كدهن الورد، إذا صب على رأس صاحب الزكام البارد، أو السكتة البلغمية. وإذا استخدم في العلل الباردة؛ فإن ضرره يبين فيها؛ لأن تبريده يظهر ظهورا شديدا قويا. وإذا كان هذا القانون صحيحا، وهو صحيح فقانونه الثاني الذي قاده إلى أن دهن الورد يسخن بعض الأبدان من أجل أنه أسخن مزاجا منها فباطل (ص١٢٩).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم التالية:

١- السكتة البلغمية: هي ما يعرض من بلغم كثير بارد، يملأ بطون الدماغ، يتقدمه وجع حاد في الرأس، وانتفاخ في الأوداج، وظلمة البصر، ودوار، وبريق وبرد في الأطراف واختلاج البدن كله، وبطلان الحركة. وتصرير الأسنان في النوم، ويكون اللون رصاصيا أو أسود، أو فيه قشار نخالي (ص١٢٨).

٢- المفلوج: هو من به ذهاب الحس والحركة من العضو البتة، وقد يذهب الحس وتبقى الحركة، وقد تذهب الحركة ويبقى الحس، وقد يذهبا جميعا (ص١٢٩).

٣- الحمرة: هي ورم حار صفراوي (ص١٢٩).

٤- الحمى المحرقة: هي الصفراوية التي لا تفتر، وتصل إلى القتل أو الإقلاع (ص١٢٩).

ويناقض الرازي آراءه في استخراج الأدوية (ص١٤٢-١٤٤). يذكر جالينوس «إذا أردنا أن نعصف أصل السوسن، لم نقل أنه يدر الطمث، ويمنع السعال، وذات الجنب، والرئة، والصرع، والشنج، والاختلاج، والرعدة، وهتك العصب وفسخه. وأنه ينبت اللحم على العظام العارية، وينقي الجروح، ويسكن وجع الجنبين، والكبد، والطحال. ويقطع سيلان المني، ويمنع من أوجاع الرحم، ويقلع النمش. ولكن حسبنا أن نقول عنه - أي عن أصل السوسن - أنه من الحرارة في مقدار كذا، ومن اليبس في مقدار كذا، ومن اللطافة في مقدار كذا فإذا ذكرنا ذلك تبين منه جميع هذه الأشياء، وأشياء أخرى كثيرة». ويرى الرازي أن في هذا الكلام تعديا كثيرا. فجالينوس نفسه لم يكن ليعرف هذه القوى من هذا الوجه، لكن من التجارب والسماع من المجربين على الدهر.

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفهومين التاليين:

١- النمش: هو آثار في الوجه من غير لونه أكثر ذلك، وقد تكون في غير الوجه، وهو أقل من البرش (ص١٤٢).

٢- الكلف: هو كمد وقلة نضارة تقع في بقع من الوجه أكثر ذلك، وقد تكون في غيره من البدن (ص١٤٢).

ويناقض الرازي آراءه في الشعر (ص١٤٤-١٤٦). يذكر جالينوس أن استخدام الخضابات المسودة للشعر يورث الزكام والنوازل وقد يورث نوعا من الاضطراب يطلق عليه فرانيطس وهو سرسام حاد خطر، وعلامات مريض فرانيطس مرة يعتريه السهر، ومرة يراه نوما مشوشا مضطربا، مع اختلاط حركات ظاهرة، حتى إنه يصيح ويثب، وفي بعض الأوقات يعرض له سبات. ويكون مع حرارة وقحلة زائدة على العادة، ولا يشرب إلا قليلا، ونفسه عظيم متفاوت، والنبض به صغير ليس بعظيم. وهو صلب كأنه عصب، فإذا قرب الوقت الذي تعتريهم فيه العلة، يجدون وجعا في مؤخر الرأس، حتى إذا وقعوا فيها يبست أعينهم جدا، وتدمع إحداهما دمعة حارقة، ويصير فيها رمص، وتمتلئ عروقها دما، ويقطر من آنافهم أيضا الدم. وتبقى حماهم بحالها لا تنحط، ولا تنوب، ولسانهم خشن (ص١٤٥-١٤٦).

الخلاصة

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الإدراك البصري للحركة Visual perception of the movement.
- بطن الدماغ.
- الروح النفساني.
- العصبة.
- المراقبة.
- الكلام المقنع.
- الكلام البرهاني.
- السبات.
- الصرع Epilepsy.
- وسواس سوداوي.
- السكتة.
- القياس الخطابي.
- القياس الجدلي.

القائم بالعرض
د. عبير محمد أنور

قراءة فى كتاب



بقلم: عادل خفاجة

حول معنى قوله تعالى

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾

تكلم العلماء والفقهاء والمفسرون للوصول إلى مراد الحق تبارك وتعالى من النسخ وهل لفظة آية يقصد بها الجملة القرآنية أم آيات الله المثبوتة فى الكون؟

وهل النسخ تكرارها أم محوها؟

لقد تكلم الكثير من المفسرين فأخطأ من أخطأ وأصاب من عصمه الله.

فأما من أصاب فهو من سار على نهج الإمام الشافعى حيث قال: إن النسخ هو تأخير إنزال الحكم (على المكلف) فهو من قبيل بيان الأحكام، لا من قبيل إلغاء النصوص وإزالتها)

وكذلك من سار على نهج الإمام أبى حامد الغزالى حيث قال: «ليس معنى النسخ رفع الكلام، بل رفع تعلقه بالمكلف؛ والكلام (القرآن) لا يتغير فى نفسه.. فالنسخ سبب من جهة المخاطب يقطع تعلق الخطاب.

لأن كلام الله قديم، والقديم لا يتصور رفعه

وأما من أخطأ فمنهم أصحاب النوايا الحسنة ومنهم أصحاب النوايا الخبيثة وقد سلم كل منهما بوقوع النسخ فى القرآن الكريم بمعنى الإزالة والتغيير والإبطال فكان السرادق الخطير الذى هوى بالأمة إلى هوة الاختلاف.

وقد تغافلوا عن قول الحق تبارك وتعالى

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (الكهف ٢٧)

ومن أجل جلاء هذه الحقيقة جاء اختيارنا لهذا الكتاب «حقائق وشبهات حول معنى النسخ فى القرآن الكريم».

الهدف من تأليف الكتاب:

يرى المؤلف إن «علم النسخ والناسخ والمنسوخ» أثار ولايزال يثير الكثير من جدل والاختلاف والخلاف، حول مفهوم النسخ وجوازه عقلاً وعدم جوازه، وحول حدوثه أو عدم حدوثه.

وقد تركز الخلاف فى التساؤل: هل النسخ يعنى رفع الحكم الذى جاء به القرآن؟ أم أنه رفع لتعلق الحكم بالمكلف لتغيرات حدثت استدعت حكماً آخر مع بقاء الحكمين الأول والثانى؟

وبرغم التهافت الشديد لكثير من الروايات التى أسرفت فى الحديث عن الناسخ والمنسوخ - والتى لم تصح منها رواية واحدة - ولم يتم الاتفاق على إحداها ولا الاتفاق على الرفض لواحدة منها، وبرغم الآثار الواضحة «للوضع» والتدليس»، إلا إن الحديث عن النسخ مازال متراوحاً بين القبول، والتحفظ والنقد والرفض الشديد.

وهكذا وجد المؤلف نفسه أمام هذه القضية التى استغلها الكثير من الزنادقة المعاصرين سبيلاً للهجوم على الصحابة الأمر الذى نقل القضية من خلاف فكرى فى تراثنا الإسلامى إلى ما سماه البعض «فتنة الناسخ والمنسوخ» فكان هذا الكتاب لتجلية وجه الحق فى هذه القضية

مؤلف الكتاب:

هو مناضل جسور لا يبتغى غير الحق. إنه الأستاذ الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة - عضو مجمع البحوث الإسلامية «هيئة كبار العلماء» بالأزهر الشريف ورئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء.



د. محمد عمارة

ولد فى السابع والعشرين من شهر رجب ١٣٦٠هـ الموافق ٨ من ديسمبر ١٩٣١م ببلدة «صروة» مركز قلين محافظة كفر الشيخ فى أسرة ملتزمة دينياً.

حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية، ثم التحق بمعهد دسوق الدينى الابتدائى الأزهرى.

- ثم التحق سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م بمعهد طنطا الأحمدى الدينى الثانوى وحصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٥٤م.

- ثم التحق بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة وتخرج منها سنة ١٩٦٥م بدلا من ١٩٥٨م بسبب نشاطه السياسى.

- ولفضيلة الدكتور محمد عمارة نشاط كبير فى مجال النشر حيث نشر المقالات فى صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الأدب» البيروتية - وألف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية» سنة (١٩٥٨م).

- وبعد التخرج فى الجامعة أعطى كل وقته - تقريباً - وجميع جهده لمشروعه الفكرى، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوى.. وجمال الدين الأفغانى.. ومحمد

عبده.. وعبدالرحمن الكواكبي.. وعلي مبارك.. وقاسم أمين.. وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي.. مثل: الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا.. والشيخ محمد الغزالي.. وعمر مكرم.. ومصطفى كامل.. وخير الدين التونسي.. ورشيد رضا.. وعبدالحميد بن باديس.. ومحمد الخضر حسين.. وأبي الأعلى المودودي.. وحسن البنا.. وسيد قطب.. والشيخ محمود شلتوت والبشير الإبراهيمي.. إلخ.

- ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو ذر الغفاري، وأسماء بنت أبي بكر.. رضي الله عنهم أجمعين كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامي، مثل: غيلان الدمشقي.. والحسن البصري.. وعمرو بن عبيد.. والنفس الزكية: محمد بن الحسن، وعلي بن محمد، والماوردي، وابن رشد (الحفيد)، والعز بن عبدالسلام.. إلخ.

- وتناولت كتبه - التي تجاوزت المائتين وأربعين - السمات المميزة للحضارة الإسلامية.. والمشروع الحضاري الإسلامي.. والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية.. وتيارات العلمنة والتغريب.. وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي.. والعقلانية الإسلامية.

- وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة.

- وحقق عددًا من نصوص التراث الإسلامي - القديمة منه والحديث.

- وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري حصل على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م - من كلية دار العلوم - في العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - بأطروحة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية».. وعلى الدكتوراة سنة (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).. بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم».

- نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية منها:

- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

- والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن.

- ومراكز الدراسات الحضارية بمصر.

- والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - مؤسسة آل البيت بالأردن.

- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

وحصل على العديد من الأوسمة والجوائز وشهادات التقدير.

- جاوزت أعماله الفكرية مائتين وأربعين كتابًا بالإضافة للمقالات في العديد من الصحف والمجلات.

- ترجم الكثير من الكتب إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية.

الكتــــاب

يقع الكتاب في مائتين وأربعة وعشرين صفحة من قطع ١٧سم × ٢٤سم - صدر عن دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة في طبعته الأولى سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

وينقسم الكتاب إلى قسمين: الأول يشمل الدراسة موضوع البحث والقسم الثاني: يشمل ملاحق توثيقية.

تناول الملحق الأول: ثبت بالمواضع القرآنية التي وردت بها كلمة آية، مفردة وجميعها بمعنى الحجة والمعجزة والعلامة وليس الكلمة أو الجملة من القرآن.

وتدور في الملحق الثاني نصوصًا من النصوص التراثية: قديمة وحديثة ومعاصرة.. كتبها أصوليون وفقهاء ومفسرون تعرض حدوث النسخ في القرآن الكريم - بمعنى إبطال الأحكام وإزالتها - وتبين ما تشتبه على البعض في هذا المقام واقتصر على كل من الإمام الشاطبي والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمد الخضري بك والشيخ محمد أبوزهرة والشيخ محمد الغزالي والأستاذ عبدالكريم الخطيب.

أما القسم الأول.. فقد خصصه المؤلف للتأكيد على عدد من النقاط نذكر منها أن العقيدة الإسلامية ترفض النسخ بمعنى التبديل لآيات القرآن وقد قدم فضيلته لهذه القضية بفصل عن النسخ في اللغة والاصطلاح وفصل آخر عن النسخ في القرآن ليصل إلى أنها مجرد شبهات فإذا ما وصل إلى ما يريد إثباته من أن العقيدة الإسلامية ترفض النسخ بمعنى التبديل لآيات القرآن يزيد الأمر وضوحًا في فصل ثان يدقق فيه النسخ في ميزان العقل.

ثم يتناول المعنى الحقيقي للنسخ عند الصحابة والقدماء والأصوليين من خلال عرضه لاقتباسات من كلام: حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، والإمام الزركشي، والإمام الجصاص والإمام القرافي والإمام النيسابوري، والإسفرايني الحنفي وابن القيم، وابن حزم الأندلسي، وعند أعلام المفسرين.

•••

إن الرجوع إلى المعاجم اللغوية أمر مهم في دراسة أي قضية ولكنه أكثر أهمية في هذه القضية؛ لأنها في الأساس قضية لفظية تعتمد أساسًا على المعنى المقصود من اللفظ لذلك عول عليه المؤلف وأعطاه ما يستحق من الدراسة وانتهى إلى القول: «ونحن عندما نتأمل في هذا الذي قالته معاجم اللغة العربية.. عن معنى النسخ.. وفي تقسيمها لمعنييه.. وفي الأمثال التي مثلت بها لهذين المعنيين: الإثبات.. والإبطال والإزالة التي تحدثت عنها هذه المعاجم - لمعنى النسخ - والتي ضربت لها أمثلة: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الآثار، هي إثبات - مثلها مثل نسخ الكتاب - وليست إزالة ولا محوًا ولا إبطالًا بحال من الأحوال.. فنسخ الشمس للظل هو نقل له من مكان إلى آخر، مثل نسخ الكتاب من صورة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر، وليس إزالة ولا محوًا ولا

إبطالاً وإعداماً.. وكذلك نسخ الريح للآثار هو نقل لها من مكان إلى آخر.. فهو - بعبارة ابن منظور -: «نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو».. وكذلك الحال مع المثال الذى أورده الراغب الأصفهانى لتناسخ الأرواح: «أى بقاؤها ونسخها إلى الأجسام على التأبيد».

إذن.. فالنسخ الذى تحدثت عنه معاجم اللغة العربية له معنى واحد - فى هذه اللغة - وهو الإثبات.. ولم يرد هذا المصطلح - النسخ - بمعنى الإزالة والمحو والإبطال والإعدام.

ولهذه الحقيقة دلالتها المهمة فى سياق الدراسة التى يقدمها هذا الكتاب».

ويعلق المؤلف على ذلك قائلا:

«وبهذه الإضاءات التى يعيها المدققون لهذه المعاجم والموسوعات تتبدد أوهام كثيرة وترتفع غشاوات كثيفة سادت وانتشرت فى كتب من سماهم السيوطى «عوام المفسرين» وهى الأوهام والغشاوات التى استغلها - ويستغلها - أعداء الإسلام من الملاحدة والزنادقة والمعاصرين».

النسخ فى القرآن:

ننتقل إلى فصل آخر من فصول الكتاب حيث عرض المؤلف عددا من الآيات الدالة على امتناع التبديل فى كتاب الله مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾

(الأنعام: ٣٤)

وقوله تعالى:

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(يونس: ٦٤)

ليدلل على استحالة تبديل أى كلمة من كلمات هذا القرآن الكريم ثم يقول:

«فالحفظ الإلهى - المؤكد - شامل لكل مكونات هذا الذكر الحكيم - من المبانى والألفاظ إلى المعانى والأحكام.. بل إنه إذا كانت المبانى والألفاظ إنما تعينت فيما تعينت - أن تكون أوعية للمعانى والأحكام. فإن الحديث عن محو الأحكام وتغييرها وتبديلها، مع بقاء مبانيها وأوعيتها وألفاظها، هو نوع من العبث اللا معقول، إذا هى مجرد شبهات

بعد أن أشار المؤلف إلى من أسماهم الإمام السيوطى «عوام المفسرين» وتحذيره من الأخذ عنهم راح يتساءل: إذا كان هناك شبهة فما هو مصدر هذه الشبهة؟

وهل من الممكن رد هذه الشبهة انطلاق من حقائق التراث؟ وليس بالثورة على التراث كما صنع بعض الذين أنكروا حدوث النسخ فى القرآن الكريم؟

لذلك يناقش المؤلف «الدليل العمدة» لجميع القائلين بالنسخ فى قول الله تعالى فى سورة البقرة:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾

(البقرة: ١٠٦)

وفى آية سورة النحل:

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ١٠١)

فيتتبع ورود لفظ «آية» فى القرآن فى صورها «المفرد» و«المثنى» و«الجمع» ليصل إلى المعنى المراد من هذا اللفظ وليصل إلى أنه باستقراء المواضع القرآنية التى ورد فيها لفظ «آية» مفردة فى جميع المواضع - على سبيل القطع والحصر - فإن المراد بالآية هو العلامة والمعجزة والحجة.

وهو موضوع حديث القرآن فى سورة البقرة وفى سورة النحل. ومن ثم فلا حجة للذين زعموا أن النسخ بمعنى المحو والإزالة وبذلك سقطت الحجة الأولى والأساسية التى استند إليها القائلون بحدوث النسخ.

ويخلص المؤلف إلى أن السياق والمعنى المراد هو سياق الحديث عن المعجزة والحجة. وليس عن العبارة القرآنية بأى حال من الأحوال.

العقيدة الإسلامية ترفض النسخ

بمعنى التبديل لآيات القرآن

يستهل المؤلف هذا الفصل بالإشارة إلى تلك البقع السوداء على صفحات الفكر الإسلامى التى جلبها التسليم بوجود النسخ فى القرآن الكريم بمعنى المحو والإزالة وعرض أمثلة لذلك

«إن قبول الشيعة لعقيدة «البداء» - ذات الأصول اليهودية - قد نشأ عن تسليمهم بالنسخ - بمعنى التغيير والتبديل - فى القرآن الكريم.. لقد سلموا بأن الذات الإلهية قد أرادت أشياء.. وقضت بأمور.. وحكمت بأحكام.. ثم بدا لها ما لم يكن باديا، ولا كان لها به علم، فاستدركت وغيرت وبدلت فيما قضت به وأمرت ونهت وحكمت. رعاية - بزعمهم - لأمور تغيرت، ومصالح استجدت، وعلم لم يكن.. ولقد انعكس هذا «البداء» فى التغيير والتبديل - أى النسخ - الذى حدث - بزعمهم - فى القرآن الكريم.

وهكذا قاد التسليم بالنسخ فى القرآن هذا الفريق من الشيعة إلى تبنى هذه العقيدة اليهودية. التى أدخلت فى الفكر الشيعى صورة يهودية غريبة للذات الإلهية.. صورة الإله المتقلب والمتغير فى علمه وقضائه وحكمه. وهى صورة غريبة عن عقيدة الإسلام فى تنزيه الذات الإلهية تنزيها يجعلها معصومة عن أن تلحقها التقلبات والمتغيرات - التى هى من صفات البشر - وليست من صفات الذات الإلهية، الذى

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

كما أنها هى الصورة الرائجة والغريبة التى جاءت للإله فى أسفار العهد القديم

كذلك، قاد هذا التسليم الشيعى بحدوث النسخ فى القرآن - بمعنى المحو والإزالة والتغيير والتبديل - إلى غلو بعضهم فى الريب فى الصحابة والقرآن الكريم.. فخرجوا عن الإيمان بالحفظ

الإلهي للقرآن، وعصمته عن التحريف والتغيير والتبديل.. ومن ثم سقطوا في خطيئة الادعاء بأن هناك تحريفا وتغييرا وتبديلا قد طال القرآن الكريم.. وكذبوا فنسبوا إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر (٥٧ - ١١٤هـ ٦٣٦ - ٧٣٢م) القول بتحريف القرآن!

> - والمعتزلة، الذين قادهم الحرص الشديد على نقاء التوحيد والتنزيه للذات الإلهية.. وعلى نفي تعدد القدماء.. ونفي قدم الكلمة - كلمة الله عيسى ابن مريم عليه السلام كي لا ينفتح الباب أمام النصارى لتأليه المسيح.. قادهم هذا الحرص على المقاصد المشروعة والنبيلة إلى الوقوع في محذور القول بخلق القرآن وحدوثه.. وما كان لهم أن يقعوا في هذا المحذور - الذي مثل صفحة سوداء في تاريخ الفكر الإسلامي - إلا بسبب تسليمهم بالنسخ - بمعنى المحو والإزالة والإعدام والتغيير والتبديل - فلقد اعتبروا حدوث النسخ في القرآن - بهذه المعاني - دليلا على خلق القرآن وحدوثه، وجواز حدوث التغيير فيه.

النسخ في ميزان العقل

وفي هذا الفصل يشير المؤلف إلى تلقف الحداثيين العلمانيين المبدأ الخطير الذي وقع في حبائله القائلون بالنسخ - مبدأ تغيير «أحكام القرآن» وآياته بسبب تغير «الواقع» ليعلنوا انتصار الفلسفة المادية التي تقول بأولوية «الواقع» على «الفكر».. جاعلين من «الوحي» «فكرا» - بعد أن جعله أنصار النسخ للتغيير والتبدل تبعا لتغير الوقائع والمصالح.. انطلقوا يدعون إلى «تاريخية القرآن الكريم».. أي ربطه بالوقائع التاريخية التي سادت عصر ظهوره ونزوله، والتي جاءت آياته استجابة لها.. حتى سابقوا وسبقوا أنصار النسخ.. فقالوا - عمليا - بنسخ كل القرآن الكريم!!

وقد نبه المؤلف إلى أن القول بالنسخ هو الذي مثل «الثغرة» التي حولها العلمانيون الماديون إلى «شر عميقة وسحيقة»، ثم يوضح أن النص القرآني - الثابت الخالد - قد وقف عند الثوابت، سواء في العقائد أو القيم والأخلاق أو كليات المعاملات وقواعدها وفلسفات أحكامها.. فلا حاجة لهذا النص القرآني - في خلوده - إلى النسخ والتغيير والتبديل.. كما أن ختم القرآن من الوحي الإلهي، وتمثيله حجة الله الدائمة على عباده، يقتضي خلود أحكامه - ومن باب أولى آياته - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما الواقع المتغير - دائما وأبدا - والمصالح - المتجددة دائما وأبدا - فإن الذي يواكبها، ويتغير كي يستجيب لمتطلباتها هو «الفقه» - الذي هو اجتهاد الفقهاء في إطار ثوابت الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم - والتي هي وضع إلهي ثابت - لا يلحقها نسخ ولا تغيير ولا تبديل.

..وبعد

فإن هذه الدراسة

حقائق وشبهات حول معنى النسخ في القرآن الكريم قد أقامت كل ألوان الأدلة والحجج والبراهين على أنه

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾

(يونس: ٦٤)

وعلى أنه لم يتطرق أي نسخ - بمعنى المحو والإزالة والإعدام والتغيير والتبديل - إلى أي حرف أو كلمة أو آية أو معنى أو حكم نزل به الروح الأمين - جبريل عليه السلام - على قلب الصادق الأمين المعصوم - محمد بن عبدالله ﷺ.

لقد أقامت هذه الدراسة - «الأصولية التجديدية» - على هذه الحقيقة براهين

● اللغة العربية - من معاجمها الفكرية والأصلية والمعتبرة

● والاصطلاحية - من الموسوعات والكشافات التي تخصصت في ضبط المفاهيم لمصطلحات العلوم والفنون في حضارة الإسلام.

● والأدلة النقلية - من مصدر المصادر، وأرفع المصادر، وأوثق المصادر: القرآن الكريم.

● والأدلة العقلية - التي تنقض - بالبراهين الصريحة - إمكانية حدوث النسخ في القرآن - بالمعنى الذي فهمه «عوام المفسرين»!.

● والأدلة الأصولية - التي امتلأت بها مصادر تراثنا الإسلامي في علم أصول الفقه - والذي يعد النسخ بحثا من مباحثه - ومن بعض مصادر التفسير للقرآن الكريم.

● ثم هذا الملف «التوثيقي» - لإبداعات أعلام علماء الإحياء والتجديد في نهضتنا الإسلامية الحديثة والمعاصرة.. أولئك الذين انتصروا للحقيقة العلمية القاطعة؛ لأنه لا نسخ في كتاب الله - في مبانيه أو معانيه وأحكامه -.. فصدق الفرع على الأصل.. وطابقت الثمرة الشجرة.. وشهد هؤلاء العلماء الأعلام بالصدق المطلق لقول العزيز الحكيم:

● [illegible]

[illegible]

(الأنعام: ١١٥)

● [illegible]

[illegible]

(الكهف: ٢٧)

وبهذا الإبداع، أحيا هؤلاء العلماء تراث علم الأصول، الذي تقرر فيه: أن القرآن الكريم.. بمبانيه ومعانيه وأحكامه قديم، لأنه كلام القديم سبحانه وتعالى، «وأن ما ثبت قدمه استحال عدمه» أي أن هذه الدراسة - الأصولية التجديدية - قد أنجزت «ثورة تراثية» حققت مقاصدها بالتراث وليس بالثورة على التراث كما صنع عدد ممن عارضوا وجود النسخ في القرآن فكان «الوعي بالتراث» - في هذه الدراسة - هو طريق تحرير العقل المسلم من الأوهام التي أشاعها - عن النسخ - «عوام المفسرين»!

نسأل الله أن يجعل هذا العمل الجاد الذي أثار المكتبة الإسلامية في ميزان حسنات ذلك الرجل الذي لا يحتاج منا إلى مدح وثناء.

بنو إسرائيل من الكتاب والسنة



إنذاره بالعقوبة إذا لم يتبعوا محمدا ﷺ

وكما أن القرآن الكريم قد استعمل مع اليهود كثيرا من وسائل الترغيب وهو يدعوهم إلى الإسلام - كما بينا ذلك من قبل - فقد استعمل معهم كذلك أسلوب الترهيب؛ ليصرفهم عن الكفر، والفسوق، والعصيان، ويحملهم على الطاعة، والصلاح والإيمان.

ومن الآيات التي تحمل طابع الإنذار بالعقوبة لأهل الكتاب، إذا لم يتبعوا الحق، قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

[النساء ٤٧ - ٤٨]

أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسد، فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وجحدوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر، فأنزل الله فيهم:

﴿ [illegible] ﴾

وقد بدأ الله تعالى الآية الأولى بنداء لأهل الكتاب يأمرهم فيه بالإيمان بمحمد ﷺ فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

وفي هذه الجملة الكريمة تحريض لهم على الإيمان من وجهين:

● أولهما: أنهم أوتوا علم الكتاب. وهذا العلم يوجب عليهم أن يسارعوا إلى تلبية دعوة النبي ﷺ، وألا تأخذهم العصبية الدينية، كما أخذت أهل مكة العصبية الجاهلية.

● ثانيهما: أن هذا الإيمان الذي يدعون إليه، هو التصديق بما أنزله الله على نبيه محمد ﷺ من قرآن لأنه يطابق - في جوهره - ما أنزله على الأنبياء السابقين، الذين يزعم أهل الكتاب أنهم يؤمنون بهم. إذن فوحدة المنزل توجب عليهم أن يؤمنوا بجميع ما أنزله الله تعالى على رسله، وإلا كانوا ممن يفرقون بين الله ورسله، ويقولون:

﴿ [illegible] ﴾

ثم أنذرهم سبحانه وتعالى بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

والمعنى: يأيها الذين أوتوا الكتاب الإلهي وهو التوراة، آمنوا بالقرآن الذي أنزلناه مصدقا لما معكم في أصول الدين وأركانه من قبل أن تنزل بكم إحدى عقوبتين:

الأولى: أشار إليها القرآن الكريم بقوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها.

قال مجاهد، أي: من قبل أن نطمس وجوها عن صراط الحق، فنردها على أدبارها في الضلالة.

وقال السدي: معناه فنعميها عن الحق، ونرجعها كفارا.

وقال الضحاك: يعني أن نردهم عن الهدى والبصيرة، فقد ردهم على أدبارهم فكفروا بمحمد ﷺ وبما جاء به.

وظاهر كلام هؤلاء أن هذه العقوبة من قبيل الطمس المعنوي.

والمعنى: آمنوا من قبل أن تقسو قلوبكم، وتطبع عليها بسبب تمسكها بالضلال، وتماديها في العناد. فهي كقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

[الأنفال: ٢٤]

القلب هو العقل. والحيلولة بين المرء وقلبه هو أن يسلب التفكير السليم، والنظر المستقيم.

وكقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

[يس: ٩ - ١٠]

ومن الواضح أن السد هنا سد معنوي رتب عليه أنهم لا يبصرون الهدى ولا يهتدون إلى الحق.

وأما العقوبة الثانية: فقد ذكرها الله تعالى بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

ومعنى اللعن الطرد والإذلال المعنوي.

فخلاصة المعنى: أن الآية دعوة لليهود إلى الإيمان من قبل أن يطبع الله تعالى على قلوبهم، ويذهب بنورها، فلا تتجه إلى الحق، ولا تميل إليه، أو من قبل أن يلعنهم ويطردهم من رحمته، ويكتب عليهم الذلة والمسكنة، بأن يسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب.

وكلمة (أو) في الآية لمنع الخلو، فيجوز أن يعاقب الله تعالى طائفة منهم بعقوبة من هاتين العقوبتين، ويعاقب طائفة أخرى منهم بالعقوبة الثانية إن هم استمروا في ضلالهم وطغيانهم.

هذا وفي الآية أقوال أخرى للمفسرين منها إن قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

المراد بها عقوبة حسية ظاهرة ومعناها:

محو معالم الوجه من الأنف والفم والعين، وجعله على هيئة القفا. وأن قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

معناه: أن نمسخهم قردة خاسئين، كما فعلنا بأصحاب السبت حين عاقبناهم على اعتدائهم فيه. وهذا القول مروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وتبعه عليه جماعة من المفسرين. ثم اختلفوا فى أن ذلك متى يكون؟ فقال بعضهم يكون فى آخر الزمان. وقال بعضهم يكون فى الآخرة. وقالت طائفة: هو مقيد بعدم إيمان أحد من أهل الكتاب المخاطبين بذلك. وقد آمن بعضهم كعبد الله بن سلام وأمثاله.

وقيل المراد من الآية: آمنوا بالقرآن من قبل أن تنزل بكم إحدى العقوبتين:

الأولى: أن يسلط الله عليكم المؤمنين فيحاربوكم، وتولوهم الأدبار منهزمين، فتكون أقفيتكم هى الظاهرة.

والثانية: أن نلعنكم كما لعنا أصحاب السبت، فنطردكم من رحمتنا، ونمسخ عقولكم وأفهامكم، ونترككم فى الأرض أذلاء مشردين.

وقيل المراد من الطمس: التغيير مطلقا، ومن الوجوه: الرؤساء والوجهاء.

والمعنى: آمنوا بالقرآن من قبل أن نغير أحوال وجهائكم ورؤسائكم، فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم، ونكسوهم ذلا وصغارا، وإدبارا، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت.

ويجوز أن يكون المعنى على تفسير الطمس والوجوه بما ذكرنا: آمنوا من قبل أن نرد وجهاءكم ورؤساءكم أذلاء صاغرين إلى المكان الذى جاءوا منه، وهو (أذرعات) بأرض الشام، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت.

وربما جعل الله تعالى إذلال الرؤساء والوجهاء، ولحوق الصغار بهم، عقوبة على ترك الإيمان، لأنهم عنوان الأمة، ورمزها، فإذا ذلوا ذلت الأمة جميعها.

قال عبد الرحمن بن زيد بناء على هذا التأويل: هذا الوعيد قد لحق اليهود ومضى، وتأول ذلك بإجلاء بنى قينقاع، والنضير إلى أرض الشام، فرد الله وجوههم على أدبارهم حيث عادوا إلى أذرعات وأريحا، من أرض الشام كما جاءوا منها.

وقوله تعالى:

﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾

معناه: وكان جميع ما أمر الله تعالى به نافذا لا محالة؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شىء فى الأرض، ولا فى السماء.

والضمير فى ([illegible]) يعود لأصحاب الوجوه، أو إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات.

ثم أخبر - سبحانه - خبرا مؤكدا، وهو أنه - تعالى - لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما سوى الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

والمعنى: أن الله تعالى لا يغفر لهؤلاء اليهود، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ الذنوب والكبائر والآثام، ([illegible]) بأن يدين بالخضوع والعبودية لغيره من خلقه ([illegible]) فقد اختلق إثما عظيما.

من فتاوى الحاخامات

صوت المرأة

عنوان الفتوى: هل يسرى تحريم الاستماع إلى صوت المرأة باعتباره عورة حتى لو كانت المطربة متوفاة؟

مصدر الفتوى: www. moreshet.il ، نوفمبر ٢٠٠٥ فتوى من الحاخام دافيد حيفانى

●سؤال: ألا يجوز سماع أغانى مطربة لم تعد على قيد الحياة؟

●●جواب: صوت المرأة عورة. صحيح أن هناك من يقولون إنه لا يوجد تحريم لسماع صوت المرأة عبر الإذاعة أو مسجلا، ولكن لابد من الالتزام تماما بالتحريم؛ لأن هذا بند متشدد فى المحرمات. ويرجع سبب تحريم سماع صوت المرأة أيضا إلى أن صوت المرأة قد يؤدى بالمستمع إلى التفكير فى النساء، وهذا التفكير محرم وفقا لما ورد فى العهد القديم: «ولا تطوفون وراء قلوبكم» (سفر العدد ١٥ :٣٩). فالقلب به كثير من الخواطر ويجب الابتعاد عن كل ما قد يؤدى إلى إثارة هذه الخواطر. وغناء النساء هو أحد الأشياء الواضحة التى تؤدى إلى التفكير فى النساء، والتفكير الناتج عن سماع المرأة قد يؤثر فى المستمع سواء كانت المطربة على قيد الحياة أم لا، فهذا لا يغير من الأمر شيئا، ويجب تحريم سماع صوت المرأة تماما. هناك حالات استثنائية يجب فيها سؤال حاخام عن كل حالة على حدة، ولكن لا يمكن تعميم ذلك على القاعدة التى توجب الابتعاد عن سماع صوت المرأة بجميع الطرق.

عنوان الفتوى: سماع غناء النساء

مصدر الفتوى: [illegible] ، نوفمبر ٢٠٠٥

فتوى من الحاخام موشيه عمينيل

●سؤال: هل سماع غناء النساء حلال (هل يمكن أن تشرح لى بالتفصيل فى حالة ما إذا كنت أرى من تغنى أو لم أرها من قبل)؟ وما أسباب ذلك؟

هل يمكن أن توافينى بمصادر الإجابة؟

●●جواب: تقرر الشريعة (اليهودية) أن صوت المرأة عورة (براخوت ٢٤ فقرة «أ»، وكتاب الحاخام موشيه بن ميمون بشأن المحظورات باب ٢١ فقرة ٢ وغيرها). فالاستماع إلى غناء المرأة، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، محرم تماما، وهو محرم حتى بالنسبة للمرأة غير يهودية. وقد اختلف الفقهاء بالنسبة لسماع غناء النساء عن طريق الإذاعة أو أية وسيلة أخرى حيثما لا يكون هذا هو الصوت الحقيقى المباشر للمرأة. هناك من يحرم ذلك تماما. وهناك من يسمح به. وهناك من يتساهلون فقط إذا كان المستمع لا يعرف المرأة أو لم يرها قط. يجب الحرص على احتشام وشرف النساء. ولذلك من الأفضل للفتى عدم سماع غناء الفتيات. ويجب على الفتيات الامتناع عن الغناء أمام الصبية حتى لا يفسدوا أخلاقهم.

ضوابط مشاركة المرأة فى العمل العام



إذا كانت مشاركة المرأة فى العمل العام جائزة فى أصلها، فلابد لها من ضوابط تضبطها وقواعد تحكمها حتى لا يترتب عليها مفاسد لا تقاوَن بالمصالح التى تجلبها هذه المشاركة، وحتى تسد الذرائع التى يحتج بها من ذهب لمنع المرأة من العمل العام.

وقد حدد فقهاؤنا هذه الضوابط التى يجب أن تحققها المرأة وهى تشارك فى العمل العام، فشيخنا العلامة د. يوسف القرضاوى يقول: "وإذا أجزنا عمل المرأة، فالواجب أن يكون مقيداً بعدة شروط:-

١ - أن يكون العمل فى ذاته مشروعاً، بمعنى ألا يكون عملها حراماً فى نفسه أو مفضياً إلى ارتكاب حرام، كالتى تعمل خادمة لرجل عزب، أو سكرتيرة خاصة لمدير تقتضى وظيفتها أن يخلو بها وتخلو به، أو راقصة تثير الشهوات والغرائز الدنيا، أو عاملة فى "بار" تقدم الخمر التى لعن رسول الله ﷺ ساقيها وحاملها وبائعها، أو مضيفة فى طائرة للرجال يوجب عليها عملها تقديم المسكرات، والسفر البعيد بغير محرم، بما يلزمه من المبيت وحدها فى بلاد الغربة، أو غير ذلك من الأعمال التى حرمها الإسلام على النساء خاصة أو على الرجال والنساء جميعاً.

٢- أن تلتزم أدب المرأة المسلمة إذا خرجت من بيتها فى الزى والمشى والكلام والحركة:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾

(النور ٣١)

﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾

(النور ٣١)

﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾

(الأحزاب ٣٢)

٣- ألا يكون عملها على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها، كواجبها نحو زوجها وأولادها وهو واجبها الأول وعملها الأساسى".[1]

أما أستاذنا الدكتور عصام البشير فيلخص هذه الضوابط فى سبعة على النحو الآتى:

١ - الزى الشرعى: قال تعالى:

﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾

(النور ٣١)

(١) فتاوى معاصرة: ٢/٣٠٥-٣٠٦، ويرجع مكانة المرأة للمستشار سالم البهنساوى، ٨٦-٨٢.

وقال:

﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾

(الأحزاب ٣٣)

فينبغى على المرأة أن تلبس اللباس المحتشم الساتر الفضفاض، الذى لا يكون زينة فى نفسه، على نحو ما هو مبين فى كتب الفقه.

٢ - غض البصر، قال تعالى:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾

(النور: ٣٠، ٣١)

قال ابن عبد البر: "وجائز أن ينظر إلى ذلك منها (الوجه والكفين) كل من نظر إليها غير ريبة ولا مكروه، وأما النظر للشهوة فحرام".

٣ - التمييز عن الرجال واجتناب المزاحمة: عن أم سلمة -رضى الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضى تسليمه، ومكث يسيراً قبل أن يقوم، قال ابن شهاب: "فأرى -والله أعلم- أن مكثه لكى ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم" ويؤكد هذا قوله ﷺ: "لو تركنا هذا الباب للنساء".

٤ - اجتناب الخلوة: عن ابن عباس -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم" قال الحافظ ابن حجر: "فيه منع الخلوة بالأجنبية، وهو إجماع لكن اختلفوا هل يقوم غير المحرم مقامه فى هذا كالنسوة الثقات؟ والصحيح الجواز لضعف التهمة به".



عصام البشير

٥ - جدية محل اللقاء: قال تعالى:

﴿ وقلن قولاً معروفاً ﴾

(الأحزاب ٣٢)

وتشير هذه الآية إلى أن موضوع الحديث بين الرجال والنساء ينبغى أن يكون فى حدود المعروف، ولا يتضمن منكراً، كما ينبغى أن تكون للقاء أسبابٌ جادة تدعو إليه.

٦ - وجوب إذن الزوج للمحوث إن كان مقيماً غير مسافر: عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه".

٧- ألا يكون خروج المرأة للعمل العام على حساب زوجها وبيتها وأولادها: بمعنى ألا تمنعها المشاركة فى العمل العام من الوفاء بكل واجباتها، زوجة وأماً، و(خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره، وأرعاه لزوج فى ذات يده)، ولابد من محاولة التوفيق والتوازن بين العمل داخل البيت وخارجه[2].

ويحدد الأستاذ البهى الخولى أمرين إذا عالج الإنسان بهما قضية عمل المرأة لم يخطئ

فيهما حكم الطبيعة ولا الشرع، يقول عنهما:

- الأول: أن العمل في ذاته مشروع، على ألا يستغرق وقتها وفكرها ووجدانها، فيخرجها عن حدود الطبيعة ومقتضيات مهمتها الفطرية.
- الثاني: أن البيت هو المكان الطبيعي لتحقيق المقاصد العليا الروحية والاجتماعية التي أرادها الله بخلق الأنثى، وأنها لا يجوز لها الخروج منه إلا لمصلحة.

فلها في نطاقهما - أي الأمرين - أن تزاول أي عمل فكري أو بدني: في البيت أو خارجه، في الريف أو الحضر، بأجر أو بغير أجر، على أن تلتزم في ملبسها، وزينتها، وسلوكها، وعدم خلوتها بالحدود الشرعية.

وقفة مع هذه الضوابط

ومعنى هذه الضوابط لا يصح للمرأة أن تشارك حتى لو لم يتحقق شرط واحد أو ضابط واحد من هذه الضوابط، وتزداد الحرمة كلما تخلف عن مشاركة المرأة في العمل العام ضابطٌ من هذه الضوابط، أو شرط من تلك الشروط.

وربما يبرز سؤال هنا أو شبهة يرددها دعاة التحرر أو بالأحرى دعاة الانفلات فيقولون: كيف ستمارس المرأة عملها في ظل كل هذه القيود، وأين الحرية التي يجب أن تتمتع بها المرأة في ظل مجتمع مدني متحضر؟ إن مكث المرأة في البيت أفضل لها من أن تخرج وهي مكبلة بكل هذه القيود.

ونبادر فنقول

أولًا: إن الإسلام حين يشرع أمرًا أو يحرم آخر فلابد أن نكون مؤمنين بأن فيه الخير كل الخير، والمصلحة كل المصلحة للمسلمين، وإن لم نكن نؤمن بذلك فإن له حديثًا آخر غير هذا الحديث.

ثانيًا: إن الإسلام حين وضع هذه الضوابط أراد أن يصون للمرأة عفتها وكرامتها، وأن يحفظ شرفها وسمعتها وسيرتها، وأن يجعل حول فطرتها وأنوثتها سياجًا يحميها من التغيير والتبديل والميوعة، والتشبه بالرجال، وهذا يتسرب إليها دون أن تشعر حين لا تلتزم بهذه الضوابط.

ومن هنا يقول المستشار سالم البهنساوي: "هذه الضوابط الأخلاقية هي من الفطرة السليمة، وجاءت بها كل الديانات، وجاء القرآن ليتمم ما تحتمه قواعد المروءة والأدب والإنسانية؛ لأنها المميز للإنسان عن الأنعام"[٤].

ويقول في مقام آخر: "إن الضوابط التي وضعها الإسلام لخروج المرأة وعملها تستهدف مصلحة المرأة والمجتمع، ولا يراد بها التقليل من دور المرأة وأهميتها في الأسرة والمجتمع، لهذا كانت المسلمات في عصر النبوة يروين السنة النبوية كالرجال سواء بسواء، وكن يقمن بدورهن في الحروب والغزوات"[٥].

ثالثًا: أراد الإسلام بذلك أن يحفظ للرجال رجولتهم وفطرتهم وخصائصهم؛ فلا يتميعون وتتداخل طباعهم مع طبائع النساء، فلا الرجال يبقون رجالًا ولا النساء يبقين نساء، ولهذا يحرص الإسلام على أن يحتفظ كل نوع بخصائصه وطبيعته؛ وقد روى النسائي بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لعن المخنثين، وقال: "أخرجوهم من بيوتكم". فأخرج رسول الله ﷺ فلانًا، وأخرج عمر فلانًا[٦].

رابعًا: لو منع الإسلام عمل المرأة مطلقًا لفرح هؤلاء الذين يريدون أن يغيروا الدين واللغة والشمس والقمر بالصراخ، لكن الإسلام لا يميل لأهواء هؤلاء، ولا للشهوات والنزوات، إنما أباح للمرأة أن تشارك لكن في ضوء هذه الضوابط الحاكمة التي تحفظ للمرأة أنوثتها، وتبقي للرجال رجولتهم، وتضمن للمجتمع التطور والطهر والنقاء والرقي والترقي.

خامسًا: أنه لا يوجد في العالم كله، ولا في مؤسسة أو اتحاد أو شركة أو مدرسة أو أي كيان مدني يتمتع بما يسمى "الحرية المطلقة"، لا توجد حرية مطلقة في الوجود، حتى أمريكا - التي تقيم تمثالًا للحرية عندها - تمارس أبشع أنواع الظلم والاستبداد والعنصرية وتكيل بمكيالين في شتى أنحاء العالم، فلا توجد حرية مطلقة لكن توجد حرية مشروطة بعدم الإضرار بالغير، ولتحقيق مصالح الجميع، وليتمتع غيرك بقسطه من الحرية، وإلا صار العالم فوضى غير خلاقة، وذلك عملًا بالمبدأ القائل: "حريتي تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين".

الآثار السلبية للمشاركة دون ضوابط

بالإضافة لما قررنا سابقًا من مصالح تترتب على المشاركة مع الالتزام بهذه الضوابط لابد من وقفة أخرى تبين الأضرار والسلبيات والمخالفات الجسيمة التي تقع فيها المرأة، وتحدث لها ولغيرها حينما تنهمك في عمل الرجال، أو جراء المشاركة بعيدًا عن الضوابط الشرعية.

١- ولعل من أبرز هذه الآثار تدمير الأسرة المسلمة، وذلك إن كانت حاضنة لأطفال صغار، أو حدث بين عملها وبين بيتها أو زوجها تعارض، أو تشاكل بشأن خروجها، وتمسكت هي بعملها بعيدًا عن رغبة الزوج أو ولي الأمر حينئذ تنهار الأسرة أو توشك، والتي تعتبر أبرز لبنة في بناء المجتمع التي تشارك هي من أجله، فأفسدت من حيث أرادت الإصلاح.

٢- ومن الآثار أيضًا تفشي ظاهرة التحرش بالنساء، وانتشار الزنا؛ إذ خروج المرأة غير ملتزمة بالزي الشرعي يغري غيرها بالتحرش بها، وبكل ذريعة تؤدي إلى الفاحشة.

٣- مخالفة المرأة لأمر الله حين تخرج رغمًا عن زوجها، أو تمارس عملًا حرمه الشرع، أو تخرج بعيدًا عن الضوابط، وفي هذا من الضرر ما لا يخفى.

٤- فقدان المرأة لأنوثتها ومخالفتها لفطرتها حين تمارس أعمالًا لا تتناسب وطبيعتها؛ وذلك نتيجة عدم التزامها بالمجالات التي تدبها الشرع لها، ووضعها نفسها في مجالات عمل ومشاركة نأى بها الشرع عنها.

[illegible]

[illegible]

(٦) كتاب عشرة النساء: أبواب حقوق الزوجين، باب [illegible] المخنثين والمترجلات منهم، رقم (٩١١٩) ص ٣١٦، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥ـ تهديد الأمن الاجتماعي في المجتمع، وزعزعة الاستقرار، وانتشار الجريمة، ولذلك قالت الصحافية الأمريكية هيليسيان ستانسبري بعد زيارتها للجامعات المصرية: "من الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بدينه وتقاليده، فالقيم عندنا تهدد اليوم الأسرة والمجتمع في أوربا. فامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة؛ لأن الحرية التي عندنا قد جعلت منهم عصابات: منها عصابات أحداث، وعصابات مخدرات"[٧].

وفي كلام للعلامة القرضاوي يتوافق مع ما نقلناه عن العلامة ابن باز سابقا يبين مضار انهماك المرأة في الاشتغال بعمل الرجال من جوانب شتى، لا سيما إذا كان بغير قيود ولا حدود. ويذكر من ذلك

١ـ مضرة على المرأة نفسها: حيث تفقد أنوثتها وخصائصها، وتحرم من بيتها وأولادها.

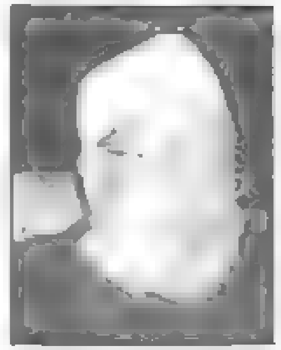
٢ـ مضرة على الزوج: لأنه يحرم من ينبوع حنان كان يفيض عليه بالأنس والبهجة

٣ـ مضرة على الأولاد: لأن حنان الأم، وقلب الأم، وإشرافها لا يغني عنه غيره من خادم أو مدرسة

٤ـ مضرة على جنس الرجال: لأن كل امرأة عاملة تأخذ مكان رجل صالح للعمل.

٥ـ مضرة على العمل نفسه: لأن المرأة كثيرة التخلف والغياب عن العمل لكثرة العوارض الطبيعية.

٦ـ مضرة على الأخلاق: أخلاق المرأة إذا فقدت حياء النساء، وأخلاق الرجل إذا فقد غيرة الرجال، وأخلاق الجيل إذا فقد حسن التربية والتهذيب منذ نعومة أظفاره، وأخلاق المجتمع كله إذ أصبح كسب المال هو الهدف الأكبر.



القرضاوي

٧ـ مضرة على الحياة الاجتماعية: لأن الخروج على الفطرة، ووضع الشيء في غير موضعه الذي اقتضته هذه الفطرة يفسد الحياة نفسها، ويصيبها بالخلل والتخبط والاضطراب[٨].

وربما نختلف هنا مع شيخنا القرضاوي في النقطة الرابعة التي تقضي بأن خروج المرأة مضرة على جنس الرجال؛ لأنه يقضي بأنها تأخذ مكان رجل صالح للعمل، وهذا كلام يحتاج مراجعة أو تفصيل، إذ أن الأعمال والمهن والوظائف لا تتوقف عند حد، وإلا فماذا تفعل الشعوب التي تقدر بمئات الملايين كالشعب الصيني مثلا، وربما يصدق هذا على النساء اللاتي يعملن في أعمال خاصة بالرجال فقط مثل: الأعمال الشاقة في الصحاري وغيرها، والتي من شأنها أن تعرض أنوثة المرأة وأمنها للخطر، وأما ما دون ذلك فلا نوافق الشيخ عليه في هذه الجزئية؛ إذ أن مجال العمل ما دام مباحا للمرأة فالأصل فيه الكفاءة، وليس النوع، بل إن هناك تميزا فطريا للمرأة على الرجل في بعض الأعمال.

(٧) صحيفة الجمهورية المصرية، عدد بتاريخ ٩/٦/١٩٦٢م، نقلا عن مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية: ٣٩، وراجع ص: ٨٧-٨٨.

(٨) [illegible] ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده: ٢٨٩-٢٩١، مكتبة وهبة، [illegible]

حــــواء

أ.د نظمي لوقا

المرأة في الإسلام إنسان له كل حقوق الإنسان وكل تكاليفه العقلية والروحية، فهي في ذلك صنو الرجل تقع عليها أعباء الأمانة التي تقع عليه: أمانة العقيدة والإيمان وتزكية النفس، فجاء في سورة الأحزاب

[illegible]

(الأحزاب: ٣٥)

وقد نعد هذا اليوم من بدائه الأمور، ولكنه لم يكن كذلك في العالم القديم، في كثير من الأمم حيث كانت المرأة تباع أحيانا كثيرة كما تباع السلعة، يبيعها أبوها أو رأس عشيرتها أو زوجها. وكانت في كثير من الأحوال منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعي أو بموافقته، بل لم تكن تملك تزويج نفسها على الخصوص، وإنما الأمر في ذلك لوليها يجريه على هواه.

وأكثر من هذا، كانت قبائل العرب في الجاهلية تئد البنات كراهة لهن وازدراء لشأنهن، ومن لم يئدهن كان يضيق بهن ضيقا شديدا.

[illegible]

(النحل: ٥٨، ٥٩)

وفي هذه السورة عينها إشارة إلى المساواة عند الله بين الذكر والأنثى بغير تفريق في التكاليف أو الجزاء

[illegible]

(النحل: ٩٧)

وفي سورة النساء إشارة صريحة إلى مساواة المرأة والرجل في ثمرات الأعمال والجهود:

[illegible]

(النساء: ٣٢)

وفي بعض الأمم القديمة، وفي بعض الأمم الحديثة، كانت المرأة تحرم حقها من الميراث، فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش، ونص على ذلك في سورة النساء:

﴿ [illegible] مفروضا ﴾
(النساء ٧)

وهذا النصيب المفروض

﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾
(النساء: ١١)

باعتبار أن نفقات المرأة تقع على عائلها من الذكور بالغا ما بلغ ثراؤها. أما الذكر فهو عائل أهل بيته من أولاد ونساء، فأعباؤه المالية أبهظ من المرأة بكثير، وهذه القسمة إذن أقرب إلى محاملة المرأة في شئون الأموال الموروثة.

●●●

ولا يخوض إنسان في موضوع المرأة في الإسلام من غير أن تخطر بباله قضية تحرير المرأة في هذا العصر، ومساواتها بالرجل ويخطر على البال حتما قول القرآن في سورة النساء

﴿ [illegible] ﴾
(النساء ٣٤)

وما جاء في سورة البقرة

﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وللرجال عليهن درجة ﴾
(البقرة ٢٢٨)

فإنها تبدو لأول وهلة هابطة بالمرأة إلى «درجة» دون درجة الرجل، وفي هذا ما فيه من بواعث التساؤل، في زمن استفحلت فيه قضية المساواة بين الجنسين وتقررت في جميع الأمم الآخذة من الحضارة بنصيب.

وهنا لابد من الرجوع إلى مسوغ هذا التفاوت أو التفضيل. وليس كل تفضيل جورا، بل إنه متى كان التفضيل لفضل ثابت، فهو العدل الصراح.

وليس المفروض أن يكون هذا الفضل مطلقا بغير قيد أو شرط لجنس معين من الجنسين. بل إن التفضيل - عقلا - لا يصح إلا بحصول الفضل وتحققه، يرتفع بارتفاعه، ويوضع بوضعه، ويتحول بتحوله.

فما الفضل الشاهد للرجل على المرأة؟..

إنه حاميها، وإنه عائلها، وإنه تركن إليه وتلوذ به، وإنه أعلم منها وأبصر بأمور الدين وأمور الدنيا، وإنه أحظى منها بنصيب من المواهب والقدرات

ولم يرد ذكر القوامة على النساء على إطلاقها للذكورة بغير بينة من قبل

﴿ [illegible] أموالهم ﴾

فهناك إذن وجهان لحصول تلك القوامة: هو إيتاء الفضل والإعالة، أو النفقة المالية.

وشق الإعالة أو النفقة قد تجد له المرأة حلا في بروزها إلى ميدان الأعمال، وقيامها على أمر معيشتها كالرجل أو أكثر منه وأحجى.

وأما إيتاء الفضل، فهو رهن بإصابة نصيب من التعليم، أو البراعة في فن من الفنون، أو رجاحة العقل ونباهة الذكر؛ وهي مقررات الفضل بنص القرآن. فقد جاء في سورة المجادلة

﴿ [illegible] ﴾
(المجادلة ١١)

ولا يغيب عن البال ورود «درجات» بصيغة الجمع، وقد وردت في سورة البقرة عند التعرض للمرأة والرجل بصيغة المفرد

﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾

وجاء في سورة الزمر

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾
(الزمر ٩)

وجاء في سورة النساء

﴿ [illegible] ﴾
(النساء ٩٥)

إن العلم يرفع صاحبه على من لاعلم له، فالعالم خير من الجاهل والجاهلة، والعالمة خير من الجاهلة والجاهل.

والمؤمن خير من الكافر والكافرة، والمؤمنة خير من الكافرة والكافر.

والجاهد في سبيل الله بأمواله ونفسه خير من القاعد عن الجهاد والقاعدة، والمجاهدة في سبيل الله بأموالها ونفسها خير من القاعدة عن الجهاد والقاعد.

لاتفضيل بغير فضل، ولا تشريف بغير تكليف، وإنما كان العرف جاريا بانحياز المرأة عن هذه المجالات، ومتى زال هذا العائق، وارتفع عنها القصور أو التقصير، فهي حقيقة بثمرات فضلها وقيامها بتلك التكاليف الجسام.

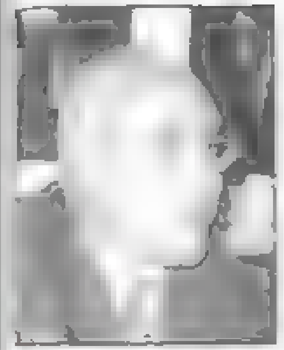
ولا أعتقد أن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس يكون بالحرب والفتح فحسب، بل وبكل عمل صالح لخير عباد الله بنشر العلم أو رفع المرض أو هداية الناس إلى ما تصح به نفوسهم ويسرون به للخير ومرضاة ربهم في أمور دينهم ودنياهم.

فليس الإسلام - على حقيقته - عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين في القيمة. بل إن المرأة في موازينه تقف مع الرجل على قدم المساواة، لا يفضلها إلا بفضل، ولا يحبس عنها التفضيل إن حصل لها ذلك الفضل بعينه في غير مطل أو مراء وما من امرأة سوية تستغنى عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال.

وذلك حسب عقيدة لتكون صالحة لكل طور اجتماعي على تعاقب الأطوار والعصور، على سنة العدل التي لم يجد لها عصرنا اسما أوفق من «تكافؤ الفرص» الذي يلغي كل تفريق ويسقط كل حجة، ويقضي على كل تمييز إلا باعتبار ثابت صحيح

الوسطية الإسلامية

المرأة والعمل السياسى



أ.د/ محمد سليم العوا
مستشار رئيس الجمهورية

وتثور فى كل حديث عن الاسلام والسياسة فى هذا العصر مسالة الدور السياسى للمراة. والحديث عن هذا الدور فى حياتنا السياسية الحاضرة مطلوب ومهم فى المجتمع الاسلامى كله: لان المراة المسلمة بين شقى رحى، او بين امرين أحلاهما مر: بين فريق من أهل الرأى والقدرة على الفعل يرون انها لا تصلح لشىء إلا انجاب الاطفال ورعاية المنزل. واصحاب هذا الراى يرون المراة كلها عورة. وانها المصدر الوحيد للفتنة. وان خروجها من البيت لاى سبب كان هو اعظم محنة. وان الذى اصاب المسلمين من فساد الدنيا والدين مرجعه كله إلى المراة!. وبعض هؤلاء يجاهر بأن عملها حرام. ومصافحتها حرام. والحديث معها فى اى شان حرام. أو قريب من الحرام.

وليس أشد خطأ من أصحاب هذا الرأى إلا أصحاب الراى النقيض له: الذين يرون آن كل قيد متعلق بحشمة المراة وحجابها او عفتها وصيانتها تخلف ورجعية. ويدعون المراة المسلمية إلى التشبه بنساء الغرب اللاتى لم يعد يحول بينهن وبين شىء مما حرمه الله دين. ولا التزام خلقى. ولا محاسبة اجتماعية. ولا روابط اسرية: فالعفيفة هناك حرة. والبالغة منتهى ما يبلغه بالانسان تحلله من كل قيد حرة مثلها تماما. ولا يلوم أحد على احد. ولا ينقم اهل العفة والصيانة على أهل الفجور والانحلال. وكانهم جميعا قد صدق فيهم قول الله تعالى فى بنى اسرائيل :

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] ٧٩)

والأصل فى العمل السياسى كله أنه تطبيق من تطبيقات أصل إسلامى أعم؛ [illegible] فرض من فروض الكفاية على الأمة. هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ الذى يرمى فى النهاية إلى غاية أساسية واحدة هى تحقيق الصلاح الاجتماعى

(١) محمد سليم العوا وبرهان غليون، النظام السياسى فى الإسلام، مرجع سابق

ومنع الفساد الاجتماعى.

وتعبير القرآن الكريم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى سورة آل عمران

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١٠٤)

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١١٠)

يدل بلا ريب على شمول واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للنساء والرجال جميعا. وأصرح من ذلك دلالة قول الله تبارك وتعالى اسمه، فى سورة التوبة

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ٧١)

فهذا نص صريح فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الرجال والنساء سواء بسواء.

والقرآن الكريم يصف المؤمنين - رجالا ونساء - بأنهم

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى ٣٧ - ٣٩)

وهذا الوصف للمؤمنين يشمل الرجال والنساء كذلك. فإن من خصائص الخطاب العربى القرآنى وغيره أنه يشمل الرجال والنساء جميعا ويعمهم بالحكم الوارد فيه حقا كان أو واجبا، فإذا كان الحكم خاصا بالنساء أتى الخطاب العربى خاصا بهن جمعا أو إفرادا[2]، كما قال الله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الأحزاب ٣٢)

وكما قال سبحانه حكاية عن بنى إسرائيل قولهم لمريم البتول.

﴿ [illegible] ﴾

(مريم ٢٨)

فالقرآن الكريم دال بنصه إذن على

(٢) محمد سليم العوا، الإسلاميون والمرأة، دار الوفاء، المنصورة، مصر ٢٠٠٠م، ص٣٤

المساواة بين الرجال والنساء في أصل وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أشهر أحاديث السنة النبوية الصحيحة في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

والمقرر عند الأصوليين واللغويين أن لفظ (من) من ألفاظ العموم التي يصدق معناها على جميع الأفراد الذين يشملهم من غير استثناء، ولا تخصيص إلا بدليل صريح على ذلك[4]، فإذا سيق لفظ (من) كلمة (منكم) - كما في الحديث - فإنه يشمل المؤمنين جميعا رجالا ونساء بلا استثناء، لأنه ليس في موضع آخر من أدلة الشريعة - القرآن والسنة - ما يدل على هذا الاستثناء أو التخصيص.

ومثل هذا الحديث ما رواه الإمام مسلم عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، المرأة والرجل سواء في مطالبتهم بالتدين بالإسلام والامتثال له، فإذا كان (الدين) هو النصيحة؛ أي كانت النصيحة جزءا لا يتجزأ منه وفرعا لا ينفصل عنه، ومعلما مهما من معالمه حتى دل النبي ﷺ بها وهي جزء على الكل الذي هو الدين، فكيف يصح أن يقال: إن النساء لسن مسئولات عن أداء هذا الواجب؟ وهل العمل العام - كله أو جله - إلا نصيحة بوجه من الوجوه وهي قيام بواجب من واجبات الدين؟ فمن الذي يستطيع حرمان النساء - بلا دليل ولا شبه دليل - من أداء هذا الواجب؟

السنة مثل القرآن إذن في التسوية بين الرجال والنساء في إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهم جميعا، وفي مطالبتهم بأدائه إذ جعلت الدين هو النصيحة، والدين هو موضع التكليف الكلي للرجال والنساء معا.

فإذا تبين هذا لم يعد لأحد الحق في إبعاد النساء عن العمل العام بسبب أنهن نساء، ويتأكد هذا بالسوابق الإسلامية الثابتة منذ عهد النبوة بمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية. فقد كانت النساء يشاركن الرجال في جيوش رسول الله ﷺ في أشق أنواع العمل العام، وأعظمها خطرا، وأكثرها تعريضا للمرأة لما تتجنبه عادة، أعني القتال الفعلي مع الجيوش الإسلامية[5].

وقد شاركت النساء في الهجرة إلى الحبشة، وفي الهجرة إلى المدينة، والهجرة عمل سياسي يقوم به مهاجر عندما تضيق عليه أرضه الأصلية، وتحول بينه وبين أداء واجبات دينه، أو العمل لنصرة عقيدته، وليست فرارا إلى أرض يتمكن المهاجر فيها من أداء العبادات فقط[6].

وقد وصف الأستاذ ظافر القاسمي - رحمه الله - في كتابه القيم: «نظام الحكم في الشريعة والتاريخ» الأمر النبوي بالهجرة إلى الحبشة بأنه أول عمل سياسي قام به الرسول ﷺ[8].

ويؤكد هذا الفهم للهجرة إلى الحبشة الدكتور نزار الحديثي في كتابه: «الأمة والدولة في سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين»[9]، فهو يعتبر الهجرة إلى الحبشة خطوة في سبيل بناء الأمة التي قامت الدولة الإسلامية أخرى.

والهجرة إلى المدينة كانت عملا سياسيا محضا؛ فهي لم يؤذن بها إلا بعد الإذن للنبي ﷺ بالقتال، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه وهو يأمرهم بالخروج إلى المدينة: «إن الله - عز وجل - قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها»[10].

وقد شاركت المرأة في الشورى السياسية، ففي صحيح البخاري - وفي كتب السيرة المتعددة[12] واقعة مشورة أم سلمة على رسول الله ﷺ يوم الحديبية في قصة مفصلة جميلة؛ فليراجعها من أراد.

وأشارت أم سُليم على رسول الله ﷺ يوم حنين بقتل الطلقاء (مسلمة الفتح الذين انهزموا يوم حنين، فظنت هي أنهم سبب انكسار جيش المسلمين) فقال لها: «يا أم سُليم، إن الله قد كفى وأحسن»[13].

وقد استخرج أخونا الأستاذ عبد الحليم أبو شقة - رحمه الله - في موسوعته «تحرير المرأة في عصر الرسالة» نحوا من ثلاثمائة دليل من السنة الصحيحة وحدها على أن مشاركة النساء في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية أمر لا يمنعه الشرع، ولا يحول بين المرأة وبينه صحيح الفقه، ما دامت ملتزمة بالزي الذي لا يخالف الحشمة الإسلامية الواجبة، وهو ما يغطي كل جسدها وشعرها، ولا يصف جسدها ولا يكشف عنه، وما دامت ملتزمة بالوقار

(3) سبق تخريجه

(4) انظر مثلا العلامة محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية بيروت، 1989م، في مبحث ألفاظ العموم

(5) الحديث متفق عليه واللفظ هنا لمسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج2 ص37

(6) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب أخينا العلامة الأستاذ عبدالحليم أبوشقة، رحمه الله، تحرير المرأة في عصر الرسالة ج2، 3

(7) محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، ص44، 45

(8) ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، طبعة 1974م ص37 وما بعدها

(9) نزار الحديثي، الأمة والدولة في سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، بغداد، 1987م ص80 وما بعدها

(10) ابن هشام، السيرة النبوية، طبعة سنة 1987م، ج2 ص109

(11) [illegible]

(12) مثلا الروض الأنف للسهيلي، ج3 ص232، والسيرة الشامية طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة 1992م ج5 ص92

(13) صحيح مسلم [illegible]

والصيانة والعفة التي تحفظ للمرأة كرامتها واحترامها في أي مجتمع توجد فيه، وليس وراء هذين القيدين شيء يمنع النساء من المشاركة في الحياة العامة بصورها كافة. وحين تمتنع المرأة عن ذلك لأسباب ترجع إليها مثل المشغلة بأمور أهم، أو الانصراف عن الحياة العامة لعدم الاهتمام بأمرها، أو عدم الرغبة في المشاركة فيها؛ فإن ذلك لا يضاف إلى الشرع ولا ينسب إلى الفقه، وإنما هو موقف شخصي لبعض النساء يتخذ مثله كثير من الرجال، وهو لا يحتاج إلى إلباسه ثوب الحكم الشرعي، أو تسويغه بادعاء نسبته إلى اجتهاد فقهي. وما يعرض لبعض النساء الراغبات في المشاركة في الحياة العامة من الطوارئ، المانعة عن العمل العام أصلا، يحدث للرجال مثله. وحكم الرجال والنساء فيه سواء[14].

والموقف الفقهي التقليدي في مسألة الدور السياسي للمرأة يحصر القضية بأن المرأة لا شأن لها بالسياسة، وأن غاية ما يطلب منها أن تقوم به - إن استطاعت في نظر أصحاب هذا الرأي - هو أن تصون بيتها وتربي أولادها.

وبعض أنصار هذا الرأي يستدلون بالحديث غير الصحيح «شاوروهن وخالفوهن»[15]، وهو حديث لا تصح نسبته إلى الرسول ﷺ ولا يجوز أن تستمد منه حجة.

وقد كان الرسول ﷺ يستشير زوجاته في الأمور العامة، ويأخذ بقولهن أو رأيهن، فكيف يقول هذا الكلام ثم يكون أول من يخالفه؟! والمعترضون على ولاية المرأة للمناصب السياسية يحتجون بحديث الرسول ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[16] وهذا الحديث لا حجة فيه؛ لأن الأمر الذي يشير إليه هو أمر الولاية العامة التي ليس فوقها ولاية، وهي الخلافة أو الرئاسة العامة للدولة الإسلامية الواحدة التي تضم العالم الإسلامي كله، وهي دولة لم تعد موجودة الآن. ولا يتوقع أن توجد في المستقبل البشري المنظور.

واختصاصات (ولي الأمر) فيها وشروط ولايته بشمولها وسعتها واتصالها بجميع المجالات - بما فيها الإمامة في الصلاة، وقيادة الجيوش، والاجتهاد الفقهي المطلق ورئاسة القضاء - لم تعد متوافرة في أحد من الحكام اليوم، ولو ادعاها لنفسه أحد لكان الإسلاميون هم أول من يعترض عليه ويأبى التسليم بها له.

ولا بأس من حيث الأهلية والكفاءة أن تتولى المرأة بعض هذه السلطات ولو كانت رئاسة الدولة؛ لأن أيا من تلك السلطات - بما فيها الرئاسة نفسه - لا تمثل (الأمر) الذي يدل الحديث على عدم فلاح من يولونه لامرأة. ولأن (الأمر) في الحديث تعني الولاية العامة؛ فقد أباح بعض الأئمة للنساء بعض الولايات الخطيرة، فهي تلي القضاء عند أبي حنيفة فيما تجوز فيه شهادتها، وقال الطبري: تلي القضاء والإمارة، وهي رواية عن الإمام مالك أيضا[17].

لذلك فإنني لا أرى مانعا شرعيا من ولاية المرأة أي منصب تؤهله لها كفاءتها وقدرتها وثقة الناس (الناخبين) فيها إذا كان من مناصب الانتخاب، أو ثقة المسئولين عن التعيين إذا كان مما يعين له القائم به.

ولهذا الاجتهاد نظير في الفقه الشيعي المعاصر؛ فقد انتهى صديقنا العلامة الإمام مهدي شمس الدين - رحمه الله - إلى مثله في كتابه «أهلية المرأة لتولي السلطة»، وهو بحث مقارن بين الفقهين السني والشيعي جمع فيه صاحبه بين علمي الرواية والدراية؛ فذهب إلى أن لفظ «لن يفلح قوم.....» لا يفيد بطلان ولاية المرأة من الناحية الشرعية، وإنما غاية ما يفيد خطأ الاختيار، أو عدم ترتب الغرض عليه؛ فهو من قبيل قولنا: «لن يفلح من اتجر في الصيف بضاعة الشتاء» فإنه يعني لن يربح المقدار المناسب، ولكنه لا يفيد فساد البيع قطعا[18].

ثم فرق بين الولاية الاستبدادية (الكسروية) وولاية الأمر في الدولة التي تديرها المؤسسات وتمارس فيها السلطات والصلاحيات عن طريق الشورى. فأبطل الولاية الأولى - سواء أكان الحاكم رجلا أم امرأة، وأجاز الثانية للرجال والنساء جميعا.

والأدلة الأخرى التي يستند إليها المانعون من قيام المرأة بواجب المساهمة في العمل العام - أو باستعمال حقها في ذلك - كلها لا تدل على ما يستدلون بها عليه. وقد شرحت ذلك تفصيلا في غير هذا الموضع[19].

---

(14) محمد سليم العوا وبرهان غليون، النظام السياسي في الإسلام، مرجع سابق.

(15) هو باطل لا أصل له نص على ذلك العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي في الفوائد الموضوعة (بتحقيق أخينا العلامة الشيخ محمد الصباغ) طبعة دار الوراق بالرياض، 1998م، وهو فيها برقم 76 ص99. ونص على عدم صحته السخاوي في المقاصد الحسنة طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، برقم 588 ص248، وملا علي القاري في الأسرار المرفوعة (بتحقيق العلامة الشيخ محمد الصباغ) طبعة مؤسسة الرسالة، 1971م، برقم 240 ص222، والعجلوني في كشف الخفا ومزيل الإلباس طبعة دار إحياء التراث العربي (المصورة) برقم 1529، ج2 ص2.

(16) رواه البخاري في صحيحه برقم (4425) وبرقم (7099) مسند ولفظ عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(17) نص على ذلك ابن حجر في فتح الباري، ج8 ص128. ولا نعتبر نص سكر ولايتها في مذهب الحنفية فقد نصت الكتب المعتمدة في المذهب على ذلك ومنها: الكاساني في بدائع الصنائع، ج7 ص3 حيث قال: وأما الذكورة فليست من شرط جواز التقليد في الجملة؛ لأن المرأة من أهل الشهادات في الجملة إلا أنها لا تقضي بالحدود والقصاص؛ لأنه لا شهادة لها في ذلك، وأهلية القضاء تدور مع الشهادة. وابن نجيم في البحر الرائق ج6 ص281، حيث يقول: [illegible] الذكورة والاجتهاد في القاضي.

(18) [illegible] محمد مهدي شمس الدين رحمه الله [illegible] وبحث [illegible] كتابه الآخرين: حق العمل للمرأة والستر والنظرة. وكلها من منشورات المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت.

(19) محمد سليم العوا وبرهان غليون، النظام السياسي في الإسلام، مرجع سابق ص176، 178.

المسئولية المجتمعية للمرأة المسلمة



نطاق المسئولية وأبعاد مشاركة المرأة

والحق الذي لا مراء فيه أن خالق الوجود ورب الناس قد خلق المرأة لتقوم بمهام وأدوار لا يتأتى بدونها خلافة الإنسان عن الله، ولا يستقيم بغيره نظام الاجتماع البشري، ويتعين من خلاله أن يكون لها رؤية ودور وأحقية في المشاركة. لكن وجدنا برغم ذلك جدلاً واختلافاً حول هذه الحقيقة، فالبعض يحصر دور المرأة ويضيق من مسئوليتها لتكون في نطاق المنزل، فهي أسيرة جدرانه وجزء من أركانه، يتحدد دورها فيه، ويعظم شأنها بالتزامها له، لا يجوز لها أن تتعداه بدليل قوله تعالى

(الأحزاب: ٣٣)

دون أن يمحص أن الخطاب لأمهات المؤمنين، زوجات الرسول في شأن المحافظة على حرمة بيت النبوة وصيانة لمقام صواحبات هذا البيت، وتعليما لهن كيف يتعاملن مع من يأتون للرسول ﷺ وفي مقابل هذا النظر، يكشف أصحاب الاتجاه الآخر عن رجحانه الحق في شبه الشرع، وتعددية الآفاق والمجالات التي تشارك فيها المرأة، وأن لديها القدرة على القيام بأدوار مجتمعية تتجاوز المدى التقليدي الذي يحصرها في أن تكون رهينة المحبسين: الطلاق أو الموت.

ويقتضي بيان الخلفية حول دور المرأة ومسئوليتها، والتعرف على مكانتها في المجتمع، وتعليتها في الشرع، وقدرتها على التصدي للعمل العام، أن نشير إلى أن المكانة التي تبوأتها في الماضي، والدور الإيجابي الذي قامت به في خدمة الأسرة والمجتمع، ساهم في نهضة المجتمع والأمة، ومن ناحية أخرى فإن ما آل إليه وضعها الحاضر، وتدني هذا الدور مرجعه إلى الجهل بالحكم الشرعي وأسباب أخرى، وأن السبيل إلى تصحيح ذلك يكون بأن يفقه الرجل والمرأة والمجتمع وظيفة المرأة، وأن تستعيد دورها في المشاركة الخلاقة في بناء الحاضر واستشراف المستقبل، وهذا يتأتى بتكامل الحلقات: ربط الماضي الواعي بالشرع على نحو يحقق المصلحة ويصحح الخطأ، ويستكمل الناقص منه، ويوفق بين الأصيل والرائق، ويحافظ على الثوابت ويواكب الجديد النافع. وليس بلوغ ذلك بالأمر الهين الميسور، لأنه يحتاج إلى رشد عقلي وفقه اجتهادي وإصلاح اجتماعي، ويستلزم ذلك تشخيص الحالة الحاضرة، والعادات التي تعود على المجتمع، تتيحه إيجاد مهاد اجتماعية للمرأة، وأن تكشف حدار تها باستحقاقات مجتمعية تكون مؤهلة لها استهداء بالنصوص والممارسات الرشيدة والمسئولية التي اضطلعت بها في عصر النهضة الإسلامية في نطاق دورها، وما يتعلق بذلك من تشريع وتنظيم يوفق بين ما هو ثابت وما هو متغير.

متطلبات المشاركة والمسئولية

أمام المرأة والمجتمع الفرصة لتصحيح الصورة المغلوطة، بشأن النظرة إلى المرأة، وتقدير دورها بلا تهوين ولا تهويل، والتعامل مع القضية برمتها بشكل موضوعي للتوفيق بين فكر الإسلام، وتحديات العصر، ومصلحة الأمة، فهو الميزان العادل للحكم على أهمية المشاركة وحدودها.

وفي ذات الوقت، فإن أمام المرأة الفرصة لإثبات وجودها والاعتصام بهويتها والاعتقاد الجازم بأنها الضمانة الأساسية لعزتها وصيانة حقوقها، ومما يعزز هذا الوجود الكريم لها أن تكون مشاركتها في عملية التنمية غير قاصرة على التنمية الاقتصادية بغرض كسب المال وشغل الموقع بمجرد منافسة الرجل، إذ أن التنمية الاجتماعية ينبغي أن تكون من الشواغل الرئيسية للمرأة، وتشكل الاهتمامات الحاضرة في كل الأوقات، ذلك أن عطاءها وطبيعتها التي فطرها الله عليها تعطيها الميزة والتفوق على الرجل في الميدان الاجتماعي، بجانب أنها تكشف عن الرسالة النبيلة التي تضطلع بها في الحياة، والجانب الذي أكد عليه الشرع الإسلامي، وأولاه أهمية واضحة، وهو ما ينبغي أن تتعانق فيه التقاليد مع التعاليم، وتتغير الأوضاع التي تحرص على المفارقة بينهما.

فإذا أمكن تفهم ذلك، أو الوعي به والتحول الرشيد إلى فهم الأدوار الاجتماعية للمرأة والرجل في التنمية الشاملة، فإن أحوال المجتمع ستنصب في الاتجاه الصحيح، وينطلق المجتمع نحو أهدافه وفقاً لنسق الهوية الإسلامية، والمصلحة العامة.

وهذا المنظور للتنمية الشاملة يجعلها شاملة غير قاصرة على التنمية الاقتصادية أو التنمية الاجتماعية فقط، فالإنسان كذلك بحاجة إلى التنمية الذاتية أو الشخصية، وهي المقومات التي تجعل منه إنسانا قويا وفاعلا في مجتمعه، يكون نافعا لنفسه وينهض به مجتمعه. كما جاء في الحديث الشريف «خير الناس أنفعهم للناس» وقد جاء لفظ الناس على سبيل العموم، والمرأة من الناس.

إن الأخذ بزمام المبادرة من أجل حسن إعداد الشخصية وتزويدها بأصول التربية السليمة والأخلاق القويمة، هو من أوليات وأولويات بناء الشخصية لدى المرأة والرجل لأن في وجود شخصية وفق هذا النموذج ضمانة وحصنا لصلاح وفاعلية أشكال التنمية الأخرى، وحقيق بالعلماء والمفكرين والمصلحين وصناع القرار والمسئولين أن تنصب جهودهم صوب هذه المهمة، فإن بناء وتكوين الشخصية هو حجر الأساس لإقامة صرح التنمية في آفاقها وجوانبها المتنوعة، وهو ما يرشد إليه الحديث: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»[1].

وترتيبا على هذا المفهوم الشامل المستوعب

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، رقم [illegible]

لإيجابية نسلم في كل شؤون حياة فقد أولى الإسلام التربية والتهذيب عناية خاصة، فجعل الأسرة محور اهتمامه، وركيزة مجتمعية، ولا قيام لأسرة بدون امرأة فهي الركيزة والأساس. لذلك كان دورها إيجابيا وخلاقا في رعاية النشء، وتوجيههم إلى السلوك القويم، ووقايتهم من مزالق الانحراف، وهو دور يفوق الأدوار الأخرى، على حد أن لدى المرأة من استعداد الأمومة والعاطفة الجياشة ما لا يملكه الرجل، وهو الدعامة الراسخة في صلاح الأجيال وبناء صرح المجتمعات

لذلك فإن على المرأة أن تؤدي دورها كأم وزوجة وصانعة الرجال، ولا يكون طلبها للعمل والمساهمة في الشؤون العامة على حساب هذا الدور أو خصما من رصيدها في أداء رسالتها في تنمية أطفالها ورعاية أسرتها، وعلى قدر مسئوليتها عن أداء هذا الدور، كان فضلها وعلو منزلتها في الإسلام

وهذا الواجب على المرأة، هو حق لها في ذات الوقت، تأسيسا على أن كل حق يقابله واجب، كما يقر للمرأة الحق في المقابل في ممارسة حقوقها المدنية والقانونية، ولا يجوز حرمانها من ذلك مطلقا أو الافتئات على حقوقها فيها، كما لا يجوز حجبها عن تلك الحقوق بمقولة محورية الحقوق الأسرية، لأن القول بهذا يعتبر انتقاصا وإخلالا بحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وإهدارا للمساواة والعدالة بينها وبين الرجل في هذا المضمار، وهذا يستلزم تفعيل الجوانب المتعلقة بممارسة المرأة لهذه الحقوق وترجمتها في الواقع العملي دون الوقوف عند حدود المبادئ الشرعية والقانونية.

على هذا النسق في ترتيب الحقوق، تتحقق العدالة، والتكامل في الوفاء بسائر مجالات الحياة، ومتطلبات التنمية الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويجعل دور المرأة مجتمعيا بحق وليس مطلبا شخصيا ولا انتقائيا، ذلك أن المرأة كما قيل: تمثل نصف المجتمع، وهي مسئولة عن تربية النصف الآخر.

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام لا يمنع من مساعدة الزوج زوجته في الشؤون المنزلية ورعاية الصغار، فقد كان الرسول ﷺ في خدمة أهل بيته، فقد روى الأسود سألت عائشة ما كان النبي ﷺ في أهله، قالت «كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة، قام إلى الصلاة»(٣) فإن القيام على شؤون البيت أو الأسرة ليس دونية على الإطلاق، ولا ينبغي للمرأة أن تعتبر مسئوليتها عن ذلك، هو موروث عصر الحريم، وليس للرجل أن يمتنع عن المساعدة.

وفي السياق نفسه، لا يجوز إطلاق مبدأ المساواة التامة في النوع Gender Equality بإلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة تماما بغض النظر عن أي اختلافات أو فروقات بيولوجية بينهما، يؤدي إلى المساواة التامة في كل الحقوق والواجبات على مستوى الفرد والأسرة، والمجتمع، وفي المجالين الخاص والعام.

فليس أداء المرأة لدور الأمومة وظيفة اجتماعية صرفة، ودورا نمطيا للمرأة، كما تقول وثيقة بكين، وليس معقولا وصف المرأة بأنها مظلومة حين تؤدي هذه الوظيفة لأنها غير مدفوعة الأجر(٤) والصحيح أنها ممارسة فطرية، وحق طبيعيا جعلت عليه المرأة، لا غنى لها عنه ولا غنى له عنها، تأبى أن يسلبها أحد هذا الحق

فليس صحيحا أن المرأة تؤدي هذا الدور كنمط اجتماعي مفروض عليها، وإنما هي مدفوعة بكيانها وغريزتها وارتباطها العضوي والأسري بطفلها بأداء هذه الرسالة الحانية والمحببة إلى نفسها، وهي على استعداد للتضحية بكل ما تملك للحرص على الاحتفاظ بحقها فيها وعدم حرمانها منها، فلم تصادم طبيعة المرأة وفطرتها؟

ومن ناحية أخرى، فإن الشريعة تقرر لها حقوقا مالية ومعنوية، فهي مستحقة للنفقة والرعاية والحماية من جانب الرجل وهو مسئول عن ذلك.

[illegible]

(البقرة ٢٣٣)

وهو ما يثبت زيف إدعاء الوثيقة، وافتئاتها على الحقوق المادية والمعنوية المقررة للمرأة أو عدم درايتها وجهلها بحقوق المرأة كأم في الشرع الإسلامي.

فيهما يكون التعادل والتوازن في الحقوق والمسئوليات بلا إفراط ولا تفريط، وفي الحفاظ على أداء كل نوع للواجبات الملقاة على عاتقه من حفظ للنوع، وتقسيم للعمل والمسئوليات بما يحقق المصلحة لكل الأطراف، وهو ما تذهب إليه التشريعات العربية الخاصة بالأسرة والأحوال الشخصية، فإنها قد ضمنت موادها العديد من تلك الحقوق، ويؤكد ذلك تقرير منظمة الصحة العالمية، فقد ورد بالتقرير أنه: لا يليق بالمرأة أن تعمل في المجالات التي لا تلائم طبيعتها وثمة حقيقة ينبغي التنويه إليها، تنزلق إليه دعوات أنصار حقوق المرأة، بإثارة المرأة ضد الرجل، وإقامة خصومة معه ومع المجتمع، وخلق حالة من الاستنفار والاستعداء ضد الشرع والدين وتصويره، بأنه يقف حجر عثرة أمام تقدم المرأة وإنصافها وحصولها على حقوقها.

والحق أنه ليس من مصلحة المرأة ولا الرجل ولا المجتمع أن تقوم الحياة بينهما على أسس الصراع والشقاق، وإنما الأفضل للجميع أن تجري على نسق التعاون والتساند والتكامل والتناسق فيما بينهما، فهذا أدعى إلى تحقيق الحياة الكريمة لهما وللمجتمع في ظل المرجعية الإسلامية.

وفيما يتعلق بحق الرجل في القوامة، وتفسيره بأنه قرين للتحكم والظلم والاستعلاء، فهو فهم قاصر ومغلوط يجب تحريره، فإنه من المهم الفهم الصحيح لهذا المصطلح، فالقوامة ليست لكل الرجال على كل النساء، وإنما هي في نطاق الأسرة بالنسبة للزوج على زوجته وأولاده.

كما أن الطلاق ليس حقا مطلقا للرجل، وإنما هو رخصة، والصلح مطلوب وواجب، كما لا يجوز أن تؤدي القوامة إلى ظلم الرجل للمرأة بدعوى أحقيته فيها أو أنه تملكها، أو الاستخدام الخاطئ والتعسف لحق الطلاق، فإنه انحراف وفهم سقيم بسبب ما ينتج عن ذلك من ضرر جسيم، فإنه يعود بمردود سيئ ومدمر على حياة

(٣) صحيح البخاري، ج٢، باب كيف يكون الرجل في أهله رقم ٦٤٤

(٤) انظر وثيقة بكين، البند ٨٢ - بكين + ٥، وتقرير دور الرجال والصبية في تحقيق مساواة النوع.

الأسرة والمجتمع. كما يقول محمد عبده «واعلموا أن الرجال الذين يحاولون ظلم النساء أن يكونوا سادة في بيتهم، إنما يلدون عبيدا لغيرهم».

واستحقاق المرأة النصف في الميراث بالنسبة للرجل، ليس تفضيلا للرجل ولا تمييزا ضدها، وإنما مرده إلى التحمل بالأعباء والمسئوليات، لأن الرجل استحق ذلك بسبب الواجبات المالية والأعباء التي يتحملها، سواء الأعباء التي يلتزم بها تجاه زوجته وأسرته المتمثلة في دفع المهر وتجهيز المنزل، والإنفاق والوفاء بأجر الرضاع والحضانة وتعليم الأطفال ورعايتهم صحيا وقت ..ادي، بالإضافة إلى تحمله الأعباء العامة.

ولاشك أن فلسفة المنظومة التشريعية في الإسلام والدول العربية تغاير فلسفة النظم القانونية الغربية التي تتأسس على مساهمة المرأة بالمال مع الرجل بدفع الدوطة، وبالإنفاق على المنزل، واقتسام الثروة، مما لا وجود له في النظام الإسلامي. الأمر الذي لا يجوز للنظام الغربي الاحتجاج به على الإسلام، إذ إن لكل نظام فلسفته ومبادئه، ومن ثم فليس معقولاً استنساخ أو فرض النظام القانوني الغربي على المسلمين وتنحية الإسلام بدعوى التطور وملاحقة العصر.

وبخصوص مسألة الشهادة، فإن الآية التي ينتقص بها البعض حق المرأة في إثبات الحقوق لا تنهض حجة على هذا الزعم، إذ هي خاصة بعملية التوثيق بين طرفي المعاملة المحررة بينهما بالكتابة كما جاءت به الآية الكريمة الموسومة بآية الدين



شلتوت

وردت مديونية بين المتداينين وليست قاعدة عامة في الإثبات. وأداء الشهادة. وكما يقرر الشيخ شلتوت في قوله تعالى:

﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾

(البقرة ٢٨٢)

ليس واردا في مقام الشهادة التي يقضي بها القاضي ويحكم، وإنما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طريق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل.

ثم يقول: والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذي به تطمئن نفوس المتعاملين على حقوقهم؛ وليس معنى هذا أن شهادة النساء اللاتي ليس معهن رجل لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضي، فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو البينة وهي تأتي من كل ثقة عدل رجلا كان أو امرأة. لأن العدل الثقة ليس مختصا بصنف الرجال فقط، وإنما يعم النساء، فهي موجودة فيهما لا تنحصر في نوع بعينه.

متى كان ذلك. فلا يصلح حرمان المرأة من المشاركة في التنمية، ولا يستقيم التذرع بظواهر بعض الأدلة وفصلها عن سياقها وعزلها عن النصوص الأخرى، وإغفال التطبيقات العملية وإهدار المصالح الاجتماعية، والخلوص إلى القول بعدم المساهمة في العمل العام، ومن ثم فإن على المجتمع والدولة أن توفر الفرص المتاحة لاستعمال المرأة، وتقيدها بمسئوليتها في العمل العام على نحو يحقق المصلحة للجميع، ويتواءم مع المستجدات التي طرأت على وضع المرأة ونظام المجتمع

(١) إقبال بركة، المرأة المسلمة من صراع الطربوش والقبعة، ص ٤

(٢) الإسلام والعقيدة دار الشروق، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

تحريم الإسلام للعنف ضد المرأة



بقلم: الدكتور [illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ونعى الإسلام برعاية الرجل لزوجته وبين أنها ستار ووقاية له وهو ستار ووقاية لها. وكان التعبير القرآني أبدع ما يكون حيث قال الله تعالى عن هذه العلاقة

﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾

(البقرة: ١٨٧)

وبين الله تعالى العلاقة المستمدة في حياة الزوجين. وهي أنها السكن والمودة والرحمة بين الزوجين وليس العنف ولا الشقاق فقال الله تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾

(الروم، ٢١)

وأمر الله سبحانه بالمعاشرة بالمعروف حيث قال جل شأنه

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾

وكان من آخر وصايا رسول الله ﷺ ثلاثة أمور قال ﷺ: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون. الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» رواه النسائي وابن ماجة، ومعنى «عوان»: أسرى.

وقد أعطى الرسول ﷺ للرجال القدوة في حسن معاملة النساء. فكان يداعب زوجاته ويلاعبهن تطييبا لقلوبهن حتى إنه روى أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو - أي الجري - فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام: «هذه بتلك» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة.

وقد قرر الإسلام للمرأة حق الصداق، والعدل، والنفقة. وحسن العشرة. قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر» رواه مسلم. ومعنى قوله «لا يفرك»: لا يبغض ولا يكره.

ووضح أن حسن معاملة النساء دلالة خيرية الإنسان وإيمانه. عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ

وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم».

ومما قرره الإسلام من حقوق للمرأة: حق الإعفاف، واستشارتها وأخذ رأيها، والوفاء لها.

فإذا كان الإسلام قد حمى حقوق المرأة على هذا النحو فكيف يتسنى للبعض أن يوجه عنفا وتشددا عليها، وفي العنف ضد المرأة مخالفة صريحة لهذه التوجيهات ولما كان عليه ﷺ.

● إن العنف ضد المرأة ليس خلقا إسلاميا بل هو من عادات الجاهلية الأولى حيث كان من عنفهم ضد المرأة ظاهرة «وأد البنات» في بعض القبائل ولما جاء الإسلام حرم ذلك ونعى على مرتكبيه ظلمهم قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(النحل: ٥٨-٥٩)

وقال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٣١)

وقال الله سبحانه:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾

(التكوير: ٨-٩)

● ومن ظواهر العنف ضد المرأة منعها في الجاهلية من الميراث ولم تزل هذه الظاهرة لها رواسبها في بعض البيئات التي تحرم النساء من حقوقهن التي فرضها الله تعالى في القرآن الكريم.

● ومن ظواهر العنف ضد المرأة أيضا تفضيل بعض الأسر الذكور على الإناث.

● ومن ظواهر العنف ضد المرأة إكراهها على الزواج من إنسان قد لا تكون راغبة فيه ولا موافقة عليه وقد قرر الإسلام ضرورة أخذ رأيها وموافقتها، وشرع رؤية كل منهما للآخر قبل الزواج.

● ومن ظواهر العنف ضد المرأة الظواهر الخارجة عن تعاليم الإسلام وآدابه مثل التحرش الجنسي، ومثل الاغتصاب، وهي ظواهر سيئة لا يقرها شرع ولا إنسانية ولا آداب.

إن مثل هذه الظواهر من الرجال تعتبر عدوانا على كرامة المرأة وحقها في الحياة الآمنة المستقرة.

وإن ظاهرة النشوز كما تكون عند المرأة قد تكون عند الرجل عندما يعرض عن زوجته ويبغضها ويسيء معاملتها وقد وضح القرآن الكريم الحل في مثل هذه الحالة حيث قال الله سبحانه:

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(النساء: ١٢٨)

● ومن حرص الإسلام على عدم العنف ضد المرأة أنه حتى في حالة النشوز وضع مراحل العلاج بدءا بالوعظ ثم الهجرة ولا يكون إلا في المضجع ومكان المبيت تمهيدا لعودة الحياة والصلح ثم آخر المراحل الضرب وهو غير شديد ولا مبرح قال الله تعالى:

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

(النساء: ٣٤-٣٥)

وبين القرآن أن المرحلة الثانية في الإصلاح - والتي تلي الوعظ هي الهجر في المضجع فقط وهو هجر يسير ولا يكون أمام الأبناء حتى لا يتأثروا نفسيا، وإن لم يجد الهجر، كانت الخطوة الثالثة وهي الضرب اليسير غير المبرح وليس ضرب عدوان أو تشف، بل ضرب محبة تصحبه عاطفة حميمة. ووضحت السنة النبوية ذلك في قول الرسول ﷺ: «ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في المبيت» رواه أبوداود وابن ماجة.

● ومما لا ريب فيه أن المرأة هي الأم والزوجة والبنت والأخت وهي حاضنة الرسل ولولا المرأة ما كان الرجل ولولا الرجل أيضا ما كانت المرأة فهما مكملان لبعضهما، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر. ومن أجل ذلك كانت توجيهات الإسلام كثيرة في حسن التعامل مع المرأة وفي تحريم العنف معها في أي حال من الأحوال، فهي سكن للرجل وبينهما يجب أن تسود المودة والمحبة لا العنف ولا التشدد.

وأرى أن مقاومة العنف لا تكون بالقانون وحده فما أيسر أن يفلت الناس من طائلة القانون، ولكن لابد لمناهضة ظاهرة العنف ضد المرأة، من غرس الضمير الديني والوازع الديني الذي يصوغ شخصية الرجل على نحو كريم يحترم فيه المرأة ويصونها، ويعلم أن الله سيحاسبه على ظلمه لها أو عنفه معها، ولا يكون غرس الوازع الديني إلا بالتوعية الصحيحة والمكثفة من المؤسسات الدينية والدراسات الإسلامية في كل مجال من المجالات وبيان أهمية العلاقات الزوجية والحفاظ على ما بين الزوجين من عهد وارتباط وميثاق وصفه الله تعالى بأنه ميثاق غليظ، فلا يصح التهاون فيه بحال من الأحوال والتعبير القرآني بين أن الله تعالى خلق النساء من أنفسنا:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

فهي من نفس الرجل، فالزوجان مثل النفس الواحدة، فلا يصح العدوان على الزوجة ولا العنف معها بل لابد من المودة والرحمة.

● ومن ظواهر العنف ضد المرأة إضافة إلى ما سبق تكليفها في الأعمال الشاقة

● ومنها تحميلها أو تكليفها بالأعمال الشاقة كالعمل الزراعي في الحقول بالريف.

● ومنها إكراه المرأة على الحمل المتواصل دون فترة راحة

● ومنها فرض بعض الرجال آراءهم على النساء بالإكراه أيا كان الرأي ولو كان غير صواب.

● ومن ظواهر العنف أيضا: حرمان المرأة من أبنائها عند التنازع والفراق، ومنها إيذاء الأبناء أمامها

وبلاشك أنها ظواهر متناقضة مع التعاليم الإسلامية.

● وحرم الإسلام الدخول على النساء دون محرم أو الخلوة بهن دون محرم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء» رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي.

قالوا: «يا رسول الله أرأيت الحمو؟» وهو قريب الزوج مثل دخول الأخ على زوجة أخيه وحدها فرد عليهم رسول الله ﷺ قائلا «الحمو الموت» أي أن دخوله يشبه الموت في الاستقبال فهو محرم شديد التحريم، وإنما كان لتأكيد بالزجر وتشبيه ذلك بالموت، لتسامح الناس عادة في ذلك حتى كأنه غير أجنبي عن المرأة.

● وحفاظا على حقوق المرأة إلى جانب حق الميراث والصداق الحق في المساواة في الهبة والعطية. وفيما رآه محمد بن الحسن وأحمد وإسحاق وبعض الشافعية والمالكية: «العدل أن يعطى الذكر حظين كالميراث» واحتجوا بأن هذا حظها من ذلك المال لو أبقاه الواهب في يده حتى مات.. وقال غيرهم: لا فرق بين الذكر والأنثى. وظاهر الأمر بالتسوية في الحديث يشهد لهم ويستأنسوا بحديث ابن عباس رفعه: «سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء» رواه سعيد بن منصور والبيهقي من طريقه وإسناده حسن.

● ومن عناية الإسلام برعاية حق المرأة في تأمين حياتها أن أنزل الله سبحانه وتعالى تشريعا لحل ما يعترض حياتها وأمنها من ناحية الزوج حين يظاهر من زوجته كما حدث مع خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت عندما ظاهر منها، وأصل الظهار مشتق من الظهر. وكان الناس في الجاهلية إذا ظاهر أحدهم امرأة وقال لها «أنت على كظهر أمي» كان هذا الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم ا.هـ «تفسير ابن كثير» -روى الإمام أحمد عن خولة بنت ثعلبة قالت «في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة. قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت، فدخل عليّ يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت على كظهر أمي قالت. ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت: كلا والذي نفس خولة بيده لا تخلص إليّ، وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني. قالت ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتق الله فيه» قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لي يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا. ثم قرأ علي

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

إلى آخر الآيات إلى قوله تعالى.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(المجادلة ٤)

قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال: فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر» فقالت: فقلت: والله يا رسول الله ماذاك عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بعرق من تمر» قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر. قال: «قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا» قالت: ففعلت» رواه أحمد.

وفي رواية في السنن أنها قالت: يا رسول الله إن أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني ونثرت بطني جعلني كأمه عنده» فقال لها رسول الله ﷺ: «ما عندي في أمرك شيء» فقالت: اللهم إني أشكو إليك.

وروى أنها قالت: إن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا. فنزل القرآن

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

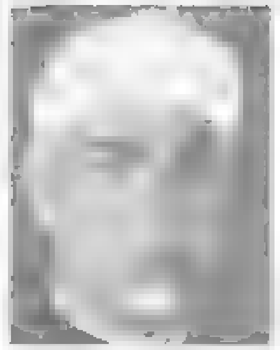
وعاشت «خولة» إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وحدث أن عمر رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين كان يمر بالطريق -يوما- ومعه «الجارود العبدي» فإذا امرأة تناديه وتقول رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة فالتفت عمر وراءه. ثم وقف حتى بلغته السيدة. فقالت له -وهو مبتسم- يا عمر عهدي بك وأنت تُسمى «عميرا» تصارع الفتيان في سوق عكاظ فلم تذهب الأيام حتى سميت «عمر» ثم لم تذهب الأيام حتى سميت «أمير المؤمنين» فاتق الله في الرعية، واعلم أن من خاف الموت خشي الفوت»!! فقال لها «الجارود العبدي» اجترأت على أمير المؤمنين، فجذبه عمر من يده وهو يقول: «دعها فإنك لا تعرفها هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماواته وهي تجادل الرسول في زوجها وتشتكي إلى الله، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها».

وهكذا نرى رعاية الإسلام لحق المرأة، وحماية حقوقها عبر عصور الإسلام.

نظرات فى الإسلام (١)

أسباب نجاح الدعوة الإسلامية



د. محمد عبد الله دراز

لقد نظرنا فى تاريخ الحركات الدينية، وتاريخ الرسالات الإصلاحية، ونظرنا فى تاريخ الدول الناشئة وتاريخ الدعوات الجديدة.. فما رأينا كرسالة الإسلام، لا فى تمكنها واستقرارها، حيث بلغت من أقطارها، ولا فى عمق نفوذها وبعد آثارها.. لقد قام الإسكندر بفتوحاته الخاطفة قبل ميلاد المسيح، فهل كانت تلك الفتوحات إلا نار الهشيم سرعان ما اشتعلت، وسرعان ما انطفأت؟ وهل اقتبست البلاد المفتوحة عقائد الفاتحين وموائدهم ونظمهم وآدابهم، ألم يكن الأمر على العكس أن اعتنق الفاتحون أنفسهم ديانة البلاد التى فتحوها؟

ولقد حرب الاستعمار الأوروبى الحديث حيله الواسعة وأساليبه الجبارة فى بلاد الشرق لكى يغزو عقول أهليها وقلوبهم كما غزا أرضيهم وديارهم، فيا ظفر منهم إلا بالقشرة السطحية من صور الحياة، ثم هو ذا يجلو عن ديارهم واحدة بعد واحدة فى آماد مديدة أو غير مديدة، فيخرج منها كما دخلها أول مرة لم يغير شيئا من جوهرها، لا فى عقائدها ولا فى لغتها ولا فى أسلوب تفكيرها.

أما رسالة الإسلام فإنها حين بسطت جناحيها فى أقل من قرن على نصف المعمور، كانت كأنها أنشأته خلقا آخر.. لقد بدلته من أوطانه المتفرقة وطنا واحدا، ومن قوانينه المختلفة قانونا واحدا، ومن آلهته المتعددة إلها واحدا.. لقد نفذت إلى جوهر نفسه فحولته تحويلا وبدلت أسلوب تفكيره تبديلا، بل عمدت إلى لغته فأضافت لغة القرآن لسانا إلى جانب لسانه، وكثيرا ما أنسته لسانه الأصيل وجعلت لسان الإسلام هو لسانه الوحيد، ثم هى لاتزال فى كل عصر، تتلقى معاول الهدم من أعدائها فتتكسر هذه الصدمات على صخرتها، وهى قائمة تتحدى الدهر، وتنتقل من عصر إلى عصر..

فليحاول الباحثون ما شاءوا أن يعرفوا مصدر هذه القوة الغلابة، وهذا الانتصار الباهر.

إن هذا النجاح، ليس مرده فى نظرنا إلى سبب واحد من الأسباب، ولا إلى فضيلة واحدة من الفضائل.. لقد تضافرت عليه شخصية الداعى، ومنهاج دعوته، وشخصية الأمة التى تلقت تلك الدعوة، وطبيعة الدعوة نفسها، ومن وراء ذلك كله كلاءة الله ورعايته لهذه الرسالة حتى بلغت كمالها أما صاحب الرسالة وما أدراك من صاحب الرسالة، فحسبك منه أنه عليه الصلاة والسلام، جمع خلالا كل واحدة منها كانت عنصرا فعالا فى هذا النجاح، خلالا نعد منها ولا نعددها، ونرسم شيئا من جوانبها ولا نحددها:

صبر ومصابرة، وجد ومثابرة، وحرص على بلوغ الغاية، والتزام لأدق حدود الصدق فى الوسيلة وفى الغاية، تلطف فى الدعوة وقصد فى الحجة، وتعليم بالأسوة والقدوة، وتأديب باللمحة والنظرة، وطهر فى السيرة والسريرة، لا حقد ولا ضغينة، ولا ختل ولا مواربة، سخاء بما فى اليد، وزهد فيما بيد الناس، تضحية بحظوظ نفسه وتنازل عن حقوق شخصه، أما فى تبليغ الرسالة وإقامة العدالة، فعزيمة متوفرة لا تنى، وصلابة فى الحق لا تنثنى

هذه الخلال الفضلى، وأمثالها وأمثال أمثالها تنبع فى نفس الرسول الكريم من ينبوع ذى ثلاث شعب: الإيمان، والحب، والأمل. إيمان بقدسية الرسالة وضرورة حملها، وحب للإنسانية، واهتمام بإنقاذها، وأمل فى نجاح الدعوة وبلوغها أقصى غايتها.

نعم إن هذا القلب الذى يمتلئ إيمانا وحكمة، يفيض فى الوقت نفسه حنانا ورحمة، ويطالع فى الأفق دائما أملا باسما فى النجاح والفلاح.. لا أقول: إنه يفيض رحمة بأتباعه وحسب. فإنه وإن كان لأتباعه من رحمته النصيب الأوفر، فهو - كما وصفه الله رحمة للعالمين، لأعدائه وأوليائه أجمعين، حريص على خيرهم وسعادتهم، مشفق على عنتهم وشقوتهم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(التوبة: ١٢٨)

ولا أقول: إنه كان يداعب أملا فى نجاح جزئى يخص عشيرته الأقربين، أو يخص أم القرى ومن حولها، ولكنه كان يحمل أملا فى نجاح محيط شامل، بتنظيم البشرية كلها.. ألم تر كيف كان كل انتقاص من محيط هذا النجاح، انتقاصا من طيب نفسه ونعيمها، وزيادة فى أحزانها وآلامها؟ هذا القلب الرحيم كيف يطيب له

عيش وهو لا يزال يرى طائفة من إخوته في الإنسانية، يعيشون في ظلمة الضلالة والجهالة، أو في حماة الفساد والرذيلة، أو تحت نير الذل والعبودية لغير الله؟ كيف يطيب له عيش وهو كلما حاول استنقاذهم وتكريمهم وإعزازهم تفلتوا من يديه، وترددوا أمامه في الهاوية متهافتين- على ضعفهم- كما يتهافت الفراش على النار، لا بد إذا أن يعيد الكرة، وأن يجدد التجربة مرة بعد مرة، عسى أن يتحقق له هذا الأمل المنشود، فتشرق الأرض كلها بنور ربها، وتصبح وقد ملئت برا وعدلا، وسعادة وكرامة... إيمان قوى، وحب عميق، وحرص على اقتناص الأمل البعيد، ذلك هو سر عزمه المتوقد وجهاده المتجدد الذى كان أول عوامل النجاح.

هذا العامل من جانب صاحب الرسالة. يسنده ويؤيده عامل آخر من جانب الأمة التى تلقت تلك الدعوة والأرض التى نبع فيها نورها. أرض بكر لم يدنسها فى التاريخ كله أقدام الفاتحين، ولم تتحكم فيها يوما ما أيدى الغاصبين، وأمة ألمعية الذهن، مرهفة الحس، حفيظة للحمى، أبية للضيم، ما هو إلا أن ذهبت عنها المقاومة العريزية الأولى لكل غريب، وما هو إلا أن فتحت عينها على كنه النور الجديد، وإذا هو قد ملك عليها شعورها وتفكيرها، فحملت مشعله بسواعدها القوية، وقلوبها الفتية.. الحمية إذ هى الحمية، ولكنها تبدلت حمية الحق بحمية الجاهلية.

هكذا تجاوبت نفسية الداعى والمدعو، فالتقت القوتان فى حلقة مفرغة، حملت إلى العالمين رسالة الإسلام.

وبعد، فما رسالة الإسلام؟ إنها رسالة تدعو إلى نفسها بنفسها، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار، رسالة نزيهة القصد مجردة من كل غرض. إنها ليست رسالة العلو والاستعباد ولا رسالة الطغيان والفساد. إنها رسالة النور والإيمان، والعدل والإحسان، رسالة الفطرة السليمة، والأخلاق الكريمة، والسياسة الحكيمة. فلماذا لا تكون رسالة الإنسانية كلها!؟؟

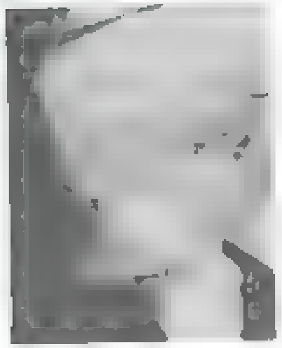
لماذا لا تعتنقها البشرية جمعاء؟!

﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾

(القصص: ٥٦)

فتاوى لها تاريخ

القتل والانتحار



لا زال بعض الناس فى ريفنا وصعيدنا يستهينون بجريمة القتل، ويقدمون عليها من أجل ثأر أو عصبية أو أسباب واهية.

ومن عجب أن نرى فى المدن- خاصة بين الشباب المثقفين- ظاهرة سيئة انتقلت العدوى بجراثيمها من مجتمعات أخرى. تلك هى ظاهرة «الانتحار».

نرجو كلمة شافية فى بيان حكم الإسلام فى من يعتدى على الحياة الإنسانية بقتل نفسه أو غيره.

بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الأحكام، توجيها للإنسان نحو معرفته ومعرفة أسراره التى خلق عليها العالم، ونحو انتفاعه بما سخر له فى الأرض والسماء على وجه لا تطغى فيه الشهوات ولا تتحكم الأهواء، وبذلك تكمل سعادته وسعادة أمته، ويعيش مع أخيه الإنسان، متعاونين متعاطفين متراحمين فى ظل من رحمة الله بهما، وعطفه عليهما، وهدايته لهما.

والسعادة على هذا النحو إنما تكون بسلامة جملة من العناصر، لابد منها فى أصل الحياة وقيامها، وأول هذه العناصر الأرواح، فحفظها حفظ لما سواها، وهدمها هدم لما سواها، ولا يستقيم نظام لأموال ولا لأعراض ولا لعقول ولا لاجتماع، والأنفس معرضة للأخطار والهلاك والدمار، وهذا شأن قد قر فى طبائع النفوس ومدركات الإنسانية الأولى.

القتل فى تقدير الإنسانية

ومن هنا لم يفتأ الناس، منذ أن عرفوا الحياة وتكونوا جماعات، يرون على رغم ما ظهر بينهم من تعارض الرغبات والشهوات، وتمكن فى نفوسهم من بواعث الحقد والغضب- أن جريمة القتل من أكبر الجرائم. يرونها سلب حياة أخى عليه بغير حق، وتيتيما لأطفاله، وترميلا لنسائه، وحرمانا لأهله وذويه منه، وحرمانا له من حظه المقدر له فى الحياة يرونها مصادمة لإحساس الجماعة البشرية، الذى فطرت

عليه في اعتقاد أن الحياة حق لكل حي، يتمتع به، ويتمتع في ظله. ولا يجوز الاعتداء عليه فيه، ولا انتزاعه منه، ويرون أنها زعزعة لما ترجو هذه الجماعة من هدوء الحياة واستقرارها كي تنتفع بأسرارها، وتصل إلى سبل العزة والكمال. وأنها فوق ذلك كله هدم لعمارة شادها الله بيده، وجهزها بما جهز، وسخر لها ما سخر بحكمته ورحمته. وبهذا استكملت الحكمة الإلهية العمارة الكبرى التي جعل الإنسان خليفة فيها، يعمرها وينميها.

ولا نكاد نعثر في التاريخ، مهما أغرق في القدم- على جماعة إنسانية هانت عليها الأرواح، وغضت أبصارها عن الآثار السيئة لهذه الجريمة، فلم تغضب لها ولم تكترث بشأنها، ومن هنا كانت حرمة النفس البشرية من الحرمات التي تقضي بها طبيعة الإنسان في خلقه وتكوينه، وكانت ثابتة في نفسه بمقتضى هذه الطبيعة، وأن الشرائع السماوية، حينما جاءت بحرمتها، لم تكن إلا مؤيدة ومؤكدة لما تمليه الطبيعة على الإنسان في اعتقاد حرمتها.

جريمة القتل الأولى

وهذا هو القرآن الكريم يحدثنا عن أول اعتداء وقع من الإنسان على أخيه الإنسان بالقتل:

﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾

(المائدة: ٢٧)

ويصور لنا القرآن في ذلك أن كلا من القاتل والمقتول كان يرى - بمجرد عقله وتقديره- أن القتل جريمة منكرة وظلم فادح واعتداء موجب للندم، موجب لغضب الله. فالمقتول يقول:

﴿ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾

(المائدة: ٢٨، ٢٩)

والقاتل يعالج في نفسه الإقدام على الجريمة علاج الكاره لها، المتحرج منها، الواقع تحت ضغط آخر مقابل.

﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾

(المائدة: ٣٠)

ثم نظر فوجد جثة أخيه بجواره هامدة. فوقع في حيرة من أمرها، وماذا يصنع بها فعظمت حسرته، واشتد ندمه

﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾

(المائدة: ٣١)

جريمة القتل في نظر الشرائع

قص الله علينا بهذه الآيات جريمة القتل الأولى التي وقعت بين بني الإنسان، وربط بها أول إرشاد سماوي- فيما نعلم- إلى قبحها وبشاعتها، فقال عز وجل بعد هذه القصة:

﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾

(المائدة: ٣٢)

ودرجت على استفظاع الجريمة جميع الشرائع السماوية والأرضية، وجاءت كلها تقرر وتؤكد ما أدركه الإنسان بفطرته من حرمة النفس البشرية. وأن قتلها عمدا بغير حق يبرره جريمة فوق الجرائم كلها، جريمة لا يقرها شرع، ولا يتقبلها وضع، ولا يستسيغها اجتماع.

ثم جاءت الشريعة الإسلامية فعنيت بهذه الجريمة أيما عناية، وأولتها كثيرا من الاهتمام، فكررت النهي عنها، وشددت التنفير منها، والنكير لها، وبينت بوجه خاص حكمها الدنيوي وفصلت أهم نواحيه، وحكمها الأخروي وأفاضت فيه؛ وكان من آيات النهي قوله تعالى في الوصايا العشر التي ختمت بها سورة الأنعام المكية، والتي لم تخل منها شريعة سماوية، والتي قال فيها ابن مسعود: من سره أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات.

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾

(الأنعام: ١٥١)

ثم اقرأ هذا النهي عينه مع بعض تفصيل لحكم الجريمة في وصايا سورة الإسراء التي سبقت بعنوان القضاء

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾

(الإسراء ٢٣)

﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ﴾

(الإسراء: ٣٣)

توبة القاتل

وقد جاء في الوعيد الأخروي لتلك الجريمة من سورة النساء المدنية قوله تعالى:

﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾

(النساء: ٩٣)

وعيد تنخلع لهوله القلوب المؤمنة، وعيد لم يرد مثله في جريمة غير القتل: جهنم! وخلود فيها وغضب الله

ولعنته، وعذاب عظيم أعد وهيئ للقاتل، كل ذلك دون أن يردف في الآية بما يدل على الغفران عند التوبة، كما نرى في وعيد غيرها من الجرائم.

وقد أخذ بعض العلماء من هذا أن توبة القاتل غير مقبولة. ونقل ذلك عن ابن عباس، وزيد بن ثابت، وغيرهما من الصحابة. ولهؤلاء مع مخالفيهم كلام طويل في هذه المسألة، وسواء أصح رأيهم وكانت توبته غير مقبولة أم لم يصح، كما هو مقتضى النظر الصحيح في الموازنة بين حجج الفريقين وما يتعلق بها، فحسبنا في عظم الجريمة عندالله أن يذكر وعيدها على النحو الذي ذكر في الآية، دون أن يردف بما يدل على قبول توبة القاتل.

جريمة الانتحار

تعلق النهي في آيات النهي بقتل «النفس» وليس من ريب في أن نفس التي تكرر النهي في القرآن عن قتلها بغير حق تتناول بإطلاقها كل نفس بشرية. ونفس القاتل ونفس غيره سواء، وإذا كان من المألوف في الطباع البشرية أن يثور الإنسان على غيره ويغضب ويحقده، ويشتد غضبه وحقده على ذلك الغير، فتسول له نفسه أن يقتله، شفاء حقده وذات صدره، ويكون كل ذلك من الإنسان نقصا في إنسانيته، وشذوذا عما استقر في ضمير الإنسانية من حرمة النفس البشرية. فإن من الشذوذ الفادح المزرى بالإنسانية الذي لم تنزل إليه الحيوانات العجم، أن يثور الإنسان على نفسه بفقر ضاقت به يده، أو مرض طالت به زمانته، أو إخفاق في مرغوب، أو فتنة من لعوب، أو أي ضيق كان نوعه وكان مبعثه، فلا يجد لديه عزما، ولا إرادة يدفع بها الثورة على نفسه، وتنحدر مواهبه الإنسانية الأولى- وفساد تصور لسنن الله في الحياة عن المكافحة، وعن الصبر والمصابرة- فيفر من الميدان فرار الجبان الذي خارت عزيمته، وتلاشت إنسانيته. ليس من ريب في أن نكبة الإنسانية بقاتل نفسه أثقل في الميزان من نكبتها بقاتل غيره، نعم، كلاهما قاتل لنفس حرم الله قتلها، وكلاهما هادم لعمارة شادها الله، ولكن الأول قتل غيره ليحيا، والثاني قتل نفسه ليموت، وإذا كانت فكرة القتل بغير حق جرثومة إفساد في الإنسانية فإن فكرة قتل الإنسان نفسه أشد فسادا وأعظم خطرا. تنهار الإنسانية منها بيدها، وعلى المصلحين أن يتكاتفوا بكل ما يرون من وسائل على تطهير الإنسانية في أي مجتمع كان، ديني أو غير ديني، من هذه الجرثومة التي تحمل في صورتها معناها سقوط الإنسان من رتبة التكريم، ومقام الخلافة التي وضع فيها منذ خلق وكون.

العقاب الأخروي لقاتل نفسه

وإذا كان القرآن قد أهمل النص الصريح الخاص بالعقاب الأخروي لقاتل نفسه فإن ذلك لم يكن تهوينا لأمر الجريمة، ولا عنوانا على عدم استحقاقه الجزاء، وإنما كان إسقاطا لصاحبها عن درجة الاعتبار، وعن مكانة الاعتداد به، وإيحاء في الوقت نفسه بأنها من الجرائم التي لا تنتظر أن يعرفها الإنسان ولا أن يفكر فيها، حتى تحتاج في التحذير منها إلى نهي تشريعي خاص، أو ذكر وعيد بين تتلى عبارته في كتاب جاء منظما لشئون البشرية في درجات رشدها واكتمالها الإنساني.

ومن هنا جاءت أحاديث الرسول عليه السلام، الواردة في شأن الانتحار، تسجل فقط العاقبة السيئة، والعذاب الأليم لقاتل نفسه، دون أن يكون من بينها نهي عن ارتكاب الجريمة نفسها، وقد جاء الوعيد عليها في هذه الأحاديث على نحو ما جاء في القرآن من وعيد قاتل المؤمن متعمدا، حرمانا من الجنة وخلودا مؤبدا في النار.

ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ، قال: «كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة».

ومنه ما روياه أيضا عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل هذا الرجل قتالا شديدا (أي مع المسلمين) فأصابته جراح، فقيل يارسول الله: الذي قلت آنفا إنه من أهل النار قد قاتل قتالا شديدا، وقد مات، فقال عليه السلام إلى النار!! فكاد بعض المسلمين يرتاب، وقالوا: كيف يكون هذا في النار؟! فبينما هم على ذلك إذ قيل لهم: إنه لم يمت، ولكن أصابته جراح شديدة، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فأخذ ذباب سيفه فتحامل عليه فقتل نفسه، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: الله أكبر، أشهد أني عبدالله ورسوله، ثم أمر بلالا فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

هذه نظرة الإسلام وتقديره لجريمة الانتحار، وحذير برجال التربية والتهذيب أن يعدوا مكافحتها في نفوس الشبان ما استطاعوا من وجوه التقويم، وغرس مبادئ الكفاح لما لا تخلو منه الحياة من الآلام، ومصادمات الرغائب. وإن الشأن في هذه الجريمة لأكبر من أن نشغل أنفسنا بذكاء مرتكبها أو غباوته!! فهي جرثومة محققة وجرثومة مفسدة للإنسانية. وعدوى نرى ميدان تفشيها يتسع من عام إلى آخر، بل من شهر إلى شهر، فعلينا أن نعنى بمكافحتها وأن نسد منابعها، فنتقي شرها، ونسلم من ويلها، ونؤدي بذلك ما علينا من حق لأبناء مجتمعنا الإنساني الكريم. فيطمئن الخاطر، ويأمن العاثر، والله المسدد والمعين.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

أحكام الزكاة

السؤال من س. ا. ى: ما هو حكم إخراج الزكاة مبكرا عن وقت وجوبها بأكثر من سنتين؟ وهل هناك خلاف بين العلماء في ذلك؟ وما الحكمة في منع ذلك إن كان هناك منع؟

●● الجواب: ذهب جمهور الفقهاء- ومنهم الحنفية والشافعية والحنابلة وأبو عبيد وإسحاق- إلى أنه يجوز للمزكِّي تعجيل إخراج زكاة ماله قبل ميعاد وجوبها؛ لما رواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن، والدارقطني، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه-: «أن العباس- رضي الله عنه- سأل رسول الله ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخَّص له في ذلك».

قال الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير": "ويعضده حديث أبي البختري عن علي- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «إنا كنا احتجنا فاستسلفنا العباس صدقة عامين» ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا، وفي بعض ألفاظه أن النبي ﷺ قال لعمر -رضي الله عنه-: «إنا كنا تعجلنا صدقة مال العباس عام أول»، رواه أبو داود الطيالسي من حديث أبي رافع- رضي الله عنه- قال الإمام الترمذي في سننه: "وقال أكثر أهل العلم: إن عجلها قبل محلها أجزأت عنه، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق" اهـ.

وتوسَّع الحنفية فأجازوا للمزكي المالك نصابًا واحدًا أن يعجِّل زكاة نصب كثيرة؛ لأن اللاحق تابع للحاصل، حتى قالوا: لو كان له ثلاثمائة درهم، فدفع منها مائة درهم عن المائتين زكاة لعشرين سنة مستقبلة جاز، إلا أن الشافعية في الأصح عندهم قالوا: يجوز التعجيل لعام واحد، ولا يجوز لعامين؛ لأن زكاة العام الثاني لم ينعقد حولها، واشترطوا لجواز ذلك أن يكون النصاب موجودًا فلا يجوز تعجيل الزكاة قبل وجود النصاب بغير خلاف؛ وذلك لأن النصاب سبب وجوب الزكاة، والحول شرطها، ولا يقدم الواجب قبل سببه، ويجوز تقديمه قبل شرطه، كإخراج كفارة اليمين بعد الحلف وقبل الحنث، وكفارة القتل بعد الجرح وقبل الزهوق.

وقال الحنابلة: إن ملك نصابًا فقدم زكاته وزكاة ما قد يستفيده بعد ذلك فلا يجزئه عنهم.

وقال الحنفية -وهو المعتمد عند الشافعية-: إن قدم زكاته وزكاة ما قد ينتج منه أو يربحه منه أجزأه؛ لأنه تابع لما هو مالكه الآن.

وذهب المالكية إلى أنه إن أخرج زكاة الثمار أو الزروع قبل الوجوب- بأن دفع الزكاة من غيرها- لم يصح ولم تجزئ عنه، وكذا لا تجزئ زكاة الماشية إن قدمها وكان هناك ساعٍ يأتي لقبضها فأخرجها قبل قدومه، أمَّا زكاة العين والماشية التي ليس لها ساعٍ فيجوز تقديمها في حدود شهر واحد لا أكثر، وهذا على سبيل الرخصة، وهو مع ذلك مكروه، والأصل عدم الإجزاء لأنها عبادة موقوتة بالحول.

وقد ذهب كثير من متقدمي الشافعية إلى أنه يصح التعجيل لعامين فأكثر إذا كان الباقي من المال بعد المعجل نصابًا فأكثر، وهو مقابل الأصح عند متأخريهم. قال الإمام النووي في "المجموع شرح المهذب": "ولو عجل صدقة عامين بعد انعقاد الحول أو أكثر من عامين فوجهان ذكرهما المصنف بدليليهما، وهما مشهوران: أحدهما يجوز للحديث، والثاني: لا يجوز.

وأجاب البغوي والأصحاب عن الحديث بأن المراد تسلف دفعتين، في كل دفعة صدقة عام أو سنة، واختلفوا في الأصح من هذين الوجهين: فصححت طائفة الجواز وهو قول أبي إسحاق المروزي، وممن صححه: البندنيجي، والغزالي في الوسيط، والجرجاني، والشاشي، والعبدري، وصحح البغوي وآخرون المنع، قال الرافعي: صحح الأكثرون المنع. فإذا قلنا بالجواز فاتفق أصحابنا على أنه لا فرق بين عامين وأكثر، حتى لو عجل عشرة أعوام أو أكثر جاز على هذا الوجه، بشرط أن يبقى بعد المعجل نصاب، فلو كان له خمسون شاة فعجل عشرا منها لعشر سنين جاز، فلو نقص المال بالتعجيل عن النصاب في الحول الثاني لم يجز التعجيل لغير

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية



لعام الأول وحبيهما واحد. هكذا قاله الجمهور؛ لأن الحول الثاني لا ينعقد على نصاب، وحكى البغوى والسرخسى وجها شاذا: أنه يجوز؛ لأن المعجل كالباقى على ملكه" اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمى فى "تحفة المحتاج": "ولا تعجل لعامين فأكثر فى الأصح، وإن صرح فيه الإسنوى وغيره". قال الشروانى فى حاشيته عليه: "قوله: وإن صرح فيه الإسنوى إلخ: أى أن العراقيين وجمهور الخراسانيين إلا البغوى على الإجزاء. ونقله ابن الرفعة وغيره عن النص. وأن الرافعى قد حصل له فى ذلك انعكاس فى النقل حالة التصنيف، قال -أى الإسنوى-: ولم أظفر بأحد صحح المنع إلا [illegible] بعد [illegible] لشديد. انتهى. وتبعه على ذلك جماعة. أسنى، زاد النهاية: ويرد بأن من حفظ حجة على من لم يحفظ" اهـ.

وهذا الذى ذكره الإمام الإسنوى ظاهر من [illegible] عبارات متقدمى الشافعية. يقول الإمام الماوردى فى "الحاوى الكبير" ٣/ ١٦٠: "فأما تعجيل زكاة عامين عندكم لا يجوز. فقد [illegible] فيه لأصحابنا وجهان:

● أحدهما -وهو الأظهر- جواز تعجيلها أعواما إذا بقى بعد المعجل نصاب؛ استدلالا بظاهر هذه الأخبار.

● والثانى: لا يجوز تعجيل أكثر من عام واحد" اهـ.

وقال حجة الإسلام الغزالى فى "الوسيط" ٣/ ٤٤٦- ٤٤٧: "ويجوز تعجيل الزكاة قبل تمام الحول، خلافا لمالك؛ لما روى أن العباس استسلف منه رسول الله ﷺ صدقة عامين، ولا يجوز تعجيله قبل كمال النصاب، ولا قبل السوم؛ لأن الحول فى حكم أجل ومهلة، فلذلك عجل عليه. ولو ملك مائة وعشرين شاة واجبه شاة، وهو يرتقب حدوث سخلة فى آخر السنة فعجل شاتين، ففى تعجيل شاتين وجهان مرتبان على الوجهين فى تعجيل صدقة عامين، والصحيح بحكم الخبر جوازه. ووجه المنع أن النصاب كالمعدوم فى حق الحول الثانى، ومسألة السخلة بالجواز أولى؛ لأن الحول منعقد فى حق الشاة الثانية". قال الإمام ابن الصلاح فى "شرح مشكل الوسيط" المطبوع بهامشه: "هو كما قال، ويشكل على وجه المنع الجواب عن الخبر" اهـ.

هذا طرف من اختلاف العلماء فى مسألة تعجيل الزكاة، وإنما جاءت الفتوى السابقة بالاقتصار على سنتين وقوفا مع النص الوارد، وتوسطا بين القول بالجواز المطلق عند الحنفية ومقابل الأصح عند الشافعية وبين الجواز بمقدار سنة واحدة كما هو الأصح عند الشافعية، وأن هذا القول بالتوسط هو الأوفق بانضباط الموارد المالية السنوية للفقراء، لكن لا مانع من الأخذ بقول الحنفية ومتقدمى الشافعية فى تعجيل الزكاة لسنتين فأكثر عند وجود الحاجة العامة أو الخاصة إلى ذلك كنقص موارد الزكاة فى سنة بعينها، أو عدم كفاية مقدار زكاة المزكى لسد حاجة فقير محتاج. وغير ذلك مما تقتضيه المصلحة العامة أو الخاصة. وذلك بشرط أن يكون الباقى بعد المعجل بالغا للنصاب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

كفاية حاجة الفقراء

[illegible] جمعية [illegible] مرضى [illegible] وفيه يتم الإنفاق على المرضى الفقراء، ومشروع كفالة اليتيم، وفيه يتم الصرف على اليتامى نقديا وعينيا، ومشروع [illegible] الأسر [illegible] عينيا ونقديا.

فهل يجوز لنا الصرف على هذه النشاطات من صدقة الفطر على مدار العام، أم يشترط توزيع حصيلة ما تتلقاه الجمعية من صدقة الفطر خلال شهر رمضان؟

●● الجواب: مصارف زكاة الفطر هى مصارف زكاة المال عند الجمهور خلافا للمالكية والإمام أحمد فى رواية، فى قصرهم إياها على الفقراء والمساكين، كما أن وقت أدائها هو العمر كله عند السادة الحنفية، مع قولهم بكراهة تأخيرها عن يوم العيد، خلافا للحسن بن زياد والجمهور فى إيجابهم أداءها يوم العيد وتأثيمهم من أخرها عن ذلك ولا مانع من تقليد قول السادة الحنفية فى الإنفاق منها على الفقراء سائر أيام السنة إذا كانت المنفعة والمصلحة تقتضى ذلك مع التنبيه على أنه لا ينبغى أن يكون أمرا عاما تصرف فيه كل زكوات الفطر حتى لا يكر على مقصودها بالبطلان، فإن المقصود الأعظم من زكاة الفطر هو كفاية حاجة الفقراء فى يوم العيد والتوسعة عليهم فيه وهو المعنى الذى حرم من أجله تأخيرها عن يوم العيد عند الجمهور وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك بقوله: «أغنوهم عن طواف هذا اليوم» أخرجه ابن سعد فى الطبقات والدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عمر -رضى الله عنهما- فلا ينبغى العدول عن هذا المقصود التكافلى فى العيد إلى غيره من مصارف الزكاة ما دام الناس محتاجين إلى من يغنيهم يوم العيد، كما هو ظاهر فى كثير من البلدان والمجتمعات الفقيرة التى قد لا يجد الكثير من الناس فيها ما يوسعون به على أنفسهم وأهليهم يوم العيد.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

صلاة المنفرد

السؤال [illegible] هل تصح صلاة منفرد خلف الصف [illegible] مكان [illegible] بالصف الأمامى.

وهل يجوز أن يسحب المنفرد رجلا من الصف الأمامى ليصلى معه.

●● الجواب: صلاة المنفرد إما أن ترد مطلقة أو مقيدة فإن وردت مطلقة فإنها تكون فى مقابلة صلاة الجماعة. كما قال رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ -أى المنفرد- بسبع وعشرين درجة» متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، أما إذا أريد بها ما ذكر بالسؤال فإنها تقيد به فيقال: صلاة المنفرد خلف الصف.

وصلاة المنفرد خلف الصف إذا كانت لعذر ـ كأن لم يجد من يصف معه ـ صحيحة، فإذا انتفى العذر فإنها تكون صحيحة مع الكراهة وذلك لما روى البخارى عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ «أنه انتهى إلى النبى ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال زادك الله حرصا ولاتعد»، فأخذ الفقهاء من ذلك عدم لزوم الإعادة وأن الأمر الذى ورد فى حديث وابصة بن معبد ـ رضى الله عنه ـ عند الترمذى ـ من «أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة»، إنما هو على سبيل الاستحباب جمعا بين الدليلين.

أما الحنابلة فأبطلوا صلاة من صلى خلف الصف وحده ركعة كاملة دون عذر، حملا للأمر فى حديث وابصة على الوجوب.

ومن لم يجد فرجة ولا سعة فى الصف فللفقهاء فيه مذاهب:

١ـ فعند المالكية وأحد قولى الشافعية ـ وهو ما نص عليه الإمام الشافعى فى البويطى واختاره القاضى أبو الطيب ـ أنه يقف منفردا خلف الصف ولا يجذب أحدا لئلا يحرم غيره فضيلة الصف السابق، بل زاد المالكية أنه إن جذب أحدا فلا يطيعه المجذوب وهذا رأى الكمال بن الهمام من الحنفية.

٢ـ أما عند الحنفية والصحيح عند الشافعية فإنه يستحب أن يجذب إليه شخصا من الصف ليصطف معه لكن مع مراعاة أن المجرور سيوافقه وإلا فلا يجر أحدا منعا للفتنة.

٣ـ وعند الحنابلة يقف عن يمين الإمام إن أمكنه ذلك، ذلك لأنه موقف الواحد، فإن لم يمكنه ذلك فله أن ينبه رجلا من الصف ليقف معه وإلا صلى وحده خلف الصف. ويكره تنبيهه بجذبه. واستقبحه أحمد وإسحاق لما فيه من التصرف بغير إذنه.

وبناء على ما سبق، فصلاة المنفرد خلف الصف إن لم يمكنه إلا ذلك صحيحة باتفاق الفقهاء ومن أجاز منهم له أن يجذب رجلا من الصف أمامه فإنما اشترط معرفة موافقة المجرور على ذلك مسبقا، ولذلك فإنا نرى قصر ذلك على هذه الحالة فقط، أما إن لم يعلم المنفرد خلف الصف هل يوافقه المجذوب أولا، أو علم عدم موافقته علي ذلك فليس له أن يجذب أحدا وذلك تأدبا مع مذهب المخالف ودرءا للفتنة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الجهر بالبسملة

السؤال من د.ا.م: هل قول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ممنوعة فى الفاتحة وما بعدها فى الصلاة الجهرية.

●● الجواب: مسألة الجهر بالبسملة من المسائل المختلف فيها بين العلماء فالشافعية يرون مشروعية الجهر بها وغيرهم من العلماء يرون أن الإسرار بها هو الأفضل، وهذا الأمر معدود من هيئات الصلاة التى لا ترقى إلى درجة السنن المؤكدة، فالخلاف فيه قريب والشأن فيه واسع ومن المقرر شرعا أنه إنما ينكر ترك المتفق على فعله أو فعل المتفق على تركه ولا ينكر المختلف فيه فمن جهر بالبسملة فهو حسن ومن أسر بها فهو حسن ولا يجوز أن تكون أمثال هذه المسائل الخلافية مثار فتنة ونزاع وفرقة بين المسلمين بل يسعنا فيها ما وسع سلفنا الصالح من أدب الخلاف الذى كانوا يتحلون به فى خلافاتهم الفقهية واختياراتهم الاجتهادية.

والله سبحانه وتعالى أعلم

تقليب صفحات المصحف فى الصلاة

السؤال من: ط.غ.س: هل يؤثر تقليب صفحات المصحف أثناء صلاة التهجد على صحتها؟

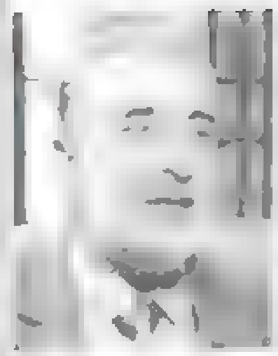
●● الجواب: من مبطلات الصلاة ـ سواء أكانت فرضا أم نفلا ـ العمل الكثير المتوالى، والكثير ضابطه العرف وقد حده الشافعية بثلاث حركات كثلاث خطوات عمدا أو سهوا، ولو كانت الحركات الثلاث أو الأكثر بأعضاء متعددة، كأن حرك المصلى رأسه ويديه ولو فى أحيان أفعال متعددة كخطوة وضربة. وخلع نعل ويحسب ذهاب اليد وعودها مرة واحدة مالم يسكن المصلى بينهما ويحسب رفع الرجل مرة سواء أعادت إلى موضعها أم لا. أما ذهابها وعودها فمرتان ومثل الفعل تكثير الوثبة الفاحشة فى الفقرة وكذا تحريك كل بدنه أو معظمه ولو من غير نقل قدميه ومحل البطلان بالعمل الكثير إن كان بعضو ثقيل فإن كان بعضو خفيف فلا بطلان، كما لو حرك المصلى أصابعه ـ من غير تحريك كفه ـ فى سبحة أو حل أزرار أو عقدها أو حرك لسانه أو شفته أو أجفانه ولو مرات متعددة متوالية، فأمثال ذلك لا تبطل به الصلاة. إذ لا يخل بهيئة الخشوع والتعظيم، فأشبه الفعل القليل ولو تردد المصلى فى فعل هل هو قليل لا تبطل به الصلاة أو كثير تبطل به فالمفتى به أنه لايؤثر ويشترط فى الحركات الثلاث المبطلة أن تكون متوالية، بحيث لايعد العمل الثانى منقطعا عن الأول عرفا، ولاالثالث منقطعا عن الثانى فلايؤثر غير المتوالى عرفاولو كثر جدا.

وقال الحنابلة: لا يتقدر اليسير بثلاث ولا بغيرها من العدد بل اليسير ما عده العرف يسيرا، لأنه لا توقيف فيه فيرجع للعرف كالقبض والحرز فإن طال عرفا ما فعل فيها وكان ذلك الفعل من غير جنسها غير متفرق أبطلها عمدا كان أو سهوا أو جهلا ما لم تكن ضرورة. فإن كانت ضرورة كحالة خوف وهرب من عدو ونحوه كسيل لم تبطل وعد ابن الجوزى من الضرورة الحكة التى لا يصبر عليها، وأما العمل المتفرق فلا يبطل الصلاة. لما ثبت أن النبى ﷺ أم الناس فى المسجد فكان إذا قام حمل أمامة بنت زينب وإذا سجد وضعها «وصلى النبى ﷺ على المنبر» وتكرر صعوده ونزوله عنه، وقول الحنفية والمالكية قريب من قول الحنابلة.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فإن تقليب صفحات المصحف الشريف لاتبطل به الصلاة، لأنه عمل يسير عرفا ولكن على المصلى أن يقتصر فى ذلك على أقل حركة يتم بها الغرض من غير مجاوزة أو زيادة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

قالوا عن محمد ﷺ



[illegible]

ماسيه

[١] «بفضل إصلاحات محمد ﷺ الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من [illegible] دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية»[2].

[٢] «كان محمد ﷺ هو [illegible] عرفت لأول [illegible] الدينية [illegible] الأقوام [illegible]».

مونته

[١] «إن طبيعة محمد ﷺ الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه القصد بما يتحلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحاً [illegible] لم [illegible] كثير [illegible] بهمة بدعوة [illegible] عظيمة [illegible] في [illegible] فهو في [illegible] المبشرين [illegible] في بلاد العرب [illegible] مراتبهم كبارا جدا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمداً ﷺ وبخسوه حقه [illegible] لأنه من [illegible] الذين [illegible] الناس أطوار حياتهم بدقائقها..»[5].

[٢] «كان محمد ﷺ كريم الأخلاق حسن العشرة [illegible] صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله».

[٣] [illegible] المصلحين من عرفت حيث [illegible] ﷺ [illegible] ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم [illegible] للإنسانية».

[٤] «لا مجال للشك في إخلاص الرسول ﷺ وحماسته الدينية التي [illegible] بها نفسه وفكره».

نهرو

[١] «لقد [illegible] هؤلاء [illegible] الرسول ﷺ [illegible] الذي يدعوهم [illegible] ولكن [illegible] هذه [illegible] يعطيك صورة عن [illegible] محمد ﷺ بنفسه ورسالته وقد [illegible] نفسه [illegible] أمته [illegible] القوة [illegible] وسعة [illegible] من [illegible] يقشعون [illegible] معروف في [illegible] وقد توفي محمد ﷺ بعد أن جعل من [illegible] العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماسا».

هارت[11]

[١] «إن اختياري محمد ﷺ ليكون رأس قائمة [illegible] الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرا من القراء [illegible] ولكن في اعتقادي أن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي»[12].

[٢] «لقد [illegible] محمد ﷺ [illegible] أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا تقريبا على وفاته فإن تأثيره لا يزال قويا وعارما..»[13].

[٣] «...من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمداً ﷺ كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان [illegible] (عليه السلام)...»[14].

[٤] «...إن محمداً ﷺ يختلف عن المسيح بأنه كان زعيما دنيويا فضلا عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً ﷺ يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال»[15].

[٥] «[illegible] لا نظير له بتأثير الديني والدنيوي معا يخول محمداً (صلى الله عليه وسلم) [illegible] أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية»[16].

---

(١) هنري ماسيه H. Masse ولد عام ١٨٨٦م، عمل مديراً للمعهد الفرنسي بالقاهرة وعين أستاذاً في جامعة الجزائر (١٩١٦- [illegible] واختارته [illegible] في لجنة المستشرقين [illegible] كتابا عن الشاعر سعدي (١٩١٩م) وصنف كتاباً بعنوان (الإسلام ١٩٣٠م)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.

(٢) الإسلام، ص ٤٤

(٣) نفسه، ص ٥٩

(٤) مونته (١٨٥٦-١٩٢٧) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف من كتبه (محمد والقرآن) وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله)

(٥) محمد والقرآن، ص ٨١ (عن حسن [illegible] حاضر العالم الإسلامي ١/٣٢)

[illegible]

(٧) حاضر الإسلام ومستقبله (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/٦٧)

[illegible] ١/٦٤

جواهر لال نهرو Lal Nehru ولد في عام ١٨٨٩م في مدينة الله آباد في الهند والتقى مع غاندي في أوائل عام ١٩١٩م [illegible] رئاسة الوزراء الهندية عدة مرات له عدة مؤلفات [illegible]

(٩) لمحات من تاريخ العالم، ص ٢٥-٢٦

(١١) الدكتور مايكل هارت Michael Hart [illegible] حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون عام ١٩٧٢م، عمل في مراكز الأبحاث [illegible]

(١٢) المائة الأوائل، ص ١٩

[illegible]

نفسه، ص ٢٤ (١٦) نفسه، ص ٢٥

قصص الأنبياء

يوسف وامرأة العزيز

يوجد في الأمثال: ضربني وبكى وسبقني واشتكى. ذلكم المثل هو مثل امرأة العزيز مع يوسف. ذلك أنها لما رأت سيدها لدى الباب يريد الدخول. وكان معه ابن عمها. أرادت أن تشفي غل صدرها وحنقها على يوسف لما فاتها من التمتع به. وتوقعه في الشر جزاء إبائه عن مطاوعتها.

تقدمت نحو زوجها باكية شاكية قائلة:

﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾

وأفهمته أنه راودها عن نفسها وأنها أبت عليه.

وأما يوسف فقد وجد نفسه في مأزق حرج وأن الصدق سبيل نجاته. وأنه اللائق بمقابلة العزيز بما صنع معه من جميل وما أسدى إليه من التكرمة فقال:

﴿هي راودتني عن نفسي﴾

وأنه امتنع وأبى حتى أن أمرها إلى أن نازعتني ثوبي.

وقد ظهرت فراسة ابن عمها في تحقيق الحق من قولهما. فقال:

﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾

لأن الهاجم على المرأة وهي تدافعه إنما يظهر أثر دفاعها في مقدمة قميصه. والهارب من المرأة العالقة بثوبه إنما يظهر أثر ذلك من الخلف. لأنه يكون مستدبرا لها وهي تجاذبه من خلف. فظهر حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قد من دبر. فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال:

﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾

وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرح بأنها مخطئة فيما صنعت.

اقرأوا قوله تعالى:

﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم. قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾

(يوسف ٢٥-٢٩)

لطيفة

للإمام الفخر الرازي كلمة قديمة أوردها في تفسيره. خلاصتها: أن يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله تعالى:

﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾

وشهد الشيطان ببراءته بقوله:

﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾

وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال:

﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾

وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن:

﴿ما علمنا عليه من سوء﴾

وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها

﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾

فالذي يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر له من الإقرار بالحق على أي حال، وهو براءة يوسف من الهم بها.

شيوع الخبر في المدينة وتحدث النساء به

شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة. ولاكته أفواه النساء لائمات لها على هذا الغرام، وشرعن يضللنها ويلمنها بفادح اللوم. ودوى صدى هذا القول في أذن امرأة العزيز فأحدث في الكيد لهن ليعذرنها ولا يعذلنها. فأرسلت إلى طائفة من نظيراتها العاذلات وأعدت لهن مكانا يجلسن فيه، وقدمت إليهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسكين. آتت كل واحدة منهن سكينا. وفي تلك اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن، فبهرهن جماله، وألهاهن عن أن يحسن قطع الفاكهة التي بأيديهن فصرن يقطعن أيديهن. وشغلهن بمطالعة محاسن خلقه والتأمل في جماله واللذة في ذلك تغمر ألم جراحهن بأيديهن فأعلن إكبارهن لذلك الجمال. وقلن:

﴿ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾

حينئذ باحت امرأة العزيز لهن بما يجنه فؤادها من اللوعة. وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله

﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾

فأنتم ترون أن امرأة العزيز كتمت أمرها حتى صادتهن وأوقعتهن في شباك غرامه وصرن كلهن في الهوى سواء. ثم باحت لهن

بدت بمصيبة امة لصيمة عليها ومن هذا القبيل قول القائل:

لا تخف ما فعلت بك الأشواق
واشرح هواك فكلنا عشاق

وأنتم ترون أيضا أن عشقها فضحها في المرة الأولى. وكذبت لتتخلص من العار ولتتشفى من ذلك الرجل الذي وصل حبه إلى شغاف قلبها وأنضج فؤادها بنار هواه، فلم تحسن التخلص ولم يكن كذبها منجيا لها من اللوم. وكان من حقها أن ترتدع. ولكن الهوى صرعها للمرة الثانية فتوعدته بأن يصدع بأمرها وإلا كان مأواه السجن ولقاء الصغار بدخوله.

ولما فشت القالة بذلك، رأى العزيز وحسن له مشيروه أمرا هو أنه لا يخلصهم من العار ويكف ألسنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن. ليخيلوا للناس أنه ما زج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة. وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به.

وهذا مصداق قوله تعالى

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

وإني ألفت نظركم إلى لفظ

﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾

فإن رؤية الآيات الدالة على صدق يوسف وكذب امرأة العزيز ـ فيما حاولت أن تلصقه به من عار الخيانة لسيده ـ كان ظاهرا واضحا. وكان من حق العزيز أن يوقع بها العقاب على ما اجترحته، ويكرم يوسف ويظهر للناس براءته.

ولكن شيئا من ذلك لم يكن. بل عمد هو وآله إلى الإساءة إلى من أحسن عمله. وحفظه بالغيب في زوجه. ورعى له حق السيادة والإكرام. فجزاه جزاء سنمار، وعمد إلى المسيئة الكاذبة المستهينة بكرامتها وكرامة زوجها، والتي عرضت عفافها بضاعة مزجاة في سوق الفسوق فلم يمسها بأذى، بل قدم يوسف البريء التقي الطاهر فدية عن سمعتها، فكانت كأنها الدنيا تحب على كثرة أذاها ويرغب فيها مع إساءتها.

والآية تشير من طرف خفي إلى أن القوم استعانوا بالقوة القضائية على الكيد ليوسف وزجه في السجن، لأن رؤية الآيات على براءته إنما تكون أمام القضاء، وهو إما رسمي أو عرفي. ولعل القضاء الأخير هو الذي استعملوه. وهو قضاء خير منه الاستبداد لأن الاستبداد يجور فاعله على أن عمله جور سافر غير مقنع ـ ولكن القضاء الذي يجور ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء.

يوسف في السجن يدعو لدينه

أدخل يوسف السجن على غير جريمة اقترفها، ودخل معه السجن فتيان، أحدهما رئيس الخبازين عند الملك، والثاني: رئيس سقاته. فبعد يوم أتاه صاحب شراب الملك وأخبره أنه رأى في منامه أنه يعصر في كأس الملك الخمر، يتناول العنقود من العنب ويعصره في كأس الملك.

وجاء الخباز وقال له: إني رأيت فوق رأسي طبقا من الخبز والطير تأكل من ذلك الخبز وطلبا إليه أن ينبىء كل واحد منهما بتأويل ما رأى في منامه.

انتهز يوسف هذه الفرصة ليعلن لهم دينه ويدعوهم إليه، وقام فيهم خطيبا يشعرهم بمقدرته على تأويل الرؤيا، وأنه لا يأتيهما طعام إلا نبأهما بتأويله قبل أن يأتيهما. وأن ذلك مما علمه الله تعالى لأنه ترك ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، واتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وذلك كله من فضل الله عليه وعلى ذويه وعلى الناس. وسأل صاحبيه

﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

الذي أمر ألا يعبد الناس ربا سواه. وأن ذلك هو الدين القويم. وأن جهلة الناس لا يعلمون وبعد أن فرغ من دعوتهم إلى دينه وانتهى من خطبته الوعظية قال:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾

وفي تلك الحال أمل يوسف أن يجد فرجا لما هو فيه من الضيق على يد الذي ظن أنه ناج منهما. وقال له:

﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾

وتحقق تأويل المنام كما قال

الفرج ليوسف

بعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف فهيأ لذلك الأسباب، وذلك أن الملك رأى سبع بقرات جميلات طالعة من النهر فارتعت البقرات في روضة. ثم رأى سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمينة ثم استيقظ من منامه. ثم عاد فرعون إلى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة في ساق واحدة. وإذا سبع سنابل رقيقة قد لفحتهن الريح الشرقية قد عدت على السنابل الخضر فأكلتها.

أصبح فرعون منزعجا فدعا السحرة وكل من له علم، يسألهم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند أحد منهم جوابا. بل:

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾

في ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك إلى الأمر. وتذكر ما قدم بما حدث، ومر على خاطره منامه الذي رآه في السجن. ويوسف الذي عبره له تعبيرا كأنه يشاهد أمرا واقعا. فعرض الأمر على الملك، واقتص عليه حلمه وحلم رئيس الخبازين، وأن غلاما عبرانيا في السجن ـ لرئيس الشرطة ـ قد عبر لهما رؤياهما. فكان الأمر كما قال، وطلب أن يرسله إلى السجن ليأتي بالتعبير الذي لا مراء فيه من يوسف. فأرسله الملك إليه

فلما التقى بيوسف قال له:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾

يوسف وامرأة العزيز

تأكل الخضر فأخبره يوسف بتأويل ذلك. وهو أن مصر يأتي عليها سبع سنين مخصبات تجود الأرض فيها بالغلات الوافرة، ثم سبع سنين مجدبة تأتي على المخزون من سنين السبع التي تقدمتها. ثم بعد ذلك تأتي أعوام الخصب والرغد. وأن عليهم أن يقتصدوا في سني الخصب السبع ويخزنوا ما فضل عن القوت في سنبله. حتى إذا حل الجدب وجدوا في مخازنهم ما يسد الرمق ويمسك الحوبة إلى أن يأتي الخصب.

عاد رئيس السقاة إلى الملك بتأويل رؤياه فسر بها، وعلم أنه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا.

فقال الملك ائتوني بيوسف. فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته، وطلب إلى الرسول أن يعود إلى الملك ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ولابد أن يكون قد سماهن له بأسمائهن، فلما أحضرهن الملك وسألهن عن شأن يوسف، قلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء، وأنكرن أن يكن سمعن شيئا عن شأنه وشأن امرأة العزيز.

وهذه هي الآيات المتعلقة بهذا الموقف:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾

(يوسف ٥٠-٥١)

في الكلام إيجاز كما هو شأن القرآن من عدم ذكر الأشياء التي تكون معلومة من المقام وفي الكلام شواهد تدل عليها. والذي يفهمه من الآيات كل من له عقل أن يوسف كبر عليه أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين المخدقين الخائنين ليقف أمام الملك. فأراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة. فذكر الحادثة على وجهها وأنه بريء منها وأن الجانية إنما هي زوجة العزيز التي بهتته في وجهه. وأن الإشاعة في البلد كانت أن امرأة العزيز راودته عن نفسها وأنه دلت النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فإنها لما سمعت أنهن لاتمت لها دعتهن إلى دارها، وسمعهن طعن وأنهن لما رأينه قطعن أيديهن، وراودته عن نفسه أيضا لها ولأنفسهن وأن امرأة العزيز أقرت أمامهن قائلة

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

قالت ذلك على ملأ منهن وأنها هددت وعيدها بإلقائه في السجن وهو بريء مما يوجب سجنه، وشهادتهن بما سمعنه من امرأة العزيز برهان براءته وتثبيت لقوله. والذي فيه مفهوم من أسلوب القرآن. وأن الملك أحضرهن وسألهن عن شأنهن في ذلك اليوم الذي راودن فيه يوسف عن نفسه فكان جوابهن

﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾

يمكن أن نفهم قولهن هذا على أنهن لم يسمعن عن يوسف شيئا ولم يعلمن عليه سوءا. أو يكون قد وقع منهن ما وقع.

وحينئذ يكن قد أنكرن الشهادة ولم يؤدين ما طلب يوسف منهن: وهو الشهادة بما سمعنه من امرأة العزيز وتوعدها يوسف بالسجن إذا لم يصدع بأمرها. وذلك الموافق لقولهن

﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾

لأنه يكون ما سئلن عنه.

وحينئذ يكن قد حمين من يوسف فيهن، وأردن أنهن لا يتهمنه بسوء. وفي الوقت نفسه يكتمن على امرأة العزيز ما باحت به أمامهن من مراودتها إياه واستعصامه، وأن نجاته من السجن رهينة بموافقتها على مرادها الذي أرادته عليه من قبل.

وحينئذ يكون يوسف قد اغتر بما أظهرن له من الإكبار والمحبة حتى دعته كل واحدة إلى نفسها. وظن أن ذلك يدعوهن إلى أن يقلن الكلام الذي حصل على جهة الحق وفي ذلك براءته. فلم يقلن. بل قلن شيئا لم يدعهن لأجله وهو قولهن

﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾

فإن عدم علمهن بالسوء عليه لا يجعله بريئا في الواقع. وهذه شهادة على النفي لا تثبت بها الوقائع المعينة التي أراد يوسف إثباتها.

ويحتمل أن يكون ما رواه القرآن من قولهن

﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾

عبارة عن خلاصة لما روينه عنه مما يقتضي براءته. وأنهن أتين بالشهادة على وجهها، وملخصها براءته من السوء، وهذا أولى الاحتمالين عندي. وأقول إن إتيانهن بالشهادة على وجهها هو الذي أحرج مركز امرأة العزيز. وسد في وجهها المسالك، فلم تجد للإنكار سبيلا فقالت:

﴿ [illegible] ﴾

ساقت التوراة حكاية السجن وحلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين... الخ كما قصها القرآن الكريم. ولم تذكر المراودة بين يوسف والملك في شأن براءته. ولم تذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن. ولا أي شيء عن شأنهن. وذكرت التوراة أيضا أن يوسف ارتفع شأنه في السجن وصار كشخص رئيسه وله الأمر والنهي في كل النازلين في بيت السجن.

أضيف إلى ما تقدم من شهادة النسوة ليوسف بما يبرئ ساحته: أن امرأة العزيز لما رأت أن يوسف الذي زجت به في السجن ظلما قد أكرمه الله تعالى حتى صار من هم الملك أن يأتي به ليستخلصه لنفسه، وأن تماديها في اتهامه بما لم يقترف لا يجديها نفعا ولا يلحق بيوسف ضررا، وطدت نفسها على الصدق في شأن يوسف لأول مرة. بعد أن بهتته في وجهه ورمته بما هو منه براء، وظلت مصرة على باطلها السنين الطوال، فأقرت بما لا تقر به المرأة إلا مغلوبة على نفسها وباحت بما كتمته عن زوجها وآلها سنين عدة. فقالت

﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

﴿ [illegible] ﴾

[illegible] تصريح [illegible] الدال على صدق يوسف [illegible] ظلما. ذلك الإقرار الذى ما كان يوسف يظن أنه يصدر من امرأة العزيز الخفية عليه الموقعة له في السجن. لم يعد يومئذ في حاجة إلى جمع الأدلة وتصيد البراهين على براءته وإقامة الحجج على أنه حبس ظلما وعدوانا. وقدم الهدية عن عرض امرأة العزيز وذبحة بيد مكرها وقسوتها.

(ملاحظة) يجعل بعض المفسرين قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

الآية من كلام يوسف وهو خطأ لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأبيان ذلك. وإنما هو من قول امرأة العزيز لأن ذلك صدر ويوسف في [illegible]

﴿ [illegible] أستخلصه لنفسي ﴾

يوسف بحضرة الملك

لما ظهرت براءة يوسف لفرعون هذا الظهور، وخرج يوسف واضح الحجة مستقيم المحجة. قال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي. وحينئذ رأى يوسف أنه لا علة له. فجاء الملك وكلمه فسر الملك به وأعجبه [illegible] يوسف

﴿ اجعلني على خزائن الأرض ﴾

[illegible]

﴿ إني حفيظ عليم ﴾

اقرءوا قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿ [illegible] ﴾

(يوسف: ٥٤ - ٥٧)

هذا الموقف ذكر في التوراة في الإصحاح الحادى والأربعين من سفر التكوين، وهى لم تذكر إباءه الخروج من السجن حتى تظهر براءته. بل ذكرت أن رئيس السقاة أخبر فرعون بأن يوسف قادر على تعبير الرؤيا [illegible] على النحو الذى قدمناه. وقال لهم: لابد من ادخار خمس غلة الأرض في السنوات الخصبة، حتى إذا جاءت سنوات القحط كانت البلاد مستعدة لمكافحة الجوع. [illegible] يقوم على ذلك نظار أرجاء البلاد. فقال فرعون لجنوده: هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله؟!

ثم التفت إلى يوسف وقال له: بعد ما أعلمك الله كل هذا، ليس بصير وحكيم مثلك. أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي، إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك.

وقال [illegible] قد جعلتك على كل أرض مصر، وخلع خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه وأركبه في مركبته الثانية. [illegible] على الناس أمامه بالركوع له وجعله على كل أرض مصر وصاحب الأمر والنهى والأمر المطاع والكلمة النافذة، وسمى يوسف «صفنات فعنيح» وأعطاه «أسنات بنت فوطى فارع» كاهن أون زوجه. وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين [illegible] الحوادث [illegible] يوسف [illegible] في كل أرض مصر [illegible] الأحوال وتهيئة الأعمال اللازمة لمقاومة الجوع في البلاد.

إخوة يوسف في مصر يمتارون

مرت السبع [illegible] وعمد يوسف [illegible] [illegible] واتخذ [illegible] غلات في [illegible]. ثم جاءت السبع الجدبة واشتد الجدب في جميع أنحاء الأرض. فأما المصريون فذهبوا إلى فرعون يطلبون القوت فأحالهم على «صفنات فعنيح» يوسف، ففتح المخازن وباع لهم من الطعام ما يكفيهم. وأحس أهل فلسطين الجوع وعلموا أن الطعام بمصر، فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمال والحمير [illegible] الطعام وأعطاهم الثمن. [illegible] إلى مصر لشراء قوت لأهليهم. [illegible] مصر رآهم يوسف فعرفهم ولم يعرفوه.

وذلك طبيعي لأنه فارقهم [illegible] الإهاب وقد ناهز اليوم الأربعين من عمره، وقد كسته أبهة الملك مهابة تعشى عنه عيون الناظرين إليه. وأما هم فعلى حالهم في ملبسهم ولغتهم ومنظرهم.

لما [illegible] يوسف إخوته [illegible] لدى اشتروه. قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم عامكم القادم مرة أخرى، فإذا لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى [illegible] رأى إخوته جميعا إلا أخاه لأمه «بنيامين» وهو أصغر منه. فأخذ في استدراجهم حتى علم منهم حياته وأنه عند أبيه لم يسمح بمفارقته. [illegible] [illegible] [illegible] أكرمهم وأظهر لهم السماحة، وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم التي دفعوها ثمنا للطعام في أوعيتهم فإنهم يعودون بها إلينا. لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم. وقد جعل يوسف ذلك شركا لهم ليعودوا إليه.

إخوة يوسف عند أبيهم

عادة إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه أن [illegible] الطعام فيما بعد حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم. فتذكر يعقوب قديم أمرهم بحديثه وعاودته لوعته على يوسف فقال لهم:

﴿ هل [illegible] ﴾

[illegible] الطعام الذى أتوا به من مصر، فوجدوا بضاعتهم بحالها لم تمس، فكان ذلك مما شدد عزائمهم في الكلام مع أبيهم وقالوا له: يا أبانا ما نبغى؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا! فإذا سمحت بأخينا بذهب فإننا نمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير وهو شيء يسير عند الملك الذى طلب أخانا!

والظاهر أن القحط كان شديدا جعل يعقوب يسمح بسفر ابنه تحت شروط اشترطها على أولاده. فقال لهم.

أى إلا أن تغلبوا على أمركم. فأعطوه موثقهم على الوفاء بما اشترطه. وحينئذ قال: الله على ما نقول وكيل. وأوصى بنيه أنهم إذا أتوا مصر لا يدخلون من باب واحد بل يدخلون من أبواب متفرقة.

ويقول المفسرون: إن ذلك خوفه عليهم من الحسد. والذى أميل إليه أن ذلك كان منه لئلا يلفتوا نظر الناس. وذلك يدعو إلى التحدث بشأنهم والخوض فى مقصدهم. فيظن بهم أنهم جواسيس أو رواد لمن وراءهم ممن يريد الإغارة على البلاد من الأقوام التى عضها الجوع.

ومهما كان من الأمر فقد عاد إخوة يوسف إلى مصر فى طلب الميرة ولم يبق عند أبيهم أحد منهم ومعهم البضاعة التى ردت إليهم.

هذا الموضوع ذكر فى التوراة. وليس بينه وبين ما فى القرآن كبير اختلاف.

فقد ذكر فى الإصحاح ٤٢ تكوين: أن إخوة يوسف لما جاءوا إليه تنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم: من أين جئتم؟ فقالوا: من أرض كنعان لنشترى طعاما! فقال لهم: إنكم جواسيس جئتم لتعرفوا أرضنا ومداخلها ومخارجها وعورتها. فقالوا له فى عرض تبرئتهم لأنفسهم بأننا لسنا جواسيس. عبيدك اثنا عشر أخا بنو رجل واحد، الصغير منا عند أبينا، وواحد مفقود.

أى ولا يعقل أن عشرة من الرجال هم إخوة لأب واحد يكونون جواسيس. فأظهر أنه يريد منهم البراءة من الجاسوسية. ولا دليل على براءتهم إلا أن يأتوه بأخيهم الصغير، وحبسهم ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث أتى بهم وقال لهم: إنى خائف الله فى أمركم فإن كنتم أمناء ولستم جواسيس فليحبس واحد منكم. وانطلقوا أنتم وخذوا قمحا لإمساك رمق أهليكم وأحضروا أخاكم الصغير إلى لأعلم صدقكم.

وكان إخوة يوسف قد تذكروا حرج مركزهم أمام وزير التموين والتجارة وما هم فيه من الضيق، فعادوا باللوم على أنفسهم إذ رأوا أخاهم يوسف وهو فى حال شدة حين هموا بقتله ثم ألقوه فى الجب وهو يستغيث بهم فلم يغيثوه فندموا وأيقنوا أن هذا الموقف الذى وقعوه جزاء من الله تعالى لهم على قسوتهم على أخيهم وقال بعضهم لبعض: حقا إننا مديونون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع. لذلك جاءت علينا هذه الضيقة. فقال لهم رأوبين: ألم أكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا فهو ذا دمه يطلب؟ وهم لم يكونوا يعلمون أن يوسف فاهم لحوارهم. لأنه إنما كان يكلمهم بواسطة ترجمان، فتحول يوسف عنهم وبكى ثم أمر أن تملأ أوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد منهم إلى عدله. وأن يعطوا زادا للطريق فرأى واحد منهم فضته فى عدله فتكدروا وخافوا. وكان يوسف قد استبقى شمعون عنده رهنا على وفائهم.

ولما عادوا إلى أبيهم وأوقفوه على حقيقة أمرهم نفر من هذا الأمر فقال: أعدمتمونى يوسف فهو مفقود. وشمعون الذى تركوه فى مصر مفقود وتأخذون بنيامين؟ فإن حصل له أمر فى الطريق أهلك من الحزن! فقال له رأوبين: سلمه لى أرده إليك فإن لم أفعل فاقتل ابنى. (ص ٤٢).

ولما اشتد الجوع طلب يعقوب إلى بنيه أن يعودوا لأرض مصر ويبتاعوا منها طعاما. فقال يهوذا له: إن الرجل قد أشهد علينا قائلا: لا ترون وجهى بدون أن يكون أخوكم معكم. فلامهم على إخبارهم إياه بأن لهم أخا تخلف. فقالوا: لو عدنا لن نرجو تبرئتنا بالجاسوسية وسألنا: هل أبوكم حى. هل لكم أخ؟ وما كانوا يحسبون أنه سيطلبه منهم. وألح يهوذا على أبيه وضمنه له فسمح بذلك. وأمرهم أن يأخذوا هدية للرجل الذى يبيعهم الطعام تكون من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن واللوز والفستق. ويردوا له الفضة. ويأخذوا فضة أخرى ثمنا للطعام الجديد.

ونزل إخوة يوسف بعد ذلك إلى مصر، فلما رأى يوسف إخوته ومعهم بنيامين أمر غلمانه باستقبالهم وأن يذبحوا لهم ويهيئوا طعاما لأكله معهم وقت الظهر.

ولما فعل رجال يوسف ما أمروا به جاءوا بإخوة يوسف إلى بيته. فلما علموا أنهم داخلون إلى البيت خافوا على أنفسهم وقالوا فيما يناجى به بعضهم بعضا: إن إدخالنا إلى البيت إنما هو بسبب الفضة التى وجدناها فى أعدالنا وأنه سيهجم علينا ويأخذ حميرنا ويجعلنا عبيدا له.

فكلموا خادما من خدم يوسف وقصوا عليه قصتهم ورجوع الفضة معهم وهم لا يعلمون. وأنهم عادوا بها وبفضة أخرى لشراء القمح. فهدأ الرجل روعهم، وأدخل إليهم أخاهم شمعون الذى كان رهينة فى يد يوسف. وأدخلهم إلى دار يوسف للغداء.

ولما جاء يوسف وقت الغداء قدموا إليه الهدايا، ونظر إلى بنيامين وقال: أهذا أخوكم الصغير الذى قلتم لى عنه؟ ودعا قائلا: الله ينعم عليك يا بنى! ولم يطق يوسف الجلوس معهم لما حضره من الحنين إلى أخيه. فذهب إلى مكان منفرد وبكى ثم عاد وسألهم عن أبيه وسلامته. ثم قدم إليهم الطعام، وأكل هو وحده والمصريون وحدهم.

لأن المصريين يعتبرون الأكل مع العبرانيين نجاسة. ولعل عدم أكله مع إخوته لئلا ينتقد المصريون عليه ذلك. وقد أجلس إخوته بحسب ترتيبهم فى السن فبهتوا لأن عمله صادف الواقع الذى يعرفونه وأغدق على بنيامين الطعام أ.هـ.

حيلة يوسف فى إبقاء بنيامين عنده

أمر يوسف بتجهيز إخوته فملأ لهم الأعدال طعاما، وأمر أن توضع فضة كل واحد فى عدله، وأن توضع طاسة فى عدل الصغير، وهى الطاس التى كان يشرب فيها، فساروا غير بعيد فلم يفاجئهم إلا وكيل يوسف يناديهم ويوبخهم على ما صنعوا وأنهم قابلوا الإحسان بالكفر، وأنهم سرقوا سقاية الملك يوسف، فأظهروا البراءة من هذا العمل، وقالوا: من وجدت سقاية الملك فى رحله يؤخذ عبدا للملك ففتش أعدالهم مبتدئا بالكبير منتهيا بالصغير، فوجد السقاية فى عدل بنيامين، فرجعوا إلى المدينة ودخلوا على يوسف مستعطفين مسترحمين، ولامهم يوسف على ما صنعوا، فراودوه على أن يأخذ أحدهم عبدا مكان أخيهم، فأبى وقال: إن

الذى وجد الطاس فى رحله يستعبد لى، وأما أنتم فاذهبوا إلى بلادكم، وأبى يوسف - بعد الاستعطاف وبيانهم [illegible] تعلق به و[illegible] سلوته عن أخيه المفقود - أن يطلقه. فقالوا بحضرة يوسف وقد ملئوا غيظا على بنيامين [illegible] فيه من تورطة

﴿ [illegible] ﴾

وقال لهم: ﴿ أنتم شر مكانا [illegible] ﴾ السارق

﴿ [illegible] ﴾

وكانوا يعنون يوسف، ذلك أن أمه ماتت [illegible] فكفلته عمته [illegible] فلما اشتد قليلا أراد أبوه أن يأخذه منها. فعنت به وألبسته منطقة لإبراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه، ثم أظهرت أنها سرقت منها وبحثت عنها حتى أخرجتها من تحت ثياب يوسف، وطلبت بقاءه عندها [illegible]. وبهذه الحيلة استبقته عندها وكف أبوه عن مطالبتها به.

[illegible] إخوة يوسف من أخذ أخيهم - بطريق المبادلة - فقال كبيرهم «رأوبين» إن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله برد أخيكم، ومن قبل ذلك كان تفريطكم فى يوسف، وعلى ذلك لن أبرح الأرض «مصر» حتى يأذن لى أبى فى القدوم، أو يحكم الله فى شأنى وهو خير الحاكمين [illegible] عليهم بالرجوع إلى أبيهم وإخباره بما كان من أمر أخيهم ومن الملك «يوسف» وأن ابنه صار عبدا للملك بسبب سرقته [illegible] وأن ظهور السرقة كان عن ملأ منهم ومن أهل العير التى كانوا فيها وأنهم صادقون فيما أخبروا به.

عاد إخوة يوسف - عدا كبيرهم - إلى أبيهم وأخبروه بالأمر على جليته فلم يدخل عليه هذا القول، وأحاله على أمر دبروه له كما دبروا لأخيه من قبل، وزاد به الحزن حتى ابيضت عيناه وعاوده من الوجد على يوسف ما عاوده فقال:

﴿ يا أسفى على يوسف ﴾

فلامه أولاده على ذكر يوسف وقد انقضى أمره. ثم إن يعقوب رد أولاده الذين وردوا عليه إلى مصر ليشتروا طعاما وليتحسسوا له شأن يوسف وأخيه. وأمرهم بعدم اليأس من روح الله، فإن ذلك شأن الكفار. فذهبوا كما أمرهم أبوهم

من المقارنة بين هذا الموقف من القصة فى القرآن وبينه فى التوراة نجد الخلاف قليلا: فإن القرآن يجعل أخذ الموثق على جميع أولاد إسرائيل العشرة. والتوراة تجعله على يهوذا خاصة، ولعله كان متكلما عنهم وكلمته كلمتهم وعهده عهدهم. والقرآن يذكر أن يوسف آوى إليه أخاه وقال

﴿ [illegible] ﴾

والتوراة تجعل يوسف مجهولا من بنيامين إلى أن أخبرهم جميعا بأنه أخوهم بعد ذكر قصة الطاس. والقرآن ذكر قولهم:

﴿ [illegible] ﴾

والتوراة لم تذكرها. والقرآن يذكر عودة إخوة يوسف إلى أبيهم وإخباره بأن ابنه قد سرق واستعبد فى مصر، والتوراة لم تذكره. ومعلوم أن القرآن مهيمن على ما تقدمه.

نحجُّ إلى مهد العقيدة



[illegible]

المرء بعقيدته وعلمه. لا بشحمه ولحمه. ولا بأبيه وأمه. وخاله وعمه! إنما بعقيدته وعلمه ينشط لمقتضيات الإيمان الذى يظل زعما ودعوى حتى يصدقه العمل. والعمل لا يعتد به إلا أن يكون صالحا. استجاب الإنسان المؤمن له بفطرته التى بقيت على نقائها وصفائها وصدقها فلم تغيرها الشهوات والشبهات، ولم يكدر صفوها التقليد للغير بغير بينة من الله.

وهذه الفطرة السوية تتساوى دائما مع أوامر الله تعالى ونواهيه فى كتابه الكريم. ولا تكون الا وفق ما دعا إليه أو حذر منه الصادق المصدوق، سيدنا محمد ﷺ وهو يقول: «لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (١)، وهى بهذا الالتزام تشهد بأنها فطرة الله تعالى حقا:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠).

إن اتباع الأهواء والغفلة عن سنن الله تعالى فى خلقه ومخلوقاته، والخلاف عن أمر الله تعالى فيما شرع وأوجب، أخذا وتركا، هى آفات تعرض للفساد فى العقيدة، والضلال فى العبادة، والمذبذبة والشقاق فى السلوك والمعاملات. وما بذلك يصح دين، أو تصح حياة أبدا، وهل تكون الأخوة الباقية التى لا تحول ولا تزول إلا نتيجة موافقة مطابقة حياة لمن يسر مسلكه الدين، ولم يكن نخى فيها مع ربه ومعطفه على صراط مستقيم؟!

والعقيدة الإسلامية تلوح شواهدها، وتصح منشدها، ونشدو فى الآفاق والأنفس على السواء لكل مستبصر. وليد وجه الله به العقول والقلوب والأسماع والأبصار والمشاعر والحواس إلى كل ما تكون فى ثبوته باعتباره لشاهد ودليل على تفرد

[illegible]

الله في صنعه بمن خلق وما خلق، وعلى إحكام صنعه، وبالغ حكمته في كل ما خلق وأوجد فقال:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الذاريات: ٢١)

وقال:

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ

[illegible]

[illegible] مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

(عبس: ٢٤ - ٣٢)

والإنسان الذي خلقه الله من الماء الدافق، ومن الماء المهين، ومن تراب، ومن صلصال من حمأ مسنون ومن طين لازب، هو مشرق «النفحة الإلهية»، ومما استتبع ذلك من خلق الله المحبب له على صورته، وخلقه إياه بيده، وتعليمه ما لا تعلمه الملائكة، وتكريمه بذلك إلى المدى الذي أسجد الله الملائكة المقربين له، ووضع في دربه هداياته عن طريق الشر

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾

(الأحزاب: ٣٩)

هذا الإنسان استخلفه الله وكلفه، وخلق له ما في الأرض جميعا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، إنه مخلوق سوي، تتوزعه طائفة من الانفعالات والأحاسيس والمشاعر التي تتصارع في كيانه، حتى تظهرها الأقوال والأعمال التي تضع المرء بحق في مكانه، باعتبارها المرآة الصحيحة التي يرى الناس بعضهم بعضا من خلالها، فما لهم وراء الظواهر إلى ذلك من سبيل، لتبقى النيات وبواعث الأعمال مما استأثر الله بعلمه، فقد أحاط سبحانه بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، وهو عليم بذات الصدور، قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾

(الأحقاف: ١٩)

والمرء حيث يضع نفسه كما قالوا، وهو مخبوء تحت لسانه[٢].

إن منة الله تعالى على آدم عليه السلام منة قائمة علينا، فالأصول عليها ينبت الشجر، والفروع تبع للأصول في امتنان الله عليهم، فهي توجب الاعتراف بفضل الله على الآباء والأجداد، حمدا لا يتوقف عند حد الكلام، ولكنه يتجاوز ذلك إلى العمل والاقتداء، وما أكذب دعوى الانتساب والانتماء إلى الصالحين، إن لم نكن امتدادا لهم في شتى ميادين العمل لله، والتأسي في ذلك برسوله ﷺ، والله تعالى يقول:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

ووضوح العقيدة الإسلامية، وهي إيجاب حق الله تعالى في أن يعبد وحده ويتجرد القصد له فيما نأخذ وما ندع، ووصف الله تعالى بكل كمال، وتنزيهه جلت آلاؤه عن كل نقص، والرضا بقضائه وقدره، واليقين بأنه سبحانه في كل ما قضى وقدر أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأنه في كل ما أوجب وشرع حكيم عليم.

هذا الوضوح في عقيدة المسلم لا يشبهه في دنيا الناس إلا يسر تكاليف هذا الدين في الصلاة التي لا عسر فيها ولا مشقة، وفي الصيام الذي هو ساعات في أيام معدودات هي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي الزكاة التي هي حق معلوم في أموال الذين ملكوا النصاب وحال عليه الحول وكان فائضا عن حاجتهم، وفي الحج الذي هو فرض الله على من يستطيعون إليه سبيلا، وهذا السبيل ليس مجرد الزاد والراحلة، ولكنه بالإضافة إلى ذلك أمن الطريق، والقدرة على مواجهة مشاق السفر، والقيام بشعائر الفريضة الخاتمة، ووجود من يرعى الأهل والولد، والعمل الذي هو وديعة الله تعالى للحياة والأحياء.

والمرء يصلي في المسجد، وقد جعلت له الأرض مسجدا وطهورا، ويؤدي الزكاة، ويصوم الشهر حيث كان، لكنه يحج في زمان وإلى مكان لا يتعددان، وتحتاط صلاته وصومه أحيانا، وصدقته أعمال الحج، وذلك فضل للفريضة الخاتمة تمتاز به.

وهي تتميز بأنها لا تؤدى إلا إلى مكة ومشاعرها، ومكة وطن العقيدة، ومهبط الرسالة، ومتنزل الوحي، وكانت التربة التي نمت فيها مغارس الدين العظيم، وكان مناخها أطيب الأجواء لظهور الصديق أبي بكر، والفاروق عمر، وذي النورين عثمان، وأبي تراب أبي الحسنين وزوج البتول علي بن أبي طالب، وحواري رسول الله الزبير بن العوام، وسيف الله خالد، وصاحب سر رسول الله حذيفة بن اليمان، وحبر قريش عبدالله بن عباس، وأشبه الناس في قراءته بجبريل - عليه السلام - عبدالله بن مسعود، وأكثر الناس رواية لحديث رسول الله ﷺ أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي، وحب رسول الله زيد بن حارثة، والحب ابن الحب أسامة بن زيد.

لقد خرجت مكة التي أتيها حج الحظ الأوفى لسعد هؤلاء، ومن ورائهم من النساء نماذج هن في أرفع مثل الاقتداء، كأمهات المؤمنين، وفي القمة منهن خديجة التي أقرأها جبريل من ربها السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب اللؤلؤ - لا صخب فيه ولا نصب[٣]؛ لأنها حازت قصب السبق بالإيمان، ولم ترفع على النبي صوتا! وكبنات النبي رضوان الله عليهن، وكأسماء بنت أبي بكر، وصفية بنت عبدالمطلب، وسمية أول شهيدة في الإسلام، وكأم أيمن بركة الحبشية أم النبي بعد أمه، ومولاته وحاضنته، وأم الحب ابن الحب أسامة بن زيد ابن حارثة، والمباركة نسيبة بنت كعب الأنصارية، والخنساء تماضر بنت الشريد[٤].

إن مكة كانت مهبط هذا الدين الأول، وكانت أول بقعة قام فيها لعبادة الله وحده، بيت قال فيه الله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

وهو في صحيح البخاري أول بيت بني لعبادة الله قبل المسجد الأقصى بأربعين عاما. فهل عرف الناس في البلد الحرام وفيما وراءه من بلاد ليبقى مسلم وحد مدد عليهم لوطن العقيدة. وماذا عليهم من حق الجهاد لتبقى بلادنا فوق الأطماع والتطلعات الحاقدة المتربصة؟

(٢) أورده العصامي في سمط النجوم العوالي (٦/٣٢) من كلام الإمام علي كرم الله وجهه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه [illegible] ومسلم في صحيحه [illegible] رضي الله عنه.

تأملات فى السيرة

انتهينا فى المقال السابق إلى ثلاثة أسئلة وتركنا الاجابة عنها إلى هذا اللقاء ومضمون الأسئلة الثلاثة هى: ما العمل بعد مؤامرة بنى النضير على رسول الله ﷺ وتآمرهم على قتله والقاء حجر عليه وهو جالس مسند ظهره الى جدار بيت من بيوتهم وما يجب على كل قائد حصيف أن يفعل وقد تآمر عليه ونقض عهد من تحالف معه؟

من العقبة أن نشرع فى الاجابة على هذه الأسئلة حتى نستطيع أن ندرك أن الاجابة تسلمنا إلى سوء التقدير فى رد فعل النبى ﷺ عندما غزى بنى النضير وقد ورد أنه ﷺ أمر بقطع النخيل وإحراقها حتى قالت بنو النضير: مالك يا محمد ﷺ تأمرنا بعدم الإفساد فى الأرض وأنت تقطع وتأمر بحرق النخل؟

إذا من الواجب علينا الذى يسلمنا إلى إجابة سديدة سليمة على هذه الأسئلة وأمثالها مما يرجف به الذين يزعمون أن الاسلام انتشر بالسيف وأن رسول الله ﷺ داعية حرب، من الواجب علينا أن ننظر إلى الموقف كله حول رسول الله ﷺ الذى لو تأملناه لرأينا ما يدفعنا دفعا إلى ما فعله النبى ﷺ، أما أن نحصر الموقف كله فى رد فعل النبى ﷺ فهذا ظلم للحقيقة وللتاريخ ولفعل النبى ﷺ فمن الواجب إذن أن نذكر الموقف كله وقد كان حال المسلمين بعد موقعة أحد التى انتصر فيها المشركون بقيادة أبى سفيان وقد عاد إلى مكة منتصرا وقد وفى نذره بعد أن كان حلف ألا يغتسل من جنابة حتى يوقع الهزيمة بمحمد وأصحابه وفى المقابل تركت موقعة أحد على المسلمين ظلالا كئيبة فوق الهزيمة فى الحرب فقد تنكر كثير من أهل المدينة واجترأ كثير من أهلها على المسلمين وكذلك اجترأ كثير من قبائل العرب ممن حول المدينة وقد ردت أحد إلى كثير من القبائل طمأنينة وجراءة على النبى ﷺ وعلى المسلمين لم تجعلها تفكر فى سطوتهم ومهابتهم وكان لابد من عمل يرجع هيبة المسلمين فى قلوب من حولهم من الأعراب وقد بلغ النبى ﷺ أن طليحة وسلمة ابنا خويلد وكانا زعيمين لبنى أسد يحرضان قومهما ومن أطاعهما يريدان مهاجمة المدينة وغزو محمد فى عقر داره وكان هذا أثرا من آثار الهزيمة فى أحد وكان لابد للنبى ﷺ أن يحبط حبثا يرد هذا الإحساس لدى الأعداء بوهن المسلمين وأنه لابد من عمل يرد ويثبت هيبة المسلمين فى قلوب الأعداء فجهز النبى ﷺ سرية بلغت عدتها مائة وخمسين مقاتلا فيهم سعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير وعبيدة بن الجراح وأمرهم بالسير ليلا والاستخفاء نهارا والسير فى طريق غير معهودة حتى لا يطلع عليه أحد فيفاجأ العدو بالإغارة عليه فنفذ أبو سلمة قائد السرية ما أمره به النبى ﷺ ففاجأ القوم ولم يستعدوا للقتال وأحاط بهم فى عماية الصبح وحرض رجاله على القتال ولم يستطع المشركون أن يثبتوا ولاذوا بالفرار فوجه أبو سلمة فرسانه لطاردة المنهزمين وأقام هو ومن معه حتى عاد الفرسان بمغانم النصر ورجع هو ومن معه إلى المدينة ظافرين وقد أعادت هذه السرية إلى المسلمين بعض هيبتهم التى أصيبت يوم أحد.

ولم يكن تمرد بنى أسد هو الوحيد الذى هدد المسلمين بل أنه قد بلغ النبى ﷺ أن خالد بن سفيان بن نبيح المقيم (بعرنة) يجمع ويحرض الناس لغزو النبى ﷺ فى المدينة فبعث النبى ﷺ عبد الله بن أنيس يتحسس حتى يقف على جلية الخبر وسار عبد الله حتى لقى خالدا فى جماعة من النساء يرتاد لهن منزلا فسأله خالد من الرجل؟ فأجابه عبد الله بن أنيس أنا رجل من العرب سمع بك وأنك تجمع لمحمد!! فلم يخف خالد أنه يجمع لغزو المدينة فلما بان لعبد الله بن أنيس عدو خالد ونيته فى قتال النبى ﷺ استدرجه للمسير معه حتى إذا واتته الفرصة حمل عليه فقتله وأخبر الرسول بالخبر وهدأت بنو لحيان من هذيل بعد موت زعيمهم.

هذه ثانى المحاولات للانقضاض على رسول الله ﷺ فى المدينة مع المسلمين وما ذاك إلا أثرا لاهتزاز هيبة المسلمين فى جزيرة العرب بعد أحد وليس ذلك فحسب بل تجرأ آخرون بحيل وخدع حتى ينالوا من المسلمين فقد وفد رهط من عضل والقارة المجاورة لهذيل وزعموا أن فيهم إسلاما وطلبوا من النبى ﷺ أن يبعث معهم من أصحابه من يقرؤهم القرآن ويعلمهم شرائع الدين فهل يرفض النبى ﷺ مثل هذا الطلب ..؟ فبعث ﷺ ستة من كبار أصحابه تلبية لهذه الدعوة وما كادوا بناحية تسمى (الرجيع) غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا وأقبلوا وأحاطوا بالرجال الستة فأخذ الصحابة أسيافهم ليدافعوا عن أنفسهم لكن هذيلا حاولوا إلى خدعة أكثر وكذبوا وقالوا والله لا نريد قتلكم ولكن نريد أن نصيب بكم مكة ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم ونظر المسلمون بعضهم إلى بعض كأنهم يتشاورون لكنهم أدركوا أن الذهاب إلى مكة فى هذه الأثناء إنما هى المذلة والهوان وهو شر من القتل فانبروا إلى قتالهم وقتلت هذيلا ثلاثة منهم أما الثلاثة الباقون فهم

من صحلوا سفنهم في سحق الشرك لكنهم يمثلون العار والدنس للمشركين وأعداء الإسلام حيث أنه هربلا لمكتهم وأخذتهم أسرى وخرجت بهم إلى مكة تبيعهم فيها أما أول الثلاثة عبد الله بن طارق نزع يده من قيد الأسر ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم يريد القتال وأخذوا يرجمونه بالحجارة حتى قتلوه ثم الآخران فقدمت بهم هريت مكة وباعت زيد بن الدثنة لصفوان بن أمية لدى شتر ؛ ليقتله لأبيه منه بن حنش فدفعه لأحد مو ليه ليقتله وله قصة مشهورة فاجتمع حوله كبار المشركين في مكة منهم أبو سفيان بن حرب الذي قال له: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك قال زيد والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا في مكاني هذا!

فعجب أبو سفيان وقال: ما رأيت أحداً يحب أحداً مثل ما أحب أصحاب محمد محمداً، ومضى زيد شهيداً يسطر في التاريخ حقد المشركين ليكذب المستشرقين الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف أما آخر الثلاثة خبيب فحبس حتى خرجوا به ليصلبوه فقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فعلوا!

أيها المستشرقون تأملوا هذا الإيمان واليقين والاطمئنان إلى الصلاة في مقابلة هذا العدوان الجائر ثم بعد ذلك يقولون إن محمداً ﷺ متعطش إلى الدماء وإن الإسلام انتشر بالسيف! فصلى خبيب ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل في ثبات شامخ ورفعة واطمئنان لا يمكن أن ترقى إليه عقول وقلوب أو نفوس المستشرقين ثم قال في أنفة: «أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل واستكثرت من الصلاة، لك الله يا خبيب يا صاحب رسول الله ﷺ فأنت على دربه إذ يقول: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» فلما أضجعوه وأوثقوه للقتل نظر إليهم وصاح فيهم «اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً» أرأيت إلى قوة الإيمان والاستهانة بالقتل في سبيل الله مما جعل القوم تصيبهم رجفة من صيحته واستلقوا على جنوبهم خوفاً من أن تصيبهم دعوته.

أرأيت إلى فعل الغدر والحقد الذي بدا من المشركين بعد أحد وليس ذلك فحسب وإن كانت هذه الخدعة ثالثة الأثافي إلا أن ما جاء بعدها كان أشد مكراً وسفكاً للدماء لابد أن يحذر النبي ﷺ وأن يأخذ حذره وليس أقل ليستبين من استخفاف عدوك بشأنك ويبدو أن هذا حال المسلمين بعد أحد فيروى أنه قدم على النبي ﷺ أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة فعرض على النبي ﷺ أن يسلم والغريب أن الروايات تقول إن النبي ﷺ لم يقبل منه لكنه لم يظهر للإسلام عداوة وقال لرسول الله ﷺ لو أنك بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد ودعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك؟!! فخاف النبي ﷺ على أصحابه من أهل نجد وخشي أن يغدروا بهم كما غدرت هزيل بخبيب وأصحابه ولم يجب طلب أبي براء حتى قال أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا إلى أمرك وكان أبو براء رجلاً مسموع الكلمة في قومه يأمن من أجاره ولا يخاف عادية أحد عليه فبعث النبي ﷺ منذر بن عمرو أخو بني ساعدة في أربعين رجلاً من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وبعثوا من هناك حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ .فقتل الرسول ولم ينظر إلى كتاب النبي ﷺ واستصرخ بني عامر ليقتلوا المسلمين فلما أبوا أن يخفروا ذمة أبي براء وجواره استصرخ عامر قبائل أخرى أجابته وخرجت معه حتى أحاطوا بالمسلمين في رحالهم فلما رآهم المسلمون أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم. فهل ترى فيما فعله عامر بن الطفيل من قتل الرسول الذي أرسله إليه النبي ﷺ وصلفه وكبريائه فلم ينظر في كتاب النبي ﷺ فضلاً عن إخفاره ذمة أبي براء عامر بن مالك واحترانه على جواره فهل ترى في كل هذا الفعل المشين ما يستوجب السكوت أم أن الأمر يتطلب الرد المناسب حتى تحفظ حقوق الرسل ويأمن الناس في مراسلتهم وهذا ما فعله المسلمون في أنهم قاموا بواجب لدفع ضرر خطير يهز الثقة في المعاملات الدولية وذلك ما فعله أصحاب رسول الله ﷺ وهانت في سبيله أرواحهم فإن المبادئ فوق كل اعتبار وذلك ما فعله الرسول ﷺ في إحدى غزواته فيما سوف نحكيه في مستقبل الأيام إن شاء الله، فلما قتل رسوله قام وجهز جيشاً غزا به الغادرين تثبيتاً لمبادئ العدل وتأميناً للرسل أرجوك قبل أن تحكم على فعل رسول الله ﷺ مع بني النضير أن لا تأخذ المسألة من جانب موقعة واحدة بل عليك أن تحيط بالأمر كله وتضع الصورة أمامك وما فعله المشركون من استهانة بكيان المسلمين بعد موقعة أحد فهذا فعل طليحة وسلمة ابني خويلد وكانا على رأس بني أسد ثم ما فعله خالد بن سفيان الهزلي أنه يجهز الناس لغزو النبي ﷺ في المدينة وكذلك ما زعمه قوم جاءوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: إن فيهم إسلاما ويطلبون أن يبعث الرسول ﷺ من يعلمهم شرائع الدين ويقرؤهم القرآن فبعث إليهم ستة من أصحابه وما فعله بهم من الغدر والخيانة مما حكيناه لك، وما حدث ببئر معونه من قتل أربعين رجلاً وقعوا فريسة هذه الخدعة، قتلوهم جميعاً عن آخرهم!! ضع كل هذا أمامك أيها القارئ الكريم ثم احكم على فعل النبي ﷺ إن أردت الإنصاف، فهل يلام النبي ﷺ إذا لقي غدر الغادرين واجتراء المجترئين بما يناسبه من الضرب على أيديهم حماية للحق وترسيخاً للمبادئ والمثل؟ أم يلام لو أنه لم يفعل؟ إذا أردت العدل والإنصاف . وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

طرائف ومواقف

[illegible]

وكان فضل الله عليك عظيما

تشفع يا رسول الله فينا
فما نرجو الشفاعة من سواك
وكن يا خير خلق الله [illegible]
[illegible] قلبه [illegible]
[illegible]
[illegible]
عليك من المهيمن كل وقت
صلاة [illegible]

سؤال.. وجواب

قيل لسيدنا عمر - رضى الله عنه -: «رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها»؟

قال سيدنا عمر - رضى الله عنه -: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات ٣)

الحج فى الشعر العربى

قال أحمد شوقى يصف يوم الحج:

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

من أشعار الإمام الشافعى - رضى الله عنه -

• ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

***

ما طار طير وارتفع
إلا كما طار وقع

***

• نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

ويدعو إلى التوكل عند الضيق، فيقول:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج

ويشير إلى واحد من أهم هذه المخارج، فيقول:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطئ ولكن
لها أمد وللأمد انقضاء

ثم يقف الشافعى يرجو عفو ربه. ولعله قال هذه الأبيات فى آخريات حياته يقول:

ولما قسى قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما

ورحم الله الشافعى حيث قال:

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر
ومن دونها أرض المهامة والقفر
فوالله لا أدرى أللفوز والغنى
أساق إليها أم أساق إلى القبر

فكأنه سطر فى هذا البيت ما سيكون له فقد ساقه الله - تعالى - إلى الفوز والغنى بفضله، وإلى قبر يعرف أهل مصر جميعا فضل ساكنه.

أوجع هجاء لى

قال عبد الله بن مروان: ما هجانى أحد بأوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو:

فإن تصبك من الأيام جائحة
لم نبك منك على دنيا ولا دين

وإن المساجد لله

تغير الرشيد يوما على زبيدة، فقال لها: أنت طالق ثلاثا إن بت الليلة فى مملكتى فاستفتوا فى ذلك القاضى أبا يوسف. فقال: تبيت فى بعض المساجد، فإن المساجد لله، فولاه القضاء بجميع مملكته.

كفى بهذا سؤددا

قدم البصرة بدوى، فقال خالد بن صفوان: أخبرنى عن سيد هذا المصر.

قال: «هو الحسن البصرى».

قال: عربى أم مولى؟

قال: مولى، قال وبم سادهم؟

قال: احتاجوا إليه فى دينهم، واستغنى عن دنياهم.

فقال البدوى: كفى بهذا سؤددا

من هذا؟

سمع أبو الفراء رجلا فى جنازة يقول: من هذا؟

فقال له: أنت، فإن كرهت فذا.

من كلام الحكماء

خير الأمور ثلاثة: الحياة، وضعف الحياة، وما هو خير من الحياة.

فأما الحياة: فالراحة وحسن العيش.

وأما ضعف الحياة: فالحمدة وحسن الثناء.

وأما ما هو خير من الحياة: فرضوان الله تعالى.

وشر الأمور ثلاثة: الموت وضعف الموت.. وما هو شر من الموت، فأما الموت: فالفاقة والفقر.

وأما ضعف الموت: فالمذمة وسوء الثناء.

وأما ما هو شر من الموت: فسخط الله - تعالى.

دعـــاء

كان الحسن البصرى يقول:

اللهم لا تجعلنى ممن إذا مرض ندم، وإذا استغنى فتن.. وإذا افتقر حزن!!

حفظ الأيمان



يقول الله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٤، ٢٢٥)

دعا الإسلام المسلمين إلى ضبط النفس وعدم التهور، وإلى التحكم في اللسان وعدم الانطلاق في الوعود التي لن تتحقق ولن تنفذ، وعدم الانسياق في الغضب، وإلى التحلي بالحلم والصبر. فعن ثوبان - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: إن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب، فردد مرارا قال: لا تغضب».

وقد شاعت في المجتمع ظاهرة تسرع كثير من المسلمين بإطلاق ألفاظ الأيمان في أحاديثهم سواء أكانت هذه الأيمان بالقسم بالله - تعالى -، أو بألفاظ الطلاق غير مبالين بخطورة هذه الأيمان، ولا يعرفونها

توجيهة

والأيمان: جمع يمين، واليمين: القسم، قال ابن حجر - رحمه الله - وأصل اليمين في اللغة: اليد، وأطلقت على الحلف؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كلٌ يمين صاحبه، وقيل: لأن اليد اليمنى من شأنها حفظ الشيء، فسمي الحلف بذلك، لحفظ المحلوف عليه، وسمي المحلوف عليه يمينا؛ لتلبسه بها، وهي توكيد الشيء بذكر اسم الله أو صفة له.

صيغة اليمين: قال ابن حجر - رحمه الله -: وجملة ما ذكر في: «كيف كانت يمين النبي ﷺ» أربعة ألفاظ

- أحدها: والذي نفسي بيده. وكذا نفس محمد بيده.
- ثانيها: لا ومقلب القلوب
- ثالثها: والله.
- رابعها: ورب الكعبة.

ويمتنع الحلف بغير اسم الله - تعالى - أو بغير صفة من صفاته الجليلة. لأن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، والله - تعالى - وحده هو المختص بالتعظيم.

فمن حلف بغير الله أو بغير صفاته، بأن حلف بالنبي أو بالولي، أو بالأب أو بالأم، أو بالكعبة، أو بما يشبه ذلك، فإن يمينه لا تنعقد، ويأثم بتعظيمه لغير الله - تعالى - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا، فليحلف بالله، أو ليصمت»، وعن بريدة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بالأمانة فليس منا»[4]. وعنه - أيضا - قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال: إني بريء من الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال، وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما»[5].

وإذا كان الحلف بغير الله أو بغير صفاته لا يقصد التعظيم بالمحلوف به، وإنما قصد تأكيد الكلام، ففي هذه الحالة يكون فعله هذا مكروها. وعليه أن يقلع عن ذلك.

انعقاد اليمين

قال ابن حجر - رحمه الله -: بم تنعقد اليمين؟ قد جزم ابن حزم - وهو ظاهر كلام المالكية والحنفية - بأن جميع الأسماء، أي: أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وكذا الصفات صريح في اليمين، تنعقد به وتجب بمخالفته الكفارة.

والمشهور عند الشافعية والحنابلة أنها ثلاثة أقسام

- أحدها: ما يختص به كالرحمن، ورب العالمين، وخالق الخلق، فهو صريح تنعقد به اليمين سواء قصد الله أو أطلق.
- ثانيها: ما يطلق عليه وقد يقال لغيره لكن بقيد كالرب والحق، فتنعقد به اليمين إلا إن قصد به غير الله.
- ثالثها: ما يطلق على السواء كالحي والموجود والمؤمن، فإن نوى غير الله أو أطلق فليس بيمين. وإن نوى به الله انعقد على الصحيح.

ولخطورة الإيمان وما يترتب عليها من عواقب وآثار ضارة، وعقوبات في الدنيا والآخرة، طلب الإسلام - في الآية الكريمة - من المسلمين عدم الإكثار بالحلف بالله.

العرضة تطلق على:

١- كل ما يعترض الشيء فيمنع من الوصول إليه، ومنه يقال: فلان عرضه دون الخير، أي: حاجز عنه.

٢- وتطلق على النصبة التي تتعرض للسهام، وتكون هدفا لها، ومنه قولهم: فلان عرضة للناس، إذا كانوا يقعون فيه ويعرضون له بالمكروه.

والمعنى على الوجه الأول: لا تجعلوا الحلف بالله - أيها المؤمنون - حاجزا ومانعا من البر والتقوى والإصلاح بين الناس، وذلك أن

بعض الناس كان إذا دعي إلى فعل الخير، وهو لا يريد أن يفعله يقول: حلف بالله ألا أفعله.. فنهاهم الله - تعالى - عن سلوك هذا الطريق، وقد وردت أحاديث كثيرة تحض من حلف على ترك أمر من أمور الخير أن يكفر عن يمينه وأن يأتي الأمر الذي فيه خير... منها عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها،[6] وشبيه في النهي عن الحلف على ترك فعل الخير قوله - تعالى - في شأن سيدنا أبي بكر - رضي الله عنه - عندما أقسم ألا ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان من الفقراء الذين تعهد أبو بكر - رضي الله عنه - بالإنفاق عليهم لحاجتهم وهجرتهم وقرابتهم منه، بسبب أنه كان من الذين خاضوا في حديث الإفك في ابنته السيدة عائشة - رضي الله عنها - قوله جل شأنه.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(النور ٢٢)

فالآية الكريمة على هذا الوجه تنهى المؤمن عن المحافظة على اليمين إذا كانت هذه اليمين مانعة من فعل الخير.

ومعنى الآية على الوجه الثاني - النصبة التي تتعرض للسهام -: لا تجعلوا - أيها المؤمنون - اسم الله - تعالى - هدفاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به في كل حق وباطل، وذلك لأجل البر والتقوى والإصلاح بين الناس. فإن من شأن الذي يكثر الحلف أن تقل ثقة الناس به وبأيمانه، وقد ذم الله - جل شأنه - من يكثر الحلف بقوله

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾

(القلم: ١٠)

وأمر بحفظ الإيمان فقال - جل شأنه -:

﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾

قال الإمام الرازي - رحمه الله -: والحكمة في الأمر بتقليل الأيمان، أن من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك، ولا يبقى لليمين في قلبه وقع، فلا يؤمن إقدامه على اليمين الكاذبة. فيختل ما هو الغرض الأصلي في اليمين، وأيضاً كلما كان الإنسان أكثر تعظيماً لله، كان أكمل في العبودية، ومن كمال التعظيم أن يكون ذكر الله - عظمت قدرته - أجل وأعلا عنده من أن يستشهد به في غرض دنيوي، وأما قوله بعد ذلك ﴿ أَن تَبَرُّوا ﴾ فهو علة لهذا النهي. أي إرادة أن تبروا. والمعنى: إنما نهيتكم عن هذا - أي: عن الإكثار من الحلف - لما أن توقي ذلك من البر والتقوى والإصلاح، فتكونون يا معشر المؤمنين بسبب عدم إكثاركم من الأيمان بررة أتقياء مصلحين.[7]

ولا تنافي بين المعنيين، لأن الله - تعالى - ينهانا عن أن نجعل القسم به مانعاً من فعل الخير، كما ينهانا في الوقت نفسه عن أن نكثر من الحلف به في عظيم الأمور وحقيرها.

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

أي: سميع لأقوالكم وأيمانكم عند النطق بها، عليم بأحوالكم ونياتكم فحافظوا على ما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم لتنالوا رضاه ومثوبته..

ثم تبين الآية الكريمة فضل الله ويسره ورحمته وعفوه

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

اللغو في الكلام: الساقط الذي لا يعتد به ولا يصدر عن فكر وروية، والمعنى: لا يعاقبكم الله - تعالى - ولا يلزمكم بكفارة ما صدر عنكم من الأيمان اللاغية التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادة من غير قصد - كرماً منه وفضلاً ورحمة بكم - ولكن يعاقبكم الله بما قصدته قلوبكم، وتعمدتم فيه الكذب في اليمين، بأن يحلف أحدكم على شيء كذباً ليعتقد السامع صدقه - وتلك هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار - ويدخل فيها الأيمان التي يحلفها شهود الزور، والكذابون عند التقاضي، والكذابون الذين يخفون الحق ويدعون عدم معرفته وهم يعلمونه يقيناً.. والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو، حليم حيث لم يعاجل المخطئين بالعقوبة..

وقد نهانا الإسلام عن اتخاذ الأيمان من أجل الغش والخديعة، وأكل أموال الناس بالباطل واستلاب حقوقهم.. يقول الله تعالى -

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(النحل: ٩٤)

ففي هذه الآية الكريمة ينهانا الله - تعالى - عن اتخاذ الإيمان سبيلاً وطريقاً للغش والخديعة أي: ولا تتخذوا - أيها المؤمنون - الحلف بالله - تعالى - ذريعة ووسيلة إلى غش الناس وخداعهم، فقد جرى العرف في المعاملة بين الناس أن يطمئنوا إلى صدق من يقسم لهم بالله - تعالى -، فلا تجعلوا هذا الاطمئنان وسيلة للكذب على الناس، وبالدخول في الشر ونشر الفساد في المجتمع إذا استبان للناس كذب الحالف بالله..

﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾

الزلل: الخروج عن الطريق المستقيم، أي لا تتخذوا إيمانكم وسيلة للغش والخديعة والإفساد بين الناس، فتزل أقدامكم عن طريق الإسلام بعد ثبوتها. وتكون العاقبة

﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

أي: ويكون جزاء فعلكم هذا أن تذوقوا العذاب الدنيوي من المصائب ونزول البلاء عليكم بسبب إعراضكم عن تنفيذ أوامر الله ونواهيه، أو بسبب صدكم لغيركم عن الدخول في دين الله، حيث رأى منكم ما

---

(٦) البخاري ومسلم

(٧) تفسير الفخر الرازي جـ٦ ص٨٠

يجعله بقدر منكم ومن دينكم . وسيكون هذا العذاب الذي ينزل بكم شديدا تحسون آلامه إحساسا واضحا، كما يحس الشارب للشيء المر مرارته..

قال ابن كثير - رحمه الله -: حذر الله - تعالى - عباده عن اتخاذ الأيمان دخلا، أي: خديعة ومكرا، لئلا تزل قدم بعد ثبوتها: مثل لمن كان على الاستقامة وحاد عنها، وزل عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة، المشتملة عن الصد عن سبيل الله، لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له وثوق بالدين، فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام.

﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

لا يعلم مقدار شدته وألمه وهوله إلا الله - عز وجل - عن أبي علقمة - رضي الله عنه قال: جاء رجل من حضرموت، ورجل من كندة إلى النبي ﷺ، فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي. فقال الكندي: هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق. فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: «ألك بينة؟» قال: لا. قال: «فلك يمينه» قال: يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه، وليس يتورع من شيء. فقال: «ليس لك منه إلا ذلك». فانطلق ليحلف. فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: «أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلما، ليلقين الله وهو عنه معرض»(9).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر، إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار»(10).

قال الماوردي - رحمه الله - في قوله تعالى:

﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾

فيه ثلاثة تأويلات:

«أحدها: احفظوها أن تحلفوا.

والثاني: احفظوها أن تحنثوا.

والثالث: احفظوها لتكفروا».

عن أبي مالك - رحمه الله - قال: «الأيمان ثلاثة: يمين تكفر، ويمين لا تكفر، ويمين لا يؤاخذ بها، فأما التي تكفر فالرجل يحلف على قطيعة رحم أو معصية الله فيكفر يمينه، والتي لا تكفر فالرجل يحلف على الكذب متعمدا ولا يكفر، والتي لا يؤاخذ بها فالرجل يحلف على الشيء يرى أنه صادق فهو اللغو لا يؤاخذ به».

عن سويد بن حنظلة - رضي الله عنه - قال: خرجنا نريد النبي ﷺ ومعنا وائل بن حجر فأخذه عدو له، فتحرج القوم أن يحلفوا، وحلفت أنه أخي، فخلى سبيله، فأتينا النبي ﷺ فأخبرته أن القوم تحرجوا أن يحلفوا وحلفت أنه أخي، قال: «صدقت المسلم أخو المسلم»(11).

---

(9) تفسير ابن كثير جـ2. (9) - مسلم (10) - الموطأ وأبو داود وابن ماجه (11) - أبو داود وابن ماجة

بين الصحف والمجلات

كلمة فخامة الرئيس في طهران

دعا الرئيس محمد مرسي إلى ضرورة توسيع دائرة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن بما يتناسب مع واقع الدول الآن وليس منذ إنشاء المنظمة.



وطالب الدكتور محمد مرسي، في كلمته الافتتاحية لقمة عدم الانحياز بالعاصمة الإيرانية بضرورة تمثيل إفريقيا في مجلس الأمن ومعالجة سلبيات استخدام حق الفيتو، والذي يعطل المنظمة الدولية عن اتخاذ كثير من المواقف أبرزها ما يحدث حاليا في سوريا.

وأكد مرسي على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وأهمية دور حركة عدم الانحياز في دعم الحق الفلسطيني، والاعتراف بحق الفلسطينيين في عضوية كاملة للدولة الفلسطينية في الأمم المتحدة ومساعدة الشعب الفلسطيني ومساعدة السجناء الفلسطينيين لنيل حريتهم.

وتعهد الرئيس بدعم مصر لأي خطوة تتخذها فلسطين للعضوية الكاملة في الأمم المتحدة ودعم المصالحة داعيا الفلسطينيين لإتمام المصالحة وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه كي يركزوا على قضيتهم الحقيقية وهي مقاومة الاحتلال والتحرر منه، وانتقد الرئيس قرار إسرائيل منع بعض وزراء حركة -عدم الانحياز- من دخول رام الله.

كما أكد الرئيس على دعم الشعب السوري ونضاله ضد النظام القمعي معتبرا ذلك حق وواجب.

ودعا دول الحركة جميعا أن تعلن دعمها الكامل غير المنقوص لطلب الحرية في سوريا، وأن يتم ترجمة ذلك في خطوات عملية تدعم الانتقال السلمي لنظام ديمقراطي وبطريقة سلمية، وبما يحفظ سوريا من الحرب الأهلية أو التقسيم.

ودعا الرئيس إلى توحيد صفوف المعارضة السورية دون تفرقة أو تمييز، مضيفا أن مصر على أتم استعداد للتعاون مع كل الأطراف سعيا لحقن الدماء والاتفاق على سوريا الجديدة التي يتوق إليها كل سوري.

ونوه إلى أن مصر تقدمت بمبادرتها لحل الأزمة السورية داعيا الأطراف المختلفة لإيجاد الحل المناسب لهذه المأساة وتحقيق التطلعات المشتركة لشعوب الحركة ووقف نزيف الدم السوري معتبرا أن ذلك النزيف في رقاب جميع دول، قائلا: "علينا أن ندرك أن هذا الدم وأولياءه لا يمكن أن يتوقف بغير تدخل منا جميعا لوقف هذا النزيف".

وأكد مرسي أن دول الحركة تواجه تحديات تتطلب التعاون لدعم دور الحركة ومنها مبادرات نزع السلاح النووي ومنع انتشاره بما ينطبق على الجميع خاصة أن دول المنطقة انضمت جميعها للمعاهدة باستثناء إسرائيل.

ودعا الرئيس إلى الحفاظ على حق دول المنطقة في الاستخدام السلمي للطاقة النووية.

وطالب مرسي دول الحركة بالتنسيق ومجموعة الـ ٧٧ والصين للتعاون بين دول الجنوب والحوار مع الشركاء الدوليين والتعاون لتنفيذ ما تحقق من إنجازات وتحقيق التعاون الدولي في مجال التنمية المستدامة وتحقيق تطلعات الشباب، وتمكين المرأة ومنع التمييز ضدها.

أكد الرئيس على أن نجاح حركة عدم الانحياز ارتبط بتوحيد مواقفها وتنوع أعضائها والتفاعل المستمر مع التفاعلات الدولية دون التخلي عن ثوابت الحركة ومبادئها، داعيا إلى التمسك بها وترجمة زيادة عدد أعضاء الحركة إلى التأثير في الأحداث الدولية.

وقدم مرسي تقريرا عن قيادة مصر للحركة خلال السنوات الثلاث الماضية منذ قمة شرم الشيخ عام ٢٠٠٩ م داعيا الحضور إلى انتخاب الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد رئيسا للحركة في دورة قمتها السادسة عشر والتي تستمر إلى ثلاث سنوات مقبلة.

وأكد أنه جاء لتسليم إدارة الحركة من مصر إلى إيران الشقيقة، مؤكدا أمله في قدرتها على قيادة الحركة بما يدعم تماسكها في إطار من الشفافية والواقعية، والحفاظ على الإنجازات التي تحققت على مدار نصف قرن، مؤكدا أن مصر ستظل ملتزمة بدعم دور الحركة لتحقيق السلام الدائم والشامل العادل.

الخوف من نجاح مرسي!!

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ جمال سلطان المنشور بجريدة «المصريون» الصادرة بتاريخ: ٢٠١٢/٨/٢٦م يقول:

في مصر الآن أغرب معارضة سياسية في العالم، ففي أي ديمقراطية في الشرق أو الغرب يكون تحرك المعارضة في التشريع والبرلمان، احتجاجا على فشل السلطة أو اعتراضا على رئيس الدولة أو رئيس الوزراء حسب النظام السياسي، إذا تسبب في انهيار خطير في الاقتصاد أو انتكاسات سياسية أو أمنية خطيرة كانت سياسته سببا فيها، وهذا عادة يحدث بعد عدة سنوات من الممارسة السياسية للسلطة، وليس بعد أسبوع أو أسبوعين، باختصار تتحرك المعارضة عندما يفشل الرئيس أو تفشل السلطة. أما في مصر فإن المعارضة تتحرك وبسرعة عندما ينجح الرئيس أو خوفا من نجاح الرئيس، وإلا فليشرح لي أحد، بالعقل والمنطق، ما معنى أن يتحدث معارضون عن مظاهرات حاشدة ضد الرئيس مرسي بعد أقل من شهرين من توليه السلطة في مدة ولاية قانونية أربع سنوات بعد أن انتخبه ملايين الشعب المصري بإرادة حرة، والحقيقة التي سبق أن كتبتها الشهر أن هناك في مصر من يخاف من نجاح محمد مرسي، هناك من يفزعه أن يحقق الرئيس الإسلامي نجاحا اقتصاديا أو أمنيا أو تنمويا أو سياسيا بما يعزز حضوره الشعبي ويصب في رصيد التيار الإسلامي عند صندوق الانتخابات، هو صراع أيديولوجي يحاولون حسمه في الساحة السياسية، ففريق كبير من المعارضة المصرية لا يمانع خراب ولا انهيار واحتلال مصر ومؤسساتها ودولتها لا لشيء، إلا لكي يفشل الرئيس محمد مرسي، ولا يتمكن من النجاح، ولذلك يحاولون إرباكه واستفزاز مؤسسة الرئاسة بشكل دائم والحديث الدائم عن أخونة الدولة، وأنا لا أعرف ما هي هذه الأخونة التي تمت لدولة بحجم مصر في أقل من شهرين، هذه هلاوس لا تليق بالعقلاء، ولكن المسألة في جوهرها هو محاولة قطع الطريق على الدكتور محمد مرسي ومنعه من العمل ومنعه من الحركة ومنعه من الإنجاز.

سياسة مصر الخارجية

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ محمد حبيب المنشور بجريدة «المصري اليوم» الصادرة في ٢٥/٨/٢٠١٢م يقول:

لا شك أن معظم علاقات مصر الدولية في أمس الحاجة إلى إعادة نظر فيها بما يحقق مصلحتها أولا من جانب، وبما يؤدي إلى استعادة مكانتها وصدارتها الإقليمية من جانب ثان، وبما يجعلها قادرة على القيام بدورها المحوري والاستراتيجي على المستويين الإقليمي والدولي.

فعلاقات مصر مع الدول العربية يجب أن تكون لها الأولوية، فما يجمعنا كثير، كروابط اللغة والدين والتاريخ والمصالح المشتركة، ولا تقل أهمية عن ذلك دول العالم الإسلامي، وإذا كان عالم اليوم هو عالم التكتلات الكبيرة، فإنه يصبح من المهم أن يكون هناك تكامل على مستوى العالمين العربي والإسلامي في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وربما السياسية أيضا، ولا شك أن ذلك سوف يعمل على مواجهة المشروع الأمريكي الصهيوني

الذى يستهدف تفتيت المنطقة وتركيع الأمة والقضاء على خصوصيتها الثقافية وطمس معالم تراثها الحضارى.. لابد أن يتم تواصل وتطوير للعلاقات بين مصر وإيران، بين مصر والصين، وبين مصر ودول أمريكا اللاتينية، بجانب أن تكون هناك علاقات واضحة وقائمة على الندية مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى.. ولا يخفى أن العلاقات الدولية تحكمها المصالح لا العواطف، وهى على وجه العموم علاقات متشابكة ومتداخلة، فالولايات المتحدة على سبيل المثال رغم العداوة الظاهرة مع إيران إلا أن بينهما نوعاً من التنسيق فيما يخص العراق وأفغانستان.. وهكذا.

ومن المشكلات الحيوية التى تهم مصر بالدرجة الأولى مشكلة حوض نهر النيل، حيث تمثل قضية الحاضر والمستقبل. الأمر الذى يتطلب وضع استراتيجية جديدة فى التعامل معها... فالزيارات المستمرة لرؤساء دول الحوض والتواصل معهم، بل تقوية الصلة بهم وإيجاد علاقات ثنائية مع كل دولة منهم على المستوى الزراعى والصناعى والتجارى والثقافى، أمور مهمة وضرورية للغاية. وفى هذا الصدد يجب أن تشهد العلاقة مع السودان تحسناً واهتماماً خاصاً فى الأيام المقبلة. فهى العمق الاستراتيجى والمدخل الطبيعى لإفريقيا. وقد أصبح ذلك ضرورة ملحة بعد انفصال الجنوب عن الشمال. وما يحدث فى الجنوب الآن غنى عن البيان.

الإسلام فى قفص الاتهام

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ: عثمان ميرغنى المنشور بجريدة «الشرق الأوسط» الصادرة بتاريخ ٥/ ٩/ ٢٠١٢م يقول:

أصبح من المعتاد أن يقحم الإسلام فى النقاش والجدل بطريقة أو بأخرى كلما وقع عمل إرهابى فى أى مكان بالعالم.. قضية الإرهابى النرويجى أندرس بيرينغ بريفيك الذى صدر الحكم بسجنه بعد محاكمة استمرت ثلاثة عشر شهرا تقريبا أثير خلالها الكثير من النقاش والجدل. فهذه القضية هى النموذج الأحدث على خطورة النقاش المنحرف عن الإسلام والمسلمين، والكتابات والتصريحات التى تنشر أجواء العداء والكراهية ويتغذى منها المتطرفون وأصحاب الغرض.

بريفيك الذى ارتكب مجزرة بشعة راح ضحيتها ٧٧ من الأبرياء، ومعظمهم كانوا من الشباب الذين شاءت الأقدار أن يوجدوا فى المكان الذى اختاره هذا القاتل المنحرف لتنفيذ جريمته، سلط الأضواء على تنامى أفكار التطرف والعنصرية ضد المهاجرين المسلمين، اعترافات بريفيك ثم محاكمته، إذ تبين أنه ينتمى إلى تيار متطرف يتغذى من أجواء العداء للإسلام وللمهاجرين المسلمين خصوصا فى أوروبا حيث ينمو تيار لا يستهان به من العنصريين الذين يروجون لنظرية أن الإسلام خطر زاحف يجب التصدى له ووقفه، وطرد المهاجرين المسلمين وإنهاء ما يسمى بـ«الثقافات الموازية» التى يقولون إنها تريد فرض أفكارها وتقاليدها وترفض الاندماج.

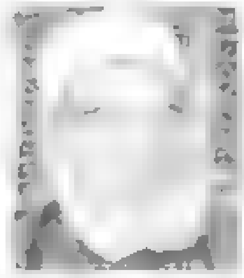
فالإرهابى النرويجى أعلن أنه نفذ عمليته، التى بدا فخورا بها وغير نادم إلا لكونه لم يحصد عددا أكبر من الضحايا، لأنه أراد إيقاظ بلاده وأوروبا للخطر الإسلامى الذى يهدد الحضارة الغربية. وحتى لا يترك مجالا لأى شك حول دوافعه فقد أرسل لعدد من وسائل الإعلام فى يوم تنفيذه لعمليته بيانا من ١٥٠٠ صفحة تحت عنوان «إعلان أوروبى للاستقلال» ضمنه أفكاره الكارهة للإسلام وللمهاجرين المسلمين الذين طالب بترحيلهم «حفاظا على الهوية الأوروبية»، و«دفاعا عن الحضارة الغربية». وعن أسبابه لاختيار هدفيه سواء بتفجير شحنة متفجرات فى منطقة المجمع الحكومى فى أوسلو، أو مهاجمة المشاركين فى المعسكر الصيفى لشباب حزب العمال النرويجى، قال بريفيك: إنه يعتبر الحكومة مسئولة عن وضع النرويج فى جحيم التعددية الثقافية.. وهو تعبير يعكس خطورة بعض جوانب الجدل فى عدد من الأوساط الأوروبية والغربية بشأن الإسلام ووضع الجاليات المسلمة فى الغرب. وهو جدل يغذيه بعض السياسيين والكتاب ومن يسمون بالمفكرين الذين يكثرون من الحديث عن «التطرف الإسلامى»، أو يروجون لفكرة الخطر الإسلامى على القيم الغربية ويقولون: إن الكثير من المهاجرين الإسلاميين يرفضون الاندماج فى مجتمعاتهم الجديدة ويريدون فرض ثقافة موازية.

المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل على سبيل المثال أثارت جدلا واسعا عندما أعلنت أن التعددية الثقافية فشلت تماما، حيث فهم كلامها على أنه موجه تحديدا للمسلمين الذين يقدر عددهم فى ألمانيا بنحو أربعة ملايين. خصوصا أنها أشارت إلى العمال الأجانب. ومعظمهم كانوا من الأتراك الذين جاءت بهم ألمانيا حيث قالت: «اعتقدنا فى الستينيات أننا أحضرنا عمالا ضيوفا على أنهم سيغادرون، لقد كذبنا على أنفسنا طويلا وقلنا إنهم لن يبقوا طويلا وهذا غير صحيح». وأضافت أن مقاربة التعددية الثقافية التى تعيش جنبا إلى جنب سعيدين بعضنا البعض هذه المقاربة فشلت فشلا تاما.

ميركل ليست وحدها بالطبع التى تقول كلاما يؤجج الجدل حول وضع المسلمين فى أوروبا. فالرئيس الألمانى يواخيم غاوك أثار انتقادات واسعة بتجرده من بنيه بمنصبه هذا العام عندما قال إن ألمانيا لا تريد مجتمعات موازية. كذلك فإن رئيس الوزراء البريطانى ديفيد كاميرون تعرض لانتقادات عندما بدا وكأنه ينضم إلى ميركل فى الحديث عن فشل التعددية الثقافية، أو فى مطالبته للمسلمين بأن يثبتوا أن الإسلام يمكن أن يتعايش مع الديمقراطية. هذه التصريحات تسهم فى الجدل الدائر حول الإسلام ووضع المهاجرين المسلمين. لكنها لا تقارن بالطبع مع طروحات أحزاب اليمين المتطرف والعنصرى فى أوروبا أو فى أمريكا وهى تصريحات تفصح بالعداء التام للإسلام والمسلمين. وتنتج عنها تصرفات حاقدة وحماقة مثل حرق القس الأمريكى تيرى جونز وزميله وين ساب لنسخ من القرآن.

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام (٨)

حق التكافل الاجتماعى



أ.د. محمد المختار المهدى

للإسلام نظام فريد متكامل يخلق الجو الصحيح للمودة المتبادلة بين أفراد المجتمع. ويستعمل المال وسيلة لتحقيق هذا الهدف. ولضمان مستوى معيشى لائق بكرامة الإنسان. ولذلك نراه حريصا على تكافؤ الفرص وحماية المجتمع من البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة.

إن الفرد الذى أصيب بعاهة تمنعه من أداء العمل وليس لديه من المال ما يكفل له المعيشة الطيبة، وإن الضعيف الذى لا تمكنه طاقاته من اكتساب أجر يضمن له تلك الحياة المناسبة، وإن اليتيم الذى فقد أباه وليس لديه ما يساعده على [illegible] حتى ينتفع المجتمع من مواهبه وطاقاته، وإن الأرمل التى فقدت زوجها -وهو يعمل فى خدمة الأمة- ولم يترك لها ما يكفيها وعياله، وإن الشيخ الهرم الذى استنفد قواه لصالح هذا المجتمع، ولم يستطع توفير ما يحفظ [illegible] - ومثلهم كثير فى كل مجتمع - لا يتفق مع كرامة الإنسان، ولا كرامة الأمة أن يتركوا هملا بلا رعاية، بل إنه لا يتحقق الأمن عند العامل إذا رأى زميله -الذى أصابته محنة فى بعض أعضائه، أو أصابه الكبر والشيخوخة- مهملا ضائعا بلا كفالة ولا ضمان من المجتمع.. من أجل هذين الهدفين:

١ - مراعاة الكرامة الإنسانية.

٢ - تحقيق [illegible] والأمن عند الأفراد [illegible]

شرع الإسلام من وسائل التضامن الاجتماعى ما يهيىء للجميع حياة طيبة وكريمة، بحيث لا يوجد فى هذا المجتمع -الذى يطبق هذه الوسائل- عاجز ولا فقير ولا محتاج.. ولقد حقق هذا الأمل الكبير سيدنا (عمر بن عبدالعزيز) فى مدة لا تتجاوز ثلاثين شهرا، هى كل المدة التى حكم فيها الدولة الإسلامية الواسعة. من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.. فلقد روى المؤرخون أن (يحيى بن سعيد) قال: «بعثنى عمر بن عبدالعزيز عاملا على صدقات إفريقية. فاقتضيتها وطلبت الفقراء لأعطيها إياهم، فلم نجد بها فقيرا، ولم نجد من يأخذها. لقد أغنى عمر الناس، فاشتريت بها عبيدا وأعتقتهم وجعلت ولاءهم للمسلمين».

ذلك أن الإسلام يوزع الثروات توزيعا عادلا يحقق كل هذه الأهداف النبيلة.. لقد فرض نظام الزكاة وجعله ركنا من أركان الإسلام فى [illegible] الثروة فى الزروع، والثمار، والتجارة، والأنعام، والذهب، والفضة والركاز.. وحدد مصارفها فجعلها من الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والمكاتبين والغارمين وأبناء السبيل وفى سبيل الله.. وسلك مانعى هذه الزكاة وجاحديها مع الكافرين والمرتدين عن دين الله تعالى لدرجة جعلت (أبا بكر) رضى الله عنه يحاربهم ويقول: «لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه».

وشرع مع الزكاة صدقة التطوع ورغب فيها [illegible] الرحمة والإنسانية فى النفوس المؤمنة. قال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[1]، وقال ﷺ: «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»[2]، وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا»[3] وشبك بين أصبعيه. وقال ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى»[4].

وأوصى الإسلام بالجار ذى القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب. قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[5]. وقال ﷺ: «ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع»[6].

وأوجب على الأغنياء نفقة أقاربهم [illegible] وعلى [illegible] وعلى الزوج نفقة الزوجة والأطفال.. وعلى المجتمع أن يتضامن فى القضاء على الجوع والفاقة والحرمان.. وعلى بيت المال أن ينفق على الزمن والشيخ الفانى، والمريض، والعاجز، والمرأة التى لا عائل لها ولا مال عندها.

حق التكافل للمسلم ولغيره

ولا فرق فى تعاطف المجتمع الإسلامى بين مسلم وغير مسلم. قال (ابن عباس) لغلامه -وهو يذبح شاة-: يا غلام لا تنس جارنا اليهودى -ثلاث مرات- فقال الرجل: لم تقول ذلك يا ابن عباس؟ فقال: والله إن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».. ورأى (عمر) شيخا يتسول وهو يهودى فقرر له نفقة من بيت المال وقال: «ما أنصفناك إذ أخذنا منك الجزية وأنت شاب، وتركناك تتسول وأنت شيخ».

وكتب (خالد بن الوليد) فى معاهدة الصلح مع أهل الحيرة المسيحيين: «وجعلت لهم أى شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت

---

(١)، (٢) أخرجه مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر - حديث رقم ٧٠٢٨

(٣) أخرجه البخارى - كتاب الأدب - باب فضل من يعول يتيما - حديث رقم ٦٠٠٥

(٤) أخرجه أبو داود - كتاب الأدب - باب فى الرحمة - حديث رقم ٤٩٤٢

[illegible] - حديث رقم ٦٠١٤

[illegible]

مال المسلمين هو وعياله ما أقاموا بدار الإسلام.

هذه هي العدالة الإسلامية في أسمى معانيها.. وهذا هو التضامن الاجتماعي الحق فليقارن من أراد أن يقارن بين هذه القوانين، وبين ما استحدث من قوانين، ليجد السمو والعظمة يتبديان بوضوح كامل في تشريعات الإسلام.

حق الإعفاف

هذا الحق مما تفرد به الإسلام، فلم ترد له إشارة في ميثاق الأمم المتحدة من حيث إنها تتبنى فكر الغرب الذي يبيح تصريف الشهوة في غير مؤسسة الأسرة.. بل ويحث الشباب من المراهقين والمراهقات على الاتصال الجنسي قبل الزواج، أما الإسلام فيرى أنه إذا بلغ الشاب مبلغ الرجال.. وبلغت الفتاة مبلغ النساء، فمن حقهما على المجتمع أن يؤسسا أسرة، وأن يسهم في جمعهما لإعفافهما في بيت مستقر ترفرف عليه السعادة والهناء والاطمئنان، دون عقبات أو عراقيل.. قال تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾

(النور: ٣٢)

وقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[7].

والزواج في الإسلام له أهداف سامية تتجاوز حدود المتعة الجسدية إلى أفق من السمو الروحي، بالسكن والمودة والرحمة قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(الروم: ٢١)

وهو عماد الأسرة.. والأسرة عماد المجتمع.. وكلما كان الزواج قائما على أسس متينة كانت الأسرة قوية.. وسعد تبعا لها، وانعكست القوة والسعادة على المجتمع الذي هي لبنة من لبناته.

لذلك شرع الإسلام نظما محكمة تمنع الشطط في الاختيار.. وتمنع أن يكون الاختيار لأسباب سريعة الزوال. منها: مراعاة جانب معنوي من جانب الحسي في الاختيار.. من حسن الطبع والأخلاق والدين.. قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[8].

ولكي يتوفر الاختيار الصحيح.. شرع الإسلام (الخطبة) وأباح للخاطب والمخطوبة أن يرى كل منهما الآخر في حضرة المحارم، قبل الزواج حدودا محددة من التعارف منها التلاقي، وما تناكر منها اختلف.. وحدد هذه الرؤية ما يتفق وما عادة من المرأة المسلمة. ويدل في نفس الوقت على الحسن

---

(7) [illegible]

(8) أخرجه البخاري - كتاب النكاح - باب الأكفاء في الدين - حديث رقم ٥٠٩٠

والجمال.. وهو الوجه والكفان.

عن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «أنظرت إليها؟» قلت: لا، قال: «فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما»[9].

وكما أعطى الإسلام هذا الحق للرجل أعطاه كذلك للمرأة، فهو حين يراها مكشوفة على الوجه سيتراءى هي أيضا.. ولقد أعطى لها الإسلام حق الاختيار ولكن في صورة من الحياء تتفق مع طبيعة الأنوثة التي يزيدها الحياء جمالا وكمالا.. بحيث يستأذنها وليها إن كانت بكرا.. ويستأمرها إن كانت ثيبا.. قال ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت»[10].

ثم بعد هذه المقدمات المهمة يأتي عقد الزواج الذي يسميه الإسلام في القرآن الكريم بالميثاق الغليظ.. ويحرص الإسلام على حياطته برعاية خاصة.. فيؤكد على الرجل أن يستوصي بزوجته.. وأن يكون لها الراعي الأمين، والشريك الحريص على إسعادها حق الزوجة.. في إطار الإخلاص والرحمة.. قال ﷺ: «استوصوا بالنساء»[11].. وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»[12].

ويؤكد على المرأة كذلك أن ترعى حقوق زوجها.. وأن تكون في طاعته.. قال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[13].. وقال ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»[14].

معالجة الشقاق بين الزوجين

فإذا حدث شقاق بينهما طلب الإسلام من الزوج أن يتريث ويتأنى ولا يتعجل.. قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

(النساء: ١٩)

وقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[15].. وبذلك يتغلب على الخلاف الطارئ الذي قد يهدد الأسرة بالانهيار.. فإذا حدث الشقاق من ناحيتها فللزوج أن ينصحها بالكلام اللين وبأسلوب الملاطفة.. فإن أصرت فله أن يهجرها في

---

(9) أخرجه النسائي - كتاب النكاح - باب إباحة النظر قبل التزويج - حديث رقم ٣٢٣٥

(10) أخرجه البخاري - كتاب النكاح - باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها - حديث رقم ٥١٣٦ وأخرجه مسلم - كتاب النكاح - باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت - حديث رقم [illegible]

(11) أخرجه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته - حديث رقم ٣٣٣١ وأخرجه مسلم - كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء - حديث رقم ٣٦٣٠

(12) أخرجه الترمذي - كتاب المناقب - باب فضل أزواج النبي - حديث رقم ٣٨٩٥

(13) أخرجه أحمد - مسند عبد الرحمن بن عوف - حديث رقم ١٦٦٤

(14) أخرجه الترمذي - كتاب الرضاع - باب ما جاء في حق الزوج على المرأة - حديث رقم ١١٦١

(15) أخرجه مسلم - كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء - حديث رقم ٣٦٣١

للنصح. فإذا عاندت فله أن يضربها ضربا خفيفا غير مبرح. فإذا لم يحدث وفاق بعد هذه الوسائل [illegible] مكونة من مندوب عن الزوج من أهله، ومندوب عن الزوجة من أهلها

• [illegible] •

(النساء ٣٥)

فإذا وجدنا أن الشقاق قد اتسع، وأن الرأب لن ينصدع، وأن الحياة بينهما صارت جحيما لا يطاق، فإن الإسلام يبيح في هذه الحالة الطلاق، ولكنه حين يبيحه يضع له نظاما خاصا يكون به طلاقا سنيا [illegible] الإسلام [illegible] إلا في حالة طهر من الدورة الشهرية، ولم يقربها في هذا الطهر [illegible] الخاصة التي هي مدعاة لكمال الرغبة في المرأة.. إذا ظل الخلاف مستمرا فإن الرجل لن يقدم على الطلاق حينئذ إلا [illegible] الصلة قد انقطعت ولم يعد للحياة الزوجية [illegible]

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ: «مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»[16].

وهو حين يقدم على الطلاق يطالبه الإسلام أن يوقع عليها طلقة واحدة رجعية، ويطالبه كذلك بأن يبقيها في بيت الزوجية مدة العدة لا تخرج منه إلا أن تأتي بفاحشة مبينة. وفي أثناء العدة وهي مدة [illegible] له حق مراجعتها بدون تعقيدات ولا معوقات

• وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا •

(البقرة ٢٢٨)

فإذا ما انتهت العدة صارت غريبة عنه، ولكن الإسلام يبيح لهما أن يعودا إلى حياة الزوجية بعقد جديد.. وقد وضع الإسلام [illegible] فأعطاهما حق الطلاق والعودة مرتين. قال تعالى

• الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ •

(البقرة ٢٢٩)

كما [illegible] الطلاق أن يكون هناك شاهدان حتى يبدلا جهدا في منع وقوعه. قال تعالى:

• وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ •

(الطلاق ٢)

والإسلام لا يضع كل هذه التشريعات إلا ليحصر الطلاق في دائرة الضرورة، حفاظا على حق الأولاد في حماية الأسرة ورعايتها، والحيلولة بين انهيار الأسرة وتشريد النشء الجديد.

---

(١٦) أخرجه البخاري - كتاب الطلاق - باب قوله تعالى «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» - حديث رقم [illegible]

دور عالمي للأزهر في نشر الدين السمح وإبراز وسطية الإسلام ومعاني العدل والرحمة

[illegible]

إن أفضل ما نختتم به هذه السلسلة من المقالات حول كتاب «دور الأزهر في السياسة المصرية» لمؤلفه الأستاذ الدكتور سعيد إسماعيل علي رأيه الذي نشره في كتابه هذا بالهلال عن الدور الذي لعبه بالنسبة لبعض قضايا العالم الإسلامي. ونلقي الضوء على شذرات منها نقول في البداية إن تاريخ مصر يشهد بأن علماء الأزهر كانوا دائما منارات الهدى، وقادة النهضة والتنوير. حيث ينتشرون في كل بلاد الأمة الإسلامية يدعون لوسطية الإسلام وسماحته وعدله.

وطوال تاريخه، كان الأزهر يفتح أبوابه لكل أبناء المسلمين في مختلف الأقطار، وهو بحكم هذا، وبحكم وجوده في مصر بوزنها السياسي، كان يجب أن يكون له رأي وموقف فيما كان يواجهه العالم الإسلامي من مشكلات وقضايا. وتأتي قضية «الخلافة» في مقدمة هذه القضايا والمشكلات.

[illegible] هنا هو متابعة بعض الأوساط الإسلامية خارج مصر للنقاش الذي دار حول كتاب علي عبدالرازق. فقد ذكر [illegible] في تونس أن عددا من علماء [illegible] محمد [illegible] على [illegible] كتاب «الإسلام وأصول الحكم» [illegible] بعضهم قد عزم على الكتابة في الموضوع، وكان أول من بدأ منهم الشيخ محمد الطاهر عاشور كبير علماء المالكية ورئيس مجلسهم الشرعي [illegible]

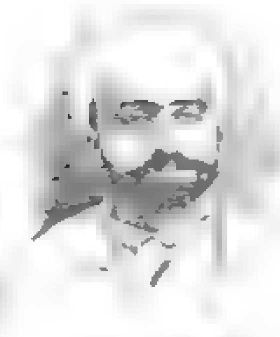
ومن جهة أخرى، [illegible] رأي [illegible] في جريدة [illegible]

حدث بانه يؤكد أن مصر قد سارت إلى الوراء وبدى بصورته في هذه الحادثة ... كما يشير المراسل من تونس - إنما هو تدخل أعيان علمائنا في الأمر ووقوفه موقف الخصم ... الشيخ ... على عبد الرازق الذي أراد - وإن أخطأ - خدمة الإسلام وتخليصه من وصمات ظاهرة ألصقها الجهلاء».

ازدياد مكانة الأزهر

يشير د. سعيد إسماعيل إلى أن إلغاء الخلافة أدى إلى ازدياد مكانة الأزهر، فأصبح هو رمز الجامعة الإسلامية، ووضع لدى المسلمين عنه وعي بالأعباء الجديدة التي أصبح يتحملها، وظهر ذلك جليا في ذلك البيان الذي أذاعته مشيخة الأزهر سنة ١٩٣٠ عندما اشتدت حملة الفرنسيين على الإسلام، واللغة العربية بين مسلمي المغرب. وجاء في البيان:

«لقد ارتحت إلى ما تضمنه بيان المفوضية الفرنسية من أن فرنسا واقفة في المسائل الدينية على الحياد وأن البربر مسلمون وسيبقون مسلمين، وأنه بتشجيعها رممت مساجد كثيرة في بلاد المغرب الأقصى، ولكنني لم أر فيه ما يكشف الحقيقة من جميع وجوهها، ولا ما يرد على كل التفاصيل التي وردت بها الأنباء. وكانت سببا في هياج الرأي العام الإسلامي، فهو لم يتعرض لما قيل من إرسال ألف راهب إلى تلك النواحي لتشجيع التبشير المسيحي، ولا لما قيل من إلغاء المكاتب القرآنية والمحاكم الشرعية ولم يبين ما هو نظام الإرث الذي قيل إنه سيطبق عليهم ... ولا ما هي الأحكام الشخصية التي أقرت إليهم الآن




محمد الطاهر عاشور — علي عبد الرازق

أيضا، مع أنهم ماداموا مسلمين لا يجوز شرعا أن يكون لهم نظام إرث غير نظام الإرث الشرعي، ولا أحوال شخصية غير النظام الإسلامي، وتلك هي النتيجة المنطقية لأنهم مسلمون وسيبقون مسلمين...».

وختم الشيخ الأكبر بيانه بقوله: «وإني بصفتي الدينية التي أعمل بها على توطيد دعائم السلم ومعاملة الأجانب من أي دين أو أي جنس بالحسنى والتسامح، آملين من القائمين بالأمر أن لا يساعدوا على ما يثير خواطر المسلمين، وأن يعملوا على إعادة الاطمئنان إلى تلك البلاد الإسلامية».

وهذا الوعي الذي يبدو في الفقرة الأخيرة من البيان - كما يشير الكاتب - قد بدا كذلك في تقديم «مجلة نور الإسلام» الأزهر بعد ذلك لهذا البيان حيث ذكرت: «وردت رسائل من نواح متعددة تطلب من مشيخة الأزهر بما لها من حق الدفاع عن حقوق المسلمين الدينية أن تقول كلمة في هذه المسألة».

المكانة الكبيرة

ونجد صورة أخرى من المكانة الكبيرة التي احتلها الأزهر بين ربوع العالم الإسلامي بعد إلغاء الخلافة في الاستفتاء الذي بعث به أحد مدرسي اللغة العربية في زنجبار يسأل عن:

١ - حقيقة الأخوة الإسلامية المراد بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(سورة الحجرات ١٠)

وعن حقيقة معنى دار السلام، وحق المسلم فيها، وإن لم تكن هي وطنه.

وقد جاء في رد المجلة الناطقة بلسان الأزهر:

«إن دار الإسلام هي التي تجرى فيها أحكام الحنيفية السمحة، وتعتبر بالنسبة للمسلمين بلدا واحدا.

وبعبارة أخرى دار الإسلام هي الإقليم الواقع تحت ولاية ملك مسلم تجرى فيه أحكام الإسلام، فكل مملكة من ممالك الأرض جرى الأمر فيها على الوصف الذي قدمناه تعتبر دار إسلام وإن اختلفت هذه الممالك باختلاف الملك والمنعة؛ إذ لا عبرة باختلاف الدار في حكم المسلمين بعضهم مع بعض، لأن حكم الإسلام يجمعهم فالممالك الإسلامية كلها في حكم المملكة الواحدة. والدين الذي يوجب القصاص، فيقتل المسلم بالذمي، والحر بالعبد، حفظا للدماء وصيانة للأنفس، لا يبيح لأهله أن يتفرقوا شيعا مهما اختلفت الدار، ولا يجيز لأهله أن يعاملوا بعضهم بعضا معاملة غير جائزة. فليس من الجائز في الدين أن يعامل مسلمو إفريقية مسلمي آسيا معاملة لا يرضونها لأنفسهم، متذرعين بأنها ليست موطنا لهم، فإن ذلك من حمية الجاهلية التي نعاها الله على مشركي العرب.

والأخ المسلم من أي قبيلة أو أية قارة أخ للمؤمن في الدين، لأن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب، والنسب اللاحق ما دل على أن فضل الأخوة النسبية لم ينقص عنها.



سعيد إسماعيل علي

والأخوة المؤمن للمؤمن معناها أن كلا منهما انتسب لأصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، والذي هو جماع الفضل ومكارم الأخلاق، ومنشأ المجد والسؤدد».

وقد كان للأزهر دوره فيما يحدث من «الفظائع» التي كانت تحدث خاصة الاضطهاد الديني من قبل الروس تجاه مسلمي القوقاز.

وأشار الدكتور سعيد إسماعيل إلى تلك الدعوة من السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين إلى مؤتمر ينعقد في القدس يوم ٢٦ رجب سنة ١٣٥٠، وجاء في الدعوة أن الغرض من المؤتمر النظر في أمور تهم المسلمين، وأشيع مع هذا أن المؤتمر سينظر في مسألة الخلافة.

ولم يكن هذا بطبيعة الحال مما يسعد القصر الملكي في مصر؛ ذلك لأن مناقشة قضية الخلافة بعيدا عن أرض مصر، وفي القدس من شأنه أن يبعدها عنه، ومن هنا كان تحفظ، كما عبرت عن ذلك مجلته: «ولما كانت الخلافة أمرا خطيرا في الإسلام لا يجوز طرحها في أي مؤتمر إلا بعد روية، ويجب أن تكون الدعوة إليها صريحة لكي يتمكن مندوبو الأقطار الإسلامية من

[illegible] تحقيق واستقلال [illegible] حتى لا نقع في [illegible] كانت قد جرت في [illegible] قبل. ونحن نرجو أن لا يكون شيء من تلك الأقاويل صحيحا، فإن الخوض في مسألة الخلافة لم يحن بعد».

الأزهر يفتح أبوابه لطلاب المسلمين

وللحديث عن دور الأزهر العالمي [illegible] الأزهر أبوابه أمام طلاب جميع البلدان الإسلامية. فقد [illegible] جريدة الأهرام [illegible] على علوبة عضوى الوفد الإسلامي إلى الهند قالا فيه عن الجامعة الأزهرية «إن التعليم فيها يكاد يكون [illegible] الأجانب فيها!».

فقابل مندوب الجريدة شيخ الأزهر وسأله رأيه في هذا الموضوع فأبدى دهشته العميقة لأن يصدر هذا الكلام من هاتين [illegible] الأزهرية «مازالت منذ إنشائها منهلا عذبا يرده أبناء المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباين لغاتهم ولهجاتهم، وما ردت طالبا خيبته. كذلك أشار إلى المادة الثانية من القانون ٤٩ لعام ١٩٣٠م، حيث نصت على أن «الجامع الأزهر والمعاهد الدينية معدة لقبول الطلبة المسلمين أيا كانت جنسيتهم.. بل لقد منحت القوانين المتبعة [illegible]



زملائهم المصريين. وأثبت شيخ الأزهر أن الجامع كان به ١٨ أروقا معدة لهؤلاء تضم ٦٤٣ عالما من جنسيات مختلفة وأقطار [illegible]

وقد أرسل الأزهر بعوثا من علمائه المبرزين إلى الأمم الإسلامية المختلفة لبث الثقافة الدينية والدعوة إلى الإسلام في بلاد [illegible]

فأرسل بعثات إلى الصين والحبشة [illegible] ونشوء قسم الوعظ والإرشاد سنة ١٩٢٨م بناء على اقتراح الشيخ المراغي، حيث أقنع صديقه محمد محمود رئيس الوزراء بأن في تعيينهم خدمة [illegible] كانوا يعينون في وزارة

الداخلية.

وقد امتد نشاط الوعاظ إلى الشعوب العربية، فذهب بعضهم إلى ارتيريا.. وبعضهم إلى السودان.

كذلك صدر قرار بتكوين لجنة الفتوى بالأزهر في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ - ١١ - ٨ - ١٩٣٥، وكان الغرض منها سد حاجة كان يشعر بها المسلمون في [illegible] فقد كانت ترد إلى الأزهر استفتاءات كثيرة في [illegible] وكان أصحاب هذه الاستفتاءات يطلبون الإفتاء على مذهب معين، أو من غير تقيد بمذهب معين.. لهذه الحاجة ولأهمية المسائل التي كان يطلب من الأزهر إصدار الأحكام فيها، رأى المراغي تكوين لجنة من العلماء الثقات لتضطلع بهذا العبء الجليل.



******

[illegible] الإسلامي [illegible] الوسطي، الذي يحمل كل معاني التسامح [illegible] الإسلام عالية خفاقة في كل أنحاء الدنيا.

ومن يقرأ السطور الأخيرة من هذا المقال يكتشف [illegible] الطلاب الوافدين الآن من كل البلاد الإسلامية، وما يتحمله الأزهر من أعباء يؤديها عاما بعد عام بصبر وأناة وبلا ضجيج أو حديث عما تتكبده ميزانية الدولة من [illegible] ولتشهد الدنيا له بالدور الكبير من أجل عالمية الإسلام ونصرة المسلمين في كل مكان.

وها نحن نرى أن دور الأزهر ورسالته في بلد تستحق كما يقول فضيلة الإمام الأكبر [illegible] بليلة القدر: «إن مصر تستحق من الشرفاء بذل ما في وسعهم للانطلاق نحو الاستقرار».

أكاذيب يدحضها التاريخ

منذ احتلال إسرائيل مدينة القدس عام ١٩٦٧م لم تأل إسرائيل جهدا في سبيل دعم وجودها غير المشروع في هذه المدينة المقدسة، واتخذت إسرائيل عدة إجراءات استهدفت من ورائها - ومازالت - تهويد المدينة وظهر ذلك من خلال:

١) استبدال القوانين الصهيونية بالقوانين المحلية وتغيير العملة.

٢) هدم الأحياء العربية والإسلامية وبناء المستعمرات "المستوطنات" لإحلال اليهود محل العرب.

٣) انتهاك حرمة المسجد الأقصى عن طريق ارتياده في ملابس منافية للحشمة واستباحة دخوله في جميع ساعات النهار والتعدى على المصلين.

٤) الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية في القدس.

٥) هدم الأماكن الأثرية المجاورة للمسجد الأقصى.

٦) وكان آخر حلقات هذا المسلسل حفر سلسلة من الأنفاق تحت المسجد.

بداية المؤامرة

بدأت مؤامرات الصهيونية ضد المسجد الأقصى من قبل احتلال إسرائيل إياه، فقد ورد في دائرة المعارف اليهودية أن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم وأن يتقدموا إلى المسجد الأقصى ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا بناء الهيكل ويقيموا ملكهم هناك.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية أن اليهود يتطلعون إلى امتداد إسرائيل واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء الهيكل.

وفي أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين طلب اليهود من الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف بحجة أنه ملك لهم وأن الجدار العربي من المسجد هو حائط المبكى المزعوم.

وفي عام ١٩٢٩م أعلن جابوتنسكي أحد زعماء الصهيونية أن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس إنما هو ملك لهم، وقد ردد هذا الادعاء وزير بريطاني يهودي يدعى اللورد ملشت الذى قال: "إن اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريبا جدا وإنني أكرس ما بقى من حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى".

وقال بن جوريون رئيس إسرائيل عقب إقامة الدولة عام ١٩٤٨م عبارته الشهيرة "لامعنى لقيام إسرائيل بدون القدس، ولامعنى للقدس بدون هيكل".



باب المغاربة الذى تحاول إسرائيل هدمه

وفور ضم القدس في ٥ يونيو ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تنفيذ مخططاتها الجهنمية. ففي ١١ يونيو ١٩٦٧م دمرت إسرائيل منطقة المغاربة أمام حائط المبكى وحلت مكانها. وفي ١٣ يونيو ١٩٦٧م بدأت عمليات التنقيب عن الآثار بالمنطقة ودمرت بعثات التنقيب خلال عملياتها مسجد الزاوية ومسجدا آخر كان يقع جنوب حائط المبكى.

وفي سبتمبر ١٩٦٨م صدرت الحكومة الإسرائيلية قرارا بتأليف بعثة تنقب عن الآثار يرأسها بنيامين مازار من الجامعة العبرية وقامت البعثة خلال عملها بتحطيم الباب الأوسط للمسجد الأقصى.

وفي ٨ يونيو ١٩٦٨م زار بن جوريون حائط المبكى (وحائط المبكى يقع في الجانب الغربي من المسجد وهو الجانب الذى يعتقد المسلمون أن جبريل عليه السلام ربط عنده البراق الذى صعد به النبي إلى السماء) ونظر بن جوريون إلى إشارة البراق المحفورة بالسيراميك وقال: يجب إنزال هذا الشعار.

وفي ٢١ أبريل ١٩٦٩م بعثت الحكومة الأردنية إلى يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة تطلب تدخل المنظمة الدولية لوقف عدوان إسرائيل على الحرم الشريف.

دعت إسرائيل أنصارها في الخارج لإنشاء صندوق لجمع الأموال من أجل إعادة بناء هيكل سليمان.

وفي ٤ يوليو ١٩٦٩م اتخذ مجلس الأمن قرارا على قبيه تمسكه بقراره السابق للمجلس بعدم جواز ضم القدس

في سراديب ومعسكر كل الأحجار التي حملها مرتين ليستقر الوضع في الأقصى عليه.

وبعد هذا بقرابة نصف قرن، وتحديدا ارتكبت إسرائيل في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م أكبر جريمة بإشعال حريق متعمد في الساعة السابعة صباحا حتى شمل المنبر وقد أتت النيران على الجناح الشرقي للمسجد الذي كان به مقتنيات تاريخية لأكثر من ١٣٠٠ عام وتعددت شبهات الإدانة الموجهة [illegible] سطح المسجد الأكبر.

وقد أكد شهود الأحداث التي وقعت في القدس أن النار اشتعلت في المسجد الأقصى بتدبير محكم، فقد بدأ الحريق متزامنا في الساعة السابعة والنصف صباحا من داخل المسجد دون أن تتحرك سلطات الاحتلال لإنقاذ أحد من الحراس على مقتنيات المسجد، وحدث لهيب النيران في الجناح الشرقي للمسجد [illegible] مخلفة [illegible] التي تحكي تاريخ المسجد وحضارته.

وكانت ألسنة اللهب والدخان المنبعث منه لمئات الأقدام في الجو، ثم سريان الخبر بين جماهير القدس، هو بداية يوم عصيب في المدينة. فقد سارع عشرات الآلاف من كل صوب إلى منطقة المسجد



حريق الأقصى ٢١ أغسطس ١٩٦٩

داخل الأسوار الحجرية القديمة من المدينة المقدسة، يحاولون بأيديهم المجردة إطفاء ما يمكن إطفاؤه.

وسارعت مجموعة من الشباب بالدخول إلى المسجد لجمع كل ما يمكن حمله من المقتنيات الأثرية، بينما كانت مجموعات منهم تنقل [illegible] مشكلة جدارا بشريا [illegible] من داخل القدس إلى أبواب المسجد الأقصى ليحمل كل منهم جرادل المياه [illegible] في محاولة لإطفاء النيران. وكان البعض الآخر قد سارع إلى جمع كل مجموعة من [illegible] لتسليطها على الأعمدة الأثرية والسقف الذي [illegible] من



صورة قديمة [illegible] من داخل سور المسجد الأقصى

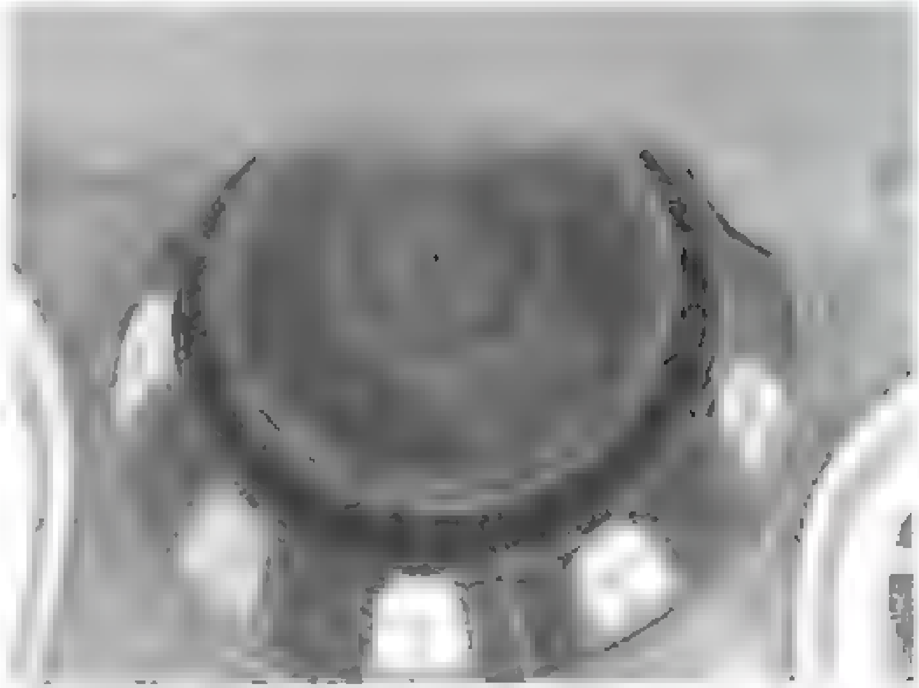
النيران. بينما كانت كتل حجرية تقع في ساحة المسجد التي تبلغ ١٤٤ ألف متر مربع خشية [illegible] قبة الصخرة المشرفة من امتداد النيران إليها.

وكانت الجماهير لا تزال تتدفق على منطقة الجريمة التي دبرتها إسرائيل، وسلطات الاحتلال ساكنة لا تتحرك. وكانت عربات الإطفاء التي بدأت تشارك في إخماد النيران قد تحركت تلقائيا، وهي تضم فرقة الإطفاء العربية في القدس التي عززتها بعد ذلك فرق أخرى للإطفاء من مدينتي رام الله والخليل في الضفة العربية المحتلة.

المسجد الأقصى من الناحية التاريخية

المسجد الأقصى المبارك هو قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين وكان قبلة الصلاة وهنا تم عادت القبلة إلى الكعبة وظل من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال. وقد أسرى بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى مكان المسجد الأقصى حيث عرج منه إلى السماء ويطلق على مجموعة الأبنية المحيطة به الحرم القدسي ومساحة الحرم حاليا تبلغ نحو

١٤٤ ألف متر مربع أي ما يعادل سدس مساحة القدس القديمة. واعتاد المسلمون أن يحتفلوا بذكرى ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب وأن يتجهوا بالقلوب والأذهان إليه.



قبة المسجد الأقصى من الداخل

والمقصود بالمسجد الأقصى هو جميع ما أحاطه السور وفيه الأبواب ويشمل المسجد المعروف حاليا بالمسجد الأقصى ومكان الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما، وحائط البراق هو الجزء الغربي للحرم القدسي الشريف الذي يعتقد المسلمون أن جبريل عليه السلام قد ربط عنده براق النبي ليلة الإسراء ويسمي اليهود هذا الحائط بحائط المبكى إشارة للهيكل وجاءت الصهيونية بتعصبها الأعمى تعمل من أجل هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه.

ويقع المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية من منطقة الحرم الشريف وقد بدأ بناءه عبدالملك ابن مروان عام ٧٠٥ م ويبلغ طول المسجد ١١٠م وعرضه ٥٥ م ويقوم على ٥٣ عمودا من الرخام و٤٩ سارية مربعة.

والمسجد الأقصى أحد مساجد الحرم القدسي الذي يعتبر أكبر مساجد الدنيا مساحة وأروعها بناء. ويحتوي بجانب المسجد الأقصى على مسجد الصخرة المشرفة، وعلى آثار إسلامية ومقدسات هامة.

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس عام ١٠٩٩ م جعلوا قسما منه كنيسة واتخذوا القسم الآخر مسكنا لفرسان الهيكل ومستودعا لذخائرهم، وعندما استرد العرب مدينة القدس أمر القائد صلاح الدين بتجديد المسجد وإصلاحه، وجدد محرابه وكسا قبته بالفسيفساء وصنع منبره الخشبي

وفي داخل المسجد الأقصى جامع مستطيل يسمونه بجامع (عمر) بذلت إسرائيل محاولات كثيرة لهدمه بعد احتلال القدس ولكنها فشلت في ذلك.

خطأ اليهود في زعمهم أن حائط المبكى يقع مكان المسجد الأقصى



الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى بعد أن تحول إلى أطلال

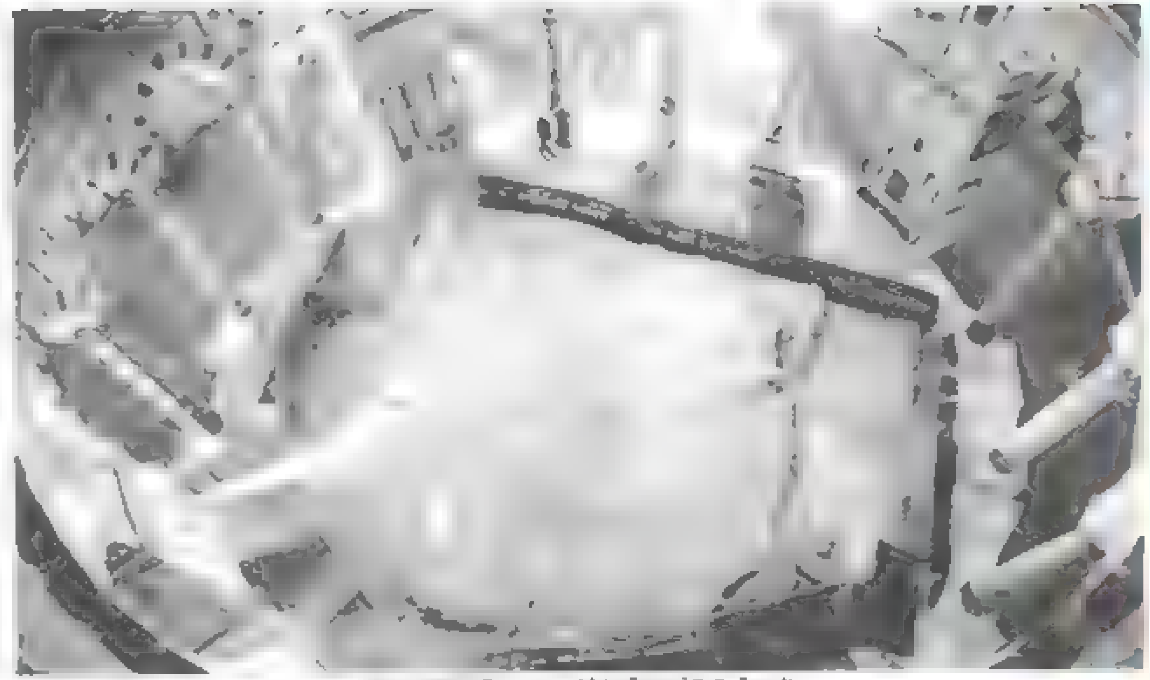
من المعروف أن الأرض التي شيد عليها المسجد الأقصى عند الفتح الإسلامي وبالتحديد في عهد عمر بن الخطاب كانت أرضا خالية من أية مبان، ولم يكن هناك أي أثر لمعبد يهودي، والحق أن المعبد اليهودي كان قد تهدم واندثر أثناء حصار تيتوس لمدينة بيت المقدس عام ٧٠ م. ومن المعروف أن الإمبراطور الروماني هادريان (٧٦-١٣٨م) حرم المدينة على اليهود. وإن كان قد سمح للحجاج لزيارتها، فما يدعيه الإسرائيليون إذن أمر لا أساس له من الصحة. فلم يحرب العرب شيئا، لأنهم لم يجدوا مباني على الإطلاق ولم يستولوا على ما يزعمون أنه يخصهم.

والواقع أن المسجد الحالي ليس بالمسجد الأصلي الذي شيد في عهد عمر. ولا في عهد الأمويين إذ تعرض المسجد لعاديات الزمن وأحداث التدهور ولحقه الخراب والدمار أكثر من مرة

فقد تعرض المسجد لهزة أرضية عام ١٣٠هـ وأعيد تعميره تماما حتى عام ١٥٤هـ. ثم تعرض لزلزال آخر في ١٥ محرم عام ٤٢٥هـ مما دعا الخليفة الفاطمي الظاهر إلى إعادة بنائه عام ٤٢٦هـ (١٠٣٥م) وإلى إصلاحات الظاهر يرجع الجزء الأكبر من المسجد بوضعه الحالي.

حائط المبكى

أما حائط المبكى فهو الجدار الغربي من الحرم الشريف وسمي كذلك لأن اليهود اعتادوا زيارته وتأدية الطقوس الدينية حوله ومن بينها البكاء على مجدهم الذي ضاع وهيكلهم الذي هدم، وكان الملك سليمان قد بناه خلال فترة حكمه (٩٧٢-٩٣٣ ق.م)، ثم هدم على يدي بوختنصر عام ٥٩٧ ق.م، وفي أثناء حكم الرومان طرد الإمبراطور هادريان



الصخرة الشريفة داخل مسجد قبة الصخرة

اليهود من القدس وحرم عليهم دخولها ثم سمح لهم بزيارتها بعد ذلك مرة واحدة فى السنة حتى جاء المسلمون وحكموها فسمحوا لهم بزيارتها وتأدية الطقوس الدينية حول الحائط بالصورة المتعارف عليها. وكانت الأحوال فى المناطق المقدسة قبل ١٩٤٨م تخضع لما يسمى بنظام "الوضع القائم" وهو النظام الذى وضعته اللجنة الدولية التى أرسلتها عصبة الأمم للمنطقة عام ١٩٣٠م عقب الاضطرابات التى نشبت عندما حاول اليهود وضع كراسى ومصابيح وستائر فى ساحة الحرم الشريف متجاهلين بذلك العرف المتفق عليه.

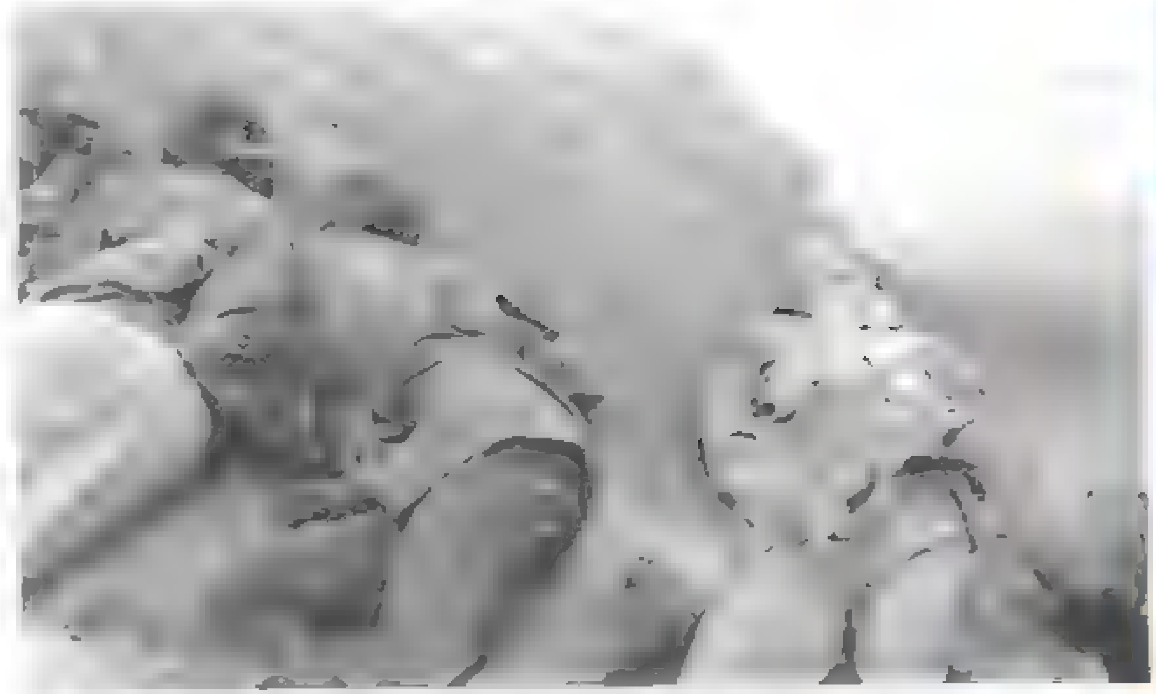
وماذا عن المستقبل؟؟:

إن ما تقوم به إسرائيل حاليًا من محاولة بناء مستوطنة فى جبل (أبو غنيم) فى القدس الشرقية إن هو إلا محاولة سافرة سافلة من حلقات مسلسل التهويد الذى وضع بذرته الأولى الزعماء المؤسسون للحركة الصهيونية ابتداء من هرتزل ومرورا بن جوريون وانتهاء بالفتى المدلل لحزب الليكود بنيامين نتنياهو، الذى يذهب فى كتابه "مكان تحت الشمس" إلى أن سياسة حزبه فى عملية السلام الحالية تعتمد على إنشاء عدد من المستعمرات "المستوطنات" فى مجموع الجبال المحيطة بالقدس يطلق عليها فيما بعد اسم القدس ويمكن التفاوض مع العرب حولها وإعطاؤها نوعا من الحكم الذاتى: "المحلى" المحدود، أما القدس بوضعها التاريخى الذى استعرضناه آنفا فهى - فى المفهوم الصهيونى - غير قابلة للتفاوض، والأمل معقود على أن تسعى الشعوب الإسلامية والعربية لحفز قادتها على اتخاذ مواقف أكثر تشددا مع العدو الصهيونى للحفظ على ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

ما بعد الرحيل

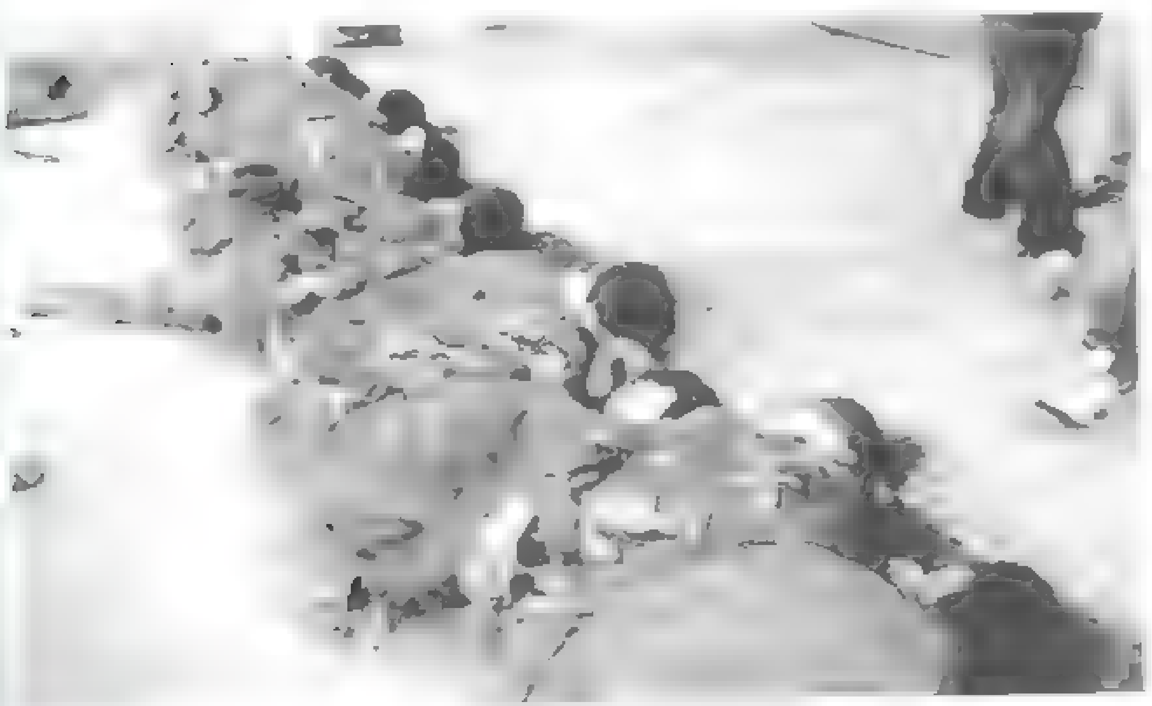
(بعد سقوط ٢٧ ألف شهيد سورى خلال ١٧ شهرا منذ بدء الثورة السورية فى حملات إبادة السنة فى سوريا والعراق).

* من بين أنقاض الهدم
من بين أطلال الألم
يأتى الصبح.. محطم الخطوات
مكسور القدم
ما عاد من هول المصائب
يسحب الأذيال.. أو يهوى القمم
يمشى على جثث الضحايا الباكيات
وكم يقطعه الألم
يحنو عليها
يمسح الدمع المجمد
والدم المسفوح.. شلال الغضب
فكأنه قد جاء من خطو الملائك
من جفون الحور
من ظل السحب
لا تحزنوا أبدا ففى غدكم تلاقيكم (حلب)
فى جنة الفردوس بالرحمات
فى أبهى الحلل
نهرا طهورا من سما (العاصى)



ومن (بردى) أطل
وشرابكم فيها قبر. وطعامكم فيها قبل
وحداؤها تسبيح وتكبير عصابة بري
وغدا سينتفض الهشيم على الذنب
وغدا سينتصر الشباب على الدجل
من حسرة الطفل المروع.. والأيامى والعويل
من دمعة الثكلى وآلاف الصبايا والكهول
من رقبة الخيل الجموح.. إذا تمرد بالصهيل
بركان ثورة ذلك الشعب الذى عرف الطريق إلى الشهب
ومضى إلى النصر المؤزر واثق الخطوات مهور الغضب
ومشى إلى الحلم الجميل مجدع الأطراف موصول النسب
من بين أحراش الملاجئ والخيام على الجبال
وكذا مغيب الشمس في عين الحدائق والتلال
وعباب تمال البقاء على الحياة بلا نصال
سيجئ يوماً صارخ أن الظلوم قد اعتقل
وعلى خطا المجنون في ليبيا تملكه الخبل

أو قد ألم به (الشلل) أو للجحيم قد انتقل..
أو غادر الأرض اليباب إلى (زحل)
وعليه آلاف من اللعنات في عدد الذين لهم قتل
تأتي لتلعن ذلك الشيطان والعسم المؤله والخطل
• يا طول طابور الضحايا في انتظار للكفن
يا طول ليل القهر في سوريا وأيام المحن
أو كلما قد جاء يوم.. لا هدوء ولا سكن
• في كل صبح يشهد الطابور أمواجاً ممزقة الجثث
تمضي إلى النسيان... أمواجاً يشيدها العبث
تشكو إلى الرحمن من غدر الشبيه إذا نكث
حلم كبير.. أن يخف القصف أو يخبو من البيت الحريق
أن يستطيع الناس سحب قوافل الشهداء من عرض الطريق
وتود لو يتكلم الموتى........... ولو ينجو الغريق
حلم عزيز أن يعود الأمن في قلب الصغار
أن تسرح الأحلام والأطيار في أفق النهار
أن يولد الباذور في الفلوات من رحم الدمار





لكن أسـئلة على الدرب الكؤود تعـصـفني
وتطل من بين السطور تلوح لي .. وتنهـرني
هل تستطيع كتائبُ الأحرار أن تحيي الموات؟
هل تستطيع أصابعُ الأبطال أن تؤوي الشتات؟
هل تستطيع بناءَ آلاف المآذن شامخات؟
هل تستطيع إعادة الليمون للأرض الموات؟
• ويظل ذاك الصوت يصرخ بالدموع وبالعويل
يا رحلة الظلم الطويل .. ورحلة الصمت الوبيل
ركب السنين يمر .. في الدرب الطويل المستحيل
لا لن يموت الناس .. لا الأحرار لا أحد النبيل
• سيجيء طفلٌ يزرعُ الورد الجميل على التلال .. على الخدود
سيجيء جيل يغرس الأمن العزيز على القلوب .. على اللحود
سيجيء جيل يمسح الدمعات من جفن الثكالى والبنود
سيجيء حتى ثم يرتفع النداء إلى السماء
لتعود سوريا .. مثلما كانت بلاد للأمان والهناء

أثر العقيدة فى تكوين الشخصية

برغم ما يقوم به العلماء المخلصون من جهد، وما تقدمه الفضائيات الراشدة من تنوير وتبصير، فإننى أشعر أن الأمة تحتاج من الدعاة الموهوبين، والعلماء العاملين والقادة المخلصين، إلى ما هو أكثر من ذلك وأعظم؛ لأن الخطب جسيم والخطر عظيم؛ ولأن الأمة تعانى - اليوم - نوعا من الغياب والاستلاب، جعلها فى حالة شلل عقلى، عجزت به عن توصيف حالها، وتشخيص دائها، وهذا أمر تعب فيه شياطينه، وأنفقوا فيه المال الجزيل، والوقت الطويل، حتى اطمأنوا إلى ثمرة جهدهم، ونجاح خططهم، عندما رأوا أمة تعددت مصادرها، واختلفت مشاربها، وتنوعت ولاءاتها، وتحولت فرقا ومزقا:

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

(المؤمنون: ٥٣)

إن أبناء هذا الجيل معذورون - إذا كانوا قد ولدوا فلم يروا ولم يسمعوا إلا الثناء على النموذج الغربى، والإعلاء من شأن ثقافته والاحتفاء الزائد برموزه ومثقفيه، فى الوقت الذى غابت فيه عن الساحة الثقافية رموز الأصالة العربية والإسلامية، الذين يمثلون القدوة والمثل ويبعثون فى قلوب شباب الأمة روح العزة والإباء.

إننا نستطيع أن نتنبأ بمصير هذا الجيل إن استمر على هذا الحال.

وإذا كنا لا ندرك أبعاد المأساة فى إبعاد عصر الدين عن مراحل التكوين الأولى للإنسان، فإن أعداء الأمة كانوا على وعى دقيق بأبعاد هذه القضية منذ استقرت خطتهم على اختيار الغزو الفكرى وسيلة أكيدة لتحقيق ما عجزوا عن تحقيقه بالغزو العسكرى، وسأكشف لك أخى القارئ طبيعة هذا التخطيط بلسان أصحابه ومدبريه، فمنذ بدايات القرن الماضى ظهرت فى مصر دعوات تدعو إلى السخرية من الأديان وضرورة التحرر من عبودية التقليد - كما يزعمون - ويعتبرون الإيمان بالغيب نوعا من الأوهام متذرعين فى ذلك بأن العلم الصحيح هو الذى تدركه الحواس ويقع تحت سلطان العقل، ويعتبرون كل ما دون ذلك نوعًا من الضلالات والأوهام، وهذا نموذج من كتابات الصحافة فى ظل

الاستعمار الإنجليزى الذى حرص بقوة على إعداد جيل خاوٍ من العقيدة، خالٍ من الإيمان، مستعيناً بأذنابه الذين رضعوا في ظل الحماية والرعاية وأمكنهم أن ينفثوا سمومهم وأن يحققوا أغراضهم بتدمير الإسلام وإبادة أهله. ففي مقال الافتتاح للكاتب (إميل زيدان) شقيق الكاتب المشهور (جورجي زيدان)، صاحب مجلة الهلال كتب يقول: «إن الناس واهمون حين يتخيلون أنهم أحرار في تفكيرهم. فهم يخضعون عن وعي أحياناً وعن غير وعي في كثير من الأحيان لقيود ثلاثة وهي: قيود الوراثة. وقيود البيئة بكل ما فيها من عقائد وعادات ونظم وقوانين. وقيود النفس بما فيها من ميول وعواطف ومالها من مصالح. ويبني الكاتب على ذلك أننا لا نفكر لنصل إلى رأى أو عقيدة ولكن في الواقع نعتقد أولاً ثم نحاول بتفكيرنا أن نبرر هذه العقائد، ولهذا فهو يدعو الناس إلى أن يحرروا أنفسهم ثم يعتقدوا. ثم يختتم مقاله بهذه العبارة المدمرة فيقول: «حرر فكرك واتبعه حيثما يذهب بك»[1]. فهل هناك فرق أخي القارئ بين جملته الأخيرة وبين قول الحق تبارك وتعالى

﴿[illegible]﴾

(الجاثية: ٢٣)

ولك أن تتصور كيف يكون حال الشباب الذين يحاطون بهذا السم الزعاف، دون رصيد من الوازع الديني الذى يقوى مدافعاً ومانعاً تجاه تلك الشبهات التى كانت تحاك بعناية، وتعرض عن علم ودراية، ثم تقارن بين هذه الفئة المظلومة المقهورة وبين جيل الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ثم ادعوك أن تقرأ قول الحق سبحانه وتعالى

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٥٨)

إن الفرق بين ما كان يقدم لشباب الأمة وناشئتهم من علم نافع وإيمان راسخ وعقيدة صادقة ويقين عميق، وبين ما يقدم على موائد الغرب وأذنابه من شهوات ماجنة وشبهات قاتلة وأفكار مسمومة وثقافات مرذولة، هو نفس الفرق بين الجيل الذى فتح الدنيا وعلم البشرية، وصنع الحضارة ومنح الإنسانية المعنى الحقيقي للحياة، وبين الجيل الذى يعيش لشهواته ويسعى لإرضاء نزواته. وقد تسلط عليه سلطان الجشع والحرص، فكأن به مساً من الجنون فهو يلتهم الدنيا التهاماً. فهو كشارب ماء البحر كلما ازداد منه شرباً ازداد عطشاً، وهذه هى الحالة التى أشار إليها الخالق سبحانه وتعالى بقوله:

﴿[illegible]﴾

(طه: ١٢٤)

إن الحياة بغير دين جحيم لا يطاق، ولك أن تتصور حياة إنسان بغير دين كيف يجد الإجابة الشافية إذا سأل نفسه من أين جاء ولماذا جاء؟ وإلى أين يمضي؟ وما مصيره الذى ينتهى إليه، وهل بعد هذه الحياة حياة أخرى؟ وما هو وضعها إذا كانت وهل لهذه الحياة الآخرة تعليمات وإرشادات؟

وما الطرق والأسس التى إذا سار الإنسان عليها كانت حياته الآخرة راضية مرضية؟

وما مصدر هذه الطرق؟ وما الطريق المثالي للوصول بعد الموت إلى نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع؟ ومن أين تستمد هذه الطريق؟

وهذه كلها أسئلة تلح على عقل الإنسان ووجدانه، فلا يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يجد الجواب الشافي عليها.

إن العقيدة في الله هى التى تمنح الإنسان حريته، وتضمن له استقلاله واستعلاءه أمام سلطان المادة وسيطرة الآلات. كما تضمن له حالة من الاسترواح النفسي والثقة الروحية والاطمئنان العميق. وهذه كلها ضرورات روحية لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها في أية لحظة من اللحظات.

فهل تدرك مؤسسات التربية في بلادنا قداسة المسئولية وعظم الأمانة، ويستشعرون رهبة الموقف العظيم بين يدى الله عندما يسألهم عن دورهم في صيانة العقول، وحراسة القلوب وتهذيب النفوس، وأن يعلموا أن دور المربي يشبه دور الكهربائي الذى يصل تيار الروح الوحي إلى تيار الروح النفس فيستنير هذا الكيان الرباني بنور الله، وأن يدرك المسئولون تمام الإدراك بأن الروح الوحي لن يصل إلى الروح النفس إلا من خلال وسيط يتمثل بتلك الروح وتحسين توصيلها. ولن يتأتى هذا إلا بمعلم يحسن التلقي عن ربه بصدق وحب ويحسن الأداء لأبنائه بحب. ويشعر وهو يؤدى هذا الواجب أنه قائم بين يدى ربه في محراب صلاة. وتلك هى الأجواء التى تتلاءم مع روح الثورة المصرية والتى لن تسمح تلك الثورة بغيرها، بعد أن شهد العالم أجمع أنها ثورة ارتبطت بيوم الجمعة وانطلقت من المساجد، واشتاق أبناؤها للشهادة في سبيل الله مستشعرين المعنى الحقيقي لقوله تعالى

﴿[illegible]﴾

(العنكبوت: ٦٩)

●●●

1 - الاتجاهات الوطنية في الأدب المصري د. محمد محمد حسين جـ ٢، ص ٢٩٢، مؤسسة الرسالة

مواقع التواصل الاجتماعى والواقع رؤية معرفية

مواقع الإنترنت بمختلف أشكالها هى «إحدى أدوات» - وليس «كل أدوات» -: (الحوار) و(التواصل وتبادل الخبرات والمعلومات والرؤى) و(صناعة المستقبل).. ومن ثم:

١- فهى لا تنقل لنا «الصورة كاملة».. وإنما تضع بين أيدينا «جزءا منها».

٢- وهى لا تمثل «الواقع كاملا».. وإنما هى جزء منه، تؤثر فيه وتتأثر به. ومن ثم: تغير وتتغير.

وصورتنا عن الواقع إنما تتكون عبر عناصر هى: الذات + الأخبار (أو «الآخر» بالتعبير الحديث) + الأفكار + الأفعال + تفاعل بين مكونات السابقة.

ومن ثم يجب التفريق بين «رصد الأفعال» و«تفسيرها» لهذه الأفعال.. بين «المعلومات» و«العلم والمعرفة».. بين «الحقائق» (أى الوقائع) و«الحقيقة» (أى تفسيرنا لهذه الحقائق).. بين «الوقائع» و«الواقع».

و«رفع الواقع» (أى رصده) يجب أن يكون بدقة وأمانة ووضع كاملين قدر الطاقة. بينما «فهم الواقع» (أى تفسيره وفقهه) يخضع للرؤية الكلية الحاكمة للذات، وللخلفية المعرفية لها، ولمدى ذكاء وسعة أفق المرء فى التحليل والتفكيك والتركيب لتفاصيل الواقع السابق رفعه.. وكل قراءة «فهم تفسير للواقع» يستلزم بالضرورة تنحية بعض الوقائع المرصودة (أى تصنيف بعضها على أنها هامشية غير أساسية)؛ حتى يتاح للمرء اكتشاف الكامن فى المجموع؛ لئلا يذهب نظره شعاعا (أى متفرقا) وتغرق فى بحر التفاصيل وتسقط فى «جب المعلومات»؛ فيبتلعنا حوتها، أو يلتهمها ذئبها إذا شئت قلت!

ومن ثم: فإن كل «تفسير للواقع» هو «اجتهادى بالضرورة» (بغض النظر عن مدى صوابه أو خطئه).. بينما كل «رصد للوقائع» هو «نص راجح على أقل تقدير»، وهكذا يجب أن يكون، إذا توفرت «الأمانة فى الرصد» و«التثبت والاستقراء».

وبناء عليه: فكل قراءة «فهم تفسير للواقع»: هو من أى إنسان صدر، «متحيز بالضرورة».

وبهذا البيان تتم تصفية الإشكالية الوهمية حول «الذاتية» و«الموضوعية»، فليس هناك - فى ظنى - «جدار أسمنتى عازل» بينهما، وإنما هناك «تداخل ضرورى بينهما».

ونعود ثانية إلى الحديث عن مواقع الإنترنت - وخاصة مواقع التواصل الاجتماعى - فنقول:

من مميزاتها:

١- إلغاء حاجز الزمان، ومن ثم: سرعة التأثير.

٢- وإلغاء حاجز المكان، ومن ثم: سعة الانتشار.

٣- وإلغاء إمكانية التعتيم على الوقائع، ومن ثم: تحقيق المصداقية والشفافية وتفعيل مبدأ الحق فى الاطلاع (أى حرية تداول المعلومات).

٤- إلغاء إمكانية تكميم الأفواه، ومن ثم: تحقيق مناخ الحرية (خاصة حرية التعبير) وتفعيل آلية الشورى (بوجه من الوجوه).

٥- التشجيع على إبداء الرأى دون خوف عقاب أو تسلط، وهذا من أكبر المحفزات على الإبداع والاجتهاد والتجديد (بمعانيها الواسعة الشاملة).

٦- تفعيل «آلية الضبط الاجتماعى»، فأى انحراف فى الرأى أو خلل فى الرؤية أو تقصير فى العمل ينشر على هذه الصفحات الإلكترونية سيجد من يقومه ويرشده (بشرط ألا يكون صاحب هذه الصفحة الإلكترونية من الذين سقطوا فى «جب الذاتية الجوانية» الذى سيأتى الحديث عنه فى النقطة الرابعة من العيوب).

ومن عيوبها:

١- الرصد المبتور/ الجزئى/ الفسيفسائى للأحداث والوقائع، والخلل فى رصد «الوقائع» يفضى إلى الخلل فى فهم «الواقع».

٢- والرصد- الرفع المنحرف للوقائع- (عبر نشر الشائعات والأكاذيب والمعلومات المغلوطة أو غير الكاملة؛ وهذا مناخ ممتاز للتعكير والتكدير والتفريق والتمزيق.

٣- وطغيان تأثير «الصورة» على الإدراك والتفسير والتحليل والتفكيك والتركيب، مما يفضى إلى السطحية والتبسيط والسقوط فى «جب الواحدية السببية» (وهى نوع من «التشرنق التحليلى») و«جب الموضوعية الوهمية» (وهى فى حقيقتها «صلبية منغلقة») فى حين أن الواقع «تصور مركب ومعقد» غاية التركيب والتعقيد.

٤- السقوط فى «جب الذاتية الجوانية» أو بتعبير آخر «جب مدرسة الرأى الواحد والاتجاه الواحد».. فكثير من مستخدمى هذه المواقع يحرص على ألا تضم قائمة المتواصلين معه (أو لا يحرص على ضم) أى «آخر» جنسى (ذكورة أو أنوثة - مصرى أو خليجى أو مغربى أو أندونيسى) أو ثقافى (حضرى أو ريفى أو بدوى قاهرى أو صعيدى أو نوبى) أو فكرى فلسفى (إسلامى أو علمانى) أو سياسى (مستقل أو حزبى).. ولهذا أثر غير مشكور فى انتشار «حوار الطرشان» أحيانا، أو «التمييع والتغويلة» أحيانا أخرى؛ فالمرء هنا - باستبعاده لأى آخر - إنما يخاطب ذاته، وكأنما ينظر إلى نفسه فى المرآة، مع أنه يدعى محاولة التأثير والتغيير والإصلاح من خلال هذه الصفحات الإلكترونية، أو مع أنه يدعى محاولة «الرصد الأمين للوقائع» و«التفسير الدقيق للواقع» من خلال هذه الصفحات الإلكترونية، أو مع أنه يدعى محاولة «تزكية نفسه وفكره ورأيه ورؤيته» من خلال هذه الصفحات.. وكل هذه الأمور الثلاثة - مجتمعة أو منفردة - لا يمكن تحقيقها تحقيقا رشيدا وفعلا من خلال «جب مدرسة الرأى الواحد»!

٥- «التماهى الإلكترونى»: بالانسحاب التدريجى الخفى من الزمان والمكان، من خلال الاكتفاء به عن «المشاركة الفاعلة» فى الحياة، متخيلا تحقيق ذاته بذلك؛ فيصبح الإنسان - ذلك الكائن المركب الربانى - «مجرد صفحة فى موقع»!

بين المجلة والقارئ

دور الدعاة.. والعلماء.. وحق احترامهم

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ إبراهيم مسلم النجار مدير عام تنظيم وإدارة ـ سابقا ـ سندنهور ـ قليوبية:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز

﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾

(فصلت: ٣٣)

إن هذه الآية الكريمة تضفي تكريما خاصا وإعزازا لدور الداعية المتخصص الذي يستمد قدوته من تميزه بالتزامه بالعمل الصالح وكذلك تمكنه من توصيل الرسالة للجمهور المستهدف في تحقيق التأثير المطلوب لترشيد المجتمع والوصول به إلى الطريق الأمثل تمهيدا للخطاب الموجه من رب العزة سبحانه إلى رسوله الكريم ﷺ ليبين له كيفية إبلاغ الناس ودعوتهم بالحكمة ثم الموعظة ثم بالكلمة الطيبة فيقول سبحانه

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾

(النحل: ١٢٥)

ويوجهنا القرآن العظيم إلى الاهتمام بالمعاملة بالمعروف في مسألة المجادلة والتخاطب بالحسنى في مواجهة الآخرين وبخاصة أهل الكتاب حيث يقول سبحانه:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾

(العنكبوت: ٤٦)

وبذلك.. فإننا إذا كنا مأمورين بأن نجادل أهل الكتاب بالحسنى فمن باب أولى أن ينسحب ذلك على من يختلفون معنا في الرأي من بيننا.. وانظر عظمة التوجيه القرآني في رسم شخصية الداعية بأنه يكون متواضعا مع المؤمنين معتزا بإسلامه على الكافرين.. فيقول سبحانه في وصف الدعاة أنهم

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾

(المائدة: ٥٤)

ثم يؤكد هذا الوصف في آية أخرى حيث يقول سبحانه

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾

(الحجر: ٨٨)

ومن هنا يمكننا أن نشير إلى أهمية دور الداعية في الدين الإسلامي وضرورة التواصل معه بالتنسيق والتعاون بينه وبين وسائل الإعلام وتمكينه من أداء رسالته الدعوية والإعلامية خلق خطاب ديني واجتماعي عصري يستوعب متطلبات مسيرتنا الراهنة وجمع الأمة على كلمة سواء بعد أن استقرت الأمور باختيار رئيس جديد منتخب انتخابا شرعيا نزيها وعلينا أن نتعاون معه بعمل دعوي وإعلامي مخلص بحسن عرض مشاكلاتنا بشكل يليق بقيمنا الدينية في ظل تعاليم وتوجيهات معلم البشرية الأول سيدنا محمد ﷺ بعد أن تجاوزنا الأيام العصيبة وانزاحت من طريقنا ضبابية الرؤية وتخلصنا من آثار ما خلفته لنا ستين حكم الخلوع الثقيلة من مشكلات فالسيطرة على المنحرفين والمتحجرين والمتشددين ليست كافية. لأن الشرطة لم تسترد كل عافيتها حتى الآن

إن دور الداعية كبير ومتشعب ولابد من تدعيم أجهزته لتوعية الناس وإمدادهم بالمعلومات والحقائق الصحيحة أمام الموروثات السلبية الهائلة التي خلفها الحكم السابق من تناقضات وموبقات كان من نتيجتها ضعف الوازع الديني بين أفراد المجتمع الذي نشأ عنه التشاجر والتشاحن وخلق تيارات تتصارع وترفض الثقة أو القبول بدور العلماء والدعاة ومعهم مسئولي الإعلام وأصحاب الرأي والقيادات الجماهيرية.

لقد أصبح لزاما على الجميع أن يتصالحوا على تناسي مآسي الماضي البغيض وأن يتعاونوا فيما بينهم ليكونوا يدا واحدة تقود الشعب كله بجميع قطاعاته للعمل والإنتاج حتى نسد احتياجاتنا ومتطلبات بلدنا حتى يتحقق الاستقرار والأمان للجميع يقول الله تعالى

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا﴾

(الأنفال: ٤٦)

إن علماء المسلمين ودعاتهم لهم احترامهم ومكانتهم التي أعطاها إياهم الشرع الحنيف فهم ورثة الأنبياء وهم قادة الرأي وأئمة الناس في تقوية إيمانهم وتحسين العلاقة بينهم وبين خالقهم لذلك يجب احترامهم وتوقيرهم

وتبعا لذلك يلزمنا تطوير الأزهر الشريف وتمكينه من أداء رسالته وتوحيد القيادات الدينية تحت مظلته ورعايته وهو بهذا يكون أقوى وأفضل من إنشاء أحزاب دينية كثيرة غير مفعلة وليس لها أي تأثير.

وقد كان للأزهر الشريف شعبيته التي انكسرت دونها زعامات سياسية كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال: أنه قامت الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة المصرية للاشتراك في الحرب العالمية الثانية وخطب الشيخ المراغي ـ رحمه الله وكان شيخا للأزهر ـ حينئذ فقال في خطبته:

«نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل وغضبت بريطانيا وقابل رئيس الوزراء المصري الشيخ المراغي الذي اشتم في لهجة رئيس الوزراء تهديدا فقال له: أمثلك يهدد شيخ الأزهر؟؟!!! إن شيخ الأزهر بمركزه ونفوذه أقوى من رئيس الحكومة ولو شئت لارتقيت المنبر وأثرت الجماهير ولوجدت نفسك إنسانا معزولا في هذا الشعب»

حفظ الله الأزهر وجعله لنا سندا ومددا وجمعنا تحت مظلته على كلمة سواء.

انها أزمة أخلاق لا قلة أرزاق

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور/ على عبد العظيم على: واعظ بمجمع البحوث الإسلامية:

إن الواقع الذى نعيشه يشهد أحداثا متداخلة ووقائع متشابكة، وأكثر ما يشغل أذهان الناس الأوضاع الاقتصادية المتردية التى جنحت بالبعض إلى الحصول على الرزق بأى وسيلة كانت حتى وإن أدى ذلك إلى إزهاق الأرواح وإزعاج الآمنين ونهب الممتلكات العامة والخاصة بالإضافة إلى مايصاحب ذلك من كذب فى الحديث وغش فى المعاملة وبذاءة فى الألفاظ وخيانة للأمانة، وإن رحت تقارن هذه الأخلاق الذميمة كانت الحجة أن السبب فى تدنى المستوى الخلقى هو العوز والفقر والحاجة.

والحقيقة أن العكس هو الصحيح، فإن تفشى الأخلاق المنحلة والذم المريضة هو السبب فى نكد المعيشة وقلة ذات اليد، والدليل على ذلك أن القرآن الكريم أكد أنه لا قلة أبداً فى الأرزاق فهى موجودة ومقدرة من قبل الله تعالى، قال عز وجل

(فصلت ٩-١٠)

والملاحظ أن الله قدم البركة على التقدير فالرزق مبارك فيه قبل أن يكون مقدراً.

وفى عبارة صريحة وأسلوب مؤكد يطمئن الله الناس على رزقهم فيقول

(هود ٦)

وقد وضح القرآن الكريم فى أكثر من موضع أن الكون كله مسخر لبنى الإنسان وما عليهم سوى السير فيه واستخراج بركاته، قال تعالى:

(الجاثية: ١٢-١٣)

إذن قضية الأرزاق محتومة من قبل الله عز وجل.

لكن هذه الأرزاق يتهدد وجودها وتضيع بركتها وتنعدم فائدتها عندما يريد الناس أن يحصلوا عليها بأساليب خبيثة وضمائر ميتة ونفوس خربة. قال عز وجل

(الأعراف ٩٦)

وقال أيضا

(المائدة: ٦٥-٦٦)

وعن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته" حديث صحيح صححه الألبانى فى الجامع رقم: ٢٠٨٥.

وعليه، فإن ما يصيب الناس أحيانا من فاقة وضيق مادى ناتج فى أساسه عن الفساد الأخلاقى والبعد عن الله وإهمال تعاليمه. قال تعالى

(طه: ١٢٤-١٢٦)

قال ابن كثير - رحمه الله -: معيشة ضنك فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره وليس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلق وحيرة وشك فلا يزال فى ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة" تفسير القرآن العظيم - دار حديث ج ٣ .١٩٤.

وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً من أحوال السابقين فقوم سبأ غمرتهم نعم الله وتقلبوا فى آلائه فمساكنهم كانت ذات روعة وجمال وجناتهم كانت ممتدة عن اليمين والشمال ولم يطلب منهم إلا شكر النعمة والاعتراف بالنعم ولكنهم قابلوا النعمة بالجحود والنعم بالكفران فبدل الله أحوالهم وغير ما أنعم به عليهم وفقاً لسنته الحاكمة.

(الرعد ١١)

ومن ثم فقد قال عنهم سبحانه

(سبأ ١٥-١٧)

يقول ابن خيرة وهو من أصحاب سيدنا على رضى الله عنه: جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والتعسر فى اللذة" تفسير القرآن

العظيم- دار الحديث ج٣/ ٥١١.

وخلاصة أن أزمة مجتمعنا الحقيقية هي أزمة أخلاق لا قلة في الأرزاق، وأن ما نشاهده وما نعايشه من ضيق اقتصادي وعوز مادي ما هو إلا عرض لمرض يوحد بوجوده ويتلاشى بابتعاده فلو عامل الناس بعضهم بعضا بالصدق والأمانة والوفاء.. لو فعلوا ذلك.. لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وعاشوا في رغد من العيش ووفرة في النعمة ورزق من السماء

خير الكلام: يقول أمير الشعراء:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

تحت هذا العنوان جاءت رسالة إبراهيم أحمد محمد جاد الكريم ـ واعظ بمنطقة وعظ قنا:

هو سيد الأولين والآخرين، وهو إمام الأنبياء والمرسلين وهو المرسل من رب العالمين

هو سيدنا:- محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم. يتصل نسبه ﷺ بإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

أمه سيدة نساء مكة ومن أطهر بيوتها هي السيدة:- آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة

ولد ﷺ في مكة في شعب بني هاشم يوم الإثنين. الثاني عشر من ربيع الأول، الموافق للعشرين من شهر أبريل من سنة واحد وسبعين وخمسمائة من الميلاد في عام عرف عند العرب. بعام الفيل. لحادثة الفيل المعروفة

ولد يتيم الأب. فقد مات أبوه وهو ﷺ في بطن أمه وسماه جده عبدالمطلب (محمدا) ليكون محمودا في الأرض والسماء

أول من أرضعته أمه آمنة ثم ثويبة جارية أبي لهب ثم حليمة السعدية. ماتت أمه وهو في السادسة من عمره وعاش مع جده عبدالمطلب عامين. ثم عاش مع عمه أبا طالب حتى تزوج ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد

كان يخلو بنفسه في غار حراء شهرا في كل عام يتعبد بشريعة إبراهيم عليه السلام وبعد أن بلغ الأربعين من عمره أتاه الوحي من السماء عن طريق جبريل عليه السلام

ونزل عليه القرآن الكريم.. واستمرت دعوته ﷺ ثلاثة وعشرون عاما بلغ فيها رسالة ربه إلى الناس جميعا.

زوجاته ﷺ

تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد والسيدة سودة بنت زمعة والسيدة عائشة بنت أبي بكر. والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب والسيدة زينب بنت خزيمة والسيدة جويرية بنت الحارث الخزاعية. والسيدة زينب بنت جحش. والسيدة أم سلمة. والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب. والسيدة أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان والسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية. ومن السراري:- كانت السيدة: مارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك مصر والسيدة ريحانة بنت زيد القريظية التي كانت من سبايا بني قريظة.

كان له من الأولاد ثلاثة ذكور وأربع إناث.

الذكور:- أبوالقاسم. وعبدالله، وإبراهيم، وقد ماتوا صغارا. أما الإناث: زينب. ورقية. وأم كلثوم. وفاطمة.

أعمامه ﷺ: الحارث، وجحل، والمقوم، والزبير. وأبولهب. وغيداق. وأبوطالب. والعباس، وحمزة والذي أسلم منهم:- العباس وحمزة رضي الله عنهما.

وعماته ﷺ: أميمة، وأم حكيم، وبرة، وعاتكة. وصفية. وأروى.

أخواله ﷺ: أسود، وعبد يغوث، وعمير.

خالاته ﷺ: فريعة وفاختة

إخوته من الرضاع

١- من ثويبة:- كان عمه حمزة وأبو الأسود بن عبدالأسد، مسروح بن ثويبة.

٢- ومن حليمة السعدية: كان عبدالله بن الحارث. وأبوسفيان بن الحارث. والشيماء. وأنيسة بنت الحارث

كانت وفاته ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشر من الهجرة. عن عمر يناهز الثلاث والستين عاما.

فاللهم صلى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين آمين

أبرياء يتهمون وأدعياء يمكرون ووطن جريح من أبنائه

تحت هذا العنوان جاءت رسالة أحمد على أحمد الأمير وكيل وزارة الأوقاف الأسبق لمحافظة قنا:

لا يستطيع الإنسان أن يقف صامتا ومن حوله أحداث دامية تحرق الأخضر واليابس وتهدم العامر وتدمر اقتصاد أمة هي خير أمة أخرجت للناس

وهنا يعلو صوت الإيمان ينادي يا أتباع الأنبياء: ربنا جل جلاله لايحب الخائنين ولايحب الظالمين ولايحب الذين يفسدون في الأرض ولايصلحون.

فلماذا لانطلب مرضاة ربنا بالصدق والإخلاص في العمل وحب الخير للناس وحس الانتماء لبلدنا الحبيب فلا نخرب ولا نهدم ولا نحرق ونبعد بأنفسنا عن عوامل الهدم ونلعن بكل لسان المنافقين والمخربين الذين يصنعون العراقيل وينشرون الأراجيف ويتربصون بحاضر مصر ومستقبلها، ويدورون في فلك الأعداء ويدعون أنهم الصالحون المصلحون الذين لايريدون إلا خير مصر.. فتراهم في كل واد يهيمون ومع كل قناة يتحدثون يعجبك قولهم والله يعلم إنهم لكاذبون.

ولضعف إيمانهم وفساد معتقداتهم لا يكرهون شيئا إلا سماعهم لكلمة «مصر الإسلام» مصر الحضارة والتقدم والإيمان، مصر التي ذكرها المولى عز وجل في القرآن، مصر الأزهر وعلمائه

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾

(البقرة ١٠)

وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا معالهم ألف مرة نكره كل هذا، نريدها ديمقراطية مدنية لا تعرف شرعا ولا دينا، ولا حلالا ولا حراما، إنهم يريدونها «الفوضى الخلاقة» التي يريدها أسيادهم الذين غرسوا في نفوسهم الكره والبغض لكل حرف من كلمة مصر.

لكن الله غالب على أمره. ينصر رسله والذين آمنوا. يحق الحق ويبطل الباطل

وعما قريب ينجلي الأمر كله

فما أول إلا ويتلوه آخر

وسيحفظ الله مصر بحفظه ويمدها بمدده ويبارك نهضتها وثورتها ويمنح قائدها العون والتوفيق - لأنه مؤمن وحسيبه وعليه ولا نزكي على الله أحدا

ولقد قرأت كلمات أعجبتني وسيطرت على مشاعري للسيد «عبدالله النديم» خطيب الثورة العرابية وهي تعبر فعلا عن الواقع الذي نحياه وتحياه مصر - لقد قال رحمه الله

(لاحول ولاقوة إلا بالله، اشتبه المراقب باللاهي، واستبدل الحلو بالمر، وقدم الرقيق على الحر وبيع الدر بالخزف (الخزف: الفخار) والخز بالخشف (ردئ الصوف)

وظهر كل لئيم كره إن في ذلك لعبرة والوشاة إن سعوا لا يعقلوا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فكيف تشعرون منهم القار في صورة العنبر، وقد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾

(القمر ٤)

فهل نتجاوز المحن ونعلو فوق الشدائد ونقتحم الصعاب ونضع في أفواه هؤلاء الحمقى التراب إن مصر غالية ومكانتها سامية وهي زعيمة العالم العربي والإسلامي بحق لايضرها بإذن الله حقد الحاقدين ولا مكر الأفاكين ولن تنال منها مؤامرات الحرق والتخريب والترويع لسبب واحد هو أن الله لايحب الفساد ونقول لأبناء مصر اتقوا الله في بلدكم. تعاونوا على البر والتقوى. لاتعتدوا على مؤسسات مصر ولا على اقتصادها ولا على الأعين التي تبيت ساهرة لحمايتها وحمايتكم فلا وقت يسمح لتدمير العقول وإزهاق الأرواح والتجارة في السلاح والمخدرات وسرقة منشآت الدولة وقطع الطرق والسوق السوداء.

رب احفظ مصر وأهلها وقيادتها من كل سوء واجعلها يارب بلدا آمنا مطمئنا يأتيها رزقها رغدا من كل مكان وصلى الله على معلم الناس الخير القائل «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

(الدخان ١٢)

أنباء الأزهر

هيئة كبار العلماء

أصدر رئيس جمهورية مصر العربية القرار رقم ٢٤ لسنة ٢٠١٢م بشأن تشكيل هيئة كبار العلماء وفيما يلي نص القرار:

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الإعلان الدستوري الصادر بتاريخ ١٣ / ٢ / ٢٠١١ م، وعلى الإعلان الدستوري الصادر بتاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠١١ م، وعلى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها المعدل بالمرسوم بقانون رقم ١٣ لسنة ٢٠١٢ م.

وبناء على ما عرضه شيخ الأزهر.

وبعد موافقة مجلس الوزراء.

قرر

(المادة الأولى)

تشكل هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف برئاسة الإمام الأكبر أ. د. أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر وعضوية كل من

- أ.د/ مصطفى عبدالجواد عمران، أستاذ بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين.
- أ.د/ عبدالرحمن عبدالغني العدوي، أستاذ الفقه المقارن بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر.
- أ.د/ يوسف عبدالله القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- أ.د/ بركات عبدالفتاح دويدار، أستاذ بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة.
- أ.د/ محمد الأحمدي أبوالنور، أستاذ الحديث ووزير الأوقاف الأسبق.
- أ.د/ حسن محمود عبداللطيف الشافعي، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ورئيس مجمع اللغة العربية.



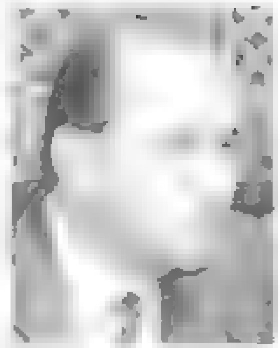
يوسف القرضاوي



الأحمدي أبو النور

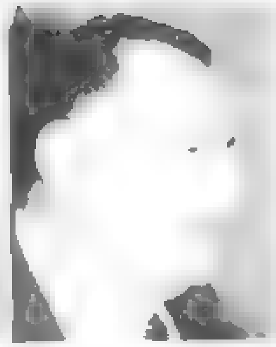


نصر فريد واصل



حمدي زقزوق

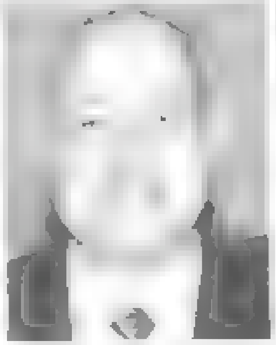
- أ.د/ محمد عمارة مصطفى عمارة، المفكر الإسلامي وعضو مجمع البحوث الإسلامية.
- أ.د/ عبدالفتاح عبدالله بركة أستاذ العقيدة والأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية.
- أ.د/ محمود حمدى محمد زقزوق، أستاذ العقيدة والفلسفة ووزير الأوقاف الأسبق.
- أ.د/ عبدالفتاح حسيني الشيخ، أستاذ أصول الفقه ورئيس جامعة الأزهر الأسبق.
- أ.د/ محمد رأفت عثمان، أستاذ الفقه المقارن وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق.
- د/ إسماعيل عبدالخالق الدفتار، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية.
- أ.د/ نصر فريد واصل، أستاذ الفقه ومفتي الديار المصرية الأسبق.
- أ.د/ طه مصطفى أبو كريشة، أستاذ اللغة العربية وعضو مجمع البحوث الإسلامية.
- أ.د/ محمد محمد أبو موسى، الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.
- أ.د/ القصبي محمود زلط، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين.
- أ.د/ أحمد طه ريان، أستاذ الفقه بكلية الشريعة والقانون.
- أ.د/ محمد المختار محمد المهدى، أستاذ اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- أ.د/ أحمد معبد عبدالكريم، أستاذ الحديث بكلية أصول الدين.
- أ.د/ عبدالمعطي محمد بيومي، أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر.
- أ.د/ أحمد عمر هاشم، أستاذ الحديث ورئيس جامعة الأزهر الأسبق.
- أ.د/ محمد عبدالفضيل محمد عبدالعزيز محمد الحلاوى، أستاذ العقيدة والفلسفة ووزير الأوقاف.
- أ.د/ محمود مهنى محمود إسماعيل، نائب رئيس الجامعة وعضو مجمع البحوث الإسلامية.
- أ.د/ عبدالله الحسيني أحمد هلال، أستاذ اللغة العربية ورئيس جامعة الأزهر ووزير الأوقاف السابق.
- الأستاذ الشيخ/ محمد محمد عبدالرحمن الراوى، أستاذ التفسير وعضو مجمع البحوث الإسلامية.
- أ.د/ علي جمعة محمد، أستاذ أصول الفقه ومفتي الديار المصرية.



أحمد عمر هاشم



علي جمعة



طه أبو كريشة



محمد رأفت عثمان

(المادة الثانية)

ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويعمل به اعتباراً من اليوم التالي لتاريخ نشره.

صدر برئاسة الجمهورية في ٢٧ شعبان سنة ١٤٣٣هـ

الموافق ١٧ يوليه سنة ٢٠١٢ م.

محمد مرسي

الاجتماع الأول لهيئة كبار العلماء

عقد صباح يوم الأربعاء ١٨ من شهر شوال عام ١٤٣٣هـ الموافق الخامس من سبتمبر عام ٢٠١٢م، أول اجتماع لهيئة كبار علماء الأزهر الشريف في إطارها القانوني وتشكيلها الجديد الذي يعيد الأوضاع في الأزهر الشريف إلى ما كانت عليه، وذلك في ضوء تعديل قانون الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م.

وبعد مناقشات طويلة معمقة تناولت ما حدده القانون بشأن تشكيل الهيئة ومهامها القانونية وحول مبدأ الاستقلال التام للأزهر، حتى يؤدى بكفاءة دوره في مجالات الثلاثة التي عرف بها ونهض بأعبائها منذ أكثر من ألف عام، وهي مجال الوطنية المصرية ومجال الأمة العربية والإسلامية، ثم مجال الدعوة العالمية الإنسانية.

والأزهر إذ يبدأ ينطلق - بحمد الله - منذ ما يقرب من عامين في هذه الدوائر والمجالات الثلاثة بفاعلية عالية، كما عهدت الأمة من أئمته وشيوخه طوال هذه القرون، وبما يبشر بمستقبل زاهر - إن شاء الله - فقد ناقش في هذه الجلسة توزيع العمل بين الهيئة الموقرة وبين مجمع البحوث الإسلامية، وطرق استكمال العضوية وسير العمل فيهما.

ثم ناقشت الهيئة ما ينصح به الأزهر بشأن المادة الثانية في الدستور الجديد المقترح، والمادتين المستحدثتين برقم ٣ و٤ في هذا الدستور، بشأن استقلال الأزهر الشريف باعتباره أحد المقومات الأساسية للمجتمع والدولة المصرية.

وتؤيد هيئة كبار العلماء بقاء المادة الثانية في الدستور المقترح كما هي في دستور ١٩٧١م

دون زيادة أو نقص، إضافة إلى المادة المستحدثة الخاصة بتقرير استقلال الأزهر الشريف أن "رأى هيئة كبار العلماء هو الفيصل عند الاختلاف فى كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية" وقد استظهرت الهيئة أن مبادئ الشريعة الإسلامية تشمل أدلتها الكلية، وقواعدها الفقهية والأصولية المعتبرة فى مذاهب أهل السنة والجماعة.

وكذا المادة التى تقرر أن "للمصريين المسيحيين واليهود التحاكم إلى مبادئ شرائعهم فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية، وشعائرهم الدينية، واختيار قياداتهم الروحية" وستواصل الهيئة الموقرة المهام الموكلة إليها فيما يتعلق بخدمة الأزهر، والأمة الإسلامية والإنسانية كافة.

وقد أعلن المجتمعون ثقتهم الكاملة فى فضيلة الإمام الأكبر شيخا للأزهر الشريف ورئيسا لهيئة كبار العلماء، كما تتوجه الهيئة إلى السيد رئيس الجمهورية بالشكر والتقدير بتفضله بالحضور فى الملتقى الأول للهيئة فى السابع عشر من شهر رمضان المبارك أعاده الله على مصر والعالمين العربى والإسلامى بالخير واليمن والبركات.

د. أحمد محمد الطيب

شيخ الأزهر الشريف

رئيس هيئة كبار العلماء

الإمام الأكبر: الأزهر على استعداد لتقديم المنح الدراسية لمسلمى أمريكا اللاتينية



شارك فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، فى حفل تأهيل عدد ١٧ من المسلمين الجدد من أمريكا اللاتينية، الذى نظمته جمعية سفراء الهداية وجمعية تبليغ الإسلام بالإسكندرية، بالاشتراك مع الرابطة العالمية لخريجى الأزهر والتى استمرت ثلاثة أشهر وذلك لتعريفهم بالإسلام ووسطيته، وتم رفع مستواهم فى اللغة العربية، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم

وأكد فضيلة الإمام الأكبر الاستعداد التام للأزهر الشريف لتقديم بعض المنح الدراسية لهم لمواصلة الدراسة بالأزهر الشريف، ودعم هذا الجهود المشرّف من الجمعيات.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الأزهر يساهم فى نهضة موريتانيا



استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، السفير أحمد فاضل يعقوب، سفير مصر المعيّن لدى جمهورية موريتانيا الإسلامية.

وقد تناول اللقاء مناقشة وسائل تدعيم أواصر العلاقات بين الأزهر الشريف وجمهورية موريتانيا الإسلامية حكومة وشعبا، فى مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والدينية والصحية، ودور الأزهر الشريف فى التنمية الاجتماعية والصحية التى تشهدها موريتانيا

وأبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لزيادة عدد المنح الدراسية المقدّمة لطلاب موريتانيا للدراسة بالأزهر إلى (١٥) منحة للدراسة بالكليات العملية كالطب والصيدلة والهندسة؛ حتى يتمكنوا من المشاركة الإيجابية فى نهضة موريتانيا الشقيقة.

كما وافق فضيلته على استضافة بعض علماء موريتانيا لإلقاء محاضرات فى الأزهر الشريف؛ انطلاقا من مكانتهم العلمية، وتقديرا لمستواهم العلمى والفكرى الرفيع

كما أبدى فضيلته استعداده من حيث المبدأ لزيارة موريتانيا وذلك فى إطار جولته العربية المرتقبة، والتى ستشمل بعض الدول العربية والإفريقية.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر: الأزهر لا ينسى أبناءه

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، الاحتفال بتكريم أوائل الشهادات الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية للعوت الفرعيات دفعة ٢٠١٠ - ٢٠١١م

وقال فضيلة الإمام الأكبر فى الاحتفال: إن الأزهر لا يدخر وسعا فى تكريم أبنائه الطلاب المتفوقين، ويسعى دائما لأن تشاركهم فرحتهم لتفوقهم، وإن كانت الفرحة اليوم قد تأخرت عاما كاملا؛ نظرا للظروف التى مرّت بها مصر العام الماضى، إلا أن الأزهر لا يمكن أن ينسى أبناءه المتفوقين، مطالبا الطلاب بمواصلة التفوق؛ لأن تفوقهم سيسهم فى نهضة مصر والأمة

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر يناشد الدول العربية والإسلامية

دعم الصمود الفلسطيني في مواجهة المخططات الصهيونية



شدد فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، على أهمية التضامن بين جميع الفصائل الفلسطينية، وإنهاء جميع مظاهر الانقسام بين الإخوة الفلسطينيين، وإعلاء مصلحة الشعب الفلسطيني على المصالح الحزبية الضيقة؛ حتى يكونوا صفًا واحداً في مواجهة مخططات الكيان الصهيوني، الذي يضمر شرا للجميع دون استثناء، كما طالب فضيلته جميع الدول العربية والإسلامية مساعدة ودعم صمود الشعب الفلسطيني الشقيق في نضاله، حتى تحرير أرضه والمقدسات الإسلامية والمسيحية التي ينتهكها الكيان الصهيوني

جاء ذلك خلال استقبال فضيلته لمعالي السفير د. بركات الفرا، سفير فلسطين بالقاهرة والمندوب الدائم لفلسطين لدى جامعة الدول العربية، والوفد المرافق لسيادته، وقد تناول اللقاء بحث المستجدات على الساحة الفلسطينية، وفي مقدمتها مشكلة القدس والمسجد الأقصى المبارك؛ حيث أوضح سيادته خطورة مخططات الكيان الصهيوني لتهويد القدس، وما يُحاك ضد المسجد الأقصى من مخاطر على غرار ما حدث بالحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل؛ حينما اقتطع الصهاينة جزءاً كبيراً من باحاته لإقامة الشعائر اليهودية فيه، وحرّموا المسلمين من الدخول إلى هذا المكان وإقامة الصلاة فيه.

كما تناول اللقاء قبول الطلاب الفلسطينيين خريجي المعاهد الأزهرية الفلسطينية بجامعة الأزهر، ودراسة تخفيف أعباء الرسوم الدراسية المقرّرة عليهم، مع زيادة المنح الدراسية للطلاب الدارسين بالأزهر وتقديمها من خلال السفارة الفلسطينية بالقاهرة؛ باعتبارها الممثل الرسمي لدولة فلسطين الشقيقة بالقاهرة.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر لدعاة الأمة:

انشروا الوعي الصحي في الناس وتصدوا لدعوات تحريم التطعيم



استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، د. علاء الدين العلوان، المدير الإقليمي للشرق الأوسط لمنظمة الصحة العالمية، وقد تناول اللقاء سبل التعاون بين منظمة الصحة العالمية، والأزهر الشريف، في مجال التوعية الصحية والبعد الديني، خصوصا في مكافحة الأمراض، بما في ذلك استئصال مرض شلل الأطفال والوقاية من الأمراض غير السارية مثل أمراض القلب والسرطان والسكري، وأمراض الرئة المزمنة التي تنتج عند التعرض لعوامل ومخاطر مثل التدخين والأنماط الغذائية غير الصحية، وفرط الوزن والسمنة، وقلة النشاط الإيجابي.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر على حرص الإسلام على جلب المصلحة ودرء المفسدة، وأن ذلك ينطبق على مقاومة مرض شلل الأطفال، خصوصا وأنه أصبح معلوما وبشكل علمي ويقيني أن اللقاح ضد شلل الأطفال يمثل الوسيلة المثلى للوقاية من هذا المرض، فضلا عن أنه وسيلة ذات جدوى اقتصادية عالية؛ لأنها من جهة قليلة التكاليف، ومن جهة أخرى تقي أبناء الأمة من الإصابات التي يمكن أن تنجم عن هذا المرض.

وناشد فضيلته علماء الأمة ضرورة دعم حملات التوعية ضد مرض شلل الأطفال، ونشر الوعي السليم بخصوص مقاومة الأمراض وعلاجها، وضرورة التصدي لبعض الفتاوى التي ظهرت في الآونة الأخيرة والتي تحرم التطعيم ضد مرض شلل الأطفال في دول شرق آسيا وغيرها من الدول؛ حيث إن هذا المرض يمثل خطورة كبيرة؛ لأنه يعرض الأطفال للموت أو الشلل في بعض الأطراف.

وقد أشاد المدير الإقليمي للمنظمة بدور الأزهر الشريف بقيادة الإمام الأكبر في حث على تكثيف حملة التطعيم ضد مرض شلل الأطفال، بغرض استئصال هذا المرض؛ حيث تم تحقيق تقدم كبير في سبيل محاربة هذا المرض على الصعيد العالمي باستثناء ثلاثة دول وهي للأسف تنتمي جميعها للعالم الإسلامي وهي (أفغانستان، وباكستان، ونيجيريا)، كما أبدى الدكتور العلوان أسفه من بعض الآراء التي تنسب زوراً إلى الدين الإسلامي وتدعو إلى عدم التطعيم.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر.. يشيد بالدور المتميز للكويت في خدمة القضايا العربية والإسلامية



استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، معالي السفير رشيد الحمد، سفير الكويت بالقاهرة، وبصحبته الأستاذ إسماعيل الكندري، رئيس المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بمصر، وقد تناول اللقاء بحث تدعيم أواصر العلاقات بين الأزهر الشريف ودولة الكويت الشقيقة في المجالات الدينية والثقافية والفكرية والاجتماعية، بما يخدم مصالح الشعبين الشقيقين، والتي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ.

ومن جانبه قدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر لدولة الكويت الشقيقة على مساهمتها الفعالة في مشروعات خيرية التي تقدمها لمصر، والتي تعد نموذجا طيبا للأخوة الصادقة بين الشعوب العربية في تكاتفها وتعاونها؛ بما يجعلها كمثل الجسد الواحد.

وقد جدَّد معالي السفير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة الكويت الشقيقة، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبيتها في الوقت المناسب؛ تقديرا لدولة الكويت؛ ولدورها المتميز على الساحة العربية والإسلامية والدولية.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر في ماليزيا لاستلام الدكتوراه الفخرية



استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، د. محمد فخر الدين بن عبد المطلب سفير ماليزيا، بمناسبة انتهاء فترة عمله بالقاهرة، وقد تناول اللقاء زيارة فضيلة الإمام الأكبر إلى ماليزيا، والمحدد لها شهر أكتوبر تلبية لدعوة رسمية من رئيس الوزراء السيد داتو سري محمد نجيب عبد الرازق؛ لاستلام فضيلة الإمام الأكبر الدكتوراة الفخرية من جامعة ملايا بماليزيا.

كما تناول اللقاء إنشاء المدينة السكنية المقرر إقامتها بتمويل ماليزي، كمساهمة من الدولة الماليزية لإسكان طلابها في رحاب الأزهر الشريف

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

أبواب الأزهر مفتوحة لطلاب العلم لينهلوا من علومه



كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، السفير طارق أبو سنة، سفير مصر بأذربيجان، وقد تناول اللقاء بحث سبل تدعيم أواصر العلاقات بين الأزهر الشريف ودولة أذربيجان في المجالات الدينية والتعليمية والثقافية.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر جهود الأزهر الشريف في استضافته للطلاب من الدول المختلفة في رحابه، ورعايتهم علميا وثقافيا وفكريا واجتماعيا وصحيا، بما فيهم طلاب جمهورية أذربيجان، بمدارس معهد البعوث وجامعة الأزهر الشريف، بما يؤهلهم ليكونوا مشاعل هدى وسفراء لبلادهم فور تخرجهم.

وأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر الشريف لتلبية احتياجات دولة أذربيجان من الدعاة والمبعوثين، وأن أبواب الأزهر مفتوحة لكل طالب علم لينهل من علومه ووسطيته واعتداله.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر يؤكد على الحفاظ على استقرار أوضاع جميع العاملين بالأزهر

أصدر فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، توجيهاته للجهات المختصة بالأزهر الشريف بمتابعة كافة القرارات التي تصدر في وزارة التربية والتعليم، وبخاصة ميزات للمعلمين بالوزارة؛ لإقرارها على معلمي الأزهر الشريف.

من ناحية أخرى فقد صرح أ. إبراهيم صادق رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر بأنه جارٍ التنسيق بين الأزهر الشريف والجهاز المركزي للتنظيم والإدارة لتقنين وضع [illegible]

مخصصة لمن ينطبق عليهم قانون تكادر ١٥٦ . وجارى النظر فى استحداث وظائف لغير المتخصصين فى التعليم الذين لا ينطبق عليهم هذا القانون، والأزهر الشريف فى انتظار موافقة الجهاز على الوظائف المقترحة، ويجرى حاليا التنسيق مع وزارة المالية لتعزيز البند المالى للمعلمين بالحصة. فى محاولة لزيادته لصالح المتعاقدين بالحصة.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر لوكيل لجنة الصحة بمجلس الشورى:

هدفنا توفير كافة السبل لتحصيل العلم



د. حامد الدالى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، د. حامد محمد الدالى، وكيل لجنة الصحة بمجلس الشورى، حيث ناقش مع فضيلة الإمام الأكبر إمكانية إصدار قرار من الإمام الأكبر بتشغيل كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بمدينة بورسعيد؛ حتى تكون قائمة بذاتها.

كما تناول اللقاء مناقشة الضوابط الجديدة التى وضعها المجلس الأعلى للأزهر والخاصة ببناء المعاهد الأزهرية الجديدة، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة تلك الأمور بما يحقق الصالح العام للأزهر الشريف وطلابه، مؤكدًا أن هدفنا هو توفير كافة السُّبل لتحصيل العلم وتذليل كافة العقبات للطلاب والمدرسين.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر

الإمام الأكبر يكرم الطلاب الوافدين الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر د. أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - بتكريم الطلاب الوافدين الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم التى نظمتها الرابطة العالمية لخريجى الأزهر

وقال أسامة ياسين - نائب رئيس الرابطة -: إنَّ عدد الطلاب الفائزين فى المستوى الأول - القرآن كاملا بلغ ١٤ طالبا، وفى المستوى الثانى ثلاثة أرباع القرآن ١٠ طلاب، وفى المستوى الثالث نصف القرآن ١٠ طلاب، وفى المستوى الرابع ربع القرآن ٥ طلاب، وفى الترتيل ٥ طلاب.

صرح بذلك الدكتور محمد جميعة مدير عام الإعلام بالأزهر.

أنباء العالم الإسلامى



١٠ آلاف توقيع مسلم أمريكى.. لوقف مذابح بورما

قام الدكتور إبراهيم نجم مستشار فضيلة مفتى الجمهورية- بجمع ما يزيد على عشرة آلاف توقيع من الجالية الإسلامية بنيويورك لتقديمها للأمين العام للأمم المتحدة بان كى مون، وللخارجية الأمريكية بهدف الضغط الشعبى والدبلوماسى على حكومة ميانمار لوقف المذابح ضد مسلمى بورما.



جاء ذلك عقب صلاة العيد التى أمها د. نجم فى ولاية نيويورك- بالجالية الإسلامية هناك ودارت خطبة العيد حول أهمية العمل لصالح الأمة الإسلامية ورفعتها ووحدتها وقضاياها مؤكدا أن الجالية الإسلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك من الإمكانيات والمقدرات الكبيرة ما يؤهلها أن يكون لها دور مؤثر فى دعم القضايا الإسلامية العادلة موضحا أن المجازر التى يتعرض لها مسلمو بورما عار على جبين الإنسانية كلها مؤكدا أن السكوت على هذه المجازر جريمة فى حق الإنسانية والمسلمين على وجه الخصوص.



وحث د. نجم حملة إسلامية في نيويورك على جمع خمسة توقيعات لوقف هذه المأساة الإنسانية بهدف زيادة الضغط الشعبي والدبلوماسي على حكومة ميانمار التي تمارس شتى أنواع الحرب ضد مواطنيها المسلمين.

وفور الانتهاء من حفلة العيد ستحدث عدد كبير من المشاركين لهذه الحملة ومن المقرر أن تصل التوقيعات إلى مكتب الأمين العام للأمم المتحدة والخارجية الأمريكية وفي وقت قريب.

الجدير بالذكر أن فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة أوفد الدكتور نجم لإحياء شهر رمضان في الولايات المتحدة الأمريكية.

البوذيون يتظاهرون لطرد المسلمين من ميانمار

نظم مئات الرهبان البوذيين في ميانمار مسيرة للمطالبة بطرد أقلية «الروهينجا» المسلمة من البلاد، مؤكدين دعمهم لموقف الحكومة في «ناي بي تاو» في هذا الشأن، وسارت طوابير طويلة من الرهبان بأرديتهم الحمراء التقليدية في شوارع «ماندالاي» في وسط البلاد. وانضم إليهم آلاف المواطنين المؤيدين لطروحاتهم، ورددوا جميعا شعارات تؤكد أن أقلية الروهينجا ليسوا جزءا من هذا البلد، في حين أطلق آخرون هتافات مناهضة للمبعوث للأمم المتحدة توماس أوخيا كوينتانا الذي يتهمه المتظاهرون بالانحياز للمسلمين.

وكان الرئيس البورمي قد أكد أنه من المستحيل القبول بالروهينجا، طارحا فكرة ترحيلهم أو تجميعهم في مخيمات تديرها الأمم المتحدة.

حفريات إسرائيلية واسعة بالمسجد الأقصى وإصابة 5 فلسطينيين على يد مستوطنين

أعلنت مؤسسة الأقصى للوقف والتراث أن الاحتلال الإسرائيلي ممثلا بما يسمى «سلطة الآثار الإسرائيلية» و«جمعية إلعاد» الاستيطانية و«سلطة الحدائق والطبيعة» شرع خلال الأيام الماضية في حفريات واسعة في منطقة قصور الخلافة الأموية جنوب المسجد الأقصى وتحديدا في الزاوية الشرقية الجنوبية.

وأضافت المؤسسة في بيان لها أنه خلال زيارة ميدانية لطاقمها الإعلامي شوهد عشرات الحفارات والحفارين من الإسرائيليين والأجانب يقومون بحفريات واسعة في منطقة القصور



الأموية، تشمل الأرصفات والجدران، ويتم تفريغ المنطقة من الأتربة والحجارة ثم توضع في أكياس كبيرة، تنقل فيما بعد إلى أماكن مجهولة ليلا.

وميدانيا، أصيب خمسة فلسطينيين بجروح مختلفة بعد رشق الحافلة التي كانوا يستقلونها بالحجارة من قبل مستوطنين على طريق نابلس - رام الله وسط الضفة الغربية، وذكرت مصادر فلسطينية أن طريق رام الله شهد تجمع عشرات المستوطنين على الطريق وإلقاء الحجارة على المركبات الفلسطينية، الأمر الذي أدى إلى تحطيم عشرات المركبات الفلسطينية. وأن الإغلاق استمر لأكثر من ساعة وتم فتحه بعد تدخل جنود الاحتلال الإسرائيلي وإجبار المستوطنين على مغادرة المكان وفي سياق متصل، أكد مصدر أمني فلسطيني لوكالة «وفا» أن قوة من جيش الاحتلال اقتحمت قرية بتير غربية بيت لحم بالضفة الغربية وداهمت عددا من المنازل وفتشتها بشكل دقيق ثم اعتقلت فلسطينيين اثنين.

مفتي موريتانيا يدعو لتشكيل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

دعا مفتي موريتانيا وكبير الأئمة أحمد ولد لمرابط ولد حبيب الرحمن إلى تشكيل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال ولد لمرابط «إن إنشاء هذه الهيئة أولى وأجدر من إنشاء المجلس الأعلى للإفتاء ورفع المظالم».

وكانت الحكومة الموريتانية قد أنشأت مؤخرا مجلسا أعلى للإفتاء ورفع المظالم.

وأضاف أنه سبق وأن طالب بتشكيل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤكداً أنه ما

يزال يطالب بها.

وأشار إلى أنها هيئة لها سلطة قد خولت لها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب على أيدى المفسدين»، مؤكدا أن «العناية بها من الضرورة بمكان وهي أولى وأجدر بأن تنشأ من هيئة لإفتاء دون التقليل من هيئة الإفتاء وإنما لأن هنالك كثيرا من العلماء يقومون بالإفتاء»، وفق تعبيره».

بوتين: المجتمع الإسلامي الروسي يشهد صحوة حقيقية

هنأ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مسلمي روسيا بمناسبة حلول عيد الفطر مشيرا إلى أن هذا العيد يدعو الناس إلى كل ما هو سام من الأخلاق.

وذكرت صحيفة «روسيسكايا جازيتا» الروسية أنه جاء في برقية التهنئة أن المجتمع الإسلامي الروسي يشهد صحوة حقيقية اليوم وإن روسيا تشهد تشييد المزيد من المساجد ومؤسسات التعليم الإسلامي.

ومن جهة أخرى أشارت صحيفة «إزفستيا» الروسية أن الإدارة الدينية لمسلمي موسكو تقدمت لسلطات العاصمة بطلب لبناء مسجد كبير ضمن الحدود الإدارية لمدينة موسكو وترى الصحيفة أن هذه الخطوة تعني تخلي الإدارة الدينية عن مطالبها السابقة بإقامة عدد من المساجد موزعة في أحياء المدينة لصالح بناء مسجد ضخم يتسع لعدد كبير من المصلين.

وقالت الصحيفة: بما أن الطرفين اتفقا من حيث المبدأ يبقى عليهما الاتفاق بشأن الموقع حيث تشترط الإدارة الدينية أن يكون الجامع العتيد وسط المدينة وعلى مقربة من إحدى محطات المترو ليسهل الوصول إليه لكن سلطات العاصمة تخشى من معارضة الموسكويين.

وتعليقا على هذه القضية التي لا تزال تنتظر حلا منذ سنوات يقول ممثل المجمع الكنسي في بطريركية موسكو: لا جدال في أن ثمة حاجة حقيقية وملحة لبناء مسجد كبير لكن المواقع التي تقترحها الإدارة الدينية من شأنها أن تثير مشاكل نحن في غنى عنها.

..وروسيا تدين اغتيال داعية إسلامي في داغستان

ذكرت صحيفة (نيزافيسيمايا جازيتا) أن الداعية الإسلامي الراحل الشيخ سعيد أفندى الذى لقي مصرعه في تفجير انتحاري بداغستان تمكن من إرساء علاقات سابقة مع أركان الدولة والسلطة وكان له تأثير قوى على أعضاء الإدارة الدينية لمسلمي داغستان.. واصفة جريمة اغتياله بأنها «محاولة من المتطرفين لمنع التقارب بين مختلف الجماعات الدينية والقومية».

وأضافت الصحيفة أن الشيخ سعيد أفندى كان من أشهر رجال الدين بشمال القوقاز وكان له ٢٥ ألفا من المريدين على الطريقتين النقشبندية والشاذلية.. لافتة إلى المساعي التي بذلها في شهر مارس الماضي حين عقد اجتماعا بين الصوفيين والسلفيين الممثلين في رابطة علماء (أهل السنة) المعترف بها رسميا وتوافق الجانبان آنذاك حول جملة من القضايا مما بعث الأمل بوقف المواجهات الدامية المستمرة في الجمهورية منذ عقدين.

وكان الشيخ سعيد أفندى قد لقي مصرعه مع ستة من طلابه إثر قيام انتحارية بتفجير لغم كان بحوزتها داخل منزله بمنطقة شيركي في جمهورية تابعة للاتحاد الفدرالي الروسي بعد أن ادعت أنها إحدى طالباته لتتمكن من دخول المنزل والاقتراب منه.

الخبراء العرب يدينون العمل الإرهابى ضد الجنود المصريين برفح

أدان السفير أشرف محسن رئيس فريق الخبراء العرب المعني بمكافحة الإرهاب الحادث الإرهابى الذى تعرضت له قوة حرس الحدود المصرية برفح في الشهر الماضي.

أشار إلى أن الخبراء في اجتماعهم بمقر الجامعة العربية أكدوا دعمهم لمصر وللحكومة المصرية لبسط سيادتها وبنفوذها على كافة أراضيها وحقها في اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة للحفاظ على أمن مواطنيها وأراضيها.

وأكد محسن نجاح الدول العربية في وضع بصمتها في الأمم المتحدة من خلال الاستراتيجية الدولية لمكافحة الإرهاب وفي منع صدور اتفاقيات دولية كانت ستضر بصورة العرب والمسلمين، مشيرا إلى ضرورة استمرار التنسيق والتواصل العربي في مجال مكافحة الإرهاب والحفاظ على المصالح العربية والإسلامية في الأمم المتحدة وكافة المحافل التى تعمل في مجال مكافحة الإرهاب.

صحيفة أمريكية تتساءل عن سر السكوت عن السلاح النووى الإسرائيلى

تساءلت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية عن السبب الكامن وراء رصد الصحف لكافة تطورات البرنامج النووى الإيراني، في حين لا توجد أى تقارير دقيقة عن القدرات النووية الإسرائيلية.

وأوضحت الصحيفة الأمريكية على موقعها الإلكتروني أن الأسباب الكامنة وراء ذلك تتمثل في أن إسرائيل ترفض الاعتراف علنا بامتلاكها أسلحة نووية، كما ترفض الإدارة الأمريكية الاعتراف بوجود مثل هذا البرنامج، مشيرة إلى أن موقف إسرائيل الرسمي، كما أكد المتحدث باسم السفارة الإسرائيلية في واشنطن، هو أن إسرائيل لن تكون أول دولة تدخل السلاح النووى إلى الشرق الأوسط. فإسرائيل تدعم أن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من كافة أسلحة الدمار الشامل، عقب إرساء السلام بداخلها.

ولفتت الصحيفة إلى أن الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندى حاول بقوة منع إسرائيل من امتلاك سلاح نووى، إلا أن الجهد المبذول من قبل خلفائه كان أقل، ومنذ أن تم التوصل إلى اتفاق، لم يتم الضغط على إسرائيل للكشف عن قدراتها النووية والتوقيع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وفي المقابل، وافقت إسرائيل على عدم الاعتراف علنا بامتلاكها أسلحة نووية

which preserves the rights of the nation without harming them with permitting prohibited matters.[1]

Allah made all the natural phenomena submit to the human being. Also, He willed to make compromise between the human powers and the natural powers. He is like a brother to nature, everyone of them submits to the other, the matter which makes the freedom of the human being the freedom of the responsible creature. It is the freedom of someone who is asked about what he does not have who is completely not like the one who does whatever he wants.

Thus, Islam came to.

{Releases them from their heavy burdens (of Allâh's Covenant with the Children of Israel), and from the fetters (bindings) that were upon them.}

[Al-A`raf 157]

This is to destroy the bonds which prevent the human being from achieving his desires of freedom. Islam started with setting a value for freedom in practicing and applying, when it liberating the human being from the cuffs of the pre-Islamic era and its oppression and darkness. It reformulated the human being in an Islamic way that liberated his abilities and faculties until he becomes great although he is in fact small.

The unique Qur'anic generation was educated and brought up in Dar Al-Arqam ibn Abu Al-Arqam, which was one of the first establishment set up by Islam to reformulate this human being. It created the curricula of freedom and liberation, putting education before politics and the nation before the state because origins precede the branches.

[1] Al-Ustaz Magazine - 19th issue, p. 439, Cairo, 8th of Jumada Al-Thaneyyah 1310 corresponding to 27 December 1892 A.D.

هامبورج تعترف بحقوق الجالية الإسلامية

أعلنت بلدية مدينة هامبورج الألمانية أنها توصلت مع الجالية الإسلامية إلى اتفاقية توسع دائرة اعترافها بحقوق الجالية الدينية بمنح أفرادها أجازات رسمية في أعيادهم وتحسين دروس تعليم الدين الإسلامي في المدارس والإقرار بحقوقهم في دفن موتاهم بمقتضى أحكام الشريعة.. ووفقا لما ذكرته مجلة «ديرشبيجل» الأسبوعية الألمانية. فإن الاتفاقية التي تعد الأولى من نوعها في ألمانيا مازالت تحتاج لموافقة برلمان المدينة عليها من أجل أن تصبح قابلة للتطبيق وتتيح لأبناء الجالية الإسلامية في هامبورج حق الحصول على أجازة بأجر في الأعياد، ومن لا يرغب في التمتع بها يحق له التعويض عنها في أيام أخرى، كما تقوى فرص تحسين دورات تعلم الدروس الدينية في المدارس.

«محمد» الاسم الأكثر انتشارا في بريطانيا وويلز للعام الخامس

احتل اسم محمد مقدمة الأسماء الأكثر استخداما للأطفال في إنجلترا وويلز، للعام الخامس على التوالي، بعدما أظهرت إحصائية رسمية أنه الاسم الأكثر شيوعا بين مواليد العام الماضي تلاه اسم هاري

وقال مكتب الإحصاء الوطني البريطاني، في بيانات نشرها في شوال الماضي إن «هاري» هو الاسم الأكثر انتشارا بين الأولاد للعام ٢٠١١. ومع اعتبار اختلاف طرق الهجاء الخمس لاسم «محمد» بالحروف اللاتينية فإنه يصبح الاسم الأكثر شيوعا.

ويشار إلى أن «محمد» هو الاسم الوحيد الذي حافظ على مكانته المتقدمة ضمن لائحة الأسماء الأكثر استخداما للمواليد ببريطانيا وويلز منذ عام ٢٠٠٧.

ولأول مرة، احتل اسم «محمد» المرتبة الأولى في ٢٠٠٩، واسم «أوليفر» في العام التالي. وبحسب بيانات «مكتب الإحصاء الوطني» للعام الماضي، جاء «هاري» الاسم الأكثر انتشارا بين الأولاد من المواليد، حيث تكرر ٧٥٢٣ مرة، يليه «أوليفر» الذي تكرر ٧٠٠٧ مرة، بينما محمد تكرر ٥٩٤٥ مرة ليحتل الترتيب الثالث.

وجاء ترتيب اسم محمد مقسما على ثلاث مراتب حيث تختلف طريقة الهجاء بالحروف اللاتينية. ويتوقع أن يزداد اسم محمد انتشارا خلال العام الحالي تيمنا بالعداء «محمد» فرح، الذي منح بريطانيا ميداليتين ذهبيتين في سباق المسافات الطويلة في أولمباد لندن. وسط توقعات بتضاعف أعداد الجالية المسلمة في بريطانيا خلال العقدين المقبلين.

وتقول إحصائية حديثة إن نسبة المسلمين ببريطانيا نمت من ٢ في المائة عام ١٩٩٠ إلى ٤.٦ بالمائة في ٢٠١٠، ويتوقع أن تصل النسبة إلى ٨ في المائة بحلول ٢٠٣٠.

{There is no compulsion in religion. Verily, the Right Path has become distinct from the wrong path. Whoever disbelieves in Tâghût and believes in Allâh, then he has grasped the most trustworthy handhold that will never break. And Allâh is All-Hearer, All-Knower.}

[Al-Baqarah [the Cow): 256]

{"He said: "O my people! Tell me, if I have a clear proof from my Lord, and a Mercy (Prophethood) has come to me from Him, but that (Mercy) has been obscured from your sight. Shall we compel you to accept it (Islâmic Monotheism) when you have a strong hatred for it?}

[Hud: 28]

{"And had your Lord willed, those on earth would have believed, all of them together. So, will you (O Muhammad peace be upon him) then compel mankind, until they become believers.}

[Yunus: 99]

Allah willed for the people guidance and faith, but he gave this along with this divine will choice. Thus, Islam supports freedom in all fields.

If the testimony of faith is the essence of religiousness, it is a revolution to liberate the human being from the slavery of worshipping idols. It is to dedicate worship to Allah Alone, which is regarded as the essence of liberating the human being from worshipping other than Allah. It is worshipping Allah Who is free from materialism. Thus, it liberates the human being from worshipping the material idols, which steal their resolution, choice, and freedom.

When Islam calls the people not to squander their properties by refining the desires and to be limited to benefiting from them not merely possessing, it achieves a great achievement on the way of liberating the human being and to be freed from being enslaved to the possessed things.

The human being has a remarkable trend with regard to human freedom, its scope and limits, the human being is Allah's successor on earth. Thus, his freedom is that of the successor not that of the master of this universe. He is a master in this universe, but not the master of this universe. In the words Imam Muhammad Abdu[1266-1323 A.H. / 1849-1905 A.D.]: "The human being is the Slave of Allah only, and master of anything other than Him."

Also, he is free within the scope of the external factors and circumstances, which are not made by him and which he can not change or amend. Also, he is free within the scope of his desires and trends, which may not be always for the sake of his freedom.

Also, he is the free successor within the scope of the firmly established facts of the Shari'ah, which is the contract of succession. The freedom of the human being, who is Allah's successor is not the liberal western freedom, which claimed that he is the master of this universe and that his personal freedom does not submit to any limits. When this concept, which is based on dissipation and not interference in the affairs of others came to our Islamic countries in the nineteenth, the Muslim scholars criticized it extremely. Abdullah Al-Nadim [1216-1313 A.H. / 1845-1896 A.D.] said:

If we say that freedom entails the non interference in others' affairs, we say that freedom is claiming for rights and abiding by the limits. We hear about things which take us to bestiality and getting out of human limits. If these things are appropriate in Europe, we can say that every nation has its religious and environmental customs. This dissipation does not suit the morals of Muslims or their religious rules and customs. Real law is that

[Al-An'am (the cattle)123]

When a person embraces Islam, he is freed from the slavery of worshipping idols and achieves the freedom which establishes the meaning of life and its reality. Thus, the testimony of faith is the title of freedom, as it frees the person from worshipping the idols. Thus, dedicating worship to Allah Alone.

The words of Imam Al-Nasafy saying: "slavery is an effect of disbelief" draws our attention to the practical stance adopted by the Islam since its emergence towards slavery.

Islam emerged in the Arabian Peninsula and the area behind it while slavery was a well-established and very harsh system. Also, it is regarded as an economic and social pillar for the world at that time. If we look at the background and circumstances that accompanied the emergence of Islam, we find slavery which spread at that time along with the wars, continuous invasions, dire poverty, inability to pay the debt, slave markets which were full of slaves and represent a source of investing.

These were the basic and distinguishable marks of all of the societies. We may say that slaves were the international currency for the economy, to the extent that it caused the Roman and Persian Empires – the Supreme Powers at that time – to make all of the peoples of the world to slaves.

When Islam emerged and its state was established in Al-Madinah Al-Munawwarah, it prohibited and cancelled slavery, as it caused the people to like freeing the slaves and made it one of the recipients of obligatory charity. Thus, many Kaffarahs (expiation) were freeing slaves.

When Islam called for equality between slaves and masters in food, drink and clothing and called for treating the slaves kindly and not hardening

them with many tasks, slavery became a burden and the rich did not like to buy slaves.

The stance of Islam towards freedom and its enmity to slavery are not merely intellectual and theoretical stances. Rather, they embody comprehensive revolutionary and reforming experience, which changed the society in which these changes appeared. This is regarded in favor of Islam and apostasy can not be regarded against it, when slavery spread in subsequent periods in history.

Islam considered replacing the prisoners of war with the Muslim prisoners. Also, it prescribed ransom in this regard.

{So, when you meet (in fight — Jihād in Allāh's Cause) those who disbelieve, smite (their) necks till when you have killed and wounded many of them, then bind a bond firmly (on them, i.e. take them as captives). Thereafter (is the time) either for generosity (i.e. free them without ransom), or ransom (according to what benefits Islām), until the war lays down its burden.}

[Muhammad -4][2]

If this is the stance of freedom in the Islamic view, then this view linked the value of freedom with the human being in general not the Muslim only. If the religion and religiousness are the most precious things possessed by a person, the Islamic confirmation of the freedom of conscience in the religious creed witnesses the sanctity of the human freedom in all fields. He is free even in choosing disbelief:

[1] See the details of this field in our book "Izalet Al-Shubhat and Ma'ny Al-Quran" slavery pp. 474-479, Cairo edition – Dar Al-Salam – 1431 A.H. 2010 A.D.

emergence indicated the link between freedom and responsibility in the Islamic view, as the issue which stirred dispute is the changes that happened during the Umayyad Dynasty in the Islamic ruling, which changed from consultancy and complete caliphate to incomplete one as well as the intellectual and political struggles that occurred among the Muslims concerning these changes. Are the people in charge regarded responsible for them, as they are free and can choose, or they are not responsible either wholly or partially as they are destined and compelled to that? If Taklif (meeting the conditions to be held legally accountable for actions) which is the indication of responsibility in the Islamic law and jurisprudence is regarded as a branch of freedom, then freedom in the Islamic view exceeded the scope of individualism (the freedom of the individual) to the social freedom of the nations and societies.

There are individual obligations in the Islamic Taklif, which necessitates the freedom of the Mukallaf (person meeting the conditions to be held legally accountable for actions). Also, there are other social obligations which necessitate the freedom of the society. This means surpassing the scope of freedom in the Islamic view from the beginning the scope of the individual to the society.

This contradicts the opinion of those who opine that freedom and choice are related to the individual and religion without exceeding this scope. If the individual obligations necessitate the freedom of the individual, then the social obligations, which are imposed on the nation, necessitate the freedom of the nation. Rather, the social obligations in the Islamic view are more stressed than the individual obligations.

The evidence is that the non-performance of the individual obligation affects negatively the individual only while the non-performance of the social obligations affects negatively the whole nation. This indicates that

the freedom of the nation is the basis of the freedom of the individual. The Islamic look at the freedom and its status in it is distinguished, especially when the comparison indicates the look of the western civilization and some of the eastern civilizations at this subject.

- Freedom in Islam is a human necessity, divine obligation, and a legal duty. It is not merely a right, which can be canceled by the individual.
- The status of freedom reaches in its importance the status of life which is starting and ending point, and the point at which the existence is united with the human. Islam regarded slavery as death and freedom like life. Freeing a bondsman is like getting him out of death into life. This is the reason behind making freeing bondsman expiation for involuntary manslaughter, as by so doing, a person gets a person from slavery which is like death to life, which is freedom.

{and whosoever kills a believer by mistake, (it is ordained that) he must set free a believing slave and blood money is to handed to his family}

[Al-Nisa' (Women): 92]

Imam Al-Nasafy – one of the jurists who illustrate the meanings of the Noble Qur'an – said: "When a person causes another person to get out life, he should revive another person and free a person from slavery to life, as the slaves are associated with the dead, and slavery is one of the effects of disbelief, which is regarded as death[1]. Allah says:

{Is he who was dead (without Faith by ignorance and disbelief) and We gave him life (by knowledge and Faith)}

[1] Al-Nasafy: Madarik Al-Tanzil wa Haqa'iq Al-Ta'wil, part. 1, p. 189, Cairo edition, 1344 H.

of Staff of the Armed Forces, Sami `Anan, and the Minister of Interior Affairs, General Ahmad Gamal Al-Din arrived at Rafah.

Soon after their arrival at Rafah where the attack took place went to assured of the exerted efforts to cure the effects of the terrorist accident, which caused the martyrdom of 16 officers and soldiers and the injury of other 7 soldiers.

The President visited all of the security points to be assured of the status of the soldiers and the forces working in this area. This accident was to carry out a plan to unsettle the security of Sinai. Also, the political analysts linked the Israeli call to let its citizens to leave Sinai for fear of a probable attack to this accident. They concluded the involvement of Israel in it and suchlike.

Whatever the reality is and whatever is the criminal is, the Islamic parties as well as the other Egyptian parties responded to this treacherous aggression with denouncement, condemn, and call to arrest the criminals quickly and submitting them to the court.

Freedom and Justice Party issued a statement in which he condemned this treacherous terrorist aggression and called the President, the Supreme Commander in-Chief, the government, and all of the concerned bodies to take the requires measures to face it dangerous challenge to the Egyptian sovereignty, and taking the necessary measures to protect Sinai from all of the destructive plans.

Hasan Hijab, the General Assistant of Freedom and Justice Party in the north of Sinai, considered this accident as an aggression against Egypt and the Egyptian forces, and regarded Israel responsible for it, as it tries to spread mess and unsettlement. Also, it wanted to frighten the Egyptians. Kamal Habib, the Jihadi leader and expert of the Islamic groups' expert, denied any relation of Hamas to Sinai accidents.

No one can deny that what happened is a treacherous crime and it will not pass without punishment. Egypt and the Arab region will get out of this operation treacherous safe, and Egypt will remain Allah's Quiver on earth, and its men will destroy the places of evil wherever they are.

*The Islamic Concept of Freedom...!

The reasons for prosperity and breakdown

By: Dr. Muhammad `Imarah

Editor – in – Chief of Al-Azhar Magazine

Freedom is the opposite of slavery, and the free person is the opposite of the slave or the bondsman. Freeing a bondsman means freeing it from slavery. Freedom is permitting a person to do whatever he wants, being expressed in any way. On condition that, he does not violent the other people wrights.

The difference between the two words is revealed in the Qur'an:

{Al-Qisâs (the Law of Equality in punishment) is prescribed for you in case of murder: the free for the free, the slave for the slave, and the female for the female.}

[Al-Baqarah (The Cow): 178]

One of the Islamic aphorisms is that said by the second Guided Caliph, `Umar ibn Al-Khattab [40 B. H – 23 H / 548-644 A.D] in which he said: "How do you enslave the people who were born free?"

The topic of freedom and choice is the first topic handled by the Islamic philosophy in the Islamic civilization after the emergence of Islam around the middle of the first century after Hijrah. The circumstances of this

* The Leading Article In Arabic Section Of Al – Azhar Magazine.The Dhul-qeadah, 1433 A.H

The Targeted Sinai…!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Out of the decisions made by the late President Muhammad Anwar As-Sadat but he passed away before being achieved is reconstructing Sinai and settling three millions and half million Egyptians in it. There were many plans set after uncountable studies to develop and reconstruct Sinai but were not achieved. Many of these plans were declared, but found no strong resolution to achieve them. The crimes of the enemies did not stop targeting the lands of Sinai, out of which is the horrible crime which occurred in Ramadan, when the Adhan of Maghrib (Sunset) Prayer was announced on the 17th of Ramadan, corresponding to the 5th of August, 2012.

Our soldiers on the borders started to prepare their food after performing the Maghrib Prayer in congregation, being guarded by a few number of soldiers, as they get used to this in these days. They guard the borders, which should be protected and this was done according to the Islamic Shari`ah, not to give a chance to their enemy to attack them. Our brave soldiers did not expect to be killed by these bullets of treachery. These bullets surrounded them from everywhere, so that 16 officers and soldiers were killed and others were injured in a scene that looked like a massacre. This happened in the desert of Sinai at the eastern borders. What happened to day?

A group of people called Al-Jihad carrying black banners exploited the time of breaking the fast to attack our brave soldiers at the borders. They are 35 persons who started to attack border point and were able to steal police armored car driven by one of them. Then, they reached the border point and shoot all of the soldiers in this point. Also, they targeted at the dawn of the same day another secured site near Al-Risah. They shot the policemen who responded to the attackers, as they fled.

A security source commented that these attackers chose suitable time for carrying out their operations. They chose the time of breaking the fast to attack the border point in Rafah and the time of pre-dawn meal to attack Al-Risah. Security services managed with the help of the tribes of Sinai to besiege all of the people who carried out the operation. There was also done by a helicopter to attack them.

In the same context, the Egyptian officers and soldiers who work at the borders of Rafah performed the Funeral Prayer near their working places over the martyrs who were killed in the terrorist operation at the night of the same day. As for the people who carried out this attack, they are people of the black banners, who have the thought of rendering people as disbelievers. They attacked previously Al-`Arish second police station. They executed armed operations against Egyptian citizens, police stations, and destroying gas lines.

As for the current status, an official source affirmed that emergency state was declared in Sinai, especially in Rafah to arrest the accused people. The source said that 50 ambushes were spread in addition to combing the area completely and carrying out intensive measures and cooperating with the sheikhs of the tribes to recognize the people who executed this attack as soon as possible.

Dr. Samy Anwar, the manager of Al-Arish Public Hospital, said that the blood refrigerators in Arish were full of blood after calling the citizens to donate blood after this painful accident. It is well- known that such a crime which took place in Rafah is financed by external elements. This accident has shaken the conscience of the Islamic world, and the Salafi Da`wah in Sinai confirmed the necessity of searching for the criminals and arresting them as soon as possible. Also, it said in its statement that no mercy should be shown to the criminals after they violated the sanctity of blood and that of the blessed month and risked our security.

Form the political point of view, President Muhammad Morsy, the Minister of Defense, Field Marshal Muhammad Hussein Tantawi, Chief



AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-qaedah, 1433 A.H

ENGLISH SECTION

September, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

في العدد القادم

AL AZHAR
MAGAZINE

facebook.com/AlAzharMag

تذكار عدد في فقه الحج إلى بيت الله الحرام

الافتتاحية: **مؤتمر الحج الأكبر**

أ.د. محمد عمارة

ويكتب فيه هؤلاء العلماء:

الشيخ محمود شلتوت	د. محمد عبد الله دراز
العلامة محمد فريد وجدي	الشيخ عبد الله بن بيه
د. أحمد الريسوني	د. طه جابر العلواني
د. مصطفى محمود	د. أحمد خيري العمري

د. يحيى رضا جاد

هدية عدد ذي الحجة

الخطوط العريضة لدين الشيعة

العلامة المجاهد محب الدين الخطيب

دراسة وتقديم أ.د. محمد عمارة

الأزهر







مؤتمر الحج الأكبر
أ. د. محمد عمارة

الحج: الجوانب الاجتماعية ووحدة الشعوب الإسلامية
أ. د. محمد عبد الله دراز

سلك نفسي
د. مصطفى

فريضة الحج.. مقاصد وغايات
د. وصفي عاشور



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ
وحمل اسم نور الإسلام

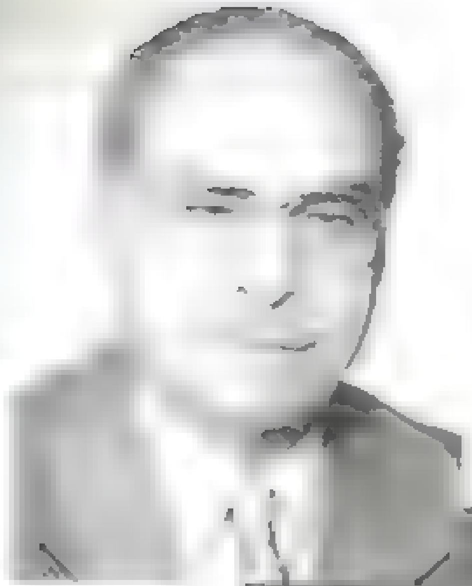
المراسلات باسم رئيس التحرير
مجمع البحوث الإسلامية - مدينة نصر
editor@alazharmag.com
readers@alazharmag.com

داخل العدد



الافتتاحية

مؤتمر الحج الأكبر



هذه «أفكار» تظل دائمة الإلحاح على العقل المسلم.. طالما هي لم توضع في الممارسة والتطبيق!
وهناك «مقالات» تتجدد الحاجة إلى مطالعتها، طالما أن مهمة السعي إلى تنفيذ «أفكارها» لم تجد بعد فرسانها المرتقبين!

ونموذج لذلك.. «الأفكار» التي يقدمها هذا «المقال»؟!

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(المائدة ٤٨)

صدق الله العظيم

نعم.. ومرة أخرى: صدق الله العظيم!

فعلى الرغم من «وحدة الدين».. الدين الإلهي الواحد، منذ بدء الرسالات السماوية بآدم عليه السلام وحتى ختامها على يد محمد بن عبدالله ﷺ.. وهي الوحدة التي تتجلى في «التوحيد» و«الطاعة» لله الواحد. والتي لأجلها كان جماع الدين وجوهره: «الحنيفية-المسلمة» كما علمنا رسول الله ﷺ.. على الرغم من وحدة هذا الدين الإلهي منذ الأزل.. إلا أن سنة التطور في مسير الاجتماع الإنساني قد اقتضت تعدد «الشرائع» لدى كل رسول من الرسل ونبي من الأنبياء.. فالوحدة في «الدين» قد زاملها وواكبها التعدد في «الشرائع».. ومن ثم اختلفت وتنوعت فيها «المناسك.. والشعائر.. والعبادات».

فـ«الصلاة»-مثلا-وهي دعاء العبد إلى ربه-و«الصوم» وهو القربة الذاتية والخاصة بين المخلوق والخالق-عرفتها كثير من الشرائع الدينية.. في أمم الرسالات المتعاقبة.. ثم اختلفت صورها وأركانها من شريعة إلى أخرى.

و«الحج».. الذي يربط أمة الرسالة بمركز واحد، يلمها ويجدد فيها رباط الدين ويوثق خيوطه.. ويشدها بواسطته إلى ذكريات النور الذي انبثق في فجر رسالتها فهداها.. وأخرجها من ظلمات جاهليتها إلى نور الحق وضوء العرفان.. هذا «الحج» تتعدد فيه المناسك والشعائر بتعدد أمم الرسالات:

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾

(الحج ٦٧)

الحج الإسلامي

لكن المتأمل في «المركز» الذي يتم إليه حج المسلمين في الإسلام:

- «بيت الله الحرام» في مكة المكرمة- يلحظ خصوصية إسلامية جديرة بالتأمل والتنويه.. فالإسلام هو الشريعة الخاتمة لسلسلة رسالات الله السماوية إلى الإنسان.. الذي هو خليفته في الأرض.. ومحمد بن عبدالله ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.. وبيت الله الحرام، بمكة، هو أول بيت لله قام على هذه الأرض التي عليها نعيش:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران ٩٦)

فكأنما شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون حج أمة الرسالة الخاتمة إلى أول بيت وضع للناس في الأرض، وذلك حتى يرتبط الختام بالبدء، والقمة بالجذور، والمنتهى بالمنطلق، فيتجسد الرمز، رمز استيعاب الإسلام الذي جاء به محمد للدين الإلهي.. على إطلاقه.. وللتدين في عمومه.

[illegible] تصديقها بجميع الرسل والأنبياء، واختصاصها لهدى النبوة جميعه على امتداد موكب الأنبياء والمرسلين، منذ آدم إلى محمد عليهم السلام؟!

والناظر المتأمل فى شعائر الإسلام وعباداته يرى ذلك الخيط المتين والعروة الوثقى التى تربط بين كل «عبادة فردية» قد فرضت على ذات الفرد وعينه، وبين «مجموع الأمة».. أمة الرسالة والدين.

- ففى [illegible]
- وفى «الزكاة»: تطهير للثروة الفردية، تنمو به هذه الثروة.. وتكافل مالى للأمة جمعاء.
- وفى «الصلاة»: جماعة وجماعية تجعل الفرد لبنة فى بناء أكبر وقطرة فى البحر البشرى العظيم.
- وفى «الشهادة بالوحدانية»: نزع لكل القيود والأغلال التى تقطع -بالعبودية- روابط الإنسان وأخيه الإنسان، وربط لهذا الإنسان الفرد بالمجموع من خلال إفراده العبودية لله وحده؟!

وهكذا فى كل شعائر الإسلام.. نلمح خيط الجماعة والجماعية يجمع الأفراد، ويجدد رباط الأمة المتكافلة تكافل أعضاء الجسد الواحد والبنيان المرصوص، الذى تسرى فيه الحياة، حتى ليشد بعضه بعضا!

[illegible]

وفى ضوء هذه الحقيقة، وفى إطار هذا الفهم «لمنافع» العبادة للعابدين المسلمين، يجب أن ننظر إلى شعيرة الحج الإسلامى.. ذلك أن اجتماع المسلمين للحج، والمؤتمر الأكبر لهذا الركن من أركان الإسلام هو الهدية الربانية التى تجسد قمة «المنافع» المبتغاة للمسلمين من ورائه.. وهى «المنافع» التى لازلنا متخلفين عن الاستفادة منها- حتى الآن؟!

إن القرآن الكريم يحدثنا عن حكمة الله من وراء فريضة الحج، فيقول:

[illegible]

(الحج ٢٧-٢٩)

فمع «ذكر الله» وشعائر الحج، هناك «المنافع» المبتغاة من وراء هذا الحج، لأمة الإسلام [illegible]

[illegible] تواجه أمة الإسلام؟!

لقد كانت مكة، فى عصور قديمة، [illegible] للقرآن الكريم: إن «التجارة» هى «المنافع» التى يشهدها الحجيج إلى بيت الله الحرام!

لكن.. أتظل التجارة فى موسم الحج -وهى فى جوهرها اليوم «استهلاك» لسلع يصنعها غير المسلمين، بل والوثنيون الذين يصنعون للمسلمين حتى «سجادة» الصلاة و«بوصلة» القبلة [illegible] وطن على [illegible]؟!

لقد تغير الحرول من حول مكة، فلم يعد أهلها هم الزرعاء الذين يعيشون بواد غير ذى زرع.. ومن ثم فلا مجال لقائل أن يقول إن «منافع» الحج اليوم مقصورة «محصورة» تجار البضائع المقدمة من بيع السلع الاستهلاكية المستوردة من خارج عالم الإسلام إلى الحجاج المسلمين!!

.٢.

فى ظروف عالمنا الإسلامى، التى لا يحتاج بؤسها إلى تفصيل فى الحديث.. وأمام التحديات التى جعلت «أمة» الإسلام «أمما» بأسها بينها شديد، بينما الكثيرون منها أشداء على بعضهم الآخر، [illegible]

ومن ثم فإن «منافع» الحج إلى بيت الله الحرام هى اليوم -فى اعتقادنا- دعوة صحوة الأمة ورشديها- بواسطة مؤتمر الحج الأكبر- إلى كلمة سواء؟!

سوابق التاريخ الإسلامى

[illegible]

- ألم تكن تلك هى «المنافع» المبتغاة من الحج يوم أن انبثق نور الإسلام؟!
- ألم يكن الخليفة الراشد -فى عهد الخلافة الراشدة- يجعل من موسم الحج مؤتمرا يلتقى فيه بالولاة والعمال والقضاة وجباة الزكاة والصدقات وقادة الجند والفقهاء وأهل الرأى من مختلف الأقاليم الإسلامية.. فتوضع صورة واقع الأمة أمام العقل القائد والمفكر؟!

ألم يكن موسم الحج، على عهد الخلافة الراشدة، منتدى لقاء القراء والفقهاء يتبادلون فيه الفكر والرأى والخبرات، فتنمو فى الأمة ملكة التعقل والاجتهاد؟!



● ورسول الله ﷺ .. لم تكن حجته الوحيدة سنة ١٠هـ حجة الوداع والبلاغ - لم تكن مؤتمرا جامعا قرر فيه «الحقوق المدنية» لأمة الإسلام؟!

إننى لا أبالغ إذا قلت: إن خطبة الرسول الشهيرة، فى حجة الوداع، تلك التى مثلت وثيقة «الحقوق المدنية» الإسلامية، فيها لعالمنا الإسلامى الراهن المنطلقات لجدول أعمال مؤتمر الحج الأكبر، الذى يجب أن ينعقد لدراسة الواقع البائس الذى تعيشه هذه الأمة، وتحديد السبل لتغييره، والوسائل اللازمة لمواجهة التحديات المحدقة بالإسلام والمسلمين!

لقد تأسست دولة الإسلام الأولى فى السنة الأولى للهجرة.. وفى جمادى الأولى من السنة الثانية بدأت المواجهة المسلحة بين دولة الإسلام ودولة الشرك - فى غزوة «العشيرة»، التى كانت المقدمة لـ«بدر الكبرى».. وفى السابع عشر من شعبان، من نفس السنة، تحولت القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، بما مثله ذلك الحدث العظيم من إيذان بانتقال القيادة من العبرانيين إلى الأمة العربية المسلمة، التى تأهلت بالعدل - الوسطية - لتكون لها الشهادة على غيرها من الأمم والرسالات؟

وفى العام التالى - سنة ٣هـ - فرض الله الحج، مؤتمرا يشهد فيه المسلمون «منافع لهم».. وفى العام العاشر للهجرة، حج الرسول ﷺ، فعقد للمسلمين مؤتمرهم الذى أبلغهم فيه «حقوقهم المدنية» كأمة واحدة متميزة بين الأمم، قال ﷺ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا، بهذا الموقف أبدا

أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع، ولكم رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا العباس بن عبدالمطلب موضوع كله، وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس، اسمعوا قولى.. واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس. فلا تظلموا أنفسكم.. إنى قد بلغت. وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه».. إلخ.. إلخ

تلك كانت كلمات النبى ﷺ فى خطبة «حجة الوداع» التى ألقاها فى مؤتمر الحج الأكبر، ليقرر فيها «الحقوق الإنسانية - المدنية» التى شرعها الإسلام للإنسان

وتلك كانت «حكمة» الحج عندما فرضه الله ركنا من أركان الإسلام..

وتلك كانت تطبيقات الرسول والخلفاء الراشدين لهذه «الحكمة»، وفهمهم «للمنافع» التى ابتغاها الله لعباده من وراء حجهم إلى بيته الحرام.

اقتراح

واليوم.. وفى ظروف عصرنا الحديث، وعلى ضوء الواقع البائس الذى تحياه أمتنا، رغم ما لديها من إمكانات مادية وما تملك من عقول مبدعة ومفكرة.. هل نطمح ونطمع ونتطلع إلى إعادة شعيرة الحج «مؤتمرا أكبر» لأمة الإسلام؟! ولقاء جامعا لعقل الأمة الراشد، يتأمل واقعها، ويرسم لجمهورها سبل الخلاص؟!

إننا نقترح - تحديدا - وفى إيجاز:

١ - إقامة منظمة غير حكومية، تكون لها صفة الدوام، مهمتها تنظيم «مؤتمر الحج الأكبر».

٢ - تدعو هذه المنظمة: كل المؤسسات الفكرية والتعليمية والبحثية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والنقابية.. إلخ.. إلخ.. فى بلاد العالم الإسلامى، ولدى الجاليات الإسلامية خارج عالم الإسلام.. تدعوها إلى إخطارها بمن سيؤدى فريضة الحج من أعضائها قبل شهور من موسم الحج فى كل عام.. لتتكون من هذه «الصفوة» الممثلة «لأهل الذكر» فى كل الاختصاصات، عضوية «مؤتمر الحج الأكبر».

٣ - تحدد «منظمة مؤتمر الحج الأكبر» الموضوعات والقضايا التى تقترحها هى، والتى ترد إليها من الأفراد والهيئات فى مختلف بلاد الإسلام، كجدول أعمال لـ«مؤتمر الحج الأكبر» مع

التركيز، في كل عام، على القضايا التي تمثل أكثر مشكلات المسلمين إلحاحا، وأخطر التحديات التي تواجه أمة الإسلام.. وتتلقى الدراسات والتقارير حولها.. وتتخير من هذه الدراسات والتقارير ما يعني بإنضاج الرأي حول قضايا ومشكلات وجدول أعمال المؤتمر.. كما تكلف المنظمة ذوي الاختصاص بإعداد ما يلزم من الدراسات.



٤ ـ يعقد المؤتمر، سنويا، عقب أداء مناسك الحج، لتدارس لجانه مشكلات الإسلام والمسلمين، ويصدر فيها التوصيات والقرارات.

٥ ـ تصدر «منظمة مؤتمر الحج الأكبر» مجلة [illegible] كل عام، لتأتي وفوده إليه وهي على بينة من [illegible] توصيات المؤتمر وقراراته.. والتي تخطر بها الحكومات والمنظمات والهيئات والمؤسسات [illegible]

٦ ـ تقوم «منظمة مؤتمر الحج الأكبر» بمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر، وتقييم كفاءته وجدواه.. [illegible] التي يسعى الإسلام من ورائها تحقيق «المنافع» لأمة الإسلام.

•••

[illegible] الإسلامية جوهر «المنافع» التي دعا الله، سبحانه وتعالى، أمة محمد ﷺ، كي تشهدها عندما يشد المستطيعون من أبنائها الرحال حاجين إلى بيت الله الحرام.

[illegible]

وهل من مستجيب لهذا الاقتراح؟!

إننا نأمل.. ونطمح.. ونتطلع.. وما ذلك على الله بعزيز.. ولا على «رابطة العالم الإسلامي» [illegible]

تفسير سورة البقرة

[illegible]

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٣٠)

أجمعت الأمة الإسلامية على أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات، وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلي على هذه العقيدة، فكانت هي الأصل المحكم في الاعتقاد الذي يجب أن يرد إليه غيره، وهو التنزيه فإذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه، فللمسلمين فيه طريقتان:

إحداهما: طريقة السلف، وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل، كقوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى ١١)

وقوله عز وجل

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الصافات ١٨٠)

وتفويض الأمر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك، مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ويصورها لخيالنا.

والثانية: طريقة الخلف، وهي التأويل، ويقولون: إن قواعد الدين الإسلامي وضعت على أساس العقل، فلا يخرج شيء منها عن المعقول، فإذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه، يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره، ولابد له من معنى موافق يحمل عليه فيسعى طلبه بالتأويل.

وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب وإننا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين لأنه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها؛ لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى.

أما الملائكة: فيقول السلف فيهم إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم، فيجب علينا الإيمان بهم ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم. فنفوض

علمهـا إلى الله تعالى. فإذا ورد أن لهم أجنحة، نؤمن بذلك، ولكننا نقول إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور، إذ لو كانت كذلك لرأيناها. وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار، فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالما آخر ألطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقة بنظامه وأحكامه والعقل لا يحكم باستحالة هذا، بل يحكم بإمكانه لذاته، ويحكم بصدق الوحى الذى أخبر به.

وقد بحث أناس في جوهر الملائكة، وحاولوا معرفتهم، ولكن من وفقهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين إنما شرع للناس كافة، فكان الصواب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته؛ لأن تكليف الناس هذا البحث أو العلم به كاد يكون من تكليف ما لا يطاق. ومن خصه الله تعالى بزيادة في العلم، فذلك فضله يؤتيه من يشاء فقد ورد في الصحيح عن أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه في هذا العلم اللدنى الخاص. وقد سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء من العلم. فقال: لا، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن.. إلخ.

وأما ذلك الحوار في الآيات، فهو شأن من شئون الله تعالى مع ملائكته؛ صوره لنا في هذه القصة بالقول والمراجعة والسؤال والجواب ونحن لا نعرف حقيقة ذلك القول، ولكننا نعلم أنه ليس كما يكون منا وأن هناك معانى قصدت إفادتها بهذه العبارات، وهى عبارة عن شأن من شئونه تعالى قبل خلق آدم، وأنه كان يعد له الكون، وشأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع الإنسان، وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله

وأما الفائدة فيما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى، فهى من وجوه:

إحداها ـ أن الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه، وما يخفى عليهم من أسراره في خلقه، ولاسيما عند الحيرة والسؤال يكون بالمقال، ويكون بالحال والتوجه إلى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من ينابيعه التي جرت سنته تعالى بأن يفيض منها، كالبحث العملى والإلهام الإلهى. وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم غير معروفة لأحد من البشر فيمكن أن نحمل سؤال الملائكة على ذلك.

ثانيها: إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمه ما يخفى على الملائكة، فنحن أولى بأن يخفى علينا. فلا مطمع للإنسان في معرفة جميع أسرار الخليقة وحكمها، لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلا.

ثالثها: أن الله تعالى هدى الملائكة في حيرتهم، وأجابهم عن سؤالهم لإقامة الدليل، بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم، وذلك أنه بعد أن أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون، علم آدم الأسماء، ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتى بيانه.

رابعها: تسلية النبى ﷺ عن تكذيب الناس، ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا فإذا كان الملأ الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين، وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين، أى فعليك أيها الرسول أن تصبر على هؤلاء المكذبين، وترشد المسترشدين، وتأتى أهل الدعوة بسلطان مبين. وهذا الوجه هو الذى يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب، وكونه لا ريب فيه وفى الرسول، وكونه يبلغ وحى الله تعالى ويهدى به عباده، وفى اختلاف الناس فيهما ومن خواص القرآن الحكيم الانتقال من مسألة إلى أخرى مباينة لها أو قريبة منها، مع كون الجميع في سياق موضوع واحد.

وأما الخلف، فمنهم من تكلم في حقيقة الملائكة، ووضع لهم تعريفا، ومنهم من أمسك عن ذلك. وقد اتفقوا على أنهم يدركون ويعلمون. والقصة على مذهبهم وردت مورد التمثيل لتقرب من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الآدمية، وما لها من المكانة والخصوصية: أخبر الله الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، ففهموا من ذلك أن الله يودع في فطرة هذا النوع الذى يجعله خليفة أن يكون ذا إرادة مطلقة واختيار في عمله غير محدود، وأن الترجيح بين ما يتعارض من الأعمال التى تعن له يكون بحسب علمه، وأن العلم إذا لم يكن محيطا بوجوه المصالح والمنافع فقد يوجه الإرادة إلى خلاف المصلحة والحكمة، وذلك هو الفساد. وهو متعين لازم الوقوع، لأن العلم المحيط لا يكون إلا لله تعالى. فعجبوا كيف يخلق الله هذا النوع من الخلق وسألوا الله تعالى بلسان المقال إن كانوا ينطقون، أو بلسان الحال والتوجه إليه لاستفاضة المعرفة بذلك وطلب البيان والحكمة، وعبر الله عن ذلك بالقول لأنه هو المعهود بالاستعلام والاستفهام عند البشر الذين أنزل القرآن لهدايتهم، كما نسب القول إلى السموات والأرض في قوله:

﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾

(فصلت: ١١)

فأول ما ألقى إليهم من الإلهام أو غيره من طرق الإعلام، هو وجوب الخضوع والتسليم، لمن هو بكل شيء عليم؛ لأن ما يضيق عنه علم أحد ويحار في كيفيته يتسع له علم من هو أعلم منه، ومن شأن الإنسان أن يسلم لمن يعتقد أنه فوقه في العلم ما يتصدى له مهما يكن بعيد الوقوع في اعتقاده.

ومن ذلك اعتقاد جماهير الناس في بلاد الحضارة والصناعات في هذا العصر إمكان أمور وأعمال لم يكن أحد يتصور إمكانها من قبل إلا بعض كبار علماء النظر، فإذا قيل إنهم يحاولون عمل كذا فإنهم يصدقونهم، وإن لم يعقلوا كيف يعملونه.

فإن الذين يصنعون سلكا لنقل الأخبار بالكهرباء إلى الأماكن البعيدة في دقيقة أو دقائق قليلة يصدقون بأنهم يوصلون تلك الأخبار من غير سلك، وقد كان، ويصدقون بإمكان إيجاد آلة تجمع بين نقل الصوت ورؤية المتكلم وهو ما يحاولون الآن وإذا قال لك أهل هذه الصناعة إن ذلك ممكن الحصول

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الوسائل. والملائكة أعلم ما بشأن الله في أفعاله وأنه العليم الحكيم، فهم وإن فاجأهم [illegible] أدني التنبيه. ولذلك كان قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

على أن هذا النوع من التسليم للعالم [illegible] أسراره وحكمه بالفعل. ولذلك تفضل الله تعالى على الملائكة بإكمال علمهم بحكمته في خلق هذا الخليفة الإنساني وسره عند طلوع فجره، فعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتي، فعلموا أن في فطرة هذا الخليفة واستعداده علم ما لم يعلموا، وتبين لهم وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الأرض، وأن كل ما يتوقع من الفساد وسفك الدماء لا يذهب بحكمة [illegible] العلم وفائدته، وسر العالم وحكمته.

فعلمنا أن السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من شئون المخلوقين، وعصمة ملائكته عما لا يليق بهم [illegible]

تفسير الآيات بالتفصيل.

قد علمت مما تقدم أن الآيات متصلة بما قبلها من الكلام في الكتاب ومن جاء به ومن دعا إليه فهي تجلي حجة الرسول ودعوته من حيث إن الملائكة إذا كانوا [illegible] الله تعالى بالطريقة التي تناسب حالهم، [illegible] طبيعة البشر جبلت على أن يكتسبوا كل [illegible] ﷺ بيان أن البشر أولى من الملائكة بإنكار ما لم يحيطوا بعلمه حتى يعلموا، وأنهم جبلوا على أن يتوبوا ويرجعوا بعد أن يخطئوا ويذنبوا، وأن الإفساد في الأرض وجحود الحق ومناصبة الداعي إليه ليس بدعا من قومه، وإنما هو جبلة أهل الفكر وطبيعة البشر.

ثم إن للمفسرين في ﴿ الخليفة ﴾ مذهبين: ذهب بعضهم إلى أن هذا اللفظ يشعر بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق، وأنه انقرض، وأن هذا [illegible] سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه، كما قال بعد ذكر إهلاك القرون:

﴿ [illegible] خلائف في الأرض من بعدهم ﴾
(يونس: ١٤)

[illegible] الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه؛ لأن الخليفة لابد أن يناسب من يخلفه [illegible] دليل على أنه يكون مثله

من كل وجه، وليس ذلك من مقتضى الخلافة. أجاب الله الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون [illegible] من قبله، وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة.. وإذا صح هذا القول، فليس آدم أول الصنف العاقل من [illegible] على هذه الأرض، وإنما كان أول [illegible] أو الطوائف البائدة منه في الذات والمادة، وتخالفها في بعض الأخلاق والسجايا.

هذا أحسن ما يجلي فيه هذا المذهب وأكثر ما قالوه فيه قد سرى إلى المسلمين [illegible] كان في الأرض قبل آدم خلق يسمون بالجن [illegible] أو الطم والرم. والأكثرون على أن الخلق الذين كانوا في الأرض قبل آدم مباشرة كانوا يسمون الجن والقائلون منهم [illegible] عاثوا في الأرض فسادا فأبادهم الله (كما تقدم آنفا) وقالوا إن الله تعالى أرسل [illegible] وليس لهم في الإسلام سند يحتج به على هذه القصص، ولكن تقاليد الأمم الموروثة في هذه المسألة تنبئ بأمر ذي بال، وهي متفقة فيها بالإجمال، ألا وهو ما قلناه من [illegible] سكنت الأرض. هذا هو المذهب الأول في تفسير الخليفة.

وذهب [illegible] في الأرض خليفة عني، ولهذا شاع أن الإنسان خليفة الله في أرضه، وقال تعالى:

﴿ [illegible] خليفة في الأرض ﴾
[illegible]

والظاهر والله أعلم أن [illegible] الخلافة؟ وما المراد من هذا الاستخلاف؟ هل هو استخلاف بعض الإنسان على بعض؟ أم استخلاف النوع على [illegible]

[illegible] أحكامه للناس وتنفيذ فيهم على ألسنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء [illegible] الشرعية لأن الشرع وضع إلهي، كذلك [illegible] فيصح أن يكون معنى الخلافة عاما في [illegible] المخلوقات: مطلق الوحي ودون العباد والاختيار على أن الله تعالى خلق [illegible] غير نوع الإنسان بشيء محدود معين لا [illegible] بوحي كالملائكة، فقد ورد في الآيات والأحاديث ما يدل على أن وظائفه محدودة قال تعالى:

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾
(الأنبياء: ٢٠)

﴿ [illegible] ﴾

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾

(الصافات: ١، ٢)

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾

(النازعات ١ - ٥)

على قول من قال إن المراد بها الملائكة، إلى غير ذلك مما يدل على أنهم طوائف، لكل طائفة وظيفة محدودة. وورد في الأحاديث أن منهم الساجد دائما، والراكع دائما إلى يوم القيامة.

وأما ما نعرفه بالنظر والاختبار، فهو حال المعدن والجماد ولا علم له ولا عمل وحال النبات. وإنما تأثير حياته في نفسه، فلو فرض أن له علما وإرادة فهما لا أثر لهما في جعل عمل النبات مبينا حكم الله وسننه في الخلق، ولا وسيلة لبيان أحكامه وتنفيذها لكل حي من الأحياء الحيوانية والعيبية. فإن له استعدادا محدودا، وعلما إلهاميا محدودا، وعملا محدودا، وما كان كذلك لا يصلح أن يكون خليفة عن الذى لا حد لعلمه وإرادته. ولا حصر لأحكامه وسننه. ولا نهاية لأعماله وتصرفه.

وإما الإنسان فقد خلقه الله ضعيفا كما قال في كتابه:

﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

(النساء ٢٨)

وخلقه جاهلا كما قال:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

(النحل ٧٨)

ولكنه على ضعفه عبرة لمن يعتبر، وموضع لعجب المتعجب، لأنه مع ضعفه يتصرف في الأقوياء، ومع جهله في نشأته يعلم جميع الأسماء. يولد الحيوان عالما بالإلهام ما ينفعه وما يضره، وتكمل له قواه في زمن قليل. ويولد الإنسان وليس له من الإلهام إلا الصراخ بالبكاء، ثم يحس ويشعر بالتدريج النطيء بالنسبة إلى غيره من الحيوان. ويعطى قوة أخرى تتصرف بشعوره. وإحساسه تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات، فيسخرها ويذللها بعد ذلك كما تشاء تلك القوة الغريبة، وهي التي يسمونها العقل، ولا يعقلون سرها، ولا يدركون حقيقتها وكنهها، فهي التي تغني الإنسان عن كل ما وهب للحيوان في أصل الفطرة من الكساء الذى يقيه البرد والحر، والأعضاء التي يتناول بها غذاءه والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوه، وغير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب، حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان وسيكون له من ذلك ما لا يصل إليه التقدير والحسبان.

فالإنسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد، ولا محدود الرغائب، ولا محدود العلم، ولا محدود العمل فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفا لا حد له بإذن الله وتصريفه وكما أعطاه الله تعالى هذه المواهب والأحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليفته، وملكه الأرض وسخر له عوالمها - أعطاه أحكاما وشرائع حد فيها لأعماله وأخلاقه حدا يحول دون بغي أفراده وطوائفه بعضهم على بعض، فهي تساعده على بلوغ كماله لأنها مرشد ومرب للعقل الذى كان له كل تلك المزايا، فلهذا كله جعله خليفته في الأرض، وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة.

ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض، ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البر والبحر والهواء فهو يتفنن ويبتدع، ويكتشف ويخترع، ويجد ويعمل، حتى غير شكل الأرض فجعل الحزن سهلا، والماحل خصبا، والخراب عمرانا، والبراري بحارا أو خلجانا. وولد بالتلقيح أزواجا من النبات لم تكن كالليمون المسمى (يوسف أفندى)، فإن الله تعالى خلقه بيد الإنسان وأنشأه بكسبه. وقد تصرف في أبناء جنسه من أنواع الحيوان كما يشاء بضرب التربية والتغذية والتوليد، حتى ظهر التغيير في خلقتها وخلائقها وأصنافها. فصار منها الكبير والصغير، ومنها الأهلي والوحشي، وهو ينتفع بكل نوع منها ويسخره لخدمته، كما سخر القوى الطبيعية وسائر المخلوقات. أليس من حكمة الله، الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أن جعل الإنسان بهذه المواهب خليفته في الأرض، يقيم سننه. ويظهر عجائب صنعه. وأسرار خليقته وبدائع حكمه ومنافع أحكامه؟ وهل وجدت آية على كمال الله تعالى وسعة علمه أظهر من هذا الإنسان الذى خلقه الله في أحسن تقويم؟ وإذا كان الإنسان خليفة بهذا المعنى، فكيف تعجب الملائكة منه؟

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

بادروا إلى السؤال واستفهام الاستغراب

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

فيعمل بذلك عن تسبيحك وتقديسك.

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

بلا غفلة ولا فتور، لاشك في أن هذا السؤال نشأ من فهم المعنى المراد من الخليفة، وما يقتضيه من العلم غير المحدود والإرادة المطلقة، وكون هذا العلم المصرف للإرادة لا يحصل إلا بالتدريج، وكون عدم الإحاطة مدعاة للفساد، والتنازع المفضي إلى سفك الدماء كما تقدم.

نعم، إن هذا العلم الواسع لا يعطاه فرد من أفراد الإنسان ولا مجموع النوع دفعة واحدة فيشابه علمه الله تعالى، وكلما أوتي نصيبا منه ظهر له من جهله ما لم يكن يعلم، وكلما أعطي حظا من الأدب والعقل ظهر له ضعف عقله، ولله در الشافعي حيث قال:

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علما زادني علما بجهلي

فهو على سعة علمه لم يؤت من العلم الإلهي إلا قليلا، وهو مع ذلك أوسع مظاهر العلم الإلهي، ولذلك أجاب الله الملائكة بالعلم:

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

فأثبت لذاته العلم بحكمة هذه الخلافة ونفاه عنهم.

أقسام السنة عند الشيخ عبدالجليل عيسى (٣)

رأى بعض العلماء فى جواز اجتهاد الأنبياء

رأينا أن نقدم بين يدى تفصيل الكلام على اجتهاد نبينا ﷺ جملة من أقوال كبار العلماء على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم في اجتهاد الأنبياء عليهم صلوات الله. ومنها يتبين للقارئ أن الذين ينكرون اجتهاد الأنبياء إنما يغمضون أعينهم ويستغشون ثيابهم حتى لا تتخطى أبصارهم هذه الأدلة القاطعة التى لا يصمد أمام صولتها لجاجة معاند ولا مكابرة جاحد.

ولدى من منع الاجتهاد عن الأنبياء من أمثال أبى على الجبائى وابنه أبى هاشم دليل امتاز بكثرة دورانه على ألسنة الناس وهو فى واقع الأمر ليس بدليل وهذا الدليل هو التمسك بقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

(النجم: ٣)

فقد انتزع الجبائى هذه الآية عن سابقتها ولا حقتها، وقذف بها فى آذان الناس فصارت تلوكها ألسنتهم بدون فكر ولا روية والعجيب أنا كثيرا ما نسمع من يستدل بها حتى الآن من بين طلاب العلم والعلماء.

وإذا قطعنا النظر عن أن سياق الآيات يدل كما فهم كبار المحققين على أن الكلام فى القرآن وأن المراد أن هذا القرآن الذى يتلوه عليكم محمد ليس من عنده، بل هو وحى يوحى إليه من الله، نقول: إذا قطعنا النظر عن كل ذلك فإنا نقول: ماذا تريدون بـ

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

أتريدون أنه ﷺ لا يلفظ بقول مطلقا فى جزئية ما إلا بوحى حتى قوله: كيف أنت يا فلان، أو إلى أين أنت ذاهب، أو مزاحه مع زوجه، أو خادمه، أو قوله: أنا عطشان أو جوعان، أو اسقنى مثلا إن قلتم إن كل هذا بوحى خاص. فلا نكم قد سقط الخطاب معكم.

وإن أردتم أنه لا ينطق عن الهوى، بمعنى أنه لا يقول عن شهوة وغرض بل ما يقوله لمصلحة، فنحن نحن معكم فى هذا ولكن لا يفيدكم فى منع الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد لا يصدر منه إلا تحت اعتقاد أنه مصلحة وإن ظهر خلاف ذلك فهو معذور.

وإن أردتم أنه لا ينطق عن هوى بمعنى أنه أوحى إليه بأن له أن يجتهد، فاجتهاده بإذن. فلا نكم ونحن نقول بذلك ولا مانع حينئذ من أن يجتهد ولا يصيب فى جزئية؛ لأنه لا تلازم بين الإذن فى الاجتهاد وبين الإصابة فى كل جزئية. كما أنه لا تلازم بين الأمر بالصلاة وبين وقوعها كما أمر الله، بل قد يعتريه فيها السهو فيصلى الرباعية مثلا خمسا.

وإن قلتم: إن المراد ما ينطق عن الهوى فى الأمور الشرعية فقط، أى ما يكون فعله لها يعتبر تشريعا مرغبا فيه. فلا نكم وهل أخرجتم من أعماله الشرعية سوى خصوصياته كنكاح ما فوق الأربع، وسوى جبلياته كالجوع والعطش، والصحة والمرض. أما ما عدا ذلك من أقواله وأفعاله وسكوته فكل ذلك أدخلتموه فى أعماله التشريعية، فقلتم: يسن لنا أن نرخى فى غطاء الرأس عذبة، كما كان ﷺ يفعل، وقلتم ما نقل عنه فى الصحيح أنه ﷺ قبل ابنه إبراهيم وشمه: وفى الحديث مشروعية تقبيل الوالد لولده وشمه، وقلتم لما قلب ﷺ ثوبه: يؤخذ من الحديث مشروعية تقلية المرء ثوبه فهل كل ما كان من هذا النوع - وهو لا يعد ولا يحصى ولا يخلو عنه ﷺ فى جل حياته الشريفة - بوحى؟ أظن أنه لا يقول بذلك عاقل.

رأى ابن حزم:

وابن حزم فى كتابه «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» يقول:

«قد يقع من الأنبياء قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى فيوافق خلاف مراد الله تعالى، وأنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذا أصلا بل ينبههم إلى ذلك إثر وقوعه منهم، ويظهره لعباده وربما عاتبهم على ذلك بالكلام. كما فعل مع نبينا ﷺ فى أمر «زينب»، وقصة ابن أم مكتوم[1]، وربما عاتبهم ببعض المكروه فى الدنيا، كالذى أصاب آدم ويونس عليهما السلام.

والأنبياء عليهم السلام بخلافنا فى هذا فإننا غير مؤاخذين بما قصدنا به وجه الله فلم يصادف مراده تعالى، بل نحن مأجورون على هذا أجرا واحدا..

ثم ذكر عن آدم قوله تعالى:

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾

(طه: ١٢١)

وقوله:

﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

وشرح ذلك بأن التوبة لا تكون إلا من ذنب ثم قال: وهذا وقع منه عن قصده إلى خلاف ما أمر به متأولا فى ذلك ولا يدرى أنه عاص، بل كان ظانا أن الأمر للندب مثلا أو النهى للكراهة وهذا شيء يقع فيه العلماء والفقهاء كثيرا وهذا هو الذى يقع مع الأنبياء، ويؤاخذون به إذا وقع منهم.

ثم قال: وقال تعالى لنوح:

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

(هود: ٤٦)

لأن نوحا ظن أن ابنه من أهله. وأن المراد أهل القرابة فلما علم أن هذا ليس مرادا

١- قصة زينب وابن أم مكتوم سيأتى تفصيلهما بعد.

نعم، وليس هنا تعمد لمعصية.

وقال الله في يونس

[illegible]

(الأنبياء: ٨٧)

وقال الله لنبينا ﷺ:

[illegible]

(القلم ٤٨، ٤٩)

ثم قال «صاحب الفصل»: إنه غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله فعوتب بذلك، وإن كان ظانًا أن هذا ليس عليه فيه شيء. وهذا هو ما أراد الله من نبينا ﷺ حين نهاه عن مغاضبة قومه، وأمره بالصبر على أذاهم وأما إخبار الله بأنه استحق الذم والملامة لولا النعمة التي تداركه بها للبث معاقبا في بطن الحوت، فهذا هو ما تقرر آنفًا من أن الأنبياء عليهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا إذ لم يوافق مراد الله وعلى هذا الوجه أقر يونس عليه السلام على نفسه بأنه كان من الظالمين.»[2].

رأى ابن تيمية:

وابن تيمية يرى أن «الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة بخلاف غير الأنبياء فإنهم غير معصومين، ولو كانوا أولياء الله».

وأما العصمة في غير ما يتعلق بالتبليغ فللناس فيه نزاع: والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للمنقول عن السلف، إثبات العصمة من الإقرار على الخطأ والذنوب مطلقا.

واحتج من قال: إنه لا يقع من الأنبياء ذنوب بأن التأسي بهم مشروع وذلك لا يكون إلا إذا عصمت أفعالهم عن الذنب وأجيب بأن التأسي مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه، كما أن أمر الله ونهيه إنما تجب طاعته فيما لم ينسخ منه. أما ما نسخ منه فلا يكون مأمورا به فضلا عن وجوب طاعته[3].

احتجوا أيضًا بأن الذنوب تنافي الكمال وأنها توجب التنفير، ونحو هذا من الحجج العقلية ورد بأن هذا إنما يكون مع البقاء على ذلك، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه، كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة، وكان يونس بعد خروجه من بطن الحوت وتوبته أعظم درجة منه قبل أن يقع ما وقع قال تعالى

[illegible]

(القلم ٤٨، ٤٩)

وهذه الحال الأخيرة بخلاف حال التقام الحوت، فإنه قال فيه:

﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾

(الصافات ١٤٢)

فأخبر سبحانه أنه في تلك الحال مليم والمليم هو الذي فعل ما يلام عليه، فكان حاله بعد قوله

[illegible]

(الأنبياء ٨٧)

أرفع من حاله قبل أن يكون ما كان والاعتبار بكمال النهاية، لا بما جرى في البداية والأعمال بخواتيمها والله خلق الإنسان لا يعلم شيئا، ثم علمه فنقله من حال النقص إلى الكمال. فلا يجوز أن يعتبر قدر الإنسان بما وقع منه قبل حال الكمال بل الاعتبار بحال الكمال، ويونس وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في حال النهاية في أكمل الأحوال.

وقد كان هذا حال الأنبياء دائمًا يبادرون إلى التوبة والاستغفار عند الهفوة والقرآن شاهد عدل.

فها هو ذا لم يذكر شيئا من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجه

[illegible]

(الأعراف ٢٣)

وقول نوح

[illegible]

(هود ٤٧)

وقول الخليل

[illegible]

(الشعراء ٨١، ٨٢)

وقول موسى

﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾

(القصص ١٦)

وقوله

[illegible]

(الأعراف: ١٤٣)

وقوله تعالى في داود

[illegible]

(ص ٢٤، ٢٥)

إلى غير ذلك.

والذين لا يقولون بصدور مخالف عن الأنبياء تأولوا كل ذلك بمثل تأويلات

[illegible]

الجهمية[1] والقدرية[2] لنصوص الصفات والمعاد، وهي من جنس تأويلات الباطنية[3] والقرامطة[4] التي يعلم بالضرورة أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

فأكثر هؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم، ويريد الإيمان بهم فيقع في الكفر بهم.

ومن هنا غلط من غلط في تفضيل الملائكة على الأنبياء والصالحين، فإنهم اعتبروا كمال الملائكة مع بداية الصالحين ونقصهم فغلطوا، ولو اعتبروا حال الأنبياء والصالحين بعد الكمال ورضى الرحمن ودخول الجنان والملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلا سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، لرجعوا عن خطئهم.

وما يظنه بعض الناس من أن من ولد على الإسلام فلم يكفر قط أفضل مما كان كافرا فأسلم، ليس بصواب، بل الاعتبار بالعاقبة، فأيهما كان أتقى في عاقبته كان أفضل، إذ من المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا بعد كفرهم أفضل ممن ولد على الإسلام من أولادهم وغير أولادهم، وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما من أشد الناس على الإسلام ومع ذلك ما [illegible] تقدمت من سبقهما في الإسلام، لما ظهر منهما من كمال الجهاد للكفار والانتصار لله ورسوله. وذلك يبين أن الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية وقد ورد أن الله يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والمركب إذا وجده بعد يأس.

فمن ظن أن صاحب التوبة النصوح يكون ناقصا فقد غلط غلطا عظيما فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منهما شيئا أصلا لكن إن أسرع بالتوبة لم يلحقه شيء، وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنب والتوبة ما يناسب حاله من الذم والعقاب.

والأنبياء صلوات الله عليهم كانوا لا يؤخرون التوبة، بل يسارعون إليها ولا يصرون على الذنب، بل هم معصومون من ذلك ومن أخر ذلك زمنا يسيرا كفر الله عنه ذلك، بما يبتليه به، كما فعل بذي النون على المشهور من أن إلقاءه كان بعد النبوة. أما إذا كان قبلها فلا يحتاج إلى ذلك ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة لكن المنازعون يتأولونها كتأويلات الباطنية، كما تقدم، وتأويلاتهم ظاهرة الفساد لمن تدبرها فهي من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

ومن ذلك تأويلهم قوله تعالى

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

(الفتح: ٢)

قالوا: المراد ذنب أمتك وذلك باطل من وجوه

١- قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

(المدثر: ٣٨)

وقال:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾

(النور: ٥٤)

٢- أنه قد ميز بين ذنبه ﷺ وذنوب أمته، بقوله

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾

(محمد: ١٩)

فكيف يعد ذنب المؤمنين ذنبا له؟

٣- إن هذه الآية لما نزلت هم بعض الصحابة بالتشديد على أنفسهم بعدم قربان النساء والصيام دائما تقربا لله بذلك فلما علم بذلك ﷺ غضب، وقال: (إني أقوم، وأنام، وأصوم، وأفطر، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني! فقالوا: إنا لسنا مثلك يا رسول الله، فإن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا)[1].

فدل هذا على أن الرسول ﷺ والمؤمنين يعلمون أن قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ خاص به دون أمته وفي الصحيح أنه ﷺ كان يقول: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي) وأخرج الصحيحان أن آية الفتح نزلت عند مرجعه ﷺ من الحديبية فقال ﷺ: (لقد نزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الأرض، ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئا مريئا يا نبي الله، بين الله ما يفعل بك فيما يفعل بنا؟ فنزلت:

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴾

﴿ ... جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

حتى بلغ ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ وروى البخاري عن المغيرة (كان ﷺ يقوم حتى تورم قدماه أو ساقاه فقيل: لم هذا وقد غفر لك؟ فقال، أفلا أكون عبدا شكورا)؟

فكل هذه الروايات الصحيحة الصريحة تدل على بطلان قول من رأى أن الذنب المغفور ذنب أمته ولكنه التعصب للرأي والمحاجة في غير الحق[2].

١- أصحاب جهم بن صفوان، قالوا: لا قدرة للعبد، والله لا يعلم الشيء قبل وقوعه [illegible] ولا يوصف بما يوصف به غيره كالعلم والقدرة [illegible] والجهمية فرقة واحدة

٢- القدرية هم المعتزلة، ولقبوا بذلك لأنهم أسندوا أفعال العباد إلى قدرتهم [illegible]

٣- فرقة من فرق الشيعة ويسمون أيضا الإسماعيلية وسموا باطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره ولقبوا بالإسماعيلية لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر [illegible]

٤- لقبوا بذلك لأن مؤسسهم [illegible] وهو حمدان قرمط ظهر بالكوفة سنة ٢٧٨هـ [illegible]

١- في رواية البخاري

٢- [illegible] ص ٢٨٣ طبع [illegible] المطبعة [illegible] بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ

الحـــج



الحج عبادة معروفة، تنتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله، وليس ذلك لغيرها من العبادات، يقوم بها المستطيع من المسلمين في زمن معلوم، وأمكنة معلومة، امتثالا لأمر الله، وابتغاء مرضاته، وتبتدىء تلك العبادة بنية الحج خالصا لله، مع التجرد من الثياب المخيطة، ومن صنوف الزينة والترف، وتنتهي بالطواف حول بيت الله الحرام.

الحج قبل الإسلام

والحج معنى زيارة أمكنة مخصوصة، ابتغاء التقرب للإله المعبود صورة قديمة من صور العبادات، اتخذتها الشعوب والقبائل رمزا لإجلال معبوداتهم وتقديسها.

قام بها المصريون، واليونانيون، والبابليون وغيرهم من الأمم القديمة إلى الهياكل المقدسة عندهم.

وكانت كل أمة تتخذ في حجها ما يناسب تخيلها لعظمة معبودها، واستمرت الحال على هذا حتى هيأ الله الأمر لإبراهيم عليه السلام، وأمره ببناء البيت الحرام بمكة ليطوف الناس به ويذكروا اسم الله فيه.

[illegible]

(البقرة: ١٢٧)

[illegible]

(الحج: ٢٦-٢٧)

لبى إبراهيم عليه السلام أمر ربه، فبنى بيته، وطهره، ودعا الناس إلى حجه، وأسكن عنده من ذريته، ومن ذلك الحين اتجه العرب إلى البيت الذي بناه إبراهيم، يحجونه ويعبدون الله فيه بما رسم الله، وظلوا كذلك يحجون بيت الله ويعظمونه حتى بعث الله محمدا ﷺ، غير أنهم بتطاول القرون غيروا في الحج وبدلوا كثيرا مما كان عليه في زمن إبراهيم، فأشركوا بالله الأصنام والأوثان، ورفعوها على ظهر البيت، وجعلوا حوله نطاقا منها، وتوجهوا إليها واستعانوا بها، واتخذوها شفعاء عند الله، وذبحوا لها، وذكروا اسمها على ما يذبحون، وكذلك أحدثوا في كيفية الحج تقاليد معينة تبعا للأهواء، فطافوا بالبيت عرايا، وحرموا على أنفسهم الدسم وما وراء القوت من الطعام، وترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بعرفة، والإفاضة منها اعتقادا منهم أنهم فوق الناس جميعا؛ لأن بيدهم ولاية البيت، فلا ينبغي وهم كذلك أن ينزلوا بمستوى العامة، ويأخذوا أنفسهم بقوانين الناس، ويقفوا معهم في صعيد واحد ولو كان في موقف العبادة لله الواحد القهار، هكذا غير العرب في الحج وبدلوا.

محمد يجدد دعوة إبراهيم

جاء الإسلام بعد ذلك يجدد دين إبراهيم، ويحيي دعوته: دعوة الحق والعبادة الصحيحة:

[illegible]

(الأنعام: ١٦١)

[illegible]

(الحج: ٧٨)

[illegible]

(البقرة: ١٣٠)

جاء الإسلام هكذا مجددا لدين إبراهيم، وهو الدين عند الله، فوجد القوم يحجون إلى الكعبة بما أحدثوا وغيروا، فتركهم يحجون كما اعتادوا، وقصر الرسول جهوده على الدعوة إلى إقرار التوحيد في القلوب، وإفراد الله بالعبادة والاستعانة حتى أخرج هو وصحبه من مكة موقع بيت الله الحرام، وحيل بينهم وبين تأدية فريضة الحج، وظلوا يكافحون في سبيل الله حتى تجلت منهم آثار التضحية الخالدة، وعرف فيهم الشوق المبرح لزيارة بيت الله لدى حرمهم النظر إليه والطواف به؛ فجاءتهم البشرى بأنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، محلقين رءوسهم ومقصرين.

وفي حرارة هذا الشوق، وضوء هذه التضحية أعاد الله عليهم ذكر الحج وأنزل آيات كثيرة شرح بها أحكامه، وبين أركانه وآدابه، وأصلح ما أفسد القوم فيه، ورده إلى عهده الأول عهد إبراهيم وإسماعيل، ومن ذلك الحين قام المسلمون بتنفيذ فريضة الحج الذي فرضه الله على الناس من عهد إبراهيم، وقد تم على أيديهم تطهير البيت من هذه الأصنام، وأمر أرباب العظمة المزعومة أن يقفوا مع الناس في عرفات، وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس تقريرا لمبدأ المساواة الذي جعله الله بين عباده.

زمن الحج وحكمة اختياره

عين الإسلام لأداء فريضة الحج أشهرا معلومة من السنة العربية هي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة؛ وشوال، وهو الشهر الذي يعقب رمضان، له في الوضع الإسلامي اعتباران قويان جديران بالتقدير والرعاية وذلك لما لهما من أثر في استدامة التقويم الخلقي، والتصفية الروحية التي حصل عليها المسلم بالصيام، والقيام في شهر رمضان.

وأول شهرين لاعتبارين: أن شوالا أول شهر من أشهر الحج.

وثانيهما أنه يشير بالأشهر الحرم «ذى القعدة وذى الحجة والمحرم».

وقد عنى القرآن الكريم بأشهر الحج عنايته بالحج، كما عنى بالأشهر الحرم، عنايته بتطهير النفس من المظالم، وكف العدوان والبغى، ولفت أنظار المؤمنين إلى ما ليدة الأشهر كلها من بواعث البر والتقوى، وبواعث التسرع بالنفس عن مواطن الإثم والطغيان، وانتقاص الحقوق والواجبات؟ ففى أشهر الحج يقول:

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾

(البقرة ١٩٧)

رحلة بعد رحلة

وبذلك كان المؤمنون بشهر رمضان قد عادوا إلى دنياهم من رحلة روحية، تعلقت فيها قلوبهم بمولاهم، وعظمت بها مراقبته فى نفوسهم، حتى امتنعوا فى أيامه ـ لله وفى سبيل الله ـ عما أبيح لهم من مقومات الحياة. فإنهم بدخول شهر شوال، يملأ قلوبهم الشعور باستئناف رحلة أخرى، يشارك الروح فيها البدن، ويهرع إليها القادر عليها تاركا وراءه أهله وماله ووطنه، متحملا فى سبيل ربه عناء السفر ووعثاء الطريق لا لشىء من حظوظ النفس، إلا أن يقف الله عبدا خاشعا مليا أمام بيته معترفا بالتقصير، ملتمسا منه المعونة والرضوان، حتى إذا ما فرغ من ذلك وعاد إلى حسن وقفته، عاد إلى وطنه أهلا مطمئن القلب فى الأخذ بنفسه ونفسه فى سبيل الهدى والرشاد. وقد رسم القرآن فى ما يضمن للمؤمنين هذا الهدف السامى من تلك الرحلة

﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾

وهذا جانب التخلية والتطهير من المدنسات النفسية، والمعرفات الاجتماعية، أما جانب التحلية بالفضائل المزكية للنفوس، المؤلفة للقلوب، المقربة إلى الله فإنك تراه فى قوله:

﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾

الأشهر الحرم

وإذا كان شوال باعتباره أول شهور الحج، يثير فى نفوس المؤمنين ذكريات الحج ويشعرون به وبأخويه «ذى القعدة وذى الحجة» الطواف ببيت الله الحرام، والوقوف بمكان الضراعة الخالصة بعرفات والمشعر الحرام، فتهفو القلوب إلى تلك المشاهد، منابع الوحى والنور، وتتجرد من دنياها، وترحل إلى مولاها، متمثلة فى هذه حرمة المكانية ـ فإنه باعتباره الثانى ـ وهو أنه يشير بالأشهر الحرم، يثير فى نفوسهم مرة أخرى، يستقبلونها بشهر ذى القعدة، وهى حرمة زمنية، قصد بها من قديم تأمين الطريق لأداء الحج، وزيارة الله فى بيته الحرام. وهى فى الوقت نفسه تغرس فى القلوب عوامل الأمن والطمأنينة. تلكم الحرمة الزمنية، هى حرمة الأشهر الحرم، ذات القدسية التى نوه بها عنها فى كتابه

﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾

(التوبة ٣٦)

وقد عرض القرآن كثيرا إلى قدسية الأشهر الحرم وجعل المحافظة عليها بالبعد عن القتال وسفك الدماء وسائر المظالم والجنايات، من شعائر الله التى وجه إليها الأنظار توجيها عاما شاملا فى الأزمنة كلها، وفى الرسالات كلها

﴿ذلك الدين القيم﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾

حرمتان تربويتان

وبحرمتى الحج، والأشهر الحرم، كان لله فى تربية عباده وتدريبهم على الخير حرمتان:

حرمة مكانية: دائرتها البيت الحرام والبلد الحرام، وقد اتسع نطاق هذه الحرمة حتى شملت الحيوانات

﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾

وشملت الأشجار «لا يختلى خلاها، ولا يقطع شوكها».

وحرمة زمنية: ميقاتها الأشهر الحرم، تجتمع حرمة ثلاثة منها «ذى القعدة وذى الحجة والمحرم» مع الحرمة المكانية. وتتفرد حرمة رابعها، وهو «شهر رجب» كمذكر فى أثناء السنة بحرمات الله التى لا ينبغى أن يغفل عنها المؤمنون.

ومنهج التربية بتحريم الزمان والمكان، شرع إلهى قديم أقره الإسلام وربط به بين المؤمنين الأولين والمؤمنين الآخرين. وهو فى واقعه لأهل العصر الواحد فرصة تهيىء لهم ـ لو استوا به ونزلوا على مقتضاه وسعوا شرع الله فيه ـ حسن التفاهم والتعاون على قطع أسباب الخلاف والتخاصم، وعلى إقرار الأمن والسلام، هو بمثابة هدنة إلهية يتدبر الناس فيها شئونهم فيعرفون مهمتهم فى الحياة، من حسن التعمير وإسعاد البشرية على أسس من المحبة والتعاون، وبذلك يكفون عن العدوان، وعن الجشع المثير للحروب، القاضى على التهدئة والاطمئنان، المفسد خلافة الإنسان فى الأرض.

حكمة تحريم الزمان والمكان

إن الله خلق الخلق على سليقة واحدة، تدفعهم ـ بحكم ما ركب فيهم من قوتى الغضب والشهوة فى كثير من الأحوال ـ إلى التحاسد والتقاطع، إلى القتل والتخريب، وإلى السلب والاستعلاء، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون لهم رادع ينبع احترامه من ضمائرهم، ومن هنا عظم البيت الحرام فى قلوبهم، وملأ بهيبته نفوسهم، وضاعف فى حرمته حراء المتحرفين

ولما كان البيت الحرام فى مكان مخصوص لا يدركه كل مقصود، ولا كل الناس ولا ينال حظه من الأمن فيه إلا من ارتحل إليه، ولم يكن من الممكن أن يرتحل

لأنه جمع سكان المعمورة في وقت واحد. لهذا جعل الأشهر الحرم ملجأ أمن عام، تيسر على الناس رحلتهم في قضاء فريضتهم وتضطرهم الرغبة للأمن والاطمئنان. ويدخلون بها في هدنة الرحمن الرحيم، فتقرر كذلك في القلوب حرمتها، فيها تسكن النفوس في أعمادها، وتتجه القلوب إلى ربها. وفيها يتضاعف جزاء على الحسن والسيء، وفي ذلك يقول:

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾

(المائدة: ٩٧)

إذا آمن الإنسان بهذه الهدنة الإلهية، واقتنعت نفسه بشرائع ربه، وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثني عشر شهراً، صار ولا شك إلى فسحة وراحة واتسع أمامه مجال العمل والسياحة، واستطاع الاتصال بأخيه الإنسان، وكان معهم في أمن واطمئنان، متعاونين على البر والتقوى، عازفين عن الإثم والعدوان.

مناسك الحج

للحج مناسك وأفعال تلقاها المسلمون جيلا بعد جيل عن نبيهم ﷺ الذي قال: «خذوا عني مناسككم»، وهي:

الإحرام، والتلبية، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات والمشعر الحرام «المزدلفة» ورمي الجمار، وذبح الهدي.

وقد ربط كثير من الناس تفسيرهم في أفعال الحج بشخص، وكثيراً ما يكون متأخراً لذلك، وليس لديه من معاني الحج سوى ما تلقفه سمعه من الحكايات المتوارثة عن الحجر الأسود، من جهة بياضه وسواده، ومن جهة أصله الذي نزل منه. وغير ذلك مما يكثر دورانه على ألسنة الحجاج، ويشغلون به عن تفهم روح الحج وأسراره، ويقعون به في قبضة ذلك المتأخر، يطوفون بطوافه، ويسعون بسعيه، ويفرغون وسعهم في تحري محاكاته في كل ما يصدر عنه من حركة أو سكون.

ومن الخير أن يعرف الحجاج مناسك الحج بأنفسهم، ويمرنهم أهل العلم على فعلها في ندوات تعقد لذلك في الأحياء المختلفة، ليدخلوا الحج وهم فاهمون متمرنون.

الإحرام

وأول ما يفعله الحاج، نية الحج خالصاً لله سبحانه، والله لا يقبل من عبده حجاً يتخذه ستاراً لما يريده من سمعة زائفة أو متاع زائل. وما الحج إلا هجرة، ولا قيمة لهجرة قصد بها غير الله.

وهذه النية هي المعروفة باسم «الإحرام» وله شعاران: شعار مرئي صامت، وهو التجرد من المخيط المفصل على الجسم أو العضو، وعن مظاهر الترف الجسمي كالتزين بالطيب، وحلق الشعر أو قصه، وعن كل ما حذره الله بقوله

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

وشعار مسموع ناطق، وهو «التلبية» وهي رفع الصوت بكلمات «لبيك اللهم لبيك». والحاج يسجل على نفسه بهذا الشعار، أنه في مكان السمع لأوامر الله، وفي مكان المسارعة إلى إجابته الدائمة فيها. وأنه سبحانه، وهو صاحب الملك والنعمة، لا يحمد ولا يشكر ولا يجاب أحد سواه.

وللإحرام مكان معين يعرفه الحاج وهو في طريقه إلى مكة، ويختلف هذا المكان باختلاف موقع الأقطار الإسلامية من مكة، وأهل كل قطر يعرفون مكان إحرامهم بالعمل المتكرر المتواتر. ومكان إحرامنا، معشر المصريين، هو المكان المعروف «برابغ» ويكون الإحرام ناقصاً إذا أخره الحاج عن مكانه. ولكن له أن يقدمه عليه ولو من بيته في بلده.

طواف التحية

وإذا وصل الحاج إلى مكة قصد البيت الحرام، وحيا الله فيه بالطواف، حوله سبعة أشواط. وهذا الطواف يعرف باسم طواف «التحية والقدوم» ويبدؤه الحاج من ركن الحجر الأسود، وهو حجر طبيعي من أحجار مكة، وضعه إبراهيم عليه السلام في مكانه، تعييناً لمبدأ الطواف حتى لا يضطرب الطائفون بين مبدأ ومنتهى. وليس له من تكريم سوى تكريم الذكرى الحية للنفوس المنتسبة للأسلاف المصلحين، وقد قال فيه عمر بن الخطاب كلمته المأثورة: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك». ولكن لبعض الناس فيه معتقدات تدفع بهم إلى تزاحم مهلك، يأباه الإسلام، في سبيل تقبيله والتمسح به.



السعي بين الصفا والمروة

وإذا انتهى الحاج من طواف القدوم خرج إلى الصفا وسعى بينه وبين المروة سبعة أشواط، يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة. والسعي بينهما مظهر من مظاهر الالتجاء والتردد بجانب بيت الله ـ بعد الطواف به ـ طلبا للمغفرة، والتماساً للعفو. وفيه بعد ذلك، استحضار لذكر الحالة التي كانت عليها السيدة هاجر وهي تطلب الماء والسقيا لها

ولولدها إسماعيل، فعرفت منبعه وقفت به حجرتها ثم كان سببا في عمارة هذا الإقليم وصلاته خير وبركة، ولله فيه هذا وذاك أن يتعبد عباده بما يشاء بعد أن سكنت قلوبهم إلى أنه المعبود، كما تعبدنا في الصلاة بالاتجاه إلى الكعبة، وفي الدعاء إلى السماء.

التحلل من الإحرام

وللحاج بعد أن يتم سعيه بين الصفا والمروة أن يبقى محرما حتى يخرج إلى عرفة، وهذا مستحسن لمن ليس عنده وقت متسع. أما من كان لديه متسع من الوقت فله أن يتحلل من إحرامه بالحلق أو التقصير، وتكون الأعمال السابقة ـ الإحرام والطواف والسعي ـ عمرة له ثوابها. وعليه في تلك الحالة أن يذبح هدي التمتع، وهو المذكور بقوله تعالى

﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾

ويجوز له أن يذبحه بمجرد تحلله، ولا يجب تأخيره إلى يوم النحر، كما لا يجب أن يكون ذبحه في منى، وهذه مسألة يكثر الجدل فيها هناك بين أتباع المذاهب وبين الحجاج بعضهم وبعض. ولو ذبح المتمتعون بعد تحللهم وهم في مكة لخف تكدس اللحوم في منى الذى كثرت منه الشكوى. ويحاول به بعض الناس تعبيرا عن شرع الله في الهدى والمقصود به.

الوقوف بعرفة

وإذا تحلل المحرم من إحرامه، بقي حلالا بمكة حتى اليوم الثامن من ذى الحجة، فيحرم بالحج كما أحرم في المرة الأولى، ويذهب إلى عرفة عن طريق منى بحيث يكون بها في اليوم التاسع، ويؤدى هناك فرض الوقوف بعرفة، ويستعد به خشوع مع التذكر والذكر، ولو قاعدا أو مضطجعا. ويكفي في صحة الوقوف: الحضور بعرفة في أى وقت من أوقات اليوم التاسع، من ظهره إلى طلوع فجر اليوم العاشر. غير أن مد الوقوف إلى جزء من الليل أكمل وأتم. والصعود على الجبل المعروف بعرفة «بجبل الرحمة» ليس بمشروع حتى يتهافت الناس عليه، ويعرضوا به أنفسهم خطر السقوط.

والوقوف بعرفة أهم مناسك الحج، حتى ورد عن الرسول «الحج عرفة» فهو موقف الضراعة الصادقة، موقف التجرد من الحول والقوة، موقف البعد عن المظاهر المادية. فيه تشرق عليهم ذكرى الماضي بأنوارها الواضحة. فيستمعون بآذان القلوب إلى صوت الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، يخطب آباءهم في أصلابهم، يحمل إليهم رسالته، ويحثهم على صدق الإيمان، وكمال المعرفة بحقوق الله وحقوق العباد، وفيه تتم رسالة السماء الأخيرة. ويدل عليه قوله تعالى

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾

(المائدة ٣)

الوقوف بالمزدلفة

وإذا أتم الحاج الوقوف بعرفة، اتجه إلى مزدلفة. وهي المذكورة في القرآن باسم «المشعر الحرام» ويصبح في منى في اليوم العاشر «يوم النحر» وفيه يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، يأخذها من أى مكان شاء، ويحلق أو يقصر، ويذبح إن كان عليه ذبح، ويطوف طواف الإفاضة. والحاج مخير في تقديم أيها شاء، وقد ثبت أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يسأل عن تقديم شيء منها أو تأخيره، إلا كان جوابه «افعل ولا حرج».

وله أن يؤخر طواف الإفاضة إلى ما بعد أيام النحر التي ترمى فيها الجمار الثلاث.

رمي الجمار

ورمي الجمار على العموم، ليس بفرض يبطل الحج بتركه، وإنما هو مطلوب على سبيل الوجوب، في جمرة العقبة التي ترمى وحدها في اليوم العاشر، وعلى سبيل السنة في بقية الأيام.

ورمي الجمار رمز عملي، يعلن به الحاج تصميمه على ترك نوازع النفس الشريرة، وتكريره تأكيد لهذا التصميم، وللحجاج أن ينتهزوا فرصة أيامه فيجتمعوا ويتشاوروا في منافعهم، ولا أساس لما يصور به بعض الناس هذا الرمي، ولا اعتداد به في حكمة تشريعه.

طواف الوداع

وإذا أكمل الحاج أعماله، وطاف طواف الإفاضة، وأراد الرجوع إلى بلده، قصد البيت الحرام، وطاف به طواف الوداع، وهو بمثابة استئذان في الانصراف وتجديد عهد الولاء، والإقامة على تلبية الله في شرعه ودينه، وبه يكمل الحج، ويرجع الحاج إلى أهله مزودا بالتقوى، طاهرا من الذنوب والآثام

﴿[illegible] وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾

(البقرة ١٩٧)

الهدى من شعائر الله

الهدى: اسم للحيوان الذى يهدى باسم الله إلى الحرم، يذبح فيه، ويطعم منه الفقير والمسكين:

﴿والبدن [illegible]﴾

(الحج ٣٦)

وقد أرشد القرآن إلى الروح الذى يتقبل الله به الهدى، وهو روح الإخلاص وتقوى الله، شأن كل التكاليف لا تكفي صورتها

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾

(الحج ٣٧)

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾

(المائدة ٢٧)

والتقرب إلى الله بذبح الهدى في الحرم، وإطعام الفقراء منه شرعة قديمة، تعبد الله بها عبادة الأولين، وفيها إحياء لسنة إبراهيم، وتذكير بنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده إسماعيل من الذبح الذى ابتلاه الله به، إظهارا لقوة إيمانه.

وهكذا ينبغي أن يكون إبراهيم وولده إسماعيل للمؤمنين المثل الأعلى، الذى يجب أن يتحلوا به في جميع الأجيال والعصور، وقد استمر التقرب به إلى الله كما رسم،

وكما فعل إبراهيم، حتى انحرف به القوم فيما انحرفوا به من مناسك الحج فذبحوا تقربا للأصنام كما فعلوا بالتلبية. وقد خلصه الرسول محمد ﷺ من شوائب الشرك وجعله باسم الله وحده، كما خلص التلبية وجعلها لله وحده، وبين أن الهدى يكون من الإبل والبقر والغنم. وشرط أن يكون سليما من العيوب التي تفسد اللحم، أو تقزز النفس:

﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾

(البقرة ٢٦٧)

«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»

الهدى في القرآن

وقد عرض القرآن للهدى في ثلاث سور: سورة البقرة، والمائدة، والحج

عرض له في تلك السور من جهات ثلاث

أولا ـ جهة التنويه بشأنه: طلبه وطلب الإخلاص فيه لله، وجعله من شعائره التي تجب المحافظة عليها، ويحرم إهمالها وإحلالها، ففي سورة الحج:

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾

(الحج ٣٦)

وفي سورة المائدة

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد﴾

(المائدة ٢)

ثانيا ـ جهة الحالات التي يطلب فيها، وهي

حالة الإحصار، وهو المنع عن إتمام الحج، وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾

(البقرة ١٩٦)

وقد طلب فيها عينا متى تيسر، ولم يخير بينه وبين غيره، كما لم يجعل له بدلا عند العجز عنه

وحالة الاعتداء على الإحرام بفعل محظور من محظوراته، وهو المذكور بقوله تعالى:

﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾

(البقرة ١٩٦)

وقد طلب هنا على سبيل التخيير بينه وبين غيره من صوم أو صدقة.

وحالة التمتع بالتحلل من العمرة إلى الحج. وهو المذكور بقوله

﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم﴾

(البقرة: ١٩٦)

وقد طلب هنا على أن يكون له بدل عند العجز.

وحالة الجناية على الحرم بقتل صيده، أو قطع شجره، وهو المذكور بقوله تعالى في سورة المائدة

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما﴾

(المائدة ٩٥)

وقد طلب هنا كما طلب في حالة الاعتداء على الإحرام، على سبيل التخيير بينه وبين الطعام أو الصوم.

وكما عرض القرآن للهدى من جهتي التنويه بشأنه والحالات التي يطلب فيها عينا أو تخييرا. عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه

﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾

(الحج ٣٣)

﴿هديا بالغ الكعبة﴾

(المائدة ٩٥)

﴿حتى يبلغ الهدي محله﴾

(البقرة ١٩٦)

والمراد الحرم كله. وقد صح عن الرسول أن منى كلها منحر، وأن فجاج مكة كلها منحر.

أما الوقت الذى يذبح فيه، فهو على العموم أيام النحر الثلاثة، أو مع أيام التشريق كلها، فيدخل اليوم الرابع، وليلاحظ هنا أن تعيين الوقت إنما هو لغير هدى الكفارات والنذر، لأنه لا يتقيد بوقت. كما يلاحظ أن هدى التمتع يجوز أن يقدم ذبحه على الوقوف.. بعرفة بعد الإحرام بالحج أو قبله بعد التحلل من العمرة.

الأسرار التى تنطوى عليها هذه المناسك

ولكل عمل من أعمال المناسك سر ينطوى عليه، ومعنى يرمز إليه، يجب أن يلتفت إليه المسلم. وهو يؤدى صورة هذه الأعمال

فما الإحرام في حقيقته ـ وهو أول المناسك ـ إلا التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله.

وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة والامتثال.

وما الطواف بعد التجرد إلا دوران القلب حول قدسية الله، صنع اغب الهائم مع المحبوب المنعم، الذى ترى نعمه، ولا تدرك ذاته.

وما السعي بعد هذا الطواف إلا التردد بين علمي الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان.

وما الوقوف بعد السعي إلا بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشحونة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين.

وما الرمي بعد هذه الخطوات التى تشرق بها على القلوب أنوار ربها، إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس، وإلا رمز مادى لصدق العزيمة في طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات.

وما الذبح وهو الخاتمة في درج الترقي إلى مكانة الطهر والصفاء إلا إراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة. ورمز للتضحية والفداء على مشهد من جند الله

الأطهار الأبرار.

هذا هو معنى الحج فى حقيقته ومعناه. والعبادات كلها وإن اختلفت صورها، تلتقى عند غاية واحدة، وهى تحقيق معنى العبودية لله، والإخلاص فى طاعته، والتوجه إليه وحده والاستعانة به وحده، والتخلص من سلطان الحظوظ البشرية المظلمة.

ولكن الحج برمته اللافح قيظه وزمهريره، وأمكنته الناطقة بنور الله وهديه، وأفعاله التى يرجع بها المؤمنون إلى وحدتهم الطبيعية، القارة فى وجدانهم

[illegible]

إنسانية عابدة، أمام أحدية معبودة، فوانه وتعمه فى تحقيق معنى العبودية والإخلاص لله، لهذا جعل عنوان الشروع فيه، والشعار الذى يصحبه فى جميع مراحله، فيوجه القلب إلى الله، ويصرفه عما سواه. هذا النشيد الربانى الذى ينزع النفس من ملكوت الأرض إلى ملكوت السماء، يسجل به المؤمنون على أنفسهم، أسمى معانى الإخبات والخضوع والاستجابة لنداء مولاهم

يسجلون به على أنفسهم الاعتراف بوحدانية الله وأحديته فى الملك والسلطان، فى الفضل والإنعام، فى التدبير والتصرف، فى استحقاق الفضل والثناء: لبيك اللهم لبيك. فأنت وحدك سامعك، المستمع لأوامرك، المسارع لإجابتك، والمقيم عليها دون تحول أو تردد. وأنت الواحد الأحد، الذى تلبى دعوته، وتهرع النفوس إليه، أنت الواحد الأحد، رب النعمة التى لا تحصى ولا تكفر، رب العزة التى لا تذل، رب القوة التى لا تعجز، رب السلطان النافذ فى السماء والأرض، سبحانك، لا إله إلا أنت: «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

[illegible]

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

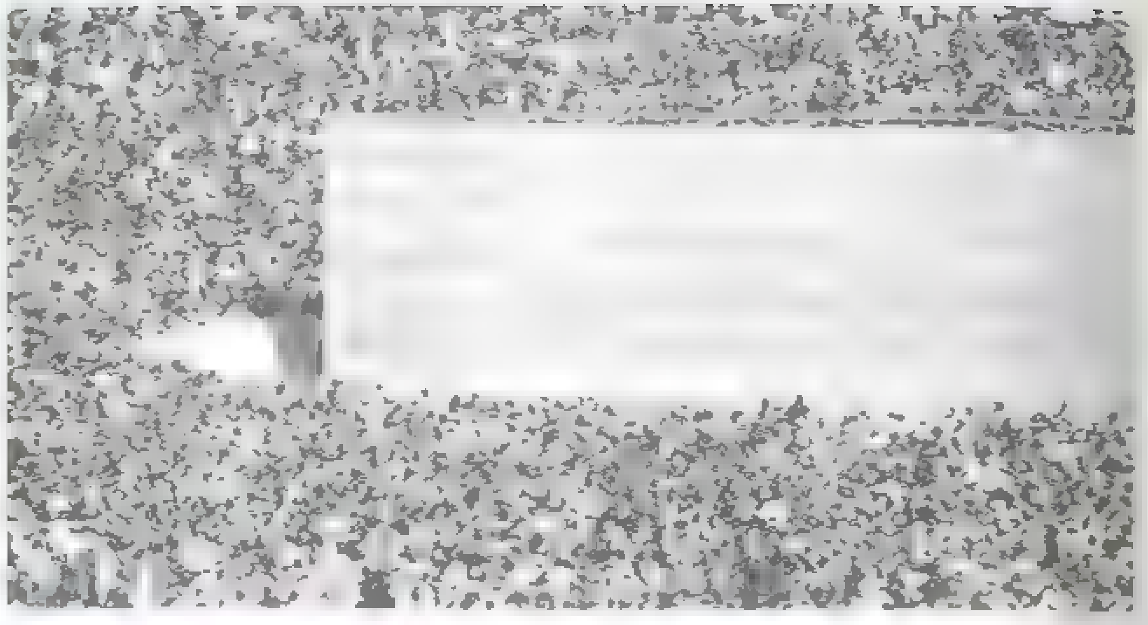
الحج مؤتمر إلهى كريم

والحج باعتبار مكانته فى الإسلام، وغايته المقصودة منه للفرد والجماعة، جدير أن يتجه إليه رجال العلم والرأى، ورجال التربية والثقافة، ورجال النظام والإدارة، ورجال المال والاقتصاد ورجال الشرع والدين، ورجال الحرب والجلاد.

جدير أن تفد إليه الطبقات ذات الرأى والحزم، ذات النظر والاجتهاد، ذات الإيمان الصادق والأهداف السامية، التى يجب أن يقصدها المسلمون فى حياتهم. جدير أن يتجه إليه هؤلاء جميعا، فتراهم وقد نشرت عليهم مكة أجنحتها، وجمعتهم بكلمة الله، حول بيت الله، يتعارفون، ويتشاورون، ويتعاونون، ثم يعودون إلى بلادهم أمة واحدة، متحدة القلب، متحدة الشعور والإحساس

الأفئدة فى دعوة إبراهيم

ولعل فى هذا ما يكشف لنا عن المراد بالأفئدة التى جاءت فى دعوة إبراهيم عليه السلام، حينما أكمل البيت ورفع قواعده، وأسكن من ذريته بواديه:



[illegible]

(إبراهيم: ٣٧)

فإن كلمة الأفئدة، لا تعنى مجرد الأشباح التى تروح وتغدو، والتى لا تعرف من معنى الحج سوى أعماله الفردية، وسوى زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام. وإنما تعنى الأرواح والقلوب التى تقدر ما يجب أن يكون لهذا الاجتماع الخالد - فى مكة الذكريات الأولى، وفى ظل عبادة الله - من أهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة، كما جمعت أشباحهم العبادة والذكريات.

شهود المنافع

ولعل هذه الأهداف هى أول ما لفتت إليه الآية الكريمة التى تضمنت دعوة الناس إلى الحج:

[illegible]

(الحج: ٢٧-٢٩)

فالمنافع التى جعل الحج سبيلا لشهودها وحصول غايتها - وهى أول ما ذكر فى حكمة الحج - عامة مطلقة، لم تقيد بنوع دون نوع، ولا ناحية دون ناحية، وهى بعمومها وإطلاقها، تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة. ويصلح شأنهم، فتهيئة النفس والتقرب إلى الله، منفعة، والتشاور فى رسم خطط العلم والثقافة، وفى جمع الكلمة على تركيز الدعوة، والعمل على إظهار الإسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة، منفعة، وإعداد العدة لنسج خيوط الشخصية الإسلامية، ثوبا

واحداً، منفعة وأى منفعة، وامتلاء القلوب بمبدأ المحافظة على تلك الشخصية من التحلل والذوبان. منفعة. وهكذا تتعدد المنافع وتتنوع على حسب مقتضيات الأحوال التى توحى بها الأزمنة ومواقف الناس من الناس.

طيش عالمى يجب التقاؤه

ولقد حدث فى البشرية ... ، ومذاهب فى الدين، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وجدت فى آفاق القوة الغاشمة، أسلحة جديدة أعدت للتخريب والتدمير وترويع الإنسانية. وتجلت مطامع الجشع الإنسانى فى صورها البشعة الكريهة.

ولابد - احتفاظاً بدعوة الحق، دعوة السلام والإصلاح الإلهى - أن يكون للمسلمين بإزاء هذا الجديد، اجتماع عام شامل، يحددون فيه موقفهم ويشهدون به منافعهم التى تقيهم، وتقى العالم، شر ذلك الطيش الذى يقضى على الأمن والسلام، ويلتهم الفضائل والتدين الحق.

وإذن، فمنافع المسلمين اليوم التى يتخذ الحج سبيلا لشهودها، لم تبق فى دائرتها الأولى، دائرة المنفعة الروحية الفردية التى عمادها فى الأذهان، مجرد فعل المناسك حول بيت الله الحرام، ألا وإن أبرز ما تصدق عليه كلمة «منافع» فيما بين المسلمين، أن تتحد كلمتهم وشعورهم فيما يجب أن يتحدوا ... يحكم دينهم ويمانهم ... أساس حياتهم، وهو الاعتصام بحبل الله

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

مقتضيات الاعتصام بحبل الله

والاعتصام بحبل الله. يقضى أولا:

بتنحية الشهوات والأهواء التى تثيرها بينهم العصبيات: القبلية، والجنسية، والمذهبية، تلكم العصبيات التى دفعت وتدفع بهم إلى جمر التفرق عن سبيل الله الواضحة. وتجعلهم فلولا. يستعين بعضها العدو المشترك على باقيهم، ويقضى على الجميع.

والاعتصام بحبل الله يقضى ثانيا:

بالنظر السريع فى تنقية العقائد والأعمال بيننا، مما يشوبها من صور الشرك والابتداع، الأمر الذى هيأ لخصوم الإسلام أن يقولوا: إن الإسلام ليس ديناً واحداً، وإنما هو أديان متعددة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب، فلتركيا إسلام، وللعراق إسلام، ولإيران إسلام، ولباكستان إسلام، ولمصر إسلام، ولبلاد المغرب إسلام، وللحجاز إسلام. وأى إسلام من هذه، هو إسلام محمد وإسلام القرآن؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا. فالإسلام وحدة فى العقيدة والعمل، تعرف عناصرها من كتابه المبين الواضح. وما هذه المظاهر المختلفة التى نراها فى الجماعات الإسلامية إلا أثر من آثار الانحراف البشرى فى فهم المصادر بما توحيه العصبيات الكريهة، وما ينبغى أن تكون حالة المرضى لدى انحراف المرض بطبيعتهم، مصدرا سليما لمعرفة تلك الطبائع، وإذن فعلينا، ونحن المرضى، أن نعالج أنفسنا من هذه العلة، حتى يعود إلينا النقاء والشفاء، وعندئذ تكون أحوالنا وشئوننا مصدراً حقا لمعرفة الإسلام وصلاحه، كما هو واضح فى كتابه

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

(الإسراء: ٩)

والاعتصام بحبل الله يقضى ثالثاً:

بالعمل الجاد السريع فى إبراز أهداف القرآن، بتفسير سهل واضح، ويكون خاليا من الإسرائيليات، والخلافات المذهبية والتطبيقات العربية التى اتصلت به، وحشرت فى تفسيره حشرا، شغل الناس بها، عن معرفة هدايته وإرشاده، وأن يطبع ذلك التفسير بلغات العالم مختلفة، ثم يوزع على سائر الأقاليم. ليتبين الناس عن كثب حقيقة الإسلام، ويعرفوا دعوته على وجهها الصحيح، وعندئذ تبوء بالإثم هذه الأقلام المأجورة على المغالطات المشينة. ضد الإسلام وجماله.

والاعتصام بحبل الله يقضى رابعاً:

بوضع نظام محكم لنشر الدعوة الإسلامية فى أرجاء العالم، يكون أساسه إعداد طائفة من الدعاة والمرشدين، مزودين بالنضج الفكرى والمعرفة الصحيحة، واللغات الأجنبية، وأساليب العرض الملائمة، وذلك وراء إلمامهم بمواقع البلاد التى يوجهون إليها، ونفسيات أهلها، وعقائدهم وتقاليدهم، وسائر شئونهم حتى يستطيعوا أن يتبوأوا فيما بينهم مكانة المواطن الحريص على خير مواطنيه، وأن يتخذوا فى دعوتهم إلى الخير سبيل الحكمة التى أمر الله بها فى كتابه.

والاعتصام بحبل الله يقضى خامساً:

بالنظر السريع الجاد فى تنسيق شئون الاقتصاد فى الجماعات الإسلامية. ويكون ذلك بتأسيس منظمة إسلامية اقتصادية مهمتها: تنظيم التبادل الاقتصادى، وسد حاجات الجماعات الإسلامية، بعضها من بعض، حتى لا يكون للمستعمر، أثر فى اتخاذ هذا الحاجات سبيلا لاستنزاف ثروة البلاد الإسلامية وتسخيرها لخدمة قضاياه. ثم الحيلولة بيننا وبين الحصول على ما يحفظ كياننا ويرفع مستوانا.

والاعتصام بحبل الله يقضى سادساً:

صوناً لهذه المبادئ، بالنظر فى تكوين قوة حربية عليا، ذات تعليم واحد، وقيادة واحدة، على أحدث ما يعرفه أهل الحرب فى هذا العصر، لا لتحرب وتدمر، ولا لتستعبد ولا لتستعمر ولا لتسلب الناس أوطانهم وأموالهم وأمنهم، وإنما لتدفع شر الاعتداء، وتخلص الرقاب المسالمة من أيدى المعتدين الغاصبين. ولا ريب أن قيام تلك القوة، المحوطة بقلوب المؤمنين، من أقوى وسائل السلم المسلح الذى أمر الله به وأرشد إليه فى كتابه

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

(الأنفال: ٦٠)

هذه هى جهات المنافع التى تتوقف عليها حياتنا، والتى يجب أن نفسر بها الآن قوله تعالى فى حكمة الحج:

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾

الحج



بقلم الأستاذ محمد فريد وجدي

الدين الإسلامي كله أسرار وعجائب. ويكفيك دليلا على كونه أكبر آيات الله في هذا العالم أنه تعالى كوّن به في بضع وعشرين سنة أمة أحدثت في الوجود أكبر وأعظم الحوادث الاجتماعية والانقلابات العمرانية. وتربعت في دست خلافة الله في الأرض قرونا كثيرة كانت في خلالها أعجوبة العالم الانساني دنيا ودينا. ورفعت أعلام الحرية والإخاء والعلم الى أعلى ما يصل اليه إمكان البشر. ولم تزل لليوم حية قوية. وإن كانت كامنة كمونا وقتيا يظهر من ذلك انتشار نفوذها الروحاني في كل الأمم بصفة تبشر بضرورة رجوعها إلى مجدها القديم والقبض على زمام أمور النوع البشري كله بتلك اليد الرحيمة التي خلصته بها من قتلة عواطفه من قبل.

كل أصل وركن وفرض وسنة من هذا الدين تحته أسرار وأنواع تعوز الدرس الطويل والشرح الضافي والبحث العميق. ويدل عليه دلالة محسوسة انتقال العرب بمجرد العمل بها من حالتهم الأصلية إلى حالة أخرى أقل ما يقال فيها إنهم أصبحوا بها مثلاً يضرب في الفضائل في جميع الأمم حتى أعدى أعدائهم، وإنا لنرى بأعيننا أن العالم الغربي مسوق بدوافع الطبيعة ونواميس الحياة إلى العمل بتلك التعاليم والاهتداء بنورها في جميع أحوالهم، وإن كان متطرفوهم قد غالوا في التشهير عليها ورميها بما هي بريئة منه.

هذه مسألة الطلاق التي طالما حاولوا أن يغضوا بها من أبصارنا، ويحطوا من كرامتنا قد انحازوا أخيرا إلى عدها علاجا شافيا لكثير من المفاسد العائلية التي لها أسوأ أثر في كيان الهيئة الاجتماعية، وقد أصبح لديهم محاكم مخصصة للتطليق في كل بلد متمدنة[1].

وهذه مسألة تعدد الزوجات التي كانوا يتفكهون بترددها على ألسنتهم في مجالسهم الخاصة والعامة أصبحت الشغل الشاغل لبعض أفرادهم ممن يبحثون في ذلك الجيش الجرار من النساء اللاتي أصبحن لا عائل لهن وصرن عرضة للفساد

(١) انظر كتابنا المرأة المسلمة

وإن تفصيلها ورسم خططها والإيمان بها يتطلب اجتماعا في ظل روحية صافية، وليس ذلك إلا في اجتماع الحج ومؤتمره الإلهي الكريم.

أين مؤتمرنا السنوي؟

ليس لنا اجتماع سنوي عام يجب أن نهرع له من جميع الأقطار، بحكم الدين، لا بحكم المطامع، وبدعوة الأشخاص، سوى هذا الاجتماع.

ألا وإن مسارعة المشرقيين زرافات لرأي واحد. إلى حضور معالجة شئون لأجدى علينا وعلى الإنسانية كلها من مسارعتنا لحضور مؤتمرات لا يعرف من آثارها، سوى الاجتماع على موائد الطعام والشراب. وسوى تبادل التحيات وكلمات القدوم والانصراف ثم يكون الانفضاض. والظلم هو الظلم، والاعتداء هو الاعتداء.

إن تشاورنا في عدد العدة لإحراز المنافع التي يقتضيها الاعتصام بحبل الله، لأجدى بكثير علينا وعلى ديننا، من إعداد العدة لمعرفة قوانين الغرب وفلسفة الغرب، وآداب الغرب، وتقاليد الغرب. فنحن لا نجني من وراء ذلك كله قبل تركز حياتنا، سوى ضياع شخصيتنا والثقة بأنفسنا.

توجيه وتقريب

ليس من معقول، ولله حكمة بالغة، أن يكون القصد من هذا الاجتماع مجرد أن يطوف المؤمنون بالبيت، وأن يقفوا في عرفات، فإن الله يعبد في كل مكان، ويجيب الداعي في كل مكان:

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)

وإنما حكمة كما أفصحت عنه آية الحج، أن يجتمع الموحدون في زمن واحد ومكان واحد، ليشهدوا منافعهم، وليزيلوا تفثهم. أما المنافع فسبيلها ما ذكرنا، وأما إزالة التفث، فليس الأمر فيها قاصرا على إزالة أدران البدن من شعث السفر، وإنما هو تنبيه بالأدنى، وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة. فدرن القلب وقوعه تحت ضغط الشهوة والهوى ودرن العقل: وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام. ودرن الجماعة وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر وتحت سيطرة العاصين.

وإذن، فإزالة التفث، تخلية عما لا ينبغي للفرد والجماعة، وتحصيل المنافع، تحلية بما ينبغي للفرد والجماعة، والحج قد شرعه الله، سبيلا لتلك التخلية، ولهذه التحلية وهكذا كان الحج في زمن الرسول، كان حينما خرج إليه المسلمون أول مرة في السنة التاسعة تحت إمرة أبي بكر رضي الله عنه، إذ تلا علي بن أبي طالب نائبا عن الرسول أوائل سورة التوبة، وفيها تطهير البيت من المشركين، وكان حينما خرج إليه الرسول في السنة التالية، العاشرة بعد أن نفذت مواد التبليغ الإلهي السابق وفيه سمعوا من الرسول عليه الصلاة والسلام: أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. فلا ترجعن بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله.

الخلقي الشديد الوطأة على النوع البشري.

وهذه مسألة يشهد بها كل من يعهد سوادهم الأعظم وبعض الأعيان منا من الويلات الكبرى على الجسد والعقل معا، أصبحت اليوم لديهم أكسيرا كبيرا يداوون به الجبن الأدبي وفقد عزيمة الرجولية، وقد ألفوا في ذلك الكتب الصحيحة، إليك ما قاله عنه الدكتور (جيهاردت) في كتابه: (كيف يكون الإنسان قوي الإرادة) ردا على الذين يتوهمون أن في الصيام ضررا، قال: «لا نشك في أن معترضا سيعترض على هذا العلاج الصومي ظانا أن الأخذ به ضرر على الصحة، وهو اعتراض لا أساس له البتة، أما من حيث الصحة والطب فإن الصيام من العلاجات التي يجب الأمر بها والاعتراف بعظم فوائدها، إلى أن قال متمعنا في ذلك الدكتور (ستوهر): إن من الناس من كبر وعاش مقتنعا بأن طينته أرق وألطف من طينة غيره من الآدميين، ومع ذلك فإن من يرقب أحوال مثل هؤلاء الناس تأخذه الدهشة إذا وقف على هذا المعنى الذي لا يحل وهو أنه بينما يرى الواحد من هؤلاء قد يقع على الأرض من الضعف والهزال إذا لم يقدم له ما اعتاده من كأس المرق [illegible] أيام قد احتمل أعباء الرقص وتكاليفه بغاية النشاط والجلد طول الليل لغاية الساعة الأولى صباحا».

أما الحج فلم يوجد بينهم في أي عصر من العصور من يطعن على تشريعه لوضوح فائدته وسطوع حكمته [illegible] من الأثر المدهش في بقاء جامعة المسلمين حية لليوم، وليس أحد يستطيع أن ينكر الفوائد المادية والأدبية التي تنجم من الاجتماع لعنصر [illegible] كالأمة الإسلامية في صعيد واحد، من يريد أن ينكر ذلك فلينظر حتى في كتب أعداء الإسلام وما كتبوه عن الحج من أنه مثار الوحدة الإسلامية [illegible] إلى نفوس [illegible] روح الاتحاد [illegible] لا يريدون وجود تلك الوحدة التي تحول بينهم وبين فصم جامعة المسلمين، فتراهم يرون في الحج خطرا دائما على مشروعهم في حل تلك الجامعة حماها الله.

الإنسان جسد وروح وهما قائمان على قسطاس من العدل الإلهي بحيث إن صلاح أحدهما أو فساده ينال الآخر لا محالة، فشرع الله دينه على كيفية بها كل أصل فيه يفيد كلا من هذين الجوهرين فائدة تلائمه ليقوم الإنسان بهذا الدستور الإلهي الأقوم على صراط الفطرة الصحيحة.

[illegible]

(المائدة ٦)

الحج هو اجتماع الألوف المؤلفة من المسلمين المنتشرين في سائر أرجاء العالم، مختلفين في الأجناس واللغات. في بقعة واحدة ملبين بالروح والجسم معا نداء ربهم، وهم من [illegible] النفس والتساوي في الدرجات على صورة لا تدانيها صورة في أي شرع من الشرائع ولا مدنية من المدنيات الأرضية وهم بين أمير ومأمور، وحاكم ومحكوم، وعربي وتركي، وشامي وفارسي، وهندي وسوداني، وحبشي وصيني، وأوروبي، وأفريقي [illegible] أبيض ناصع، وأصفر فاقع، وأحمر قاتم، وأسود فاحم، والكل شخوص بالأعين والأفئدة إلى نقطة واحدة ليس في ضمائرهم إلا موضوع واحد. تركوا الأهل والوطن، وهجروا الدار والسكن، خاضوا غمرات البحار الزاخرة، واقتحموا الصحارى العامرة، لعبت هوج الرياح بهم تارة على السفائن، ولفحتهم لوافح السموم طورا في السباسب. خلعوا عاداتهم وتقاليدهم، وغيروا لباسهم ومآكلهم، وصعدوا وهم على هذه الصورة التجريدية على سطح جبل يضم أشتاتهم ويلم جمعهم. فماذا يكون من أثر هذا الموقف المهيب عليهم. وماذا تكون نتيجة هذا المنظر المدهش على أفئدتهم وأرواحهم؟

لا شك أن تركز كل الأشعة المنبعثة من صميم معانيهم إلى غرض واحد ونقطة مشتركة. وهم على هذه الصورة من البساطة على قمة ذلك الجبل الذي وقف عليه قبلهم بناة مجد هذه الأمة الكريمة من الشهداء والصالحين والعلماء العاملين والأولياء المقربين وفوق هؤلاء كلهم خاتم النبيين محمد الأمين ﷺ.

كل ذلك يوحي إلى سرائرهم، وينقش في صميم روعهم، ويصور لهم في لباب فطرهم، حقيقة معنى (الله أكبر) وناهيك برجل (يعتقد) أن الله أكبر.

من يعتقد أن الله أكبر، لا يرضخ للذل، ولا يستكين للعبودية، ولا يلين قناته في يد غاشم، من يعتقد أن الله أكبر لا يخاف بطش العوادي، ولا يرهب فزع الحوادث، ولا ترتعد فرائصه من نازلة مهما عظمت، من يعتقد أن الله أكبر لا يستعظم الأقوياء، ولا يكبر الأغنياء، ولا يستخذي للكبراء.

من يعتقد أن الله أكبر، لا ينسحر بمدنية، ولا يؤله أي قوة أجنبية، ولا ييأس من بلوغ أمته أقصى المكانات العمرانية.

من يعتقد أن الله أكبر، كان رجلا صحيحا، وإنسانا تاما، وفاضلا صرفا؛ لأن من يعتقد أن الله أكبر لا يستبد ولا يتكبر ولا يتجبر، ولا يعجب بنفسه وهي من كبرى مهلكات الإنسان. ثم لا يسرف، لأن باعث الإسراف حب التفرد وكيف يتفرد والله أكبر، ولا يقتر لأن موجبه خوف الفقر وكيف يخافه والله أكبر. والخلاصة أنه لا يقارف دنيئة سواء كانت معنوية أو حسية لأن مثيرها إرضاء الهوى، وكيف يرضي هواه من يعتقد أن الله أكبر!

نعم من كان يعتقد أن الله أكبر على هذه الصورة كان مسلما حقا. ولو قلت إن الذي سما بهمم آبائنا الأولين، فرفعهم في بضع وعشرين إلى أعلى عليين هو محض اعتقادهم أن الله أكبر لما كنت مغاليا في المقال، ولا ذاهبا مذاهب الشعر والخيال.

يقولون: إذا كان هذا أثر الحج فأين نحن منه اليوم؟

قلنا: إن أركان الإسلام كلها مرتبطة بعضها ببعض ولا يغني شيء عن شيء منها وقد ترك المسلمون كل تلك الأركان وبعضهم يأتيها صورة لا حقيقة فكيف تؤثر فيهم هذا الأثر الباهر الذي أحدثته في آبائنا الأولين الذين كانوا يراعونها على حقيقتها!

الحج

الجوانب الاجتماعية ووحدة الشعوب الإسلامية



ظاهرة عجيبة من ظواهر التشريع الاسلامى. تلك هى الطبيعة الثنائية المادية الروحية والانسانية والفردية الاجتماعية التى تسرى باطراد فى شعائر الاسلام، حتى ارى كل قاعدة من قواعدها الأربع تمثل قطبا ذا طرفين: طرف يربط المؤمن بربه، وطرف يربطه باخوانه المؤمنين. ظاهرة مطردة، كلما ازددنا فى دراستها امعانا، زادتنا ايمانا بأن الذى فصل هذه الشريعة على مقياس الانسان هو الذى فطر الإنسان روحا فى مادة، وفردا فى جماعة.

هذه الطبيعة الثنائية قد تكون جلية واضحة، فى بعض الشعائر، دقيقة عميقة فى البعض الاخر، ولكنها فى شعيرة الحج اوضح واجلى منها فى سائر المواطن.

ولا نريد أن نطيل فى وصف الجانب الروحى من هذه الشعيرة الكبرى التى شرعها الله للمؤمنين عند أول بيت وضعه للناس، فذلك الجانب الروحى منها مثار الايماءة الأولى فى قلب كل مؤمن يريد أن يلبى هذه الدعوة، لا تراه حتى يتفرغ لها من مشاغله وشواغله، ويفارق من حبيب أهله ووطنه، مضحيا بماله ووقته وراحته، متجردا حتى من ثيابه وزينته، محتملا فى هذه السبيل كل وصب ونصب، إنه يرى فى ذلك كله مرضاة ربه، ومطهرة لنفسه، ومزيدا على الإيمان، وزادا من التقوى، حتى إذا بلغ غاية سفره فأطل على الحرم الأمين، ثم وطئت قدماه مهبط الوحى الأول، أحس هنالك بشعور عميق من السكينة والطمأنينة، ثم أحس برباط وثيق من القرابة والنسب، يصله فى أسرة النبيين والصالحين الذين رفعوا هذا البنيان منارا وهدى للناس، أو الذين اجتذبهم إليه نوره وهداه، حتى إذا قضى مناسكه، وأتم شعائره شعر كأنه خلق خلقا جديدا، وعاد مريئا طهورا كيوم ولدته أمه.

غير أن هنالك بونا شاسعا بين فكرة العمرة، وفكرة الحج. فلو أن مرءا أدى مناسك العمرة كلها منفردا، فى أى وقت يحلو له من أوقات السنة، دون أن يرى أحدا، أو يشاركه أحد فى حل أو ترحال، لأدى شعيرتها، وفرغت ذمته منها، ومن هنا يتجلى ما فى العمرة من طابع الروحية الفردية، التى تتسم به فى الأعم الأغلب نوافل العبادات، أما شعيرة الحج فريضة كانت أو نافلة فقد حدد الإسلام لها أشهرا معلومات، وعين لمناسكها أياما معدودات، بل جعل لبعضها ساعات محدودة من تلك الأيام المعدودة، بحيث لو فاتت فلا قضاء لها، بل قد يجب العود لها من عام قابل!

هكذا يجب أن يجتمع الناس على هذه المناسك، فى وقت واحد، وفى صعيد واحد، بل فى زى واحد. ثم يجب أن تتكرر هذه الشعيرة فى كل موسم، وأن تشهد أرض الحرم وما حولها هذه الوفود الإسلامية، مجتمعة فى ميقاتها من كل عام.

هذا العنصر الجمعى هو إذن ركن ركين، وعنصر أساسى أصيل، من دونه لا يكون الحج حجا، ولا يقع فرضا ولا نفلا. ولقد حرص الإسلام على هذا التجمع فى الحج حرصا يفوق كل حرص، وجعله هو الحلقة الختامية العليا كل عام يتوج بها سلسلة التجمعات المحلية التى دعا المسلمين إليها فى مختلف المناسبات: دعا أهل المحلة أو الحى الصغير إلى التجمع فى أقرب المساجد خمس مرات كل يوم، ثم دعا أهل القرية أو الحى الكبير من المدينة إلى التجمع فى مسجدهم الجامع مرة فى كل جمعة، ثم دعا مرتين لصلاة العيدين.. مراحل متصاعدة، تنمو فيها روح الجماعة شيئا فشيئا، ويتضخم مظهرها رويدا رويدا، حتى تصل إلى هذا التجمع الإسلامى الأكبر مرة فى كل عام حول أول بيت وضع للناس.

ما سر تلك العناية البليغة، بهذا التجمع الموسمى الأكبر؟!

لقد كان مقدرا للإسلام أن ينتشر نوره فى الآفاق، على مختلف الأقطار والأقاليم. ولقد رأيناه بالفعل يبسط جناحيه على الأرض يمينا وشمالا حتى أتى على نهايتها فى أقصى الشرق، وفى أقصى الغرب، ثم رأيناه فى الاتجاه الرأسى يمد قطبيه حتى يبلغ بهما مداهما فى الشمال وفى الجنوب. ولئن كان قد توقف سيره بعض الشىء فى هذا الامتداد الرأسى لقد كان ذلك العارض وقتيا، إذ وضعت أمامه عقبات وحواجز صناعية، لو رفعت من طريقه لأصبح ينتظم المعمورة من جميع أقطارها، ذلك أن الإسلام فكرة سائغة، وشريعة عادلة، ونظام جميل مثله كمثل الماء العذب السلسبيل، لا يصادف أرضا منبسطة إلا غمرها وعمرها، أيا كان جوها وأيا كانت تربتها. وهكذا انفتحت لدعوة الإسلام عقول الأمم وقلوبها، على تنائى أقطارها، واختلاف ألسنتها وألوانها، وأنظمتها وعوائدها وموروثاتها. فلو أن الإسلام رخص لكل أمة قبلت دعوته فى أن تبقى حيث هى محصورة فى نطاق حدودها لا تدرى ما يجرى وراء تلك الحدود، من نهضة وركود، أو ربما تسمع بها ولا تراها فتصدق ما يصل إليها من أخبارها، إن صدقا وإن كذبا، لو أن الإسلام رخص بذلك، لأفسح إذن الطريق أمام العقائد والعوائد المحلية القديمة وسائر المقومات

الاجتماعية الخاصة بكل قطر، لتركها تربو وتنمو، وتتبلور وتتجمد حتى تكون عقيدة في جانب العقيدة، بل عقيدة في قلب العقيدة، وإذن لأصبحت الوحدة الإسلامية وحدة إسمية نظرية، ولعادت شعوب الإسلام جماعات متنافرة متناثرة. لا قدر الله.

كان من الضروري إذن لبقاء هذه الوحدة ودوامها بصورة عملية أن يفرض على الشعوب الإسلامية نظام من الاختلاط والامتزاج والتجاور والتزاور، من شأنه أن يحد من حدة التفاوت بينها، وأن يميل بمقوماتها الاجتماعية إلى التماثل والتشابه، أو على الأقل إلى التقارب والتناسق إذ يكون هذا الاختلاط فرصة ممهدة لاقتباس ما هو حسن جميل، وتهذيب ما هو شاذ متطرف، ويكون في الوقت نفسه تدريبا عمليا على التسامح والإغضاء عن الفوارق الشكلية التي لا يخشى أن تحدث صدعا في كيان الجماعة العظمى.

ماذا عسى أن يكون هذا النظام؟.

يفرض على كل قطر أن يوفد طائفة منه إلى شعوب الأقطار كلها بين حين وآخر، للوقوف على سير عقائدها وعوائدها وعلومها وآدابها وأسلوب عبادتها ومعاملاتها، وللسهر الدائب على التنسيق بينها وصيانتها من أن يكون الاختلاف فيها اختلاف تناكر وتنافر.

يالها من ضريبة قاسية، ومهمة شاقة عسيرة!. أليس من الخير واليسر أن تجيء الوفود كلها إلى بلد واحد؟. أو ليس من خير الخير وأيسر اليسر، أن يكون هذا البلد في صرة الأرض على بعد متناسب من كل أقطارها، وأن يكون هذا البلد، هو البلد الآمن الذي يلجأ إليه المكروبون ويأمن فيه الخائفون؟ وأن يكون هذا البلد هو البلد المحروم من ثمرات الأرض الأحق بالبر والرفد وهو البلد الذي للإسلام فيه رحم تتقاضانا برها وصلتها منذ أقدم العصور. منذ قال إبراهيم (عليه السلام):

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

(إبراهيم/ ٣٧).

أو ليس من تمام الحكمة أن يكون هذا البلد هو المكان الذي نزل فيه القرآن. والذي يتخاطب فيه الناس بلغة القرآن. ليكون به لغير العرب ألفة ما بلغتها العرب التي ينبغي أن تكون من عناصر العالمية الإسلامية؟

وأخيراً، أليس الخير كله في أن يكون هذا البلد هو البلد الذي فيه قبلة المسلمين ومشاعر عبادتهم: مطافهم ومسعاهم، وموقفهم ومرماهم؟.

هكذا اختار الله للمسلمين أن يكون مجتمعهم السنوي في مكان يوفون فيه حق دينهم ودنياهم معا، كما قال، جلت حكمته:

﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾

(الحج/ ٢٧-٢٨).

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾

(الحج/ ٢٨)..

ما أعجب هذه الكلمة الموجزة "منافع" وما أجمعها! إنها لتتناول شئون الاقتصاد والسياسة، والحرب والقانون، والعرف، واللغة، والآداب، والعلوم، وسائر المقومات الجماعية التي تتأثر أعظم التأثر بهذا الاتصال والتلاقي، كما تتأثر السوائل بتلاقيها في الأواني المستطرقة، فتأخذ في التوازن والتعادل حتى تستوي في مستوى واحد.

ولكن هل يظل المسلمون في موسم حجهم قانعين بهذا الموقف السلبي الذي لا يعمل فيه إلا العقل الباطن اللاشعوري عادة؟. أليس يجب أن يتقدموا خطوة إيجابية، توضع فيها الخطط المفصلة لهذه الوحدة الإسلامية الشاملة؟ ألم يأن للأمة الإسلامية أن تخرج من سجن هذه الحدود المصطنعة، والقوميات الضيقة إلى محيط الجماعة الكبرى التي يرون منها نموذجا مصغرا في هذه الرحلة المقدسة

- ٢ -

هل أنت قريب عهد بالاطلاع على خريطة العالم الإسلامي، وعلى موقعها من الخريطة الجامعة؟.

إن لم تكن قريب العهد بها فدعني أعيدها إلى ذاكرتك، وأقرب لوحتها إلى خيالك، حتى كأنك تراها رأى العين.

جاوز ببصرك منطقة الثلوج المتجمدة في شمالي القارات الثلاث، وجاوز ببصرك من الناحية الأخرى منطقة الثلوج المتجمدة في جنوبها وتخط كذلك المناطق المتاخمة لهاتين المنطقتين، أو القريبة منهما فإذا جاوزت هذين الطرفين في أعلى الخريطة الجامعة وأسفلها فأقبل على الرقعة المتوسطة بينهما، مبتدئا من أقصاها في المغرب على شاطئ المحيط الأطلسي متجها نحو المشرق، وانظر ماذا ترى.

إنك سترى رقعة فسيحة الأرجاء متلاحمة الأجزاء، تصطبغ بلون واحد، وترتسم أمامك في صورة طريفة تستوقف النظر وتستأثر بالانتباه: إنها صورة جمل ضخم، قد برك على الأرض بمؤخرته، ولكنه أخذ يهم بالنهوض. لقد ثبت ساقيه الأماميتين، ورفع رأسه ومد عنقه، وقد سحب إلى الأمام من مشفره بحبل، وتدلى من عنقه حبل آخر. وجذب إلى الوراء من سنامه بحبل ثالث كأنه مقبوض في يد الراكب. أما مؤخر جسمه فهو الجزء الأعظم من القارة الإفريقية على كتلتها العظمى المحصورة بين المحيط والبحر المتوسط والبحر الأحمر، وأما ساقاه الأماميتين فهما الصومال وأوغندا، وأما صدره فهو جزيرة العرب وما يتصل بها من الشمال.. وأما عنقه ورأسه الممتدان في قلب القارة الأسيوية فهي بلاد إيران وأفغانستان وباكستان وما فوقهن، وأما الحبلان الممدودان من مشفره ومن عنقه فهما سلسلتان من الأقاليم الأسياوية تمتد إحداهما إلى أقصى الشرق على المحيط الهادى أمام الجزر اليابانية وتمتد الأخرى إلى الجنوب حتى تعبر القارة الآسيوية عند ملتقى المحيطين الهادى والهندى وهناك تؤلف مجموعة الجزر الأندونيسية، وأما المقود الذي يجذبه من سنامه إلى الوراء فهو سلسلة من الأقاليم الأوربية تبتدئ من الأقطار التركية، وتسير في اتجاه شمالي غربي حتى تصل إلى قرب بحر البلطيق.

دع عنك الآن هذه التفصيلات الجزئية وألق على الخريطة نظرة عامة جامعة، أرأيت الكتلة العظيمة المعترضة فى صلبها من الغرب إلى الشرق، وسطًا فى موقعها بين الشمال والجنوب، وسطًا فى جوها عدلًا بين البرد القارس والحر اللافح؟.

فى هذه الرقعة الوسط، وفى الجو الوسط، تستوطن الشعوب الإسلامية التى جعلها الله أمة وسطًا، وسطًا فى عقيدتها متجافية عن طرفى الخرافة والجحود، وسطًا فى شريعتها، نائية عن طرفى الواقعية الجامدة القلب، والمثالية الذاهلة العقل، وسطًا فى مطامحها بعيدة عن طرفى القناعة الذليلة، والحرص والجشع، وسطًا فى موقعها بين المعسكرات المتنافرة المتناحرة، وسيط السلام بينهما، وداعية أمن وطمأنينة للإنسانية كلها.

هذه الأمة كما جعل الله لها من وضعها الجغرافى وحدة طبيعية جامعة جعل لها من عقيدتها وشريعتها وحدة روحية جامعة، وحدتين لو أثمرت كل منهما ثمرتها فى مجالها لكان من شأنهما تحقيق السعادة الكاملة للمجتمع الإسلامى. كان من شأن الوحدة الجغرافية أن تمحو من بين أقطار الإسلام تلك الحواجز الإقليمية من شئون الاقتصاد والإنتاج، وأن تيسر توزيع ثروتها المادية بينها توزيعًا ينتشر فيها الرغد والرخاء، ويحقق لها الاكتفاء الذاتى والاستغناء عما سواها.

وكان من شأن الوحدة الروحية أن تتغلب على تلك الفوارق السطحية بين شعوب الإسلام فى ألسنتها وألوانها، وفى مذاهبها وعاداتها، وأن توحد أو تجانس بين مناهجها التثقيفية ومبادئها التشريعية، وأن توجه رءوسها المفكرة إلى تبادل نتاجها العلمى والأدبى، ورءوسها المدبرة إلى تنسيق خططها السياسية والاجتماعية، وأن توجه جيوشها إلى التكتل فى الدفاع عن كل شبر من أرضها، فكلما اشتكى من جسم الإسلام عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحماية والرعاية.

نعم، لقد كان من شأن هذه الوحدة المزدوجة أن تجعل الأمم الإسلامية من أرغد الأمم عيشًا وأعظمها قوة، وأتمها عزة.. فياليت شعرى، ما الذى قعد بها عن بلوغ هذه الغاية العليا بعد أن وضعت المقادير فى يدها مفاتيحها المادية، وبعد أن وضع الإسلام فى يدها مفاتيحها الروحية؟.

لقد كاد المجال يكون فسيحًا فى الجواب عن هذا السؤال، وفى التماس العذر للمسلمين عن هذا القعود لو كان الإسلام اكتفى بتقرير هذه الحقائق والمبادئ، إذ كان لهم أن يعتذروا بأنها حقائق نظرية لا يدركها إلا الأفذاذ الذين تتسع آفاقهم، حتى يستوعبوا خريطة العالم الإسلامى فى نظرة، ويستوعبوا عقيدة الإسلام وشريعته فى فكرة.

ثم كان لهم أن يعتذروا بأن قضية هذه الوحدة عبء جسيم لا يسعى إلى حمله طائعًا مختارًا من بين هؤلاء الأفذاذ، إلا عبقرى يؤمن فى قرارة نفسه بأن له رسالة إصلاحية فى هذا العالم. أما الجماهير والدهماء، فإنهم لا يمتد نظر أحدهم إلى أبعد من قطره أو إقليمه، بل ربما لا يتجاوز حياله حدود قريته، أو نطاق حرفته.

فالرجل الذى لم ير فى حياته هنديًا ولا صينيًا ولم يعرف روسيًا ولا تركيًا، ولم يعامل صوماليًا ولا سنغاليًا، كيف نطالبه بأن يفكر فى كل هؤلاء وأمثالهم، وأن يهتم بشئونهم وشئون أقوامهم؟.

لا وقد أبطل الإسلام هذه الحجة، وأغلق الباب أمام هذا الاعتذار، إذ لم يكتف بتقرير هذه الحقائق النظرية، ولكنه وضع إلى جانبها نظامًا إلزاميًا، وهيأ لتحقيقها فرصة عملية سنوية يجتمع بها العالم الإسلامى مركزًا فى بقعة.

أتدرى ما هذه البقعة؟. إنها المحور الذى تلتف حوله أقطار الإسلام على بعد متناسب من كل جانب، إنها القطب المغناطيسى الروحى الذى تنجذب إليه أفئدة المؤمنين من كل فج عميق، إنها الكعبة، البيت الحرام، ومكة البلد الحرام، ومنى معسكر الحرم، وعرفة عتبة باب الحرم، ذلكم هو مهبط الإسلام فى طفولته ومبعث نشاطه فى فتوته. جعل الله الورود إلى هذا المنهل الأول فريضة حتمًا على كل مسلم يستطيع إليه سبيلًا، ولو مرة فى حياته فليس لأحد منهم إذن أن ينطوى على نفسه فى قطره وإقليمه، وأن يقول: إنى لم أر فى حياتى مشرقيًا ولا مغربيًا. إنه يجب عليه دينيًا أن يرحل ليرى ويسمع، وليندمج فى هذه الكتلة الإسلامية الكبرى، بل إننا لو فرضنا أن كل فرد أدى هذه الرحلة المفروضة، فإنه لا يباح لجماعة المسلمين أن يقطعوا هذه الشعيرة الموسمية، ولا مناص من أن تتجمع الوفود الإسلامية هنالك فى كل عام فى وقت واحد فى صعيد واحد، بل فى زى واحد، وأن ينشدوا جميعًا نشيدًا روحيًا واحدًا، تردده معهم الجبال والأكمات، فتتجاوب أصداؤه فى قلوبهم، وتنصهر نفوسهم حتى تعود سبيكة واحدة فى بوتقة الشعور المشترك، والوجدان الموحد.

تلك هى تجربة الوحدة الروحية، تكملها وتشرحها الوحدة الاجتماعية، ذلك أن الإسلام لم يجعل الحج عبادة وحسب، ولكنه - كما سبق البيان - جعله فى الوقت نفسه قيامًا للناس وموسمًا لتبادل مصالحهم، فى مختلف وجوهها وأنواعها، بل إن الأمر ما جعل هذه قبل تلك فى معرض بيانه للغاية المنشودة من رحلة الحج. ألا نسمع إلى قول الله - جلت حكمته -:

«لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ» (الحج: ٢٨).

إنه تطبيقًا لهذا المبدأ الحكيم كان من واجبات الحج بعد أداء مراسمه أن يخلع الناس ثياب عبادتهم المتقشفة، وأن يمكثوا هنالك فترة يعودون فيها إلى مجرى حياتهم العادية متكشفًا كل منهم عن زيه ومهنته، وحسبه ولهجته، ليتعاملوا ويتشاوروا ويتعاونوا، وهم فى أوضاعهم الطبيعية، حتى تبرز بينهم صورة هذه الرحلة الإسلامية المتعددة المظهر، المؤتلفة الجوهر.

هل فقه الناس إذن مغزى هذه الشريعة؟ وهل أدركوا أن تكرار هذه التجربة كل عام فى شكل مصغر إنما هو دعوة إلى تجربة أمثالها كل آن فى نطاق أوسع، وعلى مقياس حقيقى مكبر؟.

فقهنا الله فى أسرار شريعته، وأدبنا بآدابها.. آمين.

سألت نفسي!



سألت نفسي عن أسعد لحظة عشتها..؟

ومر بخاطري شريط طويل من المشاهد.. لحظة رأيت أول قصة تنشر لي، ولحظة تخرجت في كلية الطب، ولحظة حصلت على جائزة الدولة في الأدب.. ونشوة الحب الأول والسفر الأول.. والخروج إلى العالم الكبير متجولا بين ربوع غابات أفريقيا العذراء، وطائرا إلى ألمانيا وإيطاليا والنمسا وسويسرا وانجلترا وفرنسا وأمريكا.. ولحظة قبضت أول ألف جنيه.. ولحظة وضعت أول لبنة في المركز الإسلامي بالدقي.. استعرضت كل هذه المشاهد وقلت في سري.. لا.. ليست هذه.. بل هي لحظة أخرى ذات مساء من عشرين عاما اختلط فيها الفرح بالدمع بالشكر بالبهجة بالحبور حينما سجدت لله فشعرت أن كل شيء في بدني يسجد.. قلبي يسجد.. عظامي تسجد.. أحشائي تسجد.. عقلي يسجد.. ضميري يسجد.. روحي تسجد.. حينما سكت داخلي القلق وكف الاحتجاج ورأيت الحكمة في العذاب فارتضيته.. ورأيت كل فعل الله خير، وكل تصريفه عدل، وكل قضائه رحمة، وكل بلائه حب.. لحظتها أحسست وأنا أسجد أني أعود إلى وطني الحقيقي الذي جئت منه وأدركت هويتي وانتسابي وعرفت من أنا.. وأنه لا أنا.. بل هو.. ولا غيره.. انتهى الكبر وتبخر العناد وسكن التمرد وانجابت غشاوات الظلمة وكأنما كنت أختنق تحت الماء ثم أخرجت رأسي فجأة من اللجة لأرى النور وأشاهد الدنيا وآخذ شهيقا عميقا وأتنفس بحرية وانطلاق.. وأي حرية.. وأي انطلاق.. يا إلهي.. لكأنما كنت مبعدا منفيا مطرودا أو سجينا مكبلا معتقلا في الأصفاد ثم فك سجني.. وكأنما كنت أدور كالدابة على عينيها حجاب ثم رفع الحجاب.

نعم.. لحظتها فقط تحررت.

نعم.. تلك كانت الحرية الحقة.. حينما بلغت غاية العبودية لله.

[illegible] قيود [illegible] نفسي [illegible] [illegible] و[illegible] والسلطة واللذة والغلبة والقوة..

وشعرت أني لم أعد محتاجا لأحد ولا لشيء؛ لأني أصبحت في كنف ملك الملوك الذي يملك كل شيء.

كنت كفرخ الطير الذي عاد إلى حضن أمه..

كانت لحظة ولكن بطول الأبد.. نعم تأبدت في الشعور وفي الوجدان وألقت بظلها على ما بقي من عمري وكيف لم تتكرر.. فما أكثر ما سجدت بعد ذلك دون أن أبلغ هذا التجرد والخلوص وما أكثر ما حاولت دون جدوى.. فما تأتي تلك اللحظات بجهد العبد بل بفضل الرب.. وإنما هو الذي يتقرب إلينا وهو الذي يتحبب إلينا.. وما نتعرف عليه إلا به.. وما نعبده لحظة تمام العبادة إلا بمعونته.. وما ندخل عليه إلا بإذنه.. فهو العزيز المنيع الجناب الذي لا يدخل إليه بالدعاوى والأقاويل.

ولقد عرفت بعدها أن تلك هي السعادة الحقة وتلك هي جنة الأرض التي لا يساويها أي كسب مادي أو معنوي.

يقول الله لنبيه عليه الصلاة والسلام

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾

(العلق ١٩)

صدق الله العظيم.. وما كل ساجد يقترب إلا إذا خلع النعلين فألقى بالدنيا وراءه ثم ألقى بنفسه خلفها ودخل مسلم القلب عريان المشاعر خاشع الفؤاد ساجد الأعضاء.. حينئذ يكون القرب.. وتكون السجدة.

ولكم أتمنى أن أعاود تلك السجدة.

أو تعاودني تلك السجدة.. ويتفضل علي الله بالقرب ويأذن لي بالعبادة حق العبادة..

وأقول في نفسي أحيانا.. لعلي لم أعد أخلع النعلين كما يجب وكما يليق بجلال المقام الأسمى.. ولعل الدنيا عادت فأحدقت بي دوامتها وعاد الحجاب فانسدل على العينين وعادت البشرية فناءت بثقلها وكثافتها على النفس الكليلة ولكني لا أكف عن الأمل وأسأل الله أن يشفع الأمل بالعمل سبحانه وسعت رحمته كل شيء.

الصنم والكعبة

وسألت نفسي وأنا أطوف بالكعبة

ما بال المسلمين يطوفون الآن في خشوع وتبتل فإذا خرجوا تفرقوا وانقسموا وأصبح كل منهم يطوف حول نفسه أو حول اسمه أو حول شيطانه؟

أهي أدوار يمثلونها ليضيع دقائق ثم يذهب كل منهم بعد ذلك إلى حال سبيله.

أيكون طوافهم طوافا ونسكا دينيا حقا أم تمثيلا.

هل أراد الله بالطواف أن يكون مجرد حركة معزولة عن السلوك والحياة لم أراد به أن يكون شعيرة دينية.. هي تكثيف وتلخيص للحياة كلها.

بل أراد الله أن تكون حياتنا كلها طوافا حول مشيئته في كل صغيرة وكبيرة.

ولو أن العرب طافوا في سياستهم حول نقطة واحدة كما يطوفون الآن.. ولو أنهم اجتمعوا أبيضهم وأحمرهم وأسودهم في رحاب رأي واحد كما يجتمعون في الكعبة لما ذلوا ولما هانوا ولما أصبحوا عالما ثالثا أو عالما رابعا كما نراهم الآن.

وسألت نفسي في دهشة

وكيف بالطائفين حول الكعبة يحارب بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا.. وعلى أي معنى إذا كانوا يطوفون.. وعلى أي شيء كانوا يجتمعون.. هل صدقوا حينما طافوا؟

وهل صدقوا حينما اجتمعوا؟

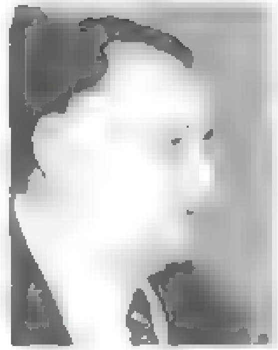
وهل صدقوا حينما قالوا.. الله أكبر؟

بل كانت الدنيا عند كل منهم أكبر.

وكان كل منهم طوافا حول نفسه مسبحا برأيه مهللا لأفكاره صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما رد على الأعرابي الذي قال له.. أصلي الفروض الخمسة ولا أزيد.. فقال.. أفلح إن صدق.

فالقول مازال ساريا على العرب جميعا إلى اليوم. أفلحوا إن صدقوا. ويبدو أنهم إلى الآن.. ما صدقوا.

دروس من رحلة الحج



بقلم أ.د/ أحمد عمر هاشم

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

ان الناظر الى فريضة الحج يرى أنها إلى جانب كونها ركنا من أركان الاسلام، ان فيها دروسا مهمة للامة الإسلامية:

من هذه الدروس تحرى الكسب الطيب والعمل الحلال والرزق الحلال؛ حيث يشترط فيمن يقوم لأداء هذه الرحلة ومن يجب عليه اداء الحج ان يكون مستطيعا فاذا وجدت الاستطاعة وجب الحج. كما قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

والاستطاعة تتحقق بوجود القدرة والصحة للسفر وأداء المناسك كما تتحقق الاستطاعة بأمن الطريق، وبأن يوجد المال الحلال الذى ينفقه الحاج فى رحلته، فإن لم يكن المال طيبا حلالا فلا يكون الحج مقبولا؛ لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، ولكى يوجد المال الحلال فلابد لمن أراد الحج أن يكسب المال الذى يحج به من عمل مشروع وأن يحصل عليه بالطرق الحلال المشروعة فتدفع رغبة من يريد الحج أن يعمل وأن يسعى وأن يتحرى المال الحلال الذى لا شبهة فيه فيجتهد فى البحث عن العمل الصالح ليحصل على الرزق الحلال حتى يستطيع أداء فريضة الحج وحتى تكون حجته مقبولة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال الله جل شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾

وقال الله سبحانه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

والذى يحج بالمال الحلال يبشره الملك: حجك مقبول غير مأزور، وأما الآخر الذى كان ماله من حرام فيقول له: حجك مأزور غير مقبول، كما جاء فى بعض الأحاديث.

● ومن دروس الحج أيضا: المساواة وهى التى تتجلى فى الزى والمظهر وذلك فى ملابس الإحرام، تلك الملابس التى يتساوى فيها الحج، إنها عبارة عن إزار ورداء لا يمكن أن يتميز فيها إنسان عن آخر، ولا يمكن أن يكون هناك فوارق فى هذا الزى الموحد بين الغنى والفقير، ولا بين الرئيس والمرءوس إن الملابس الدنيوية يمكن أن تميز فيها بين إنسان وآخر أما ملابس الإحرام ففيها معنى المساواة لا فرق بين إنسان وآخر وهى تذكر الناس بالآخرة بالكفن الذى لا يتميز فيه إنسان عن غيره.

وهذه المساواة التى هى من دروس الإحرام لا يشعر فيها إنسان بأنه أفضل من الآخر وإنما الأفضلية والتمييز بتقوى الله فقط.

كما قال الله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

● ومن دروس الحج أيضا إعلان توحيد الله سبحانه وتعالى حيث يحرم الحاج وينوى بادئا بإعلان توحيد الله، مرددا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» فمن أول لحظة يحرم فيها الحاج ويلبس ملابس الإحرام يعلن أنه يلبى دعوة الله سبحانه وتعالى التى دعاه بها إنه يلبى معلنا التوحيد ونافيا الشرك قائلا: «لبيك لا شريك لك لبيك» ومقرا بأن الحمد لا يكون إلا لصاحب النعمة التى أنعم بها وهو الله سبحانه وتعالى، الذى يستحق الحمد والشكر والعبادة وحده لا شريك له وفى التلبية إعلان بتوحيد الله سبحانه، وحين يلبى الملبى يشعر الكون كله بهذه العبادة التى اختص بها رب العزة سبحانه فتلبى الكائنات من حوله معلنة بلسان حالها ومقالها أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد.

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من مسلم يلبى إلا لبى من عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا» ومعنى «مدر»: هو الحصى، وهذا الحديث رواه ابن ماجه الترمذى والحاكم وصححه

● ومن دروس الحج أيضا: التعود على الحياة العادية البعيدة عن الترفه والتميز والزينة إذ أن المحرم يحظر عليه أن يلبس ملابس الزينة وأن يتطيب وأن يقص الشعر إلى آخر المحظورات التى تجعله فى حياة عادية بسيطة بعيدة عن الترفه.

● ومن هذه الدروس أهمية «الاتباع» فالحاج يفعل ما يفعل من المناسك متبعا رسول الله ﷺ ويعلن هذا منذ أول لحظة يطوف فيها بالكعبة فيبدأ طوافه قائلا:

«بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة النبي ﷺ».

وقد أكد هذا الاتباع الفاروق عمر رضي الله عنه عندما طاف بالبيت واستلم الحجر الأسود معلنا «الاتباع» لرسول الله ﷺ قائلا: «إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» فهو يفعل ذلك اتباعا واقتداء برسول الله ﷺ.

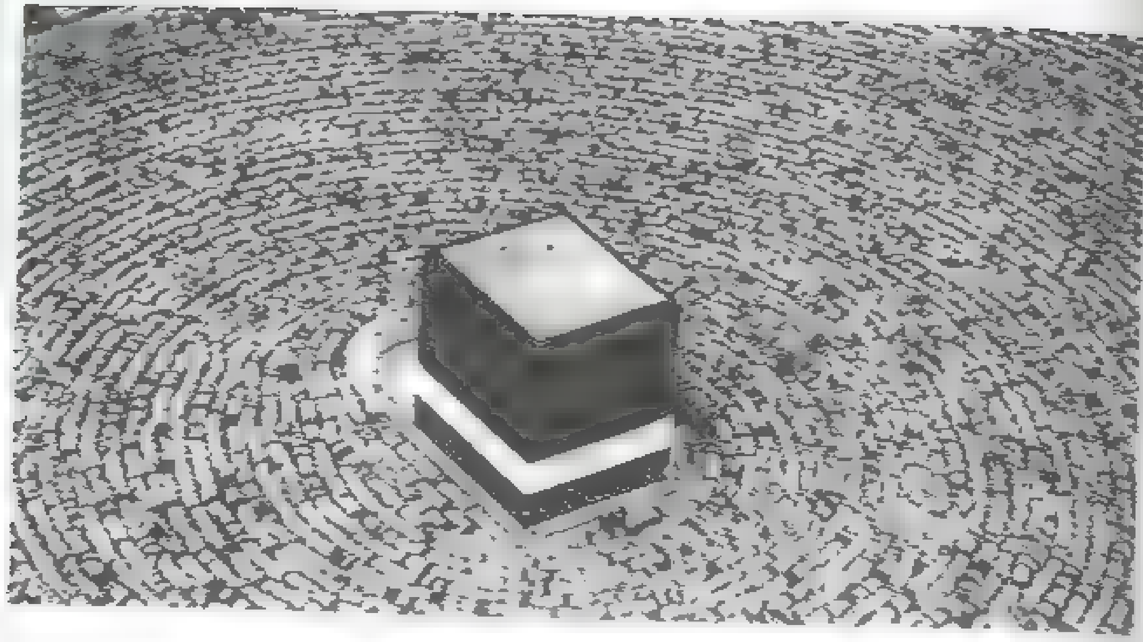
● ومن دروس الحج إظهار المسلمين لقوتهم ومكانتهم والإبقاء على ما كان يفعله رسول الله ﷺ حتى وإن زال السبب لتبقى الصورة ماثلة عبر الأجيال، ويظهر ذلك في سنة «الرمل» وهو الإسراع في المشي مع هز الكتفين وتقارب الخطى إظهارا للنشاط والقوة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ مكة وقد وهنتهم - أي أضعفتهم - حمى يثرب، فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى، ولقوا منها شرا فأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ما قالوه، فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين فلما رأوهم رملوا قالوا: قال هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى وقد وهنتهم هؤلاء أجلد منا - أي أقوى -.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ولم يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم.. رواه البخاري ومسلم وأبوداود

ولقد بدا لسيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن يدع الرَّمل بعدما انتهت الحكمة منه، ومكن الله للمسلمين في الأرض، إلا أنه رأى إبقاءه على ما كان عليه في العهد النبوي لتبقى هذه الصورة ماثلة للأجيال من بعده قال محب الدين الطبري: وقد يحدث شيء من أمر الدين بسبب ثم يزول السبب ولا يزول حكمه، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب؟ وقد أطأ الله الإسلام - أي ثبته - ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ

● ومن دروس الحج أيضا أنه لقاء عالمي إسلامي يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها على مختلف لهجاتهم وأجناسهم وألوانهم يلبون إلها واحدا ويعبدون ربهم ويضرعون إليه وكلهم أمل في الله أن يغفر ذنوبهم وأن يقبل أعمالهم وفي اجتماعهم في يوم واحد على أرض عرفات وفي وقت واحد يدعون الله ويتقربون إليه في هذا إشارة إلى وحدتهم وقوتهم، وفي هذا اللقاء العالمي الكبير يدرسون كبرى قضايا أمتهم الإسلامية ويعملون على حل مشكلاتهم ويدعون إلى وحدة صفهم وجمع كلمتهم.

وليوم عرفة مكانته فهو أهم أركان الحج كما قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة» إنه يوم الرحمات والمغفرة والفيض



الرباني، عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء» رواه مسلم.

● ومن دروس الحج: التعود على الإخلاص والمراقبة وتأكيد مراقبة الله للإنسان؛ لأن الحاج يتعود أثناء حجه على أن الله يحاسب في الحرم على الإرادة وإن لم يحدث فعل وهذا يجعل العبد دائما بين الخوف والرجاء، قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

فالله سبحانه لا يحاسب في البقاع الأخرى إلا على ما عمله الإنسان أما في الحرم فيحاسب على الإرادة وإن لم يحدث عمل، وهذا يجعل الإنسان متعود على مراقبة ربه وعلى نقاء قلبه وصفاء سريرته ولا يحمل شرا لأحد ويكافح في الإرادة النفسية إذا نزعت للشر.

ومن الدروس المستفادة في الحج التعود على معنى الأمان في الحياة؛ لأن البيت الحرام من دخله كان آمنا ولا يتعرض أحد لأحد فيه بسوء ويحرم على المحرم بل وعلى غير المحرم صيد الحرم أو تنفير الطير أو قطع الشجر والنبات، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ - يوم فتح مكة -: «إن هذا البلد حرام لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه - أي لا يقطع الرطب من نباته - ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته إلا لمعرف».

وهكذا نرى أن الإنسان في الحرم آمن «ومن دخله كان آمنا» وأن الطير آمن والحيوان آمن والشجر آمن والنبات آمن كل معاني الأمن مكفولة للمخلوقات في الحرم فيعود الحاج من رحلته وقد تعود على الأمان وألف الطمأنينة. والأمن والسكينة وبالله التوفيق.

من أسرار الحج

دراسة فى فقه الدلالات والمقاصد

لما آل أمر المسلمين - للأسف - إلى التخلف العام فى الدين والدنيا. أصبحت العبادات مجرد رسوم وشكليات لا تكاد تتجاوز الأداء والحركات والسكنات.. مما دفعنى إلى كتابة هذا البحث عن عبادة الحج. احد أركان الإسلام العظيمة: راجيا به انتشال نفسى. وغيرى. من "شرك الشكلية فى العبادة". ومن "مستنقع الجفاف الروحى". ومن "بركة الركود العقلى".. فلنبدأ باسم الله:

الحكمة من الحج بشد الرحال إلى المسجد الحرام

قد يقول قائل: "لماذا نتكبد المشاق لنذهب إلى الله فى رحلة الحج؟ لماذا هذه الرحلة المضنية والله معنا، بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد؟ ما الداعى إلى السفر والارتحال لنقف فوق عرفة ندعوه فيها وهو القائل:

﴿ [illegible] قريب [illegible] ﴾

(البقرة ١٨٦)

ونقول:

١- الحقيقة أن الله قريب منا حقا وصدقا. ولكننا (مشغولون على الدوام بغيره).. إنه لا يقيم دوننا الحجب، ولكننا نحن لدى نقيم هذه الحجب بنفوسنا. بشواغلها وهمومها وأهوائها. تلفنا فى علائق كثيفة من الرغبات.. وعقولنا تضرب حولنا نطاقا من الغرور.. وكبرياؤنا يصيبنا بنوع من قصر النظر، بل والعمى فى بعض الأحيان.. فلا نعود، بسبب من ذلك كله، نرى أو نحس بشىء سوى نفوسنا.

٢- إن شد الرحال إلى مكة، وتكبد المشقات والنفقات. هى وسائل مادية للتخلص من هذه الشواغل. وتفريغ القلب لذكر خالقه، وإيقاظ الحواس على حقيقة القرب القريب لله جل جلاله.

٣- ومن هنا كانت كلمة "عرفة": فبعد رحلة من آلاف الأميال يتيقظ القلب على معرفة، فيبدأ يتعرف على ربه ويكتشف قربه. كما يتعرف على نفسه ويكتشف بعدها عنه تعالى.

٤- والحج فى معناه: خروج.. خروج من دنيانا إلى دين الله.. خروج من اعتدادنا بأنفسنا إلى الاعتداد به سبحانه.. خروج من العبودية لـ "الأسباب" (من مال وولد وأرض وعقار ومنصب وسلطة ونفوذ وجاه) إلى العبودية لرب الأسباب.. خروج من حولنا وقوتنا متوهمين إلى حوله وقوته متيقنين.. خروج من إرادتنا إلى إرادته.. ومن رغبتنا إلى رغبته..

من أسرار ثياب الإحرام

١- إن ثياب الإحرام البيضاء التى نرتديها على اللحم، والتى يشترط أن تكون غير مخيطة، هى رمز الوحدة الكبرى التى تذوب فيها الأجناس، ويتساوى فيها الفقير والغنى. لأن فى هذا الثوب البسيط معنى الأخوة والمساواة برغم تفاوت المراتب والثروات.

٢- وهى رمز للخروج من زينة الحياة الدنيا.. تماما كما نأتى إلى الدنيا فى لفة، ونخرج منها فى لفة.

٣- وهى رمز للتجرد التام أمام حضرة الخالق؛ لأننا أمام الله لا نكاد نساوى شيئا، بل نحن بالنسبة له سبحانه: لا شىء.. فعلينا أن نخلع كل ثياب الغرور والزينة، متجردين من شهوات النفس والهوى، حابسين إياها: عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير فى جلاله.. وما التلبية بعد الإحرام إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة لله، والامتثال لأوامره.

٤- وثياب الإحرام ثوب من قطعتين؛ رمزا لستر العورة الظاهرة، وستر العورة الباطنة.. الأولى: حياء من الخلق، والثانية: حياء من الخالق.. حياء من سوء الخلق الظاهر الذى تعرفه الناس، وحياء من العورة الباطنة، عورة القلوب والنفوس والشهوات. التى لا يراها، ولا يطلع عليها، إلا الله.

من أسرار الطواف حول الكعبة

١- إن المسجد الحرام - وتعد كعبته - هو أول بيت اتخذه الإنسان لعبادة الله.. ومنذ ذلك التاريخ أصبح هذا المكان "رمزا قدسيا". أصبح "بيتا لله"، بل إن شئت قلت: أصبح "علم الله المركوز فى أرضه".. ومن ثم نحن نطوف حوله تعظيما لله، متبعين فى ذلك سننه وقوانينه الكونية؛ ألا تلاحظ معى - فى قوانين المادة وسننها التى اكتشفها الإنسان - أن "الأصغر" يطوف حول "الأكبر"، وأن "الإلكترون" فى الذرة يدور حول نواتها، وأن القمر يدور حول الأرض، وأن الأرض تدور حول الشمس، وأن الشمس تدور حول المجرة، وأن المجرة تدور حول مجرة أكبر، وهكذا إلى أمد لا يعلمه إلا الله

ومن ثم، فنحن نطوف حول الكعبة "تعظيما لله"، وتأكيدا على أنه سبحانه مركز الثقل فى حياتنا كلها؛ فمنه البدء، وبه المسيرة، وإليه المصير.

٢- إن الطواف رمز للحب والتعلق

الكاملين بالله: شعوراً وقولاً وفعلاً.. فأنت تطوف حول بيته سبحانه نفست وعقلت وقدمت.. فما الطواف - في حقيقته - إلا دوران للقلب والقالب حول قدسية الله؛ مع الحب مع الخوف منه.. لذى ترى معمته ولا تدرك ذاته.

٣- وهو رمز لدوران الأعمال حول قطب واحد.. واستهداف الحركات والأفكار لهدف واحد: هو الله؛ حيث كل شيء منه وإليه.. فالطواف هو التعبير الجسمي والروحي - بالكلمة والفعل والقلب - عن "توحيد الله" وعن "مدى إخلاصك له" وعن وحدة أهدافك الظاهرة والباطنة وتحليقها حول مراد الله واستهدافها لرضاه.

من أسرار تقبيل الحجر الأسود

قد يقول قائل: "ألا تلاحظ معي أن تقبيل الحجر الأسود وثنية صريحة؟!"

فأقول:

١- ويحك.. ألا تقبل خطاباً يأتيك من حبيبك؟! هل أصبحت بذلك وثنياً؟! اللهم لا.. فعلام اللوم إذا قبلنا نحن ذلك الحجر الذى حمله نبينا ﷺ فى ثوبه وقبله.. إن تقبيلك له نوع من عشق.. وأنت تضع شفتيك حيث وضع النبى ﷺ شفتيه.

٢- واعلم، رحمك الله، أن الحجر الأسود يمين الله فى أرضه - رمزاً -.. من استلمه - بالإشارة أو اللمس أو التقبيل - فقد بايع الله على الالتزام بأمره ونصرة دينه.. فعند الحجر تكون البيعة لرب الأرض والسماء على الإيمان والتصديق والعمل والوفاء؛ الإيمان بالله لا بالحجر، والتصديق بكتابه لا بالخرافة، والعمل بسنة نبيه المختار لا بسنة الكفار والفجار، والوفاء بعهد الله - توحيداً خالصاً: قلباً وقالباً، فى العبادات وفى المعاملات.

٣- فتأمل، وافهم، ولا تكن من الغافلين؛ لأننا لا نتجه بمناسك الحج نحو الحجر والأحجار ذاتها، وإنما نحو المعانى العميقة والرموز والذكريات، كما مر، وكما سيأتى إن شاء الله.

من أسرار السعى بين الصفا والمروة

١- إن السعى بين الصفا والمروة - ومثله رمى الجمار، والشرب من زمزم - إعلان لارتباط الإسلام وأمته بأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعائلته؛ لتؤكد الأمة الإسلامية بهذا الارتباط أنها سائرة على درب النبوات السابقة، ومتممة لها، لا متنكرة إياها، ولا شاذة عنها.

إن مثل تلك الشعائر، التى يؤديها الحجاج، توقظ فى نفوسهم ذكرى الأنبياء العظام الذين قاموا بمثل تلك الشعائر فى نفس تلك المواضع، وتعيد إلى الحياة أعمالهم، وتوقظ النزعة إلى الاقتداء بهم فى كل تصرفاتهم.. وهى إحياء لذكريات عزيزة وأيام لا تنسى فى حياة هؤلاء الأنبياء.

٢- والسعى بين الصفا والمروة تذكير للمسلم بوجوب البحث والعمل والكد والسعى فى حياته الدنيا إذا أراد الارتقاء والتقدم، بله النجاة.. فهو رمز للهرولة التى يجب أن يعيش فيها كل منا إلى خطة ودأبه - إذ الكسل والدعة والتواكل ليست من صفات المسلم الحق - ملتمسا من الله - طيلة حياته - العون والتأييد، والرضوان والغفران.

٣- إن السعى بين الصفا والمروة سعى بين نقطتين محددتين؛ وهذا يرشدنا إلى "تأطير" و"تقصيد" و"ضبط" و"تنظيم" مساعينا فى حياتنا الدنيا؛ بأن نجعل له "إطاراً" و"قصداً" و"خطة"، وإلا فستختلط الأمور، ويموج بعضنا فى بعض؛ فيخيب سعانا.

من أسرار الوقوف بعرفة

١- إن الوقوف بعرفة وسيلة عادية للتخلص من الشواغل الدنيوية، ولتفريغ القلب لذكر خالقه، ولإيقاظ الحواس على حقيقة القرب القريب لله - جل جلاله -.. ومن هنا كانت كلمة "عرفة"؛ فبعد رحلة من ألوف الأميال يتيقظ القلب على "معرفة"؛ فهو "يتعرف" على ربه و"يكتشف" قربه، كما "يتعرف" على نفسه و"يكتشف" بعدها عنه تعالى.

٢- والوقوف بعرفة بعد السعى: بذل للمهج فى الضراعة إلى الله، بقلوب مملوءة بالخشية، وأيد مرفوعة بالدعاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وروح تحسن الظن ببارئها، ألا يخيب سعينا، وأن يبارك أعمالنا، وأن يجزينا عن حسن الأفعال بالحسنات، وأن يغفر لنا الذنوب ويتجاوز عن الزلات؛ إذ لا ملجأ منه إلا إليه.

٣- والوقوف بعرفة فرصة لـ "التعارف" و"التقارب" والتفاهم والتشاور والتعاون وبناء الصلات الجديدة.. مظلة المحبة والإخاء، بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأقطارهم وطبقاتهم وقدراتهم ولغاتهم.

٤- وهو، بالإضافة إلى ذلك كله، رمز للوحدة بين المسلمين؛ إذ هو تجمع فى مكان واحد، وفى وقت واحد، ومجلس واحد: إلى قبلة واحدة وهدف واحد.. يتلقون فيه من الله، ويتجهون إليه، ويسيرون بأمره - فحضورهم بأمره، وأفعالهم بأمره، وانصرافهم بأمره.

٥- والمشهد يوم عرفة، حين ترى الحجاج فى ثيابهم البيض، وفى موقعهم المزدحم العظيم، تحس أنهم أشبه بالناس فى ساحة العرض الأكبر، يوم يخرجون من الأجداث إلى ربهم ينسلون.. إنه تجسيد مصغر لمشهد الحشر والوقوف بين يدى الله يوم القيامة.. يا له من موقف رهيب، ومشهد مهيب، تعجز الكلمات عن الإحاطة به، بله اكتناه أسراره!!

من أسرار حلق الرأس

١- ما حلق الحاج لرأسه، فيما يبدو لى، إلا حلق للكبرياء عن عقله؛ اعترافاً منه بالقصور، ومعرفة منه لمقامه بالنسبة إلى مقام ربه، وإقراراً منه بأن للعقل حدوداً لا يجوز له أن يتعداها، ومجالات يحرم عليه الخوض فيها.

٢- وهو - فوق ذلك - خضوع لعظمة الله و"تذلل" لعزته.. لقد كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه.. إذن، فوضع النواصي بين يدى ربها محلوقة: هو "تمام" الخضوع

والتذلل والعبودية له تعالى.. ولهذا كان الخلق من "تمام" الحج.

من أسرار رمي الجمار

قد يقول قائل: "ألا تلاحظ معي أن رجم إبليس برمي الجمار عمل بدائي خرافي أسطوري؟!"

فأقول:

١- على رسلك.. ألا تضعون باقة ورد على نصب حجري تذكاري - تقولون: إنه يرمز إلى الجندي المجهول - وتقفون دقيقة لتحيته وتمجيد أعماله.. فهل عملك هذا عمل بدائي خرافي أسطوري وثني؟!.. اللهم لا.. فعلام اللوم إذا ألقينا حجرا على نصب حجري تذكاري نقول إنه يرمز إلى الشيطان؟!.. فتبه ولا تكن من الغافلين.

٢- والرمي مقت واحتقار لعوامل الشر ونزعات النفس ونزغات الشيطان.. إنه رمز مادي لصدق العزيمة في طرد الشرور ومطاردتها حتى إزهاقها.

من أسرار الذبح والنحر

١- النحر رمز لذبح نزعات النفس الدنيئة، وشهواتها وأهوائها الفاسدة.

٢- وهو رمز للتضحية والفداء؛ حيث تضحي ببعض مالك رمزاً لإزهاق شهواتك وأهوائك.

٣- إنه، باختصار، إراقة لدم الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة.

من أسرار الرقم "سبعة"

قال لي أحدهم مرة: "ألا تلاحظ معي أن حكاية السبع طوفات، والسبع هرولات، والسبع رجمات؛ هي من بقايا خرافة الأرقام الطلسمية في الشعوذات القديمة؟!"

فقلت متعجباً من سخريته واستنكاره:

١- دعني أسألك [1]:

أ- لماذا أيام الأسبوع سبعة؟!

ب- ولماذا تدور الإلكترونات حول نواة ذرتها في نطاقات سبعة؟!

ت- ولماذا تتكون الكرة الأرضية من سبع طبقات؟!

ث- ولماذا تتكون السماء من سبع طبقات؟!

ج- ولماذا كانت ألوان الطيف سبعة؟!

.. ألا يدل ذلك على شيء.. أم أن كل هذه الأمور، هي الأخرى، شعوذات طلسمية؟!.. يبدو أن "السبعة" سر في البناء المادي والمعنوي للكون.. يبدو لي - والله أعلى وأعلم - أن السبعة هي درجة الاستواء والتمام.

٢- ولهذا - والله أعلم - كان الأمر بـ "السبع طوفات"؛ حتى نظهر له سبحانه "تمام" التعلق به، و"تمام" التعظيم والحب والتوحيد له. ولهذا - والله أعلم - كان الأمر بـ "السبع هرولات"؛ حتى نظهر له سبحانه "تمام" إيماننا بالسابقين من الأنبياء، و"تمام" اقتدائنا بهم، و"تمام" إخلاصنا وبذلنا لوسعنا فيما سنقوم به من أعمال.

ولهذا - والله أعلم - كان الأمر بـ "السبع رجمات"؛ حتى نظهر له سبحانه "تمام" تحررنا من الأهواء ونزعات النفوس ونزغات الشياطين وإغواءاتهم ..[illegible].. و"تمام" صدق عزيمتنا في طرد الشرور، بل ومطاردتها حتى إزهاقها.

أبعاد فلسفة المكان ورسالته الخالدة

ألست معي - قارئي الكريم - في أننا بحاجة إلى أن نعي ونفقه "أبعاد فلسفة الأماكن" التي تؤدى فيها مناسك الحج حتى نبتعد قدر الإمكان عن "شكلية" في العبادة"؛ حتى تعود "الحياة الحقة" لمناسك الحج وشعائره؛ إذ مناسك الحج تنحي "تقوى القلوب".

فحرام أن نختزلها في الحركات والسكنات، وأن نغرق مقاصدها الروحية السامية في التفريعات والجزئيات.

تعال بنا نطوف معاً، قليلاً، حول أبعاد تلك الفلسفة:

١- نحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج، وهو يطوف حول الكعبة، ما هو أكثر من مجرد الطواف والدوران حول الكعبة .. [illegible] نزلت كلمات الله على خاتم الرسل ﷺ.. وبهذه الكلمات تمت في مدرسة النبوة إعادة صياغة أهل الجاهلية - أسرى العصبية وعبدة الأوثان - حتى غدوا الجيل الفريد لدى غير مجرى التاريخ [illegible] وأصبحت بدفة التاريخ.

٢- ونحن بحاجة، كذلك، إلى أن يتذكر الحاج، وهو ذاهب ليرمي جمرة العقبة، ما هو أكثر من رمي الجمرات.. إذ في العقبة عقدت "الجمعية التأسيسية للدولة الإسلامية".. تلك الدولة التي غيرت الواقع، وحولت مسار التاريخ، وجعلت المستضعفين في الأرض: الأئمة والوارثين لمواريث النبوات والحضارات.. وذلك عندما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على إقامة الدولة، بعد أن سبق لهم بيعته على إقامة الدين.. فولدت في العقبة الدولة التي حرست الدين، والتي ساست الاجتماع والعمران بشريعة هذا الدين.

٣- ونحن بحاجة، كذلك، إلى أن يتذكر الحاج، وهو بالعقبة أيضاً، أن رسول الله ﷺ قد أسس الدولة الإسلامية الأولى على البيعة والشورى والاختيار، لا على الاستبداد والتزوير والإجبار.. وذلك عندما هم الأنصار بمبايعته على إقامة الدولة، فرغب إليهم أن تتم البيعة بواسطة "مؤسسة دستورية" تنشأ بالاختيار والانتخاب، فقال لهم ﷺ: "أخرجوا إلي منكم اثني عشر

١- الأسئلة هنا موجهة ..[illegible].. ومفكر وموجهة ..[illegible].. لمن هو مؤمن بالإسلام ليزداد إيماناً على إيمانه ..[illegible].. - ثالثاً - لكل حيران ..[illegible].. وحيرته، وتثبيتاً له أما الأسئلة الواردة بالهامش فتقدم مباشرة وهي موجهة فقط للمتصفين الثاني والثالث لانسياقها على الإيمان بالإسلام ..[illegible]..

٢- ولماذا خلق الله سبع سماوات؟ وسبع أرضين؟ ولماذا سخر الله الريح على قوم عاد سبع ليال؟ ولماذا كانت تكبيرات العيدين ..[illegible].. في كل سنبلة مائة حبة ..[illegible].. على أيام يوسف عليه السلام سبعة؟ ولماذا كانت ..[illegible].. ولماذا كانت السعي التي يرجعوها دائما سبعاً أيضاً؟

تقيباً" .. فولدت بذلك أولى المؤسسات الدستورية فى الدولة الإسلامية. فمن العقبة، حيث ترمى الجمرات، بدأ تراث أمتنا فى المؤسسات الدستورية القائمة على الشورى والاختيار والانتخاب، وبمشاركة الرجال والنساء، قبل أن تعرف الأمم والحضارات لهم تراثاً فى هذه المؤسسات.

٤- ونحن بحاجة، كذلك، إلى أن يتذكر الحاج، وهو واقف بعرفة، ما هو أكثر من مجرد الوقوف والدعاء.. إذ فى هذا المكان كانت حجة الوداع والبلاغ، تلك الحجة التى كانت مؤتمراً جامعاً قرر فيه ﷺ "الحقوق المدنية الإسلامية".. وذلك فى خطبة الوداع الشهيرة، تلك الخطبة التى مثلت - بحق - "وثيقة الحقوق المدنية الإنسانية" التى شرعها الإسلام للإنسان.

من دلالات منسك الحج

١- إحياء ملة إبراهيم الحنيفية السمحة، وتذكرة أهل الكتاب بها:

لما كان إبراهيم الخليل أبو الأنبياء وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قد أقاما قواعد البيت العتيق، فلقد شاء الله أن يكون إلى ذلك البيت العتيق حج أمة "خاتم الأنبياء" الذى أحيت شريعته ملة إبراهيم، والذى تعيد أمته - فى مناسك حجها - مناسك إبراهيم وإسماعيل وهاجر، مجسدة بهذا الإحياء وحدة دين الله.

فإلى "أول بيت" تحج الأمة الخاتمة.. لتحيى أمة "خاتم الأنبياء" مناسك ملة "أبى الأنبياء"، وتذكر بها أهل الكتاب - توحيداً خالصاً، وملة حنيفية سمحة - حرصة بعد أن اختلفوا فى إبراهيم وتنازعوا فيه.

٢- التأكيد على أن الإسلام هو الشريعة الخاتمة لسلسلة رسالات الله إلى الإنسان:

إن البيت العتيق هو "أول بيت" عبد الله فيه على هذه الأرض.. ففيه، ومنه، بدأ الدين، وإليه قرر الله أن يكون حج "الأمة الخاتمة"!.

أ- رمزاً وتجسيداً لوحدة دين الله من لدن آدم إلى محمد صلى الله وسلم عليهم جميعاً.

ب- ورمزاً وتجسيداً لاكتمال لبنات هذا الدين الواحد بشريعة الإسلام ورسالة محمد ﷺ، حتى يرتبط "الختام" بـ "البدء"، و"القمة" بـ "الجذور" و"المنتهى" بـ "المنطلق". فيتجسد الرمز: رمز استيعاب الإسلام، الذى جاء به محمد من عند الله، للدين الإلهى على إطلاقه، وللتدين على عمومه، وهيمنته عليه.. وحتى ترتفع الأعلام مؤذنة بأن تصديق الأمة الخاتمة بنبيها محمد ﷺ، إنما هو جزء من "تصديقها" بجميع الرسل والأنبياء، و"احتضانها" لهدى النبوة جميعه على امتداد موكب حملته، و"هيمنتها" على الدين كله بتربعها على عرشه؛ إذ هى الأمة "الخاتمة" و"المكلفة بالحفاظ عليه" و"الدعوة إليه".

من مقاصد الحج العامة

نشر السلام:

إن الحج طريقة فذة لتدريب المسلم على السلام، و"إشرابه" روح السلام؛ فهو "رحلة سلام" إلى "أرض سلام" فى "زمن سلام":

رحلة سلام.. إذ المسلم لا يبغى قتال أحد، ولا قتل أحد، وإذ يخرج قاصداً وجه الله وبيته.. محرماً يظل فترة إحرامه فى سلام حقيقى مع من حوله وما حوله من إنسان وحيوان، وطير ونبات.. فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج، ولا قطع لنبات ولا شجر، ولا صيد لحيوان ولا ذبح له، بل ولا حلق لشعر ولا قص لظفر.

إلى أرض سلام.. إذ أرض الحج هى البلد الحرام مكة، والبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً

﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾

(آل عمران ٩٧)

إنها منطقة أمان فريد فى نوعه؛ يشمل الطير فى الجو، والصيد فى البحر، والنبات فى الأرض.. فهى "منطقة معقمة" لا يصاد صيدها، ولا يروع طيرها ولا حيوانها، ولا يقطع شجرها ولا عشبها.

فى زمن سلام.. إذ الحج، بالسفر إلى تأديته، والعودة منه، وأداء مناسكه - يقع فى ثلاثة أشهر، هى: ذى القعدة وذى الحجة ومحرم، هى من الأشهر الحرم التى جعلها الله "هدنة إجبارية" تغمد فيها السيوف، وتحقن الدماء، ويوقف القتال؛ حتى يتذوق "الناس طعم السلام والهدوء والأمن والأمان.. فيسعوا إليه مختارين!

.. فهل رأت الدنيا "تطبيقاً عملياً" للسلام و"تدريباً" عليه كهذا الذى يصنعه الإسلام فى رحلة الحج كل عام[٣]؟!

التربية:

يقول تعالى:

﴿ [illegible] فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ﴾

(البقرة ١٩٧)

﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾

(الحج ٣٠)

﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾

يمنع فى الحج منعاً جازماً حاسماً الاستجابة لشهوة الفرج، وكل ما يتصل بها، ويمهد لها، أو يحركها من قول أو فعل أو إشارة.

﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾

ويمنع فى الحج ارتكاب أى مخالفة شرعية.. والمعاصى والمخالفات يعظم إثمها بعظم حرمة زمانها ومكانها، وبمقدار التشديد والتوكيد فى النهى عنها.. وكل ذلك متحقق فى الحج، إذ مخالفة الشرع منهى عنها نصاً خارج وقت الحج، ونصاً أيضاً فى وقت الحج، إضافة إلى حرمة زمان الحج ومكانه.. ومن ثم، على الحاج أن يلتزم فى أثناء مدة حجه بأعلى درجات الطاعة والانضباط.. وإذا كان الشرع قد كف الحاج عن عدد من المباحات، فكيف لا يكف الحاج نفسه عما هو محرم ومنهى عنه من أصله.

٣- ولقد حرم الله الإسلام مكة والمدينة - أى جعلهما حرمين آمنين - لحكم كثيرة جليلة، منها أن لعلها تقديم نموذج للبشرية لما ينبغى أن تكون عليه ديارها من أمن وطمأنينة وتسمح بإقامة عمران لا يخالطه فساد ولا إفساد فى الأرض

﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾

الحاج في أمس الحاجة للصفاء ولاستغلال وقته والاستفادة منه.. والجدال - في أغلب الأحيان - مضيعة للوقت، ومذهب للصفاء، وسبب للمشاحنات، ومقدمة للخصومات والمنازعات.. ولذلك نهى الله عن الجدال في الحج.

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ﴾

إن الحاج ضيف من ضيوف الرحمن، بل هو نزيل بيت الضيافة الرحماني.. وإذا كنا ضيوفا على غيرنا من الناس نكون على غاية ما يمكن من الأدب والهدوء والانضباط والاحترام واللياقة. فكيف بمن يكون في بيت الله وضيافته؟ وكيف إذا كان المضيف في غاية الإكرام والتنعيم لضيفه ونزيل بيته؟ إن الإساءة في مثل هذا المقام جريمة، بل وفضيحة تسير بها الركبان!

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾

على الحاج، وهو يستعد لسفره، ويتزود لرحلته، أن يتذكر أنه عما قريب سيفارق أهله وولده وبلده وماله إلى غير رجعة، وأن عليه أن يتزود أكثر وأكثر لسفره الأكبر. ورحلته الأخطر.. وليستفد من رحلته إلى الحج، وتزوده لها، ومفارقته من يحب وما يحب، أنه لابد مرتحل ومفارق، وأن لكل ارتحال زادا واستعدادا، وأن زاد الآخرة هو التقوى والعمل الصالح.. ومن أهم لوازم التقوى أن يبرئ المرء ذمته من المظالم وحقوق العباد؛ فيرد منها ما يمكن رده، ويستسمح من يمكن الاستسماح منه، ويستغفر الله ويتوب إليه مما لا يعلمه ولا يستطيع رده ولا التحلل منه؛ حتى لا يكون في سفره الأصغر والأكبر، مثقلا ومكبلا بالمظالم وآثامها.

وبناء على كل ما سبق، يجب على الحجاج أن يكونوا على درجة عالية من حسن الخلق، ومن الرفق واللين والتسامح.. وأن يعتبروا الحج فرصة نادرة لترويض النفس وتدريبها على التواضع والهدوء والخشوع والصفاء والبر والعفو والحلم.. إذ كل هذه أخلاق ضرورية كي يكون الحج مبرورا مقبولاً.

وبهذا يعود الحاج كيوم ولدته أمه.. ويعود وقد أصبح من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.. يعود وقد أصبح يدرأ بالحسنة السيئة، ويدفع بالتي هي أحسن.. يعود وقد كرس نفسه بكف الأذى عن الناس، بل وللصفح عن أذاهم، ومقابلته بالحلم والمعروف.

أما أن يذهب على ما كان عليه من سوء الخلق وفظاظة الطبع وكثرة الجدال والخصام والأذى والفسوق، ثم يمكث هناك ويعود على ما كان عليه؛ فما استفاد من حجه، وما غنمه حجا مبرورا متقبلا، بل ما حج هو، وإنما حج الجمل!!

.. أرأيت كيف هو الحج "دورة تربوية تدريبية نادرة".. فإذا رأيت وعلمت؛ فالزم!!

الوحدة الإسلامية - تجسيداً واقعياً وتطبيقاً عملياً:

الحج طريقة فذة لربط أمة الإسلام بمركز واحد، يديم لها رباط الدين، ويجدده فيها، ويوثق خيوطه، ويشدها بواسطته إلى ذكريات النور الذي سطع في فجر رسالتها، فيعيد جذوره من تطلعات إلى النور الذي انبثق من الحرم. تتجلى الوحدة الكاملة للأمة الإسلامية بكافة شعوبها وأعراقها وأقطارها؛ وحدة في المشاعر والشعائر.. ووحدة في القول والعمل.. لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية ولا طبقية، وإنما الجميع مسلمون، وبرب واحد يؤمنون، وببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يقرءون، ولرسول واحد يتبعون، ولأعمال واحدة يؤدون، ولهدف واحد يبغون.

الحج فرصة لكل حاج كي يجسد الوحدة الإسلامية، ويستمتع ويعمق شعوره بها.. ولو لبضعة أيام أو أسابيع، فليوثقها بحسن التعارف والتآلف.. والتعاون وحسن التعامل، وبتبادل الآراء والأخبار والمعلومات.. معتبرا ذلك كله دعوة للإخاء.

الانتفاع

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾*
(الحج: ٢٨)

١- ﴿ منافع ﴾.. هكذا بالتنكير.. ومن غير تحديد.. ومن ثم، فهي مفتوحة وعامة ومطلقة.. مما يدل بدوره على أن منافع الحج كثيرة ومتنوعة.. بل وغير محصورة.. لو تعددت لها الأعداد لامتلأت.. واستثمر بنا هذا الموسم أحسن استثمار.. ماديا ومعنويا.. سياسيا وثقافيا.. فكريا.. واجتماعيا.

٢- ولقد نبهنا رسول الله ﷺ إلى قيمة الحج كـ "مؤتمر عالمي أكبر"؛ حيث اتخذ منه منبرا لإذاعة أهم القرارات والبلاغات والتوجيهات والفصل التي تتصل بالسياسة العامة للمسلمين.. ففي الحجة التي تمت في السنة التاسعة للهجرة، تحت إمرة أبي بكر الصديق، أعلن على الناس، بتوجيه من النبي ﷺ، قرار إلغاء المعاهدات التي عقدت مع المشركين؛ إذ قد نكثوها وعبثوا بها وخرجوا عليها..

وفي العام التالي، حج رسول الله ﷺ بنفسه، حجة الوداع، وألقى خطابا لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه، ولا أشرف من مقاصده؛ جاعلا إياه سجلا صادقا لحقوق الإنسان وحريات الأمم، وملخصا فيه أهم مبادئ الإسلام.

وعلى درب رسول الله ﷺ سار الخلفاء الراشدون؛ إذ جعلوا من موسم الحج مؤتمرا يلتقون فيه بالولاة والعمال والقضاة، والعاملين على الزكاة، وقادة الجند، والفقهاء وأهل الرأي، بل وجمهور الناس من مختلف الأقاليم الإسلامية.. حتى توضع صورة واقع الأمة أمام العقل القائد والمفكر - الخليفة الراشد - ؛ ليغيث الملهوف، وينصف المظلوم، ويرد الحق إلى أهله، ويضبط الأمور ويرشدها وينظمها، ومن كانت له مظلمة أو شكاية أو اقتراح فليتقدم به له.

٣- وعلى درب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين سار التابعون بإحسان؛ فكان موسم الحج منتدى للقراء والفقهاء والمحدثين وأهل الفكر والأدب، يتبادلون فيه الآراء والأفكار والخبرات والاجتهادات والروايات؛ لتنمو في الأمة ملكات النشاط والحوار والتعقل والاجتهاد واحترام الرأي الآخر.

٤- واليوم.. وفي ظروف عصرنا الحديث، وعلى ضوء الواقع البائس الذي تحياه أمتنا - التي أصبحت "أمما شراذم" بعد

---

* شهود الشيء - أي شيء - يقتضي الإعداد المسبق له.

أن كانت أمة واحدة، رغم ما لديها من إمكانيات مادية، ورغم ما تملك من عقول مبدعة ومفكرة وخلاقة. هل نطمح ونطمع ونتطلع إلى إعادة شعيرة الحج "مؤتمرا عالميا أكبر" لأمة الإسلام، و"لقاء جامعا" لعقل الأمة الراشد؛ يتأمل واقعها، ويرسم لجمهورها سبل الخلاص؟[٥]!.. ما ذلك على الله بعزيز، ولا على المخلصين المصلحين "المتفانين المتضامين" ببعيد!!

٥- والحج، عند صبر غوره، رحلة علمية وثقافية، وتوسيع لأفق المسلم، ووصل له بالعالم الكبير من حوله.. هكذا ينبغي أن تكون رحلة الحج من أولها إلى آخرها. بذهابها ورجوعها، بإقامتها وتنقلاتها.. فمشاهدة البلدان وأهلها، ومجالسة العلماء والحكماء والمثقفين، وحضور الدروس والمحاضرات، على اختلاف أنواعها. وزيارة المواقع الأثرية والمآثر الإسلامية التي شهدت بزوغ فجر الإسلام وسطوع نوره على الأرض كل ذلك علم وثقافة، وتفقه وخبرة. لا ينبغي للحاج أن يضيعها أو يقلل من شأنها؛ لأنها من المنافع التي دعانا الله لأجل شهودها وتحصيلها باعتبارها من مقاصد الحج وثماره.

٦- وفي الحج "تدريب على تحمل المشقات"، واحتمال الشدائد، والصبر على المكاره، إذ السفر للحج ركوب للمشقات، ومفارقة للأهل والوطن، وتضحية بالراحة والدعة والمال.

وفيه تدريب على مواجهة "طبيعة كما فطرها الله"؛ بأزهارها وأشواكها، وسهلها وصخرها، وحرها وقرها؛ إذ حياة الحاج أشبه بحياة الكشاف ورحلة في خيام منى وعرفات في بساطتها وخشونتها، وتنقلاتها وارتحالاتها، واعتمادها على النفس، وبعدها عن الترف والتكلف والتعقيد.. مع ما قد يصطدم به الحاج من صحيح سيء، إذ أشهر الحج دائرة مع شهور السنة القمرية؛ وهي أشهر، كما تعلم، تأتي أحيانًا في وقدة الصيف، وأحيانًا في زمهرير الشتاء.. كل ذلك ليكون المسلم على استعداد لتحمل كل الأجواء، والاصطبار على كل ألوان الصعوبات.. فأعظم بها من منافع!!

٧- إن الحج "شحن لبطارية الروح والإيمان".. يملأ جوانح المسلم بالتقى والخشية من الله، والعزم على طاعته، والندم على معصيته. ويغذى فيه عاطفة الحب لله ولرسوله ولمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه.. فيعود المسلم أصفى قلبا، وأطهر مسلكًا، وأقوى عزيمة على الخير، وأصلب عودا أمام مغريات الشر.. يُنشئه الحج خلقًا آخر، ويعيده كيوم ولدته أمه.

٨- والحج تبادل للمنافع التجارية والاقتصادية -على نطاق واسع- بين المسلمين..[٦] أو هكذا يجب أن يكون..

٥- في الحج يسيطر (السمو الروحي) على كيان المسلم، فيتمكن من مناقشة أخطر القضايا وأعقدها وأكثرها تأزمًا بـ (صفاء ذهني) و(رحابة صدر)، مما يمكن من حلها، أو بالأقل تنقية الأجواء بين أطرافها وتمهيد سبل السلام لهم.

٦- [illegible] في موسم الحج، فسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾

(البقرة ١٩٨)

خرجه البخاري

وموسم الحج -في واقع أمره اليوم- مجرد "استهلاك" لسلع يصنع أغلبها غير المسلمين، بل إن "سجادة الصلاة" و"بوصلة القبلة" يصنعها الوثنيون للمسلمين!!

ذكر الله وعبادته والخضوع والتسليم له:

﴿[illegible] وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ [illegible]﴾

(البقرة ١٩٨ - ٢٠٠)

﴿[illegible]﴾

(البقرة ٢٠٣)

وانظر سورة الحج (٢٨، ٣٤، ٣٦، ٣٧)

● إن الأمر بذكر الله أمر متكرر في كل مراحل الحج ومناسكه، وهو أمر ملازم لكل أعمال الحج ومحطاته.. مما يجعل الحاج في حالة انقطاع وتجرد وتفرغ واستغراق، فتسمو روحه إلى آفاق علوية ربانية نورانية لا يعلم مداها، ولا فيوضاتها، إلا الله.

● والحج -وهو شرعا القصد إلى بيت الله والهجرة الفعلية إليه- هو في حقيقته وجوهره: قصد إلى الله، وهجرة إليه مما سواه؛ خضوعا وتسليما له..

وشد الرحال إنما هو في حقيقته وجوهره إلى "رب البيت" لا إلى "ذات البيت"..

● ومثلما أن الحج "دورة ذكر مكثفة"، فهو أيضا "دورة تعبدية شاملة" سواء بسواء.. وهاك البيان: لقد أكرمنا الله وشرفنا بعبادات متنوعة ومتعددة؛ حتى يجد الناس، على اختلاف ظروفهم وأحوالهم وقدراتهم- فرصتهم ونصيبهم ومجال قوتهم منها، وحتى يجد كل مكلف أنواعا من العبادات تتسع لكل ما فيه، وما لديه، من بدن وعقل وروح ونفس ومال ووقت. فالصلاة عبادة لروحه ونفسه وعقله وبدنه. والصيام عبادة لروحه ونفسه وبدنه. والزكاة عبادة لروحه ونفسه وماله. والجهاد عبادة لبدنه أو ماله أو للسانه.. والذكر عبادة لقلبه وروحه ونفسه ولسانه..

ولكن الحج يجمع كل هذا ويزيد عليه؛ فالحاج يعطي غير قليل من وقته في رحلته ومناسكه.. وهو يضحي بماله الذي ينفقه والذي يفوته كسبه.. وهو يجاهد ويعاني ببدنه وكافة حواسه؛ فيمشي بقدميه طائفا وساعيا. ويرمي بيديه راجما.. وهو ينهمك في حجه بقلبه وروحه ونفسه.. ويلبي ويذكر ويدعو بقلبه ولسانه

وبذلك يتضح أن الحج عبادة تستغرق من الحاج كل كيانه؛ ففي الحج نصب وتعب، ومجاهدة ومعاناة، وصلاة ودعاء، وذكر وفكر، وحلم وصبر، ونفقات وصدقات.. وقد وصفه النبي ﷺ بأنه "جهاد لا قتال فيه" رواه ابن ماجة (٢٩٠١) وصححه الألباني.

ألست معي -بعد ذلك كله- في أن الحج "دورة تعبدية شاملة"!!

الحج عِبَرٌ وتأمّلات



إن الحج ركن من أركان الاسلام الخمسة كما جاء فى الحديث الصحيح: "بنى الاسلام على خمس ..إلى قوله وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا".

وهو واجب بالكتاب والسنة قال تعالى:

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾
(آل عمران:٩٧)

وقال ﷺ: "يا أيها الناس كتب عليكم الحج فحجوا".

فهو عبادة من أجل العبادات، وهى من ملة ابينا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، وخليل الرحمن. قال تعالى موجها الخطاب لابراهيم عليه السلام:

﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾
(الحج ٢٧)

وورثته الأمة المحمدية فكان الركن الخامس، وقد شرع فى العام الخامس من الهجرة كما يقول ابن سعد فى طبقاته: إذ إن وفادة ضمام بن ثعلبة على النبى ﷺ كانت سنة خمس: إذ علمه فرائض الدين ومنها: "أن تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا".

فهو شعيرة من شعائر الدين وفريضة من فرائضه. من أنكر وجوبه، بشروطه. على المسلم يخرج من الملة الإسلامية بإجماع علماء الأمة.

وقد وعد الله سبحانه وتعالى بالأجر الجزيل من يأتى به على ما ينبغى قائما بواجباته ومتصفا بآدابه الرفيعة. ومن أهم المثوبات التى يرجع بها الحاج مغفرة الذنوب. والتجاوز عن الخطايا لقوله عليه الصلاة والسلام: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه".

وليس غرضنا من هذا المقال المختصر بيان مناسك الحج الثلاثة، ولا أركانه الأربعة التى لا تقوم ماهيته دونها، ويبطل عند فقدها أو أحدها كالإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة و"السعى" على خلاف.

وليس الغرض بيان أحكام الحج وواجباته التى تنجبر بالفدية أو بالهدى، ولا إيضاح محظورات الإحرام ولا غيرها من المكروهات أو السنن والمستحبات.

ولكنا نحاول إلقاء الضوء على بعض المعانى السامية التى تستوقف المتأمل فى هذه الشعيرة.

إن موسم الحج مناسبة عظيمة للأمة الإسلامية وفريدة فى نفس الوقت لا يوجد لها نظير لدى أمم العالم كله منذ أقدم التاريخ، إنها مؤتمر عالمى رائع، ولهذا فيمكن بحق أن تعتبر من خصائص هذه الأمة ومميزاتها التى لا يشاركها فيها غيرها.

● إن أول شىء يلفت انتباه المرء عندما يفكر فى هذه المناسبة هو مظهر العالمية الذى يتجلى بأنصع صوره: إذ تتجمع أعداد هائلة تتجاوز المليونين من كل الجنسيات، تتكلم بكل اللغات، وتمثل كل الأعراف والألوان. لا يجمعها إلا رباط الإيمان ووشيجة العقيدة.

إنها العولمة الطوعية والاختيارية التى لا تفرضها سلطة ولا دولة كبرى.

● الوحدة التى تستعلى على كل العصبيات القومية والخلافات المذهبية والنزاعات السياسية.

إنها وحدة تتمظهر فى وحدة الشعور والشعار والمشاعر والشعائر، إنها ألفاظ أربعة مشتقة من جذر واحد هو جذر "شعر".

فما هو مرادنا بهذه الألفاظ "المصطلحات"؟ وما علاقتها بالحج؟

الشعور: إن شعور الحجيج هو شعور واحد، هو الافتقار إلى الخالق الذى العظيم والخضوع له.

- أما شعارهم فهو الملابس البيضاء والتلبية.

- أما الشعائر فهى أعمال الحج التى يقوم بها جميع الحجيج بصفة واحدة، من إحرام ووقوف بعرفات، ونزول منى، ورمى الجمرات، وطواف إلى آخره.

- أما المشاعر فهى الأماكن التى يغشاها الحجيج لتأدية الشعائر: فعرفة مشعر، والمزدلفة "المشعر الحرام" ومنى ومكة كلها مشاعر: لأنها مكان أداء الشعائر.

● المساواة التى تذوب فيها الامتيازات والأبهة، فلا فرق بين غنى وفقير، وملك وسوقة، ولا بين رئيس ومرؤوس، فهم يلبسون ملابس لا يزيد ثمنها على بضعة ريالات. ويقيمون فى خيم منى المتحدة فى طراز واحد، وعلى طريقة موحدة، يرفعون نفس الحصيات من مزدلفة ليرموا بها الجمار بمنى.

إن هذه المعانى تعمق لدى المسلم الشعور بالتضامن والتعاون مع إخوانه، ولكنه تنطبع فى ذهنه صورة الوحدة الإنسانية على حقيقتها، فيعود بشخصية محمدية ملؤها التواضع وحب الخير للآخرين.

إن هذا الجمع العظيم يحتاج إلى رعاية فائقة لكى يؤدى مناسكه فى جو من

السكينة والطمأنينة والرخاء النفسي وما دون ذلك.

وهنا يمكن أن نقدر المسئولية العظمى التي يضطلع بها إمام المسلمين في الديار المقدسة وحكومته؛ إذ إن الحج من العبادات التي لا يمكن ممارستها إلا في ظل سلطة شرعية مهيبة وولاية معتبرة؛ لأن الحج مناسبة يجتمع فيها الناس من كل حدب وصوب، يريد خيارهم العبادة، ويبحث شرارهم عن التخريب، وفي كل زمن خيار وأشرار.

ولولا تلك السلطة لذهب الأخيار ضحايا الأشرار، وضاعت شعيرة الحج بالكلية؛ لأنه لا سكينة مع الخوف، ولا خشوع مع القلق، وقد كان عليه الصلاة والسلام يحث على السكينة والطمأنينة؛ ففي حديث جابر الطويل الذي وصف فيه حج النبي ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام كان يشير على الناس بيده السكينة السكينة. (رواه مسلم)

ولهذا فإن أمن الحاج يعتبر أمراً لا غنى عنه، وهنا يجب الاعتراف بما تقوم به حكومة خادم الحرمين لتوفير جو من الأمن والطمأنينة؛ مما يمثل ثابتا من الثوابت التي قامت عليها هذه المملكة منذ عهد الملك عبد العزيز كما شهد به المؤرخون؛ إذ يقول شكيب أرسلان في رحلته: أما الأمن فقد توفر في أيام ابن سعود إلى حد لا يتطلع فيه متطلع إلى مزيد، وإنما يرجو دوام هذه النعمة.

ذلك هو الثابت الأول من ثوابت المملكة في خدمة الحرمين الشريفين، وهو الأمن.

أما الثابت الثاني فهو العمارة التي تجاوزت كل التوقعات؛ وقد كان مشروع خادم الحرمين لتوسعة الحرمين يمثل أكبر توسعة في التاريخ؛ إذ أصبحت مساحة الحرم المكي الشريف بعد التوسعة (٣٢٨٠٠٠) متر مربع، لتتسع وتستوعب أعدادا متزايدة.

وتضاعفت مساحة الحرم النبوي عشرات المرات مع تزويده بكافة معطيات التقنية الحديثة.

وكان تنفيذ مشروع الخيام المضادة للحريق قمة تسخير التكنولوجيا لخدمة حجاج بيت الله الحرام.

أضف إلى ذلك توفير كل البنى التي تريح الحاج كسلسلة الفنادق التي تحف الحرمين الشريفين ومنتشرة في المدينتين المقدستين.

إنها أعمال جليلة نسأله - تعالى - أن يديم على هذه البلاد العافية، وأن يزيدها من سوابغ نعمه، وأن يوفق القائمين عليها لكل خير، وأن يجزيهم أفضل الجزاء.

مناسك الحج: حكم وأسرار

أ.د طه جابر العلواني

في هذه المقالة سأتناول بعض حكم مناسك الحج. تبدأ المناسك ببداية السفر التي تذكر بسفرة الإنسان الكبرى من هذه الحياة إلى الدار الآخرة عبر بوابة الموت. فيتذكر الحاج، وهو يهيء نفسه ويعد حقائبه للتوجه إلى البيت الحرام، انه مهما عاش فإن هناك رحلة أخيرة هو بانتظارها. لابد ان يكون مهيئا ومستعدا للقيام بها عندما يلبي نداء الله للرحيل من هذه الحياة الفانية إلى الدار الباقية. فيستصحب في ذهنه ذلك لينصرف بحواسه كلها وقوى وعيه جميعها إلى ذكر الله والدار الآخرة. فإذا وصل تلك الديار بدأ بالإحرام من الميقات الذي أقته الله لحجاج بيته.

والإحرام أبرز ما فيه تخلي الإنسان عن جميع ملابسه المعهودة، واستبدالها بلباس الإحرام، وملابس الإحرام تذكر بالأكفان، فهي غير مخيطة ولا مزخرفة ولا تدل على غنى الغني أو فقر الفقير، وفي ذلك إعداد لنفسية الحاج وعقليته لقبول عملية التزكية والتطهير والتخلي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود.

والتزكية مقصد من المقاصد القرآنية العليا، ولكن المعنى لا يقتصر على ذلك وحده، فإن نسك (الإحرام) يذكرنا بقصة (خروج أبوينا من الجنة)

● ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ●

(طه ١٢٠-١٢١)

وفيه تذكير بالعداء القائم بين الإنسان والشيطان، وتذكير بأبشع النتائج التي تؤدي الاستجابة إلى وسوسته إليها.

كما أن من حكم الإحرام إحساس الحاج بأنه يتعرض لنفحات الله - تبارك وتعالى - التي تعرض لها أنبياؤه ورسله والصالحون من عباده عبر تاريخ البشرية، فيطمع في رضوان الله تعالى، ويسأله رحمته ومغفرته.

لقد ارتبط الحج ومناسكه بالأرض المحرمة لا بالأرض نفسه، كما حرمت الأرض المحرمة بخصائص لا تشركها فيها بقعة من الأرض، فلا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا يسمح بإدخال الخوف والإرهاب إليها.

إن الحرم يستدعي ذكر سائر النبيين الذين تولوا وتشوقوا لكي يكونوا مهيئين بكل قلبه ونفسه وعقله وجوارحه، فتذكر تلك المواقف

والاجتماع في [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٣٧)

[illegible] نوح

﴿ [illegible] ﴾

(الصافات ٧٥)

وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى [illegible] ويونس وهارون وسليمان وداود وغيرهم.

فهؤلاء، جميعًا، كانوا يُصيخون السمع حتى لتكاد أجسادهم كلها تصبح سمعًا، فإذا جاء النداء الإلهي صدرت التلبية [illegible] للتعبير عن الإسلام التام، والاستسلام الكامل، والطاعة المطلقة.

والنداء الإلهي [illegible] القرآن [illegible]. فكيف نعدّ أنفسنا للإنصات إليه، والاستماع له، وتلبية كل نداء من نداءاته، وتجاوز كل ما يمكن أن يؤدي لهجره، لفظًا أو معنى، قولا أو فعلا، حتى لا نجد في أنفسنا حرجًا في [illegible] إليه [illegible].

[illegible] القرآن [illegible] محمدًا [illegible] لأول مرة. ثم [illegible] الله به

﴿ [illegible] ﴾

(المدثر ١-٤)

ثم [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(المزمل ١)

﴿ [illegible] ﴾

فما تردّد مرة ولا لحظة في المسارعة إلى تلبية نداء ربه عبر (اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يومًا). فإذا أعلن الحاج بالتلبية [illegible] فعليه أن يستحضر في ذهنه كل تلك الأمة (أمة الأنبياء الواحدة)، ويتخذ مكانه بين أبنائها، ويواصل التلبية، وهو يسمع أصوات النبيين والمرسلين كافة وهم يصدعون بالتلبية، وما أجمله من شعور أن يشعر الإنسان بالانتماء إلى [illegible] تلك الأصوات الصادقة الطاهرة، والإعلان [illegible] أمرًا، ولن يرتكب ذنبًا أو مخالفة أبدًا. فإذا دخل [illegible] ومن سائر ما علق به، وإعادة تنظيم دورة دم جديدة في عروقه وشرايينه، فيها عبق النبوة، وأريج الوحي والرسالة، وحلاوة العهد بالله، وليقل:

[illegible]

ما بقاء الدموع في الآماق؟

[illegible] الشوق، وتبدله بقطر ندى اللقيا، [illegible] والاتصال بعد البحر والانقطاع، وبذلك يتهيأ المحرم لتكحيل عيني [illegible]

فإذا صار على مقربة من البيت، ذاته، أطلق لسانه وجوارحه بتلك الكلمات النبوية، ليهيئ القلب والعقل والوجدان [illegible] إلى الحجر الأسود، أو ليستلمه، دون مضايقة لأحد.

ليبدأ (سباعية الطواف) واستيعاب حكمه، وأسرارها، ومنها: ارتباط قلب [illegible] دائمًا بالله وطوافه حول اسمه – [illegible] فالطواف تعبير عن ذلك وعهد مع الله –تعالى– وأنه لن ينسى ذكر الله بعد انتهاء طوافه [illegible] إلى العروج إلى (المدار الكوني)، بإذن من [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام ٧٩)

[illegible] العروج [illegible] مستوى [illegible] حدود الإقليمية، والانتماءات العرقية والعنصرية، ويربطه بالأسرة الآدمية الممتدة المستخلفة، [illegible] (الإخلاد إلى الأرض) واتباع هواه، إن وجوده في الأرض لا ينسيه سباعية أخرى:

﴿ [illegible] ﴾

(الطلاق ١٢)

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء ٤٤)

وإذا كنا لا نفقه تسبيح السماوات السبع والأرضين السبع، فالطواف حول البيت يرتقي بنا للعروج إلى مستوى الكونية، وبذلك نرتبط ببقية الكون [illegible] التسبيح، فنحن أبناء آدم المستخلفون في [illegible] التوحيد [illegible]

والله قد آتى محمدًا سبعًا من المثاني [illegible] (الاستخلاف الكوني) والرسالة الخاتمة لتحقيق (كونية الدين)، لتتخذ البشرية مدارها الموحّد حول اسم الله تبارك وتعالى، وهكذا (جمع الله [illegible] القراءتين): وجعل القرآن معادلا موضوعيًا للكون وحركته:

﴿ [illegible] ﴾

(النحل: ٨٩-٩٠)

مقاصد العيد

أ. [illegible]

جاءت أحكام الشريعة تحقيقًا لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، وقد وردت كثير من النصوص الدالة على أن الشريعة وُضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل، نذكر منها قوله تعالى:

﴿ لعلكم تهتدون ﴾

(البقرة ٥٣)

وقوله سبحانه:

﴿ لعلكم تتقون ﴾

(البقرة ٢١)

وقوله عز وجل:

﴿ ولكم فيها منافع ﴾

(غافر ٨٠)

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تفيد هذا المعنى.

ومن هذا القبيل مشروعية العيد، فإن لمشروعيته حكمًا ومقاصد، يمكن تلمسها وتدبرها من خلال النصوص الواردة في هذا الشأن، ونحن نحاول تلمس شيء من ذلك - أخي الكريم - في المقال الذي بين يديك.

فمن أهم المقاصد التي شُرع العيد لأجلها الالتقاء بين المسلمين والاجتماع فيما بينهم.

وأبرز ما يتجلى ذلك في صلاة العيد، وهم يذكرون الله الواحد "الله أكبر الله أكبر".

وما يستشعره كل فرد منهم من رابطة الأخوة التي تجمع بينهم، والإيمان الذي يوحد قلوبهم، تحت راية واحدة، هي راية الإسلام، وشعار واحد هو شعار التوحيد "لا إله إلا الله"، ولأجل هذا المعنى كان من السُّنَّة أداء صلاة العيد في المصلى، حيث يجتمع معظم أهل البلد في مكان واحد، وعلى صعيد واحد، يؤدون صلاة واحدة، ويتبادلون أطراف الحديث في أمر دينهم ودنياهم.

ومن مقاصد العيد إدخال الفرحة على المسلمين بعد أدائهم عباداتهم، فعيد الفطر يأتي بعد صوم شهر رمضان، وعيد الأضحى يأتي بعد الوقوف بعرفة، أعظم أركان الحج وهو يوم عرفة، فالعيد مرتبط بالعبادة ولصيق بها، وفي ذلك بشارة عظيمة أن تعب المتعبدين يأتي بعده الفرح والسرور، وأن العيد إذا كان جائزة المتعبدين في الدنيا، فإن الجائزة الكبرى في الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار.

ومن مقاصد العيد أنها تفتح مجالًا لوصل ما انقطع بين الأرحام والأقارب والأصدقاء، فليس هناك وقت تصفو فيه النفوس، وتقبل على بعضها كأيام العيد فهي أيام حري بكل ذي حقد على أخوانه أن يبدده، وبكل من ضعفت علاقته بأهله شائبة أن يزيلها، فتتآلف القلوب وتتعانق الأرواح في سماء المحبة والإخاء.

ومن مقاصد العيد أن يحيي الفقراء المسلمون جميعًا في كفاف من قوتهم ولبسهم، فيفرحون بالعيد كما يفرح غيرهم، ويلبسون الثياب النظيفة كما يلبس غيرهم، ولا يتعرضون لذل السؤال، لذلك شرع الله صدقة الفطر لمواساتهم، كما ورد في الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، وقال: أغنوهم في هذا اليوم» رواه الدار قطني وفي سنده ضعف.

ومن مقاصد العيد المعتبرة، تغيير نمط الحياة المعتادة، وكسر رتابتها الناشئة، ذلك أن من طبيعة النفس الإنسانية أنها تحب وتتطلع دومًا إلى تغيير ما اعتادته وألفته من عادات، فكان العيد مناسبة لتغيير نمط الحياة، بحيث يشعر المسلم في هذه المناسبة بصلة جديدة مع من حوله، ويحس واقعًا متجددًا من الحياة.

ومن مقاصد العيد التوسعة على المسلم باللهو المباح، يرشدك لهذا المعنى قوله ﷺ لأبي بكر - رضي الله عنه -، وقد دخل على عائشة رضي الله عنها في يوم عيد ووجد عندها جاريتين تغنيان، فأنكر عليه ذلك، فأشار إليه ﷺ دعهما والحديث في الصحيحين والمراد من قوله ﷺ «دعهما» مراده ﷺ أن تكون لقوم في عيدهم فرحًا ومسرة وشيئًا من اللهو، فهذا إعلام بالرخصة في غناء الجاريتين، لأجل كون اليوم يوم عيد.

وقريب مما تقدم، كان من مقاصد العيد مباسطة الأهل ومداعبتهم والتوسعة عليهم، خاصة بعد أن اختل ميزان العلاقات الاجتماعية، إذ باعدت تكاليف الحياة وشئونها وشجونها بين الأب وأبنائه، وبين الزوج وزوجته، وبين الإنسان وأرحامه، فيأتي العيد ليعيد شيئًا من ذلك التوازن المفقود، ويصحح الوجهة وفق الهدف المنشود.

فهل ينتبه المسلمون لهذه المعاني الرفيعة في مشروعية العيد، فيلتمسوها ويمتثلوها

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾

(ق ٣٧)

الأبعاد الحضارية لمدونة أحاديث الحج
مقال في آفاق الاستثمار

بقلم [illegible]

من المستقر أن العبادات في التصور الاسلامي تهدف الى مقاصد كثيرة تسعى في المجمل الى الارتقاء بالإنسانية: ومن اجل ذلك كانت مجالا من قبل الكثيرين من العلماء قديما وحديثا لاستجلاء مقاصدها وهو ما ظهر تحت عنوانات عديدة متنوعة من مثل: مقاصد العبادات. او أسرار العبادات. او محاسن الشريعة. او الحكمة من العبادات إلخ.

وفي مقابل ذلك كان قليلا توقف العلماء أمام المرامي او الأبعاد الحضارية للسنة عموما. أو لباب من ابوابها تعيينا. وكان اكثر من أخلص بعضا من جهده لهذا الباب المعرفي المهم- الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى. ثم الدكتور يوسف القرضاوي اكرمه الله تعالى.

(١) الحضارة منجل لاستئصال البداوة:

ويتمثل معنى كلمة حضارة [illegible] أنها تمثل: "جملة مظاهر الرقي المادي والعلمي والفني والأدبي والاجتماعي في مجتمع من المجتمعات" كما يقرر الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، ص ٢٠١).

ويلح الدكتور يوسف القرضاوي على هذا المدلول في أكثر من موضع من كتابه هذا، فيقول مرة أخرى: "لقد كان الإسلام رسالة حضارية من غير شك، هدفها الرقي بحياة الإنسان، وإخراجه من البداوة إلى المدنية".

وفي كثير من الأحيان وفي كثير من [illegible] خطاب الإسلامي المعاصر نلمح أن الحضارة بدت في التصور الإسلامي مرادفة أو شبه مرادفة للتمدن، والترقي، والإصلاح، والإبداع، والتقدم العلمي، والتهذيب السلوكي، وهذه المرادفات الكثيرة مدعومة بما يظهر من مرادفات البداوة أو أشباه مرادفاتها من مثل:

[illegible]ـوحش، والهمجية، والتحجر، والتخلف، والسقوط، والعصبية.

وليس من شك في أن الحضارة يمكن أن تبنى على سبيل الاجتهاد [illegible] للمقاصد الشرعية، أو [illegible] كبرى في الشريعة، بمعنى أن طريق تحقيق الحضارة هو طريق تحقيق المقاصد الإسلامية كليا وجزئيا، إجمالا وتفصيلا.

والذين قد يرتابون في هذا التعميم أو في هذه التسوية مدعوون إلى أن يستحضروا أن الرحمة والأمان والعمران وحفظ الأبدان مما هي عماد ما يسمى بالحضارة [illegible] يسمى في الوقت نفسه عماد ما يعرفه علماء الأصول في باب الكليات أو مقاصد الشريعة [illegible] بما هي بحث في منظومة الأفكار الكبرى يمكنها أن تسهم في هذا الباب بعطاء [illegible].

(٢) مدونة أحاديث الحج: مفهومها، ومصادرها، ومجالات استثمارها

ومقصود هذه المقالة من مدونة أحاديث الحج هو كل ما روي عن رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام عليهم الرضوان من أحاديث وآثار تتعلق بالحج وما يدور في فلكه من شرائع وسنن [illegible] روي كذلك في موضوع العمرة، وفضائل البيت الحرام، والمدينة المنورة إلى غير ذلك.

وهذا الاتساع مقصود من ورائه توسيع دائرة النفع الحضاري للأمة، لا بما هو تسوية بين كل الأحاديث وأمر الشريعة [illegible]، وإنما من باب التوسع في التأسي بالنبي ﷺ، والاقتداء بحركته في حياته، ولا سيما وهو المثال الفريد الفذ في إرادة الخير للوجود الإنساني، وبما هي [illegible] على حدة في شتى جوانبها.



القرضاوي

ومن هنا فإن مصادر هذه المدونة الكريمة التي هي مجموع ما ورد من أحاديث تتعلق بالحج والعمرة ومناسكها تتسع هي الأخرى لتضم المصادر التالية:

أولاً- مصنفات السنة الشريفة على اختلاف مناهجها وأحجامها، حيث [illegible] أو كتب أحاديث الحج والعمرة والمناسك في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، والمستدرك عليها جميعا، وكتب الدعوات، وهو تراث ممتد عريق، متنوع، متفرع [illegible] يتجلى في عمل أصحابها واستنباطاتهم الفقهية والشرعية التي ظهرت في عناوين الأبواب أو ما يسمى في علم الحديث [illegible] تراجم البخاري أو مسلم أو غيرهما هي فقه [illegible] كل [illegible] في الصحيحين.

ثانيا- مصنفات السيرة النبوية الشريفة، على تنوع مناهجها، وأحجامها، حيث تمثل كتب السيرة الميدان التطبيقي الذي يترجم السنن القولية الشريفة.

ثالثًا- كتب فضائل مكة المكرمة، بما هي مسرح أداء مناسك الحج والعمرة. وهو ما يفسر امتلاءها بعدد وافر من أحاديث هذا الباب الجليل.

رابعًا- كتب فضائل المدينة المنورة، بما هي موطن استقرار النبي ﷺ، وموطن المسجد النبوي أحد المساجد التي تشد إليها الرحال.

خامسًا- كتب التفسير في سياق الآيات الكريمة المتعلقة بالحج والمناسك؛ حيث حرصت التفاسير الموسعة على الاستعانة بعدد وافر من أحاديث هذا الباب الكريم من الشريعة.

سادسًا- كتب الرحلات الخاصة بالمدينتين المقدستين على امتداد التاريخ الإسلامي.

أما من جهة مجالات استثمارها فهي كثيرة متنوعة، يمكن أن نقف أمام المجالات الآتية في إشارة مختصرة:

أولا- المجال الحضاري، وهو ما سوف نفصل القول فيه بعد قليل.

ثانيا- المجال الدعوي.

ثالثا- المجال التربوي.

رابعا- المجال السياسي.

خامسا- المجال الثقافي.

سادسا- المجال الاقتصادي.

(٢) الأبعاد الحضارية لمدونة أحاديث الحج: مثال تحليلي لآفاق معينة

وهذه مقالة تهدف إلى مسألة محددة تتمثل في إعادة فحص مدونة السنة المطهرة في أبوابها المختلفة بما يجعلها أساسا لتحقيق تقدم الأمة الإسلامية، وترقيها في ميادين الحياة المادية والمعنوية المختلفة. وهو عين ما ظهر في العنوان باسم الأبعاد الحضارية لأحاديث الحج.

وفيما يلي محاولة لرصد أهم هذه الأبعاد الحضارية التي تسكن هذه المدونة الشريفة لأحاديث الحج وما يدور في فلكه ويتعلق به.

أولاً- تأمين الإنسان

يظهر من فحص عدد من أحاديث الحج الحرص على تأمين الإنسان من جوانب مختلفة: نفسية وبدنية ومكانية، وحمايته مما من شأنه تعريض بدنه ونفسه للمخاطر.

وهو الأمر الذي يظهر في أحاديث المواقيت المكانية، أو أماكن الإحرام وامتدادها الجغرافي، وفي نسك الهدي في جزء إطعام الطعام.

وقد صح في الحديث أن رسول الله ﷺ قال في الجواب عن سؤال بر الحج: إنه إطعام الطعام وطيب الكلام.

كما تشير أحاديث أخرى إلى شيء من تدابير وقائية مانعة من تعريض الإنسان للخطر، والتخفيف من الآثار السلبية للزحام، بقول النبي ﷺ: أيها الناس عليكم بالسكينة، ليس البر بإيجاف الخيل والإبل" وحديث أسامة هذا الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب المناسك ١/ ٦٣٩ حديث ١٧١١) مروي في سلوك الإفاضة من عرفات.

ثانيًا- حماية الطبيعة والحفاظ على البيئة

ومن جانب ثان يظهر من عدد من أحاديث الحج أن ثمة مرادا في حفظ البيئة وحماية الطبيعة، لدرجة وصل فيها الأمر إلى ما يمكن أن يدخل في عداد تأسيس محميات طبيعية مقترحة.

ففي أحاديث الحج نصوص توجب حماية نبات مكة المكرمة، وحيوانها، حتى صح في الحديث أن النبي ﷺ في باب فضل مكة المكرمة من كتاب الحج في صحيح البخاري (٤/ ٤٤٩ حديث ١٥٨٧) قال: إن هذا البلد حرمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، والإشارة في الحديث إلى أدنى الممنوعات ليتوصل من ورائها إلى ما يفوقها في الخطر؛ ذلك أن المنع من قطع الشوك وتنفير الحيوان مستوى راق لم تصل إليه قوانين حماية البيئة في الثقافة المعاصرة إلا بعد جهد جهيد، وكفاح عريض. ويظل ما دعا إليه الإسلام في مثل هذه المدونة أعلى في الميزان بسبب من ارتباطه بركن الحج، والمدينة المقدسة.

ثالثًا- الارتقاء بالسلوك الإنساني الاجتماعي

وتكشف مدونة أحاديث الحج عن إرادتها الارتقاء بالسلوك الإنساني والانتقال به من أجواء التوحش والبداوة إلى أجواء التحضر والتمدن والترقي، ولاسيما في السياق الاجتماعي عند اختلاط الناس واحتكاك بعضهم ببعض. يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري (في كتاب الحج ٤/ ٣٨٢ حديث ١٥٢١) الذي يقول فيه: من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. والمنع من الرفث والفسق هو عين التهذيب على محوري القول والفعل جميعا.

ومر قريبا أن بر الحج يتأسس على طيب الكلام، على ما أخرجه الحاكم في المستدرك.

ومر كذلك إغراء السنة للناس بالسكينة والوقار ولاسيما في المواقف الداعية إلى ذلك، كما يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالسكينة.

رابعًا- إعمار الحياة

الإعمار مقصد كلي يضم في داخله مقاصد عديدة. وهو بعد حضاري ظاهر الحضور في مدونة أحاديث الحج، تتوزع على مفردات ومحاور كثيرة نجملها فيما يلي:

١- حماية الإنسان من المخاطر التي تهدده، (تأمين باشتراط الزاد، وتأمين طرقه بما كان من أمر المواقيت المكانية، تأمينه في الزمان بما كان من أمر فرض الحج في الأشهر الحرم مثلا).

٢- حياطة مكة المكرمة بالحماية، وتحريمها، وتشريف البيت الحرام منها، وتعظيمه، وإتاحته في كل الأوقات، وتيسير ذلك للناس، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الحاكم (١/ ٦٠٨ حديث ١٦١٣): وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر، وفي التعبير بوفد الله حض على حياطتهم بالكرامة والرعاية.

ويقول ﷺ في الحديث الذي أخرجه الحاكم كذلك (١/ ٦١٨ حديث ١٥٤٥): «لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أي ساعة أحب من ليل أو نهار».

٣-العناية بعمارة المسجد الحرام، وزينته باب للعمارة والتشييد

[illegible] قوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٦٠٨ حديث ١٦١٣): «استمتعوا من هذا البيت، فإنه قد هدم مرتين، ويرفع [illegible]»

والحديث يشير [illegible] مسألة رفع البيت الحرام. وهو تعبير يتعلق بعمارته وتزيينه والتأنق في ذلك.

وفي الحديث الذي يرويه ابن عباس دليل إضافي يشير إلى ذلك، يقول رسول الله ﷺ: «إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة» والاستلام فعل عن عاطفة قلبية جليلة تبعث على الحنو على هذا الحجر الكريم.

فضلا عن أوامر صريحة تأمر بتعظيم البيت الحرام، وتشريفه، وتكريمه، وترتيب الثواب العظيم على ذلك.

خامسا- رعاية الصناعات الاستراتيجية

إن دراسة مدونة أحاديث الحج تقود إلى أن ثمة عناية خاصة لعدد من الصناعات الاستراتيجية، وضرورة حمل الأمة على [illegible]

١- صناعة النقل، وإنشاء الطرق.

٢- صناعة الأغذية، ومياه الشرب.

وهذه المدونة عند توسيع دائرة فهم أحاديثها تقود إلى [illegible] أحاديث كثيرة [illegible] في ضرورة إتاحة البيت الحرام للزائرين من الحجيج والمعتمرين والمصلين والطائفين في كل وقت، ولن يكون ذلك إلا بالتقدم في صناعة النقل والمواصلات وما يرتبط بها من [illegible] بالخدمات المقدمة لسالكيها.

كما أن هناك نوعا حث على العناية بصناعة الأغذية مما يدور في فلك أحاديث الهدي، وكذلك يظهر نوع حث على صناعة مياه الشرب مما تكشف عنه أحاديث فضل زمزم.

سادسًا- رعاية الفنون القولية والبصرية

ومن المدهش أن نقف على نص يرعى الجماليات، ويحتفي بها، مما يجعل من رعاية الفنون القولية والبصرية، من [illegible] أحاديث مدونة الحج عما يلي

١-الحرص على طيب الكلام، والأمر به

٢- [illegible] والمتعة نفع مصحوب باللذة. وهو ما ظهر [illegible] البيت» وربما كان لعمارته وزينته مدخل يتعلق بهذا [illegible].

إنني على ثقة كاملة بأن السنة الشريفة باب واسع لتحقيق الارتقاء والتقدم في جوانب الأمة الإسلامية كلها، وهو الأمر المرهون بتوسيع آفاق دراسة السنة، وفحصها، وتحليل مشكلاتنا المعاصرة في ضوء ما تمنحه لنا من حلول وآفاق للتغلب عليها، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين.

الحج: صندوق المعاني

تأخذنا فريضة الحج الى نبي الله ابراهيم. تأخذنا بالذات الى رحلته تلك. التي رأيناه يخرج فيها اولا من كل المكرسات التقليدية الآفلة التي استخدم عقله ليرفضها. ورأيناه يخرج من مسقط رأسه متجولا بين حضارات العالم القديم. باحثا عن شيء ما. عن مجتمع ما. عن فردوس مفقود ما. كان يريد، عبر رحلته تلك أن يستعيده.

ستتذكر كيف انه تجول بين تلك المدنيات وكيف ان ظلمها وطغيانها وفسادها دفعه بعيدا عنها. متيقنا أن الفردوس المستعاد لن يكون هناك..

وستذكرك تلك المدنيات بمدنيات اليوم. بظلمها وطغيانها وفسادها. ستشعر ان الامر لم يتغير كثيرا رغم مرور آلاف السنين على رحلة ابراهيم. كل الذي تغير هو القشور والمظاهر والادوات لكن جوهر الظلم والطغيان الذي راد ابراهيم ظل نفسه..

[illegible] طريق الحج [illegible] مكة [illegible]، إذ أنه سيكون الجزء الأهم من رحلة استعادة الفردوس [illegible] إلى حقيقة [illegible] تلك المدنيات التي تبدو زاهرة رغم خوائها الداخلي، بل سيكون في تأسيس مجتمع من نوع آخر، في بذر أساسات جديدة لحضارة مختلفة.. في مكان سيبدو للوهلة الأولى أنه غير مهيأ لاحتواء تلك البذرة ونموها..

مكان أجرد غير ذي زرع، لن يصلح حتى ليكون تجمعا لسكان، فكيف يصلح أن يكون [illegible] حضارة جديدة [illegible]

[illegible] للوهلة الأولى. وفق مقاييس كل المدنيات الأخرى وقيمها..

لكنه لن يكون نص للقياس. هذه المرة مع [illegible] جديدة. ومع الفردوس المستعاد. بل سيكون هناك ميزان جديد لكل الأمور..

[illegible] أن تستعيد [illegible] من أجل أن تستعيد ذلك الفردوس..

وها أنت، عبر الحج، تقتفي خطوات إبراهيم، عندما وضع قدميه على الطريق الصحيح، عندما عدل عن البحث في المدنيات الأخرى. [illegible] نحو تأسيس حضارة جديدة [illegible] مختلفة

ها أنت تضع قدميك على نفس الطريق، تلتفت برأسك يمينا ويسارا بين مدنيات اليوم، ثم تتوجه نحو ذلك الطريق الذى سار فيه إبراهيم ليضع فيه حجر أساس مختلف، وغير.. خطوة خطوة .. نحو الفردوس المستعاد..

ها أنت تضع قدميك على نفس الطريق..

ويربطك ذلك على الفور بتاريخ سحيق العمق لدرجة أنك لا تعرف، ولا أحد يعرف، مدى عمقه

فعلا، لا أحد يعرف متى كانت تلك الرحلة الإبراهيمية، خمسة آلاف سنة من الآن، أو أقل أو أكثر.. لا أحد يعرف لها تاريخا محددا وهذا يزيد من عمق الأمر حيث ترتبط بالتاريخ، هنا بشكل مطلق ودون أن تدخل فى تفاصيل السنين والقرون التى تفصلك عن الحدث، وسيذكرك ذلك بالتفاصيل غير المهمة عن عدد فتية الكهف التى تترفع عنها السورة تركيزا على ما هو مهم

نعم، ها هو الحج، ذلك الركن الخامس، يربطك بتاريخ عميق سحيق، يجعله فريضة، يجعله شعيرة

يقول لك إنك لم تولد البارحة، وأن قيمك ومثلك لم تولد البارحة، وأن خلفك تاريخ طويل عريض.. وأنك لا يمكن لك أن تتخلى عنه، إلا إذا قررت أن تتخلى عن دينك، عن أركانه.. واستبدلته بمجموعة قيم أخرى، تفتقد التاريخ، وتفتقد الحس التاريخى، بل وأكثر من ذلك، تعتبر أن التاريخ هو عبء ثقيل لا جدوى منه، وأن المهم هو الآن، وهنا..

ولعله من المهم هنا، الإشارة إلى أن مناسك هذا الحج، هذه الفريضة، لم ترتبط فى أى تفصيل من تفاصيلها، برحلة قام بها الرسول ﷺ كان يمكن مثلا أن يكون هناك فى المناسك تمثيلا لرحلته ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجرا، ووضع الأسس للمجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية..

لكن ذلك لم يحدث، لأنه لو حدث وقت الرسول ﷺ لكف عن أن يكون (تاريخا عميقا).. بل لصار مجرد حادثة قريبة، (معاصرة) لزمن الرسول ﷺ لكن مناسك الحج ألقت بجذورها بعيدا منذ ذلك الوقت. لقد كان الأمر تاريخا منذ يومها، وكان آلاف السنين منذ يومها، كان تواصلا بين التاريخ والحاضر، (الحاضر الذى صار تاريخا فيما بعد) وسيظل الأمر كذلك، ستظل تلك الفريضة تمثل ذلك التواصل التاريخى الذى يمتد إلى آلاف السنين إلى حيث أول مجتمع قام على التوحيد..

.. ستدخلك مناسك تلك الفريضة، فى مناخ خاص، قد يكون غريبا كما تعودنا، لكنه فى حقيقته منسجم تماما مع الاستعداد مع قيم الفردوس المستعاد .. منسجم مع استعادة ذلك الفردوس المفقود.

منذ أن تدخل فى نية الإحرام، ستعرف أن الأمر جد، وأنك ستترك كل شيء وراءك، وستقول لك تلك التفاصيل الصغيرة المتعلقة بقص الأظافر والشعر وعدم التطيب إنك هنا تدخل مرحلة تتبدل فيها أولوياتك، وأن تلك الأمور المتعلقة بجسدك ستكون هنا مجرد توافه لا قيمة لها، وأنك ستتقطع عنها لأنك ستدخل مرحلة جديدة، مرحلة عليك أن ترتفع فيها عن أظافرك وشعرك وجسدك إلى ما هو أعمق من ذلك.. ربما إلى داخل رأسك، وفى أعماق روحك

سيهمك من ستستوى الأخرى، شعرة شعرة أو ظفر وشعر وجسد فى نفسه .. ستدخل إلى ما هو عمق

وعندما تقوم بجمع الماء فى مناسك التروية، فإن ذلك سيذكرك بصعوبة الأمر يوم كان، سيذكرك بالجهد الذى بذل ومشقة السعى خلفه

سيذكرك جمع الماء فى تلك الصحراء الجرداء، كيف أن الأمر هو بالأساس عن أساسيات الحياة، عن ثوابتها عن أولوياتها، سيذكرك ذلك بما قد تنساه خلال حياتك وتفاصيلها وسيرجع بك إلى ما هو أساسى ومهم ولا يمكن لحضارة أن تقوم من دونه، وستشعر كيف أن الأمر كان صعبا آنذاك، مادام هو صعب الآن..

وعندما تجمع الحصى، سيذكرك ذلك بأنك دوما يجب أن تكون على أهبة الاستعداد للدفاع عن قيمك ومعتقداتك. وأنه حتى ولو لم يكن هناك خطر (داهم).. فإن هناك دوما خطر (كامن).. سيذكرك جمعك للحصى بأن درب استعادة الفردوس لن يكون بلا محاولات ممن أضلك وأخرجك عن الفردوس فى المقام الأول، من أن يضلك عن درب استعادته.. سيذكرك جمعك للحصى، بأن الخير والشر، سيظلان يتصارعان فى هذه الحياة، وأن كلا منهما سيرى مده، وسيمر بجزر، والمهم أن تعرف أنت مع من تقف.. ومع من سيكون مصيرك وحريتك

.. وسيذكرك رميك للجمرات، والطريقة التى تؤدى فيها ذلك، وتحريك إصابة الهدف، بأنك يجب أن تحدد عدوك، وتعرفه وتميزه

سيذكرك ذلك بأنك جزء من الصراع، سواء شئت أم أبيت. وأنك مهما حاولت أن تسير قرب الحائط، كما جرت العادة، فإن الأمر سيظل يشملك شئت أم أبيت وسيظل عليك أن تحدد عدوك ومكانه وما يريد منك.. سيظل عليك أن تكون مستعدا

وسيذكرك الحصى الصغيرة، التى تقضى المناسك بأن تجمعها أن الأمر ليس بالحجم والضخامة التى قد تؤذى الآخرين من أصحابك.. وإنما هو التوازن والاستقواء الذى يحميك، ويحميهم، ويؤدى فى الوقت نفسه دوره ضد الشر ورموزه

ستذكرك تلك الحصى الصغيرة، بحقيقة أن دورك كفرد لن يكون مؤثرا فى الصراع إذا عزل عن دور الآخرين، الذين سيكون دورهم أيضا غير مؤثر إذا عزلوا كأفراد معزولين، لكن الحصى الصغيرة إذا اجتمعت، وإذا توحد هدفها، إذا اتجهت لترمى نحو هدف واحد.

ستذكرك الحصى الصغيرة، أنها لن تكون مؤثرة ولو قليلا إلا إذا قيس أثرها عندما تجمع أثرها التراكمى الذى يعكس ذوبان الفرد فى الجماعة، والأنا فى النحن..

.. وسيذكرك تعدد مواقع رمى الجمرات، أن عدوك لن يكون له عنوان واضح أو ثابت، وأنه يغير وجوهه دوما، وأنه يغير شعاراته، ورموزه، وأنه قد يتستر أحيانا خلف شعارات جدلية، لكن ذلك لن يغير من حقيقة جوهره..

وسيذكرك الحصى الصغيرة، وأنت ترمى بها نحو رمز الشر، أن المواجهة بينك وبين الشر لا تشترط، بل أنها على الأغلب لا تستلزم، مواجهة عسكرية، بل إنها قد تكون مواجهة قيم، مواجهة خيارات، مواجهة وجود

مجتمع جديد وحيوات جديدة

.. وسيذكرك استلامك الحجر الأسود بحقيقة أنه مجرد حجر، لا ينفع ولا يضر، ولكنه الحجر الأساس، الذى وضعه إبراهيم ليكون اللبنة الأولى لبيت جمع عشتاتس. اللبنة الأولى لتلك الحضارة التي ستقوم، لأول مرة، على التوحيد، على فكرة التوحيد بالإله الواحد الأحد

سيذكرك الحجر الأسود، وبالذات بكونه ظل حجرا أسود متميزا عن بقية بناء الكعبة، أنه سيظل حجرا أساسا لبناء سيظل يتطاول.. لبناء سيظل مستمرا، وسيكون استلامك له، كحجر، من سيأتي بعده لمست مشروعية هذا البناء، على أساس هذا الحجر..

وستذكرك أشواط الطواف حول الكعبة، بأن الأمر كله، في هذا الدرب، درب الاستعداد والسعي، يتمحور حول هذا الحجر الأساس الذى وضعه إبراهيم، وأن كل القيم، وكل الثوابت، ستكون مستمدة من ذلك الحجر الأساس، من التوحيد والتوسع والتسامي والسمو ...

سيذكرك الطواف، أن الأمر ليس بالقرب، أو بالبعد، بمقدار هو بالدوران حول المحور، حول البؤرة.. حول المنطلق الواحد.. حول حركة ثابتة لا تتغير..

ستطوف وتطوف، وسيكون الرقم (سبعة) هنا ترميزا للتكرار والاستمرار، سيكون طوافك هنا بمثابة رحلة حياتك مختزلة كلها، وفي كل مرة تقترب فيها من الحجر الأسود، ستستلمه مجددا، كما لو كنت تبايع تلك القيم، وتجدد تلك البيعة، مرة بعد مرة بعد مرة

وسيذكرك السعي بين الصفا والمروة بلحظات الشدة التي مرت بها التجربة الإبراهيمية، وستذكر جزع هاجر، وخوفها على وليدها من الموت عطشا، وستعلم هنا أن الأمر ليس مجرد طفل رضيع تخاف أمه عليه، بل هي تجربة حضارية، وقيم كامنة، علينا أن نخاف عليها، ونحتضنها، ونسعى من أجلها كما تخاف وتحافظ وتسعى أم حنونة على طفلها الصغير

وسيذكرك النحر، وتوزيع الأضاحي على الفقراء، بحقيقتين أساسيتين أولهما أنك أنت السيد في هذا العالم، وأن هذا العالم بثرواته وموارده ومخلوقاته، قد خلق من أجلك.

وثانيهما، أن تصرفك أنت، في هذه الموارد والثروات، يجب أن يظل محكوما بتوازنات العدالة الاجتماعية ومتطلباتها..

وسيذكرك التحلل من الهدي، وعودتك لتفاصيل جسدية صغيرة، أنك بعد كل شيء إنسان، وأنك لم – ولن – تدع رهبنة وتبتلا لم تصمم أساسا من أجلها. كل ما في الأمر أن أولوياتك مختلفة، وأن جسدك، موجود على قائمة اهتماماتك، لكنه ليس أولها

إنه التاريخ، بل عمق التاريخ، ممثلا في فريضة.. ممثلا في شعيرة تعبدية، تؤديها، إذا بك ترتبط بعمق التجربة الحضارية التاريخية.

وإذ تحج عبر مدى تعيشه، الآن وهنا، يتمثل ذلك التاريخ وتتقمصه، إذا التاريخ يعود حيا، ينفض عنه غبار الزمان، غبار القرون المتطاولة، غبار آلاف السنين، ويعود ليسكن الحاضر، هذه اللحظة بالذات، من خلالك أنت

إنه التاريخ، لا تدرسه كما يزعمون، بل لا يكف عن الاستمرار عبر فريضة، تتلقى من التاريخ تجربته الأهم

وتجعلك عضوا فاعلا في هذه التجربة...

والأهم من هذا أنها تجعلك عضوا فاعلا في هذه التجربة .. والأهم من هذا أنها تجعلك تستلهم هذا التاريخ، في تغيير هذا الحاضر.. (أو هذا على الأقل، هو ما يجب أن تكون عليه الأمور).

لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، مع هذه الفريضة، فهي لا تكتفي بوضع التاريخ، في الحاضر، من أجل إنتاج مستقبل آخر.

بل إنها أيضا، تضع كل ذلك ضمن مناخ أخروي، يجعلك تدرك، وأنت على أعتاب الحج، أن (الآخرة)، فكرتها وحقيقة وقوعها والإيمان بها، كان موجودا خلال كل تلك الرحلة، تاريخا وحاضرا ومستقبلا..

ستكون الآخرة هناك في كل المناسك. تتغير المناسك، وتتدرج من واحدة لأخرى، ولكن تظل الآخرة موجودة في كل التفاصيل، تظل الآخرة، فكرتها وحقيقتها، جاثمة هناك، قريبة عليهم، يحتل قرب حبل وريدك عليك

بالضبط، ستكون الآخرة تلبسك.. تلبسك

كيف؟

ببساطة شديدة، ودونما تعقيدات ميثولوجية، أو عمليات غسيل مخ مزعومة، سيكون ذلك عبر ملابس الإحرام، التي سيرتديها الجميع قطعا وحتما في تلك الرحلة، والتي لن تكون في حقيقتها سوى أكفان، بل ستكون بالضبط، كأكفان، لونا وهيئة وتفصيلا، وسيتساوى الجميع في هذا، الغني والفقير، العالم والجاهل، الكبير والصغير، الأمير والفقير، الكل سيتساوون مع ملابس الإحرام، كما سيتساوون مع تلك الحقيقة التي لن تجامل أحدا بلا استثناء: الموت..

سترتدي كفنك، سيكون اسمه هذه المرة ملابس الإحرام، وسيرتدي الآخرون أكفانهم أيضا، رجالا ونسوة، سيكون اسمها ملابس الإحرام.. ستضيع الفوارق كلها هنا، ستضيع الألقاب، ستضيع الشهادات، ستضيع المظاهر، ستخلف وراءك كل ما كان يميزك ظاهريا عن غيرك.

ستخلف قبعتك وحذاءك وعرقك وريبك، لن يبقى مع كفنك هنا سوى حقيقتك الداخلية، حقيقتك التي طالما أخفيتها عن الآخرين، وستلاحظ، في زحام المكتظين من حولك، أنك تشبههم جدا، وأنك بالكاد تميز نفسك عنهم، وأنهم قد يكونون داخليا، وعلى الحك، أفضل منك، وسيضعك ذلك كله في لحظة الحشر، عند البعث، والناس قد خرجوا للنشور، ليس عندهم غير حقائقهم، ليس عندهم غير ما فعلوا حقا، بغض النظر عن ما ادعوه..

سيمير ذلك من الأمر كله، ها أنت تعبر الحاضر، متقمصا التاريخ، ومتلبسا الآخرة.

سيكون الأمر كله مثل صيغة جديدة تضع مفاهيم كلها في عبوة واحدة.. (ثلاثة في واحد).. التاريخ، التاريخ السحيق العميق، الحاضر، الآن وهنا، والآخرة.. تلك الحقيقة الواقعة لا محالة..

وسيكون ذلك كله عبر تلك الفريضة، التي ستبدو مجرد شعيرة تعبدية للوهلة الأولى، الركن الخامس، ثابتا الأخير الذى بدونه لا يقوم البناء.

الوقفة النبوية.. بين يدى الله، وحيال الأحداث

[illegible]

إن من نذر نفسه للحق تعالى واستمد العون من الله عز وجل، يمضي في طريق وظائفه ومسئولياته من دون أن ينظر إلى الوراء... لأنه يعرف القوة التى استند إليها، ويعرف مالكه الذى يعمل هو له وهو مطمئن لصواب هدفه والطريق التي يسلكها، وأنه في رعاية من لم يتخل عنه. ولو لحظة واحدة، في هذا الطريق ولن يتخلى عنه. فهو. لذلك. لن يقع في تشرذم فكرى أو حسى أبدا، ولن يكابد تشوشا أو ترددا، بل ينكب على أداء ما كُلّف به في شعور وحساسية مرهفة، ثم ينتظر النتيجة من الله تعالى في اطمئنان مكين.. فيهتم اهتماما بالغا بترك التدخل في شأن الربوبية ويحصر حركاته وفعالياته في ابتغاء مرضاة الحق سبحانه. فيعتبر رضاه جل وعلا ركنا أساسيا وضروريا.. ولذلك تراه موصد الأبواب، ما استطاع، حيال كل الأمور التى ليس فيها رضا الله تعالى، وساعيا إلى كبح رغبات النفس ومطالبها فإذ توعرت الطرق يوما وتشابكت السبل، واحلولكت الآفاق، ودوت أصداء الاضطراب والقلق، فلن يتشكى عن الطريق التي يسلكها ولن يرتبك أو يتقهقر بل يستعين بالله ويتشبث بالسعي والعمل. ويستسلم للحكمة الإلهية.. ويفعل كما فعل سيدنا نوح عليه السلام حيث رفع يديه:

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾

(القمر ١٠)

ثم يلتجئ بتمام الإخلاص والصدق إلى حفظه تعالى ورعايته، ويترقب منه ما يمنّ عليه من لحظة الفرج ونقطة الخروج.

وكما أن من السعادة أن يكون الإنسان على طريق الحق جل شأنه، ويعرّف الناس بالحق سبحانه ويذكّرهم به، ويقوم بإرشاد من في الطريق إلى آداب الطريق.. فكذلك من السعادة توقع كلّ شيء من الله تعالى، والانتظار في الأمور التي تتطلب الانتظار مع الصبر على تناقض الزمان بشكل يستنفد الصبر ويسلب العقل. فمرء قد يحظى بالتوفيق في أول حملة أو حركة أو قيام وشروب، فيجد ما سعى. لكن قد يجول ويصول كجواد سبق فلا يحصل على شيء في الظاهر، لكنه يفوز في النهاية بنصره وإقدامه وثباته.

وأحيانا تتقطع الحوادث الدنيوية والدنيويون الطريق أمام الإنسان، وأحيانا تشتد وطأة الأحداث المنهمرة فلا يطاق التصدى لها. فتتعاقب السنوات وتمضي وكأنها "محرمٌ" كلها، وتؤدى الطرق إلى "كربلاء" فتنسد وتتقف هناك!.. لكن القلوب التى تتلقى أوامر الحق تعالى، رغم ذلك كله، لا تهتز ولا تتزعزع ولا تتذبذب حيالها؛ فيرون كل حادثة "معاملة" مرتبطة بإرادة الله المتعالية، ويعتبرون المصائب امتحانا، ويستقبلون الامتحانات في توكل وتسليم، ويعلمون قُطّاع الطرق، الذين لا يرعون ذمة ولا تقاليد، دروسا في الإنسانية، ويقوّمون كل حركاتهم وتصرفاتهم في إطار دقة الامتثال للأوامر الآتية من العوالم ماورائية، فعين منهم ترقب سلوكيات أنفسهم، وعين أخرى ترقّب انفراج ذلك الباب المتعالى، ويندفعون، بلا تشتيت لهمتهم، نحو هدفهم الذى هو أسمى الأهداف، جعلنا الله فداء لذلك الهدف السامي الذى هو مرضاته تعالى، ويتحرزون من التلوث بالتوجه نحو الأغيار ولو بخيالهم.

إن رجلا بهذه الأوصاف من أهل الوفاء والصدق، له هم وحيد بدرجة العشق، هو أن يجد الله كلُّ أحد ويتوجه إليه ويتخلص بالعبودية لله وحده من شتى العبوديات.. إنه يطوف في الدروب والأسواق، لا يهدأ ولا يسكن.. صوته ونفسه ترجمان لقلبه، فينادى، نداء لا ينقطع، بأسلوب مفتوح تقبله كلّ وجدان لم يفسد. فيشي وينادى

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(الأعراف ٥٩)

هذا الترجيع هو شيء من نواح النبى نوح عليه السلام:

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الأعراف ٦٥)

وهذا شيء من صراخ النبى هود عليه السلام

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الشعراء ١٠٧-١٠٩)

وهذه التعبيرات الصادقة الخالصة هو البيان المشترك لدعوة أولئك الأنبياء أجمعين.. يقول ذلك ويسمع خفقات قلبه أبدا، أو يهرع لعون الذين يهتفون

بتلك النغمات فينادى:

﴿ [illegible] مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ [illegible] ﴾

(يس ٢٠-٢٥)

فيأمر اللهُ تعالى أن يدخل الجنة وقُتل بأنه قتل فدخل الجنة شهيداً)

﴿ [illegible] ﴾

(يس ٢٦-٢٧)

فهذه الهمهمة والتمتمة يعلن عن موقفه تجاه الله وتجاه قومه، (وتروى كتب المناقب أن هذه الصرخات القلبية الموازية لأنفاس ملائكة السماء هى للبطل الشجاع حبيب النجار).

وهناك رجل مؤمنٌ من آل فرعون مجهولُ الاسم، هذا البطل الهزبر الذى يخفق فؤادى كلما سمعتُ صوته الهادر. يبدأ كلامه بقوله

﴿ [illegible] ﴾

(غافر: ٢٨)

ويعنى بـ ﴿رَجُلًا﴾ موسى عليه السلام.. فيدلى بنصائح وبيانات بليغة ومؤثرة في الأحاسيس والأفكار الإنسانية كنفخ الصور، فتملأ الصدورَ خشية وترعش وترعد أرواحا، وتشرح وتريح أرواحا، ثم يصرخ، في جرأة، بما ينبغي أن يقال، ويختم كلامه بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(غافر ٤٣-٤٤)

لقد ظل رجال العزم والإرادة هؤلاء، صامدين وثابتين حيال تلك الخموع التى تردت ووصلت إلى منتهى الطيش والعلف والهوان والغرور والأنانية والحقد والكره والغضب.. تلك الجموع التى اعتبرت مروءتهم وشجاعتهم هذه ضلالة وسفاهة، وخوفتهم بالطرد والتهجير من مساكنهم وديارهم، أو هددت أتباعهم بقطع أرجلهم وأيديهم، أو استخفت بهم واحتقرتهم، أو أساءت الظن بمواقفهم النبوية بأن بعض آلهتهم اعتراهم بسوء، أو أوعدت هؤلاء المرشدين بالرجم، أو هونت من شأنهم دائما بقولهم:

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾

(إبراهيم ١٠)

ولكن هؤلاء ردوا عليهم فى صوت جهورى

﴿ [illegible] ﴾

(يونس ٧١)

هذه الوقفة وهذا الصوت الهادر من [illegible] الطوفان عليه السلام

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف ٨٩)

وهذا التحدى من خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام

﴿ [illegible] ﴾

(هود ٥٤-٥٦)

وهذه البيانات تظهر مواقف النبى هود عليه السلام..

﴿ [illegible] ﴾

(هود ٨٨)

وهذا تحذير بليغ من النبى شعيب عليه السلام. أما ردهم على قولهم:

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾

(إبراهيم ١٠)

فكان

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم: ١١-١٢)

وهذه وقفة من وقفات أولى العزم للأنبياء نوح وهود وصالح وغيرهم من الأنبياء العظام عليهم السلام فحينما وصل الأمر إلى حد لا يطاق، توجهوا إلى الله تعالى بكل كيانهم وقالوا

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة: ٤-٥)

وهذه باقةُ رسائل حول التوكل من أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى السائرين فى الطريق.

والملحوظ أن أبطال القلوب هؤلاء، الذين تمتعوا بإرادة صلبة ومواقف حكيمة، حافظوا جميعا على مقصود بعينه وساروا على خط واحد والتزموا قيما بعينها. فإنَّ ما كان ينعكس على أحاسيسهم وأفكارهم وسلوكياتهم هى أمور بعينها، ووحدة القضية والدعوة تظهر جليا فى رسالاتهم وتبليغاتهم. وإن تقبلهم للمهمة نفسها جلىٌ وواضح مهما اختلفت بلادهم

وأزمانهم، وإن أبرز خصائصهم أنهم في كل أفعالهم لم يطلبوا إلا مرضاة الله تعالى، ولم يستعينوا في جهادهم إلا بقدرته وعنايته، ولم يلتجئوا إلا إلى حفظه وكلاءته، ولم يتحركوا إلا باسمه.

أما الوظيفة الأصلية لهؤلاء القدسيين، فهي إنقاذ البشر من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان، وتعبير الأرواح لتسمى القلوب إلى الحق تعالى، وكشف ما أمام ستار الأشياء وما وراءها وإراءتها على حقيقتها حتى تزول الشبهات والشكوك في الأذهان، ونشر الأنوار على وجه الوجود ليُقرأ ككتاب، وليُطلع عليه كمَشهر ومَعرض، وليُفسر كلوحة فنية بارعة، ثم يترجم حسب أفق إدراك العصر، وجعل هذه المسيرة الفانية مدرجا إلى العوالم الباقية وجسرا إليها ومزرعة لها وسوقا لشرائها.

ففي معرض البيان لطرق من هذه الأمور يقول الله تعالى في القرآن لسيد السادات ﷺ:

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم: ١)

ويعرفنا بإطار من الأطر لرسالة النبوة ودورها. وليس سيدنا محمد ﷺ وحيدا في هذا الأمر؛ فهو وظيفة كل الأنبياء من لدن أبينا آدم إلى سيدنا موسى ومنه إلى سيدنا عيسى عليهم السلام. وانظر كيف يربط القرآن الكريم الأمر في السورة نفسها بالنبي موسى عليه السلام أيضا قائلا:

﴿ [illegible] ﴾

(إبراهيم: ٥)

ومع أن مُمثلي هذه الرسالة السامية، التي تتطلب شعورا بالغا بالمسئولية وإرادة مكينة وشخصية متينة، مع أن هؤلاء بشر من أمثالنا.. لكنهم بشر يختلفون ويتميزون عن غيرهم في قوة عزمهم وإيمانهم، وحدة استقامتهم وعلو أمانتهم، وغاية شعورهم بوظيفتهم، وشدة حرصهم على رضا الحق تعالى، وثبات مواقفهم، وإرادتهم حيال المعاصي أبدا، وولعهم بدعوة الناس إلى الصراط المستقيم، وكأنه غريزة فيهم؛ فلا يقر قرارهم ولا يعرفون سكونا، إلا "الإرشاد".. "الإرشاد"! فيؤدون وظائفهم في اشتياق غامر، لا يعرفون كللا أو مللا. وإذ يوفون بوظائفهم بحساسية مرهفة، لا يتدخلون في شأن الربوبية، فلا يشغلون بحساب النتائج قط، ولا يرجون إلا عناية الرب جل وعلا. يرجعون الهداية والضلالة إلى الله تعالى، مع قبول وجود أثر للإرادة في مستوى "الشرط العادي". ويعترفون برجوع الأمر إليه كله، ويخضعون لحكمه وقضائه بألف نفس ولا نفس واحدة. وكما يرعون الأوامر الشرعية والتبليغية أدق رعاية، كذلك يتحرون الحفاظ على الأوامر التكوينية بأعظم العناية. وإن لهم لوقفات وطيدة ومكينة حيال القرآن والكائنات، وأمام مخاطبيهم وربهم. وهذه هي وقفة "أولي العزم" والمصطفين.

وإن همم هؤلاء المصطفين لعالية علوا بحيث لا هم يكتفون بما يحرزون، ولا ييأسون أو يرتبكون إذا لم يحصلوا على ما يريدون.. يعرفون أن التوفيق من الله، ويرجعون إخفاقاتهم إلى أنفسهم، يقفون منتصبين في ثبات، ويأبون أن ينهاروا.. فإن حصلت لهم رجة من حيث لا يشعرون، استمدوا الثبات من فورهم ثم مضوا لسبيلهم.. لا يفرحون بما ربحوا من حظوظ الدنيا، فلا ينشدهون بها ولا يغتمون أو ينكدرون لفرصة أضاعوها. فيعرفون أن الحظوظ كلها من الحق سبحانه، فتصيبهم رعشة ورجفة خشية أن يتعرضوا للابتلاء من وجه، ومن وجهة أخرى ترى ظهورهم منحنية خشوعا ومهابة منه تعالى، لعلمهم أن كل الألطاف والإحسانات منه تعالى..

فللوقفة السليمة السديدة لهؤلاء المصطفين الأخيار، لن يتخلى الله عنهم، بل يؤيدهم بنصره في الدنيا ويشرفهم بوراثة الأرض، ويورثهم جنة الفردوس في الآخرة وافرة. وإن شئت شاهد

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ١٠٥)

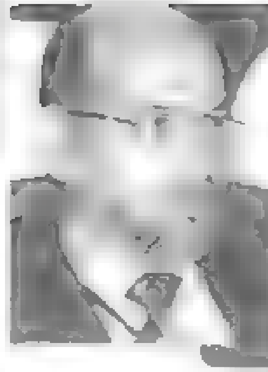
والمعنى أن الأرض كلها ستصطبغ بصبغتهم

﴿ [illegible] ﴾

(المؤمنون: ١٠-١١)

إن المقومات الداخلية لهذه الهامات الشامخة وأطر رسالاتهم، تستدعي مقالة أخرى صعبة ومستقلة تشبعها شرحا وتفصيلا، وقد نعود إليها..

فريضة الحج... مقاصد وغايات



من أسماء الله تعالى "الحكيم"، ومقتضى هذا الاسم أن الله تعالى لا يخلق شيئا باطلا ولا يشرع شيئا عبثا، إنما شرع كل شيء لحكمة، وأمر بكل امر لغاية، ونهى عن كل نهى لمقصد، وخلق كل شيء فقدره تقديرا.

ولادراك الأهداف والغايات والمقاصد والأسرار التى شرع الله تعالى لها الأحكام والعبادات، وحد لها الحدود، وفرض لها الفرائض وشرع لها الشرائع، أثر كبير فى روح تحصيل هذه العبادة، ودافع أكبر للحرص عليها وأدائها على الوجه الذى يرضى الله تعالى، كما أنه يترتب على إدراك ذلك ثواب عظيم للعبد الذى أقبل على الطاعة وقام بالعبادة وهو يدرك مقاصدها ويحصل نواياها.

وما من شك فى أن الحج، أو الفريضة الخامسة، كما جاء ترتيبه فى حديث "بنى الإسلام على خمس"، من أعظم شعائر الإسلام، وحسبنا ما قاله حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى بداية كتاب أسرار الحج من الإحياء: "إن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين"، ومن هنا وجب على كل مسلم ان يرفع أمامه مقاصد الحج وغاياته، وحكمه وأسراره، حتى يكون على بصيرة من أمره، وفقه من دينه، واستمتاع بعبادته، فان ذلك ارجى للخشوع والخضوع فيها، واتمامها على الوجه الصحيح المقبول.

والحقيقة أن مقاصد الحج متنوعة إذا نظرنا إليها من زوايا متعددة، فمنها ما يتصل بالدنيا، ومنها ما يتصل بالاخرة، ومنها ما يتصل بالأفراد، ومنها ما يتصل بعموم الأمة، ومنها ما يحصل حقوق الخالق، ومنها ما يعود على المخلوقين، وقد رأيت، بعد التأمل، أن أقسمها تقسيما آخر يبدو فيه وضوح محاور كبيرة تضم تحتها مقاصد متعددة ومتنوعة، وتحقق الزوايا المتنوعة سالفة الذكر.

مقاصد ربانية وإيمانية

فمن هذه المقاصد التى شرع الحج بها مقاصد تندرج تحت الإيمان وتزكية النفس، ففى كل شعيرة من شعائر الحج يبدو مقصد تحقيق التوحيد بارزا وواضحا بروزا لا يحتاج إلى بيان، ووضوحا لا غموض معه ولا لبس فيه.

فالمسلم يخرج من بيته تاركا أهله ووطنه وماله وتجارته مهاجرا إلى الله، يرجو رحمته ويخشى عذابه، لا يعبد معه شيئا، ولا يشرك به أحدا، بل بتمحض التوحيد وإفراد الله بالعبودية هنا أتم ما يكون التمحض، فياله من مشهد مهيب حين ترمق الوفود المنطلقة فى البر والبحر والجو تجأر إلى الله تعالى بالدعاء والتهليل، والذكر والشكر والتمجيد فى عالم ما أكثر الناهين فيه عن الله والمتمردين عليه، وما أكثر العابدين بغير ما أنزل الله ومغير ما شرع.

وشعار الحجيج فى هذه الشعيرة: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"، خير شاهد على ذلك، وكذلك ذكره ودعاؤه والابتهال إليه والتكبير والتسبيح كلما هبطوا واديا أو علوا جبلا، فكل أعمال الحج يتخللها الذكر، ويتجلى فيها الثناء والدعاء والخوف والرجاء حتى عند أداء الشعائر التى ربما لا نعرف لها حكمة لدى الرائى.

يقول الشيخ الغزالى يرحمه الله: "وإذا كان بعض المغفلين يزعم أن تقبيل الحجر الأسود نوع من الوثنية فليكن تقبيل الملوك والرؤساء لأعلام دولهم نوعا أيضا من الوثنية ومن عبادة الأقمشة!! من قال هذا؟ إذا كان الأمر لا يعدو ترجمة لمشاعر الولاء لله فليس فى هذا شيء،

ونحن فى هذه نلبى ما ورد

ومن حوران البيت لا يضع طريقا لزيارة بيته، فإذا جعلها طوافا من سبعة أشواط فليس فى الأمر ما يستغرب، ففى طول الدنيا وعرضها توضع طرائق شتى للاستقبالات والاستعراضات"[1].

وفى هذا الحج يتعبد فى مدى طاعتهم له، فقد كلفهم بما يعقلون سره ويدركون مقصده، فيا هو يبتليهم بما لا يعقلون أو يدركون أسراره، فهل يطيعون أم يتمردون؟

إن تحقيق الطاعة لله والانقياد لأمره لهو من أبرز مقاصد الحج، ويتجلى ذلك فى شعائر ربما تبدو غير معقولة كما سبق القول، مثل تقبيل الحجر، أو السعى بين الصفا والمروة، أو الطواف بالبيت، أو غير ذلك من شعائر، لكن لا شك أن لكل هذه الأعمال حكمها ومقاصدها التى علمها من علمها وجهلها من جهلها، ويجمعها كلها تحقيق العبودية لله والسمع والطاعة لما يأمر به عند الابتلاء فيه والحيرة.

أى مشاعر تلك التى تسكبها هذه الفريضة فى نفس المؤمن، وأى صدى ذلك الذى يبلغ إليه إخلاص العبد وتوحيده لربه وتجديد إيمانه به، وكل شعيرة من شعائر الحج فيها ذكر وتهليل وتوحيد، وتلبية وإخلاص وتمجيد؟ أى حالة تصبح عليها نفسه من الشفافية والصفاء والنقاء، لا سيما وقد رجع من حجه كيوم ولدته أمه كما أخبر الصادق المعصوم ﷺ، فالحج بهذه الصورة وتلك الأعمال يجدد الإيمان، ويحقق التوحيد، ويظهر فيه كمال صدق العبد فى العبودية المطلقة لله تعالى

---

[1] انظر: محمد الغزالى، ٢/ ١٣١، طبعة دار الاعتصام، ومائة سؤال عن الإسلام، ٣/ ٣٨، دار ثابت، القاهرة، ط الخامسة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

مقاصد اجتماعية وإنسانية

ومن مقاصد الحج مقاصد إنسانية واجتماعية، فوحدة الأمة وتوحيدها مقصد عظيم من مقاصد الحج، بل من مقاصد الإسلام الكبرى، ويتجسد هذا المقصد الاجتماعي والإنساني من توجيهات الحج، فالكل كما نلاحظ، يعبد ربا واحدا، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ورسولهم واحد، وحدهم واحد، سيتهم تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، ومن هنا تتجلى وحدة الأمة وقوتها؛ فالحج من الشعائر التي تحفظ للأمة الحد الأدنى من الوحدة والتماسك.

ومن المقاصد الإنسانية تحقيق معنى المساواة: فالغني والفقير، والرئيس والمرءوس، والأمير والخفير، والملك والمملوك، الكل يرتدى لباسا واحدا لا خيط فيه، ولا ألوان مختلفة له، فالكل يرتدى رداء واحدا لونه واحد هو اللون الأبيض. فلا يعرف فيهم غني من فقير ولا رئيس من مرءوس، الكل أمام الله سواسية، ومن ثم تتراجع هنا كل الموازين والمعايير، ولا يبقى إلا مقياس واحد ومعيار واحد:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(الحجرات: ١٣)

ومن هنا شاء النبي ﷺ أن يذكر الجموع الحاشدة من المسلمين الذين تبعوه يوم الحج الأكبر، حجة الوداع، فعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[٢].

ونحن نحفظ قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات: ١٣)

مقاصد سياسية وتاريخية

ومن مقاصد الحج مقاصد تاريخية وسياسية، فمن المقاصد التاريخية أن المسلم يرى بعينيه الأماكن التي قرأ عنها في السيرة والتاريخ، فهنا طريق الهجرة بصعوبته وخشونته وطوله، وهنا غدت فلان من الصحابة، وهناك استشهد فلان. وهنا كانوا يصلون، وهنالك كانوا يجتمعون، وهنا قاتلوا وهناك قتلوا، وهنا وقف إبراهيم يدعو ربه، وفي هذا المكان كان يبني البيت ويرفع منه القواعد، وفي هذا الموضع كان معه ابنه إسماعيل، وهنا هرولت هاجر وسعت بين الصفا والمروة، وهذه هي زمزم التي فجرها الله لها برحمته... وهكذا.

ومن شأن هذه الرؤية أن تعمق معاني الإيمان بالرسالة الإسلامية في نفس المؤمن فيحمله ذلك على الدعوة للإسلام والتضحية له والصبر من أجله، وهذا من المقاصد العظيمة التي يحققها الحج في الإسلام.

ويجتمع المسلمون في هذا الموسم الهائل الذي يأتي فيه المسلمون من كل فج عميق من مشرق الأرض ومغربها؛ ليناقشوا ما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم. فالحج من الناحية الروحية تجديد للإيمان وتحقيق للتوحيد وتهذيب للنفس، ومن الناحية السياسية فرصة عظيمة للتوجيهات والتوصيات الجامعة للأمة، وملتقى جامع يكفل ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين.

يقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله: ولكي ندرك ذلك ندرس كيف حج المسلمون في السنة التاسعة والسنة العاشرة للهجرة، ففي السنة التاسعة رجع الحجاج وقد تلقوا تعليمات بقطع علاقاتهم مع الغاشين بمعاهداتهم ومعاملتهم بالشدة بعدما فشل التلطف معهم. وفي السنة العاشرة وضعت تقاليد إنسانية وآداب عامة تضمنتها الخطبة الجليلة التي ألقاها الرسول ﷺ في حجة الوداع[٣].

واقتداء بما فعله الرسول وخلفاؤه لا يمكن إهمال الجانب السياسي من الحج أبدا، إذ ما يصنع الحجيج بعدما يعودون إلى بلاد اعتدى عليها المجرمون واستباحوا حرماتها؟! أو عندما يعودون إلى بلاد كثرت فيها الفتن وماج خلالها المستضعفون؟!

نعم، لا يجوز أن تترك هذه الحشود الهائلة يوم الحج الأكبر دون توجيه جامع تلقى به خصومها، صحيح أنهم في محاريب ذكر، وساحات تسبيح وتحميد، وأوقات تبتل إلى الله ونشدان لرضاه، لكن من قال: إن كسر العدو ليس عبادة؟! والسهر على هزيمتهم ليس تهجدا؟! إن صيحة الله أكبر تفتتح بها الصلاة ليتأتى بها المؤمنون عن مشاغل الدنيا، ويفتتح بها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولتجف دموع البائسين وآلام المستضعفين، ومن هنا نفهم قول الله سبحانه للمحتشدين في عرفات، ولمن وراءهم من جماهير المؤمنين في كل مكان:

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾

(التوبة: ١٤-١٥)

فالحج عبادة تقيمها قلوب ساجدة وأيد مجاهدة[٤].

ثم يهيب الشيخ بأمته قائلا: يا قومنا، إن الحج ليس لقاء أجساد، ولا شراء هدايا، ولا حمل ألقاب، اجعلوا الموسم الجامع فرصة إعداد، وموطن دراسة علمية وعملية، ورسم خطة لإنقاذ أنفسكم من طوفان مقبل[٥]، إن ناسا يذهبون إلى الحج الآن ثم يعودون مكتفين بأن حملوا لقبا، هل درست قضاياهم؟ لا، هل عادوا من موسم الحج بتحالف على محاربة الفساد الداخلي والغزو الخارجي؟ لا.. إن الحج ليس عبادة فردية، لا في ديننا ولا في تاريخنا، فيجب أن نعلم ديننا، وكفانا جهلا حتى لا نستيقظ على الويل والثبور وعظائم الأمور.

مقاصد دنيوية وأخروية

وقد أطلق الله تعالى شهود المنافع فلم يقيدها بدنيا ولا أخرى، حين قال:

---

(٢) أورده أحمد في المسند، مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، ورواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٣) [illegible]

(٤) علل وأدوية ١٥٦-١٥٨.

(٥) المصدر ص ٣٠ مكتبة الشروق.

(٦) المصدر ٣/١٢٨.

﴿ ... ليشهدوا منافع لهم ... ﴾ (الحج: ٢٨)

فربما كانت المنافع مادية أو اجتماعية وهذا في الدنيا. وقد جاءت كلمة منافع نكرة لتفيد العموم والشمول: فالحج يتيح الفرصة أمام جموع المسلمين لممارسة أنواع النشاطات وأصناف الصفقات التجارية والمالية والاقتصادية. وقد ذكرت كتب التفسير أن بعض المسلمين في زمن النبي ﷺ تحرجوا من ممارسة التجارة والبيع والشراء حال الحج، فأنزل الله تعالى قوله:

﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾

(البقرة: ١٩٨)

فاستبشروا بهذا التيسير الإلهي لهم، فباعوا واشتروا وتاجروا.

وربما كانت روحية إيمانية وهذه تعود ثمرتها للآخرة، فقد جعله الله تعالى فرصة لتكفير السيئات، وسببا لمحو الذنوب، وطريقا لرفعة الدرجات، وأعظم ما يصور هذا الأمر ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه. قال: فقبضت يدي. قال: "ما لك يا عمرو؟" قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: "تشترط بماذا؟" قلت: أن يغفر لي، قال: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟"[7]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"[8].

المقاصد الكلية

وهذه المقاصد ليست مقاصد تؤخذ من الحج مباشرة إنما تحمل مراعاتها المسلم على أن يراعي المقاصد السابقة ويحقق ما أمر الله به في هذه الفريضة، ويفوز برضا الله ومغفرته.

أعني بذلك المقاصد الكلية أو بعض الكليات التي تحدث عنها علماء المقاصد، ومن ذلك حفظ النفس، فلو أدرك المسلم أن نفس أخيه المسلم أشد حرمة عند الله من الكعبة لما تعدى على التزاحم الذي يفضي إلى إزهاق عشرات الأرواح، ولما رأينا الدماء التي حرمها الله وشدد عليها تسيل في كل موسم من مواسم الحج.

ومنه أيضا حفظ الدين والمال، فلو أدرك المسلم أن هذا من المحرمات القطعية التي أجمعت عليها الشرائع لما تلفظ بألفاظ ربما تخرجه من الملة وهو يؤدي شعيرة من أعظم الشرائع، ولاجتنب كل التصرفات المسيئة إلى قدسية الحج ومكانته ومكانه وزمانه، وابتعد عن الممارسات التي تؤذي المسلمين وتسبب لهم الضرر، وحافظ على المرافق العامة والخاصة وراعى نظافة مكانه وقدسيته.

لو أدرك المسلم هذه المقاصد وتلك الحكم والأسرار الإيمانية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والإنسانية، لأدى الفريضة على الوجه المطلوب الذي يرضي به نفسه، ويرضي به ربه، ويريح به ضميره، ويرحم به إخوانه المسلمين، وحصل من الأجر والثواب ما يعيده كيوم ولدته أمه، فاز بمغفرة الله في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة، فليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

عنوان المقال هو الآية رقم ٩٥ من سورة الحجر. فسيدنا محمد ﷺ طالته الألسنة والأيدي بالسوء بعد مماته وقبله. إلا أنه في آية الذكر الحكيم فصل الخطاب وحكم حاسم من رب العزة بنصرة نبيه. وقد سجل التاريخ قصصا ومشاهد لانتقام الله لنبيه ﷺ وكما قال عنه سبحانه وتعالى في سورة الكوثر:

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

(الكوثر: ٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": "وقد سمى أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزئين. وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به" وإن الله قد توعد الذين يؤذون النبي محمد ﷺ في كتابه فقال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾

(الأحزاب: ٥٧)

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ ... ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

القصة الأولى جاءت في الصحيحين وهي قصة الرجل الذي ادعى على النبي ﷺ كذبا وزورا أنه هو من كان يكتب، وقد بوّب لها البخاري في صحيحه في كتاب المناقب "باب علامات النبوة". ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، وجملت رواية الصحيحين في سياق واحد عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانيا (عند مسلم: كان منا رجل من بني النجار) فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب

للنبي ﷺ فعاد نصرانيًا (وعند مسلم: فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب قال: فرفعوه) فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له؛ (وعند مسلم: قالوا: «هذا قد كان يكتب لمحمد فأعجبوا به». (وفي رواية الإسماعيلي كان يقول: "ما أرى يحسن محمد إلا ما كنت أكتب له")؛ فأماته الله فدفنوه (وعند مسلم: فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم) فأصبح وقد لفظته الأرض (وعند مسلم: قد نبذته على وجهها) فقالوا: "هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم (في رواية الإسماعيلي: لما لم يرض دينهم") نبشوا عن صاحبنا فألقوه "فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: "هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه" فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه (وعند مسلم فتركوه منبوذًا). أخرجه البخاري (٣٦١٧) ومسلم (٢٧٨١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الصارم المسلول، ص٢٣٣) معلقًا على القصة: "فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مرارًا، وهذا أمر خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذبًا، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا وأن الله منتقم لرسوله ﷺ ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه، ولكذب الكاذب إذا لم يمكن للناس أن يقيموا عليه الحد". ا.هـ.

الحادث الذي ذكره القاضي عياض في (الشفاء، ٢ / ٢١٨) قصة عجيبة لساخر بالنبي ﷺ وذلك أن فقهاء القيروان وأصحاب سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ، فأمر القاضي يحيى بن عمر بقتله وصلبه. فطعن بالسكين وصلب منكسًا، ثم أنزل وأحرق بالنار، وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع، وكبر الناس، وجاء كلب فولغ في دمه.

القصة الثالثة يرويها ابن كثير في (البداية والنهاية، ١٤ / ٢٨٦) عند أحداث سنة (٧٦١هـ) ما نصه: "وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بالحديد، على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ، فرفع إلى الحاكم المالكي وادعى عليه فأظهر التجابن، ثم استقر أمره على أن قتل قبحه الله وأبعده ولا رحمه.

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زبالة، على ما صدر منه من سب النبي ﷺ ودعواه أشياء كفرية وذكر عنه أنه كان يكثر من الصلاة والصيام، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين، وفي حق النبي ﷺ، فضربت عنقه أيضًا في هذا اليوم في سوق الخيل ولله الحمد والمنة.

وعبرة رابعة كانت السبب في تأليف كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - قصة ذكرها تلميذه ابن كثير في (البداية والنهاية، ١٣ / ٣٥٥). فقال: واقعة عساف النصراني: كان هذا الرجل من أهل السويداء، قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ، وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حجي أمير آل علي، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب السلطنة فكلماه في أمره، فأجابهما إلى ذلك، وأرسل ليحضره، فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس، فرأى الناس عسافًا حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم - يعني النصراني - فرجمهما الناس بالحجارة، وأصابت عسافًا ووقعت خبطة قوية، فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضربهما بين يديه، ورسم عليهما في العذراوية، وقدم النصراني فأسلم، وعقد مجلس بسببه، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة، فحقن دمه. ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما. ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريبًا من مدينة رسول الله ﷺ، قتله ابن أخيه هنالك، وصنف الشيخ تقي الدين بن تيمية في هذه الواقعة كتابه الصارم المسلول على ساب الرسول. ا.هـ.

وعظة خامسة لشيخ الإسلام الجليل ابن تيمية في (الصارم المسلول) يذكر من التجارب بخصوص سب النبي ﷺ فيقول:

«ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدن التي بالسواحل الشامية، لما حصر فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه، تعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا: حتى إنا كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا بما قالوه فيه.

وذكر الكتاني في ذيل مولد العلماء (١ / ١٣٩) أنه ظهر في زمن الحاكم رجل سمى نفسه هادي المستجيبين

وكانوا يدعون إلى عبدة أحكم وحكى عنه أنه سب النبي ﷺ وبصق على المصحف فلما ورد مكة شكاه أهلها إلى أميرها فدافع عنه واعتذر بتوبته فقالوا: مثل هذا لا توبة له! فأبى فاجتمع الناس عند الكعبة وضجوا إلى الله فأرسل الله ريحا سوداء حتى أظلمت الدنيا ثم تجلت الظلمة وصار على الكعبة فوق أستارها كهيئة الترس الأبيض له نور كنور الشمس فلم يزل كذلك ترى ليلا ونهارا فلما رأى أمير مكة ذلك أمر بهذا المستحيين، فضرب عنقه وصلبه

وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبا فصيحا مفوها أراد أن يثني على أحد كبار المسئولين لأنه احتفى بطه حسين فلم يجد إلا التعريض برسول الله ﷺ.. فقال في خطبته جاءه الأعمى فما عبس وما تولى!! - قال الشيخ أحمد: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي - بعد بضع سنين وبعد أن كان عاليا منتفخا مستعزا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء - رأيته مهينا ذليلا خادما على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار!!

ومن صور حماية الله لنبيه ﷺ وكفايته إياه استهزاء المستهزئين أن يصرف الشتيمة والذم والاستهزاء إلى غيره.. فإذا بالشاتم يريد أن يشتمه فيشتم غيره من حيث لا يشعر!!

قال ﷺ: ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد! (البخاري) قال ابن حجر (الفتح ٦ / ٥٥٨): كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم مصروفا إلى غيره!

وهذه زينب بنت الحارث جاءت للنبي ﷺ بشاة مشوية دست فيها سما كثيرا فلما لاك النبي ﷺ منها مضغة لم يسغها وقال: إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم، ثم دعا باليهودية فاعترفت. فانظر كيف كسر الله السنن الكونية من جهتين: أولاهما: أنه لم يتأثر ﷺ بالسم الذي لاكه، وثانيتهما: أن الله أنطق العظم فأخبره عليه الصلاة والسلام بما فيه.

ومن صور الكفاية الربانية لنبي الهدى ﷺ ممن آذاه أن يقذف الله في قلب هذا المؤذي المعتدي الإسلام فيتوب ويترب حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين!!

مواكب الشوق إلى بيت الله الحرام



الأيام والليالي تختلف في معانيها ومبانيها، فهذه أيام صيف وتلك أيام شتاء وهذه أيام حكم عادل وتلك أيام مقسطات.

ها هي الأيام المباركات في الأشهر المعلومات التي يقول الله تعالى فيها

﴿ الحج أشهر معلومات ﴾

(البقرة ١٩٧)

تتعاقب وتتتابع. وكأنها يسوق بعضها بعضا، مضى شوال ومن بعده ذو القعدة لنطل هنا ويطل السعداء المحظوظون هنالك في الديار المقدسة على هذه الأيام المباركات العشر الأول من شهر ذي الحجة إنها أيام لها في دين الله تبارك وتعالى شأن عظيم وذكر كريم فيها يحمد السعداء المحظوظون مسراهم وينتهون إلى البلد الحرام بعد سفر طال ونزول وارتحال وركوب لمراكب الشوق إلى بلد الله الحرام فلا تراهم هنالك إلا عاكفين حول الكعبة التي يقول الله تعالى فيها

﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾

(المائدة ٩٧)

ولا تراهم إلا ساعين يتمثلون أمنا هاجر والأسى يعتصر قلبها وهي تجد وتجتهد ساعية من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا في سبعة أشواط عليها تجد دلالة أو إشارة إلى ماء تعود به إلى ابنها الصغير إسماعيل عليه السلام والظمأ يصيبه والعطش يكاد يهلكه.

ثم ترى الحجيج بعد ذلك مصلين مكبرين مهللين شاكرين فضل الله الذي وفق حطاهم وبلغهم أملهم ومناهم فلولا الله عز وجل ما اهتدى مهتد ولا صلى مصل، ولولا الله عز وجل ما أحسن محسن ولا اجتمع ذلك العدد العديد القادم من شتى بلاد الله عز وجل وهم على ميعاد في علم الله عز وجل يوم قال لإبراهيم عليه السلام

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٢٧، ٢٨)

لقد لبت أرواحهم، وها هم في مكة حالهم بين طواف وسعي وبين صلاة وتهليل وتكبير وعزاء بذلك البلد الذي أقيم فيه أول بيت لله تبارك وتعالى على أرض الله حيث يقول تعالى شأنه، في حديثه وفي فضائله

كما قال تعالى

[illegible]

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

وبالشرف بيت يكون أول بيت أقيم على أرض الله لتوحيد الله تبارك وتعالى وفيه من المعالم والآثار ما علم لنا منذ أقام قواعده إبراهيم وإسماعيل بأمر الله عز وجل:

[illegible]

(البقرة: ١٢٧)

ذلك البيت أراد له الله سبحانه وتعالى مكة بلداً وحدد في مكة موضعه ومكانه قال تعالى

[illegible]

(الحج: ٢٦)

وفي ذلك البلد وفي ذلك البيت يمنح الله تعالى أمنه لقاصديه للحج والعمرة، وفي ذلك البلد ولد سيد الكائنات محمد ﷺ ودرج وشب على ثراه الطهور وعلمه الله عز وجل ما لم يكن يعلم [illegible] بالهدى ودين الحق. كما قال تعالى

[illegible]

(النساء: ١١٣)

كما قال تعالى

[illegible]

(الأنبياء: ١٠٧)

في هذه الأيام العشر الأوائل من ذي الحجة يطوف ويسعى الحجاج والمعتمرون وتنتهي أعمال العمرة ويتحلل [illegible] من العمرة ويظلون في خيامهم [illegible] إلى يوم التروية وفي ذلك اليوم يلتقي الذين انتهوا من عمرتهم ثم أحرموا بحجهم، والذين أهلوا من أول الأمر بالحج مفرداً، والذين أهلوا في أول الأمر بالحج قارناً، يلتقون في يوم عرفة، وما الحج عرفة، والوقوف بعرفة ذلك المشهد الذي يجتمع فيه الحجيج جميعه لا يغيب عنهم واحد كما لم يجتمعوا في منسك من مناسك الحج الأخرى، يجتمعون على ثرى عرفات ويباهي بهم ملائكته رب الأرض والسموات.

وقد روى ابن خزيمة، وابن حبان والبزار وأبو يعلى والبيهقي عن جابر رضي الله عنه، مرفوعاً (ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: أنظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوماً أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة).

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، إنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء).

نعم فلم ير يوم أكرم ولا أعز ولا أكثر عتقاً من النار من ذلك اليوم!!

إنه يوم عرفة الذي يطل منه المسلمون على يوم النحر على يوم عيد الأضحى [illegible] يبدأه وفد الله عز وجل برمي جمرة العقبة [illegible] يصيرون فيه متحللين [illegible] [illegible] الأكبر، [illegible] رضي الله [illegible] [illegible] ما شرع الله بين الأرواح من صلات، إنه يوم عرفة الذي يطل منه المسلمون على يوم النحر الذي هو [illegible] ذي الحجة وفيها يقول نبينا صلوات الله وسلامه عليه:

(ما من أيام [illegible] أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعني الأيام العشر [illegible] ولا الجهاد في سبيل الله [illegible] ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء).

إنها هبات وأعطيات ومنح ربانية لأكرم وفد لضيوف الرحمن؛ ولقد أسأل وتسألون [illegible] في كل قطر من الأقطار ودار من الديار من أولئك الإخوة الذين لم يتح لهم حج بيت الله هذا العام. إن لهم شأناً كبيراً وحظاً عظيماً في هذه الأيام العشر من ذي الحجة، [illegible] كما علمتم يضاعف أجره، فعلينا ونحن [illegible] وعلى الإخوة الذين لم يقدر لهم أن يكونوا [illegible] ضيوف الرحمن،

عليهم أن يتنافسوا في الخيرات وأن يتسابقوا إلى الصالحات وأن يشمروا عن سواعدهم في الجد في الطاعة والجد في الضراعة والجد في ذكر الله تبارك وتعالى صلاة وصياماً وصدقات وتودداً للجيران وتواصلاً بين الأهل والعشيرة، وتوسعة على العيال، [illegible] سبحانه وتعالى، وقبولاً للنصيحة التي تسدى إليهم، وإسداء للنصح إلى إخوانهم، إننا في هذه الأيام العشرة الأوائل من ذي الحجة ننتظر أجر الله عز وجل، بل إننا ننتظر [illegible] الله عز وجل بمقدار توفرنا على الطاعات وحرصنا على موجبات رضا الله تبارك وتعالى؛ لعل ذلك [illegible] ذلك نكون في مشاركة وجدانية عملية لوفد الرحمن ولضيوف الرحمن هنالك. إنهم هنالك في أشرف البقاع ونحن هنا على حرص المؤمن أن يكون مع الله عز وجل بذكره وطاعته وصالح أعمالنا لنكون مع وفد الرحمن وضيوفه سبحانه وتعالى بقلوبنا وبمراقبتنا وبحرصنا على مرضاة الله تبارك وتعالى، وبذلك يجزل الله الأجر، ويعظم الذخر الذي نجده عند ربنا يوم القيامة خيراً وأعظم أجراً، وبارك الله لكم في عيد الأضحى الذي يذكرنا بالذبيح الأول إسماعيل عليه السلام بعد أن قضى الله لنا عيد الفطر في أعقاب فريضة الصوم فنكون في العيدين وإخواننا كعين وأختها، وكف ومعصم، متواصين بالحق ناصرين له على كل حال، فبذلك نسود ونسعد ونكون أهلاً لخيرات ربانية توجب الحمد والشكر لمانح الخير ومفيض النعم ربنا ورب كل شيء.

تحية المقام النبوى ومناجاة الرسول



للإمام محمد الخضر حسين

من قصيدة ألقاها أمام المقام النبوى سنة ١٣٢٦هـ

أحييك والآماق ترسل مدمعا ... كأنى أحدو بالسلام مودعا[1]

وما أدمع البشرى تلوح بوجنة ... [illegible]

وقفت بمغنى كان يا أشرف الورى ... لطلعتك الحسنى مصيفا ومربعا[2]

فذا موقف لا مست فيه بأخمصى ... [illegible]

وذلك مرقى كنت تصدع فوقه ... بما حاز فى أقصى البلاغة موقعا

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

تخاذل حال المسلمين وما أتى ... من الخطب فى أرجائهم وتجمعا

وما شأننا إلا كعقد تناثرت ... [illegible]

فهذا يحاذى فى قضاياه نزعة ... تخط وراء الحق للناس مرتعا[6]

وهذا يصوغ القول فى قالب يرى ... [illegible]

وذاك ينادى بالضلالة [illegible] ... [illegible]

وثمّ على الآذان نومة جاهل ... بما يضع المستيقظون لتصرعا



[illegible] ... [illegible]

ولم نستفق للقوم إذ كل انتضى ... [illegible]

ولم نستفق للقارعات وقد دنت ... إلى مهجة الإسلام حتى تصدعا[9]

وفى الناس من حالت الأيام مصدره ... فجرد أفراس الجهاد وأقلعا[10]

[illegible] ... تزل بأعلام وتونس بلقعا[11]

فقام على حد يهيب بقومه ... ليرقا فتقا أو يشيد مصنعا[12]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... ولم يكشفوا عن مبسم الحق برقعا[14]

تجليت فى شعب جرى فى عروقه ... [illegible]

تجليت والبغضاء تشوى صدورهم ... [illegible]

[illegible] ... إلى أن علوا فوق السماكين مطلعا[16]

عليك سلام الله ما أنجم الحيا ... [illegible]

---

(١) الآماق جمع الموق مجرى الدمع من العين.

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

(٧) [illegible] ... (٨) [illegible]

(٩) [illegible] ... (١٠) [illegible]

(١١) [illegible]

(١٢) [illegible] ... (١٣) [illegible]

(١٤) [illegible]

(١٥) [illegible]

(١٦) [illegible]

الإساءة إلى رسول الله ﷺ جهل بالمثل الأعلى للإنسانية

أ.د. محمد فتحى فرج بيومى
كلية العلوم - جامعة المنوفية

باتت محاولات تشويه صورة الاسلام والمسلمين عند الاخرين في الأدبيات الغربية. أمرا شائعا. لاسيما بعد احداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١. بيد أنها بلغت ذروتها. بل وتعدت خطوطها الحمراء والسوداء وكل الالوان. منذ سنوات قليلة بنشر تلك الرسوم الكاريكاتورية الصبيانية الدانمركية والغربية. التى تعمد فيها صانعوها. الاساءة إلى سيد الخلق اجمعين. والمبعوث رحمة للعالمين. سيدنا وسيدهم. بلا شك. رسول الله. محمد بن عبد الله ﷺ الى يوم يبعثون. يوم يذوقون جزاء ما يمكرون ويعبثون. والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون. فمحمد ﷺ هو المثل الاعلى للانسانية. في أسمى معانيها. ولذلك فقد وصفه ربه بقوله تعالى:"

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤

تيرى جونز وصبيانه الخونة

[illegible]. وفي ذكرى حادي عشر من سبتمبر (٢٠١٢)، يتعاون القس الأمريكي الأخرق تيرى جونز مع مجموعة قليلة من أقباط مصر التى لا يشرفها انتماؤهم إليها في إنتاج فيلم سيء إلى نبي الإسلام ﷺ لدى لا يعبره ولا يغير المسلمين هذه الأعمال الصبيانية العبثة

كل البعد عن جوهر أي دين من الأديان التى تكرم الإنسان بوصفه إنسانا، ناهيك برسل الله الذين بعثهم الله لهداية البشر، وتكريس قيم الخير والحب والعدل والسلام على هذه الأرض للبشر أجمعين.

وهذه ليست أول مرة يتعرض فيها تيرى جونز للإساءة إلى الإسلام ونبيه الكريم. فمنذ وقت قصير مزق هذا القس المتعصب الملعون المصحف الشريف أمام أجهزة الإعلام، ولكن الجديد هذا العام هو تعاون بعض الشخصيات من أقباط المهجر الأمريكي في هذا "الشو" الإعلامي الذي لن يقدم أو يؤخر، بل قد يؤدي إلى تعرف الكثيرين من مسيحيي العرب إلى الإسلام وعظمته وسماحته وتدعوهم إلى واحته ورحمته

ولهذا، فلا ينبغي أن ننساق وراء هذا الحدث الشاذ، وننطلق عنه "الطعم" السام، خصوصا بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، ويقوده بردود أفعال غير محسوبة، تجاه إخوتنا من أقباط الوطن الشرفاء، الذين تأثروا كثيرا بهذا الفعل المشين، وشجبوه واستنكروه ومن فعله أو شارك فيه، قبل إخوانهم المسلمين.

ذكرينات لمستهزئين

وهذه الظاهرة ليست جديدة. فالكيد للإسلام ورسوله الكريم ﷺ من قبل المغرضين والقلوب الحاقدة سابقة مع بداية الدعوة الإسلامية. وقد كفاه ربه هذه المكائد وهذه الصور الصبيانية من السخرية والاستهزاء حتى قال تعالى في قرآنه الخالد:

﴿ [illegible] ﴾

الحجر ٩٢-٩٦

بل إن الله تعالى قد ينصر نبيه ورسالته السمحاء بغير المسلمين، فهذا عمه أبو طالب، فعلى الرغم من أنه أبى أن يدخل حظيرة الإسلام، فقد سخره الله تعالى لرعاية النبي ﷺ قبل بعثته، وقد يقول قائل رجل يرعى ابن أخيه الطفل اليتيم الضعيف، فنقول: إن أبا طالب ظل أيضا راعيا ونصيرا لمحمد ﷺ حتى بعد بعثته ﷺ واستمر أبو طالب على الكفر.

جوهر الاسلام

لقد جاء الإسلام - دين الوسطية والسماحة والحرية والعدل - بمبادئ رفيعة راقية، لتصوغ المسلم قلبا وقالبا، وروحا وجسدا، وخلقا وسلوكا، بشكل يجعله يحلق في الأفق الأعلى، حتى إنه يبدو في صورته المثلى الكاملة، ترجمة حية لآيات القرآن العظيم. على نمط خلق الرسول الكريم ﷺ، وهو ما أشارت إليه زوجه السيدة عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - حينما سئلت عن خلق الرسول ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»، فهذه الصياغة القرآنية، كما يقول الأستاذ محمود الشرقاوي[1] - رحمه الله - تجعل المسلم طاقة كونية فعالة مهيمنة وموجهة لكل شيء، طاقة عزيزة أبية، لا تذل ولا تضعف، ولا تهن ولا تحزن. تواجه الأحداث في ثقة. وتجاهد في قوة ويقين، وترفع رأسها في عزة، ولا تستسلم لرهبة أو رغبة، متمثلة قول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

محمد ٢١-٢٠

(١) [illegible]

أما مشروعية الاستعانة العادلة في وجه من ثاروا هذه الموجات الصليبية الطائشة، حتى ينتهوا من ضلالهم وسماجتهم، ويعلنوا أسفهم وتوبتهم، من أن يعودوا مرة أخرى فيأتي من قول الله تعالى:

﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾

المجادلة ٢٢

وفي أسباب نزول هذه الآية قال ابن جريج: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "أو فعلته؟"، قال: نعم، قال: "فلا تعد إليه"، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية[2].

وشهد شاهد من أهلها

ومن الذين ذكروا رسولنا الكريم بما يجب أن يسمع كثيرون، ينتمون إلى كل بلاد الدنيا، شرقا وغربا، سواء في مؤلفاتهم أو حواراتهم. فمنهم الإنجليز مثل الكاتب والناقد والمؤرخ الشهير توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) Thomas Carlyle صاحب كتاب "الأبطال وعبادة البطولة" Heroes and Hero-Worship، الذي ضمنه فصلا كبيرا عن سيدنا محمد ﷺ تحت عنوان "البطل في صورة رسول" وقد ترجم هذا الكتاب المرحوم الأستاذ محمد السباعي والد أديبنا الكبير المرحوم الأستاذ يوسف السباعي، أصدرته مؤسسة دار الهلال في سلسلتها الشهرية "كتاب الهلال"، أما الفصل الخاص بسيدنا محمد ﷺ فقد ترجمه، نظرا لأهميته، ترجمة عصرية، المرحوم الأستاذ علي أدهم.

ومما ذكره كارليل في معرض دفاعه عن النبي ومهاجمته خصومه قوله: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين، من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور. فقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون[3] من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا. أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها، وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء، أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا. ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة، كان الأولى بها ألا تخلق. فوا أسفاه! ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة. وبعد: فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء، فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهي دليل على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح في حياة الأبدان، ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا الرأي وألأم. فالرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتا من الطوب فكيف يبني دينا؟ وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا وينشره. عجبا والله![4]

أما عن براءة محمد ﷺ من الشهوات فيقول كارليل: «وما كان محمد أخا شهوات، برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا، وشد ما يجور ويخطئ إذا حسبناه رجلا شهويا، لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا. فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت. لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار. وإنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن الطعام، عابد لله قائم النهار، ساهر الليل، دائبا في نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت، رجل عظيم وربكم، وإلا فما كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما وإكبارا وإعظاما، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله. لقد كان في هؤلاء العرب جفاء،



كارليل

وغلظة، وكانوا حماة الأنوف، أباة الضيم، وعر المقادة صعاب الشكيمة، فمن قدر على رياضتهم، وتذليل حواشيهم حتى رضخوا له واستقادوا لحكمه وإنه لبطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل، لما خضعوا له ولا أذعنوا وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه».

ثم يقول: «وظني أنه لو كان أتيح لهم مثل محمد قيصر من القياصرة، بتاجه وصولجانه، لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد، في ثوبه المرقع بيده، فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال»[5].

ومن هؤلاء الإنجليز أيضا المؤرخ والفيلسوف الكبير برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) الذي قال: «لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام، فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد، والتي حفل بها كتابه (يقصد القرآن الكريم)، مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها، وكان محمد بتعاليمه وكتابه، أحق بكل الجوائز. لكنه لم يسع إلى ذلك، وترك الأمور تسير بطبيعتها، حتى لا يتهم بأن الإسلام، بالسيف ساد وانتشر، وهذا ما يفعله المفكرون الآن، أمام فكرهم المردي،

---

(٢) السيوطي: مسند الفاروق.

(٣) الآن نحو حوالي مليارين من البشر.

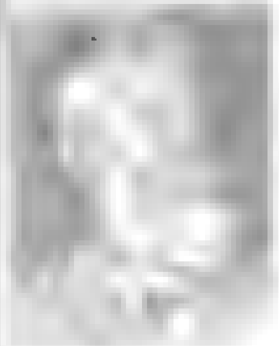
(٤) توماس كارليل (١٩٩٣)، محمد المثل الأعلى، تعريب محمد السباعي (وهو فصل من كتاب كارليل الأبطال وعبادة البطولة) مكتبة الآداب بالقاهرة، ص ١١

(٥) المصدر السابق، ص ٤٩

فما دمنا نتمتع بفكر السماء، الذي جاء به محمد للإنسانية[6].

وهذا هو الأديب الإنجليزي والمسرحي الساخر برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠)، حتى كان محل احترام مواطنه الإنجليزي الفيلسوف الكبير برتراند راسل. وذلك برفضه أن يكون أداة لتشويه صورة نبي الإسلام محمد - عليه الصلاة والسلام، بل إن هناك من يؤكد أنه ألف كتابا بعنوان "محمد"، أحرقته السلطات البريطانية يقول فيه: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد... فإنني قد اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة.. وأنه يجب أن يسمى منقذ الإنسانية.. وفي رأيي أنه، لو تولى أمر العالم اليوم لوفق، في حل مشكلات بما يؤمن من السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها»[7].

أما المستشرق المعروف ادوارد وليم لين (١٨٠١-١٨٧٦) Lane. W. E الذي أحب مصر ومكث بها ثلاث سنوات تعلم فيها العربية، وعتنق الإسلام فاسمه وتسمى باسم "منصور"، كما يذكر الأستاذ أحمد حامد في كتابه "الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء". ثم عاد الرجل إلى بلاده عاقدا العزم على أن يؤلف كتابا عن المصريين المعاصرين عام ١٨٣٣ ومكث بها عامين آخرين ليصدر عام ١٩٣٦ ذلك الكتاب بعنوان: Manners and Customs of the Modern Egyptians، وقد ترجمه الأستاذ عدلي طاهر نور بعنوان: "المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم" وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠، والثانية عام ١٩٧٥، وقد أعادت هيئة قصور الثقافة نشره طبعه عام ١٩٩٨، في جزءين، في سلسلة "ذاكرة الكتابة".


برنارد شو

ثم قام لين بترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة"، وقد وجد نفسه أخيرا مهيأ لعمل معجم عربي عن اللغة العربية، على النسق العربي، شرح فيه المواد العربية باللغة الإنجليزية، فأمضى في إعداده بقية حياته، ومن مؤلفاته أيضا "المجتمع العربي في العصور الوسطى: دراسات مستخلصة من ألف ليلة وليلة".

وعن الأخلاق العربية وتأثرها بالنبي ﷺ يقول إدوارد لين: «الشمائل المحمدية راسخة في عمق الأخلاق العربية، حيث استطاع محمد ﷺ أن يؤثر برسالته، ليغير من الجذور، الأخلاق التي كانوا عليها قبل الإسلام، لتصبح أخلاقا عربية إسلامية يطلق عليها "الأخلاق العربية". فالأخلاق التي كان عليها الرسول الكريم - قبل وبعد الرسالة - أصبحت كل شيء عاشته وتعيشه الجزيرة العربية، والعرب عامة، والمسلمون كافة. وما وجدت سوى هذه الأخلاق أرفع ولا أعظم ولا أبدع. فعلا، ما كان ينطق عن الهوى، والذين يحاولون طمس الخلق المحمدي، ما هم إلا جهلة على الصعيد العلمي. فالنبي محمد ﷺ جاء بالأخلاق، وهي أخلاق عاشت، وستظل إلى يوم البعث والقيامة. ولن يستطيع المغرضون المكذبون، ... الإسلام، منه شيئا، وسيظل الإسلام ... بقرآنه والنبي محمد، رغم أنف المكذبين».

ثم يقول إدوارد لين: «الإسلام هو الدين الذي جاء، ليهدي العالم الطريق إلى حياة أفضل».

وعن تجربته يقول ادوارد لين أو الشيخ منصور: «الذي يقترب من الإسلام يقترب منه الإسلام فيضفي عليه جلالا ووقارا. فالإسلام رغم أنه عبادة عظيمة فهو، بقرآنه الكريم، يحمل كل العلوم في هذا الكتاب الإلهي، وكنت أود أن أعرف مكنونات القرآن الكريم، لكني رغم بحثي الطويل ما وصلت إلا قليلا، وليت الذين يبحثون ويدرسون بحب، كتاب الله الكريم، يتوصلون، الواحد بعد الآخر، إلى اللغز القرآني الذي لا يمكن أن يفكه إلا ... بعناية الله».

أما سير وليم موير فهو اسكتلندي، درس الحقوق في جامعتي أدنبره وجلاسجو، وقد تدرج في المناصب العلمية حتى أصبح رئيسا لجامعة أدنبره، يقول موير في كتابه "سيرة النبي": «من صفات النبي الجديرة بالتنويه والإجلال، الدقة والاحترام، اللتان كان يعامل بهما أتباعه، حتى أقلهم شأنا، وحينما نصف الرسول محمد، بهذه الصفات العظيمة، فإننا بذلك نصف الإسلام، ونقدره، ونوقره، ونحترمه. ولقد امتاز محمد بوضوح كلامه، وسهولة دينه، ولقد أتم من الأعمال ما لم ولن يستطيعه مصلح اجتماعي. فقد أحيا محمد الأخلاق، وحث على الفضيلة، ورفع شأنها في زمن قصير، لم يسبقه ولم يلحقه أحد غيره، وهذا حال الأنبياء والرسل حينما يربيهم الله، ويرسلهم برسالة حق. كما أرسل محمدا بالإسلام، حقيقة وحق يختم الرسالات وأيضا ليختم الأنبياء»[9].

هذا شطر مما قاله بعض أرباب الفكر، وحملة أمانة الكلمة، من فلاسفة وأدباء ومؤرخين وعلماء الغرب ... ثم نذكر في هذه العجالة بعض الأسماء الأخرى مثل هاملتون جب، وريتشارد بيرتون، ... وبيكنسون، وغيرهم كثيرون.

أما الفرنسيون فمنهم: روسو وفولتير ونابليون وجوستاف لوبون وماسينيون وجاك بيرك وكثيرين غيرهم. وهناك أيضا الألمان مثل جوته وبروكلمان وشاخت وهونكه وغيرهم كثيرون، وهناك أيضا الكثيرون من أمريكا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا وروسيا والهند واليابان وغيرها من دول العالم، شرقا وغربا، ممن عرف قدر رسولنا محمد ﷺ ووضعه في الموضع اللائق به كنبي عظيم ورسول كريم، وهؤلاء هم الذين يعتد بقولهم ويسمع لقولهم. حيث عرفوا الحق وشهدوا به حقا وصدقا. وليس ... وصيته، وهو ما يجب علينا أن ... وننبه للعالم كله.

(6) أحمد حامد (١٩٩١)، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، دار الشعب بالقاهرة، ص ١٧

(7) مجلة التيار، القاهرة، العدد التاسع عشر، ص ٣٢

(8) المصدر السابق رقم ٦، ص ٤١

(9) المصدر السابق، ص ...

من أسرار البيان النبوى في خطبة حجة الوداع

قال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع: الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه. ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. وان محمدا عبده ورسوله اوصيكم، عباد الله، بتقوى الله واحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير.

أما بعد أيها الناس: أسمعوا منى أبين لكم، فإني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا في موقفى هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية[2]، والعمد قود[3]، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إنما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض منها أربعة: ثلاث متواليات ورجب فرد: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

وإنما النساء عندكم عوان[4] لا يملكن لأنفسهم شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون أخوة، ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنى قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير، ليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، قالوا: نعم قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز وصية لوارث في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر[7].

من ادعى لغير أبيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[8].

وفى خطبة حجة الوداع تتجلى معالم البيان النبوى، وتتألق أبعاده، فخطبة [illegible] يتدبر في عصرنا الحديث، وما أحوجنا إلى تأمل النماذج [illegible] من هذا الفن الأدبى الراقى فن الإلقاء وفن صياغة الكلمة صياغة [illegible] في المتلقى [illegible] وتثير انفعالاته، وتقنع عقله، وتشبع

(١) [illegible]

(٢) السدانة: خدمة الكعبة، والسقاية: سقاية الحجاج.

(٣) العمد: القتل العمد، والقود: قتل القاتل بمن قتل.

[illegible footnotes]

عظمة!!!

وحين نتأمل هذه الخطبة نجد كثيرا من الأساليب المعبرة بالأمداد، والمتعلقة بأدق أسرار لغتنا العربية الفصحى لغة القرآن الكريم.

والخطبة تبدأ بمقدمة حرص الرسول على ذكرها كثيرا في افتتاح خطبه، وهذه المقدمة تعد صورة صادقة لمكونات الشخصية الإسلامية، وتبيانا لعلاقة المسلم بالله والكون والإنسان ومن هنا تأتي المقدمة في «الخطبة الإسلامية» عن الرسول المصطفى، وحسن الربط فيما ورد في المقدمة يعد من أدق صفات وسلوكيات المسلم.

فالمقدمة تعلن عن خمسة مبادئ إسلامية تحدد علاقة المسلم بربه وهي الحمد، الاستعانة، الاستغفار، التوبة، الاستعاذة.

وقد وردت هذه المبادئ في صيغة الجمع المتكلم لتوحي بأنها حالة شعورية صافية يموج بها الوجدان الإسلامي كله، وعلامة على علاقة ثابتة بين المسلم وربه. في إطار هذه المبادئ، وزمن هذه المبادئ حين تتحول إلى النسبة المعنوية - مراد قد صيغ في قالب المضارعية. وفي ذلك إيحاء بتجدد هذا الشعور واستمراره لدى هؤلاء المؤمنين في كل زمان ومكان. يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا».

والإقرار بالتوحيد يأتي في ختام المقدمة ليصبح سمة من سمات الخطبة في الإسلام ويميزها عن الخطبة الجاهلية، فشهادة التوحيد هي مفتاح الجنة، وبرهان الإيمان.

والخطبة دستور إسلامي متكامل بين فيه الرسول عليه الصلاة والسلام موقف الإسلام من التقاليد والعادات الجاهلية، وهو موقف الرفض ما عدا خدمة الكعبة وسقاية الحجيج.

ثم بين الرسول عليه الصلاة والسلام الأحكام التشريعية بتنظيم المجتمع الإسلامي فيما يتعلق بالحقوق والواجبات.

ثم يحدد العلاقة بين الرجل والمرأة ويوحي بضرورة تحقيق المساواة وتقرير المسلمين والعمل على تحقيق الأخوة فيما بينهم ومعيار هذه الأخوة هو العدالة والحفاظ على حدود الله، ويخص النبي عليه الصلاة والسلام ليبرئ بذلك - لأنه باب التناحر والشقاق حين يخالف الناس في شرع الله عز وجل.

وهذه القيم الإسلامية يصوغها الرسول عليه الصلاة والسلام في أسلوب سهل واضح مبين، لا عوج فيه ولا التواء، إنه كما قال الجاحظ «كلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وألقى الله محبة عليه، وغشاه بالقبول وجمع بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام».

وقد فاضت هذه الخطبة بالأسرار التعبيرية والقيم الجمالية والأساليب الموحية، ومنها:

أولاً النداء:

وقد تكرر النداء في الخطبة ثماني مرات، ويتمثل هذا الأسلوب في قوله عليه الصلاة والسلام «أيها الناس» والنداء هنا يكشف عن حرص المصطفى عليه الصلاة والسلام على هداية العالمين جميعا، ولذلك جاء التعبير بلفظ «الناس» فالإسلام دين البشرية جمعاء؛ قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

وبين كل نداء ونداء يبث السراج المنير شعاعا من نور الحق ليضيء به دروب النفوس التي أظلمت قرونا عديدة. ويظل النداء ساريا في ضمير الأجيال المؤمنة عبر القرون المتعاقبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: التكرار:

ويمتزج التكرار بالنداء في قوله: «أيها الناس» كي يوقظ الحواس الغافية والقلوب الغفل، والآذان الصم.

ويمتزج التكرار بالتوكيد في قوله عليه السلام: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» وتكرار اسم الإشارة يفسر لنا حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على حرمة الأماكن المقدسة؛ وثمرة ذلك الحرص المحافظة على أمن البلد الأمين واستقراره بما فيه من أناس وطير وشجر وحيوان من خلق الله.

وبتكرار اسم الإشارة في موضع آخر للدلالة على التعظيم والتحديد وأيضا لتنبيه المخاطبين إلى اكتمال الرسالة وبلوغها الدرجة المثلى.. وكأنها تهيئة نفسية للمسلمين من أجل ألا يجزعوا حين يلقى المصطفى ربه راضيا مرضيا.. إنه يقول: «اسمعوا مني أبين لكم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا».

ويكرر المصطفى عليه الصلاة والسلام قوله: «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد» ست مرات في خطبته الرائعة، وهو بهذا التكرار يلقي على المسلمين عبء المسئولية ويشهد عليهم الحق سبحانه وهو خير الشاهدين، وهذا التكرار يأتي في قالب الاستفهام المثير للانتباه، والراصد للمشاعر المؤمنة، التي لن تجيب إلا بالقبول والإقرار. ومن هنا تكون الحجة على المخالفين المعاندين، قال تعالى:

﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ (التوبة: ١٢٩)

ثالثاً: التوكيد:

ويتكرر التوكيد في هذه الخطبة تسع عشر مرة، والمؤكدات هنا أداتها حرف «إن» أو «أن» وكثرة التأكيد له علاقة بمدى أهمية الأمر المؤكد، وأي أهمية أكبر من إقامة المجتمع الإسلامي على دعائم الحق والخير والعدالة والمساواة والتآخي. فقوله عليه السلام: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا

ربكم، تأكيد للمحافظة على النفس والمال. وقوله: «إن ربا الجاهلية موضوع»، تأكيد لرفض السياسة الجاهلية الاقتصادية مهما كان زمنها، وقوله: «إن دماء الجاهلية موضوعة»، تأكيد لرفض التصور الجاهلي للمحافظة على النفس أو الثأر لها. وقوله: «إن مآثر الجاهلية موضوعة»، تأكيد لرفض التصور الجاهلي لأسس التفاضل بين الناس. وقوله: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه»، تأكيد لوجوب مقاومة الشيطان بكل مغرياته وموحياته. وقوله: «إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق»، تأكيد لإقامة البنيان الأسرى على أسس عادلة ثابتة، وقوله: «إنما المؤمنون إخوة»، تأكيد لاستمرار حيثيات الأخوة وترجمتها إلى سلوك إسلامي، وقوله: «فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله»، تأكيد لوجوب الحرص على العمل بالكتاب والسنة حتى تكون النجاة من تيه الضلال وعماية الفساد.

إن القيم السابقة تعد معالم أساسية في حياة المسلم، وهي من جوامع كلمه ﷺ ولن تفقد معناها وخصائصها حين تنفصل عن كيان الخطبة الكلي. ومن هنا يختلف البيان النبوي عن غيره من بيان الخطباء والبلغاء والأدباء. فالحقائق توشيه والجمال يغشاه من جميع جوانبه، وهو كما قال ابن أبي هالة، حين سأله الحسن بن علي، عن منطق رسول الله عليه الصلاة والسلام: «يتكلم بجوامع الكلام فضلا لا فضول فيه ولا تقصير».

رابعاً: أسلوب الشرط والجواب:

ويتكرر هذا الأسلوب في الخطبة ثماني مرات: ومواضع ورود هذه الأساليب تشير إلى منهج الإسلام في الثواب والعقاب، فالجزاء من جنس العمل فلكل عمل صالح ثواب، ولكل عمل مخالف عقاب. فالسماع شرط التبيين في قوله عليه السلام: «اسمعوا مني أبين لكم».

والأمانة من أخص صفات المسلم ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها».

وجواب القسم هنا جاء في صيغة الطلب إعلاناً عن حتمية الأداء وعدم التهاون والتقصير في هذا الشأن.

وقد حسم الرسول عليه السلام قضية «التبني» في الإسلام حين قال: «من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل».

ومجيء هذه القضية في أسلوب الشرط والجواب يرشد إلى عظم الفرية ويفسر التركيب اللغوي تفاقم خطرها في خلط الأنساب، وتشويه صورة المجتمع الإسلامي، ولذلك جاء الجواب في أسلوب القصر، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

خامساً: التوازن:

وهذه الخاصية من سمات الأدب النبوي فهو يخاطب العاطفة قدر ما يخاطب العقل ولا يجور فيه الخيال على الحقيقة، ولا يطغى فيه الخصوص على

المعقول، ولا يتجه إلى قوم آخرين، ولا يخضع لمؤثرات بيئية. ولا لخصوصيات زمنية، إنه خطاب شامل للبشرية جميعها، وهي تستظل بظلال الإسلام في كل زمان وفي كل مكان، مهما اختلفت المجتمعات، ومهما تباينت الأجناس، وتعددت البيئات. فالتصور الإسلامي هو الدائرة التي يتحركون في فلكها، وهو منبع الخير والخصب، منبع العقيدة ومجرى السلوك ومصب الرؤى والإشراقات.

والتوازن في هذه الخطبة يتألق في مبانيها وفي معانيها، عبارة وفكرة وأداء جمالياً متدفقاً، وتتسق التراكيب من سمات ذلك التوازن. فالعبارات متسقة متوازنة كأنها صورة تعكس جمالها في توازنها، وتناسقها السوي، ففي مجال القيم نجد التشريع الجاهلي متطرفاً لا يمت إلى التوازن بكل أبعاده يقول المصطفى عليه السلام:

«إن ربا الجاهلية موضوع.. وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن أبي ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية».

فالتصور الإسلامي لقيم العصر الجاهلي محدد وواضح، وقد جاء التعبير عن ذلك التصور في بيان الرسول ﷺ متناسقاً في عباراته، متزناً في مبانيه، فصياغة الأحكام ومتعلقاتها جاءت في صور متشابهة من حيث البناء اللغوي، وقد اتحد خبر إن في الأحكام الثلاثة وهو لفظ «موضوع» ومعناه «ساقط ومحرم»، ودلالة هذا اللفظ تخالف ما تعاهد عليه المتحدثون بالعربية في العصر الحديث، وتوافق ما تعارف عليه رواة الحديث والشعر في قضية «الوضع والانتحال»، فيقولون: هذا حديث موضوع، وهذا شعر موضوع، أي غير صحيح النسبة إلى قائله.

.. ومن سمات التوازن في الأدب النبوي مطابقة الكلام للحقيقة. فهو ليس استعراضاً أسلوبياً، وليس زخرفة لفظية، وليس تهويماً في أودية الخيال ومسارح الظنون بل هو حقائق تلبس أردية الجمال والحكمة تتضافر فيها الأفعال والأقوال. فالمصطفى عليه السلام يقول: «إن ربا الجاهلية موضوع» ثم يوازن بين الحكم (القول) وبين القدوة (الفعل) فيبدأ بربا عمه العباس، فيسقط عن رقاب المدينين له رباه، وحين قال: «إن دماء الجاهلية» بدأ بعشيرته وأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.

فأي عدالة حاسمة بعد هذا؟ وأي توازن نفسي واجتماعي وسلوكي بعد هذا؟ وأي قدوة حسنة مضيئة مشرقة بعد هذا الذي أعلنه المصطفى عليه السلام؟

إن نكبة المسلمين في العصر الحديث تفاقمت أخطارها بسبب انفصال المسلمين عن واقع دينهم الحكم، فأصيبت شخصيتهم بالانفصام والازدواجية. وفقدوا خاصية «التوازن» فنعرض الكتاب والسنة في واد، وهم في واد آخر، فدونهم

فى صفوف أعدائهم ... ودورهم فى تكريس شتاتهم وتحويلهم شيعا لأسباب وطرقهم موغل فى متيه بلا ثبات.

وكان المصطفى عليه السلام ينادى في المسلمين ليوم، فيوصيهم بالتآخى والوئام والبعد عن التناحر والخصام ويناديهم فى خطبة الوداع. ... أيها الناس: إنما المؤمنين أخوة.. ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فلا ترجعن بعدى كفارا.. يضرب بعضكم رقاب بعض».

إن هذه الوصايا المحمدية تشخص الداء وتعطى الدواء الناجح المفيد، وهى تمثل حالات متعددة يمكن أن تحثه على رفع الوحدة الإسلامى. وبذلك تنوعت أساليبها وتنوعت تراكيبها اللغوية.. فهنا أسلوب النداء.. وبعده يأتى أسلوب القصر ليؤكد الأخوة الإيمانية الثابتة، وثباتها نطقت به اسمية الجملة: «إنما المؤمنون إخوة»، ويأتى النفى مقرونا بالفعل المضارع فى قوله: «لا يحل» إشارة إلى تجدد ذلك النفى واستمراره.. حيث يظل المال فى منطقة الحرمة لا يتعدى عليه سارق أو مغتصب أو مختلس أو محتال، ويأتى الاستفهام ... حجة على السامعين والمخاطبين فى كل زمان وفى كل مكان، ويأتى الدعاء وطلب الشهادة من الله. بعثا للرهبة فى النفوس التى يطوف بها الإثم، وتمكينا للطمأنينة فى النفوس المؤمنة المفعمة بزاد التقوى وبرد اليقين ويرشد المصطفى عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى أفق الرجاء وباب النجاة لسفنون مؤكدا قوله الذى صاغه فى أسلوب الشرط والجواب: «فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله».

فهل يدرك المسلمون أسباب النجاة؟ هل يعودون إلى مشرق الأمل ومنارة التوحيد؟

هل يتواصون بالحق والصبر، ويبلغ الشاهد الغائب؟

هل يجعلون من وقفة عرفات موسما للذكر والمكاشفة والتناصح والتآلف فيهم فى حاضرهم كما قال شوقى يضرع إلى ربه فى يوم عرفة:

شعوبك فى شرق البلاد وغربها
إليك انتهوا من غربة وشتات
تدبروا.. فلا الأسباب فيهم تفرقت
... ولا الأقدار ... مستفعلات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

وبعد.. فهذه بعض الأسرار التعبيرية فى خطبة حجة الوداع، وأعظم سر فى بيان المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه لم يزل مشرقا بالمعانى الوضيئة والألفاظ المبينة، ولم تزل النفوس الظمأى تجد فيها ريها. والقلوب الحيرى تجد فيها هديها ولله در الجاحظ حين قال: «لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ».

حقوق المرأة فى الإسلام

أ. د / محمد المختار المهدى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

تختلف نظرة الإسلام إلى المرأة عن أى نظام سبقه. لم يعتبرها سببا لوقوع آدم عليه السلام فى الخطيئة حتى تلعن كما فعل غيره. ولكن إبليس قد وسوس لهما معا. ولم يعتبرها جنسا أدنى من الرجل. بل ردهما إلى أصل واحد. ومزج بينهما مزجا لا يستطيع أحد فصله:

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (النساء: ١)

ووجه الخطاب إليهما معا فى التكاليف، وحدثنا عن إمكان تفوق المرأة على الرجل فى القيام بهذه التكاليف

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ (التحريم: ١١)

فالمساواة قائمة بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية المشتركة، وأمام القانون، والتكاليف، وفى الحقوق العامة.. فلها حق التعليم، وحق التملك والتصرف فيما تملك دون حجر عليها من الرجل. قال تعالى:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ (البقرة: ٢٢٩)

ولها حق اختيار الزوج كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، ولها شخصيتها القانونية، فالإسلام لا يسلبها حق انتسابها إلى أبيها حين تتزوج ويسميها إلى زوجها كما تفعل بعض الدول.. والقرآن الكريم يعبر عن هذه المساواة القائمة بينهما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

قضية القوامة

هذه الدرجة التى تحدثت عنها تلك الآية الكريمة تحتاج إلى مزيد من التفصيل والبيان حتى تأتى على نقد الناقدين وتشهير المغرضين

هناك فعلاً تفرقة فى بعض الأحكام بين الرجل والمرأة تبعا لاختلاف وظيفة كل منهما فى الحياة نتيجة لاختلاف الطبيعة المفطور عليها كل منهما.

فشهادة المرأتين برجل فى بعض الأمور العامة التى لا تتصل بمحيط النساء.. إذ أن اختلاط المرأة بالحياة العامة قليل لكثرة مشاغلها فى البيت وتربية الأولاد.. كما أنها تنتابها الدورة الشهرية وأعراض الحمل والوضع.. وكل ذلك يؤثر عليها ذهنيا فقد أثبت الطب الحديث أنها تشبه المريضة فى هذه الأحوال.. وهذا المرض المتكرر قد يؤثر على ذاكرتها فتنسى ما رأته، وهذا المعنى هو الذى عبر عنه القرآن الكريم فى قوله:

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

والقوامة فى البيت للرجل لما طبعت عليه المرأة من عاطفة جياشة تؤهلها للحضانة والأمومة.. وهذه الطبيعة تجعلها سريعة الانفعال.. ولأن الرجل هو المكلف بالإنفاق عليها وعلى البيت.. وليس من العدالة فى شىء أن يكلف أحد بالإنفاق على هيئة دون إشراف عليها.. زد على ذلك أن المرأة بحكم طبيعتها وحياتها لا تتصل بالحياة العامة كثيرا كما أسلفنا.. والإشراف على البيت يحتاج إلى دراية كاملة بكل ما يجرى على أرض الواقع حتى تكيف الأسرة نفسها وتصرفاتها على ضوء خط السير للمجتمع. إذ هى لبنة من لبناته. ولقد صرح القرآن الكريم بسبب إعطائه الرجل حق القوامة. فقال تعالى

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

(النساء: ٣٤)

التفرقة فى الميراث

والمرأة على النصف من الرجل فى الميراث فى بعض الحالات، لأنها من مبدأ حياتها إلى نهايتها مكفولة لا كافلة.. حينما تكون فتاة لها حق النفقة على والدها حتى تتزوج، وحينما تتزوج تكون زوجة لها حق المهر والنفقة على زوجها.. وحينما تكون فقيرة أرمل لها حق النفقة على أقربائها الموسرين.. فإن لم يكن لها أقرباء موسرون فعلى الدولة.. فكانت التفرقة فى الميراث تبعا للتفرقة فى الأعباء الاقتصادية

حق الطلاق

وحق الطلاق ثابت للرجل.. إذ هو الخاسر الذى سيتحمل عبئه من تحمله حقوق المرأة والأولاد بعد الطلاق. كما أنها سريعة الانفعال كما أسلفنا.. هذا إذا وثقت المرأة فيه أولا. وأسلمت له قيادها. أما إذا ارتابت فى حسن تصرفه أو تخلخلت ثقتها فيه فلها أن تشترط عليه قبل الزواج أن تنوب عنه فى طلاق نفسها متى شاءت كما رأى ذلك بعض الفقهاء..

كما أن لها حق طلب الطلاق فى حالات وقوع غبن عليها أو إساءة الرجل فى استعمال حقوقه، ولها حينذاك أن ترفع أمرها للقضاء وتطلب الطلاق لإعساره بالنفقة، أو لتقصيره فى حق من حقوق الزوجية، أو لاتقاء الضرر والضرار، أو لغيبة الزوج غيبة طويلة

كما أن لها أن تدفع المهر الذى أخذته وتطلب الخلع منه للكراهية.

المرأة ورياسة الدولة

والمرأة لا يجوز لها أن تتولى رياسة الدولة وتوجيه دفة الحكم، فلقد صح عن النبى ﷺ حينما ولى الفرس عليهم بنت كسرى قوله «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(1)، ذلك أن هذه المناصب الخطيرة تحتاج إلى وعى دائم وكامل لا يتوفر للمرأة فى الحالات الخاصة بالنساء والتى أسلفنا بعضها. وليس عندها استعداد فطرى للقيام بهذه المهمة الخطيرة.

منع زواج المسلمة من غير المسلم

والمرأة المسلمة لا يجوز لها أن تتزوج بيهودى أو نصرانى.. والرجل المسلم له أن يتزوج بيهودية أو نصرانية.. ذلك أن للرجل حق القوامة على المرأة ولا يتأتى من الرجل المسلم أن يجرح مشاعر امرأته غير المسلمة، إذ هو مطالب فى الإسلام أن يحترم كل الرسالات السابقة، وأن يؤمن بكل الأديان والأنبياء الذين بعثوا قبل الإسلام.. فإذا ما بدرت منه بادرة تحل بالاحترام الواجب لسيدنا «عيسى» عليه السلام أو لسيدنا «موسى» عليه السلام مثلا، فليس بمسلم.. أما اليهودى والمسيحى فإنهما لا يؤمنان بالإسلام، ولا بنبى الإسلام، وهما بهذا قد يطعنان ويجرحان دين زوجتيهما المسلمة مما قد يؤدى إلى شقاق دائم وخلاف مستمر.

حق الحفاظ على كيان الأسرة

ولحماية هذا الكيان شرع الإسلام واجبات وآدابا يرعاها كل من الزوج والزوجة داخل البيت حتى يستمر حبل الصلة والمودة متينا وقويا، وحتى لا تكون هناك أخطار ومشكلات داخلية.. وشرع واجبات وآدابا أخرى يتكفل بإقامتها المجتمع ممثلا فى الدولة حتى يحميها من الأخطار الخارجية التى تهدد بقاءها

فقد أمر الزوج بالعمل والتكسب ليحمى زوجته وأولاده من آلام الفاقة والحرمان.. وأوصاه بزوجته خيرا، وبغض إليه الفرقة.. وحمله من التبعات ما يجعله يتوقف كثيرا قبل التجرؤ على الطلاق.

وأمر الزوجة بالأمانة فى بيت زوجها، وحفظ ماله، ورعاية أولاده.. ونهاها عن إدخال أحد بيت زوجها إلا بإذنه، حتى لا يدخل بالفساد والإفساد، وأمرها بالتحبب إلى زوجها وطاعته، ولطف المعاشرة معه.

وأمرهما بتربية الأولاد وحسن تأديبهم.

قال تعالى

---

(1) أخرجه البخارى [illegible] كسرى [illegible]

﴿ [illegible] أنفسكم وأهليكم [illegible] ﴾

(التحريم: ٦)

وأباح للمرأة الفطر في رمضان إذا كانت مرضعا حماية لها ولطفلها من الضعف والضرر.. وقد سبق مزيد من التفصيل والبيان لهذه الواجبات والآداب.

فإذا ما تمت على وجهها المشروع كان البناء الداخلي متماسكا لا تنال منه الأعاصير الهوج، وتفرغ أعضاؤها للعمل البناء، وإفراغ كل الطاقات المثمرة في نهضة الأمة ورعاية الطفولة التي هي الثمرة المرجوة لمستقبلها.

وشرع كذلك أيضا حدودا يرعاها المجتمع تكفل لكل أسرة أمنها واستقرارها، وتحميها من التصدع والانهيار.. وأي رجل وأي امرأة في المجتمع كلاهما مأمور بغض البصر، و [illegible] حيث من التردي في عواقب النظرة الخائنة، حتى لا يفتتن أحد بمحاسن أحد، فتتقوض دعائم الأسرة، فقال تعالى بالنسبة للرجال:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾

(النور: ٣٠)

وقال بشأن المرأة

﴿ [illegible] للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾

(النور: ٣١)

وأمر كل النساء بالتزام الحشمة والوقار وألا يبدين زينتهن للأجانب وألا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، حفاظا عليهن من أطماع المستهينين بالفضائل.. قال تعالى:

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك [illegible] ﴾

(الأحزاب: ٥٩)

وجعل الإسلام للبيت حرمة خاصة لا يجوز انتهاكها، وحد حدودا للزنا والقذف وكل أنواع الانحراف السلوكي الذي يؤدي إلى هدم الأسر وانصراف الطاقات الشابة للتسكع والجري وراء الرذيلة والفساد.

إن الدولة بعد كل هذه التوجيهات الإسلامية الرائعة مكلفة بتوفير ضمانات الاستقرار للأسر وحماية الآداب العامة التي تعين على ذلك، إذ لا يمكن تركها للأفراد وحدهم.

وإن ذلك لا يقل أهمية عن الدفاع ضد العدو الخارجي، فإن العدو الداخلي ممثلا في شيوع الرذيلة والفساد وانهيار الأخلاق نهو أنكى وأشد ضراوة في خلخلة الكيان للمجتمع الإسلامي بأسره.. قال الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

حق التعليم والثقافة

للتعليم في الإسلام منزلة فريدة من الاهتمام والعناية، فهو لا يتصور أن هناك إنسانا على وجه الأرض يرجى منه خير وهو غير معلم أو متعلم «كن عالما أو متعلما، ولا تكن الثالث فتهلك».

وبه بدأت جملة من دستوره الخالد تحددت معالم هذا الدين، وأنها تعتمد على التربية والتعليم

﴿ [illegible] ﴾

(العلق: ١ ـ ٥)

وأن آدم عليه السلام لم يفق الملائكة إلا بالعلم والمتعلم العامل بعلمه في نظر الإسلام ليس كالجاهل ولو كان عابدا قال تعالى

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

(الزمر: ٩)

والعلم بتعبير القرآن الكريم يهدي صاحبه إلى الحق

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ﴾

(سبأ: ٦)

والعلم العميق سبيل الخشية من الله:

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾

(فاطر: ٢٨)

وطلبه ليس للمسلم والمسلمة فيه اختيار، إنه فرض لازم وواجب محتم.. قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٢]

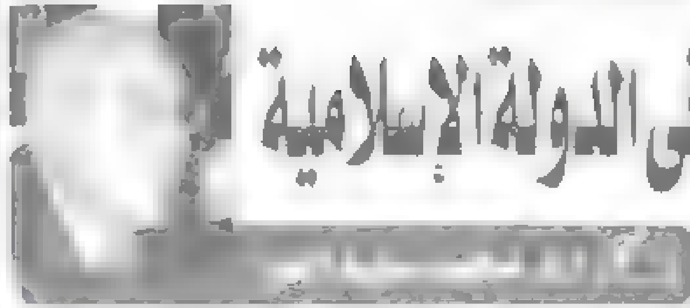
والتعليم للصغار حق إلزامي على الكبار، وعلى الدولة بنص هذا الحديث الكريم، وبذلك التطبيق السليم من سيد المرسلين ﷺ.. لقد قبل في فداء بعض أسرى بدر أن يعلم الواحد منهم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة، بل إن رسول الله ﷺ ليلوم المجتمع المتقاعس في إزالة الأمية ومحو الجهل، ويضع على عنق المتعلم مسئولية التعليم للجاهل.. وعلى عنق الجاهل مسئولية التعلم من المثقف.. بل جعله حقا من حقوق الجوار.

خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم؟! وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون؟! والله ليعلمن قوم جيرانهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة» ثم نزل. فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ ثم عرف أنه قصد بذلك الأشعريين، فإنهم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة جهلاء. فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذكرت قوما بخير، وذكرتنا بشر، فما بالنا؟ فقال: «ليعلمن قوم جيرانهم وليتعلمن قوم من جيرانهم أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا». فقالوا: يا رسول الله، أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم. فطلبوا منه سنة يمهلهم فيها حتى يطبقوا هذا التوجيه الكريم.

---

(٢) [illegible]

وضع غير المسلمين فى الدولة الإسلامية



اننا لا نتحدث عن النظام السياسى الاسلامى فى فراغ فكرى او عملى، وانما نتحدث عنه فى خضم عمل سياسى مستمر. فى كل بلاد الاسلام تقريبا. يدعو الى (دولة اسلامية) ونتحدث عنه فى غمرة تطور لا يتوقف فى العلاقات بين الدول الاسلامية وغير الاسلامية، بلغ مبلغ إعلان الحرب غير مرة فى سنين معدودة على عدة بلدان اسلامية، والتهديد الصريح باعلانها على دول اخرى!

واخواننا من غير المسلمين فى الدول الإسلامية من حقهم أن يتساءلوا عن الذى سيؤول اليهم وضعهم اذا نجحت الدعوة الى اقامة (دولة اسلامية) فى بلد من بلاد الإسلام الذى يتجاور فيه أهل أديان شتى.

المسلمون وغير المسلمين معا فى بلاد الإسلام وخارجها عليهم - أو لهم - أن يعرفوا طبيعة العلاقات بين دولهم وغيرها من الدول الإسلامية، محاربة كانت أم مسالمة لبلاد المسلمين.

فإن غير المسلمين المواطنين فى الدولة الإسلامية فإنهم والمسلمين سواسية فى حقوق المواطنة وواجباتها، لا فرق بين مسلم وغير مسلم فى التمتع بالخدمات والانتفاع بالمرافق وشغل الوظائف - غير الدينية - التى يقوم بها كيان الدولة وبنيانها. والوظائف الدينية تقتصر فى شأنها على كل دين على المؤمنين به، وإلا كان شغلها بغيرهم تكليفا بما ليس فى الوسع، وهو غير جائز فى شريعة الإسلام.

وقد انقضى العقد الذى كان يعرف - تاريخيا - باسم عقد الذمة بانقضاء الدولة الإسلامية التى أبرمته عندما وقعت ديار الإسلام تحت نير الاستعمار الغربى، وقد قاوم أهل البلاد - من المسلمين وغير المسلمين - هذا الاستعمار، وآل الأمر إلى نشأة دول قومية غالبية أهلها من المسلمين وأقليتهم من غيرهم، يكونون جميعا كانوا شركاء فى إقامة هذه الدول، وفى تشكيل بنيتها السياسية التى ورثت الاستعمار بعد رحيله.

والذمة عقد وليس وضعا، والعقود تنقضى قانونا بأسباب انقضائها، أما الأوضاع فهى باقية ما بقيت شروطها والظروف التى سوغت قيامها. وإذا كان عقد الذمة قد انقضى، ولم يعد أى من أطرافه قائما.. فقد نشأ الوضع الجديد: وضع المواطنة الذى يستوى فيه المسلم وغير المسلم فى الحقوق والواجبات القانونية أمام الدولة، وأمام قضائها، وأمام سلطاتها كافة.

وإذا كان المسلم ملتزما - ديانة - بما أمرته به نصوص القرآن والسنة من البر والقسط حين معاملته لمواطنيه من غير المسلمين ولاسيما أهل الكتاب منهم، فإن الالتزام الدينى سيجعل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين قائمة فى ظل الأخوة فى الوطن، والمشاركة فى الإنسانية، فوق قيامها - وقبل قيامها - على الالتزام بحدود القانون والدستور.

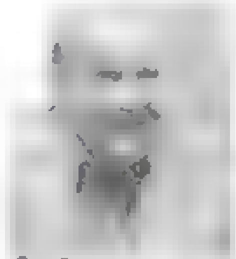
وكان مقتضى عقد الذمة أن يدفع غير المسلم المقيم فى الدولة الإسلامية مبلغا ضئيلا من المال (لم يزد فى أى وقت عن دينارين على الغنى من يؤخذ منهم) يسمى الجزية، والفقهاء المسلمون مجمعون على أن هذا المال كان بدلا من أداء غير المسلمين واجب الدفاع عن الدولة الإسلامية بالخدمة فى جيشها (أى بدلا عن الجهاد) ولم يكن غير المسلمين يكلفون بالخدمة العسكرية؛ لأن الجيش كان - فى الأساس - يحمل العقيدة الدينية لا الوطنية، ويقاتل فى سبيل الله لا فى سبيل حماية الحدود، وفى تكليف غير المسلمين بالمساهمة فى مثل تلك الجيوش تكليف بما لا يطاق وهو غير جائز، فلما تحول الأمر عن تلك الصورة إلى صورة الجيش الوطنى الذى مهمته الأولى - وقد تكون الأخيرة - حماية الدولة وحدودها ورد العدوان عنها، أى أنها مهمة وطنية بحتة، واستوى فى أداء هذه المهمة المسلمون وغير المسلمين لم يعد لفكرة الجزية محل ولا سبب وذهبت أدراج التاريخ، كفكرة الذمة نفسها.

إنه مما لا ريب فيه أن الدفاع عن الوطن، عند المسلمين، هو جهاد فى سبيل الله، والمسلم مكلف به بالاعتبارين معا، وغير المسلم مكلف به من حيث هو مواطن، وأمر تكييفه الدينى متروك لأحكام دينه وما يقرره العلماء به؛ لكنه قطعا يسقط فكرة الجزية من أساسها حتى لو كنا فى ظل عقد الذمة. فكيف والعقد نفسه غير قائم؟!

وغير المسلمين فى الدولة الإسلامية يجب أن يسمح لهم بإقامة دور العبادات الخاصة بأديانهم، ولا عبرة بما يلهج به كثيرون من أن ذلك لا يجوز فى الأمصار (أى المدن) التى مصرها (أى أنشأها) المسلمون؛ لأننا ما دمنا لا نمنعهم من الإقامة فيها، وهو أمر لا يقول به ولا يدعو إليه ولا يدافع عنه أحد فإننا لا يجوز أن نمنعه من إقامة دور - كافية لأعدادهم - يؤدون العبادة فيها وفق عقائدهم وشعائرهم.

وينبغى أن يشار هنا إلى الوضع الدولى المعاصر، حيث تعيش أعداد كبيرة - تعد بالملايين - فى دول غير إسلامية، وهم فى هذه الدولة إما مقيمون إقامة مؤقتة، أو مهاجرون إليها اكتسبوا جنسيتها وأصبحوا مواطنين فيها، وفى الحالين لا تمنع دولة من تلك الدول المسلمين المقيمين فيها من إقامة دور العبادة والمؤسسات التى تخدم التجمع المسلم فيها ثقافيا وتعليميا واجتماعيا واقتصاديا، فإذا كانت هذه هى معاملة الدول غير الإسلامية: لا تحرم مواطنيها أو مقيميها مؤقتا فى أرضها من حقهم فى التعبد فى دور عبادة يقيمونها لأنفسهم.. فهل نفعلها نحن؟!

تحويل المرجعية التشريعية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين



ساحاول أن أستعرض قوانين محمد على لنرى هل هي فيها جديد. كثير. انما السؤال هو الى اى حد هي كانت تستجيب للمرجعية الاسلامية وهل خرجت عنها؟ ومتى كان الخروج بالضبط؟ وكيف تتابعت الظروف بعد ذلك؟ هذه هي النقطة الأساسية بالنسبة لي في هذا الموضوع. موضوع المرجعية.

ولكن لكي نبحث في المرجعية يجب أن نضع أمام حضراتكم منهجي في بحثها. فالأحكام سهلة. لأننا سنبحث إن كان الحكم موجودا أو لا. موجود إذن هو شرعي. غير موجود إذن هو من خارج. أي غير شرعي فمن السهل جدا أن أسكن الأحكام وفقا لما هو وافد منها وما هو موروث. إنما الأمر ليس سهلا بالنسبة للمرجعية فما هي الأدوات التي بواسطتها أقول إن هنا مرجعية شرعية، وهنا لا توجد مرجعية شرعية.. أمام حضراتكم سأعرض الوسائل الآتية والتي أرى أنها يمكن أن تتبع في هذا المجال:

أولا: هل القوانين والأحكام التي صدرت من محمد على أو الولاة التالين له كان فيها ما يتعارض مع أحكام الشريعة، ولو يكن [illegible] إذا كان فيها ما يتعارض مع أحكام الشريعة. وما يتعارض بشكل مع حكم قطعي الدلالة، أو مع حكم راجح. فهذه مختلف تماما. إذن فهذه ليس مرجعية شرعية وإنما مرجعية أخرى.

هذه نقطة. النقطة الثانية هي ما يسمى بالسياسة الشرعية؛ لأن الفقه الإسلامي يضع في الأحكام والنواهي والأوامر والواجبات الموجودة في الفقه والموجودة أصلا في أحكام الشريعة عقوبات محددة، إنما هناك منطقة متروكة للحاكم، وليس فيها أوامر ولا نواه، ومتروكة للحاكم لكي يعمل فيها سلطانه لكي يقود المجتمع والجماعة إلى ما فيه خيرها وصلاحها، وهذا مستقر في الفقه الإسلامي ومسموح به، وهذا ما يسمى بالسياسة الشرعية. من باب ساس يسوس وهو سائس.

من باب تدبير أمور الرعية ومصالحها. وهي لا تتعارض مع أحكام الشريعة وإنما هي جزء من الشريعة. فمثلا عندما نصدر اليوم قانونا من مجلس الشعب، والقانون يقول: تصدر لائحة من الوزير أو رئيس الجمهورية تحدد كذا وكذا، هنا القانون ترك مساحة مفتوحة لكي تقوم السلطات التنفيذية - التي هي لا تشرع أصلا - بوضع تشريعاتها بما يتلاءم مع الواقع المتغير، هذه نسميها قوانين، وتلك نسميها لوائح. واللائحة صحيحة. وعندما نرى لائحة بأحكام ليست واردة في القانون فلا نقول إنها تخالف القانون؛ لأن القانون أتاح لها هذا التفسير.

كذلك ما يسمى بالسياسة الشرعية، ولذلك محمد على عندما يشرع يسمى قوانينه سياسة نامة. كلمة سياسة هنا مصطلح فقهي. كلمة سياسة لا تحمل معنى سياسة كما نفهمه الآن، فيقول قانون نامة سياسي، سياستنامة، وتتعدد هذه الألفاظ في القوانين التي يصدرها في هذا الوقت. وعندما نقرأ القانون نفسه نجد أنه كله تعازير وأوامر ونواه ليس لها في الفقه الإسلامي ما يخالفها، ونحن لا نحسبها كقانون وضعي، فهي تدخل في إطار التكوين الفقهي والفكري القائم بمرجعيته القائمة في المجتمع، وليست خارجة عنه، تماما مثل اللائحة والقانون، ستجد كثيرا من هذا النوع، قانون المنتخبات ستجده بهذا الشكل، ولذلك نجد في هذه القوانين إحالات كثيرة لما يكون هناك حكم شرعي. مثل القتل أو السرقة أو قطع الطريق أو الأشياء التي فيها حدود شرعية، فهذه ينص على أن يتبع فيها الشرع.

والقوانين التي يصدرها محمد على ستجد فيها حبسا وفيها سجنا وفيها ربطا بالجنزير، وفيها جلدا.. ولكن لما يكون هناك جلد نجد أنواعا من الجلد لا تدخل في الحدود الشرعية، يقول ٧٩ جلدة. وبعد ذلك يقول ٣٠٠ كرباج.. وأنا الحقيقة مندهش، وأرجو أن تفهموني كيف يقول على مادة معينة يضرب المتهم ٣٠٠ كرباج، فإذا عاد يضرب ٥٠٠ كرباج، فإذا عاد يعزل، العزل يكون أشد من ضرب الـ ٥٠٠ كرباج أنا لست أفهم هذا حقيقة، لكنها موجودة في القانون هكذا.. المتهم يضرب ٥٠٠ كرباج في الحالة الخفيفة، وفي الحالة الثقيلة يعزل.

النقطة الثانية عندما نجد مثلا مجالس معينة وبها عدد من الفقهاء. فقهاء الشريعة. لكي يضبطوا الجانب الشرعي إن كان له وجود في القرار، مثلما نعمل اليوم في مجالس إدارة المؤسسات العامة وغيرها. حيث تضع فيها رجال قانون لضبط الشرعية عند اتخاذ القرار، فهو لا يفهم في الزراعة، ولا في الحسابات ولا غيرهما، ولكن يفهم فقط في المشروعية، وإذا حدث نوع من أنواع الخروج على المشروعية يقول إن هذا القرار سيكون خطأ. فلما نجد واحدا من هؤلاء في المجالس نقول إن المرجعية الإسلامية لاتزال هي الموجودة ولو نظريا في نشاط هذه المجالس.

هذا الطابع لقوانين محمد على كان هو الطابع الغالب حتى سنة ١٨٥٩ يمكن بعد محمد على حتى عصر سعيد، نرى أن القوانين والقرارات التي تصدر يغلب عليها هذا الطابع. أي أنها في إطار السياسة الشرعية. إنها تتكلم في حدود ما يتعلق بالشريعة، إنها تضع عقوبات في إطار ما

يتعلق بالتعزير، وليست من نوع الحدود التي تعرف في الفقه الإسلامي بأنها ما ورد له نص في القرآن وحدد العقوبة. والتعزير هي ذنوب لم يرد فيها نصوص لتحديد العقاب، وهي متروكة للقاضي ولولي الأمر.. فكلها تتعلق بالتعزير ما يتعلق منها بحد من الحدود يرجع فيه إلى الشرع الشريف. أو خفيف. باختلاف الصياغات التي وردت حول هذا المعنى.. وكان في العديد من المجالس ـ وليس كلها ـ يوجد فيها فقيه حنفي وشافعي، أو حنفي فقط، أو يسمون اسم الشيخ الحاضر إن كان الشيخ السادات أو الشيخ البكري.. واستمر هذا الوضع حتى نجد سنة ١٨٥٩ و١٨٦٥ مجلس قومسيون مصر ومجلس التجار التي نشأ بعضها في ١٨٥٩، وفي سنة ١٨٦٥ بعضها الآخر في أوائل عهد إسماعيل، خصوصا مجلس تجار ١٨٦٥ هنا المرجعية بدأت تظهر فنجد لائحة المجلس تقول الآتي: حصل الاتفاق بين الحكومة السنية والقناصل الجنرالية بإجراء العمل بمقتضى هذا القانون. فهو لم يكن من الحكومة وحدها وإنما اتفاق مع القناصل في هذا الأمر. ويأتي في الآخر ليقول اللغة العربية والفرنسية هي لغات هذه المجالس، وبعدها يقول اللغة العربية والطلياني.. وفي هذا القانون يقول: يحكم في القضايا حسب العوايد الجارية في هذه الديار وعلى مقتضى الأحكام المقررة في قانون التجارة العثماني.

وقانون التجارة العثماني كان تقرر في ست سنوات سنة ١٨٥١ على مصر. وهذه كانت فترة التنظيمات العثمانية من ١٨٤٠ إلى ١٨٧٦ لغاية تولي السلطان عبدالحميد. في هذه الفترة تحدث العديد من التنظيمات. ووضعت العديد من التقنينات المأخوذة عن فرنسا. ولذلك كان القانون الفرنسي هو أول قانون يدخل، وأول محكمة غير شرعية تظهر كانت دائما المحكمة التجارية أو مجلس التجار، دائماً، واليوم نجد ذلك في دول الخليج، لكن في القرن العشرين، أول أحكام مخالفة للشريعة في هذه الأقطار كانت مجالس أو مجالس. ولا تسمى محاكم ولها تنظيم مأخوذ من القوانين الإدارية الفرنسية.

المادة التي تليها تقول ـ وهذه واضحة فيها المرجعية الفرنسية ـ إذا اتفق أن قانون التجارة المذكور أعلاه ـ أي العثماني ـ غير مشتمل على أحكام تختص ببعض الدعاوى، فعلى أرباب المجلس في تلك البنود الأخذ بالقانون الفرنسي نفسه. وهنا المرجعية سنة ١٨٦٥. القانون الفرنسي.

شيء آخر ظهر سنة ١٨٦٨، حيث نشأت مدرسة الإدارة والألسن التي تحولت بعد ذلك إلى كلية الحقوق، وكان مديرها اسمه فيكتور ويدال، وكان مهندسا ولكن بدا له في أوقات فراغه أن يتعلم القانون. وليته لم يتعلمه لأنه تعلم قانونا لكي ينشئ عندنا كلية حقوق، يعني ليتنا أحضرنا فقيها كبيرا. وإنما أحضرنا مهندسا في السكة الحديد. جاء إلى مصر، ولما عمل الخديو مدرسة الحقوق، عينه مديرا لها لمدة ٢٤ سنة، هذه المدرسة التي صارت بعد ذلك كلية الحقوق الخديوية ثم السلطانية ثم الملكية.. لأنه كان أحد ليسانس الحقوق في فرنسا قبلها بخمس سنوات، هذه المدرسة عندما نرى ماذا كانت تدرس نجد الآتي:

قانون مدني فرنسي. قانون روماني. قانون تجاري. قانون البحري. الخاصة. المرافعات. قانون العقوبات. قانون تحقيق الجنايات. الذي لفت نظري أولا أنها كانت تدرس لغات. ليس فقط اللغات العربية. وإنما أيضا لغات التركية، تركي وفارسي.

وبالنسبة للعلوم القانونية التي تدرس بتلك المدرسة لفت نظري أنها كانت تدرس القانون الطبيعي، والقانون الروماني، قبل أن يدرس الطالب القوانين الفرنسية في ذلك الوقت: مدني وجنائي ومرافعات، لكي أرى الحلول لكي تفيدني في دراسة القانون المقارن. لأن القانون المقارن أحد وسائل تجديد القوانين والتشريعات عن طريق أنني أدرس كيف تحل الأمم المختلفة مشاكلها بنصوص تحكم التعاملات الجديدة فيها. من الضروري أن أفهمها أولا. وأطلع عليها. إنما أجده يدرس فيها القانون الطبيعي والقانون الروماني، معنى ذلك أنه يريد أن يكون على تسيقية، يريد أن يضع لي أساسا فلسفيا.. وأنا لا أتصور أن المدارس وكل تعليم محمد علي في هذه الفترة لم يكن التعليم يتعرض للفلسفات، دراسة الفلسفات الغربية بدأت في نهاية القرن، والغريب أن يبدأ دراسة فلسفة القانون في مصر في وقت مبكر جدا وهو سنة ١٨٦٨

فكرة القانون الطبيعي ستدلني فورا للفلسفة الوضعية، وليست الفلسفة الإيمانية التي تستمد منها الشريعة، هذه كانت مقصودة أم لا.. الله أعلم، ولكن الحكم هنا على الأثر وليس على النيات.

النقطة الثانية التي لفتت نظري أن هناك علوما تدرس في كليات الحقوق وسقطت هنا، رغم أننا محتاجون لها جدا، القانون الدستوري. القانون الإداري. الاقتصاد. وهو كان جزءا من دراسة كليات الحقوق، كل هذا غير موجود. والمالية. القانون المالي. الضرائب والرسوم، والميزانية التي هي جانب مالي له وجه قانوني يتعلق بالسلطة والتنظيم المالي للسلطة. لا يوجد شيء من هذا. رغم أننا كان عندنا فقهاء في الفقه الإسلامي يعرفون مدنيا وجنائيا، ويعرفون الغريب كقانون مقارن. لكن لا يوجد احتياج فكري وتنظيمي خبرة أجنبية كبيرة في هذا المجال. أما ما كنا نحتاجه كخبرة كبيرة في ذلك الوقت هو القانون الدستوري. تنظيم الدولة. والقانون الإداري، تنظيم الإدارة الحكومية، التي كان لابد أن ننظمها بشكلها الحديث في أوروبا، وكذلك علوم الاقتصاد والمالية: يعني أسقطت ما نحن في حاجة إليه، وركزت على ما لسنا في حاجة إليه والله أعلم بالصواب. ولا أعلم حقيقة لماذا، وليس أمامي وثيقة أو مستند يقول لي ماذا كان المقصود من ذلك، إنما أنا أتكلم في حدود أثر ترتب على وضع معين. إنه يأتي لي بقانون يزاحم القانون الموجود عندي. ولا تنقصني الخبرة فيه. ولا يأتي بما ينقصني حقيقة.

النص الذي قرأته عن مجلس التجار سنة ١٨٦٥، ابتدأ يتكرر في مجالس الأحكام التي صدرت بعد ذلك في فترة الستينيات والسبعينيات وبدأت المرجعية ـ لا أقصد تعمدت ـ وإنما حصل لها نوع من أنواع التزاوج، موجودة الأحكام الشرعية كما هي، والناس ترجع لها في أي قضية، وتحكم حسب المذهب الحنفي. والمجالس موجودة تحكم في تخصصها، لغاية ما حصل بعد الاحتلال الإنجليزي من وضع قوانين على نظام

المحاكم الحديثة سنة ١٨٨٢، والذى بدأ يسرى فى سنة ١٨٨٣.. حيث اجتمع مجلس النظار - وكان رئيسه مصطفى رياض باشا - فى نوفمبر ١٨٨٢، ونجد فى محضر المجالس كلاما عن ترتيب المحاكم الأهلية لتطبيقها وتأسيسها فى مصر، وأن هذا الموضوع يجب أن نعتنى به وندرسه، وأنه قد كلف فخرى باشا وزير الحقانية أن يضع مذكرة فى هذا الشأن ويعرضها على المجالس.

وبعد ذلك المجلس اجتمع فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٢، وعرضت عليه مذكرة فخرى باشا، فماذا كان فى المذكرة؟

أولاً: عرض فخرى باشا لتنظيم مجالس الأحكام القائمة بالتفصيل، ثم قال إننا نريد وضع قوانين ملائمة لعوائد البلاد، وأشار إلى القوانين المختلطة.

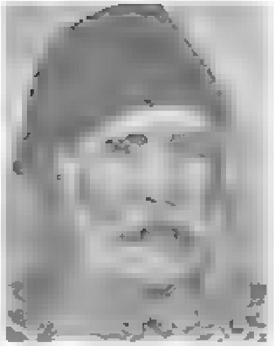
ولقد سبقت الإشارة إلى أن نظام المحاكم المختلطة كان موجودا من قديم، عن طريق المحاكم القنصلية، كأحد الامتيازات الأجنبية، حيث كان يتحاكم الأجانب يتحاكمون إلى محاكمهم القنصلية التى تنعقد فى مقر قنصلياتهم، والقنصل أو من ينيبه القنصل يحكم فيما يتنازعون فيه من حقوق، وكان هناك حوالى ١٧ - ١٨ قنصلا فى مصر لهم هذه الإمكانية، ولما ضعفت مصر والدولة العثمانية أصبحت هذه ميزة، إلى درجة أنهم جروا المصريين إلى هذه المحاكم، لدرجة أن أى نزاع يوجد فيه طرف مصرى مدعى أو مدعى عليه كان يحكم عليه فى المحاكم القنصلية، واستمر نوبار باشا من ١٨٦٤ إلى ١٨٧٥ يحاول مع الدول صاحبة الامتياز لتنظيم هذه الفوضى التشريعية التى تمس السيادة التشريعية، كما تمس السيادة القضائية،

وتشكلت المحاكم المختلطة واستبدل قضاء مختلط واحد، والذى عطل هذه المسألة لمدة ١١ سنة كانت فرنسا، لأنها كانت تشترط حتى توافق على إلغاء قضائها القنصلى، أن يؤخذ بالقوانين الفرنسية، فلما اتفقت الدول كلها على هذه القوانين، انعقدت المعاهدة وأنشئت المحاكم المختلطة، وأنشئ لها ستة تقنينات. وأيضا حضر ذلك المهندس الذى جعلناه مديرا، وأحضر سكرتير نوبار باشا، وكان رجل قانون، طلياني، وخلال ستة أشهر عمل قانونا مدنيا، وقانونا تجاريا، وقانونا بحريا، وقانونا لتنظيم المحاكم، وقانونا جنائيا، وقانونا لتنظيم المحاكم الجنائية. الستة تقنينات الكبرى التى ندرسها خلال أربع سنين ونتخرج جهلاء ونقوم بدراستها بعد ذلك من جديد، هو وضعها فى ستة أشهر، وعرض اختصارات وملخصات للقانون الفرنسى ووضعت قوانين المحاكم المختلطة.

وصدرت التشريعات التى تحكم المحاكم المختلطة، ولم يعد ممكنا لأى قانون مصرى أن يسرى على تطبيق المحاكم المختلطة، إلا إذا وافقت الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة على ذلك، وأحضروا قضاة أجانب، وكانت اللغة الأساسية هى الإنجليزية والفرنسية والعربية والطليانية، ولكن العربى لم يستخدم قط فيها، وكانت جميع الدوائر تضم جهازا مصريا، لكن دائما كانوا أقلية، ودائما كانوا فى أقل المناصب، وكل دائرة أكثريتها دائما أجانب ورئيس الدائرة دائما أجنبى، وكان لها نيابة عامة ونائب عام أجنبى، وكان المصريون فى أقل مناصب النيابة العامة.

فالمهم عندما بدءوا يضعون القوانين فى مجلس النظار، فخرى باشا طالب فى مذكرته أن تكون القوانين ملائمة لعوائد البلاد، وأشار للقوانين المختلطة، وقال إنه أوكل إلى فخرى باشا أن يضع قانونا مدنيا موافقا للشريعة الإسلامية، ولكن هذا لم يتم، وعلى العموم لو تم سيكون فيه نوع من أنواع التعارض بين قانون متخذ من الشريعة وقانون آخر له مرجعية أخرى، فاستحسن ألا يؤخذ به.. وفى النقطة الثانية اقترح أخذ قوانين المحاكم المختلطة كما هى، مع تعديلات قليلة جدا فى قانون العقوبات والإجراءات الجنائية، لكى تتفق مع أوضاع مصر، وبذلك ستكون عندنا محاكم أهلية ومحاكم شرعية.

وإنصافا لهؤلاء الناس فمن الضرورى القول بأنهم كانوا يعملون لإلغاء المحاكم المختلطة، فقالوا عندما نأخذ القوانين الغربية ونطبقها فى المحاكم الأهلية لن تكون هناك حجة بمعرفة ولا ... ولا الامتيازات لن تكون لهم حجة فى الإبقاء على المحاكم المختلطة، فكانت أمامهم محاولة استرداد السيادة القضائية والقانونية على مصر، عن طريق إدخال القانون الأجنبى، وهذه مسألة كانت تناقش فى مجلس الوزراء، وهذه الروح كانت فيهم حقيقة، وكان شريف باشا يفكر فى هذا، وكان على مبارك وعمر لطفى يفكران كذلك، ووافقوا على هذا الإجراء من أجل هذا الغرض، لاعتقادهم أنه خلال أربعة أو خمسة أشهر تتخلص من المحاكم المختلطة، وتكون ذريعة لنا لنسترد السيادة القضائية والقانونية بهذه الطريقة، لكن هذا لم يحدث.



شريف باشا



على مبارك

فعندما أكون ضعيفا وأنت قوى سأتنازل لك، فأنت ستأخذ ما تنازلت عنه ولن تتنازل لى عن المقابل.. إذن فالسبب معروف للأسف، لكن هذا ما كان موجودا فى أذهانهم إنصافا لهؤلاء الرجال.

ثم تكلم فخرى باشا فقال إننا لا نستطيع أن نعمل محكمة شرعية بها ولاية عامة للنظر فى كل الأمور، ومحكمة أهلية بها ولاية خاصة، بمعنى أن من قتل سيذهب به إلى القضاء الشرعى فيبرئه، لأنه ليس منضبطا فى وسائل الإثبات الشرعية، والوضعى ... الاعتداء، ولذلك ستتضارب الأحكام، فجعلت الاختصاص موزعا ومتداخلا بين المحاكم الشرعية والمحاكم الأهلية، ولذلك أوصى بأن المحاكم الشرعية تكون قاصرة فى اختصاصها على الأحوال الشخصية، وتكون المحاكم الأهلية هى المختصة بكل ما عدا ذلك من أمور مدنية وبحرية وتجارية وجنائية.. واعترض على ذلك على مبارك وعمر لطفى فقالا نوافق على كل ما قلته إنما علينا ألا نقيد سلطات وولاية المحاكم الشرعية، ولكن القرار الذى صدر لم يراع هذا الرأى.. وانتقلت فعلا بصدور هذه القوانين المرجعية كاملة، فى كل القضايا، وفى كل المنازعات: المدنية والتجارية والجنائية وغيرها، ونظم المحاكم أيضا،

انتقلت إلى المرجعية الوضعية، وانحسرت عنها المرجعية الشرعية.

بعد ذلك، نجد أنه قد بدأ نوع من أنواع التعميق النظرى من الفقه الإسلامى، كحلول لبعض المشكلات داخل الثقافة القانونية للقضاة، ورجال القانون والمحامين.

مدرسة الحقوق كانت تدرس الشريعة، لأنه من الضرورى تدريس الأحوال الشخصية، فالقاضى ضرورى أن يعرف الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة ونسب، وكذلك الوقف وغيرها. ولذلك وجدنا مثل الشيخ حسونة النواوى يدرس فى كلية الحقوق، والشيخ محمد الخضرى الذى ألف كتب أصول الفقه والتشريع الإسلامى كان يدرس فى هذه المدرسة، وبدأ هذا النوع من الثقافة يمتزج بالبيئة القانونية، يمتزج بالعقلية القانونية والموضوعية فى مصر، الآخذة عن الفقه، وبعد ذلك بخمسين سنة أو زيادة، حيث تخرجت أنا سنة ١٩٥٣م، ودرست على يدى هؤلاء الناس، درسنا الفقه الإسلامى فى الكلية، فجزء كبير من المدرسة التى تحاول الدفاع عن الشريعة والفقه الإسلامى ستجد أنهم من خريجى كلية الحقوق؛ لأن العبقرية الإسلامية كعبقرية وضعية حتى لم تتجسد فى فرع من فروع المعرفة لأكثر مما تبدت فى تناول الفقه الإسلامى، القواعد التى وضعت ومناهج التفسير والبحث التى وضعت كانت على مستوى رفيع جدا، بحيث إنهم لما تحدثوا على المصلحة، يقول لك تحاول أن ترشدها وتعمل لها مثلما فعل الشاطبى مثلاً، أى تحاول أن تقعدها وتعمل لها قواعد.

ولما نبحث اليوم فى أحكام محكمة النقض، أحكام القضاء الإدارى، ستجد التأثر بأصول الفقه قوى جدا، نحن نطبق القانون الوضعى، مثلا فى مجلس الدولة كله قانون وضعى، إنما التأثر بأصول الفقه



حسونة النواوى

فى استخلاص المعانى من النصوص واضح جدا فى هذه الأحكام، خصوصا فى الأحكام التأسيسية التى تمت فى العشر سنوات أو الخمس عشرة سنة الأولى، وتدريب العقلية على هذا النوع من التفكير.. ولم تكن هناك فكرة أن هذا الفقه أصبح متخلفا، فقد استخدموه فى تفسير الأحكام الوضعية القانونية العادية حتى فى لائحة نظام الطرق والكبارى والشيكات وغيرها، فترى ما هو العام وما هو الخاص، وما هو المطلق وما هو المقيد. تلحظ أصول الفقه فى ذلك الوقت.. وهذا جعل العنصر المنهجى للفقه الإسلامى رغم أنه فقد مرجعيته، إلا أنه كان متغلغلا فى العقلية القانونية التطبيقية الموجودة فى هذا المجال.

الفقه الإسلامى كان يشكو من الجمود فى البداية ظل كذلك لمدة، ثم فى نهاية القرن وجدنا جهود الشيخ محمد عبده وغيره، لكن حتى لا نتكلم عن أفراد نتكلم عن المؤسسات. مدرسة القضاء الشرعى، كان لها دور غير عادى فى تكوين عقلية فقهية إسلامية قادرة على التعامل مع علوم العصر، وظلت من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩٢٤، حتى انضمت إلى الأزهر، ولكن خلفتها مجموعة من الأساتذة دخلوا كلية الحقوق، وعملوا بها، وخلفتهم لاتزال تعمل، وهم الذين درسنا نحن عليهم، وبذلك فهى موصولة وواصلة لهؤلاء الناس.

ولذلك فأنا لا أتكلم عن مدرسة فاصلة بادت، أو أورشليم القديمة، لأن الشريعة لاتزال حية بأفكارها. وبدأت الرسائل الجامعية على مدى الخمسين سنة التى مضت، تجد عددا هائلا من الرسائل الجامعية ليست فى الفقه الإسلامى فقط، بل فى الفقه المقارن بين الفقه الإسلامى وبين القانون الوضعى. سواء فى كليات الحقوق أو فى الأزهر، ودار العلوم أيضا رائدة فى هذا المجال.

فحركة التجديد من الناحية المنهجية داخل الفقه الإسلامى إذا تتبعناها من بدايات القرن التاسع عشر، سنجد أن المذهب الحنفى كان هو المذهب الراجح، بنص لائحة ترتيب المحاكم الشرعية، ثم بدأ التجديد يأخذ شكل خروج من الرأى الراجح من المذهب الحنفى إلى رأى ما فى المذهب الحنفى متى كان متلائما ومتسقا ومتجاوبا مع أوضاع الواقع المعيشى. وهذا تمثله مجلة الأحكام العدلية فى الدولة العثمانية التى صدرت سنة ١٨٧٩م آخذة عن المذهب الحنفى.. وبعد ذلك خرجوا من رأى المذهب الحنفى كله إلى رأى يختارونه من المذاهب المختلفة يتلاءم مع الوضع الحاضر. وبدأت قوانين الأسرة وقوانين الأحوال الشخصية والميراث والوصية تستجيب لهذا الأمر. فيصح ترجيح ولى الأمر لحكم من الأحكام مأخوذ من أى مصدر من مصادر الفقه، حتى لو كان معترفيا بأخذه لا مانع، مثل الوصية الواجبة مثلا، بعد ذلك وصلوا إلى الاجتهاد المطلق، وأثاروا بعض المشكلات فيما يتعلق بمحاورات صاخبة، وحدثت أخبار، وهذه أخبار أخرى، ولكنه قائم بهذا الشكل.

فالاجتهاد المطلق ليس فى حاجة لاتباع أحد الفقهاء السابقين، إنما الفقيه الحديث ينظر فى أصول المنهج ويخرج حكمه. النقطة الأساسية أننا الآن لا يجب أن يكون جدالنا حول الأحكام، ومأخذ الأحكام، إنما يكون جدالنا حول المرجعية. وأن القضية هنا قضية ثقافية فى المقام الأول وليست قضية سياسية، المشكلة أننا دائما نطلب من السلطة أن تغير القوانين، وخطيئة أن نكلف السلطة ـ أى سلطة ـ الكثير، نقول لها ألغ كل هذه القوانين وأت بقوانين أخرى حتى لو كانت وضعية، يعنى عملية إلغاء القوانين كلها ووضع قوانين أخرى يؤدى إلى قدر من الاضطراب والقلق بين المتعاملين. فكل واحد منا يدخل فى اليوم الواحد فى عشرين أو ثلاثين معاملة قانونية من أول ما يشترى علبة سجائر لغاية ما يؤجر بيتا أو أى شىء آخر، كل هذه معاملات تغييرها يثير شيئا من القلق الشديد، فأتصور أن فكرة نمط المرجعية هو الإسناد الشرعى للقوانين الموجودة، لما يحتمله الفقه الإسلامى، وإسناده إسنادا شرعيا، ونتعامل نحن رجال المهنة ورجال هذا العلم بالإسناد الشرعى للقوانين القائمة، ونقل الإسناد وليس نقل الحكم فقط، على أنها تطيقه وتحتمله.

فالعملية فعلا عملية ثقافية أساسا، داخلة فى التوجه الثقافى، وليست داخلة فى التوجه السياسى، وليست مخاطبة للسلطة بقدر ما هى مخاطبة للأمة والجماعة، هذا ما حاولت أن أوضحه. وأرجو أن أكون أوضحت الفكرة

الذرائع فتحاً وسداً
مساهمة في علم اجتماع الفقه (٢)



أ.د. إبراهيم البيومي غانم
[illegible]

ثانيا: مآلات قاعدة الذرائع في التطبيق

[illegible] في البند السابق إلى [illegible] لقاعدة الذرائع، وقد مارسنا حقنا في النقد من منظور اجتماعي/ تاريخي، وبقي أن لدينا "نظرية [illegible]" [illegible] في الفقه وأصوله شيدوا بناء رائعا من القواعد والمبادئ التي تشكل مضمون هذه النظرية، وإن بقيت فيها مواضع لبنات تحتاج إلى إكمال [illegible]، ولكن النظرية مهما كانت قوتها، و"القواعد" مهما كانت روعتها؛ فإنها لا تنتقل تلقائيا إلى التطبيق في الواقع الاجتماعي، كما لا تكفل النظرية [illegible] "القاعدة" نجاح هذا التطبيق في بلوغ أهدافه، ومن هنا بالضبط يتعين البحث في وقائع عملية الانتقال من "التأصيل النظري" إلى [illegible] العملي.

نظريا توجد أربع جهات مسئولة، وهي [illegible] عن نقل النظرية و"القاعدة" الفقهية إلى حيز الواقع الاجتماعي بمستوياته الفردية والجماعية، وبأبعاده الاقتصادية، والعائلية، والعقوية، والسياسية، والسلوكية أيضا.

الوسيلة الأولى هي الفتوى [illegible] وقبول المفتي بهذه الفتوى لها وعمله بها؛ إذ المفتي مخبر، وليس مجبرا على أية حال، والثانية هي حكم القاضي، وهو واجب التنفيذ والعمل به لخصوم الخصومة؛ إذ القاضي مخبر وليس مخيرا على أية حال، والثالثة هي قرار [illegible] الحكومة وهو واجب اللزوم والعمل به في حدود طاعة الحاكم الشرعي، وقد يصدر بها قانونا أو تشريعا واجب النفاذ. أما الوسيلة الرابعة فهي مجالس العلم والتعليم والوعظ والإرشاد، وأدوات تكوين الوعي والتأثير في [illegible] كنشر الكتب، وبرامج الفضائيات، ومواقع التواصل الاجتماعي على شبكة معلومات [illegible] الدولية؛ باعتبار أن التبليغ واحد من أهم وظائف العلماء[1].

في مباحث [illegible] الذرائع [illegible] الفقه وأصوله قديما وحديثا لا نكاد نعثر على أجوبة "نظرية" لسؤالين: الأول من المنوط به مسئولية [illegible] المفسدة والمصلحة والتوصل إلى رأي أو قرار بترجيح أحداهما على الأخرى؟، والثاني هو: من المنوط به "تنفيذ" عملية السد أو الفتح عندما تغدو لازمة التنفيذ؟. لا جواب على أي من هذين السؤالين؛ وإن كنا قد وجدنا ثروة من المعايير النظرية التي يمكن تحويلها لمؤشرات تساعد في الإجابة، وبالقطع هي ستساعد في تحديد وتمييز المفسدة من المصلحة وترجيح إحداهما على الأخرى؛ وذلك بعد عرضها على واحدة أو أكثر من الجهات الآنفة الذكر (مفتي - قاضي - حاكم). وأهم تلك المعايير هي [illegible] [illegible]، و"عدم مخالفة المنصوص عليه"، و"انتفاء البديل الشرعي"، و"أن لا يئول الأمر إلى الحرج"، و[illegible]، و"أن يتحقق المقصود من العمل به"، و"تقديم الأقوى عند التعارض"، و"عدم الإخلال بالنظام العام"، و"تعيين المحصور مما لا ينحصر [illegible]".

[illegible] القوة - وهي كثيرة - في قاعدة الذرائع، وكذلك في نظرية الاحتياط بشكل عام؛ أنها تدفع العقل الاجتهادي الفقهي - ومعه العقل الجمعي للمجتمع - للتفكير فيما [illegible] المآلات [illegible] في المستقبل، كما أنها تدعو إلى تقدير عواقب الأمور، وتحليل مساراتها المحتملة، وهذا النمط من التفكير المتقدم يلزمه مد البصر إلى الأجلين [illegible] [illegible] وفي التوقيت [illegible] [illegible].

والمؤكد أن فوائد كثيرة تحققت بفضل تشغيل العقل الفقهي لفكرة "المآلات"، وتنوير الوعي الجمعي [illegible] للمستقبل والتخطيط له والاحتياط من مزالقه، ومن ثم المساعدة في الخروج من حالة الامتثال للأمر الواقع، والاكتفاء بعلم الحاضر والماضي على طريقة ابن أبي سلمى وهو في [illegible] [illegible] قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي.

ولكن وقائع الممارسة الاجتماعية التاريخية تظهر أن الأمر لم يسر على هذا [illegible] [illegible] فكرة المآلات كما تجلت في قاعدة "الذرائع"، ونظرية "الاحتياط" مثلا؛ لم تتحول في الواقع إلى ثقافة عامة للتفكير في المستقبل والمبادرة بالأعمال والمشروعات الكفيلة بتحقيق [illegible] [illegible] على [illegible]

---

(١) [illegible] في بحث "الإرهاب: التشخيص والحلول"، سلسلة محاضرات مجمع الفقه الإسلامي، [illegible] www.fiqhacademy.org.sa [illegible]

(٢) [illegible] من العلم بأنه سلفة كل الفقهاء [illegible] الذرائع من السياسة الشرعية، مرجع سابق، ص٦١ [illegible]

النزوع "الفقهي" نحو المبالغة في الاحتياط وسد الذرائع كان ولا يزال أقوى منه نحو فتحها، وأقوى من توظيفها في التدرب على رؤية المستقبل وحسن تقدير المآلات. ويكفي أن نشير إلى خطورة هذه النزعة تحت دعوى "فساد الزمان" هكذا بإطلاق! لأننا إذا سلمنا بأن الفساد صار صفة للزمان فبناء السدود والخوانق لشتى ذرائع الفساد لن يكفيها جميع المجتهدين من الفقهاء والأصوليين!. فمثل هذه التعميمات غير المتحفظة لا يؤيدها الواقع الاجتماعي، وترفضها [illegible] العلوم الاجتماعية. وبداهة العقول تقول إن الخير في الدنيا أقوى من الشر، وإلا لآلت إلى الخراب.

انتهينا فيما سبق إلى أن الفقهاء سلموا كل ما له صلة بالمصالح العامة إلى زمام "السياسة الشرعية" وسلطة "ولي الأمر". ومع ذلك فإنهم لم يسلموا من سطوة "ولي الأمر"، حيث أجبرت تلك السلطة بعضهم حينا ورغبت بعضهم الآخر حينا للمشاركة في تقدير تلك المصالح العامة، أو بالأدق في إضفاء الشرعية على تقدير "ولي الأمر" لها، وسنعرض مثالين أو ثلاثة على ذلك لنفحص من خلالها مآلات قاعدة الذرائع وهي قيد التطبيق، وقد اخترت ثلاث حالات كلها تتعلق بمصالح عامة.


محمد علي

الحالة الأولى: فتوى "سد ذرائع" مفاسد اجتماعية عامة تقع عن طريق "الوقف".

في سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م أصدر الشيخ محمد الجزائرلي (مفتي الإسكندرية) فتوى بجواز منع الوقف، وكان محمد علي باشا قد أرسل للمفتي الجزائرلي سؤالاً نصه هو: "ما قولكم فيما لو ورد أمر أميري بمنع إيقاف الأماكن المملوكة لأهلها، سد لذريعة ما غلب على العامة من التوصل به لأغراض فاسدة من حرمان بعض الورثة، والمماطلة بالديون وتعريضها للتلف: هل يجوز ذلك، ويجب امتثال أمره، ثم كيف الحال أفيدوا" (أ.هـ)

فأفتاه المفتي الجزائرلي، وجاء في نص فتواه أنه: "يجوز لولي الأمر أن يصدر أمرا بمنع الناس من وقف أملاكهم وتحبيسها فيما يستقبل من الزمان؛ سدا لذريعة أغراضهم الفاسدة.. ولأنه مما تقتضيه السياسة الشرعية، استنادا لما حكيناه عن إمام المذهب" (أبو حنيفة).

وعلى أثر تلك الفتوى، أصدر محمد علي أمرا عاما في ٩ رجب ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م)، بمنع إنشاء أوقاف جديدة اعتبارا من تاريخه [illegible] فقد قام [illegible] من الشروط بهم

٣ ـ مسألة كيفية تمييز المقصود من غير المقصود من المسائل التي ناقشها عدد من الأئمة ببراعة تلفت عصورهم، منهم الغزالي، انظر إحياء علوم الدين، ج٢/٣-١٠٣، ومنهم العز بن عبد السلام في شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، بيروت، دار الكتب العلمية [illegible]

[illegible] ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص٢٠٣، ويلاحظ كمال إمام مؤكدا أن فساد الزمان ليس إلا من تطبيقات سد الذرائع [illegible]

نقل قاعدة سد الذرائع إلى أرض الواقع: الوالي والمفتي. فماذا حصل بعد ذلك؟ تقول الوثائق إن أمر محمد علي بمنع الوقف استنادا إلى تلك الفتوى لم يطبق إلا في حدود ضيقة جدا في الأراضي العشورية، أما الوقف في بقية الممتلكات من عقارات مبنية وأرض زراعية فلم يتوقف. ومع ذلك استمر أمر المنع ثلاث سنوات فقط، وظل أقرب إلى أن يكون حبرا على ورق، إلى أن ألغاه عباس باشا الأول بعد أن أصبح واليا على مصر دون أن يستصدر فتوى جديدة أو يستشير المفتي نفسه، وأصدر عباس بتاريخ ٢٥ رمضان ١٢٥٦هـ (١٨٤٩م) أمرا ليس فقط بالإلغاء؛ وإنما بإدانة ضمنية لفتوى الشيخ وأمر المنع الذي كان جده محمد علي قد أصدره. ومما جاء في أمر عباس: "كان قد صدرت إرادة مخصوصة من جانب الحكومة بمنع الأهالي من وقف أملاكهم، ولكن ظهر أن هذا الأمر جائر، وتعد على حقوق الناس؛ لذلك أمرنا بصرف النظر عن اتباع حكم هذه الإرادة. ليكون كل شخص حرا في وقف أملاكه حسب حكم الشرع الشريف المحمدي، ولا يتعرض له أحد، ولا يمنعه"(٥).

وما أن زال أمر المنع رسميا حتى عاد وقف الأهالي للأراضي العشورية بأشد مما كان. ورصدنا وقف ثلاثة آلاف فدان في سنة واحدة (١٢٦٧هـ) وهي المساحة التي سجلت في محكمة مصر الشرعية وحدها، ويحتمل أن هناك مساحات أخرى تم وقفها وتسجيلها في محاكم أخرى خلال تلك السنة. هذا إضافة إلى أن الأهالي استمروا في وقف أملاكهم خلال سنوات المنع في غير الأراضي العشورية كما أسلفنا.

ثمة خطأ أكيد أدى إلى ذلك المآل الفاشل لأمر المنع وإلغائه وإدانته وإدانة الفتوى التي استندت إلى "سد الذرائع"، وإلى "السياسة الشرعية"، وسؤالنا هو: أين مكمن الخطأ؟، هل هو في أن الوالي اعتمد على معلومات غير دقيقة في تقدير حجم حالات سوء استخدام الوقف لتحقيق "أغراض فاسدة"، ومن ثم لم يأبه الناس بأمر المنع؟، وإذا كان الأمر كذلك فهل يلام المفتي في شيء على المآل الفاشل لفتواه؟. أو إن ضعف شكيمة محمد علي في أواخر سني حكمه هو الذي تسبب في عدم تطبيق أمره بمنع الوقف، وكانت الرغبة الاجتماعية أقوى من أمر السلطة، رغم استنادها على فتوى شرعية بجواز ذلك سدا لذرائع "الأغراض الفاسدة"؟. لسنا نعرف على وجه الدقة، لكن لا يحتج على أية حال بقول قائل: إن محمد علي كان عدوا للأوقاف فأراد أن يمنعها بغطاء فتوى شرعية، فآل أمره

[illegible] المقصود بفساد الزمان". انظر كمال إمام: قواعد تغير الفتوى بين الحدث الكائن والزمن: قراءة أصولية مستقلة [illegible] ص٢

٥ ـ ولد الشيخ محمد الجزائرلي بالجزائر سنة ١١٨٩هـ وولي القضاء هناك قبل أن يطيه الاحتلال الفرنسي، فرحل للإسكندرية فعينه محمد علي مفتيا لها، وظل في منصبه إلى أن عزله عباس باشا سنة ١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م وتوفي سنة ١٢٦٧هـ ١٨٥١م. انظر محمد زياد التكلة: ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري الأثري، موقع الألوكة بتاريخ ١٢/٧/٢٠٠٧ www.alukah.net

٦ ـ انظر كتابنا: الأوقاف والسياسة في مصر، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨، ص٢٨٩، و٢٩٠.

للإخفاق، فهذه حجة غير صحيحة؛ لأن محمد علي قبل سنتين فقط قبل إصدار أمر المنع كان قد فرغ من إنشاء حاصل وقفية له [illegible] سنة ١٢٦٠هـ [illegible] يكن [illegible] الأمر [illegible] كان جادًا في سد ذرائع الفساد في الممارسة الاجتماعية للوقف حسبما تشير إليه المعلومات التي تجمعت لديه، ولكن خطأ ما وقع، [illegible] في السنوات الثلاث التي فصلت بين أمر منع الوقف [illegible]

والملفت للنظر أن المفتي الجزائرلي كان على قيد الحياة عندما أطاح الوالي عباس [illegible] محمد علي [illegible] الادعاء [illegible] الشريع المحمدي"، فهل كان عباس أحرص على إمضاء حكم الشرع المحمدي من فضيلة المفتي؟، وإذا كانت الإجابة بالنفي فلماذا لم يوضح المفتي هذا الأمر ولم يدافع عن [illegible] أصلاً حول محمد علي الذي ترك مفتي [illegible] الإسكندرية بالذات ــ وقد علمنا أنه عينه [illegible] على الإسكندرية [illegible]. وأضف إلى هذا كله أنه لم يثبت أن جهة رسمية أو علمائية قامت بمراجعة ما جرى [illegible] محمد علي تبع الوقف لمعرفة لماذا كان مآلهما الفشل؟. وفي حدود علمنا [illegible] فتوى [illegible]

إن كل تلك التعقيدات التي أحاطت بفتوى [illegible] تضيف لقاعدة سد ذرائع ترينا حجم الفارق الهائل بين جمال التنظير والتقعيد الأصولي والفقهي، وبين [illegible] في الممارسة الاجتماعية والأهم من ذلك أنها ترينا أن نقص أدوات التعرف على حقائق الواقع [illegible] الاجتماعية تعتبر سببًا رئيسيًا من أسباب تلك الفجوة بين النظرية والتطبيق، وهو ما يدعو إلى التفكير في كيفية علاج هذا النقص بإزالة الحواجز بين متخصصي العلوم الاجتماعية والإنسانية ومتخصصي العلوم الفقهية والأصولية.

الحالة الثانية: فتاوى "سد ذرائع" مفاسد عامة تقع من طريق الحرب والمطالبة بالإصلاح السياسي. (فتاوى حرب الخليج الثانية، وفتاوى مظاهرات الربيع العربي).

وجدت قاعدة "سد الذرائع" طريقها إلى قضايا الحرب والسياسة عبر "فتاوى" كثيرة، كان من أشهرها "فتاوى حرب الخليج الثانية" التي اندلعت ضد العراق يوم ٢٩ / ٦ / ١٤١١هـ ــ ١٦ / ١ / ١٩٩١م. وفتاوى [illegible] الربيع العربي في سنتي ١٤٣٢ ــ ١٤٣٣هـ / ٢٠١١ ــ ٢٠١٢م. وبالرغم من الصعوبة البالغة في تتبع هذا [illegible] من الفتاوى، إلا إننا سنحاول التعرف على [illegible] تنبيه هذه القاعدة على [illegible] الواقع: هل أدت مهمتها في قطع الطرق المؤدية إلى [illegible] بالفساد [illegible]

في شأن فتاوى حرب الخليج الثانية

لا نريد أن ننكأ الجراح باستذكار "فوضى الفتوى" [illegible] للاستعانة بجيوش "المشركين والكفار" لدفع الضرر عن [illegible] من حاكم العراق [illegible] أن الأمر قد تم على [illegible] وحتى على [illegible] في شتى بلاد المسلمين. ومع هذا تواترت الفتاوى من طرفين معتمدة [illegible] على قواعد فقهية كثيرة [illegible] الضرر [illegible] الضرورة وغيرها من القواعد الأصولية التي تتطلب معرفة دقيقة بمعطيات القضية محل النظر قبل الإفتاء فيها أو تنزيل حكم شرعي ما عليها. ومن ذلك على سبيل [illegible] فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رقم ٦ / ١٧٢ التي جاء فيها: «وأما ما اضطرت إليه الحكومة السعودية من الأخذ بالأسباب الواقية من الشر [illegible] بقوات متعددة الأجناس من المسلمين وغيرهم [illegible] بلاد [illegible] وقع من العدوان من رئيس دولة العراق فهو إجراء مسدد، وموفق، وجائز شرعًا.

وقد صدر من مجلس هيئة كبار العلماء ــ وأنا واحد منهم ــ بيان بتأييد ما اتخذته الحكومة السعودية في ذلك، وأنها قد أصابت فيما فعلته...»[7] انتهى.

وفي سياق الجدل العارم حول أمثال تلك الفتوى، رد الشيخ ابن باز على من شكك في وجود أدلة شرعية قوية تدعم فتوى هيئة كبار العلماء [illegible] في [illegible] العراق، وكما جاء في رده: "وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية لما تأملوا هذا ونظروا فيه، وعرفوا الحال بينوا أن هذا أمر [illegible] الضرر عن المسلمين، ولو بالاستعانة بطائفة من المشركين [illegible] الظلم، وهم جاءوا لذلك وما جاءوا ليستحلوا البلاد [illegible] وإزالة الظلم ثم يرجعون إلى بلادهم".

وأنهى جوابه بعبارة هي أدق ما وصف به الحال؛ إذ قال: "والناس أقسام: منهم من جهل الحقائق والتبست عليه الأمور، ومنهم من هو [illegible] لا يعرف الأحكام الشرعية. ومنهم من هو مستأجر من الطغاة الظلمة يشوش على الناس"[8].

وسؤالنا هنا هو: هل توافرت لمن أصدروا مثل تلك الفتوى المعلومات الكافية ودرسوا

---

٧ ــ [illegible] ص ١٣٢ ، ١٣٣ [illegible] وقفيات محمد علي [illegible] التي تم تسجيلها خلال الفترة من ١٢٢٨هـ ــ ١٢٦٠هـ [illegible]

[illegible]

٨ ــ عبد العزيز بن باز، مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، الموقع الرسمي للشيخ: http:// www.binbaz.org.sa/index.php

احتمالات الحرب والسلم في حينها، وعرفوا "مآلاتها" قبل أن يصدروا فتواهم؛ سواء بتأييد الاستعانة بجيوش "الكفار" أو بمعارضة ذلك؟، أشك[9]، وعلى أية حال فإن المتيقن هو أن أحدًا لم يراجع تلك الفتاوى أو درسها بعد أن مضت "مدة المآل" الذي جرى استبصار "المصالح والمفاسد" في ضوئه عند صدور الفتوى، والأرجح أن تأثيرها كان شبه منعدم في التأثير الإيجابي على مجريات الأحداث؛ غير أنها صبت الزيت على النار. وغالب الظن أن تلك الفتاوى كانت "فتاوى سياسية" تحت غطاء فقهي ومنهج "سد الذريعة"، و"حكم الضرورة"؛ أكثر من كونها "فتاوى" تستند إلى تلك القواعد والسعي لإعمالها في الواقع بعد دراسة مقتضياته حق دراستها.

ووفق ما سبق أن عرفناه من قيام المجتهدين القدامى بربط مسائل ومعضلات "المصالح العامة" إلى زمام "السياسة الشرعية"، وتفويض ولي الأمر في تقدير المصالح والمضار، واتخاذ ما يراه مناسبًا؛ أكانت ثمة حاجة أصلا لأن تتصدى مرجعيات الإفتاء بالأدلاء بفتاوى في شأن بالغ الخطورة مثل حرب الخليج، وأن تسخير قواعد فقهية بغير استجماع شروط تطبيقها. وهو ما أدى بها لمآلات الفشل في نهاية المطاف؛ وكانت عاقبة أمرها أنها لا مصلحة جلبت ولا مفسدة درأت.

في شأن فتاوى مظاهرات الربيع العربي

انخرط المفتون الشرعيون أيضا في إصدار فتاوى المنع سدا لذرائع الفساد، أو الإجازة فتحًا للذرائع الخيرية في عديد من مجتمعاتنا، وإن كان صوت المفتين بالسد والمنع أعلى وأشيع من نظرائهم المفتين بالفتح والإجازة. وبعيدًا عن الفريقين: فإن أغلب المتظاهرين في عواصم ومدن العالم العربي في أغلبهم لا ينتظرون مثل تلك الفتاوى كي يقرروا المشاركة أو عدم المشاركة فيها، فضلا عن أن أكثرهم لا يهتم بقراءتها أو التدقيق في أدلتها.

ومعظم الخلافات بين مراجع الإفتاء واقعة في شأن "التظاهر السلمي"، وغيره من أشكال الاحتجاج السلمي مثل الاعتصامات، والإضرابات، والعصيان المدني. أما الاحتجاجات غير السلمية فلا خلاف بين الجميع في منعها لكون المفاسد والأضرار التي تؤول إليها راجحة؛ ولا تغيب قاعدة "الذرائع" سدا أو فتحا عن الحجج التي يسوقها المؤيدون والمعارضون.

الحجة الأساسية للذين يفتون بجواز التظاهرات وغيرها من صور الاحتجاجات السلمية هي: أنها من باب "العادات والعرف"، و"المصالح المرسلة"؛ حيث إنها تجلب المنافع وتدفع الأضرار، وأن الأصل هو الأمر الشرعي بالتغيير إلى الأفضل، وعدم الرضا أو السكوت على الفساد والمعاصي والظلم، وإلا أصابنا الله بالخذلان في الدنيا، والنيران في الآخرة؛ فقد جاء في التنزيل

• [illegible] •

إلى غير ذلك من الأدلة.

أما الحجة الأساسية للذين يفتون بمنع المظاهرات فهي: أنها بدعة مستحدثة من أفعال الكفار في الغرب، وأنها ذريعة للشغب والفوضى والتخريب والصدام مع الشرطة، واختلاط الرجال بالنساء، وهي أيضًا باب للخروج على الحكام وفتح ذرائع الفتنة[11]، والفتاوى بالمنع استنادا لتلك الحجج وأمثالها متظاهرة متكاثرة، منها ما جاء في فتوى الشيخ بن عثيمين، والتي يرددها كثيرون في شأن منع تظاهرات الربيع العربي، وفيها قال: "المظاهرات كلها شر، سواء أذن فيها الحاكم أو لم يأذن، وإذن بعض الحكام بها ما هي إلا دعاية، وإلا لو رجعت إلى ما في قلبه لكان يكرهها أشد كراهة، لكن يتظاهر بأنه كما يقول: ديمقراطي.(!) وأنه قد فتح باب الحرية للناس، وهذا ليس من طريقة السلف"، ومنها فتوى الشيخ عبد العزيز الراجحي: "السؤال: ما رأيكم فيمن يجوز المظاهرات للضغط على ولي الأمر حتى يستجيب له؟، الجواب: المظاهرات هذه ليست من أعمال المسلمين، هذه دخيلة، ما كانت معروفة إلا من الدول العربية بتأثير.....".

تستند تلك الفتاوى التي تمنع المظاهرات والاحتجاجات السلمية إلى قاعدة "سد الذرائع" خشية وقوع ما أشار إليه المفتون من مفاسد. أما الأضرار والمظالم التي يئن منها الناس فعلاجها هو "الصبر"، وعندما يرد الحديث عما هو واقع من المفاسد وليس "المتوقع" يأتي رد أولئك المفتين باستدعاء تراث "السياسة الشرعية"، مع تكثيف التركيز على ما فيه من وصايا "بالصبر" على الحاكم مهما كان ظلمه وفسقه وفجوره؛ "حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر". وهكذا يبدو المشهد "الإفتائي" في محصلته "سورياليا" فحجج كل فريق منقوضة عند الفريق الآخر، لا حجر منها يبقى على حجر.

ولا يزال الوقت مبكرًا لمعرفة "مآلات" فتاوى تظاهرات الربيع العربي، وهل ستكون كسابقاتها من الفتاوى التي تناولت "مصالح عامة" على الأقل في العصر الحديث؟ أم سيختلف مآلها من بلد لآخر بحسب ضغوط عمليات التغيير الاجتماعي ومطالبات الإصلاح السياسي؟.

---

9. انظر السؤال الموجه للشيخ ابن باز ورده عليه. الموقع الرسمي للشيخ رحمه الله. المرجع السابق.

10- تقارير اليونيسيف مثلا تقدر بـ ٥٠٠٠ طفل عراقي كانوا يموتون شهريا جراء الحصار الذي فرض على العراق أعقاب حرب الخليج الثانية. انظر

[illegible] 2001 [illegible] Stephen Zunes, Iraq [illegible] after Gulf War, Foreign Policy in Focus

[illegible]

11- [illegible] مصالحها ومفاسدها وأقوال العلماء فيها. دراسة منشورة على موقع

[illegible] http

12- المرجع السابق، نفسه

الحالة الثالثة: فتاوى غائبة بشأن "ذرائع" قوانين الطوارئ العربية:

لم تحظ "قوانين الطوارئ العربية"(١٣) بعناية أى مرجع إفتائى؛ لا مجمع فقهى، ولا مفت منفرد، لكى يبحثها وفق قاعدة "سد الذرائع وفتحها" وغيرها من القواعد الأصولية ذات الصلة برعاية "المصلحة" و"دفع الضرر"، إن معظم الدساتير العربية تمنح رئيس الدولة حق إعلان "حالة الطوارئ" وتعطيل العمل بالدستور ذاته، ووقف العمل بالقوانين العادية، كلما [illegible] فى حالات وقوع الفوضى، أو الكوارث الطبيعية، والحروب، والنزاعات الأهلية "الفتنة" [illegible].

وعندى ثلاثة أسباب تدعو مجامع الفقهية وعلماء الفقه وأصوله بصفة عامة إلى البحث فى قوانين الطوارئ وإعلان الرأى الشرعى فيها:

السبب الأول هو دخول هذه القوانين بأكملها تحت قاعدة "سد الذرائع"، وغيرها من القواعد الأصولية الخاصة برعاية المصالح كما سبق.

والثانى: هو أن الفكرة الأساسية لهذه القوانين متجذرة فى كتب "السياسة الشرعية"، وهذا مجرد افتراض منى؛ وهو بحاجة إلى أصولى نابه يقوم بالتثبت من صحته، والسبب الثالث هو أن تأثيرات هذه القوانين أسهمت فى تشكيل مسارات ووقائع التغيير الاجتماعى والسياسى فى عديد من المجتمعات العربية خلال نصف القرن الأخير، ومن ثم فإن دراسة الآثار والنتائج التى ترتبت عليها دراسة أصولية متعمقة ستسهم فى سد النقص الحاصل فى دراسات "علم اجتماع الفقه"، وأتوقع أن تكون الأسئلة البحثية بالغة الثراء فى هكذا بحث؛ وخاصة أن قوانين الطوارئ تتدخل فى مواجهة كافة المصالح العامة والخاصة، والحقوق الفردية والجماعية، وتخول "ولى الأمر" حق التصرف فيها بحسب ما يقدره هو للمحافظة على تلك المصالح ورعايتها.

لا توجد اختلافات نوعية كثيرة بين نصوص قوانين الطوارئ العربية، وبالمثال يتضح الحال. وفيما يأتى مثالان أحدهما هو م/ ٣ من قانون الطوارئ المصرى، والثانى هو م/ ٤ من قانون الطوارئ السورى.

أ- مادة ٣ من قانون الطوارئ المصرى رقم ١٦٢ لسنة ١٩٥٨(١٤):

"لرئيس الجمهورية متى أعلنت حالة الطوارئ أن يتخذ بأمر كتابى أو شفوى التدابير الآتية:

أولاً: وضع قيود على حرية الأشخاص فى الاجتماع والانتقال والإقامة والمرور فى أماكن أو أوقات معينة والقبض على المشتبه بهم أو الخطرين على الأمن والنظام العام واعتقالهم، والترخيص فى تفتيش الأشخاص والأماكن دون التقيد بأحكام قانون الإجراءات الجنائية، وكذلك تكليف أى شخص بتأدية أى عمل من الأعمال.

ثانياً: الأمر بمراقبة الرسائل أيا كان نوعها ومراقبة الصحف والنشرات والمطبوعات والمحررات والرسوم، وكافة وسائل التعبير والدعاية والإعلان قبل نشرها وضبطها ومصادرتها وإغلاق أماكن طباعتها.

ثالثاً: تحديد مواعيد فتح المحال العامة وإغلاقها، وكذلك الأمر بإغلاق هذه المحال كلها أو بعضها.

رابعاً: الاستيلاء على أى منقول أو عقار والأمر بفرض الحراسة على الشركات والمؤسسات وكذلك تأجيل أداء الديون والالتزامات المستحقة والتى تستحق على ما يستولى عليه أو على ما تفرض عليه الحراسة.

خامساً: سحب التراخيص بالأسلحة أو الذخائر أو المواد القابلة للانفجار أو المفرقعات على اختلاف أنواعها والأمر بتسليمها وضبطها وإغلاق مخازن الأسلحة.

سادساً: إخلاء بعض المناطق أو عزلها وتنظيم وسائل النقل وحصر المواصلات وتحديدها بين المناطق المختلفة ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية توسيع دائرة الحقوق المبينة فى المادة السابقة على أن يعرض هذا القرار على مجلس الأمة فى أول اجتماع له".

ب- مادة/ ٤ من قانون الطوارئ السورى رقم

"للحاكم العرفى أو نائبه أن يصدر أوامر كتابية باتخاذ جميع القيود أو التدابير الآتية أو بعضها وأن يحيل مخالفيها إلى المحاكم العسكرية:

أ- وضع قيود على حرية الأشخاص فى الاجتماع والإقامة والتنقل والمرور فى أماكن أو أوقات معينة، وتوقيف المشتبه فيهم أو الخطرين على الأمن والنظام توقيفاً احتياطياً، والإجازة فى تحرى الأشخاص والأماكن فى أى وقت، وتكليف أى شخص بتأدية أى عمل من الأعمال.

ب- مراقبة الرسائل والمخابرات أياً كان نوعها، ومراقبة الصحف والنشرات والمؤلفات والرسوم والمطبوعات والإذاعات وجميع وسائل التعبير والدعاية والإعلان قبل نشرها وضبطها ومصادرتها وتعطيلها وإلغاء امتيازها وإغلاق أماكن طبعها.

ج- تحديد مواعيد فتح الأماكن العامة وإغلاقها.

[illegible] محلات الأسلحة والذخائر والمواد القابلة للانفجار والمفرقعات على اختلاف أنواعها والأمر بتسليمها وضبطها وإغلاق مخازن الأسلحة.

هـ- إخلاء بعض المناطق أو عزلها وتنظيم وسائل النقل وحصر المواصلات وتحديدها بين المناطق المختلفة.

و- الاستيلاء على أى منقول أو عقار وفرض الحراسة المؤقتة على الشركات والمؤسسات وتأجيل الديون والالتزامات المستحقة والتى تستحق على ما يجرى الاستيلاء عليها.

ز- تحديد العقوبات التى تفرض على مخالفة هذه الأوامر على أن لا تزيد على الحبس مدة ثلاث سنوات وعلى الغرامة حتى ثلاثة آلاف ليرة سورية أو إحداهما. وإذا لم يحدد الأمر العقوبات على مخالفة أحكامه فيعاقب على مخالفتها بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على خمسمائة ليرة سورية، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل ذلك مع عدم الإخلال بالعقوبات الأشد المنصوص عليها فى القوانين الأخرى".

وبعد: فتلك هى خاتمة البحث: ذلك بلاغ علمى لمن عنيتهم بالأمر.

هذا ما تبين لى بعد البحث والنظر والله تعالى أعلى وأعلم.

---

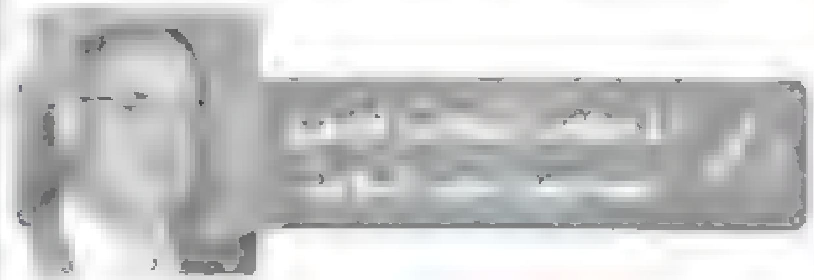
(١٣) [illegible] http://www.alsalafway.com/cms/news.php?action=news&id=748

[illegible]

(١٤) صدر برئاسة الجمهورية فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٧٨هـ - ٢٧ سبتمبر ١٩٥٨

[illegible]

الإدارة فى الإسلام



مفهوم الإدارة

هى فن قيادة المرءوسين، والقائمين على أمر الوظيفة العامة، تحقيقا للأهداف الموضوعة. تعظم الحاجة إلى التنظيم الإدارى فى علاقة الأفراد بالدولة، وفى علاقات المؤسسات العامة بعضها مع البعض، وعلى قدر انتظام الجهاز الإدارى فى الدولة، وضبط الأداء فيه، تتحقق الأهداف، وتتقدم الدولة، وتقدم الخدمات للأفراد على أفضل ما تكون.

وتظهر أهمية الإدارة فى النظم المتقدمة والدول المتخلفة على سواء، ويعد كفاءة النظام الإدارى وفعاليته، هو المحك الذى يميز بين تقدم الدول أو تخلفها، حتى لقد قيل إن المشكلة الرئيسية فى الدول المتخلفة، هى مشكلة إدارة، قبل أن تكون نقص إمكانيات مالية.

الإدارة أداة لتحقيق التنمية

وتبدى أهمية الإدارة فى كونها أداة لتحقيق التنمية قبل كل شىء، وهو المفهوم الحديث للإدارة الذى يعبر بها من مجرد أداء الوظيفة التنفيذية التقليدية، إلى كونها أداة للإسهام فى تشكيل السياسات، وصنع القرارات، وقاطرة التقدم فى مسيرة الدولة والمجتمع.

أداة تطوير وحركة دائبة

وتفعيل الإدارة، يتطلب أن تكون إدارة تطوير وحركة دائبة، واستشراف للمستقبل، ولن يتأتى ذلك عن طريق الجمود والسكون والمحافظة على القديم، وإنما يكمن التطوير فى أن يتحلى القادة الإداريون والعاملون معهم بالفكر المتجدد الخلاق، وبأن لديهم الفكر الذى يتخذ من المبادرة وزمام المبادأة شعارا ومسلكا، وأن يصوغ ويصمم برامج للتغيير تستهدف بحق إحداث هذا التغيير بشكل يحقق الانطلاق على درب التنمية والتقدم.

أداة تسيير المرافق العامة

ولا ينبغى أن تكون الإدارة، أداة تسيير المرافق العامة، والقيام على الوظيفة الإدارية التقليدية فحسب، وإنما يجب أن تضع هذه الإدارة نصب عينيها الارتقاء بالوظيفة الإدارية، على النحو الذى يقلل من سلبياتها، ويخلصها من عيوبها، وأن يبتكر من الأساليب والحلول الفعالة لتحقيق الأهداف الموضوعة لها، وترشيد الجهود وضغطها، وتوزيع الخدمات لمستحقيها، وضبط العملية الإدارية، والعدالة فى أدائها، وفى التعامل مع الجماهير.

مرتكز القيادة الإدارية

مرتكز القيادة الإدارية فى الإسلام معتمدها الولاء والانتماء، والالتحام مع الآخرين فيما يقوم به الخليفة أو الحاكم العام وولاته فى الجهاز الإدارى الإسلامى، من الأعمال التى تقتضيها تنظيم المرافق، وتحقيق المصالح العامة.

والمبدأ الإدارى فى الإسلام هو الانتماء والولاء للنظام الإسلامى بحيث يجعل من قيم الإخلاص والنصيحة، والانضباط، والجودة والإتقان آليات ووسائل لإنجاز مقاصد وأهداف النظام الإدارى فى الدولة الإسلامية، بما يحقق صالح الدين والدنيا، والفرد والجماعة، والوطن والأمة.

وسبيل ذلك أن يمارس كل عامل اختصاصاته بنفسه، وألا يعول على تقاعس غيره أو عدم قيامه بواجباته، وألا يعتمد فى أداء العمل على زملائه؛ لأنه مسئول مسئولية فردية، وهذه المسئولية تبرز بشكل واضح بالنسبة للقائد الإدارى الذى ينبغى أن يحتمد على الالتحام بالمرءوسين، وأن ينخرط فى مواقع العمل، وأن يباشر الوظيفة بنفسه، وينتقل إلى ميادين ومواقع الخدمة، على أرض الواقع، ويتعرف على مواطن الخلل، وأن يسمع من الجماهير، كما كان يفعل عمر فى قيامه بالتجول فى الطرقات المعروف بالعسس، ومن ثم فلا يجوز فى المنطق الإسلامى أن تكون الوسيلة الوحيدة للتعرف على تسيير الأمور، التقارير التى يرفعها إليه الأعوان والمرءوسين، وينبغى ألا يعول القائد الإدارى على التفويض، كما يقول الماوردى تشاغلا بلذة أو عبادة، لأنه قد يخون الأمين ويغش الناصح.

ويحتاج ذلك إلى غرس الولاء والانتماء على مستوى القيم المعنوية، وأن يقوم على تقسيم العمل، ويعتمد التخصص، وإسناد العمل إلى من يصلح له، والقادر عليه.

مواصفات القيادة والتنمية البشرية

قوة الإدارة وتفعيلها يكون بالإنسان

والإنسان هو محور التنظيم الإداري، فهو أس القيادة، وهو صانع القرار، ومخطط السياسات، ثم هو من بعد صانع مستقبل التنظيم الإدارى، وهو فى كلمة أس العملية الإدارية، الذى يدور عليها نجاحها أو فشلها، فهو القادر على الابتكار، وبث الروح البناءة.

وبموجب ذلك، فإن القائد الإداري هو روح المنظمة، وليس مجرد رئيس لها، والقيادة هى مفتاح نجاح الإدارة العامة، لكونها مسئولة عن سلامة تنظيم وإدارة الأعمال، وحث العاملين على إنجازها بحماس وكفاءة، ولن يكون القائد الإدارى كذلك، إلا بأن يكون هو الموجه والمنسق والمراقب لأعمال الآخرين، وأن يمارس نفوذه وإشرافه على مرءوسيه، والتواصل معهم، والتفاعل معهم بحيث يعمل الجميع فى تناغم وتناسق، وأن ينمى بينهم العمل بروح الفريق

وهذا يتطلب تنمية الموارد البشرية، و[illegible] عشر [illegible] قدرته لا تتحقق [illegible] على الأخلاق [illegible] حتى [illegible]. ويعمل على إعداده وتأهيله بما يمكنه من استعداده لأداء العمل المنوط به، [illegible] في [illegible].

وهذا ظاهر في طلب الترشيح لولاية، في قول يوسف:

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

(يوسف: ٥٥)

وطلب استئجار موسى في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

(القصص: ٢٦)

فإذن مطلوب فيمن يخول القيام بعمل إداري توفر شروط القدرة والصلاحية والتأهيل، وأن يكون إسناد العمل إليه وفق أسس موضوعية:

«من ولي من أمر المسلمين شيئاً وهو يجد من هو أصلح منه، فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين».

وتوفر مثل ذلك قليل فيمن يسند إليه الولاية، وهو ما شكا منه عمر بقوله: «اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة».

[illegible] أخرى [illegible] الاختيار [illegible] الإداري، وأن توضع عناصر لتقييمه، يختار على أساسها من بين المتقدمين للوظيفة، مثل [illegible] على [illegible] العمل بروح الفريق، إدارة الأزمات والمواقف الطارئة، قدرته على المبادأة والابتكار في ترقية الوظيفة العامة.

مشروعية الإدارة في الإسلام

الإدارة في الإسلام [illegible] مشروعة [illegible] ولأهميتها وضرورتها لانتظام مسيرة الأفراد والجماعة، [illegible] قد شرعت على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الدولة؛ لأن بوجودها [illegible] وتوحيد الرأي [illegible] مصلحة، وفي [illegible] قوة للأفراد والمجتمع على سواء.

[illegible] مشروعية الإدارة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: [لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم] [1].

وحديث: [إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم] [2].

وإذا كان [illegible] الأمير في [illegible] فالأحرى [illegible] أن تكون في التجمعات الكبيرة، وفي المرافق العامة، ومؤسسات الدولة، مثل مرافق التعليم، والصحة والأمن [illegible] والجيش، و[illegible] وغيرها من الشئون الحياتية.

إلى جانب أن الإسلام يوصي بلزوم الجماعة والعمل بروح الفريق، وليس الانعزال والتفرد، وهو ما يجسده قول الرسول ﷺ: [يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار] [3]. وقوله: [من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية] [4].

وإذا كان الأمر كذلك، فإن وجود القائد على رأس المؤسسة أو المرفق الإداري، والعمل بروح الفريق، يعد من الواجبات [illegible] لتصريف الأمر فيها، [illegible] على [illegible] لها، ولأن ذلك يندرج تحت قاعدة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وإنه متى وجد الأمير، وعمل الجميع بروح الفريق انتظمت الأمور، وحسن العمل، ولا يكون ذلك إلا بطاعة الرئيس، والتكامل بين الجميع، والتعاون [illegible] المصلحة العامة، [illegible] الجمهور، وهو مطلوب شرعي بقوله تعالى:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

(النساء: ٥٩)

فترض علينا طاعة أولي الأمر فينا، وهم القادة المتأمرون علينا، ومعلوم أن الرئيس الإداري أمير على مرؤوسيه، وهو ما [illegible] طاعته.

فلسفة العمل الإداري الوضعي والإسلامي

ثمة مفارقة جلية بين مقومات العمل الإداري في النظام الوضعي، والنظام الإسلامي، يتبدى في أن النظام الإداري يعتمد على أنه [illegible] الفلسفة النفعية، [illegible] المادي، وتعظيم الربح المادي، دون اكتراث بالمبادئ الأخلاقية، والروح الإنسانية في التعامل بين العاملين والجماهير.

وفي [illegible] الإسلامي، فإنه يعتبر القيم الأخلاقية، هي الطابع الذي يطبع العلاقات بين العاملين والمتلقين للخدمة، ومن مبادئه في هذا الخصوص: [أحب للناس ما تحب لنفسك] [5].

يعتمد النظام الوضعي على الرقابة المادية، والأجزية القانونية والتأديبية، كوسيلة لإجبار العاملين على حسن أداء أعمالهم، وانضباط مسلكهم.

أما النظام الإسلامي، فإنه يعتمد على الرقابة الضميرية، والمحاسبة الذاتية، النابعة من الضمير، والمنضبطة بالوازع الديني

﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾

(البقرة: ٢٨٤)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١)

وقوله عز وجل:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

(غافر: ١٩)

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢٣٦/٦١

(٢) المعجم الأوسط ١٠٠/٨

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٩٩/١ ح (٣٩١) بلفظ: يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب [illegible]

(٥) مسند الإمام أحمد [illegible]

وميزة هذه الرقابة أنها تغني عن رقابة الرؤساء، والشرطة، والأجهزة الرقابية عامة، لكي تعوق ما تكتشفه من أخطاء مالية، فإنه يسهل التغلب عليها، من خلال استغلال الثغرات، والتحايل على القرارات.

يقوم النظام الوظيفي على فكرة الحق والواجب، والتلازم بينهما، فلا يؤدي العامل الواجب الذي عليه إلا بعد حصوله على حقه، أو اقتران حصوله على حقه بالواجب الملقى على عاتقه

بينما الأمر في النظام الإسلامي، يتأسس على العطاء، وعلى أداء الواجب قبل أخذ الحق، حيث إن حق الله تعالى هو حق المجتمع، لذلك فإن فكرة الواجب تسبق الحق، لأن أداء العمل جزء من الإيمان بالله، والله هو المطلع على العمل المراقب له، وهو الشاهد عليه ورسوله والمؤمنون، يقول تعالى

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة ١٠٥)

طبيعة الإدارة

تعددت الاتجاهات في النظام الإداري، فاتجه البعض إلى أن الإدارة علم، بمعنى أن الإداري الكفء لا يكون إلا لمن درس وبحث وحصل المعارف الإدارية، وتمرس بالنظريات القيادية، ونظم التنفيذ، فالقيادة الإدارية أو التنفيذية تعتمد على أساس موضوعي يتأسس على البحث العلمي

ويذهب اتجاه ثان، إلى أن القيادة أو الإدارة فن، بمعنى أنها تعتمد على صفات الشخص وقدراته، وتتأسس على موهبته وحنكته وحنفته في قيادة العمل الإداري فهي تؤدي بطريقة تلقائية، وهي استعداد طبيعي موروث في الشخص، وليس مكتسباً وهي أقرب إلى الفطرة الطبيعية منها إلى العلم المنظم.

والاتجاه الثالث يرى أن القيادة التنفيذية، هي علم في أصولها المعرفية، وفن في تطبيقها وفي تعاملها مع الواقع، وتحقيقها لمبدأ الإدارة بالأهداف، وبمعنى آخر، فإن الحنكة الإدارية المترسخة في الشخصية الإدارية لابد من صقلها بالعلم الإداري والمعرفة القيادية الرصينة.

طبيعة القيادة في النظام الإسلامي.

ومواصفات القائد

القيادة الإدارية في النظام الإسلامي تقوم على العلم والفن معاً، فإن المتقلد لها ينبغي أن يكون على دراية بالمبادئ الإدارية العامة في الإسلام مثل:

١- تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة

٢- وقاعدة «أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة».

٣- ومبدأ النصيحة لله ورسوله وجماعة المؤمنين.

٤- ومبدأ الثواب والعقاب.

٥- ومبدأ الجدارة والكفاءة في تولي الوظائف العامة.

٦- ومبدأ الجودة وإتقان العمل.

هذه المبادئ التي تجد أصولها في الشريعة الإسلامية، والتي يعد تمثلها والالتزام بها من قبيل النظام العام الإسلامي، فلا يجوز إهدارها أو تعطيلها في العمل الإداري، وإلا فقد النظام الإداري خاصته الإسلامية

وبالإضافة إلى العلم بهذه المبادئ الإدارية الإسلامية، فإن الإسلام يولي عنايته للموهبة والحكمة والحصافة، فإن من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وقد كانت القيادة الإدارية لعمر بن الخطاب نموذجاً يحتذى في ذلك، فقد أوتي الحكمة والحنكة وحصافة الرأي، وهو صاحب الأوليات في الفن الإداري

- فهو أول من أرخ بالتقويم الهجري للدولة الإسلامية.

- وأول من دون الدواوين.

- وأول من أخذ العشور.

- الرسوم الجمركية على السلع الداخلة للدولة الإسلامية

- وأول من فرض الإعانات الاجتماعية للأطفال الرضع

- وأول من جعل الأراضي المفتوحة ملكاً للأجيال الإسلامية، دون أن تكون حكراً على الفاتحين.

- وأول من حفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر.

إلى غير ذلك من مبادراته الخلاقة، والتي استلهم فيها المصلحة الإسلامية.

وأول من عس في الطرقات، وأول من سن قانون من أين لك هذا؟ (الكسب غير المشروع).

ولعل رعاية المصلحة، وتطبيق الملاءمة، واختيار الكفء لأداء العمل هو ما أدى بالرسول - صلوات الله عليه - إلى اختيار أسامة بن زيد، لقيادة الجيش الإسلامي في وجود أبي بكر وعمر، وتمسك أبو بكر باختياره بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، وإعلانه أنه وعمر من بين جنده، مصطحباً إياه خارج المدينة على هذا الأساس، والاستئذان منه في أن يعفي عمر من الجندية ليعاونه في إدارة شئون الدولة.

واعتبار الإدارة من الفنون التي تحتاج إلى موهبة ودراية وبصيرة ذاتية هي التي أوحت إلى عمر، أن يعزل شرحبيل بن حسنة عن ولاية الشام، معلناً أنه لم يعزله عن سخط أو خيانة. ولكن بحسب مقولته «أردت رجلاً أقوى من رجل» لكون الشام بها العديد من ثغور الإسلام. فتتطلب رجلاً داهية يحسن التصرف، والاستعداد لكل أمر بما يناسبه وبما يصلح له.

ومثل هذا الصنيع، أدى بعمر أن يختار شريحاً قاضياً على الكوفة، لما تنازع مع آخر على فرس، فحكم شريح لصالح الآخر ضد عمر، فأعجب به عمر لعدله وجرأته في الحق، وقال: «وهل القضاء إلا هكذا، قول بالحق، وفصل بالعدل».

وهذه النماذج مناطها المصلحة العامة، والقوة على العمل، والأمانة في أداء الحقوق لأصحابها.

الإسلام والدولة الحديثة (٢)

الحل الإسلامى



ضرورة الوعى لسنة العلاقة بين الدولة والمجتمع

يلاحظ أول ما يلاحظ من بسط إشكالية العلاقة بين الدولة والمجتمع أن القانون الموضوعى أو السنة الجارية، يتمثل أو تتمثل، بوجود تجاذب متعاكس بينهما (الدولة والمجتمع) تكون الغلبة فيه للدولة عموما ـ عدا فى بعض الفترات، قصيرة العمر، التى تهب فيها عواصف الانتفاضات الشعبية والتغيير الثورى. ومن ثم تؤدى هذه الغلبة التى حققتها الدولة الحديثة إلى إفراز ألوان من السيطرة والطغيان تراوحت من النمط الرأسمالى إلى الاشتراكى الماركسى إلى الفاشى ـ النازى ثم إلى الأنماط التى أفرزتها الدولة الحديثة فى بلدان العالم الثالث. وهى من الطراز الهجين الذى يتذبذب فيما بين الأنماط الرأسمالية، والاشتراكية الماركسية، والفاشية النازية، مع التمادى فى تحقيق أعلى درجة من الاستبدادية والسيطرة بالنسبة إلى الدولة، وأعلى درجة من الإلغاء والاحتواء والقمع بالنسبة إلى المجتمع ودوره.

إن سمة غلبة سيطرة الدولة على المجتمع، تتطلب إقامة توازن فى هذا التجاذب يمنع من تحقيق هذه الغلبة من قبل الدولة، ولا يكون ذلك إلا إذا قلمت أظافرها ومصادر قوتها نسبيا، وقد عزز المجتمع، ودعمت مصادر قوته من جهة أخرى. فالدولة الحديثة، كما لاحظنا، تنزع، بغض النظر عن نيات الحكام، فى بادئ الأمر، نزوعا قويا نحو تعزيز سيطرتها على المجتمع والانفصال عنه، وهى بهذا تتجاوز نمط الدولة التاريخى الذى عرفته أوروبا فى عهدى العبودية والإقطاع. فقد كانت الدولة أو السلطة فى هذين العهدين أقرب إلى تمثيل الطبقة المسيطرة ـ طبقة الأسياد أو طبقة الإقطاع ـ ولهذا عندما كان القيصر أو الملك يميل إلى توسيع سلطته بأكثر مما كان متعارفا عليه كان يدخل أزمة مع مصادر قوته، وهى مجموع الطبقة الحاكمة ـ المالكة، لم يكن يستطيع الارتفاع عنها إلا بحدود تبقيه جزءا منها، وهذا ما حافظت عليه الدولة الحديثة من النمط الرأسمالى بالنسبة إلى الطبقة الرأسمالية.

ولكن هذه الدولة شهدت فى المائة سنة الأخيرة اتساعا وتضخما هائلين فى الأجهزة والمؤسسات والجيوش والثروات. جعل الانفصال عن المجتمع أقوى من ذى قبل لدى الدولة. وجاءت برامج نزع الملكية الإنتاجية فى الأرض والمصنع، ووضعها كلها أو جلها تحت سيطرة الدولة، لتقوى نزعة الانفصال هذه إلى حد اختزال دور المجتمع اختزالا شبه كامل وانتزاع مصادر المقاومة منه نزعا تاما.

من هنا أخفقت المعالجات التى تناولت حل إشكالية العلاقة بين الدولة والمجتمع فى ثورات التغيير التى حدثت خلال المائة سنة الماضية، وذلك حين لم تمتلك الوعى الصحيح لتلك العلاقة، ومن ثم لم تؤخذ الإجراءات الضرورية على مختلف المستويات لردع تلك النزعة فى الدولة الحديثة، وتعزيز أسباب المقاومة فى المجتمع. أما عندما كان البعض يمتلك مثل هذا الوعى أو على الأصح كان يلتقط جوهر الإشكالية ويسعى إلى امتلاك مثل هذا الوعى، فلم يكن قادرا على إنجازه، لأن وعيه تأخر فى الإمساك بالأسباب التى تسمح له بتحقيق ذلك الهدف لأن الدولة أثبتت، فى كل مرة، ومن خلال سلطتها السياسية وأجهزتها المختلفة أنها قادرة على استعادة امتلاك زمام المبادرة فى تحقيق نزعتها الهيمنية، ومصادرة ذلك الوعى، أو تشويهه.

وقد تمت التجربة. ولا سيما فى البلدان الإسلامية، أن عدم التقاط الخطوط الأساسية التى طرحها ويطرحها الإسلام لحل هذه الإشكالية لا يسمح بتشكيل الوعى المطلوب، ولا يسمح بتوفير الأسباب العقدية والمعنوية والمادية والفكرية والقانونية التى تعزز ذلك الوعى، وبتوطيد حالة من التوازن تحد من نزعة الدولة نحو الانفصال عن المجتمع والطغيان عليه وتشجع نزعة المجتمع للمحافظة على مصادر قوته من أجل ردع هذا الطغيان ومواجهة تلك النزعة.

الشرع والدولة والمجتمع

لعل من أكثر التعريفات دقة حول الحكومات الإسلامية هى «الحكم بما أنزل الله» أو «الحكم بموجب ما يقضى الشرع الإسلامى». والتأكد من نفاذ أحكام الإسلام فى مجال العبادات والمعاملات والجهاد ومختلف شئون الحياة العامة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

فالحاكم هنا، ومن ثم الحكومة، بل الدولة ككل، مكلفون بالحكم بما أنزل الله، وبالتصرف والعمل وفق ما يقضى الشرع. أو بالتأكد من أن أحكام الإسلام نافذة. ومن ثم لسنا هنا حيال حاكم بأمره، ولا حيال طبقة أو فئة أو حزب سياسى يأتون بحاكم وحكومة ويقيمون دولة بهدف تحقيق مصالحهم وقمع الطبقات المقابلة، أو الشعوب الأخرى، كما هو الحال فى تجارب الأنماط الرأسمالية، ولسنا حيال حزب يأتى بحكومة ودولة يجعلها فوق المجتمع مسيطرين عليه فيسن ما شاء من القوانين، كما هو الحال فى التجربة السوفيانية

والتجارب المشابهة لها، أو تجارب عدد من دول العالم الثالث، بل إننا حيال حالة فريدة لا شبيه لها في كل التجارب الاجتماعية وأنماط الدول، عدا التجارب التي أقام فيها الأنبياء حكم الله؛ إنها حالة لم تترك فيها الدولة والمجتمع يتصارعان على الغلب، حالة لا تقر القوة فيها القانون والحقوق. فالبيعة تعطى للحاكم من الجماعة - المجتمع - فيقود الدولة على أساس إقامة أحكام الله، أى تطبيق الشرع، أى على الحاكم أن يعتبر سلطته سلطة تكليف لا تشريف، ولا تحقيق هيمنة ونفوذ. وهى عقد مع جماعة المسلمين مشروطة بإقامة الشرع.. أى أن نقطة البداية هى خضوع الحاكم والناس كلاهما لله تعالى. ومن ثم تجرى الأحكام وفق القرآن والسنة، ويقوم الاجتهاد على أساسهما، لا منفلتا من هذا الأساس، وبهذا يكون الأساس الأول الذى يضعه الإسلام لتنظيم العلاقة بين الدولة والمجتمع، هو إخضاع الطرفين لعبودية الله وإخراج الأساسات والأصول التشريعية من أيديهما، فالشرع الإسلامى يقضى من الحاكمين والناس الخضوع لأحكام الإسلام، وتقع هنا مسئولية أكبر على الحاكم الفقيه، كما على مجموع العلماء والفقهاء فى إقامة تلك الأحكام بشكل سليم يحقق العدل فيقوى المؤمنون جميعا به، ومن ثم يصبح بالإمكان ضبط الصراع حين ينشأ بين الدولة والمجتمع، كما بين مختلف التناقضات ضمن معيار خارج عن معيار خارج عن معيار الغلب والهوى والمصالح والنفوذ والسيطرة، أى ثمة معيار فيصل فوق المتصارعين فيما يمكن أن ينشب من تجاذب متعاكس بين الدولة والمجتمع، أو فيما بين القوى الاجتماعية مختلفة.

إن إقرار هذا الأساس فى ظل إقامة الدولة الإسلامية لا يلغى نزعة الدولة ككل نحو تخطى الشرع والسيطرة على المجتمع وتحقيق الغلب. فالأسس التى وضعها الله تعالى فى الإنسان والمجتمع لا تلغى ولا تتوقف حين يصبح الإنسان مسلما والمجتمع مسلما. فالغرائز تبقى فى ذلك الإنسان وتظل تسعى إلى الانحراف به. وهوى النفس يظل يلح على المؤمن لينحرف به، والأمر نفسه ينطبق على السنن الأخرى، ومن ثم لا مفر من أن تمضى حياة المسلم فى صراع لا يتوقف بين إسلامه وبين هوى النفس، ونوازع الغرائز الجامحة، وفتنة الدنيا، أو بكلمة أخرى. إن أجهزة الدولة فى ظل نظام الإسلام لا تفقد نزعة الجنوح نحو التسلط والطغيان بما ينمى فيها اتجاه التفلت من الشرع ومحاولة الاستقلال عنه وليس عن المجتمع فقط. فالإنسان المسلم الذى يلتزم فى حياته الشرع، ويتولى الحكم لا يفقد فى نفسه نوازع الهوى والطغيان والطمع والجشع والجزع، فكما تظل النفس بعد إسلامها أمارة بالسوء فإن الدولة تبقى بعد تحولها إلى إسلامية أمارة بالتسلط، نزاعة لكى تطغى، بل يمكن القول إن نفس الإنسان حين يمتلك القدرة والسلطة والثروة تزداد نزوعا إلى الطغيان واتباع الهوى، مما يفرض ألا تنام اليقظة الإسلامية لحظة واحدة عن الدولة فى الإسلام. كما

خلفاء أمر شديد شديد الخوف على أنفسهم من السلطة فى أيديهم بسبب ما يمكن أن يتعرض له القائم عليها من أخطاء أو يرتكب من مظالم؛ لأن أساس بناء السلطة يكمن فى الحكم بالشرع والوصول بما يطبق من أحكام إلى مرتبة العدل بين الناس. وإذا كان الحاكم والحكومة، وأجهزة الدولة مكلفين بذلك وقام عقد الجماعة معهم على هذا الأساس، فعلى الدولة الإسلامية، والحالة هذه، ألا تتحول إلى طرف مقابل المجتمع، أو تصبح ممثلة لهيمنة القومية أو الفئة أو القبيلة أو الجهة أو الولاية أو الطائفة أو الحزب السياسى دون جماعة المسلمين ككل. فالدولة التى تصبح لهذه أو تلك لا تكون للشرع والأمة تخل بدورها الأساسى الذى حدده التكليف وأوجبه الشرع.

حول ميزان القسط

بيد أن الإسلام لم يكتف بتعبير الأساس الذى قامت عليه الدولة وحكومتها وأجهزتها من حيث علاقاتها بالناس، وإنما حدد أيضا، عدة خطوط عريضة للحيلولة دون وقوع الدولة الإسلامية بحاكمها وحكومتها وأجهزتها فى براثن نزعة السيطرة على المجتمع والارتفاع فوق الشرع. فكان سببا أن كلف الفقهاء والعلماء وأهل الحل والعقد (ومنهم أعضاء مجلس الشورى) والمسلمين عموما بالشورى والإرشاد والمراقبة والنصح والتصويب حتى خلع البيعة أو نزع الثقة إذا اضطروا إلى ذلك. وكانت الظروف مناسبة، وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبا على كل مسلم، ولم يترك ذلك للعفوية، وإنما عمد إلى توسيع استقلالية الفرد والجماعة والمسجد فى المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية. ولم يسمح للدولة أن تحتكر حق الاجتهاد، أو إصدار القوانين، دون رقابة العلماء المجتهدين، ولم يسمح لها باحتكار أرزاق الناس من خلال السيطرة عليها، أو امتلاك الأرض والمصانع والتجارة الخارجية والسوق المحلى، ولم يجعل حتى حمل السلاح حكرا على جيش الدولة المحترف، ويلاحظ من التجربة الإسلامية الأولى أن جوهر نهج الرسول ﷺ، ومن بعده من سار على نهجه من خلفاء وأولى أمر كان تقوية جماعة المسلمين، وتعزيز قدرة الجماعات الإسلامية من قبائل وأهل عقد وحل، فالنهج الذى استخدم فى توزيع الأرض كان التوسع بأشكال الملكية من وقف عام، ومشاع عام، إلى مشاع خاص، إلى وقف على مستوى القرية والعائلة والذرية والمدرسة والحرفة، إلى ملكية فردية، إلى أوقاف على المؤسسات التعليمية والصحية والخدماتية الأخرى. وجعل أرض العنوة وهى غالبية أراضى البلاد الإسلامية ملكية عامة لكل المسلمين، وقد أراد الإسلام لمن يحكم باسمه أن يحمل ميزان العدل من خلال تطبيق أحكام الشرع. أى أراد لهم أن يحمل ميزان الشرع ليحكم عما ينشأ من منازعات فى المجتمع بين بائع ومشتر، أو بين مالك ومستأجر، أو بين صانع وعامل، أو بين منتج ومستهلك، أو بين وال ورعية، أو بين قبيلة وأخرى، أو جماعة

وجماعة. ومن ثم لم يجعله طرفًا مستقلًا عن المجتمع، لكي لا يصبح الخصم والحكم في آن واحد، لأن ميزان العدل عندئذ سيسقط من يده، وأراد الإسلام من جماعة المسلمين بمختلف فئاتهم ومجموعاتهم ولا سيما الفقهاء والعلماء وأهل العقد والحل أن تبقى جماعة قوية عصية عن مصادرة الإرادة، قادرة على ممارسة مسئولياتها هي الأخرى في حمل ميزان القسط الإسلامي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا كانت التقوى في الحالتين: حالة الحاكم وحالة الجماعة الإسلامية هي الضمانات التي يضعها الإسلام لحمل هذا الميزان، إلا أنه بعد ذلك يراعي شروطًا أخرى معنوية ومادية تساعد على إقامة العدل، وتحول دون إعطاء الحاكم ما يسمح له بالتسلط على الجماعة وتحول دون سلب الجماعة من عوامل قوتها حتى تكون قادرة على مواجهة الحاكم. فإذا أصبح السوق والأرزاق ملكًا للدولة ـ للحاكم وأصبحت المدرسة والمستشفى والجامعة ملكًا للدولة ـ للحاكم يكون قد امتلك أرزاق الناس وأعناقهم، مما يغريه على الطغيان ويقعد الجماعة عن تقويمه فيختل الميزان.. إن هذه الإجراءات تضع طغيان فئة على فئة أخرى في ميدان من الميادين، أو تضع نوع جماعة من جماعات لاغتصاب السلطة، في مواجهة قوى إسلامية تتمسك بالشرع وتواجه به ذلك الطغيان والاغتصاب، وهذا بالضبط ما جعل دولة الإسلام وحكمه في أكثر من مناسبة في التاريخ الإسلامي نماذج فريدة تصل في العدل حدًا لا مثيل له فيما عرف العالم من أنظمة وحالات وجعل التاريخ الإسلامي يعج بمواجهة الجور والانحراف.

إن الفكرة الأساسية التي يراد استخلاصها هنا، هي التأكيد على أن الإسلام جعل حكومته ودولته خادمين للشرع، منفذين لأحكامه، قائمين بالقسط والعدل، وجعل الجماعة قوية في مسئوليتها الشرعية، وأولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركها قوية في نموها العلمي والثقافي، وقوية في فرصها الاقتصادية. مما يطرح السؤال الآن كيف يمكن أن تعالج مشكلة العلاقة بين الدولة والمجتمع، والدولة والثورة على أساس الإسلام ضمن معطيات العصر الراهن؟ أو كيف يمكن أن تطبق تلك الخطوط العريضة على ظروف العصر في حالة قيام أنظمة حكم تبتغي الحكم بما أنزل الله ملتزمة بالشرع في تنفيذ أحكام الله في مختلف المجالات؟

الإسلام والدولة الحديثة

أصبحت الدولة الحديثة اليوم أكثر تعقيدًا من دول الأمس القريب بما لا تقاس، وكثرت أجهزتها ومؤسساتها وتضخمت موازناتها وإمكاناتها، وتغلغلت في كل مرافق الحياة، وسيطرت على أغلبها وأصبحت تمتلك جيوشًا، لا جيشًا واحدًا، وأصبحت قواتها أمنها ومخابراتها جيوشًا، وهذا ما يجعل مهمة الثورة، أية ثورة، بما في ذلك الثورة الإسلامية، أمام أخطبوط خطير اسمه الدولة الموروثة عن العهد السابق، وقد خطا القانون الذي يدفع هذا الأخطبوط إلى ابتلاع الثورة، أية ثورة، وهو يعلن بالصوت العالي «أنا الثورة»، «أنا الشعب»، «أنا الأمة»، و«ما أفعله يمثل كل هؤلاء»، وهكذا تنطلق منازع «غرائز» الدولة لتعلو فوق الثورة والشعب والمجتمع، مبعدة عنها الشرع، أو منحرفة به، أو مفرغة له، فإذا ترك الحبل على غاربه للدولة حتى تحقق هذا النزوع، ولم تقم الضوابط مقامه في الوقت المناسب، فسرعان ما تمحي الفروق المميزة بين ثورة وثورة أو دولة ودولة ولا يبقى غير الاسم مميزًا، ولا يغير من هذا الأمر ما يمكن أن تسبغه على نفسها من أوصاف مثل ـ عروبية أو وطنية أو إسلامية ـ أو ثورية ـ أو قومية ـ أو وحدوية ـ أو جماهيرية ـ أو شعبية ـ أو اشتراكية ـ أو ديمقراطية ـ أو تقدمية.

ولهذا كان التسلح بالوعي الإسلامي في معالجة هذه النزعة المعاصرة للدولة الحديثة، بل هذه النزعة، يشكل نقطة حاسمة وأساسية، ومن ثم فإن بناء دولة في العصر الحديث، على هدى دولة الرسول ﷺ، يحتاج إلى ابتداع أساليب ووضع ضوابط وفق روحية الضوابط والأساليب التي عرفها الإسلام الأول. فأسلوب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على سبيل المثال، في السهر شخصيًا على إقامة العدل وكيفية إقامته يقتضي في تطبيقه الآن تعميمه على أجهزة الدولة فالحاكم اليوم لا ينجز ما أنجزه عمر حين كان يخرج في الليل يتفقد أحوال الناس فيطعم جائعهم ويؤمن خائفهم ويرفع مظلمة مظلومهم ويحد فاسقهم، إن المشكلة الآن تتطلب أن يتحول كل جهاز من أجهزة الدولة إلى القيام بمثل هذا الدور، وهذا يخالف طبيعة أجهزة الدولة النزاعة إلى التسلط لا إلى العدل، والجانحة إلى تعقيد المعاملات لا تيسيرها، فلا بد لها من أن تظن كلما تخلت عن توقيع، أو حذفت من مستوياتها، أو سهلت معاملة أو أسرعت بها، كأنها تخلت عن صلاحياتها وعملها وقللت من شأن دورها وأهميته أو كلما طلب منها أن تستمع إلى شكوى الناس وتلبيها كأنها فقدت هيبتها الضرورية لتنفيذ الأحكام، فهيبتها هنا تنبع من قدرتها على القوة والتسلط لا من قدرتها على العدل والتقوى، لذلك هي ذات ميل دائم إلى زيادة التواقيع المطلوبة من كل معاملة، ومضاعفة ما يكابده المتعامل معها من تعب ومشقة، وهي ذات ميل لصم آذانها عن سماع الشكاوى والنقد حتى لا يتجرأ الناس عليها، وتفقد هيبتها، وبهذا لا يبقى أمام الناس غير اللجوء إلى الرشوة والمحسوبية، أو إلى الاعتزال والهجرة، ومن ثم لا يظن أحد أن تحول قيادة الدولة إلى أيدي الإسلاميين سيمنع تلقائيًا تلك الأجهزة من سلوك طريقها الخاص ولا يتوهمن أحد أن تلك الأجهزة لن تعمل على جعل الكادر الإسلامي يتخلق بأخلاقها من حيث تعامله مع الناس، ومع نفسه الأمارة بالتسلط، وهذا ما يتطلب مضاعفة الجهود في هذا العصر الذي ابتعد عن الفطرة من أجل مقاومة التخلق بأخلاق أجهزة الدولة الحديثة في روتينيها وبيروقراطيتها وعلمانيتها وتسلطها.

إن الخط الذي يعكس الحل الإسلامي لهذا المعضل في هذا العصر لا يكفي معه

بدون الحاكم مسلم تقي لا رقة و نشوع.
وإنما يتطلب عملا دائما لتعمير عقلية جهاز الدولة من أساسه هيكلية ومحتوى. وتشجيع كل العوامل الروحية والمعنوية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي بيد العلماء وأهل الحل والعقد والناس والمؤسسات الشعبية عامرة جهاز بالإسلام.

فالمطلوب أن يفاجئ الحاكم تلك الأجهزة وهي في وسط عملها حتى يرى بأم عينه كيف يتعذب الناس، وكيف يتوارى العدل وكيف تأكل الدولة الثورة.

إن نقد التجربة الرأسمالية والإقطاعية أو الدولة العلمانية لا يكفي لننتبه إلى الخطر الآتي من الدولة على الثورة الإسلامية ونقد أنصاره للدولة الاشتراكية من النمط السوفياتي لا يكفي أيضا لإبعاد هذا الخطر، وإن كان هذا وذاك ضروريين ابتداء، إن مثل هذا النقد يسمح للمجاهدين المسلمين ألا تبهرهم نظريات الغرب في الاشتراكية أو الرأسمالية. ولكن الحل الإيجابي يكون بعودتهم إلى قرآنهم وسنة رسولهم ونماذج التجارب الإسلامية العادلة في تاريخهم يستقرؤونها في كيفية بناء النمط الإسلامي للدولة في ظل متغيرات هذا العصر ولا سيقعون في دوران جهنمي يجعلهم يهربون من طغيان قلة من الرأسماليين والتجار والإقطاعيين إلى طغيان الدولة حين يسلمونها المصانع والمزارع والتجارة ثم يجدون أنفسهم بحاجة إلى الهرب من طغيان تلك الدولة إلى طغيان الرأسماليين والمحتكرين وهكذا دواليك ما لم يهربوا من هذين الطريقين إلى الطريق الإسلامي.

الحل الإسلامي للمعادلة الصعبة

إن النزوع لدى الدولة إلى البهجة والطغيان والابتعاد عن الشرع والعلو فوق المجتمع، يجب أن يعامل كما تعامل الغريزة في الإنسان أو القانون الداخلي في المادة. وبهذا لا ينظر إليه كأنه خطأ فكري أو انحراف ناجم عن تصور ذهني. الأمر الذي يعني أن المعالجة لا تكون بتصحيح أفكار أفراد الدولة وتصوراتهم. ومن ثم يذهب ذلك النزوع، وإنما تكون من خلال ضبطه كما تضبط الغرائز، وأهواء النفس. فصحيح تعزيز العقيدة والوصول بالإيمان إلى الإحسان لدى أفراد الدولة. وتصحيح أفكارهم وتصوراتهم شروطا لضبط غريزة قائمة ستظل تسعى وتغوي وتوسوس.

ومن هنا تقتضي أولى واجبات قيادة إسلامية تتولى سلطة الدولة بأن تضبط هذا القانون المتحكم بطبيعة الدولة كما تتحكم الغريزة في الإنسان. أي كما تقضي أولى واجبات المسلم تجاه نفسه بأن يضبطها بإخضاعها ميزان الإسلام وتنظيمها وفق مقتضياته. وبهذا تكون أولى واجبات الحاكم المسلم. وهو في السلطة ضبط ذلك القانون الذي يتغذى من أهواء النفس وفتنة المال والسلطان والأهل والشهرة. وهذا الجانب يتفرد الإسلام- من دون مختلف النظريات السياسية- بمعالجته من خلال الإيمان والتقوى والإحسان من جانب، ومن خلال ميزان عدله الذي يعطي كل أمر حقه من جانب آخر.

على أن ضبط السنة المتمثلة بطبيعة الدولة يختلف عن ضبط الفرد لنفسه. وإن كانت عملية ضبط الفرد لنفسه تنسحب تلقائيا على أفراد أجهزة الدولة، وهذا من الأمور المساعدة. ولكن غير الكافية أيضا. لأن الدولة ليست مجرد مجموعة أفراد متراكمين كميا، وإنما هي هيكلية متماسكة متشابكة، وتشكيلة مركبة معقدة. ولها عقلها الجمعي ونزوعها الجمعي. مما يسمح لها بالتغلب على الفرد في داخلها مهما علا شأنه، وقوى نفوذه، بل هي أقوى من مجموعة الأفراد فردا فردا. ومن ثم لابد لها من ضوابط أخرى بالإضافة إلى ضوابط الإيمان والتقوى بالنسبة إلى أفرادها. وتقف في مقدمة هذه الضوابط ما تعرضه الإسلام من واجبات على المسلمين خارج سلطة الدولة، وما يعطيهم من صلاحيات. وما يزودهم من قدرات روحية ومعنوية واجتماعية واقتصادية ومادية. مما يبقي في دولة الإسلام (المقصود هنا الدولة والمجتمع) ما يسمى في علم الطب للمضادات الحيوية التي تقوم بعملية الضبط لذلك القانون.

كما أن الإسلام يوجب على الحاكم وأجهزة الدولة أن يحملوا ميزان الإسلام لضبط الدولة وضبط الجماعة المسلمة، فإن من واجب الجماعة الإسلامية أن تحمل الميزان نفسه لضبط نفسها وضبط الدولة. وبهذا تطوق إشكالية العلاقة بين الدولة والمجتمع، الدولة والثورة. من جوانب عدة. وهذا الأمر غير ممكن إلا في ظل شرع الإسلام. لأن التسليم بالعبودية لله وحده من قبل الدولة والمجتمع والأجهزة والأفراد والمؤسسات، والخضوع لحكم الله وشرعه هو الذي يسمح بوضع الأساس لحل تلك الإشكالية.

بيد أن المطلوب هنا هو أكثر من البقاء ضمن هذه السمات الإسلامية الأساسية المتقدمة. ليمتد إلى تعزيز الحوافز التي شبهت بالمضادات الحيوية. وبهذا يصبح من الممكن حل المعادلة الصعبة في العلاقة بين الدولة والمجتمع.

يفترض الإسلام من الحاكم أن يكون مرشدا وموجها ومراقبا ومصححا ومتجددا، ولا يفترض به أن يحل محل الناس في القيام بالأعمال. فالإسلام لا يلغي السوق ليولي الدولة مهامه. ولا يلغي مبادرة الأفراد والجماعات في التملك أو التصرف أو الإشراف على الإنتاج في الأرض والمصنع ليولي الدولة ملكية أدوات الإنتاج حتى تقوم مقام أصحاب العمل والمنتجين تقريرا وإدارة وتصرفا. ولا يترك للأغنياء أو الرأسماليين أو الإقطاعيين باب الاحتكار والثراء غير المشروع واستغلال الناس مفتوحا على مصراعيه. ولا يجعل الدولة شريكا لهم وحاميا لاحتكارهم واستغلالهم. فهو يطالب الدولة بمنع الاحتكار والضرب على يد الاستغلال ويجعل من الإرث في الإسلام وسيلة مهمة لتفتيت الملكيات الكبيرة، وجعل من المشاع والأحباس والوقف وملكية عموم المسلمين لغالبية الأرض طريقا لتشكيل الجماعات القوية بامتلاكها وسائل الحصول على رزقها.

ومن ثم يكون الحل الإسلامي لتلك

للمعادلة الصعبة يتجه إلى تقوية المجتمع من خلال تقوية أفراده ومؤسساته وجماعاته. فإلى جانب تقويتهم من خلال العقيدة والإيمان، وتقويتهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقويتهم بحق الشورى وإعطاء البيعة وسحبها، وتقويتهم بجعل العلماء مرجعهم في إدارة شئون حياتهم، ثم تقويتهم من خلال عدم حرمانهم من حق التصرف في الأرض ومن حقوق الملكية الخاصة، ومن خلال الملكيات العامة التي تعود لعموم المسلمين أو الجماعات محددة منهم، قرية، قبيلة، مدينة، حرفة.. ومن ثم يوجب على الدولة ألا تسلبهم هذه الميزات. فلا تمد يدها على عمل أو مهمة يمكن أن يقوم به، أو بها، المسلمون أفرادا وجماعات.. بل تعمل على تهيئة الأعمال لهم وتشجيعهم على أدائها. وبهذا تصبح الدولة قوية بحرمانها من سلب المجتمع حقوقه. لأنها إذ فعلت طغت وانحرفت وأصبحت ضعيفة لأنها ستفقد دعم الشعب وتبوء بغضب الله. أما إذا فعلت العكس أصبحت قوية بدعم الشعب وبما تقيمه من عدل وبما تكسبه من رضى الله تعالى.. وبهذا يكون ضبط ذلك النزوع قد تم من خلال الضبط الذاتي بالعقيدة، وبنظرية العمل بالنسبة إلى الدولة، ويكون قد تم من خلال المجتمع القوى المنتج، المستقل، المالك زمام أمره، والقادر على ممارسة حقوقه. مما يشكل شروطا لضبط ذلك النزوع في الدولة، كما يشكل شروطا لضبط عدد من النوازع السلبية في الأفراد والجماعات والمجتمع نفسه.

وبهذا يكون النظام الإسلامي قد تجنب طريق الرأسمالية والدولة الرأسمالية من خلال تقوية الجماعات والملكيات العامة والمشروعات الأهلية والمؤسسات التي تديرها مجالس البلديات، والقرى والنقابات والمساجد والنقابات والتعاونيات، وصغار المنتجين والحرفيين. فضلا عن دور السلطة كحامل لميزان العدل في ترشيد الإنتاج والتجارة والاستهلاك ليمنع فوضى السوق ويضرب الاحتكار فيلعب دور الموجه والمصحح والمنقذ. كما يكون قد تجنب طريق الدولة الاشتراكية التي تمتد بنزوع الدولة نحو السيطرة إلى مستويات امتلاك وسائل الإنتاج والسيطرة عليها والتحكم بالأرزاق من خلال تأميم المصانع والأرض ومن خلال تأميم التجارة الداخلية والخارجية. مما يشكل من الدولة طبقة صاحبة امتيازات فوق المجتمع وفوق رعيتها. ومما يضعف المجتمع ويسلبه قدراته الاقتصادية ويسلبه دوره في إدارة الأعمال واقتراحها والقيام بها، الأمر الذي يرتد إهمالا للأرض، ولا مبالاة في المصنع، وضياعا في الحياة العامة.

يمكن أن يلاحظ حول المعالجة الإسلامية لهذا الموضوع أن ميزان الإسلام في تعزيز قوة الجماعة بالاستقلال عن الحاكم جعلها قادرة على الصمود حتى عندما كان ينحرف الحكم، أو تحتل البلاد من قبل الغزاة. فلم يكن شرعه ليذهب عندما يفسد رأس السلطة كما هو الحال في مختلف الأنظمة، وإنما كان قادرا على الفعل في القاعدة الشعبية التي بقيت قوية مستقلة عن السلطة لا تذهب بذهابها، وإنما أيضا بمرجعها الشرعي أي من خلال علاقتها بالعلماء الذين كانوا يوجهونها ويقودونها وفقا للشرع. ويطبقون ما أمكن من تعاليم الإسلام عليها حتى في ظل التغير أو في ظل الانحراف أو في ظل الاحتلال. فكيف يكون الحال إذا ما اكتملت هذه الميزة بالميزة الإسلامية الأخرى وهي الحكومة الإسلامية العادلة حاملة ميزان الشرع الداعمة للناس والمدعومة من الناس.

ملحوظات حول الحل الإسلامي لمكن لإشكالية الدولة والمجتمع في العصر الراهن

أولاً: لعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند تسلم جهاز الدولة تقديم أن يصار إلى إحلال الكوادر والعناصر الإسلامية في مواقع المسئولية في أجهزة الدولة. وهو أمر ضروري، ولاشك فيه، ولا سيما في الجيش والأمن العام والمخابرات، والخزينة، ودوائر الداخلية، ومراكز القرار الأساسية في مختلف الوزارات. ولكن اتساع أجهزة الدولة وضخامة كادرها والحاجة إلى الخبرات في إدارتها يجعل من المتعذر تحقيق هذا التغيير إلا جزئيا. مما يصبح من الضروري رفع شعار وإعادة صياغة الكادر القديم بالإسلام، مع إبقائه في مواقعه. ومن ثم يمكن القول لا يجوز اعتبار هذا الاستبدال قد حل المشكل الجوهري في الدولة، إنه في أحسن حالات تمرس الوضع الجديد من انقلاب عسكري مفاجئ، ويمكن الثورة القدرة على مواصلة التعبير بكلمة إنه جزء ضروري ولكنه غير كاف. أما الاكتفاء به فسوف يجعل الدولة تعيد صياغة الكادر الجديد ضمن قانونها الأساس. وهو النزوع للهيمنة وتوسيع الصلاحيات والاستقلال عن الشرع والمجتمع.

ثانياً: تتجه الثورة الإسلامية بعيداً عن أجهزة الدولة فهي ليست ثورة انقلاب عسكري، وإنما هي ثورة شعبية تعتمد على الله أولاً وقبل كل شيء. أما أداتها فقيادة المجاهدين والعلماء والمسجد والساحات الشعبية والجماهير في إسقاط حكم الطاغوت. ومن ثم لابد أن تبنى المؤسسات الشعبية بعيدا عن الدولة القديمة كالقوات المسلحة الشعبية ومؤسسات التعاون والرعاية وغيرها إلى جانب مواصلتها لأسلمة أجهزة الدولة القديمة.

يسمح هذا الوضع للثورة أن تواجه أصعب المراحل التي مرت بها داخليا وخارجيا. ولهذا يمكن القول أنها تستمر بعد توليها للسلطة ثورة شعبية تعتمد على الله، أولا وقبل كل شيء، ويبقى أداتها من المجاهدين وقيادة العلماء والمسجد والساحات الشعبية والجماهير.. ولكن ليس بعيدا عن الدولة كما في الوضع السابق للثورة، وإنما بتكامل مع الدولة الجديدة ـ القديمة ـ وهو تكامل يحمل في داخله نزوعا نحو التنافر ونزوعا نحو الانسجام، ونزوعا نحو التوازي، وآخر نحو الاندماج. ولكن الاتجاه العام يكون مزيدا من تقوية دور الدولة، ومزيدا من الدمج فيها بسبب

ثالثاً: من الواضح أن مثل هذا المسار يبقى الوضع أمام مفترق طرق فى معالجة الإشكالات الناشئة عن التنازع فى الصلاحيات بين أجهزة الدولة والمؤسسات الموازية التى نشأت خارجها. فيدفع البعض إلى دمج تلك المؤسسات فى أجهزة الدولة من أجل تحقيق أعلى درجة من الوحدة والفعالية فى أخذ القرار والتنفيذ. ومنع ما ينشأ من تنازع وفوضى، بسبب التعدد وكثرة المراكز. وهى حجة يجب ألا يستهان بقوتها ومنطقها. لأن ثمة سلبيات، أحياناً خطيرة، للتنازع والفوضى وتعدد مراكز القرار والعمل. بينما يتجه البعض الآخر إلى ترك الشارع يتحرك كما لو أن الدولة مازالت دولة طاغوت أو نفاق من أجل منع إجهاض الثورة واختزال دور المجاهدين العلماء والجماهير والحيلولة دون طغيان بيروقراطية الدولة.. ومن ثم تجنب الطريق الذى انتهت إليه كثير من التجارب العالمية حين ابتلعت الدولة الثورة، وصادرت الشرع والشرعية وطغت على الشعب، وهى حجة يجب ألا يستهان بقوتها ومنطقها. لأن سلبيات انتهاء دور المجاهدين العلماء والجماهير ينهى بالنتيجة حكم الإسلام نفسه.

إن هذين الطريقين يترجمان أنفسهما بأشكال كثيرة، وفى مختلف الميادين: فى التعليم. وفى الاقتصاد. وفى الحرب. وفى العلاقات مع الدول والحركات الإسلامية. ومن ثم ستستخدم فى الصراع بين هذين الطريقين مختلف الحجج الجزئية هنا وهناك. فعلى سبيل المثال ستثار فى مجال الاقتصاد ضرورة سيطرة الدولة على التجارة الخارجية والتجارة الداخلية والتوسع بالتأميم، وستثار فى الحرب ضرورة سيطرة الجيش «والعقل العسكرى العلمى» والانضباط. وستثار فى التعليم ضرورة توحيد المناهج وتطويرها وضبط التوجيه. وستثار فى العلاقات بين الدول والحركات الإسلامية حاجة إلى تحالفات دولية ذات فائدة ملموسة بدلاً من علاقات بحركات لا حول ولا طول لها «المتاجرة بها تقرب لشراء السمت وهو فى الحرب».

وفى المقابل، ستثار كل الحجج التى ستتهم هذه التوجهات ببناء دولة طاغوتية تصادر المبادرة الاقتصادية والحرية العلمية والفاعلية الشعبية والثورة الإسلامية العالمية.

ومن هنا ينشأ الحديث عن طريق ثالث يقوم على توازن دقيق بين هذين الطريقين. وذلك بما يسمح باستدرار الإيجابيات من هنا وهناك، وتجميعها لخدمة الإسلام. وبالتخفيف من السلبيات هنا وهناك. أو سلبيات بقاء هذين النهجين من أجل خدمة الإسلام أيضا.

على أن التوصل إلى اتفاق بالتراضى بين هذين الطريقين ليس ممكنا فى أغلب الحالات. فهو لا يرضى الدولة - السلطة أساسا - ولاسيما ضمن الظاهرة العالمية الراهنة للدولة الحديثة كما لا يرضى بعض الاتجاهات داخل الطريق الثانى. ولاسيما، تلك التى تميل إلى الهدم لا إلى البناء، وإلى الفوضى لا إلى النظام. وإذا ترك الأمر يعمل عفويا فسوف تتمكن الدولة من أن تعرض طريقها، وتنهى أمر الطريق الآخر، على الأقل، من ناحية قانونية عملية رسمية. أو دستورية. أو عرفا. هذا ما يجعل البعض يتشاءم من المستقبل. أو من المصير الذى تنتهى إليه الثورات على يد بعض قادتها أنفسهم من خلال «الدولة الثورية» نفسها.

رابعــــاً: لابد للدولة من أن تراعى القاعدة التى تطالب الدولة بألا تقوم بما يمكن أن يقوم به الأفراد والجماعات. إن هذه القاعدة تشكل صيغة نظرية من أهم ما طرح فى عصرنا لمعالجة موضوع العلاقة بين الدولة الحديثة والثورة، أو بين الدولة والمجتمع، وإذا أمكن أن تجد ترجمة حقيقية فسيخرج منها وضع جديد لم يسبق له مثيل فى تنظيم المجتمع نفسه وتوزيع السلطات والمقدرات والصلاحيات فيه.

إن الحكومة ومعها أجهزة الدولة حين لا تتولى شئون التنفيذ إلا فى المجالات التى لا يمكن أن ينفذها سواها. فهنا يحمل دورها لا الاستيلاء على الأدوار التى يقوم بها غيرها من الأفراد والفئات والجماعات فى المجتمع. وإنما يصبح دورها تشجيع الأفراد والفئات والجماعات على القيام بما يقومون به من أدوار، بل تشجيعهم على القيام بأدوار أخرى، وتحمل الأعباء، فيحال عدد كبير من المهام التعليمية والاقتصادية والصحية والتعبوية والعسكرية إلى المساجد والمؤسسات والبلديات ومجالس القرى واللجان الشعبية والشركات الخاصة والأفراد. ويصبح دور الدولة مرشداً، ومراقبا، ومتدخلا فى حل الإشكال الذى يعجز غيرها عن حله، بما فى ذلك المنازعات الفردية. وبهذا يصبح بالإمكان تطبيق حكم الإسلام فى الحياة والمجتمع تطبيقا أفضل، وإذا ما فعلت الحكومة وأجهزة دولتها ذلك أمكنها أن تقوم بواجباتها التى لا يستطيع غيرها القيام بها على أحسن ما يرام، بسبب ما يمكن أن تضعه من تركيز عليها.

إن مراعاة هذه القاعدة تساعد على حل الإشكالية بين الدولة والشعب، بين الحكام والناس. ويؤدى تأملها جيداً إلى رؤية التمايز الواضح بين الحكومة الإسلامية والأنظمة الرأسمالية. وذلك من جهة انتمائها إلى الإسلام أولا، وفى الموقف من الفئات المحرومة ومن الشعب ثانيا وفى تمايزها عن الحكومات السابقة التى لم تكن تعتمد على الشعب لأنها تعتمد على الخارج، وتسعى لخدمة الخارج ثالثا، ثم رابعا، ميزتها الفاعلة فى مراقبة السوق والإشراف عليه وهى تحمل ميزان العدل لتردع الاحتكار والظلم والفساد وتهب للنجدة حيثما كان هنالك نقص حدث ما.

أما من الزاوية الأخرى فواضح تمايز الحكومة الإسلامية، عن حكومات الدول الاشتراكية ذات الطابع السوفياتى فهى لا تقوم بما يجب أن يقوم به الناس، وهى تبقى الشعب فى الساحة، وتترك السوق فى الأعمال. ولا تعزله. ولا تؤدى من مهامه إلا ما يتعجز عن أدائه. ولا تقف

حائلاً أمامه. لأن حرية الناس يجب ألا تسلب، بما فى ذلك ألا تسلب من قبل حكومة أو أجهزة الدولة.

خامساً: تبقى نقطة تحتاج إلى إيضاح من حيث إن هذه موضوعة تحتاج لأعلى مستوى الفقه الإسلامى فحسب، وإنما أيضاً على مستوى علم الاقتصاد وعلم المجتمع وعلم الحياة والتاريخ.

إن الترجمة لمبدأ الحل الإسلامى تتطلب أن يتجه بتراث الشعب للأعمال عامة الاقتصادية والثقافية والتعليمية والصحية والاجتماعية والخيرية وذلك بإعطاء تشجيع أكبر للمؤسسات ذات الصفة الجماعية، وللجان الشعبية، ولجان المساجد، وللتعاونيات، ولجان القرى، ولجان المعامل، وللقبائل وللعائلات، وللنقابات والنوادى. وبهذا تتحد عدة عناصر بشبكة واحدة

١ ـ تصان الحكومة وأجهزة الدولة من الوقوع فى الطغيان والتعدى على الشعب حين لا يسمح لها بتملك أدوات الإنتاج والتحكم بالأرزاق والأعمال.

٢ ـ يمنع الانحراف إلى طغيان الاحتكاريين والرأسماليين أو حكمهم وسيطرتهم على الاقتصاد والدولة حين تنجح التعاونيات والمؤسسات والهيئات واللجان والجماعات لتمتلك، وتعمل، وتسهم فى السوق والإنتاج الذى يؤدى إلى تقوية المجتمع بدوره، ويساعد على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويجعل اصطدام الأعداء بدولة الإسلام اصطداماً مع الجماهير الواسعة.

٣ ـ يعطى الحكومة فرصة لتقيم العدل، وتنجح حين تحصر أعمالها المناسبة لها، والتى يمكن التركيز عليها. وبهذا تصبح هناك حكومة إسلامية قوية. ومصدر قوتها العدل ودعم الشعب لا القمع والسيطرة ودعم الخارج، ويصبح هناك مجتمع قوى ومصدر قوته آت من إيمانه بالله وإسلامه أولاً ثم قدرته وقدرة مجاهديه وعلمائه المعنوية والاقتصادية وعدل حكومته. ومن ثم لا يأتى المصدر الوحيد لعدم طغيان الحكومة وأجهزة الدولة من إيمان الدين على رأسها وحده وهذا ما له الأهمية الأساسية. آت من قوة المجاهدين والعلماء وأهل الخير والعقد والمجتمع، لا من جهة العلم والرأى والمعنويات فحسب، وإنما أيضاً، من حيث موقعه فى إدارة وتسيير الأعمال المختلفة من الحقل حتى السوق ومن المصنع حتى المستهلك كما فى المدرسة والجامعة والمستشفى والنادى والنقابة والجمعية، وذلك لأنهم فى هذه الحالة يتمتعون باستقلال عن الدولة ويمارسون دوراً فاعلاً فى مختلف مجالات الحياة، كما لا يخضعون لتحكم قلة من الرأسماليين الاحتكاريين أصحاب الشركات الكبرى.

إن هذا هو الحل الذى ينبع من مبدأ التوحيد، من مبدأ العبودية لله وحده. وهو الحل الذى يجعل تقوى الأفراد تمتلك القدرة والقوة أيضاً ويجعل دولة الإسلام قادرة على الاستمرارية ومواجهة المخاطر والعواصف، ويجعل الملايين وعشرات الملايين المسلمة وغير المسلمة تحلم بالحل الإسلامى لمشاكلها.

من تراث الهلال

الإنسان فى رحلة البحث عن الله عزوجل

يظل الأزهر الشريف كعبة العلم لكل المسلمين فى قلب كل مسلم وعلى الأخص فى مصر بلد الأزهر. لمكانته العلمية الرفيعة. ولدوره التاريخى المشهود. فعلماؤه فى كل بلاد الدنيا. سفراء ينشرون الإسلام بوسطيته السمحة. ويعلمون الناس ما حصلوا عليه من علوم إسلامية. تعد بمثابة مصابيح تهدى الناس إلى صحيح الدين وثوابته.

فلقد كان من أبرز أسباب علو منزلة الأزهر فى مصر والعالم الإسلامى انفتاح أبوابه لمختلف الجنسيات من مختلف البلاد. فى وقت كانت فيه كثير من هذه البلدان خالية من المعاهد العليا على نفس المستوى مستوى الأزهر. مما جعل هؤلاء الوافدين للتزود والدراسة فيه رسلاً منتشرين فى أنحاء العالم الإسلامى يحملون رسالته السمحة.

فى رحاب الأزهر ومنذ نشأته عرفت المساواة، وانعدمت الامتيازات بين كل طلابه، فأروقته ترحب بأبناء المسلمين الذين نفروا إليه من مختلف الأقطار فى شتى العصور يستمعون التفقه فى الدين والمعرفة والعلم النافع، والتوجيه السديد، حتى إنه يمكن اعتباره «هيئة أمم إسلامية شعبية».

ومؤسسة كهذه لها مكانتها فى العالم الإسلامى، وهذا هو تأثيرها لابد أن تحظى بموقع ممتاز فى القيادة المصرية.

وأنا أتناول فى هذه الحلقة من «تراث الهلال» كل ما كتب عن الأزهر وما كتبه علماؤه ومشايخه على صفحات هذه المجلة والتى تصدر منذ مائة وعشرين عاماً، كان من واجبى أن أبدأ بهذه المقدمة لمكانة الأزهر فى نفسى، ولدى كل مسلمى العالم.

فهذا رئيس تحرير الهلال صالح جودت فى تصديره لعدد الهلال الذى صدر أول يوليه ١٩٧٢ م ـ ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ وكان عدداً خاصاً عنوانه «الله».

يقول: «في مثل هذا الشهر من ألف عام، أقيمت أول صلاة جامعة في رحاب الأزهر، واحتشدت في صحنه جموع المسلمين تحتفل بقيام أعظم جامعة إسلامية في الأرض، وتعالى من مئذنته الدعاء باسم الله جل جلاله.

وقد توالت الأحداث على مصر، وتعاقب الغزاة، وتحكم الطغاة، وانعكس ذلك على الأزهر، فأصابه ما أصاب مصر من نكبات، ووقع فيه ما وقع في مصر من فتن، كما كلله كل ما كلل مصر من انتصارات، وارتفع به ما ارتفع بمصر من وثبات.

حاول بعض الحكام في بعض الأزمنة أن يطفئ منارة الأزهر، سماء بصاحبيه، كما حاول الأمور، ولكن بقيت منارة خفاقة، وبقيت منارة عالية.

وحاول بعض الغزاة أن يهدر كرامة الأزهر، فاقتحمه نابليون بخيله ورجله، ولكن نابليون خرج من مصر، وذهب في النهاية إلى المنفى كسيرا ذليلا، وبقيت حرمة الأزهر مصونة مكرمة.

مكانة رفيعة للأزهر

وحرصت الهلال في عددها هذا الخاص أن يكون مقالها الافتتاحي لفضيلة العالم الجليل الدكتور عبدالحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر آنذاك، وكان واحدا من كتابها الدائمين وقد كنت حريصا على الذهاب إلى مكتبه في مشيخة الأزهر أو إلى منزله العامر بحي الزيتون لتسلم المقال منه تكريما وحبا له.



أ.د عبدالحليم محمود

مقال شيخنا الكريم عنوانه: «الإنسان في رحلة البحث عن الله عز وجل» وبدأه بقوله: من روائع مناجاة ابن عطاء الله السكندري ما يلي

«إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك. أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟».. «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟».. «ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟».. إن مسألة وجود الله لم تكن في يوم من الأيام محل بحث عند ذوي الشعور الديني السليم.

ولم ينشأ الجدل في هذه المسألة إلا في العصر اليوناني، فهو العصر الذي جعل منها مشكلة قابلة للأخذ والرد، والقبول والرفض والواقع أن ظروف العصر اليوناني القديم هي التي جعلت منه مثلا سيئا في كل ما يتعلق بالدين والخلق.

لقد كان عصرا خلا من الدين الحق، ولم ينعم بالمعرفة الصحيحة، عن طريق الوحي، فحاولت طائفة منه أن تصل إلى الوحي عن طريق الكهانة، ومن ذلك كاهنات معبد دلفي المشهورات

وحاولت طائفة أخرى أن تصل إلى الوحي عن طريق النسك والعبادة والذكر، ومن هؤلاء فيثاغورث وأتباعه، وأفلاطون والأفلاطونيين القدماء منهم والمحدثون

لقد حاولوا أن يقتنصوا الوحي قنصا، وأن يكتشفوا عن الحجب، وأن يزيلوا الأقنعة، وأن يصلوا إلى الله فيتصلوا بالجمال والجلال والخير المطلق بيد أن الطريق الذي سلكوه، إنما هو طريق خاطئ؛ لأنه لم يؤسس على وحي يرسم طريق الهداية الصحيح، وإنما أسس على نهج عقلي بشري، أو على تقاليد متوارثة.

في الإسلام الله لا يحتاج إلى إثبات

يشير فضيلة الدكتور عبدالحليم في مقاله قائلا: لقد أخذ هذا الوضع يتخطى القرون، حتى جاء الإسلام، فوضع الأمر في نصابه، ووجه الأذهان إلى أن الأمر الأساسي إنما هو مسألة الوحدانية: «أشهد أن لا إله إلا الله».. وجه الإسلام الأذهان في عمق وفي قوة إلى التوحيد، لا إلى إثبات الوجود.

لقد وجه الإسلام الأذهان إلى أن الله لا يحتاج في إثباته وفي وجوده إلى دليل، وهو - على العكس - الدليل على غيره، فغيره ثابت به، والعالم ثابت به، والسماوات والأرض والعرش والكرسي، كل ذلك موجود بوجوده، ثابت بثباته، والوجود بأكمله محتاج في كل لحظة إليه فضلا عن احتياجه إليه في نشأته الأولى ووجوده الأصلي.

﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾

(فاطر ٤١)

إنه يمسكهما في كل وقت، وفي كل لحظة، فلو تخلى عنهما طرفة عين لتلاشت فكانتا هباء، وكانت عدما، وكل ذرة في العالم، وكل خلية في كائناته إنما ثباتها وقيامها به.

ومثل الإنسان كمثل أي كائن حي من حيث وجوده وقيامه بالله، وقد كرمه الله وأعطاه الكثير من المنح والمواهب، ووهبه قدرة التمييز والفهم، وسخر له الكثير من العوالم الأخرى وجعله خليفة في الأرض ومن أجل ذلك كانت مسئوليته فيما يتعلق بتصحيح الصلة بينه وبين الله عظيمة خطيرة.

أما تصحيح هذه الصلة فإن ذروتها العليا ومثلها الأسمى إنما هو ما أمر به صلوات الله وسلامه عليه في قوله تعالى:

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾

(الأنعام ١٦٣)

طريق الهدى والصواب

في رحلة البحث عن الله يواصل شيخنا الجليل قائلا: فرق كبير بين من يتخذ هذه الآية القرآنية شعارا، ومن يحاول - متجاوزا قدره - الاستدلال على وجود الله بمخلوق من مخلوقاته

إن الفرق بينهما هو الفرق بين طريق الهدى والصواب، وطريق الجدل والشك.. وجاء الإسلام - كما قلنا - ليضع الأمور في نصابها، وليصحح الأوضاع التي انحرفت.

ومن هذه الأوضاع الشرك بأنواعه، والإنسان يشرك بسبب الضعف على وجه العموم، وقد يكون هذا الضعف فقرا، وقد يكون جهلا، وقد يكون طمعا وجشعا، وقد

يكون خوف وفزع. وقد يكون غير ذلك

ومهما يكن من أمر الشرك فإنه أينما وجد، ليس إلا مظهرا من مظاهر الضعف وحاول الإسلام أول ما حاول أن يطهر النفوس من هذا الضعف، وأن يصعد بها بالتوحيد إلى مجالات العزة والكرامة..

﴿ [illegible] ﴾

(النحل: ٨)

فكانت دعوته للتوحيد

رحمة الخالق بعباده

أما ما في القرآن الكريم مما تخيله بعض الناس استدلالا على وجود الله.. وأعتقد أن القرآن قصد تذكيره الاستدلال على وجود الله. فليس إلا بيانا لمظاهر قدرة الله وعنايته بالعالم. ومن ذلك مثلا

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد: ٤)

وإن الله سبحانه وتعالى خلق

﴿ [illegible] ﴾

(النبأ: ٦ - ١٦)

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] ١ - ٤)

وما مثل هذا في تصوير قدرة الله إلا كثير

﴿ [illegible] ﴾

(طه: ١٠٥ - ١١١)

إن ذلك وكثير غيره، إنما ذكر ليبين عظمة الله وجلاله وقدرته، ويبين رحمته بعباده وعنايته بهم.

وما من شك في أنه يمكن أن يؤخذ من ذلك أدلة كثيرة على وجود الله وما من شك في أن الأدلة التي تؤخذ من ذلك يمكن أن تصاغ في أسلوب منطقي، في قياس يشتمل على المقدمات والنتائج، ويكون متفقا مع قواعد المنطق الأرسطي ومبادئه، ولكن ذلك لن يكون قط تصويرا للهدف من أهداف القرآن. فالقرآن لا يضع قط وجود الله موضع شك حتى يحتاج إلى الاستدلال عليه.

من روح القرآن

أشار شيخنا الجليل إلى بعض القصص التي تروى على أنحاء شتى وأساليب مختلفة تتفق في الجوهر وتختلف في الرسم.. قال: يحكى أن بعض مشاهير العلماء ألف كتابا ضخما في إثبات وجود الله، فأقام له أصدقاؤه حفلة تكريم من أجل عمله الضخم هذا، ومر بهم بعض الصالحين، فأخذوا يحدثونه عن عبقرية المؤلف. فسأل: ومتى غاب الله حتى يكون في حاجة إلى إثبات، فوجم الجميع ولم يستطع المؤلف الإجابة. وتركهم الرجل الصالح وهو يردد

﴿ [illegible] في خوضهم يلعبون ﴾

(الأنعام: ٩١)

وقال رجل للنوري ـ الصوفي المعروف: ما الدليل على وجود الله؟

قال: الله

قال الرجل: فما العقل؟

قال: العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله.

والنتيجة التي نريد أن نصل إليها هي: أن روح القرآن إذن هي قيادة النفوس إلى التوحيد..

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٢٥)

* * *

﴿ [illegible] ﴾

(الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨)

دور مهم للعلماء

في ختام مقاله تحدث فضيلة الدكتور عن الفاسدين الذين ينكرون وجود الله أو يسيئون إليه سبحانه وتعالى قائلا: مما لا شك فيه أن من الوسائل الكريمة التي تحول دون انتشار أفكار هذه القيادات الفاسدة الملحدة في المجتمع. ما يرجع إلى علماء الدين، فإنهم وقد هيأ الله لهم أن يتولوا قيادة المجتمع دينيا، لا شك يكون تأثيرهم جارفا إذا كانوا مثلا عليا للفضيلة: للفضيلة في أسمى معانيها وأشملها، أي إذا كانوا ـ حقا ـ بالمنزلة التي ترضى الله ورسوله علما وخلقا وحبا للخير.. وإخلاصا في كل ما يأتون وما يدعون.

وقد بين الله موازين الخير وموازين الفضيلة، وبين طريق الخير وسبل الضلال.

وعلماء الدين أعرف بذلك من غيرهم. فمسئوليتهم أشد، وواجباتهم أضرم، وتأثيرهم في المجتمع: بادية وحاضرة، لا شك كبير. والله يهدينا جميعا سواء السبيل.

مياه النيل وضرورة العمل المشترك بين دول الحوض

كان الناس على مدار التاريخ ينظرون إلى الماء على أنه سر من أسرار الحياة وهبة من الخالق للإنسان، يتمتع بها كيف يشاء، و[illegible] وقرنه [illegible] كالشمس والهواء، ثم جاء القرن العشرين ليغير هذا الخلق الجميل.

بلغت الكثافة السكانية في العصر الحاضر حجما لم يعرف التاريخ له مثيلا. ومع التنمية [illegible] [illegible]، [illegible] العذب، زاد الطلب على الماء زيادة كبيرة [illegible] نقصا في [illegible] العذبة يتفاوت من بلد لآخر، ومع وجود النقص ظهرت مشكلتان:

الأولى: توزيع المياه بين الاستخدامات المختلفة على صعيد [illegible].

والثانية: توزيعها على صعيد الإقليم بين الدول المختلفة التي تشترك في حوض نهر أو بحيرة أو مياه جوفية.

لم تعد البلدان تتعامل مع الماء كمادة متوفرة، بل وضعت الدول خططا قومية، وأقامت آليات لإدارة مواردها المائية، وأدى التنافس على موارد المياه العذبة في العالم إلى عقد اتفاقيات ثنائية بين دولتين، و[illegible] اتفاقيات جماعية بين الدول المتشاطئة.

وبالنسبة لنهر النيل فقد عده المؤرخون شريان الحضارة المصرية القديمة وهو أطول أنهار العالم، وبرغم أن ما يغذي أعاليه أمطار تبلغ ٢٠٠٠ مليار متر مكعب سنويا، فإن ما يحمله مجراه لا يتعدى ٧٪ من هذه الكمية المائية الضخمة، وبدأت الدول المشتركة في مياهه [illegible] بمشكلة مزمنة، خاصة بين دول أعلى النهر وأسفله، وتفاقمت هذه المشكلة في القرن العشرين.

ولم تكن دول أعالي نهر النيل في الماضي تهتم بمياه النهر الذي ينبع من أراضيها:

أولا: لأن لديها وفرة هائلة في المياه بسبب غزارة الأمطار التي تسقط عليها.

وثانيا: لأن مناطق الزراعة المروية في هذه البلاد و[illegible] السكانية [illegible] كانت صغيرة للغاية، وفي مطلع القرن العشرين تبدلت الأحوال، حيث أدى الجفاف والكثافة السكانية إلى [illegible] جعلت هذه الدول تفكر في تطوير الزراعة المروية.



من الطبيعي أن تختلف الظروف البيئية من منطقة إلى أخرى حسب الظروف التضاريسية والمناخية وغيرها، وقد ظلت مناطق حوض النيل، خاصة في الجزء الجنوبي - منطقة أعالي النيل - ظلت مئات السنين على طبيعتها دون تدخل كثيف من الإنسان، بسبب قلة أعداد السكان من جهة، ووفرة الأرض والمياه من جهة أخرى وظل هذا النمط ساريا إلى حاضر القرن العشرين تقريبا، ثم حدثت متغيرات سكانية دفعت إلى تغيير الأنماط السائدة في العيش، والرغبة المتنامية في التعمير والتنمية، رغبة الإنسان في التنمية هي التي جعلته يخترع ويبدع ويفرض إرادته وقدرته على الطبيعة بصورة حققت تطورا عقليا وفكريا وعلميا وتكنولوجيا لم يسبق له مثيل. ولكنها في ذات الوقت أثرت على توازن البيئة الطبيعية.

وقد تنبه كثير من العلماء لهذه الظاهرة، ونبهوا على خطورتها ونادوا بضرورة حماية البيئة الطبيعية.

وفي الثمانينات من القرن العشرين عقدت ندوة في [illegible] روما، دقت ناقوس الخطر، وأعلنت أن التنمية التي اندفع فيها الإنسان إذا استمرت غافلة عن آثارها على البيئة الطبيعية فإنها سوف تهدد مستقبل الحياة على الكوكب الأرضي.

وفي عام ١٩٩٢م جمع مؤتمر «قمة الأرض» في «ريو دي جانيرو» الذي ركز على المخاطر المحيطة بالبيئة الطبيعية، وأوصى بالبرامج المطلوبة للمحافظة عليها.

واهتم مؤتمر «قمة الأرض» بالأنهار [illegible] من مصادر مياه عذبة مهمة، و[illegible] الأخطار التي تواجهها بسبب نقص حجم مياهها ونقائه، ولما كانت البيئة الطبيعية هي ميراث الإنسان للأجيال اللاحقة، والأنهار جزء من هذا الميراث العظيم فقد وجب على الإنسان أن يحفظه ويرعاه ولذلك نبه الخبراء في هذا

مؤتمر إلى ما يلى

١- خطورة توزيع الثروة والقدرات الاستراتيجية فى العالم توزيعا غير متوازن حيث أصبحت ثقافة الاستمتاع والاستهلاك ثقافة عالمية، ولذلك اعترف الخبراء بأهمية الجانب الثقافى للإنسان، وأهمية البعد الإنسانى فى التنمية[٢].

٢- تركيز العولمة على الربحية صار يضغط فى اتجاه التخلى عن المكاسب التى تفرضها الرعاية الاجتماعية، التى هى إحدى وسائل المجتمعات لامتصاص العدم الاجتماعى وتحقيق السلام الاجتماعى.

٣- العولمة تفترض أن عوامل حرية انتقال رؤوس الأموال والتبادل التجارى سوف تكون أفضل وسيلة لتنمية البلدان المتخلفة اقتصاديا، والنتيجة الأكثر رجحانا هى أن العولمة سوف تركز على البلدان الأكثر تطورا، وتهجر البلدان المتخلفة، فتزيد الفوارق بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة.

٤- أن السلام والاستقرار العالمى نفسه يعتمد على الجهد الإيجابى؛ لأن العالم الفقير إذ يعانى من الجوع، والفقر، والمرض والإهمال، فإنه سوف يدفع إلى مشكلات خطيرة على رأسها: الهجرة غير القانونية لدول الشمال والتطرف السياسى تحت شعارات مختلفة.

٥- ومن أهم سلبيات التركيز على الربحية وحدها كهدف للنشاط الاقتصادى، عدم الاهتمام بآثار الاستثمار فى المجالات المختلفة، خاصة البيئة الطبيعية لذلك برز فى الاتجاه المعاكس للعولمة الاهتمام بالبيئة الطبيعية ذلك الاهتمام الذى صار له وزن عالمى لا سيما بعد مؤتمر «قمة الأرض»، وصارت تتبناه منظمات عالمية، وأحزاب سياسية فى البلدان الديمقراطية.

هذا ولم يعد هناك شك فى أن تركيز غاز ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجوى يتزايد، وأن درجة حرارة الأرض ترتفع، وأن ترسيبات النيتروجين والكبريت تتزايد، وأن غلاف الأوزون فى طبقات الجو العليا آخذ فى التآكل[٣] مما قد يؤدى إلى كوارث تصيب الطبيعة والإنسان على وجه الأرض بأضرار بالغة.

أما عن البيئة الطبيعية فى حوض النيل حاليا، فإنها تعانى من عدة مشكلات على رأسها:

١- الجفاف:

فى السبعينيات ظهر جفاف أصاب عددا من البلدان الإفريقية، ونتيجة للجفاف نزحت أعداد كبيرة من المواطنين من المناطق الجافة لمناطق أخرى. هؤلاء سموا بـ«لاجئى البيئة»، وفى عدد من البلدان المعنية. لاسيما فى حوض النيل، فكرت الحكومات المعنية فى توطين هؤلاء النازحين فى أرض مجاورة لمجرى النهر ليزرعوا الأرض التى تروى من مياه النهر

[٢] [illegible] ٢٠٠م ص٢٩

[٣] [illegible]



السد العالى

والنتيجة الأولى للجفاف هى التحول الكبير فى الخريطة السكانية، والزحف نحو وديان الأنهار وإقامة السدود للرى.

وفى إثيوبيا على سبيل المثال جاء ستحدد هو موارد النيل الثانية، كرد فعل مباشر للجفاف والمجاعات التى حلت بأرضيهم. كنتيجة لإزالة الغابات من الأراضى خاصة مما أدى إلى ازدياد سرعة المياه المنحدرة شمالا الذى أدى إلى جرف التربة. ومن ثم حمل كميات أكبر من الطمى، مما زاد من الترسيبات الغرينية خلف السدود، وقد قلل هذا بدوره من كفاءة الخزانات فى السودان ومصر، حيث أدى إلى خفض طاقاتها التخزينية للمياه، وتقليل قدرتها على إنتاج الطاقة الكهربائية.

٢- التصحر:

إثيوبيا كمثال أيضا كانت مغطاة بالغابات فى نحو ٤٠٪ من أراضيها حتى عام ١٩٠٠م

أما اليوم فهى تعانى من انحسار كبير فى الغطاء الغابى الذى لم يعد يغطى أكثر من ٤٪ من أراضيها

أما السودان الذى به أطول مجرى للنيل فهو يعانى من الزحف الصحراوى الذى يؤدى إلى دفن وطمس مجارى المياه التى تصب فى النهر، مما يؤدى بدوره إلى تغطية الأرض الصالحة للزراعة، ويزيد من درجة تبخر المياه. بعض هذا التصحر بسبب الجفاف الطبيعى وبعضه عائد للممارسات البشرية فى مجال التوسع فى الزراعة الآلية، والاحتطاب لأغراض بناء المساكن والوقود وغير ذلك.

٣- انتشار الحشائش:

يعانى مجرى النيل من وجود كثير من الحشائش، التى يؤدى انتشارها فى كثير من أجزائه إلى الإضرار بالنهر وبيئته الطبيعية وأضرارها تتعلق بتقويض منشآت

إدارة الموارد المائية، وبتعويق الملاحة النهرية، وبتعويق انسياب النهر في مجراه، وبالتالي زيادة البخر. وهذا نسبة ليست قليلة من مياه النيل.

٤- آثار التنمية على البيئة:

الحقيقة التي ينبغي تأكيدها هي أنه قبل السبعينيات كانت الآثار البيئية نادرا ما تؤخذ في الحسبان عند تصميم مشروعات الري، وقد أدى ذلك إلى ظهور عدة مشكلات تمس حياة السكان مباشرة، مما أدى إلى وقف تنفيذ مشروعات تنموية مهمة عديدة، مثل مشروع قناة جونجلي.

٥- الأمراض:

هناك عدد من الأمراض الخطيرة مثل مرض عمى النهر والبلهارسيا والملاريا وهناك الأمراض المرتبطة بنقص المياه النقية وصعوبة الحصول عليها وتقدر منظمة الصحة العالمية أن ٨٠٪ من الحالات المرضية بالدول النامية راجعة لنقص المياه النقية.

هناك وسائل حل مشكلة نقص المياه منها العمل المشترك بين دول حوض النيل، وزيادة العرض من مياه النيل، وهي قضية إقليمية لا يمكن تناولها إلا في نطاق الحوض كله بحيث تؤدي إلى زيادة الموارد المائية المتدفقة إلى نهر النيل، وهي عملية متاحة لدول منابع النيل، بالإضافة لوجود بدائل أخرى فيها، تسهم في سد حاجاتها المائية، وهي عبارة عن أنهار بعضها قطري، وبعضها الآخر دولي مشترك.

الاتفاق على توزيع موارد النيل الحالية بصورة تقبلها كل دول الحوض، والاتفاق على مشروعات إنتاج الطاقة الكهرومائية من مياه النيل، والاتفاق على مشروعات تخزين المياه، ومشروعات ترشيد مجاري المياه، والتعاون بشأن البيئة الطبيعية في حوض النيل، وتنظيم جمع وتحليل وبث المعلومات المناخية والهيدرولوجية - كلها مهام لا تدرك ولا تعالج إلا في نطاق إقليمي يشمل دول حوض النيل بأكملها.



خزان أسوان

والنيل نهر دولي مشترك بين عدد كبير من البشر وهو يعاني من نقاط ضعف مهمة.

- **أولاً:** النيل لدى منابعه أقل مجاري المياه تنمية.

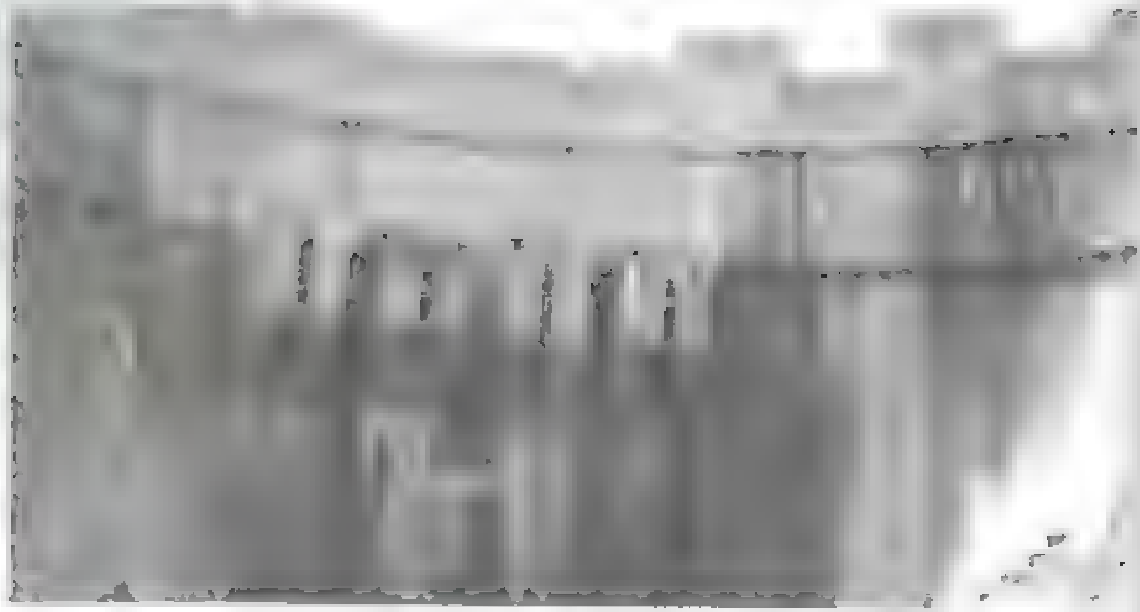
- **ثانياً:** نسبة ما يحصده النيل في مجراه من الأمطار الكثيفة التي تهطل على حوضه نسبة قليلة جدا تبلغ حوالي ٧٪.

- **ثالثاً:** التعاون الجماعي بين دول حوض النيل في أضعف حالاته.

ولا سبيل لإجراء إصلاحات إلا بحركة وعمل جماعي مشترك.

والجدول الآتي يوضح تدفق المياه في حوض النيل، ومنه تتضح الكميات الكبيرة التي يفقدها النهر في المراحل المختلفة من مجراه[٤]:

المنطقة	الفاقد بمليار المتر المكعب
منطقة السدود	١٥
منطقة بحر الغزال	١٤,٥
مستنقعات مشار	٤
البحيرات الشرقية	٢,٥
الحجم الكلي	٣٦



سد تكزا الإثيوبي

ومن هذا الجدول يتضح أن نهر النيل القادم من بحيرات وسط أفريقيا يتحول من تيار جارف عبر كتل جبلية إلى سلسلة متفرقة من الأحواض والمجاري المتسعة، مما يؤدي لفقدان كميات كبيرة من المياه بالتبخر وفي قلب منطقة السدود مستنقع دائم مساحته ٩٥٠٠ كيلو متر مربع، رغم أن مساحته تتغير بين سنة وأخرى حسب سقوط الأمطار على البحيرات الجنوبية.

جاء في دراسة علمية قدمها ثلاثة من الخبراء المصريين قولهم: لقد تعدد المنتفعون من مياه النيل، فمن الممكن زيادة تدفق هذه المياه بمقدار ٥٧,٤٥٣ مليار متر مكعب في السنة[٥] وهذا ما تؤكده أيضا دراسات خبراء عالميين[٦] إذا ما أبرم اتفاق شامل يفتح أبواب التعاون بين شعوب حوض النيل، ويحقق التنمية والرخاء للجميع.

---

[٤] نهر النيل - محمود المراكبي - ص٣٠

[٥] جمال علاء، مهدي الجمل، عمر القاضي، ورقة قدمت لمؤتمر ... القاهرة ...

[٦] المصدر: الاجتماع ... الموارد المائية - لجنة اليونسكو القاهرة - مارس ...

العلوم الكونية فى خدمة الشريعة الإسلامية ومقاصدها (٢)



أ.د. أحمد فؤاد باشا
الفيزياء النووية بجامعة

حفظ النفس والبدن (الصحة) بالعلوم الطبية وتقنياتها:

يعرَّف الطب بأنه علم يُعرف منه أحوال بدن الإنسان وتنسيته من جهة ما يصح ويزول، لتحفظ الصحة حاصلة وتسترد زائلة، ويقول ابن خلدون فى مقدمته: "صناعة الطب تنظر فى بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية"، والأصل فى الطب هو التخفيف عن آلام الناس الجسمية، وكَربهم النفسية، والصحة ضرورية للإنسان لاستخلافه لكى يعمر الأرض وبرغبة أحيته عليه حتى يستكشف حكمة الله من خلقه وخلقها، قال تعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود: ٦١)

ويحتل الطب الوقائى فى عصرنا منزلة مهمة بين فروع العلوم الطبية، وكان أطباء المسلمين الأوائل يطلقون عليه "حفظ الصحة"، وقدموه على إعادتها فقالوا: إن حرز الشىء الموجود أجل من طلب الشىء المفقود، وعرف بعضهم صناعة الطب بأنها: حافظة للصحة الموجودة، رادة للصحة المفقودة. ويعتبر كتاب أبى زيد البلخى فى القرن الثالث الهجرى بعنوان "مصالح الأبدان والأنفس" من أوائل المؤلفات الطبية العربية التى أفردت "حفظ الصحة" فى مصنف خاص، فهو يبحث فى موضوعات حفظ صحة البدن وحفظ صحة النفس. أما إعادة الصحة -فيما يقول البلخى- فإنها داخلة فى صناعة المداواة (أى الطب العلاجى).

وقد كان لتوجيهات الإسلام وتعاليمه الأثر البالغ فى العناية بحفظ الصحة، سواء فيما فرض من فروض الصلاة والزكاة والصيام والحج، أو فيما أمر من تحميل المسئولية عن البدن، والحث على التداوى، والتوجيه إلى الطاقة الشخصية والعامة، وإلى الحفاظ على البيئة واختيار الأطعمة النافعة، وعدم الإسراف فى الطعام، والوقاية من الأمراض.

من ناحية أخرى، أسهمت العلوم الطبية وتقنياتها فى الكشف عن المزيد من أسرار الفروض التعبدية وفوائدها الجمّة، ويكفى أن نشير هنا -على سبيل المثال- إلى ما يقوله الطب فى فريضة الصوم فقد كان الصوم خير أسلوب يتبعه البشر لتنقية النفس والروح والجسم. وقد كتبه الله تعالى على المسلمين كما كتبه على الذين من قبلهم، فقال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(سورة البقرة: ١٨٣)

وقد بينت السنة النبوية المطهرة كيفية صيام المسلمين وآدابه وأحكامه وغاياته. أما أبحاث العلماء فقد كشفت عن حقائق مهمة تجلى الحكمة الإلهية من وراء تشريع الصيام. لا ليكون فرضا تعبديا فقط، ولكن باعتباره أيضا من ضرورات الإبقاء على حياة الأحياء وسلامتهم.

وقد اختص الله شهر رمضان المعظم الذى أنزل فيه القرآن الكريم ليكون شهر الصيام المفروض بنفحاته التى تبهج النفس والقلب، فهو يبدأ فى جو تعم فيه الفرحة ديار المسلمين، ويستقبله المؤمنون مهللين مكبّرين مرددين دعاء رسول الله ﷺ عندما كان يرى هلال رمضان ويقول: "الله أكبر، اللهم أهلّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربى وربك الله، هلال خير ورشد" (زاد المعاد)، وفى شهر رمضان يزداد السمو النفسى والصفاء الروحى بصلاة القيام وقراءة القرآن وكثرة التسبيح والذكر والدعاء، والبعد عن اللغو والرفث والجدال. ولاشك أن كل هذه المشاعر الروحية والوجدانية السامية تزيل ما علق بنفس المسلم من رواسب كامنة يؤثر استمرارها على حالته النفسية، وكثيرا ما يفضى إلى الإصابة بأمراض جسدية عضوية، والإيمان الخالص بالله سبحانه وتعالى فى شهر النفحات والبركات على وجه الخصوص يصنع أثرا يشبه المعجزات فى علاج مثل تلك الحالات المرضية قبل تفاقمها، والصوم بلا شك تعبير حيّ عن هذا الإيمان وتطبيقه، فحين يبدأ شهر رمضان المعظم يكون المسلم للوصول بخالقه وتعاليم دينه قد تهيأ نفسيا لقدومه، ثم تمضى أيام رمضان المباركة حتى اليوم العشرين، ليعتكف المسلم فى مسجد متفرغ للعبادة، ومسلما قلبه لربّه الغفور الرحيم، اقتداء برسول الله ﷺ الذى قالت عنه عائشة رضى الله عنها "كان رسول الله إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر" (البخارى ومسلم).

وهذا التفرغ الكامل لعبادة الله يزيد بالتدريج من استعداد النفس وطهارة الروح لتقبل المزيد من فيوض التجلّى الإلهى على المؤمنين، فقد جاء فى الحديث الشريف: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه" (رياض الصالحين).

من ناحية أخرى، يعتبر الصوم -من وجهة النظر الصحية- وسيلة لتعبير الجسم لا يحتمل أن يكون به من زيادات فى السموم الضارة، أو ما يكون به من غذاء فائض لا لزوم له، ولهذا نجد الحديث عن الصوم فى الموضوعات الصحية يندرج تحت باب العلاج بالغذاء. ففى خلال ساعات قليلة من فترة الصوم الإسلامى التى تتراوح بين ١٢ و ١٦ ساعة يوميا، حسب الفصل من شتاء أو صيف أو ربيع أو خريف، يهبط معدل سكر الدم، وينتبه الجسم ليبحث عن مصدر آخر للطاقة، فيستمدها من مخزون النشا الحيوانى فى الكبد. وهو مخزون يكفى الجسم حوالى ٩ ساعات، وبعد أن ينفد مخزون النشا الحيوانى فى الكبد يلجأ الجسم إلى الدهون الموجودة تحت الجلد وفى الأعضاء ليهدمها ويتمثلها ويحصل على الطاقة اللازمة

بعد هدم بعض الأنسجة والخلايا ذات الأهمية الأقل، وبخاصة المحتقنة والملتهبة والمتقيحة، فيتخلص الجسم منها ومن سمومها مع إزالة الرواسب الكلسية الموجودة بتلك المناطق. ويتبع ذلك بناء أنسجة جديدة مكان ما تهدّم، ومن ثم تتجدد حيوية الأعضاء ويستعيد الجسم نشاطه وتواصل أجهزته المختلفة أداء وظائفها بكفاءة عالية.

ومن المعروف لدى أغلب المدارس الطبية حديثة أن هناك قواعد صحية معينة تزيد الحيوية تعتمد على تبسيط الغذاء، والصوم لفترات محدودة عن كل أنواع الغذاء التقليدية. والاكتفاء بالأغذية الطبيعية السهلة الهضم التي تعتمد على الخضروات وعصير الفواكه والسوائل الدافئة، وينصح أهل الاختصاص في الصحة العامة بتطبيق هذا النظام العلاجي لمدة سبعة أيام مرتين في كل عام في الربيع وفي الخريف، حتى يتلافى الجسم الكثير من متاعبه، خاصة في فترة الشيخوخة.

ويتميز الصوم الإسلامي بأنه يبيح لأتباعه بعد انتهاء فترة الصوم اليومية كل أنواع الطعام والشراب -فيما عدا المحرمات- في قصد واعتدال، وبذلك يعوض جسمه ما فقده من طاقات، ولا يصاب الصائم بأمراض سوء التغذية أو نقص الفيتامينات والأملاح المعدنية، وهذا بعكس بعض أنواع الصوم التي تمتد لفترات طويلة، كما هو الحال بالنسبة لمن يسمون أنفسهم "بالنباتيين" الذين يعيشون على الأغذية النباتية فقط.

وهكذا نجد أن منهج الإسلام في الصوم يراعي فائدة الجسد وصحة النفس ونقاء الروح، مع حرص على مواصلة الحياة الطبيعية بنشاط وحيوية. وهذه حقيقة هي عكس ما يتصوره الجهلاء من أن الصوم يؤدي إلى الهزال أو الضعف أو فقر الدم، فالصوم فيه الخير كل الخير للصائمين المؤمنين:

﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (البقرة: ١٨٤).

حفظ المال بحسن التعامل مع البيئة وثرواتها

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليعيش على كوكب الأرض بين جنبات ثلاث منظومات متباينة، تتفاعل وتترابط مع بعضها البعض في شبكة من التداخلات بالغة التعقيد، هي التي تضم كل ثرواته وموارده التي بها تتحدد جودة حياته: المنظومة الأولى هي النطاق الأحيائي الذي يشمل الطبقات السفلى من الغلاف الجوي، والطبقات العليا من الغلاف المائي، والطبقات السطحية من الغلاف اليابس، وهي منظومة كونية تسبح في فلك لا دخل للإنسان في تسيير مجرياته إلا في أطر محدودة للغاية. والمنظومة الثانية هي النطاق الاجتماعي الذي يتضمن مجموعات النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية والإدارية التي تحدد علاقاته مع غيره من بني جنسه، أما المنظومة الثالثة فهي النطاق التقني الذي يتألف من كل ما يشيده الإنسان في إطار النطاق الأحيائي ويقع تحت إدارته وتحكمه بدرجة كبيرة.

ومن البيّن بذاته أن حفظ الوجود الإنساني متوقف على استمرار وجود تلك الأنظمة الثلاثة في تناسق وانسجام مع بعضها البعض، والإنسان مطالب بأن يحافظ على هذا التوازن لصالح الحياة والأحياء، دون أن يجور على حق الأجيال القادمة. ولكن يبقى التنويه إلى أن أعظم انشغالة قد آثار الخشية أن ثورة العلم والتكنولوجيا ... من قبل منطق التفوق في علاقة الإنسان بالبيئة (الكون) يعتبر الأساس العقدي لشرح الوجود في التصور الإسلامي، وكذلك الأساس العقدي بمعيته من الوجود الإنساني. فمن هذين الأساسين تحددت علاقة الإنسان بالبيئة ومرتبته في الكون، وتعددت جوانب النشاط لدى مقوده في بيئته تحقيقًا لصالح الفرد والجماعة والأجيال المقبلة، وحفاظًا على الموارد الطبيعية التي هي عصب الحياة، وامتثالًا للقيم الإيمانية التي تشكل محورًا مهمًا في حياة البشر.

لكن ممارسات بني الإنسان على الأرض تسهم في الإخلال بالتوازن البيئي الطبيعي الذي أوجده الخالق سبحانه وتعالى لمصلحة الحياة والأحياء.

وقد أدى هذا الإخلال إلى حدوث تغيرات غير طبيعية في المعدلات البيولوجية أو الكيميائية أو الإشعاعية، وهي التغيرات التي توصف بما يسمى "التلوث البيئي" للإنسان ومحيطه الحيوي، متضمنًا الهواء والماء والغذاء والتراب والحيوان والنبات، وقد زاد من حدة هذه التغيرات خلال العقود القليلة الماضية انفجار ثورة صناعية وتقنية عارمة واكتسح برامج تصنيع ثقيلة، وتوسعات هائلة في التنقيب واستخلاص الخامات الطبيعية، بالإضافة إلى تنويع مصادر الطاقة واستخدام الصناعات الكيميائية للتوسع في الإنتاج الزراعي، واستخدام المبيدات لمقاومة الآفات والحشرات، وفي غمرة التنافس المحموم لتطوير الصناعات والتقنيات الحديثة، لم يفطن الإنسان إلى ما يسفر عنه هذا النشاط من تغيير لمقومات بيئته التي تدعم مقومات حياته. حيث رافقت النهضة التقنية زيادة مطردة في تركيز الملوثات بأنواعها المختلفة في المحيط الحيوي للأرض، وبطبيعة الحال لم يكن الإنسان بمعزل عن كل هذا، حيث تراكمت آثار التلوث في الجسم بمرور الزمن حتى بلغت في بعض الأعضاء الحساسة عند كثيرين درجة اختل معها الاتزان الطبيعي لمسيرة العمليات البيولوجية داخل أنسجة الجسم وخلاياه، وأصابت الأضرار المادة الوراثية الخلوية التي تتحكم في أنشطة الجسم الحيوية، وتمتد فاعليتها في حالة الأمشاج التناسلية المتحكمة في مسار تكوين الأجيال المتعاقبة، مما قد يعرضها لأمراض وراثية متنوعة مثل التشوهات الخلقية والأورام الخبيثة وغيرها.

وإذا كانت مؤتمرات قمة الأرض قد عقدت بمبادرة العديد من الدول الصناعية المتقدمة، ومشاركة كل دول العالم، لوضع الضوابط التي تكفل الحد من مخاطر التلوث وفرض رقابة صارمة على تنفيذها، إلا أن العديد من الدول النامية مازالت تبدي عدم الاكتراث في هذا الشأن، برغم ما تعكسه الإحصاءات الصحية من تصاعد متسارع في الإصابة ببعض الأمراض الكبدية والرئوية والكلوية والمعوية، إلى جانب الزيادة المطردة في معدلات الإصابة بالأورام السرطانية.

وقد دعت ضرورة التعامل مع هذه الأخطار البيئية إلى استخدام آلية تعرف باسم "تقييم الأثر البيئي"، تطرح فيها البدائل لاختيار أقلها ضررًا، وهذه الآلية الحديثة لها سند في الشريعة الإسلامية الغراء بأصولها الكلية الدقيقة التي يمكننا

أن تتخذها نبراسا يعصمنا من الخطأ إذا جانبنا الصواب في تطبيقها، وذلك من قبيل أن الأصل في الأمور الإباحة ما لم يكن هناك حكم شرعي قاطع بعكس ذلك، وهذا يفتح لنا أبواب الإفادة المشروعة من كل جديد ينفع المجتمع أفرادا أو جماعات، فالأصل في الإسلام هو مراعاة مصالح الناس ودفع الضرر عنهم والحفاظ على البيئة وصون مواردها والتعامل معها تعاملا رشيدا، حيث لا ضرر ولا ضرار، فالتخطيط للمشروعات ينبغي أن يعمل على استقامة المصالح والموازنة بينها اعتمادا على دراسة ووضع حساب يتم الترجيح بينها، فالقاعدة الشرعية توضح أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما، ومن قواعد المفاضلة بين المصالح والمفاسد ترجيح المصلحة الأعلى على المصلحة الأدنى، واختيار أخف الضررين، والضرورات تقدر بقدرها، ودرء المفاسد أولى من جلب المنافع، والضرورات تبيح المحظورات، ومثل هذه القواعد تضع الأسس اللازمة للنظر في مشروعات التنمية، حيث تبقى دراسة السلبيات والإيجابيات عند التخطيط لأي مشروع، وموازنة الأمر للأخذ بجانب دون المفاسد، وفي جميع الأحوال تكون مصالح الأمة مقدمة على المصالح الخاصة للأفراد عند التعارض، وهو ما تقصده القاعدة الكلية الشرعية: "تقديم حفظ الكلي على الجزئي" وترجيح المصالح العامة على المصالح الخاصة، ومن هنا وضعت القاعدة الشرعية: "يتحمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العام".

فقه الواقع المعاصر

بين العلم والشريعة

إن الثورة التي نشهدها الآن في مجالات المعلومات والاتصالات والفضاء والبيولوجيا وغيرها تؤثر تأثيراً مباشراً على الناس في حاضرهم ومستقبلهم، بما أسفرت، وتسفر عنه من نتائج وإنجازات لم تكن تخطر على بال السابقين، ومن فضل الله -تعالى- على الإنسان أن أنزل عليهم شرائع سماوية تتفق جميعها على عبادة الله عز وجل وإفراده بالألوهية، كما تحث على مكارم الأخلاق وتنفر من سيآتها، برغم اختلاف الأحكام الفرعية فيها، مثل كيفية الصلاة، وكيفية الزكاة، والصيام.

ومن فضل الله على المسلمين أن جعل أركان دينهم العملية، وشعائره التعبدية واضحة للخاص والعام بتركيز وإجمال، لكن إذا جدت أمور أو ظهرت مشكلات يكون الرجوع إلى أهل الذكر والاجتهاد مطلوب لإزالة أي لبس أو غموض أو سوء فهم.

ولعل من أهم دلائل الواقعية في هذا الدين الحنيف التيسير على أتباعه، ورفع الحرج عنهم، والنزول عن المثل الأعلى إلى الواقع الأدنى للضرورة، قال تعالى وهو يحدثنا عن رخص الصيام من الفطر للمريض والمسافر:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة ١٨٥)

وقال سبحانه في ختام آية الطهارة بعد أن رخص في التيمم لمن لم يجد الماء:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(المائدة: ٦)

وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد هذا الاتجاه القرآني وتبينه فيقول صلى الله عليه وسلم: "بعثت بحنيفية سمحة" (رواه أحمد)، ولا عجب بعد هذا الهدى من القرآن والسنة أن نجد الفقه الإسلامي بمختلف مدارسه ومذاهبه يسير في نفس هذا الاتجاه، ثابتا على الأصول والكليات، مرنا متطورا ومجتهدا في الفروع والجزئيات، خاصة فيما يسمى "منطقة العفو" أو منطقة الفراغ التشريعي" التي تركتها النصوص قصدا، وترك لفقهاء الشريعة أن يجتهدوا في تقديرها، ومن هنا لم يجد المحققون من فقهاء المسلمين، في مختلف العصور، أي غضاضة أو حرج في إعلان وجوب تغيير الفتوى، بتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف والأحوال (انظر الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي)، بل إن هناك من بلغ المرونة فيما يعرف بالفقه التقديري أو الافتراضي.

إن الثورة العلمية والتقنية التي يشهدها عصرنا والعصور القادمة أسفرت عن واقع جديد لم يخطر من قبل ببال أحد من العلماء أو الفقهاء، وأصبح المسلمون في حاجة إلى استنباط الحكم الشرعي الذي يضع حدودا فاصلة بين الحلال والحرام في مسائل غير مسبوقة، ومن أمثلة هذه القضايا في مجال الاستنساخ ما يحدث نتيجة دمج خلية جسمية (وليس حيوان منوي) من فرد مع بويضة أخذت من أنثى ثم نزعت مادتها الوراثية قبل الإدماج لينتج (بحدوث تعديل في رحم أنثى) جنين ويكون جنينا تتم ولادته، والفرد الناتج هنا تكون صفاته الوراثية من مصدر واحد هو صاحب الخلية الجسمية فقط، حيث إنه لا يحمل صفات صاحبة البويضة أو صفات من حملته في رحمها، وإن مثل هذا الاستنساخ الذي نجحت تجاربه في بعض الحيوانات، إذا ما طبق جدلا على الإنسان، فإنه يثير ضمن ما يثير من مخاطر عديدة منها:

- إنتاج مجموعات من الأفراد المتشابهين تماما، مما يخلق مشكلات اجتماعية.

- إذا نتج طفل ذكر بالاستنساخ من زوج وأخذت البويضة منزوعة النواة من زوجته، فهل يرث الطفل من المرأة التي حملته في رحمها برغم أنه لا يحمل أيا من صفاتها الوراثية؟

- الاستنساخ يسفر عن طفل بلا أم حقيقية، برغم أن هناك سيدة حملته في رحمها، ويسفر عن طفلة بلا أب إذا أخذت الخلية الجسمية من أنثى.

- الاستنساخ يعطي الفرصة كاملة للتحكم في نوع الجنس بأن يكون ذكرا أو أنثى بحسب مصدر الخلية الجسمية، ومن الممكن أن يؤدي هذا إلى مشكلات اجتماعية خطيرة.

- الاستنساخ يؤدي إلى تحطيم الأرحام [illegible] من يريد استنساخ نفسه.

- قد ينتج عن محاولات استنساخ البشر أطفال بهم تشوهات جسمية، فمن يتحمل مسئولية ذلك؟

- من الناحية النظرية (الافتراضية)، فإننا

يحدث لو عمدت النساء إلى الاستنساخ باستخدام خلايا من أجسادهن فقط، وتعرفن عن [illegible] الرجل [illegible]؟

وفى مجال الهندسة الوراثية، حيث يتم إحداث تعديل فى بناء المادة الوراثية لكائن حى [illegible] صفاته الوراثية، [illegible] صفة وراثية جديدة عليه. هل يجوز تطبيق هذه التقنية على الإنسان [illegible]. ما هى الصفات التى لا يجوز فيها التعديل؟

وفى مجال الفضاء، كيف يؤدى المسلم عباداته المكلف بها إذا كان فى حالة انعدام الوزن فى محطة فضائية، أو مسافر ليقيم على أحد الأقمار أو الكواكب فى مجموعتنا الشمسية؟

هذه مجرد أمثلة من واقع حياتنا المعاصرة توضح الحاجة إلى صياغة أو استنباط أحكام شرعية تتناسب مع الواقع المعيش فى ظل ثورات علمية وتقنية متلاحقة.

إن هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه من صنع خالق واحد عليم حكيم [illegible] بكل صفات الجلال والكمال والقدرة. والدليل على صفات الله جل فى علاه أن الأفعال المحكمة قد صدرت [illegible]، حيث [illegible] على أعلى درجة من الترتيب والنظام، ولا يليق بكمال الحكمة ترك أمر الكون مضطربا بغير سنة [illegible]. فالله سبحانه وتعالى [illegible] الخلق وتدبير الأمر وفق سنن أجراها:

﴿ [illegible] ﴾

(الأحزاب: ٦٢)

وقد سلك القرآن الكريم مسالك كثيرة فى إيقاظ العقول ولفت الأنظار للاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى عن طريق التأمل فى قضية الخلق والوجود وما فيها من آيات لا يعقلها إلا أولو الألباب

﴿ [illegible] ﴾

(الطور: ٤٣)

هذه هى طريقة القرآن الكريم فى تأسيس اليقين الإيمانى باستقراء الموجودات وملاحظة الظاهرات، والانتقال من المحسوس إلى المعقول، انتهاء إلى الاستدلال المنطقى على وجود الخالق الواحد المنعم على عباده بالخلق والتدبير.

كما تحدث القرآن الكريم عن العناصر التى تتكون منها المخلوقات الحية، فأشار إلى أن الماء هو الأصل

﴿ [illegible] ﴾

(النور: ٤٥)

ونبه الإنسان إلى العنصر الذى خلق منه

﴿ [illegible] ﴾

(الطارق: ٥- ٧)

وتحدث عن الخلق الأول للإنسان وهو خلق آدم من تراب. وتحدى الجاحدين أن يثبتوا أن لأحد فى هذا الكون غير الله سبحانه أى أثر فى الخلق والإيجاد من عدم

﴿ [illegible] ﴾

(الطور: ٣٥- ٣٦)

وفى عصرنا الحاضر نجد البحث العلمى فى بعض المجالات يحيد عن المنهج السليم للوصول إلى حقائق ونتائج يفيد منها المجتمع البشرى كله، ويتخبط فيه العابثون على غير هدى، اللهم إلا انقيادا لهوى أو نزعة أشبه بنزعة الطفل الذى يعبث بكل ما يلعب به، ويحاول تغييره غير مكترث [illegible].

وكان من أحد المجالات التى أغرت العابثين بمزيد من العبث مجال الهندسة الوراثية التى أثبتت جدواها فى عالم النبات والحيوان، [illegible] فى بعض التجارب على الإنسان [illegible] على ذلك ما يحدث فى عمليات الإخصاب الصناعى، عندما تكون الزوجة غير قادرة على الحمل، [illegible] بامرأة أخرى بدلا منها [illegible] من [illegible] ذلك بكثير من المفاسد والمشكلات الأخلاقية والاجتماعية [illegible] حقوق الإنسان وكرامته، فضلا عن أنها تلمس قدسية حياته التى استحق لأجلها أن يكون خليفة الله فى الأرض.

وتطورت عملية الإخصاب [illegible] فى تجارة عن طريق إنشاء بنوك [illegible] بهدف [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible] معروفة ومتحجبة [illegible] البشرى. [illegible] لا توجد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى الأمر [illegible] من الاعتقال. حيث تقوم هذه "البنوك" فى الوقت الحاضر بتوفير السائل المطلوب لحل مشكلة العقم عند أحد الزوجين أو كليهما، وفى أغلب الأحيان يكون المتطوع غير معروف حتى لا يكون الزوجان علاقة ما معه، ولكى لا يطالب بالطفل فيما بعد! [illegible] الأخلاقية والدينية [illegible] بالإضافة إلى مخاطره الصحية. فالمتطوع كما سبق القول مجهول الهوية، وفى الغالب لا يعرفه حتى الطبيب، وكل ما يمكن الحصول عليه من معلومات هو الصفات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليها حتى لو طلب الطبيب سيرة حياة المتطوع، [illegible] من الأمراض التناسلية، أما الأمراض الوراثية [illegible] [illegible]. يخشى البعض أن تكون هناك صلة قربى بين المتطوع والأم دون أن يعلما، كأن يكون أباها أو [illegible] [illegible] أكثر من امرأة من ست إلى سبع نساء".

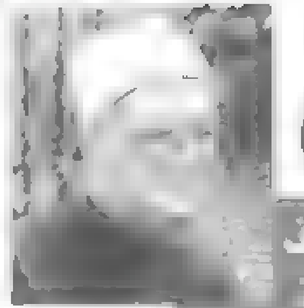
[illegible] فى أى وقت وحسب الطلب، وهنا تعالت تساؤلات من نوع جديد بسبب غياب الضوابط والقوانين الصارمة التى تحكم مسيرة البحث العلمى، وتوجهه لما فيه صلاح المجتمع الإنسانى [illegible] الأسرار الإلهية فى عملية الخلق والإفادة منها، [illegible] [illegible] [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(الصافات: ٢٣)

وهنا تتجلى أهمية الحاجة الماسة إلى نظرية شمولية فى مقاصد الشريعة كسياق حتى يعين على حل للمسائل الفقهية الطارئة من مستجدات التكنولوجيا، حيث لا توجد لها نصوص فى الكتاب والسنة، ولا يمكن استخدام القياس فى تحليلها.

الوفاء بالعهود والمواثيق



للشيخ / فوزي فاضل الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

حرص الاسلام على أن يبنى الناس حياتهم على الصدق فى أقوالهم وافعالهم، وأن يحترموا عهودهم ومواثيقهم فيلتزموا بتنفيذ ما أعطوا من عهود وما قطعوا على أنفسهم من مواثيق..

فمن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التى قالها، ينتهى إليها كما ينتهى الماء عند شطآنه، فيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا خشية من النكوث فى تنفيذها.

ولأهمية الوفاء بالعهود والمواثيق في استقرار أمن المجتمع وسلامته أكثر القرآن الكريم في آيات سوره من الأمر بوجوب الوفاء بالعهود؛ لأن الوفاء بالعهود من آكد الحقوق وأوجبها على الإنسان، فالعهد لابد من الوفاء به، كما أن اليمين لابد من البر بها. ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في معصية ولا يمين في [illegible] فلا تعهد لا تعروف. [illegible] الإنسان عهدا [illegible] همته في [illegible] [illegible] الرجولة وهدى اليقين لا يتركان له مجالا للتردد والالتواء ولا عجب. فقد تتابعت آيات القرآن الكريم تحض على الوفاء بالعهد وتخوف من الغدر، يقول الله - تعالى -:

• [illegible]

(النحل: ٩١، ٩٢)

العهد: ما من شأنه أن يراعى ويحفظ، كاليمين والوعد والوصية... وعهد الله: أوامره ونواهيه وتكاليفه الشرعية التى كلف الناس بها، والوفاء بعهد الله - تعالى -: يتأتى بتنفيذ أوامره وتكاليفه، واجتناب ما نهى عنه.

قال القرطبى - رحمه الله - قوله تعالى:

• [illegible]

لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان، ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة، أو موافقة فى أمر موافق للديانة..

والمعنى: أن الله يأمركم - أيها المسلمون - بالوفاء بالعهود التى التزمتم بها مع الله - تعالى - أو مع الناس، أى: كونوا أوفياء بعهودكم، ولا تبطلوها بعد توثيقها وتغليظها عن طريق تكرارها بمرة ومرتين أو أكثر، أو عن طريق الإتيان فيها ببعض أسماء الله - تعالى - وصفاته.

ونقض الأيمان والعهود والمواثيق وإن كان قبيحا فى كل حالة، فهو فى حالة توكيد الأيمان وتغليظها أشد قبحا، ولذا قال بعض العلماء: وهذا القيد لموافقة الواقع، فلا يختص النهى عن النقض بحالة التوكيد.. بل نقض اليمين منهى عنه مطلقا.. أو يراد بالتوكيد القصد. ويكون احترازا عن لغو اليمين، وهى الصادرة عن غير قصد للحلف.. فالآية الكريمة تنهى المسلم عن نقض الأيمان نهيا عاما، إلا أن السنة النبوية الصحيحة قد خصصت هذا التعميم بإباحة نقض اليمين إذا كانت مانعة من فعل خير، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذى هو خير»[1].

• [illegible]

تأكيد لوجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، والنهى عن نقضها، والكفيل: من يكفل غيره، أى يضمنه فى أداء ما عليه، أى: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، والحال أنكم جعلتم الله - تعالى - ضامنا لكم فيما التزمتم به من عهود، وشاهدا ورقيبا على سرائركم وأعمالكم. وفى هذا تحذير للمتعاهدين من النقض بعد أن جعلوا الله - تعالى - كفيلا عليهم؛ لأن الله - تعالى - يعلم ما تفعلون من الوفاء أو النقض، وسيجازيكم بما تستحقون من خير أو شر.

ثم ضرب - سبحانه - مثلا لتقبيح نقض العهود والمواثيق، فقال - جل شأنه -:

• [illegible]

قال ابن كثير - رحمه الله -: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه. والمعنى: كونوا - أيها المسلمون - أوفياء بعهودكم ومواثيقكم، ولا تنقضوها بعد إبرامها، فإنكم إن نقضتموها كان مثلكم كمثل تلك المرأة الحمقاء التى كانت تفتل غزلها فتلا محكما، ثم تنقضه بعد ذلك وتتركه مرة أخرى قطعا منكوثة محلولة.. وفى هذا تحقير من ينقض العهد والميثاق، وتشبيه على سبيل التنفير والتقبيح بحال امرأة مختلة فى عقلها، مضطربة فى تصرفاتها..

حالة كونكم – يا من تفعلون ذلك – متخذين أيمانكم وأقسامكم وسيلة للغدر والخيانة، من أجل أن هناك جماعة أوفر عددا وأكثر مالا من جماعة أخرى.

فالآية الكريمة تدعو إلى وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق في جميع الأحوال، وتنهى عن اللجوء إلى الذرائع وتلك المبررات، بدعوى أن هناك جماعة أقوى من جماعة، أو دولة أعز من دولة فيحل الرجل عقدا أبرمه ينتظر ربحا أوفر من عقد آخر، وتطرح الأمة معاهدة بينها وبين أمة أخرى جريا وراء مصلحة تحظى لديها... والدين يكره أن تداس الفضائل في سوق المنفعة العاجلة، ويكره أن تنطوي دخائل الناس على هذه النيات المغشوشة، ويوجب الشرف على الفرد والجماعة حتى تصان العهود والعقود على الفقر والغنى، وعلى النصر والهزيمة.

ولذلك يقول الله – بعد الأمر الجازم باحترام العهود –

«ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون»

(النحل: ٩٤ – ٩٥)

والله – سبحانه – يحذركم ليظهر أتوفون بعهودكم ومواثيقكم أم لا، وتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من عهود ومواثيق، وليظهر المطيع من العاصي، وقوي الإيمان من ضعيفه.. وأن مردكم جميعا إلى الله فيجازي يوم القيامة أهل الحق بما يستحقون من ثواب، ويجزي أهل الباطل بما هم أهله من عقاب.

والوفاء بالحق واجب مع المؤمن بالإسلام ومع الكافر به، فإن الفضيلة لا تتجزأ، فيكون المرء حسيسا مع قوم كريما مع آخرين... والمدار على موضوع العهد، فما دام خيرا فالبر به حتم مع كل فرد، وفي كل حين، وقد قال رسول الله ﷺ في حلف الفضول: «لو دعيت به في الإسلام لأجبت». وعن عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إيما رجل أمن رجلا على دمه، ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافرا»[٣].

ومن الوفاء المحمود أن يذكر الرجل ماضيه الذاهب ليتنفع به في حاضره ومستقبله، فإن كان معسرا فأغناه الله، أو مريضا فشفاه الله، فليس يسوغ له أن يفصل بين أمسه ويومه بسور غليظ، ثم يزعم أنه ما كان قط فقيرا ولا مريضا.. ويبني على غروره بحاضره مسلكا كله فظاظة وجحود.

هذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق، وربما انطرد به من رحمة الله – تعالى – فلم تتسع بعدئذ له.

رووا أن رجلا من أهل المدينة يدعى ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الأنصار فأشهدهم: لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه ووصلت القرابة. فمات ابن عم له، فورث منه مالا. فلم يف بشيء مما عاهد عليه، فنزل قول الله:

«ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب»

(التوبة: ٧٥ – ٧٨)

ومن القصص الدالة على شؤم الغدر وعقوق النعمة، ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ثلاثة في بني إسرائيل، أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره. وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال الملك: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر، شك إسحاق في الأبرص والأقرع، قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر، قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال الملك: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، فقال الملك: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الغنم، فأعطي شاة والدا «حاملا».

فأنتج هذان، وولد هذا. فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته «السابقة»، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس! فقيرا! فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. فقال – الملك –: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته «السابقة»، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال – الملك – إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته «السابقة» فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت. فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله «أي لا أشق عليك برد ما تأخذه أو تطلبه من مالي لله»، فقال الملك: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك».

فالوفاء بالعهود والمواثيق، والابتعاد عن الغدر، من خلق المسلم الذي يحرص على التمسك بآداب وأحكام دينه.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

تسوية الصفوف فى الصلاة واصطحاب الأطفال

● من القارئ: أ.م.ن جاء فيه السؤالان:

السؤال الأول: [illegible] تسوية الصفوف فى الصلاة. هل يوجد نص عليها؟

السؤال الثانى: اصطحاب الأطفال إلى المساجد [illegible] حكمه

●● الجواب:

إجابة السؤال الأول:

ورد فى السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة فى الأمر بتسوية الصفوف منها ما جاء فى الصحيحين ومنها ما جاء فى غيرهما

١ - فمما جاء فى الصحيحين: حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة».

٢ - وحديث أنس - رضى الله عنه - أيضا: أن النبى ﷺ قال: «أقيموا الصفوف؛ فإنى أراكم خلف ظهرى».

٣ - وفى الصحيحين أيضا من حديث النعمان بن بشير - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: «لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم».

٤ - وروى الإمام مسلم من حديث أبى مسعود - رضى الله عنه - قال: عن أبى مسعود رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم».

٥ - وروى الإمام أبو داود فى «سننه» بإسناد صحيح من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدى إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله». وتسوية الصفوف لها معنيان كلاهما وارد فى الأحاديث السابقة:

الأول: التسوية الظاهرة: وهى اعتدال القائمين فيها على سمت واحد؛ بحيث لا يتقدم بعض المصلين على بعض

الثانى: التسوية المعنوية: وهى سد الفرج والخلل فيها؛ بحيث لا يكون فيها فرجة. وقد اتفق العلماء على أن تسوية الصفوف هى من السنن المؤكدة فى صلاة الجماعة؛ بل نص الحنفية وغيرهم على أنها واجبة على الإمام، غير أنه ينبغى أن تكون تسوية الصف بالتأليف والمحبة، خاصة بعد قلة العلم؛ فالأمر يتطلب مزيد الرفق بالناس لتعليمهم وتفقيههم، ولكن كل هذا لا يكون على حساب المقصود الأصلى من الصلاة، وهو حضور القلب وخشوعه. فالأكمل الاستنان بالسنن النبوية الظاهرة والباطنة، وإذا لم يمكن الجمع بينهما فالحفاظ على خضوع القلب للبارى سبحانه فى الصلاة والتآلف بين المسلمين أولى من الهدى الظاهر الخالى عن هذه الحقائق الأصيلة المقصودة لذاتها. على أن الهدى الظاهر مقصود لغيره، فما كان مقصودا لذاته أولى مما هو مقصود لغيره عند التعارض، والكمال بثبوتهما معا. قال العلامة الكشميرى الحنفى فى «العرف الشذى شرح سنن الترمذى» (١/ ٢٣٥ ط مؤسسة ضحى): «تسوية الصفوف واجبة على الإمام كما فى «الدر المختار»، وتركها مكروه تحريما، وقال ابن حزم بفرضيته. والاعتبار فى التسوية الكعاب، وأما ما فى البخارى من إلزاق الكعب بالكعب فزعمه بعض الناس أنه على الحقيقة، والحال أنه من مبالغة الراوى. والحق عندى التوقيت فى هذا بل الأنسب ما يكون أقرب إلى الخشوع» اهـ

والله سبحانه وتعالى أعلم

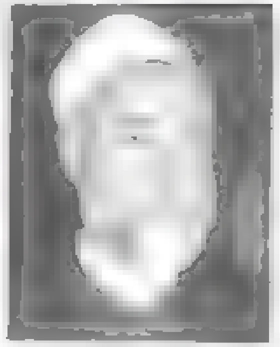
●● إجابة السؤال الثانى:

لا مانع شرعا من اصطحاب الأطفال إلى المسجد، بل ذلك مستحب إذا كانوا مميزين؛ لتعويدهم على الصلاة، وتنشئتهم على حب هذه الأجواء الإيمانية التى يجتمع المسلمون فيها لعبادة الله تعالى؛ حتى يكون ذلك مكونا من مكونات شخصيتهم بعد ذلك. وذلك مع الحرص على تعليمهم الأدب، ونهيهم عن التشويش على المصلين أو العبث فى المسجد، بشرط أن يكون ذلك برفق ورحمة، وأن يتعامل مع الطفل بمنتهى الحلم والسعة بعيدا عن التخويف أو الترهيب له، فإن ردود الأفعال العنيفة التى قد يلقاها الطفل من بعض المصلين ربما تولد عنده صدمة أو خوفا ورعبا من هذا المكان. والأصل أن يتربى الطفل على حب هذا

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية



للمكان ويتعلق قلبه ببيت الله تعالى، كما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، «ورجل قلبه معلق بالمساجد»، ولأن هذا المسجد مليء بالرحمات والنفحات والبركات وقد استدل العلماء علي جواز إحضار الأطفال إلي المساجد بأحاديث منها: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي قتادة الأنصاري- رضي الله عنه- «أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ»، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١ / ٥٩٢ ط. دار المعرفة): «واستدل به على جواز إدخال الصبيان في المساجد». اهـ بتصرف.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن بريدة- رضي الله عنه- قال: «كان النبي ﷺ يخطب، فأقبل الحسن والحسين- رضي الله عنهما- عليهما قميصان أحمران يعثران ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما واحدا من ذا الشق وواحدا من ذا الشق، ثم صعد المنبر فقال: صدق الله:

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

(الأنفال: ٢٨)

إني لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما».

ومن هذين الحديثين وغيرهما أخذ العلماء جواز إحضار الأطفال للمسجد، واستثنوا منهم من كان لا ينتهي عن العبث إذا نهي عنه. ومع ذلك فلا يكون نهيه إلا بالرفق والرحمة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

زكاة العسل!!

● ومن القارئ: ع.ج.هـ: أمتلك منحلا ينتج عسلا [illegible] ويدر دخلا [illegible] سنويا فما حكم الزكاة فيه؟

●● الجواب: اختلف العلماء في زكاة العسل فذهب المالكية والشافعية وغيرهم إلى أنه لا زكاة فيه؛ وذلك لضعف الأحاديث الواردة في ذلك وعدم ثبوت شيء منها عن النبي ﷺ. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: الحديث في أن في العسل العشر ضعيف، وفي أن لا يؤخذ منه العشر ضعيف إلا عن عمر بن عبد العزيز. واختياري: أن لا يؤخذ منه؛ لأن السنن والآثار ثابتة فيما يؤخذ منه، وليست فيه ثابتة، فكأنه عفو. اهـ وقال الإمام البخاري: ليس في زكاة العسل شيء يصح. اهـ وقال الإمام أبو بكر بن المنذر: «ليس في وجوب صدقة العسل حديث يثبت عن النبي ﷺ ولا إجماع، فلا زكاة فيه». اهـ

بينما يرى الحنفية والحنابلة وجوب الزكاة في العسل، وأنه يخرج منه العشر، على خلاف بينهم في نصابه، فبينما لم يشترط الإمام أبو حنيفة في ذلك نصابا وأوجب الزكاة في قليل العسل وكثيره، اشترط صاحبه الإمام محمد بن الحسن أن يبلغ ثمانية أفراق، والفرق ستة وثلاثون رطلا عراقيا، وقال أبو يوسف: في كل عشرة أزقاق زق، متمسكا بحديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «في العسل في كل عشرة أزق زق» رواه الترمذي. وقال: «حديث ابن عمر في إسناده مقال، ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب كبير شيء». اهـ

والذي نميل إلى الفتوى به هو ما ذهب إليه الجمهور من أنه ليس في العسل زكاة؛ لعدم ورود الدليل الصحيح في ذلك، والأصل براءة ذمة المكلف حتى يدل الدليل على خلاف ذلك، على أن الزكاة وإن لم تكن واجبة فإن صدقة التطوع مندوبة [illegible] وفي واقعة السؤال: فإنه لا زكاة عليك في العسل الذي ينتجه منحلك، أما المال الذي يدره هذا العسل [illegible] زكاة [illegible] زكاة المال، وحال عليه الحول القمري، ونصاب زكاة المال هو قيمة خمسة وثمانين جراما من الذهب عيار واحد وعشرين، وما لم يبلغ الدخل المادي ذلك أو لم يحل حوله فلا زكاة فيه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

تكبيرات العيد

● من القارئ [illegible] يدعي بعض الشباب المتشددين أن تكبيرات العيد التي اعتاد الناس عليها «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا» أنها بدعة وأنها مخالفة للسنة، فما حكم الشرع في ذلك؟

●● الجواب: التكبير في العيد مندوب، ولم يرد في صيغة التكبير شيء بخصوصه في السنة المطهرة، ولكن درج بعض الصحابة منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على التكبير بصيغة: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسند جيد، والأمر فيه على السعة لأن النص الوارد في ذلك مطلق وهو قوله تعالى:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

والمطلق يؤخذ على إطلاقه حتى يأتي ما يقيده في الشرع، ودرج المصريون من قديم الزمان على الصيغة المشهورة وهي: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا» وهي صيغة شرعية صحيحة قال عنها الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «وإن كبر على ما يكبر عليه الناس اليوم فحسن، وإن زاد تكبيرا فحسن، وما زاد مع هذا من ذكر الله أحببته». اهـ

وزيادة الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته في ختام التكبير أمر مشروع؛ فإن أفضل الذكر ما اجتمع فيه ذكر الله ورسوله ﷺ، كما أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ تفتح للعمل باب القبول فإنها مقبولة أبدا حتى من المنافق كما نص على ذلك أهل العلم؛ لأنها متعلقة بالجناب الأجل ﷺ.

وبناء على ذلك فمن ادعى أن قائل هذه الصيغة المشهورة مبتدع فهو إلى البدعة أقرب؛ حيث تحجر واسعا وضيق ما وسعه الله تعالى ورسوله ﷺ وقيد المطلق بلا دليل، ويسعنا في ذلك ما وسع سلفنا الصالح من استحسان مثل هذه الصيغ وقبولها وجريان عادة الناس عليها بما يوافق الشرع الشريف ولا يخالفه، ونهي من نهى عن ذلك غير صحيح لا يلتفت إليه ولا يعول عليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

قراءة في كتاب



بقلم: عادل خفاجة

منذ عدة سنوات كنت على ضرورة تنظيم دورات تدريبية للحجاج وذلك أن هذه الفريضة - وهي الركن الخامس من أركان الإسلام - هي الوحيدة التي لا يأخذ المسلمون حظهم في التدريب عليها، بخلاف غيرها من الفرائض كالصلاة التي يتدرب عليها المسلم منذ أيام الطفولة فإذا ما شب بالغا وأصبح مطالبا بأداء الصلاة.. كان أداؤه لها على الوجه الصحيح في الأعم الأغلب ولا يحدث هذا بالنسبة لفريضة الحج، وهي عبادة تكلف الكثير من المال والجهد وكم أتمنى أن أرى هذه الدورات التدريبية قيد التنفيذ في كل البلدان الإسلامية، وبخاصة وأن بعض الدول الإسلامية في شرق آسيا قد نفذت هذه التدريبات بالفعل.

وحتى يتم ذلك فليس أمام المسلمين سوى القراءة الواعية للكتب التي تتناول هذا الموضوع ومنها هذا الكتاب الذي نعرض له وهو «فتاوى الحج والعمرة».

أسباب تأليف الكتاب

أورد المؤلف عدة أسباب دفعته لتأليف هذا الكتاب نذكر منها:

١- أن كل إنسان تتوق نفسه لهذه الفريضة العظيمة ويتمنى أن يؤديها اليوم قبل الغد ولا يمل الإنسان هذه الرحلة أبدا، فكلما وفقه الله ودعى لأداء فريضة الحج أو العمرة سارع إليها من جديد.

٢- أن الكثير من الناس ليسوا على درجة عالية من فقه الحج والعمرة، فيقومون بالسؤال عن فقه الحج وذلك قبل سفرهم بوقت قصير فيتعلمون القليل عن الحج والعمرة، وهناك يقعون في بعض الأخطاء التي توقعهم في حيرة كبيرة: هل حجهم صحيح أم لا؟

٣- أن فقه الحج والعمرة به آراء كثيرة للفقهاء وهو ما يعطى تعدد الآراء في النسك الواحد كالوقوف بعرفة والنزول والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى ورمى الجمار، وبعض العلماء المعاصرون كل على مذهبه فتختلف الفتاوى في السؤال الواحد ويقع الناس في حيرة.

من أجل ذلك قام المؤلف بجمع الأشهر والأصح من آراء الفقهاء في مسألة أو جملة ثم اختار للقارئ الأيسر، مسترشدا في ذلك بالعديد من الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية وفتاوى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفتاوى الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق وفتاوى الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى الأسبق.

المؤلف: هو فضيلة الشيخ محمد عبد العزيز السيد بدوى المدير العام للدعوة سابقا وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

الكتاب:

هذا الكتاب هو الجزء الثالث من «مختارات من الفقه المعاصر» ويقع في أربعمائة واثنتين وثلاثين صفحة من مقاس ١٧ x ٢٤ سم صدر في طبعته الأولى عام ٢٠١٠م.

وقد قسمه المؤلف إلى مقدمة وأربعة أبواب تناول في الباب الأول عدة مباحث بدأها بفضل الحج والعمرة، ومتى فرض الحج وأن الحج أفضل الأعمال وأنه يمحو الذنوب ثم تكلم عن تكرار الحج والعمرة ثم تكلم عن العمرة هل هي فرض أم سنة؟ ثم عقد فصلا عن حكم الاستطاعة في الحج، وتكلم عن استطاعة المرأة.

ثم أورد آراء الفقهاء في الزوج والمحرم، ثم تكلم عن عدد من أحكام حج المرأة ثم أفرد فصلا عن الحج بالمال الحرام ثم أتبعه بفصل آخر عن الحج على الفور أو التراخي ثم أتبعه بعدة فصول تحدث فيها عن: الحج مع لبس الأجهزة التعويضية - الحج بالديون والجمعيات والتقسيط وغيرها من القضايا المعاصرة. ولعل من أهمها ما أجاب فيه عن سؤال: الحج أولا أم زواج البنات؟

وكذلك تكرار العمرة في السفر الواحد وحج رجال الأعمال وحملة الحجاج والتجارة في الحج إلى غير ذلك من قضايا تشغل بال الكثير في هذه الأيام.

وفي نهاية هذا الباب يتناول المؤلف عددا آخر من القضايا التي تكثر فيه التساؤلات عنه.

محظورات ومباحات الإحرام، بدء الزيارة والطواف وأحكامه، الإحرام بالحج والتوجه إلى عرفة، الإنابة في رمي الجمرات وأحكامها، طواف الوداع وزيارة المدينة.

أركان الحج

أما الباب الثاني فقد تناول فيه عددا من الأحكام كأحكام التلبية وعددا من القضايا مثل أنواع دخول الحرم دون إحرام، وأنواع الإحرام ومحظورات الإحرام ومباحاته، وحكم إزالة الشعر وتقليم الأظافر، وحكم قتل المحرم للصيد، وكيفية دخول مكة؟ وشروط وأركان الطواف وسننه وحكم تركه، وحكم طواف الوداع وحكم السعي وشروطه وسننه والوقوف بعرفة ووقته وآدابه والدعاء فيه. وغير ذلك من أحكام وقضايا.

وعلى هذه الشاكلة جاء البابان الأخيران الثالث والرابع ليضم كل منهما العديد من الفتاوى والعناوين للإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تعن للحجيج وقد توقعهم في الحيرة والشك.

ونتوقف مع القارئ الكريم أمام بعض هذه

النفقات المهمة التي الزواج ويقول فضيلته ص٨٣:

● سؤال: هل الحج أولاً أو زواج البنات؟

●● الجواب: الحج فريضة الإسلام الخامسة فهو ركن من أركان الإسلام يجب أداؤه على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع. واختلف العلماء في وجوب الحج فوراً أو على التراخي.

وإلى الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء والأئمة مذهب متى توفرت شروط الاستطاعة يجب الحج فوراً.

وإلى الرأي الثاني: ذهب الإمام الشافعي أي أن الحج يجب على التراخي فهو ممتد إلى آخر العمر.

فمتى أداه المكلف سقط عنه ولا يأثم بتأخيره.

أما الزواج: فهو مشروع ومرغوب فيه بالآيات والأحاديث الكثيرة غير أنهم تحدثوا في حكم الزواج فقالوا:

١- الزواج واجب على من قدر على نفقته وقدر على تبعاته وخاف الوقوع في العنت (الزنا) وما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء. ولو عزف الرجال عن الزواج لأضر بالنساء.

٢- وقد يكون مندوباً إذا قدر عليه ولم يخف الوقوع في العنت إن لم يتزوج.

وعلى هذا: فإن كان الزواج واجباً للخوف من الوقوع في العنت قدم على الحج وإن كان الزواج مندوباً قدم الحج عليه.

١- وإذا كان العرف قد جرى هذه الأيام أن ينفق الأب على زواج ابنته أو ابنه.

فإن هذه النفقة مطلوبة للبنات لزواجهن وعفافهن.

٢- وإذا كان الرماد الذي نعيشه الآن النفقة على ذيبه كالقبض على الجمر.

٣- وإذا كان هناك قول مأثور عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: ثلاثٌ لا يؤخرن:

● الأيم إذا جاء طالبها - أي البنت إذا جاء خاطبها.

● الصلاة إذا حان وقتها.

● الجنازة إذا حان حملها.

٤- وإذا كان هناك من الفقهاء من أجاز أداء الحج على التراخي كالإمام الشافعي. يستطيع المرء أن يحج في أي وقت من العمر.

يمكن تقديم زواج البنات على الحج خاصة إذا كبرت البنت في السن. وخاف الولد على نفسه العنت وتقدم به العمر والله أعلم.

ويقول في حكم تكرار الحج، وتأشيرة رجال الأعمال وتأشيرة خدمة الحجاج ص٨٨:

● س: بعض رجال الأعمال يصرون على الحج كل عام. بل وعلى العمرة في رمضان كل عام فهل في هذا فضل؟ وهل الحج بتأشيرة رجال الأعمال وتأشيرة خدمة الحجاج لغير رجال الأعمال صحيح؟

●● الجواب: الحج فرض على المستطيع مرة واحدة في العمر وذلك لحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت النبي حتى قالها ثلاثاً. ثم قال ﷺ: لو قلت نعم لوجبت. ولما استطعتم»

وفي رواية للإمام أحمد وأبي داود والنسائي: أن السائل هو الأقرع بن حابس التميمي وأن الرسول رد عليه فقال: «الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

وعلى هذا: فإن تكرار الحج ليس بواجب بل تطوع.

ومساعدة المسلمين الذين هم في حاجة شديدة أهم من حج التطوع قال العلماء:

ينبغي على المسلم تقديم الأهم على المهم وقد تكون هناك حالات للناس يكونون في أشد الحاجة إلى المعونة لإنقاذ حياة أو تخفيف الويلات. فالإنفاق فيها أولى بعمل مشروعات صناعية أو زراعية أو سكنية يعمل فيها الفقراء المتعطلون فتفتح لهم أبواب الرزق.

وفي مساعدة المحتاجين من الناس بعمل المشروعات التي يعملون بها أجر عظيم وثواب كبير أفضل من حج التطوع.

أما عن تأشيرة رجال الأعمال وخدمة الحجاج فيقول:

التأشيرة هي تصريح الدخول للأراضي السعودية لأداء شعيرة الحج والعمرة أو لغرض التجارة أو العمل أو أغراض أخرى وهذا أمر تنظيمي يصنعه ولي الأمر في كل دولة.

● فهل مخالفة هذا التصريح والدخول إلى الأراضي السعودية بهدف التجارة لرجال الأعمال أو خدمة الحجاج لغيرهم هل هذا يبطل الحج أو العمرة؟

●● الإجابة: مخالفة تصريح ولي الأمر في الدخول إلى الأراضي السعودية لغرض ما ثم الحج بعد الدخول، لا يبطل الحج والعمرة وفيه معصية مخالفة ولي الأمر.

لقوله تعالى:

[illegible]

(النساء: ٥٩).

فطاعة ولي الأمر واجبة ما لم يأمر بمعصية وهو هنا لا يأمر بمعصية. فطاعته واجبة. ومخالفته معصية.

ولكن هل مخالفته هنا. تبطل الحج أو العمرة؟

الجواب: لا.

قال العلماء: لا يبطل الحج إلا بالآتي:-

١- عدم أداء أركانه كاملة صحيحة.

٢- الحج في غير أوقات الحج.

٣- الجماع في الحج قبل الوقوف بعرفة من هو محرم بالحج أو بعد الوقوف بعرفة وقبل طواف الإفاضة عند كثير من العلماء.

٤- من رفض الحج وخلع ملابس الإحرام وانصرف إلى بلاده.

٥- ومن ترك واجبات الحج كمزدلفة والمبيت بمنى ورمى الجمرات وذبح الهدى وقص الشعر صح حجه مع ترك هذه الواجبات ويلزم بالهدى لكل مخالفة أو ترك واجب ومع هذا فحجه صحيح وعلى هذا:-

فحج رجال الأعمال بتأشيرة الدخول للتجارة أو حج أفراد من الناس بتأشيرة خدمة الحجاج صحيحة وكذلك الذين يعتمرون في رمضان ويختبئون في مكة أو غيرها إلى موعد الحج. فيحجون بهذه الطريقة حجهم صحيح مع معصية مخالفة ولي الأمر ما داموا أدوا أركان وواجبات وسنن الحج كاملة غير منقوصة.

عرفة ركن الحج الأعظم

ونتوقف في هذا الباب عند قوله:

إذا لم تتمكن من الذهاب إلى منى يوم التروية الثامن من ذي الحجة للمكث بها وصلاة خمس صلوات بها قصراً وهي:

١- الظهر.

٢- العصر.

٣- المغرب.

٤- العشاء.

٥- الفجر.

فهذه سنة فلا شيء عليك بتركها.

التوجه إلى عرفات يوم ٨ من ذي الحجة:

فاعلم أن الحج عرفة كما جاء في الحديث الشريف.

فمن فاتة الوقوف أو وقف بغير عرفة فقد فاته الحج.

ويتحقق الوقوف بعرفة بالآتي:

١- الحضور ولو لحظة (بمقدار سجدتين) واقفاً أو جالساً، أو راكباً أو ماشياً.

٢- والوقوف في أي وقت من بعد ظهر اليوم التاسع إلى فجر اليوم العاشر.

٣- الأفضل الجمع بين آخر جزء من النهار وأول جزء من الليل (قبيل غروب شمس يوم ٩ إلى ما بعد الغروب ليلة ١٠ من ذي الحجة).

٤- الأفضل أن تكون على طهارة ولا يشترط دوام الطهارة طول اليوم.

٥- وأن تكثر من الدعاء في هذا اليوم لنفسك ولإخوانك وأهلك والمسلمين عامة.

وعن الذهاب إلى مزدلفة يقول:

فعند الوصول إليها يؤدي الحاج بها صلاتي المغرب والعشاء جمعاً (تأخيراً) وقصراً ركعتين للعشاء فقط والمغرب كما هو. وذلك في وقت صلاة العشاء.

١- المبيت بمزدلفة - إن استطعت - حتى تصلي بها الصبح.

٢- النزول إليها والبقاء بها لبعض الليل والأحسن بها وصلاة الصبح.

٣- النزول إليها وأداء الصلاة فقط.

٤- النزول والصلاة وجمع الحصى.

٥- المرور بها فقط وهذا أضعف الإيمان.

وعن المبيت في منى يقول:

وأمامك أيها الحاج أن تفعل الآتي:-

١- إما أن تنزل إلى مكة من منى لطواف الإفاضة ثم تتحلل بقص الشعر في مكة ثم تعود للمبيت في منى ثلاثة أيام بعد العيد أو يومين.

٢- أن تبقى في منى أيام التشريق لترمي الجمرات وبعدها تتوجه إلى مكة لطواف الإفاضة.

وإذا فعلت فعليك بالتحلل في منى بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر بقص الشعر أو الحلق.

ولك أيها الحاج وأنت في منى الآتي:-

١- أن تغادر منى لطواف الإفاضة ثم العودة إلى منى لتبيت بها ليالي أيام التشريق.

٢- لا تغادر منى وتبيت بها ليالي أيام التشريق ثم طواف الإفاضة بعد هذا.

٣- لك أن تمضي أول الليل بمكة وآخره بمنى أو العكس (أول الليل بمنى وآخره بمكة).

٤- ولك أن لا تبيت بمنى إذا كان لك عذر وتبيت بمكة.

٥- وعند ابن عباس وهذا مذهب الحنفية أن المبيت بمنى سنة.

٦- والأفضل المبيت بها ليالي أيام التشريق كما هي سنة النبي ﷺ إلا لأصحاب الأعذار.

٧- وإذا لم تبت في منى فعليك الحضور إليها لرمي الجمرات.

رمي الجمرات:-

١- وفي اليوم الأول (النحر) ١٠ من ذي الحجة رمي جمرة العقبة الكبرى (بسبع حصيات).

٢- وفي الأيام الثلاثة بعد العيد رمي كل يوم ثلاث جمرات الأولى (الصغرى) تلي منى وهي بجوار مسجد الخيف الثانية (الوسطى) الثالثة (الكبرى) وهي آخر الجمرات باتجاه مكة والرمي من الزوال ... الظهر إلى غروب الشمس.

وهذا هو الرأي القديم. وهذا هو الأفضل لفعل النبي ﷺ إذ كان هذا ميسوراً ... فيه ضرر أو مشقة فالرأي الجديد وهو: يجوز الرمي في كل الأوقات إذا لم يتيسر الرمي من بعد الزوال (الظهر) إلى غروب الشمس قال بهذا:

١- عطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان من فقهاء التابعين.

٢- أجاز الرمي من الفجر الإمام الرافعي. من فقهاء الشافعية.

٣- هذا موافق لإحدى الروايات في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة.

٤- قال بهذا الكثير من الفقهاء غير هؤلاء.

٥- أفتى بالرمي في جميع الأوقات إن لم يتيسر الرمي بعد الزوال:

أ- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمصر.

ب- مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

وهذا موافق للسنة لقوله تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وعن طواف الإفاضة يقول: وهو ركن من أركان الحج يبطل الحج بتركه لقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ (البقرة: ١٩٩)

وبعد...

فعلى مدى ما يربو عن أربعمائة وثلاثين صفحة ضمت مائة وستين عنواناً ناقش المؤلف الكثير من قضايا الحج ولعله لم يترك موضعاً لسؤال حتى أفاد فيه.

وكنت أود أن يحمل غلاف الكتاب عنوان الموضوع (فتاوى الحج والعمرة)؛ ليسهل على الباحثين الوصول إلى هذا العنوان وأقصد بالباحثين هنا زوار بيت الله من غير المتخصصين في البحث العلمي؛ فأغلبهم يبحث عن ضالته قبل السفر بوقت يسير.

نسأل الله أن يجزي المؤلف خيراً وأن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طرائف.. ومواقف

مختارات شعرية

● [illegible]

[illegible]

● [illegible]

[illegible]

● لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

● وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرق العود

أحكم آية في القرآن الكريم

إن من يعمل [illegible]

[illegible] مثقال ذرة [illegible]

ويجازى بفعله الشر شرا

ويفعل الخير أيضا جزاءه

[illegible]

[illegible]

قال ابن مسعود - رضى الله عنه - هذه أحكم آية في القرآن الكريم، وجاء عن كعب الأحبار قوله: لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف.

● قال تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٧، ٨)

وكان رسول الله ﷺ يسمى هذه الآية الآية الجامعة الفاذة كما في الصحيح. فكم في حبة العنب مثاقيل ذر، وكم في التمرة وكسرة العيش من مثقال الذر، وكم في الآثام مهما حقرت من [illegible]

فطوبى لمن وعظته الآيات، ونبهته العبر والأمثال.

قالوا عن سيدنا عمر - رضى الله عنه -

● في مسند الإمام أحمد، عن النبي ﷺ قال: «اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه».

● وقال على - رضى الله عنه - وكرم وجهه: إن الله عز وجل - جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهم من الولاة إلى يوم القيامة، سبقا، والله سبقا بعيدا، وأتعبا من بعدهما إتعابا شديدا.

● عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «أشد أمتى فى أمر الله عمر».

● قالت أم أيمن حين أصيب عمر: اليوم وهى الإسلام.

● رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدا، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: نساك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقا.

● قال ابن عباس: دعوت الله أن يريني عمر بعد موته، فرأيته في المنام يسلت العرق عن وجهه، فقلت له: ما فعلت؟ قال: رأيت الله رءوفا رحيما، ولولا رحمته لهوى عرشى.

● بكى سعيد بن زيد حين مات عمر، وقال: على الإسلام أبكى، إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة.

● حقا يا عمر كنت جوادا بالحق، بخيلا بالباطل، ترضى حين الرضا، وتغضب حين الغضب، عفيف الطرف طيب الظرف لم تكن مداحا ولا مغتابا.

مات عمر فهوى علم من أعلام الإسلام، أبكى الدنيا مصرعه، وطويت صفحة من صفحات لا مثيل لها في التاريخ الإنساني كله سواء بمقاييس الأقدمين أو بالمقاييس العصرية.

عظة بالغة

قال الأصمعي: صنع الرشيد يوما طعاما فاخرا، وزخرف مجالسه ثم أحضر أبا العتاهية الشاعر، فقال له:

صف ما نحن فيه من نعيم الدنيا، فأنشد:

عش ما بدا لك سالما

في ظل شاهقة القصور

فقال: أحسنت، ثم ماذا؟ فأنشد:

يسعى إليك بما اشتهيـ

ـت لدى العشية والبكور

فقال: أحسنت، ثم ماذا؟ فأنشد:

[illegible] تقعقع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد بكاء شديدا، فقال بعض الحاضرين لأبي العتاهية: بعث إليك الأمير لتسره فأحزنته؟

فقال الرشيد: دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه.

الشيطان ومداخله

قيل إن إبليس ظهر لسيدنا عيسى - عليه السلام - فقال له: ألست تقول: لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك؟ قال: بلى، قال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل، فإذا قدر الله لك السلامة تسلم. فقال له: يا ملعون إن الله - تعالى - يختبر عباده، وليس لعبد أن يختبر ربه.

دعاء

من دعاء بعض الصالحين قوله:

كم من نعمة أنعمتها عليّ، قلّ لك عندها شكرى

وكم من بلية ابتليتنى بها قلّ لك عندها صبرى

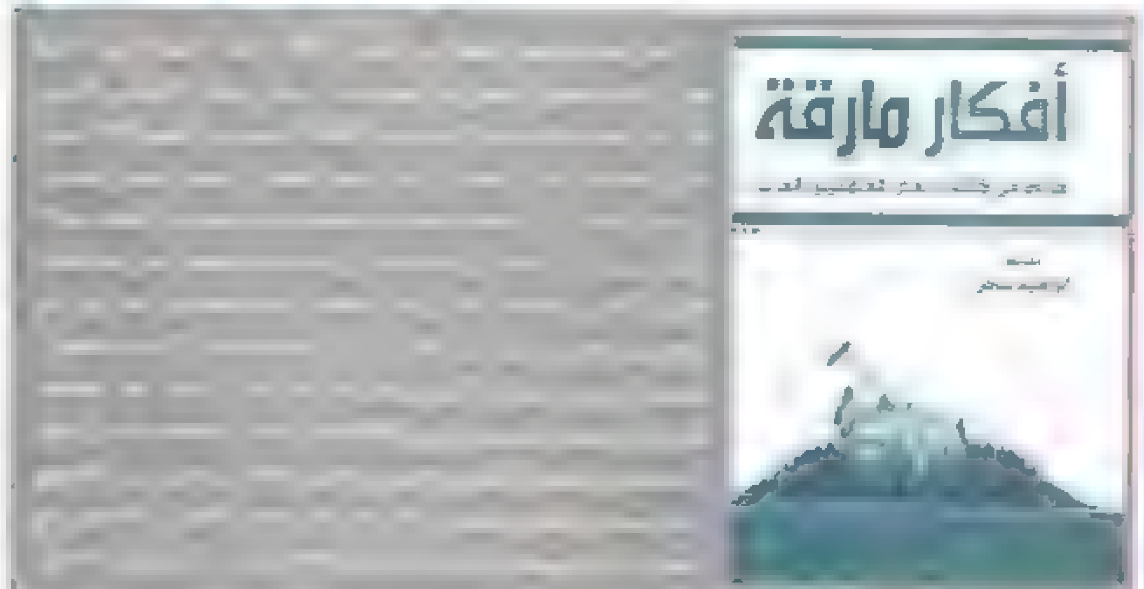
فيا من قلّ شكرى عند نعمته فلم يحرمنى، ويا من قلّ صبرى عند بلائه فلم يخذلنى، ويا من رآنى على الذنوب العظام فلم يفضحنى، ولم يهتك سترى؛ ويا ذا المعروف الذى لا ينقضى، ويا ذا النعمة التى لا تحول ولا تزول، صل على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا وارحمنا.

مكتبة الأزهر

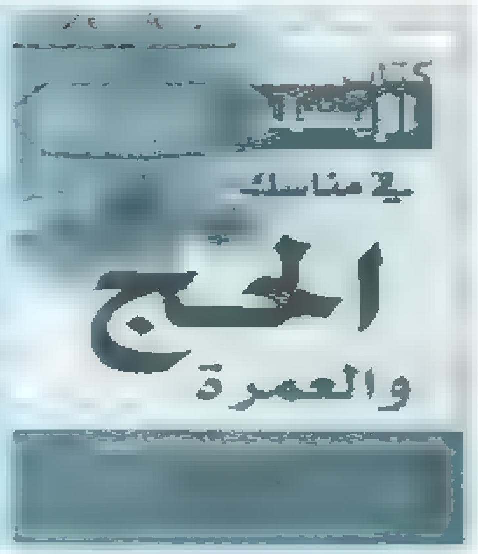
تسعى "الأزهر" عبر هذا الباب الى التواصل مع القارئ العزيز من خلال تقديم نبذة عن أحدث الاصدارات الجادة فى شتى مجالات المعرفة. ذلك للمساهمة فى تكوين عقلية واعية وعصرية.



يقدم الشيخ حسن أيوب في كتابه "فقه الحج والعمرة" الصادر عن دار السلام تبسيطا لمناسك الحج والعمرة يناسب ثقافة الإنسان العادي دون تعقيد مع إلمام كامل بكل الأحكام الشرعية يبدأ المؤلف بتعريف الحج والعمرة والأدلة عليهما من الكتاب والسنة مع استعراض شامل لكل الآراء الفقهية المتعلقة بكل شعيرة ويعلل المؤلف في مقدمة كتابه أسباب ذكره آراء العلماء المختلفة في كل التفاصيل بقوله "السبب في ذلك هو إشعار المسلم بسعة رحمة الله وفضله، حيث جعل دينه سهلا ميسرا لا حرج فيه ولا مشقة ولا تضييق ولا تشديد [illegible] [illegible] وسنة نبيه"، ويمضي المؤلف [illegible] [illegible] التمسك بمذهب معين قد [illegible] [illegible] والتضعيف ومع اعتماده على دليل قوي أو كاف".







في طبعة جديدة بحجم الجيب أعادت دار السلام نشر كتاب "الإيضاح في مناسك الحج والعمرة" للإمام النووي.. يضم الكتاب ثمانية أبواب عن آداب السفر ووجوب الحج والإحرام ودخول مكة وزيارة قبر الرسول ﷺ وحج الصبي وآداب الرجوع من السفر [illegible] الكتاب قائلا: "جمعت هذا الكتاب مستوعبا لجميع مقاصدها [illegible] المناسك- مستوفيا لكل ما يحتاج إليه من أصولها وفروعها ومعاقدها [illegible] عليه شيء من أمر المناسك في معظم الأوقات ولا يحتاج إلى السؤال لأحد عن شيء من ذلك في أكثر الحالات وقصدت فيه أن يستغني به صاحبه عن استفتاء غيره عما يحتاج إليه".



يشن د. محمود سعيد ممدوح مؤلف كتاب "تنبيه المسلم إلى تعدي الألباني على صحيح مسلم" الصادر حديثا عن مكتبة [illegible] هجوما على الراحل الشيخ ناصر الألباني أبرز رموز الفكرة السلفية المعاصرة وذلك لموقف الألباني النقدي من صحيحي البخاري ومسلم، يوضح المؤلف في مقدمة الكتاب السبب الداعي للرد على العلامة السلفي الشهير حيث يقول: "وقفت على كلام للشيخ الألباني ضعف فيه جملة من الأحاديث التي في صحيح مسلم فتكلم عليها بما يؤكد خطأه ويثبت خروجه على ما قرره العلماء من صحتها وتلقيها بالقبول المفيد للعلم" ويؤكد المؤلف أن كلام الألباني على أحاديث مسلم فيه من الإغراب والمخالفة والتعقب على المتقدمين ما يوهم المغترين به أنه استدرك على الأئمة المتقدمين كالبخاري ومسلم، وبعد أن يؤصل المؤلف لتلقي الأمة أحاديث البخاري ومسلم بالقبول يمضي ردا على الألباني بالتفصيل في الأحاديث التي انتقدها في صحيح مسلم

بين الصحف والمجلات

هولوكوست فلسطيني

تحت هذا العنوان جاء «رأي القدس» المنشور بجريدة «القدس العربي» الصادرة بتاريخ: ١٩ / ٩ / ٢٠١٢م يتضمن ما يلي:

مرت ذكرى مجازر صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف بريء معظمهم من النساء والأطفال، مرور الكرام في ظل انشغال العالم العربي بالأحداث السورية ومجازرها، والفيلم المسيء للرسول (ﷺ) وما تبعه من احتجاجات مشروعة.

المجزرة خطط لها إرييل شارون ونفذتها مجموعة مسلحة تابعة لحزب الكتائب بقيادة إيلي حبيقة.

من المفارقة أن إسرائيل شكلت لجنة تحقيق «كاهان» لكشف ظروف وملابسات هذه المجزرة، أكدت أن القوات اللبنانية عملت بتنسيق مع الجيش الإسرائيلي، وبإشراف رافائيل إيتان رئيس هيئة أركانه، وبضوء أخضر من شارون، ولكن لم يتم تشكيل أي لجنة لبنانية أو عربية أو دولية.

مناحيم بيجن رئيس الوزراء في حينها أصيب باكتئاب مزمن لازمه حتى موته، وشارون أدين وعزل من منصبه وكذلك الجنرال إيتان، بينما جرى تزوير إيلي حبيقة منفذ المجزرة وصديق النظام في سوريا إلى أن تم اغتياله لاحقًا بسيارة مفخخة.

منظر جثث الشهداء مازال ماثلًا في الأذهان حتى هذه اللحظة، رغم مرور ثلاثين عامًا على المجزرة، أمهات يحتضن أطفالهن، وكهول منتفخة جثثهم ورجال جرى التمثيل بجثامينهم، في فورة انتقام حاقد ليس له أي مثيل في التاريخ الحديث.

لم يتبادر إلى ذهننا مطلقًا أن هناك بشرًا يقدمون على أعمال قتل كهذه وفي حق أناس عزل في مخيمهم لم يرتكبوا أي جريمة، ولم يملكوا سلاحًا للدفاع عن أنفسهم.

لا نعرف ما إذا كان هؤلاء يملكون ضمائر، أو ينتمون إلى البشرية، وتجري في عروقهم دماء إنسانية أم دماء وحوش الغاب حتى يقدموا على هذه المجزرة وبهذه الطريقة البشعة.

إنه هولوكوست فلسطيني ينضم إلى مسلسل طويل من الهولوكوستات التي لحقت بالفلسطينيين والعرب ومازالت.

لا تحسبوه شرًا لكم

تحت هذا العنوان جاء مقال الدكتور محمود إبراهيم الدوعان المنشور بجريدة المدينة الصادرة بتاريخ: ٣٠ / ٩ / ٢٠١٢م يقول فيه:

أشعل الفيلم المسيء لمقام سيدنا رسول الله ثورة الغضب في قلوب المؤمنين الموحدين والمحبين لنبينا وسيدنا محمد بن عبد الله (ﷺ)، وثارت الدنيا من أقصاها إلى أقصاها حبًا وصدقًا ووفاء وفداء لهاديها إلى الطريق المستقيم وصاحب الخلق العظيم.. كما أشعل ذلك الفيلم المسيء جذوة الحب في قلوب جميع المسلمين تجاه نبيها الكريم، وأصبح ذكره (ﷺ) على لسان الصغير والكبير، والمحب والنكير، لأنهم تعرضوا بالإساءة لسيرة البشير النذير.

إن الذب عن عرض رسول الله، وصحابته المكرمين، وأهل بيته الطاهرين لهو أمر واجب، وفرض على كل مسلم ومسلمة، وله الحق في أن يعترض على الإساءة لسيد الخلق، وأن يرد الإساءة بعدة وقفات كما علمنا (ﷺ) ومنها: أولًا: اتباع سنته والتأسي بهديه، والتمسك بشريعته السمحاء، وإنفاذ توصياته والعض بالنواجذ على ما جاء به عليه الصلاة والسلام، ثانيًا: نشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى نقتدي بهديه، ونستن بسنته المطهرة وهي التعامل الراقي حتى مع أعدائنا وأعداء نبينا، الذين طعنوا في أخلاقه، وصفاته، وشمائله، التي لا نقبل المساس بها بأي حال من الأحوال، ثالثًا: محبته ظاهرًا وباطنًا كما قال عليه الصلاة والسلام: «والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

تحية إعجاب وتقدير لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين هبوا للذود عن عرض سيدنا رسول الله (ﷺ) أو الإساءة لشخصه الكريم، فكانوا جميعًا محل تقدير من العالم أجمع.

ولن يزيدنا الحقد والحسد لنبينا إلا حبًا والتصاقًا وأكثر تبعية لصاحب الرسالة العصماء، وبهذه المحبة وصل ذكر المصطفى (ﷺ) إلى قلب كل بيت في أرجاء المعمورة، وعرفه الملحدون، والوثنيون، والكارهون، وجفاة القلوب، وشعروا جميعًا بعظيم الأسى والغيظ، لمشاعر الحب العظيمة من جميع المسلمين تجاه نبيهم الكريم صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المكرمين، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

لماذا يكره العرب والمسلمون أمريكا؟

تحت هذا العنوان جاء مقال الكاتب البريطاني «باتريك سيل» المنشور بجريدة «الحياة» الصادرة بتاريخ: ٢١ / ٩ / ٢٠١٢م، يقول فيه:

بعد أن أطلق المسلمون والعرب موجة عنف معادية للأمريكيين في عدد من الدول، إلى جانب قتل السفير الأمريكي كريستوفر ستيفنز في مدينة بنغازي، جاء رد الفعل الأمريكي

تملؤها بالإرباك وبالغضب وبالعطش إلى الانتقام، فتم إرسال قوات المارينز لحماية السفارات الأمريكية. ويبدو أن عددا قليلا من الأمريكيين يدركون أن بلدهم يدفع ثمن السياسات الخاطئة التي تم اعتمادها على مدى عقود.

وحاول بعض الرؤساء الأمريكيين خرق جدار الأزمة العربية - الإسرائيلية، إلا أن السياسات الداخلية المعتمدة وتعنت القادة الإسرائيليين أحبطت مساعيهم. فأحبط مناحيم بيجن المساعي التي قام بها جيمي كارتر فيما أحبط إسحق شامير كل محاولات جورج بوش الأب. وكاد بيل كلينتون أن يعقد صفقة قبل أن يرحل عن منصبه، غير أن مسئولين موالين لإسرائيل مثل دينيس روس قوضوا جهوده.

لم تحقق الولايات المتحدة فحسب في حل النزاع العربي - الإسرائيلي، بل عززت هيمنة إسرائيل الإقليمية، ويجب بالتالي اعتبارها متواطئة في الهجمات الكثيرة التي تشنها ضد الدول المجاورة لها ويدرك وقف الأمريكيون وسألوا أنفسهم عن سبب الهجوم الذي تعرضوا له في ١١ (سبتمبر) ٢٠٠١ م. لاشك في أن مسألة فلسطين كانت السبب، غير أن السبب الآخر هو العقاب القاسي الذي أنزلته الولايات المتحدة بالعراق من خلال إخراجها عنوة من الكويت عام ١٩٩١ م ومن ثم من خلال فرض عقوبات قاسية عليها خلال السنوات الـ ١٣ التالية، ما أدى إلى مقتل نصف مليون طفل عراقي.

أدت «الحرب العالمية على الإرهاب» التي أطلقها جورج بوش الابن عقب أحداث الحادي عشر من أيلول إلى سوء استخدام للسلطة الأمريكية. وبدلا من الاستعانة بالشرطة لمطاردة أعضاء تنظيم «القاعدة»، خاضت الولايات المتحدة حربا في أفغانستان ومن ثم سمحت لنفسها بالانقياد وراء جماعة بول وولفويتز والمحافظين الجدد الآخرين الموالين لإسرائيل الهادفة إلى غزو العراق. لدى اعتباره المحافظون الجدد عقب الحرب التي اندلعت بين إيران والعراق تهديدا محتملا لجبهة إسرائيل الشرقية. ويقال إن ١.٤ مليون عراقي قتل نتيجة احتلال العراق وتدميره إلى جانب ٤٥٠٠ جندي أمريكي.

ويتم إلى اليوم ارتكاب أخطاء فادحة. بدلا من التحاور مع إيران كما وعد أوباما حين وصل إلى السلطة شن حربا غير معلنة على الجمهورية الإسلامية. وفرض العقوبات عليها. وتم تفويت فرصة التوصل إلى صفقة مع طهران تكون رابحة للطرفين ومن شأنها السماح لإيران بإنتاج اليورانيوم المنخفض التخصيب لتوليد الكهرباء إلى جانب التخلي عن ٢٠٪ من اليورانيوم؛ لأن إسرائيل تصر على ضرورة تدمير صناعة إيران النووية بالكامل.

وقلبت إسرائيل الطاولة على حليفها القوي. فبدلا من أن تكون إسرائيل حارسة أمريكا، يبدو أن الولايات المتحدة تحولت إلى حارس لإسرائيل، يهدد أعداء إسرائيل ويعاقبهم ويشوه سمعتهم ويشن حروبا عليهم بالنيابة عنها. لابد من أن الأمريكيين قد سئموا هذه الوقائع. هذا إن كانوا يعرفونها أصلا

سوريا... تخطي قيود السياسة

تحت هذا العنوان جاء مقال الاستاذ/ هاني البنا المنشور بجريدة «الشروق» الصادرة بتاريخ ٣٠/٩/٢٠١٢م يقول: شهد شهر أغسطس زيادة مأساوية في حدة الأزمة السورية، إذ أشارت التقارير إلى مصرع أكثر من ٥٠٠٠ سوري، وجرح أعداد لا تحصى، وفرار ١٠٠٠٠٠ من البلاد. وكان يوم الأربعاء الموافق ٢٦/٩/٢٠١٢م هو اليوم الأكثر دموية منذ بدء الاحتجاجات في سوريا، حيث سقط ٣٤٣ قتيلا. وأعلنت الأمم المتحدة بنزوح حوالي ألفين إلى ثلاثة آلاف يوميا.

ومنذ بداية أعمال القمع الوحشية في مارس ٢٠١١، أجبر ١٠٪ من الشعب السوري على ترك منازلهم. وأصبح ربع مليون سوري - ومن بينهم أطفال بلا عائلات - لاجئين، فروا إلى مخيمات مؤقتة رثة في الدول المجاورة، الأردن، وتركيا، ولبنان، وغيرها من البلدان القريبة.

على مدار أكثر من ١٨ شهراً، ومع استمرار زيادة وتيرة العنف في سوريا، ظل المجتمع الدولي منقسماً، وظلت حكوماته تتبادل الاتهامات بالتعاطف مع النظام أو مناهضته. هذه الحالة أفضت إلى انسداد سياسي وزيادة عسكرة النزاع، ليصبح المدنيون السوريون العاديون هم الخاسر الأكبر.

فلابد أن يتاح للمنظمات الإنسانية الدولية أن تخفف كثيرا من آثار العنف وترفع الكثير من معاناة مئات الآلاف من السوريين، فتلك المنظمات قادرة على تقديم الإغاثة الطبية الأساسية، وتوزيع الغذاء، وإعادة تأهيل إمدادات المياه والرعاية الصحية للمدنيين الضعفاء، مهتدية في ذلك بالمبادئ الإنسانية والتدفقات جيدا. وفي نأي تام عن أي أجندات سياسية. وبإمكانها أيضا أن تنسق جهودها مع منظمات المجتمع المدني السورية المحلية الشعبية، التي ظهرت خلال عام ونصف العام الماضي، وتعزز عملها بشكل كبير، حتى تلعب دورا بسبب حيويتها وتواصلها بشكل فريد مع السكان المحليين

تستطيع روسيا والصين وإيران، اليوم، بوصفهم الحلفاء الرئيسيين للنظام السوري، أن يضغطوا على الحكومة السورية لرفع قيودها عن المنظمات الإنسانية المستقلة القادرة على توفير الإمكانات المتخصصة، اللازمة لعلاج الوضع المتزايد سوءا.

شهد اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، في نيويورك، إدانة العديد من قادة العالم لما يحدث في سوريا، في نفس الوقت الذي يستمر الوضع على الأرض في التدهور، لقد آن الأوان ليرى الشعب السوري أن حلفاء النظام لن يتركوه وحده، فتوفير ممر آمن عبر معرفة من يقوم بالمساعدات الإنسانية في سوريا ليس بالخيار السياسي، بل هو بالأحرى مسئولية أخلاقية.

بين المجلة والقارئ

الحج وحركة الأمة المسلمة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ/ مصطفى الأزهري - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة، قال فيها:

لم يكن الإسلام يوماً ما، دين مساجد وصلوات وخلوات خاصة بين العبد وربه فقط؛ بل كان من أولى خطواته انطلاقة نحو تحميل الحياة وبعث الروح فيها من جديد عبر منهج متكامل يشمل الفرد والمجتمع والأمة جمعاء.

أم القرى والبيت

ومن يتأمل في روعة ودلالة الأسماء التي وردت في القرآن الكريم يجد حكمة الله البالغة في تسمية البقعة المقدسة التي تضم البيت الحرام. أقصد مكة المكرمة بـ«أم القرى» والكعبة بـ«البيت الحرام» كما جاء في قوله تباركت أسماؤه:

﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾

وعن الكعبة قال تعالى:

﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾

فمكة هي أم القرى، والأم بطبيعتها تحتضن أبناءها وتلقي عليهم من ظلالها الوارفة ويشعرون معها بالأمن والأمان وروعة الاحتواء وصدق الولاء، وهو شعور لا ينكره كل من دخل مكة حاجاً أو معتمراً. وكذا الكعبة والمسجد الحرام ومن دخله كان آمناً، فهو البيت، وفي البيت يشعر ساكنوه بالأمان والاستقرار والهناء. كذلك ما يحسه كل من يمكث بالبيت ويطوف حول الكعبة طائفاً ومتبتلاً.

الأمة حين تلتقي

وفي الحج والعمرة تتجلى روعة المكان وحكمة الرحمن في أن يجعل هذا النسك العظيم في تلك البقعة الجامعة على ضيقها ومحاولات توسعتها المستمرة أن تلتقي فيها وجوه المسلمين من أنحاء الدنيا ومن جميع الجنسيات بل ومن كل فج عميق ليعيش هذا النموذج المصغر من الأمة كلها حقيقة الإسلام الكبرى وهي التوحيد والتلبية في مكان واحد فيكون قد تحقق المعنى الجليل للحج والعمرة في توحيد الله العلي العظيم بتوحيد المكان المقدس الجليل؛ لتمارس تلك الجموع المسلمة المعنى العميق لقوله تعالى:

﴿ يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾

العائد البريء

وكم هي غالية - كذلك - تلك الأمنية، وكم هو سعي مشكور بأن يبذل المسلم من ماله ونفسه ليغادر أهله وموطنه ويقضي أياماً فيها من الجهد والمعاناة، والابتلاء الحكيم بالامتناع عما يسمى بمحظورات الحج، كل ذلك ليعودوا كما جاءوا مقبولاً بإذن الله - بريئاً من ذنوبه، صفحته بيضاء نقية، كأنه يولد من جديد في أطهر بقعة، مكة حيث الكعبة والحجر الأسود والمقام وزمزم والصفا والمروة وعرفات والمزدلفة والإحرام ورمي الجمرات والذكر والدعاء والبكاء من خشية الله والشوق الذي يملأ القلوب للرجوع إلى الأهل والأوطان بميلاد جديد ليس فيه ذنب ولا إثم ولا خطيئة.. لينال أعظم الأجر وأفضل المثوبة يقول النبي الكريم ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

تتحقق الأهداف بالتقارب والائتلاف.. بين الدعوة والإعلام

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / إبراهيم مسلم النجار - مدير عام نظم وإدارة سابق بسندهور - قليوبية. قال فيها:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ﴾

(فصلت ٣٣)

ومن الواضح أن معنى هذه الآية ينسحب على الدعاة والإعلاميين على حد سواء فالرسالة والهدف واحد ولكل تخصصه.. كما أن رب العزة أمرهم بحسن الأداء للدعوة وترشيد المجتمع في خطابه الموجه إلى رسوله الكريم ﷺ بقوله:

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾

(النحل ١٢٥)

وفي مسألة الجدل والتحاور بالحسنى في مواجهة أهل الكتاب يقول سبحانه:

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾

(العنكبوت ٤٦)

وبذلك فإننا إذا كنا مأمورين بأن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن فمن باب أولى أن يكون ذلك مع المخالفين في الرأي من بين أهل الإسلام، وتظهر عظمة التوجيه القرآني في ذلك والذي ينسحب وصفه على الدعاة والإعلاميين لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾

(المائدة ٥٤)

وأيضاً قوله:

﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾

(الحجر ٨٨)

ومن ذلك تتبين أهمية الترابط والتنسيق والتعاون بين الداعية والإعلامي في خلق خطاب ديني عصري يستوعب متطلبات مسيرتنا الراهنة خصوصاً وأن العالم قد تلاحقت وأحداث في غاية في الخطورة والصعوبة ونحن في أشد الحاجة إلى تيار دعوي وإعلامي مخلص بحسن عرض ما كل ذلك بشكل يليق بقيمنا الدينية في ظل تعاليم وتوجيهات معلم البشرية الأول سيدنا محمد ﷺ وقد صدقت رسالته وتحكمت حكمته حتى وكأننا نعيش على الزجاجة نحتاج إلى الحكمة والتروي تحسباً لهذه الأزمة العصيبة

وضبابية الرؤية للوضع الحالي والخوف من مستقبل مجهول بعد أن تخطينا سنين حكم مخلوع التقيلة إلا أن هناك كثيرا من مشاكل والصعوبات بسبب عدم الاستقرار فالسيطرة على المنحرفين والمتجمهرين والمعتصمين ليست كافية علاوة على مؤامرات فلول مخلوع في بث الفوضى وارتكاب الحوادث والانتهاكات مما جعل الأعداء يتربصون بنا في الداخل والخارج لتنفيذ مؤامراتهم بعد أن أفرزت هذه الظروف جماعات يمولونها بالمال ويمدونها بالسلاح خصوصا وأن المخلوع لطول مدة حكمه كون طبقة عجيبة من زملائه وعملائه وذيوله الذين حاربوا الكفاءات وأبعدوهم مما يكبل لواء التطوير والتقدم واحتضروا لأنفسهم مكانة السيطرة ليباشروا السرقة والنهب والتزوير بينما هم قيادات غير مؤهلة لا شرعيا ولا دينيا حتى ضعف الوازع الديني وتسرع في كثرة التصارع بين الكثير من القوى والتيارات مما تسبب في إحداث التباين والتقاطع في مواقف المشايخ والدعاة وبين مسئولي الإعلام وأصحاب الرأي

كلهم في الهوى يرين دينه

ألف مفت ومالك في المدينة

جهلوا حجة البحار فضلوا

وادعوا قيادة السفينة

ونحن نبادي ... من هنا ... أصبح من الواجب والحتم على الجميع توحيد الصفوف والاجتماع حول رأي الأمة وكفى ما حدث!!

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

(الأنفال: ٤٦)

إن علماء المسلمين ودعاتهم لهم احترامهم ومكانتهم التي أعطاها لهم الشرع الحنيف فهم ورثة الأنبياء وعلى المجتمع أن يحترمهم وأن يوقرهم.. وتبعا لذلك يلزم تطوير الأزهر الشريف وتمكينه من أداء رسالته بتوحيد القيادات الدينية في مصر تحت مظلته وعنايته، وهذا قد يكون أقوى وأفضل من إنشاء أحزاب دينية غير مفعلة وليس لها أي تأثير يذكر.. فقد كان للأزهر الشريف شعبيته التي تحطمت دونها زعامات سياسية أمام سلطانه.. ونذكر من مواقعه أنه قامت الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة المصرية للاشتراك في الحرب العالمية الثانية! وخطب الشيخ المراغي – رحمه الله – شيخ الأزهر حينئذ قائلا: «نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل».. وغضبت بريطانيا وقابل رئيس الوزراء الشيخ المراغي الذي اشتم في لهجة رئيس الوزراء تهديدا فقال له: أمثلك يهدد شيخ الأزهر؟؟!! إن شيخ الأزهر بمركزه ونفوذه أقوى من رئيس الحكومة.. ولو شئت لارتقيت المنبر وأثرت الجماهير ولوجدت نفسك بعد ذلك معزولا في هذا المنصب

وهكذا كانت قوة الأزهر وشيوخه طوال عهوده فالمنصب علمي وديني رفيع وكلنا يعلم الدور العظيم والهائل الذي قام به الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب في تأييده ومساندته الثورة والثوار وتقديمه تلك الوثائق الوطنية التي أضاءت الطريق أمام الشعب المصري لبناء مؤسساته السياسية والوطنية.. وفق الله الجميع وجمعهم على كلمة سواء بالتعاون بين الناحية وساحة الإعلامي

فلنعلمهم ثقافتنا!!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذة/ ناهد السيد شعبان قالت فيها:

في كل مرة يقوم فيها أعداء الله وأعداؤنا بشن ضدنا تكون الحجة أن هذه ثقافتهم وبدعوى الحرية يسب الإسلام ويهزأ من رسوله ﷺ بل وجدنا من بني جلدتنا من يدافع عن هؤلاء الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا، حيث استمعت إلى الفضائية العراقية فوجدت المذيع يدافع دفاعا مستميتا عن القائمين على أمر الفيلم المسيء للرسول ﷺ وقال: «إن الأمر لا يستدعي التظاهر لأن هذا يثبت أن المتطرفين هم من الإسلاميين»!! ولا أعجب من هؤلاء وأمثالهم لأن القرآن نوه إليهم وأشهد عليهم:

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾

(البقرة: ١١)

وأما أذى المصطفى ﷺ لم ولن يمس قال تعالى

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾

(الحجر: ٩٥)

﴿والله يعصمك من الناس﴾

(المائدة: ٦٧)

﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾

(الأنبياء: ٤١)

إذن الذي تأذى هم المسلمون وهم اليوم أهل الضعف والتخلف والخور ولو كانوا اليوم خير أمة أخرجت للناس لأشربوا المعتدين والمستهزئين من نفس الكأس ولأعلموهم ثقافتنا وأن الرد قاس وحين يتعلق الأمر بالعقيدة فإن الجبين يجب أن يطأطئ الرأس خجلا!! في ذات يوم قال أبو ذر لبلال: يا ابن السوداء فأخبره ﷺ «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية».

وهنا وضع أبو ذر رأسه على التراب وقال لبلال: ... حتى تطأه بقدمك، وهذه ثقافتنا وهذا وضعنا مع أن الصحابي لم يقصد النيل من بلال.

فكيف الحال اليوم حين أراد السفهاء والحمقى النيل من أشرف وأعظم الخلق ﷺ هل نكتفي بالصراخ والعويل في الخطب.

وإذا كان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فهل أبلغ سلطان مسلمين من ملك أو رئيس أو أمير بأن الإسلام خط أحمر وعلى العين والرأس.

وإذا كان البروتوكول والمراسم عند الزيارات الدولية بين القيادات تجعل أي زعيم مسلم ينفذ بل ويتدرب على الزيارة من قبل أن يبدأ فهل أنبأ أحد من هؤلاء السلاطين زعماء الغرب والأمريكان بأن قواعد الإسلام لا تقبل المفاصلة أو القياس؟

فهل غضب حكام مسلمين للإساءة التي أرادها الملعونون للرسول الكريم؟!

أنباء الأزهر

إعداد: محمود الفشنى عبد الموجود

رسالة الإمام الأكبر إلى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون

بيان الفيلم المسيء لنبي الإسلام محمد ﷺ

لقد اجتاح الغضب ومشاعر الصدمة والإحساس بالإساءة كل أنحاء العالم الإسلامي بلا استثناء، وموجات الجماهير الغاضبة – كما تعلمون – تملأ الطرق والميادين في بلادنا، ووقفات الاحتجاج والاستنكار أمام مؤسسات والهيئات الغربية والدولية ما زالت متواصلة، منذ أيام متتابعة، لما أقدم عليه بعض السفهاء من تطاول على ذات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يؤمن برسالته ويوقره ويحترمه ويعظِّمه أكثر من مليار ونصف المليار من البشر في العالم المعاصر.

والأزهر الشريف الذي يعبِّر عن ضمير الأمة الإسلامية، ويعدُّ مسئولاً عن حماية مقدساتها ورموزها جميلة، يتوجه إلى الرأي العام العالمي، والعقلاء من المخلصين أيًا كانت عقائدهم، وإلى الشرفاء من أصحاب الرأي والفكر في العالم أيًا كانت مواطنهم، أن يستنكروا هذا العمل اللامسئول، الذي يهدد سلام العالم والعلاقات الإيجابية بين الأمم والشعوب، في وقت يسعى فيه حكماء العالم أن تصحح في هذه العلاقات الدولية، وإزالة الجراح التي خلفتها سياسات العدوان والأنانية المادية، للعديد من الشعوب الإسلامية في العراق وأفغانستان والصومال وفلسطين وغيرها، ويفاجأ بطائفة شاذة تُغضب كنيستها وتراثها قبلها، تُقدِم في وقاحة سمجة على تحقير الدين الإسلامي ورموزه، والإساءة إلى شخص النبي الخاتم محمد ﷺ وهو عمل خطير بعلاقات المواطنين في الشعوب الأمة المشرق، ناتج من ناحية الغرب، وإساءة بالغة لإحدى الديانات التوحيدية الإبراهيمية الكبرى، التي قامت على أساسها حضارة من أكثر الحضارات الإنسانية عطاء وإبداعا، وتأثيرا في الماضي والحاضر، والتي يعترف، بل يؤمن أصحابها بكل ما سبقها من رسالات سماوية، ويحترمون رموزها الروحية ويحتضنون أتباعها، في تجربة تاريخية يشهد بها المنصفون طوال أربعة عشر قرنا من الزمان.

إن الأزهر الشريف إذ يدعو الجميع في هذه اللحظات العصيبة إلى الحكمة وضبط النفس وبذل الصالح بالأرواح، ويواسي أسر الضحايا ويتعاطف مع المصابين كافة، ويؤكد وجوب حماية البعثات الدبلوماسية ومقار الهيئات الدولية – ليُعلن في الوقت نفسه، أنه لا بدَّ من اتخاذ الإجراءات القانونية الدولية لعدم تكرار مثل هذا التطاول الوقح، الذي وقع من قبل في بعض بلاد الشمال الأوربي، وحدث مرة أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تقضي قوانينها بتجريم ازدراء الأديان، وتجريم التمييز بين معتنقيها.

لا بدَّ من صدور قرار دولي يقضي بعدم المساس برموز الدين الإسلامي ومقدَّساته التي يجترئ عليها بعض الحمقى والمضلَّلين، ممن لا يعرفون قيمة السلام الاجتماعي بين الشعوب، ويستبيحون تأجيج الفتن بينها، ولا بدَّ من معاقبة هؤلاء المستهترين الذين أقدموا على تلك الأفعال الشنيعة.

والأزهر الشريف يناشد السيد بان كي مون أمين عام الأمم المتحدة، وهو واحد من حماة السلام العالمي من كل تهديد أو عدوان، أليس هذا الذي حدث من اللامسئولين يهدد السلام العالمي، ويمس دعوى المساس بالسامية التي تستنكرونها في كل حين، والتي تصدر الأحكام عند مقترفيها في العديد من بلاد العالم، ولو كانوا من كبار المفكرين والعلماء؟

لقد آن الأوانُ لصدور هذا القرار بتجريم المساس بالرموز الإسلامية ورموز سائر الأديان العالمية، بعد ما وقع من عدوان عليها، تسبب في تعكير السلام العالمي، وتهديد الأمن الدولي، وهذه المسئولية الأولى للمنظمة التي تتولون أمانتها، وتقومون على شئونها ضمانا لعدم تكرار هذه الأحداث الخطيرة في المستقبل، ولكي يعلم المستهترون الحمقى من مرتكبيها جزاء ما صنعوا، ولن يجدي في هذا الموقف الخطير التزام الصَّمت، فهو موقف لا يليق بالشرفاء والمسئولين، وإنا في الأزهر والعالم الإسلامي لمنتظرون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الأقصر في الخامس والعشرين من شوال سنة ١٤٣٣ من الهجرة الشريفة

الموافق الخامس عشر من سبتمبر سنة ٢٠١٢ من ميلاد السيد المسيح

أ.د. أحمد الطيب

شيخ الأزهر

بيان بيت العائلة المصرية بخصوص الفيلم المسيء للنبي الكريم

إن بيت العائلة المصرية، وهو الهيئة الممثلة للمسلمين والمسيحيين في مصر، التي تجمع بين الأزهر الشريف والكنائس المصرية الكبرى، وفي مقدمتها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وهو يراقب بكل اهتمام ما يدور من أحداث في هذه الأيام، وخصوصا من جراء أحداث الإجرامي الذي وقع في الولايات المتحدة الأمريكية، الفيلم المسيء للإسلام وللرسول ﷺ والذي أطلق شرارة غضب المسلمين وكل العقلاء في العالم كله، وأغضب الكنائس المصرية والمسيحيين المصريين مثل إخوانهم المسلمين، وفجَّر ردود فعل تتجاوز أحيانًا حدود العقل وضبط النفس، وإن كان لهم الحق في الغضب والرفض وإدانة الإهانة غير المقبولة على الإطلاق.

يراقب بيت العائلة المصرية برئاسة شيخ الأزهر كل ذلك وكان قد صدر بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر، والذي يرى أن مصدر هذه الإساءات المتكررة ليس عقلاء الناس ولا العاقلين منهم، وإنما هي

جهات تقف وراءها مؤسسات بهيمنة الاستعمارية ومعها الصهيونية التي يحاقدها الإسلام لكسر شوكته.

ووصت هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في بيانها بضرورة أن يتم الرد بعقل وحكمة، وأن يزيد ذلك من بصح حقائق الإسلام ومقدساته. كما أكدت الهيئة على أن هذا العمل الشائن وغيره ليس جديدا، وإنما هو قديم تحدث عنه القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

الفرقان ٣١

وناشدت الهيئة مؤسسات العالم الإسلامي الدعوة إلى دراسة ظاهرة العداء والإساءة إلى الإسلام ورموزه ومقدساته، لتحديد مصادره، والعوامل التي تغذيه وتحركها، واتخاذ السبل الصحيحة لوقفه ودحضه، ومقاومته بالأساليب العلمية القويمة التي أوصى بها القرآن الكريم، وضرورة التواصل مع الجاليات والمراكز الإسلامية في الغرب، لإيصال هذه الحقائق إلى البلاد التي تصدر منها هذه الإساءات.

كما دعا شيخ الأزهر الشريف الجماهير الإسلامية إلى الحرص على ألا يتجاوز الغضب المشروع لله ولرسوله ﷺ حدود الأدب والشمائل الإسلامية، حتى لا يؤخذ البريء بذنب المسيء، وحتى نحافظ على وحدتنا الوطنية؛ لكي لا نحقق – دون أن ندري – مقاصد الأعداء من وراء هذه الإساءات الخبيثة.

كما قرأ بيت العائلة بيانا مماثلا لبيان المجمع المقدس في القاهرة، والذي يدين بشدة هذا العمل المسيء للإسلام ورسوله ﷺ وقد أشار البيان إلى أفلام مشابهة أساءت قبل ذلك إلى السيد المسيح، وكلها أعمال تهدف لبث الفرقة بين الشعوب وأهل الأديان، وتستهدف الآن أمن مصر بشكل خاص، وأن المجتمعين بالمجمع المقدس قد هالتهم هذه الإساءة البالغة للإسلام والمسلمين داخل مصر وخارجها، ويشعرون بالغ الأسى من جرح مشاعرهم. وقد قرر المجمع المقدس أن ازدراء الأديان والإساءة لرموزها جريمة يتعين على الجميع منعها ومواجهتها، وهي إساءة تتعارض مع قيم المسيحية وتعاليم المسيح، ولهذا يتعين محاسبة كل من تثبت مشاركته في إنتاج أو عرض أو ترويج هذه الأفلام، لخروجها عن مبادئ مسيحية، والمجمع المقدس ومعه أقباط مصر المنتمون إلى الكنيسة القبطية المصرية قد عبروا عن ستيائهم، والمجتمعون يرفضون الإساءة لوحدة الشعب المصري الذي سيتخطى هذه المحنة

وقد أعلن بيت العائلة المصرية موافقته على كل ما ورد في هذين البيانين، وهو يعلن بعد توافقه التام قراره التالي

- يتبنى بيت العائلة المصرية نداء شيخ الأزهر باستصدار قرار وقانون من الأمم المتحدة بتجريم ازدراء الأديان ورموزها وأنبيائها وكتبها المقدسة، وضرورة التعامل مع مرتكبي هذه الجريمة وما يسمى "بالإسلام فوبيا" مثل التعامل مع العداء للسامية سواء بسواء.
- ويطالب بيت العائلة كل الهيئات والمؤسسات الإسلامية والمسيحية في مصر وفي الشرق والعالم كله، ومنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية ووزارة الخارجية بضرورة رفع هذا الطلب إلى الأمم المتحدة، ومتابعة خطوات تنفيذه؛ حفظا للسلام والأمن والروابط الأخوية والمحبة بين شعوب العالم.

والله ولي التوفيق

بيان الأزهر الشريف حول ما يسمى "اليوم العالمي لمحاكمة الرسول"

يستنكر الأزهر الشريف تلك الدعوات الفوضوية التي طالعتنا بها وسائل الإعلام العربية والعالمية حول ما يسمى بـ "اليوم العالمي لمحاكمة الرسول محمد ﷺ" والتي يعد لها فئة من ذوي النفوس الحاقدة، والعقول المريضة، التي طالما وقفت من الإسلام والمسلمين موقف الشبهات والأغراض الرديئة، تحت دعوى حرية الرأي والتعبير.

والأزهر الشريف إذ يدين هذه الدعوات المتطرفة التي تشعل روح العنصرية الدينية والطائفية، وتهدد أمن المجتمعات واستقرارها.. فإنه يعلن:

١ – أن الإسلام رسالة إلهية خاتمة أوحى بها الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ، وهي رسالة عامة للناس جميعا، وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي هداية للناس في كل شئونهم الدينية والسياسية والاقتصادية، جاء بالسلام وأمر بالعدل ودعا إلى الإحسان بين الناس جميعا، واتهام الإسلام بأنه دين وضعي أو بشري هو هوس وسخافة وضلال في الفكر والرأي، وهو ليس بجديد بل ردده كفار قريش في زمن النبي ﷺ، وسوف يردده كل من ينتمي إليهم من المنحرفين قديما وحديثا ومستقبلا.

٢ – أن الإسلام دين التعايش والتآلف والتعارف بين الناس، وهو دين العقل والمنطق الذي يدعو إلى "حوار الحضارات" و"التعايش السلمي"، وليس دين "صراع الحضارات"، وبث الكراهية وإثارة العداء والعداوة بين الشعوب، وهو دين المودة والبر والتعاطف مع أهل الأديان الأخرى المسالمين لنا، قال تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(الممتحنة ٨)

ولا يفوتنا في هذا الشأن أن نشيد بموقف بعض الأصوات العاقلة من إخوتنا من أبناء الديانات السماوية الأخرى داخل البلاد وخارجها، والتي رفضت تلك الدعوات العنصرية المتطرفة، ودعت إلى الحوار والتسامح بدلا من الدعوة إلى التشدد والتعصب، التي تفرق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني، وتفسد ولا تصلح

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

مشيخة الأزهر في ٢٣ من شوال سنة ١٤٣٣هـ

الموافق ١٠ من سبتمبر سنة ٢٠١٢م

أ.د أحمد الطيب

شيخ الأزهر

أنباء العالم الإسلامى



أكبر توسعة للحرم النبوى.. و٢٩٠ طنا من مياه زمزم يوميا

تيسيرا على الحجاج والمعتمرين وزوار المسجد النبوى الشريف يضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حجر أساس أكبر مشروع توسعة للمسجد النبوى الشريف تستوعب ١,٨ مليون مصل، بالإضافة إلى ما يزيد على عشرة مشاريع تنموية كبرى.

وصرح أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبدالعزيز بن ماجد بن عبدالعزيز بأن مشروع يمتد على ثلاث مراحل، تستوعب الأولى ٨٠٠ ألف مصل، كما يشهد المسجد النبوى تطويرا للخدمات المقدمة لزائريه بتزويده بنحو ٢٩٠ طنا يوميا من مياه زمزم من مكة المكرمة عبر ناقلات متخصصة وتفريغها فى ثلاثين حوض مياه مبردة موزعة على أنحاء المسجد، وأعلنت شركات ومنظمو حملات الحج السعودية أنه سيتم اللجوء لعبور البحر الأحمر لتقليل الحافلات المخصصة لنقل الحجاج بسبب الأزمة السورية وزيادة تكلفة إيجار الحافلات من تركيا عبر العراق والأردن بنسبة ٢٥٪.

أوباما يؤكد فى رسالة لمرسى رفضه للفيلم المسىء للإسلام والعنف ضد الأبرياء

تلقى الرئيس محمد مرسى رسالة خطية من الرئيس الأمريكى باراك أوباما أكد فيها رفض الولايات المتحدة لفيلم الحقد المسىء للدين الإسلامى والقيم الأمريكية وقدم أوباما الشكر للرئيس مرسى على الجهود المصرية لتأمين بعثة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة.

وصرح الدكتور ياسر على المتحدث الرسمى باسم رئاسة الجمهورية بأن الرئيس أوباما قال فى رسالته مخاطبا الرئيس مرسى: «كما أكدت لكم خلال محادثتنا الهاتفية السابقة فنحن نرفض هذا الفيلم الحاقد الذى أساء للدين الإسلامى وأساء للقيم الأمريكية فى حرية الدين والاعتقاد والتسامح، وأنه ليس هناك أى مبرر للعنف ضد الأبرياء».

وأضاف أن الرئيس أوباما أكد فى رسالته تقديره للتصريحات المهمة التى أصدرتها الرئاسة المصرية

سفير بروناى بالقاهرة: للأزهر ومصر مكانة كبيرة فى قلوبنا

أكد سفير سلطنة بروناى دار السلام داتو محمد مهدى بالقاهرة أن الأزهر منارة العلم والعلماء فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى، وأن الأزهر وعلماءه لهم مكانة فى قلوبنا.

وأشار سفير بروناى خلال حفل تكريم طلاب بلاده يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ٢٠١٢، إلى أن مصر والأزهر منذ فترة مستمرة فى دورهما الريادى فى المنطقة العربية والإسلامية، ونحن فى بروناى نبنى آمالا كثيرة على الأزهر، خاصة وأن معظم علماء السلطنة من خريجى الأزهر ويتبوءون أرفع المناصب.

وحضر الحفل الدكتور أسامة العبد رئيس جامعة الأزهر وأشاد العبد بطلبة بروناى، وكرم فضيلته أوائل الطلبة الفائزين لهذا العام، كما حضر اللقاء رئيس الجمعية الخيرية لطلبة بروناى بالقاهرة عبد الغفور الحاج حنيفة. وأشار العبد فى كلمته إلى أن الأزهر منهج الوسطية والاعتدال، والأزهر بعيد عن التشدد والتطرف، ويقوم بتدريس جميع المذاهب ويضم جميع التيارات.

وعرف رئيس جامعة الأزهر طلبة بروناى وغيرهم من الطلبة الوافدين الدارسين فى الأزهر باختيارهم وأنه لا يجبر على دراسة مذهب معين، بل تربى على الوسطية والاعتدال بعيدا عن التشدد والتطرف. وقام بتقديم شهادات التقدير إلى خريجى طلبة بروناى دار السلام وتوزيع الجوائز على الأوائل منهم.

الأزهر: محاولات الصهاينة اقتحام الأقصى تنذر بحرب دينية فى المنطقة

حذر الأزهر الشريف فى بيان له يوم الثلاثاء ١٦ من ذى القعدة ١٤٣٣ هجرية الموافق ٢ من أكتوبر ٢٠١٢ من تصاعد موجة الكيان الصهيونى جرائمه ضد المقدسات الإسلامية، ومحاولات المستوطنين المستمرة فى اقتحام باحات المسجد الأقصى.

وقال نائب الأزهر الشريف يحذر من تبعات هذا العمل الإجرامى الذى يؤجج نار الفتنة وينذر بحروب فى المنطقة، محملا الكيان الصهيونى المسئولية الكاملة عنه.

وأكد البيان على أن مدينة القدس وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك خط أحمر، لا يمكن تجاوزه، وأن أى اعتداء عليه سيهدد حتما الأمن والاستقرار، ليس فى المنطقة فحسب بل فى العالم أجمع، وعلى الكيان الصهيونى أن يدرك أن المسجد الأقصى المبارك هو من أقدس مقدسات العربية والإسلامية. ولا يمكن المساس بحرمته بأى حال من الأحوال.

وطالب بيان الأزهر المجتمع المسلم والمجتمع الدولى بضرورة التحرك الفورى لوقف هذه الانتهاكات، والعمل على حماية القدس، باعتبارها تراثا إنسانيا حضاريا، إسلاميا مسيحيا على السواء.

يشار إلى أن منظمة «منهيجوت يهوديت» المتطرفة - إحدى أجنحة حزب الليكود الحاكم - حاولت اقتحام المسجد الأقصى بشكل جماعى بمناسبة ما يسمى بـ«عيد العرش اليهودى» فى ظل حماية من الشرطة الصهيونية.

بعد الأحداث الأخيرة أمام السفارة الأمريكية بالقاهرة.

وأشاد أوباما بتصريحات الرئيس مرسي ووصفه إياها بأنها جزء من القيم المصرية والتي تدعم الشراكة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وقال المتحدث الرئاسي إن الرئيس أوباما أكد في ختام رسالته تطلعه إلى العمل مع الرئيس مرسي في الأشهر المقبلة لمواصلة التقدم في الشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة الأمريكية ومصر.

استمرار الاحتجاجات الدولية ضد الفيلم المسيء لرسول الله ﷺ

مفتي استراليا: دماء الأمريكان في رقاب أقباط المهجر

أكد د. إبراهيم محمد مفتي استراليا في بيان نشره على صفحته بالفيس بوك أن دماء الأبرياء الذين قتلوا في بعض السفارات الأمريكية في أعناق مجموعة الأقباط الذين صنعوا هذه الفتنة وتسببوا في تأجيج نارها وأنهم الفاعل الأول في أي جريمة ترتكب في هذا الشأن موضحًا أن الفيلم الذي أنتجه عدد من المنتمين إلى أقباط المهجر المقيمين بأمريكا يؤسس لنظرية جديدة في الكراهية تستحل فيها الحرية لهدم القيم وتفتح بابًا للعدوان على كل المقدسات في كل الأديان.

وأضاف مفتي استراليا: إن أمريكا حين تسمح بهذا الكذب ولا تتخذ بشأنه موقفًا حازمًا فإنها توسع دائرة الكراهية لتمسها شعبًا ووطنًا، بسبب ازدواج المعايير والكيل بمكيالين لأن ممول الفيلم يهودي إسرائيلي تقدم الولايات المتحدة لبلده كل أنواع الدعم كما تجرم بالقانون وتعاقب كل من تبدو عليه معاداة السامية. فلماذا تقف الولايات المتحدة موقف السكوت من هذا الفيلم وتتغاضى عمن قاموا به؟؟

ألمانيا تمنع قسيس الفتنة الأمريكي من الدخول

من ناحية أخرى أصدرت الداخلية الألمانية قرارًا بمنع القس الأمريكي المثير للجدل تيري جونز صاحب حرق نسخ القرآن والداعم للفيلم المسيء للإسلام من دخول ألمانيا ردًا على محاولة جمعيات ألمانية يمينية متطرفة ومعادية للإسلام توجيه دعوة إليه.

ونقلت مجلة «دير شبيجل» الألمانية على موقعها الالكتروني عن الوزارة قولها: إنها أصدرت «قرارًا» بمنع القس الأمريكي من دخول أراضيها».

ونقلت المجلة عن مصادر مقربة من وزير الداخلية قوله: «إن من يدعون إلى الكراهية لا مكان لهم في ألمانيا».

محكمة برازيلية تقضي بحظر بث الفيلم المسيء

وفي رد فعل دولي آخر احتجاجًا على الفيلم المسيء، قضت محكمة برازيلية بحظر بث الفيلم المسيء للرسول ﷺ والذي أثار احتجاجات عارمة في العديد من الدول الإسلامية. كما أمهلت المحكمة موقع «يوتيوب» عشرة أيام لإزالة لقطات الفيلم من شبكة الانترنت نهائيًا وذكرت شبكة «بي بي سي» الأمريكية أن هذا القرار الصادر من محكمة بولاية «ساو باولو» البرازيلية، والتي تضم جالية كبيرة من مهاجرين من الشرق الأوسط، جاء عقب ساعات من انتقاد رئيسة البلاد ديلما روسيف لظاهرة «الإسلاموفوبيا» في الدول الغربية وكان «الاتحاد الإسلامي الوطني» قد أقام دعوى قضائية ضد شركة «جوجل» مالكة موقع «يوتيوب» لبثها على الانترنت فيلمًا وصفه بأنه «مهين ويستغل الحق الدستوري في حرية الأديان» يأتي ذلك في الوقت الذي أعلنت فيه الحكومة التركية أنها بدأت بالفعل في اتخاذ الإجراءات القانونية لحجب الفيلم المسيء من جميع مواقع الانترنت.

الإفتاء اتفقت مع هيئة أمريكية لتحريك الدعوى ضد جونز

كما أعلن الدكتور إبراهيم نجم المستشار الإعلامي لمفتي جمهورية مصر العربية أن دار الإفتاء قامت خلال الأيام الماضية بالتواصل مع العديد من المراكز والمؤسسات الإسلامية الأمريكية حثها على تحريك دعوات قضائية ضد من أطلق عليهم وصف «المجانين» أمثال «تيري جونز» ومن معه الذين استفزوا مشاعر المسلمين بإنتاج هذا الفيلم المسيء عن النبي محمد رغبة في كسب دعاية مجانية لما خلق عليه مستشار مفتي مسمى «الهراء» الذي يطلقون عليه فنًا.

وأوضح نجم أن الدار قررت المضي في اتخاذ الإجراءات القانونية استنادًا إلى المواد الخاصة بجرائم الكراهية وفقًا لما هو ثابت في القانون الأمريكي حيث وجه فضيلة مفتي الديار المصرية د. علي جمعة خطابًا إلى الأمين العام للأمم المتحدة للمطالبة بتوقيع اتفاقية لأعضاء الأمم المتحدة تجرم التطاول على الأديان والرموز والمقدسات الدينية بحيث يكون ذلك رادعًا للسفهاء أمثال تيري جونز ومن هم على شاكلته رغبة في إيجاد حلول غير تقليدية للتصدي ومنع مثل هذه الإساءات في المستقبل من خلال وضع خطط متعددة ومتنوعة ومنها تنظيم ندوات تعريفية عن رسول الرحمة معلم البشرية سيدنا محمد.

مفتي السعودية يحذر من فيلم آخر يجسد النبي ﷺ بتكلفة ٤٥٠ مليون دولار

كما حذر مفتي عام السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ من فيلم آخر مرتقب تستعد إحدى الجهات الخارجية لإنتاجه ويتم فيه تجسيد شخصية الرسول الكريم ﷺ من خلاله منتقدًا هذه الخطوة بشدة ومبديًا معارضته التامة لها.

ووصف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ خطوة تجسيد الرسول الكريم ﷺ بأنه عمل به عبث كبير خاطئ. وقال: «لقد علمت بشأن هذا الفيلم وبأنه سيتكلف نحو ٤٥٠ مليون دولار وهذا عمل خطأ وعبث وترهات وإن هذا العمل لا خير فيه».

واعتبر آل الشيخ أن إنتاج أفلام أو نشر الرسوم المسيئة إلى الرسول الكريم ﷺ يعبر عن الحقد غير المستغرب من أعداء الإسلام على شخص رسول الله. مشددًا على أن تلك الممارسات والأقاويل افتراء وظلم للنبي الكريم.

دور الأزهر في النهوض بعلوم اللغة العربية وآدابها والفكر الإسلامي

تشهد كلية اللغة العربية ـ فرع جامعة الأزهر بالزقازيق إقامة المؤتمر العلمي الدولي الثالث في الفترة من ٦ ـ ٨ محرم ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ نوفمبر ٢٠١٢م تحت عنوان «دور الأزهر في النهوض بعلوم اللغة العربية وآدابها والفكر الإسلامي» وذلك تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب. ومعالي الأستاذ الدكتور أسامة العبد ـ رئيس جامعة الأزهر. وفضيلة الأستاذ الدكتور صابر عبدالدايم ـ عميد الكلية ورئيس المؤتمر وذلك بالتعاون مع الرابطة العالمية لخريجي الأزهر ورابطة العالم الإسلامي، وموضوعه يتعلق بالدفاع عن الأزهر ويوضح جهود علمائه في ميادين العلم والثقافة. خاصة في الظروف الراهنة التي تمر بها مصر .. في مرحلة التغيير والتحول والعودة إلى الجذور العربية والإسلامية وسوف يشترك في هذا المؤتمر كل المهتمين بعلوم العربية من علماء الأمة حتى تتحقق الأهداف المرجوة من وراء انعقاد المؤتمر ومن هذه الأهداف:

١ـ تجلية دور الأزهر الشريف جامعًا وجامعة وجهود علمائه في تأصيل قضايا الفكر الإسلامي والتقريب بين المذاهب في ضوء المتغيرات العالمية.

Earlier, Makkah was the center of trade in the Arabian Peninsula. Thus, at these days, the people concerned with the exegesis of the Qur'an said that trade is the benefit, which the pilgrims witness. However, will trade in Hajj season remain the benefit of Hajj while the non-Muslims; rather, the Pagans produce the itmes which the Muslims consume such as Prayer rag and Qiblah compass? Will trade remain the benefit of Hajj amidst the circumstances of the world today and the challenges arising?

Oil is found around Makkah and its inhabitants are no longer miserable, inhabiting an uncultivable valley. Thus, we can no say that the benefits of Hajj are limited to the commission done by the traders of the inviolable land by selling the consumer goods imported from outside the Islamic world to the pilgrims.

We find in the our Islamic world some circumstances, whose wretchedness does not require detailed explanation and challenges which divided our nation and made some of its people harsh to their Muslim brothers and merciful to the disbelievers. In these circusmtsances, the greatest and most important mission is restoring the unity of the earlier Islamic nation. This is the benefit behind Hajj – in our point of view, that is to say, calling the elite and intellectuals of the nation to unify their word in the grand Hajj conference.

٢ـ دور الأزهر وجهود علمائه في تحقيق التراث العربي والإسلامي.
٣ـ جهود أعلام الأزهر في الرد على المستشرقين وتقويم مناهجهم وأفكارهم.
٤ـ دور الأزهر وجهود أعلامه في تطوير وتأصيل الدراسات اللغوية والأدبية والشرعية.
٥ـ دور الأزهر وجهود علمائه في توحيد فكر الأمة من خلال التكامل المعرفي والتلاقي بين التخصصات المتعددة.
٦ـ تجلية أثر ووسطية الأزهر في تقريب المذاهب بين التيارات والمذاهب الفكرية والعقدية.
٧ـ دور الأزهر في مقاومة المستعمر ودوره في الثورات ضد الاستبداد ودوره المعاصر في المشهد السياسي والثقافي والاجتماعي في مصر والعالم العربي.

خبراء يحذرون من مشروع سياسي لتهجير الفلسطينيين من الدول العربية

حذر مجموعة من الخبراء والسياسيين الفلسطينيين والأردنيين في ندوة نظمها مركز الدراسات العربي الأوروبي ومقره باريس وأديرت حواراتها من عمان من وجود مخطط لتهجير الفلسطينيين من بعض الدول العربية، حيث أن تلك الخطوة تعطي مؤشرا خطيرا يتعلق بملامح حل القضية الفلسطينية الذي يحاك في الخفاء من حلفاء العدو الإسرائيلي.. وقال رئيس الديوان الملكي الأردني الأسبق عدنان أبو عودة إنه في حال وجود مشروع تهجيري لفلسطينيي سوريا فسيكون مكملا متواليا لتعب الفلسطيني في التشتت في الأفق. مؤكدا ضرورة قيام دولة فلسطينية بضفة غربية وقطاع غزة لتكون البلاد الأم لهم بدلا من التشتت. وأشار أبو عودة إلى أنه في العراق مثلا كان تهجير الفلسطينيين إلى الأردن وسوريا سياسة مقصودة وجاءت بضغط من حكومة ... في سوريا فهناك حالة هجرة كما هو حال السوريين الذين هربوا إلى الأردن فرارا من الذعر في بلادهم.. ومن جانبه، قال السفير الفلسطيني السابق عبدالشافي صيدم: إذا كان أمر ما يشاع مقتصرا على بعض الدول العربية فإن الأمر يعطي مؤشرا قا بعد خطير يتعلق بملامح حل القضية الفلسطينية الذي يحاك في الخفاء.

أحداث عنف جديدة ضد مسلمي ولاية آسام الهندية

أغلقت المتاجر والمدارس ومؤسسات المال والأعمال في مقاطعات آسام الهندية وتوقفت عن العمل مشاركة في الإضراب العام الذي دعت إليه الجماعة الإسلامية الجديدة ... احتجاجا على تصاعد أعمال العنف الطائفية ضد مسلمي الولاية.. كانت الجماعة الإسلامية الجديدة بالولاية قد دعت إلى الإضراب في مقاطعات ... على الحياة العامة فيها وذلك اعتراضا على أحداث العنف الأخيرة ضد مسلمي الولاية في الوقت الذي تراجع فيه حجم الحركة على الطريق السريع.

وقد بحث رئيس الوزراء الهندي تارون جوجوي مع أعضاء منظمات المجتمع المدني أحداث العنف الأخيرة في كوكراجهار وديبوري وبونجايجاون وشيرانج. واعترف بأن معسكرات الإغاثة مكتظة بالنازحين وأن هناك حاجة لتوفير صرف صحي سليم مطالبا الناس بتجاهل الشائعات المنتشرة.. وطالبت منظمات المجتمع المدني الحكومة بمصادرة الأسلحة غير المرخصة والكشف عن المتورطين في تفجير ... والممتلكات ومن الهجرة الجماعية لمواطني شمال شرق البلاد من بعض الولايات وطالبت الطلاب والعمال بعدم السماع للشائعات.

The one who contemplates at the rituals and acts of worship of Islam will see this strong rope and connection between every individual act of worship imposes on the individual and the whole nation, which is the nation of message and religion.

In Sawm, one feels the state of the needy; thus, he helps them in a way that links the individual to the society.

In Zakah (obligatory charity), the individual wealth gets purified and grows; thus, financial solidarity occurs in the nation.

In Salah, the congregational Salah makes the individual an integral part in the society.

In testifying monotheism, the restraints and handcuffs which break the relations between the Muslim brothers are taken off. The individual is linked to the society throughout worshipping Allah Alone.

Thus, we notice that in all of the rituals and acts of worship in Islam, there is a string that links individual to the society and renews the correlation among the individuals of the nations in which solidarity prevails. They become like the parts of the building or of the human body.

In the light of this fact and the understanding of the benefits of worship for the Muslim worshippers, we should consider the rituals of Hajj. The meeting of Muslims for performing Hajj and the grant conference for one of the pillars of Islam is the divine present, which embodies the top of the benefits granted to the Muslims. We are still in need for benefiting from it.

The Noble Qur'an talks to us about the wisdom behind the obligation of Hajj:

{And proclaim to mankind the Hajj (pilgrimage). They will come to you on foot and on every lean camel, they will come from every deep and distant (wide) mountain highway (to perform Hajj). 'That they may witness things that are of benefit to them (i.e. reward of Hajj in the Hereafter, and also some worldly gain from trade), and mention the Name of Allâh on appointed days, over the beast of cattle that He has provided for them (for sacrifice), [at the time of their slaughtering by saying: (Bismillah, Wallâhu-Akbar, Allâhumma Minka wa Ilaik)]. Then eat thereof and feed therewith the poor having a hard time. 'Then let them complete their prescribed duties (Manâsik of Hajj) and perform their vows, and circumambulate the Ancient House (the Ka'bah at Makkah).

[Hajj (pilgrimage): 27-29]

The benefits sought from Hajj to the nation are achieved with mentioning the Name of Allah and the rituals of Hajj. No doubt that if the meaning of benefit is unified, the ways of achieving it and its priorities differ according to times, circumstances, and challenges.

Commands of Allah, the Only Lord. Thus, they are these basics of Islam, as the Messenger of Allah taught us. In spite of the unity of the Divine religion since the beginning of the creation, the evolution of the human society required the multiplicity of Shari'ahs (laws) for every Messenger and Prophet. The unity of religion is associated with the multiplicity of Shari'ahs. Thus, the rituals and acts of worship varied in every Shari'ah.

For example, he Salah (Prayer) in which the servant of Allah invokes his Lord and Sawm (fasting) which is a subjective and private act of worship between the Creator and the created are known in many religious Shari'ahs in successive nations. Then, their way of performance and pillars differ from on Shari'ah to another.

Hajj links the nation of message to one center and continues and renews the Rope of religion. Also, it attracts it to the memories of light which emanated from the message and guided this nation from the darkness of the pre-Islamic era to the light of truth. The rituals of Hajj vary according to the nations of the different messages.

{And for every nation We have appointed religious ceremonies}

[Hajj (Pilgrimage) 67]

Hajj in Islam

The one who contemplates in the "center" which is visited to perform Hajj in Islam will see that:

The Sacred House of Allah located in Makkah has special characteristic in Islam, which should be contemplated. Islam is the last Shari'ah of the Divine Messages to the human being, who is Allah's successor on earth. Also, Muhammad ibn 'Abdullah (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the seal of prophets and messengers (may the blessings and peace of Allah be upon them all). Allah's Sacred House in Makkah is the first House of Allah which was established on earth.

{ 'Verily, the first House (of worship) appointed for mankind was that at Bakkah (Makkah), full of blessing, and a guidance for the 'Alamîn (mankind and jinn).}

[Al-'Imran (The Household of 'Imran): 96]

It seems that the Wisdom of Allah (Glory be to Him) willed that the Hajj of the last nation to be to the first House appointed for mankind, so that the end gets linked to the beginning and the value to the roots. Thus, this reveals that Islam, which was sent to Muhammad, can encompass and include absolute and general divine religion. This also reveals that the belief of Muhammad's nation in its Prophet is part of its belief in all of the messages and prophets from Adam to Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon them both).

Inviolable Mosque. Also, one of the attributes of Hajj is non aggression against the animal or plant as well as the human being.
{Kill not the game while you are in a state of Ihrâm [for Hajj or 'Umrah (pilgrimage)]}
[Al-Ma'idah (The Table): 95]

Whoever commits a prohibited act in a state if Ihram should offer ransom such as a sheep at least and should not eat from it. Also, it should be slaughtered in the Sacred Country at any time.

As for killing a game or whatever indicates that or cut the permissible trees, this obligates one of the following matters: Slaughtering a sheep, fasting for three days, or feeding six poor people. The pilgrim should observe his deeds in secret and in public and feel that he is the guest of his Lord. He should behave in good manners and be quiet. These attributes will accompany him forever. Allah (Glory be to Him) says:
{So whosoever intends to perform Hajj therein (by assuming Ihrâm), then he should not have sexual relations (with his wife), nor commit sin, nor dispute unjustly during the Hajj. And whatever good you do, (be sure) Allâh knows it.}
[Al-Baqarah (The Cow): 197]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever performs Hajj and did neither have sexual intercourse nor commit a sin will come back free from sins like a newborn baby."

Whoever abides by these attributes will abide by the behavior liked by Allah. These should be among the Muslims and non-Muslims as well.

The Grand Hajj Conference

By: Dr. Muhammad `Imarah

Editor-in-Chief of Al-Azhar Magazine

There are "ideas" that impose themselves on the mind of the Muslim mind as long as they are not set to practice. There are articles that should be reread as long as their ideas have not yet handled. The ideas put forth by this article are an example of this.

{To each among you, We have prescribed a law and a clear way. If Allâh had willed, He would have made you one nation, but that (He) may test you in what He has given you; so compete in good deeds. The return of you (all) is to Allâh; then He will inform you about that in which you used to differ.}

[Al-Ma'idah (The Table): 48]

Sadaqa Allah-ul-`Azhim (True are the Words of Allah, the Ever-Great)

In spite of the unity of religion; the Divine religion, since the beginning of the Heavenly Messages by Adam (may the peace of Allah be upon him) until its end with Muhammad ibn `Abdullah (may the blessings and peace of Allah be upon him), they declare one main matter which is monotheism and obedience to the

The Islamic slogan with regard to Hajj is ease and tolerance, as Allah (Glory be to Him) says:

{ Allâh intends for you ease, and He does not want to make things difficult for you}

[Al-Baqarah (The Cow): 185]

Allah (Glory be to Him) says:

{He has chosen you (to convey His Message of Islâmic Monotheism to mankind by inviting them to His religion of Islâm), and has not laid upon you in religion any hardship}

[Al-Hajj (Pilgrimage): 78]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said:

"This religion is very profound so approach it in a gentle manner and do not make yourself hate the worship of Allah because the traveler who does not let his mount rest will not reach his destination and his mount will not be able to keep going."

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I was sent as a Messenger with the tolerant religion."

There is a strong connection between fasting and Hajj. At the time when the Muslim fasts in Ramadan to reach the intended objective: purifying the soul from selfishness after practical training to strengthen the spirit of patience, Hajj, which needs for its success the previously mentioned factors such as psychological and spiritual preparation, starts.

Hajj is concerned firstly with deepening the idea of security and peace among the people in general. We should take into consideration that the place of Hajj is the Safe Country and the safe

along with that of his Companions until they raised the Word of Allah and fixed the pillars of religion. All of this will be meditated by the Muslims as they feel as if they live with the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) and listen to the Qur'an from his pure tongue and honorable pronunciation.

It is not strange to find that Hajj calls to obeying Allah and worshipping him sincerely. Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Let Hajj be followed by `Umrah, as they rid the Muslim of sins in the way bellows blows iron slag."

That is why Allah (Glory be to Him) commanded every able Muslim to perform Hajj and likened abandoning Hajj to disbelief, as He said:

{And Hajj (pilgrimage to Makkah) to the House (Ka'bah) is a duty that mankind owes to Allâh, those who can afford the expenses (for one's conveyance, provision and residence); and whoever disbelieves [i.e. denies Hajj (pilgrimage to Makkah), then he is a disbeliever of Allâh], then Allâh stands not in need of any of the 'Alamîn (mankind, jinn and all that exists).}

[Al-Imran (The Household of Imran): 97]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) added in this regard: "Whoever is able to perform Hajj and does not do that, he may die as a Christian or a Jewish."

In this way the Companions understood this concept, as Umar ibn Al-Khattab said: "I intended to write to the rulers of the countries under the Islamic state to impose Jizyah (tax) on whoever could perform Hajj, but does not perform it."

Said ibn Al-Musayyib and other Muslim rulers said: "If I get to know that there is a Muslim who was rich and can perform Hajj, but did not perform it, I do not offer Funeral Prayer over him."

Hajj implants the love of peace in the souls of the Muslims ....!

BY: Dr. Ibrahim Al-Assil

In these days every year, some Muslims go to the Sacred House to perform the fifth pillar of Islam: Hajj. This is to witness benefits for them, to mention the Name of Allah, and to renew the spirit of Islam in their souls by visiting these pure places, from which the light of guidance came and the civilization started. Also, it is the place where the Revelation was sent down, as the earth was linked to the heaven, the prophet may the blessing and the Pease of Allâh be upon him. strived hard with his Companions to help the people to be guided to the Religion of Allah and to open their hearts to know the Truth and realize the honorable principles, which brought out to the people of the best nation and generation.

At these days, the happy Muslims compete to reach the Sacred lands to revive their souls and hearts and to live, leaving all of their worldly tasks, desires, misdeeds, sins, and grudge.

At these days, the sinners and transgressors go to the places where they get mercy and forgiveness, as their tears drop down, supplications are said, and people repent to Allah by performing the obligation of Hajj.

Hajj is the last pillar of Islam. Allah (Glory be to Him) said about it:

{This day, I have perfected your religion for you, completed My Favour upon you, and have chosen for you Islâm as your religion. [Al-Ma'idah (The Table): 3]

It is Hajj in which the Prophet concluded the essentials and most important points of his message in the Farwell Sermon. In this

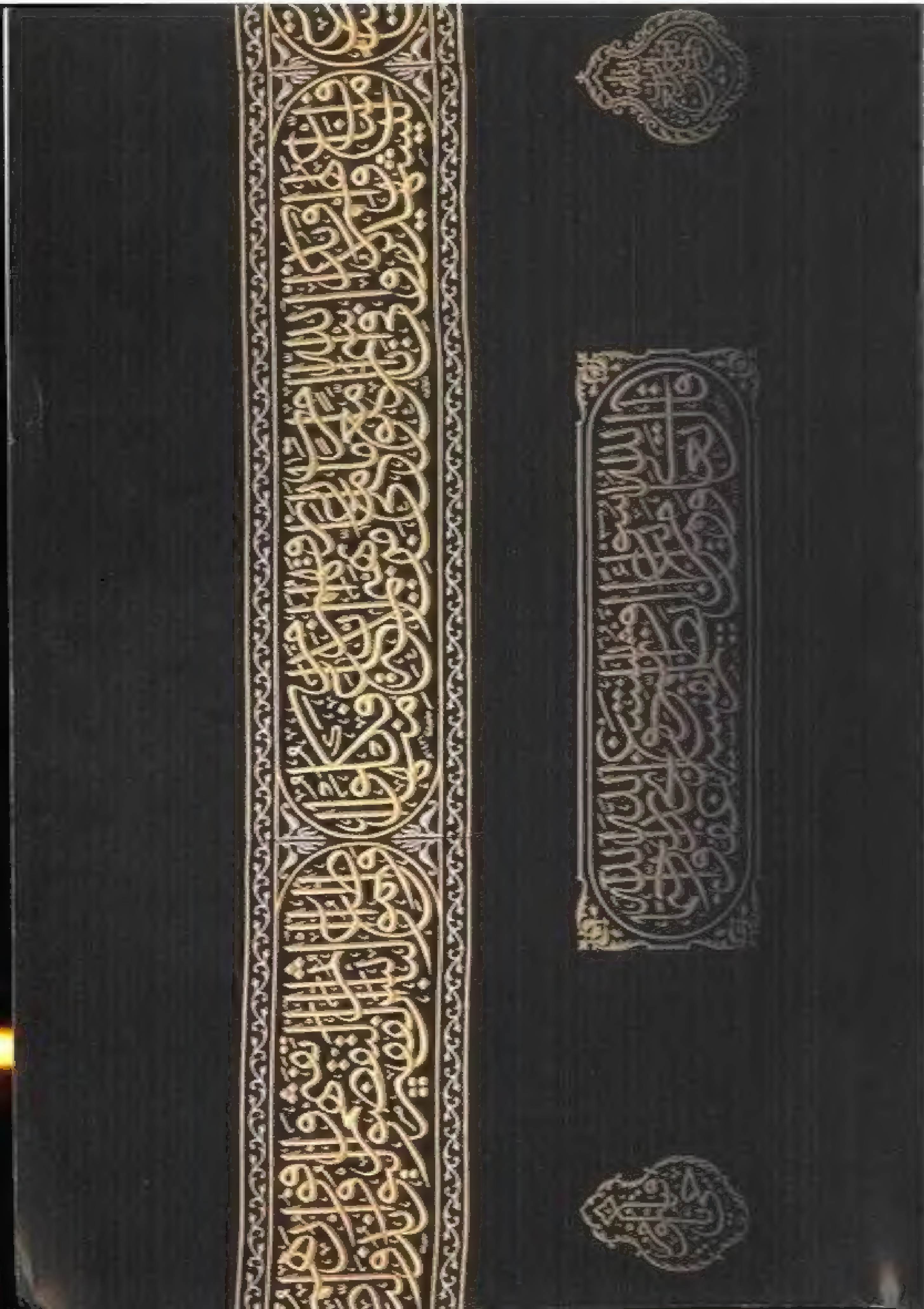
sermon, the Prophet said all the things that establish fraternity and liberty, safeguard the rights, defined the signs of guidance after which they do not go astray, nor commit misdeeds, or be beaten.

It is the place where the Muslims from all races are united and have a chance to get acquainted with each other, advise, and consult each other until they define their objective and confront their enemy as one nation with one and unified plan and work.

The obligation of gathering the people in `Arafat, about which the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said "Hajj is standing in 'Arafat" is to let the Muslims realize the value of unity in Islam and gathering for Allah. This is to face their enemy being united and strong as a great rock, half of which is in the deepest part of the earth; thus, it cannot be moved.

Man in this clamorous life does have even a short time to get rid of the aspects of hypocrisy and to go above the bad attributes and longing for interests. He cannot find this except in hajj, as the Muslims beseech their Lord with humbly with their hand raised for supplication, weeping eyes, and clothes that look like the shrouds of the dead. In this case, he does not remember life with its hypocrisy, but he remembers only the Afterlife with its reality. He does not seek pride, but he seeks only humbleness.

The religious creed needs growing faith to be strong and it cannot be so except by linking it to one of the earlier sources. Hajj can best do so. It includes seeing the Ka`bah, the first House established for the people. It is the place to which the people are directed every day five times. Also, it includes seeing honorable places, which protected Islam, repeated the Da`wah of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him), and witnessed his strife



الأزهر
ذو الحجة
١٤٣٣هـ
نوفمبر
٢٠١٢م

AL-AZHAR MAGAZINE
Dhul-Hejjah, 1433 A.H

ENGLISH SECTION
October, 2012

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

www.AlazharMag.com

في العدد القادم



السعر جنيهان

AL AZHAR MAGAZINE

facebook.com/AlAzharMag

الإسلاموفوبيا — أ.د. محمد عمارة

الدين والثورة — للكاتب الكبير: على عزت بيجوفيتش

المانوية الجديدة وقتل الآخر — للأستاذ الدكتور: طه عبد الرحمن

فتاوى لها تاريخ — للشيخ محمود شلتوت

قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور: عماد الدين خليل



هدية عدد المحرم

الأزهر والشيعة

بقلم لفيف من العلماء

دراسة وتقديم: أ.د. محمد عمارة